2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الأول

الفاتحة - البقرة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

١

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الأول

الفاتحة - البقرة ١٣٧

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة إدارة الشؤون الإسلاميَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب زاد المسير في علم التفسير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ أما بعد، فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر -وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة- لَتحمدُ الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.

والمتابع لحركة النَّشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة؛ وذلك منذ ما يزيد على تسعة عقود، عندما وجه **الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي **(الفروع)** و**(تصحيح الفروع)**، سنة ١٣٤٥هـ، وكان المؤسس **الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سن تلك السنة من قبل.

وما الجهود التي تبذلها الوزارة إلا امتدادٌ لذلك النهج، وسيرٌ على تلك المَحجَّة التي عُرِفَتْ بها دولة قطر.

ومنذ هذه الانطلاقة المباركة يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة

من أمّهات كتب التراث والدراسات المعاصرة المتميزة في فنون مختلفة.

وبين يدينا اليوم كتاب «**زاد المسير في علم التفسير**» لجمال الدين **أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي** (ت: ٥٩٧هـ)، وهو من أهم كتب التفسير، وقد لخص فيه مؤلفه كتب الذين سبقوه في التفسير، دون تطويلٍ مملٍّ، ولا اختصارٍ مُخلٍّ، فجمع ما يحتاج إليه طالب العلم من معرفة الأقوال في الآية، ومعرفة الناسخ والمنسوخ فيها.

وتمتاز هذه النسخة بأنها مقابلة على سبعِ نسخٍ خطيَّةٍ، مع إثبات الفروق المهمة بينها في الهامش، وبالجهود البيّنة التي بذلها المحققون، حيث شملت: تراجم الأعلام، وتخريج الأحاديث، وضبطها، وعزو النصوص والأشعار، مع وضع فهارس علمية منوعة.

وقد حظيت هذه الطبعة بمزيد من المراجعة والتدقيق بإدارة الشؤون الإسلامية.

والحمد لله على توفيقه ونسأله المزيد من فضله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة الشؤون الإسلامية

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحمـد للهِ ربِّ العالمـينَ، والصَّـلاة والسَّـلام عـلى سـيِّدنا محمـدٍ سـيِّد الأوَّلـين والآخريـن، وعـلى آلـه الطَّيِّـبين الطَّاهريـن، وصحابتِـه الغـرِّ المَيامـين مِـنَ الأنصـار والمهاجريـن، والتَّابعـين وتابعيهـم بإحسـان إلى يـوم الدِّيـن.

أمَّا بعد:

فـإنَّ خـير الـكلام كلامُ الله عـز وجـل، وإنَّ خـيرَ العلـوم مَا اتَّصـل بخدمة كلامـه، فكتـاب الله هـو الخالـد الـذي نـزل به الـروح الأمـين، على أكمـل البشر، وخاتـم الرسـل: سـيدنا محمـدٍ ﷺ ليخـرج النـاس مـن الظلـمات إلى النـور، بـإذن ربهـم إلى صراط العزيـز الحميـد، بعـد مـا اشـتبه عليهـم الضـلال بالهـدى، والجهـل بالعرفـان، وكان ذلـك مـن رحمـة الله بعبـاده، وعظيـم رأفتـه بخلقـه.

وقـد تكفَّـل سـبحانه بحفـظ كتابـه الكريـم، وسـخَّر الجهابـذةَ العلـماءَ للقيـام بهـذه المهمـة؛ فعكفـوا عـلى الكتـاب العظيـم دراسـةً وتدبُّـرًا وفهـمًا وتـلاوةً وعمـلاً؛ ووضعـوا عليـه المصنَّفـات والمؤلفـات الجليلـة التـي كانـت نبراسًـا وضيـاءً لمـن جـاء بعدهـم مـن أبنـاء هـذه الأمـة، ومـن هـذه الجهـود

العظيمة والإسهامات المباركة التي قام بها هؤلاء الأفذاذ كتابُنا: «**زاد المسير في علم التفسير**»؛ للإمام المفسِّر المحدِّث المؤرِّخ ابن الجوزي رحمه الله تعالى، وهو سِفر نفيس يحوي تفسيرًا كاملًا لمعاني كلام الله سبحانه، ولكل ما يحتاج إليه طالب العلم من معرفة الأقوال في الآية، ومعرفة الناسخ والمنسوخ فيها، ومعرفة جملة من الأحكام الفقهية، ومعرفة ما في الآية من قصص، كما اعتنى بذكر أقوال الصحابة والتابعين في التفسير على وجه الإيجاز، كما أنه تطرق أيضًا إلى علوم القرآن كالقراءات، وأسباب النزول، وبيان الغريب، وغير ذلك من العلوم النافعة.

فهو يعتبر كتابًا مهمًّا ومتميزًا بين كتب التفسير بالمأثور، التي جمعت أقوال السلف وأئمة التفسير، بَثَّهَا الإمامُ ابْنُ الجوزي في هذا الكتابِ بشكل محررٍ ومُختصرٍ، وقدِ اختصر -رحمه الله- «زاد المسير» من كتابه «المغني في التفسير»، وزادَ بأنِ اخْتصر أيضًا «زاد المسير»، فجعله في كتاب بعنوان: «تذكرة الأريب في تفسير الغريب»، فـ«زادُ المسير» إذن وسط بين ثلاثة كتب في التفسير للمؤلف.

وهدف الإمام ابن الجوزي من تأليفه هذا السفر تحقيق عدة أمور، نلخصها في النقاط الآتية:

١- الوفاء بتفسير الآية، بحيث لا يحتاج الناظر في كتابه إلى مطالعة كتب أخرى.

٢- ذكر أمور متعلقة بعلوم القرآن، كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وغير ذلك.

٣- انتقاء أحسن التفاسير، وأخذ الأصحِّ والأحسن، ونظمه في عبارة مختصرة.

٤- الاعتناء بالقراءات وتوجيهها.

٥- ترك الأسانيد.

ولمَّا كانت الطبعات السابقة غير سالمة من التصحيفات والتحريفات وخالية من التوثيقات، وكان الهدف من إحياء كتب التراث إيصاله إلى كلِّ طالبٍ افتَقَدَه، وإلى كلِّ دارسٍ وعالمٍ تهفو إليه نفسه لاقتنائه، وذلك بالشكل والمضمون الذي أراده له مؤلفه، وكان سبيلنا أيضًا المحافظة على نصِّ الكتاب من الأخطاء، بعيدًا عن التحريف وسهو النساخ والمصححين، وليكون الكتاب خاليًا من الأخطاء المطبعية؛ اجتهدنا في إعمال يراع التصحيح والتنقيح فيه؛ ليكون بين أيدينا نصًّا صحيحًا معافًى من العيوب؛ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ؛ نقدمه للطالب للاستفادة منه، وللعالم ليعمل فيه فكره شرحًا وتعليقًا واستنباطًا لفوائدَ ومعانٍ.

وسيكون العمل على النحو الموضَّح في الهيكلة الآتية:

يتكوَّن هذا العمل من: مقدمة، وقسمين، وفهارس.

المقدمة: أشرنا فيها إلى أهمية الكتاب المحقق، وسبب اختياره.

القسم الأول: الدراسة

الباب الأول: ترجمة الإمام ابن الجوزي

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

وفيه ثلاثة عشر مطلباً:

- المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، وأسرته.
- المطلب الثاني: ولادته.
- المطلب الثالث: موطنه ونشأته.
- المطلب الرابع: طلبه للعلم، ومسموعاته، ورحلاته.
- المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه.

- المطلب السادس: شيوخه وتلاميذه.
- المطلب السابع: زهده وعبادته.
- المطلب الثامن: شمائله وأخلاقه.
- المطلب التاسع: مكانته في علوم الشريعة.
- المطلب العاشر: أقوال العلماء فيه، وثنائهم عليه.
- المطلب الحادي عشر: مؤلفاته.
- المطلب الثاني عشر: نسله وذريته.
- المطلب الثالث عشر: وفاته

❁ المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في عصر ابن الجوزي، وأثرها على الناحية العلمية.

الباب الثاني: موارد الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير».

الباب الثالث: منهج الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير».

وفيه تسعة مباحث:

❁ المبحث الأول: تعريف الإمام ابن الجوزي بمنهجه في تفسيره «زاد المسير».

۞ المبحث الثاني: دوافع تأليف «زاد المسير».

۞ المبحث الثالث: ملامح المنهج العام للإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير».

۞ المبحث الرابع: ترجيحات ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير».

۞ المبحث الخامس: طرق ابن الجوزي في الاستدلال على المعاني في تفسيره.

۞ المبحث السادس: منهج الإمام ابن الجوزي في ذكر الأحكام الفقهية.

۞ المبحث السابع: منهج الإمام ابن الجوزي في مسائل من علوم القرآن.

۞ المبحث الثامن: القيمة العلمية لـ «زاد المسير»، وأثره على من جاء بعده.

۞ المبحث التاسع: وصف النسخ الخطية ومنهجنا في التحقيق.

القسم الثاني: تحقيق نص الكتاب

الفهارس: تم عمل فهارس متنوعة، تذليلًا للبحث في الكتاب، وتيسيرًا على الباحثين وهي كالتالي:

١- فهرس الآيات التي ورد بها أسباب نزول.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأبيات الشعرية.

٥- فهرس المحتويات.

المكتب العلمي بالدار الشامية

إشراف

زاهر بصبوص

الباب الأول

ترجمة الإمام ابن الجوزي

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف[١]:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، وأسرته:

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمَّادِي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن

(١) مصادر ترجمته: مشيخة النعّال (ص: ١٤٠-١٤٢)، ورحلة ابن جبير: (١٩٦-٢٠٠)، والكامل في التاريخ: (١٢/ ١٧١)، والتقييد؛ لابن نقطة: (رقم: ٤٢٢)، ومشيخة قاضي القضاة ابن قدامة (١/ ٩١، ٩٢)، وآثار البلاد وأخبار العباد (ص: ٣٢٠)، والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٠١)، والتكملة لوفيات النقلة (١/ ٣٩٤، ٣٩٥) (رقم: ٦٠٨)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٤٠-١٤٢) (رقم: ٣٧٠)، وذيل تاريخ بغداد؛ لابن الدبيثي (٤/ ٤٣-٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥-٣٨٤) (رقم: ١٩٢)، والعبر (٤/ ٢٩٧)، والمعين في طبقات المحدّثين (ص: ١٨٢) (رقم: ١٩٤١)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٢، ١٣٤٨)، وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٠٠-١١٠٤)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٨-٥١٢)، والوافي بالوفيات (١٨/ ١٨٦-١٩٤) (رقم: ٢٣٥)، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١٥٥، ١٥٦) (رقم: ١١٠)، والوفيات؛ لابن قنفذ (٣٠١) (رقم: ٥٩٩)، ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٩-٤٩٢)، وغاية النهاية (١/ ٣٧٥) (رقم: ١٥٩٢)، وعقد الجمان (١٧/ ٢٦١-٢٦٠)، والتاج المكلّل للقنوجي (٦٤-٧٤)، والنجوم الزاهرة (٦/ ١٧٤)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٧)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧٠)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٢٩-٣٣١)، وغيرها.

النَّضْرِ بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة ، أبو الفرج ابن الجوزي، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي[١].

وأمَّا نسبته التي اشتهر بها «الجَوْزي» - بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاي- فقد اختلف فيها العلماء، فقيل: إنَّ جدَّه جعفرًا نُسب إلى فُرضة[٢] من فُرَضِ البصرة، يقال لها: جوزة.

قال المنذري: هو نسبة إلى موضع يقال له: فرضة الجوز.

وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش: أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز.

وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة، لم يكن بواسط جوزة سواها[٣].

المطلب الثاني: ولادته:

ولد ابنُ الجوزي بدرب جيب ببغداد[٤]، واختلف المؤرّخون في تاريخ مولده: فذهب البعض إلى أنه ولد في سنة ثمان وخمسمائة، وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة عشر.

---

(١) انظر: لفتة الكبد في نصيحة الولد (ص: ٩٠).

(٢) فُرْضة النهر: ثُلمتُه التي يستقي منها، وفُرْضة البحر: محط السفن.

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦١-٤٦٢)، ومرآة الزمان (٨/ ٣١٠).

(٤) انظر: مرآة الزمان (٨/ ٣١٠).

لكن ذكر سبطه في «مرآة الزمان» في حوادث عام (٥١٠هـ) قال: وفيها ولد جدي على وجه الاستنباط لا على وجه التحقيق، وقال: سألته عن مولده غير مرة وفي كلها يقول: ما أُحقق ولكنه يكون تقريبًا في سنة (٥١٠هـ)(١).

وقال ابن القطيعي: سألته عن مولده. فقال: ما أُحِقُّ الوقت، إلا أنني أعلم أني احتلمت في سنة وفاة شيخنا ابن الزاغوني: وكان توفي سنة سبع وعشرين.

قال ابن رجب: وهذا يؤذن أن مولده بعد العشرة(٢).

وقال الدمياطي في «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» نقلًا من خطِّ ابن الجَوزي قوله: لا أُحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين(٣).

وكذلك وجِدَ بخط ابن الجوزي في تصنيف له في الوعظ إشارة إلى أنه صنفه سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وقال: ولي من العمر سبع عشرة سنة(٤).

قال ابن رجب: فعلى هذا: يكون مولده سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة.

---

(١) انظر: مرآة الزمان (٨/ ٣١٠).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٢).

(٣) انظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص:٤١٨).

(٤) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٢).

المطلب الثالث: موطنه ونشأته:

نشأ ابن الجوزي يتيمًا حيث توفي والده وله من العمر نحو ثلاث سنين[١].

والظاهر أنه لم يحظ بعناية أمّه حيث يقول موضّحًا حاله في صغره: إن أبي مات وأنا لا أعقل والأم لا تلتفت إليّ[٢].

ويُخبر ابن الجوزي عن أسرته ووالده فيقول في نصيحته لولده: واعلم يا بُني أننا من أولاد أبي بكر الصديق، ثم تشاغل سلفُنا بالتجارة والبيع والشراء.

واعلم يا بُني أن أبي كان موسرًا، وخلّف ألوفًا من المال[٣].

ولَمّا بلغ ابن الجوزي سنّ التمييز مضت به عمتُه[٤] إلى الشيخ أبي الفضل محمد بن ناصر الفقيه اللغوي الذي تولى تعليمه فحفظ على يديه القرآن وسمع منه الحديث، كما كان يحمله إلى الشيوخ يُسمعه الكتب الكبار.

وفي الجملة كان له فضل كبير بعد الله في أن يسلك ابن الجوزي طريق العلم الشرعي.

---

(١) انظر: ماسبق في مولده.

(٢) انظر: صيد الخاطر (ص: ٢٤٨).

(٣) انظر: لفتة الكبد (ص:٤٧).

(٤) وقيل: إن عمه أبا البركات هو الذي حمله إلى أبي الفضل بن ناصر. انظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي (ص: ٤١٦-٤١٧).

يحدثنا ابنُ الجوزي عن تلك الفترة من حياته فيقول: إن أكثر الإنعام عليَّ لم يكن بكسبي، وإنما هو تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار، وقد رُزقت عقلًا وافرًا في الصغر، فما أذكر أني لعبت في الطريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكًا خارجًا، حتى إني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع، فلا أتخير حلقة مُشبعة، بل أطلب المحدِّث فيتحدث بالسِّيَر فأحفظ جميع ما أسمعه وأذهب إلى البيت فأكتبه، وقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل بن ناصر، وكان يحملني إلى الشيوخ فأسمعني «المسند» وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت فناولني ثَبَتَها، ولازمته إلى أن توفي، فنلت به معرفة الحديث والنقل، ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءًا من القرآن، وأقعد حجزة من الناس فأتشاغل بالعلم[1].

---

(١) انظر: لفتة الكبد (ص:٢٣-٢٤).

المطلب الرابع: طلبه للعلم، ومسموعاته، ورحلاته:

يقول ابن الدمياطي: فلمَّا ترعرع - أي ابن الجوزي - حمله عمُّه[١] أبو البركات إلى الحافظ بن عبد الواحد الدينوري، وهبة الله بن الحصين، وأحمد بن الحسن ابن البنا، وأبي السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي وجماعة آخرين، تجمعهم مشيخته التي خرجها لنفسه.

ولازم ابن ناصر وانقطع إليه، وتخرَّج به، وقرأ الفقه والخلاف والجدل على ابن الزاغوني، ثم على أبي بكر أحمد بن محمد الدينوري، وعلى القاضي أبي يعلى، وقرأ الأدب على ابن الجواليقي...[٢].

قال ابن رجب: وحفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء، وقد قرأ بالروايات في كبره بواسط على ابن الباقلاني، وسمع بنفسه الكثير، وقرأ وعني بالطلب[٣].

وقال ابن الجوزي في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلّها بخطِّه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العدد لا تكثير العدد، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل

---

(١) وقد تقدم معنا أن المصادر قد اختلفت في ذلك هل هو عمه أم عمته.

(٢) انظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص:١٨-١٥٥).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٣).

واحد منهم حديثًا ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخًا[١].

وقد كان ابن الجوزي مجدًّا في طلب العلم، منكبًّا على تحصيله، صاحب همة عالية، يقول عن نفسه: ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة، شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم.

فأثمرت ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث سير الرسول ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود[٢].

وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم، حتى إنني أذكر في زمان الصبوة ووقت الغلمة، والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي العلم من خوف الله[٣].

وقد حُبِّبَ إليه العلم منذ الطفولة وكانت نفسه تتوق إلى التبحُّر في كل علم يحدثنا عن ذلك فيقول: إنني رجل حبب إلي العلم من زمن

---

(١) انظر: مشيخة ابن الجوزي (ص:٥٣).

(٢) أي كالدليل.

(٣) انظر: صيد الخاطر (ص: ٢٤٨).

الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يجب إلي فن واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه، والزمان لا يسع، والعمر أضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر، فيبقى وقوف بغض المطلوبات حسرات(١).

ويقول: ولم أقنع بفن من العلوم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث، وأتبع الزهاد(٢).

وأما عن مسموعاته: فقد سمع الكتب الكبار، كـ«المسند»، و«جامع الترمذي»، و«تاريخ الخطيب»، وله فيه فوات جزء واحد.

وسمع «صحيح البخاري» على أبي الوقت، و«صحيح مسلم» بنزول، وما لا يحصى من الأجزاء، وتصانيف ابن أبي الدنيا وغيرها.

ثم صحب أبا الحسن بن الزاغوني، ولازمه، وعلق عنه الفقه والوعظ.

وذكر القادسي: أنه تفقه على أبي حكيم، وأبي يعلى بن الفراء.

وكذا ذكر ابن النجار أنه بعد وفاة ابن الزاغوني قرأ الفقه، والخلاف، والجدل، والأصول على أَبِي بَكْرٍ الدينوري، والقاضي أبي يعلى الصغير، وأبي حكيم النهرواني، وصار مفيد المدرسة.

وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولما توفي ابن الزاغوني في سنة سبع وعشرين طلب حلقته، فلم يُعطها لصغره؛ فإنه كان في ذلك العام

---

(١) انظر: صيد الخاطر (ص: ٥١).

(٢) انظر: صيد الخاطر (ص:٥٠٣-٥٠٤).

قد احتلم كما تقدم فحضر بين يدي الوزير، وأورد فصلًا في المواعظ، فأذن له في الجلوس في جامع المنصور.

وسمع على أبي بكر الدينوري الفقه، وعلى أبي منصور بن الجواليقي اللغة، تتبعت مشايخ الحديث، وانقطعتْ مجالس أبي علي الراذاني - يعني الذي أخذ حلقة شيخه ابن الزاغوني - واتَّصلتْ مجالسي لكثرة اشتغالي بالعلم(١).

وأما عن رحلاته: فقد قال الذهبي: ولم يرحل في الحديث، لكنه عنده «مسند الإمام أحمد»، و«الطبقات» لابن سعد، و«تاريخ الخطيب»، وأشياء عالية، والصحيحان، والسنن الأربعة، و«حلية الأولياء»، وعدة تواليف وأجزاء يُخَرّج منها.

وكان آخر من حدث عن الدينوري والمتوكلي(٢).

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه:

إن أفضل ما يدلُّنا على عقيدة هذا الإمام الهُمام هو كتبه، فقد بيَّن لنا عقيدتَه فيها، فقال في مقدمة كتابه «روح الأرواح»:

(ليس لله في خلقِه شريكٌ ولا مُعينٌ، ولا أعوانٌ ولا أنصار، جلَّ عن المثالِ والأمثالِ، والحدودِ والجهات والأقطار، تقدَّس عن أن يحصره فكرٌ ويحدَّه أين، أو يدركه وهمٌ، شَرُفَ عن الكُنه والمقدار، فعَجَنَ طينَ الخلائقِ

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٦).

بالعجز عن إدراك كيفيَّة ذاته)[1].

وقد بيّن ابن الجوزيِّ القاعدةَ التي يسير عليها في فهمه لهذه الأخبار فقال:

(واعلم أيُّها الطالب للرشاد أنه قد سبق إلينا من **العقل والنقل** أصلان راسخان، عليهما أمر الأحاديث كلها:

أما النقل؛ فقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ومن فَهِمَ هذا، لم يَحمِلْ وصفاً له على ما يوجبه الحس.

وأما العقل، فإنَّه قد عَلِمَ مباينةَ الصانع للمصنوعات، واستدلَّ على حدوثها بتغيرها، ودخولِ الانفعال عليها، فثبتَ له قِدَمُ الصانعِ)[2].

وقد بين ابن الجوزي أيضاً أن صفات الله تعالى تؤخذ من كتبه وممَّا جاء به رسلُه، فقال:

(تُتَلَقَّى أوصافُه من كتبه ورسله، ولا يُزادُ على ذلك، ولقد بحث خلقٌ كثيرٌ عن صفاته بآرائهم، فعادَ وبالُ ذلك عليهم. وإذا قلنا: إنّه موجود، وعَلِمنا من كلامِه أنَّه سميعٌ بصيرٌ حيٌّ قادرٌ.. كفانا هذا في صفاته، ولا نخوض في شيء آخر، وكذلك نقول: متكلِّمٌ، والقرآن كلامُه، ولا نتكلَّف ما فوق ذلك)[3].

---

(١) «روح الأرواح» (ص: ١٤).

(٢) «صيد الخاطر» (ص: ٨٤).

(٣) صيد الخاطر (ص: ٧٥)، و«أقاويل الثقات» (٢١٥).

وأما رأيه في التأويل، فقد بيَّنَه في كتابه «مجالس المتشابه» عندما سئل عن الاشتغال بالتأويل فقال: (آمنَّا بهذه الأخبار وأثبتناها إثباتاً يُجَلُّ عمّا يخطر في الأفكار، أو عمّا يدرك في الدنيا بالأبصار، أو يُتَوَهَّمُ في الخيال من تشبيه الحق تعالى في ذاته وصفاته بذواتِ الأغيار، لأنَّ الحقَّ بذاته منزَّهٌ عن مشابهة الخلق ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾[النحل: ١٧].

إن نَفَيتَ التشبيهَ في الظاهر والباطن فمرحباً بكَ، وإن لم يمكنكَ أن تتخلَّص من شركِ التشبيه إلى خالصِ التوحيد وخالصِ التنزيه إلّا بالتأويل، فالتأويل خيرٌ من التشبيه)(١).

فهو يجيز التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل، ومع ذلك فإنه يراه مقاماً خطيراً يجب أن يؤتى على حذر.

ثم يبين أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب فيقول:

(واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

إحداها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل، إلا أن تقع ضرورةٌ؛ كقوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر: ٢٢]؛ أي: جاء أمره، وهذا مذهب السلف.

---

(١) «مجالس المتشابه» (ص: ١٧٠).

المرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر.

والمرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحسّ، وقد عمَّ جَهَلَةَ الناقلين...)[١].

ويذكر آيات الصفات ويؤولها ثم ينسب ذلك إلى المحققين يقول:

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]؛ أي: نعمته وقدرته.

وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]؛ أي: بقدرتي ونعمتي... قلت -أي: ابن الجوزي-: هذا كلام المحققين[٢].

ورغم مخالفة ابن الجوزي لمعتقد السلف في الصفات إلا أن هذا كان عن اجتهاد وتأوُّل، ومما يؤكد صدق ابن الجوزي في طلب الحق وحرصه على المتابعة في كل أموره، غيرته على دين الله وذلك من خلال ردوده على المبتدعة من المعتزلة والجهمية وغيرهم.

قال ابن الجوزي: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب فأعانني الله سبحانه عليهم[٣].

وقال يومًا على المنبر: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم.

---

(١) «دفع شبه التشبيه» (ص: ٢٢٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٤١١-٥١١).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٦٦٤).

أما عن مذهبه: فقد كان فقيهًا حنبليًّا في الفروع، وقد ترجم له باعتبار ذلك ابنُ رجب الحنبلي في: «ذيل طبقات الحنابلة»[(١)].

المطلب السادس: شيوخه وتلاميذه:

أما عن شيوخه: فقد سمع من أبي القاسم بن الحُصَيْن، وأبي عبد الله الحسين بن محمد البارع، وعلي بن عبد الواحد الدِّيْنَوَرِي، وأحمد بن أحمد المُتَوَكِّلِي، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، والفقيه أبي الحسن ابن الزاغوني، وهبة الله بن الطبر الحريري، وأبي غالب ابن البناء، وأبي بكر محمد بن الحسين المَزْرَفِي، وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وأبي القاسم عبد الله بن محمد الأصبهاني الخطيب، والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وإسماعيل ابن السمرقندي، ويحيى ابن البناء، وعلي بن الموحد، وأبي منصور بن خيرون، وبدر الشِّيْحِي، وأبي سعد أحمد بن محمد الزَّوْزَنِي، وأبي سعد أحمد بن محمد البغدادي الحافظ، وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطي الحافظ، وأبي السعود أحمد بن علي بن المُجْلِي، وأبي منصور عبد الرحمن بن زُريق القزاز، وأبي الوقت السِّجْزِي، وابن ناصر، وابن البَطِّي، وطائفة مجموعهم نيف وثمانون شيخًا قد خرَّج عنهم مشيخة في جزءين[(٢)].

---

(١) (٢/ ٤٨٥-٥١٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٦).

وقد طبعت[١] هذه المشيخة وبلغ عدد من ذكرهم فيها ستة وثمانين شيخًا وثلاث شيخات.

قال في مقدمتها: «ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثًا»[٢].

وأما عن تلامذته: فقد حدَّث عنه ولده الصاحب العلامة محيي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله، وولده الكبير علي الناسخ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قُزْغُلِي الحنفي صاحب «مرآة الزمان»، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، وابن الدُّبَيْثِي، وابن النجار، وابن خليل، والضياء، واليَلْدَانِي، والنجيب الحراني، وابن عبد الدائم، وخلق سواهم.

وبالإجازة الشيخ شمس الدين عبد الرحمن، وابن البخاري، وأحمد بن أبي الخير، والخضر بن حَمُّوَيه، والقطب ابن عَصْرُوْن[٣].

المطلب السابع: زهده وعبادته:

قال سبطه أبو المظفر عن جده: كان زاهدًا في الدُّنيا، متقلِّلًا منها[٤].

وقال أيضًا: كان يختم القرآن في كلِّ سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا

---

(١) طبعت في دار الغرب، ط الثانية (١٤٠٠هـ)، بتحقيق: محمد محفوظ.

(٢) انظر: مشيخة ابن الجوزي (ص:٥٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).

(٤) انظر: مرآة الزمان (٨/ ٤٨٢)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨١).

إلى الجامع للجُمُعة وللمجلس[١].

ذكر ابن القادسي في «تاريخه»: أن الشيخ كان يقوم الليل ويصوم النهار، وله معاملات، ويزور الصالحين إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر عن ذكر الله، وله في كل يوم وليلة ختمة يختم فيها القرآن[٢].

قال ابن رجب معلِّقًا: كذا قَالَ. وهذا بعيد جدًّا، مع اشتغاله بالتصانيف.

قال ابن النجار - بعد ذكره نبذة من أسماء مصنفاته -: من تأمل ما جمعه بان له حفظه وإتقانه، ومقداره في العلم، وكان مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتأله، وله نصيب من الأذواق الصحيحة، وحظ من شرب حلاوة المناجاة، وقد أشار هو إلى ذلك، ولا ريب أن كلامه في الوعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبي مجرد عن الذوق، بل كلام مشارك فيه.

المطلب الثامن: شمائله و أخلاقه:

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون، لا يضيع من زمانه شيئًا[٣].

---

(١) انظر: مرآة الزمان (٨/ ٤٨٢)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨١-٤٨٢).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٦).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٧)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٤).

وقـال أيضًـا: وكان يراعـي حفـظ صحتـه، وتلطيـف مزاجـه ومـا يفيـد عقلـه قـوة، وذهنه حِـدّة، جُـلُّ غذائه الفراريـج والمزاويـر، ويعتاض عـن الفاكهة بالأشربـة والمعجونـات، ولباسـه أفضـل لبـاس: الأبيـض الناعـم المطيـب.

ونشـأ يتيـمًا عـلى العفـاف والصـلاح، ولـه ذهـن وقـاد، وجـواب حـاضر، ومجـون لطيفـة، ومداعبـات حلـوة، لا ينفـك مـن جاريـة حسـناء[١].

وقـد أُخِـذَ عليـه إعـداده بنفسـه وكثـرة مديحـه لهـا يقـول ابـنُ كثـير: وقـد كان فيـه بهـاءٌ، وترفُّـعٌ في نفسـه، ويسـمو بنفسـه أكثـرَ مـن مَقامـه، وذلـك ظاهرٌ في نَثْـره ونظمـه، فمـن ذلـك قولُـه:

مَـا زِلْـتُ أُدْرِكُ مَـا غَـلَا بَـلْ مَـا عَـلَا وَأُكَابِـدُ النَّهْـجَ الْعَسِـيرَ الأَطْـوَلَا
تَجْـرِي بِيَ الْآمَـالُ فِي حَلَبَاتِـهِ طَلَـقَ السَّـعِيدِ جَـرَى مَـدَى مَـا أَمَّـلَا
يفْـضِي بِيَ التَّوْفِيـقُ فِيـهِ إِلَى الَّـذِي أَعْمَـى سِـوَايَ تَوَصُّـلًا وَتَغَلْغُـلَا
لَـوْ كَانَ هَـذَا الْعِلْـمُ شَـخْصًا نَاطِقًـا وَسَـأَلْتُهُ هَـلْ زُرْتَ مِثْـلِي قَـالَ: لَا[٢]

وقـال ابـن رجـب في سـياق ذكـره لأوجـه كلام النـاس في ابـن الجـوزي: ومنهـا: مـا يوجـد في كلامـه مـن الثنـاء، والترفـع والتعاظـم، وكثـرة الدعـاوى، ولا ريـب أنـه كان عنـده مـن ذلـك طـرف، والله يسـامحه[٣].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٨)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٤-٤٨٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٩).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٧).

المطلب التاسع: مكانته في علوم الشريعة:

- **ابن الجوزي مُفسِّرًا:**

يقول الإمام الذهبي عن هذا الجانب من جوانب المعرفة عند ابن الجوزي: وله في كل علم مشاركة، ولكنه كان في التفسير من الأعيان[١].

فقد فسَّر كتاب الله كلَّه في مجلس الوعظ يقول عن نفسه وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى: انتهى تفسيري للقرآن في المجلس على المنبر فإني كنت أذكر في كلِّ مجلس منه آيات من أول الختمة على الترتيب إلى أن تم فسجدت على المنبر سجدة الشكر، وقلت: ما عرفت أن واعظًا فسَّر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن فالحمد للهِ المنعم، ثم ابتدأت يومئذ في أول ختمة وأنا أفسرها على الترتيب، والله قادر على الإنعام بالإتمام والزيادة من فضله[٢].

وقد خَلَّف ابن الجوزي مصنَّفات عدة في التفسير وعلوم القرآن منها: «المغني» في (٨١) جزءًا، ثم اختصره في أربع مجلدات وسمَّاه: «زاد المسير»، و«تيسير البيان فى تفسير القرآن» مجلد، و«فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» مجلد، و«عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ» في خمسة أجزاء وغيرها.

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٨)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٤-٤٨٥).

(٢) انظر: المنتظم (١٨/ ٢١٣).

ويقول هو في نصيحته لولده: ولا تتشاغلن بكتب التفاسير التي صنَّفَتْها الأعاجم، وما ترك «المغنى»، و«زاد المسير» لك حاجة في شيء من التفسير[١].

● ابن الجوزي مُحَدِّثًا:

كتب ابنُ الجوزي الحديثَ وله إحدى عشرة سنة، وسمع قبل ذلك على حد قوله[٢].

وقال ابن الدُّبَيْثي: إليه انتهت معرفةُ الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه وسقيمه، وَفَهْم معانيه وفقهه، وله في المصنَّفات المفيدة من المسانيد والأبواب، ومعرفة ما يحتج به في أبواب الفقه وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية والموضوعات وغير ذلك ما يحتاج إليه من معرفة الرجال، والرواة، والأسماء والكنى، والألقاب[٣].

وقال الساعي: روى الحديث عن خلق كثير، وسمع الناس منه وانتفعوا به، وكتب بخطه ما لا يدخل تحت الحصر، وخرَّج التخاريج، وجمع شيوخه، وأفراد المسانيد، وبيَّن الأحاديث الواهية والضعيفة[٤].

---

(١) انظر: لفتة الكبد (ص: ٧٤).

(٢) انظر: المنتظم، ترجمة أبي حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين، (١٤/ ٣٧٨).

(٣) انظر: ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي (٤/ ٤٣-٤٥).

(٤) انظر: الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير لابن الساعي (٩/ ٦٦).

ويقول هو في سياق ذكر مصنفاته في شتى العلوم: وفي الحديث: كتبًا منها: «جامع المسانيد»، و«الحدائق»، و«نفي النقل»، وكتبًا كثيرة في الجرح والتعديل(١).

ومن تآليفه الأخرى في الحديث: كتاب «الأحكام الكبير»، و«التعليق على السنن الكبرى للبيهقي».

وقال الذهبي: كان مبرِّزًا فِي التّفسير، والوعظ، والتّاريخ، ومتوسّطًا فِي المذهب، متوسطًا فِي الحديث، له اطّلاع تامٌ على مُتُونه، وأمّا الكلام على صحيحه وسقيمه، فَمَا له فيه ذوق المحدثين، ولا نقْد الحُفاظ المبرّزين(٢).

وقال أيضًا: لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة؛ بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه(٣).

والذي يظهر من كلام الذهبي أنَّ ابن الجوزي لم يكن من الحفاظ النقاد؛ بل هو مطلع على متون الأحاديث جامع لها، ويستفاد مما ذكره الموفق عبد اللطيف البغدادي وغيره أن ابن الجوزي كان له مشاركة في كل علم لا التخصص في أحدها.

أما وصفهم له بالحفظ فالظاهر أنه على المعنى الذي بيَّنه الذهبيُّ، والناظر في مؤلفاته يلمس عدم تمكُّنه في الصناعة الحديثية، ومثال ذلك

---

(١) انظر: دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (ص: ٩٦).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (١٢/ ١١٠٠).

(٣) انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٤٨٠-٤٨١).

كتابه الموضوعات، حيث ذكر أحاديث كثيرة لا دليل على وضعها وخالفه في حكمه عليها الأئمة النقاد؛ بل وأدخل حديثًا في «صحيح مسلم» ضمن كتابه الموضوعات[(١)].

قال الذهبي: ربما ذكر ابن الجوزي في «الموضوعات» أحاديث حسانًا قوية.

قال: ونقلت من خط السيد أحمد بن أبي المجد قال: صنَّف ابن الجوزي كتاب «الموضوعات» فأصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل، وما لم يصب فيه إطلاقه الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس في أحد رواتها، كقوله: «فلان ضعيف»، أو «ليس بالقوي»، أو «ليِّن»، وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه، ولا فيه مخالفة، ولا معارضة لكتابٍ ولا سُنَّةٍ، ولا إجماعٍ، ولا حُجَّةٍ بأنه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في رواية، وهذا عدوان ومجازفة. انتهى[(٢)].

- **ابن الجوزي فقيهًا:**

قال الذهبي: أنبأني أبو معتوق محفوظ بن معتوق ابن البُزُوْرِي في «تاريخه» في ترجمة ابن الجوزي يقول: فأصبح في مذهبه إماماً يشار إليه ويعقد الخنصر في وقته عليه[(٣)].

---

(١) انظر: مقدمة الموضوعات، تحقيق: نور الدين بن شكري.

(٢) انظر: «تدريب الراوي»: (١/ ٣٢٩).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٢١/ ٣٨٣).

وقد تقدَّم أنه درس الفقه على ابن الزاغوني، وأبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وقد دَرَّسَه في عدة مدارس في بغداد، وألَّف فيه مؤلَّفات كثيرة.

يقول في مقدمة كتابه «دفع شبه التشبيه»: اعلم وفقك الله تعالى أني لما تتبعت مذهب الإمام أحمد رأيته رجلًا كبير القدر في العلوم، قد بالغ رحمة الله عليه في النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء، حتى لا تأتي مسألة إلا وله فيها نصٌّ أو تنبيه إلا أنه على طريق السلف، فلم يصنِّف إلا المنقول، فرأيت مذهبه خاليًا من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم ...وما رأيت لهم تعليقة في الخلاف - أي الحنابلة - إلا أن القاضي أبا يعلى قال: كنت أقول ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ولا يذكرون أحمد؟ ثم عذرتهم إذ ليس لنا تعليقة في الفقه.

قال -يعني أبا يعلى-: فصنَّفتُ لهم تعليقة.

قلت -أي ابن الجوزي-: وتعليقته لم يُحقِّق فيها بيان الصحة والطعن في المردود، وذكر فيها أقيسة طردية، ورأيت من يُلقي الدرس من أصحابنا من يفزع إلى «تعليقة الاصطلام»، أو «تعليقة أسعد»، أو «تعليقة العاملي»، أو «تعليقة الشريفة»، ويستعير منها استعارات، فصنَّفتُ لهم تعاليق منها: «كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف»، ومنها: «جَنّة النظر وجُنّة الفطر»، ومنها: «عمدة الدلائل في مشهور المسائل»، ثم رأيت جمع أحاديث التعليق التي يحتجُّ بها أهلُ المذاهب، وبيَّنتُ تصحيحَ الصحيح،

وطعنَ المطعون فيه، وعملت كتابًا في المذاهب أدخلتها فيها، وسميته: «الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب»، وكتاب «مسبوك الذهب»، وكتاب «البلغة»، وكتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول»[١].

وبالرغم من كثرة مؤلفاته في الفقه إلا أن الذهبي يقول عن ابن الجوزي ويصفه بأنه «متوسط في المذهب»[٢].

- **ابن الجوزي مؤرِّخًا:**

وصفه الموفَّق عبد اللطيف بأنه كان في التاريخ من المتوسّعين[٣]. وليس أدل على ذلك من كتابه «المنتظم».

وقد ألَّف ابنُ الجوزي عددًا من الكتب في المناقب منها: «مناقب الإمام أحمد بن حنبل»، و«مناقب الحسن البصري»، و«مناقب عمر بن الخطاب»، و«مناقب عمر بن عبد العزيز»، و«مناقب سفيان الثوري»، وغيرها.

يقول ابن رجب: ومن أحسن تصانيفه: ما يجمعه من أخبار الأولين، مثل «المناقب» التي صنَّفها، فإنه ثقة، كثير الاطلاع على مصنَّفات الناس، حسن الترتيب والتبويب قادر على الجمع والكتابة، وكان من أحسن المصنِّفين في هذه الأبواب تمييزًا، فإنَّ كثيرًا من المصنِّفين

---

(١) انظر: دفع شبه التشبيه (ص: ٩٧).

(٢) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: (ص: ٦١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٧).

فيه لا يميز الصدق فيه من الكذب[1].

وقال فيه مؤرِّخ الإسلام أبو عبد الله الذهبي حيث يقول: علاَّمَة في السِّير والتاريخ[2].

• ابن الجوزي واعظًا:

مع أن ابن الجوزي كان مشاركًا في كثير من العلوم حتى يصعب على الإنسان أن ينسبه إلى التخصص في علم معين من العلوم، إلا أن تبريزه في الوعظ كان أمرًا ظاهرًا في سيرته، حيث ضرب بقصب السبق فيه.

يقول الذهبي: وكان رأسًا في التذكير بلا مدافعة يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهًا، ويُسهب، ويُعجب، ويُطرب، ويُطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة.

ويقول ابن رجب: إن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكَّر بها الغافلون، ويتعلَّم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسلم فيها المشركون. وقد ذكر في «تاريخه»: أنه تكلَّم مرة، فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل، وقطعت شعور مائة وعشرين منهم[3].

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٠).

ويحدثنا ابن الجوزي نفسه عن مدى تأثيره في الناس فيقول: وضع الله لي القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف[(١)].

قال ابن رجب: قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج: كانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظراف بغداد، ونظاف الناس، وحسن الكلمات المسجعة والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنغمات المطربة، وصيحات الواجدين، ودمعات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذل التائبين،... ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات[(٢)].

وقال ابن كثير: وتفرَّدَ بفنِّ الوعْظِ الذي لم يُسبقْ إليه ولا يلحق شأوه فيه، وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته، وعذوبته وحلاوةِ تَرْصيعهِ ونُفُوذِ وَعظهِ وَغوْصهِ على المعاني البديعةِ، وتقريبهِ الأشياءَ الغريبةَ فيما يُشاهَدُ منَ الأمور الحسية، بعبارةٍ وجيزةٍ سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة[(٣)].

وقد خلَّف لنا ابنُ الجوزي الكثير من المؤلفات الوعظية، ولعلَّ من أبرزها: «اليواقيت في الخطب»، و«اللهب»، و«تحفة الوعاظ»، و«اللطائف»،

---

(١) انظر: لفتة الكبد (ص:٢٥١).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٩).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٨).

و«التبصرة»، و«المنتخب»، و«المدهش»، و«بحر الدموع».

وعلى الرغم من أن ابن الجوزي قد أَلَّف كتاب: «الموضوعات»، ليجتنبها القُصَّاص والوُعَّاظ، فهو مع ذلك قد شحن كتبه الوعظية بالأحاديث الموضوعة، والقصص الباطلة، والأخبار التالفة.

قال السخاوي: قد أكثر في تصانيفه الوعظية وما أشبهها من إيراد الموضوع وشبهه[1].

المطلب العاشر: أقوال العلماء فيه، وثنائهم عليه:

قال تلميذه أبو محمد الدُّبَيْثي: إليه انتهت معرفة الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه وسقيمه، وفهم معانيه وفقهه، وله في المصنفات المفيدة من المسانيد والأبواب، ومعرفة ما يحتج به في أبواب الفقه، وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية والموضوعات وغير ذلك ما يحتاج إليه من معرفة الرجال، والرواة، والأسماء، والكنى، والألقاب.

وله أيضًا في الوعظ المؤلفات الحسنة، والكتب المفيدة، بالعبارة الرائقة، والإشارة الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة، وكان من أحسن الناس في ذلك كلامًا، وأعذبهم لسانًا، وأجودهم بيانًا[2].

---

(١) انظر: فتح المغيث (١/ ٣١٤).

(٢) انظر: ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي: (٤/ ٤٣-٤٤).

وقال الذهبي: الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، المفسِّر، شيخ الإسلام، مفخر العراق(١).

وقال أيضًا: الحافظ الكبير،...الواعظ المتفنِّن، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلم من التفسير، والحديث، والفقه، والزهد، والوعظ، والأخبار، والتاريخ، والطب، وغير ذلك،...ووعظ في صغره وفاق فيه الأقران، ونظم الشعر المليح، وكتب بخطه ما لا يوصف، ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه(٢).

وقال ابن كثير: أحدُ أَفرادِ العُلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنَّف، وكتب بيده نحوًا من مائتي مُجلَّدةٍ، وتفرَّدَ بِفَنِّ الوعظِ الذي لم يُسبقْ إليه ولا يلحق شأوه فيه،...هذا وله في العلومِ كلِّها اليدُ الطُّولَى، والمشاركات في سائر أنواعها منَ التَّفسير، والحديثِ، والتَّاريخِ، والحِسابِ، والنَّظرِ فِي النجوم، والطب، والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو، وَلَهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ فِي ذَلِكَ مَا يَضِيقُ هذا المكان عَنْ تِعْدَادِهَا، وَحَصْرِ أَفْرَادِهَا(٣).

وقال ابن خلكان: كان علاَّمة عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، صنَّف في فنون عديدة(٤).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).

(٢) انظر: العبر في خبر من غبر (٤/ ٢٩٧-٢٩٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٨).

(٤) انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠).

المطلب الحادي عشر: مؤلفاته:

نظرًا لتنوُّع معارف ابن الجوزي، وإكثاره من المطالعة، وحرصه على الطلب، وتنظيم أوقاته، تعددت تآليفه في كثير من العلوم كالتاريخ، والتراجم، والحديث، والتفسير، والوعظ، وغيرها، فكان من أغزر العلماء تصنيفًا حتى قال الإمام الذهبي: ما عَرَفْتُ أحدًا صَنَّفَ ما صَنَّف(١).

وقد أشار ابن رجب إلى أن ابن الجوزي قد بدأ التصنيف في سنٍّ مبكرة(٢).

وقد اختلف المؤرِّخون في عدد تصانيف ابن الجوزي، ويرجع سبب الاختلاف في عدد مؤلَّفات ابن الجوزي إلى أنَّ كثيرًا من مؤلَّفاته تتضمن مختصراتٍ لمؤلَّفات سابقة عليه، أو تكميلها، أو مختصرات لمؤلفات له.

فقد ذكر في كتابه «دفع شبه التشبيه» أن مؤلفاته قد بلغت وقت تأليفه هذا الكتاب: مائتين وخمسين مصنَّفًا(٣).

وذكر في شعره أثناء سجنه في محنته أن مصنفاته قد بلغت ثلاثمائة مصنَّف(٤).

وقد سُئل مرَّة عن عدد مؤلفاته فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلدًا، ومنها ما هو كراس واحد(٥).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٦).

(٣) انظر: دفع شبه التشبيه (ص: ٩٧).

(٤) انظر: مرآة الزمان (٨/ ٢٨٢).

(٥) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٥).

وقال أبو العباس ابن تيمية في «أجوبته المصرية»: كان الشيخ أبو الفرج مفتيًا كثيرَ التصنيف والتأليف، وله مُصنَّفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنَّف، ورأيت بعد ذلك له ما لم أره.

قال: وله من التصانيف في الحديث وفنونه ما لم يُصنَّف مثله، قد انتفع الناس به(١).

ونقل الذهبي عن سبط ابن الجوزي قوله: ومجموع تصانيفه مائتان ونيف وخمسون كتابًا.

قال الذهبي -معقِّبًا-: وكذا وجد بخطه قبل موته، أن تواليفه بلغت مائتين وخمسين تأليفًا(٢).

وقد أحصى مؤلفات ابن الجوزي أحدُ الباحثين المعاصرين(٣)، فأوصلها إلى (٥١٩) كتابًا.

قال ابن خلكان: وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعَدّ، وكتب بخطه شيئًا كثيرًا، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: «إنه جمعت الكراريس التي كتبها، وحُسبت مدَّةُ عمره، وقُسِّمت الكراريس على المدة، فكان ما خَصَّ كلَّ يوم تسع كراريس»، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل. ويقال: «إنه جمعت بِرَاية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٨).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٠).

(٣) هو الأستاذ عبد الحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي»، طُبع في شركة دار الجمهورية للنشر والطبع - بغداد - ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

فحصل منها شيء كثير»، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فَكَفَت وَفَضَل منها[١].

وقد ذكر ابن رجب الحنبلي ثَبَتًا بمصنَّفات ابن الجوزي في العلوم، منها ما هو مطبوع، ومنها ما لا يزال مخطوطًا أو مفقودًا، فسأذكرها مع إتمام أسماء بعض المصنَّفات التي ذكرها، وإضافة كتب أخرى مطبوعة لم يذكرها، مع الإشارة إلى ما طبع منها:

* ثَبَت التصانيف المتعلقة بالقرآن وعلومه:

١- كتاب «المغني في التفسير»، واحدٌ وثمانون جزءًا.

٢- كتاب «زاد المسير في علم التفسير». (مطبوع).

٣- كتاب «تيسير البيان في تفسير القرآن»، مجلد.

٤- كتاب «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». (مطبوع).

٥- «غريب الغريب»، جزء.

٦- كتاب «نزهة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر». (مطبوع).

٧- كتاب «الإشارة إلى القراءة المختارة»، أربعة أجزاء.

٨- كتاب «تذكرة المنتبه في عيون المشتبه»، جزء.

٩- كتاب «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن». (مطبوع).

---

(١) انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٤١).

١٠- كتاب «ورد الأغصان في فنون الأفنان»، جزء.

١١- كتاب «عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ»، خمسة أجزاء.

١٢- «المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ». (مطبوع).

* ثَبَت التصانيف في أصول الدين:

١٣- كتاب «منتقد المعتقد»، جزء.

١٤- كتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول»، خمسة أجزاء.

١٥- كتاب «بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد»، جزء.

١٦- «غوامض الإلهيات»، جزء.

١٧- «مسلك العقل»، جزء.

١٨- «منهاج أهل الإصابة».

١٩- «السر المصون»، مجلد.

٢٠- «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه». (مطبوع).

٢١- «الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد». (مطبوع).

* ثَبَت التصانيف في علم الحديث والزهديات:

٢٢- كتاب «جامع المسانيد بألخص الأسانيد». (مطبوع).

٢٣- كتاب «الحدائق في علم الحديث والزهديات». (مطبوع).

٢٤- كتاب «نفي النقل»، خمسة أجزاء.

٢٥- كتاب «المجتبى من المجتنى». (مطبوع).

٢٦- كتاب «النزهة»، جزآن.

٢٧- كتاب «عيون الحكايات»، مجلد.

٢٨- كتاب «ملتقط الحكايات»، ثلاثة عشر جزءًا.

٢٩- كتاب «إرشاد المريدين في حكايات الصالحين». (مطبوع).

٣٠- كتاب «روضة الناقل ونزهة العاقل». (مطبوع).

٣١- كتاب «غرر الآثر»، ثلاثون جزءًا.

٣٢- كتاب «التحقيق في أحاديث الخلاف». (مطبوع).

٣٣- كتاب «المديح»، سبعة أجزاء.

٣٤- كتاب «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات». (مطبوع).

٣٥- كتاب «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية». (مطبوع).

٣٦- كتاب «كشف المشكل من حديث الصحيحين». (مطبوع).

٣٧- كتاب «الضعفاء والمتروكين». (مطبوع).

٣٨- كتاب «إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه». (مطبوع).

٣٩- كتاب «أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث». (مطبوع).

٤٠- كتاب «السهم المصيب»، جزآن.

٤١- «أخاير الذخائر»، ثلاثة أجزاء.

٤٢- «الفوائد عن الشيوخ»، ستون جزءًا.

٤٣- «مناقب أصحاب الحديث»، مجلد.

٤٤- «موت الخضر»، مجلد.

٤٥- «مختصره -يعني موت الخضر-»، جزء.

٤٦- «مشيخة ابن الجوزي». (مطبوع).

٤٧- «المسلسلات»، جزء.

٤٨- «المحتسب في مشتبه النسب». (مطبوع).

٤٩- «تحفة الطلاب»، ثلاثة أجزاء

٥٠- «تنوير مدلهم الشرف»، جزء.

٥١- «كشف النقاب عن الأسماء والألقاب». (مطبوع).

٥٢- كتاب «فضائل عمر بن الخطاب». (مطبوع).

٥٣- «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد». (مطبوع).

٥٤- «فضائل سعيد بن المسيب»، مجلد.

٥٥- «آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه». (مطبوع).

٥٦- «مناقب الفضيل بن عياض»، أربعة أجزاء.

٥٧- «مناقب بِشْر الحافي»، سبعة أجزاء.

٥٨- «مناقب إبراهيم بن أدْهَم»، ستة أجزاء.

٥٩- «مناقب سفيان الثوري». (طبع مختصره للإمام الذهبي).

٦٠- «مناقب أحمد بن حنبل». (مطبوع).

٦١- «مناقب معروف الكرخي وأخباره». (مطبوع).

٦٢- «مناقب رابعة العدوية» جزء.

٦٣- «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن». (مطبوع).

٦٤- «صفوة الصفوة». (مطبوع).

٦٥- «منهاج القاصدين». (مطبوع).

٦٦- «المختار من أخبار الأخيار»، مجلد.

٦٧- «القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلّاج»، جزء.

٦٨- «عجالة المنتظر لشرح حال الخضر». (مطبوع).

٦٩- كتاب «علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أمَّ الرسول»، جزء.

٧٠- كتاب «الجوهر».

* ثَبَت المصنفات في الفقه:

٧١- «الإنصاف في مسائل الخلاف».

٧٢- كتاب «جنة النظر وجنة المنتظر»، وهي التعليقة الوسطى.

٧٣- كتاب «معتصر المختصر في مسائل النظر»، وهي دون تلك.

٧٤- كتاب «عمد الدلائل في مشتهر المسائل»، وهي التعليقة الصغرى.

٧٥- كتاب «المذهب في المذهب».

٧٦- «مسبوك الذهب»، مجلد.

٧٧- كتاب «النبذة»، جزء.

٧٨- كتاب «العبادات الخمس»، جزء.

٧٩- كتاب «أسباب الهداية لأرباب البداية»، مجلد.

٨٠- كتاب «كشف الظلمة عن الضياء في رد الدعوى».

٨١- كتاب «رد اللوم والضيم في صوم يوم الغيم».

* ثَبَت ما يتعلق بالتاريخ:

٨٢- «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير». (مطبوع).

٨٣- كتاب «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم». (مطبوع).

٨٤- كتاب «شذور العقود في تاريخ المعهود». (مطبوع).

٨٥- كتاب «طرائف الظرائف في تاريخ السوالف»، جزء.

٨٦- «مناقب بغداد ومعه تاريخ مساجد بغداد وآثارها». (مطبوع).

٨٧- «أخبار النساء». (مطبوع).

* ثَبَت المصنفات في علم الوعظ وغيره من الفنون، ومصنفاته في الوعظ أكثر من مائة مجلدة، قاله ابن القادسي:

٨٨- كتاب «اليواقيت في الخطب»، مجلد.

٨٩- «المنتخب في النوب»، مجلد.

٩٠- «منتخب المنتخب»، مجلد.

٩١- «نسيم الرياض»، مجلد.

٩٢- «اللؤلؤ»، أو «اللآلي». (مطبوع).

٩٣- «كنز المذكر»، مجلد.

٩٤- كتاب «الأزج»، مجلد.

٩٥- كتاب «اللطائف والطب الروحاني». (مطبوع).

٩٦- كتاب «كنوز الرموز»، مجلد.

٩٧- كتاب «المقتبس»، مجلد.

٩٨- «زين القصص»، مجلد.

٩٩- «موافق المرافق»، مجلد.

١٠٠- «شاهد ومشهود»، مجلد.

١٠١- «واسطات العقود من شاهد ومشهود»، مجلد.

١٠٢- «اللهب»، جزءآن.

١٠٣- «المدهش». (مطبوع).

١٠٤- «صَبَا نَجْد». (مطبوع).

١٠٥- «محادثة العقل»، جزء.

١٠٦- «لقط الجمان»، جزء.

١٠٧- «معاني المعاني»، جزء.

١٠٨- «فتوح الفتوح»، مجلد.

١٠٩- «التعازي الملوكية»، جزء.

١١٠- «العقد المقيم»، جزء.

١١١- كتاب «إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات»، جزءآن.

١١٢- «نكث المجالس البدرية»، جزءآن.

١١٣- «نزهة الأديب»، جزءاَن.

١١٤- «منتهى المنتهى»، مجلد.

١١٥- «تبصرة المبتدئ». (مطبوع).

١١٦- كتاب «الياقوتة». (مطبوع).

١١٧- كتاب «تحفة الوعاظ»، مجلد.

ثبت تصانيف في فنون مختلفة:

١١٨- «ذم الهوى». (مطبوع).

١١٩- «صيد الخاطر». (مطبوع).

١٢٠- كتاب «إحكام الإشعار بأحكام الأشعار»، عشرون جزءًا.

١٢١- كتاب «القصاص والمذكرين». (مطبوع).

١٢٢- كتاب «تقويم اللسان». (مطبوع).

١٢٣- كتاب «الأذكياء». (مطبوع).

١٢٤- «أخبار الحمقى والمغفلين». (مطبوع).

١٢٥- «تلبيس إبليس». (مطبوع).

١٢٦- «لقط المنافع في الطب»، مجلدان.

١٢٧- «الشيب والخضاب»، مجلد.

١٢٨- «أعمار الأعيان». (مطبوع).

١٢٩- «الثبات عند الممات». (مطبوع).

١٣٠- «تنوير الغبش في فضل السودان والحبش». (مطبوع).

١٣١- «الحث على حفظ العلم، وذكر كبار الحفاظ». (مطبوع).

١٣٢- «أشراف الموالي»، جزءآن.

١٣٣- كتاب «إعلام الأحياء بأغلاط الأحياء».

١٣٤- كتاب «تحريم المحل المكروه»، جزء.

١٣٥- كتاب «المصباح المضيء في خلافة المستضيء». (مطبوع).

١٣٦- كتاب «عطف العلماء على الأمراء، والأمراء على العلماء». (مطبوع).

١٣٧- كتاب «النصر على مصر». (مطبوع).

١٣٨- «المجد العضدي»، مجلد.

١٣٩- «الفجر النوري»، مجلد.

١٤٠- «مناقب الستر الرفيع»، جزء.

١٤١- «ما قلته من الأشعار»، جزء.

١٤٢- «المقامات». (مطبوع).

١٤٣- «مجموعة رسائل ابن الجوزي في الخطب والمواعظ والحكايات والفوائد العامة». (مطبوع).

١٤٤- «الطب الروحاني»، جزء.

١٤٥- كتاب «بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب»، ستة عشر جزءًا.

١٤٦- كتاب «الوفا بفضائل المصطفى ﷺ». (مطبوع).

١٤٧- كتاب «النور في فضائل الأيام والشهور»، مجلد.

١٤٨- «تقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد».

١٤٩- كتاب «العزلة».

١٥٠- كتاب «الرياضة».

١٥١- كتاب «منهاج الإصابة في محبة الصحابة».

١٥٢- «فنون الألباب».

١٥٣- «الظرفاء والمتحابين».

١٥٤- «مناقب أبي بكر ﷺ»، مجلد.

١٥٥- «مناقب علي ﷺ»، مجلد.

١٥٦- «فضائل العرب»، مجلد.

١٥٧- «درة الإكليل في التاريخ»، أربع مجلدات.

١٥٨- «الأمثال»، مجلد.

١٥٩- «المنفعة في المذاهب الأربعة»، مجلدان.

١٦٠- «المختار من الأشعار»، عشر مجلدات.

١٦١- «رؤوس القوارير». (مطبوع).

١٦٢- «المرتجل في الوعظ»، مجلد كبير.

١٦٣- «ذخيرة الواعظ»، أجزاء.

١٦٤- «الزجر المخوف».

١٦٥- «الأنس والمحبة».

١٦٦- «المطرب الملهب».

١٦٧- «الزند الوري في الوعظ الناصري»، جزآن.

١٦٨- «الفاخر في أيام الإمام الناصر»، مجلد.

١٦٩- «المجد الصلاحي»، مجلد.

١٧٠- «لغة الفقه»، جزآن. وقيل: إن له غيره.

١٧١- «عقد الخناصر في ذم الخليفة الناصر».

١٧٢- «غريب الحديث». (مطبوع).

١٧٣- «ملح الأحاديث»، جزآن.

١٧٤- «الفصول الوعظية على حروف المعجم».

١٧٥- «سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان». (مطبوع).

١٧٦- «المعشوق في الوعظ».

١٧٧- «المجالس اليوسفية في الوعظ»، كتبها لابنه يوسف.

١٧٨- «الوعظ المقبري»، جزء.

١٧٩- «قيام الليل»، ثلاثة أجزاء.

١٨٠- «المحادثة»، جزء.

١٨١- «المناجاة»، جزء.

١٨٢- «زاهر الجواهر في الوعظ»، أربعة أجزاء.

١٨٣- «كنز المذكر».

١٨٤- «النحاة الخواتيم»، جزءآن.

١٨٥- «المرتقى لمن اتقى».

١٨٦- «زين القصص»، مجلد.

١٨٧- «لفتة الكبد في نصيحة الولد». (مطبوع).

١٨٨- «القرامطة». (مطبوع).

١٨٩- «البر والصلة». (مطبوع).

١٩٠- «التبصرة». (مطبوع).

١٩١- «التذكرة في الوعظ». (مطبوع).

١٩٢- «المقلق». (مطبوع).

١٩٣- «بحر الدموع». (مطبوع).

١٩٤- «بستان الواعظين ورياض السامعين». (مطبوع).

١٩٥- «تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر». (مطبوع).

١٩٦- «حفظ العمر». (مطبوع).

١٩٧- «المنثور». (مطبوع).

١٩٨- «بر الوالدين». (مطبوع).

١٩٩- «تعظيم الفتيا». (مطبوع).

وقد كانت كثرة تصانيفه سببًا في نقد العلماء له ونسبته إلى الخطأ تارة، وإلى كثرة الأوهام تارة أخرى.

فبعد أن ذكر ابن رجب فضائل ابن الجوزي وحفظه ومؤلفاته قال: ومع هذا فللناس فيه، كلام من وجوه، فذكر منها: «كثرة أغلاطه في تصانيفه»، وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثرًا من التصانيف، فيصنِّف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد من تصانيف عديدة، ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنَّفَات الكثيرة، ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقنًا لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: «أنا مُرتِّب، ولست بمصنِّف»[1].

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٧).

وقال الموفق عبد اللطيف في تصانيف ابن الجوزي: وكان كثير الغلط فيما يصنِّفه؛ فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره.

قال الذهبي -معلِّقًا-: هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة، وأخذ العلم من صُحف، وصنَّف شيئًا لو عاش عمرًا ثانيًا لما لحق أن يُحرِّرَه ويُتقنه[١].

كما أُخذ عليه تناقضه في مؤلفاته فنجده مثلًا يؤلِّف كتاب «الموضوعات» ليحذِّر الفقهاء والوعاظ وغيرهم، ثم تجده يورد في كتبه الوعظية أحاديث موضوعة وأخبارًا تالفة[٢].

ولعلَّ السبب في ذلك ما ذكره ابن رجب من أنه: كان إذا رأى تصنيفًا وأعجبه صنَّف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدَّم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه، وحِدَّة ذهنه، فربما صنَّف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدَّم[٣].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٨).

(٢) انظر: مقدمة الموضوعات، تحقيق: نور الدين بن شكري.

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٨).

المطلب الثاني عشر: نسله وذريته:

قال سبطه أبو المظفر: كان له من الولد الذكور ثلاثة: **عبد العزيز**، وهو أوَّل أولاده، وكنيته أبو بكر، تفقّه على مذهب أحمد، وسمع أبا الوقت وغيره،... **وأبو القاسم عليّ**، كَتَبَ الكثير، وسمع الحديث من ابن البطي وغيره، وهو الَّذي أظهر مصنَّفات والده، وباعها بيع العبيد،... **وأبو محمد يوسف محيي الدِّين**، ولد سنة ثمانين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وتفقَّه، وناظر، ونشأ على الطرائق الرشيدة، والخلائق الحميدة، وهو كان السبب في خلاص والده من واسط، ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تُرْبة والده الإمام، وقام بأمره أحسن قيام، وولي حسبة بغداد، وسلك طريق العقل والسَّداد.

وكان لجدِّي عِدَّة بنات منهن والدتي رابعة، وشرف النِّساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصُّغرى، وكلُّهن سمعن الحديث من جدِّي وغيره(١).

المطلب الثالث عشر: وفاته:

لم تطل حياة ابن الجوزي بعد خروجه من سجنه بواسط ورجوعه إلى بغداد، فقد توفي في ليلة الجمعة بين العشائين في الثاني عشر من رمضان سنة (٥٩٧هـ)، بعد أن مرض خمسة أيام، وصلى عليه ابنه أبو القاسم عليٌّ اتفاقًا؛ لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور،

(١) انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٢/ ١١٧-١١٨).

فصلوا عليه، وضاق بالناس، وحُملت جنازته على رؤوس الناس، وكان يومًا مشهودًا بكثرة الخلائق، وشدة الزحام، ودفن بمقبرة باب حرب في الجانب الغربي من بغداد عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد[1].

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٥٠٧-٥٠٨) بتصرف.

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية في عصر ابن الجوزي، وأثرها على الناحية العلمية

عايش ابن الجوزي فترة طويلة من الخلافة العباسية تمتد من سنة (٥١٠هـ) إلى سنة (٥٩٧هـ) ابتداء من خلافة المستظهر بالله حتى بداية خلافة الناصر لدين الله أحمد.

شهد عصر ابن الجوزى سقوط الدولة الفاطمية سنة (٥٦٧هـ) وقيام الدولة الأيوبية، وتجديد شباب الخلافة العباسية فى عهد الناصر لدين الله.

فقد عاصر فترة حكم كل من المستظهر بالله (٤٧٠ هـ - ٥١٢ هـ)، والمسترشد بالله أبي منصور (٤٨٥ هـ- ٥٢٩ م)، والراشد بالله أبي جعفر (٥٠٢ هـ- ٥٣٢ هـ).

والمقتفي لأمر الله (٤٨٩ هـ- ٥٥٥ هـ)، والمستنجد بالله المظفر (٥١٨ هـ - ٥٦٦ هـ) والمستضيء بأمر الله (٥٣٦ هـ- ٥٧٥ هـ) والناصر لدين الله أحمد (٥٥٣ هـ-٦٢٢ هـ).

ومع تعدد الخلفاء، تنوعت الأحداث السياسية ما بين قوة وضعف، وعدالة وظلم، واضطراب واستقرار، فمن عهد المستظهر بالله الذي كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب، وفيها أخذت الروم بلنسية ثم جاءت الفرنج فأخذوا نيقية حتى وصلوا إلى كفرطاب واستباحوا تلك النواحي[١].

ولم يكتفوا بذلك حتى استولوا على «بيت المقدس وقتلوا فيه ما يزيد على سبعين ألف مسلم»[٢]، كما أخذوا مدينة طرابلس بعد حصار طويل، «وكان قد عظم بلاء المسلمين بالفرنج وتيقنوا استيلاءهم على أكثر الشام، فطلب المسلمون الهدنة فامتنعت الفرنج وصالحوهم بألوف الدنانير الكثيرة، فهادنوهم ثم غدروا»[٣]، ثم بعد ذلك استقرت الخلافة للمسترشد الذي كانت «أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك»[٤]، كما زادت الحروب الشديدة بين سلاطين السلاجقة، إلى أن «سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها وقتلوا من أهلها خلقا، فسار إليهم صاحب ماردين إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به، فقتل منهم هنالك

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٣٩٣).

(٢) انظر: المنتظم (٩/ ١٠٨).

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ١٠٨).

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٣٩٨).

مقتلة عظيمة ولم يفلت منهم إلا اليسير»[١].

وكان مذهب الباطنية منتشرًا في عهد هذين الخليفتين، حتى إن وفاة المسترشد كانت بسبب خلاف بينه وبين السلطان السلجوقي مسعود الذي «دسَّ له عشرة من الباطنية قتلوه»[٢]، ثم تولى بعده الخليفة الراشد بالله الذي خُلع بعد سنة من توليه الحكم بعد وفاة أبيه المسترشد وذلك «لما عاد السلطان مسعود إلى بغداد خرج الراشد إلى الموصل، فأحضروا القضاة والأعيان والعلماء وكتبوا محضرًا فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم وأخذ الأموال وسفك الدماء وشرب الخمر، واستفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك: هل تصح إمامته؟ وهل إذا ثبت فسقه يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيرا منه؟ فأفتوا بجواز خلعه، وحكم بخلعه أبو طاهر بن الكرخي قاضي البلد، وبايعوا عمه محمد بن المستظهر ولُقب المقتفي لأمر الله»[٣].

«وقد تمكن الخليفة المقتفي من الحكم، وزادت حرمته، وعلت كلمته، وكان ذلك مبدأ صلاح الدولة العباسية، وفي أيامه عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق له منازع»[٤]، كما كتب «المقتفي عهدًا لنور الدين زنكي وولاه مصر وأمره بالمسير إليها، وكان مشغولًا بحرب

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٨٤).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٨).

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٤٠٢).

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٤٠٤-٤٠٦).

الفرنج، وهو لا يفتر عن الجهاد، وكان قد ملك دمشق في صفر من هذا العام -سنة تسع وأربعين- وملك قلاعاً وحصوناً عدة بالسيف والأمان من بلاد الروم، وعظمت ممالكه وبَعُد صيته، فبعث إليه المقتفي تقليدًا وأمره بالمسير إلى مصر ولقبه «بالملك العادل» وعظم سلطان المقتفي، واشتدت شوكته، واستظهر على المخالفين، وأجمع على قصد الجهات المخالفة لأمره، ولم يزل أمره في تزايد وعلو إلى أن مات سنة ٥٥٥هـ»[١].

وفي عهد الخليفة المقتفي دخل ابن الجوزي في خدمة الخلافة بإعانة من الوزير ابن هبيرة الذي كان حنبلي المذهب، وباشر ابن الجوزي مهنة التدريس بصفة «معيد عند الشيخ أبي حكيم النهرواني، وكان قد قرأ عليه الفقه أيضًا، والفرائض بالمدرسة التي بناها ابن السمحل بالمأمونية، وكان لأبي حكيم مدرسة بباب الأزج، فلما احتضر أسندها إلي أبي الفرج فأخذها جميعًا بعده»[٢].

ثم بويع لابنه المستنجد بالله «في يوم موت أبيه، وكان موصوفًا بالعدل والرفق، أطلق من المكوس شيئًا كثيرًا بحيث لم يترك بالعراق مكسًا، وكان شديدًا على المفسدين»[٣]، وفي عهده زادت الحروب بين المسلمين والفرنج واستطاع نور الدين زنكي إخراجهم من مصر[٤]

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٤٠٥).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٩).

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٤٠٨).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٤٩-٢٦١).

وغيرها من الدول، «ويقال: إن المستنجد توفي مريضًا»[١]، ثم خلفه ابنه المستضيء الذي بدأ عهده «برفع المكوس وردّ المظالم وإشاعة العدل والكرم، كما أذن للوعاظ بعد أن كانوا منعوا مدة، وفرق مالًا عظيمًا على الهاشميين والعلويين والعلماء والأربطة»[٢]، «وفي خلافته انقضت دولة بني عُبيد»[٣]، واستمر الأيوبيون في قمع انتشار الفرنجة في الدولة الإسلامية.

ويعتبر الناصر لدين الله الذي تولى الحكم بعد أبيه المستضيء، آخر الخلفاء الذين عاصرهم ابن الجوزي، وكانت «مدة حياته في عز وجلالة، وقمع الأعداء، واستظهار على الملوك، ولم يجد ضيمًا، ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه، ولا مخالف إلا دفعه، وكان شديد الاهتمام بمصالح الملك، ولا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته كبارهم وصغارهم، وكان قد ملأ القلوب هيبة وخيفة، فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد، فأحيا بهيبته الخلافة، وكانت (الخلافة) قد ماتت بموت المعتصم، ثم ماتت بموته»[٤].

ومجمل القول: أن القرن السادس الهجري كان صورة صادقة عن ضعف الدولة العباسية من حيث زوال هيبة الخلافة، وتعدد الخلفاء، وتناحرهم، وتفشي الفرق الباطنية، ووقوع المقدسات الإسلامية في يد الصليبيين، ثم تحررها على يد صلاح الدين الأيوبي.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٦٢).

(٢) انظر: المنتظم (١٠/ ٢٣٣).

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٤١٠).

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٤١٣-٤١٥).

موقف ابن الجوزي من تلك الأحداث السياسية[(١)]:

عاصر ابن الجوزي تلك الأحداث السياسية بقوتها وضعفها، حروبها وسلمها، فما موقفه منها؟.

من خلال استعراضنا أهم الأحداث السياسية التي عاصرها ابن الجوزي في مدة حياته، لم يتضح لنا موقفه تمامًا فيما سبق عرضه، ولكن من خلال كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، نلاحظ الآتي:

١ - علاقة ابن الجوزي بهؤلاء الخلفاء كانت طيبة، وعلى الأخص بالمستضيء الذي أهدى إليه ابن الجوزي كتابيه «المصباح المضيء في دولة المستضيء»، وكتاب «النصر على مصر».

ففي خلافة المستضيء (٥٦٦ - ٥٧٤هـ) سقطت الدولة الفاطمية بمصر، وأعاد صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩هـ) الخطبة للعباسيين بالقاهرة، مجَّدَ ابن الجوزي هذا الحادث بتأليف سماه: «النصر على مصر»، وأهداه إلى الخليفة المستضيء وقرأه بين يديه[(٢)].

٢ - كان له دور في محاربة البدع، إما عن طريق الكتابة أو مجالس الوعظ، وفي ذلك يقول: «وكان الرفض في هذه الأيام قد كَثُر، فكتب صاحب المخزن إلى أمير المؤمنين المستضيء إن لم تقوِّ يَدَيِ ابن الجوزي لم تطق على دفع البدع، فكتب أمير المؤمنين بتقوية يدي»[(٣)].

---

(١) انظر: آراء ابن الجوزي التربوية، د. ليلى عبد الرشيد: (ص: ٦١ فما بعدها).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦٩).

(٣) انظر: المنتظم (١٠/ ٢٥٩).

٣ - اكتفى ابن الجوزي بسرد الأحداث السياسية كما هي دون نقد أو تمحيص، أو حتى محاولة بيان النواحي الطيبة أو السيئة في المجتمع، ما عدا نقده للمتصوفين.

كما أنه لم يتفاعل مع أحداث عصره بالفرح أو الحزن من دخول الصليبيين أو خروجهم من الدولة الإسلامية؛ بل سرد الأحداث سردًا عاديًّا، وهذه النقطة أثارت استغراب الدكتور الصباغ الذي تساءل قائلًا: «لماذا لم يطرق ابن الجوزي موضوع الحرب الصليبية؟ علمًا أن مدة حياة ابن الجوزي كانت في أيام الحروب الصليبية، فكنت أنتظر من هذا الرجل أن يعالج هذا الخطب الجلل في موضوعاته الوعظية، ومؤلفاته العديدة، غير أنني لم أجد أنه وفى هذا الموضوع حقه؛ بل لم يطرقه ولو طرقًا خفيًّا.

ولا أدعي أن الرجل لم يتكلَّم في الجهاد، ولا أنه لم يبيِّن ضلال النصارى وعداوتهم للإسلام، لكن الذي أريد أن أقرره أن من يتصل بالناس كثيرًا عن طريق الوعظ يجب أن يلمس أثر الواقع المؤلم الذي يحياه الناس في كلامه ونصحه، وهذا الذي لم أحس به وأنا أقرأ في كتبه وآثاره من زمن بعيد، وربما كانت هناك أوضاع سياسية معيَّنة تمنع من الكلام، لكن الأثر كان يظهر على الرغم من المنع، لو أن هذا الواقع والألم منه سيطر على المتكلِّم سيطرة تامة -نقول هذا- ونحن نمر اليوم في وضع مشابه وتغيب سحائب الألم وزفرات الحسرة في كتابة كثير من الكتاب المعاصرين»[1].

---

(١) انظر: مقدمة كتاب القصّاص والمذكرين (ص: ٤٤-٤٥).

وفي الجملة؛ فإن ابن الجوزي لم يكن ممن يشتغل بالسياسة وصراعتها ودوائرها، لذا لم يتأثر نتاجه العلمي والتأليفي الذي لم يسبق إلى مثله كما تقدَّم، ولا تتفق تلك الكثرة من التصنيف مع رجل اشتغل بالصراعات السياسية واهتم بها.

❁ ❁ ❁

الباب الثاني

موارد الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»

لقد تنوعت موارد الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير»، ولكنه أكثر النقل عن عدد من العلماء، من كتب مختلفة لهم، وسنُورِد أسماءَ العلماء الذين أكثر الإمام ابن الجوزي عنهم، ونرتبهم حسب الوفيات.

١- الخليل بن أحمد (١٧٠هـ).

ينقل الإمام ابن الجوزي آراء الخليل من كتاب «العين»، ومن الأقوال المنسوبة إليه في كتب اللغة، وبخاصة الزجاج[١].

ومِن نقْله عنه، قوله في اشتقاق لفظ الجلالة: وفيه عن الخليل روايتان:

إحداهما: أنه ليس بمشتقٍّ، ولا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز من الرحمن.

والثانية: رواها عنه سيبويه: أنَّه مشتقٌّ[٢].

---

(١) انظر: (١/ ٢٨٤)، (٢/ ١٩٤)، (٢/ ٥٣٨).

(٢) زاد المسير (١/ ١٦).

ومنه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، حيث قال: قوله تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ قال الخليل: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب[١].

٢- سيبويه (١٨٠هـ).

ويحتفل الإمام ابن الجوزي بنقل آرائه، ومن ذلك قوله:

وقال سيبويه: كان أبو عمرو يختلس الحركة في: ﴿بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧] وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات، فيرى من يسمعه أنه قد أسكن ولم يسكن[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال: قال سيبويه: يقال: حج حجًّا، كقولهم: ذكر ذكرًا. وقالوا: حجة، يريدون: عمل سنة[٣].

وقال: وحكى سيبويه أن العرب تقول: وضعا رحالهما، يريدون: رحلي راحلتيهما[٤].

وفي العادة يقرن بين سيبويه والخليل، ومنه قوله: «قاله الخليل، وسيبويه»[٥].

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٠٢)، وانظر: (٢/ ٢٧٢)، (٤/ ١١٠)، (٤/ ٣٤٣).

(٢) زاد المسير (١/ ٦٦).

(٣) زاد المسير (١/ ١٦٣)، وانظر: (٢/ ١٧٤)، (٣/ ٣٢٩)، (٤/ ١١٩).

(٤) زاد المسير (١/ ٣٧٩).

(٥) زاد المسير (٣/ ٢٧٢)، وانظر نحو معناه: (١/ ١٦)، (١/ ٢٥١)، (١/ ٢٧٠)، (١/ ٣٠٣)،=

٣- قطرب (٢٠٦هـ).

ومن نقله عنه، ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾[المائدة: ٨٢]، حيث قال: وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم، فأما الرهبان: فهم العباد أرباب الصوامع[1].

٤- الفراء (٢٠٧هـ).

وقد أكثر النقل عنه، واعتمد في نقله على كتابين، هما: «معاني القرآن»، «لغات القرآن».

ومن نقله عنه، قوله:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾[البقرة: ٧]، الغشاوة: الغطاء. قال الفراء: أما قريش وعامة العرب، فيكسرون الغين من ﴿غِشَٰوَةٌ﴾، وعكل يضمون الغين، وبعض العرب يفتحها، وأظنها لربيعة[2].

ويذكر اختياره في المعاني، ومنه قوله:

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾[البقرة: ٢٦]، فيه قولان: أحدهما: أن معناه فما فوقها في الكبر، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، والفراء[3].

=(١/ ٤٩٨).

(١) زاد المسير (١/ ٥٧٥)، وانظر: (٢/ ٥١٠)، (٣/ ٥٤٣)، (٤/ ١٣٥).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٠).

(٣) زاد المسير (١/ ٤٧).

وينص عليه أحيانًا، كقوله:

قال ابن الأنباري: ويقال: معنى «**الويل**»: المشقة من العذاب، ويقال: أصله: وي لفلان، أي: حزن لفلان، وكثر الاستعمال للحرفين، فوصلت اللام بـ«وي» وجعلت حرفًا واحدًا ثم خبر عن «ويل» بلام أخرى، وهذا اختيار الفراء[١].

وقد نقل ابن الجوزي عنه كثيرًا من الشواهد الشعرية على كثير من آرائه النحوية، والصرفية، وما إلى ذلك، كقوله:

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾[هود: ٦٩]، حيث قال: والسلام الثاني مرفوع بإضمار «عليكم».

وقال الفراء: فيه وجهان:

أحدهما: أنه أضمر «عليكم» كما قال الشاعر:

فَقُلْنَا: السَّلامُ، فاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا ... وَمَا كَانَ إِلَّا وَمْؤُهَا بِالْحَوَاجِبِ

والعرب تقول: التقينا فقلنا: سلام سلام[٢].

٥- أبو عبيدة (٢١٠هـ).

وقد نقل ابن الجوزي عن كتابه «مجاز القرآن»، واعتنى بذكر أقواله واختياراته.

---

(١) زاد المسير (١/ ٨٢)، وانظر: (٢/ ٣٥٠)، (٢/ ٤٠٢)، (٣/ ٣٩٢)، (٤/ ٨)، (٤/ ٢١)، (٤/ ٣١٨).

(٢) زاد المسير (٢/ ٣٨٥)، وانظر: (١/ ٣٨)، (٢/ ٤٥)، (٣/ ٥٦٠).

ومن نقله عنه قوله:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾[البقرة: ٢] فيه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى هذا، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والكسائي، وأبي عبيدة، والأخفش[(١)].

وقال: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧]؛ حيث قال: قال أبو عبيدة: هي مصدر مِنْ «ناجَيْتُ» واسم منها، فوصف القوم بها، والعرب تفعل ذلك، كقولهم: إنما هو عذاب، وأنتم غَمٌّ، فجاءت في موضع «متناجين»[(٢)].

وينص ابن الجوزي على اختيارات أبي عبيدة؛ كقوله:

قوله تعالى: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾[البقرة: ٢٦] «ما» زائدة، وهذا اختيار أبي عبيدة والزجاج والبصريين[(٣)].

٦- الأخفش الأوسط (٢١٥هـ).

وقد نقل الإمام ابن الجوزي عن كتابه «معاني القرآن».

---

(١) زاد المسير (١/ ٢٧).

(٢) زاد المسير (٣/ ٢٨)، وانظر: (١/ ٢٢٥)، (١/ ٢٧٦)، (٢/ ٤٤٢)، (٣/ ٦٤)، (٣/ ٨٥)، (٤/ ٤٠٨).

(٣) زاد المسير (١/ ٤٧)، وانظر: (٣/ ٣٣٥)، (٣/ ٣٩٢).

ومن نقله عنه، قوله(١):

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠] فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن معناها: إلا من سفه نفسه، قاله الأخفش ويونس. قال يونس: ولذلك تعدى إلى النفس فنصبها، وقال الأخفش: نصبت النفس لإسقاط حرف الجر، لأن المعنى: إلا من سفه في نفسه. قال الشاعر:

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيْئًا ... وَنُرْخِصُهُ إِذَا نَضِجَ القُدُورُ

وقال: وفي معنى ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[آل عمران: ١٤٣] ثلاثة أقوال:

أحدها: تنظرون إلى السيوف، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ذكر للتوكيد، قاله الأخفش. وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، وأنتم بصراء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علة، أي: رأيته رؤية حقيقية.

والثالث: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمنيتم(٢).

وقال: قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾[المائدة: ١] قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال(٣).

---

(١) زاد المسير (١/ ١١٤).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٣٠).

(٣) زاد المسير (١/ ٥٠٦)، وانظر: (١/ ٥٠٩)، (٢/ ١٠٠)، (٢/ ١٢٢)، (٣/ ١٥١)، (٤/ ١١).

وفي جهة اللغويات ينقل عنه ابن الجوزي بعض النواحي الصرفية، والدلالية، والتركيبية، والشواهد الشعرية[١].

٧- أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ).

وينقل ابن الجوزي عن كتبه، ومن الكتب التي نقل عنها: «لغات القبائل».

ومن نقله عنه قوله:

قال أبو عبيد: وقرأ مجاهد: «شهرَ رمضان» بالنصب، وأراه نصبه على معنى الإغراء: عليكم شهر رمضان فصوموه.

٨- ابن قتيبة (٢٧٦هـ).

وهو ممن أكثر ابن الجوزي النقل عنهم في كتابه، ويعتمد في النقل عنه على كتابيه: «تأويل مشكل القرآن»، «تفسير غريب القرآن».

ومن نقله عنه قوله:

وقال ابن قتيبة: «الحمد» الثناء على الرجل بما فيه من كرم أو حسب أو شجاعة، وأشباه ذلك[٢].

وقوله: وفي «الرحيق» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور.

---

(١) زاد المسير (٢/ ٥٧٢)، وانظر: (٢/ ٥٨)، (١/ ٣٨٧)، (٢/ ٥٢٢).

(٢) زاد المسير (١/ ١٨).

ثم اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقوال:

أحدها: أجود الخمر، قاله الخليل بن أحمد.

والثانية: الخالصة من الغش، قاله الأخفش.

والثالث: الخمر البيضاء، قاله مقاتل.

والرابع: الخمر العتيقة، حكاه ابن قتيبة.

والقول الثاني: أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك، قاله الحسن.

والثالث: أنه الشراب الذي لا غش فيه، قاله ابن قتيبة، والزجاج[١].

تأثر ابن الجوزي كثيرًا بابن قتيبة، حيث نقل عنه من «تفسير غريب القرآن» كثيرًا من النصوص، في مختلف المجالات.

وينص ابن الجوزي كثيرًا على اختيارات ابن قتيبة في المسائل التي ينقلها، ومنه قوله:

وفي قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود: ١] **أربعة أقوال:**

أحدها: ﴿أُحْكِمَتْ﴾ فلم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتاب والشرائع، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة[٢].

٩- المبرد (٢٨٦هـ).

وقد نقل عنه الإمام ابن الجوزي على قلةٍ، ومن كتبه: «إعراب

(١) زاد المسير (٤/ ٤١٧)، وانظر: (١/ ٢٠٧)، (٢/ ١٤٣)، (٢/ ٣٦٨)، (٤/ ٧٨).

(٢) زاد المسير (٢/ ٣٥٦)، وانظر: (١/ ٣١)، (١/ ٢٠٨)، (١/ ٤٤٠).

القرآن»[١]، ويبدو أنه ينقل منه، لأن كثيرًا من المسائل التي نقلها عنه تتعلق بالإعراب، «الكامل»، «المقتضب».

ومن نصوصه في النقل عنه:

قوله: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء: ١٤١]، قال المبرِّد: ومعنى: ألم نستحوذ عليكم: ألم نغلبْكم على رأيكم[٢].

١٠- ثعلب (٢٩١هـ).

وينقل عنه الإمام ابن الجوزي كثيرًا من آرائه، وترجيحاته، واستدراكاته على غيره، ومن ذلك قوله:

فإن قيل: كيف وحَّد، فقال: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾، **ثم جمع فقال:** ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]؟.

فالجواب: أن ثعلبًا حكى عن الفراء أنه قال: إنما ضرب المثل للفعل، لا لأعيان الرجال، وهو مثل للنفاق، وإنما قال: ذهب الله بنورهم لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين، فجمع لذلك.

قال ثعلب: وقال غير الفراء: معنى الذي: الجمع، وحد أولا للفظه، وجمع بعد لمعناه[٣].

---

(١) وهو مفقود.

(٢) زاد المسير (١/ ٤٨٨)، وانظر: (٣/ ١١٣)، (٣/ ٢٢٤)، (٤/ ٧٤).

(٣) زاد المسير (١/ ٣٧).

ويحكي ابن الجوزي ما نقله ابن الأنباري عن ثعلب كذلك، ومنه: قال ابن الأنباري: قال ثعلب: اليتم معناه في كلام العرب: الانفراد[(١)].

١١- ابن جرير (٣١٠هـ).

وقد نقل عن تفسيره العظيم «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». وقد أكثر الإمام ابن الجوزي من النقل عنه، وذكر اختياراته، وآرائه.

ومن نقله عن ابن جرير قوله:

وحكى ابن جرير الطبري عن بعض اللغويين أن معنى ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾[البقرة: ٢٦]: لا يخشى[(٢)].

وقال: قال ابن جرير الطبري: فيكون المعنى: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم، وهو قول: «لا إله إلا الله»[(٣)].

وقال: وأصل ذلك أن خير الأشياء أوساطها، والغلو والتقصير مذمومان.

وذكر ابن جرير الطبري أنه من التوسط في الفعل، فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كاليهود، فإنهم قتلوا الأنبياء، وبدلوا كتاب الله، ولم يغلوا كالنصارى، فانهم زعموا أن عيسى ابن الله[(٤)].

---

(١) زاد المسير (١/ ٨٤)، (١/ ٣١٠)، (١/ ٥٨٣)، (٢/ ١١٦).

(٢) زاد المسير (١/ ٤٧)، وانظر: (١/ ٦٣).

(٣) زاد المسير (١/ ٦٩)، وانظر: (١/ ٨٧)، (١/ ٢٢٨).

(٤) زاد المسير (١/ ١١٩).

وقال: قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ يعني: هودًا ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١].

قال الخليل: «الأحقاف»: الرمال العظام.

وقال ابن قتيبة: واحد الأحقاف: حقف، وهو من الرمل: ما أشرف من كثبانه واستطال وانحنى.

وقال ابن جرير: هو ما استطال من الرمل ولم يبلغ أن يكون جبلًا.

واختلفوا في المكان الذي سمي بهذا الاسم على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جبل بالشام، قاله ابن عباس، والضحاك.

والثاني: أنه واد، ذكره عطية. وقال مجاهد: هي أرض.

وحكى ابن جرير أنه واد بين عمان ومهرة[(١)].

وينقل ابن الجوزي اختيار ابن جرير، وينص عليه: وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحدُّ، وهذا اختيار ابن جرير الطبري[(٢)].

وقال: فالصواب أن يكون نفي الغَوْل عنها يَعُمُّ جميع هذه الأشياء، هذا اختيار ابن جرير[(٣)].

---

(١) زاد المسير (٤/ ١١٠).

(٢) زاد المسير (١/ ٢٦٥)، (١/ ٢٧٥)، (١/ ٥٣٥)، (٢/ ١٢٧).

(٣) زاد المسير (٣/ ٥٤١).

١٢- الزجاج (٣١١هـ).

وقد نقل ابن الجوزي عن الزجاج في كتابه «معاني القرآن وإعرابه» كثيرًا من النصوص التي ضمنها كتابه، بحيث لا تمر صفحة أو اثنتان من تفسيره إلا وفيها ذكر الزجاج.

ومنه ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ ﴾[المائدة:٥٤]، فبعد أن نقل القراءات فيها، قال: قال الزجاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثاني إذا سكن من المضاعف، ظهر التضعيف. فأما «يرتد» فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وحركت الثانية بالفتح، لالتقاء الساكنين[1].

ونقل ابن الجوزي عنه كثيرًا من الشواهد الشعرية؛ كقوله في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[ق: ١٧]، حيث قال: قال الزجاج: والمعنى: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فدل أحدهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، قال الشاعر:

نَحْـنُ بِـمَا عِنْدَنَـا وَأَنْـتَ بِـمَا ... عِنْـدَكَ رَاضٍ وَالـرَّأْيُ مُخْتَلِـفُ

وقال آخر:

رَمَـانِي بِأَمْـرٍ كُنْـتُ مِنْـهُ وَوَالِـدِي ... بَرِيئًـا وَمِـنْ أَجْـلِ الطَّـوِيِّ رَمَـانِي

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، (١/ ٥٥٩)، وانظر: (٢/ ١٧)، (١/ ١٨٤)، (٤/ ٤٠٢).

المعنى: كنت منه بريئًا[١].

وينص ابن الجوزي على اختيارات الزجاج، ومن ذلك قوله: قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ أي: لا قوة لنا.

قال الزجاج: أطقت الشيء، إطاقة وطاقة، وطوقا، مثل قولك: أطعته إطاعة وطاعة وطوعا.

واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الذين شربوا أكثر من غرفة، فإنهم انصرفوا ولم يشهدوا، وكانوا أهل شك ونفاق، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أنهم الذين قلت بصائرهم من المؤمنين، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد.

والثالث: أنه قول الذين جاوزوا معه، وإنما قال ذلك بعضهم لبعض، لما رأوا من قلتهم، وهذا اختيار الزجاج[٢].

---

(١) زاد المسير (٤/ ١٥٩)، وانظر: (١/ ٣٣)، (١/ ٣٩)، (٢/ ٣٩).

(٢) زاد المسير (١/ ٢٢٦)، وانظر: (١/ ٢٥١)، (٢/ ٥٧٠)، (٤/ ٣٠٨)، (٤/ ٣١٨).

تنبيه: يبدو -والله أعلم- أن من قوله: واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال: إلى قوله: وهذا اختيار الزجاج من كلام ابن الجوزي، لا من كلام الزجاج. ومراد المصنف بقوله: «وهذا اختيار الزجاج» عائد على القول الثالث فقط، وليس على كل ما سبق.

١٣- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ):

وقد نقل عنه ابن الجوزي كثيرًا من أقواله وآرائه وترجيحاته من كتبه، ومنها: «الزاهر في معاني كلمات الناس»، و«المذكر والمؤنث»، و«الأضداد».

ومن ذلك نقله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾[الأعراف: ٣٢]، حيث قال: قال ابن الانباري: ﴿خَالِصَةً﴾ نصب على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها[١].

وبعد ذكره لعدد من الأقوال قال: ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم الأنباري[٢].

١٤- الخِرقي (٣٣٤هـ).

ذكره ابن الجوزي مرة في قوله: ونقل الخرقي عن أحمد في نصارى بني تغلب روايتين:

إحداهما: تباح ذبائحهم، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

والثانية: لا تباح. وقال الشافعي: من دخل في دين أهل الكتاب

---

(١) زاد المسير (٢/ ١١٥)، وانظر: (٢/ ٤٥٦)، (٣/ ٨٣)، (٣/ ١٢٥).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٥)، (١/ ٥١)، (٤/ ٢٩).

بعد نزول القرآن، لم يبح أكل ذبيحته[1].

١٥- أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ).

ومن نقله عنه قوله: وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على «مكر السيئ» فيترك الحركة، وهو وقف حسن تام، فغلط الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الوصل[2].

١٦- أبو سليمان الدمشقي (٣٥١هـ).

ومن مميزات ابن الجوزي أنه حفظ لنا أقوال أبي سليمان الدمشقي، فإن عامة كتبه مفقودة.

وقد احتفل ابن الجوزي بنقل آرائه، ومن ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣]: وقال أبو سليمان الدمشقي: في هذا الكلام محذوف، ومعناه: جعلت قبلتكم وسطا بين القبلتين، فإن اليهود يصلون نحو المغرب، والنصارى نحو المشرق، وأنتم بينهما[3].

وينص ابن الجوزي على اختياراته[4].

---

(١) زاد المسير (١/ ٥١٨).

(٢) زاد المسير (٣/ ٥١٥).

(٣) زاد المسير (١/ ١١٩)، وانظر: (١/ ١٢١)، (١/ ١٢٤)، (١/ ٢١٠)، (١/ ٢٧٠)، (١/ ٤٢٣).

(٤) زاد المسير (١/ ٢٥٤)، وانظر: (١/ ٢٧٣)، (١/ ٤٤١).

١٧- أبو منصور الأزهري (٣٧٠هـ).

وينقل الإمام ابن الجوزي عن كتابه: «تهذيب اللغة»، ومن نقله عنه قوله: قال الأزهري: و«الفتيل» و«النقير» و«القطمير»: تضرب أمثالا للشيء التافه الحقير(١).

١٨- أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ).

تأثر ابن الجوزي به كثيرًا، ونقل عنه بعض النصوص المتعلقة بالاحتجاج لبعض القراءات، ومصدره في ذلك بخاصة كتابه «الحجة للقراء السبعة».

قال: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾[البقرة: ٤٨]، حيث قال: قال أبو علي: من قرأ بالتاء، فلأنَّ الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث، فيلزم أن يلحق المسند أيضًا علامة التأنيث، ومن قرأ بالياء فلأنَّ التأنيث في الاسم الذي أسند إليه الفعل ليس بحقيقي، فحمل على المعنى، كما أن الوعظ والموعظة بمعنى واحد(٢).

١٩- الخطابي (٣٨٨هـ).

وينقل الإمام ابن الجوزي عن كتبه «أعلام الحديث»، و«غريب الحديث»، و«معالم السنن»، و«بيان إعجاز القرآن»، وينقل عنه من كتابه: «شأن الدعاء».

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٢٠)، (٢/ ٦٣)، (٣/ ١١٠).

(٢) زاد المسير (١/ ٦٢)، وانظر: (١/ ٢٣٤)، (٢/ ٤٥٣)، (٣/ ١٤٤).

وأكثر نقله عنه فيما يتعلق بشرح أسماء الله سبحانه وتعالى.

ومن نقله عنه قوله -في اسم الله الذي هو «الله»-:

وذكر أبو سليمان الخطابي عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتق من: أله الرجل يأله: إذا فزع اليه من أمر نزل به. فألهه، أي: أجاره وأمنه، فسمي إلها كما يسمى الرجل إماما[1].

وقال في قوله تعالى[2]: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ﴾[الحشر: ٢٤]، وأمَّا «الخالق» فقال الخطابي: هو المبتدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق، فأما في نعوت الآدميين، فمعنى الخلق التقدير؛ كقول زهير:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

٢٠- ابن فارس (٣٩٥هـ).

وقد تأثر به ابن الجوزي، وكان مصدرًا له، وبخاصة من كتابه «مقاييس اللغة».

ففي قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[البقرة: ١٨٥]؛ حيث قال: قال ابن فارس: الرمض: حر الحجارة من شدة حر الشمس، ويقال: شهر رمضان، من شدة الحر، لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام

---

(١) زاد المسير (١/ ١٦)، وانظر: (١/ ١١١)، (١/ ١١٣).

(٢) زاد المسير (٤/ ٢٦٥)، وانظر: (٤/ ٢٦٥).

رمض الحر، ويجمع على رمضانات وأرمضاء وأرمضة[(١)].

وقال: وفي البكم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الخرس. قاله مقاتل، وأبو عبيد، وابن فارس[(٢)].

٢١- الثعلبي (٤٢٧هـ).

وينقل من كتابه: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن».

فقد ذكر عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[آل عمران: ١٨٠].

قال: وفي المخاطب بهذه الآية قولان:

أحدهما: أنهم الكفار والمنافقون، وهو قول ابن عباس، والضحاك.

والثاني: أنهم المؤمنون، فيكون المعنى: ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق.

قال الثعلبي: وهذا قول أكثر أهل المعاني[(٣)].

٢٢- مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ).

وقد تأثر به ابن الجوزي، ونقل عنه بعض النصوص من كتبه:

(١) زاد المسير (١/ ١٤٣)، وانظر، (٢/ ٤٠١)، (٢/ ٤٩١)، (٢/ ١٣٤).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٧).

(٣) زاد المسير (١/ ٣٥٢)، وانظر: (١/ ٣٧١)، (١/ ٤٠٥)، (٣/ ٧٤)، (٤/ ١٩٠).

«مشكل إعراب القرآن»، و«الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها».

فعند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠]، قال: قال مكي بن أبي طالب: من نوَّن عزيرًا رفعه على الابتداء، و«ابن» خبره[1].

٢٣- الماوردي (٤٥٠هـ).

وقد نقل عن تفسيره «النكت والعيون».

ومن نقله عنه، قوله: قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فيه وجهان ذكرهما الماوردي:

أحدهما: ينطقون بالإيمان، وليس في قلوبهم إلا الكفر.

والثاني: يقولون: نحن أنصار، وهم أعداء.

وذكر في الذي يكتمون وجهين:

أحدهما: أنه النفاق.

والثاني: العداوة[2].

وغالبًا ما يكتفي بما ذكره الماوردي في الآية، وقليلًا ما يزيد عليه.

قال: وفي قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[التوبة: ٢٦] أربعة أقوال:

أحدها: بالقتل، قاله ابن عباس والسدي.

---

(١) زاد المسير (٢/ ٢٥١)، وانظر: (٢/ ٤١٧)، (٢/ ٤٠٤)، (٣/ ٥٨٣).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٤٦)، وانظر: (١/ ٣٤٩)، (١/ ٤٠٥).

والثاني: بالقتل والهزيمة، قاله ابن أبزى ومقاتل.

والثالث: بالخوف والحذر، ذكره الماوردي.

والرابع: بالقتل والأسر وسبي الأولاد وأخذ الأموال، ذكره بعض ناقلي التفسير[١].

٢٤- أبو يعلى الفراء (٤٥٨هـ).

والذي يظهر أنه ينقل من كتابه «أحكام القرآن»، أو مِن كتبه الفقهية.

ومن نقله عنه قوله:

قال القاضي أبو يعلى: وصف البيت بالأمن، والمراد جميع الحرم كما قال: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، والمراد: الحرم كله لأنه لا يذبح في الكعبة، ولا في المسجد الحرام، وهذا على طريق الحكم، لا على وجه الخبر فقط[٢].

وينص ابن الجوزي على اختياراته -أحيانًا-، كقوله: واتفق العلماء على أن إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها.

وفي الفريضة قولان:

أن إظهارها أفضل، قاله ابن عباس في آخرين. واختاره القاضي أبو يعلى[٣].

وقال ناقلًا اختياره وتعليله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢١] فيه قولان:

---

(١) زاد المسير (٢/ ٢٤٧).

(٢) زاد المسير (١/ ١٠٩)، وانظر: (١/ ١٣٣)، (١/ ١٥٥).

(٣) زاد المسير (١/ ٢٤٣)، وانظر: (١/ ٢٥١)، (١/ ٣٠٣).

أحدهما: لا يصلون، قاله عطاء، وابن السائب.

والثاني: لا يخضعون له، ويستكينون، قاله ابن جرير، واختاره القاضي أبو يعلى.

قال: وقد احتج بها قوم على وجوب سجود التلاوة، وليس فيها دلالة على ذلك، وإنما المعنى: لا يخشعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختص بمواضع منه[1].

٢٥- أبو منصور اللغوي ابن الجواليقي (٥٤٠هـ).

وهو أحد شيوخ ابن الجوزي، تأثر به ابن الجوزي في بعض من النصوص التي نقلها عنه، فنقل عنه من كتاب التكملة والذيل على درة الغواص؛ فقال رحمه الله: قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: رَبَّ فلانٌ صنيعته يَرُبُّها رَبًّا: إذا أتمها وأصلحها، فهو ربٌّ ورابٌّ، كما نقل عنه كثيرًا من الألفاظ المعربة الواردة في كتابه «المعرب».

ومنه ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، حيث قال: فأما الدينار، فقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الدينار فارسي معرّب، وأصله: دِنّار[2].

(١) زاد المسير (٤/ ٤٢٢).

(٢) زاد المسير (١/ ٢٩٥)، وانظر: (٢/ ٣٧٥)، (٣/ ١٨)، (٣/ ٢٤).

وعند قوله تعالى(١): ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾[الكهف: ٢٩]، قال: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: السرادق فارسي معرب، وأصله بالفارسية سرادار، وهو الدهليز، قال الفرزدق:

تَمَنَّيْتُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيتُهُمْ   تَرَكْتُ لَهُمْ قَبْلَ الضِّرَابِ السُّرَادِقَا

وقد اعتمد ابن الجوزي -إضافةً على هذه المصادر المتقدمة- على كتب الحديث، ومن أهمها: «الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم».

وعلى شيوخه الذين تلقى عنهم، ومنهم: «علي بن عبيد الله الزاغوني(٢)- وأبي محمد الخشاب»(٣).

قائمة بأهم الكتب التي اعتمد عليها الإمام ابن الجوزي:

تضم هذه القائمة أهم الكتب التي اعتمد عليها ابن الجوزي، وتعتبر أهم مصادر كتابه، ولم يهتم الإمام ابن الجوزي بإثبات أسماء الكتب التي نقل عنها، وإنما ذكر العلماء الذين نقل عنهم، وأسلفنا ذكر بعضهم، ومن الكتب التي يمكن أن نذكرها في هذا السياق.

١- **«إعراب القرآن»** للمبرد.

٢- **«البيان في غريب إعراب القرآن»** لابن الأنباري.

---

(١) زاد المسير (٣/ ٨٠)، وانظر: (١/ ٧١)، (٣/ ٨٢)، (٤/ ٢٥).

(٢) زاد المسير (١/ ٢٢)، (١/ ٢٧)، (١/ ٢٩)، (١/ ١٠٤).

(٣) زاد المسير (١/ ٤٣)، (٢/ ٤٧١)، (٣/ ١٠٠).

٣- «**تأويل مشكل القرآن**» لابن قتيبة.

٤- «**تفسير غريب القرآن**» لابن قتيبة.

٥- «**تهذيب اللغة**» للأزهري.

٦- «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» لابن جرير الطبري.

٧- «**الحجة للقراء السبعة**» لأبي علي الفارسي.

٨- «**شأن الدعاء**» للخطابي.

٩- «**الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**» لمكي بن أبي طالب القيسي.

٧- «**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**» للثعلبي.

٨- «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

٩- «**مشكل إعراب القرآن**» لمكي بن أبي طالب القيسي.

١٠- «**معاني القرآن وإعرابه**» للزجاج.

١١- «**معاني القرآن**» للأخفش الأوسط.

١٢- «**معاني القرآن**» للفراء.

١٣- «**المعرب**» لأبي منصور الجواليقي.

١٤- «**مقاييس اللغة**» لابن فارس.

١٥- «**النكت والعيون**» للماوردي.

❖ ❖ ❖

الباب الثالث

منهج الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»

تمهيد

إنَّ دراسة منهج المفسر مفيدٌ لمطالع الكتاب، وقد كتبت عدة رسائل عن الإمام ابن الجوزي ومنهجه في التفسير، ومنها:

١- «منهج ابن الجوزي في تفسيره» للدكتور عبد الرحيم الطحان، رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر، نوقشت بمصر (١٤٠١ هـ).

٢- «منهج ابن الجوزي في التفسير من خلال: زاد المسير في علم التفسير» د. أحمد عبادي، رسالة ماجستير، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات الإسلامية، مراكش، المغرب، (١٤١١هـ-١٩٩١م).

٣- «منهج ابن الجوزي في التفسير» عامر عمران علوان الخفاجي، رسالة ماجستير في جامعة بغداد، (١٩٩٣م).

٤- «ابن الجوزي مفسرًا» إدريس علي أحمد الترابي، رسالة ماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين (٢٠٠٢م).

٥- «دراسة اللغة في كتاب زاد المسير» د. ابتسام محمد غباشي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٦- «منهج ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير» دراسة وصفية تحليلية، منير أحمد العواضي، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، (٢٠١٥م).

المبحث الأول

تعريف الإمام ابن الجوزي بمنهجه في تفسيره «زاد المسير»

لقد أبان الإمام ابن الجوزي عن أساس منهجه في تفسيره في ثلاث مواضع:

فقال: وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسِّط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المُشْكِل، وشُرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطويًا على العلم الغزير، ووسمته بـ«زاد المسير في علم التفسير». وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد -وفَّقك الله- في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائدًا بتوفيقه[١].

وقال: لما رأيت جمهور كتب المفسِّرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، فربَّ تفسير أخلَّ فيه بعلم النَّاسخ والمنسوخ، أو ببعضه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكيِّ من المدنيِّ، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.

---

(١) زاد المسير (١/ ١١).

وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره مما لا يستغني التفسير عنه ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه.

وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين: إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهرا لا يحتاج إلى تفسير.

وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير، فأخذ منها الأصحَّ والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار.

وهذا حين شروعنا فيما ابتدأنا له، والله الموفَّق(١).

ثم قال في نهاية الكتاب: والحمد لله على الإنعام الغزير، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا فيما أمَّلنا، فلا يعتقدنَّ من رأى اختصارنا أنَّا أقللنا، فقد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظا لما أغفلنا، فإنَّا ضمنَّا الاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا.

ومن أراد زيادة بسط في التفسير، فعليه بكتابنا «المغني» في التفسير، فإن أراد مختصرًا، فعليه بكتابنا المسمَّى بـ«تذكرة الأريب في تفسير الغريب»(٢).

---

(١) زاد المسير (١/ ١٤).

(٢) زاد المسير (٤/ ٥١١).

وبجمع هذه العبارات، وتحليلها، يتبين لنا الأساس الذي بنى عليه الإمام ابن الجوزي تفسيره «زاد المسير»، وسيتضح في المباحث التالية.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

دوافع تأليف «زاد المسير»

أظهر ابن الجوزي أنه أراد أن يؤلف كتابًا متوسطًا يجمع الأقوال في التفسير، ويغني عن غيره من كتب التفسير الموجودة بين الناس.

وأبان أنه قد ألف كتابًا في التفسير مطولًا، وسماه: «المغني»، وآخر مختصرًا وسماه: «تذكرة الأريب»، وجعل «زاد المسير» بينهما.

المبحث الثالث

ملامح المنهج العام للإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»

يمكن توضيح المنهج العام للإمام ابن الجوزي -في ضوء ما نقلناه سابقًا- في النقاط الآتية:

١- الوفاء بتفسير الآية، بحيث لا يحتاج الناظر في كتابه إلى مطالعة كتب أخرى، فإنه يورد المعنى الإجمالي للجمل القرآنية، مع بيانه للاشتقاقات اللغوية للمفردات في الغالب.

٢- ترتيب الكلام على الآيات لتوضيح المقصود، واتقاء حصول تشويشٍ على القارئ.

٣- شرح ما يُشكل في معنى الآية.

٤- بيان المعلومات المتعلقة بالآية؛ كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكي والمدني، وغيرها من الفوائد المطلوبة.

٥- اتقاء التكرار في بيان المعاني.

٦- تحري الأصح والأحسن والأصون، ونظمه في عبارة الاختصار.

ومن خلال القراءة في الكتاب، يتبين أن الإمام ابن الجوزي قد أتى على مراده، وضمن الكتاب عددًا كبيرًا من الفوائد، مما جعل كتابه أحد الكتب المعتمدة في تفسير القرآن، ومنهلًا عذبًا يروي ظمأ طالب تفسير كلام الرحمن.

ومما يمكن أن نضيفه في المنهج العام للإمام ابن الجوزي:

٧- ترك الأسانيد في التفسير، فقد اعتنى بنقل الأقوال دون أسانيدها.

٨- نقله للقراءات في الآية، وبيانها.

٩- اهتمامه بإيراد الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية.

١٠- سلاسة أسلوبه، وحسن عرضه للأقاويل في التفسير، وسبكها في عبارة يسيرة.

وهو في هذا يتوافق مع كتاب آخر، وهو كتاب: «النكت والعيون» للإمام الماوردي رحمه الله، غير أن كتاب ابن الجوزي أصح نقلًا، وأكثر تحريرًا.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

ترجيحات ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»

لقد كان الإمام ابن الجوزي مُقِلًّا في ترجيح الأقوال في تفسيره، ولم يخل منه، ومن ألفاظه في الترجيح:

١- لفظ: «أظهر» ومشتقاته.

يقول في صفة سجود الملائكة لآدم:

وفي صفة سجودهم لآدم قولان:

أحدهما: أنه على صفة سجود الصلاة، وهو الأظهر.

والثاني: أنه الانحناء والميل المساوي للركوع[1].

وقال في موضع آخر:

فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يطلب أخاه، وهو يعلم ما في ذلك من إدخال الحزن على أبيه؟

---

(١) زاد المسير (١/ ٥٤).

فعنه خمسة أجوبة:

أحدهـا: أنـه يجـوز أن يكـون ذلـك بأمـر عـن الله تعـالى زيـادة لبـلاء يعقـوب ليعظـم ثوابـه، وهـذا الأظهـر[١].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

يقول: في المراد بالقرآن قولان:

أحدهما: أنه كتابنا -وهو الأظهر-، وعليه الجمهور.

والثاني: أن المراد به: كتب المتقدمين قبلنا[٢].

٢- لفظ: «أصح»، و«صحيح» ومشتقاته.

وقد استخدمه ابن الجوزي عدة مرات، منها:

في قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥].

يقول: وفي ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه الحرم كله، قاله ابن عباس.

والثاني: عرفة والمزدلفة والجمار، قاله عطاء. وعن مجاهد كالقولين.

---

(١) زاد المسير (٢/ ٤٥٣).

(٢) زاد المسير (٢/ ٥٤٤).

وقد روي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، قالوا: الحج كله مقام إبراهيم.

والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير، وهو الأصح[١].

وقال في قصة كفالة زكريا لمريم عليهما السلام: والصحيح ما عليه الأكثرون، وأن القوم تشاحوا على كفالتها، لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران، كذلك قال قتادة في آخرين، وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها[٢].

وقال: والصَّحيح أن قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة: ٣] نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة[٣].

٣- لفظ: «والمفسرون على...».

ومن ذلك قوله: والمفسرون على أن قوله: ﴿نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] قول جبريل[٤].

وقال في قوله سبحانه: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾[ص: ٣٢]: والمفسرون على أن المراد بـ«ذِكْر ربِّه»: صلاةُ العصر[٥].

---

(١) زاد المسير (١/ ١٠٩)، وانظر: (١/ ١٤١)، (١/ ١٧٨)، (٤/ ٣٨٦).

(٢) زاد المسير (١/ ٢٧٧)، وانظر: (١/ ٣٨٦)، (٢/ ٣٥٢)، (٢/ ٤٦٦).

(٣) زاد المسير (١/ ٥٠٥).

(٤) زاد المسير (٣/ ١٤٠)، وانظر: (٣/ ١٤٦)، (٣/ ١٧٧).

(٥) زاد المسير (٣/ ٥٧٢)، وانظر: (٣/ ٥٧٤).

٤- لفظ: «الصواب» ومشتقاته.

قال في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]: فالصواب أن يكون نفي الغَوْل عنها يَعُمُّ جميع هذه الأشياء، هذا اختيار ابن جرير(١).

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

طرق ابن الجوزي في الاستدلال على المعاني في تفسيره

لقد اعتنى الإمام ابن الجوزي كسائر علماء التفسير بالاستدلال على المعاني في التفسير، واعتمدوا في ذلك، أن يفسر القرآن بالقرآن، والسنة، والإجماع، وأقوال السلف، واللغة، والإسرائيليات.

- **أولًا: تفسير القرآن بالقرآن.**

لقد اعتنى الإمام ابن الجوزي بالقرآن في الاستدلال على المعاني في تفسيره، ويظهر ذلك لمن تأمل الكتاب أدنى تأمل.

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥٤١)، وانظر: (١/ ٢٢٦).

فقد يذكر الآية المفسرة لآية أخرى على سبيل الاستئناس، ومن ذلك قوله: وفي «الكلمات» أقوال:

أحدها: أنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣]، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء الخراساني، وعبيد بن عمير، وأبيّ بن كعب، وابن زيد(١).

ويظهر لنا من صنيع ابن الجوزي تقديم هذا القول.

ومن قبيل اعتنائه بتفسير القرآن بالقرآن عنايته بالقراءات، وبيانها، والاحتجاج لها، ومن ذلك:

قوله: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[البقرة: ٣٣]؛ أي: أخبرهم.

وروي عن ابن عباس: «أنبئهم» بكسر الهاء.

قال أبو علي: قراءة الجمهور على الأصل، لأن أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومة فيه، ألا ترى أنك تقول: ضربهم وأبناءهم، وهذا لهم. ومن كسر أتبع كسر الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء(٢).

وقال: قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا﴾[البقرة: ٣٦]، أزلهما بمعنى: استزلهما. وقرأ حمزة: «فأزالهما»، أراد: نحاهما.

---

(١) زاد المسير (١/ ٥٧).

(٢) زاد المسير (١/ ٥٣).

قال أبو علي الفارسي: لما كان معنى ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[البقرة: ٣٥] اثبتا فيها، فثبتا «فأزالهما»، وقابل حمزة الثبات بالزوال الذي يخالفه، ويقوي قراءته: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾[البقرة: ٣٦](١).

• **ثانيًا: تفسير القرآن بالسنة.**

وللإمام ابن الجوزي عناية بإيراد الأحاديث المتعلقة بمعنى الآية.

١- فقد يورد الحديث للاستشهاد به على المعنى مباشرة.

كقوله: قوله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٨] وهو أن تعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله له.

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب هلك**» فقلت: يا رسول الله، فإن الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟! قال: «**ذلك العرض**»(٢).

٢- ويذكره للاستشهاد به على المعنى الأظهر في تفسير الآية.

ومن ذلك قوله: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾[البقرة: ١٨٧]، قال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية، عمدت إلى عقالين، أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أقوم في الليل ولا أستبين الأسود من الأبيض، فلما أصبحت غدوت على رسول الله فأخبرته، فضحك وقال: «**إن كان وسادك إذًا لعريض، إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل**»(٣).

---

(١) زاد المسير (١/ ٥٦).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٢٠). أخرجه البخاري: (٤٩٣٩)، ومسلم: (٢٨٧٦).

(٣) زاد المسير (١/ ١٤٩). أخرجه البخاري: (١٩١٦)، (٤٥٠٩)، ومسلم: (١٠٩٠).

• ثالثًا: تفسير القرآن بالإجماع.

اهتم الإمام ابن الجوزي بنقل الإجماع على كثير من المعلومات الداخلة في كتب التفسير، فقد اعتنى بإيراد الإجماع على الأحكام والمعاني، وعلى معلومات علوم القرآن، وعلى القراءات، وغيرها، ومن ذلك:

١- نقله الإجماع على المعاني.

قال ابن الجوزي: في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾[البقرة: ١٤٤]: و«الشطر»: النحو من غير خلاف[١].

وقال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[آل عمران: ٩٧]، قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومَنْ دخَله، فأمنوه، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله، وفيمن جنى فيه بعد دخوله، إلا أن الإجماع انعقد على أن من جنى فيه لا يؤمَّن، لأنه هتك حرمة الحرم ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجًا منه، ثم لجأ إلى الحرم[٢].

وقال ابن الجوزي: قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أُحد[٣].

---

(١) زاد المسير (١/ ١٢١).

(٢) زاد المسير (١/ ٣٠٨)، وانظر: البحر المحيط: (٣/ ٢٧٤).

(٣) زاد المسير (١/ ٣٢٠).

وقال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[النساء: ١٠٠] اتفقوا على أنه نزل في رجل خرج مهاجرا، فمات في الطريق، واختلفوا فيه على ستة أقوال[١].

وقال ابن الجوزي: وجميع أقوال المفسرين تدل على أن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأنفال: ٣٣]، كلام مبتدأ من إخبار الله عز وجل[٢].

٢- نقله الإجماع على مكيَّة السور ومدنيَّتها.

قال ابن الجوزي في «سورة إبراهيم»: وهي مكيّة من غير خلاف علمناه بينهم، إلّا ما روي عن ابن عباس، وقتادة أنهما قالا: سوى آيتين منها، وهما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾[إبراهيم: ٢٨] والتي بعدها[٣].

وعن «سورة الروم» يقول: هذه السورة مكية. ولا خلاف أحفظه في ذلك[٤].

وعن «سورة السجدة»: وهي مكّيّة بإجماعهم[٥].

---

(١) زاد المسير (٢/ ١٧٩ - ١٨٠).

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٠٦).

(٣) زاد المسير (٢/ ٥٠٣).

(٤) زاد المسير (٣/ ٤١٥).

(٥) زاد المسير (٣/ ٤٣٧).

وعن «سورة فاطر»: وتسمّى: «سورة الملائكة»، وهي مكّيّة بإجماعهم[١].

٢- وينقل الإجماع على بعض مسائل اللغة والقراءات.

قال ابن الجوزي: قال الزجاج: لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسبيح هو: التنزيه لله تعالى عن كل سوء[٢].

وقال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وروى أبان: «يوم نبدّل» بالنون وكسر الدال. «الأرض» بالنّصب. «والسماوات» بخفض التاء، ولا خلاف في نصب «غير»[٣].

قال ابن الجوزي: واختلف العلماء في تاء «تخرجون».

فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: بضم التاء وفتح الراء، هاهنا وفي «الروم»: «وكذلك تخرجون». وفي «الزخرف»: «كذلك تخرجون». وفي «الجاثية»: «لا يخرجون منها».

وقرأهن حمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الراء.

وفتح ابن عامر التاء في «الأعراف» فقط.

فأما التي في «الروم»: «إذا أنتم تخرجون»، وفي «سأل سائل»: «يوم يخرجون» فمفتوحتان من غير خلاف[٤].

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥٠٥).

(٢) زاد المسير (١/ ٥٣).

(٣) زاد المسير (٢/ ٥٢٠).

(٤) زاد المسير (٢/ ١٠٩).

٣- ومن نقله الإجماع على خلاف ما سبق.

قوله: فأهل الكتاب مجمعون على البعث(١).

• رابعًا: تفسير القرآن بأقوال السلف.

لا يحتاج الناظر في «زاد المسير» أن يبرهن على الاهتمام الكبير الذي حظيت به أقوال السلف في التفسير في كتاب الإمام ابن الجوزي رحمه الله.

وقد يكتفي ابن الجوزي بقول الصحابي في تفسير الآية، ومن ذلك:

قوله: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، قال ابن عباس: هم النبيُّون، والصديقون، والشهداء، والصالحون(٢).

وقوله: قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾[يونس: ٢٦]: قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله(٣).

ويذكر أقوال التابعين كذلك:

كقوله: قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[البقرة: ١٠]، المرض هاهنا: الشك، قاله عكرمة، وقتادة(٤).

وذكر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: لا

(١) زاد المسير (٢/ ٣١).

(٢) زاد المسير (١/ ٢١).

(٣) زاد المسير (٢/ ٣٢٦).

(٤) زاد المسير (١/ ٣٢).

تسمعوه، ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾[فصلت: ٢٦]؛ أي: عارضوه باللَّغو، وهو الكلام الخالي عن فائدة.

وكان الكفَّار يوصي بعضُهم بعضًا: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه فارفعوا أصواتكم حتى تُلبِّسوا عليهم قولهم.

وقال مجاهد: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ بالمكاء والصفير والتخليط من القول على رسول الله ﷺ إذا قرأ[١].

• **خامسًا: تفسير القرآن بلغة العرب.**

يعتني الإمام ابن الجوزي باللغة في تفسيره[٢]، فيذكر المعاني اللغوية للكلام، ومنه:

قوله[٣]: السجود في اللغة: التواضع والخضوع، وأنشدوا:

سَاجِدَ المَنْخَرِ مَا يَرْفَعُهُ   خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ الْمُسْتَمَعْ

وقال: الخاسئ في اللغة: المبعد، يقال للكلب: اخسأ؛ أي: تباعد[٤].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: دراسة اللغة في كتاب زاد المسير، د. ابتسام محمد غباشي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

(٣) زاد المسير (١/ ٥٤)، وانظر: (١/ ٦١).

(٤) زاد المسير (١/ ٧٥).

وقال: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نسخت الشمس الظل: إذا أذهبته وحلت محله[١].

وكان للّهجات نصيب في «زاد المسير» حين نجد ابن الجوزي يقف عند كثير من الألفاظ مشيرًا إلى القبائل التي استعملتها بتلك اللهجة، ولكنه في ذلك كان كثير النقل فلا نجده يعتمد على نفسه إلا نادرًا، وغالبًا ما ينقل عن سابقيه.

فنراه يذكر القراءات في لفظ من الألفاظ، ثم يشير إلى القبائل التي قرأت بكل قراءة وأصبحت لهجة لها، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[الأنعام: ١٤١].

قال ابن الجوزي: قرأ ابن عامر، وعاصم وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي: بكسرها، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفراء[٢].

وأمثال ذلك كثير، انظر مثلًا القراءات واللهجات في «الزعم»[٣]،

(١) زاد المسير (١/ ٩٨).

(٢) زاد المسير (٢/ ٨٤).

(٣) زاد المسير (٢/ ٨١).

و«ضعفا»[١]، و«صنوان»[٢]، و«سيناء»[٣]، و«كشطت»، و«قشطت»[٤].

وقد يورد بعض اللهجات عند حديثه عن معنى لفظ من الألفاظ، فمن ذلك:

قال ابن الجوزي: والمنسأة: العصا.

قال الزجاج: وإنما سميت منسأة، لأنه ينسأ بها، أي: يطرد ويزجر.

قال الفراء: أهل الحجاز لا يهمزون المنسأة، وتميم وفصحاء قيس يهمزونها[٥].

وقد جمع عددًا كبيرًا من لهجات القبائل بين دفتي كتابه[٦].

وينقل الإمام ابن الجوزي كثيرًا عن أئمة اللغة، ويستشهد بأقوالهم، كما سبق في الحديث عن موارده.

ويستدرك الإمام ابن الجوزي على أهل اللغة، ومن ذلك:

---

(١) زاد المسير (٢/ ٢٢٣).

(٢) زاد المسير (٢/ ٤٨١).

(٣) زاد المسير (٣/ ٢٥٩).

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٠٧).

(٥) زاد المسير (٣/ ٤٩٣).

(٦) زاد المسير (٣/ ٣١٥)، انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (١/ ٧١)، (١/ ٩١)، (٢/ ٥٢٢)، (٣/ ١٦٥)، (٤/ ٢٢٤).

قوله: قال الزجاج: «إذنه»(١): علمه.

وقال غيره: أمره.

قال بعضهم: توفيقه(٢).

وقال: قال الفراء: والفتح قد يكون صُلحًا، ويكون أَخْذَ الشيء عَنْوةً، ويكون بالقتال.

وقال غيره: معنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق(٣).

وقال: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، عن ابن دريد، قال: «زكريا» اسم أعجمي، يقال: زكريٌّ، وزكرياء ممدود، وزكريا مقصور.

وقال غيره: وزكري بتخفيف الياء، فمن قال: زكرياء بالمد، قال في التثنيه: زكرياوان، وفي الجمع زكرياوون، ومن قال: زكريا بالقصر، قال في التثنيه زكريان كما نقول: مدنيان، ومن قال: زكري بتخفيف الياء، قال في التثنية: زكريان الياء خفيفة، وفي الجمع: زكرون بطرح الياء(٤).

وقال: قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أمَّل.

---

(١) من قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

(٢) زاد المسير (١/ ١٧٨).

(٣) زاد المسير (٤/ ١٢٥).

(٤) زاد المسير (١/ ٢٧٧).

وقال غيره: الفرق بين الخيبة واليأس، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، واليأس قد يكون من غير أمل[١].

• **سادسًا: تفسير القرآن بالإسرائيليات.**

إن الإمام ابن الجوزي كغيره من المفسرين يذكر بعض الإسرائيليات في تفسير الآية، ومما أورده قوله في قصة البقرة من «سورة البقرة»، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

فأما السبب الذي لأجله غلا ثمنها، فيحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم شددوا فشدد الله عليهم.

والثاني: لإكرام الله عزّ وجلّ صاحبها، فإنه كان برًا بوالديه.

فذكر بعض المفسرين أنه كان شاب من بني اسرائيل برًّا بأبيه، فجاء رجل يطلب سلعة هي عنده، فانطلق ليبيعه إياها، فاذا مفاتيح حانوته مع أبيه، وأبوه نائم، فلم يوقظه ورد المشتري، فأضعف له المشتري الثمن، فرجع إلى أبيه فوجده نائمًا، فعاد إلى المشتري فرده، فأضعف له الثمن، فلم يزل ذلك دأبهما حتى ذهب المشتري، فأثابه الله على بره بأبيه أن نتجت له بقرة من بقرة تلك البقرة. وروي عن وهب بن منبه في حديث طويل: أن فتى كان برًّا بوالديه، وكان يحتطب على ظهره، فاذا باعه تصدق بثلثه، وأعطى أمه ثلثه، وأبقى لنفسه ثلثه، فقالت له أمه يومًا: إني ورثت من

---

(١) زاد المسير (١/ ٣٢٣).

أبيك بقرة، فتركتها في البقر على اسم الله، فإذا أتيت البقر، فادعها باسم إله إبراهيم، فذهب فصاح بها، فأقبلت، فأنطقها الله، فقالت: اركبني يا فتى، فقال: لم تأمرني أمي بهذا.

فقالت: أيها البر بأمه، لو ركبتني لم تقدر عليّ، فانطلق، فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع ببرّك لأمك. فلما جاء بها قالت أمه: بعها بثلاثة دنانير على رضىً مني، فبعث الله ملكًا فقال: بكم هذه؟ قال: بثلاثة دنانير على رضىً من أمي. قال: لك ستة ولا تستأمرها، فأبى، ورجع إلى أمه فأخبرها، فقالت: بعها بستة على رضىً مني، فجاء الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني، ذاك مَلَك، فقل له: بكم تأمرني أن أبيعها؟ فجاء إليه فقال له ذلك، فقال: يا فتى يشتري بقرتك هذه موسى بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل(١).

ولم يخل الكتاب من تعقب لبعض الإسرائيليات، ورد لها، ومن ذلك:

قوله: وذكر جماعة من المفسرين أن داود لما نظر إلى المرأة، سأل عنها، وبعث زوجها إلى الغزاة مرة بعد مرة إلى أن قتل، فتزوجها وروي مثل هذا عن ابن عباس، ووهب، والحسن في جماعة.

وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزهون عنه(٢).

---

(١) زاد المسير (١/ ٧٨)، وانظر: (٣/ ٣٦١)، (٣/ ٣٦٤)، (٣/ ٣٨٥).

(٢) زاد المسير (٣/ ٥٦٦).

وقال في موضع آخر:

وفي اسم ذلك الشيطان ثلاثة أقوال:

أحدها: صخر. رواه العوفي عن ابن عباس. وذكر العلماء أنه كان شيطانا مريدا لم يسخر لسليمان.

والثاني: آصف. قاله مجاهد: إلا أنه ليس بالمؤمن الذي عنده الاسم الأعظم، إلا أن بعض ناقلي التفسير حكى أنه آصف الذي عنده علم من الكتاب، وأنه لما فتن سليمان سقط الخاتم من يده فلم يثبت، فقال آصف: أنا أقوم مقامك إلى أن يتوب الله عليك، فقام في مقامه، وسار بالسيرة الجميلة، وهذا لا يصح، ولا ذكره من يوثق به[١].

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥٧٣).

المبحث السادس

منهج الإمام ابن الجوزي في ذكر الأحكام الفقهية

الغالب على الإمام ابن الجوزي ذكره للأحكام الفقهية بغير ترجيح، ويتعرض للخلاف الوارد عن الإمام أحمد في المسائل، ورواياته حولها، ثم يذكر سائر المذاهب الأربعة بعد ذلك.

ومن عادته تقديم مذهب الحنابلة، ثم ذكر مذاهب الأئمة بعد ذلك.

فقد قال -رحمه الله في «البسملة» حاكيًا أقوال العلماء فيها بلا ترجيح:

وقد اختلف العلماء: هل هي آية كاملة، أم لا؟ وفيه عن أحمد روايتان، واختلفوا: هل هي من الفاتحة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان أيضًا.

فأما من قال: إنها من الفاتحة، فإنه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة. وأما من لم يرها من الفاتحة، فانه يقول: قراءتها في الصلاة سنة، ما عدا مالكا فانه لا يستحب قراءتها في الصلاة.

واختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به، فنقل جماعة عن أحمد: أنه لا يسن الجهر بها، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وابن مغفل، وابن الزبير، وابن عباس، وقال

به من كبراء التابعين ومن بعدهم: الحسن، والشعبي، وسعيد بن جبير، وابراهيم، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وسفيان الثوري، ومالك، وأبو حنيفة، وأبو عبيد في آخرين. وذهب الشافعي إلى أن الجهر بها مسنون، وهو مروي عن معاوية بن أبي سفيان، وعطاء، وطاوس، ومجاهد(١).

وقال في مقدار الأكل من الميتة:

وأما مقدار ما يأكل فنقل حنبل: يأكل بمقدار ما يقيمه عن الموت، ونقل ابن منصور: يأكل بقدر ما يستغني.

فظاهر الأولى: أنه لا يجوز له الشبع، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، وظاهر الثانية: جواز الشبع وهو قول مالك(٢).

ومن تصريحه بنقل الرواية عن الإمام أحمد، وذكر الخلاف فيها، قوله:

واختلفت الرواية عن أحمد ﷺ متى يقطع في عيد الفطر، فنقل عنه حنبل: يقطع بعد فراغ الإمام من الخطبة.

ونقل الأثرم: إذا جاء المصلى، قطع.

قال القاضي أبو يعلى: يعني: إذا جاء المصلى وخرج الإمام(٣).

---

(١) زاد المسير (١/ ١٥).

(٢) زاد المسير (١/ ١٣٣).

(٣) زاد المسير (١/ ١٤٤).

وقال: واختلف الفقهاء في الأقراء على قولين:

أحدهما: أنها الحيض، روي عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والحسن بن صالح، وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل ﷺ، فإنه قال: قد كنت أقول: إن القروء: الأطهار، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض.

والثاني: أنها الأطهار، روي عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري، وأبان بن عثمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأومأ إليه أحمد[1].

وربما رجَّح ابن الجوزي قولًا في التفسير معتمدًا الرواية عن أحمد:

فقد ذكر في لغو اليمين أقوالًا ورجَّح الأول منها، وكان مستند الترجيح قولًا لأحمد، يقول:

وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال:

أحدها: أن يحلف على الشيء ويظن أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه، وإلى هذا المعنى ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي عن أشياخه، ومالك، ومقاتل.

والثاني: أنه: لا والله، وبلى والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاوس، وعروة، والنخعي، والشافعي. واستدل أرباب

---

(١) زاد المسير (١/ ١٩٩).

هذا القول بقوله تعالى: ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم، وكسب القلب: عقده وقصده، وهذان القولان منقولان عن الإمام أحمد، روى عنه ابنه عبد الله أنه قال: اللغو عندي أن يحلف على اليمين، يرى أنه كذلك، ولا كفارة. والرجل يحلف ولا يعقد قلبه على شيء، فلا كفارة.

والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاوس عن ابن عباس.

والرابع: أنه حلف الرجل على معصية، فليحنث، وليكفر، ولا إثم عليه، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أن يحلف الرجل على شيء، ثم ينساه، قاله النخعي.

وقول عائشة أصح الجميع.

قال حنبل: سئل أحمد عن اللغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا والله، وبلى والله، لا يريد عقد اليمين، فاذا عقد على اليمين لزمته الكفارة[1].

ومما يوضح طريقته، وحكايته للأقوال المختلفة عن أحمد، قوله:

وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان:

إحداهما: أنه الحلقوم والمريء والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئا لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله.

والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل، وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم والمريء

(١) زاد المسير (١/ ١٩٥).

وأحد الودجين. وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم.

و«المريء»: مجرى الطعام، و«الودجان»: عرقان يقطعهما الذابح.

فأما الآلة التي تجوز بها الذكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفرى الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين أو غير منزوعين.

وأجاز أبو حنيفة الذكاة بالمنزوعين، فأما البعير إذا توحش أو تردى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره.

وقال مالك: ذكاته ذكاة المقدور عليه. فإن رمى صيدا فأبان بعضه وفيه حياة مستقرة فذكاه، أو تركه حتى مات جاز أكله.

وفي أكل ما بان منه روايتان(١).

ومن طريقته في ذكر المسائل الفقهية، أن ينص على اختيار الحنابلة.

ومنه قوله عن الصلاة الوسطى، وأنها صلاة العصر: وهو مذهب أصحابنا(٢).

---

(١) زاد المسير (١/ ٥١٢).

(٢) زاد المسير (١/ ٢١٥).

وفي نفي المحاربين يقول:

وقال أصحابنا: صفة النفي: أن يشرد ولا يترك يأوي في بلد، فكلما حصل في بلد نفي إلى بلد غيره[١].

وقال: واختلف في مقدار النصاب، فمذهب أصحابنا: أن للسرقة نصابين:

أحدهما: من الذهب ربع دينار، ومن الورق ثلاثة دراهم، أو قيمة ثلاثة دراهم من العروض وهو قول مالك[٢].

* * *

(١) زاد المسير (١/ ٥٤٢).

(٢) زاد المسير (١/ ٥٤٥)، وانظر: (١/ ٥١٦)، (١/ ٥٤٣)، (٣/ ٢٠٣).

المبحث السابع

منهج الإمام ابن الجوزي في مسائل من علوم القرآن

أولًا: أسباب النزول.

لقد اهتم الإمام ابن الجوزي بذكر أسباب نزول الآيات، إن وجد لها سبب، وهو في ذلك مكثر، والأغلب أنه يذكر الأقوال بلا ترجيح سبب على الآخر.

ومن أمثلة ذلك:

قوله: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾[البقرة: ٢٦].

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]، ونزل قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[العنكبوت: ٤١]. قالت اليهود: وما هذا من الأمثال؟! فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل والفراء.

والثاني: أنه لما ضرب الله المثلين، وهما قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[البقرة: ١٧]، وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ١٩]، قال المنافقون:

الله أجل وأعلى من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، رواه السدي عن أشياخه. وروي عن الحسن ومجاهد نحوه[١].

وقال: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[البقرة: ١٠٢].

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية.

والثانية: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قال يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبيا؟! والله ما كان إلا ساحرا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن إسحاق[٢].

ومن توسعه في ذكر الأسباب في الآية:

قوله: قوله تعالى: ﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ ﴾[البقرة: ١٠٨].

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أن رافع بن حريملة، ووهب بن زيد، قالا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ائتنا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء علينا، وفجر لنا أنهارا حتى نتبعك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

---

(١) زاد المسير (١/ ٤٦).

(٢) زاد المسير (١/ ٩٢).

والثاني: أنَّ قريشًا سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فقال: «هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل» فأبوا. قاله مجاهد.

والثالث: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فان كفرها كانت له خزيا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيا في الآخرة، فقد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بني إسرائيل**» فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾... الآية [النساء: ١١٠].

وقال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن**» فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية.

والرابع: أن عبد الله بن أبي أمية المخزومي أتى النبي ﷺ في رهط من قريش، فقال: يا محمد، والله لا أؤمن بك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا، فنزلت هذه الآية. ذكره ابن السائب.

والخامس: أن جماعة من المشركين جاءوا إلى النبي ﷺ، فقال بعضهم: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا. وقال آخر: لن أومن حتى تسير لنا جبال مكة، وقال عبد الله بن أبي أمية: لن أؤمن لك حتى تأتي بكتاب من السماء، فيه: من الله رب العالمين إلى ابن أمية: اعلم أني قد أرسلت محمدا إلى الناس. وقال آخر: هلا جئت بكتابك مجتمعا، كما جاء

موسى بالتوراة. فنزلت هذه الآية. ذكره محمد بن إسحاق الأنباري[1].

والغالب عليه عدم تحرير سبب نزول الآية، بل ذكر ما قيل فيها من أسباب.

ثانيًا: الناسخ والمنسوخ.

لقد أولى الإمام ابن الجوزي علم الناسخ والمنسوخ عناية كبيرة جدًا، وقد صنف فيه عدة كتب، منها:

١- «نواسخ القرآن»، و«ناسخ القرآن ومنسوخه» وطبع بتحقيق: محمد أشرف علي المليباري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٢- «المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ» وحققه د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة.

والذي يظهر أنه اعتمد على كتاب «الناسخ والمنسوخ»، للسدي، وكتاب «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن»، لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب «الناسخ والمنسوخ»، لأبي جعفر النحاس، وعلى كتاب شيخه: علي بن عبيد الله في «الناسخ والمنسوخ».

وللإمام ابن الجوزي عناية في «زاد المسير» بتحقيق الناسخ والمنسوخ من الآيات، وتظهر هذه العناية بتتبع أقواله في الآيات التي قيل: إنها منسوخه، وتوجيهها، وذكر القواعد التي يتحاكم إليها، ومن ذلك:

(١) زاد المسير (١/ ٩٩).

قوله: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

قال ابن مسعود: إلا الذين تابوا من اليهود وأصلحوا أعمالهم، وبينوا صفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابهم.

فصل: وقد ذهب قوم إلى أن الآية التي قبل هذه[1] منسوخة بالاستثناء في هذه، وهذا ليس بنسخ، لأن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ، وذلك يقتضي التخصيص دون النسخ، ومما يحقق هذا أن الناسخ والمنسوخ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك العمل بالآخر، وهاهنا يمكن العمل بالمستثنى والمستثنى منه[2].

وقال: **فصل:** اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية -وهي قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]- على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها من المحكم الناسخ للعفو عن المشركين.

والثاني: أنها منسوخة، لأنها أوجبت الجهاد على الكل، فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ١٢٢].

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

(٢) زاد المسير (١/ ١٢٧).

والثالث: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه.

وقالوا: إن الحال في القتال كانت على ثلاثة مراتب:

الأولى: المنع من القتال، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾[النساء: ٧٧].

والثانية: أمر الكل بالقتال، ومنه قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[التوبة: ٤١]، ومثلها هذه الآية.

والثالثة: كون القتال فرضا على الكفاية، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾، فيكون الناسخ منها إيجاب القتال بعد المنع منه، والمنسوخ وجوب القتال على الكل[١].

وقال: **فصل**: وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[البقرة: ٢١٩] فروى السدي عن أشياخه أنها نسخت بالزكاة، وأبى نسخها آخرون.

وفصل الخطاب في ذلك: أنا متى قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصدق بفاضل المال، أو قلنا: أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة، فالآية منسوخة بآية الزكاة، ومتى قلنا: إنها محمولة على الزكاة المفروضة كما قال مجاهد، أو على الصدقة المندوب إليها، فهي محكمة[٢].

---

(١) زاد المسير (١/ ١٨١).

(٢) زاد المسير (١/ ١٨٥).

وربما اشتد ابن الجوزي في نفي النسخ في آية، كقوله:

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية(١) قولان:

أحدهما: أنها منسوخة.

وفي ناسخها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[النساء: ٩٣]، قاله ابن عباس. وكان يقول: هذه مكية، والتي في النساء مدنية.

والثاني: أنها نسخت بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾... الآية [النساء: ١١٦].

والثالث: أن الأولى نسخت بالثانية، وهي: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾[الفرقان: ٧٠].

والقول الثاني: أنها محكمة والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا.

وفساد القول الأول ظاهر، لأن القتل لا يوجب تخليدا عند الأكثرين وقد بيناه في «**سورة النساء**»، والشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخ(٢).

***

(١) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

(٢) زاد المسير (٣/ ٣٣٠).

المبحث الثامن

القيمة العلمية لـ«زاد المسير»، وأثره على من جاء بعده

والكتاب قد جمع ما يحتاج إليه طالب العلم من معرفة الأقوال في الآية، ومعرفة الناسخ والمنسوخ فيها، ومعرفة جملة من الأحكام، مع مراعاة قول الحنابلة في ذلك، ومعرفة ما في الآية من قصص، مما لا يخلو منه تفسير، ومن كانت له عناية بمعرفة أقوال السلف في التفسير على وجه الإيجاز والسرعة، فإنه يمكنه الاعتماد على هذا التفسير.

وقد نقل منه عدد من أئمة التفسير، منهم:

١- القرطبي، في كتابه: «**الجامع لأحكام القرآن**»[١].

٢- الخازن، في كتابه: «**لباب التأويل في معاني التنزيل**»[٢].

٣- أبو حيان الأندلسي، في كتابه: «**البحر المحيط**»[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (١٠/ ٢٦٣)، (١٥/ ١٩٨).

(٢) لباب التأويل؛ للخازن (١/ ٢٣٩)، (١/ ٢٩٤)، (١/ ٣٦٢)، (٢/ ١١)، (٢/ ١١٠)، (٢/ ١٤١)، (٢/ ٢٠٣)، ومواضع أخرى كثيرة.

(٣) البحر المحيط؛ لأبي حيان (١/ ٤٩٦)، (٢/ ٦٧٠)، (٣/ ٢٠٦)، (٤/ ٢١٧)، (٧/ ١٠٨)، (٩/ ٢٣٢).

٤- ابن كثير، في كتابه: «**تفسير القرآن العظيم**»[١].

٥- البقاعي، في كتابه: «**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**»[٢].

٦- الشهاب، في «**حاشيته على تفسير البيضاوي**»[٣].

لقد فسر ابن الجوزي القرآن كله على منبره، وفي ذلك يقول بعد أن أتم تفسيره وسجد لله سجدة شكر: ما عرفت أن واعظًا فسر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن فالحمد للهِ المنعم[٤].

ويعد «**زاد المسير**» من كتب التفسير القيمة المعنية باللغة، وقد نوه ابن الجوزي بقيمته في حديثه لولده قائلًا: وما ترك «المغني»، و«زاد المسير» لك حاجة في شيء من التفسير[٥].

وقد أشار الدكتور حسن عيسى علي الحكيم، إلى أن «زاد المسير» من أبرز تصانيف ابن الجوزي في القرآن وعلومه[٦]، ولأهميته عنده فقد أحال عليه بعض نصوص كتاب «المنتظم»[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (١/ ١٠٥)، (٨/ ٢٤٨)، (٨/ ٥٠٨).

(٢) نظم الدرر؛ للبقاعي (١٤/ ٣٦٠)، (١٥/ ١٠)، (١٥/ ١١)، (١٦/ ٥٤)، (١٦/ ٢٠٠)، (١٨/ ١٩١).

(٣) حاشية الشهاب؛ (١/ ٧١)، (٣/ ١٧١)، (٧/ ٣٥٥).

(٤) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك؛ لابن الجوزي (١٨/ ٢١٣).

(٥) لفتة الكبد؛ لابن الجوزي (٥٦).

(٦) ابن الجوزي، د. حسن عيسى علي الحكيم (٣٢).

(٧) السابق: (١١٢).

وكذلك أشار أحمد عبد السلام عطا، الذي صحح كتاب «ذم الهوى» بشهرة «زاد المسير»، حيث إن ابن الجوزي قد أتى فيه بأشياء غريبة[١]، ومقصوده بغرابتها: أنها فريدة وقيمة.

ومثله ما أشار إليه الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، محقق كتاب «لفتة الكبد»، ما نصه: «زاد المسير» لابن الجوزي، كتاب قيم في تفسير القرآن الكريم[٢].

وبعد دراسة لكتاب «زاد المسير» تبين لبعض الباحثين في الدراسات اللغوية عند ابن الجوزي في كتابه «زاد المسير»: أنه من الكتب القيمة المعنية بالدراسات اللغوية، لاحتوائه على كثير من فروعها، ولتردد آراء كثير من علماء اللغة العربية فيه[٣].

يقول الدكتور عبدالله الجديع عن الكتاب: هذا الكتاب يعتمد على الأثر واللغة وبعض الرأي، ويسوق الأقوال في ذلك بأحسن سياقة وأخصرها، كما يعتني باختلاف القراءات وتوجيهها، حتى الشاذة منها، كذلك يذكر أسباب النزول والمكي والمدني، والنسخ، وتوضيح المشكل، جميع ذلك بعبارة سهلة وعرض ممتع، ويقل جدا أن يذكر شيئا غير معزو لأحد، وإذا علق بشيء من قبل نفسه أتى بأتم معنى وأخصر عبارة، غير

---

(١) مقدمة كتاب ذم الهوى؛ لابن الجوزي. ت: أحمد عبد السلام (٤).

(٢) انظر: حاشية لفتة الكبد؛ لابن الجوزي. ت: د. عبد الغفار سليمان البنداري (٥٦).

(٣) دراسة اللغة في كتاب زاد المسير في علم التفسير؛ ابتسام محمد نور (٣١).

أنه لما قصد إليه من الاختصار فإنه لا يذكر الأسانيد(١).

ويقول الدكتور محمد بن عبد الرحمن عبد الله في مقدمة تحقيقه للكتاب: «زاد المسير في علم التفسير» أحد أهم الكتب التي صنفها ابن الجوزي وقد نيفت على الثلاثمائة مصنف، بل هو من أهم كتب التفسير للقرآن الكريم، فقد عمد ابن الجوزي حين عقد النية على تأليفه إلى كتب الذين سبقوه في التفسير فقرأها وأشبعها دراسة، وإلى العلوم المساعدة للمفسر ليلم بموضوعة تمام الإلمام ورأى من خلال هذه الدراسة لمؤلفات السلف أن المفسرين قبله قد وقعوا في كثير التطويل تارة، والتقصير طورا، فاستفاد من الثغرات التي كانت في تفاسيرهم وألف تفسيره هذا مخلِّصًا إياه من التطويل الممل، ومن الاختصار المخل(٢).

❁ ❁ ❁

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن؛ لعبد الله الجديع (٣٣٠).

(٢) مقدمة تحقيق زاد المسير؛ د. محمد عبدالله، ط. دار الفكر.

المبحث التاسع

وصف النسخ الخطية ومنهجنا في التحقيق

أولًا: وصف النسخ الخطية المعتمدة.

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب المبارك على سبع نسخ خطية، وهي:

١ـ نسخة مراد ملَّا، وأشرنا إليها بالأصل.

نسخة محفوظة في المكتبة السليمانية في إسطنبول ضمن مجموع (مراد ملا) برقم(١٠٢)، وهي من أفضل النسخ التي وقفنا عليها؛ وذلك لتمامها، ووضوح خطها، مع قلة السقط والتصحيف، وهي تامة تتكون من جزأين، الجزء الأول يقع في (٣٩٤) لوحة: من بداية سورة الفاتحة ... إلى نهاية سورة هود، وقد وافق الفراغ من نسخ هذا الجزء في مختتم سنة (٨٠٠هـ) على يد الفخر البغدادي الشهير بالرَّمَّال.

وهذه النسخة مقابلة على نسخة عليها خطُّ المؤلف رحمه الله كما جاء في حرد النسخة.

وأما الجزء الثاني فيقع في (٤٧٠) لوحة من بداية سورة يوسف إلى نهاية تفسير سورة الناس. وكان تاريخ النسخ لهذا الجزء سنة (٨٠١هـ).

عـدد الأسـطر في كل صفحـة (٢٥)، في كل سـطر (١٥ إلى ١٦) كلمـة، وقـد كتبـت بخـط نسـخ واضـح، وفيهـا ضبـط لكثير مـن الكلـمات والأبيـات الشـعرية، وقـد مُيِّـزت أسـماء السـور والفصـول باللـون الأحمـر.

وقـد وقـع فيهـا نقـص في بعـض اللوحـات في موطنـين، الأول في مقدمـة المؤلـف، إلى قولـه: (فصـل في مـدة نـزول القـرآن)، والثـاني في سـورة البقـرة من قولـه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقـرة: ١١]... إلى قولـه: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقـرة: ١٥]، ومـن قـول المؤلـف: (فصـل اختلـف العلـماء في الـذي ضرب الله تعـالى لـه المثـل)... إلى قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقـرة: ٥١]، وقـد تممنـا هـذا النقـص مـن جميـع النسـخ الأخـرى.

٢ـ نسخة جارالله، ورمزنا لها بـالرمز (ج).

وهـي نسـخة محفوظـة في المكتبـة السـليمانية في إسـطنبول، ضمـن مجمـوع جـار الله برقـم (٢٢٥ـ ٢٢٧).

وتتكون هذه النسخة من عدة أجزاء لم نقف إلا على الأول، والرابع منها.

ويقـع الجـزء الأول في (٢٤١) لوحـة، مـن بدايـة الكتاب إلى الآيـة (١٥١) مـن سـورة الأنعـام، وقـد سـقطت بعـض الألـواح في هـذا الجـزء أشرنـا إليهـا في موضعهـا، وأمـا الجـزء الرابـع فيقـع في (١٩٧) لوحـة، مـن الآيـة رقـم (٩٤) مـن سـورة التوبـة، إلى نهايـة سـورة الحجـر.

وقـد كُتبـت بخـط نسـخ جيـد، وفي كل وجـه(٢٧) سـطرًا، وفي كل سـطر (مـن ١٣ إلى ١٥) كلمـة تقريبًـا، واسـم الناسـخ: عبـدالله بـن محمـد بـن عبـدالله

بن أحمد بن علي بن خليفة الشامي الشافعي، وتاريخ النسخ (٧٠٧هـ).

ويظهر عليها آثار الرطوبة، وهناك تآكل في بعض أوراقها، وجاء على صفحة العنوان تملك لمحمد بن يحيى السدي رحمه الله.

٣ـ نسخة تورهان، ورمزنا لها بالرمز: (ت).

وهي نسخة محفوظة في المكتبة السليمانية في إسطنبول، مكتبة تورهان والدة السلطان الغازي محمد خان برقم (١٨) وعليها ختم والدة السلطان.

تتكون هذه النسخة من جزء واحد يقع في (٢٢٢) لوحة. من بداية الكتاب إلى نهاية سورة المائدة.

وعدد الأسطر: ٢٧ سطر في الورقة، في كل سطر ١٤ إلى ١٥ كلمة.

ونوع الخط: نسخ معتاد، وقد كُتبت أسامي السور، والفصول، وأسماء كثير من العلماء والشعراء باللون الأحمر.

وتاريخ النسخ: جمادى الآخرة سنة ٨١٣هـ، بخط الناسخ حسن بن علي بن محمد أبي بكر.

ويبدو أنها نسخة منقولة عن نسخة المؤلف لما ورد في حاشيتها عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: لمعرفة ما اختلفوا فيه، أو تصحيح ما اختلفوا فيه. وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال:

أحدها: أنه الجمعة، جعلها اليهود السبت، والنصارى الأحد.

فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له. اليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غدٍ للنصارى».

قال الناسخ: بخط المؤلف غدًا بالنصب، وهو لحن وصوابه غدٌ لا غير!!.

٤ـ نسخة فيض الله أفندي، ورمزنا لها بالرمز: (ف).

وهي نسخة محفوظة في مكتبة ملليت في إسطنبول مجموعة فيض الله أفندي برقم(٢٠٥ـ٢٠٤)، وعليها ختم شيخ الإسلام فيض الله أفندي، وهي من أفضل النسخ وأوضحها وأقلها في السقط والتصحيف، إلا أن ترتيب أوراق النسخة يخالف أحيانًا، ولكن بعد البحث القليل بين أوراقها يُتوصل إلى الترتيب الصحيح، وتتكون هذه النسخة من جزءين:

الجزء الأول يقع في (٣٣٩) لوحة، يبدأ من سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، إلى آخر سورة النساء.

عدد الأسطر في كل صفحة (٢١) سطر، في كل سطر (٩ إلى ١٠) كلمات.

وينقصها مقدمة المؤلف، وسورة الفاتحة، وتبتدأ من قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وتنتهي عند آخر تفسير سورة النساء.

وأما الجزء الثاني فيتكون من (٣٣٢) لوحة، يبتدأ من سورة الأنعام، وينتهي عند آخر سورة الحجر، وعدد الأسطر في كل صفحة (٢١)، وعدد الكلمات في كل سطر (من ١٠ إلى ١١) كلمة.

وقد كتبت بخط نسخ جميل واضح، وجميع الكلمات مُشكَّلة إلا القليل، بخلاف الجزء الثاني، وقد جاء في آخرها: (فرغ من كتبه محمد ميكائيل الموصلي رحمه الله، وذلك في منتصف شهر الله الأصَبِّ رجب من سنة خمس وخمسين وثمانمائة، وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة وآله وصحبه الأكرمين). وهي نسخة مقابلة كما جاء في حرد المتن: (بلغ مقابلة من أوله إلى آخره جهد الطاقة مع نسخة الوقف التي نُسخ منها).

٥ـ نسخة دار الكتب المصرية المرموز إليها بالرمز: (م):

نسخة محفوظة برقم (١٢٤ـ ١٢٥/ تفسير)، وتتكون هذه النسخة من الجزء الأول والثالث.

عدد أوراق الجزء الأول (٢٣٥) لوحة، وعدد الأسطر: ٢١ سطر في الورقة، وعدد الكلمات من ١٠ إلى ١٢ كلمة في السطر الواحد.

وهي من بداية الكتاب إلى نهاية سورة المائدة، وجاء اسم الكتاب على صفحة العنوان: زاد المسير في علم التفسير.

ونوع الخط: خط نسخ جميل، وهناك بعض الكلمات ضُبطت بالشكل ولكنها قليلة، وقد كُتبت أسماء السور، والفصول بخط كبير مغاير.

واسم الناسخ: محمد بن محمد الزريزاني، تاريخ النسخ: ٦٣٦هـ.

وجاء عليها خاتم وقف نصه: (وقف يوسف كاه بن سليمان بناه سنة ١٢١٠).

وأما الجزء الثالث، فيقع في (٢٣٢) لوح، من بداية سورة يونس عليه السلام، إلى نهاية سورة مريم، وقد تكررت بعض الألواح في هذا الجزء، وسقطت بعض الألواح من نهاية سورة الرعد.

٦ـ نسخة راغب باشا، المرموز إليها بالرمز: (ر).

وهي محفوظة في مكتبة راغب باشا في إسطنبول برقم (١٩٤)، وعليها ختم راغب باشا، وهي نسخة تامة تقع في (٦١٥) لوحة، كل وجه يشتمل على (٣٥) سطر، في كل سطر (١٥ إلى ١٣) كلمة تقريبًا.

ونوع الخط: نسخ معتاد واضح، وقد مُيِّزت أسماء السور وبدايات السور باللون الأحمر.

وجاء في آخر النسخة بخط الناسخ: (تمت التفسير الشريف بكرم الودود الرؤوف، كتبه الفقير المحتاج إلى رحمة ربه الغفور محمد بن أمين بن المصطفى المذنب الخاطئ الضعيف الأسكداري غفر الله ذنوبه وستر عيوبه).

وقد تم نسخها في القرن الثاني عشر.

٧ـ نسخة رستم باشا، والمرموز إليها بالرمز: (س).

وهي محفوظة في المكتبة السليمانية في إسطنبول ضمن مجموع رستم باشا (٣٩ـ ٤٠)، وتتكون هذه النسخة من الجزء الثالث، والجزء الرابع، ويظهر عليها آثار الرطوبة، وهناك تآكل في بعض أوراقها.

ويتكون الجزء الثالث من (٣٢٥) لوحة، في كل وجه (٢٣) سطرًا، في كل سطر (١٢ إلى ١٤) كلمة تقريبًا، يبتدئ هذا الجزء من سورة النحل، وينتهي بسورة يس.

وقد كُتبت بخط نسخ جيد، وهناك ضبط لبعض الكلمات، وقد فُرغ من نسخها في رمضان سنة سبعمائة، ولا يُعرف اسم الناسخ.

وأما الجزء الرابع، فيتكون من (٢٥٧) لوحة، في كل وجه (٢٢) سطرًا، في كل سطر (١١ إلى ١٣) كلمة تقريبًا، ويبدأ بسورة الصافات، إلى آخر القرآن.

تنبيه: وقع تغاير في خط هذا الجزء من بداية لوحة رقم (١٢٥) إلى آخر النسخة.

وعدد الأوراق (٢٥٩) ورقة، في كل وجه (١٩) سطرًا، في كل سطر (١٣) كلمة تقريبًا.

وقد كُتبت بخط نسخ واضح يظهر فيه أسماء السور وبداية الآيات بخط أكبر، وقد نُسخت في حياة المؤلف، كما جاء في آخر النسخة: (وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء التاسع عشر من جمادى الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)، ولم يُذكر اسم الناسخ.

نماذج من النسخ الخطية

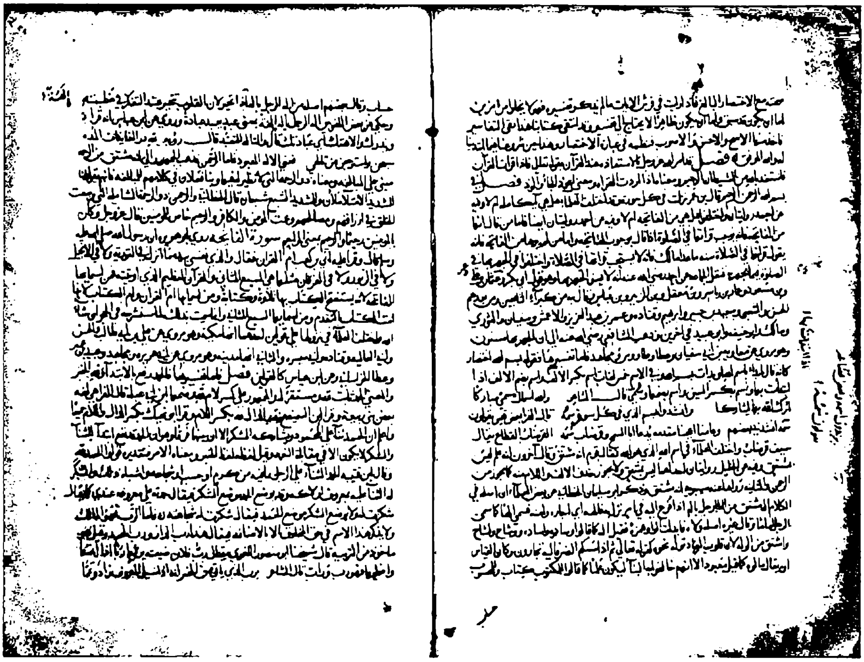

اللوحة الثانية من مخطوطة (مراد ملا) والمشار إليها بالأصل، وقد نرمز لها بالرمز (ل) اختصارًا

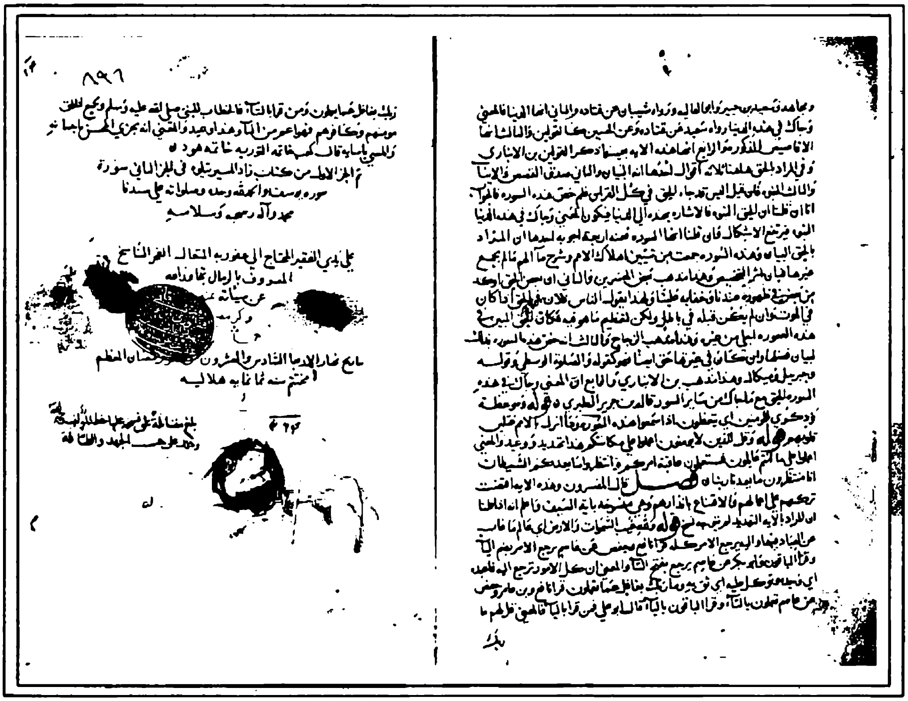

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من مخطوطة (مراد ملا) والمشار إليها بالأصل، وقد نرمز لها بالرمز (ل) اختصارًا

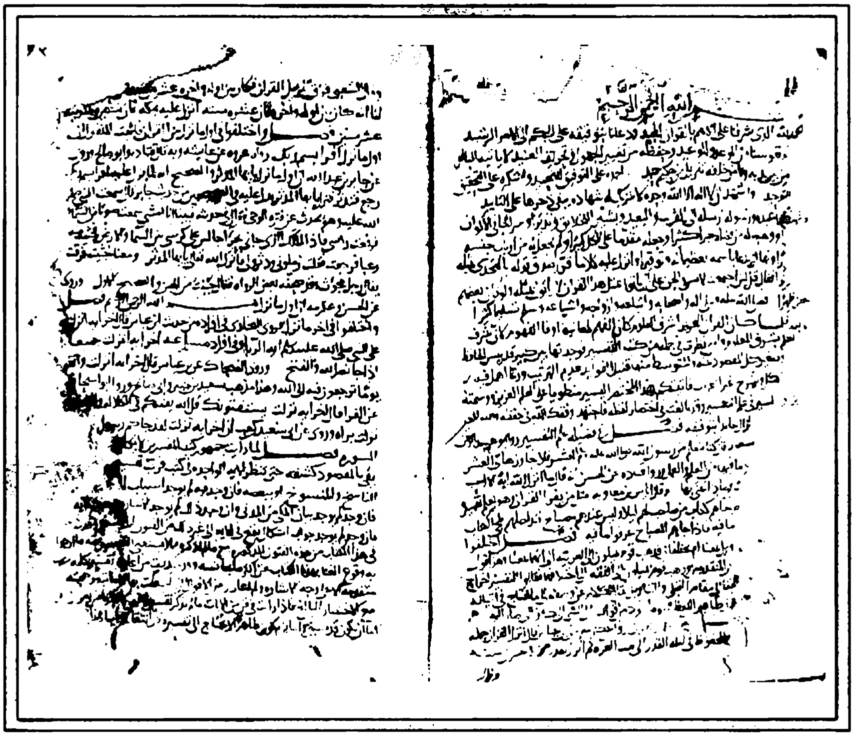

اللوحة الأولى من مخطوطة (جار الله) ورمزنا لها بالرمز (ج).

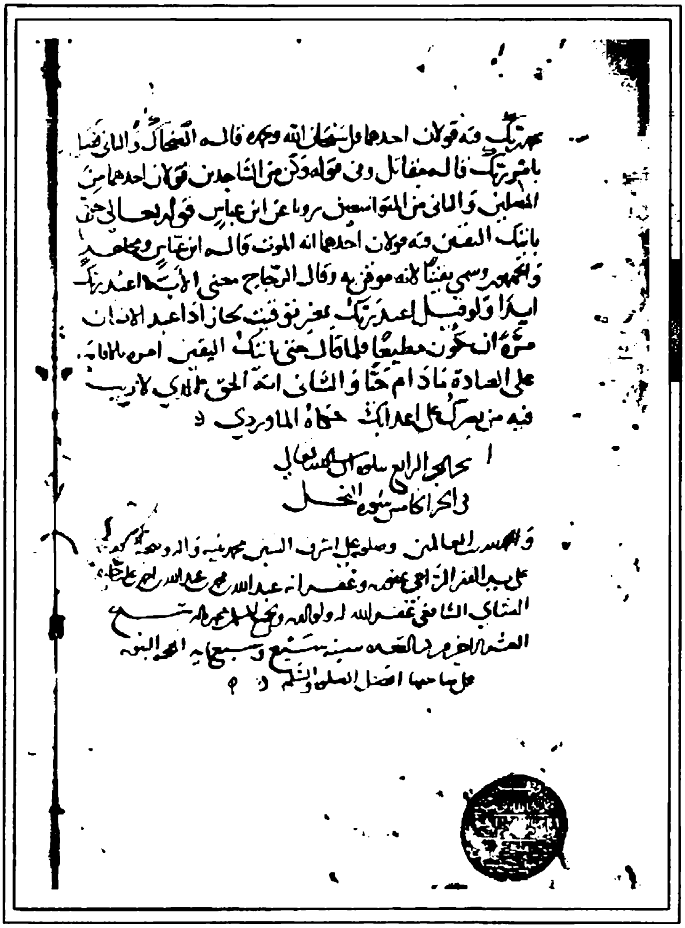

اللوحة الأخيرة من مخطوطة (جار الله) والمرموز لها بـ (ج).

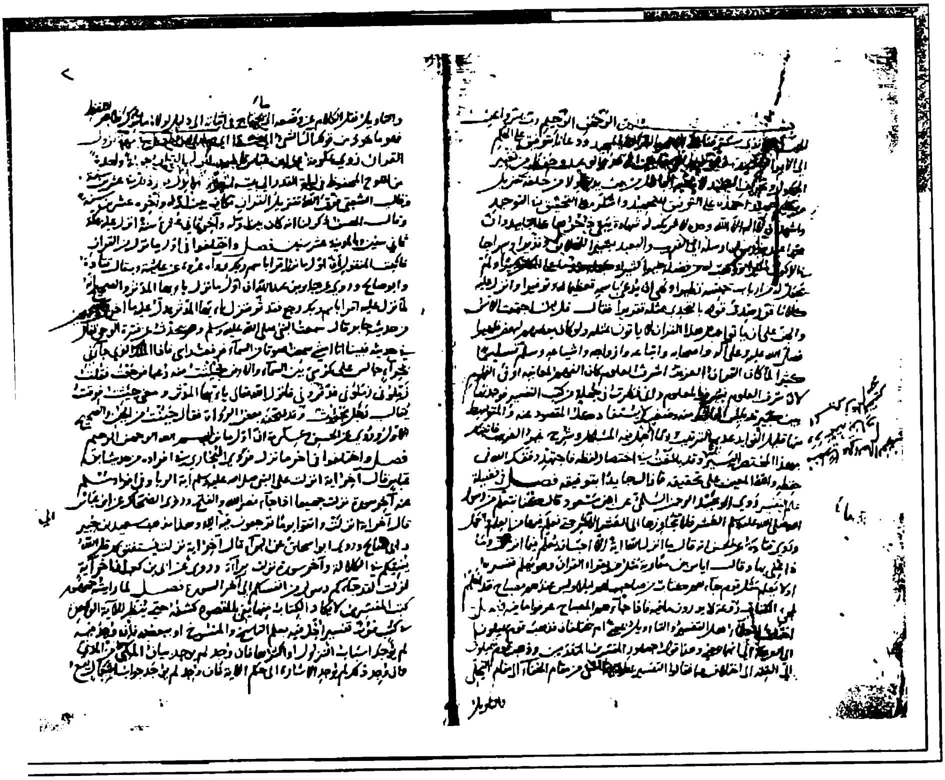

اللوحة الأولى من مخطوطة (تورهان) والمرموز لها بـ (ت).

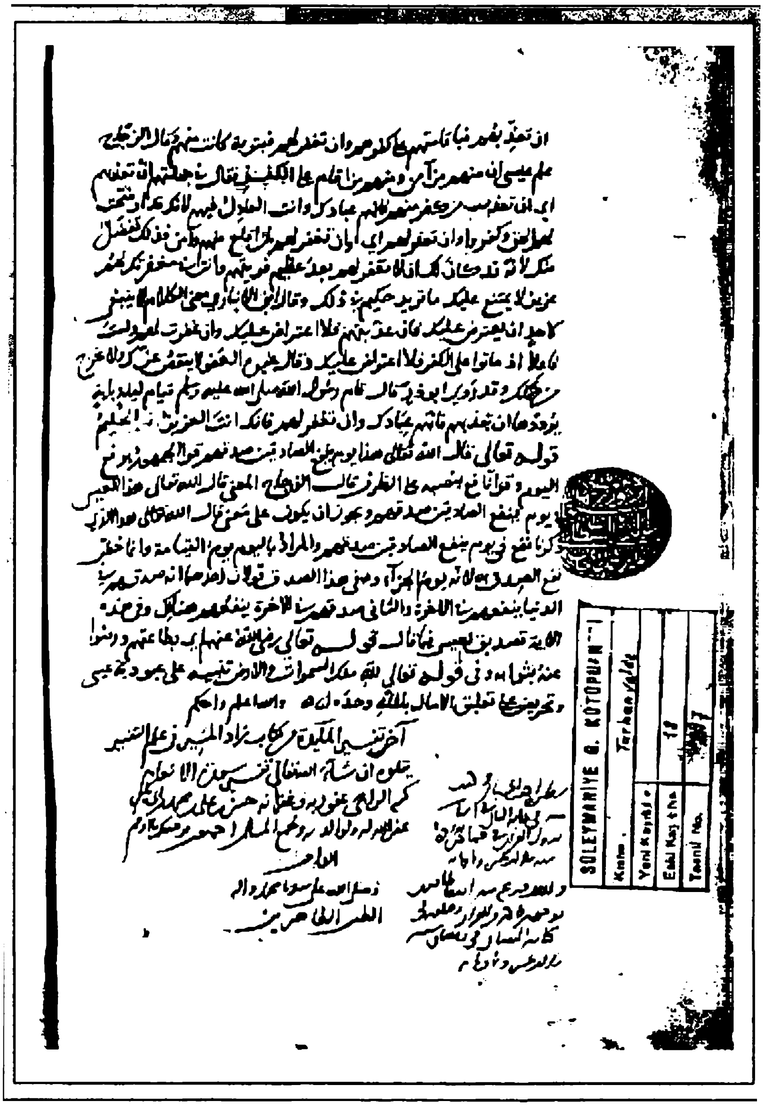

اللوحة الأخيرة من مخطوطة (تورهان) والمرموز لها بـ (ت).

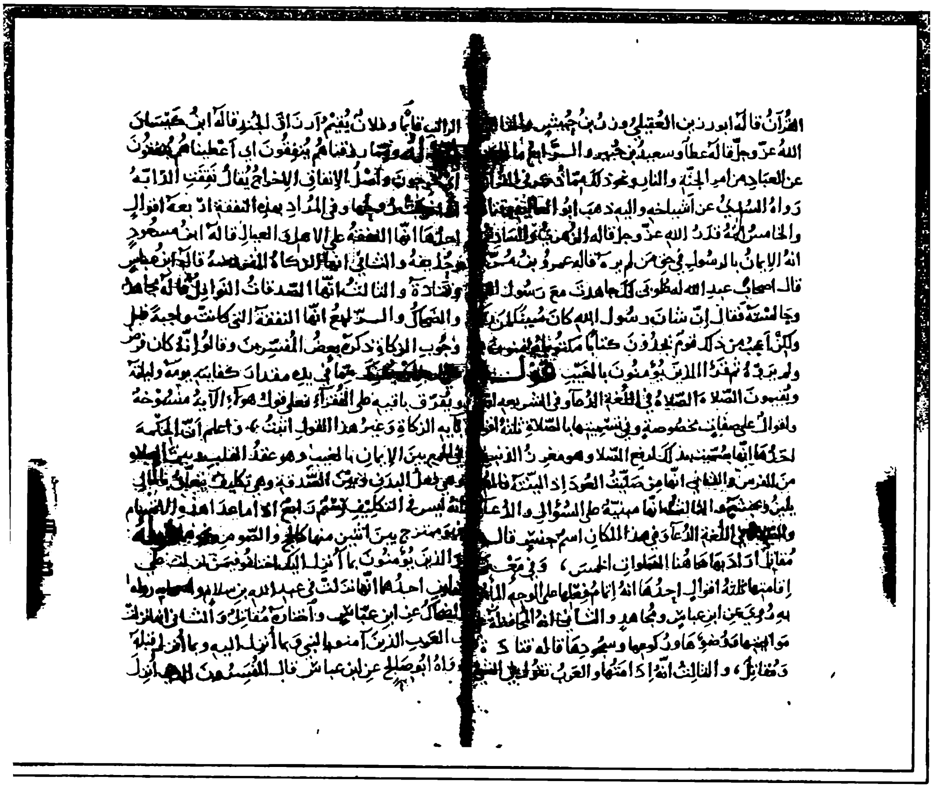

اللوحة الأولى من مخطوطة (فيض الله) والمرموز لها بـ (ف).

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من مخطوطة (فيض الله) والمرموز لها بـ (ف).

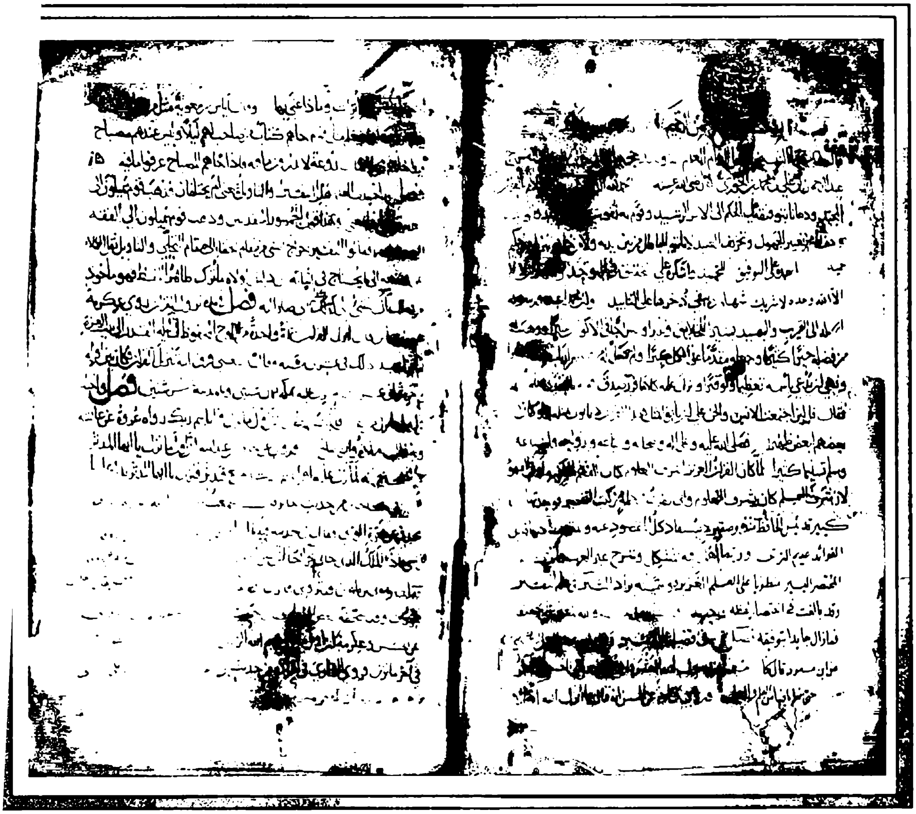

اللوحة الأولى من مخطوطة (دار الكتب المصرية) والمرموز لها بـ (م).

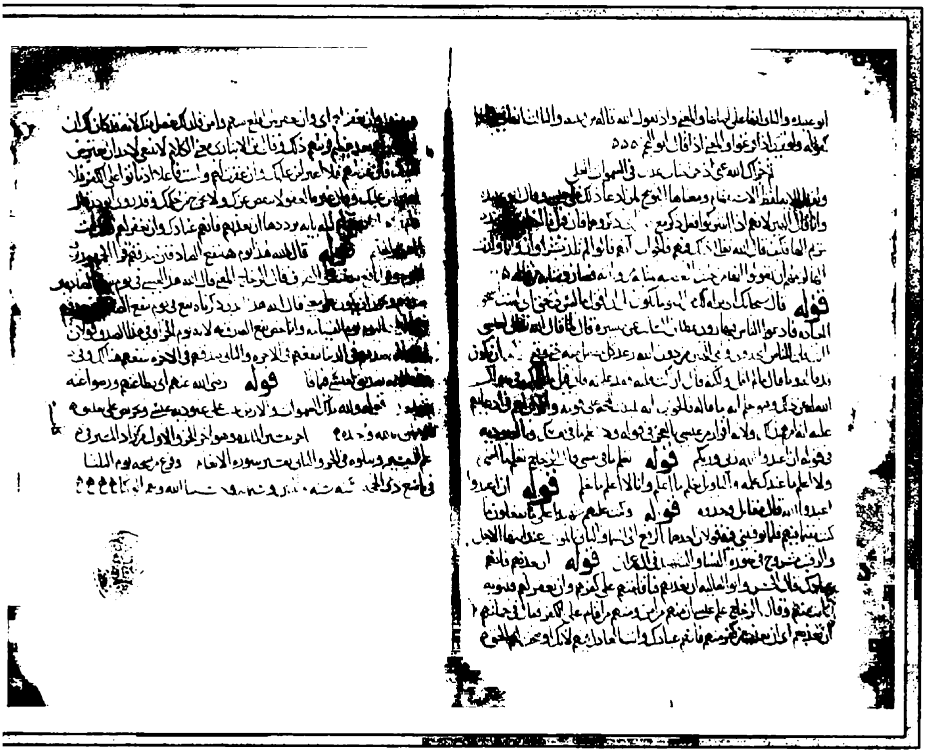

اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من مخطوطة (دار الكتب المصرية) والمرموز لها بـ(م).

اللوحة الأولى من مخطوطة (راغب باشا) والمرموز لها بـ (ر).

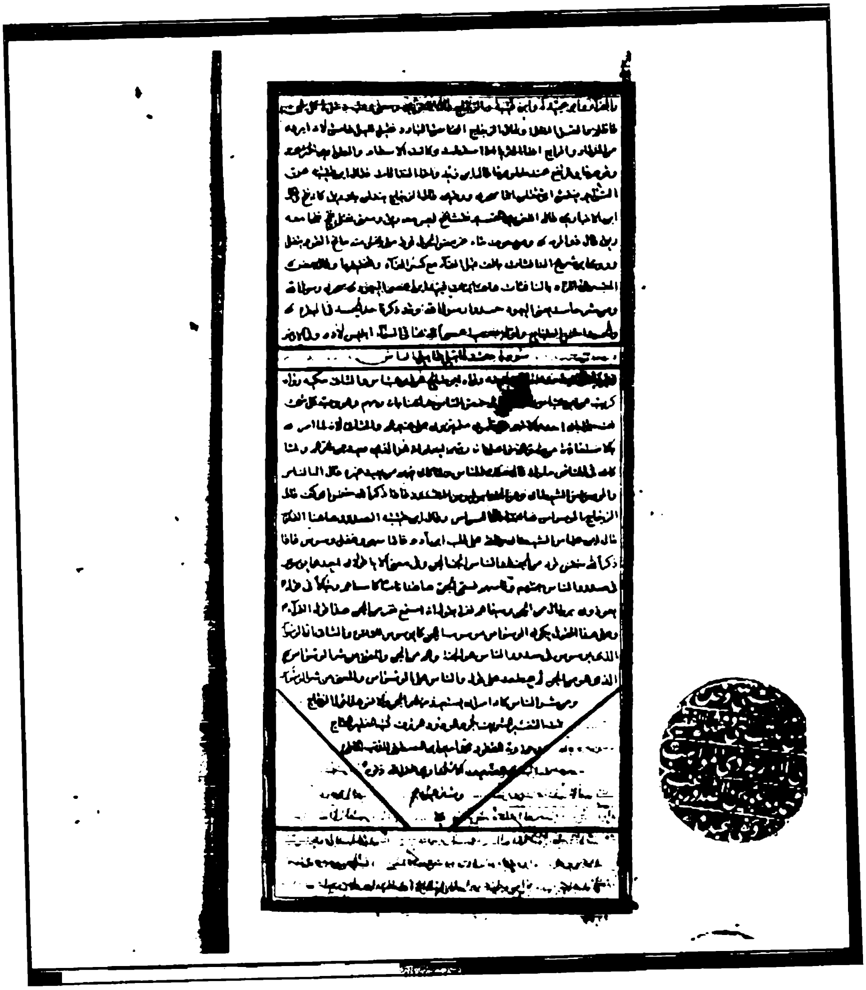

اللوحة الأخيرة من مخطوطة (راغب باشا) والمرموز لها بـ (ر).

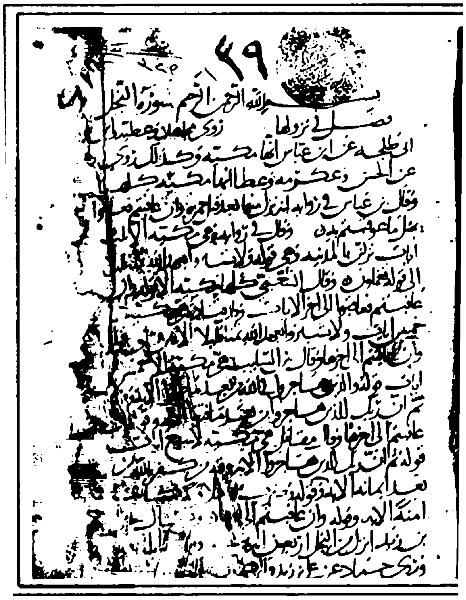
٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم سورة النحل

فصل في نزولها

تم باشا) والمرموز لها بـ (س).

اللوحة الأخيرة من مخطوطة (رستم باشا) والمرموز لها بـ (س).

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلامه

زاد المسير في علم التفسير

وقف شيخ الإسلام السيد
فيض الله أفندي عفي عنه وعن والديه بشرط
أن لا يخرج من المدرسة التي
أنشأها بقسطنطينية

ثانيًا: منهجنا في التحقيق:

حملنا الأهمية الكبيرة للكتاب وقيمته وجلالة مؤلِّفه إلى أن نبذل قصارى جهدنا بأن يكون منهجنا في تحقيق الكتاب منهجًا علميًّا رصينًا متوخيًا الدقَّة في العمل والأمانة العلمية بكلِّ ما لدينا من وسع في تحقيق الهدف المنشود، وهو بأن نخرج الكتاب بأحسن صورة يستحقُّها كما أراده مؤلفه.

ويقوم منهجنا هذا الذي وضعناه على الأسس الآتية:

أولًا: اخترنا نسخة من النسخ الست المخطوطة جعلناها هي الأصل، ثم قابلنا بقية النسخ عليها وأثبتنا جميع الفروق.

ثانيًا: المحافظة على النص كما ورد في النُّسَخ الست المعتمدة، وأما المواضع التي حصل فيها السقط كلمةً كانت أو جملة أو نحوها فحاولنا إتمامها من النسخ الأخرى، فكان بفضل الله تمام الكتاب.

ثالثًا: غيَّرنا في مواضع أخرى تحتاج إلى التغيير قد وقعت سهوًا أو تحريفًا أو تصحيفًا في الأصل، وأثبتنا من بقية الأصول ما اعتقدنا أنه الصواب، ووضعنا هذا الذي أدخلناه في النص بين معكوفين هكذا [...]، وأشرنا في حاشية التحقيق إلى صورته الأولى، وأحيانًا نثبت على ما في الأصل بعضَ الزيادات التي اتفقت بقية النسخ على ذكرها والتي رأينا فيها أنها تؤدي إلى تقوية للمعنى.

رابعًا: وضعنا الآيات القرآنية بين قوسين مزخرفين خاصين يختلفان عن الأقواس الأخرى.

خامسًا: خرَّجنا من كتب القراءات جميع القراءات الواردة في الكتاب، المتواتر منها، والمشهور المقروء به، والشاذ، مما أورده المؤلف في الآية، فضبطناها بالشكل، وتأكدنا من عزوها إلى أصحابها من كتب القراءات والتفسير، مع ذكر المتواتر منها والشاذ، مع توجيه المؤلف لهذه القراءات في الإعراب. واعتمدنا في عزو القراءات على الكتب التالية:

- معاني القراءات؛ لأبي منصور الأزهري.
- الحجة للقراء السبع؛ لأبي علي الفارسي.
- المبسوط في القراءات العشر؛ لأبي بكر النيسابوري.
- السبعة في القراءات؛ لأبي بكر بن مجاهد.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات؛ لأبي الفتح ابن جني.

سادسًا: خرَّجنا الأحاديث النبوية والآثار عن السلف من كتب الحديث المعتمدة، من غير توسع في ذكر المصادر، وذلك على النحو الآتي:

- إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفينا بالعزو إليهما أو إلى أحدهما.

- إذا كان الحديث في الكتب الستة، والموطأ للإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، والمستدرك للإمام أبي

عبد الله الحاكم، وبعض كتب المسانيد كمسند الإمام أبي يعلى الموصلي، ومسند الإمام البزار، اكتفينا بالعزو إليه.

- لم نُصدِّر الكلام عن الأحاديث بالحكم عليها بصحة أو حسن أو ضعف، وإنما أشرنا إلى ضعف الحديث أو الرواية، وذلك اعتمادًا على أقوال أئمة الحديث كالإمام أحمد والبخاري وعلي بن المديني و أبي حاتم وأبي زرعة الرازيين والدار قطني وغيرهم.

سابعًا: وما يتعلق بالشواهد الشعرية فقد عمدنا إلى تخريجها مبتدئين بدواوين قائليها، فالمجامع الشعرية ثم من كتب الشواهد كالخزانة والشواهد الكبرى للعيني وشواهد ابن عقيل وشواهد المغني وغيرها. وأتممنا الناقص من هذه الشواهد صدرًا أو عجزًا أو جزءًا من ذلك، مع ذكر البحر، وذلك في الحاشية.

ثامنًا: الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى شرح غريب، وربما فصل المؤلف شيئًا من ذلك فإننا قمنا بإحالتها إلى مصادرها من كتب اللغة كتهذيب اللغة للأزهري والمخصص والمحكم لابن سيده ولسان العرب لابن منظور وغيرها من المعاجم اللغوية.

تاسعًا: ترجمنا باختصار للأعلام غير المشهورين الذين ذكرهم المؤلف ولم نتوسَّع في الحديث عنهم مكتفين بالإحالة إلى كتب التراجم التي ترجمتْ لهم.

عاشرًا: عرَّفنا الأماكن والمواضع غير المشهورة التي تحتاج إلى تعريف بشكل مختصر، وأحلنا ذلك إلى مصدره؛ كـ«معجم البلدان» أو «الكامل» لابن الأثير أو«النهاية» لابن كثير أو «تاريخ الإسلام» للذهبي، أو غير ذلك.

حادي عشر: خرجنا الأمثال والأقوال من كتب الأمثال الخاصة بها؛ كـ«مجمع الأمثال» للميداني.

ثاني عشر: قمنا بتشكيل الكلمات في كثير من المواضع، ونخص بالذكر الآيات القرآنية التي كتبت برسم المصحف العثماني مشكلة كما هي في القرآن، وكذا الأحاديث النبوية والأشعار وكثير من الكلمات ليسهل على القارئ ضبطها عند القراءة.

ثالث عشر: قمنا بوضع فهارس في آخر الكتاب ليسهل الوصول إلى المعلومة مشتملة على فهرس للآيات ثم الأحاديث ثم الآثار ثم الأشعار، واتبعنا في هذه الفهارس نسقًا خاصًا سواء ترتيبًا معجميًا أو تاريخيًا أو غير ذلك مما يسهل الوصول إلى الغرض بيسر وسهولة.

النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يسِّر وأعِنْ[١]

[قَالَ سيِّدُنا الشَّيخُ الأجلُّ الإمامُ العالِمُ الأوحدُ، حجَّةُ العلماءِ، جمالُ الدِّينِ أبو الفرجِ عبدُ الرَّحمنِ بْنُ عليِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الجوزيِّ ﷺ][٢]:

الحمدُ لله الَّذي شرَّفَنا على الأُمَمِ بالقرآنِ المَجيدِ، ودَعَانا بتوفيقِه على الحُكْمِ إلى الأَمْرِ الرَّشيدِ، وقوَّمَ به نفُوسَنا بيْنَ الوعْدِ والوعِيدِ، وحَفِظه من تَغْييرِ الجُهُول وتَحريفِ العَنيدِ، لا[٣] يأْتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلْفِه تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ.

أحْمدُه على التَّوْفيقِ للتَّحْميدِ، وأشكُرُهُ على التَّحْقيقِ في التَّوحيد، وأشْهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ له، شَهادةً يبْقَى ذُخرُها على التَّأبيد، وَ[أشْهدُ][٤] أَنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه أرْسَلَه إلى القريبِ والبَعيدِ، بشيرًا[٥] للخَلائِقِ ونذيرًا، وسِراجًا في الأكْوانِ مُنيرًا، وَوَهبَ له من فضْلِه خيْرًا كثيرًا، وجعَلَه مُقدَّمًا على الكلِّ كبيرًا، ولم يجعلْ له من أرْبَابٍ[٦]

---

(١) في (م): وبه نستعين، وهو حسبي.

(٢) من (ت)، و(ج)، و(ر)، (ف).

(٣) في (ر): فلا.

(٤) كُتبت كلَحْقٍ في (ج).

(٥) في (ج): وبشيرًا.

(٦) في (م): من فضله من أرباب.

جِنْسِه نظيرًا، وَنَهى أن يُدْعى باسْمه تعْظيمًا له وتوْقيرًا، وأَنْزلَ عليه كلامًا قرَّرَ[١] صِدْقَ قولِه بالتَّحدِّي بمثلِه تقريرًا؛ فقَال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. فصَلَّى اللهُ عليْه وعلَى آلِه وأصْحابِه وأتْباعِه وأزْواجِه وأشْياعِه، وسلَّم تسْليمًا كثيرًا. وبعْدُ[٢]؛

فلَمَّا كان [عِلمُ][٣] القُرآنِ العزيزِ أشرفَ العُلُومِ؛ كان الفَهْمُ لِمَعَانيه أوْفى الفُهومِ؛ لأنَّ شرفَ العلُومِ[٤] بشَرَفِ المَعْلُوم[٥].

وإنِّي[٦] نظرْتُ في جُملَةٍ[٧] مِنْ كُتُب التَّفْسيرِ، فوجدْتُها بيْن كبِيرٍ قد يَئِس الحافِظُ منْه، وصغيرٍ لا يُسْتفادُ[٨] كلُّ المَقْصُودِ عنه[٩]، وَالْمتوسِّطُ منها قليلُ الفوائِدِ، عدِيمُ التَّرْتيبِ، ورُبَّما أُهْمِل فيه الْمشكِلُ[١٠]، وشُرِحَ غيْرُ الغَرِيبِ،

---

(١) في (م): قيد.

(٢) من (ف)، وليست في بقية النسخ.

(٣) من (ف).

(٤) في (م): العلم.

(٥) في (م): كان بشرف المعلوم.

(٦) في (ج): وإنني.

(٧) في (م): جل.

(٨) «لا يستفاد» ليس في (ج).

(٩) في المطبوع: منه، ونبه في الحاشية أن في الأصل: عنه.

(١٠) ذهب نصف الكلمة لتآكل أطراف نسخة (ج).

فأَتَيْتُكَ[١] بِهذا الْمختصرِ اليسيرِ، مُنْطويًا علَى الْعِلم الغزِيرِ[٢]، وَوَسَمْتُهُ[٣] بـ«زادِ المَسيرِ في عِلْمِ التَّفْسِير». وقد بالغْتُ في اخْتصارِ لفْظِهِ، فاجْتَهِدْ -وفَّقَكَ اللهُ- فِي حفْظِه، واللهُ الْمعِينُ على تَحْقِيقِه، فما زَالَ جائِدًا بتوفِيقِه.

❁ ❁ ❁

(١) في (ج): فأتيتكم.

(٢) في (ف): المنير.

(٣) في (ر): ووسمه وفي (م): وسميته.

فَصْلٌ فِي فَضِيلَةِ[١] عِلْمِ التَّفْسِيرِ

رَوَى أبو عبْدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ[٢]، عنِ ابْنِ[٣] مسْعُودٍ قَالَ: كنَّا نتعلَّمُ مِنْ رسُول الله ﷺ العَشْرَ، فلا نُجَاوِزُهَا إلى العَشْرِ الأُخَر حتَّى نعلَمَ ما[٤] فيها مِنَ العِلْمِ والعمَلِ[٥].

وروى قتادةُ[٦] عَنِ الْحَسنِ[٧] أنَّه قَالَ: مَا أنزلَ اللهُ آيَةً إلَّا أَحبَّ أن

---

(١) في (م): فضل.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي مقرئ الكوفة بلا مدافعة، قرأ القرآن على: عثمان، وعلي، وابن مسعود، وسمع منهم ومن عمر، وروى عنه: إبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، قرأ عليه عاصم توفي سنة ٧٤هـ تاريخ الإسلام (٥/ ٥٥٦).

(٣) «السلمي، عن ابن» ذهب مع تآكل نسخة (ج).

(٤) «ما» ليست في (ر)، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) رواه الطحاوي في أحكام القرآن (٤٨٠)، وفي شرح مشكل الآثار (١٤٥٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود به، وعبد الله بن صالح وشريك سيئا الحفظ، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٤) من طريق الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود بنحوه.

(٦) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأعمى الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، والحفاظ ربما دلس، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل، وغيرهم، قال عنه ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، توفي قتادة سنة: ١١٧هـ، تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٥٣).

(٧) في (م): أنس. والحسن: هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد، مولى الأنصار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وكان فصيحًا رأى عليًّا وعائشة، وروى عن بعض=

يُعْلَـمَ[١] فِيـمَا أُنْزِلـتْ، ومَـاذَا عُنـي بِهَـا[٢].

وقــال إِيَــاسُ بــنُ معاويــةَ[٣]: مَثَــلُ مَــنْ يقــرَأُ القُــرآنَ وهــو[٤] يعلَــمُ تفسِـيرَهُ أَوْ لَا يَعْلَـمُ، مَثَـلُ قـوْمٍ جَاءَهُـمْ كِتَـابٌ مِـنْ صَاحِـبٍ لَهُـم ليْـلًا، وليْـسَ عنْدَهـم مِصبَـاحٌ، فتَدَاخلَهَـمْ[٥] لِمَجِـيءِ الكتَـابِ روعَـةٌ، لا يـدْرُون مـا فيـهِ، فـإذَا جاءَهـمُ المِصبـاحُ عَرَفُـوا مَـا فيـه.

=الصحابـة، وعنـه حميـد الطويـل وغـيره، كان عالِمًـا حافظـا ثقـة، (ت: ١١٠هــ)، انظـر: تهذيـب التهذيـب (٢/ ٢٦٣).

(١) في المطبوع: أعلم.

(٢) رواه أبـو عبيـد في فضائـل القـرآن (٩٧)، بـاب فضـل القـرآن والسـعي في طلبـه، والمسـتغفري في فضائـل القـرآن (١/ ٢٧٦) رقـم (٢٧٣) مـن طريـق أبي جعفـر الـرازي، عـن قتـادة، بـه، بلفـظ مقـارب، ورواه أيضًـا الثعلبـي في تفسـيره (١/ ٨٦) مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، عـن قتـادة، بـه، بلفـظ: «والله، مـا أنـزل الله آيـة إلا وهـو يحـب أن نعلـم فيـما أنزلـت ومـا معناهـا».

(٣) إيـاس بـن معاويـة بـن قـرة أبـو واثلـة المـزني البـصري، روى عـن أبيـه وأنـس بـن مالـك وسـعيد بـن المسيب وعـدة، وعنـه خالـد الحـذاء وشـعبة وحمـاد، وغيرهـم، وثقـه ابـن معـين روى لـه مسـلم في مقدمتـه وعلـق لـه البخـاري، (ت: ١٢١هــ). انظـر: تاريـخ الإسـلام؛ للذهبـي (٨/ ٤١)، «وابـن معاويـة» ليـس في (ف).

(٤) في المطبوع: ومن.

(٥) في (م): فيداخلهم، وفي تفسير ابن عطية: فتداخلتهم.

فَصْلٌ

اخْتَلَفَ العُلَماءُ(١): هلِ التَّفْسِيرُ والتَّأوِيل بِمعنًى، أمْ يَخْتلفان(٢)؟

فذَهَب قَوْمٌ يَميلُون إلى العربيَّةِ إلى أنَّهما بمعنًى، وهذا قَوْلُ جمهورِ المُفسِّرين(٣) المُتقدِّمين.

وذَهَبَ قوْمٌ يمِيلُون إلى الفِقه إلى اختلافِهما، فقَالُوا:

التَّفسيرُ: إِخْراجُ الشَّيءِ منْ مقامِ الخَفاءِ إلى مقامِ التَّجلِّي.

[١/أ] **والتَّأوِيلُ**: نقلُ الكلامِ/ عَنْ وَضعِه(٤) إلى مَا(٥) يُحْتَاجُ في إِثْبَاتِهِ إلى دليلٍ [لوْلَاه](٦) مَا تُرك ظاهرُ اللَّفْظِ، فهو مأخوذٌ من قولِكَ: آلَ الشَّيءُ إلى كذا؛ أيْ: صار إليه(٧).

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ج): اختلفوا.

(٢) في (ف): مختلفان.

(٣) «المفسرين» ليس في (م).

(٤) في (م): إلى عن وضعه.

(٥) في المطبوع: فيما.

(٦) من (ت)، و(ف)، و(م)، وتآكل في (ج) بمقدارها.

(٧) في (ر): صار الأهل، وهو تصحيف، والمثبت من بقية النسخ.

فَصْلٌ فِي مُدَّةِ نُزُول الْقُرْآنِ

رَوَى عكرمَةُ[1] عنِ ابْنِ عبَّاس قَال: أُنزِلَ القرآنُ جُمْلَةً واحِدةً مِنَ اللَّوْح المحفُوظِ في ليْلَةِ القدْرِ إلى بيْتِ العزَّة، ثم[2] أُنزل بعْد ذلِك في عشرين سنةً[3].

وقَال الشَّعْبِي[4]: فرَّق اللهُ تعالى[5] تنزيلَ القُرآنِ، فكَان بيْن أوَّله وآخره [عِشْرُون[6] سنةً[7].

(١) هو عكرمة البربري ثم المدني، أبو عبد الله مولى ابن عباس أحد العلماء الربانيين، روى عن ابن عباس، وعائشة، وعلي وأبي هريرة، وعنه: أيوب السختياني، وثور بن يزيد، وثور بن زيد الديلي، (ت: ١٠٥هـ)، وقيل بعدها، انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ١٧٤).

(٢) قوله: «العزة، ثم» طمس في (ر).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٧٩٣٥-١١٣٠٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٣-٣٦٩)بلفظ: «كَانَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، بدل من «بيت العزة»، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، علامة أهل الكوفة، ولد في وسط خلافة عمر، روى عن: علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، و عنه إسماعيل بن أبي خالد، وداود بن أبي هند، والأعمش، (ت: ١٠٤هـ)، انظر: تاريخ الإسلام؛ للذهبي (٧/ ١٢٤).

(٥) ليست في الأصل، و(ف).

(٦) في (ت)، و(ر)، و(ف)، و(م): عشرين، والمثبت من (ج)، وهو على المشهور من قواعد اللغة.

(٧) أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٢).

وقالَ الحسنُ: ذُكِر لنَا أنَّه كان بيْنَ أوَّله وآخره][1] ثماني[2] عشَرَة سنةً، أُنزل عليه بمكةَ ثماني سنين، وبالمْدينة عشر سِنين[3].

❁❁❁

فَصْلٌ

واخْتَلَفُوا[4] في أوَّلِ مَا نَزَل مِنَ القُرآن:

فأَثْبَتُ المْنْقُولِ أنَّ أوَّلَ ما نَزَل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١]، رواه عروةُ عن عائِشَة -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا-[5]، وبه قَالَ قتَادةُ وأبو صالِحٍ[6].

ورُوِي عنْ جابرِ بْنِ عبدِ الله: أنَّ أوَّلَ مَا نَزَل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١][7].

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من (م).

(٢) في (ر): ثمانية، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) أسباب النزول (ص: ١).

(٤) في (م): «واختُلِفَ».

(٥) رواه البخاري (٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) مطولًا.

(٦) أبو صالح باذام، ويقال: باذان مولى أم هانئ، روى عن مولاته وأخيها علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وعنه: أبو قلابة، والأعمش، ومحمد بن السائب الكلبي، وغيرهم، قال ابن معين: ليس به بأس، وإذا حدث عنه الكلبي فليس بشيء، وقال يحيى القطان: لم أر أحدًا من أصحابنا تركه، وقال النسائي: ليس بثقة، (ت: ١٢٠هـ)، انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٣٢٥).

(٧) رواه البخاري (٤٩٢٤)، ومسلم (١٦١) مطولًا.

والصَّحِيح[1] أنَّه لَمَّا نَزَل عليْه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] رَجَع فتدثَّر فنَزَل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١].

يدلُّ عليه ما أُخرج في «الصَّحيحين» من حديثِ جابرٍ قَال: سَمعْتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يحدِّثُ عن فترةِ الوحي، فقَالَ في حديثِه: «**فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجُئِثْتُ**[2] **مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:** ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١]»[3].

ومعنى جُئِثْتُ[4]: فَزِعْتُ[5]. يُقَال: رَجُلٌ مَجْؤُوثٌ[6]. وقد صحَّفه بعضُ الرُّواةِ فقَال: جَبُنْت، مِنَ الجبنِ[7]، والصَّحيحُ الأوَّلُ.

---

(١) في (م): «وفي الصحيح».

(٢) في الأصل: فجيئت، وفي (ج): فجثثت، والمثبت من بقية النسخ، ومعناها: ذعرت وخفت. وانظر: غريب الحديث؛ للخطَّابي (٣/ ٢٥٧)، والنهاية؛ لابن الأثير (١/ ٢٣٢).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١).

(٤) في الأصل: فجئت، وفي (ف): فجثثت، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ: فَرِقْتُ. وانظر: البارع في اللغة؛ لأبي علي القالي (ص: ٥٨٨)؛أي: فزِعتُ منه وخِفتُ، وقيل: معناه: قُلِعْتُ من مَكانِي. تاج العروس، مادة: جئث.

(٦) زاد في المطبوع: ومجثوث، وقال المحقق: الزيادة من لسان العرب. وهي زيادة غير موجودة في جميع النسخ الخطية المعتمدة. وكلمة: «مجؤوث» ساقطة من (م).

(٧) انظر: غريب الحديث للخطابي (٣/ ٢٥٧).

ورُوي عنِ الحسنِ وعكرِمَةَ: أنَّ أوَّلَ مَا نزَلَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ[١].

فَصْلٌ

واخْتَلَفُوا في آخِرِ مَا نَزَل:

فـرَوَى البُخـاريُّ في أفْـرَادِه مـن حديـثِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، قَـالَ: آخـرُ آيـةٍ أُنْزِلـتْ[٢] عـلَى النَّبـيِّ ﷺ، آيـةُ الرِّبـا[٣].

وفي أفْـرَاد مُسـلم عنـه: آخِـرُ سـورةٍ نَزَلـتْ جميعًـا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النـصر: ١][٤].

ورَوى الضَّحَّـاك عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ قَـال: آخِـرُ آيـةٍ أُنْزِلـت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[البقـرة: ٢٨١][٥]، وهَـذا[٦] مذهـبُ سـعيدِ بـنِ جُبـير، وأبي صالِـحٍ.

---

(١) أخرجـه الواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٦)، وقـال ابـن حجـر في العجـاب (١/ ٢٢٣): وهـذا مرسـل، ولعـلَّ قائلـه تـأول الأمـر في قولـه تعـالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلـق: ١] والى ذلـك أشـار السـهيلي.

(٢) في (ف): نزَل.

(٣) رواه البخاري (٤٥٤٤).

(٤) رواه مسلم (٣٠٢٤).

(٥) رواه البخـاري تعليقًـا (٣/ ٥٩)، والنسـائي في الكـبرى (١٠٩٩٢)، وانظـر: أسـباب النـزول؛ للواحـدي (ص: ١٠).

(٦) في (ف)، و(م): وهو.

ورَوَى أبو إسْحاقَ[١] عنِ البراءِ[٢] قال: آخِرُ آيةٍ نَزَلَتْ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[النساء: ١٧٦]، وآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ «براءةٌ»[٣].

ورُوِي عن أُبَيِّ بْنِ كعْبٍ[٤]: أنَّ آخِرَ آيةٍ نَزَلَتْ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة:١٢٨] إلى آخِرِ السُّورة[٥].

(١) هو أبو إسحاق السبيعي، عمرو بن عبد الله بن عبيد، من سبيع، والسبيع من همدان، روى عن علي، والمغيرة بن شعبة، والبراء بن عازب، (ت: ١٢٦هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٢).

(٢) أي: ابن عازب.

(٣) رواه البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٤) في (ج): (عن أبي سعيد بن كعب) سبق قلم من الناسخ.

(٥) رواه أحمد برقم: (٢١١١٣)، وانظر: أسباب النزول (ص: ١٠).

فَصْلٌ

لَمَّا رأيتُ جمهورَ كُتُبِ المفسِّرين لا يَكاد الكتابُ منها يَفِي بالمَقْصُود كشفُه حتى يُنظرَ الآية[١] الواحدة في كتب[٢]، فربَّ تفسيرٍ أُخِلَّ[٣] فيه بعلم النَّاسخِ والمنسوخ، أو ببعضه، فإنْ وُجِد فيه لم يُوجد أسبابُ النُّزول، أو أكثرها، فإن وُجِد[٤] لم يُوجد بيانُ المكيِّ من المدنيّ، وإن وُجِد ذلك لم تُوجدِ الإشارةُ إلى حُكم الآية، فإنْ وُجِد لم يُوجَدْ جوابُ إشكالٍ يقع في الآية، إلى غيرِ ذلك مِنَ الفنون المَطْلُوبةِ.

وقد دَرجْتُ[٥] في هذا الكتابِ من هذه الفنونِ المذكورةِ مع ما لم أذكرْه مما لا[٦] يستغني التَّفسيرُ عنه ما أرجو به وقوعَ الغَنَاء بهذا الكتابِ عن أكثر ما يُجانسُه.

وقد حذِرْتُ من إعادةِ تفسيرِ كلمةٍ متقدِّمةٍ إلَّا[٧] على وجْه الإشارة، ولم أُغادِرْ مِنَ الأقْوَال الَّتي أَحْطتُ بها إلَّا ما يبْعُد[٨] صحتُه معَ الاخْتِصَار [١/ب]

(١) في (ت): ينظر للآية، و(ف): حتى تنظر الآية. وفي (م): حتى ينظر في الآية.

(٢) «في كتب» ليس في (م).

(٣) في (م): مفسر أخذ.

(٤) في (ف): فإن وجد فيه.

(٥) في المطبوع: أدرجت. وليست في النسخ الخطية المعتمدة.

(٦) في (ر): مع مما لم أذكره ما لم، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) «إلا» ليست في (ف).

(٨) في (ف): تبعد.

البَالـغِ، فـإذَا رأيْـتَ في فَـرْشِ الآيـات مَـا لم يذكـر[١] تفسـيرهُ، فهـو لا يخلـو مـن أمريـن: إمَّـا أن يكـونَ قـد سـبَقَ، وإمَّـا أن يكـونَ ظاهـرًا لا يحتـاجُ إلى تفسـيرٍ.

وقـدِ انْتقـى كتابُنـا هـذا أنقَـى التَّفاسـير، فأَخَـذ منهـا الأصـحَّ والأحْسَـنَ والأَصْـوَبَ[٢]، فنظمَـهُ في عبَـارةِ[٣] الإخْتصـار، وهـذا حِـينَ شُروعِنـا فيـمَا ابْتَدَأنـا[٤] لـه، والله الموفّـقُ.

❊ ❊ ❊

(١) في (ف): نذكر.

(٢) في (ج)، والمطبوع: والأصون.

(٣) في (م): غاية.

(٤) في (ف): انتدبنا.

فَصْلٌ [فِي الاِسْتِعَاذَةِ][1]

قَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ[2] بالاِسْتعَاذةِ عنْدَ [قراءةِ][3] القُرآنِ[4] بقوْلِه تعَالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]، ومعْنَاه: إذَا أردْتَ القِرَاءةَ. ومعْنَى «أَعُوذُ»: أَلْجَأُ وأَلُوذُ.

فَصْلٌ في بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ ابْنُ عمَرَ: نزَلتْ في كلِّ سُورةٍ[5].

وقدِ اخْتلفَ العُلماءُ: هلْ هِي آيةٌ كامِلةٌ، أمْ لَا؟ وفِيه عنْ أحْمدَ رِوايتانِ[6].

واخْتلَفُوا: هَلْ هِي مِنَ الفاتحةِ، أمْ لَا؟ وفِيه عنْ أحْمدَ رِوَايتانِ أيْضًا[7].

---

(١) من المطبوع.

(٢) في (ج): تعالى.

(٣) من (م).

(٤) في (ت)، والمطبوع: القراءة.

(٥) أسباب النزول (ص: ١٢).

(٦) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص: ٤٧).

(٧) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه صالح (ص: ٤٧٩- ٤٨٠)، ورواية عبدالله (ص: ٧٦).

فأمَّا مَنْ قَالَ: إنَّهَا مِنَ الفَاتحَةِ، فإنَّهُ يُوجِبُ قراءتَهَا في الصَّلاةِ إذَا قَالَ بوجُوبِ الفاتحَةِ، وأمَّا مَن لم يرَهَا مِنَ الفاتحَةِ، فإنَّه يقُولُ: قراءتُهَا في [كُلِّ][١] الصَّلاةِ سنَّةٌ، مَا عدَا مالكًا فإنَّهُ لَا يَستحِبُّ قراءتَهَا في الصَّلاة.

واخْتلفُوا في الجهْرِ بهَا في الصَّلاة فِيمَا يُجْهَرُ به:

فنَقَلَ الجمَاعةُ[٢] عنْ أحْمَدَ ﷺ: أنَّهُ لا يُسنُّ[٣] الجهْرُ بهَا، وهُو قوْلُ أبي بَكْرٍ، وعمَرَ، وعثمَانَ، وعليٍّ، وابْنِ مسْعُودٍ، وعمَّارِ بْنِ ياسرٍ، وابنِ مُغفَّلٍ[٤]، وابْنِ الزُّبيرِ، وابْنِ عبَّاسٍ، وقَالَ بهِ مِن كُبَراءِ التَّابعِين ومَنْ بعدَهُم: الحسَنُ، والشَّعبيُّ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وإبْراهِيمُ، وقتَادَةُ، وعُمرُ بْنُ عبدِ العزيزِ، والأعْمَشُ[٥]، وسُفيانُ الثَّورِيُّ[٦]، ومَالِكٌ[٧]، وأبُو حنِيفَةَ، وأبُو عُبيدٍ[٨] في آخَرِينَ.

(١) من (ف).

(٢) في المطبوع: جماعة، بدون لام التعريف.

(٣) في (ف): يُسِرُّ.

(٤) في الأصل، و(م): معقل، والمثبت من بقية النسخ؛ أي: عبد الله.

(٥) سليمان بن مهران الأعمش الإمام أبو محمد الأسدي مولاهم الكاهلي الكوفي الحافظ المقرئ أحد الأئمة الأعلام، رأى أنس بن مالك وروى عن عبد الله بن أبي أوفى وخلق، وحدث عنه أمم لا يحصون، توفي سنة: ١٤٨هـ. تاريخ الإسلام (٩/ ١٦١).

(٦) في الأصل: والثوري، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) من قوله: «والشعبي وسعيد»... إلى هنا ساقط من (ج) وعليها علامة لحق ولكن الحاشية مبتورة.

(٨) في (ج): أبو عبيدة. وانظر: فضائل القرآن؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٢١٩).

وذَهَبَ الشَّافِعيُّ ﷺ إلى أنَّ الجهْرَ بِهَا[١] مسْنونٌ، وهو مرْويٌّ عن معاويةَ بْنِ أبي سفيانَ، وعطاءٍ، وطاوسٍ، ومُجاهدٍ.

فأمَّا تفسيرُها: فقَوْلُه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ اخْتِصَارٌ، كأنَّه قَالَ: أَبْدَأُ باسْمِ اللهِ، أو: بدأْتُ باسْمِ اللهِ.

وفي الإسْمِ خمْسُ لُغَاتٍ:

«اِسْمٌ»[٢] بكَسْرِ الألفِ إذَا ابتدأتَ بها[٣]، و«أُسْمٌ»[٤] بضمِّ الألفِ إذَا ابْتدأْتَ بها[٥]، و«سِمٌ»[٦] بكَسْرِ السِّينِ، و«سُمٌ»[٧] بضَمِّها، و«سُمًا». قَالَ الشَّاعرُ[٨] [من الرجز]:

وَاللهُ أَسْمَاكَ سُمًى مُبَارَكَا آثَرَكَ اللهُ بِهِ إِيثَارَكَا

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ر): اسمه.

(٣) قوله: إذا ابتدأت بها، ليس في المطبوع، و(ت)، و(ج)، و(ر)، و(ف).

(٤) في (ر): اسمه.

(٥) قوله: واسم بضم الألف إذا ابتدأت بها، ليس في (م).

(٦) في (ر): سمه.

(٧) في (ج): واسم، زاد ألف الوصل، وفي (ر): سمه.

(٨) البيت؛ لأبي خالد القناني نسبة إلى جبل قنان، وهو جبل لبني أسد فيه ماء يسمى العسيلة، وانظر: إصلاح المنطق؛ لابن السكيت (ص: ١٠٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس؛ لابن الأنباري (١/ ٥٣).

وأَنْشَدوا[(١)] [من الرجز]:

بِاسْمِ الَّذِي فِي[(٢)] كُلِّ سُورَةٍ سِمُهْ

قال الفَرَّاءُ[(٣)]: بعضُ[(٤)] قيْسٍ يقولُون[(٥)]: سِمُهُ، يُرِيدونَ[(٦)]: اسْمُه، وبعْضُ قُضاعةَ يقولُون[(٧)]: سُمُه[(٨)]. أَنْشَدني بعضُهُم[(٩)] [من الرجز]:

---

(١) شطر بيت أنشده الكسائي عن بعض بني قضاعة؛ وعجزه: قد وَرَدَتْ على طريقٍ تَعْلَمُهْ. انظر: العين؛ للخليل (٧/ ٣١٨)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٣٩)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (٨/ ٦٢٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٤)، ونسبه الخفاجي في حاشيته على البيضاوي (١/ ٤٣) إلى رؤبة بن العجاج.

(٢) ليست في (م).

(٣) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي. مولاهم الكوفي النحوي، صاحب التصانيف، حدث عن: قيس بن الربيع، وغيره، وعنه: مسلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري، وغيرهما. توفي سنة: ٢٠٧هـ. تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٩٣).

(٤) زاد في (م): بني.

(٥) ليست في (ت).

(٦) من قوله: يقولون بياض في (ج).

(٧) في (ت): تقول.

(٨) إصلاح المنطق؛ لابن السكيت (ص: ١٠٤).

(٩) البيت بلا نسبة في الزاهر (١/ ٥٤)، وانظر: إصلاح المنطق (ص: ١٠٤)، والمحكم والمحيط (٣/ ٣٧٣).

وَعَامُنَا أَعْجَبَنَا مُقَدَّمُهْ يُدْعى أَبَا السَّمْحِ وقِرضابٌ سِمُهْ

والقِرْضَابُ: القَطَّاعُ، يُقال: سَيفٌ قِرْضَابٌ[١].

❁ ❁ ❁

[فَصْلٌ][٢]

واخْتَلَفَ العُلَماءُ في اسْمِ اللهِ الَّذي هو «اللهُ»:

فقَالَ قَوْمٌ: إِنَّه مشتقٌّ، وقَالَ آخرون[٣]: إِنَّه عَلَمٌ لَيْس بمشتقٍّ. وفِيه عنِ الخليلِ[٤] رِوَايتانِ:

إِحدَاهُما: أَنَّه[٥] ليس بمشتقٍّ، ولا يجوز حذْفُ[٦] الأَلِفِ واللَّام منْه[٧]؛ كما يجوزُ مِنَ الرَّحمنِ.

---

(١) انظر: العين؛ للخليل (٥/ ٢٤٦).

(٢) من (م).

(٣) في (م): قوم.

(٤) الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن، الفراهيدي، البصري. صاحب العربية والعروض، أحد الأعلام، روى عن: أيوب، وعاصم الأحول، وطائفة، أخذ عنه: سيبويه، والأصمعي، وغيرهما، صنف في العروض، واللغة. توفي سنة: ١٧٠هـ. تاريخ الإسلام؛ للذهبي (١٠/ ١٧٤).

(٥) ليست في الأصل، و(م)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) ساقطة من (م).

(٧) ليست في (م).

والثَّانية: رَواهَا عنْهُ سِيبويه: أنَّه مشتقٌّ[١].

وذَكَر أبو سُليمانَ الخطَّابيُّ عنْ بعْضِ العُلَماءِ أنَّ أصلَه في الكلام أَلِهَ مُشتقٌّ مِنْ: أَلِهَ الرَّجُلُ يَأْلَهُ: إذا فُزع[٢] إليه[٣] من أَمْرٍ نَزَل بِه. فَأَلَهَهُ؛ أي: أَجَارَهُ وأمَّنه، فسُمِّيَ إلهًا؛ كما سُمِّي[٤] الرَّجلُ إمامًا.

وقال غيْرُه: أصْلُه وِلاهٌ. فأُبْدِلتِ الواوُ همزةً فقِيل: إلَهٌ[٥]؛ كما قالُوا: وِسادة، وإسَادةٌ، ووِشاحٌ، وإشاحٌ. واشْتُقَّ[٦] مِنَ[٧] الوَلَهِ، لأنَّ قُلوبَ العِبادِ تَوْلَهُ نَحوَهُ؛ كقوْلِه تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[النحل: ٥٣]، وكان القِياسُ أن يُقَالَ: مَأْلُوهٌ؛ كما قِيل: معْبودٌ، إلَّا أنَّهم خالَفُوا بِه البناءَ؛ لِيكُون عَلَمًا، كما قالُوا للمَكتُوبِ: كِتَابٌ، وللمَحْسوبِ: حِسَابٌ. [٢/أ]

وقَالَ بعْضُهم: أَصْلُه مِن: أَلِهَ الرَّجُلُ يَأْلَهُ إلَهَةً[٨]؛ إذا تحيَّر، لأَنَّ القُلُوبَ تَتَحيَّرُ عنْد التَّفكرِ في عظَمَتِه. وحُكِي عن بعْضِ اللُّغويين: أَلِهَ الرَّجلُ يأْلَهُ إلاهَةً، بمعنى: عَبد يَعْبُدُ عِبادَةً.

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن؛ لمكي (١/ ٦٧) ومفردات القرآن؛ للراغب (ص: ٨٣).

(٢) في (ت): فَزِع. بفتح الفاء.

(٣) ليست في (ف).

(٤) في المطبوع، وشأن الدعاء للخطابي: يُسمَّى.

(٥) في (ج): الله.

(٦) ليست في (م).

(٧) بياض في (م). وانظر: مشكل إعراب القرآن؛ لمكي (١/ ٦٦).

(٨) ليست في المطبوع، ولا في (ج)، و(ر)، و(ت)، و(ف)، وفي (م): ولهًا.

ورُوي عنَ ابْنِ عبَّاس أنَّه قَرَأ[١]: «ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ»؛ أي: عِبادَتَكَ[٢].

قَال: والتَّألُّهُ[٣]: التَّعَبُّدُ[٤]. قَال رُؤبةُ[٥] [من الرجز]:

لله دَرُّ الغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

فمعْنى الإِلهِ: المعْبُودُ.

فأمَّا ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: فذَهَبَ الجمهورُ إلى أنَّه مُشتقٌّ منَ الرَّحمةِ، مبنيٌّ على الْمبالغَةِ، ومعْناه: ذو الرَّحمة الَّتي لا نَظِيرَ[٦] لَه فِيهَا. وبناءُ فَعْلَانَ في كلامِهم للمُبالغَةِ[٧]، فإنَّهم يقولون للشَّدِيد الامْتِلاء: مَلآنُ، وللشَّدِيد الشَّبَعِ: شَبْعَانُ.

---

(١) في المطبوع، و(ت)، و(ر): قال.

(٢) قال أبو حيان في البحر (٤/ ٣٦٧)، قرأ الجمهور: «وآلهتك» على الجمع، وقرأ ابنُ مسعود وعليٌّ وابن عباس وأنس وجماعة غيرهم: «وإلهتك». وانظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٣).

(٣) في (ج): الثالثة.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨١٩ - ٨٨٢٠).

(٥) انظر: الكامل؛ للمبرد (٣/ ١٠٨)، وأمالي القالي (٢/ ٩٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٣).

(٦) في (ج): نضير.

(٧) زاد في (ج): ومعناه التي لا نضير له فيها.

قَـالَ الخطَّـابي: و«الرَّحمـن»: ذو الرَّحمـةِ الشَّـامِلةِ الَّتـي وَسِـعتِ الخلـقَ في أرْزَاقِهـم ومصَالحِهـم، وعَمَّـتِ المُؤْمِـنَ والكَافِـرَ[1].

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: خَـاصٌّ للمُؤْمنـين. قَـالَ ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. و«الرَّحيـم» بمعنـى: الرَّاحـم.

❁ ❁ ❁

(١) شأن الدعاء (ص: ٣٨).

سُورَةُ الفَاتِحَةِ[(١)]

رَوَى أبو هُريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال -وقرأ عليه أُبيُّ بنُ كعبٍ[(٢)] أمَّ القُرآن- فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ [اللهُ][(٣)] فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ[(٤)] مِثْلَهَا، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[(٥)].

فمِن أسْمَائِها: الفاتحةُ، لأنّه يُستفتَحُ الكتابُ بها[(٦)] تلاوةً وكتابةً.

ومِن أسمائها: أمُّ القُرآنِ، وأمُّ الكتابِ؛ لأنَّها أمَّتِ الكِتابَ بالتَّقدُّمِ.

---

(١) بياض في (ج).

(٢) «بن كعب» ليس في (م).

(٣) من (م).

(٤) في (ج): القرآن.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٧، ٤١٢) والترمذي (٢٨٧٥، ٣١٢٥) والنسائي (٢/ ١٣٩) وغيرهم من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، فذكر خبر أبي مع النبي ﷺ في ذلك، وفي بعض الطرق عن أبي هريرة عن أبي بن كعب، وأخرجه مالك في الموطأ (ص: ٧٣) عن العلاء عن أبي سعيد مولى ابن كريز مرسلًا، قال: الدارقطني في العلل (٩/ ١٦): «ويشبه أن يكون الحديث عند العلاء على الوجهين»، قلت: وقد وقع لأبي سعيد بن المعلى مع النبي ﷺ مثل ما وقع لأبي بن كعب معه، انظر صحيح البخاري (٤٤٧٤، ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦)، وانظر: أسباب النزول (ص: ١٣).

(٦) في (ف): بها الكتاب.

ومِن أسمائِها[١]: السَّبعُ المَثاني، وإنَّما[٢] سُمِّيتْ بذلِك لِما[٣] سنشرحُه في «الحجر» إنْ شاء اللهُ تَعالى.

واخْتَلَفَ[٤] العُلماءُ في نزُولِها على قوْلَين:

أحدهما: أنَّها مكيَّةٌ، وهو مرويٌّ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ، والحسَنِ، وأبي العَاليةِ[٥]، وقتادَةَ، وأبي ميْسَرَةَ[٦].

والثَّاني: أنَّها مدنيَّةٌ، وهو مرْويٌّ عن أبي هُريرةَ، ومُجاهِدٍ[٧]، وعُبيدِ

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): وأنها.

(٣) ليست في (م).

(٤) بياض في (ج).

(٥) بياض في (ج). واسم أبي العالية: رفيع بن مهران، وكان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، حي من تميم، أحد علماء البصرة وأئمتها، أسلم في إمرة الصديق ودخل عليه، وقرأ القرآن على أبي بن كعب، وروى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، روى عنه: القراءة شعيب بن الحبحاب، والأعمش، والربيع بن أنس، وجماعة، وحدث عنه: قتادة، وأبو خلدة، وغيرهما، توفي سنة: (٩٠هـ) أو بعدها بقليل. تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٩).

(٦) عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي، أحد فضلاء التابعين وصلحائهم، روى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، وعنه: أبو وائل، والشعبي، والقاسم بن مخيمرة، وأبو إسحاق السبيعي، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد بالكوفة. تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢٠٠).

(٧) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي المقرئ المفسر، أحد الأعلام، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد في خلافة عمر. وسمع سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعنه: عكرمة، وطاوس، وقتادة، وثقه ابن معين. توفي سنة: ١٠٣هـ. تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٢٣٥).

بْـن عُمـيرٍ[١]، وعَطـاءِ الخراسَـاني[٢]. وعـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، كالقوْلَـين.

فَصْلٌ

فأمّا تفْسِيرُهَا:

فـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ رفـعٌ بالابْتـداءِ، و﴿لِلَّهِ﴾ الخـبرُ. والمعْنـى: الحمـدُ ثَابـتٌ للهِ[٣]، ومسـتقرٌّ لـه، والجمهـورُ عـلَى كسْر لامِ «لله»، وضمَّهـا ابْـنُ أبي عبْلَـةَ[٤]،

(١) هـو أبـو هاشـم عبـد الله بـن عبيـد بـن عمـير بـن قتـادة الليثـي الجندعـي، المكـي، روى عـن أبيـه، وعائشـة، وابـن عبـاس، وعنـه ابـن جريـج، والأوزاعـي، كان مـن أفصـح أهـل مكـة. وثقـه أبـو حاتـم، تـوفي سـنة ١١٣هــ تاريـخ الإسـلام (٧/ ٤٠٣).

(٢) هـو أبـو محمـد عطـاء بـن يسـار المـدني الفقيـه، مـولى ميمونـة أم المؤمنـين، كان قاصـا واعظـا ثقـة جليـل القـدر، حـدث عـن أبي أيـوب، وزيـد بـن ثابـت، وعائشـة، وأبي هريـرة، وطائفـة، وعنـه: زيـد بـن أسـلم، وغـيره، وكان ثقـة، تـوفي ١٠٣هــ تقريبًـا تاريـخ الإسـلام (٧/ ١٧١).

(٣) بياض في (ج).

(٤) بضـم الـدال والـلام عـلى إتبـاع الثـاني الأول، انظـر: القـراءات الشـاذة؛ لابـن خالويـه (ص: ١)، والمحتسـب؛ لا بـن جنـي (١/ ٣٧). وابـن أبي عبلـة: هـو إبراهيـم بـن أبي عبلـة واسـمه شـمر بـن يقظـان الشـامي الدمشـقي ثقـة كبـير تابعـي، لـه حـروف في القـراءات واختيـار خالـف فيـه العامـة في صحـة إسـنادها إليـه نظـر، تـوفي سـنة إحـدى وقيـل سـنة اثنتـين وقيـل سـنة ثـلاث وخمسـين ومائـة. غايـة النهايـة في طبقـات القـراء (١/ ١٩). وفي (ف): عُليَّـة. خطـأ.

قَـال الفـرَّاءُ: هــي لغَــةُ بعْــضِ[١] بنــي رَبيعَــةَ[٢]. وقَــرأ ابْــنُ السَّــمَيْفَعِ: [«الحَمْـدَ»[٣]: بنصـب الـدَّال[٤]، «لله» بكسْرِ الـلام[٥]. وقَـرَأ أبـو نَهِيـكٍ[٦] بكسْر الـدَّالِ والـلَّامِ جميعًـا[٧].

واعْلَـم أنَّ الحمـدَ: ثنـاءٌ عـلى المْحْمُـود، ويُشـاركه الشُّـكرُ، إلَّا أنَّ بينهـما

---

(١) في (ج): لِبعْضِ.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٥)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٠).

(٣) مـن المطبـوع، و(ر)، و(ت)، و(م)، و(ف)، وفي (ج): الحمـد لله. وابـن السَّـمَيْفَعِ: محمـد بـن عبـد الرحمـن بـن السَّـمَيْفَعِ- بفتـح السـين- أبـو عبـد الله اليـماني، لـه اختيـار في القـراءة ينسـب إليـه شـذ فيـه، وقيـل: إنـه قـرأ عـلى نافـع وقـرأ أيضـا عـلى طـاوس بـن كيسـان عـن ابـن عبـاس، انظـر: غايـة النهايـة في طبقـات القـراء (٢/ ١٦١)، ولم أقـف عـلى تاريـخ وفاتـه.

(٤) هـي قـراءة هـارون بـن موسـى الأعـور ورؤبـة بـن العجـاج بنصـب الـدال عـلى الإضـمار؛ أي: أحمـد الحمـد؛ لأنَّ الحمـد مصـدر لا يثنّـى ولا يجمـع. انظـر: الكشـف والبيـان؛ للثعلبـي (١/ ١٠٩).

(٥) على إضمار فعل، وليست في (ج).

(٦) هـو أبـو نهيـك الأزدي الفراهيـدي البـصري، صاحـب القـراءات، يقـال اسـمه عثـمان بـن نهيـك، روى عـن أبي زيـد الأنصـاري، وابـن عبـاس، وعنـه: قتـادة، وحسـين بـن واقـد، وآخـرون، وحـدث بمـرو، تاريـخ الإسـلام (٧/ ٣٠١)، تهذيـب الكـمال (١٩/ ٥٠١)، وفي غايـة النهايـة (١/ ٥١٥): علبـاء بـن أحمـد أبـو نهيـك اليشـكري الخراسـاني، لـه حـروف مـن الشـواذ تنسـب إليـه وقـد وثقـوه، وأمَّـا أبـو نهيـك الأسـدي فهوالقاسـم بـن محمـد محـدث مشـهور.

(٧) وهـي قـراءة زيـد بـن عـلي، والحسـن البـصري حيـث وقـع إتباعًـا لكـسرة الجـر بعدهـا، انظـر: المحتسـب ؛ لابـن جنـي (١/ ٣٧)، وقولـه: والـلام جميعـا، لم يـأت في النسـخة (ف).

فرْقًا، وهو: أنَّ الحمْدَ قد يقَعُ ابتداءً[١] للثَّناء، والشُّكرَ لا يكونُ إلَّا في مقابلَةِ النِّعمة، وقِيل: لفظُه لفظُ الخبَرِ، ومعْناه الأمرُ، فتقدِيرُه: قولُوا: الحمدُ لله.

وقال[٢] ابنُ قتيبةَ[٣]: «الحمْدُ» الثَّناءُ على الرَّجُل بما فِيه مِن كرَمٍ أو حسَبٍ أوْ شجَاعَةٍ، وأشباه ذلك[٤]. والشُّكرُ له[٥]: الثَّناءُ عليه بمعروفٍ أَوْلَاكَهُ، وقد يُوضع الحمدُ موضعَ الشُّكر. فيُقال: حمِدتُه على معرُوفه عنْدي، كما يُقال: شَكرتُ له، ولا يُوضع الشُّكرُ موضعَ الحمْدِ، فيُقال: شكرتُ له[٦] على[٧] شجَاعتِه.

فأمَّا «الرَّبُّ» فهو المالكُ، ولا يُذكرُ هذا الاسمُ في حقِّ المخْلُوقِ إلَّا بالإِضَافة، فيُقال: هذا ربُّ الدَّارِ، وربُّ العبْدِ. وقِيل: هو مأخوذٌ مِنَ التَّربيةِ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) سقطت من (ر).

(٣) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. من كتبه غريب القرآن وأدب الكتاب وغيرهما، توفي سنة ٢٧٦هـ، الأعلام للزركلي (٤/ ١٣٧).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٣).

(٥) من قوله: «الحمد» الثناء سقطت من (ج).

(٦) من قوله: ولا يوضع الشكر موضع الحمد ليس في المطبوع، ولا في (ر).

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

قال شيْخُنا أبو منْصورٍ اللُّغويُّ[(١)]: يُقال: رَبَّ فلانٌ ضَيْعَتَهُ[(٢)] يَرُبُّها رَبًّا؛ إذا أَتَمَّها وأصْلَحَها، فهو ربٌّ ورابٌّ. قالَ الشَّاعِرُ[(٣)] [من الطويل]:

يَرُبُّ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الخَيْرِ إِنَّهُ ... إِذَا سُئِلَ المَعْرُوفَ، زادَ وتَمَّمَا [٢/ب]

قَالَ: والرَّبُّ يُقال على ثلاثةِ أوجهٍ:

أحدها: المَالِكُ. يُقال: ربُّ الدَّارِ.

والثَّاني: المُصْلِحُ، يُقال: رَبَّ الشَّيءَ.

والثَّالث: السَّيِّدُ أوِ[(٤)] المُطاعُ. قَالَ تعَالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[يوسف: ٤١].

والجمهورُ على خفْضِ باءِ «ربِّ». وقَرَأ أبو العَاليةِ، وابْنُ السَّمَيْفَعِ، وعيسَى بْنُ عمرَ[(٥)] بنصبها[(٦)].

---

(١) هو موهوب بن أحمد بن محمد، يعرف بابن الجواليقي، شيخ أهل اللغة في عصره، ويكنى بأبي منصور، وقد سبق الحديث عنه في المقدمة.

(٢) في (ر)، و(ت)، والمطبوع: (صنيعته)، وفي (ج): صنيعتها.

(٣) البيت بلا نسبة في الزاهر في معاني كلام الناس؛ لابن الأنباري (١/ ٤٦٧)، وتهذيب اللغة؛ لأبي منصور الأزهري (٢/ ١٣٣٦).

(٤) ليست في المطبوع، ولا في جميع النسخ.

(٥) عيسى بن عمر الهمداني الكوفي القارئ مولى بني أسد، وهو غير الثقفي قرأ على عاصم بن أبي النجود، وطلحة وقرأ عليه الكسائي وجماعة، وكان مقرئ أهل الكوفة بعد حمزة، وثقه يحيى بن معين، توفي سنة ١٥٠ هـ معرفة القراء الكبار للذهبي (ص: ٧٢).

(٦) نصب على المدح، وقيل: هو على النداء، وعليه يجيء ﴿إِيَّاكَ﴾. انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٢٨)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٠٩).

وقَـرَأ أبـو رَزِيـنٍ العُقَيْـلي[١]، والرَّبِيـع بْـن [خُثَيْـم][٢]، وأبـو عِمـران الجَـونيُّ[٣] برَفْعهـا[٤].

فأمَّـا «العالَمُـون» فجمْـعُ عـالَم، وهـو عنْـد أهـلِ العربيَّـة: اسـمٌ للخلْـقِ مِـن مبتدئِهـم[٥] إلى منتهاهـم، وقـد سَـمَّوا أهْـلَ الزمـانِ الحـاضرِ عالمًـا. فقَـال الحُطيئَـةُ[٦] [مـن الوافـر]:

.... أَرَاحَ اللهُ مِنْـكِ العالَمِيْنَـا

(١) أبـو رزيـن بِفَتْـح الـرَّاء، اسْـمه: لقيـط بـن عامـر بـن صـبرة بـن عبـد الله بـن المنتفـق بـن عامـر بـن عقيـل بـن كعـب بـن ربيعـة بـن عامـر بـن صعصعـة، لـه صحبـة.

(٢) في (ل)، و(ج): خيثم.

(٣) في (م): أبـو عمـر بـن الجـوني، وهـو خطـأ، وهـو الإمـام الثقـة عبـد الملـك بـن حبيـب البـصري، رأى عمـران بـن حصـين، وروى عـن: جنـدب البجـلي، وأنـس بـن مالـك، وعبـد الله بـن الصامـت، وأبي بكـر بـن أبي موسـى، وطائفـة حـدث عنـه شـعبة، والحـمادان، وأبـان العطـار، وثَّقـه يحيـى بـن معـين وغـيره، وحديثـه في الأصـول السـتة. قـال أبـو سـعيد بـن الأعـرابي: كان الغالـب عليـه الـكلام في الحكـم، تـوفي في سـنة ثـلاث وعشريـن ومئـة، وقيـل: تـوفي سـنة ثـمان وعشريـن. انظـر: سـير أعـلام النبـلاء (٥/ ٢٥٥).

(٤) انظـر: البحـر المحيـط (١/ ٣٥)، ويكـون ذلـك عـلى القطـع مِـنَ التبعيَّـة فيكـون خـبرًا لِمبتـدإ محـذوفٍ؛ أي: هـو ربٌّ، وانظـر أيضًـا التبيـان في إعـراب القـرآن؛ للعكـبري (١/ ٥).

(٥) في (ف): مبْدئهم.

(٦) البيـت في ديوانـه (ص: ١٢٣)، والشـعر والشـعراء (ص: ٢٠٠)، والكامـل (٢/ ٧٢٦)، والمحتسـب (١/ ٣١٧)، وصـدره: «تَنَحَّـي فَاقعُـدِي عَنَّـا بَعِيْـدًا».

فأمَّا أهْلُ النَّظرِ، فالعَالَمَ عنْدهم: اسْمٌ[١] يقعُ على الكوْنِ الكُلِّيِّ المْحُدَثِ من فلَكٍ، وسماءٍ، وأرْضٍ، وما بيْنَ ذلِك.

وفي اشْتِقَاق «العالَم» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُ من العَلَمِ، وهو يقوِّي قولَ أهْلِ اللُّغة.

والثَّاني: أنَّه مِنَ العلامة[٢]، وهو يقوِّي قوْلَ أهْلِ النَّظرِ، فكأنَّه إنما سُمِّي عندهم[٣] بذلك؛ لأنَّه دالٌّ على خالِقِه.

وللمفسرين في المْراد بـ«العَالَمِين»[٤] هاهُنا خمْسةُ أقوَالٍ:

أحدُها: الخلقُ كلُّه: السَّماواتُ والأرَضون[٥] وما فيهنَّ وما بينهنَّ، رواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦].

والثَّاني: كلُّ ذي رُوحٍ دبَّ على وجْهِ الأرْضِ. رواه أبو صالِحٍ عنِ ابْن عبَّاسٍ[٧].

---

(١) في (ر): اسمع.

(٢) في (ف): العلاء.

(٣) ليست في (م).

(٤) في (م): بالعالم.

(٥) في (ج): الأرض.

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ١٤٣-١٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤) من طريق أبي روق، عن الضحاك، بنحوه.

(٧) بحر العلوم (١/ ٤١).

والثَّالث: أنَّهُمُ الجنُّ والإنسُ. رُوي أيضًا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، [وبه][1] قَالَ[2] مجاهدٌ، ومقاتِلٌ[3].

والرَّابع: أنَّهُمُ الجنُّ والإنسُ والملائِكةُ، نُقِل عنِ ابنِ عبَّاسٍ أيضًا، واخْتاره ابْنُ قتيبةَ[4].

والخامس: أنَّهُمُ الملائكةُ، وهو مرْويٌّ عنِ ابْن عبَّاسٍ أيضًا[5].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[6].

قَرَأ أبو العاليةِ، وابْنُ السَّمَيْفَعِ، وعيسى بْنُ عمرَ بالنَّصب فيهما، وقَرأَ أبو رَزينٍ العُقَيْليُّ، والرَّبيعُ بن خُثيم[7]، وأبو عِمرانَ الجونيُّ بالرَّفع فيهما[8].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في (ج): مقال.

(٣) مقاتل بن سليمان أبو الحسن البلخي صاحب التفسير، روى عن: مجاهد والضحاك، وعنه: بقية، وعلي بن الجعد وغيرهم، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، أثنى عليه الشافعي، واتهمه آخرون بالوضع، توفي سنة ١٥٠هـ، تاريخ الإسلام (٩/ ٦٣٩).

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٣٩)، وموضعها في (ج) بياض.

(٥) البحر المحيط؛ لأبي حيان (١/ ٣٣).

(٦) بياض في (ج).

(٧) في (ل): خيثم، وفي (ج) بياض.

(٨) والنصب والرفع للقطع، انظر: البحر المحيط (١/ ٣٥).

قَوْلُهُ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

قَـرَأ عاصِـمٌ والكِسـائيُّ، وخلَـفٌ، ويعقـوبُ: «مالِـكِ» بألـفٍ. وقَـرأ ابْـنُ السَّـمَيْفَعِ، وابْـنُ أبي عبْلَـةَ[١] كذلِـك، إلَّا أنَّهُـما نَصبَـا الـكافَ[٢].

وقَـرأ أبـو هُريـرةَ، وعَاصِـمٌ[٣] الجحـدَرِيُّ: «مَلْـكِ» بإسـكَانِ الـلَّام مـن غـيرِ الألـفِ مـعَ كـسْرِ الـكافِ[٤].

وقَـرأَ أبـو عُثـمان النَّهْـديُّ[٥]، والشَّـعْبِيُّ[٦] «مَلِـكَ» بكسْرِ الـلَّام ونصْـبِ الـكافِ مـن غـيرِ ألـفٍ[٧]. وقَـرأَ سـعدُ بْـنُ أبي وقـاصٍ، وعائشـةُ، ومُـوَرِّقٌ

(١) في (م): ابن عبلة، وفي (ف): ابن علية.

(٢) السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ١٠٤)، ومختـصر الشـواذ؛ لابـن خالويـه (ص: ٩)، ونسـبها لعمـر بـن عبـد العزيـز، والمحـرر الوجيـز؛ لابـن عطيـة (١/ ٢٣١).

(٣) في (ج): أبـو عاصـم. هـو عاصـم بـن أبي الصبـاح الجحـدري البـصري، أخـذ القـراءة عرضًـا عـن سـليمان بـن قتـة عـن ابـن عبـاس، وقَـرأ عليـه عرضًـا سـلام وعيسـى بـن عمـر الثقفـي، وقراءتـه في الكامـل والاتضـاح فيهـا مناكـير، ولا يثبـت سـندها إليـه تـوفي سـنة ١٢٨هـ. غايـة النهايـة (١/ ٣٤٩).

(٤) البحر المحيط (١/ ٣٦)، وهي مروية عن أبي عمرو كما في السبعة (ص: ١٠٥).

(٥) هوالإمـام الحجـة، عبـد الرحمـن بـن مُـلٍّ -وقيـل: ابـن مـلي- بـن عمـرو بـن عـدي البـصري مخـضرم مُعَمَّـر، أدرك الإسـلام والجاهليـة، وغـزا في خلافـة عمـر وبعدهـا غـزوات، فضائلـه جمـة، تـوفي ١٠٠هــ. انظـر: طبقـات ابـن سـعد (٧/ ٩٧)، سـير أعـلام النبـلاء (٤/ ١٧٥).

(٦) ليس في (ف).

(٧) البحر المحيط (١/ ٣٦).

العَجْليُّ[(١)]: «مَلِكُ» مثْلُ ذلِك إلَّا أنَّهم رفعوا الكافَ[(٢)]. وقرأ أُبَيُّ بْنُ كعْبٍ، وأبو رَجاءٍ العُطارِديُّ[(٣)]: «مَلِيكِ» بياءٍ بعْدَ اللام مكسورةَ الكافِ مِن غيرِ ألِفٍ[(٤)]. وقَرأ عمرُو[(٥)] بْنُ العاص كذلِك، إلَّا أنَّه ضمَّ الكافَ[(٦)]. وقَرأ أبو حَنيفةَ، وأبو حيْوَةَ: «مَلَكَ» على الفِعل [المَاضي][(٧)]، «يومَ»[(٨)] بالنَّصْبِ[(٩)].

---

(١) هو مورق العجلي أبو المعتمر، بصري كبير القدر، روى عن عمر وأبي الدرداء، وأبي ذر، وابن عمر، وجندب، وعنه: توبة قتادة، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، كان ثقةً عابدًا، توفي في ولاية عمر بن هبيرة تاريخ الإسلام (٧/ ٢٦٤).

(٢) البحر المحيط (١/ ٣٦).

(٣) عمران بن تيم العطاردي أبو رجاء، تابعي كبير، عرض القرآن على ابن عباس وتلقنه من أبي موسى، حدّث عن بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب، وروى عنه القراءة أبو الأشهب العطاردي، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٦٠٤).

(٤) الإبانة عن معاني القراءات؛ للقيرواني (ص: ١٢٤)، والبحر المحيط (١/ ٣٦) وقرأ بها أبو هريرة.

(٥) في (م): عمر.

(٦) انظر: التبيان في إعراب القرآن؛ للعكبري (١/ ٦).

(٧) من المطبوع.

(٨) ليست في (ر)، ولا في (ت).

(٩) البحر المحيط (١/ ٣٦) وهي قراءة جبير بن مطعم، وأبي عاصم عبيد بن عمير، وأبي المحشر عاصم بن ميمون الجحدري.

وروَى عبدُ الوارث[١] عن أبي عمرٍو: إِسكانَ اللَّام[٢]، والمشْهورُ عن أبي عمرٍو وجمهورِ القُرَّاء «مَلِكِ» بفتْحِ الْمِيمِ مع كسْرِ اللَّام، وهو أظْهَرُ في الْمدْحِ، لأنَّ كُلَّ مَلِكٍ مالِكٌ، وليسَ كلُّ مالكٍ ملكًا[٣].

وفي ﴿ٱلدِّينِ﴾ هَاهُنا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الحسَابُ. قالَه ابنُ مسْعودٍ.

والثَّاني: الجزاءُ. قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

ولَمَّا أخبرَ اللهُ ﷻ في قوْلِه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أنَّه مَالِكُ الدُّنْيا، دلَّ بقوْلِه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ على أنَّه مالكُ الأُخْرى. وقِيلَ: إنما خصَّ يومَ الدِّين، لأنَّه يَتفَرَّدُ[٤] يومئذٍ بالحُكم دُونَ[٥] خلْقِه.

قَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

---

(١) هو أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التنوري البصري إمام حافظ مقرئ ثقة، عرض القرآن على أبي عمرو وروى عنه ابنه عبد الصمد وغيره، كان موصوفًا بالعبادة والفصاحة والبلاغة ولكنه اتهم بالقدر توفي سنة ١٨٠هـ غاية النهاية (١/ ٤٧٨).

(٢) السبعة (ص: ١٠٤ - ١٠٥) وقد أسنده عن عبد الوارث عن أبي عمرو، وانظر: القراءات الشاذة (ص: ١).

(٣) من قوله: «وليس كل»... إلى هنا ليس في (م).

(٤) في (ت)، (ف)، و(م): ينْفَرِدُ.

(٥) في المطبوع، و(ت) و(ر): في.

قَرَأ الحسَنُ، وأبو المْتوكِّلِ[(١)]، وأبو مِجْلزٍ[(٢)] «يُعْبَدُ» بضَمِّ اليَاءِ وفتْح البَاءِ[(٣)].

[٣/أ] قَال ابْنُ الأنْبَاري[(٤)]: المْعْنى: قُلْ يا محمَّد: إِيَّاك يُعبد[(٥)]، والعربُ ترجعُ مِن الغَيبة إلى الخطاب، ومِنَ الخطَاب إلى الغَيبة؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[يونس: ٢٢]، وقوْلِه: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾[الإنسان: ٢١-٢٢][(٦)]. وقَال لَبِيدٌ[(٧)] [من البسيط]:

(١) هو أبو المتوكل الناجي البصري اسمه علي بن دؤاد، حدث عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعنه: قتادة، وحميد، وخالد الحذاء، وكان ثقة نبيلًا من جلة التابعين، توفي سنة ١٠٢هـ تاريخ الإسلام (٧/ ٢٩٨).

(٢) هو لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسي نزيل خراسان، سمع الصحابة: ابن عمر وابن عباس وأنس وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن، توفي سنة ١٠٠هـ، تقريبا غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٦٣).

(٣) البحر المحيط (١/ ٤١).

(٤) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنبارى النحوىّ. كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظًا له، وكان صدوقًا فاضلًا دَيِّنًا خيِّرًا من أهل السّنّة، وصنّف كتبًا كثيرة، وتوفي سنة ٣٢٨هـ، إنباه الرواة (٣/ ٢٠١).

(٥) في (م)، و(ف): نعبد.

(٦) انظر: معاني القرآن؛ لأبي جعفر النحاس (١/ ٦٥).

(٧) البيت في ديوانه (ص: ٤٦)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٦٠)، والعين (٣/ ٣٨٣)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٩٩)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (ص: ٢٠١)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٧٩)، والأغاني (١٥/ ٣٥١).

بَاتَتْ[1] تَشَكَّى إِلَيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً ... وَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا

وفي المْراد بهذِهِ العِبَارةِ ثَلاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهَا بمعْنَى التَّوحيد. رُوي عن عليٍّ، وابْنِ عبَّاسٍ في آخَرِينَ.

والثَّانِي: أنَّها بمعْنَى الطَّاعة؛ كقَوْله: ﴿لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[يس: ٦٠].

والثَّالث: أنَّها بمعْنى الدُّعَاءِ؛ كقَوْلِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠].

قَوْلُهُ: ﴿ٱهْدِنَا﴾ فيه أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: ثَبِّتْنا. قالَه عليٌّ، وأُبيٌّ.

والثَّاني: أَرْشِدْنَا.

والثَّالث: وفِّقْنَا.

والرَّابع: أَلْهِمْنَا. رُوِيت هذه الأقوالُ[2] الثلاثةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطَّرِيقُ. ويُقَال: إنَّ أصلَه بالسِّين؛ لأنَّه منَ الإِسْتِرَاطِ وهُو: الابْتِلاعُ، فالسِّراطُ[3] كأنَّه يسترِطُ المارِّينَ علَيْه، فمَنْ قَرأَ بالسِّين؛

---

(١) في (ف): قامت.

(٢) ليست في (ت)، و(ف)، و(م).

(٣) في الأصل، و(ت): فالصراط، والمثبت من (ج)، و(م)، و(ف).

كمُجاهـدٍ، وابْـنِ مُحَيْصـنٍ[١]، ويعقـوبَ، فعـلَى أصْـل الكلِمَـة[٢]، ومَـن قَـرَأَ بالصَّـاد، كأبِي عمْـرٍو، والجمهـورِ[٣]؛ فلأنَّهَـا أَخـفُّ عـلى اللِّسَـان، ومَـنْ قَـرَأَ بالـزَّاي، كرِوايَـةِ الأصْمَعـيِّ عـن أبي عمـرٍو، احتـجَّ بقـوْل العَـربِ: صَقْـرٌ وسَـقْرٌ[٤] وزَقْـرٌ. ورُوِي عـن حَمْـزَةَ: إشـمَامُ السِّـين زايًـا[٥]، ورُوِي عنْـه أنَّـه تلفَّظَ بالـصِّرَاطِ [مَـا][٦] بـين الصَّـاد والـزَّاي[٧].

قـال الفـرَّاءُ: اللُّغـةُ الجيِّـدةُ بالصَّـادِ، وهـي لغـةُ قريـشٍ الأُولى، وعامَّـةُ العَـربِ يجعلونهـا سِـينًا، وبعـضُ قيْـسٍ يُشِـمُّ الصَّـادَ، فيقُولُـون[٨]: الـصِّراطَ بـيْنَ الصَّـاد والسِّـين[٩]، وكانَ حمـزةُ يقْـرَأُ «الـزِّرَاطَ» بالـزَّاي[١٠]، وهـي لغـةٌ

---

(١) هـو محمـد بـن عبـد الرحمـن بـن محيصـن السـهمي مولاهـم المكـي، مقـرئ أهـل مكـة مـع ابـن كثـير، ثقـة، روى لـه مسـلم وكان نحويًّـا، عالمًـا بالعربيـة قويًّـا عليهـا، ولـه اختيـار في القـراءة خـرج بـه عـن إجمـاع أهـل بلـده، فتركـه النـاس، مـات سـنة ١٢٣هـ غايـة النهايـة (٢/ ١٦٧).

(٢) السبعة (ص: ١٠٥)، والحجـة؛ للفـارسي (١/ ٤٩)، والمبسـوط (ص: ٨٧)، والبحـر المحيـط (١/ ٤٥) وهـي قـراءة ابـن كثـير، وهـذا هـو أصـل اللفظـة.

(٣) الحجة؛ للفارسي (١/ ٤٩)، وقرأ بالسين أيضًا.

(٤) ليست في (ر).

(٥) جاءت العبارة في (ج): وروي عن أبي جعفر بقلب السين زايًا.

(٦) من (ف).

(٧) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٠٥).

(٨) في (ت)، و(ف)، و(م): فيقول.

(٩) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ١٠).

(١٠) المصدر السابق.

لعُـذْرَةَ وكلْـبِ وبَنِـي القَـيْنِ. يقُولـونَ [فِي أصْـدَق][١]: أَزْدَق[٢].

وفي المْراد بالصِّراط هَاهُنا أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كتابُ اللهِ، رَوَاه عليٌّ عنِ النَّبيِّ ﷺ[٣].

والثـاني: أنَّـه ديـنُ الإسْـلامِ. قالَـهُ ابْـنُ مسْـعُودٍ، [وابْـنُ عبَّـاسٍ][٤]، والحسَـنُ، وأبـو العَاليـةِ في آخريـنَ.

والثَّالِـث: أنَّـهُ الطَّريـقُ الهـادِي إلى ديـنِ اللهِ، رَوَاه أبـو صَالِـحٍ عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبِـه قَـالَ مُجاهـدٌ.

والرَّابعُ: أنَّهُ طَريقُ الجنَّةِ، نُقِل عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

فَإنْ قِيلَ: مَا[٥] معْنى سُؤالِ المْسلمين الهدَايةَ وهُم مهتدونَ؟.

فعنه ثلاثَةُ أجوبةٍ:

أحدُها: أنَّ المْعْنى: اهْدنا لزومَ الصِّرَاطِ، فحذَفَ اللُّزُومَ. قالَه ابْنُ الأنباري.

---

(١) من المطبوع.

(٢) في (ف): زدق.

(٣) رواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (رقـم: ٣٠٦٢٩)، والطـبري في تفسـيره (١/ ١٧٣)، والترمـذي (٢٩٠٦)، والدارمـي (٣٦٥٠)، والبـزار في مسنده (رقـم: ٨٣٦)، وابـن أبي حاتـم (١/ ٣٠-٢/ ٦٦٥-٣/ ٧٢١-٩٩٦-٤/ ١١٢٥-١٣٣٦-١٣٨٦)، والطـبراني في الكبـير (١٦٠- ٩٠٣١)، والحاكـم في المستدرك (٢/ ٢٥٩) عـن ابـن مسـعود. وقـال: صحيـح عـلى شرط الشـيخين ولم يخرجـاه.

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ف): فما.

والثَّـاني: أنَّ المْعْنـى: ثبِّتنـا عـلى الهُـدَى، تقُـولُ العـربُ للقَائِـم: قُـم حتـى آتِيـكَ؛ أي: اثْبُـتْ عـلَى حالِـك.

والثَّالث: أنَّ المْعْنى: زِدْنا[١] هِدايةً[٢].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

قال ابْنُ عبَّاس: همُ النَّبيُّون، والصِّديقُون، [والشُّهداءُ][٣]، والصَّالِحُون[٤].

وقَـرأ الأكْثَـرون: «عليهِـم» بكَسْرِ الهـاء، وكذلِـك: «لديهِـم» و«إليهِـم». وقرَأهـنَّ حمـزةُ بضَمِّهـا[٥]. وكان ابْـنُ كثـيرٍ يصِـلُ [ضَـمَّ][٦] المِيـمِ بـواوٍ[٧].

وقــال ابْــنُ الأنْبــاريِّ: حكَــى اللُّغويــون في «عليهِــم» عــشْرَ لُغــاتٍ: قُـرِئ بِعَامَّتِهـا[٨] «عليهُـمْ» بضَـمِّ الهـاءِ وإسْـكانِ المِيـم. «وعليهِـمْ» بكَسْرِ الهَـاء

---

(١) في (م): اهدنا.

(٢) في (ر): هدى.

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من المطبوع وبقية النسخ.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ١٧٧).

(٥) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٥٧)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ١١٣)، والحجة؛ لأبي علي الفارسي(١/ ٥٧).

(٦) من (ج).

(٧) السبعة (ص: ١٠٨)، ومعاني القراءات (١/ ١١٣)، والمبسوط (ص: ٨٨).

(٨) ليست في الأصل، والمثبت من المطبوع وبقية النسخ.

وإسْكان المْيـمِ[١]، و«وعليهمي» بكَسْر الهاءِ والمِيـم وإلحَاق يـاءٍ بعْـد الكسْرَة، و«عليْهِمُـو» بكَسْرِ الهـاءِ وضَـمِّ المْيـمِ وزِيـادَةِ واوٍ بعْـد الضَّمَّـةِ، و«عليْهُمُـو» بضَـمِّ الهـاء والميـم، وإدخـالِ واوٍ بعْـدَ المِيـمِ[٢]، و«عليهُـمُ» بضـمِّ الهْـاءِ والمْيـم مِـنْ غـيْرِ زِيـادَة واوٍ، وهـذِه الأوجُـهُ السـتَّةُ مأْثُـورةٌ عـن القُـرَّاءِ. [٣/ ب]

وأوجُـهٌ أرْبعَـةٌ منْقُولَـةٌ عـنِ العَـرب: «عليْهُمِـي» بضَـمِّ الهَـاءِ وكسْرِ المِيـمِ وإدْخَـالِ يَـاءٍ[٣] بعْـد المِيـمِ، و«عليهُـمِ» بضَـمِّ الهَـاءِ وكسْرِ المْيـم مِـن غـيْرِ زيَـادَةِ يَـاءٍ، و«عليهِـمُ» بكسْرِ الهَـاءِ وضَـم [المِيـمِ][٤] مـن غـير إلحَـاقِ واوٍ، و«عليهِـمِ» بكسْر الهـاءِ والمِيـمِ، ولا يَـاءَ بعْـدَ المِيـمِ[٥].

فأمَّـا «المغضـوب عليهـم» فهـمُ اليهـودُ، و«الضَّالـون»: النَّصـارى. رواه عَـدِيُّ بْـنُ حَاتـمٍ عـنِ النبـيِّ ﷺ[٦].

---

(١) قولـه: «وعليهـم بكسـر الهـاء وإسـكان الميم» ليـس في الأصـل، و(ر)، والمثبـت مـن بقيـة النسـخ.

(٢) من قوله: «وزيادة واو بعد الضمة»... إلى هنا ليس في (ج).

(٣) في (ج): واو.

(٤) ليسـت في الأصـل، والمثبـت مـن (ت)، و(م)، وفي (ف): «وعليهِـمِ بكسـر الهـاء والميـم»، وجـاء بعدهـا: «وبضـم الميـم»، ثـم ضرب عليهـا.

(٥) شـواذ ابـن خالويـه (ص: ٩)، وشـواذ الكرمـاني (ص: ٤٤-٤٥)، وشـواذ العكـبري (١/ ٩٩- ١٠١)، وخلاصـة هـذه الأوجـه أن منهـا سـتة متواتـرة وهـي (عليهِـمْ- عليهُـمْ- عليهُـمُ- عليهِـمِ- عليهِمُـو- عليهِـمُ)، وباقيهـا فهـو شـاذٌّ في القـراءة، وفي النسـخة (م): قولـه: ولا يـاء بعـد الميـم لم يقـع فيهـا.

(٦) رواه الطيالسي في مسنده (١١٣٥)، وأحمد (٣٢/ ١٢٣) مطولًا.

قال ابنُ قُتيبةَ: والضَّلالُ: الحَيْرَةُ والعُدولُ عنِ الحقِّ[١].

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

ومِنَ السُّنَّة في حقِّ قارِئِ الفَاتحةِ أنْ يُعقِبَها بـ«آمينَ». قال شَيْخُنا أبو الحْسنِ عليُّ بْنِ عُبيد الله[٢]: وسواءٌ كان خارجَ الصَّلاةِ أو فِيها.

لِمَا رَوى أبو هريرة عَنِ النَّبي ﷺ أنَّه قَال: «إذَا قَالَ الإمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقَالَ مَنْ خَلْفَهُ: آمِينَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ قَوْلَ أَهْلِ السَّماءِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٣].

وفي معْنى «آمِينَ» ثَلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَى آمِينَ[٤]: كذلِك يكُون. حكاهُ ابْنُ الأَنْبَاري عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ[٥].

والثَّاني: أنَّها بمعْنى: اللهُمَّ اسْتَجِبْ. قالَهُ الحسَنُ والزَّجَّاجُ[٦].

---

(١) تأويل مشكل القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٥٤).

(٢) في (ف): عبد الله.

(٣) رواه البخاري (٧٨٢ــ ٤٤٧٥).

(٤) ليست في (م).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس؛ لابن الأنباري (١/ ٦٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٤)، والأضداد لابن الأنباري (ص: ٣٨٢).

والثَّالِثُ: أنَّه اسْمٌ مِنْ أسْمَاءِ اللهِ. قالَهُ[١] مُجاهِدٌ، وهِلالُ بْنُ يَسَافَ[٢]، وجعفرُ بْنُ محمَّدٍ.

وقَال ابْنُ قُتَيبةَ: معْنَاها: يا أمينُ أجِبْ[٣] دُعاءَنا، فسَقَطتْ «يَا»؛ كما سقَطَتْ في قوْلِه: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[يوسف: ٢٩]، تأويلُه: يا يوسفُ[٤].

ومَن طوَّل الألفَ فقَال: آمِينَ؛ أدْخَل ألفَ النِّدَاءِ على ألفِ آمِين؛ كما يُقال: آزيد أَقْبِل: ومعناه: يا زيْدُ.

قالَ ابْنُ الأنْباري: وهذا القولُ خطأٌ عنْد جميعِ النَّحْويين؛ لأنَّه إذا أَدْخَل «يَا» على «آمين» كان منادًى[٥] مفردًا، فحُكْم آخِره الرَّفعُ، فلمَّا اجْتمعتِ العَربُ على فتْحِ نونِه، دلَّ على أنَّه غيرُ منادى، وإنما فُتِحت نونُ «آمين»؛ لِسُكونها وسكونِ اليَاءِ[٦] الَّتي قبْلَها، كما تقُولُ العَرَبُ[٧]: ليتَ، ولعَلَّ.

---

(١) بياض بمقدار الكلمة في (ج).

(٢) في (ف): يسار.

(٣) في (ج): استجب.

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ١٨).

(٥) في (ج): معناه.

(٦) في (م): الهاء.

(٧) ليست في (ف).

قَالَ: وفي «آمِينَ» لُغَتَانِ: «أَمِينَ» بالقَصْر، و«آمين» بالمدِّ، والنُّونُ فيهما مفتوحةٌ[1]. أنْشدَنَا أبو العبَّاس عَنِ ابْنِ الأَعْرابي[2] [من الطويل]:

سَقَى اللهُ حَيًّا بَيْنَ صَارَةَ[3] وَالْحِمَى حِمَى[4] فَيْدَ صَوْبَ الْمُدْجِنَاتِ الْمَوَاطِرِ[5]

أَمِينَ وأَدَّى اللهُ رَكْبًا إِلَيْهِمُ بِخَيْرٍ وَوَقَّاهُمْ حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وأَنْشَدَنا أبو العبَّاسِ أيْضًا[6] [من الطويل][7]:

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٦ -٦٧).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٧)، أمالي القالي (١/ ١٨٣).

(٣) في الأصل: ضارة، والمثبت من (ج)، و(ت)، و(ف).

(٤) ليست في (م).

(٥) ليست في المطبوع. صارة جبل قرب فيد، قال الأزهري: صارة الجبل رأسه، وقال نصر: هو جبل في ديار بني أسد، حمى فيد- بالفاء ثم المثناة التحتية- منزل بنجد في طريق الحاج العراقي، فيه سوق وبرك ونخيل وعيون، قيل: سميت بفيد بن حام؛ لأنه أول من سكنها. والمدجنات، من قولهم: «سحابة داجنة ومدجنة»، وهي: المطبقة الكثيفة المطر.

(٦) البيت لجبير بن الأضبط كما في تاج العروس (٣٠/ ١٨٢)، وبلا نسبة في الفصيح؛ لثعلب (ص: ٣١٦)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ١٣) وروي: «تَباعَدَ مني فُطْحُلٌ إذْ سَأَلْتُه». الفطحل؛ كجعفر، وقُنْفُذ: اسم رجل. كما أفاده في تاج العروس (٨/ ٦٤).

(٧) البيت ساقط من (ج).

تَبَاعَدَ عَنِّي[١] فُطْحُلٌ وَابْنُ أُمِّهِ[٢] أَمِينَ وَزَادَ[٣] اللهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا

وأَنْشَدنَا أَبُو العبَّاسِ أَيْضًا[٤] [من البسيط]:

يَا رَبِّ لاَ تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ: آمِينَا

وأَنْشَدني أَبي[٥] [من البسيط]:

أَمِينَ وَمَنْ أَعْطَاكَ مِنِّي هَوَادَةً رَمَى اللهُ فِي أَطْرَافِهِ فَاقْفَعَلَّتِ

وأَنْشَدَنِي أَبِي[٦] [من الطويل]:

---

(١) في المطبوع: مِنِّي. وفي (ف): (عَنَّا).

(٢) في الأصل: أمة، والمثبت (ت)، و(ف)، والمصادر.

(٣) في (ف): فزادَ.

(٤) البيت للمجنون في ديوانه (ص: ٢١٩)، ولعمر بن أبي ربيعة في لسان العرب (١٣/ ٢٧) (أمن)، وليس في ديوانه؛ وبلا نسبة في إصلاح المنطق (ص: ١٣٥)، وهو من شواهد الأشموني على شرحه للألفية (٣/ ٩٣).

(٥) لم أقف عليه منسوبًا لأحد، انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٧)، والبيت ساقط من النسخة (ج). في «القاموس»: اقْفَعَلَّتْ يداهُ اقْفِعْلالًا: تشنَّجَتْ وتقبَّضَتْ.

(٦) لم أقف إليه منسوبًا لأحد.

فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ هِجْتَ لِي بَارِحَ[١] الْهَوَى أَصَابَ حَمَامَ المَوْتِ أَهْوَنُنَا وَجْدَا
أَمِينَ وَأَضْنَاهُ الْهَوَى فَوْقَ مَا بِهِ أَمِينَ وَلَاقَى مِنْ تَبَارِيحِهِ جُهْدَا

فَصْلٌ

نقَلَ الأكثَرُون عن أحمدَ أنَّ الفاتحةَ شرْطٌ في صحَّةِ الصَّلاةِ، فمَتى[٢] تركَهَا معَ القُدرةِ عليْهَا لم تصِحَّ صَلاتُه وهو قوْلُ مالكٍ، والشَّافِعي[٣]. وقَال أبو حَنِيفةَ: لا تَتعيَّنُ[٤]. وهي روايةٌ عن أحْمَدَ.

ويدلُّ على [أنَّ][٥] الرِّوايةَ الأُولى[٦] [أصَحُّ][٧]: مَا رُوي في «الصَّحِيحيْنِ» [٤/أ] من حديثِ عُبادةَ بْنِ الصَّامتِ عنِ النَّبي ﷺ أنَّه قَالَ: **«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»**[٨].

(١) في (ف): نازح.

(٢) في (ج): (فمن).

(٣) المغني؛ لابن قدامة (١/ ٣٤٣)، والمدونة؛ لابن القاسم (١/ ١٦٤)، والأم؛ للشافعي (١/ ١٣٠).

(٤) بدائع الصنائع؛ للكساني (١/ ٢٠٤).

(٥) من (ف).

(٦) في (ف): ويدل على أن الرواية الأولى أصح.

(٧) من (ف).

(٨) رواه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

فَصْلٌ فِي فَضِيلَتِهَا

رَوَى أبو هُريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ؛ فَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لا يَدْخُلُهُ شَيْطَانٌ[١]»[٢].

ورَوى أبو أُمامةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ غَيَايَتَانِ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، اقْرَءُوا الْبَقَرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[٣].

وأراد بـ«الزَّهْرَاوَيْنِ»: المُنِيرَتَيْنِ. يُقال لكلِّ مُستنيرٍ: زاهرٌ. و«الغَيَايَةُ»[٤]: كلُّ شيءٍ أظَلَّ الإنسانَ فوقَ رأسِه، مثل السَّحابة والغَبَرَة. تقولُ[٥]: غايَا القومُ فوقَ رأسِ فُلانٍ بالسَّيفِ، كأنَّهم أظَلُّوه بِه.

قَال لَبيدٌ[٦] [من الرمل]:

---

(١) في (ت)، و(ف): الشيطان.

(٢) رواه مسلم (٧٨٠).

(٣) رواه مسلم (٨٠٤).

(٤) بياض بمقدار كلمة في (م).

(٥) في (ت)، و(ف): يقال.

(٦) البيت في ديوانه (ص: ٩٤)، ومفردات القرآن؛ للراغب (ص: ٥٢١)، والحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٦٧)، وكتاب الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٣١٠). الغياية بالياء: ظل الشمس بالغداة والعشي. والطفل: حين تهم الشمس بالغروب.

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلًا وَعَلى الْأَرْض غَيَايَاتُ الطَّفَلْ

ومعنى «فِرْقَانِ»: قِطْعَتانِ. والفِرْقُ: القِطعةُ مِنَ الشَّيءِ. قال [الله][1] ﷻ: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الشعراء: ٦٣]. و«الصَّوَافُّ»: المصطفَّةُ المُتضَامَّةُ[2] لتظلَّ قارئها. و«البَطَلَةُ»: السَّحَرَةُ.

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

قال ابْنُ عبَّاسٍ: هي أوَّلُ ما نَزَل بالمْدينة، وهذا قولُ الحسنِ، ومجاهدٍ، وعكرمةَ، وجابرِ بن زيدٍ[3]، وقتادةَ، ومُقاتلٍ[4].

وذكر قومٌ أنَّها مدنيةٌ سوى آية، وهي قولُه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الآية: ٢٨١]، فإنَّها نزلتْ يومَ النَّحْر بمنى في حجَّة الوداع.

---

(١) من (ت)، و(ر)، و(م).

(٢) في الأصل: المتصافَّة، والمثبت من (ت)، و(ر)، و(ف)، و(م).

(٣) في (ج): جابر، وابن زيد، وفي (ف): جابر بن بريدة. وهو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزديُّ اليحمديُّ الخوفيُّ، كان من كبار أصحاب ابن عباس، روى عنه عمرو بن دينار، وقتادة، توفي سنة (١٠٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٢/ ١١٩٩).

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢١) عن عكرمة.

فَصْلٌ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١، ٥].

فأمّا التَّفْسير:

فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿الٓمٓ﴾.

اخْتَلَف العُلَماءُ فيها وفي سائرِ الحُروفِ المُقطَّعةِ في أوائلِ السُّوَر على ستَّةِ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّها مِنَ المُتشابه الذي لا يعلمُه إلَّا الله ﷻ. قال أبو بكر الصِّديق ﷺ: لله ﷻ في كلِّ كِتابٍ سِرٌّ، وسِرُّ اللهِ في القرآنِ أوائلُ السُّوَر(١). وإلى هذا المُعْنى ذهَبَ الشَّعْبِيُّ، وأبو صالِحٍ، وابْنُ زَيْدٍ(٢).

والثَّاني: أنَّها حروفٌ مِن أسماءٍ(٣)، فإذا أُلِّفَتْ ضربًا مِنَ التَّأْليف كانت [اسمًا](٤) مِنْ أسماءِ اللهِ ﷻ. قالَ عليُّ بْنُ أبي طالبٍ: هي أسماءٌ مقطَّعةٌ،

---

(١) أورده البغوي في تفسيره (١/ ٨٠)، وأبو حفص الحنبلي في اللباب (١/ ٢٥٣)، والنيسابوري في غرائب القرآن (١/ ١٣٠).

(٢) في (م): أبو زيد.

(٣) زاد في (م): الله.

(٤) من (ج)، و(ت)، و(م): اسمًا. وفي (ر)، و(ف): أسماء.

لو عَلِم النَّاسُ تأليفَهَا علِمُوا اسْمَ اللهِ الَّذِي إِذا دُعي به أجَابَ[١].

وسُئِل ابْنُ عبَّاسٍ عن «الر» و«حم» و«نون»، فقَالَ: اسم الرحمن على الهجاء[٢]. وإلى نحو[٣] هذا ذهب أبو العالية، والربيعُ بْنُ أنسٍ[٤].

والثَّالث: أنَّها حروفٌ أَقْسَم اللهُ بِهَا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ.

قَال ابْنُ قُتَيْبَةَ: ويجوز أن يكونَ أَقْسَمَ بالحروف المُقطَّعةِ كلِّهَا[٥]، واقْتَصر على ذكْرِ بعضِها كما يقول القَائِلُ: تعلمتُ «أ ب ت ث» وهو يريد سائرَ الحروف، وكما يقول: قرأتُ الحمْدَ، يريد فاتحةَ الكتابِ، فيُسمِّيها[٦] بأوَّل حرْفٍ منها، وإنما أَقْسَم بحروفِ المُعجم؛ لشَرَفِها، وأنَّها[٧] مباني كُتبِهِ المنزَّلةِ، وبها يُذْكَرُ ويُوحَّدُ.

---

(١) ذكره التستري في تفسيره (١/ ٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٠٣) عن أبي الضحى، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠١٨٦) عن عكرمة، كلاهما، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه. في (ف): الهجاة.

(٣) ليست في (م).

(٤) هو الربيع بن أنس البكري الحنفي البصري، سمع أنس بن مالك وأبا العالية، روى عنه سليمان التيمي والأعمش، وغيرهما قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، بقي إلى سنة ١٣٩هـ وروى كثيرًا مِنَ التفسير والمقاطيع، تاريخ الإسلام (٨/ ٤١٦).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٣).

(٦) في (م): شبهها.

(٧) في المطبوع: ولأنها.

قال ابنُ الأنْباري: وجوابُ القسم محذوفٌ، تقديرُه: وحُروفِ المْعجمِ لقد بُيِّنَ[(١)] لكمُ السَّبيلُ، وَأنْهجتْ لكمُ الدَّلالاتُ بالكتاب المْنزَّل، وإنما حُذِف لعِلم المْخاطَبين به؛ ولأنَّ في قوْلِه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ دليلًا[(٢)] على الجواب. [٤/ب]

والرَّابع: أنَّه أشَار بما ذُكِر منَ الحروفِ إلى سائرها، والمعنى: أنَّه لَمَّا كانتِ الحروفُ أُصولًا للكلام المْؤلَّف، أخبَرَ أنَّ هذا القرآنَ إنما هو مؤلَّفٌ من هذه الحروفِ، قالَهُ الفرَّاءُ، وقطربٌ[(٣)].

فإنْ قِيل: فقَد علِموا أنَّه حروفٌ، فما الفائدةُ في إعْلامِهم بهذا؟

فالجوابُ: أنَّه نبَّه بذلِك على إعْجازِه، فكأنَّه قالَ: هو مِن هذه الحروفِ الَّتي تُؤلِّفون منها كلامَكُم، فما بالُكم تعْجَزُون عن مُعارضَتِه؟! فإذا عجزْتُم فاعْلَمُوا أنَّه ليس من قوْلِ محمَّدٍ ﷺ.

والخامِس: أنَّها أسماءٌ للسُّوَر. رُوي عن زيْدِ بْنِ أسلَمَ[(٤)] وابْنِه[(٥)]،

---

(١) في (ج): بيَّن الله.

(٢) في (ج): (دليلٌ).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٢) معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٥٥-٥٦)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٢/ ١٩-٢٠)، وفي (ج): قرطب.

(٤) هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي المدني مولى عمر ﵁، روى عن ابن عمر وجابر وطائفة، وعنه بنوه: أسامة وعبد الرحمن وعبد الله، ومالك وخلق، كان ثقة من أهل الفقه عَالِمًا بالتفسير له فيه كتاب، توفي سنة ١٣٠هـ تاريخ الإسلام (٨/ ٤٢٨).

(٥) نقله الثعلبي في التفسير (١/ ١٣٦) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. في الأصل: وأبيه. وغير منقوطة في (ف)، والمثبت من (ت)، و(ج)، و(م).

وأبي فاختـةَ سـعيدِ بْـن عِلاقَـةَ[١] مـولى أمِّ هانـئٍ.

والسَّادس: أنَّهَا مـن الرَّمْـز الَّـذِي تستعْمِلُه العـربُ في كلامِهـا. يقـول الرَّجُـل للرَّجُـلِ: هـل تـا؟[٢] فيقُـول لَـه: بـلَى، يُريـد هـل تَـأْتي؟ فيكتفـي بحرفٍ مِـنْ حـرُوفٍ[٣]. وأنْشـدُوا[٤] [مـن الرجـز]:

قُلْنَـا لَهَـا: قِفِـي لَنَـا[٥]! فَقَالَـتْ: قَـافْ ....

أَرَاد: قَالت: أَقِف. ومِثْلُه[٦] [من الرجز]:

نادَوْهُـمْ[٧] أَنْ أَلْجِمُـوا أَلَا تَـا   قَالُـوا جَمِيعًـا كُلُّهُـمْ بَـلَى فَـا

---

(١) أبـو فاختـة سـعيد بـن علاقـة الهاشـمي مولاهـم الكـوفي مشـهور بكنيتـه مـولى أم هانـئ بنـت أبـى طالـب، ذكـره العجـلي وابـن حبـان وغيرهمـا في ثقـات التابعـين وهـو متجـه، وقـال في التقريـب: ثقـة مـن الثالثـة مـات في حـدود التسـعين، وقيـل بعـد ذلـك بكثـير تقريـب التهذيـب (١/ ٢٤٠).

(٢) قوله: «هل تا» ليس في (ر)، ولا في (ت).

(٣) في (ف): حروفه.

(٤) البيـت للوليـد بـن عقبـة بـن أبي معيـط، كـما في الأغـاني (٤/ ١٨١)، وعجـزه: «لَا تَحْسَـبِي أَنَّـا نَسِـينَا الْإِيجَـافْ». وانظـر: معـاني القـرآن؛ للزجـاج (١/ ٦٢)، وتهذيـب اللغـة؛ للأزهـري (١٥/ ٤٨٨).

(٥) ليست في (ت).

(٦) البيـت بـلا نسـبة في العمـدة؛ لابـن رشـيق (١/ ٣١٠)، والمقصـود والممـدود؛ لابـن ولاد (ص: ٧٧).

(٧) في الأصل: تادوهم، والمثبت من (ف).

يُرِيد: أَلَا تَرْكَبُون؟ قالُوا: بَلَى فَارْكَبوا. ومثلُه[١] [من الرجز]:

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا ... وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا

معْناهُ: وإن شرًّا فشَرٌّ[٢] ولا أُرِيد الشَّرَّ إِلَّا أن تَشَاء[٣].

وإِلى هذا القولِ ذَهَب الأخفَشُ، والزجَّاجُ، وابْنُ الأَنْباريِّ[٤].

وقال أبو رَوْقٍ[٥] عطيَّةُ بنُ الحارث الهَمْدانيُّ: كان النَّبيُّ ﷺ يجهر بالقراءة في الصَّلوات كلِّها، وكان المشركون يُصفِّقون ويُصفِّرون، فنزلَت هذه الحروفُ المُقطَّعةُ، فسمِعُوها فبقُوا مُتحيِّرِينَ[٦].

وقال غَيْرُه: إنَّما خاطَبَهم بما لا يفهمُون ليُقبِلوا على اسْتِماعِه؛ لأنَّ النُّفُوسَ تتَطلَّعُ إِلى ما غابَ عنها.

---

(١) البيت نسبه البعض لزهير بن أبي سلمى، وليس في ديوانه، وانظر: الكامل؛ لابن المبرد (٢/ ١٧)، والمحكم؛ لابن سيده (٩/ ٥٥١)، وضرائر الشعر؛ للإشبيلي (ص: ١٨٥).

(٢) قوله: «شرًّا فشرٌّ» ليس في (ج).

(٣) في (ت)، و(ف): تشاء.

(٤) معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٢ ــ ٢٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٥ ــ ٥٦)، وجاء في (ج): «ابن هناد»، ومن قوله: «ولا أريد الشر»... إلى هنا ليس في (ر).

(٥) في (م): ابن روق. وأبو روق: هو عطية بن الحارث بن عبد الرحمن من أهل الكوفة، يروي عن إبراهيم التيمي، روى عنه: الثوري وعبد الواحد بن زياد لا بأس به، وذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة. انظر: الثقات لابن حبان (٧/ ٢٧٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤).

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (١/ ١٣٧).

معناه: فإذا أقبلوا إليه خاطبَهم بما يفهمون، فصار ذلك كالوسِيلة إلى الإبلاغ، إلَّا أنَّه لا بدَّ له من معنى يَعلمُه غيْرُهُم، أو يكون معلومًا عند الْمخاطَب[(١)]، فهذا الكلامُ يعمُّ جميعَ[(٢)] الحروف.

وقد خصَّ المفسِّرون قولَه: «الم» بخمسة أقوال:

أحدها: أنَّه مِنَ[(٣)] الْمتشابه الَّذي لا يعلَمُ معناه إلا اللهُ ﷻ، وقد سبق بيانُهُ.

والثَّاني: أَنَّ معناه: أَنا اللهُ أَعْلم. رواه أَبو الضُّحى[(٤)] عن ابْنِ عبَّاسٍ[(٥)]، وبه قال ابْنُ مسْعُودٍ، وسعيدُ بن جُبير.

والثَّالث: أنَّه قسَمٌ. رواه أبو صالحٍ عن ابْنِ عبَّاسٍ[(٦)]، وخالدٌ الحذَّاءُ عن عكرمة[(٧)].

والرَّابع: أنَّها حروفٌ مِنْ أسماءٍ.

---

(١) في (ت): المخاطبين.

(٢) في (ف): سائر.

(٣) ليست في (ف).

(٤) **أبو الضحى**: مسلم بن صبيح الكوفي العطار، مولى همدان، روى عن: ابن عباس، وجرير بن عبد الله، والنعمان بن بشير، روى عنه: منصور، والأعمش، وجماعة، وثقه أبو زرعة، وغيره، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، تاريخ الإسلام (٦/ ٥٢٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (٤٣) في تفسيرهما من طريق عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به.

(٦) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٣٠).

(٧) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (٥٢) في تفسيرهما.

ثم فِيها قوْلَان:

أَحدهما: أَنَّ الألفَ من «الله»، واللَّامَ من «جبريل»، والمِيمَ من «محمَّد»، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

فَإِنْ قِيل: إذا كان قد تُنُوِّلَ(١) من كلِّ اسْمٍ حرفُه الأَوَّلُ اكتفاءً به، فَلِمَ أُخذَتِ اللَّامُ مِنْ جبريل وهي آخِرُ الاسْم؟!.

فالجوابُ: أنَّ مبتدأَ القرآنِ مِنَ الله، فدلَّ على ذلك بابْتِداءِ أوَّلِ حرفٍ مِنِ اسْمِه، وجبريلُ انختم(٢) بِه التَّنْزيلُ والإقراءُ، فَتُنُوِّلَ(٣) مِنِ اسمه نهايةُ حروفِه، و«محمدٌ» مبتدأٌ في الإقْرَاءِ، فَتُنُوِّلَ(٤) أوَّلُ حروفِهِ.

والقول الثَّاني: أنَّ الألفَ مِنَ «الله»، واللَّامَ من «لطيفٍ»، والمِيمَ منْ «مجيد» قالَهُ أبو العاليةِ.

والخامس: أنَّه اسْمٌ من أسماءِ القُرآن، قالَه مجاهدٌ، والشَّعْبي، وقتادةُ، وابْنُ جريج.

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ فيه قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه يعنى(٥) هذا، وهو قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، ومجاهدٍ، وعكرمةَ،

---

(١) في الأصل: (يتول)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في الأصل: ليختم، والمثبت من (ت)، و(ف).

(٣) في الأصل: (فيتول)، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في الأصل: (فيتول)، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ت)، و(ف): بمعنى.

والكِسَائِيِّ، وأبي[(١)] عُبيدةَ، والأخْفَشِ[(٢)]. واحتَجَّ بعضُهم بقوْل خُفَافِ بْنِ نَدْبَةَ[(٣)] [من الطويل]:

[٥/أ] أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطُرُ[(٤)] مَتْنَهُ   تَأَمَّلْ[(٥)] خُفَافًا إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا

أي: أنَا هذَا.

وقال[(٦)] ابْنُ الأنْبَاري: إنما أرَاد: أنا ذلِك الَّذي تَعْرِفُه.

والثَّاني: أنَّهَا إشارةٌ إِلى غَائبٍ.

ثم فيه ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّه أرادَ بِه ما تقدَّم إنْزالُه عليه مِنَ القرآن.

والثَّاني: أنَّه أرَادَ به ما وعدَهُ أن يُوحيَه[(٧)] إليه في قولِهِ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

---

(١) في الأصل: أبو، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٢٨-٢٢٩)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (ص: ٢٨)، معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٠)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٦٦).

(٣) خفاف بن ندبة السلمي شهد فتح مكة وهو ابن عم الخنساء. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٣٣٠)، والكامل؛ لابن المبرد (٣/ ١٦٧)، والعقد الفريد (٦/ ٣٠).

(٤) في الأصل: باطن، والمثبت من (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م)

(٥) في (ف): تبين.

(٦) في (ف): قال.

(٧) في (ت): يُوجبَه.

والثَّالِثُ: أنَّه أرَاد بذلِك مَا وُعِدَ به أهْلُ الكُتُبِ السَّالفةِ؛ لأنَّهُم وُعِدُوا بنبيٍّ وكِتَابٍ(١).

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: القرآنُ. وسُمي كتابًا؛ لأنَّه جُمِع بعْضُه إلى بعضٍ، ومنه الكَتِيبةُ سُمِّيت(٢) بذلك لاجْتِماعِ بعضِها إلى بعْضٍ، ومنْه: كَتَبْتُ البَغْلَةَ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

الرَّيبُ: الشَّكُّ. والهُدى: الإِرشادُ. والمُتَّقون: المُحْتَرِزُونَ(٤) مما اتَّقوهُ.

وفرَّق شيخُنا عليُّ بْنُ عُبيد الله(٥) بين التَّقوى والورَع، فقَال: التقْوَى: أَخْذُ(٦) عُدَّةٍ، والورَعُ: دفْعُ شُبْهةٍ، فالتَّقوَى: مُتحقِقُ السَّببِ، والورَعُ: مظنونُ المُسَبَّبِ(٧).

واخْتَلفَ العُلماءُ في معْنى هذه الآيةِ على ثَلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّ ظاهرَها النَّفيُ، ومعناهَا النهيُ(٨)، وتقديرُها: لا ينْبغي

---

(١) ليست في (ر)، و(ت).

(٢) في (ج): ومنه سميت الكتيبة.

(٣) قوله: «ومنه كتبت البغلة» ليس في (ف). ومعناها: إذا جمعتُ بين شُفْرَيْ رحمها بحلقةٍ أو سيرٍ. انظر: غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٣٧).

(٤) في (ج): المحرزون. وفي (ف): المُتَحَرِّزونَ.

(٥) في (ف): عبد الله.

(٦) في (ت): أخذه. وفي (ج): أشد.

(٧) في (ف): السبب.

(٨) بياض في (ج).

لأحـدٍ أن يرتـابَ بـه[(١)]؛ لإتْقانِـه وإحْكَامِـه؛ ومثلُـه: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[(٢)] [يوسـف: ٣٨]؛ أي[(٣)]: مـا ينْبَغِـي لنـا؛ ومثلُـه: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾[البقـرة: ١٩٧]، وهـذا مذهـبُ الخليـلِ، وابـنِ الأنْبـاري[(٤)].

والثَّاني: أنَّ معْنَاها: «لا رَيْبَ فِيه» أنَّه هدًى للمُتَّقِين. قالَهُ المُبرِّد[(٥)].

والثَّالث: أنَّ معناها: «لا رَيْبَ فِيه» أنَّه مِنْ عنْدِ الله، قالَهُ مُقاتِلٌ في آخِرينَ.

فإنْ قِيل: فقدِ ارْتَابَ بِه قوْمٌ؟.

فالجـوابُ: أنَّـه حـقٌّ في نفسِـه، فمَـنْ حقَّـقَ النَّظـرَ فيـه عَلِـمَ، [قَال الشَّـاعرُ [مـن الخفيـف]:

لَيْـسَ فِي الحَـقِّ يَـا أُمَامَـةَ رَيْـبٌ إِنَّـمَا الرَّيْـبُ مَـا يَقُـولُ الكَـذُوبُ][(٦)]

فإنْ قِيل: فالمُتَّقي مهتدٍ، فما فائدةُ اخْتِصَاص الهِدَايةِ به؟.

فالجوابُ مِنْ وجْهَيْن:

---

(١) في (ف): فيه.

(٢) من قوله: «لأحد أن يرتاب»... إلى هنا ليس في (ر).

(٣) في (ر): إلا.

(٤) الجمل في النحو؛ للخليل بن أحمد (ص: ٣٢٠- ٣٢١).

(٥) المقتضب (٤/ ٣٥٩).

(٦) زيـادة مـن (ج)، والمطبـوع. والبيـت في تفسـير الوسـيط؛ للواحـدي (١/ ٧٨) بـلا نسـبة، وفي السـيوطي في الـدر المنثـور (١/ ٣٤) إلى ابـن الزِّبعـري.

أحدهما: أنَّه أراد المُتَّقين والكافرين، فاكْتَفى بذكْرِ أحدِ الفريقَيْنِ؛ كقوْلِه: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل: ٨١]، أراد: والبرْدَ.

والثَّاني: أنَّه خصَّ المْتقين لانْتِفَاعِهم به؛ كقوْلِه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[النازعات: ٤٥]، وكان مُنذرًا لِمَن يخشى ولِمَن لا يخشى.

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾.

الإيمانُ في اللُّغة: التَّصْديقُ، والشَّرعُ أقرَّه على ذلِك، وزَادَ فيه القَوْلَ[١] والعَمَلَ.

وأصْل الغيبِ: المْكانُ المطمئنُّ الَّذي يُستَترُ فيه لِنُزولِه عمَّا حوْلَه، فسُمي كلُّ مستترٍ: غيبًا.

وفي المْراد بالغيْبِ هَاهُنا ستَّةُ أقوْالٍ:

أحدها: أنَّه الوحيُ. قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جريج.

والثَّاني: القرآنُ. قالَه[٢] أبو رَزين العُقيليُّ، وزرُّ بن حُبيْشٍ[٣].

والثَّالث: اللهُ عَجَّلَ. قالَه عطَاءٌ، وسعيدُ بْنُ جُبير.

---

(١) بياض في (م).

(٢) في (ر): أنه.

(٣) هو زر بن حبيش بن حباشة أبو مريم، ويقال: أبو مطرف الأسدي الكوفي، أحد الأعلام. عرض على عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. عرض عليه عاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش وغيرهما. مات سنة (٨٢هـ)، طبقات القراء؛ لابن الجزري (١/ ٢٩٤).

والرَّابع: ما غابَ عنِ العبادِ مِن أمْرِ الجنَّةِ والنَّارِ، ونحوِ ذلِك مما ذُكِرَ في القرآن. رواه السُّدِّي عن أشياخِه[1]، وإليه ذهبَ أبو العاليةِ، وقتادَةُ.

والخامِس: أنَّه قدَرُ اللهِ عَجَّلَ، قالَه الزُّهري.

والسَّادس: أنَّه الإيمانُ بالرَّسول في حقِّ من لم يرَهُ[2]. قالَ عمرُو بن [مُرَّةَ][3]: قَال أصحابُ عبدِ الله لَه: طُوبى لكَ، جاهدتَ معَ رسولِ الله ﷺ، وجالسْتَه. فقَال: إنَّ شأنَ رسولِ الله ﷺ كان مُبينًا[4] لِمَن رآه، ولكنْ أَعْجبُ مِن ذلك قومٌ يَجِدُون كتابًا مكتوبًا يُؤمنون به ولم يرَوْهُ، ثم قَرأَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[5].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

الصَّلاةُ في اللُّغة: الدُّعاءُ. وفي الشَّريعَةِ: أفعالٌ وأقْوالٌ على صِفَاتٍ مخصُوصةٍ.

وفي تسْمِيتِهَا بالصَّلاة ثلاثَةُ أقْوالٍ: [٥/ب]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٢٤١-٢٤٤،٢٠/ ٢١٩)، و ابن أبي حاتم (٦٨) في تفسيرهما.

(٢) بياض بمقدار الكلمة في (م).

(٣) في الأصل: مسرة، والمثبت من (ت)، و(ج).

(٤) بياض بقدار الكلمة في (م).

(٥) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٥٤٤).

أحدها: أنها سُمِّيت بذلك لِرَفْعِ[١] الصَّلَا[٢]، وهو مَغْرِزُ الذَّنَبِ مِنَ الْفَرَسِ[٣].

والثَّاني: أَنَّهَا مِنْ صَلَيْتُ العُودَ؛ إذَا[٤] لَيَّنْتَهُ، فالْمصَلِّي يَلِين ويَخْشَعُ.

والثَّالث: أنَّهَا مبْنِيَّةٌ على السُّؤَالِ والدُّعَاءِ، والصَّلاةُ في اللُّغَة: الدُّعاءُ، وهي في[٥] هذَا المَكانِ اسْمُ جِنْسٍ. قال مُقاتِلٌ: أرادَ بها هَاهُنا: الصَّلَواتُ الْخمسُ[٦].

وفي معْنَى إقَامتِهَا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّه تَمامُ فعلِهَا على الوَجْه المَأمُورِ بِه، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٧]، ومجاهدٍ.

والثَّاني: أنَّه الْمحافظةُ على مواقيتِهَا ووضُوئِها وركوعِها وسجودِهَا، قالَهُ قتَادَة، ومُقاتلٌ[٨].

(١) أي: في الركوع.

(٢) في (ج): المصلا.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢١٥).

(٤) في المطبوع: أي.

(٥) في (ف): وفي.

(٦) تفسير مقاتل (١/ ٨١).

(٧) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٢٤٧-٢٤٨)، وابن أبي حاتم (٧٤) في تفسيرهما.

(٨) مقاتل بن سليمان أبو الحسن البلخي صاحب التفسير، روى عن: مجاهد والضحاك، وعنه: بقية، وعلي بن الجعد وغيرهم، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان=

والثَّالث: أنَّه[1] إدامتُها، والعَرَبُ تقُولُ في الشَّيْءِ الرَّاتِبِ[2]: قائِمٌ[3]، وفُلَانٌ يُقِيمُ أرزاقَ الجندِ، قالَهُ ابْنُ كَيْسَانَ[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾؛ أي: أعْطَيْناهُم ﴿يُنفِقُونَ﴾؛ أي: يُخرِجُون. وأصْلُ الإِنْفاقِ الإِخْراجُ. يُقال: نَفَقتِ الدَّابَّةُ: إذا خَرَجتْ روحُها.

وفي المْراد بهذه النَّفقةِ أرْبعةُ أقْوَالٍ:

أَحَدُها: أنَّها النَّفَقةُ على الأَهْلِ والعيَالِ، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ، وحذيْفَةُ.

والثَّاني: أنَّها الزَّكاةُ المفْرُوضةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وقتَادةُ[5].

والثَّالث[6]: أنَّها الصَّدقَاتُ النَّوافلُ، قالَه مجاهدٌ والضَّحاكُ.

والرَّابع: أنَّها النَّفقةُ التي كانتْ واجِبةً قبْلَ وجوبِ الزكاةِ، ذكَرَه

=ثقة، أثنى عليه الشافعي، واتهمه آخرون بالوضع، توفي سنة: (١٥٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام ت تدمري (٩/ ٦٣٩).

(١) ليست في (ت).

(٢) بياض بمقدار الكلمة في (ج).

(٣) في (ف): قائمًا.

(٤) انظر: أحكام القرآن؛ للجصاص (١/ ٢٨). وابن كيسان: هو محمد بن أحمد بن كيسان أبوالحسن النحوى، أحد المذكورين بالعلم الموصوفين بالفهم، وكان يحفظ مذهب البصريين فى النحو والكوفيين؛ لأنه أخذ عن المبرّد وثعلب. وله مصنفات مشهورة في اللغة والنحو توفي سنة (٢٩٩هـ). انظر: إنباه الرواة (٣/ ٥٧).

(٥) سقطت من (ر)، و(ت).

(٦) في (ر)، و(ت): الثاني.

بعْضُ المُفسِّرينَ، وقالوا: إنَّه كان[١] فرضاً على الرَّجُل أن يُمْسِكَ مِمَّا في يدِه مِقْدارَ كفايتِهِ يومَهُ وليْلتَهُ. ويُفرِّقَ باقِيَه على الفُقَراء. فعَلَى قوْلِ هؤلَاءِ الآيةُ منْسوخةٌ بآيةِ الزَّكاةِ[٢]، وغَيْرُ هذا القول أثبتُ.

واعْلَم أنَّ الحكمةَ في الجمْعِ بيْنَ الإِيمانِ بالغيْبِ -وهو عقدُ القَلْبِ- وبيْنَ الصَّلاة -وهِيَ فعْلُ البدَن- وبين الصَّدقةِ -وهو تَكْليفٌ يتعلَّقُ بالمَال-: أنَّه ليس في التَّكليفِ قسْمٌ رابِعٌ؛ إذْ[٣] ما عدَا هذه الأقْسَام فهُوَ مُمتَزِجٌ بيْنَ اثْنَين منهما، كالحجِّ والصَّوم ونحوِهِمَا.

قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

اخْتَلَفُوا فيمَن نَزَلتْ علَى قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّها نزَلَتْ في عبْدِ الله بْنِ سلَامٍ وأصْحَابِه، رواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتَارَهُ[٤] مُقاتِلٌ[٥].

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ في العَرَبِ الَّذين آمنُوا بالنَّبِيِّ ﷺ، وَبِمَا أُنزل

---

(١) من قوله: «واجبة قبل وجوب الزكاة»... إلى هنا ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٨١).

(٣) في (ف): إذا.

(٤) في (ج): أجازه.

(٥) رواه مقاتل في تفسيره (١/ ٢٩).

إليـه[١]، ومـا[٢] أُنْـزِل [مِـن][٣] قبلِـه، رَوَاه أبـو صَالـح[٤] عَـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

قَال المفسِّرون: الَّذي أُنزل إليه القرْآنُ.

وقَالَ شيْخُنا عليُّ بْنُ عُبيد الله: القرآنُ وغَيْرُهُ مِمَّا أُوحي إليه[٥].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعْنِي: الكُتبَ المتقدِّمةَ والوحيَ.

فأمَّـا «الآخِـرَةُ»: فهـي اسْـمٌ لِـمَا بعـد الدُّنْيـا، وسُـمِّيتْ آخِـرَةً؛ لأنَّ الدُّنيـا قـد تقدَّمتْهـا. وقيـل: سُمِّيتْ آخـرةً؛ لأنَّهَـا نهايـةُ الأَمْـرِ.

قَوْلُـهُ: ﴿يُوقِنُونَ﴾. **اليقِـينُ:** مَـا حصَلـتْ بـه الثِّقـةُ، وثلَـجَ بـه الصَّـدْرُ، وهـو أبْلَـغُ عِلْـمٍ مُكتَسَـبٍ.

قَوْلُـهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾؛ أي: عـلَى رشَـادٍ. وقـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: عـلَى نـورٍ واسـتقامَةٍ[٦].

---

(١) قوله: «وما أنزل إليه» ليس في المطبوع.

(٢) في (ف): وبما.

(٣) من (ج).

(٤) أبـو صالـح: هـو بـاذام، ويقـال: بـاذان مـولى أم هانـئ، روى عـن مولاتـه وأخيهـا عـلي بـن أبي طالـب، وأبي هريـرة، وعنـه: أبـو قلابـة، والأعمـش، ومحمـد بـن السـائب الكلبـي، وغيرهـم، قـال ابـن معـين: ليـس بـه بـأس، وإذا حـدث عنـه الكلبـي فليـس بـشيء، وقـال يحيـى القطـان: لم أر أحـدًا مـن أصحابنـا تركـه، وقـال النسـائي: ليـس بثقـة، تـوفي سـنة: (١٢٠هـ). انظـر: تاريـخ الإسـلام (٧/ ٣٢٥).

(٥) في (ر)، و(ت): قال المفسرون: وغيره ما أوحي إليه، وفي (ت) جاءت مما، بدلًا من ما.

(٦) رواه ابـن جريـر الطـبري (١/ ٢٥٦)، وابـن أبي حاتـم (٨٤) في تفسـيرهما مـن طريـق سـعيد بـن جبـير، عـن ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بنحـوه.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: «**الْمُفْلِحُونَ**»: الفَائِزُونَ(١) بِبَقَاءِ الْأَبَدِ(٢). وأَصْلُ الفَلَاحِ: البقَاءُ. ويشْهَدُ لهذا قَوْلُ لَبِيدٍ(٣) [من الطويل]:

نَحُلُّ بِلَادًا، كُلُّهَا حُلَّ قَبْلَنَا وَنَرْجُو الْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمْيَرِ

يُريد: البقاءَ، وقالَ الزَّجَّاجُ: الْمُفلحُ: الفَائِزُ بِمَا فيه غَايةُ(٤) صَلَاحِ حالِهِ(٥).

قَالَ ابْنُ الأنْبَارِيُّ: ومنه: حيَّ على الفَلَاحِ، معناه: هَلُمُّوا إلى سَبَبِ(٦) الفوزِ ودخُولِ الجنَّةِ(٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٦، ٨].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

---

(١) في (ج): الصابرين.

(٢) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤١).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٤٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٠٦)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٣٩)، وتفسير الطبري (١/ ١٠٨)، يرثي من هلك من قومه.

(٤) في (ف): عامة.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٣).

(٦) في (ج)، والمطبوع: سبيل.

(٧) الزاهر في معانى كلمات الناس (١/ ٣٨).

في نُزُولها أَرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّهَا نزلَتْ في قَادَةِ الأَحْزَابِ، قَالَهُ أبو العَالِيَة(١).

والثَّاني: أنَّهَا نَزلَتْ في أبي جهْلٍ وخمسةٍ مِنْ أهْلِ بَيْتِه، قَالَهُ الضَّحاكُ(٢). [٦/أ]

والثَّالثُ: أنَّهَا نَزَلَتْ في طَائِفَةٍ مِنَ اليهُودِ، ومنْهُم حُيَيُّ بْنَ أخْطَبَ، قالَهُ ابْنُ السَّائِب(٣).

والرَّابِعُ: أنَّهَا نَزَلَتْ في مُشْرِكِي العَرَبِ، كأَبِي جهْلٍ وأَبِي طالبٍ وأَبِي لَهَبٍ وغيْرِهِم مِمَّن لم يُسْلم، قالَهُ مُقاتِلٌ(٤).

فأمَّا تفْسِيرُهَا:

فالكُفْرُ في اللُّغةِ: التَّغطِيَةُ، تقُول: كَفَرْتُ الشَّيْءَ؛ إذَا غطَّيْتَهُ، فسُمِّي الكافرُ كافرًا؛ لأنَّه يُغطِّي الحقَّ.

قَوْلُهُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: مُتعادِلٌ عندَهُم الإنْذارُ وترْكُه. والإنْذارُ: إعْلامٌ معَ تخْويفٍ، وتناذَرَ بنُو فُلانٍ هذَا الأَمرَ: إذا خوَّفَهُ بعضُهم بعضًا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٣)، وانظر: العجاب (١/ ٢٣١).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٤)، وانظر: العجاب (١/ ٢٢٩).

(٣) انظر: العجاب (١/ ٢٢٩). وابن السائب: هو محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو أبو النضر الكلبي الكوفي الأخباري العلامة صاحب التفسير. روى عن الشعبي وأبي صالح باذام وأصبغ بن نباتة وطائفة. انظر: تاريخ الإسلام (٩/ ٢٦٧).

(٤) رواه مقاتل في تفسيره (١/ ٣٢).

قال شيخُنا عَليُّ بْنُ عُبيدِ اللهِ: وهذه الآيةُ[١] ورَدَتْ بلَفْظ الْعُموم، والْمرادُ بِهَا الخُصوصُ؛ لأَنَّها آذنَتْ بأنَّ الكَافِرَ حين إنْذارِهِ لا يُؤمِنُ، وقد آمَنَ كثِيرٌ مِنَ الكُفَّارِ عنْدَ إنْذارِهِم، ولو كانَتْ علَى ظاهِرِهَا في العُمومِ، لكَان خبرُ الله [لَهُم][٢] خِلافَ[٣] مخبرِهِ، ولِذلِكَ وجَب نقْلُها إلى الخُصوصِ.

قَوْلُهُ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

الْخَتْمُ: الطَّبْعُ. والقَلْبُ: قِطعَةٌ مِنْ دَمٍ جَامِدةٌ سَوْدَاءُ. وهو مُستكِنٌ في الفُؤاد، وهو بيْتُ النَّفْس، ومسْكَنُ العقْلِ، وسُمِّي قلْبًا لِتقلُّبه. وقِيل: لأنَّه خالصُ البَدَنِ، وإنَّما خصَّه بالختْمِ؛ لأنَّه محلُّ الفَهْمِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾.

يُريد: علَى أسْماعِهم، فذكرَهُ بلفْظِ التَّوْحيدِ، ومعْنَاه: الجمْعُ، [فاكْتَفَى بالوَاحِدِ عَنِ الْجَمِيعِ][٤]، ونظِيرُهُ قوْلُه تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]، وأنْشَدُوا في ذلِك[٥] [من الوافر]:

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج).

(٣) في (ف): بخلاف.

(٤) من المطبوع، و(ج).

(٥) البيت بلا نسبة في الكتاب (١/ ٢١٠)، والمقتضب (٢/ ١٧٥)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٣٧٤)، والصاحبي؛ لابن فارس (ص: ١٦١)، وشرح المفصل (٥/ ٨)، الخمص والمخمصة: الجوع.

كُلُوا فِي نِصْفِ[١] بَطْنِكُم تَعِيْشُوا[٢] فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ

أي: في أنْصَافِ بُطونِكم، ذكَرَ هذا القولَ أبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ[٣].

وفيه وجْهٌ آخَرُ: وهو أنَّ العَربَ تذْهَبُ بالسَّمع مذهبَ المْصْدَرِ، والمْصْدَرُ يُوحَّدُ، فتقُول[٤]: يُعجبُني حديثُكُم، يُعجبُني ضَرْبُكُم[٥]. فأمَّا البصرُ والقلْبُ فهُمَا اسْمَان لَا يَجْرِيَانِ مُجْرى المَصَادِرِ في مثْلِ هذا المَعْنى. ذكَرَهُ الزَّجَّاجُ[٦]، وابْنُ القَاسِم[٧].

وقد قرَأَ عمرُو بْنُ العَاصِ، وابْنُ أَبِي عَبْلَةَ[٨]: «**وَعَلَى أَسْمَاعِهِم**»[٩].

قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾.

---

(١) كتب ناسخ النسخة (ف)أعلى الكلمة: «بعض»؛ إشارة أنها نسخة.

(٢) كتب ناسخ النسخة (ف) أعلى الكلمة: «تعفوا»؛ إشارة أنها نسخة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٨٢).

(٤) في (ف): تقول.

(٥) في (ف): صَوْتُكم.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٨٣)، وانظر: التفسير البسيط (١/ ٣٢١-٢/ ١١٥).

(٧) أي: الأنباري، وانظر: التفسير البسيط (١/ ٣٢١-٢/ ١١٥).

(٨) في (ر): ابن عبلة، وفي (ف): علية. وهو إبراهيم بن أبي عبلة واسمه شمر بن يقظان الشامي الدمشقي ثقة كبير تابعي، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة في صحة إسنادها إليه نظر، توفي سنة إحدى، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٩).

(٩) مختصر الشواذ (ص: ١٠)، و تفسير الثعلبي (١/ ١٥١).

والغِشَاوةُ: الغِطَاءُ. قالَ الفرَّاءُ: أمَّا قريشٌ وعامَّةُ العَربِ، فيكسِرُونَ الغَينَ مِن «غِشَاوةٍ»، وعُكْلٌ يَضُمُّونَ الغَيْنَ، وبعْضُ العَرَبِ يفتَحُها، وأظنُّها لربيعَةَ[(١)].

وروى المُفضَّلُ[(٢)] عن عاصِمٍ: «غِشَاوَةً» بالنَّصْبِ[(٣)] على تقْدِير: وجعَلَ علَى أبصارِهِم غِشَاوةً.

فأمَّا «العَذابُ»: فهُو الألَمُ المُستمِرُّ، ومَاءٌ عَذْبٌ: إذَا اسْتمرَّ[(٤)] في الحَلقِ سَائغًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

اخْتَلفوا فيمَنْ نزَلَتْ علَى قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّها في المُنافقين، ذكرَهُ السُّدِّيُّ عَنِ ابْنِ مسْعُودٍ[(٥)]، وابْنِ عبَّاسٍ[(٦)]، وبِهِ قَالَ أبو العَاليةِ[(٧)]، وقَتَادةُ[(٨)]، وابْنُ زيْدٍ[(٩)].

---

(١) لغات القرآن (ص: ١٣).

(٢) أي: الضَّبِّي، هو المفضل بن محمد المقرئ أبو محمد الضبي الكوفي، إمام مقرئ نحوي أخباري موثق، أخذ القراءة عرضا عن عاصم بن أبي النجود والأعمش، روى القراءة عنه الكسائي توفي سنة ثمان وستين ومائة، انظر غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٠٧).

(٣) السَّبعة؛ لابن مجاهد (١/ ١٤٠)، الكامل للهذلي (ص: ٤٨٠)، جامع البيان؛ للداني (٢/ ٨٣٦)، وليست من طرق التيسير.

(٤) في (ج): مستمر، بدلاً من قوله: إذا استمر.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٢٧٣).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٢٦٩).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٤٢).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢٧٠).

(٩) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٧٠)، وابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم=

والثَّانِي: أنَّهَا في مُنافِقِي أهْلِ الكِتَابِ. رَواه أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)]. وقَالَ ابْنُ سِيرين: كانوا يَتخوَّفُون مِنْ هذه الآيَةِ[(٢)]. وقَال قَتَادَةُ: هذه الآيةُ نعتُ المْنافقِ؛ يَعْرِفُ بلِسَانِه، ويُنْكر بقلْبه، ويُصدِّقُ بلِسَانِه، ويُخالِفُ بعَمَلِه، ويُصبحُ على حالٍ، ويُمسِي[(٣)] على غيْرِها، ويتكفَّأ تكفُّؤَ السَّفينَة، كلَّما هبَّتْ ريحٌ هبَّ معَهَا[(٤)].

قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ٩، ١٢].

قَوْلُهُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كان عبدُ الله بْنُ أُبيٍّ، ومُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ، والجَدُّ بْنُ قيْسٍ إذَا لقُوا الَّذين آمنُوا قالُوا: آمنَّا، ونَشْهدُ أنَّ صاحِبكم صادِقٌ، فإذَا خلُوا لم يكُونُوا كذلِكَ، فنزلتْ هذه الآيةُ[(٥)]. [٦/ب]

=العدوي العمري المدني، روى عن: أبيه، وصفوان بن سليم، وابن حازم، وعنه: ابن وهب، والقعنبي، وأبو مصعب، وهشام بن عمار، وخلق، تُوفِّي سنَة (١٨٢هـ). تاريخ الإسلام (١٢/ ٢٥٨).

(١) أورده أبو حفص الحنبلي في اللباب (١/ ٣٣٢).

(٢) ذكره ابن رجب في الفتح (١/ ١٧٨)، والسيوطي في الإتقان (٦٠٢٥).

(٣) في (ر)، و(ت): ويمشي.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨).

(٥) أسباب النزول للواحدي (ص: ١٤) بنحوه، والعجاب (١/ ٢٣٦).

فأمَّا التَّفْسير:

فالخديعَـةُ: الحيلَـةُ والمْكـرُ، وسُـمِّيتْ خديعـةً؛ لأنَّهـا تكـونُ في خفَـاءٍ. والمْخْـدَعُ[1]: بيْـتٌ داخِـلَ البيْـتِ تختَفِـي فِيـه المَـرْأةُ، ورَجُـلٌ خـادِعٌ: إذَا فعَـلَ الخَدِيعـةَ، سـواءٌ حصَـلَ مقْصُـودُه أوْ لم يحصُـلْ، فـإذا حصَـلَ مقْصُـودُه؛ قِيـلَ: قـد خـدَعَ. وانْخَـدَعَ الرَّجُـلُ: اسْـتَجَابَ للخَـادِعِ، سـواءٌ تعمَّـدَ الاِسْـتِجابَةَ أوْ لم يقصِدْهَـا، والعَـرَبُ تُسـمِّي الدَّهْـرَ خَدَّاعًـا؛ لتلوُّنِـه بـما يُخْفِيـه مـن خـيرٍ وشَرٍّ.

وفي معْنَى خدَاعِهِم للهِ خَمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدهـا: أنَّهُـم كانُـوا يُخادِعـون المْؤْمِنـين، فكأنَّهُـم خَادَعُـوا اللهَ[2]، رُوِي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، واخْتَـارَهُ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ[3].

والثَّـاني: أنَّهُـم كانـوا يُخادِعـون نَبِـيَّ اللهِ، فأقـامَ اللهُ نبيَّـهُ مُقامَـه؛ كـما قَـال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[الفتـح: ١٠]، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[4].

والثَّالِثُ: أنَّ الخَادِعَ عنْدَ العَرَبِ: الفَاسِدُ.

وأنْشَدَ[5] [من الرمل]:

---

(١) فيـه ثـلاثُ لغـاتٍ: مَخْدَعٌ، بفتـح الميـم، كـما تنطـقُ بـه العامـةُ. ومِخْدَعٌ، بكسرِهـا. ومُخْدَعٌ، بضـم الميـم. انظـر: المدخـل إلى تقويـم اللسـان؛ لابـن هشـام اللخمـي (ص: ١٨٢)، والمصبـاح المنـير (١/ ١٦٥).

(٢) ليست في (ر).

(٣) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٢).

(٥) البيـت لسـويد بـن أبي كاهـل في تفسـير الثعلبـي (١/ ١٥٢)، والحجـة للقـراء السـبعة=

. . . . طَيِّـبُ الرِّيـقِ إِذَا الرِّيـقُ خَـدَعْ

أي: فسَد. رَوَاه مُحَمَّدُ بْنُ القَاسِم، عَنْ ثعْلَبٍ، عَنِ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ[1].

قال ابْنُ القَاسِم: فتَأْوِيلُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: يُفْسِدونَ مَا يُظْهِرونَ مِنَ الإيمَانِ بِمَا يُضْمِرونَ مِنَ الكُفْرِ[2].

والرَّابع: أنَّهُم كانوا يفعَلُون في دينِ اللهِ ما لَوْ فعَلُوه بينَهُم كان خِدَاعًا.

والخَامِس: أنَّهُم كانُوا يُخفُونَ كفرَهُم باللهِ، ويُظْهِرُونَ الإيمانَ به.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ[3] إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾.

قرأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو: «وَمَا يُخَادِعُونَ». وقَرَأَ الكُوفيُّون، وابْنُ عامرٍ: «يَخْدَعُونَ»[4]، والمْعْنى: أنَّ وبَالَ ذلِك الخِدَاعِ عَائِدٌ[5] علَيْهِم.

=(١/ ٣١٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٦١)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ١٣٤)، يصف ثغر امْرأةٍ، وصدره: أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ.

(١) الزاهر في معاني كلام الناس (٢/ ٢٨٤)، والمخصص؛ لابن سيده (١/ ٢٨٩)، والأسماء والصفات؛ للبيهقي (٢/ ٤٣٩).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨٤).

(٣) في (ف): يخادعون.

(٤) معاني القراءات؛ لأبي منصور الأزهري (١/ ١٣٣)، والحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٣)، والمبسوط؛ لأبي بكر النيسابوري (١/ ١٢٧)، والمراد بالكوفيين: عاصم وحمزة والكسائي وخلف.

(٥) ليست في (ر)، و(ت).

ومتى يعُودُ وبَالُ خداعِهِم علَيْهِم؟ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: في دارِ الدُّنيا، وذلِك بطَريقَيْنِ:

أحدهما: بالِاسْتدرَاجِ والإِمْهَالِ الَّذي يزِيدُهُم عذابًا.

والثَّاني: باطِّلاع النَّبيِّ والمْؤمِنين علَى أحْوَالِهِم الَّتي أَسَرُّوهَا.

والقَوْلُ الثَّاني: أنَّ عوْدَ الخِدَاعِ علَيْهِم في الآخِرَة. وفي ذلِك قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يعودُ علَيْهِم عنْدَ ضرْبِ الحِجَابِ بيْنَهُم وبيْنَ المْؤمِنين، وذلِك قوْلُه: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾... الآية [الحديد: ١٣].

والثَّاني: أنَّهُ يعُودُ علَيْهِم عنْدَ اطِّلَاعِ أهْلِ الجنَّةِ علَيْهِم، فَإذَا رَأَوْهُم طمِعُوا في نيْلِ راحةٍ مِن قِبَلِهِم، فقَالُوا: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾، فيُجِيبُونَهُم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أَي: ومَا يعْلَمُونَ.

وفي الَّذِي لَمْ يشْعُروا بِهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه إِطلاعُ اللهِ نبِيَّهُ على كَذِبِهِم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أَنَّه إِضرَارُهُم بأَنْفُسِهم بكُفرِهِم، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

قَوْلُهُ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

المَرضُ [هَاهُنَا][1]: الشَّكُّ، قالَهُ عكرِمَةُ، وقتَادَةُ.

---

(١) من (ت)، و(م)، و(ف).

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾: إخْبَارٌ مِنَ اللهِ عَجَّلَ أَنَّه فعَلَ بِهِم ذلِك. و«الْأَلِيمُ» بمعْنَى الْمُؤْلِمِ.

والجمْهُور يقرَؤُون: «يُكَذِّبُونَ» بالتَّشْديدِ، وقَرَأَ الكُوفيُّونَ سِوى أَبَانَ عَنْ عَاصِمٍ بالتَّخْفيفِ معَ فتْحِ اليَاءِ[1].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

اخْتلفُوا فيمَن نَزلَتْ علَى قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّها نزلَتْ في الْمنافقِين الَّذِين كانُوا علَى عهْدِ رسُولِ اللهِ ﷺ، وهو قولُ الجمْهُور، منْهُم ابْنُ عبَّاسٍ[2]، ومُجاهِدٌ[3].

والثَّاني: أنَّ المْرادَ بها قومٌ لم يكونُوا خُلِقُوا حين نُزُولِها، قالَه سَلْمانُ[4] الفَارِسِيُّ[5].

وكَان الكِسَائِيُّ يقْرَأُ بِضَمِّ القَافِ مِن «قِيلَ»، والحَاءِ مِن «حِيلَ»، والغَينِ مِن «غِيضَ»، والجيمِ مِن «جِيءَ»، والسِّينِ مِن[6] «سِيءَ» و«سِيئَتْ»[7].

---

(١) السبعة (ص: ١٤٣)، والحجة؛ للفارسي (١/ ٣٢٩)، والمبسوط (ص: ١٢٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢٩٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٢٤٥).

(٤) في (ر): سليمان.

(٥) أورده الحافظ في العجاب (١/ ٢٣٤) وقال: في سنده مقال.

(٦) زاد في (ج): سُيق.

(٧) السبعة (ص: ١٤٣)، والحجة؛ للفارسي (١/ ٣٤٠)، والمبسوط (ص: ١٢٧)، في (ر): شيء وسيئت.

[وكَان ابْــنُ عَامِــرٍ يضُــمُّ مِــن ذلِــك ثلاثَــةً[١]: «حِيــلَ»، وَ«سِــيقَ»[٢]، و«سِيءَ» وسِــيئَتْ.

وكَان نَافــعٌ يضُــمُّ «سِيءَ» وَ«سِــيئَتْ»[٣]، ويَكـسِرُ البَواقِــيَ[٤]، والأَكْثَــرُونَ[٥] يَكْــسِرُونَ جمِيــعَ ذلِــك.

وقَــال الفــرَّاءُ: أهْلُ الحِجـازِ مِـنْ قُرَيـشٍ ومَـنْ جَاوَرَهُـم[٦] مِـنْ بَنِـي كِنانَةَ يكْـسِرُونَ القَـافَ فِي «قِيـلَ»، وَ«جِـيءَ»[٧]، [وَ«حِيـلَ»][٨]، وَ«غِيـضَ»، وَكَثِـيرٌ مِــنْ [قَيْـسٍ، وبَنِـي][٩] عُقَيْـلٍ ومَــنْ جَاوَرَهُــم[١٠] وعامَّــةُ أسَـدٍ، يُشِـيرونَ إلى الضَّــمِّ مِـنْ «قِيـلَ» وَ«جِـيءَ»[١١].

وفِي المْرادِ بالفَسَادِ هَاهُنَا خَمْسةُ أقْوَالٍ:

---

(١) في (ف): ثلاثًا.

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ر): شيء وسئت.

(٤) السبعة (ص: ١٤٣)، والحجة؛ للفارسي (١/ ٣٤٠- ٣٤١)، والمبسوط (ص: ١٢٧).

(٥) في (ج): والآخرون.

(٦) في (ر): جاوزهم.

(٧) في (ر): وجدا.

(٨) من (م)، و(ف).

(٩) ما بين المعكوفين من (ج).

(١٠) في (ر): جاوزهم.

(١١) لغات القرآن (ص:١٤-٧٧)، وفي (ج)، و(م): من قيل وحيل، وفي (ف): من حيل.

أحدُها: أنَّه الكُفْرُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: العَملُ بالْمَعَاصِي، قالَه أَبُو العَالِية، ومُقاتِلٌ.

والثَّالث: أنَّه الكفرُ والمَعاصِي، قالَه السُّدِّي[١] عَنْ أشْيَاخِهِ.

والرَّابع: أنَّه تركُ امْتثالِ الأَوَامِرِ، واجْتِنَابِ النَّواهي، قالَهُ مُجاهدٌ.

والخامس: أنَّه النِّفَاقُ الَّذي صَافَوا[٢] بِه الكفَّارَ، وأَطْلَعُوهُم علَى أَسْرَارِ الْمؤمِنينَ، ذكَرَهُ شيْخُنا[٣] عليُّ بن عُبيدِ اللهِ.

قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فِيهِ خَمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاهُ إنْكارُ مَا قَرِفُوا[٤] بِه، وتقْديرُهُ: ما فعَلْنَا شيْئًا يُوجِبُ الفَسَادَ.

والثَّاني: أنَّ معْنَاه: إنَّا نقصِدُ الإصْلاحَ بين الْمسلِمين والكَافِرينَ، والقَوْلانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّهُم أرَادُوا أنَّ مُصافاةَ الكُفَّارِ صَلاحٌ لَا فسَادٌ، قالَهُ مُجاهدٌ، وقتادةُ.

والرَّابع: أنَّهم أرَادُوا أنَّ فِعْلَنَا هذَا هو الصَّلاحُ[٥]، وتَصْديقَ محمَّدٍ هو الفَسادُ، قالَهُ السُّدِّي[٦].

---

(١) تصحفت في (ف) إلى: السبي.

(٢) في المطبوع: صادفوا.

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ج): عرفوا. وفي (م): فرقوا. ضبطها في (ت) كما ضبطناه، وضبطها في (ف): قُرِفُوا.

(٥) في (ف): الإصْلاحُ.

(٦) تصحفت في (ف): إلى السبي.

والخامس: أنَّهُم ظنُّوا أنَّ مُصافاةَ الكُفَّار صلاحٌ في الدُّنْيا لا في الدِّينِ؛ لأنَّهُمُ اعْتَقدُوا[١] أنَّ الدَّولَةَ إنْ كانَتْ للنَّبيِّ ﷺ فقَدْ أَمِنُوهُ بِمُتَابعَتِه[٢]، وإنْ كانَتْ للكُفَّارِ فقد أَمِنُوهُم[٣] بمصافاتِهِم، ذكَرَهُ شيْخُنا.

قَوْلُهُ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: «أَلَا»: كلمةٌ يُبتدأُ بِهَا، يُنَبَّهُ بِهَا[٤] المُخاطَبُ، تدُلُّ على صِحَّة مَا بعْدَهَا. و«هُم»: تأكِيدٌ للكَلَامِ[٥].

وفي قوْلِه: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا يشْعُرونَ أَنَّ اللهَ يُطْلِعُ نبيَّهُ علَى فسَادِهِم.

والثَّاني: لا يشْعُرونَ أنَّ ما فعَلُوه فسَادٌ، لا صَلَاحٌ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٣، ١٤].

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟﴾ في المَقُول لهم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ اليهُودُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقَاتِلٌ.

---

(١) في (ر): اعتقدا.

(٢) في (ف): أَمِنُوا بمبايعته.

(٣) في (ف): أَمِنُوا.

(٤) قوله: «ينبه بها» ليس في (ج).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٨٨).

والثَّاني: المْنَافِقُون، قالَهُ مُجاهدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

وفي القَائِلين لَهُم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمْ أصْحابُ النَّبيِّ ﷺ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ولم يُعيِّن أحدًا مِنْ أصْحَابِه[1].

والثَّاني: أنَّهم مُعيَّنونَ، وهُم: سعدُ بْنُ مُعاذٍ، وأبُو لُبابةَ، وأُسَيدٌ[2]، ذكَرَه مُقاتِلٌ.

وفي [الإيمانِ الَّذي دُعوا إلَيْه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّصديقُ بالنَّبي، وهو قولُ مَنْ قَال: هُمُ اليهودُ.

والثَّانِي: أنَّه العَمَلُ بِمُقْتَضَى مَا أظْهَرُوه، وهو قوْلُ مَنْ قَال: هُمُ المْنافِقونَ.

وفي المْرادِ بالنَّاسِ هاهُنا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: جميعُ الصَّحابةِ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: عبدُ اللهِ بنُ سَلامٍ، ومَن أسْلَم معَهُ مِنَ اليهودِ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والثَّالث: مُعاذُ بْنُ جبَلٍ، وسَعْدُ بْنُ مُعاذٍ، وأُسَيْدُ[3] بْنُ حُضَيْرٍ، وجَماعةٌ مِنْ وُجوهِ الأنْصارِ، عدَّهمُ الكَلْبيُّ.

---

(١) في (ف): الصَّحابة.

(٢) في (ف): أسد.

(٣) في (ف): أسد.

وفِيمَنْ عَنَوْا بالسُّفهاء ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: جميعُ الصَّحابةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: النِّساءُ والصِّبْيَانُ، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: ابْنُ سَلامٍ وأصْحَابُه، قالَه مُقاتِلٌ.

وفِيما عَنَوْهُ[١] بالغَيْبِ من إيمانِ الَّذِينَ زَعَمُوا أنَّهُمُ السُّفَهاءُ ثَلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم أرَادُوا دينَ الإِسْلامِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّي[٢].

والثَّاني: أنَّهُم أرَادُوا البعْثَ والجزاءَ، قالَهُ مُجاهدٌ.

والثَّالث: أنَّهم عنَوْا مُكاشَفةَ الفَرِيقَيْنِ بالعَداوَةِ مِنْ غَيْرِ نظَرٍ في عَاقبةٍ، وهذَا الوَجْهُ والَّذِي قبْلَهُ يُخَرَّج علَى أنَّهُمُ المُنافِقونَ، والأَوَّل يُخَرَّج علَى أنَّهُمُ اليهُودُ.

قال ابْنُ قتيبةَ: و﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الجهَلَةُ، يُقالُ: سَفِهَ فُلانٌ رأْيَه؛ إذَا جَهِلَهُ، ومنْه قِيلَ للبَذَاء: سَفَهٌ؛ لأَنَّه جهْلٌ[٣].

قال الزَّجَّاج: وأصْلُ السَّفَهِ في اللُّغة: خِفَّةُ الحِلْمِ، ويُقال: ثَوْبٌ سَفِيهٌ؛ إذا كَان رَقِيقًا بَالِيًا، وَتَسَفَّهَتِ الرِّيحُ الشَّجَرَ: إذا مَالَتْ بِه[٤].

---

(١) في (ت): عنَوْا.

(٢) في (ف): السبي.

(٣) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤١)، ومن قوله: «ومنه قيل»... ليس في (ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٨٨).

قال الشَّاعِرُ[(١)] [من الطويل]:

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾.

قَالَ مُقَاتِلٌ: لَا يعْلَمُونَ أَنَّهُمْ هُمُ السُّفهاءُ[(٢)].

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

اخْتَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَتْ علَى قوْلَيْنِ:

أحدهما: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عبْدِ الله[(٣)] بْنِ أُبيّ وأَصْحَابِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[(٤)].

والثَّاني: أنَّهَا نزَلَتْ في الْمنَافِقِينَ وغيرِهِم مِنْ أهْلِ الكِتَابِ الَّذِين كانُوا يُظهِرُونَ للنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ مَا يَلْقَوْنَ رؤَسَاءَهُم بضِدِّه، قالَهُ الحسَنُ.

فأمَّا التَّفْسِير:

فـ﴿إِلَىٰ﴾: بمعْنَى «مَعَ»؛ [كقَوْلِه تعَالى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

---

(١) البيت لذي الرمة في الكتاب لسيبويه (١/ ٥٢)، الكامل (٢/ ١٠٥)، الأصول في النحو (٢/ ٧٢)، الخصائص (٢/ ٤١٧)، تهذيب اللغة (١/ ٨١)، والمخصص (٥/ ١٨٢)، وهو يصف فيه نساء فشبه مشيهن باهتزاز الرماح التي تميلها نواسم الرياح، وتسفهت الريح الأشجار: أمالتها، والرياح النواسم: الرياح الضعيفة.

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٩٠).

(٣) في (ج): عبيد الله.

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٤).

[آل عمران:٥٢]؛ أي: مَعَ الله][١]. و«**الشَّياطِينُ**»: جَمْعُ شَيْطَانٍ، قَالَ الخَلِيلُ: كُلُّ مُتمرِّدٍ عنْدَ العربِ شَيطَانٌ[٢].

وفِي هذَا الِاسْمِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مِنْ شَطَنَ؛ أي: بعُدَ عنِ الْخَيْرِ، فعَلَى هذَا تكُونُ النُّونُ أصليَّةً. قَالَ أميَّةُ بنُ أبي الصَّلتِ فِي صِفَةِ سُليمانَ؛[٣] [من الخفيف]:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ... ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ وَالْأَغْلَالِ

عكَاهُ: أوْثَقَهُ.

وقَال النَّابِغةُ[٤] [الوافر التام]:

---

(١) من (ج)، والمطبوع.

(٢) العين (٨/ ٣٧).

(٣) البيت لأمية كما في تفسير الطبري (١/ ١١٢)، والحجة للقراء؛ للفارسي (٢/ ٢٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٤٧)، الصحاح؛ للجوهري (٥/ ٢١٤٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٨٥)، ومعنى عكاه؛ أي: شدَّه.

(٤) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه (ص: ١٠٠)، وتفسير الطبري (١/ ١١٢)، والصحاح؛ للجوهري (٥/ ٢١٤٤)، ومقاييس اللغة؛ لابن فارس (٣/ ١٨٣)، وسمط اللآلي (١/ ٥٨)، وذكر أبياتًا من القصيدة منها:

وحلَّت في بني القين بن جسر ... فقد نبغت لنا منهم شؤون.

قال: وبهذا البيت سُمي النابغة.

نَـأَتْ بِسُـعَادَ عَنْـكَ نَـوًى شَـطُونُ فَبَانَـتْ، وَالْفُـؤَادُ بِهَـا[1] رَهِـينُ

والثَّاني: أَنَّهُ مِنْ شَاطَ يَشِيطُ؛ إِذَا الْتَهَبَ واحْتَرَقَ، فتكُونُ النُّونُ زائدَةً.

وأنْشَدُوا[2] [من الخفيف]:

. . . . وَقَـدْ يَشِـيطُ عَـلَى أَرْمَاحِنَـا الْبَطَـلُ

أي: يَهْلِكُ.

وفي الْمراد بشيَاطِينِهم: ثَلاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهُـم رؤوسُـهُم في الكُفْـرِ، قالَـهُ ابْـنُ مسـعُودٍ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، والحسَـنُ، والسُّـدِّي.

والثَّاني: إِخْوتُهُم[3] مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قالَهُ أَبو العَالِيةِ، ومُجَاهِدٌ.

والثَّالث: كَهَنتُهُم، قالَهُ الضَّحَّاكُ، والكَلْبِي.

قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، فِيه قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهم أَرَادُوا إِنَّا معَكُم علَى دينِكُم.

---

(١) في (ف): لها.

(٢) البيت قاله الأعشى في ديوانه (ص: ١٦٧)، والحجة؛ لأبي علي (٢/ ٢٢)، ، أساس البلاغة (١/ ٣٤٢)، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب (٥/ ٢١٧)، وشرح المفصل (٥/ ٦٤)، وصدره: قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ فِي مَكْنونِ فَائِلِه.

(٣) في (ف): إخوانهم.

والثَّاني: إنَّا معكُم علَى النُّصْرَةِ والمُعَاضَدَةِ.

و«الْهُزْءُ»: السُّخْرِيَّةُ.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٥، ١٦]

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾.

اخْتلَفَ العُلَماء في المُرادِ بِاسْتِهزَاءِ اللهِ بِهِم علَى تسْعَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه يُفتَحُ لَهم بَابٌ مِنَ الجنَّةِ وهُم فِي النَّار، فيُسْرِعُون إلَيه فيُغْلَقُ، ثُمَّ يُفتحُ لَهُم بابٌ آخرُ، فيُسْرِعُون فيُغْلَقُ، فيَضْحكُ منهمُ المؤمنونَ. رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)].

والثَّاني: أنَّه إذَا كَان يومُ القِيَامَة جَمدتِ[(٢)] النَّارُ لَهُم[(٣)] كما تَجْمُدُ الإهالَةُ[(٤)] فِي القِدْرِ، فيَمْشُونَ[(٥)] فتَنْخَسِفُ[(٦)] بِهِم. رُوي عنِ الحَسَنِ البصرِيِّ[(٧)].

والثَّالثُ: أنَّ الاِسْتِهزاءَ بِهم؛ إذا ضُربَ بيْنَهُم وبيْنَ المُؤمنينَ ﴿بِسُورٍ لَّهُ

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٣٨).

(٢) في (ر): جهدت.

(٣) في (ف): بهم.

(٤) الإهالة: الدّهن. ينظر: عمدة الحفاظ (١/ ١٥٣).

(٥) في (ر): فيشمون.

(٦) في (ف): فتُخْسَفُ.

(٧) ذكره مكيٌّ في الهداية (١/ ١٦٧).

بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾، فيبقَوْنَ في الظُّلْمةِ، فيُقال لهم: ﴿ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾[الحديد: ١٣]، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والرَّابع: أنَّ المُرادَ بِه: يُجازِيهم علَى اسْتِهزَائِهم][1]، فقُوبل اللَّفظ بمثلِه لفْظًا وإنْ خالَفَه معْنًى، فهُوَ كقَوْلِه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقوْلِه: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾[البقرة: ١٩٤]. قَال عمْرُو بْنُ كُلثُومٍ[2] [من الوافر]:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

أراد: فنُعاقبُه بأغْلَظَ مِنْ عُقُوبَتِه.

والخامِسُ: أنَّ الِاسْتِهزاءَ مِنَ اللهِ التَّخْطِئةُ لَهُم، والتَّجْهِيلُ، فمعْنَاهُ: اللهُ يُخطِّئُ فعلَهُم، ويُجهِّلُهُم في الإقامَةِ علَى كفرِهم.

والسَّادس: أنَّ اسْتِهزَاءَهُ اسْتِدْراجُه إيَّاهُم.

والسَّابعُ: أنَّه إيقَاعُ اسْتِهزائِهم بِهِم، ورَدُّ خِداعِهم ومَكْرِهم[3] علَيْهِم. ذَكَر هذِه الأقوالَ محمَّدُ بْنُ القَاسِم الأنْبَاريُّ.

---

(١) ما بين المعكوفين من (ت).

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته، كما في شرح المعلقات التسع (ص: ٣٤٧)، جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٧)، عيون الأخبار (٢/ ٢١٠)، العقد الفريد (٥/ ٣٤٤)، تفسير الثعلبي (١/ ١٥٧)، المحكم (٨/ ٢٧).

(٣) ليست في (ج).

والثَّامن: أنَّ الاِسْتِهزاءَ بِهِم أنْ يُقالَ لأحَدِهِم في النَّار وهُو في غايَةِ الذُّلِّ: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، ذكَرَه شيخُنَا في كتَابِهِ[١].

والتَّاسِع: أنَّه لَمَّا أظْهَرَ اللهُ[٢] مِنْ أحْكامِ إسْلامِهِم في الدُّنْيا خِلافَ مَا أَبْطَنَ[٣] لَهُم فِي الأُخْرَى؛ كَانَ[٤] كَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.

قَوْلُهُ: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾. **فِيهِ أَرْبعَةُ أَقْوالٍ**:

أحدُها: يُمَكِّنُ لَهُم، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ.

والثَّاني: يُمْلِي لَهُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالث: يَزِيدُهُم، قالَه مُجَاهِدٌ.

والرَّابع: يُمْهِلُهُم، قالَه الزَّجَّاجُ[٥].

و«**الطُّغْيانُ**»: الزِّيادَةُ علَى القَدْرِ، والخُرُوجُ عن حيِّزِ الِاعْتِدَالِ][٦] في الكثْرةِ، يُقال: طغَى البحْرُ؛ إذا هَاجَتْ أمْوَاجُه، وطغَى السَّيْلُ؛ إذا جَاءَ بماءٍ كثيرٍ.

---

(١) التفسير البسيط؛ للواحدي (٢/ ١٧١) بنحوه.

(٢) في المطبوع: أظهروا، وفي (ج)، و(ر)، و(ت)، و(ف): أظهر.

(٣) في الأصل: يظن، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(ت)، و(ف)، والمطبوع.

(٤) ليست في (ر)، و(ت).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٩١)، وعزو القولِ للزجاج، ليس في (ر).

(٦) ما بين المعكوفين مفقود من (م).

وفي المُراد بِطُغْيانِهِم قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّه كفرُهم، قالَه الجمهورُ.

والثَّاني: أنَّه عُتوُّهُم وتكبُّرهُم، قالَه ابْنُ قُتَيبَةَ[١].

و«يَعْمَهُونَ» بمعْنَى: يتحيَّرُونَ، يُقَالُ: رَجُلٌ عَمِهٌ وعَامِهٌ؛ أي: مُتحيِّرٌ. قَالَ الرَّاجِزُ[٢]:

[وَمُخْفِقٌ مِنْ لُهْلُهٍ وَلُهْلُهِ][٣] مِنْ مَهْمَهٍ يَجْتَبْنَهُ فِي مَهْمَهِ[٤]

أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّهِ ....

وقال ابْنُ قُتيبةَ: ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَرْكَبُونَ رُؤُوسَهُم، فلَا يُبصِرُونَ[٥].

قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾.

---

(١) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٣).

(٢) البيت لرؤبة بن الحجاج من أرجوزة يصف بها نفسه، في ديوانه (ص: ١٦٦)، وتفسير الطبري (١/ ٣٠٩)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٩١)، وشرح شواهد الشافية (ص: ٢٠٢)، وشرح شواهد العيني (٣/ ٣٤٥)، وسمط اللآلي (١/ ٥٥)، والرجل العمه: المتردد في رأيه، أو أعمى القلب.

(٣) من المطبوع.

(٤) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ: «في مهمةٍ أطرافه في مهمهٍ».

(٥) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٣).

في سَببِ(١) **نُزُولِهَا ثلَاثةُ أقْوَالٍ:**

أحدُهـا: أنَّهَـا نزلَـتْ في جَمِيـعِ الكُفَّـارِ، قالَـهُ ابْـنُ مسْـعُودٍ(٢)، وابْـنُ عبَّـاسٍ(٣).

والثاني: أنَّهَا في أهْلِ الكتَابِ، قالَهُ قتَادةُ والسُّدِّي(٤)، ومُقاتِلٌ(٥).

والثالث: أنَّهَا فِي المْنافِقينَ، قالَهُ مُجاهِدٌ(٦).

و﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: بمعْنَـى اسْـتَبْدَلُوا، والعـربُ تَجْعَـلُ مَـنْ آثـرَ شـيْئًا عـلَى شَيْءٍ مُشْـتَرِيًا لَـهُ، وبائِعًـا للآخَـرِ.

و﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ والضَّلَالُ بمعْنى واحِدٍ، وفِيهما للْمفسِّرينَ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ المْـرادَ بِهَـا هَاهُنـا الكفْـرُ، والمْـراد بالهُـدَى: الإيـمان، رُوِي عـنِ الحسَـنِ، وقَتَـادَةَ، والسُّـدِّي.

والثَّاني: أنَّهَا الشَّكُّ، والهُدَى: اليَقينُ.

والثَّالث: أنَّهَا الجهْلُ، والهُدَى: العِلْم.

---

(١) ليست في (ج)، و(ر)، و(ت)، و(ف).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٣٢٥) بمعناه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٣٢٥).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٥).

(٥) رواه مقاتل في تفسيره (١/ ٩١).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤).

وفي كيفيَّةِ استِبْدَالِهِمُ الضَّلالةَ بالْهُدى ثلاثةُ أقْوَال:

أحدها: أنَّهم آمنُوا ثُم كَفَرُوا [به][1]، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّ اليَهُودَ [والنَّصارى][2] آمَنُوا بالنَّبِي قبْلَ مبْعَثِهِ، فلمَّا بُعِثَ كفَرُوا بِه، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والثَّالِثُ: أنَّ الكُفَّارَ لَمَّا بلَغَهُم مَا جَاءَ بِه النَّبيّ ﷺ مِنَ الْهُدى فرَدُّوه واخْتَارُوا الضَّلالَ، كانُوا كمَنْ أبْدَلَ شيْئًا بِشيْءٍ، ذكَرَه شيْخُنا عليُّ بنُ عُبيدِ اللهِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾.

مِنْ مجازِ الكلَام؛ لأنَّ التِّجَارةَ لَا تَرْبَحُ، وإنَّما يُرْبَحُ فِيها، ومِثْلُه قوْلُه تعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، يُريدُ: مكرُهم فِي اللَّيلِ والنَّهار[3]؛ ومِثْلُه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عزَمَ عليْهِ، وأنْشَدُوا[4] [من الرجز]: [٨/ب]

حَارِثُ قَدْ فرَّجْتَ عنِّي همِّي   [فنَامَ][5] لَيْلِي وَتجَلَّى غمِّي

---

(١) من (ف).

(٢) من (ف).

(٣) من قوله: «يريد مكرهم» ... إلى هنا ليس في (ر)، و(ت).

(٤) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه (ص: ١٤٢)، وتفسير الطبري (١/ ٣١٧)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٥٩)، يمدح الحارث بن سليم، من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة.

(٥) في (ل): قيام.

واللَّيْلُ لا ينَامُ، بَلْ يُنَام فِيه، وإنَّما يُستَعْمَلُ مِثْلُ هذا فِيما يَزُولُ فِيه الإشْكَالُ ويُعْلَمُ مَقْصودُ قائلِه، فأمَّا إذا أُضِيفَ إلى مَا يَصْلحُ أنْ يُوصفَ بِه، وأُرِيدَ بِه مَا سِواهُ؛ لَمْ يَجُزْ؛ مِثْلُ أنْ تقولَ: رَبِحَ عبْدُكَ، وتُريدُ: رَبِحتَ في عبْدِكَ[1]، وإلى هذا المعنى ذهَبَ الفرَّاءُ، وابْنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ **فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:**

أحدُها: وما كانُوا فِي عِلْمِ اللهِ[3] مُهتَدينَ.

والثَّانِي: وما كَانوا مُهْتَدِينَ مِنَ الضَّلالَةِ.

والثَّالث: وما كَانوا مُهْتَدِينَ إلَى تِجَارَةِ المُؤْمنينَ.

والرَّابع: وما كانُوا مُهتَدِينَ في اشْتِرَاءِ الضَّلالَةِ.

والخامس: أنَّه قَدْ لَا يَربَحُ التَّاجِرُ ويكُونُ علَى هدًى مِنْ تجارَتِه غيْرَ مُسْتَحِقٍّ للذَّمِّ فيما اعْتَمَدَهُ، فنفَى اللهُ ﷻ عنْهُم الأمْرَينِ مُبالَغةً في ذمِّهِم.

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا

---

(١) من قوله: «وإنما يستعمل» موضعها في (ف) بعد البيت: أضاءت لنا النار...

(٢) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٤- ١٥)، و غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٢)، معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٩٢).

(٣) في المطبوع: في العلم بالله، وفي (ر)، و(ت): في العلم الله.

أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقـرة: ١٧، ٢٠].

قوْلُه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.

هـذه الآيـةُ نزلَـتْ في المْنافِقـينَ. و«المْثَـلُ» بتحْرِيـكِ الثَّـاءِ: مـا يُـضْرَبُ بِـه ويُوضَـعُ لِبَيـانِ النَّظَائـرِ في الأَحْـوَالِ.

وفي قوْلِه: ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ السِّينَ زائِدَةٌ. وأنْشَدُوا[1] [من الطويل]:

وَدَاعٍ دَعَـا يَـا مَـنْ يُجِيـبُ إِلَى النَّـدَى ... فَلَـمْ يَسْـتَجِبْهُ عِنْـدَ ذَاكَ مُجِيـبُ

أَرَادَ: فلَمْ يُجِبْهُ، وهذا قوْلُ الجمْهُور، منْهمُ الأَخْفشُ، وابْنُ قتيبةَ[2].

والثَّاني: أنَّ السِّينَ دَاخِلةٌ للطَّلَب، أَرَاد[3]: كمَنْ طَلَبَ مِنْ غيْرِه نارًا.

وَفِي ﴿أَضَآءَتْ﴾ قوْلَانِ:

---

(١) البيـت لكعـب بـن سـعد الغنـوي مـن مرثيتـه المشـهورة في أخيـه أبي المغـوار في مجـاز القـرآن (١/ ٦٧)، نـودار أبي زيـد (ص: ٣٧)، الأصمعيـات (ص: ٩٦) طبقـات فحـول الشـعراء (١/ ٢١٢)، وبعـد البيـت: فَقُلْـتُ: ادْعُ أُخْـرى وارْفـع الصَّـوتَ جَهـرَةً لَعَـلَّ أَبـا المِْغْـوار مِنْـكَ قَرِيـبُ، وهـو لابنـه محمـد في جمهـرة أشـعار العـرب (ص: ٥٥٥).

(٢) معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٥٣)، غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٣).

(٣) ليست في (ر)، و(ت).

أحدُهُما: أنَّه مِنَ الفِعْل المُتعدِّي. قَالَ الشَّاعِرُ[١] [من الطويل]:

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى يَنْظِمَ[٢] الجِزْعَ ثَاقِبُهْ

وقال الآخرُ[٣]:

أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ[٤] وَجْهًا أَغَرَّ ... مُلْتَبِسًا بِالْفُؤَادِ الْتِبَاسَا

والثَّاني: أنَّه مِنَ الفِعل اللَّازِم[٥].

---

(١) البيت؛ لأبي الطمحان القيني، واسمه: حنظلة بن الشرقي. وقيل: البيت للقيط بن زُرارة، وهو في الشعر والشعراء (٢/ ٧٠٠)، وعيون الأخبار (٤/ ٢٥)، والكامل (١/ ٤٤)، والحماسة بشرح المرزوقي (٤/ ١٥٩٨)، وأمالي المرتضى (١/ ٢٥٧)، والصناعتين (ص: ٣٦٠)، والجزع: هو الخرز، وأشهره اليماني، وتشبه به الأعين؛ لأن فيه بياض وسواد، وكل شيءٍ فيه بياض وسواد، فهو: مجزع. انظر: اللسان والتكملة والتاج مادة: (جزع).

(٢) في (ف): نظَّمَ.

(٣) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (ص: ٨٠)، وأدب الكاتب (ص: ٤٥٣)، والشعر والشعراء (١/ ٢٨٦)، وأساس البلاغة (١/ ٣١٩)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٣/ ٣٧٦)، ومجمل اللغة (٢/ ٢٩٣).

(٤) في (ج): كالنار.

(٥) في (ر): اللام.

قال أبو عُبيدٍ: يُقال: أضاءَتِ النَّار، وأضاءَتْ[١] غيرَها[٢]. وقال الزَّجَّاجُ: يُقالُ: ضاءَ[٣] القمرُ، وأَضاءَ[٤].

وفي «مَا» قولَانِ:

أحدُهما: أنَّها زَائِدةٌ، وتقْدِيرُه: أضاءَتْ حوْلَهُ.

والثَّاني: أنَّها بمعْنَى الَّذي.

وحوْلُ الشَّيْءِ: مَا دَارَ مِن جَوَانِبِه. والهاءُ: عائِدةٌ علَى المُستوقِدِ.

فإنْ قِيل: كيْفَ وَحَّدَ، فقَال: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾، ثم جَمع، فقَال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟.

فالجوَابُ: أنَّ ثعْلبًا حَكَى عنِ الفرَّاءِ أنَّه قَال: إنَّما ضَرب المَثل للْفِعْلِ، لَا لأَعْيانِ[٥] الرِّجَالِ، وهُوَ مَثلٌ للنِّفاقِ[٦]، وإنَّما قَال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ لأنَّ المْعْنَى ذاهِبٌ إلَى المُنافقِينَ، فجُمِعَ لذلِكَ[٧]، قالَهُ ثعْلَبٌ.

---

(١) في المطبوع: وأضاءها.

(٢) الغريبين في القرآن والحديث؛ لأبي عبيد الهروي (٤/ ١١٤٥)، وعبارته: يقال: ضاء الشيء يضوء، وأضاء يضيء، وهما لازمان، ويكون «أضاء» متعديًا، يقال: أضأت السراج، وأضاء، والضَّوْءُ وَالضُّوءُ لغتان. وانظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٤).

(٣) في (ر)، و(ت): أضاء.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٠).

(٥) في (ر): للأعيان، تصحفت عن: لا لأعيان.

(٦) في الأصل: النفاق، والمثبت من (ر)، و(ت)، و(م)، و(ف).

(٧) معاني القرآن (١/ ١٥).

وقَال غيرُ الفَرَّاءِ(١): معْنَى الَّذِي: الجمْعُ، فوحَّد أوَّلًا للفظِه، وجمَع بعْد ذلِك(٢) لِمَعْناه؛ كما قَال الشَّاعِرُ(٣) [من الطويل]:

فإنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ ... هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

فجَعَلَ «الَّذِي» جمْعًا.

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ

اخْتَلفَ العُلَماءُ في الَّذي ضَرَبَ اللهُ تعَالى لَهُ هذَا المَثَلَ مِنْ أحْوَالِ المُنافِقينَ عَلَى قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّه ضُرِبَ لكلمَةِ(٤) الإسْلَامِ الَّتي يَلْفِظُون بِها، ونُورُها صِيانَةُ النُّفُوسِ(٥) وحَقْنُ الدِّمَاءِ(٦)، فإذَا مَاتُوا سَلَبَهُمُ اللهُ ذلِكَ العزَّ، كما

---

(١) في بقية النسخ: قال ثعلب: وقال غير الفراء.

(٢) ليست في (ت)، و(ف).

(٣) البيت لأشهب بن رميلة في البيان والتبيين (٣/ ٢٨٠)، مجاز القرآن (٢/ ١٩٠)، الكتاب (١/ ١٨٦)، المقتضب (٤/ ١٤٦)، المحكم (١٠/ ١٠٨)، المحتسب (١/ ١٨٥)، وفلج: اسم موضع.

(٤) في (ت): بكلمة، وضبط كلمة «ضرب» بضمِّ الضَّاد، وكسر الراء، وفتح الباء.

(٥) في المطبوع: النفس.

(٦) في (ف): صيانةٌ في النفوس، وحقنٌ للدماء.

سَلبَ صَاحِبَ النَّارِ ضَوْءَهُ[١]. وهذا المَعنى مَرْوِيٌّ عن ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والثاني: أنَّه ضَرب[٣] لِإقْبَالِهم على المُؤمنِينَ وسَماعِهِم مَا جاءَ به الرَّسُولُ، فذَهَابُ نُورِهِم: إقبالُهُم علَى الكَافِرين والضَّلالِ، وهذا قوْلُ مُجاهِدٍ[٤].

وفي المُراد بـ«الظُّلُماتِ» هَاهُنَا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

[٩/أ] أحدُها: العذَابُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: ظُلمةُ الكُفْرِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالث: ظُلمةٌ يُلْقِيهَا اللهُ عليْهِم بعْدَ المَوْتِ، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابع: أنَّهَا نِفاقُهُم، قالَهُ السُّدِّي.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ج): كما أسْلب الاستنار ضوءه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٨).

(٣) ليست في (ت).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٣٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١).

فَصْلٌ

وفي ضَرْبِ المَثَلِ لَهُم بالنَّارِ ثَلاثُ حِكَمٍ:

إحداهُنَّ[١]: أنَّ المُسْتَضِيءَ بالنَّار مُسْتَضِيءٌ بنورٍ[٢] مِنْ جِهةِ غيْرِه[٣]، لَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، فإذَا ذهبَتْ تِلْكَ النَّارُ بقِيَ في ظُلْمةٍ، فكأنَّهُم لَمَّا أقرُّوا بألْسِنَتِهم مِنْ غيْرِ اعْتِقَادِ قُلوبِهِم كَان[٤] نُورُ إيمانِهِم كَالْمستعَار.

والثَّانيةُ: أنَّ ضِيَاءَ النَّارِ يحتَاجُ في دَوَامِهِ إلى مادَّةِ الحَطَبِ، وهو[٥] له كغِذَاءِ الحيوانِ، فكذلِك[٦] نورُ الإيمانِ يحْتَاجُ إلى مادَّةِ الاعْتِقَادِ لِيدُومَ.

والثَّالثةُ: أنَّ الظُّلْمَةَ الحَادِثةَ بعْدَ الضَّوْءِ أشَدُّ علَى الإنْسانِ مِنْ ظُلْمَةٍ لم يَجِدْ معَها ضِياءً، فشَبَّهَ حالَهُم بذَلِك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) ﴾.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾.

الصَّمَمُ: انْسِدَادُ مَنَافذِ السَّمْعِ، وهُوَ أَشَدُّ مِنَ الطَّرَشِ.

---

(١) في (ت)، و(م) أحدهنَّ.

(٢) في (ج): بنوره.

(٣) في (ف): غير.

(٤) في (ت): كأنهم.

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م): فهو.

(٦) في (ج): وكذلك.

وفي البُكْمِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ الخرَسُ، قالَهُ مُقاتِلٌ، وأبو عُبيدٍ، وابْنُ فارسٍ[١].

والثَّاني: أنَّه عيْبٌ في اللِّسانِ لا يتمَكَّنُ معَه مِنَ النُّطْقِ، وقِيلَ: إنَّ الخرَسَ يَحْدُثُ عنْهُ.

والثَّالث: أنَّه عيْبٌ فِي الفُؤادِ يَمنعُه أنْ يَعِيَ شيْئًا فيفْهَمُهُ، فيَجْمَعُ بيْنَ الفَسادِ في محَلِّ الفَهْمِ ومحَلِّ النُّطْقِ[٢]، ذكَرَ هذيْنِ القَوْلين شيْخُنا.

وقوْلُه تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لا يَرجِعون عنْ ضلالَتِهِم، قالَهُ [قتادة، و][٣]، مُقاتِلٌ.

والثَّاني: لا يَرجِعونَ إلى الإسْلام، قالَهُ السُّدِّي.

والثَّالث: لا يَرْجِعُون عن الصَّمَمِ والبَكَم والعَمَى، وإنَّما أضافَ الرُّجُوعَ إليْهِم؛ لأنَّهُم انْصرفُوا باخْتِيارِهم؛ لغلبة[٤] أهْوائِهِم عنْ تصَفُّحِ الهُدى بآلاتِ التَّصَفُّحِ، ولم[٥] يكنْ بِهِم صَمَمٌ ولا بَكَمٌ حَقِيقةً، ولكنَّهُم لَمَّا الْتَفَتُوا عن سَماعِ الحقِّ والنُّطقِ به كانوا كالصُّمِّ البُكْمِ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٠٧)، مقاييس اللغة (١/ ٢٦٦).

(٢) في (ف): المنطق.

(٣) من (ج)، و(م)، و(ف).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ف): لِغَلَبات.

(٥) في (ف): ولو لم.

والعربُ تُسَمِّي المُعْرِضَ عَنِ الشَّيءِ: أعْمَى، والمُلْتفِتَ عن سَماعِه: أصَمَّ، قَالَ مِسْكِين الدّارمِيُّ[١] [من الطويل]:

مَا ضَرَّ لِي جَارًا أُجَاوِرُهُ ... أَلَّا يَكُونَ لِبَابِهِ سِتْرُ
أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ ... حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الخِدْرُ
وَتَصَمُّ عَمَّا بَيْنَهُم أُذُنِي ... حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ وَقْرُ

قوْلُه تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

«أَوْ»: حرْفٌ مردُودٌ[٢] علَى قوْلِه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.

واخْتَلَف العُلَماءُ فِيه على سِتَّةِ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه داخِلٌ هاهُنَا للتَّخيِيرِ، تقُولُ العَربُ: جَالسِ الفُقَهاءَ أوِ النَّحْويينَ، ومعْنَاه: أنْتَ مُخَيَّرٌ في مُجالَسةِ أيِّ الفَرِيقَيْنِ شِئْتَ، فكأنَّهُ خيَّرَنَا بيْنَ أنْ نَضرِبَ[٣] لَهُمُ المَثَلَ الأوَّلَ أوِ الثَّاني.

والثَّاني[٤]: أنَّه داخِلٌ للإبْهامِ فيما قد عَلِمَ اللهُ تَحْصِيلَه، فأبْهَمَ عليْهِم مَا لَا يَطْلُبُونَ تفْصِيلَهُ، فكأنَّه قال: مثَلُهم كأحدِ هذَيْنِ، ومِثْلُه قوْلُه تعالى:

---

(١) مسكين الدارمي، اسمه: ربيعة بن عامر بن أنيف، من بني دارم. ومسكين لقب. والبيت في الشعر والشعراء (١/ ٥٣٦)، والصاحبي (ص: ١٩٩)، أمالي المرتضى (١/ ٤٧٤)، ولباب الآداب (١/ ٢٦٥).

(٢) في (م): مورد.

(٣) في (ف): يضرب.

(٤) ليست في (ج).

﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾[البقرة: ٧٤]، والعَرَبُ تُبْهِمُ مَا لا فائِدَةَ في تَفْصِيلِه. قَالَ لَبِيدٌ[١] [من الطويل]:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ

أيْ: هَلْ أَنَا إِلَّا مِن أحدِ هذَيْن الفَرِيقَيْنِ، وقَد فَنِيَا، فَسَبِيلِي أَنْ[٢] أَفْنَى كَمَا فَنِيَا.

والثَّالث: أنَّه بمعنى: بَلْ. وأنْشَدَ الفَرَّاءُ[٣] [من الطويل]:

بَدَتْ مِثْلُ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ

والرَّابِعُ: أنَّه للتَّفْصِيلِ، ومعْنَاهُ: بعْضُهم يُشَبَّهُ بالَّذي اسْتَوْقَدَ نَارًا، وبَعْضُهم بأصْحَابِ الصَّيِّب، ومِثْلُه قوْلُه تعَالى: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥]، معْنَاه: قَالَ بعْضُهم -وهُمُ اليَهُودُ-: كُونُوا هُودًا، وقَالَ النَّصَارى: كُونُوا نَصَارى. وكذَلِك[٤] قوْلُه [تعالى][٥]: ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ

(١) البيت في ديوانه (ص: ٥٠)، وتفسير الطبري (٣/ ٤٢٨)، والحماسة الصغرى (ص: ١٥٤)، وشرح التسهيل (٢/ ١١١).

(٢) في الأصل: أي، والمثبت من (ج)، و(م)، و(ف).

(٣) البيت؛ لذي الرمة غيلان بن عقبة. انظر: ملحق ديوانه البيت رقم (٣٠)، وشرح القصائد السبع؛ لابن الأنباري (٣٣٨)، وأمالي المرتضى (٢/ ٥٦).

(٤) في (ت): فكذلك، وفي (م): وذلك.

(٥) من (م).

هُمْ قَآئِلُونَ ﴾[الأعراف: ٤]، معْنَاه: جاءَ بعْضَهُم بَأْسُنَا بيَاتًا، وجاء بعْضَهم بَأْسُنَا[1] وَقْتَ القَائِلَةِ.

والخامسُ: أنَّه بمعنى الواو. ومِثْلُه قوْلُه تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ ﴾[النور: ٦١]، قَالَ جَرِيرٌ[2] [من البسيط]:

نَالَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

والسَّادس: أنَّه للشَّكِّ في حقِّ المُخَاطبِينَ، إذِ الشَّكُّ مُرْتَفِعٌ عَنِ الحَقِّ ﷻ، ومِثْلُهُ قوْلُه تعَالَى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم: ٢٧]، يُرِيدُ: الإعَادةُ[3] أهْونُ [عَلَيْه][4] مِنَ الابْتِداءِ فيمَا تَظُنُّون[5].

فأمَّا التَّفْسِيرُ فَمَعْنَى[6] الكَلامِ:

«أوْ» كأصْحَاب صَيِّبٍ، فَأَضْمَرَ الأَصْحَابَ؛ [لأنَّ][7] في قوْلِه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ دليلًا عليه.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) البيت في ديوانه (ص: ٢٦٧)، ونسبه له في الأغاني (٨/ ٥١)، الجمل في النحو (١/ ٣٠٧)، العقد الفريد (١/ ٣٢٩).

(٣) في (م): والإعادة.

(٤) من (م).

(٥) في (ف): يظنون.

(٦) في المطبوع: لمعنى.

(٧) من (ج)، و(م)، و(ف).

وَ«الصَّيِّبُ»: المَطرُ. قَال ابْنُ قُتيبةَ: هُو «فَيْعِلٌ»[(١)] مِنْ صَابَ يَصُوبُ؛ إِذَا نزَلَ مِنَ السَّماءِ[(٢)]. وقَال الزَّجَّاجُ: كُلُّ نَازِلٍ مِنْ عُلوٍّ إِلى اسْتِفَالٍ[(٣)]، فقَدْ صَابَ يصُوبُ[(٤)]، قَالَ الشَّاعِرُ[(٥)] [من الطويل]:

كَأَنَّهُمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

وفي «الرَّعدِ» ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه صوْتُ مَلَكٍ يَزْجُرُ السَّحابَ، وقد[(٦)] رُوِيَ هذَا المَعْنى مَرْفوعًا إِلَى النَّبيِّ ﷺ[(٧)]، وبه قَال ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجَاهدٌ. وفي روايةٍ عنْ

(١) في (ت): فَعِيل.

(٢) غريب القرآن (ص: ٤٢).

(٣) في (م): أسفل.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٩٤)، ومن قوله: وقال الزجاج... إلى هنا ساقط من (ج).

(٥) البيت لعلقمة بن عبدة في ديوان الست (١/ ١٤٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٣)، والمفضليات (ص: ٣٩٣)، والطبري (١/ ٣٣٣)، والحيوان؛ للجاحظ (٣/ ٨٩)، وغيرهم من أكابر أئمة اللغة كالمرزباني في الموشح (ص: ١٢٠)، وابن قتيبة في المعاني الكبير (٢/ ٨٦٠)، والأخفش في الاختيارين (ص: ٦٥٥)، ولعلَّ من أنكره من المتأخرين لم يقف على نسخة الديوان الصحيحة أو التبس عليه بيت آخر، والمعنى: أصابتها الصواعق فلم تقدر على الطيران من الفزع فجعلت تدب طلبًا للنجاة.

(٦) في (ف): وبه.

(٧) رواه أحمد (٤/ ٢٨٤)، والترمذي (٣١١٧)، والنسائي في الكبرى (٩٠٢٤).

مُجاهِدٍ: أَنَّه صوْتُ مَلَكٍ يُسَبِّحُ(١). وَقَال عِكْرِمَةُ: هُو مَلَكٌ يَسُوقُ(٢) السَّحَابَ (كَما يَسُوقُ الحَادِي الإِبِلَ)(٣).

والثَّاني: أنَّه رِيح تَختنق(٤) بين السَّماء والأرضِ.

وقد رُوي عن أبي الجَلدِ أنَّه قَال(٥): الرَّعْدُ: الرِّيحُ(٦). واسْمُ أبي الجَلد: جِيلانُ بْنُ أَبي(٧) فَروَةَ البصْرِيُّ، وقد رَوى عنْه قَتادَةُ.

والثَّالث: أنَّه اصْطكاكُ أجْرَامِ السَّحَابِ، حكَاه شيْخُنَا عِليُّ بْنُ عُبيد الله.

وفي البرْقِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه مَخارِيقُ يسُوقُ بِهَا المَلَكُ السَّحابَ، رُوي هذَا المَعْنى مَرْفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ(٨)، وهو قَوْلُ علِيِّ بْنِ أبي طالبٍ ﷺ. وفي روايةٍ

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣١٣)، وفي (ج): يصيح.

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ف): يزجر.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٠٦)، وفي (ت)، و(ج) و(ف)، و(م): كالحادي وَرَاعي الإبل.

(٤) في (ت): تَنْخَنِقُ، وفي (ج): يتخنق، وفي (ف): تتحنَّق.

(٥) في (م): أنه يقول قال.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٤١).

(٧) ليست في (ت)، و(ج)، وفي (م)، و(ف): ابن فروة، وهو جيلان بن أبي فروة- ويقال: ابن فروة- أبو الجلد الأسدي البصري، قال لنا موسى بن إسماعيل حدثنا صدقة أبو المغيرة عن أبي عمران عبد الملك بن حبيب الجوني: عن أبي الجلد جيلان بن أبي فروة- قوله. انظر: التاريخ الكبير (٢/ ٢٥١).

(٨) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٠٦).

عَن علِيٍّ قَال: هُو ضَرْبةٌ بِمخْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ[١]. وعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أنَّه ضَرْبةٌ[٢] بِسَوْطٍ مِنْ نُورٍ[٣].

قَال ابْنُ الأَنْبارِيِّ: المْخَارِيقُ[٤]: ثِيابٌ تُلَفُّ، وَيَضْرِبُ بِهَا بعْضُ الصِّبْيانِ[٥] بعضًا، فشَبَّه السَّوْطَ الَّذي يُضْرَبُ به السَّحَابُ بذَلِك المِخْراقِ[٦].

قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلثوم[٧] [من الطويل]:

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٠٦).

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه الترمذي (٣١١٧) وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ، والنسائي في الكبرى (٩٠٢٤).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م): القوم. وقوله: «بعض القوم» ليس في (ر).

(٦) الزاهر في معانى كلمات الناس (٢/ ٢٦٥).

(٧) البيت لعمرو بن كلثوم في المعلقة (رقم: ٤٤)، الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣١٨)، والصحاح؛ للجوهري (٤/ ١٤٦٧)، جمهرة أشعار العرب؛ لأبي زيد (ص: ٢٨٤)، ومعنى فينا وفيهم: أي إن السيوف في أيدينا ونحن نضرِبُهم بها.

وقَالَ مُجاهِدٌ: البَرْقُ: مَصْعُ مَلَكٍ، والمَصْعُ: الضَّرْبُ والتَّحْرِيكُ[١].

والثَّانِي: أنَّ البَرْقَ: المَاءُ، قالَهُ أَبُو الجَلدِ. وحَكَى ابْنُ فَارسٍ أنَّ البَرْقَ: تَلأْلُؤُ المَاءِ[٢].

والثَّالث: أنه نارٌ تَنْقَدِحُ مِنِ اصْطِكاكِ أجْرَامِ السَّحَابِ [لِسَيرِهِ][٣]، وضَرْبِ بعْضِهِ لِبَعْضٍ، حكَاه شيْخُنا.

و﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: جَمْعُ صَاعقةٍ، وهي[٤] صوْتٌ شدِيدٌ مِنْ صوْتِ الرَّعْدِ يقعُ[٥] معه قطعةٌ مِنْ نارٍ تُحْرِقُ مَا تُصِيبُه.

ورُوي عَنْ شهْرِ بْنِ حَوْشبٍ: أنَّ المَلكَ الَّذي يَسُوقُ السَّحابَ؛ إذَا اشْتدَّ غضَبُهُ، طَارَ مِنْ فِيهِ النَّارُ، فهِيَ الصَّواعقُ[٦].

وقَالَ غيْرُه: هِي نَارٌ تَنْقَدِحُ[٧] مِنِ اصْطِكاكِ أَجْرَامِ السَّحَابِ[٨].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٤٣)، وانظر: غريب الحديث ؛لابن سلام (٤/ ٣٥٧).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢١٣).

(٣) من (ج)، و(م)، و(ف).

(٤) في (ف): وهو.

(٥) في (ف)، و(م): تقع.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٣٩)، وابن أبي الدنيا في المطر (١٠٢).

(٧) في (ت): ينقدح.

(٨) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٨) وقال: وهذا عندي مردود. ومن قوله: «وقال غيره»... إلى هنا ساقط من (ف).

قال[١] ابنُ قُتيبةَ: وإنَّما سُمِّيتْ صَاعقةً؛ لأنَّها إذا أَصابتْ قتَلَتْ، يُقالُ: صعقَتْهُم؛ أي: قتلتْهُم[٢].

قوْلُهُ تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أَحَدُها: أنَّه لا يفُوتُهُ أحَدٌ منْهُم، فهُوَ جامِعُهُم يوْمَ القِيامةِ؛ ومثْلُه قوْلُه تعَالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[الطلاق: ١٢]، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّانِي: أنَّ الإِحاطةَ[٣]: الإِهْلَاكُ؛ مِثلُ قوْلِه تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢].

والثَّالِثُ: أنَّه لا يخْفَى عليْه مَا يفْعَلُونَ.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾.

«يَكَادُ» بِمَعْنَى: يُقارِبُ، وهِي[٤] كلِمَةٌ إذا أُثْبِتَتْ انْتَفَى الفِعْلُ، وإذَا نُفِيتْ[٥] ثَبَتَ الفِعْلُ. وسُئِلَ بعْضُ المتأخرِين فقِيلَ لَه[٦] [من الطويل]:

---

(١) في (ف): قالَه.

(٢) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٩).

(٣) قوله: «أن الإحاطة» ليس في (ف).

(٤) في (ف): وهو.

(٥) في (ف): انتفت.

(٦) البيتان لأبي العلاء المعري، ينظران في الطراز في الألغاز (ص: ٥٧)، شرح الكافية=

أَنَحْوِيَّ هَذَا الْعَصْرِ مَا هِيَ كِلْمَةٌ[(١)] جَرَتْ بِلِسَانَيْ جُرْهُمٍ وَثَمُودِ
إِذَا نُفِيَتْ -وَاللهُ يَشْهَدُ- أُثْبِتَتْ[(٢)] وَإِنْ أُثْبِتَتْ قَامَتْ مَقَامَ جُحُودِ

وَيَشْهَدُ للإِثْبَاتِ عِنْدَ النَّفْيِ قَوْلُه تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، وقوْلُه: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠]، ومثْلُه: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وَيَشْهَدُ للنَّفْيِ عند الإثْبَات قوْلُه تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ [البقرة: ٢٠]، و﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]، و﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥].

وقال ابْنُ قُتيبةَ: «كاد»[(٣)]: بمعْنَى هَمَّ وَلَمْ يفْعَلْ. وقد جاءَتْ بمعْنَى

=الشافية (١/ ٧٦٤)، وتعليق الفرائد (ص: ٧٥٠١)، والمغني (٢/ ٨٣٧)، وإصلاح الخلل (ص: ٢٥٣)، والأشموني (١/ ٨٦٢).

(١) وتُروى: لفْظَةٌ؛ كما في النسخة (م). وهذان البيتان فيهما لغز من صناعة أبي العلاء المعري... وهو لغزٌ نحويٌّ في «كاد»، فقد شاع بين النحويين -كاد- أنَّ إثباتها نفي، ونفيها إثبات، فإذا قيل: «كاد يفعل»، فمعناه: أنه لم يفعل، وإذا قيل: «لم يكد يفعل»، فمعناه: أنَّه فعله. ودليل الأول: قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، ودليلُ الثَّاني: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، ولابن هشام في «المغني» رأي مخالف ذكره في «التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها». انظر: الهمع (١/ ١٣٢)، وشرح الأشموني (١/ ٢٦٨)، وشرح أبيات المغني (٨/ ٢٨).

(٢) في (ج): إذا ما نطلب شيئًا بلا شك أثبتت.

(٣) في (ف): يكاد.

فعَل[١]. قَال ذُو الرُّمَّة[٢] [من الطويل]:

وَلَـوْ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ لِعَيْنَيْهِ مَيٌّ سَافِرًا كَادَ يَبْرَقُ

أي: لو تعَرَّضَتْ [له لَبرِقَ][٣]؛ أيْ: دَهِشَ وَتحَيَّرَ.

قلتُ: وقَدْ قالَ ذُو الرُّمة في المَنْفِيَّةِ ما يدُلُّ علَى أَنَّها تُسْتَعملُ (علَى خِلافِ الأَصْلِ)[٤]، وهُو قوْلُه[٥] [من الطويل]:

إذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

أراد: لَمْ يبْرَحْ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾.

قَرَأَ الجمْهُورُ: «يَخْطَفُ» بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الطاء، وقرأ أَبَانُ بْنُ تَغْلبَ[٦]، وأَبَانُ بْنُ يزيدَ كِلاهُمَا عَنْ عَاصِمٍ: بفتْحِ الياءِ وسُكونِ

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٧).

(٢) البيت لذي الرمة القصيدة رقم (١٣) البيت (١٢)، والمخصص (١٦/ ١٢٤)، ولسان العرب (برق)، وتاج العروس (برق)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ٣٢٢)، ومجمل اللغة (١/ ٢٥٣).

(٣) ما بين المعكوفين من (م)، و(ف).

(٤) في (ت): للإثبات.

(٥) البيت لذي الرمة في ديوانه (ص: ٤٥)، الحماسة البصرية (٢/ ٢٠٤)، وأمالي المرتضى (١/ ٣٣٢)، ومصارع العشاق (١/ ٣٢).

(٦) في الأصل: ثعلب، والمثبت من بقية النسخ، فهو أبان بن تغلب الربعي، أبو سعد،=

الخَـاءِ وكَـسْرِ الطَّـاءِ مخففًـا[١].

ورواه[٢] الجُعفـيُّ عـن أبي بَكْـرٍ عـنْ عَاصِـمٍ: بفَتْـحِ اليـاءِ وكَـسْرِ الخَـاء وتشْـدِيدِ الطَّـاءِ، وهـي قـراءةُ الحسـنِ[٣] كذَلِـك، إلَّا أنَّـه كَسَرَ اليَـاءَ. وعنْـهُ: فتْـحُ اليَـاءِ والخَـاءِ مـع كَسْرِ الطَّـاءِ المُشَـدَّدةِ[٤].

ومعنى «يَخْطَفُ»: يَسْتَلِبُ[٥]، وأصْلُ الاخْتِطَافِ[٦]: الاسْتِلابُ، ويُقالَ لِمَا يُخْرَجُ به الدلوُ: خُطَّافٌ؛ لأنَّه يَخْتَطِفُ مَا عَلِقَ به، قَال النَّابغةُ[٧] [من الطويل]:

=ويقـال: أبـو أميمـة الكـوفي، النحـوي، جليـل، قـرأ عـلى عاصـم، وأبي عمـرو الشـيباني، وطلحـة بـن مـصرف، والأعمـش، وهـو أحـد الذيـن ختمـوا عليـه. ويقـال: إنـه لم يختـم القـرآن عـلى الأعمـش إلا ثلاثـة منهـم أبـان بـن تغلـب، أخـذ القـراءة عنـه عرضًـا محمـد بـن صالـح بـن زيـد الكـوفي، تـوفي سـنة إحـدى وأربعـين ومائـة. وقـال القـاضي أسـد: سـنة ثـلاث وخمسـين ومائـة. ينظـر: غايـة النهايـة (١/ ٤).

(١) عـلى قـول بعـض العـرب في المـاضي: خطَـف، وهـي قـراءة عـلي بـن الحسـين، ومجاهـد، ويحيـى بـن وثـاب، انظـر: إعـراب القـرآن؛ للنحـاس (١/ ٣٤)، والمحـرر الوجيـز؛ لابـن عطيـة (١/ ٣١٤)، والبحـر المحيـط؛ لأبي حيـان (١/ ١٤٦).

(٢) في (ف): وروى.

(٣) قوله: «وعن الحسن» ليس في (ر).

(٤) إعـراب القـرآن؛ للنحـاس (١/ ٣٤)، والمحـرر الوجيـز؛ لابـن عطيـة (١/ ٣١٤ - ٣١٥)، وبلـوغ النهايـة؛ لمكـي بـن أبي طالـب (١/ ١٨١).

(٥) في (ف): يَسْلُبُ.

(٦) في الأصل: الإخطاف، والمثبت من (ج)، و(م)، و(ف).

(٧) البيـت في ديوانـه (ص: ٥٩)، وتفسـير الطـبري (١/ ٣٥٧)، والكامـل (٢/ ٧٤١)، والشـعر والشـعراء (١/ ١٣)، واللسـان (١٠/ ٤٢٤).

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوازِعُ

والحُجْنُ: المُتعَقّفَةُ[1]، وجَمَلٌ خَيْطَفٌ[2]: سَريعُ المَرِّ، وتلْكَ السُّرْعةُ الخَطفَى.

قوْلهُ تعَالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾.

قال الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: ضَاءَ الشَّيْءُ يضُوءُ، وَأَضَاءَ يُضِيءُ، وهذِه اللُّغةُ الثانِيةُ[3] هي المُختَارَةُ[4].

---

(١) في (ج): المنعقفة، وفي (ر): المتوقفة.

(٢) في (ج)، و(م)، و(ف): خطيف.

(٣) في (ج): الثابتة. وفي(م): المحكمة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٩٦).

فَصْلٌ

واخْتَلَفَ العُلَماءُ ما الَّذي يُشْبِهُ الرَّعدَ مِمَّا يتعلَّقُ بأحْوالِ المْنافقينَ على ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه التَّخويفُ الَّذي في القُرآنِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه ما يَخافُونَ أنْ يُصيبَهُم مِنَ المَصائبِ إذَا عَلِمَ النَّبيُّ والمْؤمنون بنِفَاقِهم، قالَهُ مُجاهِدٌ، والسُّدِّي.

والثَّالثُ: أنَّه ما يَخافُونَه[١] مِنَ الدُّعاءِ إلى الجِهَادِ، وقتالِ مَنْ يُبْطِنُونَ مَوَدَّتَهُ، ذكَرَه شيْخُنا.

واخْتَلَفُوا مَا الَّذي يُشْبِهُ البرقُ مِنْ أحْوَالهم، على ثلاثَة أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه مَا يَتَبيَّنُ لهم مِنْ مواعظِ القُرآنِ وحِكَمِهِ.

والثَّاني: أنَّه ما يُضِيء لهم مِنْ نُورِ إسْلَامهِم الَّذي يُظْهِرونَه.

والثَّالث: أنَّه مَثَلٌ لِمَا ينالُونَه بإظْهارِ الإسْلامِ مِن حقْنِ دمَائِهم، فإنَّه بالإِضَافَةِ إلى ما ذُخِرَ[٢] لهم في الأَجَلِ كالْبَرْقِ.

واخْتلفُوا في معْنى قوْلِه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ على قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّهُم كانوا يَفِرُّونَ[٣] من سماعِ القُرآن؛ لئلَّا يأمرَهُم بالجِهاد؛ مخافةَ الموْتِ، قالَه الحسَنُ، والسُّدِّي.

---

(١) في (ف): يخافه.

(٢) كذا في (م)، والمطبوع، وسقط من الأصل، وفي (ت): ذَخِرَ، وفي (ج): ذكر، وفي (ف): ادُّخِرَ.

(٣) في (ج): يفزعون.

والثَّاني: أنَّه مَثَلٌ لإعْرَاضِهم عنِ القُرآنِ؛ كَراهيةً له، قالَهُ مُقاتِلٌ.

واخْتلَفُوا في معنى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ على أرْبَعةِ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّ معناه: كُلَّما أتَاهُمُ القُرآنُ بِما يُحِبون تَابعوه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ، [والكلبيُّ][1].

والثَّاني[2]: أنَّ إضاءةَ البرقِ حُصولُ مَا يَرْجُونَهُ مِنْ سَلامَةِ نُفُوسِهِم وأمْوَالِهِم، فيُسْرِعُون إلى مُتَابعته، قالَهُ قَتادَةُ.

والثَّالث: أنَّ تكلُّمَهُم بالإسْلام، ومشيَهُم فيه: اهْتِدَاؤُهم به، فإذا تَركُوا ذلك وَقَفُوا[3] في ضَلَالةٍ، قالَه مُقاتِلٌ.

والرابع: أنَّ إضَاءَتَهُ لهم: تَرْكُهُمْ بِلا ابْتِلاءٍ ولَا امْتِحانٍ، ومشيَهُم فيه: إقَامتُهُم علَى المُسالَمَةِ بإظْهار ما يُظْهِرونَه، ذكَرَه شيْخُنا.

فأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فمَن قالَ: إضاءتُه [كَما][4] إتْيانُه إيَّاهم بما يُحِبُّونَ، قَال: إظْلامُه: إتْيانُه إيَّاهُم بها[5] يَكْرَهُون. وعلى هذا سائِرُ الأَقْوالِ الَّتي ذكَرْناها[6] بالعكس.

---

(١) من (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): وقعوا.

(٤) من (ر).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

(٦) في (ف): ذكرنا.

ومعْنَى ﴿قَامُوا﴾: وَقَفُوا.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾.

قال مُقَاتِلٌ: معْناه: لو شَاء لَأَذْهَبَ أسْماعَهُم وأبْصارَهُم عُقُوبةً لهم[١].

قال مُجَاهِدٌ: مِنْ أَوَّلِ البقرةِ أرْبعُ آياتٍ في نعْتِ المؤْمِنين، وآيتَانِ في نعْتِ الكافِرِينَ، وثَلاثَ عشْرَةَ في نعْتِ المْنافِقِينَ[٢].

قَالَ تعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾.

اخْتلَفَ العُلَماءُ فيمَنْ عني[٣] بِهذا الخْطَابِ علَى أرْبعَةِ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه عامٌّ في جميع النَّاسِ، وهو قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه خِطابٌ للْيهودِ دُون غيْرِهم، قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهدٌ.

والثَّالثُ: أنَّه خِطابٌ للكفَّار مِنْ مُشْركي العَرَبِ وغيْرِهم، قالَهُ السُّدِّيُّ.

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٩٣).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٤)، وأورده الحافظ في العجاب (١/ ٢٢٨).

(٣) في (ر): نهي.

والرَّابِعُ: أَنَّه خِطابٌ للمُنافِقين واليهودِ، قالَه مُقاتِلٌ.

و«النَّاس»: اسْمٌ للْحَيوانِ الآدَمِيِّ، وسُمُّوا بذلِك لِتَحرُّكِهِم في مُرَاداتِهِم[(١)]. [والنَّوسُ: الحَرَكَةُ][(٢)]. وقِيلَ: سُمُّوا نَاسًا لِمَا يعْتَرِيهِم مِنَ النِّسْيَانِ.

وفي المُرادِ بالعِبادَةِ هَاهُنَا قوْلانِ:

أحدُهما: التَّوْحيدُ.

والثَّاني: الطَّاعَةُ، رُوِيَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والخلْقُ: الإيجادُ. وإِنَّما ذَكَر مَنْ قَبْلَهُم؛ لأَنَّه أبْلغُ في التَّذْكِيرِ[(٣)]، وأقْطعُ للجَحْدِ، وأحْوطُ في الحُجَّةِ. وقِيلَ: إنَّما ذَكَر مَنْ قبْلَهُم، لِيُنَبِّهَهُم علَى الِاعْتِبَار بأحْوَالِهِم في إثْابَةِ مُطِيعٍ، ومُعَاقبَةِ عَاصٍ.

وفي «لعَلَّ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها[(٤)] بمعنى: «كي»، وأنْشَدُوا في[(٥)] ذلِك[(٦)]:

---

(١) في (ف): إراداتهم.

(٢) من (ج)، والمطبوع. وانظر: غريب الحديث؛ للقاسم بن سلام (٢/ ٣٠٠).

(٣) في (ف): التَّذكُّر.

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ف): من.

(٦) البيتان لشاعر من شعراء بني العباس ولم يذكر اسمه في الحماسة البصرية (١/ ٢٥)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٧٧)، وشرح التسهيل (٢/ ٧).

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الحُرُوبَ لَعَلَّنَا نَكُفُّ وَوَثَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوثِقِ
فَلَمَّا كَفَفْنَا الحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُمْ كَلَمْعِ سَرَابٍ فِي المَلَا مُتَأَلِّقِ

يُريد: لكَي نَكُفَّ، وإلى هذا المَعْنى[1] ذَهَب مُقَاتِلٌ وقُطرُبٌ وابْنُ كيسَانَ.

والثَّاني: أَنَّهَا بمعْنى التَّرَجِّي، ومعْنَاها: اعْبُدُوا اللهَ رَاجِين للتَّقْوَى، ولأنْ تقُوا[2] أَنْفُسَكم -بالعبَادة- عذابَ ربِّكم، وهذا قوْلُ سِيبويهِ[3].

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لعلَّكُم تَتَّقُون الشِّرْكَ[4]. وقالَ الضَّحَّاكُ: لعلَّكُم تَتَّقُون النَّارَ[5]. وقَال مُجاهِدٌ: لعلَّكم تُطِيعُونَ[6].

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ج)، و(م): تقوى. وفي (ر): اتقوا.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (١/ ١٠٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ١٦٢) بنحوه.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٢).

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد (٩٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٢).

إِنَّما سُمِّيتِ الأرْضُ أرْضًا؛ لِسَعَتِهَا، (من قوْلهم: أَرِضَت القَرْحَةُ: إذا اتَّسعَتْ)[١]، وقِيل: لِانْحِطَاطِهَا عنِ السَّماءِ، وكُلُّ ما سَفَلَ[٢]: أرْضٌ، وقِيل: لأنَّ النَّاسَ يَرضُونَهَا بِأَقْدَامِهِم، وسُمِّيتِ السَّماءُ سماءً لِعُلُوِّهَا.

قال الزَّجَّاجُ: وكُلُّ ما علَا علَى الأرْضِ فاسْمُهُ بِناءٌ[٣]. وقال ابْنُ عبَّاسٍ: البِناءُ هَاهُنَا بمعْنَى السَّقْفِ[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. يعْنِي[٥]: مِنَ السَّحَابِ. ﴿مَآءً﴾ يعْنِي: المَطرَ[٦]. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شُركاءَ، أَمْثالًا[٧]. يُقال: هذَا نِدُّ هذَا، ونَدِيدُهُ.

وفِيما أُريد[٨] بالأَنْدَاد هَاهُنا قوْلانِ:

أحدُهما: الأصْنَامُ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: رِجالٌ كانوا يُطِيعُونَهُم في معْصِية اللهِ، قالَه السُّدِّي.

---

(١) ما بين الهلالين ليس في (ت)، ، و(ر)، و(ف)، و(م). وانظر: إصلاح المنطق؛ لابن السكيت (ص: ٦١)، التبيان في إعراب القرآن؛ للعكبري (١/ ٢٨).

(٢) في (ف): مُستفلٍ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٩٩).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٦١).

(٥) في (ر): معنى.

(٦) في (م): القطر.

(٧) في (م): امتثالًا.

(٨) في (ف): أراد.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **فيهِ سِتَّةُ**[١] **أقْوَالٍ:**

أحدُهـا: وأنتـم تعلمُـون أنَّـه خلَـقَ السَّـماءَ، وأنْـزَل المَـاءَ، وفعَـلَ مَـا شرَحَـه في هـذِه الآيَـاتِ، وهـذَا المْعْنـى مَـرْويٌّ[٢] عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ، وقتـادةَ، ومُقاتـلٍ.

والثَّاني: وأنتـم تعلمـون[٣] أنَّـه ليْـس ذلِـكَ في كِتابِكُـمُ التَّـوْراةِ والانجيلِ، رُوِي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أيْضًـا، وهـو يُخَـرَّجُ علَـى قـوْلِ مَـن قَـال: الخْطَـابُ لأهْـلِ الكِتَابِ.

والثَّالث: وأنتم تعلمون أنَّه لا ندَّ لَه، قالَه مُجَاهِدٌ.

والرَّابعُ: أنَّ العِلمَ هَاهُنا بمعْنَى العَقلِ[٤]، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٥].

والخامِسُ: وأنْتُـم تعلمـون أنَّـه لا يَقـدِرُ عـلَى فعْـلِ مـا ذكـرَهُ أحَـدٌ سِـوَاهُ[٦]. ذكَـرَه شـيْخُنا عـلِيُّ بْـنُ عُبيـد الله[٧].

---

(١) ليست في (م).

(٢) في (ف): يُروى.

(٣) من قوله: «وقَتَادَة ومقاتل»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) في (ج): الفعل.

(٥) غريب القرآن (ص: ٤٤).

(٦) قوله: «ذكره أحد سواه» ليس في (ر).

(٧) قوله: «علي بن عبيد الله» ليس في (ج).

والسَّادس: وأنْتم تعْلمون أنَّها حِجارَةٌ، (فإذَا قَالُوا: مَا نَعْلم. قُلْنا)[١]: بَلى[٢]! قدْ وقَعَ الوِفَاقُ[٣] علَى أنَّ الأَصْنامَ حِجارَةٌ، [وأنْتم تعْلَمُون أنَّهُ خلقَهَا][٤]، سَمِعتُه مِنَ الشَّيخ أبي مُحَمَّدِ بْنِ الخشَّابِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾

سَبَبُ نُزُولِهَا[٥]:

أنَّ اليهُودَ قالُوا: هذا الَّذي يأْتِينَا بِه مُحَمَّدٌ لا يُشبِهُ الوحْيَ، وإنَّا لَفِي شَكٍّ منْهُ، فنَزَلتْ هذِه الآيَةُ. وهَذا مَرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦]، ومُقَاتلٍ[٧].

و«إنْ» هَاهُنا لغَيْر شَكٍّ؛ لأنَّ اللهَ تعَالى علِمَ[٨] أنَّهُم مُرْتَابُون، ولكنْ هذا عادَةُ العَربِ، يقُول الرَّجلُ لابْنِه: إنْ كُنْتَ ابْنِي فَأَطِعْني. وقِيل: إنَّها

(١) في (ت) جاءت هذه العبارة هكذا: «لأنا إذا قلنا: وأنتم تعلمون أنه خلق. قالوا: ما نعلم».

(٢) في (م): قيل: بلى.

(٣) في الأصل: الاتفاق، والمثبت من (م)، و(ف).

(٤) من (ف).

(٥) زاد في (م): في اليهود.

(٦) البحر المحيط (١/ ١٦٦).

(٧) رواه مقاتل في تفسيره (١/ ٣٧).

(٨) في (ج): (أعلم).

هَاهُنا بِمَعْنى «إِذْ»، قَال أَبو زَيْدٍ: ومنه قوْلُه تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٢٧٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.

قال ابْنُ قُتيبةَ: السُّورةُ تُهْمَزُ ولا تُهْمَزُ[1]، فمَن هَمَزَها جعلَها مِنْ أَسْأَرْتُ[2]، يعْنِي: أفْضَلْتُ[3] كأنَّها قِطعَةٌ مِنَ القُرآنِ، ومَن لم يَهْمِزْهَا جَعلَها مِن سُورةِ البِنَاءِ؛ أي: منْزِلَةً بعْدَ منْزِلَةٍ[4]. قَال النَّابِغَةُ في النُّعمانِ[5] [من الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

والسُّورةُ فِي هذَا البَيْتِ: سُورَةُ المَجْدِ، وهِي مُستعَارةٌ مِنْ سُورَةِ البِنَاءِ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من أسأر؛ إذا أبقى، ومنه سؤر الشراب، ومنه قول الأعشى وهو ميمون بن قيس:

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الْفُؤَا ... دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا

أي: أبقت فيه.

(٣) ليست في (ر).

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٣٥).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٦)، وفي أيضًا تفسير الطبري (١/ ١٠٥)، جمهرة اللغة (١/ ١٧٤)، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٥)، تهذيب اللغة (١٣/ ٣٦)، الحيوان (٣/ ٤٨)، العقد الفريد (٢/ ٣٧)، ديوان المعاني (١/ ١٥).

وقَال ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: قَال أَبُو عبيدة[١]: إِنما سُمِّيتِ السُّورَةُ سُورَةً؛ لأَنَّه يُرْتفَعُ فيهَا مِنْ منْزِلةٍ إِلى منْزِلةٍ، مثْلُ سُورَةِ البِنَاءِ[٢].

معْنَى أَعْطاك سُورةً؛ أَي: منْزِلةَ شرَفٍ ارْتفعْتَ إِلَيْهَا عنْ مَنازِلِ المُلوكِ.

قَال ابْنُ القَاسِم: ويَجوزُ أَنْ تكونَ سُمِّيَتْ سُورَةً لِشَرَفِها، تَقُولُ العَرب: لَه سُورَةٌ[٣] فِي المَجدِ؛ أَي: شَرَفٌ وارْتِفاعٌ، أَوْ لِأَنَّها قِطعَةٌ مِنَ القُرآن مِنْ قولِكَ: أَسْأَرْتُ سُؤْرًا؛ أَي: أَبْقَيْتُ بَقِيَّةً[٤].

وفي هَاء ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّهَا تعُودُ علَى القُرآنِ المُنْزَّلِ، قالَه قَتادةُ، وَالفرَّاءُ، ومُقاتِل[٥].

والثَّاني: أَنَّهَا تعُودُ علَى النَّبيِّ ﷺ، فيَكُونُ التَّقديرُ[٦]: فأْتُوا بسُورَةٍ مِن مثْلِ هذَا العبدِ الأُمِّيِّ، ذكَرَه أَبُو عُبيدةَ، والزَّجَّاجُ، وابْنُ القَاسِم[٧].

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٠).

(٢) الزاهر في معانى كلمات الناس (١/ ٧٢).

(٣) ليست في (ج).

(٤) الزاهر في معانى كلمات الناس (١/ ٧٢).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٤)، معاني القرآن (١/ ١٩).

(٦) من قوله: «وفي هاء مثله»... إلى هنا ليس في (ج).

(٧) مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٤)، وقال: من مثل القرآن، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٠).

فعلَى هـذَا القَـوْلِ: تكُـونُ «مِـنْ» (واقعـةً مَوْقـعَ التَّبعيـضِ)[١]، وعـلَى الأَوَّلِ: تكُـونُ زائِـدةً[٢].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهُمَا: أنَّ معْناه: وَاسْتَعِينُوا مِنَ المْعونَةِ، قالَه السُّدِّي، والفَرَّاءُ[٣].

والثَّاني: اسْتَغيثُوا، مِنَ الاسْتِغاثَةِ[٤]. وأنْشَدُوا[٥] [من الطويل]:

فَلَـمَّا الْتَقَـتْ فُرْسَـانُنَا وَرِجَالُهُـم دَعَـوْا يَـالَ كَعْـبٍ وَاعْتَزَيْنَـا لِعَامِـرِ

وهذا قوْلُ ابْنِ قُتيبةَ[٦].

وفي «شُهدائِهِم» ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم آلهتُهُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّي، ومُقاتِلٌ، والفرَّاء[٧].

---

(١) في (ت)، و(ج)، والمطبوع: لابْتِداءِ الغَايةِ.

(٢) جاءت العبارة في (م): «فعلى هذا القول تكون «من» لابتداء الغاية، وعلى الأول تكون للتبعيض، وعلى الأول تكون زائدة».

(٣) معاني القرآن (١/ ١٩).

(٤) في (ج): «استعينوا من الاستعانة». وقوله: «من الاستغاثة» ليس في (م).

(٥) البيت لعبيد بن حصين بن معاوية المعروف بالراعي النميري في ديوانه (ص: ١٠٩)، وغريب الحديث؛ للقاسم بن سلام (١/ ٣٠٢)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٣/ ٦٢)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١/ ٣٧٧)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٠٩).

(٦) غريب القرآن (ص: ٤٣).

(٧) تفسير مقاتل (١/ ٩٣)، معاني القرآن (١/ ١٩).

قَالَ ابْنُ قُتَيبةَ: وسُمُّوا شُهداءَ؛ لأَنَّهُم يَشْهَدُونهم ويَحْضُرونهم[1]. وقالَ غيْرُهُ: لأَنَّهُم عبدُوهُم لِيشهَدُوا لَهُم عنْدَ اللهِ.

والثَّاني: أنَّهُم أعْوانُهُم، رُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالثُ: أنَّ معْناه: فأْتُوا بِناسٍ يشْهَدُون أنَّ مَا تأْتُونَ بِه مثْلُ القُرآنِ، رُوِيَ عنْ مُجاهِدٍ.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: في قوْلِكم: إنَّ القُرآنَ ليْسَ مِن عنْدِ اللهِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

قوْلُه تعالَى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾.

في هذه الآيةِ مُضمرٌ مُقدَّرٌ، يقْتَضِي الكلامُ تقديمَهُ[2]، وهُو أنَّه لَمَّا تَحدَّاهُم بِها[3] في الآيةِ الْماضِيةِ مِنَ التَّحدِّي، فسَكتُوا عَنِ الإجابَةِ قَالَ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾، وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أعْظمُ دِلالَةٍ علَى صِحَّةِ نُبوَّةِ نَبيِّنا؛ لأنَّه أخْبرَ أنَّهُم لَا يفْعلُون، ولم يفْعَلُوا.

و«الوَقُود»: بفتْحِ الوَاوِ: الحطَبُ، وبِضمِّها: التَّوَقُّدُ، كالوَضُوء بالفَتْحِ: المَاءُ، وبالضَّمِّ: المْصدرُ، وهو اسْمُ حَركاتِ المُتوضِّئ.

(١) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٤).

(٢) في (ف): تقديره.

(٣) ليست في (ف).

وقَرَأَ الحسَنُ، وقَتادَةُ: ﴿وَقُودُهَا﴾، بضمِّ الوَاو[١]، والاخْتِيارُ الفَتْحُ.

و«النَّـاس» أُوقِـدُوا فِيهـا بطَرِيـقِ العـذَابِ. و«الحِجَـارة» لبَيـانِ قُوَّتِهـا وشِـدَّتِهَا؛ إِذْ هِـيَ مُحْرِقَـةٌ للحجـارَةِ.

وفي هذه «الحجارة» قوْلانِ:

أَحدُهما: أَنَّهَا أَصْنامُهُم الَّتِي عبَدُوها، قالَهُ الرَّبِيعُ بنُ أَنسٍ.

والثَّـاني: أَنَّهَـا حِجـارَةُ الكِبريـتِ، وهِـي أَشَـدُّ الأَشْـياءِ حَـرًّا؛ إِذا أُحْمِيَـتْ[٢] يُعَذَّبُـونَ بِهَا.

ومعْنَـى ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئَـتْ. وإِنَّـما خَوَّفهُـم بالنَّـار إِذا لم يأْتُـوا بمِثْـل القُـرآن؛ لأَنَّهُـم إذَا كذَّبُـوه، وعجَـزُوا عـنِ الإتْيَـان بِمِثْلـه ثَبَتَـتْ علَيْهِـمُ الحُجَّـةُ، وصَـار الخِـلافُ عِنَـادًا، وجَـزَاءُ المُعانِديـنَ النَّـارُ.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

قولُـه تعَـالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ البِشَـارةُ: أَوَّلُ خَـبَرٍ يَـرِدُ عـلَى الإِنْسَـانِ، وسُـمِّيَ بِشـارَةً؛ لأَنَّـه يُؤثِّـرُ في بَشَرَتِـهِ، فـإِنْ كانَ خَـيْرًا، أَثَّـرَ المَـسَرَّةَ

(١) قـال العكـبري في التبيـان في إعـراب القـرآن (١/ ٤١): الجمهـور عـلى فتـح الـواو وهـو الحطـب، وقـرئ بالضـم، وهـو لغـة في الحطب؛ والجيـد أن يكـون مصـدرًا بمعنـى التوقـد، ويكـون في الـكلام حـذف مضـاف تقديـره: توقدهـا احـتراق النـاس. انظـر: القـراءات الشـاذة (ص: ٤)، والمحتسـب (١/ ٦٣).

(٢) في (ف): حَمِيَتْ.

والانْبِسَاطَ، وإنْ شَرًّا، أَثَّرَ الاجْتِمَاعَ[١] والغَمَّ، والأَغْلَبُ في عُرْفِ الاِسْتِعْمَالِ أن تَكونَ البَشارَةُ بالخَيْرِ، وقد تُسْتعمَلُ في الشَّرِّ، ومنْهُ قوْلُه تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[النساء: ١٣٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

يشْمَلُ كُلَّ عمَلٍ صَالِحٍ، وقَد رُوي عَن عُثمانَ بْنِ عفَّانَ أنَّه قَالَ: أَخْلِصُوا الأَعْمَالَ[٢]. وعنْ عليٍّ أنَّه قَال: أَقَامُوا الصَّلَواتِ المَفْروضَاتِ[٣].

فأمَّا «**الجَنَّات**» فجمْعُ جنَّةٍ. وسُمِّيتِ الجَنَّةُ جَنَّةً؛ لِاسْتِتارِ أرْضِها بأشْجَارِها، وسُمِّيَ الجِنُّ جِنًّا؛ لاسْتِتارِهِم، والجَنِينُ مِن ذلِك، والدِّرْعُ جُنَّةٌ، وجَنَّ اللَّيلُ؛ إذَا سَتَر، وذُكِر عنِ المُفَضَّلِ: أَنَّ الجنَّةَ كُلُّ بُسْتَانٍ فِيه نَخلٌ.

وقَال الزَّجَّاجُ: [كُلُّ نبْتٍ][٤] كثُفَ وكثُرَ وسَتَرَ بعْضُه بعْضًا، فهُو جنَّةٌ[٥].

قوْلُه تَعَالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾؛ أي: مِن تحتِ شَجرِهَا لَا مِنْ تَحْتِ أرْضِهَا.

قوْلُه تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاه: هذَا الَّذي طَعِمْنا مِنْ قبلُ، فرِزْقُ الغَداة كَرِزْقِ

---

(١) كذا في جميع النسخ الخطية، وفي المطبوع: الانجماع، وهي بمعنى القبض.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (١/ ١٦٩)، وأبو حفص الحنبلي في اللباب (١/ ٤٤٨).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (١/ ١٧٠) ونسبه إلى عثمان بن عفان.

(٤) ما بين المعكوفين من (ج)، و(ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٨)، وقوله: «فهو جنة» ليس في (ف).

العَشِيِّ، رُوِي عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والضَّحَّاك، ومُقاتِلٍ.

والثَّاني: هذَا الَّذي رُزِقنَا مِنْ قَبْلُ في الدُّنْيا، قالَهُ مُجَاهِدٌ، وابْنُ زَيْدٍ.

والثَّالث: أنَّ ثَمَرَ الجنَّةِ إذا جُنِيَ خَلفَهُ مِثْلُهُ، فإذا رَأوا مَا خَلفَ الجَنَى، اشْتَبهَ عليْهِم، فقَالُوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، قالَه يَحْيَى بْنُ أبي كثِيرٍ، وأبو عُبيدةَ[1].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ فِيه ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه مُتَشابِهٌ في المَنْظرِ واللَّوْنِ، مُخْتَلِفٌ في الطَّعْمِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو العاليةِ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّي، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّه مُتَشابِهٌ في جَودَتِه، لا رَدِيءَ فِيهِ، قالَه الحسنُ، وابنُ جُريجٍ.

والثَّالث: أنَّه يُشْبِهُ ثِمارَ الدُّنيا في الخِلْقَةِ والاِسْمِ، غَيْرَ أنَّه أحْسَنُ في المَنظَرِ والطَّعْمِ[2]، قَالَه قَتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

فَإنْ قَال قَائِلٌ: مَا وجْهُ الاِمْتِنانِ بِمُتَشابِهِه[3]، وكلَّما تَنوَّعَتِ المَطاعِمُ، واخْتَلفَتْ ألْوانُهَا كَان أحْسَنَ؟!.

فالجوابُ: إنَّا إنْ قُلْنا: إنَّه مُتَشابِهُ المَنْظرِ مُخْتَلِفُ الطَّعْمِ، كانَ أغْربَ عنْدَ الخَلْقِ وأحْسَنَ، فَإنَّك لَوْ رأيْتَ تُفاحةً فيها طعْمُ سَائِرِ الفَاكهةِ، كانَ نهايةً فِي العَجَبِ. وإنْ قُلْنا: إنَّه مُتَشابِهٌ في الجَوْدَةِ جازَ اخْتِلافُه في الألْوانِ

---

(١) مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٤).

(٢) في (ف): المطعم.

(٣) في (ف): بتشابهه.

والطُّعُوم. وإنْ قُلْنا: إنَّهُ يُشْبِهُ صُورَةَ ثِمارِ[١] الدُّنْيا مع اخْتِلَافِ المَعانِي كانَ أَطْرَفَ وأَعْجَبَ، وكُلُّ هذِه مَطَالِبُ مُؤْثَرَةٌ.

قَوْلُه تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾؛ في[٢] الخَلْقِ، فإنَّهُن لا يَحِضْنَ وَلَا يَبُلْنَ ولَا يَأْتِينَ الخَلَاءَ، وفي الخُلُقِ، بأنَّهُنَّ[٣] لا يَحسُدْنَ ولا يَغِرْنَ ولا يَنْظُرْنَ[٤] إلى غيرِ أزْواجِهِنَّ[٥]. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: نَقِيَّةٌ عن القَذَرِ[٦] والأذَى[٧].

قال الزَّجَّاجُ: و«مُطَهَّرَةٌ» أبْلَغُ مِن طَاهِرَةٍ؛ لأَنَّهُ للتَّكْثِيرِ[٨].

و«الخُلُودُ»: البَقاءُ الدَّائِمُ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ.

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

وقوْله تعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾.

---

(١) في (م): ثمار صورة.

(٢) في المطبوع: أي.

(٣) في المطبوع: فإنهن.

(٤) في (ج): ينظر.

(٥) من قوله: «أي: الخلق»... إلى هنا ساقط من (ت)، و، (ر)، و(ف).

(٦) في المطبوع: القذى.

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٧).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٢).

في سَبَبِ نُزولِهَا قوْلَانِ:

أَحدُهما: أَنَّهُ لَمَّا نَزَل قوْلُه تعَالى: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]، ونَزَلَ قوْلُه: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[العنكبوت: ٤١]. قالت[1] اليهُودُ: ومَا هذَا مِنَ الأَمْثالِ؟! فنَزَلتْ هذِه الآيةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[2]، والحسَنُ[3]، وقتَادةُ[4]، ومُقاتِلٌ[5]، والفَرَّاءُ[6].

والثَّاني: أَنَّه لَمَّا ضرَبَ اللهُ المَثلَيْنِ، وهُمَا قوْلُه تعَالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقوْلُه: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، قَال المْنافِقُونَ: اللهُ أَجَلُّ وأعْلَى مِنْ أنْ يضْرِبَ هذِه الأَمْثالَ، فنَزَلتْ هذِه الآيةُ، روَاهُ السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه[7]. ورُوِي عنِ الحسَنِ[8]، ومُجاهِدٍ[9]، نحوُهُ.

---

(١) في (ف): قال.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٩) بمعناه.

(٣) انظر: أسباب النزول (ص: ١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٩)، والعجاب (١/ ٢٤٥).

(٤) سبق تخريجه برقم (١٨).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٣٨).

(٦) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٧).

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٨).

(٨) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٩)، وانظر: العجاب (١/ ٢٤٥).

(٩) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٧٢) بنحوه، والطبري في تفسيره (١/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٦٨).

والحياء: -بالمدِّ- الانْقِباضُ والاحْتِشامُ، غيرَ أنَّ صِفَاتِ الحقِّ ﷻ لَا يُطَّلَعُ لَهَا على مَاهِيَّةٍ، وإنَّما تُمَرُّ كما جاءَتْ.

وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ»(١)، وَقِيلَ: معْنى «لا يَسْتَحيي»: لَا يَتْرُكُ(٢)، لأنَّ كُلَّ مَا يُسْتَحيَى(٣) مِنه يُتْرَكُ.

وحكَى ابْنُ جَرِيرِ الطَّبَرِيُّ عن بعْضِ اللُّغويينَ أنَّ معْنَى «لا يَسْتَحيي»: لَا يَخْشَى(٤). ومثْلُه: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[الأحزاب: ٣٧]؛ أي: وَتَسْتَحِيي منْهُم(٥). فالِاسْتِحياءُ والخَشْيَةُ يَنُوبُ كُلُّ واحِدٍ منْهُما عنِ الآخرِ.

وقرَأ مُجَاهِدٌ، وابْنُ مُحَيْصِنٍ: «لا يَسْتَحِي» بياءٍ واحِدَةٍ، وهِي لُغَةٌ(٦).

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه، وابن ماجه (٣٨٦٥).

(٢) من قوله: «وقد قال النبي ﷺ»... إلى هنا، ليس في (ف).

(٣) في (ج): يستحى. ومن قوله: «لا يترك»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٥) في (ت)، والمطبوع: منه.

(٦) هي لغةٌ لتميم، وبكر بن وائل، انظر: القراءات الشاذة (ص: ٤)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ١٥٢) قال المهدوي في التحصيل (١/ ١٨٥): وروي ذلك أيضًا عن ابن كثير، والمشهور عنه كالجماعة، نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت ثم استثقلت الضمة على الياء الثانية فسكنت، فحذفت إحداهما للالتقاء.

وقوْلُه تعالَى: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أنْ يذْكُرَ شَبَهًا[١].

واعْلَم أنَّ فائِدةَ المَثَلِ: أنْ يُبَيِّنَ للمَضْرُوبِ لَهُ الأَمْرُ الَّذِي ضُرِبَ لأَجْلِه، فيَنْجَلِي[٢] غامِضُهُ.

قوْلُه تعالى: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾.

«مَا»: زائِدةٌ، وهذَا اخْتِيارُ أَبِي عُبيدةَ، والزَّجَّاجِ، والبَصْريين[٣]. وأنْشَدُوا للنَّابِغة[٤] [من البسيط]:

قَالَتْ: أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

وذَكَر أَبو جعفرٍ الطَّبرِيُّ أنَّ المَعْنَى: مَا بيْنَ بَعُوضَةٍ إِلَى مَا فوْقَها، ثُمَّ[٥] حُذِفَ ذِكْرُ «بَيْنَ» وَ«إِلَى»؛ إذْ كانَ في نصْبِ البَعُوضةِ، ودُخُولِ الفَاء فِي «مَا» الثَّانيةِ دِلالَةٌ علَيْهما، كما قالتِ العَربُ: مُطِرْنا ما زُبالَةَ فالثَّعْلَبِيَّةَ[٦]،

---

(١) انظر: أسباب النزول (ص: ١٤)، وذكره الحافظ في العجاب (١/ ٢٤٦)، ثم قال: الروايتان عن ابن عباس واهيتان، فقد تقدَّم التنبيه على وهاء الكلبي وعبد الغني الثقفي.

(٢) في (ف): فيتجَلَّى.

(٣) مجاز القرآن (ص: ٨)، معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٣).

(٤) البيت في ديوانه (ص: ٢١)، وتفسير الطبري (٢/ ٢٣٦)، والأغاني (١١/ ٣١)، والإنصاف (٢/ ٤٧٦)، والخصائص (٢/ ٤٦٠).

(٥) في (ج): من.

(٦) في (ج): مطرنا ماؤنا والثعلبة. وهما موضوعان معروفان من المنازل في الطريق بين الكوفة ومكة. انظر: معجم البلدان (٢/ ٧٨)، (٣/ ١٢٩).

ولَـه عِـشْرُونَ مَـا نَاقَـةٌ فجَمَـلًا، وهِـيَ[١] أحسَـنُ النَّـاسِ مَـا قَرْنًـا فقَدَمًـا، يَعْنُـون: مَـا بَـيْنَ قَرْنِهَـا إِلَى قَدَمِهَـا[٢].

وقَـالَ غَـيْرُه: نَصَـبَ البَعُوضَـةَ عـلَى البَـدَلِ مِـنَ المَثَـلِ. ورَوَى[٣] الأَصْمَعِيُّ عـنْ نَافِـعٍ: «بَعُوضَـةٌ» بالرَّفْـعِ، عـلَى إِضْـمَارِ هُوَ.

والبَعُوضَةُ: صَغِيرَةُ البَقِّ.

وفي قوْلِه تعَالَى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ معْنَـاه فـمَا فوْقَهـا فِي الكِـبَرِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وقتَـادَةُ، وابْـنُ جُريجٍ، والفَـرَّاءُ[٤].

والثَّاني[٥]: فمَا فوْقَها فِي الصِّغَرِ، فيكُونُ معْنَاه: فمَا دُونَهَا، قالَهُ أبو عُبيدَةَ[٦].

قَـال ابْـنُ قُتَيبـةَ: وقـد يَكُـونُ الفَـوْقُ بِمعْنَـى: دُونَ، وهُـو مِـنَ الأَضْـدَادِ، ومثْلُـه: الجَـوْنُ[٧]: يُقَـالُ للأَسْـوَد والأَبْيَـضِ. والصَّرِيـمُ: الصُّبْـحُ واللَّيْـلُ.

---

(١) في (ج): وهو.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٢٩).

(٣) في (ج): وروي عن.

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٠)، وانظر: تفسير الطبري (١/ ٤٠٥).

(٥) من قوله: «فما فوقها في الكبر»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) مجاز القرآن (ص: ٤).

(٧) في (ت)، و(ر): الجوان.

والسُّدفَةُ: الظُّلمَةُ والضَّوْءُ. والجَلَلُ[١]: الصَّغِيرُ[٢] والكَبِيرُ. والنَّاهِلُ: العَطْشَانُ والرَّيَّانُ. والمَاثِلُ: القَائِمُ واللَّاطِئ بالأَرْضِ. والصَّارِخُ: المُغِيثُ والمُسْتَغِيثُ[٣]. والهَاجِدُ: المُصَلِّي باللَّيْلِ وَالنَّائِمُ. والرَّهْوَةُ: الارْتِفَاعُ والانْحِدَارُ. والتَّلْعَةُ: مجرَى المَاءِ مِنْ أَعْلَى الوَادِي، وهِيَ مَا انْهَبطَ مِنَ الأَرْضِ[٤]. والظَّنُّ: يَقِينٌ وشَكٌّ. والأَقْرَاءُ: الحِيَضُ والأَطْهَارُ. والمُفْرِعُ في الجَبَلِ: المُصْعِدُ، وهُوَ المُنْحَدِرُ. والوَرَاءُ: يَكُونُ خلفًا وقُدَّامًا. وأَسْرَرْتُ الشَّيْءَ: أَخفَيْتُه وأَعْلَنْتُه. وَأَخفَيتُ الشَّيْءَ: أظهرتُه وكتَمْتُهُ. وَرَتَوْتُ الشَّيْءَ: شَدَدْتُهُ، وَأَرْخَيتُه. وَشَعَبْتُ الشَّيْءَ: جَمَعْتُه وفَرَّقْتُه. وبِعْتُ الشَّيْءَ بمعْنَى: بِعْتُه واشْتَرَيْتُه. وشَرَيتُ الشَّيْءَ: اشتَرَيْتُه وبِعْتُه. والحَيُّ خُلُوفٌ: غُيَّبٌ، ومُتَخلِّفُونَ[٥].

واخْتَلفوا في قوْلِه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ هَلْ هُو مِنْ تَمَامِ قَوْلِ الَّذِين قالُوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أَوْ هُوَ مبتدأٌ مِن كلامِ اللهِ ﷻ؟ علَى قوْلَيْنِ:

---

(١) في (ف): والحُكْلُ.

(٢) من قوله: «والصريم»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ف): المستغيث والمغيث.

(٤) في المطبوع: مَا ارْتَفَع مِنَ الأَرْضِ، ومَا انْهَبَطَ مِنَ الأَرْض. وهو الذي في أدب الكاتب (ص: ٢١٠).

(٥) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٥).

أحدُهما: أنَّه تمامُ الكلامِ الَّذي قبْلَهُ، قالَه[١] الفرَّاءُ، وابْنُ قُتيبةَ. قَال الفَرَّاءُ[٢]: كأنَّهم قالُوا: مَاذا أَرادَ اللهُ بمثَلٍ لا يَعرفُه كُلُّ أحدٍ، يُضِلُّ بِه هذَا[٣]، ويهْدِي بِه هذَا؟! [ثُمَّ اسْتُؤنِفَ الكَلامُ والخَبَرُ عَنِ اللهِ][٤]؛ فقَال اللهُ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٥].

والثَّاني: أنَّه مبتدأٌ مِن قوْلِ اللهِ تعَالَى، قالَه السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

فأمَّا «الفِسْقُ» فهُو في اللُّغَةِ: الخُروجُ، يُقالُ: فَسقَتِ الرُّطبةُ؛ إذَا خرجَتْ مِنْ قِشْرِهَا، فالفَاسِقُ: الخَارِجُ عَن طاعَةِ اللهِ إلى معْصِيتِه.

وفي المُراد بـ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ هاهُنا، ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ اليهودُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: المُنَافِقُون، قَالَه أبو العَاليةِ، والسُّدِّيُّ.

والثَّالث[٦]: جَميعُ الكُفَّارِ.

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾. [البقرة: ٢٧].

---

(١) في (ف): قال.

(٢) ليست في (ف).

(٣) من قوله تعالى: «ويهدي به كثيرا»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) من المطبوع.

(٥) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٢٣)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٥).

(٦) ليست في (ف).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ هـذِه صفَـةٌ للفَاسِـقينَ، وقـدْ سـبَقَتْ فيهـمُ الأقْـوَالُ الثّلاثَـةُ.

والنَّقْـضُ: ضِـدُّ الإبْـرَامِ، ومعْنَـاه: حَـلُّ الـشَّيءِ بعْـدَ عقْـدِه. ويَنْـصَرِفُ النَّقْـضُ إلى كُلِّ شَيءٍ بِحَسَـبِهِ[١]، فنَقْـضُ البِنَـاءِ: تفْرِيـقُ جَمْعِـه بعْـدَ إحْكَامِـهِ. ونقْـضُ العَهْـدِ: الإعْـرَاضُ عَـنِ المُقَـامِ عـلَى إحْكَامِـهِ.

وفي هذَا العَهدِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه مَـا عُهِـدَ إلى أهْـلِ الكِتَـابِ مِـنْ صِفَـةِ مُحَمَّـدٍ ﷺ والوَصِيَّـةِ باتِّبَاعِـهِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُقاتِـلٌ.

والثَّـانِي: أنَّـهُ[٢] مَـا عُهِـدَ إليهـم في القُـرآنِ، فأقَـرُّوا بِـه ثُـمَّ كفَـرُوا فنَقَضُوهُ، قالَهُ السُّـدِّي.

والثَّالِـثُ: أنَّـه الَّـذي أخَـذَه عليهـم حـينَ اسْـتَخْرَج ذُرِّيَّـةَ آدَمَ مِـن ظَهْـرِه، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[٣]. [ونَحْـن وإنْ لم نَذْكُـرْ ذلِـك العَهْـدَ، فقَـد ثَبَـت بخَـبَرِ الصَّـادِقِ فيَجِـبُ الإيـمَانُ بِـه][٤].

وَفِي ﴿مِنۢ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّهَا زَائِدةٌ.

---

(١) في (ف): بجنسه.

(٢) من (ت).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٦)، وفي (ف): قاله السدي.

(٤) من (ج)، والمطبوع.

والثَّاني: أَنَّهَا لِابْتدَاءِ الغايَةِ، كأَنَّه قَالَ: ابْتِدَاءُ نَقْضِ العَهْدِ مِن بعْدِ مِيثَاقِه.

وفي هَاءِ ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ قولَانِ:

أحدُهما: أَنَّهَا تَرْجعُ إِلى اللهِ سُبْحانَهُ.

والثَّاني: أَنَّهَا ترْجعُ إلى العَهْدِ، فتَقديرُهُ: بعْدَ إِحْكَامِ التَّوثُّقِ فيهِ.

وفي الَّذي أَمَرَ اللهُ بِه أنْ يُوصلَ، ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: الرَّحِمُ والقَرابَةُ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّه رَسُولُ اللهِ ﷺ قَطَعُوه بالتَّكْذيبِ، قالَهُ الحَسَنُ.

والثَّالِثُ: الإِيمانُ باللهِ، وأنْ لَا يُفرَّقَ بيْنَ أحَدٍ مِن رُسُله، فآمَنُوا ببعْضٍ وكفَرُوا ببعْضٍ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

وَفِي فسَادِهِم فِي الأَرْضِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها[1]: اسْتِدْعَاؤُهُمُ النَّاسَ إلى الكُفْرِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[2].

والثَّاني: أنَّه العَمَلُ بالمَعاصِي، قالَهُ السُّدِّيّ، ومُقاتِلٌ.

والثَّالث: أنَّه قطْعُهُم الطَّرِيقَ علَى مَنْ جَاء مُهاجِرًا إلَى النَّبِيِّ ﷺ، لِيَمْنعُوا النَّاسَ مِنَ الإسْلَامِ.

والخُسْرانُ فِي اللُّغةِ: النُّقْصَانُ.

---

(١) في (ف): أحدهما.

(٢) في (ت): قاله مقاتل.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

قَوْلُه تعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾.

فِي «كَيْف» قَوْلَانِ:

أحدُهُمـا: أَنَّـه اسْـتِفهَامٌ في معْنَـى التَّعَجُّـبِ، وهـذَا التَّعَجُّـبُ للمُؤْمِنِينَ؛ أي: اعْجَبُـوا مِـنْ هـؤلاءِ كيْـفَ يكْفُـرونَ(١) [بـاللهِ](٢)، وقـدْ ثَبَتَـتْ حُجَّـةُ اللهِ علَيْهِـم، قالَـهُ ابْـنُ قُتيبـةَ، والزَّجَّـاجُ(٣).

والثَّـاني: أَنَّـه اسْـتِفهَامٌ خَـارِجٌ مَخْـرَجَ التَّقْرِيـرِ(٤) والتَّوْبيـخِ، تقْديـرُهُ: وَيْحَكُـم! كيْـفَ تكفُـرونَ بـالله؟! قَـالَ العَجَّـاجُ(٥) [مِـن الرجـز]:

أَطَرَبًـا وَأَنْـتَ قِنَّـسْرِيُّ(٦)

(١) في (ف): تكفرون.

(٢) من (ج).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٧).

(٤) في (ر): (التقدير).

(٥) البيـت لرؤبـة بـن العجـاج في ديوانـه (١/ ٤٨٠)، والكتـاب (١/ ١٧٠)، والمخصـص (١/ ٤٥) تهذيـب اللغـة (٩/ ٢٩٣)، وأمـالي الشـجري (١/ ٤٠٠)، والقنسري: الشـيخ الكبـير المسـن، وإنـما هـو «قنسر»، فـزاد «اليـاء» لتوكيـد معنـى الصِّفـة، وليسـت للنَّسـب.

(٦) زاد في المطبوع عجز البيت: وَالدَّهْرُ بِالإِنْسَانِ دَوَّارِيُّ.

أرَادَ: أَتطْرَبُ[١] وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ؟! قَالَه ابْنُ الأَنْبَارِيِّ[٢].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾.

قَالَ الفَرَّاءُ: أيْ: وقَدْ كُنتم أمْواتًا؛ ومثْلُه: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[النساء: ٩٠]؛ أيْ: قَدْ حَصِرتْ؛ ومثْلُه: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾[يوسف: ٢٧]؛ [أي][٣]: فقَد كذَبَتْ، ولَوْلَا إِضْمارُ «قَدْ» لَم يجُز مثْلُه فِي الكَلامِ.

وفِي الحيَاتَيْنِ، والمَوْتَتَيْنِ أقْوَالٌ: أصحُّهَا: أنَّ المَوتَةَ الأُولَى، كوْنُهُم نُطفًا وعُلقًا ومُضَغًا، فأَحْيَاهُم فِي الأرْحَامِ، ثُمَّ يُمِيتهم بعْدَ خُروجِهِم إِلى الدُّنْيا، ثم يُحْيِيهم للبعْثِ يوْمَ القِيامَةِ، وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتَادَةَ، ومُقاتِلٍ، والفَرَّاءِ، وثعْلَبٍ، والزَّجَّاجِ، وابْنِ قُتَيْبَةَ، وابْنِ الأَنْبَارِيِّ[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ أيْ: لأَجْلِكُم، فبَعْضُه لِلانْتِفَاعِ، وبعْضُه لِلاعْتِبَارِ[٥].

---

(١) في (ج): (أضربًا).

(٢) الأضداد (ص: ١٩٣).

(٣) من (ج).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٩٥)، معاني القرآن (١/ ٢٥)، تفسير الطبري (١/ ٤٤٥-٤٤٦)، معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٦).

(٥) في المطبوع: للاتباع.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أيْ: عَمدَ إلى خلْقِهَا، والسَّماء: لفْظُها لفْظُ الوَاحِدِ، ومعْنَاها معْنَى الجَمْعِ، بِدليلِ قوْلِه: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾.

وأيُّهما أسْبقُ في الخَلْقِ: الأَرْضُ، أَمِ[1] السَّماءُ؟ فِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهُما: الأَرْضُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّانِي: السَّماءُ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

واخْتَلَفُوا فِي كيْفِيَّةِ تَكْمِيلِ خلْقِ الأَرْضِ وَمَا فِيهَا:

فقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بدَأَ بخلْقِ الأَرْضِ في يوْمَيْنِ، ثُمَّ خلَقَ السَّماوَاتِ فِي يوْمَينِ، ثُمَّ دحَا الأَرْضَ وَثَبَّتَهَا بالجِبَالِ[2]، وقَدَّرَ فِيها أقْواتَهَا فِي يوْمَيْنِ[3].

وقَالَ الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ: جَمعَ خلْقَ الأَرْضِ ومَا فِيهَا[4] في أرْبعَةِ أيَّامٍ مُتوالِيةٍ، ثُمَّ خلَقَ السَّماء فِي يوْمَيْنِ[5].

---

(١) في (ف): أو.

(٢) من قوله: «ثم دحا»... إلى هنا ساقط من (ر)، والمطبوع.

(٣) ذكره البخاري تعليقًا (٦/ ١٢٧)، ورواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٣٢)، وفي تاريخه (١/ ٣٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٤٠)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥١-٥٤٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٠٢). وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يخرجاه.

(٤) من قوله: «أقواتها»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي في تفسير الطبري (١/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٧٤)، عن مجاهد، في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾. قال: خلق الأرض قبل السماء، فلمَّا خلق الأرض ثار منها دخان، فذلك حين يقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾. قال: بعضُهن فوق بعض، وسبعَ أرضين، بعضُهن تحت بعض.

والعَلِيمُ: جَاءَ على بِنَاءِ: فَعِيلٍ، للمُبالَغةِ في وَصْفِهِ بكَمَالِ العِلْمِ.

قَوْلُهُ تعالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

قَوْلُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

كانَ أبو عُبيدةَ يقُولُ: «إِذْ» مُلْغَاةٌ، وتَقْديرُ الكلامِ: وقَالَ[(١)] ربُّكَ[(٢)]. وتَابعَهُ ابْنُ قُتيْبَةَ[(٣)]، وعَابَ ذلِك عليْهِما الزَّجَّاجُ[(٤)]، وابْنُ القَاسِمِ.

وقال الزَّجَّاجُ: «إِذْ»: معْنَاها: الوَقْتُ، فكأنَّهُ قَال: ابْتَداءُ خلْقِكُم[(٥)] إذْ قَالَ ربُّك للملَائِكَة[(٦)].

والمَلائِكَةُ: مِنَ الأُلُوكِ، وهِيَ الرِّسَالَةُ، قالَ لَبِيدٌ[(٧)] [من الرمل]:

---

(١) في (ف): قال.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥).

(٣) غريب القرآن (١/ ٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٨).

(٥) في (ف): ابْتَدأَ خَلْقَكُم.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٨).

(٧) البيت للبيد بن ربيعة بن مالك؛ أبي عقيل العامري من فحول الشعراء أدرك الجاهلية والإسلام وترك الشعر بعد الإسلام (ت: ٤١هـ)، في ديوانه (ص: ٩١)، وتفسير الطبري (١/ ٤٤٦)، وكتاب الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٤٥٣)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٥٥).

وَغُــلَامٍ أَرْسَــلَتْهُ أُمُّــهُ بِأَلُــوكٍ فَبَذَلْنَــا مَــا سَــأَلْ

وَوَاحِـدُ المَلائِكَـةِ: مَلَـكٌ، والأصْـلُ فيـهِ: مَـلْأَكٌ. وأنْشَـد سِـيبَوَيْهِ[1] [مـن الطويل]:

فَلَسْـتَ لإِنْـسِيٍّ وَلَكِـنْ لَمَـلْأَكٍ تَنَــزَّلَ مِــنْ جَــوِّ السَّــمَاءِ يَصُــوبُ

قَـال أَبُـو إِسْـحاقَ: ومعْنَـى مَـلْأَكٍ: صَاحِـبُ رِسَـالَةٍ، يُقـالُ: مَأْلُكَـةٌ ومَأْلَكَـةٌ ومَلْأَكَـةٌ. وَمَأْلُـكٌ: جَمْـعُ مَأْلُكَـةٍ[2]. قـالَ الشَّـاعِرُ[3] [مـن الرمـل]:

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل أيضًا كما في صلة ديوانه (ص: ١١٨)، ونسبه له ابن الأنباري في الزاهر (٢/ ٢٥٥)، والمفضل الضبي في المفضليات (ص: ٣٩٤)، والأعلم في دواوين الستة (٢/ ٣٧٩)، وفي شرحه لديوان علقمة (ص: ١٨) البيت رقم (٣٢)، قال: ويروى هذا البيت لغير علقمة، والصحيح أنه له، ورجح ذلك أيضًا التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق (١/ ١٢٦)، ونسبه له أيضًا الكسائي كما في تاج العروس (٢٧/ ٣٥٤)، قال: وقال ابن السيرافي: هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير، وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٣) لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك، وينسب البيت أيضا للبيد، وهو في بعض نسخ ديوان متمم بن نويرة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٨).

(٣) هو لعدي بن زيد في ديوانه (ص: ٩٣)، والاشتقاق (١/ ٢٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٣)، والعقد الفريد (٦/ ١١٠)، والأغاني (٢/ ١٠٥)، والزاهر؛ لابن الأنباري (٢/ ٢٥٥).

أَبْلِـغِ النُّعْـمَانَ عَنِّـي مَأْلُـكًا ... أَنَّـهُ قَـدْ طَـالَ حَبْسِي وَانْتِظَـارِي[1]

وفِي هؤلَاءِ الْملائِكةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم جمِيعُ[2] المَلائِكةِ، قالَهُ السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه.

والثَّـاني: أنَّهُـمُ الَّذيـن كانُـوا مـعَ إبْلِيـس حـينَ أُهْبِـط إلى الأرْضِ، ذَكَـره أبـو صَالِـحٍ عَـنِ ابْـن عبَّـاسٍ.

ونَقَـل أنَّـه كانَ في الأرْضِ خلْـقٌ قبْـلَ آدمَ، فأَفْسَـدُوا، فبَعَـثَ اللهُ إبْلِيـسَ[3] في جَمَاعـةٍ مِـنَ الْملائِكـةِ فأهْلَكُوهُـم.

واخْتَلفُوا ما الْمقْصُود في إخْبَار اللهِ ﷻ المَلائكةَ بخلْقِ آدَمَ على سِتَّة أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ اللهَ تعَـالى علِـم [أنَّ][4] في نفْـسِ إبْلِيـسَ كِـبْرًا، فأَحَـبَّ أنْ يُطْلِعَ الْملائِكـةَ عليْـهِ، وأنْ يُظْهِـرَ مَـا سـبَقَ عليْـه في علْمِـه، روَاه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، والسُّـدِّي عَـن أشْـيَاخِه.

والثَّاني: أنَّه أرَادَ أنْ يبْلُوَ طاعةَ الْملائِكةِ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّالـث: أنَّـه لَمَّـا خلَـقَ النَّـارَ خَافـتِ الْملائِكـةُ، فقَالُـوا: رَبَّنَـا لِمَـنْ خلَقْتَ هـذِه؟ قَـال: لِمَنْ عصَـانِي، فخَافُوا وُجـودَ الْمعصِيَةِ منْهُـم، وهُـم لا يعْلمُـون بوجُودِ

(١) في (ج): وانتصاري.

(٢) في (ف): سائرُ.

(٣) في (ف): فبُعِثَ إِبْلِيسُ.

(٤) من (ف).

خلْقٍ سِوَاهُم، فقَال لهم: {إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}، قالَه ابْنُ زَيْدٍ[١].

والرَّابع: أنَّه أرَاد إِظْهارَ عجْزِهم عنِ الإحاطَةِ بعِلْمِه. فأَخْبَرَهُم حتَّى قالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ فَأَجَابَهُم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

والخَامِس: أنَّه أرَادَ تعْظِيمَ آدَمَ بِذِكْرِه بالخِلافَةِ قبْل وُجُودِه؛ لِيكونُوا مُعَظِّمِينَ لَهُ[٢] إذْ أوْجَدَه[٣].

والسَّادس: أنَّه أرَادَ إِعْلامَهُم بأنَّه خَلَقَه لِيُسْكِنَه الأَرْضَ، وَإِنْ كانَ ابْتِداءُ خلْقِه فِي السَّمَاءِ.

والخَلِيفةُ: هُو القَائِمُ مقامَ غيْرِه، يُقَال: هذَا خَلَفُ فُلانٍ وخَلِيفتُهُ[٤].

قال ابْنُ الأَنْبَاري: والأصْلُ في الخَلِيفةِ خَلِيفٌ، بغَيْرِ هاءٍ[٥]، فدَخلَتِ الهَاءُ للمبُالغَةِ بهذَا الوَصْفِ، كما قَالوا: عَلَّامةٌ ونسَّابةٌ ورَاوِيَةٌ[٦].

وفي معْنى[٧] خِلافَةِ آدَمَ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه خَليفَةٌ عنِ الله تعَالى في إقَامَة شرْعِه، ودلَائِلِ توْحِيدِه،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٩٥).

(٢) في (ر): (به).

(٣) في (ف): إذا وُجِدَ. وفي (ج): إذا وجدوه.

(٤) في (ج): وخلافته.

(٥) لأنَّه فعيل بمعنى الفاعل.

(٦) الزاهر في معاني كلام الناس (٢/ ٢٢٩).

(٧) ليست في (ف).

والحُكْـمِ في خلْقِـهِ، وهـذَا قـوْلُ ابْـنِ مسْـعُودٍ(١)، ومُجَاهِـدٍ(٢).

والثَّـاني: أنَّـه خلَـفَ مَـنْ سَـلَفَ في الأرْضِ قبْلَـهُ(٣)، وهـذَا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٤)، والحسَـنِ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا(٦): أنَّ ظَاهـرَ الأَلِـفِ للاسْـتِفهامِ(٧)، [دَخَـل عـلَى معْنَـى العِلْـم؛ لِيقـعَ بِـه تَحْقِيـقٌ](٨)، ومعْنَاهـا الإيجـابُ، تقْدِيـرُه: سـتجعَلُ فيهَـا مَـنْ يُفْسِـدُ فيهَـا، قالَـهُ أبـو عُبَيْـدةَ(٩). قـال جريـر [مـن الوافـر](١٠):

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١/ ٤٧٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (رقـم: ٣٣٣)، والبيهقـي في الأسـماء والصفـات (٧٧٣)، وابـن عسـاكر؛ كـما في الـدر المنثـور (١/ ١١٢).

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (١٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٣٤).

(٣) ليست في (ف).

(٤) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١/ ٤٧٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (رقـم: ٣٣٣)، والبيهقـي في الأسـماء والصفـات (٧٧٣).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٢٣).

(٦) ليست في (ف).

(٧) في (ر): الاستفهام.

(٨) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من (ج)، والمطبوع.

(٩) مجاز القرآن (١/ ٣٥).

(١٠) البيـت في ديوانـه (ص: ٨٥- ٨٩)، مجـاز القـرآن (١/ ١٨٤)، والأغـاني (٨/ ٩)، والأمـالي؛ للقـالي (٣/ ٤٥)، وهـو مـن شـواهد سـيبويه في الكتـاب (١/ ١٤٧).

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

معْنَاه: أَنْتُم خيْرُ مَن رَكبَ المَطَايَا][1]. ومعناها الإيجاب، تقديره: ستجعل فيها من يفسد فيها، قاله أبو عُبَيْدَةَ[2].

والثَّاني: أَنَّهُم قالُوه لِاسْتعلامِ وجْهِ الحِكمَةِ، لَا عَلى وجْهِ الِاعْتِراضِ[3]، ذكَرَه الزَّجَّاجُ[4].

والثَّالث: أَنَّهُم سأَلُوا عنْ حالِ أَنْفُسِهِم، فتَقدِيرُه: أَتَجعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها ونحنُ نُسَبِّحُ بحمْدِك، أَمْ لَا؟.

وهَلْ علِمَتِ المَلَائِكَةُ أَنَّهُم يُفْسِدونَ بتَوْقِيفٍ[5] مِنَ اللهِ تعَالى، أَمْ قاسُوا علَى حَالِ مَنْ قبْلَهُم؟ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بتَوْقِيفٍ[6] مِنَ اللهِ تعَالى، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ[7]، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ، وابْنُ قُتيبَةَ.

---

(١) من قوله: «قال جرير»... إلى هنا ليس في (ت)، و(ر)، و(ف)، و(م).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥). ومن قوله: «ومعناها الإيجاب»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ر): الاعتداء من.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٩).

(٥) في (ج): بتوفيق.

(٦) في (ج): بتوفيق.

(٧) ليس في (ف).

وروى السُّدِّي عن أشياخه: أنَّهم قالوا: ربَّنا وما يكون ذلك الخليفةُ؟ قال: يكون[١] له ذرِّيَّةٌ يُفسِدون في الأرضِ ويتحاسَدون، ويقتُلُ بعضُهم بعضًا، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[٢].

والثَّاني: أنَّهم قاسُوه على أحوال مَن سلَفَ قبلَ آدمَ، رُوِي نحوُ هذا [المعنى][٣] عن ابنِ عبَّاسٍ[٤]، وأبي العاليةِ، ومُقاتِلٍ[٥].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾.

قرأ الجمهورُ[٦] بكسرِ الفاءِ، وضمَّها طلحةُ بنُ مُصرِّفٍ[٧]،

---

(١) في (ف): تكون.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٧٩- ٤٨٦).

(٣) من (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٣٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٧٣).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) قوله: «قرأ الجمهور» ليس في (ج).

(٧) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد، كوفي تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، أخذ القراءة عرضًا عن النخعي والأعمش ويحيى بن وثاب، وكانوا يسمونه سيد القراء، مات سنة ١١٢هـ. طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٤٣).

وإِبْرَاهِيمُ بْنُ أبي عبْلَةَ[١]، وهما[٢] لُغتَانِ، ورُوي عَن طلْحَةَ وابْنِ مِقْسَمٍ[٣] «ويُسَفِّكَ»: بضَمِّ الياءِ[٤] وفتْحِ السِّين وتشْديدِ الفَاءِ مع كسْرِها، وهِيَ لتكْثِيرِ الفِعْلِ وتكرِيرِه.

وسفكُ الدَّمِ: صبُّه وإرَاقتُه وسَفحُهُ، وذلِك مُستعمَلٌ في كُلِّ مُضَيِّعٍ، إلَّا أنَّ السَّفكَ يختَصُّ الدَّمِ، والصَّبُّ والسَّفحُ والإِرَاقةُ يُقالُ في الدَّمِ وفي غيْرِه.

وفي معْنَى تَسْبِيحِهِم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الصَّلاةُ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ[٥]، وابْنُ عبَّاسٍ[٦].

---

(١) قراءة شاذةٌ؛ انظر عزوها في: الكامل؛ للهذلي (ص: ٤٨٢)، وقرأ الأعرج وابن هرمز: «ويسفِكَ» بالنَّصب، كأنَّه قَال: مَن يجمع أن يفسد وأن يسفك، وهي رواية شاذة أيضًا، قال المهدوي: هو نصب في جواب الاستفهام، والأول أحسن، انظر: مختصر في شواذ القرآن؛ لابن خالويه (ص: ٤)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ٤٢)، والتحصيل؛ للمهدوي (١/ ٨٠)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٣٤٦)، والبحر المحيط (١/ ٢٢٩)، والذي عزاها لطلحة بن مصرف الثعلبيُّ في تفسيره (١/ ٢٢٩).

(٢) في (ف): وهي.

(٣) في (م): «ابن القاسم»، وهو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العَطار أبو بكر البغدادي، إمام نحوي مقرئ، له مؤلفات جليلة في التفسير ومعاني القرآن، وله اختيار في القراءة تكلَّم فيها بعض العلماء (ت: ٣٥٤هـ)، وله (٨٩) سنة، انظر: إنباه الرواة (٣/ ١٠٠)، وغاية النهاية (٣/ ١٢٣).

(٤) في (ف): وفتح الياء.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٤).

(٦) انظر الأثر السابق.

والثَّاني: أنَّه قوْلُ: «سُبحانَ الله»، قالَه قتَادَة[١].

والثَّالث: أنَّه التَّعْظيمُ والحمْدُ، قالَهُ أبُو صَالِحٍ[٢].

والرَّابع: أنَّه الخُضُوع والذُّلُّ، قالَهُ محُمَّد بْنُ القَاسِم الأنْبَاريُّ.

وقوْلُه تعَالى: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ القُدْسُ: الطَّهارَةُ.

وفي معْنَى تقْدِيسِهِم ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاه: نَتطهَّرُ لَك مِنْ أعْمالِهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[٣].

والثَّاني: نُعظِّمُكَ، ونُكَبِّرُكُ[٤]، قالَهُ مجُاهِدٌ[٥].

والثَّالث: نُصلِّي لكَ، قالَه قَتَادةُ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاه: أعْلَم مَا في نَفْسِ إبْليسَ مِنَ البَغْيِ والمْعْصِيةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[٧]، ومُجاهِدٌ[٨]، والسُّدِّي[٩] عنْ أشْيَاخِه.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٢٤).

(٤) في (ف): نَشْكُرُكَ.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٦)، وعبد بن حميد في تفسيره؛ كما في الدر المنثور (١/ ١١٤).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٥).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٣٣).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٣٤).

(٩) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر (رقم: ٣٣٣).

والثَّاني: أعْلَمُ أنَّه سَيكُون مِن ذلِكَ الخَلِيفَةِ أنْبياءُ وصَالحونَ، قالَه قَتَادةُ[١].

والثَّالث: أعْلَم أنِّي أمْلأُ جهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ، قالَه ابْنُ زَيْدٍ[٢].

والرَّابع: أعْلَم عواقِبَ الأمُور، فأَنَا[٣] أبْتَلِي مَنْ تظُنُّون[٤] أنَّهُ مُطِيعٌ، فيُؤدِّيه الابْتِلاءُ إلى المَعْصية؛ كإبْليسَ، ومَنْ تَظُنُّونَ[٥] به المَعصِية فَيُطِيعُ[٦]، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٧].

الإِشَارَةُ إِلَى خلْقِ آدَمَ

رَوَى[٨] أبو مُوسى عنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قَال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ،**

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٢٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم :٣٢٥).

(٣) في (ف): فأن.

(٤) في (ف): يظنون.

(٥) في (ف): يُظَنُّ.

(٦) من قوله: «فيؤديه الابتلاء»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٠٩).

(٨) ليست في (ف).

مِنهُم الْأَحْمَرُ[١] وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ[٢]، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»[٣]. قَالَ التِّرمِذِيُّ: هذا حدِيثٌ صَحِيحٌ.

وقَدْ أخْرَجَ البُخارِيُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحِيحينِ» مِن حديثِ أبي هُرَيْرةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، أَنَّه قَالَ: «خَلَقَ اللهُ تعالَى[٤] آدمَ طُولُهُ سِتُّونَ ذِراعًا»[٥].

وأَخْرَجَ مُسلِمٌ في أفْرَادِه مِن حدِيثِ أبي هُرَيْرةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قَالَ: «خَلَقَ اللهُ تعالى[٦] آدمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيما بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ»[٧].

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَمَّا نفَخَ فيه الرُّوحَ، أَتَتْهُ النَّفْخةُ مِنْ قِبَلِ رأسِه، فجَعَلَتْ لا تَجْرِي مِنْه[٨] فِي شَيْءٍ إلَّا صَارَ لَحْمًا ودَمًا[٩].

---

(١) زاد في المطبوع: والأبيض.

(٢) ليست في (م).

(٣) رواه وأبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٠٠- ٤٠٦)، وعبد بن حميد (٥٤٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٦- ٥)، والحاكم (٣٠٣٧)، والبزار (٣٠٢٦)، والطبري في تفسيره (١/ ٥١٣)، وابن حبان (٦١٦٠)، قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) ليست في (ف).

(٥) رواه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٦) ليست في (ف).

(٧) ورواه مسلم (٢٧٨٩).

(٨) ليست في (ف).

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٢).

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ فِي تسْمِيَتِه بآدَمَ قوْلانِ:

أحدُهما: لأنَّه[١] خُلِقَ مِن أدِيم الأَرْضِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[٢]، وابْنُ جُبَيرٍ[٣]، والزَّجَّاجُ[٤].

والثَّاني: أنَّه مِنَ الأُدْمَةِ في اللَّوْنِ، قالَه الضَّحَّاكُ، والنَّضْرُ بنُ شُمَيلٍ[٥]، وقُطرُب[٦].

وفِي الأَسْماء الَّتي علَّمَه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه علَّمَهُ كُلَّ[٧] الأسْماء، وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ[٨]، وَسعِيدِ

---

(١) في (ف): أنَّه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (رقم: ١٨٣٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١١)، وفي التاريخ (١/ ٤٦)، وابن أبي حاتم (رقم: ٣٧٠)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١/ ٦)، وابن عساكر في التاريخ (٧/ ٣٨٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨١٦).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١١٢- ٤٢٢).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١٢)، وفي التاريخ (١/ ٤٦)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٦).

(٦) الزاهر في معاني كلام الناس (١/ ٣٨٤)، والهداية لبلوغ النهاية؛ لأبي محمد مكي بن أبي طالب (١/ ٢٢٦).

(٧) ليست في (ج).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم (رقم: ٣٣٦)، قوله: وهذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ، طمس في (ج).

بـنِ جُبَـيرٍ[١]، ومُجاهِـدٍ[٢]، وقتَـادَةَ[٣].

والثَّاني: أنَّه علَّمَه أسْماءً مَعْدُودةً لِمسمَّياتٍ مَخصُوصَةٍ.

ثُمَّ فِيها أرْبَعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه علَّمَه أسْماءَ المْلائِكَةِ، قالَهُ أبُو العَالِيةِ[٤].

والثَّـانِي: أنَّـه علَّمَـه أسْـماءَ الأَجْنَـاسِ دُونَ أنْواعِهَـا؛ كقوْلِـك: إنْسـانٌ ومَلَـكٌ وجِنـيٌّ وطَائِـرٌ، قالَـهُ عِكرمـةُ.

والثَّالـث: أنَّـه علَّمَـه أسـماءَ مَـا خَلَـق مِـنَ الأرْضِ مِـنَ الـدَّوَابِّ والهَـوَامِّ والطَّـيْرِ، قالَـه الكَلْبـيُّ، ومُقاتِـلٌ، وابْـنُ قُتيبَـةَ.

والرَّابع: أنَّه علَّمَه أسْماءَ ذُرِّيَّتِه، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ[٥].

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ يُرِيـدُ: أعْيَـانَ الخَلْـقِ عـلَى المْلائِكَـةِ، قَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: المْلائِكَـةُ[٦] هاهُنـا: هـمُ الَّذِيـن كَانُـوا مـعَ إبْليـسَ خَاصَّـةً[٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾: أَخبِروِني.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١٥)، وابن أبي حاتم (رقم: ٣٣٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسير (١/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم: ٣٣٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر (رقم: ٣٣٨).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٢٠).

(٦) ليست في (ج).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٢٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ **فيه قوْلَانِ:**

أحدُهمـا: إنْ كُنتـم صَادِقـين أنِّي لا أَخلُـقُ خلْقًـا هـوَ أفْضَـلُ منْكُـم وأعْلَمُ، قالَهُ الحسَـنُ.

والثَّاني: أنِّي أجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فيهَا، قالَه السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ ﴾.

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: لَا اخْتِـلافَ بـيْنَ أهْـلِ اللُّغَـةِ أنَّ التَّسْـبِيحَ هُـو التَّنْزِيـهُ للهِ تعَـالى عَـنْ كُلِّ سُـوءٍ[١]. وَ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢] بمعنـى: العـالم جـاء عـلَى بنَـاءِ «فَعِيـلٍ» للْمبالَغَـةِ.

وفِي ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه بمعْنى الحَاكِم، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

والثَّاني: المُحْكِمُ للأشْياءِ، قالَه الخطَّابيُّ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم ﴾[٥]؛ أيْ: أَخبِرْهُـم، ورُوي عنِ ابْـنِ عامِرٍ[٦]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

(٢) في (ج): العلم.

(٣) غريب القرآن (ص: ١٦).

(٤) شأن الدعاء (ص: ٧٣).

(٥) في (م): أخبرهم.

(٦) في (ج)، و(م): ابن عباس.

«أَنبئِهِم» بكَسْرِ الْهَاءِ[١]، قَالَ أبو عَلِيٍّ[٢]: قِراءةُ الجمهورِ علَى الأصْلِ؛ لأنَّ أصْلَ هذا الضَّمِيرِ أنْ تكونَ الهاءُ مضمُومةً[٣] فِيهِ، ألَا تَرى أنَّك تقُولُ: ضَرَبَهُم وأبْنَاءَهُم، وهذَا لَهُم[٤]. ومَنْ كَسَرَ أتْبعَ كسْرَةَ الهاءِ الكسْرَةَ[٥] الَّتي قبْلَها وهِيَ كسْرَةُ الباءِ[٦]. والهاءُ والميمُ تعُود علَى الملائِكةِ[٧].

وفِي الهاءِ والْمِيمِ مِن «أَسْمَائِهِم» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهَا تعُود علَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتي عَرَضَها، قالَهُ الأكثَرُونَ[٨].

والثَّاني: أنَّهَا تعُودُ علَى[٩] الْملائِكةِ، قالَهُ الرَّبيعُ بْنُ أنَسٍ[١٠].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٤٩)، وهي قراءةٌ شاذَّةٌ، قرأ بها بعضُ المكيين عن ابن كثير، ووجه قراءة ابن عباس: أنه أتبع حركة الهاء لحركة الباء ولم يعتد بالهمزة؛ لأنها ساكنة فهي حاجز غير حصين، وليست من طرق التيسير، ولا النشر، قال في إتحاف فضلاء البشر (ص: ١٧٥): أجمع القراء العشر على تحقيق همزه وصلًا ووقفًا إلا حمزة، وانظر: السبعة (ص: ١٥٤)، ومختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٤).

(٢) في (ج): قال علي.

(٣) ساقطة من (ف).

(٤) في (ف): هداهم.

(٥) ليست في (ر).

(٦) في (ف): الياء.

(٧) الحجة في القراءات السبع (١/ ٧٠).

(٨) ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٣٠).

(٩) في (ر): من. وفي (ف): إلى.

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١/ ٥٣٣).

وفِي الَّذِي أَبدَوهُ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُ قولُهُم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ذكرَهُ السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه[١].

والثَّاني: أنَّه مَا أظْهَرُوه مِنَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ للهِ حينَ مرُّوا علَى جسَدِ آدَم، فقَالَ إبْليسُ: إنْ فُضِّلَ هذا عليكم[٢] مَا تصْنَعُون؟ فقَالُوا: نُطيعُ رَبَّنَا، فقَال إبْلِيسُ في نفْسِه: لئِنْ فُضِّلْتُ عليْهِ لأُهْلِكنَّهُ، ولَئِنْ فُضِّلَ علَيَّ[٣] لأَعْصِينَّهُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٤].

وفي الَّذِي كتَمُوه قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّه اعْتِقادُ المْلائِكةِ أنَّ اللهَ تعَالى لَا يَخْلُقُ خلْقًا[٥] أكْرمَ منْهُم، قالَه الحسَنُ، وأبو العَاليةِ، وقتَادَةُ.

والثَّانِي: أنَّه ما أسَرَّهُ إبْليسُ مِنَ الكِبْرِ والعِصْيانِ، رَواه السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه، وبِه قَال مُجاهِدٌ، وابْنُ جُبيرٍ، ومُقاتِلٌ[٦].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ف): عليكم هذا.

(٣) في (ر): عليه.

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٩٧).

(٥) ليست في (ف).

(٦) تفسير مقاتل (١/ ٩٨).

قالَ تعالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٤، ٣٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾.

عامَّةُ القُرَّاءِ على كسْرِ التَّاءِ مِنَ المْلائِكَةِ، وقرَأَ أبو جعْفرٍ والأَعْمَشُ[١] بضَمِّها في الوَصْلِ[٢]، قالَ الكِسائيُّ: هي لُغةُ أزْدِ شَنُوءَةَ[٣].

وفِي هؤُلاءِ المْلائِكةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم جميعُ المْلائكةِ، قالَه السُّدِّي[٤] عنْ أشْياخِه.

والثَّاني: أنَّهُم طائفَةٌ مِنَ المْلائِكةِ، رُوِي عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والأَوَّل أصَحُّ.

---

(١) لم أر من عزاها للأعمش غير المؤلف.

(٢) أي: لِلملائكة. انظر: إعراب القران للنحاس (١/ ٤٥)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٧١)، وقال: هذا ضعيفٌ عندنا جدًّا؛ وذلك أن ﴿الملائكة﴾ في موضع جر، فالتاء إذن مكسورة.

(٣) الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (١/ ٣٧٣).

(٤) من قوله: «هي لغة أزد شنؤة»... إلى هنا، ساقط من (ف).

والسُّجودُ في اللُّغةِ: التَّواضعُ[١] والخضُوعُ، وأنْشَدُوا[٢] [من الرمل]:

سَـاجِدَ المَنْخَـرِ[٣] مَـا يَرْفَعُـهُ   خَاشِـعَ الطَّـرْفِ أَصَـمَّ[٤] المُسْـتَمَعْ

وفي صِفَةِ سُجودِهِم لآدَمَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه على صِفَةِ سجُودِ الصَّلاةِ، وهُوَ الأظْهرُ.

والثَّاني: أنَّه الاِنْحناءُ والمْيلُ المْساوِي للرُّكوعِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾.

في هذَا الاِسْتِثناءِ قوْلانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه اسْـتثناءٌ مِـنَ الجنْسِ، فهُـوَ عـلَى هـذا القـوْلِ مِـنَ المْلائِكـةِ، قالَـهُ ابْـنُ مسْـعُودٍ في رِوايَـةٍ، وابْـنُ عبَّـاسٍ. وقـد رُوِي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّـه كانَ مِـنَ المْلائِكـةِ، ثُـمَّ مسَـخَه اللهُ تعَـالى شَـيْطانًا[٥].

(١) في (ر): المتواضع.

(٢) البيـت للشـاعر سـويد بـن أبي كاهـل مـن مخضرمـي الجاهليـة والإسـلام وكانـت قصيدتـه هـذه معظمـة في الجاهليـة، والبيـت في: المفضليـات (١/ ٢٠١)، والأضـداد؛ لابـن الأنبـاري (ص: ٢٩٥)، والزاهـر في معـاني كلـمات النـاس (١/ ٤٧)، وحماسـة الخالديـن؛ لأبي بكـر محمـد بـن هاشـم الخالـدي، وأبي عثـمان سـعيد بـن هاشـم الخالـدي (١/ ٩٠).

(٣) في (ت)، و(ر): مساجد المْنجِر.

(٤) في (ر): أصمه.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٥٠٧)، وفي تاريخه (١/ ٢٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٦٨).

والثَّاني: أنَّه مِن غيرِ الجِنْسِ، فهُو مِنَ الجِنِّ، قالَه الحسَنُ، والزُّهرِيُّ.

قَال ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ إبْلِيسُ مِن خُزَّانِ الجنَّةِ[١]، وكان يُدِير[٢] أمْرَ السَّماءِ الدُّنْيا[٣].

فَإنْ قِيل: كيْفَ اسْتُثْنِي وليْسَ مِنَ الجنْسِ؟.

فالجَوابُ: أنَّه أُمِر بالسُّجُود معَهُم، فاسْتُثْنِي مِن أنَّه لم يسجُدْ، وهذَا كما تقُولُ: أمَرْتُ عبْدِي وإخْوَتي فأَطَاعُونِي إلَّا عَبْدِي، هذَا قوْلُ الزَّجَّاجِ[٤].

وفي إبْلِيسَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه اسْمٌ أعْجَميٌّ ليْس بِمُشتَقٍّ، ولِذلِكَ لا يُصْرفُ[٥]، هذَا قوْلُ أبِي عُبيدَةَ، والزَّجَّاجِ، وابْنِ الأنْبَاري[٦].

والثَّاني: أنَّه مُشتقٌّ مِنَ الإبْلاسِ، وهُو اليَأْسُ، رُوِي عنْ أبِي صَالِحٍ،

---

(١) في (ف): الجنانِ.

(٢) في (ت)، و(ف): يدبر.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٧٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٣).

(٥) في (ف): لا ينْصَرفُ.

(٦) مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٨)، ومعاني القرآن (١/ ١١٤)، والأضداد (١/ ٣٣٧).

وذَكَره(١) ابْنُ قُتيبةَ وقَالَ(٢): إِنَّما لَمْ يُصْرفْ(٣)؛ لأنَّه لا سَمِيَّ لَه، فاسْتُثْقِلَ(٤).

قال شيْخُنا أبو منْصُورٍ اللُّغويُّ: والأوَّل أصَحُّ؛ لأنَّه لو كانَ مِنَ الإِبْلاسِ لَصُرِفَ، أَلَا ترى أنَّك لَوْ سَمَّيْتَ رجُلًا: بإِخْرِيطٍ وإِجْفِيلٍ لَصُرِفَ(٥) في المَعْرِفَةِ(٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَبَىٰ﴾ معْنَاه: امْتَنَعَ، واسْتَكْبَرَ اسْتفْعلَ مِنَ الكِبْرِ.

وفي ﴿وَكَانَ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: صَارَ، قالَهُ قتَادَةُ.

والثَّاني: أنَّها بمعْنَى الْماضِي، فمعْنَاه: كانَ في عِلْمِ اللهِ كافِرًا، قالَهُ مُقاتِلٌ، وابْنُ الأنْبارِي(٧).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

---

(١) من قوله: «والثاني أنه مشتق»... إلى هنا، ساقط من (ج).

(٢) في (ج): قالوا.

(٣) في (ف): ينصرف.

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (١/ ٢٣).

(٥) في (ت)، و(ف): لصَرفته.

(٦) المعرب (ص: ١٢٢).

(٧) تفسير مقاتل (١/ ٩٩)، وعبارته: «وَكانَ إبليس مِنَ الْكافِرِينَ الَّذِين أوجب الله ﷻ لهم الشقاء في علمه»، الأضداد؛ (ص: ٦٠-٣٣٦).

زوجُه[١]: حوَّاءُ، قَالَ الفَرَّاءُ: أَهْلُ الحِجازِ يقُولُونَ لامرأةِ الرَّجُلِ: زَوْجٌ[٢]، ويجمَعُونَهَا: الأَزْواجَ، وتَمِيمٌ وكَثِيرٌ مِن قيْسٍ وأهلُ نَجْدٍ يقُولُونَ: زَوجةٌ[٣]، ويجمعُونَها: زَوْجاتٍ[٤]. قَالَ الشَّاعِرُ[٥] [من الطويل]:

فَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى يُحَرِّشُ زَوْجَتِي   كَمَاشٍ إِلَى أُسْدِ[٦] الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا[٧]

وأنْشَدَني أَبُو الجَرَّاحِ[٨] [من البسيط]:

يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلَّهُمُ   أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ[٩] إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ

(١) في (ف): زوجك.

(٢) في (م): زوجة زوج.

(٣) من قوله: «ويجمعونها الأزواج»... إلى هنا؛ ساقط من (ر).

(٤) معاني القرآن؛ لأبي زكريا الفراء (١/ ١٦٤).

(٥) البيت للفرزدق في ديوانه (٢/ ٦١)، والأغاني (٩/ ٣٦٩)، والصحاح (١/ ٣٢٠)، وإصلاح المنطق (١/ ٢٣٥)، وأدب الكاتب (١/ ٤٢٥).

(٦) في (ر): سدي.

(٧) في (م): يستنبلها.

(٨) البيت لأبي الجراح العقيلي في لغات القرآن (ص: ٣٣)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٥)، والألفاظ؛ لابن السكيت (١/ ٣٥٠)، والمذكر والمؤنث؛ لأبي بكر الأنباري (١/ ٥٠٦).

(٩) في (ر): قيل.

وفي الجنَّةِ الَّتي أُسْكِنها آدمُ قوْلَانِ:

أحدُهما: جنَّةُ عدنٍ.

والثَّاني: جنَّةُ الخُلْدِ.

والرَّغَـدُ: الـرِزْقُ الوَاسِـعُ الكَثـيرُ، يُقـالُ: أَرغَـدَ فُـلانٌ؛ إذَا صَـارَ فِي خصْـبٍ وسَـعَةٍ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾؛ أيْ: بالأَكْلِ لَا بالدُّنُوِّ منْها.

وفِي الشَّجَرةِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهَـا السُّـنْبلةُ. وهُـو قـولُ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وعبْـدِ اللهِ بْـنِ سَـلامٍ، وكَعْـبِ الأحْبَـارِ، ووَهْـبِ بْـنِ مُنبِّـهٍ، وقتَـادَةَ، وعَطِيَّـةَ العَـوْفيِّ، ومُحَـارِبِ بْـنِ دِثَـارٍ، ومُقاتِـلٍ.

والثَّـانِي: أنَّهَـا الكَـرْمُ. رُوِي عـنِ ابْـنِ مسْـعودٍ، وابْـنِ عبَّـاسٍ، وسـعيدِ بـنِ جُبـيرٍ، وجَعْـدَةَ بْـنِ هُبـيرةَ.

والثَّالث: أنَّهَا التِّينُ. رُوي عنِ الحسَنِ، وعطَاءِ بْنِ أبي رَبَاحٍ، وابْنِ جُريجٍ.

والرَّابِـعُ: أنَّهَـا شَـجرةٌ يُقَـالُ لَهَـا: شـجرَةُ العِلْـمِ. قالَـه أبـو صَالِـحٍ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والخَامِس: أنَّهَا شجرَةُ الكافُورِ. نُقِل عنْ عليٍّ بنِ أبي طَالبٍ.

والسَّادس: أنَّهَا النَّخْلةُ. رُوِي عنْ أبِي مالِكٍ.

وقد ذَكَروا وَجْهًا سَابِعًا عنْ وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ أنَّه قَال: هِي شَجرَةٌ [يُقَالُ لَهَا: شجرَةُ][(١)] الخُلْدِ[(٢)].

[وهذَا لا يُعدُّ وجْهًا؛ لأنَّ اللهَ تعَالى سَمَّاهَا شجرَةَ الخُلْدِ][(٣)]، وَإنَّما الكَلامُ في جِنْسِهَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قَال ابْنُ الأنْبارِي: الظُّلْم: وضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ موْضِعِه، ويُقَالُ: ظَلَم الرَّجُلُ سِقَاءَهُ؛ إذَا سَقَاه قبْلَ أنْ يُخْرِجَ زُبْدَهُ[(٤)]. قَال الشَّاعِرُ[(٥)] [من الطويل]:

وَصَاحِبِ صِدْقٍ لَمْ تَنَلْنِي[(٦)] شِكَاتُهُ[(٧)] ظَلَمْتُ وَفِي ظُلْمِي لَهُ عَامِداً أَجْرُ

---

(١) من (ف).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٦١).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في (ت)، و(ر)، والعبارة في (ج): وهذا يعد وجهًا ليس الله تعالى قد يقيها شجرة الخلد.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١١٦- ١١٧)، وكلمة: زبده، ليست في (ر).

(٥) البيت بلا نسبة في كتاب الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٤١١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١١٧)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني؛ لابن قتيبة (١/ ٤٠٤)، وهو أنشده ثعلب في مجالسه (١/ ٣١) بلا نسبة أيضًا.

(٦) في المطبوع: تَرِبْنِي.

(٧) في (م): شكاية.

أَرَادَ بالصَّاحبِ: وَطبُ[١] اللَّبَنِ، وظُلْمهُ إِيَّاه: أَنْ يَسْقِيَهُ قبْل أَنْ يخْرُجَ زبْدُهُ.

والعَربُ تقُولُ: هو أظْلَم مِن حيَّةٍ؛ لأَنَّهَا تَأْتي الحَفْرَ الَّذي لَمْ تحفِرْهُ فتَسْكُنُه، ويُقَالُ: قدْ ظلَمَ المَاءُ الوَادِيَ؛ إِذَا وصَل منْه إِلى مكَانٍ لم يَكُن يصِلْ إِليْه فِيمَا مضَى.

فَإِنْ قِيل: ما وجْهُ الحِكمَةِ في تَخْصيصِ تلْك الشَّجرةِ بالنَّهْي؟

فالجوَابُ: أَنَّه ابْتلاءٌ مِنَ اللهِ تعَالى بِمَا أرَادَ. وقَال أبو العَاليَةِ: كانَ لَهَا ثِفْلٌ[٢] مِن بيْنِ أشْجارِ الجنَّةِ، فلمَّا أكَلَ منْها، قِيلَ[٣]: اخْرُجْ إِلى[٤] الدَّارِ الَّتي تَصْلُح[٥] لِمَا يكُونُ منْكَ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾.

---

(١) في (ج): قطب.

(٢) في (ف): ثقل. وثفل كل شيء: ما استقر تحته من كدرة.

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) ليست في (ت).

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٥٢٨)، وفي تاريخه (١/ ٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٨٧) بمعناه.

«أَزَلَّهما» بمعنى: استزلَّهما، وقرأ حمزةُ: «فأَزَالَهما»[١]، أراد: نحَّاهما[٢]. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: لَمَّا كانَ معنى ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾: اثبُتا فيها، فثبَتا فأَزَالَهما[٣]، قابَلَ حمزةُ الثَّباتَ بالزَّوالِ الَّذي يُخالِفُه، ويُقوِّي قراءتَهُ: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾[٤].

و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إبْليس، وأُضِيفَ الفِعلُ إليه؛ لأنَّه السَّببُ.

وفي هاءِ ﴿عَنْهَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها تعُودُ إلى الجنَّةِ.

والثَّاني: ترْجعُ إلى الطَّاعةِ.

والثَّالث: ترجِعُ إلى الشَّجرةِ. فمعْناه: أزَلَّهُما بزَلَّةٍ[٥] صدرَتْ عنِ الشَّجرةِ.

وفي كيْفِية إزْلالِهِ لهُما[٦]، ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه احْتالَ حتَّى دَخلَ إليْهما الجنَّةَ، وكانَ الَّذي أدْخلَه الحيَّةَ.

---

(١) قراءة الحسن وأبي رجاء؛ انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ١٤٧)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١٤)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٣٦٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (١/ ٢٦٠).

(٢) من قرأ: ﴿فأزالهما﴾ فهو من زالَ يزُولُ، ومعناه: فنحَّاهما. انظر: معاني القراءات (١/ ١٤٧).

(٣) في (م): فأزلهما.

(٤) الحجة؛ للفارسي (٢/ ١٥)، وقرأ ابن قطيب: ﴿فأخرَجَهُم﴾. انظر: إعراب القراءات الشواذ؛ للكعبري (١/ ١٥١).

(٥) في (ج): نزلت.

(٦) في (ج): إزالتهما.

قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، والسُّـدِّي.

والثَّاني: أنَّه وَقفَ على بَابِ الجنَّة، ونَادَاهُمَا. قالَه الحسَنُ.

والثَّالـث: أنَّـه وَسْـوسَ إِلَيْهـا، وأَوْقَـعَ في نُفوسِـهِا مِـن غـيْرِ مُخاطبَـةٍ وَلا مُشَـاهدةٍ، قالَـهُ ابْـنُ إسْـحاق، وفِيـه بُعْـدٌ.

قَـال الزَّجَّـاجُ: الأجْـودُ: أن يكـونَ خَاطَبَهُـما؛ لقَوْلِـه: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعـراف: ٢١][1].

واخْتَلَف العُلماءُ في مَعْصيَةِ آدَم بالأَكْلِ:

فقَـال قـوْمٌ: إنَّـه نُهِـي عـنْ شـجَرَةٍ بعيْنِهـا، فـأَكَلَ مِـن جنْسِـهَا، وقَـال آخـرونَ: تَـأَوَّل الكَرَاهـةَ في النَّهْـي دُون التَّحْريـمِ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾.

الْهُبـوط -بِضَـمِّ الهَـاءِ-: الانحِـدارُ مِـن عُلـوٍ، وبفتْـحِ الهَـاءِ: المَكَانُ الَّـذي يُهْبَـطُ فِيـه.

وإلى مَنِ انْصرفَ هذَا الخِطَابُ؟ فِيه سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه انْصَرَف إِلى آدَمَ وحَوَّاءَ والحيَّةِ، قالَه أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: إلى آدَمَ وحوَّاءَ وإِبْليسَ والحيَّةِ، حكَاهُ السُّدِّي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالِث: إلى آدَمَ وإبْليسَ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرَّابع: إلى آدَمَ وحَوَّاءَ وإِبْليسَ، قالَه مُقاتِلٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١١٥).

والخَامس: إلى آدَم وحوَّاءَ وذُرِّيَّتِهما، قالَه الفرَّاءُ(١).

والسَّادس: إلى آدَم وحوَّاء فحسْبُ، ويكونُ لفظُ الجمْعِ وَاقِعًا علَى التَّثْنيةِ؛ كقَوْلِه: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] ذكَرَهُ ابنُ الأنْبَاري. وهو العِلَّةُ(٢) في قَوْلِ مُجاهِدٍ أيْضًا.

واختَلَف العُلماء؛ هَل أُهبِطُوا جُملةً أَوْ متفرِّقِينَ؟ علَى قوْلَين:

أحدهما: أنَّهم أُهبِطُوا جُملةً، لكنَّهم نَزَلُوا في بلادٍ مُتفرِّقةٍ، قالَهُ كعْبٌ، ووَهْبٌ.

والثَّاني: أنَّهم أُهبِطُوا مُتفَرِّقِينَ، فهبَطَ إبليسُ قَبْلَ آدَمَ، وهبَطَ آدَمُ بالهنْدِ، وحَوَّاءُ بجُدَّةَ، وإبْلِيسُ بالأُبلَّةِ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

ورُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قَال: أُهبِطتِ الحيَّةُ بنَصِيبِينَ(٣)، وأمَرَ اللهُ تعَالى جِبريلَ بإخْرَاجِ آدَمَ، فقَبَضَ علَى نَاصِيَتِه وخَلَّصَه مِنَ الشَّجرَةِ الَّتي قبَضتْ علَيْه، فقَالَ: أيُّها المَلك ارْفُقْ بِي. قَال جِبريلُ: إنِّي لا أَرفُقُ بِمَنْ عصَى اللهَ، فارْتَعدَ آدمُ واضْطَرَبَ، وذهَبَ كلامُه، وجِبريلُ يُعاتِبُه في معْصِيته، ويُعدِّدُ نعِمَ اللهِ عزَّ وجلَّ عليه(٤)، قالَ: وأُدخِلَ الجنَّةَ ضَحوَةً،

---

(١) معاني القرآن (١/ ٣١).

(٢) في (ج): اللعة. وفي (ف): الوجه.

(٣) العبارة غير واضحة في (ج).

(٤) ليست في (ف).

وأُخـرِجَ منهـا بـيْنَ الصَّلاتـيْنِ، فمكَـثَ فِيهـا نِصْـفَ يـوْمٍ[١]، خمسَـمِائةِ عَـامٍ ممَّـا يَعُـدُّ أهْـلُ الدُّنيـا[٢].

وفِي العَدَاوةِ المْذكورَةِ هاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ ذُرِّيَّةَ[٣] بعْضِهِم أعْداءٌ لِبعْضٍ[٤]، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّ إبْليسَ عدُوٌّ لآدَمَ وحوَّاءَ، وهُما لَه عدوٌّ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والثَّالث: أنَّ إبليسَ عدوٌّ للمؤْمِنين، وهُم أعْداؤُه، قالَه الزَّجَّاجُ[٥].

وفِي «المْستقَرِّ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المْرادَ به القبورُ، حكَاه السُّدِّيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: مَوضِـعُ الاِسْـتقرارِ، قالَـه أبـو العاليـةِ، وابْـنُ زيْـدٍ، والزَّجَّـاجُ، وابْـنُ قُتيبـة[٦]، وهـوَ أصَـحُّ.

---

(١) في (م): نهار.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ 35) بنحوه.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ف): لذرية بعض.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١١٥).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١١٦)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٦).

و«المَتَـاعُ»: المَنْفعَـةُ. و«الحِـينُ»: الزَّمَـانُ. قـالَ ابْـنُ [عبَّـاسٍ][١]: إلى[٢] حِينٍ؛ أي: إلى فنَـاءِ الأجَـلِ بالمَوتِ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾.

«تلَقَّـى»: بمعْنَـى أخَـذَ، وقَبِـلَ[٤]. قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: كانَ اللهُ[٥] تعَـالى أَوْحى إليـه أَنْ يستغفِرَهُ بـكَلامٍ مِـن عنْـدِه، ففَعَـل ذلِـك آدَمُ[٦] فتَـابَ عليْـهِ[٧].

وقَـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ: «فتَلقَّـى آدَمَ» بالنَّصـب، «كَلِـماتٌ» بالرَّفْـع عـلَى أنَّ الكَلِـماتِ هِـيَ الفَاعِلَـةُ[٨].

وفي الكَلِمات أقْوَالٌ:

أحدُهـا: أنَّهـا قوْلُـه تعـالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ

---

(١) ليست في (ط)، و(ر).

(٢) في (ر): أبي.

(٣) رواه الطـبري في تفسـيره (١/ ٥٧٧)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (رقـم: ٤٠٣- ٨٣٢٥) بلفـظ: ومتـاع إلى حـين قـال: الحيـاة.

(٤) في (ج)، و(م): قيل.

(٥) في النسـخ الخطيـة برفـع لفـظ الجلالـة باعتبـار أن مـا قبلهـا «كان» وليـس «كأن» كـما في غريـب القرآن لابـن قتيبـة (ص: ٤٦).

(٦) قوله: «ذلك آدم» ليس في (ف).

(٧) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٦).

(٨) السـبعة (١/ ١٥٤)، والحجـة؛ للفـارسي (٢/ ٢٣)، والمبسـوط؛ للنيسـابوري (ص: ١٢٩)، والـذي قـرأ بـه ابـن كثـير جائـز في العربيـة؛ لأنَّ مـا تلقيتـه فقـد تلقـاك، والقـراءة الجيـدة مـا عليـه العامـة، انظـر: معـاني القـراءات؛ للأزهـري (١/ ١٤٨).

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣]، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعطَاءٌ الخُراسَانِيُّ، وعُبيدُ بْنُ عُميرٍ، وأُبيُّ بْنُ كعْبٍ، وابْنُ زَيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه قَال: أي رَبِّ أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ قَال: بَلَى! قَالَ: أَلَمْ تَنْفُخْ فِيَّ مِن رُوحِكَ[(١)]؟ قالَ: بَلَى[(٢)]! قَال: أَلَمْ تَسْبِقْ رَحْمَتُكَ إِلَيَّ[(٣)] قَبْلَ[(٤)] غضَبِكَ؟ قَال: بَلَى! قال: أَلَمْ[(٥)] تُسْكِنِّي جَنَّتَكَ؟ قَال: بَلَى! قال: أَي رَبِّ، إِنْ تُبْتُ[(٦)] وأَصْلحْتُ، أَرَاجِعِي أَنْتَ إِلى الجَنَّةِ؟ قَال: نَعَم! حكَاه السُّدِّي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٧)].

والثَّالث: أنَّه قَالَ: اللهُمَّ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبحانَكَ وبحمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظلمْتُ نفْسِي فاغْفِر لِي، إِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ، اللهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحانَكَ وَبِحمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي[(٨)] فَارْحمْنِي، فأَنْتَ[(٩)] خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَتُبْ

---

(١) تصحفت في (ر) إلى: زوجك.

(٢) قوله: «قال: بلى!» ساقط من (ر).

(٣) ليست في (م).

(٤) ليست في (ج).

(٥) زاد في المطبوع: «تسجد لي ملائكتك».

(٦) في (ر): ثبت.

(٧) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٥٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٨) من قوله: «إنك خير الغافرين» ليس في (ج) و(م).

(٩) في (ف): وأنت.

عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[١]. رَوَاه ابْنُ كَثِير[٢] عَنْ مُجاهِدٍ[٣]، وقد ذُكِرتْ أقْوالٌ مِن كلِماتِ الاعْتِذارِ تُقارِبُ هذَا المَعْنَى.

قوْلُه تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

أَصْلُ التَّوبَةِ: الرجُوعُ، فالتَّوْبةُ مِن آدمَ رجُوعُه عنِ المَعْصِيةِ، وهِيَ مِنَ اللهِ تعَالى: رُجوعُه علَيْهِ بالرَّحمَةِ. والتَّوَّابُ[٤] الَّذي كُلَّما تكرَّرتْ توْبَةُ العَبْدِ تكرَّرَ قبولُه، وإنَّما لَمْ يَذْكرْ[٥] حوَّاءَ في التَّوبةِ؛ لأنَّه لم يجْرِ لهَا ذِكْرٌ، لا أَنَّهَا تَوْبَتَها مَا قُبِلَتْ.

وقالَ قوْمٌ: إذَا كانَ معْنَى فِعْلِ الاثْنَيْنِ واحِدًا جَازَ أنْ يُذْكرَ أحدُهما ويكُون المَعْنَى لهُما؛ كقولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وقوْلِه: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

في إعَادَةِ ذِكْرِ الهبُوطِ -وَقد تقَدَّمَ- قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه أُعِيد؛ لأنَّ[٦] آدمَ أُهبِطَ إِهْباطيْنِ:

---

(١) من قوله: «لا إله إلا أنت سبحانك» ليس في (ج).

(٢) في المطبوع: ابن أبي نجيح.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٥٤٥).

(٤) في (ج)، و(م): الثواب.

(٥) في (ف): تُذْكَر.

(٦) في (ج): ابن.

أحدهما: مِنَ الجنَّة إلى السَّماء.

والثَّاني: مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْض. وأيُّها الإهبَاطُ المْذكُورُ في هذه الآيَةِ؟ فِيه قوْلانِ.

والثَّاني: أنَّه إنَّما كَرَّرَ الهبُوطَ توْكيدًا.

قوْلُه تعالى: ﴿فَإِمَّا﴾.

قَال الزَّجَّاجُ: هذِه «إنْ» الَّتي للجزَاءِ، ضُمَّتْ إليْهَا «مَا»، والأَصْلُ في اللَّفظِ «إنْ مَا» مفصُولةٌ، ولكنَّها مُدغمةٌ، وكُتِبتْ[١] علَى الإدغام، فَإذَا ضُمَّتْ «مَا» إلَى[٢] «إن» لَزِمَ الفِعْلَ النُّونُ الثَّقيلَةُ أوِ الخفيفَةُ[٣]. وإنَّما تلزَمُه النُّونُ؛ لأنَّ «مَا» تَدخلُ مُؤكِدَةً[٤]، كما لَزِمَتِ اللَّامَ النُّونُ في القَسَم في قوْلِك: «واللهِ لتفعَلَنَّ»، وجوَابُ الجزَاءِ الفَاءُ[٥].

وفِي المُراد بـ«الْهُدى» هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّه الرَّسُول، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: الكتابُ، حكَاهُ بعْضُ المْفسِّرينَ[٦].

---

(١) في (ف): فكُتبت.

(٢) من قوله: «إليها ما» ساقط من (ج).

(٣) ليست في (ر).

(٤) زاد في المطبوع: ودخلت النون مؤكدة أيضًا.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١١٧).

(٦) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٤١٥)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٨٥).

قوْلُه تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

وقَرأ يعْقوبُ: «فلا خوْفَ» بفتح الفاء من غيْرِ تنْوينٍ، وقرأ ابْن مُحيصنٍ بِضمِّ الفَاءِ مِن غيْرِ تنْوينٍ[١]. والمْعْنَى: فلَا خوْف علَيْهم فيمَا يسْتقبِلُونَ مِنَ العذَابِ، ولَا هُم يحزَنُونَ عنْدَ المَوْتِ. والخوْفُ: لأمْرٍ مُستقبَلٍ، والحُزْنُ: لأمْرٍ مَاضٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فِي معْنَى «الآيَةِ» ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهَا العَلامَةُ، فمَعْنى آيَة[٢]: علامَةٌ لانْقِطاعِ الكَلامِ الَّذِي قبْلَها والَّذِي بعْدَهَا، قال الشَّاعِرُ[٣] [من الوافر]:

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ   بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقَال النَّابغةُ[٤] [من الطويل]:

---

(١) في (ر): أصمه.

(٢) في (ف): أنها.

(٣) البيت للشاعر الصعق يزيد بن عمرو بن خويلد فارس وشاعر من شعراء الجاهلية، والبيت في جمهرة اللغة؛ لابن دريد (١/ ٢٥٠)، وطبقات فحول الشعراء؛ لابن قتيبة (١/ ١٦٨)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٧)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ١٣٩)، وفي بعض المصادر يروى صدر البيت هكذا: أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي تَمِيمًا.

(٤) النابغة الزبياني؛ قيس بن عبد الله بن عدس من فحول الشعراء الجاهليين. والبيت منسوب في الكتاب؛ لسيبويه (٢/ ٨٢)، والأصول في النحو؛ لابن السراج (١/ ١٥١)، وفقه اللغة؛ للثعالبي (١/ ٣٤٥)، والزاهر (١/ ٧٦)، وبلا نسبة في المقتضب (٤/ ٣٢٢).

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا[١] فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

وهذَا اخْتِيارُ أَبِي عُبَيْدةَ[٢].

والثَّاني: أنَّهَا سُمِّيتْ آيةً، لأَنَّهَا جَمَاعةُ حرُوفٍ مِنَ القُرآنِ، وطَائفَةٌ منْهُ.

قَالَ أبو عمْرٍو الشَّيبانِيُّ: يُقَالُ: خَرجَ القَوْمُ بآيتِهِم؛ أي: بِجمَاعَتِهِم، وأنْشَدُوا[٣] [من الطويل]:

خَرَجْنَا مِنَ [النَّقْبَيْنِ][٤] لَا حَيَّ مِثْلُنَا بِآيَاتِنَا نُزْجِي اللِّقَاحَ[٥] المَطَافِلَا

---

(١) في (ف): بها.

(٢) في جميع النسخ الخطية: عُبيد، والمثبت من (م)، وهو الصواب. انظر: الزاهر في معاني كلام الناس؛ لأبي بكر الأنباري (١/ ٧٦)، وشرح مقامات الحريري؛ للشُّريشي (١/ ١٦٦).

(٣) البيت لبرج بن مسهر الطائي من شعراء الإسلام المعمرين. وهو منسوب في: إصلاح المنطق؛ لابن السكيت (ص: ٢١٧)، الزاهر (١/ ٧٧)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (٦/ ١٣٩)، والصحاح؛ للجوهري (٦/ ٢٢٧٦)، ومقاييس اللغة؛ لابن فارس (١/ ١٦٩).

(٤) في (ت)، و(ر): النَّقْيَيْنِ، وفي (ج): المنقبين.

(٥) ليست في (ج).

والثَّالثُ: أنَّها[1] سُمِّيت آيةً؛ لأنَّها عجبٌ، وذلك أنَّ قارئها يستدِلُّ إذا قرأها على مُبايَنتِها كلامَ المخلوقين، وهذا كما تقول: فلانٌ آيةٌ من الآياتِ؛ أي: عجبٌ من العجائب، ذكرَهُ ابنُ الأنباري[2].

وفي المراد بهذه الآياتِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: آياتُ الكتابِ[3] التي تُتلَى.

والثَّاني: مُعجزاتُ الأنبياءِ.

والثَّالث: القرآنُ.

والرَّابعُ: دلائلُ اللهِ في مَصنوعاتِهِ.

و﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: سُكَّانُها، سُمّوا أصْحابًا؛ لِصُحبتِهم إيَّاها بالملازمةِ.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤٣].

قولُه تعالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

«إسرائيلُ» هو يعقوبُ، وهو اسمٌ أعجميٌّ. قال[4] ابنُ عباسٍ:

---

(١) زاد في (م): سورة.

(٢) الزاهر (١/ ١٧٣)، والغريبين (١/ ١١٧)، والبرهان (١/ ٢٦٦).

(٣) في (ف): الكتب.

(٤) في (ف): قاله.

ومعْنَاه[١]: عبْدُ اللهِ[٢]. وقد لفَظتْ بهِ العَربُ علَى أوْجُهٍ؛ فقَالَتْ: إسْرائِيلُ[٣]، وإسْرَالُ، وَإسْرَائِينُ[٤]، قَالَ أُميَّةُ[٥] [من الخفيف]:

إنَّنِي[٦] زارِدٌ الحَدِيدَ علَى النَّا ... سِ دُرُوعًا سَوَابِغَ الأَذْيَالِ
لَا أَرَى مَنْ يُعِينُنِي فِي حَيَاتِي ... غَيْرَ نَفْسِي إلَّا بَنِي إسْرَالِ

وَقَال أعْرَابِيٌّ صَادَ ضَبًّا، فأَتَى به أهْلَه[٧] [من الرجز]:

يَقُولُ رَبُّ السُّوقِ لَمَّا جِينَا: ... هَذَا وَرَبِّ البَيْتِ إسْرَائِينَا

---

(١) في حاشية (ج): معنى يعقوب.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٥٥٣).

(٣) زاد في المطبوع: وإسرائل. وفي (ج): «إسرائل» بدل: إسرائيل.

(٤) قوله: «إسرال وإسرائين» ساقط من (ر).

(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص: ٥١)، وقد عدَّ المرزباني في الموشح (ص: ٣٦٥) البيت من عيوب الشعر، وجعل قوله: «إسرال» من التثليم، وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص منها. والبيت الأخير في البحر المحيط (١/ ١٧٢)، وفيه: بني إسرالا، والأزمنة والأمكنة (ص: ١٩٤).

(٦) في (م): إني، وفي (ف): ابني.

(٧) البيت في: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٩١)، وجمهرة اللغة؛ لابن دريد (١/ ٢٩٣)، وسمط اللآلى (١/ ٦٨١)، والبيت لأعرابيٍّ بلا نسبةٍ. وقوله: «إسرائين»؛ أي: ممسوخ إسرائين، وكان بعض العرب يعتقد أنَّ الضباب كانت من بنى إسرائيل فمسخت. وانظر: شواهد العيني على هامش الخزانة (٢/ ٤٢٥).

أَرَادَ: هذَا مِمَّا مُسِخَ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ.

والنِّعْمَةُ: الْمِنَّةُ، ومِثْلُهَا: النَّعْمَاءُ. والنَّعْمَةُ: -بفتح النُّونِ- التَّنَعُّمُ[١]، وأَرَادَ بالنِّعْمَةِ: النِّعَم[٢]، فَوَحَّدَهَا؛ لأَنَّهُم يكْتَفُونَ بالوَاحِدِ مِنَ الجَمِيعِ؛ كقَوْلِه تعَالَى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم: ٤]؛ أي: ظُهَراء.

وفِي الْمُراد بهذه النِّعمةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أَنَّهَا ما استَوْدعَهُم مِنَ التَّوْرَاةِ[٣] الَّتي فيها صِفَةُ رسُولِ اللهِ ﷺ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أَنَّهَا مَا أنْعَم بِه على آبَائِهِم وأجْدَادِهِم؛ إِذْ أَنْجَاهُم مِن آلِ فِرعَوْنَ، وأهْلَكَ عدوَّهُم، وأعْطَاهُمُ التَّوْراةَ[٤]، ونحوَ ذلِك، قالَهُ الحسَنُ، والزَّجَّاجُ[٥].

وإنَّما مَنَّ عليهِم بما أَعْطَى آباءَهُم؛ لأنَّ فخْرَ الآبَاءِ فخْرٌ للأَبْنَاءِ، وعارُ الآباءِ عَارٌ علَى الأَبْنَاءِ.

والثَّالِث: أَنَّهَا جَمِيعُ نِعَمِه[٦] علَى تصْرِيفِ الأَحْوَالِ.

---

(١) في (ف): التنعيم.

(٢) قوله: «وأراد بالنعمة النعم» ساقط من (م).

(٣) في (ت)، و(ف): التورية.

(٤) في (ت)، و(ف): التورية.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٢٢).

(٦) في المطبوع: جمع نعمة.

والمْراد مِن ذِكْرِهَا: شُكْرُهَا؛ إذْ مَن لَمْ يَشْكُرْ فَمَا ذَكَر.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا﴾.

قَالَ الفرَّاءُ: أهْلُ الحِجَازِ يقُولُون: أَوْفيْتُ، وأهْلُ نجْدٍ يقُولُونَ: وَفَيْتُ، بغَيْرِ ألفٍ(١). قال الزَّجَّاجُ: يُقَال: وَفَى بالعَهد، وأَوْفَى بِه، وأنْشَدَ(٢) [من الخفيف]:

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ   كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا

وقَال ابْنُ قُتيْبَةَ: يُقَال: وَفَيْتُ بالعَهْد، وأَوْفَيْتُ بِه، وأَوْفَيْتُ الكَيْلَ، لَا غَيْرُ(٣).

وفي المْراد بعَهْدِه أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهَا: أنَّه ما عَهِدَه إلَيْهِم فِي التَّوْراةِ(٤) مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، رَوَاه أبو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٤٨٢).

(٢) البيت لطفيل الغنوي في ديوانه (ص: ١١٣)، والكامل (٢/ ١٨٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٩١)، والخصائص؛ لابن جني (١/ ٣٧٠)، (٣/ ٣١٦)، وشرح المفصل؛ لابن يعيش (١/ ٤٢)، ولسان العرب (٧/ ٨٢) (قلص).

(٣) معاني القرآن (١/ ٤٨٢).

(٤) في (ت)، و(ف): التورية.

والثَّـانِي: أنَّـه امْتثـالُ[١] الأوَامِـرِ، واجْتِنـابُ النَّوَاهِـي، رَوَاه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّالث: أنَّه الإسْلامُ، قالَهُ أبُو العَالية.

والرَّابِـع: أنَّـه العهْـدُ المْذكُـورُ في قوْلِه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾... الآيـةَ [المائدة: ١٢] قالَـهُ قتَادَةُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أُدْخِلكُم الجنَّةَ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾؛ أي: خَافُونِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعْنِـي: القُـرآنَ. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعْنِـي: التـوراةَ والإنجيـلَ، فـإنَّ القُـرآنَ يُصدِّقُهـا أنَّهـا مِـن عنـدِ اللهِ، ويُوَافِقهـا في صِفَـة النَّبـيِّ ﷺ. ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ إنَّـا قـالَ: «أوَّلَ كَافـرٍ»؛ لأنَّ التَّقـدُّمَ إلى الكُفْـرِ أعظـمُ مِـنَ الكُفْـر بعْـدَ ذلـك؛ [إذِ المُبـادِرُ لم يتأمَّـلِ الحُجَّـةَ، وإنَّـا بـارزَ[٣] بالعِنـادِ، فحالُـه أشَـدُّ. وقِيـل: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ بعْـد أنْ آمَـنَ، والخِطَـابُ لِرؤسَـاءِ اليهُـودِ.

وفي هاء «بِه» قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّهَا تعُودُ علَى المُنزَّلِ، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج): مساك.

(٢) رواه الطبري في التفسير (١/ ٥٥٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٩٦).

(٣) في (ج)، و(ف): بادَرَ.

والثَّـاني: أنَّهَـا تعُـودُ عـلَى مَـا معَهُـم؛ لأَنَّهُـم إذَا كتمُـوا وَصْـفَ النَّبـيِّ ﷺ وهُـوَ معَهُـم، فقَـدْ كفَـرُوا بِـه، ذكَـرَهُ الزَّجَّـاجُ(١).

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أيْ: لَا تَسْتَبْدِلُوا ثَمنًا قلِيلًا.

وفِيه ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه مَا كانُوا يأْخُذونَ مِن عَرَضِ الدُّنْيا.

والثَّاني: بقَاءُ رِئَاسَتِهِم عليْهِم.

والثَّالث: أَخذُ الأُجْرَةِ علَى تعْلِيم الدِّينِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.

«تَلْبِسُـوا»: بمعنـى تَخْلِطُـوا(٢). يُقـال: لبَسْـتُ الأَمْـرَ عليْهِـم، أَلبِسُـهُ: إذَا عمَّيْتُـه عليْهِـم، وتَخْلِيطُهُـم(٣): أنَّهُـم قَالـوا: إنَّ اللهَ عهِـدَ إليْنَـا أنْ(٤) نُؤمِـنَ بالنَّبِـيِّ الأُمِّـيِّ، ولم يَذْكُـرْ(٥) أنَّـه مِـنَ العَـربِ.

وفِي المُراد بالْحَقِّ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه أمْـرُ النَّبـيِّ ﷺ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهِـدٍ، وقتَـادَةُ، وأبـو العَالِيـةِ، والسُّـدِّيُّ، ومُقَاتِـلٌ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٢٣).

(٢) في (ت)، و(ج): اخلطوا.

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ف): ألا.

(٥) في (ف): يذكروا.

والثَّاني: أنَّهُ الإسْلامُ، قالَهُ الحسَنُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

يُريدُ: الصَّلَواتِ الخمْسَ، وهِي هَاهُنا اسْمُ جِنْسٍ، والزكَاةُ: مأْخُوذةٌ مِنَ الزكَاءِ، وهُوَ النَّماء والزِّيادَةُ. يُقال: زكَا الزَّرعُ يزكُو زكَاءً.

وقَال ابْنُ الأنْبَاري: معْنَى الزكَاةِ في كلامِ العَرَب: الزِّيادَةُ والنَّماءُ، فسُمِّيتْ[١] زكَاةً؛ لأنَّها تزيدُ في المَالِ الَّذي تَخْرُجُ منْه، وتُوَفِّرُه[٢]، وتَقِيه مِنَ الآفَاتِ[٣]، ويُقال[٤]: هذَا أزْكَى مِن ذاكَ؛ أي: أزْيدُ فضْلًا مِنه[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ﴾؛ أي: صَلُّوا مَعَ المُصلِّينَ. قَال ابْنُ عبَّاسٍ: يُريدُ مُحمَّدًا ﷺ، وَأَصْحابَهُ ﷺ[٦].

وقِيل: إنَّما ذكَرَ الركُوعَ؛ لأنَّه ليْس في صَلاتِهم رُكوعٌ، والخِطَابُ لليهُودِ.

وفي هذِه الآيَةِ دِلالَةٌ علَى أنَّ الكُفَّارَ مُخاطبُونَ بالفُروعِ، وهِي إحْدَى الرِّوايَتيْنِ عَن أحمَدَ ﷺ[٧].

---

(١) من قوله: زكاء ليس في (ج).

(٢) في (ج): وفره.

(٣) في (ج): الآيات.

(٤) في (ف): يقال.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٧٦)، وقوله: «فضلا منه» ليس في (ف).

(٦) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٧٥).

(٧) انظر: الإنصاف؛ للمرداوي (١٠/ ٢٣٣).

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٤، ٤٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾.

قال ابْنُ عبَّاسٍ: نزَلَتْ في اليهُودِ، كانَ الرَّجلُ يقُولُ لقَرابتِهِ مِنَ المُسلمِينَ فِي السِّرِّ(١): اثْبُتْ علَى ما أنْتَ علَيْه فإنَّه حَقٌّ(٢).

والألِفُ فِي ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ ألفُ الاسْتِفهامِ، ومعْنَاه التَّوبيخُ.

وفي «البِرِّ» هاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه التَّمسُّكُ بكِتَابِهِم، كانُوا يأْمُرُونَ باتِّبَاعِه ولَا يقُومُونَ بِه.

والثَّاني: اتِّباعُ محمّد ﷺ، رُوي القوْلانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والثَّالثُ: الصَّدقَةُ، كانُوا يأْمُرونَ بِهَا، ويبْخَلُونَ، ذكَرَهُ الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) في (ف): السراء.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٤٧٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٤٧٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٢٥).

قوْلُه تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ﴾؛ أي: تترُكونَ.

وفي «الكِتَابِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّوراةُ، قالَهُ الجمْهورُ.

والثَّاني: أنَّه القُرآنُ، فلَا يكونُ الخِطَابُ علَى هذَا القَوْلِ لليَهودِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

الأصْلُ في الصَّبْرِ: الحبْسُ، فالصَّابِرُ حابِسٌ لنَفْسِه عنِ الجَزعِ[1]. وَسُمِّي الصَّائِمُ صَابِرًا؛ لِحَبْسِه نفسَهُ عنِ الأكَلِ والشُّرْبِ [والجِماعِ]. والمْصْبُورةُ: البَهيمَةُ تُتَّخذُ غرَضًا. وقَالَ مُجاهِدٌ: الصَّبْرُ هَاهُنا: الصَّوْمُ[2].

وفِيمَا أُمِرُوا بالصَّبْرِ علَيْه ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه أدَاءُ الفَرَائِضِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ[3].

والثَّاني: أنَّه تَرْكُ المْعَاصِي، قالَهُ قَتادَةُ[4].

والثَّالث: عدَمُ الرِّئَاسَةِ، وهُو خِطَابٌ لِأهْلِ الكِتابيْنِ.

ووَجْهُ الِاستِعَانَةِ بالصَّلاةِ أنَّه يُتْلى فِيها مَا يُرَغِّبُ في الآخِرَةِ، ويُزهِّدُ فِي الدُّنْيَا.

---

(١) في (ف): على الحرج.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٤٨٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٤٨٣).

(٤) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (١/ ١٥٩).

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا﴾ فِي الْمكنَّى عنْهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الصَّلاةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ[1]، والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّهَا الكعْبَةُ والقِبْلَةُ؛ لأنَّه لَمَّا ذكَرَ الصَّلاةَ، دلَّتْ على القِبْلَةِ، ذكَرَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبِه قالَ مُقاتِلٌ[2].

والثَّالثُ: أنَّهَا الِاسْتِعانَةُ؛ لأنَّه لَمَّا قالَ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ دلَّ على الِاسْتِعانَةِ، ذكَرَهُ محمَّدُ بْنُ القَاسِمِ النَّحْويُّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾.

قالَ الحسَنُ، والضَّحَّاكُ[3]: الكَبِيرةُ: الثَّقِيلَةُ؛ مِثْلُ قوْلِه تعَالَى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى: ١٣]؛ أي: ثَقُلَ.

والخُشُوعُ في اللُّغةِ: التَّطامُنُ والتَّواضعُ، وقيلَ: السُّكونُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾.

الظَّنُّ هَاهُنا بمعْنى اليَقينِ، ولَهُ وُجوهٌ قدْ ذكَرْتُها في كتَابِ «الوُجوهِ والنَّظَائرِ»[4].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٤٨٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٤٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٩٢٣٦).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٤٨٧).

(٤) انظر: (١/ ٩).

يعْنِـي: عـلَى عَالِمِـي[(١)] زَمَانِهِـم، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وأَبـو العَالِيـةِ[(٢)]، ومُجاهِـدٌ[(٣)]، وابْـنُ زيْـدٍ[(٤)]. قـالَ ابْـنُ قُتَيْبـةَ: وهُـوَ مِـنَ العَـامِّ الَّـذِي أُرِيـد بِـه الخَـاصُّ[(٥)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: كانَـتِ اليهُـودُ تَزْعُـم أَنَّ آباءَهـا الأَنْبيَـاءَ تشْـفَعُ لَهُـم يـوْمَ القِيامَـةِ، فآيَسَـهُمُ اللهُ بهـذِه الآيَـةِ مِـنْ ذلِـك[(٦)].

وفي قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ إضْـمارٌ، تقْديـرُهُ: اتَّقُـوا عـذَابَ يـوْمٍ، أَوْ: مَـا فِي يـوْمٍ. والمُـرادُ باليَـوْم: يـوْمُ القِيامَـةِ. و﴿تَجۡزِي﴾ بمعْنَـى تقْـضِي. قـالَ ابْـنُ قُتيْبَـةَ: يُقـال: جَـزَى الأَمْـرَ عَنِّـي يَجْـزِي، بغَـيْر همْـزٍ؛ أي: قـضَى عَنِّـي[(٧)]، وأَجْـزَأَنِي يُجْزِئُنِـي، مهْمُـوزٌ[(٨)]؛ أي: كفَـانِي[(٩)].

---

(١) في (ف): بمعْنَى عالَمِي.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٤٩٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٤٩٧).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٣٠).

(٥) غريب القرآن (١/ ٤٨).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٢٨).

(٧) زيـادة في الأصـل (وأعنـي) وفي غريـب القـرآن لابـن قتيبـة(١/ ٤٨) يقـال: جـزى عنـي فـلان بـلا همـز، أي نـاب عنـي. وأجـزأني كـذا - بالألـف في أولـه والهمـز - أي: كفـاني.

(٨) ليست في (ف).

(٩) غريب القرآن (١/ ٤٨).

قوْلُه تعَالَى: ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾.

قالُوا: المُرادُ بالنَّفسِ هَاهُنا: النَّفْسُ الكافِرَةُ، فعَلَى هذَا يكُونُ مِنَ العَامِّ الَّذي أُريدَ به الخَاصُّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ[1] مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ وأَبو عمْرٍو بالتَّاءِ، وقرَأ الباقُونَ باليَاءِ، إلَّا أنَّ قتَادَةَ فتَحَ اليَاءَ، ونصَبَ الشَّفَاعَةَ؛ لِيكُونَ الفِعْلُ للهِ تعَالَى[2].

قالَ أَبو علِيٍّ: مَنْ قَرَأ بالتَّاء؛ فلِأنَّ الاسْمَ الَّذي أُسْنِدَ إليْهِ هَذا الفِعْلُ مُؤنَّثٌ، فيلْزَمُ أنْ يلْحقَ المُسْنَدَ أيْضًا علامَةُ التَّأْنِيثِ، ومَنْ قرَأَ باليَاءِ؛ فلِأنَّ التَّأْنِيثَ في الاِسْمِ ليسَ بِحَقِيقيٍّ، فحُمِلَ علَى المَعْنَى، كما أنَّ الوعْظَ والمَوْعظَةَ بمعْنَى وَاحدٍ[3]، وفِي الآيَةِ إضْمارٌ، تقْديرُهُ: لا يُقْبلُ منْها فِيه[4] شفَاعَةٌ[5].

---

(١) في (ف): تُقْبَلُ.

(٢) {ولا يَقبلُ منها شفاعةً} قراءة شاذة على بناء الفعل للفاعل وهو الله ﷻ؛ أي: لا يقبل الله منها شفاعة. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣)، وإعراب الشواذ؛ للعُكبري (ص: ١٥٨). أما القراءة المتواترة الخلاف فيها بين تذكير الفعل ﴿يُقْبَل﴾ وهي للجمهور، وبين تأنيث الفعل ﴿تُقْبَل﴾ لابن كثير وأبي عمرو ويعقوب. انظر: المبسوط (ص: ١٢٩).

(٣) ليست في (ف).

(٤) ليست في (ر).

(٥) الحجة للقراء السبعة (٢/ ٥١).

والشَّفَاعةُ: مأْخُوذَةٌ مِنَ الشَّفْعِ الَّذِي يُخَالِفُ الوِتْرَ، وذلك أنَّ سُؤَالَ الشَّفِيعِ يشْفَعُ[1] سُؤَالَ المُشْفُوعِ لَهُ.

فأَمَّا «العَدْلُ» فهُوَ الفِدَاءُ، وسُمِّيَ عدْلًا؛ لأَنَّه يُعادِلُ المُفْدَى.

واخْتَلَفَ اللُّغويُّون: هلِ «العَدلُ»، و«العِدْلُ» بفَتْحِ العَيْنِ وكسْرِهَا يَخْتَلِفَانِ، أَمْ لَا؟

فقَالَ الفَرَّاءُ[2]: **العَدْلُ** بفَتْحِ العَيْنِ: ما عَادَلَ الشَّيْءَ مِن غيْرِ جِنْسِه، **والعِدْلُ** بكسْرِها: مَا عادَلَ الشَّيْءَ مِنْ جنْسِه، فهُو المِثْلُ، تقُول: عنْدِي عَدْلُ غُلامِكَ، بفَتْحِ العَيْنِ: إذَا أَرَدْتَ قيمَتَهُ مِن غيْرِ جنْسِه، وعنْدِي عِدْلُ غُلامِكَ، بكسْرِ العَينِ: إذَا كانَ غُلامٌ يعْدِلُ غُلامًا[3].

وحكَى الزَّجَّاجُ عنِ البصريينَ أنَّ[4] العَدْلَ والعِدْلَ في معْنَى المِثْلِ، وأَنَّ المَعْنَى واحِدٌ، سَواءٌ كانَ المِثْلُ مِنَ الجِنْسِ أوْ مِنْ غيْرِ الجِنْسِ[5].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ أي: يُمْنَعُونَ مِنْ عذَابِ اللهِ[6].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ

---

(١) زاد في (م): يوتر.

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من (ت)، و(ر).

(٣) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٢٠).

(٤) ليست في (ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٨).

(٦) ساقطة من (ر).

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٤٩، ٥٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾(١) تقديره: واذكروا إذ نَجَّيناكم، وهذه النِّعَمُ علَى آبائِهم كانَتْ.

وفي ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أَنَّهُم أهْلُ مِصرَ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والثَّاني: أهْلُ بيْتِه خاصَّةً، قالَه أبُو عُبيدَةَ(٢).

والثَّالث: أَتْباعُه علَى دِينِهِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٣).

وهَلِ [الآلُ](٤) والأَهْلُ بمعْنًى، أَمْ يَخْتلِفان؟ فِيهِ قولانِ. وقدْ شرَحْتُ معْنَى [الآلِ](٥) في كتابِ «النَّظائِرِ»(٦).

وفِرعَونُ: اسْمٌ أعْجَمِيٌّ، وقِيل: هُو لَقَبُهُ.

---

(١) في (ج): وإذ أنجاكم.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٠).

(٤) في (ت)، و(ر): الأول.

(٥) في (ت)، و(ر): الأول.

(٦) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ١٢٢).

وفِي اسْمِه أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: الولِيدُ بْنُ مُصْعَبٍ، قالَهُ الأَكْثَرُونَ.

والثَّاني: فيطوسُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[(١)].

والثَّالث: مُصْعَبُ بْنُ الرَّيَّانِ، حكَاهُ ابْنُ جريرٍ الطَّبريُّ[(٢)].

والرَّابع: مُغِيثٌ، ذكَرَه بعْضُ المُفسِّرينَ[(٣)].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ أي: يُولُونكُـمْ، يُقـال: فُلانٌ يَسُـومُكَ خَسْـفًا؛ أي: يُولِيـكَ ذلًّا واسْـتِخْفافًا. و﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ شـدِيدُه.

وكان الزَّجَّـاجُ يـرَى أنَّ قوْلَـه: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ تفْسِـيرٌ لقَوْلِـه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[(٤)]. وأَبَى هـذَا بعْـضُ أهْـلِ العِلْـم، فقَـال: قـدْ فـرَّقَ اللهُ بيْنَهُـما في موْضِـعٍ آخـرَ، فقَـال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيـم: ٦]، وإنَّـما سُـوء العَـذَابِ: اسْـتِخْدامُهُم في أصْعَـبِ الأعْـمالِ.

وقـالَ الفـرَّاءُ: المْوضِـعُ الَّـذي طُرِحـتْ فِيـه الـوَاوُ تفْسِـيرٌ لِصِفَـاتِ العـذَابِ[(٥)]، والمْوْضِـعُ الَّـذي فِيـه الـوَاوُ، يُبيِّنُ[(٦)] أنَّـه قـدْ مسَّـهُم مِـنَ العـذَابِ

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٥٣).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٦٤٢).

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٣١٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٣٠).

(٥) من قوله: «الموضع»... إلى هنا ليس في المطبوع.

(٦) في (ف): تبيينٌ.

غـيْرَ الذَّبْـحِ، فكَأَنَّـه قـالَ: يُعذِّبُونَكُـم بغَـيْرِ الذَّبِـحِ [وبالذَّبْـحِ][١].

قوْلُــه تعَــالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نسـاءكم﴾؛ أي: يَسْـتَبْقُون نِسـاءَكُمْ؛ أي: بنَاتَكُـم. وإنَّـما اسْـتَبْقَوا نسـاءَهُم لِلاسْـتذْلالِ والخِدْمـةِ.

وفي البَلاء هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه بمعْنَـى النِّعْمـةِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ[٢]، ومُجاهِـدٌ[٣]، وأبُـو مَالِـكٍ[٤]، وابْـنُ قُتَيبَـةَ[٥]، والزَّجَّـاجُ[٦].

والثَّاني: أنَّه النِّقْمةُ، رَواه السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه .

فعلَى هـذَا القـوْلِ يكـونُ «ذَا»[٧] في قوْلِـه تعَـالَى: ﴿ذَٰلِكُم﴾ عائِدًا علَى سَـوْمِهِم سـوءَ العَـذَابِ، وذبْـحِ أبنَائِهـم واسْـتحْيَاءِ نسَـائِهِم، وعـلَى القـوْلِ الأوَّلِ يعُـودُ عـلَى النَّجَـاةِ مِـن آلِ فِرعـونَ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٦٩)، من المطبوع، و(ج)، و(م)، و(ف).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٠٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٥٣).

(٤) رواه ابـن أبي حاتم في تفسـيره بعـد الأثر رقم (٥٠٧)، وأبو مالك: هو غزوان الغفاري، مشـهور بكنيتـه، ثقة من الثالثة روى عنه أصحاب السـنن. انظـر: تقريب التهذيب (ص: ٤٤٢).

(٥) غريب القرآن (١/ ٤٨).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٣٢).

(٧) غير واضحة في (ج).

قالَ[١] أبو العَالِيةِ: وكانَ السَّببُ في ذبْحِ الأبْنَاءِ، أنَّ الكَهنَةَ قالتْ لِفرعوْنَ: سيُولَد العَامَ بمصْرَ غُلامٌ يكُونُ هلَاكُكَ علَى يدَيْه، فقتَلَ الأبْنَاءَ[٢].

قالَ الزَّجَّاجُ: فالعجَبُ مِنْ حُمْقِ فرْعوْنَ، إنْ كانَ الكَاهِنُ عنْدَه صَادقًا، فمَا ينْفَعُ القتْلُ[٣]؟! وإن كان كاذِبًا فمَا معْنَى القتْلِ؟![٤].

قوْله تعَالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾.

الفرْقُ: الفصْلُ بيْنَ الشَّيْئيْنِ، و«**بِكُم**» بمعنى «**لكُم**»، وإنَّما ذكَرَ آلَ فرْعونَ دُونَه؛ لأنَّه قد عُلِم كوْنُه فِيهِم.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٥] **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه مِنْ نظَرِ العينِ، معْنَاه: وأنْتُم ترَوْنَهم يَغرقُونَ.

والثَّاني: أنَّه بمعْنَى: العِلْمِ؛ كقَوْلِه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] قالَه الفَرَّاءُ[٦].

---

(١) في (م): قاله.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٠٥).

(٣) ضبطت في (ف) بفتح اللام.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٣٢).

(٥) في (ج): وأنتم تبصرون.

(٦) معاني القرآن (١/ ٣٦).

الإِشَارَةُ إلى قِصَّتِهِم

رَوَى السُّدِّيُّ عَنْ أَشْيَاخِه: أَنَّ اللهَ تعَالى أمَرَ مُوسَى أنْ يَخْرُجَ بِبني إسْرَائِيلَ، وألْقَى علَى القِبْطِ المْوْتَ، [فَمَاتَ][(١)] بِكْرُ كُلِّ رجُلٍ منْهُم[(٢)]، فأَصْبَحُوا يدْفِنُونَهُم، فشُغِلوا عنْ طلَبِهِم حتَّى طلَعتِ الشَّمْسُ[(٣)].

قال عمْرُو[(٤)] بْنُ ميْمُونٍ: فلَمَّا خرَجَ مُوسَى بلَغَ ذلِك فِرعونَ، فقَالَ: لا تتْبَعُوهُم حتَّى يصِيحَ الدِّيكُ، فمَا صَاحَ دِيكٌ ليلتَئِذٍ[(٥)].

قالَ أبو السَّلِيل[(٦)]: فلَمَّا انْتهى مُوسَى إلى البَحْرِ قالَ: هِي أبَا خالِدٍ، فأَخَذَهُ أَفْكَلٌ، يعْنِي: رِعْدَةً.

قالَ مُقاتِلٌ: تفَرَّقَ المْاءُ يمينًا وشِمالًا كالجبَلَيْنِ المْتقابلَيْنِ، وفيهِمَا كُوًى ينْظُر كُلُّ سِبطٍ إلى الآخَرِ[(٧)].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): فمات كل بكر فيهم.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٣٩).

(٤) في (ف): عمران.

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسير (٥٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٠٨).

(٦) بفتح المْهملة وكسر اللَّام وآخره لَامٌ أيضًا، ضريب بن نُقَير، ويُقال: نقيل أبو السليل القيسي الجريري البصري، قال إسحاق بن منصور: عن يحيى بن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٤٠١).

(٧) رواه مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ٤٧).

قال السُّدِّيُّ: فلمَّا رآهُ فِرعونُ مُتَفرِّقًا [قالَ][1]: ألَا ترَوْنَ البَحْرَ فَرِقَ منِّي، فانْفَتَح لي؟! فأَبَتْ خَيْلُ فِرعونَ أنْ تقْتَحِمَ[2]، فنَزَلَ جبْريلُ على مَاذِيَانَةَ[3] فشَامَّتِ[4] الحُصُنُ رِيحَ[5] المَاذِيَانَةِ، فاقْتَحمَتْ في أثَرِها، حتَّى إذَا همَّ أوَّلُهُم أنْ يَخرُجَ، ودخَلَ آخِرُهُم، أمَرَ البحْرَ أنْ يأْخُذَهُم، فالتَطَمَ عليْهِم[6].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

قرَأَ أبو جعْفَرٍ وأبو عمْرٍو: «وَوَعَدْنَا» بغيْرِ ألِفٍ هَاهُنَا، وفي «الأعْرَاف»، وَ«طه»، وَوَافقَهُمَا أبانُ عَنْ عاصِمٍ فِي «البقَرَةِ» خاصَّةً. وقرَأَ البَاقُون «وَاعَدْنَا» بألِفٍ[7].

ووجْهُ[8] **القِراءَةِ الأُولى**: إفْرَادُ الوَعْدِ مِنَ اللهِ تعَالى.

---

(١) ليست في (ت)، (ر).

(٢) في (ج)، والمطبوع: فأتت خيل فرعون فأبت أن تقتحم.

(٣) قيل: إن الماذيان هو النهر الكبير، وهذه الكلمة ليست بعربية، قال ابن الأثير: وهي سواديّة. ينظر: النهاية (٤/ ٣١٣).

(٤) في (ف): فشَمَّتِ.

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٨٦).

(٧) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٥٥)، ومعاني القراءات (١/ ١٥٠)، والمبسوط (ص: ١٢٩)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٤٨٥).

(٨) قوله: «بألف. ووجه» ليس في (ف).

ووَجْهُ الثَّانِيةِ: أنَّه لَمَّا قَبِلَ[١] مُوسَى وعْدَ اللهِ ﷻ، صَارَ ذلِك مُواعَدةً بيْنَ اللهِ تعَالى وبيْنَ مُوسَى؛ ومثْلُه: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[البقرة: ٢٣٥].

ومعْنى الآيَةِ: وَعَدْنَا مُوسَى تَتِمَّةَ أَرْبعِينَ [لَيْلَةً][٢] أَوِ انْقِضاء أربعِينَ لَيْلَةً.

ومُوسَى: اسْمٌ أعْجَمِيٌّ، وأصْلُه بالعِبْرَانِيَّةِ: مُوشَا، فمُو: هو المَاءُ، وشَا: هو الشَّجَرُ؛ لأنَّه وُجِدَ عنْدَ [المَاءِ والشَّجَرِ][٣]، فعُرِّبَ بالسِّينِ.

ولِمَا[٤] كان هذَا الوَعْدُ؟ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: لأخْذِ التَّوراةِ.

والثاني: للتَّكْلِيم.

وفي هذِه المُدَّةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ذو القَعدةِ وعشرٌ مِن ذي الحجَّةِ! وهذَا قوْلُ مَن قالَ: كانَ الوعْدُ لإعْطَاءِ التَّوْراةِ.

والثَّاني: ذو الحجَّةِ وعشرٌ مِنَ المُحرَّمِ، وهُو قوْلُ مَن قالَ: كانَ الوعْدُ للتَّكْلِيمِ .

وإنَّما ذُكِرتِ اللَّيَالِي دونَ الأيَّامِ؛ لأنَّ عادَةَ العرَبِ التَّأريخُ باللَّيالِي؛

---

(١) في (ج): قيل.

(٢) من (ج)، وفي المطبوع: يومًا.

(٣) ما بين المعكوفين من (ت).

(٤) في (ت): ولماذا.

لأنَّ أوَّل الشَّهرِ ليْلَةٌ[١]، واعْتِيادُ العرَبِ علَى الأهلَّةِ، فصَارَتِ الأيَّامُ تبَعًا للَّيالِي.

وقالَ أبو بَكرٍ النَّقَّاشُ[٢]: إنَّما ذكَرَ اللَّيالي؛ لأنَّه أمرَهُ أنْ يصُومَ هذِه الأيَّامَ ويُواصِلَها باللَّيالي؛ فلذلِكَ ذكَرَ اللَّيالي، وليْس بشيْءٍ[٣].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾؛ أي: مِن بعْدِ انْطِلاقِه إلى الجَبَلِ.

الإشَارَةُ إلَى اتِّخاذِهِمُ العِجلَ

رَوَى السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه: أنَّه لَمَّا انْطلَقَ مُوسى، واسْتَخْلفَ هارونَ، قالَ هارونُ[٤]: يا بَنِي إسْرائيلَ! إنَّ الغنيمةَ[٥] لا تَحِلُّ لكُمْ، وإنَّ حُلِيَّ القِبْطِ غَنِيمةٌ فاجْمَعُوهُ واحْفِروا لَه حُفَيرَةً[٦]، وادْفِنُوه، فإنْ أحلَّهُ مُوسى؛ فخُذُوه، وإلَّا كانَ شيْئًا لم تأكُلوه، فَفعلُوا.

قال السُّدِّي: وكانَ جِبريلُ عليه السلام قدْ أتَى إلى مُوسى لِيذْهَبَ بهِ إلَى

---

(١) أي: ليلة الهلال.

(٢) محمد بن الحسن بن محمد الموصلي البغدادي أبو بكر النقاش، مقرئ، مفسر، صنَّف في التفسير، وسماه «شفاء الصدور»، توفي سنة (٣٥١هـ) وله خمس وثمانون سنة. انظر: طبقات المفسرين؛ للداودي (٢/ ١٣١).

(٣) ليست في (م).

(٤) قوله: «قال هارون» ساقط من (ر).

(٥) في (ج): الغنية.

(٦) في (ف): حُفرةً. في اللسان: الحفيرة والحفر والحفير: البئر الموسعة فوق قدرها.

ربِّه، فرآهُ السَّامِريُّ[١]، فأنْكَرَهُ وقَال: إنَّ لِهذا شأنًا[٢]، فأخذَ قبْضَةً مِن أثَرِ حَافرِ الفَرَسِ، فقَذَفَها فِي الحُفَيْرةِ[٣]، فظهَرَ العِجْلُ. وقِيل: إنَّ السَّامِريَّ أمرَهُم بإلْقاءِ ذلِك الحُليِّ، وقالَ: إنَّما طالَتْ غَيبةُ مُوسى عنْكُم لأجْلِ ما معَكُم مِنَ الحُلِيِّ، فاحْفِروا لها حُفَيْرَةً[٤] وقرِّبُوه إلى اللهِ؛ يبْعَثْ لكُم نبيَّكُم، فإنَّه كانَ عارِيَةً[٥]، ذكَرَهُ أبو سُليمان الدِّمشقِيُّ[٦].

وفي سببِ اتِّخاذِ السَّامِريِّ عجْلًا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ السَّامِريَّ كانَ مِن قوْمٍ يعبدُونَ البقَرَ، فكانَ ذلِك في قلْبِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[٧].

والثَّاني: أنَّ بنِي إسْرائِيلَ لَمَّا مَرُّوا علَى قوْمٍ يعكُفُون علَى أصنَامٍ لَهُم،

---

(١) في (ر): السامي.

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ف): الحفرة.

(٤) في (ف): حُفرةً.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٧٠).

(٦) **أبو سليمان الدمشقي**: فهو: محمد بن عبد الله بن سليمان، أبو سليمان السعدي، مفسر كبيرٌ، له تصانيف في التفسير، منها: مجتبى التفسير، وكتاب الجامع الصغير في مختصر التفسير، وكتاب المهذب في التفسير. سمع ببغداد أبا علي الصواف، وأبا بكر الشافعي، وغيرهما، وكان شافعيًا أشعريًا، كثير الاتباع للسنة حسن التكلم في التفسير. انظر: المنتظم حوادث سنة (٣٧١هـ)، وطبقات المفسرين؛ للسيوطي (ص: ١٠٣).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٨٩٨٦).

أَعْجَبَهُم ذَلِكَ، فَلَمَّا سَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَجْعَلَ لَهُم[(١)] إِلَهًا[(٢)] وأَنْكَرَ عَلَيْهِم، أَخْرَجَ السَّامِرِيُّ لَهُم فِي غَيْبَتِهِ عِجْلًا لَمَّا رَأَى مِنِ اسْتِحْسَانِهِم ذَلِكَ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

وفي كَيْفِيَّةِ اتِّخَاذِ العِجْلِ قَوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّ السَّامِرِيَّ كَانَ صَوَّاغًا فَصَاغَهُ وأَلْقَى فِيهِ القَبْضَةَ[(٣)]، قَالَهُ عَلِيٌّ، وابْنُ عَبَّاسٍ.

والثَّاني: أَنَّهُم حَفَرُوا حُفَيرَةً، وأَلْقَوْا فِيهَا حُلِيَّ قَوْمِ فِرعَونَ وعَوَارِيَهُم تَنَزُّهًا عَنْهَا، فَأَلْقَى السَّامِرِيُّ القَبْضَةَ مِنَ التُّرَابِ فَصَارَ عِجْلًا [جَسَدًا][(٤)]. رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَارَ لَحْمًا ودَمًا وجَسَدًا، فَقَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: هَذَا إِلَهُكُم وإِلَهُ مُوسَى قَدْ جَاءَ، وأَخْطَأَ مُوسَى الطَّرِيقَ، فَعَبَدُوه وزَفَنُوا[(٥)] حَوْلَهُ[(٦)].

---

(١) من قوله: «أعجبهم ذلك» ساقط من (ت)، (ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) زاد في (ج): من التراب.

(٤) من (ج).

(٥) في (م)، و(ف): دفنوا. **والزّفن**: الرّقص؛ ومنه حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون»؛ أي: يرقصون.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٧٢)، وقوله: «وزفنوا حوله» ليس في (ر).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ الكتَابُ: التَّوراةُ.

وفي «الفُرْقَان» خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه النَّصرُ[١]، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه مَا في التَّوراةِ مِنَ الفَرْقِ بيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ، فيكُونُ الفُرقانُ نعْتًا للتَّوْراة، قالَه أبو العَاليةِ[٢].

والثَّالث: أنَّه الكِتَابُ، فكَرَّرَهُ بغَيْر اللَّفْظِ. قالَ[٣] عدِيُّ بْنُ زيْدٍ[٤] [من الوافر]:

.... فَأَلْفَى[٥] قَوْلَها كَذِبًا وَمَيْنَا

---

(١) في (م): النضر.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٢١).

(٣) في (ج): قاله عدي بن زيد قال.

(٤) عدي بن زيد من شعراء الطبقة السابعة، والبيت من قصيدة في قصة طويلة مشهورة بين الزَّباء وجذيمة وردت في كتب التاريخ والأدب، وصدر البيت: وَقدَّدَت الأَدِيمَ لِرَاهِشَيْه، والبيت في ذيل ديوانه (ص: ١٨٣)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٧)، والشعر والشعراء (ص: ١٣٢)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ١٧٥)، وأمالي المرتضى (٢/ ٢٥٨)، والمستقصى (١/ ٢٤٣)، والمين بمعنى: الكذب، والشاهد في: «كذبًا ومَيْنا» فأكَّد الكذب بالمين وهو بمعناه.

(٥) في المطبوع: فألفي.

وقَالَ عنْتَرَةُ[١] [من الكامل]:

.... أَقْــوَى وَأَقْفَــرَ بَعْــدَ أُمِّ [الْهَيْثَــمِ][٢]

هذا قوْلُ مُجاهِدٍ[٣]، واخْتارَهُ[٤] الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ[٥]. [١٥/ب]

والرَّابــع: أَنَّــه انْفِــرَاقُ البحْــرِ لَهُــم، ذكَــرَهُ الفَــرَّاءُ، والزَّجَّــاجُ، وابْــنُ القَاسِــمِ[٦].

والخامِس: أَنَّه القُرآنُ.

ومعْنَـى الـكَلام: ولقَـدْ آتيْنَـا مُوسـى الكتَـابَ، ومحمَّـدًا الفُرقـانَ، ذكَـرَهُ الفـرَّاءُ، وهـو قـوْلُ قُطـرُبٍ[٧].

---

(١) عنـترة بـن شـداد فـارس وشـاعر مـن كبـار شـعراء الجاهليـة، والبيـت في شرح المعلقـات السـبع؛ للـزوزني (ص: ٢٤٦)، وشرح المعلقـات التسـع المنسـوب؛ لأبي عمـرو الشـيباني (ص: ٢١٩)، وجمهـرة أشـعار العـرب (ص: ٣٥٠)، الأغـاني (٨/ ٢٢٣)، وصـدره: حُيِّـتَ مِـنْ طَلَـلٍ تَقَـادَمَ عَهْـدُهُ. **والإقـواء والإقفـار**: الخـلاء، جمـع بينهـا لـضربٍ مِـنَ التَّأكيـد، وأمُّ الهيثـم: كنيـة عبلـة. وفي (ت)، و(ر): وقـال غـيره.

(٢) في (ل): الهيثمه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٧٦)، وعبد بن حميد؛ كما في الدر المنثور (١/ ٣٦٧).

(٤) في (ف): واختيار.

(٥) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٧)، معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٣٤).

(٦) معـاني القـرآن؛ للفـراء (١/ ٣٧)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه (١/ ١٣٤)، والزاهـر في معـاني كلـمات النـاس (١/ ٧٥).

(٧) معـاني القـرآن (١/ ٣٧)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه؛ للزجـاج (١/ ١٣٤)، والكشـف والبيـان (١/ ١٩٧).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٤، ٥٧].

قوْلُه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾.

القَوْمُ: اسْمُ الرِّجالِ دُونَ النِّساءِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾، ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ [الحجرات: ١١]، وقالَ زُهيرٌ(١) [من الوافر]:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

وإِنَّما سُمُّوا قوْمًا؛ لأنَّهم يقُومُون بالأُمُورِ.

قوْلُه: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾.

قال أبو عليٍّ: كانَ ابْنُ كثيرٍ ونافِعٌ وعَاصِمٌ وابْنُ عَامِرٍ وحمْزَةُ والكِسائيُّ يكسِرُونَ الهمْزَةَ مِنْ غيرِ اختِلاسٍ ولَا تخْفِيفٍ.

---

(١) البيت من قصيدة قالها زهير في هجاء بيت من كلب من بني عليم. وهو ديوانه (ص: ٧٣)، والكتاب (١/ ٤٣٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٨)، والاشتقاق (ص: ٤٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٨٦٣)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٣)، والمعاني الكبير (١/ ٥٩٣).

ورَوى اليَزِيديُّ[١] وعبْدُ الوارِثِ[٢] عنْ أبي عمْرٍو: «بَارِئْكُمْ»[٣] بجزْمِ الهمْزَةِ[٤]. ورَوَى عنْه[٥] العبَّاسُ بْنُ الفَضْلِ[٦]: «بارِئكُمْ» مَهْموزةً غيْرَ مُثقَّلةٍ[٧].

وقال سِيبوَيهِ: كانَ أبُو عمْرٍو يخْتَلِسُ الحرَكَةَ فِي[٨]: ﴿بَارِئِكُمْ﴾ و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ وما أشْبَهَ ذلِكَ مِمَّا يتَوالى فيهِ الحَرَكاتُ، فيَرَى مَنْ يسْمعُهُ[٩]

---

(١) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري أبو محمد النحوي، المعروف باليزيدي؛ لاتِّصاله بالأمير يزيد بن منصور خال المهدي لتأديب أولاده، وقد أدَّب المأمون أيضًا، وكان ثقة عالِمًا حجة في القراءة، أخباريًّا نحويًّا لغويًّا، نظيرًا للكسائي، وتوفي سنة (٢٠٢هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٦)، ومعرفة القراء الكبار؛ للذهبي (ص: ٩٠).

(٢) هو الإمام القارئ الحافظ، أبو عبيدة التنوري، عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان الغبري مولاهم، البصري، ثقة ثبت، رمي بالقدر ولم يثبت عنه، من الثامنة. توفي سنة (١٨٠هـ) روى له الجماعة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٧٨).

(٣) في (م): بأيديكم.

(٤) التيسير في القراءات السبع؛ للداني (ص: ٧٣)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٥٥)، والحجة؛ لأبي علي الفارسي (١/ ٧٦).

(٥) في (ف): عن.

(٦) العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنظلة الواقفي الأنصاري، المقرئ قاضي الموصل، أبو الفضل، أحد القراء، توفي سنة (١٨٦هـ). انظر: معرفة القراء الكبار (ص: ٩٦).

(٧) الحجة؛ للفارسي (١/ ٧٦- ٧٧).

(٨) من قوله: «بارئكم بجزم الهمزة» ساقط من (ج).

(٩) ضرب عليها في (ج).

أَنَّـهُ قـد أَسْـكَنَ ولَمْ يُسـكِنْ[١].

والبارِئُ: الخالِقُ.

ومعْنَـى ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ أي: ليقتُـلْ بعْضُكـم بعْضًـا. قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ[٢]، ومُجاهِـدٌ[٣].

واخْتلَفُوا فيمَنْ خُوطِب بهذا علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه خِطابٌ للْكُلِّ، قالَهُ السُّدِّي عنْ أشْياخِه[٤].

والثَّاني[٥]: أنَّه خِطابٌ لِمَن لم يعبُدْ لِيَقْتُلَ مَنْ عبَدَ[٦]، قالَهُ مُقاتِلٌ[٧].

والثَّالِـث: أنَّـه خِطـابٌ للعابِدِيـنَ فحسْـبُ، أُمِـروا أنْ يَقْتـلَ بعْضُهـم بعْضًـا، قالَـهُ أبـو سُـليْمان الدّمشـقيُّ.

وفي الإشَارَةِ بقوْلِه: «ذَا» فِي: «ذلِكُم» قوْلَانِ:

أحدُها: أنَّه يعُودُ إلى القتْلِ.

---

(١) الكتاب (٤/ ٢٠٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٢٨).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠- ٦٨١)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٣٣).

(٥) من قوله: «أنه خطاب للكل» ساقط من (ت)، و(ر).

(٦) ليست في (ج).

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠).

والثَّاني: أنَّه يعُودُ إلى التَّوْرَاةِ(١).

الإشَارَة إلى قِصَّتِهِم في ذلِكَ

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: قالُوا لِمُوسى: كيْفَ يقْتُلُ الآبَاءُ الأبْنَاءَ، والإخوةُ الإخْوةَ؟ فأنْزلَ اللهُ عليْهِم ظُلمَةً(٢) لا يرَى بعْضُهم بعْضًا، فقَالُوا: فَما آيةُ توْبَتِنا؟ قَالَ: أنْ يقُومَ السِّلاحُ فلا يقْتُلُ، وتُرْفعَ الظُّلْمةُ. فقَتَلُوا حتَّى خاضُوا في الدِّمَاءِ، وصَاحَ الصِّبْيانُ: يا موسى! العفْوَ العفْوَ. فبَكَى مُوسى، فنزَلَتِ التَّوبَةُ، وقَام السِّلاحُ، وارْتَفعَتِ الظُّلْمَةُ(٣).

قال مُجاهِدٌ: بلَغَ القَتْلَى سبْعِين ألفًا(٤).

قالَ قتَادَةُ: جُعِلَ(٥) القتْلُ للقَتِيلِ شَهادةً، ولِلْحَيِّ توْبَةً(٦).

قوْلُه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾.

في القَائِلين لِمُوسى ذلِك قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ السَّبعونَ المُختَارُونَ، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج)، والمطبوع: التوبة.

(٢) في الأصل: ظلم، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١/ ٣٦٧).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٢).

(٥) في (ف): فجُعِل.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٣)، وفي (ج): وللحي شهادة.

والثَّـانِي: جمِيعُ بنِـي إسْرائِيـلَ إلَّا مَـنْ عصَـمَ اللهُ منْهُـم، قالَـهُ ابْـنُ زيْـدٍ، قـالَ: وذلِـك أنَّـهُ أتَاهُـم كتَـابُ[١] اللهِ، قالُـوا: واللهِ لا نأخـذُهُ بقوْلِـك: حتَّـى نـرَى اللهَ جهْـرَةً، فيقُـولُ: هَـذا كِتَـابي.

وفي «جَهْرَةً» قوْلَانِ:

أحدُهُمـا: أنَّـه صِفَـةٌ لقَوْلِـم؛ أي[٢]: جَهـرُوا[٣] بذلِـكَ القَـوْلِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ[٤]، وأبـو عُبيـدَةَ[٥].

والثَّـانِي: أنَّهـا الرُّؤيَـةُ البيِّنَـةُ؛ أي: أرِنَـاهُ غَـيْرَ مُسْـتَترٍ عنَّـا بـشَيْءٍ، يُقـال: فُـلانٌ يَتجاهَـرُ بالمعَـاصِي؛ أي: لا يَسْـتَترُ مِـنَ النَّـاسِ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[٦]. [١٦/أ]

ومعْنَـى ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ مـا يُصعَقُـونَ منْـه؛ أي: يمُوتُـونَ. ومِـنَ الدَّليـلِ أنَّهُـم ماتُـوا؛ قوْلُـه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ هـذا قـوْلُ الأكْثَريـنَ[٧].

وزعَـمَ قـوْمٌ أنَّهُـم لم يمُوتـوُا، واحْتجُّـوا بقوْلِـه: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾. وهـذَا قـوْلٌ ضعِيـفٌ[٨]؛ لأنَّ اللهَ تعَـالى فـرَّقَ بـيْنَ الْمَوْضِعـيْنِ، فقَـالَ هُنـاكَ:

(١) في (ت)، و(ر)، و(م)، و(ف): بكتاب.

(٢) في (ت)، و(ر): أو.

(٣) في (ج): اجْهَرُوا.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٣٤).

(٥) مجاز القرآن (١/ ١٤٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٣٧).

(٧) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (١/ ٤٩)، والزجاج في معاني القرآن (١/ ١٣٧).

(٨) قوله: «وهذا قول ضعيف» ليس في (ج).

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾[الأعراف: ١٤٣]، وقالَ هاهُنا: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم﴾، والإِفاقةُ للمَغْشيِّ عليْه، والبعْثُ للميِّتِ.

قوْلُه: ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاه: ينْظُر بعْضُكم إلى بعْضٍ كيْفَ يقَعُ ميِّتًا.

والثَّاني: ينْظُرُ بعْضُكم إلى إحياءِ بعْضٍ.

والثَّالث: تنْظُرونَ[1] العذَابَ كيْفَ ينْزِلُ بكُم، وهو قوْلُ مَنْ قالَ: نَزلتْ نارٌ فأحْرقتْهُم.

قوْلُه: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ﴾.

الغَمامُ: السَّحابُ، سُمِّي غمامًا؛ لأنَّهُ يغُمُّ السَّماءَ؛ أي: يسْتُرُها، وكُلُّ شيْءٍ غطَّيْتَهُ فقَدْ غمَمتَهُ، وهذَا كانَ في التِّيهِ.

وفي ﴿ٱلۡمَنَّ﴾ ثمانيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ الَّذي يقَعُ علَى الشَّجرِ فيأكُلُه النَّاسُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[2]، والشَّعْبيُّ[3]، والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: أنَّه التَّرنْجبينُ[4]، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا، وهو قوْلُ مُقاتِلٍ.

---

(١) في (ف): ينظرون.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٥٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٣).

(٤) في (ت): الطَّرنجبين. **والترنجبين:** بضم التاء وتشديد الراء وتسكين النون، ويقال: الطرنجبين بالطاء: طل ينزل من السماء وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبب. انظر: غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٤٩)، تاج العروس (٩/ ٣٥٠).

والثَّالث: أَنَّه صَمْغَةٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرَّابع: أَنَّه شيْءٌ يُشْبهُ الرُّبَّ(١) الغَلِيظَ، قالَهُ عكْرِمَةُ.

والخامِس: أَنَّه شرَابٌ، قالَهُ أبو العَالِيةِ، والرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

والسَّادس: أَنَّه خُبْزُ الرُّقَاقِ مِثْلُ الذُّرةِ، أَوْ مثْلُ النَّقِي، قالَهُ وهْبٌ.

والسَّابع: أَنَّه عسَلٌ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّامن: أَنَّه الزَّنْجبِيلُ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

وفي «السَّلوَى» قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه طَائِرٌ، قالَ بعْضُهم: يُشبِهُ السُّمَانَى، وقالَ بعْضُهم: هو السُّمَانَى.

والثَّاني: أَنَّه العسَلُ، ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ، وأَنْشَدَ(٢):

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ جَهْدًا لَأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾.

(١) **الرُّبُّ**: بالضم دِبْسُ الرُّطَبِ إذا طُبِخ. انظر: المصباح المنير (ص: ٢١٤).

(٢) البيت للهذلي خالد بن زهير، عزاه له في الأغاني (٦/ ٢٩٢)، تهذيب اللغة (١٣/ ٤٩)، المحكم (٨/ ٦١١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٤٥)، وقوله: إذا ما نشورها؛ أي: نجتنيها ونستخرجها من خليتها؛ من شار العسل، وهذه الكلمة هي التي دلت على أن المراد بالسلوى في بيت الهذلي: العسل.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مَا نقَصُونَا وضرُّونَا، بَلْ ضرُّوا أنْفُسَهُم[١].

قـال تعـالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقـرة: ٥٨، ٥٩].

قوْلُه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾.

في القائِلِ لَهُم قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّه مُوسَى بعْدَ مُضيِّ الأَرْبعِينَ سنَةً.

والثَّاني: [أنَّه][٢] يُوشَعُ بْنُ نُونٍ بعْدَ موْتِ مُوسَى.

و﴿الْقَرْيَةَ﴾: مأْخُوذةٌ مِنَ الجمْعِ، ومنْهُ: قَرَيْتُ المَاءَ في الحوْضِ. والمِقْرَاةُ: الحوْضُ يُجمَعُ فيهِ الماءُ.

وفي المُراد بِهذه القرْيَة قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهَا بيْتُ المَقْدِسِ، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وقَتَادَةُ[٣]،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٦٧).

(٢) من (ف).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٦٩).

والسُّدِّيُّ(١)، والرَّبيعُ(٢). ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّهَا أَرِيحَا. قالَ(٣) السُّدِّيُّ(٤): وأَرِيحَا: هي أرْضُ بيْتِ المَقْدسِ.

والثَّاني: أنَّهَا قرْيَةٌ مِنْ أدَاني قُرى الشَّامِ، قالَهُ وهْبٌ.

قوْلُه: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وهو أحَدُ أبْوابِ بيْتِ المَقْدِسِ، وهُو يُدعَى: بابَ حِطَّةٍ(٥).

وقوْلُه: ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: رُكَّعًا. قالَ وَهْبٌ: أُمِروا بالسُّجُودِ شكرًا للهِ ﷻ إذْ ردَّهُم إليْهَا.

قوْلُه: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ وقَرَأَ ابْنُ السَّمَيْفَعِ وابْنُ أبِي عبْلَةَ(٦): «حِطَّةً» بالنَّصْبِ(٧).

وفي معْنَى ﴿حِطَّةٌ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٣).

(٣) في (ج): قاله.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٢). ومن قوله: «والربيع»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٤).

(٦) في (ف): وابن أبي عُليّة.

(٧) بالنصب على المصدر، انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ١٣)، وفي المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٦٤) برواية قتادة عن الحسن ﴿حطةً﴾، والكشاف (١/ ١٤٣).

أحدُهـا: أنَّ معْنَـاه: اسْـتَغْفِروا، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ[١]، ووهْـبٌ. وقـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ[٢]: وهـي كلِمَـةٌ [أُمِـروا أنْ يقولُوهَـا][٣] في معْنَـى الِاسْـتِغْفارِ، مِـن: حَطَطْـتُ؛ أي: حُـطَّ عنَّـا ذُنوبَنَـا[٤].

[١٦/ب] **والثَّـاني**: أنَّ معْنَـاه: قُولـوا هـذَا الأمْـرُ حـقٌّ كـمَا قِيـلَ لكُـم، ذكَـرَهُ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٥].

والثَّالث[٦]: أنَّ معْنَاها: لا إِلَه إلَّا اللهُ، قالَهُ عِكْرِمَةُ[٧].

قـال ابْـنُ جريـرٍ الطَّـبرِيُّ: فيكُـونُ المْعْنَـى: قُولـوا الَّـذِي[٨] يَحُـطُّ عنْكُـم خَطايَاكُـم، [وهُـو قـوْلُ: لا إلَـهَ إلَّا اللهُ][٩].

ولِمَاذَا أُمِروا بدُخولِ القَرْيَةِ؟ فيهِ قوْلَانِ:

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٦).

(٢) ليست في (م).

(٣) من المطبوع.

(٤) غريب القرآن (١/ ٥٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٨١).

(٦) من قوله: «حق كما قيل لكم»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧١٧)، والطبراني في الدعاء (١٥٦٤).

(٨) في (ر): أنه.

(٩) انظر: تفسير الطبري (١/ ٧١٧). وما بين المعكوفين من المطبوع.

أحدُهمـا: أنَّ ذلِـكَ لِذنُـوبٍ رَكِبُوهَـا[١] فقِيـلَ لهُـم: «ادْخُلُـوا القرْيَـةَ»، «وادْخلـوا البَـابَ سُـجَّدًا يغْفِـرْ لكُـم خطَايَاكُـم»[٢]، قالَـهُ وهْـبٌ.

والثَّـاني: أنَّهُـم مَلُّـوا المَـنَّ والسَّـلْوَى، فقِيـل لهُـم: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ فـكَانَ أوَّلَ مَـا لقِيَهُـم أرِيحَـا، فأُمِـروا بدُخُولِهَـا.

قوْلُه: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾.

قَـرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وعاصِـمٌ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائيُّ: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ بالنـونِ مـع كسْرِ الفـاءِ. وقـرَأَ نافِـعٌ وأبَـانُ عـنْ عاصِـمٍ: «يُغْفَـرْ» بيَـاءٍ[٣] مضْمُومـةٍ وفتْـحِ الفَـاءِ. وقـرَأَ ابْـنُ عامِـرٍ[٤] بتَـاءٍ[٥] مضْمُومـةٍ مـعَ فتْـحِ الفَـاءِ[٦].

قوْلُه: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا﴾.

اعْلَـمْ أنَّ اللهَ ﷻ، أمرَهُـم في دخُولِهِـم بفِعْـلٍ وقـوْلٍ، فالفِعْـلُ السُّـجُودُ، والقـوْلُ: حِطَّـةٌ، فغَـيَّرَ القـوْمُ الفِعْـلَ والقـوْلَ.

---

(١) في (ف): ارتكبوها.

(٢) من قوله: «ولماذا أمروا بدخول القرية»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) في (ف): تغفر.

(٤) في (ج): ابن عباس.

(٥) في (ل)، و(ف): بياء.

(٦) الحجة؛ للفارسي (٢/ ٨٥)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ١٥٢)، والمبسوط (ص: ١٣٠).

فأمَّا تَغْيِيرُ الفِعْلِ ففِيه خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم دخلُوا مُتزحِّفِينَ علَى أوْرَاكِهِم. روَاه أبو هُريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ[1].

والثَّاني: أنَّهم دخَلُوا مِن قِبَلِ [أَسْتَاهِهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[2]، وعكْرِمَةُ[3].

والثَّالث: أنَّهم دخَلُوا مُقنِعي رؤُوسِهِم، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ[4].

والرَّابع: أنَّهم دخلُوا علَى حُروفِ عُيونِهم، قالَهُ مُجاهِدٍ.

والخامِس: أنَّهم دخَلُوا مُسْتَلْقِينَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[5].

وأمَّا تَغْيِيرُ القوْلِ ففِيه خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم قالُوا مكانَ «حِطَّة»: حَبَّةٌ في شَعْرَةٍ، روَاه أبو هُريرةَ عنِ النَّبِي ﷺ[6].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٧٦)، والحاكم في المستدرك (٣٠٤٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٨٤٢٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٩- ٦٢١١).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١).

(٦) البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥).

والثَّـاني: أنَّهُـم قالُـوا: حنْطَةٌ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ[١]، وعِكْرِمَـةُ[٢]، ومُجاهِدٌ[٣]، ووهْـبٌ، وابْـنُ زيْـدٍ[٤].

والثَّالث: أنَّهُم قالُوا: حنْطَةٌ حمْرَاءُ فِيها شعْرَةٌ، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ[٥].

والرَّابـع: أنَّهُـم قالُـوا: حبَّـةُ[٦] حِنْطَـةٍ حمْـرَاءُ مثْقُوبَـةٌ فِيهـا شُـعَيْرَةٌ[٧] سـودَاءُ، قالَـه السُّـدِّيُّ عـن أشْـيَاخِه.

والخامِس: أنَّهُم قالُوا: سُنْبلاثًا[٨]، قالَه أبو صَالِحٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٩٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٥٩٠).

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١/ ٧٢٦- ٧٢٧)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره بعـد الأثـر رقـم (٥٩٠).

(٤) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١/ ٧٢٨- ٧٢٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره بعـد الأثـر رقـم (٥٩٠). وفي (ر): ابـن يزيـد.

(٥) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١/ ٧٢٥- ٧٢٧)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٨٨)، و(٥٨٩)، وللطـبراني في الكبـير (٩/ ٢١١ رقـم ٩٠٢٧)، والحاكـم في المسـتدرك (٣٢٥٢)، وعبـد بـن حميـد، وابـن المنـذر؛ كـما في الـدر المنثـور (١/ ٣٧٧).

(٦) ليست في (ج).

(٧) في (ت)، و(ف): شعرة.

(٨) كـذا في النسـخ، وفي (ف): سـنبلاتا. وفي (ج): سـنبلانا. والظاهـر أنهـا مصحفـة مـن: «سـقماثًا، أو: سـمهاثًا» وهـي لفظَـةٌ عبرانيَّـة تفسـيرها: حنطـة حمـراء، حـكاه ابـن قتيبـة، وحـكاه الهـروي عـن السـدي ومجاهـد. انظـر: تفسـير مقاتـل (١/ ١١٠)، والمسـتدرك عـلى الصحيحـين (٢/ ٣٥٢)، والـدر المنثـور (١/ ٧١).

فأمَّا «الرِّجْزُ»: فهو العَذابُ، قالَهُ الكِسائِيُّ، وأبو عُبيْدَةَ[١]، والزَّجَّاجُ[٢]. وأنْشَدُوا لِرؤْبَةَ[٣] [من مشطور الرجز]:

كَمْ رَامَنَا مِنْ ذِي عَدِيدٍ مُبْزِي حَتَّى وقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرُّجْزِ

وفي مَاهيَةِ هذَا العذَابِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ظُلمَةٌ ومَوْتٌ، فماتَ منْهُم فِي سَاعَةٍ واحِدَةٍ، أرْبَعةٌ وعِشْرُونَ ألفًا، وهلكَ سبْعُون ألفًا عُقوبَةً، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُم أصَابَهُمُ الطَّاعُونُ، عُذِّبُوا بِه أرْبعِينَ ليْلَةً ثُمَّ ماتُوا، قالَهُ وهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ.

والثَّالث: أنَّه الثَّلجُ، هلَكَ بِه منْهُم سبْعُونَ ألفًا، قالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٤١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٠).

(٣) لرؤبة في ديوانه (ص: ٦٥)، وتفسير الطبري (١٢/ ٥٢٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ١٤٠)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٤/ ٩٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٠٣)، **والمبزي**: المتفاخر -من تبازى تظاهر بما ليس عنده، ومبز مذل مخز- كقول أبي طالب: «كَذَبْتُم وبيتِ اللهِ يبزي محمدًا»؛ أي: لا يخزي ولا يذل. **والوقم**: كبح الدابة؛ أي: رددنا كيده، ووقفنا كما تصد الدابة الجامحة.

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقـرة: ٦٠، ٦١].

قوْلُـه: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ اسْتَسْـقَى بمعْنَـى: اسْـتَدْعى ذلِـك؛ كقوْلِـك: اسْـتَنْصر.

وفِي ﴿ٱلْحَجَرَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه حَجَـرٌ معـرُوفٌ عُـيِّنَ لِموسَـى، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ جُبـيرٍ، وقتَـادَةُ، وعطِيَّـةُ، وابْـنُ زيْـدٍ، ومُقاتِـلٌ.

واخْتلَفُوا في صِفتِه علَى ثَلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كان حَجرًا مُربَّعًا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: كَانَ مثْلَ رأسِ الثَّوْرِ، قالَهُ عطيَّةُ(٢).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٥٩٨).

(٢) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره رقـم (٥٩٩)، وأبـو الشـيخ في العظمـة (٤/ ١٥١٦)، وفي المطالـب العاليـة (٣٥٢٧).

[١٧/أ] **والثَّالث**: مثلَ رأسِ الشَّاةِ، قالَهُ ابنُ زيدٍ[١]. وقالَ سعِيدُ بنُ جُبيرٍ: هو الَّذي ذهَب بثِيَابِ مُوسَى. فجاءَهُ جِبريلُ فقالَ: إنَّ اللهَ تعالى يقولُ لكَ: ارْفَعْ هذَا الحَجرَ، فَلِي فيهِ قُدْرةٌ، ولكَ فِيه معْجِزةٌ، فكانَ إذَا احْتَاج إلى المَاءِ ضَرَبهُ.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه أُمِر بضَرْبِ أيِّ حجَرٍ كانَ، والأوَّلُ أثْبَتُ.

قوْلُه: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ﴾ تقْدِيرُ معْنَاه: فضَرَبَ فانْفَجرَتْ، فلمَّا عُرِفَ بقوْلِه: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ أنَّه قدْ ضرَبَ، اكْتَفَى بذلِكَ عن ذكْرِ الضَّرْبِ؛ ومثْلُه: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾[الشعراء: ٦٣]، قالَهُ الفرَّاءُ[٢].

ولمَّا كانَ القوْم اثْنَي عشَرَ سِبْطًا، أخْرَجَ اللهُ لهُم اثْنَي عشْرَةَ عيْنًا، ولأنَّه كانَ فِيهم تَشَاحنٌ[٣] فسَلِمُوا بذلِك منْهُ.

[**قوْلُه**: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾ **العثْوُ**][٤]: أشَدُّ الفَسادِ، يُقال: [عَثِي، وعثَا، وعَاثَ][٥]. قالَ ابنُ الرِّقَاعِ[٦] [من الكامل]:

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٨).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٩).

(٣) في (ت): تشاجنٌ. وفي (ف): تشاجرٌ.

(٤) في (ل): قوله ولا تعتوا، العتو.

(٥) في (ل): عتي وعتاء وعات.

(٦) البيت لعدي بن الرقاع من شعراء الإسلام، في ديوانه (ص: ٩٩)، والشعر والشعراء؛ لابن قتيبة (٢/ ٦٠٥)، وتفسير غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٥٠)، والكامل (١/ ١٢٧)، والأغاني (٨/ ١٨١- ١٨٢)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٥١)، وعثا فيه المشيب: أفسده أشد الإفساد.

لَـوْلَا الْحَيَـاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَـدْ عَثَـا[١] فِيـهِ الْمَشِـيبُ لَـزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِـمِ

قَوْلُه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ﴾.

هـذَا قوْلُهـم في التِّيـهِ، وعنَـوْا بالطَّعـامِ الوَاحـدِ: المَـنُّ والسَّـلْوَى. قـال محمَّـدُ بْـنُ القَاسِـمِ: كانَ المَـنُّ يُـؤْكلُ بالسَّـلْوَى، والسَّـلْوَى بالمَـنِّ، ولذلِـكَ كانَـا طعامًـا واحِـدًا[٢].

و«**البقْلُ**» هَاهُنا: اسْمُ جنْسٍ، وعنَوْا بِه: البقُولَ.

وقـرأْتُ علَـى شـيخِنَا أبي منْصُـورٍ اللُّغـويِّ[٣] قـالَ: تذْهَـبُ العامَّـةُ إلى أنَّ البقـلَ: مَـا يأْكلُـهُ النَّـاسُ خاصَّـةً دُون البهَائِـمِ مِـنَ النَّبَـاتِ النَّاجِـمِ الَّـذي لا يحْتَـاجُ في أكْلِـه إلى طبْـخٍ، وليْـس كذلِـكَ، وإنَّـما البقـلُ: العُشْـبُ، ومَـا يُنْبـتُ الرَّبِيـعُ ممـا يأْكُلُـه النَّـاسُ والبهَائِـمُ، يُقـال: بقَلَـتِ الأرْضُ، وأبْقَلَـتْ، لُغتَـانِ فصِيحتَـانِ: إذَا أنْبتـتِ البقـلَ. وأَبْقَلـتِ الإِبِـلُ وتبقَّلَـتْ[٤]: إذا رعَتْـهُ[٥]. قـال أبـو النَّجـم يصِـفُ الإبْـلَ[٦] [مـن الرجـز]:

---

(١) في (ل): عتا.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٤٥).

(٣) طمس الاسم في (ج).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

(٥) تهذيب اللغة (٩/ ١٤٢) بمعناه.

(٦) البيـت لأبي النجـم العجـلي الفضـل بـن قدامـة مـن شـعراء الإسـلام، الأشـباه والنظائـر (٤/ ٢٠٠)، والأغـاني (١٠/ ١٥٨)، ولسـان العرب (١١/ ٦١)، وهو من شـواهد سـيبويه=

تبَقَّلَتْ فِي أَوَّلِ التَّبَقُّلِ بَيْنَ رِمَاحَيْ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

وفي «القِثَّاءِ» لُغتانِ: كسْرُ القافِ، وضمُّها، والكسْرُ أجْوَدُ، وبه قرَأَ الجمْهُورُ. وقرَأَ ابْنُ مسْعُودٍ، وأبُو رَجاءٍ، وقتَادةُ وطلْحَةُ بْنُ مُصرِّفٍ، والأعْمَشُ بضَمِّ القَافِ[١].

قال الفَرَّاءُ: الكسْرُ لُغةُ أهْلِ الحِجَازِ، والضَّمُّ لُغةُ تَمِيمٍ، وبعْضِ بنِي أسَدٍ[٢].

وفي «الفُومِ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الحنْطَةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه، و[الحسَنُ][٣]، وأبو مالِكٍ[٤]. قالَ الفَرَّاءُ: هِي لُغةٌ قدِيمةٌ، يقُول أهْلُها: فَوِّمُوا[٥] لنَا؛ أي: اخْتَبِزُوا لنَا[٦].

=في الكتاب (٤/ ٣٦٧)، تبقّلت: رعت البقل، أو خرجت تطلبه؛ والبقل: كلُّ ما نبت في بذره لا جذور ثابتة له. مالك ونهشل: قبيلتان عربيّتان كانتا متنازعتين.

(١) مختصر ابن خالويه قرأ يحي بن وثاب بالضم (ص: ١٣)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٨٧)، وعزاها لأشهب، والمحرر؛ لابن عطية (١/ ١٣٣)، وعزاها ليحيى بن وثاب، تفسير الرازي عن (٣/ ٥٣٢).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٩).

(٣) في (ل): الحسين.

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٣١١)، وابن أبي حاتم (٦١٧) من طرق عن ابن عباس.

(٥) قال الفراء: بالتشديد لا غير. انظر: معاني القرآن (١/ ٤١).

(٦) معاني القرآن (١/ ٤٩)، وفي (ف): اخبزُوا لنا.

والثَّـاني: أنَّـه الثُّـومُ، وفي قِـرَاءَةِ عبْـدِ اللهِ وأُبَيِّ بْـنِ كعْـبٍ: «**وثُومهـا**»[(١)] واخْتَـارَهُ الفـرَّاءُ[(٢)]، وعلَّـل بأنَّـه ذُكِـر مـعَ مَـا يُشـاكِلُه، والفَـاءُ تُبـدلُ مِـنَ الثَّـاءِ، كـمَا تقُـولُ العـرَبُ: الجـدَثُ، والجَـدَفُ: للقـبْرِ، والأثَـافِي والأفَـافِي: للحِجـارَةِ الَّتـي تُوضَـعُ تحْـتَ القِـدْرِ[(٣)]. والمْغَاثِـيرُ والمَغافِـيرُ: لِـضرْبٍ مِـنَ الصَّـمغِ. وهـذَا قـوْلُ مُجاهِـدٍ[(٤)]، والرَّبيـعِ بْـنِ أنَـسٍ، ومُقاتِـلٍ، والكِسـائِيِّ، والنَّـضرِ بْـنِ شُـميْلٍ، وابْــنِ قُتَيْبَــةَ[(٥)].

والثَّالث: أنَّه الحبُوبُ، وذكرَهُ ابْنُ قُتيْبَةَ، والزَّجَّاجُ[(٦)].

قوْلُــه: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾؛ أي: أردأُ[(٧)] ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾؛ أي: أَعْـلَى، يُريـد: أنَّ المَـنَّ والسَّـلوَى أعْـلَى مِمَّـا طلَبْتُـم.

قوْلُه: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ **فيه قوْلانِ:**

أحدُهمـا: أنَّه اسْـمٌ لِمصرٍ مِنَ الأَمْصـارِ غيْرِ مُعيَّنٍ، قالَه ابْـنُ مسْـعُودٍ، وابْنُ

---

(١) وهـو خـلاف المصحـف، وقيـل: إنهـا في بعـض نسـخ عثـمان. انظـر: مختـصر الشـواذ؛ لابـن خالويـه عـن ابـن مسـعود وابـن عبـاس (ص: ١٤)، والمحتسـب؛ لابـن جنـي (١/ ٨٨)، والتحصيـل؛ للمهـدوي (١/ ٢٢٨)، ومفاتيـح الغيـب؛ للـرازي (٣/ ٥٣٢).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٩).

(٣) في (ف): القدور.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٣).

(٥) غريب القرآن (١/ ٤٩).

(٦) غريب القرآن (١/ ٤٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٣).

(٧) في (ف): أزرى.

عبَّاسٍ، وقتَادَةُ، وابْنُ زيْدٍ، وإنَّما أُمِرُوا بالمِصرِ؛ لأنَّ الَّذي طلَبُوه فِي الأَمْصارِ.

[١٧/ب] والثَّاني: أنَّه[١] أرَادَ البلَدَ المسمَّى بِمصْرَ.

وفي قِراءَةِ عبْدِ اللهِ، والحسَنِ[٢]، [وطلْحَةَ بْنِ مُصرِّفٍ، والأَعْمشِ][٣]: «مِصْرَ» بغَيْرِ تنْوِينٍ[٤]، قالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أرَادَ مِصْرَ فِرعونَ[٥]. وهذا قوْلُ أبي العَالِيةِ[٦]، والضَّحَّاكِ، واختَارَهُ الفرَّاءُ، واحْتجَّ بقِراءَةِ عبْدِ اللهِ. قالَ: وسُئِلَ عنْها الأعمَشُ، فقَالَ: هِي مصْرُ الَّتي علَيْها [صَالِحُ][٧] بْنُ علِيٍّ[٨]. وقالَ مُفضَّلُ الضَّبِّي[٩]: سُمِّيتْ مِصْرًا؛ لأنَّها

---

(١) من قوله: «أمروا بالمصر»... إلى هنا ساقط من (ت)، (ر).

(٢) ليس في (ج).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في (ل).

(٤) مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ١٤)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٤٨٦)، وزاد الشيزري، والقورسي عن أبي جعفر، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٤٢٣)، وتفسير الرازي (٣/ ٥٣٢) وهي قراءة شاذة.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦١٩).

(٧) هو أول من ولي مصر من قبل أبي العباس السفاح سنة (١٣٣هـ). وفي النسخ الخطية: «سليمان بن علي» خطأ. والمثبت من المطبوع. وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦٣٠).

(٨) معاني القرآن (١/ ٤٣).

(٩) في (ف) صحف كلمة الضبي إلى: الصين. وهو المفضل بن محمد بن يعلى، أبو العباس، عارف بالأدب والشعر، توفي سنة (١٦٨هـ).

آخِرُ حُدودِ الْمَشْرِقِ، وأوَّلُ حدُودِ الْمَغْرِبِ، فهِيَ حدٌّ بيْنَهُما[١].

والمِصرُ: الحَدُّ. وأهْلُ هجَرٍ يكتُبُونَ في عهْدِهم[٢]: اشْتَرى فُلانٌ الدَّار [بِمُصُورِهَا][٣]؛ أي: بِحُدُودِهَا. وقالَ عَدِيٌّ[٤] [من البسيط]:

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ ... بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا

وحكَى ابْنُ فارِسٍ أنَّ قوْمًا قالُوا: سُمِّيتْ بذلِك لِقَصْدِ النَّاسِ إيَّاها؛ كقوْلِهِم: مَصَّرتُ الشَّاةَ؛ إذَا حلبْتُها، فالنَّاسُ يقصِدُونَهَا، ولا يكَادُونَ[٥] يرغَبُونَ عنْهَا إذَا تَرَكُوهَا[٦].

قوْلُه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾؛ أي: أُلزِمُوهَا، قالَ الفرَّاءُ: الذِّلَّةُ والذُّلُّ:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أي: شروطهم. انظر: غريب القرآن؛ لابن قتيبة (١/ ٤٧٧).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في (م).

(٤) البيت للشاعر عدي بن زيد، في ديوانه (ص: ١٥٩)، والشعر والشعراء (ص: ٢٢٥)، والأغاني (٢/ ٩٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٩)، وينسب البيت أيضًا إلى أمية بن أبي الصلت في ديوانه: (ص: ٤٦٠)، والمخصص (١٣/ ١٦٤).

(٥) من قوله: «كقولهم مصرت الشاة»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٩/ ٦٣١٩). وفي (ج)، و(ت)، و(ر)، و(م): نزلوها.

بمعْنًى[١]. وقالَ الحسَنُ: هي الجِزيَةُ[٢].

وفي «المَسْكَنَةِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الفقْرُ والفَاقَةُ، قالَهُ أبو العَاليَةِ[٣]، والسُّدِّيُّ[٤]، وأبو عُبيدَةَ[٥]، ورُوِي عنِ السُّدِّيِّ قالَ: هِي [فَقْرُ][٦] النَّفْسِ[٧].

والثَّاني: أنَّها الخُضُوعُ، قالَه الزَّجَّاجُ[٨].

قوْلُه: ﴿وَبَآءُو﴾؛ أي: رَجعُوا.

وقوْلُه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشَارَةٌ إلى الغَضَبِ. وقيل: إلى جميعِ ما أُلزِمُوه مِنَ الذِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ وغيرِهما.

قوْلُه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

كانَ نافِعٌ يهمِزُ «النَّبِيِّينَ» و«الأنْبِياءَ» و«النُّبوَّةَ» وما جاءَ مِن ذلِك، إلَّا

(١) معاني القرآن (١/ ١٢٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٢٧).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٦٢٧).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٤٢).

(٦) في الأصل: قفر، والمثبت من (ج).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٦٢٧).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٤).

في موْضِعَيْنِ[(١)] في الأَحْزابِ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوْلِه: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وإنَّما تركَ الهمْزَةَ في هذَيْنِ الموْضِعيْنِ؛ لاجْتِماعِ همْزتيْنِ مكسُورتَيْنِ مِنْ جنْسٍ واحِدٍ، وباقِي القُرَّاءِ لا يهمِزُونَ[(٢)] جميعَ المَوَاضِعِ[(٣)]. قالَ الزَّجَّاجُ: الأَجْودُ تَرْكُ الهَمْزِ[(٤)].

واشْتقَاقُ النَّبِيِّ مِنْ: نَبَّأَ، وأَنْبَأَ؛ أي: أَخْبَرَ. ويجوزُ أنْ يكُونَ مِن: نَبا ينبُو[(٥)]: إذَا ارْتَفَع، فيكُونُ بغَيْرِ همْزٍ: فَعِيلًا؛ مِنَ الرِّفعَةِ.

قال عبْدُ اللهِ بنُ مسْعُودٍ: كانتْ بنُو إسرَائِيلَ تقْتُل في اليوْمِ ثلاثمائَةِ نَبِيٍّ، ثُم يقُوم سُوقُ بقْلِهِم[(٦)] في آخِرِ النَّهارِ[(٧)].

قوْلُه: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فِيه ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّ معْناه: بغَيْرِ جُرْمٍ، قالَه ابْنُ الأَنْبارِيِّ[(٨)].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) قوله: «لا يهمزون» ساقط من (ر).

(٣) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ١٥٣)، والمبسوط (ص: ١٠٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٥).

(٥) في (ت)، و(ر): نبأ ينبؤ.

(٦) في (م): بقتلهم.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٣٢- ٣٩٩٨- ٤٥٩٠- ٦٢١٧).

(٨) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤١٠).

والثَّاني: أنَّه توْكيدٌ؛ كقَوْلِه تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

والثَّالث: أنَّه خارجٌ مَخْرجَ الصِّفَةِ لقَتْلِهم أنَّهُ ظُلمٌ؛ فهُو كقَوْلِه: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[1] [الأنبياء: ١١٢]، [فوَصفَ حُكمَهُ بالحَقِّ][2] ولم يدُلَّ على أنَّهُ يَحْكُم بغَيْرِ الحقِّ.

قوْلُه: ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

العُدوَانُ: أشَدُّ الظُّلمِ. وقالَ الزَّجَّاجُ: الاِعْتِداءُ: مُجاوَزةُ القَدْرِ في كُلِّ شيْءٍ[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٢، ٦٦].

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فيه[4] خمْسةُ أقْوال:

---

(١) في (ج): رب احكم بالحكم الحق.

(٢) ليست في (ل)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٨).

(٤) في (ت)، و(ف): فيهم.

أحدُهـا: أنَّهُـم[1] قـوْمٌ كانُـوا مُؤْمنِينَ بعِيسَـى قبْـلَ أنْ يُبْعـثَ مُحمَّـدٌ ﷺ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ.

والثَّـاني: أنَّهُـمُ الَّذِيـن آمَنُـوا بمُوسَـى، وعمِلُـوا بشريعَتِـه إلى أنْ جـاءَ عِيسَـى، فآمَنُـوا بـهِ وعمِلُـوا بشريعَتِـه إلى أنْ جـاءَ مُحمَّـدٌ. وهـذَا قـوْلُ السُّـدِّي عـنْ أشْـياخِه.

والثَّالث: أنَّهُمُ المْنافقِونَ، قالَه سُفيَانُ الثَّورِيُّ.

والرَّابـع: أنَّهُـمُ الَّذِيـن كانُـوا يطْلُبُـونَ[2] الإسْـلامَ؛ كقُـسِّ[3] بْـنِ سَـاعدَةَ، وبحـيرَا، وورَقـةَ بْـنِ نوْفَـلٍ، وسَـلمانَ. [١٨/أ]

والخامِس: أنَّهُمُ المْؤمِنونَ مِن هذِه الأُمَّةِ.

قوْلُه: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: أصْـلُ هـادُوا في اللُّغـةِ: تَابُـوا[4]. ورُوِي عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ أنَّ اليهُـودَ سُـمُّوا بذلِـكَ لقـوْلِ مُوسـى ﷺ: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعـراف: ١٥٦]، والنَّصَـارَى لِقـوْلِ عيسَـى ﷺ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمـران: ٥٢]. وقِيـل: سُـمُّوا النَّصَـارى لِقرْيَـةٍ نزَلَهـا المَسِـيحُ، اسْـمُهَا: نَـاصِرَةُ، وقِيـل: لِتنَاصُرِهـم.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ف): يتطلبونَ.

(٣) في (ج)، و(ر)، و(م): قيس.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٥).

فأمَّا «الصَّابِئُونَ» فقرَأَ الجمْهُورُ بالهمْزِ في جميعِ القُرآنِ، وكانَ نافِعٌ لَا يهْمِزُ كُلَّ الْمَوَاضِعِ(١).

قال الزَّجَّاجُ: معْنَى «الصَّابِئِينَ»: الخَارجُونَ مِنْ دينٍ إلَى دِينٍ، يُقالُ: صبأَ فُلانٌ: إذَا خرَجَ مِنْ دينِهِ. وصَبَأَتِ النُّجومُ؛ [إذَا طلَعَتْ](٢)، وصَبَأَ نَابُه؛ [إذَا خرَجَ](٣).

وفي أفْعَالِ الصَّابِئِينَ سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه صِنْفٌ مِنَ النَّصَارَى أَلْيَنُ قوْلًا منْهُم، وهُمُ السَّائِحُونَ(٤) الْمحَلَّقةُ أوْسَاطُ رُؤُوسِهِم، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُم قوْمٌ بيْنَ النَّصَارى والمَجوسِ، ليْسَ لَهُم دِينٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ(٥).

والثَّالث: أنَّهُم قوْمٌ بيْنَ اليهُودِ والنَّصارى، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ(٦).

---

(١) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٥٨)، ومعاني القراءات (١/ ٥٥)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ٩٤).

(٢) من المطبوع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٧). وما بين المعكوفين من المطبوع.

(٤) في (ج): المسائحون.

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠٢٠٧)، وفي تفسيره (٥٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٣٨- ٦٤٥- ٦٦٢٤- ٦٦٢٦).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٣٧- ٦٦٢٥).

والرَّابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن[١]، والحكم[٢].

والخامِس: فِرْقةٌ مِنْ أهْلِ الكتَابِ يقْرءُونَ الزَّبُورَ، قالَه أبو العَالِيةِ[٣].

والسَّادس: قومٌ يُصلُّونَ للقبْلَةِ، ويعبُدونَ الملائِكَةَ، ويقْرءُونَ الزَّبُورَ، قالَه قتَادَةَ[٤].

والسَّابع: قومٌ يقُولونَ[٥]: لا إِلَهَ إلَّا اللهُ[٦]، فقَطْ، وليْسَ[٧] لَهُم عمَلٌ ولَا كِتَابٌ ولَا [نَبِيٌّ][٨]، قالَه ابْنُ زيْدٍ[٩].

قوْلُه: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ في إعادةِ ذكْرِ الإيمانِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه لَمَّا ذكَرَ معَ المؤْمنِينَ طَوائِفَ مِنَ الكُفَّارِ رجَعَ قوْلُه: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ إلَيْهِم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٤٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٦٤٠). وفي (ج): لم يذكر الحكم.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٧)، ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٣٧- ٦٦٢٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٣٩- ١٠٢٠٦)، وفي تفسيره (٦٦٢٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٣٧).

(٥) في (ج): يقرءون.

(٦) ليست في (ج).

(٧) في (ف): ليس. بدون الواو.

(٨) في (ل): شيء، والمثبت من بقية النسخ إلا أن في النسخة (ف) قوله: «ولا نبي»، مقدمة على قوله: «ولا كتاب».

(٩) في (ف): دُريد.

والثَّاني: أنَّ المْعْنَى: مَنْ أَقَامَ علَى[١] إيمَانِه.

والثَّالث: أنَّ الإيمَانَ الأَوَّلَ نُطْقُ[٢] المْنافِقِينَ بالإسْلَامِ، والثَّانِي: اعْتِقَادُ القُلُوبِ.

قوْلُه: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال ابْنُ عبَّاسٍ: أَقَامَ الفَرَائِضَ[٣].

فَصْلٌ

وهلْ هذِه الآيَةُ مُحكمَةٌ أَمْ منْسُوخَةٌ؟ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها مُحكَمَةٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ في آخرِينَ، وقَدَّرُوا فِيها: إنَّ الَّذِين آمَنُوا، ومَن آمَنَ مِنَ الَّذِين هَادُوا.

والثَّاني[٤]: أنَّها منْسُوخةٌ بقَوْلِه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥]، ذكَرَهُ جمَاعَةٌ مِنَ المْفسِّرِينَ[٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾.

الخِطَابُ بهذِه الآيَةِ للْيهُودِ. و«المِيثَاقُ»: مِفْعَالٌ مِنَ التَّوثُّقِ بِيمِينٍ أوْ عهْدٍ أوْ نَحْوِ ذلِك مِنَ الأُمُور الَّتي تُؤكِّدُ القَوْلَ.

---

(١) قوله: «أقام على» ساقط من (ر).

(٢) زاد في (ج): على.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ج): الثالث.

(٥) القرطبي في تفسيره (١/ ٢٩٣)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٢٩٣)، والراغب الأصفهاني في تفسيره (١/ ٢١٥).

وفي هذَا المِيثَاقِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه أخذَ مِيثاقَهم أنْ يعْمَلُوا بما في التَّوْراةِ، فكَرِهُوا الإقْرارَ بمَا فِيهَا؛ فرُفِعَ عليْهُم الجبَلُ، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

قالَ أبو سُليْمانَ الدِّمَشقيُّ: أعْطَوا اللهَ عهْدًا ليَعْمَلُنَّ(٢) بما في التَّوْراةِ، فلمَّا جاءَ بها مُوسَى فرَأوْا(٣) ما فِيها مِنَ التَّثْقِيلِ؛ امْتَنَعُوا مِنْ أخْذِهَا، فَرُفِعَ الطُّورُ عليْهِم.

والثَّاني: أنَّه ما أخَذَه اللهُ تعَالى علَى الرُّسلِ وتَابعِيهم مِنَ الإيمانِ بمُحمَّدٍ، [ذكَرَهُ الزَّجَّاجُ(٤).

والثَّالثُ](٥): ذكَرَهُ الزَّجَّاجُ أيْضًا، فقَالَ: يجُوزُ أنْ يكُونَ المِيثاقُ يوْمَ أخذَ الذُّرِّيَّةَ مِنْ ظهْرِ آدَمَ(٦). [١٨/ ب]

قوْلُه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ(٧) ٱلطُّورَ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢٦٨).

(٢) في الأصل: لتعملن، والمثبت من بقية النسخ، إلا أن في (ج): ليعملوا.

(٣) في (ج): قرءوا.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٨).

(٥) ما بين المعكوفين ساقط من (ل).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٨).

(٧) في (ج): فوقهم.

قالَ أَبو عُبيدَةَ: الطُّورُ في كلَامِ العَرَبِ: الجبَلُ[(١)]. وقالَ [ابْنُ][(٢)] قُتَيْبَةَ: الطُّورُ: الجبَلُ بالسُّريَانِيَّةِ[(٣)]. وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ما أَنْبتَ[(٤)] مِنَ الجبَالِ فهُو طُورٌ، ومَا لَمْ يُنْبِتْ[(٥)] فليْس بطُورٍ[(٦)].

وأَيُّ الجِبَالِ هُو؟ فِيه ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: جبَلٌ مِنْ جبَالِ فِلَسْطِين، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[(٧)].

والثَّاني: جبَلٌ نزَلُوا بأَصْلِه، قالَهُ قتَادةُ[(٨)].

والثَّالث: الجبَلُ الَّذي تجلَّى لَهُ[(٩)] ربُّه، قالَهُ مُجاهِدٌ[(١٠)].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٤٣).

(٢) ليست في (ل)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) غريب القرآن (١/ ٥٢).

(٤) في (ج): ثبت.

(٥) في (ج): يثبت.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٦٥١-٦٢٠٠).

(٧) رواه أبو الليث في بحر العلوم (١/ ٦٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢١١)، والبغوي في تفسيره (١/ ١٢٥).

(٨) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩)، وعبد بن حميد؛ كما في الدر المنثور (١/ ٣٩٧).

(٩) زاد في (ف): به.

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٢٧)، و(٢/ ٤٨).

وجمْهُورُ العُلَمَاءِ علَى أنَّه إنَّما رُفِعَ الجبَلُ علَيْهم لإبَائِهمُ التَّوْراةَ. وقالَ السُّدِّيُّ: لإبَائِهِمْ دخُولَ الأرْضِ المْقدَّسَةِ[١].

قوْلُه: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾.

وفِي المْرادِ «بالقُوَّةِ» أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: الجِدُّ والاِجْتِهادُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتَادَةُ[٢]، والسُّدِّي[٣].

والثَّاني: الطَّاعَةُ، قالَه أبو العَالِيةِ[٤].

والثَّالث: العَملُ بِمَا فِيه، قالَهُ مُجاهِدٌ[٥].

والرَّابع: الصِّدقُ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ[٦].

وفي قوْلِه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: اذْكُروا مَا تضَمَّنَهُ مِنَ الثَّوَابِ والعِقابِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ معْنَاه: ادْرُسُوا ما فِيه، قالَه الزَّجَّاجُ[٧].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٣).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٦).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٢)، و ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٧).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٢).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٨).

قَوْلُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: تتَّقُون العُقوبَةَ[١].

قَوْلُـه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾؛ أي: أَعْرضتُـم عـنِ العَمَـلِ بـما فِيـه مِـن بعْـدِ إعْطَـاءِ المَواثِيـقِ لتَأْخُذُنَّـه بجِـدٍّ. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بالعُقوبَـةِ.

قَوْلُه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾.

«السَّـبْت»: اليَـومُ المْعْـرُوفُ، قـالَ[٢] ابْـنُ الأنْبَـاريِّ[٣]: ومعْنَـى السَّـبْتِ في كلَامِ العـرَبِ: القَطْـعُ، يُقـال: قـدْ سـبَتَ رأسَـهُ: إذَا حلقَـهُ وقطَـعَ الشَّـعَرَ منْهُ، ويُقـال: نعْـلٌ[٤] [سِـبْتِيَّةٌ][٥]: إذا كانَـتْ مدْبُوغَـةً بالقَـرْظِ[٦] محلُوقَـةَ الشَّـعَرِ، فسُـمِّيَ السَّـبْتُ سـبْتًا؛ لأنَّ اللهَ ﷻ ابْتَـدأَ الخَلْـقَ فيـهِ، وقطَـعَ فيـهِ بعْـضَ خلْـقِ الأرْضِ، أوْ: لأنَّ اللهَ تعَـالى أمَـرَ بنِـي إسْرائِيـلَ فِيـه بقَطْـعِ الأعْـمالِ وتركِهَـا.

وقـالَ بعْضُهـم: سُـمِّي سـبْتًا؛ لأنَّ اللهَ تعَـالى أمرَهُـم بالاسْـتِرَاحةِ فيـهِ مِـنَ الأعْـمالِ[٧]. وهـذا خطَـأٌ؛ لأنَّـه لا يُعـرَفُ في كلَامِ العـرَبِ: سـبَتَ بمعْنَـى: اسْـتَرَاحَ.

---

(١) لم أقف عليه، والعبارة ليست في (ف).

(٢) في (ت)، و(ر): قاله.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٩٩).

(٤) في (م): فعل.

(٥) في (ل): سيبتة.

(٦) في (ج): بالقرض.

(٧) الواحدي في التفسير البسيط (٢/ ٦٣٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٩٩).

وفي صِفَةِ اعْتَدائِهِم في السَّبْتِ قولَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم أخذُوا الحيتَانَ يوْمَ السَّبْتِ، قالَهُ الحسَنُ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّهُم حبَسُوها يوْمَ السَّبتِ وأخذُوهَا يوْمَ الأحَدِ، وذلِك أنَّ الرَّجُلَ كان يحفِرُ الحفُيْرَةَ[1] ويجعَلُ لَهَا نهرًا إلَى البَحرِ، فإذَا كانَ يوْمُ السَّبْتِ فتَحَ النَّهرَ، وقدْ حرَّمَ اللهُ ﷻ عليْهِ العَملَ يوْمَ السَّبْتِ، فيُقْبِلُ الْموْجُ بالحِيتَانِ حتَّى يُلْقيَهَا في الحُفَيْرَةِ[2]، فيُريدُ الحُوتُ الخُرُوجَ فلَا يُطيقُ[3]، فيَأخُذُهَا يوْمَ الأحَدِ، قالَه السُّدِّي[4].

الإِشَارةُ إلى قِصَّةِ مسْخِهِم

روَى عثمَانُ بْنُ عطَاءٍ[5] عنْ أبِيه قالَ: نُودِيَ الَّذِين اعْتَدَوا في السَّبْتِ ثلَاثَةَ أصْوَاتٍ[6]: نُودُوا: يا أهْلَ القرْيَةِ! فانْتَبهَتْ طائِفَةٌ، ثُمَّ[7] نُودُوا: يا

---

(١) في (ت)، و(ف): الحفرةَ.

(٢) في (ت)، و(ف): الحفرة.

(٣) في (ج): يستطيع.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٦٩).

(٥) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو مسعود المقدسي، روى عن أبيه وأبي عمران مولى أم الدرداء وإسحاق بن قبيصة بن ذؤيب وزياد بن أبي سودة، وعنه ابنه محمد وحجاج بن محمد وآخرون. ضعيف، توفِّي (١٥٥هـ)، وقيل: سنة (١٥١هـ). انظر: التهذيب (٧/ ١٢٦)، والتقريب (٢/ ١٢).

(٦) في (ر): أقوال.

(٧) من قوله: «نودوا»... إلى هنا ساقط من (ر).

أَهْـلَ القَرْيَـةِ! فانْتَبَهَـتْ طائِفَـةٌ أَكْثَـر مِـنَ الأُولَى، ثُـمَّ نُـودُوا: يـا أَهْـلَ القَرْيَـةِ، فانْتَبَـهَ الرِّجَـالُ والنِّسَـاءُ والصِّبْيَـانُ، فقَـالَ اللهُ لَهُـم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فجعَـلَ الَّذِيـن نَهَوْهُـم يدْخُلـونَ علَيْهِـم فيقُولُـون: يَـا فُـلانُ! أَلَمْ نَنْهَكُـم؟ فيقُولُـون برُءُوسِـهِم: بَـلَى[1].

[١٩/أ] قَـال قَتَـادَةُ: فصَـارَ القَـوْمُ قِـردَةً تَعَـاوَى، لَهَـا أَذْنَـابٌ بعْـدَ مَـا كانُـوا رِجَـالًا ونِسَـاءً[2]. وفي رِوَايـةٍ عـنْ[3] قتَـادةَ: صَـارَ الشُّـبَّانُ[4] قِـرَدةً، والشُّـيُوخُ خنَازِيـرَ، ومَـا نَجَـا إلَّا الَّذِيـن نَهَـوا، وهلَـك سَـائِرُهُم[5]. وقَـالَ غَـيْرُه: كانُـوا نحـوًا مِـن سـبْعِين أَلْفًـا[6].

وعلَـى هـذَا القَـوْلِ العُلَـمَاءُ، غَـيْرَ مَـا رُوي عـنْ مُجاهِـدٍ أَنَّـه قَـالَ: مُسِـخَتْ قلُوبُهُـم ولَمْ تُمْسَـخْ أَبْدَانُهُـم[7]. وهـوَ قَـوْلٌ بعِيـدٌ.

قَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: لم يَحْيَـوا عـلَى الأَرْضِ إلَّا ثَلَاثَـةَ أيَّـامٍ، ولم يَحْـيَ مسْـخٌ في الأَرْضِ فـوْقَ ثلَاثَـةِ أيَّـامٍ، ولم يـأْكُلْ ولم يـشْرَبْ ولم ينسُـلْ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٦٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٦٧).

(٣) قوله: «رواية عن» ساقط من (م).

(٤) في (ف): الشباب.

(٥) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٧)، والبغوي في تفسيره (١/ ١٢٧).

(٦) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٧)، والبغوي في تفسيره (١/ ١٢٧).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٧٢).

وزعَمَ مُقاتِلٌ أنَّهُم عَاشُوا سبْعَةَ أيَّامٍ، وماتُوا في اليوْمِ الثَّامِنِ، وهذَا كانَ في زمَانِ[1] دَاودَ عليه السلام[2].

قوْلُه: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ الخَاسِئُ في اللُّغةِ: [المُبعَدُ][3]، يُقال للكلْبِ: اخْسَأ؛ أي: تباعَدْ.

قوْلُه: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ في المكْنَّى عنْهَا أرْبعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهَا الخَطِيئةُ، رَواه عَطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: العُقوبَةُ[4]، روَاهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[5]. وقالَ الفرَّاءُ: الهَاءُ كِنَايةٌ عنِ المسْخَةِ[6] الَّتي مُسِخُوهَا[7].

والثَّالث: أنَّهَا القرْيَةُ، والمرادُ أهْلُها، قالَهُ قتَادَةُ[8]، وابْنُ قُتيْبَةَ[9].

---

(١) في (ف): زمن.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٢١).

(٣) في (ل): البعد، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) من قوله: «رواه عطية»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٦٨).

(٦) في (ج): المشيخة.

(٧) معاني القرآن (١/ ٤٣).

(٨) ليس في (ج).

(٩) غريب القرآن (١/ ٥٢).

والرَّابع: أنَّها الأُمَّةُ الَّتي مُسِخَتْ، قالَهُ الكِسائيُّ، والزَّجَّاجُ[١].

وفي «النَّكالِ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه[٢] العقُوبةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والثَّاني: العِبْرَةُ، قالَهُ ابْنُ قُتيْبَةَ[٣]، والزَّجَّاجُ[٤].

قوْلُه: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ[٥]:

أحدُها: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ مِنَ القُرى ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ رَواهُ[٦] عِكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ مَا عمِلُوا بعْدَها، رَواه عطِيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ مِنَ السِّنِين الَّتي عمِلُوا فِيها بالمَعاصِي[٧]، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ما كَانَ بعدَهُم في بَنِي إسْرائِيلَ لئلَّا يعمَلُوا بمثْلِ أعْمالِهم، قالَهُ عطِيَّةُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٩).

(٢) في (ف): آية.

(٣) غريب القرآن (١/ ٥٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٤٩). ومن قوله: «والنكال قولان»... إلى هنا ليس في (م).

(٥) سقطت العبارة من (ر).

(٦) زاد في (م): الضحاك.

(٧) في (ف): المعاصي.

وفي «المُتَّقِين» قَوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه عامٌّ في كُلِّ مُتَّقٍ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ بِهِم أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، قالَهُ السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه، وذكرَهُ عطِيَّةُ، وسُفْيانُ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧، ٧١].

قوْلُه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾.

ذِكْرُ [السَّببِ][١] فِي أمْرِهِم بذَبْحِ البقَرةِ

روَى ابْنُ سِيرِينَ عنْ عُبيدَةَ قالَ: كانَ في بنِي إسرائِيلَ رجُلٌ عقِيمٌ لا يُولَدُ لَه، ولَهُ مالٌ كثِيرٌ، وكانَ ابْنُ أخِيه وارثَهُ، فقتَلَهُ واحْتملَهُ ليْلًا، فأتَى بِه حيًّا آخرِينَ، فوضعَهُ علَى بابِ رجلٍ منْهُم، ثُمَّ أصْبحَ يدَّعِيه حتَّى تَسلَّحُوا، ورَكِبَ بعْضُهم إلى بعْضٍ، فأتَوْا مُوسَى فذكَرُوا لَه ذلِكَ، فأمَرَهُم بذبْحِ البقَرةِ.

---

(١) في (ل): السبت.

وروى السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه أنَّ رجُلًا مِن بني إسرائيلَ كانتْ لَه بنْتٌ وابْنُ أخٍ فقيرٌ، فخطَبَ إليهِ ابْنتَهُ، [فأَبى][1]، فغَضِبَ وقَال[2]: واللهِ لأقْتُلَنَّ عمِّي، ولآخُذَنَّ مالَهُ ولأَنْكِحَنَّ ابْنتَه، ولآكُلَنَّ دِيتَهُ، [فأَتَاه][3] فقَال لَه: قدْ قَدِم تجارٌ في بعْضِ أسْبَاطِ بنِي إسْرائِيلَ[4]، فانْطَلِقْ معِيَ فخُذْ لي مِنْ تِجارَتِهِم لعَلِّي أُصِيبُ[5] فِيها [ربْحًا][6]، فخرجَ معَهُ، فلمَّا بلغَا ذلِكَ السِّبطَ، قتلَهُ الفتَى، ثُمَّ رجَع، فلمَّا أصْبَح، جاءَ كأنَّه يطْلُبُ عمَّهُ ولا يَدْرِي أيْنَ هُو، فإذا بذلِكَ السِّبطِ قدِ اجْتمَعُوا عليْهِ، فأمْسَكُهم وقَال: قتَلْتُم عمِّي، وجعَلَ يبْكِي ويُنَادِي: وَاعمَّاه[7].

[١٩/ب] قَالَ أبو العَالِيةِ: والَّذِي سأَلَ مُوسى أنْ يسْأَلَ اللهَ البيَانَ: القَاتِلُ[8].

وقَالَ غيْرُه: بلِ القوْمُ اجْتَمَعُوا [فسأَلُوا موسَى[9]، فلمَّا أمرَهُم بذَبْحِ البقَرةِ قالُوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾؟.

---

(١) سقطت من (ل)، و(م).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) ليست في (ل).

(٤) سقطت من (ت)، و(ر).

(٥) في الأصل: أصبتُ، والمثبت من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٦) من (ج).

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٩٠)، والبيهقي السنن الكبرى (٦/ ٣٦٢ رقم ١٢٢٤٨).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٧٦- ٧٧).

(٩) الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢١٤)، والواحدي في الوسيط (١/ ١٥٤).

قَـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأَبُـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ، والكِسَـائِيُّ: «هُـزُؤًا» بضـمِّ الهَـاء والـزَّاي والهمْـزِ، وقَـرَأَ حمْـزَةُ، وإِسْـماعِيلُ[١]، وخلَـفٌ في اخْتِيـارِه، والقَـزَّازُ[٢] عـنْ عبْـدِ الـوَارِثِ، والمُفَضَّـلُ: «هُـزْأً» بإِسْـكانِ الـزَّاي. ورَوَاه حفْـصٌ بالتَّثْقيـلِ[٣] مِـن غـيْرِ همْـزٍ[٤].

وحكَـى أبـو علِـيٍّ الفَـارسيُّ أنَّ كُلَّ اسْـمٍ علَى ثلاثَـةِ أحْـرُفٍ أوَّلُـه مضْمُومٌ؛ فمِـنَ العَـربِ مَن يُثقِّلُـه، ومنْهُـم مَـنْ يُخفِّفُـه؛ نَحـوُ: العُسر واليُسر[٥].

قوْلُه: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

إِنَّـما انْتفَـى مِـنَ الهُـزءِ؛ لأنَّ الهَـازِئَ جاهِـلٌ لاعِـبٌ. فلـمَّا تبـيَّنَ لهُـم أنَّ الأمْـرَ مـن عنْـدِ اللهِ، قالُـوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ قـالَ الزَّجَّـاجُ: وإِنَّـما

(١) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، أبو إسحاق، قارئ أهل المدينة، قال ابن معين: إسماعيل بن جعفر ثقة مأمون، قليل الخطأ، وهو وأخواه محمد وكثير مدنيون، توفي ببغداد سنة (١٨٠هـ)، شارك مالكًا في أكثر شيوخه، روى له الجماعة. انظر: معرفة القراء الكبار؛ للذهبي (١/ ١٤٤)، وطبقات الحفاظ؛ للسيوطي (٢٢٦). انظر: غاية النهاية (١/ ٥٤٣)، معرفة القراء (١/ ٢٤١).

(٢) في المطبوع: الفراء. وهو علي بن سعيد بن الحسن البغدادي: القزاز المقرئ أبو الحسن، المعروف بابن ذؤابة. كان من جلة أهل الأداء، مشهور ضابط محقق. قرأ على: إسحاق بن أحمد الخزاعي، وابن مجاهد، وطائفة. قرأ عليه: أبو الحسن الدارقطني، وصالح بن إدريس، وعامة أهل بغداد. توفي قبل (٣٤٠هـ).

(٣) في المطبوع: بالضم.

(٤) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٥٨)، والمبسوط (ص: ١٣٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٩١). (ل): من غيرهم، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) الحجة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ١٠٥).

سـأَلُوا: مَـا هِـيَ؛ لأنَّهُـم لا يعْلَمُـون أنَّ بقَـرةً يَحْيَـا بـضَرْبِ بعْضِهَـا ميِّـتٌ(١).

فأمَّـا «الفَـارِضُ»: فهِـيَ المسِـنَّةُ، يُقـال: فرضَـتِ البقَـرةُ فهِـيَ فَـارِضٌ؛ إذَا أسَـنَّتْ. و«البِكْـرُ»: الصَّغِـيرةُ الَّتِـي لَمْ تلِـدْ. و«العَـوانُ»: دُون المسِـنَّةِ، وفـوْقَ الصَّغِـيرَةِ، يُقـال: حـرْبٌ عـوَانٌ؛ إذَا لم تَكُـنْ أوَّلَ حـرْبٍ، وكانَـتْ ثانِيـةً.

في «الصَّفْرَاءِ» قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه مِـنَ الصُّفـرَةِ، وهُـو: اللَّـوْنُ المعْـرُوفُ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وقتَـادَةُ، وابْـنُ زيْـدٍ، وابْـنُ قُتيْبَـةَ، والزَّجَّـاجُ(٢).

والثَّـاني: أنَّهَـا السَّـوْدَاءُ، قالَـه الحسَـنُ، وردَّهُ جماعَـةٌ، وقـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ: هـذَا غلَـطٌ فِي نُعُـوتِ البقَـرِ، إنَّـما يكُـونُ ذلِـك في نعُـوتِ الإبِـلِ، يُقـال: بَعِـيرٌ أصْفَـرُ؛ أي: أسْـوَدُ[(٣)؛ لأنَّ السُّـودَ مِـنَ الإبِـلِ يشُـوبُ سَـوادَهَا صُفْـرةٌ، ويـدُلُّ علَـى ذلِـك قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾، والعَـربُ لا تقُـولُ: «أسْـوَدُ فَاقِـعٌ» إنَّـمَا(٤) تقُـول: «أسْـودُ حَالِـكٌ(٥)» و«أصْفَـرُ فاقِـعٌ»(٦).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥٠).

(٢) غريب القرآن (١/ ٥٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥١).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في (م).

(٤) من قوله: «لا تقول»... إلى هنا ليس في (ف).

(٥) في (ر): هالك.

(٦) غريب القرآن (١/ ٥٣).

قال الزَّجَّاجُ: وفاقِعٌ نعتٌ للأصْفَرِ الشَّدِيدِ الصُّفْرةِ، يُقال: أصْفَرُ فاقِعٌ، وأحْمَرُ قَانِئٌ وأخْضَرُ نَاضِرٌ[١]، وأبْيَضُ يَقَقٌ[٢]، وأسْوَدُ حَالِكٌ، وحُلْكُوكٌ ودَجُوجِيٌّ، فهذِهِ صفَاتُ المُبالغَةِ في الألْوَانِ[٣].

ومعْنَى ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ تُعجِبُهم، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: شدَّدَ القوْمُ فشَدَّدَ اللهُ عليْهِم[٤].

ورَوى أبو هُريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قالَ: «لَوْلَا أنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ اسْتَثْنَوْا لم يُعْطَوا الَّذِي أُعْطُوا»[٥]. يعْني بذلِك قوْلَهُم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾.

وفي المُرادِ باهْتدَائِهم قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُم أرَادُوا: المُهتدُونَ إلى البقرَةِ، وهو قوْلِ الأكْثَرينَ.

والثَّاني: إلى القاتِلِ، ذكرَهُ أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾.

---

(١) في جميع النسخ الخطية: ناصع، والمثبت من المطبوع: نَاضِرٌ. وهو تغيير متعين.

(٢) أي: شديد البياض.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٠٠).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٧٢٢)، و تمام بن محمد في فوائده (٨٥)، وابن مردويه؛ كما في الدر المنثور (١/ ٤٠٨).

قالَ قتادةُ: لم يُذلّها العمَلُ فتُثيرُ الأرْضَ[١]. قالَ ابْنُ قُتيبَةَ: يُقال في الدَّوابِّ: دابَّةٌ ذَلولٌ: بيِّنةُ الذِّلِّ بكسْرِ الذَّالِ، وفي النَّاسِ رجُلٌ ذَلِيلٌ بيِّنُ الذُّلِّ بضَمِّ الذَّالِ[٢].

﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: تَقلِبُها للزِّراعَةِ، ويُقال للبقرةِ: المُثيرةُ. قالَ الفرَّاءُ: لا تَقِفَنَّ علَى[٣] ذَلُولٍ؛ لأنَّ المعْنَى: ليسَتْ بذَلُولٍ [فتُثيرُ الأرْضَ[٤].

وحكَى ابْنُ القاسِم أنَّ أبا حاتِمٍ السِّجسْتانِيَّ أجازَ الوقْفَ علَى ذلُولٍ، ثُمَّ أنْكَره علَيْه جدًّا، وعلَّل بأنَّ الَّتي تُثِيرُ الأرْضَ لا يُعْدَمُ[٥] منْها سقْيُ الحرْثِ، ومتَى أثارَتِ الأرْضَ كانَتْ ذَلُولًا[٦].

ومعْنَى ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: لا يُستقَى علَيْها الماءُ لِسقْيِ[٧] الزَّرْعِ. [٢٠/أ]

وفي قوْلِه: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مُسلَّمةٌ مِنَ العُيوبِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وأبُو العَالِيةِ، وقتَادةُ، ومُقاتِلٌ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٧).

(٢) غريب القرآن (١/ ٥٤).

(٣) من قوله: «للبقرة المثيرة»...إلى هنا ليس في (م).

(٤) ذكره ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٥٢١).

(٥) في (ج): يعدم.

(٦) إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٥٢١).

(٧) في (ف): ليسقى.

والثَّاني: مُسلَّمةٌ مِنَ العمَلِ، قالَهُ الحسَنُ، وابْنُ[(١)] قُتَيْبةَ[(٢)].

والثَّالث: مُسلَّمةٌ مِنَ الشِّيَةِ[(٣)]، قالَهُ مُجاهِدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والرَّابع: مُسلَّمةُ القَوائِمِ والخَلْقِ[(٤)]، قالَهُ عطَاءٌ الخُراسَانِيُّ.

فأمَّا «الشِّيَةُ»: فقَال الزَّجَّاجُ: الوَشْيُ في اللُّغَةِ: خلْطُ لوْنٍ بلَوْنٍ. ويُقَال: وشَيْتُ الثَّوْبَ أَشيهِ شِيَةً ووشْيًا؛ كقوْلِك: وَدَيْتُ فُلانًا أَدِيهِ دِيَةً[(٥)]. ونَصَبَ «**لَا شِيَةَ فِيهَا**» علَى النَّفْيِ.

ومعْنَى الكَلامِ: ليْسَ فيهَا لوْنٌ يُفارِقُ سَائِرَ لوْنِهَا. وقَالَ عطَاءٌ الخُراسَانِيُّ: لوْنُهَا لوْنٌ واحِدٌ[(٦)].

قوْلُه: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾.

قَال ابْنُ قُتيْبَةَ: «الآنَ»: هو الوقْتُ الَّذي أنْتَ فِيه، وهو حَدُّ الزَّمَانَيْنِ، حَدُّ المْاضِي مِن آخرِهِ، وحَدُّ المْستقْبَلِ مِنْ أوَّلِه. ومعْنى ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾: بيَّنْتَ لنَا[(٧)].

---

(١) في (ر): أبو.

(٢) غريب القرآن (١/ ٥٤).

(٣) في (ج): السفه.

(٤) ليست في (ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥٢).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٧٣٧).

(٧) غريب القرآن (١/ ٥٤).

قوْلُه: ﴿كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ فِيه قوْلانِ:

أحدُهما: لِغلاءِ ثَمنِهَا، قالَهُ ابْنُ كعْبٍ القُرظِيُّ.

والثَّاني: لخوْفِ الفَضِيحةِ علَى أنْفُسِهم منْ معْرفَةِ القاتِلِ منْهُم، [قالَهُ][1] وهْبٌ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مكَثُوا يَطلُبُونَ البقرَةَ أرْبَعينَ سنَةً حتَّى وجَدُوهَا عنْدَ رجُلٍ، فأَبَى أنْ يبيعَهَا إلَّا بملْءِ مَسْكِهَا[2] ذَهبًا[3]. وهذَا قوْلُ مُجاهِدٍ، وعِكرِمَةَ، وعُبيْدةَ، ووَهْبٍ، وابْنِ زيْدٍ، والكَلْبِيِّ، ومُقاتِلٍ في مِقْدَارِ الثَّمنِ.

فأمَّا السَّببُ الَّذِي لأَجلِه غلَا ثَمنُهَا، فيَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحدهما: أنَّهُم شَدَّدُوا فشَدَّدَ اللهُ عليْهِم.

والثَّاني: لإِكْرَامِ الله ﷻ صَاحبَهَا؛ فإِنَّه كَانَ برًّا بوَالِديْهِ.

فذكَرَ بعْضُ المُفسِّرينَ أنَّه كانَ شابٌّ مِن بنِي إِسْرائِيلَ بَرًّا بأَبِيهِ، فجاءَ رجُلٌ يَطْلبُ سلْعةً هي عنْدَهُ، فانْطلَقَ لِيبيعَهُ إيَّاهَا، فإذَا مفَاتِيحُ حانُوتِهِ معَ أَبِيه، وأبُوه نَائمٌ، فلَمْ يُوقِظْهُ وَرَدَّ المُشْتَرِي، فأضْعفَ لَهُ المُشْتَرِي الثَّمنَ، فرَجعَ إلى أَبِيه فوَجَده نَائمًا، فعَاد إلَى المُشْتَرِي فرَدَّه، فأَضْعفَ له الثَّمنَ، فلَم يزَلْ ذلِكَ دَأْبَهُمَا حتَّى ذهَبَ المُشْتَرِي، فأَثَابهُ اللهُ علَى بِرِّهِ بأَبِيهِ أنْ [نَتَجَتْ][4] له بقرَةٌ مِنْ بقرَةِ تِلْك البَقرَةِ.

---

(١) في (ل): قال.

(٢) المَسْكُ -بفتح الميم وسكون السين-: هو مسلاخُ الجلدِ الَّذي يكون فيه الثور وغيره.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٧٥٠).

(٤) في (ل): تنحت. وفي (ج): فتحت.

ورُوي عن وهْب بْنِ مُنبِّهٍ في حدِيثٍ طَويلٍ: أنَّ فتًى كانَ بـرًّا بِوَالدَتِه[(١)]، وكانَ يحْتَطِبُ علَى ظهْرِه، فإذَا باعَهُ تصَدَّقَ بثُلُثِه، وأعْطَى أمَّه ثُلثَه[(٢)]، وأبْقَى لنفْسِه ثُلثَه[(٣)]، فقالَتْ لَهُ أمُّه يوْمًا: إنِّي وَرِثْتُ مِن أبِيكَ بقَرةً، فتَركْتُها فِي البقَرِ علَى اسْمِ اللهِ ﷻ، فإذَا أتَيْتَ البقَرَ، فادْعُها باسْمِ إلهِ إبْرَاهِيمَ، فذَهَب الفتَى[(٤)] فصَاحَ بِهَا، فأقْبَلَتْ[(٥)]، فأنْطَقَها اللهُ تعَالى، فقَالتْ: ارْكبْنِي يا فتَى! قالَ: لَمْ تأمُرْنِي أُمِّي بهذَا. فقَالَتْ: أيُّها البَرُّ بأُمِّه، لوْ رَكبْتَنِي لَمْ تقْدِرْ علَيَّ، فانْطَلِقْ، فلو أمَرْتَ الجبَلَ[(٦)] أنْ ينْقَلِعَ[(٧)] مِنْ أصْلِه لانْقَلَع[(٨)] بِبِرِّكَ لِأُمِّكَ[(٩)]. فلمَّا جاءَ بِهَا قالَتْ أُمُّه: بِعْهَا بثَلاثَةِ الدنانير[(١٠)] على رضًى مِنِّي، فبعَثَ اللهُ مَلَكًا، فقَالَ[(١١)]: بِكَمْ هذِه؟ قالَ: بثلاثَةِ دنَانِيرَ

(١) في (ج)، و(ت)، و(ر): بوالديه.

(٢) في (ر): ثلاثة. وفي (ف): تصدق بثلثيه.

(٣) في (ر): ثلاثة.

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ج): ما قبلت.

(٦) ليست في (ت)، و(ر).

(٧) في (ف): ينقطع.

(٨) في (ف): لانقطع. وقوله: «من أصله لانقلع» ليس في (ت)، و(ر).

(٩) في (ف): ببركة أمك.

(١٠) في (ت)، و(ف): دنانير.

(١١) من قوله: «أمه: بعها بثلاثة دنانير»... إلى هنا ساقط من (ر).

[٢٠/ب] علَى رضًى مِنْ أُمِّي. قالَ: لكَ سِتَّةٌ ولَا تستأمِرْهَا[١]، فأَبَى، ورجَعَ إلى أُمِّه فأَخْبَرَها[٢]، فقَالتْ: بعْهَا بستَّةٍ علَى رضًى مِنِّي، فجاءَ المَلَكُ فقَالَ: خُذ اثْني عشَرَ ولا تستأمِرْهَا[٣]، فأبى، وعادَ إلى أمِّه فأخبَرها، فقالَتْ: يا بُنيَّ! ذلك مَلَكٌ[٤]، فقُلْ له: بكَمْ تأمُرُني أنْ أبيعَها؟ فجاءَ إليْه فقَالَ لَهُ ذلِكَ، فقَالَ: يا فتى! يشْتَري بقرتَكَ هذه موسى بْنُ عِمرانَ لِقَتيلٍ يُقتَلُ في بَني إسرائيلَ[٥].

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾.

هذِه الآيةُ مُؤخَّرةٌ في التِّلاوَةِ، مُقدَّمةٌ في المَعْنى؛ لأنَّ السَّببَ في الأمْرِ بذبْحِ البقرَةِ قتلُ[٦] النَّفسِ، فتقْدِيرُ الكلَامِ: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾

---

(١) في (ج): تشاورها.

(٢) ليست في (ت).

(٣) في (ج): تشاورها.

(٤) سقطت من (ج).

(٥) رواه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧٦٥)، وعبد بن حميد؛ كما في الدر المنثور (١/ ٤١٨).

(٦) في (ج): قبل.

[فَسَأَلْتُم][(١)] مُوسَى فقَال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾، ونَظِيرُهَا[(٢)] ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾[الكهف: ١-٢]، أَرَادَ: نَزَّلَ[(٣)] كتَابًا قيِّمًا، ولم يجْعَلْ لـه عِوَجًا، فأَخَّرَ المُقَدَّمَ[(٤)] وقدَّمَ المُؤَخَّرَ[(٥)]؛ لأَنَّه مِنْ عادَةِ العرَبِ، قالَ الفَرَزْدَقُ[(٦)] [من الكامل]:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ مَلْمومَةٌ   طَالَتْ فَلَيْسَ يَنَالُهَا الأَوْعَالَا

أَرَادَ: طَالَتِ الأَوعَالَ. قالَ جَرِيرٌ[(٧)] [من الكامل]:

---

(١) في (ل): فسألهم.

(٢) في (ج): نضيرها.

(٣) في (ت)، و(ف): أنزل.

(٤) في (ف): المتقدم.

(٥) في (ف): المتأخر.

(٦) وكذا نسب في الإفصاح (٣١٨)، وهو بلا عزو في شرح المفضليات (ص: ٤٠٥) برواية (الأجبالا)، وفي المنصف (٢/ ٢٤٢)، و(٣/ ٤١)، والمخصص (١٤/ ١٧٨)، والصحيح أنَّه لسبيح بن رباح الزنجي، وقيل: رباح بن سبيح من أبيات قالها حين غضب لما قال جرير:

لا تطلبن خؤولة في تغلب ... فالزنج أكرم منهم أخوالا

والبيت في الكامل؛ للمبرد (٢/ ٢١٨)، الدر الفريد؛ للمستعصمي (٤/ ٤٣٩)، والحماسة البصرية (١/ ١٨٠)، وهو من شواهد شرح الكتاب؛ للمرزباني (٤/ ٤٤٨) منسوبًا.

(٧) البيت في ديوانه (ص: ٩٧٧)، والمذكر والمؤنث؛ للأنباري (ص: ٢٤١)، شرح نقائض جرير والفرزدق (١/ ٢٠٠)، **طاف الخيال**: ألم بك في الليل. **واللمام**: اللقاء اليسير. **والزور**: الزائر، يُقال للواحد والمثنى والجمع: زور. «فارجع لزورك»، يقول: رد عليه السلام كما سلم عليك.

طَـافَ الخَيَـالُ - وَأَيْنَ مِنْـكَ؟ - لِمَامَا فَارْجِـعْ لِـزَوْرِكَ بِالسَّـلَامِ سَـلَامَا

أرادَ: طَافَ الخيَالُ لِمَامًا، وأيْنَ هُو منْكَ؟ وقالَ الآخَرُ[١] [من الكامل]:

خَـيْرٌ مِـنَ القَـوْمِ العُصَـاةِ أَمِيرَهُـم يَـا قَـوْمُ فَاسْـتَحْيُوا النِّسَـاءُ الجُلَّـسُ

أرَادَ: خَيْرٌ مِنَ القَوْمِ العُصَاةِ النِّسَاءُ، واسْتَحْيُوا مِنَ هذَا.

ومعْنـى قوْلِـه: ﴿فَادَّارَءۡتُمۡ﴾: اخْتَلفْتُـم، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهِـدٌ. وقالَ الزَّجَّـاجُ: «ادَّارَأْتُـم» بمعْنَـى: [تدارَأْتُـم؛ أي][٢]: تدَافعْتُـم، وألقَـى بعْضُكـم علَى بعْـضٍ، يُقـال: دَارَأْتُ فُلانًـا: إذَا دفعْتَـهُ، ودارَيْتُـه: إذَا لايَنْتَـهُ، ودَرَيْتُـه إذَا خَتَلْتَـهُ[٣]، فأُدغِمَـتِ التَّـاءُ في الـدَّالِ؛ لأنَّهَـا مِـن مَخْـرَجٍ واحِـدٍ[٤]، فأمَّـا الَّـذِي كتَمُـوه فهُـو أمْـرُ القَتِيـلِ[٥].

قوْلُـه: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا﴾ مَـنْ قـالَ: أَقامُـوا في طلَبِهَـا أرْبعِـينَ سـنَةً، قـال: ضَرَبُـوا قـبْرَه، ومَـنْ لم يَقُـلْ بذلِـكَ، قـالَ: ضَربُـوا جسْـمَهُ قبْـلَ دَفْنِـه.

(١) البيت في معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٣٢٩) بلا نسبة.

(٢) ليست في (ل).

(٣) غير واضحة في (ج). وفي (ر): اختلفته.

(٤) زاد في (ج): وهي بالألف ليبتدأ بها.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥٣).

وفي الَّذِي ضُربَ به سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ضُرِبَ بالعظْمِ الَّذِي يلِيَ الغُضْرُوفَ، رَواه عِكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ أبُو سُليمان الدِّمَشقيُّ: وذلِك العظْمُ هُو أصْلُ الأُذُنِ. وزَعَم قوْمٌ أنَّه لَا يُكْسَرُ ذلِك العظمُ مِنْ أحَدٍ فيَعِيش.

قالَ الزَّجَّاجُ: الغُضْرُوفُ في الأُذُنِ، وهُوَ: ما أشبَهَ العظْمَ الرَّقيقَ مِنْ فوْقِ الشَّحمَةِ، وجميعَ أعْلَى صدَفَةِ الأُذُنِ، وهو مُعَلَّقُ [الشُّنُوفِ](١)، فأمَّا العَظْمانِ اللَّذَانِ خلْفَ الأُذُنِ(٢) النَّاتِئَانِ مِنْ مُؤخَّرِ الأُذنِ، فيُقَال لهُما: الخُشَّاوَانِ، والخُشَشاوَانِ(٣)، واحِدُهما: خُشَّاءُ، وخُشَشَاءُ(٤).

والثَّاني: أنَّه ضُرِبَ بالفخِذِ، رُوي عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا، وعكرِمَةَ، ومُجاهِدٍ، وقتَادَةَ، وذكَرَ عِكْرمَةُ ومُجاهِدٌ أنَّه الفَخِذُ الأيمنُ.

والثَّالث: أنَّه البَضْعَةُ الَّتِي بيْنَ الكَتِفَيْنِ(٥)، رَواه السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه.

والرَّابع: أنَّه الذَّنَبُ، رَواه ليْثٌ عنْ مُجاهِدٍ.

---

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) من قوله: «وهو معلق»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٣) في (ج): الخشاوان.

(٤) لم أقف عليه من كلام الزجاج، وانظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/ ٣٦٣)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (١/ ٢٧٤). وفي (ج): خشيشاء بدلًا من: خششاء.

(٥) في (ف): الفخذين.

والخامِس: أنَّه عَجْبُ الذَّنَبِ، وهُو عظْمٌ علَيْه بُنِي[١] البدَنُ، رُوي عنْ سعِيدِ بْنِ جُبيْرٍ.

والسَّادِس: أنَّه اللِّسَانُ، قالَه الضَّحَّاكُ.

وفي الكَلامِ اخْتِصارٌ تقْدِيرُهُ: فقُلْنَا: اضْربُوهُ ببعْضِها ليَحْيَا، فضَربُوهُ فَحَيِيَ[٢]؛ فقَامَ فأَخْبرَ بقَاتِلِه.

وفي قاتِلِه أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: بنُو أَخِيه، رَواهُ عطِيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

[٢١/أ] والثَّاني: ابْنَا عمِّه، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]، وهذَانِ القوْلانِ يدُلَّانِ علَى أنَّ قاتِلَه أكْثَرُ مِن وَاحِدٍ.

والثَّالث][٤]: ابْنُ[٥] أخِيهِ، قالَهُ السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه، وعُبيدَةُ[٦].

والرَّابع: أخُوه، قالَهُ عبْدُ الرَّحمَنِ بْنُ زيْدٍ.

قوْلُه: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فيه قوْلَانِ:

---

(١) في (ف): يُبنى.

(٢) ليست في (ج).

(٣) ليس في (ف).

(٤) ما بين المعكوفين ليس في (م).

(٥) في (ر): أبو.

(٦) في (ج): عبيد.

أحدُهما: أنَّه خِطَابٌ لِقَوْمِ مُوسَى.

الثَّاني: لِمُشرِكي[١] قُرَيْشٍ، احْتَجَّ علَيْهِم؛ إذْ جَحَدُوا البَعْثَ بِمَا يُوافِقُ عليْهِ أهْلُ الكِتَابِ.

قال أبو عُبيدَةَ: وآيَاتُه: [عجَائِبُه][٢].

قوْلُه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾.

قَالَ إبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيُّ: قَسَتْ في اللُّغَةِ: غَلُظَتْ ويَبِسَتْ وعَسَتْ[٣]. فقَسْوَةُ[٤] القلْبِ: ذَهَابُ اللِّينِ والرَّحمَةِ والخُشُوعِ منْهُ. والقَاسِي، والقَاسِحُ[٥]: الشَّدِيدُ الصَّلَابةِ. وقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: قَسَتْ[٦] وعَسَتْ و[عَتَتْ][٧] واحِدٌ؛ أي: يَبِسَتْ[٨].

وفي المُشَارِ إلَيْهم بِهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: جَمِيع بَنِي إسْرائِيلَ.

---

(١) زاد في (م): مكة.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤٥). وفي (ل): عجيبه.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٨٠).

(٤) في (ج): فقسة.

(٥) ليست في (ج).

(٦) ليست في (ت).

(٧) في (ل): عثت.

(٨) الذي في غريب القرآن (١/ ٥٥): اشتدّت وصلُبت.

والثَّاني: القَاتِلُ.

قال ابْنُ عبَّاسٍ: قالَ الَّذِين قتَلُوهُ[١] بعْدَ أَنْ سُمِّي قاتِلُه: واللهِ مَا قتَلْنَاهُ[٢].

وفي [كافِ][٣] «ذلِكَ» ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه إشارَةٌ إلى إحْياءِ المْوْتَى، فيكُونُ الخِطَابُ لجمِيعِ بني إسرائِيلَ.

والثَّاني: إلى كلَامِ القَتِيلِ، فيكُون الخِطَابُ[٤] للقاتِلِ، ذكرَهُمَا المفسِّرُون.

والثَّالثُ: إلى مَا شُرِحَ مِنَ الآياتِ: مِن مسْخِ القِرَدةِ والخنَازِيرِ، ورفْعِ الجبَلِ، وانْبِجَاسِ المْاءِ، وإحْيَاءِ القَتِيلِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

وفي «أوْ» أقوالٌ، هي بعَيْنِها مذْكُورةٌ في قوْلِه: ﴿أَوْكَصَيِّبٍ﴾ وقدْ تقدَّمَتْ.

قوْلُه: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾.

قال مُجاهِدٌ: كُل حَجَرٍ ينْفَجِرُ منْهُ المَاءُ، أوْ يتَشَقَّقُ عنْ مَاءٍ، أوْ يتَرَدَّى مِنْ رأْسِ جبَلٍ، فمِنْ خشْيَةِ اللهِ ﷻ[٦].

---

(١) في (م): قالوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٢٩).

(٣) ليست في (ل).

(٤) من قوله: «لجميع بني إسرائيل»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥٥).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٦٤).

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٥، ٧٧].

قوْلُه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنّه النَّبيُّ ﷺ خاصَّةً، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أَنَّهُمُ المؤْمنونَ، تقديرُه: أفتطمعُون أنْ(١) يُصدِّقُوا نبيَّكُم، قالَهُ أبو العَاليةِ، وقتَادةُ.

والثَّالث: أنَّهُمُ الأنْصارُ، وأنَّهم لَمَّا أسْلمُوا أَحبُّوا إسْلامَ اليهودِ للرَّضاعةِ الَّتي كانَتْ بيْنَهُم، ذكرَهُ النَّقَّاشُ(٢).

قال الزَّجَّاجُ: وألِفُ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ألِفُ اسْتِخْبارٍ، كأنَّهُ آيَسَهُم مِنَ الطَّمَعِ فِي إيمانِهِم(٣).

وفي سماعِهم لكلامِ اللهِ(٤) قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُم قرَءُوا التَّوراةَ فحرَّفُوهَا، هذا قوْلُ مجاهِدٍ، والسُّدِّي في

(١) زاد في (م): يؤمنوا لكم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥٨).

(٤) في (ف): للكلام.

آخَرِينَ، فيكُونُ سماعُهُم لِكَلَامِ اللهِ بتَبْلِيغِ نبيِّهِم، وتحْرِيفهُم: تغْيِيرُ مَا فِيهَا.

والثَّاني: أَنَّهُمُ السَّبْعُون الَّذِينَ اخْتارَهُم مُوسَى، فسَمِعُوا كلامَ اللهِ كِفَاحًا عنْدِ الجبَلِ، فلَمَّا جاءُوا إلى قوْمِهِم قالُوا: قالَ لنَا: كذا وكذا، وقالَ في آخِرِ قوْلِه[1]: إنْ لم تسْتَطِيعُوا ترْكَ مَا أنْهَاكُم عنْه فافْعَلُوا ما تسْتَطِيعُونَ. هذا قوْلُ مُقاتِلٍ، والأَوَّلُ أصَحُّ.

وقد أنْكَر بعْضُ أهْلِ العلْمِ، منْهُمُ التِّرمِذِيُّ صاحِبُ «النَّوادِرِ» هذَا القوْلَ إنْكارًا شَدِيدًا، وقالَ: إنَّما خَصَّ بالكَلام مُوسَى وحْدَه، وإلَّا فأيُّ مِيزةٍ؟[2]. وجعَل هذَا مِنَ الأحادِيثِ الَّتِي رَوَاها الكَلْبيُّ وكان كَذَّابًا.

ومعْنَى ﴿عَقَلُوهُ﴾[3]: سَمِعُوه ووَعَوْهُ.

وفي قوْلِه: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: وهُم يعْلَمُون أنَّهُم حرَّفُوه.

والثَّاني: وهُم يعْلَمُون عِقَابَ تحْرِيفِه. [٢١/ب]

قوْلُه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قالوا آمنا﴾.

هذه الآيَةُ نزَلَتْ في نفَرٍ مِنَ اليهُودِ، كانُوا إذا لَقُوا النَّبيَّ والمُؤْمِنينَ قالُوا: آمَنَّا، وإذَا خلَا بعْضُهُم إلى بعْضٍ، قالُوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ هذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وأَبِي العَالِيَةِ، ومُجاهِدٍ، وقتَادَةَ، وعطَاءٍ

---

(١) في (ف): كلامِه.

(٢) نوادر الأصول (٢/ ٥٧).

(٣) سقطت من (ف).

الخُراسانِيِّ، وابْنِ زَيْدٍ، ومُقاتِلٍ.

وفي معْنَى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: بما قضَى اللهُ عليكُم، والفتْحُ: القَضاءُ؛ ومنْهُ قوْلُه تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه: كانَ ناسٌ مِنَ اليهُود آمَنُوا ثُمَّ نافقُوا، فكانُوا يُحدِّثُونَ المُؤمنينَ بما عُذِّبُوا بِه، فقَال بعْضُهم لبعْضٍ: أتُحدِّثُونَهُم بما فتَحَ اللهُ عليْكُم[١].

والثَّاني: أنَّ معْنَاه: بما علَّمَكُمُ اللهُ. قال ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو العَالِيةِ، وقتَادَةُ: الَّذي فتَحَهُ [اللهُ][٢] عليْهِم، ما أنْزَلَهُ مِنَ التَّوْراةِ في صِفَةِ مُحمَّدٍ ﷺ.

وقال مُقاتِلٌ: كانَ المُسلِمُ يلْقَى حليفَه[٣]، أوْ أخَاهُ مِنَ الرَّضاعةِ مِنَ اليهُودِ، فيَسْأَلُه: أتَجِدُونَ مُحمَّدًا في كِتابِكُم؟ فيقُولُون: نعَم! إنَّه لحَقٌّ. فسَمِعَ كعْبُ بْنُ الأشْرَفِ وغيْرُه، فقَالُوا لليهُودِ في السِّرِّ[٤]: أتُحَدِّثُونَهُم -لأصْحَابِ[٥] مُحمَّدٍ- بما فتحَ اللهُ عليْكُم؟ أي: بما بيَّنَ لكُم في التَّوْراةِ مِنْ أمْرِ مُحمَّدٍ لِيُخاصِمُوكُم بِه عنْدَ ربِّكُم باعْتِرَافِكُم أنَّه نَبِيٌّ، أفلَا تعْقِلُون أنَّ

---

(١) زاد في المطبوع: من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم.

(٢) من (ف).

(٣) في (ف): خليطه.

(٤) في (ف): السَّرَّاء.

(٥) في (ت)، و(ف): أصحاب.

هـذَا حُجَّـةٌ عليْكُـم[(١)]؟!.

قوْلُه: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ فِيه قوْلانِ:

أحدُهُمـا: أنَّـه بمعْنَـى: في حُكْـمِ ربِّكُـم؛ كقوْلِـه تعَـالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ[(٢)] عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النـور: ١٣].

والثَّاني: أنَّه أرَادَ بِه يوْمَ القِيامَةِ.

قـال تعـالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقـرة: ٧٨، ٨٢].

قوْلُـه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ يعْنِـي: اليهُـودَ. والأُمِّـيُّ: الَّـذِي لا يكتُـبُ ولا يقْـرَأُ، قالَـه مُجاهِـدٌ.

وفي تسْمِيتِه بالأُمِّيِّ قوْلَانِ:

أحدهمـا: لأنَّـه عـلَى خِلْقَـةِ الأُمَّـةِ الَّتـي لم تتعَلَّـمِ الكِتَـابِ، فهُـو عـلَى

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩).

(٢) في (ر): فأولئكم.

جِبِلَّتِـهِ[١]، قالَـه الزَّجَّـاجُ[٢].

والثَّـاني: أنَّـه نُسِـبَ إلَى أُمِّـهِ؛ لأنَّ الكتابـةَ في الرِّجَـالِ كانَـتْ دُون النِّسَـاءِ. وقِيـل: لأنَّـه عـلى مَـا ولدَتْـهُ أُمُّـهُ.

قَوْلُه: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال قتادَةُ: لا يدْرُونَ مَا فِيه[٣].

قَوْلُه: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾.

جمْهُـور القُـرَّاءِ عـلَى تشْـدِيد اليَـاءِ[٤]، وقـرَأَ الحسَـنُ، وأبـو جعْفَـرٍ: بتخْفِيـفِ اليَـاءِ[٥]، وكذلِـك: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[البقـرة: ١١١]، و﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النسـاء: ١٢٣]، ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[الحـج: ٥٢]، و﴿وَغَرَّتْكُمُ[٦] ٱلْأَمَانِيُّ﴾[الحديـد: ١٤]، كلُّـه بتَخْفِيـف اليَـاءِ وكـسْرِ الهَـاءِ مِـنْ ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ ولا خـلَافَ في فتْـحِ يـاءِ «الأَمَـانِيِّ».

وفي معْنى [الكَلامِ][٧] ثلاثَةُ أقْوالٍ:

---

(١) في (ر): سجيته.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٧٩٠).

(٤) معـاني القـراءات (١/ ١٥٨)، والمبسـوط (ص: ١٣١)، والكامـل (ص: ٤٨٧)، والنـشر (٢/ ٢١٧).

(٥) المحتسب (١/ ٩٤).

(٦) في (ر): وعدتكم.

(٧) في (ل): الآية.

أحدها: أنَّها الأكاذيبُ. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: [إلَّا أمَانِيَّ][(١)]: يُريدُ إلَّا قوْلًا يقولُونَهُ بأفْوَاهِهِم كَذِبًا[(٢)]. وهذَا قوْلُ مُجاهِدٍ، واخْتِيارُ الفرَّاءِ. وذكَرَ الفرَّاءُ[(٣)] أنَّ بعْضَ العربِ قالَ لِابْنِ دَأْبٍ[(٤)] وهُو يُحدِّثُ: أهذَا شَيْءٌ رَويتَهُ[(٥)]، أمْ شيْءٌ تمنَّيتَهُ؟ يُريدُ: افْتعلْتَهُ[(٦)].

والثَّاني: أنَّ الأمَانيَّ: التِّلاوَةُ، فمعْنَاه: لا يعلَمُون فِقهَ الكتَابِ، إنما يقْتَصِرُونَ علَى مَا يسْمعُونَهُ يُتْلى علَيْهِم، قالَ الشَّاعِرُ[(٧)] [من الطويل]:

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ تَمَنِّيَ دَاوُدَ[(٨)] الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ

---

(١) في (ل): الأماني.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٩٢).

(٣) ليست في (ج).

(٤) عيسى بن يزيد بن بكر، أبو الوليد بن دأب، المدني، كان يضع الشِّعرَ وأحاديث السَّمَرِ، وكلامًا ينسبه إلى العرب، فسقط، وذهبت روايته، تُوفِّي سنة (١٧١)، مراتب النحويين (ص: ١٥٦)، والبيان والتبيين (١/ ٥١)، وتاريخ بغداد (١١/ ١٤٨).

(٥) في (م): رأيته.

(٦) معاني القرآن (١/ ٥٠).

(٧) البيت للصحابي حسان بن ثابت، قاله: في مرثية سيدنا عثمان بن عفان، وقيل: لكعب بن مالك، وهو في معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٤٣٥)، والزاهر؛ لابن الأنباري (٢/ ١٥٠).

(٨) في (م): ذود.

وهذَا قوْلُ الكِسَائِيِّ، والزَّجَّاجِ[١].

والثَّالث: أنَّهَا أمَانِيهُم علَى اللهِ، قالَهُ قتَادَةُ.

قوْلُه: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: ليسُوا علَى يقِينٍ، فإنْ كذَبَ الرُّؤسَاءُ أوْ صَدَقُوا تابعُوهُم[٢].

قوْلُه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾.

هذِه الآيَةُ نزلَتْ في أهْلِ الكِتَابِ، بدَّلُوا التَّوْراةَ وغيَّرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ فيهَا. وهذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتادَةَ، وابْنِ زيْدٍ، وسُفيَانَ. [٢٢/أ]

فأمَّا «**الويْلُ**»: فروى أبو سعِيدٍ الخدريُّ عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**وَيْلٌ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ[٣] إِلَى قَعْرِهِ**»[٤].

وقالَ الزَّجَّاجُ: الوَيْلُ: كلِمَةٌ تقولُهَا العربُ لكُلِّ مَن وقَعَ[٥] في

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩).

(٣) في (م): يعرف.

(٤) رواه الترمذي (٣١٦٤)، وأحمد (٣/ ٧٥)، وابن المبارك في الزهد (٣٣٤)، وفي المسند (١٣٤)، وعبد بن حميد (٩٢٤)، وابن حبان (٧٤٦٧)، والطبري في التفسير (٢/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٩٨)، وأبو يعلى (١٣٨٣)، والحاكم (٢/ ٥٥١)، والبيهقي في البعث (٤٦٥، ٤٦٦) والحديث ضعفه ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٩).

(٥) في (ف): دُفع.

هلَكـةٍ، ويَسْـتعمِلُها هـو أيْضًـا. وأصْلُها في اللُّغـةِ: العـذَابُ والهَـلاكُ[١].

قـال ابْـنُ الأنْبَـاري: ويُقَـال: معْنـى الوَيْـلِ: المْشـقَّةُ مِـنَ العـذَابِ، ويُقَـالُ: أصْلُـه: وَيْ لِفُـلانٍ؛ أي: حُـزنٌ لفُـلَانٍ[٢]، وكَثُـر[٣] الِاسْـتِعمَالُ للحَرْفـيْنِ، فوُصِلَـتِ الـلَّامُ بـ«وَيْ» وجُعِلَـتْ حرْفًـا واحِـدًا، ثُـمَّ خُـبِّرَ عَـنْ «وَيْـل» بـلَامٍ أُخْـرَى، وهـذَا اخْتِيـارُ الفـرَّاءِ[٤].

و«**الكِتَـاب**» هَاهُنَـا: التَّـوْرَاةُ. وذِكْـرُ الأيْـدِي تَوْكِيـدٌ، و«**الثَّمَـنُ القلِيـلُ**»: مَـا يفْنَـى مِـنَ الدُّنْيَـا.

وفِيمَا ﴿يَكۡسِبُونَ﴾[٥] **قوْلانِ**:

أحدُهما: أنَّه عِوَضُ مَا كتَبُوا.

والثَّاني: إثْمُ مَا فعَلُوا.

قوْلُه: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾: وهُمُ اليَهودُ.

وفِيمَا عَنَوْا بهَذِه الأيَّامِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـم أرَادُوا أرْبعِـين يوْمًـا، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وعكرِمَـةُ، وأبـو العالِيـةِ، وقتَـادَةُ، والسُّـدِّيُّ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٦٠).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): فكثر.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٠٤).

(٥) في (ج): يكتبون.

ولِماذا قَدَّرُوهَا بِأرْبَعِينَ[(١)]؟ فِيه ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم قالُوا[(٢)]: بيْنَ طرَفَي جهَنَّمَ مَسِيرةُ أرْبَعِينَ سنَةً، ونَحْنُ نقْطَعُ مَسِيرةَ كُلِّ سنَةٍ في يوْمٍ، ثُمَّ ينقَضِي العذَابُ وتَهْلكُ النَّارُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُم قالُوا: عَتَبَ علينَا ربُّنَا في أمْرٍ[(٣)]، فأقْسَم ليُعذِّبَنَا أرْبَعين ليْلَةً، ثُم يُدخلُنَا الجنَّةَ، فلَنْ تمسَّنَا النَّارُ إلَّا أرْبَعِين يوْمًا تَحِلَّةَ القَسَمِ، وهذا قوْلُ الحسَنِ، وأبي العَاليةِ.

والثَّالث: أنَّهَا عَدَدُ الأيَّامِ [الَّتي عبَدُوا فيهَا العِجْلَ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والقَوْل الثَّاني][(٤)]: أنَّ الأيَّامَ المعْدُودةَ سبْعَةُ أيَّامٍ، وذلِك لأنَّ عنْدَهُم أنَّ الدُّنْيا سبْعَةُ آلافِ سنَةٍ[(٥)]، والنَّاسُ يُعذَّبُونَ لكُلِّ ألْفِ سنَةٍ يوْمًا من أيَّام الدُّنْيا، ثُمَّ ينْقَطِعُ العذَابُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾؛ أي: عَهِدَ إليْكُم أنَّه لَا يُعذِّبُكم إلَّا هذَا المِقْدارَ؟!.

---

(١) في (ف): أربعين.

(٢) في (م): أرادوا.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من (ل).

(٥) في (ف): عام.

قوْلُـه: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ «بَـلَى»: بمنْزِلَـة «نعَـم» إلَّا أنَّ «بَـلَى» جَـوابُ النَّفْـيِ، و«نَعَـم» جَـوَابُ الإِيجَـابِ.

قـال الفـرَّاءُ: إذا قـالَ الرَّجُـلُ لِصَاحِبِـه: مَـا لَـكَ عَـلَيَّ شَيْءٌ، فقَـال الآخَـرُ: نعَـمْ، كانَ تصْدِيقًـا أنْ لَا شيْءَ لَـهُ عليْـهِ. ولـو قَـال: بـلَى كانَ ردًّا لِقوْلِـه[1].

قـال ابْـنُ الأنْبَـارِي: وإنَّـمَا صـارَتْ «بـلَى» تتَّصِـلُ بالجَحْـدِ؛ لأنَّهَـا رُجـوعٌ عـنِ الجَحْـدِ إلى التَّحْقِيـق، فهِـي بمنْزِلَـةِ «بَـلْ». و«بَـلْ» سَـبيلُهَا أنْ تـأْتِيَ بعْـدَ الجَحْـدِ؛ كقوْلِهِـم: مـا قَـامَ أخُـوكَ، بَـلْ أبُـوك. وإذَا قـالَ الرَّجُـل للرَّجُـل: أَلَا تقُـومُ؟ فقَـال: بـلَى أرَاد: بَـلْ أقُـومُ، فـزَادَ الأَلِـفَ عـلَى «بَـلْ» لِيَحسُـنَ السُّـكوتُ عليْهَـا؛ لأنَّـه لـو قـالَ: بَـلْ، كانَ يتَوَقَّـعُ كلامًـا بعْـد بَـلْ، فـزَادَ الألِـفَ لِيـزُولَ هـذَا التَّوهُّـمُ عَـنِ المُخاطَـبِ، ومعْنـى ﴿ بَلَىٰ[2] مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾: بَـلْ مَـنْ كسَـبَ[3].

قـال الزَّجَّـاج: «بَـلَى» رَدٌّ لِقَوْلِهِـم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾. والسِّـيِّئَةُ هَاهُنـا: الـشِّرْكُ فِي قـوْلِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وعِكرِمَـةَ، وأبي وَائـلٍ، وأبي العَالِيـةِ، ومُجاهِـدٍ، وقتَـادَةَ، ومُقاتِـلٍ. [٢٢/ب]

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خطيئته﴾؛ أي: أَحْدقَـتْ بِـه خَطِيئَتُـهُ. وقـرَأَ نافِـعٌ:

---

(١) معاني القرآن (١/ ٥٢).

(٢) في (ر): بل.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٣٢). قوله: «بل من كسب» ليس في (م).

«خَطِيئَاتُه» بالجَمْعِ(١). قالَ عِكْرِمَةُ: ماتَ وَلَم يَتُبْ منْهَا(٢). وقالَ أَبُو وَائِلٍ: الخَطِيئَةُ: صِفَةُ الشِّرْكِ(٣). قالَ أَبُو عَلِيٍّ: إمَّا أَنْ يكُونَ المعْنَى: أحَاطَتْ بحسَنَتِه خَطِيئَتُه؛ أي: أحبطَتْهَا، مِنْ حيْثُ إنَّ المحِيطَ أكْثَرُ مِنَ المحاطِ بِه، فيكُونُ؛ كقوْلِه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوْلِه: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، أو يكُونُ معْنَى أحَاطَتْ بِه: أهْلَكتْه؛ كقوْلِه: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦](٤).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هذَا المِيثَاقُ مأخُوذٌ عليْهِم فِي التَّوْرَاةِ.

قوْلُه: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

قرَأَ عاصِمٌ، ونَافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: بالتَّاءِ علَى الخِطَابِ

---

(١) السبعة (ص: ١٦٢)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١١٤)، والمبسوط (ص: ١٣١)، وقد وافق نافعًا أبو جعفر من العشرة.

(٢) الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٢٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٧٩). في (ت)، و(ج)، و(ف): صفة للشرك.

(٤) الحجة لقراء السبعة (٢/ ١١٤).

لَهُـم، وقـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: باليَـاءِ عـلَى الإخبَـارِ عنْهُـم[١].

قوْلُـه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ أي: وَوَصَّيْنَاهُـم بآبَائِهِـم وأُمَّهاتِهِـم خَـيْرًا. قـالَ الفـرَّاءُ[٢]: والعَـرَبُ تقُـولُ: أُوصِيـك بِـه خـيْرًا، وآمـرُكَ بِـه خـيْرًا[٣]. والمعْنـى: آمـُرُكَ أنْ تفْعَـلَ بِـه، ثُـمَّ تُحْـذَفُ «أَنْ» فيُوصَـلُ[٤] الخَـيْرُ بالوَصِيَّـةِ والأَمْـرِ. قـال الشَّـاعِرُ[٥] [مـن مشـطور الرجـز]:

عَجِبْـتُ مِـنْ دَهْمـاءَ إِذْ تَشْـكُونَا وَمِـنْ أَبِي دَهْمَـاءَ إِذْ يُوصِينَـا

خَيْرًا بِهَا كَأَنَّنَا جَافُونَا

وأَمَّـا «الإِحْسَـانُ إِلَى الوَالِدَيْـنِ»: فهُـوَ بِرُّهُمَـا. قـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: لا تنْفُـضْ ثَوْبَـكَ فيُصِيبُهُـمَا الغُبَـارُ[٦]. وقالـتْ عائِشَـةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: مَـا بَـرَّ وَالِـدَهُ مَـنْ شَـدَّ

---

(١) السبعة (ص: ١٦٣)، ومعاني القراءات (١/ ١٥٩)، والمبسوط (ص: ١٣١- ١٣٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٠).

(٣) قوله: «آمرك به خيرا» ليست في (ر).

(٤) في (ف): فتُوصل. -أي: العرب- وتكون كلمة «الخيرَ» منصوبة.

(٥) لم أقف على نسبته لقائل، وأورده الطبري في موضعين من تفسيره (٢٠/ ١٣١)، (١٥/ ٦٣)، واستشهد به ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٣٠٨) وعزاه للفراء، وذكره الفراء في معاني القرآن (٢/ ١٢٠)، والثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٧١).

(٦) لم أقف عليه.

النَّظَـرَ إِلَيْـه[١]. وقَـالَ عُـرْوَةُ: لَا يمْتَنِـعُ عـنْ شيْءٍ أحبَّـاهُ[٢].

قوْلُـه: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: وَوصَيْنَاهُـم بـذِي القُرْبـى أنْ يَصِلُـوا أرْحامَهُـم. وأمَّـا «اليَتَامـى»: فجمْـعُ يتِيـمٍ. قـالَ الأصْمَعِـيُّ: اليَتِـمُ في النَّـاسِ مِـنْ قِبَـلِ الأَبِ، وفي غَـيْرِ النَّـاسِ: مِـنْ قِبَـلِ الأُمِّ[٣]. قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِي: قَـال ثعْلَـبٌ: اليُتْـمُ [معْنَـاه][٤] في كلَامِ العـرَبِ: الانْفِـرادُ: فمعْنَـى صَبِـيٌّ يَتِيـمٌ: منْفَـردٌ عـنْ أبِيـه[٥]، [وأنْشَـدَنَا][٦] [مـن الطويـل]:

أَفَاطِـمَ إِنِّي ذَاهِـبٌ فَتَبَيَّنِـي ... وَلَا تجْزَعِـي كُلُّ النِّسَـاءِ يَتِيـمُ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه ابـن وهـب في الجامـع في الحديـث (١١٨)، وهَنَّـاد بـن الـسَّري في الزهـد (٤٧٦)، والحسين بـن الحسـن بـن حـرب السـلمي في الـبر والصلـة (١١- ١٢)، والبخـاري في الأدب المفـرد (٩)، وفي ابـن أبي الدنيـا في مـكارم الأخـلاق (٢٢٢)، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٤/ ٥٥٠).

(٣) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٤٢).

(٤) من (ج).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٩).

(٦) البيـت للشـاعر عبـد قيـس بـن خفـاف البرجمـي، في معـاني القـرآن؛ للفـراء (١/ ١٨٥) عـن المفضـل الضبـي، وقـال: صحَّـف المُفضَّـلُ فقـال: «كُلُّ النِّسَـاءِ يَتِيـمُ»، وإنـما هـو: «يئيـم»، والنـوادر (ص: ٣٨٥)، وتهذيـب اللغـة (١٤/ ٢٤٢)، والزاهـر في معـاني كلـمات النـاس (١/ ١٢٩)، والأمثـال؛ لابـن سـلام (١/ ٣٣٥)، وجمهـرة الأمثـال؛ للعسـكري (٢/ ١٥٧). وفي (ل): وأنشـدوا.

[وقَال: يُروى: يَئِيمُ ويتِيمُ، فمَنْ رَوَى «يتِيم» بالتَّاءِ أرَادَ: كُلُّ النِّسَاء ضَعِيفٌ مُنْفرِدٌ. ومَنْ رَوى باليَاءِ][1] أرَادَ: كُلُّ النِّساءِ يمُوتُ عنهُنَّ أزْوَاجُهُنَّ. قَالَ: وأنْشَدَنَا ابْنُ الأعْرَابِي[2] [من الطويل]:

ثَلاثَةُ أَحْبَابٍ: فَحُبٌّ عَلَاقَةٌ ... وَحُبٌّ تِمِلَّاقٌ وَحُبٌّ هُوَ الْقَتْلُ

فقُلْنَا له: زِدْنَا، فقَال: البَيْتُ يتِيمٌ؛ أي: هو مُنْفَرِدٌ.

وقَرأْتُ علَى شَيْخِنا أبِي منْصُورٍ اللُّغويِّ، قَالَ: إذا بلَغَ الصَّبِيُّ، زَالَ عنْهُ اسْمُ اليُتْمِ. يُقال منْهُ: يَتِمَ [يَيْتَمُ][3] يُتْمًا وَيَتْمًا[4]، وجمْعُ اليَتِيمِ: يتَامَى، وأيْتَامٌ. وكُلُّ منفرِدٍ عنْدَ العرَبِ يَتِيمٌ ويَتِيمَةٌ. قَالَ: وقِيلَ: أصْلُ اليُتْمِ: الغفْلَةُ، وبِه سُمِّي اليَتِيمُ؛ لأنَّه يُتغافَلُ عنْ بِرِّهِ. والمرْأَةُ تُدْعى: يَتِيمَةً مَا لَمْ تُزَوَّجْ[5]، فإذَا تَزَوَّجَتْ زالَ عنْهَا اسْمُ اليُتْمِ، وقِيلَ: لا يزُولُ عنْهَا[6]

---

(١) ليست في (ل)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) البيت لشاعر من بني أسد، وهو في مجالس ثعلب (٢٢٩)، والموشي (ص: ٢٣٣)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ٤٦٦)، وشرح ديوان الحماسة؛ للتبريزي (ص: ٨٧٦)، وشرح المفصل (٦/ ٤٧-٤٨)، (٩/ ١٥٧)، الملق: الودّ واللطف الشديد. ملق ملقًا وتملّق تملّاقًا؛ أي: تودد إليه وتلطف له.

(٣) من (ت)، و(ف).

(٤) في (ج): يَتِم يتيم يتما. وفي (ر): يتيم يتما ويتما.

(٥) في (ف): تتزوَّج.

(٦) من قوله: «اسم اليتم»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

اسْمُ اليُتْمِ أبدًا. وقالَ أبُو عمْرٍو، اليُتْمُ: الإبْطَاءُ، ومنْهُ أُخِذَ اليَتِيمُ؛ لأنَّ البِرَّ يُبْطِئُ عنْه(١).

و«المَساكِينُ»: جمْعُ مِسْكينٍ، وهُو اسْمٌ مأْخُوذٌ مِنَ السُّكونِ، [كأنَّ المِسْكينَ](٢) قد أسْكنَهُ الفَقْرُ.

قوْلُه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبُو عمْرٍو، ونَافِعٌ، وعَاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «**حُسْنًا**» بضَمِّ الحَاءِ والتَّخْفِيفِ، وقَرَأ حمْزَةُ والكِسَائِيُّ: «حَسَنًا» بفتْحِ الحَاءِ والتَّثْقِيلِ(٣).

قالَ أبُو علِيٍّ: مَنْ قرَأ «حُسْنًا» خفِيفَةً، فجَائِزٌ أنْ يكُونَ الحُسْنُ لُغةً في الحسَنِ، كالبُخْلِ، والبَخَلِ، والرُّشْدِ والرَّشَدِ(٤). وجاءَ(٥) ذلِك في الصِّفَةِ [٢٣/أ] كما جَاءَ في [الاِسْمِ](٦)، ألَا تَرَاهُم قالُوا: العُرْبُ والعَرَبُ، ويجُوزُ أنْ يكُونَ الحُسْنُ مصْدرًا كالكُفْرِ والشُّكْرِ والشُّغلِ، وحذَفَ المُضافَ معَهُ، كأنَّه قال

(١) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٤٢).

(٢) في (ل): كأنه المسكن، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) الحجة؛ للفارسي (٢/ ١٢٦)، والمبسوط (ص: ١٣٢)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ١٦٠)، ولفظ المصنف موافق تمامًا لما ذكره ابن مجاهد في السبعة (ص: ١٦٣). وفي (م): بفتح الحاء والسين.

(٤) في (ف): الوَعْد والرُّشد.

(٥) في (ف): جاز.

(٦) في (ل): الإسلام.

قولوا: قَوْلًا ذا حُسْنٍ[١]. ومَنْ قَرَأَ «حَسَنًا» جعَلَه صِفَةً، والتَّقْدِيرُ عنْدَهُ: قُولُوا للنَّاسِ قَوْلًا[٢] حَسَنًا، فحَذَفَ المَوْصُوفَ[٣].

واخْتَلَفُوا فِي المُخاطَبِ بهذا علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ اليهُودُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُبيْرٍ، وابْنُ جُرَيْجٍ. ومعْنَاهُ: اصْدُقُوا وبَيِّنُوا صِفةَ النَّبِيِّ ﷺ.

والثَّانِي: أنَّهم أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قال أَبُو العَالِيَةِ: قُولُوا للنَّاسِ معْرُوفًا[٤]. وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ علِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ: كَلِّمُوهُم بِمَا تُحِبُّونَ أنْ يقُولُوا لَكُم. وزَعَمَ [قَوْمٌ][٥] أنَّ المُرادَ بذلِكَ مُسَاهلَةُ الكُفَّارِ فِي دُعَائِهِم إلى الإسْلَامِ، فعَلَى هذَا، تَكُونُ منْسُوخَةً بآيَةِ السَّيْفِ.

قوْلُه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: أعْرَضْتُم إلَّا قَلِيلًا مِنْكُم.

وفِيهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم أوَّلُوهُمُ الَّذِين لَمْ يُبَدِّلُوا[٦].

---

(١) في (ج): أحسن. وزاد في (م): في الصفة.

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٢/ ١٢٧).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٤٣).

(٥) ليست في (ل).

(٦) في (ف): الذين بدَّلوا.

والثَّاني: أَنَّهُمُ الَّذين آمَنُوا بالنَّبيِّ ﷺ في زمَانِه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٦].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾؛ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يخرج بعضكم بعضًا من داره.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ثُمَّ أقرَرْتُم يوْمَئذٍ بالعَهْدِ، وأنْتُم اليوْمَ تَشهَدُونَ علَى ذلِك، فالإقْرارُ علَى هذَا مُتوجِّهٌ إلى سَلَفِهم، والشَّهادَةُ مُتوجِّهةٌ إلى خلَفِهم(١).

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾(٢)؛ أي: يقتل بعضكم بعضًا.

رَوَى السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه قالَ: كانَتْ قُرَيْظَةُ حُلَفَاءَ الأوْسِ، والنَّضِيرُ

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣٩٥- ٣٩٩).

(٢) جاء في حاشية (ج): بلغت القراءة إلى ها هنا.

حُلفَاءَ[١] الخَزْرَجِ، وكَانُوا يُقاتِلُونَ فِي حَرْبِ سُمَيْرٍ[٢]، فتُقَاتِلُ[٣] بنُو قُرَيْظَةَ مَعَ حُلَفَائِهَا النَّضِيرَ وحُلَفاءَهَا، وتُقاتِلُ[٤] النَّضِيرُ وحُلَفَاؤهَا قُرَيْظَةَ وحُلَفَاءَهَا[٥]، [فيَغْلِبُونَهُمْ][٦] فيُقَتِّلُونَ[٧] ويُخْرِبُونَ الدِّيَارَ ويُخْرِجُونَ منْهَا، فإذَا أُسِرَ الرَّجُلُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَعُوا لَه حتَّى يَفْدُونَهُ، فتُعَيِّرُهُمُ الْعَرَبُ بذلِكَ فتَقُول[٨]: كَيْفَ تُقَاتِلُونَهُم وَتُفْدُونَهُم؟! فيَقُولُونَ: أُمِرْنَا أَنْ نَفْدِيَهُم، وحُرِّمَ علَيْنَا قتْلُهُم. فتَقُول[٩] العَرَبُ: فلِمَ تُقَاتِلونَهُم؟ فيقُولُون: نَسْتَحِيي أَنْ يُسْتذَلَّ حُلفاؤُنَا، فعَيَّرَهُمُ اللهُ)، فقَالَ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾... إلى قوْلِه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فكَانَ إِيمانُهُم ببَعْضِه فدَاءَهُم الأُسَارَى، وكُفْرُهُم قتْلَ بعْضِهِم بعْضًا[١٠].

---

(١) من قوله: «الأوس»... إلى هنا ساقط من (ف).

(٢) في (ج): سميرة. وحرب سُمير: كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج. وسُمير رجلٌ من بني عمرو بن عوف. وانظر خبر هذه الحرب في: الأغاني (٣/ ١٨- ٢٦).

(٣) في (ف): فيُقاتِل.

(٤) في (ف): ويُقال.

(٥) في (ج): فيقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير. وفي (ت)، و(ر): فيقاتل بنو قريظة وحلفاؤها.

(٦) من المطبوع.

(٧) ليست في (ج).

(٨) في (ف): فيقُولون.

(٩) في (ت)، و(ر): فقتلوا.

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره بعد الأثر رقم (٨٥٩).

قوْلُه تعَالَى: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾.

قـرَأ عاصِـمٌ وحـمْـزَةُ والكِسَـائِيُّ: «**تَظَاهَـرُونَ**»[1]، وفي التَّحْرِيـم: «**تَظَاهَرَا**»، بتَخْفِيـفِ الظَّـاءِ، وقَـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ ونَافِـعٌ وأَبـو عمْـرٍو وابْـنُ عامِـرٍ بتشْـدِيدِ الظَّـاءِ مـعَ إِثْبَـاتِ الأَلِـفِ[2]، ورُوِي عـنِ الحسَـنِ وأبي جعْفَـرٍ: «**تَّظَّهَّـرونَ**» بتَشْـديدِ الظَّـاء مِـنْ غـيْرِ ألِـفٍ[3].

قـالَ أَبُـو عـلِيٍّ: مَـنْ[4] قـرَأَ «**تَظَّاهَـرُونَ**» بتَشْـدِيدِ الظَّـاءِ، أَدْغَـم التَّـاءَ فِي الظَّـاءِ[5]؛ لِمُقاربَتِهـا لَهـا، فخَفَّـفَ بالإدْغَـام. ومَـنْ قـرَأَ «**تَظَاهَـرُونَ**» خَفِيفَـةً، حـذَفَ التَّـاءَ الَّتِـي أَدْغَمَهـا أُولئـك مِـنَ اللَّفْـظِ، فخَفَّـفَ[6] بالحـذْفِ[7]. فالتَّـاءُ الَّتِـي أدْغمَهـا ابْـنُ كثِـيرٍ هِـيَ الَّتِي حذَفَهَـا عَاصِـمٌ[8]. [٢٣/ ب]

والتَّظَاهُـرُ: التَّعَـاوُنُ. قـالَ ابْـنُ قُتيْبَـةَ: وأَصْلُه مِـنَ الظَّهـرِ، فـكَأَنَّ التَّظَاهُرَ:

---

(١) سقطت من (ج).

(٢) السبعة (ص: ١٦٣)، ومعاني القراءات (١/ ١٦٢)، والمبسوط (ص: ١٣٢).

(٣) مختـصر الشـواذ؛ لابـن خالويـه (ص: ١٥) باليـاء، والبحـر المحيـط (١/ ٥٦٨)، وذكـر فيهـا أبـو حيـان خمـس قـراءات منهـا اثنـان متواتـرة وثلاثـة شـواذ كلهـا بمعنـى التعـاون والتنـاصر.

(٤) في (م): و.

(٥) من قوله: «مع إثبات الألف»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٦) ليست في (ر).

(٧) في (ف): الحذف.

(٨) الحجة للقراء السبعة (٢/ ١٣٠).

أنْ يجْعَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ الرَّجُلَيْنِ الآخرَ ظَهْرًا لَه يتقَوَّى بِه، ويَسْتَنِدُ إليْه[١].

قَالَ مُقاتِلٌ: والإِثْمُ: المْعصِيَةُ، والعُدْوانُ: الظُّلْم[٢].

قوْلُه: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ﴾ أَصْلُ الأَسْرِ: الشَّدُّ.

قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ وأبُو عمْرٍو وابْنُ عامِرٍ: «أُسَارَى»، وقرَأَ الأعْمَشُ وحمْزَةُ: «أَسْرَى»[٣].

قَالَ الفرَّاءُ: أهْلُ الحِجَازِ يجْمَعُونَ الأسِيرَ: «أُسَارَى» وأهْلُ نَجْدٍ أكْثَرُ[٤] كلامِهِم «أَسْرَى»[٥] وهو أجْوَدُ الوجْهَيْنِ في العَرَبيَّةِ؛ لأنَّهُ بمنْزِلَةِ قوْلِهم: جَرِيحٌ وجَرْحَى، وصَرِيعٌ وصَرْعَى[٦].

وروى الأَصْمعِيُّ عنْ أبي عمْرٍو قَال: الأُسَارَى: مَا شُدُّوا، والأَسْرَى: فِي أيْدِيهِم، إلَّا أنَّهُم لم يُشَدُّوا[٧].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: «فَعْلَى» جمْعٌ لكُلِّ مَا أُصِيبَ بِه النَّاسُ فِي أبْدَانِهِم وعُقُولِهِم. يُقَال: هَالِكٌ وهلْكَى، ومَرِيضٌ ومرْضَى، وأحْمَقُ وحمْقَى،

---

(١) غريب القرآن (١/ ٥٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٢٠).

(٣) السبعة (ص: ١٦٤)، والحجة للفارسي (١/ ٨٤)، ومعاني القراءات (١/ ١٦٣).

(٤) في (ف): كثير.

(٥) من قوله: «قال الفراء»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٦) معاني القرآن (١/ ٤١٨).

(٧) معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٤٤٥).

وسَكْرَانُ وسَكْرَى، فمَنْ قرَأَ: أُسَارَى، فهُو جمْعُ الجَمْعِ. يقُول[١]: أَسِيرٌ وأَسْرَى وأُسَارَى جمْعُ[٢] أَسْرَى[٣].

قوْلُه: ﴿تُفَـٰدُوهُمۡ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «تفدوهم»، وقرأ نافع وعاصم والكسائي: «تُفادُوهُمْ» [بألف][٤]. **والْمُفادَةُ:** إِعْطَاءُ شَيءٍ[٥]، وأخْذُ شيْءٍ مكانَهُ.

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾: وهوَ فَكَاكُ الأَسْرَى. ﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍ﴾: وهو الإخْراجُ والقتْلُ. وقالَ مُجاهِدٌ: تَفْدِيه في يَدِ غيْرِك، وتَقْتُله أنْتَ بيَدِكَ؟![٦].

وفي الْمرادِ بالخزْي قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الجِزْيَةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قتْلُ قُريظَةَ ونفْيُ النَّضِيرِ، قالَه مُقاتِلٌ.

---

(١) في (ت)، و(ر): لا تقول. وفي (ف): تقول.

(٢) ليست في (ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٦٦).

(٤) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٦٤)، معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ١٦٣)، الحجة؛ للفارسي (٢/ ١٤٣). وليست في (ل)، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) زاد في (ج): بشيء.

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٣٠٩)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

قوْله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: هـمُ اليهُـودُ[١]. وقـالَ مُقاتِـلٌ: باعُـوا الآخِـرَةَ بـمَا يُصِيبُونَـه مِـنَ الدُّنْيـا[٢].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقـرة: ٨٧، ٨٨].

قوْله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.

يُريـد: التَّـوراةَ. و«قفَّينَـا»: أَتْبَعْنَـا. قـال ابْـنُ قُتيْبَـةَ: وهـو مِـنَ القفَـا[٣] مأْخُـوذٌ، يُقـال: قفَـوْتُ الرَّجُـلَ: إذَا سِرْتَ في أَثَـرِه[٤]. و﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: الآيـاتُ الواضِحَـاتُ كإِبْـرَاءِ الأكْمَـهِ والأبْـرَصِ، وإحْيَـاءِ المْوْتَـى. ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوَّينـاهُ. والأيْـدُ: القُـوَّةُ.

وفي «رُوحِ القُدسِ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه جِبْريـلُ. والقُـدسُ: الطَّهـارَةُ[٥]، وهـذَا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٢٠).

(٣) في (ت): الفقا.

(٤) غريب القرآن (١/ ٥٧).

(٥) في (ج): الإظهار.

وقتَادَةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ في آخَرِينَ. وكانَ ابْنُ كثِيرٍ يقرَأُ: «بِرُوحِ القدْسِ» سَاكِنَةَ الدَّالِ(١). قال أبو عليٍّ: التَّخفِيفُ والتَّثْقِيلُ فِيه حسَنَانِ؛ نحوُ: [العُنْقِ والعُنُقِ، والطُّنْبِ(٢) والطُّنُبِ](٣).

وفي تأْيِيدِه بِه ثلاثةُ أقْوَالٍ ذكرَهَا الزَّجَّاجُ(٤):

أحدُها: أنَّه أُيِّد بِه لإظْهَارِ حُجَّتِه وأمْرِ دِينِه.

والثَّاني: لِدفْعِ بني إسْرَائِيلَ عنْه إذْ أَرَادُوا قتْلَه.

والثَّالث: أنَّه أُيِّد بِه في جمِيعِ أحْوَالِه.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه الاِسْمُ الَّذي كانَ يُحيِي بِه(٥) الْموْتَى، رَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّه الإنْجِيلُ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

قوْلُه: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾.

قرَأ الجمْهُور بإسْكَانِ اللَّام، وقرَأ قوْمٌ منْهُم الحسَنُ وابْنُ محُيْصِنٍ بِضَمِّهَا(٦). قالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قرَأَ: «**غُلْفٌ**» بإسْكَانِ اللَّامِ، فمعْنَاهُ: ذَوَاتُ

---

(١) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٦٤)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١٤٨)، المبسوط (ص: ١٣٢).

(٢) في (ج): الطلب.

(٣) الحجة للقراء السبعة (٢/ ١٥٠). وفي (ل): العتق والعتق، والطيب والطيب.

(٤) قوله: «ذكره الزجاج» ليس في (م).

(٥) ليست في (ف).

(٦) وعن اللؤلؤي عن أبي عمرو في مختصر ابن خالويه (ص: ١٥)، وانظر: الكامل؛ للهذلي (١/ ٤٨٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٦٣).

غُلْفٍ، وكأنَّهُم قالُوا: قُلوبُنَا في أَوْعِيةٍ. ومَنْ قرَأَ: «غُلُفٌ» بضَمِّ اللَّامِ، فهُو جمْعُ «غِلافٍ» فكأنَّهُم قالُوا: قلُوبُنا أوْعِيةٌ للْعِلْمِ، فمَا بالُها لا تَفْهَمُ وهِي أوْعِيةٌ[1] للْعِلْمِ؟! فعلَى الأوَّلِ يقصِدُونَ إعْراضَهُ عنْهُم، فكأنَّهُم يقُولُون: مَا نفْهَمُ[2] شيْئًا. وعلَى الثَّاني يقُولُون: لوْ كانَ قوْلُك حقًّا لَقبِلتْهُ قلُوبُنا[3]. [٢٤/أ]

وقوْلُه: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فيهِ خمسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: فقَلِيلٌ مَنْ يُؤْمِنُ منْهُم، قالَه ابْنُ عبَّاس، وقتَادَةُ.

والثَّاني: أنَّ المْعْنَى: قلِيلٌ مَا يُؤمِنونَ بِه. قالَ معْمَرٌ: يُؤْمنونَ بِقليلٍ مِمَّا فِي أيْدِيهِم، ويكْفُرُون بأكْثَرِه.

والثَّالثُ: أنَّ المْعْنَى: فمَا يُؤمِنُون قلِيلًا ولا كثِيرًا. ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ، وقالَ: هذَا علَى لُغةِ قوْمٍ مِنَ العرَبِ، يقُولُونَ: قلَّما رأَيْتُ مثْلَ هذَا الرَّجُلِ، وهُم يُرِيدُون: ما رَأيْتُ مثْلَه[4].

والرَّابعُ: فيُؤْمِنونَ قلِيلًا مِنَ الزَّمَانِ؛ كقوْلِه تعَالَى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢]، ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ أيْضًا[5].

---

(١) من قوله: «ومن قرأ غلُف بضم اللام»... إلى هنا ساقط من (ر).

(٢) في (ت): ما تفهم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٦٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

والخامس: أنَّ المْعنى: فإيمانُهُم قلِيلٌ، ذكرَهُ ابْنُ جَرِيرِ الطَّبرِيُّ(١).

وحكَى فِي «مَا» قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّهَا زَائِدةٌ.

والثَّاني: أنَّ «مَا» تجمْعُ جمِيعَ الأشْيَاءِ ثُمَّ تَخُصُّ بعْضَ(٢) مَا عَمَّتْهُ بِمَا يُذكر بعْدَهَا.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩١].

قوْلُه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [يعْنِي](٣): القرآنَ. و﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يَسْتَنْصِرونَ. وكانتِ اليهُودُ إذَا(٤) قاتَلتِ(٥) المْشركينَ

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢/ ٢٣٢).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ل): يعنون.

(٤) زاد في (م): قالت.

(٥) في (ل): قابلت، والمثبت من (ت)، و(ج).

اسْـتَنْصَرُوا باسْـمِ نَبـيِّ اللهِ مُحَمَّـدٍ ﷺ.

قَوْلُه: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾.

بِئْـسَ: كلِمَـةٌ مُسْـتَوفيةٌ لجمِيـعِ الـذَّمِّ، ونَقِيضُهَـا: «نِعْـمَ». و﴿اشْتَرَوْا﴾ بمعْنَـى: بَاعُـوا، والَّـذِي باعُـوا[1] بِـه قلِيـلٌ مِـنَ الدُّنْيَـا.

قَوْلُـه: ﴿بَغْيًا﴾ قـالَ قتَـادَةُ: حسَـدًا[2]. ومعْنَـى الـكَلَامِ: كفَـرُوا بغْيًـا؛ لأَنْ نـزَّلَ[3] اللهُ الفَضْـلَ[4] عـلَى النَّبـيِّ ﷺ.

وفي قوْلِه: ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ الغَضـبَ الأَوَّلَ لِاتِّخاذِهِـمُ العِجْـلَ، والثَّـانِي: لِكُفْرِهـم بِمحمَّـدٍ، حـكَاهُ السُّـدِّيُّ عـن ابْـنِ مسْـعُودٍ، وابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّـاني: أنَّ الأوَّلَ لِتكذِيبِهِـم رسُـولَ اللهِ ﷺ، والثَّانِي: لِعدَاوَتِهِم لجبرِيلَ[5]. رواهُ شـهْرٌ[6] عـنِ ابْـنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ت)، و(ف): باعُوها.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٤٨).

(٣) في (ف): أنزل.

(٤) في (ج): لأنَّ الله أنزل الفضل.

(٥) في (ف): جبريل.

(٦) شـهر بـن حوشـب الأشـعري، الشَّـامي، أبـو سـعيد، كان مـن كبـار علـماء التابعـين. حـدث عـن: مولاتـه أسـماء، وأبي هريـرة، وعائشـة، وابـن عبَّـاس، وغيرهـم. وعنـه: قتـادة، ومعاوية بـن قـرة، والحكـم بـن عتيبـة، وغيرهـم. قـال عنـه أبـو زرعـة: لا بـأس بـه. وقـال النسـائي: ليـس بالقـوي. تـوفي سـنة (١١٢هــ). انظـر: سـير أعـلام النبـلاء (٤/ ٣٧٢-٣٧٨).

والثَّالث: أنَّ الأَوَّل حِينَ قالُوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، والثَّاني: حِينَ كذَّبُوا نَبِيَّ اللهِ[1]. رَواه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتارَهُ الفرَّاءُ[2].

والرَّابع: أنَّ الأوَّلَ لِتكْذِيبِهِم عِيسَى والإنْجِيلَ، والثَّاني: لِتكْذِيبِهِم بِمُحمَّدٍ والقُرآنِ، قالَه الحسَنُ، والشَّعْبِيُّ، وعِكْرِمَةُ، وأبو العَالِيةِ، وقتَادَةُ، ومُقاتِلٌ.

والخامس: أنَّ الأوَّلَ لِتبْدِيلِهِم[3] التَّوْرَاةَ، والثَّاني: لِتكْذِيبِهِم مُحمَّدًا ﷺ، قالَه مُجاهِدٌ.

والمَهِينُ: المُذِلُّ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعْنِي: القُرآنَ. ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعْنُون: التَّوْراةَ.

وفي قوْلِه: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ **قوْلَانِ**:

أحدُهما: أنَّه أرَادَ بِها سِوَاه. ومثْلُه: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، قالَه الفرَّاءُ، ومُقاتِلٌ[4].

---

(١) في (ف): رسول الله ﷺ.

(٢) معاني القرآن (١/ ٦٠).

(٣) في (ف): لتكذيبهم.

(٤) معاني القرآن (١/ ٦٠).

والثَّاني: بِما [بعْدَ][١] الَّذِي أُنزِل علَيْهِم، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

قوْلُه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعُودُ علَى مَا وراءَهُ.

قوْلُه: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ هذا جوابُ قوْلِهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، فإنَّ الأنْبياءَ جاءُوا بتأْييدِ التَّوْراةِ[٣].

وإنَّما نُسِبَ القتْلُ إلى المُتأخِّرينَ؛ لأنَّهُم في ذلِك[٤] علَى رأْيِ المُتقدِّمينَ. وتقْتُلونَ بمعْنى: قتَلْتُم، فوضَعَ المُستقْبَلَ في موْضِعِ الماضِي؛ لأنَّ الوهْمَ لَا يذْهَبُ إلَى غيْرِه. وأنْشَدُوا في ذلِكَ[٥] [من الكامل]: [٢٤/ب]

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ ... أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ [بِالْعُذْرِ][٦]

أرَادَ: يشْهَدُ[٧].

---

(١) في (ل): يعدل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧٤).

(٣) من قوله: «فلم تقتلون»... إلى هنا ليست في (م).

(٤) في (ف): ذلكم.

(٥) انظر: ديوان الحطيئة (ص: ١٧٩)، ونسب قريش (ص: ١٣٨)، وأنساب الأشراف (٥/ ٣٢)، ومجالس ثعلب (ص: ٧٧)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٣٩٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٩٥) والوليد: هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

(٦) في الأصل، و(ت)، و(ر): بالغدر، والمثبت من (ج) وهو الموافق لما في الديوان والمصادر، ولأن الحطيئة قاله في الوليد بن عقبة بن أبي معيط يعذره ويمدحه، لما كان في زمان عثمان، رفعوا عليه أنه شرب الخمر، فعزله عثمان وجلده الحد، وكان لهذا شأن كبير.

(٧) زاد في (م): هذا سب من الحطيئة للوليد بن عقبة حين شرب الخمر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٩٢، ٩٣].

قوْلُه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ **فِيهَا قوْلَانِ:**

أحدُهما: مَا في الألْوَاحِ مِنَ الحَلالِ والحَرَامِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الآياتُ التِّسْعُ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

وفي هَاءِ «بعْدِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُودُ إلى مُوسَى، فمعْنَاه[1]: مِن بعْدِ انْطِلاقِه إلى الجبَلِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّها تعُودُ إلى المَجِيءِ؛ لأنَّ ﴿جَآءَكُم﴾ يدُلُّ علَى المَجِيءِ[2]، وفي ذكْرِ عِبَادَتِهِمُ العِجْلَ تكْذِيبٌ؛ لِقوْلِهِم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾.

قوْلُه: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابْنُ عبَّاسٍ: كانُوا إذَا نظَرُوا إلى الجبَلِ، قالُوا: سَمِعْنَا وأطَعْنَا، وإذا نظَرُوا إلى الكِتَابِ قالُوا: سَمِعْنَا وعصَيْنَا[3].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) قوله: «لأن جاءكم يدل على المجيء» ليس في (ف).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٨٥٢٤).

قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾؛ أي: سُقُوا حُبَّ العِجلِ، فحذفَ المْضافَ، وهو الحُبُّ[١]، وأقَامَ المْضافَ إليْه مقامَه؛ ومثْلُه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ [أي: وقْتُ الحَجِّ][٢]، وقوْلُه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: ١٩][٣]؛ أي: أهلَها[٤]، وقوْلُه: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقوْلُه: ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ [الإسراء: ٧٥]؛ أي: ضِعْفَ عذَابِ الحيَاةِ، وقوْلُه: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾ [الحج: ٤٠]؛ أي: بُيوتُ الصَّلَواتِ، وقوْلُه: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]؛ أي: مكْرُكُم فِيهِما[٥]، وقوْلُه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]؛ أي: أهلَه، ومِن هذَا قوْلُ الشَّاعِر[٦] [من الكامل]:

أُنبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ ... وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ المَجْلِسُ

---

(١) قوله: «وهو الحب» ليس في (ت).

(٢) من المطبوع.

(٣) زاد في المطبوع: أي: أجعلتم صاحب سقاية الحاج.

(٤) هكذا وقعت في جميع النسخ: قدم التفسير وأخر الآية.

(٥) من قوله: «وقوله لهدمت صوامع» ليس في (م). وفي (ف): مكرهم فيهما.

(٦) البيت للمهلهل في ديوانه (ص: ٢٨٠)، والأمالي؛ لأبي علي (١/ ٩٥)، والكامل؛ للمبرد (١/ ٢٥١)، والعقد الفريد (٣/ ٢٥٠)، ديوان الحماسة (١/ ٣٨٥)، والصناعتين (ص: ٢٠٣).

أي: أهْلُ المْجلِسِ، وقالَ الآخَرُ[١] [من الطويل]:

وَشَرُّ المَنَايَـا مَيِّـتٌ بَـيْنَ أَهلِـهِ ....

أي: وَشَرُّ المْنَايَا مَنِيَّةُ ميِّتٍ [بيْن أهْلِه][٢].

قوْلُـه: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾؛ أي: أن تُكذِّبُـوا المْرسـلِينَ، وتقْتُلـوا[٣] النَّبيِّـينَ بغـيْرِ حـقٍّ، وتكْتُمـوا الهْـُدَى.

قوْلُه: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في «إنْ» قوْلَانِ:

أحدُهُمـا: أنَّهـا بمعْنـى: الجَحْـدِ. والمْعْنَـى: مـا كُنْتُـم مُؤْمِنـين إذْ عصَيْتُـمُ اللهَ، وعبَدْتُـمُ العِجْـلَ.

والثَّـاني: أنْ تكُـونَ شرْطًـا مُعَلَّقًـا بِـمَا قبْلَـه، فالمْعْنـى: إنْ كُنتُـم مُؤمِنـيَن فبِئْـسَ الإيـمانُ إيـمانٌ يأْمُرُكـم بعِبَـادَةِ العِجْـلِ وقتْـلِ الأنْبيـاءِ، ذكرَهُمَـا ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ[٤].

(١) صـدر بيـت للحطيئـة في ديوانـه (ص: ٤٥)، والكتـاب؛ لسـيبويه (١/ ٢١٥)، وشرح أبيـات سـيبويه (١/ ٣٨٦)، أمـالي المرتـضي (١/ ٤٩)، وعجـزه: كَهُلْـكِ الفَتَـى قَـد أَسْـلَمَ الحَـيَّ حَـاضِرُهْ.

(٢) من المطبوع.

(٣) في (ف): تقتلون.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٣).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ٩٤، ٩٦].

قوْلُه: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾.

كانَتِ اليهُودُ تزْعُم أنَّ اللهَ تعَالى لم يخْلُقِ الجنَّةَ إلَّا لإسْرائِيلَ وولَدِه، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ. ومِنَ الدَّليلِ علَى علْمِهم بأنَّ النَّبيَّ ﷺ صادِقٌ، أنَّهم ما تمَنَّوُا المَوْتَ، وأكبَرُ الدَّليلِ علَى صِدْقِه أنَّه أخبَرَ أنَّهم لا يتمَنَّوْنَه بقوْلِه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ فما تمَنَّاهُ أحَدٌ منْهُم.

والَّذِي قدَّمَتْه[١] أيْدِيهم: قتْلُ الأنْبياءِ وتكْذِيبُهُم، وتبْدِيلُ التَّوْرَاةِ.

قوْلُه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ اللَّامُ: لَامُ القسَمِ، والنُّونُ توْكِيدٌ لهُ، والمْعْنَى: ولَتجِدَنَّ اليهُودَ في حَالِ دُعائِهم إلى تمَنِّي المْوْتِ أحْرصَ النَّاسِ علَى حياةٍ، وأحْرَصَ مِنَ الَّذِين أشْرَكُوا.

وفي ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ المْجُوسُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ قُتيْبَةَ[٢]، والزَّجَّاجُ[٣].

---

(١) في (ت)، والذي قد قامت. و(ف): قدمت.

(٢) غريب القرآن (١/ ٥٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧٨).

والثَّاني: مُشْرِكو العَربِ، قالَه مُقاتِلٌ.

قوْلُه: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ في الْهَاءِ والْمِيمِ مِنْ «أَحَدُهُمْ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهَا تعُودُ علَى الَّذِين أشْركُوا، قالَه الفرَّاءُ[١]. [٢٥/أ]

والثَّاني: تَرجِعُ إلى اليَهُودِ، قالَه مُقاتِلٌ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما ذكَرَ أَلْفَ سَنَةٍ؛ لأنَّها نِهَايةُ مَا كانَتِ الْمَجُوسُ تدْعُو بِهَا لِمُلوكِهَا، كان المَلِكُ يُحَيَّا بأَنْ يُقَال لهُ: عِشْ ألفْ نَيْروز، وأَلْفَ مهرجَان[٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ فيهِ قوْلَانِ ذكرَهُما الزَّجَّاجُ:

أحدُهما: أنَّه كنايةٌ عنْ أحَدِهِمُ الَّذِي جَرَى ذكرُهُ، تقْدِيرُه: ومَا أَحدُهُم بِمُزحْزِحِهِ مِنَ العذَابِ تَعمِيرُهُ.

والثَّاني: أنْ يكونَ «هو»[٣] كنَايةً عمَّا جرَى مِنَ التَّعْمِيرِ، فيكُونُ الْمَعْنى: ومَا تعْمِيرُهُ بِمُزحْزِحِه مِنَ العَذَابِ، ثُمَّ جعَل ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ مُبَيِّنًا عنْهُ[٤]؛ كأنَّه قالَ: ذلِك الشَّيءُ الَّذي[٥] ليْسَ بِمُزحْزِحِه مِنَ العذَابِ أنْ يُعمَّرَ[٦].

---

(١) معاني القرآن (١/ ٦٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧٨).

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ج): مبينًا عن ما هو.

(٥) في المطبوع: الدنيء.

(٦) المصدر السابق.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٩٧، ١٠١].

قوْلُه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أقبلَتِ اليَهودُ إلى النَّبي ﷺ، فقَالُوا: مَنْ يأْتِيكَ مِنَ الْمَلائِكَةِ؟ فقَالَ: «جِبْرِيلُ». فقَالُوا: ذاكَ ينْزِلُ بالحَرْبِ والقِتَالِ، ذاكَ عدُوُّنا، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ والَّتي تلِيهَا[1].

وفي «جِبْرِيل» إحْدَى عشَرَ[2] لُغَةً:

أحدُها: «جِبْرِيل» بكسْرِ الجيمِ والرَّاءِ منْ غيْرِ همْزٍ، وهِي لُغةُ أهْلِ

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٩٥٧٢) وبلفظ قريب منه عند الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥ رقم ١٢٤٢٩)، ولفظ أحمد (٤/ ٢٧٧) أبعد منه، أمَّا الترمذي فرواه (٣١١٧) مختصرًا جدًّا.

(٢) في (ج): أحد عشر.

الحِجَازِ، وبِهَا قَرَأَ ابْنُ عامِرٍ، وأَبُو عمْرٍو(١). وقَالَ ورَقَةُ بْنُ نوْفَلٍ(٢):

وَجِبْرِيلُ يَأْتِيهِ وَمِيكَالُ مَعْهُمَا مِنَ اللهِ وَحْيٌ(٣) يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ

وقَالَ عمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ(٤):

وَالرُّوحُ جِبْرِيلُ مِنْهُمْ لَا كِفَاءَ لَهُ وَكَانَ جِبْرِيلُ عِنْدَ اللهِ مَأْمُونَا

وقَال حَسَّانُ(٥):

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

واللُّغَةُ الثَّانِيَةُ: «**جَبْرِيلُ**» بفتْحِ الجِيمِ وكسْرِ الرَّاءِ، وبعدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ مِن غيْرِ همْزٍ، على وزْنِ: فَعْلِيلٍ، وبِهَا قرَأَ الحسَنُ البصْرِيُّ، وابْنُ كثِيرٍ،

---

(١) وهي قراءة متواترة، انظر: الحجة؛ للفارسي (٢/ ١٦٣)، ومعهم حفص عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب واليزيدي، وذُكر فيها ثلاث عشرة لغة، انظر: الدر المصون (٢/ ٢٠-١٨)، البحر (١/ ٢٧٣).

(٢) البيت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، انظر: دلائل النبوة؛ للبيهقي (٢/ ٢٥٠)، وتاريخ ابن عساكر (٦٣/ ١٠).

(٣) في (ف): حق.

(٤) عمران بن حطان السدوسي ترجمته في شعر الخوارج (١/ ١٤٤)، والبحر المحيط (١/ ٤٨٥). وفي (م): عمر بن الخطاب. وفي (ج): عمران بن خطاب.

(٥) في ديوانه (ص: ٧٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ١٨٠)، ومعرفة الصحابة؛ لأبي نعيم (٢/ ٨٤٦)، وتاريخ دمشق؛ لابن عساكر (١٢/ ٤٠٣) **الكفاء**: النظير والمثل.

وابْنُ مُحَيْصِنٍ[١]. وقالَ الفرَّاءُ: لَا أشْتَهِيهَا؛ لأنَّه ليْس في الكلام[٢] فَعْلِيلٌ، ولَا أرَى الحسَنَ قرَأَهَا إلَّا وهُو صَوابٌ؛ لأنَّه اسْمٌ أعْجَمِيٌّ[٣].

والثَّالثة: «جَبْرَئِيل» بفتْح الجِيمِ والرَّاءِ، وبعْدَها همْزةٌ مكْسُورَةٌ، على وزْنِ: جَبْرَعِيلَ، وبِهَا قرأَ الأعْمَشُ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ[٤].

وقال الفَرَّاءُ: وهِي لغةُ تَمِيمٍ وقيْسٍ، وكثِيرٍ مِن أهْلِ نَجْدٍ[٥]. وقالَ الزَّجَّاجُ: هِي أجْودُ اللُّغَاتِ[٦]. قالَ جَرِيرٌ[٧]:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ... وَبِجَبْرَئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالَا

والرَّابعة[٨]: «جَبْرَئِلُ» بفتْحِ الجِيمِ والرَّاءِ وهمْزةٍ بيْنَ الرَّاءِ واللَّامِ،

---

(١) الكامل؛ للهذلي (١/ ٣٧٤)، والبحر (١/ ١٧٣)، والإتحاف (١/ ١٨٨).

(٢) في (ف): في كلام العرب.

(٣) لغات القرآن (ص: ٣١).

(٤) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ١٦٨)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١٦٤). وزاد ابن حيان في البحر المحيط رواية الأعمش (١/ ٢٧٣).

(٥) لغات القرآن (ص: ٣٠). وفي (م): وابن كثير وأهل نجد.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧٩).

(٧) البيت في ديوانه (١/ ٤٨٠)، وتفسير الطبري (٢/ ٣٨٨)، ولغات القرآن (ص: ٣١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧١٥).

(٨) ليست في (م).

مكسُورَةٍ مِن غيْرِ مدٍّ[١] على وزْن جَبْرَعِل، رَوَاها أبو بَكْرٍ عنْ عَاصِمٍ[٢].

والخامِسةُ: «جَبْرَئِلُّ» بفتْحِ الجِيمِ وكسْرِ الهمْزَةِ وتشْديدِ اللَّامِ[٣]، وهِي قِراءَةُ أبانَ عن عَاصِمٍ، ويحْيى بْنِ يَعْمَرَ[٤].

والسَّادسة: «جِبْرَائِيلُ» بهمْزَةٍ مكسُورةٍ[٥] بعْدَها ياءٌ معَ الألِفِ[٦].

والسَّابعة: «جِبْرَايِيلُ» بيائينِ بعْدَ الألِفِ أولاهُما مكسُورَةٌ[٧].

والثَّامنة: «جَبْرِينَ» بفتْحِ الجِيمِ ونونٍ مكانَ اللَّامِ[٨].

والتَّاسعَة: «جِبْرِينُ» بكسْرِ الجِيمِ وبنُونٍ[٩]. قالَ الفرَّاءُ: هِي لغةُ بَنِي أسَدٍ[١٠].

---

(١) في (ف): تشديد.

(٢) وهي قراءة متواترة رواها شعبة عن عاصم. انظر: السبعة (ص: ١٦٧)، معاني القراءات (١/ ١٦٨)، الحجة (٢/ ١٦٤).

(٣) في (م): وتشديد الراء.

(٤) المحتسب (١/ ٩٧)، والدر المصون (٢/ ٢٠).

(٥) في (م): مكسورة بهمزة.

(٦) وعن الأعمش في المحتسب (١/ ٩٧)، وقرأ بها ابن عباس وعكرمة، وهي لغة قيس وتميم، وبها قرأ أهل الكوفة، انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٣٧)، وهي قراءة شاذة.

(٧) وقرأ بها ابن عباس وعكرمة، انظر: البحر (١/ ٢٧٣)، ومعهما الأعمش ويحيى بن يعمر، انظر: الدر المصون (٢/ ٢٠) وهي شاذة.

(٨) هي لغة قرأ بها ابن محيصن في الكامل (١/ ٣٧٥)، والبحر (١/ ٢٧٣)، الدر المصون (٢/ ٢٠).

(٩) لم يُقرأ بها. انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٨٩)، وعن أحمد بن حنبل في الكامل (١/ ٣٧٥)، والبحر (١/ ٢٧٣).

(١٠) معاني القرآن (١/ ٦٣).

وقَـرَأْتُ عـلَى شـيْخِنا أبي منْصُـورٍ اللُّغـويِّ عـنِ ابْـنِ الأنْبَـارِي قـالَ: في جِبْرِيـلَ تسْـعُ لُغَـاتٍ، فذَكَرَهُـنَّ[١].

[٢٥/ ب] وذكَـرَ ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ[٢] في كتَـابِ «الـرَّدِّ عـلَى مَـن خالَـفَ مُصحـفَ عُثْـمانَ»: «جَبْرَائِـل» بفتْـحِ الجِيـم وإثْبَـاتِ الألِـفِ مـعَ همْـزَةٍ مكسُـورَةٍ ليْـسَ بعدَهَـا يـاءٌ. و«جَبْرَئِـينُ» بفتْـحِ الجيـم مـعَ همْـزَةٍ مكْسُـورةٍ بعْدَهـا يـاءٌ ونُـونٌ[٣].

فأمَّا «مِيكَائِيلُ» ففِيه خمْسُ لُغاتٍ:

إحْدَاهُـنَّ: «مِيـكالُ»؛ مثْـلُ: مِفْعَـالٍ بغَـيْرِ همْـزٍ، وهِـي لغَـةُ أهْـلِ الحِجَـازِ، وبِهَـا قـرَأَ أبـو عمْـرٍو[٤]، وحفْـصٌ عـنْ عَاصِـمٍ[٥].

والثَّانيـة: «مِيكَائِيـلُ» بإثْبَـاتِ يـاءٍ سَـاكنَةٍ بعْـدَ الهمْـزَةِ؛ مِثْـلُ: مِيكَاعِيـلَ، وهِـي لُغـةُ تَميـمٍ وقيْـسٍ، وكثِـيرٍ مِـنْ أهْـلِ نَجْـدٍ، وبِهَـا قـرَأَ ابْـنُ[٦] عَامِـرٍ، وابْـنُ كثِـيرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عَاصِـمٍ[٧].

---

(١) المعرب (ص: ٢٥٨).

(٢) من قوله: «قال في جبريل تسع لغات»... إلى هنا ليس في (ج).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (م): أبو عمر.

(٥) معاني القراءات (١/ ١٦٨)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١٦٨)، والمبسوط (ص: ١٣٣).

(٦) في (ج): أبو.

(٧) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ١٦٦-١٦٧)، ومعاني القراءات (١/ ١٦٨)، والمبسوط (ص: ١٣٣).

والثَّالثة: «مِيكَائِلُ»(١) بهمْزةٍ مكْسُورةٍ بعْدَ الألِفِ مِنْ غيْرِ ياءٍ؛ مِثْلُ: مِيكَاعِلَ، وبِهَا قرَأَ نافِعٌ وابْنُ شَنبُوذٍ، وابْنُ الصَّباحِ، جمِيعًا عنْ قُنْبلٍ(٢).

والرَّابعة: «مِيكَئِلُ»؛ مثْلُ: مِيكَعِل(٣)، وبِهَا قرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ(٤).

والخامِسة: «مِيكَائِينُ» بهمْزةٍ معَهَا ياءٌ ونونٌ بعدَ الألِفِ، ذكرَهَا ابْنُ الأنْباريِّ(٥).

قال الكِسَائِيُّ(٦): جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ: اسْمانِ لَمْ تكُنِ العرَبُ تَعْرِفُهُما، فلمَّا جاءَا عرَّبَتْهُما(٧).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: جِبْرِيلُ ومِيكائِيلُ؛ كقوْلِك: عبْدُ اللهِ، وعبْدُ الرحمنِ(٨)، ذهَبَ إلى أنَّ «إِيلُ» اسْمُ اللهِ، واسْمُ المَلَكِ «جَبْر» و«مِيكَا».

---

(١) في (م): ميكائيل.

(٢) معاني القراءات (٢/ ٣٢٢)، والمبسوط (ص: ١٣٣)، وعن ابن شنبوذ في البحر (١/ ١٦٥).

(٣) قوله: «مثل ميكعل» ليس في (ف).

(٤) مختصر ابن خالويه (ص: ١٧)، وشواذ الكرماني (ص: ١٦٤)، «مِيكَئْل» في البحر (١/ ٥١٠).

(٥) وكل هذه القراءات شاذة سوى «مِيكال، مِيكائِيل، مِيكائِل»، وذكر القرطبي أن فيها ست لغات فزاد «مِيكاييل، مِيكاءَل» ولم يذكر «ميكايين». انظر: القرطبي (٢/ ٣٨)، وفي الدر سبع لغات زاد «مِيكئِيل»، انظر: الدر المصون (٢/ ٢٤).

(٦) الاسم ليس في (م).

(٧) حجة القراءات؛ لابن زنجلة (ص: ١٠٨).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٩٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٣).

وقالَ عِكرمَةُ: معْنى جِبْريلَ: عبْدُ اللهِ، ومعْنَى مِيكَائِيلَ: عُبيدُ اللهِ[1].

وقد دخَل جِبريلُ وميكائِيلُ في المَلائِكَةِ، لكنَّه أعَادَ ذِكرَهُما لِشَرفِهِما؛ كقَوْلِه: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وإنَّما قالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقُلْ لهُم، لِيدُلَّ علَى أنَّهم كافِرُون بهذِه العَداوةِ.

قوْلُه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾ الواوُ واوُ العطْفِ، أُدْخلَتْ عليْهَا ألِفُ الاسْتِفهَامِ. قال ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ: والمُشارُ إليْهِمُ اليهُودُ.

وقِيلَ: العهْدُ الَّذي عاهَدُوهُ، أنَّهُم قالُوا: واللهِ لئِنْ خرَجَ مُحمَّدٌ لنُؤْمِننَّ بِه. ورُوِي عنْ عطَاءٍ أنَّهَا العُهودُ الَّتِي كانَتْ بيْنَ رسُولِ الله ﷺ وبيْنَهُم، فنَقَضُوهَا، كفِعْلِ قُريْظَةَ والنَّضِيرِ[2]. ومعْنَى ﴿نَّبَذَهُۥ﴾: رَفضَهُ.

قوْلُه: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعْنِي: اليهُودَ. و«الكتَاب»: التَّوْراةُ.

وفي قوْله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّه القرْآنُ.

والثَّاني: أنَّه التَّوْرَاةُ؛ لأنَّ الكافِرينَ بمُحمَّدٍ ﷺ قدْ نبذُوا التَّوْراةَ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٢٩٦). والعبارة ليست في (ت)، و(ر).

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٤٢).

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢، ١٠٣].

قوْلُه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾.

في سبَبِ نُزولِها قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ اليهودَ كانُوا لا يسألُونَ النَّبيَّ ﷺ عنْ شيْءٍ مِنَ التَّوْراةِ إلَّا أجابَهم، فسألُوهُ عَنِ السِّحْرِ وخاصَمُوه به(١)، فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ أبُو العاليةِ.

والثَّاني: أنَّه لمَّا ذُكِرَ سُليمانُ في القُرآنِ قالَتْ يهودُ المَدينةِ: ألَا تعْجَبُونَ لِمحمَّدٍ يزعُمُ أنَّ ابْنَ داودَ كان نبيًّا؟! واللهِ ما كانَ إلَّا ساحِرًا، فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

و﴿تَتْلُوا﴾ بمعْنَى: تلَتْ، و﴿عَلَى﴾ بمعْنَى: «في» قالَهُ المُبرِّدُ.

---

(١) في (ف): وخاصَمُوا فيه.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وقوْلُه: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: علَى عهْدِ مُلْكِ سُليْمانَ[١].

وفي كيْفِيَّةِ ما تَلَتِ الشَّياطِينُ على مُلْكِ سُليْمانَ سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه لَمَّا خرجَ سُليْمانُ عنْ مُلْكِه كتبَتِ[٢] الشَّياطِينُ السِّحْرَ، ودَفَنَتْهُ في مُصَلَّاهُ، فلمَّا تُوفِّيَ اسْتَخْرَجُوه، وقالُوا: بهذا كانَ يملِكُ المُلْكَ، [٢٦/أ] ذكرَ هذَا المْعنَى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وهو قوْلُ مُقاتِلٍ.

والثَّاني: أنَّ آصِفَ[٣] كانَ يكتُبُ مَا يأْمُرُ بِه سُليْمانُ، ويدْفِنُه تحْتَ كُرسيِّه، فلمَّا ماتَ [سُليْمانُ، استَخْرَجَتْه الشَّياطِينُ، فكتبُوا بيْنَ كُلِّ سطريْنِ سِحْرًا وكذِبًا، وأَضافُوه إلَى سُليْمان، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالثُ: أنَّ الشَّياطِينَ كتبَتِ السِّحرَ بعْد موْتِ سُليْمانَ، ثُمَّ أضافتْهُ إليْه، قالَهُ عِكْرِمَةُ.

والرَّابعُ: أنَّ الشَّياطِينَ ابْتَدَعتِ السِّحْرَ، فأخَذَهُ سُليْمان، فدَفَنَه تحْتَ كُرسيِّهِ لئلَّا يتعَلَّمَهُ النَّاسُ، فلمَّا قُبِضَ اسْتَخرَجَتْه، فعَلَّمَتْهُ النَّاسَ وقالُوا: هذا عِلْم سُليْمانَ، قالَهُ قتَادَةُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٨٣).

(٢) في (م)، و(ج): ابتدعت.

(٣) آصَفُ بنُ بَرْخيا بن سمعيا بن ميكيا، وقال قتادة: ابن بلخيا. كاتب سليمان وصديقه ووزيره.

والخامس: أنَّ سُليمان أخذَ عُهودَ الدَّوابِّ، فكانتِ الدَّابَّةُ إذا أصابتْ إنْسانًا طلَبَ إليْهَا بذلِكَ العَهدِ، فتُخلِّي عنه، فزادَ السَّحرةُ السَّجْعَ والكُفْرَ[١]، قالَهُ أبُو مِجلَزٍ.

والسَّادس: أنَّ الشَّياطِينَ كانَتْ في عهْدِ سُليمانَ تَسْتَرِقُ السَّمْعَ، فتَسْمَعُ مِنْ كلَامِ المْلائِكَةِ ما يكُونُ في الأَرْضِ[٢] مِنْ موْتٍ أو غيْثٍ أوْ أمْرٍ، فيأْتُون الكهَنَةَ فيُخبِرُونَهُم، فتُحدِّثُ[٣] الكهَنَةُ النَّاسَ، فيَجِدُونَه كما قالُوا، حتَّى إذَا أَمِنَتْهُم الكهَنَةُ كذَبُوا لهم، [فَأَدْخلُوا فِيه غيْرَهُ][٤] فزادُوا معَ كُلِّ كلِمَةٍ سبْعِينَ كلِمَةً، فاكْتَتَبَ[٥] النَّاسُ ذلِكَ الحدِيثَ في الكُتُبِ، وفشَا في بَنِي إسْرَائِيلَ أنَّ الجِنَّ تعْلَمُ الغيْبَ، فبَعَثَ سُليمانُ في النَّاس، فجَمَع تلْكَ الكُتُبَ في صُنْدُوقٍ، ثم دفَنَهَا تحتَ كُرسِيِّه، ولم يَكُنْ أحَدٌ مِنَ الشَّياطِينِ يسْتطِيعُ أن يَدْنُوَ مِنَ الكُرسيِّ إلَّا احْتَرَقَ، [وقَالَ: لا أسْمَعُ أحَدًا يذكُرُ أنَّ الشَّياطِينَ يعْلَمُون الغيْبَ إلَّا ضَرَبْتُ عُنقَهُ][٦]، فلمَّا ماتَ سُليمانُ جاءَ شيْطَانٌ إلى [نفرٍ مِنْ بَني إسْرائِيلَ، فدلَّهُم علَى تلْكَ الكُتُبِ، وقالَ: إنَّما كانَ سُليمان يَضْبطُ أمْرَ الخَلْقِ بهذَا ففَشَا فِي النَّاسِ أنَّ سُليمان كانَ ساحِرًا،

---

(١) في المطبوع: والسحر.

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ت): ويُحدِّث.

(٤) من المطبوع.

(٥) في (م): كما كتب الناس.

(٦) من المطبوع.

واتَّخَذَ بنُو إسْرَائيلَ تلْكَ الكُتُبَ، فلمَّا جاءَ مُحمَّدٌ ﷺ، خاصَمُوه بِهَا، هذا قَوْلُ السُّدِّيِّ[١].

و﴿سُلَيْمَٰنَ﴾: اسْمٌ عِبْرَانيٌّ، وقدْ تكلَّمَتْ بهِ العَرَبُ في الجَاهِلِيَّة، وقدْ جعَلَهُ النَّابغَةُ سُليمًا ضَرُورةً[٢]، فقَالَ[٣] [من الطويل]:

.... وَنَسْجُ [سُلَيْمٍ] كُلَّ قَضَّاءَ ذَائِلِ

واضْطرَّ الحُطيْئةُ فجعَلَهُ: سَلَّامًا، فقَالَ[٤] [من البسيط التام]:

فِيهِ الرِّمَاحُ وَفِيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ جَدْلَاءَ مُحْكَمَةٍ مِنْ نَسْجِ سَلَّامِ

وأرَادَا جمِيعًا: داودَ أبَا سُليْمانَ، فلَمْ يسْتَقِمْ لَهُما الشِّعْرُ، فجعَلَاهُ: سُليْمانَ وغَيَّرَاهُ. كذلِك قرأْتُه علَى شيْخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغَويِّ[٥].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٩٧٧).

(٢) في (ت): ضر مرةً.

(٣) عجز بيت في ديوانه (ص: ١٤٦)، وكتاب الجيم (٣/ ١٣٣)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٥١)، (١٢/ ١٥٦)، وجمهرة اللغة (ص: ١٣٢٧)، وكتاب العين (٥/ ١٠)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٢/ ٣٦٦)، والمخصص (٦/ ٧١)، وصدره: وَكُلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ. **والقضاء من الدروع**: التي فرغ من عملها وأحكمت. **والذَّائل**: الدرع الطويلة الذَّيل.

(٤) في ديوانه (ص: ٧٥)، والأغاني (١٢/ ١٣٢)، وجمهرة اللغة (ص: ١٣٢٧).

(٥) تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٤).

وفي قوْلِـه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ دليلٌ علَى كفْرِ السَّاحرِ؛ لأنَّهُم نسَبُوا سُليْمانَ[١] إلى السِّحْرِ، لَا إلَى الكُفْرِ.

قوْلُه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبُو عمْرٍو، وعَاصِمٌ بتَشْديدِ نُونِ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ ونَصْبِ نونِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾. وقَرَأ ابْنُ عامِرٍ وحمْزَةُ والكِسَائِيُّ بتَخْفيفِ النُّونِ مِنْ «لكِنْ» ورفْعِ نُونِ «الشَّياطِين»[٢].

قوْلُه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾.

وقَرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وسَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والزُّهرِيُّ «المَلِكَينِ» بكسْرِ اللَّامِ، وقِرَاءةُ الجمْهُور أصَحُّ[٣].

وفي «مَا» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها معْطُوفةٌ علَى «مَا» الأُولَى، فتَقْديرُهُ: واتَّبعُوا مَا تتْلُو الشَّياطينُ ومَا أُنزِل علَى المَلكيْنِ. [٢٦/ ب]

والثَّاني: أنَّها معْطُوفةٌ على السِّحرِ، فتقْدِيرُهُ: يُعلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ، ويُعلِّمُونَهُم مَا أُنْزِل علَى المَلَكيْنِ.

---

(١) في (ف): نسَبُوه.

(٢) السبعة (ص: ١٦٧-١٦٨)، والمبسوط (ص: ١٣٤).

(٣) مختصر ابن خالويه (ص: ١٧)، وزاد المحتسب الضحاك (ص: ١٠٠)، وزاد الكامل قتيبة (ص: ٤٩٠). أما رواية سعيد والزهري فلم أقف عليها. وفي (ف): وقرأ الجمهور الملَكين.

فإنْ قِيل: إذَا كانَ السِّحْرُ نَزلَ علَى المَلَكيْنِ، فلِماذَا كُرِهَ؟.

فالجَوَابُ مِن وجْهَيْنِ: ذكرَهُما ابْنُ السَّرِيِّ:

أحدُهما: أنَّهما كانَا يُعلِّمَانِ النَّاسَ: ما[1] السِّحْرُ، ويأْمُرانِ باجْتِنَابه، وفِي ذلِكَ حِكْمَةٌ؛ لأنَّ سَائِلًا لوْ قالَ: مَا الزِّنا؟ لوجَبَ أنْ يُوقفَ عليْه، ويُعْلَم أنَّه حَرامٌ.

والثَّاني: أنَّه مِنَ الجائِزِ أنْ يكُونَ اللهُ تعَالى امْتحَنَ النَّاسَ بالمَلَكينِ، فمَن قَبِلَ التَّعلُّمَ كانَ كافِرًا، ومَنْ لم يَقبلْهُ فهو مُؤمِنٌ، كما امْتحَنَ بنَهرِ طَالوتَ[2].

وفي الَّذِي أُنزِل علَى المَلَكيْنِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه سِحْرٌ، رُوي عنِ ابْنِ مسْعُودٍ، والحسَنِ، وابْنِ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه التَّفرِقَةُ بيْنَ المرْءِ وزوْجِه، لَا السِّحرُ، رُوي عنْ مُجاهِدٍ، وقتَادةَ، وعنِ ابْنِ عبَّاسٍ كالقوْليْنِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذَا مِنْ بابِ السِّحرِ أيْضًا[3].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٨٥).

الإِشَارةُ إِلَى قِصَّةِ المَلَكَيْنِ

ذكَـرَ العُلَـماءُ أنَّ المْلَكَـيْنِ إنَّـما أُنـزِلا إلَى الأرْضِ لسَـبَبٍ، وهُـوَ أنَّـه لَمَّـا كثُـرَتْ خطَايَـا بَنِـي آدمَ دعَـتْ علَيْهِـمُ المْلائِكَـةُ، فقَـال اللهُ تعَـالى: لَـوْ أنْزلْـتُ الشَّـهوَةَ والشَّـيطَانَ(١) منْكُـم منْزِلَهُـما مِـن بنِـي آدَمَ، لفعَلْتُـم مثْـلَ مَـا فعَلُـوا، فحَدَّثُـوا أنْفُسَـهم أنَّهُـم إنِ ابْتُلـوا، اعْتَصَمُـوا، فأَوْحَـى اللهُ إليْهِـم أنِ اخْتَـارُوا مِـن أفْضَلِكـم ملَكَـيْنِ، فاخْتَـارُوا هـاروتَ ومَـارُوتَ. وهـذَا مَـروِيٌّ عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ، وابْـنِ عبَّـاسٍ.

واختلَفَ العُلَماءُ ماذَا فعَلَا مِنَ المْعْصِيةِ علَى ثلَاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُما زَنَيا، وقَتَلا، وشَرِبَا الخَمْرَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُما جارَا في الحُكْمِ، قالَه عُبيدُ اللهِ بْنُ عبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ.

والثَّالث: أنَّهُما همَّا بالمْعْصِيةِ فقَطْ.

ونُقِـل عـنْ علـيٍّ أنَّ الزُّهـرَةَ أتَتْهُـما وهِـيَ امْـرَأةٌ فأرَادَهَـا(٢) كُلُّ واحِـدٍ منْهُـما علَى نفْسِـها، ولم يُعلِـمْ صاحِبَـه، وكانَـا يصْعَـدانِ السَّـماءَ آخِـرَ النَّهَـارِ، فقالَـتْ لهُـما: بِـمَ تَصْعَـدانِ وتَهبطَـانِ(٣)؟ قـالَا: باسْـمِ اللهِ الأعْظَـمِ، فقَالَـتْ:

---

(١) في (ف): أزلت الشيطان والشهوة.

(٢) في المطبـوع: أن الزهـرة كانـت امـرأة جميلـة وأنهـا خاصمـت إلى الملكـين هـاروت ومـاروت، فراودهـا.

(٣) في (ف): بم تهبطان وتصعدان.

مَـا أنَـا بِمُؤاتِيتُكُـما[١] إلَى مَـا تُرِيـدانِ حتَّـى تُعلِّمانِيـه، فعَلَّماهَـا إيَّـاه، فطَـارَتْ إلى السَّـماءِ، فمَسَـخَها اللهُ كوْكبًـا[٢].

وفي الحَدِيـث أنَّ النَّبـيَّ ﷺ لعَـنَ الزُّهـرةَ، وقـالَ: «إنَّهـا [فتَنَـتْ][٣] ملَكَـيْنِ»[٤]. إلَّا أنَّ هـذِه الأشْـياءَ بعِيـدةُ الصِّحَّـةِ.

وتَـأوَّلَ بعْضُهـم هـذَا فقَـالَ: إنَّـه لَمَّـا رأى الكَوْكـبَ، ذكَـرَ تلْـكَ المـْرأةَ، [لَا][٥] أنَّ المَـرْأةَ مُسِـخَتْ نَجْـمًا[٦].

واختَلَفَ العُلَماء في كيْفِيَّة عذَابِهما:

فـرُوِي عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ أنَّهُـما مُعَلَّقـانِ بِشُـعورِهِما إلى يـوْمِ القِيامَـةِ. وقـالَ مُجاهِـدٌ: إنَّ جُبًّـا مُلِـئَ نـارًا فجُعِـلَا فِيـه[٧].

فأمَّا «بَابلُ» فرُوي عنِ الخَليلِ أنَّ ألْسُن النَّاسِ تبَلْبَلتْ[٨] بِها[٩].

---

(١) في (ف): بمُواتيكما.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٤٣).

(٣) في (ل): فتنتا.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (رقم: ١٨١)، وابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة (٦٥٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢١٦).

(٥) في (ل): إلا.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٤٧).

(٨) أي: اخْتلَطتْ.

(٩) العين (٨/ ٣٢٠).

واخْتلَفُوا في حدِّها علَى ثلاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّهَا الكُوفةُ وسَوَادُهَا، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ.

والثَّاني: أنَّهَا مِن نَصِيبِينَ إلَى رأسِ العَيْنِ، قالَهُ قتَادَةُ.

والثَّالث: أنَّهَا جبَلٌ فِي وَهْدَةٍ[١] مِنَ الأَرْضِ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

قوْلُه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: اخْتِيارٌ، وابْتِلاءٌ.

قوْلُه: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يُريد: بقَضَائِه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾: إشَارَةٌ إلى اليهُودِ لمَنِ اشْتَراهُ، يعْنِي: اخْتَارَهُ، يُريد: السِّحرَ. واللَّامُ لامُ اليَمِينِ.

فأمَّا «الخَلاقُ»: قالَ الزَّجَّاجُ: هو النَّصِيبُ الوافِرُ مِنَ الخَيْرِ.

قوْلُه: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: بَاعُوهَا بِه ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: العِقَابَ فِيه. [٢٧/أ]

***

(١) المكان المنخفض من الأرض.

فَصْلٌ

اختَلَف الفُقهَاءُ في حُكْمِ السَّاحِرِ[(١)]:

فمذْهَبُ إمَامِنا][(٢)] أحْمَدَ) أنَّه يكْفُر بسِحْرِه، قتَلَ بِه، أوْ لم يقْتُلْ، وهَل تُقبَلُ توْبَتُه؟ علَى رِوَايتَيْنِ[(٣)].

وقال الشَّافِعيُّ ﷺ: لا يكْفُر بسِحْرِه، فإنْ قتَلَ بسِحْرِه، وقالَ: سِحْرِي يقْتُل مثْلَهُ[(٤)]، وتعَمَّدْتُ ذلِك، قُتِلَ قوَدًا. فإنْ قالَ: قدْ يقْتُلُ، وقدْ يُخطِئُ، لم يُقتَلْ، وفِيهِ الدِّيَةُ[(٥)].

وأمَّا سَاحِرُ أهْلِ الكتَابِ، فإنَّه لا يُقتَلُ عنْدَ أحْمَدَ إلَّا أنْ يضُرَّ بالمُسلِمينَ][(٦)]، فيُقْتَلُ لنقْضِ العَهْدِ، وسَواءٌ في ذلِك الرَّجُلُ والمْرأَةُ[(٧)].

وقال أبو حنِيفَة: حُكْمُ ساحِرِ أهْلِ[(٨)] الكِتَابِ حُكْمُ سَاحِرِ المُسلِمِينَ

---

(١) في (ت): الساحرة.

(٢) ما بين المعكوفين ليس في (ج).

(٣) المغني (٩/ ٣٢).

(٤) كذا في النسخ الخطية، وفي المصادر: غالبًا. وانظر: الأم؛ للشافعي (١/ ٢٩٣)، وروضة الطالبين (٩/ ١٢٧).

(٥) الحاوي الكبير (١٣/ ٩٦).

(٦) ما بين المعكوفين ليس في (م).

(٧) الكافي (٤/ ١٦٥).

(٨) في (ج): أكل.

في إيجَابِ القتْلِ، فأمَّا المْرأَةُ السَّاحِرةُ، فقَالَ: تُحْبَسُ، ولَا تُقْتَلُ[١].

قوْلُه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا واتقوا﴾ يعْنِي: اليهُودَ. و«المْثُوبَةُ»: الثَّوابُ. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أي: يعمْلُونَ بعِلْمِهِم[٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٤، ١٠٥].

قوْلُه: ﴿لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا﴾.

قرَأَ الجمْهُورُ بِلا تَنْوينٍ، وقرَأَ الحسَنُ، والأعْمَشُ، وابْنُ مُحيْصِنٍ بالتَّنْوينِ[٣]. و﴿رَٰعِنَا﴾ بلا تنْوينٍ مِن رَاعَيْتُ، وبالتَّنْوينِ مِنَ

---

(١) البناية شرح الهداية (٧/ ٢٩٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٨٢).

(٣) في البحر المحيط (١/ ٣٣٨): وقرأ الحسن، وابن أبي ليلى، وأبو حيوة، وابن محيصن: «راعنا» بالتنوين، جعله صفة لمصدر محذوف؛ أي: قولًا راعنا... فنهوا في هذه القراءة عن أن يخاطبوا الرسول بلفظ يكون فيه أو يوهم شيئًا من الغض مما يستحقه ﷺ من التعظيم وتلطيف القول وأدبه. وقال الطبري (٢/ ٤٦٦): وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة، فغير جائز لأحد القراءة بها؛ لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين، وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين. وانظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٧)، والكامل؛ للهذلي (١/ ٤٩٠)، وشواذ الكرماني (ص: ٦٦). والعبارة بكاملها ليست في (ج).

الرُّعونَـةِ(١)، قـال ابْـنُ قُتيْبَـةَ(٢): «رَاعِنًـا» بالتَّنْويـنِ: هـو اسْـمٌ مأْخـوذٌ مِـنَ [الرَّعْــنِ](٣) والرُّعُونَــةِ، أرَادَ: لَا تقُولُـوا: جهْـلًا ولَا حُمْقًـا(٤). وقـال غـيْرُه: كانَ الرَّجُـلُ إذا أرَادَ اسْـتِنْصَاتَ صَاحِبِـه، قـالَ(٥): رَاعِنـي(٦) سـمْعَك، فـكانَ الْمنافقِـونَ يقُولُـون: رَاعِنًـا، يُريـدونَ: أنْـتَ أرْعَـنُ(٧).

وقوْلُـه: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ بمعْنَـى: انْتَظِرْنَـا، وقـالَ مُجاهِـدٌ: انْظُرْنَـا: اسْـمَعْ مِنَّـا(٨). وقـالَ ابْـنُ زيْـدٍ: لا تَعْجَـلْ علَيْنَـا(٩).

قوْلُه: ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾؛ أي: مَا تُؤْمَرُونَ بِه(١٠).

قوْلُه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

قـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: هـمْ يهُـودُ الْمدِينـةِ، ونصَـارَى نَجْـرَانَ، فالْمشركـون(١١)

---

(١) من قوله: «راعنا بلا تنوين»... إلى هنا ليست في (ت)، و(ر).

(٢) زاد في (م): في قراءة الحسن.

(٣) من المطبوع.

(٤) غريب القرآن (١/ ٦٠).

(٥) سقطت من (م).

(٦) في (ت)، و(ر)، و(ج): أَرْعِنِي.

(٧) تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/ ٦٠).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٧٣- ٣٧٤).

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٠٨).

(١٠) العبارة ليست في (ت)، و(ر).

(١١) في (ف): والمشركون.

مُشرِكُو أهْلِ مكةَ[١]. ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾؛ أي: علَى رسُولِكُم ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [أرادَ][٢]: النُّبوَّةَ والإسْلَامَ.

وقالَ أبو سُليمان الدِّمَشقيُّ: أرَادَ بالخَيْرِ: العلمَ والفِقهَ والحِكْمَةَ.

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

في هذِه الرَّحْمَةِ قوْلَانِ[٣]:

أحدُهما: أنَّهَا النُّبوَّةُ. قالَهُ عليُّ بْنُ أبي طَالِبٍ، ومُحمَّدُ بْنُ عليِّ بْنِ الحُسَيْنِ، ومُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ[٤].

والثَّاني: أنَّهَا الإِسْلامُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٦، ١٠٨].

قوْلُه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ل): أرادوا.

(٣) في (ت): في لأن.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٨٥).

سَبَبُ نُزولِهَا:

أنَّ اليهُـودَ قالـتْ لَمَّـا نُسـخَتِ القِبْلـةُ: إنَّ محمَّـدًا يُحِـلُّ لأصْحَابِـه إذَا شَـاءَ، ويُحـرِّمُ عليْهِـم إذَا شَـاءَ فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: النَّسْـخُ في اللُّغـةِ: إبْطَـالُ شيْءٍ وإقَامَـةُ آخَـرَ مقَامَـهُ، تقُـولُ العـرَبُ: نسـخَتِ الشَّـمسُ الظِّـلَّ؛ إذَا أذْهَبتْـهُ وحَلَّـتْ محَلَّـهُ[١].

وفي المْراد بِهَذا النَّسْخ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: رفْعُ اللَّفْظ والحُكمِ.

والثَّـاني: تبْدِيـلُ الآيَـة بغَيْرِهـا. رُوِيـا عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، والأَوَّلُ قـوْلُ السُّـدِّيِّ، والثَّـانِي قـوْلُ مُقاتِـلٍ.

والثَّالـث: رفْـعُ الحُكْـمِ مـعَ بقَـاءِ اللَّفْـظِ، رَوَاه مُجاهِـدٌ عـنْ أصْحَـابِ ابْـنِ مسْـعُودٍ، وبِـه[٢] قـال أبـو العَالِيـةِ.

وقَـرَأَ ابْـنُ عامِـرٍ: «نُنْسِـخْ» بضَـمِّ النُّـونِ، وكـسْرِ السِّـينِ[٣]. قـال أبـو عَلِيٍّ: أي: مَـا نجِـدُه منْسُـوخًا؛ كقوْلِـك: أحمَـدْتُ فُلانًـا؛ أي: وجدْتُـه محْمُـودًا، وإنَّـما

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٨٥).

(٢) ليست في (م).

(٣) السبعة (ص: ١٦٨)، ومعاني القراءات (١/ ١٦٩)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١٨٤).

يَجِدُه(١) منْسوخًا(٢) بنَسْخِه إيَّاه(٣).

قوْلُه: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثِيرٍ وأبُو عمْرٍو: «نَنْسَأْهَا» بفَتْحِ النُّون مع الهَمْزَةِ(٤)، [٢٧/ب] والمْعْنَى: نُؤخِّرُهَا. قال أبو زيْدٍ: نسَأْتُ الإبِلَ عنِ الحَوْضِ، فأنَا أنْسَأُهَا؛ إذَا أخَّرتُهَا، ومنْهُ: النَّسِيئةُ في البَيْعِ(٥).

وفي معْنَى نُؤخِّرُهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: نُؤخِّرُهَا عنِ النَّسْخِ فلا نَنْسخُها، قالَهُ الفرَّاءُ(٦).

والثَّاني: نُؤَخِّرُ إنْزالَهَا، فلا نُنْزِلُهَا ألْبتَّةَ.

والثَّالث: نُؤَخِّرُهَا عنِ العمَلِ بِها بِنَسْخِنَا إيَّاهَا، حكَاهُما أبو علِيٍّ الفَارِسِيُّ(٧).

---

(١) في (ف): تجده.

(٢) من قوله: «كقولك أحمدت فلانًا»... إلى هنا ليس في (ت)، و(ر).

(٣) الحجة للقراء السبع (٢/ ١٨٥).

(٤) السبعة (ص: ١٦٨)، ومعاني القراءات (١/ ١٦٩)، والمبسوط (ص: ١٣٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٥٨)، ومقايس اللغة (٥/ ٤٢٣).

(٦) معاني القرآن (١/ ٦٤).

(٧) الحجة للقراء السبع (٢/ ١٨٦).

وقَرأَ سعْدُ بْنُ أبي وقَّاصٍ: «تَنْسَهَا»[١] بتَاءٍ[٢] مفْتُوحَةٍ ونُونٍ[٣]. وقَرأَ سعِيدُ بْنُ المسيِّب والضَّحَّاكُ: «تُنْسَهَا» بضَمِّ التَّاءِ[٤]. وقرأَ نافِعٌ: «أَوْ نُنْسِهَا» بِنُونَيْنِ[٥]: الأُولى مضْمُومَةٌ، والثَّانِيةُ ساكِنَةٌ. أَراد: أو نُنْسِكَهَا[٦]، مِنَ النِّسْيَانِ[٧].

قوْلُه: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بأَلْيَنَ منْهَا، وأيْسَرَ علَى النَّاسِ[٨].

قوْلُه: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾؛ أي: فِي الثَّوَابِ والمْنْفعةِ، فتكُونُ الحكْمَةُ في تبْدِيلِهَا بمثْلِهَا الاخْتِبارَ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ لفظُهُ لفظُ الاِسْتفْهَامِ، ومعْنَاهُ التَّوْقِيفُ والتَّقْرِيرُ. و«المُلْك» في اللُّغة: تَمَامُ القُدْرةِ واسْتِحكَامُها، فاللهُ ﷻ يحْكُم بِمَا يَشَاءُ علَى عبَادِه ويُغَيِّرُ مَا يشَاءُ مِنْ أحْكَامِه.

---

(١) في الأصل، و(ج): تنساها، والمثبت من (ت)، و(ر)، و(ف)، وانظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤).

(٢) في (ج): بياء.

(٣) مختصر ابن خالويه (ص: ١٧)، والمحتسب (١/ ١٠٣)، وشواذ الكرماني (ص: ٦٦).

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) في (م): بتنوين.

(٦) في الأصل، و(ج): ننسها، والمثبت من (ت)، و(ر)، و(ف).

(٧) السبعة (ص: ١٦٨)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١٨٦)، والمبسوط (ص: ١٣٤).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٠٦٧).

قوْله: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ ﴾.

في سبَبِ نُزولها خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ رافعًا، ووهْبَ بْنَ زيْدٍ، قالَا لِرسولِ اللهِ ﷺ: ائْتِنا بكتَابٍ نقْرَؤُه تُنزِّلُه علَيْنا مِنَ السَّماءِ، وفجِّرْ لنَا أنْهارًا حتَّى نتَّبِعَكَ، فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ قريشًا سألَتِ النَّبيَّ ﷺ أنْ يجْعَلَ لهمُ الصَّفا ذهَبًا، فقَالَ: «هُوَ لَكُمْ كَالمَائِدةِ لبَنِي إِسْرَائِيلَ» فأَبَوْا. قالَهُ مجاهِدٌ[١].

والثَّالثُ: أنَّ رجلًا قالَ: يا رَسُولَ اللهِ ﷺ! لو كانتْ كفَّارَاتُنا ككفَّاراتِ بني إسْرائِيلَ، فقَال النَّبيُّ ﷺ: «اللهُمَّ لَا نَبْغِيهَا -ثلاثًا- مَا أَعْطَاكُمُ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا أَعْطَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَ أَحَدُهُمُ الْخَطِيئَةَ وَجَدَهَا مَكْتُوبَةً عَلَى بَابِهِ وَكَفَّارَتَهَا، فَإِنْ كَفَّرَهَا كَانَتْ لَهُ خِزْيًا فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ لَمْ يُكَفِّرْهَا كَانَتْ لَهُ خِزْيًا فِي الآخِرَةِ، فَمَا أَعْطَاكُمُ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا أَعْطَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾... الآيَةَ [النساء: ١١٠]. وقَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ» فنزَلَتْ هذه الآيةُ، قالَه أبو العاليةِ[٢].

---

(١) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٢١٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٠٧٥).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم(١٠٧٦) .

والرَّابع: أنَّ عبْدَ اللهِ بْنَ أبي أُميَّة المْخزوميَّ أتى النَّبيَّ ﷺ في رهْطٍ من قريْشٍ، فقالَ: يا محمَّدُ! واللهِ لا أُؤمنُ بكَ حتَّى تأتيَ باللهِ والملائكةِ قَبيلًا، فنزلَتْ هذه الآيةُ. ذكرَهُ ابنُ السَّائبِ[(١)].

والخامس: أنَّ جماعةً منَ المْشركينَ جاءوا إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال بعْضُهم: لن نُؤمنَ لك حتَّى تُفجِّرَ لنا منَ الأرْضِ ينبُوعًا. وقالَ آخرُ: لنْ أُؤْمنَ[(٢)] لكَ حتَّى تُسيِّرَ عنَّا جبالَ مكَّةَ. وقالَ عبْدُ الله بْنُ أبي أُميَّةَ: لن أُؤمنَ[(٣)] لكَ حتَّى تأْتيَ بكتابٍ منَ السَّماءِ، فيه: منَ اللهِ ربِّ العالمين إلى ابنِ أبي أُميَّةَ[(٤)]: اعْلمْ أنِّي قد أرْسلْتُ محمَّدًا إلى النَّاسِ. وقالَ آخرُ: هلَّا جئْتَ بكِتابكَ مُجتمعًا، كما جاءَ مُوسى بالتَّوْراةِ. فنزلَتْ هذه الآيةُ. ذكرَهُ محمَّدُ بْنُ القاسمِ الأنْبارِي[(٥)].

وفي المْخاطَبين بهذِه الآيةِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم قريْشٌ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ.

والثَّاني: اليهُودُ، قالَهُ مُقاتِلٌ. [٢٨/أ]

والثَّالث: جميعُ العرَبِ، قالَهُ أبو سُليْمانَ الدِّمَشقيُّ.

---

(١) هو محمد بن السائب الكلبي، وقد كذبه غير واحد، ورواياته ساقطة ليست بشيء. وانظر: العجاب (١/ ٣٥٠).

(٢) في (ف): نؤمن.

(٣) في (ف): نؤمن.

(٤) من قوله: «لن أؤمن لك»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٥) لم أقف عليه.

وفِي «أَمْ» قوْلانِ:

أحدهما: أنَّهَا بمعْنَى: بَلْ، تقُول العرَبُ: هَلْ لكَ علَيَّ حَقٌّ، أمْ أنْتَ معْرُوفٌ بالظُّلْم. يُريدون: بَلْ أنْتَ. وأنْشَدُوا[١] [من الطويل]:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصُورَتِهَا، أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ

ذكرَهُ الفرَّاءُ[٢]، والزَّجَّاجُ.

والثَّاني: أنَّهَا بمعْنَى الِاسْتِفهَامِ.

فإنِ اعْتَرَضَ معْتَرِضٌ، فقَال: إنَّما تكُونُ للاسْتِفْهام[٣] إذا كانَتْ مَرْدُودةً علَى اسْتِفْهامٍ قبْلَها، وأينَ الاسْتِفهَامُ الَّذِي تقَدَّمَها؟ فعنْهُ جوابَانِ:

أحدهما: أنه قد تقدمها استفهام، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ذكره الفراء[٤]، وكذلك قال ابن الأنباري: هي مردودة على الألف في: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾[٥].

---

(١) البيت للشاعر ذي الرمة في ديوانه (ص: ٣١١)، والمحتسَب (١/ ٩٩)، والخصائص (٢/ ٤٥٨)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٧٢)، والصحاح (٦/ ٢٢٧٥)، قرن الشمس: أعلاها. وصورتها: بالجرِّ عطف على قرن. وأملح: من ملح الشيء -بالضم- ملاحة؛ أي: بهج وحسن منظره.

(٢) معاني القرآن (١/ ٧٢).

(٣) في (ف): إنما يكون الاستفهام.

(٤) معاني القرآن (١/ ٧١- ٧٢).

(٥) لم أقف عليه.

فـإنِ اعْـتُرِضَ عـلَى هـذا الجَـوَابِ، فقِيـل: كيْـفَ يصِـحُّ العطْـفُ ولفْـظُ: «أَلَمْ تَعْلَـمْ» يُنْبِـئُ عـنِ الوَاحِـدِ، وتُرِيـدُونَ عـنْ جماعَـةٍ؟

فالجـوَابُ: أنّـه إنّـما رجَـعَ الخِطَـابُ مِـنَ التَّوْحِيـدِ إلى الجمْـعِ؛ لأنَّ مـا خُوطِـبَ بِـه النَّبـيُّ ﷺ فقَـدْ خُوطِبَـتْ بِـه أُمَّتُـه، فاكْتَفَـى بِـه مِـنْ[1] أُمَّتِـه في المْخاطَبـةِ الأُولى، ثُـمَّ أُظْهِـرَ المْعْنَـى في المْخاطَبـةِ الثَّانيـةِ؛ ومثْـلُ هـذَا قوْلُـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطـلاق: ١]. ذكَـرَ هـذَا الجَـوابَ ابْـنُ الأَنْبـارِيِّ[2].

وأمَّـا الجَـوَابُ الثَّـاني عـنْ «أَمْ»: [فهُـو][3] أنَّهَـا لِلاسْـتِفهامِ، ولَيْسـتْ مَـرْدُودةً عـلَى شيْءٍ. قـالَ الفـرَّاءُ: إذَا توَسَّـطَ الِاسْتِفهامُ الـكَلامَ ابْتُـدِئَ بالأَلِـفِ وبِـ«أَمْ»، وإذَا لم يَسـبقْهُ كلامٌ لم يكُـن إلَّا بالألِـفِ أوْ بِـ«هَـلْ»[4].

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: «أَمْ» جَاريـةٌ مجـرَى «هَـلْ»، غَـيْرَ أنَّ الفـرْقَ بيْنَهُـما: أنَّ «هَـل» اسْـتِفهَامٌ مُبتـدأٌ، لَا يتوسَّـطُ ولا يتأَخَّـرُ، وَ«أَم»: اسْـتِفهَامٌ مُتوسِّـطٌ[5]، لا يكُـونُ إلَّا بعْـدَ كَلامٍ[6].

---

(١) كتب ناسخ (ف): عن. ووضع فوقها: من.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في الأصل: فهي، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن (١/ ٧٢).

(٥) في (ف): يتوسط.

(٦) لم أقف عليه.

فأمَّا «الرَّسُولُ» هاهُنا: فهو مُحَمَّدٌ ﷺ، والَّذي سُئِل مُوسَى مِنْ قبْلُ قوْلُهُم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وهَلْ سألُوا ذلِك نَبِيَّنا[1] أمْ لا؟ فِيه قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُم سألُوا ذلِك، فقالُوا: لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حتَّى ﴿تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُم بالَغُوا في المَسائِلِ، فقِيل لَهُم بهذِه الآيةِ: لعلَّكُم تُرِيدُون أنْ تسألُوا مُحَمَّدًا أنْ يُرِيَكُمُ اللهَ جهْرةً، قالَهُ أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

والكُفرُ: الجُحُودُ. والإيمانُ: التَّصدِيقُ. وقالَ أبو العالِيةِ: المَعْنى: ومَنْ يتبدَّلِ الشِّدَّةَ بالرَّخاءِ[2]. و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: وَسَطُهُ.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٩، ١١٢].

قوْلُه: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

---

(١) في (م): نبيًا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٠٧٨-١٠٧٩).

في سببِ نُزُولِهَا ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ حُيَيَّ بْنَ أخْطَبَ، وأبَا ياسِرٍ كانَا جاهدَيْنِ في رَدِّ النَّاسِ عنِ الإسْلامِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ كعْبَ بْنَ الأشْرَفِ كانَ يهْجُو النَّبيَّ ﷺ، ويُحرِّضُ عليْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ في شِعْرِه، فكَانَ المُشركُونَ واليَهُودُ مِنْ أهْلِ المدينَةِ يُؤْذُونَ رسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَها، فأُمِرَ النَّبيُّ ﷺ بالصَّفْحِ عنْهُم، ونزلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ عبْدُ اللهِ بْنُ كعْبِ بْنِ مَالِكٍ.

[٢٨/ب] والثَّالثُ: أنَّ نفَرًا مِنَ اليهُودِ دَعَوْا حُذيْفَةَ وعمَّارًا إلى دينِهِم، فأَبَيَا، فنزَلَتْ هذه الآيةُ، قالَه مُقاتِلٌ[(١)].

ومعْنَى ﴿ وَدَّ ﴾: أحبَّ وتمَنَّى. و﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: اليهُودُ.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ مَوصُولٌ: بـ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ ﴾ لَا بقوْلِه: ﴿حَسَدًا ﴾؛ لأنَّ حسَدَ الإنْسَانِ لَا يكُونُ إلَّا مِنْ عنْدِ نفْسِه[(٢)]. والمعْنَى: مَوَدَّتُهُم [لِكُفْرِكُم][(٣)] مِنْ عنْدِ أنْفُسِهم، لَا أنَّه عنْدَهُمُ الحَقُّ.

فأمَّا «الحسَدُ»: فهُو تمَنِّي زَوالِ النِّعْمَةِ عنِ المحْسُودِ، وإنْ لَمْ يَصِرْ للحَاسِدِ مثْلُها، وتُفارِقُه الغِبْطَةُ؛ فإنَّها تمَنِّي مثْلِهَا مِنْ غيْرِ حُبِّ زَوَالِهَا عَنِ المغْبُوطِ.

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ١٣٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٣).

(٣) في الأصل، و(ج): لكفرهم، والمثبت من (ت)..

وحدَّ بعْضُهم الحسدَ؛ فقَالَ: هو أذًى يَلْحقُ بِسَببِ العِلْمِ بِحُسْنِ حَالِ الأَخْيَارِ، فلَا يجُوزُ أنْ يكُونَ الفاضِلُ حَسُودًا؛ لأنَّ الفَاضِلَ يجْرِي علَى مَا هُو الجَمِيلُ(١).

قالَ بعْضُ الحُكَماءِ: كُلُّ أحدٍ يُمكِنُ أَنْ تُرْضِيَه إلَّا الحَاسِدَ، فإنَّه لَا يُرْضِيهِ إلَّا زَوال نعمتك(٢).

وقالَ الأَصْمَعِيُّ: سَمِعتُ أعْرَابِيًّا يقُولُ: مَا رأيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الحَاسِدِ، حُزْنٌ لَازِمٌ، ونَفَسٌ(٣) دَائِمٌ، وعَقْلٌ هَائِمٌ، وحَسْرَةٌ لَا تنْقَضِي(٤).

قوْلُه: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فجَاءَ اللهُ بأمْرِه في النَّضِيرِ بالجَلَاءِ والنَّفْيِ، وفِي قُرَيْظَةَ بالقَتْلِ والسَّبْيِ(٥).

❁ ❁ ❁

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٧٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (م): تعيس.

(٤) الظرف والظرفاء (١/ ٥).

(٥) لم أقف عليه.

فَصْلٌ

وقـدْ رُوي عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ، وابْـنِ عبَّـاسٍ، وأبِي العَالِيـةِ، وقتـادَةَ: أنَّ العَفْـوَ والصَّفْـحَ منْسُـوخٌ بقولـه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبـة: ٢٩]، وأبَـى هـذَا القَـوْلَ جماعَـةٌ مِـنَ المُفسِّريـنَ والفُقَهـاءِ، واحْتجُّـوا بـأنَّ اللهَ تعَـالى لَمْ يأْمُـرْ بالصَّفْـحِ والعفْـوِ مُطْلقًـا، وإنَّـما أمَـر بِـه إلَى غايَـةٍ، ومَـا بعْـدَ الغَايَـةِ يُخالِـفُ حُكْـمَ مَـا قَبْلَهـا، ومَـا هـذَا سَـبِيلُه لا يَكُـونُ مِـنْ بَـابِ المَنْسُـوخِ، بَـلْ يكُـونُ الأَوَّلُ قـدِ انْقضَـتْ مُدَّتُـه[١] بغَايَتِـه، والآخَـرُ يحتَـاجُ إلى حُكْـمٍ آخَـرَ[٢].

قوْلُه: ﴿تَجِدُوهُ﴾؛ أي: تَجِدُوا ثَوابَهُ.

قوْلُه: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾.

قـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: اخْتَصَـم يهُـودُ المَدِينَـةِ ونَصَـارى نَجْـرانَ عنْـدَ النَّبـيِّ ﷺ، فقَالَـتِ اليهُـودُ: ليْسَـتِ النَّصـارَى عـلَى شيْءٍ، ولا يدْخُـلُ الجنَّـةَ إلَّا مَـنْ كانَ يهُودِيًّـا، وكفَـرُوا[٣] بالإنْجيـلِ وبِعيسَـى[٤]، وقالَـتِ النَّصـارى: ليْسَـتِ اليهُـودُ عـلَى شيْءٍ، وكفَـرُوا بالتَّـوْرَاةِ ومُوسَـى، فقَـالَ اللهُ تعَـالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[٥].

---

(١) في (م): صلاته.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٢/ ٤٢٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره رقـم (١٠٨٩)، والبيهقـي في دلائـل النبـوة (٢/ ٥٨٢).

(٣) في (ف): كفر.

(٤) في (ف): عيسى.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤٣٤- ٤٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١١٠٣).

واعْلَمْ أنَّ الكلامَ في هذِه الآيةِ مُجمَلٌ، ومعْناه: قالَتِ اليهُودُ لَنْ يدْخُلَ الجنَّةَ إلَّا مَنْ كانَ هُودًا. وقالَتِ النَّصارى: لَنْ يدْخلَ الجنَّة إلَّا مَنْ كانَ نصْرانيًّا. و«الْهُودُ» جمْعُ: هَائِدٍ.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾؛ أي: ذاك[1] شَيْءٌ يَتمَنَّوْنَهُ، وظَنٌّ يَظُنُّونَهُ، هذا معْنَى قوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾؛ أي: حُجَّتَكُم فِيمَا ادَّعَيْتُم، فرَدَّ اللهُ ﷻ عليْهِم قوْلَهُم: [لَنْ يدْخُلَ الجنَّةَ إلَّا[2] مَنْ كانَ هُودًا أَوْ نصارى]، فقَالَ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ وأسْلَم، بمعْنَى: أخْلَصَ.

وفي «الوَجْه» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُ الدِّينُ.

والثَّاني: العَمَلُ.

قوْلُه: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: في عملِه ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: يُريدُ: فهُوَ يدْخُلُ الجنَّةَ[3].

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا

---

(١) في (ف): ذلك.

(٢) من قوله: «فيما ادعيتم»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٥).

ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٣، ١١٤].

[٢٩/أ] قوْلُـه: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: كُلٌّ منهُـم يتْلُـو كتَابَـهُ بتَصْدِيـقِ مَـا كفَـرَ بِـه، قالَـهُ السُّـدِّيُّ، وقتَـادَةُ.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وفِيهِم قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهُـم مُشْركـو[١] العَـرَبِ قالُـوا لُمحمَّـدٍ وأصْحَابِـه: لَسْـتُم عـلَى شَيْءٍ، قالَـهُ السُّـدِّيُّ عـنْ أشْـيَاخِه.

والثَّـاني: أنَّهُـم أُمَـمٌ كانُـوا قبْـلَ اليهُـودِ والنَّصـارَى؛ كقَـوْمِ نُـوحٍ وهُـودٍ وصَالِـحٍ، قالَـهُ عطَـاءٌ.

قوْلُه: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: يُريـدُ حكـمَ الفَصْـلِ بيْنَهُـم، فيُرِيهِـم مَـنْ يدْخُـلُ الجنَّـةَ عيانًـا[٢]، وأمَّـا الحُكْـمُ بينَهُـم في العقْـلِ فقَـدْ بيَّنَـهُ لهـم في الدُّنْيَـا بِـمَا أقَـام عـلَى الصَّـوَابِ مِـنَ الحُجَـجِ[٣].

قوْلُه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) من قوله: «ما كفر به»... ساقط من (ج).

(٢) في المطبوع: ومن يدخل النار عيانًا.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٥).

اخْتلَفُوا فِيمَنْ نزلَتْ على قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّهَا نزلَتْ في الرُّومِ، كانُوا ظَاهَرُوا بُخْتَنَصَّرَ علَى خَرَابِ بيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ أجْلِ أنَّ بَنِي إسْرائِيلَ قَتَلُوا يَحْيَى بْنَ زكريَّاء، فخُرِّبَ وطُرِحَتِ الجِيَفُ فِيه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ فِي آخَرِينَ[١].

والثَّاني: أنَّهَا في الْمشرِكِينَ الَّذِين حَالُوا بيْنَ رسُولِ اللهِ ﷺ وبيْنَ مكَّةَ يوْمَ[٢] الحُدَيْبِيةِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ[٣].

وفي الْمراد بِخَرَابِهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه نَقْضُها.

والثَّاني: منْعُ ذِكْرِ اللهِ منْهَا.

قوْلُه: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ **فِيه قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه إخْبَارٌ عنْ أحْوَالِهم بعْدَ ذلِكَ. قال السُّدِّيُّ: لَا يدْخُلُ رُومِيٌّ [بيْتَ][٤] الْمَقْدِسِ إلَّا وهُو خَائِفٌ أنْ تُضْرَبَ عُنُقُه، أوْ قَد أُخِيفَ بأدَاءِ الجِزْيَةِ[٥].

والثَّاني: أنَّه خَبَرٌ في معْنَى الأمْرِ، تقْدِيرُه: علَيْكُم بالجِدِّ فِي جِهَادِهم

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٤٤٢) مختصرًا، وذكره عن قتادة بنحوه (٢/ ٤٤٣).

(٢) وضع ناسخ (ف) فوقها كلمة: عام، إشارة أنها نسخة.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤٤٤).

(٤) ليست في (ل).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٦).

كـي لا يَدْخُلَهـا أحَـدٌ إلَّا وهُـو خائِـفٌ.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾(١) فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ خِزْيَهُم الجِزْيَةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه فتْحُ القُسْطنْطِينيَّةِ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والثَّالـث: أنَّـه طرْدُهـم عـنِ المْسـجِدِ الحـرَامِ، فـلَا يدْخُلـه مُـشْرِكٌ أبـدًا ظَاهِـرًا، قالَـه ابْـنُ زيْـدٍ.

قـال تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقـرة: ١١٥، ١١٩].

قوْلُه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.

في نُزُولِهَا أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ الصَّحابَـةَ كانُـوا مـعَ رسُـولِ الله ﷺ في غَـزاةٍ في ليْلَـةٍ مُظْلِمَـةٍ، فلـم يعْرِفُـوا(٢) القِبْلَـةَ، فجَعَـل كُلُّ واحِـدٍ منْهُـم مسْـجِدًا بـيْنَ يدَيـهِ وصـلَّى، فلمَّا أصْبَحُـوا إذا هُـم علَى غـيْرِ القِبْلَـةِ، فذَكَـرُوا ذلِـك لِرسُـولِ اللهِ ﷺ، فأنْـزَلَ اللهُ

(١) في الأصل: لهم خزي في الدنيا. وفي (ج): لهم في الدنيا.

(٢) في (ت): يعروا.

تعَالى هـذِه الآيـةَ. رَوَاه عَامِـرُ بْـنُ رَبِيعَـةَ[١].

والثَّـاني: أنَّهَـا نزَلَـتْ في المُتطـوِّعِ[٢] بالنَّافِلَـةِ، [يعْنِـي: في السَّـفَرِ][٣]. قالَـهُ ابْـنُ عُمَـرَ.

والثَّالـث: أنَّـه لَمَّـا نـزَلَ قوْلُـه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قالُـوا: إلى أيْـنَ؟ فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، قالَـهُ مُجاهِـدٌ[٤].

والرَّابِـع: أنَّـه لَمَّـا مـاتَ النَّجَـاشِيُّ، وأمَرَهُـمُ النَّبـيُّ ﷺ بالصَّـلاةِ عليْـهِ قالُـوا: إنَّـه كانَ لَا يُصـلِّي للْقِبْلَـةِ فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، قالَـهُ قتَـادَةُ[٥].

[واسْمُ النَّجَاشِيِّ: أصحمة باللغة الحبشية، وباللغة العربية: عطية][٦].

قوْلُه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهُمَـا: فثَـمَّ اللهُ، يُريـدُ: عِلمُـهُ معَكُـم أيْـنَ كُنْتُـم. وهـذَا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ، ومُقاتِـلٍ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٥- ٢٩٥٧)، وابن ماجة (١٠٢٠)، والطيالسي (١٢٤١)، وعبد بن حميد (٣١٦)، والبزار (٣٨١٢)، والطبراني في الأوسط (٤٦٠)، والدارقطني (١٠٦٥)، وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك. وضعفه العقيلي، والنووي، والذهبي، انظر: خلاصة الأحكام (١/ ٣٣٤) تنقيح التحقيق (١/ ١٢٢).

(٢) في (ف): التَّطوِّع.

(٣) من (ف).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤٥٧).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤٥٥).

(٦) من (م).

والثَّاني: فثَمَّ قِبلَةُ اللهِ، قالَهُ عِكْرِمَةُ، ومُجاهِدٌ.

و«الوَاسِعُ»: الَّذي وَسِعَ غِنَاهُ مفاقِرَ عبَادِهِ، ورِزْقُه جَمِيعَ خلْقِه. والسَّعَةُ فِي كلَامِ العَرَبِ: الغِنَى[١]. [٢٩/ب]

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وهذه الآيَةُ مُستعملَةُ الحُكْمِ في المُجتهِدِ إذا صَلَّى إلى غيْرِ القِبْلَةِ، وفي صَلاةِ التَّطوُّعِ[٢] علَى الرَّاحلَةِ، والخَائفِ.

وقدْ ذهَب قوْمٌ إلَى نسْخِها، فقَالُوا: إنَّهَا لَمَّا[٣] نزلَتْ توَجَّهَ رسُولُ اللهِ إلى بيْتِ المَقْدِس، ثم نُسِخَ ذلِك بقوْلِه: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وهذَا مَرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

قالَ شيْخُنا علِيُّ بْنُ عُبيدِ اللهِ: وليْسَ في القُرآنِ أمْرٌ خاصٌّ بالصَّلاةِ إلى بيْتِ المَقْدِس، وقوْلُه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ليْس صَريحًا بالأمْرِ بالتوجُّهِ إلى بيْتِ المَقْدِس[٥]، بلْ فِيه ما يدُلُّ علَى أنَّ الجِهاتِ كلَّها سواءٌ في جوازِ التَّوجُّهِ إليْهَا، فإذَا ثبَتَ هذَا، دلَّ علَى أنَّه وَجبَ التَّوَجُّهُ إلى بيْتِ المَقْدِسِ بالسُّنَّةِ، ثُم نُسِخَ بالقُرآنِ.

---

(١) في (ف): للْغِنَى.

(٢) في (ف): المتطوع.

(٣) في (ت)، و(ر)، و(م): لو.

(٤) رواه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ٧١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٥) العبارة ليست في (ت)، و(ر).

قوْلُه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَتْ علَى أرْبَعةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهَا نزلَتْ في اليهُودِ إذْ جعَلُوا عُزيرًا ابْنَ اللهِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّهَا نزَلَتْ في نصَارَى نَجْرَانَ حيْثُ قالُوا: عيَسى ابْنُ اللهِ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٢).

والثَّالث: أنَّهَا في النَّصَارى ومُشْرِكي العَربِ؛ لأنَّ النَّصارَى قالُوا: عِيسى ابْنُ اللهِ، والْمشرِكِينَ قالُوا: الْملائِكَةُ بنَاتُ اللهِ، ذكَرَه إبْراهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ(٣).

والرَّابع: أنَّهَا في اليهُود والنَّصارَى ومُشْرِكي العَرَب، ذكَرَه الثَّعْلَبِيُّ(٤).

فأمَّا القنُوتُ فقَال الزَّجَّاجُ: هو في اللُّغةِ بِمَعْنَييْنِ:

أحدهما: القِيامُ.

والثَّاني: الطَّاعةُ(٥).

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٩) من قوله، والثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٦٤) بلا نسبة.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٧٤).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) الكشف والبيان (٦/ ٢٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٩٨).

والمَشْهُورُ في اللُّغةِ والاسْتِعمالِ أنَّ القُنوتَ: الدُّعاءُ في القِيامِ، فالقَانِتُ: القَائِمُ بأمْرِ اللهِ. ويَجُوزُ أنْ يقَعَ في جَمِيعِ الطَّاعَاتِ؛ لأنَّه إنْ لم يكُنْ قِيامٌ علَى الرِّجْلَيْنِ، فهُو قِيامٌ بالنِّيَّةِ. وقالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: لا أرَى أصْلَ القُنوتِ إلَّا الطَّاعَةَ؛ لأنَّ جَمِيعَ الخِلالِ مِنَ الصَّلاةِ، والقِيامِ فيها والدُّعاءِ وغيْرِ ذلِك يكُونُ عنْها(١).

وللمُفسِّرينَ في المُرادِ بالقُنوتِ هَاهُنا ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الطَّاعةُ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقتَادَةُ.

والثَّاني: أنَّه الإقْرارُ بالعِبادَةِ، قالَهُ عِكرِمَةُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّالث: القِيامُ، قالَهُ الحسَنُ، والرَّبيعُ.

وفي معْنَى القِيامِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه القِيامُ بالشَّهادَةِ بالعُبُوديَّةِ.

والثَّاني: أنَّه القِيامُ بيْنَ يدَيْهِ يوْمَ القِيامَةِ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ عمَّ بهذَا القوْلِ وكثِيرٌ مِنَ الخلْقِ ليْسَ لَه بمُطِيعٍ؟ فعَنْهُ ثلاثةُ أجْوِبَةٍ:

أحدُها: أنْ يكُونَ ظاهِرُها ظَاهِرَ العُمومِ، ومعْناها معْنَى الخُصوصِ. والمعْنَى: كُلُّ أهْلِ الطَّاعَةِ له قَانِتُونَ.

---

(١) غريب القرآن (١/ ٦٢).

والثَّـاني: أنَّ الكُفَّـارَ[١] تسْـجُدُ ظِلالُهُـم للهِ بالغُـدواتِ والعَشـيَّاتِ، فنُسِـبَ القُنـوتُ إليْهِـم لذلِـكَ.

والثَّالـث: أنَّ كُلَّ مَخْلُـوقٍ قانِـتٌ لـه بأثَـرِ صُنْعِـه[٢] فِيـه، وجَـرْيِ أحكامِـه علَيْـه، فذلِـكَ دلِيـلٌ عـلَى ذُلِّـه لربِّـه. ذكَرَهُـنَّ ابْـنُ الأنْبـاريِّ[٣].

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ البَدِيـعُ[٤]: المُبـدِعُ[٥]، وكُلُّ مَـنْ أنْشَـأ شَـيْئًا لم يُسـبَقْ إليْـهِ قِيـل لَـه: ابْتدعْـتَ.

قـال الخطَّـابيُّ: البدِيـعُ، فَعِيـل[٦] بمعْنَـى: مُفْعِـلٍ، ومعْنَـاهُ: أنَّـه فطَـرَ الخلْقَ مُخْتَرِعًـا لَـه لَا عـلى مِثـالٍ سـبَقَ[٧].

قوْلُـه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: معْنَـى القَضَـاءِ: الإرادَةُ[٨]. [٣٠/أ]
وقـال مُقاتِـلٌ: إذَا قـضَى أمْـرًا في علْمِـه، فإنَّـما يقُـول لَـه: كُـنْ فيَكُـونُ[٩].

---

(١) في (ت): أن الكف أن.

(٢) في (ف): صنعته.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٦).

(٤) في (ج): بعيد.

(٥) في (ف): المبتدع.

(٦) من قوله: «المبدع»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٧) شأن الدعاء (ص: ٩٦).

(٨) لم أقف عليه.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٧٤).

والجمهُـورُ عـلَى ضَـمِّ نُـونِ ﴿فَيَكُونُ﴾[١] فالرَّفْـعُ عـلَى القَطْـعِ.

والمْعْنَـى: فهُـو يكُـونُ. وقَـرَأَ ابْـنُ عامِـرٍ بنصْـبِ النُّـونِ[٢]. قـالَ مَكِّـيُّ بْـنُ أبي طَالـبٍ: النَّصْـبُ عـلَى الجـوَابِ لـ«كُـنْ». وفِيـه بُعْـدٌ[٣].

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وقـدِ اسْـتدَلَّ أصحابُنَـا عـلى قِـدَمِ القُـرآنِ بقوْلِـه: ﴿كُن﴾ فقَالُـوا: لـو كانَـتْ «كُـنْ» مَخْلُوقـةً لافْتَقـرَتْ إلى إيجَادِهـا بمثْلِهـا وتَسلسَـلَ ذلِك، والتَّسَلْسُـلُ مُحَـالٌ.

فإنْ قِيل: هذَا خِطابٌ لمِعْدُومٍ.

فالجـوَابُ: أنَّـه خِطَـابُ تكْوِيـنٍ يُظْهِـر[٤] أثَـرَ[٥] القُـدرَةِ، ويَسْـتحيلُ أن يكُـونَ المْخاطَـبُ بِـه موْجـودًا؛ لأنَّـه بالخِطـابِ كانَ، فامْتَنـع وجُـودُه قبْلَـه أو معَـهُ. ويُحقِّـقُ هـذَا أنَّ مَـا سـيكُونُ مُتصـوَّرٌ للعلْـمِ فضَاهَـى بذلِـك المْوجُـودَ، فجـازَ خطَابُـه لذلِـك[٦].

---

(١) قوله: «والجمهور على ضم نون فيكون» ليس في (م).

(٢) السبعة (ص: ١٦٩)، ومعاني القراءات (١/ ١٧٢)، والمبسوط (ص: ١٣٥).

(٣) مشكل إعراب القرآن؛ لمكي (١/ ١٠٩).

(٤) سقطت من (ج).

(٥) في (ج): أمر.

(٦) في (ف): بذلك.

قوْلُه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ فيهِم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ اليهُودُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: النَّصارَى، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالث: مُشركُو العرَبِ، قالَه قتادَةُ، والسُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه.

و﴿لَوْلَا﴾ بمعْنَى: هَلَّا.

وفي ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّهُمُ اليهُودُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[1]، ومُجاهِدٌ.

والثَّاني: اليهُودُ والنَّصارى، قالَهُ السُّدِّي عنْ أشْيَاخِه.

والثَّالث: اليهُودُ والنَّصارَى وغيْرُهم مِنَ الكُفَّارِ، قالَه قتادَةُ.

﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: في الكُفْرِ.

قوْلُه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾.

في سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ يوْمًا: «لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ!»؛ فنَزَلتْ هذه الآيةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[2].

---

(١) من قوله: «والثاني النصارى»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (رقم: ١٢٦)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٤٨١)، وابن الأعرابي في معجمه (٧٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٥١)، وإبراهيم بن إسحاق الحربي في غريب الحديث (١/ ١٤٤)، والعُقَيلي في الضعفاء (٤/ ١٦٠)، وفيه موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي، وهو ضعيف.

والثَّـاني: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قـالَ: «لَـوْ أَنْـزلَ اللهُ بَأْسَـهُ بِالْيَهُـودِ لآمَنُـوا»؛ فنَزلَـتْ هذه الآيَـةُ، قالَـه مُقاتِـلٌ[1].

وفي الْمراد بِالْحَقِّ هَاهُنا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه القُرآنُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الإِسْلامُ، قالَهُ ابْنُ كِيسَانَ.

والثَّالث: الصِّدْقُ.

قوْلُه: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾.

قـرأَهُ الأكْثَـرُونَ بضـمِّ التَّـاءِ، عـلَى الخَـبَرِ، والْمَعْنـى: لسْـتَ بِمَسْـئُولٍ عـنْ أعْمَالِهِـم. وقَـرَأَ نافِـعٌ ويعْقُـوبُ بفتْـحِ التَّـاءِ[2] وسُـكُونِ الـلَّامِ، عـلَى النَّهْـي عـنِ السُّـؤَالِ عنْهُـم[3].

وجـوَّزَ أبـو الحسَـنِ الأَخْفَـشُ أنْ يكُـونَ معْنَـى هـذِه القِـرَاءةِ: لا تَسـأَلْ عنْهُـم فإِنَّهُـم في أمْـرٍ عظِيـمٍ، فيكُـونُ ذلـك عـلَى وجْـهِ التَّعْظِيـمِ لِمـا هُـم فِيـه[4].

فأمَّـا ﴿الْجَحِيمِ﴾ فقَـالَ الفـرَّاءُ: الجَحِيـمُ: النَّـارُ عـلَى النَّـارِ[5] والجَمْـرُ عـلَى

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٧٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٥) وهو مرسل.

(٢) في (ت)، و(ر): الياء.

(٣) السبعة (ص: ١٦٩)، ومعاني القراءات (١/ ١٧٢)، والمبسوط (ص: ١٣٥).

(٤) معانى القرآن (١/ ١٥٣).

(٥) قوله: «على النار» ليس في (ت)، و(ر).

الجمْرِ[١]. وقالَ أبُو عُبيْدَةَ: ﴿الْجَحِيمِ﴾: النَّارُ المُستحكِمَةُ المُتلظِّيَةُ. وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿الْجَحِيمِ﴾: النَّارُ الشَّدِيدةُ الوَقُودِ، وقدْ جحَّمَ فُلانٌ النَّارَ؛ إذَا شدَّدَ وَقُودَهَا، ويُقالُ لِعيْنِ الأسَدِ: جَحْمةٌ لِشِدَّةِ تَوَقُّدِهَا. ويُقالُ لِوَقُودِ الحَرْبِ، وهُو شِدَّةُ القِتَالِ فِيهَا: جَاحِمٌ[٢]. وقالَ ابْنُ فَارِسٍ: الجَاحِمُ: المَكَانُ الشَّدِيدُ الحَرِّ[٣]. قَالَ الأَعْشَى[٤][من الطويل]:

[يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهِ غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَأْسِ][٥] وَالمَوْتُ جَاحِمُ

ولِذلِك سُمِّيتِ الْجَحِيمَ.

وقالَ ابْنُ الأنْبَارِي: قالَ أحْمَدُ بْنُ عُبيدٍ: إنَّما سُمِّيتِ النَّارُ جَحِيمًا؛ لأنَّهَا أُكْثِرَ وَقُودُهَا، مِنْ قوْلِ العرَبِ: جَحمْتُ النَّارَ أَجْحَمُها: إذَا أكْثَرْتَ لَهَا الوَقُودَ[٦].

---

(١) معاني القرآن (١/ ٧٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٠).

(٣) مجمل اللغة (١/ ١٧٧).

(٤) البيت في الصحاح؛ للجوهري (٥/ ١٨٨٣)، ومجمل اللغة (١/ ٤٠٨)، ومقاييس اللغة (١/ ٤٢٩)، وتاج العروس (جحم)، وليس في ديوانه الذي يتضمن قصيدة على وزن البيت ورويه.

(٥) البيت ليس كاملًا في (ل)، و(ت)، و(ر)، و(ف).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٠٧).

[٣٠/ ب] قال عِمْرانُ بْنُ حِطّانَ[(١)] [من الطويل]:

يَرَى طَاعَةَ اللهِ الْهُدَى وَخِلَافَهُ الضَّـ ـلَالَةَ يَصْلَى أَهْلُها جَاحِمَ الجَمْرِ

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٠، ١٢٤].

قوْلُه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾.

في سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ يهودَ المدينةِ ونصارى نَجْرانَ كانُوا يرجُونَ أنْ يصلِّيَ النَّبيُّ ﷺ إلى قبْلَتِهم، فلمّا صُرِفَ إلى الكعبةِ يَئِسُوا منْهُ، فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَه ابنُ عبّاسٍ[(٢)].

---

(١) البيت في المذكر والمؤنث (١/ ٥٠٠)، والزاهر في معني كلمات الناس (٢/ ١٤٨). وفي (م)، و(ج): عمر بن الخطاب.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٢٦٦).

والثَّاني: أنَّهُم دعَوْه إلى دينِهم، فنزَلَتْ، قالَه مُقاتِلٌ[١].

والثَّالث: أنَّهُم كانُوا يسْأَلُونَهُ الهُدنةَ، ويُطمِعُونَهُ في أنَّه إنْ هَادنَهُم وافقُوهُ فنزلَتْ هذِه الآيةُ، ذكَرَ معْناه الزَّجَّاجُ[٢].

قال الزَّجَّاجُ[٣]: والمِلَّةُ[٤] في اللُّغةِ: السُّنَّةُ والطَّريقةُ[٥]. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: و﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ هاهُنا: الإسْلامُ[٦].

وفي الَّذِي جاءَه مِنَ العِلْمِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه التحوُّلُ إلى الكعَبةِ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه البيانُ بأنَّ دينَ اللهِ الإسلامِ.

والثَّالث: أنَّه القرآنُ.

والرَّابع: العِلمُ بِضلالَةِ القوْمِ.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: ينْفَعُك، ولا [نَصيرٍ][٧] يمْنَعُكَ مِن عقُوبتِه.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٧٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٢).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ف): المسألة.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٩).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) في (ل): يضر، وفي: (ج): يضير.

قوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على قولين:

أحدُهما: أنَّها نزلَتْ في الَّذِين آمَنُوا مِنَ اليهُودِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: فِي الْمُؤْمِنينَ مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، قالَهُ عِكْرِمَةُ، وقتَادَةُ.

وفي ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه القُرآنُ، قالَهُ قتادَةُ[1].

والثَّاني: أنَّه التَّوْراةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

قوْلُه: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾؛ أي: يعمْلَونَ بِهِ حقَّ عمَلِه، قالَهُ مُجاهِدٌ.

قوْلُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

في هَاءِ «بِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُودُ علَى الكتَابِ.

والثَّاني: علَى النَّبيِّ ﷺ.

ومَا بعْدَ هذَا قد سبَقَ بيانُه إلى قوْلِه: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ الابْتِلاءُ: الِاخْتِبارُ.

وفي إبْرَاهِيمَ سِتُّ لُغاتٍ:

أحدُها: إبْراهِيمُ، وهِي اللُّغةُ الفَاشِيةُ.

---

(١) من قوله: «في الكتاب قولان»... ليست في (ت)، و(ر).

والثَّانية: إِبْرَاهُمُ[١].

والثَّالثة: إِبْرَاهَمُ.

والرَّابعة: إِبْرَاهِمُ، ذكرهنَّ الفرَّاءُ[٢].

والخامِسة: إِبْرَاهَامُ.

والسَّادسة: إِبْرَهَمُ[٣]. قالَ عبْدُ المُطَّلِبِ[٤] [من الرجز]:

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِمُ   مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ وَهْوَ قَائِمُ

وقالَ أيضًا[٥] [من الرجز]:

نَحْنُ آلُ اللهِ فِي كَعْبَتِهِ   لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَهَمْ

وفي الكلِمَاتِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها خمْسٌ في الرَّأسِ، وخمسٌ في الجَسَدِ. أمَّا الَّتِي في الرَّأْسِ: فالفرْقُ، والمْضمَضةُ، والاِسْتِنْشاقُ، وقصُّ الشَّارِبِ، والسِّواكُ. وفي الجَسدِ:

---

(١) في (م): إبراهيم.

(٢) معاني القرآن (١/ ٧٦).

(٣) في (ف): إبراهم.

(٤) البيت في نسب قريش (ص: ٣٦٤)، والأغاني (٣/ ١١٧)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٧٢)، والمعرب (ص: ٦١)، والألفات (ص: ٦٥).

(٥) الدرر (٥/ ٣٠)، وهمع الهوامع (٢/ ٥٠).

تقْلِيـمُ الأظَافِـرِ، وحلْـقُ العانَـةِ، ونتْـفُ الإبْـطِ، والإسْـتِطابَةُ بالْمـاءِ، والخِتَـانُ، روَاه طَـاوسٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١].

والثَّـاني: أنَّهَـا عـشرٌ، سِـتٌّ[٢] في الإنْسَـانِ، وأرْبَـعٌ في المَشَـاعرِ، فالَّتِـي في الإنْسَـانِ: حلْـقُ العانَـةِ، ونتْـفُ الإبْـطِ، وتقْلِيـمُ الأظَافِـرِ، وقـصُّ الشَّـارِبِ، والسِّـوَاكُ، والغُسْـلُ مِـنَ الجنَابَـةِ، والغُسْـلُ يـوْمَ الجمُعَـةِ. والَّتِـي في المَشَـاعرِ: الطَّـوافُ بالبيْـتِ، والسَّـعيُ بـيْنَ الصَّفَـا والمْـرْوةِ، ورَمِـيُ الجِـمارِ، والإفاضَـةُ. روَاه حسَـنُ[٣] بْـنُ عبْـدِ اللهِ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٤].

والثَّالث: أنَّهَا المْنَاسِكُ، روَاه قتَادَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والرَّابـع: أنَّـه ابْتـلَاه بالكوْكـبِ، والشَّـمس، والقمَـرِ، والهِجـرَةِ، والنَّـارِ، وذبْـحِ ولَـدِه[٦]، والختـان، قالـه الحسـن.

والخامِـس: أنَّهَـا كُلُّ مسْـألَةٍ في القُـرآنِ، مِثْـلُ قوْلِـه: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيـم: ٣٥]، ونحـو ذلِـك، قالَـه مُقاتِـلٌ[٧].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩٩).

(٢) سقطت من (م)، و(ج).

(٣) في المطبوع: حنش.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٥٠١).

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٥٠٣).

(٦) في (ف): وذبح الولد.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٢).

فمَن قالَ: هِي أفْعالٌ فعَلَها؛ قالَ: معْنَى ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ عَمِل بهِنَّ. [٣١/أ]

ومَنْ قالَ: هِي دعَوَاتٌ ومسَائِلُ؛ قالَ: معْنى ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فأجَابَهُ اللهُ إليهِنَّ.

وقد رُوي عنْ أبي حَنِيفةَ أنَّه قرَأَ «إِبْرَاهِيمُ» برفْعِ المِيم «ربَّهُ» بنصْبِ البَاءِ، علَى معْنَى: اخْتبَر ربَّه هل يسْتجِيبُ دعاءَه، ويتخِذُه خلِيلًا أمْ لَا؟

قوْلُه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾.

في الذُّرِّيَّة قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها فُعْلِيَّةٌ مِنَ الذَّرِّ؛ لأنَّ اللهَ تعَالى أخْرجَ الخَلْقَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كالذَّرِّ.

والثَّاني: أنَّ أصْلَها ذُرُّورَةٌ، على وزن: فُعْلُولَةٍ، ولكنْ لَمَّا كثُرَ[١] أُبدِل مِنَ الرَّاءِ الأخِيرةِ ياءً، فصَارَتْ: ذُرُّويَةً، ثم أُدْغِمتِ الواوُ في الياءِ[٢]، فصَارَتْ: ذُرِّيَّةً، ذكرَهُما الزَّجَّاجُ[٣]، وصوَّبَ الأوَّلَ.

وفي العَهْدِ هَاهُنا سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه [الإمَامَةُ][٤]، روَاه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ مُجاهدٌ، وسعِيدُ بنُ جُبيرٍ.

---

(١) كذا بالأصل، وبقية النسخ، وقد جاءت العبارة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج، والمطبوع هكذا: «ولكن التضعيف لما كثر».

(٢) في (م): أدغمت الواو في الواو وفي الياء.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٠).

(٤) في (ل): الأمانة، والمثبت من (ج)، و(ت).

والثَّاني: أنَّها الطَّاعةُ، رواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: الرَّحمَةُ، قالَه عطاءٌ وعِكْرِمَةُ.

والرَّابع: الدِّينُ، قالَهُ أبو العَالِيةِ.

والخامِس: النُّبوَّةُ، قالَه السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه.

والسَّادس: الأَمَانُ[1]، قالَه أبو عُبيدَةَ[2].

والسَّابع: المِيْثاقُ، قالَه ابْنُ قُتيبَةَ[3]، والأوَّل أصَحُّ.

وفي المُراد بالظَّالمين هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم الكُفَّارُ، قالَهُ ابْنُ جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ.

والثَّاني: العُصاةُ، قالَه عَطاءٌ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٥، ١٢٦].

قوْلُه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾.

البيْتُ هَاهُنا: الكعْبَةُ، والألِفُ واللَّامُ تدْخُلُ للمَعْهُودِ، أوْ للجِنْسِ،

---

(١) في (ف): الإمارة.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤٥). وفي (ف): أبو عبيد.

(٣) غريب القرآن (١/ ٦٣).

فلـمَّا علِـم المْخاطَبـونَ أنَّـه لم يُـردِ الجنْـسَ انْـصرَفَ إلى المْعُهـودِ[١].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: والمْثَـابُ والمْثَابَـةُ واحِـدٌ؛ كالمْقَـامِ والمْقَامَـةِ[٢]. قـال ابْـنُ قُتيْبَـةَ: والمْثَابَـةُ: المْعَـادُ، مِـنْ قولِـك: ثُبْـتُ إلَى كـذَا؛ أي: عُـدْتُ إليْـهِ، وثـابَ جِسْـمُه؛ أي: رَجَـع بعْـدَ العِلَّـةِ، فـأرَادَ: أنَّ النَّـاسَ يعُـودُونَ إليْـه مـرَّةً بعْـدَ مـرَّةٍ[٣].

قوْلُه: ﴿وَأَمْنًا﴾.

قـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد أنَّ مَـنْ أحْـدَثَ حدَثًـا في غـيْرِه، ثُـمَّ لجَـأَ إليـه فهُـو آمِـنٌ، ولكِـن ينْبَغِـي لأهْـلِ مكَّـةَ أنْ لا يُبايِعُـوهُ، ولا يُطْعِمُـوهُ، ولا يَسْـقُوهُ، ولا يُـؤْوُوهُ، ولا يُكلِّـمَ حتَّـى يخْـرُجَ، فـإذَا خَـرجَ[٤] أُقِيـمَ عليْـه الحـدُّ[٥].

قـالَ القَـاضِي أبـو يعْـلَى: وصَـفَ البيْـتَ بالأمْـنِ، والمْـراد جميـعُ الحـرَمِ؛ كـمَا قـالَ: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، والمْـراد: الحـرمُ كلُّـه؛ لأنَّـه لا يُذبَـحُ في الكعبَـةِ، ولا في المْسْـجدِ الحـرَامِ، وهـذَا عـلى طريـقِ الحكْـمِ، لا عـلَى وجْـه الخـبَرِ فقـط[٦].

---

(١) من قوله: «أو للجنس»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٦).

(٣) غريب القرآن (١/ ٦٣).

(٤) في (ف): أخرج.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٦٠٤)، والأزرقي في أخبار مكة (٢/ ١٣٨).

(٦) التعليقة الكبيرة في مسائل الخلاف (٢/ ٢٧٠).

وفي ﴿مَقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الحرَمُ كلُّه، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: عرَفةُ والمْزدلِفةُ والجِمارُ، قالَه عطَاءٌ. وعنْ مُجاهِدٍ كالقوْلَيْنِ. وقد رُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وعطَاءٍ، ومُجاهدٍ، قالُوا: الحَجُّ كلُّه مقَامُ إبْراهِيمَ.

والثَّالث: الحِجْرُ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والأوَّلُ[1] الأصَحُّ.

قال عمرُ بْنُ الخطَّابِ: قلتُ: يا رسُولَ اللهِ! لوِ اتَّخذْنَا مِن مقَامِ إبْراهِيمَ مُصلًّى، فنزلَتْ[2].

وفي سبَبِ وقُوفِ إبْراهِيمَ على الحجرِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه جاءَ يطْلُبُ ابنَهُ إسْماعِيلَ، فلم يجِدْه، فقالَت له زوجتُه: انْزِلْ، فأَبى، فقالَتْ: فدَعْنِي أغسِلْ رأسَك، فأَتَتْهُ بحَجَرٍ فوضَع رِجْلَهُ عليْهِ، وهُو راكِبٌ، فغسَلَتْ شِقَّهُ، ثُمَّ رفَعتْهُ وقد غابَتْ رِجْلهُ فيهِ، [٣١/ ب]
[فوضعتْهُ تحْتَ الشِّقِّ الآخرِ وغسَلتْهُ، فغَابَتْ رِجْلُه فِيه، فجعَلَهُ اللهُ مِنْ شعَائِرِه، ذكرَهُ السُّدِّيُّ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ، وابْنِ عبَّاسٍ[3].

(١) في المطبوع: وهو.

(٢) رواه البخاري (٤٠٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٢٨) عن السدي بنحوه.

والثَّاني: أنَّه قامَ علَى الحَجَرِ لبنَاءِ البيْتِ، وإسْماعِيلُ يُناوِلُه الحِجارَةَ، قالَه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ(١).

قرَأَ الجمْهُورُ، منْهُم ابْنُ كثِيرٍ، وأبُو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكسَائِيُّ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بكسْرِ الخَاءِ علَى الأمْرِ. وقَرَأَ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ بفتْحِ الخاءِ علَى الخَبَرِ(٢).

قال ابْنُ زيْدٍ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «أيْنَ تَروْنَ أنْ يُصلَّى(٣)؟» فقالَ عُمرُ: إلى المْقَامِ، فنزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ قالَ: رضي الله ذلِك مِنْ أعْمالِهم(٤).

وقال أبو علِيٍّ: وجْهُ فتْحِ الخَاءِ أنَّه معْطُوفٌ علَى ما أُضِيفَ إليْهِ، كأنَّه قالَ: وإذِ اتَّخذوا(٥). ويُؤكِّدُ الفتْحَ في الخَاءِ أنَّ الَّذي بعْدَه خَبرٌ(٦)، وهو قوْلُه: ﴿وَعَهِدْنَآ﴾.

قوْلُه: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾؛ أي: أمَرْنَاهُما وأوْصَيْنَاهُما(٧).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٢/ ٥٢٧) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس من قوله.

(٢) السبعة (ص: ١٧٠)، ومعاني القراءات (١/ ١٧٤)، والحجة (٢/ ٢٢٠).

(٣) في (ت)، و(ف): نُصَلِّيَ.

(٤) لم أقف عليه من حديث ابن زيد والحديث سبق تخريجه.

(٥) الحجة للقراء السبعة (٢/ ٢٢٠).

(٦) من قوله: «وإذ اتخذوا»... إلى هنا ليس في (ت)، و(ر).

(٧) في (ف): ووصَّيْنَاهُما.

وإِسَماعِيلُ: اسْمٌ أعْجَمِيٌّ، وفِيه لُغتانِ: إِسْمَاعِيلُ[١]، وإِسْماعِينُ. وأنْشَدُوا[٢] [من الرجز]:

قَالَ جَوَارِي الْحَيِّ لَمَّا جِينَا   هَذَا وَرَبِّ الْبَيْتِ إِسْمَاعِينَا

قوْلُه: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قالَ قتادَةُ: يُريد مِنْ عِبادَةِ الأوْثانِ والشِّرْكِ، وقوْلِ الزُّورِ[٣].

فإنْ قِيل: لم يكُن هُناك بيْتٌ، فما معْنى أمْرِهما بتَطْهِيرِه؟.

فعنْهُ جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّه كانَتْ هُناك أصْنامٌ، فأُمِرَ بإخْرَاجِها، قالَه عكْرِمةُ.

والثَّاني: أنَّ معْنَاه: ابْنِيَاهُ مُطهَّرًا، قالَه السُّدِّيُّ.

و«**العَاكِفُون**»: الْمُقِيمونَ، يُقالُ: عَكَفَ يعْكُفُ ويَعْكِفُ عُكُوفًا؛ إذَا أقَامَ، ومنْهُ: الِاعْتِكافُ.

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) لم أهتد إلى قائله، وهو في المعرب (ص: ٦٢)، والتعريب والمعرب؛ لابن بري (ص: ٢٧)، والبحر المحيط (١/ ٣٧٣)، وتخليص الشواهد (ص: ٤٥٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٩١٦)، ومحمد بن نصر بن المَرْوَزِي في تعظيم قدر الصلاة (١٣).

وقد رَوى ابنُ عبَّاسٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى [يُنزِّلُ][١] فِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ عِشْرِينَ وَمَائَةَ رَحْمَةٍ تَنْزِلُ عَلَى الْبَيْتِ: سِتُّونَ للطَّائِفِينَ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ، وَعِشْرُونَ للنَّاظِرِينَ»[٢].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾.

البلَدُ: صَدْرُ القُرى، والبَالِدُ: المُقيمُ بالبَلدِ، والبَلْدَةُ: الصَّدْرُ، ووَضَعتِ النَّاقةُ بلدتَها؛ [إذا][٣] بركَتْ. والمُرادُ بالبلَدِ هاهُنا: مكَّةُ.

ومعنى ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أَمْنٍ. وأَمْنُ البلدَةِ[٤] مجازٌ، والمُراد: أَمْنُ مَنْ فِيه.

وفي المُراد بهذا الأمْنِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه سألَهُ الأمْنَ مِنَ القتْلِ.

والثَّاني: مِنَ الخسْفِ والقَذْفِ.

والثَّالث: مِنَ القَحْطِ[٥] والجَدْبِ.

قالَ مُجاهِدٌ: قالَ[٦] إبْراهِيمُ: لِمَن آمَنَ، فقالَ اللهُ ﷻ: ومَنْ كفَرَ فسَأَرْزُقُه.

---

(١) ليست في (ل)، و(ف).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٢٤رقم ١١٢٤٨)، وابن عساكر (٣٤/ ٣٨٧)، قال الهيثمي (٣/ ٢٩٢): فيه يوسف بن السفر وهو متروك.

(٣) من المطبوع.

(٤) في (ت)، و(ف): البلد.

(٥) في (ج): القحد.

(٦) من قوله: «الخسف والقذف»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

قوْلُه: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾.

وقرأَ ابْنُ عامِرٍ: «فَأُمْتِعُه» بالتَّخْفِيف، مِنْ أَمْتَعْتُ. والباقُون بالتَّشْدِيد مِنْ: مَتَّعْتُ(١). والإمْتَاعُ: إعْطَاءُ ما تحصُلُ بِهِ المُتعةُ. والمُتعةُ: أخْذُ الحظِّ مِنْ لذَّةِ مَا يُشْتَهَى.

وبماذا يُمتِعُه؟ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهُما: بالأمْنِ.

والثَّاني: بالرِّزقِ.

و«الاضْطِرارُ»: الإلجاءُ إلى الشَّيْءِ. و«المَصِيرُ»: ما ينْتَهِي إليه الأَمْرُ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٣١].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾.

[٣٢/أ] القوَاعِدُ: أسَاسُ البيْتِ، واحِدُها: قَاعِدةٌ. فأمَّا قواعِدُ النِّساءِ فواحِدَتُها: قاعِدٌ، وهِيَ العجُوزُ.

---

(١) السبعة (ص: ١٧٠)، والحجة (٢/ ٢٢١)، والمبسوط (ص: ١٣٦)، وفي قراءة شاذة عن ابن عباس: {فَأَمْتِعْهُ}. انظر: المحتسب (١/ ١٠٤).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾؛ أي: يقولانِ: ربَّنا، فحذفَ «ذلِكَ»؛ كقوْلِه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، أرادَ: يقُولون سَلامٌ.

و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ يعْنى[1]: السَّامِعَ، لكنَّه: أبْلغُ؛ لأنَّ بناءَ فَعِيلٍ للمُبالغَةِ. قالَ الخطَّابيُّ[2]: ويكُون السَّماعُ بمعْنَى القَبُولِ والإجابَةِ؛ كقوْلِ النَّبيِّ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ**»[3]؛ أي: لا يُسْتجابُ. وقوْلُ المُصلي: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ أي: قَبِلَ اللهُ حمْدَ مَنْ حَمِدَهُ. وأنْشَدُوا[4] [من الوافر]:

دَعَوْتُ اللهَ حَتَّى خِفْتُ أنْ لَا ... يَكُونَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

إِشَارَةٌ إِلَى بِنَاءِ الْبَيْتِ

رَوَى أَنَسٌ عنِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ: «**كَانَتِ المَلَائِكَةُ تَحُجُّ إِلَى الْبَيْتِ قَبْلَ آدَمَ**»[5].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: لَمَّا أُهبِطَ آدمُ قالَ اللهُ تعالى لَه: يا آدَمُ! اذْهَبْ فابْنِ لِي بيْتًا فطُفْ بِه، واذْكُرْنِي حوْلَه كما رأَيْتَ ملائِكَتِي تصْنَعُ حوْلَ عرْشِي. فأقْبَلَ يسْعَى حتَّى انْتَهى إلى البيْتِ الحَرامِ، وبنَاهُ من خَمْسةِ أَجْبُلٍ:

---

(١) في (ت)، و(ف): بمعنى.

(٢) شأن الدعاء (١/ ٥٩).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٨٢)، والنسائي في المجتبى (٥٤٤٢)، وفي السنن الكبرى (٧٨٢٥)، وأحمد (٦٥٥٧- ٦٨٦٥)، والحاكم (١٩٥٩) من حديث عبد الله بن عمر.

(٤) البيت لشمير بن الحارث في نوادر أبي زيد (ص: ١٢٤)، والخزانة (٢/ ٣٦٣)، وفي الفائق (٢/ ١٩٧): شتير.

(٥) رواه البيهقي في الكبرى (٥/ ١٧٦، رقم: ٩٦١٦)، وفي الشعب (٣٧٠٠).

مِـن لُبنَـانَ، وطُـورِ سـيْنَاءَ، وطُـور زَيْتَـا، والجُـودِيِّ، وحِـرَاء، فـكانَ آدَمُ أَوَّلَ مَن أَسَّـسَ البَيْـتَ، فطَـاف بِـه، ولم يَـزلْ كذلِـك حتَّـى بعَـثَ اللهُ الطُّوفَـانَ، فـدَرَسَ موْضِـعَ البَيْـتِ، فبَعَـث اللهُ إبْرَاهيـم وإسْـمَاعِيلَ(١).

وقـال [أمـيرُ المؤمنـينَ](٢) علِيُّ بْـنُ أبي طَالِـبٍ ﷺ: لَمَّـا أمَـرَ الله تعَـالى إبْراهيـمَ ببنَـاءِ البيْـتِ ضَـاقَ بِـه ذرْعًـا، ولم يـدْرِ كيْـفَ يصْنَـعُ، فأنْـزَلَ اللهُ تعَـالى عليْـه كهيْئَـةِ السَّـحابَةِ، فِيهـا رأسٌ يتكلَّـمُ، فقـالَ: يـا إبْرَاهِيـمُ! علِّـمْ عـلى ظِـلِّي، فلـمَّا علَّـمَ(٣) ارْتَفعـتْ -وفي روايـةٍ عنْـه أنـه كانَ يَبْنِـي عليْهَـا كُلَّ يـوْمٍ سَـأفًا- قـالَ: وحفَـرَ إبْراهيـمُ مـن تحْـتِ السَّـكينَةِ، فأبْـدَى عـنْ قوَاعِـد، مَـا يُحـرِّك إحْـدَى القَوَاعِـدِ(٤) دُونَ ثلَاثـينَ رجُـلًا. فلـمَّا بلَـغ موْضِـعَ الحَجـرِ، قـالَ لإسْـمَاعِيلَ: الْتَمِـسْ لي حَجـرًا فذهَـبَ يطْلُـبُ حجـرًا، فجـاءَ جِبريـلُ بالحَجَـرِ الأسْـوَدِ، فوَضَعَـه، فلـمَّا جـاءَ إسْـمَاعِيلُ قـالَ: مَـنْ جـاءَكَ بِهـذَا الحَجَـرِ؟ قـالَ: جـاءَ بِـه مَـن لم يتَّـكِلْ(٥) عـلى بنَائـي وبِنائِـكَ(٦).

---

(١) رواه الأزرقي في أخبار مكة (١/ ٣٦- ٣٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٤٨)، وابن عساكر كما في الدر المنثور (١/ ٦٧٠).

(٢) من (ف).

(٣) في (ت): عَلَّمَتْ.

(٤) في (ت): ما يحرك القواعدَ. وفي (ف): ما يحرك القاعدةَ.

(٥) في (ف): لا يتكل.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٦٠).

وقال ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ المسيِّبِ، وأبو العَاليةِ: رفَعَا القَوَاعِدَ الَّتِي كانَتْ قواعِدَ قبْلَ ذلِكَ.

وقال السُّدِّيُّ: لَمَّا أمَرَ اللهُ تعالى ببِنَاءِ البَيْتِ لَم يدْرِ أينَ يُبْني، فبعَثَ اللهُ ريحًا، فكنسَتْ ما حوْلَ الكعْبَةِ عنِ الأسَاسِ الأوَّلِ الَّذي كان البَيْتُ عليْه قبْلَ الطُّوفانِ(١).

قوْلُه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المسلمُ في اللُّغةِ: الَّذي قدِ اسْتَسلم لِأمْرِ اللهِ، وخضَعَ(٢).

و«**المَنَاسِكُ**»: المتعبَّدَاتُ. فكُلُّ مُتعبَّدٍ مَنْسَكٌ](٣) ومَنْسِكٌ. ومنْه قِيل للْعابِدِ: ناسِكٌ. وتُسمَّى الذَّبيحةُ المتقرَّبُ بها إلى الله تعَالى: النَّسِيكةَ. وكأنَّ الأصلَ في النُّسُكِ إنَّما هُو [مِنَ](٤) الذَّبيحةِ للهِ تعَالى.

قوْلُه: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾؛ أي: مَذْبحنَا(٥)، قالَه مُجاهِدٌ. وقالَ غيْرُه: بلْ هي جميعُ أفْعَالِ الحَجِّ.

وقرَأَ ابْنُ كثِيرٍ: «وَأَرْنَا» بجزْمِ الرَّاءِ. و«رَبِّ أَرْنِي»، و«أَرْنَا اللَّذيْنِ [٣٢/ب] أَضَلَّانَا». وقرأَ نافِعٌ، وحمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «وَأَرِنا» بكسْرِ الرَّاءِ في جميع

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٥٥٧)، و(١٦/ ٥١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٨).

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من (م).

(٤) من (ت)، و(ف).

(٥) في (ت): مذابحنا.

ذلِـك. وقَـرَأَ أبـو بَكْـرٍ عـنْ عَاصِـمٍ وابْـنِ عامِـرٍ كذلِـك، إلَّا أنَّهـما أسْـكَنا[١] الرَّاءَ مِـن «أَرْنَـا اللَّذيـن» وحْدَهـا[٢].

قـالَ الفـرَّاءُ: أهْـلُ الحِجـازِ يقُولُـون: «أَرِنَـا» وكثِـيرٌ مِـنَ العـرَبِ يجْـزِمُ الـرَّاءَ، فيقُـول: «أَرْنَـا مَناسِـكَنا»، وقَـرَأَ بِهَـا بعْـضُ الثِّقَـاتِ[٣]. وأنْشَـدَنِي بعْضُهـم[٤] [مِـن الرجـز]:

قَالَـتْ سُـلَيْمَى: اشْـتَرْ لَنَـا دَقِيقًـا وَاشْـتَرْ فَعَجِّـلْ خَادِمًـا لَبِيقًـا

وأنْشَدَنِي الكِسَائِي[٥] [من الوافر]:

وَمَـنْ يَتَّـقِ[٦] فَـإِنَّ اللهَ مَعَـهُ وَرِزْقُ اللهِ مُؤْتَـابٌ وَغَـادِي

---

(١) في (ف): سكَّنا.

(٢) السبعة (ص: ١٧٠)، ومعاني القراءات (١/ ١٧٨)، والحجة (٢/ ٢٢٣).

(٣) لغات القرآن (ص: ٣٩).

(٤) البيت؛ لرجـل مـن كنـدة يُقـال لـه: العذافـة، في لسـان العـرب (٦/ ٢٥)، وإيضـاح شـواهد الإيضـاح (١/ ٣٥٥)، وتـاج العـروس (١٥/ ٤٣٨)، وذكـره البغـدادي في شرح شـواهد الشـافية نقـلًا عـن أبي محمـد الأعـرابي في ضالـة الأديـب أنَّـه لسـكين بـن نـضرة، عبـدٌ لبجيلة، وهـو بـلا نسـبة في لغـات القـرآن؛ للفـراء (ص: ٣٩)، والنـوادر (ص: ١٧٠)، وجمهـرة اللغـة (ص: ١٣٢٧)، والخصائـص (٢/ ٣٤٠).

(٥) البيـت بـلا نسـبة في الخصائـص؛ لابـن جنـي (١/ ٣٠٧)، ولسـان العـرب (١٥/ ٤٠٢) (تَوَقَّـى واتَّقـى). ومؤتـاب: راجـع، مـن ائتـاب بمعنـى آب.

(٦) في (م): يتق الله.

قال قتادةُ: أَرَاهُما اللهُ مناسِكَهما: المَوْقِفَ بعرفاتٍ، والإفاضةَ مِن جَمْعٍ، ورَمْيَ الجِمارِ، والطَّوافَ، والسَّعْيَ[(١)].

وقال أبو مِجلزٍ: لَمَّا فرَغَ إبراهيمُ مِنَ البيْتِ أتاهُ جبريلُ ﷺ، فأرَاهُ الطَّوافَ، ثُم أتى بِه جَمْرَةَ العقبةِ، فعَرضَ له الشَّيطانُ، فأخَذَ جبريلُ سبْعَ حَصياتٍ، وأعْطَى إبْرَاهِيمَ سبْعًا، وقال: ارْمِ وكبِّرْ، فرَمَيا وكَبَّرا مَعَ كُلِّ رَميَةٍ حتَّى غابَ الشَّيْطانُ. ثم أَتى به جَمْرَةَ[(٢)] الوسْطَى، فعَرضَ لهُما الشَّيطانُ، فأخَذَ جِبريلُ سبْعَ حَصَياتٍ، وأعْطَى إبْرَاهِيمَ سبْعَ حصَياتٍ، فقَالَ: ارْمِ وكبِّرْ، فرَمَيا وكبَّرا معَ كُلِّ رَميَةٍ حتَّى غابَ الشَّيْطانُ. ثم أتَى بِه الجَمْرَةَ القُصوى، فعَرَضَ لهما الشَّيطَانُ[(٣)]، فأخَذَ جِبريلُ سبْعَ حَصياتٍ، وأعْطَى إبْرَاهِيمَ سبْعَ حصَياتٍ. فقَالَ له: ارْمِ وكَبِّرْ، فرَمَيا وكَبَّرا معَ كُلِّ رَميَةٍ حتَّى غابَ الشَّيْطانُ، ثُمَّ أتَى بِه[(٤)] منًى، فقَالَ: هَاهُنا يَحلِقُ النَّاسُ رؤُوسَهُم، ثم أتَى به جَمْعًا، فقَالَ: هَاهُنا يجمَعُ النَّاسُ، ثم أتَى بِه عَرفَةَ، فقَالَ: أعَرَفْتَ؟ قالَ: نعَمْ! قالَ: فمَن ثَمَّ سُمِّيَتْ[(٥)] عَرفَاتٍ[(٦)].

قوْلُه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾.

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٥٧٦).

(٢) في (ف): الجمرة.

(٣) قوله: «فعرض لهما الشيطان» ليس في (ت)، و(ر)، و(ف).

(٤) من قوله: «الجمرة القصوى»... إلى هنا سقط من (م)، و(ج).

(٥) في (ف): سُمِّي.

(٦) رواه ابن أبي شيبة (١٤٧١٠).

في الهَاءِ والْمِيمِ مِن فِيهِمْ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّهَا تعُود علَى الذُّرِّيَّةِ، قالَه مُقاتِلٌ، والفرَّاءُ[١].

والثَّاني: على أهْلِ مكَّةَ في قوْلِه: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ﴾ والمْرادُ بالرَّسُولِ: مُحمَّدٌ ﷺ.

وقد رَوَى أبو أُمَامةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قِيلَ: يا رسُولَ اللهِ! ما كَانَ بدْءُ أمْرِك؟ قَال: «**دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ**»[٢].

و«**الكتَاب**»: القُرآنُ. و«**الحكمَةُ**»: السُّنَّةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ. ورُوي عنْه: الحِكمَةُ: الفِقهُ والحَلالُ والحَرامُ، ومَوَاعِظُ القُرآنِ. وسُمِّيتِ الحِكمَةُ حكْمَةً؛ لأنَّها تمْنعُ مِنَ الجهْلِ[٣].

وفي قوْلِه: ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاه: يأخُذُ الزكَاةَ منْهُم فيُطهِرُهم بهَا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والفرَّاءُ[٤].

---

(١) معاني القرآن (١/ ٧٩)، وتفسير مقاتل (١/ ١٣٠).

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٣٦)، وابن الجعد في مسنده (٣٤٢٨)، وأحمد (٣٦/ ٥٩٥)، والطبري في تفسيره (٢/ ٥٧٢)، والطبراني في الكبير (٧٧٢٩) عن أبي أمامة ﷺ، وفي رواية الطبري عن خالد بن معدان عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ.

(٣) زاد في (ج): مأخوذ من حكمة اللحام؛ لأنها تمنع الدابة من الذهاب.

(٤) معاني القرآن (ص: ٢٤٦)، ورواه الطبري في تفسيره (٣/ ٨٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٨) بمعناه.

والثَّاني: يُطهِّرُهم مِنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّالث: يدعُوهُم إلى ما يصِيرُونَ به أَزْكِياءَ.

قوْلُه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾.

قال الخطَّابِي: العِزُّ في كلامِ العرَبِ علَى ثلاثِ[1] أوْجُهٍ:

أحدُها: بمعْنَى الغَلَبةِ، يقُولون: مَنْ عَزَّ بَزَّ؛ أي: مَنْ غلَب سَلَبَ، يُقال منه: عزَّ يعُزُّ، بضمِّ العينِ مِنْ يَعُزُّ، ومنْه قوْلُه تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

والثَّاني: بمعْنَى الشِّدَّةِ والقُوَّةِ، يُقال منْهُ: عَزَّ يَعَزُّ، بفتْحِ العينِ مِن يَفْعَلُ[2]. [٣٣/أ]

والثَّالث: أن يكونَ بمعْنى نَفاسَةِ القَدرِ، يُقال منْه: عَزَّ يَعِزُّ، بكسْرِ العينِ مِنْ يَعِزُّ، ويُتأوَّلُ معْنى العزيزِ علَى أنَّه الَّذِي لا يُعادِلُه شيْءٌ، ولا مثْلَ لَهُ[3].

قوْلُه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾.

سبَبُ نُزولِهَا:

أنَّ عبدَ اللهِ بْنَ سلَامٍ دعَا ابْنَي أخِيه مُهاجِرًا وَسَلمةَ إلى الإسْلَامِ،

---

(١) في (ت)، و(ف): ثلاثة.

(٢) العبارة ساقطة من (ت)، و(ر).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٤٧).

فأَسْلَم سَلمَةُ، ورَغِبَ عنِ الإسْلَام مُهاجِرٌ، فنَزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

قال الزَّجَّاجُ: و«مَنْ» لفْظُهَا لفْظُ الاسْتِفهامِ، ومعْنَاها التَّقْرِيرُ والتَّوْبِيخُ(٢).

والمُعْنَى: مَا يرغَبُ عنْ ملَّةِ إبراهِيمَ إلَّا مَنْ سَفِهَ نفْسَهُ. ويُقال: رَغِبْتُ في الشَّيْءِ: إذَا أَرَدْتَه. ورَغِبْتُ عنْهُ: إذَا تركْتَه. و﴿مِلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: دينه.

قوْلُه: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾.

فيهِ أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاهَا: إلَّا مَنْ سَفَّه نفْسَه، قالَه الأخْفشُ ويُونسُ(٣).

قال يُونسُ: ولِذلك تعَدَّى إلى النَّفْسِ فنَصَبَها. وقالَ الأخْفَشُ: [نُصبتِ](٤) النَّفْسُ لإسْقَاطِ حرْفِ الجرِّ؛ لأنَّ المُعْنى: إلَّا مَنْ سَفِهَ في نفْسِه(٥). قالَ الشَّاعِرُ(٦) [من الوافر]:

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٣٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٩)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (١/ ١٥٧).

(٤) في (ل): نصيب، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١٠)، إعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ٧٩).

(٦) البيت لرجل من قيس، في جمهرة اللغة (٣/ ١٣١٧)، والمحكم والمحيط (٦/ ٥٧)، ولسان العرب (٧/ ٤٠).

نُغَالِي اللَّحْمَ للأَضْيَافِ نِيئًا وَنُرخِصُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ

والثَّاني: إلَّا مَنْ أهْلَكَ نفْسَهُ، قالَه أبو عُبَيْدَةَ[١].

والثَّالث: إلَّا مَنْ سَفِهَتْ نفسُه؛ كما يُقال: غُبِنَ[٢] فُلانٌ رأيَهُ، وهذا مذْهَبُ الفرَّاءِ وابْنِ قُتَيْبَةَ.

قالَ الفرَّاءُ: نُقِلَ[٣] الفِعلُ عنِ النَّفْسِ إلى ضمِير «مَنْ»، ونُصِبتِ النَّفْسُ علَى التَّشْبيه بالتَّفْسِير؛ كما يُقال: ضِقْتُ بالأمْرِ ذَرْعًا، يُرِيدونَ: ضَاقَ ذَرْعِي بِه، ومِثْلُه: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤][٤].

والرَّابع: إلَّا مَنْ جهِلَ نفْسَهُ، فلم يُفكِّرْ فيها[٥]، وهو اخْتِيارُ الزَّجَّاجِ[٦].

قولُه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: لَمِنَ الصَّالِحِي الحالِ عنْدَ اللهِ تعالى[٧]. وقالَ الزَّجَّاجُ: الصَّالِحُ فِي الآخِرَةِ: الفَائِزُ[٨].

---

(١) مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (ص: ٥٦).

(٢) في (ج): عين.

(٣) في (ف): انتقل.

(٤) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٧٩)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٤).

(٥) قوله: «لم يفكر فيها» ليس في (ف).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١١).

(٧) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٤٦٨).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١١).

قَوْلُه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾.

وذلِك حِينَ وُقُوعِ الِاصْطِفَاءِ، قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَمَّا رَأَى الكوْكَبَ والقمَرَ والشَّمْسَ، قَالَ لَه ربُّه: أَسْلِم؛ أي: أَخْلِصْ(١).

قَال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٤].

قَوْلُه: ﴿وَوَصَّىٰ﴾.

قَرَأ ابْنُ عامِرٍ وأهْلُ الْمدِينةِ: «وأَوْصَى» بألِف، مع تخْفِيفِ الصَّادِ، والباقُونَ بغيْرِ ألِفٍ مُشدَّدَةَ الصَّادِ(٢)، وهذا لِاخْتِلافِ الْمَصاحِف.

أخبَرَنا ابْنُ ناصِرٍ، قالَ: أخْبَرَنا ثابِتٌ، قالَ: أخبَرَنا ابْنُ قِشِّيشٍ، قالَ: أخْبَرَنا ابْنُ حيُّويةَ، قالَ: حدَّثَنا ابْنُ الأنْبارِيِّ، قالَ: أخبَرَنا ثعْلَبٌ، قالَ: أَمْلَى عليَّ خلَفُ بْنُ هِشامٍ البزَّارُ(٣): اخْتلفَ مُصْحَفا(٤) أهْلِ الْمدِينةِ وأهْلِ العِراقِ في اثْني عشَرَ حرْفًا: كتَبَ أهْلُ الْمدِينةِ: «وأَوْصَى»، وأهْلُ

(١) السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٩٤).

(٢) السبعة (ص: ١٧١)، والحجة (٢/ ٢٢٧)، والمبسوط (١/ ١٣٧).

(٣) في الأصل: البراز، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (ج): مصحف.

العِـرَاقِ: «وَوَصَّى». وكتَـبَ أهْـلُ الْمدينَـةِ: «سَـارِعُوا إلى مغفـرةٍ مِـنْ ربِّكُـم» بغـير واوٍ، وأهْـلُ العِـراقِ: «وسَـارِعوا». وكتَـبَ أهْـلُ المْدِينـةِ: «يقُـول الَّذِيـن آمنـوا»، وأهْـلُ العِـراقِ: «ويَقُـول». وكتـب أهْـلُ المْدِينـةِ: «مَـنْ يرتـدِدْ»[١]، وأهْـلُ العِـراقِ: «مَـنْ يرتـدَّ». وكتَـبَ أهْـلُ المْدينَـةِ: «الَّذِيـن اتّخـذوا مسـجدًا»، وأهْـلُ العِـرَاقِ: «والَّذِيـن». وكتَـبَ أهْـلُ المْدِينَـةِ: «خـيرًا منْهُـما منْقلبًـا»، وأهْـلُ العِـرَاقِ: «منْهـا». [٣٣/ ب]

وكتَـبَ أهْـلُ الْمدينَـةِ: «فتَـوكَّلْ عـلى العَزيـزِ الرَّحِيـم»، وأهْـلُ العِـراقِ: «وتَـوكَّل». وكتَـبَ أهْـلُ الْمدِينـةِ: «وأنْ يُظهـرَ في الأرض الفسَـادِ»، وأهْـلُ العِـرَاقِ: «أوْ أنْ يُظهـر»[٢].

وكتَـبَ أهْـلُ المْدِينَـةِ في «حـم عسـق»: «بـما كسـبت أيديكـم» بغـيْرِ فـاءٍ، وأهْـلُ العِـرَاقِ: «فبـما». وكتَـبَ أهْـلُ المْدِينـةِ: «مـا تَشْـتهيه الأنْفُـسُ» بالهَـاءِ، وأهْـلُ العِـرَاقِ: «مَـا تشْـتَهِي». وكتَـبَ أهْـلُ المْدِينَـةِ: «فـإنَّ اللهَ الغنـي الحميـد» في سـورة الحديـد، وأهْـلُ العِـراقِ: «فـإنَّ اللهَ هـو الغَنـي». وكتَـبَ أهْـلُ المْدِينـة: «فـلا يخـاف عقباهـا» بالفَـاءِ، وأهْـلُ العِـرَاقِ: «ولا يخَـافُ».

«ووصَّى»: آكَـدُ مِـن «أوْصَى»؛ لأنَّهـا تكُـونُ لِـمَرَّاتٍ كثِـيرةٍ[٣]. وهَـاء «بِهَـا» تعُـودُ عـلَى الْمِلَّـةِ، قالَـهُ عكْرِمَـةُ، والزَّجَّـاجُ[٤].

---

(١) في (م): يرتد.

(٢) في (ج): جعل رواية أهل المدينة لأهل العراق والعكس.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١١).

قـال مُقاتِـلٌ: وبنُـوهُ أربَعـةٌ: إسْـماعِيلُ، وإسْـحاقُ، ومدْيَـنُ، ومَدَائِـنُ. وذكَـرَ غَـيْرُ مُقاتِـلٍ أنَّهُـم ثمانيـةٌ(١).

قوْلُـه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ يُريـد: الزمُـوا الإسْـلَامَ، فـإذَا أدْرَكَكُـمُ المْـوْتُ صَادفَكُـم علَيْـهِ.

قوْلُه تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾.

سببُ نُزُولِهَا:

أنَّ اليهُـودَ قالُـوا للنَّبـيِّ ﷺ: ألَسْـتَ تعْلَـمُ أنَّ يعْقُـوبَ أوْصَى بَنِيـهِ يـوْمَ مـاتَ باليَهُوديَّـةِ؟ فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، قالَـهُ مُقاتِـلٌ(٢).

قوْلُـه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾؛ أي: مَضَـتْ، يُشِـيرُ إلى إبْراهِيـمَ وبَنِيـهِ، ويَعْقُـوبَ وبَنِيـهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقـرة: ١٣٥، ١٣٧].

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ١٤٠).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ١٤٠).

قَوْلُه: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾.

معْنَاهُ: قالتِ اليهُودُ: كُونوا هودًا، وقالَتِ النَّصارى: كُونوا نصارى، تَهْتدُوا. ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ المْعْنى: بل نَتَّبعُ مِلَّةَ إبْراهيمَ في حالِ حَنيفيَّتِه.

وفي الحنيفِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه المْائِلُ إلى العِبادةِ. قالَ الزَّجَّاجُ: الحَنيفُ في اللُّغةِ: المْائِلُ إلى الشَّيْءِ، أُخِذَ مِن قوْلِهم: رَجُلٌ أحْنَفُ، وهُو الَّذي تَميلُ قدَمَاهُ كُلُّ واحدَةٍ منْهُما إلى أُخْتِها بِأَصابِعِها[1]. قالتْ أُمُّ الأَحْنفِ تُرقِّصُه[2] [من الرجز]:

وَاللهِ لَوْلَا حَنَفٌ بِرِجْلِهِ وَدِقَّةٌ فِي سَاقِهِ مِنْ هَزْلِهِ

مَا كَانَ فِي فِتيَانِكُم مِنْ مثْلِه

والثَّاني: أنَّه المْستقيمُ، ومنْهُ قِيلَ للأعْرَجِ: حنيفٌ، تطيُّرًا[3] إلى السَّلَامَةِ، هذا قوْلُ ابْنِ قُتيْبَةَ[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٨)، و(٣/ ٢٢٢).

(٢) البيت؛ لأم الأحنف بن قيس واسمها: حَبَّة بِنْت عمرو الباهلية، ويقال حُبَّى، في أنساب الأشراف؛ للبلاذري (١٢/ ٣١٠)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (١/ ٧١)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (٤/ ٢٣٢)، أرقصت الأم صبيها ورقّصته: نزّته. والمنزّ: المهد، مهد الصبي.

(٣) في المطبوع: نظرًا. وفي (ج): تفاؤلًا.

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٤).

وقد وصف المفسرون الحنيف بأوصاف، فقال عطاء: هو المخلص[١]. وقال ابن السائب: هو الذي يحج[٢]. وقال غيرهما: هو الذي يوحد ويحج، ويضحي ويختتن، ويستقبل الكعبة[٣].

فأمَّا «**الأسباط**»: فهم بنو يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلًا. قال الزجاج: السبط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد. والسبط في اللغة: الشجر[٤]، فالسبط: الذين هم من شجرة[٥] واحدة[٦].

قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: أهل الكتاب.

وفي قوله: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ **ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن معناه: مثل إيمانكم، فزيدت الباء[٧] للتوكيد؛ كما زيدت في قوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥]، قاله ابن الأنباري[٨].

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (٥٧٧)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسير (٣٦٥٥)، وفي (١٢٩٥) عن خصيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١١٤)؛ لأبي الشيخ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الخازن في تفسيره (١/ ٢٥٦).

(٤) زاد في المطبوع: لها قبائل.

(٥) من قوله: «واحد، والسبط في اللغة»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١٧).

(٧) في (ت): الياء.

(٨) التفسير البسيط؛ للواحدي (٣/ ٣٥٧).

والثَّاني: أنَّ المُرادَ بالمِثْلِ هَاهُنا: الكِتَابُ، وتقدِيرُه: فإنْ آمَنُوا بكتابِكُم كما آمَنْتُم بكتابِهِم، قالَه أبو مُعاذٍ النَّحويُّ[١].

والثَّالث: أنَّ المِثْلَ هَاهُنا: صِلَةٌ، والمعْنى: فإن آمَنُوا بما آمَنْتُم بِه. ومثْلُه قوْلُه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ أي: ليْس كهُو شَيْءٌ. وأنْشدُوا[٢] [من السريع]:

يَا عَاذِلِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَا مِثْلِيَ لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَا

أي: أنَا لَا أقْبلُ منْكَ. [٣٤/أ]

فأمَّا «**الشِّقَاق**»: فهو المُشاقَّةُ والعَداوَةُ، ومنْهُ قوْلُهم: فُلانٌ قدْ شَقَّ عصَا المُسلمينَ، يُريدُون: فارَقَ ما اجْتَمَعُوا عليْهِ مِنِ اتِّبَاعِ إمَامِهِم، فكأنَّهُ صارَ في شِقٍّ غيْرِ شِقِّهِم.

قوْلُه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ هذا ضَمانٌ لِنصْرِ النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) انظر: التفسير البسيط (٣/ ٣٥٧). **وأبو معاذ النحوي**: الفضل بن خالد المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك، وداود بن أبي هند، وعنه الأزهري وأكثر عنه في التهذيب، وذكره ابن حبَّان في الثقات، وصنَّف كتاباً في معاني القرآن، توفي سنة (٢١١هـ). انظر: بغية الوعاة (٢/ ٢٤٥).

(٢) البيت بلا نسبة في الإنصاف (١/ ٢٤٥)، والصاحبي؛ لابن فارس (ص: ١٥٧)، وفقه اللغة؛ للثعالبي (ص: ٢٤١)، **العاذل**: الذي يلوم في تسخط وكراهية لما يلومك فيه، **ودعني**: اتركني.

فهرس الموضوعات

كلمة إدارة الشؤون الإسلاميَّة ٥

مقدمة التحقيق ٧

الباب الأول: ترجمة الإمام ابن الجوزي ١٥

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف ١٥

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في عصر ابن الجوزي، وأثرها على الناحية العلمية . ٦١

الباب الثاني: موارد الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ٦٩

الباب الثالث: منهج الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ٩٣

المبحث الأول: تعريف الإمام ابن الجوزي بمنهجه في تفسيره «زاد المسير» ٩٥

المبحث الثاني: دوافع تأليف «زاد المسير» ٩٧

المبحث الثالث: ملامح المنهج العام للإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ٩٩

المبحث الرابع: ترجيحات ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ١٠١

المبحث الخامس: طرق ابن الجوزي في الاستدلال على المعاني في تفسيره ١٠٤

المبحث السادس: منهج الإمام ابن الجوزي في ذكر الأحكام الفقهية ١١٩

المبحث السابع: منهج الإمام ابن الجوزي في مسائل من علوم القرآن ١٢٥

المبحث الثامن: القيمة العلمية لـ«زاد المسير»، وأثره على من جاء بعده ١٣٣

المبحث التاسع: وصف النسخ الخطية ومنهجنا في التحقيق ١٣٧

نماذج من النسخ الخطية ١٤٥

النص المحقق ١٦٥

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سُورَةُ الْفَاتِحَةِ	١٨٨

رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة	
١، ٥	٢١٣
٦، ٨	٢٢٩
٩، ١٢	٢٣٥
١٣، ١٤	٢٤١
١٥، ١٦	٢٤٧
١٧، ٢٠	٢٥٣
٢١، ٢٤	٢٧٥
٢٥	٢٨٥
٢٦	٢٩١
٢٧	٢٩٥
٢٨، ٢٩	٢٩٧
٣٠	٣٠١

٣١	....	٣١١
٣١، ٣٣	....	٣١٣
٣٤، ٣٩	....	٣١٧
٤٠، ٤٣	....	٣٣٥
٤٤، ٤٨	....	٣٤١
٤٩، ٥٣	....	٣٤٧
٥٤، ٥٧	....	٣٥٩
٥٨، ٥٩	....	٣٦٧
٦٠، ٦١	....	٣٧٣
٦٢، ٦٦	....	٣٨٣
٦٧، ٧١	....	٣٩٥
٧٢، ٧٤	....	٤٠٥
٧٥، ٧٧	....	٤١١
٧٨، ٨٢	....	٤١٥
٨٣	....	٤٢١
٨٤، ٨٦	....	٤٢٧
٨٧، ٨٨	....	٤٣٣
٨٩، ٩١	....	٤٣٥
٩٢، ٩٣	....	٤٣٩

٩٤، ٩٦ .... ٤٤٣

٩٧، ١٠١ .... ٤٤٥

١٠٢، ١٠٣ .... ٤٥١

١٠٤، ١٠٥ .... ٤٦١

١٠٦، ١٠٨ .... ٤٦٣

١٠٩، ١١٢ .... ٤٧١

١١٣، ١١٤ .... ٤٧٧

١١٥، ١١٩ .... ٤٧٩

١٢٠، ١٢٤ .... ٤٨٩

١٢٥، ١٢٦ .... ٤٩٥

١٢٧، ١٣١ .... ٥٠١

١٣٢، ١٣٤ .... ٥١١

١٣٥، ١٣٧ .... ٥١٣

الدوحة 2021
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثاني

تتمة البقرة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٢

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثاني

البقرة ١٣٨ - ٢٦٨

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨، ١٤١].

قَوْلُه: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾.

سَبَبُ نُزُولِهَا:

أنَّ النَّصارَى كانُوا إذَا وُلِدَ لأحَدِهم ولَدٌ، فأَتَى عليْهِ سبْعَةُ أيَّامٍ، صبَغُوه في مَاءٍ لهم، يُقالُ لَهُ: المَعْمُودِيُّ؛ لِيطَهِّرُوه بذلِك، ويقُولُونَ: هذَا طهُورٌ مكَانَ الخِتَانِ، فإذَا فعَلُوا ذلِك قالُوا: صَار نصْرانِيًّا حقًّا، فنزلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ(١).

قَالَ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وأبُو العالِيَةِ، ومُجاهِدٌ، والنَّخعِيُّ، وابْنُ زيْدٍ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾: دِينَهُ. قَالَ الفرَّاءُ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ مَرْدودةٌ علَى المِلَّةِ(٢).

وقَرَأَ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «صِبْغَةُ اللهِ» بالرَّفْعِ علَى معْنَى: هذِه صبْغَةُ اللهِ(٣).

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤١)، وعنه الحافظ في العجاب (١/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٨٢).

(٣) قال المهدوي: جائز على تقدير: ﴿هي صبغة الله﴾، أو على الرد على ﴿ملةُ إبراهيم﴾ فيمن رفع. انظر: التحصيل للمهدوي (١/ ٣٥٩)، وشواذ الكرماني (ص: ٧١)، الكامل؛ للهذلي (١/ ٤٩٣).

وكذلِكَ قَرَأَ: «مِلَّةُ[١] إِبْرَاهِيمَ» بالرَّفْعِ[٢] أيضًا على معْنَى: هذه مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ[٣].

قال ابْنُ قُتيْبَةَ: المُرادُ بـ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: الخِتانُ، فسَمَّاهُ صِبْغةً؛ لأنَّ النَّصارَى كانُوا يَصْبُغُونَ أولادَهُم في مَاءٍ[٤]، فقَالَ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الْزمُوا صِبغَةَ اللهِ، لا صِبْغَةَ النَّصارى، ورَدَّهَا علَى مِلَّةِ إبْراهيمَ[٥]. وقال غيْرُهُ: إنَّما سُمِّيَ الدِّينُ صبْغَةً لِبيانِ أثَرِهِ علَى الإنْسانِ، كظهُورِ الصِبْغِ علَى الثَّوْبِ[٦].

قوْلُه: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد: يهُودَ المْدِينَةِ، ونصَارى نَجرانَ[٧]. و«المْحاجَّةُ»: المْخاصَمَةُ في الدِّينِ، فإنَّ اليهُودَ قالَتْ: نحنُ أهْلُ الكتابِ الأوَّلِ. وقِيلَ:

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) وهي قراءة شاذة عن الأعرج وابن جندب، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٨)، زاد القرطبي: ابن أبي عبلة انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٣٩)، وعن ابن جندب والأعرج وابن أبي عبلة في شواذ الكرماني (ص: ٧١).

(٤) زاد في المطبوع: ويقولون: هذا طهرة لهم، كالختان للحنفاء.

(٥) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٤).

(٦) التفسير البسيط (٣/ ٣٥٩- ٣٦٠)، تفسير البغوي (١/ ١٧٣).

(٧) ذكره الطبري في تفسيره (٢/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٤١)، ولكن في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾.

ظاهَـرتِ اليهُـودُ عبَـدَةَ الأوْثَـانِ، فقِيـل لَهُـم: تَزْعمُـونَ أنَّكُـم مُوحِّـدُونَ، ونحـن نُوحِّـدُ، فلِـمَ ظَاهَرْتُـم مَـن لَا يُوحِّـدُ؟!.

قوْلُـه: ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ قـالَ أكْثـرُ المُفسِّريـنَ: هـذَا الـكلَامُ اقْتَـضَى نـوْعَ مُسَـاهلَةٍ، ثُـمَّ نُسِـخَ بآيـةِ السَّـيْفِ[١].

قوْلُه: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾... الآيةَ.

سبَبُ نُزُولِها:

أنَّ يهـودَ المدِينـةِ، ونصَـارَى نجـرَانَ قالُـوا للمؤمِنـينَ: إنَّ أنبيـاءَ اللهِ كانُـوا مِنَّـا مِـنْ بَنِـي إسْرائِيـلَ، وكانُـوا علَى دينِنَـا، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، قالَـهُ مُقاتِـلٌ[٢]. ومعْنـى الآيـةِ: إنَّ اللهَ قـد أعْلمَنَـا بديـنِ الأنبيـاءِ، ولَا أحَـدَ أعْلَـمُ بـه منْـهُ.

قَـرَأَ[٣] ابْـنُ كثِـيرٍ ونافِـعٌ وعَاصِـمٌ -في رِوايـةِ أبي بكْـرٍ- وأبُـو[٤] عَمـرٍو: «أمْ يقُولـونَ» باليَـاءِ علَى وجْـهِ الخَـبرِ عـنِ اليهُـودِ. وقَـرَأَ ابْـنُ عامِـرٍ وحمْـزَةُ والكِسَـائيُّ وحفْـصٌ عـنْ عَاصِـمٍ: «تَقُولُـونَ» بالتَّـاءِ؛ لأنَّ مـا قبْلَهـا مُخاطَبـةٌ[٥]،

(١) الناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٤٩).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ١٤١).

(٣) في (ف): وقرأ.

(٤) في الأصل: وأبي، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٥) السبعة (ص: ١٧١)، ومعاني القراءات (١/ ١٨٠)، والمبسوط (١/ ١٣٧).

وهـي [قوْلُـه](١): ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾، وبعدَهـا(٢): ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾.

وفي الشَّهادةِ الَّتِي كتَمُوهَا قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ اللهَ تعـالى شـهِدَ عنْدهـم بشَـهادَةٍ لإبْراهيـمَ ومَـن ذُكِـرَ معَـهُ أنَّهُـم كانُـوا مُسـلِمينَ، فكتَمُوهـا، قالَـه الحَسَـنُ، وزيْـدُ بْـنُ أسْـلَمَ.

والثَّـاني: أنَّهُـم كتَمُـوا الإسـلامَ وأمْـرَ مُحَمَّـدٍ وهـم يعْلَمُـون أنَّـه نَبِـيٌّ ودِينَه الإسْـلامُ، قالَـهُ أبـو العالِيَةِ، وقتـادَةُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقـرة: ١٤٢، ١٤٣].

قوْلُه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

فِيهم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ اليهُودُ، قالَه البَراءُ بْنُ عازِبٍ، ومُجاهِدٌ، وسَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

[٣٤/ب] **والثَّاني:** أنَّهم أهْلُ مكَّةَ، رَواه أبُو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) من (ج).

(٢) ليست في (ج).

والثَّالث: أنَّهُمُ المْنافِقونَ، ذكرَهُ السُّدِّيُّ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ، وابْنِ عبَّاسٍ.

وقد يُمكِنُ أنْ يكونَ الكُلُّ قالُوا ذلِك، والآيَةُ نزلَتْ بعْدَ تَحْوِيلِ القِبلَةِ.

و﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الجهلَةُ.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾؛ أي: صرَفَهُم عنْ قِبْلتِهِم، يُريد: قِبلَةَ بيْتِ المْقْدِسِ.

واخْتلَفَ العُلَماءُ في مُدَّةِ صلَاة النَّبيِّ ﷺ إلى بيْتِ المْقْدسِ، بعْدَ قدُومِه إلَى المْدِينةِ علَى سِتَّةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه سِتَّةَ عشَرَ شهْرًا، أو سبْعَةَ عشَرَ شهْرًا، قالَه البَرَاءُ بْنُ عازِبٍ.

والثَّاني: سبْعَةَ عشَرَ شهرًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالث: ثلاثَةَ عشَرَ شهْرًا، قالَهُ مُعاذ بْنُ جبَلٍ.

والرَّابع: تسْعَةُ أشْهُرٍ أو عشرَةُ أشهُرٍ، قالَهُ أنسُ بْنُ مالِكٍ.

والخامِس: سِتَّةَ عشَرَ شهْرًا.

والسَّادس: ثمانِيةَ[1] عشَرَ[2]، رُوي القوْلَانِ عنْ قتادَةَ.

وهَلْ كانَ اسْتقْبالهُ بيْتَ المْقدسِ برأْيِه، أو عَنْ وحْيٍ؟ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه كان بأمْرِ اللهِ وَوحْيِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّه كانَ باجْتِهادِه ورأْيِه، قالَهُ الحسَنُ، وأبو العَالِيةِ، وعكرِمَةُ، والرَّبيعُ.

---

(١) في (ج): ستة.

(٢) من قوله: «قاله معاذ بن جبل»... إلى هنا ساقط من (م).

وقالَ قتادَةُ: كانَ النَّاسُ يتوجَّهونَ إلى أيِ جِهةٍ شاؤُوا، بقوْلِه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]، ثُمَّ أمرهُمُ النَّبيُّ ﷺ باسْتقْبالِ بيْتِ المْقدِس(١).

وفي سببِ اخْتيارِهِ بيْتَ المْقدِسِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لِيتألَّف أهْلَ الكتابِ، ذكرَهُ بعْضُ المُفسِّرينَ(٢).

والثَّاني: لِامْتحَانِ العرَبِ بغيْرِ مَا أَلِفوهُ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٣).

قوْلُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

سببُ نُزولِها: أنَّ اليهودَ قالُوا: قِبْلتُنا قِبلَةُ الأنْبياءِ، ونحنُ عَدْلٌ بيْنَ النَّاسِ، فنزلَتْ هذِه [الآيَةُ](٤)، [قالَه مُقاتِلٌ](٥).

و«الأُمَّةُ»: الجماعَةُ. و«الوَسَطُ»: العَدْلُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو سَعيدٍ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ. وقالَ ابْنُ قُتيْبَةَ: الوَسَطُ: العَدْلُ(٦) الخِيارُ؛ ومنْه قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي: أعدلُهُم وخيْرُهُم. قالَ الشَّاعِرُ(٧)

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٢٩)، و(٣/ ١٥٧)، والعجاب (١/ ٣٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٣٨) عن أبي العالية.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١٨).

(٤) من (ف).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٨٣). قوله: «قاله مقاتل» ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) ليست في (ت)، و(ر).

(٧) الظاهر -والله أعلم- أنَّ ابن قتيبة نقل في غريب القرآن (ص: ٦٥) هذا البيت عن أستاذه الجاحظ، فقد أنشده الجاحظ غير منسوب في البيان والتبيين (٣/ ٢٢٥)، وقال بعقبه: «يجعلون ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وفيه:=

[مـن الطويـل]:

هُـمُ وَسَـطٌ يَـرْضَى الْأَنَـامُ بِحُكْمِهِـمْ ... إِذَا نَزَلَـتْ إِحْـدَى اللَّيَـالِي بِمُعْظَـمِ

وأصْلُ ذلِك أنَّ خيْرَ الأشْياءِ أوْسَاطُها، والغلُوُّ والتَّقْصِيرُ مذْمُومانِ.

وذكَـرَ ابْـنُ جريـرِ الطَّـبَرِيُّ أنَّـه مِـنَ التَّوسُّـطِ في الفِعـلِ، فـإِنَّ المْسـلمِينَ لم يُقـصِّرُوا في [دينِهِـم][1] كاليهُـودِ، فإنَّهُـم قتلُـوا الأنْبِيـاءَ، وبدَّلُـوا كِتـابَ اللهِ، ولم يغْلـوا كالنَّصَـارى، فإنَّهُـم زعمُـوا أنَّ عِيسـى ابْـنُ اللهِ[2].

وقـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقِيُّ: في هـذَا الـكلَامِ محْذُوفٌ، ومعْنـاه: جعلْـتُ قِبلَتَكُـم وسَـطًا بـيْنَ القِبْلتَـيْنِ، فـإنَّ اليهُـودَ يُصلُّـونَ نحـوَ المْغـرِبِ، والنَّصـارَى نحـوَ المْشرِقِ، وأنْتُـم بيْنَهُـما[3].

قوْلُه: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فِيهِ قوْلَانِ:

=«يـرضى الإلـه» وهـو تحريـف مفسـد للمعنـى. والبيـت بهـذه الروايـة منسـوب لزهـير في تفسـير الطـبري (٣/ ١٤٢)، وتفسـير القرطبـي (٢/ ١٥٣)، والبحـر المحيـط (١/ ٤١٨)، والـذي في ديـوان زهـير (ص: ٢٧)، وشرح القصائـد السـبع؛ لأبي بكـر ابـن الأنبـاري:

لحيٌّ حِلالٍ يعصِمُ الناسَ أمْرُهُم ... إذا نَزَلَتْ إحدى اللَّيالي بمُعظَمِ

وقوله: «**بمعظم**»؛ أي: بأمر عظيم. **والحِلال**: مركب من مراكب النساء.

(١) في (ل): ديتهم.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٤٢).

(٣) لم أقف عليه.

أحدُهما: أنَّ معْناهُ: لِتشْهَدُوا للأَنْبياءِ علَى أُمَمِهِم.

روَى أبو سعِيدٍ الخُدرِيُّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «يَجِيءُ النَّبيُّ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَيَجِيءُ النَّبيُّ مَعَهُ الرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النَّبيُّ مَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ أَبْلَغَكُمْ هذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا[1]. فَيُقَالُ للنَّبيِّ: أَبَلَّغْتَهُمْ؟ فيَقُولُ: نَعَمْ! فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ[2]: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَشْهَدُونَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكُمْ؟ فيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾»[3]. [٣٥/أ]
وهذَا مذْهَبُ عِكرِمَةَ، وقتادَةَ.

والثَّاني: أنَّ معْناهُ: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ لِمحمَّدٍ علَى الأُمَمِ اليهودِ والنَّصارى والمجوسِ قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُه: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ.

وبماذَا يشْهَدُ عليْهِم؟ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بأعْمالِهم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو سعِيدٍ الخُدرِيُّ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: بِتبْليغِهِمُ الرِّسالَةَ، قالَهُ قتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

والثَّالث: بإيمانِهِم، قالَهُ أبو العالِيةِ.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ت)، و(ف): قال.

(٣) رواه أحمد (١٨/ ١١٢)، والبخاري (٤٤٨٧-٧٣٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٩).

فَيكُونُ علَى هذَا «عليْكُم» بمعْنَى: لكُم. قالَ عكْرِمةُ: لا يُسأَلُ عنْ هذِه الأمَّةِ إلَّا نبيُّها[١].

قوْلُه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ يُريد: قِبلَةَ بيْتِ المْقدِسِ.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ فيهِ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لنَرَى.

والثَّاني: لنُميِّزَ. رُوِيَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: لِنعلمَهُ وَاقِعًا؛ إذْ عِلْمه قدِيمٌ، قالَهُ جماعَةٌ مِنْ أهْلِ العِلْمِ[٢] وهو يَرجِعُ إلى قوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ: «لنَرَى».

والرَّابع: أنَّ العِلْمَ رَاجِعٌ إلى المْخاطَبِينَ، والمْعْنَى: لِتعْلَمُوا أنْتُم، قالَهُ الفرَّاءُ[٣].

قوْلُه: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾؛ أي: يرجِعُ إلى الكُفْرِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ، ومُقاتِلٌ.

قوْلُه: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾.

في المْشارِ إليْهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّوْليةُ إلى الكعْبَةِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

---

(١) الدر المنثور (٢/ ٢٥).

(٢) ليست في (ت).

(٣) التفسير البسيط (٣/ ٣٧٩)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٣/ ٣٤٤).

والثَّـاني: أنَّهَـا قِبلَـةُ بيْـتِ المَقـدِسِ قبْـلَ التَّحـوُّلِ عنْهَـا، قالَـهُ أبـو العاليـةِ، والزَّجَّـاجُ(١).

قوْلُه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾.

نَزَل على سَبَبٍ:

وهـو أنَّ المُسـلِمينَ قالُـوا: يـا رسُـولَ اللهِ! أرَأيْـتَ إخْوانَنـا الَّذيـن ماتُـوا وهُـم يُصلُّـون إلى بيْـتِ المَقْـدِس؟ فأنْـزلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾(٢).

و«الإيـمانُ» المذكـورُ هَاهُنـا أُريـدَ بـه: الصَّـلاةُ في قـوْلِ الجماعَـةِ(٣). وقِيـلَ: إنَّـما سَـمَّى الصَّـلاةَ إيمانًـا؛ لاشْـتمالِها عـلَى قـوْلٍ ونيَّـةٍ وعمَـلٍ. قـال الفـرَّاءُ: وإنَّـما أسْـنَدَ الإيـمانَ إلَى الأحْيـاءِ، والمَعْنـى: فيمَـنْ مَـاتَ؛ [قبْـلَ أنْ تحَـوَّلَ القِبْلَـةُ](٤)؛ لأنَّهُـم دَاخِلُـون معَهُـم في المِلَّـةِ(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٤٨)، وذكره ابن أبي حاتم (١/ ٢٥١)، وجعل قوله كقول مجاهد، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٠).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٩٨)، والترمذي (٢٩٦٤)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، والطبري في تفسيره (٣/ ١٦٧)، وانظر: أسباب النزول (ص: ٢٦)، والعجاب (١/ ٣٩٣) كلهم من حديث ابن عباس.

(٣) ذكره أبو عبيد في كتاب الإيمان (ص: ٢)، وذكره الخلال في السنة (٣/ ٥٨٩) عن أحمد بن حنبل، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ١٦)، ونقل النووي الإجماع في شرح مسلم (١/ ١٤٩).

(٤) ما بين المعكوفين من (ف).

(٥) معاني القرآن (١/ ٨٣).

قَوْلُه: ﴿لَرَءُوفٌ﴾.

قَـرَأَ ابْـنُ كَثِـيرٍ، ونَافِـعٌ، وابْـنُ عَامِـرٍ، وحفْـصٌ عـنْ عَاصِـمٍ: «لَـرَؤُوفٌ» علَى وزْنِ: لَرَعُـوفٌ، في جَمِيـعِ القُـرآنِ[1]، وَوَجْهُهَـا: أنَّ فَعُـولًا أكْثَـرُ في كلامِهِـم مِـنْ فَعُـلٍ، فبَـابُ ضَرُوبٍ[2] وشَـكُورٍ، أَوْسَـعُ مِـنْ بَـابِ حَـذُرٍ ويَقُـظٍ.

وقَـرَأَ أبـو عمْـرٍو وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وأبُـو بكْـرٍ، عـنْ عَاصِـمٍ: «لَـرؤُفٌ» علَى وزن: لَرَعُـفٍ[3]، ويُقَـالُ: هـو الغَالِـبُ علَى أهْـلِ الحِجَـازِ. قـالَ جَرِيـرٌ[4] [مـن الوافـر]:

تَـرَى لِلْمسْـلِمِينَ عَلَيْـكَ حَقًّـا كَفِعْـلِ الْوَالِـدِ الـرَّؤُفِ الرَّحِيـمِ[5]

---

(١) من هنا بداية سقط من (ج) بمقدار لوح.

(٢) في (م): ضرب.

(٣) ذكـره ابـن مجاهـد في كتـاب السـبعة في القـراءات (ص: ١٧١)، وابـن زنجلـة في حجـة القـراءات (ص: ١٦)، وفي التفسـير البسـيط (٣/ ٣٨٤)، وفي الأصـل وغـيره: رعـف، والمثبـت مـن (ف).

(٤) البيـت في ديوانـه (ص: ٥٠٨)، والكامـل؛ للمـبرد (٢/ ١٣٩)، والحجـة؛ للفـارسي (٢/ ٢٣٠)، والحجـة؛ لابـن زنجلـة (ص: ١١٦)، والحجـة؛ لابـن خالويـه (ص: ٩٠)، وهـو ضمـن قصيـدة يمـدح فيهـا هشـام بـن عبـد الملـك. والشـاهد قولـه: «الـرَّؤُف»؛ حيـث وردت مهمـوزة مخففـة. ويُـروى بـدل «تـرى»: «يـرى» باليـاء.

(٥) قوله: «الرؤف الرحيم» ساقط من (م).

و«الـرَّؤوفُ» بمعْنـى: الرَّحِيـم، هـذا قـوْلُ الزَّجَّـاجِ[1]، وذكَـرَ الخطَّـابِيُّ عـن بعْـضِ أهْـلِ العِلْـم أنَّ الرَّأفـةَ أبْلَـغُ الرَّحمَـةِ وأرَقُّهـا. قـالَ: ويُقـال: الرَّأْفَـةُ أخَـصُّ، والرَّحْمَـةُ أعَـمُّ[2].

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقـرة: ١٤٤، ١٤٥].

قوْلُه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

سببُ نُزولِهَا:

[٣٥/ب] أنَّ النَّبـيَّ ﷺ كانَ يُحِـبُّ أنْ يُوجَّـهَ إلى الكعْبَـةِ، قالَـهُ الـبَرَاءُ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ المُسـيَّبِ، وأبـو العَاليـةِ، وقتَـادَةُ[3].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٨).

(٣) رواه ابـن سـعد في الطبقـات (٤/ ٣٦٥) عـن الـبراء، وفي (١/ ٢٤١) عـن ابـن عبـاس، و ابـن أبي شـيبة(٣٧٧٦٥)، والبخـاري (٣٩٩-٧٢٥٢) عــن الـبراء، والترمـذي (٣٤٠-٢٩٦٢)، وقـال: وَفِي البَـابِ عـنِ ابـنِ عمـرَ، وابـنِ عبَّـاسٍ، وعُـمارةَ بـنِ أوْسٍ، وعمْـرِو بـنِ عـوْفٍ المُـزنِيِّ، وأنَـسٍ: «حَدِيـثُ الـبَرَاءِ حَدِيـثٌ حَسَـنٌ صَحِيـحٌ»، والنسـائي في الكـبرى (١٠٩٣٦)، والطـبري في التفسـير (٢/ ٤٥٠-٦٢٣-٦٥٨)، وفي (٢/ ٦٥٦) عــن قتــادة، وفي تاريخــه (٢/ ١٨) عــن ابــن عبــاس، وصححـه ابـن خزيمـة (٤٣٣)، وأبـو عوانـة في المسـند (١١٦٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره=

وذكَـرَ بعْـضُ المْفسِّريـنَ أنَّ هـذِه الآيَـةَ مُقدَّمَـةٌ في النُّـزُولِ عـلَى قوْلِـه تعَـالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١).

واخْتلَفُوا في سبَبِ اخْتِيارِ النَّبيِّ ﷺ الكعْبَةَ على بيْتِ المْقدِسِ علَى قوْليْنِ:

أحدهما: لِأنَّهَا كانتْ قِبلَةَ إبْراهِيمَ، رُوِيَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لِمُخالَفَةِ اليهُودِ، قالَه مُجاهِدٌ.

ومعْنـى «تقَلُّـبِ وجْهِـهِ»: نظَـرُهُ إليْهَـا يمينًـا وشـمالًا. و«في» بمعْنَـى إلَى، و﴿تَرْضَىٰهَا﴾ بمعْنَـى: تُحِبُّهـا. و«الشَّـطْرُ»: النَّحـوُ مِـن غـيْرِ خِـلافٍ.

قـالَ ابْـنُ عُمـرَ: أتَـى النَّـاسَ آتٍ وهُـم في صـلَاةِ الصُّبْـحِ بِقُبَـاءٍ، فقَـالَ: إنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قـد أُنـزل عليْـهِ اللَّيْلَـةَ قُـرآنٌ، وأُمِـرَ أنْ يسـتقْبِلَ الكعْبَـةَ، ألَا فاسْـتقْبِلُوها، [وكانَـتْ وجُوهُهُـم إلَى الشَّـامِ](٢)، فاسْـتَدَارُوا وهُـم في صَلاتِهِم(٣).

❁❁❁

=(١/ ٢٤٨-٢٥٣) عـن ابـن عبـاس وأبي العاليـة، وابـن حبـان (١٧١٦-٦٢٨١-٦٨٧٠)، والطحـاوي في أحـكام القـرآن (٢٤٥).

(١) انظـر: تفسـير مقاتـل (١/ ٨٣)، والطـبري في التفسـير (٢/ ٦١٨-٦٢٤-٦٢٥) عـن ابـن عبـاس والسـدي وقتـادة، والبيهقـي في الدلائـل (٢/ ٤٧٦) عـن الزهـري.

(٢) من المطبوع.

(٣) رواه البخاري (٤٤٩٠-٤٤٩١-٤٤٩٣-٤٤٩٤)، ومسلم (٥٢٦)، وفي (٥٢٧) عن أنس.

فَصْلٌ

اخْتلَف العلماءُ أيّ وقتٍ حُوِّلتِ القِبلَةُ؟ على ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها حُوِّلتْ في صلاةِ الظُّهرِ يومَ الاثْنينِ للنصفِ[1] مِن رجَبٍ على رأسِ سبْعَةَ عشَرَ شهْرًا مِن مقْدمِ رسُولِ اللهِ ﷺ المْدينةَ، قالَهُ البَرَاءُ بْنُ عازِبٍ، ومَعقِلُ بْنُ يَسارٍ.

والثَّاني: أنَّها حُوِّلَتْ يومَ الثُّلاثاءِ للنِّصْفِ[2] مِنْ شعْبَانَ على رأسِ ثَمانِيةَ عشَرَ شهْرًا مِن مقْدِمِه المْدينةَ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث: أنَّها حُوِّلَتْ [في][3] جُمادَى الآخِرةِ، حكَاهُ ابْنُ سلامَةَ المُفَسِّرُ عنْ إبْراهِيمَ الحرْبِيِّ[4].

وفي ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ **قوْلانِ**:

أحدُهما: اليهُودُ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والثَّاني: اليهُودُ والنَّصارَى، قالَه أبو سُليْمان الدِّمَشقيُّ.

---

(١) في (ف): النصفَ.

(٢) في (ف): النصفَ.

(٣) من (ف).

(٤) وابن سلامة: هو أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، المتوفى: (٤١٠هـ). انظر: الناسخ والمنسوخ؛ له (ص: ٤)، ولكن قال عن إبراهيم الحراني، وذكر ابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٥٥) عن أبي إسحاق الحربي أنها حولت في رجب، ثم روى أثرًا عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أنَّ القبلة صرفت في جمادى.

قوْلُه: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

يُشِيرُ إلى مَا أُمِرَ بِه مِنَ التَّوجُّهِ إلى الكعْبَةِ، ثُمَّ توَعَّدَهُم[١] بباقِي الآيةِ علَى كِتْمَانِهِم مَا علِمُوا.

ومِنْ أيْنَ علِمُوا أنَّهُ الحَقُّ؟ فِيه أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّ في كتابِهِمُ الأمْرَ بالتَّوجُّهِ إليْهَا، قالَه أبو العَاليةِ.

والثَّاني: يعلَمُون أنَّ المْسْجِدَ الحَرامَ قِبلةُ إبْرَاهِيمَ.

والثَّالث: أنَّ في كِتابِهِمْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَادِقٌ، فلا يَأْمُرُ إلَّا بِحَقٍّ.

والرَّابعُ: أنَّهُم يعْلَمُونَ جوازَ النَّسْخِ.

قوْلُه: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾.

سببُ نُزولِهَا:

أنَّ يهُودَ المْدِينةِ ونصَارَى نَجْرانَ قالُوا للنَّبيِّ ﷺ: ائتِنَا بآيَةٍ كمَا أتَى الأنْبِياءُ قبْلَكَ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

قوْلُه: ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ يُرِيدُ: الكعْبَةَ ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾؛ لأنَّ اليهُودَ يُصلُّونَ قِبَلَ المْغْربِ إلى بيْتِ المْقدِسِ، والنَّصارى قِبَلَ المْشْرِقِ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فصلَّيْتَ إلَى قِبْلَتِهِم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، قَالَ مُقاتِلٌ: يُرِيدُ بالعِلْمِ: البَيَانَ[٣].

---

(١) في (ف): تواعدهم.

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٨٥).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٨٥).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٥٠].

قوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾.

فِي هاءِ «يعْرِفونَهُ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهَا تَعُودُ علَى النَّبيِّ ﷺ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: تَعُودُ [علَى صَرْفهِ إلى الكعْبَةِ، قالَهُ أبو العالِيةِ، وقتادَةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. ورُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

وفي الحَقِّ الَّذِي كتَمُوهُ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه النَّبيُّ ﷺ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

[٣٦/أ] والثَّاني: أنَّه التَّوجُّهُ إلى الكعْبَةِ، قالَهُ السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ في آخَرينَ.

وفِي قوْلِه: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: وهُم يعْلَمُون أنَّه حَقٌّ.

والثَّاني: وهُم يعْلَمُون مَا علَى مُخالَفَتِه[١] مِنَ العِقَابِ.

قوْلُه: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: أي: هذَا الحَقُّ مِنْ ربِّكَ[٢]. والمُمْترونَ: الشَّاكُّونَ، والخِطَابُ عَامٌّ.

قوْلُه: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ﴾؛ أي: لكلِّ أهْلِ دِينٍ وجْهَةٌ. المُرادُ بالوِجْهةِ: القِبْلَةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ في آخَرِين. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: جِهَةٌ، وَوِجْهَةٌ[٣].

وفي «هُو» ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهَا ترجِعُ إلى اللهِ تعالى، والمعْنَى: اللهُ مُولِّيها إيَّاهُم؛ أي: آمِرُهُم بالتَّوَجُّهِ إليْهَا.

والثَّاني: تَرجِعُ إلَى المتولِّي، فالمعْنى: هو مُولِّيهَا نفْسَه، فيكُون «هُو» ضميرُ كُلٍّ.

والثَّالث: يَرجِعُ[٤] إلى البيْتِ، قالَ مُجاهِدٌ: أُمِرَ كُلُّ قومٍ أنْ يُصلُّوا إلَى الكعْبَةِ[٥].

---

(١) في (ف): مُخَالِفِه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٥). وفي (ل): وِجُهَةٌ.

(٤) في (ف): ترجع.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٣٧٦).

والجمْهُور يقْرءونَ: «مُولِّيهَا»، وقَرَأ ابْنُ عامِرٍ، والوَلِيدُ[١] عنْ يعْقُوبَ: «هو مُولَّاهَا» بألِفٍ بعْدَ اللَّامِ[٢]، فضَمِيرُ «هُوَ» لِكُلٍّ، ومعْنَى القِرَاءتَيْنِ مُتَقارِبٌ.

قوْلُه: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: بَادِرُوهَا. وقال قتادةُ: لا تُغْلَبُوا علَى قِبْلَتِكُم[٣]. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ وغيْرُه: هذَا في يوْمِ القِيامَةِ[٤].

فأمَّا إعَادةُ قوْلِه: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، فإنَّه تكْرِيرُ تأْكِيدٍ، لِيُحْسَمَ[٥] طمَعُ أهْلِ الكتابِ في رجُوعِ المُسْلِمينَ أبدًا إلى قِبْلَتِهم.

قوْلُه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾.

---

(١) الوليد بن حسان التوزي البصري، روى القراءة عرضًا عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي، روى القراءة عنه عرضًا محمد بن الجهم. انظر: غاية النهاية في طبقات القرَّاء (٢/ ٣٥٩).

(٢) السبعة (ص: ١٧٢)، والحجة (٢/ ٢٣٠)، والمبسوط (ص: ١٣٧)، ولم أقف على نسبة الوليد عن يعقوب إلا عند المصنف.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٦٨٠).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٦٨٠) عن الربيع والسدي، وابن أبي حاتم في التفسير (١٣٨٢) عن أبي العالية، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٦١٢) عن ابن عباس.

(٥) في (ت)، و(ف): لِيَنْحَسِمَ.

في «النَّاس» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم أهْلُ الكِتابِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبُو العَالِيةِ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: مُشرِكُو العرَبِ، رَواهُ السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه.

فمَنْ قالَ بالأوَّلِ قالَ: احْتِجاجُ أهْلِ الكِتَابِ أنَّهُم قالُوا للنَّبيِّ ﷺ: مَا لَكَ تركْتَ قِبْلَةَ بيْتِ المْقْدِسِ؟! إنْ كانَتْ ضَلالَةً فقَدْ دِنْتَ اللهَ بِهَا، وإنْ كانَتْ هُدًى، فقَدْ نُقِلْتَ عنْهَا. وقالَ قَتادَةُ: قالُوا: اشْتاقَ الرَّجلُ إلى بيْتِ أبِيهِ ودِينِ قوْمِه[1].

ومَنْ قالَ بالثَّاني قالَ: احْتِجَاجُ المْشرِكينَ أنَّهُم قالُوا: قدْ رَجَعَ إلى قبْلَتِكُم، ويُوشِكُ أنْ يعُودَ إلى دِينِكُم.

وتَسْمِيةُ باطِلِهِم حُجَّةً علَى وجْهِ الحكَايةِ عنِ المْحتجِّ بِه؛ كقوْلِه تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]، وقوْلِه: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

قوْلُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: معْناه: إلَّا مَنْ ظلَمَ باحْتِجَاجِه فِيمَا قدْ وضَحَ لَهُ؛ كمَا تقُول: مَا لَكَ علَيَّ حُجَّةٌ إلَّا الظُّلْم؛ أي: إلَّا أنْ تَظلِمَني[2]. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ في انْصِرافِكُم إلى الكعْبَةِ ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ في ترْكِهَا[3].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٦٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٦).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٥٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٧].

قوله: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: «كَمَا» لا[١] تصْلُحُ[٢] أن تكونَ جوابًا لِما قبلَها، والأجودُ أنْ تكُونَ مُعلَّقةً بقوْلِه: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ ﴾، وقدْ رُوي معْنَاه عنْ عليٍّ، وابنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، ومُقاتِلٍ[٣]. والآيةُ خِطابٌ لِمُشركي العرَبِ.

وفي قوْلِه: ﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ، قد سبَقَ ذِكْرُها في قِصَّةِ إبْراهِيمَ. و«الكِتَابُ»: القُرآنُ. و«الحكْمَةُ»: السُّنَّةُ. [٣٦/ ب]

قوْلُه: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ ﴾.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) العبارة في (ج): إلا أن تكون جوابًا لما قبلها.

(٣) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٩٢)، وكذلك مقاتل (١/ ٨٧)، والطبري في تفسيره (٢/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٥٩) عن مجاهد.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُبيرٍ: اذْكُرونِي بِطَاعَتِي[١] أذْكُرْكم بِمَغْفِرَتِي[٢]. وقَالَ إبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِي: كَمَا أنعمْتُ عليْكُم بالرِّسَالةِ؛ فاذْكُرونِي بتَوْحِيدي وتصدِيقِ نَبِيِّي.

قَالَ[٣]: فَإنْ قِيل: كيْفَ يكونُ جَوابُ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾، فَإنَّ قوْلَه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ أمْرٌ، وقوْلَه: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ جزَاؤُه.

فالجوَابُ: أنَّ المْعْنى: إنْ تَذْكرُوني أذْكرْكُم.

قوْلُه: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾.

«الشُّكرُ»: الِاعْتِرافُ بحقِّ المْنعِم، معَ الثَّناءِ عليْهِ[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ المْشركِينَ قالُوا: سَيرجَعُ مُحمَّدٌ إلَى دِينِنَا، كمَا رجَعَ إلى قِبْلَتِنَا، فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ قتادَةُ[٥]. وقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: اسْتَعِينُوا علَى طلَبِ الآخِرَةِ

---

(١) في (ج): بطاعتكم.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٢/ ٦٩٥)، وابن أبي حاتم (١٣٩٨)، وفي الفردوس بمأثور الخطاب (٤٤٠٥).

(٣) ليست في (ف).

(٤) من قوله: «قوله واشكروا لي»... إلى هنا ليس في (ت)، و(ر). وقوله: «مع الثناء عليه» ليس في (ف).

(٥) رواه ابن جرير الطبري (٢/ ٦٨٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٥٨).

بالصَّبْرِ على أداءِ الفَرائِضِ، وبالصَّلاة[1]. وقد سبَقَ الكلامُ في الصَّبْرِ، وبيَانِ الاسْتِعَانَةِ بِه وبالصَّلَاةِ.

قوْلُه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾.

سبَبُ نُزولِهَا:

أنَّهُم كانُوا يقُولُونَ لِقتْلَى بدْرٍ وأُحُدٍ: ماتَ فلَانٌ بِبدْرٍ، ماتَ فُلانٌ بِأُحدٍ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[2].

ورَفْعُ الأمْوَاتِ بإِضْمارِ مَكنِيٍّ مِنْ أسْمائِهِم؛ أي: لَا تقُولُوا: هُمْ أمْوَاتٌ، ذكَرَ نحوَهُ[3] الفَرَّاءُ[4].

فإنْ قِيل: فنحْنُ نَرَاهم مَوْتَى، فَما وجْهُ النَّهي؟.

فالجوابُ: لا تقُولُوا: هُم أمْوَاتٌ لا تصِلُ أرْوَاحُهم إلى الجِنَانِ، ولا تنَالُ مِن تُحَفِ اللهِ مَا لَا ينَالُه الأحْيَاءُ، بَلْ هُم أحْيَاءُ[5]، أرْوَاحُهُم في حَواصِلِ طيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ في الجنَّةِ، فهُم أحْيَاءٌ مِن هذِه الجهَةِ، وإن كانُوا أمْوَاتًا مِن جِهَةِ خُروجِ الأَرْواحِ ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ[6].

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية (١/ ٢٥٣).

(٢) رواه ابن منده في معرفة الصحابة (ص: ٣٢٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٤٥٧).

(٣) في (ج): ذكره.

(٤) معاني القرآن (١/ ٩٣).

(٥) قوله: «بل هم أحياء» ليس في (ت)، و(ر).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٧٠٠).

فإنْ قِيل: أليْسَ جَمِيعُ المُؤمنين مُنعَّمِينَ(١) بعْدَ موْتِهم؟ فلِمَ خَصَّصْتُمُ الشُّهدَاءَ؟

فالجوَابُ: أنَّ الشُّهداءَ فُضِّلُوا علَى غيْرِهم بأنَّهُم مَرزوقُون مِن مَطاعِمِ الجنَّةِ ومآكِلِهَا، وغيْرُهم مُنعَّمٌ بِما دُونَ ذلِكَ، ذكرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبريُّ(٢).

قوْلُه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: «مِن» تَدُلُّ علَى أنَّ لِكُلِّ صِنفٍ منْهَا شيْئًا مُضمَرًا، فتقْدِيرُه: بشَيْءٍ مِنَ الخوْفِ، وشيْءٍ مِنَ الجُوعِ، وشيْءٍ مِنْ نقْصِ الأمْوَالِ(٣).

وفِيمَن أُرِيدَ بهذِه الآيَةِ أربعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم أصْحَابُ النَّبِي ﷺ خاصَّةً، قالَهُ عطَاءٌ.

والثَّاني: أنَّهُم أهْلُ مكَّةَ.

والثَّالثُ: أنَّ هذَا يكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. قالَ كعْبٌ(٤): يأْتِي علَى النَّاسِ زمَانٌ](٥) لا تَحمِلُ النَّخْلةُ إلَّا تمْرةً(٦).

والرَّابع: أنَّ الآيَةَ علَى عُمُومِها.

---

(١) في (ف): يُنعَّمونَ.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٧٠٠).

(٣) معاني القرآن (١/ ٩٤).

(٤) ليس في (ج).

(٥) ما بين المعكوفين ليس في (م).

(٦) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٥).

فأمَّا «الخوفُ» فقالَ ابنُ عبَّاسٍ: وهُو الفزَعُ في القِتالِ. و«الجوعُ»: المْجَاعَةُ الَّتي أصابَتْ أهْلَ مكَّةَ سبْعَ سِنينَ. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: ذهَابُ أمْوالِهِم، ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالمْوتِ والقتْلِ الَّذي نَزَلَ بِهِم، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لم تَخْرُجْ كَما كانَتْ تَخْرُجُ(١).

وحكَى أبو سُليمانَ الدِّمشقي عنْ بعْضِ أهْلِ العلْمِ: أنَّ «الخوْفَ» في الجِهادِ، و«الجُوعَ» في فرْضِ الصَّوْمِ، و«نقْصُ الأمْوَالِ»: ما فُرِض فيها مِنَ الزكاةِ والحَجِّ ونحوِ ذلِكَ. ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ ما يُستشهَدُ منْهَا في القِتالِ. ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: مُا فُرِضَ فيها مِنَ الصَّدقَاتِ. [٣٧/أ]

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ علَى هذِه البَلاوي بالجنَّةِ.

واعْلَم أنَّه إنَّما أخبرَهُم بما سَيُصِيبُهم، لِيُوَطِّنُوا أنْفُسَهم علَى الصَّبرِ، فيكُونُ ذلِكَ أبْعَدَ لهم مِنَ الجزَعِ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ يُريدون: نحنُ عبيدُه يفْعَلُ بنا ما يَشاءُ ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ يُريدُون: نحنُ مُقِرُّون بالبَعْثِ والجزَاءِ علَى أعمالِنَا، والثَّوابِ علَى صبْرِنَا. قال سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: لقَدْ أُعطِيَتْ هذِه الأُمَّةُ عنْد المُصيبةِ شيْئًا لَم يُعْطه [أحدٌ مِنَ](٢) الأنبياءِ قبْلَهم ولَوْ أُعْطِيَها(٣) الأنبياءُ لَأُعْطِيَها يعقُوبُ؛ إذْ يقُول: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤](٤)، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

---

(١) تفسير البغوي (١/ ١٦٩).

(٢) ما بين المعكوفين من (ج).

(٣) في (ف): أعطيه.

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٢/ ٧٠٨)، وابن أبي حاتم (١٤٢٢)، والدينوري في المجالسة=

قَالَ الفَرَّاءُ: ولِلْعرَبِ في المْصيبةِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: مُصِيبَةٌ، ومُصَابَةٌ، ومَصُوبَةٌ، زعَمَ الكِسَائِيُّ أَنَّه سَمِعَ أعرَابيًّا يقول: جَبَرَ اللهُ مَصُوبتَكَ[١].

قوْلُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾.

قَالَ سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ: الصَّلَواتُ مِنَ اللهِ المْغْفرةُ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ بالاِسْتِرجَاعِ[٢]. قَالَ عمرُ بْنُ الخطَّابِ: نِعْمَ العِدْلَانِ، ونِعْمَتِ العِلاوةُ[٣]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾.

=(١٣٩٤)، والبيهقي في الشعب (٩٢٤٢)، وقال: رفعه بعض الضعفاء إلى ابن عباس ثم منه إلى النبي ﷺ.

(١) لغات القرآن (ص: ٣٩- ٤٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤٢٦، ٢٦٦).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥٠) تعليقًا مجزومًا به، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٦) من طريق عثمان بن أبي شيبة، عن جرير الضبي، عن منصور، عن مجاهد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر ﷺ به، وعثمان له أوهام في روايته عن جرير الضبي، كما في ترجمته في تهذيب الكمال (١٩/ ٤٨٣)، ثم إنه خولف في حديثه، فرواه سعيد بن منصور (٢٣١)، قال: نا سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: قال عمر. بدون ذكر سعيد بن المسيب، وهذه الطريق أصحُّ، وهي منقطعة، فمجاهد لم يسمع من عمر ﷺ. **العِدلان**: بكسر العين وسكون الدال المهملتين، والعِدل: أصله نصف الحمل على أحد شقي الدابة، **العلاوة**: بكسر العين؛ ما يجعل بين العدلين، فهو مثل ضرب للجزاء. ينظر: النهاية (٣/ ٢٩٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٨، ١٦٣].

قوْلُه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

في سببِ نُزُولها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ رِجالًا مِنَ الأنْصارِ مِمَّن كان يُهِلُّ لِمناةَ في الجاهليَّةِ -ومَناةُ: صنَمٌ كان بيْنَ مكَّةَ والمْدينةِ- قالوا: يا رسُولَ اللهِ! إنَّا كُنَّا لا نطُوف بين الصَّفا والمْرْوَةِ تعْظيمًا لِمَناةَ، فهَل علينا مِنْ حرَجٍ أنْ نطُوفَ بهما؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ. روَاه عرْوةُ عن عائشةَ(١).

والثَّاني: أنَّ المْسلِمينَ كانوا لا يطُوفونَ بينَ الصَّفا والمْروةِ؛ لأنَّه كانَ على الصَّفا تماثِيلُ وأصْنامٌ فنزلَتْ هذِه الآيةُ. رَواه عِكرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

---

(١) رواه البخاري (٤٨٦١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٧١٥-٧١٦).

وقال الشَّعبي: كان وثَنٌ على الصَّفا يُدعى: إِسَافَ[١]، ووثَنٌ على المَرْوة يُدْعى: نائِلَة، وكان أهْلُ الجاهِليَّةِ يسْعَوْنَ بيْنَهُما ويمسَحُونَهُا، فلمَّا جاءَ الإسْلامُ كَفُّوا عنِ السَّعيِ بينَهُما، فنزلَتْ هذِه الآيةُ[٢].

والثَّالث: أنَّ الصَّحابَةَ قالَتْ للنَّبيِّ ﷺ: إنَّا كُنَّا نَطُوفُ في الجاهليَّةِ بيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ، وإنَّ اللهَ تعالى ذكَرَ الطَّوافَ بالبَيْتِ، ولم يذكرْهُ بيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ، فهَلْ علَيْنَا مِنْ حرَجٍ أنْ لا نطُوفَ بيْنَهُما، فنزلَتْ هذِه الآيةُ. رواه الزُّهريُّ، عن أبي بكْرِ بْنِ عبْدِ الرَّحمنِ عنْ جماعةٍ من أهْلِ العِلْم[٣].

قالَ إبْراهيمُ بْنُ السَّرِي: «الصَّفا» في اللُّغة: الحِجارَةُ الصُّلبَةُ الصَّلْدَةُ[٤] الَّتي لا تُنبِتُ شيْئًا، وهو جمْعٌ، واحِدُه صَفَاةٌ وصَفاً؛ مِثلُ: حَصَاةٍ وحَصًى. و«المَرْوَةُ»: الحِجَارَةُ اللَّيِّنَةُ، وهذانِ المَوْضِعانِ مِنْ شعَائرِ اللهِ؛ أي: مِنْ أعْلامِ مُتَعبَّداتِه. ووَاحِدُ الشَّعائرِ: شَعِيرَةٌ. و«الشَّعائِرُ»: ما كانَ مِنْ موْقِفٍ أو مسعًى أو ذَبْحٍ.

و«الشَّعائِرُ»: مِنْ شَعَرْتُ بالشَّيءِ؛ إذَا علِمْتَ[٥] بِه، فسُميتِ الأعْلامُ الَّتي هي مُتعبَّدَاتُ اللهِ: شَعائِرَ اللهِ.

---

(١) في (ف): يَساف.

(٢) أورده سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٦٣٥)، والفاكهي في أخبار مكة (٥/ ١٦٣)، وتفسير الطبري (٢/ ٧١٤)، وفي العجاب (١/ ٤١٠).

(٣) رواه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ف): أعلمتَ.

و«الحَجُّ» في اللُّغة: القصْدُ، وكذلِك كلُّ قاصِدٍ شيْئًا[١] فقَدِ اعْتمَرَهُ [وحَجَّه][٢].

[٣٧/ب] و«الجناحُ»: الإثْمُ، أُخِذَ مِن جنَحَ؛ إذَا مَالَ وعدَلَ، وأصْلُه مِنْ جَناحِ الطَّائرِ[٣]، وإنَّما اجْتَنبَ المسلِمُونَ الطَّوافَ بيْنَهُما، لِمكانِ الأوْثانِ، فقِيلَ لَهُم: إنَّ نصْبَ الأوْثانِ بيْنَهُما قبْلَ الإسْلامِ لا يُوجِبُ اجْتنابَهُما، فأعْلَمَ اللهُ ﷻ أنَّه لا جُناحَ فِي التَّطوفِ بِهِما[٤]، وأنَّ مَنْ تطَوَّع بذلِكَ فإنَّ اللهَ شاكِرٌ عليمٌ.

والشُّكرُ مِن اللهِ: المُجازَاةُ والثَّناءُ الجميلُ.

والجُمهورُ قرؤوا: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ بالتَّاءِ ونصْبِ العيْنِ، منْهُمْ: ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ. وقَرأَ حمْزَةُ، والكِسائِيُّ «يطَّوَّعْ» بالياءِ وجزْمِ العَيْنِ[٥]. وكذلِك خِلافُهم في الَّتي بعْدَها بآياتٍ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ج): كل ما صل بيتًا.

(٢) من (ف).

(٣) في (ف): الطَّير.

(٤) من قوله: «فأعلم الله عز وجل»... إلى هنا ليس في (ت)، و(ر).

(٥) السبعة (ص: ١٧٢)، والحجة (٢/ ٢٤٤- ٢٤٥)، والمبسوط (ص: ١٣٨).

فَصْلٌ

اخْتلَفتِ الرِّوَايةُ عن إمَامِنا أحمَدَ في السَّعي بيْنَ الصَّفا والمْروةِ، فنقَلَ الأثْرَمُ أنَّ مَنْ ترَكَ السَّعيَ لم يُجزِئْه حجُّهُ. ونقَلَ أبو طَالبٍ: لا شَيْءَ في تَرْكِه عمْدًا أو سهْوًا، ولا ينْبَغِي أنْ يتركَهُ. ونقَلَ الْميمُونِي[١] أنَّه تطوُّعٌ.

قوْلُه تعالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾.

قالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: نزلَتْ في رُؤساءِ اليهُودِ، كتَمُوا ما أنْزَلَ اللهُ في التَّوراةِ مِنَ البيِّناتِ والهُدى[٢].

و«البيِّناتُ»[٣]: الحلالُ والحرَامُ والحدُودُ والفَرائِضُ. ﴿وَالْهُدَىٰ﴾: نعْتُ النَّبيِّ ﷺ وصِفتُه. ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: لِبني إسْرائِيلَ[٤].

وفي ﴿الْكِتَابِ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّوراةُ، وهو قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: التَّوراةُ والإنجِيلُ، قالَه قتادَةُ.

---

(١) عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن شيخ الجزيرة ميمون بن مهران، أبو الحسن، الميموني، الرقي، تلميذ الإمام أحمد، ومن كبار الأئمة، كان عالم الرقة ومفتيها في زمانه، (ت: ٢٧٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٣/ ٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٧٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٩).

(٣) في (ف): فالبينات.

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٨٩).

﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشَارَةٌ إلى الكاتِمِينَ. ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ قالَ ابْنُ قُتيْبَةَ: أصْلُ اللَّعنِ في اللُّغةِ: الطَّرْدُ، ولعَنَ اللهُ إبْلِيسَ؛ أي: طَرَدَهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ ذلِك فصَارَ قوْلًا[١]. قالَ الشَّماخُ[٢] وذكَرَ ماءً[٣] [من الوافر]:

ذَعَرْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ ... مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ

أي: الطَّرِيد.

وفي اللَّاعِنِينَ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ المُرادَ بِهِم: «دَوَابُّ الأرْضِ»، رواه البَرَاءُ عن النَّبيِّ ﷺ[٤]، وهو قوْلُ مجاهِدٍ، وعِكرمَةَ. قال مُجاهِدٌ: يقُولونَ إنَّما مُنِعْنا القَطْرَ بذنُوبِكُم[٥] فيلعَنُونَهُم[٦].

---

(١) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٩).

(٢) في (ج): المشاخ.

(٣) البيت للشماخ بن ضرار في ديوانه (ص: ٣٢١)، وجمهرة اللغة (ص: ٩٤٩)، وخزانة الأدب (٤/ ٣٤٧)، وشرح المفصل (٣/ ١٣)، **ذعرت به القطا**: يريد أنه جاء إلى الماء متنكرًا. **وذعرته**: خوفته. وخصَّ القطا، والذئب؛ لأنَّ القطا أهدى الطير، والذئب أهدى السباع، وهما السابقان إلى الماء. **واللعين**: المطرود، المنفي المقصى. ويظهر أنه يريد أن يقول: إنني طردت عن هذا الماء إقامة الذئب، مشبهًا الرجل اللعين المطرود من قومه.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٤٤).

(٥) في (ف): بذنوبهم.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٧١)، وسعيد بن منصور (٢/ ٦٣٨)، الطبري في=

والثَّاني: أنَّهُمُ المْؤمنونَ، قالَهُ عبدُ اللهِ بْنُ مسْعُودٍ.

والثَّالث: أنَّهُمُ المْلائِكةُ والمْؤمِنونَ، قالَه أبو العالِيةِ، وقتَادةُ.

والرَّابع: أنَّهُمُ الجِنُّ والإنْسُ وكلُّ دابَّةٍ، قالَه عطَاءٌ.

❁❁❁

فَصْلٌ

وهـذِه الآيـةُ تُوجِبُ إظْهـارَ علُومِ الدِّيـن، منْصُوصَـةً كانَـتْ أوْ مُسـتَنْبطَةً، وتـدُلُّ[١] عـلى امْتِنـاعِ جـوازِ أخْـذِ الأُجـرةِ عـلى ذلِـك؛ إذْ غـيْرُ جائِـزٍ اسْـتِحقَاقُ الأجْـرِ عـلَى مَـا يَجِـبُ فعْلُـهُ.

وقـدْ رَوَى الأعْـرجُ عـنْ أبي هُريـرةَ أنَّـه قـالَ: إنَّكُـم تقولُـونَ: أكْثَـرَ أبُـو هُريـرةَ عـنِ النَّبِـيِّ ﷺ، واللهُ المْوعِـدُ، وَايْـمُ اللهِ: لَـوْلا آيَـةٌ في كتَابِ اللهِ مـا حدَّثْتُ أحـدًا بـشيْءٍ أبـدًا، ثُـمَّ تـلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾... إلى آخرهـا[٢].

قوْلُـه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ قـالَ ابْـنُ مسْـعُود: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ مِـنَ اليهُـودِ ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ أعْمَالَهُـم ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ صِفَـةَ رسُـولِ اللهِ ﷺ في كِتابِهِـم[٣].

❁❁❁

=تفسيره (٢/ ٧٣٣-٧٣٤)، وابن أبي حاتم (١٤٤٨)، والطبراني في الدعاء (٩٥٤-٩٥٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٦).

(١) في (ف): ويدل.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٣٣١)، وأحمد (١٣/ ١٣٣)، والبزار (٩٨٨٥)، والطبري في تفسيره (٢/ ٧٣١)، والحاكم (٢/ ٢٧٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) لم أقف عليه.

فَصْلٌ

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ [الآيةَ التي قبلَ هذه][1] منسوخةٌ بالاستثناءِ في هذه، وهذا ليس بنسخٍ؛ لأنَّ الاستثناءَ إخراجُ بعضِ ما شمِلَهُ اللَّفظُ، [٣٨/أ] وذلك يقتضي التَّخصيصَ دونَ النَّسخِ، ومِمَّا يُحقِّقُ هذا أنَّ النَّاسخَ والمنسوخَ لا يُمكِنُ العملُ بأحدِهما إلَّا بتركِ العمَلِ بالآخرِ، وهاهُنا يُمكن العمَلُ بالاستثناءِ[2] والمستثنَى منهُ.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إنَّما شرطَ الموْتَ على الكفرِ؛ لأنَّ حُكمَهُ يستَقِرُّ بالموْتِ عليْهِ.

فإنْ قِيل: كيْفَ قالَ: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وأهلُ دِينِه لا يلْعنُونَهُ؟.

فعنْهُ ثلاثةُ أجْوبَةٍ:

أحدُها: أنَّهم يلْعَنُونَهُ في الآخرَةِ، قالَ اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقالَ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

❁❁❁

(١) في (ل): هذه الآية.

(٢) ليست في (ت)، و(ر). وفي (ف): بالمستثنى.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ بالنَّاس هَاهُنا المُؤمِنونَ، قالَه ابْنُ مسْعودٍ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ. فيكُونُ على هذا مِنَ العَامِّ الَّذي أُريد به الخَاصُّ.

والثَّالث: أنَّ اللَّعنَةَ مِنَ الأكْثَرِ يُطلَقُ عليْهَا: لعْنَةُ جميعِ النَّاسِ تغْليبًا لِحُكم الأكْثَرِ على الأقَلِّ.

قوْلُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

في هاءِ الكِنَايَةِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُودُ إلى اللَّعنَةِ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى النَّارِ، وإنْ لم يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ فقَد عُلِمَتْ.

قوْلُه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إنَّ كُفَّارَ قُريشٍ قالُوا: يا مُحَمَّدُ صِفْ لنَا رَبَّكَ وانْسُبْهُ، فنزلَتْ هذه الآيةُ، وسورَةُ الإخلَاصِ[1].

والإلَهُ بمعْنَى: المَعْبُودِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قوْلُه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٥٣٤)، وانظر العجاب (١/ ٤١٣).

فِي سببِ نُزُولِهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المْشركِينَ قالُوا للنَّبيِّ ﷺ: اجْعَلْ لنا الصَّفا ذهَبًا إنْ كُنتَ صادِقًا فنزلَتْ هذِه الآيةُ، حكَاهُ السُّدِّيُّ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ، وابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: أنَّهُم لَمَّا قالُوا: انْسُبْ لنا ربَّك وصِفْهُ، فنزلَتْ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ قالُوا: فَأَرِنَا آيَةَ ذلِكَ[٢] فنزلَتْ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾... إلى قوْلِه: ﴿يَعْقِلُونَ﴾، رواهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

والثَّالثُ: أنَّه لَمَّا نزَلَتْ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ قال كُفَّارُ قُريشٍ: كيْفَ يَسعُ النَّاسَ إلَهٌ واحِدٌ؟ فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ عطَاءٌ[٤].

فأَمَّا «السَّماوَاتِ» فتدُلُّ علَى صانِعِها[٥]؛ إذْ هي قائِمةٌ بغَيْرِ عمَدٍ، وفِيها منَ الآياتِ الظَّاهِرةِ، ما يدُلُّ يسِيرُهُ علَى[٦] مُبْدِعِه.

---

(١) أثر ابن عباس رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٦١٦) من طريق سعيد بن جبير، به، وهو عند ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٨) من قول السدي.

(٢) في (ف): أرنا آيةً.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٢٤٥) من رواية الكلبي، عن أبي صالح، به، والكلبي هو محمد بن السائب، متهم بالكذب.

(٤) رواه أبو الشيخ في العظمة (١/ ٤١٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٥)، وابن أبي حاتم (٦٣١٣).

(٥) تراجع في (ت).

(٦) من قوله: قائمة بغير عمدا سقط من (ت)، و(ر).

وكذلِـك «الأرْضُ» في ظُهـورِ ثمارِهـا، وتمهيـدِ سـهُولِها وإرْسَـاءِ جِبالِهـا، إلى غـيرِ ذلِـك.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ كلُّ واحِـدٍ منْهُـما حـادِثٌ[١] بعْـدَ أنْ لم يكُـنْ، وزَائِـلٌ بعْـدَ أنْ كَانَ.

«والفلـكُ»: السُّـفنُ. قـالَ ابْـنُ قُتيْبَـةَ: الواحِـدُ والجمْـعُ بلفْـظٍ واحِـدٍ[٢]. وقـال [اليَزيـدِيُّ][٣]: واحِـدُه فُلكَـةٌ، ويُذكَّـرُ ويُؤنَّـثُ. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: السُّـفنُ، ويكـونُ واحِـدًا، ويكـون جمعًـا؛ لأنَّ «فَعَـل، وفُعُـل» جمعُهـما واحِـدٌ، ويأْتِيـانِ كثِـيرًا بمعْنـى واحِـدٍ. يُقـال: العَجـمُ والعُجـمُ، والعَـربُ والعُـربُ، والفَلَـكُ والفُلـك [الفلْكَـةُ][٤]، ويُقـال لـكلِّ مُسـتديرٍ، أو فيـهِ اسـتدَارَةٌ[٥].

و«البحرُ»: الماءُ الغزيرُ. ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ المعَايشِ.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ يعْنِـي: المطَـرَ، والمطَـرُ ينـزِلُ[٦] علَى معْنًـى واحِـدٍ، وأجْـزَاءُ الأرْضِ والهـواءِ عـلَى معنًـى واحِـدٍ، والأنْـوَاعُ تختَلِـفُ في [٣٨/ ب] النَّبـاتِ والطُّعُـومِ والألْـوَانِ، والأشْـكالُ مُختلِفَـاتٌ[٧]، وفي ذلِـك رَدٌّ علَى مَـنْ

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٤).

(٣) في الأصل: اليزيد، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) من (ج)، و(ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٠).

(٦) في (ف): يتأول.

(٧) في الأصل: المختلفات، والمثبت من (ت)، و(ف).

قَالَ: إِنَّه مِن فعْلِ الطَّبِيعةِ؛ لأَنَّه لو كان كذلِك لَوَجَبَ أنْ يتَّفِقَ مُوجَبُها؛ إذِ المُتَّفِقُ لا يُوجِبُ المُخْتلِفَ، وقد أَشَارَ سبْحانه إلى هذا المعْنَى في قوْلِه: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

قوْلُه: ﴿وبَثَّ فيها من كل دابة﴾؛ أي: فرّق.

قوْلُه: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ قَرَأَ ابنُ كثِيرٍ: ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ علَى الجمْعِ في خمْسةِ مواضِع: هاهنا. وفي «الحِجر»: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الآية: ٢٢]، وفي «الكهْفِ»: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الآية: ٤٥]، وفي «الرُّوم»: الحرْفُ الثَّانِي ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ[1]﴾ [الآية: ٤٦]. وفي «الجاثِية»: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الآية: ٥]، و[قَرَأَ][2] باقِي القُرآن: «الرِّيح»[3].

وقَرَأَ أبو جعْفَرٍ: «الرِّياح» في خمْسةَ عشَرَ موْضِعًا في: «البقرة»، وفي «الأعراف»: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الآية: ٥٧]، وفي «إبْراهيم»: «﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ الرِّياحُ﴾ [الآية: ١٨]، وفي «الحِجْرِ»: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الآية: ٢٢]، وفي «سُبْحانَ»، وفي «الكهْفِ»: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: ٤٥]، وفي «الأنْبِياء» وفي «الفُرقان»: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الفرقان: ٤٨]، وفي «النَّمل». والثَّاني مِنَ «الرُّوم»، وفي «سبأ»، وفي «فاطر»[4]، وفي «ص»، وفي «حم عسق»: ﴿يُسْكِنِ الرِّياح﴾ [الشورى: ٣٣]،

---

(١) زيادة «مبشرات» من الأصل فقط.

(٢) من (ت)، و(ف).

(٣) السبعة (ص: ١٧٢)، والحجة (٢/ ٢٤٨ - ٢٥٠)، والمبسوط (ص: ١٣٨).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

وفي «الجاثِيـة»[(١)].

تابعَـهُ نافِـعٌ إلَّا في «سُـبْحانَ»، و«رِيـاحَ» سُـليمان[(٢)]: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [فاطـر: ٩]، وتابَـعَ نافِعًـا أبـو عمْـرٍو إلَّا في حرْفـيْنِ: «الرِّيـح» في «إبْراهيـمَ» و«عسـق». وَوافَـقَ أبـا [عمْـرٍو][(٣)]، عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِرٍ[(٤)].

وقَـرَأَ حمْـزةُ «الرِّيـاح» جمْعًـا في موْضعـيْنِ: في «الفُرْقـان»، والحـرْفِ الأوَّلِ مِـنَ «الـرُّوم»، وباقيهـنَّ عـلى التَّوْحيـدِ.

وقَـرَأَ الكِسَـائِيُّ مثْـلَ حمْـزةَ، إلَّا أنَّـه زادَ عليْـهِ في «الحِجـر»: ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الآيـة: ٢٢][(٥)].

ولم يختلِفُـوا فيـما ليْـسَ فيـه ألـفٌ ولامٌ، فمَـن جمَـعَ فـكُلُّ رِيـحٍ تُسـاوِي أُختَهَـا في الدِّلالَـةِ عـلَى التَّوْحيـدِ[(٦)] والنَّفْـعِ، ومَـنْ وحَّـدَ أرادَ الجِنـسَ.

ومعْنـى «تصْرِيـفِ الرِّيَـاحِ»: تقَلُّبهَـا[(٧)] شـمالًا مـرَّةً، وجنوبًـا مـرَّةً، ودَبُـورًا أُخْـرى، [وصبًّـا أُخْـرى][(٨)]، وعذابًـا ورحمَةً.

---

(١) المبسوط (ص: ١٣٨)، والنشر (٢/ ٢٥٤)، والإتحاف (١/ ١٩٦).

(٢) السبعة (ص: ١٧٢)، والحجة (٢/ ٢٤٨)، والمبسوط (ص: ١٣٨).

(٣) في (ل)، و(م): عمر.

(٤) السبعة (ص: ١٧٢)، ومعاني القراءات (١/ ١٨٣)، والمبسوط (ص: ١٣٨).

(٥) السبعة (ص: ١٧٢)، ومعاني القراءات (١/ ١٨٥)، والحجة (٢/ ٢٥٠).

(٦) من قوله: «وقرأ الكسائي»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٧) ليست في (ت)، و(ر). وفي (ف): تقليبها.

(٨) ما بين المعكوفين من (ت).

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ﴾: المذلَّلِ بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ[١].

والآيةُ فِيه مِن أرْبعَةِ أوجُهٍ:

ابْتِدَاءُ كوْنِه، وانْتِهاءُ تَلاشِيه، وقِيامُه بلا عمَدٍ[٢] ولا عِلاقَةٍ، وإرْسالُه إلى حيْثُ شاءَ اللهُ تعَالى.

﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ الآيَةُ: العَلامَةُ.

أخْبرَنَا عبْدُ الوهَّابِ الحافِظُ، قالَ: أخْبرَنَا عاصِمٌ قَالَ: أخْبرَنَا ابْنُ بُشْرانَ قالَ: أخْبرَنَا ابْنُ صَفْوانَ قالَ: أخْبرَنَا ابْنُ أبي الدُّنْيا قالَ: حدَّثَنِي هارُونُ قالَ: حدَّثَنِي عفَّانُ، عنْ مُبارَكِ بْنِ فَضالَةَ قالَ: سمِعْتُ الحسَنَ يقُولُ: كانُوا يقُولُونَ -يعْنِي أصْحابَ النَّبيِّ ﷺ-: الحمْدُ للهِ الرَّفِيقِ، الَّذِي لو جَعَلَ هذَا الخَلْقَ خلْقًا دائِمًا لَا يَتَصَرَّفُ، لقَالَ الشَّاكُّ فِي اللهِ[٣]: لَوْ كانَ لِهذَا الخَلْقِ رَبٌّ لَحادَثَهُ، وإنَّ اللهَ قَدْ حَادَثَ بِما تَرَوْنَ مِنَ الآيَاتِ: إنَّه جاءَ بِضوْءٍ طَبَّقَ ما بيْنَ الخَافِقَيْنِ، وجعَلَ[٤] فِيها معَاشًا، وسِرَاجًا وهَّاجًا[٥]، ثم إذَا شَاءَ ذهَبَ بذَلِكَ الخَلْقِ، وجَاءَ بِظُلْمةٍ طَبَّقَتْ ما بيْنَ الخافِقَيْنِ، وجعَلَ فِيها سَكنًا ونُجومًا، وقمَرًا مُنِيرًا، وإذَا شَاءَ بَنَى بِنَاءً[٦] جعَلَ

---

(١) قوله: «بين السماء والأرض» ليس في (ت)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ف): دِعَامَة.

(٣) من قوله: الرفيق سقط من (ت)، و(ر).

(٤) من قوله: «وإن الله قد حادث»... إلى هنا ساقط من (م).

(٥) في (ف): وصباحًا.

(٦) في كتاب المطر؛ لابن أبي الدنيا: نباتًا.

فِيهِ المَطَرَ، والبَرْقَ، والرَّعْدَ، والصَّواعِقَ ما شَاءَ، وإِذَا شَاءَ صَرَفَ ذلِكَ، وإِذَا شَاءَ جاءَ بِبَرْدٍ يُقَرْقِفُ(١) النَّاسَ، وإِذَا شَاءَ ذَهَبَ بذلِكَ، وجَاءَ بِحَرٍّ [٣٩/أ] يأخُذُ أَنْفَاسَ النَّاسِ، لِيعْلَمَ النَّاسُ أنَّ هذَا الخَلْقِ ربَّما يُحادِثُهُ بما تَرَوْنَ مِنَ الآيَاتِ، كذلِكَ إذَا شَاءَ ذَهَبَ بالدُّنْيا وجَاءَ بالآخِرَةِ(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥، ١٦٧].

قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ في «الأَنْدَادِ» قَوْلَانِ قَدْ تقَدَّمَا في أوَّلِ السُّورَةِ.

وفي قوْلِه: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: يُحِبُّونَهم كحُبِّ الَّذِين آمنُوا للهِ، هذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وعِكرِمَةَ، وأبي العالِيةِ، وابْنِ زيْدٍ، ومُقاتِلٍ، والفَرَّاءِ(٣).

(١) بضمِّ الياءِ وكسرِ ما قبلَ الآخِرِ، يقال: أخذته قرقفة وقفقفة؛ إذا أرعد من البرد. الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٢٦٥).

(٢) المطر والرعد والبرق؛ لابن أبي الدنيا (ص: ٤٢).

(٣) رواه مقاتل (١/ ٩١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٧)، وابن أبي حاتم (١٤٨٢)، وعبد بن حميد في التفسير؛ كما في الدر المنثور (٢/ ١٢٢)، وانظر: معاني القرآن (١/ ٩٧).

والثَّـاني: يُحبُّونَهُـم كمحَبَّـةِ اللهِ[١]؛ أي: يُسَـوُّونَ بـيْنَ الأوْثَـانِ وبـيْنَ اللهِ تعَـالى ﷻ في المْحبَّـةِ. هـذا اخْتيـارُ الزَّجَّـاجِ، قـالَ: والقـوْلُ الأوَّلُ ليْـسَ بـشيْءٍ، والدَّليـلُ على نقْضِـه قوْلُـه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [والمْعْنـى: أنَّ المْخلِصين الَّذِيـن لا يُشرِكُـون مـعَ اللهِ غـيْرَهُ، هُـمُ المْحبُّـون حقًّـا][٢]. قـال المْفسِّرونَ: أشـدُّ حُبًّـا مِـن أهـلِ الأوْثَـانِ لأوْثَانِهِـم[٣].

قوْلُه: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾.

قَـرَأَ أبـو عمْـرٍو[٤]، وابْـنُ كثِـيرٍ، وعَاصِـمٌ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: «يَـرَى» باليَـاءِ[٥]، ومعْنـاهُ: لـو يـرَوْنَ عـذَابَ الآخِـرةِ لَعلِمُـوا أنَّ القـوَّةَ للهِ جميعًـا.

وقَـرَأَ نافِـعٌ وابْـنُ عامِـرٍ، ويعْقُـوبُ: «ولَـوْ تَـرَى» بالتَّـاء[٦]، عـلى الخِطَـابِ للنَّبـيِّ ﷺ، والمْـراد بِـه جميـعُ النَّـاسِ، وجَوابُـهُ محـذوفٌ، تقْدِيـرُه: لَرأيْتُـم أمْـرًا عظِيـمًا، كـما تقُـول: لـوْ رأيْـتَ فُلانًـا والسِّـياطُ تأخـذُهُ. وإنَّـما حُـذِفَ الجـوَابُ؛ لأنَّ المْعْنـى معْلُـومٌ.

---

(١) في (ت)، و(ف): كمحبتهم لله.

(٢) من (ج).

(٣) معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٢٣٧).

(٤) في (م): أبو عمر.

(٥) السبعة (ص: ١٧٤)، والحجة (٢/ ٢٥٨)، والمبسوط (ص: ١٣٩).

(٦) معاني القراءات (١/ ١٨٦)، والمبسوط (ص: ١٣٩).

قال أبو علِيٍّ: وإنما قالَ: «إِذْ» ولم يقُلْ: «إِذَا» وإِنْ كانَتْ «إِذ»[(١)] لِما مضَى؛ لِإرادَةِ تقْريبِ الأمْرِ، فأتَى بِمثَالِ الْماضِي[(٢)]، وإنَّما حُذِفَ جَوابُ «لَوْ»؛ لأنَّه أفْخمُ لِذهابِ الْمتوَعَّدِ إلى كُلِّ ضَرْبٍ مِنَ الوَعيدِ[(٣)].

وقَرأَ أبو جعْفَرٍ، ويعقوبُ[(٤)]: «إنَّ القُوَّةَ للهِ» وَ«إنَّ اللهَ» بكسْرِ الهمزَةِ فِيهما علَى الِاسْتِئنَافِ، كأنَّه يقُولُ: وَلا يحزُنك مَا تَرى مِن محبَّتِهم أصْنَامَهُم «إنَّ القُوَّةَ للهِ جميعًا»[(٥)].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: القُوَّةُ: القُدْرَةُ، والمنْعَةُ.

قوْلُه: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ فيهم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ القَادَةُ الرُّؤَساءُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو العالِيَةِ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ، والزَّجَّاجُ[(٦)].

والثَّاني: أنَّهُمُ الشَّياطِينُ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) من قوله: «لإرادة تقريب الأمر»... إلى هنا ساقط من (م). ومن قوله: «وإنما قال إذ»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٢/ ٢٦٠).

(٤) ليست في المطبوع.

(٥) المبسوط (ص: ١٣٩)، والنشر (٢/ ٢٥٥)، والإتحاف (١/ ١٩٧).

(٦) تفسير مقاتل (١/ ٩١)، وتفسير الطبري (٣/ ٢٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٣٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١٤٨٩-١٤٩٠)، إعراب القرآن (١/ ٣٥٣).

قَوْلُـه: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يشْـمَلُ الـكُلَّ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾؛ أي: عنْهُـم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾[1]؛ مثْـلُ قوْلِـه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقـان: ٥٩].

وفي «الأسْبَاب» أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهَا المودَّاتُ، وإلى نحْوِه يذْهَبُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّـاني: أنَّهَـا الأعْـمالُ، رَوَاه السُّـدِّيُّ عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ، وابْـنِ عبَّـاسٍ، وهـو قـوْلُ أبي صَالِـحٍ، وابْـنِ زيْـدٍ.

والثَّالث: الأرْحَامُ، روَاهُ ابْنُ جُريجٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّهَا تشْمَلُ جمِيع ذلِكَ.

قال ابْنُ قُتيْبَةَ: هِي الأسبَابُ الَّتِي كانُوا يتَواصَلُون بها في الدُّنيا[2].

فأمَّـا تسْـمِيتُها بالأسْبَابِ، فالسَّـببُ في اللُّغـة: الحبْـلُ، ثُـمَّ قِيـل لـكُلِّ مَـا يُتوصَّـلُ بـه إلى مقْصُـودٍ: سَـببٌ. و«الكَـرَّة»: الرَّجعَـةُ إلى الدُّنيـا، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، وقتَـادَةُ في آخَريـنَ.

[٣٩/ ب] ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ يُريـدُون: مِـنَ القـادَةِ ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ في الآخِـرَة. ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قـال الزَّجَّـاجُ: أي: كتَـبرُّؤِ بعْضِهـم مِـنْ بعْـضٍ، يُريهِـمُ اللهُ أعْمالَهُـم حسَـراتٍ عليْهِـم؛ لأنَّ أعْـمالَ الكافِـرِ لا تنْفَعُـه[3].

(١) من (ف).

(٢) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٠).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِي: ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القَبِيحةَ حسَراتٍ عليْهِم إذا رأَوا أحْسَنَ[1] المْجازَاةِ للمُؤمِنينَ بأعْمالِهِم، قالَ: ويجُوزُ أن يكُونَ كذلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ ثَوابَ أعْمالِهِم وجَزاءَها، فحَذَفَ الجزاءَ وأقامَ الأعْمالَ مقامَهُ. قالَ ابْنُ فارسٍ: و«الحسْرَةُ»: التَّلهُّفُ علَى الشَّيْءِ الفَائِتِ[2].

وقالَ غيْرُه: «الحسْرَةُ»: أشَدُّ النَّدامةِ[3].

قالَ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٧٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾.

---

(١) في (ت)، و(ف): حُسْنَ.

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٦٢).

(٣) مجاز القرآن (ص: ١٣). وانظر معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٥/ ٤٨٩)، ومكي في الهداية (١/ ٥٤١).

نزَلَتْ في ثَقِيفٍ، وخُزاعَةَ، وبني عامِرِ بنِ صعْصَعةَ، حرَّمُوا على أنفُسِهم مِنَ الحرْثِ والأنْعامِ، فحَرَّمُوا البَحِيرَةَ[١]، والسَّائِبَةَ، والوَصِيلَةَ، والحَام، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

قوْلُه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ، والكِسائِيُّ، وحفْصٌ عن عَاصِمٍ «خُطُواتِ» مُثَقَّلَةً. وقَرَأَ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو[٢]، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ، وحمْزَةُ «خُطْوات» ساكِنَةَ الطَّاءِ خَفِيفَةً[٣].

وقَرَأَ الحسَنُ، وأبو الجوْزَاءِ[٤] «خَطْوَاتِ» بفتْحِ الخَاءِ وسكُونِ الطَّاءِ مِن غيْرِ همْزٍ. وقَرَأَ أبو عِمرانَ الجَونيُّ بضَمِّ الخاءِ والطَّاءِ معَ الهمْزِ[٥].

قال ابْنُ قُتيْبةَ: «خُطُواتُه»: سَبِيلُه ومسْلَكُه، وهِي جمْعُ خُطْوةٍ،

---

(١) ليست في (م).

(٢) في (ت)، و(ر): ابن عامر.

(٣) انظر: السبعة (ص: ١٧٤)، والحجة (٢/ ٢٦٥)، والمبسوط (ص: ١٣٩).

(٤) هو أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصري، روى عن: عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، روى عنه: أبو الأشهب العطاردي، وعمرو بن مالك النكري، وجماعة، وكان قويًّا، يقال: قتل في وقعة الجماجم سنة (٨٢هـ). تاريخ الإسلام (٦/ ٢٣٢).

(٥) ﴿خَطْوَات﴾: قراءة شاذة عن الحسن في مختصر ابن خالويه، وانظر: الإتحاف (١/ ١٩٧)، والكشاف (١/ ٢٣٨)، ولم أقف على نسبة أبي الجوزاء إلا عند المصنف، ﴿خُطُؤَات﴾ قراءة شاذة أيضًا: عن عمرو بن عبيد وعيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص: ١٩). انظر: شواذ العكبري (ص: ٢٢٥)، وهي مرفوضة في المحتسب (١/ ١١٧)، ولم أقف على نسبتها لأبي عمرو الجوني إلا عند المصنف.

والخُطوة بضمِّ الخاء: ما بيْنَ القدمَيْنِ، وبفتحِها: الفَعْلةُ الواحِدةُ[١].

واتِّباعُهم خُطُواتِه: أنَّهُم كانوا يُحرِّمُونَ أشْياءَ قد أحلَّهَا اللهُ، ويُحِلُّون أشْياءَ قد حرَّمَهَا.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: بيِّنٌ. وقِيلَ: أبانَ عداوتَهُ بما جرَى لَهُ معَ آدَمَ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ «السُّوءُ»: كُلُّ إثْمٍ وقُبْحٍ[٢]، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ. وإنَّما سُمِّيَ سُوءًا؛ لأنَّه تَسُوءُ عَواقِبُه، وقِيلَ: لأنَّه يَسُوء إظْهَارُه. ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ مِنْ فَحُشَ الشَّيْءُ: إذا جاوَزَ قَدرَهُ.

وفي المُرادِ بِها هاهُنا خَمسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها كُلُّ معْصِيةٍ لها حَدٌّ في الدُّنْيَا.

والثَّاني: أنَّها ما لا يُعرَفُ[٣] في شَرِيعةٍ ولا سُنَّةٍ.

والثَّالثة[٤]: أنَّها البُخلُ، وهذِه الأقْوالُ الثَّلاثةُ منْقُولةٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّها الزِّنا، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والخامِس: المَعاصِي، قالَهُ مُقاتِلٌ.

---

(١) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٤).

(٢) في (ت)، و(ف): وقبيح.

(٣) في (ف): تُعرف.

(٤) في (ت)، و(ف): الثالث.

قَوْلُه: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أنَّه حَرَّم عليْكُم ما لم يُحرِّمْ.

قَوْلُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ على ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّها نزلَتْ في الَّذين قِيلَ لهم: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ فعَلَى هذا تكونُ الهاءُ والمِيمُ عائِدةً عليْهِم، وهذا قوْلُ مُقاتِلٍ[1].

والثَّاني: أنَّها نزلَتْ في اليهُود، وهِي قصَّةٌ مُستأنفَةٌ، فتكُونُ الهاءُ والمِيمُ كنَايةً عنْ غيْرِ مذْكُورٍ، ذكرَهُ ابْنُ إسْحاقَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

والثَّالث: أنَّها في مُشرِكِي العرَبِ وكُفَّارِ قُريشٍ.

فتكونُ الهاءُ والمِيمُ عائِدةً إلى قوْلِه:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ فعلَى القوْلِ الأوَّلِ يكونُ المُرادُ بالَّذي أنزَلَ اللهُ: تَحلِيلَ الحلالِ، وتحريمَ الحرَامِ، وعلَى الثَّانِي يكون: الإسْلامَ، وعلَى الثَّالِث: التَّوحِيدَ في الإسْلامِ[3]. و﴿أَلْفَيْنَا﴾ بمعْنَى: وجَدْنَا. [٤٠/أ]

(١) تفسير مقاتل (١/ ٩١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٤٢)، وابن أبي حاتم (١٥١١). وانظر: العجاب (١/ ٤١٧).

(٣) في (ت)، و(ف): التوحيدُ والإسلام.

قوْلُـه: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ مِـنَ الدِّيـن ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ لَـهُ، أَيَتَّبِعُونَهُـم[1] في خطَئِهِـم وافْتِرَائِهِـم!.

قوْلُه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾.

في معْنَى هذه الآيَةِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ معْنَاهـا: ومثَـلُ الَّذِيـن كفَـرُوا كمَثَـلِ البهَائِـمِ الَّتِـي ينْعِـقُ بهـا الرَّاعِـي، وهـذَا قـوْلُ الفـرَّاءِ، وثعْلَـبٍ، قـالَا جمِيعًـا: أضَـافَ المَثَـلَ إلى الَّذِيـن كفَـرُوا، ثُـمَّ شَـبَّهَهُ بالرَّاعِـي، ولم يقُـلْ: كالغَنَـمِ.

والمعْنَـى: ومثَـلُ الَّذِيـن كفَـرُوا كالبَهَائِـمِ الَّتـي لا تَفْقَـهُ مـا يقُـولُ الرَّاعِـي أكثَـرَ مِـنَ الصَّـوتِ، فلَـو قـالَ لَهَـا الرَّاعِـي: ارْعَـي، أوِ اشْرَبِي، لم تَـدْرِ مـا يقُـولُ، فكذلِـكَ الَّذِيـن كفَـرُوا فيـما يأْتِيهـم مِـنَ القُـرآنِ، وإنْـذَارِ الرَّسُـولِ، فأُضِيـفَ التَّشْـبِيهُ إلى الرَّاعِـي، والمعْنـى في المَرْعـيِّ، وهـو ظَاهِـرٌ في كلَامِ العـرَبِ، يقُولـونَ: فُـلانٌ يَخافُـكَ كخَـوْفِ الأَسَـدِ، والمعْنَـى: كخَوْفِـه الأسَـدَ؛ [لأنَّ الأسَـدَ هـو المعْـرُوفُ بأنَّـه المخُـوفُ][2]، [قـالَ الشَّـاعِر [مـن الطويـل]:

لَقَـدْ خِفْـتُ حَتَّـى مَـا تَزِيـدُ مَخَافَتِـي   عَـلَى وَعِـلٍ فِي ذِي المَطَـارَةِ عَاقِـلِ[3]

---

(١) في (ف): ليَتَّبِعُونَهُم.

(٢) من المطبوع.

(٣) البيـت للنابغـة الذبيـاني في ديوانـه (ص: ١٤٤)، وأمـالي المرتـضى (١/ ٢٠٢)، وأمـالي ابـن الشـجري (١/ ١٩١)، ومجاز القـرآن (١/ ٦٥)، ومـا اتفـق لفظـه واختلـف معنـاه؛ للمـبرد (ص: ٣٢)، والبيـت بـلا نسـبة في أمـالي المرتـضى (١/ ٢١٦)، والإنصـاف (١/ ٣٧٢)،=

والْمَعْنى: حتَّى لا تَزيد مَخافة وَعلٍ علَى مَخافَتِي][1]. وقال الشَّاعِرُ[2] [من الكامل]:

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ[3]

الْمَعْنَى: كَمَا كانَ الرَّجمُ فَريضةَ الزِّنا.

والثَّاني: أنَّ معْناها: ومثَلُ الَّذِين كفَرُوا، ومثَلُنا في وعْظِهِم؛ كمَثَلِ النَّاعِقِ والْمَنْعُوقِ بِه، فحذَفَ «ومثَلُنا» اخْتِصارًا؛ إذْ كانَ في[4] الكلامِ ما يدُلُّ عليْهِ. وهذَا قوْلُ ابْنِ قُتَيْبةَ، والزَّجَّاجِ[5].

والثَّالث: ومثَلُ الَّذِين كفَرُوا في دُعائِهِم آلهتَهُم الَّتِي يعْبُدونَ؛ كمَثَلِ الَّذِي ينْعِقُ، هذَا قوْلُ ابْنِ زيْدٍ، والَّذِي ينْعِقُ هُو الرَّاعِي، يُقال: نَعَقَ بالغَنَمِ، يَنْعِقُ نَعْقًا ونَعِيقًا ونُعَاقًا ونَعَقَانًا.

=ومجالس ثعلب (ص: ٦١٨)، والمقتضب (٣/ ٢٣١)، والأضداد (ص: ٣٢٨).

(١) من (ج)، وانظر: معاني القرآن (١/ ٩٩).

(٢) البيت؛ للنابغة الجعدي في ديوانه (ص: ٣٥)، ولسان العرب (١٤/ ٣٥٩) (زنى)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى (١/ ٢١٦)، والإنصاف (١/ ٣٧٣).

(٣) العجز طمس في (ج).

(٤) ليست في (ف).

(٥) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٢).

قَالَ[1] ابْنُ الأَنْبَارِي: والفَاشِي في كَلَامِ العَرَبِ أَنَّه لا يُقَالُ: نعَقَ، إِلَّا في الصِّيَاحِ بالغَنَمِ وحْدَهَا، فالغَنَمُ تسْمَعُ القَوْلَ[2] ولا تَعقِلُ المَعْنَى[3].

﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ إنَّما وصَفَهُم بالصَّمَمِ والبَكَمِ؛ لأنَّهُم في تَرْكِهِم قَبُولَ ما يسْمَعُونَ بمنزِلَةِ مَن لايسْمَعُ، وكذلِك في النُّطقِ[4] والنَّظَرِ، وقد سبَقَ شَرْحُ هذَا المَعْنَى.

قوْلُه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾.

قَرَأَ أبو جعْفَرٍ: «المَيِّتَةُ» هاهنا، وفي «المائدة»، و«النَّحل»، و«بَلْدَةً مَيِّتًا» بالتَّشديدِ، حيْثُ وقَعَ[5].

و«المَيْتَةُ» في عُرفِ الشَّرْعِ: اسْمٌ لِكُلِّ حيَوانٍ خَرجَتْ رُوحُه بغيْرِ ذَكاةٍ. وقِيلَ: إنَّ الحِكمَةَ في تحْرِيمِ المَيتَةِ أنَّ جُمودَ الدَّمِ فِيها بالمَوْتِ يُحدِثُ أذًى لِلآكِلِ، وقد يُسمَّى المَذْبُوحُ في بعْضِ الأحْوَالِ: ميْتَةً حُكمًا؛ لأنَّ حُكمَهُ حُكمُ المَيْتَةِ؛ كذَبِيحةِ المُرتَدِّ وأمَّا الدَّمُ فالمحرَّمُ منه: المسْفُوحُ؛ لقوْلِه تعَالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) في (ت)، و(ر)، و(ف): الصوت.

(٣) الزاهر في معانى كلمات الناس (١/ ١٦١).

(٤) في (ت)، و(ر): المنطق.

(٥) المبسوط (ص: ١٤٠)، والنشر (٢/ ٢٥٦)، والإتحاف (١/ ١٩٨).

قال القاضي أبو يعلى: فأمَّا الدَّمُ الَّذي يبْقَى في خللِ اللَّحمِ بعْدَ الذَّبحِ، ومَا يبْقَى فِي العُرُوقِ فهُوَ مُباحٌ[١].

فأمَّا «لحمُ الخنزيرِ» فالمرادُ: جُملتُهُ، وإنَّما خصَّ اللَّحمَ؛ لأنَّه مُعْظمُ المقْصُودِ. قالَ الزَّجَّاجُ: الخِنْزيرُ يشتمِلُ علَى الذَّكَرِ والأُنْثى[٢].

ومعْنَى ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: ما رُفِعَ فِيه الصَّوتُ بتَسْمِيةِ غيْرِ اللهِ، ومِثْلُه الإهْلَالُ بالحجِّ، إنَّما هو رَفْعُ الصَّوْتِ بالتَّلْبيةِ.

قوْلُه: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾؛ أي: أُلْجِئَ بضَرُورَةٍ.

[٤٠/ب] وقَرَأَ أبو جعْفَرٍ: «فَمَنِ اضْطِرّ» بكسْرِ الطَّاءِ حيْثُ كانَ. وأدْغمَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ الضَّادَ فِي الطَّاءِ[٣].

قوْلُه: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: البغْيُ: قصْدُ الفَسادِ، يقُولُ: بَغَى الجُرحُ؛ إذَا تَرامَى[٤] إلى فَسادٍ[٥].

---

(١) انظر: الإنصاف لمعرفة الراجح من الخلاف (١/ ٣٢٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٥).

(٣) المبسوط (ص: ١٤٢)، والكامل؛ للهذلي (١/ ٤٩٦)، والنشر (١/ ٢٧٧)، أمَّا الإدغام؛ لابن محيصن فهذه قراءة شاذة. انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٩)، والكامل؛ للهذلي (١/ ٤٩٦)، وشواذ الكرماني (ص: ٧٥).

(٤) في (م): ترا.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٤). وفي (ف): الفساد.

وفي قوْله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أربعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناهُ غيْرَ باغٍ على الوُلاةِ، ولَا عادٍ بقَطْعِ السَّبِيلِ، هذا قوْلُ سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، ومُجاهِدٍ.

والثَّاني: غيْرَ باغٍ في أكْلِه فوْقَ حاجَتِه، ولا مُتَعدٍّ بأكْلِها وهو يجِدُ غيْرَها. هذا قوْلُ الحسَنِ، وعِكرِمَةَ، وقتادَةَ، والرَّبِيعِ.

والثَّالث: غيْرَ باغٍ؛ أي: مُسْتحلٍّ، ولا عادٍ: غيْرَ مُضْطرٍّ، رُوِي عن سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، ومُقاتِلٍ.

والرَّابع: غيْرَ بَاغٍ شهْوَتَه[1] بذَلِك، ولا عَادٍ بالشِّبَعِ منْهُ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

❁❁❁

---

(١) في (ف): بشهوته.

فَصْلٌ

معنى الضَّرُورةِ في إباحَةِ المْيْتَهِ: أنْ يخافَ علَى نفسْهِ أو بعْضِ أعْضَائِه.

سُئِل أحمدُ ﷺ عنِ المضطرِّ إذا لم يأكُلِ الميْتَةَ؟ فذكَرَ عن مسْرُوقٍ أنَّه قالَ: مَنِ اضْطُرَّ ولم يأكُلْ فماتَ دخَل النَّارَ[١].

وأمّا مِقدارُ ما يأْكُلُ: فنقَل حَنْبلٌ: يْأكُلُ بمقْدارِ[٢] ما يُقيمُه عنِ المْوْتِ[٣]. ونقَل ابْنُ منْصُورٍ[٤]: يأكُلُ بقَدْرِ ما يستَغْنِي[٥].

وظاهِرُ الأُولى: أنَّه لا يجُوزُ له الشِّبَعُ، وهو قوْلُ أبي حَنِيفةَ، والشَّافعيِّ، وظاهِرُ الثَّانيةِ: جوازُ الشِّبَعِ وهو قوْلُ مالِكٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٤، ١٧٦].

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾.

---

(١) انظر: المغني (٩/ ٤١٦).

(٢) في (ف): مقدارَ.

(٣) الروايتين والوجهين (٣/ ٣٢).

(٤) في (ف): أبو منصور. وهو إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج. المتوفَّى سنة (٢٥١هـ).

(٥) المصدر السابق.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: نزلَتْ في اليهُودِ، كتَمُوا اسْمَ النَّبيِّ ﷺ، وغيَّرُوه في كتَابِهم[١]. و«الثَّمنُ القَلِيلُ»: ما يُصِيبُونَهُ مِن أتبَاعِهِم مِنَ الدُّنْيَا.

﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معْنَاه: إنَّ الَّذِين يأكُلونَهُ يُعذَّبُونَ بِه، فكأنَّهم يأكُلونَ النَّارَ[٢].

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ هذا دليلٌ على أنَّ اللهَ لا يُكلِّم الكفَّارَ ولا يُحاسِبُهُم.

وفي قوْلِه: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ **ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: لا يزُكِّي أعمالَهُم، قالَهُ مُقاتِلٌ.

والثَّاني: لا يُثْنِي عليْهِم، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٣].

والثَّالث: لا يُطَهِّرُهم مِنْ دنَسِ كُفْرِهِم وذُنُوبِهِم، قالَهُ ابْنُ جريرٍ[٤].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾؛ أي: اخْتارُوها علَى الهُدَى.

وفي قوْلِه: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ **أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدها: أنَّ معْنَاه: فما أصْبَرَهُم علَى عمَلٍ يُؤدِّيهِم إلى النَّارِ! قالَهُ عِكرِمَةُ، والرَّبِيعُ.

والثَّاني: ما أَجْرَأَهُم علَى النَّارِ قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

---

(١) أسباب النزول (ص: ٢٩)، والعجاب (١/ ٤١٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٥).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٦٧).

وذكَـرَ الكِسَـائِيُّ أنَّ أعْرابيًّـا حلَـفَ لـه رَجُـلٌ كاذِبًـا، فقَـال الأعْـرَابِيُّ: مـا أَصْـبَرَكَ عـلَى اللهِ[1]، يُريـد: مـا أَجْـرأَكَ[2].

والثَّالـث: مـا أبْقَاهُـم في النَّـارِ؛ كـما تقُـولُ: مـا أَصْـبَرَ فُلانًـا عـلَى الحبْـسِ؛ أي: مـا أبْقَـاهُ فيـه، ذكـرَهُ الزَّجَّـاجُ[3].

والرَّابع: أنَّ المْعْنَى: فأيُّ شيْءٍ صَبَّرَهُم على النَّارِ؟! قالَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

وفي «مَا» قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهَـا لِلاسْـتِفهَامِ، تقْديرُهَـا: مـا الَّـذِي أصْبَرَهُـم؟ قالَـهُ عطَـاءٌ، والسُّـدِّيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ، وأبـو بَكْـرِ بْـنُ عيَّـاشٍ[4].

والثَّاني: أنَّهَا للتعجُّبِ؛ كقوْلِك: ما أحسَنَ زيْدًا، وما أعْلَم عَمْرًا.

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاري: معْنَـى الآيَـةِ التعجُّـبُ، واللهُ يُعَجِّـبُ المْخلُوقـينَ، ولا يَعْجَـبُ هُـو كعَجَبِهِـم.

---

(١) في (ف): النار.

(٢) معاني القرآن (١/ ١٠٣)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٥).

(٤) أبـو بكـر شـعبة بـن عيـاش بـن سـالم الحنـاط الكـوفي الأسـدي الكاهـلي النهشـلي، اختلـف في اسـمه عـلى ثلاثـة عشر قـولًا، أصحهـا شـعبة، وكان مـولى. الإمـام العلـم راوي عاصـم، عـرض عليـه القـرآن ثـلاث مـرات، وعـلى عطـاء بـن السـائب وأسـلم المنقـري. وأخـذ عنـه جماعـة، وأخـذ عنـه الحـروف آخـرون منهـم الكسـائي وخـلاد الصـيرفي. وتـوفي بالكوفـة في جمـادى الأولى سـنة (١٩٣هـ). انظـر: طبقـات القـراء (١/ ٣٢٥- ٣٢٧).

قوْلُـه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الإشـارَةُ بـ«ذلِـكَ» إلى مَـا [٤١/أ] تقـدَّمَ مِـنَ الوَعِيـدِ بالعـذَابِ، تقْدِيـرُهُ: ذلِـك العـذَابُ بـأنَّ اللهَ أنْـزَلَ الكِتَـابَ بالحَـقِّ، فكَفَـرُوا[١] بِـه واخْتَلَفـوا فِيـه.

وفي «الكتاب» قوْلانِ:

أحدهما: أنَّه التَّوراةُ.

والثَّاني: القُرآنُ.

وفي «الحَقِّ»[٢] قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه العَدْلُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه ضِدُّ البَاطِلِ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

قوْلُه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّوراةُ.

ثُمَّ في اخْتِلافِهِم ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ اليهُـودَ والنَّصَـارى اخْتَلَفُـوا فِيهـا، فادَّعـى النَّصَـارى فِيهـا صِفَـةَ عِيسَـى، فأنْكَـرَ اليهُـودُ ذلِـك.

والثَّاني: أنَّهم خالَفُوا مَا في التَّوْراةِ مِن صِفَةِ مُحَمَّدٍ.

والثَّالث: أنَّهم خَالَفُوا سلَفَهُم في التَّمَسُّكِ بِهَا.

---

(١) في (ج): فهزئوا.

(٢) من قوله: «أحدهما أنه التوراة»... إلى هنا ساقط من (ج).

والثَّـاني: أنَّـه القُـرآن، فمِنْهُـم مَـن قـالَ: إنَّـه شِـعرٌ، ومِنْهُـم مَـن قـالَ: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحـل: ١٠٣].

و«الشِّقَاقُ»: مُعادَاةُ بعْضِهم لِبَعْضٍ.

وفي معْنَى «بَعِيد» قوْلانِ:

أحدهما: أنَّ بعْضَهُم مُتباعِدٌ في مُشَاقَّةِ بعْضٍ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[1].

والثَّاني: أنَّه بَعِيدٌ مِنَ الهُدى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقـرة: ١٧٧].

قوْلُه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾.

قـالَ قتـادَةُ: ذُكـرَ لنَـا أنَّ رجُـلًا سَـأَلَ عـن «الـبِرِّ»، فأُنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، فدَعـاهُ رسُـولُ اللهِ، فتَلاهَـا عليْـهِ[2].

وفيمَن خُوطِب بِهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ المُسلِمُون.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٦).

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٣/ ٧٦)، وعبـد بـن حميـد في تفسـيره كـما في العجـاب (١/ ٤٢١)، وذكـره الواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٣٠) عـن قتـادة.

والثَّاني: أَهْلُ الكِتابَيْنِ.

فعلَى القَوْلِ الأوَّلِ معْنَاهـا: ليْسَ البِرُّ كلُّهُ في الصَّلاةِ، ولكنَّ البِرَّ مَا في هذِه الآيةِ. وهذا المْعْنى مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، وعطَاءٍ، والضَّحَّاكِ، وسُفْيانَ.

وعلى القَوْلِ الثَّاني معْنَاهـا: ليْسَ البِرُّ صلاةَ اليهُودِ إلى المْغرِبِ، وصلاةَ النَّصارى إلَى المْشْرِقِ، ولكنَّ البِرَّ مَا في هذِه الآيةِ، وهذا قوْلُ قتادَةَ، والرَّبِيعِ، وعوْفٍ الأعْرابِيِّ، ومُقاتِلٍ.

وقَرأَ حمْزَةُ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بنصْبِ الرَّاءِ، وقَرأَ البَاقُونَ برَفْعِها[1].

قَالَ أبو عَلِيٍّ: كِلاهُمَا حسَنٌ؛ لأنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنَ الاسْمَيْنِ اسْمُ «لَيْسَ»، وخَبَرُهَا معرِفَةٌ، فإذَا اجْتمَعَا في التَّعريفِ تَكَافَآ في كوْنِ أحدِهِمَا اسْمًا، والآخَرِ خبَرًا، كما تَتكافَأُ النَّكِرتَانِ[2].

وفي المْرادِ بـ«البِرِّ» ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: الإيمانُ.

والثَّاني: التَّقْوَى.

والثَّالث: العمَلُ الَّذي يُقرِّبُ إلى اللهِ.

---

(١) السبعة (ص: ١٧٦)، ومعاني القراءات (١/ ١٩١)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ٢٦٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٢/ ٢٧٠).

قوله: ﴿وَلَكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّ معْناه: ولكنَّ البرَّ برُّ[١] مَنْ آمَن باللهِ[٢].

والثَّاني: ولكنَّ ذَا البرِّ مَنْ آمَنَ باللهِ، حكَاهُمَا الزَّجَّاجُ[٣].

وقَرأَ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ: «ولَكِنِ البرُّ» بتَخْفِيفِ نُونِ «لَكِن» ورَفْعِ «البِر»[٤]. وإنَّما ذكَرَ اليوْمَ الآخِرَ؛ لأنَّ عبَدَةَ الأوْثَانِ لا يُؤمِنُونَ بالبعْثِ.

وفي «الكِتَابِ» هاهُنَا قوْلانِ[٥]:

أحدهما: أنَّه القُرآنُ.

والثَّاني: أنَّه بمعْنَى الكُتُبِ، فيَدخُلُ في هذَا اليهُودُ؛ لِتكذِيبِهِم بعْضَ[٦] النَّبِيِّينَ وردِّهِم القُرآنَ[٧].

قوْلُه: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

في هاء «حُبِّهِ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى المْالِ.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) من قوله: «فيه قولان»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٦).

(٤) السبعة (ص: ١٦٨)، ومعاني القراءات (١/ ١٩١)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ١٦٩).

(٥) من قوله: «عبدة الأوثان»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٦) في (ف): ببعض.

(٧) في (ت): القراء.

والثَّاني: إلى الإِيتَاءِ.

[وذُكِرَ في الهَاءِ وجْهٌ آخَرُ وهُو أنْ ترْجِعَ إلى اللهِ سُبْحانَه وتعَالى](١). وكان الحسَنُ إذَا قَرأَهَا قالَ: سِوى الزكَاةِ المْفْرُوضةِ(٢).

قوْلُه: ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يُريد: قَرابَةَ المْعطِي. [٤١/ب]

وقد شرَحْنَا معْنى: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ عنْدَ رأسِ ثلاثٍ وثمانِينَ آيَةً مِن هذِه السُّورةِ.

فأمَّا «ابْنُ السَّبِيل» ففِيه ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الضَّيفُ، قالَه سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ، وابْنُ قُتيْبَةَ، والزَّجَّاجُ(٣).

والثَّاني: أنَّه الَّذي يَمُرُّ بك مُسَافِرًا، قالَه الرَّبِيعُ بْنُ أنَسٍ، وعنْ مُجاهِدٍ، وقتَادَةَ كالقَوْلَيْنِ. وقد رُوي عن الإمَامِ أحمَدَ ﷺ أنَّه قالَ: هو المُنقطِعُ به يُريدُ بلدًا آخَرَ، وهذَا اخْتِيارُ ابْنِ جَريرٍ الطَّبَريِّ، وأبِي سُليْمان الدِّمشقيِّ، والقَاضي أبي يعْلَى، ويُحَقِّقُه(٤) أنَّ السَّبيلَ الطَّرِيقُ، [وابْنُه](٥):

(١) من (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): الزكاة والمفروضة.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٦٠)، ومعاني القرآن (١/ ٢٦٧)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٦)، وتفسير الطبري (٧/ ١٨)، معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٠)، وابن أبي حاتم (١٥٥٥).

(٤) في (ف): وتحقيقُه.

(٥) في (ل): الله، والمثبت من بقية النسخ.

صَاحِبُه الضَّارِبُ فِيه، فلَه حقٌّ علَى مَنْ مَرَّ بِه إذَا كَانَ مُحتاجًا(١).

ولعلَّ أصْحابَ القَوْلِ الأوَّلِ أشَارُوا إلى هذا؛ لأنَّه وإن كانَ مُسافِرًا، فإنَّه ضَيْفٌ لِمَنْ ينْزِلُ بِه.

والقَوْلُ الثَّالِث: أنَّه الَّذي يُرِيدُ سفَرًا، ولا يَجِدُ نفقَةً، ذكَرَهُ المَاوردِيُّ وغيْرُه عنِ الشَّافِعي ﷺ(٢).

و ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾؛ أي: فِي فَكِّ الرِّقَابِ.

ثُمَّ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم المُكاتَبُونَ يُعانُونَ فِي كِتابَتِهِم بِما يُعْتَقُونَ بِهِ، روَاهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وهو مَرْوِيٌّ عن عليِّ بْنِ أبي طَالِبٍ، والحسَنِ، وابْنِ زيْدٍ، والشَّافِعيِّ(٣).

والثَّاني: أنَّهم عَبِيدٌ يُشْتَرونَ بِهَذَا السَّهمِ ويُعْتَقُونَ، روَاهُ مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبِه قالَ مالِكُ بْنُ أنَسٍ، وأبُو عُبيدٍ، وأبو ثوْرٍ، وعنْ أحمدَ كالقَوْلَيْنِ(٤).

---

(١) انظر: معونة أولي النهى (٣/ ٣٤٠).

(٢) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (١/ ٤٨٦)، والحاوي الكبير (٨/ ٥١٣).

(٣) انظر: النكت والعيون (١/ ٢٢٧).

(٤) انظر: موطأ مالك (ص: ٧٧٨)، والاستذكار (٣/ ٢١٢)، والكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٤٢٥)، والدر المنثور (٤/ ٢٢٤).

فأمَّا ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ فهي: الفقر. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض. ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: القتال. قالَهُ الضَّحَّاكُ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ قال أبو العاليةِ: تكلَّموا بالإيمانِ وحقَّقوهُ بالعَمَلِ(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨، ١٨٢].

قوْله تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾.

رَوى شَيْبانُ(٢) عنْ قتادَةَ أنَّ أهْلَ الجاهليَّةِ كانَ فِيهم بغْيٌ، وكانَ الحيُّ منْهُم إذَا كانَ فيهِم عَدَدٌ وعُدَّةٌ، فقتَلَ عبْدَهُم عبْدُ قوْمٍ آخرينَ قالُوا: لنْ نقْتُلَ بِه إلَّا حُرًّا، تعزُّزًا علَى غيْرِهم. وإذَا قتلَتِ امْرَأَةٌ منْهُم امْرَأةٌ مِن

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٥٧٠)، والشريعة؛ للآجري (٢/ ٦٣٤).

(٢) شيبان بن عبد الرحمن التميمي، مولاهم، النحوي، أبو معاوية البصري، نزيل الكوفة. روى عن: الحسن، وقتادة، والحكم، وزياد بن عِلاقة، وغيرهم، وروى عنه: الحسن الأشيب، وعبيد الله بن موسى، وآدم بن أبي إياس، وخلق كثير. قال عنه يعقوب بن شيبةَ: شيبانُ صاحبُ حُرُوْفٍ وقِراءاتٍ، مشهُورٌ بذلك، كان يحيى بن معينٍ يُوثِّقُهُ. وقال أبو حاتِمٍ: صالح الحديث، لا يحتج به. توفي سنة (١٦٤ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٠٦-٤٠٨).

آخرين[١] قالوا: لن نقتل بها إلَّا رجلًا فنزلت هذه الآية[٢].

ومعنى ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه.

و﴿ٱلْقِصَاصُ﴾: مُقابلةُ الفعلِ بمثلِه، مأخوذٌ مِنْ قَصِّ الأثرِ.

فإنْ قِيلَ: كيفَ يكونُ القِصَاصُ فرْضًا والوليُّ مُخَيَّرٌ بينَهُ وبيْنَ العفوِ؟

فالجوابُ: أنَّه فرْضٌ علَى القاتِلِ لِلْوَلِي، لَا علَى الوَلِيِّ.

قوْلُه: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾؛ أي: مِن دَمِ أخِيه؛ أي: تُرِكَ له القتْلُ، ورُضِيَ منْهُ بالدِّيَةِ. ودَلَّ قوْلُه: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ على أنَّ القاتِلَ لم يخْرُجْ عنِ الإسْلَامِ.

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: مطالَبَتُه[٣] بالمعْرُوفِ، يأمُرُ آخِذَ الدِّيَةِ بالمطالَبةِ الجَميلةِ الَّتي لا يُرهِقُه فِيها. ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ يأمُرُ المطالَبَ بأنْ لَا يبْخَسَ ولَا يُماطِلَ. ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قالَ سَعيدُ بنُ جُبيرٍ: كانَ حُكمُ اللهِ علَى أهْلِ التَّوراةِ أنْ يُقْتَلَ [قَاتِلُ العمْدِ، ولا يُعْفَى عنْهُ][٤]،

---

(١) قوله: «من الآخرين» ليس في (ف).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠٣)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٩٦)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٤٧) من طرق عن قتادة، بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤١٩) إلى عبد بن حميد، وأبو داود في ناسخه، وأبو القاسم الزجاجي في أماليه.

(٣) في (ت)، و(ف): مطالبةٌ.

(٤) في (ل): قاتل العدو لا يعفي عنه، والمثبت من بقية النسخ.

ولا يُؤْخَذَ[١] منْهُ دِيَةٌ، فرخَّصَ اللهُ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فإنْ شَاءَ وليُّ المَقْتُولِ عمْدًا [٤٢/أ] قَتَلَ، وإنْ شاءَ عفَا[٢]، وإنْ شَاءَ أخَذَ الدِّيَةَ[٣].

قوْلُه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾؛ أي: ظَلَم، فقَتَل قاتِلَ صَاحِبِه بعْدَ أخْذِ الدِّيَةِ ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالَ قتادَةُ: يُقتَلُ ولا تُقْبَلُ منْهُ الدِّيَةُ[٤].

❁ ❁ ❁

(١) في (ف): تؤخذ.

(٢) قوله: «وإن شاء عفا» ساقط من (ت)، و(ر)، و(ج).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٨٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠٥) عن معمر، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١١٥).

فَصْلٌ

ذهَبَ جماعَةٌ مِنَ المُفسِّرينَ إلى أنَّ دليلَ خِطابِ هذِه الآيةِ منْسُوخٌ؛ لأنَّه لَمَّا قالَ: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ اقْتَضى أنْ لا يُقتَلَ العبْدُ بالحُرِّ[1]، وكذلِك لَمَّا قالَ: ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ اقْتَضى أنْ لا يُقتَلَ الذَّكَرُ بالأُنْثى مِن جِهةِ دليلِ الخِطَابِ، وذلِك منْسُوخٌ بقوْلِه تعَالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

قال شيْخُنا عليُّ بْنُ عُبيدِ اللهِ: وهذَا عنْدَ[2] الفُقهاء ليْسَ بنَسْخٍ؛ لأنَّ الفُقهاءَ يقولُون: دَلِيلُ الخِطابِ حُجَّةٌ مَا لَمْ يُعارِضْهُ دَليلٌ أقْوى منْهُ.

قوْلُه: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: إذا عَلِمَ الرَّجُلُ أنَّه إنْ قَتَل قُتِل أمْسَكَ عنِ القَتْلِ، فكانَ في ذلِكَ حيَاةٌ للَّذي هَمَّ بقَتْلِه ولِنَفْسِه؛ لأنَّه مِنْ أجْلِ القِصَاصِ أمْسَكَ[3]. وأخَذَ بِهذَا المعْنَى الشَّاعِر فقَالَ[4] [من البسيط]:

---

(١) سقطت من (م).

(٢) سقطت من (ت).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٩).

(٤) البيت لهمام الرقاشي في مقاييس اللغة (٤/ ٣٧٧)، والبيان والتبيين (٢/ ٣١٦)، (٣/ ٢٠٢)، (٤/ ٨٥)، والخزانة (٣/ ٣٤٥)، ولعصام بن عبيد الزماني في تاج العروس (غلل)، ولأبي القمقام الأسدي في عيون الأخبار (١/ ٩١)، ولهشام الرقاشي في العقد الفريد (١/ ٨٠)، وبلا نسبة في لسان العرب (٦/ ٣٢٨٩) (غلل). **المغلغلة**: الرّسالة. ورسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد.

أَبْلِــغْ أَبَــا مَالِــكٍ عَنِّــي مُغَلْغَلَــةً   وَفِي الْعِتَــابِ حَيَــاةٌ بَــيْنَ أَقْــوَامِ

يُريد: أنَّهُم إذَا تعَاتَبُوا أَصْلَح مَا بيْنَهُمُ العِتَابُ.

و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العُقـولُ، وإنَّـما خَصَّهُـم بهـذَا الخِطَـابِ وإنْ كانَ الخطَـابُ عامًّـا؛ لأنَّهُـم المُنتَفِعُـونَ بالخِطَـابِ؛ لكوْنِهِـم يأْتَمِـرُونَ بأَمْـرِه وينْتَهُـون بنَهْيِـهِ.

وقوْلُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: لعلَّكُـم تتَّقُـونَ الدِّمَـاءَ. وقـالَ ابْـنُ زيْـدٍ: لعلَّـكَ تَتَّقِـي أنْ تقْتُلَـهُ فتُقْتَـلَ بِه[1].

❁❁❁

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٢٣) من طريق ابنِ وهب، به.

فَصْلٌ

نقَل ابْنُ منْصُورٍ عنْ أحْمدَ: إذا قتَل رجُلٌ رجُلًا بِعصًا أو خنَقَهُ أوْ شَدَخَ رأسَهُ بحجَرٍ يُقتَلُ بمثْلِ الَّذي قتَلَ بِه(١).

فظاهِرُ هذَا أنَّ القِصاصَ يكونُ بغَيْرِ السَّيْفِ، ويكونُ بمثْلِ الآلَةِ الَّتي قتَلَ بِهَا، وهُو قوْلُ مالِكٍ، والشَّافِعِيِّ.

ونقَلَ عنْه حرْبٌ(٢): إذا قتَلَهُ بِخشَبةٍ قُتِلَ بالسَّيْفِ. ونقَلَ أبو طَالِبٍ(٣): إذَا خنَقَهُ قُتِلَ بالسَّيْفِ(٤).

فظَاهِرُ هذَا أنَّه لا يكُونُ القِصاصُ إلَّا بالسَّيفِ، وهو قوْلُ أبي حَنِيفةَ.

قوْلُه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: المْعْنَى: وكُتِبَ عليْكُم، إلَّا أنَّ الكلَامَ إذَا طَالَ اسْتغْنَى عنِ العطْفِ بالوَاوِ. وعُلِم أنَّ معْنَاه معْنَى الواوِ، وليْسَ المْرادُ: كُتِب عليْكُم أنْ يُوصِيَ أحدُكُم عنْد المْوتِ؛ لأنَّه في شُغْلٍ حينئِذٍ، فإنَّما المْعْنَى: كُتِبَ عليْكُم أنْ تُوصُوا وأنْتُم قادِرُون علَى الوَصِيَّةِ، فيقُول الرَّجُلُ: إذا أنَا

(١) انظر: مسائل الكوسج (٢٥٧١).

(٢) أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني، المتوفَّى سنة (٢٨٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٦/ ٣١٠).

(٣) أبو طالب أحمد بن حميد المشكاني، صاحب أبي عبد الله أحمد بن حنبل والمتخصص في ذلك. روى عنه مسائل كثيرة، وكان أحمد يكرمه ويعظمه. المتوفَّى سنة (٢٤٤هـ). انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٩- ٤٠).

(٤) انظر: الروايتين والوجهين (٢/ ٢٦٢).

مِـتُّ، فلِفُـلَانٍ كـذَا. فأمَّـا الخـيرُ هَاهُنـا فهـو المْـالُ في قـوْلِ الجماعَـةِ[1].

وفي مِقْدارِ المْالِ الَّذي تقعُ هذِه الوصِيَّةِ فِيه ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ألفُ دِرْهمٍ فصَاعِدًا، رُوِي[2] عنْ عليٍّ، وقتادةَ.

والثَّاني: أنَّه سبعُمِائَةِ درْهِم فما فوْقَها، رَواه طَاوسٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: سِتُّونَ دِينَارًا فما فَوْقَها، رَواه عِكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابعُ: أنَّه المْالُ الكَثِيرُ الفَاضِلُ عنْ نفَقَةِ العِيالِ.

قالَـتْ عائِشَـةُ -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- لِرجُـلٍ سـأَلَها: إنِّي أُريـدُ الوَصِيَّـةَ، فقالَـتْ: كـمْ مالُـكَ؟ قـالَ: ثَلاثَـةُ آلَافٍ، قالَـتْ: كَـمْ عِيالُـكَ؟ قـالَ: أرْبعَـةٌ. قالَـتْ: شيْءٌ يَسِـيرٌ، فدَعْـهُ لِعيالِـكَ[3]. [٤٢/ ب]

والخامِس: أنَّه مِنْ ألْفِ دِرْهَمٍ إلى خمسِ مِائَةٍ، قالَهُ إبْراهِيمُ النَّخَعِيُّ.

والسَّادس: أنَّه القَلِيلُ والكَثِيرُ، رَواهُ مَعْمَرٌ عنِ الزُّهرِيِّ.

فأمَّا «المْعْروفُ» فإنَّه الَّذِي لا حَيْفَ فِيه.

❁ ❁ ❁

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٩- ٢٥٠).

(٢) في (ت): رواه.

(٣) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٢/ ٦٥٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٩٤٦) عن أبي معاوية، عن محمد بن شريك، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور(١ / ٤٢٣) لابن المنذر.

فَصْلٌ

وهَلْ كانَتْ هذِه الوَصِيَّةُ ندْبًا أوْ وَاجِبةً؟ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهَا كانَتْ ندْبًا.

والثَّاني: أنَّهَا كانَتْ فرْضًا، وهُو أصَحُّ؛ لقوْلِه: ﴿كُتِبَ﴾، ومعْنَاه: فُرِضَ.

قال ابْنُ عُمرَ: نُسِختْ هذِه الآيَةُ بآيَةِ المْيراثِ(١).

وقـالَ ابـنُ عبَّـاسٍ: نسَـختْهَا: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النسـاء: ٧].

والعُلَـاءُ مُتَّفِقُـونَ علَى نسْـخِ الوَصِيَّـةِ للوَالديْـنِ والأَقْرَبِـينَ الَّذِيـن يرِثُونَ، وهُـم مُختلِفُـونَ(٢) فِي الأقْربِـين الَّذِيـن لا يرِثُـونَ: هـل تَجِبُ الوَصِيَّـةُ لَهُـم؟ علَى قوْلَـينِ، أصحُّهـا أنَّهَـا لا تَجِبُ لأَحَـدٍ.

قوْلُه: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مَـنْ بـدَّلَ أمْـرَ الوَصِيَّـةِ بعْـدَ سَـاعِهِ إيَّاهـا، فإنَّـا إثْمُـه علَى مُبَدِّلِـه، لا عـلَى المْـوصِي، ولا عـلَى المْـوصَى لَه(٣).

﴿سَمِيعٌ﴾ لِمَا قد قَالَهُ المْوصِي ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَا يفْعَلُه المْوصَى إليْهِ.

قوْلُه: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾.

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢١).

(٢) في (ف): مخالفون.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥١).

قَرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحفْصٌ عن عَاصِمٍ: «مُوصٍ» ساكنَةَ الوَاوِ. وقَرَأَ حمزَةُ، والكِسَائِيُّ، وأَبُو بكْرٍ عنْ عَاصِمٍ[١]: «مُوَصٍّ» مفْتُوحةَ الوَاوِ مُشَدَّدَةَ الصَّادِ[٢].

﴿جَنَفًا﴾ [وفِي][٣] المُرادِ بالخَوْفِ هَاهُنا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه العِلمُ.

والثَّاني: نفْسُ الخوْفِ.

فعلَى الأَوَّلِ يكُونُ الجَوْرُ قَدْ وُجِدَ، وعلَى الثَّاني: يُخْشَى وجُودُهُ.

و«الجَنَفُ»: المَيْلُ عنِ الحَقِّ. قالَ الزَّجَّاجُ: جَنَفًا؛ أي: مَيْلًا، أَوْ إثْمًا؛ أي: قصْدَ الإِثْمِ[٤]. وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الجَنَفُ: الخَطَأُ، والإِثْمُ: التَّعمُّدُ[٥].

قالَ أَبُو[٦] سُليْمانَ الدِّمشقيُّ: الجَنَفُ: الخُروجُ عنِ الحَقِّ، وقدْ يُسمَّى بِهِ المُخطِئُ والعامِدُ، إلَّا أنَّ المُفسِّرين علَّقُوا الجَنَفَ علَى المُخطِئِ، والإِثْمَ علَى العَامِدِ.

---

(١) من قوله: «موص ساكنة الواو»... إلى هنا ساقط من (ف).

(٢) السبعة (ص: ١٧٦)، ومعاني القراءات (١/ ١٩٢)، والمبسوط (ص: ١٤٣).

(٣) من (ت)، و(ف)، إلا أنها في (ف) بدون الواو.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥١).

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ١٥١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس به، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوْلِه: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفًا﴾ يَعْنِي: إِثْمًا.

(٦) في (م): ابن.

وفي تَوْجِيهِ هذِه الآيَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناهَا: مَنْ حضَرَ رجُلًا يمُوتُ، [فَأَسْرَفَ فِي وَصِيَّتِهِ][1] أوْ قَصَّر عنْ حقٍّ، فلْيَأمُرْهُ بالعَدْلِ، وهذَا قوْلُ مُجاهِدٍ.

والثَّاني: معناهَا: مَنْ أوْصَى بِجَورٍ، فرَدَّ وَلِيُّه وصِيَّتَهُ، أَوْ ردَّهَا إمَامٌ مِنْ أئِمَّةِ المُسلِمِينَ إلى كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّه فلَا إثْمَ عليْهِ، وهذَا قوْلُ قتادَةَ.

قوْلُه: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بيْنَ الَّذِين أُوصِي لَهُم، ولم يَجْرِ لَهُم ذِكْرٌ، غيْرَ أنَّه لَمَّا ذُكِرَ المُوصِي أفادَ مفْهُومُ الخطَابِ أنَّ هُناك مُوصًى لَهُ، وأنْشَدَ الفرَّاءُ[2] [من الوافر]:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا[3] أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمِ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي؟

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ١٥١) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس به، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قَوْلِه: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ يَعْنِي: إثْمًا.

(٢) البيت؛ للمثقب العبدي في ديوانه (ص: ٢١٢)، والمفضليات (ص: ٥٧٤)، والشعر والشعراء (١/ ٤٠٣)، والصناعتين (ص: ٢٠٥)، والحماسة البصرية (١/ ٤٠)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (ص: ٢٣١) برواية: يممت وجها. ويروى المصراع الثاني من البيت: أم الشّرّ الّذي لا يأتليني. ومعنى يممت: قصدت، ويليني: من الوَلْي، وهو: القرب.

(٣) في (ف): أمرًا. وهي رواية المفضليات.

فكنَّى في البَيْتِ الأوَّلِ عنِ الشَّرِّ بعْدَ ذكْرِهِ الخَيْرَ وحْدَهُ، لِمَا في مفْهُومِ اللَّفْظِ مِنَ الدِّلالَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾.

الصِّيَامُ في اللُّغةِ: الإمْسَاكُ في الجُملَةِ، يُقَالُ: صَامتِ الخَيْلُ؛ إذا أمْسَكَتْ عنِ السَّيْرِ، وصَامَتِ الرِّيحُ؛ إذا أمْسَكَتْ عنِ الهُبُوبِ.

والصَّوْمُ في الشَّرْعِ: عِبارَةٌ عنِ الإمْسَاكِ عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ والجِماعِ معَ انْضِمَامِ النِّيَّةِ إليْهِ.

وفِي الَّذِين مِن قبلنا ثلاثةُ أقْوالٍ: [٤٣/أ]

أحدُها: أنَّهُم أهْلُ الكتَابِ، روَاهُ عطَاءٌ الخُرَاسَانِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وهو قوْلُ مُجاهِدٍ.

والثَّاني: أنَّهُمُ النَّصارى، قالَهُ الشَّعْبِيُّ، والرَّبيعُ.

والثَّالث: أنَّهُم جَميعُ أهْلِ المِلَلِ، ذكرَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وفي موْضِعِ التَّشْبيهِ في كافِ ﴿كَمَا﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ التَّشْبِيهَ في حُكمِ الصَّوْمِ وصِفَتِه، لا في عدَدِهِ.

قال سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: كُتِبَ عليْهِم إذا نامَ أحدُهُم قبْلَ أنْ يطْعَمَ لم يحِلَّ له أنْ يطعَمَ [إلى القابلَةِ][1]، والنِّساءُ عليْهِم حرَامٌ ليْلَةَ الصِّيامِ، وهُو عليْهِم ثابِتٌ. وقدْ أُرْخِصَ لكُمْ[2].

فعَلَى هذا تكُونُ هذِه الآيةُ منسُوخةً بقوْلِه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾، فإنَّها فرَّقَتْ بيْنَ صوْمِ أهْلِ الكتَابِ وبيْنَ صوْمِ المُسلِمِينَ.

والثَّاني: أنَّ التَّشْبيهَ في عَدَدِ الأيَّامِ.

ثُمَّ في ذلِكَ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه فُرِضَ علَى هذِه الأُمَّةِ صوْمُ ثلاثَةِ أيَّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ، وقدْ كانَ ذلِكَ فرْضًا علَى مَن قبْلَهُم.

قالَ[3] عَطِيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ في قوْلِه: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) ليست في (ل)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٠٥)، وأخرجه عبد بن حميد في التفسير كما في الدر المنثور(٢/ ١٧٨).

(٣) في (م): قاله.

مِن قَبْلِكُمْ﴾، قَالَ: كانَ ثلاثَةَ أيَّامٍ مِن كُلِّ شهْرٍ، ثم نُسِخَ برمَضَانَ[١].

وقالَ مَعْمَرٌ عن قتَادةَ: كانَ اللهُ تعَالى قد كتَبَ علَى النَّاسِ قبْلَ رمضانَ[٢] ثلاثَةَ أيَّامٍ مِن كُلِّ شهرٍ[٣].

فعلَى هذا القوْلِ تكونُ الآيةُ منْسُوخةً بقولِه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

والثَّاني: أنَّه فُرِضَ علَى مَنْ قبْلَنَا صومُ رمَضانَ بعَيْنِه.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فقدَّم النَّصارى يوْمًا ثُمَّ يوْمًا[٤]، وأخَّروا يوْمًا، ثُمَّ قالُوا: نُقَدِّمُ عشرًا[٥] ونُؤَخِّرُ عشرًا[٦].

وقال السُّدِّيُّ عن أشْياخِه: اشتدَّ علَى النَّصارى صوْمُ رمَضانَ، فجَعَلَ يتَقَلَّبُ عليْهِم في الشِّتاءِ والصَّيْفِ، فاجْتمَعُوا فجعَلُوا صِيامًا في

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٣) من طريق عطية العوفي، به. وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره عند الرواية رقم (١٦٢٤).

(٢) من قوله: «وقال معمر»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠٧)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٥٨)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره عند الرواية رقم (١٦٢٤).

(٤) ليست في (م).

(٥) في (م): عشرين.

(٦) أخرجه عبد بن حميد في التفسير كما في الدر المنثور (٢/ ١٧٧)، وقوله: «ونؤخر عشرًا» ليس في (ج).

الفصْلِ بيْنَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ[١]، وقالُوا: نَزِيدُ عشرِينَ يوْمًا نُكفِّرُ بِهَا مَا صنَعْنَا، فعَلى هذا تكونُ الآيَةُ مُحكَمَةً غيْرَ منْسُوخةٍ[٢].

قوْلُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

لأنَّ الصِّيامَ وُصْلةٌ إلى التُّقَى؛ إذْ هو يكفُّ النَّفْسَ عن كثِيرٍ مِمَّا تتطلَّعُ إليْهِ مِنَ المْعاصِي، وقِيلَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مَحظُوراتِ الصَّومِ.

قوْلُه: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: نصَبَ «أيَّامًا» علَى الظَّرْفِ، كأنَّهُ قالَ: كُتِبَ عليْكُمُ الصِّيَامُ في هذِه الأيَّامِ. والعامِلُ فيهِ «الصِّيَامُ»، كأنَّ المْعْنَى: كُتِبَ عليْكُم أنْ تصُومُوا أيَّامًا مَعْدُوداتٍ[٣].

وفي هذِه الأيَّامِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهَا ثلاثَةُ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شهرٍ.

والثَّاني: أنَّهَا ثلاثَةُ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شهرٍ ويوْمُ عاشُوراءِ.

والثَّالثُ: أنَّهَا شهْرُ رمَضانَ، وهُو الأصَحُّ، وتكُونُ الآيَةُ مُحكَمَةً في هذَا القَوْلِ، وفِي القَوْلَيْنِ قبْلَه تكونُ منْسُوخَةً.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ﴾ فِيه إضْمارٌ: فأفْطَرَ.

---

(١) من قوله: «فاجتمعوا»... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ر).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٥٤) من طريق أسباط بن نصر عن السدي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٢).

فَصْلٌ

وليْسَ المْرضُ والسَّفَرُ علَى الإطْلاقِ، فإنَّ المريضَ إذَا لَم يضُرَّ بِه الصَّوْمُ لم يجُزْ لَهُ الإفطَارُ، وإنَّما الرُّخصَةُ موْقُوفَةٌ علَى زِيادَةِ المْرضِ.

واتَّفَق العُلماءُ أنَّ السَّفَرَ مُقدَّرٌ، واختلَفُوا في تقْدِيرِه، فقَالَ أحمدُ، ومالِكٌ، والشَّافِعيُّ: أقَلُّه مَسِيرةُ سِتَّةَ عشَرَ فرْسَخًا: يوْمَان.

وقالَ أبو حنيفَةَ وأصْحَابُه: أقلُّهُ مسِيرةُ ثلاثَةِ أيَّام[1]، أرْبعَةٍ وعشرِينَ [٤٣/ب] فرْسَخًا. وقالَ الأوْزَاعِيُّ: أقلُّه مَرحَلَةُ يوْمٍ، ثَمانِيةِ فرَاسِخَ.

وقِيلَ: إنَّ السَّفَرَ مُشتَقٌّ مِنَ السَّفرِ الَّذي هو الكشْفُ، يُقالُ: سَفرتِ المْرأةُ عنْ وجْهِها، وأسْفَرَ الصُّبحُ؛ إذَا أضَاءَ، فسُمِّي الخروجُ إلى المْكانِ البَعِيدِ: سفَرًا؛ لأنَّه يكشِفُ عن أخْلَاقِ المْسافِرِ[2].

قوْلُه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

نُقِلَ عنِ ابنِ [مسْعُودٍ][3]، ومُعاذِ بْنِ جبَلٍ، وابْنِ عُمرَ، وابْنِ عبَّاسٍ، وسلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ، وعلْقمَةَ، والزُّهرِيِّ في آخرِين في هذِه الآيَةِ أنَّهم قالُوا: كانَ مَن شَاءَ صَامَ، ومَنْ شَاءَ أفْطَرَ وافْتَدَى، يُطعِمُ عنْ كُلِّ يوْمٍ مسْكِينًا، حتَّى نزلَتْ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فعلَى هذا يكُونُ معْنَى الكلامِ: وعلَى الَّذِين يُطِيقُونَهُ ولا يَصُومُونَهُ فِديَةٌ، ثُمَّ نُسِختْ.

---

(١) قوله: «ثلاثة أيام» ليس في (ف).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٨).

(٣) في (ل): ابن عباس. وفي حاشية (ل): في نسخة ابن مسعود، وفي المطبوع: ابن مسعود.

ورُوِي عنْ عِكرمَةَ أَنَّه قالَ: نزلَتْ في الحَامِلِ والْمرضِعِ[١].

وقَـرَأَ أبـو بَكْـرٍ الصِّدِّيـقُ، وابْـنُ عبَّـاسٍ: «وعـلَى الَّذِيـنَ [يُطَوَّقُونَـهُ][٢]» بضـمِّ اليـاءِ وفتْـحِ الطَّـاءِ وتشـديدِ الـواوِ[٣]. قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: هـو الشَّـيْخُ والشَّـيخَةُ[٤].

قوْلُه: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

قَـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وعاصِـمٌ، وحمـزَةُ والكِسـائِيُّ: «فِديـةٌ» منـوَّنٌ «طَعـامُ مسْكِينَ» مُوَحَّـدٌ. وقَـرأَ نافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ: «فِدْيَـةُ» بغَـيْرِ تنْويـنِ «طعَـامِ» بالخفْـضِ «مسَـاكِينَ» بالجمْـعِ[٥].

قـالَ أبـو عـلِيٍّ: معْنـى القِـرَاءةِ الأُولى: عـلَى كُلِّ واحِـدٍ طعَـامُ مِسـكِينٍ؛ ومثْلُـه: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ﴾ [النـور: ٤]؛ أي: فاجْلِـدُوا كُلَّ واحِـدٍ ثَمانِـينَ[٦].

قـال أبُـو زيْـدٍ: أتَيْنَـا الأمِـيرَ فكسَـانَا كُلَّنَـا حُلَّـةً، وأعْطَانَـا كلَّنَـا مِائـةً؛ أي:

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٦٨) من طريق قتادة، عن عكرمة.

(٢) في (ل)، و(ج): يطيقونه. وفي (م): يطقونه.

(٣) قـراءة شـاذة، عـن ابـن عبـاس في مختصر ابـن خالويـه (ص: ١٩)، وعـن عائشـة وجماعـة مـن الصحابـة والتابعـين ليـس فيهـم أبـو بكـر. انظـر: تفسـير الطـبري (٢/ ٨)، وتفسـير القرطبـي (٢/ ٢٨٧).

(٤) رواه البخاري (٤٥٠٥)، وأبو داود (٢٣١٨) وغيرهما.

(٥) السبعة (ص: ١٧٦)، والحجة؛ للفارسي (٢/ ٢٧٢)، والمبسوط (ص: ١٤٢).

(٦) الحجة للقراء السبعة (٢/ ٢٧٣).

فعَلَ ذلِك بِكُلِّ واحِدٍ مِنَّا. قالَ: فأمَّا مَنْ أضَافَ الفِديَةَ إلى الطَّعَامِ[١]، فكإضَافَةِ البَعْضِ إلَى ما هُو بعْضٌ لَهُ، وذلِك أنَّه سُمِّي الطَّعَامُ الَّذِي يُفدَى بِه فِديَةً، ثُمَّ أضَافَ الفِديَةَ إلى الطَّعَامِ الَّذِي يعُمُّ الفِديَةَ وغيْرَها، فهُو علَى هذَا مِن بابِ خَاتِم حدِيدٍ[٢].

وفي قوْلِه: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّ معناه: مَنْ أطْعَمَ مِسكينينِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ.

والثَّاني: أنَّ التَّطوُّعَ إطْعَامُ مَساكِينَ، قالَه طَاوسٌ.

والثَّالث: أنَّه زِيادةُ المِسكينِ علَى قُوتِه، وهو مَرْويٌّ عنْ مُجاهِدٍ، وفعَلَهُ أنَسُ بْنُ مالِكٍ لَمَّا كَبِرَ[٣].

﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عائِدٌ إلى مَن تقدَّمَ ذكْرُهُ مِنَ الأصِحَّاءِ المُقيمينَ المُخيَّرِينَ بيْنَ الصَّوْمِ والإطْعَامِ علَى مَا حكيْنَا في أوَّلِ الآيَةِ عنِ السَّلَفِ، ولم يرْجِعْ ذلِك إلى المَرْضَى[٤] والمُسافِرينَ، والحَامِلِ والمُرضِعِ؛ إذِ الفِطْرُ في حقِّ هؤلاءِ أفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ، فقَدْ نُهُوا عنْ تعْرِيضِ أنْفُسِهِم للتَّلَفِ، وهذَا يُقوِّي قوْلَ القَائلينَ بنَسْخِ الآيَةِ.

---

(١) زاد في (م): الذي يطعم الفدية وغيرها.

(٢) الحجة للقراء السبعة (١/ ٢٧٣)، والخصائص؛ لابن جني (٣/ ٣٢٦).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٩٧)، ومصنف عبد الرزاق (٧٥٨٢)، وأورده البخاري معلقًا (٦/ ٢٥)، وفي التاريخ الكبير (٦/ ١٤٣).

(٤) في (ج): الموصي.

قوْلُه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾.

قَالَ الأخْفَشُ: شَهْرُ رمَضانَ بالرَّفْعِ على تفْسِيرِ الأيَّامِ، كأنَّه لَمَّا قالَ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فسَّرَها فقَالَ: هِي ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾[١].

قالَ أبُو عُبيدٍ: وقَرَأَ مُجاهِدٌ: «شَهْرَ رَمَضَانَ» بالنَّصْبِ[٢].

وأُرَاهُ نصَبَهُ علَى معْنَى الإغْرَاءِ: علَيْكُم شهْرَ رمَضانَ فصُومُوه؛ كقوْلِه: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوْلِه: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قالَ الشَّيخُ: ومِمَّن قَرأَ بالنَّصْبِ مُعاويةُ والحسَنُ وزيْدُ بْنُ علِيٍّ وعِكرِمَةُ ويَحْيَى بْنُ يعْمَرَ[٣]. [٤٤/أ]

قالَ ابْنُ فارِسٍ: الرَّمَضُ: حَرُّ الحِجارَةِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ، ويُقالُ: شَهْرُ رمَضانَ، مِن شِدَّةِ الحَرِّ؛ لأنَّهُم لَمَّا نقَلُوا أسْماءَ [الشُّهُورِ][٤] عنِ اللُّغةِ القَديمَةِ، سَمَّوْهَا بالأزْمِنةِ الَّتِي وقَعَتْ فيها، فوَافَقَ هذَا الشَّهرُ أيَّامَ رَمَضِ الحَرِّ، ويُجمَعُ علَى رَمَضَانَاتٍ وأرْمِضَاء[٥].

---

(١) معانى القرآن؛ للأخفش (١/ ١٢٧).

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ١٨)، والكامل؛ للهذلي (١/ ٤٩٩)، وشواذ الكرماني (ص: ٨٣).

(٣) لم أقف على هذه النسبة فيما بين يدي من مصادر إلا عند المصنف، وممن نسبت إليه هذه القراءة مجاهد وشهر بن حوشب وهارون الأعور وأبو عمارة. انظر: البحر (٢/ ١٠).

(٤) في الأصل: الشهر، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٠). وزاد في المطبوع: وأرمضة.

قوْلُه: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه أُنزِلَ القُرآنُ فيهِ جُملَةً واحِدةً، وذلِك في ليلَةِ القدْرِ إلى بيْتِ العِزَّةِ في السَّماءِ الدُّنيا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ معْنَاه: أُنزِلَ القُرآنُ بفَرْضِ صِيامِه، رُوِي عنْ مُجاهِدٍ، والضَّحَّاكِ.

الثَّالث: أنَّ معْنَاه: إنَّ القُرآنَ ابْتُدِئَ بنُزُولِه فيهِ على النَّبيِّ ﷺ، قالَه ابْنُ إسْحاقَ، وأبُو سُليْمان[١] الدِّمشقيُّ.

قالَ مُقاتِلٌ: والفُرقانُ المْخرجُ في الدِّين مِنَ الشُّبهَةِ والضَّلالَةِ[٢].

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾؛ أي: مَن كانَ حاضِرًا غيْرَ مُسافِرٍ.

فإنْ قِيلَ: مَا الفَائدَةُ في إعادَةِ المْرَضِ [والسَّفرِ][٣] في هذِه الآيةِ، وقدْ تقَدَّم ذلِك؟

قِيلَ: لأنَّ في الآيةِ المْتقدِّمةِ منْسُوخًا، فأعادَهُ لئلَّا يكُونَ مَقْرُونًا بالمْنْسُوخِ.

قوْلُه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾.

(١) في (م): ابن إسحاق الدمشقي. أسقط وأبو سليمان.

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٩٧).

(٣) في الأصل: والشهر، والمثبت من بقية النسخ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، [وقتادَةُ](١)، والضَّحَّاكُ: «الْيُسْر»: الإِفْطارُ فِي السَّفرِ، و«العُسْر»: الصَّومُ فيهِ(٢).

وقالَ عمرُ بْنُ عبْدِ العزيزِ: أيُّ ذلِك كانَ أسْهلَ(٣) عليْكَ فافعَلِ الصَّوْمَ في السَّفَرِ، أوِ الفِطْرَ(٤).

قوْلُه: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمزَةُ، والكِسائِيُّ، [وأبو عمْرٍو، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ](٥): ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾ بإسْكانِ الكافِ خفِيفةً(٦). وقَرَأَ أبو بَكْرٍ عنْ عاصِمٍ بتشْدِيدِ المِيم، وذلِك مِثْلُ: «وَصَّى» و«أَوْصَى»(٧).

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قول ابن عباس رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٠) عن علي بن أبي طلحة به، وقول مجاهد كذلك رواه ابن جرير (٣/ ٢١٨) من طريق ابن أبي نجيح به، وقول قتادة عند ابن جرير الطبري (٣/ ٢١٩) من طريق سعيد به، وقول الضحاك رواه ابن جرير (٣/ ٢١٩) بنحوه.

(٣) في (ف): أيْسَرَ.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٠٨) عن أيوب فذكره.

(٥) من (ف).

(٦) السبعة (ص: ١٧٧)، والحجة (٢/ ٢٧٤)، والمبسوط (ص: ١٤٣).

(٧) انظر: المصدر السابق.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ولِتُكمِلُوا عِدَّةَ ما أفْطرتم[١]. وقالَ بعْضُهم: المُرادُ بهِ: لا تَزيدُوا على ما افْتُرِضَ، كما فعَلَتِ النَّصارى، ولا تَنْقلُوه عنْ زمانِه كما نقلَتْهُ[٢].

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: حَقٌّ على المُسلِمِينَ إذا نظَرُوا إلى هِلالِ شوَّالٍ، أنْ يُكَبِّرُوا حتَّى يفرُغُوا مِن عِيدِهِم[٣].

فإنْ قِيلَ: ما وجْهُ دُخولِ الواوِ في قوْلِه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وليس هُناكَ ما يُعطفُ عليْه؟.

فالجَوابُ: أنَّ هذِه الواوَ عطَفَتِ اللَّامَ الَّتي بعْدَها على لَامٍ محذُوفةٍ. والمْعْنى[٤]: ولا يُريدُ بِكمُ العُسْرَ، لِيُسْعِدَكُم، ولِتُكمِلُوا العِدَّةَ، فحُذِفتِ اللَّامُ الأُولَى لِوضُوحِ معْناها، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

❁❁❁

(١) التفسير البسيط (٣/ ٥٨٧).

(٢) في (ف): نقَلُوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٢) من طريق ابن زيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي (ت): من عندهم.

(٤) زاد في (ج): إظهار.

فَصْلٌ

ومِـنَ السُّـنَّةِ إظْهـارُ التَّكبِـيرِ ليْلَـةَ الفِطْـرِ، وليْلَـةَ النَّحـرِ، وإذا غَـدَوْا إلى المُصـلَّى. واختلَفـتِ الرِّوَايـةُ عـنْ أحمَـدَ ﷺ، متَّـى يُقطَـعُ في عيـدِ الفِطْـرِ، فنَقَـل عنْـهُ حنْبَـلٌ: يُقطَـعُ بعْـدَ فـرَاغِ الإمَـامِ مِـنَ الخُطبَـةِ. ونقَـلَ الأثْـرَمُ: إذا جَـاءَ إلى المُصـلَّى، قطَـعَ.

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: إذا جاءَ إلى المُصلَّى وخَرَجَ الإمَامُ(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾. [البقـرة: ١٨٦، ١٨٧].

---

(١) الروايتين والوجهين (١/ ١٨٩).

قوْلُه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾.

في سببِ نُزُولِهَا خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ أعْرابيًّـا جـاءَ إلَى النَّبـيِّ ﷺ، فقَـالَ: أقَرِيـبٌ رَبُّنَـا فَنُناجِيـهِ، أمْ بعِيـدٌ فنُنَادِيـه؟ فنزَلَـتْ هـذه الآيـةُ، روَاه الصَّلْـتُ بْـنُ حكِيـمٍ عـنْ أبِيـه عـن جَـدِّه[1].

والثَّـاني: أنَّ يهُـودَ المْدينَـةِ قالُـوا: يـا مُحَمَّـدُ! كيْـفَ يسْـمَعُ ربُّنَـا دُعاءَنَـا، وأنـتَ تزْعُـم أنَّ بيْنَنَـا وبـيْنَ السَّـماءِ مسِـيرَةَ خمسِـمائةِ عـامٍ؟! فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، [٤٤/ب] روَاهُ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[2].

والثَّالـث: أنَّهُـم قالُـوا: يـا رسُـولَ اللهِ! لَـوْ تَعْلَـمُ[3] أيَّةَ سَـاعةٍ أحَـبّ إلَى اللهِ أن تَدْعُـوَ[4] فِيهـا دَعَوْنَـا[5]، فنزلَـتْ هـذه الآيـةُ[6]، قالَهُ عطَـاءٌ[7].

---

(١) رواه أبـو الشـيخ في العظمـة (٢/ ٥٣٥)، وعبـد الله بـن أحمـد في السـنة (١/ ٢٧٧)، وابـن جريـر الطـبري في التفسـير (٣/ ٢٢٢)، وابـن أبي حاتـم (١٦٦٧)، وأورده الحافـظ في العجـاب (١/ ٤٣٤)، وقـال: وفي سـنده ضعيـف.

(٢) تفسير البغوي (١/ ٢٠٤).

(٣) في (ت)، و(ف): نعلم.

(٤) في (ت)، و(ف): ندعو.

(٥) ليست في (م). وفي (ت)، و(ف): دعوْنَاه.

(٦) من قوله: «رواه أبو صالح عن ابن عباس»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٧) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٣/ ٢٢٤) عن سـفيان، والطـبراني في الدعـاء (ص: ٢٥) عـن محمـد بـن ثـور، كلاهمـا «سـفيان، ومحمـد» عـن ابـن جريـج، عـن عطـاء، ورواه الفريابي مـن طريـق آخر عـن ابـن جريـج كـما في العجـاب (١/ ٤٣٣).

والرَّابع: أنَّ أصْحابَ النَّبي ﷺ قالُوا: أيْنَ اللهُ؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ الحسَنُ(١).

والخامِس: أنَّه لَمَّا حَرُمَ في الصَّوْمِ الأوَّلِ علَى المسْلمِين بعْد النَّوْمِ الأكْلُ والجِماعُ أكَلَ رجُلٌ منْهُم بعْدَ أنْ نامَ، وَوطِئَ رجُلٌ بعْدَ أنْ نامَ، فسأَلُوا: كيْفَ التَّوبَةُ مِمَّا عمِلُوا؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٢).

ومعْنَى [الكلَامِ](٣): إذا سَأَلُوك عنِّي فأَعْلِمْهُم أنِّي قَرِيبٌ.

وفي معْنَى «أُجِيب» قوْلَانِ:

أحدُهما: أَسْمَعُ، قالَه الفرَّاءُ، وابْنُ القَاسِمِ(٤).

والثَّاني: أنَّه مِنَ الإجَابَةِ.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾؛ أي: فَلْيُجِيبُونِي.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٣) من طريق جعفر بن سليمان، عن عوف، عن الحسن، قال: «سأل أصحابُ النَّبيِّ النَّبيَّ ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾... الآية [البقرة: ١٨٦]، وهو مرسل، ورواه عبد الرزاق أيضا كما في العجاب (١/ ٤٣٣).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٩٧).

(٣) في (ل): الآية، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١١٤).

قالَ الشَّاعِرُ[١] [من الطويل]:

فَلَـمْ يَسْـتَجِبْهُ عِنْـدَ ذَاكَ مُجِيـبُ

أرَادَ: فلَمْ يُجِبْهُ. وهذَا قوْلُ أبي عُبيدةَ، وابْنِ قُتيْبَةَ، والزَّجَّاجِ[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قالَ أبُو العالِيَةِ: يعْنِي: يهتَدُونَ[٣].

❁❁❁

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي في الأصمعيات (ص: ٩٦)، ولسان العرب (١/ ٢٨٣)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٥٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٠٥)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١١/ ٢١٩).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص: ١٤)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٢).

فَصْلٌ

إنْ قَالَ قائِلٌ: هـذِه الآيَـةُ تـدُلُّ عـلَى أنَّ اللهَ تعَالى يُجِيبُ أدْعِيـةَ الدَّاعِـينَ، ونَـرى كثِـيرًا مِـنَ الدَّاعِـينَ لا يُستَجابُ لَهُـم!.

فالجَـوابُ: أنَّ أبَـا سـعِيدٍ رَوَى[1] عـنِ النَّبـيِّ ﷺ، أنَّـه قـالَ: «مَـا مِـنْ مُسْـلِمٍ دَعَـا اللهَ بِدَعْـوَةٍ لَيْـسَ فِيهَـا قَطِيعَـةُ رَحِـمٍ، وَلَا إِثْـمٌ إِلَّا أَعْطَـاهُ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ بِهَـا إِحْـدَى ثَـلَاثِ خِصَـالٍ: إِمَّـا أَنْ يُعَجِّـلَ لَـهُ دَعْوَتَـهُ، وَإِمَّـا أَنْ يَدَّخِـرَ لَـهُ[2] فِي الْآخِـرَةِ، وَإِمَّـا أَنْ يَدْفَـعَ عَنْـهُ مِـنَ السُّـوءِ مِثْلَهَـا»[3].

وجـوابٌ آخَرُ: وهُـو أنَّ الدُّعـاءَ تفْتَقِـرُ إجابتُـه إلى شُروطٍ أصْلُهـا الطَّاعـةُ للهِ، ومنْهَـا أكْلُ الحَـلالِ، فـإنَّ أكْلَ الحَـرامِ يَمْنَـعُ إجَابَـةَ[4] الدُّعَـاءِ، ومنْهـا حُضـورُ القلْـبِ.

ففي بعْضِ الحديثِ: «لَا يَقْبلُ اللهُ دعاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»[5].

---

(١) زاد في (ج): عن أنس.

(٢) في (م)، و(ج): يؤخرها.

(٣) رواه ابـن أبي شـيبة (٢٩٧٨٠)، وأحمـد (١٧/ ٢١٣)، وعبـد بـن حميـد (٩٣٥)، والبخـاري في الأدب المفـرد (٧١٠)، والطـبراني في الأوسـط (٤/ ٣٣٧)، والبيهقـي في الشـعب (١٠٩٠-١٠٩١) عـن عبـادة بـن الصامـت ﷺ.

(٤) ضبطت العبارة في (ف) هكذا: فإنَّ آكِلَ الحرامِ يُمْنَعُ إجابَةً.

(٥) رواه البـزار في مسـنده (١٠٠٦١)، وقـال: وهـذا الحديـثُ لا نعْلَـمُ رواه عـنِ النَّبـيِّ ﷺ إلَّا أبـو هريـرة ﷺ بهـذا الإسْـناد، ولا نعْلـم رواه عـن هشـام إلا صالـح المـري وكان أحـد العبـاد فكانـت تشـغله عبادتـه عندنـا عـن حفـظ الحديـث، والحاكـم في المسـتدرك (١/ ٤٩٢)، وقـال: هـذا حديـث مسـتقيم الإسـناد تفـرد بـه صالـح المـري وهـو أحـد زهـاد أهـل البـصرة ولم يخرجـاه، والبيهقـي في الدعـوات الكبـير (٢/ ٩٣).

وجوابٌ آخرُ: وهُو أنَّ الدَّاعِي قدْ يعْتقِدُ [أنَّ][1] المْصْلَحةَ في إجابَتِه إلى مَا سأَلَ، وقَد لا تَكونُ المْصلَحةُ في ذلِك[2]، فيُجاب إلى مقْصُودِهِ الأصْلِي، وهوَ طلَبُ المْصلَحةِ، وقد تكُون المْصلَحةُ في التَّأخِيرِ[3] أو في المْنْعِ.

قوْلُه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾.

سببُ نُزُولِها:

أنَّ الصَّحابَةَ كانُوا إذا نَامَ الرَّجُلُ قبْلَ الأكْلِ والجِمَاعِ، حَرُمَا عليْه إلى أنْ يُفْطرَ، فجاءَ شيْخٌ مِنَ الأنْصارِ وهو صَائِمٌ إلى أهْلِه، فقَال: عشُّونِي، فقالُوا: حتَّى نُسخِّنَ لكَ طعَامًا، فوَضَعَ رأسَهُ فنَامَ، فجَاؤُوا بالطَّعامِ، فقَالَ: قد كنْتُ نِمتُ، فبَاتَ يتقَلَّبُ ظهْرًا لِبطْنٍ، فلمَّا أصْبحَ أتَى النَّبيَّ ﷺ فأخْبرَهُ، فقَامَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ فقَالَ: يا رسُولَ اللهِ! إنِّي أرَدْتُ أهْلِيَ اللَّيْلةَ، فقالَتْ: إنَّها قدْ نامَتْ، فظَنَنْتُها تعتَلُّ، فواقَعتُها، فأخْبرَتْنِي أنَّها كانَتْ قدْ نامَتْ، فأنْزَلَ اللهُ تعالَى في عُمرَ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، وأنْزَلَ اللهُ في حَقِّ الأنْصارِيِّ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، هذا قوْلُ جماعَةٍ مِنَ المْفسِّرينَ[4].

---

(١) من (ف).

(٢) جاء في (م) بدلًا من (ذلك): في التأخير أو المنع، وهو سبق من الناسخ فموضعها بعد قوله: وهو طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة.

(٣) في (ف): التأخُر.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٣٣ -٢٣٥ -٢٣٦ -٢٣٧ -٢٣٩ -٢٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٧٣ -١٦٧٧ -١٦٨٠).

واختلفوا في اسم هذا الأنصاري على أربعة أقوال:

أحدها: أنّه قيْسُ بْنُ صِرْمَةَ، قالَهُ البَرَاءُ [بْنُ مَالِكٍ](١).

والثّاني: صِرْمَةُ بْنُ أنَسٍ، قالَهُ القاسِمُ بْنُ مُحمَّدٍ. وقالَ عبْدُ الرَّحمنِ بْنُ أبي ليْلَى: صِرْمَةُ بْنُ مالِكٍ. [٤٥/أ]

والثّالث: [ضَمْرَةُ](٢) بْنُ أنَسٍ.

والرّابع: أبُو قيْسِ بْنُ عُمرَ(٣).

وذكَرَ القوْلَين أبُو بكْرٍ الخَطِيبُ(٤).

وأمَّا ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ فقَالَ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وعطَاءٌ، والحسَنُ، وابْنُ جُبيرٍ، في آخَرِينَ: هُو الجِماعُ(٥).

قوْلُه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

---

(١) من (ف).

(٢) في (ل): صرمة، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ت)، و(ر): أبو قيس بن عمرو.

(٤) انظر: الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة؛ للخطيب البغدادي (ص: ٤٦٦).

(٥) رواه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ٧٩٨ - ٨٠٠ - ٨٠٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣٣٩٨-١٣٣٩٩-١٣٤٠٠-١٣٤٠٤-١٣٤٠٥-١٣٤٠٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢٧٠٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٤٦٠ إلى ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٤)، والحاكم (٢/ ٢٧٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ اللِّبَاسَ السَّكَنُ؛ ومِثْلُه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧]؛ أي: سَكنًا. وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ جُبيرٍ، ومُجاهِدٍ، وقتادَةَ.

والثَّاني: أنَّهنَّ بمنزلَةِ اللِّبَاسِ لإفْضَاءِ كُلِّ واحِدٍ ببشرَتِه إلَى بشْرَةِ صاحِبِه، فكنَّى عنِ اجْتِمَاعِهما مُتجرِّدَينِ باللِّبَاسِ. قالَ الزَّجَّاجُ: والعَرَبُ تُسمِّي المرْأَةَ: لِبَاسًا وَإِزَارًا[١].

قالَ النَّابغةُ الجَعْدِيُّ[٢] [من المتقارب]:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ[٣] ثَنَى جِيدَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا

وَقالَ غيْرُه[٤] [من الوافر]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٦).

(٢) البيت في ديوانه (ص: ٨١)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٣٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٤)، ومجمل اللغة (٤/ ٢٦٢)، والشعر والشعراء (ص: ٣٠٢).

(٣) في (م): الضجع.

(٤) البيت؛ لبقية الأكبر الأشجعي، وكنيته أبو المنهال، في لسان العرب (٤/ ١٧)، والمؤتلف والمختلف (ص: ٦٣)، وعجزه في لسان العرب (٤/ ١٨) منسوبًا إلى جعدة بن عبد الله السلمي، وبلا نسبة في شرح اختيارات المفضل (ص: ٢٥٠)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ١٦٢).

أَلاَ أَبْلِـغْ أَبَــا حَفْــصٍ رَسُــولَا فِــدًى لَـكَ مِــنْ أَخِــي ثِقَــةٍ إِزَارِي

يُرِيدُ بِالإِزَارِ: امْرَأَتَهُ(١).

قَوْلُه: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُرِيد: تَخُونُونَهَا بارْتِكابِ مَا حُرِّمَ عليْكُم(٢). قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي بذلِكَ فعْلَ عُمرَ، فإنَّه أتَى أهْلَه، فلمَّا اغْتَسَلَ أخَذَ يَلُومُ نفسَهُ ويبْكِي(٣).

﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ أصْلُ الْمُباشرةِ: إلْصَاقُ البشَرَةِ بالبَشَرَةِ. وقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: المُرادُ بالْمُباشرةِ هَاهُنا الجمَاعُ(٤).

﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾.

فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الوَلدُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، في آخرِينَ.

قَالَ بعْضُ أهْلِ العِلْمِ: لَمَّا كانَتِ المُباشَرَةُ [قدْ](٥) تقَعُ علَى مَا دُونَ

(١) في (م): القرابة.

(٢) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٦٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٣٧) من طريق عطية العوفي، به، وانظر: العجاب (١/ ٤٣٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨١) من طريق بكر بن عبد الله المزني، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٢٧) من طريق سعيد بن جبير كلاهما، عن ابن عباس بنحوه.

(٥) ليست في (ل).

الجِماعِ، أباحَهمُ الجِماعَ الَّذي يكونُ مِنْ مثلِه الوَلدُ، فقالَ: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ يُريدُ: الوَلدَ.

والثَّاني: أنَّ الَّذي كُتِبَ لَهُم: الرُّخصةُ، وهو قوْلُ قتادَةَ، وابْنِ زيْدٍ.

والثَّالث: أنَّه ليْلَةُ القدرِ، رواهُ أبو الجَوْزاءِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه القُرآنُ.

فمعْنَى الكلامِ: اتَّبِعُوا[١] القُرآنَ، فما أُبيحَ لكُم وأُمِرْتُم بِه فهُوَ المْبتغَى، وهذا اخْتيارُ الزَّجَّاجِ[٢].

قوْلُه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾.

قالَ عدِيُّ بْنُ حاتِمٍ: لَمَّا نزَلَتْ هذِه الآيةُ، عَمدْتُ إلى عِقَالَيْنِ، أبيَضَ وأسْوَدَ، فجعَلْتُهما تحتَ وِسادَتِي[٣]، فجعَلْتُ أقُومُ في اللَّيْلِ فلَا أسْتَبِينُ الأَسْودَ مِنَ الأبْيَضِ، فلمَّا أصْبَحْتُ غدوْتُ على رسُولِ اللهِ فأخبَرْتُه، فضَحِكَ وقَالَ: **«إنْ كانَ وسَادُكَ إذًا لعَرِيضًا[٤]، إنَّما ذلِكَ بَياضُ النَّهارِ مِنْ سَوادِ اللَّيْلِ»**[٥].

---

(١) في (ف): وابتغوا.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٥).

(٣) في (ف): وسادي.

(٤) في (ت): لعريض.

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٥٠٩)، ومسلم (١٠٩٠).

وقـالَ سـهْلُ بنُ سـعْدٍ(١): نزلَـتْ هـذه الآيـةُ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ولم ينْـزِلْ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فـكانَ رِجـالٌ إذَا أرَادُوا الصَّـوْمَ ربَـطَ أحدُهُـم في رِجليْـهِ الخيْـطَ الأسْـودَ والخيْـطَ الأبْيَـضَ، فـلا يَـزَالُ يـأْكُلُ ويـشْرَبُ حتَّـى يتبَـيَّنَ لـه [زِيُّهـما](٢)، فأنْـزَلَ اللهُ بعْـدَ ذلِـكَ ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعَلِمُـوا أنَّـما يعْنِـي بذلِـكَ اللَّيـلَ والنَّهـارَ(٣).

❁❁❁

(١) في (م): سهل بن سعيد.

(٢) في المطبوع: رؤيتهما. وهذه اللفظة ضُبطت على ثلاثة أوجه:
أحدها: رِئْيُهما، ومعْنَاهُ: منظرهما، ومنْهُ قوْلُه تعالى: ﴿ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴾.
والثاني: زِيُّهما -وهو المثبت في جميع النسخ الخطية- ومعْناه: لوْنُهما.
والثالـث: رِئِيُّهـما، قـال القـاضي هـذا غلَـطٌ هنـا لأنَّ الرئـي التابـع مـن الجـن. قـال: فـإن صـحَّ روايـةً فمعنـاه مَرئـي.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٩١٧-٤٥١١)، ومسلم (١٠٩١).

فَصْلٌ

إذا شكَّ في الفجْر، فهَل يَدَعُ السُّحُورَ أمْ لَا؟.

ظاهِرُ كلامِ أحْمدَ يدُلُّ على أنَّه لا يَدَعُ السُّحورَ، بلْ يأكُلُ إذا شَكَّ في الفَجْرِ حتَّى يَسْتَيْقِنَ طُلوعَ الفَجْرِ[١]. [٤٥/ب]

وقالَ مَالِكٌ: أَكْرَهُ[٢] له أنْ يأكُلَ إذا شَكَّ فِي طلُوعِ الفَجْرِ، فإنْ أكَلَ فعَلَيْهِ القَضَاءُ[٣].

وقال الشَّافِعيُّ: لا شيْءَ علَيْه[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾.

في هذِه المُباشَرةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها المُجامعةُ، وهو قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّها ما دُونَ الجِماعِ مِنَ اللَّمْسِ والقُبَلِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ[٥].

وقال قتادَةُ: كانَ الرَّجُلُ المُعتكِفُ إذا خرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فلَقِي امْرأتَهُ باشَرَها إذَا أرَادَ ذلِك، فوَعظَهُمُ اللهُ في ذلِك[٦].

---

(١) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص: ١٣٤).

(٢) في (ت): يُكره.

(٣) المدونة (١/ ٢٦٦).

(٤) الأم (٢/ ١٠٣ - ١٠٥).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٧٢).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٧٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

فَصْلٌ

الاعْتِكَافُ فِي اللُّغَةِ: اللُّبْثُ، يُقال: فُلانٌ مُعْتَكِفٌ علَى كَذا، وعَاكِفٌ.

وهُو فِعلٌ منْدُوبٌ إليهِ، إلَّا أنْ يَنْذُرَهُ الإنْسانُ، فيَجِبُ. ولا يَجوزُ إلَّا في مسْجدٍ تُقامُ فيهِ الجماعاتُ، ولا يُشتَرَطُ في حقِّ المْرأةِ مسْجدٌ تُقام فِيه الجماعةُ[(١)]؛ إذِ الجماعةُ لَا تَجِبُ علَيْهَا.

وهلْ يَصِحُّ بغَيْرِ صومٍ؟ فيهِ عنْ أحمدَ رِوَايتَانِ[(٢)].

قوْلُه تعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي: المْباشرَةَ.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الحدُودُ: ما مَنَع اللهُ مِن مُخالَفتِها، فلَا يجوزُ مُجاوَزَتُها[(٣)].

وأصْلُ الحَدِّ في اللُّغةِ: المْنعُ، ومنْهُ: حدُّ الدَّارِ، وهُو ما يمنَعُ غيْرَها مِنَ الدُّخولِ فِيها.

والحدَّادُ في اللُّغةِ: الحاجِبُ والبوَّابُ، وكلُّ مَنْ منَعَ شيْئًا فهُو حدَّادٌ. قالَ الأَعْشَى[(٤)] [من المتقارب]:

---

(١) من قوله: «ولا يشترط»... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص: ١٣٨)، ومسائل الإمام أحمد رواية إسحاق (٣/ ١٢٥٧)، والمغني (٣/ ١٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٧).

(٤) البيت في ديوانه (ص: ١١٩)، وجمهرة اللغة (ص: ٩٥)، وخزانة الأدب (٨/ ٢٢٦)، وبلا نسبة في مجالس ثعلب (ص: ٢٦٧).

فَقُمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دِيْكُنَا إلى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا

أي: عنْدَ ربِّهَا الَّذي[١] يَمْنعُهَا إلَّا بما يُريدُه.

وأحدَّتِ المْرأةُ على زوجِها، وحدَّت فهي حادٌّ، ومُحِدٌّ؛ إذَا قطَعَتِ الزِّينَةَ، وامْتَنعتْ مِنها، وأحْدَدتُ النَّظَرَ إلى فُلانٍ؛ إذَا منَعْتَ نظَرَكَ مِنْ غيْرِه. وسُمِّي الحدِيدُ حدِيدًا؛ لأنَّه يُمتنعُ به مِنَ الأعْداءِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: مثْلَ هذَا البيانِ الَّذي ذُكِر[٢].

قَالَ تعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

سببُ نُزولِهَا:

أنَّ امْرَأَ القيْسِ بْنَ عابِسٍ وعَبدانَ[٣] الحَضْرَمِيَّ اختْصَما في أرْضٍ وكانَ عَبدَانُ[٤] هو الطَّالِبَ ولَا بَيِّنَةَ له فأرَادَ امْرؤُ القيْسِ أنْ يَحلِفَ فقَرأ عليهِ النَّبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ[٥] وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]،

---

(١) في (ج): إلى.

(٢) في (ف): ذكره.

(٣) في (ت)، و(ر): عيدان.

(٤) في (ت)، و(ر): عيدان.

(٥) في (ج): بعهدهم.

فكَـرِهَ أنْ يحْلِـفَ ولَم يُخاصِـمْ في الأرْضِ فنزلَـتْ هـذه الآيـةُ. هـذا قـوْلُ جماعَـةٍ مِنْهُـم سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ.

ومعْنَـى الآيَـةِ: لا يـأْكُلْ بعضُكُـم مـالَ بعْـضٍ؛ كقوْلِـه ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقـرة: ٥٤].

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى: والبَاطِلُ علَى وجْهَيْنِ:

أحدهمـا: أنْ يأخـذَهُ بغَـيْرِ طِيـب نفْسٍ مِـنْ صاحِبـه؛ كالسَّرِقَـةِ، والغَصْبِ، والخِيَانَةِ.

والثَّاني: أنْ يأخذَهُ بِطِيبِ نفْسِه؛ كالقِمار، وأُجْرَةِ الغِنَاءِ، وثَمَنِ الخمْرِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: البَاطِلُ: الظُّلْم[1].

﴿وَتُدْلُوا۟﴾ أصْلُـه في اللُّغَـةِ مِـن أدْلَيْـتُ الدَّلْـوَ؛ إذَا أرْسَـلْتَها لِتملأَهَـا، ودَلَوْتَهَـا؛ إذَا أخْرجْتَهـا. ومعْنـى أدْلَى فُـلانٌ بِحجَّتِـه: أرْسَـلَها وأتَـى بِهَـا عـلَى صِحَّـةٍ.

فمَعْنَـى الـكَلامِ: تعمَلـونَ عـلَى مـا يُوجِبُـه إدْلَاءُ الحُجَّـةِ، وتَخونُـونَ في الأمَانَـةِ وأنْتُـم تعلَمُـون أنَّ الحُجَّـةَ عليْكُـم في الباطِـنِ.

وفِي هاءِ «بِهَا» قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهَـا ترْجِـعُ إلى الأمْـوَال، كأنَّـه قـالَ: لا تُصَانِعُـوا ببعْضِهـا جَوْرَةَ الحُكَّامِ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٨).

والثَّاني: أنَّهَا ترْجِعُ إلى الخُصُومَةِ.

فإنْ قِيل: كيْفَ أعادَ ذِكْرَ الأكْلِ فقَالَ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا ﴾﴿لِتَأْكُلُوا ﴾؟.

فالجوابُ: أنَّه وصَلَ اللَّفْظَةَ الأُولى بالبَاطِل، والثَّانِيةَ بالإثْمِ، فأعادَهَا للزِّيادَةِ في المْعْنَى، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾.

هذه الآيةُ من أوَّلِها إلى قوْلِه: ﴿وَٱلْحَجِّ ﴾.

نزلَتْ على سببٍ:

وهو أنَّ رجُلينِ منَ الصَّحابةِ قالَا: يا رسُولَ اللهِ! ما بَالُ الهلالِ يبْدُو دقِيقًا، ثم يزِيدُ ويمْتلِئُ حتَّى يسْتَدِيرَ ويسْتوِي، ثُمَّ لا يزَالُ ينقُصُ ويدِقُّ حتَّى يعُودَ كما كانَ؟ فنزلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ.

ومن قوْلِه تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾... إلى آخرِها نزَل على سببٍ آخرَ:

وهو أنَّهم كانوا إذا حجُّوا، ثُمَّ قدِمُوا المدينَةَ، لم يدْخُلوا من بابٍ، ويأْتُونَ البيُوتَ مِن ظُهورِها، فنسِي رجُلٌ، فدخَل مِن بابٍ، فنزلَتْ:

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[(١)] هذا قولُ البراءِ بنِ عازبٍ[(٢)].

وفيما كانُوا لا يدْخلون البيوتَ مِنْ أبوابِها لأجْلِه أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم كانوا يفعلون ذلك لأجلِ الإحْرامِ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو العَاليَةِ، والنَّخعيُّ، وقَتادَةُ، وقيْسٌ النَّهشليُّ.

والثَّاني: لأجْلِ دخُولِ الشَّهرِ الحَرَامِ، قالَهُ البَرَاءُ بْنُ عازِبٍ.

والثَّالث: أنَّ أهْلَ الجاهليَّةِ كانوا إذا همَّ أحدُهم بالشَّيْءِ فاحتبَسَ عنْهُ لم يأتِ بيْتَهُ مِنْ بابِه حتَّى يأتيَ الَّذي كان هَمَّ بِه، قالَه الحَسَنُ.

والرَّابع: أنَّ أهلَ المدينَةِ كانوا إذا رجَعُوا مِن عيدِهم فعَلُوا ذلك، رَواه عُثمانُ بْنُ عَطاءٍ، عنْ أبيه.

فأمَّا التَّفسيرُ:

فإنَّما سألُوه عنْ وجْهِ الحِكمَةِ في زيادةِ الأهِلَّةِ ونُقصانِها، فأخبَرَهُم أنَّها مقاديرُ لِما يحتاجُ النَّاسُ إليه في صوْمِهم وحَجِّهم وغيْرِ ذلك.

و﴿ٱلْأَهِلَّةِ﴾: جمعُ هِلالٍ.

---

(١) من قوله: «فنسي رجل»... إلى هنا، ليس في (ف).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٠٣-٤٥١٢)، ومسلم (٣٠٢٦).

وكمْ يبْقَى الهِلالُ علَى هذه التَّسمِيةِ؟ فِيه للعَرَبِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه يُسمَّى هِلالًا للَيْلَتيْنِ مِنَ الشَّهرِ.

والثَّاني: لِثلاثِ لَيالٍ، ثُمَّ يُسمَّى قمرًا.

والثَّالث: إلى أنْ يُحجِّرَ، وتَحْجِيرُه: أنْ يستدِيرَ بخُطَّةٍ دقيقَةٍ، وهو قوْلُ الأَصْمَعِي[١].

والرَّابع: إلى أن يَبْهَر ضوْؤُه سوادَ اللَّيلِ.

حكَى هذِه الأقْوَالَ ابنُ السَّرِي واخْتَارَ الأوَّلَ، قالَ: واشْتقَاقُ الهلالِ مِنْ قوْلِهم: استَهَلَّ الصَّبِيُّ: إذَا بكَى حِينَ يُولد. وأهَلَّ القوْمُ بالحَجِّ: إذا رفَعُوا أصْوَاتَهم بالتَّلبيةِ، فسُمِّيَ هِلالًا؛ لأنَّه حين يُرى يُهِلُّ النَّاسُ بذكرِهِ[٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

مثْلُ قوْلِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقد سبَقَ بيَانُه.

واختلَفَ القُرَّاء في: ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ وما أشْبَهَها.

فقَرَأَ ابْنُ كثير، وابْنُ عامِرٍ، والكِسَائِيُّ بكسْرِ باءِ «البِيوت» وعينِ «العِيون» وغينِ «الغِيوب»[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٢٩٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (١/ ١٠٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ١٠٤)، وقد ذكر هذا القول بلا نسبة.

(٣) في (ف): وضموا غين الغيوب.

ورُوي عنْ نافِعٍ أنَّه ضَمَّ باءَ[١] «البُيوت» وعينَ «العُيون» وغينَ «الغُيوب» وجيمَ «الجُيوب» وشِينَ «الشُيوخ».

ورَوى عنه قالُونُ أنَّه كسَر باءَ «البِيوت».

وقرَأ أبو عمْرٍو، وأبُو[٢] جعْفر بضَمِّ الأحْرُفِ[٣] الخمسَةِ، وكسَرهُنَّ جمِيعًا حمْزَةُ، واخْتُلِفَ عنْ عاصِمٍ[٤].

قال الزَّجَّاجُ: مَنْ ضَمَّ «البُيوت» فعلَى أصْلِ الجمْعِ: بيْتٌ وبُيوتٌ؛ مِثْل: قلْب وقُلوب، وفَلْسٍ وفُلُوسٍ. ومَنْ كسَرَ فإنَّما كسَرَ لِلياءِ الَّتي بعدَ الباءِ، وذلك عندَ البصريينَ ردِيءٌ جدًّا؛ لأنَّه ليْس في الكلَامِ «فِعول» بكسر الفَاءِ[٥].

وسمِعْتُ شيخَنا أبا منْصور اللُّغويَّ يقُول: إذا كانَ الجمْعُ على «فُعُول»، وثَانِيه ياءٌ، جازَ فيه الضَّمُّ والكسْرُ؛ تقُول: بُيوتٌ وبِيوتٌ، وشُيُوخٌ وشِيوخٍ، وقُيود وقِيود.

---

(١) من قوله: «باء البيوت»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) في (ج): ابن.

(٣) في (ج): الآخر في.

(٤) انظر: السبعة (ص: ١٧٣)، والضم من رواية ورش عن نافع، والكسر من رواية قالون عن نافع، وأيضًا عن عاصم الضم من رواية حفص، والكسر من رواية شعبة. وانظر: الحجة (٣/ ٢٨٠-٢٨٢)، والمبسوط (ص: ١٤٤). وقوله: «حمزة واختلف عن عاصم»، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ [البقرة: ١٩٠، ١٩٢].

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾.

سبَبُ نُزُولِهَا:

أنَّ رسُولَ الله ﷺ لمَّا صُدَّ عنِ البيْتِ، ونحَرَ هدْيَهُ بالحُديْبيةِ، وصَالحَهُ المُشركُونَ علَى أنْ يرْجِعَ مِنَ العامِ المُقبلِ رجَعَ، فلمَّا تجهَّزَ في العَامِ المُقبلِ خافَ أصْحابُه أنْ لا تَفِي لهُم قُريشٌ بذلِك، وأنْ يصُدُّوهم ويُقاتِلوهُم، وكَرِهَ أصْحابُه(١) القِتالَ في الشَّهرِ الحرَامِ فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ ابنُ مَسْعُودٍ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾؛ أي: ولا تظلِمُوا.

وفي المُراد بهذَا الاعْتِداءِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه قتْلُ النِّساءِ والوِلدَانِ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ.

---

(١) من قوله: «أن لا تفي»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٣٣)، والعجاب؛ لابن حجر (١/ ٤٦٥).

والثَّـاني: أنَّ معنـاه: لا تُقاتِلُـوا مَـنْ لم يُقاتِلْكُـم، قالَـه سـعِيدُ بْـنُ جُبَـيْرٍ، وأبـو العَالِيَـةِ، وابْـنُ زيْـدٍ.

والثَّالثُ: أنَّه إتْيانُ ما نُهوا عنْهُ، قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: أنَّه ابْتِداؤُهم بالقِتالِ في الحرَمِ في الشَّهرِ الحَرَام، قالَه مُقَاتِلٌ.

❁❁❁

فَصْلٌ

اختلَفَ العُلماءُ: هل هذه الآيَةُ منْسُوخةٌ أمْ لا؟ علَى قوْلَينِ:

أحدُهما: أنَّها منْسُوخَةٌ.

واختَلَفَ أرْبَابُ هذَا القَوْلِ في المنْسُوخِ منْهَا على قوْلَينِ:

أحدُهمـا: أنَّـه أوَّلُهـا، وهـو قوْلُـه: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾، قالـوا: وهـذا يقْتَـضِي أنَّ القِتـالَ يُبـاح في حـقِّ مَـنْ قاتَـلَ مِـنَ الكُفَّـارِ، ولا يُبـاح في حـقِّ مَـنْ لم يُقاتِـلْ، وهـذَا منْسُـوخٌ بقَوْلِـه: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾.

والثَّـاني: أنَّ المنْسُـوخَ منْهَـا: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ ولهـؤلاءِ في هـذا الاِعْتِـدَاءِ قـوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه قتْلُ مَنْ لم يُقاتِلْ.

والثَّاني: أنَّه ابْتدَاءُ المُشركينَ بالقِتالِ، وهذا منْسُوخٌ بآيَةِ السَّيفِ.

والقـوْلُ الثَّـاني: أنَّـها مُحكَمـةٌ، ومعْناهـا عنْدَ أرْبَـابِ هذَا القـوْلِ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ وهـمُ الَّذِيـن أعَـدُّوا[1] أنْفُسَـهم للقتـالِ، فأمَّـا مَـنْ ليـس بِمُعِـدٍّ نفسَـهُ للقِتـالِ، كالرُّهبـانِ والشُّيوخِ الفُنـاةِ، والزَّمنَـى، والمَكافِيـفِ، والمَجانِـينِ، فـإنَّ هـؤلاء لا يُقاتَلُـونَ وهـذا حُكـمٌ بـاقٍ غـيرُ منْسُـوخٍ[2].

❁❁❁

فَصْلٌ

واختَلَفَ العُلماءُ في أوَّلِ آيَةٍ نزَلَتْ في إباحَةِ القِتال على قوْلَينِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا قولُـه تعَـالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ [الحـج:٣٩]، قالَـهُ أبـو بكـر الصِّدِّيـقُ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبَـيْرٍ، والزُّهــرِي.

والثَّـاني: أنَّهـا هــذه الآيَــةُ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قالَـهُ أبـو العَالِيَـةِ، وابْـنُ زيْـدٍ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾؛ أي: وجَدْتُموهُـم. يُقَـالُ: ثقِفتُـه أثقَفُـهُ؛ إذا وجَدْتَـه.

قـال القـاضِي أبـو يعْـلَى: قوْلُـه: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ عـامٌّ في جميـعِ المُشركـين، إلَّا مَـنْ كانَ بمَكَّـةَ، فإنَّهـم أُمِـروا بإخْرَاجِهـم منْهـا، إلَّا مَـنْ قاتلَهـم

---

(١) في (ج): اعتدوا.

(٢) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ لابن سلامة (ص: ٦)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ للنحاس (ص: ١٠٧).

[٤٧/أ] فإنَّهم أُمِروا بِقتالِهم، يدُلُّ على ذلِك قوْلُه في نسَقِ الآيةِ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ وكانُوا قد آذَوا المُسلمين بمكَّةَ حتَّى اضْطرُّوهم إلى الخُروج[١]، فكأنَّهم أخْرجُوهم.

فأمَّا الفتنةُ، ففيها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الشِّركُ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ عُمرَ، وقَتَادَةُ، في آخرِينَ.

والثَّاني: أنَّها ارْتِدادُ المُؤمنِ إلى عِبادةِ الأوْثَانِ[٢]، قالَهُ مُجاهِدٌ.

فيكُون معْنَى الكلَامِ علَى القوْل الأوَّل: شرْكُ القوْمِ أعْظَمُ مِنْ قتْلِكُم[٣] إيَّاهُم في الحَرَمِ. وعلَى الثَّاني: ارْتِدادُ المُؤمنِ[٤] إلَى الأوْثَانِ أشَدُّ عليْهِ مِن أنْ يُقتَلَ مُحِقًّا.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾.

قَرأ ابْنُ كَثيرٍ ونافِعٌ وأبو عَمْرٍو وعاصِمٌ وابْنُ عامِرٍ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾.

---

(١) من قوله: «والمكافيف»... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) في (ف): أنها ارْتِدادٌ للأوثان.

(٣) في (ت): قبلكم.

(٤) في (ف): المؤمنين.

وقَرأ حمزةُ والكِسائِيُّ وخلفٌ: «ولَا تقتُلُوهم حتَّى يقتُلوكُم فإن قتَلوكُم» بحذفِ الألفِ فيهنَّ[١].

وقدِ اتَّفق الكُلُّ علَى قوْلِه: ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ واحتجَّ مَنْ قرأَ بالألفِ بقوْلِه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾، واحتجَّ مَنْ حذَفَ الألِفَ بقوْلِه: ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾.

❁❁❁

فَصْلٌ

واختلَفَ العُلماءُ في قوْلِه: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ هل هُو منْسُوخٌ أمْ لَا؟

فذهبَ مُجاهِدٌ[٢]، في جماعةٍ مِنَ الفُقهاءِ[٣]، إلى أنَّه مُحْكَمٌ وأنَّه لا يُقاتَلُ فيهِ إلَّا مَنْ قاتَلَ.

ويدُلُّ علَى ذلِك الحديثُ الصَّحيحُ عنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه خطَبَ يوْمَ فتْحِ مكَّةَ، فقَالَ: «**يا أيُّها النَّاسُ! إنَّ اللهَ حرَّمَ مكَّةَ يوْمَ خلَقَ السَّماوَاتِ**

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٧٩-١٨٠)، ومعاني القراءات (١/ ١٩٥)، والحُجَّة (٢/ ٢٨٥).

(٢) ليست في (م).

(٣) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ للنحاس (ص: ١٠٩)، والهداية؛ لمكي (١/ ٦٣٧)، وتفسير البغوي (١/ ٢١٤).

وَالْأَرْضَ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي[١]، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حَرَامًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢].

فبيَّنَ ﷺ أنَّه خصَّ في تلكَ السَّاعة بالإباحةِ على سبيلِ التَّخْصيصِ، لَا على وجْهِ النَّسخ، فثبَت بذلِكَ حظْرُ القِتالِ في الحَرَم، إلَّا أنْ يُقاتَلُوا فيدْفعُونَ دفعًا، وهذا أمر مستمِرُّ الحُكم غيْرُ منْسُوخٍ.

وقد ذهَبَ قَتَادَةُ إِلَى أنَّه منْسُوخٌ بقوْلِه: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فأمَرَ بقِتالِهم في الحِلِّ والحَرَمِ وعلَى كُلِّ حالٍ.

وذهَبَ الرَّبيعُ بْنُ أنس، وابْنُ زيْدٍ، إلى أنَّه منْسُوخٌ بقوْلِه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

وزعَمَ مُقَاتِلٌ إلى أنَّه منْسُوخٌ بقوْلِه تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[٣].

والقوْلُ الأوَّلُ أصحُّ.

قوْلُه تعالَى: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾.

قالَ مُقَاتِل: أي: فقَاتِلُوهُم[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

---

(١) في (ف): لأحد من قبلي.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٥).

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٠١).

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٠١).

أحدُها: أنَّ معْناه: فإنِ انْتَهَوْا عنْ شرِكِهِم وقِتالِكُم[1].

والثَّاني: عنْ كُفرِهِم.

والثَّالث: عنْ قِتالِكُم دُونَ كُفرِهِم، فعلَى القَوْلَينِ الأوَّلَيْنِ تكونُ الآيةُ مُحكَمَةً.

ويكونُ معْنَى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: غفورٌ لِشرْكِهِم وجُرْمِهِم، وعلَى القَوْلِ الأخِيرِ يكونُ في معْنَى قوْلِه: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: غفورٌ لكُم[2]؛ حيثُ أسْقَطَ عنكُم تكْلِيفَ[3] قِتالِهِم.

والثَّاني: أنَّ معْناه: يأمرُكُم بالغُفرانِ والرَّحمَةِ لهُم. [٤٧/ ب]

فعلَى هذا تكونُ الآيَةُ منْسُوخةً بآيَةِ السَّيفِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٣، ١٩٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

---

(١) في (ف): قتالهم.

(٢) من قوله: «مستمر الحكم غير منسوخ»... إلى هنا؛ ليس في (م).

(٣) في (ف): تكلف.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ، والحسَـنُ، ومُجاهِـدٌ، وقتَـادَةُ في آخَريـنَ: الفِتنـةُ هَاهُنـا: الـشِّرْكُ[١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أي: يَخْلُصُ[٢] له التَّوحِيدُ[٣].

و«العُـدوانُ»: الظُّلْـمُ، وأُريـدَ بـه هَاهُنـا الجَـزاءُ، فسُـمِّي الجـزَاءُ عُدوانًـا مُقابَلَـةً للـشَّيءِ بمِثْلِـه؛ كقوْلِـه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقـرة: ١٩٤].

و«الظَّالِمون» هَاهُنا المُشركون، قالَه عِكْرِمَةُ، وقَتَادَةُ في آخَرينَ[٤].

❁❁❁

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٣/ ٢٩٩-٣٠٠)، (١١/ ١٧٩).

(٢) في (ت)، و(ف): يَغْتروهُ. وفي المطبوع: يفتروه.

(٣) رواه ابـن جريـر االطَّـبري في تفسـيره (٣/ ٣٠٠) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة. وابـن أبي حاتـم (١٧٣٥) مـن طريـق الضَّحَّـاك، كلاهمـا عـن ابـن عبَّـاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بنحـو.

(٤) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٣/ ٣٠٢-٣٠٣) عـن عِكْرِمَـة وقَتـادَة، بلفـظ: هـم مـن أبـى أن يقـول لا إلـه إلا الله.

فصلٌ

وقد رُوي عنْ جماعةٍ مِنَ المُفسِّرينَ، منهُم قتَادَةُ: أنَّ قوْلَه: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ منسُوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

وإنَّما يسْتَقيمُ هذَا إذا قُلْنا: إنَّ معْنَى الكلَامِ: فإنِ انْتَهوا عنْ قِتالِكُم مَعَ إقَامَتِهِم علَى دينِهِم، فأمَّا إذا قُلنا: إنَّ معناه: فإنِ انْتَهوا عن دينِهِم فالآيةُ مُحكَمَةٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾.

هذه الآيةُ نزَلَتْ على سببٍ، واخْتلَفُوا فيهِ علَى قوْلَينِ:

أحدُهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أقْبَلَ هُو وأصْحَابُه مُعْتمِرينَ في ذي القَعدةِ ومعَهُم الهَديُ، فصَدَّهُمُ المُشركونَ، فصالَحهم نبيُّ اللهِ علَى أن يرجِعَ عنْهم ثم يعُودُ في العَامِ المُقبلِ، فيكونُ بمكَّةَ ثلاثَ ليالٍ، ولَا يدخلُها بسِلَاحٍ، ولا يخرُجُ بأحَدٍ مِن أهْلِ مكَّةَ، فلمَّا كانَ العامُ المُقبلُ أقْبَلَ هو وأصْحابُهُ فدخَلُوهَا، فافتخَرَ المُشركونَ عليه؛ إذْ رَدُّوه يوْمَ الحُديبيَةِ، فأقصَّهُ اللهُ منْهم وأدخله مكة في الشهر الذي ردُّوه فيهِ، فقَال: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ وإلى هذا المعْنَى ذهَبَ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وعطَاءٌ، وأبو العَاليَةِ، وقتَادَةُ في آخرينَ.

والثَّاني: أنَّ مُشْركي العَربِ قالُوا للنَّبيِّ ﷺ: أَنُهيتَ[1] عنْ قِتالِنا في

---

(١) في (ف): انتهيت.

الشَّهر الحرام؟ قال: «نَعَمْ». وأرادُوا أنْ يغْزُوه في الشَّهرِ الحرَام، فيُقَاتِلوه[(١)] فيهِ، فنزلَتْ هذه الآيَةُ، يقُولُ: إنِ استحلُّوا منكم شيْئًا في الشَّهرِ الحرَامِ، فاستحلُّوا منهُم مثْلَهُ، هذا قوْلُ الحسَنِ، واخْتَارَهُ إبْراهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ، والزَّجَّاجُ[(٢)].

فأمَّا أرْبَابُ القوْلِ الأوَّلِ فيقُولُون: معْنى الآيَةِ: الشَّهرُ الحَرَامُ الَّذي دخَلْتُم فيهِ الحرَمَ بالشَّهرِ الحرَامِ الَّذي صَدُّوكُم فيهِ عَامَ أوَّلٍ.

﴿وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ اقْتَصصْتُ لكم منْهُم في ذي القَعدة كما صَدُّوكُم في ذي القَعدة.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾؛ أي: قِتالُ الشَّهرِ الحرَام بالشَّهرِ الحرَام، فأعْلَم اللهُ تعَالى أنَّ أمرَ هذِه الحُرُماتِ لا تَجوزُ للمُسلِمينَ إلَّا قِصَاصًا، ثُمَّ نُسِخَ ذلِك بآيَةِ السَّيْفِ، وقِيلَ: إنَّما جمَعَ الحُرمَاتِ؛ لأنَّه أرادَ الشَّهرَ الحَرامَ والبلَدَ الحرَامَ، وحُرمَةَ الإحْرَامِ[(٣)].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مَن قَاتَلَكُم في الحَرَمِ فقَاتِلُوهُ[(٤)].

---

(١) في (ف): فيقاتلوا.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٤).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس بلفظ أطول من هذا.

وإنَّما سَمَّى المُقابلَةَ[١] علَى الاعْتداءِ اعْتداءً؛ لأنَّ صُورةَ الفِعْلَيْنِ وَاحدَةٌ، وإنْ كانَ أحدُهما طَاعةً والآخرُ معْصِيةً.

قالَ الزَّجَّاجُ: والعرَبُ تقولُ: ظلَمَنِي فُلانٌ فظَلَمتُه؛ أي: جَازَيْتُه [٤٨/أ] بظُلْمِه. وجَهِلَ فُلانٌ علَيَّ، فجَهِلتُ علَيْه[٢].

وقد سبَقَ بيَانُ هذَا المعْنَى في أوَّلِ السُّورَةِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

قالَ سعيدُ بْنُ جُبَيْر: واتَّقُوا اللهَ ولَا تبْدَؤُوهُم بقتَالٍ في الحَرَمِ[٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

هذِه الآيةُ نزلَتْ علَى سببٍ، وفِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا أُمِرَ بالتَّجهُّزِ[٤] إلَى مكَّةَ، قالَ نَاسٌ مِنَ الأعْرابِ: يا رسُولَ اللهِ! بِماذا نَتجهَّزُ؟ فواللهِ ما لَنا زَادٌ ولا مَالٌ! فنزَلَتْ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[٥].

---

(١) في (ف): المقاتلة.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤١) من طريق عطاء بن دينار، عن سعيد، بنحوه.

(٤) في الأصل، و(ف): بالتجهيز، والمثبت من (ت).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٣١٣-٣١٤) عن أبي صالح، عن ابن عبَّاس، بنحوه.

والثَّـاني: أنَّ الأنصـارَ كانُـوا يُنفقُـونَ ويَتصَدَّقُـونَ، فأصَابَتْهُـم سَـنَةٌ، فأَمْسَـكُوا فنزَلَـتْ، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ بْـنُ أَبي جُبَـيرة[1].

والسَّـبِيلُ في اللُّغـة: الطَّرِيـقُ. وإنَّـما اسْـتُعملَتْ هـذه الكلِمَـةُ في الجِهَـادِ؛ لأنَّـه السَّـبيلُ الَّـذِي يُقاتَـلُ فيـه عـلَى عَقْـدِ الدِّيـنِ.

والتَّهلكـةُ: بمعْنَـى الهَـلاكِ، يُقَـالُ: هَلَـكَ الرَّجـلُ يهلِـكُ هَـلاكاً وهُلْـكاً وتَهلُكـةً. قـال المُـبَرِّدُ: وأرَادَ بالأَيْـدي: الأَنْفُـسَ فعَـبَّرَ بالبعْـضِ عـنِ الـكُلِّ.

وفي المُراد بالتَّهلُكة هَاهُنا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا تـرْكُ النَّفقَـةِ في سَـبيلِ الله، قالَـهُ حُذَيْفَـةُ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، والحسَـنُ، وابْـنُ جُبَـيْر، وعِكْرِمَـةُ، ومُجَاهِـدٌ، وقَتَـادَةُ، والضَّحَّـاك.

والثَّـاني: أنَّهـا القعُـودُ عـنِ الغـزْوِ شُـغلًا بالمـالِ، قالَـه أبـو أيـوبَ الأنْصـاريُّ.

والثَّالـث: أنَّهـا القنُـوطُ مِـن رحمَـةِ الله، قالَـه الـبَرَاءُ، والنُّعـمانُ بـنُ بشـيرٍ، وعُبيـدةُ.

والرَّابع: أنَّها عذابُ الله، رَواه ابْنُ أبي طلحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ فِيه ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناه: أَحسِنُوا الإنْفَاقَ، وهو قوْلُ أصْحَابِ القوْلِ الأوَّلِ.

---

(١) في (ف): وابن جبير.

والثَّاني: أَحْسِنُوا الظَّنَّ باللهِ، قالَه عِكْرِمَةُ[١]، وسُفيانُ، وهُو يُخرَّج[٢] علَى قوْلِ مَنْ قَالَ: التَّهلكَةُ: القنُوطُ.

والثَّالث: أنَّ معْناه: أدُّوا الفَرائِضَ، رَواه سُفيانُ عن أبي إسْحَاقَ.

قَالَ تعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: ١٩٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

قَالَ ابْنُ فَارسٍ: الحَجُّ في اللُّغةِ: القصْدُ. والاعْتمارُ في الحَجِّ أصْلُه: الزِّيارَةُ[٣].

قَالَ ثعْلبٌ: الحَجُّ بفتْحِ الحاءِ: المَصدَرُ، وبكسرِهَا: الاِسْمُ. قَالَ: ورُبَّما قَالَ الفرَّاء: هُما لُغتَانِ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٣٢٧).

(٢) في (ف): مُخرَّج.

(٣) انظر: مقاييس اللُّغة (٢/ ٢٩).

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٩٩).

وذكَرَ ابْنُ الأَنْباريِّ في العُمرَةِ قوْلَينِ:

أحدهما: أنَّهَا الزِّيارَةُ.

والثَّانِي: القَصْدُ[١].

وفي إتْمَامِها أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَى إتْمَامِها: أنْ يَفصِلَ بيْنَهُما، فيأْتي بالعُمرةِ في غيْرِ أشْهُرِ الحَجِّ، قالَهُ عُمر بْنُ الخطَّابِ، والحسَنُ وعطَاءٌ.

والثَّاني: أنْ يُحرِمَ الرَّجلُ مِن دُوَيْرَةِ[٢] أهْلِه، قالَهُ علِي بْنُ أبي طالِبٍ، وطاوسٌ، وابْنُ جُبَيْرٍ.

والثَّالث: أنَّه إذا شَرَع في أحَدِهِمَا لم يفسَخْهُ حتَّى يُتِمَّ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه فِعْلُ مَا أمَرَ اللهُ فِيهِمَا، قالَهُ مُجاهِدٌ.

وجُمهور القُرَّاءِ علَى نصبِ «العُمرة» بإيقَاعِ الفِعْلِ علَيْهَا.

وقَرَأَ الْأَصْمَعِيُّ عن نافِعٍ، والقَزَّازُ عنْ أبي عمْرٍو، والكِسَائِيُّ عنْ أبي جعفر برَفعِها، وهِي قِراءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ وأبي رَزِينٍ والحسَنِ والشَّعبيِّ[٣].

(١) المصدر السابق.

(٢) في (م): ذويرة.

(٣) قراءة شاذة، منسوبة إلى علي وعبد الله بن مسعود والشَّعبي، كما في مختصر ابن خالويه (ص: ١٩)، ومنسوبة إلى الشَّعبي، كما في شواذ الكرماني (ص: ٨٥)، ومنسوبة إلى ابن عبَّاس وزيد وابن عمر وأبي حيوة، كما في البحر المحيط (٢/ ٣٩)، ولم نقف على نسبتها لأبي رزين والحسن إلا عند المصنف.

وقِراءةُ الجُمهور تدُلُّ على وجُوبِها، ومِمَّن ذهَبَ إلى أنَّ العُمرَةَ واجِبةٌ، عليٌّ، وابنُ عُمرَ[١]، وابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وابنُ سِيرينَ، وعطَاءٌ، [٤٨/ب] وطاوسٌ، وسَعيدُ بنُ جُبَيْر، ومُجاهِدٌ، وأحمدُ، والشَّافِعيُّ.

ورُوي عنِ ابنِ مَسْعُودٍ، وجابِرٍ، والشَّعبيِّ، وإبْرَاهِيمَ، وأبي حَنيفةَ، ومالِكٍ، أنَّها سُنَّةٌ وتَطَوُّعٌ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾.

قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: يُقَالُ أحصرَهُ المرَضُ والعَدُوُّ؛ إذَا منعَهُ مِنَ السَّفرِ، ومِنْهُ هذِه الآيَةُ. وحصرَهُ العدو؛ إذا ضَيَّقُوا علَيْه[٢].

قال الزَّجَّاجُ: يُقَالُ للرَّجُل إذَا منعَهُ الخوْفُ والمرَضُ مِنَ التَّصرُّف: قد أُحْصِرَ فهوَ مُحصَرٌ[٣]. يُقَالُ للرجل إذا حبس: قد حُصِرَ، فهو محصور[٤].

وللعُلماءِ في هذَا الإحْصَار قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لا يكونُ إلَّا بالعدُوِّ، ولا يكونُ المريضُ مُحصَرًا.

وهذَا مذْهبُ ابنِ عُمرَ، وابنِ عبَّاسٍ، وأنسٍ، ومَالِكٍ، واللَّيثِ، والشَّافِعيِّ، وأحمَدَ. ويدُلُّ عليْهِ قوْلُه: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾.

---

(١) لم يُذكر في (م).

(٢) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٧١)، وفي (ف): ضَيَّقَ عليه.

(٣) من قوله: «يقال للرجل إذا منعه الخوف»... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٧).

والثَّاني: أنَّه يكونُ[1] بِكلِّ حابِسٍ مِنْ مرَضٍ أوْ عَدُوٍّ أو عُذْرٍ. وهُو قوْلُ عطَاءٍ، ومُجَاهِدٍ، وقَتَادَةَ، وأبي حَنِيفةَ.

وفي الكلامِ اخْتِصارٌ وحذْفٌ، والمعْنَى: فإنْ أُحْصِرتُم دُونَ تمامِ الحَجِّ والعُمرةِ فحللْتُم فعلَيْكُم مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدي؛ ومِثْلُه: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، تقديرُه: فحَلَقَ، فَفِديَةٌ.

و﴿ٱلْهَدْيِ﴾ مَا أُهدِي إلى البَيْتِ. وأصْلُه: هَدِيٌّ مُشدَّدٌ، فخُفِّفَ، قالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ[2]. وبالتَّشْديدِ يَقرَأُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ[3].

وفي المراد ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه شاةٌ، قالَه عليُّ بنُ أبي طَالِبٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وعطَاءٌ، وابْنُ جُبَيْرٍ، وإبْرَاهِيمُ، وقَتَادَةُ، والضَّحَّاكُ، ومُغِيرةُ.

والثَّاني: أنَّه مَا تيسَّرَ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ لا غيْرُ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ[4]، وعائِشَةُ، والقَاسِمُ.

والثَّالث: أنَّه على قدْرِ الميْسَرةِ، رَواه طَاوسٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ف): أن يكون.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٧١).

(٣) قراءة شاذة، منسوبة إلى الأعرج وجماعة، كما في مختصر ابن خالويه (ص: ١٩)، ومنسوبة إلى مجاهد، كما في شواذ الكرماني (ص: ٨٦)، وشواذ العكبري (١/ ٢٣٧).

(٤) في (ج): (ابن عمرو).

ورُوي عنِ الحسَنِ، وقَتادَةَ قالَا: أعْلاهُ بدَنَةٌ، وأوْسَطهُ بقَرَةٌ، وأخَسُّهُ شَاةٌ[١].

وقَـالَ أحْمَـدُ: الهَـدْيُ مِـنَ الأصْنـافِ الثَّلاثَـةِ، مِـنَ الإِبـلِ، والبَقَـرِ، والغَنَـمِ[٢]. وهـوَ قَـوْلُ أبي حَنيفَـةَ، ومالِـكٍ، والشَّـافِعيِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾.

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: المَحِلُّ: المَوْضِعُ الَّذي يَحِلُّ بِه نحرُهُ وهوَ مِن: حَلَّ يَحِلُّ[٣].

وفي المَحِلِّ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه الحَـرَمُ، قالَـهُ ابْـنُ مَسْـعُودٍ، والحَسَـنُ، وعطَـاءٌ، وطـاوسٌ، ومُجاهِـدٌ، وابْـنُ سِـيرينَ، والثَّـوريُّ، وأبُـو حَنيفَـةَ.

والثَّـاني: أنَّـه المَوْضِـعُ الَّـذي أُحـصِرَ بِـه فيَذبحُـهُ ويَحِـلُّ، قالَـهُ مالِـكٌ، والشَّـافعيُّ، وأحمَـدُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾.

هذا نزَل علَى سبَبٍ:

وهـوَ أنَّ كعْـبَ بْـنَ عُجْـرةَ كَثُـرَ قمْـلُ رأْسِـه حتَّـى تهافَـتَ عـلَى وجْهِـه، فنَزلَـتْ هـذه الآيَـةُ فيـه، فـكانَ يقُـول: فيَّ نزلَـتْ خاصَّـةً[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٣/ ٣٥٠).

(٢) انظر: الإنصاف (٤/ ٧٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٧٢).

(٤) رواه البخاري (١٨١٦-٤٥١٧).

فَصْلٌ

قَالَ شَيْخُنَا علِيُّ بْنُ عُبيدِ اللهِ: اقْتَضَى قوْلُه: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ تحْرِيمَ حِلَاقِ[1] الشَّعرِ، سواء وجدَ به الأذى، أو لَمْ يجِدْ، حتَّى نزَلَ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾؛ فاقْتَضَى هذا إبَاحَةَ حلْقِ الشَّعرِ عنْدَ الأذى مَع الفِديةِ، فصَارَ ناسِخًا لِتحريمِهِ المُتقدِّمِ.

[٤٩/أ] ومعْنى الآيةِ: فمَنْ كانَ منْكُم - أي: مِنَ المُحرمِينَ، مُحصرًا كانَ أو غيْرَ مُحصَرٍ - مَرِيضًا، واحْتاجَ إلى لبْسٍ أوْ شيءٍ يحظرُه الإحْرَامُ، ففعلَهُ، أوْ به أذى مِن رأسِه فحَلَقَ ففِدْيةٌ مِن صِيامٍ.

وفي الصِّيَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه ثلاثةُ أيَّامٍ، رُوي في حديثِ كعْبِ بْنِ عُجْرةَ ﵁[2]، عنِ النَّبيِّ ﷺ، وهو قوْلُ الجُمهورِ.

والثَّاني: أنَّه صِيامُ عشرَةِ أيَّامٍ، رُوي عنِ الحَسَنِ، وعِكْرِمَةَ، ونافِعٍ.

وفي الصَّدَقةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه إطْعَامُ سِتَّةِ مسَاكِينَ، رُوي في حدِيثِ كعْبٍ، وهوَ قوْلُ مَنْ قالَ: الصَّوْمُ ثلاثةُ أيَّامٍ.

---

(١) في (ف): حلق.

(٢) رواه البخاري (١٨١٦-٤٥١٧).

والثَّاني: أنَّها إطْعَامُ عشرَةِ مسَاكينَ، وهو قَوْلُ مَنْ[1] أوْجَبَ صَوْمَ عشرَةِ أيَّامٍ.

و«النُّسُكُ»: ذَبْحُ شاةٍ، يُقَالُ: نَسَكْتُ للهِ؛ أي: ذبحْتُ لَه.

وفي «النُّسُك» لُغتانِ: ضَمُّ النُّونِ والسِّينِ، وبِهَا قَرأَ الجُمهورُ، وضَمُّ النُّونِ معَ تسْكِينِ[2] السِّينِ، وهِي قِراءَةُ الحسَنِ[3].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾؛ أي: منَ العَدوِّ؛ إذِ المرَضُ لَا تُؤمَنُ مُعاوَدتُهُ، وقَالَ علْقمَةُ فِي آخرينَ: فإذَا أمِنْتُم مِنَ الخوْفِ أوِ المرَضِ[4]. ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾، معْنَاه: مَن بدَأَ بالعُمرة فِي أشْهُر الحَجِّ، وأقَامَ لِلحَجِّ مِن عَامِه ذلِك فعَليْهِ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهدْيِ. وهَذَا قَوْلُ ابْنِ عُمرَ، وابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ المُسَيَّبِ، وعطَاءٍ، والضَّحَّاكِ.

وقد سبَقَ الكلَامُ فيمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهدْيِ.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ قالَ الحسَنُ: هي قبْلَ التَّرويةِ بيوْمٍ والتَّرويَةُ، وعرَفَةُ، وهذَا قوْلُ عطَاءٍ، والشَّعبيِّ، وأبي العَاليَةِ، وابْنِ جُبَيْرٍ، وطاوُسٍ، وإبْراهِيمَ. وقد نُقِلَ عن عَلِيٍّ ﷺ.

---

(١) من قوله: «الصوم ثلاثة أيام»... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) في (م): كسر.

(٣) قراءة شاذة، منسوبة إلى السُّلميِّ والزُّهري، كما في مختصر ابن خالويه (ص: ١٩)، والكامل (١/ ٥٠١)، والبحر المحيط (٢/ ٢٦١).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٧-١٧٨٨) عن إبراهيم، بنحوه.

وقد رُوي عنِ الحسَنِ، وعطَاءٍ قالَا: في أيِّ العشرِ شَاءَ صَامَهُنَّ[١].

ونُقِلَ عـن طَـاوسٍ، ومُجَاهِـدٍ، وعَطَـاءٍ، أنَّهـم قالُـوا: في أيِّ أشْـهُرِ الحَـجِّ شَـاءَ فلْيصُمْهـنَّ[٢].

ونُقِلَ عنِ ابْنِ عُمرَ أنَّه قَالَ: مِن حينِ يُحرم إلى يوْمِ عرَفَةَ[٣].

❁❁❁

فَصْلٌ

فإنْ لم يجِدِ الهديَ، ولم يَصُمِ الثَّلاثَةَ الأيَّامِ قبْلَ يوْمِ النَّحرِ، فماذَا يَصنَعُ؟

قـالَ عُمـرُ بْـنُ الخطَّـابِ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ جُبَـيْرٍ، وطَـاوسٍ، وإبْراهِيـمُ: لَا يُجزِئُـهُ إلَّا الهَـدْيُ ولا يَصُـومُ[٤]. وقـالَ ابْـنُ عُمـرَ، وعائِشَـةَ: يصُـوم أيَّـامَ مِنًـى[٥]. ورَواه صَالِـحٌ عـنْ أحمَـدَ، وهـوَ قـوْلُ مالِـكٍ.

وذهَـبَ آخـرُونَ إلى أنَّـه لا يصُـومُ أيَّـامَ التَّشريـقِ، بـل يَصُـومُ بعدَهُـنَّ. رُوِيَ عـنْ علِيٍّ.

ورَواه المرُّوذِيُّ عنْ أحمَد، وهو قوْلُ الشَّافِعِيِّ.

---

(١) رواهما ابـن أبي شـيبة في المصنـف (١٥٣٨٣)، وابـن جريـر الطَّـبري في تفسـير، (٣/ ٤٢٠-٤٢٢-٤٢٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٨٠٦).

(٢) رواهما الطَّبري في تفسيره (٣/ ٤٢١-٤٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٢).

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٣١٤٢-١٣١٤٣-١٣١٤٤-١٣١٤٦-١٣١٤٨).

(٥) انظر: تفسير الطَّبري (٣/ ٤٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٠١-١٨٠٢).

فَصْلٌ

فإنْ وجدَ الهدْيَ بعْدَ الدُّخُولِ في صَوْمِ الثَّلَاثَةِ الأيَّامِ، لم يلزمْهُ الخُروجُ منْهُ، وهو قوْلُ مالِكٍ، والشَّافعِيِّ.

وقالَ أبو حَنِيفةَ: يلْزمُهُ[١] الخُروجُ، وعلَيْهِ الهَدْيُ.

وقالَ عطَاءٌ: إنْ صامَ يوْميْنِ ثُمَّ أيسَرَ فعَلَيْهِ الهدْيُ.

وإنْ صامَ ثلَاثَةً، ثُم أيْسَرَ؛ فلْيَصُمِ السَّبعَةَ، ولَا هدْيَ عليْهِ.

وفي معْنَى قوْلِه: ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: في أشْهُرِ الحَجِّ.

والثَّاني: في زمَنِ الإحْرَامِ بالحَجِّ.

وفي قوْلِه: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: إذا رَجعْتُم إلى أمْصارِكُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وأبو العَالِيَةِ، والشَّعبِيُّ، وقتَادَةُ.

والثَّاني[٢]: إذا رجعْتُم مِن حجِّكُم، وهو قوْلُ عطَاءٍ، وسَعِيدِ بْنِ [٤٩/ ب] جُبَيرٍ، وأبي حَنيفَةَ، ومالِكٍ.

---

(١) من قوله: «الخروج منه»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) من هنا يبدأ سقط في النسخة (ف) ينتهي عند قوله: والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة في آخرين. والثاني: أنه الجماع. وسنشير إلى نهايته في موضعه.

قَالَ الأثْرَمُ: قلتُ لِأبي عبدِ اللهِ -يعْنِي: أحمَدَ بْنَ حنبَلٍ-: فصِيامُ السَّبعةِ الأيَّامِ إذَا رجَعَ متَى يَصومُهُنَّ؟ أفِي الطَّريقِ، أمْ في أهْلِه؟ قَالَ: كُلُّ ذلِكَ قد تأوَّلَهُ[1] النَّاسُ. قِيلَ لأبي عبدِ اللهِ: فنُفرِّقُ بينَهُنَّ؟، فرَخَّصَ في ذلِك.

قوْلُه تعَالَى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

فيهِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناه: كامِلةٌ في قِيامِهَا مقَامَ الهَدْيِ، وإلَى هذَا المعْنَى ذهَبَ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ.

قَالَ القاضِي أبو يَعْلَى: وقد كانَ يجُوزُ أن يَظُنَّ ظَانٌّ أنَّ الثَّلاثَةَ قدْ قامَتْ مقامَ الهدْيِ في بابِ اسْتِكْمالِ الثَّوابِ، فأعْلمَنَا اللهُ تعَالى أنَّ العشَرَةَ بكمالِهَا هي القَائمةُ مقَامَهُ.

والثَّاني: أنَّ الواوَ قد تقُومُ مقَامَ «أوْ» فِي موَاضِعَ: منْهَا قوْلُه: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، فأزَالَ اللهُ ﷻ احْتِمالَ التَّخْيير فِي هذِه الآيَةِ بقوْلِه: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وإلى هذَا المَعنَى ذهَبَ الزَّجَّاجُ[2].

والثَّالث: أنَّ ذلِكَ للتَّوكيدِ. وأنْشَدُوا للفرزْدَقِ[3] [من الوافر]:

---

(١) في (م): تناوله.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٨).

(٣) البيت في ديوانه (٢/ ٨٣٥)، وتأويل مشكل القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ١٥٤)، والشعر والشعراء (١/ ٤٦٩)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٣)، وتفسير الثعلبي (٢/ ٥١٣).

ثَـلَاثٌ وَاثْنَتَـانِ وَهُـنَّ خَمْـسٌ وَسَادِسَـةٌ تَمِيـلُ إِلَى شَـمَامِ[١]

وقَالَ آخَرُ[٢] [من مجزوء الكامل]:

هَـلَّا سَـأَلتَ جُمُـوعَ كِنْـدَةَ يَـوْمَ وَلَّـوْا أَيْـنَ أَيْنَـا

وقالَ آخَرُ[٣] [من الرجز]:

كَـمْ نِعْمَـةٍ كانَـتْ لَـهُ[٤]

كَـمْ كَـمْ وَكَـمْ

والقُرآنُ نزَلَ بلُغةِ العرَبِ، وهِي تُكرِّرُ الشَّيْءَ لِتوْكِيدِه.

والرَّابـع: أنَّ معْنـاه: تلْـكَ عـشَرةٌ كامِلَـةٌ في الفضْـلِ، وإنْ كانَـتِ الثَّلاثَـةُ فِي الحَـجِّ، والسـبعَةُ بعـدُ؛ لئـلَّا يَسْـبقَ إلى وهَـمِ[٥] أحَـدٍ أنَّ السَّـبعةَ دُونَ الثَّلاثَـةِ، قالَـهُ أبـو سُـليْمانَ الدِّمشـقيُّ.

---

(١) في حاشية (ت) بنفس خط الناسخ: اسم جبل. وانظر: الصحاح؛ للجوهري (٥/ ١٩٦١).

(٢) وهـو عبيـد بـن الأبـرص، في ديوانـه (ص: ١٤٢)، والشـعر والشـعراء (١/ ٢٢٤)، والحماسـة البصريـة (١/ ٨٣)، ومشـكل القـرآن (ص: ١٨٦)، ومعـاني القـرآن؛ للفـراء (١/ ١٧٧). والبيـت لم يُذكـر في (ج).

(٣) البيت بـلا نسـبة في الصاحبـي في فقـه الله؛ لابـن فـارس (١/ ١٥٨)، والصناعتـين؛ لأبي هلال العسـكري (١/ ١٩٣)، وتأويـل مشـكل القـرآن (ص: ٢٣٦)، وأمـالي المرتـضى (١/ ٨٤)، وانظـر البيـت أيضـا في: معـاني القـرآن للفـرَّاء (١/ ١٧٧)، وروايته: كـم نعمـة كانـت لَهـا...

(٤) كذا في الأصل، و(ت)، و(غ)، و(م)، وفي (ج)، وأكثر المصادر: كَمْ نِعْمَةٍ كانَتْ لَكُمْ.

(٥) ليست في (ج).

والخامِـس: أنّهـا لفظـةُ خـبَرٍ ومعْنَاهـا: الأمْـرُ، فتقْدِيـرُه: تلْـك عـشَرَةٌ فأَكْمِلُوهَـا.

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

في المُشار إليه بـ«ذلِكَ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنّه التَّمتُّعُ بالعمرَةِ إلى الحَجِّ.

والثَّاني: أنّه الجزَاءُ بالنُّسُكِ أوِ الصِّيامِ.

و﴿لِمَن﴾ في هذَا القوْلِ بمعْنَى: «علَى».

فأمَّـا حَـاضِرُو المسْجدِ الحـرَامِ: فقَـال ابـنُ عبَّـاس، وطَـاوُسٌ، ومُجَاهِـدٌ: هُـم أهْـلُ الحـرَمِ[1].

وقال عطَاءٌ: مَنْ كانَ منْزِلُه دُونَ المَوَاقِيتِ[2].

قـالَ ابْـنُ الأنْبَـاريِّ: ومعْنَـى الآيَـةِ: إنَّ هـذَا الفـرْضَ لِمَـن كانَ مِـنَ الغُربَـاءِ، وإنّـما ذكَـرَ أهْلَـهُ، وهُـو المُـرادُ بالحُضـورِ؛ لأنَّ الغالِـبَ علَى الرَّجُـلِ أنْ يَسـكُنَ حيْـثُ أهْلُـه سـاكِنُونَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقـرة: ١٩٧].

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٣/ ٤٣٨-٤٣٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨١٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٢-١٨١٣).

قوْله تعالَى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾.

في الحَجِّ لُغتانِ: فتْحُ الحاءِ، وهِيَ لأهْلِ الحِجازِ، وبِها قَرأَ الجمْهُورُ. وكسْرُها، وهِي لِتمِيمٍ، وقِيلَ: لأهْلِ نجْدٍ، وبِها قَرأَ الحسَنُ[١].

قالَ سِيبويه: يُقَالُ: حَجَّ حجًّا؛ كقوْلِهم: ذكَرَ ذِكْرًا[٢]. وقالُوا: حجَّةٌ، يُريدونَ: عَمَل سنَةٍ.

قال الفرَّاء: المعنى: وقتُ الحَجِّ هذه الأشْهُرُ[٣]. وقَالَ الزَّجَّاجُ: معنَاه: أشْهرُ الحَجِّ أشْهُرٌ معْلُوماتٌ[٤].

وفِي أشْهُر الحجِّ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها شوَّالٌ، وذُو القَعدةِ، وعشرٌ مِن ذي الحِجَّةِ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ الزُّبيرِ، والحسَنُ، وابْنُ سِيرينَ، وعطَاءٌ، والشَّعْبِيُّ، وطَاوسٌ، والنَّخعيُّ، وقَتَادَةُ، ومكْحُولٌ، والضَّحَّاكُ، [٥٠/أ] والسُّدِّيُّ، وأبو حَنيفةَ، وأحْمدُ بْنُ حنْبَلٍ، والشَّافِعيُّ ﵀.

والثَّاني: أنَّها شوَّالٌ، وذُو القَعدةِ، وذُو الحَجَّةِ، وهوَ مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عُمرَ[٥] أيضًا، وعطَاءٍ، وطَاوسٍ، ومُجاهِدٍ، والزُّهرِيِّ، والرَّبيعِ، ومَالِكِ بْنِ أنَسٍ.

---

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ١٩)، وشواذ الكرماني (ص: ٨٥)، والإتحاف (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: الكتاب (٤/ ١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ١١٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٩).

(٥) في (م): ابن عبَّاس.

قالَ ابْنُ جريرٍ الطَّبريُّ: إنَّما أرادَ هؤلاء أنَّ هذِه الأشْهُرَ ليسَتْ[١] أشْهُرَ العُمرةِ، إنَّما هِي للحَجِّ، وإنْ كانَ عَملُ الحَجِّ قدِ انْقضَى بانْقِضاءِ أيَّامِ مِنًى، وقد كانوا يَستحبُّونَ أن يَفْعلُوا العُمرةَ في غيْرِها[٢].

قالَ ابْنُ سِيرينَ: مَا أحَدٌ مِن أهلِ العِلْمِ شَكَّ فِي أنَّ عمرةً في غير أشْهُرِ الحَجِّ أفْضلُ مِن عُمرةٍ في أَشْهُرِ الحَجِّ، وإنَّما قالَ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ وهي شهرَانِ وبعْضُ الآخرِ علَى عادَةِ العَربِ[٣].

قال الفرَّاءُ: تقُولُ العرَبُ: لَه اليومَ يومَانِ لَمْ أرَهُ، وإنَّما هوَ يومٌ، وبعْضُ آخرَ. وتقُولُ: زُرتُكَ العَامَ، وأتَيْتُكَ اليوْمَ، وإنَّما وقَعَ الفِعلُ فِي ساعَةٍ[٤].

وذكَرَ ابْنُ الأنْباريِّ فِي هذَا قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّ العرَبَ توقِعُ الجمْعَ علَى التَّثنيَةِ؛ إذا كانَتِ التَّثنيةُ[٥] أوَّلَ الجمْعِ؛ كقوْلِه تعالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦]، وإنَّما يُريد عائِشةَ وصفْوانَ، وكذلِكَ قوْلُه: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، يُريد: داودَ وسُليْمانَ.

---

(١) سقطت من (ت)، و(ر).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري (٣/ ٤٤٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣١٩٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ١١٩).

(٥) قوله: «إذا كانت التثنية»، ليس في (ت)، و(ر).

والثَّـاني: أنَّ العــرَبَ تُوقِـعُ الوَقْــتَ الطَّوِيــلَ عــلَى الوَقْــتِ القَصِــيرِ، فيَقُولُـونَ: قُتِـلَ ابْـنُ الزُّبـيْرِ أَيَّـامِ الحَجَّـاجِ، وإنَّـما كانَ القَتْـلُ فِي أقْـصَرِ وقْـتٍ.

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اختلَفَ العُلَماءُ فيمَنْ أحرَمَ بالحَجِّ قبْلَ أشْهُرِ الحَجِّ:

فقَـالَ عطَـاءٌ، وطـاوسٌ، ومُجَاهِـدٌ، والشَّـافِعِيُّ: لا يُجزِئُـه[1] ذلِـك، وجعَلُوا فائـدَةَ قوْلِـه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ أنَّـه لَا ينْعَقِـدُ الحَـجُّ إلَّا فيهِـنَّ.

وقـالَ أبـو حَنِيفَـةَ، ومالِـكٌ، والثَّـوريُّ، واللَّيْـثُ بْـنُ سـعْدٍ، وأحمَـدُ بْـنُ حنبَـلٍ: يصِـحُّ الإحْـرَامُ بالحَـجِّ قبـلَ أشْـهُرِهِ، فعَـلَى هـذَا يكـونُ قوْلُـه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾؛ أي: مُعظَـمُ الحَـجِّ يقَـعُ فِي هـذِه الأشْـهُرِ. كـما قـالَ النَّبيُّ ﷺ: «**الْحَـجُّ عَرَفَـةُ**»[2].

قوْلُه تعالَى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾.

---

(١) في (ت): يجزئ.

(٢) رواه أبـو داود الطيالـسي (١٤٠٥) في مسنده، وابـن أبي شـيبة (١٣٨٦٣)، وأحمـد (٣١/ ٦٤)، والتِّرمـذي (٨٨٩)، والنسـائي في الكـبرى (٣٩٩٧- ٤٠٣٦- ٤١٦٦)، وابـن ماجـه (٣٠١٥) مـن حديـث عبـد الرحمـنِ بـنِ يعمـر الدِّيـلِيِّ، وصحَّحـه ابـن خزيمـة (٢٨٢٢).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هُوَ الإِهْلالُ بالحَجِّ والإِحْرَامُ بِهِ[١]. وقَالَ طَاوسٌ، وعطَاءٌ[٢]: هو أنْ يُلبِّيَ[٣].

ورُوِي عنْ علِيٍّ، وابْنِ عُمرَ، ومُجاهِدٍ، والشَّعبيِّ، في آخَرِينَ: أنَّه إذَا قلَّدَ[٤] بدنتَهُ فقَد أحْرَمَ، وهذَا محْمُولٌ علَى أنَّه قلَّدهَا ناوِيًا الحَجَّ[٥].

ونصَّ الإمَامُ أحمَدُ بْنُ حنْبَلٍ ﷺ في رِوايَةِ الأثْرَمِ: أنَّ الإِحْرامَ بالنيَّةِ[٦]. قِيلَ لَه: يكونُ مُحرِمًا بغَيْرِ تَلْبيَةٍ؟ قالَ: نَعمْ! إذَا عَزَم علَى الإحْرَامِ. وهذَا قوْلُ مالِكٍ، والشَّافعِيِّ.

وقَالَ أبُو حَنِيفَةَ: لا يجُوزُ الدُّخولُ فِي الإحْرَامِ إلَّا بالتَّلبِيةِ أوْ تقْلِيدِ الهَدْيِ وسَوْقِهِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وأبُو عَمْرٍو وأبُو جَعْفَرٍ: «فَلَا رَفَثٌ وَلاَ فُسُوقٌ» بالضَّمِّ والتَّنوِينِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣٨٢٣).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٣٨١٩-١٣٨٢٢).

(٤) كلمة غير واضحة في (ج).

(٥) في (ت): للحج.

(٦) في (ج): بالتلبية.

وقَـرَأَ نافِـعٌ وعَاصِـمٌ وابْـنُ عامِـرٍ وحمْـزَةُ والكِسَـائِيُّ بغَـيْرِ تنوِيـنٍ[١]، ولم يرفَـعْ أحَـدٌ مِنْهُـم لامَ «جِـدَال» إلَّا أبـو جَعْفَـرٍ[٢].

قـالَ أبـو عـليٍّ: حُجَّـةُ مَـنْ فتَـحَ أنَّـه أشَـدُّ مُطابقَـةً للمَعْنَـى المَقصُـودِ؛ لأنَّ بالفتْـحِ قـد نفَـى جميـعَ الرَّفـثِ والفُسُـوقِ؛ كقوْلِـه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فـإذا رُفِـعَ [٥٠/ ب] ونُـوِّنَ، كان النَّفـيُ لِواحـدٍ منْـهُ، وإنَّـما فتَحُـوا لامَ «الجِـدَالِ»؛ لِيتنـاوَلَ النَّفـيُ جمِيعَ جنْسِـه، فكذلِـكَ ينْبَغـي أن يكُـونَ جمِيـعُ الاِسـمَيْنِ قبْلَـه.

وحُجَّـةُ مَـن رفَـعَ أنَّـه قـدْ عُلِـم مِـن فَحْـوَى الـكلَامِ نفْـيُ جمِيـعِ الرَّفـثِ، وقـدْ يكُـونُ اللَّفـظُ واحِـدًا، والمُـراد بالمَعْنَـى الجَمِيـعُ؛ قـالَ الشَّـاعِرُ[٣] [مـن الطَّويل]:

فَقَتْـلًا بِتَقْتِيـلٍ وَضَرْبـاً بِضَرْبِكُـمْ   جَـزَاءَ العُطَـاسِ لَا يَنَـامُ مَـنِ اتَّـأَرْ

وفي الرَّفث ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه الجِـماعُ، قالَـهُ ابْـنُ عُمـرَ، والحَسَـنُ، وعِكْرِمَـةُ، ومُجَاهِـدٌ، وقتَـادَةُ، في آخريـن.

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٠)، والحُجَّة؛ للفارسي (٢/ ٢٨٦)، والمبسوط (ص: ١٤٥).

(٢) انظر: المبسوط (ص: ١٤٥)، والنَّشر (٢/ ٢٤١).

(٣) ابيت للمهلهل في البيان (٣/ ٢٠٣)، والتهذيب (١١/ ٥٤١)، وبلا نسبة في المقاييس (٤/ ٩٧)، ورسائل الجاحظ (١/ ٤٠٣)، جزاء العطاس: أي: عجلنا إدراك الثأر كقدر ما بين التشميت والعطاس. وفي (ج) بيت آخر بدلًا عن هذا البيت، وهو: «كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص».

والثَّاني: أنَّه الجماع، وما دونه من التعريض به، وهو مروي عن ابن عمر أيضًا، وابن عبَّاس، وعمرو بن دينار، في آخرين.

والثَّالث: أنَّه اللَّغو مِنَ الكلَامِ، قالَهُ أبو عبدِ الرَّحمنِ اليزيديُّ(١).

وفِي الفُسُوقِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه السِّبَابُ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، وإِبْرَاهِيمُ، في آخَرينَ.

والثَّاني: أنَّه التَّنابزُ بالألْقابِ؛ مِثلُ أنْ تقُولَ لِأخِيكَ: يا فاسِقُ، يا ظَالِمُ، رَواهُ الضَّحَّاكُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّه المَعاصِي، قالَهُ الحسَنُ، وعطَاءٌ، وطَاوسٌ، ومُجَاهِدٌ، وقَتَادَةُ، في آخَرِينَ.

وهو الَّذي نخْتَارُه؛ لأنَّ المَعَاصِيَ تشْمَلُ الكُلَّ، ولِأنَّ الفاسِقَ: الخَارِجُ مِنَ الطَّاعَةِ إلى المَعْصِيَةِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ الجِدَالُ: المِرَاءُ.

وفِي معْنَى الكَلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معْنَاه: لَا يُمارِينَّ أحَدٌ أحَدًا، فيُخرِجُه المِراءُ إلى الغَضَبِ، وفعْلِ مَا لَا يلِيقُ بالحَجِّ، وإِلَى هذَا المَعْنَى ذهَبَ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، وطَاوسٌ، وعطَاءٌ، وعِكْرِمَةُ، والنَّخَعيُّ، وقَتَادَةُ، والزُّهريُّ، والضَّحَّاكُ، فِي آخَرِينَ.

---

(١) في (ف): أبو عبد الرحمن، واليزيدي.

والثَّـاني: أنَّ معْنـاه: لَا شَـكَّ فِي الحَـجِّ ولَا مِـرَاءَ[١]، فإنَّـه قـدِ اسْـتَقَامَ أمـرُهُ وعُـرِفَ وقتُـه وزَالَ النَّسيءُ عنْـهُ.

قـالَ مُجَاهِـدٌ: كانُـوا يَحُجُّـونَ في ذي الحجَّـةِ عامَـيْنِ، وفِي المُحـرَّمِ عامَـيْنِ، ثُـمَّ حَجُّـوا في صَفـرَ عامَـيْنِ، وكانُـوا يَحُجُّـونَ فِي كُلِّ سـنَةٍ فِي كُلِّ شـهْرٍ عامَـيْنِ حتَّـى وافَقَـتْ[٢] حجَـةُ أبي بكْـرٍ الآخِـرِ مِـنَ العَامَـيْنِ فِي ذي القَعـدة قبْـلَ حَجَّـةِ النَّبـيِّ ﷺ بسـنَةٍ، ثُـمَّ حَـجَّ النَّبـيُّ ﷺ مِـنْ قابـلٍ فِي ذِي الحجَّـةِ، فذلِـكَ حِـينَ قـالَ: «**إنَّ الزَّمَـانَ قَـدِ اسْـتَدَارَ كَهَيْئَتِـهِ يَـوْمَ خَلَـقَ اللهُ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**»[٣]، وإلى هـذا المعْنَـى ذهَـبَ السُّـدِّيُّ عـنْ أشْـيَاخِه، والقَاسِـمُ بْـنُ مُحَمَّـدٍ[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: كانَ أهْلُ اليمـن يَحُجُّـونَ ولَا يتَـزَوَّدُون ويقُولُـونَ: نحْنُ مُتوكِّلُـونَ [علـى الله][٥]، فيسـألُون[٦] النَّـاسَ، فأنْـزَل اللهُ تعَـالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٧].

---

(١) في (ف): لا شكَّ ولا مِراء في الحجِّ.

(٢) في (ت): واقفت.

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣١٩٧- ٤٦٦٢- ٥٥٥٠- ٧٤٤٧)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكْرَة ﷺ.

(٤) في (ج): ومحمد بن القاسم.

(٥) زيادة من (ف).

(٦) في (ف): ويسألون.

(٧) رواه البخاري (١٥٢٣).

قالَ الزَّجّاجُ: أُمِرُوا أنْ يتزَوَّدُوا، وأُعْلِمُوا أنَّ خيرَ ما تُزُوِّد تقْوى اللهِ ﷻ(١).

قالَ تعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة: ١٩٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

قالَ ابْنُ عبّاسٍ: كانُوا يتَّقُونَ البُيوعَ والتِّجارَةَ فِي المَوْسِمِ، ويقُولونَ: أيّامَ ذكْرٍ فنزلَتْ هذِه الآيَةُ(٢).

و«الابْتِغاءُ»: الالتِماسُ. و«الفضْلُ» هاهُنا: النَّفعُ بالتِّجارةِ والكسْبِ.

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿أَفَضْتُم﴾ بمعْنَى: دَفعْتُم(٣).

[١٥/أ] وقالَ الزَّجّاجُ: معْناه: دفعْتُم بكثْرَةٍ، يُقالُ: أفاضَ القوْمُ فِي الحَدِيثِ؛ إذا انْدفعُوا فِيه، وأكْثرُوا التَّصرُّفَ(٤).

وفي تسْمِيةِ «عَرَفاتٍ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ اللهَ تعالى بعثَ جِبريلَ إلَى إبْراهِيمَ فحَجَّ بِه، فلَمّا أتَى عَرَفاتٍ قالَ: قدْ عرفْتُ، فسُمِّيتْ «عرفةَ»، قالَهُ عليٌّ ﷺ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧١).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٠- ٢٠٥٠- ٢٠٩٨- ٤٥١٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٧٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٢).

والثَّاني: أنَّها سُمِّيتْ بذلِك؛ لِاجْتِماعِ آدمَ وحوَّاءَ، وتعارُفِهما بِها، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وَ«المْشعَرُ»: المعْلَمُ، لِمتعبَّدٍ مِنْ مُتعبَّداتِهِ، وهو مُزدلفةُ وهِي جَمْعٌ تُسمَّى بالِاسْمَيْنِ[١].

قالَ ابْنُ عُمرَ، ومُجاهِدٌ: المشعَرُ الحرَامُ المُزدلِفةُ كلُّها[٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ أي: جزاءَ هِدايتِه لكُمْ.

فإنْ قِيل: مَا فائِدةُ تكْريرِ الذِّكرِ؟

فعَنهُ أربَعةُ أجْوبةٍ:

أحدُها: أنَّه كرَّرَهُ للْمبالَغةِ فِي الأمْرِ بِه.

والثَّاني: أنَّه وصَلَ بالذِّكْرِ الثَّانِي ما لَمْ يصِلْ بالذِّكْرِ الأوَّلِ، فحَسُنَ تكريرُه. فالمعْنَى: اذْكُروه بتَوْحِيدِه كما ذَكَرَكُم بِهِدايتِه.

والثَّالث: أنَّه كرَّرَهُ لِيدُلَّ علَى مُواصَلتِهِ، والمعْنَى[٣]: اذْكُروه ذِكْرًا بعْدَ ذِكْرٍ، ذكَرَ هذِه الأقْوَالَ مُحمَّدُ بْنُ القَاسمِ النَّحويُّ.

والرَّابع: أنَّ الذِّكرَ فِي قوْلِه: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو: صلَاةُ المغرب والعِشاءِ اللَّتانِ يُجمَعُ بيْنَهُما بالمُزدلِفةِ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٣).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٣/ ٥١٦- ٥١٩).

(٣) من قوله: «اذكروه بتوحيده» ... إلى هنا، ليس في (ج).

والذِّكـرُ فِي قوْلِـه: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾: هـوَ الذِّكـرُ المفْعُـولُ(١) عنْـدَ الوُقُـوفِ بمُزدلِفَـةَ مِـن غـدَاةِ جَمْـعٍ، حـكَاهُ القَـاضي أبـو يعْـلَى.

قوْله تعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾.

فِي هاءِ الكِنايَةِ ثلَاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى الإسْلَامِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلَى الهُدَى، قالَهُ مُقَاتِلٌ، والزَّجَّاجُ(٢).

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلَى القُرآنِ، قالَهُ سُفيانُ الثَّوريُّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٩٩، ٢٠٢].

قوْله تعالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

قالـتْ عائِشـةُ: كانَـتْ قُرَيـشٌ ومَـنْ يَدِيـنُ بِدِينِهَـا، وهُـم الحُمْـسُ، يقِفُـونَ عَشِـيَّةَ عرَفَـةَ بالمُزدلِفَـةِ، يقُولُـونَ: نحْـنُ قُطَّـنُ البيْـتِ(٣)، وكانَ بقيَّـةُ العـرَبِ

---

(١) في (ج): المعقول.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٣).

(٣) في (ف): بالبيت. أي: سكانه، جمع قاطن.

والنَّـاسُ يقِفُـون بعَرفَـاتٍ، فنزلَـتْ هـذِه الآيَـةُ(١).

قـالَ الزَّجَّـاج: سُـمُّوا الحُمْـسَ؛ لأنَّهُـم تحَمَّسُـوا فِي دينِهِـم؛ أي: تَشَـدَّدُوا. والحماسَـةُ: الشِّـدَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ(٢).

وفِي المُراد بالنَّاسِ هَاهُنا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـم جميـعُ العـرَبِ غـيْرَ الحُمْـسِ، ويـدلُّ عليْـهِ حدِيـثُ عائِشَـةَ(٣)، وهـو قـوْلُ عُـروةَ، ومُجاهِـدٍ، وقتَـادَةَ.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ بالنَّاس هَاهُنا: إبْراهِيمُ الخَلِيلُ؛ قالَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزاحِمٍ.

والثَّالث: أنَّ المُرادَ بالنَّاسِ آدَمُ، قالَهُ الزُّهريُّ.

وقـد قَـرَأَ أبـو المُتـوكِّلِ، وأبـو نَهِيـكٍ، ومُـورِّقُ العِجـليُّ: «النَّـاسِي» بإثْبَـاتِ اليَاءِ(٤).

والرَّابـع: أنَّهـم أهْـلُ اليمَـنِ ورَبِيعـةُ، فإنَّهـم كانُـوا يُفيضُـونَ مِـن عرَفـاتٍ، قالَـهُ مُقَاتِلٌ(٥).

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (١٦٦٥- ٤٥٢٠)، ومسلم (١٢١٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٦٣).

(٣) وهو حديث عائشة السابق تخريجه.

(٤) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٢٠)، وشواذ الكرماني (ص: ٨٧)، وهي منسوبة أيضًا: لسعيد بن جُبَيْر، كما في تفسير القرطبي (٢/ ٤٢٨).

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٧٥).

وفي المُخاطَبِينَ بذلِكَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه خِطَابٌ لِقُرَيشٍ، وهو قوْلُ الجمهُورِ.

والثَّاني: أنَّه خِطَابٌ لِجَمِيعِ المُسلِمِينَ، وهو يُخَرَّجُ علَى قوْلِ مَنْ قالَ: النَّاسُ: آدَمُ، أو: إبْرَاهِيمُ.

و«الإفاضَةُ» هَاهُنا علَى ما يقْتَضِيهِ ظَاهِرُ اللَّفْظِ: هِي الإفَاضَةُ مِنَ المُزدلِفَةِ إلَى مِنى صَبِيحةَ النَّحْرِ، إلَّا أنَّ جُمهورَ المُفسِّرينَ علَى أنَّها الإفاضَةُ مِن عرَفَاتٍ، فظَاهِرُ الكَلَامِ لا يَقتَضِي ذلِك، كيْفَ يُقَالُ: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِن عرَفَاتٍ؟! غيْرَ أنِّي أقُولُ: وجْهُ الكلَامِ علَى مَا قالَ أهْلُ التَّفْسِيرِ: إنَّ فيهِ تقْدِيمًا وتأْخِيرًا، تقدِيرُه: ثُمَّ أَفِيضُوا مِن حيْثُ أفَاضَ النَّاسُ، فإذَا أفَضْتُم مِن عرَفَاتٍ فاذْكُروا اللهَ. [٥١/ب]

و«الغَفُورُ»: مِن أسْمَاءِ اللهِ ﷻ، وهو مِن قوْلِك: غفرتُ الشَّيْءَ؛ إذَا غطَّيتَهُ، فكَأنَّ الغفُورَ السَّاتِرُ لِعبْدِهِ برحْمَتِه، أوِ السَّاتِرُ لِذنُوبِ عِبادِهِ.

والغفُور: هو الَّذِي يُكثِرُ المغفِرَةَ؛ لأنَّ بِناءَ «فعُول»[١] للْمبالغةِ مِنَ الكثْرَةِ؛ كقوْلِك: صَبُور، وضَرُوب، وأَكُول.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾.

في سبَبِ نُزولِها ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

---

(١) في (ت)، و(ر): المفعول.

أحدُها: أنَّ أهـلَ الجاهِليَّـةِ كانُـوا إذَا اجْتَمعُـوا بالمَوسِـم، ذكَـرُوا أفْعَـالَ آبَئِهِـم وأيَّامِهِـم وأنْسَـابِهِم فِي الجاهليَّـةِ، فتَفَاخَـرُوا بذلِـكَ فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ. وهـذَا المعْنَـى مَـروِيٌّ عـنِ الحسَـنِ، وعطَـاءٍ، ومُجاهِـدٍ[١].

والثَّاني: أنَّ العـرَبَ كانُـوا إذَا حدَّثُـوا[٢] أو تكَلَّمـوا يقُولُـون: وأَبِيـكَ إنَّهُـم لَفعَلُـوا كـذَا وكـذَا، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ. وهـذَا مَـروِيٌّ عنِ الحسَـنِ أيْضًـا[٣].

والثَّالـث: أنَّهـم كانُـوا إذَا قَضَـوْا مناسِـكَهُم، قـامَ الرَّجُـلُ بمنًـى، فقَـالَ: اللَّهُـمَّ إنَّ أبِي كانَ عظِيـمَ الجَفنَـةِ، كثِـيرَ المَـالِ، فأَعْطِنـي مِثْـلَ ذلِـك، فـلَا يذْكـرُ اللهَ، إنَّـما يذْكُـرُ أبَـاه ويسْـأَلُ أنْ يُعْطَـى في دُنيَـاهُ؛ فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، وهـذَا قـوْلُ السُّـدِّيِّ[٤].

و«المَناسِكُ»[٥]: المُتعبَّدَاتُ.

وفِي المُراد بها هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها جمِيعُ أفْعَالِ الحَجِّ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّها إرَاقةُ الدِّماءِ، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٦٥).

(٢) في (ج): جذبوا.

(٣) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٦٥).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٤٠).

(٥) ليست في (ج).

وفي ذكرِهِم آباءَهُم أَرْبعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أَنَّه إِقْرَارُهُم بِهِم.

والثَّاني: أَنَّه حَلِفُهم بِهِم.

والثَّالثُ: أَنَّه ذِكْرُ إِحْسَانِ آبائِهِم، فإِنَّهم كانُوا يذْكُرونَهُم ويَنْسونَ إِحْسَانَ اللهِ إِليهِم.

والرَّابعُ: أَنَّه ذِكْرُ الأَطْفَالِ الآبَاءَ؛ لأَنَّهم أَوَّل نُطقِهِم بذِكْرِ آبائِهِم، رُوِي هذَا المعْنَى عنْ عطَاءٍ، والضَّحَّاكِ.

وفي «أَوْ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّها بمعْنَى «بَلْ».

والثَّاني: بمعْنَى الواوِ.

و«الخَلاقُ» قدْ تقَدَّم ذِكْرُه.

وفي حسَنَةِ الدُّنيا سبْعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أَنَّها المرْأَةُ الصَّالِحَةُ، قالَهُ عليٌّ.

والثَّانِي: أَنَّها العِبادَةُ، رَواه سُفيانُ بْنُ حُسينٍ، عَنِ الحَسَنِ.

والثَّالث: أَنَّها العِلْم والعِبادةُ، رَواه هِشامٌ، عنِ الحَسَنِ.

والرَّابع: المَالُ، قالَهُ أبو وَائِلٍ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ زيْدٍ.

والخامِسُ: العافِيَةُ، قالَهُ قَتَادَةُ.

والسَّادس: الرِّزقُ الوَاسِعُ، قالَهُ مُقَاتِلٌ[١].

والسَّابع: النِّعمَةُ، قالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ[٢].

وفي حَسَنةِ الآخِرةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الحورُ العِينُ، قالَهُ عليٌّ ﷺ.

والثَّانِي: الجنَّةُ، قالَهُ الحسَنُ، والسُّدِّيُّ، ومُقَاتِلٌ[٣].

والثَّالث: العَفْوُ والمُعافَاةُ، رُوي عنِ الحسَنِ، والثَّوريِّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: معْناهُ: دُعاؤُهم مُستَجابٌ؛ لأنَّ كسْبَهُم هاهُنا هو [٥٢/أ] الدُّعاءُ، وهذِه الآيةُ مُتعلِّقةٌ بما قبْلَها، إلَّا أنَّه قد رُوي أنَّها نزَلَتْ على سببٍ يُخالِفُ سببَ أخواتِها[٤].

فرَوَى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ رجُلًا قالَ: يا رَسُولَ اللهِ! ماتَ أبِي ولَمْ يحُجَّ، أفأَحُجُّ عنْهُ؟ فقالَ: «**لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ قَضَيْتَهُ أَمَا كَانَ يُجْزِئُ؟**» قالَ: نعَمْ! قالَ: «**فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى**». قالَ: فهَلْ لِي مِنْ أجْرٍ؟ فنزَلَتْ هذه الآيةُ[٥].

---

(١) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٧٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٧٣).

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٠٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٥).

(٥) رواه النسائي في الكبرى (٣٦٠٥)، وفي الصغرى (٢٦٣٩)، والطَّحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥٤٢)، والطبراني في الأوسط (١٤١)، وفي الكبير (١٢٣٣٢- ١٢٥١٢).

وفِي معْنَى سُرعَةِ الحِسَابِ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه قِلَّته، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه قُربُ مجِيئِه، قالَهُ مُقَاتِلٌ (١).

والثَّالِث: أنَّه لمَّا علِم مَا لِلمُحاسَبِ ومَا علَيْهِ قبْلَ حِسَابِهِ، كانَ سَرِيعَ الحِسَابِ لذلِك.

والرَّابِع: أنَّ المعْنَى: واللهُ سرِيعُ المُجازَاةِ، ذكَرَ هذَا القَوْلَ والَّذِي قبْلَهُ الزَّجَّاجُ (٢).

والخامِسُ: أنَّه لا يحتاجُ إلَى فِكرٍ ورَوِيَّةٍ كالعاجِزينَ، قالَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

قَالَ تعَالَى: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣، ٢٠٧].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

(١) انظر: تفسير مُقاتِل (١/ ١٠٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٧).

فِي هذَا الذِّكْرِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه التَّكبِيرُ عنْدَ الجمَرَاتِ، وأدْبَارَ الصَّلَواتِ، وغيْرِ ذلِك مِنْ أوْقَاتِ الحَجِّ.

والثَّانِي: أَنَّه التَّكبِيرُ عَقيبَ الصَّلَواتِ المَفْرُوضَاتِ.

واخْتلَفَ أرْبَابُ هذَا القَوْلِ في الوقْتِ الَّذِي يُبْتدَئُ[1] فيهِ بالتَّكبِير ويُقطعُ علَى سِتَّةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه يُكبِّرُ مِنْ صلاةِ الفجْرِ يوْمَ عرَفَةَ، إلَى بعد صَلاةِ العصْرِ مِن آخِرِ أيَّامِ التَّشريقِ، قالَهُ علِيٌّ، وأبُو يُوسفَ، ومُحمَّدٌ.

والثَّانِي: أنَّه مِنْ صلَاة الفجْرِ يوْمَ عرَفَةَ إلَى صلَاةِ العصْرِ مِنْ يوْمِ النَّحْرِ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ[2]، وأبو حَنِيفَةَ.

والثَّالثُ: مِنْ بعْدِ صلَاةِ الظُّهرِ يوْمَ النَّحْرِ إلى مَا بعْدَ العصْرِ مِن آخِرِ يوْمِ[3] التَّشرِيقِ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ[4]، وزَيْدُ بْنُ ثابِتٍ[5]، وابْنُ عبَّاسٍ[6]، وعطَاءٌ[7].

(١) في (ف): يُبدَأ.

(٢) رواه ابن المنذر في الأوسط (٤/ ٣٠٠).

(٣) في (ف): أيام.

(٤) رواه ابن المنذر في الأوسط (٤/ ٢٩٨).

(٥) رواه البيهقي في الكبرى (٦٤٩٢).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٤٩-٥٥٠).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٥١).

والرَّابـع: أنَّـه يُكـبِّرُ مِـن صـلاةِ الظُّهـر يـوْمَ النَّحـرِ إِلَى مَـا بعْـدَ صـلاةِ الظُّهـرِ مِـن يـوْمِ النَّفـرِ، وهُـو الثَّـانِي مِـنْ أيَّـامِ التَّشريـقِ، قالَـهُ الحسَـنُ(١).

والخامس: أنَّـه يُكـبِّرُ مِـنَ الظُّهـر يـوْمَ النَّحـرِ إِلَى صـلاةِ الصُّبْـحِ مِـن آخِـرِ أيَّـامِ التَّشرِيـقِ، قالَـهُ مالِـكُ بْـنُ أنَـسٍ، وهـو أحَـدُ قـوْلَي(٢) الشَّـافِعِيِّ.

والسَّـادس: أنَّـه يُكـبِّرُ مِـن صـلاةِ المغْـرِبِ ليْلَـةَ النَّحْـرِ إِلَى صـلاةِ الصُّبـحِ مِـن آخِـرِ أيَّـامِ التَّشريـقِ، هـذَا قـوْلٌ للشَّـافِعِيِّ(٣).

ومذْهـبُ إمَامِنـا أحْمَـدَ أنَّـه إنْ كانَ مُحِـلًّا، كـبَّرَ عَقيـبَ ثـلاثٍ وعشرِيـنَ صَـلاةً، أوَّلُهـا الفجـرُ يـوْمَ عرَفَـةَ، وآخِرُهـا العـصْرُ مِـن آخِـرِ أيَّـامِ التَّشريـقِ، وإنْ كَانَ مُحرِمًـا كَـبَّرَ عقيـبَ سبعَةَ عـشَرَ صلاةً، أوَّلُهـا الظُّهـرُ مِنْ يـوْمِ النَّحـرِ، وآخِرُهـا العـصْرُ مِـنْ آخِـرِ أيَّـامِ التَّشريـقِ(٤).

وهـلْ(٥) يختـصُّ هـذَا التَّكبِـيرُ عَقيـبَ الفرَائِـضِ بكوْنِـها فِي جمَاعَـةٍ، أمْ لا؟ فيـهِ عـنْ أحْمَـدَ رِوايَتَـانِ:

إحداهُما: يختَصُّ بمَنْ صلَّاها فِي جماعَةٍ، وهو قوْلُ أبي حَنيفةَ.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٥٢).

(٢) في (ف)، و(م): أقوال.

(٣) في (ف): قول الشافعي.

(٤) قوله: «من آخر أيام التشريق»، ليس في (م).

(٥) من قوله: «أولها الظهر»... إلى هنا، ليس في (ج).

والثَّانِي: يختَصُّ بالفَرِيضَةِ، وإنْ صَلَّاها وحْدَهُ[(١)]، وهو قوْلُ الشَّافِعِيِّ.

وفِي الأيَّامِ المعْدُوداتِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها أيَّامُ التَّشريقِ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، والحَسَنُ[(٢)]، وعطَاءٌ، ومُجَاهِدٌ، وقتَادَةُ فِي آخَرِينَ.

والثَّانِي: أنَّها يوْمُ النَّحرِ ويوْمَانِ بعْدَهُ، رُوِي عنْ عليٍّ، وابْنِ عُمرَ. [٥٢/ب]

والثَّالث: أنَّها أيَّامُ العَشرِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، والنَّخَعيُّ.

قالَ الزَّجَّاجُ: و﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ تُستعْمَلُ كثِيرًا للشَّيْءِ القَلِيلِ؛ كما يُقالُ: دُرَيْهِماتٌ، وحَمَّاماتٌ[(٣)].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾؛ أي: فمَنْ تعَجَّلَ النَّفرَ الأوَّلَ فِي اليوْمِ الثَّانِي مِن أيَّام منًى، فلَا إثْمَ عليْهِ، ومَنْ تأخَّرَ إلى النَّفرِ الثَّانِي، وهوَ اليوْمُ الثَّالِثُ مِن أيَّام منًى، فلَا إثْمَ عليْهِ[(٤)].

فإنْ قِيلَ: إنَّما يخافُ الإثْمَ المُتعجِّلُ، فما بالُ المُتأخِّرِ أُلحِقَ بِه، والَّذِي أتَى بِه أفْضَلُ؟!

(١) من قوله: «وهو قول أبي حنيفة»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٥).

(٤) من قوله: «ومن تأخر إلى النفر الثّاني»... إلى هنا، ليس في (م).

فعنْهُ أرْبعَةُ أجْوبةٍ:

أحدُهـا: أنَّ المعْنَـى: لا إثْـمَ عـلَى المُتعَجِّـلِ، والمُتأخِّـرُ مأْجُـورٌ، فقـالَ: لَا إثْـمَ عليْـهِ؛ لِتُوافِـقَ اللَّفظَـةُ الثَّانِيَـةُ الأُولى؛ كقوْلِـه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾.

والثَّانِي: أنَّ المعْنى: فلَا إثْمَ علَى المُتأخِّرِ فِي ترْكِ اسْتِعمالِ الرُّخصَةِ.

والثَّالـث: أنَّ المعْنـى: قـد زالـتْ آثَـامُ المُتعَجِّـلِ(١) والمُتأخِّـرِ الَّتـي كانَـتْ عليْهِـما قبْـلَ حجِّهِـما.

والرَّابـع: أنَّ المعْنَـى: طَـرْحُ المأْثَـمِ عـنِ المُتعَجِّـلِ(٢) والمُتأخِّـرِ إنَّـما يكـونُ بِـشرْطِ التَّقْـوَى.

وفي معْنَى ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لِمَنِ اتَّقَى قتْلَ الصَّيدِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: لِمَن اتَّقَى المعَاصِي في حَجِّهِ، قالَهُ قَتَادَةُ.

وقالَ ابْنُ مَسْعُودٍ(٣): إنَّما مغْفِرةُ اللهِ لِمَنِ اتَّقَى اللهَ فِي حجِّهِ(٤).

والثَّالث: لِمَنِ اتَّقَى فيمَا بقِي مِنْ عُمرِهِ، قالَهُ أبو العَالِيَةِ، وإبْراهيمُ.

---

(١) في (ف): المستعجل.

(٢) في (ف): المستعجل.

(٣) في (ج): ابن عبَّاس.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٠٧).

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

اخْتلَفُوا فِيمَنْ نزلَتْ هذِه الآيَةُ علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ فِي الأخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ، كانَ لَيِّنَ الكلَامِ، كَافِرَ القلْبِ، يُظهِرُ للنَّبيِّ الحسَنَ، ويحْلِفُ لَهُ أنَّهُ يُحِبُّه ويتَّبِعُه علَى دينِهِ، وهو يُضمِرُ غيرَ ذلِكَ، هذَا قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ(١)، والسُّدِّيِّ(٢)، ومُقَاتِلٍ(٣).

والثَّانِي: أنَّها فيمَنْ نافقَ فأظْهَرَ بلِسَانِه ما ليْسَ فِي قلْبِه. وهذَا قوْلُ الحسَنِ(٤)، وقتَادَةَ(٥)، وابْنِ زيْدٍ(٦).

والثَّالث: أنَّها نزلَتْ فِي سَرِيَّةِ الرَّجِيعِ، وذلِك أنَّ كفَّارَ قُرَيشٍ بعثُوا إلَى النَّبيِّ ﷺ وهو بالمدينَةِ: إنَّا قدْ أسْلَمنَا، فابْعَثْ لنَا نفَرًا مِنْ أصْحَابِكَ يُعلِّمُونَا دِينَنَا، مكرًا منْهم، فبعَثَ ﷺ خُبَيبَ بْنَ عَدِيٍّ، ومَرْثَدًا الغنوِيَّ، وخالِدَ بْنَ البكيرِ(٧)، وعبدَ اللهِ بْنَ طارِقٍ، وزيْدَ بْنَ الدَّثنَةِ، وأمَّرَ عليهِم عاصِمَ بْنَ ثابتٍ، فسَارُوا نحْوَ مكَّةَ، فنزَلُوا بيْنَ مكَّةَ والمدينَةِ ومعَهُم تمْرٌ، فأكَلُوا منْهُ، فمرَّتْ عجُوزٌ فأبْصرتِ النَّوَى، فرجعَتْ إلى قوْمِها وقالَتْ:

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٠).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٣).

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٠٧).

(٤) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٠).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٧٥).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٤٣-٥٧٦).

(٧) في (ف): خالد بن البُكير.

قد سلَكَ هذَا الطَّرِيقَ أهْلُ يثْرِبَ، فرَكِبَ سبْعُونَ منْهُم حتَّى أحاطُوا بِهِم، فحَارَبُوهُم[1] فقتَلُوا مَرثَدًا، وخَالِدًا، وابْنَ طَارِقٍ.

ونَثَر عاصِمٌ كنَانَتَهُ وفِيهَا سبْعَةُ أَسْهُمٍ، فقتَلَ بِكُلِّ سهْمٍ رجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِم، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ إنِّي حميْتُ دِينَكَ صَدْرَ النَّهارِ، فَاحْمِ لحْمِي آخِرَ النَّهارِ، فقَتَلُوه، وأرَادُوا حَزَّ رأسِهِ ليبيعُوهُ مِن سُلافةَ بنْتِ سعْدٍ، وكانَ قتَلَ بعْضَ أهْلِها، فنَذَرَتْ: لَئِن قدرَتْ علَى رأسِهِ لَتَشربَنَّ في قِحْفِهِ[2] الخَمْرَ، فأرْسَلَ اللهُ تعَالى رِجْلًا[3] من الزَّنَابِيرِ فحَمَتْهُ، فلَم يقْدِرُوا عليْهِ، فقَالَ: دَعُوهُ حتَّى يُمسِي فجاءَتْ سحَابَةٌ فأمْطَرتْ كالعَزَالِي[4]، فبعَثَ اللهُ الوَادِي، [٥٣/أ] فاحْتملَهُ فذَهَبَ بِه، وأَسَرُوا خُبَيْبًا وزَيْدًا، فابْتَاعَ بنُو الحَارثِ بْنِ عامِرٍ خُبيبًا لِيقْتُلُوه؛ لأنَّه قتَلَ آباءَهُم، فلَمَّا خَرَجُوا بِه لِيقْتُلُوه، قَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي ركْعَتَيْنِ، فتَرَكُوه فصَلَّى ركْعَتَيْنِ، ثُمَّ قالَ: لَوْلَا أنْ تقولوا[5]: جزع خبيب، لزدت، وأنشأ يقول [من الطويل]:

---

(١) في (ف): فحاربوا.

(٢) هو العظم الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من الجمجمة وانفصل. انظر: النهاية؛ لابن الأثير (٤/ ١٧) ولسان العرب؛ لابن منظور (١١/ ٤٤)، مادة: «قحف».

(٣) الكثير من الدَّبْر.

(٤) العزالي: جمع العزلاء وهو فم المزادة الأسفل، شبه اتساع المطر واندفاعه بالذي يخرج من فم المزادة.

(٥) في (ف): يقولوا.

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ(١) كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ(٢) وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فصَلَبُوه حَيًّا، فقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ(٣) تعلم أنَّه ليْسَ أحَدٌ حوْلِي يُبلِّغُ رسُولَكَ سَلامي(٤)، فأبلغه سلامي، فجاءَهُ رجُلٌ منْهُم يُقَالُ لَه: أبو سِرْوَعَةَ(٥)، ومعَهُ رُمحٌ، فوَضَعَهُ بيْنَ ثَديَي(٦) خُبيبٍ، فقالَ لَهُ خُبيبٌ: اتَّقِ اللهَ، فَما زَادَهُ ذلِكَ إلَّا عُتوًّا.

وأمَّا زيْدٌ فابْتَاعَهُ صفوانُ بْنُ أُميَّةَ لِيقتلَهُ بأبِيه، فجاءَهُ أبو سُفيانَ بْنُ حرْبٍ حِينَ قُدِّمَ لِيُقتلَ، فقَالَ: يا زيْدُ! أنْشُدُكَ اللهَ، أَتُحِبُّ أنَّ محمَّدًا مكانَك، وأنَّك فِي أهْلِكَ؟ فقَالَ: واللهِ مَا أُحِبُّ أنَّ مُحمَّدًا الآنَ فِي مكانِه الَّذي هو فِيه تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤذِيهِ وأنَا جالِسٌ فِي أهْلِي، ثُمَّ قُتِلَ(٧).

وبلَغَ النَّبيَّ ﷺ الخبَرُ، فقَال: «**أيُّكُم يحتَمِلُ خُبيبًا عنْ خَشبَتِه ولَهُ الجنَّةُ**»؟ فقَال الزُّبيرُ: أنَا وصَاحِبي المِقْدادُ، فخَرجَا يَمشِيَانِ باللَّيلِ

---

(١) في (ج): شيء.

(٢) في (ت)، و(ر): الله.

(٣) في (ج): ألم.

(٤) في (ف): سلامي رسولك.

(٥) عقبة بن الحارث.

(٦) في الأصل: يدي، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) أصل القصة في صحيح البخاري من حديث أبي هُرَيْرَةَ (٧٤٠٢).

وَيَكْمُنَانِ[(١)] بِالنَّهَارِ، حتَّى وافَيَا المكَانَ، وإذَا حوْلَ الخشَبَةِ أرْبَعُونَ مُشركًا نِيَامٌ نشَاوَى[(٢)]، وإذَا هوَ رطْبٌ يَتَثَنَّى لم يتَغَيَّرْ فيهِ شيْءٌ بعْدَ أرْبعِينَ يوْمًا، فحمَلَهُ الزُّبيْرُ علَى فرسِهِ وسَارَ، فلَحِقَهُ سبْعُونَ منْهُم، فقَذَفَ الزُّبيْرُ خُبيْبًا فابْتلعَتْهُ الأرْضُ، وقالَ الزُّبيرُ: ما جَرَّأَكُم علَيْنَا يا معْشرَ قُريشٍ؟! ثُم رفَعَ العِمامَةَ عنْ رأسِهِ وقالَ: أنَا الزُّبيرُ بْنُ العوَّامِ، وأُمِّي صفِيَّةُ بنْتُ عبْدِ المُطَّلِبِ، وصَاحِبِي المِقْدَادُ، أسَدَانِ رَابِضَانِ يُدفِعَانِ عنْ شِبْلِهِمَا، فإنْ شِئْتُم ناضَلْتُكُم، وإنْ شِئتُم نَازلْتُكُم، وإنْ شِئتُم انْصَرفْتُم، فانْصَرفُوا، وقدِمَا[(٣)] علَى رسُولِ اللهِ وجبريلُ عندَهُ، فقَالَ: «**إنَّ المَلَائِكَةَ لَتُبَاهِي بِهَذَينِ مِنْ أَصْحَابِكَ**»[(٤)].

وقالَ بعْضُ المُنافِقِينَ فِي أصْحابِ خُبيبٍ: ويْحَ هَؤلاءِ المقتُولِينَ لَا فِي بُيُوتِهم قعَدُوا، ولا رِسَالَةَ صاحِبِهم أدُّوا، فأنْزلَ اللهُ تعَالى فِي الزُّبيْرِ والمِقدادِ وخُبيبٍ وأصْحَابِه والمُنافِقِينَ هذِه الآيَةَ، وثلاثَ آياتٍ بعْدَهَا. وهذَا الحدِيثُ بِطُولِه مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٥)]، [والضَّحَّاكِ][(٦)].

---

(١) في (ر): يمكنان. وفي (م): ويكنان النهار. وفي المطبوع: يمكثان.

(٢) الانتشاء: أول السكر ومقدماته. وقيل: هو السكر نفسه، ورجل نشوان بيّن النشوة. انظر: النهاية؛ لابن الأثير (٥/ ٦٠).

(٣) في حاشية (ت): في نسخة: وقدموا.

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٣٨).

(٥) انظر القصة في البخاري (٣٠٤٥-٣٩٨٩-٧٤٠٢) عن أبي هُرَيْرَة.

(٦) زيادة من (ف).

قوْلُه تعالَى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يقُولُ: إنَّ اللهَ يشهَدُ أنَّ ما ينْطِقُ بهِ لسَانِي هو الَّذِي في قلْبِي.

والثَّانِي: أنَّه يقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عليَّ بِهذَا القوْلِ.

وقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «وَيسْتَشْهِدُ اللهَ» بزِيادَةِ سينٍ وتاءٍ[1]. وقَرأَ الحسَنُ، وطلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ، وابْنُ مُحَيْصِنٍ وابْنُ أبي عَبْلَةَ: «ويَشْهدُ» بفتْحِ اليَاءِ «اللهُ» بالرَّفعِ[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾.

«الخِصَام»: جمْعُ خَصْمٍ، يُقَالُ: خَصْمٌ، وخِصَامٌ، وخُصُومٌ. [٥٣/ب]

قَالَ الزَّجَّاج: والأَلَدُّ: الشَّديدُ الخُصُومَةِ، واشْتِقاقُهُ مِن لُدَيْدَي العُنُقِ، وهما صَفْحَتَا العُنُقِ. ومعْنَاهُ: أنَّ خصْمَهُ في أيِّ وجْهٍ أخَذَ مِن أبْوابِ الخُصومَةِ، غلبَهُ[3] في ذلِكَ[4].

---

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٢٠)، وشواذ الكرماني (ص:٨٧)، وهي حجة لقراءة الجماعة. وانظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٥)، والبحر المحيط (٢/ ٧٣).

(٢) وهي قراءة شاذة: منسوبة إلى الحسن وابن محيصن، كما في مختصر ابن خالويه (ص:٢٠)، ولابن أبي عبلة، كما في الكامل للهذلي (١/ ٥٠٢)، وللحسن ومُجاهد وابن محيصن، كما في شواذ الكرماني (ص:٨٧).

(٣) في (ت)، و(ر)، و(ج): (عليه).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٧).

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾.

فيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه بمعْنَى: غضِبَ، رُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ جُرَيْجٍ.

والثَّانِي: أنَّه الِانْصِرَافُ عنِ القَوْلِ الَّذِي قالَهُ، قالَهُ[1] الحسَنُ.

والثَّالثُ: أنَّه مِنَ الوِلايَةِ، فتقدِيرُهُ: إذَا صَارَ والِيًا، قالَهُ مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

والرَّابع: أنَّه الِانْصِرَافُ بالبدَنِ، قالَهُ مُقَاتِلٌ[2]، وابْنُ قُتَيْبَةَ[3].

وفي معْنَى «سَعَى» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى: عمِلَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجَاهِدٌ.

والثَّانِي: أنَّه مِنَ السَّعْيِ بالقَدَمِ، قالَهُ أبو سُلَيْمَانَ الدِّمشقيُّ.

وفِي «الفَسادِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الكُفرُ.

والثَّانِي: الظُّلمُ.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر)، و(ف).

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل(١/ ١٠٨).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٧٣).

و«الحَرْث»: الزَّرعُ. «والنَّسْل»: نسْلُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الحيَوانِ، هذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ[١]، وعِكْرِمَةَ فِي آخرِينَ[٢].

وحكَى الزَّجَّاجُ عنْ قوْمٍ: أنَّ «الحرْثَ»: النِّساءُ[٣]، و«النَّسلَ»: الأوْلَادُ. قالَ: وليْسَ هذَا بمُنكَرٍ؛ لأنَّ المرأةَ تُسمَّى حرْثًا[٤].

وفي معْنَى إهْلاكِهِ للحَرْثِ والنَّسْلِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه إهْلاكُ ذلِكَ بالقتْلِ والإحْرَاقِ والإفْسَادِ، قالَهُ الأكْثَرونَ.

والثَّانِي: أنَّه إذَا ظلَمَ كانَ الظُّلْمُ سببًا لِقطْعِ القطْرِ، فيَهلَكُ الحرْثُ والنَّسْلُ، قالَهُ مُجاهِدٌ. وهوَ يُخرَّجُ علَى قوْلِ مَنْ قالَ: أنَّه مِنَ التَّولِّي.

والثَّالث: أنَّه إهْلاكُ ذلِك بالضَّلالِ الَّذي يؤُولُ إلى الهلاكِ، حكَاهُ بعْضُ المُفسِّرينَ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَا يرْضَى المعَاصِيَ[٥].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٣٠-١٩٣٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٣٠).

(٣) في (ت)، و(ر)، و(م): الرِّجال.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٧).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٣/ ٥٧٣). وفي (ج)، و(ف): بالمعاصي.

وقدِ احْتجَّتِ المُعتزلةُ بهذِه الآيَةِ، وأجَابَ أصْحابُنَا بأجوِبَةٍ:

منهَا[١]: أنَّه لا يُحبُّه دِينًا، ولَا يُريدُه شرْعًا، فأمَّا أنَّه لم يُردْهُ وجُودًا فلَا.

والثَّانِي: أنَّه لَا يُحبُّه للمُؤمنينَ دُونَ الكافِرينَ.

والثَّالثُ: أنَّ الإرادةَ معْنًى غيْرُ المحبَّةِ، فإنَّ الإنْسانَ قد يتَناوَلُ المُرَّ، ويُرِيدُ بَطَّ الجُرْحِ[٢]، ولا يُحِبُّ شيْئًا مِن ذلِكَ.

وإذَا بانَ فِي المَعقُولِ الفَرْقُ بيْنَ الإرَادَةِ والمَحبَّةِ، بطَلَ ادِّعَاؤُهُم التَّساوِي بيْنَهُما، وهذَا جوَابٌ مُعتمَدٌ[٣].

وفي معْنَى هذه الآيَةِ قولُه تعَالَى: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر: ٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هِي الحَمِيَّةُ. وأنْشَدُوا[٤] [من الرمل]:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهِ فَتَوَلَّى مُغْضَبًا فِعْلَ الضَّجِرْ

ومعْنَى الكَلامِ: حملَتْهُ الحَمِيَّةُ علَى الفِعلِ بالإثْمِ.

---

(١) في المطبوع: منها الأول.

(٢) بَطَّ الجُرْحَ يَبُطُّهُ بطًّا؛ أَيْ: شَقَّهُ. انظر: مقاييس اللغة (١/ ١٨٤).

(٣) ليست في (م).

(٤) البيت بلا نسبة في البحر المحيط (٢/ ٣٣٢)، والدر المصون (٢/ ٣٥٤).

وفي ﴿جَهَنَّمُ﴾ قولانِ، ذكرَهُما ابنُ الأنباريِّ[١]:

أحدُهما: أنَّها أعجمِيَّة لا تُجْرَى[٢] للتَّعريف[٣] والعُجمَةِ.

والثَّاني: أنَّها اسمٌ عربيٌّ، ولَمْ يُجْرَ للتَّأنيثِ والتَّعْريفِ. قالَ رؤبَةُ: «رَكِيَّةٌ جِهِنَّامٌ»[٤]: بعِيدَةُ القَعْرِ[٥].

وقالَ الأعْشَى[٦] [من الطويل]:

دَعَوْتُ خَلِيلِي مِسْحَلاً[٧] ودَعَوْا لَهُ جِهِنَّامَ، جَدْعاً للْهَجِينِ المُذَمَّمِ[٨]

---

(١) انظر: الزاهر في معانى كلمات النَّاس (٢/ ١١٩).

(٢) في المطبوع: «لا تُجرُّ» وهو خطأ، ومعنى «لا تُجرَى»: لا تنْصَرِفُ باصْطلاح الكوفيين: يقولون: «المُجرى، وغير المُجرى»، والبصريون يقولون: «المُنْصَرِف، وغَيرُ المُنصرف». انظر: المعرب؛ للجواليقي (ص: ١٥٥).

(٣) في الأصل: التعريف، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) بكسر الجيم والهاء، وقيل: مثلثة الجيم، وقد سُمِّي الرَّجلُ بجهنَّام أيضًا فهو علَمٌ، وكلاهما مِنَ الجَهْم؛ وهو الكراهَةُ والغِلظَةُ. فالنُّون على هذا زائِدَةٌ، فوزنه: فَعَنَّلُ، وقد نصُّوا على أنَّ جهنَّامًا وزنُه: فَعَنَّالٌ. انظر: البحر المحيط (٢/ ٣١٧).

(٥) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ١٤٦)، وتهذيب اللُّغة (٦/ ٢٧٣)، ومِسْحل: اسم تابعة الأعشى الشاعر من الجن وهو القائل فيه هذا.

(٦) البت في ديوانه (ص: ١٧٥)، والزاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ١٤٦)، وتهذيب اللغة (./ ١٧٩)، والمحكم والمحيط (٤/ ٤٧٢).

(٧) في (م): مسجلا.

(٨) في (م): الذنم.

فتَرْكُ صرْفِه يدلُّ علَى أنَّه أعْجمِيٌّ مُعرَّبٌ.

وفي معْنَى الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: فحسْبُه جهَنَّمُ جزَاءً عنْ إثْمِهِ.

والثَّاني: فحسْبُه جهَنَّمُ ذُلًّا مِن عزِّهِ.

و﴿ٱلۡمِهَادُ﴾: الفِراشُ، ومهَّدتُ لِفُلان؛ إذَا وطَّأتَ لَه، ومِنهُ: مهْدُ الصَّبِيِّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾.

[٥٤/أ] اخْتلَفُوا فِيمَنْ نزلَتْ هذِه الآيَةُ علَى خمْسةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ فِي الأَمْرِ بالمعرُوفِ، والنَّهيِ عنِ المُنكرِ، وهو معْنَى قوْلِ عمَرَ(١)، وعلِيٍّ(٢).

والثَّانِي: أنَّها فِي الزُّبيرِ والمِقدادِ حِينَ ذهبَا لإنْزَالِ خُبيبٍ مِنْ خشَبتِهِ، وقد شرحْنَا القِصَّةَ. وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ(٣)، والضَّحَّاكِ(٤).

والثَّالث: نزلَتْ فِي صُهيبٍ الرُّوميِّ، واخْتلَفُوا فِي قِصَّتِه.

فرُوِيَ أنَّه أقْبَلَ مُهاجِرًا نحْوَ النَّبيِّ ﷺ فاتَّبعَهُ نفَرٌ مِنْ قُريشٍ فنَزَلَ

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٣/ ٥٩٤).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٧).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤١).

(٤) انظر: العجاب؛ لابن حجر (١/ ٥٢٧).

فانْتَشَلَ(١) كنانَتَهُ، وقالَ: قدْ علِمْتُم أنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ بِسَهْمٍ(٢)، وَايْمُ اللهِ مَا تصِلُونَ إِلَيَّ حتَّى أَرْمِيَكُم بِكُلِّ سَهْمٍ معِيَ، ثُم أَضْرِبَكُم بسَيْفِي ما بَقِي في يدِي منْهُ شيْءٌ، فإنْ شئْتُم دلَلْتُكُم علَى مالِي. قالُوا: فدُلَّنا(٣) علَى مَالِكَ نُخلِّ عنْكَ، فعَاهَدَهُم علَى ذلِك، فنَزلَتْ فِيه هذِه الآيَةُ، فلَمَّا رَآه النَّبِيُّ ﷺ قال: «رَبِحَ الْبَيْعُ يَا أَبَا يَحْيَى»، وقرَأَ عليْهِ القُرآنَ. هذَا قوْلُ سعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ(٤)، وذكَرَ نحْوَهُ أَبُو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥)، وقالَ: إنَّ الَّذِي تلقَّاهُ فبَشَّرَهُ بِمَا نَزَل فِيه أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ.

وذكَرَ مُقَاتِلٌ أنَّه قالَ للمُشركِينَ: أَنَا شيْخٌ كبِيرٌ لا يضُرُّكُم إنْ كنْتُ معَكُم أوْ علَيْكُم، ولِي عليْكُم حَقٌّ لِجِوارِي فخُذُوا(٦) مالِي غيْرَ راحلَةٍ، واتْرُكُونِي ودِينِي، واشْتَرَطَ أنْ لَا(٧) يُمنعَ عنْ صلَاةٍ ولَا هِجرَةٍ، فأقَامَ ما شَاءَ اللهُ، ثُمَّ ركِبَ راحِلتَه، فأَتَى المدِينَةَ مُهاجِرًا، فلَقِيه أبو بكْرٍ فبَشَّرَهُ وقالَ: نزَلَتْ فِيك هذِه الآيَةُ(٨).

---

(١) أي: استخرج ما فيها من السهام.

(٢) أي: من أفضلكم رميًا بسهم.

(٣) في الأصل: فدللنا، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٣٩).

(٥) انظر: تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٢٢).

(٦) ليست في (ت)، و(ر).

(٧) ليست في (ت).

(٨) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٠٨-١٠٩).

وقـالَ عِكْرِمَـةُ: نزَلَـتْ فِي صُهيـبٍ، وأبي ذرٍّ الغِفَـاريِّ، فأمَّـا صُهيـبٌ، فأخَـذَهُ أهْلُـه فافْتَـدَى بمالِـه، وأمَّـا أبـو ذرٍّ، فأخَـذَهُ أهْلُـه فأَفْلـتَ منهُـم حتَّـى قـدِمَ مُهاجِـرًا[١].

والرَّابـع: أنَّهـا نزَلَـتْ فِي المُجَاهِديـنَ فِي سَبِيلِ اللهِ، قالَـهُ الحسَـنُ[٢]، وابْـنُ زيْـدٍ فِي آخريـنَ[٣].

والخامـس: أنَّها نزَلَـتْ فِي المُهاجِريـنَ والأنْصَارِ؛ حيثُ قاتَلُـوا علَى دِيـنِ اللهِ[٤] حتَّـى ظهَـرُوا[٥]، هذا قـوْلُ قَتَـادَةَ[٦].

و﴿يَشْـرِي﴾: كلِمـةٌ مِـنَ الأضْـدادِ، يُقَـالُ: شرَى، بمعْنَـى: بَـاعَ، وبمَعْنَى: اشْـتَرَى، فمعْنَاهـا عـلَى قـوْلِ مَـنْ قـالَ: نزلَـتْ فِي صُهيـبٍ معْنـى: يشْـتَرِي. وعـلَى بقيَّـة الأقْـوَال بمعْنَـى: يبِيـعُ.

قَالَ تعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقـرة: ٢٠٨، ٢١٠].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٩١).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٩٣).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٨٨).

(٤) في (م): قالوا في دين الله.

(٥) في (ف): ظهر.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٢).

قوْلُه تعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾.

اخْتلَفُوا فِيمَنْ نزلَتْ علَى ثلاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدُهَا: أنَّهَا نزلَتْ فيمَنْ أسْلَم مِنْ أهْلِ الكتَابِ، كانُوا بعْدَ إسلامِهِم يتَّقُونَ السَّبْتَ ولحْمَ الجمَلِ، وأشْيَاءَ يتَّقِيهَا أهْلُ الكتَابِ، روَاهُ أبُو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)].

والثَّانِي: أنَّهَا نزَلَتْ فِي أهْلِ الكتَابِ الَّذِينَ لم يُؤمِنُوا بالنَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ، أُمِرُوا بالدُّخولِ فِي الإسْلامِ. رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[(٢)]، وبِه قَالَ الضَّحَّاكُ[(٣)].

والثَّالِثُ: أنَّهَا نزَلَتْ فِي المُسلمين، يأمُرُهم بالدُّخول فِي شرَائِعِ الإسْلامِ[(٤)] كلِّهَا، قالَه مُجاهِدٌ، وقَتَادَةُ[(٥)].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٦٠٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٦٧) من طريق ابن جُرَيْجٍ، عن ابن عبَّاس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنَّهم حين آمنوا بالنَّبيِّ ﷺ قاموا بشرائعه وشرائع موسى، فعظَّموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا، فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إنا نقوى على هذا وهذا، وقالوا للنَّبيِّ ﷺ إن التَّوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(٢) انظر: أثر ابن عبَّاس السَّابق.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٥٩٦).

(٤) زاد في (ج): روي عن ابن عبَّاس أيضًا.

(٥) انظر: تفسير الطَّبري (٣/ ٦٠١-٦٠٢).

وفي ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ ثلاثُ لُغاتٍ:

كسْرُ السِّينِ، وتَسْكِينُ اللَّامِ، وبِهَا قَرأَ أبو عَمْرٍو وابْنُ عامِرٍ فِي «البقرة»، وفتَحَا السِّينَ فِي «الأنْفال» وسورَةِ «مُحَمَّدٍ»[1].

وفتْحُ السِّينِ معَ تسْكِينِ اللَّامِ، وبِهَا قرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ونافِعٌ والكِسَائِيُّ فِي المَواضِعِ الثَّلاثَةِ.

[٥٤/ب] وفتْحُ السِّينِ واللَّامِ، وبِهَا قرَأَ الأعْمَشُ فِي «البقَرة» خَاصَّةً[2].

وفِي معْنَى ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الإسْلامُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وعِكْرِمَةُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ قُتَيْبَةَ[3]، والزَّجَّاجُ[4] في آخرِينَ.

والثَّاني: أنَّها الطَّاعَةُ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا، وهوَ قوْلُ أبِي العَالِيَةِ، والرَّبِيعِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: و﴿كَآفَّةٗ﴾ بمعْنَى الجَمِيعِ، وهو فِي اشْتِقَاقِ اللُّغةِ: مَا يكُفُّ الشَّيءَ فِي آخرِهِ، مِن ذلِك: كُفَّةُ القَمِيصِ، وكُلُّ مُستطِيلٍ فحرْفُه كُفَّةٌ. ويُقَالُ في كُلِّ مُستدِيرٍ: كِفَّةٌ بكسْرِ الكَافِ؛ نحوُ: كِفَّةِ المِيزانِ. ويُقَالُ:

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٠)، والحُجَّة (٢/ ٢٩٢)، والمبسوط (ص: ١٤٥).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٠)، والحُجَّة (٢/ ٢٩٢)، والكامل (١/ ٥٠٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٧٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٩).

إنَّما سُمِّيتْ كُفَّةُ الثَّوبِ[١]؛ لأنَّها تمنَعُهُ أنْ يَنْتَشِرَ[٢]، وأصْلُ الكَفِّ: المنْعُ، وقِيلَ لطَرفِ اليَدِ: كَفٌّ؛ لأنَّها يُكَفُّ[٣] بِهَا عنْ سائِرِ البدَنِ، ورجُلٌ مكْفُوفٌ: قدْ كُفَّ بصَرُهُ أنْ يُبْصِرَ[٤].

واخْتلَفُوا: هلْ قوْلُه: «كَافَّةً» يرجِعُ إلى السِّلم، أوْ إلى الدَّاخِلينَ فِيه؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه راجِعٌ إلى السِّلمِ، فتقْديرُهُ: ادْخُلوا في جمِيعِ شرَائِعِ الإسْلامِ. وهذَا يُخرَّجُ علَى القوْلِ الأوَّلِ الَّذِي ذكرْنَاهُ فِي نُزول الآيةِ.

والثَّانِي: أنَّه يرجِعُ إلى الدَّاخِلينَ فِيه، فتقْدِيرُهُ: ادْخُلوا كُلُّكُم فِي الإسْلامِ، وبِهذَا يُخرَّجُ علَى القوْلِ الثَّانِي.

وعلَى القوْلِ الثَّالث يحتمِلُ قوْلُه[٥]: «كافَّةً» ثلاثَةَ أقْوالٍ:

أحدُها: أنْ يكُونَ أمْرًا للمُؤمِنينَ[٦] بألْسِنَتِهِم أنْ يُؤمِنُوا بِقُلوبِهِم.

والثَّانِي: أنْ يكُونَ أمْرًا للْمؤمِنينَ[٧] بالدُّخولِ فِي جمِيع شَرائِعِهِ.

(١) في (م): الميزان.

(٢) في (ف): يُنشر.

(٣) في المطبوع: تكف.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٧٩)، وفيه: ينظر، بدل: يبصر.

(٥) في (ف): قول.

(٦) في (ف): أمْرَ المؤمنين.

(٧) في (ف): أمْرَ المؤمنين.

والثَّالث: أنْ يكُونَ أمْرًا لَهُم بالثَّباتِ عليْه؛ كقوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[١] [النِّساء: ١٣٦].

و﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المعَاصِي. وقد سبَقَ شرْحُهَا.

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الدِّلالاتُ الوَاضِحاتُ. وقالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هِي الإسْلامُ والقُرآنُ[٢].

و﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعْنَى: ينْتَظِرُون.

قوْله تعالَى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

كانَ جماعَةٌ مِنَ السَّلفِ يُمْسِكُونَ عنِ الكلَامِ فِي مثْلِ هذَا.

وقد ذكَرَ القاضِي أبو يعْلَى عنْ أحمَدَ أنَّه قالَ: المُرادُ بِه: قُدرَتُه وأمْرُه. قالَ: وقَدْ بيَّنَهُ فِي قوْلِه: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[٣] [النحل: ٣٣].

قوْله: ﴿فِى ظُلَلٍ﴾؛ أي: بِظُلَلٍ. والظُّلَلُ: جمْعُ ظُلَّةٍ.

و﴿ٱلْغَمَامِ﴾: السَّحَابُ الَّذي لا مَاءَ فِيه. قالَ الضَّحَّاكُ: في قِطَعٍ مِنَ السَّحَابِ[٤].

ومتَى يكونُ مَجِيءُ الملائِكَةِ؟ فِيه قوْلَانِ:

---

(١) لم تُذكر الآية في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٦٠٤).

(٣) فيه نظر لأن أبا يعلى إنما نقل عن أبي بكر من الحنابلة الاستدلال بآية ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ على إثبات الإتيان صفة لله تليق بجلاله، قال: "فلما قصد إتيان الآيات صرح بذكرها" (إبطال التأويلات ١/ ٢٦٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٨٧).

أحدُهما: أنَّه يوْمَ القِيامَة أيْضًا، وهو قوْلُ الجُمهورِ.

والثَّانِي: عنْدَ الموْتِ، قالَهُ قَتادَةُ.

وقَرأَ الحسَنُ بخفْضِ «المَلائِكَة»(١).

و﴿وَقُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: فُرِغ مِنْهُ.

و﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾؛ أي: تَصِيرُ.

قَرأَ ابْنُ كَثِيرٍ ونافِعٌ(٢) وأبو عَمْرٍو وعاصِمٌ، «تُرجَعُ» بضَمِّ التَّاءِ. وقَرأَ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: بفتْحِها(٣).

فإنْ قِيلَ: فكأَنَّ الأُمورَ كانَتْ إلَى غيْرِهِ؟

فعَنْه أرْبعَةُ أجْوِبَةٍ:

أحدُها: أنَّ المرادَ بِه إعْلامُ الخَلْقِ أنَّه المُجازِي علَى الأعْمالِ بالثَّوابِ والعِقابِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٤).

والثَّانِي: أنَّه لمَّا عَبَد قومٌ غيْرَهُ، ونَسَبُوا أفْعالَهُ إلى سِواهُ، ثُمَّ انكشَفَ الغِطاءُ يوْمَ القِيامَةِ رَدُّوا إليْهِ ما أضافُوا إلى غيْرِه.

---

(١) انظر: الكامل (١/ ٥٠٣)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٢٦٩)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٢/ ٨١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) نظر: السَّبعة (ص: ١٨١)، ومعاني القراءات (١/ ١٩٩)، والحُجَّة (٢/ ٣٠٤).

(٤) نظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨١).

والثَّالث: أنَّ العرَبَ تقُولُ: قد رجَعَ إليَّ مِنْ فُلانٍ مكرُوهٌ؛ إذا صَارَ إليْهِ منْهُ مكرُوهٌ، وإنْ لم يكُنْ سَبَقَ. قالَ الشَّاعِرُ[1] [من الطويل]:

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً ... إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

[٥٥/أ] ذكَرَهُما ابْنُ الأنبارِيِّ.

ومِمَّا يُشَيِّدُ هذَا قوْلُ لَبِيدٍ[2] [من الطويل]:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

أرَادَ: يصِيرُ رمَادًا لَا أنَّه كانَ رمَادًا؛ ومِثْلُه قوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أبِي الصَّلتِ[3] [من البسيط]:

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي، في الاختيارين (ص: ١٢١)، والعقد الفريد (٣/ ٢٣٤)، والأمالي؛ للقالي (٢/ ١٥٠) قال: ويروى لسهم الغنوي، وعزاه في جمهرة أشعار العرب (١/ ٦٩)؛ لمحمد بن كعب الغنوي، وتفسير الثعلبي (٢/ ٢٣٨) للطفيل الغنوي، وفي الأصمعيات (١/ ٦) لعريقة بن مُسافع العبسي.

(٢) البيت في ديوانه (ص: ٥٦)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٢٧)، والنكت والعيون (٦/ ٢٣٦)، **الشهاب**: النار، **يحور**: يصير، **ساطع**: مشتعل.

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت يمدح سيف بن ذي يزن، كما في معجم البلدان (٤/ ٢١٠)، تفسير الثعلبي (٤/ ٢٦١) الروض الأنف (١/ ١٤١)، ونسبه ابن إسحاق لأبيه أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي؛ كما في السيرة النبوية (١/ ١٨٦)، والعقد الفريد (١/ ٢٧٩)، ونسبه أبو الفرج في الأغاني (٥/ ١٨) للنابغة الجعدي، ثم قال في محلٍّ آخر (١٧/ ٣٠٢): وهذا خطأ، إنما هو على جهة التضمين.

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ[(١)] لَبَنٍ   شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

أي: صَارَا.

والرَّابع: أنَّه لَّما كانَتِ الأمُورُ إليهِ قبْلَ الخلْقِ، ثُمَّ أوْجدَهُم فملَّكَهُم بعْضَها رَجَعتْ إليهِ بعْدَ هلَاكِهِم.

فإنْ قِيل: قد جَرى ذِكْرُ اسْمِه فِي قوْلِه: ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فما الحِكمَةُ فِي أنَّه لم يَقُل: وإليهِ تُرجعُ الأُمُورُ؟

فالجوابُ: أنَّ إعَادةَ اسْمِهِ أفخَمُ وأعْظَمُ، والعرَبُ إذا جَرى ذِكْرُ شيْءٍ يُفخَّمُ أعَادُوا لفْظَهُ. وأنْشَدُوا[(٢)] [من الخفيف]:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ   نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

فأعَادُوا ذِكْرَ الموْتِ لفخَامَتِه فِي صُدُورِهِم، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[(٣)].

---

(١) ليست في (م).

(٢) البيت لعدي بن زيد في ديوانه (ص: ٦٥)، ولسوادة بن عدي في الكتاب؛ لسيبويه (١/ ٦٣)، شرح أدب الكاتب (ص: ٨٦)؛ وعزاه لأبيه عدي بن زيد المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٦)، قال في الخزانة (١/ ٣٨١) وهو الصحيح.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة: ٢١١، ٢١٢].

قَوْلُه تَعَالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

الخِطَاب للنَّبيِّ ﷺ، والمَعْنى: لَه[١] ولِلْمؤمِنينَ.

قال الفَرَّاءُ: أهْلُ الحِجازِ يقُولُونَ: «سَلْ» بغَيْرِ همْزٍ، وبعْضُ تَميمٍ يقُولونَ: «اسْأَل» بالهَمْزِ، وبعْضُهم يقُول: «إِسَلْ» بالألِف وطَرْحِ الهمْزِ، والأُولَى أعْرَبُهُنَّ[٢]، وبِها جاءَ الكِتابُ[٣].

وفي المُراد بالسُّؤالِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّقريرُ والإذْكارُ بالنِّعمِ.

والثَّاني: للتَّوبيخِ[٤] علَى ترْكِ الشُّكرِ.

و«الآيَةُ البيِّنَةُ»: العلامَةُ الوَاضِحةُ؛ كالعَصَا، والغَمامِ، والمَنِّ، والسَّلْوَى، والبَحْرِ.

وفي المُرادِ بنعْمَةِ اللهِ قوْلَانِ:

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في المطبوع: أغربهن. وهو خطأ. انظر: كتاب فيه لغات القرآن؛ للفراء (ص: ٣٤).

(٣) كتاب فيه لغات القرآن؛ للفراء (ص: ٣٤).

(٤) في (ف): التوبيخ.

أحدُهما: أنَّها الآيَاتُ الَّتِي ذكرْنَاهَا، قالَهُ قتَادَةُ.

والثَّانِي: أنَّهَا حُجَجُ اللهِ الدَّالَّةُ على أمرِ النَّبيِّ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[١].

وفِي معْنَى تبْدِيلِهَا ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الكفْرُ بِهَا، قالَهُ أبو العَالِيَةِ، ومُجَاهِدٌ.

والثَّانِي: تغْيِيرُ صِفَةِ النَّبيِّ فِي التَّوراةِ، قالَهُ أبو سُلَيْمَانَ الدِّمشقيُّ.

والثَّالث: تعْطِيلُ حُجَجِ اللهِ بالتَّأوِيلاتِ الفاسِدَةِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾.

فِي نُزولِهَا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ فِي أبي جهْلٍ وأصْحَابِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[٢].

والثَّانِي: نزلَتْ فِي عُلماءِ اليهُودِ، قالَهُ عطَاءٌ[٣].

والثَّالث: فِي عبْدِ اللهِ بْنِ أُبيٍّ وأصحابِهِ مِنَ المُنافقِينَ، قالَهُ مُقَاتِلٌ[٤].

قالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما جازَ فِي «زُيِّنَ» لفْظُ التَّذْكِيرِ؛ لأنَّ تأنِيثَ الحَياةِ ليْسَ بحَقِيقِيٍّ؛ إذْ معْنَى الحياةِ ومعْنَى العيْشِ وَاحِدٌ[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨١).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٢).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٢).

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١١٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨١).

وإلى مَنْ يُضافُ هَذا التَّزيينُ فِيه قولانِ:

أحدُهما: يُضَافُ إلى اللهِ.

وقَرَأَ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وابنُ مُحيْصِنٍ، وابنُ أبي عبلَةَ: «زَيَّن» بفتحِ الزَّاي والياءِ، علَى معْنى: زيَّنَها اللهُ لهُم[١].

والثَّاني: أنَّه يُضَافُ إلى الشَّيطانِ، رُوي عنِ الحسَنِ.

قالَ شيخُنا علَيُّ بنُ عُبيدِ اللهِ: والتَّزيينُ مِنَ اللهِ تعالى: هوَ بالتَّركيبِ الطَّبْعي[٢] فإنَّه وُضِعَ فِي الطِّباعِ[٣] محبَّةُ المَحبُوبِ لِصُورةٍ فيهِ تزيَّنَتْ للنَّفسِ، وذلِكَ مِن صُنْعِه. وتَزْيينُ الشَّيطانِ: بادِّكَارِ[٤] ما وقَع[٥] إغفالُه مِمَّا مِثْلُه يدْعُو إلَى نفْسِه لِزينتِهِ، واللهُ تعالى يُزيِّنُ بالوَضْعِ، والشَّيطَانُ يُزيِّنُ بالادِّكار[٦].

[٥٥/ب] ومَا السَّببُ فِي سُخريَّةِ الكُفَّارِ مِنَ المُؤمنينَ؟ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم سَخِرُوا منْهُم للفقْرِ.

---

(١) قراءة شاذة: انظر مختصر ابن خالويه (ص: ٢٠)، وشواذ الكرماني (ص: ٨٩)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٨).

(٢) في الأصل، و(ف): الطبيعي، والمثبت من (ت)، وغيرها.

(٣) في (ف): الطبائع.

(٤) كذا في الأصل، وغيره، وفي (ت): بإذكار.

(٥) زاد في المطبوع: وقع من.

(٦) في (ت): بالإذكار.

والثَّانِي: لِتصْدِيقِهم بالآخِرَةِ.

والثَّالث: لاتِّباعِهِم للنَّبيِّ ﷺ، وقِيل: إنَّهم كانوا يُوهِمُونَهُم أنَّكُم على الحَقِّ؛ سُخريةً منْهُم بِهِم.

وفي معْنَى كونِهِم ﴿فَوْقَهُمْ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ ذلِك علَى أصْلِه؛ لأنَّ المُؤمنينَ فِي عِلِّيِّين، والكُفَّارَ فِي سِجِّين.

والثَّانِي: أنَّ حُججَ المُؤمنينَ فوْقَ شُبهِ[1] الكافِرينَ، فهُمُ المَنصُورونَ.

والثَّالث: فِي أنَّ نعِيمَ المُؤمنينَ فِي الجنَّةِ فوْقَ نعِيم الكافِرينَ فِي الدُّنيا.

قوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يرْزقُ مَنْ يشَاءُ رِزقًا واسِعًا غيْرَ ضيِّقٍ.

والثَّانِي: يرْزقُ مَنْ يشَاءُ بِلا مُحاسبَةٍ فِي الآخِرَةِ.

قَالَ تعَالَى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

قوْلُه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

---

(١) فِي (ف): سبه.

في المُرادِ بـ«النَّاس» هاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: جميعُ بنِي آدَمَ، وهوَ قوْلُ الجُمهورِ.

والثَّاني: آدَمُ وحْدَهُ، قالَه مُجاهِدٌ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وهذَا الوجْهُ جائِزٌ؛ لأنَّ العرَبَ تُوقِعُ الجمْعَ علَى الوَاحِدِ. ومعْنى الآيَةِ: كانَ آدَمُ ذَا دينٍ واحِدٍ، فاخْتلَفَ ولَدُهُ بعْدَهُ.

والثَّالث: آدَمُ وأوْلادُه كانُوا علَى الحَقِّ، فاخْتلَفُوا حِينَ قَتَلَ قابِيلُ هَابيلَ. ذكَرَهُ ابنُ الأنْبارِيِّ.

و«الأُمَّة» هَاهُنا: الصِنْفُ الواحِدُ علَى مقْصَدٍ واحِدٍ.

وفِي ذلِك المقْصَدِ الَّذي كانُوا علَيْه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الإسْلامُ، قالَهُ أُبَيُّ بْنُ كعْبٍ، وقتَادَةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقَاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّه الكفْرُ، رَواه عَطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

ومتَى كانَ ذلِكَ، فِيه خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه حِينَ عُرِضُوا على آدَمَ وأقرُّوا بالعُبوديَّةِ، قالَه أبيُّ بْنُ كعْبٍ.

والثَّانِي: فِي عهْدِ إبْراهِيمَ كانُوا كُفَّارًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالث: بيْنَ آدَمَ ونُوحٍ، وهوَ قوْلُ قتَادَةَ.

والرَّابع: حِين رَكِبُوا السَّفِينةَ، كانُوا علَى الحقِّ، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

والخامس: فِي عهْدِ آدَمَ. ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾ بالجَنَّـةِ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنَّـارِ. هـذَا قـوْلُ الأَكْثَرِيـنَ.

وقالَ بعْضُ السَّلَفِ: مُبشِّرِينَ لِمَن آمَنَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، ومُنذرِينَ لِمَن كذَّبك.

و«الكتـابُ»: اسْـمُ جِنْـسٍ؛ كـما تقُـول: كثُـرَ الدِّرهـمُ في أيْـدِي النَّـاسِ. وذكَـر بعْضُهـم أنَّـه التَّـورَاةُ.

وفِي المُراد بالحقِّ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى الصِّدْقِ والعَدْلِ.

والثَّانِي: أنَّه القضَاءُ فِيما اخْتلَفُوا فِيه.

﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ فِي الحاكِمِ هاهُنَا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه اللهُ تعَالى.

والثَّانِي: النَّبيُّ الَّذِي يُنْزلُ عليْهِ الكتَابُ.

والثَّالث: الكِتابُ؛ كقوْلِه: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وقَـرَأ أبـو جعْفَـرٍ: «لِيُحكَـمَ» بضَـمِّ اليـاءِ، [وفتْـحِ الـكَافِ][1]. وقَـرَأ مُجَاهِـدٌ: «لِتحْكُـمَ» بالتَّـاءِ عـلَى الخِطَـاب للنَّبـيِّ ﷺ[2].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ يعْنِي: الدِّينَ.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (م)، وفي (ج): بضم الكاف.

(٢) قراءة شاذة: على معنى لتحكم الأنبياء. انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٢٠)، وشواذ الكرماني (ص: ٨٩)، والكامل؛ للهذلي (١/ ٥٠٣).

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾.

فِي هذِه الهَاءِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها تعُودُ إلى مُحمَّد ﷺ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

والثَّانِي: إلَى الدِّينِ، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

والثَّالث: إلى الكِتابِ، قالَهُ أبو سُليْمان الدِّمشقيُّ. [٥٦/أ]

فأمَّا هاءُ ﴿أُوتُوهُ﴾ فعَائِدةٌ علَى الكتَابِ مِن غيْرِ خِلافٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ونصَبَ ﴿بَغْيًا﴾ علَى معْنَى المَفْعُولِ[١] لَهُ، فالمَعْنَى: لَمْ يُوقِعُوا الاخْتِلافَ إلَّا لِلبغْيِ؛ لأنَّهم عالِمُون بحقِيقَةِ الأمْرِ فِي كُتُبِهِم[٢].

وقَال الفرَّاءُ: فِي اخْتلافِهِم وجْهَانِ:

أحدُهما: كُفْرُ بعضِهِم بِكتابِ بعْضٍ.

والثَّانِي: تبْدِيلُ مَا بدَّلُوا[٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: لِمعرفَةِ مَا اخْتلَفُوا فِيه، أوْ لِصحِيحِ مَا اخْتلَفُوا فِيهِ.

---

(١) في (ف): مفعول.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ١٣١).

[وفي الذي اختلفوا فيه] سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أَنَّه الجُمُعَةُ، يجعلُها[١] اليهُودُ السَّبتَ، والنَّصَارَى الأحَدَ.

فـرَوى البُخـاريُّ ومُسـلمٌ فِي «الصَّحيحَـيْنِ» مِـن حديـثِ أبي هُرَيْـرَةَ عـنْ رسُـولِ اللهِ ﷺ أنَّـه قالَ: «**نَحْـنُ الْآخِـرُونَ السَّـابِقُونَ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ بَيْـدَ أَنَّهُـمْ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِـنْ قَبْلِنَـا، وَأُوتِينَـاهُ مِـنْ بَعْدِهِـمْ، فَهَـذَا الْيَـوْمُ الَّـذِي اخْتَلَفُـوا فِيـهِ، فَهَدَانَـا اللهُ لَـهُ. الْيَـوْمُ لَنَـا، وَغَـدًا[٢] لِلْيَهُـودِ، وَبَعْـدَ غَـدٍ لِلنَّصَـارَى**»[٣].

والثَّاني: أنَّه الصَّلاةُ، فمِنْهُم مَنْ يُصلِّي إلى المَشْرِقِ، ومنْهُم إلَى المغرِبِ.

والثَّالـث: إبْراهِيـمُ. قالـتِ اليهُـودُ: كان يهُوديًـا، وقالَـتِ النَّصَـارى: كانَ نصْرَانِيًّـا.

والرَّابع: أنَّه عيسَى، جعلتْهُ اليهُودُ لفريَةٍ، وجعلَتْهُ النَّصَارى إلهًا.

والخامس: أنَّه الكتُبُ، آمنوا ببعْضِها، وكفَرُوا ببِعْضِها.

والسَّادس: أنَّه الدِّين، وهو الأصَحُّ؛ لأنَّ جميعَ الأقْوالِ داخِلَةٌ فِي ذلِك.

وقوْلُه: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: إذْنُه: عِلْمه[٤]. وقالَ غيْرُه: أمْرُهُ. قالَ بعْضُهم: توْفِيقُه.

---

(١) في (ف): جعلها.

(٢) جاء في حاشية (ت): «بخط المؤلف غدًا بالنصب، وهو لحن وصوابه غدٌ لا غير».

(٣) رواه البخاري (٨٧٦-٨٩٦-٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ 285).

قَالَ تعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٤، ٢١٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾.

في سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الصَّحابَةَ أصابَهُم يوْمَ الأحْزابِ بَلاءٌ وحصْرٌ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، ذكره السُّدِّي عنْ أشْياخِه[1]، وهوَ قوْلُ قتادَةَ[2].

والثَّانِي: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا دخلَ المَدِينةَ هو وأصْحابُه اشتدَّ بِهم الضُّرُّ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ عطاءٌ[3].

والثَّالثُ: أنَّ المُنافِقينَ قالُوا للْمؤمِنينَ: لو كانَ مُحمَّدٌ نبيًّا لَمْ يُسلَّطْ عليْكمُ القتْلُ، فأجَابُوهُم: مَنْ قُتِلَ مِنَّا دخلَ الجنَّةَ، فقالُوا: لِمَ تُمَنُّونَ أنفسَكُم الباطِلَ؟ فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ مُقَاتِلٌ[4]. وزَعَم أنَّها نزلَتْ يوْمَ أُحُدٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ 637).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٩/ 60).

(٣) انظر: البحر المحيط (٢/ 148).

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١١٢).

قالَ الفرَّاء: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ بمعنى: أظننتم[(١)].

وقالَ الزَّجَّاجُ: «أَمْ» بمَعْنى: بَلْ[(٢)].

وقد شرَحْنَا «أَمْ» فِيما تقَدَّم شرْحًا كافِيًا.

و«المَثَل» بمعْنَى: الصِّفَةِ.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾ خُوِّفُوا وحُرِّكُوا بِما يُؤْذِي، وأصْلُ الزَّلْزَلةِ في اللُّغة مِن: زَلَّ الشَّيءُ عنْ مكانِه، فإذَا قُلتَ: زَلْزَلْتُه، فتَأويلُه: كرَّرْتُ زَلزَلَتَهُ مِن مكانِه، وكُلُّ ما كانَ فيهِ ترْجِيعٌ كُرِّرَتْ فِيه فاءُ الفعْلِ، تقُولُ: أقلَّ فُلانٌ الشَّيْءَ؛ إذَا رفعَهُ مِن مكانِه، فإذَا كرَّرَ رَفعَهُ وردَّهُ؛ قِيل: قَلْقَلَهُ. فالمعْنَى: أنَّه يُكَرَّرُ[(٣)] عليْهِمُ التَّحرِيكُ بالخوْفِ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ[(٤)].

﴿الْبَأْسَاءُ﴾ الشِّدَّةُ والبُؤسُ، ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ البلاء والمرَضُ. وكُلُّ رسُولٍ بُعِثَ إلى أُمَّتِهِ يقُول: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ والنَّصْرُ: الفتْحُ.

والجمْهُورُ علَى فتْحِ لَامِ «حتَّى يقُولَ»، وضمَّها نافِعٌ[(٥)].

❁❁❁

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ١٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨٥).

(٣) في (ف): تكرَّر.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٢/ ٧٠٤).

(٥) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٢)، والحُجَّة (٢/ ٣٠٥)، والمبسوط (ص: ١٤٦).

فَصْلٌ

[٥٦/ب] ومعْنَى الآيَةِ: أنَّ البلَاءَ والجُهدَ بلَغَ بالأُمَمِ المُتقدِّمَةِ إلَى أنِ اسْتبطئُوا النَّصرَ؛ لِشدَّةِ البلَاءِ. وقدْ دلَّتْ علَى أنَّ طريقَ الجَنَّةِ إنَّما هوَ الصَّبْرُ علَى البلَاءِ.

قالَتْ عائِشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: مَا شَبعَ رسُولُ اللهِ ﷺ ثلاثةَ أيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حتَّى مضَى لِسبِيلِه[١].

وقالَ حُذيفةُ: أقَرُّ أيَّامِي لِعيْنِي، يوْمَ أرْجِعُ إلى أهْلِي فيَشكُونَ إليَّ الحَاجةَ. قِيلَ: ولِمَ ذلِكَ؟ قالَ: لأنِّي سمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «**إنَّ اللهَ تعَالَى يَتعَاهَدُ[٢] المُؤْمِنَ بِالْبلَاءِ، كَمَا يَتعَاهَدُ الْوَالِدُ وَلَدَهُ، وَإنَّ اللهَ لَيَحْمِي الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا[٣]، كَمَا يَحْمِي المَرِيضَ أَهْلُهُ الطَّعَامَ**»[٤].

أخْبَرَنا أبو بَكْرٍ الصُّوفيُّ[٥]، قالَ: أخْبَرَنا أبُو سعِيدِ بْنُ أبي صَادِقٍ، قالَ: أخْبَرَنا أبو عبْدِ اللهِ الشِّيرَازيُّ، قالَ: سمِعْتُ أبَا الطَّيِّبِ بْنَ الفُرُّخَانِ[٦]

---

(١) رواه البخاري (٥٤٢٣- ٥٤٣٨- ٦٦٨٧)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٢) الكلمة في (ت)، و(ر) هكذا: هد.

(٣) من قوله: «كما يتعاهد الوالد»... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٥٢).

(٥) أبو بكر -أو بكر- الصوفي الضرير، لم أظفر له بترجمة.

(٦) محمد بن الفرخان بن روزبة -أو روزنة- أبو الطيب الدوري. يحكي عن الجنيد، وابن عطاء، وغيرهما حكايات في التصوف. قال الخطيب: وكان غير ثقة... وقد ذكر لي بعض أصحابنا أنه رأى لمحمد بن الفرخان أحاديث كثيرة منكرة بأسانيد واضحة=

يقُولُ: سَمِعْتُ الجُنَيْدَ يقُولُ: دخلْتُ علَى سَري السَّقطِيِّ وهو يقُولُ[١]:

وَمَا رُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى   حَلَلْتُ مَحَلَّةَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ
وَأَغْضَيتُ الجُفُونَ عَلَى قَذَاهَا   وَصُنْتُ النَّفْسَ عَنْ قَالٍ وَقِيلِ

قوْلُه تعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾.

فِي سببِ نُزولِهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها نزلَتْ فِي عمرِو بْنِ الجَمُوحِ الأنْصارِيِّ، وكانَ لَه مالٌ كثيرٌ، فقَالَ: يا رسُولَ اللهِ! بماذَا نتصَدَّقُ[٢]، وعلَى مَن نُنْفِقُ[٣]؟ فنزلَتْ هذِه الآيةُ. رَواه أبو صالِحٍ عن ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّانِي: أنَّ رجُلًا قالَ للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ لي دِينارًا، فقَالَ: «**أنْفِقْهُ علَى نَفْسِكَ**»، فقَالَ: إنَّ لي دِينارَيْنِ، فقَالَ: «**أنْفِقْهُما علَى أهْلِكَ**»، فقَالَ: إنَّ لي

=عن شيوخ ثقات. وقال ابن حجر: ضعيف، وقال أبو العباس النسائي: كتبت عنه سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، ومات بعدها بقليل. انظر: تاريخ بغداد؛ للخطيب (٣/ ١٦٧)، والأنساب؛ للسمعاني (٢/ ٥٥٤)، (٤/ ٣٦١)، وتهذيب التهذيب؛ لابن حجر (٣/ ٦٧٤)، ولسان الميزان؛ لابن حجر (٥/ ٣٤٠).

(١) انظر: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٤٧٤). **الرّوم**: رام الشيء، طلبه. **القذى**: ما يقع في العين وترمى به، والقذى: إذا سكت على الذل والضيم.

(٢) في (ف): أتصدَّق.

(٣) في (ت): يُنفِق.

(٤) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٤٠)، والعجاب؛ لابن حجر (١/ ٥٣٤).

ثلاثـةً، فقـالَ: «أنفِقْهـا عـلَى خادِمِـكَ»، فقَـالَ: إنَّ لي أرْبَعـةً، فقَـالَ: «أنفِقْهـا عـلَى وَالِدَيـكَ»، فقَـالَ: إنَّ لِي خَمْسَـةً، فقَـالَ: «أنفِقْهـا عـلَى قَرابَتِـكَ»، فقَـالَ: إنَّ لِي سِـتَّةً، فقَـالَ: «أنفِقْهـا فِي سَـبِيلِ اللهِ، وَهُـو أَخَسُّـهَا»، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، رَواه عطـاءٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[1].

قالَ الزَّجَّاجُ: «مَاذَا» فِي اللُّغة علَى ضرْبيْنِ[2]:

أحدُهمـا: أن تكُـونَ «ذَا» بمعْنَـى الَّـذِي، و«يُنفقـونَ» صِلتُـهُ، فيكُـونُ المعْنَـى: يسـألُونَك أيُّ شيْءٍ يُنفِقُـون[3]؟

والثَّـانِي: أن تكُـونَ «مَـا» معَ «ذَا» اسْمًا واحِدًا، فيَكُـونُ المعْنَى: يسْـألُونَكَ:

---

(١) انظـر: التَّفسـير البَسِـيط (٤/ ١٢٥)، وذكـره الحافـظ في العجـاب (١/ ٥٣٥-٥٣٦)، وقـال: وهـذا سياق منكـر، والمعروف في هـذا المتـن غـير هـذا السـياق، وهـو مـا أخرجـه أحمـد وأبو داود و النسـائي و صححـه ابـن حبـان و الحاكـم عـن أبي هُرَيْـرَةَ أن رجـلاً جـاء إلى النَّبـيِّ فقـال: يـا رسـول الله! معـي دينـار قـال: أنفقـه عـلى نفسـك .قـال: يـا رسـول الله! عنـدي آخـر. قـال: أنفقـه عـلى ولـدك. قـال: عنـدي آخـر. قـال: أنفقـه عـلى زوجتـك. قـال: عنـدي آخـر. قـال: تصـدق بـه عـلى خادمـك. قـال: عنـدي آخـر. قـال: أنـت أبـصر. ووقـع عنـد أبي داود بلفـظ: تصـدق. وعنـد غـيره بلفـظ: أنفـق. وقـدم أبـو داود الولـد عـلى الزَّوجـة. والنسـائي الزَّوجـة عـلى الولـد. وهكـذا ذكـره الثعلبـي عـن أبي هُرَيْـرَةَ لكـن زاد بعـد الولـد الوالديـن ثـم القرابـة و الباقـي سـواء إلا أنَّـه لم يذكـر الخـادم و ليـس عندهـم أن هـذه الآيـة نزلـت في ذلـك.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨٧).

(٣) في (ت)، و(ر): الذين ينفقون.

أيُّ شيْءٍ يُنفِقون(١)، قالَ: وكَأنَّهم سألُوا: علَى مَن ينْبَغِي أن يُفْضِلُوا(٢)، ومَا وجْهُ الَّذي يُنفِقُونَ؟ لأنَّهم يعلَمُون مَا المُنفَقُ، فأعْلَمَهُمُ اللهُ أنَّ أوْلَى مَن أُفضِل عليْهِ الوَالِدانِ والأقْرَبُون.

و«الخَيْرُ»: المَالُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ فِي آخَرِينَ. وقالَ: ومعْنَى ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ فعلَى الوَالِدين.

❁❁❁

فَصْلٌ(٣)

وأكْثَرُ(٤) عُلماءِ التَّفْسِيرِ علَى أنَّ هذِه الآيَةَ منْسُوخةٌ، قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: نسَخَتْهَا آيَةُ الزَّكَاةِ.

وذهَبَ الحسَنُ إلَى إحْكَامِها، وقالَ ابْنُ زيْدٍ هِيَ فِي النَّوافِلِ(٥)، وهذَا الظَّاهِرُ مِنَ الآيَةِ؛ لأنَّ ظاهِرَها يقْتَضِي النَّدبَ، ولَا يصِحُّ أنْ يُقالَ: أنَّها منْسُوخةٌ، إلَّا أنْ يُقالَ: أنَّها اقْتضَتْ وجُوبَ النَّفقَةِ علَى المذْكُورِينَ فِيها.

---

(١) من قوله: «والثَّاني»... إلى هنا، ليس في (م)، و(ج).

(٢) في (ف): ينفقوا. ويُفضِلُوا: أي: يُحسنوا إليه بالعطاء والنفقة، وفي الصحاح: الإفضال: الإحسان، يُقال: أفضل عليه، وتفضَّل عليه بمعنًى، والفَضْلةُ والفُضَالة: ما فَضَل من شيء. وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٢٧٩).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ج): ولكن.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٦٤٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٦، ٢١٧].

قوْله تعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾.

[٥٧/أ] قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَمَّا فرَضَ اللهُ علَى المُسلِمينَ الجِهادَ شَقَّ عليْهِم وكَرِهُوه، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ[١].

و﴿كُتِبَ﴾ بمعْنَى: فُرِضَ فِي قوْلِ الجماعَةِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: كَرِهْتُ الشَّيْءَ أَكْرهُه كَرْهًا وكُرْهًا، وكَرَاهَةً وكَرَاهِيةً[٢].

وكُلُّ ما فِي كتَابِ اللهِ مِنَ الكُرهِ، فالفتْحُ جَائِزٌ فِيه، إِلَّا أَنَّ أبا عُبيدٍ ذكَرَ أَنَّ النَّاسَ مُجتمعُونَ علَى ضَمِّ هذَا الحرْفِ الَّذِي فِي هذِه الآيَةِ[٣].

وإنَّما كَرِهُوهُ لِمشقَّتِهِ علَى النُّفُوسِ، لَا أَنَّهم كَرِهُوا فرْضَ اللهِ تعَالَى.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٣/ ٦٤٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨٨).

(٣) انظر: تهذيب اللُّغة؛ للأزهري (٢/ ٢٤٣).

قَـالَ الفـرَّاءُ: الكُـرهُ والكَـرهُ: لُغتـانِ. وكأَنَّ النَّحويـينَ يذْهَبُـونَ بالكُـرْهِ إلى مَـا كانَ منْـكَ مِمَّـا لم تُكـره علَيـه، فـإذا أُكْرِهـتَ عـلَى الـشَّيْءِ اسْـتَحَبُّوا «كَرْهًـا» بالفتْـحِ[1].

وقـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ: الكَـرْهُ بالفتْـحِ، معْنَـاه الإكْـرَاهُ والقهـرُ، وبالضَّـمِّ معْنَاه: المشقَّةُ[2].

ومِـنْ نظَائِـرِ هـذَا: الجُهـدُ: الطَّاقَـةُ، والجَهْـدُ: المَشـقَّةُ. ومِنْهُـم مَـن يجعَلُهـما واحِـدًا. وعُظْـمُ الـشَّيْءِ: أَكْثَـرُهُ[3]، وعظمُـهُ: نفسُـهُ. وعُـرضُ الـشَّيْءِ: إِحـدَى نَواحِيـه. وعَرْضُـهُ: خِـلافُ طُولِـه. والأَكْلُ: مصـدَرُ أكلْـتُ، والأُكْلُ: المَأْكُـولُ.

وقـالَ أبـو عـلِيٍّ: همـا لُغتـانِ؛ كالفَقْـرِ والفُقْـرِ، والضَّعْـفِ والضُّعْـفِ، والـدَّفِ والـدُّفِ، والشَّـهْدِ والشُّـهْدِ[4].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي الجِهَادَ[5].

---

(١) انظر: لغات القرآن (ص: ٣٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٨).

(٣) في (ت): أكبره.

(٤) انظر: الحُجَّة للقراء السَّبعة (٦/ ١٨٤).

(٥) لم نقف عليه عن ابن عبَّاس، وهو عند ابن أبي حاتم في التَّفسير (٢٠١٨) عن سعيد بن جُبَير.

﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فتحٌ وغنيمةٌ وشهادةٌ[1].

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا﴾: وهوَ القُعودُ عنْهُ ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لا تُصيبُونَ فتْحًا ولَا غنيمَةً ولا شهَادَةً ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أنَّ الجِهادَ خيرٌ لكُمْ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ حِينَ أَحْبَبْتُمُ القُعودَ عنْهُ.

❁❁❁

فَصْلٌ

اختلَفَ عُلماءُ النَّاسخِ والمَنْسوخِ فِي هذِه الآيَةِ علَى ثلَاثةِ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّها مِنَ المُحكَمِ النَّاسِخِ للعفوِ عنِ المُشركِينَ.

والثَّاني: أنَّها منْسوخَةٌ؛ لأنَّها أوْجبَتِ الجِهادَ علَى الكُلِّ، نُسِخَ ذلِكَ بقوْلِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢].

والثَّالث: أنَّها ناسِخَةٌ مِن وجْهٍ، منْسُوخَةٌ مِن وجْهٍ.

وقالُوا: إنَّ الحالَ فِي القِتالِ كانَتْ علَى ثلاثِ مراتِبَ:

الأوَّلى: المنْعُ مِنَ القِتالِ، ومنْهُ قوْلُه تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾[2] [النِّساء: ٧٧].

---

(١) في (ف): أو شهادة.

(٢) هذه الآية ذُكرت في المرتبة الثَّانية في (ت)، و(ر).

والثَّانيـةُ: أمـرَ الـكُلِّ بالقِتَـالِ، ومنْـهُ قوْلُـه تعـالى(١): ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[التوبـة: ٤١]، ومثْلُهـا هـذِه الآيـةُ.

والثَّالثـةُ: كـوْنُ القِتـالِ فرْضًـا عـلَى الكفَايَـةِ، وهـوَ قوْلُـه تعـالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾، فيكـونُ النَّاسِـخُ منْهَـا إيجَـابَ القِتـالِ بعْـدَ المَنْـعِ مِنـهُ، والمَنْسُـوخُ وجُـوبَ القِتَـالِ عـلَى الـكُلِّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾.

رَوَى جُنـدُبُ بْـنُ عبْـدِ اللهِ أنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ بعَـثَ رَهْطًـا وَاسْـتعمَلَ علَيْهِـم عُبيْـدَةَ بْـنَ الحَـارِثِ، فلَـمَّا انْطَلَـقَ لِيتَوجَّـهَ بكَـى صَبَابَـةً(٢) إلى رسُـولِ اللهِ ﷺ، فبعَـثَ مكانَـهُ عبْـدَ الله بْـنَ جحـشٍ، وكتَـبَ لـه كِتابًـا، وأمَـرَهُ ألَّا يقْـرأَهُ إلَّا بمـكَانِ كـذَا وكـذَا، وقـالَ: «**لا تُكرِهَـنَّ أحَـدًا مِـنْ أصْحَابِـكَ علَى المَسِـيرِ(٣) معَـكَ**»، فلـمَّا صـارَ إلَى المـكَانِ، قَـرأَ الكِتَـابَ واسْـتَرجَعَ، وقـالَ: سـمْعًا وطَاعَـةً [٥٧/ ب] للهِ ولِرسُـولِه [فَخَبَّرَهُـمُ الخَـبَرَ، وقـرَأَ علَيْهِـمُ الكِتَـابَ](٤)، فرَجَـعَ رجُـلانِ مِـن أصْحَابِـه، ومـضَى بقِيَّتُهُـم، فأتَـوُا ابْـنَ الحَضْرَمِـيِّ فقتَلُـوه، فلَمْ يُـدْرَ ذلِـكَ اليوْمُ، مِـنْ رجَـبٍ [كَانَ](٥)، أَوْ مِـنْ جُمَـادَى الآخِـرَةِ؟ فقَـالَ المُشرِكُـونَ [للمُسـلِمِينَ]

---

(١) من الآية السابقة إلى هنا، ليس في (ف).

(٢) في (م)، و(ج): صبيانه.

(٣) في (ج): الميسر.

(٤) الزيادة من المطبوع، ووضعها بين معكوفين بدون تعليق.

(٥) من (ف).

[(١)]: قتَلْتُم فِي الشَّهْرِ الحرَامِ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، فقَالَ بعْضُ المُسلِمِينَ: لَئِنْ كانَ أصَابَهُم خَيْرٌ ما لَهُم أجْرٌ، فنزلَتْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ إلى قوْلِه: ﴿رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨][(٢)].

قالَ الزُّهرِيُّ: اسْمُ ابْنِ الحَضْرَمِيِّ: عمْرٌو، واسْمُ الَّذِي قتَلَهُ[(٣)] عبْدُ اللهِ بْنُ واقِدٍ اللَّيْثِي.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ أصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، يظنُّونَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِن جُمادَى، فكانَتْ أوَّلَ رجَبٍ[(٤)].

وقد روَى عَطِيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّهَا نزَلَتْ فِي سَبَبَيْنِ:

أحدُهما: هذَا.

والثَّانِي: دُخولُ النَّبِيِّ ﷺ مكَّةَ فِي شهْرِ حرَامٍ يوْمَ الفتْحِ، حينَ عابَ المُشرِكون عليْهِ القِتالَ فِي شهْرِ حَرامٍ[(٥)].

---

(١) زيادة من المطبوع ووضعها بين معكوفين بدون تعليق.

(٢) انظر: السنن الكبرى؛ للنسائي (٨٧٥٢)، وتاريخ الطَّبري (٢/ ١٧)، وشرح مشكل الآثار (٤٨٨٠)، والطبراني في الكبير (١٦٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٧٤٥)، والعجاب (١/ ٥٣٨).

(٣) في (م): قبله.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٦٥٧) من طريق العوفي به، بلفظ مطوَّل.

(٥) انظر: أثر ابن عبَّاس المتقدِّم.

وفِي السَّائِلِينَ النَّبِيَّ ﷺ عنْ ذلِكَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ المُسلِمُونَ، سألُوه: هل أَخْطَئُوا أمْ أصَابُوا[١]؟ قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وعِكْرِمَةُ، ومُقَاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّهُمُ المُشركون سألُوه علَى وجْهِ العَيْبِ[٢] علَى المُسلمِينَ، قالَهُ الحسَنُ، وعُروةُ، ومُجاهِدٌ.

و﴿ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: شهرُ رجَبٍ، وكانَ يُدْعَى الأصَمَّ؛ لأنَّه لم يكُنْ يُسمَعُ فيهِ للسِّلاحِ قعْقعةٌ[٣]؛ تعْظِيمًا لَهُ.

﴿قِتَالٖ فِيهِ﴾؛ أي: يسْألُونَك عنْ قِتَالٍ فِيه. ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ: لَا يحِلُّ[٤].

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى: كانَ أهْلُ الجاهلِيَّةِ يعْتَقِدُونَ تحْرِيمَ القِتالِ فِي هذِه الأَشْهُرِ، فأَعْلَمَهُمُ اللهُ تعالى فِي هذِه الآيَةِ بِبقَاءِ التَّحْرِيمِ.

❁ ❁ ❁

(١) في (م): أخطؤوه أم وصلوا.

(٢) في (ف): العتب.

(٣) في (م): صعصعة.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٢٦).

فَصْلٌ

اخْتلفَ العُلماءُ فِي تحْرِيمِ القِتَالِ[١] فِي الأشْهُر الحُرمِ: هلَ هُو بَاقٍ أمْ نُسِخَ؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه باقٍ. رَوى ابنُ جُرَيْجٍ أنَّ عطاءً كانَ يحْلِفُ باللهِ: مَا يحِلُّ للنَّاسِ الآنَ أنْ يغزُوا فِي الحَرَم، ولَا فِي الأشْهُرِ الحَرَامِ، إلَّا أنْ يُقاتَلُوا فيهِ أوْ يُغْزَوا، ومَا نُسِخَتْ[٢].

والثَّانِي: أنَّه منْسُوخٌ، قالَ سعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وسُليْمان بْنُ يَسَار[٣]: القِتالُ جائِزٌ فِي الشَّهر الحَرَامِ، هذِه الآيَةُ منْسُوخةٌ بقوْلِه ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوْلِه: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]، وهذَا قوْلُ فُقهاءِ الأمْصَارِ.

قوْلُه: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هوَ مرْفُوعٌ بالابتدَاءِ، وخبَرُ هذِه الأشْيَاءِ: ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

وفِي المُراد بـ«سَبِيلِ الله» هاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الحَجُّ؛ لأنَّهم صدُّوا رسُولَ اللهِ ﷺ، عنْ مكَّةَ. قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه.

والثَّانِي: أنَّه الإسْلَامُ، قالَه مُقَاتِلٌ.

---

(١) من قوله: «في هذه الأشهر»... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) انظر: الكشاف؛ للزمخشري (١/ ٢٥٩).

(٣) في (م): بشار.

وفِي هاءِ الكِنَايَةِ فِي قوْلِه «وكُفْرٌ بِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى اللهِ تعَالى، قالَهُ السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه[١]، وقتَادَةُ، ومُقَاتِلٌ[٢]، وابْنُ قُتَيْبَةَ[٣].

والثَّانِي: أنَّها تَعُودُ إلى السَّبِيلِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وخفَضَ «المَسْجِدِ الحرام» نَسَقًا[٤] علَى: «سَبِيلِ اللهِ»، كأنَّه قالَ: وصَدٌّ عنْ سَبِيلِ اللهِ، وعنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ[٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾.

لمَّا آذَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ وأصْحَابَهُ اضْطَرُّوهُم إلَى الخُروجِ فكأنَّهُم [٥٨/أ] أخْرَجُوهم، فأعْلَمَهُمُ اللهُ أنَّ هذِه الأفْعَالَ أعْظَمُ مِنْ قتْلِ كَافِرٍ.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ هَاهُنا بمعْنَى: الشِّرْكِ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، ومُجَاهِدٌ، وابْنُ جُبَيْرٍ، وقتَادَةُ، والجَمَاعَةُ.

والفِتنَةُ فِي القُرآنِ علَى وُجُوهٍ كثِيرة، قدْ ذكَرْتُها فِي كِتابِ «النَّظَائِرِ»[٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٢٩).

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١١٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٧٦).

(٤) في (ف): نسقٌ.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٧٦).

(٦) انظر: نزهة الأعين النواظر (ص: ٤٧٨).

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعْنِـي: الكُفَّـارَ ﴿يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ يعني: المُسـلِمِينَ. و﴿حَبِطَتۡ﴾ بمعْنَـى: بَطلَـتْ.

قَالَ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقـرة: ٢١٨].

قوْله تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾.

فِي سببِ نُزُولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّـه لَمَّـا نـزَلَ القُـرآنُ بالرُّخصـةِ لأَصْحـابِ عبْـدِ اللهِ بْـنِ جحـشٍ فِي قتْـلِ ابْـنِ الحَضْرَمِـي، قـالَ بعْـضُ المُسـلِمِينَ: مـا لَهُـم أجْـرٌ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، وقـدْ ذكرْنَـا هـذَا فِي سـبَبِ نُـزولِ قوْلِـه تعَـالَى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقـرة: ٢١٧]، عـن جُنـدُبِ بْـنِ عبْـدِ اللهِ[١].

والثَّـانِي: أنَّـه لَمَّـا نزَلَـتْ لهُـمُ الرُّخصَـةُ قامُـوا، فقَالُـوا: أتطْمَـعُ[٢] لنَـا مِـنْ ربِّنَـا أنْ تكُـونَ لنَـا هـذِه غـزَاةٌ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ. وقـالَ: هاجَـرُوا مِـن مكَّـةَ إلى المَدِينـةِ، وَجَاهَـدُوا فِي طاعَـةِ اللهِ [بـأَنْ قتَلُـوا][٣] ابْـنَ الحَضْرَمِـيِّ وأصْحَابَـهُ.

و﴿رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: مغْفِرتَهُ وجَنَّتَهُ.

---

(١) رواه النسـائي في الكـبرى (٨٧٥٢)، وأبـو يعـلى في مسـنده (١٥٣٤)، والطَّـبري في تفسـيره (٣/ ٦٥٥)، والطـبراني في الكبـير (١٦٧٠)، وانظـر: العجـاب (١/ ٥٣٨).

(٢) في (ف): أنطمع.

(٣) من (م)، وفي (ج) مكانها بياض.

قَالَ ابْنُ الأنباريِّ: الهِجرَةُ عِنْدَ العرَبِ مِن هُجرَانِ الوَطَنِ[1] والأَهْلِ والوَلَدِ. والمُهاجِرُون معناهُم: المُهاجِرُونَ[2] للأَوْلادِ[3] والأَهْلِ[4]، فعُرِفَ مكَانُ المفعُولِ فأُسْقِطَ. قَالَ الشَّعبيُّ: أوَّلُ لِواءٍ عُقِدَ في الإسْلامِ لِواءُ عبْدِ الله بْنِ جحشٍ، وأوَّلُ مغنَمٍ قُسِمَ في الإسْلامِ مغنَمُه[5].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠].

قوْلُه تعالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾.

في سبَبِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ عُمرَ بْنَ الخطَّابِ قَالَ: اللَّهُمَ بَيِّنْ لنَا في الخمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ[6].

---

(١) في (ف): عند العرب: هجر الوطن.

(٢) في (ف): الهاجرون.

(٣) في (ت): الأولاد.

(٤) قوله: «للأولاد والأهل»، ليس في (ف).

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٨-٤/ ٣١٥)، وابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٤٢).

(٦) رواه أحمد (١/ ٤٤٢)، وأبو داود (١٦٧٠)، والتِّرمذي (٣٠٤٩)، وقال: «وَقَدْ رُوِي عَنْ إسرائيل هَذَا الحَدِيثُ مُرْسَلًا»، وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٤٠٣١) وفي=

والثَّـانِي: أنَّ جماعَـةً مِـنَ الأنْصَـارِ جـاءُوا إلى النَّبـيِّ ﷺ، وفِيهِـم عمَـرُ، ومُعـاذٌ، فقَالُـوا: أفْتِنَـا فِي الخَمـرِ، فإنَّهـا مُذْهِبـةٌ للعقْـلِ مُسْـلِبةٌ للـمَالِ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[١].

وفِي تسْمِيةِ الخمْرِ خمْرًا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها سُمِّيتْ خمْرًا؛ لأنَّها تُخامِرُ العقْلَ؛ أي: تُخالِطُه.

والثَّانِي: لأنَّها تُخَمِّرُ العقْلَ؛ أي: تسْتُرُه.

والثَّالث: أنَّها تُخَمَّرُ؛ أي: تُغَطَّى.

ذكَرَ هذِه الأقْوَالَ مُحَمَّدُ بْنُ القاسِمِ[٢].

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: الخمْـرُ فِي اللُّغـةِ: مَـا سـتَرَ عـلَى العَقـلِ، يُقـالُ: دَخَـلَ فُـلانٌ فِي خُمـارِ النَّـاسِ؛ أي: فِي الكَثِـيرِ الَّـذِي يسْـتَتِرُ فِيهـم، وخِمـارُ المرْأةِ: قِنَاعُها، سُـمِّيَ خِمـارًا؛ لأنَّـه يُغطِّـي[٣]. قـال[٤]: والخمـرُ هاهُنـا فِي المُجمَـعِ علَيْهَـ، وقِياسُ كُلِّ مَـا عَمِـلَ عملَهـا أنْ يُقـالَ لَـه: خمْـرٌ، وأنْ يكُـونَ فِي التَّحرِيـمِ بمَنْزِلَتِهـا؛ لأنَّ العُلَـماءَ أجْمَعُـوا عـلَى أنَّ القِمارَ كُلَّـهُ حـرَامٌ، وإنَّـما ذُكِـر المَيسِرُ مِـن بيْنِـه، وجُعِـل

=الصغرى (٨/ ٢٨٦)، والطبراني في الأوسط (١٤٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) انظر: الوجيز؛ للواحدي (ص: ١٦٤).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٣٧٧).

(٣) زاد في (ف) هنا: وجهها، وليست الزِّيادة في معاني القرآن؛ للزجاج.

(٤) ليست في (ف).

كلُّهُ قِياسًا علَى الميْسِرِ، والمَيْسرُ إنَّما يكُون قِمارًا فِي الجُزُرِ[١] خاصَّةً[٢].

فأمَّا «الميْسِرُ»، فقَالَ ابنُ عبَّاسٍ، وابْنُ عُمرَ، والحسَنُ، وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، ومُجَاهِدٌ، وقتادَةُ فِي الآخرينَ: هو القِمارُ.

قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: يُقالُ: يسَرْتُ[٣]؛ إذَا ضَربْتَ بالقِدَاحِ، ويُقالُ للضَّارِبِ بالقِدَحِ[٤]: ياسِرٌ، وياسِرُونَ، ويَسَرٌ[٥]، وأَيْسَارٌ[٦].

وكانَ أصْحابُ الثَّروَةِ والأجْوَادُ فِي الشِّتَاءِ عنْدَ شِدَّةِ الزَّمانِ وكَلَبِهِ [٥٨/ب] ينْحرُونَ جَزُورًا ويُجزِّئُونَها أجْزَاءً ثُمَّ يَضرِبُونَ عليْهَا بالقِدَاحِ[٧] فإذَا قَمَر القَامِرُ، جعَلَ ذلِكَ لذوِي الحَاجَةِ والمسْكَنَةِ، وهو النَّفْعُ الَّذِي ذكَرَهُ اللهُ تعَالَى، وكانُوا يتَمادَحُون بأخْذِ القِدَاحِ، ويتَسابُّونَ بتَرْكِهَا ويَعِيبُونَ مَنْ لَا يَيْسِرُ

قوْلُه تعَالَى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾.

---

(١) الجزر: جمع جزور؛ وهي النوق.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٣).

(٣) في م): سيرت.

(٤) العارة ليست في (م).

(٥) في م): ويساره.

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ١٢٧).

(٧) في ج): بالقدار.

قَرَأ الأكْثَرُون بالبَاءِ، وقَرَأ حمْزَةُ والكِسَائِيُّ بالثَّاءِ[١].

وفِي إثْمِ الخَمْرِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ شُرْبَهَا يُنْقِصُ الدِّينَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه إذَا شَرِبَ سَكِرَ فآذَى النَّاسَ، رَواه السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه.

والثَّالث: أنَّه وُقُوعُ العَداوَةِ والبغْضَاءِ، وتغْطِيةُ العَقلِ الَّذي يقَعُ بِه التَّمييزُ، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

وفِي إثْمِ المَيْسِر قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يَشْغَلُ عنْ ذكْرِ اللهِ وعَنِ الصَّلاةِ، ويُوقِعُ العَداوةَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه يَدعُو إلَى الظُّلمِ ومنْعِ الحَقِّ. رَواه السُّدِّيُّ عنْ أشْيَاخِه. وجَائِزٌ أنْ يُرادَ جَمِيعُ ذلِكَ.

وأمَّا منَافِعُ الخمْرِ فمِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدُهما: الرِّبْحُ فِي بيْعِها.

والثَّانِي: انْتِفَاعُ الأبْدَانِ معَ الْتِذاذِ النُّفُوسِ.

وأمَّا مَنافِعُ المَيسِرِ: فإصَابَةُ الرَّجُلِ المَالَ مِنْ غيْرِ تَعَبٍ.

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٢)، ومعاني القراءات (١/ ٢٠١)، والمبسوط (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٢).

وفي قوْلِه: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معْنَاه: وإثْمُهما بعْدَ التَّحْريمِ أكْبرُ مِن نفعِهما قبْلَ التَّحْريمِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: «وَإِثْمُهُمَا» قبْلَ التَّحْريمِ أكْبرُ مِن «نَفْعِهِمَا» قبْلَ التَّحْريمِ أيْضًا؛ لأنَّ الإثْمَ الَّذِي يَحْدُثُ مِنَ أسْبَابِهَا أكْبرُ مِن نفعِهما[1]. وهذَا منْقُولٌ عنِ ابْنِ جُبَيْرٍ أيْضًا.

واخْتلَفُوا بِماذَا كانَتِ الخَمْرةُ مُباحَةً؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: بقوْلِه تعالَى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: ٦٧]، قالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ.

والثَّانِي: بالشَّريعةِ الأُولى، وأَقرَّ المُسلِمونَ علَى ذلِكَ حتَّى حَرُمَتْ.

❁❁❁

(١) من قوله: «قبل التحريم أيضًا؛ لأن الإثم»... إلى هنا، ليس في (ج).

فَصْلٌ

اخْتلَفَ العُلماءُ: هلْ لهذه الآيةِ تأْثيرٌ[1] في تحْريمِ الخمرِ أمْ لا؟ على قوْليْنِ:

أحدهما: أنّها تقْتضِي ذمّها دُونَ تحْريمِها، رواه السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه، وبِه قالَ سَعِيدُ بْنُ جُبيْرٍ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

وعلَى هذَا القوْلِ تكُونُ هذِه الآيَةُ منْسُوخَةً.

والقوْلُ الثّانِي: أنّ لها تأْثِيرًا في التّحْرِيمِ، وهوَ أنّ اللهَ تعالى أخْبرَ أنّ فِيها إثْمًا كبِيرًا، والإثْمُ كُلُّهُ مُحرَّمٌ بقوْلِه: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، هذَا قوْلُ جماعَةٍ مِنَ العُلماءِ، وحكاهُ الزّجّاجُ[2]، واخْتارهُ القاضِي أبو يعْلَى للعلّةِ الّتي بيّناها، واحْتجّ لِصحّتِه بعْضُ أهْلِ المعانِي، فقالَ: لمّا قالَ اللهُ تعالَى: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ وقعَ التّساوِي بيْنَ الأمْريْنِ، فقالَ: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ صارَ الغالِبَ الإثْمُ، وبقِي النّفْعُ مُسْتغرقًا في جنْبِ الإثْمِ، فعادَ الحُكْمُ للغالِبِ المُستَغرَقِ، فغُلِّبَ جانِبُ الحظَرِ.

❁❁❁

(١) في (م): ناهية.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٣).

فَصْلٌ

فأمَّا «المَيْسرُ» فالقولُ فِيه مثْلُ القوْلِ فِي «الخَمْرِ»، إنْ قُلنا: إنَّ هذِه الآيَةَ دلَّتْ علَى التَّحرِيم، فالميْسِرُ بِهَا حرَامٌ أيْضًا، وإنْ قُلنا: إنَّها دلَّتْ علَى الكرَاهَةِ فأقومُ الأقْوَالِ أنْ نقُولَ: إنَّ الآيَةَ الَّتِي فِي المائِدَةِ نصَّتْ علَى تحْرِيمِ الميْسِرِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الَّذي سأَلَهُ عنْ ذلِك عمْرُو بْنُ الجَمُوحِ[١]. [٥٩/أ]

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: والمُرادُ بالنَّفقة هَاهُنا: الصَّدقَةُ والعطَاءُ[٢].

قوْلُه تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾.

قَرَأَ أبو عَمْرٍو برَفْعِ واوِ «العفْوِ»، وقَرَأَ البَاقُونَ بنَصْبِهَا[٣].

قال أبو علِيٍّ: «ماذَا» فِي موْضِعِ نصْبٍ، فجَوَابُه: «العفْوَ» بالنَّصب، كمَا تقُولُ فِي جوَابِ: ما أَنْفقْتَ؟ دِرْهمًا؛ أي: أنْفقْتُ دِرْهمًا، فهذَا وجْهُ نصْبِ العَفْوِ. ومَنْ رفَعَ جعَلَ «ذَا» بمنْزِلَةِ الَّذِي، ولم يجْعَلْ «ماذَا» اسْمًا واحِدًا، فإذَا قالَ قائِلٌ: ماذَا أنْزلَ ربُّكم؟ فكَأنَّه قالَ: ما الَّذِي أنْزلَه[٤]

(١) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٤٠)، والعجاب؛ لابن حجر (١/ ٥٣٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٧٥).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٢)، والحُجَّة (٢/ ٣١٥)، ومعاني القراءات (١/ ٢٠١).

(٤) في (ف): أنزل.

رَبُّكُـم؟ فجَوَابُـه: قُـرْآنٌ[١].

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: «العَفْـوُ» فِي اللُّغَـةِ: الكَثْـرَةُ والفَضْـلُ، يُقَـال: قَـدْ عفَـا القَـوْمُ: إذَا كثُـروا. و«العَفْـوُ»: مَـا أَتَـى بغَـيْرِ كُلْفَـةٍ[٢].

قَـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ: العَفْـوُ: المَيْسُـورُ. يُقَـالُ: خُـذْ مَـا عفَـا لـكَ؛ أي: مَـا أَتَـاكَ سَـهْلًا بِـلا إكْـراهٍ ولَا مَشَـقَّةٍ[٣].

وللمُفسِّرينَ فِي المُرادِ بالعَفوِ هاهُنا خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ما يَفضُلُ عنْ حَاجَةِ المرْءِ وعِيالِه، رَواهُ مِقسمٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: مَا تَطيبُ بِه أنفسُهُم مِن قَلِيلٍ أوْ كثِيرٍ، رَواه عَطِيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالِـث: أنَّـه القصْـدُ مِـنَ الإسْرَافِ والإقْتَـارِ، قالَـهُ الحسَـنُ، وعطَـاءٌ، وسَـعِيدُ بْـنُ جُبَـيْرٍ.

والرَّابع: أنَّه الصَّدقَةُ المَفْرُوضَةُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامِـس: أنَّـه مـا لا يتَبَـيَّنُ عليهِـم مِقـدارُهُ، مِـنْ قوْلِهِـم: عفَـا الأثَـرُ؛ إذَا خَفِـي ودَرَسَ، حـكَاهُ شـيْخُنا عـنْ طَائِفَـةٍ مِـنَ المُفسِّـريـنَ[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: الحُجَّة للقراء السَّبعة (٢/ ٣١٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٥١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٣) عن ابن عبَّاس.

فَصْلٌ

وقـدْ تكَلَّـمَ عُلـماءُ النَّاسِـخِ والمنْسُـوخِ فِي هـذِه الآيَـةِ، فـرَوَى السُّـدِّيُّ عـنْ أشْـيَاخِه أنَّهـا نُسِـختْ بالـزَّكاةِ(١)، وأبَى نسْـخَها آخـرُونَ(٢).

وفصْـلُ الخِطَـابِ فِي ذلِـك: أنَّـا متَـى قُلْنـا: إنَّـه فُـرِضَ علَيْهِـم بهـذِه الآيَـةِ التَّصَـدُّقُ بفاضِـلِ المَـالِ، أوْ قُلْنـا: إنَّـه وجبَـتْ(٣) عليْهِـم بهـذِهِ الآيَـةِ صدَقَـةٌ قبْلَ الـزَّكاةِ، فالآيَـةُ منْسُـوخَةٌ بآيَـةِ الـزَّكاةِ، ومتَـى قُلْنَـا: إنَّهـا مَحمُولَـةٌ عـلى الـزَّكاةِ المفْرُوضَـةِ كـمَا قـالَ مُجاهِـدٌ، أو عـلَى الصَّدقَـةِ المَنـدُوبِ إليْهَـا، فهِـي مُحكمَـةٌ.

قوْلُه تعالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: إنَّـما قـالَ كذلِـكَ، وهـوَ يُخاطِـبُ جماعَـةً؛ لأنَّ الجماعَـةَ معْنَاهـا: القَبيـلُ، كأنَّـه قـالَ: كذلِـك يـا أيُّهـا القَبيـلُ. وجائِـزٌ أنْ يكُـونَ الـكافُ للنَّبـيِّ ﷺ، كأنَّـه قـالَ: كذلِـك يـا أيُّهـا النَّبـيُّ ﷺ؛ لأنَّ الخِطـابَ لَـه مُشْـتمِلٌ علَى خِطـابِ أُمَّتِـه(٤).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٤).

(٢) جاء ذلك عن مُجَاهِد كما رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٦٩٤).

(٣) في (ف): وجب.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٣).

وقَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: الكافُ فِي «كذلِك» إشَارَةٌ إلى مَا بَيَّنَ مِنَ الإنْفاقِ، فكأنَّه قالَ: مثْلُ ذلِك الَّذي بيَّنَهُ لكم فِي الإنْفاق يُبيِّنُ الآيَاتِ[1].

ويجوزُ أن يكُونَ «كذلِك» غيرَ[2] إشَارَةٍ إلَى ما قبْلَهُ، فيكُونُ معْنَاه: هكَذا[3].

قَالَ ابْنُ عبَّاس: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي الدُّنيا والآخرَةِ فتَعْرفُونَ فضْلَ ما بيْنَهما، فتعْمَلُونَ[4] لِلباقِي منْهما.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لَمَّا أنْزَلَ اللهُ تعَالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النِّساء: ١٠]، انْطَلَق مَنْ كانَ عنْدَه مالُ يتيمٍ، فعَزَلَ طعَامَهُ مِنْ طعَامِه، وشَرابَهُ مِن شرَابِه، [٥٩/ب] وجعَلَ يَفْضُلُ الشَّيْءُ مِن طعَامِهِ فيُحْبَسُ لَهُ حتَّى يأكلَهُ أو يَفْسُدَ. فاشْتَدَّ ذلِك عليْهِم، فذكَرُوه للنَّبيِّ ﷺ، فنزلَتْ هذِه الآيَةُ، هذَا قوْلُ ابْنِ

---

(١) ذكره ابن سيده في إعراب القرآن (١/ ٤٦٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ١٦٩).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في التَّفسير (١٦٩٧-٢٤٠٧-١٤٨١٧) عن سَعِيدِ بن جُبَيْر.

(٤) في (ت)، و(ر)، و(م)، و(ج): فتعلمون.

عبَّـاس[١]، وعطَـاءٍ[٢]، وسـعِيدِ بْـنِ جُبَـيْرٍ[٣]، وقتـادَةَ[٤]، ومُقَاتِـلٍ[٥].

والثَّـانِي: أنَّ العـرَبَ كانُـوا يُشـدِّدُونَ فِي أمْـرِ اليَتِيـمِ حتَّـى لَا يأكُلُـونَ معَـهُ فِي قصْعَـةٍ، ولا يَسْـتخدِمُون[٦] لَـه خادِمًـا، فسَـأَلُوا النَّبِـيَّ ﷺ عـنْ مُخالَطتِهِـم، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، ذكـرَهُ السُّـدِّيُّ عـنْ أشْـيَاخِه[٧]، وهـو قـوْلُ الضَّحَّـاكِ[٨].

وفِي السَّائِلِينَ للنَّبيِّ عنْ ذلِك قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ الَّذِي سأَلَه ثابِتُ بْنُ رِفاعَةَ الأنْصارِيُّ، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

والثَّانِي: عبْدُ اللهِ بْنُ رَواحَةَ، قالَهُ أبُو سُليْمان الدِّمشقِيُّ.

---

(١) رواه أحمـد (٥/ ١٤٠)، وأبـو داود (٢٨٧١)، والبـزَّار (٥٠٦٥)، والنسـائي في الكـبرى (٦٤٦٣)، وفي الصغـرى (٦/ ٢٥٦)، والطَّـبري في التَّفسـير (٣/ ٦٩٨-٦٩٩-٧٠٢)، والحاكـم في المسـتدرك (٢/ ١٠٣-٢٧٩-٣٠٤-٣١٩)، وقـال: هـذا حديـث صحيـح ولم يخرجـاه.

(٢) انظر: العجاب (١/ ٥٥٠).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٦٩٩).

(٤) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ لقتادة (ص: ٤٥)، وتفسير الطَّبري (٣/ ٧٠٠-١٤/ ٥٩٠).

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١١٦).

(٦) في (ف): يستخدموا.

(٧) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٣/ ٧٠٣) مـن قـول السُّـدِّي، عـن الضَّحَّـاك، وذكـره الحافـظ في العجـاب (١/ ٥٥٠).

(٨) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٨٧٩).

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: معْنَاه: تَثْمِيرُ[١] أمْوَالِهم، والتَّنَزُّهُ عنْ أكْلِهَا لِمَن وَلِيهَا خَيْرٌ[٢].

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾؛ أي: فهُم إخْوَانُكم، حُكمُهُم في ذلك حُكْمُ إخْوَانِكُم.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: والمُخالطَةُ: أنْ يَشْرَبَ مِنْ لَبَنِكَ، وتَشْرَبَ مِنْ لَبَنِهِ، ويأْكُلَ فِي قصْعَتِك، وتأْكُلَ فِي قصْعَتِه[٣].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ يريدُ: المُتعمِّدَ أكْلَ مالِ اليتيمِ، مِنَ المُتحرِّجِ الَّذي لَا يأْلُو [إلا] الإصْلَاحَ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أي: لَأَحْرَجَكُم، ولَضَيَّقَ عليْكُم[٤].

وقَالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: أصْلُ العَنَتِ: التَّشْدِيدُ. تقُولُ العرَبُ: فُلانٌ يتَعَنَّتُ فُلانًا ويُعنِّتُه؛ أي: يُشدِّد عليْه، ويُلزِمُهُ المشَاقَّ، واشْتقاقُ[٥] الحرْفِ

---

(١) في (ف): تمييز. وفي (م): تكثير.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٧٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٧٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٩٠)، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٠).

(٥) في (ف): اشتاق.

مِنْ قَوْلِ العرَبِ: أَكَمةٌ عَنُوتٌ؛ إذَا كانَتْ شدِيدةً شَاقَّةً[١]، فجُعلَتْ هذِه اللَّفْظةُ مُستعمَلةً فِي كُلِّ شِدَّةٍ[٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢٢١].

قوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ رجُلًا يُقالُ له: مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ بعثَهُ النَّبيُّ ﷺ، إلى مكَّةَ ليُخرجَ ناسًا مِنَ المُسلمِينَ بهَا أُسَراءَ، فلمَّا قدِمَها سَمِعَتْ بِه امْرأةٌ يُقالُ لهَا: عَناقُ، وكانَتْ خَليلةً[٣] له فِي الجاهلِيَّةِ، فلمَّا أسْلَم أعْرضَ عنْها، فأَتَتْهُ فقالَتْ: ويْحكَ يَا مَرْثَدُ! ألَا نَخْلُو[٤]؟ فقَالَ: إنَّ الإسْلامَ قدْ حالَ بيْنِي وبيْنَكِ، ولكِنْ إنْ شِئْتِ تزوَّجْتُكِ، إذَا رَجعْتُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، اسْتأْذَنْتُه فِي ذلِك[٥]، فقالَتْ: أَبِي -تَتبرَّمُ[٦]؟!- واسْتغاثَتْ عليْهِ، فضَرَبُوه ضرْبًا شدِيدًا،

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: الزاهر في معانى كلمات النَّاس (١/ ٢٩٠).

(٣) في (ت)، و(ر): خليفة.

(٤) في (ت): تخلوا.

(٥) قوله: (استأذنته في ذلك) ليس في (ف).

(٦) كذا في جميع النسخ الخطية. وفي (ج): يتبرم.

ثُمَّ خلَّوْهُ، فلَـمَّا رجَعَ إلى النَّبيِّ ﷺ، سأَلَهُ: أَيَحِلُّ لِي أنْ أَتزوَّجَها؟. فنزلَتْ هذِه الآيةُ، هذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)]. وذكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمانَ: أنَّه أبو مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ[(٢)].

والثَّانِي: أنَّ عبْدَ اللهِ بْنَ رَواحَةَ كانَتْ لَهُ أَمَةٌ سوداءُ، وأنَّه غضِبَ عليْهَا فلَطَمَها، ثُم فزِعَ، فأَتَى النَّبِيَّ، فأَخْبَرَهُ خبَرَهَا فقَالَ: يَا[(٣)] رسُولَ اللهِ! هِي تصُومُ وتُصلِّي وتُحْسِنُ الوُضُوءَ، وتَشْهدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأنَّك رَسُولُ اللهِ، فقَال: «يَا عَبْدَ اللهِ، هَذِهِ مُؤْمِنَةٌ»، فقَالَ: والَّذِي بعثَكَ بالحَقِّ لَأَعْتِقَنَّها ولَأَتزوَّجنَّها ففعَل، فعَابَهُ نَاسٌ[(٤)] منَ المُسلِمِينَ، قالَ: نكَحَ أَمَةً، [٦٠/أ] وكانُوا يرغَبُونَ فِي نِكاحِ المُشركَاتِ رغْبَةً فِي أحْسَابِهِنَّ، فنزلَتْ هذِه الآيَةُ. رواهُ السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه[(٥)].

وقد ذكَرَ بعْضُ المُفسِّرينَ أنَّ قِصَّةَ عَناقَ وأبِي مَرْثَدٍ كانَتْ سَبَبًا لِنزُولِ قوْلِه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، وقِصَّةَ ابْنِ رَواحَةَ كانَتْ سبَبًا لِنُزولِ قوْلِه تعَالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾[(٦)].

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٥)، والحافظ في العجاب (١/ ٥٥٢).

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١١٧).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) ليست في (ف).

(٥) انظر: أسباب النزول (ص: ٤٥).

(٦) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١١٧)، وتفسير الطَّبري (٣/ ٧١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢١٠٢)، والعجاب (١/ ٥٥١).

فأمَّا التَّفسير:

فقَال المُفَضَّلُ: أصْلُ النِّكاحِ: الجِماعُ، ثُمَّ كَثُر ذلِك حتَّى قِيل للعقْدِ: نِكاحٌ. وقدْ حرَّمَ اللهُ ﷻ نِكاحَ المُشركَاتِ عقْدًا ووَطْأً[١].

وفِي «المُشركَاتِ» هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يعُمُّ الكِتابيَّاتِ وغيْرَهُنَّ، وهُوَ قوْلُ الأكْثَرِينَ.

والثَّانِي: أنَّه خاصٌّ فِي الوَثَنِيَّاتِ، وهوَ قوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، والنَّخعيِّ، وقتَادَةَ.

وفِي المُراد بالأَمَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها المَمْلُوكةُ[٢]، وهوَ قوْلُ الأكْثَرِينَ، فيكُونُ المعْنَى: ولَنِكَاحُ أمَةٍ مُؤمِنَةٍ خيْرٌ مِنْ نِكاحِ حُرَّةٍ مُشركَةٍ.

والثَّانِي: أنَّها المرأةُ، وإنْ لم تكُنْ مَمْلُوكةً؛ كما يُقال: هذِه أمَةُ اللهِ، وهذَا قوْلُ الضَّحَّاكِ، والأوَّلُ أصحُّ.

وفِي قوْله: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: بجَمالِهَا وحُسْنِهَا.

والثَّانِي: بِحسَبِهَا[٣] ونَسَبِهَا.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٢/ ١٥٤).

(٢) طمست في (ت)، وليست في (ر).

(٣) في (ف): بحسنها.

فَصْلٌ

اختلَفَ عُلماءُ النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ فِي هـذِه الآيـةِ، فقَالَ القَائِلُونَ بـأنَّ المُشركاتِ: الوَثَنِيَّاتُ؛ هِيَ مُحكمةٌ، وزعَمَ بعْضُ مَنْ نصَرَ هـذَا القَوْلَ أنَّ اليهُودَ والنَّصارى ليْسُوا بمُشْرِكينَ باللهِ، وإنْ جَحَدُوا نُبوَّةَ نَبِيِّنا[1].

قالَ شيْخُنا: وهوَ قوْلٌ فاسِدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّ حقِيقةَ الشِّرْكِ ثَابتَةٌ فِي حقِّهِم؛ حيْثُ قالُوا: عُزيرٌ ابْنُ اللهِ، والمَسِيحُ ابْنُ اللهِ.

والثَّاني: أنَّ كُفرَهُم بمُحمَّدٍ ﷺ، يُوجِبُ أنْ يقُولوا: إنَّ ما جاءَ بِه ليْسَ مِن عنْدِ اللهِ، وإضَافَةُ ذلكَ إلى غيْرِ اللهِ[2] شِرْكٌ.

فأمَّا القائِلُون بأنَّها عامَّةٌ فِي جَمِيعِ المُشركَاتِ، فلَهُم فِي ذلِك قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ بعْضَ حكمِها منْسُوخٌ بقوْلِه: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وبقِي الحكْمُ فِي غيْرِ أهْلِ الكتَابِ مُحكمًا.

والثَّاني: أنَّها ليسَتْ بمَنْسُوخةٍ، ولَا ناسخَةٍ، بلْ هِيَ عامَّةٌ فِي جميعِ المُشْركاتِ، ومَا أُخرجَ عنْ عُمومِها مِنْ إباحَةِ كافِرةٍ فدليلٌ خاصٌّ، وهو قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، فهذِه خصَّتْ عمُومَ تلْكَ مِنْ غيرِ نسْخٍ، وعلَى هذا عَامَّةُ الفُقهاءِ.

---

(١) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٢٩)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ لابن سلامة (ص: ٧)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ للنحاس (ص: ١٩٤). وفي (ف): نُبوَّة النبي ﷺ.

(٢) قوله: «غير الله» طُمس في (ت)، وليس في (ر).

وقد رُوي معْنَاه عنْ جماعَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ، مِنهُم: عُثمانُ، وطلْحَةُ، وحُذيفَةُ، وجَابِرٌ، وابْنُ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾؛ أي: لَا تُزوِّجُوهُم بمُسلمَةٍ حتَّى يُؤمِنُوا.

والكلَام فِي قوْلِه: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾، وفِي قوْلِه: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾؛ مِثلُ الكلَامِ فِي أوَّلِ الآيَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾.

قرَأَ الجمْهورُ بخفْضِ «المغْفِرةِ». وقَرأ الحسَنُ، والقزَّازُ، عنْ أبِي عمْرٍو، برفعِهَا[1].

قَالَ تعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣].

قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾.

(١) قراءة شاذة، منسوبة إلى الأعمش والحسن، كما في مختصر ابن خالويه (ص: ٢٠)، والكامل للهذلي (١/ ٥٠٤)، وشواذ الكرماني (ص: ٩٠)، وهي مبتدأ، خبره: بإذنه؛ أي: والمغفرة حاصلة بإذنه. انظر الكشاف (١/ ٢٦٤).

رَوى ثابِتٌ عـنْ أنَـسٍ، قـالَ: كانَـتِ اليهُـودُ إذَا حَاضَـتِ المـرْأَةُ مِنهُـنَّ لم يُؤَاكِلُوهـا، ولم يُشـارِبُوهَا، ولم يُجامِعُوهَـا فِي البُيـوتِ، فسُـئِلَ النَّبـيُّ ﷺ عـنْ ذلِـك، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، فأمَرَهُـمُ النَّبـيُّ ﷺ أنْ يُؤَاكِلُوهُـنَّ ويُشَـارِبُوهُنَّ ويكونُـوا معَهُـنَّ فِي البُيـوتِ، وأنْ يفعلُـوا كُلَّ شيْءٍ مَـا خـلَا النِّـكاحَ[١]. [٦٠/ب]

وقـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: جـاءَ رجُـلٌ يُقـال لَـهُ: ابْـن الدَّحْدَاحَـةِ[٢] مِـنَ الأنْصَـارِ، إلَى النَّبيِّ ﷺ، فقـالَ: كيْـفَ نَصْنـعُ بالنِّسَـاءِ إذَا حِضْـنَ؟ فنزلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[٣].

وفي المَحِيضِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّـه اسْـمٌ للحيْـضِ، قـالَ الزَّجَّـاجُ: يُقـال: قـد حَاضَـتِ المَـرْأَةُ تَحِيـضُ حَيْضـاً ومَحاضـاً ومَحِيضـاً[٤][٥].

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، بنحوه.

(٢) في (ر): الدَّجاجة.

(٣) ابـن الدَّحداحـة ، هوثابـت بـن الدَّحـداح، ويقـال: ابـن الدَّحداحـة بـن نعيـم بـن غنـم بـن إيـاس، يكنـى أبـا الدَّحـداح، والأثـر رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٣/ ٧٢٢) مـن طريـق أسـباط بـن نـصر، عـن السُّـدِّي فذكـره، و البـاوردي كـما في الإصابـة (١/ ٥٠٣) مـن طريـق ابـن إسـحاق: حدثنـي محمـد بـن أبي عـدي، عـن عِكْرِمَـة- أو سـعيد بـن جُبَيْر، عـن ابـن عبَّـاس- أن ثابـت بـن الدَّحداحـة سـأل النبـيّ ﷺ، فنزلـت الآيـة. وأورده الواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٧٥).

(٤) قوله: «محيضًا»، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٦).

وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: المَحِيضُ: الحَيْضُ[١].

والثَّانِي: أنَّه اسْمٌ لِمَوْضِعِ الحَيْضِ؛ كالمَقِيلِ، فإنَّه موْضِعُ القَيْلولَةِ، والمَبِيتُ موْضِعُ البيْتُوتَةِ.

وذكَرَ القَاضِي أبو يعْلَى أنَّ هذا ظاهِرُ كلامِ أحْمَدَ.

فأمَّا أرْبَابُ القوْلِ الأوَّلِ فأكَّدُوهُ بأنَّ فِي اللَّفْظِ ما يدُلُّ علَى قوْلِهم، وهوَ أنَّه وصَفَهُ بالأذَى، وذلِك صِفَةٌ لِنفْسِ الحيْضِ، لَا لِمكَانِه.

وأمَّا أرْبابُ القوْلِ الثَّانِي، فقَالُوا: لَا يمْتَنِعُ أنْ يكُونَ المَحِيضُ[٢] صِفَةً للمَوْضِعِ، ثُمَّ وصفَهُ بِمَا قاربَهُ وجَاوَرَهُ[٣]؛ كالعَقِيقَةِ، فإنَّها اسْمٌ لِشَعْرِ الصَّبِيِّ، وسُمِّيتْ بِهَا[٤] الشَّاةُ الَّتِي تُذْبَحُ عنْدَ حلْقِ رأسِهِ مجَازًا. والرَّاوِيةُ: اسْمٌ للجَمَلِ[٥]، وسُمِّيتِ المَزَادَةُ رَاوِيةً مجَازًا.

وَالأذَى يَحْصُلُ للوَاطِئِ بالنَّجَاسَةِ، ونتَنِ[٦] الرِّيحِ. وقِيلَ: يُورِثُ جِمَاعُ الحائِضِ عِلَّةً مُبْلغَةً[٧] فِي الألَمِ.

---

(١) في (ج): الحيض: المحيض.

(٢) من قوله: «قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾»... إلى هنا؛ ليس في (م).

(٣) في الأصل، و(ج): وجاوزه، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) ليست في (م).

(٥) اسم للحبل الذي يحمل المزادة.

(٦) في (ج): وبين.

(٧) في (ر): مبالغة. وفي (ف): مُتلفةً.

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ المُرادُ بِه اعْتِزالُ الوطءِ في الفَرْجِ؛ لأنَّ المَحِيضَ نفْسُ الدَّمِ أَوْ[1] نفْسُ الفَرْجِ.

﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تَقْرَبُوا جِماعَهُنَّ، وهوَ توْكِيدٌ؛ لقوْلِه: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾.

قوْلُه: ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾.

قَرَأ ابْنُ كَثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عَمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحفْصٌ، عنْ عاصِمٍ: ﴿يَطۡهُرۡنَ﴾ خَفِيفَةً.

وقَرَأ حمْزَةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ، وأبُو بكْرٍ، عنْ عَاصِمٍ: «يطَّهَّرن»[2] بتَشْدِيدِ الطَّاء والهَاءِ[3] وفتحِهما[4].

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يطْهُرنَ»: ينْقَطِعُ عنْهُنَّ الدَّمُ، يُقالُ: طَهُرتِ المرْأةُ وطهَرَتْ؛ إذا رَأتِ الطُّهْرَ، وإنْ لَمْ تَغْتَسِلْ بالمَاءِ[5].

ومَنْ قَرَأ: «يَطَّهَّرن» بالتَّشْدِيدِ[6] أرادَ: يغْتَسِلْنَ بالمَاءِ. والأصْلُ:

---

(١) في (ج): و.

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ر): والحاء.

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٢)، والحُجَّة (٢/ ٣٢١)، والمبسوط (ص: ١٤٦).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٤).

(٦) ليست في (ر).

يتَطَهـرْنَ، فأُدغمـتِ التَّـاءُ فِي الطَّـاءِ[١].

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ[٢]، ومُجاهِـدٌ[٣]: حتَّـى يَطْهُـرنَ مِـنَ الـدَّم، فـإذَا تَطهَّـرْنَ اغْتَسَـلْنَ[٤] بالمَـاءِ.

قوْلُه: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾: إبَاحَةٌ مِنْ حظْرٍ، لَا علَى الوُجُوبِ.

قوْلُه: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

فيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ معنـاه: مِـنْ قِبَـلِ الطُّهـرِ، لَا مِـنْ قِبَـلِ الحَيْـضِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ[٥]، وأَبُـو رَزِيـن، وقتـادَةُ، والسُّـدِّيُّ فِي آخرِيـنَ.

---

(١) انظر: معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٣٣)، وأبو جَعْفَرٍ النَّحَّاس في النَّاسخ والمنسوخ (ص: ٢٠٦) مختصرًا، والبيهقي في الكبرى (١/ ٤٦٢)، من طريق علي بن أبي طلحة به، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عبَّاس، بنحوه. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٢٣)؛ لابن المنذر.

(٣) رواه سفيان الثَّوري في تفسيره (ص: ٦٦) عن ابن أبي نجيح، وعبد الرزاق في المصنف (١٢٧٢)، من طريق عمرو بن حبيب، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٣١)، وأبو جَعْفَرٍ النَّحَّاس في النَّاسخ والمنسوخ (ص: ٢٠٩) من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مُجَاهِد، بنحوه، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٢٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) في الأصل: اغتسل، والمثبت من باقي النسخ.

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٤٠١).

والثَّانِي: أنَّ معنَاه: فأْتُوهُنَّ مِن حيْثُ أمَرَكُمُ اللهُ أنْ لَا تَقرَبُوهُنَّ فِيه، وهُو محَلُّ الحيْضِ، قالَهُ مُجَاهِدٌ.

وقالَ مَنْ نَصَر هذَا القَوْلَ: إنَّما قالَ: ﴿أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ والمعْنَى: نَهَاكُم؛ لأنَّ النَّهيَ أمْرٌ بتَرْكِ المَنْهِي عنْهُ، و«مِنْ» بمعنى «فِي»؛ كقوْلِه: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

والثَّالثُ: فأْتُوهُنَّ مِن قِبَلِ التَّزْوِيجِ والحَلالِ، لَا مِنْ قِبَلِ الفُجُورِ، قالَهُ ابنُ الحَنفيَّةِ.

والرَّابعُ: أنَّ معنَاه: فأْتُوهُنَّ مِنَ الجِهاتِ الَّتِي يحِلُّ[1] أنْ تُقربَ فِيها المرْأَةُ، ولا تَقْرَبُوهُنَّ مِن حيْثُ لا ينْبَغِي، مِثْلُ أن يكُنَّ[2] صَائِماتٍ أوْ مُعتكِفَاتٍ أو مُحْرِمَاتٍ، وهذَا قوْلُ الزَّجَّاجِ[3]، وابْنِ كَيسَانَ[4]. [٦١/أ]

وفِي قوْلِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ قوْلَانِ:

أحدهما: التَّوابين من الذُّنوب، قاله عطاء، ومُجَاهِد في آخرين.

والثَّاني: التَّوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسِّرين.

---

(١) في (ت): تحل.

(٢) في (ت)، و(ر): يكون.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٧).

(٤) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ١٥٩).

وفي قوْلِه: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: المُتطهِّرينَ مِنَ الذُّنوبِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وأبُو العَالِيةِ.

والثَّاني: المُتطهِّرينَ بالْماءِ، قالَهُ عطَاءٌ.

والثَّالث: المُتطهِّرِينَ مِنْ إتْيَانِ أدْبَارِ النِّساءِ، رُوي عن مُجَاهِدٍ[١].

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

أقلُّ الحيْضِ يوْمٌ وليْلَةٌ فِي إحْدَى الرِّوَايَتيْنِ عنْ أحمَدَ. والثَّانيةُ: يوْمٌ[٢].

وقالَ أبو حَنِيفةَ: أقلُّه ثلاثَةُ أيَّامٍ[٣]. وقالَ مالِكٌ[٤]، وداوُدُ: ليْس لِأقلِّه حَدٌّ[٥].

وفِي أكثَرِه رِوايتَانِ عنْ أحمَدَ:

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٨) من طريق إبراهيم بن نافع، عن سليمان، عن مولى أم علي، عن مُجَاهِد قال: «من أتى امرأته في دبرها فليس من المتطهرين».

(٢) انظر: الروايتين والوجهين (١/ ١٠٣).

(٣) انظر: الأصل؛ لمحمد بن الحسن الشيباني (١/ ٤٥٨)، والمبسوط (٣/ ١٤٧).

(٤) انظر: المدونة (١/ ١٥٠- ١٥٥).

(٥) انظر: المحلى (١/ ٤٠٦).

إحدَاهُما[١]: خمسَةَ عشَرَ يوْمًا[٢]، وهوَ قوْلُ مالِكٍ[٣]، والشَّافعِيِّ[٤].

والثَّانيةُ: سبعَةَ عشَرَ يوْمًا[٥].

وقالَ أبُو حنيفَةَ: أكثَرُهُ عشْرَةُ أيَّامٍ[٦].

والحيضُ مانِعٌ مِنْ عشْرَةِ[٧] أشْيَاءَ:

فعْلِ الصَّلَاةِ، وَوُجُوبِهَا، وفِعْلِ الصِّيامِ دُونَ وُجُوبِهِ، والجُلُوسِ فِي المسْجِدِ، والِاعْتِكَافِ، والطَّوَافِ، وقِرَاءةِ القُرآنِ، وحَمْلِ المُصحَفِ، والِاسْتِمتَاعِ فِي الفَرْجِ، وحُصُولِ سُنَّةِ الطَّلَاقِ[٨].

قوْلُه: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾.

فِي سببِ نُزولِهَا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهَا: أنَّ اليهُودَ أنْكرتْ جوَازَ إتْيَانِ المرأَةِ إلَّا مِنْ بيْنِ[٩] يدَيْهَا،

---

(١) ليست في (م).

(٢) انظر: الروايتين والوجهين (١/ ١٠٤).

(٣) انظر: المدونة (١/ ١٥٢).

(٤) انظر: الحاوي (١/ ٣٨٨)، والمجموع (٢/ ٣٧٦).

(٥) انظر: الروايتين والوجهين (١/ ١٠٤).

(٦) انظر: الأصل (١/ ٤٥٨).

(٧) في بقية النسخ: تسعة.

(٨) قوله: «وحصول سنة الطّلاق»، ليس في بقية النسخ.

(٩) ليست في (م).

وعابَتْ [عَلَى][(١)] مَنْ يأْتِيها علَى غيْرِ [تِلْكَ][(٢)] الصِّفَةِ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ. رُوِي عنْ جابِرٍ[(٣)]، والحَسَنِ[(٤)]، وقتادَةَ[(٥)].

والثَّانِي: أنَّ حيًّا مِنْ قُرَيشٍ كانُوا يَتزَوَّجُونَ النِّساءَ بمَكَّةَ، ويتلذَّذُونَ بهِنَّ مُقبِلاتٍ ومُدْبِرَاتٍ، فلَمَّا قدِمُوا المدِينَةَ، تزوَّجُوا مِنَ الأنْصارِ، فذَهبُوا ليفْعَلُوا ذلِك، فأنْكرْنَهُ[(٦)]، وانْتَهى الحَدِيثُ إلَى النَّبيِّ ﷺ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ. رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٧)].

والثَّالثُ: أنَّ عُمرَ بْنَ الخطَّابِ ﷺ جاءَ إلَى النَّبيِّ ﷺ، فقَالَ: هلَكْتُ،

---

(١) زيادة من (ر).

(٢) في الأصل، و(م): ذلك، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (٤٥٢٨) من طريق سفيان، عن ابن المنكدر، سمع جابرًا يقول: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها، كان الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٦٧٤)، والدارمي في سننه (١١٦٥) من طريق علي بن علي، قال سمعت الحسن يقول: كان المشركون لا يألون ما شددوا عن المسلمين ويقولون: لا يحل لكم أن تأتوا النِّساء إلا من وجه واحد فأنزل الله تعالى: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٤٧) من طريق سعيد، به.

(٦) في (ت)، و(ف): فأنْكَرْنَهُ.

(٧) رواه أبو داود في سننه (٢١٦٤)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٥٥)، والطبراني في الكبير (١١٠٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٢- ٣٠٧)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣١٧)، وقال الحاكم: على شرط مسلم.

حوَّلتُ [رَحْلِي][١] اللَّيْلةَ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ. رَواه ابْنُ جُبَيْرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

و«الحرْثُ»: المُزْدَرعُ[٣]، ويُكَنَّى[٤] بِه هَاهُنا[٥] عَنِ الجِماعِ، فسَمَّاهُنَّ حرْثًا، لأنَّهُنَّ مُزْدَرعُ الأوْلادِ؛ كالأَرْضِ للزَّرْعِ[٦].

فَإنْ قِيلَ: النِّسَاءُ جمْعٌ، فلِمَ لَمْ يقُلْ: حُروثٌ؟

فعَنْهُ ثلاثَةُ أجْوِبَةٍ، ذكَرَها ابْنُ القَاسِمِ الأنْبَارِيُّ النَّحوِيُّ:

أحدُها: أنْ يكونَ الحرْثُ مصْدرًا فِي موْضِعِ الجمْعِ، فلَزِمَهُ[٧] التَّوحِيدُ؛ كما تقُولُ العرَبُ: إخْوتُك صَوْمٌ، وأوْلادُكَ فِطرٌ، يُرِيدُونَ: صَائِمِين

(١) في الأصل، و(ر)، و(م): رجلي، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٧٠٣)، والترمذي (٢٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٨٩٧٧- ١١٠٤٠)، وأبو يعلى (٢٧٣٦)، والبزَّار في مسنده (٥١٤٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٠٢)، والطبراني (١٢٣١٧) والبيهقي في الكبير (٧/ ١٩٨) وغيرهم من طرق عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي الخزاعي القمي، عن سعيد بن جُبَيْر، به، بنحوه. وصحَّحه ابن حبان.

(٣) موضع الزرع وأصله: مزترع بالتاء، ثم أبدلت لقرب المخرجين. انظر: مطالع الأنوار (٣/ ٢٢٧).

(٤) في (ت)، و(ف): وَكُنِّي.

(٥) في (ج)، و(م): وكناية هاهنا.

(٦) في (ج): المزدرع.

(٧) في (ف): فيلزمه.

ومُفطِرِينَ، فيُؤدِّي[١] المَصْدَرُ بتَوْحيدِهِ عنِ اللَّفْظِ المجْمُوعِ.

والثَّانِي: أنْ يكُونَ أرَادَ: حُروثٌ لَكُم، فاكْتَفَى بالوَاحِدِ مِنَ الجَمْعِ؛ كما قالَ الشَّاعِرُ[٢] [من الوافر]:

كُلُوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمُ تَعِيشُوا ....

أَيْ: فِي أنْصَافِ بُطُونِكُمْ.

والثَّالث: [أنَّه][٣] إنَّما وحَّد الحرْثَ؛ لأنَّ النِّسَاءَ شُبِّهْنَ بِه، ولَسْنَ[٤] مِنْ جنْسِهِ، والمعْنَى: نِساؤُكُم مِثْلُ حروثٍ لَكُم.

قوْلُه: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

فِيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه بمَعْنى: كيْفَ شِئْتُم، ثُمَّ فِيه قوْلَانِ:

---

(١) في (ج): فنودي.

(٢) صدر بيت بلا نسبة في الكتاب (١/ ٢١٠)، وأسرار العربية (ص: ٢٢٣)، وتخليص الشواهد (ص: ١٥٧)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٣٧٤)، وشرح المفصل (٥/ ٨)، (٦/ ٢١)، وخزانة الأدب (٧/ ٥٣٧- ٥٥٩- ٥٦٠- ٥٦٣)، والشاهد منه أنه استعمل المفرد للجمع: بطنكم والمراد: بطونكم. وعجزه: «فَإِنَّ زَمَانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ».

(٣) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) في (ف): وليس.

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: كيْفَ شِئْتُم، مُقبِلةً أوْ مُدبِرَةً، وعلَى كُلِّ حالٍ، إذَا كانَ الإتْيانُ فِي الفَرْجِ. وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، وعَطِيَّةَ، والسُّدِّيِّ، وابْنِ قُتَيْبَةَ في آخَرِينَ[1]. [٦١/ب]

والثَّانِي: أنَّها نزَلَتْ فِي العَزْلِ، قالَهُ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ[2]، فيكُونُ المعْنَى: إنْ شِئْتُم فاعْزِلُوا[3]، وإنْ شِئْتُم فَلا تَعْزِلُوا[4].

والقوْلُ الثَّانِي: أنَّه بمعْنَى: إذا شِئْتُم، ومتَى شِئْتُم، وهوَ قوْلُ ابْنِ الحَنَفيَّةِ، والضَّحَّاكِ[5]، ورُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[6].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٥).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٦٤)، من طريق الحسن بن صالح، عن ليث بن أبي سليم، عن عيسى بن سنان، ورواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٧٨) من طريق المحاربي، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي صالح، عن ابن المُسَيِّب، بنحوه، وضعَّفه ابن حجر كما في العجاب (١/ ٥٦٣).

(٣) في (ف): فاعتزلوا.

(٤) في (ف): تعتزلوا.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٥٠) من طريق عبيد بن سليمان، به.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٥٤) من طريق زائدة بن عمير، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما بلفظ: قال: «إن شئت فاعزل، وإن شئت فلا تعزل».

والثَّالث: أنَّه بمَعْنى: حيْثُ شئْتُم، وهذا محُكِيٌّ عن ابْنِ عُمرَ[١]، ومالِكِ بْنِ أنَسٍ[٢]، وهو فَاسِدٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أحدُها: أنَّ سَالِمَ بْنَ عبْدِ الله لَمَّا بلغَهُ أنَّ نَافِعًا يُحدِّثُ بذلِك عنِ ابْنِ عُمرَ، قالَ: كَذَبَ العبْدُ، إنَّما قالَ عبْدُ الله: يُؤتَوْنَ فِي فُرُوجِهِنَّ[٣] مِنْ أدْبَارِهِنَّ[٤].

وأمَّا أصْحَابُ مالِكٍ، فإنَّهم يُنكِرُون صِحَّتَهُ عنْ مَالِكٍ[٥].

والثَّاني: أنَّ أبا هُرَيْرَةَ رَوى عنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قالَ: «مَلْعُونٌ مَنْ أتَى

---

(١) رواه البخاري (٤٥٢٦- ٤٥٢٧)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٥٢) من طريق نافع.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٣/ ٧٥١)، وفتح الباري؛ لابن حجر (١/ ٤٢٧).

(٣) زاد في (م) هنا: لا.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٣/ ٧٥١) من طريق عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك، أنَّه قيل له: يا أبا عبد الله، إن النَّاس، يروون عن سالم: «كذب العبد أو العلج على أبي»، فقال مالك: أشهد على يزيد بن رومان أنَّه أخبرني عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر، مثل ما قال نافع. وأصل كلام سالم بن عبد الله قد رواه الطَّحاوي في شرح مشكل الآثار(١٥/ ٤٢٧)، وفي شرح معاني الآثار (٣/ ٤٢) من طريق موسى بن عبيد الله بن الحسن، أن أباه سأل سالم بن عبد الله أن يحدثه بحديث نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّه كان لا يرى بأسًا بإتيان النِّساء في أدبارهن. فقال سالم: كذب العبد، أو أخطأ، إنما قال: «لا بأس أن يؤتين في فروجهن من أدبارهن»، ولقد قال ميمون بن مهران: إنَّ نافعًا إنما قال ذلك بعد ما كبر وذهب عقله.

(٥) انظر: البيان والتحصيل (١٨/ ١٧٨)، وجامع الأمهات (ص: ٢٦١)، والذخيرة (٤/ ٤١٦).

النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ»[١]، فدلَّ على أنَّ الآيَةَ لَا يُرادُ بِهَا هذَا[٢].

والثَّالث: أنَّ الآيَةَ نبَّهتْ علَى أنَّه[٣] محلُّ الوَلَدِ بقوْلِه: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ وموْضِعُ الزَّرْعِ[٤]: هو مكَانُ الوَلَدِ.

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: لَمَّا نصَّ اللهُ[٥] علَى ذِكْرِ الحرْثِ، والحَرْثُ بِه يكُونُ النَّباتُ، والولَدُ مُشبَّهٌ بالنَّبَاتِ، لَمْ يَجُزْ أنْ يقَعَ الوطْءُ[٦] فِي محَلٍّ لَا يكُونُ منْهُ ولَدٌ.

والرَّابع: أنَّ تحْريمَ إتْيَانِ الحائِضِ كانَ لِعلَّةِ الأذَى، والأَذَى مُلازِمٌ لهذَا المَحلِّ لَا يُفارِقُه.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٤٦٢)، والطبراني في الأوسط (٤٧٥٤)، وابن عدي في الكامل (٨/ ١٠) من طرق عن يحيى بن زكرياء بن أبي زائدة، عن مسلم بن خالد الزنجي، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَةَ، بنحوه. ومسلم بن خالد الزنجي صدوق كثير الأوهام، وقد ضعَّف هذه الرواية الحافظ في التلخيص الحبير (٣/ ٣٧٠) وقد روي من طرق أخرى عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة، ولا تسلم من ضعف، وانظر: البدر المنير (٧/ ٦٥٠- ٦٥١)، وقد ذهب جماعة من أئمة وحفَّاظ الحديث - كالبخاري والذُّهلي والبزَّار والنَّسائي وأبي عليٍّ النَّيسابوري- إلى أنَّه لا يثبت في هذا الباب شيء. وانظر: فتح الباري (٨/ ١٩١).

(٢) في (ف): جعل الثَّاني في موضع الأوَّل والعكس.

(٣) في (ف): أن.

(٤) في (ج): الحرث.

(٥) لفظ الجلالة ليس في (م).

(٦) في (ر): الولد.

قَوْلُه: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾.

فِيه أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاه: وقَدِّموا لِأنْفُسِكُم[١] مِنَ العمَلِ الصَّالِحِ، رواهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: وقدِّمُوا التَّسمِيةَ عنْدَ الجِماعِ، رواهُ عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: وقدِّمُوا لِأنْفُسِكُم فِي طلَبِ الوَلَدِ، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

والرَّابع: وقدِّموا طَاعَةَ اللهِ واتِّباعَ أمْرِهِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤، ٢٢٥].

قَوْلُه: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِها أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ فِي عبدِ اللهِ بْنِ رَواحَةَ، كانَ بيْنَهُ وبيْنَ ختَنِهِ[٣] شَيْءٌ، فحلَفَ عبْدُ اللهِ أنْ لَا يدْخُلَ علَيْهِ ولا يُكلِّمَهُ، وجعَلَ يقُولُ: قَدْ

---

(١) من قوله: «فيه أربعة أقوال»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٨).

(٣) الختن: الصهر - أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ. قاموس، مادة: «خ ت ن».

حلَفْتُ باللهِ، ولَا يَحِلُّ لِي، إلَّا أنْ تَبرَّ[1] يَمِينِي، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[2].

والثَّانِي: أنَّ الرَّجُلَ كانَ يَحْلِفُ باللهِ أنْ لَا يَصِلَ رحِمَهُ، ولَا يُصْلِحَ بيْنَ النَّاس، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ[3]، قالَهُ الرَّبِيعُ[4] بْنُ أَنَسٍ[5].

والثَّالِث: أنَّها نزَلَتْ فِي أَبِي بكْرٍ ﷺ حِين حلَفَ لَا يُنْفِقُ علَى مِسْطَحٍ، قالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ[6].

والرَّابِع: أنَّها نزَلَتْ فِي أَبِي بكْرٍ أيْضًا[7]، حلَفَ أنْ لَا يَصِلَ ابْنَهُ عبْدَ الرَّحْمَنِ حتَّى يُسْلِمَ، قالَهُ المُقَاتِلان[8]: ابْنُ حيَّانَ، وابْنُ سُلَيْمَانَ[9].

---

(١) في (م): الآن ببراء.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (٧٢) عن الكلبي، عن ابن عبَّاس.

(٣) من قوله: «قاله ابن عبَّاس»... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) في (م): ابن الرَّبيع.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٩).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٠) من طريق حجاج، عن ابن جُرَيْج، به.

(٧) ليست في (ر)، و(م). وفي (ف): حين. ومن قوله: «حين حلف لا ينفق»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٨) في (م): مُقَاتِل.

(٩) أورده مُقَاتِل بن سليمان في تفسيره (١/ ١٩٢)، وينظر: تفسير الثعلبي (٢/ ٩٧١)، وهذا واهٍ ليس بشيء، مقاتل بن سليمان كذاب، ومقاتل بن حيان ذو مناكير.

قال الفرَّاء: والمعْنَى: ولَا تجعَلُوا اللهَ مُعتَرضًا[١] لأَيْمانِكُم[٢]. وقال أبو عُبيدٍ[٣]: نَصْبًا[٤] لِأَيْمانِكُم، كأنَّه[٥] يعْنِي[٦]: أنَّكُم تعْتَرِضُونَهُ فِي كُلِّ شيْءٍ فتَحْلِفُونَ بِه[٧].

وفي معْنى الآيَةِ ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْنَاها: لا تَحْلِفُوا باللهِ أنْ لَا تَبَرُّوا ولَا تَتَّقُوا[٨] ولا تُصْلِحُوا بيْنَ النَّاسِ، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، وعطَاءٍ، وابْنِ جُبَيْرٍ، وإبْراهِيمَ، والضَّحَّاكِ، وقتَادَةَ، والسُّدِّيِّ، ومُقَاتِلٍ، والفرَّاءِ[٩]، وابْنِ قُتَيْبَةَ[١٠]، والزَّجَّاجِ فِي آخَرِينَ[١١].

---

(١) في (ج): معرضًا.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ١٤٤).

(٣) كذا في الأصول الخطية، ولعلَّ الصوابَ أبو عبيدة؛ لأنَّ هذا القول في مجاز القرآن (١/ ٧٣) له.

(٤) في (ت)، و(ر): نصًّا.

(٥) ليست في (ف).

(٦) في (ر): معنى.

(٧) انظر: مجاز القرآن (١/ ٧٣).

(٨) في (ف): ولا تُنفِقوا.

(٩) انظر: معاني القرآن (١/ ١٤٤).

(١٠) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٥).

(١١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٩٨).

[٦٢/أ] والثَّانِي: أنَّ معْنَاهـا: لَا تحْلِفُـوا باللهِ كاذِبِـينَ لِتَتَّقُـوا[١] المَخْلُوقِـينَ وتَبَرُّوهُم، وتُصْلِحُـوا بيْنَهُـم بالكَـذِبِ، رَوى هـذَا المعْنَـى عَطيَّةُ عـنِ ابْنِ عبَّـاسٍ[٢].

والثَّالِـثُ: أنَّ معْنَاهـا: لَا تُكثِـرُوا الحلِـفَ بـاللهِ وإنْ[٣] كُنْتُـم بَارِّيـنَ مُصلِحـينَ، فـإنَّ كثْـرَةَ الحَلِـفِ بـاللهِ ضرْبٌ مِـنَ الجُـرأَةِ عليْـهِ، هـذا قـوْلُ ابْـنِ زيْـدٍ.

قوْلُه: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: اللَّغْـوُ فِي كلامِ العـربِ: مَـا اطُّـرِحَ ولم يُعقـد عليْـهِ أمْـرٌ، ويُسـمَّى مـا لا يُعتـدُّ بِـه، لغْـوًا[٤].

وقـال ابْـنُ فـارسٍ: اشْـتقاقُ ذلِـك مِـنْ قوْلِـم لِمَا لَا يُعـدُّ لَـه[٥] مِـن أوْلادِ الإبِـلِ فِي الدِّيـة أوْ غيْرِهـا لغْـوٌ، يُقـال منـه: لغَـا يلْغُـو، وتقُـولُ: لَغِـي بالأمْـرِ يلْغِـي؛ إذَا لهِـجَ به[٦].

وقِيل: إنَّ اشْتقَاقَ اللُّغة منْهُ.

---

(١) زاد في (م) هنا: المؤمنين.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٢).

(٣) في (ج): إن.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠١).

(٥) في بقية النسخ: يعد.

(٦) انظر: مقاييس اللُّغة (٥/ ٢٥٥- ٢٥٦).

وفي المُراد باللَّغْوِ هَاهُنا خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه أنْ يَحْلِـفَ عـلَى الـشَّيْءِ يظـنُّ أنَّـه كـمَا حلَـفَ، ثُـمَّ يتبَـيَّنُ(١) لـه أنَّـه بخلافِـه، وإلى هـذا المعْنَـى ذهَـبَ أبـو هُرَيْـرَةَ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، والحسَـنُ، وعطَـاءٌ، والشَّـعبِيُّ، وابْـنُ جُبَـيْرٍ، ومُجَاهِـدٌ، وقتَـادَةُ، والسُّـدِّيُّ عـنْ أشْـيَاخِه، ومالِـكٌ، ومُقَاتِـلٌ.

والثَّـاني: أنَّـه: لا واللهِ، وبلَى واللهِ، مـنْ غـيْرِ قصْـدٍ لِعقـدِ اليَمِـينِ، وهـو قـوْلُ عائِشـةَ، وطَـاوسٍ، وعـروَةَ، والنَّخعـيِّ، والشَّـافعِيِّ.

واسـتدلَّ أرْبـابُ هـذا القـوْلِ بقوْلِـه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وكسْـبُ القلْـبِ: عقـدُهُ وقصْـدُهُ.

وهـذانِ القـوْلانِ منْقـولانِ عـنِ الإمـامِ أحمَـدَ ﷺ(٢)، رَوى عنـه ابْنُـه عبـدُ اللهِ أنَّـه قـالَ: اللَّغْـوُ عنْـدِي أنْ يحلِـفَ عـلَى(٣) اليَمِـين، يـرَى أنَّـه كذلِـكَ، فـلا كفَّـارةَ. والرَّجُـلُ يَحْلِـفُ(٤) فـلا يعْقِـدُ قلبَـهُ عـلَى شيْءٍ، فـلا كفَّـارةَ.

---

(١) في (ف): يبين.

(٢) انظر: الروايتين والوجهين (٣/ ٤٥).

(٣) في (ر): عن.

(٤) ليست في (ج).

والثَّالث[١]: أنَّه يمينُ الرَّجُلِ وهو غضبانُ، رَواه طَاوسٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والرَّابع: أنَّه حَلِفُ الرَّجُلِ علَى معْصِيةٍ، فلْيَحنَثْ، ولْيُكفِّر، ولا إثْمَ[٣] عليهِ، قالَه سَعيدُ بْنُ جُبَيْر[٤].

والخامِس: أنَّه يحلِفُ الرَّجلُ علَى شيْءٍ، ثُم ينْساهُ، قالَهُ النَّخعيُّ.

و[٥]قوْلُ عائِشَةَ أصَحُّ الجمِيعِ.

قالَ حنبلٌ[٦]: سُئل أحمَدُ عنِ اللَّغْوِ فقَالَ: الرَّجُلُ يَحْلِفُ فيقُولُ: لَا واللهِ، وبلَى واللهِ، لا يُريد عقْدَ اليمِينِ، فإذَا عقَدَ علَى اليمِينِ لزِمَتْهُ الكفَّارةُ[٧].

---

(١) في (ر): والثَّاني.

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٧٨٢)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٦١- ٦٧١٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ١٨١) من طريق خالد الحذاء، عن عطاء، عن وسيم، عن طاوس، به.
ووَسِيم شيخ مجهول يرو عن طاوس، ولم يرو عنه سوى عطاء بن السَّائب، ذكره البخاري في تاريخه (٨/ ١٨١) وسكت عنه، وبيَّض له ابن أبي حاتم (٩/ ٤٦)، وذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٥٦٦). وسقط هذا الراوي في المطبوع من تفسير ابن أبي حاتم، ورواه البيهقي في الكبير (١٠/ ٨٥) من طريق سعيد بن منصور بنحوه، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٤٤) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) في (ر): والإثم.

(٤) قوله: «قاله سعيد بن جُبَيْر»، ليس في (ف).

(٥) زاد في (م): (هو).

(٦) في (ف): حنبل بن أحمد.

(٧) انظر: الروايتين والوجهين (٣/ ٤٥).

قوْلُه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

قال مُجَاهِد: أي: بِمَا عقَدَتْ عليْهِ قلوبُكُم[١].

«والحَلِيمُ»: ذو الصَّفْحِ الَّذِي لَا يستَفِزُّهُ غضَبٌ، فيَعْجَل، ولا يستخِفُّهُ جهْلُ جَاهِلٍ معَ قُدرَتِه علَى العقُوبَةِ.

قالَ أبو سُليمانَ الخطَّابيُّ: ولا يَستَحِقُّ اسْمَ الحِلْم مَنْ سامَحَ مَعَ العجْزِ عنِ المُجازَاةِ، إنَّما الحَلِيمُ[٢] الصَّفُوحُ معَ القُدرَةِ، المُتأنِّي[٣] الَّذِي لا يَعْجَلُ بالعُقوبَةِ[٤].

وقد أنْعَمَ[٥] بعْضُ الشُّعرَاءِ أبْيَاتًا في هذَا المَعْنى، فقَالَ[٦] [من البسيط]:

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ... حَتَّى يُذَلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامِ

وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً ... لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامِ

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٧) من طريق ابن أبي نجيح، عن مُجَاهِد، بنحوه.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ف): الثَّاني.

(٤) انظر: شأن الدعاء (ص: ٦٣).

(٥) في (ف): نظم.

(٦) البيتان لعروة بن الزبير في تفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٨)، ولعبيد الله بن زِيَاد الحَارِثِيّ في الجليس الصالح (ص: ٥٨٥)، والحماسة البصرية (٢/ ٤)، وبلا نسبة في عيون الأخبار؛ لابن قُتَيْبَةَ (١/ ٤٠٢)، والعقد الفريد؛ لابن عبد ربه (٢/ ١٣٨)، وقد وقع اختلاف يسير في رواية البيتين، وانظر أيضًا: ديوان المعاني؛ لأبي هلال العسكري (١/ ١٣٤).

قَالَ: ويقال: حَلُمَ الرَّجُلُ يحلُمُ حُلُمًا بضمِّ اللَّامِ فِي الماضِي والمُستقبَلِ. وحَلَمَ فِي النَّومِ، بفتْحِ اللَّامِ، يَحْلُمُ حُلُمًا، اللَّامُ فِي المُستقبل والحاءُ فِي المصْدَرِ مضْمُومتَانِ.

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

الأيمَانُ علَى ضرْبيْنِ، ماضٍ، ومستقبلٌ:

فالماضِي علَى ضربَيْنِ: [٦٢/ب]

يمِينٌ[١] **مُحرَّمةٌ:** وهِي اليمِينُ الكاذِبَةُ، وهِي أنْ يقُولَ: واللهِ ما فعلْتُ، وقدْ فعَلَ. أوْ: لقَدْ فعلْتُ، وما فعَلَ.

ويمِينٌ مُباحةٌ: وهِي أنْ يكُون صادِقًا فِي قوْلِه: ما فعَلْتُ، أوْ: لقدْ فعَلْتُ[٢].

والمستقبَلَةُ علَى خمْسةِ أقْسَامٍ:

أحدُها: يمِينٌ عقدُهَا طاعَةٌ، والمقَامُ عليْهَا طاعَةٌ، وحَلُّهَا معْصِيةٌ؛ مثْلُ أنْ يحْلِفَ: لَأُصلِّينَّ الخمْسَ، ولَأَصُومَنَّ رمَضَانَ، أوْ: لَا شرِبْتُ الخمْرَ.

والثَّانِي: يمِينٌ عقْدُهَا معْصِيةٌ، والمقَامُ عليْهَا معْصِيةٌ، وحَلُّها طاعَةٌ، وهِيَ عكسُ الأُولى.

---

(١) ليست في (م).

(٢) من قوله: «ويمين مباحة»... إلى هنا، ليس في (ج).

والثَّالث: يمينٌ عَقدُها طاعَةٌ، والمقَامُ عليها طاعَةٌ، وحلُّها مَكرُوهٌ؛ مثلُ أنْ يحْلِفَ: لَيفعلَنَّ النَّوافِلَ مِنَ العِبادَاتِ.

والرَّابع: يمِينٌ عَقدُها مكْرُوهٌ، والمَقَامُ عليْهَا مَكرُوهٌ، وحَلُّها طاعَةٌ، وهِي عكسُ الَّتِي قبْلَها.

والخَامِس: يمِينٌ عَقْدُها مُباحٌ، والمقَامُ عليْهَا مُباحٌ، وحلُّها مُباحٌ؛ مثلُ أنْ يحْلِفَ: لَا دخلْتُ بلَدًا فِيه مَنْ يظْلِمُ النَّاسَ، ولَا سلَكْتُ طرِيقًا مخُوفًا، ونحوُ ذلِك.

قَالَ تعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ أهْلُ الجاهليَّةِ إذَا طلَبَ الرَّجُلُ مِنِ امرأَتِه شيْئًا، فأَبتْ أنْ تُعطِيَهُ حلَفَ أنْ لَا يقْرَبَهَا السَّنَةَ، والسَّنَتيْنِ، والثَّلاثَ، فيدَعُها لَا أَيِّمًا ولَا ذاتَ بعْلٍ، فلمَّا كانَ الإسْلامُ جعَلَ اللهُ تعالى ذلِك للْمسلِمِينَ أرْبعَةَ أشْهُرٍ، وأنْزلَ هذِه الآيَةَ(١).

وقَالَ سَعيدُ بْنُ المُسَيِّبِ: كانَ الإيلَاءُ ضِرَارَ أهْلِ الجاهليَّةِ، فكانَ

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (١٨٨٤)، والطَّحاوي في أحكام القرآن (٢/ ٣٨١)، والطبراني في الكبير (١١٣٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٦٢٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٧٩) من طريق عامر الأحول، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عبَّاس، بنحوه.

الرَّجُلُ لا يُرِيدُ المَرْأَةَ، ولا يُحِبُّ أنْ يتزوَّجَها غيرُه، فيحْلِفُ أنْ[1] لَا يقْرَبَها أبدًا، فجَعَلَ اللهُ تعالى [ذلِكَ][2] الأجَلَ الَّذي يُعلم به ما عنْدَ الرَّجُلِ فِي المَرْأَةِ أرْبعةَ أشْهرٍ، وأنْزَلَ هذِه الآيةَ[3].

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُؤْلُونَ؛ أي: يَحْلِفُونَ، يُقالُ: آلَيْتُ مِنِ امْرَأَتِي، أُولِي إِيلَاءً؛ إذا حلَفَ لا يُجامِعُها[4].

والِاسْمُ: الأَلِيَّةُ[5].

وقالَ الزَّجَّاجُ[6]: يُقالُ مِنَ الإِيلَاءِ[7]: آلَيْتُ[8] أُولِي إِيلَاءً وَأَلِيَّةً وَأَلُوَّةً وأُلُوةً وإِلْوَةً[9]، وهيَ بالكسْرِ أقلُّ اللُّغاتِ[10]، قال كُثَيِّرٌ[11] [من الطويل]:

---

(١) في (ف): أنه.

(٢) زيادة من (ف).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ١٦٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٧٩)، والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٢٩٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٦).

(٥) في (ر): إلا البتة.

(٦) من قوله: «يقال آليت من امرأتي»... إلى هنا، ليس في (م).

(٧) قوله: «يقال من الإيلاء»، ليس في (ج).

(٨) ليست في (ر).

(٩) في (ج): ألوّة وأولوّة.

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠١).

(١١) البيت لكثير عزة في ديوانه (ص: ٣٢٥)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٤/ ٤٠) مادة=

[قَلِيلُ][1] الْأَلَايَا[2] حَافِظٌ[3] لِيَمِينِهِ وَإِنْ بَدَرَتْ[4] مِنْهُ الْأَلِيَّةُ بَرَّتِ[5]

وحكَى ابْنُ الأنْبارِيِّ عنْ بعْضِ اللُّغويِّين أنَّه قالَ: «مِن» بمعْنَى: «فِي» أوْ: «علَى»، والتَّقْديرُ: يَحْلِفُون علَى وطْءِ نِسائِهِم، فحذَفَ الوطْءَ، وأقَامَ النِّسَاءَ مقامَهُ؛ كقولِه[6]: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؛ أي: علَى ألْسنَةِ رسُلِكَ.

وقِيل: فِي الكلَامِ حذْفٌ، تقْدِيرُه: يُؤْلُونَ؛ أي يَعْتَزِلُونَ[7] مِن نِسَائِهِم.

و«التَّربُّصُ»: الِانْتِظارُ.

ولا يكونُ مُولِيًا إلَّا[8] إذَا حَلفَ باللهِ أنْ لَا يُصِيبَ زوْجتَهُ أكْثَرَ مِن أرْبعَةِ أشْهُرٍ، فإنْ حَلفَ علَى أرْبعَةِ أشْهُرٍ فمَا دُونَ، لم يكُن مُولِيًا. وهذَا

=(ألا)، ومجمل اللُّغة (١/ ٢٠٣)، الألايا: جمع ألوة: وهي اليمين، وما يقسم به، الألية: القسم.

(١) ليست في الأصل، والمثبت بقية النسخ، والمصادر.

(٢) في (ر): الألاءيا. وفي (ف): الأيا.

(٣) في (م): قليل لا يحافظ.

(٤) في (م): ندرت.

(٥) ليست في (م).

(٦) في الأصل: لقوله. والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في (ف): يعتزلوا.

(٨) ليست في (م).

قَـوْلُ أحمَـدَ[١]، ومالِـكٍ[٢]، والشَّـافعِيِّ[٣].

و﴿فَآءُو﴾ رجَعُـوا، ومعْنـاه رجَعُـوا[٤] إلى الجِـماعِ، قالَـه عـلِيٌّ، وابْنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ جُبَـيْرٍ، ومـسْرُوقٌ، والشَّـعبِيُّ، وإذا كانَ لِلْمـولِي عـذْرٌ لا يقـدِرُ معَـه عـلَى الجِـماعِ، فإنَّـه يقُـول: متَـى قـدرْتُ جامَعْتُهـا، فيكُـون ذلِـكَ مِـنْ قوْلِـه فَيْئَـةً فمتَـى قَـدرَ فلـم يفعَـلْ، أُمِـرَ بالطَّـلاقِ، فـإنْ لم يُطلِّـقْ[٥]، طلَّـق الحاكِـمُ عليْـهِ.

قوْلُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٦٣/أ] قالَ عِلِيٌّ، وابْنُ عبَّاسٍ: غفورٌ لإثْمِ اليَمِينِ[٦].

قوْلُه: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾؛ أي: حَقَّقُوهُ.

وفِي عزيمَةِ الطَّلاقِ قوْلَانِ[٧]:

---

(١) انظر: المغني (٧/ ٥٣٦)، والإنصاف (٩/ ١٧٤- ١٧٥).

(٢) انظر: المدونة (٢/ ٣٣٦)، والتبصرة؛ للخمي (٥/ ٢٣٦٩).

(٣) انظر: الأم (٥/ ٢٨٣).

(٤) قوله: «ومعناه رجعوا»، ليس في (ف).

(٥) في (م): يفعل.

(٦) قـول ابـن عبَّـاس رضي الله عنهـا: رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٦٢) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحة، عـن ابـن عبَّـاس، قولـه: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ...﴾ [البقـرة: ٢٢٦]، وهو الرجـل يحلـف لامرأتـه بـالله لا ينكحهـا، فيتربـص أربعـة أشـهر، فـإن هـو نكحهـا كفَّـر يمينه بإطعـام عـشرة مسـاكين، أو كسـوتهم، أو تحريـر رقبـة، فمـن لم يجـد فصيـام ثلاثـة أيـام.

(٧) في (م): لأن، بدلاً من قوله: قولان.

أحدُهما: أنَّه إذَا مضَتِ الأرْبعَةُ الأَشْهُرُ[1] اسْتُحِقَّ عليْه أنْ يفِيءَ، أَوْ يُطلِّقَ، وهو مرْوِيٌّ عنْ عُمرَ، وعُثمانَ، وعليٍّ، وابْنِ عُمرَ[2]، وسهْلِ بْنِ سعْدٍ[3]، وعائِشةَ، وطاوسٍ، ومُجاهِدٍ، والحكَمِ، وأبي صالِحٍ[4].

وحكَاهُ أبو صَالِحٍ عنِ اثني عشَرَ رجُلًا مِنَ الصَّحابَةِ، وهوَ قوْلُ مالِكٍ[5]، وأحمَدَ[6]، والشَّافعِيِّ[7].

والثَّانِي: أنَّه لَا يفِيءُ حتَّى تَمْضِيَ أربعَةُ أَشْهُرٍ، فيُطلَّقُ[8] بذلِكَ مِن غيْرِ أنْ يَتكَلَّمَ بطَلاقٍ.

واخْتلَفَ أرْبابُ هذَا القوْلِ فيمَا[9] يلْحَقُها مِنَ الطَّلاقِ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: طلقةٌ بائِنَةٌ[10]. رُوي عنْ عُثمانَ، وعلِيٍّ، وابْنِ عُمرَ، وزيْدِ بْنِ ثابِتٍ، وقَبيصَةَ بْنِ ذُؤيْبٍ.

---

(١) في (ف): أشهر.

(٢) في (م): وعلي بن عمر.

(٣) في (م): وسهل بن سعيد.

(٤) انظر هذه الأقوال في: الدر المنثور (١/ ٦٥٠- ٦٥١).

(٥) انظر: المدونة (٢/ ٣٤٠)، والتبصرة (٥/ ٢٣٧٣).

(٦) انظر: مسائل الإمام أحمد، رواية صالح (١/ ١٤٧)، والروايتين والوجهين (٢/ ١٧٧).

(٧) انظر: الأم (٥/ ٢٨٧).

(٨) في (ت)، و(ف): فتَطلُق.

(٩) في (ج): ربما.

(١٠) في (ج): ثانية.

والثَّانِي: طلقةٌ [وَاحِدةٌ][١] رجعيَّةٌ، رُوي عن سعيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، وأَبِي بكْرِ بْنِ عبْدِ الرَّحمَنِ، وابْنِ شُبْرُمةَ[٢].

قَوْلُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: سَمِيعٌ لِطلاقِه، علِيمٌ بِنِيَّتِه.

والثَّانِي: سَمِيعٌ لِيمِينِه، عَلِيمٌ بِهَا.

قوْلُه: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾.

سبَبُ نُزولِهَا:

أنَّ المرْأَةَ كانَتْ إذَا طُلِّقَتْ وهِي رَاغِبةٌ فِي زوْجِها؛ قالَتْ: أنا حُبْلى، وليْسَتْ حُبْلَى، لكي[٣] يُراجِعَهَا، وإنْ كانَتْ حُبلى وَهِي كارِهَةٌ؛ قالَتْ: لسْتُ بِحُبلى، لكي لا[٤] يقدِرَ علَى مُراجعَتِها. فلمَّا جاءَ الإسْلامُ ثبَّتُوا[٥] علَى هذَا، فنزَلَ قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الطَّلاق: ١]، ثُمَّ نزلَتْ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ

---

(١) زيادة من (م).

(٢) في (ج): ابن سبرة.

(٣) في (ر): لكن.

(٤) في (ر): لكن.

(٥) في (ر): أثبتوا.

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾. روَاهُ أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١].

وأمَّا التَّفسيرُ:

فالطَّـلاقُ: التَّخْلِيـةُ[٢]. قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: هـوَ مِـنْ قـوْلِ العـرَبِ: أطلَقْـتُ النَّاقـةَ، فطَلُقَـتْ؛ إذا كانَـتْ مَشـدُودَةً، فأَزَلْـتَ الشَّـدَّ عنْهَـا، وخلَّيْتَهـا، فشُـبِّهَ مَـا يقَـعُ بالمـرأةِ بذلِـكَ؛ لأنَّهـا كانَـتْ مُتَّصِلـةَ الأسْـبَابِ بالرَّجُـلِ[٣]، وكانَـتِ الأسْـبَابُ كالشَّـدِّ لهَـا فلـمَّا طلَّقهـا قطَـعَ الأسْـبَابَ. ويُقـالُ: طلَقَـتِ المـرأةُ وَطَلُقَـتْ[٤].

وقـالَ غـيْرُه: الطَّـلاقُ: مِـنْ أطلَقْـتُ الـشَّيءَ مِـن يـدِي[٥]، إلَّا أنَّهـم لِكثْـرَةِ اسْـتعْمالِهِمُ اللَّفْظتَـيْنِ فرَّقـوا بيْنَهُـما؛ لِيكُـونَ التَّطلِيـقُ مقْصُـورًا فِي الزَّوجَـاتِ.

فأمَّـا «القُـروءُ»: فـيُرادُ بِهَـا: الأَطْهـارُ، ويُـرادُ بِهَـا الحيْـضُ. يُقـالُ: أقْـرأتِ المـرْأَةُ؛ إذا حَاضَـتْ، وأقْـرَأتْ؛ إذا طهُـرَتْ. قـالَ النَّبـيُّ ﷺ فِي المُسـتحاضَةِ:

---

(١) لم نقف على هذه الرواية مسندة.

(٢) في الأصل: والتخلية، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ج): بالرحيل.

(٤) بفتح اللام وضمها، والفتح أفصح تطلُق بضمها فيهما.

(٥) في (م): لدي.

«تَقْعُدُ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا»(١)، يُرِيدُ: أَيَّامَ حيْضِها. وقالَ الأَعْشى(٢) [من الطويل]:

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ(٣) تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةٍ مَالًا، وَفِي الحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ(٤) فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

أرادَ بالقُروء: الأطْهارَ؛ لأنَّه لمَّا خرَجَ عنْ نِسائِهِ أضاعَ(٥) أطْهارَهُنَّ.

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦٥٩٣)، والطبراني في الكبير (٥٥٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢)، والبيهقي في السنن (١/ ٤٩٥) من طرق عن عبد الله بن عمر العمري، عن سالم أبي النضر، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة رسولَ الله ﷺ، فقالت: إني أستحاض، فقال: «ليس ذلك بالحيض، إنما هو عرق، لتقعد أيام أقرائها، ثم لتغتسل، ثم لتستثفر بثوب، ولتصل». وفي الباب عن عائشة، وزينب بنت جحش وغيرهن رضي الله عنهن.

(٢) البيت في ديوانه (ص: ١٤١)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٧٤)، وتفسير الطبري (٤/ ٥١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٣٠٤)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٨٦)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٩٢)، والكامل (١/ ٢٢٠)، يقال: جشِم الأمر جشْمًا وجشامة: تكلفه على مشقة فهو: جاشمٌ، فهو يترك نساءه في أوقات تطهرهن ويتجشم مشقة الغزو التي تشد عزائمه.

(٣) في (ر)، و(م): عروة.

(٤) في الأصل: صاغ، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ج): أطاع.

واخْتلَفَ أهْلُ اللُّغةِ فِي أصْلِ القُروءِ علَى قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّ أصلَه الوقتُ، يُقال: رجَعَ فُلانٌ لِقُرئِه؛ أي: لِوقتِهِ الَّذي كانَ يرجِعُ فيهِ، فالحَيْضُ يأتِي لِوقتٍ، والطُّهر[1] يأْتِي لِوقتٍ، هذا قوْلُ[2] ابْنِ قُتَيْبَةَ[3].

والثَّانِي: أنَّ أصلَه الجمْعُ. وقوْلُهم: قرأْتُ القُرآنَ؛ أي: لفَظْتُ بِه مجْمُوعًا. [٦٣/ب]

والقُرْءُ: اجْتِماعُ الدَّمِ فِي البدَنِ، وذلِك إنَّما يكونُ فِي الطُّهر[4]، وقد يجوزُ أن يكُونَ اجْتِماعُه[5] فِي الرَّحم، وكِلاهُما حسَنٌ، هذا قوْلُ الزَّجَّاج[6].

واختلَفَ الفُقهاءُ[7] فِي الأقْراءِ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها الحيْضُ، رُوي عنْ عُمرَ، وعلِيٍّ، وابْنِ مَسْعُودٍ، وأبِي مُوسى، وعُبادةَ بْنِ الصَّامتِ، وأبِي الدَّرداءِ، وعِكْرِمةَ[8]، والضَّحَّاكِ،

---

(١) في (ج): والظهر.

(٢) زاد في (م): ابن عبَّاس.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٧).

(٤) في (م): الظهر.

(٥) من قوله: «في البدن»... إلى هنا ليس في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠٥).

(٧) في (م): العلماء.

(٨) في (ف): عكرة.

والسُّدِّيِّ، وسُفيان الثَّوريِّ، والأوْزَاعِيِّ، والحسَنِ بْنِ صالِحٍ، وأبي حَنِيفةَ وأصْحَابِه، وأحمَدَ بْنِ حنبَلٍ ﷺ، فإنَّه قالَ: قد كنْتُ أقُولُ[1]: إنَّ القُرُوءَ: الأطْهارُ، وأنا اليوْمَ أذْهَبُ إلى أنَّها الحَيْضُ[2].

والثَّانِي: أنَّها الأطْهارُ، رُوي عنْ زيْدِ بْنِ ثابِتٍ، وابْنِ عُمرَ، وعَائِشةَ، والزُّهريِّ، وأبانَ بْنِ عُثمانَ، ومالِكِ بْنِ أنَسٍ، والشَّافِعِيِّ، وأوْمَأَ إليْهِ أحمَدُ.

ولفْظُ قوْلِه: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ لفْظُ الخبَرِ، ومعْنَاه: الأمْرُ؛ كقوْلِه: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقد يأتِي لفْظُ الأمْرِ في معْنَى الخبَرِ[3]؛ كقوْلِه: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، والمُراد بالمطلَّقاتِ في هذِه الآيةِ، البالِغاتُ[4] المَدْخُولُ بِهنَّ غيْرُ الحوامِلِ.

قوْلُه: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾.

فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الحمْلُ، قالَه عُمرُ، وابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وقتَادَةُ، ومُقَاتِلٌ، وابْنُ قُتَيْبَةَ[5]، والزَّجَّاجُ[6].

---

(١) في (ر): أقوال.

(٢) انظر: مسائل أبي داود (١٢١٧).

(٣) في (م): لفظ الخبر ومعناه الأمر.

(٤) في (م): المبالغات.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠٥).

والثَّانِي: أَنَّه الحَيْضُ، قالَهُ عِكْرِمَةُ، وعَطِيَّة، والنَّخَعِيُّ، والزُّهرِيُّ.

والثَّالث: الحمْلُ والحَيْضُ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ زيْدٍ.

وقوْلُه: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ﴾.

خَرَجَ مخْرَجَ الوَعِيدِ لهُنَّ والتوْكِيدِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: وهو كما تَقُولُ للرَّجُلِ[١]: إنْ كُنْتَ مُؤمِنًا فلَا تَظْلِم[٢].

وفِي سبَبِ وعِيدِهِنَّ بذلِكَ قوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّه لأجْلِ مَا يسْتَحِقُّه الزَّوْجُ مِنَ الرَّجعَة، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: لأجْلِ إلْحاقِ الوَلَدِ بغَيْرِ أَبِيه، قالَهُ قتَادَةُ.

وقِيل: كانَتِ المَرْأةُ إذَا رَغِبتْ في زوْجِها، قالَتْ: إنِّي حائِضٌ، وقد طَهرْتُ[٣]. وإذَا زهِدَتْ فِيه؛ كتَمَتْ حيْضَها حتَّى تغْتَسِلَ، فتَفُوتَهُ.

و«البُعولَةُ»: الأزْوَاجُ.

و«ذا[٤]»: إشَارةٌ إلَى العِدَّةِ، قالَه مُجاهِدٌ، والنَّخعِيُّ، وقتادَةُ فِي آخَرِينَ.

وفِي الآيَةِ دلِيلٌ علَى أنَّ خُصُوصَ آخِرِ[٥] اللَّفْظ لا يمْنَعُ عُمومَ أوَّلِه، ولَا

(١) في الأصل، و(ف): كما يقول الرجل، والمثبت من (ت).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠٦).

(٣) أي: ليراجعها.

(٤) في (ر): إذا. وفي (م): وفي ذلك.

(٥) ليست في (م).

يُوجِبُ تخْصِيصَهُ؛ لأنَّ قوْلَه: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾ عامٌّ في المَبْتُوتاتِ[1] والرَّجعيَّاتِ، وقوْلُه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ خاصٌّ في الرَّجعيَّاتِ[2].

قوْلُه: ﴿إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾.

قيل: إنَّ الرَّجُلَ كانَ إذا أرَادَ الإضْرارَ بامْرَأتِه، طلَّقَها واحِدَةً وترَكَها، فإذَا قارَبَ انْقِضاءُ عدَّتِها راجعَها، ثُم ترَكَها مُدَّةً، ثُمَّ طلَّقَها، فنُهُوا عنْ ذلِك.

وظاهِرُ الآيَةِ يقْتَضِي أنَّه إنَّما يمْلِكُ الرَّجعَةَ علَى غيْرِ وجْهِ المضارَّةِ بتَطوِيلِ العِدَّةِ عليْها، غيْرَ أنَّه قدْ دلَّ قوْلُه: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْ﴾ [البقرة: ٢٣١]، علَى صحَّةِ الرَّجعَةِ[3] وإنْ قصَدَ الضِّرارَ؛ لأنَّ الرَّجعَةَ لو لم تكُنْ صَحِيحةً إذا وقعَتْ علَى وجْهِ الضِّرَارِ لَما كانَ ظَالِمًا بفعْلِها.

قوْلُه: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾.

وهو: المُعاشَرَةُ الحسَنَةُ، والصُّحْبَةُ الجَمِيلَةُ.

[٦٤/أ] رُوِي عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه سُئِل عنْ حقِّ المَرأةِ علَى الزَّوْجِ فقَالَ: «**أنْ يُطْعِمَها إذَا طَعِمَ، ويَكْسُوها إذَا اكْتَسَى، ولا يَضْرِبُ الوَجْهَ، ولا يُقبِّحُ، ولا**

(١) في الأصل: المثبوتات، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في (ر): الرَّجعة. وفي (ج): الرجعات.

(٣) في (ج): الرجعية.

يَهْجُرُ(١) إِلَّا فِي الْبَيْتِ»(٢).

وقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ للمرْأَةِ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي لهذِه الآيَةِ(٣).

قوْلُه: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بِمَا(٤) سَاقَ إليْهَا مِنَ المَهرِ، وأنْفَقَ عليْهَا مِنَ المَالِ(٥). وقَالَ مُجَاهِدٌ: بالجِهادِ والمِيراثِ(٦). وقَالَ أبو مَالِكٍ: يُطلِّقُها، وليْسَ لَهَا مِنَ

(١) مكانها بياض في (م).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤٤٧- ٣/ ٥- ٥/ ٥)، وأبو داود (٢١٤٢- ٢١٤٣- ٢١٤٤)، وابن ماجه (١٨٥٠)، والنسائي في الكبرى (٩١٠٦- ٩١١٥- ٩١٢٦- ١١٠٣٨)، والطَّحاوي في شرح مشكل الآثار (٤١٦١)، وابن حبان في صحيحه (٤١٥٧)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٦٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠٤) وغيرهم من طرق عن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، عن أبيه فذكره بنحوه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩٢٦٣)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٦) من طريق وكيع بن الجراح، عن سليمان بن بشير، عن عِكْرِمَة، عن ابن عبَّاس قال: إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي المرأة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

(٤) في (ف): مما.

(٥) أورده الثعلبي في تفسيره (٢/ ١٧٢) بهذا اللفظ، بغير إسناد، ورواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٦/ ٦٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٤٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال: وفضله عليها بنفقته وسعيه.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٩) من=

الأمْرِ شَيْءٌ[١].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: تَنالُ مِنه مِنَ اللَّذةِ كما يَنَالُ مِنْها، ولَهُ الفَضْلُ بِنفَقَتِهِ[٢].

ورَوى أبو هُرَيْرَةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: **«لَوْ أمَرْتُ أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لِأحَدٍ لَأمَرْتُ المرْأَةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوجِهَا»**[٣].

وقالَتْ ابْنَةُ سعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ: ما كُنَّا نُكلِّم أزْوَاجَنا إلَّا كما[٤] تُكلِّمُونَ أُمَراءَكُم[٥].

=طريق ابن أبي نجيح، عن مُجاهِد، بنحوه. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٦٢) لعبد بن حميد.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٠) من طريق إسرائيل، عن السُّدِّي، عن أبي مالك، بنحوه. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٦٢) لعبد بن حميد.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠٧).

(٣) رواه التِّرمذي (١١٥٩)، وابن حبان (٤١٦٢)، والبزَّار في مسنده (٨٠٢٣)، وابن أبي الدُّنيا في النَّفقة على العيال (٥٣٤) من طرق عن النضر بن شميل، وأبي أسامة، كلاهما عن محمد بن عمرو بن وقاص الليثي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، به، بألفاظ مطولة ومختصرة. ومحمد بن عمرو الليثي صدوق له أوهام، وروايته عن أبي سلمة عن أبي هُرَيْرَةَ مضطربة، ولكن تابعه يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، به، عند البزَّار في مسنده (٨٦٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠٦)، والبيهقي في السنن الصغير (٢٥٩٨)، وله شواهد كثيرة عن عائشة كما عند ابن ماجه (١٨٥٢)، وعن معاذ بن جبل ﷺ عند أحمد (٣٢/ ١٨٥٢).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن أبي الدُّنيا في النَّفقة على العيال (٥٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩٨) من طريق ضمرة، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، قال: قالت ابنة سعيد بن المُسَيِّب: ما=

فَصْلٌ

اختلَفَ العُلماءُ فِي هذهِ الآيَةِ: هلْ تدْخُلُ فِي الآياتِ المَنْسُوخاتِ أمْ لَا؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها تدْخُل فِي ذلِكَ.

واخْتلَفَ هؤلَاءِ فِي المَنْسُوخِ مِنْها:

فقَال قوْمٌ: المنْسُوخُ مِنْها[1] قوْلُه: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقالُوا: فكانَ يجِبُ علَى كُلِّ مُطلَّقَةٍ أنْ تَعْتدَّ بثلَاثةِ[2] قُرُوءٍ، فنُسِخَ حُكمُ الحامِلِ بقوْلِه: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ﴾ [الطَّلاق: ٤]، وحُكْمُ المُطلَّقَةِ قبْلَ الدُّخولِ بقوْلِه[3]: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وهذَا مَرْوِيٌّ[4] عنِ ابنِ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكِ فِي آخرِينَ[5].

=كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا أمراءكم: أصلحك الله، عافاك الله. وفي المطبوع من الحلية «امرأة سعيد»، بدلًا من «ابنته».

(١) قوله: «المنسوخ منها»، ليس في (م).

(٢) في (ف): ثلاثة.

(٣) من قوله: «وأولات الأحمال»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) في (ف): يُروى.

(٥) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ لأبي جعفر النَّحَّاس (ص: ٢١١)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ للمقرئ (ص: ٥٣)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٢٩).

وقالَ قومٌ: أوَّلُها مُحكَمٌ، والمَنْسُوخُ قوْلُه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ قالُوا: كانَ الرَّجُلُ إذا طَلَّق امْرأَتَهُ كانَ أحقَّ برجعتِها، سَواءً كانَ الطَّلاقُ ثلاثًا، أوْ دُونَ ذلِك، فنُسِخ ذلِك بقوْلِه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

والقول الثَّاني: أنَّ الآيةَ كُلَّها مُحكَمةٌ، فأوَّلُها عامٌّ. والآياتُ الوارِدةُ في العَدَدِ خصَّتْ ذلِك مِنَ العُمومِ، وليْس بِنسْخٍ.

وأمَّا ما قِيلَ(١) في الارْتجاعِ، فقدْ ذكَرْنا أنَّ معْنَى قوْلِه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في العِدَّةِ قبْلَ انْقضاءِ القُرُوءِ الثَّلاثةِ، وهذا القَوْلُ هوَ الصَّحِيحُ.

قالَ تعالَى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩، ٢٣٠].

قوْلُه: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

سببُ نُزُولِها:

أنَّ الرَّجُلَ كانَ يُطلِّقُ امْرأَتَه، ثُمَّ يُراجِعُها ليْسَ لِذلك شيْءٌ ينْتَهِي إليه،

---

(١) في (ج): قبل.

فقَالَ رجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لِامْرأَتِه: واللهِ لَا أُؤْوِيكِ إِلَيَّ أَبَدًا ولَا تَحِلِّينَ[١] مِنِّي [أَبدًا][٢]. فقَالَتْ[٣]: كيْفَ ذَاكَ؟ قالَ: أُطَلِّقُكِ، فإِذَا دَنا أجلُكِ، رَاجعْتُكِ، فذَهَبتْ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، تشْكُو إليْهِ ذلِك فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، فاسْتقْبَلَها النَّاسُ مَنْ كانَ طَلَّقَ[٤] [امْرأَتهُ][٥]، ومَنْ لم يُطلِّقْ[٦]. رَواهُ هِشامُ بْنُ عُروةَ عنْ أَبِيه[٧].

(١) في (ف): تحلين. والذي في (ف) موافق لما في بعض نسخ السّنَن الْكُبْرَى: «تحلين» فَلَا فرق. ويؤكد ذَلِك قَوْله فى رِوَايَة عَائِشَة: «لَا أطلقك: فتبينى منى، وَلَا أؤويك إِلَيّ» إِلَخ. وَقَوله فى رِوَايَة أُخْرَى عَن عُرْوَة- كَمَا فى السّنَن الْكُبْرَى (٧/ ٤٤٤)-: «لَا آويك إِلَى أبدا، وَلَا تحلين لغيرى»... إِلَخ

(٢) زيادة من (ج).

(٣) في (ج): فقال.

(٤) ليست في (ج).

(٥) زيادة من (ف).

(٦) في (م): ومَنْ لم يكن يطلّق.

(٧) رواه مالك في الموطأ رواية أبي مصعب (١٦٩٧)، ومن طريقه الشَّافعي في اختلاف الحديث (٨/ ٦٦٠)، وفي أحكام القرآن (١/ ٢٢٣)، وفي مسنده (١٠٩) ترتيب السِّندي، من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه. ومن طريق الشَّافعي رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١١/ ٣٩- ٢٣١).
ورواه التِّرمذي عقب حديث (١١٩٢)، و ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٢٥- ١٢٦) من طريق عبد الله بن إدريس وجرير بن عبد الحميد، وابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كَثِير (١/ ٦١١) من طريق عبدة بن سليمان، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٧٣٠) من طريق جعفر بن عون، جميعهم -ابن إدريس، وجرير، وجعفر، وعبدة- عن هشام، عن أبيه، بنحوه. قال التِّرمذي: وهذا أصحُّ من حديث يعلى بن شبيب.
ورواه التِّرمذي في سننه (١١٩٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٧)، وابن مردويه في=

فأمَّا التَّفْسِيرُ:

فَفِي قوْلِه: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بيانٌ لِسُنَّةِ الطَّلاقِ، وأنْ يُوقِعَ فِي كُلِّ قُرْءٍ طلْقَةً، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ.

والثَّانِي: أنَّه بيانٌ للطَّلاقِ الَّذي يمْلِكُ معَهُ الرَّجعَةَ، قالَهُ عُروةُ[1]، وقتادَةُ، وابْنُ قُتَيْبَةَ[2]، والزَّجَّاجُ[3] فِي آخَرِينَ. [٦٤/ب]

قوْلُه: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾.

معْناه: فالوَاجِبُ عليْكُم إمْسَاكٌ بمَعْرُوفٍ، وهو مَا يُعرَفُ مِن إقَامَةِ الحقِّ فِي إمْسَاكِ المَرْأَةِ.

وقالَ عطَاءٌ[4]، ومُجاهِدٌ[5]، والضَّحَّاكُ[6]، والسُّدِّيُّ[7]: المُرادُ بقوْلِه:

=تفسيره كما عند ابن كَثِير (١/ ٦١١) من طريق يعلى بن شبيب، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، بنحوه.

وقد رجَّح الوصل الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطَّبري (٤/ ٥٤٠).

(١) في (م): عِكْرِمَة.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠٧).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٣٠) من طريق ابن جُرَيْج، عن عطاء.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٣١) من طريق ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٣٢) من طريق جويبر، عن الضَّحَّاك.

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٣١) من طريق أسباط بن نصر، عن السُّدِّي.

﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ الرَّجعَةُ بعْدَ الثَّانِيةِ.

وفي قوْلِه: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ المُرادَ بِه: الطَّلقَةُ الثَّالِثةُ[١]، قالَهُ عطَاءٌ، ومُجاهِدٌ، ومُقَاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّه الإمْسَاكُ عنْ رجعَتِها حتَّى تَنقَضِيَ عدَّتُها، قالَهُ الضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ.

قالَ القاضِي أبو يعْلَى مُحمَّد بْنُ الحُسينِ بْنِ الفَرَّاءِ: وهذَا الصَّحِيحُ؛ لأنَّه قالَ عَقيبَ الآيةِ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾، والمُرادُ بِهذِه الطَّلقَةِ الثَّالِثَةُ[٢] بِلا شَكٍّ، فيَجِبُ إذنْ أن يُحملَ قوْلُه: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ علَى تركِهَا حتَّى تَنقَضِيَ عِدَّتُها؛ لأنَّه إنْ حُمِلَ علَى الثَّالثَةِ؛ وجَبَ أنْ يُحمَلَ قوْلُه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ علَى رَابِعةٍ، وهذَا لا يَجُوزُ[٣].

❁❁❁

(١) في (ج): الثَّانية.

(٢) في (ر): الثَّلاثة.

(٣) انظر: المغني؛ لابن قدامة (٧/ ٤٢٦).

فَصْلٌ

الطَّلاقُ على أَرْبَعةِ أَضْرُبٍ:

وَاجِبٌ، ومنْدُوبٌ إِلَيْهِ، ومحْظُورٌ[١]، ومكْرُوهٌ.

فالوَاجِبُ: طَلاقُ المُوْلِي بعْدَ التَّربُّصِ، إذَا لم يَفِئْ، وطَلاقُ الحَكَمَيْنِ فِي شِقَاقِ الزَّوْجَيْنِ؛ إذا رَأَيَا الفُرْقةَ.

والمَنْدُوبُ: إذا لم يتَّفِقَا، واشْتَدَّ الشِّقَاقُ[٢] بيْنَهُما، لِيتخَلَّصَا مِنَ الإثْمِ.

والمَحْظُورُ[٣]: فِي الحَيْضِ؛ إذا كانَتْ مَدخُولًا بِها، وفِي طُهْرٍ جامعَهَا فِيه قبْلَ أنْ تطهُرَ.

والمكْرُوهُ: إذا كانَتْ حالُها مُستقيمَةً، وكُلٌّ واحِدٍ مِنهُما قَيِّمٌ بحقِّ[٤] صاحِبِه.

قوْلُه: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾.

نزلَتْ فِي ثابِتِ بْنِ قيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أتَتْ زوْجَتُه إلى النَّبيِّ ﷺ، فقَالَتْ: واللهِ مَا أعْتِبُ علَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ ولا خُلُقٍ، ولَكِنِّي لا[٥] أُطِيقُه بُغضًا. فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أتَرُدِّينَ علَيهِ حَدِيقَتَهُ»؟ قالَتْ: نَعَمْ! فأمَرَهُ

---

(١) في (ج): ومحضور.

(٢) من قوله: «إذا رأيا الفرقة»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) في (ج): والمحضور.

(٤) في (م): نحو.

(٥) ليست في (م).

النَّبِـيُّ ﷺ، أنْ يأْخُذَهَـا مِنْهـا، ولا يَـزْدَادَ. رَواه عِكْرِمَـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[1].

واخْتَلَفُوا فِي اسْمِ زَوْجَتِه:

فقَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: جميلـة. ونسـبَهَا يحْيَـى بْـنُ أبِي كَثِـير، فقَـالَ: جَمِيلَـةُ بِنْـتُ[2] عبـدِ اللهِ بْـنِ أُبَيِّ بْـنِ سَـلُولٍ. وكَنَّاهـا مُقَاتِـلٌ، فقَـالَ: أمُّ[3] حَبِيبَـةَ بِنْـتُ عبْـدِ اللهِ بْـنِ أُبَيٍّ.

وقـالَ آخـرُون: إنَّـما هِـي جَمِيلَـةُ أخْـتُ عبْـدِ اللهِ بْـنِ أُبَيٍّ. ورَوَى يَحْيَـى بْـنُ سَـعِيدٍ، عَـنْ عَمْـرَةَ رِوَايَتَـيْنِ[4]:

إحداهُما: أنَّها حَبِيبةُ بِنْتُ سَهْلٍ.

والثَّانِية: سَهْلَةُ بِنتُ حَبِيبٍ[5].

وهذَا الخُلعُ أوَّلُ خُلعٍ كانَ فِي الإسْلَامِ.

و«الخَـوْفُ» فِي الآيَـةِ بمعْنَـى: العِلْـم. قـالَ أبُـو عُبيـدَةَ: معْنَـى يَخافَـا: يُوقِنَـا.

و«الحُدُودُ» قد سبَقَ بيَانُ معْنَاهَا.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٧٣- ٥٢٧٥).

(٢) من قوله: «ونسبها يحيى»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) في (ر): آدم.

(٤) من قوله: «أخت عبد الله» ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) انظر: تفصيل الخلاف في اسمها في فتح الباري؛ لابن حجر (٩/ ٣٩٨).

ومعْنَى الآيَةِ: أنَّ المَرْأَةَ إذَا خافَتْ أنْ تعْصِيَ اللهَ فِي أمْرِ زوْجِها لِبُغضِها إيَّاه، وخَافَ الزَّوجُ أنْ يعْتَدِيَ عليْهَا لِامْتِنَاعِهَا عنْ طاعتِهِ جازَ لَهُ أنْ يأخُذَ منْهَا الفِديةَ؛ إذا طلَبَتْ ذلِكَ.

هذَا علَى قِراءَةِ الجُمهُورِ فِي فتْحِ «يَاءِ» يَخَافَا، وقَرَأَ الحسَنُ، ومُجَاهِدٌ، وأبو جَعْفَرٍ، وحمزَةُ، والأعمَشُ، ويعْقُوبُ: «يُخافا» بضَمِّ اليَاءِ[1].

قوْلُه ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ قَالَ قتَادَةُ: هوَ خِطَابٌ للْولَاةِ[2]. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ علَى المَرْأَةِ ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾، وعلَى الزَّوجِ فِيما أخَذَ؛ لأنَّه ثمنُ حَقِّهِ.

[٦٥/أ] وقَالَ الفرَّاءُ: يجُوزُ أنْ يُرادَ الزَّوجُ وحدَهُ، وإنْ كانَا قدْ ذُكِرَا جمِيعًا؛ كقوْلِه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنَّما يَخْرُجُ مِن أحَدِهِمَا. وقوْلُه: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]: وإنَّما نَسِيَ أحدُهُما[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٢)، والحُجَّة (٢/ ٣٢٨)، والكامل في القراءات العشر (ص: ٥٠٤)، وفي مصحف ابن مَسْعُودٍ: «إلا أن يخافوا» بالياء وواو الجمع، والضمير للحكام ومتوسطي أمور الدُّنيا. انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٦٤)، والمصاحف؛ لابن أبي داود (ص: ١٧٤) وهي قراءة شاذة، وقرأ ابن عبَّاس، والحجاج بن يوسف: «إلا أن تخافا»، انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢١).

(٢) في (ج): للمولاة. والأثر رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٢٠) من طريق الحسين بن محمد المروزي، عن شيبان، به.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ١٤٧).

فَصْلٌ

وهلْ يجُوزُ له أنْ يأْخُذَ أكثرَ مِمَّا أعْطَاهَا؟

فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: يجُوزُ، وبهِ قالَ عُمرُ بْنُ الخطَّابِ، وعُثْمانُ، وعلِيٌّ، وابْنُ عبَّاسٍ، والحَسَنُ، ومُجَاهِدٌ، والنَّخعِيُّ، والضَّحَّاكُ، ومالِكٌ، والشَّافعِيُّ.

والثَّانِي: لا يجُوزُ، وبهِ قالَ سعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وعطَاءٌ، والشَّعبِيُّ، وطاوسٌ، وابْنُ جُبَيْرٍ، والزُّهريُّ(١)، وأحمَدُ بْنُ حنْبلٍ، وقد نُقِلَ عنْ(٢) عَلِيٍّ، والحسَنِ أيْضًا.

وهلْ يجُوزُ الخُلعُ دُونَ السُّلطانِ؟

قالَ عُمرُ، وعُثْمانُ، وعلِيٌّ، وابْنُ عُمرَ، وطَاوسٌ، وشُريحٌ، والزُّهريُّ: يجُوزُ، وهوَ قوْلُ جُمهورِ العُلماءِ.

وقالَ الحسَنُ، وابْنُ سيرينَ، وقتادَةُ: لا يجُوزُ إلَّا عنْدَ السُّلطانِ.

قوْلُه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾.

---

(١) في (ر): والزهر.

(٢) ليست في (ر).

ذكَـرَ مُقَاتِـلٌ أنَّ هـذه الآيَـةَ نزلَـتْ فِي تَمِيمـةَ بِنـتِ وَهـبِ بْـنِ عَتِيـكٍ النَّضـيريِّ[١]، وفِي زَوْجِهـا رِفاعَـةَ بْـنِ عبْـدِ الرَّحمَـنِ القُرَظـيِّ[٢][٣].

وقـالَ غـيْرُ مُقَاتِـلٍ: إنَّهـا عَائِشـةُ بِنـتُ عبـدِ الرَّحمَـنِ بْـنِ عَتِيـكٍ، كانَـتْ تحْـتَ رِفاعَـةَ بْـنِ وهْـبِ بْـنِ عَتِيـكٍ وهـوَ ابْـنُ عمِّهـا، فطَلَّقَهـا ثَلاثًـا، فتزَوَّجَـتْ بعْـدَهُ عبْدَالرَّحمَـنِ بْـنَ الزَّبـيرِ، ثُـم طلَّقَهَـا، فأتَـتْ إلَى النَّبـيِّ ﷺ، فقالَـتْ: إنِّي كنْـتُ عنْـدَ رِفاعَـةَ، فطَلَّقنِـي، فأَبَـتَّ طَلاقِـي، فتزَوَّجْـتُ بعْـدَهُ عبْـدَ الرَّحمَـنِ بْـنَ الزَّبـيرِ، وأنَّـه طلَّقنِـي قبْـلَ أنْ يَمَسَّـني، أفأَرْجِـعُ إلى ابْـنَ عمِّـي؟ فتبَسَّـم رسُـولُ اللهِ ﷺ، وقـالَ: «أتُرِيدِيـنَ أنْ ترْجِعِـي إلَى رِفَاعَـةَ؟» [قالَـتْ: نعَـمْ! قـالَ عليه السلام][٤]: «لَا، حتَّـى تَذُوقِـي عُسَـيلَتَهُ وَيَـذُوقَ عُسَـيلَتَكِ»[٥].

قوْلُه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعْنِي: الزَّوْجَ المُطلِّقَ مرَّتيْنِ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٦]، ومُجاهِدٌ[٧]، وقتادَةُ[٨]: هِي الطَّلْقَةُ الثَّالثَةُ.

---

(١) في (ف)، و(ج): النصيري.

(٢) في (ج): القرضي.

(٣) أورده مُقَاتِل في تفسيره (١/ ١٩٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ١٧٦).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ف) بخط مغاير بلحق في الحاشية.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة.

(٦) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ١٦٦)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٢٣٠) مـن طريـق علـي بـن أبي طلحـة، عـن ابـن عبَّـاس، بنحـوه.

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٦٦) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٦٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

واعْلَم أنَّ اللهَ تعَالى عادَ بِهذِه الآيَةِ بعْدَ الكلَامِ فِي حُكم الخُلْعِ إلى تمَامِ الكلَامِ فِي الطَّلَاقِ.

قوْلُه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعْنِي: الثَّانِي ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ يعْنِي: المرأَةَ، والزَّوْجَ الأَوَّلَ.

﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ قالَ طاوسٌ: مَا فرَضَ اللهُ علَى كُلِّ وَاحِدٍ منْهُما مِن حُسنِ العِشرَةِ والصُّحبَةِ[١].

قوْلُه: ﴿يُبَيِّنُهَا﴾.

قرَأَ الجُمهُورُ: ﴿يُبَيِّنُهَا﴾[٢] باليَاءِ. وقَرأَ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والمُفَضَّلُ عنْ عاصِمٍ بالنُّونِ[٣].

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: يعْلَمُونَ أنَّ أمْرَ اللهِ حقٌّ[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٤٢٤)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢١٦) من طريق إسماعيل بن علية، عن ابن جُرَيْج، قال طاوس: يحل له الفداء ما قال الله تعالى ذكره، ولم يكن يقول قول السُّفهاء: لا أبر لك قسمًا، ولكن يحل له الفداء ما قال الله تعالى ذكره: ﴿إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ الله﴾ فيما افترض لكل واحد منهما على صاحبه في العشرة، والصُّحبة.

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٣) وقال: وهو غلط، وانظر كذلك: مختصر الشواذ (ص: ٢١).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢٣١، ٢٣٢].

قَوْلُه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ الرَّجُلُ يُطلِّقُ امْرأتَهُ، ثُمَّ يُراجعُها قبْلَ انْقِضاءِ عِدَّتِهَا، ثُمَّ يُطلِّقُها[1]، يُضارُّهَا بذلِك، فنزلَتْ هذِه الآيةُ[2].

و«الأَجَلُ» هاهُنا: زمانُ العِدَّةِ.

ومعْنَى «البُلُوغ» هاهُنا: مُقاربةُ الأَجَلِ دُونَ[3] حقيقةِ الانْتِهاءِ إليْهِ، يُقالُ: بلغتُ المدِينَةَ؛ إذا قاربتَها، وبلغْتُها؛ إذا دخلْتَها.

---

(١) زاد في (ج): (ثم).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ١٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٤٥) من طريق عطية العوفي، به.

(٣) في الأصل: «ومن»، والمثبت من بقية النسخ.

وإنَّما حَمَلَ العُلماءُ هذَا البُلُوغَ علَى المُقاربَةِ؛ لأنَّه ليْس بعْدَ انْقِضَاءِ العِدَّةِ رَجْعةٌ[1].

قوْلُه: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[2]، والحسَنِ[3]، ومُجَاهِدٌ[4]، وقتادَةُ[5]: المُرادُ بِه الرَّجعَةُ قبْلَ انْقِضَاءِ العِدَّةِ.

قوْلُه: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهوَ ترْكُها حتَّى تنْقَضِيَ عِدَّتُها. [٦٥/ب]

والمَعْرُوفُ فِي الإمْسَاكِ: القِيامُ بِمَا يجِبُ لهَا مِن حَقٍّ. المعْرُوفُ فِي التَّسْريحِ: أنْ لَا يقصِدَ إضْرَارَهَا، بأنْ يُطِيلَ عِدَّتَها بالمُراجعَةِ، وهوَ معْنَى قوْلِه: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ فِي آخَرِينَ.

---

(١) من قوله: «وإنما حمل العلماء»... إلى هنا، ليس في (ف).

(٢) انظر: الأثر السابق.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٧٩) من طريق أبي رجاء، به، مطولًا.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٤٦) من طريق ابن أبي نجيح، به، بلفظ مطوَّل.

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ١٨١) من طريق معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا﴾ قال: هو في الرجل يحلف بطلاق امرأته، فإذا بقي من عدَّتها شيء راجعها يضارُّها بذلك، ويطوِّل عليها؛ فنهاهم الله عن ذلك.

وقالَ الضَّحَّاكُ: إنَّما كانُوا يُضارُّونَ المرْأةَ[(١)] لِتَفْتدِيَ[(٢)].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ الاِعْتِداءَ؛ ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بارْتِكابِ الإثْمِ.

قوْلُه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾.

فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ الرَّجُلَ يُطلِّقُ أوْ يُراجِعُ، أوْ يعتِقُ، ويقُولُ: كنْتُ لَاعبًا. رُوي عنْ عُمرَ[(٣)]، وأبِي الدَّرداءِ[(٤)]، والحسَنِ[(٥)].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٦/ ٥٢٩) من طريق عبيد بن سليمان، به، مطوَّلًا.

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٥٠٢) من طريق سعيد بن المُسيِّب، عن عمر بن الخطاب، قال: أربع مقفلات النذر، والطَّلاق، والعتاق، والنِّكاح. ومن طريق البخاري رواه البيهقي في الكبرى (٧/ ٥٥٨) بنحوه.

(٤) رواه ابن أبي عمر في مسنده، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١/ ٦٨٣)، ورواه الطبراني كما في الدر المنثور (١/ ٦٨٣) من طريق الحسن عن أبي الدَّرداء قال: كان الرَّجل في الجاهلية يطلِّق ثم يقول: كنت لاعبًا ثم يعتق ويقول: كنت لاعبًا فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ فقال النَّبيُّ ﷺ: «من طلَّق أو حرم أو نكح أو أنكح فقال: إني كنت لاعبًا فهو جاد».

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٨٤) من طريق سليمان بن أرقم، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٤٨) من طريق المبارك بن فضالة، كلاهما -سليمان، ومبارك- عن الحسن قال: كان الرَّجل يطلِّق ويقول: كنت لاعبًا، ويعتق ويقول: كنت لاعبًا وينكح، ويقول: كنت لاعبًا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾. وقال رسول الله ﷺ: «من طلَّق أو أعتق أو نكح، جادًّا أو لاعبًا فقد جاز عليه».

والثَّـانِي: أنَّـه المُضـارُّ بزوْجَتِـه(١) فِي تطْوِيـلِ عِدَّتِهَـا بالمُراجعَـةِ والطَّـلاقِ، قالَـهُ مسْرُوقٌ، ومُقَاتِـلٌ.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: احْفَظُـوا مِنَّتَـهُ عليْكُـم بالإسْـلَامِ. قـالَ: و«الكِتَـابُ»: القُـرآنُ. و«الحِكمَـةُ»: الفِقْـهُ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فِي الضِّرَارِ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ به وبِغيْرِه ﴿عَلِيمٌ﴾.

قوْلُه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

فِي سببِ نُزولِهَا قوْلَانِ:

أحدُهمـا: مـا روى الحسَـنُ أنَّ مَعقِـلَ بْـنَ يَسَـارٍ زوّج أخْتَـهُ مِـن رجُـلٍ مِـنَ المُسـلمينَ(٢)، فكانَـتْ عنْـدَهُ مـا كانَـتْ، فطَلَّقهَـا تطْلِيقـةً فقضَـتِ العِـدَّةَ، وكانَـتْ أحَـقَّ بنفْسِـها، فخطَبَهـا مـعَ الخَطَبَـة(٣)، فرضيـت أن ترجـع إليـه، فخطبهـا إلى معقـلٍ، فغَضِـبَ مَعْقِـلٌ، وقـالَ: أكرمْتُـكَ بِهَـا، فطلَّقْتَهـا؟! لَا واللهِ! لَا ترجِـعُ إلَيْـكَ آخِـرَ مَـا(٤) عليْـكَ. قـالَ الحسَـنُ: فعَلِـم اللهُ ﷻ حاجَـةَ الرَّجُـلِ إلى امْرأَتِـه، وحاجَـةَ المـرْأَةِ إلى بعْلِهَـا، فنزلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، فسَـمِعَها مَعْقِـلٌ، فقَـال: سـمْعًا لِـربِّي وطَاعـةً، فدَعَـا زوْجَهـا، فقَـالَ: أُزوِّجـك، وأُكْرِمـكَ(٥).

(١) في (ف): المضارة لزوجته.

(٢) وهـو: البـدَّاح بـن عاصـم الأنصـاري. انظـر: الإصابـة (٧/ ٣٠)، وغوامـض الأسـماء المبهمـة؛ لابـن بشـكوال (١/ ٢٩٣).

(٣) في بقية النسخ: الخُطَّاب.

(٤) في الأصل: أحرامًا، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) رواه البخـاري (٥١٣٠)، وأبـو داود في سـننه (٢٠٨٧) بـدون قـول الحسـن، والتِّرمـذي في السـنن (٢٩٨١) مطـولًا.

ذكَر عبدُ الغَنِي الحافِظ عنِ الكلْبِيِّ أنَّه سَمَّى هذِه المَرأَة، فقَال: جُمَيلُ[١] بِنْتُ يَسَارٍ[٢].

والثَّاني: أنَّ جابِرَ بْنَ عبْدِ اللهِ الأنْصَارِيَّ كانَتْ له ابْنَةُ عَمٍّ، فطلَّقَها زوْجُها تطْلِيقَةً[٣]، فانْقَضَتْ عِدَّتُها، ثُمَّ رجَعَ يُرِيدُ رَجعتَها، فأبَى جابِرٌ، وقالَ: طلَّقْتَ ابْنَةَ عَمِّنَا، ثُمَّ تُرِيدُ أنْ تَنكحَهَا الثَّانِيَةَ؟! وكانتِ المرْأَةُ تُرِيد زوْجَهَا، قد رَضِيتْهُ، فنزلَتْ فِيهِم هذِه الآيَةُ، قالَهُ السُّدِّيُّ[٤].

فأمَّا بُلُوغُ الأجَلِ فِي هذِه الآيَةِ، فهُو انْقِضَاءُ العِدَّةِ، بِخلافِ الَّتِي قبْلَهَا.

قالَ الشَّافعِيُّ ﷺ: دلَّ اخْتِلافُ[٥] الكلامَيْنِ[٦] علَى افْتِرَاقِ[٧] البُلُوغَينِ[٨].

---

(١) في (ف): جميلة.

(٢) هي: جُمل: بضم أوله وسكون الميم، وقيل: بصيغة التَّصغير، بنت يسار المزنية، أخت معقل بن يسار، وضبطها ابن ماكولا بالتَّصغير جُميل، انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ١٧٨)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٦٧)، والاستيعاب (٤/ ١٨٠١)، والإصابة؛ لابن حجر (٨/ ٦٥)، والإكمال؛ لابن موكولا (٢/ ١٢٥).

(٣) في (م): طلقة.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٩١- ٧/ ٥٣١) من طريق أسباط بن نصر، عن السُّدِّي، بنحوه.

(٥) من قوله: «بخلاف التي قبلها»... إلى هنا، ليس في (م).

(٦) في (م): الكاملين.

(٧) في (م): اختلاف.

(٨) انظر: الأم (٥/ ١٢٦- ١٢٧).

قوْلُه: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾.

خِطَابٌ للأوْلِيَاءِ، قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ(١)، وابْنُ جُبَيْرٍ(٢)، وابْنُ قُتَيْبَةَ في آخَرِينَ(٣): معْنَاه لا تَحْبِسُوهُنَّ.

والعرَبُ تقُول للشَّدائِدِ: مُعضِلَاتٍ. وداءٌ عُضالٌ: قدْ أعْيَا. قَالَ أوْسُ بْنُ حُجرٍ(٤) [من الطويل]:

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي ... يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلَا

وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا ... وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلَا

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ١٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بنحوه مطولًا.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٦/ ٩٢٥) من طريق شريك، عن سالم، به.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٨).

(٤) هو أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله بن عدي التميمي، شاعر من شعراء تميم في الجاهلية، والبيتان في: ديوانه (ص: ٢٨)، وفي تفسير الطبري (٢/ ٨٨٤)، تفسير الثعلبي (٢/ ٧٢١١)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٧٩)، والشعر والشعراء (١/ ٨٩١)، وخزانة الآداب (٤/ ٩٧٣)، وعيون الأخبار (٣/ ٩٨)، وديوان المعاني (١/ ٤٢١)، والمرتضى في أماليه (١/ ٥٠٣).

وقالَتْ ليْلَى الأَخْيلِيَّةُ[١] [من الطويل]:

[٦٦/أ] إِذَا نَـزَلَ الحَجَّـاجُ أَرْضـاً مَرِيضَـةً تَتَبَّـعَ أَقْـصَى دَائِهَـا فَشَـفَاهَا

شَـفَاها مِـنَ الـدَّاءِ العُضَـالِ الَّـذِي بِهَـا غُـلامٌ إِذَا هَـزَّ القَنَـاةَ سَـقَاهَا

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وأصْـلُ العَضْـلِ، مِـن قوْلِهِـم: عَضَّلَـتِ[٢] الدَّجاجَـةُ، فهِي مُعَضِّلٌ؛ إذا احْتَبَسَ بيْضُها ونَشِبَ فلَم يَخْرُجْ، وعَضَّلَتِ النَّاقَةُ أيْضًا؛ إذا احْتَبَس ولَدُها في بطْنِها[٣].

قوْلُه: ﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾.

قـال السُّـدِّيُّ[٤]، وابـن قُتَيْبَـةَ[٥]: معْنـاهُ: إِذَا تَـراضَى الزَّوْجـانِ بالنِّكاح الصَّحِيـحِ.

---

(١) البيت في غريب الحديث؛ للخطَّابي (ص: ٥٢١)، و نهاية الأرب في فنون الأدب؛ للنويري (٧/ ١٨١)، ولسان العرب (١٢/ ٤١٣) مادة (عقم).

(٢) بتشديد الضاد؛ إذا لم تخرج بيضها، وكذا الأمّ؛ إذا عسرت ولادتها، وعضل يعضل مثلثة الضاد، وتستعار للإشكال.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١١).

(٤) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ١٩١).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٨).

قَالَ الشَّافِعِيُّ: وهذه الآيَةُ أَبْيَنُ آيَةٍ[١] فِي أَنَّه لَيْسَ للمرْأةِ أنْ تتزَوَّجَ إلَّا بِوَلِيٍّ[٢].

قَوْلُه: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾.

قَالَ مُقَاتِلٌ: الإشَارةُ إلى نَهْيِ الوَلِيِّ عنِ المَنْعِ[٣]. قَالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما قَالَ: «ذلِكَ» ولم يَقُلْ: «ذلِكُم» وهو يُخاطِبُ جماعةً؛ لأنَّ لفْظَ الجَماعَةِ لفْظُ الوَاحِدِ، والمَعْنَى: ذلِكَ أيُّها القَبِيلُ[٤].

قَوْلُه: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾.

يعْنِي: رَدّ النِّساءِ إلَى أزْوَاجِهِنَّ، أفْضَلُ مِنَ التَّفرقَةِ بيْنَهُم ﴿وَأَطْهَرُ﴾[٥]؛ أي: أتْقَى لِقُلوبِكُم مِنَ الرِّيبةِ؛ لِئلَّا يكُونَ هُناك نوْعُ محبَّةٍ، فيجْتَمِعانِ علَى غيْرِ وجْهِ[٦] الصَّلاحِ.

قَوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

---

(١) ليست في (م).

(٢) انظر: الأم (٥/ ١٧٨).

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل بن سليمان (١/ ١٩٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١١).

(٥) ليست في (م).

(٦) ليست في (ج).

أحدُهما: أنَّ معناه: يعْلَمُ وُدَّ كُلِّ واحِدٍ منْهُما لِصاحِبِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ(١).

والثَّاني: يَعْلَمُ مَصالِحَكُم عاجِلًا وآجِلاً، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢) في آخَرِينَ.

قالَ تعالَى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قوْلُه: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾.

لفظُه لفظُ الخَبَرِ، ومعْناه الأمْرُ؛ كقوْلِه: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾.

وقالَ القاضِي أبو يَعْلَى: وهذَا الأمْرُ انْصرفَ إلى الآباءِ؛ لأنَّ عليْهِمُ الاسْتِرضاعَ، لا إلى الوالِداتِ، بدليلِ قوْلِه: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾، وقوْلِه: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]، فلَوْ كانَ مُتحتِّمًا علَى الوالِدةِ، لم تَستَحِقَّ الأُجرَةَ.

(١) أثر الضَّحَّاك رواه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (١/ ٦٨٦) بلفظ: الله يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلم أنت أيها الولي.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١١).

وهلْ هوَ عامٌّ فِي جميعِ الوَالِداتِ؟

فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه خاصٌّ فِي المُطلَّقاتِ، قالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، ومُجَاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، ومُقَاتِلٌ فِي آخرِينَ.

والثَّانِي: أنَّه عامٌّ فِي الزَّوجَاتِ والمُطلَّقاتِ[1]، ولهذا تقُول: لها أنْ تُؤجِّرَ نفْسَها لِرَضاعِ ولَدِهَا، سواءٌ كانَتْ معَ الزَّوْجِ، أو مُطلَّقةً، قالَه القاضِي أبو يعْلَى، وأبو سُليمانَ الدِّمشْقِيُّ فِي آخرِينَ.

وَ«الحَوْلُ»: السَّنَةُ.

وفِي قوْلِه: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه دخَلَ للتَّوْكِيدِ؛ كقوْلِه: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

والثَّانِي: أنَّه لمَّا جازَ أنْ يقُولَ: «حوْلَيْنِ»، ويُريدُ أقلَّ منْهُما؛ كما[2] قالَ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ[3]﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ومعْلُومٌ أنَّه يتعجَّلُ فِي يومٍ، وبعْضِ آخَرَ. وتقُول العربُ: لم أرَ فُلانًا مُنذُ يومَيْنِ، فإنَّما يُريدون: يوْمًا وبعْضَ آخَرَ.

---

(١) في (ر): «المطلقات» بدون واو العطف.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ر): يوم.

قَـالَ: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ لِيُبـيِّنَ أنَّـه لا يجُوزُ أنْ يُنقَـصَ مِنْهُـما، وهـذَا قَـوْلُ الفـرَّاءِ والزَّجَّاجِ[١].

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اختلَفَ عُلَماءُ النَّاسِخِ والمنْسُوخِ فِي هذَا القَدْرِ مِنَ الآيَةِ:

فقَـالَ بعْضُهـم: هـو محُكَـمٌ، والمَقصُـودُ مِنـه بيَـانُ مُـدَّةِ الرَّضَـاعِ، ويتَعلَّـقُ بِـه أحْـكَامٌ:

- منَها أنَّه كَمالُ الرَّضَاعِ.
- ومِنْهـا أنَّـه يلـزَمُ الأَبَ نفقَـةُ الرَّضَـاعِ مُـدَّةَ الحوْلَـينِ، ويُجبرُهُ[٢] الحاكِـمُ علَى ذلِـكَ.
- ومِنْهـا أنَّـه يَثبُـتُ تحريـمُ الرَّضَـاعِ فِي مُـدَّة الحوْلَـينِ[٣]، ولَا يثْبُـتُ فِيـما زادَ. [٦٦/ب]

ونُقِـلَ عـن قتَـادَةَ[٤]، والرَّبِيـعِ بْـنِ أنَـسٍ فِي آخَريـن[٥]، أنَّـه منْسُـوخٌ بقَوْلِه: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٢).

(٢) في (ت): ويجيره.

(٣) من قوله: «ويجبره الحاكم»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٢٠٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٢٦٩).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٦٩).

قَالَ شَيْخُنا عَلِيُّ بْنُ عُبيد الله: وهذَا قَوْلٌ بعِيدٌ؛ لأنَّ اللهَ تعَالى قَالَ فِي أوَّلِها: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾، فلَمَّا قَالَ[1] فِي الثَّانِي: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ خُيِّرَ بيْنَ الإرَادتَيْنِ، وذلِك لَا يُعارِضُ المُدَّةَ[2][3] المُقَدَّرةَ فِي التَّمامِ.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾؛ أي: هذَا التَّقْدِيرُ بالحَوْلَيْنِ لِمُرِيدِي[4] إتْمَامِ الرَّضَاعَةِ.

وقَرَأَ مُجَاهِدٌ: «أنْ تَتِمَّ» بتَاءَيْنِ، «الرَّضاعَةُ» بالرَّفْعِ، وهِيَ رِوايَةُ الحلَبِيِّ[5] عنْ عبْدِ الوارِثِ[6]. وقد نبَّه ذِكْرُ التَّمامِ علَى نفْيِ حُكْمِ الرَّضاع بعْدَ الحوْلَيْنِ.

---

(١) في (ر): كان.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (م) زيادة: المقاربة.

(٤) في (م): لمن يريد.

(٥) الحسن بن ملاعب بن محمد بن الحسن، ويقال: ملاعب بن عبد الله أبو محمد الحلبي، ثم البغدادي الضرير، شيخ ضابط مقرئ، قرأ على عمر بن محمد بن سيف بالبصرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وعلى أحمد بن الحسن بن عبد الله الملطي صاحب ابن شنبوذ. وقرأ عليه: أبو علي غلام الهراس، وعلي بن محمد بن فارس الخياط، وقال: كان ثقة، وعبد السيد بن عتاب، والحسن بن أبي الفضل الشرمقاني، أقرأ ببغداد في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي بعد ذلك. انظر: غاية النهاية (١/ ٢٣٤).

(٦) انظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ١١٥)، و الكامل؛ للهذلي (ص: ٥٠٥)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٢/ ٤٨٩)، وقرأ ابن مَسْعُودٍ: «لمن أراد أن يُكمل الرَّضاعة» بضم الياء. وانظر: المصاحف؛ لابن أبي داود (ص: ١٧٤)، وقرأ ابن عبَّاس: «أن تكملوا الرَّضاعة». وانظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢١).

وأكثرُ القُرَّاءِ علَى فتْحِ راءِ(١) «الرَّضاعَة». وقَرأ طلْحَةُ بْنُ مُصرِّفٍ، وابْنُ أبِي عبْلَةَ، وأبو رَجَاءٍ بِكسْرِها(٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: الرَّضَاعةُ بِفتْحِ الرَّاءِ وكسْرِهَا، والفتْحُ أكْثَرُ، ويُقال: مَا حمَلَهُ علَى ذلِك(٣) إلَّا اللُّؤمُ، والرَّضَاعةُ بالفَتْحِ هَاهُنا لا غَيْرُ(٤).

قوْلُه: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ يعْنِي: الأَبَ ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ يعْنِي: المُرضِعَاتِ.

وفِي قوْلِه: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ دِلالةٌ علَى أنَّ الوَاجِبَ علَى قدْرِ حَالِ الرَّجُلِ فِي إعْسَارِه وإيسَارِه؛ إذْ ليْسَ مِنَ المعْرُوفِ إلْزَامُ المُعسِرِ ما(٥) لَا يُطِيقُه، ولا المُوسِرِ النَّزْرَ الطَّفِيفَ.

وفِي الآيَةِ دلِيلٌ علَى تسْوِيغِ اجْتِهادِ الرَّأيِ فِي أحْكَامِ الحوَادِثِ؛ إذْ لَا يُتوصَّل إلى تقْدِيرِ النَّفقَةِ بالمَعْرُوف إلَّا مِنْ جِهةِ غالِبِ الظَّنِّ؛ إذْ هوَ معتبَرٌ بالعادَةِ.

قوْلُه: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: إلَّا مَا تُطِيقُه.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) «الرِّضاع»: بالكسر لغة بعض بني تميم؛ كالحَضارة والحِضارة، قال الفرَّاء: وزعم الكِسَائيُّ أن من العرب من يقول: الرِّضاعة بالكسر. فإن كانت فهي بمنزلة الوَكالة والوِكالة، والدَّلالة والدِّلالة. انظر معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٢)، ومعاني القرآن (١/ ١٤٩)، ومختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٧٦).

(٣) قوله: «على ذلك»، ليس في (ر).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٢).

(٥) ليست في (ر).

﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وأَبَانُ عن[1] عَاصِمٍ: «لا تُضارُّ» برفْعِ الرَّاءِ[2]. وقَرأَ نافِعٌ وعاصِمٌ، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ بنَصْبِهَا.

قالَ أبو عليٍّ: مَنْ رفَعَ، فلأَجْلِ المرْفُوعِ قبْلَهُ، وهوَ «لا تُكلفُ»، وأَتْبعَهُ[3] بما قبْلَهُ؛ لِيقعَ تَشابُهُ اللَّفْظِ، ومَن نَصَب جعَلَهُ أمْرًا، وفتَحَ الرَّاءَ لِتكُونَ حرَكتُهُ مُوافِقةً لِما قبْلَها وهُو الألِفُ[4].

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: معْناهُ: لَا تُضارَرْ[5]، فأُدْغِمتِ[6] الرَّاءُ فِي الرَّاءِ[7].

قالَ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: لَا تَحمِلَنَّ المُطلَّقَة مُضارَّةُ الزَّوْجِ أنْ تُلْقِي إليْهِ ولَدَهُ[8][9].

---

(١) في (ف): (بن)، وفي (م): بأن عاصم.

(٢) وكذلك قرأ ابن عامر والأخفش، كما في السَّبعة؛ لابن مُجاهِد (ص: ١٨٣)، وانظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٢١٤)، وقرأ أبو جَعْفَرٍ والأعرج «تُضَارْ» بتخفيف الراء وإسكانها، وعن عمر وعبدالله «تُضَارَرْ» بفتح الرَّاء الأوَّلى وإسكان الثَّانية. انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢١).

(٣) في (ت)، و(ف): فأتبعه.

(٤) انظر: الحُجَّة (٢/ ٣٣٣).

(٥) في (ر): تضار.

(٦) في (ف): أدغمت.

(٧) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٩).

(٨) ليست في (ف).

(٩) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٧٨) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن=

وقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تَأْبَى[١] أنْ تُرضِعَهُ ضِرَارًا بأَبِيه، ولَا يُضَارَّ الوَالِدُ بوَلَدِه، فيَمْنَعُ أمَّهُ أنْ تُرْضِعَهُ؛ لِيُحزِنَهَا بذلِكَ[٢].

وقَالَ عطَاءٌ[٣]، وقتَادَةُ[٤]، والزُّهْرِيُّ[٥]، وسُفيَانُ[٦]، والسُّدِّيُّ[٧] في آخَرِينَ: إذَا رَضِيتْ بِمَا يَرْضَى بِه غيْرُهَا، فهِي أَحَقُّ بِه.

قالَ[٨]: وقَرَأَ أبو جَعْفَرٍ: «لَا تُضارْ»[٩] بتَخْفِيفِهَا وإسْكَانِهَا[١٠].

=سعيد بن جُبَيْر، في قول الله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ يقول: لا يحمل الرَّجل امرأته على أن يضارها فينتزع ولدها منها، وهي لا تريد ذلك.

(١) في (م) زيادة: تحمله.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٧٧) من طريق ابن أبي نجيح، عن مُجاهِد، بنحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢١٨) من طريق ابن جُرَيْج، عن عطاء.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، بمعناه.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٢١٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٨٤) من طريق الليث بن سعد، عن عقيل بن خالد، عن الزُّهري، بنحوه .

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢١٧) من طريق علي بن عبد الأعلى، وزيد، به.

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٧٩) من طريق أسباط بن نصر، عن السُّدِّي، بنحوه.

(٨) ليست في بقية النسخ.

(٩) في (ج): الأنصاري.

(١٠) انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢١).

قوْلُه: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾.

فيهِ أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه وارثُ المَوْلُـودِ، وهـوَ قـوْلُ عطَـاءٍ، ومُجَاهِـدٍ، وسـعِيدِ بْـنِ جُبَـيْرٍ، وابْـنِ أبي ليْـلَى، وقتَـادَةَ، والسُّـدِّيِّ، والحسَـنِ بْـنِ صَالِـحٍ، ومُقَاتِـلٍ فِي آخَريـنَ.

واخْتلَـفَ أرْبَـابُ هـذَا القـوْلِ: فقَـالَ بعْضُهُـم: هـوَ وارِثُ المَوْلُـودِ[1] مِـن عصَبَتِـه، كائِنًـا مَـنْ كانَ، وهـذَا مَـرْوِيٌّ عـنْ عُمـرَ، وعطَـاءٍ[2]، والحسَـنِ، ومُجَاهِـدٍ، وإبْرَاهِيـمَ، وسُـفيانَ.

وقـالَ بعْضُهُـم: هـوَ وَارِثُ المَوْلُـودِ[3] عـلَى الإطْـلَاقِ مـنَ الرِّجَـالِ والنِّسـاءِ، رُوِي عـنِ ابْـنِ أبي ليْـلَى، وقتَـادَةَ، والحسَـنِ بْـنِ صالِـحٍ، وإسْـحَاقَ، وأحمَـدَ بْـنِ حنْبَـلٍ[4].

وقـالَ آخَـرُونَ: هـوَ مَـنْ كانَ ذَا رحِـمٍ محْـرَمٍ مِـنْ وَرثَـةِ المَوْلُـودِ، رُوي عـنْ أبي حَنِيفَـةَ، وأبي يُوسـفَ، ومُحمَّدٍ[5]. [٦٧/أ]

---

(١) ليست في (م).

(٢) في (ف): طلحة.

(٣) في (ر): وارثًا لمولود.

(٤) انظر: المغني (٨/ ٢١٢)، ودقائق أولي النهى (٣/ ٢٣٨).

(٥) انظر: الأصل؛ لمحمد بن الحسن الشيباني (٤/ ٥٤٨)، والمبسوط (٥/ ٢٠٩- ٢٢٣)، وبدائع الصنائع (٤/ ٣١).

والقَـوْلُ الثَّـانِي: أنَّ المُـرادَ بالـوَارِثِ هَاهُنـا، وارِثُ الوالِـدِ[1]، رُوِيَ عـنْ الحسَـنِ، والسُّـدِّيِّ.

والثَّالِـثُ: أنَّ المُـرادَ بالـوَارِث[2] البَاقِـي مِـنْ والِـدَي الوَلَـدِ بعْـدَ وفَـاةِ الآخَـرِ، رُوي عـنْ سُـفيانَ.

والرَّابـع: أنَّـه أُريـد بالـوَارِثِ الصَّبِـيُّ نفسُـه، فالنَّفقَـةُ عليْـهِ، فـإنْ لم يمْلِـكْ شـيْئًا، فعلَـى عصَبَتِـه، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ، وقَبِيصَـةُ بْـنُ ذُؤيْـبٍ.

قـالَ شـيْخُنا عـلِيُّ بْـنُ عُبيـدِ الله: وهـذَا القـوْلُ لا يُنـافِي قـوْلَ مَـنْ قـالَ: المُـرادُ بالـوَارِثِ وَارِثُ[3] الصَّبـيِّ؛ لأنَّ النَّفقـةَ تجِـبُ للمَـوْرُوثِ عـلَى الـوَارِثِ إذَا ثَبَـتَ إعْسَـارُ المُنفَـقِ عليْـهِ.

وفِي قوْلِه: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ الإشَـارةَ إلى أُجـرَةِ الرَّضَـاعِ والنَّفقَـةِ[4]، رُوي عـنْ عُمـرَ، وزَيـدِ بْـنِ ثابِـتٍ، والحسَـنِ، وعطَـاءٍ، ومُجَاهِـدٍ، وإبْرَاهِيـمَ، وقتَـادَةَ، وقَبِيصـةَ بْـنِ ذُؤيْـبٍ، والسُّـدِّيِّ. واخْتـارَهُ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ[5].

---

(١) في (ف): الولد.

(٢) من قوله: «هاهنا»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) ليست في (ف).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٩).

والثَّـاني: أنَّ الإشَـارةَ بذلِـكَ إلَى النَّهـي عـنِ الـضِّرَار، رُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١)، والشَّـعبِيِّ(٢)، والزُّهـرِيِّ(٣)، واخْتَـارَهُ الزَّجَّـاجُ(٤).

والثَّالـث(٥): أنَّـه إشَـارةٌ إلى جميـعِ ذلِـك، رُوي عـنْ سـعِيدِ بْـنِ جُبَـيْرٍ، ومُجاهِـدٍ، ومُقَاتِـلٍ، وأبي سُـليْمانَ الدِّمشـقيِّ، واخْتَـارَهُ القَـاضِي أبـو يَعْـلَى. ويَشْـهدُ لِهـذا أنَّـه معْطُـوفٌ عـلَى مَـا قبْلَـهُ(٦).

وقـد ثَبَـتَ أنَّ عـلَى المَوْلُـودِ لَـهُ النَّفقَـةَ والكسـوَةَ، وأنْ لَا يُضَـارَّ، فيجِـبُ أنْ يكـونَ قوْلُـه: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ مُشِـيرًا إلى جمِيـع مَـا عـلَى المَوْلُـودِ لَـهُ.

قوْلُـه: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ «الفِصَـالُ»: الفِطَـامُ. قـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ: يُقَـال: فصَلْـتُ الصَّبِـيَّ مِـنْ أُمِّـه؛ إذا فطمْتَـهُ(٧). ومِنـه قِيـل للحُـوارِ إذا قُطِـع(٨) عـنِ الرَّضـاعِ: فَصِيـلٌ؛ لأنَّـه فُصِـلَ عـنْ أُمِّـه، وأصْـلُ الفَصْـلِ: التَّفريـقُ(٩).

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٢٣٠).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٢٢٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٢٨٧).

(٣) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٢٣٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٣).

(٥) في (م): والثَّاني.

(٦) انظر: جميع هذه الروايات في تفسير ابن جرير الطَّبري (٤/ ٢٢٧- ٢٣٤).

(٧) انظر: غريب القرآن (ص: ٨٩).

(٨) قوله: «إذا قطع»، ليس في (ر).

(٩) في (ف): التفرق.

قَالَ مُجَاهِدٌ: التَّشَاوُرُ فِيمَا دُون الحوْلَيْنِ إنْ أرادتْ[١] أنْ تَفْطِمَ وأَبى، فليْس لَهَا، وإنْ أرادَ هوَ، ولم تُرِدْ، فليْسَ لَهُ ذلِكَ حتَّى يقَعَ [ذلِك][٢] عنْ تَراضٍ مِنْهُما وتَشَاوُرٍ؛ تقُول: غيرَ مُسيئَيْنِ إلَى أنْفُسِهِما وإلى صَبِيِّهِمَا[٣].

قوْلُه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أي: لِأولادِكُم[٤].

قَالَ مُقَاتِلٌ: إذا لم تَرْضَ الأُمُّ بِمَا يرْضَى بِه غيْرُهَا، فلَا حرَجَ علَى الأَبِ أنْ يسْتَرْضِعَ لِوَلَدِهِ[٥].

وفِي قوْلِه: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: إذا سلَّمتم أيُّها الآبَاءُ إلَى أُمَّهاتِ الأَوْلادِ أُجورَ ما أرْضَعْنَ [لَكُم][٦] قبْلَ امْتِنَاعِهِنَّ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ.

والثَّانِي: إذَا سلَّمْتُم إلَى الظِّئْرِ[٧] أجْرَها بالمعْرُوفِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، ومُقَاتِلٌ.

---

(١) في (ف): أَردتَ.

(٢) زيادة من (ج) و(ف).

(٣) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٢٣٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٤).

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ١٩٨).

(٦) زيادة من (ف).

(٧) من قوله: «أجور ما أرضعن»... إلى هنا، ليس في (م).

وقَرَأ ابْنُ كَثِيرٍ: «مَا أَتَيْتُم» بالقَصْرِ[١]. قالَ أبو عليٍّ: وجْهُهُ أنْ يُقدَّر فيهِ: مَا أَتَيْتُم[٢] نقدَهُ[٣] أوْ أتَيْتُم[٤] سَوقَهُ[٥]، فحذفَ المُضافَ وأقامَ المُضافَ إليْهِ مقامَهُ؛ كما تقولُ: أتيتُ جميلًا؛ أي: فعلتُه[٦][٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٤، ٢٣٥].

قوْلُه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾؛ أي: يُقْبَضُونَ بالموْتِ.

---

(١) انظر: السَّبعة؛ لابن مُجاهِد (ص: ١٨٣)، ومعاني القراءات (١/ ٢٠٦)، والتَّيسير (ص: ٨١)، ورواها شيبان عن عاصم كما في مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٢).

(٢) في (ج): يقدره بأتيتم.

(٣) في (م): بعده.

(٤) في (ج): أوتيتم.

(٥) أي: المهر من غير النقدين.

(٦) ليست في (ج).

(٧) انظر: الحُجَّة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٥).

وقَرأَ المُفَضَّلُ عنْ عاصِمٍ «يَتوفَّونَ» بفتْحِ الياءِ فِي الموْضِعَيْنِ[١].

[٦٧/ب] قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هو مِنِ اسْتِيفَاءِ العَدَدِ، واسْتِيفَاءُ الشَّيءِ: أنْ يَسْتَقْصِيَه[٢] كُلَّه، يُقَال: تَوَفَّيتُه واسْتَوْفَيْتُه؛ كما يُقال: تَيقَّنْتُ الخَبَرَ[٣] واسْتَيْقَنْتُه، هذا الأصْلُ، ثُم قِيل للموْتِ: وفَاةٌ، وَتَوفٍّ، و«يَتَرَبَّصْنَ»: يَنْتَظِرْنَ[٤].

قَالَ الفرَّاءُ: وإنَّما قالَ: ﴿وَعَشْرًا﴾ ولم يَقُل: «وعشَرَةً»[٥]؛ لأنَّ العرَبَ إذا أبْهَمَتِ العدَدَ مِنَ اللَّيالِي والأيَّامِ، غَلَّبوا عليْهِ اللَّيالِيَ، حتَّى إنَّهم لَيَقُولونَ: صُمْنَا عشْرًا مِنْ شهْرِ رمَضَانَ؛ لِكثْرةِ تغْليبِهِمُ اللَّيالِي علَى الأيَّامِ، فإذَا أظْهَرُوا معَ العَدَدِ تفْسِيرَهُ، كانَتِ الإناثُ بغَيْرِ هاءٍ، والذُّكورُ بالهَاءِ؛ كقوْلِه: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧][٦].

فإنْ قِيلَ: مَا وجْهُ الحِكْمَةِ[٧] فِي زِيادَةِ هذِه العشَرَةِ[٨]؟

---

(١) على معنى أنَّهم يَستوفون آجالهم. انظر: الكامل؛ للهذلي (ص: ٥٠٥)، والبحر المحيط (٢/ ٥١٤)، وقرأ بها عليٌّ، كما في مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٢).

(٢) في (ف): تستقصيه.

(٣) في (ر): الخير.

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٤).

(٥) قوله: «ولم يقل: وعشرة»، ليس في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن (١/ ١٥١).

(٧) في (ف): الحكم.

(٨) في (ف): هذا العشر.

فالجوابُ: أنَّه يُبيِّنُ صِحَّةَ الحَمْلِ بنَفْخِ الرُّوحِ فِيه، قالَهُ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ(١)، وأبو العَالِيةِ.

ويشْهَدُ لَه الحدِيثُ الصَّحيحُ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً(٢) مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيهِ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ»(٣).

❁❁❁

فَصْلٌ

وهذِه الآيَةُ ناسِخةٌ لِلَّتِي تُشَابِهُهَا، وهِي تأتِي بعدَ آياتٍ، وهي قوْلُه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠]؛ لأنَّ(٤) تلك كانتْ تقْتَضِي وجُوبَ العِدَّةِ(٥) سَنةً، وسنَذْكُر مَا يتعلَّقُ بِهَا هُنالِك، إنْ شاءَ اللهُ.

فأمَّا الَّتِي نحْنُ فِي تفْسِيرِهَا:

---

(١) في (م): سعيد بن جُبَيْر وابن المُسَيِّب.

(٢) ليست في (ر).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود.

(٤) في (ف): لا.

(٥) في (ر): العدد.

فقد رُوي عن ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: نسختْهَا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطَّلاق: ٤][١].

والصَّحيح: أنَّها عامَّةٌ دخلَهَا التَّخْصِيصُ[٢]؛ لأنَّ ظاهِرَها يقْتَضِي وُجُوبَ العِدَّةِ علَى المُتوفَّى عنْهَا زوْجُها أربعَةَ أشْهُرٍ وعشْرًا، سَواءٌ كانَتْ حَامِلًا[٣]، أو غيْرَ حامِلٍ[٤]، غيْرَ أنَّ قوْلَه: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خصَّ أُولاتِ الحَمْلِ، وهِيَ خاصَّةٌ أيْضًا فِي الحرائِرِ، فإنَّ الأَمَةَ[٥] عِدَّتُها شهْرَانِ وخمْسَةُ أيَّامٍ، فبَانَ أنَّها مِنَ العامِّ الَّذي دخَلَهُ[٦] التَّخْصِيصُ.

قوْلُه: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعْنِي: انْقِضاءَ العِدَّةِ.

قوْلُه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معْناه: فلَا جُناحَ علَى الرِّجالِ فِي تَزْوِيجِهِنَّ بعْدَ ذلِك.

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٢٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٣١٥)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ للنحاس (ص: ٢٤٠).

(٢) في الأصل: «التخصص»، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (م): حاصلًا.

(٤) في (ر): عامل.

(٥) ليست في (ف).

(٦) في (ر): أدخله.

والثَّانِي: فلَا جُناحَ علَى الرِّجالِ فِي ترْكِ الإنْكارِ عَليْهِنَّ إذا تَزيَّنَ وتزوَّجنَ.

قالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: وهو خِطابٌ لِأَوْلِيائِهِنَّ.

قوْلُه: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّزيُّن والتَّشوُّفُ للنِّكاح، قالَهُ الضَّحَّاكُ، ومُقَاتِلٌ[1].

والثَّانِي: أنَّه النِّكاحُ، قالَهُ الزُّهرِيُّ، والسُّدِّيُّ.

و«الخَبِير» مِنْ أسْماءِ الله تعَالى، ومعناه: العَالِمُ بِكُنْهِ الشَّيءِ المُطَّلعُ علَى حقيقَتِهِ.

والخَبِرُ[2] فِي صِفَةُ المَخْلُوقِينَ، إنَّما يُستعْمَلُ فِي نوْعٍ مِنَ العِلْمِ، وهوَ الَّذي يُتوصَّلُ إليْهِ بالاِجْتِهادِ دُونَ النَّوْعِ[3] المعلُومِ[4] بِبداءَةِ العقُولِ.

وعِلْم اللهِ تعَالَى سَواءٌ فِيما غَمُضَ ولَطُفَ، وفِيما تَجلَّى وظَهَرَ.

قوْلُه: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدَّة.

---

(١) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٠١).

(٢) في (ف): الخبير. والمثبت له وجه صحيح أيضًا، يقال: رجلٌ خابِرٌ وخَبيرٌ وخَبِرٌ؛ ككَتِفٍ وجُحْرٍ: عالِمٌ به.

(٣) في (ج): البلوغ.

(٤) في (م): والمعلوم.

و«التَّعريـضُ»: الإيـماءُ والتَّلْويـحُ(١) مِـنْ غـيْر كشْـفٍ، فهـوَ إشَـارةٌ بالكلَامِ إلَى مَـا ليْـسَ لـه في الـكلَامِ ذِكْـرٌ. [٦٨/أ]

و«الخِطبَـةُ» بكسْـرِ الخـاء: طَلَـبُ النِّـكاحِ، و«الخُطبـةُ» بضَـمِّ الخَـاءِ؛ مثـل الرِّسـالَةِ الَّتِـي لهَـا أَوَّلٌ وآخِـرٌ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: التَّعريضُ أنْ يقُولَ: إنِّي أُريد أنْ أَتزَوَّجَ(٢).

وقـالَ مُجَاهِـد: أنْ يقُـولَ: إنَّـكِ لَجَمِيلـةٌ، وإنَّـكِ لَحَسَـنَةٌ، وإنَّـكِ لَإلَى خَـيْرٍ(٣).

قوْلُه: ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: فيهِ لُغتانِ: كننْتُ الشَّيْءَ، وأَكْنَنْتُه(٤).

وقـالَ ثعْلـبٌ: أَكْنَنْـتُ الـشَّيءَ؛ إذا أخْفَيْتَـهُ فِي نفْسِـكَ، وكَنَنْتُـه؛ إذا سَـتَرْتَه بـشَيْءٍ(٥).

(١) في (ج): البلوغ.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٦١- ٢٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٢٤- ٢٣٢٥) من طريق مُجَاهِد، ورواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٦٢)، من طريق علي بن أبي طلحة، وابن أبي حاتم (٢٣٢٦) من طريق سعيد بن جُبَيْر، ثلاثتهم، عن ابن عبَّاس: قال: التعريض: أن يقول للمرأة في عدَّتها: إني لا أريد أن أتزوج غيرك إن شاء الله، ولوددت أني وجدت امرأة صالحة، ولا ينصب لها ما دامت في عدَّتها.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٦٤) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مُجَاهِد، بنحوه.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ١٥١).

(٥) انظر: الفصيح (ص: ٢٧٥).

وقالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: أَكْنَنْتُ الشَّيْءَ؛ إذا سَتَرْتُه، ومِنه هذِه الآيةُ، وكَنَنْتُه؛ إذا صُنْتُه، ومِنْه قوْلُه: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، قالَ: وبعْضُهُم يجعَلُ كنَنْتُه، وأَكْنَنْتُه[١]، بِمعْنًى[٢].

قوْلُه: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾.

قالَ مُجَاهِدٌ: ذِكْرُه إيَّاها في نفْسِه[٣].

قوْلُه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾.

فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المُرادَ بالسِّرِّ هاهُنا: النِّكاح، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ. وأنْشدَ بيْتَ امْرِئِ القَيْسِ[٤] [من الطويل]:

---

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٧١).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٣١) من طريق عبد الله بن إدريس، عن ليث بن أبي سليم، عن مُجاهِد، بنحوه.

(٤) رواه الفرَّاء في غريب القرآن (١/ ١٥٣) من طريق محمد بن السَّائب الكلبي، عن أبي صالح، والطستي في مسائله، عن ابن عبَّاس كما في الدر المنثور (١/ ٦٩٦) أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ قال: السِّرُّ: الجماع قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول امرئ القيس، فذكره، والبيت في ديوانه (ص: ١٣٦)، وديوان الأدب (٣/ ٣٠)، وخزانة الآداب (١/ ٦٤).

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ[١] أَنَّنِي كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يَشْهَدَ السِّرَّ أَمْثَالِي

وفي رِوايةٍ: يشهَدَ اللَّهوَ[٢].

قالَ الفرَّاءُ[٣]: وَيَرى[٤] أنَّه مِمَّا كَنَّى اللهُ تعالَى عنْهُ؛ كقوْلِه: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائدة: ٦][٥].

وذكَرَ الزَّجَّاجُ عنْ أبي عُبيدةَ أنَّ «السِّرَّ»: الإفْضاءُ بالنِّكاحِ، وأنْشدَ[٦] [من الوافر]:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ

---

(١) في (ف): القوم.

(٢) العبارة ليست في (م).

(٣) زاد في (ف) هنا: بسباسة: امرأة من بني أسد.

(٤) في (ف): ويروى.

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٣).

(٦) انظر: مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢/ ٧٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٧)، والبيت للحطيئة وهو جرول بن أوس بن مالك من بني حطيئة بن عبس، يكنى أبا مليكة لقب بالحطيئة لقصره، وقربه من الأرض، وهو من المخضرمين أسلم بعد وفاة النبي ﷺ، والبيت في ديوانه (ص: ٣٢٨)، وتفسير الطَّبري (٤/ ٢٧٩)، والكامل (٢/ ٢٣٢)، ولسان العرب (٩/ ١٣) مادة: «أنف»، وتاج العروس (١٢/ ٦) مادة: «سرر». **والقصاع** جمع قصعة: وهي الجفنة الضخمة.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: اسْتُعِير «السِّرُّ» للنِّكاحِ؛ لأنَّ النِّكاحَ يكون سِرًّا، فالمَعْنى: لا تُواعِدُوهُنَّ بالتَّزويجِ تصْرِيحًا، ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ لا تذْكُرُوا فِيه رفثًا ولَا نِكاحًا[1].

والثَّانِي: أنَّ المُواعدَةَ سِرًّا: أنْ يقُولَ لَهَا: إنِّي لكِ مُحِبٌّ، وعاهِدِينِي أنْ لَا تَتزوَّجِي غيْرِي، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[2].

والثَّالث: أنَّ المُرادَ بالسِّرِّ الزِّنا، قالَهُ الحسَنُ، وجَابِرُ بْنُ زيْدٍ، وأبو مِجْلزٍ، وإبْرَاهِيمُ، وقتادَةُ، والضَّحَّاكُ.

والرَّابع: أنَّ المَعْنى: لَا تَنْكحُوهُنَّ فِي عِدَّتِهِنَّ سِرًّا، فإذَا حلَّتْ[3] أظهَرْتُم ذلِك، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفِي القوْلِ المعرُوفِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّعريضُ لها، وهوَ قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وسعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وعطَاءٍ، والقاسِمِ بْنِ مُحمَّدٍ، والشَّعْبِيِّ، ومُجاهِدٍ، وإبْرَاهِيمَ، وقتادَةَ، والسُّدِّيِّ.

والثَّانِي: أنَّه إعْلامُ وَلِيِّها بِرغْبَتِه فِيها، وهوَ قوْلُ عُبيدةَ.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٠).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس.

(٣) في (ر): خلت.

قوْله: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: معْنَاه لَا تَعْزِمُوا[١] علَى عُقدَةِ النِّكاحِ، وحُذِفتْ «علَى» اسْتِخْفَافًا؛ كَما قالُوا: ضُرِبَ زَيْدٌ الظَّهرَ والبَطْنَ، معْنَاه[٢]: علَى الظَّهرِ والبَطْنِ[٣].

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾؛ أي: حتَّى يَبْلُغَ فرضُ الكِتابِ أجلَهُ[٤].

قَالَ: ويجُوزُ أنْ يكُونَ «الكِتابُ» بمَعْنَى[٥] «الفرْض»؛ كقوْلِه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فيكونُ المعْنَى: حتَّى يبْلُغَ الفرْضُ أجلَهُ[٦].

---

(١) في (ج): تعرضوا.

(٢) في (ف): أي.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٨).

(٤) من قوله: «أي حتى يبلغ»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) في (م): (يعني).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣١٨).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ[١]، ومُجاهِدٌ[٢]، والشَّعبِيُّ[٣]، وقتادةُ[٤]، والسُّدِّيُّ[٥]: بلُوغُ الكتَابِ أجلَهُ: انْقِضاءُ العِدَّةِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مِنَ الوفَاءِ، فاحْذَرُوه أنْ[٦] تُخالِفُوه فِي أمْرِه.

و«الحَلِيمُ» قد سبَقَ بيانُهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦، ٢٣٧].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٨٥) من طريق عطية العوفي، وعطاء الخرساني، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٤١) من طريق عطاء، كليهما عن ابن عبَّاس.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٨٤) من طريق ليث بن أبي سليم، بنحوه، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٤١).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٨٥) من طريق يونس بن أبي إسحاق، عن الشَّعبي، بنحوه، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٤١).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٨٤- ٢٨٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، بنحوه، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٤١).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٨٤) من طريق أسباط بن نصر، عن السُّدِّي.

(٦) زاد في (ج): لا.

[٦٨/ ب] قوْلُه تعالَى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾.

قَرأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونافِعٌ[١]، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، «تَمَسُّوهُنَّ» بغيْرِ ألِفٍ حيْثُ كانَ، وفتحِ[٢] التَّاءِ.

وقرَأ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وخلَفٌ «تُمَاسُّوهُنَّ» بألِفٍ وضَمِّ التَّاءِ فِي المَوْضعَيْنِ هَاهُنا، وفِي الأحْزَابِ [ثالِثٌ][٣][٤].

قالَ أبو عَلِيٍّ: وقد يُرادُ بِكُلِّ واحِدٍ مِن «فاعَلَ» و«فَعَلَ» ما يُرادُ بالآخرِ[٥]، تقُول: طَارَقْتُ النَّعْلَ وعَاقَبْتُ اللِّصَ[٦].

قالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيمَانَ: نزلَت هذِه الآيَةُ فِي رَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ تزوَّجَ امْرَأةً من بَنِي حَنِيفَةَ، ولمْ يُسَمِّ لَهَا مَهْرًا، فطَلَّقَها قبْلَ أنْ يَمَسَّها، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**هَلْ مَتَّعْتَهَا بِشَيْءٍ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ[٧]: «**مَتِّعْهَا بِقُلُنْسُوَتِكَ**»[٨].

---

(١) زاد في باقي النسخ: (روى).

(٢) في (ت): وبفتح.

(٣) ضرب عليها في الأصل، وفي (ج) و(ف): بألف؛ وهي مثبتة في بقية النسخ كما في النص. والمقصود أن الأحزاب هو الموضع الثالث بألف.

(٤) انظر: السَّبعة؛ لابن مُجاهِد (ص: ١٨٣- ١٨٤)، والتَّيسير (ص: ٨١)، والمبسوط (ص: ١٤٧).

(٥) ليست في (ف).

(٦) انظر: الحُجَّة (٢/ ٣٣٨).

(٧) ليست في (ر).

(٨) أورده مُقَاتِل بن سليمان في تفسيره (١/ ٢٠٠) بلا نسبة، وذكره الحافظ في العجاب (١/ ٦٩٥) عن مُجاهِد، مرسلًا.

ومعْنَى الآيةِ: ما لَم تَمسُّوهُنَّ، ولم تَفرِضُوا لهُنَّ فرِيضَةً. وقد تكُونُ «أوْ» بمعْنَى الواوِ؛ كقوْلِه: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

و«المسُّ»[١]: النِّكاحُ، و«الفَريضَةُ»: الصَّداقُ.

وقدْ دلَّتِ الآيةُ على جوَازِ عقْدِ النِّكاحِ بغَيْرِ تسْمِيةِ مهْرٍ.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾؛ أي: أعْطُوهُنَّ ما يَتمتَّعْنَ بِه مِن أمْوَالِكُم علَى قدْرِ أحوَالِكُم فِي الغِنى والفَقرِ[٢].

و«المَتاعُ»: اسْمٌ لِما يُنتفعُ بِه، فذلِكَ معْنَى قوْلِه: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وقَرأَ ابْنُ كَثيرٍ ونافِعٌ، وأبو عَمْرو: «قدْرُهُ» بإسْكانِ الدَّال فِي الحرْفَيْنِ. وقَرأَ ابْنُ عامِرٍ[٣]، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ بتحْرِيكِ الحرْفَيْنِ[٤]. وعنْ عاصِمٍ: كالقِراءتَيْنِ[٥] وهُما لُغتانِ[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ج): السِّرُّ.

(٢) في (ج): الغني والفقير.

(٣) في (ج): ابن عبَّاس.

(٤) انظر: السَّبعة؛ لابن مُجاهِد (ص: ١٨٤)، والمبسوط؛ للهذلي (ص: ١٤٧).

(٥) في حاشية الأصل: كالقولين.

(٦) انظر: معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٢٠٨).

فَصْلٌ

وهَل هذِهِ المُتْعَةُ وَاجِبةٌ، أَمْ مُستحبَّةٌ؟

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها وَاجِبةٌ.

واخْتلَفَ أرْبَابُ هذَا القوْلِ، لِأَيِّ المُطلَّقاتِ تَجِبُ، علَى ثلَاثة أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّها واجِبةٌ لِكُلِّ مُطلَّقةٍ، رُوي عنْ علِيٍّ[1]، والحَسَنِ[2]، وأبي العالِيةِ[3]، والزُّهريِّ[4].

والثَّاني: أنَّها تجِبُ لِكلِّ مُطلَّقةٍ إلَّا المُطلَّقةَ[5] الَّتي فُرِضَ لها صَداقًا ولم يَمسَّها[6]، فإنَّه يَجِب لهَا نِصْفُ ما فَرَضَ، رُوِي عنِ ابْنِ عُمرَ[7]، والقَاسِمِ

(١) لم نقف عليه مسندًا.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٠٠)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٩٤) من طريق يونس بن عبد الأعلى، عن الحسن، وعبد الرزاق في المصنف (١٢٢٤١) عن معمر، عمن سمع الحسن.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٠١) من طريق وكيع، عن أبي جعفر الرَّازي، عن أبي العالية، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٩٨) من طريق أبي جعفر، عن الرَّبيع، به.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٢٢٣٨- ١٢٢٣٩) عن معمر، ومن طريقه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٠٢)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٩٨).

(٥) قوله: «إلا المطلَّقة»، ليس في (ج).

(٦) في (ج): يسمها.

(٧) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٢٢٢٥- ١٢٢٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٠٤)،=

بْـنِ مُحَمَّـدٍ، وشُرَيْـحٍ[(١)]، وإبْرَاهِيمَ[(٢)].

والثَّالِـث: أنَّهـا تجِـبُ للمُطلَّقـةِ قبْـلَ الدُّخـولِ إذَا لَمْ يُسَـمِّ لَهَـا مهْـرًا، فـإنْ دخَـلَ بِهَـا، فـلَا مُتعـةَ، ولَهَـا مهْـرُ المِثْـلِ، رُوي عـنِ الأَوْزَاعِـيِّ، والثَّـوْرِيِّ، وأبِي[(٣)] حَنِيفَـةَ[(٤)]، وأحْمَـدَ بْـنِ حَنْبَـلٍ[(٥)].

والثَّـانِي: أنَّ المُتعـةَ مُسـتحبَّةٌ، ولا تَجِـبُ عـلَى أحَـدٍ، سـواءٌ سَـمَّى للمـرْأَةِ[(٦)]، أوْ لمْ يُسَـمِّ، دخَـلَ بِهَـا، أوْ لم يدْخُـلْ، وهـوَ قـوْلُ مالِـكٍ، واللَّيْـثِ بْـنِ سـعْدٍ، والحَكَـمِ[(٧)]، وابْـنِ أبي ليْـلَى[(٨)].

واخْتلَفَ العُلَماءُ فِي مِقدارِ المُتعةِ:

=وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٩٨) من طريق نافع، عن ابن عمر.

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٢٢٣٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٧٠٧)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٩٨) من طريق إبراهيم.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٢٢٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٦٩٥) من طريق الحكم، عن إبراهيم.

(٣) في الأصل: «أبو»، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٤) انظر: الأصل؛ للشَّيباني (٤/ ٥٢٧)، وبدائع الصَّنائع (٣/ ٢٢٧).

(٥) انظر: الروايتين والوجهين (٢/ ١٢٩)، والمغني (٧/ ٢٩٣).

(٦) في (ج): المهر.

(٧) في (م): الحاكم.

(٨) انظر: المغني (٧/ ٢٣٩)، والمدونة (٢/ ١٥٢).

فنُقِل عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١]، وسعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ[٢]: أعْلَاها خادِمٌ، وأدْنَاهَا كسْوَةٌ يجُوز لَها أنْ تُصلِّيَ فِيها.

ورُوي عن حمَّادٍ، وأبي حَنِيفةَ[٣]: أنَّه قدْرُ نِصفِ صَدَاقِ مثلِهَا.

وعنِ الشَّافعِيِّ[٤]، وأحمَدَ[٥]: أنَّه علَى قدْرِ يَسارِهِ وإعْسَارِه، فيكونُ مُقدَّرًا باجْتِهادِ الحاكمِ.

ونُقِل عنْ أحْمدَ: أنَّ المُتعةَ بقدْرِ ما تُجزِئُ فيهِ الصَّلاةُ مِنَ الكِسْوةِ، وهوَ دِرْعٌ وخمارٌ[٦].

قوْلُه: ﴿مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾؛ أي: بقدْرِ الإمْكانِ، والحقُّ: الوَاجِبُ.

وذكْرُ المُحسِنينَ والمُتَّقِين ضرْبٌ مِنَ التَّأكيدِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾؛ أي: مِن قبْلِ الجِماعِ ﴿وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ﴾؛ أي: أوْجبْتُم لهنَّ شيْئًا الْتزَمْتُم بِه، وهوَ المَهرُ ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ يعْنِي: النِّساءَ[٧].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٧١٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٢٨٩) من طريق عِكْرِمَة عن ابن عبَّاس.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٧١٦) من طريق عمرو بن شعيب، عن سعيد.

(٣) انظر: المبسوط (٦/ ٦٣)، وبدائع الصنائع (٣/ ٢٢٧).

(٤) انظر: التنبيه (ص: ١٦٨)، والمجموع (١٦/ ٣٩١).

(٥) انظر: الروايتين والوجهين (٢/ ١٢٠)، والمغني (٧/ ٢٤٢)، والإنصاف (٨/ ٣٠٠).

(٦) انظر: الروايتين والوجهين (٢/ ١٢٠)، والمغني (٧/ ٢٤٢).

(٧) في (ج): يعفوا النِّساء.

وعفوُ المرْأَةِ: ترْكُ حقِّهَا مِنَ الصَّداقِ.

وفي الَّذِي ﴿بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهَا: أنَّه الزَّوْجُ، وهوَ قوْلُ علِيٍّ، وابْنِ عبَّاسٍ[1]، وجُبيرِ بْنِ [٦٩/أ] مُطعِمٍ، وابْنِ المُسيِّبِ، وابْنِ جُبيْرٍ، ومُجاهِدٍ، وشُريحٍ، وجابِرِ بْنِ زيْدٍ، والضَّحَّاكِ، ومُحمَّدِ بْنِ كعْبٍ القُرظِيِّ[2]، والرَّبيعِ بْنِ أنسٍ، وابْنِ شُبرمَةَ، والشَّافعِيِّ[3]، وأحمَدَ في آخرينَ[4].

والثَّانِي: أنَّه الوَلِيُّ، رُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[5]، والحسَنِ[6]، وعلْقمَةَ[7]،

(١) في (ج): وابن عامر.

(٢) لم يُذكر في (م).

(٣) انظر: المغني (٧/ ٢٥٣)، والإنصاف (٨/ ٢٧١)، وقال: هذا المذهب بلا ريب. وهو المشهور وعليه الجمهور حتى قال أبو حفص: رجع الإمام أحمد عنِ القوْلِ بأنَّه الأَبُ.

(٤) انظر: الأم (٥/ ٨٠)، والمجموع (٣/ ٢١٨).

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠٨٥٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٠٠٢)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٦١) من طريق عن عمرو بن دينار، عن عِكْرِمَة، عن ابن عبَّاس. ورواه ابن جرير (٤/ ٣١٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس.

(٦) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠٨٥٣) من طريق طاوس، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٩٩٧) من طريق أبي رجاء، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٢٠) من طريق قتادة، ثلاثتهم عن الحسن، به.

(٧) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠٨٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٩٩٨)، وسعيد ابن منصور في التَّفسير (٣٨٦)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣١٨) من طريق إبراهيم.

وطاوُسٍ[١]، والشَّعْبِيِّ[٢]، وإِبْرَاهِيمَ فِي آخَرِينَ[٣].

والثَّالث: أنَّه أبو البِكْرِ[٤]، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥]، والزُّهرِيِّ[٦]، والسُّدِّيِّ فِي آخرِينَ[٧].

فعلَى القوْلِ الأوَّلِ «عفوُ الزَّوْجِ»: أنْ يُكمِلَ لها الصَّداقَ.

وعلى الثَّانِي: «عفْوُ الوَلِيِّ»: تـرْكُ حقِّها إذا أَبَتْ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٨]، وأبي الشَّعثاء.

وعلَى الثَّالث[٩]: يكونُ قوْلُه: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ يختَصُّ بالثَّيِّباتِ. وقوْلُه: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ﴾ يختَصُّ أبَا البِكْرِ، قالَهُ الزُّهرِيُّ[١٠].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣١٩) من طريق شعبة.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٢١) من طريق مغيرة، عن الشَّعبي، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٢١) من طريق مغيرة، عن إبراهيم.

(٤) من قوله: «روي عن ابن عبَّاس»... إلى هنا، سقط من (م).

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٣١٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٢١) عن ابن جُرَيْجٍ وفي (٤/ ٣٢٣) عن يونس، كلاهما، عن الزُّهري.

(٧) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٣٢٢) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٨) انظر: أثر ابن عبَّاس السابق.

(٩) من قوله: «عفو الولي»... إلى هنا، ليس في (ر).

(١٠) انظر: أثر الزُّهري السابق.

والأوَّلُ أصَحُّ؛ لأنَّ عُقدةَ النِّكاح خرَجَتْ مِن يدِ الوَلِيِّ، فصَارتْ بِيدِ الزَّوْجِ، والعفْوُ إنَّما يُطْلَقُ علَى مِلْكِ الإنْسانِ، وعفْوُ الوَلِيِّ عفْوٌ عمَّا لَا يَمْلِكُ، ولأنَّه قالَ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، والفضْلُ فِي هِبةِ الإنْسانِ مالِ نفْسِهِ، لا مالَ غيْرِهِ.

قوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه خِطابٌ للزَّوْجيْنِ جمِيعًا، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)]، ومُقَاتِلٍ[(٢)].

والثَّانِي: أنَّه خِطابٌ للزَّوْجِ وحْدَهُ، قالَهُ الشَّعبِيُّ، وكانَ يَقرأُ: «وأنْ يعْفُو» بالياءِ[(٣)].

قوْلُه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

خِطابٌ للزَّوْجيْنِ، قالَ مُجَاهِدٌ: هو إتْمامُ الرَّجلِ الصَّداقَ، وترْكُ المرأةِ شطْرَهَا[(٤)].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٣٧) من طريق عطاء بن أبي رباح، به.

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٠٠).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٣٧)، وانظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٩٤)، وهي قراءة أبي نَهِيك؛ كما في مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٢)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٢/ ٥٤٠)، وذلك راجع إلى الذي بيده عقدة النِّكاح.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٣٩) من طريق ابن أبي نجيح، به.

قَالَ تعَالَى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

قوْلُه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾.

«المُحافظةُ»: المُواظبَةُ والمُداومَةُ[١].

و«الصَّلَوَاتُ» بالألِفِ واللَّامِ، ينْصَرفُ إلى المَعْهُودِ، والمُرادُ: الصَّلواتُ الخَمْسُ.

قوْلُه: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هذِه الواوُ إذا جاءَتْ مُخصِّصَةً، فهي دالَّةٌ علَى فضْلِ الَّذي تُخصِّصُه[٢]؛ كقوْلِه: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨][٣].

قالَ سعِيدُ بنُ المُسيِّبِ: كانَ أصْحابُ رسُولِ الله ﷺ، في الصَّلاة الوُسْطَى هكَذَا، وشَبَّكَ بيْنَ أصَابعِه[٤].

ثمَّ فِيها خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها العصْرُ.

(١) في (ف): المداومة، والمواظبة.

(٢) في (ف): تخصه.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٠).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٧٢) من طريق قتادة، عن سعيد، بنحوه.

رَوَى مُسلِمٌ فِي أفْرَادِهِ مِن حديثِ[١] عليٍّ ﷺ عنِ النَّبيِّ[٢] ﷺ، أنَّه قالَ يومَ الأحزابِ: «شَغَلُونا عنِ الصَّلاةِ[٣]: الصَّلاة الوُسْطَى صَلاةِ الْعَصْرِ، مَلأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وبُيُوتَهُمْ نَارًا»[٤].

ورُوي عنِ[٥] ابْنِ مَسْعُودٍ[٦]، وسَمُرَةَ[٧]، وعَائِشَةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّها صَلاةُ العَصْرِ[٨].

ورَوَى مُسلِمٌ فِي أفْرادِهِ مِن حديثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قالَ: نزَلَتْ هذِهِ الآيةُ «حافِظُوا علَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى وصَلاةِ[٩] العَصْرِ»، فقَرَأْنَاهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ نسَخَهَا اللهُ، فنزَلَتْ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ

---

(١) قوله: «مسلم في أفراده من حديث»، ليس في (ف).

(٢) في (ف): رسول الله.

(٣) ليست في بقية النسخ.

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧).

(٥) في بقية النسخ: «روى» بدلاً من «وروي عن».

(٦) رواه ابن ماجه (٦٨٦)، والبزَّار في مسنده (٢٠٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٥) من طريق محمد بن طلحة، عن زبيد، عن مرة، به.

(٧) رواه أحمد (٣٣/ ٢٧٠)، والتِّرمذي (١٨٢)، وفي (٢٩٨٣)، والبزَّار في مسنده (٤٥٥٤)، والطَّحاوي في شرح معاني الآثار (١٠٤١)، والطبراني في الكبير (٦٨٢٥) وغيرهم من طرق عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، به، وحسَّنه التِّرمذي.

(٨) رواه مسلم (٦٣٠).

(٩) في (ف)، و(م) بدون الواو.

وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[١].

وهـذَا قـوْلُ عـليٍّ بـنِ أبي طَالِـبٍ، وابْـنِ مَسْـعُودٍ، وأُبيٍّ[٢]، وأبي أيّـوبَ[٣]، وابْـنِ[٤] عُمـرَ فِي رِوايـةٍ، وسَـمُرَةَ بْـنِ جُنـدُبٍ[٥]، وأبِي هُرَيْـرَةَ، وابْـنِ عبَّـاسٍ فِي رِوَايـةِ عَطِيَّـةَ، وأبي سـعِيدٍ الخُـدرِيِّ، وعائِشـةَ فِي رِوايـةٍ، [وحَفْصة، والحسَـنِ، وسـعِيدِ بْـنِ المُسَـيِّبِ، وسـعِيدِ بْـنِ جُبَـيْرٍ، وعطَـاءٍ فِي رِوَايـةٍ][٦] وطـاوسٍ، والضَّحَّـاكِ، والنَّخَعِـيِّ، وعُبيـدِ بْـنِ عُمـيْرٍ[٧]، وزِرِّ بْـنِ حُبيْـشٍ، وقتـادَةَ، وأبي حَنِيفـةَ، ومُقَاتِـلٍ فِي آخريـنَ، وهـوَ[٨] مذْهَـبُ أصْحابِنَـا[٩].

والثَّانِي: أنَّها الفَجْرُ.

رُوِيَ عـنْ عُمـرَ، وعـلِيٍّ فِي رِوايـةٍ، وأبي مُوسـى، ومُعـاذِ بْـنِ جبَـلٍ[١٠]،

---

(١) مسلم (٦٣٠).

(٢) ليس في (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) في (ج): أبي مسعود أيوب. وفي (م): أيوب.

(٤) في (ر): أبي.

(٥) بفتح الدَّال وضمها.

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (ر)، و(ج)، و(م).

(٧) في (ف): عبيد بن عمر.

(٨) ليست في (ر).

(٩) انظر: المغني (١/ ٢٧٤)، والإنصاف (١/ ٤٣٢)، وقال المرداوي: هو المذهب نصَّ عليه الإمام أحمد، وقطع به الأصحاب، ولا أعلم عنه ولا عنهم فيها خِلافًا.

(١٠) في بقية النسخ: «معاذ» فقط دون ذكر والده.

وجَابِرِ بْـنِ عبْـدِ اللهِ، وأبي أُمامَـةَ، وابْـنِ عُمـرَ فِي رِوايـةِ مُجَاهِـدٍ(١)، وزيْـدِ بْـنِ أسْلَم، وابْـنِ عبَّـاسٍ فِي رِوايـةِ أَبِي رَجَاءِ الْعُطَـارِدِيِّ(٢)، وعِكْرِمَـةَ، وجَابـرِ بْـنِ زيْـدٍ(٣)، وأنَـسِ بْـنِ مالِـكٍ، وعطَـاءٍ، وعِكْرِمَـةَ، وطـاوُسٍ فِي رِوَايَـةِ ابْنِـه(٤)، ومُجَاهِـدٍ(٥)، وعبْـدِ اللهِ بْـنِ شـدَّادٍ(٦)، ومَالِـكٍ(٧)، والشَّـافعِيِّ(٨).

وروَى أبـو العَالِيـةِ قـالَ صَلَّيـتُ مـعَ أصْحَـابِ رسُـولِ اللهِ ﷺ الغَـدَاةَ، فقُلْـتُ لهُـم: إنَّهـا الصَّـلاةُ الوُسْـطَى؟ فقالُـوا: الَّتِـي صلَّيْـتَ قبْـلُ(٩).

والثَّالث: أنَّها الظُّهرُ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٦٢٨) من طريق زيد بن أسلم، عن ابن عمر.

(٢) في (ف): وأبي رجاء العطاردي.

(٣) زاد في (ر): وزيد.

(٤) رواه سفيان في تفسيره؛ كما في الدر المنثور (١/ ٧١٩)، ومن طريقه سعيد بن منصور في تفسيره (٣٩٩).

(٥) لم يذكر في (ج).

(٦) في (م): وطاوس في رواية عبد الله بن شراحه، ومُجَاهِد.

(٧) انظر: الجامع لمسائل المدونة (٣/ ١٠٨٣)، والرسالة؛ للقيرواني (ص: ٢٣)، وقال ابن أبي زيد: أما صلاة الصبح فهي الصَّلاة الوسطى عند أهل المدينة وهي صلاة الفجر.

(٨) انظر: الحاوي (٢/ ٨)، والمجموع (٣/ ٦٠).

(٩) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٢٠٨)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٦٩) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الرَّبيع بن أنس،به، بنحوه.

رُوي عَنِ ابْنِ عُمرَ[1]، وزيْدِ بْنِ ثابِتٍ[2]، وأُسامَةَ بْنِ زيْدٍ[3]، وأبِي سعِيدٍ الخُدريِّ[4]، وعَائِشةَ فِي رِوايَةٍ[5]. ورَوَى ضُميْرَةُ عن علِيٍّ ﷺ قالَ: هِي صلَاةُ الجُمُعةِ، وهِيَ[6] فِي سائِرِ الأيَّام الظُّهرُ[7].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٠) من طريق عبد الرحمن بن أفلح، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن أفلح عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨٦٠٤- ٨٦٠٥- ٨٦١٧)، ومالك في الموطأ (٢٧)، والدارمي في سننه (٢٣٥)، والطَّحاوي في شرح معاني الآثار (٩٩٢)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٦٧٢)، وفي معرفة السنن والآثار (٢/ ٣٠٩) من طرق عن زيد بن ثابت ﷺ.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٧٣)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٦٧٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٦٧٢).

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٢٠٠)، وعبد بن حميد، وابن المنذر؛ كما في الدر المنثور (١/ ٧٢١) من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال أرسل زيد بن ثابت مولاه حرملة إلى عائشة يسألها عن الصَّلاة الوسطى، قالت: هي الظهر.

(٦) في (ف): والتي هي.

(٧) الذي وقفنا عليه: هو ما رواه ابن المنذر في تفسيره؛ كما في الدر المنثور (١/ ٧٢١) من طريق أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب قال: الصَّلاة الوسطى هي صلاة الظهر.

والرَّابعُ: أنَّها المَغرِبُ. رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وقَبيصةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ(٢).

والخامِس: أنَّها العِشاءُ الآخِرَةُ. ذكَرَهُ علِيُّ بْنُ أحمَدَ النَّيْسابُورِيُّ(٣) فِي «تفْسِيرِه»(٤).

والمُرادُ بالوسْطَى ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها أوْسَطُ الصَّلوَاتِ محَلًّا.

والثَّانِي: أوْسَطُها مِقدارًا.

والثَّالث: أفْضَلُها.

ووسَطُ الشَّيءِ: خيْرُهُ وأعْدَلُه؛ ومنه قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٧٥) من طريق سعيد بن عروبة، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن عمه، عن ابن عبَّاس، وحسنه السُّيوطي.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٣٦٧) من طريق إسحاق بن أبي فروة، عن رجل، عن قبيصة.

(٣) وهو علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي، الإمام المفسِّر صاحب أسباب النزول كان واحد عصره في التَّفسير، وصنَّف التفاسير الثَّلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز، وأسباب النزول، والمغازي وغيرها، توفي ٤٦٨هـ.

(٤) نقله في التَّفسير البسيط (٤/ ٢٩٣) عن أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي النَّيسابوري شيخ الشَّافعية.

فـإِنْ قُلْنَـا: إنَّ الوُسْـطَى بِمعْنَـى: الفُضْـلَى[١]، جـازَ أنْ يدَّعِـيَ هـذا[٢] كُلُّ ذِي مذْهَـبٍ فِيهـا.

وإنْ قُلْنـا: إنَّهـا أوْسَـطُها مِقْـدارًا، فهِـيَ المغـرِبُ؛ لأنَّ أقَـلَّ المفْرُوضَـاتِ ركْعتَـانِ، وأكثَرَهـا أرْبَـعٌ.

وإنْ قُلنـا: إنَّهـا أوْسَـطُها[٣] محَـلًّا، فلِلْقائِلِـينَ: إنَّهـا العَـصْرُ أنْ يقُولـوا: قبْلَهـا صَلاتَـانِ فِي النَّهـارِ، وبعْدَهـا صلاتَـانِ فِي اللَّيْـلِ، فهِـي الوُسْـطَى.

ومَنْ قالَ: هِيَ الفجْرُ، فقَالَ عِكْرِمَةُ: هِيَ وسَطٌ بيْنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ[٤]. [٦٩/ب]

وكذَلِـك قـالَ ابْـنُ الأَنْبـارِيِّ: هِـيَ وسَـطٌ بـيْنَ اللَّيْـلِ والنَّهـارِ. قـالَ: وسَـمِعْتُ[٥] أبـا العبَّـاسِ -يعْنِـي: ثعْلَبًـا- يقُـولُ: النَّهـارُ عنْـدَ العـرَبِ أوَّلُـه: طُلُـوعُ الشَّـمْسِ.

---

(١) قوله: «بمعنى الفضلى»، ليس في (ر).

(٢) ليست في (ف).

(٣) من قوله: «مقدارًا»... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) رواه سعيد بن منصور في التَّفسير (٤٠٢) من طريق خصيف، عن عِكْرِمَة، عن ابن عبَّاس، مختصرًا. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (١/ ٧١٨) لابن المنذر.

(٥) العبارة في (م): وكذلك قال سمعت أبا الأنباري.

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: فعَلَى هذَا صلَاةُ الصُّبحِ مِنْ صلَاةِ اللَّيْلِ. قَالَ: وقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ مِنْ صلَاةِ النَّهارِ؛ لأَنَّ أَوَّلَ وقْتِها [أَوَّلُ][1] وقْتِ الصَّوْمِ[2]. قَالَ: والصَّوابُ عنْدَنَا أَنْ نقُولَ: اللَّيلُ المحْضُ خاتِمَتُهُ طلُوعُ الفجْرِ، والنَّهارُ المحْضُ أَوَّلُه: طلُوعُ الشَّمْسِ، والَّذي بيْنَ طُلوعِ الفجْرِ، وطلُوعِ الشَّمْسِ يجُوز أَنْ يُسمَّى نهَارًا، ويجُوزُ أَنْ يُسمَّى ليْلًا، لِما يُوجَدُ فيهِ مِنَ الظُّلمَةِ والضَّوْءِ، فهذَا قوْلٌ يَصِحُّ بِه المَذْهبانِ.

قَالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: ومَنْ قَالَ: هِيَ الظُّهرُ، قَالَ: هِيَ وسَطُ النَّهارِ، فأَمَّا مَنْ قَالَ: هِيَ المغْرِبُ، فاحْتجَّ بأَنَّ أَوَّلَ صلَاةٍ فُرِضَتْ، الظُّهْرُ، فصَارتِ المغْرِبُ وُسْطَى، ومَن قَالَ: هِيَ العِشاءُ، فإنَّه يقُول: هِيَ بيْنَ صَلاتَيْنِ لَا تُقْصَرانِ.

قوْلُه: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ المُرادُ بـ«القِيام» هَاهُنا: القِيامُ فِي الصَّلاةِ. فأَمَّا «القُنوت» فقدْ شرَحْناه فِيما تقَدَّمَ.

وفِي المُرادِ بِه هاهُنا ثلَاثةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أَنَّه الطَّاعةُ. قالَهُ ابن عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومُجَاهِدٌ، وابْنُ جُبيْرٍ، والشَّعْبِيُّ، وطاوسٌ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ فِي آخَرِينَ.

---

(١) زيادة من (ر)، و(ج)، و(ف).

(٢) العبارة في (م): لأنَّها أول وقت الصوم.

والثَّـانِي: طُـولُ القِيَـامِ فِي الصَّـلاةِ. رُوي عـنِ ابْـنِ عُمـرَ[(١)]، والرَّبيـعِ بْـنِ أنَـسٍ[(٢)]، وعـنْ عطَـاءٍ كالقَوْلَـيْنِ[(٣)].

والثَّالث: أنَّه الإمْسَاكُ عنِ الكلَامِ فِي الصَّلاةِ.

قـالَ زيْـدُ بْـنُ أرْقَـم: كُنَّـا نتكلَّـم فِي الصَّـلاةِ حتَّـى نزَلَـتْ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فأُمِـرُوا بالسُّـكُوتِ.

قوْلُـه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾؛ أي: فـإِنْ خِفتُـم عَـدُوًّا، فصلُّـوا رِجَـالًا، وهـم جَمْـعُ رَاجِـلٍ، والرُّكبـان جَمْـعُ رَاكِـبٍ، وهـذا يـدُلُّ عـلَى تأكِيـد أمْـرِ الصَّـلاةِ؛ لأنَّـه أمْـرٌ بفِعلِهـا عـلَى كُلِّ حـالٍ.

وقِيـل: إنَّ هـذه الآيَـةَ أُنزلَـتْ بعْـدَ الَّتِـي فِي سُـورة النِّسـاءِ؛ لأنَّ الله تعـالَى وصـفَ لهُـم صـلَاةَ الخـوْفِ فِي قوْلِـه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النِّسـاء: ١٠٢]، ثُـمَّ أنْـزلَ[(٤)] هـذه الآيَـةَ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ أي: خوْفًـا أشَـدَّ مِـن ذلِـك، فصَلُّـوا عنْـدَ المُسـايفَةِ كيْـفَ قدرْتُـم.

---

(١) رواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (٦٩٤٥) مـن طريـق نافـع، عـن ابـن عمـر، أنَّـه كان لا يقنـت في الفجـر، ولا في الوتـر، فـكان إذا سـئل عـن القنـوت، قـال: مـا نعلـم القنـوت، إلا طـول القيـام وقـراءة القـرآن.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٣٨٢) من طريق أبي جعفر الرازي، به.

(٣) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٣٧٦) مـن طريـق ابـن إدريـس، عـن عثـمان بـن الأسـود، بـه.

(٤) في (ف): أنزلت.

فإنْ قِيلَ: كيفَ الجمْعُ بيْنَ هذِه الآيَةِ، وبيْنَ ما رَوى ابْنُ عبَّاسٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه صلَّى يومَ الخنْدقِ الظُّهرَ والعَصْرَ، والمغْرِبَ والعِشاءَ بعْدَ ما غابَ الشَّفقُ[1]؟

فالجوابُ: أنَّ أبا سعِيدٍ رَوى أنَّ ذلِك كانَ قبْلَ نُزولِ قوْلِه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ قالَ أبو بكْرٍ الأثْرَمُ: فقد بيَّنَ [اللهُ][2] أنَّ ذلِك الفِعلَ الَّذي كانَ يومَ الخنْدَقِ منْسُوخٌ[3].

قوْلُه: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾.

فِي هذَا «الذِّكرِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الصَّلاةُ، فتقْدِيرُه: فصَلُّوا كما كُنتُم تُصلُّونَ آمِنِينَ.

---

(١) رواه أبو بكر بن الأثرم في ناسخ الحديث ومنسوخه (ص: ٣٤) من طريق عبد الرحمن بن معاوية، به، بنحوه. ولم نقف على هذه الرواية إلا عند الأثرم، وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ﷺ كما عند التِّرمذي (١٧٩) من رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، قال عبد الله: إن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب الليل .. فذكره. قال التِّرمذي: حديث عبد الله ليس بإسناده بأس، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله.

(٢) زيادة من (ف).

(٣) رواه الطيالسي في مسنده (٢٢٣١)، وأحمد في مسنده (١٧/ ٢٩٣)، والدارمي في سننه (١٥٦٥)، والنسائي في الصغرى (٦٦١)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٩٦- ١٧٠٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٢٣٥- ٢٣٦)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٤٠٢) من طرق عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، بنحوه.

والثَّانِي: أنَّه الثَّناءُ علَى اللهِ، والحمْدُ لَهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٠، ٢٤٢].

قوْلُه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾.

رُوى [عـنِ][1] ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّ هـذِه الآيـةَ نزلَـتْ فِي رجُـلٍ مِـن أهْـلِ الطَّائـفِ، يُقـال لـه: حَكِيـمُ[2] بْـنُ الحـارِثِ هاجَـرَ إلى المدِينـةِ، ومعَـهُ أبَـوَاه وامْرَأتُـهُ، ولـه أوْلادٌ، فـمَاتَ[3] فرُفِـعَ ذلـك إلى النَّبـيِّ ﷺ، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، فأعْطَـى[4] النَّبـيُّ ﷺ أبوَيْـهِ وأوْلادَهُ مِـن[5] ميرَاثِـه، ولم يُعـطِ امْرأتَـهُ شـيْئًا، غـيْرَ أنَّـه أمرَهُـم أنْ يُنفِقُـوا عليْهَـا مِـن تَرِكَـةِ زوْجِهـا حـوْلًا[6]. [٧٠/أ]

قوْلُه: ﴿ وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾.

(١) من (ر)، و(ف)، و(م).

(٢) في (ف): حكم.

(٣) ليست في (م).

(٤) في (ج): فأعطاه.

(٥) ليست في (ر).

(٦) رواه ابن راهويه في تفسيره؛ كما في الدر المنثور (١/ ٧٩٣)، ومن طريقه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٨٥) قال: حُدثت عن مُقَاتِل بن حيان، فذكره.

قـرَأَ أبـو عَمْـرٍو، وحمْـزَةُ، وابْـنُ عامِـرٍ «وصِيَّـةً» بالنَّصـبِ. وقـرَأَ ابْـنُ كَثِـيرٍ، ونافِـعٌ، والكِسَـائِيُّ «وصيـةٌ» بالرَّفـع[١]. وعـنْ عاصِـمٍ كالقِرَاءتَـيْنِ[٢].

قـالَ أبـو عـليٍّ: مَـنْ نصَـبَ حَمَلَـهُ عـلَى الفِعْـلِ؛ أي: ليُوصُـوا وصيَّـةً، ومَـنْ رَفَـع، فمِـنْ[٣] وجْهَيْنِ:

أحدهما: أن يجعَلَ الوَصِيَّةَ مبتدأً، والخبَرُ لِأَزْواجهم[٤].

والثَّاني: أن يُضمرَ له خبَرًا، تقدِيرُه: فعَلَيْهم وصِيَّةٌ[٥].

والمُراد[٦] مَنْ قارَبَ الوفاةَ، فلْيُوصِ؛ لأنَّ المتُوفَّى لا يُؤمَرُ ولا يُنهى.

قوْلُـه: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ﴾؛ أي: مَتِّعُوهـنَّ إلَى الحـوْلِ، ولا تُخرجُوهُـنَّ. والمُـرادُ بذلِـك نفقَـةُ السَّـنةِ وكِسْـوتُها وسُـكْناها ﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ﴾؛ أي: مـن قِبَـلِ أنفُسِـهِنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعْنِـي: أوْلِيـاءَ الميِّـتِ ﴿فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖ﴾ يعْنِـي التشـوُّفَ[٧] للنِّـكاحِ.

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٤)، والمبسوط (ص: ١٤٧)، والكامل (ص: ٥٠٦).

(٢) في (م): كالقولين. وقراءة الرفع من رواية أبي بكر، والنصب من رواية حفص. انظر: المبسوط (ص: ١٤٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ١١٩).

(٣) في (ج): فعلى.

(٤) قوله: «والخبر لأزواجهم» ليس في (ر)، و(ج)، و(م)، وجاءت العبارة في (ف) هكذا: «أن يجعل الوصية خبر مبتدأ».

(٥) انظر: الحُجَّة (٢/ ٣٤١).

(٦) في (ر): والمزاد.

(٧) في (ر)، و(م): التشوق.

وفِي ماذَا رُفعَ الجُناحُ عنِ الرِّجالِ؟

فِيه قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه فِي قطْعِ النَّفقةِ عنْهُنَّ إذا خَرَجْنَ مِن قَبْلِ انْقِضاءِ الحوْلِ.

والثَّانِي: فِي تـرْكِ مَنْعِهِـنَّ مِـنَ الخُـروجِ؛ لأنَّـه لم يكُـنْ مقامُهـا الحـولَ واجِبًـا عليْهَـا، بـل كانَـتْ مُخـيَّرَةً فِي ذلِـك.

فَصْلٌ

ذكَـرَ عُلـماءُ التَّفسـيرِ أنَّ أهْـلَ(١) الجاهليَّـةِ كانـوا إذا مـاتَ أحدُهُـم، مكثَـتْ زوجتُـهُ فِي بيْتِـه حـوْلًا، يُنفـقُ عليْهَـا مِـن مِيراثِـه، فـإذا تَـمَّ الحـوْلُ، خرَجَـتْ إلى بـابِ بيْتِهـا، ومعَهَـا بعـرَةٌ، فرَمَـتْ بِهـا كلْبًـا، وخرجَـتْ بذلِـكَ مِـن عدَّتِهَـا.

وكانَ معْنـى رَميِهـا بالبعْـرَةِ أنَّهـا تقُـول: مُكْثِـي بعْـدَ وفـاةِ زوْجِـي أهْـونُ عنْـدِي مِـن هـذِه البعـرَةِ.

ثُـمَّ جـاءَ الإسـلامُ، فأقَرَّهُـم عـلَى [كلِّ](٢) مـا كانُـوا علَيْـه مِـنْ مُكْـثِ الحـوْلِ بِهـذِهِ الآيـةِ، ثُـمَّ نُسـخ ذلِـك بالآيـةِ المُتقدِّمـةِ فِي نظْـمِ القُـرآن عـلَى هـذِه الآيـةِ، وهـيَ قوْلُـه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقـرة: ٢٣٤](٣).

---

(١) ليست في (ر).

(٢) زيادة من (ر).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ٢٠١) عن ابن عبَّاس.

ونُسخ الأمْرُ بالوَصِيَّةِ لها بما فُرض لها مِن مِيراثِه.

قوْلُه: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ قد سبَقَ الكلامُ فِي المُتعةِ بما فِيه كفايةٌ.(١)

قوْلُه: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾؛ أي: كما بيَّنَ الَّذي تقدَّمَ مِنَ الأحْكَامِ يُبيِّنُ لكُم آياتِه لعلَّكُم تعقلون؛ أي: يثْبُت لكُم وصْفُ العُقَلاءِ باسْتعمالِ ما بُيِّنَ لكُم.

وثمرَةُ العقْلِ اسْتعمالُ الأشْياءِ المُستقيمَةِ، ألا ترَى إلى قوْلِه تعالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [النِّساء: ١٧]، وإنَّما سُمُّوا جُهَّالًا؛ لأنَّهم آثَرُوا(٢) أهواءَهم علَى ما علِمُوا أنَّه الحَقُّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣، ٢٤٥].

قوْلُه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾.

---

(١) العبارة بكاملها ليست في (ج).

(٢) في (ج): اتبعوا.

معْنَاه: أَلَم تعْلَمْ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وهَذا علَى جِهةِ التَّعجُّبِ؛ كما تقُولُ: أَلَا تَرَى إلى مَا يصْنَعُ[١] فُلانٌ؟[٢].

قوْلُه: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معْنَاه: وهُم مُؤتلِفُونَ[٣]، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّانِي: أنَّه مِنَ العدَدِ، وعلَيْهِ العُلماءُ.

واخْتلَفُوا فِي عدَدِهِم علَى سبْعَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم كانوا أربعَةَ آلافٍ[٤].

والثَّانِي: أرْبعِينَ ألْفًا، والقوْلَانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: تِسعينَ ألْفًا، قالَهُ عطاءُ بْنُ أبي رَباحٍ.

والرَّابع: سبْعَةَ آلافٍ[٥]، قالَهُ أبو صَالِحٍ. [٧٠/ ب]

والخامس: ثلاثِين ألْفًا، قالَهُ أبو مَالِكٍ.

والسَّادس: بضعَةً وثلاثِينَ ألْفًا، قالَهُ السُّدِّيُّ.

---

(١) قوله: «ما يصنع» ليس في (م).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٢).

(٣) في (م): متوالفون.

(٤) في الأصل: «ألف»، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في الأصل: «ألف»، والمثبت من بقية النسخ.

والسَّابع: ثمانِيَةَ آلافٍ[١]، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

وفِي معْنى: حذرِهم مِنَ المَوْتِ، قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم فرُّوا مِنَ الطَّاعُونِ، وكانَ قد نَزَل بِهِم، قالَهُ الحسَنُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّانِي: أنَّهُم أُمِرُوا بالجهادِ، ففَرُّوا مِنه، قالَه عِكْرِمَةُ، والضَّحَّاكُ، وعنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢] كالقَوْلَينِ[٣].

الإشارَةُ إلى قِصَّتِهِم

رَوى حُصينُ بْنُ عبْدِ الرَّحمَنِ، عنْ هِلالِ بْنِ يَسافٍ[٤] قالَ: كانَتْ أُمَّةٌ مِن بني إسْرائيلَ إذَا وقَعَ فيهِمُ الوجَعُ[٥]، خرَجَ أغْنِياؤُهُم، وأقَامَ فُقراؤُهُم، فماتَ الَّذين أقامُوا، ونجَا الَّذين خرَجُوا، فقَالَ الأشْرَافُ: لو أقَمْنَا كما أقَامَ هؤلاءِ لَهَلَكْنَا، وقالَ الفُقَراءُ: لو ظَعَنَّا[٦] كما ظَعنَ[٧]

(١) في (ج): ألف.

(٢) في (ف): «عن ابن عبَّاس» بدون الواو.

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ج): هلال بن إسحاق. وفي (م): بلال.

(٥) في (م): الوباء.

(٦) في (ج): ضعنا.

(٧) في (ج): ضعن.

هـؤلاءِ[١] لَسـلِمْنَا، فأجْمَـعَ رأْيُهُـم فِي بعْـضِ السِّـنِين [علَى][٢] أنْ يظْعَنُـوا[٣] جمِيعًـا، فظَعَنُـوا[٤] فماتُـوا، وصَـارُوا عِظامًـا تَـبْرُقُ، فكَنَسَـهُم أهْـلُ البُيـوتِ[٥] والطُّـرُقِ [عـنْ بُيوتِهِـم وطُرقِهِـم][٦]، فمرَّ بِهِـم نَبِـيٌّ مِـنَ الأنْبيـاءِ، فقـالَ: يـا ربِّ! لـوْ شِـئْتَ أحْيَيْتَهُـم، فعَبَـدُوكَ، ووَلَـدُوا أوْلادًا يعْبُـدُوكَ[٧] ويَعْمُـرُونَ بِـلادَكَ. فقِيـلَ لـه: تكلَّـمْ بكـذَا وكـذَا، فتكَلَّـمَ بِـه، فنَظَـرَ إلى العِظَـامِ تخْـرُجُ مِـنْ عنْـدِ العِظَـامِ الَّتِـي ليْسَـتْ مِنهـا إلى الَّتِـي هـيَ منْهَـا، ثُـمَّ قِيـل لـه: تكَلَّـمْ بكـذَا وكـذَا فتكَلَّـمَ بِـه فنَظَـرَ إلى العِظَـامِ[٨] تُكْسَـى لحْمًا وعَصَبًـا، ثُـمَّ قِيـلَ لـه: تكَلَّـم بكـذَا وكـذَا، فنَظَـرَ فـإذَا هـم قُعُـودٌ يُسَـبِّحُونَ اللهَ ويُكَبِّرُونَـهُ[٩]. وأنْـزَلَ اللهُ تعـالَى فِيهـم هـذِه الآيَـةَ[١٠].

---

(١) زاد في (م): الفقراء.

(٢) من (ف).

(٣) في (ج): يضعنوا.

(٤) في (ج): فضعنوا.

(٥) في (ج)، و(م): السوق.

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من بقية النسخ.

(٧) في (ت)، و(ف): يعبدونك.

(٨) من قوله: «تخرج من عند العظام»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٩) في (ج): يقدسونه.

(١٠) رواه مجاهد في تفسيره (ص: ٢٤٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤١٨) من طرق عن حصين بن عبد الرحمن السلمي، عن هلال بن يساف، بنحوه.

وهذَا الحديثُ يدُلُّ علَى بُعدِ المُدَّةِ الَّتِي مكَثُوا فِيها أمْوَاتًا.

وفِي بعْضِ الأحَادِيثِ[١]: أنَّهم بقوا أمْواتًا سبْعةَ أيَّامٍ، وقِيلَ: ثمانيةَ أيَّامٍ.

وفِي النَّبيِّ الَّذِي دعَا لَهُم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه حِزْقِيلُ.

والثَّانِي: أنَّه شَمْعُونُ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ أُمِيتَ هؤلاءِ مرَّتيْنِ[٢] فِي الدُّنيا، وقد قالَ اللهُ[٣] تعالَى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

فالجوَابُ: أنَّ موْتَهم بالعُقوبةِ لَم يُفْنِ أعمارَهُم، فكانَ كقوْلِه: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقِيلَ: كانَ إحْيَاؤُهم آيةً[٤] مِنْ آياتِ نَبِيِّهم، وآياتُ الأنْبياءِ نَوادِرُ لا يُقاس عليها، فيكون تقْدِيرُ قوْلِه: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: الَّتي ليْسَتْ مِن آياتِ الأنْبِياءِ[٥]، ولا لِأمْرٍ[٦] نادِرٍ.

---

(١) ليست في (ج)، و(م).

(٢) طمست في (ج).

(٣) لم يذكر لفظ الجلالة في (ج).

(٤) في (ج): أنَّه.

(٥) في (م): من آيات الله للأنبياء.

(٦) في (م): والأمر.

وفي هذه القِصَّةِ احْتِجاجٌ علَى اليهُود؛ إذْ أخبَرَهُمُ النَّبيُّ ﷺ بأمْرٍ لم يُشاهِدُوه[١]، وهم يَعْلَمُون صِحَّتَهُ، واحْتِجاجٌ علَى[٢] المُنكرِينَ البَعْثَ، فدَلَّهم عليْهِ بإحْيَاءِ المَوْتَى فِي الدُّنيا، ذكَرَ ذلِكَ جميعَهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ.

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾.

نبَّه ﷻ بذِكْرِ فضْلِهِ على هؤلاء علَى فضْلِه علَى سَائرِ خلْقِه معَ قِلَّةِ شُكرِهِم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

فِي [المَخْلُوقِين][٣] المُخاطَبِين بهذَا قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهم الذين أماتهم الله، ثم أحياهم، قاله الضَّحَّاك.

والثَّانِي: أنَّه خِطابٌ لِأمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فمعْنَاه: لا تَهرُبُوا[٤] مِنَ المَوْتِ كمَا هرَبَ هؤلاء، فمَا ينْفَعُكُمُ الهرَبُ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِأقْوالِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَا تنْطَوِي عليْهِ ضمَائِرُكم.

قوْلُه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾[٥].

---

(١) في (ف): يشاهده.

(٢) ليست في (ف).

(٣) زيادة من (م).

(٤) في (ف): فهربوا.

(٥) جاءت الآية في (م) هكذا: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: أَصْلُ القَرْضِ مَا يُعطيه الرَّجلُ أو يَفْعلُه لِيُجازَى عليْهِ، [٧١/أ]
وأَصْلُه فِي اللُّغة القَطْعُ، ومِنه أُخِذَ المِقراضُ. فمعْنَى أقرَضْتُه: قطعْتُ له قطعةً يجازي[١] عليها[٢].

فإنْ قِيل: فَمَا وجْهُ تسْمِيةِ الصَّدقَةِ قرْضًا؟

فالجوَابُ مِن ثلَاثةِ أوْجُهٍ:

أحدُها: لأنَّ هذا القرْضَ يُبْدَلُ بالجزَاءِ.

والثَّانِي: لأنَّه يتأَخَّرُ قضَاؤُه إلى[٣] يوْمِ القِيامَةِ.

والثَّالث: لِتأكِيدِ اسْتحقَاقِ الثَّوابِ بِه؛ إذْ لا يكُونُ قرْضٌ إلَّا والعِوَضُ[٤] مُستَحَقٌّ بِه[٥].

فأمَّا اليهودُ فإنَّهم جهِلُوا[٦] هذَا، فقالُوا: أَيَسْتَقْرِضُ[٧] اللهُ مِنَّا[٨]؟ وأمَّا المُسلمون فإنَّهم وَثِقُوا بوَعْدِ الله، وبادَرُوا إلى مُعامَلَتِه.

---

(١) في بقية النسخ: يجازيني.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٤).

(٣) في (م) العبارة هكذا: لأنَّه يُقضى له.

(٤) في (م): القرض.

(٥) في (م): له.

(٦) في (م): جعلوا.

(٧) في (م): لا يستقرض.

(٨) ليست في (م).

قَـالَ ابْـنُ مَسْـعُودٍ: لَمَّـا نَزَلَـتْ هـذِهِ الآيَـةُ، قَـالَ أَبـو الدَّحْـدَاحِ: إِنَّ اللهَ تعَـالَى لَيُرِيـدُ مِنَّـا القَـرْضَ؟ فقَـالَ النَّبـيُّ ﷺ: «نَعَـمْ»! قَـالَ: أَرِنِي يَـدَكَ. إِنِّي قَـدْ أَقْرَضْـتُ رَبِّي حَائِطِـي، قَـالَ: وحَائِطُـه سِـتُّمِائَةِ نخْلَـةٍ، ثُـمَّ جَـاءَ إِلَى الحائِـطِ، فقَـالَ: يَـا أُمَّ الدَّحْـدَاحِ اخْرُجِـي مِـنَ الحَائِـطِ، فقَـدْ أَقْرَضْتُـهُ رَبِّي[1].

(١) رواه سعيد بن منصور في التَّفسير (٤١٧)، وابن جرير في تفسيره (٤/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٣٠)، والبزَّار في مسنده (٢٠٣٣)، وأبو يعلى (٤٩٨٦)، والطبراني في الكبير (٧٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٧٨) وغيرهم من طرق عن خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مَسْعُودٍ، بنحوه. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف حميد بن عطاء الأعرج، واختلاط خلف بن خليفة، وقال أبو حاتم: لا يُعرف لعبد الله بن الحارث عن ابن مَسْعُودٍ شيء.
ولكن له شاهد من حديث زيد بن أسلم مرسلًا؛ كما عند الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٢٩) بنحوه، وكذلك من حديث أنس بن مالك؛ كما عند الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٤٦)، والبغوي في معجم الصحابة؛ كما في الإصابة (٧/ ١١٩)، والطبراني في الكبير (٧٦٣)، وابن حبان في صحيحه (٧١١٥) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فَأْمُرْهُ أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أعطها إياه بنخلة في الجنة»، فأبى، فأتاه أبو الدَّحداح، فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعل، فأتى النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! إني قد ابتعت النخلة بحائطي، قال: فاجعلها له، فقد أعطيتكها، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كم من عذق راح لأبي الدَّحداح في الجنة» قالها مرارًا، قال: فأتى امرأته، فقال: يا أم الدَّحداح، اخْرُجِي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع أو كلمة نحوها.

وفي بعض الألفاظ: فعَمِدَتْ إلى صِبْيانِهَا تُخرج ما في أفْوَاهِهِم، وتَنْفُض[١] ما في أكْمامِهِم، فقَال النَّبيُّ ﷺ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ[٢] فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ».

وفي معْنَى القرْضِ الحسَنِ ستّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنّه الخالِصُ لله، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّانِي: أنْ يُخرجَ عنْ طِيبِ نفْسٍ، قالَه مُقَاتِلٌ.

والثَّالث: أن يكونَ حَلالًا، قالَهُ ابْنُ المُبارك.

والرَّابع: أنْ يُحتسَبَ عند الله ثَوابُهُ.

والخامس: أنْ لا يَتبعَهُ منٌّ ولا أذًى.

والسَّادس: أن يكونَ مِن خِيارِ المالِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾.

قرَأ أبو عَمْرٍو فيُضَاعفُه بألِفٍ، مرْفُوعَة[٣] الفَاءِ [وكذلِك][٤] في جميعِ القُرآن، إلَّا في الأحْزَابِ: «يُضَعَّفْ[٥] لَهَا العَذابُ». وقرَأ نافِعٌ وحمْزَةُ[٦] جميعَ

(١) في (ف): تنقض.

(٢) في (ر): دراح. وفي (م): راح.

(٣) في (ر)، و(ف)، و(م): مع رفع.

(٤) زيادة من (ر)، و(ف)، و(م).

(٥) في (ج): يضاعف.

(٦) زاد في (ر)، و(ج)، و(ف): الكِسَائِي.

ذلك بالألفِ معَ رفْعِ الفاءِ. وقرأ ابْنُ كَثيرٍ: «فيضعفُه» برفْعِ الفاءِ مِن غيْرِ ألِفٍ فِي جَمِيعِ القُرآن. وقَرَأ ابنُ عامِرٍ: «فيضعِّفَه» [بنَصْبِ الفاءِ][1] بغيْرِ ألِفٍ مُشدَّدًا فِي جمِيعِ القُرآن، ووَافَقَهُ عَاصِمٌ علَى نصْبِ الفاءِ فِي: «فيُضاعِفَهُ» إلَّا أنَّه أثبت الألِفَ فِي جمِيعِ القُرآنِ.

قالَ أبو عليٍّ: للرَّفْعِ وجْهانِ:

أحدُهما: أن يَعطِفَه علَى ما فِي الصِّلة، وهو «يُقرض».

والثَّانِي: أنْ يستأنفَهُ.

ومَنْ نصَبَ حَمَلَ الكلَامَ[2] علَى المَعْنَى؛ لأنَّ المعْنَى يكونُ قرْضٌ فحَمَل عليه «فيُضاعفه» قالَ: ومعْنَى ضاعفَ وضعَّفَ واحدٌ، والمُضاعفَةُ: الزِّيادَةُ علَى الشَّيْءِ حتَّى يصِيرَ مِثليْنِ أوْ أكثرَ.

وفِي الأضْعافِ الكَثِيرةِ قوْلَانِ:

أحدها: أنَّها لا يُحصى عددُها، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ والسُّدِّيُّ.

ورَوى أبو عُثمانَ النَّهدِيُّ عنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّه قالَ: إنَّ الله يكتُبُ للمؤمِنِ بالحسنَةِ الواحِدةِ ألفي ألفِ حسنةٍ. وقرَأ هذه الآيةَ، ثُمَّ قالَ: والكثيرُ مِنَ اللهِ أكثرُ مِن ألفي ألفٍ، وألفي ألفِ [حسَنةٍ][3].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (م).

(٢) في حاشية الأصل: الآية.

(٣) زيادة من (ف).

والثَّاني: أنَّها معلومَةُ المِقدارِ، فالدِّرهَمُ بسبعمِائَةٍ، كما ذكَرَ في الآيةِ الَّتي بعدَها، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

قوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾.

قَرَأ ابْنُ كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ «يبْسُط» و«بسْطَةً» بالسِّينِ.

وقرَأهُمَا نافِعٌ بالصَّادِ(١).

وفِي معْنى الكلَامِ قوْلَانِ: [٧١/ب]

أحدُهما: أنَّ معناه: يُقتِّرُ علَى مَن يشاءُ فِي الرِّزق، ويبْسُط لمَنْ يشاءُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وابْنُ زيْدٍ، ومُقَاتِلٌ.

والثَّانِي: يقبِضُ يدَ مَنْ يشَاءُ عنِ الإنفَاقِ فِي سبيلِه، ويبْسُطُ يدَ(٢) مَنْ يشاءُ بالإنفاقِ، قالَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ فِي آخرينَ.

قَالَ تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٥)، والمبسوط (ص: ١٤٨)، والكامل (ص: ٥٠٧).

(٢) من قوله: «ومُقَاتِل»... إلى هنا، ليس في (ر).

قوْلُه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

قـال الفـرَّاءُ: «المـلأُ»: الرِّجـالُ فِي كلِّ[1] القـرآنِ لا يكـونُ فِيهـم امْـرَأةٌ، وكذلِـك القـوْمُ والنَّفـرُ والرَّهـطُ[2].

وقـالَ الزَّجَّـاج: «المَلأُ»: هـمُ الوجُـوهُ، وذوُو الـرَّأي، وإنَّـما سُـمُّوا مـلأً؛ لأنَّهـم مليئُـون بـما يُحتـاج إليْـهِ مِنْهـم[3].

وفِي نَبِيِّهِم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه أشمويل، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ووهبٌ.

والثَّانِي: أنَّه يُوشع بْنُ نُون، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالـث: أنَّـه نبِـيٌّ، يُقـال لـه: سَـمعُون[4] بالسِّـينِ المُهملـةِ، سَـمَّتْهُ أُمُّـه بذلِـك؛ لأنَّهـا دعَـتِ اللهَ أنْ يرزقَهَـا غُلامًـا، فسُـمِع[5] دعاؤُهـا فِيـه [فسـمَّتْهُ][6]، هـذا قـوْلُ السُّـدِّيِّ.

وسببُ سُؤالِهم ملكًا أنَّ عدوَّهُم غلَبَ عليْهِم.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٥).

(٤) في (ج): شمعون.

(٥) في (ج) و(م): فسمع الله.

(٦) زيادة من (ج).

قَوْلُه: ﴿نُقَٰتِلۡ﴾.

قِراءةُ[١] الجمْهُورِ بالنُّونِ والجزْمِ. وقَرأ ابْنُ أبي عبْلَةَ بالياءِ والرَّفْعِ، كِنايةً عنِ الملكِ[٢].

قَوْلُه: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾.

قِراءةُ[٣] الجمهورِ بفتْحِ السِّينِ. وقَرَأ[٤] نافِعٌ بكسْرِهَا هَاهُنا، وفِي سُورةِ «مُحمَّدٍ» وهِيَ لُغتانِ[٥].

قَوْلُه: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾؛ أي: فُرِضَ ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾؛ أي: لعلَّكُم تجبُنُونَ.

قَوْلُه: ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾.

يعنُونَ: أُخرِج بعضُنا، وهمُ الَّذين سُبُوا مِنهُم وقُهِرُوا. فظاهِرُه العُمومُ، ومعْنَاه الخُصُوصُ.

---

(١) في (م): قال.

(٢) انظر عزوها في: مشكل إعراب القرآن؛ لمكي (١/ ١٣٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ١٣٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٧٠)، وزادوا: الضَّحَّاك، وانظر أيْضًا: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٢) وعزاها للسُّلمي.

(٣) في (م): قرأ.

(٤) ليست في (م).

(٥) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٦)، والتَّيسير (ص: ٨١)، والمبسوط (ص: ١٤٩)، والكامل (ص: ٥٠٧)، وهما متواترتان.

قولُـه: ﴿تَوَلَّوْا﴾؛ أي: أعرضـوا عـنِ الجهـادِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهُـمُ الَّذِيـنَ عـبَرُوا النَّهـرَ، وسيَأْتِي ذكْرُهُـم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)﴾ [البقـرة: ٢٤٧].

قوْلُه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

ذكـرَ أهْـلُ التَّفسـيرِ أنَّ نبـيَّ بنِـي إسْرائيـلَ سـأَلَ اللهَ أنْ يَبْعـثَ لهُـم ملِـكًا، فأُتِـيَ[1] بعصًـا وقَـرْنٍ فِيـه دُهْـنٌ، وقِيـل لـه: إنَّ صَاحِبَكُـم الَّـذِي يكـونُ مَلِـكًا يكـونُ طولُـه طـولَ هـذِه العَصَـا، ومتَـى دخَلَ عليْـكَ رجُـلٌ[2] فَنَشَّ الدُّهْـنُ[3]، فهـوَ[4] المَلِـكُ، فادْهُـن بِـه رأسَـهُ، وَمَلِّكْـهُ عـلى بنـي إسْرائِيـل فقَـاسَ[5] القَـوْمُ أنفسَـهُم بالعَصَـا[6]، ولم يكونُـوا عـلَى مِقدارِهَـا[7].

---

(١) في (ف): فأوتي.

(٢) ليست في (ج).

(٣) نـشَّ بمعنـى: خـرج منـه صـوت كصـوت اللحـم عنـد مـا يُقـلى، يُقـال: نـشَّ المـاء ينـش نشًّـا ونشيشًـا ونشـش: إذا صـوَّت عنـد الغليـان.

(٤) ليست في (م).

(٥) في (ف): فقال.

(٦) في (م): بالعاصي.

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف (٢/ ٢١٠).

قـال عِكْرِمَـةُ[١]، والسُّـدِّيُّ[٢]: كانَ طالُـوتُ سَـقَّاءً يسـتقِي[٣] عـلَى حِمَـارٍ لـه، فضَـلَّ حِمَـارُهُ، فخَـرَجَ يطْلُبُـه.

وقـالَ وهْـبٌ: بـل كانَ دبَّاغًـا يعْمَـلُ الأدَمَ، فضَلَّـتْ حُمُـرٌ لأبِيـه فأَرْسـلَهُ مـع غُـلامٍ لـه فِي طلبِهَـا، فمَـرَّا ببيْـتِ أشـمويلَ النَّبـيِّ ﷺ فدَخَـلَا لِيسـألَاهُ عـن ضالَّتِهِـمَا، فنـشَّ الدُّهْـنُ، فقـامَ أشْـمويلُ، فقـاسَ طالُـوتَ بالعَصَـا، فـكانَ عـلَى مِقدارِهَـا، فدَهنَـهُ، وقـالَ لَـهُ: أنْـتَ ملِـكُ بنـي إسْرائِيـل، فقـالَ لـه طَالـوتُ[٤]: أمَـا علمْـتَ أنَّ سِـبْطِي أدْنَـى أسـبَاطِ بنـي إسرائيـل، وبيْتِـي أدنـى بُيوتِهِـم؟ قـالَ: بـلَى، قـالَ[٥]: فبـأَيِّ آيَـةٍ؟ قـال: بأنَّـك ترجِـعُ [إلَى أبِيـكَ][٦]، وقـد وجـدَ أبُـوكَ[٧] حُمـرَهُ، فـكانَ كـمَا قـالَ[٨].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: طالُـوتُ، وجالُـوتُ، ودَاودُ لا تنْـصَرِفُ؛ لأنَّهـا أسْـمَاءٌ أعجميَّـةٌ، وهـيَ مَعـارِفُ، فاجْتمَـعَ فِيهـا التعريـفُ والعُجمَـةُ[٩].

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٥٠) من طريق شريك، عن عمرو بن دينار، به.

(٢) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٤٥٠)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٤٦١) مـن طريـق أسـباط بـن نـصر، بـه.

(٣) ليست في (ر).

(٤) من قوله: «فقاس طالوت بالعصا»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) ليست في (ف).

(٦) من (ف).

(٧) ليست في (ف).

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٤٣).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٨).

ومعنَى قوْلِه: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾: مِن أيِّ جهةٍ يكونُ له المُلكُ علينا[١].

قال ابنُ عبَّاسٍ: إنَّما قالوا ذلِك؛ لأنَّه كانَ فِي بنِي إسْرَائيلَ سِبْطانِ، فِي أحدِهِما النُّبوَّةُ، وفِي الآخرِ المُلكُ، فلم يكنْ هوَ مِن أحَدِ السِّبْطيْنِ[٢]. [٧٢/أ]

قال قتادَةُ: كانَتِ النُّبوَّةُ فِي سِبط لَاوِي، والمُلك فِي سِبْط يَهُوذا[٣].

قوْلُه: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾؛ أي: لم يُؤتَ ما يتملَّكُ بِه المُلوكُ ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: اخْتارَهُ، وهوَ «افْتعل» مِنَ الصَّفوةِ.

و«البَسْطةُ»: السَّعةُ[٤]، قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: هوَ مِن قوْلِك: بسَطْتُ الشَّيْءَ؛ إذا كانَ مجْمُوعًا، ففتحْتَهُ، ووَسَّعْتَهُ[٥].

قالَ ابنُ عبَّاس: كانَ طالوتُ أعْلَمَ بني إسْرائِيلَ بالحرْبِ، وكان يفُوقُ النَّاسَ بمَنْكِبيْهِ وعُنقِهِ ورأْسِهِ[٦].

---

(١) معنى الآية ليس في (م).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٥٦) من طريق عطية العوفي، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٥٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) في (م): وهو البسطة والسعة.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٢).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٥٨) من طريق السُّدِّي، عن أبي مالك، به، بلفظ: العلم. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (١/ ٧٥٤) بلفظ: كان عظيمًا جسيمًا يفضل بني إسرائيل بعنقه.

وهل كانَتْ هذِه الزِّيادةُ قبْلَ المُلك، أمْ أُحدِثَتْ له بعْدَ المُلك؟

فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: قبْلَ المُلكِ[1]، قالَه وهْبٌ، والسُّدِّيُّ.

والثَّاني: بعْدَ المُلكِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والمُرادُ بتعْظِيمِ الجسْمِ، فضْلُ القُوَّةِ؛ إذِ العادَةُ أنَّ مَن كانَ أعْظمَ جسمًا، كانَ أكْثَرَ[2] قُوَّةً. و«الوَاسِعُ»: الغنِيُّ.

قَالَ تعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨، ٢٤٩].

قوْلُه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾.

«الآيَةُ»: العلامَةُ، فمعْنَاهُ: علامَةُ تمْليكِ اللهِ إيَّاهُ.

---

(١) من قوله: «أم أحدثت له»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) في (ر): كثير.

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ وهـذا مِـنْ مجَـازِ الـكلام؛ لأنَّ التَّابُـوتَ يُؤتَـى بِـه، ولا يـأتِي، ومثْلُـه[١]: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، وإنَّـما جـازَ مِثْـلُ هـذَا، لِـزوالِ اللَّبْـس فِيـه، كـما بيَّنَّـا فِي قوْلِـه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

ورُوِي عـنِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ، وابْـنِ عبَّـاس[٢]: أنَّهـم قالـوا لِنَبيِّهِـم: إنْ كُنـتَ صادِقًـا فأْتِنَـا بآيَـةٍ تـدلُّ عـلَى أنَّـه ملِـكٌ، فقـالَ لهُـم ذلِـك.

وقـالَ وهْـبٌ: خَيَّرَهُـم، أيَّ آيـةٍ تُريـدُونَ؟ فقالُـوا: أنْ يُـردَّ علَيْنَـا التَّابُـوتُ[٣]. قـالَ ابْـنُ عبَّـاس: وكانَ التَّابُـوتُ مِـن عُـودِ الشِّمْشَـارِ[٤]، علَيْـهِ صفائِـحُ الذَّهَـبِ، وكانَ يكُـونُ مـعَ الأنْبِيـاءِ إذا حـضَرُوا قِتـالًا، قدَّمُـوه بـيْنَ أيْدِيهِـم يَسْـتنصِرُونَ بِـه، وفيـهِ السَّـكِينَةُ[٥]. وقـالَ وهْـبُ بْـنُ مُنبِّـهٍ: كانَ نَحْـوًا مِـن ثـلاثِ أذْرُعٍ فِي ذِراعَـيْنِ[٦].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ٢١٤- ٢١٥).

(٣) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٤٦٢).

(٤) بمعجمتين أولاهما مكسورة وبينهما ميم ساكنة: خشب تعمل منه الأمشاط.

(٥) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٨١).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٦٨).

قَالَ مُقَاتِل: فلَـمَّا تفرَّقتْ بنو إسْرَائِيلَ، وعصَوُا الأنْبياءَ، سلَّط اللهُ عليْهم عدُوَّهم[١]، فغَلَبُوهم[٢] علَيْه[٣].

وفِي «السَّكِينَةِ» سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها رِيحٌ هَفَّافةٌ لهَا وجْهٌ كوَجْهِ الإنْسانِ، رَوَاه أبو الأحْوَص عنْ عَلِيٍّ ﷺ[٤].

والثَّانِي: أنَّها دابَّةٌ بِمقْدَارِ[٥] الهِرِّ، لهَا عيْنَانِ لَهُما شُعاعٌ، وكانُوا إذا التقَى الجَمْعانِ، أخرَجَتْ يدَهَا، ونظَرَتْ إليْهم[٦]، فيُهزَمُ الجيْشُ مِنَ الرُّعبِ. رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٧].

وقالَ مُجَاهِد: السَّكِينَةُ لهَا رأسٌ كرَأْسِ الهِرَّةِ وذَنَبٌ كذَنَبِ الهِرَّةِ، وجَناحَانِ[٨].

---

(١) في (م): عدوًّا لهم.

(٢) في (ف): فغلبهم.

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل (٢٠٦).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٧٤) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، به، ولا يصح.

(٥) في (ج): بقدر.

(٦) ليست في (ج).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٧٥) من طريق أبي روق عطية بن الحارث، عن الضَّحَّاك، به، بنحوه.

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٧٦) من طريق ابن أبي نجيح، به.

والثَّالث: أنَّها طِشتٌ[١] مِن ذَهَبٍ يُغسل فِيها قُلوبُ الأنْبِياءِ، رَواه أبو مَالِكٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والرَّابع: أنَّها رُوحٌ مِنَ اللهِ تعالى تَتكلَّم[٣]، كانُوا إذَا اخْتلَفُوا فِي شيْءٍ، كلَّمتهُم وأخبَرَتْهُم[٤] بِبيانِ ما يُريدونَ[٥]، رَواهُ عبْدُ الصَّمدِ بْنُ مَعْقِلٍ عنْ[٦] وهْبِ بْنِ مُنبِّهٍ[٧].

والخامس: أنَّ السَّكينةَ ما يعرفُونَ مِنَ الآياتِ فيسْكنُونَ[٨] إليها، رَواه ابْنُ جُرَيْجٍ عنْ عَطاءِ بْنِ أبي رَباحٍ[٩].

[٧٢/ب] وذهَبَ إلى نحوِهِ الزَّجَّاجُ، فقالَ: السَّكينَةُ: مِنَ السُّكونِ، فمعْنَاه: فِيه ما تسْكنُونَ إليْهِ إذَا أَتَاكُم[١٠].

---

(١) في (ج)، و(ف)، و(م): طست.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٦٠) من طريق السُّدِّي، به.

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ف): كلمهم وأخبرهم.

(٥) في (ر): يرون.

(٦) في (م): بن.

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٢) عن بكار بن عبد الله، عن وهب بن منبه، ومن طريق عبد الرزاق رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٧٩)، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور(١/ ٧٥٨) لعبد بن حميد.

(٨) في (ج): سيكون.

(٩) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٧١) من طريق حجاج، عن ابن جُرَيْج.

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٩).

والسَّـادس: أنَّ السَّـكينَةَ(١) معْناهـا هَاهُنـا: الوَقـارُ، رَواهُ مَعْمـرٌ عـنْ قتَـادَةَ(٢).

والسَّابع: أنَّ السَّكينةَ: الرَّحمَةُ، قالَهُ الرَّبيعُ بْنُ أنَسٍ.

وفِي البقِيَّةِ تسْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا رُضـاضُ(٣) الألْـوَاحِ الَّتِي تَكسَّـرَتْ حِـين ألْقاهَـا مُوسَـى وعصَـاه، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وقتَـادَةُ، والسُّـدِّيُّ.

والثَّانِي: أنَّها رُضَاضُ الألْوَاحِ، قالَهُ عِكْرِمَةُ، ولم يذْكُرِ العَصَا.

وقِيل: إنَّما اتَّخذ مُوسى التَّابوتَ؛ لِيجمعَ رُضاضَ الألْوَاحِ(٤) فِيه.

والثَّالث: أنَّها عَصَا مُوسى، والسَّكِينَةُ، قالَهُ وهْبٌ.

والرَّابـع: عصَـا مُوسـى، وعصَـا هـارونَ، وثِيابُهُـمَا، ولوْحَـانِ مِنَ التَّـورَاةِ، والمـنُّ(٥)، قالَـهُ أبـو صَالِـحٍ.

والخامس: أنَّ البقِيَّةَ، العِلمُ والتَّوراةُ، قالهُ مُجاهِدٌ، وعطاءُ بْنُ رباحٍ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٣٠٨) عـن معمـر، ومـن طريـق ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٤٧١)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٤٨٢).

(٣) في اللسان (٩/ ١٤): ورضاض الشيء: فتاته وكساره.

(٤) من قوله: «قاله عِكْرِمَة ولم يذكر العصا»... إلى هنا، ليس في (م).

(٥) في (م) زيادة: والسَّلوَى.

والسَّادس: أنَّها رُضاضُ الألْوَاحِ، وقَفِيزٌ مِن مَنٍّ فِي طسْتٍ مِنْ ذهَبٍ، وعصَا مُوسى وعِمامتُهُ[1]، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

والسَّابع: أنَّها قَفِيزٌ مِن مَنٍّ ورُضَاضُ الألْوَاحِ، حكَاهُ سُفيانُ الثَّوريُّ عنْ بعْضِ العُلماءِ.

والثَّامن: أنَّها العصَا والنَّعلانِ، ذكرَهُ الثَّوريُّ أيْضًا عن بعْضِ أهْلِ العِلْمِ.

والتَّاسع: أنَّ المُراد بالبقيَّةِ: الجِهادُ فِي سبيلِ اللهِ، وبذلِكَ أُمِرُوا، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والمُرادُ بـ«آل مُوسى وآل هارون»: موسى وهارون. وأنْشدَ أبُو عُبيدةَ[2] [من الطويل]:

وَلَا تَبْكِ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ[3] ... عَلِيٌّ وَعبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرِ

يُريدُ: أبا بَكْرٍ نفسَهُ.

---

(١) في (ف): وعمامة هارون.

(٢) البيت لأراكة بن عبد الله بن سفيان الثقفي يرثي بها ابنه عمرًا، ويعزي نفسه؛ كما في العقد الفريد (١/ ٣٧٣)، والحماسة البصرية (١/ ٢٧٦)، أو يعزي ابنه عبد الله؛ كما في الكامل (٤/ ٢١)، والفاضل (ص: ٦٥)، للمبرد، وظاهر كلامه في التعازي (ص: ٢٣٩)، أن الأبيات لعبد الله بن أراكة، في أخيه عمرو، وقال في موضع آخر (ص: ٤١): إنه يعزي بها ابنه عبد الله بن عبد الله في ابن آخر له.

(٣) في (ر)، و(ج): أحبة.

قوْلُه: ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قَـرَأَ الجمْهُـورُ «تَحْمِلُـهُ» بالتَّـاءِ. وقَـرأَ الحسَـنُ ومُجَاهِـدٌ والأعْمَـشُ: «يَحْمِلُـهُ»[١]، باليَـاءِ[٢].

وفِي المكانِ الَّذِي حملَتْه منْه الملائِكَةُ إليْهِم قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّه كانَ مرْفُوعًا معَ الملائِكَةِ بيْنَ السَّماء والأَرْضِ، مُنذ خرَجَ عن بنِي إسْرائِيلَ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّانِي: أنَّه كان فِي الأرْضِ.

وفِي أيِّ مكانٍ كانَ؟

فِيه قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه كانَ فِي أيدي[٣] العَمالِقَةِ قد دَفَنُوه[٤]، وَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أخَذَ التَّابُوتَ قوْمُ جالُوتَ، فدَفَنُوه فِي مُتَبَرَّزٍ لهُم، فأخَذَهُمُ البَاسُورُ فهلَكُوا، ثُمَّ أخذَهُ أهْلُ مدِينَةٍ أُخرى، فأخذَهُم بَلاءٌ[٥]، فهلَكُوا، ثُمَّ أخذَهُ غيْرُهُم

---

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) عزاها أبو حيان في البحر المحيط (٢/ ٢٦٣) لِمُجَاهِد، وابن خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٢٢) لحميد بن قيس، وانظر: إعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (ص: ٢٦٢).

(٣) ليست في (ج).

(٤) قوله: «قد دفنوه»، ليس في (ر).

(٥) في (ج): فلا.

كذلِـك، حتَّـى هلَكـت خمْـسُ مدائِـنَ، فأخْرَجُـوه عـلَى بقَرتَـيْنِ، ووُجُوهُهُـما[١] إلى بنِـي إسْرائِيـلَ، فسَـاقَهُما[٢] الملائِكَـةُ[٣].

والثَّـانِي: أنَّـه كانَ فِي بريَّـةِ التِّيـه، خلَّفَـهُ فيهـا يُوشَـعُ [بْـنُ نُـون][٤]، ولم يعلَمُـوا بمَكانِـهِ حتَّـى[٥] جـاءَتْ بِـه الملائِكَـةُ، قالَـهُ قتـادَةُ.

وفِي كيْفِيَّةِ مجِيءِ الملائكةِ بِه قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا جـاءَتْ بِـه بأنْفُسِـها، قـالَ وهْـبٌ: وقالـوا لِنَبيِّهِـم: اجْعـلْ لنَـا وقْتًـا يأتِينَـا فِيـه، فقَـال: الصُّبـحُ، فلَـمْ ينَامُـوا ليْلَتَهُـم، ووَافـتْ بِـه الملائِكـةُ مـعَ الفجْـرِ، فسـمِعُوا حَفِيـفَ الملائكـةِ تحْمِلُـه بـيْنَ السَّـماءِ والأرْضِ[٦].

والثَّانِي: أنَّ الملائكةَ جاءَتْ بِه علَى عجلةٍ وثوْرَيْنِ، ذكِرَ عنْ وهْبٍ أيْضًا.

فعـلَى القـوْلِ الأوَّلِ: يكـونُ معْنَـى «تَحمِلُـهُ»: تُقِلُّـهُ، وعـلَى الثَّـانِي: يكـونُ معْنـى حَمْلِهَـا إيَّـاهُ: تَسَـبُّبهَا فِي حمْلِـهِ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: ويجُـوزُ فِي اللُّغـةِ أنْ يُقـالَ: حمَلْـتُ الـشَّيْءَ؛ إذَا كُنْـتَ سـبَبًا فِي حمْلِـه.

---

(١) في (ر)، و(ف): ووجهوهما.

(٢) في (ف): فساقتها.

(٣) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ٢١٤).

(٤) من (ف).

(٥) ليست في (ر).

(٦) انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٨٤).

قوْلُـه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾؛ أي: علامَـةً تـدلُّ عـلَى تمْلِيـكِ طالُـوتَ.

قـال المفـسِّرُونَ: فلـمَّا جاءَهُـمُ التَّابـوتُ وأقَـرُّوا لَـه بالمُلْـكِ، تأهَّـبَ للْخُـروجِ، فأسْرَعُـوا فِي طاعَتِـه، وخرَجُـوا معـه، فذلِـك قوْلُـه تعـالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾؛ أي: خَـرَج وشَـخصَ. [٧٣/أ]

وفِي عدَدِ مَنْ خرَجَ معهُ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: سبْعُون ألفًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: ثمانُون ألْفًا، قالَهُ عِكْرِمَةُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّالِـث: مائـةُ ألْـفٍ، قالـه مُقَاتِـلٌ. قـالَ: وسَـارُوا فِي حـرٍّ شـدِيدٍ، فابْتَلاهُـمُ اللهُ بالنَّهـر. و«الإِبْتِـلاءُ»: الاخْتِبَـارُ [١].

وفِي النَّهر لُغتانِ:

أحدُهما: تحْرِيكُ الهاءِ، وهيَ قِراءَةُ الجُمهورِ.

والثَّانِي: تسْكِينُها، وبِهَا قرَأَ الحسَنُ ومُجاهِدٌ [٢].

وفِي هذا النَّهرِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه نَهرُ فِلسطِينَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

---

(١) في الأصل: «الاختيار»، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) وقرأ بها حميد الأعرج وأبو السَّمَّال وغيرهم. وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٨٦).

والثَّاني: نَهرٌ بيْنَ الأردنِ وفِلسطِينَ، قالَهُ عِكْرِمَةُ، وقتادَةُ، والرَّبيعُ بْنُ أنَسٍ.

ووَجْهُ الحِكمَةِ في ابْتِلائِهِم بِه أنْ يعْلَمَ طالوتُ مَن لَه نِيَّةٌ في القِتالِ مِنْهُم، ومَنْ ليْسَتْ لَه نيَّةٌ.

وقوْلُه: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾؛ أي: ليْسَ مِن أصْحَابِي.

قوْلُه: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾.

قَرأ ابْنُ كَثِيرٍ ونافِعٌ وأبو عَمْرٍو: «غَرْفَةً» بفتْحِ الغَيْنِ[١]. وقَرأ ابْنُ عامِرٍ[٢] وعاصِمٌ وحمْزَةُ والكِسائِيُّ بضَمِّهَا[٣].

قالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ فتَحَ الغَيْنَ أرادَ المرَّةَ الواحِدةَ باليدِ، ومَنْ ضمَّهَا أرَادَ مِلْءَ[٤] اليَدِ[٥].

وزعَمَ مُقَاتِلٌ أنَّ الغُرفَةَ كانَ يشرَبُ مِنها الرَّجُلُ ودابَّتُهُ وخَدَمُه[٦] ويمْلأُ قِرْبتَهُ[٧].

---

(١) على تعدية الفعل إلى المصدر، والمفعول محذوف، والمعنى: إلا من اغترف ماء غرفة.

(٢) في (ف): ابن عبَّاس.

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٦- ١٨٧)، والتَّيسير (ص: ٨١)، والمبسوط (ص: ١٤٩).

(٤) في (ج): (مثل).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣٠- ٣٣١).

(٦) في (ف): خادمه.

(٧) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٠٨).

وقالَ بعْضُ المُفسِّرين: لم يُرد به غُرْفةَ الكفِّ، وإنَّما أرادَ [به][1] المرَّةَ الواحِدَةَ[2] بقِربَةٍ أو جَرَّةٍ أوْ ما أشبَهَ ذلِكَ.

وفِي عدَدِ القلِيل الَّذِين لم يشْرَبُوا إلَّا غرْفَةً قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم أرْبعةُ آلافٍ، قالَهُ عِكْرِمَةُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّانِي: ثلاثُمائَةٍ وثلاثَةَ عشرَ.

وهو الصَّحيحُ؛ لِمَا رُوي عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لأصْحَابِه يوْم بدْرٍ: «**أَنْتُمْ بِعِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ يَومَ لَقِيَ جَالُوتَ**»[3]. وكانُوا يومَ بدْرٍ ثلاثَمائَةٍ وثلاثَةَ عشرَ.

قوْلُه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾؛ أي: لا قوَّةَ لنا، قالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ أطقتُ الشَّيءَ، إطَاقةً وطاقَةً[4]، وطوْقًا؛ مِثلُ قوْلِك: أطعتُهُ إطَاعةً[5] وطاعَةً وطوْعًا[6].

---

(١) من (ف).

(٢) ليست في (ر).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٧) عن معمر، عن قتادة، مرسلًا، ومن طريقه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٩١).

(٤) ليست في (م).

(٥) في (ج): إعطاعة.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣١).

واخْتلَفُوا فِي القائِلين لهٰذا علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـمُ الَّذِيـن شرِبُـوا أكثَـرَ مِـن غرفَـةٍ، فإنَّهـمُ انْصرَفُـوا ولم يشْـهَدُوا، وكانُـوا أهْـلَ شـكٍّ ونِفَـاقٍ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، والسُّـدِّيُّ.

والثَّـانِي: أنَّهـمُ الَّذِيـن قلَّـت بصائرُهُـم مِـنَ المُؤمنـين، قالَـهُ الحسَـنُ، وقتَـادَةُ، وابْـنُ زيْـدٍ.

والثَّالـث: أنَّـه قـوْلُ الَّذِيـن جَـاوَزُوا معَـه، وإنَّـما قـالَ ذلِـك بعْضُهـم لِبعْـضٍ، لَّـا رَأَوْا مِـنْ قِلَّتِهـم، وهـذا اخْتِيـارُ الزَّجَّـاجِ[1][2].

قوْلُه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾.

فِي هذا الظَّنِّ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى اليقِينِ، قالَهُ السُّدِّيُّ فِي آخَرِينَ.

والثَّانِي: أنَّـه الظَّـنُّ الَّـذِي هـو الـتَّردُّدُ، فـإنَّ القـوْمَ توَهَّمُـوا لِقلَّـةِ عدَدِهِـم أنَّهـم سَـيُقتلونَ فيَلْقـونَ اللهَ تعـالى، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ فِي آخَرِيـنَ[3].

وفِي الظَّانِّينَ هذا الظَّنِّ قوْلانِ:

أحدُهـا: أنَّهـم الثَّلاثُـمِائـةِ والثَّلاثـةَ عشَـرَ، قالـوا للرَّاجِعِـين: كـمْ مِـن فئـةٍ قليلـةٍ غلبَـتْ فِئـةً كثِـيرةً، قالـه السُّـدِّيُّ.

---

(١) لم يعزه في (م) إلى الزَّجَّاج.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣١).

(٣) انظر: المصدر السابق.

والثَّانِي: أنَّهم أُولو[١] العزمِ والفضلِ مِنَ الثَّلاثِمِائةِ والثَّلاثة عشرَ.

و«الفِئةُ»: الفِرْقَةُ، قالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما قِيلَ لهم: فئةٌ مِن قولِهم: فأوْتُ رأسَهُ بالعَصا، وفأيْتُه؛ إذا شققتُهُ[٢].

قوْلُه: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قالَ الحسَنُ: بنصْرِ اللهِ. [٧٣/ ب]

قوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنَّصر والإعانةِ.

قالَ تعالَى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥٢].

قوْلُه: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾؛ أي: صارُوا بالبَرازِ مِنَ الأرْضِ، وهو ما ظهَرَ واسْتَوَى. و﴿أَفْرِغْ﴾ بمعْنَى: اصْبُبْ.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾؛ أي: قوِّ قُلوبَنا لتثبُتَ أقدامُنا، وإنَّما تثبُتُ الأقْدامُ عندَ قُوَّةِ القُلوبِ[٣].

---

(١) في (ج): أو.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣٢).

(٣) في (ج): بقوة القلب.

قال مُقَاتِلٌ: كانَ جالوتُ وجنودُه يعْبُدونَ الأوْثانَ[(١)][(٢)].

قوْلُه: ﴿ فَهَزَمُوهُم ﴾؛ أي: كسَرُوهُم وردُّوهُم

قالَ الزَّجَّاجُ: أصْلُ الهزْمِ فِي اللُّغةِ: كسْرُ الشَّيْءِ، وثَنْيُ بعْضِه على بعْضٍ، يُقالُ: سِقَاءٌ مُنْهَزِمٌ[(٣)]؛ إذا كانَ بعْضُه قد ثُنِيَ على بعْضٍ[(٤)] معَ جفافٍ، وقصَبٌ مُنْهَزِمٌ[(٥)]: إذا كُسِّرَ وشُقِّقَ، والعرَبُ تقُولُ: هزمتُ على زيْدٍ؛ أي: عطَفْتُ عليْهِ. قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

هُزِمْتُ عَلَيْكِ الْيَوْمَ يَا بِنْتَ مَالِكٍ فَجُودِي عَلَيْنَا بِالنَّوَالِ وَأَنْعِمِي[(٦)]

ويُقال: سمعْتُ هَزْمَةَ الرَّعدِ، قالَ الأصْمَعِيُّ: كأنَّه صوْتٌ فِيه تَشقُّقٌ.

وداودُ: هو نَبِيُّ الله أبو سُليْمانَ، وهوَ اسْمٌ أعجمِيٌّ، وقِيلَ: إنَّ إخوةَ داودَ كانُوا معَ طالوتَ، فمضَى داودُ لِينْظُرَ إليْهِم، فنادتْهُ أحجارٌ: خُذْنِي، فأخذَها، وجاءَ إلى طالوتَ، فقالَ: ما لي إنْ قتلتُ جالوتَ؟ قالَ: ثلثُ مُلْكِي، وأُنْكحُكَ ابْنَتِي، فقتلَ جالوتَ.

---

(١) في (ف): الأصنام.

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٠٩).

(٣) كذا في الأصل وسائر النسخ، وفي (ف): مُتَهَزِّم. وفي تهذيب اللغة (٦/ ٩٥): سِقاءٌ مُتهزِّمٌ ومُهزَّم: إذا كَانَ بعضُه قد ثُنِيَ على بعض مَعَ جَفاف.

(٤) قوله: (قد ثني) ليس في (ج).

(٥) في (ف): مُتَهَزِّم.

(٦) انظر: معاني إعراب القرآن (١/ ٣٣٢)، والبيت لأبي بدر السُّلمي، وانظر: لسان العرب (١٢/ ٦١٠) (هزم)، وتاج العروس (هزم).

قوْلُه: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ يعْنِي: آتى داودَ مُلْكَ طالوتَ.

وفِي المُرادِ بـ«الحِكمة» هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها النُّبوَّةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: الزَّبورُ، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

قوْلُه: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.

فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها صنْعَةُ الدُّرُوعِ.

والثَّانِي: الزَّبُورُ.

والثَّالث: منْطِقُ الطَّيرِ[(١)].

قوْلُه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

قَرأ الجُمهورُ «دَفْعُ اللهِ» بغَيْرِ أَلِفٍ هَاهُنا، وفِي الحَجِّ. وقَرأَ نافِعٌ، ويعْقُوبُ، وأبانُ «دِفاعُ»[(٢)] بألفٍ فيهِما[(٣)]، [وروى الأهوازي عن نافع: «ولولا أن دَفَعَ اللهُ»، وكذلك في الثَّاني من الحج][(٤)].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (م): دفع.

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٧)، والمبسوط (ص: ١٤٩) وزاد: أبان، والبحر المحيط (٢/ ٥٩٤) وعزاها لسهل.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

قال أبو عليٍّ: المعْنَيانِ مُتقارِبانِ. قالَ الشَّاعِرُ [من الكامل]:

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ ... فَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ[(١)(٢)]

وفي معْنَى الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: لوْلَا أنَّ اللهَ يدْفع بمَنْ أطَاعَهُ عمَّن عصَاهُ، كما دفَع عنِ ﴿المُخاطَبين﴾[(٣)] المُتخلِّفينَ عنْ طالُوتَ بمَن أطَاعَهُ، هلك العُصاةُ بسرعَةِ العُقوبةِ[(٤)]، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّ معْنَاه، لوْلَا دفْعُ اللهِ المُشركِينَ بالمُسلمينَ؛ لَغلبَ المُشركون على الأرْضِ، فقَتَلُوا المسلمين[(٥)]، وخرَّبوا المَساجد، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

ومعْنَى: ﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ هلَكَ أهْلُها.

---

(١) في (ر): تدافع.

(٢) انظر: الحُجَّة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥٣)، والبيت من قصيدة مشهورة؛ لأبي ذئيب الهذلي يرثي بها أولاده، في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٣٦)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٤/ ٣٤٢)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (٣/ ١٤٥)، ولسان العرب (٧/ ١١) (حرص)، خزانة الأداب (١/ ٤٢٠).

(٣) زيادة من (م).

(٤) مكانها بياض في (م).

(٥) في الأصل: «المسلمون»، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾؛ أي: نقُصُّ عليْكَ مِن أخبارِ المُتقدِّمِين ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حُكمُك حكمُهُم، فمَن صدَّقك، فسَبِيلُه سَبِيلُ مَن صدَّقَهم، ومَن عصَاكَ، فسَبِيلُه سَبِيلُ مَنْ عصَاهُم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قوْلُه: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ يعْنِي: مُوسى.

وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو نَهِيكٍ، وابْنُ السَّمَيْفع: «مِنْهُم مَنْ كَالَمَ[١] اللهَ» بألِفٍ، خفِيفَة اللَّام، وبنصْبِ اسْمِ «الله»[٢].

وفي المُراد بقوْلِه: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ[٣] دَرَجَٰتٍ﴾ قوْلانِ:

---

(١) من المكالمة، بالنصب، فإنه كلم الله كما أن الله كلمه؛ ولذلك قيل: كليم الله بمعنى مكالمه.

(٢) انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٢) وعزاها لليماني، وانظر أيضًا: إعراب القراءات الشاذة؛ للعكبري (ص: ٢٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٢٧٣)، وقرأ ابن ميسرة «كلَّم اللهَ» بنصب اسم الله، كما في مختصر الشواذ (ص: ٢٢). قال العكبري: والأشبه أن من قرأ بالقراءتين أراد ألا ينسب الكلام إلى الله، وفيه ما فيه.

(٣) زاد في الأصل هنا: «فوق بعض»، وهو سبق قلم من النَّاسخ.

أحدُهمـا[١]: [أنَّـه][٢] عَنَـى بالمرفُـوعِ درَجـاتٍ: مُحمَّـدًا ﷺ، فإنَّـه بُعِـثَ إلى النَّـاس كافَّـةً، وغـيرُهُ بُعِـث إلى أُمَّتِـه خاصَّـةً، هـذا قـوْلُ مُجَاهِـدٍ.

والثَّـانِي: أنَّـه عَنَـى تفْضِيـلَ بعْضِهِـم علَـى بعْـضٍ فِيـما آتـاهُ [اللهُ][٣]، هـذا قـوْلُ مُقَاتِـلٍ.

[٧٤/أ] وقـالَ ابْـنُ جريـرٍ الطَّـبري: «الدَّرجـات»: جمْـعُ درجَـةٍ، وهـي المرْتَبَـةُ، وأصْـلُ ذلِـك: مرَاقـي السُّـلَّمِ ودَرَجُـهُ، ثُـمَّ يُسـتعْمَلُ فِي ارْتِفـاعِ المنـازِلِ والمَرَاتِـبِ[٤].

وقد تقدَّمَ تفْسِيرُ «البيِّنَاتِ»، و«رُوح القُدس».

قوْلُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾؛ أي: من بعْدِ الأنْبِياءِ.

وقـالَ قتـادَةُ: مِـن بعْـدِ مُوسـى وعِيسـى عليْهـما السَّـلام[٥]. قـالَ مُقَاتِـلٌ: وكانَ بيْنَهـما ألْـفُ نَبِـيٍّ[٦].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) من (ف).

(٣) زيادة من (ج).

(٤) انظر: تفسير الطَّبري (٩/ ٣٨٠).

(٥) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٥٢٢)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٥٥٨) مـن طريـق يزيـد بـن زريـع، عـن سـعيد بـن أبي عروبـة، عـن قتـادة. ولفـظ ابـن أبي حاتـم: يعنـي اليهـود والنَّصـارى.

(٦) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢١٢).

قوْلُه: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ يعْنِي: الأُمَمَ[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤، ٢٥٥].

قوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾.

هذِه الآيةُ تحثُّ علَى الصَّدقاتِ، والإنفاقِ فِي وجُوهِ الطَّاعاتِ. وقالَ الحسَنُ: أرَادَ الزَّكاةَ المفْرُوضةَ.

قوْلُه: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ يعْنِي: يوْمَ القِيامة.

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ قرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو: «لا بيعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ ولَا شَفَاعَةَ» بالنَّصبِ مِن غيْرِ تنْوِينٍ، ومِثْلُه فِي «إبْراهِيم»: «لَا بَيْعَ فِيه»، وفِي الطُّورِ: «لَا لغوَ فِيهَا وَلَا تأْثِيمَ».

وقَرأَ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، جميعَ ذلِك بالرَّفْعِ والتَّنوِينِ[٢].

---

(١) العبارة ليست في (ر).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٧)، والتَّيسير (ص: ٨٢)، والمبسوط (ص: ١٥٠).

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا فدْيَةَ فِيه[١]. وقِيل: إنَّما ذكَرَ لفْظَ «البَيْعِ» لِما فِيه مِنَ المُعاوضَةِ، وأخْذِ البدَلِ.

و«الخُلَّة»: الصَّداقَةُ. وقِيل: إنَّما نفَى هذِه الأشْياءَ؛ لأنَّه عَنَى الكافِرِينَ، وهذِه الأشْياءُ لا تنْفعُهُم، ولِهذا قالَ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

قوْلُه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

رَوى مُسلِمٌ فِي «صَحِيحه» عنْ أُبيِّ بْنِ كعْبٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ[٢] قالَ لَهُ: «**يَا أَبَا المُنْذِرِ! أَتَدْرِي أيَّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟**» قالَ: قُلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ فضَرَبَ فِي صدْرِي! وقالَ: «**لِيَهْنَكَ العِلْمُ أبَا المُنْذِرِ**»[٣].

قالَ أبو عُبيدَةَ: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: الَّذِي لا يزُولُ، لِاسْتِقَامةِ وصْفِهِ بالوُجُودِ؛ حيْثُ[٤] لا يجُوزُ علَيهِ التَّغيُّرُ بوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ[٥].

وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: القائِمُ بتدْبيرِ أمْرِ[٦] الخَلْقِ[٧].

---

(١) روى ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١/ ٦٣٨) من طريق مُجاهد، عن ابن عبَّاس قال: في قوله: ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: بدل، والبدل الفدية.

(٢) من قوله: «وخربوا المساجد»... إلى هنا، ليس في (م).

(٣) صحيح مسلم (٨١٠).

(٤) في (ر): حتى.

(٥) انظر: مجاز القرآن (ص: ٧٨) بنحوه.

(٦) ليست في (ج).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣٦).

وقالَ الخَطَّابيُّ: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: هو القائِمُ الدَّائِمُ بِلا زَوالٍ، وزنُه: «فَيْعُولٌ» مِنَ القِيامِ، وهو نعتٌ للمُبالغَةِ للقِيام علَى الشَّيْءِ، ويُقال: هوَ القائِمُ علَى كُلِّ شيْءٍ بالرِّعايةِ، يُقال: قمتُ بالشَّيْءِ؛ إذا وَليتَهُ بالرِّعايَةِ والمصلَحَةِ[١].

وفِي «القيُّومِ» ثلاثُ لُغاتٍ:

«**القيُّوم**» وبِهِ قرَأ الجُمهورُ.

و«**القَيَّامُ**» وبِه قَرأَ عمَرُ بْنُ الخطَّابِ، وابْنُ مَسْعُودٍ، وابْنُ أبي عبْلَةَ، والأعْمَشُ[٢].

و«**القَيِّمُ**» وبه قَرأَ أبو رَزِين، وعلْقَمَةُ[٣].

وذكرَ ابْنُ الأنْبارِيِّ أنَّه كذلِك فِي مُصحفِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قالَ: وأصْلُ

---

(١) انظر: شأن الدعاء (ص: ٨٠- ٨١).

(٢) في المحتسب (١/ ١٥١): وهي قراءة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وابن مَسْعُودٍ وإبراهيم النَّخعي والأعمش وأصحاب عبد الله، وزيد بن علي وجعفر بن محمد وأبي رجاء. وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٥٨)، والجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (٣/ ٢٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٦٠٨)، عن الأعمش. قال القرطبي: ولا خلاف بين أهل اللُّغة في أن القيوم أعرف عند العرب وأصح بناء وأثبت علة. والقيَّام منقول عن القوام إلى القيام، صرف عن الفعال إلى الفيعال، كما قيل للصَّوَّاغ الصَّيَّاغ. اهـ

(٣) عزاها ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١/ ١٧٥)، وابن جني في المحتسب (١/ ١٥١) والبحر المحيط (٢/ ٢٧٧) لعلقمة.

القَيُّوم: القَيْوُومُ[١]. فلـمَّا اجْتمعتِ الياءُ والواوُ[٢]، والسَّابقُ ساكِنٌ[٣]؛ جُعلتَا ياءً مُشدَّدةً. وأصْلُ القَيَّام: القَيْوام[٤].

قالَ الفرَّاءُ: وأهْلُ الحِجازِ يَصْرِفُون الفَعَّالَ إلى الفَيْعَال، فيقُولُون للصَّوَّاغ: صَيَّاغ[٥].

فأمَّا «السِّنَة» فهيَ: النُّعاسُ مِن غيْرِ نوْمٍ، ومِنهُ: الوَسْنانُ[٦]. قالَ ابْنُ الرِّقَاعِ[٧] [من الكامل]:

(١) في (ف): القَيْوُمُ.

(٢) في (ف): اجتمعت الواو والياء.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ف): القوَّام. وانظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٢).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩١).

(٦) في (ج): الولسان.

(٧) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرِّقَاع من عاملة وهو حي من قضاعة، يكنى أبا داود، شاعر مشهور مجيد من شعراء الدولة الأموية، وكان ينزل الشام. والبيتان في: مجاز القرآن (١/ ٧٨)، طبقات فحول الشعراء (٢/ ٦٨١)، والشعر والشعراء (٢/ ٦٠٣)، والكامل (١/ ١٩٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٦٣)، ومعاني النحاس (١/ ٢٦١)، والأغاني (٩/ ٣١١)، وأمالي القالي (١/ ٢٨٨)، وشرح الحماسة للمرزوقي (١/ ١٤٣)، الحور: شدة سواد المقلة فِي شدَّة بياضها، في شدة بياض الجسد. والجآذر: جمع الجؤذر؛ وهو ولد البقر، وفي «الصحاح»: البقرة الوحشية. وجاسم: قرية بالشام، ووسنان صفة أحور. وأقصده: أصابه. رنّق النوم في عينه: خالطها.

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ
وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ[١] فَرَنَّقَتْ[٢] فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

قوْلُه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

قال بعْضُ العُلماء: إنَّما لم يَقُل: والأرضِينَ؛ لأنَّه قد سبَقَ ذِكْرُ الجمْعِ في السَّماوات، فاستغْنَى بذلك[٣] عن إعادتِه، ومثْلُه: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] ولم يَقُل: والأنوارَ. [٧٤/ ب]

قوْلُه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: فيه رَدٌّ على مَنْ قالَ: إنَّما نعْبُدُهم لِيقرِّبُونا إلَى الله زُلْفَى.

قوْلُه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ظاهِرُ الكلامِ يقْتَضِي الإشارةَ إلَى جميعِ الخلْقِ. وقالَ مُقاتِلٌ: المُراد بِهِم: الملائكةُ[٤].

وفِي المُراد بـ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّ الَّذي بيْنَ أيْديهم أمْرُ الآخرةِ، والَّذي خلْفَهُم أمْرُ الدُّنيا،

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في الأصل: «فرتقت»، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: تفسير مُقاتِل (١/ ٢١٣).

رُوي عـنِ ابْنِ عبَّـاسٍ[١]، وقتـادَةَ[٢].

والثَّـانِي: أنَّ الَّـذِي بـيْنَ أيْدِيهِـم[٣] الدُّنيـا، والَّـذِي خلْفَهُـمُ الآخِـرَةُ، قالَـهُ السُّـدِّيُّ عـنْ أشْـيَاخِه، ومُجَاهِـدٌ، وابْـنُ جُرَيْـجٍ، والحكَـمُ بْـنُ عُتيْبَـةَ[٤].

والثَّالـث: مـا بـيْنَ أيْديهِـم: مـا قبْـلَ خلْقِهِـم، ومـا خلْفَهُـم: مـا بعْـدَ خلْقِهِـم، قالَـهُ مُقَاتِـلٌ.

قوْلُـه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ قـالَ اللَّيْـثُ: يُقـال لـكلِّ مَـنْ أحْـرَزَ شـيْئًا، أو بلَغَ عِلْمـه أقْصَـاه: قـد أحَـاطَ بِـه[٥]. والمُـرادُ بالعِلْـم هاهُنـا: المعْلُـومُ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾؛ أي: احتَمل وأَطَاقَ[٦][٧].

وفِي المُراد بالكُرسيِّ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كرْسِيٌّ فوْقَ السَّماءِ السَّابِعَة دُونَ العرْشِ.

---

(١) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسيره (٢٥٩٠) مـن طريـق عطيـة العـوفي، عـن ابـن عبَّـاس، بلفـظ: يعلـم مـا قدمـوا مـن أعـمال.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٩٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٣) من قوله: «وما خلفهم: ثلاثة أقوال»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) في الأصل و(ج): «عيينة»، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) انظر: التَّفسير الوسيط؛ للواحدي (١/ ٣٦٧).

(٦) في (ج): وأحاط. يُقال: وسع فلان الشيء يسعه سعةً؛ أي: احتمله فأطاقه.

(٧) من قوله: «قال أبو عبيدة: القيوم»... إلى هنا، ليس في (م).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا[١] السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ»[٢].

وهذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ فِي رِوايةِ عَطاءٍ[٣].

والثَّانِي: أنَّ المُرادَ بالكُرسيِّ عِلْمُ اللهِ تعالَى، روَاهُ ابْنُ جُبَيْرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّالث: الكُرسِيُّ: هو العرشُ، قالَهُ الحسَنُ.

---

(١) سقطت من (م).

(٢) رواه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦١) من طريق يحيى بن سعيد العبشمي، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر مرفوعًا بلفظ مطول. ويحيى بن سعيد السعدي العبشمي، أبو زكريا الكوفي، قال فيه ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي: يُعرف بهذا الحديث، وهو منكر من هذا الطريق. انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٣٧٧).
وله طرق أخرى عن أبي ذر لا تسلم من ضعف، ولكن تعضد بعضها بعضًا. وانظر: السِّلسلة الصَّحيحة (١٠٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٠٠) من طريق الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال: لو أن السَّماوات السبع والأرضين السبع بسطن، ثم وصلن بعضهن إلى بعض، ما كان في سعته- يعني: الكرسي- إلا بمنزلة الحلقة في المفازة.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٩٩) من طريق عبد الله بن إدريس، عن مطرف بن طريف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَيْر، به. ورواية جعفر بن أبي المغيرة ليست بالقوية في سعيد بن جُبَيْر كما قال ابن مندة، والثابت عن ابن عبَّاس أنَّه قال: الكرسي موضع القدمين. انظر: الميزان (١/ ٤١٧).

قوْلُـه: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ﴾؛ أي: لا يُثقِلُـه، يُقـال: آدَهُ الـشَّيْءُ يَـؤُودُهُ وأَدَهُ يَئِـدُهُ. والـوَأْدُ: الثِّقْـلُ، وهـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ، والحسَـنِ[1]، وقتـادَةَ، والجماعَـةِ.

و﴿ٱلْعَلِيُّ﴾: العَـالِي القاهِـرُ، «فَعِيـلٌ» بمعْنَـى «فاعِـل»[2] قـال الخَطَّـابِيُّ: وقـد يكـونُ مِـن العُلـوِّ الَّـذِي هـو مصْـدَرُ: عَـلَا يعْلُـو، فهُـوَ عـالٍ؛ كقوْلِـه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طـه: ٥]، ويكـونُ ذلِـك مِـن عَـلاءِ المجْـدِ والـشَّرفِ، يُقـال مِنـه: عَـلِيَ[3] يَعْـلَى عَـلاءً[4].

ومعْنَـى ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: ذو العظَمَـةِ والجَـلالِ، والعِظَـمُ فِي حقِّـه تعـالَى مُنـصَرِفٌ[5] إلى عِظَـمِ الشَّـأنِ، وجَلالَـةِ القَـدْرِ، دُونَ العِظَـمِ[6] الَّـذي[7] هـوَ مِـن نُعـوتِ الأجْسَـامِ.

---

(١) لم يذكر في (ج).

(٢) ليست في (م).

(٣) في الأصل: «عالى»، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) انظر: شأن الدعاء (ص: ٦٦). وراجع: الأفعال للسرقسطي (١/ ٢٥٢).

(٥) في (ف): ينصرف.

(٦) في (ج): العظيم.

(٧) ليست في (ر).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧].

قوْلُه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾.

فِي سببِ نُزولِها أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المرْأةَ مِن نِساء الأنْصارِ كانَتْ فِي الجاهليَّةِ إذا لَمْ يعِشْ لها ولَدٌ، تحْلِفُ: لَئِن عاشَ لها ولَدٌ لَتُهوِّدَنَّه. فلمَّا أُجليَتْ بنُو النَّضِيرِ، كانَ فِيهم ناسٌ مِن أبْناءِ الأنْصارِ. فقالَ الأنْصارُ: يا رسولَ اللهِ! أبْناؤُنا؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

وقالَ الشَّعبيُّ: قالَتِ الأنْصارُ: واللهُ لَنُكْرِهَنَّ أوْلَادَنا علَى الإسْلام، فإنَّا إنَّما جعَلْناهُم فِي دِينِ اليهُودِ؛ إذْ(٢) لم نَعْلَمْ دِينًا أفْضَلَ مِنْه، فنزَلَتْ هذه الآيةُ(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٨٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٨٢)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٠٩)، والطَّحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٢٧٩ - ٢٧٦٤٠)، وابن حبان في صحيحه (١٤٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٨٣) وغيرهم من طُرق عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، به، بنحوه.

(٢) في (ر): إذا.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٤٧) من طريق ابن علية، عن داود بن أبي هند، به، بنحوه.

والثَّاني: أنَّ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ تَنَصَّرَ لَه ولَدانِ قبْلَ أنْ يُبعَثَ النَّبيُّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَا المدِينَةَ فلَزِمَهُما أبُوهُما، وقالَ: واللهِ لَا أَدَعُكُما حتَّى تُسْلِمَا، فأبَيا، فاخْتَصَمُوا إلَى النَّبيِّ ﷺ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، هذَا قولُ مَسْرُوقٍ[1].

والثَّالث: أنَّ ناسًا كانُوا مُسترضَعِينَ فِي اليهُودِ، فلمَّا أجْلَى رسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي النَّضيرِ، قالُوا: واللهِ لَنذْهَبَنَّ معَهُم[2]، ولَنَدِينَنَّ بِدِينِهِم، فمَنَعَهُم أهْلُوهُم، وأرَادُوا إكْراهَهُم علَى الإسْلَامِ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ[3]. [٧٥/أ]

والرَّابعُ: أنَّ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ كانَ لَهُ غُلامٌ اسْمُهُ صُبَيْحٌ، كانَ يُكْرِهُهُ علَى الإسْلَامِ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ[4]، والقَوْلَانِ عنْ مُجَاهِدٍ.

❁❁❁

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٨٤).

(٢) في الأصل: «معه»، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٤٩) من طريق خصيف، به، بنحوه.

(٤) من قوله: «والرَّابع»... إلى هنا، ليس في (ج).

فَصْلٌ

واخْتلَفَ عُلماءُ النَّاسخِ والمنْسُوخِ فِي هذا القدرِ مِنَ الآيَةِ:

فذهَبَ قوْمٌ(١) إلى أنَّه مُحكَمٌ، وأنَّه مِنَ العامِّ المخْصُوصِ، فإنَّه خُصَّ منه(٢) أهْلُ الكتابِ بأنَّهم لا يُكرَهُونَ علَى الإسلامِ(٣)، بل يُخيَّرُونَ بيْنَه وبيْنَ أداءِ(٤) الجزْيَةِ، وهذا معْنَى ما رُوي عنِ ابْنِ عبَّاس(٥)، ومُجاهِدٍ(٦)، وقتادَةَ(٧).

وقالَ ابْنُ الأنباريِّ: معْنَى الآيةِ: ليْسَ الدِّين ما تُدِينُ بِه فِي الظَّاهر علَى جِهةِ الإكْراهِ عليْهِ، ولم يَشْهَدْ بِه القلْبُ، وتنْطَوِي عليْهِ الضَّمائِرُ، إنَّما الدِّينُ هوَ المُعتَقد بالقلْبِ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ر): (من)، وفي (ج): (فيه).

(٣) ليست في (م).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٥٣) من طريق عطية العوفي، به.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٥٢) من طريق ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح،قال: سمعت مُجاهِدًا، يقول لغلام له نصراني: يا جرير، أسلم ثم قال: هكذا كان يقال لهم.

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٥١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦١٢) من طريق معمر، كلاهما (سعيد ومعمر) عن قتادة، بنحوه.

وذهَـبَ قـوْمٌ إلى أنَّـه منْسـوخٌ، وقالـوا هـذِه الآيـةُ نزلَـتْ قبْـلَ الأمْـرِ بالقِتـالِ، فعلَى قوْلِهـم، يكـونُ منْسُـوخًا بآيَـةِ السَّـيْفِ، وهـذا مذْهـبُ الضَّحَّاكِ، والسُّـدِّيِّ، وابْـنِ زيْـدٍ[١].

و﴿ٱلدِّينِ﴾ هاهُنـا: أُريـدَ بـه الإسْـلامُ. و﴿ٱلرُّشۡدُ﴾: الحـقُّ. و﴿ٱلۡغَيِّ﴾: الباطِـلُ. وقِيـل: هـوَ الإيـمانُ والكُفـرُ.

فأمَّـا ﴿ٱلطَّـٰغُوتُ﴾: فهـو اسـمٌ مأخـوذٌ مِـنَ الطُّغيـانِ، وهـوَ مُجـاوزةُ الحَـدِّ، قـالَ ابْـنُ[٢] قُتيْبَـةَ: الطَّاغـوتُ: واحِـدٌ[٣]، وجمْـعٌ، ومذكَّـرٌ، ومؤنَّـثٌ[٤].

قـالَ تعـالَى: ﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾، وقـالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمـر: ١٧].

وفِي المُراد بالطَّاغوتِ هاهُنا خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه الشَّـيطانُ، قالَـهُ عُمـرُ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهِـدٌ، والشَّـعبِيُّ، والسُّـدِّيُّ، ومُقَاتِـلٌ فِي آخَرِيـنَ.

والثَّانِي: أنَّه الكاهِنُ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وأبو العَالِيةِ.

والثَّالث: أنَّه السَّاحِرُ، قالَه مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ.

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٤/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٤).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: لغات القرآن (ص: ١٢٦).

(٤) في (ف): ويذكر ويؤنث.

والرَّابع: أنَّه الأصْنَامُ، قالَهُ اليَزِيديُّ، والزَّجَّاجُ[١].

والخامس: أنَّه مَرَدَةُ أهْلِ الكِتابِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ أيْضًا[٢].

قوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.

هذا مثَلٌ للإيمانِ شَبَّهَ التَّمسُّكَ[٣] به بالمُتَمسِّكِ[٤] بالعُروة الوثقى[٥].

وقالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى الكلامِ: فقد عقَدَ لِنفسِه عقْدًا وثِيقًا[٦].

و«الإنْفصَام»: كسْرُ الشَّيْءِ مِن غيْرِ إبانَةٍ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: مُتَولِّي أُمُورِهم، يهدِيهم، وينْصُرُهم، ويُعِينُهُم. و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الضَّلالَة. و﴿ٱلنُّورِ﴾: الهُدَى. و﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾: الشَّياطِين. هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وعِكْرِمَةَ فِي آخَرِينَ.

وقالَ مُقَاتِلٌ: الَّذِين كفَرُوا: همُ اليهُودُ. والطَّاغوتُ: كعْبُ بْنُ الأشْرَفِ[٧]. قالَ الزَّجَّاج: الطَّاغوتُ هَاهُنا: وَاحِدٌ فِي معْنَى جماعَةٍ، وهذَا جَائِزٌ فِي اللُّغةِ إذا كانَ فِي الكلَامِ دَلِيلٌ علَى الجماعَةِ. قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣٩).

(٣) في (م): المتمسك.

(٤) في (ت): شبه المتمسك. وفي (ج): التمسك.

(٥) في بقية النسخ: الوثيقة.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣٩).

(٧) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٥١٢).

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

يُريدُ جلُودَهَا[١].

فإنْ قِيلَ: متَى كانَ المُؤمِنُون فِي ظُلمةٍ؟ ومتَى كانَ الكُفَّارُ فِي نُورٍ؟

فعنْهُ ثلاثَةُ أجْوِبَةٍ:

أحدُها: أنَّ عِصمةَ الله تعَالى للمُؤمنِينَ عنْ مُواقَعةِ الضَّلالِ، إخْراجٌ لَهُم مِن ظلَامِ[٢] الكُفْرِ، وتَزْيِينُ قُرنَاءِ الكُفَّارِ لَهُمُ الباطِلَ الَّذِي يَحِيدُونَ بِه عنِ الهُدى، إخْراجٌ لَهُم مِن نُورِ الهُدى، و«الإخْرَاجُ» مُستعارٌ هَاهُنا.

وقدْ يُقالُ للمُمتَنِعِ مِنَ الشَّيءِ: خرَجَ مِنه، وإنْ لَم يَكُن دخَلَ فيهِ. وقالَ تعَالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، وقالَ: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]، وقد سَبقَتْ شَواهدُ هذَا فِي قوْلِه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. [٧٥/ ب]

والثَّانِي: أنَّ إيمانَ أهْلِ الكِتابِ بالنَّبيِّ ﷺ قبْلَ أنْ يظْهرَ نُورٌ لهُم، وكُفرُهُم بِه بعْدَ أنْ ظهَرَ، خُروجٌ إلَى الظُّلُماتِ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٠) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي، وهو الذي يقال له: علقمة الفحل، سُمي بذلك لوجود رجل في قومه يُقال له: علقمة الخصي، ففرَّقوا بينهما بهذا الاسم، وقيل غير ذلك، انظر: ترجمته: الشعر والشعراء (١/ ٢١٣)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٣٩)، والبيت نسبه له ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٦/ ٢٤٣)، وسيبويه في الكتاب (١/ ٢٠٩)، والمُبرِّد في المقتضب (٢/ ١٧٣).

(٢) في (ج): ضلالة.

والثَّالِثُ: أَنَّه لَمَّا ظهرَتْ معجزاتُ رَسُولِ الله ﷺ، كانَ المُخالِفُ لَهُ خارِجًا مِنْ نُورٍ قدْ علِمَهُ، والمُوافِقُ له خَارجًا مِن ظُلُماتِ الجهْلِ إلَى نُورِ العِلْمِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قوْلُه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾.

قد سبَقَ معْنَى ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾. و﴿ حَاجَّ ﴾ بمعْنَى: خاصَمَ، وهُوَ نمرُودٌ [وبُختنصَّر][(١)] فِي قوْلِ الجماعَةِ.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ملَكَ الأرضَ شرْقَها وغرْبَها: مُؤمِنانِ، وكافِرَانِ، فالمُؤمِنانِ: سليمانُ بْنُ داودَ، وذُو القَرْنيْنِ. والكافران: نَمْرودٌ، وبُختنصَّر[(٢)].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: معْنى الآيةِ: حاجَّ إبْراهِيمَ؛ لأنْ آتاهُ [اللهُ][(٣)] المُلْكَ، فأُعْجِبَ بنَفْسِه[(٤)].

قوْلُه: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾.

---

(١) من (ج)، و(ف). وفي (ر)، و(ف)، و(م) في جميع المواضع: نمروذ.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٥٧١) من طريق ابن أبي نجيح، عن مُجاهِد من قوله.

(٣) زيادة من بقية النسخ.

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٣).

قَالَ بعْضُهم: هذا جوَابُ سُؤالٍ سابِقٍ غيرِ مذْكُورٍ، تقدِيرُه: أنَّه قالَ لَهُ: مَنْ ربُّكَ؟ فقالَ: رَبِّيَ الَّذِي يُحيِي ويُمِيت. قالَ نمْرُودُ: أنا أُحيِي وأُميت. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يقُول: أتْرُكُ مَنْ شِئْتُ، وأقْتُلُ مَنْ شِئْتُ[1].

فإنْ قِيل: لِمَ انْتقَلَ إبْراهِيمُ مِن حُجَّةٍ[2] إلَى حُجَّةٍ أُخرى، وعدَل عنْ نُصرَةِ الأولى؟

فالجَوابُ: أنَّ إبراهِيمَ رأَى مِن فسَادِ مُعَارضتِهِ أمْرًا يدُلُّ علَى ضعْفِ فهْمِه، فإنَّه عارَضَ اللَّفْظ بمثْلِه، ونسيَ اخْتلَافَ الفِعْليْنِ[3]، فانْتقَلَ إلى حُجَّةٍ أُخرى؛ قصْدًا لِقطْعِ المحاجِّ لا عجْزًا عنْ نُصرة الأُولى.

قوْلُه: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾؛ أي انقطعَتْ حجَّتُهُ فتحيَّرَ. وقرَأَ أبو رَزِينٍ العُقَيْلِي، وابْنُ السَّمَيْفع: فبَهَتَ، بفَتْحِ الباءِ والهَاءِ[4]. وقرأَ أبو الجَوْزَاءِ، ويَحْيى بْنُ يَعْمَرَ، وأبو حَيْوَةَ: فبَهُتَ بفَتْحِ الباءِ، وضَمِّ الهَاءِ[5].

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (٢/ ٢٥) وعزاه السُّيوطي؛ لابن جرير الطَّبري، ولم نقف عليه في المطبوع.

(٢) قوله: «من حجة» ليس في بقية النسخ.

(٣) في (ف): اللفظين.

(٤) انظر: المحتسب (١/ ١٣٤)، وتفسير الطَّبري (٤/ ٥٧١)، والبحر المحيط (٢/ ٦٢٩) وعزاها لابن السَّمَيْفع.

(٥) انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٣) وهي قراءة أبي حيوة، وأبي معاذ، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٦٢٩).

قالَ الكِسائِيُّ: ومِنَ العربِ مَنْ يقولُ: بَهِتَ، وبَهُتَ،[١] بكسْرِ الهاءِ وضَمِّها[٢].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الكافِرينَ. قالَ مُقاتِلٌ: لا يهدِيهم إلَى الحُجَّةِ، وعنَى بذلِك نمرُودَ.

قالَ تعالَى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قوْله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾.

قالَ الزَّجّاجُ: هذا معْطوفٌ علَى معْنَى الكلامِ الَّذي قبْلَه، معْناه: أرأيْتَ كالَّذي حاجَّ إبراهِيمَ، أوْ كالَّذي مرَّ علَى قرْيَةٍ؟[٣].

وفِي المُرادِ بالقريَةِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها بيْتُ المقدِسِ لَمّا خرَّبَهُ بُختنَصَّر، قالَهُ وهْبٌ، وقتادَةُ، والرَّبيعُ بْنُ أنَسٍ.

---

(١) من قوله: «فبهت، بفتح الباء وضم الهاء»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: لغات القرآن (ص: ٣٧)، والمحتسب (١/ ١٣٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٢).

والثَّاني: أنَّها القرْيَةُ[١] الَّتي خرَجَ مِنْها الأُلوفُ حَذرَ المَوْتِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

وفي الَّذي مرَّ عليْها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه عُزَيرٌ[٢]، قالَه عليُّ بْنُ أبي طالِبٍ، وأبو العَالِيةِ، وعِكْرِمَةُ، وسعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وناجِيةُ بْنُ كعْبٍ، وقتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، ومُقَاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّه أرْمِيَاءُ، قالَهُ وهْبٌ، ومُجاهِدٌ، وعبدُ اللهِ[٣] بْنُ عُبيدِ بْنُ عُمير.

والثَّالث: أنَّه رجُلٌ كافِرٌ شَكَّ فِي البعْثِ، نُقل عن مُجاهِدٍ أيْضًا.

و«الخاوِيةُ»: الخالِيةُ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «الخاوِيةُ»: الخرَابُ، و«العرُوشُ»: السُّقُوفُ، وأصْلُ ذلِكَ أنْ تسْقُطَ السُّقوفُ، ثُمَّ تسْقُطَ الحِيطانُ علَيْها[٥].

﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: كيْفَ يُحْييها. [٧٦/أ]

---

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) في الأصل، و(م): عزيز، والمثبت من بقية النسخ، ومن قوله: «قاله ابن زيد»... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) في (م): عبيد الله.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٢).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٤).

فـإنْ قُلنـا: إنَّ هـذا الرَّجـلَ نبـيٌّ، فهـو كلامُ مَـنْ يُؤثِـرُ أنْ يَـرى كيْفِيَّـةَ الإعَـادَةِ، أوْ يسْـتهولُهَا، فيُعَظِّـمُ[1] قُـدرَةَ اللهِ تعَـالى، وإنْ قُلنـا: إنَّـه كانَ رجُـلًا كافـرًا، فهـوَ كلامُ شَـاكٍّ، والأوَّلُ أصَـحُّ.

قوْلُه: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾.

الإشَارَةُ إلى قِصَّتِهِ

رَوى ناجِيـةُ بْـنُ كعْـبٍ عـنْ عـلِيٍّ ﷺ قـالَ: خـرَجَ عُزيـرٌ نَبـيُّ الله مِـن مدينَتِـهِ، وهـوَ رجُـلٌ شـابٌّ، فمَـرَّ عـلَى قرْيَـةٍ، وهـيَ خاوِيـةٌ عـلَى عُروشـها، فقَـال: أنَّـى يُحيـي هـذِه اللهُ بعْـدَ موْتِهـا، فأمَاتَـهُ اللهُ مائـةَ عـامٍ، ثُـمَّ بعثَـهُ، وأوَّلُ مـا خلَـقَ اللهُ مِنْـهُ عيْنَيْـهِ[2]، فجَعَـل ينْظُـرُ إلى عِظامِـهِ يَنْضَـمُّ بعْضُهـا إلى بعْـضٍ، ثُـمَّ كُسِـيَتْ لحْـمًا، ونُفِـخ فيهَـا الـرُّوحُ[3].

قـالَ الحسَـنُ: قبَضَـهُ اللهُ أوَّلَ النَّهـارِ، وبعَثَـهُ آخِـرَ النَّهـار بعْـدَ مائـةِ سـنَةٍ[4]. قـالَ مُقَاتِـلٌ: ونُـودِيَ مِـنَ السَّـماءِ: كـمْ لبِثْـتَ؟[5].

---

(١) في (م): فيعلم.

(٢) في (ت)، و(ف)، و(م): ما خُلِق منه عيناه.

(٣) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٦٤١)، والحاكـم في المسـتدرك (٢/ ٣١٠) مـن طريـق إسرائيـل بـن أبي يونـس، عـن أبي إسـحاق، عـن ناجيـة، بـه، بنحـوه. وعـزاه السُّـيوطي في الـدر المنثـور (٢/ ٢٦) لعبـد بـن حميـد، وابـن المنـذر.

(٤) عـزاه السُّـيوطي في الـدر المنثـور (٢/ ٣٠) لعبـد بـن حميـد، وسـعيد بـن منصـور، والبيهقـي في البعـث.

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢١٧).

قال قتادةُ: فقالَ: لَبِثتُ يومًا، ثُمَّ نظَرَ فرأى بقيَّةً مِنَ الشَّمسِ، فقالَ: أوْ بعْضَ يومٍ[1]. فهذا يدُلُّ على أنَّه عُزيرٌ.

وقالَ وهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ: أقامَ أَرْمياءُ بأرْضِ مِصرَ فأَوْحَى اللهُ إليه أنِ الحَقْ بأرضِ إيلياءَ[2]، فركِبَ حِمارَهُ، وأخذَ معه سَلَّةً مِن عِنَبٍ وتِينٍ، ومعَهُ سِقاءٌ جديدٌ، فيه ماءٌ[3]، فلمَّا بدَا لَهُ شَخْصُ بيْتِ المقدِسِ ومَا حَوْلَه مِنَ القُرَى نظَرَ إلى خَرابٍ لَا يُوصَفُ فقَالَ: أنَّى يُحْيِي هذِه اللهُ بعْدَ موْتِها؟ ثُمَّ نزَلَ مِنْهَا[4] منْزِلًا، وربَطَ حِمارَهُ، فألْقَى اللهُ عليه النَّومَ، ونزَعَ رُوحَهُ مِائَةَ عامٍ، فلمَّا مرَّ مِنْهَا سبْعُونَ[5] عامًا، بعَثَ[6] اللهُ تعالى مَلَكًا إلى مَلِكٍ مِنْ[7] مُلوكِ فارِسَ[8]، عظِيمٍ[9]، فقَالَ: إنَّ اللهَ[10] يأمُرُكَ بأنْ تنْفِرَ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٢) في حاشية الأصل: «حاشية: وإيلياء بيت المقدس».

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ج). وفي (ف): فيها.

(٥) ليست في (ج).

(٦) في بقية النسخ: أرسل.

(٧) قوله: «ملك من» ليس في (ر).

(٨) العبارة في (ج) هكذا: إلى ملوك من أرض فارس.

(٩) ليست في (م).

(١٠) في (ج): ربك.

بِقوْمِكَ، فتَعْمُرَ بيْتَ المقدِسِ وإيليَاءَ وأرْضَها حتَّى تعُودَ أعْمرَ[١] ما كانَتْ، فندَبَ ثلاثَةَ آلافِ قَهْرَمَانَ، ودفَعَ إلَى كُلِّ قهرمَانَ ألفَ عامِلٍ، وما يُصْلِحُه مِن أداةِ العمَلِ[٢]، فلمَّا وقعُوا فِي العمَلِ، ردَّ اللهُ رُوحَ الحيَاةِ فِي عيْنَيْ إرْمِياءَ، وآخِرُ[٣] جسَدِهِ ميِّتٌ، فنَظَرَ إليْهَا تُعْمَرُ، فلمَّا تمَّتْ بعْدَ ثلاثِينَ سنَةً رَدَّ اللهُ إليْهِ الرُّوحَ، فنَظَرَ إلى طعَامِه وشَرَابِه لم يَتَسنَّه[٤].

وزعَمَ مُقَاتِلٌ أنَّ هذِه القِصَّةَ كانَتْ بعْدَ رفْعِ عِيسَى عليه السلام[٥].

قوْلُه: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾.

قَرأ ابْنُ كَثِيرٍ، ونافِعٌ، وعاصِمٌ «لبثتَ» و«لبثْتُم» فِي كُلِّ القُرآن بإظْهارِ الثَّاءِ. وقَرأ أبو عَمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسَائِيُّ بالإدْغَامِ[٦].

قالَ أبو علِيٍّ [الفَارِسيُّ][٧]: مَنْ بيَّنَ «لَبِثْتَ»[٨] فلِتَبايُنِ المخْرَجيْنِ،

---

(١) في (ر): عمر.

(٢) في الأصل: «العلماء»، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ف): وأخَّرَ جسده ميِّتًا.

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٠) عن عبد الصمد بن معقل، ومن طريقه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٤٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره مختصرًا (٢٦٥٣).

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢١٦).

(٦) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٨)، والتَّيسير (ص: ٤٤)، والحُجَّة (٢/ ٣٦٧).

(٧) زيادة من (ر).

(٨) في (ج): من أثبت.

وذلِكَ أنَّ الظَّاءَ والذَّالَ والثَّاءَ مِن حيِّزٍ، والطَّاءَ والتَّاءَ[1] والدَّالَ مِن حَيِّزٍ، فلَمَّا تَبايَنَ المَخرَجانِ، واختلَفَ الحيِّزانِ، لم يُدْغَمْ[2]. ومَنْ أدْغَمَها أجْرَاهَا مُجرَى المِثْلَيْنِ؛ لاتِّفاقِ الحرْفَيْنِ في أنَّهما مِنْ طرَفِ اللِّسانِ وأصُولِ الثَّنَايا، واتِّفاقِهما في الهَمْسِ[3]، ورَأى[4] الَّذي بينَهُما مِنَ الاختِلافِ يسِيرًا، فأجْراهُما مُجرَى المِثْلَيْنِ[5].

فأمَّا «طعَامُه وشَرَابُه» فقالَ وهْبٌ: كانَ معهُ مِكْتَلٌ فِيه تِينٌ وعِنَبٌ، وقُلَّةٌ فِيها ماءٌ[6].

وقالَ السُّدِّيُّ: كانَ معَهُ تِينٌ وعِنبٌ، وشَرابُهُ مِنَ العصِيرِ، ولم يَحْمَضِ[7] التِّينُ والعِنَبُ، ولم يَخْتَمِرِ العَصِيرُ[8]. [٧٦/ب]

قوْلُه: ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾.

(١) ليست في (م).

(٢) في (ت): تدغم.

(٣) في (ج): المهموز.

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: الحُجَّة (٢/ ٣٦٧).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) قوله: «العصير، ولم يحمض» ليس في (م).

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٠٣) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿يَتَسَنَّهْ﴾، و﴿اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨]، و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٩]، و﴿مَاهِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠] بإثْباتِ الهاءِ في الوَصْلِ.

وكانَ حمْزَةُ يَحْذِفُهنَّ في الوَصْلِ، وَوَافقَهُ الكِسائيُّ في حذْفِ مَوْضعيْنِ ﴿يَتَسَنَّهْ﴾، و﴿اقْتَدِهْ﴾ وكلُّهُم يَقِفُ على الهاءِ[(١)].

ولم يخْتَلِفُوا في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، و﴿حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠] بالهاءِ[(٢)] وصْلًا ووقْفًا[(٣)].

فأمَّا معْنَى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾.

فقالَ ابْنُ عبَّاسٍ[(٤)]، والحسَنُ[(٥)]، وقتادةُ في آخرِينَ[(٦)]: لم يَتَغيَّرْ. وقالَ

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٨ - ١٨٩)، الحُجَّة (٢/ ٣٦٨)، والتَّيسير (ص: ٨٢) وزاد حمزة.

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٦٤) من طريق عِكْرِمَة، وبرقم (٢٦٦٥) من طريق الضَّحَّاك، ثلاثتهم -علي بن أبي طلحة، وعِكْرِمَة، والضَّحَّاك- عن ابن عبَّاس، بنحوه. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠) لابن المنذر، وابن عساكر.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٦٤).

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٠) عن معمر، به، ومن طريقه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٠٣). ورواه ابن جرير أيضًا (٤/ ٦٠٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

ابْـنُ قُتَيْبَـةَ: لم يَتَغـيَّرْ بِمَمـرِّ[١] السِّـنِينَ عليْـهِ، واللَّفْـظُ مأخُـوذٌ مِـنَ السَّـنةِ، يُقـال: سـانَهَتِ النَّخْلَـةُ؛ إذا حَمَلَـتْ عامًـا، وحالَـتْ عامًـا[٢].

قوْلُه[٣]: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾.

قـالَ مُقَاتِـلٌ: نَظَـرَ إليـه، وقـدِ ابْيَضَّـتْ عِظامُـهُ، وتفرَّقَـتْ أوْصَالُـهُ، فأعَـادَهُ اللهُ[٤].

قوْلُه: ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ﴾.

الـلَّامُ صِلَـةٌ لِفِعـلٍ مُضمَـرٍ تقْدِيـرُه: فعَلْنَـا بِـك ذلِـك لِنُرِيَـكَ قُدْرَتَنَـا[٥]، ولِنجْعَلَـكَ آيَـةً للنَّـاسِ؛ أي: علَـمًا عـلَى قُدْرتِنَـا، فأَضْمَـرَ الفِعْـلَ لِبيـانِ معْنَـاهُ.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ[٦]: مـاتَ وهـوَ ابْـنُ أرْبَعِـينَ سـنَةً، وابْنُـهُ ابْـنُ عِشريـنَ سَـنَةً، ثُـمَّ بُعِـثَ وهـوَ ابْـنُ أرْبَعِـينَ وابْنُـه[٧] ابْـنُ عِشريـنَ ومِائَـةٍ، ثُـمَّ أَقْبَـلَ حتَّـى أتَـى[٨] قوْمَـهُ فِي بيْـتِ المقْـدِسِ، فقـالَ لهُـم: أنـا عُزيـرٌ، فقالُـوا: حَدَّثَنـا آباؤُنـا

---

(١) في (ج): لم يمر.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٤).

(٣) سقط شق الكلمة في (م) فجاءت هكذا: قو.

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢١٧).

(٥) قوله: «لنريك قدرتنا» ليس في (ر)، و(ف).

(٦) في (ج): «قيل» بدلًا من قوله: «قال ابن عبَّاس».

(٧) ليست في (ج).

(٨) ليست في (م).

أنَّ عُزيـرًا مـاتَ بـأرْضِ بَابـلَ، فقـالَ لَهـم: أنَـا هـوَ، أرْسَـلَنِي اللهُ إلَيْكُـم أُجَـدِّدُ لكـم توْرَاتَكُـم، وكانـتْ قـدْ ذهَبَـتْ، وليْـسَ مِنْهُـم(١) أحَـدٌ يقرَؤُهَـا فأمْلَاهَـا عليْهِـم(٢).

قوْلُه: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى العظام﴾.

قِيل: أرادَ عِظَامَ نفْسِه، وقِيل: عِظامَ حِمَارِه، وقِيل: هُما جَمِيعًا.

قوْلُه: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾.

قَـرأَ ابْـنُ كَثِيرٍ، ونَافِـعٌ، وأبـو عَمْـرٍو «نُنْشِرُهَـا» بضَـمِّ النُّـونِ [الأُولَى](٣)، وكَـسْرِ الشِّـينِ وراءٍ مَضْمُومـةٍ(٤). ومعْنَـاهُ: نُحْيِيهَـا. يُقَـال: أنْـشَرَ اللهُ الميِّـتَ، فنَـشَرَ(٥).

وقَـرَأَ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: ﴿نُنشِزُهَا﴾ بضَـمِّ النُّـونِ مـعَ الـزَّايِ(٦). وهـوَ مِـنَ النَّشَـزِ؛ الَّـذي هـوَ الِارْتِفـاعُ. فالمعْنَـى: نرفَـعُ بعْضَهـا إلَى بعْـضٍ بالإحْيَـاءِ(٧).

---

(١) في الأصل: «منكم»، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٧٣) من قول عِكْرِمَة.

(٣) زيادة من (ر)، و(ف)، و(م).

(٤) قوله: «وراء مضمومة»، ليس في (ج).

(٥) في الأصـل: ينـشره، والمثبـت مـن بقيـة النسـخ. ويكـون «نـشر» عـلى هـذا بمعنـى «أنـشر»، فالـلازم والمتعـدي بلفـظ واحـد.

(٦) انظر: السَّبعة (ص: ١٨٩)، والحُجَّة (٢/ ٣٧٩)، والتَّيسير (ص: ٨٢).

(٧) ليست في (ر). وفي (ف)، و(م): للإحياء.

وقَـرأَ الأعْمَـشُ: «نَنشُـزُهَا» بفتْـحِ النُّـونِ ورَفْـعِ الشِّـينِ مـعَ الـزَّاي[١].

وقَـرأَ الحسَـنُ، وأَبـانُ[٢]، عـنْ عَاصِـمٍ: «نَنْشُرَهَـا» بفتـح النـون مـعَ الـرَّاءِ[٣]، كأنَّـه مِـنَ النَّـشْرِ عـنِ الطَّـيِّ، فـكأنَّ المـوْتَ طوَاهَـا، والإحْيَـاءُ نشَرَهَـا[٤].

قوْلُـه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾؛ أي: بـان لـه إحيـاءُ الموْتَـى. ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قـرَأَ ابْـنُ كَثِـيرٍ، ونافِـعٌ[٥]، وأبـو عَمْـرٍو، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ: «قـالَ أَعْلَـمُ» مقطوعَـةَ الألِـفِ، مضْمُومـةَ المِيـمِ. والمَعْنـى: قـد علمـتُ مـا كنْـتُ أعْلَمُـه غيْبًـا[٦] مُشـاهدَةً.

وقـرَأَ حمْـزَةُ والكِسَـائِيُّ بِوصْـلِ الألِـفِ، وسـكُونِ المِيـمِ عـلَى معْنَـى الأَمْرِ، والاِبْتـدَاءِ، عـلَى قِراءتِهـا بكسْرِ الهمْـزَةِ[٧].

وظاهِرُ الكلامِ أنَّه أمْرٌ مِنَ اللهِ له.

---

(١) انظـر: المحرر الوجيـز (٢/ ١٨٣- ١٨٤)، وعـزاه ابـن حيـان في البحـر المحيـط (٢/ ٦٣٧) للنَّخعـي.

(٢) في (ف): قراءتان.

(٣) في (م): الزاي.

(٤) انظـر: مختـصر الشـواذ؛ لابـن خالويـه (ص: ٢٣)، وقـرأ بهـا ابـن عبَّـاس، وأبـو حَيْـوَةَ، وانظـر: البحـر المحيـط (٢/ ٦٣٧).

(٥) لم يذكر في (ف).

(٦) في الأصل: عينًا، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) انظـر: السَّـبعة (ص: ١٨٩)، والحُجَّـة (٢/ ٣٨٢- ٣٨٣)، والتَّيسـير (ص: ٨٢)، والبحـر المحيـط (٢/ ٦٤١) ونسـبها لأبي رجـاء.

وقالَ أبو عليٍّ: نزَّل نفْسَهُ منزِلَةَ غيْرِهِ فأمرَهَا وخاطَبَهَا[(١)].

وقَرأَ الجُعفيُّ عنْ أبي بكْرٍ: «قَالَ أَعْلِمْ» بكسْرِ اللَّامِ علَى معْنَى الأمْرِ بإعْلَامِ الغَيْرِ[(٢)].

قَالَ تعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قوْلُه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

فِي سبَبِ سُؤَالِه هذا[(٣)] أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُهَا: أنَّه رأَى مَيْتةً تُمزِّقُها الهَوامُّ والسِّباعُ فسأَلَ هذا السُّؤالَ، وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وقتادَةَ، والضَّحَّاكِ، وعطاءٍ الخُرَاسَانِيِّ، وابْنِ جُرَيْجٍ، ومُقَاتِلٍ.

وما الَّذي كانَتْ هذه الميْتَةُ؟

فِيه ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: كانَ رجُلًا ميِّتًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ. [٧٧/أ]

والثَّانِي: كانَ جِيفةَ حِمارٍ، قالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، ومُقَاتِلٌ.

---

(١) انظر: الحُجَّة (٢/ ٣٨٣).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ٦٤١).

(٣) في (م): سبب نزولها.

والثَّالث: كان حُوتًا ميّتًا، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّانِي: لَمَّا بُشِّرَ باتِّخاذِ الله له خليلًا، سأَلَ [اللهَ][1] هذا السُّؤالَ لِيعلَمَ صِحَّةَ البشَارَةِ، ذكَرَهُ السُّدِّيُّ عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وابْنِ عبَّاسٍ.

ورُوِي عن سعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أنَّه لَمَّا بُشِّرَ بذلِك، قالَ: ما علامَةُ ذلِك؟ قالَ: أنْ يُجِيبَ اللهُ دعاءَكَ، ويُحيِي الموْتَى بِسُؤالِكَ، فقالَ[2] هذا السُّؤالَ[3].

والثَّالث: أنَّه سأَلَ[4] ذلِك لِيُزيلَ عَوارِضَ الوَسْوَاسِ، وهذا قوْلُ عطَاءِ بْنِ أبي ربَاحٍ.

والرَّابع: أنَّه لَمَّا نازَعَهُ نُمرُودُ[5] فِي إحْياءِ الموْتَى سأَلَ ذلِك لِيرَى ما أخْبَرَ به عنِ الله ﷻ، وهذا قوْلُ محُمَّد بْنِ إسْحاقَ.

قوْلُه: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾؛ أي: أولَسْتَ قد آمنْتَ أنِّي أُحيي الموْتَى؟ وقالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: أوَلَمْ توقِنْ[6] بالخُلَّةِ؟[7].

---

(١) زيادة من (م).

(٢) في بقية النسخ: فسأل.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٢٨) من طريق عمرو بن ثابت بن هرمز، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٩٢) من طريق قيس بن مسلم، كلاهما عن سعيد بن جُبَيْر قال: بالخلة. وطريق ابن أبي حاتم أصح.

(٤) ليست في (ر).

(٥) في الأصل: «لما نازعه عارضه نمرود»، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في (ر)، و(م): تؤمن.

(٧) هو الأثر السابق.

قوْلُه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾.

«اللَّامُ» مُتعلِّقةٌ[١] بفِعْلٍ مُضمَرٍ، تقْدِيرُه: ولكنْ سألْتُكَ لِيطمَئِنَّ قلْبِي[٢]، أو أرِنِي لِيطمَئِنَّ قلْبِي[٣].

ثُمَّ فِي المعْنَى أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لِأعْلَمَ أنَّك تُجِيبُنِي إذا دعوْتُكَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: لِيزدَادَ قلْبِي يَقِينًا، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وقالَ الحسَنُ: كانَ إبْراهِيمُ عليه السلام مُوقنًا، ولكنْ ليْسَ الخَبَرُ كالمُعايَنَةِ[٤].

والثَّالث: لِيَطمَئِنَّ قلْبِي بالخُلَّةِ، رُوي عنِ ابْنِ جُبَيْرٍ أيْضًا[٥].

والرَّابع: أنَّه كان قلْبُه مُتعلِّقًا[٦] برُؤيَةِ إحْياءِ المَوْتَى، فأرَادَ: لِيَطْمَئِنَّ قلْبِي بالنَّظَرِ، قالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ[٧].

---

(١) في (م): (معلقة).

(٢) ليست في (ر)، و(ف)، و(م).

(٣) العبارة بكاملها ليست في (ج).

(٤) رواه البيهقي في الشعب كما في الدر المنثور (٢/ ٣٦)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٠٢) من طريق عباد بن منصور، قال: سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾؛ أي: ليعرف قلبي ويستيقن.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ف)، و(م): معلقًا.

(٧) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٦).

وقالَ غيرُه: كانَتْ نفْسُه تائِقةً إلى رُؤيةِ ذلِكَ، وطالِبُ الشَّيْءِ قَلِقٌ إلى أنْ يظْفَرَ بطلبتِهِ، ويدلُّ على أنَّه لم يسْأَلْ لِشكٍّ، أنَّه قالَ: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وما قالَ: هلْ تُحْيي الموْتى؟.

قوْلُه: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾.

فِي الَّذِي أُخِذَ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الحمَامَةُ، والدِّيكُ، وَالْكُرْكِيُّ، والطَّاوسُ، رَواه عبْدُ اللهِ بْنُ هُبيرَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: أنَّها الطَّاوسُ، والدِّيكُ، والدَّجاجَةُ السِّنْدِيَّةُ، والإِوَزَّةُ[٢]، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]. وفِي لفْظٍ آخرَ، رَواهُ الضَّحَّاكُ[٤] مكانَ الدَّجاجَةِ السِّنديَّةِ: الرَّأْلُ[٥]، وهوَ فرْخُ النَّعامِ.

والثَّالثُ: أنَّها أرْبعَةٌ مِنَ الشَّفانِينِ[٦]، وكانَتْ قُربانَهُم يومئِذٍ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٩٥)، من طريق عبد الله بن هبيرة، عن حنش بن عبد الله السبائي، به، بنحوه.

(٢) في (م): الطاوس، والديك الهدية، والأوزة.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٠٤) من طريق أبي روق، عن الضَّحَّاك، به.

(٤) زاد في (ر): عن ابن عبَّاس.

(٥) في الأصل: «الراك»، ومكانها بياض في (م)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) جمع شفنين: هو الذي تسميه العامة اليمام، صوته كصوت الرباب، وفيه تحزين. انظر: حياة الحيوان؛ للدميري (٢/ ٥٣).

والرَّابـع: أنَّهـا الطَّـاوسُ، والنَّـسرُ، والغُـرابُ، والدِّيـكُ، نُقِـل عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١] أيْضًـا[٢].

والخامـس: أنَّهـا الدِّيـكُ، والطَّـاوسُ، والغُـرابُ، والحـمَامُ، قالَـهُ عِكْرِمَـةُ، ومُجَاهِـدٌ، وعطـاءٌ، وابْـنُ جُرَيْـجٍ، وابْـنُ زَيْـدٍ.

والسَّـادس: أنَّهـا دِيـكٌ، وغُـرابٌ، وبَـطٌّ[٣]، وطَـاوسٌ[٤]، رَواه ليْـثٌ عـنْ مُجَاهِــدٍ[٥].

والسَّابع: أنَّها الدِّيكُ، والحمَامةُ، والبطَّةُ، والغُرابُ، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

وقـالَ عطَـاءٌ الخُرَاسَـانِيُّ: أوْحَـى اللهُ إليْـهِ أنْ خُـذْ بَطَّـةً خـضْرَاءَ، وغُرَابًـا أسْـوَدَ، وحمَامـةً بيْضَـاءَ، ودِيـكًا أحْمـرَ[٦].

قوْلُه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

---

(١) من قوله: «والرَّابع»... إلى هنا، ليس في (ف).

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ٢٥٣).

(٣) في (ف): بطة.

(٤) ليست في (ف).

(٥) مـا وقفـت عليـه هـو مـا رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٦٣٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٧٠٣) مـن طريـق شـبل، عـن ابـن أبي نجيـح، عـن مُجَاهِـد قـال: الديـك والطـاوس والغـراب والحـمام.

(٦) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ٢٥٤).

قَـرَأَ الجُمهـورُ بضَـمِّ الصَّـادِ، والمعنـى: أملهـن إليـك، يقـال: صُرت الـشيء فانصـار؛ أي: أملتـه فـمال[١]، وأنشـدوا [من البسيط]:

اللهُ يَعْلَـمُ أَنَّـا فِي تَلَفُّتِنَـا[٢] يَـوْمَ الْفِـرَاقِ إِلَى جِيرَانِنَـا صُـورُ[٣]

[٧٧/ ب] فمعْنَى الكلامِ: اجْمَعْهنَّ إليْكَ.

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ فِيـه إضْـمارُ قطِّعهُـنَّ؛ [لأنَّـه يـدُلُّ عليْـهِ][٤].

قـالَ ابْـنُ قُتيْبَـةَ: أضْمَـرَ «قَطِّعهُـنَّ»، واكْتَفَـى بقوْلِـه: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ مِـنْ قوْلِـه: «قَطِّعهُـنَّ» لأنَّـه يـدُلُّ عليـه، وهـذا كـما تقـولُ: خُـذ[٥] هـذَا الثَّـوْبَ، واجْعـلْ عـلَى كُلِّ رُمْـحٍ عنْـدَكَ مِنـه علَـمًا -تُريـد[٦]:

---

(١) ليست في (ج)، و(ف).

(٢) في الأصل: تقلبنا، والمثبت (ت)، و(ج)، و(ف)، وجاء شطر البيت في (م) هكذا: «الله يعلم أنا فرقنا في تلقنا».

(٣) البيت بلا نسبة في كتاب فيه لغات القرآن؛ للفراء (ص: ٥١)، والمخصص؛ لابن سيده (١٢/ ١٠٣)، الخصائص؛ لابن جني (١/ ٤٢)، والبصائر والذخائر؛ لأبي حيان (٥/ ١٦١)، ولسان العرب (٤/ ٤٧٤).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ف): يريد.

قَطِّعْهُ- وافْعَلْ ذلِكَ[١].

وقَرَأَ أبو جَعْفَرٍ، وحَمْزَةُ، وخلَفٌ، والمُفَضَّلُ، عن عَاصِمٍ «فَصِرهُنَّ» بكسْرِ الصَّادِ[٢]. قالَ اليَزِيديُّ: هُما واحِدٌ. وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الكسْرُ والضَّمُّ لُغتانِ[٣].

قالَ الفرَّاءُ: أكثَرُ العرَبِ علَى ضَمِّ الصَّادِ، وحدَّثَني الكِسائِيُّ أنَّه سَمِعَ بعْضَ بَنِي سُليم يقُول: صِرْتُه، فأنَا أَصِيرُهُ[٤].

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥]، ووَهْبٍ[٦]، وأبي مالِكٍ[٧]، وأبي الأسْوَدِ الدُّؤلِيِّ، والسُّدِّيِّ[٨]، أنَّ معْنى المكسُورةِ الصَّادِ: قَطِّعْهُنَّ.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٦).

(٢) ذكر ابن قُتَيْبَةَ في غريب القرآن (ص: ٩٦) أنَّها لغة ثانية، وقرأ بها أصحاب عبدالله، ويعقوب برواية رويس، كما في المبسوط (ص: ١٥١)، والبحر المحيط (٢/ ٦٤٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٦).

(٤) انظر: لغات القرآن (ص: ٤٠). في الأصل: أصير، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧١١) من طريق سعيد بن جُبَيْر، وابن جرير الطَّبري من طريق أبي جمرة، وكذلك ابن أبي حاتم (٢٧٠٨)، وابن جرير الطَّبري، من طريق علي بن أبي طلحة به، ثلاثتهم عن ابن عبَّاس، بنحوه به، ولفظ سعيد: هي نبطية فشققهن.

(٦) لم يذكر في (ج).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٤٠) من طريق حصين، به.

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٤٢) من طريق أسباط بن نصر، به.

ورُوي عنْ أبي عُبيدةَ أنَّه قالَ: معْناه بالضَّمِّ اجْمَعْهُنَّ، وبالكسْرِ قَطِّعْهُنَّ.

قوْلُه: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: معْناهُ: اجْعَلْ علَى كُلِّ جبَلٍ مِنْ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُنَّ جُزءًا[١].

ورَوى عوْفٌ عنِ الحسَنِ قالَ: ذَبحهُنَّ ونتَّفهُنَّ، ثُمَّ قَطَّعَهُنَّ أعْضاءً، ثُمَّ خلَطَ بيْنَهُنَّ جميعًا، ثم جزَّأَها أرْبعةَ أجْزاءٍ، ووَضعَ[٢] علَى كُلِّ جبَلٍ جُزءًا، ثُمَّ تنحَّى عنْهُنَّ، فدَعاهُنَّ، فجعَلَ يعْدُو كُلُّ عُضوٍ[٣] إلَى صاحِبِهِ حتَّى اسْتوَيْنَ كما كُنَّ، ثُمَّ أتَيْنَهُ يسْعَيْنَ[٤].

وقالَ قتادَةُ: أمْسَكَ رُؤُوسَها بيدِهِ، فجعَلَ العَظْمُ يذْهَبُ إلى العَظْمِ، والرِيشَةُ إلى الرِّيشَةِ[٥]، والبَضْعَةُ إلى البَضْعَةِ، وهو يرَى ذلِك، ثُمَّ دَعاهُنَّ، فأَقْبَلْنَ علَى أرْجُلِهِنَّ يَلْقَى كُلُّ طَائرٍ رأسَهُ[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٦).

(٢) في (م): وجعل.

(٣) في (ت): عدوًّا.

(٤) رواه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (٢/ ٣٥-٣٦) بلفظ أطول. وفي (ت): ليسعين.

(٥) سقطت من (ج).

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٥) عن معمر، به، ومن طريقه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٤٠)، وابن أبي حاتم (٢٧١٤). ورواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٤٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

وفي عددِ الجبالِ الَّتي قسمهُنَّ(١) **عليْهَا قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه قسَّمهُنَّ علَى أربعةِ أجْبُلٍ(٢)، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وقتادَةُ. ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: جعَلَهُنَّ أربعَةَ أجْزاءٍ فِي أرْبَاعِ الأرْضِ(٣)، كأنَّه يعْنِي جِهاتِ الإنْسانِ(٤) الأرْبَعَ(٥).

والثَّانِي: أنَّه قسَّمَهُنَّ سبْعَةَ أجْزَاءٍ علَى سبْعَةِ أجْبُلٍ(٦)، قالَهُ ابنُ جُرَيْجٍ، والسُّدِّيُّ.

قوْلُه: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾.

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقال: عَدْوًا(٧)، ويُقالُ: مشْيًا علَى أرْجُلِهِنَّ، ولا يُقال للطَّائِرِ إذا طارَ(٨): سَعَى(٩).

---

(١) في (ت): قطعن.

(٢) في (ف): أجبال.

(٣) في (م): اجعلهن أربعة أقوال في أربعة أجزاء.

(٤) في (ف): الأرض.

(٥) انظر: أثر عبد الله بن عبَّاس السابق.

(٦) في (ف): أجبال.

(٧) في (م): دعا.

(٨) قوله: «إذا طار»، ليس في (م).

(٩) انظر: غريب القرآن (٩٧).

﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾[(١)]؛ أي: مَنِيعٌ[(٢)] لا يُغلَبُ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُدبِّر.

وزعَم مُقَاتِلٌ أنَّ هذه القِصَّةَ جرَتْ لإبراهيمَ بالشَّامِ قبلَ أن يكُونَ له ولَدٌ، وقبلَ نُزولِ الصُّحُفِ[(٣)] عليه، وهو ابنُ خمسٍ وسبعِينَ[(٤)] سنةً[(٥)].

قالَ تعالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

حُدِّثنا عن[(٦)] ثعلبٍ أنَّه قالَ: إنَّما المثَلُ -والله أعلمُ- للنَّفقةِ، لا للرِّجالِ، ولكنَّ العربَ إذا دلَّ المعنَى على ما يُريدُونَ، حذفُوا؛ مثلُ قولِه: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، فأضمرَ «الحُبَّ»؛ لأنَّ المعنَى معلومٌ، فلذلك هاهُنا أرادَ: مثلُ نفقةِ الَّذين يُنفِقُونَ ونحوُ هذا [القولِ][(٧)] قولُه: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ

(١) في (ر): والله أعلم أن الله عزيز.

(٢) في (ج): ممتنع.

(٣) في (ت): الصحيف.

(٤) في الأصل: «خمسة وسبعون»، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢١٩).

(٦) ليست في (م).

(٧) زيادة من (م).

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١٨٠]. يُريد: بُخل الباخلين[١] فحذف البُخلَ[٢].

وفي المُراد بـ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدُهما: أنّه الجِهادُ.

والثّاني: أنّه جميعُ[٣] أبوابِ البرِّ.

قالَ[٤] أبو سُليمان الدِّمشقِيُّ: والآيةُ مَرْدُودةٌ علَى قوْلِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقد أَعْلَم اللهُ ﷻ بضَرْبِ هذا المَثَلِ، أنَّ الحسنَةَ فِي النَّفقَةِ فِي سَبيلِهِ تُضاعَفُ بسبعِمائةِ ضِعْفٍ. [٧٨/أ]

وقالَ الشَّعبيُّ: نفقةُ الرَّجُلِ علَى نفسِهِ وأهْلِ بيْتِهِ تُضاعَفُ بسبعِمائةِ ضِعْفٍ[٥].

[قالَ ابنُ زيْدٍ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يزِيدُ علَى السَّبْعِمائةِ][٦].

قوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) قوله: «يريد بخل الباخلين»، ليس في (ت).

(٢) انظر: غريب الحديث؛ للخطابي (١/ ١٩١).

(٣) في (ف): سائر.

(٤) ليست في (ت).

(٥) العبارة بكاملها ليست في (م).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من بقية النسخ.

قَالَ ابْنُ السَّائِبِ[١]، ومُقَاتِلٌ[٢]: نزلَتْ فِي عُثمانَ بْنِ عفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نفَقَتِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وشِرَائِهِ بئْرَ رُومَةَ، رَكِيَّةً[٣] بالمدينَةِ، تصدَّقَ[٤] بِهَا علَى المُسلمينَ[٥]، وفِي عبدِ الرَّحمنِ بْنِ عوْفٍ حينَ تَصدَّقَ بأرْبعَةِ آلافِ[٦] دِرهَمٍ، وكانَتْ نِصْفَ مالِهِ.

وأمَّا المَنُّ ففِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه المَنُّ علَى الفقِيرِ؛ مِثلُ أنْ تقُولَ: قدْ أحْسَنْتُ إليْكَ ونعشْتُكَ، وهوَ قوْلُ الجُمهورِ.

والثَّانِي: أنَّه المنُّ علَى اللهِ بالصَّدقةِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ مدَحهُمُ [الله][٧] بتَرْكِ المَنِّ. ووَصَفَ نفْسَهُ بالمَنَّانِ؟

فالجَوابُ: أنَّه حرْفٌ مِنَ الأضْدَادِ[٨] يُقَالُ: مَنَّ فلانٌ علَى فُلانٍ؛ إذَا أنْعَم عليْه، فهذَا المَمْدُوحُ، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٨٧) عن الكلبي، وانظر: العجاب (١/ ٦٢١).

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢١٩).

(٣) جمع: ركايا، وتُجمع أيضًا على ركي، بحذف التاء: وهي البئر.

(٤) في (م): صدق.

(٥) في (ر): المساكين.

(٦) في الأصل: «ألف»، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) زيادة من (ف).

(٨) قوله: «حرف من الأضداد»، ليس في بقية النسخ.

فَمُنِّـي عَلَيْنَـا بِالسَّـلَامِ فَإِنَّـمَا كَلَامُـكِ يَاقُـوتٌ وَدُرٌّ مُنَظَّـمُ[١]

أَرَادَ بِالمَنِّ: الإِنْعَامَ.

وأَمَّـا الوجْـهُ المذْمُـومُ، فهـوَ أنْ يُقَـالَ: مَـنَّ فُـلانٌ عـلَى فُـلانٍ؛ إذا اسْـتعْظَمَ مَـا أعْطَـاه، وافْتَخَـر بذلِـكَ، قـالَ الشَّـاعِرُ [فِي ذلِـكَ][٢] [مـن الطويـل]:

أَنَلْـتَ قَلِيـلًا ثُـمَّ أَسْرَعْـتَ مِنَّـةً فَنَيْلُـكَ مَمْنُـونٌ كَـذَاكَ قَلِيـلُ[٣]

ذكَرَ ذلِكَ[٤] أبو بكرٍ الأَنْبَارِيُّ.

وفِي الأَذَى قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه مُواجَهـةُ الفَقِـيرِ بـِمَا يُؤْذِيـه؛ مِثْـلُ أنْ يقُـولَ لـه: أنْـتَ أبـدًا فَقِـيرٌ، وقـد بُلِيـتُ بِـكَ، وأَرَاحَنِـي اللهُ مِنْـكَ.

---

(١) البيت بلا نسبة في الزاهر (١/ ٦٥)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٤/ ٤٠٨).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٣) البيـت نسـبه أبـو جَعْفَـرٍ الطرابلـسي في المجمـوع اللفيـف (ص: ٢١٦) لابـن ميـادة، وهـو الرمـاح بـن أبـرد مـن ثوبـان الذبيـاني، شـاعر رقيـق هجّـاء مـن مخضرمـي الدولتـين الأمويـة والعبّـاسي. وهـو بـلا نسـبة في الزاهـر (٢/ ٣٤٥)، والأضـداد (ص: ١٥٦).

(٤) في (ت)، و(ف)، وحاشية الأصل: هذا.

والثَّـانِي: أنَّـه[١] يُخـبِرُ بإحْسَـانِه إلى الفقِـير، مَـنْ يكـرَهُ الفقِـيرُ[٢] إطْلاعَـهُ عـلَى ذلِـك.

وكِلا القوْلَـيْنِ يُـؤذي الفقِـيرَ وليْـسَ ذلـك[٣] مِـن صِفَـةِ المُخلصِـينَ فِي الصَّدقَـةِ.

ولقـد حُدِّثنَـا عـنِ حَسَّـانَ بْـنِ أبي سِـنان[٤] أنَّـه كانَ يشْـتَرِي أهْـلَ البيْـتِ[٥]: الرَّجُـلَ وعِيالَـهُ، ثُـمَّ يُعتقُهُـم جمِيعًـا، ولا يَتعـرَّفُ إلَيْهِـم، ولا يُخبرُهُـم مَـنْ هـوَ.

قَالَ تعَـالَى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقـرة: ٢٦٣، ٢٦٤].

---

(١) في (ف): أن.

(٢) ليست في (م).

(٣) ليست في (ر).

(٤) هـو حسَّـان بـن أبي سـنان أبـو عبـد الله البـصري، أحـد العبَّـاد الزُّهَّـاد صحـب الحسـن البـصري، قـال البخـاري: كان مـن عبَّـاد أهـل البـصرة. انظـر: تاريـخ الإسـلام (٣/ ٣٩٥).

(٥) ليست في (ج).

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾؛ أي: قـوْلٌ [معْروفٌ][١] جمِيـلٌ للفقِـيرِ، مثْـلُ أنْ يقُـولَ لـه: يُوسِّـعُ اللهُ عليْـكَ. ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾؛ أي: سَـتْرٌ[٢] عـلَى المُسـلم خَلَّتَـهُ وفاقَتَـهُ، وقِيـلَ: أرَادَ بالمغْفِـرَة: التَّجـاوُزَ عـنِ السَّـائِلِ إنِ اسْـتطالَ عـلَى المَسْـؤُولِ وقْـتَ ردِّهِ. ﴿خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى﴾ وقـد سـبَقَ بَيَانُـه.

قوْلُـه: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾؛ أي: لا تُبْطِلُـوا ثوابَهَـا، كـمَا بطَـلَ[٣] ثـوَابُ صدَقَـةِ المُرائِـي الَّـذِي لا يُؤمِـنُ بـالله، وهـوَ المُنافِـقُ.

﴿فَمَثَلُهُۥ﴾؛ أي: مثَـلُ نفقَتِـهِ. ﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾ قـال ابْـنُ قُتَيْبَـةَ: الصَّفـوَانُ: الحجَـرُ، و«الوَابِـلُ»[٤]: أشَـدُّ المَطَـرِ، و«الصَّلْـدُ»: الأمْلَـسُ[٥]. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: «الصَّفْـوَانُ»: الحَجَـرُ الأمْلَـسُ، وكذلِـكَ الصَّفـا[٦][٧]. وقـالَ ثعْلَـبٌ: «الصَّلْـدُ»: النَّقِـيُّ.

---

(١) زيادة من (ج)، و(ف).

(٢) في (ج): يستر.

(٣) في (ت)، و(ف): يبطل.

(٤) في (م): قالوا بل.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٧).

(٦) في (ج): «الصغار»، وليست في (م).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٧).

ورُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، وقتـادَةَ[٢] ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا﴾ قـالَا: ليْـسَ علَيْـهِ شَيْءٌ.

وهـذَا مَثَـلٌ ضَرَبَـهُ اللهُ تعـالى للْمرائِـي بِنفَقَتِـه، لا يَقْـدِرُ يـوْمَ القِيامَـةِ عـلَى ثـوَابِ شيْءٍ ممَّـا أنْفَـقَ.

قَالَ تعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ [البقـرة: ٢٦٥].

قوْلُـه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: طَلَبًـا لِرِضَـاهُ[٣].

وفِي معْنَى التَّثْبيتِ قوْلَانِ: [٧٨/ ب]

أحدُهمـا: أنَّـه الإنْفـاقُ عـنْ يَقِـينٍ وتصْدِيـقٍ، وهـذا قـوْلُ الشَّـعْبِيِّ، وقتـادَةَ، والسُّـدِّيِّ فِي آخرِيـنَ.

والثَّـاني: أنَّـه التَّثْبِيـتُ لِارْتِيـادِ[٤] محـلِّ الإنْفـاقِ، فهُـم ينْظُـرُونَ أيْـنَ يضَعُونَهَـا، وهـذَا قـوْلُ الحسَـنِ، ومُجَاهِـدٍ، وأبي صالِـحٍ.

---

(١) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٦٦٧) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٧٤٩) مـن طريـق الضَّحَّـاك، كلاهمـا عـن ابـن عبَّـاس بنحـوه.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٦٦٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٣) في (ف): لمرضاته.

(٤) في الأصل: لإرشاد، والمثبت من بقية النسخ.

قوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾.

«الجنَّةُ»: البُسْتَانُ.

وقَرَأ مُجَاهِدٌ، وحُميدٌ، وعَاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ «حبَّةٍ»[١] بالحَاءِ[٢].

و«الرَّبوة»: ما ارتفع.

وقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عَمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ «بِرُبوةٍ» بِضَمِّ الرَّاءِ[٣][٤]. وقَرَأَ عاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، بفتْحِ الرَّاءِ. وقَرأَ الحسَنُ، والأعْمَشُ، بكسْرِ الرَّاءِ[٥]. وقَرَأَ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبُو رَزِينٍ «برَبَاوَةٍ»[٦]، بأَلِفٍ، وفتْحِ الرَّاءِ[٧]. وقَرأَ أُبَيُّ بنُ كعْبٍ، والجَحْدَرِيُّ كذلِك، إلَّا أنَّهما ضمَّا الرَّاءَ[٨].

---

(١) في (ر): جنة.

(٢) عن مُجَاهِد في مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٣)، وإعراب القراءات الشاذة؛ للعكبري (ص: ٢٧٨) وقال: وهو تصحيف بعيد عن المعنى، وعن عاصم في البحر المحيط (٢/ ٦٦٧).

(٣) قوله: «بضم الراء»، ليس في (م).

(٤) انظر: السَّبعة؛ لابن مُجَاهِد (ص: ١٩٠)، والحُجَّة؛ للفارسي (٢/ ٣٨٥)، والمبسوط (ص: ١٥١).

(٥) وفي مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، والبحر المحيط (٢/ ٦٦٨) عن ابن عبَّاس.

(٦) في (ج): بزيادة.

(٧) وكذلك الأشهب العقيلي، والفرزدق كما في مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، والبحر المحيط (٢/ ٦٦٨).

(٨) وكذلك ابن أبي إسحاق كما في مختصر الشواذ (ص: ٢٣)، وأبو جَعْفَرٍ، وأبو عبد الرحمن كما في البحر المحيط (٢/ ٦٦٨) قال المهدوي: وربوة: بفتح الراء، وضمها، وكسرها، لغات في المكان المرتفع. اهـ. التحصيل (١/ ٥٩٤).

وكذلِك خِلافُهم في المَوْضِعَيْنِ[١].

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: رَبْوَةٌ ورِبْوَةٌ ورُبْوَةٌ ورَبَاوَةٌ[٢]: المَوْضعُ المُرتفِعُ مِنَ الأرْضِ، إذا كانَ لَه مَا يُروِيهِ مِنَ الماءِ، فهوَ أكثَرُ رَيْعًا مِنَ السُّفْلِ[٣].

وقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الرُّبْوَةُ: الارْتِفَاعُ، وكُلُّ شيْءٍ ارْتَفَعَ[٤] وزَادَ؛ فقدْ رَبَا، ومِنْهُ الرِّبا فِي البَيْعِ[٥].

قوْلُه: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾.

قَرأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ: «أُكْلَهَا»، والأُكْل بسُكونِ الكافِ حيْثُ[٦] وقَعَ[٧]، ووَافقَهما أبو عَمْرٍو، فِيما أُضِيفَ إلى مُؤنَّثٍ؛ مثْلُ: «أُكُلها»، فأمَّا ما أضيفَ إلى مذكَّرٍ[٨] مثلَ: أُكلهِ؟ أو كانَ غيْرَ مُضافٍ إلى مَكْنِيٍّ: مِثْلُ: ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سبأ: ١٦] فثقَّله أبو عَمْرٍو.

---

(١) في (ف)، و(م): المؤمنين.

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٨).

(٤) قوله: «وكل شيء ارتفع»، ليس في (م).

(٥) انظر: لغات القرآن (ص: ٤٥).

(٦) في (ف): أين.

(٧) في (م): كان.

(٨) من قوله: «مثل أكلها»... إلى هنا، ليس في (ر).

وقَرَأ عاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ جميع ذلِكَ مُثقَّلًا[١].

والمعنى: آتت ثمرها[٢]. ﴿ضِعْفَيْنِ﴾؛ أي: مِثْلَيْنِ.

فأمَّا «الطَّلُّ» فقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هوَ أضْعَفُ المَطرِ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: هوَ المَطَرُ الدَّائِمُ، الصِّغَارُ القَطْرِ الَّذِي لا تَكادُ تَسِيلُ مِنْه[٤] المثَاعِبُ[٥].

قالَ ثعْلَبٌ: وهذَا لفْظُ مُستقبَلٍ وهوَ لِأَمْرٍ ماضٍ، فمعْنَاه: فإنْ لم يكُنْ أصَابَهَا وَابِلٌ فطَلٌّ، ومعْنَى هذا المثَلِ: أنَّ صاحِبَ هذِه الجنَّةِ لا يَخِيبُ، فإنَّها إنْ[٦] أصابَهَا الطَّلُّ حَسُنَتْ، وإنْ أصَابَهَا الوَابِلُ أضْعَفتْ، فكذلِكَ نفَقَةُ المُؤمِنِ المُخْلِصِ.

و«البَصِيرُ»: مِنْ أسْمَاءِ الله تعالى، معْنَاه: المُبْصِرُ. قالَ الخَطَّابِيُّ: هو فَعِيلٌ بمَعْنَى مُفْعِلٍ[٧]؛ كقَوْلِه: أَلِيمٌ بمَعْنَى مُؤلِمٍ[٨].

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٠)، والحُجَّة (٢/ ٣٩٤)، والمبسوط (ص: ١٥١).

(٢) في (ت)، و(ف)، و(م): أكلها: ثمارها. وفي (ج): أي: ثمرها.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٧).

(٤) في (م): يكاد سيل عنه.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٨). والمثاعب: جمع مثعب بفتح الميم، وبالثاء المُثَلَّثَة وَفِي آخِره بَاء مُوَحدَة: مسيل المَاء.

(٦) ليست في (ر).

(٧) في (ج): مفعول.

(٨) انظر: شأن الدعاء (ص: ٦٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٦].

قوْلُه: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾.

هذه الآيةُ مُتَّصلَةٌ بقوْلِه: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾.

ومعْنَى ﴿أَيَوَدُّ﴾: أَيُحِبُّ.

وإنَّما ذكَرَ النَّخِيلَ والأَعْنابَ؛ لأنَّه مِنْ أنْفَسِ ما يَكُونُ فِي[1] البَساتِينِ، وخصَّ ذلِك بالكَبِيرِ؛ لأنَّه قد يَئِسَ مِن سَعْيِ الشَّبابِ فِي أكْسابِهِم.

قوْلُه: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾؛ أي: ضِعافٌ، وإذَا ضَعُفَتِ الذُّرِّيَّةُ كانَ أحْنَى علَيْهِم، وأكْثَرَ إشْفَاقًا[2].

﴿فَأَصَابَهَآ﴾ يعْنِي: الجنَّةَ ﴿إِعْصَارٌ﴾ وهي رِيحٌ شَدِيدةٌ، تَهُبُّ بِشِدَّةٍ، وتَرْفَعُ[3] إلى السَّماءِ تُرابًا، كأنَّه عمُودٌ. قالَ الشَّاعِرُ:

---

(١) في (ف): من.

(٢) في (ت): شفاقًا.

(٣) في (ت)، و(ف): فترفع.

إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا[١]

أي: لَاقَيْتَ أَشَدَّ مِنْكَ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ جازَ فِي الكلامِ أن يكونَ[٢] له جنَّةٌ فأصَابَهَا، [ولمْ][٣] يَقُلْ[٤]: فيُصِيبُهَا؟ أفيَجُوزُ أنْ يُقالَ: أتَوَدُّ أنْ تُصِيبَ مالًا، فضَاعَ، والمُرادُ: فيَضِيعُ؟

فالجواب: أنَّ ذلك جائزٌ فِي «وَدِدْتُ»؛ لأنَّ العرَبَ تلقَّاهَا مَرَّةً بـ«أنْ»، ومَرَّةً بـ«لو»، فيقُولُون: وَدِدْتُ لو ذَهبْتَ عنَّا، وَوَدَدْتُ أنْ تذْهبَ عنَّا، قالَهُ [٧٩/أ]
الفرَّاء[٥]، وثعْلَبُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) هو مثل يُضرب عند العرب للرَّجل يلقى قِرْنه في النَّجدة والبسالة، ينظر: جمهرة الأمثال (١/ ٣١)، ومجمع الأمثال (١/ ٣٠)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٣٧٣).

(٢) في (ف): تكون.

(٣) سقطت من الأصل، وهي ثابتة في بقية النسخ.

(٤) في (ر): يكن.

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ١٧٥).

فَصْلٌ

وهـذِه الآيـةُ مَثـلٌ ضَربَـهُ اللهُ تعـالى فِي الحَسْرةِ بسَـلْبِ النِّعمـةِ عنْـدَ شِـدَّةِ الحاجـةِ.

وفِيمَنْ قُصِدَ به ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه مَثَـلٌ للَّـذي يُخْتـمُ لـه بالفَسـادِ فِي آخِـرِ عُمـرِه، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه مَثَلٌ للْمفرِّطِ فِي طاعَةِ اللهِ حتَّى يمُوتَ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالـث: أنَّـه مَثَـلٌ للْمرائِـي فِي النَّفقَـةِ، ينْقَطِـعُ عنْـهُ نفْعُهَـا أحْـوَجَ مـا يكـونُ إليْـهِ، قالَـهُ السُّـدِّيُّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقـرة: ٢٦٧].

قوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾.

فِي سببِ نُزولِهَا قوْلَانِ:

أحدُهـا: أنَّ الأنْصـارَ كانُـوا إذا جـذُّوا[1] النَّخْـلَ، جـاءَ كلُّ رَجُـلٍ بـشيْءٍ

---

(١) كـذا بالأصـل، و(م)، وفي بقيـة النسـخ: جـدوا. الجـذاذ بضـم الجيـم وكسرهـا، والجـداد بفتح الجيـم وكسرهـا، بمعنـى القطـع، ومنـه: جـد النخـل؛ أي: صرمـه؛ أي: قطـع ثمـره. وكذلـك جـذ النخـل جـذًّا، وجـذاذًا: صرمـه؛ أي: قطـع ثمـره.

مِـنْ ذلِـك فعَلَّقَـهُ فِي المسْـجِدِ، فيـأكُلُ مِنْـه فُقـراءُ المُهاجِريـنَ، وكانَ أُنـاسٌ مِمَّـنْ[1] لا يَرْغَـبُ فِي الخَيْرِ يجِـيءُ أحدُهُـم بالقِنْـوِ فيـهِ الحشَـفُ والشِّيصُ[2]، فيُعلِّقُـه، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ. هـذَا قـوْلُ الـبَرَاءِ بْـنِ عـازِبٍ[3].

والثَّـانِي: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ أمَـرَ بِـزكاةِ الفِطْـرِ، فجـاءَ رجُـلٌ بتَمْـرٍ رَدِيءٍ، فنزَلَـتْ هـذه الآيَـةُ. هـذَا قـوْلُ جابـرِ[4] بْـنِ عبْـدِ الله[5].

وفِي المُراد بهذِه النَّفقةِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها الصَّدقَةُ المَفْروضَةُ، قالَهُ عَبيدةُ[6] السَّلمانِيُّ فِي آخرينَ.

والثَّاني: أنَّها التَّطوُّعُ.

---

(١) في (ف): فيمن.

(٢) رديُّ التمر.

(٣) رواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (١٠٧٨٧)، التِّرمـذي (٢٩٨٧)، والطَّحـاوي في شرح معـاني الآثـار (٦٣٦٣)، وابـن جريـر الطَّبري في تفسـيره (٤/ ٧٠٠) مـن طريـق أبي مالـك غـزوان الغفـاري، عـن الـبراء، بنحـوه، وحسـنه التِّرمـذي، ورواه وابـن ماجـه (١٨٢٢)، والطَّـبري في تفسـيره (٤/ ٦٩٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٧٩٧- ٢٧٩٨)، والواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٨٨) وغيرهـم مـن طـرق عـن السُّـدِّي، عـن عـدي بـن ثابـت الأنصـاري، عـن الـبراء، بنحـوه.

(٤) في (ج): (ابن عبَّاس).

(٥) رواه الحاكـم في المستدرك (٢/ ٣١١)، والواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٨٨) مـن طريـق أحمـد بـن سـهل، عـن قيـس بـن أنيـف، عـن قتيبـة بـن سـعيد، عـن حاتـم بـن إسماعيل، عن جعفـر بـن محمـد بـن الحسـين، بـن عـلي، عـن جابـر، بنحـوه، قـال الحاكـم: صحيـح عـلى شرط مسـلم، ووافقـه الذهـبي.

(٦) في (ج): (عبيد).

وفِي المُراد بالطَّيِّب هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه الجيِّدُ الأنفسُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي[1]: أنَّه الحلَالُ، قالَهُ أبو مَعقِلٍ فِي آخَرِينَ.

قوْلُـه: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾؛ أي: لا تَقْصُدُوا. والتَّيمُّمُ فِي اللُّغـة: القَصْـدُ. قـالَ ميْمُـونُ بْـنُ قيْـسٍ الأعْشَـى[2] [من المتقارب]:

تَيَمَّمْـتُ قَيْسًـا وَكَـمْ دُونَـهُ مِـنَ الْأَرْضِ مِـنْ مَهْمَـهٍ ذِي شَـزَن

وفِي الخَبِيثِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الرَّدِيءُ، قالَهُ الأكْثَرُونَ، وسبَبُ الآيَةِ يدُلُّ عليْهِ.

والثَّانِي: أنَّه الحَرَامُ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

قوْلُه: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: لـو كانَ بعْضُكُـم يطْلُـبُ مِـنْ بعْـضٍ حَقًّـا لـه، ثُـمَّ

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) ميمـون بـن قيـس الأعشـى مـن شـعراء الجاهليـة، وقـد أدرك الإسـلام في آخـر عمـره، والبيـت مـن قصيدتـه التـي أثنـى فيهـا عـلى قيـس بـن معـد يكـرب الكنـدي، وهـو في ديوانـه (١٦)، وتفسـير الطَّـبري (٤/ ٦٩٨)، والشـعر والشـعراء (١/ ٢٥٠)، وطبقـات فحـول الشـعراء (١/ ٥٢). ومهمـه: الفـلاة المقفـرة البعيـدة، لا مـاء بهـا ولا أنيـس، والشـزن والشـزونة: الغلـظ مـن الأرض.

قضَاهُ[١] ذلِك، لم يأخذْهُ إلَّا أنْ يرَى أنَّه قدْ أغمض عنْ بعْضِ حقِّهِ[٢].

وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أصْلُ هذا أنْ يَصْرِفَ المرْءُ بصَرَهُ عنِ الشَّيْءِ، ويُغمِضَهُ،[٣] فسُمِّي التَّرخُّصُ إغْماضًا، ومِنه قوْلُ النَّاسِ للبائِعِ: غَمِّضْ[٤]؛ أي: لَا تَسْتَقْصِ، وكُن كأنَّك لا تُبْصِرُ[٥].

وقالَ غيْرُه: لما كان الرَّجلُ إذَا رَأَى[٦] ما يكْرَهُ غمَّضَ[٧] عيْنَيْهِ[٨]، لئلَّا يرَى جَمِيعَ ما يكْرَهُ جُعِلَ التساهلُ والتَّجاوُزُ[٩] فِي كُلِّ شيْءٍ إغْماضًا.

قوْلُه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: لم يأمرْكُم بالتَّصدُّق عن عوَزٍ، لكنَّه لِاخْتِبارِكُم[١٠]،

---

(١) في (ف): فقضاه.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٤/ ٧٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٣) زاد في (ف): فقال ابن قُتَيْبَةَ.

(٤) في (ف): أغْمِضْ.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٨).

(٦) سقطت من (ف).

(٧) في (ت)، و(ف): أغمض.

(٨) في (م): عليه.

(٩) في (ت)، و(ف)، و(م): التجاوز والمساهلة.

(١٠) في الأصل: باختياركم. وفي الحاشية: في نسخة: بلى أخباركم، وكذلك في بقية النسخ: بلى أخباركم، والمثبت من معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٣٥٠).

فهو حميدٌ على[1] ذلك. يُقال: قد غَنِيَ زيدٌ[2]، يَغْنَى غِنًى، مقصورًا؛ إذا استغْنَى، وقد غَنِيَ القومُ: إذا نزلوا في مكانٍ يُغنيهم، والمكانُ الَّذي يَنْزِلُونَ فيه[3] مَغْنًى. والغَوَانِي: النِّساءُ، قِيل: إنَّما سُمِّينَ بذلك؛ لأنَّهن غَنِينَ بجَمَالِهنَّ، وقيل: بأزْوَاجِهنَّ[4][5].

فأمَّا «الحميدُ» فقالَ الخَطَّابِيُّ: هو بمَعْنى المحْمُودِ، فَعِيل بمَعْنَى مَفْعُول[6].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩].

قوْلُه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾.

[٧٩/ب] قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: وَعَدْتُه أَعِدُه[7] وَعْدًا وعِدَةً[8] ومَوْعِدًا ومَوْعِدةً ومَوْعُودًا، ويُقال: الفَقْرُ، والفُقْرُ. ومعْنى الكلامِ: يحمِلُكُم على أنْ تُؤدُّوا

(١) في (ج): غني عن. وهو ما وضعه ناسخ الأصل فوق الكلمتين.

(٢) لم يذكر في (م).

(٣) في (ت)، و(ف)، و(م): ينزلونه.

(٤) في (ت): بأرواحهن.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٠).

(٦) انظر: شأن الدعاء (ص: ٧٨).

(٧) ليست في (م).

(٨) ليست في (م).

فِي الصَّدقَاتِ مِنَ الرَّدِيءِ، يُخوِّفُكُم الفقرَ بإعْطَاءِ الجَيِّدِ. ومعْنَى: ﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾؛ أي: بالفقْرِ، وحُذفتِ البَاءُ[1]. قالَ الشَّاعِرُ[2] [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الخَيرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ[3]

وفِي الفَحْشاءِ قوْلَانِ:

أحدُهما: البُخلُ.

والثَّانِي: المَعَاصِي.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: واللهُ يَعِدُكُم مغْفِرَةً لِفَحْشَائِكُم، وفضْلًا فِي الرِّزقِ[4].

قوْلُه: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾.

فِي المُراد بهذِه[5] الحِكمَةِ أحدَ عشَرَ قوْلًا:

---

(١) في (ر): الياء.

(٢) وهو عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وكان من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية، وأدرك الإسلام، والبيت في ديوانه (ص ٦٣)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٣٥١)، والشعر والشعراء (١/ ٣٦٠)، والكتاب (١/ ٣٧)، وشرح شواهد المغني (ص: ٧٢٧)، وخزانة الأدب (٩/ ١٢٤).

(٣) في (م): نسب.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨١٦- ٢٨١٩) من طريق الحسن بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عِكْرِمَة، به، بنحوه.

(٥) ليست في (م).

أحدُها: أنَّها القرآنُ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، ومُقَاتِلٌ في آخَرِينَ.

والثَّاني: معْرفَةُ ناسِخِ القُرآنِ، ومنسُوخِه، ومُحْكَمِهِ، ومُتَشابِهِه، ومُقدَّمِه، ومُؤخَّرِهِ، ونحوِ ذلِك، رَواه علِيُّ بْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: النُّبوَّةُ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: الفَهْمُ فِي القُرآن، قالَهُ أبو العالِيةِ، وقتادةُ، وإبْرَاهِيمُ.

والخامس: العِلْم والفِقْهُ، رَواه لَيْثٌ عنْ مُجَاهِدٍ.

والسَّادس: الإصَابَةُ فِي القوْلِ، رَواه ابْنُ أبي نَجِيحٍ عنْ مُجَاهِدٍ.

والسَّابع: الوَرَعُ فِي دينِ اللهِ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّامن: الخَشْيةُ مِنَ اللهِ[1]، قالَهُ الرَّبيعُ بْنُ أَنَسٍ.

والتَّاسع: العَقلُ فِي الدِّينِ[2]، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والعاشر: الفَهْمُ، قالَهُ شَرِيكٌ.

والحَادِي عشَرَ: العِلْم والعَمَلُ، لا يُسَمَّى الرَّجُلُ حَكِيمًا حتَّى يجمَعَهُمَا، قالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ[3].

---

(١) في (ت): الحسنة لله.

(٢) في (ف): والدين. وفي حاشية الأصل: في نسخة: في أمر الله. ومن قوله: «قاله الحسن» .. إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٢).

قوْلُه: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

قَرَأَ يعْقُوبُ بكَسْرِ تَاءِ «يُؤْتِ»، وَوَقَفَ علَيْهَا بِهَاءٍ[1]. والمَعْنَى: ومَنْ يُؤتِه اللهُ الحِكمةَ. وكذلِكَ هِيَ فِي قِراءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِهَاءٍ[2] بعْدَ التَّاءِ[3][4].

قوْلُه: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: أيْ: ومَا يُفكِّر فِكرًا يَذْكُر بِه ما قُصَّ مِن آياتِ[5] القُرآنِ إِلَّا ذَوُو العُقُولِ[6].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿أُوْلُوا﴾ بمعْنَى: ذَوُو، وَواحِدُ «أُولُو» «ذُو»،[7] و«أُولَاتُ» «ذَاتُ»[8].

---

(١) مكانها بياض في (م).

(٢) في (م): وبهاء.

(٣) في (ج): الياء.

(٤) وهي قراءة الأعمش أيضًا، كما في مختصر شواذ القرآن (ص: ٢٤)، والبحر المحيط (٢/ ٦٨٥).

(٥) زاد في (ج) هنا لفظ الجلالة: (الله)، وهو غير مثبت في كلام الزجاج في المعاني.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٢).

(٧) من قوله: «العقول»... إلى هنا، ليس في (م).

(٨) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧٠، ٢٧١].

قوْلُه: ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾.

«النَّذرُ»: مَا أوْجَبَهُ الإنْسَانُ علَى نفْسِه[١]، وقد يكُونُ مُطلقًا، ويكونُ مُعلَّقًا بشرْطٍ. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ قَالَ مُجاهِدٌ: يُحصِيه[٢]. وقَالَ الزَّجَّاجُ: معْناهُ يُجازى عليْهِ[٣].

وفِي المُراد بالظَّالِمِينَ هاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّهمُ المُشركونَ، قالَهُ مُقَاتِلٌ.

والثَّانِي: المُنفِقُون بالمنِّ والأذى والرِّياء، والمُنْذِرُونَ[٤] فِي المعْصِيةِ، قالَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

و«الأنْصَارُ»: المَانعُون. فمعناه: ما لهم مَانِعٌ يمنعُهُم مِنْ عذابِ اللهِ.

قوْلُه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾.

---

(١) من قوله: (ذات)... إلى هنا، ليس في (ف).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٤١) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٢).

(٤) في (ف)، و(م): والمنذِّرون.

قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ قالُوا: يا رسُولَ الله! صدَقةُ السِّرِّ أفْضَلُ، أمْ [صدَقةُ][1] العلانِيَةِ؟ فنزَلَتْ هذه الآيةُ[2].

قالَ الزَّجَّاجُ، يُقالُ: بدَا الشَّيْءُ يبْدُو؛ إذا ظهَرَ، وأبْدَيتُهُ إبْداءً[3]؛ إذا أظْهَرتَهُ، وبدَا لِي بُداءٌ؛ إذا تغَيَّرَ رَأْيِي[4] عمَّا[5] كانَ عليْهِ[6].

وقوْلُه: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

فِي «نِعِمَّ» أرْبعُ لُغاتٍ:

- «نَعِم» بفتْحِ النُّونِ، وكسْرِ العَيْنِ، مِثْلُ: عَلِمَ.
- و«نِعِم» بكسْرِهِما.
- و«نَعْم» بفتْحِ النُّونِ، وتسْكِينِ العَيْنِ.
- و«نِعْم» بكسْرِ النُّونِ، وتسْكِينِ العَيْنِ.

فأمَّا قوْلُه: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) ابن السَّائب هو: الكلبي، وقد أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٨٩) بلا إسناد.

(٣) ليست في (م). وقوله: «إذا ظهر، وأبديته إبداء»، ليس في (ج).

(٤) في (ج): وأي.

(٥) في (ج): كما.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٣).

[٨٠/أ] قَـرأ نافِعٌ فِي [غـيْرِ][(١)] رِوايـةِ «ورْشٍ»، وأبـو عَمْـرٍو، وعَاصِـمٌ فِي رِوايـةِ أبِي بكـرٍ، والمُفَضَّـلِ: «فنِعْـمَا»، بكَـسْرِ النُّـونِ، والعـيْنُ سَـاكِنةٌ.

وقَـرأ ابْـنُ كَثِـيرٍ، وعاصِـمٌ فِي رِوايـةِ حفْـصٍ، ونَافِـعٌ فِي رِوايـةِ «ورْشٍ»، ويعْقُـوبُ «[فنِعِـمَّا]»[(٢)] بكَـسْرِ النُّـونِ والعـيْنِ.

وقَـرأ ابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ والكِسَـائِيُّ، وخلَـفٌ: «فنَعِـمَّا» بفتْـحِ النُّـونِ، وكَـسْرِ العـيْنِ، وكُلُّهـم شـدَّدُوا[(٣)] المِيـمَ[(٤)].

وكذلِك خِلافُهم فِي سُورة «النِّساءِ».

قـالَ الزَّجَّـاجُ: «مَـا» فِي تأويـلِ الـشَّيءِ؛ أي: فنِعْـمَ الـشَّيْءُ هـيَ[(٥)]. وَقـالَ أبـو عـلِيٍّ: نِعْـمَ الـشَّيْءُ [شَـيْئًا][(٦)]: إبدَاؤُهَـا[(٧)].

قوْلُه: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني الإخفاء.

---

(١) زيادة من بقية النسخ، وفي حاشية الأصل: في نسخة: غير.

(٢) زيادة من (ت)، و(ف)، و(م).

(٣) في (ف): شدَّد.

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٠- ١٩١)، والحُجَّة (٢/ ٣٩٥- ٣٩٦)، والتَّيسير (ص: ٨٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٤).

(٦) مـن (ج). حُـذِفَ الإبْـداءُ، وأُقِيـم المَكْنـيُّ مقامَـه، أَعْنِـي: هِـيَ، فـ(مَـا) حينَئِـذٍ نَكِـرَة؛ قالَـهُ ابنُ فـارِس. انظر: تـاج العـروس (٤٠/ ٤٩٠).

(٧) انظر: الحُجَّة (٢/ ٣٩٩).

واتَّفقَ العُلماءُ علَى أنَّ إخفاءَ الصَّدقةِ النَّافلةِ أفْضلُ مِن إظْهارِهَا، وفِي الفرِيضَةِ قولَانِ:

أحدُهما: أنَّ إظْهَارَها أفْضلُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ فِي آخَرِينَ. واخْتارَهُ القَاضِي أبو يعْلَى. قالَ الزَّجَّاجُ: كانَ إخْفاءُ الزَّكاةِ علَى عهْدِ رسُولِ اللهِ ﷺ، أحْسَنَ، فأمَّا اليوْمَ، فالنَّاسُ يُسِيئُونَ[١] الظَّنَّ، فإظْهارُهَا أحْسَنُ[٢].

والثَّاني: إخْفاؤُها أفْضَلُ، قالَهُ الحسَنُ، وقتادَةُ، ويزِيدُ بْنُ أبي حَبِيبٍ.

وقد حمَلَ أرْبَابُ القوْلِ الأوَّلِ الصَّدَقاتِ فِي الآيَةِ علَى الفَرِيضةِ، وحمَلُوا ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا﴾ علَى النَّافِلةِ، وهذا[٣] قوْلٌ عَجِيبٌ.

وإنَّما فُضِّلتْ صَدَقةُ السِّرِّ لِمعْنَيينِ:

أحدُهما: يرْجِعُ إلى المُعْطِي، وهو بُعْدُه عنِ الرِّياءِ، وقرْبُه مِنَ الإخْلَاصِ، والإعْرَاضِ عمَّا تُؤثر النَّفسُ مِنَ العلانيةِ.

والثَّانِي: يرْجِعُ إلى المُعْطَى، وهوَ[٤] دفْعُ الذُّلِّ عنْهُ بإخْفَاءِ الحالِ؛ لأنَّه فِي العلانِيةِ ينْكَسِرُ.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾.

---

(١) في (ت)، و(ف): مسيئون.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٤).

(٣) في (ر): (وهو).

(٤) من قوله: (من إظهارها، وفي الفريضة قولان)... إلى هنا، ليس في (م).

قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ «ونُكَفِّرُ» بالنُّون وبالرَّفعِ، والمَعْنَى[1]: ونحْنُ نكفِّر عنْكُم[2]، ويجوزُ أن يكُونَ مُستأنَفًا.

وقَرأ نافِعٌ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «ونُكَفِّرْ» بالنُّونِ وجزْمِ الرَّاءِ[3].

قالَ أبو علِيٍّ: وهذَا علَى حمْلِ الكلامِ علَى موْضِعِ قوْلِه: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لأنَّ قوْلَه: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في موْضعِ جزْمٍ، ألَا ترَى أنَّه لو قالَ: وإنْ تُخْفُوها يكُنْ أعْظَمَ لأجْرِكُم؛ لجَزَمَ، ومِثْلُه: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠]، حمَلَ قولَهُ: و«أكُنْ»[4] علَى موْضِع «فأصَّدَّق»[5].

وقَرأ ابْنُ عامِرٍ: «ويُكفِّرُ» بالياءِ والرَّفعِ، وكذلِكَ حفْصٌ عنْ عَاصِمٍ علَى الكنايةِ عنِ اللهِ ﷻ[6].[7]

وقَرأ أبانُ عنْ عاصِمٍ، «وتُكَفَّرْ» بالتَّاءِ المرْفُوعةِ، وفتْحِ الكافِ معَ إسْكَانِ الرَّاءِ[8].

(١) ليست في (م).

(٢) ليست في (م).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ١٩١)، والتَّيسير (ص: ٨٤).

(٤) في (ج) في الموضعين: ولكن.

(٥) انظر: الحُجَّة (٢/ ٤٠١).

(٦) قوله: «على الكناية عن الله»، ليس في (م).

(٧) انظر: السَّبعة (ص: ١٩١)، والتَّيسير (ص: ٨٤).

(٨) وانظر: التحصيل؛ للمهدوي (١/ ٥٦٩)، والبحر المحيط (٢/ ٦٩١).

قوْله: ﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

فِي «مِن» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها زائدةٌ.

والثَّانِي: أنَّها داخِلَةٌ للتَّبْعِيضِ.

قـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقيُّ: ووجْـهُ الحِكمَـةِ فِي ذلِـك أنْ يكـونَ العِبـادُ عـلَى خـوْفٍ ووَجَـلٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ [البقـرة: ٢٧٢].

قوْلُه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ المُسـلِمينَ كَرِهُـوا أنْ يَتصدَّقُـوا(١) عـلى أقْرِبائِهِـم مِـنَ المُشركِـينَ، فنزلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، هـذا قـوْلُ الجُمهـورِ(٢).

والثَّـانِي: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قـالَ: «لَا تَصدَّقُـوا(٣) إِلَّا عَـلَى أَهْـلِ دِينِكُـمْ» فنزَلَـتْ

---

(١) فِي (ف): يُصدَّقُوا.

(٢) هـو قـول ابـن عبَّـاس، وسـعيد بـن جُبَيْر، والكلبـي وغيرهـم، انظـر: العجـاب (١/ ٦٣٠)، وأسـباب النـزول للواحـدي (ص: ٨٩).

(٣) ضبط الكلمة فِي (ف) هكذا: تُصدِّقُوا.

هـذه الآيـةُ قالَـهُ سَـعِيدُ بْـنُ جُبَـيْرٍ(١).

و«الخَيْرُ» فِي الآيَةِ أُرِيد بِه المَالُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقَاتِلٍ.

[٨٠/ب] ومعْنَى ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: فلَكُم ثوَابُهُ.

قوْلُه: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾.

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: هـذَا خـاصٌّ لِلمُؤمِنـينَ، أعْلَمَهُـم [اللهُ](٢) أنَّـه قـد عَلِـم أنَّ مُرادَهُـم مـا عِنـدَه، وإذَا أعْلَمَهُـم بصِحَّـةِ قصْدِهِـم؛ فقَـدْ أعْلَمَهُـم بالجـزَاءِ عليْـهِ(٣).

قوْلُه: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾؛ أي: تُوفَّونَ أجرَهُ.

ومعْنَـى الآيَـةِ: ليْـسَ عليْـكَ أن يهْتَـدُوا فتَمْنَعَهُـمُ(٤) الصَّدقَـةَ ليدْخُلُـوا فِي الإسْـلامِ فـإنْ تصدَّقْتُـم عليْهِـم أُثِبْتُـم، والآيـةُ محْمُولـةٌ عـلَى صدَقَـةِ التَّطـوُّعِ؛ إذْ لَا يجـوزُ أنْ يُعْطَـى الكافِـرُ مِـنَ الصَّدقَـةِ المفْرُوضَـةِ شـيْئًا.

---

(١) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ١٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٨٥٣) وغيرهمـا مـن طريـق الأشـعث بـن إسـحاق، عـن جعفـر بـن أبي المغـيرة، عـن سـعيد، مرسـلًا: أنَّـه كان يأمـر بـألا يصـدق إلا عـلى أهـل الإسـلام، حتـى نزلـت هـذه الآيـة: ليـس عليـك هداهـم إلى آخرهـا، فأمـر بالصَّدقـة بعدهـا عـلى كل مـن سـألك، مـن كل ديـن. وفي روايـة ابـن أبي حاتـم موصـولًا بذكـر ابـن عبَّـاس، وانظـر: أسـباب النـزول (ص: ٨٩)، والعجـاب (١/ ٣٦٠).

(٢) زيادة من (ت)، و(ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٥).

(٤) في (ف): فتمتنعوهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣، ٢٧٤].

قوْلُه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟﴾.

لَمَّا حثَّهم علَى الصَّدقاتِ والنَّفقاتِ، دلَّهُم علَى خيرِ مَنْ تُصُدِّقَ عليْهِ. وقدْ تقدَّم تفسِيرُ الإحْصارِ عنْدَ قوْلِه: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وفِي المُراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم أهْلُ الصُّفَّةِ حبَسُوا أنْفُسَهم[1] علَى طاعَةِ اللهِ ﷻ، ولم يكُنْ لهُم شيْءٌ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، ومُقَاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّهم فُقراءُ المُهاجِرينَ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالثُ: أنَّهم قوْمٌ حبَسُوا أنْفُسَهُم[2] علَى الغزْوِ، فلا يقْدِرُونَ علَى الاكْتِسابِ، قالَهُ قتَادةُ.

والرَّابعُ: أنَّهم قوْمٌ أصابَتْهُم جِراحَاتٌ معَ النَّبيِّ ﷺ، فصَارُوا زَمْنَى. قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، واخْتَارَهُ الكِسَائِيُّ، وقالَ: أُحْصِرُوا مِنَ المرَضِ، ولو أرَادَ الحبْسَ، لَقالَ: حُصِرُوا، وإنَّما الإحْصارُ مِنَ الخوْفِ، أوِ المرَضِ. والحَصْرُ: الحَبْسُ فِي غيْرِهما.

(١) ليست في (ر).

(٢) ليست في (ج).

وفي ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قولانِ:

أحدُهما: الجِهادُ.

والثَّانِي: الطَّاعةُ.

وفِي الضَّرْبِ[١] فِي الأرْضِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الجِهادُ لم يُمكنهم لفقْرِهم، نُقِلَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: الكسْبُ، قالَهُ قتادَةُ.

وفِي الَّذِي منَعَهُم مِن ذلِكَ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: الفَقرُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أمْراضُهُم، قالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّالِثُ: الْتِزامُهُم بالجِهادِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢].

قوْلُه: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ﴾.

قَرأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عَمْرٍو، والكِسَائِيُّ[٣]: «يَحْسِبُهُم» و«يَحْسِبَنَّ»[٤] بكسْرِ السِّينِ فِي جمِيعِ القُرآنِ.

---

(١) في (ت): القرب.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٦).

(٣) ليست في (ف).

(٤) في الأصل: تَحسِبُهم، ويَحْسِبُهُم، والمثبت من بقية النسخ.

وقَـرأ ابْـنُ عامِـرٍ، وعاصِـمٍ، وحمْـزَةُ، [وأبـو جَعْفَـرٍ][(١)] بفتْـحِ السِّـينِ في الـكُلِّ[(٢)].

قـالَ أبـو عـليٍّ: فتْـحُ السِّـينِ أقْيَـسُ؛ لأنَّ المـاضِيَ إذا كانَ عـلَى «فَعِـلَ»، نحـو: حَسِـبَ؛ كان المُضـارِعُ عـلَى «يَفْعَـل»؛ مِثْـلُ: فَـرِقَ يَفْـرَقُ[(٣)]، وشَرِبَ يَـشْرَبُ، والكَـسْرُ حَسَـنٌ لِموضِـعِ السَّـماعِ[(٤)][(٥)].

قـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـةَ: لم يُـرِدِ الجهْـلَ الَّـذِي هـوَ ضِـدُّ العقْـلِ، إنَّـما أرَادَ الجَهْـلَ الَّـذِي هـوَ ضِـدُّ الخـبْرةِ، فكأنَّـه [قـالَ][(٦)]: يَحسِـبُهم مَـن لَا[(٧)] يُخْـبرُ أمرَهُـم[(٨)].

و«التعفُّفُ»: ترْكُ السُّؤالِ، يُقال: عفَّ عنِ الشَّيْءِ وتعَفَّفَ.

و«السِّيما»: العَلامَةُ الَّتِي يُعرَفُ بِهَا الشَّيْءُ، وأَصْلُه مِنَ السِّمَةِ[(٩)].

---

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ١٩١)، والتَّيسير (ص: ٨٤)، والمبسوط (ص: ١٥٤).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر): السمع.

(٥) انظر: الحُجَّة (٢/ ٤٠٣).

(٦) زيادة من (ر)، و(ج)، و(ف).

(٧) في (ر): ولا.

(٨) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٨).

(٩) في (ج): السومة.

وفي المُراد بِسيماهُم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: تجمُّلُهم، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: خُشوعُهم، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالث: أثَرُ الفقْرِ[1] علَيْهم، قالَهُ السُّدِّيُّ، والرَّبيعُ بْنُ أنَسٍ.

وهذَا يدُلُّ على أنَّ للسِّيما حُكمًا يتعلَّق بِهَا.

قالَ إمَامُنا أحمَدُ ﷺ في الميِّتِ يُوجد في دارِ الحرْبِ، ولا يُعرَف أمْرُه: يُنظَرُ إلَى سِيماهُ، فإنْ كانَ عليْهِ سِيمَا الكُفَّارِ مِنْ عدَمِ الخِتانِ، حُكِمَ لَهُ [٨١/أ] بِحُكمِهِم، فلَمْ يُدفنْ في مقَابِرِ المُسلمينَ، ولم يُصلَّ عليْهِ، وإنْ كانَ علَيْه سِيمَا المُسلِمينَ حُكِمَ لَه بِحُكمِهِم[2].

فأمَّا «الإلحَافُ»: فهو الإلحَاحُ، قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقال: أَلحَفَ فِي المَسألَةِ: إذَا أَلَحَّ[3].

وقالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى أَلحَفَ: شَمِل بالمسْأَلة، ومِنه اشْتِقاقُ اللِّحافِ؛ لأنَّه يشْمَلُ الإنْسانَ بالتَّغطيةِ[4].

فإنْ قِيل: فهَلْ كانُوا يسْألُون غيْرَ مُلحِفينَ؟

---

(١) في (ر): القول.

(٢) انظر: الشرح الكبير على المقنع (٢/ ٣٥٨).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٧).

فالجَوابُ: أنْ[١] لَا، وإنَّما معْنَى الكلامِ: أنَّه لم يكُنْ مِنْهُم سُؤالٌ، فيكُونُ إلْحافٌ. قالَ الأعْشَى[٢] [من البسيط]:

لَا يَغْمِزُ[٣] السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعَضُّ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[٤][٥]

معْناه: ليْس بسَاقِه أينٌ ولا وصبٌ، فيَغْمِزُهَا[٦] لذلِك.

قالَ الفرَّاءُ: ومِثْلُه أنْ تقُولَ: قَلَّ مَا رأيْتُ مِثْلَ هذَا الرَّجُلِ، ولعلَّك لم تَرَ قَلِيلًا ولا كثيرًا مِن أشْبَاهِهِ، فهُم لا يسْألُون النَّاسَ إلْحافًا، ولا غيْرَ إلْحافٍ[٧].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) زاد في (ف) هنا بخط مغاير: الباهلي.

(٣) في الأصل: لا يغمر. والمثبت من (ت)، و(ج)، و(ف)، والمصادر.

(٤) في الأصل: الظفر. وفي (ج): الصقر. والمثبت من (ت)، و(ف) والمصادر.

(٥) البيت لأعشى باهلة، واسمه: عامر بن الحارث، انظر: جمهرة أشعار العرب (ص: ١٣٥- ١٣٧) من قصيدة يقولها في أخ له، اسمه: المنتشر، قتله بنو الحارث بن كعب وقطعوه إربًا إربًا، وهو في: الأضداد؛ لابن الأنباريِّ (ص: ١٣٠)، والزاهر (١/ ٢٥٥)، والكامل (٤/ ٥٥)، ولسان العرب (٥/ ١١١) (قفر)، والغميزة: العيب، وليس في فلان غميزة؛ أي: ما فيه ما يُغمز فيُعاب به ولا مطعن. والأين: الإعياء والتعب، والشُّرسوف: أطراف أضلاع الصَّدر التي تُشرف على البطن. والصَّفر: دابة تعضُّ الضُّلوع والشَّراسيف، وقيل الصَّفر هاهنا الجوع.

(٦) في الأصل: فيغمرها، والمثبت من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٧) انظر: غريب القرآن (١/ ٥٩).

وإلَى نحْوِ هذَا ذهَبَ الزَّجَّاجُ[١]، وابْنُ الأنْبارِيِّ فِي آخرِينَ.

قوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾.

اخْتلَفُوا فِيمَنْ نزَلَتْ علَى ثلاثَةِ[٢] أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ فِي الَّذِين يرْتَبِطُونَ الخيْلَ فِي سَبِيل الله ﷻ، رَواهُ حَنَشٌ[٣] الصَّنْعانِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤]، وهوَ قوْلُ أبي الدَّرْداءِ، وأبي أُمامةَ، ومكْحُولٍ، والأوْزَاعِيِّ فِي آخرِينَ.

والثَّانِي: أنَّها نزَلَتْ فِي [أمِيرِ المُؤمِنِينَ][٥] علِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ ﷺ، فإنَّه كانَتْ معَهُ أرْبعَةُ[٦] دراهِمَ، فأنْفَقَ باللَّيْلِ دِرهمًا وبالنَّهارِ دِرهمًا، وفِي السِّرِّ دِرْهمًا، وفِي العلانِيةِ دِرهمًا، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٧]، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٧).

(٢) في (ج): أربعة.

(٣) في الأصل: حسين، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) رواه عبد بن حميد كما في العجاب (١/ ٦٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٨١) من طريق قيس بن حجاج، به، بنحوه.

(٥) من (ف).

(٦) ليست في (ر).

(٧) رواه الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢٦٩)، وابن مردويه كما في العجاب (١/ ٦٣٤) من طريق أيوب، عن مُجاهد، به. ورواه الطبراني في الكبير (١١١٦٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٩١) من طريق عبد الوهاب بن مُجاهد، عن أبيه، عن ابن عبَّاس، بنحوه. وعبد الوهاب بن مُجاهد ضعيف، وانظر: العجاب (١/ ٦٣٤)، وأسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٩١- ٩٢).

وابْـنُ السَّـائِبِ، ومُقَاتِـلٌ(١).

والثَّالثُ: أنَّها نزَلَتْ فِي علِيٍّ وعبْدِ الرَّحمنِ بْنِ عوْفٍ، فإنَّ عليًّا بعثَ بوَسْقٍ مِنْ تمْرٍ إلى أهْلِ الصُّفَّةِ ليْلًا وبعثَ عبدُ الرَّحمنِ إليهم(٢) بدَنَانيرَ كثِيرَةٍ نهَارًا، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾.

«الرِّبَا»: فِي اللُّغةِ(٤): الزِّيَادةُ، ومِنه الرَّبوةُ والرَّابِيةُ، وأرْبَى فُلانٌ على فُلانٍ: زَادَ.

وهـذَا الوَعِيدُ يشْمَلُ الأكْلَ(٥)، والعامِلَ(٦) بِه، وإنَّما خصَّ الأكْلَ بالذِّكْرِ؛ لأنَّه مُعْظَمُ المقْصُودِ. وقدْ صَحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه: «**لَعَنَ آكِلَ الرِّبَا**

---

(١) جاءت العبارة في (ت) هكذا: رواه مُجَاهِداً وابن السَّائباً ومُقَاتِل.

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢٧٢) من طريق جويبر، عن الضَّحَّاك، به بنحوه.

(٤) زاد في (ج)، و(ف): أصله، وضرب عليها في الأصل.

(٥) في (ف): يشتمل على الأكل.

(٦) في (ت)، و(ف): المعامل.

وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَيهِ وَكَاتِبَهُ»[١].

قوله: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾.

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أي: يوْمَ البَعْثِ مِنَ القُبورِ[٢].

و«المسُّ»: الجنُونُ، يُقالُ: رجُلٌ ممْسُوسٌ. فالنَّاسُ إذا خَرجُوا مِنْ قُبورِهم أسْرَعُوا كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]. إلَّا أكلَةَ الرِّبا، فإنَّهم[٣] يقُومُونَ ويسْقُطُونَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى أرْبَى الرِّبا في بطُونِهم يوْمَ القِيامَةِ حتَّى أثْقلَهُم، فلا يقدِرُونَ علَى الإسْرَاعِ.

وقالَ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: تلْكَ علامَةُ آكِلِ الرِّبا إذَا اسْتحَلَّه يوْمَ القِيامَةِ[٤].

قوْلُه: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: هذا الَّذي ذُكِر مِن عِقابِهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾، وقِيلَ: إنَّ ثَقِيفًا كانوا أكْثَرَ العرَبِ رِبًا، فلمَّا نُهوا عنْهُ قالُوا: إنَّما هوَ مِثْلُ البيعِ.

قوْلُه: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾.

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٨) من حديث أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، بلفظ: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٨).

(٣) من قوله: «أسرعوا»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٨٨) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عطاء بن دينار، به، بنحوه.

قَالَ الزَّجَّاجُ: كلُّ[١] تأْنِيثٍ لَيْس بحَقِيقيٍّ، فتَذْكِيرُه جائِزٌ، ألَا تَرَى أنَّ [٨١/ ب] الوعْظَ والمَوْعِظَةَ مُعبِّرانِ عنْ معْنًى واحِدٍ؟[٢].

قوْلُه: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾؛ أي: ما أكَل مِنَ الرِّبا.

وفِي قوْلِه: ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ «الهاءَ» تَرْجِعُ إلى المُرْبِي، فتقدِيرُه: إنْ شاءَ عصَمَهُ[٣] [مِنْه][٤]، وإنْ شاءَ لم يَفعَلْ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، ومُقَاتِلٌ[٥].

والثَّانِي: أنَّها ترْجِعُ إلى الرِّبا، فمعْنَاه: يعْفُو اللهُ عمَّا شاءَ مِنه، ويُعاقِبُ علَى ما شاءَ مِنه، قالَهُ أبو[٦] سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوْلُه: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾.

قالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: مَنْ عادَ إلى الرِّبا مُسْتَحِلًّا مُحْتَجًّا بِقوْلِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٧].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٨).

(٣) قوله: «إن شاء عصمه»، ليس في (ر).

(٤) زيادة من (ج)، و(ف).

(٥) من قوله: «في الإسلام، فإن تصدقتم عليهم أثبتم»... إلى هنا، ليس في (م).

(٦) من قوله: «ترجع إلى الربا»... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٠٢) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى الصَّدَقَٰتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝٢٧٦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٦، ٢٧٧].

قوْلُه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا۟﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معنى مَحْقِه: تنْقِيصُهُ واضْمِحْلالُه، ومِنه: مُحَاقُ الشَّهرِ، لِنُقصَانِ الهِلالِ فِيه. رَوى هذَا المَعْنى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ سعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ.

والثَّانِي: أنَّه إبْطَالُ ما يكُونُ مِنه مِنْ صدَقَةٍ ونحْوِهَا[1]، روَاه الضَّحَّاكُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه: ﴿وَيُرْبِى الصَّدَقَٰتِ﴾.

قالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: يُضَاعِفُهَا[2]. و«الكَفَّارُ»: الَّذِي يُكْثِرُ فِعْلَ ما يكفرُ بهِ. وَ«الأثِيمُ»: المُتَمادِي فِي ارْتِكابِ الإثْمِ المُصِرُّ عليهِ.

---

(١) في (ف): وغيرها.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٠٩) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء، به، بنحوه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٨١].

قوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾.

فِي [سبَبِ][1] نُزولِهَا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ في بنِي عمْرِو بْنِ عُميرِ[2] بْنِ عوْفٍ مِنْ ثَقِيفٍ، وفِي بَنِي المُغِيرةِ مِن[3] بَنِي مَخْزُومٍ، وكانَ بنو المُغيرةِ يأْخُذونَ الرِّبا مِن ثَقِيفٍ، فلمَّا وضَعَ اللهُ الرِّبا، طالبَتْ ثَقِيفٌ بَنِي المُغيرةِ بما لهُم عليْهِم، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، والَّتِي بعْدَها، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

والثَّاني: أنَّها نزلَتْ فِي عُثمانَ بْنِ عفَّانَ، والعبَّاسِ، كانَا قدْ أسْلَفَا فِي التَّمْرِ، فلمَّا حضَرَ الجِدادُ[5]، قالَ صاحِبُ[6] التَّمرِ: إنْ أخذْتُما مالَكُما

(١) زيادة من (م).

(٢) في (م): عمر.

(٣) في (ف): وفي.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٢٦٦٨)، ومن طريقه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٩٣) من طريق محمد بن السَّائب الكلبي، عن أبي صالح، به، مطولًا. وإسناده ضعيف.

(٥) في (ج)، و(م): الجذاذ.

(٦) زاد في (م): الحديث.

لم يبْـقَ لي[١] ولِعِيـالي مـا يَكْفِـي، فهَـلْ لكُـما أنْ تأْخُـذَا النِّصْـفَ وأُضَعِّـفَ لَكُـما [النِّصْـفَ][٢]؟ ففَعَـلَا، فلـمَّا حَـلَّ الأجَـلُ، طلَبَـا الزِّيـادَةَ، فبلَـغَ ذلِـكَ النَّبِـيَّ ﷺ، فنهَاهُمَـا[٣]، ونزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ عَطـاءٍ، وعِكْرِمَـةَ[٤].

والثَّالِـثُ: أنَّهـا نزَلَـتْ في العبَّـاسِ وخالـدِ بْـنِ الوَلِيـدِ، وكانَـا شَرِيكَـيْنِ في الجاهِلِيَّـةِ وكانَـا يُسْـلِفَانِ في الرِّبَـا، فجـاءَ الإسْـلامُ ولهُـما أمْـوَالٌ عَظِيمـةٌ في الرِّبا، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، فقـالَ النَّبـيُّ ﷺ: «**أَلَا إِنَّ كُلَّ الرِّبَـا[٥] مِـنْ رِبَـا الْجَاهِلِيَّـةِ مَوضُـوعٌ وَأَوَّلُ رِبًـا أَضَعُـهُ رِبَـا الْعَبَّـاسِ**»[٦]. هـذا قـوْلُ السُّـدِّيِّ[٧].

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وعِكْرِمَـةُ، والضَّحَّـاكُ: إنَّـما قـالَ: ﴿مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾؛ لأنَّ كُلَّ الرِّبَـا كانَ قـدْ تُـرِكَ، فلـم يبْـقَ[٨] إلَّا رِبَـا ثَقِيـفٍ.

---

(١) في (م): يتولى.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) في الأصل: فيها هما، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٩٣).

(٥) في (ف): ربًا.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٦- ٤٩٨)، وأبو داود (٣٣٣٤)، وابن ماجه (١٨٥١- ٢٦٦٩- ٣٠٥٥)، والترمذي (١١٦٣- ٣٠٨٧)، والنسائي في الكبرى (٤٠٨٥- ١١١٤٩) وغيرهم من طريق شبيب بن غرقدة البارقي، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبيه فذكره مطولًا.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٤٩) من طريق أسباط، به. وأورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٩٤).

(٨) قوله: «فلم يبق»، ليس في (ف).

وقالَ قومٌ: الآيةُ محمولةٌ علَى مَنْ أرْبَى قبْلَ إسْلَامِهِ، وقبَضَ بعْضَهُ فِي كُفْرِه، ثُمَّ أسْلَم، فيَجِبُ عليْهِ أنْ يَتْرُكَ ما بَقِي، ويُعفَى له عمَّا مَضَى. وأمَّا المُرابَاةُ بعْدَ الإسْلامِ، فمَرْدُودةٌ فِيما قبضَ، ويَسْقُط ما بَقِي.

قوْلُه: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ﴾.

قَرأَ ابْنُ كَثِيرٍ ونافِعٌ وأبو عَمْرٍو وابْنُ عامِرٍ «فَأْذَنُوا» مقْصُورةً مفْتُوحةَ الذَّالِ.

وقَرأَ حمْزَةُ، و [أبو بكرٍ عن][1] عَاصِمٍ: «فآذِنُوا» بِمدِّ الألِفِ وكسْرِ الذَّالِ[2].

قالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأَ: «فَأْذَنُوا» بقَصْرِ الألِفِ وفتْحِ الذَّالِ، فالمَعْنَى: أيْقِنُوا. ومَنْ قرأَ بمَدِّ الألِفِ وكسْرِ الذَّالِ، فمَعْناه: أَعْلِمُوا كُلَّ مَنْ لم يتْرُكِ الرِّبا[3] أنَّه حرْبٌ[4].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُقالُ يوْمَ القِيامَةِ لِآكِلِ الرِّبا: خُذْ سِلاحَكَ [٨٢/أ] لِلْحَرْبِ[5][6].

(١) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٠- ١٩١)، والتَّيسير (ص: ٨٤)، والمبسوط (ص: ١٥٤).

(٣) ليست في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٩).

(٥) ليست في (ف).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٢٠) من طريق سعيد بن جُبَيْر، به، بنحوه.

قوْلُـه: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾؛ أي: الَّتِـي أقْرضْتُمُوهَـا[١] ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ فتأخُـذُونَ أكْثَـرَ[٢] مِنْهَـا[٣] ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ فتُنْقَصـونَ مِنها[٤].

والجُمهـورُ علَى فتْحِ تَـاءِ[٥] «تَظْلِمُـونَ»[٦] الأُولى، وضَـمِّ تـاءِ[٧] الثَّانيَـةِ. ورَوى المُفَضَّـلُ عـن عَاصِـمٍ: ضَـمُّ[٨] الأُولى، وفتـح الثَّانيـة[٩].

قوْلُه: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾.

ذكَـرَ ابْـنُ السَّـائب[١٠]، ومُقَاتِـلٌ[١١]: أنَّـه لَمَّـا نـزَلَ قوْلُـه: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ قـالَ بنُـو عمْـرِو بْـنِ عُمـير[١٢] لِبَنِـي المُغـيرةِ: هاتُـوا رُؤوسَ أمْوَالِنـا،

---

(١) في (ج): أقرضتمها.

(٢) في (م): أكبر.

(٣) قوله: «لا تظلمون: فتأخذون أكثر منها»، ليس في (ج).

(٤) ليست في (ت).

(٥) في (ج): ما.

(٦) في (م): تاء ظلمون.

(٧) ليست في (ف).

(٨) ليست في (ت).

(٩) انظـر: السَّـبعة (ص: ١٩١)، ومختـصر الشـواذ؛ لابـن خالويـه (ص: ٢٤)، وزاد في البحـر المحيـط (٢/ ٧١٦) أبـان.

(١٠) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٩٤).

(١١) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٢٨).

(١٢) في (ج): عوف.

ونـدَعُ لكُـمُ الرِّبـا، فشَـكَا بنُـو المُغـيرةِ العُـسْرَةَ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ.

فأمَّا «العُسرَةُ» فهِيَ الفقْرُ، والضِّيقُ.

والجُمهـورُ عـلى تسْـكِينِ السِّـينِ، وضمَّهـا أبـو جعْفَـرٍ هَاهُنـا، وفِي ﴿سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧][١]. وقَـرأَ الجُمهـورُ بفتْـحِ سِـينِ «الميـسرَةِ». وضمَّهـا نافِـعٌ، وتابعَـهُ زيْـدٌ عـنْ يعْقُـوبَ علَى ضَـمِّ السِّـينِ، إلَّا أنَّـه زَادَ، فكَسَرَ الـرَّاءَ[٢]، وقلَـبَ التَّـاءَ[٣] هـاءً، ووَصَلَهـا بيـاءٍ[٤].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: ومعْنَـى ﴿وَإِن كَانَ﴾[٥]: وإنْ وقَـعَ[٦]. و«النَّظِـرَةُ»: التَّأخِـيرُ.

فأمَرَهُـم بتَأْخِـيرِ رأسِ المَـالِ بعْـدَ إسْـقاطِ الرِّبـا إذَا كانَ المُطالَـبُ مُعْـسرًا، وأعْلَمَهُـم أنَّ الصَّدقـةَ علَيْـه بذلِـكَ أفْضَـلُ بقوْلِـه: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾، والأكْثَرُون علَى[٧] تشْـدِيدِ الصَّـاد، وخففَهـا عاصِـمٌ مـعَ تشْـدِيد الـدَّال[٨]، وسـكَّنَها

(١) انظر: المبسوط (ص: ١٥٤)، والبحر المحيط (٢/ ٧١٦).

(٢) في (ج): الواو.

(٣) في (ج): الياء.

(٤) في الأصل: بتاء، والمثبت من بقية النسخ. وانظر: السَّبعة (ص: ١٩٢)، والحُجَّة (٢/ ٤١٤)، والمبسوط (ص: ١٥٥).

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٩).

(٧) في (م): علم.

(٨) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٢)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٤٩).

إبْراهِيمُ بْنُ أبي عبْلَةَ مع ضَمِّ الدَّالِ فجعَلَهُ مِنَ الصِّدْقِ[١][٢].

قوْلُه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾.

قَرأَ أبو عَمْرٍو بفتْحِ تاءِ «تَرْجعُونَ»، وضمَّهَا الباقُونَ[٣].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو سعيدٍ الخدرِيُّ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعطِيَّةُ، ومُقَاتِلٌ في آخرين[٤]: هذِه آخِرُ آيةٍ نزلَتْ مِنَ القُرآنِ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وتُوفِّي رسُولُ الله ﷺ بعْدَها بأحَدٍ وثَمانِينَ يوْمًا[٥].

وقالَ ابْنُ جُرَيْجٍ[٦]: توفِّي بعْدَها بِتِسْعِ لَيالٍ[٧]. وقالَ مُقَاتِل: بسَبْعِ لَيالٍ[٨].

---

(١) في (ت): الصَّدقة.

(٢) انظر: مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٢٤).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٣)، والحُجَّة (٢/ ٤١٧)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٤٩).

(٤) تقدم عند ذكر أول ما نزل من القرآن.

(٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٣٧) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به. ومحمد بن السَّائب الكلبي ضعيف، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٦) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر. والرواية الصَّحيحة عن ابن عبَّاس هي قوله: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. رواه البخاري (٤٥٤٤).

(٦) في (م): ابن جبريل.

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ٢٩٠).

(٨) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٢٨).

[قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾؛ أي: تُعْطَى جزاءَ ما كَسَبَتْ][(١)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: يُقالُ: دَاينْتُ الرَّجُلَ؛ أي[(٢)]: عاملتُه، فأخذْتَ منه بدَيْنٍ، وأعْطَيتَه. قال الشَّاعِرُ [من الرجز]:

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ت).

(٢) في حاشية الأصل: في نسخة: إذا، وهو كذلك في بقية النسخ.

دَايَنْتُ أَرْوَى والدُّيُونُ تُقْضَى فَمَطَلَتْ[١] بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضَا

والمَعْنى: إذا كانَ لِبعضِكُم علَى بعْضٍ ديْنٌ إلى أجَلٍ مُسمًّى، فاكْتُبوهُ، فأَمرَ اللهُ تعالى بكَتْبِ الدَّينِ والإشْهَادِ حِفْظًا مِنه للأَمْوالِ وللنَّاس[٢] مِنَ الظُّلْمِ[٣]؛ لأنَّ مَنْ كانَتْ علَيْهِ البَيِّنَةُ قلَّ تحْدِيثُه لنفْسِه بالطَّمَعِ فِي إذْهَابِه[٤].

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٥]: نزَلَتْ هذِه الآيَةُ فِي السَّلَم خاصَّةً[٦].

فإنْ قِيل: ما الفَائدَةُ فِي قوْلِه: «بدَيْنٍ»، و«تَدَايَنْتُم» يكفِي عنْهُ؟

فالجَوابُ: أنَّ تَدَاينْتُم يقَعُ علَى معْنَيَيْنِ:

---

(١) في (ت): فَطلَتْ.

(٢) في (ف): واليأس.

(٣) قوله: «وللناس من الظلم»، ليس في (ت).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٠- ٣٦١)، والبيت لرؤبة بن العجاج، في: ديوانه (ص: ١٣٥)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٠٦)، وجمهرة اللُّغة (ص: ١٠٨)، والعقد الفريد (٦/ ٣٤٩)، وخزانة الآداب (١/ ٧٠). أروى: اسم المحبوبة، والمطل: مدافعة الدين.

(٥) لم يذكر في (ج).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٤٧) من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مُجاهِد، عن ابن عبَّاس، قال: السَّلم في الحنطة، في كيل معلوم إلى أجل معلوم. وفي تفسير الطَّبري: بدون ذكر مُجاهِد.

أحدهما: المُشاراةُ[١] والمُبايعَةُ والإِقْراضُ[٢].

والثَّانِي: المُجازَاةُ بالأَفْعالِ.

فالأوَّلُ يُقال فيهِ: الدَّيْنُ بفتْحِ الدَّالِ، والثَّانِي: يُقال مِنه: الدِّينُ بكسْرِ الدَّالِ، قالَ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢]؛ أي: يومَ الجزَاءِ، وأنْشَدُوا[٣] [من الهزج]:

.... دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا[٤][٥]

فدلَّ بقوْلِه: ﴿بِدَيْنٍ﴾ علَى المُراد بقوْلِه: ﴿تَدَايَنتُم﴾، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ.

فأمَّا العَدْلُ فهوَ الحقُّ. قالَ[٦] قتادَةُ: لا تدَعَنَّ حقًّا، ولا تَزِيدَنَّ باطلًا.

---

(١) أي: المُلاجَّة والمُلاحاةُ. انظر: الفائق (١/ ٢٠٣).

(٢) في (ف): الاقتراض.

(٣) هو للفند الزماني -شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان من بكر بن وائل، الفند لقب غلب عليه، شبه بالفند وهو القطعة العظيمة من الجبل، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين، وشهد حرب بكر وتغلب، وقد قارب المائة السنة فأبلى بلاء حسنًا في يوم التحالق. انظر: الأغاني (٢٤/ ٨٥).

(٤) والبيت في ديوان الحماسة بشرح التبريزي (١/ ٦)، والأغاني (٢٤/ ٨٣)، والأمالي؛ للقالي (١/ ٢٦٠). وحماسة البحتري (ص: ٥٦)، وخزانة الأدب (٣/ ٤٣١)، وسمط اللآلي (ص: ٩٤٠). وصدر البيت: وَلَمْ يَبْقَ سِوَى العُدْوانِ.

(٥) من قوله: «أي يوم الجزاء»... إلى هنا، بياض في (م).

(٦) قوله: «الحق، قال»، مكانه بياض في (م).

[٨٢/ ب] قوْلُه: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾؛ أي: لا يمْتَنِعُ أنْ يكْتُبَ كما عَلَّمَهُ اللهُ.

وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: كما علَّمه اللهُ الكِتابةَ، قالَهُ سعِيدُ بنُ جُبيْرٍ. وقالَ الشَّعْبِيُّ: الكتابةُ فرْضٌ علَى الكِفايةِ كالجِهَادِ(١).

والثَّانِي: كما أمرَهُ اللهُ بهِ مِنَ الحَقِّ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

قوْلُه: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾.

قالَ سعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ: يعْنِي المطْلُوبَ، يقُول: لِيُمِلَّ ما عليْهِ مِن حقِّ الطَّالِب علَى الكاتِبِ(٣).

﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾؛ أي: لَا ينقُصْ عنْدَ الإمْلَاءِ.

قالَ شيْخُنا أبو منْصُور اللُّغويُّ: يُقال: أَمْلَلْتُ أمِلُّ، وأَمْلَيْتُ أُمْلِي لُغتانِ: فأَمْلَيْتُ(٤) مِنَ الإمْلاءِ، وأمْلَلْتُ مِنَ المَلَلِ والمَلَالِ؛ لأنَّ المُمِلَّ(٥)

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٥/ ٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٩٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٦٦) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، به، بلفظ: يقول ليمل ما عليه الحق، على الكاتب، من حق المطلوب.

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (م): المملل.

يُطِيلُ قوْلَهُ[(١)] علَى الكاتِبِ ويُكرِّرُهُ[(٢)].

قوْلُه: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾.

فِي المُراد بالسَّفيهِ هَاهُنا أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الجَاهِلُ بالأُمُورِ، الجاهِلُ بالإمْلَاءِ، قالَهُ مُجَاهِد، وابْنُ جُبَيْرٍ.

والثَّانِي: أنَّه الصَّبيُّ والمرْأَةُ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّالث: أنَّه الصَّغيرُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ.

والرَّابع: أنَّه المُبَذِّرُ، ذكَرَهُ القاضِي أبو يعْلَى.

وفِي المُراد بالضَّعِيفِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه العاجِزُ والأخْرَسُ ومَنْ بهِ حُمْقٌ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُبَيْرٍ.

والثَّانِي: أنَّه الأحْمَقُ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ.

والثَّالث: أنَّه الصَّغِيرُ[(٣)]، ذكَرَهُ القاضِي أبو يعْلَى.

قوْلُه: ﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾.

---

(١) زاد في (ت) هنا: تعالى.

(٢) انظر: التهذيب (ملل) (١٥/ ٣٥٢)، وقال الفراء: أمللت عليه لغة أهل الحجاز وبني أسد، وأمليت لغة تميم وقيس، والياء مبدلة من اللام في القلب والإبدال (ص: ٦٠)، وأدب الكاتب (ص: ٤٨٨)، والممتع (١/ ٣٧٣).

(٣) في (ج): الضعيف.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لا يسْتَطِيعُ أنْ يُمِلَّ[١] لِعِيِّهِ[٢]. وقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: لَا يُحسِنُ أنْ يُمِلَّ ما علَيْهِ[٣]. وقَالَ القَاضِي أبو يعْلَى: هوَ المَجْنُونُ.

قوْلُه: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾.

فِي هاءِ الكنَايةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُودُ إلى الحقِّ، فتقْدِيرُه: فليملل وليُّ الحقِّ، هذا قول ابن عبَّاس، وابن جُبَيْرٍ، والرَّبيعِ بْنِ أنَسٍ، ومُقَاتِلٍ، واخْتارَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ[٤].

والثَّانِي: أنَّها تعُودُ إلَى الَّذِي علَيْهِ الحقُّ، وهذا قوْلُ الضَّحَّاكِ، وابْنِ زيْدٍ، واخْتارَهُ الزَّجَّاجُ[٥]، وعابَ قوْلَ الأوَّلِينَ، فقالَ: كيْفَ يُقبلُ قوْلُ المُدَّعى! ومَا حَاجَتُه إلَى الكتَابِ والإشْهادِ، والقوْلُ قوْلُه؟! وهذَا اخْتِيارُ القَاضِي أبي يَعْلَى[٦] أيْضًا.

و«العَدلُ»: الإنْصَافُ.

وفِي قوْلِه: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ قوْلَانِ:

---

(١) قوله: «أن يمل»، ليس في باقي النسخ.

(٢) في الأصل: «لغيه»، والمثبت من بقية النسخ؛ والأثر: رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٨٤) من طريق العوفي، عن ابن عبَّاس، بلفظ مطول.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٧٧) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء، به، بنحوه.

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٣).

(٦) في (م): وهو قول أبي يعلى.

أحدُهما: أنَّه يعْنِي الأحْرَارَ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّانِي: أهْلُ الإسْلامِ، وهذَا اخْتِيارُ الزَّجَّاجِ[١]، والقاضِي أبي[٢] يعْلَى، ويدُلُّ عليه أيضًا أنَّه خاطَبَ المُؤمِنينَ في أوَّلِ الآيةِ.

قولُه: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أرادَ: فإنْ لم يكُنِ الشَّهِيدانِ رَجُلَيْنِ ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ ولم يُرِدْ بِهِ: إن لم يُوجَدْ رجُلَانِ.

قولُه: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مِن أهْلِ الفَضْلِ والدِّينِ[٣][٤].

قولُه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

ذكَرَ[٥] الزَّجَّاجُ: أنَّ الخَلِيلَ، وسِيبَوَيْهِ[٦]، وسَائِرَ النَّحْوِيِّينَ المُوثُوقِ بعِلْمِهِم، قالُوا: معناه: اسْتشْهِدُوا امْرَأتَيْنِ[٧]؛ لأنْ[٨] تُذكِّرَ إحْدَاهُما الأُخْرَى.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٣).

(٢) في الأصل: أبو. والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٣) الآية وتفسيرها ليس في (ت).

(٤) رواه بمعناه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٤) من طريق ابن جُرَيْجٍ، عن عبد الله بن أبي مليكة، به.

(٥) في (م): قال.

(٦) الكتاب (٣/ ٥٣).

(٧) في (م): امر، وطمست بقية الكلمة.

(٨) في (ت)، و(م): لا.

ومِـنْ أجْـلِ أنْ تُذكِّـرَ إحْداهُمـا الأُخْـرَى[١].

وقَـرأ حمْـزَةُ «إِنْ تَضِـلَّ» بكَسْرِ الألِـفِ[٢]. و«الضَّـلالُ» هَاهُنـا: النِّسْـيَانُ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، والضَّحَّـاكُ[٣]، والسُّـدِّيُّ، والرَّبِيـعُ، ومُقَاتِـلٌ، وأبـو عُبيـدَةَ، وابْــنُ قُتَيْبَــةَ[٤].

فأمَّا قوْلُه: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾.

[٨٣/أ] فقَـرَأَ ابْـنُ كَثِيرٍ، وأبـو عَمْـرٍو: بالتَّخفِيـفِ مـعَ نصْـبِ الـرَّاءِ. وقَـرأ حمْـزَةُ: بالرَّفـعِ مـعَ[٥] تشْـدِيدِ الـكافِ. وقَـرأ البَاقُـونَ: بالنَّصبِ وتشْـدِيد الـكافِ[٦].

فمَنْ شدَّد أرادَ: الإذْكَارَ عنْدَ النِّسيانِ.

وفي قِراءةِ مَنْ خفَّف قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا بمعْنَـى المشـدَّدةِ أيْضًـا، هـذا قـوْلُ الجُمهـورِ. قـالَ الضَّحَّـاكُ، والرَّبِيـعُ بْـنُ أنَـسٍ، والسُّـدِّيُّ: معْنَـى القِرَاءتَـيْنِ واحِـدٌ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٤).

(٢) قولـه: «بكسـر الألـف» ليـس في (ج)؛ وانظـر: السَّـبعة (ص: ١٩٣)، والحُجَّـة (٢/ ٤١٨)، وحُجَّـة القـراءات (ص: ١٥٠).

(٣) لم يذكر في (ج).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٣)، و غريب القرآن (ص: ٩٩).

(٥) ليست في (ر).

(٦) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٣)، والحُجَّة (٢/ ٤١٨)، والمبسوط (ص: ١٥٥)، والتَّيسير (ص: ٨٥).

والثَّانِي: أنَّها بمعْنَى: تجْعَلُ شَهَادَتَهُمَا بِمَنْزِلَةِ شَهَادَةِ ذَكَرٍ، وهذا مذْهَبُ سُفيانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وحكَى الأصْمَعِيُّ عن أبي عمْرٍو نحوْهِ. واخْتَارَهُ القاضي أبو يعْلَى، وقد ردَّه جماعةٌ، منْهُم ابْنُ قُتَيْبَةَ[1].

وقالَ أبو عليٍّ: ليْس مذْهَبُ ابْنِ عُيَيْنَةَ بالقَوِيِّ؛ لأنَّهُنَّ لو بلغْنَ مَا بلغْنَ، لم تجُزْ شَهَادَتُهُنَّ إلَّا أنْ يكُونَ معَهُنَّ رجُلٌ، ولأنَّ الضَّلالَ هاهُنا: النِّسيانُ[2]، فيَنْبَغِي أنْ يُقابَلَ[3] بِما يُعادِلُه، وهو التَّذْكِيرُ[4].

قوْلُه: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾.

قالَ قتادَةُ: كانَ الرَّجلُ يطوفُ فِي الحِوَاءِ[5] العَظِيمِ، فلَا يتبَعُهُ مِنْهُم أحَدٌ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ[6].

وإلَى ماذَا[7] يكُونُ هذَا الدُّعاءُ؟

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٩٩).

(٢) في (ج): الفساد.

(٣) في (م): يقال.

(٤) انظر: الحُجَّة (٢/ ٤٢٤).

(٥) في حاشية الأصل: الحواء: الحَيُّ. أهـ. بكسر الحاء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء، والجمع الأحوية.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٩٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٢١) لعبد بن حميد.

(٧) في (ف): ما.

فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: إلى تَحمُّـلِ[1] الشَّـهادةِ، وإثْبَاتِهـا فِي الكِتَـابِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وعَطِيَّـةُ، وقتـادَةُ، والرَّبِيـعُ.[2]

والثَّـاني: إلَى إقامَتِهـا وأدائِهـا عنْـد الحُـكَّام بعْـدَ أنْ تقدَّمـتْ شـهادتُهم بِهَـا، قالَـهُ سـعِيدُ بْـنُ جُبَـيْرٍ، وطـاوسٌ، ومُجاهِـدٌ، وعِكْرِمَـةُ، وعطـاءٌ، والشَّـعبِيُّ، وأبـو مِجلَـزٍ، والضَّحَّـاكُ، وابْـنُ زيْـدٍ، ورَواه المَيمـونيُّ عـنْ أحمَـدَ بْـنِ حَنْبـلٍ[3].

والثَّالِـثُ: إلى تحمُّلِهـا وإلى أدائِهـا، رُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، والحسَـنِ، واخْتـارَهُ الزَّجَّـاجُ[4].

قـالَ القـاضِي أبـو يعْلَى: إنَّـما يلْـزَمُ الشَّـاهِدُ أنْ لا يأْبَـى إذَا دُعِـي لإقامَـةِ الشَّـهادةِ إذا لَم يُوجَـدْ مَـنْ يشـهَدُ غـيرُه، فأمَّـا إنْ كانَ قـد تحمَّلهـا جمَاعَـةٌ، لم تَتعـيَّنْ عليْـهِ، وكذلِـك فِي حـالِ تحمُّلِهـا؛ لأنَّـه فـرْضٌ عـلَى الكِفايـةِ كالجِهَـادِ، فـلا يجُـوزُ لِجميـع النَّـاسِ الامْتِنـاعُ مِنْـه.

قوْلُـه: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾؛ أي: ولا تملُّـوا ولا تضجـرُوا أن تكتبُـوا القَلِيـلَ والكَثِـيرَ الَّـذي قـد جـرَتِ العـادَةُ بتأْجِيلِـه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾[5]؛ أي: إلَى محَلِّ أجَلِـه

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من قوله: «وإثباتها»... إلى هنا، ليس في (م).

(٣) انظر: تهذيب الأجوبة؛ لابن حامد (ص: ٨٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٥).

(٥) قوله: «إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ» سقط من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أَعْدلُ ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لأنَّ الكِتابَ يُذكِّرُ الشُّهودَ جميعَ ما شَهِدُوا عليْهِ ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾؛ أي: أقْربُ ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾؛ أي: لَا[1] تَشُكُّوا ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةٌ﴾؛ أي: إلَّا أنْ تقَعَ تِجارَةٌ.

وقَرأ عاصِمٌ: «تِجَٰرَةً» بالنَّصبِ[2]، على معْنى: إلَّا أن تكونَ الأمْوالُ تِجارةً حاضِرَةً، وهيَ البُيوعُ الَّتي يَسْتَحِقُّ كُلُّ واحِدٍ منْهُما على صاحِبِه تَسْلِيمَ ما عقَدَ عليْهِ مِن جِهَتِهِ بِلا تأْجِيلٍ، فأَباحَ تركَ الكِتابِ فِيها تَوْسِعةً؛ لئلَّا يَضِيقَ علَيْهِم أمْرُ تَبايُعِهِم فِي مأْكُولٍ ومَشْرُوبٍ.

قوْلُه: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ الإشْهادُ منْدُوبٌ إليه فيما جرَتِ العَادَةُ بالإشْهاد علَيْهِ.

❁❁❁

---

(١) ليست في (ت).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٣)، والحُجَّة (٢/ ٤٦٣)، والمبسوط (ص: ١٥٥)، والتَّيسير (ص: ٨٥).

فَصْلٌ

وهـذِه الآيَـةُ تَتضمَّـنُ الأمْـرَ بإثْبَـاتِ الدَّيـنِ فِي كتـابٍ، وإثْبـاتِ شَـهادَةٍ فِي البَيْـعِ والدَّيـن.

واخْتلفَ العُلماءُ، هلْ هذا أمْرُ وُجُوبٍ، أمْ علَى وجْهِ الِاسْتِحبابِ؟

فذَهـبَ الجُمهـورُ إلى أنَّـه أمْـرُ نـدْبٍ واسْـتِحبابٍ، فعـلَى هـذا هـو مُحكَـمٌ، [٨٣/ ب]
وذهَبـتْ طائِفـةٌ إلى أنَّ الكتـابَ والإشْـهَادَ واجِبَـانِ، رُوي عـنِ ابْـنِ عُمـرَ، وأبي مُوسـى، ومُجَاهِـدٍ، وابْـنِ سِـيرينَ، وعَطـاءٍ، والضَّحَّـاكِ، وأبي قِلابـةَ، والحَكَـمِ(١)، وابْـنِ زيْدٍ.

ثُمَّ اخْتلَفَ هؤلاءِ، هلْ هذَا الحُكم باقٍ [لم يُنسخْ](٢) أمْ منْسُوخٌ؟

فذَهَب أكْثرُهُم إلى أنَّه مُحكمٌ غيْرُ منْسُوخٍ(٣).

وذهَبَـتْ طائِفـةٌ إلَى أنَّـه منْسُـوخٌ(٤) بقوْلِـه: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقـرة: ٢٨٣].

قوْلُه: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

---

(١) في الأصل: والحكمة، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (م).

(٣) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ لأبي جعفر النَّحَّاس (ص: ٢٦٦).

(٤) قوله: «وذهبت طائفة إلى أنَّه منسوخ»، ليس في (ر).

وقَرأ أبو جَعْفَرٍ[١] بتخْفِيفِ الرَّاءِ مِن «يُضارْ» وسُكونِهَا[٢].

وفِي معْنى الكلَامِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: إنَّ معناه: لا يُضارَّ بأنْ يُدْعَى وهوَ مشْغُولٌ، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجَاهِدٍ، وعِكْرِمَةَ، والسُّدِّيِّ، والرَّبِيعِ [بْنِ أنسٍ][٣]، والفرَّاءِ[٤]، ومُقَاتِلٍ[٥].

وقالَ الرَّبيعُ: كانَ أحَدُهُم يَجِيءُ إلَى الكاتِبِ[٦] فيقُول: اكْتُبْ لِي، فيقُولُ: أنا مشْغُولٌ، فيُلْزِمه، ويقُولُ: إنَّك قد أُمرتَ بالكتَابَةِ، فيُضارُّه، فلا يدَعُه، وهوَ يجِدُ غيرَهُ، وكذلِكَ يفْعَلُ بالشَّاهدِ[٧]، فنزلَتْ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[٨].

---

(١) أبو جَعْفَرٍ هو: يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة، عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعبد الله بن عبَّاس وغيرهم، وروى عنه نافع بن أبي نعيم وغيره، توفي بالمدينة سنة (١٣٠هـ). انظر: طبقات القرَّاء (٢/ ٣٨٢- ٣٨٤).

(٢) انظر: المحتسب (١/ ١٤٨)، والبحر المحيط (٢/ ٧٤١) وعن عمرو بن عبيد.

(٣) ما بين المعكوفين من بقية النسخ.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ١٨٧).

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٣٠).

(٦) في (ر): (الكتاب).

(٧) في (م): (الشاهد).

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ١١٧) من طريق أبي جعفر الرازي.

والثَّاني: أنَّ معناه: النَّهيُ للكاتِبِ أنْ يُضارَّ مَنْ يكتُبُ له بأنْ يكْتُبَ غيْرَ ما يُملُّ عليْهِ، وللشَّاهد أنْ يشْهَدَ بما لم يُسْتشهدْ عليْه[1]، هذا قوْلُ الحسَنِ، [وعَطَاءٍ][2] وطاوُسٍ، وقتادَةَ، وابْنِ زيْدٍ، واخْتارَهُ ابْنُ قُتيْبَةَ، والزَّجَّاجُ[3].

واحْتجَّ الزَّجَّاجُ على صِحَّتِه بقوْلِه: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾، قالَ: ولَا يُسمَّى مَنْ دعَا كاتِبًا لِيكتُبَ، وهوَ مشْغُولٌ، أوْ شاهِدًا فاسِقًا، إنَّما يُسمَّى مَنْ حَرَّفَ الكِتابَ[4]، أوْ كَذَبَ فِي الشَّهادَةِ، فاسِقًا[5].

والثَّالثُ: أنَّ معْنى المُضارَّةِ: امْتِناعُ الكاتِبِ أنْ يكْتُبَ، والشَّاهِدُ أنْ يَشْهَدَ، وهذَا قوْلُ عطاءٍ فِي آخرِينَ.

قوْلُه: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ يعني: المضارَّة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قوْلُه: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾.

---

(١) من قوله: (وللشاهد)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) زيادة من (م).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٦)، وغريب القرآن (ص: ١٠٠).

(٤) في (ف): الكتابة.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٦).

إنَّما خصَّ السَّفرَ؛ لأنَّ الأغْلَبَ عدَمُ الكاتِبِ والشَّاهدِ فيهِ، ومَقصُودُ الكلَامِ: إذا عَدِمْتُمُ التَّوثُّقَ بالكتَابِ والإشْهَادِ؛ فخُذُوا الرُّهُنَ[١].

قوْلُه: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾.

قَرأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، إلَّا عبْدَ الوارثِ: «فَرُهُنٌ» بضَمِّ الرَّاءِ والهاءِ مِنْ غيْرِ ألِفٍ.

وأسْكنَ الهَاءَ عبْدُ الوَارثِ، ووَجْهُه التَّخْفِيفُ.

وقرَأَ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ بكسْرِ الرَّاءِ، وفتْحِ الهاءِ، وإثْبَاتِ الألِفِ[٢].

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ مَن قَرأَ «فَرِهانٌ» أرادَ: جمْعَ رَهْنٍ، ومَنْ قَرأَ «فَرُهُنٌ» أرَادَ: جمْعَ رِهَانٍ، فكأنَّه جمْعُ الجَمْعِ[٣].

وقوْلُه: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾.

يدُلُّ علَى أنَّ مِنْ شَرْطِ لُزُومِ الرَّهْنِ القبْضَ، وقبْضُ الرَّهْنِ أخْذُه مِن رَاهِنِهِ منْقُولًا، وإنْ كانَ مِمَّا لَا يُنقَلُ، كالدُّورِ[٤] والأرضِينَ، فقبضُه تخليةُ[٥] رَاهِنه بيْنَه وبيْنَ[٦] مُرْتَهِنِه.

---

(١) قوله: «فخذوا الرهن»، ليس في (م).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٤)، والحُجَّة (٢/ ٤٤٢)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٥٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٠).

(٤) في (ج): كالوقف.

(٥) ليست في (ج).

(٦) زاد في (ج): رب.

قوْلُــه: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾؛ أي: فـإنْ وثِـقَ ربُّ الدَّيْـن بأمَانـةِ الغَريـمِ، فدفـعَ إليْـهِ مالَـهُ بغَـيْرِ كِتـابٍ ولَا شُـهودٍ، ولا رهْـنٍ، ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ [وهــو المَديــنُ] (١) ﴿أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ أنْ يخُــونَ مَــنِ ائتمنَــهُ.

وقوْلُه: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾.

قالَ السُّدِّيُّ عنْ أشيَاخِهِ: فإنَّه فاجِرٌ قلْبُه(٢).

[٨٤/أ] قـالَ القـاضِي أبـو يعْـلَى: إنَّـما أضـافَ الإثْـمَ إلَى القلْـبِ، لأنَّ المأْثَـمَ يتَعلَّـق بعَقْـدِ القلْـبِ، فكِتـمانُ الشَّـهادةِ إنَّـما هـو عقْـدُ النِّيَّـةِ لِـتَرْكِ أدائِهـا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقـرة: ٢٨٤].

قوْلُه: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾.

أمَّــا إبْــداءُ مــا فِي النَّفْــسِ، فإنَّــه العَمَــلُ بــما أضْمَــرَهُ العبْــدُ، أوِ النُّطــقُ، وهــذَا مِمَّــا يُحاسَــبُ عليْــهِ العبْــدُ، ويُؤاخَــذُ بــهِ.

فأمَّــا مَــا يُخفِيــه فِي نفْسِــه فاخْتلَــفَ العُلَــماءُ فِي المُـرادِ بالمَخفـيِّ فِي هـذِه الآيَـةِ علَـى قوْلَـيْنِ:

(١) ما بين المعكوفين زيادة من بقية النسخ.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ١٢٦) من طريق أسباط بن نصر، به.

أحدُهما: أنَّه عامٌّ فِي سائِرِ(١) المَخفيَّاتِ، وهوَ قوْلُ الأكثرِينَ.

واختلَفُوا: هل هذا الحكْمُ ثابِتٌ فِي المُؤاخذةِ أمْ منسُوخٌ؟ على قولَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه منسُوخٌ بقوْلِه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هذا قوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وأبي هُرَيْرَةَ، وابْنِ عبَّاسٍ فِي رِوايةٍ، والحسَنِ(٢)، والشَّعْبِيِّ، وابْنِ سِيرِينَ، وسعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وقتادَةَ، وعطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ، والسُّدِّيِّ، وابْنِ زيْدٍ، ومُقَاتِلٍ(٣).

والثَّانِي: أنَّه ثابِتٌ فِي المُؤاخَذَةِ علَى العُمومِ، فيُؤاخَذُ بِه مَنْ يشَاءُ، ويغْفِرُ لِمَنْ يشَاءُ، وهذا مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عُمرَ، والحسَنِ، واخْتارَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشْقيُّ، والقاضِي أبو يعْلَى.

ورَوَى ابْنُ أبي طَلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: هذِه الآيةُ لم تُنْسخْ، ولكنَّ اللهَ ﷻ إذا جمَعَ الخلائِقَ(٤)، يقُولُ لهُم: إنِّي أُخبِرُكُم بما أخْفَيْتُم فِي أنْفسِكُم ممَّا لم تَطَّلِعْ عليْهِ [أحدٌ مِنْ](٥) ملائِكتِي، فأمَّا المُؤمِنُون فيُخْبِرُهم(٦)، ويغْفِرُ لهُم ما حدَّثوا به أنْفُسَهُم، وهو قوْلُه: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ يقولُ:

(١) ليست في (ج). وفي بقية النسخ: جميع.

(٢) في (ج)، و(ف): في رواية الحسن.

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٣١)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ لأبي جعفر النَّحَّاس (ص: ٢٧٣- ٢٧٥).

(٤) ليست في (م).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٦) في (ج): فيخبرهم.

يُخْبِرُكُـم بِـه اللهُ[١]، وأمَّـا أهْـلُ الـشِّركِ والرَّيْـبِ، فيُخْبِرُهُـم بـما أخْفَـوا مِـنَ التَّكذِيـبِ وهُـوَ قوْلُـه: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[٢].

والأكْثَرُونَ علَى تسْكينِ راءِ «فيغفرْ» وباءِ[٣] «يعذبْ»، منْهُم ابْنُ كَثِيرٍ ونافِعٌ، وأبو عَمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ[٤].

وإنَّما جزمُوا لإتْباعِ هذَا علَى ما قبْلَهُ، وهوَ «يُحاسبْكم».

وقَرأَ أبو جَعْفَرٍ، وابْنُ عامِرٍ، وعاصِمٌ ويعْقُوبُ: برفْعِ الرَّاءِ، والباءِ[٥] فِيهما. فهؤلاءِ قطَعُوا الكلامَ عنِ الأوَّلِ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وقدْ ذَهبَ قوْمٌ إلى أنَّ المُحاسبَةَ هاهُنا[٦] هِيَ إطْلاعُ اللهِ العبْدَ يوْمَ القِيامةِ علَى ما كانَ حدَّث بهِ نفْسَه في الدُّنيا؛ لِيعلمَ أنَّه لم يعْزُبْ عنْهُ شيْءٌ. قالَ: والَّذي نَختارُهُ أنْ تكونَ الآيَةُ مُحكَمَةً؛ لأنَّ النَّسْخَ إنَّما يدْخُل علَى الأمْرِ والنَّهْيِ.

---

(١) قوله: «يخبركم به الله» ليس في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٦٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس، بنحوه.

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٥)، والحُجَّة (٢/ ٤٦٣)، والمبسوط (ص: ١٥٦).

(٥) قوله: «برفع الراء والباء»، مكانه بياض في (م).

(٦) قوله: «المحاسبة هاهنا»، مكانه بياض في (م).

وقد رُوي عنْ عائِشةَ أنّها قالَتْ: أمَّا مَا أعْلَنْتَ، فاللهُ يُحاسِبُكَ بِه، وأمَّا مَا أخْفَيْتَ، فمَا عُجِّلتْ لكَ بِه العُقوبةُ فِي الدُّنْيا[١].

والقوْلُ الثَّانِي: أنّه أمْرٌ خاصٌّ فِي نوْعٍ مِنَ المَخْفيَّاتِ.

ولِأرْبَابِ هذَا القوْلِ فِيه قوْلَانِ:

أحدهما: أنّه كِتمانُ الشَّهادَةِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ فِي رِوايَةٍ، وعِكْرِمَةُ، والشَّعْبِيُّ.

والثَّاني: أنّه الشَّكُّ واليَقِينُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

فعلَى هذَا المذْكُور تكُون الآيَةُ مُحكَمَةً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قوْلُه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾.

رَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ فِي «صَحِيحِيهِمَا» منْ حدِيثِ أبِي[٢] مسْعُودٍ البدْرِيِّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**الآيَتانِ منْ آخِرِ سُورةِ البَقرَةِ منْ قرَأهُما فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[٣]. قالَ أبو بكْرٍ النَّقَّاشُ: معنَاه: كفَتَاهُ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ١٤٣) من طريق الضَّحَّاك، به بنحوه.

(٢) في (ف): ابن.

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

وقيل: إنهما نزلتا على سببٍ:

وهوَ ما روَى العلاءُ عنْ أبيه(١) عن أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: لمَّا أنزلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ اشتدَّ ذلكَ على أصْحابِ النَّبيِّ ﷺ(٢)، فقالُوا: قد أُنزلتْ عليْكَ هذِه الآيةُ(٣) ولا نُطِيقُها. فقالَ: «أتُرِيدُونَ أنْ تقُولُوا كَما قالَ أهْلُ الْكِتابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ قُولُوا:(٤) سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». فلمَّا قالُوها فذلَّت بِها ألْسِنَتُهم، أنزَلَ اللهُ تعالَى فِي أثَرِها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾(٥). [٨٤/ب]

قالَ الزَّجَّاجُ: لمَّا ذكَرَ ما تَشتمِلُ عليهِ هذِه السُّورةُ مِنَ القَصصِ والأحْكَامِ ختَمَها بتَصْدِيقِ نبيِّه، والمُؤمِنينَ(٦).

وقرَأَ ابْنُ عبَّاسٍ: «وكتابِه»، فلمَّا قِيلَ لهُ فِي ذلِك، فقالَ: كتابٌ أكثَرُ مِن كُتُبٍ، ذهَبَ بِه إلى اسْمِ الجِنسِ، كما تقُولُ: كثُرَ الدِّرهَمُ فِي أيدِي النَّاسِ(٧).

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): الصحابة.

(٣) في (ف): قد أنزل الله عليك هذه الآيَةَ.

(٤) قوله: «سمعنا وعصينا؟ قولوا»، ليس في (ر).

(٥) انظر: صحيح مسلم (١٢٥).

(٦) في الأصل: والمؤمنون، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادَّةُ.

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٦٨).

وقد وافقَ ابنَ عبَّاسٍ فِي قِراءَتِه حمْزَةُ والكِسَائِيُّ وخلَفٌ، وكذلِكَ فِي «التَّحريمِ».

وقرَأ ابْنُ كَثيرٍ ونافِعٌ وعاصِمٌ فِي رِوايةِ أبي بكْرٍ، وابْنِ عامِرٍ «وكُتُبِهِ» هاهُنَا بالجمْعِ، وفِي «التَّحريم» بالتَّوْحِيدِ. وقَرأ أبو عَمْرٍو[1] بالجمْعِ فِي المَوْضِعَيْنِ[2].

قوْلُه: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾.

قَرأ أبو عَمْرٍو ما أُضِيفَ إِلَى مكنِيٍّ علَى حرفَيْنِ؛ مِثْلُ «رُسْلنا» و«رُسْلكم» بإسْكَانِ السِّينِ، وثقَّلَ ما عدَا ذلِك. وعنْهُ فِي [معْنَى][3] قوْلِه: ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] رِوَايتَانِ، التَّخْفِيفُ والتَّثْقِيلُ. وقَرأَ البَاقُون كُلَّ ما كانَ فِي القُرآن مِن هذا الجِنْسِ بالتَّثْقِيلِ[4].

ومعْنَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾: لا نفْعَلُ كما فعَلَ أهْلُ الكتَابِ، آمنُوا ببِعْضٍ، وكفَرُوا بِبعْضٍ.

---

(١) في (م): ابن عمر.

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ١٩٥)، والحُجَّة (٢/ ٤٥٥)، والمبسوط (ص: ١٥٦)، والتَّيسير (ص: ٨٥).

(٣) زيادة من (م).

(٤) انظر: التَّيسير (ص: ١٥٦).

وقَرأ يعْقُوبُ «لا يُفرِّقُ» بالياءِ معَ كسْرِ[1] الرَّاءِ[2].

قوْلُه: ﴿غُفْرَانَكَ﴾؛ أي: نَسْأَلُك غُفرانَك. و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ المَرْجِعُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قوْلُه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

«الوُسْعُ»: الطَّاقةُ. قالَ[3] ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ: معناهُ: لا يُكلِّفُها ما لا قُدْرةَ لها[4] عليْهِ لِاسْتِحالَتِه؛ كتكْلِيفِ الزَّمِنِ السَّعْيَ، والأعْمَى النَّظرَ.

فأمَّا تكْلِيفُ ما يَسْتحِيلُ مِنَ المُكلَّفِ، لَا[5] لِفقْدِ الآلاتِ، فيجُوزُ؛ كتكْلِيفِ الكافِرِ الَّذِي قدْ سبَقَ فِي العِلْمِ القدِيمِ أنَّه لَا يُؤمِنُ الإيمانَ[6]، فالآيةُ محْمُولةٌ علَى القوْلِ الأوَّلِ.

---

(١) في (ر)، و(ج)، و(م): فتح.

(٢) في المبسوط (ص: ١٥٦) عن يعقوب، وفي البحر المحيط (٢/ ٧٥٨) عن ابن جُبَيْر، وابن يعمر، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، وفي مختصر الشواذ (ص: ٢٥) عن ابن مَسْعُودٍ «لا يُفَرِّقون».

(٣) في بقية النسخ: قاله.

(٤) في الأصل: له، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) ليست في (ج).

(٦) ليست في (ج).

ومِنَ الدَّليلِ علَى ما قُلْنا[١] قوْلُه في سِياقِ الآيةِ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، فلوْ كانَ تكْليفُ ما لا يُطاقُ مُمْتنِعًا، كانَ السُّؤالُ عبثًا[٢]، وقد أمَرَ اللهُ تعالَى نبيَّهُ بدُعاءِ قوْمٍ قالَ فِيهم: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

وقالَ ابنُ الأنْباريِّ: المعْنَى: لا تُحمِّلْنا ما يثْقُل علَيْنا أداؤُه، وإنْ كُنَّا مُطيقينَ له علَى تجشُّمٍ، وتحمُّلِ مكْرُوهٍ، فخاطَبَ العَربَ علَى حسَبِ ما تعقِلُ، فإنَّ الرَّجُل منْهُم يقُولُ للرَّجُل يُبْغِضُه: ما أُطيقُ النَّظرَ إليْكَ، وهوَ مُطِيقٌ[٣] لذلِك، لَكنَّهُ يثْقُل عليْهِ، ومِثْلُه قوْلُه: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠].

قوْلُه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لها ما كسَبَتْ مِنْ طَاعةٍ ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ مِن معْصِيةٍ[٤].

قالَ أبو بكْرٍ النَّقَّاشُ: فقوْلُه: «لها» دليلٌ علَى الخيْرِ[٥]، و«عليْها» دَليلٌ علَى الشَّرِّ. وقد ذهَبَ قوْمٌ إلَى أنَّ «كسبَتْ» لِمرَّةٍ ومرَّاتٍ. و«اكْتسَبتْ» لَا تكونُ إلَّا لِشيْءٍ بعْدَ شيْءٍ، وهُما عنْدَ آخرينَ لُغتانِ بمعنًى واحِدٍ؛ كقوْلِه: [٨٥/أ]

(١) في (ف): قلناه.

(٢) في (ف): عنتًا.

(٣) ليست في (ج).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٨٧) من طريق سعيد بن مرجانة، به، قال: من العمل.

(٥) في (ت): الخبر.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧].

قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾.

هذا تعْليمٌ مِنَ اللهِ للخَلْقِ أنْ يقُولوا ذلِكَ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: والمُرادُ بالنِّسيانِ هاهُنا: التَّرْكُ معَ العمْدِ؛ لأنَّ النِّسيانَ الَّذي هو بمَعْنى الغفلَةِ قد أُمنتِ الآثامُ مِن جِهتِه. والخطَأُ أيْضًا هَاهُنا مِن جهَةِ[1] العمْدِ، لَا[2] مِن جهَةِ السَّهوِ، يُقال: أخْطأَ الرَّجُلُ؛ إذَا تعمَّد؛ كما يُقال: أخْطَأَ إذَا غفَلَ.

وفي «الإصْرِ»[3] قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه العهْدُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّاني: الثِّقلُ: لا تُثقِلُ علينَا مِنَ الفُروضِ مَا ثَقَّلتَهُ علَى بنِي إسْرائِيلَ، قالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ[4].

قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾.

---

(١) ليست في (م).

(٢) قوله: «من جهة العمد لا»، ليس في (ر).

(٣) في (ر): الاصبر.

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٠).

فيهِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه مـا يَصْعُبُ ويَشُـقُّ مِـنَ الأعْـمالِ، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ، والسُّـدِّيُّ، وابْنُ زيْـدٍ فِي الجُمهـورِ[١].

والثَّانِي: أنَّه المَحبَّةُ، رَواه الثَّورِيُّ عنْ مَنصُورٍ عنْ إبْرَاهِيمَ.

والثَّالِثُ: الْغُلْمةُ[٢]، قالَهُ مَكْحُولٌ.

والرَّابعُ: حَدِيثُ النَّفسِ وَوَسَاوِسُهَا.

والخَامِسُ: عذَابُ النَّارِ.

قوْلُه: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾؛ أي: [أنْتَ][٣] وَلِيُّنا ﴿فَٱنصُرْنَا﴾؛ أي: أَعِنَّا.

وكانَ مُعاذٌ إذَا فرَغَ مِن هذِه السُّورةِ، قالَ: آمِينَ.

[وبِاللهِ التَّوْفِيقُ][٤]

---

(١) في (ج): والجمهور.

(٢) في «اللسان»: الْغُلْمةُ: هيجان شهوة النّكاح من المرأة والرَّجل.

(٣) زيادة من (ج).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ر).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة	

١٣٨، ١٤١	٥
١٤٢، ١٤٣	٩
١٤٤، ١٤٥	١٧
١٤٦، ١٥٠	٢١
١٥١، ١٥٧	٢٥
١٥٨، ١٦٣	٣١
١٦٤	٣٩
١٦٥، ١٦٧	٤٣
١٦٨، ١٧٣	٤٧
١٧٤، ١٧٦	٥٧
١٧٧	٦١
١٧٨، ١٨٢	٦٥

١٨٣، ١٨٥ .... ٧٥

١٨٦، ١٨٧ .... ٨٧

١٨٨ ٩٩

١٨٩ .... ١٠١

١٩٠، ١٩٢ .... ١٠٥

١٩٣، ١٩٥ .... ١١١

١٩٦ .... ١١٧

١٩٧ .... ١٢٩

١٩٨ .... ١٣٧

١٩٩، ٢٠٢ .... ١٣٩

٢٠٣، ٢٠٧ .... ١٤٥

٢٠٨، ٢١٠ .... ١٦١

٢١١، ٢١٢ .... ١٦٩

٢١٣ .... ١٧١

٢١٤، ٢١٥ .... ١٧٧

٢١٦، ٢١٧ .... ١٨٣

٢١٨ .... ١٨٧

٢١٩، ٢٢٠ .... ١٩١

٢٢١ .... ٢٠٣

٢٢٢، ٢٢٣ .... ٢٠٧

٢٢٤، ٢٢٥ .... ٢٢١

٢٢٦، ٢٢٨ .... ٢٢٩

٢٢٩، ٢٣٠ .... ٢٤٥

٢٣١، ٢٣٢ .... ٢٥٥

٢٣٣ .... ٢٦٣

٢٣٤، ٢٣٥ .... ٢٧٣

٢٣٦، ٢٣٧ .... ٢٨٣

٢٣٨، ٢٣٩ .... ٢٩٣

٢٤٠، ٢٤٢ .... ٣٠٣

٢٤٣، ٢٤٥ .... ٣٠٥

٢٤٦ .... ٣١٥

٢٤٧ .... ٣١٩

٢٤٨، ٢٤٩ .... ٣٢١
٢٥٠، ٢٥٢ ٣٣٣
٢٥٣ .... ٣٣٧
٢٥٤، ٢٥٥ .... ٣٣٩
٢٥٦، ٢٥٧ .... ٣٤٧
٢٥٨ .... ٣٥٣
٢٥٩ ٣٥٥
٢٦٠ ٣٦٥
٢٦١، ٢٦٢ ٣٧٥
٢٦٣، ٢٦٤ .... ٣٧٩
٢٦٥ ٣٨١
٢٦٦ ٣٨٥
٢٦٧ .... ٣٨٧
٢٦٨، ٢٦٩ .... ٣٩١
٢٧٠، ٢٧١ .... ٣٩٥
٢٧٢ .... ٣٩٩

٢٧٣، ٢٧٤ .... ٤٠١

٢٧٥ .... ٤٠٧

٢٧٦، ٢٨١ .... ٤١١

٢٨٢ .... ٤١٧

٢٨٣ .... ٤٣١

٢٨٤ .... ٤٣٣

٢٨٥ .... ٤٣٥

٢٨٦ .... ٤٣٩

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثالث
آل عمران

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٣

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثالث

سورة آل عمران

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة آل عمران

ذكر أهلُ التَّفسير أنَّها مدنيَّةٌ، وأنَّ صدرًا مِن أوَّلِها نزل في وفد نجران، قدِمُوا على النبيِّ ﷺ في ستِّين راكبًا، فيهم العاقبُ، والسَّيِّدُ، فخاصَمُوه في عيسى، وقالوا: إن لم يكن ولدَ الله، فمَن أبوه؟ فنزل فيهم صدرُ «آل عمران» إلى بضع وثمانين آيةً منها[1].

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران: ١، ٤].

قولُه: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآنَ. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: العدلَ. ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ يعني[2]: مِنَ الكتُب.

وقيل: إنَّما قالَ في القرآن: ﴿نَزَّلَ﴾ بالتَّشديد، وفي التَّوراة والإنجيل: أنزل؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما أنزل[3] في مرَّةٍ واحدةٍ، وأُنزل القرآنُ في مرَّاتٍ[4] كثيرة.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ١٧١-١٧٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بنحوه مطولًا. ورواه أيضا ابن جرير (٥/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٢٤) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الرَّبيع بن أنس البكري، بنحوه.

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) قوله: (لأن كل واحد منهما أنزل)، ليس في (ر).

(٤) في بقية النسخ: مرار.

فأمَّا ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ فذكر ابنُ قُتَيْبَةَ عن الفرَّاء[١] أنَّه يجعلُها من: وَرَى الزَّنْدُ[٢] يَرِي[٣]: إذا خرجتْ نارُه، وأوْرَيتُه، يُريد أنَّها ضِياء.

وقال ابن قُتَيْبَةَ: فيه لغةٌ أخرى: وَرِي يَرِي، ويُقال: وَرِيَتْ بِكَ[٤] زِنادِي[٥].

﴿وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ من نجلْتُ الشَّيْءَ: إذا أخرجْتُه، وولدُ الرَّجل: نجلُه[٦]، كأنَّه هو [الَّذِي][٧] استخرَجَه، ويقال: قبَّح[٨] الله ناجِلَيْهِ[٩]، أي: وَالِدَيْهِ، وقيل للماءِ يظهَرُ[١٠] من النَّزِّ[١١]: نَجْلٌ، يُقال: قدِ اسْتنجلَ الوَادِي.

---

(١) في (ر): القرآن.

(٢) في حاشية (ف) بغير خطِّ الناسخ: وَرَى: فعلٌ ماض، والزندُ: فاعل، إذا خرجت نارُه: فعل وفاعل أيضًا.

(٣) ليست في (ف)، و(ج).

(٤) في الأصل: لك، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٦).

(٦) في (ر): بجله.

(٧) زيادة من (ر).

(٨) في الأصل: فتح، وفي (ر): قبح، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) في (ج): باجيله.

(١٠) في (ر): يقطر.

(١١) في (ج): يظهر البئر.

وإِنْجيـلٌ: إِفْعِيـلٌ[١] مـن ذلـك، كأنَّ الله أظْهـرَ بـِه عَافيًـا[٢] مِـنَ الحـقِّ دارِسًـا.

قـال شـيخنا أبـو منصـور اللغـويُّ: والإنجيـل: أعجمـيٌّ معـرَّب، قـال: وقـال بعضهـم: إنْ كان عربيًّـا، فاشـتقاقُه مـن النَّجـل، وهـو ظهُـورُ الماء عـلى[٣] وجـه الارض، واتِّسـاعُه، ونجلـتُ الـشَّيءَ: إذا اسْـتخرجتُه وأظْهَرْتُـه، فالإنْجِيلُ مُسـتخْرَجٌ بـه عُلُـومٌ [كَثِـيرةٌ][٤] وَحِكَـمٌ، وقيـلَ: هـو إِفْعِيـلٌ[٥] مـن النَّجْـلِ وهو الأصـل، فالإنجيـل أصْـلٌ لِعلـومٍ وحِكَـمٍ[٦][٧].

وفي الفُرقان[٨] هاهنا قولان:

أحدهمـا: أنَّـه القـرآن، قالـه قتـادة، والجمهـور. وقـال أبـو عبيـدة: سـمي [٨٥/ ب] الفرقـان[٩] فرقانًـا؛ لأنـه فـرق بـين الحـق والباطـل، والمؤمـن والكافـر[١٠].

---

(١) في (م): فعيل.

(٢) في (م): عاقبًا.

(٣) ليست في (ر).

(٤) زيادة من (ف).

(٥) في (م): أيضًا.

(٦) من قوله: (وقيل هو إفعيل)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) انظر: المعرب (ص: ١٢٣).

(٨) من قوله: (وقيل هو إفعيل)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٩) في حاشيةالأصل: (في نسخة: القرآن)، وكذلك في بقية النسخ: (القرآن).

(١٠) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨).

والثَّاني: أنَّه الفصل بين الحق والباطل[١] في أمر عيسى حين اختلفوا فيه، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

وقال السُّدِّي: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وأنزل التَّوراةَ، والإنجيلَ، والفُرقانَ[٢]، فيه هدى للنَّاس[٣].

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عبَّاس: يُريد وفدَ نجرانَ النَّصارى، كفروا بالقُرآن، وبمُحمَّدٍ ﷺ.

و«الانْتِقامُ»: المُبالغةُ في العُقوبةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٥، ٧].

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

---

(١) من قوله: (والمؤمن والكافر)... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) ليست في (م).

(٣) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي(٣/ ٩).

قال أبو سليمان الدِّمشقي: هذا تعْرِيضٌ بنصارَى أهْل نجرانَ فيما كانوا ينطوون عليه من كيد النَّبيِّ ﷺ.

وذِكْرُ التَّصوير فِي الأرحام تنْبيهٌ على أمْرِ عِيسى عليه السلام.

قوْلُه: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾.

«المحكم»: المتقن المبيَّن[1].

وفِي المراد بِهِ هاهنا ثمانية أقوال:

أحدها: أنَّه النَّاسِخُ، قالَه ابن مَسْعُودٍ، وابن عبَّاس، وقتادة، السُّدِّي في آخرين.

والثَّاني: أنَّه الحلال والحرام، رُوي عن ابن عبَّاس، ومُجاهِد.

والثَّالث: أنَّه ما علم[2] العلماء تأويله، روي عن جابر بن عبد الله.

والرَّابع: أنَّه الذي لم ينسخ، قاله الضَّحَّاك.

والخامس: أنَّه الذي[3] لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد، [والسُّدِّي][4].

والسَّادس: أنَّه ما استقلَّ بنفسه، ولم يحتج إلى بيان، ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشَّافعي، وابن الأنباريِّ: هو ما لم يحتمل من التَّأويل إلا وجهًا واحدًا.

---

(١) في (ج): المتين، وفي (ف): البين.

(٢) في (ج): أعلم.

(٣) في بقية النسخ: ما.

(٤) زيادة من (م).

والسَّابع: أنَّه سائر[١] القرآن غير الحروف المقطَّعة.

والثَّامن: أنَّه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى.

و﴿أُمُّ[٢] ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصله. قال[٣] ابن عبَّاس، وابن جُبَيْر، فكأنَّه قال: هنَّ أصل الكتاب اللواتي يعمل عليهن في الأحكام، ومجمع الحلال والحرام[٤].

وفي المتشابه[٥] سبعة أقوال:

أحدها: أنَّه المنسوخ، قاله ابن مَسْعُودٍ، وابن عبَّاس، وقتادة، والسُّدِّي في آخرين.

والثَّاني: أنَّه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله.

والثَّالث: أنَّه الحروف المقطعة؛ كقوله: «الم» ونحو ذلك، قاله ابن عبَّاس.

والرَّابع: أنَّه ما اشتبهت معانيه، قاله مُجَاهِد.

---

(١) في بقية النسخ: جميع.

(٢) في الأصل: لام، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في بقية النسخ: قاله.

(٤) من قوله: (ذكر هذا والذي قبله) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) في (ج): المشابه.

والخامس: أنَّه ما[1] تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد.

والسَّادس: أنَّه ما احتاج إلى بيان، ذكره القاضي أبو يعلى عن أحمد.

وقال الشَّافعي: هو ما احتمل من التَّأويل وجوهًا. وقال ابن الأنباريِّ: المحكم ما لا يحتمل التَّأويلات، ولا يخفى على مميِّز، والمتشابه: الذي تعتوِرُهُ تأْوِيلاتٌ.

والسَّابع: أنَّه القصص والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى.

فإنْ قيل: فما فائدة إنزال المتشابه، والمراد بالقرآن البيان والهدى؟

فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أنَّه لمَّا كان كلام[2] العرب على ضربين:

أحدهما: الموجز الذي لا يخفى على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. [٨٦/أ]

والثَّاني: المجاز، والكنايات، والإشارات، والتَّلويحات.

وهذا الضَّرب الثَّاني هو المستحلى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله القرآن على هذين الضَّربين، ليتحقَّق عجزهم عن الإتيان بمثله، فكأنَّه قال: عارضوه بأي الضَّربين شئتم، ولو نزل كله محكمًا واضحًا، لقالوا: هلَّا نزل بالضَّرب المستحسن عندنا؟ ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية، أو تعريض أو تشبيه، كان أفصح وأعرب[3].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ر): (أغرب).

قال امرؤ القيس [من الطويل]:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[١]

فجعل النَّظرَ بمنزلة السَّهم على جهة التَّشبيه، فحلا هذا عند كل سامع ومنشد[٢]، وزاد في بلاغته.

وقال امرؤ القيس أيضًا [من المتقارب]:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ[٣] أَصَابَ الفُؤَادَ غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ[٤]

وقال أيضًا[٥] [من الطويل]:

---

(١) في الأصل: (مقفل)، والمثبت من بقية النسخ؛ والبيت في ديوانه (ص: ١٣) وتهذيب اللغة (٣/ ٢٤٤٧)، و(٣/ ٢٨٨٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٢٦)، و(٥/ ٥٧)، والمخصص (٥/ ٥٣)، ومجمل اللغة (٣/ ٦٧٠)، وشرح القصائد المشهورات؛ للنحاس (ص: ١٦)، ذرفت: دمعت، الأعشار: القطع والكسور.

(٢) في (ج): ومسند.

(٣) قوله: (رمتني بسهم)، ليس في (م).

(٤) البيت في ديوانه: (ص: ١٠٥)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٥٠٣)، والمقاصد النحوية (١/ ١٦٥)، وأشعار الستة الجاهليين (ص: ٢٠).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ١٨)، والبديع (ص: ٢٤- ٢٥)، والصناعتين (ص: ٢١٧)، والموازنة (ص: ١١)، والموشح (ص: ٣١)، ودلائل الاعجاز (ص: ٦٢)، وطبقات الشعراء (٧١)، والمقاصد النحوية (٤/ ١٢٧)، الكلكل: الصدر.

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى[1] بِصَدْرِهِ[2]   وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

فجعل لليل صلبًا وصدرًا على جهة[3] التَّشبيه، فحسن بذلك شعره.

وقال غيره[4] [من الخفيف]:

مِنْ كُمَيْتٍ أَجَادَهَا طَابِخَاهَا   لَمْ تَمُتْ كُلَّ مَوتِهَا فِي الْقُدُورِ

أراد بالطَّابخين: اللَّيل والنَّهار على جهة التَّشبيه.

وقال آخر[5][من الوافر]:

تَبْكِي هَاشِمًا[6] فِي كُلِّ فَجْرٍ   كَمَا تَبْكِي عَلَى الْفَنَنِ[7] الْحَمَامُ

---

(١) في (م): تخطى.

(٢) في حاشية الأصل، وفي (ج)، و(ف): بصلبه.

(٣) في (م): وجه.

(٤) البيت لعمرو بن الأهتم، وانظر: محاضرات الأدباء؛ للراغب الأصفهاني (١/ ٧٩٠)، والمدهش للمصنف (ص: ٣٦).

(٥) لم نقف على نسبته لأحد.

(٦) في (ر): شامها.

(٧) في الأصل: القين، وفي (ر): الفتن، والمثبت من بقية النسخ.

وقالَ الآخَرُ[١] [من الطويل]:

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْتَحْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا

فجعل لها غناء وفمًا على جهة الاستعارة.

والجواب الثَّاني[٢]: أنَّ الله تعالى أنزله مُخْتَبِرًا[٣] به عبادَهُ، لِيقف المؤمِنُ عنده، ويرُدَّه[٤] إلى عالِمه[٥]، فيَعْظُمَ بذلك ثوابُه، ويرتابَ به[٦] المنافِقُ، فيداخِلَهُ الزَّيغُ، فيستَحِقَّ بذلِك العقوبةَ به، كما ابْتلاهُم بنَهر طالوت.

والثَّالث: أنَّ الله تعالى أراد أن يُشغل أهل العلم بردِّهم المتشابه إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم، ويتَّصل بالبحث عنه اهتمامهم فيثابون على تعبهم، كما يثابون على سائر عباداتهم[٧]، ولو جعل القرآن كله محكمًا لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره، ولماتت الخواطر،

---

(١) البيت لحميد بن ثور الهلالي، في ديوانه (ص:٢٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٤٨٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٥٠٢)، والمخصص (٤/ ٣٩٠)، وتاج العروس (١٣/ ٣٣٢).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): مخبرًا.

(٤) في (ج): ويره.

(٥) في (ر): عامله.

(٦) في (ف): بذلك.

(٧) في (ر): عنها ذاتهم.

وإنَّما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى الفهم، وقد قال الحكماء: عيب الغنى: أنَّه يورث البلادة، وفضيلة الفقر[1]: أنَّه يبعث على الحيلة؛ لأنه إذا احتاج احتال.

والرَّابع: أنَّ أهل كل صناعة يجعلون في علومهم معانيَ غامضةً، ومسائِلَ دقِيقةً ليخرجوا بها من يعلمون، ويُمرِّنونهم على انتزاع الجواب؛ لأنَّهم إذا قدروا على الغامض، كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسنًا عند العلماء، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابن قُتَيْبَةَ[2]، وابن الأنباري.

قولُه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾.

في الزيغ قولان:

أحدهما: أنَّه الشَّك، قاله مُجَاهِد، والسُّدِّي.

والثَّاني: أنَّه الميل، قاله أبو مالك، وعن ابن عبَّاس كالقولين، وقيل: هو الميل عن الهدى.

وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: [٨٦/ب]

أحدها: أنَّهم الخوارج، قاله الحسن.

والثَّاني: المنافقون، قاله ابن جُرَيْج.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (٢٨ - ٣٥).

والثَّالث: وفد نجران من النَّصارى، قاله الرَّبيع.

والرَّابع: اليهود، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمة من حساب الجُمل، قاله ابن السَّائب[(١)].

قولُه: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾.

قال ابن عبَّاس: يُحيلون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُلبسون[(٢)].

وقال السُّدِّي يقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا، ثم نسخت[(٣)].

وفي المراد بالفتنة هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها الكفر، قاله السُّدِّي[(٤)]، والرَّبيع، ومُقَاتِل، وابن قُتَيْبَةَ[(٥)].

والثَّاني: الشُّبهات، قاله مُجَاهِد.

---

(١) في (م): ابن المُسَيَّب.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٨٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٨٦) من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٤) في (م): الحميدي.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠١).

والثَّالث: إفساد ذات البين، قاله الزَّجَّاج(١).

وفي [معنى](٢) «التَّأويل» وجهان:

أحدهما: أنَّه التَّفسير.

والثَّاني: العاقبة المنتظرة.

و«الرَّاسخ»: الثَّابت، يقال: رسخ يرسخ(٣) رسوخًا.

وهل يعلم الرَّاسخون [في العلم](٤) تأويله أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم لا(٥) يعلمونه، وأنَّهم مستأنفون، وقد روى طاوس عن ابن عبَّاس أنَّه قرأ: «ويقول الراسخون في العلم آمنَّا به»(٦).

وإلى هذا المعنى ذهب ابن مَسْعُودٍ، وأُبيُّ بن كعب، وابن عبَّاس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والفرَّاء، وأبو عبيدة(٧)، وثعلب(٨)، وابن الأنباريِّ، والجمهور.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٧٧).

(٢) زيادة من (م).

(٣) ليست في (ر).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (م).

(٥) ليست في (ف).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢١٨) من طريق عبد الله بن طاوس، به.

(٧) في الأصل، و(ر): وأبو عبيد، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩١)، ومجاز القرآن (١/ ٨٧).

قال ابن الأنباريِّ: في قراءة عبد الله «إن تأويله، إلَّا عند الله». وفي قراءة أُبيٍّ، وابن عبَّاس «ويقول الرَّاسخون». وقد أنزل الله تعالى في كتابه أشياء، استأثر بعلمها، كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٣٨] فأنزل [الله تعالى][١] المجمل، ليؤمن به المؤمن، فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقى.

والثَّاني: أنَّهم يعلمون، فهم[٢] داخلون في الاستثناء.

وقد روى مُجَاهِد، عن ابن عبَّاس أنَّه قال: أنا ممن يعلم تأويله[٣]، وهذا قول مُجَاهِد، والرَّبيع، واختاره ابن قُتَيْبَةَ[٤]، وأبو سليمان الدِّمشقي.

قال ابن الأنباريِّ: الذي روى هذا القول عن مُجَاهِد ابنُ أبي نجيح، فلا تصحُّ روايته التَّفسير عن مُجَاهِد.

---

(١) ما بين المعكوفين من (ج).

(٢) في الأصل، و(ج): أنَّهم، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٢٠) من طريق ابن أبي نجيح، به، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور(٢/ ١٥٢) لابن المنذر، وابن الأنباريِّ.

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

[آل عمران: ٨، ٩].

قوْلُه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾؛ أي يقولون: ربنا لا تُمِل قلوبنا عن[1] الهدى ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن [عبد الله][2] السُّلمي، وابن[3] يعمر، والجحدري[4] «لا تَزِغ» بفتح التاء «قلوبُنا» برفع الباء[5].

و﴿لَدُنكَ﴾ بمعنى عندك.

و﴿الْوَهَّابُ﴾ الذي يجود[6] بالعطاء من غير استنابة[7]، والمخلوقون لا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، والله تعالى قادر أن يهب سائر الأشياء.

---

(١) في الأصل: على، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (م).

(٣) زاد في (م): أبو.

(٤) في (ر): ابن يعمر الجحدري.

(٥) انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٦) وزاد عمرو بن فايد، وفي المحتسب (١/ ١٥٤) عن أبي واقد الجراح.

(٦) في (ر): يجوز.

(٧) في بقية النسخ: استثابة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران: ١٠، ١١].

قوْلُه: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾؛ أي: لن تدفع؛ لأن المال يدفع عن صاحبه في الدُّنيا، وكذلك الأوْلاد، فأمَّا في الآخرة، فلا ينفع الكافر ماله، ولا ولده.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من عذابه.

قوْلُه: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

في الدَّأب قولان:

أحدهما: أنَّه العادة، فمعناه: كعادة آل فرعون،[1] يريد: كفر اليهود. ككفر من قبلهم، قاله ابن قُتَيْبَةَ[2].

قال ابن الأنباريِّ: و«الكاف» في ﴿كَدَأْبِ﴾ متعلِّقة بفعل مضمر، كأنَّه قال: كفرت اليهود ككفر آل فرعون.

[٨٧/أ] **والثَّاني:** أنَّه الاجتهاد، فمعناه: أن دأب هؤلاء وهو اجتهادهم في كفرهم، وتظاهرهم على النَّبيِّ ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى[3]، قاله الزَّجَّاج[4][5].

---

(١) من قوله: (في الدأب قولان)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠١).

(٣) قوله: (آل فرعون على موسى)، مكانه بياض في (م).

(٤) في (ر): مُجَاهِد.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣].

قوْله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وعاصم، وأبو عَمْرٍو، وابن عامرٍ ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾[١] بالتاء و﴿يَرَوْنَهُم﴾ [آل عمران:١٣] بالياء.

وقرأ نافع ثلاثتهن[٢] بالتاء.

وقرأهنَّ حمزة، والكِسَائِي بالياء[٣].

وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ يهود المدينة لما رأوا وقعة بدر، همُّوا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النَّبيُّ الذي نجده في كتابنا، لا ترد له راية، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا له وقعة أخرى، فلما كانت أُحد، شكُّوا، وقالوا: ما هو به، ونقضوا عهدًا كان بينهم وبين النَّبيِّ ﷺ، وانطلق كعب ابن الأشرف في ستين راكبًا إلى أهل مكة، فقالوا: تكون كلمتنا واحدة،

(١) من قوله: (قرأ ابن كَثِيرٍ)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) ليست في (م).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠١)، المبسوط (ص: ١٦١)، والتَّيسير (ص: ٨٦).

فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح[١]، عن ابن عبَّاس[٢].

والثَّاني: أنَّها نزلت في قريش قبل وقعة بدر، فحقق الله وعده يوم بدر، روي عن ابن عبَّاس، والضَّحَّاك[٣].

والثَّالث: أنَّ أبا سفيان في جماعة من قومه، جمعوا لرسول الله ﷺ بعد وقعة بدر[٤]، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السَّائب[٥].

قوْلُه: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾.

في المخاطبين بهذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم المؤمنون، روي عن ابن مَسْعُودٍ، والحسن.

والثَّاني: الكفَّار، فيكون معطوفًا على الذي قبله، وهو يخرج على قول ابن عبَّاس الذي ذكرناه آنفًا.

والثَّالث: أنَّهم اليهود، ذكره الفرَّاء[٦]، وابن الأنباريِّ، وابن جرير[٧].

---

(١) في (ف): أبو عبَّاس.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٩٨) من طريق الكلبي، به بنحوه، وانظر: العجاب (٢/ ٦٦٥).

(٣) انظر: العجاب (٢/ ٦٦٦).

(٤) في (ج): بعدد.

(٥) انظر: العجاب (٢/ ٦٦٦).

(٦) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩٢).

(٧) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٢٤١).

فإن قيل: لم قال ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ﴾ ولم يقل: قد كانت لكم؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ ما[١] ليس بمؤنث حقيقي، يجوز تذكيره.

والثَّاني: أنَّه ردَّ المعنى إلى البيان، فمعناه: قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى، وترك اللفظ.

وأنْشَدُوا [من البسيط]:

إِنَّ امْـرَأً غَـرَّهُ مِنْكُـنَّ وَاحِـدَةٌ بَعْـدِي وَبَعْـدَكِ فِي الدُّنيـا لَمَغْـرُورُ[٢]

وقد سبق معنى «الآية»، و«الفئة». وكل[٣] مشكل تركته[٤]، فإنَّك تجده فيما سبق.

والمراد بالفئتين: النَّبي ﷺ وأصحابه، ومشركو قريش يوم بدر. قاله قتادة والجماعة.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٠٨)، والإنصاف (١/ ١٧٤)، وتخليص الشواهد (ص: ٤٨١)، والخصائص (٢/ ٤١٤)، والدرر (٦/ ٢٧١)، وشرح الأشموني (١/ ١٧٣).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في بقية النسخ: تركت شرحه.

وَفِي قَوْلِه: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قَوْلَانِ:

أحدهما: يرونهم ثلاثة أمثالهم قاله الفرَّاء[١]، واحتجَّ بأنك إذا قلت: عندي ألف دينار، وأحتاج إلى مثليها، فإنك تحتاج إلى ثلاثة آلاف.

والثَّاني: أنَّ معناه يرونهم ومثلهم[٢]، قال[٣] الزَّجَّاج: وهو الصَّحيح[٤].

قوله: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾؛ أي: في رأي العين.

قال ابن جرير: جاء هذا على مصدر رأيته، يقال: رأيته رأيًا، ورؤية[٥].

واختلفوا في الفئة الرائية على ثلاثة أقوال:

أحدها: هي التي ذكرناها في قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾.

فإنْ قُلْنَا: إنَّ الفئة الرائية المسلمون، فوجهه أنَّ المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين[٦]، فرأوهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله ﷻ، وكذلك إن قلنا[٧]: إنَّهم اليهود. [٨٧/ ب]

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩٤).

(٢) في الأصل: (مثليهم)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ج): قاله.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٢).

(٥) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٢٥٢).

(٦) من قوله: (فوجهه أن المشركين)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٧) في (ج): قلنا إن.

وإن قلنا: إنَّهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر.

وقرأ نافع: «ترونهم» بالتاء[١].

قال ابن الأنباريِّ: ذهب إلى أنَّ الخطاب لليهود.

قال الفرَّاء: ويجوز لمن قرأ «يرونهم» بالياء أن يجعل الفعل[٢] لليهود، وإن كان قد خاطبهم في قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ لأنَّ العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب[٣].

وقد شرحنا هذا في «الفاتحة» وغيرها.

فإنْ قِيلَ[٤]: كيف يُقال: إنَّ المشركين استكثروا المسلمين، وإنَّ المسلمين استكثروا المشركين[٥]، وقد بيَّن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] أنَّ الفئتين تساوتا في استقلال إحداهما للأخرى؟

فالجوابُ: أنَّهم استكثروهم في حال، واستقلُّوهم في حال.

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠١)، والتَّيسير (ص: ٨٦)، والمبسوط (ص: ١٦١).

(٢) من قوله: (قال الفرَّاء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩٥).

(٤) ليست في (ر).

(٥) قوله: (وإن المسلمين استكثروا المشركين)، ليس في (ج).

فـإِنْ قُلْنَـا: إنَّ الفئـة الرَّائيـة المسـلمون[١]، فإنَّهـم رأوا عـدد المشركـين عنـد بدايـة القتـال عـلى مـا هـم عليـه، ثـم قلَّـل الله المشركـين في أعينهـم حتـى اجـترؤوا عليهـم، فنصرهـم الله بذلـك السـبب.

قـال ابـن مَسْـعُودٍ: نظرنـا إلى المشركـين فرأيناهـم يضعفـون علينـا، ثـم نظرنـا إليهـم، فـما رأيناهـم يزيـدون علينـا رجـلًا واحـدًا[٢]. وفي روايـة اخـرى: لقـد قلِّلـوا في أعيننـا حتـى قلـت لرجـل إلى جنبـي: تراهـم سـبعين؟ قـال: أراهـم مائـة، فأسرنـا منهـم رجـلًا فقلـت: كـم كنتـم؟ قـال: ألفًـا[٣].

وإنْ قُلنـا: إنَّ الفئـة الرائيـة المشركـون فإنَّهـم اسـتقلُّوا المسـلمين في حـال، فاجـترؤوا[٤] عليهـم، واسـتكثروهم في حـال، فـكان ذلـك سـبب خذلانهـم[٥]، وقـد نقـل أن المشركـين لمـا أسروا يومئـذ، قالـوا للمسـلمين: كـم كنتـم؟ قالـوا: كنـا ثلاثمائـة وثلاثـة عـشر. فقالـوا: مـا كنـا نراكـم إلا تضعفـون علينـا.

قَوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾؛ أي: يقوي، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾.

---

(١) في الأصل: المسلمين، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٢٤) من طريق السُّدِّي، عن ابن مَسْعُودٍ، بنحوه.

(٣) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٢٥١) مـن طريـق أبي إسـحاق السـبيعي، عـن أبي عبيـدة بـن عبـد الله بـن مسـعود، عـن أبيـه.

(٤) في (ر): فأخبروا.

(٥) في (ر): هذا لأنَّهم.

في الإشارة بذلك[١] **قولان:**

أحدهما: أنها ترجع إلى النصر.

والثَّاني: إلى رؤية الجيش مثليهم.

و«العبرة»: الدِّلالة الموصلة إلى اليقين، المؤدية إلى العلم، وهي من العبور، كأنَّه طريق يعبر به[٢] ويتوصَّل به إلى المراد.

وقيل: العبرة: الآية[٣] التي[٤] يعبر منها[٥] من منزلة الجهل إلى منزلة[٦] العلم.

و﴿ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾: العقول والبصائر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

---

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) في (ف): يعبرونه.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (م): الأيدي.

(٥) في (ر): بها.

(٦) ليست في (ف)، و(م).

قرأ أبو رَزِين[١] العُقَيلي، وأبو رجاء العطاردي، ومُجَاهِد، وابْنُ مُحيصن «زَين» بفتح الزاي[٢] «حبَّ» بنصب الباء[٣].

وقد سبق في «البقرة» بيان التَّزيين.

﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: جمع قنطار. قال ابن دُريد: ليست النُّون فيه أصلية، وأحسب أنَّه معرَّب[٤].

واختلَفَ العلماء: هل هو محدود أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: أنَّه محدود.

ثم فيه أحد عشر قولاً:

أحدها: أنَّه ألف ومائتا[٥] أوقية، رواه أبيُّ بن كعب عن النَّبيِّ ﷺ[٦]، وبه قال معاذ بن جبل، وابن عمر، وعاصم بن أبي النجود، والحسن في رواية[٧].

---

(١) من قوله: (منزلة العلم)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) في (ر): الراء.

(٣) وفي المحتسب (١/ ١٥٥)، ومختصر الشواذ (ص: ٢٦) عن مُجَاهِد.

(٤) انظر: جمهرة اللُّغة (٢/ ١١٥٣).

(٥) مكانها بياض في (م).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٥٥) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، به، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٧) في (ر): رواة.

والثَّـاني: أنَّـه اثنـا[١] عـشر ألـف أوقيـة، رواه أبـو هُرَيْـرَةَ عـن النَّبـيِّ ﷺ[٢]، وعـن أبي هُرَيْـرَةَ كالقولـين، وفي روايـة[٣] عـن أبي هُرَيْـرَةَ القنطـار[٤]: [٨٨/ أ] اثنتـا عـشر[٥] أوقيـة[٦].

والثَّالـث: أنَّـه ألـف ومائتـا دينـار، ذكـره الحسـن عـن النَّبـيِّ ﷺ[٧]، ورواه العـوفي عـن ابـن عبَّـاس.

والرَّابـع: أنَّـه اثنـا عـشر ألـف درهـم، أو[٨] ألـف دينـار، رواه ابـن أبي طلحـة عـن ابـن عبَّـاس، وروي عـن الحسـن، والضَّحَّـاك، كهـذا القـول، والـذي قبلـه.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) رواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (١٢٠٨١ ـ ٢٩٧٣١)، وأحمـد (٢/ ٣٦٣ ـ ٥٠٩)، وابـن ماجـه (٣٦٦٠)، وابـن حبـان في صحيحـه (٢٥٧٣) وغيرهـم مـن طريـق حمـاد بـن سـلمة، عـن عاصـم بـن أبي النجـود، عـن أبي صالـح، بـه.

(٣) قوله: (في رواية)، ليس في (ج).

(٤) ليست في (ج).

(٥) زاد في (ف): ألف.

(٦) رواهـا ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٢٥٥) مـن طريـق حمـاد بـن زيـد، بنفـس الطريـق المرفوع.

(٧) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٢٥٥) مـن طريـق عبـد الـوارث بـن سـعيد، عـن يونـس، بـه مرسـلًا.

(٨) في (م): (و).

والخامس: أنَّه سبعون ألف دينار، روي عن ابن عمر، ومُجَاهِد.

والسَّادس: ثمانون ألف درهم، أو مائة رطل من[١] الذهب، روي عن سعيد بن المُسَيَّب، وقتادة.

والسَّابع: أنَّه سبعة آلاف دينار، قاله عطاء.

والثَّامن: ثمانمائة[٢] ألف مثقال، قاله السُّدِّي.

والتَّاسع: أنَّه ألف مثقال ذهب أو فضة، قاله الكلبي.

والعاشر: أنَّه ملء[٣] مسك ثور ذهبًا، قاله أبو نضرة[٤]، وأبو عبيدة[٥].

والحادي عشر: القنطار: رطل من الذهب، أو الفضَّة، حكاه ابن الأنباري.

والقول الثَّاني: أنَّ القنطار ليس بمحدود.

قال الرَّبيع بن أنس: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض[٦].

---

(١) زاد في (م): ألفين.

(٢) في بقية النسخ: ثمانية.

(٣) في (ج): مثل.

(٤) أبو نضرة، هو المنذر بن مالك بن قُطعة العبدي البصري، الإمام المحدِّث، حدَّث عن أبي هُرَيْرَةَ، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، وكان من كبار العلماء بالبصرة، انظر: السير (٤/ ٥٢٩). وقوله هذا رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٥٩).

(٥) نقله عن الكلبي، وانظر: مجاز القرآن (١/ ٨٩).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٥٩) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، به.

روي عن أبي عبيدة أنَّه ذكر عن العرب أنَّ القنطار وزن لا يحدُّ[١]. وهذا اختيار ابن جرير الطَّبري[٢].

قال ابن الأنباريِّ:[٣] قال بعض اللغويين القنطار[٤] العقدة الوثيقة المحكمة من المال[٥].

وفي معنى ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها المضعَّفة، قال ابن عبَّاس: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة[٦]. قاله الفرَّاء[٧][٨].

والثَّاني: أنَّها الْمُكَمَّلَةُ، كما تقول: بَدْرَةٌ مُبَدَّرَةٌ[٩]، وألف[١٠] مُؤَلَّفة،

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٨).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٢٥٩).

(٣) من قوله: (والقول الثَّاني)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) من قوله: (وزن لا يحد)... إلى هنا، ليس في (م).

(٥) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٣٢٨).

(٦) لم نقف عليه.

(٧) في بقية النسخ: (وهذا قول الفرَّاء).

(٨) انظر: معاني القرآن (١/ ١٩٥).

(٩) في (م): ذررة.

(١٠) في (م): وألوف.

وهـذا قـول ابـن[١] قتيبـة[٢].

والثَّالث: أنَّها المضروبة حتى صارت دنانير ودراهم، قاله السُّدِّي.

وفي ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾[٣] ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنَّهـا الراعيـة، رواه العـوفي عـن ابـن عبَّـاس، وبـه قـال سـعيد ابـن جُبَـيْر، ومُجَاهِـد في روايـة، والضَّحَّـاك[٤]، والسُّـدِّي، والرَّبيـع، ومُقَاتِـل.

قـال ابـن قُتَيْبَـةَ: يقـال: سـامت الخيـل، فهي سـائمة: إذا رعـت، وأسَـمْتُهَا وهـي مُسَـامَةٌ[٥]، وسَـوَّمْتُها، فهـي مُسـوَّمَةٌ: إذا رَعَيْتَهـا، والمُسـوَّمَةُ فِي غـير هـذا: المُعَلَّمَـةُ فِي الحـرب بالسُّـومَة[٦] وبالسِّـيماء؛ أي: بالعلامة[٧].

والثَّـاني: أنَّهـا المُعَلَّمَـةُ، رواه ابـن أبي طلحـة عـن ابـن عبَّـاس، وبـه[٨] قـال قتـادة، واختـاره الزَّجَّـاج[٩]، وعـن الحسـن كالقولين.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٢).

(٣) في (ر): (المثومة)! وفي (م): (المؤلفة).

(٤) في (م): (رواية الضَّحَّاك).

(٥) في الأصل: سائمة، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في (ج): (بالمسومة).

(٧) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٢).

(٨) ليست في (ر).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٤).

وفي معنى المُعلَّمَةِ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها معلَّمَةٌ[١] بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة.

والثَّاني: بالكي، روي عن المؤرج[٢].

والثَّالث: أنَّها البلق، قاله ابن كيسان[٣].

والرَّابع[٤]: أنَّها الحسان، قاله عِكْرِمَة، ومُجَاهِد.

فأمَّا «الأنعام» فقال ابن قُتَيْبَةَ: هي: الإبل، والبقر، والغنم، واحدها نعم وهو جمع لا واحد له من[٥] لفظه[٦].

و﴿ٱلْمَـَٔابِ﴾: المرجع.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في الأصل: المروح، والمثبت من بقية النسخ ومصادر ترجمته؛ وهو: أبو فيد مؤرج ابن عمروالسدوسي، كان من كبار أهل اللُّغة والعربية، وأخذ عن أبي زيد الأنصاري، وصحب الخليل بن أحمد، وكان من أكابر أصحابه، انظر: نزهة الألباب في طبقات الأدباء (ص: ١٠٥)، وانظر كلامه الذي نقله المؤلف في الكشف والبيان؛ للثعلبي (٣/ ٢٥).

(٣) الكشف والبيان؛ للثعلبي (٣/ ٢٥).

(٤) ليست في (ج)، وفي (ر)، و(ف): الثَّالث.

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٢).

وهـذه الأشـياء المذكـورة قـد تحسـن نيـة العبـد بالتلبـس بهـا، فيثـاب عليهـا، وإنَّـما يتوجـه الـذَّم إلى سـوء القصـد فيهـا، وبهـا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [آل عمـران: ١٥، ١٦].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾.

روى عطـاء[١] بـن السَّـائب عـن أبي بكـر بـن حفـص قـال: لمـا نزلـت: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ قـال عمـر: يـا ربِّ الآن حـين زيَّنتهـا؟! فنـزل: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾[٢].

[٨٨/ ب] ووجـه الآيـة أنَّـه أخـبَر أنَّ مـا عنـده خـير ممـا في الدُّنيـا، وإن كان محبوبًـا، لتتركـوا مـا تحبُّـون لمـا ترجـون.

فأمَّا «الرِّضوان».

---

(١) في (ج): عطية.

(٢) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٢٥٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٣٢٤٧)، وابـن المنـذر في تفسـيره (٢٧٩) مـن طريـق عطـاء بـن السَّـائب، عـن أبي بكـر بـن حفـص بـه، بنحـوه.
وأبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص لم يدرك عمر ﷺ.
ورواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٣٢٤٨) مـن طريـق عبـد الله بـن يونـس، عـن سيار أبي الحكـم، عـن عمـر فذكـره مختـصرًا. وسـيار أبي الحكـم لم يسـمع مـن عمـر.

فقرأ عاصم -إلا حفصًا وأبان بن يزيد عنه- برفع الرَّاء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعليمي كسر الراء في المائدة في قوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ [المائدة:١٦].

وقراء الباقون بكسر الراء، والكسر لغة قريش[١].

قال الزَّجَّاج: يقال: رضيت الشيء[٢] أرضاه رضىً ومرضاة ورِضوانًا ورُضوانًا[٣].

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: يعلم من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدُّنيا، فهو يجازيهم على أعمالهم.

قال تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧، ١٨].

قوله: ﴿الصَّابِرِينَ﴾؛ أي: على طاعة الله، وعن محارمه ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في عقائدهم وأقوالهم ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: يعني المطيعين لله ﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾[٤] في طاعته.

---

(١) انظر: السَّبعة (ص:٢٠٢)، والحُجَّة (٣/ ٢١)، والمبسوط (ص:١٦١)، والتَّيسير (ص: ٨٦) والضم في (رُضوان)؛ كـ(رُجحان)، والكسر كـ(حِرمان)، وهما لغتان، انظر: التحصيل (٢/ ٢٦).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٥).

(٤) في (ر): والمتقين.

وقال ابن قُتَيْبَةَ يعني: بالنَّفقة الصَّدقة[١].

وفي معنى استغفارهم قولان:

أحدهما: أنَّه الاستغفار المعروف باللِّسان، قاله ابن مَسْعُودٍ، والحسن في آخرين.

والثَّاني: أنَّه الصَّلاة. قاله مُجَاهِد، وقتادة، والضَّحَّاك، ومُقَاتِل في آخرين.

فعلى هذا إنما سميت الصَّلاة استغفارًا؛ لأنهم طلبوا بها[٢] المغفرة.

فأمَّا «السَّحَر».

فقال إبراهيم بن السَّري[٣]: السَّحَر[٤]: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر، فوصفهم الله تعالى بهذه الطَّاعات، ثم وصفهم بأنَّهم لشدَّة خوفهم يستغفرون.

قوْلُه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٣).

(٢) في (ر): طلبوها.

(٣) هو الزجاج، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٥).

(٤) من قوله: (فقال إبراهيم)...إلى هنا، ليس في (ج).

سبب نزول هذه الآية:

أنَّ حبرين من أحبار الشَّام قدِمَا على النَّبيِّ ﷺ، فلمَّا أبصرا المدينَةَ، قال أحدُهُما لِصاحِبِه: ما أشبه هذه المدينة بصفة[1] مدينة[2] النَّبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النَّبيِّ ﷺ، عرَفَاه بالصِّفَة، فقالا: أنت مُحمَّدٌ؟ قال: «نَعَمْ». قالا: وأحمد؟ قال: «نَعَمْ». قالا: نسألك عن شهادة، فإن أخبرتنا بها، آمنَّا بك، فقال: «سَلَانِي». فقالا: أخْبِرْنا عن أعظم شهادة في كتاب الله ﷻ، فنزلت هذه الآية، فأسلما، قالَهُ ابْنُ السَّائب[3].

وقال غيره: هذه الآية[4] ردٌّ على نصارى نجران فيما ادَّعوا في عيسى، وقد سبق ذكر خبرهم في أول السورة.

وقال سعيد بن جُبَيْر: كان حول الكعبة[5] ثلاثمائة وستون صنمًا، وكان لكل حي من العرب صنم أو صنمان، فلمَّا نزلت هذه الآية، خرَّت الأصنام سجَّدًا[6].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ر).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٣٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٩٩).

(٤) زاد في (ف): نزلت.

(٥) في (ر): المدينة.

(٦) رواه ابن المنذر في تفسيره (٣٠٠) من طريق يعقوب القمي، عن جعفر بن ربيعة، عن سعيد، بنحوه. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٧) لعبد بن حميد.

وفي معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه بمعنى قضى وحكم، قاله مُجَاهِد، والفرَّاء، وأبو عبيدة(١).

والثَّاني: بمعنى بيَّن، قاله ثعلب والزَّجَّاج(٢).

قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه، أنَّه لا إله إلا هو.

وسئل بعض الأعراب: ما الدَّليل على وجود الصانع؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على الصانع(٣) الخبير؟!.

وقرأ ابن مَسْعُودٍ، وأبيُّ بن كعب، وابن السَّمَيْفع، وعاصم الجحدري: «شُهَدَاءُ اللهِ» بضم «الشين» وفتح «الهاء والدال» وبهمزة مرفوعة بعد المد، [٨٩/ أ] وخفض «الهاء» من اسم(٤) الله تعالى(٥).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٥).

(٣) في (ر): الصنائع.

(٤) في (ج): أسماء.

(٥) في مختصر الشواذ (ص: ٢٦)، والمحتسب (١/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٣/ ٦٠) عن أبي الشعثاء، وأبي نَهِيكٍ. قال ابن جني: على الحال من الضمير في المستغفرين.
وقيل: نصب على المدح، وهو جمع شهداء، وجمع شاهد: كظرفاء وعلماء.
وروي عن أبي نَهِيكٍ: «شهداءُ الله»، بالرفع؛ أي: هم شهداء الله. وفي القراءتين: شهداء، مضاف إلى اسم الله.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾؛ أي: بالعدل.

قال جعفر الصادق[١]: وإنما كرَّر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأن الأوَّلى وصف وتوحيد، والثَّانية رسم وتعليم، أي قولوا: أن لا إله إلا هو[٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩، ٢٠].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾.

الجمهور على كسر «إن» إلا الكِسَائِي، فإنَّه فتح «الألف»، وهي قراءة ابن مَسْعُودٍ، وابن عبَّاس، وأبي رزين، والجحدري[٣]، وأبي العالية، وقتادة[٤].

---

(١) هو: أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته، ولد سنة ٨٠ وقيل ٨٣ هـ، وتوفي في شوال سنة ١٤٨ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، رضي الله عنهم أجمعين. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥)، و تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، ووفيات الأعيان (١/ ٣٢٧).

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٣/ ٣٤).

(٣) لم يذكر في بقية النسخ.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٦)، وفي البحر المحيط (٣/ ٦٧) عن محمد بن عيسى الأصبهاني، وقراءة الجمهور على الاستئناف، وهي مؤكدة للجملة الأولى.

قال أبو سليمان الدِّمشقي: لَمَّا ادَّعت اليهود أنَّه لا دين أفضل من اليهودية، وادعت النَّصارى أنَّه لا دين أفضل من النَّصرانية، نزلت هذه الآية.

قال الزَّجَّاج: الدِّين: اسم لما[1] تعبد الله به خلقه، وأمرهم بالإقامة عليه، وأن تكون عبادتهم[2]، وبه يجزيهم[3].

وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الدِّين: ما التزمه العبد لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال ابن قُتَيْبَةَ: والإسلام الدخول في السلم، أي: في الانقياد والمتابعة، ومثله الاستسلام، يقال: سلم فلان لأمرك[4]، واستسلم، وأسلم، كما تقول: أشتى الرجل، أي: دخل في الشتاء، وأربع: دخل في الرَّبيع[5].

وفي الذين ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم اليهود، قاله الرَّبيع.

والثَّاني: أنَّهم النَّصارى، قاله محمد بن جعفر بن الزبير.

والثَّالث: أنَّهم اليهود، والنَّصارى، قاله ابن السَّائب.

---

(١) في بقية النسخ: لجميع ما.

(٢) في (ر): عادتهم.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨).

(٤) في (ف): لأمر كذا.

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٦٢).

وقيل: «الكتاب» هاهنا: اسم جنس بمعنى الكتب.

وفي الذين اختلفوا فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنّه دينهم.

والثّاني: أمر عيسى.

والثّالث: دين الإسلام، وقد عرفوا صحّته.

والرّابع: نبوة محمّد ﷺ، وقد عرفوا صفته.

قوْلُه: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾؛ أي: الإيضاح لما اختلفوا فيه ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾.

قال الزّجّاج: معناه: اختلفوا للبغي، لا لقصد البرهان[1].

وقد ذكرنا في «البقرة»[2] معنى: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[3].

قوْلُه: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾؛ أي: جادلوك، وخاصموك.

قال مُقَاتِل: يعني اليهود[4]. وقال ابن جرير[5]: يعني نصارى نجران في أمر عيسى[6]. وقال غيرهما: اليهود والنّصارى.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٧).

(٢) من قوله: (معناه اختلفوا)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: الآية (رقم: ٢٠٢).

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٦٧) قال: يعني اليهود والنّصارى.

(٥) في (ج): ابن جُبَيْر.

(٦) انظر: تفسير الطّبري (٥/ ٢٨٤).

﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ﴾ قال الفرَّاء: معناه: أخلصت عملي.

وقال الزَّجَّاج: قصدت بعبادتي إلى الله[١].

قوْلُه: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾.

أثبت الياء في الوصل دون الوقف أهل المدينة والبصرة، وابن شَنَبُوذَ[٢] عن قنبل. ووقف ابن شَنَبُوذَ ويعقوب بياء[٣].

قال الزَّجَّاج: والأحب إِلَيَّ اتباع المصحف[٤].

وما حذف من الياءات في مثل قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾، و﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ [الإسراء:٦٢]، و﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر:١٥]، و﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر:١٦].

فهو على ضربين:

أحدهما: ما كان مع النُّون، فإن كان رأس آية، فأهل اللُّغة يجيزون حذف الياء، ويسمون[٥] أواخر الآي الفواصل، كما أجازوا ذلك في الشعر.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٨).

(٢) هو أبوالحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شَنَبُوذَ، شيخ المقرئين، أكثر الترحال في الطلب، واعتمده أبو عَمْروالداني، والكبار وثوقا بنقله، وإتقانه، لكنه كان له رأي في القراءة بالشواذ التي تخالف رسم الأمام فنقموا عليه لذلك، والمسألة مختلف فيها في الجملة انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤)، وطبقات القراء (٢/ ٥٥).

(٣) وأثبتها في الوصل نافع وأبو عَمْرٍو كما في التَّيسير (ص: ٩٣)، والبحر المحيط (٣/ ٧٤)، وفي الحالين يعقوب كما في النشر (٢/ ٢٨٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨٩).

(٥) في (ج): (ويشمون).

قال الأعشى[١] [من المتقارب]:

وَمِـنْ شَـانِئٍ كَاسِـفٍ بَالُـهُ إِذَا مَـا انْتَسَـبْتُ لَـهُ أَنْكَـرَنْ
وَهَـلْ يَمْنَعَنِّـي [٢]ارْتِيَـادُ الْبِـلَا دِ مِـنْ حَـذَرِ الْمَـوْتِ أَنْ يَأْتِـيَنْ[٣][٤]

فأمَّا إذا لم يكن آخر آية أو قافية، فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جيد [٨٩/ ب] أيضًا، خاصة مع النونات؛ لأن أصل «اتبعني» «اتبعي» ولكن «النون»[٥] زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسر مع النون تنوب عن الياء، فأما إذا لم تكن النون، نحو غلامي وصاحبي، فالأجود إثباتها، وحذفها عند عدم النون جائز على قلته، تقول: هذا غلام، قد جاء غلامي[٦]. بفتح الياء وإسكانها، فجاز الحذف؛ لأن الكسرة تدل عليها.

---

(١) لم يذكر في (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) لم يقع البيت الثَّاني في (ر).

(٤) البيتان في ديوانه (ص: ١٥- ١٩) من قصيدته التي يمدح فيها قيس بن معد يكرب الكندي، والكتاب (٤/ ١٨٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٩٩)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٢٩١)، ومجاز القرآن (٢/ ١٩٥)، والأمالي؛ للقالي (٢/ ٢٦٣)، وإيضاح الوقف والابتداء؛ لابن الأنباري (ص: ٢٥٩)، وفقه اللغة؛ للثعالبي (ص: ٢١٨).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في بقية النسخ: (غلامْ، وغلامَ).

قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد اليهود والنَّصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني مشركي العرب.

وقد سبق في «البقرة» شرح هذا الاسم.

قوْلُه: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ قال الفرَّاء: هو استفهام ومعناه الأمر؛ كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١][1].

فَصْلٌ

اختلف علماء النَّاسخ والمنسوخ في هذه الآية:

فذهبت طائفة إلى أنَّها محكمة، والمراد بها تسكين نفس[2] النَّبيِّ ﷺ عند امتناع من لم يجبه؛ لأنه كان يحرص على إيمانهم، ويتألم من تركهم الإجابة.

وذهبت طائفة إلى أنَّ المراد بها الاقتصار على التَّبليغ، وهذا منسوخ بآية السَّيف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٢).

(٢) في (ر): نفي.

قوْلُه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾.

قال أبو سليمان الدِّمشقي: عنى بذلك اليهود والنَّصارى.

قال ابن عبَّاس: والمراد بآيات الله محمَّد والقرآن.

وقد تقدم [في البقرة][١] شرح قتلهم الأنبياء، والقسط: العدل.

وقرأ[٢] الجمهور: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾.

وقرأ حمزة: «ويُقَاتلون» بألف[٣].

وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةٌ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عُبَّادِ[٤] بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ[٥]، وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَتَلُوهُمْ[٦] جَمِيعًا فِي[٧] آخِرِ النَّهَارِ»[٨].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من بقية النسخ.

(٢) في (ر) و(ج): وقراءة.

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٣)، والحُجَّة؛ للفارسي (٣/ ٢٣)، وحُجَّة القراءات؛ لابن زنجلة (ص: ١٥٨).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في بقية النسخ: فقُتلوا.

(٧) في بقية النسخ: من.

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٣٢) من طريق أبي الحسن مولى لبني أسد، عن مكحول، عن قبيصة بن ذئيب الخزاعي، عن=

فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم، وإنما وبَّخ بهذا اليهود الذين كانوا في زمن النَّبيِّ؛ لأنَّهم تولوا أولئك، ورضوا بفعلهم.

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ بمعنى: أخبرهم، وقد تقدَّم شرحه في «البقرة».

ومعنى ﴿حَبِطَتْ﴾: بطَلت.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٥].

قوْلُه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخل بيت المِدْراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله ﷻ، فقال رجلان منهم: على أي دين أنت؟ فقال[1]: «عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ». قالا: فإنَّه كان يهوديًا. قال: «فَهَلُمُّوا إِلَى التَّوراة»، فأبيا عليه، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبَّاس[2].

=أبي عبيدة بنحوه. وأبو الحسن الأسدي حدث عنه أبو كريب مجهول، ولم يتفرد عنه أبو كريب بل روى عنه أيضا محمد بن حمير الحوضي، وقال في روايته: مولى بني أسد عن مكحول أخرج حديثه الطَّبري وابن أبي حاتم، وذكره أبو أحمد الحاكم في من لا يعرف اسمه. انظر: لسان الميزان (٧/ ٣٣).

(١) ليست في (ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمَة، به، بنحوه.=

والثَّاني: أنَّ رجلا وامرأة من اليهود زنيا، فكرهوا رجمهما لشرفهما، فرفعوا أمرهما إلى النَّبيِّ؛ رجاء أن يكون عنده رخصة، فحكم عليهما بالرجم[١]، فقالوا: جُرْت[٢] علينا يا محمد، ليس عليهما[٣] الرجم. فقال: «بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ التَّورَاةُ»، فجاء ابن صُوريا، فقرأ من التَّوراة، فلما أتى [٩٠/أ]
على آية الرجم، وضع كفَّه عليها، وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: قد جاوزتها، ثم قام، فقلبها[٤]، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديَّين، فرجما، فغضب اليهود. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس[٥].

والثَّالث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقال نعمان بن أبي أوفى: هلمَّ نحاكمك إلى الأحبار. فقال: «بَلْ إِلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فقال: بل إلى الأحبار، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّي[٦].

=ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٤٠) من نفس الطريق، ولكن من قول عِكْرِمَة، وانظر: العجاب (٢/ ٦٧٢)، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠) لابن المنذر.

(١) في (ر): بالرجل.

(٢) في (ج): أجرت.

(٣) في (ج): علينا.

(٤) في بقية النسخ: فقرأها.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٠) عن الكلبي، وأصل القصة في الصَّحيحين، رواها البخاري (٣٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٩٩) عن السُّدِّي.

والرَّابع: أنَّها نزلت في جماعة من اليهود، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: نحن[1] أحق بالهدى منك، وما أرسل الله نبيًّا إلا من بني إسرائيل. قال: «فَأَخْرِجُوا التَّوراة، فَإِنِّي مَكْتُوبٌ فِيهَا أَنِّي نَبِيٌّ»، فأبوا، فنزلت هذه الآية، قاله مُقَاتِل بن سليمان[2].

فأما التَّفسير:

فالنَّصيب الذي أوتوه: هو العلم الذي علموه من التَّوراة.

وفي الكتاب الذي دعوا إليه قولان:

أحدهما: أنَّه التَّوراة، رواه عِكْرِمَة عن ابن عبَّاس، وهو قول الأكثرين.

والثَّاني: أنَّه القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس، وهو قول الحسن وقتادة.

وفي الذي أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال:

أحدها: ملَّة إبراهيم.

والثَّاني: حد الزِّنى. رويا عن ابن عبَّاس.

والثَّالث[3]: صحَّة دين الإسلام. قاله السُّدِّي.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٦٩).

(٣) في الأصل: (الثَّاني)، والمثبت من باقي النسخ.

والرَّابع: صحَّة نبوَّة محمَّد ﷺ، قاله مُقَاتِل.

فإن قيل: التَّولي هو الإعراض، فما فائدة تكريره؟

فالجواب من أربعة أوجه:

أحدها: التَّأكيد.

والثَّاني: أن يكون المعنى: يتولَّون عن الدَّاعي، ويعرضون عمَّا دعا إليه.

والثَّالث: يتولَّون بأبدانهم، ويعرضون عن الحق بقلوبهم.

والرَّابع: أن يكون الذين تولَّوا علماءهم، والذين أعرضوا أتباعهم، قاله ابن الأنباري.

قوْلُه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا[1]﴾.

يعني: الذي حملهم على التَّولِّي والإعراض أنَّهم قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾. وقد ذكرناها في «البقرة».

و﴿يَفْتَرُونَ﴾: يختلقون[2].

وفي الَّذي اختلقوه[3] قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، قاله مجَاهِد، والزَّجَّاج[4].

---

(١) في (ج): كانوا.

(٢) في (ج): يختلفون.

(٣) في (ج): اختلفوه.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٢).

والثَّاني: قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨]، قاله قتادة، ومُقَاتِل.

قوْلُه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾.

معناه: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ﴿لِيَوْمٍ﴾؛ أي: لجزاء يوم، [أو لحساب يوم][1]. وقيل «اللام» بمعنى: «في».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

قوْلُه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ [لَمَّا][2] افتتح مكة، ووعد أمته ملك فارس والرُّوم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاس، وأنس بن مالك[3].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من باقي النسخ.

(٢) زيادة من بقية النسخ.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٤٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٠) عن ابن عبَّاس وأنس بن مالك ﭬ.

والثَّاني: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سأل ربَّه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فنزلت هذه الآية، حكاه قتادة[١].

والثَّالث: أنَّ اليهود قالوا: والله لا نطيع رجلًا جاء ينقل النُّبوَّة من [٩٠/ ب] بني إسرائيل إلى غيرهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

فأما التَّفسير:

فقال الزَّجَّاج: قال الخليل وسيبويه وجميع النَّحويين الموثوق بعلمهم: «اللهم» بمعنى «يا الله»، و«الميم» المشدَّدة زيدت عوضًا من «يا» لأنَّهم لم[٢] يجدوا «يا» مع هذه «الميم» في كلمة واحدة[٣]، ووجدوا اسم الله تعالى [مستعملاً][٤] بـ«يا»[٥] إذا لم[٦] تذكر الميم، فعلموا أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة «يا» في أولها والضَّمَّة التي في «الهاء»[٧] ضمة الاسم المنادى المفرد[٨].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٠٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧١) لعبد بن حميد.

(٢) ليست في (ر).

(٣) ليست في بقية النسخ.

(٤) زيادة من بقية النسخ.

(٥) في الأصل: (بياء)، والمثبت من باقي النسخ.

(٦) ليست في (ج).

(٧) في (ج): أولها وهي.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٤).

قال أبو سليمان الخطَّابي: ومعنى ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أنَّه بيده، يؤتيه من يشاء، قال: وقد يكون معناه: مالك الملوك[١]، ويحتمل أن يكون معناه: وارث الملك يوم لا يدعيه مدَّع، كقوله: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان:٢٦][٢].

قوْلُه: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾.

فِي هذا المُلك قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه النُّبوَّة، قاله ابن جُبَيْر، ومُجاهِد.

والثَّاني: المال، والعبيد، والحفدة، ذكره الزَّجَّاج[٣].

وقال مُقَاتِل: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ يعني محمدًا وأمته، ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [يعني][٤] فارس الرُّوم. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [يعني][٥] محمدًا وأمته ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[٦] فارس والرُّوم[٧].

---

(١) في (ج): الملك.

(٢) انظر: شأن الدعاء (ص: ٩١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٢).

(٤) زيادة من (ر)، و(ف).

(٥) زيادة من (ر).

(٦) من قوله: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٦٩).

وبماذا يكون هذا العزُّ والذُّل؟

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: العزُّ بالنَّصر، والذُّلُّ بالقهر.

والثَّاني: العزُّ بالغنى، والذُّلُّ بالفقر.

والثَّالث: العزُّ بالطَّاعة، والذُّلُّ بالمعصية.

قوْلُه: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾.

قال ابن عبَّاس: يعني النَّصر والغنيمة[١].

وقيل: معناه بيدك الخير والشر، فاكتفى بأحدهما؛ لأنه المرغوب فيه.

قوْلُه: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: تدخل ما نقصت من هذا في هذا.

قال ابن عبَّاس[٢]، ومُجاهِد[٣]: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر.

قال الزَّجَّاج: يقال: وَلَجَ الشيء يلِجُ وُلُوجاً ووَلْجًا وَوَلْجَة [٤].

قوْلُه: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾.

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٧) عن أبي بكر النقاش.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٠٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٥٨) من طريق حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عِكْرِمَة، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) من طريق ابن أبي نجيح، به، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم في (٣٣٥٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٥).

قَرَأ ابْنُ كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وابن عامرٍ، وأبو بكر عن[1] عاصم: «وتخرج الحي من الميْت وتخرج الميْت من الحيّ»، و﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، و﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [يس: ٣٣]، و﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ [الأنعام: ١٣٩]: كله بالتخفيف.

وقرأ نافع، وحمزة، والكِسَائِي، وحفص: ﴿ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ و﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾، و﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف:٥٧]، و﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[2] [فاطر:٩].

وخفَّف حمزة، والكِسَائِي في غير هذه الحروف.

وقرأ نافع: «أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا»، و«الأَرْضُ المَيِّتَةُ»، و«لحم أخيه ميِّتًا»، وخفف في سائر القرآن ما لم يمت[3].

وقال أبو عليٍّ: الأصل المستقل[4]، والتَّخفيف[5] محذوفٌ منه، وما مات، وما لم يمت في هذا الباب يستويان في الاستعمال.

---

(١) في (ج): (و).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٣)، والتَّيسير (ص: ٨٧)، والمبسوط (ص: ١٤٠).

(٤) في بقية النسخ: (التثقيل).

(٥) في بقية النسخ: (المخفف).

وأنْشَدُوا [من الرجز]:

وَمَنْهَـلٌ فِيـهِ الْغُـرَابُ المْيْـتُ   سَـقَيتُ مِنْـهُ الْقَـومَ وَاسْـتَقَيْتُ[(١)]

فهذا قد مات.

وقال آخر [من الخفيف]:

لَيْسَ مَـنْ مَـاتَ، فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ   إِنَّـمَا المَيْـتُ مَيِّـتُ الْأَحيَـاءِ[(٢)]

فخفَّف ما مات، وشدَّد ما لم يمت. وكذلك قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].[(٣)]

ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه إخراج الإنسان حيًّا من النطفة، وهي ميتة. وإخراج النطفة من الإنسان، وكذلك إخراج[(٤)] الفرخ من البيضة وإخراج[(٥)] البيضة [٩١/أ]

---

(١) البيت؛ لأبي محمد الفقعسي في تاج العروس (أجن)؛ ولسان العرب (١٣/ ٨) (أجن) وبلا نسبة في لسان العرب (٩/ ٢٧١) (غفف).

(٢) البيت لعدي بن الرعلاء في البيان والتبيان (١/ ١٢٤)، والحيوان؛ للجاحظ (٦/ ١٣٥)، والعقد الفريد (٥/ ٤٧٦)، والاشتقاق (ص: ٥١)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٢٤)، وشرح المفصل (١٠/ ٦٩)، وبلا نسبة في تهذيب اللُّغة (١٤/ ٣٤٣).

(٣) انظر: الحُجَّة (٣/ ٢٥ـ ٢٦).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ر)، و(ف).

من الطائر، هذا قول ابن مَسْعُودٍ، وابن عبَّاس، ومُجاهِد، وابن جُبَيْر، والجمهور.

والثَّاني: أنَّه إخراج المؤمن الحيِّ بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحيِّ بالإيمان، روى نحو هذا القول[1] الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس، وهو قول الحسن، وعطاء.

والثَّالث: أنَّه إخراج السنبلة الحيَّة من الحبَّة الميِّتة[2]، والنَّخلة الحيَّة من النَّواة الميِّتة، والنَّواة الميِّتة من النَّخلة الحيَّة، قاله السُّدِّي.

وقال الزَّجَّاج: إخراج[3] النَّبات الغضِّ من الحبِّ اليابس، والحبُّ اليابس من النَّبات الحيِّ النَّامي[4].

قوْلُه: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: بغير تقتير.

قال الزَّجَّاج: يقال للذي ينفق موسعًا: فلان ينفق بغير حساب[5]، كأنَّه [لا][6] يحسب ما أنفقه إنفاقًا[7].

---

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في بقية النسخ: يخرج.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٣).

(٥) من قوله: (أي بغير تقتير)... إلى هنا،ليس في (ج).

(٦) سقطت من الأصل، وهي مثبتة من بقية النسخ.

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٨، ٢٩].

قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ عبادة بن الصَّامت كان له حُلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إنَّ معي خمسمائة من اليهود[١]، وقد رأيت أن[٢] أستظهر بهم على العدوِّ، فنزلت هذه الآية، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس[٣].

والثَّاني: أنَّها نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه من المنافقين كانوا يتولون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر على النَّبيِّ ﷺ، فنهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس[٤].

والثَّالث: أنَّ قومًا من اليهود، كانوا يباطنون نفرًا من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فنهاهم قوم من المسلمين عن ذلك، وقالوا: اجتنبوا

(١) قوله: (من اليهود)، ليس في (ر).

(٢) من قوله: (روي عن قتادة، والثَّاني بالكي)... إلى هنا، ليس في (م).

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٢) عن جويبر، به.

(٤) انظر: المصدر السابق.

هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الآية. روي عن ابن عبَّاس [١].

والرَّابع: أنَّها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وهذا قول المُقَاتِل [٢] بن سليمان [٣]، وابن حيان.

فأما التَّفسير:

فقال الزَّجَّاج: معنى قوله: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أن لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، أي: لا يتناول الولاية من مكان غير [٤] مكان [٥] المؤمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان، كما تقول: زيد دونك، ولست تريد المكان، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسَّة كالاستفال في المكان [٦].

ومعْنَى ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾؛ أي: فالله بريء منه.

قوْلُه: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣١٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عِكْرِمَة، وسعيد بن جُبَيْر، به، بنحوه.

(٢) في بقية النسخ: المُقَاتِلين.

(٣) أورده مُقَاتِل في تفسيره (١/ ٢٧٠).

(٤) في (ر)، و(ف): دون.

(٥) في (ج): من مكان غير مكان دون مكان.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٦).

وقرأ يعقوب والمُفَضَّل عن عاصم «إلَّا أن تتقوا منهم تَقِيَّةً» بفتح التاء من غير ألف(١).

قال مُجَاهِد: إلا مصانعة في الدُّنيا(٢).

وقال أبو العالية: التُّقاة باللِّسان لا بالعمل(٣).

❁❁❁

فَصْلٌ

والتَّقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد رضوان الله عليه: وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ قال: لا. وقال: إذا أجاب(٤) العالم تقيَّة، والجاهل بجهل، فمتى يتبيَّن الحقُّ؟(٥). [٩١/ب]

وسنشرح هذا المعنى في «النَّحل» عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [الآية:١٠٦]، إن شاء الله.

---

(١) انظر: معاني القراءات (ص: ١٠١)، والمبسوط (ص: ١٦٢)، والكامل (ص: ٥١٤) وهي قراءة يعقوب من العشرة.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٥٨)من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٣) من طريق أبي جعفر، عن الرَّبيع بن أنس، به.

(٤) في (ج): أجاز.

(٥) انظر: المحنة؛ لعبد الغني المقدسي (ص: ٨٠- ٨٦).

قوله: ﴿إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ قال ابن عباس: يعني[١] من اتخاذ الكافرين أولياء.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ [آل عمران: ٣٠، ٣٢].

قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾.

قال الزَّجَّاج: نصب[٢] «اليوم» بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ في ذلك اليوم[٣].

وقال ابن الأنباريِّ: يجوز أن يكون متعلقًا بالضمير[٤]، والتقدير: وإلى الله المصير يوم تجد.[٥] ويجوز أن يكون متعلقًا بفعل مضمر، والتقدير: اذكروا يوم تجد.

وفي كيفية وجود العمل وجهان:

أحدهما: وجوده مكتوبًا في الكتاب.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): نصيب.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٧).

(٤) في (ج)، و(ف): بالمصير.

(٥) من قوله: (يجوز أن يكون متعلقًا بالضمير)... إلى هنا، ليس في (ر)، و(م).

والثَّاني: وجود الجزاء عليه.

و«الأمد»: الغاية.

قال الطِّرِمَّاح[١] [من الخفيف]:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَةَ الْـ عُمْرِ[٢]، ومُودٍ إِذَا انْقَضَى أَمَدُهْ[٣]

يريد: غاية أجله.

قوْلُه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، وقف على قريش، وقد نصبوا[٤] أصنامهم يسجدون لها، فقال: «**يا معشر قريش لقد خالفتم ملَّة أبيكم إبراهيم**»، فقالوا: يا محمد إنما نعبد هذه حبًّا لله، ليقرِّبونا إلى الله زلفى، فنزلت هذه الآية، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس[٥].

---

(١) هو الطرماح بن حكيم: أحد شعراء الخوارج في العصر الأموي. انظر ترجمته في الشعر والشعراء: (٢/ ٥٧٠)، والأغاني (١٢/ ٤٣).

(٢) ليست في (ج).

(٣) البيت نسبه له الزمخشري في الفائق في غريب الحديث (١/ ٥٨)، وانظر: الشعر والشعراء(٢/ ٥٧٠)، وشعر الخوارج (ص: ٢٣٦).

(٤) قوله: (وقف على قريش، وقد نصبوا)، مكانه بياض في (م).

(٥) نقله الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٣) عن جويبر، به، بنحوه.

والثَّاني: أنَّ اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحبَّاؤه، فنزلت هذه الآية، فعرضها النَّبيُّ ﷺ، فلم يقبلوها، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس[١].

والثَّالث: أنَّ ناسًا قالوا: إنَّا لنحب ربنا حبًّا شديدًا، فأحب الله أن يجعل لحبه علمًا، فأنزل [الله][٢] هذه الآية، قاله الحسن[٣]، وابن جُرَيْج[٤].

والرَّابع: أنَّ نصارى نجران، قالوا: إنما نقول هذا في عيسى حبًّا لله وتعظيمًا له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن إسحاق عن محمد بن جعفر ابن الزبير[٥]، واختاره أبو سليمان الدِّمشقي.

قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ عبد الله بن أبيٍّ قال لأصحابه: إنَّ محمدًا يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبَّت النَّصارى عيسى ابن مريم، فنزلت هذه الآية،[٦] هذا قول ابن عبَّاس[٧].

---

(١) نقله الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٢) عن الكلبي، عن أبي صالح، به، بنحوه.

(٢) زيادة من (ر)، و(ف)، و(م).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٢٥) من طريق بكر الأسود، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٠٢) من طريق عباد بن منصور، كلاهما عن الحسن، بنحوه.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٢٥) من طريق حجاج، عن ابن جُرَيْج، بنحوه.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٢٦) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق، به، بنحوه، وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٥٧٨-٥٧٩) في قصة وفد نجران.

(٦) من قوله: (كطاعة الله)... إلى هنا، ليس في (م).

(٧) نقله الثعلبي في تفسيره (٣/ ٥١).

والثَّـاني: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ دعـا اليهـود إلى الإسـلام، فقالـوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨]، ونحـن أشـد [منـه][١] حبًّـا لله[٢] ممَّـا تدعونـا إليـه، فنزلـت ﴿قُلۡ[٣] إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ ونزلـت هـذه الآيـة[٤]، قالـه[٥] مُقَاتِـل[٦].

والثَّالث: أنَّها نزلت في نصارى نجران، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمـران: ٣٣، ٣٦].

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾.

قـال ابـن عبَّـاس: قالـت اليهـود: نحـن أبنـاء إبراهيـم، وإسـحاق، ويعقـوب، ونحـن عـلى دينهـم، فنزلـت هـذه الآيـة[٧] قالـه[٨] الزَّجَّـاج، ومعنـى

(١) زيادة من (ج).

(٢) ليست في (ف).

(٣) من قوله: (أبناء الله) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) قوله: (ونزلت هذه الآية)، ليس في (ج).

(٥) في بقية النسخ: هذا قول.

(٦) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٧١).

(٧) نقله الثعلبي في تفسيره (٣/ ٥٢) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٨) في بقية النسخ: قال.

اصطفاهم في اللُّغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل لما[١] يرى؛ لأن العرب[٢] تمثل المعلوم بالشيء المرئي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عيانًا، فنحن نُعاين[٣] الشيء الصافي أنَّه النقي[٤] من الكدر[٥]، فكذلك صفوة الله من خلقه. وفيه ثلاث لغات: صَفوة، وصِفوة[٦]، وصُفوة[٧]. [٩٢/أ]

فأمَّا «آدم» فعربيٌّ وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة».

وأما «نوح» فعجميٌّ مُعرَّب.

قال أبو سليمان الدِّمشقي: اسم نوح: السَّكَنُ[٨]، وإنما سُمِّي نوحًا، لكثرة نوحه.

وفي سبب نوحه خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه كان ينوح على نفسه، قاله يزيد الرَّقاشي.

---

(١) في بقية النسخ: بما.

(٢) ليست في (م).

(٣) في (م): نشاهد.

(٤) ليست في (ر).

(٥) في (ر): الكذب.

(٦) ليست في (ر).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٩).

(٨) في (ج): السكر.

والثَّاني: أنَّه كان ينوح[١] لمعاصي أهله، وقومه.

والثَّالث: لمراجعة ربه في ولده.

والرَّابع: لدعائه على قومه بالهلاك.

والخامس: لأنَّه مرَّ بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعِبتني يا نوح أم عبت[٢] الكلب؟.

وفي «آل إبراهيم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم من كان على دينه، قاله ابن عبَّاس، والحسن.

والثَّاني: أنَّهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، قاله مُقَاتِل.

والثَّالث: أنَّ[٣] المراد بـ«آل إبراهيم» هو نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٨]، ذكره بعض أهل التَّفسير.

وفي «عمران» قولان:

أحدهما: أنَّه والد مريم، قاله الحسن، ووهب.

والثَّاني: أنَّه والد موسى وهارون، قاله مُقَاتِل.

---

(١) من قوله: (على نفسه) ... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) في (ر): علت.

(٣) من قوله: (مُقَاتِل)... إلى هنا، مكانه بياض في (م).

وفي «آله» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه عيسى ﵇، قاله الحسن.

والثَّاني: أنَّه آل موسى وهارون، قاله مُقَاتِل.

والثَّالث: أنَّ المراد بـ «آله» نفسه، ذكره بعض المفسِّرين.

وإنما خصَّ هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء عليهم السلام كلهم من نسلهم.

وفي معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ المراد اصطفاء دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عبَّاس، واختاره[1] الفرَّاء[2]، والدِّمشقي.

والثَّاني: أنَّه اصطفاهم بالنبوة، قاله الحسن، ومُقَاتِل.

والثَّالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميَّزهم بها على أهل زمانهم.

والمراد بـ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عالمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

قوله: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: نصْبُها على البدل، والمعنى: اصطفى[3] ذرية بعضها من بعض[4][5].

---

(١) في (ج): أجازه.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٧).

(٣) ليست في (ف).

(٤) العبارة بكاملها ليست في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩٩).

قال ابن الأنباريِّ: وإنَّما قال: بعضها؛ لأن لفظ الذرية مؤنث، و[لو][1] قال: بعضهم، ذهب إلى معنى الذُّرِّيَّة.

وفي معنى هذه البعضيَّة[2] قولان:

أحدهما: أنَّ بعضهم من بعض في[3] التَّناصُر والدِّين، لا في التَّناسل[4]، وهو معنى قول ابن عبَّاس، وقتادة.

والثَّاني: أنَّه من التَّناسل؛ لأنَّ جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذريَّة إبراهيم، ذكره بعض أهل التَّفسير[5].

قال أبو بكر النَّقَّاش: ومعنى قوله: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ أن الأبناء ذريَّة الآباء، والآباء ذريَّة الأبناء كقوله: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١]، فجعل الآباء ذريَّة الأبناء، وإنما جاز ذلك؛ لأنَّ الذُّرِّيَّة مأخوذة من ذرأ الله الخلق، فسمي الوالد للولد ذريَّة[6]؛ لأنه ذرئ منه، وكذلك يجوز أن يقال للأب: ذرية للابن؛ لأن ابنه ذرئ منه، فالفعل يتصل به من الوجهين، ومثله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، فأضاف الحبَّ إلى [٩٢/ب] الله، والمعنى: كحبِّ المؤمن لله، ومثله ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]، فأضاف الحبَّ إلى الطعام.

---

(١) سقطت من الأصل، وهي مثبتة من بقية النسخ.

(٢) في (ج): البعضة.

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ج): تناصل.

(٥) في (م): المفسِّرين.

(٦) ليست في (ج).

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾.

في «إذ» قولان:

أحدهما: أنَّها زائدة، واختاره أبو عبيدة، وابن قُتَيْبَةَ[١].

والثَّاني: أنَّها أصلٌ في الكلام.

ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ المعنى: اذكر إذ قالت امرأة عمران، قاله المُبَرِّد، والأخفش[٢].

والثَّاني: أنَّ العامل في «إِذْ قالَتِ» معنى الاصطفاء، فيكون المعنى: اصطفى آل عمران، إذ قالت امرأة عمران[٣]، واصطفاهم إذ قالت الملائكة: يا مريم، هذا اختيار الزَّجَّاج[٤].

والثَّالث: أنَّها من صلة «سميعٌ» تقديره: والله سميعٌ إذ قالت، وهذا اختيار ابن جرير الطَّبري[٥].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٠)، وغريب القرآن (ص: ١٠٣)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٠).

(٣) قوله: (إذ قالت امرأة عمران)، ليس في (ر).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٣٣٠).

قال ابن عبَّاس: واسم امرأة عمران[١] حَنَّة[٢]، وهي أم مريم، وهذا عمران بن ماثان[٣]، وليس بـ «عمران أبي[٤] موسى»، وليست هذه مريم أخت موسى. وبين عيسى وموسى ألف وثمانمائة سنة[٥].

و«المحَرَّر»: العتيق.

قال ابن قُتَيْبَةَ: أعتقت الغلام، وحرَّرته: سواء. وأرادت: إني نذرت أن أجعل ما في بطني محرَّرًا من التعبيد للدنيا، ليعبدك[٦].

وقال الزَّجَّاج: كان على أولادهم فرضًا أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادمًا في متعبدهم[٧].

وقال ابن اسحاق: كان السبب في نذرها أنَّه أمسك عنها الولد حتى أسنَّت[٨]، فرأت طائرًا يطعم فرخًا له، فدعت الله ﷻ أن يهب لها ولدًا، وقالت: اللهم لك عليَّ [نذرٌ][٩] إن رزقتني ولدًا أن أتصدَّق به على بيت

(١) في (ر): امران، وقوله: (واسم امرأة عمران)، مكانه بياض في (م).

(٢) في (ر): جنة.

(٣) في (ر): ماتان.

(٤) في (ر): ابن.

(٥) عزاه السُّيوطي في الدر المنثور(٢/ ١٨٠)؛ لإسحاق بن بشر في المبتدأ، وابن عساكر.

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٣).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠١).

(٨) في (ج): آيست.

(٩) زيادة من (ج)، و(م).

المقدس، فحملت بمريم، وهلك عمران، وهي حامل[١].

قال القاضي أبو يعلى: والنَّذر في مثل[٢] ما نذرت صحيح في شريعتنا، فإنَّه إذا نذر الإنسان أن ينشئ ولده الصغير على عبادة الله وطاعته، وأن يعلِّمه القرآن، والفقه، وعلوم الدِّين، صحَّ النَّذر[٣].

قوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾.

قرأ ابن عامرٍ، وعاصم إلا حفصًا ويعقوب: «بما وضعْتُ» بإسكان العين، وضم التاء.

وقرأ الباقون بفتح العين، وجزم التاء[٤].

قال ابن قُتَيْبَةَ: من قرأ بجزم التاء، وفتح العين، فيكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره: إني وضعتها أُنثى، وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت. ومن قرأ بضم التاء، فهو كلام متصل من كلام أمِّ مريم[٥].

قوْلُه: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾.

---

(١) نقله ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٨٤) عن ابن إسحاق.

(٢) ليست في (ف).

(٣) قوله: (صح النذر)، ليس في (ر).

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٤)، والتَّيسير (ص: ٨٧)، والمبسوط (ص: ١٦٢) وقرأ ابن عبَّاس كما في مختصر الشواذ (ص:٢٦) «وضَعْتِ» بكسر التاء على الخطاب من الله لها.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٤).

تمام اعتذارها، ومعناه: لا تصلح الأنثى لما يصلح له الذكر، من خدمة المسجد، والإقامة فيه؛ [لما يلحق الأنثى من الحيض والنِّفاس](١).

قال السُّدِّي: ظنَّت أنَّ ما في بطنها غلام، فلمَّا وضعت جارية، اعتذرت(٢).

و«مريم»: اسم أعجمي.

وفي الرّجيم قولان:

أحدهما: أنَّه الملعون، قاله قتادة.

والثَّاني: أنَّه المرجوم بالحجارة، كما تقول: قتيل بمعنى مقتول(٣)، قاله أبو عبيدة(٤). فعلى هذا سُمي رجيمًا؛ لأنه يرمى بالنُّجوم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧، ٣٨].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٣٨) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٣) من قوله: (قاله قتادة)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

قوْلُه: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾.

قرأ مُجَاهِد: [«فتقبَّلْها»][١] بسكون اللام «ربَّها» بنصب الباء «وأنبِتْها» بكسر الباء وإسكان التاء على معنى الدُّعاء[٢]. [٩٣/أ]

قال الزَّجَّاج: الأصل في العربية: تقبَّلها بتقبُّل[٣] حسن، ولكن «قبول» محمول على ما[٤] قبلها قبولًا يقال: قبلت الشيء قَبولًا، ويجوز قُبولا: إذا رضيته[٥].

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾؛ أي: جعل نشوءها نشوءًا حسنًا، وجاء «نباتًا» على غير لفظ[٦] أنبت، على معنى: نبتت[٧] نباتًا حسنًا.

وقال ابن الأنباريِّ: لما كان «أنبت» يدل على نبت حمل الفعل على المعنى، فكأنَّه قال: وأنبتها، فنبتت هي نباتًا حسنًا.

---

(١) زيادة من باقي النسخ.

(٢) انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٦).

(٣) في (ج): (بقبول).

(٤) ليست في بقية النسخ.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠١).

(٦) ليست في (ر).

(٧) في (م): ينبت.

قال امرؤ القيس(١)[من الطويل]:

فَصِرْنَـا إِلَى الْحُسْـنَى وَرَقَّ كَلامُنَـا(٢)   وَرُضْـتُ فَذَلَّـتْ صَعْبَـةٌ(٣) أَيَّ إِذْلَالِ

أراد: أي رياضــة(٤)، فلـما دل «رُضْــتُ»(٥) عــلى «أذللــت» حمله عــلى المعنــى.

وللمفسِّرين في معنى «النَّبات الحسن» قولان:

أحدهما: أنَّـه كـمال النُّشـوء، قـال ابـن عبَّـاس: كانـت تنبـت في اليـوم مـا ينبـت المولـود في عـام(٦).

والثَّـاني: أنَّـه تـرك الخطايـا، قـال قتـادة حدثنـا أنَّهـا كانـت لا تصيـب(٧) الذُّنـوب، كـما يصيـب بنـو آدم.

---

(١) البيــت لامــرئ القيــس في ديوانــه (ص: ٣٢)، وخزانــة الأدب (٩/ ١٨٧)، وشرح شــواهد المغنــي (١/ ٣٤١)، ولســان (٧/ ١٦٤) (روض).

(٢) في (ف): (حديثنا)، والشطر الأوَّل مكانه بياض في (م).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ج): (رضا به).

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه الثعلبي في تفسيره (٣/ ٥٦) من طريق جويبر، عن الضَّحَّاك، به، بنحوه.

(٧) قوله: (لا تصيب)، ليس في (ج).

قوْلُه: ﴿وَكَفَّلَهَا زكريا﴾[١]

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وابن عامرٍ: «كفَلها» بفتح الفاء خفيفة، و«زكرياء» مرفوع ممدود.

وروى أبو بكر عن عاصم: تشديد الفاء، ونصب «زكرياء»، وكان يمد «زكريا» في كل القرآن في رواية أبي بكر[٢].

وروى حفص عن عاصم: تشديد الفاء[٣] و«زكريا» مقصور في كل القرآن[٤].

وكان حمزة والكِسَائِي يشدِّدان «كفَّلها»، ويقصران «زكريا» في كل القرآن[٥].

وقال الفرَّاء في «زكريا»[٦] ثلاث لغات:

أهل الحجاز يقولون: هذا زكريا قد جاء، مقصور، وزكرياء، ممدود.

وأهل نجد يقولون: زكري، فيجرونه، ويلقون الألف[٧].

---

(١) سقطت الآية من (م).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٥)، والحُجَّة (ص: ٣/ ٣٣)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦١).

(٣) من قوله: (ونصب زكريا) ... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) من قوله: (في رواية أبي بكر)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٤)، والحُجَّة (٣/ ٣٧)، والتَّيسير (ص: ٨٧).

(٦) في بقية النسخ: فأما زكريا فقال الفرَّاء فيه.

(٧) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٨).

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، عن ابن دريد، قال: زكريا اسم أعجمي، يقال: زكريُّ، وزكريا مقصور، وزكرياء ممدود.

وقال غيره: وزكري بتخفيف الياء، فمن قال[١]: زكرياء بالمد، قال في التثنيه: زكراوان[٢]، وفي الجمع زكرياوون، ومن قال: زكريا بالقصر، قال في التثنيه زكريان. وفي الجمع زكرييون، ومن قال: زكري، قال[٣]: زكرييان كما تقول: مدنيان، ومن قال: زكري بتخفيف الياء، قال في التثنية:[٤] زكريان الياء خفيفة، وفي الجمع: زكرون بطرح الياء[٥].

الإِشَارَةُ إِلَى كَفالَةِ زَكرِيَّا مَرْيَمَ

قال السُّدِّيُّ: انطلقت بها أمُّها في خرقها، وكانوا يقترعون على الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبيُّهم يومئذ: أنا أحقُّ[٦] بها، عندي خالتها[٧]، فأبوا، وخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فجرت الأقلام، وثبت قلم زكريا، فكفلها[٨].

---

(١) في (ر): قرأ.

(٢) في بقية النسخ: زكريا وان.

(٣) من قوله: (زكريان)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) من قوله: (قال في التثنية زكريان وفي الجمع زكرييون)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: المعرب (ص: ٣٤٩).

(٦) في بقية النسخ: أحقكم.

(٧) في الأصل: (أختها) وصحَّحها في الحاشية، وهو الموافق لبقية النسخ.

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٤٩) من طريق أسباط بن نصر، به.

قال ابن عبَّاس: كانوا سبعة وعشرين رجلاً، فقالوا: نطرح أقلامنا[١]، فمن صعد قلمه مغالبًا[٢] للجرية فهو أحقُّ بها، فصعد قلم زكريا[٣]. [٩٣/ ب]

فعلى هذا القول كانت غلبة[٤] زكريا بالمصاعدة[٥]؛ أي: بمصاعدة[٦] قلمه، وعلى قول السُّدِّي بوقوفه في جريان الماء.

وقال مُقَاتِل: كان يغلق عليها الباب، ومعه المفتاح، لا يأمن عليه[٧] أحدًا، وكانت إذا حاضت، أخرجها إلى منزله تكون مع خالتها[٨] أم يحيى، فإذا طهرت، ردها إلى بيت المقدس[٩].

والأكثرون على أنَّه كفلها منذ كانت طفلة[١٠] بالقرعة.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ر): مغالها.

(٣) نقله الثعلبي في تفسيره (٣/ ٥٧).

(٤) في (ج): عليه.

(٥) ليست في بقية النسخ.

(٦) في (ف): بمساعدة.

(٧) في (ج): عليها، وفي (م): على.

(٨) في الأصل: (أختها) وصحَّحها في الحاشية، وهو الموافق لبقية النسخ.

(٩) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٧٣).

(١٠) ليست في (ج).

وقد ذهب قوم إلى أنَّه كفلها عند طفولتها من غير قرعة، لأجل أن أمها ماتت وكانت خالتها عنده. فلما بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها، وإنما كان الاقتراع بعد ذلك بمدة[١]، لأجل سنة أصابتهم.

وقال محمد بن إسحاق: كفلها زكريا إلى أن أصابت النَّاس سنة، فشكا زكريا[٢] إلى بني إسرائيل ضيق يده، فقالوا: ونحن أيضًا كذلك، فجعلوا يتدافعونها حتى إذا اقترعوا، فخرج السَّهم على جريج النَّجار، وكان فقيرًا، فكان يأتيها باليسير، فينمي، فدخل زكريا، فقال: ما هذا على قدر نفقة جريج، فمن أين هذا؟[٣] قالت: هو من عند الله[٤].

والصَّحيح ما عليه الأكثرون، وأن القوم تشاحوا[٥] على كفالتها؛ لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران، كذلك قال قتادة في آخرين[٦]، وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها.

فأمَّا ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾.

---

(١) ليست في (ج)، ومكانها بياض في (م).

(٢) من قوله: (إلى أن أصابت)... إلى هنا، ليس في (م).

(٣) من قوله: (على قدر نفقة)... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٣٥٧).

(٥) في (ج): تشاجرا.

(٦) رواه الطَّبري في تفسيره (٣/ ٣٥٠) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، به.

فقال أبو عبيدة: المحراب[١] سيد المجالس، ومقدمها، وأشرفها، وكذلك هو من المسجد[٢].

وقال الأصمعي: المحراب هاهنا: الغرفة[٣].

وقال الزَّجَّاج: المحراب في اللُّغة: الموضع العالي الشريف[٤]. قال الشَّاعر [من السريع]:

رَبَّةُ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا[٥]

قوْلُه: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾.

قال ابن عبَّاس: ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وهذا قول الجماعة[٦].

قوْلُه: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؛ أي: من أين؟.

---

(١) قوله: (فقال أبو عبيدة: المحراب)، ليس في (ر).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩١).

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٤٣٤)، وتهذيب اللُّغة (٥/ ١٧).

(٤) في (ر): المشرف.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٣) والبيت لوضاح اليمن في لسان العرب (١/ ٣٠٥) (حرب)، وجمهرة اللُّغة (ص: ٢٧٦)، وتاج العروس (٢/ ٢٥٤) (حرب)، وبلا نسبة في مقاييس اللُّغة (٢/ ٤٩).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٦١) من طريق سعيد بن جُبَيْر، به، بنحوه.

قال الرَّبيع بن أنس[(١)]: كان زكريا إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقًا[(٢)].

قال الحسن: لم ترتضع ثديًا قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، وتكلمت وهي صغيرة[(٣)].

وزعم مُقَاتِل أن زكريا استأجر لها ظئرًا[(٤)].

وعلى ما ذكرنا عن ابن إسحاق[(٥)] يكون قوله: أَنَّى لك هذا؟ لاستكثار ما يرى عندها. وما عليه الجمهور أصح.

و«الحساب» في اللُّغة: التَّقتير[(٦)] والتَّضييق.

قوْلُه تعَالَى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾.

قال المفسِّرون: لما عاين زكريا هذه الآية المعجبة[(٧)] من رزق الله تعالى مريم الفاكهة في غير حينها، طمع في الولد على الكبر.

---

(١) في (ج): أنفس.

(٢) رواه الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٥٦) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٥٧) من طريق عباد، عن الحسن، بنحوه.

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٧٣).

(٥) في (ر): الإسحاق.

(٦) في (ر): التَّفسير.

(٧) في (ج): العجيبة.

ومِنْ ﴿لَّدُنكَ﴾ بمعنى: عندك.

و«الذُّرِّيَّة» تقال للجمع، وتقال للواحد، والمراد بها هاهنا: الواحد.

[٩٤/أ] قال الفرَّاء: وإنَّما قال: ﴿طَيِّبَةً﴾ لتأنيث الذُّرِّيَّة، والمراد بالطَّيبة: التَّقيَّة[١] الصَّالحة[٢].

و«السَّميع»: بمعنى السَّامع. وقيل: أراد مجيب الدُّعاء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٣٩، ٤١].

قوْلُه: ﴿فَنَادَتْهُ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وعاصم، وأبو عَمْرٍو، وابن عامرٍ: «فنادته» بالتاء.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «فناداه»[٣] بألف ممالة[٤].

---

(١) في (ر): الثقية، وفي (ج): البقية، وفي (م): النقية، وهي في الأصل: بلا نقط.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٨).

(٣) في (ج): فنادته.

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٥)، والتَّيسير (ص: ٨٨)، والحُجَّة (٣/ ٣٧)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٢).

قال أبو عليٍّ: هو كقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠][١].

وقرأ علي، وابن مَسْعُودٍ، وابن عبَّاس، وقتادة[٢]: بألف[٣].

وفي الملائكة قولان:

أحدهما: جبريل وحده، قاله السُّدِّي، ومُقَاتِل، ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول ركبت في السُّفن، وسمعت هذا من النَّاس.

والثَّاني: أنَّهم جماعة من الملائكة، وهو[٤] مذهب قوم، منهم ابن جرير الطَّبري[٥].

وفي «المحراب» قولان:

أحدهما: أنَّه المسجد.

والثَّاني: قبلة المسجد.

---

(١) انظر: الحُجَّة (٣/ ٣٧).

(٢) في (ر)، و(ف)، و(م): فناداه.

(٣) انظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ١٥٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٢٨).

(٤) في (ر): وهذا.

(٥) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٣٦٣).

وفي تسمية محراب الصَّلاة محرابًا، ثلاثة أقوال:

أحدها: لانفراد الإمام فيه، وبُعده من النَّاس، ومنه قولهم: فلان حرب[١] لفلان: إذا كان بينهما مباغضة، وتباعد، ذكره ابن الأنباريِّ[٢]، عن أبيه، عن أحمد بن عبيد[٣].

والثَّاني: أنَّ المحراب في اللُّغة أشرف الأماكن، فأشرف المسجد مقام الإمام.

والثَّالث: أنَّه مأخوذ[٤] من الحرب، فالمصلِّي محارب للشَّيطان.

قوْلُه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾.

قرأ[٥] الأكثرون بفتح الألف على معنى: فنادته بأنَّ الله، فلمَّا[٦] حذف الجار منها، وصل الفعل إليها، فنصبها[٧].

---

(١) في (ج): يحرب.

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٤٣٤).

(٣) أحمد بن عبيد، هو ابن ناصح بن بلنجر أبو جَعْفَرٍ النحوي الكوفي، يعرف بأبي عصيدة، ديلمي الأصل من موالي بني هاشم، كان من أئمة العربية وهو معدود من نحوي الكوفة، حدث عن الواقدي، والأصمعي، وعنه القاسم بن محمد الأنباري، وجماعة، توفي سنة ٢٧٣هـ وانظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٢٨)، ومعجم الأدباء (١/ ٣٦١)، وإنباه الرواة (١/ ١١٩).

(٤) ليست في (ج).

(٥) زاد في (م): ابن كَثِير.

(٦) في (ر): فاد.

(٧) في (م): قبضها.

وقرأ ابن عامرٍ، وحمزة، [والكِسَائِي][1] بكسر «إنَّ» فأضمر القول[2]. والتقدير: فنادته، فقالت: إنَّ الله يبشرك.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو: «يُبَشِّرك» بضم الياء، وفتح الباء، والتشديد في جميع القرآن إلا في «عسق»: ﴿يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الآية:٢٣] فإنَّهما فتحا الياء وضمَّا الشِّين، وخفَّفاه[3].

فأما نافع، وعاصم، وابن عامرٍ، فشدَّدوا في كلِّ القرآن[4].

وقرأ حمزة: «يَبْشُر» خفيفًا في كل القرآن، إلا قوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤][5].

وقرأ الكِسَائِي «يَبْشُر» مخفَّفة في خمسة[6] مواضع، في «آل عمران» في قصة زكريا، وقصة مريم، وفي «بني إسرائيل» وفي «الكهف» وفي «عسق»[7].

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٥)، والحُجَّة (٣/ ٣٨)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٢).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٥)، والمبسوط (ص: ١٦٣).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) في الأصل، و(ج): خمس، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٧) انظر: المصدر السابق.

قال الزَّجّاج: وفي «يبشرك» ثلاث لغات:

أحدها: يبَشِّرك بفتح الباء[١] وتشديد الشين.

والثَّانية: «يبْشُرك» بإسكان الباء[٢]، وضم الشين.

والثَّالثة: «يُبْشرك» بضم الياء وإسكان الباء، فمعنى «يبشِّرك» بالتشديد و«يُبشرك»[٣] بضم الياء: البشارة. ومعنى «يَبْشرك» بفتح الياء: يَسُرُّك ويفرحك، يقال: بشَرت الرجل أبشره[٤]: إذا أفرحته، وبشر الرجل يبشر [إذا فرح][٥]. أنشد الأخفش، والكِسَائِي [شعرًا][٦] [من الطويل]:

فَإذا لَقيتَ الْبَاهِشِينَ إلَى النَّدَى[٧] غُبْراً أَكُفُّهُمْ بِقَاعٍ مُمْحِلِ
فَأَعِنْهُمُ وَابشَرْ بِمَا بَشِروا بِهِ وإذا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ[٨]

---

(١) في (ج): الياء.

(٢) في (ج): الياء.

(٣) من قوله: (وإسكان الباء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) زاد في بقية النسخ: أبشِره.

(٥) زيادة من (ج).

(٦) زيادة من (م).

(٧) في (ر): البدى.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٥- ٤٠٦)، والبيتان لعبد قيس بن خفاف البرجمي التميمي. وانظر: المُفَضَّليات (ص: ٣٨٥)، والأصمعيات (ص: ٢٣٠) وجاء عجز البيت الثَّاني فيهما: فأعنهم وايسر بِمَا يسروا بِهِ.

فهذا على بشر يبشَر: إذا فرح.

وأصل هذا كله أن بشَرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومنه قولهم: تلقاني ببشر، أي: بوجهٍ منطلق[1] منبسط.

وفي معنى تسميته بـ«يحيى» خمسة أقوال:

أحدها: لأنَّ الله تعالى أحيا به عقر أمِّه. قاله ابن عبَّاس. [٩٤/ ب]

والثَّاني: لأنَّ الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان. قاله قتادة.

والثَّالث[2]: لأنَّه أحياه بين[3] شيخ وعجوز، قاله مُقَاتِل[4].

والرَّابع: لأنَّه حيي[5] بالعلم والحكمة[6] التي أوتيها، قاله الزَّجَّاج[7].

والخامس: لأنَّ الله أحياه بالطَّاعة، فلم يعص، ولم يَهِمَّ، قاله الحسين ابن الفضل[8].

---

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) في (م): والثَّاني.

(٣) في (م): لأنَّه حيا.

(٤) في (ر): قتادة.

(٥) مكانها بياض في (م).

(٦) في (م): بالعلوم.

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٠).

(٨) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، المفسر، الأديب، إمام عصره في معاني القران، صاحب فنون وتعبد، توفي وهو ابن مائة وأربع سنين في سنة ٢٨٢ هـ. انظر: العبر في خبر من غبر (١/ ٩٩)، والوافي بالوفيات (٤/ ٢٨١)،=

وفي «الكلمة» قولان:

أحدهما: أنها عيسى، وسمي كلمة؛ لأنه بالكلمة كان، وهي «كن» وهذا قول ابن عبَّاس، والحسن، ومُجَاهِد، وقتادة والسُّدِّي، ومُقَاتِل، وقيل: إنَّ يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى.

والثَّاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي[1] عبيدة في آخرين. ووجهه أنَّ العرب تقول: أنشدني فلان كلمته، أي: قصيدته.[2]

وفي معنى السَّيِّد ثمانية أقوال:

أحدها: أَنَّه الكريم على ربه[3]، قاله ابن عبَّاس، ومُجَاهِد.

والثَّاني: أَنَّه الحليم[4] التقي، روي عن ابن عبَّاس أيضًا، وبه قال الضَّحَّاك.

والثَّالث: أَنَّه الحليم[5]، قاله الحسن، وسعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمَة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والرَّبيع، ومُقَاتِل.

=وطبقات المفسِّرين (١/ ٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٤).

(١) في (ج): ابن.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩١).

(٣) قوله: (على ربه)، ليس في (م).

(٤) في (م): الحكيم.

(٥) في (ج): الحكيم.

والرَّابع: أنَّه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المُسَيَّب.

والخامس: أنَّه التَّقي، رواه سالم عن ابن جُبَيْر.

والسَّادس: أنَّه الحَسَن الخلق، رواه أبو روق عن الضَّحَّاك.

والسَّابع: أنَّه الشريف، قاله ابن زيد.

والثَّامن: أنَّه الذي يفوق قومَه في الخير، قاله الزَّجَّاج. وقال ابن الأنباريِّ: السَّيِّد هاهنا الرَّئيس، والإمام في الخير[١].

فأمَّا «الحصور» فقال ابن قُتَيْبَةَ: هو الذي لا يأتي النِّساء، وهو فعول بمعنى مفعول، كأنَّه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن. وأصل الحصر: الحبس. ومما جاء على «فعول» بمعنى «مفعول» مثل[٢]: ركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، وهيوب بمعنى مهيب[٣].

واختلف المفسِّرون لماذا كان لا يأتي النِّساء؟ على أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه لم يكن له ما يأتي به النِّساء.

فروى عمرو بن العاص عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَومَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا**» قال: ثم دلَّى رسول الله ﷺ يده إلى الأرض، فأخذ عودًا صغيرًا، ثم قال: «**وَذَلِكَ أَنَّه لَمْ يَكُنْ لَهُ**

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٦)، والزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ١٢٣).

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٥).

مَا لِلرِّجَالِ إِلَّا مِثْلُ هَذَا الْعُودِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ سَيِّدًا وَحَصُورًا»[١]. وقال سعيد بن المُسَيَّب: كان له كالنَّواة[٢].

والثَّاني: أنَّه كان لا يُنزل الماء، قاله ابن عبَّاس، والضَّحَّاك.

والثَّالث: أنَّه كان لا يشتهي النِّساء، قاله الحسن، وقتادة، والسُّدِّي.

والرَّابع: أنَّه كان يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي.

قوْلُه: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ قال ابن الأنباريِّ: معناه: من الصَّالحي الحال عند الله.

قوْلُه: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ﴾؛ أي: كيف يكون؟!.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٦٤) من طريق يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المُسَيَّب، عن ابن العاص لا يدري عبد الله أو عمرو، بنحوه.

ورواه ابن المنذر في تفسيره (٤٣٠) من نفس الطريق، عن عبد الله بن عمرو، مرفوعًا.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٩٠٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٦٥) من طريق يحيى ابن سعيد الأنصاري، عن ابن المُسَيَّب، عن عبد الله بن عمرو، موقوفًا، وهو الصواب كما قال ابن كَثِير.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٧٨) من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري، به بنحوه.

قال الكُمَيت[1] [من المنسرح]:

أَنَّـى وَمِـنْ أَيـنَ آبَـكَ الطَّـرَبُ[2]

قـال العلماء، منهم الحسن، وابن الأنباريِّ، وابن كيسان: كأنَّه قال: من أي وجه[3] يكون لي الولد؟ أيكون بإزالة العقر عن زوجتي، وردِّ شبابي؟ أم يأتي[4] ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا[5] على وجه الشك. [٩٥/ أ]

قـال الزَّجَّاج: يقال: غلام بيِّن الغلوميَّة، وبيِّن الغلاميَّة[6]، وبيِّن الغلومة[7][8].

قال شيخنا أبو منصور اللغويُّ: الغلام: فعال، من الغُلمة، وهي شدَّة شهوة النِّكاح، ويقال للكهل: غلام.

---

(١) هو الكميت بن زيد، من بني أسد، ويكنى أبا المستهل، وكان معلِّماً، شديد التَّكلُّف في الشِّعر، انظر: الشعر والشعراء (٢/ ٦٥٥)، والبيت، وعجزه: من حيث لا صبوة ولا ريب. وهو في الصاحبي؛ لابن فارس (ص: ١٠٠)، والعين (٨/ ٣٩٩)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٥/ ٤٣٨) (أنى).

(٢) في (ج): الضَّرب.

(٣) في (م): جهة.

(٤) مكانها بياض في (م).

(٥) ليست في (م).

(٦) في (ج): الغلامة.

(٧) في (ر): الغلامة.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٨).

قالت ليلى الأخيليَّة[1] تمدح الحجاج [من الطويل]:

غُــلَامٌ إِذَا هَــزَّ الْقَنَــاةَ سَــقَاهَا[2]

وكأنَّ قولهم للكهل: غلام، أي: قد كان مرة غلامًا. وقولهم للطِّفل: غلام على معنى التفاؤل، أي: سيصير غلامًا. قال: وقيل: الغلام الطار الشارب، ويقال للجارية: غلامة.

قال الشَّاعر [من الطويل]:

تُهَازِهُــا[3] الْغُلَامَــةُ وَالْغُــلَامُ[4]

قوْلُه: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾؛ أي: وقد بلغت الكبر.

قال الزَّجَّاج: كل شيء بلغته فقد بلغك[5].

---

(١) ليلى الأخيلية الشاعرة المشهورة. كانت من أشعر النساء، لا يقدم عليها في الشعر غير الخنساء، أدركت زمن الحجاج، ووقعت له معها محاورة، توفيت سنة ٨٠هـ. تاريخ الإسلام (٥/ ٥١٧).

(٢) انظر: درة الغواص (ص: ٨٥٩)، والبيت من قصيدة لها تمدح بها الحجاج بن يوسف، وهو في ديوانها (ص:١٢١)، وأشعار النساء (ص: ٤٧)، وأمالي القالي (١/ ٨٦)، ولسان العرب (١١/ ٤٥٢) (عضل)، (١٢/ ٤١٣) (عقم).

(٣) في (ر)، و(ف)، و(م): تهان له.

(٤) انظر: درة الغواص (ص: ٨٦٠)، والبيت لأوس بن غلفاء الهجيمي التميمي، وهو جاهلي، انظر: الشعر والشعراء (٢/ ٦٢١) والبيت في شرح المفصل (٥/ ٩٧)، ولسان العرب (٢/ ٥١٠) (صرح)، (٧/ ١٦٠) (ركض)، (٢١/ ٤٤٠) (غلم).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٨).

وفي سِنِّهِ يومئذ ستة أقوال:

أحدها: أنَّه كان له(١) مائة وعشرين سنة، وامرأته بنت ثمان وتسعين سنة(٢)، قاله ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّه كان ابن بضع وسبعين(٣) سنة، قاله قتادة.

والثَّالث: ابن خمس(٤) وسبعين [سنة](٥)، قاله مُقَاتِل.

والرَّابع: ابن سبعين، حكاه فضيل(٦) بن غزوان.

والخامس: ابن خمس وستين.

والسَّادس: ابن ستين، حكاهما الزَّجَّاج.

قال اللغويون: والعاقر من النِّساء والرِّجال: الذي لا يأتيه الولد، وإنَّما قال: «عاقرًا» ولم يقل: عاقرة؛ لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث، والمذكر فيه كالمستعار، فأجري مجرى «طالق» و«حائض»(٧)، هذا قول الفرَّاء.

---

(١) في بقية النسخ: ابن.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ج): وستين.

(٤) في (ر): خمسين.

(٥) زيادة من (ف).

(٦) في (ج): فضل.

(٧) في (ج): حائط.

قوْلُه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾؛ أي: علامة على وجود الحمل.

وفي [علَّة][(١)] سؤاله «آية» قولان:

أحدهما: أنَّ الشَّيطان جاءه، فقال: هذا الذي سمعت من صوت الشَّيطان، ولو كان من وحي [الله][(٢)]، لأوحاه إليك، كما يوحي إليك غيره، فسأل الآية، ذكره[(٣)] السُّدِّي عن أشياخه.

والثَّاني: أنَّه إنَّما سأل الآية على وجود الحمل ليبادر[(٤)] بالشكر، وليتعجل بالسرور؛ لأن شأن الحمل لا يتحقَّق بأوله فجعل الله تعالى آية وجود الحمل حبس لسانه ثلاثة أيام.

فأما «الرَّمز» فقال الفرَّاء: الرَّمز بالشَّفتين، والحاجبين، والعينين، وأكثره في الشَّفتين[(٥)].

قال ابن عبَّاس: جعل يكلم النَّاس بيده، وإنما منع من مخاطبة النَّاس ولم يحبس عن الذِّكر لله تعالى[(٦)].

---

(١) زيادة من بقية النسخ.

(٢) زيادة من (ر)، و(ج)، و(م).

(٣) في (ج): قاله.

(٤) في (ج): ليتأدب.

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٢١٣).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٨٩) من طريق عطية العوفي، به بنحوه.

وقال ابن زيد: كان يذكر الله، ويشير إلى النَّاس(١).

وقال عطاء بن السَّائب: اعتُقِلَ لسانه من غير مرض(٢).

وجمهور العلماء على أنَّه إنما اعتقل لسانه [آية](٣) على وجود الحمل.

وقال قتادة(٤)، والرَّبيع بن أنس(٥): كان ذلك عقوبةً له إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة بالبشارة.

قوْلُه: ﴿وَسَبِّحْ﴾.

قال مُقَاتِل: صلِّ(٦).

قال الزَّجَّاج: يقال: فرغت من سُبحتي(٧)، أي: من صلاتي(٨).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٨٩) من طريق عبد الله بن وهب، به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٧٦) من طريق ورقاء بن عمر، به.

(٣) سقطت من الأصل، وهي مثبتة من بقية النسخ.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٨٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٧٨) من طريق معمر، كلاهما عن قتادة، بنحوه.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٨٦) من طريق عبد الله بن جعفر، عن أبيه، به.

(٦) ليست في (ج).

(٧) قوله: (فرغت من سبحتي)، مكانه بياض في (م).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩).

وسمِّيت الصَّلاة تسبيحًا؛ لأن التَّسبيح تعظيم الله، وتنزيهه[١] من السُّوء، فالصَّلاة يوصف[٢] فيها[٣] بكل ما ينزه به[٤] من السُّوء.

[٩٥/ب] قوْلُه: ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ العشي: من حين تزول الشَّمس إلى آخر النَّهار. ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضُّحى.

قال الشَّاعر [من الطويل]:

فَلَا الظِّلَّ في[٥] بَردِ الضُّحى نَسْتَطِيعُهُ ... وَلَا الْفَيءَ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ نَذُوقُ[٦]

قال الزَّجَّاج: يقال: أَبْكَر الرَّجل يُبْكِر إبْكاراً، وبَكَر يُبَكِر تبكيراً،[٧] وبَكَر يبكر في كلِّ شيء تقدَّم فيه[٨].

---

(١) في (ر)، و(ج)، و(ف): وتبرئته.

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ر): بها.

(٤) في (ر)، و(ج)، و(ف): يبرئه.

(٥) في (ف): من.

(٦) البيت لحميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى، شاعر مخضرم، وأسلم ووفد على النبي ﷺ ومات في خلافة عثمان ﭬ، انظر: الشعر والشعراء (١/ ٣٧٨) والبيت في ديوانه (ص ٤٠)، إصلاح المنطق (ص: ٢٢٨)، الأغاني (٤/ ٣٥٠)، ولسان العرب (١/ ١٢٤) (فيأ)، وتاج العروس (١/ ٣٥٤) (فيأ).

(٧) قوله: (بكر يبكر تبكيرًا)، ليس في (ج).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ اصطفاك﴾.

قال جماعة من المفسِّرين: المراد بـ «الملائكة»: جبريل وحده. وقد سبق معنى الاصطفاء.

وفي المراد بالتَّطهير هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه التَّطهير من الحيض، قاله ابن عبَّاس.

وقال السُّدِّي: كانت مريم لا تحيض[1]. وقال قوم: من الحيض والنفاس.

والثَّاني: من مس الرِّجال، روي عن ابن عبَّاس أيضًا.

والثَّالث: من الكفر، قاله الحسن، ومُجاهِد، [والرَّبيع][2].

والرَّابع: من الفاحشة والإثم، قاله مُقَاتِل.

وفي هذا الاصطفاء الثَّاني أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه تأكيد الأوَّل.

والثَّاني[3]: أنَّ الأوَّل للعبادة. والثَّاني لولادة عيسى.

---

(١) أورده الثعلبي في تفسيره (٣/ ٦٧).

(٢) زيادة من (م).

(٣) ليست في (ج).

والثَّالث: أنَّ الاصطفاء الأوَّل اختيار منهم(١)، وعموم يدخل فيه صوالح النِّساء(٢)، فأعاد الاصطفاء لتفضيلها على نساء العالمين.

والرَّابع: أنَّه لمَّا أطلق الاصطفاء الأوَّل، أبان بالثَّاني أنَّها مصطفاة على النِّساء دون الرِّجال.

قال ابن عبَّاس، والحسن(٣)، وابن جُرَيْج(٤): اصطفاها على عالمي زمانها.

قال ابن الأنباريِّ: وهذا قول الأكثرين.

قوله: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ ﴾. قد سبق شرح القنوت في «البقرة».

وفي المراد به هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه العبادة، قاله الحسن(٥).

والثَّاني: طول القيام في الصَّلاة، قاله مُجاهِد.

والثَّالث: الطَّاعة، قاله قتادة، والسُّدِّي، وابن زيد.

والرَّابع: أنَّه الإخلاص، قاله سعيد بن جُبَيْر.

---

(١) في (ر)، و(ف): مبهم.

(٢) في بقية النسخ: من النِّساء.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٦٦).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٩٦) من طريق حجاج، به.

(٥) في (ر): الحسين.

وفي تقديم السُّجود على الرُّكوع أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ الواو لا[١] تقتضي التَّرتيب، وإنما تؤذن بالجمع، والرُّكوع مقدَّم، ذكره[٢] الزَّجَّاج في آخرين[٣].

والثَّاني: أنَّ المعنى استعملي السُّجود في حال، والرُّكوع في حال، لا أنَّهما يجتمعان في ركعة، فكأنَّه حثٌّ لها على فعل الخير.

والثَّالث: أنَّه مقدم ومؤخر، والمعنى: اركعي واسجدي، كقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥] ذكرهما ابن الأنباري.

والرَّابع: أنَّه كان كذلك في شريعتهم تقديم السُّجود على الرُّكوع، ذكره[٤] أبو سليمان الدِّمشقي.

قال مُقَاتِل: ومعناه[٥] اركعي مع المصلِّين قرَّاء[٦] بيت المقدس[٧].

---

(١) في (ج): لو.

(٢) في (ج): قاله.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٠).

(٤) في (ر): قاله.

(٥) ليست في (ر).

(٦) في الأصل: وراء، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٧٦).

قال مُجاهِد: سجدت حتى قرحت[(١)](٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٤، ٤٧].

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾.

«ذلك» إشارة إلى ما تقدَّم من قصَّة زكريا، ويحيى، وعيسى، ومريم. و«الأنباء»: الأخبار. و«الغيب»: ما غاب عنك. و«الوحي»: كل شيء دللت به من كلام أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة، قاله ابن قُتَيْبَة.

والوحي في القرآن على وجوه تراها في كتابنا الموسوم بـ «الوجوه[(٣)] والنظائر»[(٤)] موثقة[(٥)].

---

(١) في الأصل: فرحت، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) من طريق ليث، به، بلفظ: تصلي حتى ترم قدماها.

(٣) في (م): الأوجه.

(٤) انظر: الوجوه والنظائر: (ص: ٦٢١ - ٦٢٢).

(٥) في (ر)، و(ف): مؤنقة.

وفي الأقلام ثلاثة أقوال(١):

أحدها: أنَّها التي يكتب بها، قاله ابن عبَّاس، وابن جُبَيْر، والسُّدِّي. [٩٦/أ]

والثَّاني: أنَّها العِصِيّ، قاله الرَّبيع بن أنس.

والثَّالث: أنَّها القِداح، وهو اختيار ابن قُتَيْبَةَ(٢).

وكذلك قال الزَّجَّاج: هي قداح(٣) جعلوا عليها علامات يعرفونها على جهة القرعة. وإنما قيل للسَّهم: القلم؛ لأنه يقلم؛ أي: يبرى. وكل ما قطعت منه شيئًا بعد شيء، فقد قلمته، ومنه القلم الذي يكتب به؛ لأنه قُلم مرة بعد مرة، ومنه: قلَّمت أظفاري.

قال: ومعنى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [لينظروا](٤) أيهم تجب [له](٥) كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها(٦).(٧)

ومعنى ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم.

---

(١) في (ج): أوجه.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٥).

(٣) من قوله: (وهو اختيار ابن قُتَيْبَةَ)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) زيادة من بقية النسخ.

(٥) سقطت من الأصل، وهي مثبتة من بقية النسخ.

(٦) العبارة بكاملها ليست في (م).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١١).

وقد سبق شرح كفالتهم آنفًا.

وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه قوله[١] له: «كن» [فيكون][٢] فكان، قاله ابن عبَّاس، وقتادة.

والثَّاني: أنَّها بشارة[٣] الملائكة مريم بعيسى، حكاه أبو سليمان.

والثَّالث: أن الكلمة اسم لعيسى ﷺ، وسمي كلمة؛ لأنه كان عن[٤] الكلمة.

قال القاضي أبو يعلى: لأنَّه يهتدى به كما يهتدى[٥] بالكلمة من الله تعالى.

وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال:

أحدها: أنَّه لم يكن لقدمه أخمص، والأخمص[٦]: ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس.

---

(١) في (ر)، و(ج)، و(م): قول الله.

(٢) زيادة من (م).

(٣) في (م): إشارة.

(٤) في (ج): على.

(٥) قوله: (كما يهتدى)، ليس في (ر).

(٦) ليست في (م).

والثَّالث: أنَّه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد[١].

والرَّابع: أنَّ معنى المسيح[٢]: الصديق قاله مُجَاهِد، وإبراهيم النَّخعي، وذكره اليزيدي. قال أبو[٣] سليمان: ومعنى هذا أن الله مسحه، وطهره من الذُّنوب.

والخامس: أنَّه كان يمسح الأرض؛ أي: يقطعها، ذكره ثعلب[٤]. وبيانه: أنَّه كان كثير السِّياحة.

والسَّادس: أنَّه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدُّهن، قاله أبو سليمان الدِّمشقي، وحكاه ابن القاسم.

قال ابن الأنباريِّ: وإنما بدأ بلقبه[٥]، فقال: المسيح عيسى؛ لأن المسيح أشهر من عيسى؛ لأنه قلَّ أن يقع على سميٍّ يشتبه[٦] به، وعيسى قد يقع على عدد كثير، فقدمه لشهرته، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم.

---

(١) في (ف): سعد.

(٢) في الأصل: المسح، والمثبت من باقي النسخ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٣٨٨).

(٥) في (ر): بقلبه.

(٦) في (ر)، و(ج)، و(م): يشبه، وليست في (ف).

وقال أبو عبيد[1]: المسيح في كلام العرب على معنيين:

المسيح الدَّجال، والأصل فيه: الممسوح[2]؛ لأنه ممسوح إحدى عينيه.

والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية[3] «مشيحا» بالشين، فلـمَّا عربَته العرب، أبدلته من شينه سينًا، كما قالوا: موسى، وأصله بالعبرانية موشى[4].

وأمَّا قوْلُه: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

فإنما نسبه إلى أمه لينفي ما قاله عنه الملحدون من النَّصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالى.

قوْلُه: ﴿وَجِيهًا﴾.

قال ابن زيد: الوجيه في كلام العرب: المحب[5] المقبول.

وقال ابن قُتَيْبَةَ: الوجيه: ذو الجاه[6].

وقال الزَّجَّاج: هو ذو المنزلة الرفيعة عند ذوي القدر والمعرفة، [٩٦/ ب] يقال: قد وجُه الرجل يوْجُه وجاهة، ولفلان جاه عند النَّاس؛ أي: منزلة رفيعة[7].

---

(١) في (ج): أبو عبيدة.

(٢) في (ر): المسوخ.

(٣) مكانها بياض في (م).

(٤) انظر: التكملة والذيل؛ للصاغاني (٢/ ١٠٦).

(٥) في (ر)، و(ف)، و(م): المحبب، وفي (ج): المجيب.

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٥).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٢).

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

قال قتادة: عند الله يوم القيامة[١].

و﴿ٱلْمَهْدِ﴾ مضجع الصَّبي في رضاعه، وهو مأخوذ من التَّمهيد، وهو [من][٢] التَّوطئة.

وفي تكليمه[٣] للنَّاس في تلك الحال قولان:

أحدهما: لتبرئة[٤] أمه مما قُذِفت[٥] به.

والثَّاني: لتحقيق معجزته الدَّالة على نبوته.

قال ابن عبَّاس: تكلَّم ساعة[٦] في مهده، ثم لم يتكلَّم حتى بلغ مبلغ[٧] النُّطق.

﴿وَكَهْلًا﴾ قال [ابن قُتَيْبَةَ][٨]: ابن ثلاثين سنة أرسله الله تعالى، فمكث في رسالته ثلاثين شهرًا، ثم رفعه الله.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤١١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) زيادة من (ر).

(٣) في (ر): تكليه.

(٤) في (م): لتنزيه.

(٥) في الأصل: فرقت، وفي (ر): قرفت، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) قوله: (تكلم ساعة)، ليس في (ج).

(٧) ليست في (م).

(٨) ما بين المعكوفين زيادة من (م).

وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين [سنة][١] فمكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله[٢].

وقال ابن الأنباريِّ: كان عليه السلام قد زاد على الثَّلاثين، ومن أربى[٣] عليها، فقد دخل في الكهولة. والكهل عند العرب: الذي قد جاوز الثَّلاثين، وإنما سمي الكهل كهلًا، لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم: قد اكتهل النَّبات.

وقال ابن فارس: الكهل: الرَّجل حين وخطه الشَّيب[٤].

فإن قيل: فقد علم أن الكهل يتكلَّم؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنَّ هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنَّه يبلغ الكهولة، وقد روي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: ﴿وَكَهْلًا﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السَّماء.

والثَّاني: أنَّه أخبرهم بأنَّ الزَّمان[٥] يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلى

(١) زيادة من بقية النسخ.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥:٤٢٤) من طريق عبد الصمد بن معقل، به.

(٣) في بقية النسخ: أرمى.

(٤) في (ج): الشهيب. وانظر: مقاييس اللُّغة (٥/ ١٤٤) (كَهَلَ).

(٥) زاد في (ج): ما.

حـال، ولـو كان إلهًا لم يدخـل عليه [هذا][١] التَّغـيُّر، ذكره ابن جريـر الطَّبري[٢].

والثَّالث: أنَّ المراد بالكهل: الحليم، قاله مُجَاهِد.

قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

في علَّة قولها هذا قولان:

أحدهما: أنَّهـا قالـت هـذا تعجبًـا واسـتفهامًا، لا شـكًّا بـه[٣] وإنـكارًا، على مـا[٤] أشرنـا إليـه في قصـة زكريـا ﷺ، وعـلى هـذا [قـول][٥] الجمهـور.

والثَّاني: أنَّ الـذي خاطبهـا كان جبريل، وكانـت تظنُّه آدميًّا يريد بها سـوءًا، ولهـذا قالـت: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ فلما بشَّرهـا لم تتيقَّـن صحـة قولـه؛ لأنهـا لم تعلـم أنَّـه ملـك، فلذلـك قالـت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ قاله ابـن الأنباري.

قوْلُـه: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾؛ أي: لم يقربنـي زوج. و«المسُّ»: الجماع. قـال ابـن فـارس: وسـمي البـشر، لظهورهـم، والبـشرة: ظاهـر جلـد الإنسـان، وأبـشرت الأرض[٦]: أخرجـت نباتهـا. وبـشرت الأديـم: إذا قـشرت وجهـه، وتباشـير الصُّبـح: أوائلـه.

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٤١١- ٤٢١).

(٣) في (م): شكاية.

(٤) ليست في (ر).

(٥) زيادة من (ج).

(٦) من قوله: (الإنسان)... إلى هنا، مكانه بياض في (م).

﴿قَالَ﴾ يعني: جبريل: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: بسبب، وبغير سبب. وباقي الآية مفسَّر في «البقرة».

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٤٨، ٥١].

قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

قرأ الأكثرون: «ونعلمه» بالنون.

وقرأ عاصم، ونافع[١] بالياء، فعطفاه على قوله «يبشرك»[٢].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٦)، والحُجَّة (٣/ ٤٣)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٣).

وفي «الكتاب» قولان:

أحدهما: أنَّه كُتُبُ النَّبيِّين[١] وعلمهم، قاله ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّه الكتابة، قاله ابن جُرَيْجٍ ومُقَاتِل.

قال ابن عبَّاس[٢]: و«الحكمة» الفقه وقضاء النَّبيِّين.

قوْلُه: ﴿وَرَسُولًا﴾.

قال الزَّجَّاج: ينتصب على وجهين: [٩٧/أ]

أحدهما: ونجعله رسولًا، والاختيار عندي: ويكلِّم النَّاس رسولًا.

قوْلُه: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ﴾.

قرأ الأكثرون «أنِّي» بالفتح، فجعلوها بدلًا من أنَّه[٣]، فكأنَّه قال: قد جئتكم بأنِّي أخلق لكم[٤].

وقرأ نافع بالكسر[٥].

قال أبو عليٍّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مستأنفًا.

---

(١) في الأصل: (التبيين)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) من قوله: (والثَّاني) ... إلى هنا، ليس في (ف).

(٣) في (ر)، و(ف): آية.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٣).

(٥) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٦)، والحُجَّة (٣/ ٤٣)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٤).

والثَّاني: أن يكون فسَّر الآية بقوله: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ﴾؛ أي: أصوِّر وأقدر[١].

قال ابن عبَّاس: أخذ طينًا، فصنع منه خفاشًا، ونفخ فيه، فإذا هو يطير[٢].

ويقال: لم يصنع غير الخفاش.

ويقال: إن بني إسرائيل تعنَّتوه بذلك لأنَّ الخفَّاش عجيبة الخلق.

وروي عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: الخفاش. فسألوه أشدَّ الطير خلقًا؛ لأنه يطير بغير ريش[٣].

وقال وهب: كان الذي صنعه يطير ما دام النَّاس ينظرونه[٤]، فإذا غاب عن أعينهم، سقط ميتًا، ليتميَّز فعل الخلق من فعل الخالق[٥].

والأكثرون قرءوا[٦] ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا﴾.

وقرأ نافع هاهنا وفي «المائدة»[٧]: «فيكون طائرًا»[٨].

---

(١) انظر: الحُجَّة (٣/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٢) رواه أبو الشيخ كما ذكره السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٢٠) عن ابن إسحاق، قريبًا من نفس المعنى.

(٤) في (م): يبصرونه.

(٥) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٣/ ٧١).

(٦) ليست في (ج).

(٧) ليست في (ج).

(٨) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٦)، والحُجَّة (٣/ ٤٤)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٤)، والتَّيسير (ص: ٨٨).

قال أبو عليٍّ: حجة الجمهور قوله: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ ولم يقل: الطائر. ووجه قراءة نافع، أنَّه أراد: يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه، طائرًا[١].

وفي «الأكمه» أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه الذي يولد أعمى، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس، وسعيد عن قتادة، وبه قال اليزيدي، وابن قُتَيْبَة، والزَّجَّاج[٢].

والثَّاني: أنَّه الأعمى، ذكره ابن جُرَيْج[٣] عن ابن عبَّاس، ومعمر عن قتادة، وبه[٤] قال الحسن، والسُّدِّي. وحكى الزَّجَّاج عن الخليل أن الأكمه: هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يعمى، وإن كان بصيرًا[٥].

والثَّالث: أنَّه الأعمش[٦]، قاله عِكْرِمَة.

والرَّابع: أنَّه الذي يبصر بالنَّهار، ولا يبصر باللَّيل، قاله مُجَاهِد والضَّحَّاك.

﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ الذي به وضح.

---

(١) انظر: الحُجَّة (٣/ ٤٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٥)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٤).

(٣) في (ج): ابن جرير.

(٤) ليست في (م).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٩).

(٦) في (ج): الأعمى.

وكان الغالب على زمان عيسى ﷺ، علم الطب، فأراهم المعجزة من جنس [واحد][(١)] ذلك، إلا أنَّه ليس في الطب إبراء الأكمه والأبرص، فكان ذلك دليلًا على صدقه.

قال وهب بن منبه: ربما اجتمع على عيسى ﷺ من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفًا، وإنما كان يداويهم بالدعاء[(٢)].

وذكر المفسِّرون أنَّه أحيا أربعة أنفس من الموتى.

وعن ابن عبَّاس: أنَّ الأربعة كلهم بقي حتى ولد له، إلا سام بن نوح[(٣)].

قوْلُه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾.

قال سعيد بن جُبَيْر: كان عيسى إذا كان في المكتب[(٤)] يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام: يا فلان إن أهلك[(٥)] قد هيَّئوا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه؟[(٦)].

---

(١) زيادة من (م).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٢٤) من طريق عبد الصمد بن معقل، به.

(٣) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٣/ ٧٢).

(٤) في (م): (الكتاب).

(٥) ليست في (ر).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥٠) من طريق إسماعيل بن سالم، به.

وقال مُجَاهِد: بما أكلتم البارحة، وبما خبَّأتم منه[١].

وعلى هذا المفسِّرون، إلَّا أن قتادة كان يقول: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ من المائدة التي تنزل عليكم، ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ منها، وكان أخذ عليهم أن يأكلوا منها[٢]، ولا يدَّخروا، فلما خانوا، مسخوا خنازير[٣]. [٩٧/ ب]

قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾.

قال الزَّجَّاج: نصب «مصدِّقًا» على الحال، أي: وجئتكم مصدِّقًا[٤].

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال قتادة: كان قد حرَّم عليهم موسى الإبل والثُّروب[٥] وأشياء من الطَّير، فأحلَّها عيسى[٦].

قوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾؛ أي: بآيات تعلمون بها صدقي فإنما وحد؛ لأن الكل من جنس واحد ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: من عند ربِّكم.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٤٦) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) من قوله: (وكان أخذ عليهم) .... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٠٦) عن معمر، ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، كلاهما معمر، وسعيد، عن قتادة، بنحوه، ومن طريق عبد الرزاق رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٤٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٥).

(٥) الثَّرْبُ: شَحْم رَقِيقٌ يَغْشَى الكَرِش والأَمْعاءَ، وجمعُه ثُرُوبٌ. والثَّرْبُ: الشَّحْمُ المَبْسُوط عَلَى الأَمْعاءِ والمَصارِينِ. وَشَاةٌ ثَرْباءُ: عَظيمة الثَّرْبِ. انظر: «لسان العرب» (١/ ٢٣٤).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٣١) من طريق سعيد، به.

قال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٢، ٥٤].

قوْلُه: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾؛ أي: علم.

قال شيخنا أبو منصور اللُّغويُّ: يقال: أحسستُ[١] بالشيء، وحسست[٢] به، وقول النَّاس في المعلومات «محسوسات» خطأ، إنما الصواب «المُحسَّات» فأمَّا المحسوسات، فهي المقتولات، يقال: حسَّه: إذا قتله[٣].

و«الأنصار»: الأعوان. و«إلى» بمعنى «مع» في قول الجماعة.

قال الزَّجَّاج: وإنما حسنت في موضع «مع» لأنَّ «إلى» غاية، [ومع][٤] تضم الشيء بالشيء[٥].

قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يكون المعنى: من[٦] أنصاري إلى أن أبيِّن أمر الله.

---

(١) في الأصل: (أحسنت)، والمثبت من بقية النسخ والمصادر.

(٢) في الأصل: (حسنت)، والمثبت من بقية النسخ والمصادر.

(٣) انظر: التكملة والذيل على ذرة الغواص (ص: ٨٥٣ ـ ٨٥٤).

(٤) سقطت من الأصل، وهي مثبتة من بقية النسخ.

(٥) ليست في (ر)؛ وانظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٦).

(٦) زاد في (م): غير.

واختلفوا في سبب استنصاره[١] بالحواريِّين:

فقال مُجَاهِد: لما كفر به قومه، وأرادوا قتله، استنصر الحواريِّين[٢].

وقال غيره: لَمَّا كفروا به، وأخرجوه من قريتهم، استنصر بالحواريين[٣].

وقيل: استنصرهم، لإقامة الحق، وإظهار الحجة.

والجمهور على تشديد [ياء][٤] الحواريِّين.

وقرأ الجونيُّ، والجحدريُّ، وأبو حَيْوَةَ: الحواريُون بتخفيف الياء[٥].

وفي معنى الحواريِّين ستة أقوال:

أحدها: أنَّهم الخواص الأصفياء.

قال ابن عبَّاس: الحواريُّون: أصفياء عيسى[٦]. وقال الفرَّاء: كانوا خاصة عيسى[٧].

---

(١) في (ر): انتصاره.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٤٢) من طريق ابن جُرَيْج، به.

(٣) العبارة بكاملها ليست في (ف).

(٤) زيادة من (ر)، و(ف)، و(م).

(٥) وفي المحتسب (١/ ١٦٢) عن أبي بكر الثقفي، وفي البحر المحيط (٣/ ١٧٤) عن النَّخعي.

(٦) أورده الثَّعلبي في تفسيره (٣/ ٧٧) عن الكلبي، وأبي روق.

(٧) انظر: معاني القرآن (١/ ٢١٨).

وقال الزَّجَّاج: الحواريُّون في اللُّغة: الذين أخلصوا، ونقوا من كل عيب، وكذلك الدَّقيق: الحوَّاري، إنَّما سمي بذلك؛ لأنه ينقى من لباب البر وخالصه[(١)(٢)].

قال حذَّاق اللغويين: الحواريُّون: صفوة[(٣)] الأنبياء الذين خلصوا[(٤)] وأخلصوا في تصديقهم ونصرتهم.

ويقال: عين حوراء: إذا اشتدَّ بياضها، وخلص، واشتدَّ سوادها، ولا يقال: امرأة حوراء، إلا أن تكون مع حور عينها بيضاء[(٥)].

والثَّاني: أنَّهم البيض الثِّياب، روى سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاس أنَّهم سموا بذلك، لبياض ثيابهم.

والثَّالث: أنَّهم القصَّارون، سموا بذلك[(٦)]؛ لأنهم كانوا يحورون الثِّياب، أي: يبيضونها.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٧).

(٣) في (م): صفة.

(٤) في (ج): أُخلِصوا.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٨).

(٦) من قوله: (لبياض ثيابهم) ... إلى هنا، ليس في (ج).

قال الضَّحَّاك[١]، ومُقَاتِل[٢]: الحواريُّون: هم القصَّارون.

قال اليزيدي: ويقال للقصَّارين: الحواريُّون، لتبييض الثياب، ومنه سمي الدقيق: الحُوَّارى، والعين الحوراء: النَّقية المحاجر.

والرَّابع: الحواريُّون: المُجَاهِدون.

وأنشدوا [من الطويل]:

وَنَحْنُ أُنَاسٌ يَمْلأُ البَيْضُ هَامَنَا ... وَنَحْنُ حَوَارِيُّونَ حِينَ نُزَاحِفُ

جَمَاجِمُنَا يَومَ اللِّقَاءِ تِرَاسُنَا ... إِلَى المَوتِ نَمْشِي لَيْسَ فِينَا تَجَانُفُ[٣]

والخامس: الحواريُّون: الصيَّادون.

والسَّادس: الحواريُّون: الملوك، حكى هذه الأقوال الثَّلاثة[٤] ابن الأنباريّ[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٦٩) من طريق جويبر، عن الضَّحَّاك قال: مر عيسى بقوم غسالين فدعاهم إلى الله فأجابوه، فلذلك سماهم الحواريون قال: وبالنبطية: هواري، وبالعربية المحور.

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٧٨).

(٣) البيتان في الزاهر لمعاني كلمات النَّاس (١/ ٢٨) بلا نسبة.

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: الزاهر لمعاني كلمات النَّاس (١/ ٢٨).

قال ابن عبَّاس: وعدد الحواريِّين اثنا عشر رجلًا(١).

وفي صناعتهم قولان:

[٩٨/أ] **أحدهما**: أنَّهم كانوا يصطادون السَّمك، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاس(٢).

والثَّاني: أنَّهم كانوا يغسلون الثِّياب، قاله الضَّحَّاك، وأبو أرطاة.

قوْلُه: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ هذا قول الحواريِّين. و«الذي أنزل»: الإنجيل. و«الرسول»: عيسى عليه السلام.

وفي المراد(٣) بالشَّاهدين خمسة أقوال:

أحدها: أنَّهم محمَّد، وأمته؛ لأنهم يشهدون للرُّسل بالتَّبليغ، رواه عِكْرِمَة عن ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّهم من آمن قبلهم من المؤمنين، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس.

والثَّالث: أنَّهم الأنبياء؛ لأن(٤) كلَّ نبيٍّ شاهد أمته، قاله عطاء.

والرَّابع: أنَّ الشَّاهدين: الصَّادقون، قاله مُقَاتِل.

والخامس: أنَّهم الذين شهدوا للأنبياء بالتَّصديق.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٧٧) عن الكلبي، وأبي روق.

(٢) من قوله: (رواه سعيد)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) ليست في (ف).

(٤) ليست في (م).

فمعنى الآية: صدَّقنا واعترفنا فاكتبنا مع من فعل[١] فعلنا، هذا قول الزَّجَّاج[٢].

قوْلُه: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾.

قال الزَّجَّاج: المكر من الخلق: خبث[٣] وخداع، ومن الله: المجازاة، فسمِّي باسم ذلك؛ لأنه مجازاة عليه، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥][٤].

﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [لأنَّ][٥] مكره مجازاة، ونصر للمؤمنين.

قال ابن عبَّاس: ومكرهم، أنَّ اليهود أرادوا قتل عيسى عليه السلام، فدخل خوخة[٦]، فدخل رجل منهم، فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى[٧] إلى السَّماء، فلما خرج إليهم، ظنُّوه عيسى، فقتلوه.

---

(١) في (ج): عمل.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٨).

(٣) في (ر)، و(ج)، و(م): خب.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤١٩).

(٥) زيادة من بقية النسخ.

(٦) في (م): خوفه.

(٧) قوله: (ورفع عيسى)، ليس في (ر).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٥، ٥٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ: التَّوفِّي، من استيفاء العدد يقال: توفَّيت، واستوفيت، كما يقال: تيقَّنت الخبر[١]، واستيقنته، ثم قيل للموت: وفاة، وتوفٍّ[٢].

وأنشد أبو عبيدة[٣] [من الرجز]:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ   لَيْسُوا إِلَى قَيْسٍ وَلَيْسُوا مِنْ أَسَدْ

....   وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدْ[٤]

أي: لا تجعلهم وفاء لعددها، والوفاء: التَّمام.

---

(١) في الأصل، و(ج): (الخير)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٤).

(٣) في (ر): وأنشدوا.

(٤) الرجز لمنظور الوبري نسبه له أبو عبيد في مجاز القرآن (٢/ ١٣٢)، وهو في جمهرة اللُّغة (٢/ ٦٣٨)، وتهذيب اللُّغة (١٥/ ٤١٩)، ومقاييس اللُّغة (٢/ ٢٨٠).

وفي هذا التوفي(١) **قولان:**

أحدهما: أنَّه الرَّفع إلى السَّماء.

والثَّاني: أنَّه الموت.

فعلى القول الأوَّل: يكون نظم الكلام مستقيمًا من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفِّيك» قابضك من الأرض وافيًا تامًّا من غير أن ينال منك اليهود شيئًا، هذا قول الحسن، وابن جُرَيْج، وابن قُتَيْبَة، واختاره(٢) الفرَّاء(٣). وممَّا يشهد لهذا الوجه قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:١١٧]، أي: رفعتني إلى السَّماء من غير موت؛ لأنهم إنما بدَّلوا بعد رفعه، لا بعد موته.

وعلى القول الثَّاني: يكون في الآية تقديم وتأخير، تقديره: إني رافعك إليَّ ومطهِّرك من الذين كفروا، ومتوفِّيك بعد ذلك، هذا قول الفرَّاء(٤)، والزَّجَّاج(٥) في آخرين.

فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفِّي تعريفه أنَّ رفعه إلى السَّماء لا يمنع من موته.

---

(١) في (م): الوقت.

(٢) في (ر): وأجازه.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢١٩)، وغريب القرآن (ص: ١٠٦).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢١٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٠).

قال سعيد بن المُسَيَّب: رُفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة(١).

وقال مُقَاتِل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان(٢).

[٩٨/ ب] وقيل: عاشت أمه مريم(٣) بعد رفعه ست سنين. ويقال: ماتت قبل رفعه.

قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنَّه رفعه من بين أظهرهم.

والثَّاني: منعهم من قتله(٤).

وفي «الذين اتبعوه» قولان:

أحدهما: أنَّهم المسلمون من أمَّة محمَّد، وأنَّهم صدَّقوا بنبوته، وأنَّه روح الله وكلمته، هذا قول قتادة، والرَّبيع، وابن السَّائب.

والثَّاني: أنَّهم النَّصارى، فهم فوق اليهود، واليهود مستذلون مقهورون، قاله ابن زيد.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٤٣ ـ ٧/ ٢٧٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٤٣) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد، بنحوه.

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٢٨).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (م): قبله.

قوْلُه: ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يعني: الدِّين.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قيل: هم اليهود والنَّصارى. وعذابهم في الدُّنيا بالسَّيف والجزية، وفي الآخرة بالنَّار.

قوْلُه: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾.

قرأ الأكثرون بالنون.

وقرأ الحسن، وقتادة، وحفص عن عاصم: «فيوفيهم» بالياء معطوفًا على قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾[١].

قوْلُه تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يعني ما جرى من القصص ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يعني الدِّلالات على صحة رسالتك، إذ كانت أخبارًا لا يعلمها[٢] أمِّيٌّ.

﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ قال ابن عبَّاس: هو القرآن[٣]. قال الزَّجَّاج: معناه: ذو الحكمة في تأليفه ونظمه [آياته][٤]، وإبانة الفوائد منه[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٦)، والحُجَّة (٣/ ٤٥)، والتَّيسير (ص: ٨٨)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٤).

(٢) في (ج): يعلموها.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٤) زيادة من (ر)، و(ج)، و(ف).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [آل عمـران: ٥٩، ٦٣].

قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾.

قال أهل التَّفسير: سبب نزول هذه الآية:

مخاصمة وفد نجران من النَّصارى للنَّبيِّ ﷺ، في أمر عيسى، وقد ذكرناه في أول السُّورة.

فأما تشبيه عيسى بآدم، فلأنَّهما جميعًا من غير أب.

وقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: آدم.

قال ثعلب: وهذا تفسير لأمر آدم. وليس بحال.

قولـه: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ﴾ يعني لآدم، وقيل لعيسى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: فكان: فأريد بالمستقبل الماضي، كقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢]؛ أي: ما تلت.

[وقرأ ابن عامرٍ: فيكونَ بالنصب][1].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

قال أبو عليٍّ: هو وهم[١]. [وقد بيَّناه في البقرة][٢].

قوْلُه: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

قال الزَّجَّاج: الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف[٣]، المعنى: الذي أنبأتك به في قصة عيسى الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾؛ أي: من الشاكِّين. والخطاب للنَّبيِّ ﷺ خطابٌ للخلق؛ لأنه لم يشك[٤].

قوْلُه: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ﴾.

في هاء «فيه» قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى عيسى عليه السلام.

والثَّاني: إلى الحق.

و﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾ البيان والإيضاح.

﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ: تعال: تفاعل، من علوت، ويقال للاثنين من الرِّجال [والنِّساء][٥]: تعاليا، وللنساء: تعالين[٦].

---

(١) العبارة ليست في (ر)، و(ج)، و(م).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

(٣) قوله: (ابتداء محذوف)، مكانه بياض في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٢).

(٥) زيادة من بقية النسخ.

(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص/ ٢٩٤ـ ٢٩٥).

قال الفرَّاء: أصلها من العلو، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها، صارت عندهم بمنزلة «هلمَّ» حتى استجازوا أن يقولوا للرَّجل، وهو فوق شرف: تعال، أي: اهبط. وإنما أصلها: الصُّعود.

قال المفسِّرون: أراد[١] بأبنائنا: فاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام.

وروى مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص قال: لمَّا نزلت [هذه الآية][٢]: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»[٣]. [٩٩/أ]

قوْله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه أراد عليَّ بن أبي طالب، قاله الشَّعبي. والعرب تخبر عن ابن العمِّ بأنَّه نفس ابن عمِّه.

والثَّاني: أراد الإخوان، قاله ابن قُتَيْبَةَ[٤].

والثَّالث: أراد أهل دينه، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

والرَّابع: أراد الأزواج.

---

(١) ليست في (م).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من بقية النسخ.

(٣) انظر: صحيح مسلم، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٤).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٦).

والخامس: أراد القرابة القريبة، ذكرهما عليُّ بن أحمد النَّيسابوري(١).

فأمَّا «الابتهال».

وقال ابن قُتَيْبَةَ: هو التَّداعي باللَّعن، يقال: عليه بَهلَةُ الله، وبهلته، أي: لعنته(٢).

قال الزَّجَّاج: معنى الابتهال في اللُّغة: المبالغة في الدُّعاء وأصله: الالتعان، يقال: بهله الله، أي: لعنه. وأمر بالمباهلة بعد إقامة الحجة(٣).(٤)

قال جابر بن عبد الله: قدم وفد نجران فيهم السَّيِّد والعاقب فذكر الحديث...، إلى أن قال: فدعاهم إلى الملاعنة، فواعداه أن يغادياه، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، ثم أرسل اليهما، فأبيا أن يجيباه، فأقرَّا له بالخراج فقال: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ [نَبِيًّا](٥) لَو فَعَلَا لَمُطِرَ الْوَادِي نَارًا**»(٦).

قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

---

(١) انظر: التَّفسير البسيط؛ للواحدي (٥/ ٣٢٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٦).

(٣) من قوله: (التداعي باللعن) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٣).

(٥) زيادة من (ف).

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٤٩)، وابن شاهين في تفسيره، وابن مردويه كما في العجاب، من طريق داود بن أبي هند، عن الشَّعبي، عن جابر، بنحوه. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

قال الزَّجَّاج: دخلت «مِن» هاهنا توكيدًا ودليلًا على نفي جميع ما ادَّعى المشركون من الآلهة[١].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عن الملاعنة، قاله مُقَاتِل.

والثَّاني: عن البيان الذي أتى به النَّبيُّ ﷺ، قاله الزَّجَّاج[٢].

والثَّالث: عن الإقرار بوحدانية الله، وتنزيهه عن الصَّاحبة والولد، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

وفي الفساد هاهنا قولان:

أحدهما: أنَّه العمل بالمعاصي[٣]، قاله مُقَاتِل.

والثَّاني: الكفر، ذكره الدِّمشقي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران: ٦٤].

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤).

(٣) مكانها بياض في (م).

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم اليهود، قاله قتاده، وابن جُرَيْجٍ، والرَّبيع بن أنس.

والثَّاني: وفد نجران الذين حاجُّوا في عيسى، قاله السُّدِّي، ومُقَاتِل.

والثَّالث: أهل الكتابين جميعًا، قاله الحسن.

وقال ابن عبَّاس: نزلت في القسِّيسين والرُّهبان فبعث بها[١] النَّبيُّ ﷺ إلى جعفر وأصحابه بالحبشة فقرأها جعفر والنَّجاشي جالس وأشراف الحبشة[٢][٣].

فأما «الكلمة» فقال المفسِّرون: هي لا إله إلا الله.

فإن قيل فهذه كلمات فلم قال: كلمة؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ الكلمة تعبر عن ألفاظ وكلمات، قال اللغويون: ومعنى كلمة كلام[٤] فيه شرح قصة، وإن طال، تقول العرب: قال زهير في[٥] كلمته يراد في قصيدته.

---

(١) في (م): فبعثها.

(٢) من قوله: (فقرأها جعفر) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: أسباب النزول (ص:١٠٥ ـ ١٠٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٨٥)، والعجاب (٢/ ٦٨٧).

(٤) في (ف): كل ما.

(٥) من قوله: (ومعنى كلمة)... إلى هنا، ليس في (ج).

قالتِ الخنساء [من المتقارب]:

وقافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السِّنانِ تَبْقى ويَذْهَبُ مَن قالَها
تَقُدُّ الذُّؤَابَةَ مِن يَذْبُلٍ أَبَتْ أَنْ تُزَايِلَ[1] أَوْعَالَهَا
نَطَقْتَ ابنَ عمروٍ فَسَهَّلتها وَلَمْ يَنْطِقِ النَّاس أَمْثَالَهَا[2]

[٩٩/ب] فأوقعت القافية على القصيدة كلها والغالب على القافية أن تكون آخر كلمة من البيت وإنما سميت قافية لأنَّ الكلمة تتبع البيت وتقع آخره فسميت قافية[3] من قول العرب قفوت فلانًا إذا اتَّبعته وإلى[4] هذا الجواب ذهب الزَّجَّاج، وغيره[5].

والثَّاني: أنَّ المراد بالكلمة كلمات فاكتفى بالكلمة من كلمات، كما قال علقمة بن عبدة[6] [من الطويل]:

---

(١) في (م): تزايد.

(٢) الأبيات من المتقارب، وهي في ديوانها (ص: ١٠٦)، ولسان العرب (١٥/ ١٩٦) (قفا)، وتهذيب اللُّغة (٩/ ٣٢٧)، وتاج العروس (قفو(. وفي «اللسان»: سنان الرمح: حديدته لصقالتها، وملاستها. القدُّ: القطع المستأصل والشق طولاً. الذؤابة: ذؤابة كل شيء أعلاه. يذبل: جبل في أقصى أرض بني كلاب.

(٣) من قوله: (لأن الكلمة تتبع) ... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) في (ج): وإذا.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٤).

(٦) في (م): عبيدة.

بِهَا جِيَفُ الْحَسْرَى[١] فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[٢]

أراد وأما جلودها. فاكتفى بالواحد من الجميع ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

﴿سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: يعني بالسَّواء العدل[٣]، وهو من استواء الشيء، ويقال للعدل: سَوَاء وسَوىً[٤] وسُوىً[٥].

قال زهير بن أبي سلمى [من الوافر]:

أَرُونِي خُطَّةً[٦] لَا ضَيْمَ[٧] فِيهَا يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

---

(١) في الأصل: (الحشرى)، والمثبت من بقية النسخ والمصادر.

(٢) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه (ص ٤٠)، وخزانة الأدب (٧/ ٥٥٩)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ١٣٤)، وشرح اختيارات المُفَضَّل (ص: ١٥٨٨)، والكتاب (١/ ٢٠٩).

(٣) في الأصل: العذاب، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٤) في الأصل: (وسواء)، والمثبت من (ر)، و(ف)، وهو الموافق لما في كتاب معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج، وليست الكلمة في (م).

(٥) في (ج): سُواء.

(٦) في (م): حبطة.

(٧) في (م): صم.

فَـإِنْ تُـرِكَ السَّـواءُ فَلَيـسَ بَيْنِـي وَبَيْنَكُـم بَنِـي حِصْـنٍ[١] بَقَـاءُ[٢]

قـال: وموضـع «أن» في قولـه: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خفـض عـلى البـدل مـن «كلمـة» المعنـى: تعالـوا إلى أن لا[٣] نعبـد إلا الله.

وجائـز أن يكـون «أن»[٤] في موضـع رفـع كأن قائـلا قـال: مـا الكلمـة؟ فأجيـب، فقيـل: هـي ألا نعبـد[٥] إلا الله[٦].

قوْلُه: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه سجود بعضهم لبعض، قاله عِكْرِمَة.

والثَّاني: لا يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله، قاله ابن جُرَيْج.

---

(١) في الأصل: حصر، والمثبت من بقية النسخ والمصادر.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٥).

(٣) ليست في (م).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ف): تعبدوا.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٥).

والثَّالث: لا نجعل غير الله ربًّا، كما قالت النَّصارى في المسيح، قاله مُقَاتِل(١) والزَّجَّاج(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥، ٦٧].

قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾.

(٣)قال ابن عبَّاس(٤)، والحسن، والسُّدِّي(٥): اجتمع عند النبيِّ ﷺ نصارى نجران، وأحبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرانيًّا. فنزلت هذه الآية.

قوله: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ ﴾.

قرأ ابن كَثِير: «ها أنتم» مثل: هعنتم(٦)، فأبدل من همزة الاستفهام «الهاء» أراد: أأنتم.

---

(١) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٦).

(٣) في (م) زيادة: قال ابن الأنباريِّ.

(٤) طمس في (ج)، والأثر: رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٨١) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمَة، عن ابن عبَّاس، بنحوه.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦٣٧) من طريق أسباط بن نصر، بنحوه.

(٦) في (ج): (عهنتم).

وقرأ نافع وأبو عَمْرٍو «هاانتم»[١] ممدودًا[٢] استفهام بلا همز.

وقرأ عاصم[٣]، وابن عامرٍ، وحمزة، والكِسَائِي، ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ ﴾ ممدودًا مهموزًا[٤].

ولم يختلفوا في مد «هؤلاء» و«أولاء»[٥].

قوله: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: فيما رأوا وعاينوا قاله قتادة.

والثَّاني: أَنَّه ما أُمروا به ونهوا عنه، قاله السُّدِّي.

فأمَّا الذي ليس[٦] لهم[٧] به علم، فهو شأن إبراهيم عليه السلام. وقد روى أبو صالح عن ابن عبَّاس: أَنَّه كان بين إبراهيم وموسى، خمسمائة سنة

(١) من قوله: (وقرأ نافع) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) زاد في (ج): مهموزًا.

(٣) في الأصل: نافع، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٦)، والحُجَّة (٣/ ٤٦)، والتَّيسير (ص:٨٨)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٥).

(٥) ليست في (ج).

(٦) ليست في (ج).

(٧) ليست في (ر).

وخمس[١] وسبعون سنة[٢]. وبين موسى وعيسى ألف وستمائة [سنة][٣] واثنتان[٤] وثلاثون سنة[٥].

وقال ابن إسحاق[٦]: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة[٧] وخمس وستون[٨] سنة، وبين موسى وعيسى ألف وتسعمائة وخمس وعشرون[٩] سنة.

وقد سبق في «البقرة» معنى الحنيف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٦٨، ٧١].

---

(١) في الأصل: (خمسة)، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٢) ليست في (م).

(٣) زيادة من (ف).

(٤) في الأصل: (واثنان)، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٥) من قوله: (وبين موسى وعيسى) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٦) من قوله: (كان بين إبراهيم) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) زاد في (ف): سنة.

(٨) في الأصل: ستين، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

(٩) في الأصل: (وخمسة وعشرين)، والمثبت من بقية النسخ، وهو الجادة.

[١٠٠/أ] قوْلُه: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ رؤساء اليهود قالوا للنَّبيِّ ﷺ: لقد علمت أنَّا أولى بدين إبراهيم منك، وأنَّه كان يهوديًّا، وما بك إلَّا الحسد، فنزلت هذه الآية[١].

ومعناها: أحقُّ النَّاس بدين إبراهيم، الذين اتبعوه على دينه، وهذا النَّبيُّ محمَّد على دينه، قاله ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّ عمرو بن العاص أراد أن يغضب النَّجاشي على أصحاب محمد[٢] ﷺ فقال للنَّجاشي: إنَّهم ليشتمون عيسى. فقال النَّجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى[٣]. فقالوا: يقول عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم فأخذ النَّجاشي[٤] من سواك قدر[٥] ما يقذي العين فقال: والله ما زاد على ما يقول صاحبكم ما يزن هذا القذى[٦]. ثم قال: أبشروا فلا دهورة اليوم[٧] على حزب إبراهيم قال عمرو بن العاص ومن حزب

---

(١) انظر: أسباب النزول (ص: ١٠٦)، وتفسير الثعلبي (٣/ ٨٨).

(٢) في بقية النسخ: النبي.

(٣) قوله: (في عيسى)، ليس في (م).

(٤) من قوله: (ما يقول صاحبكم) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ر): القدر.

(٧) ليست في (م).

إبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم فأنزل الله تعالى يوم خصومتهم على النَّبيِّ ﷺ هذه الآية هذا قول عبد الرحمن(١) بن غنم(٢).

قوله: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ اليهود قالوا لمعاذ بن جبل، وعمَّار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمَّد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاس(٣).

و«الطَّائفة»: اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين، ورأي، ومذهب، وغير ذلك.

(١) في الأصل: عبد الله، وفي (م): عبد الله بن تميم، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في العجاب (٢/ ٦٩٠) وقال الحافظ: وقصة عمرو ابن العاص وجعفر بن أبي طالب عند النجاشي مروية من طرق متعددة: منها في السيرة ، لابن إسحاق من طريق محمد بن مسلم الزُّهري، ومنها في الثعلبي مطولة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس. ومنها في الطبراني من طريق جعفر ابن أبي طالب، وليس في شيء منها نزول هذه الآية في هذه القصة، وقد خلط الثعلبي رواية الكلبي برواية شهر مع رواية ابن إسحاق، وساقها بطولها مساقًا واحدًا، وهو من عيوب كتابه حيث يخلط الصادق بالكاذب بالمحتمل، فيوهم أن الجميع من رواية الصادق وليس كذلك.أهـ

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٥) عن ابن عبَّاس بدون ذكر معاذ، وعمار ابن ياسر.

وفي هذه الطائفة قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهود، قاله ابن عبَّاس.[١]

والثَّاني: اليهود والنَّصارى، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

و«الضَّلال»: الحيرة.

وفيه هاهنا قولان:

أحدهما: أنَّه الاستذلال[٢] عن الحقِّ إلى الباطل، وهو[٣] قول ابن عبَّاس، ومُقَاتِل.

والثَّاني: الإهلاك، ومنه: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:١٠] قاله ابن جرير، والدِّمشقي.

وفي قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: وما يشعرون[٤] أنَّ الله يدلُّ المؤمنين على حالهم.

والثَّاني: وما يشعرون[٥] أنَّهم يظلمون[٦] أنفسهم.

---

(١) من قوله: (وفي هذه الطائفة) ... إلى هنا، سقط من (ر).

(٢) في (ج)، و(م): الاستنزال.

(٣) في (ف): وهذا.

(٤) من قوله: (قولان) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) من قوله: (قولان) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٦) في بقية النسخ: يضلون.

قوله: ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال قتادة: يعني: محمدًا والإسلام ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ أن بعث[١] محمد في كتابكم، ثم تكفرون به.

قوله: ﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾

قال اليزيدي: معناه: لم[٢] تخلطون الحق بالباطل؟.

قال ابن فارس[٣]: واللبس: اختلاط الأمر، وفي الأمر لبسة، أي: ليس بواضح[٤].

وفي الحقِّ والباطل أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ «الحق»: إقرارهم ببعض أمر محمد ﷺ، و«الباطل»: كتمانهم بعض أمره.

والثَّاني: «الحق»: إيمانهم بالنَّبيِّ ﷺ غدوة، و«الباطل»: كفرهم به عشية، رويا عن ابن عبَّاس.

والثَّالث: أنَّ «الحق»: التَّوراة، و«الباطل»: ما كتبوه منها[٥] بأيديهم، قاله الحسن، وابن زيد.

---

(١) في (ر)، و(م): نعت.

(٢) في (ج): ثم.

(٣) في (ج): ابن عبَّاس.

(٤) انظر: مقاييس اللُّغة (٥/ ٢٣٠).

(٥) في بقية النسخ: فيها.

والرَّابع: «الحق»: الإسلام. و«الباطل»: اليهودية والنَّصرانية، قاله قتادة.

قوْلُه: ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾. [١٠٠/ب]

قال قتادة: كتموا الإسلام، وكتموا [أمر][1] محمَّدًا ﷺ[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٢، ٧٤].

قوْلُه: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النَّهار، فآمنوا، وإذا كان آخره، فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فينقلبون عن دينهم[3]، رواه عطية عن ابن عبَّاس[4].

---

(١) زيادة من (م).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٩١) من طريق سعيد بن أبي عروبة،به وعزاه السُّيوطي كما في الدر المنثور (١/ ١٥٥) لعبد بن حميد في تفسيره بلفظ مطول.

(٣) قوله: (عن دينهم)، ليس في (ر).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦٨٦) من طريق عطية العوفي، به.

وقال الحسن، والسُّدِّي[(١)]: تواطأ اثنا عشر حبرًا من اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النَّهار، واكفروا آخره، وقولوا: إنَّا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمدًا ليس بذلك، فيشك أصحابه في دينهم، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيرجعون إلى دينكم، فنزلت هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور.

والثَّاني: أنَّ الله تعالى صرف نبيه إلى[(٢)] الكعبة عند صلاة الظهر، فقال قوم من علماء اليهود: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ يقول:[(٣)] آمنوا بالقبلة التي صلوا إليها الفجر[(٤)]، واكفروا بالتي صلوا إليها آخر النَّهار، لعلهم يرجعون إلى قبلتكم، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس[(٥)].[(٦)]

قال مُجَاهِد[(٧)]، وقتادة[(٨)]، والزَّجَّاج في آخرين: وجه النَّهار: أوله.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦٨٠) من طريق أسباط بن نصر، به، وقول الحسن ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٩١).

(٢) قوله: (نبيه إلى)، ليس في (ج).

(٣) لم ترد الآية في (ر).

(٤) في بقية النسخ: الصبح.

(٥) ليست في (ر).

(٦) أورده الثعلبي في تفسيره (١/ ٩١) عن محمد بن السَّائب الكلبي، بنحوه.

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦٨٤) من طريق ابن أبي نجيح، به، بنحوه.

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٤٩٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

وأنشد الزَّجّاج[١] [من الكامل]:

مَــنْ كَانَ مَــسْروراً بمَقْتَــل مالــكٍ فليــأتِ نِسْــوتَنَا بوجْــه نَهَــارِ
يَجِــدُ النِّسَــاءَ حَــواسِرًا يَنْدُبْنَــهُ قَــدْ قُمْــنَ قَبْــلَ تَبَلُّــج الأسْــحارِ

قوْلُه: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾.

اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوال:

أحدها: أن معناه: فلا تصدقوا إلَّا من تبع دينكم، ولا تصدقوا إلَّا[٢] أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم من العلم، وفلق البحر، والمنِّ والسلوى، وغير ذلك، ولا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح دينًا منهم، فيكون هذا كله من كلام اليهود بينهم، وتكون اللام في «لمن» صلة، ويكون قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ كلامًا معترضًا بين[٣] كلامين، هذا معنى قول مُجاهِد، والأخفش.

والثَّاني: أنَّ كلام اليهود تام عند قوله: ﴿إلا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ والباقي من قول الله عز وجل، لا يعترضه شيءٌ من قولهم، وتقديره: قل يا محمد: إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، إلَّا أن

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٢٩)، والبيتان بلا نسبة في لسان العرب (١٣/ ٥٥٦) (وجه)، وتهذيب اللُّغة (٦/ ٣٥٣) وأساس البلاغة (وجه)، وتاج العروس (وجه).

(٢) ليست في (ر)، و(ج)، و(ف).

(٣) في (ج): (من).

تجادلكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنى[١] قول الحسن، وسعيد بن جُبَيْر، [فلا على هذا مقدَّرة][٢]

وقال الفرَّاء: معنى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ لا يؤتى[٣].

والثَّالث: أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا تقديره: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، إلا من تبع دينكم، فأخرت «أن»، وهي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم والتأخير، ودخلت اللام على جهة التأكيد، كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل:٧٢]؛ أي: ردفكم.

قال الشَّاعر[٤] [من الكامل]:

مَا كُنْتُ أَخْدَعُ لِلْخَلِيلِ بِخَلَّةٍ حَتَّى يَكُونَ لِيَ الْخَلِيلُ خَدُوعَا

أراد: ما كنت أخدع الخليل. [١٠١/أ]

(١) ليست في (ج).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٢٢).

(٤) البيت في اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٣١٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢١٢) بلا نسبة.

وقال الآخر[1] [من الطويل]:

يَذُمُّـونَ للدُّنْيَـا وَهُـمْ يَحْلِبُونَهَـا[2] أَفَاوِيـقَ حَتَّـى مَـا يَـدِرُّ[3] لَهَـا ثُعْـل[4]

أراد: تذمون الدُّنيا، ذكره ابن الأنباري.

والرَّابع: أن اللام غير زائدة، والمعنى: لا تجعلوا تصديقكم النَّبيَّ في شيء مما جاء به إلا لليهود[5]. فإنكم إن قلتم ذلك[6] للمشركين كان عونًا لهم على تصديقه، قاله الزَّجَّاج[7].

وقال ابن الأنباريِّ: لا تؤمنوا أن محمدًا وأصحابه على حق، إلا لمن تبع دينكم، مخافة أن يطلع على عنادكم[8] الحق، ويحاجوكم به عند ربكم. فعلى هذا يكون معنى[9] الكلام: لا تقروا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم.

(١) في (ر): الشَّاعر.

(٢) في (م): يحبونها.

(٣) في (م): يدري.

(٤) البيت لعبد الله بن همام السلولي، انظر: إصلاح المنطق (ص: ١٥٨)، وغريب الحديث؛ لابن قُتَيْبَةَ (٢/ ٢٩٦)، وجمهرة اللُّغة (٢/ ٧٤٦)، ولسان العرب (٨/ ١٢٥) (رضع).

(٥) في (ف): ولا اليهود.

(٦) ليست في (ج).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٠).

(٨) في الأصل: عبادكم، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) قوله: (فعلى هذا يكون معنى)، مكانه بياض في (م).

وقد ذكر هذا المعنى مكي بن أبي طالب النحوي[١].

وقرأ ابن كَثِيرٍ: «آآن يؤتى أحد» بهمزتين: الأوَّلى مخفَّفة[٢]، والثَّانية مليَّنة على الاستفهام، مثل: آآنتم أعلم[٣].

قال أبو عليٍّ: ووجهها، «أن» في موضع رفع بالابتداء، وخبره: تصدقون به، أو تعترفون به، أو تذكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصبًا، فيكون المعنى: أتشيعون[٤]، أو أتذكرون أن يؤتى أحدٌ، ومثله في المعنى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦][٥].

وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرِّف[٦]: «إن يؤتى»، بكسر الهمزة، على معنى: ما يؤتى[٧].

وفي قوْلِه: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قوْلَانِ:

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) في (ف): محققة.

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢٠٧)، والحُجَّة (٣/ ٤٥ ـ ٤٦)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٥ ـ ١٦٦)، والتَّيسير (ص:٨٨).

(٤) في (م): أتشعرون.

(٥) انظر: الحُجَّة (٣/ ٥٥).

(٦) في (ر): مطرف.

(٧) عزاها لهما ابن خالويه في مختصر الشواذ (ص:٢٧)، وفي البحر المحيط (٣/ ٢١٦) عن شعيب بن أبي حمزة.

أحدهما: أن معناه: ولا تصدقوا أنَّهم يحاجوكم عند ربكم؛ لأنهم لا حجة لهم، قاله قتادة.

والثَّاني: أنَّ معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم على طريق التَّبعيد[(١)]، كما يقال: لا يلقاه أو تقوم السَّاعة، قاله الكِسَائِي.

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عبَّاس: يعني النبوة، والكتاب، والهدى ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ لا ما تمنَّيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنَّه لا يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم[(٢)].

قوْلُه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

في الرَّحمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها الإسلام، قاله ابن عبَّاس، ومُقَاتِل.

والثَّاني: النبوة، قاله مُجَاهِد.

والثَّالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جُرَيْج.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾[آل عمران: ٧٥، ٧٦].

---

(١) في (ج): التعبد.

(٢) من قوله: (أنتم يا معشر اليهود) ... إلى هنا، ليس في (ر).

قوْلُه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾.

قال ابن جُرَيْج[١]: أودع رجل ألفا ومائتي أوقيه من ذهب عبد الله ابن سلام، فأدَّاها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع [رجل][٢] فنحاصَ ابن عازوراء دينارًا، فخانه[٣].

و﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود. وقد سبق الكلام في القنطار.

وقيل: إن «الباء» في قوله: ﴿بِقِنطَارٍ﴾ بمعنى «على»[٤].

فأما «الدِّينار» فقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغويِّ، قال: الدِّينار فارسي معرَّب، وأصله: دِنَّار، وهو وإن كان معربًا، فليس تعرف العرب له اسمًا غير الدينار، فقد صار كالعربيِّ، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه؛ لأنه خاطبهم بما عرفوا، واشتقوا منه فِعلًا، فقالوا: رجل مُدَنَّر[٥]: كثير الدَّنانير. وبرذون مدنَّر[٦]: أشهب[٧] مستدير النَّقش[٨] ببياض وسواد[٩].

---

(١) في بقية النسخ: ابن عبَّاس.

(٢) زيادة من بقية النسخ.

(٣) ذكره مُقَاتِل في تفسيره (١/ ٢٢٥) بدون ذكر ابن عبَّاس ﵁.

(٤) ليست في (ر).

(٥) في الأصل: مدبر، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في الأصل: ويردون مدبر، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في (ج): أشهر.

(٨) في الأصل: النفس، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) انظر: المعرب (ص: ٢٩٠).

[١٠١/ب] **فإنْ قِيلَ**: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائنًا وأمينًا والخلق على ذلك[١]؟

فالجوابُ: أنّهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك، وقد بيَّنه في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ فحذَّر منهم.

وقال مُقَاتِل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة ترجع[٢] إلى من لم يسلم.

وقيل: إنَّ الذين يؤدُّون الأمانة: النَّصارى، والذين لا يؤدُّونها: اليهود.

قوْلُه: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾.

قال الفرَّاء: أهل الحجاز يقولون[٣]: دُمتَ[٤] ودُمتم[٥]، ومُت ومُتم، وتميم يقولون: دِمت ومِت بالكسر، ويجتمعون في «يفعل» يدوم ويموت[٦].

---

(١) قوله: (والخلق على ذلك)، ليس في (ج).

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) ليست في (ج).

(٤) من قوله: (عليه قائمًا)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) في الأصل: ودمتهم، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) انظر: لغات القرآن (ص: ٤٩).

وفي هذا القيام قولان:

أحدهما: أَنَّه التَّقاضي، قاله مُجَاهِد، وقتادة، والفرَّاء[١]، وابن قُتَيْبَةَ[٢]، والزَّجَّاج[٣].

قال ابن قُتَيْبَةَ: والمعنى: ما دمت مواظبًا[٤] بالاقتضاء له والمطالبة.

وأصل[٥] هذا أنَّ المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرَّف والتَّارك له يقعد عنه.

قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣]؛ أي: عاملة غير تاركة، وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣]؛ أي: آخذ لها بما كسبت.

والثَّاني: أَنَّه القيام حقيقة، فتقديره: إلا ما دمت قائمًا على رأسه، فإنَّه يعترف بأمانته، فإذا ذهبت ثم جئت، جحدك، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: الخيانة. و«السَّبيل»: الإثم والحرج، ونظيره: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [من حرج][٦] [التوبة:٩١].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٤٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٣).

(٤) في الأصل: (مواضبًا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) ليست في (م).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (م).

قال قتادة: إنما استحلَّ اليهود أموال المسلمين؛ لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب(١).

قوْلُه: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾.

قال السُّدِّي: يقولون: قد أحلَّ الله لنا أموال العرب(٢).

وفِي قوْلِه: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدهما: يعلمون أنَّ الله قد أنزل في التَّوراة الوفاء، وأداء(٣) الأمانة.

والثَّاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنَّه كذب.

قوْلُه: ﴿بَلَىٰ﴾.

ردَّ الله ﷻ عليهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾.

قال الزَّجَّاج: وهو عندي وقف التمام(٤)، ثم استأنف، فقال: ﴿بلى مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾، ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ﴾(٥)(٦).

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤١٧)، عن معمر، ومن طريقه ابن جرير الطَّبري (٥/ ٥١١)، وابن أبي حاتم (٣٧١٥).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧١٦) من طريق أسباط بن نصر، بنحوه.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (م): وهو وقف تام.

(٥) من قوله: (ويجوز أن يكون استأنف) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٤).

و«العهد»: ما عاهدهم الله عليه في التَّوراة.

وفي «هاء» ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى الله ﷻ.

والثَّاني: إلى الموفي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٧، ٧٨].

قوْله تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود في أرض، فجحده اليهودي فقدَّمه إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**» قال: لا. قال لليهودي: «**أَتَحْلِفُ؟**»[1] فقال الأشعث: إذًا يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري ومسلم[2].

---

(١) ليست في (م).

(٢) متفق عليه، البخاري(٢٥١٥)، ومسلم (١٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

والثَّـاني: أنَّهـا نزلـت في اليهـود، عهـد الله إليهـم في التَّـوراة تبيـين صفـة محمـد ﷺ، فجحـدوا، وخالفـوا لما كانـوا ينالـون[١] مـن سـفلتهم مـن الدُّنيـا، هـذا قـول عِكْرِمَـة[٢]، ومُقَاتِـل[٣].

والثَّالـث: أنَّ رجـلًا أقـام سـلعته في السُّـوق أول النَّهـار، فلـما كان آخـره، جـاء رجـل يسـاومه، فحلـف: لقـد منعتهـا أول النَّهـار مـن كـذا، ولـو لا المسـاء لما باعهـا بـه، فنزلـت هـذه الآيـة. هـذا قـول الشَّـعبي[٤]، ومُجَاهِـد[٥]. [١٠٢/أ]

فعـلى القـول الأوَّل، والثَّالـث، «العهـد»: لـزوم الطَّاعـة، وتـرك المعصيـة، وعـلى الثَّـاني: مـا عهـده إلى اليهـود في التَّـوراة. و«اليمـين»: الحلـف.

وإن قلنا: إنَّها في اليهود، والكفار، فإنَّ الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلًا.

وإن قلنـا: إنَّهـا في العصـاة، فقـد روي عـن ابـن عبَّـاس أنَّـه قـال: لا يكلمهـم [الله][٦] كلام خـير.

---

(١) في الأصل: يتناولوا، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥١٦) من طريق ابن جُرَيْج، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٨٥).

(٤) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٥١٩) مـن طريـق داود بـن أبي هنـد، عـن الشَّـعبي، بنحوه.

(٥) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٥١٩) مـن طريـق داود بـن أبي هنـد، عـن رجـل، عـن مُجَاهِـد، بنحـوه.

(٦) زيادة من (ج).

ومعنى ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: لا يعطف عليهم بخير مقتًا لهم، قال الزَّجَّاج: تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، ولا يكلمه معناه: أنَّه غضبان عليه[١].

قوْلُه: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي: لا يطهِّرهم من دنس كفرهم وذنوبهم.

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنَّها نزلت في اليهود، رواه عطية عن ابن عبَّاس[٢].

والثَّاني: أنَّها في اليهود والنَّصارى، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس[٣].

وقوله: ﴿وَإِنَّ﴾ هي كلمة مؤكدة.

واللام في قوله: ﴿لَفَرِيقًا﴾ توكيد زائد على توكيد «إِنَّ».

قال ابن قتيبه: ومعنى ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾: يقلبونها بالتَّحريف والزِّيادة[٤].

و«الألسنة»: جمع لسان، قال أبو عَمْرٍو: اللِّسان يذكر ويؤنَّث، فمن ذكره جمعه: ألسنة، ومن أنَّثه، جمعه: ألسنًا.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٣١) من طريق عطية العوفي، به.

(٣) أورده الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٠١) عن جويبر، به.

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٠٧).

وقال الفرَّاء: اللِّسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا[1] مذكرًا. وتقول العرب: قد سبق من فلان لسان، يعنون به الكلام، فيذكِّرونه.

أنشد ابن الأعرابي[2] [من الطويل]:

لِسَانُكَ مَعْسُولٌ[3] وَنَفْسُكَ شَحَّةٌ ... وَعِنْدَ الثُّرَيَّا مِنْ صَدِيقِكَ مَالُكَا

وأنشد ثعلب[4] [من الوافر]:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ كَانَ مِنِّي ... فَلَيْتَ بِأَنَّه فِي[5] جَوفِ عِكْمِ

والعكم: العدل. ودلَّ بقوله: كان[6] مني، على أنَّ اللِّسان الكلام.

---

(١) في (ر): (لا).

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (٢/ ٤٩٥) (شحح)، وتاج العروس (٦/ ٥٠٢) (شحح).

(٣) في الأصل: (مشغول)، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٤) البيت للحطيئة كما في المذكر والمؤنث؛ لابن الأنباريِّ(١/ ٣٨٨)، والمخصص؛ لابن سيده (٥/ ١٣٨)، وتاج العروس (العكم)، ولسان العرب (١٢/ ٤١٥) (العكم) (١٣/ ٣٨٥) (لسن).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في الأصل، و(ر): (فات)، والمثبت من باقي النسخ.

وأنشد ثعلب [من المتقارب]:

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ أحادِيثُها بَعْدَ قَوْلٍ نُكُرُ (١)

فأنَّث اللِّسان؛ لأنه عنى الكلمة والرِّسالة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ قومًا من رؤساء اليهود والنَّصارى، قالوا: يا محمد أتريد أن نتَّخذك ربًّا؟ فقال: معاذ الله، ما بذلك بعثني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاس(٢).

---

(١) البيت في المذكر والمؤنث؛ لابن الأنباريِّ (١/ ٣٨٨)، ولسان العرب (١٣/ ٣٨٥ـ ٣٨٦) (لسن)، وتهذيب اللُّغة (٥/ ٩١- ١٢/ ٤٢٧)، وتاج العروس (لسن).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٢٤) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر وعِكْرِمَة، به، بلفظ مطول.
ورواه ابن المنذر في تفسيره (٦٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٥٦) من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، قال أبو نافع القرظي، فذكره. وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٠) لابن إسحاق، والبيهقي في الدلائل.

والثَّاني: أنَّ رجلًا قال للنَّبيِّ ﷺ: ألا نسجد لك؟ قال «لَا[١]، فَإِنَّه لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ لِأَحَدٍ مِنْ دُونِ اللهِ» فنزلت هذه الآية، قاله الحسن البصري[٢].

والثَّالث: أنَّها نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى. قاله الضَّحَّاك[٣]، ومُقَاتِل[٤].

وفيمن عنى بـ«البشر» قولان:

أحدهما: محمَّد ﷺ. و«الكتاب»: القرآن، قاله ابن عبَّاس، وعطاء.

والثَّاني: عيسى. و«الكتاب»: الإنجيل، قاله الضَّحَّاك، ومُقَاتِل.

﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ الفقه والعلم، قاله قتادة في آخرين.

[١٠٢/ب] قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: لا يجتمع لرجل نبوَّة، والقول للناس: كونوا عبادًا لي من دون الله؛ لأن الله لا يصطفي الكذبة[٥].

قوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ﴾؛ أي: ولكن يقول لهم: كونوا، فحذف القول لدلالة الكلام عليه.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في العجاب (٢/ ٧٠٥)، والدر المنثور(٢/ ٢٥٠) من طريق روح بن عبادة، عن عوف بن أبي جميلة، عن الحسن، مرسلًا.

(٣) نقله الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٠١) عن الضَّحَّاك.

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٨٦) وفي كلامه اختصار.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٥).

فأما «الرَّبَّانيُّون» فروي عن علي عليه السلام؛ أنَّه قال: هم الذين يُغَذُّون[١] النَّاس بالحكمة، ويربونهم عليها.

وقال ابن عبَّاس[٢]، وابن جُبَيْر[٣]: هم الفقهاء المعلِّمون.

وقال قتادة[٤]، وعطاء[٥]: هم الفقهاء العلماء الحكماء.

قال ابن قُتَيْبَةَ: واحدهم ربَّاني، وهم العلماء المعلمون[٦].

وقال أبو عبيد: أحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية، أو سريانية، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب[٧] لا تعرف[٨] الربانيين.

وقال أبو عبيدة: وإنما عرفها الفقهاء، وأهل العلم، قال: وسمعت رجلًا عالمًا بالكتب يقول: هم العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي[٩].

---

(١) في الأصل: يعدون، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٢٨) من طريق العوفي، ومن طريق سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبَّاس ﭬ قال: كونوا فقهاء حكماء، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٤٦) بلفظ مختلف.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٢٩) من طريق عطاء بن السَّائب، به، بلفظ: حكماء أتقياء.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٢٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٥) نقله الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٠٢) بلفظ: علماء حكماء نصبا لله في خلقه.

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٧).

(٧) في (ر): العربية.

(٨) ليست في (ج).

(٩) انظر: مجاز القرآن (١/ ٩٧)، والمعرب (ص: ٢٣٠).

وحكى ابن الأنباريِّ عن بعض اللغويين: الرباني: منسوب إلى الرب؛ لأن العلم: مما يطاع الله به، فدخلت الألف[١] والنون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لحياني: إذا بالغوا في وصفه بكثرة[٢] اللحية[٣].

قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو: «تعْلَمون»، بإسكان العين، ونصب اللام.

وقرأ عاصم، وابن عامرٍ، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ مثقلاً[٤].

وكلهم قرأ: «﴿تَدْرُسُونَ﴾ خفيفة.

وقرأ ابن مَسْعُودٍ، وابن عبَّاس، وأبو رزين، وسعيد بن جُبَيْر، وطلحة بن مصرّف، وأبو حَيْوَةَ: «تُدرِّسون»، بضم التاء مع التشديد[٥].

و«الدِّراسة»: القراءة.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ر)، و(ف): بكبر.

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ١٧٨).

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ٢١٣)، الحُجَّة (٣/ ٥٨ ــ ٥٩)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٧)، التَّيسير (ص: ٨٩).

(٥) انظر: مختصر الشواذ (ص:٢٨) عن أبي حيوة، وعنه أيضًا (تَدَرَّسون) بفتح التاء والتشديد، وانظر: المحتسب (١/ ١٦٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٣).

قال الزَّجَّاج: ومعنى الكلام: ليكن هديكم ونيتكم[١] في التعليم هدي[٢] العلماء والحكماء؛ لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه[٣].

قوْلُه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾.

قرأ ابن عامرٍ، وحمزة، وخلف، ويعقوب، وعاصم في بعض الروايات عنه وعبد الوارث، عن أبي عمرو، واليزيدي في اختياره، بنصب الرَّاء.

وقرأ الباقون برفع الرَّاء[٤].

فمن نصب كان المعنى: وما كان لبشر أن يأمركم، ومن رفع قطعه مما قبله.

قال ابن جُرَيْج: ولا يأمركم محمَّد[٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

---

(١) في (ج): لكن هذبكم وثبتكم.

(٢) في (ج): هذا.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٦).

(٤) انظر: السَّبعة (ص: ٢١٣)، والحُجَّة (٣/ ٥٧)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٨)، والتَّيسير (ص: ٨٩).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٣٥) من طريق حجاج، به.

قوْلُه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

قال الزَّجَّاج: موضع «إذ» نصب، المعنى: واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله[1].

قال ابن عبَّاس: الميثاق: العهد.

وفي الذي أخذ ميثاقهم [عليه][2] قولان:

أحدهما: أنَّه تصديق محمَّد ﷺ، روي [ذلك][3] عن عليٍّ، وابن عبَّاس، وقتادة، والسُّدِّي.

والثَّاني: أنَّه أخذ ميثاق الأوَّل من الأنبياء ليؤمننَّ بما جاء به الآخر منهم، قاله طاوس.

قال مُجاهِد[4]، والرَّبيع بن أنس[5]: هذه الآية خطأ من الكتَّاب، وهي في قراءة ابن مَسْعُودٍ: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب». واحتج الرَّبيع بقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٦).

(٢) في الأصل: عليهم، والمثبت من باقي النسخ.

(٣) زيادة من (ف).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٣٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٥) رواه الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٣٩) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، به.

وقال بعض أهل العلم: إنما أخذ الميثاق على النبيين وأممهم، فاكتفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم؛ لأن في أخذ الميثاق على[١] المتبوع دلالة على أخذه على التابع، وهذا معنى قول ابن عبَّاس، والزَّجَّاج[٢]. [١٠٣/أ]

واختلف العلماء في لام «لما»:

فقرأ الأكثرون «لَمَا» بفتح اللام مع التَّخفيف.

وقرأ حمزة مثلها، إلا أنَّه كسر اللام[٣].

وقرأ سعيد بن جُبَيْر «لَمَّا» مشدَّدة الميم[٤].

فقراءة ابن جُبَيْر، معناها: حين آتيتكم.

وقال الفرَّاء في قراءة حمزة: يريد أخذ الميثاق الذي آتاهم، ثم جعل قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ من الأخذ.

قال الفرَّاء: ومن نصب اللام جعلها زائدة[٥].

---

(١) من قوله: (النبيين وأممهم) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٥/ ٥٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٨).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢١٣)، والحُجَّة (٣/ ٦٢)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٨)، والتَّيسير (ص: ٨٩).

(٤) عزاها لابن جُبَيْر القرطبي في تفسيره (٤/ ١٢٦)، وفي المحتسب (١/ ١٦٤) عن الأعرج، وفي البحر المحيط (٣/ ٢٣٧) زاد الحسن.

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٢٥).

و«ما» هاهنا بمعنى الشرط والجزاء، فالمعنى: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم شيئًا من كتاب(١) وحكمة.

قال ابن الأنباريِّ: [اللام](٢) في قوله: ﴿لَمَآءَاتَيۡتُكُم﴾ على قراءة من شدَّد أو كسر: جواب لأخذ الميثاق، وعلى قراءة من خفَّفها، معناها: القسم، وجواب القسم اللام في قوله: ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾ وإنما خاطب، فقال: آتيتكم. بعد أن ذكر النبيين وهم غيب؛ لأن في الكلام معنى قول وحكاية، فقال مخاطبًا لهم: لما آتيتكم.

وقرأ نافع: «آتيناكم» بالنون والألف(٣).

قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ﴾.

قال عليٌّ عليه السلام: ما بعث اللهُ نبيًّا إلا أخذ عليه العهد، إن بعث محمد وهو حيٌّ(٤) ليؤمنن به ولينصرنه(٥).

وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أن يُصدِّق(٦) بعضهم بعضًا.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) زيادة من بقية النسخ.

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢١٤)، والحُجَّة (٣/ ٦٩)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٦٩)، والتَّيسير (ص: ٨٩).

(٤) ليست في (ر).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٤٠) من طريق سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي بن أبي طالب، بنحوه، وسيف بن عمر التميمي ضعيف.

(٦) قوله: (الأنبياء أن يصدق)، ليس في (ر).

و«الإصر» هاهنا: العهد في قول الجماعة.

قال ابن قُتَيْبَةَ: أصل الإصر الثِّقل، فسمي العهد إصرًا؛ لأنه منعٌ من الأمر[١] الذي أخذ له، وثقل وتشديد[٢].

وكلهم كسر ألف «إصري».

وروى أبو بكر، عن عاصم ضمَّه[٣].

قال أبو عليٍّ: يشبه أن يكون الضم لغة[٤].

قوْله: ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ قال ابن فارس: الشَّهادة: الإخبار بما شوهد[٥].

وفيمن خوطب بهذا قولان:

أحدهما: أنَّه خطاب[٦] للنَّبيِّين.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: فاشهدوا على أممكم، قاله عليُّ بن أبي طالب[٧].

والثَّاني: فاشهدوا على أنفسكم، قاله مُقَاتِل.

---

(١) في (ج): الإصر.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٧).

(٣) انظر: السَّبعة (ص: ٢١٤)، والحُجَّة (٣/ ٧٠).

(٤) انظر: الحُجَّة (٣/ ٧٠).

(٥) انظر: مجمل اللُّغة (ص: ٥١٤).

(٦) في (ر): أنَّه خاطب.

(٧) من قوله: (ثم فيه قولان)... إلى هنا، ليس في (ر).

والثَّـاني: أنَّـه خطـاب للملائكـة، قالـه سـعيد بـن المُسَـيَّب، فعـلى هـذا يكـون كنايـة عـن غـير[١] مذكـور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمـران: ٨٣، ٨٥].

قوْلُه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾.

قـرأ أبـو عَمْـرو: ﴿يَبْغُونَ﴾[٢] باليـاء مفتوحـة. «وإليـه تُرجعـون» بالتـاء مضمومـة.

وقرأها الباقون بالياء[٣] في الحرفين.

وروى حفص عن عاصم: «يبغون» و«يرجعون» بالياء فيهما.

وفتح الياء وكسر الجيم، يعقوب على أصله[٤].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ف).

(٣) ليست في (ج)، وفي (ف): (بالتاء).

(٤) انظـر: السَّـبعة (ص: ٢١٤)، والحُجَّـة (٣/ ٦٩)، وحُجَّـة القـراءات (ص: ١٧٠)، والتَّيسـير (ص:٨٩).

قال ابن عبَّاس: اختصم أهل الكتابين، فزعمت كلُّ فرقة أنَّها أولى بدين إبراهيم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ». فغضبوا، وقالوا[١]: والله ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت هذه الآية[٢].

والمراد بـ ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾ دين محمّد ﷺ.

﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ انقاد، وخضع.

﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ الطوع: الانقياد بسهولة، والكره[٣]: الانقياد بمشقة وإباءٍ من النفس.

وفي معنى «الطَّوع والكره[٤]» ستة أقوال:

أحدها: أنَّ إسلام[٥] الكلِّ كان يوم الميثاق طوعًا وكرهًا، رواه مُجاهِد [١٠٣/ب] عن ابن عبَّاس، والأعمش عن مُجاهِد، وبه قال السُّدِّي.

والثَّاني: أنَّ المؤمن يسجد طائعًا، والكافر يسجد ظلُّه وهو كاره، روي عن ابن عبَّاس، ورواه ابن أبي نجيح، وليث عن مُجاهِد.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) نقله الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٠٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١١٣) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر): الكر.

(٥) ليست في (ج).

والثَّالث: أنَّ الكلَّ أقرُّوا بأنَّه الخالق، وإن أشرك بعضهم، فإقراره بذلك حجة على إشراكه[١]، هذا قول أبي العالية، رواه منصور[٢] عن مُجاهِد.

والرَّابع: أنَّ المؤمن أسلم طائعًا[٣]، والكافر أسلم مخافة السَّيف، هذا قول الحسن.

والخامس: أنَّ المؤمن[٤] أسلم طائعًا، والكافر أسلم[٥] حين رأى بأس الله، فلم ينفعه في ذلك الوقت، هذا قول قتادة.

والسَّادس: أنَّ إسلام الكلِّ خضوعهم لنفاذ أمره في جبلَّتهم[٦]، لا يقدر أحدهم أن يمتنع من جبلَّةٍ[٧] جبله عليها، ولا على تغييرها، هذا قول الزَّجَّاج[٨]، وهو معنى قول الشَّعبي: انقاد كلُّهم له[٩].

---

(١) في بقية النسخ: حجة عليه في إشراكه.

(٢) في الأصل: ابن منصور، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) مكانها بياض في (ر).

(٤) في (ر): المسلم.

(٥) من قوله: (مخافة السيف) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) في الأصل: (حيلتهم)، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في الأصل: (حيلة)، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٩) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٧٢) من طريق وكيع، عن إسرائيل بن يونس، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الشَّعبي، بنحوه.

وجابر بن يزيد الجعفي، ضعيف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٦، ٨٩].

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ رجلًا من الأنصار ارتدَّ، فلحق بالمشركين، فنزلت هذه الآية، إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ فكتب بها قومه إليه، فرجع تائبًا. رواه عِكْرِمَة عن ابن عبَّاس[(١)][(٢)].

وذكر مُجَاهِد، والسُّدِّي: أن اسم ذلك الرَّجل: الحارث بن سويد.

والثَّاني: أنَّها نزلت في عشرة رهط ارتدُّوا، فيهم الحارث بن سويد، فندم، فرجع. رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس، وبه قال مُقَاتِل[(٣)].

---

(١) ضرب على الاسم في (ج).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٩٣)، والنسائي في المجتبى (٤٠٦٨)، وفي الكبرى (٣٥١٧ـ١٠٩٩٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٤ ـ ٤/ ٤٠٧)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٤٢) وغيرهم من طرق عن داود بن أبي هند، عن عِكْرِمَة، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٨٨)، وابن جرير الطَّبري (٥/ ٥٥٨).

والثَّالث: أنَّها [نزلت][(١)] في أهل الكتاب، عرفوا النَّبيَّ ﷺ، ثم كفروا به. رواه عطية عن ابن عبَّاس[(٢)].

وقال الحسن: هم اليهود والنَّصارى[(٣)].

وقيل: إن «كيف» هاهنا لفظها لفظة الاستفهام، ومعناها الجحد، أي: لا يهدي الله هؤلاء.

قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

قال الزَّجَّاج؛ أي: في عذاب اللعنة[(٤)].

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ أي: يؤخَّرون عن الوقت.

ومعنى: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أي: أظهروا أنَّهم كانوا على ضلال، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه، وغرُّوا به من تبعهم ممن لا علم له.

❁ ❁ ❁

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٩٠) من طريق العوفي، بنحوه.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٢٤) عن معمر، ومن طريقه، ابن جرير الطَّبري (٥/ ٥٦١)، وابن جرير الطَّبري (٥/ ٥٦٠) من طريق عباد بن منصور، وقتادة كلاهما، عن الحسن، بنحوه.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٠).

فَصْلٌ

وهـذه الآيـة اسـتثنت مَـن تـاب ممـن لم يتـب، وقـد زعـم قـوم[١] أنَّهـا نَسـخت مـا تضمَّنتـه الآيـات قبلهـا مـن الوعـد[٢] والوعيـد، والاسـتثناء ليس بنسـخ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمـران: ٩٠، ٩١].

قَوْلُه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنَّهـا نزلـت فيمـن لم يتـب مـن أصحـاب الحـارث بـن سـويد، فإنَّهـم قالـوا: نقيـم بمكـة ونتربـص بمحمـد ريـب المنون، قالـه ابـن عبَّـاس، ومُقَاتِـل[٣].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) تقدم الكلام عليه.

والثَّاني: أنَّها نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد ﷺ والقرآن، قاله الحسن(١)، وقتادة(٢)، وعطاء الخُرَاسَانِي(٣).

والثَّالث: أنَّها نزلت في اليهود والنَّصارى، كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بصفته، ثم ازدادوا كفرًا بإقامتهم على كفرهم، قاله أبو العالية(٤). [١٠٤/أ]

قال الحسن: كلَّما نزلت [عليهم](٥) آية كفروا بها، فازدادوا كفرًا(٦).

وفي عِلَّة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال:

أحدها: أنَّهم ارتدوا، وعزموا على(٧) إظهار التوبة(٨) لستر(٩) أحوالهم، والكفر في ضمائرهم، قاله ابن عبَّاس.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٦٤) من طريق عباد بن منصور، به.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٦٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) في (ج): (عطاء) غير منسوب؛ رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٦٤) من طريق معمر، به.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧٩٩) من طريق داود بن أبي هند، به، بنحوه.

(٥) زيادة من باقي النسخ.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٦٤) من طريق عباد بن منصور، به.

(٧) من قوله: (عبَّاس. والثَّاني أنَّها في) ... إلى هنا، ليس في (م).

(٨) مكانها بياض في (م).

(٩) في (م): واستر.

والثَّاني: أنَّهم قوم تابوا[١] من الذُّنوب في الشِّرك، ولم يتوبوا من الشِّرك، قاله أبو العالية.

والثَّالث: أن معناه: لن تُقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء الخُرَاسَانِي، والسُّدِّي.

والرَّابع: لن[٢] تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر، قاله[٣] مُجَاهِد.

قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

روى أبو صالح عن ابن عبَّاس أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَّما افتتح مكة، دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حيًّا في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافرًا[٤].

[قال الزَّجَّاج][٥]: وملء الشيء: مقدار ما يملؤه[٦].

---

(١) في (م): باؤوا.

(٢) في الأصل: أن، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ر)، و(ف): وهو قول.

(٤) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٨٨).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من (ر)، و(ف).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٢).

قال سيبويه، والخليل: والملء بفتح الميم: الفعل، تقول[١]: ملأت الشيء أملؤه ملأً، المصدر بالفتح لا غير. والملاءة: التي تلبس، ممدودة. والملاوة من الدهر: القطعة الطويلة منه، يقولون: ابل جديدًا، وتمل حبيبًا، أي: عش معه دهرًا[٢] طويلًا. وذَهَبًا منصوب على التمييز[٣].

وقال ابن فارس: ربما أُنِّث الذَّهب[٤]، فقيل: ذهبة، ويجمع على الأذهاب[٥].

قوْلُه: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

قال الفرَّاء: الواو هاهنا قد يستغنى عنها، ولو حذفت كان صوابًا، كقوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥][٦].

قال الزَّجَّاج: هذا غلط؛ لأن فائدة الواو بيِّنة، فليست مما يلقى[٧].

---

(١) زاد في (م): فلان.

(٢) في الأصل: دهران، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٢).

(٤) في الأصل: الدهر، والمثبت من بقية النسخ والمصادر.

(٥) انظر: مقاييس اللُّغة (٢/ ٣٦٢).

(٦) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٢٦) ونص كلام الفرَّاء: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ الواو هاهنا قد يستغنى عَنْهَا، فلو قيل ملء الأرض ذهبًا لو افتدى به كان صوابًا. وهو بمنزلة قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فالواو هاهنا كأن لها فعلاً مضمرًا بعدها.

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤١).

[قال النَّحاس: قال أهل النَّظر من النَّحويين في هذه الآية: الواو ليست مقحمة وتقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا تبرعًا ولو افتدى به][(١)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾ [آل عمران: ٩٢، ٩٤].

قوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾.

في البر أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه الجنَّة، قاله ابن عبَّاس، ومُجاهِد، والسُّدِّي في آخرين.

قال ابن جرير: فيكون المعنى: لن تنالوا برَّ الله بكم الذي تطلبونه بطاعتكم[(٢)].

والثَّاني: التَّقوى، قاله عطاء، ومُقَاتِل.

والثَّالث: الطَّاعة، قاله عطية[(٣)].

والرَّابع: الخير الذي يُستحق به الأجر، قاله أبو روق.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري(٥/ ٥٧٢).

(٣) لم يذكر في (ج).

قال القاضي أبو يعلى: لم يرد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال. فكأنَّه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوْلُه: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: نفقة العبد من ماله وهو صحيح شحيح[١]، رواه ابن عمر عن النَّبيِّ ﷺ[٢].

والثَّاني: أنَّه الإنفاق من محبوب[٣] المال، قاله قتادة، والضَّحَّاك.

وفي المراد بهذه النَّفقة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها الصَّدقة المفروضة، قاله ابن عبَّاس، والحسن، والضَّحَّاك[٤].

والثَّاني: أنَّها سائر[٥] الصَّدقات، قاله ابن عمر.

والثَّالث: أنَّها سائر[٦] النَّفقات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى، سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نُقل عن الحسن، واختاره القاضي أبو يعلى.

---

(١) ليست في (م).

(٢) لم نقف عليه.

(٣) ليست في (م).

(٤) من قوله: (وفي المراد بهذه النَّفقة)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) في بقية النسخ: جميع.

(٦) في بقية النسخ: جميع.

وروى البخاري ومسلم في «الصَّحيحين» من حديث[١] أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالًا[٢] من نخل[٣]، وكان أحب أمواله إليه[٤] بيرحاء[٥]، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النَّبيُّ ﷺ [١٠٤/ب] يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيبٍ. قال أنس: فلمَّا نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة، وقال: يا رسول الله، إنَّ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإنَّ أحبَّ الأموال[٦] إليَّ[٧] بيرحاء، وأنَّها صدقة لله[٨]، أرجو برَّها وذخرها[٩] عند الله تعالى، فضعها حيث أراك الله، فقال [النبيُّ][١٠]: «بَخٍ بَخٍ، ذَلِكَ[١١] مَالٌ رَابِحٌ أَوْ رَائِحٌ -شك الراوي- وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فقسمها

---

(١) ليست في (ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قوله: (من نخل)، مكانه بياض في (م).

(٤) ليست في (م).

(٥) في (م): بير.

(٦) في (ف): الأمور.

(٧) ليست في (ج).

(٨) في (م): له.

(٩) في (ج): ذكرها.

(١٠) زيادة من (م).

(١١) قوله: (بخ بخ ذلك)، ليس في (م).

أبـو طلحـة في أقاربـه، وبنـي عمِّـه[١].

وروي عـن عبـد الله بـن عمـر أنَّـه قـرأ هـذه الآيـة فقـال: لا أجـد شـيئًا أحـب إليَّ مـن جاريتـي رميثـة[٢]، فهـي حـرة لوجـه الله تعـالى، ثـم قـال: لـو لا أني لا[٣] أعـود في شيء جعلتـه لله لنكحتهـا، فأنكحهـا نافعًـا، فهـي أم ولـده[٤].

وسُـئل أبـو ذر[٥]: أي الأعـمال أفضـل؟ فقـال: الصَّـلاة عـماد الإسـلام، والجهـاد سـنام العمـل، والصَّدقـة شيء عجـب. فقـال السـائل: يـا أبـا ذرٍ[٦] لقـد تركـت لي شـيئًا هـو أوثـق عمـل في نفسي مـا ذكرتـه. قـال: مـا هـو؟ قـال: الصِّيـام. فقـال: قربـة وليـس هنـاك، وتـلا قولـه[٧]: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٨].

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري(١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) في (م): يومئذ.

(٣) ليست في (ر)، و(ج)، و(ف).

(٤) رواه أبـو نعيـم في الحليـة (١/ ٢٩٥) مـن طريـق عبـد الله بـن أبي عثمان، بـه، بنحـوه، وعـزاه السُّـيوطي في الـدر المنثـور (٢/ ٢٦٠) لعبـد بـن حميـد، والبـزَّار، وفيـه أن الجاريـة اسـمها مرجانـة.

(٥) في (ج): أبو الدَّرداء.

(٦) في (ج): أبا درداء.

(٧) في (م): هذه الآية.

(٨) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٥٧٦) مـن طريـق ميمـون بـن مهـران، أن رجـلاً سـأل أبـا ذر، فذكـره.

قال الزَّجَّاج: ومعنى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي يجازي عليه[١].

قوْلُه: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أَنَا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل، وتشرب ألبانها[٢]؟ فقال: «**كَانَ ذَلِكَ حَلَالاً لِإِبْرَاهِيمَ**». فقالوا: كل شيء نحرِّمه نحن، فإنَّه كان محرَّمًا على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيبًا لهم. قاله أبو روق، وابن السَّائب[٣].

و﴿ٱلطَّعَامِ﴾ اسم للمأكول.

قال ابن قُتَيْبَةَ: و«الحِلُّ»: الحلال، والحرم[٤] والحرام، واللبس واللباس[٥].

وفي الذي حرَّمه على نفسه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه لحوم الإبل وألبانها. روي عن النَّبيِّ ﷺ وعلى آله.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٣).

(٢) ليست في (ر).

(٣) نقله الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ١١٢) عن أبي روق عطية بن الحارث، ومحمد بن السَّائب الكلبي.

(٤) في (م): الحريم.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٧).

ورواه أبو صالح عن ابن عبَّاس، وهو [معنى][(١)] قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية في آخرين.

والثَّاني: أنَّه العروق، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاس، وهو قول مُجَاهِد، وقتادة، والضَّحَّاك، والسُّدِّي في آخرين.

والثَّالث: أنَّه زيادتا الكبد، والكليتان، والشَّحم إلَّا ما على الظَّهر، قاله عِكْرِمَة.

وفي سبب[(٢)] تحريمه لذلك أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه طال به مرضٌ شديدٌ، فنذر: لئن شفاه الله، ليحرِّمنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه، روي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله[(٣)].

والثَّاني: أنَّه اشتكى عرق النَّسا فحرَّم العروق، قاله ابن عبَّاس في آخرين.

والثَّالث: أنَّ الأطباء وصفوا له حين أصابه «النسا» اجتناب ما حرمه، فحرمه، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس[(٤)].

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) ليست في (ف).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٣٨)، و أحمد في مسنده (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٨)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٢/ ٢٨٣ ـ ٥/ ٥٨٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨١٦) من طريق عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عبَّاس، بنحوه، بلفظ أطول من هذا.

(٤) قوله: (الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس)، مكانه بياض في (م).

والرَّابع: أنَّه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابه عرق النَّسا[١] فيبيت وقيذًا، فحرمه، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

واختلفوا: هل حرَّم ذلك بإذن الله تعالى، أم باجتهاده؟ على قولين. [١٠٥/أ]

واختلفوا: بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرمه على اليهود؟

على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه حرم عليهم بتحريمه، ولم يكن محرمًا في التَّوراة، قاله عطية. وقال ابن عبَّاس: قال يعقوب عليه السلام: لئن عافاني الله عز وجل لا يأكله لي[٢] ولد[٣][٤].

والثَّاني: أنَّهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه، لا[٥] أنَّه حرِّم عليهم بالشرع، ثم أضافوا تحريمه إلى الله عز وجل، فأكذبهم الله بقوله: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ هذا قول الضَّحَّاك.

---

(١) ليست في (م).

(٢) قوله: (يأكله لي)، مكانه بياض في (م).

(٣) في (ج): لا يأكله ولدي.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨١٨) من طريق سعيد بن جُبَيْر، به، بلفظ: حرم العروق ولحوم الإبل، قال: كان به عرق النسا، فأكل من لحومها فبات بليلة يزقو، فحلف أن لا يأكله أبدًا.

(٥) في (ج): إلا.

والثَّالث: أنَّ الله حرَّمه عليهم[١] بعد التَّوراة لا فيها. وكانوا إذا أصابوا ذنبًا عظيمًا، حرم عليهم به طعام[٢] طيب، أو صب عليهم عذاب، هذا قول ابن السَّائب.

قال ابن عبَّاس: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل وألبانها![٣].

﴿فَمَنِ افْتَرَى﴾ يقول: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ أي: من [كان][٤] بعد البيان في كتابهم، وقيل: من بعد مجيئكم بالتَّوراة وتلاوتكم إياها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾[آل عمران: ٩٥، ٩٧].

قوله: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾.

الصِّدق: الإخبار بالشيء على ما هو به، وضده الكذب.

---

(١) مكانها بياض في (م).

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه ابن المنذر في تفسيره (٧٠٨) من طريق ابن جُرَيْج، به، بلفظ أطول.

(٤) زيادة من (م).

واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية؟

على قولين:

أحدهما: أنَّه عنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ [آل عمران:٦٧]، قاله مُقَاتِل، وأبو سليمان الدِّمشقي.

والثَّاني: أنَّه عنى قوله[1]: قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قاله ابن السَّائب.

قوله تعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾.

قال مُجَاهِد: افتخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة[2]. وقال المسلمون: الكعبة أفضل. فنزلت هذه الآية[3].

وفي معنى كونه أوَّلًا قولان:

أحدهما: أنَّه أول بيت كان في الأرض.

واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أوَّل بيت؟

على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الأرض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته.

---

(١) من قوله: (ما كان إبراهيم يهوديًّا)... إلى هنا، ليس في (ج)، و(م).

(٢) قوله: (من الكعبة)، ليس في (م).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ١١٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١١٥).

وروى سعيد المقبري عن أبي هُرَيْرَةَ قال: كانت الكعبة حشفة على الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنَّهار قبل الأرض بألفي سنة[١].

وقال ابن عبَّاس: وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدُّنيا بألفي سنة[٢]، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت.

وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو[٣]، ومُجَاهِد، وقتادة، والسُّدِّي في آخرين.

والثَّاني: أنَّ آدم استوحش حين أُهبط، فأوحى الله إليه: أن ابن لي بيتًا في الأرض، فاصنع حوله نحو[٤] ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي، فبناه. رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس.

والثَّالث: أنَّه أُهبط مع آدم، فلما كان الطوفان، رُفع فصار [عمودًا][٥] معمورًا في السَّماء، وبنى إبراهيم على أثره[٦]. رواه شيبان عن قتادة.

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (٧١١) من طريق محمد بن بكير، عن أبي معشر، عن نافع مولى آل الزبير، وسعيد المقبري، به، بنحوه.

(٢) من قوله: (وقال ابن عبَّاس)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) لم يذكر في (ج) و(ف).

(٤) قوله: (فاصنع حوله نحو)، ليس في (ف).

(٥) زيادة من (م).

(٦) قوله: (وبنى إبراهيم على أثره)، مكانه بياض في (م).

والقــول الثَّــاني: أنَّــه أول بيــت وضعــه الله للعبــاد[١]، وقــد كانــت قبلــه بيــوت[٢]. [١٠٥/ب]

هــذا قــول علــيّ بــن أبي طالــب عليه السلام، والحســن، وعطــاء بــن السَّــائب[٣] في آخريــن.

فأمَّا «بكة».

قــال الزَّجَّــاج: يصلــح أن يكــون هــذا الاســم مشــتقًا مــن البَــكِّ. يقــال: بــكَّ النَّــاس بعضهــم بعضًــا، أي: دفــع[٤].

واختلفوا في تسميتها بكة على ثلاثة أقوال:

أحدهــا: لازدحــام النَّــاس بهــا، قالــه ابــن عبَّــاس، وســعيد بــن جُبَــيْر، وعِكْرِمَــة، وقتــادة، والفــرَّاء، ومُقَاتِــل.

والثَّــاني: لأنَّهــا تبــكُّ أعنــاق الجبابــرة، أي: تدُقهــا، فلــم يقصدهــا جبــارٌ[٥] إلا وقصمــه[٦] الله، روي عــن عبــد الله بــن الزبــير، وذكــره الزَّجَّــاج[٧].

---

(١) في بقية النسخ: وضع للعبادة.

(٢) مكانها بياض في (م).

(٣) في (ج): عطاء وابن السَّائب.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٥).

(٥) مكانها بياض في (م).

(٦) في (ف)، و(م): وقصه.

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٥).

والثَّالث: لأنَّها تضع من نخوة(١) المتجبرين، يقال: بككت الرجل؛ أي: وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي، وقُطرُب(٢).

واتَّفقوا على أنَّ مكة اسمٌ لجميع البلدة.

واختلفوا في بكَّة على أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه اسمٌ للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عبَّاس، ومُجَاهِد، وأبو مالك، وإبراهيم، وعطيَّة.

والثَّاني: أنَّه ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عِكْرِمَة.

والثَّالث: أنَّها المسجد، والبيت. ومكة: اسمٌ للحرم كله، قاله الزُّهري، وضمرة بن حبيب.

والرَّابع: أن بكة هي مكة، قاله الضَّحَّاك، وابن قُتَيْبَة.

واحتج ابن قُتَيْبَةَ بأن الباء تبدل من الميم يقال: سمد رأسه، وسبد رأسه: إذا استأصله(٣).

وشرٌّ(٤) لازم، ولازب(٥).

---

(١) في الأصل: نحو، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٢٩٩).

(٣) في (ج): استصاله.

(٤) في الأصل: شيء، والمثبت منه بقية النسخ.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٧).

قوْلُه: ﴿مُبَارَكًا﴾.

قال الزَّجَّاج: هو منصوب على الحال. المعنى: الذي استقرَّ بمكَّة في حال بركته[١].

﴿وَهُدًى﴾؛ أي: وهذا[٢] هدىً. ويجوز أن يكون «هدى» في موضع رفع، المعنى: وهو هدى.

فأمَّا بركته، ففيه تغفر الذُّنوب، وتضاعف الحسنات، ويأمَن مَن دخله.

وروى ابن عمر عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ[٣]، لَمْ يَرْفَعْ قَدَمًا، وَلَمْ يَضَعْ أُخْرَى، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً»[٤].

قوْلُه: ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٥).

(٢) في بقية النسخ: ذا.

(٣) في الأصل: سبعًا، وضبَّب عليها.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٦٦٣)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٠١٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٣٦٩٧)والأزرقي في أخبار مكة (٢/ ٣)، وأبو يعلى في مسنده (٥٦٨٧) وغيرهم من طرق عن عطاء بن السَّائب، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه، عن ابن عمر، بنحوه، بزيادة: كان كعتق رقبة. وإسناده ضعيف من أجل عطاء بن السَّائب، فإنَّه اختلط بآخرة.

في معنى[1] «الهدى» هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه بمعنى القبلة، فتقديره: وقبلة للعالمين.

والثَّاني: أنَّه بمعنى: الرحمة.

والثَّالث: أنَّه بمعنى: الصلاح؛ لأن من قصده، صلحت حاله عند ربه[2].

والرَّابع: أنَّه بمعنى: البيان، والدلالة على[3] الله بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره، حتى[4] يجمع الكلب والظبي[5] في الحرم، فلا الكلب يهيج الظبي[6]، ولا الظبي[7] يستوحش منه[8]، قاله القاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾.

الجمهور يقرءون: ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾.

(١) في (ج): هذا.

(٢) في (ر): الله.

(٣) في الأصل: على أن الله، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) في بقية النسخ: حيث.

(٥) في (ج): الضبي.

(٦) في (ج): الضبي.

(٧) في (ج): الضبي، وقوله: ولا الظبي، ليس في (ر).

(٨) ليست في (م).

وروى عطاء عن ابن عبَّاس أنَّه قرأ: «فيه آية بينة مقام إبراهيم»، وبها قرأ مُجَاهِد[1]. والآية: مقام إبراهيم.

فأمَّا مَن قرأ: ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾ فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: الآيات: مقام إبراهيم، وأمنُ مَنْ دخله.

فعلى هذا يكون الجمع معبرًا عن التثنية، وذلك جائز في اللُّغة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨]. [١٠٦/أ]

وقال[2] أبو رجاء: كان الحسن يعدُّهن، وأنا أنظر إلى أصابعه: مقام إبراهيم، ومَن دخله كان آمنًا، ولله على النَّاس حج البيت.

وقال ابن جرير: في الكلام إضمار، تقديره: منهن مقام إبراهيم[3].

قال المفسِّرون: الآيات فيه كثيرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض منها به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمته، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا خرابه، إلى غير ذلك.

قال القاضي أبو يعلى: والمراد بـ «البيت» هاهنا: الحرم كلُّه؛ لأن هذه الآيات موجودة فيه، ومقام إبراهيم ليس في البيت، والآية في مقام

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (٧٢٩) من طريق ابن جُرَيْج، عن عطاء، به، وذكره الطَّبري (٥/ ٥٩٨) عن ابن عبَّاس، وفي مختصر الشواذ (ص: ٢٨) عن مُجَاهِد، وأبي بن كعب.

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٦٠٠).

إبراهيم أنَّه قام[١] على حجر، فأثَّرت قدماه فيه، فكان ذلك دليلًا على قدرة الله، وصدق إبراهيم.

قوْلُه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.

قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، فتقديره: مَنْ دخَله، فأمنوه، وهو عام فيمن جنى [جناية][٢] قبل دخوله، وفيمن جنى فيه[٣] بعد دخوله[٤]، إلا أنَّ الإجماع انعقد على أنَّ من جنى فيه لا يؤمَّن؛ لأنه هتك حرمة الحرم ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى[٥] خارجًا منه، ثم لجأ[٦] إلى الحرم.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك:

فقال أحمد في رواية المروذي: إذا قتل، أو قطع يدًا، أو أتى[٧] حدًّا في غير الحرم، ثم دخله، لم يقم عليه الحدُّ، ولم يقتصَّ منه، ولكن لا يبايع،

---

(١) في (ف): قال.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) ليست في (م).

(٤) قوله: (وفيمن جنى بعد دخوله)، ليس في(ر).

(٥) جاءت العبارة في (م) هكذا: (فنفى حكم الآية؛ فمن جنى... فقد اختلف العلماء والفقهاء في ذلك).

(٦) في (ف): جاء.

(٧) قوله: (يدًا أو أتى)، ليس في(ر).

ولا يشارى، ولا يؤاكل حتى يخرج، فإن فعل شيئًا من ذلك في الحرم[١]، استوفي منه.

وقال أحمد في رواية حنبل: إذا قتل خارج الحرم، ثم دخله، لم يقتل. وإن كانت الجناية دون النفس، فإنَّه يقام عليه الحد[٢]. وبه قال أبو حنيفة وأصحابه[٣].

وقال مالك[٤]، والشَّافعي[٥]: يقام عليه جميع ذلك في النفس، وفيما دون النفس.

وفي قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ دليل على أنَّه لا يقام عليه شيء من ذلك، وهو مذهب ابن عمر، وابن عبَّاس، وعطاء، والشَّعبي، وسعيد بن جُبَيْر، وطاوس.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾.

الأكثرون على فتح حاء «الحَج».

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم: بكسرها[٦].

---

(١) قوله: (في الحرم)، ليس في (ج).

(٢) انظر: الروايتين والوجهين (٢/ ٢٧١).

(٣) انظر: الدر المختار مع حاشية ابن عابدين عليه (٢/ ٦٢٥).

(٤) انظر: البيان والتحصيل (١٦/ ٧٧)، .

(٥) انظر: المجموع (١٨/ ٤٧٢).

(٦) انظر: السَّبعة (ص: ٢١٤)، والحُجَّة (٣/ ٧٠ ـ ٧١)، وحُجَّة القراءات (ص: ١٧٠).

قال مجاهد: لما نزل قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥] قال أهل الملل كلهم: نحن مسلمون، فنزلت هذه الآية، فحجه المسلمون، وتركه المشركون، وقالت اليهود: لا نحجه أبدًا.

قوله: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾.

قال النَّحويون: «من» بدل من «النَّاس»، وهذا بدل البعض، كما تقول: ضربت زيدًا رأسه.

وقد روى[١] ابن مَسْعُودٍ[٢]، وابن عمر[٣]، وأنس[٤]، وعائشة[٥] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه سُئِل: ما السبيل؟ فقال: «**مَنْ وَجَدَ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ**».

---

(١) في (ج)، و(ف): روي عن.

(٢) رواه الدارقطني في السنن (٢٤١٧) من طريق حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٣) رواه التِّرمذي (٨١٣ـــ٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦) من طريق إبراهيم بن يزيد المكي، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي، به، قال التِّرمذي: هذا الحديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوري المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه..

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٠٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، به، بنحوه، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) رواه البيهقي في السنن الصغير (١٤٥٥) من طريق عتاب بن أعين، عن سفيان الثَّوري، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أمه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
قال البيهقي: والمحفوظ عن سفيان ما رواه أبو داود الحفري، عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، مرسلاً. وانظر: السنن الكبرى (٤/ ٥٣٦).

قوْلُه: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنَّ معناه: من كفر بالحج فاعتقده غير واجب، رواه مقسم(١) عن ابن عبَّاس، وابن جُرَيْجٍ عن مُجَاهِد، وبه قال الحسن، وعطاء، [١٠٦/ب] وعِكْرِمَة، والضَّحَّاك، ومُقَاتِل.

والثَّاني: من لم يرج ثواب حجه، ولم يخف عقاب تركه، فقد كفر به، رواه علي بن أبي طلحة(٢) عن ابن عبَّاس، وابن أبي نجيح عن مُجَاهِد.

والثَّالث: أنَّه الكفر بالله، لا بالحج، وهذا المعنى مروي(٣) عن عِكْرِمَة، ومُجَاهِد.

والرَّابع: أنَّه إذا أمكنه الحج، فلم يحج حتى مات، وسم بين عينيه: كافر، هذا قول ابن عمر.

والخامس: أنَّه أراد الكفر بالآيات التي أُنزلت في ذكر البيت؛ لأن قومًا من المشركين قالوا: نحن نكفر بهذه الآيات، هذا قول ابن زيد.

---

(١) في (م): القاسم.

(٢) في (ج): علي بن أبي طالب.

(٣) في (م): روي.

قَالَ تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[آل عمران: ٩٨، ٩٩].

قوْلُه: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾.

قال الحسن: هم اليهود والنَّصارى(١).

فأمَّا «آيات الله» فقال ابن عبَّاس: هي القرآن ومحمَّد ﷺ.

فأمَّا «الشهيد» فقال ابن قُتَيْبَةَ: هو بمعنى الشاهد(٢).

وقال الخطَّابي: هو الذي لا يغيب عنه شيء، كأنَّه الحاضر المشاهد(٣)(٤).

قوْلُه: ﴿ قل يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ﴾.

قال مُقَاتِل: دعت اليهود حذيفة، وعمار بن ياسر، إلى دينهم، فنزلت هذه الآية(٥).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨٨٠) من طريق عباد بن منصور، به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٦).

(٣) في (م): الشاهد.

(٤) انظر: شأن الدعاء (ص: ٧٥).

(٥) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٩٢).

وفي المراد بـ «أهل الكتاب» هاهنا قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهودُ والنَّصارى، قاله الحسن.

والثَّاني: اليهود. قاله زيد بن أسلم، ومُقَاتِل.

قال ابن عبَّاس: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ[١] عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام، والحج[٢].

وقال قتادة: لِمَ تصدُّون عن نبي الله، وعن الإسلام[٣].

قال السُّدِّي: كانوا إذا سئلوا: هل تجدون محمدًا في كتبكم؟ قالوا: لا. فصدوا عنه النَّاس[٤].

قوله: ﴿تَبۡغُونَهَا﴾.

قال اللغويون: الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكَّر ويؤنَّث.

وأنشدوا[٥] [من الوافر]:

فَلَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَى أُنَاسٍ[٦] ... سَيُصْبِحُ سَالِكًا تِلْكَ[٧] السَّبِيلَا

(١) في (ر)، و(ج)، و(م): تصرفون.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨٨٢) من طريق الضَّحَّاك، به، بلفظ: دين الله.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨٨٤) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٥) البيت بلا نسبة في الزاهر (٢/ ١٩٧)، والمؤنث والمذكر (ص: ٤٢٤).

(٦) في (م): قوم.

(٧) في (ج): ذلك.

ومعنى تبغونها[(١)]: تبغون[(٢)] لها، تقول العرب: ابغني[(٣)] خادمًا، يريدون: ابتعه[(٤)] لي، فاذا أرادوا: ابتغ[(٥)] معي، وأعني على طلبه، قالوا: ابغني[(٦)]، ففتحوا الألف، ويقولون: وهبتك درهمًا، كما يقولون: وهبت لك.

قال الشَّاعر [من الخفيف]:

فَتَولَّى غُلَامُهُم ثُمَّ نَادَى أَظَلِيمًا أَصِيدُكُم[(٧)] أَمْ حِمَارًا[(٨)]

أراد: أصيدُ لكم.

ومعنى الآية: تلتمسون لسبيل الله الزَّيغ والتَّحريف، وتريدون ردَّ الإيمان[(٩)] والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج، وتطلبون العدول عن القصد،

---

(١) في الأصل: (تبعونها)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في الأصل: (تبعون)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في الأصل: (ابعني)، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (م): ابتغه.

(٥) في الأصل: ابتع، وفي (م): اتبع، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في الأصل: ابعني، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في الأصل: أصيبكم، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٨) البيت بلا نسبة في شرح شواهد المغني (٢/ ٥٩٦)، ومغني اللبيب (١/ ٢٢٠).

(٩) في (ف): الإسلام.

هـذا قـول الفـرَّاء[١]، والزَّجَّـاج[٢]، واللُّغويـين.

قـال ابـن جُرَيْـجٍ[٣]: خـرج هـذا الـكلام عـلى السـبيل، والمعنـى: لأهلـه، كأن المعنـى: تبغـون[٤] لأهـل ديـن الله، ولمـن هـو عـلى سـبيل الحـقِ عوجًـا؛ أي: ضـلالًا[٥].

قـال أبـو عبيـد: العـوج بكـسر العـين، في الديـن، والـكلام، والعمـل، والعَـوج بفتحهـا، في[٦] الحائـطِ والجـذع.

وقـال الزَّجَّـاج: العـوج بكـسر العـين: فيـما لا يـرى لـه شـخصًا، ومـا كان لـه شـخص قلـت: عَـوج بفتحهـا، تقـول: في أمـره وفي دينـه عِـوَج، وفي العصـا[٧] عَـوج[٨]. [١٠٧/أ]

وروى ابـن الأنبـاريِّ عـن ثعلـب قـال: العِـوج عنـد العرب بكـسر العين: في كل مـا لا يحـاط بـه، والعَـوج بفتـح العـين في كل مـا لا يتحصَّـل، فيقـال: في

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٢٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٧).

(٣) في (ر): جرير.

(٤) في الأصل: تبعون، والمثبت من باقي النسخ.

(٥) انظر: تفسير الطَّبري (٥/ ٦٢٥).

(٦) قوله: (بفتحها في)، مكانه بياض في (م).

(٧) في (ج): القضا.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٧).

الأرضِ عـوج، وفي الدين عـوج[١]؛ لأن هذين يتسعان، ولا يـدركان. وفي العَصا[٢] عَـوج، وفي السن عَـوج؛ لأنهـما يحاط بهـما، ويبلـغ كنههـما[٣].

وقـال ابـن فـارس: العَـوج بفتـح العـين: في كل منتصـب، كالحائـط. والعِـوج: مـا كان في بسـاط أو أرض، أو ديـن، أو معـاش[٤].

قوْلُه: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن معنـاه، وأنتـم شـاهدون بصحـة مـا صددتـم عنـه، وبُطـلان مـا أنتـم فيـه، وهـذا المعنـى مـروي عـن ابـن عبَّـاس، وقتـادة، والأكثريـن.

والثَّاني: أنَّ معنى الشُّهداء هاهنا: العُقلاء، ذكره القاضي أبو يعلى في آخرين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمـران: ١٠٠، ١٠١].

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

---

(١) قوله: (وفي الدين عوج)، ليس في (ر) و(ج).

(٢) في (ج): القضا.

(٣) انظر: المذكر والمؤنث (٢/ ٥٧).

(٤) انظر: مقاييس اللُّغة (٤/ ١٨٠).

سبب نزولها:

أن الأوس والخـزرج كان بينهـما حـرب في الجاهليـة، فلـمَّا جـاء النَّبـيُّ؛ أطفـأ تلـك الحـرب بالإسـلام[١]، فبينـا رجـلان أوسي وخزرجـي يتحدثـان، ومعهـما يهـودي، جعـل اليهـودي[٢] يذكِّرهُـما أيامهـما[٣]، والعـداوة التـي كانـت بينهـما حتـى اقتتـلا، فنـادى كلٌّ واحـد منهـما قومـه، فخرجـوا بالسِّـلاح، فجـاء النَّبـيُّ ﷺ، فأصلـح بينهـم، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه مُجَاهِـد[٤]، وعِكْرِمَـة[٥]، والجماعـة.

قال المفسِّرون: والخطاب بهذه الآية[٦] للأوس والخزرج.

قـال زيـد بـن أسـلم: وعنـى بذلـك الفريـق: شـاس بـن قيـس اليهـودي وأصحابـه[٧].

---

(١) في (ج): باللام.

(٢) قوله: (جعل اليهودي)، ليس في (م).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه عبـد الـرزاق في تفسيره (٤٤٠)عـن جعفـر بـن سـليمان، عـن حميـد الأعـرج، بـه، ومـن طريقـه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٥/ ٦٣٢)، وابـن أبي حاتـم (٣٨٩٤).

(٥) رواه إسـحاق بـن راهويـه في تفسـيره، وعبـد ابـن حميـد في تفسـيره كـما في العجـاب (٢/ ٧٢٣- ٧٢٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٣٩٠٧) مـن طريـق حمـاد بـن زيـد، عـن أيـوب، عـن عِكْرِمَـة، بنحـوه.

(٦) ليست في (م).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٢٧) من طريق ابن إسحاق، به ، بلفظ مطول.

قال الزَّجَّاج: ومعنى طاعتهم: تقليدهم(١).

قوْلُه: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ: ؛ أي: يمتنع، وأصل العصمة: المنع(٢).

قال الزَّجَّاج: ويعتصم جَزمٌ بـ «من» والجواب: ﴿فَقَدْ هُدِىَ﴾(٣).

قوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال عِكْرِمَة: نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا، وأصلح النَّبيُّ ﷺ بينهم(٤).

وفي ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾(٥) ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه يُطاع [الله](٦) فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٤٣) عن معمر، عن أيوب، عن عِكْرِمَة، مرسلًا، ومن طريقه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٥٥) باختلاف يسير.

(٥) من قوله: (قال عِكْرِمَة) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) زيادة من (ج).

فلا يُكفر، رواه ابن مَسْعُودٍ عن النَّبيِّ ﷺ[(١)]. وهو قول ابن مَسْعُودٍ[(٢)]، والحسن، وعِكْرِمَة، وقتادة، ومُقَاتِل.

والثَّاني: أن يجاهد في الله حق الجهاد، وأن لا يأخذ العبد فيه لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط، ولو على أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

والثَّالث: أنَّ معناه: اتَّقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قاله الزَّجَّاج[(٣)].

❁❁❁

---

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٢/ ٢٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣) وصححه، من طريق مسعر، عن زبيد اليامي، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، مرفوعًا، وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٤١)، وابن المبارك في الزهد (٢٢) رواية المروزي، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٣٧)، وابن المنذر (٧٦٨)، وابن أبي حاتم (٣٩٠٨)، والطبراني في الكبير (٨٥٠٢)، والبيهقي في القضاء والقدر (٢٩٢) وغيرهم من طرق عن زبيد بن الحارث اليامي، عن مرة بن شراحيل، عن ابن مَسْعُودٍ من قوله، وهو الصواب.

(٢) لم يذكر في (م).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٨).

فَصْلٌ(١)

واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟

على قولين:

أحدهما: أنَّه منسوخ، وهو قول ابن عبَّاس، وسعيد بن جُبَيْر، وقتادة، وابن زيد، والسُّدِّي، ومُقَاتِل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فنسخها قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].(٢) [١٠٧/ب]

والثَّاني: أنَّها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة(٣) عن ابن عبَّاس، وهو قول طاوس(٤).

قال شيخنا عليُّ بن عبيد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها:

فالمعتقد نسخها(٥) يرى أن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع.

---

(١) في (م): قوله.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٥/ ٦٤١).

(٣) في (م): ابن أبي طلحة.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٥/ ٦٤١)، والنَّاسخ والمنسوخ؛ لأبي جعفر النَّحَّاس (ص: ٢٨٣).

(٥) من قوله: (وإحكامها) ... إلى هنا، ليس في (ج).

والمعتقد إحكامها يرى أن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، وكان قوله: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسرًا لـ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ لا ناسخًا ولا مخصِّصًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٤].

قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾.

قالَ الزَّجَّاج: اعتصموا: استمسكوا[١].

فأمَّا «الحبل» ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنَّه كتاب الله: القرآن. رواه سفيان[٢] عن ابن مَسْعُودٍ، وبه قال قتادة، والضَّحَّاك، والسُّدِّي.

والثَّاني: أنَّه الجماعة، رواه الشَّعبي عن ابن مَسْعُود.

والثَّالث: أنَّه دين الله، قاله ابن عبَّاس، وابن زيد، ومُقَاتِل، وابن قُتَيْبَة[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٨).

(٢) في بقية النسخ: شقيق.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٨).

وقال ابن زيد: هو الإسلام[١].

والرَّابع: عهد الله، قاله مُجَاهِد، وعطاء، وقتادة في رواية، وأبو عبيد[٢]، واحتج له الزَّجَّاج بقول الأعشى[٣] [من الكامل]:

وَإِذا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا

وأنشد ابن الأنباريِّ[٤] [من الوافر]:

فَلَو حَبْلًا تَنَاوَلَ مِنْ سُلَيْمَي لَمَدَّ[٥] بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَتِينَا

والخامس: أنَّه الإخلاص، قاله أبو العالية.

والسَّادس: أنَّه أمر الله وطاعته، قاله مُقَاتِل بن حيان.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٤٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٠) والبيت في ديوانه (ص: ٧٩)، ولسان العرب (١١/ ١٣٥) (حبل)، وتهذيب اللُّغة (٥/ ٧٨) ومقاييس اللُّغة (٢/ ١٣١)، وتاج العروس (حبل).

(٤) البيت بلا نسبة في الزاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٢٩٥).

(٥) في الأصل: (لمن)، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

قال الزَّجَّاج[١]: قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال، أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام به[٢].

وأصل ﴿تَفَرَّقُواْ﴾ تتفرّقوا[٣]، إلا أن التاء حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد، والمحذوفة هي الثَّانية؛ لأن الأوَّلى دليلة على الاستقبال، فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال[٤]، وهو مجزوم بالنهي، والأصل: ولا تتفرقون، فحذفت النون، لتدلَّ[٥] على الجزم.

قَوْلُه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

اختلفوا فيمن أُريد بهذا الكلام على قولين:

أحدهما: أنَّهم مشركو العرب، كان القوي يستبيح الضعيف، قاله الحسن، وقتادة.

والثَّاني: الأوس والخزرج، كان بينهم حرب شديد، قاله ابن[٦] إسحاق.

و«الأعداء»: جمع عدو.

---

(١) في (م): (قاله مُقَاتِل بن حيان والزجاج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٠).

(٣) ليست في (ر).

(٤) من قوله: (فلا يجوز) ... إلى هنا، ليس في (ج)، و(ف).

(٥) في (ف): ليدل حذفها.

(٦) ليست في (ر)، وفي (م): أبو.

وقال ابن فارس: وهو من عَدَا: إِذا ظَلَم[١].

قوْلُه: ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾؛ أي: صرتم.

قال الزَّجَّاج: وأصل «الأخ» في اللُّغة هو الذي مقصده مقصد أخيه، والعرب تقول: فلان يتوخَّى سارَّ فلان؛ أي: ما يسره[٢].

و«الشَّفا»: الحرف.

واعلم أنَّ هذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك، وقربهم[٣] من العذاب، كأنَّه قال: كنتم على حرف حفرةٍ[٤] من النَّار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلَّا الموت على الكفر[٥].

قال[٦] السُّدِّي:[٧] ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بنبيه[٨] محمَّد ﷺ.

قوْلُه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾.

---

(١) انظر: مجمل اللُّغة (ص: ٦٥٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥١).

(٣) قوله: (لإشرافهم على الهلاك وقربهم)، مكانه بياض في (م).

(٤) في (م): حفيرة.

(٥) مكانها بياض في (م).

(٦) مكانها بياض في (م).

(٧) من قوله: (ليس بينكم) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٨) ليست في بقية النسخ.

قال الزَّجَّاج: معنى الكلام: ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، [١٠٨/أ] وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» هاهنا تدخل لتخصيص[١] المخاطبين من سائر الأجناس، وهي مؤكدة أنَّ الأمر للمخاطبين، ومثله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] معناه: اجتنبوا[٢] الأوثان، فإنَّها رِجس. ومثله قول الشَّاعر [من البسيط]:

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيَسْلُبُهَا[٣] يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوفَلُ الزُّفَرُ[٤]

وهو النَّوفَلُ الزُّفَرُ. لأنَّه وصفه بإعطاء الرغائب. والنوفل: الكثير[٥] الإعطاء للنوافل، والزُّفَرُ: الذي يحمل[٦] الأثقال.

ويدلُّ على أنَّ الكلَّ أُمروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٧] [آل عمران: ١١٠] قال: ويجوز أن يكون أمر منهم فرقة؛ لأن الدعاة ينبغي أن

---

(١) في بقية النسخ: لتخص.

(٢) في (م): اطلبوا.

(٣) في (ف): ويسألها.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٢) والبيت من البسيط، وهو لأعشى باهلة في الأصمعيات (ص: ٩٠)، وأمالي المرتضي (٢/ ٢١)، وجمهرة اللُّغة (ص: ٧٠٦، ٩٧١)، وخزانة الأدب (١/ ١٨٥، ١٨٦، ١٩٥)، ولسان العرب (٤/ ٣٢٥) (زفر).

(٥) في (م): الكبير.

(٦) في (ر): يحتمل.

(٧) لم ترد الآية في (م).

يكونـوا علـماء بـما يدعـون إليـه، وليـس الخلـق كلهـم علـماء، والعلـم ينـوب بعـض النَّـاس فيـه عـن بعـض، كالجهـاد.

فأمَّا «الخير» ففيه قولان:

أحدهما: أنَّه الإسلام، قاله مُقَاتِل.

والثَّاني: العمل بطاعة الله، قاله الدِّمشقي.

فأمَّا «المعروف» فهو ما يعرف كل عاقل صوابه، وضده المنكر.

وقيل: «المعروف» هاهنا: طاعة الله، و«المنكر»: معصيته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾

[آل عمـران: ١٠٥، ١٠٩].

قوْلُه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهود والنَّصارى، قاله ابن عبَّاس، والحسن في آخرين.

والثَّاني: أنَّهم الحروريَّة، قاله أبو أمامة.

قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

قرأ[١] أبو رَزِينٍ العُقَيْلِي، وأبو عمران الجوني، وأبو نَهِيكٍ: تِبيض وتِسود[٢]، بكسر[٣] التاء فيهما[٤].

وقرأ الحسن، والزُّهري، وابن محيصن، وأبو الجَوْزَاءِ: «تبياضُّ»، و«تسوادُّ» بألف، ومدة[٥] فيهما[٦].

وقرأ أبو الجَوْزَاءِ، وابن يعمر: «فأمَّا الذين اسوادَّت وجوههم»، و«أمَّا الذين ابياضَّت وجوههم» بألف ومدة[٧].

قال الزَّجَّاج: أخبر بوقت ذلك العذاب، فقال: يوم تبيضُّ وجوه[٨].

قال ابن عبَّاس: تبيضُّ وجوه أهل السنَّة، وتسودُّ وجوه أهل البدعة[٩].

---

(١) في (م): قاله.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (م): بسكون.

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٣) وهي لغة تميم، وعن يحيى بن وثاب في المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٥٤٩)، و تفسير القرطبي (٤/ ١٦٧).

(٥) في (ف): زائدة.

(٦) انظر: مختصر الشواذ (ص: ٢٨)، وانظر: المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٩)، والبحر المحيط (٣/ ٢٩٣).

(٧) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٩٦).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٣).

(٩) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٥٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة=

وفي الذين ﴿ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أنّهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أُبيُّ بن كعب.

والثّاني: أنّهم الحرورية، قاله أبو أُمامة، وأبو إسحاق الهَمَذاني.

والثّالث: اليهود، قاله ابن عبّاس.

والرّابع: أنّهم المنافقون، قاله الحسن.

والخامس: أنّهم أهل البدع، قاله قتادة(١).

قوْلُه: ﴿أَكَفَرْتُم﴾.

قال الزّجّاج: معناه: فيقال لهم: أكفرتم، فحذف القول لأن في الكلام دليلًا عليه، كقوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ أي: ويقولان(٢): ربنا تقبّل(٣). ومثله: ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، والمعنى: يقولون: سلام عليكم. والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير(٤) والتوبيخ(٥).

=(٧٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٣٧٥) من طريق سعيد بن جُبَيْر، به.

(١) في (م): مُقَاتِل.

(٢) في (ر): ولا يقولان.

(٣) ليست في (ر)، و(ف)، و(م).

(٤) في (م): التقريع.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٤ـ ٤٥٥).

وإن قلنا: إنَّهم سائر[١] الكفار، فإنَّهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا. [١٠٨/ ب]

وإن قلنا: إنَّهم الحرورية، وأهل البدع، فكفرهم بعد إيمانهم: مفارقة الجماعة في الاعتقاد.

وإن قلنا: إنَّهم اليهود، فإنَّهم آمنوا بالنَّبيِّ ﷺ قبل مبعثه، ثم كفروا به[٢] بعد ظهوره.

وإن قلنا: إنَّهم المنافقون، فإنَّهم قالوا بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم.

قوْلُه: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

أصل الذَّوق إنما هو[٣] بالفم، وهو[٤] استعارة منه، فكأنَّهم جعلوا ما يُتَعَرَّف ويُعرف مذوقًا على وجه التَّشبيه بالذي يعرف عند التَّطعم[٥]، تقول العرب: قد ذُقتُ من إكرام فلان ما يُرغبني في قصده، يعنون: عرفت، ويقولون ذق الفرس، فاعرف ما عنده.

---

(١) في (ر)، و(ج)، و(م): جميع.

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) في بقية النسخ: يكون.

(٤) في بقية النسخ: هذا.

(٥) في (م): الطعم.

قال تميم بن مقبل[١] [من البسيط]:

أَوْ كَاهْتِـزَازِ رُدَيْنِـيٍّ تَذَاوَقَـهُ ... أَيْـدِي التِّجَـارِ فَـزَادُوا مَتْنَـهُ لِينَـا

وقال الآخر[٢] [من الوافر]:

وَإِنَّ اللهَ ذَاقَ حُلُـومَ قَيْـسٍ ... فَلَـمَّا رَاءَ خِفَّتَهَـا قَلَاهَـا

يعنون بالذَّوق: العلم.

وفي كتاب الخليل: كلَّما نزل بإنسان [من][٣] مكروه، فقد ذاقه[٤].

قولـه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ قـال ابـن عبَّـاس: هـم المؤمنـون. و﴿رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: جنَّتـه[٥].

قال ابن قُتَيْبَة: وسمَّى الجنة رحمة؛ لأنَّ دخولهم إياها كان برحمته.

---

(١) هو تميم بن أُبيِّ بن أبي مقبل، من بني عجلان، كان جاهليًّا إسلاميًّا، انظر ترجمته: الشعر والشعراء (١/ ٤٤٦) والبيت ديوانه (ص: ٣٢٨) ولسان العرب (١٠/ ١١٢) (ذوق)، وأساس البلاغة (ذوق).

(٢) البيت ليزيد بن الصعق كما نسبه له الجاحظ في الحيوان (٥/ ١٥)، وفي جمهرة الأمثال (١/ ٢٤) بلا نسبة.

(٣) زيادة من بقية النسخ.

(٤) انظر: العين (٥/ ٢٠١).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ١٢٦) بلا نسبة.

قال الزَّجَّاج: معناه: في ثواب رحمته، قال: وأعاد ذكر «فيها»[(١)] توكيدًا[(٢)].

قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال بعضهم: معناه: لا يعاقبهم بلا جُرمٍ.

وقال الزَّجَّاج: أعلمنا أنَّه يعذب من عذَّبه باستحقاق[(٣)][(٤)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٠، ١١٢].

---

(١) في الأصل: (وأعاد ذكر الرحمة فيها)، والمثبت هو الموافق لبقية النسخ.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥).

(٣) في (ف): أنَّه لا يعذب من عذَّبه إلا باستحقاق.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٥).

قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالا لابن مَسْعُودٍ وسالم مولى أبي حذيفة: ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عِكْرِمَة[١]، ومُقَاتِل[٢].

وفيمن أُريد بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنَّهم أهل بدر.

والثَّاني: أنَّهم المهاجرون.

والثَّالث: سائر[٣] الصحابة.

والرَّابع: سائر[٤] أمة محمد ﷺ، نقلت هذه الأقوال كلَّها عن ابن عبَّاس[٥].

وقد روى بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»[٦].

---

(١) رواه سنيد في تفسيره كما في العجاب (٢/ ٧٣٣) من طريق حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، به.

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٩٥).

(٣) في بقية النسخ: (جميع).

(٤) في بقية النسخ: (جميع).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٥/ ٦٧١).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٤٧ ـ ٣/ ٥ ـ ٥)، وعبد بن حميد في المنتخب (٤٠٩ ـ ٤١١)، والدارمي في السنن (٢٧٦٠)، وابن ماجه (٤٢٨٧)، والتِّرمذي وحسنه (٣٠٠١)،=

قال الزَّجَّاج: وأصل الخطاب لأصحاب النَّبيِّ ﷺ، وهو يعم سائر أمته[١].

وفي قوله: ﴿كُنتُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها على أصلها، والمراد بها الماضي.

ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ معناه: كنتم[٢] في اللوح المحفوظ.

والثَّاني: أنَّ معناه: خلقتم ووجدتم. ذكرهما المفسِّرون.

والثَّالث: أنَّ المعنى: كنتم منذ كنتم، ذكره ابن الأنباري.

والثَّاني: أنَّ معنى كنتم: أنتم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء:٩٦]. ذكره الفرَّاء[٣]، والزَّجَّاج[٤].

قال ابن قُتَيْبَةَ: وقد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو راهن، أو مستقبل؛ كقوله: ﴿كُنتُمْ﴾ ومعناه: أنتم، ومثله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة:١١٦]، أي: وإذ يقول الله. ومثله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ أي: سيأتي، ومثله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]؛ أي: من هو في المهد، [١٠٩/أ]

=وغيرهم من طرق عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن جده، بنحوه.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٦).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٢٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٦).

ومثلـه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤]؛ أي: والله سميع بصير[١]، ومثله: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ﴾ [فاطر:٩]؛ أي: فنسوقه[٢].

وفي قوله: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن معناه: كنتم خير النَّاس للناس. قال أبو هُرَيْرَةَ: يأتون بهم في السلاسل حتى يدخلوهم في الإسلام[٣].

والثَّاني: أن معناه: كنتم خير الأمم التي أُخرجت.

وفي قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنَّه شرط في الخيريَّة، وهذا المعنى مروي عن عمر بن الخطاب، ومُجاهِد، والزَّجَّاج[٤].

والثَّاني: أنَّه ثناء من الله عليهم، قاله الرَّبيع بن أنس.

قال أبو العالية: و«المعروف»: التَّوحيد. و«المنكر»: الشِّرك[٥].

قال ابن عبَّاس: و«أهل الكتاب»: اليهود والنَّصارى.

﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: مَنْ أسلم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

---

(١) قوله: (أي: والله سميع بصير)، ليس في (م).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٥٥٧) بنحوه.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٦).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٩٧٧) بعد أثر ابن عبَّاس ﷺ.

﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ يعني: الكافرين، وهم الذين لم يسلموا.

قوْلُه: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى﴾.

قال مُقَاتِل: سبب نزولها:

أنَّ رؤساء اليهود عمدوا إلى عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم، فنزلت هذه الآية[١].

قال ابن عبَّاس: والأذى قولهم: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، و﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، و﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال الحسن: هو الكذب على الله، ودعاؤهم المسلمين إلى الضلالة[٢].

وقال الزَّجَّاج: هو البهت والتحريف[٣].

ومقصود الآية[٤] إعلام المسلمين بأنَّه لن ينالهم منهم إلا الأذى باللِّسان من دعائهم إياهم إلى الضَّلال، واستماعهم[٥] الكفر، ثم وعدهم النَّصرَ عليهم في قوله: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ وكذلك كان.

---

(١) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٩٥).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٨٤) من طريق أبي بكر الحنفي، عن عباد بن منصور، به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٧).

(٤) في (ف): مقصودهم.

(٥) في (ر)، و(ف): إسماعهم.

قوْلُه: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾.

معناه: أُدركوا وَوُجِدوا، وذلك أنَّهم[١] أين نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان، وأداء جزية.

قال الحسن: أدركتهم هذه الأمة[٢]، وإنَّ المجوس لتجبيهم الجزية[٣].

فأمَّا «الحبل» فقال ابن عبَّاس، وعطاء، والضَّحَّاك، وقتادة، والسُّدِّي، وابن زيد: «الحبل»: العهد.

وقال بعضهم: معنى الكلام: إلا بعهدٍ يأخذونه من المؤمنين بإذن الله.

قال الزَّجَّاج: وما بعد الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ[٤] مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ليس من الأوَّل، وإنما المعنى: أنَّهم أذلَّاء، إلا أنَّهم[٥] يعتصمون بالعهد إذا أعطوه[٦].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ر)، و(ف): الآية.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٨١)، وابن المنذر في تفسيره (٨١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٨٧) من طريق هوذة، عن عوف، به، وعزاه السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٥) لعبد بن حميد.

(٤) في الأصل: الإنجيل.

(٥) في (م): (لأنَّهم) بدلاً من قوله: (إلا أنَّهم).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٧).

وقد سبق في «البقرة» تفسير باقي[١] الآية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٦].

قوْلُه: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، احتبس عن صلاة العشاء ليلةً حتى ذهب ثلث الليل، ثم جاء فبشَّرهم، فقال: «**إنَّه لا يُصلِّي هذه الصَّلاة أحدٌ مِنْ أهْلِ الكِتَاب**». فنزلت هذه الآية، قاله ابن مَسْعُودٍ[٢].

والثَّاني: أنَّه لَمَّا أسلم ابن سلَّام في جماعة من اليهود، قال أحبارهم:

---

(١) في (ف): ما في.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٩٦)، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٧) من طريق أبي معاوية شيبان بن عبد الرحمن، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مَسْعُودٍ قال: أَخَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاس يَنْتَظِرُونَ الصَّلاة، قَالَ: أَمَا إِنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ، قَالَ: وَأُنْزِلَ هَؤُلَاءِ الآيَاتُ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

ما آمن بمحمد ﷺ إلَّا أشرارنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاس(١)، ومُقَاتِل(٢).

وفي معنى الآية قولان:

[١٠٩/ب] **أحدهما**: ليس أمة محمد ﷺ واليهود سواء، هذا قول ابن مَسْعُودٍ، والسُّدِّي.

والثَّاني: ليس اليهود كلهم سواء،(٣) بل فيهم من هو قائم بأمر الله، هذا قول ابن عبَّاس، وقتادة.

وقال الزَّجَّاج: الوقف التام على: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾؛ أي: ليس أهل الكتاب متساوين(٤).

وفي معنى ﴿قَآئِمَةٌ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها الثابتة(٥) على أمر الله، قاله ابن عبَّاس، وقتادة.

والثَّاني: أنَّها العادلة، قاله(٦) الحسن، ومُجَاهِد، وابن جُرَيْج.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٦٩١) من طريق سعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمَة، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٩٦).

(٣) من قوله: (هذا قول ابن مَسْعُودٍ) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٨).

(٥) في (ر): الثَّانية.

(٦) قوله: (العادلة قاله)، مكانه طمس في (م).

والثَّالث: أنَّها المستقيمة[١]، قاله أبو عبيدة[٢]، والزَّجَّاج[٣].

قال الفرَّاء: ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى، والكلام مبني على أخرى؛ لأن «سواءً» لا بد لها من[٤] اثنين[٥]، وقد تستجيز العرب إضمار أحد الشيئين إذا كان في الكلام دليل عليه[٦].

قال أبو ذؤيب [من الطويل]:

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهِ ... سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا[٧]

ولم يقل: أم لا، ولا أم غيٌّ؛ لأن الكلام معروف المعنى.

وقال الآخر [من الوافر]:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي[٨]

(١) قوله: (أنَّها المستقيمة)، مكانه بياض في (م).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٠٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٨).

(٤) قوله: (لابد لها من)، مكانه طمس في (م).

(٥) في (م): المرايتين.

(٦) ليست في (ر). وانظر: معاني القرآن (١/ ٢٣٠).

(٧) البيت في تخليص الشواهد (ص: ١٤٠)، وخزانة الأدب (١١/ ٢٥١)، والدرر (٦/ ١٠٢)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ٤٣) وفي رواية: دعاني إليها القلب.

(٨) البيتان للمثقب العبدي، واسمه محصن بن ثعلبة، انظر: ترجمته في الشعر والشعراء=

ومثله قوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ [الزمر: ٩] ولم يذكر ضده؛ لأن في قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ دليلًا على ما أضمر من ذلك.

وقد ردَّ هذا القولَ الزَّجَّاج فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله: ﴿ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ فأعلم الله تعالى أنَّ منهم أمة قائمة[(١)]. فما الحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قائمة؟ وإنَّما بدأ بذكر[(٢)] فعل الأكثر منهم، وهو الكفر والمشاقة[(٣)]، فذكر من كان منهم مباينًا[(٤)] لهؤلاء[(٥)].

قال: و﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ ساعاته، وواحد الآناء: إني[(٦)].

وقال ابن فارس: يقال: مضى من الليل إني وإنيان، والجمع: الآناء[(٧)].

=(١/ ٣٨٣)، والبيتان في ديوانه (ص٢١٢)، وخزانة الأدب (١١/ ٨٠)، وشرح اختيارات المُفَضَّل (ص:١٢٦٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٩١).

(١) في (ج): (فأعلم أن أي أمة قائمة).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في الأصل: (الميثاقة)، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) في (م): من أبناء.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٠).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٩).

(٧) انظر: مجمل اللُّغة (ص: ١٠٣).

واختلف المفسِّرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم[١] لا؟

على قولين:

أحدهما: أنَّها معينة.

ثم فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها صلاة العشاء، قاله ابن مَسْعُودٍ، ومُجَاهِد.

والثَّاني: أنَّها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور.

والثَّالث: جوف الليل، قاله السُّدِّي.

والثَّاني: أنَّها ساعات الليل من غير تعيين، قاله قتادة في آخرين.

وفي قوله: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه كناية عن الصَّلاة، قاله مُقَاتِل، والفرَّاء[٢]، والزَّجَّاج[٣].

والثَّاني: أنَّه السُّجود المعروف.

وليس المراد أنَّهم يتلون في حال السُّجود، ولكنهم جمعوا الأمرين، التِّلاوة والسُّجود.

قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) لم يذكر في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٩).

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وابن عامرٍ وأبو بكر عن عاصم: «تفعلوا»[١]، و«تكفروه»[٢] بالتاء[٣] في الموضعين على الخطاب؛ لقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[٤]. وقال قتادة: فلن تُكفروه: لن يضل عنكم[٥].

وقرأ قوم منهم[٦]: حمزة، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «يفعلوا»، و«يكفروه» بالياء فيهما، إخبارًا[٧] عن الأمة القائمة[٨]. [١١٠/أ]

وبقية أصحاب أبي عمرو يخيِّرون بين التاء والياء[٩].

---

(١) في (ر): تفعلون.

(٢) في (ر): تكفرون.

(٣) في (ج): بالتاء.

(٤) انظر: السَّبعة (٣١٥)، ومعاني القراءات (١/ ٢٦٩)، والحُجَّة للفارسي (٣/ ٧٣)، والمبسوط (١٦٨).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٧٠١) من طريق سعيد، به.

(٦) قوله: (قوم منهم)، ليس في (م).

(٧) من قوله: (وعبد الوارث عن أبي عمرو) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٨) والضمير عائد على الأمة القائمة، قال في البحر (٣/ ٢٨): على الغيبة؛ لأن الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني أهل الكتاب، وهي قراءة ابن عبَّاس واختيار أبي عبيدة. وانظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٧٧).

(٩) انظر: السَّبعة (٢١٥) والياء والتاء عند أبي عمرو سيَّان في هذا الموضع، وانظر: معاني القراءات (١/ ٢٦٩)، والحُجَّة (٣/ ٧٣)، وروى اليزيدي عن أبي عمرو أنَّه قال: لا أبالي بالياء قرأتها أم بالتاء، فالأشهر عنه التاء، و انظر المبسوط (١/ ١٦٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧].

قوْلُه: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها في نفقات الكفَّار، وصدقاتهم، قاله مُجَاهِد.

والثَّاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم، قاله مُقَاتِل.

والثَّالث: في نفقة المشركين يوم بدر.

والرَّابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر هذين القولين أبو الحسن الماوردي(١).

وقال السُّدِّي(٢): إنما ضرب الإنفاق مثلًا لأعمالهم في شركهم(٣).

وفي «الصِّرِّ» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه البرد، قاله الأكثرون.

---

(١) انظر: النكت والعيون (١/ ٤١٨).

(٢) من قوله: (والثَّاني في نفقة سفلة اليهود) ... إلى هنا، ليس في (م).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥/ ٧٠٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٢٨) من طريق أحمد بن مفضل، عن أسباط بن نصر، به، بنحو.

والثَّاني: أنَّه النَّار، قاله ابن عبَّاس. قال ابن الأنباريِّ[١]: وإنما وصفت النَّار بأنَّها صِرٌّ[٢] لتصويتها عند الالتهاب.

والثَّالث: أنَّ الصِّرَّ: التَّصويت، والحركة من الحصى والحجارة، ومنه: صرير النَّعل، ذكره ابن الأنباري.

و«الحرث»: الزَّرع.

وفي معنى الذين ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: ظلموها بالمعاصي[٣]، والكفر، ومنع حقِّ الله تعالى.

والثَّاني: بأن زرعوا في غير وقت الزَّرع.

قوله: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

قال ابن عبَّاس: أي: ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه، وإنما أُنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حقِّ الله فيه، وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة.

وحُدِّثنا عن ثعلب، قال: بدأ الله ﷻ هذه الآية بالرِّيح، والمعنى: على الحرث، كقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة:١٧١] وإنما المعنى[٤] على

---

(١) طمس الاسم في (م).

(٢) ليست في (ج).

(٣) طمست في (م).

(٤) ليست في (م).

المنعـوق بـه(١). وقريب منه قولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] فخبر عن «الأزواج» وترك «الذين»، كأنَّه قال: أزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، فبدأ بالذين، ومراده: بعد الأزواج.

وأنشد(٢)[من الطويل]:

لَعَلِّيَ إِنْ مَالَتْ بِيَ الرِّيحُ مَيْلَةً ... عَلَى ابْنِ أَبِي ذِبَّانَ(٣) أَنْ يَتَنَدَّمَا

فخبر عن ابن أبي ذبان(٤)، وترك نفسه، وإنما أراد: لعل ابن أبي ذبان(٥) أن يتندم إن مالت بي الريح ميلةً. وقد يبدأ بالشيء، والمراد التأخير، كقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[الزمر: ٦٠]، والمعنى: ترى(٦) وجوه الذين كذبوا على الله مسودَّة يوم القيامة.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[آل عمران: ١١٨].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) البيت لثابت بن كعب العتكي في المخصص (١٣/ ١٧٥)، وبلا نسبة في لسان العرب (١/ ٣٨٣) (ذبب)، وتاج العروس (٢/ ٤٢٣) (ذبب).

(٣) في (ج): ديان.

(٤) في (ج): ديان.

(٥) في (ج): ديان.

(٦) ليست في (ر).

قال ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]: نزلت[٣] في قوم من المسلمين[٤] كانوا يصافون المنافقين، ويواصِلون رجالًا من اليهود لما كان بينهم من القرابة، والصداقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مباطنتهم.

قال الزجاج: «البطانة»: الدُّخلاء الذين يستبطنون[٥] وينبسط[٦] إليهم، يقال: فلان بطانة لفلان، أي: مُداخل له، مؤانس[٧].

ومعنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يبقون[٨] غاية في إلقائكم فيما يُضرُّكم.

[١١١/ب] ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: ودُّوا عَنَتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضرّ، ويقال: فلان يعنت[٩] فلانًا، أي: يقصد إدخال المشقة والأذى عليه،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٧٠٩) من طريق عكرِمة أو عن سعيد بن جبير و(٥/ ٧١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٣٣) من طريق العوفي، وانظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٧٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٣٤)، وانظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٣٤).

(٣) زاد في (م): هذه الآية.

(٤) في بقية النسخ: المؤمنين.

(٥) زاد في المطبوع: أمره.

(٦) في (ج): ينشطون وينبسطون.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦١).

(٨) في الأصل بلا نقط، وفي (ج)، و(م): يتقون.

(٩) في (ر): يعتِبُ.

وأصـل هـذا مـن قولهـم: أكمـةٌ عنـوتٌ، [إذا كانـت طويلـة، شـاقة المسـلك.

قـال ابـن قتيبـة: ومعنـى ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾؛ أي: مـن غـير المسـلمين. و«الخبـال»: الـشر(١).

قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾.

قـال ابـن عبـاس](٢): أي؛ قـد ظهـر لكـم منهـم الكـذب، والشـتم، ومخالفـة دينكـم.

قـال القـاضي أبـو يعـلى: وفي هـذه الآيـة دلالة عـلى أنّـه لا يجوز الاسـتعانة بأهـل الكتـاب(٣) في أمـور المسـلمين مـن العـمالات والكتبـة، ولهـذا قـال أحمـد: لا يستعين الإمـام بأهـل الذِّمـة عـلى قتـال أهـل الحـرب، ورُوي عـن عمـر رضي الله عنه أنـه بلغـه أنَّ أبـا موسـى [اسـتكتب](٤) [رجلـين مـن أهـل الذمـة، فكتـب إليـه يعنفـه، وقـال: لا [تردوهـم](٥) إلى العـزِّ بعـد إذ أذلّهـم الله.

(١) في (ط)، و(ر): الشرك؛ غريب القرآن (ص:١٠٩).

(٢) ما بين المعكوفتين -من قوله:إذا كانت طويلة-مفقود من (م).

(٣) في بقية النسخ: الذمة.

(٤) في الأصل: استكنت.

(٥) في الأصل: تزودهم.

قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود وتواصلهم، فلما أسلم الأنصار أبغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين.

قال ابن قتيبة: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء[1].

فأما ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ فالهاء والميم عائدة إلى الذين نهوا عن مصافاتهم.

وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال:

أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة والرضاع والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس.

والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة.

والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية.

والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم[2] يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضّل[3]، والزجاج.

---

(١) غريب القرآن (ص:١٠٩).

(٢) سقط من (ف).

(٣) انظر: التفسير البسيط(٥/ ٥٤٨)، و تفسير الثعلبي(٣/ ١٣٥)، و معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٦٢).

والكتاب: بمعنى الكتب، قاله الزجاج[١].

قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ هذه حالة المنافقين، وقال مقاتل: هم اليهود[٢].

و﴿ٱلْأَنَامِلَ﴾: أطراف الأصابع.

قال ابن عباس: و﴿ٱلْغَيْظِ﴾: الحنق عليكم.

وقيل: هذا من مجاز الكلام، ضُرِب مثلًا لما حلَّ بهم، وإن لم يكن هناك عض على أنملة.

ومعنى ﴿مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾: ابقوا به حتى تموتوا، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتئمًا.

وقال ابن جرير: هذا أمر من الله عز وجل لنبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكم[٣] الله كمدًا من الغيظ[٤].

قوله: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٣).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٢٩٨).

(٣) في بقية النسخ: يهلكهم.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٥/ ٧٢١).

قال قتادة: وهي الألفة والجماعة. و«السيئة»: الفرقة والاختلاف، وإصابة[١] طرف من المسلمين[٢].

وقال ابن قتيبة: «الحسنة»: النعمة. و«السيئة»: المصيبة[٣].

قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: على أذاهم، قاله ابن عباس.

والثاني: على أمر الله، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ قولان:

أحدهما: أنه الشرك، قاله ابن عباس[٤].

والثاني: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾.

[١١٢/أ] قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع: «لايضِركم» بكسر الضاد، وتخفيف الراء.

---

(١) في (ج): وأصله.

(٢) رواه ابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٥٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٧٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٦٠) من طريق سَعِيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٣) غريب القرآن (ص:١٠٩).

(٤) في (ف): قاله عباس.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾[١] بضم الضاد وتشديد الراء[٢].

قال الزجاج: الضر والضير بمعنى واحد[٣].

فأما «الكيد» فقال ابن قتيبة: هو المكر[٤].

قال أبو سليمان الخطابي: و«المحيط»: الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط علمه بالأشياء كلّها[٥].

قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[آل عمران: ١٢١].

قال المفسرون: في هذا الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد نصركم الله ببدر، وإذ غدوت من أهلك.

قال ابن قتيبة: ﴿تُبَوِّئُ﴾ من قولك: بوّأتك منزلًا: إذا أفدتك إياه، وأسكنتكه. ومعنى ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ المعسكر والمصافّ[٦].

---

(١) من قوله: قرأ ابن كثير وأبو عمرو، سقط من (ج).

(٢) زاد في (ج): وضمها؛ السبعة (٢١٥)، و معاني القراءات (١/ ٢٧٠)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٧٤)، المبسوط (١٦٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٦٥).

(٤) غريب القرآن (ص:١٠٩).

(٥) شأن الدعاء (١/ ١٠٢).

(٦) غريب القرآن (ص:١٠٩).

واختلفوا أين[١] كان ذلك، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوم[٢] أُحد، قاله عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، والزهري، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن إسحاق، وذلك أنه خرج يوم أُحد من بيت عائشة إلى أُحد، فجعل يصف أصحابه للقتال.

والثاني: أنه يوم الأحزاب، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل.

والثالث: يوم بدر نقل عن الحسن أيضًا.

قال ابن جرير[٣]: والأول أصح، لقوله:

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران:١٢٢] وقد اتفق العلماء[٤] أن ذلك كان يوم أُحد[٥].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال أبو سليمان الدمشقي: ﴿سَمِيعٌ﴾ لمشاورتك إياهم في الخروج، ومرادهم[٦] للخروج ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يخفون من حبّ الشهادة.

(١) في بقية النسخ: في أي يوم.

(٢) ليست في (ج).

(٣) لم يذكر في (ج).

(٤) ليست في (ج).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري(٦/ ٧).

(٦) في (م): ومن أدهم.

قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾.

قال الزجاج: كانت التبوئة في ذلك الوقت[١]. و﴿تَفْشَلَا﴾: تجبنا، وتخورا[٢]. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾؛ أي: ناصرهما[٣].

قال جابر بن عبد الله: نحن هم بنو سلمة، وبنو حارثة، وما نحبُّ[٤] أن لو لم يكن ذلك لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[٥].

وقال الحسن: طائفتان من الأنصار همتا بذلك،[٦] فعصمهما الله عز وجل[٧].

وقيل[٨]: لما رجع عبد الله بن أُبي في أصحابه يوم أُحد، همت الطائفتان باتباعه، فعصمهما الله[٩].

---

(١) قوله: في ذلك الوقت، لم يقع في (م).

(٢) في (ج): وتجوز.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٥).

(٤) قوله: وما نحب، سقط من (ج).

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٥٤) من طريق سفيان بن عيينة، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٧٣) عن عمرو بن دينار، به، بنحوه، رواه ابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٦٠) من طريق الحميد، عن سفيان، به، وانظر: العجاب (٢/ ٧٤٢).

(٦) من قوله: لقول الله تعالى، سقط من (ط)، و(ر).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٧٥) من طريق أبي بكر الحنفي، عن عباد بن منصور، به.

(٨) ليست في (ج).

(٩) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٣٩).

فَصْلٌ

فأمَّا «التوكل» فقال ابن عباس: هو الثقة بالله.

وقال ابن فارس: هو إظهار العجز[١] والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ، أي: عاجز، يكل أمره إلى غيره[٢].

وقال غيره: هو تفعل من الوكالة، يقال: وكلت أمري إلى فلان فتوكل به[٣]، أي: ضمنه، وقام به، وأنا متوكل عليه[٤].

وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[آل عمران: ١٢٣].

في تسمية بدر قولان:

أحدهما: أنها بئر لرجل اسمه بدر، قاله الشعبي.

والثاني: أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه، ذكره الواقدي عن أشياخه.

قوله: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي لقلة العَدد والعُدد ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لتكونوا من الشّاكرين.

قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾[آل عمران: ١٢٤].

---

(١) زاد في المطبوع: في الأمر.

(٢) معجم مقاييس اللغة(٦/ ١٣٦).

(٣) ليست في (ج).

(٤) تفسير الثعلبي(٣/ ١٩٢).

قال الشعبي: قال كُرْز بن جابر لمشركي مكة: إني أمدكم بقومي، فاشتد ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية(١). [١١٢/ب]

وفي أي يوم كان ذلك؟

فيه قولان:

أحدهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة ومجاهد، وقتادة.

والثاني: يوم أُحد، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا لم يُمدُّوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل.

والأول أصح.

و«الكفاية»: مقدار سد الخلة. و«الاكتفاء»: الاقتصار على ذلك. و«الإمداد»: إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله: ﴿مُنزَلِينَ ﴾.(٢)

قرأ الأكثرون بتخفيف الزاي. وشددها ابن عامر(٣).

قوله: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾[آل عمران: ١٢٥].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٩٥) من طريق داود بن أبي هند، به، بنحوه، وانظر: العجاب (٢/ ٧٤٥).

(٢) لم تقع الآية في (ج).

(٣) هما لغتان، وانظر: السبعة (٢١٥)، و معاني القراءات (١/ ٢٧٢)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٧٤)، والمبسوط (١٦٨).

فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد[١]، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل، والزجاج[٢].

والثاني: من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين.

وقال ابن جرير: من قال: من وجههم، أراد ابتدأ مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم أراد ابتدأ غضبهم لقتلاهم[٣] يوم بدر[٤].

وأصل الفور ابتداء الأمر يؤخذ فيه، يقال: فارت القدر: إذا ابتدأ ما فيها بالغليان، ثم اتصل.

وقال ابن فارس: الفور: الغليان، يقال: فارت القدر تفور، وفار غضبه: إذا جاش، ويقولون: فعله من فوره، أي: قبل أن يسكن[٥].

---

(١) لم يذكر في باقي النسخ.

(٢) زاد في الأصل: وعكرمة ومجاهد والضحاك في آخرين، ولعله سبق نظر؛ معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٦٧).

(٣) في (ف): إذلالهم.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري(٦/ ٣١).

(٥) معجم مقاييس اللغة(٤/ ٤٥٨).

وفي يوم فورهم قولان:

أحدهما: أنه يوم بدر، قاله قتادة.

والثاني: يوم أُحد، قال[١] مجاهد، والضحاك: كانوا غضبوا يوم أُحد ليوم بدر مما لقوا[٢].

قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بكسر الواو. والباقون بفتحها[٣].

فمن فتح الواو، أراد أن الله سوَّمها، ومن كسرها، أراد أن الملائكة سومت أنفسها.

وقال الأخفش: سوّمت خيلها[٤].

وفي الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال يوم بدر: «**سوموا فإن الملائكة قد سومت**»[٥]. فنسب الفعل إليها، فهذا دليل الكسر.

---

(١) في (ج)، و(ف): قاله.

(٢) قوله: مما لقوا، لم يقع في (ط)، و(ر)، و(ج).

(٣) انظر: السبعة (٢١٦)، ومعاني القراءات (١/ ٢٧٢)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٧٥)، والمبسوط (١٦٩).

(٤) معانى القرآن للأخفش(١/ ١٨٢).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٣٩١)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٢٨٦١)، وابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ٣٤) من طُرق عن عبد الله بن عون، عن عُمَيْرِ بنِ إِسحاق، مرسلاً.

قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلمين بعلامة الحرب، وهو من السِّيماء[١]، والسومة: العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه[٢].

قال عليّ عليه السلام: وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر، الصوف الأبيض في أذنابها ونواصيها[٣].

وقال أبو هريرة: العهن الأحمر[٤].

وقال مجاهد: كانت أذناب خيولهم مجزوزة[٥]، وفيها العهن[٦].

---

(١) زاد في المطبوع: مأخوذ.

(٢) غريب القرآن (ص:١٠٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٣٩٢)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤١٠٦- ٤١٠٧) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي، عن حارث بن مضرب العبدي، به، بنحوه.

(٤) رواه ابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤١٠٨)،من طريق أَبِي سَلَمَةَ بن أبي عبد الرحمن،به، بنحوه.

(٥) في (ر): مجزوث، وفي (ف): مُجزَزة.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٣٩٠)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٦٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ٣٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤١١١) من طريق ابْن أبي نجيح، به، بنحوه.

وقال هشام بن عروة: كانت الملائكة على خيل بلق، وعليهم عمائم صفر[١].

وروي عن ابن عباس[٢] عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرًا، ونحن على شركنا[٣]، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل[٤] سمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعنا فارسًا يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت[٥].

وقال أبو واقد الليثي[٦]: إني لأتبع[٧] يوم بدر رجلًا من المشركين لأضربه[٨]، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله[٩].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦) من طريق مَعْمَر، به، بنحوه.

(٢) في (ط)، و(ر)، و(ف): وروى ابن عباس.

(٣) في (ج): شحنا.

(٤) في (ج): الخيل.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٢) من طريق عبد الله بن أبي بكر، به، بنحوه.

(٦) في المطبوع: أبو داود المازني.

(٧) في (ج): لا أتبع.

(٨) ليست في (ج).

(٩) رواه أحمد (٥/ ٤٥٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٣) من طريق محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن رجل من بني مازن، به، بنحوه.

[١١٣/أ] وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال:

أحدها: خمسة آلاف، قاله الحسن.

وروى جبير بن مطعم[١] عن عليّ عليه السلام؛ قال: بينا أنا أمتح من قليب بدر، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر[٢] أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها،[٣] فكانت الريح[٤] الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة، فكان مع رسول الله ﷺ، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل مع ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح[٥] الثالثة إسرافيل نزل في ألف[٦] من الملائكة عن يسار رسول الله، وكنت عن يساره، وهزم الله أعداءه[٧].

---

(١) في (م): جبير عن ابن مطعم.

(٢) قوله: لم أر، سقط من (ط)، و(ر).

(٣) من قوله: ثم جاءت... إلا التي قبلها، سقط من (ج)، و(م).

(٤) ليست في (ج).

(٥) من قوله: الثانية ميكائيل، سقط من (ج).

(٦) في (م): ألفين.

(٧) رواه الحاكم في المستدرك(٣/ ٧٢) وقال الذهبي: منكر.

والثاني: أربعة آلاف، قاله الشعبي.

والثالث: ألف[١]، قاله مجاهد.

والرابع: تسعة آلاف، ذكره الزجاج[٢].

والخامس: ثمانية آلاف، ذكره بعض المفسرين.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني المدد[٣] ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾؛ أي: إلا بشارة تطيِّب أنفسكم ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ فتسكن[٤] في الحرب، ولا تجزع[٥]. والأكثرون على أن هذا المدد يوم بدر.

وقال مجاهد: يوم أُحد، وروي عنه ما يدل على أن الله تعالى أمدّهم بالملائكة في اليومين جميعًا[٦]، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر[٧].

قوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليس بكثرة العَدد والعدد.

---

(١) سقطت من (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٤).

(٣) قوله: يعني المدد، لم يقع في (ج).

(٤) ليست في (م).

(٥) ليست في (ج).

(٦) طمست في (م).

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٨١٣) من طريق ابنِ خثيم، به، بنحوه.

قوله: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ معناه: نصركم ببدر ليقطع طرفًا[١]. قال الزجاج: ؛ أي: ليقتل قطعةً منهم[٢].

وفي أي يوم كان ذلك؟

فيه قولان:

أحدهما: في يوم بدر، قاله الحسن، وقتادة، والجمهور.

والثاني: يوم أُحد، قتل منهم ثمانية وعشرون[٣].

قوله: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾.

فيه سبعة أقوال:

أحدها: أن معناه: يهزمهم، قاله ابن عباس، والزجاج[٤].

والثاني: يخزيهم، قاله قتادة، ومقاتل.

والثالث: يصرعهم[٥]، قاله أبو عبيد، واليزيدي. وقال الخليل: هو الصرع على الوجه[٦].

---

(١) ليست في (م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧).

(٣) زاد في بقية النسخ: قاله السدي.

(٤) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٦٧).

(٥) طمست في (م).

(٦) كتاب العين(٥/ ٣٤٢).

والرابع: يهلكهم، قاله أبو عبيدة[١].

والخامس: يلعنهم، قاله السدي.

والسادس: يُظفّر عليهم، قاله المبرّد.

والسابع: يغيظهم، قاله النّصر بن شميل، واختاره ابن قتيبة[٢].

وقال ابن قتيبة: أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن [دال][٣]، كأن الأصل فيه: يكبدهم، أي: يصيبهم في أكبادهم[٤] بالحزن والغيظ، وشدة العداوة، ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده، وأحرقت العداوة كبده، والعرب تقول: للعدو: أسود الكبد، قال الأعشى[٥][من الوافر]:

فما أُجْشِمْتُ من إتيان قوم هم الأعداء والأكباد سود

---

(١) من قوله: قاله أبو عبيد، سقط من (ط)، و(ر)؛ مجاز القرآن (١/ ١٠٣) ولكن بلفظ: صرعه الله.

(٢) لم يذكر ابن قتيبة في (ر)؛ غريب القرآن (ص:١١٠).

(٣) في الأصل: ذلك.

(٤) في (ج): أصبادهم.

(٥) البيت للأعشي في ديوانه (ص ٣٣٧)، ولسان العرب (٣/ ٣٧٥) (كبد)، وفي (١٢/ ١٠٠) (جشم)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٩٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٨٨)، وتاج العروس (٩/ ٩٣) (كبد)، (جشم).

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة، اسودت، ومنه يقال للعدو: كاشح؛ لأنه يخبأ[١] العداوة في كشحه. والكشح: الخاصرة، وإنما يريدون الكبد. لأن الكبد هناك.

قال الشَّاعر[٢][من الطويل]:

وأُضمِر أضغانًا عليَّ كشوحُها

والتاء والدال متقاربتا المخرج، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، [١١٣/ب]
وتبدل إحداهما من الأخرى؛ كقولهم: هرت[٣] الثوب وهرده: إذا خرقه، وكذلك: كبت العدو، وكبده، ومثله كثير[٤].

قوله: ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾.

قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أمَّل[٥].

وقال غيره: الفرق بين الخيبة واليأس، أن الخيبة[٦] لا تكون إلا بعد الأمل، واليأس قد يكون من غير أمل.

---

(١) جاءت في (ف): بعد قوله: يريدون الكبد، ولعله سبق.

(٢) البيت بلا نسبة في غريب القرآن (ص:١١١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٧١).

(٣) زاد في (ر): الثوت.

(٤) غريب القرآن (ص:١١١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧).

(٦) قوله: واليأس أن الخيبة، سقط من (ر).

قوله: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أن النبيّ ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحد[١]، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه[٢]، فقال: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فعَلُوا بِنَبِيِّهِمْ هذَا، وهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ؟!**» فنزلت هذه الآية. أخرجه مسلم في أفراده في[٣] حديث أنس[٤].

وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والرّبيع[٥].

والثاني: أن النبيّ ﷺ، لعن قومًا من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر[٦].

والثالث: أن النبيّ ﷺ همَّ بسب[٧] الذين انهزموا يوم أُحد، فنزلت[٨]، فكفَّ عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس[٩].

(١) قوله: يوم أحد، لم يقع في (م).

(٢) قوله: حتى سال الدم على وجهه، لم يقع في (م).

(٣) في بقية النسخ: من.

(٤) رواه مسلم (١٧٩١) من طريق ثابت البناني، به، بنحوه.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٤٥).

(٦) رواه البخاري (٧٣٤٦) من طريق سالم بن عبد الله، به.

(٧) في (ط)، و(ر): بسبب.

(٨) زاد في (ج): هذه الآية.

(٩) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٤٥).

والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلى قبيلتين[١] من بني سليم[٢]، عصية وذكوان[٣]، فقتلوا جميعا،[٤] فدعا النبيّ ﷺ[٥] أربعين يومًا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان[٦].

والخامس: أن النبيّ ﷺ لما رأى حمزة عمه[٧] ممثلًا به، قال: «**لأُمَثِّلَنَّ بكَذَا وكَذَا مِنْهُمْ**» فنزلت هذه الآية، قاله الواقدي[٨].

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم[٩] شيء.

والثاني: ليس لك من النصر والهزيمة شيء.

وقيل: إن «لك» بمعنى «إليك».

قوله: ﴿**أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾.

---

(١) في (ر): قبلتين.

(٢) في (ط)، و(ر): مسلم.

(٣) في (ر): عصبة وذكوان.

(٤) قوله: فقتلوا جميعًا، طمس في (م).

(٥) زاد في بقية النسخ: عليهم.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٣٠٠).

(٧) ليست في بقية النسخ.

(٨) كتاب المغازي (١/ ٣٢٠).

(٩) في (ج): عداوتهم.

قال الفراء: في نصب أو يتوب[1] وجهان إن شئت جعلته معطوفًا على قوله: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا﴾ وإن شئت جعلته نصبًا[2] على مذهب «حتى»[3] كما تقول: لا أزال معك حتى تعطيني[4].

ولما نفى الأمر عن نبيه صلى الله عليه وسلم، أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[5].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ﴾.

قال أهل التفسير: هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية.

قال سعيد بن جبير: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حلّ الأجل[6]، فيقول: أخّر عني، وأزيدك على مالك، فتلك[7] الأضعاف المضاعفة[8].

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) في بقية النسخ: في نصبه.

(٢) في بقية النسخ: جعلت نصبه.

(٣) ليست في (م).

(٤) في (ف): تطيعني.

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٣٤).

(٦) زاد في بقية النسخ: طلبه.

(٧) ليست في (ج).

(٨) رواه ابن ابي حاتم في تفسيره (٤١٤٢) من طريق عطاء بن أبي رباح، به، بنحوه.

قال ابن عباس: هذا تهديد للمؤمنين، لئلا يستحلوا الربا[١].

قال الزجاج: والمعنى: اتقوا[٢] أن تحلّوا ما حرّم الله عز وجل فتكفّروا[٣].

قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.

كلهم أثبتوا الواو في ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾. إلا نافعًا وابن عامر، فإنهما لم يذكراها[٤].

قال أبو علي[٥]: وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام[٦]. فمن قرأ بالواو، عطف ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ على ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ ومن حذفها، فلأن الجملة الثانية ملتبسة[٧] بالأولى، فاستغنت عن العطف[٨].

[١١٤/أ] أي[٩]: بادروا إلى ما يوجب المغفرة.

---

(١) البحر المحيط(٣/ ٣٤١).

(٢) ليست في (ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٦٨).

(٤) انظر: السبعة (٢١٦)، معاني القراءات (١/ ٢٧٣)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٧٧-٧٨)، المبسوط (١٦٩).

(٥) لم يذكر في (ج).

(٦) من قوله: وكذلك، سقط من (م).

(٧) في (م): متلبسة.

(٨) الحجة للقراء السبعة (٣/ ٧٨).

(٩) زاد في (ط)، و(ر)، و(ف)، و(م): ومعنى الآية.

وفي المراد بموجب المغفرة هاهنا عشرة أقوال:

أحدها: أنَّه الإخلاص، قاله عثمان بن عفان.

والثاني: أداء الفرائض، قاله علي بن أبي طالب.

والثالث: الإسلام، قاله ابن عباس.

والرابع: التكبيرة الأولى من الصلاة، قاله أنس بن مالك.

والخامس: الطاعة، قاله سعيد بن جبير.

والسادس: التّوبة، قاله عكرمة.

والسابع: الهجرة، قاله أبو العالية.

والثامن: الجهاد، قاله الضحاك.

والتاسع: الصلوات الخمس، قاله يمان.

والعاشر: الأعمال الصالحة، قاله مقاتل.

قوْلُه: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

قال ابن قتيبة: أراد بالعرض[1] السعة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول[2]: بلاد عريضة، أي: واسعة[3].

---

(١) في (ر): بالأرض.

(٢) سقطت من (م).

(٣) غريب القرآن (ص:١١١).

وقال النبي ﷺ للمؤمنين(١) المنهزمين يوم أحد: «لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً»(٢).

قال الشاعر(٣)[من الطويل]:

كَأَنَّ بِلَادَ اللهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ(٤)

قال: وأصل(٥) هذا من العرض الذي هو خلاف الطول، وإذا عرض الشيء اتسع، وإذا لم يعرض ضاق ودق(٦).

وقال سعيد بن جبير: لو ألصق بعضهن إلى بعض كانت الجنة في عرضهن(٧).

قوْله تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾.

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ١٧٤)، وابن المنذر في تفسيره(٢/ ٤٥٩) من طريق ابْنِ إِسْحَاقَ، مرسلاً.

(٣) غريب القرآن (ص:١١٢).

(٤) في (ر): حائل.

(٥) ليست في (ج).

(٦) غريب القرآن (ص:١١٢).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(٤١٥٨) من طريق عطاء بن دينار، به، بنحوه.

قال ابن عباس: في العسر واليسر[١].

ومعنى الآية: أنهم رغبوا في معاملة الله، فلم يبطرهم[٢] الرخاء[٣] فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيبخلوا.

قوله: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾.

قال الزجاج: يقال: كظمت الغيظ[٤]: إذا أمسكت على ما في نفسك منه، وكظم البعير على [جرَّته][٥]: إذا رددها[٦] في حلقه[٧].

وقال ابن الأنباري: الأصل[٨] في الكظم: الإمساك على غيظ وغم[٩].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤١٦٢) من طريق العوفي.

(٢) في (م): ينظر.

(٣) طمست في (م).

(٤) طمست في (م).

(٥) في الأصل: حرته.

(٦) في (م): خزنة اذارها.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٩).

(٨) طمست في (م).

(٩) قال في الزاهر (٢/ ٣٣٢): وأصل «الكظم» في اللغة: حبس البعير ما في جوفه.

وروى[١] ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ما [تجرع][٢] عبد جرعة أفضل عند[٣] الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى»[٤].

قوله: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه العفو عن المماليك، قاله ابن عباس، والربيع.

والثاني: أنه على إطلاقه، فهم يعفون عمن ظلمهم، قاله زيد بن أسلم، ومقاتل.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن امرأة أتت إلى نبهان التمار تشتري منه تمرًا فضمّها، وقبّلها، ثم ندم[٥]، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك فنزلت[٦] هذه الآية، رواه

(١) في (ف)، و(م): وروي عن.

(٢) في الأصل: تحرج.

(٣) قوله: أفضل عند، طمس في (م).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١٢٨)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣١٨)، وابن ماجه في سننه (٤١٨٩)، والطبراني في مكارم الأخلاق (٥١)، والبيهقي في الشعب (٨٣٠٧) وغيرهم من طُرق عن يونس بن عبيد بن دينار، عن الحسن،به، بنحوه.

(٥) زاد في (ف): على ذلك.

(٦) سقطت من (ر).

عطاء عن ابن عباس[١].

والثاني: أنَّ أنصاريًّا وثقفيًّا آخى النبيُّ ﷺ بينهما، فخرج الثّقفيُّ مع النبيّ ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعاهد أهل الثَّقفي، فجاء ذات يوم فأبْصَر المرأةَ قدِ اغْتسلت وهي ناشرةٌ شعرَهَا، فدخل ولم يستأذن فذَهَب[٢] لِيُقبلها[٣] فوضَعتْ كفَّهَا على وجْهها، فقبَّله ثُمَّ ندِمَ، فأدْبَر راجِعًا، فقالت: سُبحان الله خُنْتَ أمانَتَك،[٤] فخرج يسيح فِي الجبال، [١١٤/ب] ويتوبُ مِن ذنْبه. فلمّا قدِمَ الثَّقفي أخبَرَتْه المرْأةُ[٥]، فخرج يطْلُبه[٦]، فوافَقَهُ ساجِدًا يقولُ: ذنْبِي ذَنْبِي، فقالَ له: يا فُلانُ انْطلِق إلى رسول الله ﷺ فاسْأله عن ذنبك، لعلَّه[٧] أن يجعلَ لك منه مخْرَجًا، فرجع إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبتِهِ، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٨]. وذكر نحوه مقاتل[٩].

---

(١) انظر: أسباب النزول (ص:١٢٣)، والتفسير البسيط(٥/ ٦٠٠).

(٢) في (م): فدخل.

(٣) في بقية النسخ: ليلثمها.

(٤) زاد في المطبوع: وعصيت ربك ولم تصب حاجتك.

(٥) زاد في المطبوع: بفعله.

(٦) زاد في المطبوع: حتى دل عليه، فندم على صنيعه.

(٧) في بقية النسخ: لعل الله.

(٨) انظر: أسباب النزول (ص:١٢٣)، والعجاب (٢/ ٧٥٧).

(٩) تفسير مقاتل(١/ ٣٠١).

والثالث: أنَّ المسلمين قالوا للنَّبيّ ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبيّ ﷺ: «**أَلَا أُخبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ**» فقرأ هذه الآية، والتي قبلها، هذا قول عطاء[١].

واختلفوا هل هذه الآية نعت للمنفقين في السراء والضراء؟ [أم][٢] لقوم آخرين؟

على قولين:

أحدهما: أنها نعت لهم، قاله الحسن.

والثاني: أنها نعت لصنف آخر، قاله أبو سليمان الدمشقي.

و«الفاحشة»: القبيحة، وكل شيء جاوز قدره فهو فاحش.

وفي المراد بها هاهنا قولان:

أحدهما: أنها الزنى، قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل.

والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين.

واختلفوا في «الظلم للنفس[٣]» المذكور بعدها:

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ٦٢)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٧٩) من طريق ابنِ جريجٍ، به.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) ليست في بقية النسخ.

فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة أيضًا.

وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر.

وفي قوله: ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين.

والثاني: أنه ذكر القلب.

ثم فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه ذكر العرض على الله تعالى، قاله الضحاك.

والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقدي.

والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا، قاله ابن جرير(١).

والرابع: ذكر نهي الله لهم عنه.

والخامس: ذكر غفران الله، ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي.

فأما «الإصرار».

فقال الزجاج: هو الإقامة على الشيء.

وقال ابن فارس: هو العزم على الشيء والثبات عليه(٢).

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري(٦/ ٦٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة(٣/ ٢٨٣).

وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه موافقة[(١)] الذنب عند[(٢)] الاهتمام به. وهذا مذهب مجاهد.

والثاني: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة، وابن إسحاق.

والثالث: أنه ترك الاستغفار منه، وهذا مذهب السدي.

وفي معنى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وأن تركه أولى من التمادي، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني:[(٣)] يعلمون أن الله يتوب على من تاب، قاله مجاهد، وأبو عمارة.

والثالث: يعلمون أنهم قد أذنبوا، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾.

«السنن»: جمع سنة، وهي الطريقة.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس. [١١٥/أ]

---

(١) في (ط)، و(ر)، و(ج)، و(ف): مواقعة.

(٢) في (م): على عن.

(٣) من قوله: وهم يعلمون أن الإصرار، سقط من (ر).

والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد.

وفي معنى ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه السير في السفر. قال[١] الزجاج: إذا سرتم في أسفاركم، عرفتم[٢] أخبار الهالكين بتكذيبهم[٣].

والثاني: أنه التفكر.

ومعنى: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾: اعتبروا. و«العاقبة»: آخر الأمر.

قوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾.

قال سعيد بن جبير: هذه الآية أول ما نزل من «آل عمران»[٤].

وفي المشار إليه بـ «هذا» قولان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أنه شرح أخبار الأمم السالفة، قاله ابن اسحاق.

و«البيان»: الكشف عن الشيء، بان الشيء: اتضح، وفلانٌ أبين من فلان، أي: أفصح.

---

(١) في (م): قاله.

(٢) في (م): علمتم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في كتاب المصاحف كما في الدر المنثور (٤/ ٣٧).

قال الشعبي: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ من العمى ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ من الجهل[١].

قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

سبب نزولها:

أنّ أصحاب رسول الله ﷺ لما انهزموا يوم أُحد، أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم [الجبل][٢]، فقال النبيّ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا يَعْلَوْنَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ[٣] لَنَا إِلَّا بِكَ» فنزلت هذه الآيات، قاله ابن عباس[٤].

قال[٥] ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾؛ أي: لا تضعفوا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٦٦) عن الثوري، عن بيان بن بشر، به، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره(٤٢٠٧-٤٢١٠)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ٧٥)، وابن المنذر في تفسيره(٩٤٥)، من طرق عن بيان، به، بنحوه.

(٢) في الأصل، و(ط)، و(ر): الخيل.

(٣) قوله: علينا، اللهم لا قوة، طمس في (م).

(٤) لم يذكر في (ج)؛ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٧٩) من طريق عطية العوفي، وانظر: العجاب (٢/ ٧٥٩).

(٥) قوله: ابن عباس. قال، سقط من (ف).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٢٠) عَنِ الضحاك،به.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ٧٧)، وابن المنذر في تفسيره(١/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٢١٩) من طريق ابنِ أبِي نجيحٍ، به.

وفيما نهوا عن الحزن عليه أربعة أقوال:

أحدها: قتل إخوانهم[١] من المسلمين، قاله ابن عباس.

والثاني[٢]: أنه هزيمتهم يوم أُحد، وقتلهم، قاله مقاتل.

والثالث: أنه ما أصاب[٣] النبيّ ﷺ من شجه، وكسر رباعيته، ذكره الماوردي[٤].

والرابع: أنه ما فات من الغنيمة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري[٥].

قوْلُه: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾.

قال ابن عباس: يقول: أنتم الغالبون وآخر الأمر لكم[٦].

قوْلُه: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ﴾.

قال ابن عباس[٧]:أصابهم يوم أحد قرح، فشكوا إلى النّبيّ ﷺ ما لقوا، فنزلت هذه الآية[٨].

---

(١) قوله: قتل إخوانهم، طمس في (م).

(٢) سقطت من (م).

(٣) قوله: ما أصاب، طمس في (م).

(٤) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٢٦).

(٥) طمست النسبة في (م)؛ التفسير البسيط(٦/ ٦).

(٦) انظر: التفسير البسيط (٢٠/ ٢٧٠).

(٧) من قوله: يقول أنتم الغالبون، سقط من (ج).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٨١-٧/ ٤٥٥) ولكن عن عكرمة من قوله لم يذكر فيه ابن عباس.

فأما «المَسُّ» فهو الإصابة.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع[١] «قَرح» بفتح القاف.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم «قُرح» بضم القاف[٢].

واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا؟

فقال أبو عبيد: «القَرح» بالفتح: الجراح، والقتل. و«القُرح» بالضم: ألم الجراح[٣].

وقال الزجاج: هما في اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح وألمها.

قال: ومعنى ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: ؛ أي: نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون، فأما إذا أطاعوا، فهم منصورون.

قال: ومعنى ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ليعلمه واقعًا منهم؛ لأنه عالم قبل ذلك، وإنما يجازي على ما وقع[٤].

وقال ابن عباس: معنى «العلم» هاهنا: الرؤية.

قوْلُه: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.

---

(١) لم يذكر في (ج).

(٢) انظر: السبعة (٢١٦)، ومعاني القراءات (١/ ٢٧٤)،والحجة؛ للفارسي(٣/ ٧٨-٧٩)، والمبسوط (١٦٩)، مجاز القرآن (١/ ١٠٤).

(٣) مجاز القرآن (١/ ١٠٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧١).

قال أبو الضحى(١): نزلت(٢) في قتلى أُحد(٣).

قال ابن جريج: كان المسلمون يقولون: ربنا أرنا يومًا كيوم بدر، نلتمس فيه الشهادة، فاتخذ منهم شهداء يوم أحد(٤).

قال ابن عباس: و«الظالمون» هاهنا: المنافقون. [١١٥/ب]

وقال غيره: الذين انصرفوا يوم أحد مع ابن أبيّ(٥).

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

قال الزجاج: معنى الكلام: جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحص الله المؤمنين، ويمحق الكافرين(٦).

وفي التمحيص قولان:

أحدهما: أنه الابتلاء والاختبار(٧).

---

(١) في (ج): أبو الضحاك.

(٢) زاد في (م): هذه الآية.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٢٣٧) عن سعيد بن مسروق، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٨٧) عن ابن المبارك، به.

(٥) زاد في (ج): المنافق.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧١).

(٧) في (ج): الاختيار.

وأنشدوا(١) [من الطويل]:

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا فَكَشَّفَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدَا لِيَا

وهذا قول الحسن، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة في آخرين(٢).

والثاني: أنه التنقية، والتخليص، وهو قول الزجاج، وحكي عن المبرّد قال: يقال: محص الحبل محصًا: إذا ذهب منه الوبر حتى يتملص(٣)، ومعنى قولهم: محص عنا ذنوبنا: أذهبها عنا(٤).

وذكر الزجّاج عن الخليل أن المحص: التخليص، يقال: محصت الشيءُ أمحصه محصًا: إذا خلصته(٥).

فعلى القول الأول: التمحيص: ابتلاء المؤمنين بما جرى عليهم.

وعلى الثاني: هو تنقيتهم من الذنوب بذلك.

قال الفراء: معنى الآية: وليمحص الله الذنوب عن الذين آمنوا(٦).

---

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر في عيون الأخبار (٣/ ٧٥)، والكامل(١/ ١٨٣)، وفي الأغاني (١١/ ٦٦) أنه قاله: في صديقه قصي بن ذكوان.

(٢) غريب القرآن (ص: ١١٢).

(٣) في (ط)، و(ر): يتخلص، وفي(ج): يتملحص.

(٤) الكامل في اللغة والأدب (١/ ١٧٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧١).

(٦) معاني القرآن (١/ ٢٣٥).

قوْلُه: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه يهلكهم، قاله ابن عباس.

والثاني: يذهب دعوتهم، قاله مقاتل.

والثالث: ينقصهم ويقللهم، قاله الفراء(١).

والرابع: يحبط أعمالهم، ذكره الزجاج(٢).

قوْلُه: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾.

قال ابن عباس: لما أخبرهم الله عز وجل على لسان نبيّه عليه السلام، بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنوا قتالًا يستشهدون فيه، فيلحقون بإخوانهم، فأراهم الله يوم أُحد، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا مَن شاء الله منهم، فنزل فيهم: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ يعني القتال ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾؛ أي: من قبل أن تنظروا إليه يوم أحد ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يومئذ(٣).

قال ابن قتيبة، والفراء: أي؛ رأيتم أسبابه، وهي السيف ونحوه من السلاح(٤).

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٣٥).

(٢) لم يذكر في (م)؛ معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٢٥٤) من طرِيق الْعَوْفِيّ، به.

(٤) غريب القرآن (ص:١١٣).

وفي معنى ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تنظرون إلى السيوف، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ذكر للتوكيد، قاله الأخفش.

وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، وأنتم بُصراء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علّة، أي: رأيته رؤية[١] حقيقية[٢].

والثالث: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمنيتم.

وفي الآية إضمار تقديره[٣] فلم انهزمتم!؟

قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾.

قال ابن عباس: صاح الشيطان يوم أُحد: قتل محمد. فقال قوم: لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرنا وإخواننا، ولو كان محمد[٤] حيًّا لم يُهزم، فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية[٥].

وقال الضحاك: قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية[٦].

(١) زاد في (ف): صحيحة، وفي (م): رأيته حقيقة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٣).

(٣) ليست في (ط)، و(ر)، و(ج)، وفي المطبوع: أي فقد رأيتموه وأنتم تنظرون.

(٤) لم يذكر في (م).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٠٣) من طريق العوفي، به.

(٦) العبارة بكاملها لم تقع في (م)؛ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٠٣-١٠٤) من=

وقال قتادة: قال ناس: لو كان نبيًا ما قُتل، وقال ناسٌ من عِلْيَة[1] أصحاب رسول الله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فنزلت هذه الآية[2].

ومعنى الآية: أنه يموت كما ماتت قبله الرُّسل، أفإن مات على [١١٦/أ] فراشه، أو قتل كمن[3] قبله من الأنبياء، أتنقلبون على أعقابكم؟! ؛ أي: ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر؟! وهذا على سبيل المثل، يقال لكل من رجع عما كان عليه: قد انقلب على عقبيه، وأصله: رجعة القهقرى، والعقب: مؤخّر القدم.

قوْلُه: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: [لن][4] ينقص الله شيئًا برجوعه، وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِى الله﴾؛ أي: يثيب[5] ﴿ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

=طريق جُوَيْبِرٍ، وعبيد بن سليمان الباهلي، وابن المنذر في تفسيره (٩٧٦) من طريق علي بْنِ الحكمِ، جميعهم، عن الضحاك، بنحوه.

(١) في (ج): عللة، وليست في (م).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٩٨) من طريق سَعِيد بن أبي عروبة، به.

(٣) زاد في بقية النسخ: قتل.

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في (م): نثبت.

وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الثابتون على دينهم، قاله علي عليه السلام، وقال: كان أبو بكر أمير[١] الشاكرين[٢].

والثاني: أنَّهم الشاكرون على التوفيق والهداية.

والثالث: على الدِّين.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

في الإذن قولان:

أحدهما: أنه الأمر، قاله ابن عباس.

والثاني: الإذن نفسه، قاله مقاتل.

قال الزجاج: ومعنى الآية: ما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله[٣].

وقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ توكيد، والمعنى: كتبَ اللهُ ذلكَ كتابًا مؤجلًا؛ أي[٤]: كتابًا ذا أجل.

---

(١) في (ج): من.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٩٧) من طريق أبي أيوب، به.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٤).

(٤) قوله: كتابًا مؤجلًا، لم يقع في (ج).

و«الأجل»: الوقت المعلوم، ومثله في التوكيد ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٤]؛ لأنه لما قال[١]: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣] دلّ على أنه مفروض، فأكّد بقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾، وكذلك قوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]؛ لأنّه قال: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨] دلّ[٢] على أنه خلق الله[٣] فأكد[٤] بقوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾.

قوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: من قصد بعملٍ[٥] الدنيا، أُعطي منها، قليلًا كان أو كثيرًا، ومن قصد الآخرة بعمله، أُعطي منها[٦].

وقال مقاتل: عنى بالآية: من ثبت[٧] يوم أحد، ومن طلب الغنيمة[٨].

❁ ❁ ❁

---

(١) في (م): قال لما.

(٢) ليست في (ط)، و(ر).

(٣) في (م): خلق الدنيا.

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ط)، و(ر)، و(ف): بعلمه.

(٦) من قوله: قليلًا كان أو كثيرًا، لم يقع في (ط)، و(ر).

(٧) قوله: من ثبت، لم يقع في (م).

(٨) تفسير مقاتل(١/ ٣٠٥).

فَصْلٌ

وأكثر العلماء على أنَّ هذا الكلام محكم.

وذهبت طائفة إلى نسخها بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

والصحيحُ أنَّه محكم؛ لأنه لا يؤتى أحد شيئًا إلا بقدرة[١] الله تعالى ومشيئته.

فمعنى قوله: ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾؛ أي: ما نشاء، وما قدرنا له، ولم يقل[٢]: ما يشاء هو.

قوْلُه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾.

قرأ الجمهور: ﴿وَكَأَيِّن﴾ على وزن «كعيِّن».

وقرأ ابن كثير: «وكائن» مثل[٣] «كاعن»[٤].

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «كأيِّن» مثل: «كعِّين» ينصبون الهمزة، ويشددون الياء. وتميم يقولون: «وكائن»[٥] كأنها فاعل من كنت[٦].

---

(١) في بقية النسخ: بقدر.

(٢) سقطت من (ط)، و(ر).

(٣) ليست في (ط)، و(ر).

(٤) انظر: السبعة (٢١٦)، ومعاني القراءات (١/ ٢٧٤)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ٧٩-٨٠)، والمبسوط (١٦٩).

(٥) زاد في (ط)، و(ر): مثل، ومن قوله: مثل كعِّين، سقط من (م).

(٦) في (ج): كتب، وفي (م): كئت.

أنشدني الكسائي[١] [من الطويل]:

وَكَائِنْ تَرَى يَسْعَى مِنَ النَّاسِ جَاهِدًا[٢] عَلَى ابْنٍ[٣] غَدَا مِنْهُ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ

وقال آخر[٤] [من الطويل]:

وَكَائِنْ أَصَابَتْ مُؤْمِنًا مِنْ مُصِيبَةٍ عَلَى اللهِ عُقْبَاهَا وَمِنْهُ ثَوَابُهَا

وقال ابْنُ قُتيبةَ: وكائن بمعنى «كم» مثل قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الطلاق: ٨] وفيها لغتان. «كأين» بالهمز وتشديد الياء، و«كائن» على وزن «قائل»[٥]، وقد قرئ بهما[٦]، والأكثر والأفصح تخفيفها[٧].

---

(١) البيت بلا نسبة في كتاب فيه لغات القرآن (ص: ١٠١).

(٢) في (م): جاهلًا.

(٣) في (ج): أن.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) زاد في المطبوع: وبائع.

(٦) زاد في المطبوع: جميعًا في القرآن.

(٧) في (ف): تحقيقها؛ غريب القرآن (ص:٤٧١).

قال الشَّاعِرُ[(١)] [من الطويل]:

وَكَائِـنْ أَرَيْنَـا[(٢)] المْوْتَ مِـنْ ذِي تَحِيَّةٍ[(٣)] إِذَا مَـا ازْدَرَانَـا، أَوْ أَصَرَّ لِمَأْثَـمِ!

وقالَ الآخَرُ[(٤)] [من الطويل]: [١١٦/ب]

وَكَائِـنْ تَـرَى مِـن صَامِتٍ لَـكَ مُعْجِب زِيَادَتُـهُ أَوْ نَقْصُـهُ فِي التَّكَلُّـمِ

قَوْلُه: ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبان، والمفضل كلاهما عن عاصم: «قُتِل» بضم القاف، وكسر التاء من غير ألف.

وقرأ الباقون: «قاتَل» بألف[(٥)].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٢٧٨)، والبيت؛ لجابر بن حني التغلبي كما في الاختيارين المفضليات والأصمعي(١/ ٣٢٩).

(٢) في الأصل: رأينا، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ج): من ذا يحبه.

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى و هو زهير بن ربيعة بن قرط. والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه فى غطفان، انظر: الشعر والشعراء (١/ ١٣٧)، والبيت في شرح المعلقات السبع للزوزني (ص: ١٢٢)، وبلا نسبة في رصف المباني (ص: ٢٠٥)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٣٠٧)، وشرح المفصل (٤/ ١٣٥).

(٥) انظر: السبعة (٢١٧)، و معاني القراءات (١/ ٢٧٥)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٨٢)، والمبسوط (١٦٩).

وقرأ علي[١]، وابن مسعود، وأبو رزين، وأبو رجاء، و[الحسن، وابن يعمر][٢]، وابن جبير، وقتادة، وعكرمة، وأيوب: «رُبيون» بضم الراء[٣].

وقرأ ابن عباس، وأنس وأبو مجلز، وأبو العالية، والجحدري[٤] بفتحها[٥].

فعلى حذف الألف يحتمل وجهين ذكرهما الزجّاج[٦]:

أحدهما: أن يكون قتل للنبي وحده، ويكون المعنى: وكأين من نبي قتل، ومعه ربيون، فما وهنوا بعد قتله.

والثاني: أن يكون قتل الربيين، ويكون[٧] ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ لمن [بقي][٨] منهم.

---

(١) لم يذكر في (م).

(٢) في الأصل: الحسن بن يعمر.

(٣) في (ج): الياء؛ وهي قراءة شاذة، قرأ بها علي وابن مسعود وابن عباس في مختصر ابن خالويه(ص: ٢٩)، وزاد في المحتسب (١/ ١٧٣) عكرمة والحسن وأبي رجاء وعمرو بن عبيد وعطاء، وفي شواذ القراءات للكرماني(ص: ١٢٢)، والضم من ربَّ يربُّ إذا أصلح انظر:إعراب القراءات الشواذ للعكبري (١/ ٣٤٩)، والجمهور بالكسر نسبة إلى الرِّبة وهي الجماعة.

(٤) في (ف): أبوالعالية الجحدري.

(٥) وهي قراءة شاذة عن ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٢٩)، وشواذ القراءات للكرماني(ص: ١٢٢)، ورواية قتادة عن ابن عباس في المحتسب(١/ ١٧٣)، وإعراب القراءات الشواذ(١/ ٣٤٩) نسبةً إلى الرب سبحانه.

(٦) لم يذكر في (م)؛ معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧٦).

(٧) زاد في (ج): فائدة.

(٨) في الأصل: نفي.

وعلى إثبات الألف يكون المعنى: أن القوم قاتلوا، فما وهنوا.

وفي معنى الربيين خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الألوف، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، واختاره الفراء[١].

والثاني: الجماعات الكثيرة رواه العوفي عن ابن عباس،[٢] وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي، والربيع، واختاره ابن قتيبة[٣].

والثالث: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، واختاره اليزيدي، والزجاج[٤].

والرابع: أنهم الأتباع، قاله ابن زيد.

والخامس: أنهم المتألهون العارفون بالله تعالى، قاله ابن فارس.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٣٧).

(٢) من قوله: في رواية واختاره الفراء، سقط من (ر).

(٣) غريب القرآن (ص:١١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧٦).

قوْلُه: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه الضعف، قاله ابن عباس، وابن قتيبة[١].

والثاني: أنه العجز، قاله قتادة.

قال ابن قتيبة: و«الاستكانة»: الخشوع والذل، ومنه أخذ المسكين[٢].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع.

والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا استكانوا[٣] لما أصابهم.

قوْلُه: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ يعني الربيين ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾؛ أي: لم يكن قولهم إلا الاستغفار.

و«الإسراف»: تجاوز[٤] الحد، وقيل: أريد بالذنوب الصغائر، وبالإسراف: الكبائر.

---

(١) غريب القرآن (ص:١١٣).

(٢) غريب القرآن (ص:١١٣).

(٣) من قوله: بالخضوع، سقط من (ط)، و(ر)، و(م).

(٤) في بقية النسخ: مجاوزة.

قوْلُه: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾.

قال ابن عباس: على القتال[١].

وقال الزجاج: معناه: ثبتنا على دينك، فإن الثابت على دينه ثابت في حربه[٢].

قوْلُه: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: أنه النصر، قاله قتادة[٣].

والثاني: الغنيمة، قاله ابن[٤] جريج.

وروي عن ابن عباس، أنه النصر والغنيمة.

وفي «حسن ثواب الآخرة» قولان:

أحدهما: أنه الجنة.

والثاني: أنه الأجر والمغفرة.

وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدوّ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٢١) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٧).

(٣) لم يذكر في (ج).

(٤) ليست في (ط)، و(ر).

قوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قال ابن عباس: نزلت[1] في قول ابن أبي للمسلمين لما رجعوا من أحد: لو كان نبيًا ما أصابه الذي أصابه[2]. [١١٧/أ]

وفي ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المنافقون، على قول ابن عباس[3]، ومقاتل.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج.

والثالث: أنهم عبدة الأوثان، قاله السدي.

قالوا: وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم.

ومعنى ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ يصرفوكم إلى الشرك ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ بالعقوبة.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾؛ أي: وليكم[4] ينصركم عليهم، فاستغنوا عن[5] موالاة الكفّار.

قوْلُه: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾.

---

(١) ليست في (م).

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٣/ ٨٢).

(٣) من قوله: نزلت في قول ابن أبي، سقط من (ج).

(٤) في (م): موليكم.

(٥) في (م): عنهم.

قال السُّدِّيُّ: لما ارتحل المشركون من[1] أُحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشرذمة[2]، تركتموهم؟! ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية[3].

و«الإلقاء»: القذف. و«الرعب»: الخوف.

قرأ ابن كثير، ونافع وعاصم، وأبو عمرو[4]، وحمزة: «الرعْب» ساكنة العين خفيفة.

وقرأ ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: الرعب[5]، مضمومة العين، مثقله، أين وقعت[6].

و«السلطان» هاهنا: الحجة في قول الجماعة. و«المأوى»: المكان الذي يؤوى إليه[7].

---

(١) في بقية النسخ: يوم.

(٢) زاد في (ف): القليلة.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٢٨) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٤) في (م): أبو عمر.

(٥) ليست في (ج).

(٦) السبعة (٢١٧)، و معاني القراءات (١/ ٢٧٦)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ٨٤-٨٥)، والمبسوط (١٦٩-١٧٠).

(٧) ليست في (ج).

و«المثوى»: المقام، والثوى[١]: الإقامة، قاله[٢] ابن عباس، و«الظّالمون» هاهنا: الكافرون.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾.

قال محمد بن كعب القرظي[٣]: لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من أُحد، قال قومٌ منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله[٤] بالنصر؟! فنزلت هذه الآية[٥].

وقال المفسرون: وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هُزِموا.

وقال ابن عباس: ما نُصر رسول الله ﷺ في موطن ما نُصر في أُحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتابُ الله، إن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾[٦].

فأمَّا «الحسُّ» فهو القتل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والسدي، والجماعة.

---

(١) في (ط)، و(ر)، و(ف): الثواء، وقوله: المقام، والثوي، سقط من (ج).

(٢) في (ج): قال.

(٣) في (م): سليمان محمد بن كعب القرظي.

(٤) لفظ الجلالة لم يرد في (ج).

(٥) انظر أسباب النزول؛ للواحدي (ص:١٢٥ -١٢٦).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(٤٣٢٥) عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الله، به، بنحوه، وانظر: العجاب (٢/ ٧٦٩).

وقال ابن قتيبة: ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ تستأصلونهم بالقتل، يقال: سَنَةٌ حسوس: إذا أتت على كل شيء، وجراد محسوس: إذا قتله البرد[١].

وفي قوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: بأمره، قاله ابن عباس.

والثاني: بعلمه[٢]، قاله الزجاج[٣].

والثالث: بقضائه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ قال الزجاج: أي: جبنتم ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾؛ أي: اختلفتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ يعني: النصر[٤].

وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر، فشلتم وعصيتم، وهذه الواو زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] معناه: ناديناه[٥].

فأما تنازعهم، فإن بعض الرماة قال: قد انهزم المشركون، فما يمنعنا من الغنيمة؟ وقال بعضهم: بل نثبت مكاننا كما أمرنا رسول الله ﷺ،

---

(١) غريب القرآن (ص:١١٣-١١٤).

(٢) في (ط)، و(ر): بعمله.

(٣) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧٨).

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٣٨).

فترك المركز بعضهم، وطلب الغنيمة،[١] فذاك عصيانهم، وكان النبيّ ﷺ [١١٧/ب] قد أوصاهم وقال: «لَوْ رَأَيْتُمُ الطَّيْرَ تَخْطَفُنَا فَلَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ»[٢].

قوْلُه: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾.

قال المفسرون: هم الذين طلبوا الغنيمة،[٣] وتركوا مكانهم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا.

وقال ابن مسعود: ما كنت أظنّ أن أحدًا من أصحاب محمد يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[٤].

قوْلُه: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: ردكم عن المشركين بقتلكم وهزيمتكم[٥] ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾؛ أي: ليختبركم، فيبين الصابر من الجازع.

قوْلُه: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾.

---

(١) زاد في المطبوع: وتركوا مكانهم.

(٢) رواه البخاري (٣٠٣٩)، وأبو داود (٢٦٦٢)، والنسائي في الكبرى (٨٥٨١- ١١٠١٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٣) من قوله: فذاك عصيانهم، سقط من (ج).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٦٣)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٩٣٨)، وابن المنذر في تفسيره (١٠٦٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص:١٠٢) وغيرهم من طريق عطاء بن السائب، عن الشعبي، عن عبد الله بن مسعود، بنحوه، والروايات مطولة ومختصرة، وهو منقطع لعدم سماع الشعبي من ابن مسعود.

(٥) في (ج): وهربتكم.

فيه قولان:

أحدهما: عفا عن عقوبتكم، قاله ابن عباس.

والثاني: عفا عن استئصالكم، قاله الحسن.

وكان يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله، غضاب لله[١]، يقاتلون أعداء[٢] الله، نهوا عن شيء فضيعوه، فما تُركوا حتى غموا بهذا الغم، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة ويركب[٣] كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم[٤].

قوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: إذ عفا عنهم، قاله ابن عباس[٥].

والثاني: إذ لم يقتلوا[٦] جميعا، قاله مقاتل.

قوْلُه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾.

---

(١) قوله: غضاب الله، طمس في (م).

(٢) في (ج): في سبيل.

(٣) في (ف): يرتكب.

(٤) ليست في (ر)؛ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ١٤٤) من طريق مبارك بن فضالة، به.

(٥) لم يذكر في (م).

(٦) في (م): يقبلوا.

قال المفسرون: «إذ» متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾.

وأكثر القراء على ضم التاء، وكسر العين، من قوله: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ وهو من الإصعاد[١].

وروى [أبان بن تغلب][٢]، عن عاصم[٣] فتحهما، وهي قراءة الحسن، ومجاهد، وهو من الصعود[٤].

قال الفراء: الإصعاد في ابتداء الأسفار، والمخارج، تقول: أصعدنا من بغداد إلى خراسان، فإذا صعدت على درجة أو سلم[٥]، قلت: صعدت، ولا تقول: أصعدت[٦].

---

(١) في (ر): الأنصار؛ انظر: الدر المصون (٣/ ٤٣٨)، والإتحاف (١/ ٢٣٠)، والقرطبي (٤/ ٢٣٩).

(٢) في الأصل، و(ج): أبان عن ثعلب، وفي (ر)، و(م): أبان بن ثعلب.

(٣) سقط من (ج).

(٤) وهي قراءة شاذة كما في مختصر ابن خالويه (ص: ٢٩) مع تشديد العين ﴿تَصَعَّدون﴾ عن أبي حيوة وأبي البرهسم، وعن نوح القاري في شواذ الكرماني (ص: ١٢٢)، وبدون نسبة في إعراب الشواذ للعكبري (١/ ٣٥٢)، وعن الحسن وجماعة في القرطبي (٤/ ٢٣٩)، والمحرر الوجيز (١/ ٥٢٦)، وقرأ أُبي بن كعب ﴿تُصعِدون في الوادي﴾، وابن كثير وابن محيصن ﴿يُصعدون﴾.

(٥) في (ط)، و(ر): مسلم.

(٦) معاني القرآن (١/ ٢٣٩).

قال الزجاج: كل من ابتدأ مسيرًا من مكان، فقد أصعد، فأما الصّعود، فهو من أسفل إلى فوق، قال ومن فتح التاء والعين، أراد الصعود في الجبل[١].

و[للمفسرين][٢] في معنى الآية قولان:

أحدهما: أنه صعودهم[٣] في الجبل، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني:أنه الإبعاد في الهزيمة، قاله قتادة، وابن قتيبة[٤].

و﴿تَلْوُۥنَ﴾ بمعنى: تعرجون.

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ عام.

وقد روي عن[٥] ابن عباس أنه أراد[٦] به النبيّ ﷺ، قال: والنبيّ يناديهم من خلفهم: **«إليّ عباد الله، أنا رسول الله»**[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧٨-٤٧٩).

(٢) في الأصل: للمفسرون.

(٣) من قوله: فهو من أسفل إلى فوق، سقط من (ر).

(٤) غريب القرآن (ص:١١٤).

(٥) من قوله: وابن قتيبة سقط من (ط)، و(ر).

(٦) في بقية النسخ: أريد.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٤٨) من طريق ابن جريج، به.

وقرأت عائشة، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء، وحميد عن أحمد[١]: «على أُحد» بضم الألف والحاء، يعنون الجبل[٢].

قوله: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾؛ أي: جازاكم.

قال الفراء: الإثابة هاهنا بمعنى عقاب، ولكنه كما قال الشَّاعر[٣]:

أَخَافُ زِيَادًا أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُه   أَدَاهِمَ[٤] سُودًا أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرَا[٥]

[المحدرجة][٦]: السِّياط. السود فيما يقال: القيود[٧].

قوله: ﴿غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾.

---

(١) قوله: عن أحمد، لم تقع في باقي النسخ.

(٢) وهي قراءة شاذة عن عائشة وأبيها والحسن في شواذ الكرماني(ص: ١٢٣)، وبدون نسبة في إعراب الشواذ للعكبري(١/ ٣٥٣)، وعن حميد بن قيس في البحر(٣/ ٨٣)، والدر المصون(٣/ ٤٤١)، والمحرر الوجيز(١/ ٥٢٦).

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٣٩).

(٤) في (ط)، و(ر): اذاهم.

(٥) البيت للفرزدق كما في المعاني الكبير (٢/ ٨٧٧)، الصحاح في اللغة (١/ ٣٠٥)، معجم ديوان الأدب (٢/ ٤٧٧).

(٦) في الأصل: المخدرجة.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي(٣/ ١٨٦).

في هذه «الباء» أربعة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى «مع».

والثاني: بمعنى «بعد».

والثالث: بمعنى «على».

[١١٨/أ] فعلى هذه الأقوال الثلاثة يتعلق الغمان بالصحابة.

وللمفسرين في المراد بهذين الغمين خمسة أقوال:

أحدها: أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل[١]. والثاني: إشراف خالد بن الوليد بخيل[٢] المشركين عليهم، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أن الأول[٣] فرارهم الأول، والثاني: فرارهم[٤] حين سمعوا أن محمدًا قد قتل، قاله مجاهد.

والثالث: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح،والثاني: حين سمعوا أن النبيّ ﷺ قد قتل، قاله قتادة.

---

(١) ليست في (م).

(٢) في (ج): بجبل.

(٣) ليست في (م).

(٤) ليست في (ف).

والرابع: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، والفتح، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، قاله السدي(١).

والخامس: أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم، والثاني(٢): إشراف أبي سفيان عليهم،(٣) ذكره الثعلبي(٤).

والقول(٥) الرابع: أن الباءَ بمعنى الجزاء، فتقديره: غمكم كما غممتم(٦) غيركم، فيكون أحد الغمين للصحابة، وهو أحد غمومهم التي ذكرناها عن المفسرين، ويكون الغم الذي جُوزوا(٧) لأجله لغيرهم.

وفي المراد بغيرهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون غموهم يوم بدر، قاله الحسن.

والثاني: أنه النبي ﷺ غموه حين(٨) خالفوه، فجوزوا على ذلك بأن غمّوا بما أصابهم، قاله الزجاج(٩).

---

(١) في (م): ذكره الثعلبي.

(٢) في (ط)، و(ر): الثالث.

(٣) من قوله: قاله السدي، سقط من (ج)، وقوله: والثاني إشراف أبي سفيان عليهم، سقط من (م).

(٤) في (م): قاله السدي، ولعله سبق؛ انظر: تفسير الثعلبي(٣/ ١٨٦).

(٥) زاد في (م): الأول.

(٦) في (ر): كأغممتم.

(٧) في (ج): حزنوا.

(٨) في (ط)، و(ر)، و(ف): حيث.

(٩) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧٩).

قوْلُه: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ﴾.

في «لا» قولان:

أحدهما: أنها باقية على أصلها، ومعناها النفي.

فعلى هذا في معنى الكلام قولان:

أحدهما: فأثابكم غمًّا[1] أنساكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا أنّ النبيّ ﷺ قد قتل، نسوا ما أصابهم وما فاتهم.

والثاني: أنه متّصل بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ فمعنى الكلام: عفا عنكم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم؛ لأن عفوه يذهب كل غم.

والقول الثاني: أنها صلة، ومعنى الكلام: لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم على خلافكم. ومثلها [قوله][2]: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩]؛ أي: ليعلم. هذا قول المفضل[3].

---

(١) في (م): كما.

(٢) في الأصل: قولكم.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ١٨٦).

قال ابن عباس: والذي فاتهم: الغنيمة، والذي أصابهم: القتل والهزيمة.

قوْلُه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾.

قال ابن قتيبة: «الأمنة»: الأمن. يقال: وقعت الأمنة في الأرض[١].

وقال الزجاج: معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب[٢] أن أمنكم أمنًا تنامون معه؛ لأن [الشديد][٣] الخوف لا يكاد ينام. و«نعاسًا» منصوب على البدل من «أمنة»، يقال: نعس الرجل ينعس نعسًا[٤]، فهو ناعس. وبعضهم يقول: نعسان[٥].

قال الفراء: قد سمعتها، ولكني لا أشتهيها. قال العلماء: النعاس: أخف النوم.

وفي وجه الامتنان عليهم بالنعاس قولان:

أحدهما: أنه أمنهم بعد خوفهم حتى ناموا، فالمنة بزوال الخوف؛ لأن الخائف لا ينام.

والثاني: أن قواهم بالاستراحة على القتال. [١١٨/ب]

---

(١) غريب القرآن (ص: ١١٤).

(٢) في (ط)، و(ر): الرغب.

(٣) في الأصل: التشديد.

(٤) في بقية النسخ: نعاسًا.

(٥) في (ج): نعاس؛ معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٧٩).

قوله تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يغشى» بالياء مع التفخيم(١)، وهو يعود إلى النعاس.

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تغشى» بالتاء مع الإمالة، وهو يرجع إلى(٢) الأمنة(٣).

فأمَّا الطائفة التي غشيها النوم: فهم المؤمنون. والطائفة الذين أهمَّتهم أنفسهم: المنافقون. أهمهم خلاص أنفسهم، فذهب النوم عنهم.

قال أبو طلحة: كان السَّيف يسقط من يدي، ثم آخذه، ثم يسقط، ثم آخذه من النعاس. وجعلت أنظر، وما منهم أحد يومئذ إلا يميد تحت حَجَفَته من النعاس(٤).

وقال الزبير: أرسل الله علينا النوم، فما منَّا رجل إلا وذقنه في صدره، فو الله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير(٥): ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ فحفظتها منه(٦).

---

(١) في (م): التخفيف.

(٢) سقط من (ج).

(٣) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٢٧٦)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ٨٨)، والمبسوط؛ للهزلي (ص: ١٧٠).

(٤) رواه البخاري (٤٠٦٨- ٤٥٦٢) من طريق قتادة، عن أنس بن مالك، به، بنحوه.

(٥) في (م): قيس.

(٦) رواه البزار (٩٧٣) في مسنده، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٦٨)، و ابن المنذر في=

قوله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنهم ظنُّوا أن الله لا ينصر محمدًا وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم كذبوا بالقدر، رواه الضحاك، عن ابن عباس.

والثالث: أنهم ظنوا أن محمدًا قد قتل، قاله مقاتل.

والرابع: ظنّوا[١] أن أمر النبي ﷺ مضمحل، قاله الزجاج[٢].

قوله: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

قال ابن عباس: أي: كظن الجاهلية.

قوله: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾.

لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه: الجحد، فتقديره: ما لنا من الأمر من شيء.

قال الحسن: قالوا: لو كان الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أُخرجنا كرهًا[٣].

=تفسيره (٢/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٣٧٣)، من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، بنحوه.

(١) ليست في (ف).

(٢) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٧٩).

(٣) انظر: التفسير البسيط (٦/ ٩٣).

وقال غيره: المراد بالأمر: النصر والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي: النصر والظفر، والقضاء والقدر لله.

والأكثرون قرءوا﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ بنصب اللام.

وقرأ أبو [عمرو][1] برفعها[2].

قال أبو علي: حجة من نصب، أن «كله» بمنزلة[3] «أجمعين» في أنه الإحاطة والعموم، فلو قال: إن الأمر أجمع، لم يكن إلا النَّصب، و«كله» بمنزلة «أجمعين»، ومن[4] رفع، فلأنه[5] قد ابتدأ به، كما ابتدأ بقوله: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يوم القيامة﴾ [مريم: ٩٥][6].

قوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾.

في الَّذِي أخفوه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه قولهم: لو كنا في بيوتنا ما قتلنا هاهنا.

والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله.

---

(١) في الأصل، و(ج): عمر.

(٢) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٢٧٦)، الحجة؛ للفارسي(٣/ ٩٠)، المبسوط؛ للهزلي(ص: ١٧٠).

(٣) سقطت من (م).

(٤) في (م): ومعنى.

(٥) في (ج): فكأنه.

(٦) الحجة للقراء السبعة؛ للفارسي (٣/ ٩٠).

والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد.

قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ﴾ عبد الله بن أبي. والذي قال: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ﴾ معتب[1] بن قشير.

قوله: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾؛ أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كُتب عليه القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع[2] بالقتل.

قال الزجاج: ومعنى برزوا: صاروا[3] إلى براز، وهو المكان المنكشف. ومعنى ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾؛ أي: ليختبره بأعمالكم؛ لأنَّه قد علمه غيبًا، فيعلمه شهادة[4].

قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾.

قال قتادة: أراد ليطهرها[5] من الشك والارتياب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمنة، وإظهار سرائر المنافقين. وهذا التمحيص خاص للمؤمنين[6]. [١١٩/أ]

(١) في (م): مثعب.

(٢) في (م): المضارع.

(٣) ليست في (ط)، و(ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٨٠).

(٥) في (ج): ليظهرها.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره(٤٢٤٧) من طريق سَعِيدٌ به.

وقال غيره: أراد بالتمحيص: إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.

قوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بما فيها.

وقال ابن الأنباري: معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيث ذات لمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات[1] يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو.

و﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أُحد.

و﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: طلب زللهم، قال ابن قتيبة: فهو كما تقول: استعجلت فلانًا؛ أي: طلبت عجلته،[2] واستعملته: طلبت عمله.

والذي كسبوا: يريد به الذّنوب.

وفي سبب فرارهم يومئذ قولان:

أحدهما: أنّهم سمعوا أنَّ النبيّ ﷺ قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين[3].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) زاد في (م): استعماله.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٠٣) من طريق عطية العوفي، به.

والثاني: أنَّ الشيطان أذكرهم خطاياهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها، قاله الزجاج[١].

قوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب.

قال الزجاج: وإنما قال: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل: إذ ضربوا[٢]؛ لأنَّه يريد: شأنُهم هذا أبدًا، تقول: فلان إذا حدث صدق[٣]، وإذا ضُرِب صبر. و«إذا» لما[٤] يستقبل، إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى[٥].

قال المفسرون: ومعنى ﴿ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ساروا وسافروا. و﴿غُزًّى﴾ جمع غازٍ. وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض فماتوا، وغزوا، فقتلوا.

قوْلُه: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾.

قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سلموا، ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ ؛ أي: حزنًا .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٨١).

(٢) جاءت في (م): إذا ضربوا، أو إذ أضربوا.

(٣) في (م): إذا حد تصدق.

(٤) في (م): لم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٨٥).

قال ابن فارس: الحسرة: التلهف على الشيء الفائت[١].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾؛ أي: ليس تحرُّز الإنسان يمنعه من أجله.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «يعملون» بالياء.

وقرأ الباقون بالتاء[٢].

قال أبو علي: حجة من قرأ بالياء أنّ قبلها غيبة، وهو قوله: ﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾. ومن قرأ بالتاء، فحجته ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[٣].

قوله: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ﴾.

اللام في «لئن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد ﴿أَوۡ مُتُّمۡ﴾ في إقامتكم.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُتَّ»، و«مُتُّم»،و«مُتنا»، بضم[٤] الميم في جميع القرآن[٥].

---

(١) في (ف): الغائب؛ معجم مقاييس اللغة(٢/ ٦٢).

(٢) السبعة (ص: ٢١٧)، ومعاني القراءات (١/ ٢٧٧)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ٩١)، المبسوط (ص:١٧٠).

(٣) الحجة؛ للفارسي (٣/ ٩٢).

(٤) في بقية النسخ: برفع.

(٥) السبعة (ص: ٢١٨)، معاني القراءات (١/ ٢٧٨)، الحجة؛ للفارسي (٣/ ٩٢)، المبسوط (ص: ١٧٠).

وروى[١] حفص عن عاصم: ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ برفع الميم في هذين دون باقي القرآن.

وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي كل ما في القرآن بالكسر[٢].

قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾؛ أي: من أعراض [١١٩/ب] الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها.

وقرأ حفص عن عاصم[٣]: ﴿يَجْمَعُونَ﴾ بالياء، ومعناه: خير مما يجمع غيركم مما تركوا الجهاد لجمعه[٤].

قال ابن عباس: خير مما يجمع المنافقون في الدنيا[٥].

قوله: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾؛ أي: في إقامتكم ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في جهادكم ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾. وهذا تخويف من القيامة.

و«الحشر»: الجمع مع سوق.

قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾.

---

(١) في (ج): وقرأ.

(٢) معاني القراءات (١/ ٢٧٨)،والمبسوط (١٧٠).

(٣) سقط من (ج).

(٤) في (ج): لأجله؛ السبعة (ص: ٢١٨)، معاني القراءات (١/ ٢٧٨)، الحجة؛ للفارسي (٣/ ٩٤)، المبسوط (ص: ١٧٠).

(٥) انظر: التفسير البسيط (٦/ ١١٣).

قال الفراء، وابن قتيبة، والزجاج: [ودخول][1] «ما» هاهنا صلة، ومثله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥][2].

وقال ابن الأنباري: دخول «ما» هاهنا تحدث توكيدًا.

قال النّابغة الجعدي[3] [من الكامل]:

الْمَـرْءُ يَهْـوَى أَنْ يَعِيـشَ وَطُـولُ عَيْـشٍ مَـا[4] يَـضُرُّهُ

فأكد بذكر «ما»[5].

وفيمن يتعلق به هذه الرحمة قولان:

أحدهما: أنها تتعلّق بالنبيّ ﷺ.

والثاني: بالمؤمنين.

---

(١) من (م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٨٢).

(٣) البيت نسب للنابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية، ويكنّى أبا أمامة، ويقال: أبا ثمامة، انظر: الشعر والشعراء (١/ ١٥٦)، وهو في ديوانه (ص:٥٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٦٣)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ١٩٦).

(٤) في (ط)، و(ر): قد.

(٥) لم تقع العبارة في (م).

قال قتادة: ومعنى ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ لَانَ[١] جانبك، وحَسُن خُلُقُك، وكثر احتمالك[٢].

قال الزجّاج: و«الفظّ»: الغليظ الجانب، السّيئ الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظة وفظظًا، والفظ: ماء الكرش والفرث، وإنما سمي فظًا لغلظ مشربه[٣].

فأمّا «الغليظ القلب» فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظة والغلظ -وإن كانا بمعنى واحد[٤]- توكيدًا[٥].

وقال ابن عباس: «الفظ»: في القول، و«الغليظ القلب»: في الفعل.

قوْلُه: ﴿لَانفَضُّوا﴾؛ أي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقته عنه.

---

(١) في (م): أي.

(٢) في (ر): ضمانك؛ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٣).

(٤) ليست في (م).

(٥) ليست في (ج).

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: تجاوز عن هفواتهم[1]، وسل الله المغفرة لذنوبهم ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنه من: شرت[2] العسل.

وأَنْشَدُوا[3] [من الطويل]:

وَقَاسَمَهَا[4] بِاللهِ حَقًّا لَأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

قال الزَّجَّاجُ: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشوارًا[5]، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة وبعضهم يقول: المشْوَرَة[6].

ويقال: فلان حسن الصورة والشورة؛ أي: حسن الهيئة واللباس.

ومعنى قولهم: شاورت فلانًا، أظهرت ما عندي وعنده.

وشرت الدابة: إذا امتحنتها، فعرفت هيئتها في سيرها.

---

(١) في (ر): عفواتهم.

(٢) في (م): شرب.

(٣) البيت لخالد بن زهير في شرح أشعار الهذليين (ص: ٢١٥)، ولسان العرب (١٤/ ٣٩٦) (سلا)، وتاج العروس (١٢/ ٢٥٢) (شور)، (سلا)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٦٩)، وبلا نسبة في كتاب العين (٧/ ٢٩٨).

(٤) في الأصل: وقاسمهم، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في المطبوع: شورًا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٥).

وشرت العسل: إذا أخذته من[١] مواضع النحل. وعسل مشار.

قال الأعْشى[٢][من المتقارب]:

كَأَنَّ القُرُنْفُلَ وَالزَّنْجَبِيـ ـلَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرْيًا مَشُورَا[٣]

والأري: العسل[٤].

واختلف العلماء: لأي معنى أمر الله نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام[٥] التدبير؟

على ثلاثة أقوال:

أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة.

والثاني: لتطيب نفوسهم[٦]، وهو[٧] قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق، ومقاتل.

---

(١) سقط من (م).

(٢) البيت في ديوانه (ص: ٨٥) برواية: كأن جنيًا من الزنجبيل خالط فاها.

(٣) في الأصل، وغيره: مشارا، والمثبت من (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٥).

(٥) في (م): بأمر.

(٦) في بقية النسخ: قلوبهم.

(٧) من قوله: قول الحسن، سقط من (ر).

وقال الشّافعيّ ﷺ: نظير هذا قوله عليه السلام: «الْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا»[١]، إنّما أراد استطابة نفسها، فإنّها لو كرهت، كان للأب أن يزوجها، [١٢٠/أ]
وكذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام؛ لابنه[٢] حين أُمر بذبحه[٣].

والثالث: للإعلام ببركة[٤] المشاورة، وهو قول الضحاك.

ومن فوائد المشاورة:

أنّ[٥] المشاور[٦] إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه. ومنها أنه قد يعزم على الأمر، فتبين له الصواب في قول غيره،[٧] فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح.

قال علي ﷺ: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل[٨] العمل يؤمنك من الندم.

---

(١) رواه البخاري(٦٩٤٦)، ومسلم(١٤٢١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: الأم(٧/ ١٥٦)، والحاوي(٩/ ٥٦).

(٤) في (م): بتركه.

(٥) قوله: المشاور أن، لم يقع في (ف).

(٦) قوله: أن المشاور، لم يقع في (ج).

(٧) قوله: الصواب في قول غيره، طمس في (م).

(٨) في (ر): قول.

وقال بعْضُ الحكماء: ما استُنْبِطَ الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصِّنتِ النعم بمثل المواساة، ولا اكتسب البغضاء بمثل الكبر.

واعْلَم أنَّه إنَّما أُمر النبيّ ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يأته فيه وحي، وعمهم بالذكر، والمقصود أرباب[1] الفضل والتجارِب منهم.

وفي الذي أُمر بمشاورتهم [فيه][2]، قولان حكاهما القاضي أبو يعلى:

أحدهما: أنه أمر الدنيا خاصة.

والثاني: أمر الدين[3] والدنيا، وهو أصح.

وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر»[4].

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾.

قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله[5].

---

(١) في (م): أن.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) من قوله: خاصة، سقط من (ر).

(٤) قراءة شاذة في المحتسب (١/ ١٧٥)، وشواذ الكرماني (ص: ١١٨)، والبحر (٣/ ٤٠٩)، والمحرر الوجيز (١/ ٥٦٥)، وقال في فتح الباري: وهذا تفسير لا تلاوة، ونقله بعضهم قراءة عن ابن مسعود .انظر: الفتح: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ﴿وأمرهم شورى﴾ (١٣/ ٣٤١)، والمصاحف؛ لأبي بكر بن أبي داود، مصحف ابن عباس (١/ ١٩٢).

(٥) مقاييس اللغة (٤/ ٣٠٨).

وقـرأ أبـو رزيـن، وأبـو مجلـز، وأبـو العاليـة، وعكرمـة، والجحـدري: «فـإذا[١] عزمـتُ» بضـم التـاء[٢].

فأما «التوكل» فقد سبق شرحه.

ومعنـى الـكلام: فـإذا عزمـت عـلى فعـل شيء، فتـوكل عـلى الله، لا عـلى المشـاورة.

قوله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

قال ابن فارس: «النصر»: العون، و«الخذلان»: ترك العون.

وقيل الكناية في قوله:﴿مِّن بَعْدِهِ﴾ تعود إلى خذلانه[٣].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾.

في سبب نزولها سبعة أقوال:

أحدهـا: أنَّ قطيفـة مـن المغنـم فقـدت يـوم بـدر، فقـال نـاس: لعـلَّ النبيّ ﷺ أخذهـا، فنزلـت هـذه الآيـة، رواه عكرمـة عـن ابن عبـاس[٤].

---

(١) زاد في (م): عزمتم.

(٢) قـراءة شـاذة عـن جعفـر بـن محمـد في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٢٩)، وجابـر بـن زيـد وعكرمـة وأبي نهيـك وجعفـر بـن محمـد في المحتسـب (١/ ١٧٦)، والبحـر (٣/ ٧٩)، وإعـراب الشـواذ؛ للعكـبري (١/ ٣٠٥)، وشـواذ الكرمـاني (ص: ١٢٤)، والدر المصـون (٣/ ٤٦٣)، والقرطبـي (٤/ ٢٥٢).

(٣) في (ج): الأخذ لأنه.

(٤) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦/ ١٩٥)، وابـن المنـذر(٢/ ٤٧٠)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٤٤٢٩)، وانظـر: أسـباب النـزول (ص:١٢٦).

والثاني: أنَّ رجلًا غلَّ من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس[١].

والثالث: أنَّ قومًا من أشراف النَّاس طلبوا من رسول الله ﷺ أن يخصصهم[٢] بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، نقل عن ابن عباس أيضًا[٣].

والرابع: أن النبيّ ﷺ بعث طلائعًا، فغنم النبيّ ﷺ غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك[٤].

والخامس: أنَّ قومًا غلُّوا يوم بدر، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[٥].

والسادس: أنَّها نزلت في الذين تركوا مركزهم[٦] يوم أحد طلبًا للغنيمة وقالوا: نخاف أن يقول[٧] النبي ﷺ من أخذ شيئًا فهو له، فقال النبي ﷺ: **«ألم أعهد إليكم أن لا تبرحوا، أظننتم أنا نغل»**، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب، ومقاتل. [١٢٠/ب]

---

(١) انظر: أسباب النزول (ص: ١٢٧).

(٢) في بقية النسخ: يخصهم.

(٣) انظر: أسباب النزول (ص:١٢٧)، التفسير البسيط(٦/ ١٢٩).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٩٦).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٩٩).

(٦) في (ف): أمكنتهم.

(٧) سقطت من (ج).

والسابع: أنَّها نزلت في غلول الوحي، قاله القرظي، وابن إسحاق.

وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب[(١)] دينهم وآلهتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فنزلت هذه الآية.

واختلف القراء في يغل، فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو[(٢)] بفتح الياء وضم الغين، ومعناه: يخون،

وفي هذه الخيانة قولان:

أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين.

والثاني: خيانة الوحي على قول القرظي، وابن إسحاق.

وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين ولها وجهان:

أحدهما: أن يكون المعنى يخان،[(٣)] قاله الحسن، وابن قتيبة.

والثاني: يخون، قاله الفراء، وأجازه[(٤)] الزجاج، ورده ابن قتيبة[(٥)] فقال: لو أراد يُخَوَّن لقال يغلل كما قال يُفَسَّق[(٦)].

---

(١) زاد في (م): ذنوبهم.

(٢) في (م): ابن عمر.

(٣) زاد في المطبوع: ويجوز أن يكون: يلفى خائنًا، يقال: أغللت فلانًا؛ أي: وجدته غالًّا، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محمودًا.

(٤) في (م): اختاره.

(٥) من قوله: والثاني يخون، سقط من (ط)، و(ر).

(٦) زاد في المطبوع: ويخون ويفجر.

وقيل اللام في قوله: [لِنَبِيٍّ] منقولة، ومعنى الآية وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليغل، ومثله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾؛ أي: ما كان الله ليتّخذ ولدًا. وهذه الآية من ألطف التّعريض؛ إذ قد ثبتت[1] براءة ساحة النبيّ -ﷺ- من الغلول، فدلّ على أنّ الغلول في غيره. ومثله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وقد ذكر عن السّدّيّ نحو هذا.

قوْلُه: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الغلول: أخذ شيء من المغنم خفية، ومنه الغلالة، وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغلل: وهو الماء الذي يجري تحت[2] الشّجر، والغلّ: وهو الحقد الكامن في الصّدور، وأصل الباب الاختفاء.

وفي إتيانه بما غلّ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يأتي بما غلّ، يحمله، ويدلّ عليه ما روى البخاريّ ومسلم في «الصّحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قامَ فينَا رسُولُ الله ﷺ يومًا[3] فذكر الغلول، فعظّمَه، وعظّم أمرَهُ، ثم قال: «**لَا أُلْفِيَنَّ[4] أحدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ[5] يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى**

(١) سقطت من (ج).

(٢) في المطبوع: بين.

(٣) ليست في (ط)، و(ر).

(٤) جاءت في جميع المواضع في (ط)، و(ر)، و(ف)، و(م): ألفين.

(٥) ليست في (ف).

رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهَا حَمْحَمَةٌ، فيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ يَجِيءُ[(١)] يَوْمَ الْقِيامَةِ[(٢)] عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، فيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ[(٣)] شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ[(٤)]، لَا أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ[(٥)] شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ[(٦)] شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ[(٧)] يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ»[(٨)].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) قوله: يجيء يوم القيامة، لم يقع في (ر).

(٣) قوله: من الله، لم يقع في (م).

(٤) زاد في (ف): لا هاهنا بمعنى النفي والمعنى لا أجدكم يوم القيامة وأنت تقول هكذا.

(٥) زاد في (ج): من الله.

(٦) قوله: من الله، لم يقع في (م).

(٧) ليست في (ط)، و(ر).

(٨) رواه البخاري(٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«الرغـاء»: صـوت(١) البعـير، و«الثغـاء»: صـوت الشـاة، و«النفـس»: مـا يُغـل مـن السَّـبي، و«الرقـاع»: الثيـاب، و«الصامـت»: المـال. [١٢١/أ]

والقول الثاني: أنه يأتي حاملًا إثم ما غل.

والثالث: أنه يردُّ عوض ما غل من حسناته.

والقول الأوّل أصحّ لمكان الأثر الصّحيح. [١٢٧/أ]

قوْلُه: [ثم توفى كل نفس]؛ أي: تعطى جزاء ما كسبته(٢).

قوْلُه: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾.

اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين:

أحدهمـا: أن معناهـا: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾(٣) فلـم يغـل ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ حـين غـل؟! هـذا قـول سـعيد بـن جبـير، والضحـاك، والجمهـور.

والثـاني: أنَّ النّبـيَّ ﷺ لمـا أمـر المسـلمين باتباعـه يـوم أُحـد، تبعـه المؤمنـون، وتخلـف جماعـة مـن المنافقـين، فأخـبر الله تعـالى بحـال مـن تبعـه، ومـن تخلـف عنـه، هـذا قـول الزجـاج(٤).

---

(١) ليست في (ط)، و(ر).

(٢) من قوله: لمكان الأثر الصحيح، لم يقع في (ج).

(٣) من قوله: اختلفوا، سقط من (م).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٦).

قوْلُه: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عند الله﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: هم ذوو درجات[١].

وفي معنى الدرجات قولان:

أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن.

والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض، قاله الفراء، وابن قتيبة[٢].

وفيمن عنى بهذا الكلام قولان:

أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوان الله[٣] الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فإنهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل.

قوْلُه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أنعم عليهم. و﴿أَنفُسِهِمْ﴾: جماعتهم، وقيل: نسبَهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٦).

(٢) غريب القرآن (ص:١١٥).

(٣) في (م): رضوانه.

وقرأ الضحاك، وأبو الجوزاء وابن القاسم[١]: «من أنفَسهم»[٢] بفتح الفاء[٣].

وفي وجه الامتنان عليهم بكونه «من أنفسهم» أربعة أقوال:

أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، قاله الزجاج[٤].

والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والرابع: بأن شرفهم يتم[٥] بظهور نبي منهم، قاله الماوردي[٦].

---

(١) لم يذكر في غير الأصل.

(٢) من قوله: جماعتهم، سقط من (ط)، و(ر).

(٣) قراءة شاذة وتأويلها من أشرفهم، رويت عن فاطمة وعائشة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٢٩)، وإعراب الشواذ؛ للعكبري (١/ ٣٥٥)، وعن كرداب عن رويس في شواذ الكرماني (ص: ١٢٥)، وزاد في البحر (٣/ ٨٣) الضحاك وأبا الجوزاء، ورواها أنس عن النبي ﷺ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٧).

(٥) في (ف): به.

(٦) النكت والعيون (١/ ٤٣٤).

وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟

فيه قولان:

أحدهما: أنها خاصة للعرب. روي عن عائشة، والجمهور.

والثاني: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملك، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيار الزجاج[١].

وقد سبق في «البقرة» بيان[٢] باقي[٣] الآية.

قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾.

قال عمر بن الخطّاب عليه السلام: لما كان يوم أُحد، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر، من أخذهم الفداء، فقتل[٤] منهم سبعون، وفرّ أصحاب النبيّ ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه،[٥] فنزلت هذه الآية.[٦]

قوله: ﴿أَوَلَمَّآ﴾.

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٧).

(٢) ليست في (ط)، و(ر).

(٣) في (م): ما في.

(٤) في (م): فضل.

(٥) زاد في المطبوع: وسال الدم على وجهه.

(٦) زاد في المطبوع: إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ قال: بأخذكم الفداء.

قال الزجاج: هذه واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب: [أوهو][١] ممن يقول ذلك؟[٢].

فأمَّا «المصيبة»[٣] فما أصابهم يوم أُحد، وكانوا قد أصابوا [مثليها][٤] [١٢١/ب] من المشركين يوم بدر؛ لأنه قتل منهم يوم أحد سبعون، فقتلوا يوم[٥] بدر [سبعين][٦]، وأسروا [سبعين][٧]، وهذا قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والجماعة.

إلَّا أنَّ الزَّجَّاجَ قال[٨]: قد أصبتم يوم أُحد مثلها، ويوم بدر مثلها،[٩] فجعل المثلين في اليومين[١٠].

قوْلُه: ﴿قلتم أَنَّىٰ هَٰذَا﴾.

---

(١) في الأصل: أهو.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٧).

(٣) في (ط)، و(ر): البيضة.

(٤) في الأصل: مثلها.

(٥) سقطت من (ر).

(٦) في الأصل: سبعون.

(٧) في الأصل: سبعون.

(٨) قوله: إلا أن الزجاج قال، طمس في (م).

(٩) قوله: ويوم بدر مثلها، لم يقع في (ط)، و(ر).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٨).

قال ابن عباس: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون؟[١].

قوْلُه: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء[٢] يوم بدر، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيِّرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يُقتل منهم عدَّتهم، فذكر ذلك للناس، فقالوا: عشائرنا وإخواننا، بل نأخذ منهم الفداء، ويستشهد منا عدّتهم، فقتل منهم يوم أُحد[٣] سبعون رجلًا[٤]، عدد أسارى بدر، فعلى هذا يكون المعنى: قل هو بأخذكم الفداءَ، واختياركم القتل لأنفسكم[٥].

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٨٠) من طريق ابن جريج، به.

(٢) جاءت في (ر) في جميع المواضع: الفذاء.

(٣) قوله: يوم أحد، لم يقع في (ف)، وفي (ج): أحد وسبعون.

(٤) ليست في بقية النسخ.

(٥) رواه الترمذي (١٥٦٧)، والنسائي في الكبرى (٨٦٠٨)، وانظر: كلام الترمذي بعده، والعجاب (٢/ ٧٨٠).

والثاني: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أُحد، وتركهم أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس،ومقاتل في آخرين.

والثالث: أنَّه بمخالفتهم الرسول عليه السلام في الخروج من المدينة يوم أُحد، فإنه أمرهم بالتحصُّن فيها، فقالوا: بل نخرج، قاله قتادة، والربيع.

قال مقاتل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النّصر والهزيمة.

قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾.

﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾: النبي وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه، وذلك في يوم أحد، وقد سبق ذكر ما أصابهم.

قوله: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أمره.

والثاني: قضاؤه، رويا عن ابن عباس.

والثالث: [علمه][1]، قاله الزجاج[2].

---

(١) في الأصل: عمله.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٨٨).

قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم[١] وقلة صبرهم.

قال ابن قتيبة: والنفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو جحر[٢] من جحرته[٣]، يخرج[٤] منه إذا أخذ عليه الجحر[٥] الذي دخل فيه[٦].

قال ابن قتيبة[٧]: قال الزيادي عن الأصمعي: ولليربوع أربعة أجحرة[٨]:

النافقاء: وهو الذي يخرج منه كثيرًا، ويدخل منه كثيرًا.

---

(١) في (م): بقتلهم.

(٢) في (م): جحر.

(٣) في (م): حجرته.

(٤) قوله: من جحرته يخرج، ضرب عليها في (ط)، و بياض في (ر).

(٥) في (م): الحجر.

(٦) غريب القرآن (ص:٢٩).

(٧) لم يذكر في (ج).

(٨) في (م): حجر.

والقاصعاء: سمي بذلك لأنه يخرج منه تراب الجحر[(١)]، ثم يقصِّع ببعضه كأنه يسد[(٢)] به باب[(٣)] الجحر[(٤)]، ومنه يقال: جرح[(٥)] فلان قد قصع بالدم: إذا امتلأ ولم [يسل][(٦)].

والدّامياء[(٧)]: سمي بذلك؛ لأنه يخرج التراب من فم الجحر[(٨)]، ثم يدمُّ به فم الجحر[(٩)]، كأنه يطليه به، ومنه يقال: ادمم قدرك بشحم؛ أي: [إطلها][(١٠)] به.

والرّاهطاء[(١١)]: ولم يذكر اشتقاقه، وإنما يتخذ هذه الجحرة[(١٢)] عددًا له، فإذا أخذ عليه بعضها، خرج من بعض[(١٣)].

---

(١) في (م): لأنه يخرج منه كثيرًا ويدخل منه كثيرًا.

(٢) في (م): لشد.

(٣) في بقية النسخ: فم، وفي (ف): كأنه امتلأ به فم.

(٤) في (م): الحجر.

(٥) في (ج): خرج.

(٦) في الأصل: يسيل.

(٧) في بقية النسخ: الدماء.

(٨) في (م): الحجر.

(٩) في (م): الحجر.

(١٠) في الأصل: إطليها.

(١١) في (ف): الراهط.

(١٢) في (م): الحجرة.

(١٣) غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٥٠)، والزاهر (١/ ١٣٣).

قال أبو زيد: فشبه المنافق به؛ لأنه يدخل في الإسلام بلفظه، ويخرج منه بعقده، كما يدخل اليربوع من باب ويخرج من باب[١]. [١٢٢/أ]

قال ابن قتيبة: والنفاق: لفظ إسلامي ولم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام[٢].

قال ابن عباس: والمراد بالذين نافقوا عبد الله بن أُبي، وأصحابه[٣].

قال موسى بن عقبة: خرج النبيّ ﷺ يوم أُحد، ومعه المسلمون، وهم ألف رجل، والمشركون ثلاثة آلاف[٤]، فرجع عنه ابن أُبي في ثلاثمائة.

فأمّا «القتال» فمباشرة الحرب.

وفي المراد بـ «الدفع» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التكثير بالعدد. رواه مجاهد عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وابن جريج في آخرين.

والثاني: أن معناه: ادفعوا عن أنفسكم وحريمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل.

والثالث: أنه بمعنى القتال أيضًا. قاله ابن زيد.

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٥٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩).

(٣) انظر: التفسير البسيط (٦/ ١٥٧).

(٤) في (م): مائة ألف.

قوْلُه: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: لو نعلم أن اليوم يجري قتال ماأسلمناكم، ذكره ابن اسحاق.

والثاني: لو كنا نحسن القتال لاتّبعناكم.

والثالث: إن معناه: إنما هناك قتل وليس بقتال، ذكرهما الماوردي.

قوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ﴾؛ أي: إلى الكفر[١] ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾؛ أي: إلى الإيمان،[٢] وإنما قال:﴿يَوْمَئِذٍ ﴾؛ لأنهم فيما [قبل][٣] لم يظهروا مثل ما أظهروا، فكانوا بظاهر حالتهم فيما [قبل][٤] أقرب إلى الإيمان.

قوْلُه: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾.

فيه وجهان ذكرهما الماورديّ:

أحدهما: ينطقون بالإيمان، وليس في قلوبهم إلا الكفر.

والثاني: يقولون: نحن أنصار، وهم أعداء[٥].

---

(١) قوله: أي إلى الكفر، لم يقع في (ج)، و(ف).

(٢) قوله: أي إلى الإيمان لم يقع في (ر).

(٣) في الأصل: قيل.

(٤) في الأصل: قيل.

(٥) النكت والعيون (١/ ٤٣٥).

وذكر في الذي يكتمون وجهين:

أحدهما: أنه النّفاق.

والثاني: العداوة.

قوْلُه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أُبي.

وفي إخوانهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوانهم في النفاق، قاله ابن عباس.

والثاني: إخوانهم في النسب، قاله مقاتل.

فعلى الأول يكون المعنى: قالوا لإخوانهم المنافقين: لو أطاعونا الذين قتلوا مع محمد ﷺ ما قتلوا.

وعلى الثاني يكون المعنى: قالوا عن إخوانهم[١] الذين استشهدوا بأحد: لو أطاعونا ما قتلوا.

قوْلُه: ﴿وَقَعَدُواْ ﴾ يعني القائلين قعدوا[٢] عن الجهاد.

قوْلُه: ﴿فَادْرَءُواْ ﴾؛ أي: ادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ الحذر ينفع مع القدر.

قوْلُه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾.

---

(١) قوله: قالوا عن إخوانهم، طمس في (ط)، وبياض في (ر).

(٢) طمست في (ط).

قرأ ابن عامر[١]: بالتشديد[٢].

واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في شهداء أُحد.

روي عن[٣] ابن عباس عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ[٤] الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ، وَ[٥]مَقِيلِهِمْ، قَالُوا[٦]: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّنَا فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ،[٧] لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ[٨]، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ**» فأنزل الله تعالى هذه الآية[٩]. [١٢٢/ ب]

(١) زاد في بقية النسخ: قتلوا.

(٢) السبعة (ص: ٢١٩)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٠)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٩٨)، والمبسوط (ص: ١٧١).

(٣) في بقية النسخ: روى.

(٤) في (ج): أصل.

(٥) زاد في المطبوع: حسن.

(٦) سقطت من (ج).

(٧) من قوله: ومشربهم، سقط من (ط)، و(ر)؛ ومن قوله: من يبلغ إخواننا، جاء في المطبوع: ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا.

(٨) زاد في المطبوع: ولا ينكلوا عن الحرب.

(٩) رواه أبو داود (٢٥٢٠)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/ ٢٦٦) من طريق محمد بن إسحاق إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، بنحوه.=

وهذا قوْلُ سعِيدِ بْنِ جُبير، وأبي الضحى[١].

والثاني: أنَّها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلى كرامة الله تعالى فأصابوا[٢]، قالوا: ربّنا أعلم إخواننا،فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مقاتل[٣].

والثالث: أنها نزلت في شهداء بئر[٤] معونة. روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أنّ النبيّ ﷺ بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلًا من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرج[٥] [حرام][٦] بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنب [حرام][٧] بن ملحان حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة،

=قال المزي في تحفة الأشراف (٤/ ٤٤٢) : وقع في بعض النسخ - يعني نسخ سنن أبي داود - عن أبي الزبير، عن جابر، وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. أهـ
ورواه أحمد(١/ ٢٦٥)، وعبد بن حميد(٦٧٩)من طريق محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن ابن عباس، بنحوه.

(١) في (ج): أبو الضحاك.

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٣١٤).

(٤) في (ج): بدر.

(٥) ليست في (ر).

(٦) في الأصل، و(ج): حزام.

(٧) في الأصل، و(ج): حزام.

وقتل[١] سائر أصحابه إلا واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه» ثم رفعت، ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾[٢].

فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت.

واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله عزَّ وجلَّ أن يخبر إخوانهم بما صاروا إليه[٣]، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

والثاني: أنَّ رجلًا قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا، وقالوا: نحن في النعمة والسرور، وآباؤنا، وأبناؤنا[٤]، وإخواننا، في القبور[٥]، فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري[٦].

---

(١) في (م): قيل.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٣٤)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٨٧) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس، وانظر: أسباب النزول (ص:١٣٠)، والعجاب (٢/ ٧٨٩).

(٣) في بقية النسخ: بمصيرهم.

(٤) ليست في (ط)، و(ر).

(٥) في (ر): القبول، وفي (ف): الثبور.

(٦) انظر: أسباب النزول (ص:١٣٠).

وأمَّا التفسير:

فمعنى الآية: لا تحسبنهم أمواتًا كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنى في «البقرة»وذكرنا أن معنى حياتهم: أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها.

قال مجاهد: ﴿يُرْزَقُونَ﴾[١] من ثمر الجنة[٢].

قوْلُه: ﴿ فَرِحِينَ﴾.

قال ابن قتيبة: الفرح: المسرور[٣].

فأما الذي ﴿ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ فما نالوا من كرامته[٤] ورزقه.

و«الاستبشار»: السرور[٥] بالبشارة ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾إخوانهم من المسلمين.

---

(١) في (ف): مرزوقون.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٢/ ٦٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره(٤٤٩٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) في بقية النسخ: المسرة؛ غريب القرآن (ص:٣١٩).

(٤) في (ج): كرامة الله.

(٥) ليست في (ر).

وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ الله تعالى لّما أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء[١] أني قد أنزلت على نبيكم، وأخبرته بأمركم فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة، قاله سعيد بن جبير[٢].

والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون[٣] لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل، قاله قتادة.

والثالث: أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه تقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدومه، كما [١٢٣/أ] يستبشر أهل الغائب به، هذا قول السدي.

و«الهاء» و«الميم» في قوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ تعود إلى الذين لم يلحقوا بهم. قال الفراء: معناه: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم، ولا حزن[٤].

(١) قوله: أخبر الشهداء، لم يقع في (ط)، و(ر).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٤٩٨- ٤٥٠٠) من طريق عطاء، به.

(٣) من قوله: على الشهادة، سقط من (ر).

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٤٧).

وفي ماذا يرفع «الخوف» و«الحزن» عنهم؟

فيه قولان:

أحدهما: لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم.

والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على مفارقة الدنيا فرحًا بالآخرة.

قوْلُه: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾. قال مقاتل: برحمة ورزق[1].

قوْلُه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾.

قرأ الجمهور بالفتح على معنى: ويستبشرون بأن الله.

وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف[2].

قوْلُه: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد، ندب النبيّ ﷺ أصحابه لاتباعهم، ثم خرج بمن انتدب معه، فلقي أبو سفيان قومًا، فقال: إن لقيتم محمدًا، فأخبروه أني في جمع كثير، فلقيهم النبيّ ﷺ لأوائل القوم[3]

---

(١) تفسير مقاتل(١/ ٣١٤).

(٢) السبعة (ص: ٢١٩)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٠-٢٨١)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٩٨)، والمبسوط (ص:١٧١).

(٣) قوله: لأوائل القوم، لم يقع في باقي النسخ.

فسألهم عن أبي سفيان[١]؟ فقالوا: لقيناه في جمع كثير[٢]، ونراك في قلة، فأبى النبي[٣] صلى الله عليه وسلم إلا أن يطلبه، فسبقه أبو سفيان، فدخل مكة هو وأصحابه[٤]، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس[٥]، والجمهور.

والثاني: [أن][٦] أبا سفيان[٧] لما أراد الانصراف عن أُحد، قال: يا محمد، موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، خرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقي[٨] نُعيم بن مسعود، فقال: إني قد واعدت محمدًا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وهذا عام جدب، لا يصلح لنا، فثبطهم[٩] عنا، وأعلمهم أني في جمع كثير، فلقيهم نعيم[١٠] فخوفهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل،

(١) في بقية النسخ: عنه.

(٢) في (م): كبير.

(٣) لم يرد في باقي النسخ.

(٤) قوله: هو وأصحابه، لم يقع في باقي النسخ.

(٥) رواه النسائي في الكبرى(١١٠١٧) من طريق عكرِمة، وابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ٢٤٢) من طريق العوفي، كلاهما عن ابن عباس، بنحوه، وانظر العجاب (٢/ ٧٩١).

(٦) سقطت من الأصل، و(م).

(٧) من قوله: فدخل مكة، سقط من (ج).

(٨) سقطت من (ط)، و(ر).

(٩) زاد في (م): وخوفهم.

(١٠) لم يذكر في باقي النسخ.

وخرج النبيّ ﷺ بأصحابه، حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان[١]، فنزلت هذه الآية: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآيات. وهذا المعنى مروي عن مجاهد[٢]، وعكرمة[٣].

و«الاستجابة»: الإجابة[٤]. وأنشدوا[٥] [من الطويل]:

.... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

أي: فلم يجبه.

وفي مراد النبيّ ﷺ بخروجه وندب الناس إلى الخروج ثلاثة أقوال:

أحدها: ليرهب العدو باتباعهم.

والثاني: لموعد أبي سفيان.

---

(١) أوردها مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ٢٠٥ـ ٢٠٧).

(٢) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٠٢) من طريق ابْنِ جُرَيْجٍ ،وابن جرير الطبري في تفسيره(٦/ ٢٥٠) من طريق ابنِ أبِي نجيحٍ، كلاهما عن مجاهد، بنحوه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٤٥١٠-٤٥١١)من طريق عمرو بن دينار، والحكم بن أبان، به، بنحوه.

(٤) ليست في (ر).

(٥) عجز بيت لكعب بن سعد الغنوي كما في تفسير الطبري (٣/ ٤٨٣)، مجاز القرآن (١/ ٦٧) ، نوادر أبي زيد (ص: ٣٧)، الأصمعيات (ص: ٩٦) من قصيدة يرثي بها أخاه أبا المغوار وصدره: وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النِّدَا، وبعد البيت: فَقُلْتُ: ادْعُ أخرى وارْفع الصَّوتَ جهرَةً لَعَلَّ أبَا المِغْوار مِنْكَ قَرِيبُ، وهو لابنه محمد في جمهرة أشعار العرب (ص: ٥٥٥).

والثالث: لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا: أصبتم شوكتهم، ثم تركتموهم.

وقد سبق الكلام في «القرح»(١).

قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾؛ أي: أحسنوا بطاعة الرسول، واتقوا مخالفته.

قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾.

في المراد بالناس ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم ركب لقيهم أبو سفيان، وضمن لهم ضمانًا لتخويف النبيِّ ﷺ وأصحابه، قاله ابن عباس، وابن إسحاق. [١٢٣/ ب]

والثاني: أنه نعيم بن مسعود الأشجعي، قاله مجاهد، وعكرمة، ومقاتل في آخرين.

والثالث: أنهمُ المنافقون، لمّا رأوا النبيّ ﷺ يتجهز، نهوا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أتيتموهم في ديارهم، لم يرجع منكم أحد، هذا قول السدي(٢).

قوْلُه: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه.

قوْلُه: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾.

---

(١) في (ف): الفرح.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٤٨) من طريق أسباط، به.

قال الزَّجَّاجُ: زادهم ذلك التخويف ثبوتًا في دينهم، وإِقامة على نصرة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: هو الذي يكفينا أمرهم(١).

فأمَّا «الوكيل».

فقال الفراء: «الوكيل»(٢): الكافي(٣). واخْتارَهُ ابْنُ القاسم(٤).

وقال ابْنُ قُتيبةَ: هو الكفيل، قال: ووكيل الرجل(٥) في ماله: هو الذي كفله له، وقام به(٦).

وقال الخطَّابي: «الوكيل»: الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وحقيقته: أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه(٧).

وحكى ابن الأنباري أن قومًا قالوا: «الوكيل»: الرّبّ(٨).

قوْلُه: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الانقلاب: الرجوع

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠).

(٢) في (ط)، و(ر): الكفيل.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

(٤) الزاهر (١/ ٧).

(٥) في (م): ودخل وكل .

(٦) غريب القرآن (ص: ٢١٩).

(٧) شأن الدعاء (١/ ٧٧).

(٨) الزاهر (١/ ٧).

وفي النعمة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الأجر، قاله مجاهد.

والثاني: العافية، قاله السُّدِّي.

والثالث: الإيمان والنصر، قاله الزَّجَّاجُ[١].

وفي «الفضل» ثلاثة أقوال:

أحدها: ربح التجارة، قاله مجاهد، والسدي.

وهذا قول من يرى أنهم خرجوا[٢] لموعد أبي سفيان.

قال الزهري: لما استنفر النبيّ ﷺ المسلمين لموعد أبي سفيان ببدر، خرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إنْ لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا له، وإن لم نلقه ابتغينا[٣] ببضائعنا[٤]، وكانت بدر متجرًا يوافى كل عام[٥]، [فانطلقوا][٦] فقضوا حوائجهم، وأخلف[٧] أبو سفيان الموعد[٨].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠).

(٢) في (ف): فرحوا.

(٣) في باقي النسخ: ابتعنا.

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في الأصل: فان طلقوا.

(٧) في (ج): اختلف.

(٨) دلائل النبوة (٣/ ٤٦٦).

والثاني: أنهم أصابوا سرية الصفراء، فرزقوا منها، قاله[١] مقاتل.

والثالث: أنه الثواب، ذكره الماوردي.

قوله: ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.

قال ابن عباس: لم يؤذهم أحد. ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طلب القوم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عظيم﴾؛ أي: ذو منّ يدفع المشركين عن المؤمنين[٢].

قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾.

قال الزجاج: معناه: ذلك التخويف كان فعل الشيطان، سوّله للمخوِّفين[٣].

وفي قوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: أن معناه: يخوّفكم بأوليائه، قاله الفراء، واستدلّ بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]؛ أي: ببأس، وبقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ﴾ [غافر: ١٥]؛ أي: بيوم التلاق[٤].

---

(١) زاد في (م): السدي.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٥٢٩) من طريق العوفي، به.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠).

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٤٨).

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: معنـاه: يخوفكـم مـن أوليائـه، بدليـل قولـه تعـالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾. وهـذا قـول ابـن عبـاس، وسـعيد بـن جبـير، وعكرمـة، وإبراهيـم، وابـن قتيبـة[١].

وأنشد ابْنُ الأَنْبارِيِّ[٢] في ذلك[٣][من الوافر]:

وَأَيْقَنْـتُ التَّفَـرُّقَ يَـوْمَ قَالُـوا تُقُسِّـمَ مَـالُ [أَرْبَـدَ][٤] بِالسِّـهَامِ[٥]

أرادوا: أيقنـت بالتفـرق، فلـما أسـقط البـاء أعمـل الفعـل فيـها بعدهـا ونصبـه. قـال: والـذي نختـاره في الآيـة: أن المعنـى: يخوفكـم أولياءه. تقـول العـرب: قـد أعطيـت الأمـوال، يريـدون: قـد أعطيـت القـوم الأمـوال، [١٢٤/أ] فيحذفـون القـوم، ويقتـصرون عـلى ذكـر المفعـول الثـاني. فهـذا أشـبه مـن ادعـاء «بـاء» مـا عليهـا دليـل، ولا تدعـو إليهـا ضرورة.

والثـاني: أنَّ معنـاه: يخـوف أوليـاءه المنافقـين، ليقعـدوا عـن قتـال المشركـين، قالـه الحسـن والسـدي، وذكـره الزجـاج[٦].

---

(١) غريب القرآن (ص: ١١٦).

(٢) في (ف): ابن الأعرابي.

(٣) انظر: إيضاح الوقف والابتداء (١/ ١٩٠).

(٤) في المطبوع: أريد.

(٥) البيت للبيد في ديوانه (ص: ٢٠١)، والمعاني الكبير (ص: ١٢٠٢)، والأغاني (١٧/ ٤٤)، وسمط اللآلي (١/ ٢٩٧)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ١٣١٩).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٠).

قولـه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ يعني: أولياء الشيطان ﴿وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري.

وفي «إنْ» قولان:

أحدهما: أنَّها بمعنى: «إذ»، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنَّها للشرط، وهو قول الزجاج في آخرين(١).

قوْلُه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

قرأ نافع: «يحزنك»(٢)، و«ليحزنني»، و«ليحزن»، بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن، إلا في «الأنبياء»: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الآية: ١٠٣]، فإنَّه فتح الياء، وضم الزاي(٣).

وقرأ الباقون كل ما في القرآن بفتح الياء وضم الزاي(٤).

قال أبو علي: يشبه أن يكون نافع تبع في سورة «الأنبياء» أثرًا، أو أحب(٥) أن يأخذ بالوجهين(٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) في (ج): بتحريك.

(٣) من قوله: في جميع القرآن، سقط من (ف).

(٤) العبارة لم تقع في(ط)، و(ر)، و(ج). وانظر: السبعة (ص: ٢١٩)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨١)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ٩٩)، المبسوط (ص: ١٧١).

(٥) في (م): أوجب.

(٦) الحجة؛ للفارسي (٣/ ١٠٠).

وفي الذين ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ **أربعةُ أقْوالٍ:**

أحدها: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: المنافقون، قاله مجاهد.

والثالث: كفار قريش، قاله الضحاك.

والرابع: قوم[١] ارتدُّوا عن الإسلام، ذكره الماورديُّ.

وقيل: معنى مسارعتهم في الكفر: مظاهرتهم الكفار، ونصرهم إياهم.

فإنْ قِيلَ: كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر؟

فالجوابُ: لا يحزنك فعلهم، فإنك منصور عليهم.

قوْلُه: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لن ينقصوا الله شيئًا بكفرهم، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثَّاني: لن يضروا أولياء الله شيئًا، قاله عطاء.

قال ابن عباس:[٢] و«الحظ»: النصيب، و«الآخرة»[٣]: الجنة.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

---

(١) ليست في (م).

(٢) من قوله: وقاتل، سقط من (ف)، وقوله: قال ابن عباس، سقط من (م).

(٣) في (ج): الأجر.

قوْلُه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾.

قال مجاهد: هم المنافقون آمنوا ثم كفروا[١]. وقد سبق في «البقرة» معنى الاشتراء.

قوْلُه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: في اليهود والنصارى والمنافقين، قاله ابن عباس.

والثاني: في قريظة والنضير[٢]، قاله عطاء[٣].

والثالث: في مشركي مكة، قاله مقاتل[٤].

والرابع: في كل كافر، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع[٥]: «ولا يحسبن الذين كفروا»، «ولا يحسبن الذين يبخلون»، «ولا يحسبنّ الذين يفرحون»، بالياء وكسر السين، ووافقهم ابن عامر غير أنّه[٦] فتح السين.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٥٤٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) في (ف): قريضة والنظير.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي(٣/ ٢١٦).

(٤) تفسير مقاتل(١/ ٣١٧).

(٥) لم يذكر في (م).

(٦) قوله: غير أن، سقط من (ط)؛ وجاء في (ج): على.

وقرأهن حمزة بالتاء[١].

وقرأ عاصم والكسائي كل ما في هذه السورة بالتاء غير حرفين ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] فإنهما بالياء، إلا أن عاصمًا فتح السين، وكسرها الكسائي[٢].

ولم يختلفوا في ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٩] أنها بالتاء.

﴿نُمْلِى لَهُمْ﴾؛ أي: نطيل لهم في العمر. ومثله: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]. [١٢٤/ب]

قال ابن الأنباري: واشتقاق «نملي لهم» من الملوة، وهي المدة من الزمان، يقال: مِلوة من الدهر، ومَلوة، ومُلوة[٣]، ومَلاوة[٤]، ومِلاوة[٥]، ومُلاوة[٦]، بمعنى[٧]، ومنه قولهم: [٨] وتملّ حبيبًا؛ أي: لتطل أيامك [معه][٩].

---

(١) من قوله: وكسر السين، يقط من (ر) السبعة (ص: ٢١٩)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٢)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ١٠١)، والمبسوط (ص: ١٧٢).

(٢) السبعة (ص: ٢٢٠)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٢)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ١٠١)، والمبسوط (ص: ١٧٢).

(٣) في (م): مملوة.

(٤) في (ج): ملاة.

(٥) ليست في (م).

(٦) ليست في (ج)، و(م).

(٧) زاد في (ج): واحد.

(٨) زاد في المطبوع: البس جديدًا.

(٩) ليست في الأصل.

قالَ مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ الْيَرْبُوعِيُّ[١] [من الطويل]:

بِــودِّيَ لَــوْ أَنِّي تَمَلَّيْــتُ[٢] عُمْــرَهُ   بِـمَالِيَ مِــنْ مَــالٍ طَرِيــفٍ وَتَالِــدِ[٣]

قوْلُه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أن قريشا قالت: تزعم يا محمد أن من اتبعك فهو في الجنة، ومن خالفك فهو في النار؟! فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس[٤].

والثاني: أنَّ المؤمنين سألوا أن يعطوا علامة يفرقون[٥] بها بين المؤمن والمنافق، فنزلت هذه الآية، هذا قول أبي العالية[٦].

---

(١) متمم بن نويرة اليربوعي، ويكنى بأبي نهشل، شاعر فحل اشتهر في الجاهلية والإسلام، وأكثر شعره في الإسلام في رثاء أخيه مالك بن نويرة الذي قتل في حروب الردة، توفي سنة (٣٠هـ). انظر: الإصابة، ترجمة: (٧٧٢٣).

(٢) في (م): تمليت.

(٣) البيت لمتمم بن نويرة في الزاهر (١/ ١٥٧)، وهو بلا نسبة في لسان العرب (١٥/ ٢٩١) (ملا)، التالد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك. وهو نقيض الطارف والطريف: ما استحدثت من المال واستطرفته.

(٤) انظر: العجاب (٢/ ٧٩٩) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به.

(٥) في (ر)، و(ف): يعرفون.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٢١٨)، وانظر: أسباب النزول (ص: ١٣٢).

والثالث: أنَّ النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي، وَأُعْلِمْتُ مَنْ يُؤْمِنُ بِي وَمَنْ يَكْفُرُ**» فبلَغَ ذلك المنافقين فاستهزءوا وقالوا: فنحن معه ولا يعرفنا، فنزلت هذه الآية، قاله[١] السُّدِّيُّ[٢].

والرابع: أنَّ اليهود، قالت: يا محمد قد كنتم راضين بديننا، فكيف بكم لو مات بعضكم قبل نزول كتابكم؟! فنزلت هذه الآية. هذا قول عمر[٣] مولى غفرة[٤].

والخامس: أنَّ قومًا من المنافقين ادَّعوْا أنهم في إيمانهم مثل المؤمنين، فأظهر الله نفاقهم يوم أُحد، وأنزل هذه الآية، هذا قول أبي سليمان الدمشقي.

وفي المخاطب بهذه الآية قولان:

أحدهما: أنهم الكفار والمنافقون، وهو[٥] قول ابن عباس، والضَّحَّاكُ.

والثاني: أنَّهم المؤمنون، فيكون المعنى: ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق. قال الثعلبي: وهذا قول أكثر أهل المعاني.

---

(١) في بقية النسخ: هذا قول السدي.

(٢) انظر: أسباب النزول (ص: ١٣٢)، والعجاب (٢/ ٧٩٨).

(٣) في (ف): عمرو.

(٤) في (ج): عفوة، وفي (م): عفر.

(٥) في بقية النسخ: هذا.

قَوْلُه تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ و﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ [الأنفال: ٣٧] بفتح الياء والتخفيف.

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: «يميز» بالتشديد، وكذلك في الأنفال: «ليميّز الله الخبيث»(١).

قال أبو عليٍّ: مزت وميَّزت لغتان(٢).

قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى يميز: يخلص(٣).

فأمّا ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾: فهو المؤمن.

وفي ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه المنافق، قاله مجاهدٌ، وابن جريج.

والثاني: الكافر، قاله قتادة، والسدي.

وفي الذي وقع به التمييز بينهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الهجرة والقتال، قاله قتادة، وهو قول من قال: الخبيث: الكافر.

---

(١) السبعة (ص: ٢٢٠)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٤)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ١١٠)، المبسوط (ص: ١٧٢).

(٢) الحجة للقراء السبعة؛ للفارسي (٣/ ١١١).

(٣) غريب القرآن (ص: ١١٦).

والثاني: أنه الجهاد، وهو قول من قال: هو المنافق. قال مجاهد: فميّز الله يوم أُحد بين المؤمنين والمنافقين، حيث أظهروا النفاق وتخلّفوا[١].

والثالث: أنه سائر[٢] الفرائض والتكاليف. فإن المؤمن مستور الحال بالإقرار، فإذا جاءت[٣] التكاليف بانَ أمرُه[٤]، هذا قول[٥] ابن كيسان.

وفي المخاطب بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنهم كفار قريش، فالمعنى: ما كان الله ليبين لكم المؤمن من [١٢٥/أ] الكافر؛ لأنهم طلبوا ذلك، فقالوا: أخبرنا بمن يؤمن ومن[٦] لا يؤمن، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أنه النبيّ ﷺ، فمعناه: وما كان الله ليطلع محمدًا على الغيب، قاله السدي.

---

(١) رواه وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٥٦٤) من طريق ابن أبي نجيح، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥١٠) من طريق ابن جريج، كلاهما، عن مجاهد، بنحوه.

(٢) في بقية النسخ: جميع.

(٣) في (ف): خاف.

(٤) قوله: بان أمره، طمس في (م).

(٥) زاد في (ف): مثل.

(٦) من قوله: طلبوا ذلك، سقط من (ط)، و(ر).

و﴿يَجۡتَبِي﴾ بمعنى يختار، قاله الزجاج وغيره[١].

فمعنى الكلام على القول الأول: أن الله لا يطلع على الغيب أحدًا[٢] إلَّا الأنبياء الذين اجتباهم[٣].

وعلى الثاني: أن الله لا يطلع على الغيب أحدًا إلا أنه يجتبي من يشاء فيطلعه على ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

واخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ على قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية أبي صالح، والشعبي، ومجاهد في رواية، والسدي في آخرين[٤].

والثاني: أنها في الأحبار الذين كتموا صفة النبيِّ ﷺ، ونبوته، رواه عطية عن ابن عباس[٥]، وابن جريج عن مجاهد[٦]، واختاره الزجاج[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٩٢).

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) في (ط)، و(ر): احتاجهم.

(٤) جمع هذه الأقوال الحافظ في العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٧٩٩) انظرها هناك.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(٤٥٧٥) بنحوه.

(٦) رواه ابن جرير الطبري (٦/ ٢٧٠).

(٧) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٩٢).

قال الفراء: ومعنى الكلام: لا يحسبن الباخلون البخل هو خيرًا لهم، فاكتفى بذكر «يبخلون» من البخل، كما تقول: قدم فلان، فسررت به؛ أي: سررت بقدومه[١].

قال الشَّاعر[٢] [من الوافر]:

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ [جَرَى][٣] إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ

يريد [جرى][٤] إلى السفه[٥].

والذي ﴿ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ على[٦] قول من قال: البخل بالزكاة: هو المال، وعلى قول من قال: البخل بذكر صفة النَّبيِّ ﷺ قال[٧] العلم.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٤٨).

(٢) معاني القرآن (١/ ٢٤٨)، والبيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في إعراب القرآن؛ للباقولي (٣/ ٩٠٢)، والأشباه والنظائر (٥/ ١٧٩)، وأمالي المرتضى (١/ ٢٠٣)، والإنصاف (١/ ١٤٠)، وخزانة الأدب (٣/ ٣٦٤)، بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٠٤).

(٣) في الأصل: جدي، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في الأصل: جدي، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ط)، و(ر)، و(م): السفيه.

(٦) سقط من (ف).

(٧) في (ط)، و(ر): هو.

قوْلُـه: ﴿هُوَ﴾ إشـارة إلى البخـل وليـس مذكـورًا، ولكنـه مدلـول عليـه بــ «يبخلون».

وفي معنى «تطويقهم به» أربعةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّه يجعل كالحيَّة يطوق بها الإنسان.

رَوى ابْـنُ مسْـعُودٍ عـنِ النَّبـيِّ ﷺ أنَّـه قـالَ: «مَـا مِـنْ رَجُـلٍ لَا يُـؤَدِّي زَكَاةَ مَالِـهِ إلَّا مُثِّـلَ لَـهُ يَـوْمَ الْقِيامَـةِ شُـجَاعٌ أَقْـرَعُ يَفِـرُّ مِنْـهُ، وَهُـوَ يَتْبَعُـهُ حَتَّـى يُطَوِّقُـهُ فِي عُنُقِـهِ» ثُـمَّ قـرَأَ رسُـولُ اللهِ ﷺ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1]. وهـذا مذهـبُ ابْـنِ مسْـعود، ومُقاتـلٍ.

والثَّاني: أنَّه يجعل طوقًا من نار، رواه منصور عن مجاهد، وإبراهيم.

والثالـث: أنَّ معنـى تطويقهـم بـه: تكليفهـم أن يأتـوا بـه، رواه ابـن أبي نجيـح عـن مجاهـد.

والرابع: أنَّ معناه: يلزم أعناقهم إثمه[2]، قاله[3] ابن قتيبة[4].

قوْلُه: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) رواه الحميـدي في مسـنده (٩٣)، وأحمـد في مسـنده (١/ ٣٧٧)، والترمـذي (٣٠١٢)، والنسـائي (١/ ٥)، وفي الكـبرى (٢٢٣٣)، وابـن خزيمـة في صحيحـه (٢٢٥٦) مـن طريـق شـقيق بـن سـلمة الأسـدي، أبـو وائـل الكـوفي، بـه، بنحـوه.

(٢) في (م): به.

(٣) زاد في (ج): السدي.

(٤) غريب القرآن (ص: ١١٦).

قال ابن عباس: يموت أهل السّماوات وأهل الأرض، ويبقى رب العالمين.

قال الزَّجَّاجُ: خوطب القوم بما يعقلون؛ لأنهم يجعلون ما يرجع إلى الإنسان ميراثًا إذا كان ملكًا له(١).

وقال ابن الأنباري: معنى الميراث: انفراد الرجل بما كان لا ينفرد به، فلما مات الخلق، وانفرد ﷻ صار ذلك له ميراثًا(٢).

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يعملون» بالياء؛ كقوله(٣): ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾. [١٢٥/ ب]

وقرأ الباقون بالتاء؛ لأن قبله ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾(٤).

قوله: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ أبا بكر الصَّدِّيقَ -رضي الله عنه- دخَلَ بيْتَ مِدْرَاسِ اليهُودِ، فوجَدَهُم قدِ اجْتمعُوا علَى رجُلٍ منهم، اسْمُه فِنْحَاصُ، فقَالَ له أبو بكر: اتَّقِ اللهَ وأَسْلِمْ، فوَاللهِ إنَّك لَتَعْلَمُ أنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ الله.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٩٣).

(٢) في بقية النسخ: وراثة.

(٣) في بقية النسخ: تبعًا لقوله.

(٤) السبعة (ص: ٢٢٠)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٥)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ١١٣)، والمبسوط (ص:١٧١).

فقـالَ: واللهِ يـا أبـا بكـر مَـا بِنَـا إلَى الله مِنْ فَقْـرٍ. وإنَّـه إِلَيْنَـا لَفَقِـيرٌ، ولو كان غَنِيًّـا عَنَّـا مَـا اسْـتَقْرَضَنَا. فغَضِبَ[١] أبـو بكـر ﷺ وضَرَب وجْـهَ فِنْحَـاصَ ضَرْبَـةً شَـدِيدَةً، وقـالَ[٢]: واللهِ لـوْلَا العَهْـدُ الَّـذِي بيْنَنَـا لَضَرَبْـتُ عُنُقَـكَ. فذَهَـب فِنْحَـاصُ يشْـكُو إلى النَّبِـيِّ ﷺ، فأَخْـبَرَهُ أبـو بكـر بـمَا قَـالَ، فجَحَـدَ فِنْحَـاصُ، فنزَلَـتْ هـذه الآيـة، ونـزَلَ فيـما بلـغ مِـن أبي بكـر مِـنَ الغَضَـبِ ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٣]، وإلى نحـوه ذهـب مجاهـد، وعكرمـة، والسـدي، ومقاتـل.

والثـاني: أنَّـه لمـا نـزل قولـه تعـالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالـت اليهـود: إنَّـما يسـتقرض الفقـير مـن الغنـي، فنزلـت هـذه الآيـة، هـذا قـول الحسـن[٤]، وقتـادة[٥].

---

(١) سقطت من (ط)، و(ر).

(٢) سقطت من (ر).

(٣) رواه وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦/ ٢٧٨)، وابـن أبي حاتـم (٤٥٨٩) مـن طريـق عكرمـة، و ابـن المنـذر في تفسـيره (٢/ ٥١٤) مـن طريـق ابـن جريـج، كلاهمـا عـن ابـن عبـاس، بنحـوه.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٨٠) من طريق عطاء، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٨٠) من طريق معمر، به.

وفي الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ **أربعة أقوال:**

أحدها: أنه فِنْحَاصُ بن عَازُورَاءَ اليَهُودِيُّ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومقاتل.

والثاني: أنَّه حيي بن أخطب، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: أنَّ جماعة من اليهود قالوه. قال مجاهد: صكَّ أبو بكر رجلًا مِنَ الَّذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾[(١)].

والرابع: أنَّه النَّباش بن عمرو اليهودي، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوْلُه: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾.

قرأ حمزة وحده[(٢)]: «سيُكتب» بياء مضمومة و«قتلُهم» بالرفع و«يقول» بالياء.

وقرأ الباقون: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ بالنّون، و﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ بالنصب ﴿وَنَقُولُ﴾ بالنون[(٣)].

وقرأ ابن مسعود: «ويقال»[(٤)].

---

(١) من قوله: صك أبو بكر، سقط من (م)، وزاد في المطبوع: لم يستقرضنا وهو غني؛ رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٧٩) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) ليست في (ج).

(٣) السبعة (ص: ٢٢٠-٢٢١)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٥-٢٨٦)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ١١٥)، المبسوط (ص: ١٧٢).

(٤) قراءة شاذة في شواذ الكرماني (ص: ١٢٥)، ونقل عن أبي معاذ النحوي أن في حرف ابن مسعود ﴿سنكتب ما يقولون ونقول﴾. انظر: البحر (٣/ ١٣٦)، والقرطبي (٤/ ٢٨٦)، المصاحف؛ لابن أبي داود (ص: ١٨٦) مصحف ابن مسعود.

وقرأ الأعمش وطلحة:[١] «ويقول» بياء مفتوحة[٢].

وفي معنى ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ قولان:

أحدهما: سنحفظ[٣] ما قالوا، قاله ابن عباس.

والثاني: سنأمر الحفظة بكتابته، قاله مقاتل.

قوله: ﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ﴾؛ أي: ونكتب ذلك.

فإن قيل: هذا القائل لم يقتل نبيًا قط؟!

فالجواب: أنَّه رضي بفعل متقدميه لذلك، كما بينا في قوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[البقرة: ٦١].

قال الزَّجَّاجُ: ومعنى ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾: عذاب محرق؛ أي: عذاب النار؛ لأنَّ العذاب قد يكون بغير نار[٤].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب، والذي «قدّمت أيديهم»: الكفر والخطايا.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾.

---

(١) من قوله: ونقول بالنون، سقط من (ف).

(٢) قراءة متواترة قرأ بها حمزة والأعمش والفياض عن طلحة والهمذاني وابن مقسم انظر: الكامل؛ للهذلي(١/ ٥٢٢)، والسبعة (٢٢١)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٥)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ١١٥)، والمبسوط (١٧٢).

(٣) زاد في بقية النسخ: عليهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٩٤).

قال ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن [الصيف] [١]، وحيي بن أخطب، وجماعة من اليهود، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: [٢] إن الله عهد إلينا، أي: أمرنا في التوراة: أن لا نؤمن لرسول، أي: لا نصدق رسولًا يزعم أنه رسول الله، حتى يأتينا بقربان تأكله النار[٣]. [١٢٦/أ]

قال ابن قتيبة: «القربان»: ما يتقرب به إلى الله عز وجل من ذبح وغيره. وإنما طلبوا القربان؛ لأنه كان من سنن المرسلين[٤] المتقدمين، وكان نزول النار علامة القبول[٥].

قال ابن عباس: كان الرجل يتصدق، فإذا[٦] تقبل منه، نزلت نار من السماء فأكلته، وكانت نارًا لها دويٌّ، وحفيف[٧].

---

(١) في الأصل، و(ط)، و(ر)، و(ف)، و(م): الضيف.

(٢) زاد في (م): يا محمد.

(٣) أورده الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٢٣) ولكن منسوباً إلى الكلبي من قوله، وانظر: أسباب النزول (ص:١٣٤).

(٤) في بقية النسخ: الأنبياء.

(٥) غريب القرآن (ص: ١٤٢).

(٦) ليست في (ر).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٥٩٨) من طريق العوفي، به.

وقال عطاء: كان بنو إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون أطايب اللحم، فيضعونها في وسط البيت تحت السماء، فيقوم النبي في البيت، ويناجي ربه، فتنزل نار، تأخذ ذلك القربان، فيخر النبي ﷺ ساجدًا، فيوحي إليه الله عز وجل ما يشاء[١].

قال ابن عباس: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالآيات، وَبِالَّذِي سألتم من القربان.

قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

معناه: لست بأول رسول كذب.

قال الزَّجَّاجُ: والزبر جمع زبور، والزبور: كل كتاب ذي حكمة.

قال أبو علي: قرأ ابن عامر وحده: «بالبينات وبالزبر» بزيادة باء، وكذلك في مصاحف أهل الشام، ووجهه أن إعادة الباء ضرب من التأكيد، ووجه قراءة الجمهور أن الواو قد أغنت عن تكرير العامل، تقول: مررت بزيد وعمرو، فتستغني عن تكرير الباء[٢].

قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ[٣]﴾.

قال أبو سليمان: يعني به الكتب النّيّرة بالبراهين والحجج.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٢٢٣).

(٢) الحجة؛ للفارسي (٣/ ١١٣-١١٤).

(٣) في الأصل، و(ج): المبين.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] قالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّما نزل في بني آدم، فأين ذكر الموت في الجِنِّ، والطير، والأنعام، فنزلت هذه الآية[١].

وفي ذكر الموت:

تهديد للمكذبين بالمصير، وتزهيد في الدنيا وتنبيه على اغتنام الأجل.

وفي قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بشارة للمحسنين، وتهديد للمسيئين[٢].

قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ قال ابن قتيبة: نُجِّي وأُبعد[٣].

﴿فَقَدْ فَازَ[٤]﴾ قالَ الزَّجاج: تأويل ﴿فَازَ﴾[٥] تباعد من المكروه ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة ولمن لقي ما يغتبط به: فقد فاز[٦].

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور(٦/ ٤٤٧).

(٢) في (ط)، و(ر): للمسلمين.

(٣) غريب القرآن (ص:١١٦).

(٤) في الأصل، و(ر): فان.

(٥) في الأصل، و(ر): فان.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٥).

قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

يريد أنَّ العيش فيها يغر الإنسان بما يمنِّيه من طول البقاء، وسينقطع عن قريب.

قال سعيد بن جبير: هي متاع الغرور لمن لم[١] يشتغل بطلب الآخرة[٢]، [فأما من اشتغل بطلب الآخرة][٣]، فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها[٤].

قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بمَجلسٍ فِيه عبدُ الله بْنُ أُبيٍّ، وعبْدُ اللهِ ابْنُ رَواحةَ، فغَشِيَ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ[٥] الدَّابَّةِ، فخَمَّرَ ابْنُ أُبيٍّ أنْفَه بردَائِه، وقالَ: لا تُغبِّرُوا علَيْنَا، فنَزَلَ رسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ دَعَاهُم إلَى اللهِ عزَّ وجَلَّ، وقرَأَ علَيْهمُ القُرآنَ، فقالَ ابنُ أُبيٍّ: لا أُحْسِنُ مَا تَقُولُ[٦]، إنْ كان حقًّا فلَا تُؤْذِنَا فِي مجَالِسِنَا. وقالَ ابنُ رَواحَةَ: اغْشِنَا بِه فِي مجَالِسِنَا يا رسُولَ اللهِ، فإنَّا [١٢٦/ب]

(١) سقط من (ف)، و(م).

(٢) ضرب عليها في (م) وكتب فوقها بين السطرين، وفي حاشية (ف) بخط مغاير: الدنيا.

(٣) ما بين المعكوفتين سقط من الأصل.

(٤) انظر: التفسير البسيط (٢١/ ٣٠٢)، البحر المحيط(٣/ ٤٦١).

(٥) العجاج: الغبار.

(٦) في (م): لحسن ما يقول، وفي المطبوع: إنه لا أحسن مما تقول.

نُحِبُّ ذلِك، فاسْتَبَّ المُسلمون، والمشركون(١)، واليهود، وَنزَلَت هذه الآية، رواه عروة عن أسامة بن زيد(٢).

والثاني: أنَّ المشركين واليهود كانوا يؤذون النبيّ ﷺ وأصحابه أشدّ الأذى، فنزلت هذه الآية، قال كعب بن مالك الأنصاري(٣).

والثالث: أنها نزلت فيما جرى بين أبي بكر الصديق، وبين فنحاص اليهودي، وقد سبق ذكره عن ابن عباس(٤).

والرابع: أنها نزلت في النبيّ ﷺ وأبي بكر الصديق عليه السلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس(٥). واختاره مقاتل(٦). وقال عكرمة: نزلت في النبيّ ﷺ، وأبي بكر، وفِنْحاصَ اليهودي(٧).

---

(١) في (م): المنافقون.

(٢) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦١٨).

(٣) رواه أبو داود (٣٠٠٠)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٥٢٣)،وابن أبي حاتم في تفسيره(١٠٨٣) من طريق عبد الرحمن بن كعب، به.

(٤) رواه وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم (٤٥٨٩) من طريق عكرمة، و ابن المنذر في تفسيره(٢/ ٥١٤) من طريق ابن جريج، كلاهما، عن ابن عباس، بنحوه.

(٥) من قوله: والرابع، سقط من (ج). رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦١٧) ولكن من طريق عكرمة.

(٦) تفسير مقاتل(١/ ٣٢٠).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٩٠) من طريق ابن جريج.

والخامس: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، كان يحرِّض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره، وهذا مذهب الزهري[١].

قال الزجّاج[٢]: ومعنى ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: لتختبرنّ[٣]؛ أي: نوقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن حقًّا من غيره. و«النون» دخلت مؤكدة مع لام القسم، وضمت الواو لسكونها وسكون[٤] النون[٥].

وفي البلوى في الأموال قولان:

أحدهما: ذهابها ونقصانها.

والثاني: ما فرض فيها من الحقوق.

وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال:

أحدها: المصائب، والقتل.

والثاني: ما فرض من العبادات.

والثالث: الأمراض.

والرابع: المصيبة بالأقارب، والعشائر.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره(٤٦١٩) من طريق معمر، به.

(٢) لم يذكر في (ج).

(٣) ليست في (ج).

(٤) من قوله: والنون دخلت مؤكدة، سقط من (ر).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٥).

قال عطاء: هم[١] المهاجرون أخذ المشركون أموالهم، وباعوا رباعهم، وعذبوهم[٢].

قوْلُه: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

قال ابْنُ عبَّاسٍ: هم اليهود والنصارى، و﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾: مشركو العرب ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على الأذى ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله بمجانبة معاصيه.

قوْلُه: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾؛ أي: مما يعزم عليه؛ لظهور رشده.

فَصْلٌ

والجمهور على إحْكَام هذه الآية[٣]، وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ الصَّبْرَ المذْكُورَ منْسُوخٌ بآية السَّيْفِ.

قوْلُه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسُّدِّيُّ، ومقاتل. فعلى هذا، الكتاب: التوراة.

---

(١) في (ط)، و(ر): عطاؤهم.

(٢) انظر: البحر المحيط (٣/ ٤٦٣).

(٣) ليست في (ف).

والثاني: أنَّهُم اليهود والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل[١].

والثالث: أنَّهُم سائر[٢] العلماء فيكون الكتاب اسم جنس.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو بكر، وأبو عمرو، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «ليبيننه للناس»، «ولا يكتمونه»[٣] بالياء فيهما.

وقرأ الباقون، وحفص عن عاصم بالتاء فيهما[٤].

وفي هاء[٥] الكناية في ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾، و﴿تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[٦] قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى محمّد ﷺ، وهذا قول من قال:هم اليهود.

والثاني: أنَّها ترجع إلى الكتاب، قاله الحسن، وقتادة، وهو أصح؛ لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبيينهم ما فيه إظهار صفة النبي ﷺ، وهذا قول من[٧] ذهب إلى أنه عام في كل كتاب.

---

(١) سقطت العبارة من (ط)، و(ر).

(٢) في (ط)، و(ر)، و(ج)، و(م): جميع.

(٣) من قوله: قرأ ابن كثير، سقط من (ج)، و(م).

(٤) السبعة (ص: ٢٢١)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٧)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ١١٦)، والمبسوط (ص: ١٧٣).

(٥) في (ط)، و(ر): هذه.

(٦) ليست في (ج).

(٧) زاد في (م): قال.

وقال علي بن أبي طالب -ﷺ-: ما أخذ الله عزَّ وجلَّ على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا.

قوْله: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾.

قال الزجاج: أي: رمَوْا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعبأ به: قد جعلت هذا الأمر بظهر[١].

قال الفرزْدَق [من الطويل]:

تَمِيمَ بْنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي ... بِظَهْرٍ وَلَا يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا[٢]

معناه: لا تكونن حاجتي مُهمَلة عندك، مطرحة.

وفي هاء ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنَّها تعود إلى الميثاق.

والثاني: إلى الكتاب.

قوْلُه: ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه[٣] الجنة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: عرضا يسيرًا منَ الدُّنْيا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٧).

(٢) البيت في ديوانه (١/ ٨٦)، ولسان العرب (١/ ٣٣٨) (حوب)، و(٤/ ٥٢٢) (ظهر)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٧٢)، وتاج العروس (١٢/ ٤٨٦) (ظهر)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (٦/ ٢٥٦)، رجل تكلّف عملًا فيعيا به وعنه: إذا لم يهتد لوجه عمله.

(٣) ليست في (م).

قوْلُه: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا ﴾.

وقرأ أهل الكوفة: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ﴾ بالتَّاء[١].

وفي سبب نزولها ثمانية أقوال:

أحدها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، سأل اليهود عن شيء[٢]، فكتموه، وأخبروه بغيره[٣]، وأروه أنهم قد أخبروه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية[٤].

والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبّوا أن يقول الناس: إنَّهم علماء، وهذا القول والذي قبله عن ابن عباس[٥].

والثالث: أنَّ اليهود قالوا: نحن على دين إبراهيم، وكتموا ذكر محمّد ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير[٦].

---

(١) وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وانظر: السبعة (ص: ٢١٩)،و معاني القراءات (١/ ٢٨٢)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ١٠١)، والمبسوط (ص:١٧٢).

(٢) في (ج): سأل عن اليهود شيء.

(٣) في (م): بغده.

(٤) رواه ومسلم (٢٧٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٤٠) من طريق عِكْرِمَةَ، به.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٣)، و ابن أبي حاتم في تفسيره(٤٦٤٢).

والرابع: أنَّ يهود المدينة[١] كتبت إلى يهود العراق واليمن، ومن بلغهم كتابهم[٢] من اليهود[٣] في الأرض كلها، أن محمدًا ليس بنبي، فاثبتوا على دينكم،[٤] فأجمعوا كلهم[٥] على الكفر به، ففرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصّلاة، وأولياء الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول الضحاك[٦]، والسدي[٧].

والخامس: أنَّ يهود خيبر[٨] أتوا النبي ﷺ وأصحابه، فقالوا: نحن على رأيكم، ونحن لكم ردء، وهم مستمسكون بضلالتهم، فأرادوا أن يحمدهم نبيّ الله ﷺ بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[٩].

---

(١) في (ط)، و(ر): النبي.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ف): ومن على دينهم.

(٤) من قوله: في الأرض كلها، سقط من (ف).

(٥) في بقية النسخ: فاجتمعت كلمتهم.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٢).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٢).

(٨) في (م): المدينة وخيبر.

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٦).

والسادس: أنَّ ناسًا من اليهود جهزوا جيشًا إلى النبيّ ﷺ، وأنفقوا عليهم، فنزلت هذه الآية، قاله إبراهيم النخعي[١].

والسابع: أنَّ قومًا من أهل الكتاب دخلوا على النبيّ ﷺ ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها[٢]، فحمدوهم[٣]، وأبطنوا[٤] خلاف ما أظهروا، فنزلت هذه الآية، ذكره الزجاج[٥].

والثامن: أن رجالًا من المنافقين كانوا يتخلّفون عن الغزو مع النبيّ ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سعيد الخدري[٦]. وهذا القول يدلُّ على أنَّها [١٢٧/ب] نزلت[٧] في المنافقين، وباقي[٨] الأقوال يدلُّ على أنَّها في اليهود.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(٤٦٤٥).

(٢) في (م): قد عرفها محمد.

(٣) ليست في (م).

(٤) في (م): وهم قد أبطنوا.

(٥) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٤٩٧).

(٦) رواه مسلم (٢٧٧٧).

(٧) من قوله: هذه الآية، قاله أبو سعيد ، سقط من (ر).

(٨) في حاشية الأصل، وباقي النسخ: وما قبله.

وفي «الذي أتوا» ثمانية أقوال[١]:

أحدها: أنَّه كتمان[٢] ما عرفوا من الحق.

والثاني: تبديلهم التوراة.

والثالث: إيثارهم الفاني من الدنيا على الباقي[٣] من الثواب.

والرابع: إضلالهم الناس.

والخامس:اجتماعهم على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم.

والسادس: نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده.

والسابع: اتفاقهم[٤] على محاربة النبي ﷺ، وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والثامن: تخلُّفهم في الغزوات، وهذا قوْلُ مَنْ قالَ[٥]: همُ المُنافقون.

وفي قوله: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدها: أحبُّوا أن يحمدوا[٦] على إجابة النبيّ ﷺ، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ر): كفانهم.

(٣) ليست في بقية النسخ.

(٤) في (ف): انفاقهم.

(٥) من قوله: هم اليهود، سقط من (ط)، و(ر).

(٦) قوله: أن يحمدوا، سقط من (م).

والثاني: أحبّوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وليسوا كذلك.

والثالث[١]: أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام، وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

والرابع: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم[٢]: إنا راضون بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين، إذا نصروا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري. وهو[٣] قول من قال: هم المنافقون.

قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «فلا يحسبنهم»[٤]، بالياء وضم الباء.

---

(١) من قوله: أحبوا أن يقول الناس، سقط من (ط)، و(ر).

(٢) من قوله: نحن على دين إبراهيم، سقط من (ج).

(٣) في (م): هذا.

(٤) في (ج): يحسبونهم.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: بالتاء، وفتح الباء[١].

قال الزَّجَّاجُ: إنما كررت «تحسبنهم» لطول القصة، والعرب تعيد إذا طالت القصة «حسبت» وما أشبهها، إعلامًا أن الذي جرى متصل بالأول، وتوكيدًا له، فتقول: لا تظنن زيدًا إذا جاء وكلمك بكذا وكذا، فلا تظننَّه صادقًا[٢].

قوْلُه: ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ قال[٣] ابن زيد[٤]، وابن قتيبة؛ أي: بمنجاة[٥].

قوْلُه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه تكذيب القائلين: بأنَّه فقِيرٌ.

وفي قوْلِه: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ تهديد لهم؛ أي: لو شئت لعجلت عذابهم.

قوْلُه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) السبعة (ص: ٢٢٠)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٢)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ٢٠٦-٢٠٧)، المبسوط (ص: ١٧١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٨).

(٣) في (ج): قرأ.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ١١٤).

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ قريشًا قالوا لليهود: ما الذي جاءكم به موسى؟ قالوا: عصاه ويده البيضاء. وقالوا للنصارى: ما الذي جاءكم به عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبيّ ﷺ، وقالوا: ادعُ ربَّك يجعلْ لنَا الصَّفا ذهبًا، فنزلت هذه الآية، رواه ابن جبير[١] عن ابن عباس[٢].

والثاني: أنَّ أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. [١٢٨/أ]

والثالث: أنّه لمّا نزل قوْلُه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] قالتْ قُريشٌ: قد سوى بين آلهتنا، ائتنا[٣] بآية، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضحى[٤]، واسمه: مُسلم بن صُبيح.

فأمَّا تفسير الآية فقد سبق.

---

(١) في (ف): ابن كثير.

(٢) رواه ابن المنذر في تفسيره (١٢٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٦٥- ٤٦٥٥- ١٠٢٣٠) من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن يعقوب بن عبد الله، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد، به.

(٣) طمست في (م).

(٤) في (ج): أبو صالح؛ رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٦٣٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره(٣/ ٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٦١)، وأبوالشيخ في العظمة (١/ ٢٥٣)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٣٠) من طريق سعيد بن مسروق، به.

قوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾.

في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الذِّكر في الصَّلاة، يصلي قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا[١]، فإن لم يستطع فعلى جنب[٢]، هذا قول علي، وابن مسعود، وابن عباس[٣]، وقتادة.

والثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو[٤] قول طائفة من المفسرين.

والثالث: أنه الخوف، فالمعنى: يخافون الله قيامًا في تصرفهم وقعودًا في دعتهم[٥]، وعلى جنوبهم في منامهم.

قوْلُه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال ابن فارس: الفكر[٦]: تردُّد القلب في الشيء[٧].

---

(١) في (م): يصلي قاعدًا.

(٢) في (م): صلى على جنبه.

(٣) لم يذكر في (ر).

(٤) في (ف): هذا.

(٥) في (م): دعوتهم.

(٦) في (ج): التفكر.

(٧) مقاييس اللغة (٤/ ٤٤٦).

قال ابن عباس: ركعتان[١] مقتصدتان في تفكرٍ خيرٌ من قيام ليلة، والقلب ساه[٢].

قوْلُه: ﴿رَبَّنَا﴾.

قال الزجاج: معناه[٣]: يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾؛ أي: خلقته دليلًا عليك، وعلى صدق ما أتت به أنبياؤك[٤].

ومعنى ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: براءةً لك من السوء، وتنزيهًا لك أن تكون خلقتها باطلًا، ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فقد صدَّقْنا أنَّ لكَ جنَّةً ونارًا.

قوْلُه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾.

قال الزجاج: المخزي في اللغة المذلّ المحقور بأمر قد لزمه بحجة. يقال: أخزيته، أي: ألزمته حجةً أذللته معها[٥].

---

(١) قوله: قال ابن عباس: ركعتان، سقط من (ر).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في التفكر (ص:٥)، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٣٠٢)، من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، به، بنحوه،
ورواه ابن المبارك في الزهد (٢٨٨) من طريق رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس، بنحوه.

(٣) ليست في (ط)، و(ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٠٠).

وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان:

أحدهما: أنه يتعلق بمن دخلها مخلَّدًا، قاله أنس بن مالك، وسعيد ابن المسيب، وابن جبير، وقتادة، وابن جريج، ومقاتل.

والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنى مروي[١] عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري[٢]، وأبو سليمان الدمشقي.

قوْلُه: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

قال ابن عباس[٣]: وما للمشركين من مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى[٤].

قوْلُه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾.

في المنادي قولان:

أحدهما: أنَّه النَّبيُّ ﷺ، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل.

والثَّاني: أنَّه القرآن، قاله محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري[٥] وأبو سليمان[٦].

---

(١) في (ج): يروى.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري(٦/ ٣١٣).

(٣) سقط من (م).

(٤) ذكره ابن حيان في البحر المحيط (٣/ ٤٧٢) بنحوه.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري(٦/ ٣١٥).

(٦) لم يُذْكَرْ في بقية النسخ.

قوْلُه: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾.

فيه قوْلَانِ:

أحدهما: أن معناه: ينادي إلى الإيمان، ومثله: ﴿ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾(١) [الزلزلة: ٥]، قاله الفرَّاءُ(٢).

والثَّاني: أنه مقدم ومؤخر، والمعنى: سمعنا مناديًا للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة(٣).

قوْلُه: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾.

قال مقاتل: امح عنَّا خطايانا(٤).

وقال غيره: غطها عنا.

وقيل: إنما جمع بين غفران الذنوب، وتكفير السيئات؛ لأن الغفران بمجرد الفضل، والتكفير بفعل الخير.

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾.

[١٢٨/ب] قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «الأبرار» و«الأشرار» و«ذات قرار» وما كان مثله بين الفتح والكسر.

---

(١) زاد في المطبوع: يريد هدانا إلى هذا، وأوحى إليها.

(٢) معاني القرآن (١/ ٢٥٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ١١١).

(٤) تفسير مقاتل(١/ ٣٢٢).

وقرأ ابن كثير، وعاصم بالفتح(١).

ومعنى ﴿مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: أي فيهم. قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصّالحون(٢).

قَوْلُه: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾.

قال ابن عباس: يعنون: الجنة ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾؛ أي: على ألسنتهم(٣).

فإنْ قِيلَ: ما وجه هذه المسألة والله لا يخلف الميعاد؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه خرج مخرج المسألة، ومعناه: الخبر، تقديره: فآمنا(٤)، فاغفر لنا لتؤتينا ما وعدتنا.

والثاني: أنه سؤال(٥) له، أن يجعلهم ممن آتاه الله ما وعده، لا أنهم(٦) استحقوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعوا أنهم من الأبرار لكانت تزكية لأنفسهم.

---

(١) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ١١٧).

(٢) انظر: التفسير البسيط (٦/ ٢٦٢).

(٣) انظر: التفسير البسيط (٦/ ٢٦٢).

(٤) ليست في (م).

(٥) في (ر): رسول.

(٦) في (ج): لأنه.

والثالث: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء؛ لأنه وعدهم نصرًا غير مؤقت، فرغبوا في تعجيله.

ذكر هذه الأجوبة ابن جرير، وقال: أولى الأقوال بالصواب، أنَّ[1] هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم. فكأنهم[2] قالوا: لا صبر لنا على حلمك على[3] الأعداء فعجّل خزيهم[4]، وظفرنا بهم[5].

قوْلُه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

رُوي عن أم سلمة أنَّها قالت: يا رسولَ اللهِ! لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فنزلت هذه الآية[6].

---

(١) من قوله: هذه الأجوبة، سقط من (ط)، و(ر).

(٢) في (ج): وكانوا.

(٣) في (ط)، و(ر): عن.

(٤) في (ف): حربهم.

(٥) في (ط)، و(ر): عليهم؛ انظر: تفسير ابن جرير الطبري(٦/ ٣١٨).

(٦) رواه الترمذي(٣٠٢٣)، وأبو يعلى (٦٩٥٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٢٠)، وابن المنذر في تفسيره (١٢٧٧)، والطبراني في الكبير(٦٥١)، والحاكم في المستدرك(٢/ ٣٠١) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، من طريق سفيان، عن عمرو بن دينار، سلمة رجل من ولد أم سلمة به، ورواه ابن جرير الطبري (٦/ ٣٢٠) من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنحوه، وانظر: أسباب النزول (ص:١٣٩)، والعجاب (٢/ ٨١٧).

و«استجاب»: بمعنى أجاب. والمعنى: أجابهم بأن قال لهم: إني لا أُضيع عمل عامل منكم ذكرًا كان أو أنثى.

وفي معنى قوله: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: بعضكم من بعض في الدين[١]، والنُصرة والموالاة.

والثاني: حكم سائركم[٢] في الثواب واحد؛ لأن الذكور من الإناث والإناث من الذكور.

والثالث: كلكم من آدم وحواء.

قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾؛ أي: تركوا الأوطان والأهل والعشائر﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ يعني: المؤمنين الَّذين أخرجوا من مكة بأذى المشركين، فهاجروا ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ المشركين ﴿وَقُتِلُواْ﴾.

قرأ ابن كثير، وابن عامر[٣]: «وقاتلوا وقتّلوا» مشددة التاء.

وقرأ نافع، وعاصم[٤]، وأبو عمرو: ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾، ﴿وَقُتِلُواْ﴾ خفيفة[٥].

---

(١) طمست في (م).

(٢) في (ط)، و(ر)، و(ج)، و(م): جميعكم.

(٣) من قوله: وقاتلوا المشركين، سقط من (ط)، و(ر).

(٤) لم يذكر في المطبوع.

(٥) والتشديد للتكثير، وانظر: السبعة (ص: ٢٢١)، ومعاني القراءات (١/ ٢٨٨)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ١١٦-١١٧)، والمبسوط (ص: ١٧١).

وقرأ حمزة، والكسائي: وقتلوا -مخففة[١]- وقتلوا[٢].

قال أبو علي: وتقديم «قتلوا» جائز؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون في المعنى أولًا، مؤخرًا في اللفظ[٣].

قوْلُه: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو مصدرٌ مؤكد[٤] لما قبله؛ لأنَّ معنى ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ لأُثِيبَنَّهُم[٥].

قوْلُه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾.

اخْتَلَفُوا فيمَن نزلَتْ علَى قوْلَيْنِ:

أحدهما: أنَّها[٦] في اليهود، ثم في ذلك قولان:[٧]

أحدهما: أنَّ اليهود كانوا يضربون في الأرض. فيصيبون الأموال، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

---

(١) ليست في (ط)، و(ر)، و(ج).

(٢) في بقية النسخ: قاتلوا؛ انظر: السبعة (ص:٢٢١)، معاني القراءات (١/ ٢٨٢)، والحجة؛ للفارسي(٣/ ١١٦-١١٧)، والمبسوط (ص:١٧٣).

(٣) الحجة للقراء السبعة؛ للفارسي (٣/ ١١٧).

(٤) زاد في (ج): لما بعده.

(٥) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٥٠٠).

(٦) زاد (ج): نزلت.

(٧) سقطت العبارة من (ر).

والثاني: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، أرادَ أنْ يسْتَسْلِفَ مِن بعْضِهم شِعيرًا، فأَبى إلَّا علَى رَهْنٍ، فقَالَ النَّبيّ ﷺ: «**لَوْ أَعْطَانِي لَأَوْفَيْتُهُ، إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ**»[١] فنزَلَتْ، ذكره أبو سليمان الدمشقي. [١٢٩/أ]

والقول الثاني: أنها نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاءٍ، فقال بعض المؤمنين: قد أهلكنا الجهد، وأعداء الله فيما ترون، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل[٢].

قال قتادة: والخطاب للنَّبيِّ ﷺ، والمراد غيره[٣].

وقال غيره[٤]: إنما خاطبه تأديبًا وتحذيرًا، وإن كان لا يغتر.

وفي معنى «تقلبهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: تصرُّفهم في التجارات، قاله ابن عباس، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج[٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٦/ ١٦٩) من طريق موسى بن عبيدة، وأخرجه أيضًا من طريق الحسين بن داود، وهو ضعيف، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٦)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، والبزار، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف (ص: ١٠٩)، وقال: وفيه موسى بن عبيدة وهو متروك.

(٢) تفسير مقاتل(١/ ٣٢٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٢٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٧٤)من طريق سعيد به.

(٤) قوله: وقال غيره لم تقع في (م).

(٥) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٥٠٠).

والثاني[١]: تقلُّب ليلهم ونهارهم، وما يجري عليهم من النعم، قاله عكرمة، ومقاتل.

والثالث: تقلُّبهم غير مأخوذين بذنوبهم، ذكره بعض المفسرين.

قال الزجاج: ذلك الكسب والربح[٢] متاع قليل[٣].

وقال ابن عباس: منفعة يسيرة في الدنيا.

و﴿ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش.

قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾.

قرأ أبو جعفر[٤]: «لكنَّ» بالتشديد هاهنا، وفي «الزُمر»[٥]. قال مقاتل: وحدوا[٦].

قال ابنُ عبَّاسٍ: «النزل»[٧]: الثواب[٨].

---

(١) في (م): الذي.

(٢) زاد في (م): قال مقاتل.

(٣) معاني القرآن وإعرابه(١/ ٥٠١).

(٤) في (ج): حفص.

(٥) والإعراب ظاهر، فالاسم الموصول مبني لم تظهر عليه حركة الاعراب، انظر: التبيان (١/ ١٦٤)، وانظر: المبسوط (ص: ١٧٣)، والقرطبي (٤/ ٢٢١)، والبحر (٢/ ١١٨)، والنشر (٢/ ٢٤٧).

(٦) تفسير مقاتل(١/ ٣٢٣).

(٧) في (ط)، و(ر): النزول.

(٨) أورده أبو حيان البحر المحيط (٣/ ٤٨٣).

قال ابن فارس: النُّزُل[١]: ما يهيأ للنّزيل، والنّزيل: الضّيف[٢].

قوْلُه: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾.

اخْتلَفُوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها نزلَتْ فِي النَّجاشي؛ لأنَّه لَمَّا ماتَ صلَّى عليه النَّبيُّ ﷺ[٣]، فقال قائل: يصلي على هذا العلج النصراني، وهو في أرضه؟! فنزلَتْ هذه الآية[٤]، هذا قول جابر بن عبد الله[٥]، وابن عباس[٦]، وأنس[٧].

---

(١) في (ط)، و(ر): النزول.

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٤١٧).

(٣) جاءت في (ر): صلى الله عليه وسلم النبي.

(٤) قوله: هذه الآية، لم تقع في باقي النسخ، ومن قوله: هذا العلج، سقط من (ر).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٢٧) من طريق أبي بكر الهذلي، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، به، بنحوه..

(٦) لم أقف عليها مسندة.

(٧) رواه الدارقطني في الأفراد (٢/ ٨٠) وقال: غريب من حديث حميد عن أنس تفرد به أبو المُعْتَمِر ولا نعلم رواه غير أبي هانِئ أحمد بن بكار، وقد أخرجه ابن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش عن حميد، وله طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: لما مات النجاشي قال النبي ﷺ: «استغفروا لأخيكم». فقال بعض القوم: يأمرنا أن نستغفر لهذا العلج يموت بأرض الحبشة! فنزلت ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾... الآية. وهو من رواية مؤمل بن إسماعيل عن حماد وفيه لين. انظر: العجاب (٢/ ٨٢٠).

ورواية أحمد بن بكار الباهلي رواها البزار في مسنده (٦٥٥٦)، ورواية أبي بكر بن عياش رواها النسائي في الكبرى (١١٠٢٢)، والطبراني في الأوسط (٥١٤٧)، ورواية=

وقال الحسن[١]، وقتادة: فيه وفي أصحابه[٢].

والثاني: أنّها نزلت[٣] في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس[٤]، وبه قال مجاهد[٥].

والثالث: في عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن جريج[٦]، وابن زيد[٧]، ومقاتل[٨].

=مؤمل بن إسماعيل قد رواها الطبراني في الأوسط (٢٦٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٨٢).

(١) رواه عبد بن حميد كما في العجاب (٢/ ٨٢٠) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت،به.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٩٩) عن معمر، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٢٨)، ورواه ابن جرير أيضا من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، بنحوه.

(٣) ليست في (ج).

(٤) لم أقف عليها.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٨٤) من طريق أبي حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، به.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٢٩) من طريق حجاج، به.

(٧) انظر: تفسير ابن جرير الطبري(٦/ ٣٢٩).

(٨) تفسير مقاتل (١/ ٣٢٤).

والرابع: في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فآمنوا بالنبي ﷺ، قاله عطاء[١].

قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يعني: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ يعني: كتابهم.

و«الخاشع»: الذليل.

﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾؛ أي: عَرَضًا من الدنيا كما فعل رؤساء اليهود. وقد سبق[٢] بيان «سرعة الحساب».

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾.

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: نزلت في انتظار الصّلاة بعد الصّلاة[٣]، وليس يومئذ غزوٌ يرابَط[٤].

وفي الَّذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال:

أحدها: البلاء والجهاد، قاله ابن عباس.

والثاني: الدين، قاله الحسن، والقرظي، والزجاج[٥].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ط)، و(ر): سلف.

(٣) قوله: بعد الصلاة، لم يقع في (م).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠١) من طريق داود بن صالح، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، بنحوه. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٥٠١).

والثالث: المصائب، روي عن الحسن أيضًا.

والرابع: الفرائض، قاله سعيد بن جبير. [١٢٩/ب]

والخامس: طاعة الله، قاله قتادة.

وفي الذي أمروا بمصابرته قولان:

أحدهما: العدو، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: الوعد الذي وعدهم الله: قاله عطاء، والقرظي.

وفيما أمروا بالمرابطة عليه قولان:

أحدهما: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين.

قال ابن قتيبة: وأصل المرابطة والرباط: أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم في الثغر، كلٌ يُعدُّ لصاحبه[١].

والثاني: أنه الصلاة، أُمروا بالمرابطة عليها، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن.

وقد ذكرنا في سورة[٢] «البقرة» معنى «لعلّ»، ومعنى «الفلاح»[٣].

---

(١) غريب القرآن (ص: ١١٧).

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) زاد في (ط)، و(ر): والله أعلم، وزاد في (ر): بالصواب.

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة آل عمران	

رقم الآية		الصفحة
١، ٤	....	٥
٥، ٧	....	٩
٨، ٩	....	١٩
١٠، ١٣	....	٢١
١٤	....	٢٧
١٥، ١٦	....	٣٥
١٧، ١٨	....	٣٧
١٩، ٢٠	....	٣٩
٢١، ٢٢	....	٤٥
٢٣، ٢٥	....	٤٧
٢٦، ٢٧	....	٥١
٢٨، ٢٩	....	٥٧

٣٠، ٣٢ .... ٦١

٣٣، ٣٦ .... ٦٣

٣٧، ٣٨ .... ٧١

٣٩، ٤١ .... ٨١

٤٢، ٤٣ .... ٩٥

٤٤، ٤٧ .... ٩٩

٤٨، ٥١ .... ١٠٧

٥٢، ٥٤ .... ١١٣

٥٥، ٥٨ .... ١١٩

٥٩، ٦٣ .... ١٢٣

٦٤ .... ١٢٧

٦٥، ٦٧ .... ١٣١

٦٨، ٧١ .... ١٣٣

٧٢، ٧٤ .... ١٣٩

٧٥، ٧٦ .... ١٤٥

٧٧، ٧٨ .... ١٤٩

٧٩، ٨٠	....	١٥٣
٨١، ٨٢	....	١٥٧
٨٣، ٨٥	....	١٦٣
٨٦، ٨٩	....	١٦٥
٩٠، ٩١	....	١٦٧
٩٢، ٩٤	....	١٧١
٩٥، ٩٧	....	١٧٩
٩٨، ٩٩	....	١٩١
١٠٠، ١٠١	....	١٩٥
١٠٢	....	١٩٧
١٠٣، ١٠٤	....	١٩٩
١٠٥، ١٠٩	....	٢٠٥
١١٠، ١١٢	....	٢٠٩
١١٣، ١١٦	....	٢١٥
١١٧	....	٢٢١
١١٨	....	٢٢٥

١١٩	٢٢٧
١٢٠، ١٢١	٢٢٩
١٢٢	٢٣١
١٢٣، ١٢٤	٢٣٣
١٢٥	٢٣٥
١٢٦	٢٣٩
١٢٧	٢٤١
١٢٨	٢٤٣
١٢٩، ١٣٣	٢٤٥
١٣٤	٢٤٩
١٣٥	٢٥١
١٣٦، ١٣٩	٢٥٥
١٤٠	٢٥٩
١٤١، ١٤٤	٢٦١
١٤٥	٢٦٥
١٤٦	٢٦٩

١٤٧ .... ٢٧١

١٤٨، ١٥١ .... ٢٧٣

١٥٢، ١٥٣ .... ٢٧٥

١٥٤ .... ٢٨٥

١٥٥، ١٥٦ .... ٢٩١

١٥٧، ١٥٨ .... ٢٩٣

١٥٩ .... ٢٩٥

١٦٠، ١٦١ .... ٣٠١

١٦٢ .... ٣٠٥

١٦٣، ١٦٤ .... ٣٠٧

١٦٥ .... ٣٠٩

١٦٦ .... ٣١٣

١٦٧ .... ٣١٥

١٦٨ .... ٣١٧

١٦٩ .... ٣١٩

١٧٠ .... ٣٢١

١٧١، ١٧٢ .... ٣٢٣
١٧٣ .... ٣٢٥
١٧٤ .... ٣٢٧
١٧٥ .... ٣٢٩
١٧٦ .... ٣٣١
١٧٧، ١٧٨ .... ٣٣٣
١٧٩ .... ٣٣٥
١٨٠ .... ٣٣٩
١٨١ .... ٣٤١
١٨٢، ١٨٣ .... ٣٤٥
١٨٤، ١٨٥ .... ٣٤٧
١٨٦ .... ٣٤٩
١٨٧ .... ٣٥٣
١٨٨ .... ٣٥٥
١٨٩، ١٩٠ .... ٣٥٩
١٩١ .... ٣٦١

١٩٢، ١٩٣ .... ٣٦٣

١٩٤ .... ٣٦٥

١٩٥ .... ٣٦٧

١٩٦، ١٩٧ .... ٣٦٩

١٩٨، ١٩٩ .... ٣٧١

٢٠٠ .... ٣٧٣

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الرابع
النساء

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٤

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الرابع

سورة النساء

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورةُ النِّساءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوْلُـهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

اخْتلَفُوا فِي نُزولها علَى قوْلَينِ:

أحدُهما: أنَّها مكيَّةٌ، رواهُ عَطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وهو قوْلُ الحسَنِ، ومجاهِدٍ، وجابرِ بْنِ زيْدٍ، وقتادَةَ.

والثَّاني: أنَّها مدنيَّةٌ، رواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢)، وهو قوْلُ مُقاتِلٍ.

وقيل: إنَّها مدنيَّةٌ، إلَّا آيةً نزَلَتْ(٣) بمكَّةَ فِي عُثمانَ بْنِ طلْحَةَ حين أرادَ النَّبيُّ ﷺ أنْ يأخُذَ منه(٤) مفاتِيحَ الكعبةِ، فيُسلِّمُها إلى العبَّاسِ، وهي(٥) قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] ذكَرَه الماورديُّ(٦).

---

(١) جمهور المفسرين على أنها مدنية، ولم أقف على رواية ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٣٣٩)، وتفسير ابن المنذر (٢/ ٥٤٦)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ٥).

(٢) هذه الرواية موافقة لقول الجمهور، ولم أقف عليها.

(٣) في (ف): إلا أنها نزلت منها آية.

(٤) ليست في (م).

(٥) في (ج)، و(ف): وهو.

(٦) تفسير الماوردي النكت والعيون (١/ ٤٩٨).

قوْلُه تعَالَى: ﴿اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾.

فيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعنى الطَّاعةِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: بمعْنَى الخشيَةِ. قالَه مُقاتِلٌ.

و«النَّفسُ الوَاحِدةُ»: آدَمُ. و«زَوْجُهَا[١]»: حوَّاءُ، و«مِن» فِي قوْلِه تعَالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ للتَّبْعِيضِ[٢] فِي قَوْلِ الجمُهورِ.

وقالَ ابْنُ بحْرٍ: ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: مِن جِنْسِهَا[٣].

واخْتلَفُوا [فِي][٤] أيِّ وقْتٍ خُلِقتْ له، علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها خُلقَتْ بعدَ دُخولِه الجنَّةَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ وابْنُ مسْعُودٍ[٥].

والثَّانِي: قبْلَ دُخولِه الجنَّةَ، قالَه كعْبُ الأحبَارِ، ووهبٌ، وابْنُ إسحاقَ[٦].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَمَّا خلَقَ اللهُ تعَالَى آدمَ، ألْقَى عليه النَّومَ، فخلَقَ حوَّاءَ مِن ضِلعٍ مِنْ أضْلاعِهِ اليُسرى، فلم تُؤْذِه[٧] بشَيْءٍ، ولو وجَدَ الأذى ما عطَفَ علَيْهَا أبدًا، فلَمَّا استيقَظَ قيل: يا آدمُ ما هذِه؟ قالَ: حوَّاءُ[٨].

---

(١) في (ف): وزوجه.

(٢) في (ف): في قوله: (وخلق منها زوجها) من للتبعيض.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٤٩٤).

(٤) من (م).

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م): قاله ابن مسعود وابن عبَّاس.

(٦) في الأصل: ووهب بن عباس، سبق قلم من الناسخ، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في (ت): يؤذه.

(٨) ذكره المطهر المقدسي في البدء والتاريخ (٢/ ٨٦)، و السمرقندي في بحر العلوم (١/ ١٦٨).

قَوْلُه تعالَى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾.

قالَ الفرَّاءُ: «بثَّ»: نشَرَ، ومِنَ العرَبِ مَن يقولُ: أَبَثَّ اللهُ الخلْقَ، ويقُولون: بثَثْتُكَ ما في نفْسِي[١]، وأَبْثَثْتُكَ ما في نَفْسِي[٢][٣].

قَوْلُه تَعالَى: ﴿الَّذِي تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ﴾.

قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ، والبَرْجُمِيُّ، عنِ[٤] أبي بكْرٍ، عن عاصِمٍ، وشُجاعٌ، واليَزِيدِيُّ[٥]، والجُعْفِيُّ، وعبْدُ الوارِثِ، عنْ أبي عمْرٍو: «تَسَّاءَلُونَ»[٦] بالتَّشْدِيد.

وقرَأَ عاصِمٌ، وحمْزَةُ والكسَائِيُّ، وكثِيرٌ مِن أصحَابِ أبي عمْرٍو عنْهُ بالتَّخْفيفِ[٧].

قال الزَّجَّاجُ: والأصْل[٨]: «تتَساءَلُونَ»، فمَن قرَأَ بالتَّشْديدِ. أدْغَم التَّاءَ الثَّانيةَ[٩] في السِّينِ؛ لقُرْبِ مكانِ هذه مِن هذه، ومَن قرَأَ بالتَّخْفِيف، حذفَ التَّاءَ الثَّانيةَ؛ لاجْتِماع التَّاءَيْنِ[١٠].

---

(١) في الأصل: يبثك ما نفسي، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قوله: (ما في نفسي) مثبت في الأصل، وليس في بقية النسخ.

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٥٢).

(٤) في (ت): وعن.

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ف): واليزيدي، وشجاع.

(٦) في (ف): عنه.

(٧) السبعة في القراءات؛ لابن مجاهد (ص: ٢٢٦)، و الحجة (٣/ ١١٨)، والمبسوط؛ للنيسابوري (ص: ١٧٥)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٠).

(٨) في (ت)، و(م): الأصل.

(٩) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦).

[١٣٠/أ] وفي معنى ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ ثلاثةُ أقْوال:

أحدُها: تتعاطَفُون بِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: تتَعاقَدُون، وتتَعاهَدُونَ[١] به. قالَه الضَّحَّاكُ، والرَّبِيعُ.

والثَّالث: تطْلِبونَ حقوقَكُم به، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

فأمَّا قوْلُه: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾.

فالجمهورُ على نصْبِ المِيم على معْنى: واتَّقوا الأرْحامَ أن تقطَعُوها، وفسَّرها علَى هذَا ابْنُ عبَّاسٍ، ومجاهِد، وعكْرِمَةُ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ زيْدٍ.

وقَرَأ الحَسنُ، وقتادَةُ، والأعْمَشُ، وحمْزَةُ بخفْضِ المِيم على معنى: تساءَلُون بِه وبالأرْحامِ[٣][٤]، وفسَّرها علَى هذَا [المَعْنى][٥] الحَسنُ، وعطَاءٌ، والنَّخَعِيُّ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: الخفضُ في «الأرْحام»[٦] خطأٌ في العربيَّةِ لا يجوز إلَّا في اضْطرارِ شِعْرٍ[٧]، وخطأٌ في الدِّين؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا تحْلِفُوا

---

(١) في الأصل، و(م): يتعاقدون ويتعاهدون، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦).

(٣) في (ج): والأرحام.

(٤) السبعة (ص: ٢٢٦)، الحجة (٣/ ١٢١)، والمبسوط (ص: ١٧٥) وقرأ عبد الله بن يزيد ﴿والأرحامُ﴾ بالرفع، وذلك على الابتداء، والخبر مقدر، تقديره: والأرحام أهل أن توصل، وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب؛ لابن جني (١/ ١٧٩)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ٩).

(٥) من (ف).

(٦) قوله: (في الأرحام) ليس في (ف).

(٧) في (ج): الشعر.

بِآبَائِكُـمْ»(١). وذهـبَ إلى نحْـوِ هـذَا الفـرَّاءُ(٢).

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـارِي: إنَّـما أرَادَ حمْـزةُ الخَـبَرَ عـنِ الأمْـرِ القدِيـمِ الَّـذِي جـرَتْ بِـه عادتُهُـم(٣)، فالمعْنَـى: الَّـذِي كُنْتـم تسـاءَلُون بِـه وبِالأرْحَـامِ فِي الجاهليَّـةِ(٤).

قـالَ أبـو علِيٍّ: مَـنْ جـرَّ، عطَـفَ علَى الضَّمـيرِ المَجْـرورِ بالبـاءِ(٥)، وهـو ضعْيـفٌ(٦) فِي القِيـاس، قلِيـلٌ فِي الاسْـتعمال، فـتَرْكُ الأخْـذِ بـه أحْسَـنُ(٧).

فأمَّا «الرَّقِيب» فقالَ ابْنُ عبَّاسٍ(٨)، ومجاهِدٌ(٩): «الرَّقِيبُ»: [الحافِظُ.

وقـالَ الخطَّـابِيُّ: هـو](١٠) الحافِـظُ الَّـذي لا يغِيـبُ عنـه شَيءٌ، وهـو فِي(١١) نُعـوتِ الآدَمِيِّـينَ: المـوكَّلُ بحفْـظِ الـشَّيءِ، المُتَرصِّـدُ(١٢) لـه، المُتحـرِّزُ(١٣) عـنِ

---

(١) متفـق عليـه، رواه البخـاري (٦٦٤٦)، ومسـلم (١٦٤٦) مـن حديـث عبـد الله بـن عمـر رضي الله عنهـما، واللفـظ للبخـاري.

(٢) رواه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (٣/ ٢٤٠).

(٣) في (ج): عادتهم به.

(٤) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦/ ٣٥٠)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٤٧٢٧) مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، بـه .

(٥) في (ف): بالياء.

(٦) أشار ناسخ (ت) إلى نسخة فيها: (قليل).

(٧) الحجة (٣/ ١٢١).

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦١٦) لابن المنذر.

(٩) لم أقف عليه .

(١٠) ما بين المعكوفين ساقط في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(١١) في (ف): من.

(١٢) في (ت): المرصد. وفي (ج): المرتصد.

(١٣) في (ج): المحروز.

الغفْلَـةِ فيـهِ، يُقـال [مِنْـه][1]: رَقَبْـتُ الـشَّيْءَ أَرْقُبُـهُ رَقَبَـةً[2].

قَوْلُـهُ تَعـالَى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النســاء: ٢].

قَوْلُه تعالَى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾.

سبَبُ نُزولِها:

أنَّ رَجُـلًا مِـن غطَفـانَ[3] كانَ معَـهُ مَـالٌ كثِـيرٌ لابْـنِ أخٍ لـه يتيـمٍ، فلـمَّا بلَـغَ، طلَـبَ مِنْـهُ[4] مالَـه فمنعَـهُ[5]، فخاصَمَـه إلى النَّبـيِّ ﷺ، فنزلَـتْ، قالَـه سـعيدُ بْـنُ جُبـير[6].

والخِطابُ بقوْلِه تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ﴾ للأَوْلِياء والأَوْصِياءِ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وإنَّـما سُـمُّوا يتامَـى بعْـدَ البلـوغِ، بالاسْـمِ الَّـذِي كان لَهـم، وقـد كان يُقـال للنَّبـيِّ ﷺ: يَتيـمُ أبي طالِـبٍ[7].

قَوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) شأن الدعاء (١/ ٧١)، وزاد في الأصل عبارة: وأنا رقيب.

(٣) في (م) زيادة: له.

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م).

(٥) ليست في (ف).

(٦) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٤٧٢٨) مـن طريـق عطـاء بـن دينـار، بـه مرسـلًا، وأورده الواحـدي في أسـباب النـزول(ص: ١٤٦) عـن مقاتـل والكلبـي، مرسـلًا، وانظـر: تفسـير مقاتـل (١/ ٣٥٦) وقـد سـمى العـم : المنـذر بـن مالـك.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧).

قَرَأ ابْنُ مُحَيْصِنٍ: «تَبَدَّلُوا» بتاءٍ واحِدَةٍ[١].

ثُمَّ فِي معنى الكلامِ[٢] قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه إِبدالٌ حقِيقةً.

ثُم فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أَنَّه أخْذُ الجيِّدِ، وإعْطاءُ الرَّدِيءِ مكانَهُ، قالَه سعِيدُ بْنُ المُسيِّب، والضَّحاكُ، والنَّخَعي، والزُّهريُّ، والسُّدِّيُّ[٣].

قال السُّدِّيُّ: كان أحَدُهم يأخُذُ الشَّاةَ السَّمِينةَ مِن غنَمِ اليتِيم، ويجعَلُ مكانَهَا المَهزُولَةَ، ويأخُذُ الدَّراهِمَ الجِيادَ[٤]، ويطرَحُ مكانَهَا الزُّيوفَ[٥].

والثَّاني: أنَّه الرِّبحُ علَى اليتِيمِ، واليَتِيمُ[٦] غِرٌّ لا عِلمَ له، قالَه عطَاءٌ[٧].

والقَوْلُ الثَّانِي: أنَّه[٨] ليس بإبدَالٍ حقِيقَةً، وإنَّما هو أخْذُهُ مُستهْلَكًا.

---

(١) وهي قراءة شاذة بالإدغام لابن محيصن انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٣١)، وشواذ القراءات للكرماني (ص:١٢٨)، وقرأ البزي عن الحسن أيضا بتخفيف التاء ﴿ولاتبدلوا﴾ وهي قراءة شاذة، وانظر: إعراب القراءات للعكبري (١/ ٣٦٤).

(٢) في (ج): الآية.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٢٥-٥٢٦) (٨٤٣٩-٨٤٤٠- ٨٤٤١- ٨٤٤٢).

(٤) في الأصل: الجيدة، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٥٢)، وابن ابي حاتم في تفسيره (٤٧٣٨) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٦) ليست في (ت).

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣٣٨) للخازن.

(٨) ليست في (م).

ثُمَّ فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانوا لا يُورِّثُونَ النِّساءَ والصِّغارَ، وإنَّما يأخُذُ المِيراثَ الأكابِرُ مِنَ الرِّجالِ[١]، فنَصِيبُ الرَّجُلِ مِن المِيراثِ طَيِّبٌ، ومَا أخَذَهُ مِن حقِّ اليَتِيمِ خَبِيثٌ، هذا قوْلُ ابْنِ زيْدٍ[٢].

والثَّاني: أنَّه[٣] أكْلُ مالِ اليَتِيم بدَلًا مِنْ أكْلِ[٤] أمْوالِهم، قالَه الزَّجَّاجُ[٥].

و«إِلَى» بمَعْنَى «معَ» و«الحُوبُ»: الإِثْمُ. [١٣٠/ب]

وقرَأَ الحسَنُ، وقتادَةُ[٦]، والنَّخَعِيُّ: بفتْحِ الحَاءِ[٧].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وفيهِ ثلاثُ لُغاتٍ: حُوبٌ، وحَوْبٌ، وحَابٌ[٨].

قالَ الفرَّاءُ: أهْلُ الحِجازِ يقُولونَ: حُوبٌ بالضم، وتميمٌ يقُولونَهُ بالفتْحِ[٩].

قال ابْنُ الأنباري: [وقال الفرَّاءُ][١٠]: المَضْمُومُ الاسْمُ، والمفْتُوحُ المصْدَرُ[١١].

---

(١) زاد في الأصل كلمة: فتسمى، وليست في جميع النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٢٦) (٨٤٤٥).

(٣) ليست في (ف).

(٤) ليست في (ت).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧).

(٦) ليست في (ف).

(٧) حَوْبًا: وهي قراءة شاذة عن الحسن وابن سيرين في مختصر ابن خالويه (ص:٣١)، وشواذ القراءات للكرماني (ص:١٢٨)، وقرئ أيضا عن أُبيٍّ ﴿حَابا﴾، وانظر: إعراب القراءات للعكبري (١/ ٣٦٤).

(٨) غريب القرآن (١/ ١١٨).

(٩) معاني القرآن (١/ ٢٥٣) كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٥٤).

(١٠) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(١١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء: ٣].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾.

اخْتلَفُوا فِي نُزُولِها[١] وتأويلِهَا علَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ القـوْمَ كانـوا يتزوَّجُـون عـددًا كثيرًا مِـنَ النِّسَـاءِ فِي الجاهليَّـة، ولا يتحرَّجُـون مِـن تـرْكِ العـدْلِ بيْنَهُـنَّ، وكانـوا يتحرَّجُـون فِي شـأْنِ اليتامـى، فقِيـل لهُـم بهـذه الآيـة: احْـذَرُوا مِـن تـرْكِ العـدْلِ بـيْنَ النِّسَـاءِ، كـما تحْـذَرُون مِـنْ ترْكِـه فِي اليتامَـى.

وهـذا المعْنَـى مـرْوِيٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٢]، وسـعِيدِ بْـنِ جُبـير[٣]

(١) في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م): تنزيلها.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦٢) من طريق العوفي، ورواه أيضًا (٦/ ٣٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٤٢) من طريق علي بن أبي طلحة، ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٤٧) من طريق سعيد بن جبير، والطحاوي أيضًا في شرح مشكل الآثار (١٤/ ٤٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٤٦) من طريق محمد بن أبي موسى، جميعهم (العوفي، وعلي، وسعيد، ومحمد) عن ابن عباس بنحوه.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٠٥)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٥٥٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦٣)، ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٥٧) من طريق أيوب، ورواه الطبراني في الأوسط (١٧٥١) من طريق سالم الأفطس، كلاهما (أيوب، وسالم) عن سعيد بن جبير نحوه.

والضَّحَّاكِ[١]، وقتادَةَ[٢]، والسُّدِّيِّ[٣]، ومُقاتِلٍ[٤].

والثَّانِي: أنَّ أوْلِياءَ اليتَامى كانوا يتزوَّجُونَ النِّساءَ بأمْوَالِ اليتَامَى، فكُلَّما[٥] كثُر النِّساءُ، مالُوا علَى أمْوالِ اليتَامَى، فَقُصِروا علَى الأرْبعِ؛ حفْظًا لأمْوالِ اليتامى. وهذا المَعْنى مرويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا[٦]، وعكْرِمةَ[٧].

والثَّالثُ: أنَّ معناها: وإنْ خِفْتم يا أوْلِياءَ اليتَامَى أنْ لا تعْدِلُوا فِي صدَقَاتِ اليتَامَى إذا نكحتمُوهُنَّ، فانْكِحُوا سِواهُنَّ مِنَ الغرَائِبِ اللَّواتِي أحلَّ[٨] اللهُ لكم نِكاحَهُنَّ[٩]، وهذا المعْنَى مرْوِيٌّ عنْ عائِشَةَ[١٠].

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٣٦٥) من طريق عبيدة السلماني، به.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٠٥) عن معمر، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٥٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، كلاهما (معمر، وسعيد) عن قتادة نحوه

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٦٠) من أسباط، به.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٥٧).

(٥) في (م): فلمّا.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٥٥) من طريق طاووس به.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٤٠٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦١) من طريق عن سماك، عن عكرمة.

(٨) في الأصل: أخذ، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م).

(١٠) رواه البخاري (٢٤٩٤)، ومسلم (٣٠١٨) وغيرهما بمعناه.

والرَّابع: أنَّ معناها: وإنْ خِفْتم يا أوْلياءَ اليتَامَى أنْ لا تعدِلُوا فِي نِكاحِهِنَّ، وحَذِرْتُم سُوءَ الصُّحبةِ لَهنَّ، وقلَّةَ الرَّغبَةِ فِيهنَّ، فانْكِحُوا غيرَهُنَّ، وهذا [المعْنَى][١] مرْوِيٌّ[٢] عنْ عائِشةَ[٣] أيْضًا، والحسَنِ[٤].

والخامس: أنَّهم كانوا يتحرَّجُون مِن ولايةِ اليتامى، فأُمِروا بالتحرُّجِ من الزِّنى أيْضًا، ونُدبوا إلى النِّكاح الحلالِ، وهذا المعْنَى مرْوِيٌّ عنْ مُجاهدٍ[٥].

والسَّادِسُ: أنَّهم تَحرَّجُوا مِن نكاحِ اليتَامى، كما تَحرَّجُوا مِن أمْوالهِم، فرخَّص اللهُ لهم بهذِه الآيةِ، وقصَرَهُم على عددٍ يُمكنُ العدْلُ فِيه، فكأنَّه قالَ: وإنْ خِفْتُم يا أوْلياءَ اليتامَى أن لا تعْدِلُوا فِيهنَّ، فانْكِحُوهُنَّ، ولا تَزِيدوا علَى أربعٍ لِتعدلوا، فإنْ خِفتم أن لا تعْدِلوا فيهِنَّ[٦]، فواحِدَةٌ، وهذا المعنَى مرْوِيٌّ عن الحسَنِ[٧].

قال ابْنُ قُتيبةَ: ومعنى قوْلِه: {وإنْ خِفتُم}؛ أي: فإنْ[٨] علِمْتُم أنَّكُم لا تعدِلُونَ[٩] [بيْنَ اليتَامى][١٠]. يُقالُ: أقْسطَ الرَّجلُ: إذَا عدَلَ، [ومنْهُ

---

(١) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) سبق تخريجه، انظر: الأثر السابق.

(٣) من قوله: (مروي عن عائشة)... إلى هنا ساقط في (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦٢) من طريق يونس، به، نحوه.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٥٤)، وابن المنذر في تفسيره (١٣٢٥) من طريق ابن أبي نجيح، به بنحوه.

(٦) من قوله: (فانكحوهن)... إلى هنا ساقط من (ت)، (ج)، و(م).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٤٠) (٨٤٧٨) من طريق يونس عن الحسن.

(٨) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٩) في الأصل، و(ت): تعدلوا، والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) من المطبوع.

قَـوْلُ النَّبِـيِّ ﷺ: «الْمُقْسِـطُونَ فِي الدُّنْيَـا عَـلَى مَنَابِـرَ مِـنْ لُؤْلُـؤٍ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ»[1]. ويُقَـالُ][2][3]: وَقسَـطَ [الرَّجُـلُ][4]؛ إذا جَـارَ، [ومِنْـهُ قَـوْلُ الله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾][5] {الجـن: ١٥}[6].

وفِي معْنى العدْلِ فِي اليتامى قوْلَانِ:

أحدهما: فِي نكاح اليتَامى.

والثَّاني: فِي أمْوالهِم.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾؛ أي: ما حَلَّ لكُم.

قَـالَ ابْـنُ جريـر: وأرَاد بقوْلِـه تعـالى: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ الفِعـلَ دُون أعْيـانِ النِّسَـاءِ، ولذلِـكَ[7] قَـال: «مَـا» ولم يقُـل: «مَـنْ»[8].

واخْتلفـوا: هـلِ [هـذا][9] النِّـكاحُ مِـنَ اليتَامـى، أو مِـنْ غيْرِهِـنَّ؟ عـلَى قوْلَـيْن قـدْ سـبَقَا.

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧)، و النسائي في المجتبى (٥٣٧٩)، وفي السنن الكبرى (٥٨٨٥) من طريق عمرو بن أوس بلفظ: «منابر من نور»، ورواه أحمد (٢/ ٢٠٣) من طريق ابن المسيب بلفظ: «منابر من لؤلؤ» كلاهما (عمرو بن أوس، وابن المسيب) عن عبد الله بن عمرو.

(٢) من المطبوع.

(٣) من قوله: (ومنه قول النبي ﷺ)... إلى هنا ساقط من الأصل، و(ت).

(٤) من المطبوع.

(٥) من المطبوع.

(٦) غريب القرآن (١/ ١١٩).

(٧) في (ت): وكذلك.

(٨) تفسيره (٦/ ٣٧٠).

(٩) من (م).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هذا[١] بدَلٌ مِن ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾، ومعناه: اثنتين[٢] اثنتين، وثلاثًا ثلاثًا[٣]، [وأرْبعًا[٤]] أربعًا. وإِنَّما خاطَب اللهُ العرَبَ بأفْصَحِ [١٣١/أ] اللُّغاتِ، وليس مِن شأْنِ البلِيغِ أنْ يُعبِّرَ فِي العدَدِ عنِ التِّسعَة باثْنَتَينِ، وثلاثٍ، وأرْبعٍ[٥]؛ لأنَّ التِّسعَةَ قد وُضِعتْ لهذَا العدَدِ، فيكون عِيًّا فِي الكلامِ[٦].

وقَالَ ابْنُ الأنباري: هذه الواوُ معناها التفرُّقُ، وليْسَت جامِعَةً، فالمعْنَى: فانْكِحُوا ما طابَ لكُم مِنَ النِّساءِ مثْنَى، فانْكحوا ثُلاثَ فِي غير الحالِ الأُولى[٧]، وانْكحوا رُباع فِي غير الحالين[٨].

وقَالَ القاضِي أبو يعْلَى رضي الله عنه: الواوُ ههُنا لإباحَة أيِّ الأعْدادِ شاءَ، لا للجمع، وهذا العددُ إنَّما هو للأحْرَارِ، لا للعبِيدِ، وهو قوْلُ أبي حنِيفةَ[٩]، والشَّافعيِّ[١٠]. وقالَ مالِكٌ: هُمْ كالأحْرَارِ[١١].

(١) في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م): هو.

(٢) في الأصل: مثنى، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في الأصل: ثلاثة، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في الأصل: ورباع.

(٥) في الأصل: ورباع، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩).

(٧) ليست في (ت).

(٨) لم أقف على قول ابن الأنباري فيما بين يدي من مصنفاته، وذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٦/ ٣٠٧).

(٩) انظر: الأَصْلُ (١٠/ ٢٧٣) لمحمد بن الحسن الشيباني، والمبسوط للسرخسي (٥/ ١٢٤).

(١٠) الأم (٥/ ٤٤).

(١١) المدونة (٢/ ١٦٣).

ويدلُّ علَى قوْلِنا: أنَّه قالَ: ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ فهذا منْصَرِفٌ إلى مَن يمْلِك النِّكاحَ[1]، والعبْدُ لا يمْلِك ذلِك بنفْسِه، وقال فِي سِياقِها: ﴿فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ والعبْدُ لا مِلكَ له، فلا يُباح له الجمْعُ إلَّا بيْنَ[2] اثْنتَينِ[3].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾.

فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: علِمْتُم.

والثَّانِي: خَشِيتُم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾.

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: "أرادَ العدْلَ فِي القَسْمِ[4] بيْنَهُنَّ[5]"[6].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَوَٰحِدَةً﴾؛ أي: فانْكِحُوا وَاحِدةً.

وقرَأ الحسَنُ، والأعْمَشُ، وحُميدٌ: «فواحِدَةٌ» بالرَّفع، المعنى: فواحِدَةٌ تُقنِعُ[7].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ يعْني: السَّرارِي[8].

---

(١) بعد هذه العبارة في (م): والعبدلا يملك النكاح.

(٢) في (ت): من.

(٣) كررها في (ف) بدلًا من كلمة (بين).

(٤) في (ج): القسمة.

(٥) من قوله: (قوله تعالى: ألا تعدلوا)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٦) لم أقف على قول أبي يعلى فيما لدي من مصنفاته.

(٧) قراءة متواترة عن أبي جعفر المدني. انظر: المبسوط؛ للنيسابوري (ص: ١٧٥)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٢٤)، والنشر (٢/ ٢٨٢).

(٨) في (ت): السَّرائر.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: معْنى الآيةِ: كَمَا تَخافُون أنْ لا تعْدِلُوا بيْنَ اليَتَامى إذا كفلْتُموهُم، فخافوا [أيْضًا][١] أنْ لا تعْدِلُوا بين النِّساءِ إذا نكحتُمُوهُنَّ، فقَصَرَهُم على أرْبَعٍ، لِيقْدُروا[٢] علَى العدْل، ثُمَّ قَالَ: فإنْ خِفتُم أنْ لا تعدِلُوا بيْنَ هؤلاءِ الأرْبعِ، فانْكِحُوا وَاحِدةً، واقْتَصِرُوا على ملْكِ اليَمِين[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾؛ أي: أقْرب.

وفِي معنى ﴿تَعُولُوا۟﴾ **ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: تَمِيلوا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وعطَاءٌ، وإبْرَاهِيمُ، وقتادَةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ، والفرَّاءُ[٤].

وقالَ أبو مالِكٍ، وأبُو عبيدةَ[٥]: تَجُورُوا.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ[٦]، والزَّجَّاجُ[٧]: تَجُوروا وتَمِيلُوا بمعْنًى واحِدٍ[٨].

واحْتكَمَ رجُلانِ مِنَ العرَبِ إلى رَجُلٍ، فحَكَم لِأحدِهِما، فقالَ المحْكُومُ عليْهِ: أنْتَ واللهِ تعُولُ علَيَّ؛ أي: تَمِيلُ وتَجُورُ.

والثَّانِي: تَضِلُّوا، قالَه مُجاهِدٌ[٩].

---

(١) من المطبوع.
(٢) في (ج): لتقدروا.
(٣) غريب القرآن (١ / ١١٩).
(٤) معاني القرآن (١/ ٢٥٥).
(٥) مجاز القرآن (١/ ١١٧)، وفي (ج)، و(ف): عبيد.
(٦) غريب القرآن (١ / ١١٩).
(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١).
(٨) ليست في (ت).
(٩) ليست في (ج).

والثَّالِـثُ: تكثُـرُ[١] عِيالُكُـم، قَـالَ ابْـنُ زيْـدٍ[٢]: ورواه أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقِيُّ فِي «تفسِـيره» عـنِ الشَّـافِعيِّ.

وردَّه الزَّجَّاجُ، فقَالَ: جَمِيع أهْـلُ اللُّغـةِ يقُولُـون: هـذَا القـوْلُ خطَـأٌ؛ لأنَّ الوَاحِـدَةَ يعُولُـها[٣]، وإِبَاحـةُ مِلْـك اليَمِـينِ أزْيَـدُ فِي العِيَـالِ مِـنْ أرْبَـعٍ[٤].

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النسـاء: ٤].

قوْله تعَالَى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾.

اخْتلفُوا فيمَنْ خُوطب بهذَا علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهمـا: أنَّهُـمُ الأزواجُ، وهـو قـوْلُ الجمهـور، واحْتجُّـوا بـأنَّ الخِطَـابَ للنَّاكِحِـين قـدْ تقـدَّم، وهـذا معطـوفٌ عليـه.

وقـال مُقاتِـلٌ: كان الرَّجُـلُ يتـزوَّجُ بِـلا مهْـرٍ، فيقُـولُ [الرَّجُـل][٥]: أرِثُـكِ وتَرِثِينـي، فتَقُـولُ المـرْأَةُ: نعَـمْ! فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[٦]. [١٣١/ب]

والثَّانِي: أنَّه متوجِّهٌ إلى الأوْلِياءِ.

---

(١) في (ت): يكثر.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٦).

(٣) في (م): تعولها.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١).

(٥) من (ف).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٥٧).

ثُمَّ فيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ الرَّجُل كانَ إذا زَوَّج أَيِّمةً حازَ صداقَها دُونَها، فنُهوا بِهذِه الآيةِ، هذا قوْلُ[١] أبي صَالِحٍ، واخْتارَهُ الفرَّاءُ، وابْنُ قُتيبةَ[٢].

والثَّانِي: أنَّ الرَّجُل كان يُعطي الرَّجُلَ أُخْتَهُ ويأخذُ أخْتَهُ[٣] مكانَها مِن غيْرِ مهْرٍ، فنُهوا عنْ هذا بِهذه الآيةِ، روَاه أبُو[٤] سُليمانَ التَّيْمِيُّ عنْ بعْضِ أشْياخِه.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والصَّدَقاتُ: المُهُورُ، وَاحِدُها: صَدَقَةٌ[٥].

وفي قوْلِه تعالى: ﴿نِحْلَةً﴾ أرْبعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها بمعنى الفريضَةِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ، وابْنُ جُريجٍ، وابْنُ زيْدٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّها الهِبَةُ والعَطِيَّةُ، قالَه الفرَّاءُ[٦].

قالَ ابْنُ الأنْباري: كانتِ العرَبُ في الجاهليَّةِ لا تُعْطِي النِّساءَ شيْئًا مِن مُهورِهِنَّ، فلمَّا فرَضَ اللهُ لهُنَّ المهْرَ، كان نِحْلةً مِنَ اللهِ؛ أي: هِبةً للنِّساءِ، فرْضًا علَى الرِّجَال. وقالَ الزَّجَّاجُ: هوَ هِبةٌ مِنَ اللهِ للنِّساءِ[٧].

---

(١) في الأصل: الأقوال، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) معاني القرآن (١/ ٢٥٦)، وغريب القرآن (١/ ١١٩).

(٣) في الأصل زيادة: به هذا.

(٤) ليست في (ج).

(٥) غريب القرآن (١/ ١١٩).

(٦) معاني القرآن (١/ ٢٥٦).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢).

قـال القـاضِي أبـو يعْـلَى: وقيـل: إنَّـما سُـمِّي المَهْـرُ: نِحْلَـةً؛ لأنَّ الـزَّوجَ لَا يمْلِـكُ مِـنْ[1] بدلـه شـيْئًا؛ لأنَّ البضـع بعْـدَ النِّـكاح فِي مِلْـك المـرْأَةِ، ألَا تـرَى أنَّهـا لـو وُطِئَـتْ بِشُـبهةٍ، كانَ المَهـرُ لهـا دُونَ الـزَّوْجِ، وإنَّـما الَّـذِي يسـتحِقُّه الـزَّوجُ الاسْـتِباحَةَ، لا المِلْـكَ[2].

والثَّالـث: أنَّهـا العَطِيَّـةُ بِطِيـب نفْـسٍ، فكأنَّـه قـالَ: لا تُعطوهـنَّ مُهورُهـنَّ وأنْتُـم كارِهُـونَ، قالَـه أبـو عُبيـدةَ[3].

والرَّابِـعُ: أنَّ معْنـى «النِّحلـة»: الدِّيانَـةُ، فتقديـرُه: وآتوهـن صدُقَاتِهِـن دِيانَـةً، يُقـال[4]: فُـلانٌ ينْتحِـل كـذَا؛ أي: يدِيـنُ بِـه، ذكـرَهُ الزَّجَّـاجُ عـنْ بعْـضِ العُلَـماءِ[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ[6]﴾ يعْنِي: النِّسَاءَ المنْكُوحَاتِ.

وفِي ﴿طِبْنَ[7] لَكُمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يعْنِي الأزواجَ.

والثَّانِي: الأوْلِياءَ.

و«الهاءُ» فِي ﴿مِّنْهُ﴾: كنَايةٌ عنِ الصَّدَاقِ.

---

(١) ليس في (ت)، و(م).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) مجاز القرآن (١/ ١١٧).

(٤) في (ف): تقول.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢)، وذكره سهل بن عبد الله التُّستري في تفسيره (١ / ٥٣)، والواحدي في التفسير البَسِيط (٦ / ٣١٦).

(٦) ليست في (ف)، و(م).

(٧) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

قالَ الزّجّاجُ: و«مِنْهُ» هاهُنا للْجِنسِ؛ كَقَوْلِه تعالَى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ {الحج: ٣٠} معناه: فاجْتَنِبُوا الرِّجسَ الَّذي هو وثَنٌ، فكأنَّهُ قال: كُلوا الشَّيءَ الَّذي هُوَ مهرٌ، فيجوزُ أن يسْألَ الرَّجُلُ المهرَ كُلَّهُ[(١)].

و﴿نَفۡسٗا﴾: منصُوبٌ علَى التَّمْييزِ.

فالمعْنى[(٢)]: فإنْ طابَتْ أنفسُهُنَّ لكُم بذلِك، فكُلوهُ هنِيئًا مرِيئًا.

وفِي «الهنيء» ثلاثَةُ أَقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه ما تُؤمَنُ عاقِبَتُهُ.

والثَّاني: أنَّه[(٣)] ما أعْقَبَ نفْعًا وشِفَاءً.

والثَّالِثُ: أنَّهُ الَّذِي لا يُنغِّصُه شَيْءٌ.

وأمَّا «المَرِيءُ» فيُقال: أمْرَأَنِي[(٤)] الطَّعَامُ؛ إذَا انْهَضَمَ، وحُمدتْ عاقِبتُه.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٥﴾ [النساء: ٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣).

(٢) في (ج)، و(ف): والمعنى.

(٣) ليست في (ت)، و(ج).

(٤) في (ج)، و(ف)، (م): أمْرأ.

المُراد بالسُّفهاءِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

[أحدُها: أنَّهمُ(١) النِّساءُ، قالَه ابْنُ عُمرَ](٢).

والثَّاني: النِّساءُ والصِّبيانُ، قالَه سَعِيدُ بْنُ جُبير، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، والفرَّاءُ(٣)، وابْنُ قُتيبةَ(٤). وعن الحسَنِ ومُجاهِدٍ كالقوْلَين.

والثَّالث: الأوْلادُ، قالَه أبو مَالِكٍ، وهذه الأقوَالُ الثَّلاثةُ مرْوِيَّةٌ عنِ ابْنِ عبَّاس. ورُوي عنِ الحسَنِ قالَ: هُمُ الأوْلادُ الصِّغارُ(٥).

[١٣٢/أ] والرَّابع: اليتامَى، قالَه عِكرِمَةُ، وسَعيدُ بْنُ جبيرٍ في روايَةٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعْنى الآيَةِ: ولا تُؤتوا السُّفَهاءَ أمْوَالَهم(٦)، بدليلِ قوْلِه تعالَى: ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا﴾، وإنَّما قالَ: ﴿أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ ذِكْرًا للْجِنسِ الَّذي جعلَه اللهُ أمْوَالًا للنَّاس(٧).

وقال غيْرُه: أضافَهَا إِلى الوُلَاةِ؛ لأنَّهم قُوَّامُهَا.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٥٦).

(٤) غريب القرآن (١/ ١٢٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٨٨ـ ٣٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٨٤)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٥٦١) من طرق صحيحة عن يونس بن عبيد، به، بألفاظ مختلفة: «لا تعطوا الصغار والنساء»، «المرأة والصبي»، «النساء والصغار، والنساء أسفه السفهاء». ومن طريق سعيد بن منصور رواه ابن المنذر في تفسيره (١٣٥٢). ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٠٧)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٣٨٩) من طريق معمر كلاهما (يونس بن عبيد،و معمر) عن الحسن بنحوه.

(٦) في الأصل: أموالكم، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣).

والخامِس: أنَّ القَولَ على إطْلاقِهِ، والمُراد بهِ كُلُّ سفِيهٍ يسْتَحِقُّ الحجرَ علَيْه، ذكرَهُ ابْنُ جَريرٍ[1]، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، وغيْرُهما، وهوَ ظاهِرُ الآيَةِ.

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها[2] أمْوالُ اليَتامى.

والثَّاني: أمْوالُ السُّفهاءِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾.

قَرأَ الحسَنُ: «اللَّاتي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِوامًا»[3].

وقَرأَ ابْنُ كثِيرٍ، وعَاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وأبو عمْرٍو: ﴿قِيَٰمًا﴾ بألِفٍ[4][5].

وقَرأَ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ: «قِيَمًا» بغيْرِ ألِفٍ[6].

---

(١) تفسيره (٦/ ٣٩٤).

(٢) في (ج)، و(م): أنه.

(٣) قراءة شاذة، عن الحسن وإبراهيم في شواذ الكرماني (ص: ١٢٩)، وانظر: الكامل للهذلي (ص: ٥٢٤)، وإعراب القراءات للعكبري (١/ ٣٦٨)، أمَّا ﴿قِواما﴾: قراءة شاذة، بدون نسبة في المحتسب (١/ ١٨٢)، وعن زيد بن علي في شواذ الكرماني (ص: ١٣٠)، وقرئ ﴿قَواما﴾ بفتح القاف عن ابن عمر وأبي البرهسم وهي قراءة شاذة. وقوله: (قرأ الحسن)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٤) في (ت): بالياء مع الألف هاهنا. وفي (ج): بياء مع الألف. وليست في (م).

(٥) السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٢٢٦)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٣/ ٢٩١)، الحجة؛ للفارسي (٣/ ١٢٩).

(٦) انظر: المرجع السابق، والمبسوط؛ للنيسابوري (ص: ١٧٥).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: قِيامًا وقِوامًا بمنزِلةٍ واحِدةٍ، تقُولُ: هذا قِوامُ أمْرِكَ وقِيامُهُ؛ أي: ما يَقُومُ به [أمْرُكَ][1][2].

وذكرَ أبو عليٍّ الفارِسِيُّ أنَّ «قِيامًا» و«قِوامًا»[3] و«قِيَمًا»، بمعنى القِوامِ الَّذي يُقِيمُ الشَّأنَ[4]، قالَ[5]: وليْسَ قوْلُ مَن قالَ «القِيَمُ» هاهُنا[6]: جمْعُ «قِيمةٍ» بشَيْءٍ[7].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: مِنْها.

وفي «القوْلِ المعْرُوفِ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: العِدةُ الحَسنةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وعطَاءٌ، ومُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: الرَّدُّ الجَمِيلُ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والثَّالِثُ: الدُّعاءُ؛ كقوْلِكَ: عافَاكَ اللهُ، قالَه ابْنُ زيْد.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦].

---

(١) من المطبوع.

(٢) غريب القرآن (١/ ١٢٠).

(٣) في (ج): قواما وقيامًا.

(٤) في الأصل: الشيان، وفي (ف): البنيان، والمثبت من (ج)، و(م).

(٥) ليست في (ج).

(٦) ليست في (م).

(٧) الحجة للقراء السبعة (٣/ ١٣٠).

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾.

سبَبُ نُزُولِهَا:

أنَّ رَجُلًا، يُقال له: رِفاعةُ، ماتَ وترَكَ ولدًا صَغيرًا، يُقالُ لَه: ثابتٌ، فوَلِيَه عمُّه، فجاءَ إلَى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: إنَّ ابنَ أخي يَتيمٌ في حِجْري، فما يَحِلُّ لي مِنْ مالِه؟ ومتَى أدْفَعُ مالَه إليْهِ؟ فنزَلَتْ هذه الآيةُ، ذكَرَهُ[١] مُقاتِلٌ[٢].

و«الابْتِلاءُ»: الاخْتِبارُ.

وبماذَا يُختبَرُونَ؟

فيه ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم يُختبَرُون في عُقولِهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ، وسُفيانُ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: يُختبَرُون في عُقولِهِم ودِينِهِم[٣]، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ. وعنْ مُجاهِدٍ كالقوْلَيْنِ.

والثَّالثُ: في عُقولِهِم ودينِهِم، وحفْظِهِم[٤] أمْوالَهم، ذكَرَهُ الثَّعْلبيُّ[٥].

---

(١) في (ت)، و(م): ذكر نحوه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٥٨)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٢٢) من طريق سعيد، به بنحوه. وذكره الواحدي في أسباب النزول (١/ ١٤٣) بدون إسناد.

(٣) قوله: (قاله ابن عباس)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٤) في (ف): وحفظ.

(٥) الكشف والبيان (٣/ ٢٥٤).

قالَ القاضِي أبو يَعْلَى[(١)]: وهذَا الابْتِلاءُ قبْلَ البُلُوغِ[(٢)].

قوْلُه تعالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي[(٣)]: بلَغُوا[(٤)] [إلَى][(٥)] أن ينْكِحُوا النِّسَاءَ[(٦)].

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾؛ أي: علِمْتُم، وتبيَّنْتُم. وأصْلُ أنسْتُ: أبْصَرْتُ.

وفِي «الرُّشد» أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: الصَّلاحُ فِي الدِّينِ[(٧)]، وحفْظُ المالِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ.

والثَّانِي: الصَّلاحُ فِي العقْلِ، وحِفْظُ المَالِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والسُّدِّي.

والثَّالث: أنَّه العقْلُ، قالَه مُجاهِدٌ، والنَّخعِيُّ.

والرَّابعُ: العقْلُ، والصَّلاحُ فِي الدِّين، رُوي عنِ السُّدِّيُّ.

❁ ❁ ❁

---

(١) (قال القاضي) ليس في (ف).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ف): يبلغوا.

(٥) من (ج).

(٦) غريب القرآن (١/ ١٢٠).

(٧) في (ف): الصلاح والدين.

فَصْلٌ

واعْلَـم أنَّ اللهَ تعـالَى عَلَّـق رفْـعَ الحَجْـرِ عـنِ اليتَامـى بأمْرَيْـنِ: البُلـوغُ والرُّشـدُ، وأَمـرَ الأوْليـاءَ باخْتِبارِهِـم، فـإذَا اسْـتَبَانُوا(١) رُشـدَهُم، وجَـبَ عليْهِم[١٣٢/ ب] تَسْـلِيمُ أمْوالِهـم إليْهِـم.

والبُلوغُ يكونُ بأحَدِ خَمْسَةِ أشْيَاءَ:

ثلاثَـةٌ يَشْـتَرِكُ فيهـا الرِّجـالُ والنِّسـاءُ: الِاحْتـلامُ، واسْـتِكمالُ خَمْـسَ عـشَرَةَ سـنَةً، والإنْبَـاتُ.

وشَيْآن يَخْتَصَّانِ بالنِّساءِ: الحَيْضُ، والحَمْلُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾.

خِطابٌ للأوْلِياءِ، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لا تأْكُلوها بغَيْرِ حَقٍّ(٢).

﴿وَبِدَارًا﴾: تُبـادِرُونَ أكْلَ المَـالِ قبْـلَ بُلـوغِ الصَّبِـيِّ ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بمَالِـه عـنْ مـالِ اليَتيـمِ.

---

(١) في (ت): فاستبانوا.

(٢) رواه أبـو داود (٢٨٧١)، والنسـائي في المجتبـى (٣٦٦٩) و(٣٦٧٠) وفي السـنن الكـبرى (٦٤٦٣) و(٦٤٦٤)، وأحمـد في مسـنده (٥/ ١٤٠)، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٣/ ٦٩٨- ٦٩٩- ٧٠٢)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٢٠٨١)، والحاكـم في المسـتدرك (٢٤٩٩) و(٣١٠٣) و (٣١٨٤)، والبيهقـي في السـنن الكـبرى (١٠٣٦٠) و(١١٠٠٣) و(١٢٦٧١)، وفي الآداب (٦٥١) مـن طريـق سـعيد بـن جبـير، بـه، بنحـوه.

وفي «الأكْلِ بالمعْرُوفِ[١]» أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّه الأخْذُ على وجْهِ القرْضِ، وهذا مرْوِيٌّ[٢] عنِ عُمرَ، وابْنِ عبّاسٍ، وابْنِ جُبيرٍ، وأبي العاليةِ، وعَبيدةَ[٣] السَّلمانِيِّ[٤]، وأبي وَائلٍ، ومُجاهِدٍ، ومُقاتِلٍ.

والثّانِي: الأكْلُ بمِقدارِ الحاجةِ مِن غيْرِ إسْرافٍ، وهذا مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبّاسٍ، والحسَنِ، وعكْرِمةَ، وعطَاءٍ، والنَّخَعيِّ، وقتادَةَ، والسُّدِّيِّ.

والثّالث: أنّه الأخْذُ بقَدْرِ الأُجرَةِ إذا عمِلَ لليتِيمِ عمَلًا، رُوي عنِ ابْنِ عبّاسٍ، وعائشةَ، وهي رِوايَةُ أبي طَالبٍ، وابْنِ[٥] منْصُورٍ عنِ الإمَامِ[٦] أحمَدَ رضوان الله عليه[٧].

والرّابعُ: أنّه الأخْذُ عندَ الضَّرُورةِ، فإنْ أيْسَر قضَاهُ، وإنْ لم يُوسِرْ، فهوَ فِي حِلٍّ[٨]، وهذَا[٩] قوْلُ الشّعبيِّ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ج): المعروف.

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ج): عبيد.

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) في (ف): أبي.

(٦) ليست في (ت).

(٧) انظر: الكافي؛ لابن قدامة (٢/ ١٠٧).

(٨) في (م): فهو في كل حال.

(٩) في (ف): هذا.

فَصْلٌ

واخْتَلَف العُلماءُ: هلْ هذِه الآيَةُ مُحكمَةٌ أَمْ منْسُوخةٌ؟

علَى قوْلَيْنِ:

أحدهما[١]: [أنَّهَا][٢] مُحكَمَةٌ، وهوَ قوْلُ عمرَ، وابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، والشَّعبِيِّ، وأبي العالِيةِ، وابْنِ جُبيرٍ، ومُجاهِدٍ[٣]، والنَّخَعيِّ، وقتادَةَ فِي آخرينَ.

وحكمُها عنْدَهُم: أنَّ الغنِيَّ ليس لـه أنْ يأكلَ مِن مالِ اليَتِيم شيْئًا[٤]، فأمَّا الفَقِيرُ الَّذي لا يَجِدُ مَا يكْفِيه، وتُشغله رِعايةُ اليَتيم ومالِه[٥] عن تَحْصيلِ الكفَايةِ، فلَه أن يأْخُذَ قدْرَ كِفايتِه بالمعرُوف مِن غيْرِ إِسْرافٍ.

وهلْ عليه الضَّمانُ إذَا أيْسَر؟

فِيه قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه لا ضمَانَ عليه، بل يكونُ كالأُجرَةِ له علَى عمَلِه، وهو قوْلُ الحسَنِ، والشَّعبِيِّ، والنَّخَعيِّ، وقتادَةَ، وأحمَدَ بْنِ حنْبَلٍ[٦].

والثَّانِي: إذا أيْسَر وجَب علَيْه القضَاءُ، رُوي عنِ عُمرَ وغيرِه، وعنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا[٧] كالقوْلَيْنِ.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) من (ف).

(٣) في (ج): ومجاهد وابن جبير.

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ت)، و(ج): رعاية مال اليتيم.

(٦) انظر: المغني؛ لابن قدامة (٤/ ١٨٠).

(٧) ليست في (ج)، و(ف).

والقـوْلُ الثَّـانِي: أنّهـا منْسُـوخةٌ بقوْلِـه تعـالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] وهـذا مـرْوِيٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، ولا يصِـحُّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾.

قـال القَـاضِي أبـو يَعْلَى: هـذا عـلَى طريـقِ الاحْتِيـاطِ للْيَتيـمِ، والـوَلِيِّ، وليْـسَ بواجِـبٍ، فأمَّـا اليَتيـمُ، فإنَّـه إذا كانَـتْ عليـه بَيِّنـةٌ، كانَ أبْعـدَ مِـن أنْ يدَّعِـيَ عـدَمَ القبْـضِ، وأمَّـا الـولِيُّ، فإنَّـه تُظْهـرُ[1] أمانتـهُ، وتَسْـقُطُ[2] عنـه اليَمِـينُ[3] عنْـد إنْـكارِ اليَتِيـمِ[4] الدَّفْـعَ.

وفي «الحَسِيب» ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنّه الشَّهِيدُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

والثَّـانِي: أنّـه الـكافِي، مِـن قوْلِـك: أحْسَبَنِي هـذَا الـشَّيءُ؛ أي: كفَـانِي، واللهُ حَسِـيبِي وحَسِـيبُكَ؛ أي: وَكَافِينـا؛ أي: يكـونُ حكَـمًا بيْنَنَـا كَافِيًـا. قـالَ الشَّـاعِرُ[5] [مـن الطويـل]:

وَنُقْفِـي وَلِيـدَ الحَيِّ: إنْ كَانَ جَائِعًا وَنُحْسِـبُهُ: إنْ كَانَ لَيْـسَ بِجَائِـعِ

(١) في الأصل، و(ج): يظهر، والمثبت من غيرهما.

(٢) في (ج)، و(ف): ويسقط.

(٣) في (ف): النهي.

(٤) في (ت): اليمين.

(٥) البيت لامرأة من بني قشير في التنبيه والإيضاح (١/ ٦٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٦٠)، وتاج العروس (٢/ ٢٧٩) (حسب)، ولسان العرب (١/ ٣١٢) (حسب)، و(١٤/ ٢٧٩) (دوا).

أي: نُعْطِيه مَا يَكْفِيه، حتَّى يقُولَ: حَسْبِي[١]، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٢]، والخَطَّابِيُّ[٣].

والثَّالث: أنَّه المُحَاسِبُ، فيكُونُ فِي مذْهبِ جَلِيسٍ، وأَكِيلٍ، وشَرِيبٍ، حكَاهُ ابْنُ قُتيبةَ[٤]، والخطَّابِيُّ[٥]. [١٣٣/أ]

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧].

قوْلُه تَعَالَى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾.

سبَبُ نُزولِهَا:

أنَّ أوْسَ بْنَ ثَابتٍ الأنْصَارِيَّ تُوفِّيَ وترَكَ ثَلاثَ بَناتٍ وامْرَأَةً، فقَامَ رجُلانِ مِن بَنِي عمِّه، يُقَال لَهمَا: قَتادةُ[٦] وعُرْفطةُ[٧]، فأَخَذا مالَه، ولم يُعطيا امْرأَتَهُ، ولا بنَاتَهُ شيْئًا، فجاءَتِ امْرَأَتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فذكَرَتْ لَه ذلِك، وشكَتِ الفَقرَ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[٨].

(١) من قوله: (وحسيبك؛ أي: وكافينا)... إلى هنا ساقط من الأصل، و(ت)، و(ج)، و(ف)، والمثبت من (ر) و (م).

(٢) غريب القرآن (١/ ١٧).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٦٩).

(٤) غريب القرآن (١/ ١٧).

(٥) شأن الدعاء (١/ ٧٠).

(٦) في (ج): وعكرمة.

(٧) في (ت): وعُرْطُفَةُ.

(٨) لم أقف عليه مسند إلى ابن عباس وجاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ١٢٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٦٠)، والواحدي في البَسِيط (٧/ ١٢١) وفي أسباب النزول (١/ ٩٥) بدون إسناد، وقال السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٣٩): أخرجه ابن=

وقالَ قتادَةُ: كانوا لا يُورِّثُونَ النِّساءَ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ(١).

والمُرادُ بـ «الرِّجالِ»: الذُّكُورُ، وبـ «النِّساءِ»: الإِناثُ، صِغارًا كانُوا أو(٢) كِبارًا.

و«النَّصِيب»: الحَظُّ مِنَ الشَّيءِ، وهوَ مُجمَلٌ فِي هذه الآيةِ، ومِقدارُه معْلُومٌ مِن(٣) موضِعٍ آخر، وذلِك مِثْلُ قوْلِه تعالى: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوْلِه تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣].

و«المَفْروضُ»: الَّذي فرَضَهُ اللهُ، وهوَ آكدُ مِنَ الوَاجِبِ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾ [النساء: ٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

فِي هذِه القِسمةِ(٤) قوْلَانِ:

أحدُهما: قِسمَةُ المِيراثِ بعْدَ موْتِ المَوْروثِ، فعلَى هذا يكونُ الخِطابُ للوَارِثين، وبِهذا قالَ الأكْثرُون، مِنْهمُ ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، والزُّهريُّ.

والثَّاني: أنَّها وَصِيَّةُ المَيِّتِ قبْلَ موْتِه، فيكونُ مأْمُورًا بأنْ(٥) يُعيِّنَ لِمَنْ

=جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة.

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٢٢) ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٨٤٥) وابن المنذر في تفسيره (١٤٠٥) عن معمر به. وزاد في (ج) بعدها: قاله ابن عبَّاس.

(٢) ليست في (ت).

(٣) في (ف): في.

(٤) في (ف): الآية.

(٥) في (ج): أن.

لا يرِثُه شيْئًا، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ زيْدٍ.

قالَ المُفسِّرُونَ: والمُرادُ بأُولي القُربى: الَّذِين لا يرِثُونَ.

﴿فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾؛ أي: أعْطُوهم [منْهُ][١]، وقِيلَ: أطْعِمُوهم، وهذا على[وَجهِ][٢] الِاسْتحبَابِ عندَ الأكْثرِينَ[٣].

وذهَبَ قوْمٌ إلَى أنَّه وَاجِبٌ فِي المالِ، فإنْ كانَ الورَثةُ كِبارًا، تولَّوْا إعْطاءَهُم، وإنْ كانُوا صِغارًا تولَّى ذلِك عنْهُم ولِيُّ مالِهم، فرُوي عَن أبِي[٤] عبيدةَ أنَّه قسَّمَ مالَ أيْتامٍ، فأمَرَ بِشاةٍ، فاشْتُرِيتْ مِن مالِهم، وبِطَعامٍ فصُنِعَ، وقالَ: لوْلَا هذِه الآيةُ لَأحْبَبْتُ أنْ يكونَ مِن مالِي[٥].

وكذلِك فعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرينَ فِي أيْتَامٍ وَلِيَهُم[٦].

وكذلِك رُوي عنْ مُجاهِدٍ: أنَّ مَا تَضمَّنَتْه هذِه الآيَةُ وَاجِبٌ[٧].

وفِي «القوْلِ المعْرُوفِ» أرْبعةُ أقْوالٍ:

---

(١) ليست في الأصل، و(ف)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) من (ف).

(٣) في (ف): الأكثرون.

(٤) من الأصل فقط.

(٥) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٦٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٥) و(٣٠٨٩٠)، وأبو عُبيد القاسم بن سلَّام في الناسخ والمنسوخ (٣٠)، والطبري في تفسيره (٦/ ٤٤٥)، وابن أبي حاتم (٤٨٥٩) من طريق عن محمد بن سيرين به.

(٦) في (ف): ووليهم.

(٧) رواه الثوري في تفسيره (١/ ٨٩)، ومن طريقه سعيد بن منصور في تفسيره (٥٧٧)، وعبد الرزاق في تفسيره (٥٢٦)، وأبو عُبيد القاسم بن سلاّم في الناسخ والمنسوخ (٣٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٤)، والنَّحَّاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٠٤)،= =وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٨٦٢) من طريق ابن أبي نجيح به بنحوه.

أحدُهـا: أنْ يقُـولَ لهُـمُ الـوَلِيُّ حِـين يُعْطِيهـم: خُـذْ بـارَكَ اللهُ فِيـكَ، رَواه سـالِمٌ الأفْطَسُ، عـنِ ابْـنِ جُبـير[١].

والثَّـانِي: أنْ يقُـولَ الـوَلِيُّ: إنَّـه مـالُ يتَامَـى، ومَـا لِي فِيـهِ شيْءٌ، رَواه[٢] أبـو بِـشرٍ عـنِ ابْـنِ جُبـير[٣]. وفِي رِوايـةٍ أُخـرى عـنِ ابْـنِ جُبـيرٍ إنَّـه[٤] قـالَ: إنْ كانَ الميِّـتُ أوْصَى لهُـم بـشيْءٍ أُنفـذتْ لَهـم وَصِيتُهُـم، وإن كانَ الورَثَـةُ[٥] كِبـارًا رَضَخُـوا[٦] لهُـم، وإنْ كانُـوا صِغـارًا، قـالَ ولِيُّهُـم: إنِّي لسْـتُ أمْلِـكُ هـذَا المـالَ، إنَّـما هـو للصِّغـارِ، فذلِـكَ القـوْلُ[٧] المعْـرُوفُ[٨].

(١) رواه ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٨٣٨) من طريق سالم الأفطس به نحوه.

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه سـعيد بـن منصـور في تفسـيره (٥٧٦)، وأبـو عُبيـد القاسـم بـن سـلاّم في الناسـخ والمنسـوخ (٢٩)، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦/ ٤٣٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٤٨٥٧)، وابـن المنـذر في تفسـيره (١٤١٢)، والبيهقـي معرفـة السـنن والآثـار (١٢٧٩٠) مـن طريـق عـن أبي بـشر، ورواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (٣٠٨٩٩)، وعبـد الله بـن أحمـد في العلـل ومعرفـة الرجـال (٢/ ٣١٣) مـن طريـق السـدي، عـن أبي سـعيد، كلاهمـا (أبـو بـشر، و أبـو سـعيد) عـن سـعيد بـن جبـير عـن بنحـوه .

ورواه البخـاري (٢٧٥٩)، والبيهقـي في السـنن الكـبرى (١٢٥٥٧) وفي معرفـة السـنن والآثـار (١٢٧٩٢) مـن طريـق أبي عوانـة، عـن أبي بـشر، عـن سـعيد بـن جبـير، عـن ابـن عبـاس رضي الله عنهـما نحـوه.

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) في (ف): الوارث.

(٦) الرضخ: العطاء القليل.

(٧) ليست في (ف).

(٨) انظر: الأثر السابق.

والثَّالِـثُ[١]: أَنَّـه العِـدَةُ الحسَـنَةُ، وهـو أنْ يقُـولَ لهُـم أوْليـاءُ الورَثَـةِ: إنَّ هـؤلاءِ الورثَـةَ صِغَـارٌ، فـإذا بلَغُـوا أمَرْنَاهُـم أن يعْرِفُـوا حقَّكُـم. رَواه عطَـاءُ بْـنُ دِينَـارٍ، عـنِ ابْـنِ جُبـيرٍ[٢].

والرَّابـعُ: أنَّهُـم يُعْطَـوْنَ مِـنَ المـالِ، ويُقَـال لهُـم عنْـدَ قسْـمَةِ الأَرضِـينَ [١٣٣/ب] والرَّقِيـقِ: بُـورِكَ فِيكُـم، وهـذا[٣] القـوْلُ المعْـرُوفُ[٤]. قـالَ[٥] الحسَـنُ والنَّخعِيُّ: أدْركْنَـا النَّـاسَ يفْعَلُـونَ هـذَا[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ف): والثالث.

(٢) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٤٨٦٧) مـن طريـق عبـد الله بـن لهيعـة، عـن عطـاء بـن دينـار، عـن سـعيد بـن جبـير بـه.

(٣) في (ج)، و(ف): وهو.

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ج): قاله.

(٦) ذكـره الزجـاج في معـاني القـرآن وإعرابـه (٢/ ١٦)، والواحـدي في البَسِـيْط (٦/ ٣٤٤)، والراغـب الأصفهـاني في تفسـيره (٣/ ١١١٢)، والزمخـشري في الكشـاف (١/ ٤٧٧).

فَصْلٌ

اخْتلَفَ عُلماءُ النَّاسخِ والمنْسُوخِ فِي هذِه الآيَةِ(١) علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها محُكمَةٌ، وهوَ قوْلُ أبي مُوسَى الأشْعرِيِّ، وابْنِ عبَّاسٍ، والحَسَنِ، وأبي العاليةِ، والشَّعبيِّ(٢)، وعطَاءِ بْنِ أبي رَبَاح(٣)، وسعيدِ(٤) بْنِ جُبيرٍ، ومُجاهِدٍ، والنَّخعيِّ، والزُّهريِّ(٥).

وقد ذكرْنَا أنَّ مَا تضمَّنتْهُ(٦) مِنَ الأمْرِ مُستحبٌّ عنْدَ الأكثرينَ، وَواجِبٌ عنْدَ بعْضِهم.

والقوْلُ الثَّانِي: أنَّها منْسُوخةٌ، نَسَخها(٧) قوْلُه تعَالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ رَواه مُجاهدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٨)، وهوَ قوْلُ سعِيدِ بْنِ المُسيَّب، وعكرِمَةَ، والضَّحَّاكِ، وقتَادَةَ فِي آخرينَ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾ [النساء: ٩].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (م): والشعبي وأبي العالية.

(٣) (عطاء بن أبي رباح) ليس في (م).

(٤) ليس في (م). وفي (ت): وسعد.

(٥) في (م): وقتادة. وزاد: في آخرين.

(٦) ليست في (ت).

(٧) في (ج): نسختها.

(٨) رواه البخاري (٢٧٤٧-٤٥٧٨-٦٧٣٩)، وأبو داود (٢٨٦٩)، والدارمي (٣٣٠٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٥٩) وغيرهم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا ﴾.

اخْتلَفُوا فِي المُخاطَبِ بهذِه الآيَةِ علَى ثلاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه خِطابٌ للحاضِرينَ عنْد المُوصِي.

وفِي معْنى الآيَةِ علَى هذَا القوْلِ قوْلانِ:

أحدهما: ولْيخْشَ الَّذِين يحْضُرونَ مُوصِيًا فِي مالِه أن يأْمُروه بتفْرِيقِه فيمَن لا يرثُه، فيفرِّقه ويتْرُك ورثتَه، كما لو كانُوا همُ المُوصِينَ لَسَرَّهُمْ أنْ يحثَّهُم مَنْ حضَرهم علَى حفظِ الأمْوَالِ للأوْلَادِ، وهذا [المعنى][1] مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وسعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، ومُجاهِدٍ، وقَتادةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّي، ومُقاتِلٍ.

والثَّانِي: علَى الضِّدِّ مِن هذا القوْلِ، وهوَ أنَّه نَهْيٌ لحاضِري المُوصِي أنْ يمْنعُوه مِنَ الوصيَّةِ لِأقارِبِه، وأنْ يأمُروه بالِاقْتصارِ علَى ولدِه، وهذَا قوْل مِقْسَم[2]، وسُليْمانَ التَّيْمِيِّ فِي آخرِينَ.

والقوْلُ الثَّانِي: أنَّه خِطابٌ لأوْلِياءِ اليتامَى، متعلِّقٌ بقوْلِه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ فمعْنَى الكلامِ: أحْسِنُوا فيمَنْ ولِيتُم مِنَ اليتامَى، كما تُحبُّون أنْ يُحسِنَ وِلاةُ أوْلادِكُم فِي أوْلادِكُم[3] بعدَكُم، وهذا المعْنَى مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ السَّائب.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) بكسر أوله: ابن بجرة، ويقال: ابن نجدة، أبو القاسم مولى عبد الله بن الحارث، ويقال له: مولى ابن عباس للزومه له، رَوَى عن ابن عباس وعبد الله بن الحارث وعائشة، صدوق، وكان يرسل من الرابعة، مات سنة (١٠١هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٨)؛ وتقريب التهذيب (ص: ٣٤٦).

(٣) (في أولادكم) من الأصل فقط.

والثَّالث: أنَّه خطابٌ للأوْصِياء أُمِروا بإجْرَاءِ(١) الوصِيَّةِ علَى ما رَسَم المُوصِي، وأنْ تكُونَ الوجوهُ الَّتي عيَّنَها مرعيَّةً بالمُحافظةِ كرَعيِ الذُّرِّيَّةِ الضِّعافِ مِن غيرِ تبْدِيلٍ، ثُمَّ نُسخ ذلك بقوْلِه تعالَى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ {البقرة: ١٨٢} فأمَرَ الوَصِيَّ(٢)، بهذه الآيةِ إذا وجَدَ ميْلًا عنِ الحقِّ فِي الوصيَّةِ(٣) أنْ يَستعمِلَ قَضِيَّةَ الشَّرعِ، ويُصلحَ بيْنَ الورَثةِ، ذكرَهُ شيْخُنا علِيُّ بْنُ عُبيدِالله، وغيْرُهُ فِي «النَّاسخِ والمنْسُوخ». فعلى هذا تكونُ الآيةُ منْسُوخةً، وعلَى ما قبْلَه تكونُ مُحكَمَةً.

و «الضِّعَافُ»: جَمْعُ ضَعيفٍ، وهمُ الأوْلَادُ الصِّغَارُ.

وقَرأَ حمْزَةُ: ضِعافًا، بإمَالةِ العيْنِ(٤).

قالَ أبو علِيٍّ: ووجهُها: أنَّ ما كانَ علَى «فِعَالٍ» وكانَ أوَّلُه حرْفًا مُستَعْلِيًا مكسُورًا؛ نحو: ضِعَافٍ(٥)، وخِفَافٍ، وقِفَافٍ، حسُنتْ فيهِ [١٣٤/أ] الإمالةُ؛ لأنَّه قد يُصَعَّدُ(٦) بالحرْفِ المُستعلِي، ثُمَّ انْحَدَرَ بالكسْرِ، فيُستحبُّ أنْ لَا يُصَعَّدَ(٧) بالتَّفخِيم بعْدَ التَّصوُّتِ(٨) بالكسْر، فيُجعَلَ الصَّوتُ علَى

---

(١) في المطبوع: بأداء.

(٢) في الأصل، و(ف): الموصي، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) (في الوصية) من الأصل فقط.

(٤) السبعة؛ لابن مجاهد (ص:٢٢٧)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٢٩٢)، المبسوط؛ للنيسابوري(ص:١٧٥).

(٥) في (ت): ضفاف.

(٦) في (ت): تصعد.

(٧) في (ج): يُتصعَّد.

(٨) في (ف)، والمطبوع: التصوب.

طريقَـةٍ واحِـدَةٍ[١]؛ [فـلا يَتصَعَّـدُ بالتَّفْخِيـم بعـدَ التَّصعُّـدِ بالكَـسْرَةِ، وذلِـك نحـوُ مـا قدَّمنَـاه مِـن نحْـوِ: ضِعَـافٍ وقِفَـافٍ][٢].

وكذلك قَرأ حمْزَةُ: ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ بإمالة الخاء[٣].

والإِمَالَـةُ هاهُنـا حسَـنَةٌ[٤]، وإِنْ كانَـتِ «الخَـاءُ» حرْفًـا مُسـتعلِيًا؛ لأَنَّـه يطلُـبُ الكَـسْرَةَ الَّتـي [فِي الخَـاء][٥] فِي «خِفـتُ» فينحُـو نحوَهـا بالإِمَالـةِ.

و«القوْلُ السَّديدُ»: الصَّوابُ.

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ رَجُـلًا مِـن غطَفَـانَ، يُقـال لـه: مَرْثَـدُ بـنُ زيْـدٍ، وَلِيَ مـالَ ابْـنِ أخيـهِ، فأكَلَـه، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، قالَـه مُقاتـلُ بْـنُ حيَّـانَ[٦].

والثَّـانِي: أنَّ حَنْظلَـةَ بْـنَ الشَّـمرْدَلِ وَلِيَ يتيـمًا، فـأكَلَ مالَـه، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، ذكـرَهُ بعْـضُ المُفسِّريـنَ[٧].

---

(١) الحجة (٣/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) السبعة (ص:٢٢٧)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٢)، و الحجة (٣/ ١٣٥).

(٤) في الأصل: فحسبه، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) من (ج).

(٦) ذكـره الواحـدي في أسـباب النـزول (١/ ١٤٤)، والثعلبـي في الكشـف والبيـان (٣/ ٢٦٣)، والبغـوي في معـالم التنزيـل (٢/ ١٧١) عـن مقاتـل.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٥٦).

وإنَّما خَصَّ «الأكْلَ» بالذِّكْرِ؛ لأنَّه مُعْظَمُ المَقْصُودِ، وقِيلَ: عبَّرَ بِه عنِ الأخْذِ.

قالَ[١] سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ: ومعْنَى «الظُّلم»: أن يأخذَهُ بغَيْرِ حقٍّ[٢].

فَأمَّا ذِكْرُ «البُطون» فلِلتَّوْكيد، كما تقولُ: نظَرْتُ بعَيْني، وسمعْتُ بأُذني.

وفي المُراد بأكْلِهمُ النَّارَ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم[٣] سيأْكُلونَ يوْمَ القِيامةِ نارًا، فسُمِّيَ الأكْلُ بما يؤُولُ إليهِ أمْرُهم؛ كقوْلِه تعالى: ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يوسف: ٣٦].

قالَ السُّدِّيُّ: يُبْعثُ آكِلُ مالِ اليَتِيم [ظُلمًا][٤]، ولَهَبُ النَّارِ يخْرُجُ مِن فِيهِ، ومِن مسَامِعِه، [وأُذنَيْهِ][٥]، وأنفِهِ، وعيْنَيْهِ، يَعْرِفُه مَن رَآه بأَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ[٦].

والثَّاني: أنَّه مَثَلٌ. معنَاهُ: يأْكُلونَ ما يَصِيرونَ[٧] بهِ إلى النَّارِ؛ كقوْلِه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ [آل عمران: ١٤٣]؛ أي: [فقَدْ][٨] رَأيْتم أسْبابَهُ.

---

(١) في الأصل: قاله، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٨٨٠) من طريق عطاء به، بنحوه.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٨٨٢) من طريق أسباط، به، بنحوه.

(٧) في (ج): تأكلون ما تصيرون.

(٨) من (ت).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾[١] بفتْحِ اليَاءِ[٢].

وقرَأ الحسَنُ، وابْنُ عامِرٍ، بضمِّ الياءِ، ووَافَقَهُما ابْنُ مِقْسَمٍ، إلَّا أنَّه شدَّدَ[٣].

والمعْنَى: سيُحرَّقُون بالنَّار، ويُشْوَوْنَ.

و«السَّعِيرُ»: النَّارُ المُستعرةُ[٤]، واسْتِعارُ النَّارِ: تَوَقُّدُها ولهيبها[٥].

❁❁❁

فَصْلٌ[٦]

وقد توهَّمَ قوْمٌ لا علمَ لهم بالتَّفْسِير وفهمِهِ[٧]، أنَّ هذه الآيَةَ منْسُوخةٌ؛ لأنَّهم سمِعُوا أنَّها لَمَّا نزَلَتْ، تحرَّجَ القوْمُ عنْ[٨] مُخالطَةِ اليتَامَى، فنزَل قولُهُ تعالَى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وهذا غلَطٌ، وإنَّما ارْتفَع عنهُمُ الحرَجُ بشَرْطِ قصْدِ الإصْلَاحِ، لا علَى إباحَةِ الظُّلْمِ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) السبعة (ص:٢٢٧)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٣)، والحجة (٣/ ١٣٦).

(٣) ﴿سيُصَلَّوْن﴾ قراءة شاذة عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٣١)، وشواذ الكرماني (ص: ١٣١)، وإعراب القراءات للعكبري (١/ ٣٧١)، وعن ابن مقسم في الكامل للهذلي (ص:٥٢٤).

(٤) في (ت): المستعيرة.

(٥) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٦) ليست في (ت).

(٧) في (ت)، (ج)، و(ف): وفقهه.

(٨) في (ف): من.

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: ١١].

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدُها: أنَّ جابرَ بنَ عبدِ الله مَرِضَ، فعادَهُ رسولُ الله ﷺ، فقال: كيفَ أصْنَعُ في مالي يا رسولَ الله! فنزلَتْ هذه الآيةُ، رواه البُخاريُّ ومُسلمٌ(١).

والثَّاني: أنَّ امْرأةً جاءتْ إلى النَّبيِّ ﷺ بابْنَتَيْنِ لها، فقالتْ: يا رسُولَ اللهِ! قُتِلَ أبو هاتَيْنِ معَكَ يومَ أُحدٍ، وقدِ اسْتفاءَ عمُّهما مالَهما(٢)، فنزلَتْ [هذه الآيةُ](٣)، رُوي عنْ جابرِ بْنِ عبدِ الله أيْضًا(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٩٤)، ومسلم (١٦١٦) من طرق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في الأصل: مالها، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) من (ج)، و(ف).

(٤) رواه أبو داود (٢٨٩١)، والترمذي (٢٢٢٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، وأحمد في مسنده (٣٥٢)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٨٩- ٤٩٣٠)، والطحاوي شرح مشكل الآثار (١٢٨٥- ١٢٨٦)، وفي شرح معاني الآثار (٧٤٢٠) والحاكم (٧٩٥٤- ٧٩٩٥)، وأبو يعلى في مسنده (٢٠٣٩)، والدارقطني في سننه (٤٠٩٣- ٤٠٩٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٥٥- ٣٧٦)، والصغرى، (٢٢٨٦)، والواحدي في أسباب=

والثَّالِثُ: أنَّ عبدَ الرَّحمنِ أخَا حسَّانِ بْنِ ثابِتٍ[١] ماتَ، وتَرَكَ امْرَأةً، [١٣٤/ ب] وخمْسَ بَنَاتٍ، فأخَذَ ورثتُهُ مالَهُ[٢]، ولم يُعطوا امْرأتَهُ، ولَا بناتَه شيْئًا، فجاءتِ امْرأتُه تشْكُو إلى النَّبيِّ ﷺ، فنزلَتْ هذِه الآيَةُ، هذا قوْلُ السُّديِّ[٣].

قالَ الزَّجاجُ: ومعْنى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾: يفْرِضُ عليْكُم؛ لأنَّ الوصيَّةَ منْهُ فرْضٌ[٤].

وقالَ غيْرُه: إنَّما ذكرَهُ بلفظِ الوصيَّةِ لأمْرَينِ:

أحدهما: أنَّ الوصِيَّةَ تزِيدُ علَى الأمْرِ، فكانَتْ آكدَ.

والثَّانِي: أنَّ فِي الوصيَّةِ حقًّا للمُوصِي، فدَلَّ علَى تأكِيدِ الحالِ بإضافَتِه إلَى حقِّه.

وقَرأَ الحسَنُ، وابْنُ أَبِي عبْلَةَ: «يُوصِّيكُم» بالتَّشديدِ[٥].

=النزول (ص: ٩٦-٩٧) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل به.

قال أبو داود: «أخطأ بشر فيه إنما هما ابنتا سعد بن الربيع، وثابت بن قيس، قتل يوم اليمامة». وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التعليق وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٢١٣).

انظر: السبعة (ص:٢٢٧)، معاني القراءات (١/ ٢٩٣)، الحجة (٣/ ١٣٦).

(١) في (ج): حسان بن كعب.

(٢) ليست في (ج).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٦٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨).

(٥) قراءة شاذة، انظر الكامل؛ للهذلي (ص: ٥٢٤)، وشواذ القراءات للكرماني (ص: ١٣١).

قَوْلُـه تعَـالَى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ يعْنِـي: للابْـنِ مِـنَ المِـيراثِ[1] مِثْـلُ حـظِّ الأُنْثَيَـيْنِ[2].

ثُـمَّ ذكَـرَ نَصِيـبَ الإِنَـاثِ مِـنَ الأَوْلَادِ فقَـالَ: ﴿فَإِن كُنَّ﴾ يعْنِـي: البنَـاتِ ﴿نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾[3].

وفِي قَوْلِه تعَالَى: ﴿فَوْقَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهمَــا: أنَّهَــا[4] زائِــدةٌ[5]؛ كقَوْلِــه تعَــالَى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفــال: ١٢].

والثَّانِي: أنَّها بمعْنَى الزِّيادَةِ.

قـالَ القـاضِي أبـو يعْـلَى: إنَّـما نـصَّ عـلَى مـا فـوْقَ الاثْنَتَـيْنِ، والواحِـدةِ، ولم ينـصَّ عـلَى الاثْنَتَـيْنِ؛ لأنَّـه لَمَّـا جعَـل لِكُلِّ واحـدةٍ مـعَ الذَّكَـرِ الثُّلُـثَ، كانَ لهَـا مـعَ الأُنْثـى الثُّلُـثُ أوْلَى.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾.

الجُمهــورُ عَــلى النَّصْــبِ[6]. وقَــرأَ نافِــعٌ بالرَّفْــعِ[7]، عــلَى معْنَــى: وإنْ وقَعَــتْ، أوْ وُجِــدتْ واحِــدةٌ.

---

(١) في (ج): يعني للذكر.

(٢) في (ف): الابنتين.

(٣) من قوله: (يعني للابن من الميراث)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٤) في الأصل: لأنها، والمثبت من

(٥) في (ت): زيادة.

(٦) في نسخة: بالنصبب.

(٧) السبعة (ص:٢٢٧)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٣)، والمبسوط (ص:١٧٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أبَوَاهُ تَثْنِيةُ أَبٍ وأبَةٍ، والأصْلُ فِي الأُمِّ أنْ يُقالَ لهَا: أبَةٌ، ولكنِ اسْتَغْنَى عنها بأُمٍّ، والكِنايةُ فِي قوْلِه «لِأَبَوَيْهِ» عنِ الميِّتِ وإنْ لم يجرِ له ذِكْرٌ(١).

وقوْلُه تعَالَى: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾؛ أي: إذَا لم يَخلفْ(٢) غيرَ أبوَيْنِ، فثُلُثُ مالِهِ لِأُمِّهِ(٣)، والبَاقي للأَبِ، وإنَّما خصَّ الأمَّ بالذِّكر؛ لأنَّه لوِ اقْتصَرَ علَى قوْلِه تعالَى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ ظنَّ ظانٌّ(٤) أنَّ المالَ يكونُ بيْنَهُما نِصْفَيْنِ، فلمَّا خصَّها(٥) بالثُّلُثِ، دلَّ علَى التَّفْضِيلِ.

وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: ﴿فَلِأُمِّهِ﴾، و﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الزمر: ٦]، و﴿فِيٓ(٦) أُمِّهَا﴾ [القصص: ٥٩]، و﴿فِيٓ(٧) أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: ٤] بالرَّفع(٨).

وقرأ حمْزَةُ والكِسَائِيُّ كُلَّ ذلِكَ بالكسْرِ إذَا وصلا(٩)، وحُجَّتُهما: أنَّهما أتْبَعَا الهمْزَةَ مَا قبلهَا، مِن ياءٍ أو كسْرةٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣).

(٢) في (ت): يخلف.

(٣) ليست في (ت).

(٤) في الأصل: يكن، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ج): خصَّهما.

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ. وفي (ج): الظان.

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) السبعة (ص:٢٢٨)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٤)، والحجة (٣/ ١٣٧).

(٩) انظر: المراجع السابقة، والمبسوط (ص:١٧٦).

قوْلـه تعـالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾؛ أي: مـعَ الأبويْـنِ، فإنَّهـم يَحْجُبـونَ الأُمَّ عـنِ الثُّلُـثِ، فيَرُدُّونَهـا إلى السُّـدُسِ.

واتَّفقُـوا عـلَى أنَّهـم إذا كانُـوا ثلاثَـةَ إخْـوَةٍ[1] حجَبُـوا، فـإنْ كانَـا[2] أخوَيْنِ، فهـلْ يَحْجُبَانِها[3]؟

فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: يَحْجُبَانِهَا عنِ الثُّلُثِ، قالَه عُمرُ، وعثْمانُ، وعلِيٌّ، وزيْدٌ، والجُمهور.

والثَّـانِي: لا يَحْجُبُهـا[4] إلَّا ثَلاثَـةُ إخْـوَةٍ[5]، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، واحْتـجَّ بقوْلِـه: {إِخْـوَة}.

و«الأخوة»: اسْمُ جمْعٍ[6].

واخْتلَفُوا فِي أقلِّ الجمْعِ:

فقالَ الجُمهورُ: أقَلُّه ثلاثَةٌ.

وقالَ قوْمٌ: اثْنَانِ. والأوَّلُ: أصَحُّ.

وإِنَّـما حجَـبَ العُلـماءُ الأُمَّ بأخوَيْـنِ لِدليـلٍ اتَّفقُـوا عليْـهِ، وقـد يُسـمَّى الاثْنـانِ بالجمْـعِ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): كانوا.

(٣) في الأصل: يحجبان، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (ج): يحجبانها.

(٥) ليست في (ت)، (ج)، و(ف).

(٦) في (ت): جميع.

قالَ الزَّجَّاجُ: جميعُ أهْلِ اللُّغةِ يقُولُون: إنَّ الأخوَيْنِ جَماعَةٌ(١).

وحكَى سِيبويهِ أنَّ العرَبَ تقولُ: وضَعَا رِحالَهما، يُريدُون: رَحْلَيْ رَاحِلتَيْهِما(٢).

قوْلُه تعالَى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾؛ أي: هذه السِّهامُ إنَّما تُقسَمُ بعْدَ الوصِيَّةِ والدَّيْنِ. [١٣٥/أ]

قَرأَ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ، عن عاصِمٍ «يُوصَى بِهَا» بفتْحِ الصَّادِ في الحرْفَيْنِ.

وقَرأَ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «يُوصِي» فِيهما بالكسْرِ.

وقَرأَ حفْصٌ، عنْ عاصِمٍ(٣) الأُولَى بالكسْرِ، والثَّانِيةَ بالفتْحِ(٤).

واعْلَمْ أنَّ الدَّيْنَ مُؤَخَّرٌ في اللَّفْظِ، مُقدَّمٌ في المعْنَى؛ لأنَّ الدَّيْنَ حقٌّ عليْهِ، والوَصِيَّةُ حَقٌّ له، وهُما جَمِيعًا مُقدَّمانِ علَى حقِّ الوَرَثةِ إذا كانتِ الوَصِيَّةُ في ثُلُثِ المَالِ. و«أوْ» لَا تُوجِبُ التَّرْتِيبَ، إنَّما تدلُّ علَى أنَّ أحدَهُما إنْ كانَ، فالمِيراثُ بعدَهُ، وكذلِك إنْ كانَا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢).

(٢) الكتاب (٢/ ٤٩).

(٣) في (ج): وعاصم.

(٤) السبعة (ص:٢٢٨)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٥)، والمبسوط (ص:١٧٦).

قوْلُه تعَالَى: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه النَّفعُ[(١)] فِي الآخِرَةِ.

ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ الوَالِدَ إذا كانَ أرْفعَ درَجَةٍ من ولَدِه، رُفِع إليْهِ ولدُهُ، وكذلِكَ الوَلَدُ، رَواهُ أبو صالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه شَفاعَةُ بعْضِهِم فِي بعْضٍ، رَواهُ علِيُّ بْنُ أبي طلْحَةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٢)].

والقوْلُ[(٣)] الثَّانِي: أنَّه النَّفْعُ[(٤)] فِي الدُّنْيَا، قالَه مُجاهِدٌ.

ثُمَّ فِي معْناه[(٥)] قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: لا تَدْرُونَ هلْ موْتُ الآبَاءِ أقْرَبُ، فينْتَفِعُ الأبْنَاءُ بأمْوَالِهِم، أو مَوْتُ الأَبْنَاءِ، فينْتَفِعُ الآبَاءُ بمِيراثِهِم[(٦)]؟ قالَه ابْنُ بحْرٍ[(٧)].

---

(١) في (ج): أنهم أنفع.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩١٠) وابن المنذر في تفسيره (١٤٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به، نحوه.

(٣) من قوله: (والثاني: أنه شفاعة)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٤) في (ج): أنفع.

(٥) في الأصل: ثم فيه، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في (ج): بأموالهم.

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٦٩).

والثَّانِي: أنَّ المعْنَى: أنَّ الآبَاءَ والأبْنَاءَ يَتقاربُون[١] فِي النَّفْع، حتَّى لا يُدرَى أيُّهم أقْرَبُ نفعًا؛ لأنَّ الأوْلادَ ينْتَفِعُون فِي صِغَرِهم بالآبَاءِ، والآبَاءَ ينْتفِعُونَ فِي كِبَرِهم بالأبْنَاء، ذكرَهُ القاضِي أبو يعْلَى.

وقالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى الكلام: أنَّ اللهَ تَعالى قدْ فرَضَ الفَرائضَ علَى ما هو عنْدَه حِكمةٌ. ولو وُكِّلَ ذلِك إليْكُم لم تعلمُوا أيُّهم أنْفَعُ لكُم، فتضعُونَ الأمْوالَ علَى غيْرِ حِكمَةٍ. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا} بمَا يُصلِحُ خلقَهُ، {حَكِيمًا} فيمَا فرَضَ[٢].

وفي معْنَى «كان» ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناها: كانَ علِيمًا بالأشْيَاءِ قبْلَ خلْقِها، حكيمًا فيما يُقدِّر تدبيرَهُ مِنْها، قالَه الحسَنُ.

والثَّانِي: أنَّ معناها: لم يزَلْ.

قالَ سيبويهِ: كأنَّ القوْمَ شاهَدوا عِلمًا وحكمَةً، فَقِيل لَهم[٣]: إنَّ اللهَ كانَ كذلِك؛ أي: لم يَزَلْ علَى ما شاهدْتُم، ليْس ذلِك بحادثٍ[٤].

والثَّالث: أنَّ لفظَةَ «كانَ» فِي الخبَرِ[٥] عنِ اللهِ ﷻ يتَساوى ماضِيهَا ومُستقبلها؛ لأنَّ الأشْياءَ عنْدَهُ علَى حالٍ واحِدَةٍ، ذكرَ هذه الأقْوالَ الزَّجَّاجُ[٦].

---

(١) في نسخة: يتفاوتون.
(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤).
(٣) في الأصل: له، والمثبت من بقية النسخ.
(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥).
(٥) في (ت): الخير.
(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء: ١٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾.

قرأ الحسنُ: «يُورِّثُ» بفتحِ الواوِ، وكسرِ الرَّاءِ معَ التَّشْديدِ(١).

وفي «الكَلالَةِ» أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها ما دُون الْولَدِ والوَالِدِ، قالَه أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه. وقالَ عُمرُ بْنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: أتَى علَيَّ حِينٌ [وأنا](٢) لا أعْرِفُ ما الكَلالَةُ، فإذا هوَ: منْ لم يكُنْ لَه والِدٌ ولا ولَدٌ(٣). وهذا قوْلُ علِيٍّ، وابْنِ مسْعُودٍ، وزيْدِ بْنِ ثابتٍ، وابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وسعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، وعطَاءٍ، والزُّهريِّ، [١٣٥/ب]
وقتادَةَ، والفرَّاءِ(٤).

---

(١) قراءة شاذة، انظر مختصر ابن خالويه (ص:٣١)، والمحتسب (٢/ ١٨٢)، وشواذ القراءات للكرماني (ص:١٣١)، وقرأ الأعمش: ﴿يُورِثُ﴾ وهذه شاذة أيضا.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٦٩).

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٥٧).

وذكَرَ الزَّجَّاجُ عنْ أهْلِ اللُّغةِ، أنَّ «الكلالَةَ»: مِن قوْلِهِم: تكَلَّلَه النَّسبُ؛ أي: لم يكنِ الَّذي يرِثُه ابْنَه، ولا أبَاه. قالَ: والكَلالةُ سِوى الوَالِدِ والوَلَدِ، وإنَّما هوَ كالإكْلِيل على الرَّأْس[١].

وذكَرَ ابْنُ قُتيبةَ عنْ أبي عُبيدةَ: أنَّه مصْدرُ تكلَّلَه النَّسبُ: إذا أحاطَ بِه. والأبُ والابْنُ: طرَفانِ للرَّجُل. فإذَا ماتَ، ولم يخلفْهُما، فقدْ ماتَ عن ذَهابِ طرَفَيْهِ، فسُمِّي ذَهابُ الطَّرفيْنِ: كَلالَةً[٢].

والثَّاني: أنَّ الكلالَةَ: مَن لَا ولدَ لَه، رَواه ابْنُ عبَّاسٍ، عنْ عُمرَ بْنِ الخَطَّابِ[٣]، وهوَ قوْلُ طَاوسٍ.

والثَّالث: أنَّ الكلالةَ: ما عدَا الوَالد، قالَه الحكَمُ.

والرَّابع: أنَّ الكلالَةَ: بنُو العَمِّ الأبَاعدِ، ذكرَهُ ابْنُ فارِسٍ، عنِ ابْنِ الأعْرابيِّ[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥).

(٢) غريب القرآن (١/ ١٢١).

(٣) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٥٨٩)، و عبد الرزاق في المصنف (١٩١٨٧-١٩١٨٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١١٦٤٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٣٣)، وابن المنذر في تفسيره (١٤٤٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/ ٢٢٧)، والحاكم في المستدرك (٧٩٦٥) البيهقي في الكبرى (٦/ ٣٦٨) من طريق طاووس به بنحوه.

قال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) مجمل اللغة لابن فارس (١/ ٧٦٥).

واخْتلفُوا على مَا(١) يقَعُ اسْمُ «الكَلالَةِ» علَى ثلاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه اسْـمٌ للحَـيِّ الـوارِثِ، وهـذا قَـوْلُ(٢) أبي بكـر الصِّدِّيـقِ. وعامَّـةُ العُلَـماءِ الَّذِيـن قالُـوا: إنَّ الكلالَـةَ مِـن دونِ الوَالِـدِ والوَلَـدِ، فإنَّهُـم قالُوا: الكلالَـةُ: اسْـمٌ للورَثَـةِ إِذَا لم يكُـنْ فِيهِـمْ ولَـدٌ ولَا وَالِـدٌ، قـالَ بعْـضُ الأعْـرَابِ: مَـالِي كثِـيرٌ، وتَرِثُنـي(٣) كلالَـةٌ مُـتَراخٍ نَسَـبُهُم.

والثَّـانِي: أنَّـه اسْـمٌ للميِّـت، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، والسُّـدِّيُّ، وأبـو عُبيـدةَ فِي جمَاعَـةٍ(٤).

قـالَ القـاضِي أبـو يعْـلَى: الكلالَـةُ: اسْـمٌ للميِّـتِ، ولِحالِـه، وصِفَتِـه، ولذلِـك انْتصَـبَ.

والثَّالث: أنَّه اسْمٌ للميِّتِ والحَيِّ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفيمَا أُخذَتْ منْهُ الكلالَةُ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه [اسْـمٌ](٥) مأخُـوذٌ مِـنَ الإحَاطَـةِ، ومنْـهُ الإكلِيـلُ(٦)؛ لِإحاطَتِـه بالـرَّأسِ.

---

(١) في الأصل: ماذا.

(٢) في (ج): مذهب.

(٣) في (ج)، و(ف): ويرثني.

(٤) مجاز القرآن (١/ ١١٩).

(٥) من (ت).

(٦) في (ت): الكلالة.

والثَّـانِي: أنَّـه مأخُـوذٌ مِـنَ الـكَلالِ[١]، وهـوَ التَّعـبُ، فكَأنَّـه[٢] يصِـلُ إلى المِـيرَاثِ مِـن بعْـدِ تَعـبٍ[٣] وإعْيَـاءٍ.

قالَ الأعْشَى[٤] [من الطويل]:

فَآلَيْـتُ لَا أَرْثِـي لَهَـا مِـنْ كَلَالَـةٍ ... وَلَا مِـنْ حَفِـيٍّ حَتَّـى تَـزُورَ مُحَمَّـدَا

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾ يعْنِي: مِنَ الأُمِّ بإجماعِهِم.

قوْلُـه تعـالى: ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ قـال قتـادةُ: ذكَرُهُـم وأُنْثاهُـم فِيـه سـوَاءٌ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: «غـيْرَ» منْصُـوبٌ عـلَى الحَـالِ، والمعْنَـى: يُـوصِي بِهَـا غـيْرَ مُضـارٍّ، يعْنِـي: للورَثَـةِ[٦].

(١) من قوله: (لإحاطته بالرأس)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٢) في (ت)، و(ج): كأنه.

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) البيت في ديوانه (ص: ١٨٥)، والأشباه والنظائر (٦/ ٩٠)، وخزانة الأدب (١/ ١٧٧)، (٣/ ٣٨)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٥٧٧)، وشرح المفصل (١٠/ ١٠٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤٨٣) من طريق سعيد، به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٤٨) لعبد بن حميد.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧). وفي (ف): الورثة.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [النسـاء: ١٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـدُ مـا حَـدَّ اللهُ[١] مِـن فرائِضِـه فِي المِـيراث[٢].

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فِي شأْنِ المَوَاريثِ.

﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ ﴾ وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ، ونافِـعٌ: «نُدْخِلْـهُ» بالنُّـونِ في الحرْفَـيْنِ جميعًـا. والباقـونَ باليَـاءِ فِيهـمَا[٣].

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النسـاء: ١٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ ﴾ فلـم يـرْضَ بقَسْـمِهِ[٤] ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾.

فإنْ قِيل: كيْفَ قطَعَ للعَاصِي بالخُلُودِ؟

فالجوَابُ: أنّه إذا ردَّ حُكمَ اللهِ، وكفَرَ بِه، كانَ كافِرًا مُخَلَّدًا فِي النَّارِ.

---

(١) في الأصل: مأخذه. ولفظ الجلالة ليس في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م).

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦/ ٤٨٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٤٩٤٩) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، بـه، بنحـوه.

(٣) السبعة (ص: ٢٢٨)، وانظر: معاني القراءات (٣/ ٢٠)، والحجة (٣/ ١٤٠).

(٤) في (ج)، و(ف): بقسمته.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النسـاء: ١٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: «الَّتِي» تُجمع اللَّاتِي واللَّوَاتِي[١].

قال الشَّاعِرُ[٢] [من الرجز]:

مِـنَ اللَّـوَاتِي وَالَّتِـي والـلَّاتِي   زَعَمْـنَ[٣] أَنِّي كَـبُرَتْ لِـدَاتِي[٤]

[يعنِي: أقراني][٥]، وتجمع اللَّاتِي بإثْبَاتِ الياءِ[٦] وحذْفِهَا.

قالَ الشَّاعِرُ[٧]: [١٣٦/أ]

مِنَ الـلَّاتِي[٨] لَمْ يَحْجُجْـنَ يَبْغِينَ حِسْـبَةً[٩]   وَلَكِـنْ لِيَقْتُلْـنَ الْـبَرِيءَ الْمُغَفَّـلَا

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨).

(٢) البيـت بـلا نسـبة في مجـاز القـرآن؛ لأبي عبيـدة (١/ ١١٩)، ومعـاني القـرآن للزجـاج (٢/ ٢٨)، والشـعر والشـعراء (١/ ٨٩)، واللسـان (٧/ ٣٩٩٥) (لتـا).

(٣) في الأصل: زعمت. وفي (ج): زعموا.

(٤) في الأصل، و(ت): لذاتي.

(٥) من (ف).

(٦) في (ت)، و(ج): التاء.

(٧) نسبه إلى عمر بـن أبي ربيعـة أبـو عبيـدة في مجـاز القـرآن (١/ ١١٩- ١٢٠)، وهـو في معـاني الزجـاج (٢/ ٢٨)، وتهذيـب اللغـة (١/ ٤١٥)، وفي زهـر الآداب (١/ ١٦٨)، إلى الحـارث المخزومـي.

(٨) في (ج): اللواتي، وفي (ف): اللائي.

(٩) في الأصل: خشية، والمثبت من النسخ.

وَ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: الزِّنَا فِي قَوْلِ الجَمَاعَةِ.

وفِي قَوْلِه تعَالَى: ﴿فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ قَوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُ خِطَابٌ للأزْوَاجِ.

والثَّانِي: خِطَابٌ للحُكَّامِ.

فالمعْنَى: اسْمَعُوا شهَادَةَ أرْبعَةٍ مِنْكُم، ذكرَهُما المَاوردِيُّ[1].

قَالَ عُمرُ بْنُ الخطَّابِ: إنَّما جعَلَ اللهُ ﷻ الشُّهودَ أرْبعَةً سِتْرًا سَتَرَكُم بِه دُون فَواحِشِكُم[2].

ومعْنَى ﴿مِّنكُمْ﴾: مِنَ المُسلِمينَ.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَتِ المرْأَةُ إذَا زَنَتْ، حُبِسَتْ فِي البيْتِ حتَّى تمُوتَ، فجَعَلَ اللهُ لهُنَّ سبِيلًا، وهوَ الجلْدُ أوِ الرَّجْمُ[3][4].

---

(١) النكت والعيون (١/ ٤٦١).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٥٣٠)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٥٧٢)، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه (١٣٠) من طريق معرور بن سويد، به، بنحوه.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤٤١٣)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٦٥) من طريق عكرمة ومحمد بن نصر المَرْوَزِي في السنة (٣٣٥)، والطبراني في الكبير (١١١٣٤) من طريق مجاهد، وأبو عُبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (٢٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٨٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة، وأبو عُبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (٢٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٧٠-٤٩٧٩- ١٤٠٩٢)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٣٤٢) من طريق عطاء، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٦٥) من طريق عطية بن سعيد العوفي جميعهم (عكرمة، ومجاهد، وعلي بن أبي طلحة، و عطاء، و عطية العوفى) عن ابن عباس بحوه.

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ف)، و(م): الجلد والرجم.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النسـاء: ١٦].

قوْله تَعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾.

قـرأ ابْـنُ كثِـيرٍ: «واللَّـذانِّ» بتَشْـديدِ النُّـون، وقـرَأ و[(١)]«هـذانِّ» فِي «طـه»، و«الحَـجِّ»، (و«هاتَـيْنِ» فِي القَصَـصِ: «إحْـدَى ابْنَتَـيَّ هاتَـينّ»)[(٢)]، و«فذانِّـك»، كلُّـهُ بتشْـدِيد النُّـونِ.

وقَرأَ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، بتخْفِيفِ ذلِكَ كُلِّهِ.

وشدَّدَ أبو عمْرٍو «فذانِّكَ» وحْدَهَا[(٣)].

وقوْلُه: ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾: يعْنِي: الزَّانِيَيْنِ.

وهلْ هوَ عَامٌّ، أمْ لا؟

فيهِ قوْلانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه عـامٌّ فِي الأبْـكارِ والثُّيَّـبِ مِـنَ الرِّجَـالِ والنِّسَـاءِ، قالَـه الحسَـنُ، وعطَـاءٌ.

والثَّـانِي: أنَّـه خَـاصٌّ فِي البِكْرَيْـنِ إذَا زَنَيـا، قالَـه أبـو صَالِـحِ، والسُّـدِّيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ، وسُـفيانُ.

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى: والأوَّلُ أصَحُّ؛ لأنَّ هذا تخْصِيصٌ بغَيْرِ دلالَةٍ.

قوْلُه تعالَى: ﴿يَأْتِيَـٰنِهَا﴾ يعْنِي: الفَاحِشَةَ.

---

(١) قرأ و)، ليس في (ت)،

(٢) ب (ج): والقصص.

(٣) لسبعة (ص: ٢٢٩)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٦)، والحجة (٣/ ١٤١).

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه الأذى بالكلام، والتَّعْيِيرِ، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّه التَّعْيِيرُ، والضَّرْبُ بالنِّعالِ، رواه ابنُ أبي طَلْحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ[1].

﴿فَإِن تَابَا﴾ مِنَ الفاحِشَةِ ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمَلَ ﴿فَأَعْرِضُواْ﴾ عن أذاهما. وهذا كلُّه [كانَ][2] قبلَ الحدِّ.

فَصْلٌ

كانَ حدُّ الزَّانِيَيْنِ، فيما تقدَّمَ، الأذى لهما، والحبسُ للمَرْأةِ خاصَّةً، فنُسِخ الحُكمان جميعًا

واختَلَفُوا بماذا وقَع نَسْخُهما:

فقال قومٌ بحديثِ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«خُذُوا عنِّي، خُذُوا عنِّي، قَدْ جعَلَ اللهُ لهُنَّ سبِيلًا، الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جلْدُ مِائةٍ، ورَجْمٌ بالحِجارةِ، والبِكْرُ بالبِكْرِ جلْدُ مِائةٍ، ونَفْيُ سَنةٍ»**[3]، وهذا

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٨٨)، وابن المنذر في تفسيره (١٤٧٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) رواه مسلم (١٦٩٠)، وأبو داود (٤٤١٥)، والترمذي (١٤٣٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٧١٠٤- ٧١٠٥ - ٧١٠٦- ٧٩٢٦- ١١٠٢٧)، وابن ماجه (٢٥٥٠)، وأحمد (٥/ ٣١٣)، والدارمي (٢٣٧٢) وغيرهم.

علَى قَوْلِ مَن يَرَى نَسْخَ القُرآنِ بالسُّنَّةِ(١).

وقَالَ قَوْمٌ: نُسِخ بقوْلِه تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] قالُوا: وكان قوْلُه تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا﴾ للبِكْرَيْنِ، فنُسِخَ حكْمُهَا بالجلْدِ، ونُسِخ حُكمُ الثَّيِّبِ (مِنَ النِّساءِ)(٢) بالرَّجْمِ(٣).

وقَالَ قَوْمٌ: يُحتملُ أن يكُونَ النَّسْخُ وقَعَ بِقُرآنٍ، ثُم رُفِع رسْمُه، وبَقِي حُكْمُه؛ لأنَّ فِي حدِيث عُبادةَ «قَدْ جعَلَ اللهُ لَهنَّ سَبِيلًا»، والظَّاهِرُ: أنَّه جُعِل بِوحْيٍ إليهِ(٤) لَم تستقِرَّ(٥) تِلاوتُه(٦). [١٣٦/ب]

قَال القَاضِي أبو يعْلَى: وهذَا وجْهٌ صَحِيحٌ، يُخرَّجُ علَى قوْلِ مَنْ لم يَرَ(٧) نسْخَ القُرآنِ بالسُّنَّةِ. قَالَ: ويمْتَنِعُ أن يقَعَ النَّسْخُ بحدِيثِ عُبادةَ؛ لأنَّه مِن أخْبَارِ الآحادِ، والنَّسْخُ لا يجُوزُ بذلِكَ.

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧].

قوْلُه تَعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾.

---

(١) انظر: الفصول في الأصول؛ للجصاص (١/ ١٧١)، والإحكام في أصول الأحكام؛ لابن حزم (٤/ ١٠٧).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (٥- ٨٣- ٨٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٧٢).

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) في (ت): يستقر.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) في (ت): من لا يرى.

قالَ الحسَنُ: إنَّما التَّوْبةُ الَّتِي يقبلُهَا اللهُ[١].

فأمَّا ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ فهوَ المَعاصِي، سُمِّي سُوءًا لِسُوءِ عَاقِبتِهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾.

قالَ مُجاهدٌ: كُلُّ عاصٍ فهُوَ جَاهِلٌ حينَ معْصِيتِهِ[٢].

وقالَ الحسَنُ، وعطَاءٌ، وقتَادَةُ[٣]، والسُّدِّيُّ فِي آخَرِينَ[٤]: إنَّما سُمُّوا جُهَّالًا لِمَعاصِيهِم، لَا أنَّهُم غيرُ مُميِّزِينَ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ليْسَ معْنَى الآيَةِ أنَّهُم يجْهَلُون أنَّه سُوءٌ؛ لأنَّ المُسلِمَ لَوْ أتَى ما يجْهَلُه، كانَ كمَنْ لم يُوقِعْ سُوءًا، وإنَّما يَحْتَمِلُ أمرَيْنِ:

أحدهما: أنَّهُم عملُوه، وهمْ يجْهَلُون المَكْرُوهَ فِيهِ.

والثَّانِي: أنَّهُم أقْدمُوا علَى بَصِيرةٍ وعلْمٍ بأنَّ عَاقِبتَهُ مَكْروهَةٌ، فآثَرُوا[٥] العاجِلَ علَى الآجِلِ، فسُمُّوا جُهَّالًا، لإيثَارِهِمُ القَلِيلَ علَى الرَّاحَةِ الكَثِيرةِ، والعَافيةِ[٦] الدَّائِمَةِ[٧].

---

(١) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٧٣)، والواحدي في البسيط (٦/ ٣٨٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٠٧- ٥٠٨- ٥٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩٩٩- ٧٣٤٨)، وابن المنذر في تفسيره (١٤٨١) والبيهقي في الشعب (٦٦٧١) من طرق، عن مجاهد، بنحوه.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٣٣)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (٦/ ٥٠٧) من طريق معمر، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٠٨) من طريق أسباط، به، بنحوه.

(٥) في (ت): وآثروا.

(٦) في (ج): العاقبة.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٤).

وفي «القَرِيبِ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه التَّوبَةُ فِي الصِّحَّةِ، رواهُ أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وبهِ قالَ السُّدِّيُّ، وابْنُ السَّائِبِ.

والثَّانِي: أنَّه التَّوبَةُ قبْلَ مُعاينَةِ مَلَكِ الموْتِ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢)، وبهِ قالَ أبو مِجلزٍ.

والثَّالث: أنَّه التَّوبَةُ قبْلَ الموْتِ، وبهِ قالَ ابْنُ زيْدٍ فِي آخرينَ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔانَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء: ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

فِي ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: [أنَّها](٣) الشِّرْكُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وعِكرِمَةُ.

والثَّانِي: أنَّها النِّفاقُ، قالَه أبو العَالِيةِ، وسَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: أنَّها سَيِّئاتُ المُسلِمِينَ، قالَه سُفيانُ الثَّورِيُّ، واحْتجَّ بقوْلِه تعَالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥١٢)، وابن أبي الدنيا في التوبة (١٤١) من طريق أبي صالح به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥١٢)، وابن أبي حاتم (٥٠٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة به. في (ف): ابن عامر.

(٣) من (ف).

فِي «الحُضُورِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه السَّوْقُ، قالَه ابْنُ عُمرَ.

والثَّانِي: [أنَّه](١) مُعاينةُ المَلائكَةِ لِقبْضِ الرُّوحِ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وقدْ رَوى عليُّ بنُ أبي طلْحةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: أنْزلَ اللهُ تعالى بعْدَ هذِه الآيةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾... الآيةَ [النساء: ٤٨](٢).

فحَرَّمَ المغْفِرةَ علَى مَن ماتَ مُشْركًا، وأرْجأ أهْلَ التَّوْحِيدِ إلى مَشِيئَتِه، فعَلَى هذا تكُونُ منْسُوخةً فِي حقِّ المُؤْمِنينَ.

قوْلُه تعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾.

سبَبُ نُزولِهَا:

أنَّ الرَّجُلَ كانَ إذَا ماتَ، كانَ(٣) أوْلِياؤُهُ أحَقَّ(٤) بامْرَأتِه، إنْ شاؤُوا

(١) في الأصل: أن، والمثبت من (ج).

(٢) رواه أبو عُبيد القاسم بن سلاّم في الناسخ والمنسوخ (٤٧٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥١٩)، وابن أبي حاتم (٥٠٢٠- ٥٤٢٣)، وابن المنذر (١٤٨٥) من طريق علي بن أبي طلحة به.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ف): أوْلَى.

زَوَّجُوهَـا، وإِنْ شَـاؤُوا لم يُزوّجُوهَـا، فنزلَـتَ هـذِه الآيَـةُ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ[١].

وقَـالَ فِي رِوايَـةٍ أُخْـرى: كانُـوا فِي أوَّلِ الإِسْـلَامِ إِذا مَـاتَ الرَّجُـلُ، قَـامَ أقْـرَبُ النَّـاسِ مِنـه إِلَيْـهِ[٢]، فيُلْقِـي عـلَى امْرَأتِـهِ ثوْبًـا، فـيَرِثُ نِكاحَهَـا[٣].

وقَـالَ مُجاهِـدٌ: كانَ إِذا تُـوفِّيَ الرَّجُـلُ، فابْنُـه الأَكْبَرُ أحَـقُّ بامْرَأتِـهِ، فينْكِحُها إِنْ شـاءَ، أو يُنْكِحُهـا مَنْ شَـاءَ[٤][٥].

وقَـالَ أبـو أُمَامَـةَ بْـنُ سـهْلِ بْـنِ حَنِيـفٍ: لَّمـا تُـوفِّي أبـو قيْسِ بْـنُ الأَسْـلُتِ أرَادَ ابنُـهُ أن يتـزوَّجَ امْرَأتَـهُ مِـنْ بعْـدِهِ، وكانَ ذلِـك لهُـم فِي الجاهِليَّـةِ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[٦]. [١٣٧/ أ]

قَـالَ عِكرِمَـةُ[٧]، واسْـمُ هـذِه المـرْأَةِ: كُبَيْشَـةُ[٨] بِنْـتُ مَعْـنِ بْـنِ عَاصِـمٍ، وكانَ هـذَا فِي العـرَبِ.

---

(١) رواه البخـاري (٤٥٧٩- ٦٩٤٨)، وأبـو داود (٢٠٨٩- ٢٠٩٠)، والنسـائي في الكـبرى (١١٠٢٨).

(٢) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٣) أورده الجصاص في أحكام القرآن (٣/ ٤٦) من طريق جويبر، عن الضحاك، به.

(٤) في (ج): أو لا ينكحها إن شاء.

(٥) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦/ ٥٢٣)، وابـن المنـذر (١٤٩٨) في تفسـيره مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٠٣٢) مـن طريـق سـالم كلاهمـا (ابـن أبي نجيـح، و سـالم) عـن مجاهـد، بنحـوه.

(٦) رواه النسـائي في الكـبرى (١١٠٢٩)، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦/ ٥٢٢)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٠٣٠) مـن طريـق محمـد بـن فضيـل، عـن يحيـى بـن سـعيد، عـن محمـد بـن أبي أمامـة، عـن أبيـه، بـه.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٢٢) من طريق ابن جريج، به.

(٨) في (ت): كبشة.

وقـالَ أبـو مجلـزٍ: كانـتِ الأَنْصَـارُ تفعَلُـهُ. وقـالَ ابْـنُ زيْـدٍ: كانَ هـذَا فِي أَهْـلِ المَدِينَـةِ(١).

وقـالَ السُّـدِّيُّ: إنَّـما كانَ ذلِـك في الأَوْلِيـاءِ(٢) مـا لَمْ تسـبقِ المـرْأَةُ، فتذْهَـبُ إِلَى أهْلِهـا، فـإنْ ذهبَـتْ، فهِـيَ أحـقُّ بنفْسِـهَا(٣).

وفِي معْنى قوْلِه تعَالى: ﴿أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنْ تَرِثُوا نِكاحَ النِّسَاءِ، وهذَا قوْلُ الجُمهورِ.

والثَّانِي: أَنْ تَرِثُـوا أمْوَالَهـنَّ كَرْهًـا، رَوَى ابْـنُ أبي طلْحَـةَ، عـنِ ابْـنِ عبَّاسٍ، قـالَ: كان يُلْقِـي حَمِيـمُ(٤) الميِّـتِ علَى الجَارِيَـةِ ثوْبًـا، فـإنْ كانَـتْ جمِيلَـةً تزوَّجَهَـا، وإِنْ كانَـتْ دَميمَـةً حبَسَـهَا حتَّـى تمُـوتَ، فيرِثُهَا(٥).

واخْتلَـفَ القُـرَّاءُ فِي فتْـحِ كافِ «الكَـره» وضمِّهـا، فِي أرْبعَـةِ مَواضِـعَ: هَاهُنَـا، وفِي «التَّوبَـةِ»، وفِي «الأحْقَـافِ» فِي موْضعَـيْنِ.

فقَرأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عمْرٍو بفتْحِ الكافِ فِيهِنَّ، وضمَّهُنَّ حمْزَةُ.

وقَـرأَ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ بالفتْـحِ فِي «النِّسـاءِ» و«التَّوبـة»، وبالضَّـمِّ فِي «الأحْقَـافِ»(٦).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٢٥) من طريق ابن وهب، به.

(٢) في (ت)، (ج)، و(ف): للأولياء.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٢٤) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٤) الحميم: القرابَةُ، وهو القرِيبُ الَّذي تودُّه ويودُّك.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) السبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٢٢٩)، والحجـة؛ للفـارسي (٣/ ١٤٤)، والمبسـوط؛ للنيسـابوري (ص: ١٧٧).

وهُما لُغتانِ، قد ذَكرْنَاهُما فِي «البقرة».

وفِيمَنْ خُوطِبَ بِقوْلِه تعَالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه خِطَابٌ للأزْوَاجِ.

ثُمَّ فِي العَضْلِ[1] الَّذِي نُهي عنْهُ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ الرَّجُلَ كان يكْرَهُ صُحبَةَ امْرَأتِهِ، ولهَا عليْهِ مهْرٌ، فيَحبِسُهَا، ويضْرِبُهَا لِتفْتدِيَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّانِي: أنَّ الرَّجُل كانَ ينْكِحُ المرْأةَ الشَّرِيفةَ، فلعلَّهَا لا تُوافِقُه، فيُفارِقُهَا علَى أنْ لا تَتزَوَّجَ إلَّا بإذْنِه، ويُشْهِدُ علَى ذلِك، فإذَا خُطِبَتْ، فأَرْضَتْهُ، أذِنَ لهَا، وإلَّا عضَلَهَا، قالَه ابْنُ زيْدٍ[2].

والثَّالِث: أنَّهُم كانُوا بعدَ الطَّلاقِ يعْضُلُونَ، كمَا كانَتِ الجاهليَّةُ تفْعَلُ، فنُهوا عنْ ذلِكَ، رُوي عنِ ابْنِ زيْدٍ أيضًا[3].

وقد ذكرْنَا فِي «البقرَةِ» أنَّ الرَّجُلَ كان يُطلِّقُ المرْأَةَ، ثُمَّ يُراجِعُها، ثُمَّ يُطلِّقُها كذلِكَ أبدًا إِلَى غيْرِ غايَةٍ، يَقْصِدُ إِضْرَارَها، حتَّى نزَلَتْ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

---

(١) في (ت): الفضل.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٠) من طريق ابن وهب، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٠) من طريق ابن وهب به.

والقوْلُ الثَّانِي[١]: أَنَّه خِطابٌ للأَوْلِياءِ.

ثُمَّ فِيما[٢] نُهوا عنهُ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الرَّجُلَ كانَ فِي الجاهلِيَّةِ إذا كانَتْ له قرابَةٌ قرِيبَةٌ، ألْقَى عليْهَا ثوْبَهُ، فلم تتَزوَّجْ أبدًا غيْرَهُ إلَّا بإذْنِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[٣].

والثَّانِي: أنَّ[٤] اليتِيمةَ كانَتْ تكونُ عنْدَ الرَّجُلِ، فيحْبِسُها حتَّى تمُوتَ[٥]، أوْ تتَزوَّجَ بابْنِه، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالِثُ: أنَّ الأوْلياءَ كانُوا يمْنَعُونَ النِّساءَ مِنَ التَّزوِيجِ، لِيرِثُوهُنَّ، رُوِي عنْ مُجاهِدٍ أيْضًا.

والقوْلُ الثَّالِثُ: أنَّه خِطابٌ لِورثَةِ أزْوَاجِ النِّساءِ الَّذِين قِيل لهُم: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ كانَ الرَّجُلُ يرِثُ امْرأةَ قَرِيبَةً، فيعْضُلُها حتَّى تمُوتَ[٦]، أو تَرُدَّ عليْه صداقَها، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ فِي آخَرِينَ[٧]. [١٣٧/ ب]

وعلَى هذا يكونُ الكلامُ مُتَّصِلًا بالأَوَّلِ، وعلَى الأقْوالِ[٨] الَّتِي قبْلَه يكونُ ذِكْرُ العضْلِ مُنْفصِلًا عنْ قوْلِه تعالَى: ﴿أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾.

---

(١) في (ج): الثالث.

(٢) في (ت): فيها.

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ت): يموت.

(٦) في (ت): يموت.

(٧) أخرجه أبو داود (٢٠٩٠) من طريق عكرمة به وسبق تخريجه من طرق أخرى.

(٨) في الأصل: القول، والمثبت من بقية النسخ.

وفي الفاحِشَةِ قولَانِ:

أحدُهما: أنَّها النُّشوزُ علَى الزَّوْجِ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ فِي جماعَةٍ.

والثَّاني: الزِّنا، قالَه الحسَنُ، وعطاءٌ، وعِكرِمَةُ فِي جماعةٍ.

قدْ روى معمَرٌ، عن عطاءٍ الخُراسَانِيِّ قالَ: كانتِ المرْأةُ إذا أصَابَتْ فاحِشةً، أخَذَ زوْجُها ما سَاقَ إليها، وأخْرَجَها، فنُسِخ ذلِك بالحَدِّ[١].

قال ابْنُ جريرٍ: وهذا القوْلُ ليْس بصَحِيحٍ؛ لأنَّ الحَدَّ حَقُّ اللهِ، والافْتِداءُ حقٌّ للزَّوْجِ[٢]، وليْس أحدُهما مُبطِلًا للآخَرِ، والصَّحِيحُ: أنَّها إذا أتَتْ بأيِّ فاحشةٍ كانَتْ، مِن زنَا الفرْجِ، أو بذَاءَ[٣] اللِّسَانِ، جازَ له أنْ يعْضُلَها، ويُضيِّقَ عليها حتَّى تفْتَدِيَ[٤].

فأمَّا قوْلُه تعَالى: ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾.

فقرَأ ابْنُ كثيرٍ، وأبو بكْرٍ، عن عاصِمٍ: «مُبيَّنَةٍ»[٥]، و«آياتٍ مُبيَّناتٍ»، بفتْحِ اليَاءِ فيهما جميعًا.

وقَرأ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ، عنْ عاصِمٍ: بكسْرِ اليَاءِ فِيهما.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٤٢)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٢) من طريق معمر به.

(٢) في (ج)، و(ف): حقُّ الزوج.

(٣) في نسخة: بذاءة.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٥٣٢).

(٥) ليست في (ج).

وقَرأ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو «مُبيِّنَةٍ» كسْرًا، و«آياتٍ مُبيَّنَاتٍ» فتْحًا(١).

وقد سبق ذكْرُ «العِشرة».

قوْلُه تعَالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: رُبَّما رُزِقَ(٢) منْهما(٣) ولَدًا، فجعَلَ اللهُ في ولدِها خيْرًا كثيْرًا(٤).

وقد نَدَبتِ الآيَةُ إلى إمْساكِ المرْأةِ معَ الكَراهَةِ لَها، ونبَّهتْ علَى معْنيَيْنِ:

أحدُهما: أنَّ الإنْسانَ لا يعْلَمُ(٥) وُجوهَ الصَّلَاحِ(٦)، فرُبَّ مكروهٍ عادَ محمودًا، ومحمودٍ عادَ مذمومًا.

والثَّاني: أنَّ الإنسانَ لا يكادُ يجِدُ محْبوبًا ليس فيهِ ما يُكره، فلْيَصْبِرِ علَى ما يكْرَه لما يُحِبُّ.

وأنْشدُوا في هذَا المعْنَى(٧) [من الطويل]:

وَمَن لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمُ لَه الدَّهْرَ صَاحِبُ

(١) السبعة (ص: ٢٣٠)، ومعاني القراءات (١/ ٢٩٧-٢٩٨)، والحجة (٣/ ١٤٥).

(٢) في (ج): يَرْزُق الله.

(٣) في (ف): منها.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٠٤٥ـ٥٠٤٨) من طريق العوفي، به، بنحوه.

(٥) في الأصل: يعمل، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في الأصل: المصالح، وفي (ت): الصِّلَاة، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) البيتان لكثير عزة في الشعر والشعراء (١/ ٥٠٤)، وعيون الأخبار (٣/ ٢١)، وجمهرة الأمثال؛ لأبي هلال (٢/ ٥٦)، وبلا نسبة في العقد الفريد (٥/ ١٩٠).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠﴾ [النساء: ٢٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾.

هذا الخِطابُ للرِّجالِ. والزَّوْجُ: المرْأةُ.

وقد سبَقَ ذِكْرُ «القِنْطارِ» فِي «آل عمران».

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾.

إنَّـما ذلِـكَ فِي حَـقِّ مَـن وطِئَهـا، أو خَـلا بِهَـا، وقـدْ بيَّنَـتْ ذلِـك الآيَـةُ الَّتِـي بعْدَهـا.

قـالَ القـاضي أبـو يعْـلَى: وإنَّـما خَـصَّ النَّهـيَ عـنْ أخْـذِ شَيْءٍ مِمَّـا أُعْطِـى بحَـالِ الاسْـتِبْدَالِ، وإنْ كانَ المنْـعُ عامًّـا، لِئـلَّا يَظـنَّ ظَـانٌّ أنَّـه لَمَّـا عـادَ البُضْـعُ إلَى[1] ملْكِهَـا، وجَـبَ أنْ يَسْـقُطَ حَقُّهَـا مِـنَ المهْـرِ، أوْ يَظُـنُّ ظَـانٌّ أنَّ الثَّانِيَـةَ[2] أوْلَى بالمَهْـرِ مِنهـا[3]، لِقيامِهَـا مَقامَهَـا.

وفِي البُهتانِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الظُّلْمُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ قُتيبةَ[4].

والثَّانِي: البَاطِلُ، قالَه الزَّجَّاجُ[5].

ومعْنَى الكلامِ: أتَأْخُذُونَهُ مُباهِتِينَ آثِمِينَ.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ف): البائنة.

(٣) في (ت): فيها.

(٤) غريب القرآن (١/ ١٢٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾؛ أي: كيْفَ تَسْتَجِيزونَ[١] أخْذَهُ.

[١٣٨/أ] وفي «الإِفْضاءِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الجِماعُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ، وابْنُ قُتيبةَ[٢].

والثَّانِي: الخَلْوةُ بِها، وإنْ لمْ يغْشَها، قالَه الفرَّاءُ[٣].

وفي المُرادِ بـ«المِيثاقِ» هَاهُنا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الَّذِي أخذَهُ اللهُ للنِّساءِ علَى الرِّجالِ، الإِمْساكُ بالمَعْرُوفِ[٤]، أو التَّسْريحُ بإحْسانٍ. هذا قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وابْنِ سِيرينَ، وقتادَةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتِلٍ.

والثَّانِي: أنَّه عقْدُ النِّكاحِ، قالَه مُجاهِدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّالِث: أنَّه أمَانَةُ اللهِ، قالَه الرَّبيعُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: ٢٢].

---

(١) في (ت): يستجرؤن.

(٢) غريب القرآن (١/ ١٢٢).

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٥٩).

(٤) في (ت): بمعروف.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ أهْلُ الجاهليَّةِ يُحرِّمُونَ ما حَرَّم اللهُ إلَّا امْرأةَ الأَبِ، والجَمْعَ بيْنَ الأُخْتيْنِ(١)، فنزلَتْ هذِه الآيةُ(٢).

وقالَ بعْضُ الأنْصارِ: تُوفِّي أبُو قيْسِ بْنُ الأَسْلَتْ(٣)، فخَطَبَ ابْنُه قيْسٌ امْرَأتَهُ، فأتَتِ النَّبيَّ ﷺ لِتَسْتأْذِنَهُ(٤)، وقالَتْ: إنَّما كنْتُ أعِدُّهُ ولَدًا، فنزلَتْ هذِه الآيةُ(٥).

قَالَ أبُو عُمرَ غُلامُ ثعْلَبٍ: الَّذِي حصَّلْنَاه [عنْ ثعْلَبٍ](٦)، عنِ الكُوفيِّينَ، والمُبرِّدِ عنِ البصْرِيِّينَ، أنَّ «النِّكاحَ» فِي أصْلِ اللُّغةِ: اسْمٌ للجمْعِ بيْنَ الشَّيْئَيْنِ. وقَدْ سَمَّوا الوطْءَ نفْسَهُ نِكاحًا مِنْ غيْرِ عقْدٍ(٧).

قالَ الأَعْشَى(٨) [من المتقارب]:

وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ ....

(١) في (ت): أختين.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٤٩)، وابن المنذر في تفسيره (١٥٢٣) من طريق عكرمة به.

(٣) في (ج): أسلت.

(٤) في (ت): تستأذنه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) انظر: أحكام القرآن (٣/ ٥٠)؛ لأبي بكر الرازي الجصاص.

(٨) البيت في ديوانه (ص: ١٢٥)، وجمهرة اللغة (ص: ١٢٥٨)، والكامل (ص: ٦٥٥) وعجزه: وأخرى يُقال لها فادها.

يعْنِي المسْبيَّةَ المَوْطُوءَةِ بغَيْر مهْرٍ ولَا عقْدٍ.

قَالَ القَاضِي أبو يعْلَى: قدْ يُطلَقُ النِّكَاحُ علَى العَقْدِ، قالَ اللهُ تعَالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وهو حقِيقَةٌ فِي الوطْءِ، مجازٌ فِي العقْدِ؛ لأنَّه اسْمٌ للجَمْعِ، والجَمْعُ: إنَّما يكُونُ بالوَطْءِ، فسُمِّيَ العَقْدُ نِكاحًا؛ لأنَّه سبَبٌ إليه.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

فِيهِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها بِمعْنَى: بعْدَ ما [قدْ][1] سلَفَ، فإنَّ اللهَ يغْفِرُهُ، قالَه الضَّحَّاكُ، والمُفضَّلُ. وقالَ الأخْفَشُ: المَعْنَى: لا تنْكِحُوا ما نكَحَ آباؤُكُم، فإنَّكُم تُعذَّبُونَ بهِ، إلَّا ما قدْ سلَفَ، فقَدْ وضَعَهُ اللهُ عنْكُم[2].

والثَّانِي: أنَّها بمَعْنى: سِوى مَا قدْ سَلَفَ، قالَه الفرَّاءُ[3].

والثَّالِثُ: أنَّها بمَعْنى: لكنْ ما قدْ سلَفَ فدَعُوهُ، قالَه قُطربٌ. وقالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: لكنْ مَا قد سَلَف، فإنَّه كانَ فاحِشَةً.

والرَّابِعُ: أنَّ المعنى: ولا تنْكِحُوا كنِكَاحِ آبائِكُم النِّساءَ؛ أي: كما نكَحُوا علَى الوُجوهِ الفَاسِدَةِ الَّتِي لا تجُوزُ فِي الإسْلامِ إلَّا ما قدْ سلَفَ فِي جَاهِلِيَّتِكُم، مِن نكاحٍ لا يجُوز ابتداءُ مِثْلِه فِي الإسْلَامِ، فإنَّه معْفوٌّ لكُم عنْهُ، وهذَا كقَوْلِ القَائلِ: لا تفْعَلْ ما فعلْتَ؛ أي: لا تَفْعلْ مِثْلَ ما[4]

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) معانى القرآن (١/ ٢٥١).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٤٤).

(٤) ليست في (ج).

فعَلْـتَ، ذكـرَهُ ابْـنُ جريـر [الطَّـبريُّ][(١)][(٢)].

والخامِـس: أنَّهـا بمِعْنـى «الـوَاوِ» فتقْدِيرُهـا: ولَا مـا قـدْ سـلَفَ، فيكُـونُ المعْنَـى: اقْطَعُـوا مـا أنْتُـم عليْـهِ مِـن نـكاحِ الآبـاءِ، ولا تَبْتَدِئُـوا[(٣)]، قالَـه بعْـض أهْـلِ المَعَـانِي.

والسَّـادسُ: أنَّهـا للاسْـتِثناءِ، فتقْدِيـرُ الـكلامِ: لا تنْكِحُـوا مـا نكَـحَ آباؤُكم مِـنَ النِّسـاءِ بالنِّكاحِ الجائِـزِ، إلَّا مـا قـدْ سـلَفَ منْهُـم بالزِّنَـا، والسِّـفَاحِ، فإنَّهُـنَّ حـلَالٌ[(٤)] لكـم، قالَـه ابْـنُ[(٥)] زيْدٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعْنِي النِّكَاحَ. [١٣٨/ ب]

و«الفَاحِشَةُ»: ما يفْحُشُ ويقْبُحُ.

و«المقْتُ»: أشَدُّ البُغْضِ.

وفِي المُراد بهذا «المقْتِ» قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه اسْـمٌ لهـذَا النِّـكاح، وكانـوا يُسـمُّونَ نِـكاحَ امْـرأةِ الأبِ فِي الجاهِلِيَّـةِ: مقْتًـا، ويُسـمُّون الولَـدَ مِنْـهُ: المَقْتِـيُّ. فاعْلَمُـوا أنَّ هـذا الَّـذي حُـرِّم عليْهِـم لم يـزَلْ مُنكـرًا عنْدَهُـم ممْقُوتًـا، هـذَا قـوْلُ الزَّجَّـاجِ[(٦)].

والثَّانِي: أنَّه يُوجِبُ مقْتَ اللهِ لِفاعِلِه، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

---

(١) من (ف).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٥٥٠).

(٣) في الأصل: تبتدلوا، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (ج): حلائل.

(٥) في (ف): أبو.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢).

قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: قبُحَ هذا الفِعلُ طريقًا[١].

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: الأصلُ في أُمَّهاتِ[٢]: أُمَّاتُ، ولكنِ الهاءُ زِيدَتْ مُؤكِّدةً، كما زِيدَتْ[٣] في: أَهْرقْتُ الماءَ، وإنَّما أصْلُه: أرَقْتُ[٤].

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ إنَّما سُمِّينَ أُمَّهات، لموْضِعِ الحُرمَةِ.

واخْتلَفُوا: هلْ يُعتبرُ في الرَّضَاعِ العَدَدُ، أمْ لا؟

فنقَلَ حنبلٌ عنْ أحمدَ: أنَّه يتعلَّقُ التَّحرِيمُ بالرَّضْعَةِ الواحدَةِ[٥]. وهوَ

(١) غريب القرآن (١/ ١٢٣).

(٢) في الأصل: الأمهات، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ت)، (ج)، و(ف): زادوها.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

(٥) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (٢/ ٢٣٢).

قَـوْلُ عُمـرَ، وعـلِيٍّ، وابْـنِ عُمـرَ، (وابْـنِ مسْـعودٍ)[١]، وابْـنِ عبَّـاسٍ، والحسَـنِ، وطَـاوُسٍ، والشَّـعْبِيِّ، والنَّخَعـيِّ، والأوْزَاعِـيِّ، والزُّهـريِّ[٢]، والثَّـوْريِّ، ومالِـكٍ[٣]، وأبي حَنِيفَـةَ، وأصْحَابِـهِ[٤].

ونقَـلَ[٥] مُحَمَّـدُ بْـنُ[٦] العبَّـاسِ عـنْ أحمَـدَ: أنَّـه يتعلَّـقُ التَّحْريـمُ بثـلَاثِ رَضَعـاتٍ[٧]. ونقَـل أبـو الحَـارثِ عـنْ أحمَـدَ: أنَـهُ[٨] لا يتعَلَّـق بأقَـلَّ مِـن خمْـسِ رَضَعـاتٍ مُتفرِّقَـاتٍ[٩]، وهـوَ قـوْلُ الشَّـافِعيِّ[١٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾.

«أُمَّهـاتُ النِّسـاءِ»: يَحْرُمْـنَ بنَفْـسِ العقْـدِ عـلَى البِنـتِ، سَـواءٌ دخَـلَ بالبنْـتِ[١١]، أوْ لم يدْخُـلْ، وهـذَا قـوْلُ عمَـرَ وابْـنِ مسْـعُودٍ وابْـنِ عُمَـرَ وعِمـرَانَ بْـنِ حُصـينٍ ومسْـرُوقٍ وعطَـاءٍ وطـاوسٍ والحسَـنِ والجُمهـورِ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ف): والزهري، والأوزاعي.

(٣) المدونة (٢/ ٣٠٢).

(٤) المبسوط؛ للسرخسي (٥/ ١٣٤)، و بدائع الصنائع؛ لأبي بكر الكاساني (٤/ ٧).

(٥) في (ت): وقال.

(٦) في (ج): عن.

(٧) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (٢/ ٢٣٣).

(٨) ليست في (ت).

(٩) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (٢/ ٢٣٢).

(١٠) الأم (٥/ ٢٩).

(١١) في (ت): البيت.

وقـالَ عـلِيٌّ ﷺ فِي رجُـلٍ طلَّـق امْرأتَـهُ قبْـلَ الدُّخُـولِ [بِهَـا][١]: لـه أنْ يتـزوَّج أُمَّهَـا[٢]. وهـذا قـوْلُ مُجاهـدٍ، وعِكرمَـةَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾.

«الرَّبِيبـةُ»: بِنْـتُ امْـرأةِ الرَّجُـلِ[٣] مِـن غـيْرِه. ومعْنَـى الرَّبِيبـةِ: مرْبُوبـةٌ؛ لأنَّ الرَّجُـلَ يُربِّيهـا، وخـرَجَ الـكلامُ عـلَى الأعَـمِّ مِـن كـوْنِ التَّربِيـةِ فِي حِجـرِ الرَّجُـلِ، لا عـلَى الـشَّرْطِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: الحَلائِـلُ: الأزْوَاجُ. وحَلِيلـةٌ بمعْنَـى مُحِلَّـة، وهـي مُشْـتقَّةٌ مِـنَ الحـلالِ[٤].

وقالَ غيْرُه: سُمِّيت بذلِك؛ لأنَّها تَحِلُّ معَه أينَما كانَ.

وقـرأتُ عـلَى شـيْخِنا أبي منْصُـور اللُّغـويِّ، قـالَ: الحَلِيـلُ: الـزَّوْجُ، والحَلِيلـةُ: المـرْأةُ، وسُـمِّيا بذلِـكَ، إمَّـا لأنَّهـا يحِـلَّانِ فِي موْضِـعٍ[٥] واحِـدٍ، أو لأنَّ[٦] كُلَّ واحِـدٍ منْهُـما يُحَـالُّ صَاحِبَـهُ؛ أي: يُنازِلُـه، أوْ لأنَّ كُلَّ واحِـدٍ منْهُـما مُحِـلٌّ[٧] إزَارِ صَاحِبِـهِ[٨].

---

(١) من (ف).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٥٨٠).

(٣) في (ت): الزَّوج.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥) .

(٥) في (ج): مكان.

(٦) في (ج)، و(ف): ولأن.

(٧) في الأصل: يحل، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) انظر: التكملة والذيل على درة الغواص (ص: ٨٦٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾.

قالَ عطَاءٌ: إنَّما ذَكَر الأصْلَابَ، لأجْلِ الأدْعِياءِ(١).

والكلَامُ فِي قوْلِه تَعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ علَى نحْوِ ما تقدَّمَ فِي الآيَةِ الَّتِي قبْلَها.

وقدْ زَادُوا فِي هذَا قوْلَيْنِ آخرَيْنِ:

أحدُهما(٢): إلَّا(٣) ما قد سلَفَ مِن أمْرِ يعْقُوبَ؛ فإنَّه(٤) جمَع بيْنَ أُمِّ يُوسفَ وأُخْتِها، وهذَا مرْوِيٌّ عنْ عَطاءٍ، والسُّدِّيِّ.

وفِيه ضَعْفٌ لِوجهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّ هذا [التَّحريمَ](٥) يتَعلَّقُ بشَرِيعتِنَا، وليْسَ كُلُّ الشَّرائِعِ تَتَّفِقُ، ولَا وجهَ للْعفْوِ عنَّا فِيما فعَلَه غيْرُنا. [١٣٩/أ]

والثَّانِي: أنَّه لو طُولِبَ قائِلُ هذَا بتصْحِيحِ نقلِه، لعَسُر علَيْهِ.

والقوْلُ الثَّانِي: أن يكونَ(٦) فائِدةُ هذَا الاسْتِثناءِ أنَّ(٧) العُقودَ المُتقدِّمةَ علَى الأُخْتيْنِ لا تنفَسِخُ، ويكونُ للإنْسانِ أن يخْتَارَ إحْدَاهُما.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٦١) من طريق ابن جريج، به، بلفظ مطول.

(٢) من قوله: (على نحو ما تقدَّم)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) ليست في (ت).

(٤) في (ج): لأنَّه.

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في (ت)، و(ف): تكون.

(٧) ليست في (ف).

ومنْهُ حدِيثُ فَيروز الدَّيلمِيِّ قالَ: أسْلمْتُ وتَحْتِي[1] أُختانِ، فأتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فقالَ: «طَلِّقْ إحْداهُما»[2]، ذكرَهُ القاضِي أبو يعْلَى رحمه الله.

قوْلُهُ تعالَى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [النساء: ٢٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

أمَّا سببُ نُزولِها:

فروى أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ قالَ: أصَبْنا سبَايَا يوْمَ أوْطاسٍ لهُنَّ أزْواجٌ، فكَرِهْنا أنْ نقعَ علَيْهِنَّ، فسأَلْنا النَّبيَّ ﷺ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، فاسْتحْلَلْناهُنَّ[3].

فأمَّا خِلافُ القُرَّاءِ:

فقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعَاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ بفتْحِ الصَّادِ في كُلِّ القُرآنِ.

---

(١) في (ت): وعندي.

(٢) رواه أبو داود (٢٢٤٣)، والترمذي (١١٢٩) و(١١٣٠) ابن ماجة (١٩٥١)، وأحمد (٤/ ٢٣٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٢٦٢٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧١٨١)، وابن حبان في صحيحه (٤١٥٥)، والطبراني في الكبير (٨٤٣- ٨٤٥) وغيرهم.

(٣) رواه مسلم (١٤٥٦)، وأبو داود (٢١٥٥)، والترمذي (٣٠١٦- ٣٠١٧)، والنسائي في المجتبى (٣٣٣٣)، وفي الكبرى (٥٤٦٧-٥٤٦٨-١١٠٣٠-١١٠٣١-١١٠٣٢) وغيرهم.

وفتَحَ الكِسَائِيُّ الصَّادَ فِي هذِه وحْدَهَا، وقرَأ سائِرَ القُرآنِ بالكَسْرِ «والمُحصِنَات» و«مُحصِنَات»[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والإِحْصَانُ: أن تُحصِّنَ[٢] الشَّيءَ، وتَمْنَعَ[٣] منهُ، فالمُحصناتُ: ذَواتُ الأزْوَاجِ؛ لأنَّ الأزْوَاجَ أحْصَنُوهُنَّ، ومنَعُوا مِنْهُنَّ.

(والمُحصناتُ): الحَرائِرُ وإنْ لم يكُنَّ مُتزوِّجَاتٍ؛ لأنَّ الحُرَّةَ تُحصَّنُ وتَحصِّنُ، وليْسَت كالأَمَةِ، والمُحصنَاتُ: العَفائِفُ[٤].

وفِي المُرادِ بالمُحصنَاتِ هُنا[٥] ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ذَواتُ الأزْوَاجِ. وهذَا قولُ ابْنِ عبَّاسٍ، وسَعيدِ بْنِ المُسيِّبِ، والحسَنِ، والنَّخعيِّ، وابْنِ جُبير[٦]، وابْنِ زيْدٍ، والفَرَّاءِ، وابْنِ قُتيبةَ، والزَّجَّاجِ[٧].

والثَّاني: العَفائِفُ، فإنَّهُنَّ حرَامٌ علَى الرِّجالِ إلَّا بعقْدِ نِكاحٍ، أوْ مِلكِ يمِينٍ. وهذَا قولُ عُمرَ بْنِ الخطَّابِ، وأبي العَالِيةِ، وعطَاءٍ، وعبيدَةَ، والسُّدِّيِّ.

---

(١) السبعة (ص: ٢٣٠)، وانظر: معاني القراءات (١/ ٢٩٩)، والحجة (٣/ ١٤٦).

(٢) في (ف): يحصن.

(٣) في (ف): ويمنع.

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٧٥).

(٥) في (ج)، و(ف): هاهنا.

(٦) في (ت): وابن جبير والنخعي.

(٧) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٦٠)، وغريب القرآن (١/ ١٢٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥).

والثَّالث: الحَرائر. فالمعْنَى: أنَّهنَّ حرَامٌ بعْدَ الأرْبَعِ اللَّوَاتِي ذُكِرْنَ فِي أوَّلِ السُّورة، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١]، وعبيدَةَ[٢][٣].

فعلَى القوْلِ الأوَّلِ فِي معْنى قوْلِه تعَالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معْناه: إلَّا ما ملَكَتْ أيْمانُكُم مِنَ السَّبَايا فِي الحُروبِ، وعلَى هذَا تأوَّلَ الآيَةَ عليٌّ، وعبْدُ الرَّحمنِ بْنُ عوْفٍ[٤]، وابْنُ عمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، وكانَ هؤلاءِ لا يروْنَ بيْعَ الأمَةِ طَلاقًا.

والثَّانِي: إلَّا ما ملَكتْ أيْمانُكُم مِنَ الإمَاءِ ذَوَاتِ الأزْوَاجِ، بسَبْيٍ أوْ غيْرِ سبْيٍ، وعلَى هذا تأوَّلَ الآيَةَ ابنُ مسْعُودٍ، وأُبيُّ بْنُ كعْبٍ، وجابِرُ بْنُ عبْدِ اللهِ[٥]، وأنَسٌ. وكانَ هؤلاء يروْنَ بيْعَ الأمَةِ طَلاقًا.

وقد ذكَر ابْنُ جريرٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦]، وسعِيدِ بْنِ المُسيِّبِ[٧]،

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥١٣٩- ٥١٤١)، وابن المنذر في تفسيره (١٦٠٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٨٢)، وفي الصغرى (٢٤٥٩)، ومعرفة السنن والآثار (١٣٩١٩) من طريق علي بن أبي طلحة به.

(٢) في الأصل: وأبي عبيدة.

(٣) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٨٢).

(٤) (بن عوف) ليست في (ج).

(٥) (بن عبد الله) ليس في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٦) رواه ابن جرير الطبري (٦/ ٥٦٦) من طريق قتادة به.

(٧) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٥٤١ رقم ٣٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٤٧)، وابن أبي شيبة (١٦٨٩٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥١١٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٧٢) من طريق الزهري به.

والحسَنِ[١]: أنَّهُم قالوا: بيْعُ الأمَةِ طَلاقُهَا.

والأوَّلُ أصَحُّ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ خيَّر بَريرَةَ إذْ أعْتقَتْهَا عائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، بيْنَ المَقَامِ معَ زوْجِهَا الَّذي زوَّجَهَا منه سَادَتُها في حَالِ رقِّها، وبيْنَ فِراقِهِ، ولم يجعَلِ النَّبيُّ ﷺ عِتقَ عائِشةَ إيَّاهَا طَلاقًا، ولو كانَ طَلاقًا لم يكنْ لِتخْيِيرِه [١٣٩/ب] إيَّاهَا معنًى.

ويدلُّ علَى صِحَّةِ القوْلِ الأوَّلِ ما ذكرْنَاه مِن سبَبِ نُزولِ الآيَةِ.

وعلَى القوْلِ الثَّاني: العَفائِفُ حرَامٌ إلَّا بمِلْكٍ، والمِلْكُ يكونُ عقدًا، ويكونُ مِلْكَ يمينٍ.

وعلَى القوْلِ الثَّالثِ: الحرائِرُ حرَامٌ بعدَ الأرْبَعِ إلَّا ما ملكتْ أيمانُكُم مِنَ الإمَاءِ، فإنَّهُنَّ لم يُحصَرنَ بعَدَدٍ جملةً[٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هوَ منْصُوبٌ (محْمُولٌ)[٣] علَى التَّوْكيدِ، محْمُولٌ علَى المعْنَى؛ لأنَّ المعْنَى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾: كتَبَ اللهُ عليْكُم هذا كِتابًا، قالَ[٤]: ويجُوزُ أنْ ينتَصِبَ على جِهةِ الأمْرِ، ويكُونُ «عليْكُم» مُفسرًا لَه، فيكُونُ المعْنَى: الزَمُوا كتَابَ اللهِ[٥].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٦/ ٥٦٦) من طريق قتادة به.

(٢) ليست في (ت)، (ج)، و(ف).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) من قوله: (قال الزجاج)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦).

قَالَ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ما[١] بعْدَ هذه الأشْيَاءِ، إلَّا أنَّ السُّنَّةَ قد حَرَّمتْ تزْويجَ المرْأةِ علَى عمَّتِهَا، وتزويجَهَا علَى خالَتِهَا[٢].

وقَرأ ابْنُ السَّميفَعِ، وأبو عِمرانَ: «كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ» بفتْحِ الكافِ، والتَّاءِ، والبَاءِ، مِن غيرِ ألِفٍ، ورفْعِ الهَاءِ[٣].

وقَرأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «وَأَحَلَّ» بفتْحِ الحَاءِ. وقَرأ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، [وحفْصٌ عنْ عَاصِمٍ][٤]: بضمِّ الألِفِ[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) ليست في (ت).

(٢) رواه البخاري (٥١٠٩-٥١١٠)، ومسلم (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها».

(٣) هي قراءة شاذة، انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٣٢)، والمحتسب؛ لابن جني (ص:١٨٥)، والكامل للهذلي (ص: ٥٢٦)، وإعراب القراءات للعكبري (١/ ٣٧٨).

(٤) من (ف).

(٥) السبعة (ص: ٢٣١)، وانظر: معاني القراءات (١/ ٣٠٠)، والحجة (٣/ ١٥٠).

فَصْلٌ

قَالَ شَيْخُنا عَلِيُّ بْنُ عُبيدِ اللهِ: وعامَّةُ العُلَماءِ ذَهَبُوا إِلى أَنَّ قَوْلَه تعالَى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ تَحْلِيلٌ وَرَد بلفظِ العُموم، وأَنَّه عُمومٌ دخلَه التَّخْصِيصُ، والمُخَصِّصُ له: «نَهَي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُنْكَحَ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا، أَوْ عَلَى[١] خَالَتِهَا»[٢]، وليْس هذَا علَى سَبِيل النَّسْخِ.

وذَهَبَتْ طائِفَةٌ إِلى أَنَّ التَّحليلَ المَذْكُورَ فِي الآيَةِ منْسُوخٌ بِهذا الحدِيثِ.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم﴾؛ أي: تطْلُبوا إِمَّا بِصدَاقٍ فِي نكَاحٍ، أَوْ ثمَنٍ فِي مِلْكٍ.

﴿مُّحْصِنِينَ﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: مُتزوِّجِينَ[٣]. وقالَ الزَّجَّاجُ: عاقِدينَ التَّزْويجَ[٤]. وقالَ غيْرُهما: مُتعفِّفِينَ غيْرَ زَانِينَ[٥].

و«السِّفَاحُ»: الزِّنَا.

قالَ ابنُ قُتيبةَ: أَصْلُه مِن سَفَحْتُ القِرْبَةَ: إِذَا صَبَبْتُهَا، فَسُمِّي الزِّنَا سِفاحًا؛ لأَنَّه يصبُّ[٦] النُّطفةَ، وتَصُب المرْأَةُ النُّطفَةَ[٧].

---

(١) في (ج): وعلى.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) غريب القرآن (١/ ١٢٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨).

(٥) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٧١).

(٦) في (ج): يصيب.

(٧) غريب القرآن (١/ ١٢٣).

وقـالَ ابْـنُ فـارِسٍ: السِّـفَاحُ: صَـبُّ المَـاءِ بِـلا عقْـدٍ، ولا نِـكاحٍ، فهـوَ كالـشَّيْءِ يسـفَحُ ضَياعًـا[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّـه الِاسْتِمتاعُ فِي النِّكاحِ بالمُهـورِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، والحسَـنُ، ومُجاهِـدٌ، والجُمهورُ.

والثَّـانِي: أنَّـه الِاسْـتِمتاعُ إلى أجَـلٍ مُسـمًى مِـن غـيْرِ عقْـدِ نِـكاحٍ. وقـدْ رُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّـه كان يُفْتـي بِجـوازِ المُتعـةِ، ثُـمَّ رجَـعَ عـنْ ذلِـكَ[٢].

وقـدْ تكَلَّـفَ قـوْمٌ مِـن مُفسِّري القُـرَّاءِ، فقالُـوا: المُـرادُ بهـذِه الآيَـةِ نِـكاحُ المُتعَـةِ، ثُـمَّ نُسـختْ بـما رُوي عـنِ النَّبـيِّ ﷺ أنَّـه: «نَهَـى عَـنْ مُتعَـةِ النِّسَـاءِ»[٣].

وهـذَا تكلُّـفٌ[٤] لَا يُحتَـاجُ إليـه؛ لأنَّ النَّبـيَّ ﷺ أجـازَ المُتعـةَ، ثُـمَّ منَـعَ مِنهـا، فـكانَ قوْلُـه منْسُـوخًا بقوْلِـه.

[١٤٠/أ] وأمَّـا الآيَـةُ؛ فإنَّهـا لم[٥] تتضمَّـنْ جـوَازَ المُتعـةِ؛ لأنَّـه تعَـالى قـالَ فِيهـا: ﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾ فـدَلَّ ذلِـك علَى النِّـكاحِ الصَّحِيحِ.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٨١).

(٢) انظر: المصنف؛ لعبد الرزاق (١٤٠٣٥).

(٣) رواه البخاري (٤٢١٦- ٥١١٥- ٥٥٢٣- ٦٩٦١)، ومسلم(١٤٠٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) في (ت): تكليف.

(٥) من قوله: (منع منها)... إلى هنا ساقط من (ت).

قَالَ الزَّجَّاجُ: ومعْنَى قوْلِه تعالى[1]: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فمَا نكَحْتُموهُ علَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي جرَتْ، وهوَ قوْلُه: ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾؛ أي: عَاقِدِينَ التَّزويجَ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: مُهورَهُنَّ[2].

ومَنْ ذهَبَ فِي الآيَةِ إلى غيْرِ هذَا، فقَدْ أخْطَأَ، وجهِلَ اللُّغَةَ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾.

فِيهِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معنَاهُ[3]: لا جُنَاحَ عليْكُم[4] فيمَا ترَكتْهُ المرْأَةُ مِن صَداقِهَا، أوْ وَهبَتْ[5] لِزوجِهَا، هذا مرْويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[6]، وابْنِ زيْدٍ[7].

والثَّانِي: ولا جُناح علَيْكُم فيمَا ترَاضيْتُم بهِ مِن مَقَامٍ، أو فُرقَةٍ بعْدَ أدَاءِ الفَرِيضَةِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[8].

---

(١) في الأصل: ومعنى الآية، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨).

(٣) في (ج): معنى.

(٤) ليست في (ت).

(٥) في (ج): ووهبته.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥١٣٦)، وابن المنذر في تفسيره (١٥٩٩)، والنَّحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٩١) من طريق ابن وهب به.

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٥٩٠)، ابن أبي حاتم في تفسيره (٥١٣٦)، وابن المنذر في تفسيره (١٥٩٩)، والنَّحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

والثَّالِثُ: ولا جناحَ عليكُم أيُّها الأزْوَاجُ إذا أعسرْتُم بعْدَ الفرْضِ لِنسائِكُم فيمَا ترَاضيْتُم بهِ مِن أنْ يُنْقِصنَكُم[1]، أو يُبْرِئْنَكُم، قالَه أبو[2] سُليمانَ التَّيْمِيُّ.

والرَّابعُ: لا جُناحَ عليكُم إذا انْقَضى أجَلُ المُتعةِ أنْ يَزِدْنَكُم في الأجَلِ، وتَزيدُونَهُنَّ في الأجْرِ مِن غيْرِ اسْتِبْرَاءٍ، قالَه السُّدِّيُّ. وهوَ يعُودُ إلى قِصَّةِ المُتعةِ.

والخامس: لا جُناحَ عليْكُم أنْ تَهبَ المرْأَةُ للرَّجُلِ مهْرَهَا، أو يهبَ هوَ للَّتي لم يدْخُلْ بِها نِصفَ المَهرِ[3] الَّذي لا يجبُ عليْهِ. قالَه الزَّجَّاجُ[4].

والسَّادس: أنَّه عَامٌّ في الزِّيادةِ، والنُّقصانِ، والتَّأْخِير، والإبْرَاءِ، قالَه القَاضي أبو يَعْلَى.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء: ٢٥].

---

(١) في الأصل: ينقصكم، والمثبت ن بقية النسخ.

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

(٣) في (ت): مهرها.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾.

«الطَّوْلُ»: الغِنَى والسَّعَةُ فِي قوْلِ الجَماعةِ.

و«المحصناتُ»: الحَرائِرُ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: مَن[١] لم يقدِرْ علَى مهْرِ الحُرَّةِ، يُقال: قد طَالَ فُلانٌ طَوْلًا علَى فُلانٍ؛ أي: كان لهُ فضْلٌ عليْهِ فِي القُدرَةِ[٢].

والمُرادُ بـ«الفَتياتِ» هَاهُنا: المَمْلُوكاتُ، يُقال: للأمَةِ: فتَاةٌ، وللعبْدِ: فتًى، وقد سُمِّي بِهذا الاسْمِ مَنْ ليْسَ بِممْلُوكٍ.

(قَالَ الشَّيْخُ)[٣]: قرَأْتُ علَى شيخِنَا أبِي منْصُورٍ اللُّغويِّ قالَ: المُتفتيةُ: الفتَاةُ المُراهقَةُ[٤]، و[قدْ][٥] يُقال للجارِيةِ الحدثَةِ[٦]: فتَاةٌ، ولِلْغُلام: فتًى[٧].

قَالَ القُتيبيُّ: وليْسَ الفتَى بمعْنَى الشَّابِّ والحدَثِ، إنَّما هوَ بمعْنَى الكامِلِ الجَزْلِ مِنَ الرِّجَالِ[٨].

فأمَّا ذِكْرُ «الإيمانِ» فشرْطٌ فِي إباحتِهِنَّ، ولا يجوزُ نِكاحُ الأمَةِ الكتَابيَّةِ، هذا قوْلُ الجُمهورِ.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) في (ج): والمراهقة.

(٥) من (ت).

(٦) ليست في (ت).

(٧) تهذيب اللغة (٧/ ١٨٤).

(٨) التكملة والذيل على درة الغواص (١/ ٨٥٧)، وانظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٣٣)، ولسان العرب (١٥/ ١٤٦).

وقالَ أبو حَنِيفةَ: يجوزُ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: معنـاه: اعْملُـوا عـلَى ظاهِرِكُـم فِي الإِيـمانِ، فإنَّكُـم مُتعبَّدُونَ بـما ظهَـرَ مِـن بعضِكُـم لِبعْـضٍ[٢].

قالَ: وفي قوْلِه تعَالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ وجْهانِ:

أحدُهما: أنَّه أرادَ النَّسبَ؛ أي: كُلُّكُم ولَدُ آدَمَ.

ويجوزُ أن يكُونَ معْنَاهُ: دِينكُم واحِدٌ؛ لأنَّه ذَكرَ هاهُنا المُؤمنَاتِ.

وإِنَّـما قِيـلَ لهُـم ذلِـك؛ لأنَّ العـرَبَ كانَـتْ تطْعَـنُ فِي الأنْسَـابِ، وتفْخَـرُ بالأحْسَـابِ، وتُسـمِّي ابْـنَ الأَمَـةِ: الهَجِـينَ، فأَعْلَـم اللهُ ﷻ أنَّ أمْـرَ العَبِيـدِ [١٤٠/ب] وغيْرِهِـم مُسـتوٍ فِي بـابِ الإِيـمانِ، وإنَّـما كُـره التَّزويـجُ بالأمَـةِ، وَحَـرُمَ إذا وجَـدَ إلى الحُـرَّةِ سَـبِيلًا؛ لأنَّ وَلَـدَ الحُـرِّ مِنَ الأَمَـةِ[٣] يَصِـيرُ[٤] رَقِيقًـا، ولأنَّ الأَمَـةَ ممتهنَةٌ فِي عِـشرَةِ الرِّجَـالِ، وذلِـكَ يشـقُّ عـلَى الـزَّوْجِ[٥].

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: ومعْنَـى الآيَـةِ: كُلُّكـم بنُـو آدمَ، فـلا يتَداخلْكُـم شُـمُوخٌ وأنَفَـةٌ مِـن تـزوُّجِ[٦] الإِمَـاءِ عنْـدَ الـضَّرُورةِ.

---

(١) انظر: المبسوط (٥/ ١١٠)، و بدائع الصنائع (٢/ ٢٧٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠).

(٣) في (ت)، (ج)، و(ف): لأن ولد الأمة من الحرِّ.

(٤) في (ج)، و(ف): يصيرون.

(٥) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٢٩٥).

(٦) في (ج)، و(ف): تزويج.

وقالَ ابنُ جريرٍ: في الكلَامِ[١] تقْدِيمٌ وتأْخِيرٌ، تقْدِيرُه: ومَنْ لم يسْتطِعْ مِنكم طوْلًا أن ينْكِحَ المُحصناتِ فلْينْكِحْ بعْضُكُم مِنْ بعْضٍ؛ أي: لينكِحْ هذَا فتَاةَ هذَا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾ يعْنِي: الإِمَاءَ ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾؛ أي: سَادَتِهِنَّ.

و«الأُجورُ»: المُهورُ.

وفِي قوْلِه: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مُقدَّمٌ في المعْنَى، فتَقدِيرُه: فانْكحُوهُنَّ بإذْنِ أهْلِهِنَّ بالمَعْرُوفِ؛ أي: بالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

والثَّانِي: أنَّ المعْنَى: وآتُوهُنَّ أُجورَهُنَّ بالمعْرُوفِ، كمُهورِ أمْثَالِهِنَّ.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾: عفَائِفَ غيْرَ زَوَانٍ ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ يعْنِي: أَخِلَّاءَ، كانَ الجاهليَّةُ يُحرِّمُونَ ما ظهَرَ مِنَ الزِّنَا، ويَستحلُّونَ مَا خَفِي[٣].

وقَالَ فِي رِوايةٍ أُخْرى: «المُسافِحاتِ»: المُعلِنَاتِ بالزِّنَا. و«المُتَّخذاتِ أخدَان»: ذاتِ الخَلِيلِ الوَاحِدِ[٤].

وقالَ غيْرُه: كانتِ المرْأَةُ تتَّخِذُ صَدِيقًا تَزْنِي معَهُ، ولا تَزنِي معَ غيْرِه.

---

(١) قوله: (في الكلام) ليس في (ج).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٦٠١).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/ ٦٠٣) من طريق عطية العوفي، به.

(٤) انظر: الأثر السابق.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «أُحْصِنَّ» مَضْمُومةَ الألِفِ[١].

وقَرأَ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وأبو بَكْرٍ، والمُفضَّلُ عنْ عاصِمٍ: بفتْحِ الألِفِ، والصَّادِ[٢].

قالَ ابْنُ جَريرٍ: مَنْ قَرأَ بالفتْحِ، أرَادَ: أَسْلَمْنَ، فصِرْنَ ممْنُوعاتِ الفُروجِ عنِ الحَرَامِ بالإِسْلامِ، ومَنْ قَرأَ بالضَّمِّ، أرَاد: فإذا تزَوَّجْنَ، فَصِرْنَ ممْنُوعَاتِ الفُروجِ مِنَ الحرَامِ بالأزْوَاجِ[٣].

فأمَّا «الفَاحِشَةُ»، فهِيَ الزِّنَا. وَ«المُحْصَنَاتُ»: الحَرائِرُ. و«الْعَذَابُ»: الحَدُّ.

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى: وليْسَ الإسلامُ والتَّزويجُ شرْطًا فِي إيجَابِ الحَدِّ علَى الأَمَة، بل يجِبُ وإنْ عُدِما، وإنَّما شَرِطَ الإحْصَانُ فِي الحَدِّ؛ لئلَّا يتوهَّمَ مُتوهِّمٌ أنَّ عليْهَا نِصفَ مَا علَى الحُرَّةِ إذا لم تكُنْ مُحصنةً، وعليْهَا مِثْلُ مَا علَى الحُرَّة إذا كانَت مُحصنَةً.

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإِشارَةُ إلى إِباحَةِ تزْوِيجِ الإِمَاءِ.

---

(١) في الأصل: بالألف، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) السبعة (ص:٢٣١)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٠)، والحجة (٣/ ١٥١).

(٣) تفسيره (٦/ ٦٠٥).

وفي ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه الزِّنا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والشَّعبيُّ، وابْنُ جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ، وابْنُ زيدٍ، ومُقاتِلٌ، وابْنُ قُتيبةَ[١].

والثَّاني: أنَّه الهَلاكُ[٢]، ذكَرَهُ أبو عُبيد، والزَّجَّاجُ[٣].

والثَّالث: لِقاءُ المشقَّةِ في محبَّةِ[٤] الأَمَةِ، حكَاهُ الزَّجَّاجُ[٥].

والرَّابع: أنَّ العَنتَ هاهُنا: الإِثْمُ.

والخامسُ: أنَّه العُقوبةُ الَّتي تُعْنِتُهُ[٦]، وهيَ[٧] الحَدُّ، ذكرَهُما ابْنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ[٨].

قالَ القَاضي أبو يعْلَى: وهذِه الآيةُ تدُلُّ علَى إباحَةِ نِكاحِ الإِمَاءِ المُؤمنَاتِ بشرْطَيْنِ:

أحدُهما: عدَمُ طَولِ الحُرَّةِ.

والثَّاني: خوْفُ الزِّنا، وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، والشَّعبيِّ، وابْنِ جُبيرٍ، [١٤١/أ] ومسْرُوقٍ، ومكْحُولٍ، وأحْمَدَ، ومالِكٍ، والشَّافعِيِّ.

---

(١) غريب القرآن (١/ ١٢٤).

(٢) في (ف): الضلال.

(٣) مجاز القرآن (١/ ١٢٣)، معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢).

(٤) في (ف): صحبة.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢).

(٦) في (ف): تهينه.

(٧) في (ج): وهو.

(٨) تفسيره (٦/ ٦١٦).

وقـدْ رُوي عـنْ علـيٍّ، والحسَـنِ، وابْـنِ المُسـيِّبِ، ومُجاهِـدٍ، والزُّهـرِيِّ، قالُـوا: تُنْكَـحُ[1] الأَمَـةُ، وإنْ كانَ مُـوسِرًا، وهـوَ قـوْلُ أبي حَنِيفـةَ وأصْحَابِـهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ والجماعَـةُ: عـنْ نِـكاحِ الإمَـاءِ، وإنَّـما نُـدِب إلى الصَّـبْرِ عنْـهُ، لِاسْـتِرْقاقِ الأَوْلادِ[2].

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾ [النسـاء: ٢٦].

قوْلُه تعالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾.

الـلَّامُ بمعْنَـى «أنْ»، وهـذَا مذْهـبُ جماعـةٍ مِـنْ أهْـلِ العربيَّـةِ، واخْتـارَهُ ابْـنُ جريـرٍ[3]. ومِثْلُــه: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ [الشـورى: ١٥]، ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ﴾ [الأنعـام: ٧١]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ [الصـف: ٨].

والبَيانُ مِنَ اللهِ تعَالى بالنَّصِّ تارَةً، وبِدلالَةِ النَّصِّ أُخرَى.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: و«السُّـنَنُ»: الطُـرُقُ، فالمعْنَـى يدلُّكُـم عـلَى طاعتِـهِ، كـما دَلَّ الأَنْبيـاءُ وتابِعيهـم[4].

وقـالَ غـيْرُه: معْنَـى الـكلامِ: يُريـدُ اللهُ لِيُبـيِّنَ لكُـم سُـنَنَ مَـنْ قبْلَكُـم مِـنْ أهْـلِ الحَـقِّ والبَاطـلِ، لِتجْتَنِبُـوا البَاطِـلَ وتُجِيبُـوا الحَـقَّ، ويَهدِيكُـم إلَى الحَـقِّ.

---

(١) في (ت)، و(ج)، و(ف): ينكح.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦١٨) من طريق علي بن أبي طلحة به.

(٣) تفسيره (٦/ ٦٢١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: يُريدُ أنْ يدُلَّكُم علَى ما يكونُ سببًا لِتوبَتِكُم[١].

وفِي الَّذِين اتَّبعُوا الشَّهواتِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم الزُّناةُ، قالَه مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: اليهُودُ والنَّصارَى، قالَه السُّدِّيُّ[٢].

والثَّالثُ: أنَّهُم اليهودُ خاصَّةً، ذكرَهُ ابْنُ جَريرٍ[٣].

والرَّابعُ: أهلُ البَاطِلِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾؛ أي: عنِ الحَقِّ بالمعْصِيةِ.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾.

التَّخْفِيفُ: تسْهِيلُ التَّكْلِيفِ[٤]، أو إزَالَةُ بعْضِه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣).

(٢) في (ج): الشعبي.

(٣) تفسيره (٦/ ٦٢٣).

(٤) في (ت): التكيف.

قَالَ ابْنُ جرير: والمعْنَى: يُريد الله[(١)] أن يُيَسِّرَ لكُم بإذْنِه فِي[(٢)] نِكاحِ الفَتَياتِ المُؤمِنَاتِ لِمَن لم يستَطِعْ طَوْلًا لِحُرَّةٍ[(٣)].

وفِي المُرادِ بضعْفِ الإنْسان ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الضَّعْفُ فِي أصْلِ الخِلقَةِ. قَالَ الحسَنُ: هوَ أنَّه خُلِق مِن ماءٍ مَهِينٍ[(٤)].

والثَّانِي: أنَّه قِلَّةُ الصَّبْرِ عنِ النِّسَاءِ، قالَه طَاوسٌ، ومُقاتِلٌ.

والثَّالثُ: أنَّه ضَعْفُ العزْمِ عنْ قَهْرِ الهَوَى، وهذَا قوْلُ الزَّجَّاجِ[(٥)]، وابْنِ كيْسَانَ[(٦)].

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

«الباطِلُ»: مَا لا يَحِلُّ فِي الشَّرْعِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾.

قَرأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «تِجارَةٌ» بالرَّفْعِ.

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ت)، ،(ج)، و(ف).

(٢) ليس في (ف).

(٣) تفسيره (٦/ ٦٢٤).

(٤) ذكره الثعلبي الكشف والبيان (٣/ ٢٩١)، والواحدي في البَسِيط (٦ / ٤٦٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤).

(٦) ذكره الثعلبي الكشف والبيان (٣/ ٢٩١)، و الواحدي في البسيط (٦ / ٤٦٦).

وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وعاصِمٌ بالنَّصبِ[١].

وقد بيَّنَّا العِلَّةَ فِي آخِرِ «البقرةِ»[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾.

فيهِ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه علَى ظاهرِهِ[٣]، وأنَّ اللهَ حرَّمَ علَى العبْدِ قتْلَ نفْسِه، وهذَا الظَّاهِرُ.

والثَّانِي: أنَّ معْنَاه: لا يقتُلُ بعضُكُم[٤] بعْضًا، وهذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وسَعيدِ بْنِ جُبيرٍ، وعِكرمَةَ، وقتادَةَ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتِلٍ، وابْنِ قُتيبةَ[٥].

والثَّالث: أنَّ المعْنَى: لا تُكلِّفُوا أنفُسَكُم عمَلًا رُبَّما أدَّى إلى قتْلِها وإنْ كانَ فرْضًا. وعلَى هذَا تأوَّلَها عمْرُو بْنُ العَاصِ فِي غَزاةِ ذَاتِ السَّلاسلِ حيْثُ صلَّى بأصْحَابِه جُنبًا فِي ليلَةٍ باردَةٍ، فلمَّا ذكرَ ذلِك للنَّبيِّ ﷺ، قالَ [١٤١/ ب] [لَه][٦]: «**يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟**» فقَالَ: يا رسُولَ اللهِ! إنِّي احتلَمْتُ فِي ليلَةٍ باردَةٍ، وأشْفَقْتُ إنِ اغْتَسَلْتُ أنْ أهْلِكَ، فذكرْتُ قوْلَه تعَالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فَضَحِكَ رسُولُ اللهِ ﷺ[٧].

---

(١) السبعة (ص:٢٣١)، معاني القراءات (١/ ٣٠٣)، الحجة (٣/ ١٥١-١٥٢).

(٢) عند تفسير سورة البقرة [الآية ٢٨٢].

(٣) في (ج)، و(ف): على عمومه.

(٤) ليست في (ت).

(٥) غريب القرآن (١/ ١٢٥).

(٦) من (ت).

(٧) رواه أبو داود (٣٣٤)، والدارقطني في سننه (٦٢٩)، والحاكم (٦٨١)، وابن شاهين في=

والرَّابِعُ: أنَّ المعْنى: لا تغْفُلوا عنْ حظِّ أنْفسِكُم، فمَن غفَلَ عنْ حظِّهَا، فكأنَّما قتلَهَا، هذا قوْلُ الفُضيلِ بْنِ عِياضٍ(١).

والخامسُ: لا تقْتلُوها بارْتكابِ المَعاصِي.

قوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٣٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾.

فِي المُشار إلِيْه ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه قتْلُ النَّفسِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وعطَاءٌ.

والثَّاني: أنَّه عائِدٌ إلَى كُلِّ مَا نَهى اللهُ عنْهُ مِن أوَّلِ السُّورةِ إلَى هَاهُنا، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالث: [أنَّه](٢) قتْلُ النَّفْسِ، وأكْلُ الأمْوَالِ بالبَاطلِ، قالَه مُقاتِلٌ.

قوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

=ناسخ الحديث ومنسوخه (١٣٧)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٣٤٥)، وفي الصغرى (٢٤٧) ودلائل النبوة (٤/ ٤٠٢) من طريق يحيى بن أيوب، ورواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥١٨٧)، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (١٣٩) من طريق ابن لهيعة كلاهما (يحيى بن أيوب، وابن لهيعة) عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير المصري، عن عمرو بن العاص، به.

(١) رواه أبو بكر أحمد الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٨٥) من طريق الحميدي، به.

(٢) من (ف).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اجْتِنَـابُ الـشَّيءِ: تَرْكُـه جَانِبًـا.

وفِي الكَبَائِرِ أحَد عَشَرَ قوْلًا:

أحدُها: أنَّها سبْعٌ.

فـرَوى البُخـارِيُّ، ومُسلِمٌ في «الصَّحِيحـيْنِ» مِـن حديـثِ أبي هُريـرةَ عَـنِ النَّبـيِّ ﷺ أنَّـه قـالَ: «**اجْتَنِبُـوا السَّـبْعَ المُوبِقَـاتِ**» قالُـوا: يَـا رسُـولَ اللهِ! ومَـا هُـنَّ؟ قـالَ: «**الـشِّرْكُ بـاللهِ، والسِّـحْرُ، وَقَتْـلُ النَّفْسِ الَّتِـي حَـرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَـقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَـا، وأَكْلُ مَـالِ اليَتِيـمِ، وَالتَّـوَلِّي يـوْمَ الزَّحْـفِ، وقَـذْفُ المُحْصَنَـاتِ الغَافِـلَاتِ المُؤْمِنَـاتِ**[١]»[٢].

وقـدْ رُويَ هـذا الحَدِيـثُ مِـن طَرِيـقٍ آخَـرَ عـنْ أبي هُريـرةَ، عـنِ النَّبـيِّ ﷺ [أنَّـه][٣] قـالَ: «**الْكَبَائِـرُ سَـبْعٌ: الإِشْرَاكُ بـاللهِ أَوَّلُهُـنَّ، وَقَتْـلُ النَّفْسِ بِغَـيْرِ حَقِّهَـا، وَأَكْلُ الرِّبَـا، وَأَكْلُ مَـالِ الْيَتِيـمِ بِـدَارًا أَنْ يَكْـبَرُوا، وَالْفِـرَارُ مِـنَ الزَّحْـفِ، وَرَمِـيُ الْمُحْصنَـاتِ، وانْقِـلَابٌ إِلَى أَعْرَابِيّـةٍ بعْـدَ هِجْـرَةٍ**»[٤].

وقَدْ رُوي عنْ عَلِيٍّ ﷺ أنَّه قالَ: هِيَ سبْعٌ، فعَدَّ هذِهِ[٥].

---

(١) في (ج)، و(ف): المؤمنات الغافلات.

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٦- ٥٧٦٤- ٦٨٥٧)، و مسلم (٨٩) وغيرهما.

(٣) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) رواه البزار في مسنده (٨٦٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٠٢)، وابن المنذر في تفسيره (١٦٦٠) من طريق عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٤٣) من طريق سهل بن أبي حثمة، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢١٢)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٨٥٥) من طريق مالك بن جوين الحضرمي كلاهما من (سهل بن أبي حثمة، و مالك بن جوين) عن علي بنحوه.

ورُوِيَ عنْ عطاءٍ أنَّه قالَ: هيَ سبْعٌ، فعدَّ هذِه، إلَّا أنَّه ذكَرَ مكانَ الإشْرَاكِ باللهِ[١] والتَّعرُّبِ[٢] شَهادَةَ الزُّورِ وعُقُوقَ الوَالِدَيْنِ[٣].

والثَّانِي: أنَّها تِسْعٌ.

رُوِي [عَنْ][٤] عُبيدِ بْنِ عُميرٍ، عنْ أبِيه، وكانَ مِنَ الصَّحابَةِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه سُئلَ عنِ[٥] الكبائِرِ؟ فقالَ: «**تِسْعٌ، أعْظَمُهنَّ الإشْرَاكُ باللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ[٦] بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالفِرارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالسِّحْرُ، وَأكْلُ الرِّبا، وَقَذْفُ المُحصَنَةِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ المُسْلِمَيْنِ، وَاسْتِحْلَالُ البَيْتِ الحَرامِ قِبْلَتِكُمْ أحْياءً وأمْواتًا**»[٧].

والثَّالث: أنَّها أربَعٌ.

رَوى البُخارِيُّ، ومُسلِمٌ فِي «الصَّحِيحينِ» مِن حدِيثِ عبْدِ اللهِ بْنِ عمْرٍو، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**الكَبائِرُ: الإشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**»[٨].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ت)، (ج)، و(ف).

(٢) في (ت): التغرب.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٤٦) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ت): ما.

(٦) في (ت)، و(ج)، و(ف): وقتل نفس المؤمن.

(٧) رواه أبو عُبيد القاسم بن سلاّم في كتاب الأموال (٥٣١)، وابن زنجويه في الأموال (٧٧٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٤٣)، وفي تهذيب الآثار (٣١٦) من طريق ابن إسحاق، به.

(٨) رواه البخاري (٦٨٧٠-٦٦٧٥- ٦٩٢٠) من طريق الشعبي، به.

وَأَخْرَجَا مِنْ حَدِيثِ[١] أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكَبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ [١٤٢/أ] الْوَالِدَيْنِ» وقَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُم بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ شَهَادَةُ[٢] الزُّورِ»[٣].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: الكَبَائِرُ أَرْبَعٌ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، والْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ[٤] اللهِ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ[٥]. وعَنْ عِكرِمَةَ نَحْوُهُ[٦].

والرَّابعُ: أنَّها ثَلاثٌ.

فَرَوى عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُم بِالكَبَائِرِ[٧]؟ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وكانَ مُتَّكِئًا فاحْتَفَزَ[٨] وقَالَ: «وَالزُّورُ»[٩].

---

(١) في (ت)، و(ج)، و(ف): وروى.

(٢) في (ج)، و(ف): وشهادة.

(٣) رواه البخاري (٦٨٧١- ٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨) من طريق عبيد الله بن أبي بكر، به.

(٤) في (ت): لمكر.

(٥) رواه معمر في جامعه (١٩٧٠١)، ومن طريقه عبد الرزاق في مصنفه (٥٥٦)، وابن أبي الدنيا في التوبة (٣١)، والطبراني في الكبير (٨٧٨٣- ٨٧٨٤- ٨٧٨٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٤٩)، والبيهقي في الشعب (١٠١٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٩٢١- ١٩٢٢) من طريق عامر بن الطفيل، به.

(٦) هذه الفقرة أخرها بعد حديث ابن مسعود الآتي.

(٧) في (ج): بأكبر الكبائر.

(٨) في (ت): فاحتقر.

(٩) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠)، والطبراني في الكبير (٢٩٣)، وابن أبي حاتم في=

وروى البُخارِيُّ، ومُسلمٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِن حديثِ أبي بَكرَةَ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلا أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكبائِرِ؟**» قُلنا: بلَى! فقالَ: «**الإِشْراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ**» وكانَ مُتَّكِئًا فجَلَسَ وقالَ: «**وشَهادَةُ الزُّورِ**[1]» فما زَال يُكرِّرُها حتَّى قُلنا: ليتَه سَكَتَ[2].

وأخرَجا فِي «الصَّحيحَيْنِ» مِن حدِيثِ ابْنِ مسْعُودٍ قالَ: سألْتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ الذَّنبِ أكْبرُ؟ قالَ: «**أنْ تجعَلَ للهِ[3] تعالَى نِدًّا وهُوَ خلقَكَ**». قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: «**ثُمَّ أَنْ تقتُلَ ولَدكَ مَخافةَ أنْ يَطْعَمَ معَكَ**». قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: «**أنْ تُزانِيَ حَلِيلةَ جارِكَ**»[4].

والخامِسُ: أنَّها مذكُورةٌ مِن أوَّلِ سُورةِ النِّساءِ[5] إلى هذه الآيةِ. قالَه ابنُ مسْعُودٍ، وابنُ عبَّاسٍ.

والسَّادِسُ: أنَّها إحْدَى عشَرَةَ: الإشْراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ، وقَتلُ النَّفسِ، وأكلُ مالِ اليَتِيمِ، وأكْلُ الرِّبا، والفِرارُ مِنَ الزَّحفِ، وقَذفُ المُحصَناتِ، وشَهادةُ الزُّورِ، والسِّحْرُ، والخِيانةُ. رُوي عنِ ابنِ مسْعُودٍ أيضًا[6].

=تفسيره (٤١٧١- ٥٤٢٩- ٨٠٦١) وغيرهم من طريق الحسن، به.

(١) كررها مرتين في (ت)، و(ف).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧٦- ٦٢٧٣- ٦٩١٩)، ومسلم (٨٧) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة، به.

(٣) في (ت): الله.

(٤) رواه البخاري (٤٤٧٧- ٤٧٦١- ٦٠٠١- ٦٨١١)، و مسلم (٨٦) وغيرهما.

(٥) في (ج): من أول السورة.

(٦) سبق تخريجه.

والسَّـابعُ: أنَّهـا كُلُّ ذَنْـبٍ يَخْتمُـهُ اللهُ بنَـارٍ، أَوْ غَضَـبٍ، أَوْ لَعْنَـةٍ، أَوْ عـذَابٍ. رَواهُ ابْـنُ أَبِي طَلْحَـةَ[١]، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٢].

والثَّامِـن: أنَّهـا كُلُّ مَـا أَوْجَـبَ اللهُ عليْـهِ النَّـارَ فِي الآخِـرَةِ، والحَـدَّ فِي الدُّنْيَا. رَوَى هـذا المعْنَـى أبـو صَالِـحٍ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ الضَّحَّاكُ.

والتَّاسِعُ: أنَّها كلُّ ما عُصِيَ اللهُ[٣] بِهِ.

رُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤]، وعَبِيدة[٥]، وهوَ قوْلٌ ضَعِيفٌ.

والعـاشر: أنَّهـا كُلُّ ذنْـبٍ أوْعَـدَ اللهُ تعـالى عليْـهِ النَّـارَ. قالَـه الحسَـنُ، وسَـعيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، ومُجاهِـدٌ، والضَّحَّـاكُ فِي رِوايـةٍ، والزَّجَـاجُ[٦].

والحـادي عـشَرَ: أنَّهـا ثـمانٍ: الإِشْراكُ بـاللهِ، وعُقـوقُ الوَالِدَيْـنِ، وقتْـلُ النَّفْـسِ[٧]، وقـذْفُ المُحصَنَـةِ، والزِّنَـا، وأكْلُ مـالِ اليَتِيمِ، وقـوْلُ الـزُّورِ، واقْتِطَاعُ الرَّجُـلِ بيَمِينِـه وعهـدِهِ ثمَنًـا قَلِيـلًا. رَواه مُحْـرِزٌ، عـنِ الحسَـنِ البـصريِّ[٨].

---

(١) في (ت): ابن طلحة.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦ / ٦٥٢)، والبيهقـي الشـعب (٢٨٦) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، بـه.

(٣) لفظ الجلالة ليس في (ج)، و(ف).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦ / ٦٥٢) من طريق أبو الوليد، به.

(٥) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢٨٩)، والبيهقي في الشعب (٢٨٩) من طريق ابن سيرين، به.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥)، و(٤/ ٤٠٠).

(٧) في (ت): المؤمن.

(٨) لم أقف عليه.

قوْلُه تعَالى: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

رَوى المُفضَّلُ، عـنْ عاصِـمٍ: «يُكَفِّـرْ» «ويُدْخِلْكُـم» باليَـاءِ فِيهـما. وقـرَأَ البَاقـونَ بالنُّـونِ فِيهـما[١].

وقَـرأَ نافِـعٌ، و[أبَـانُ عـنْ][٢] عاصِـمٍ، والكِسَـائِيُّ عـنْ أبِي بكْـرٍ عـنْ عَاصِـمٍ: «مَدخـلًا» بفتْـحِ المِيـم هاهُنـا، وفِي «الحَـجِّ». وضَـمَّ الباقُـونَ «المِيـمَ»[٣]. [١٤٢/أ]

ولم يَخْتلِفُـوا فِي ضـمِّ «مِيـمِ» ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ و﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠].

قـالَ أبـو علِيٍّ الفَـارِسِيُّ: يجـوزُ أنْ يكُـونَ «المُدخـل» مصْـدرًا، ويجُـوزُ أنْ يكـونَ مَكانًـا، سَـواءً ضُـمَّ، أوْ فُتـح[٤].

قـالَ السُّـدِّيُّ: «السَّـيئَاتُ» هاهُنـا: هـيَ الصَّغائِـرُ. و«المُدخـلُ الكرِيـمُ»: الجَنَّـةُ[٥].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: و«الكَرِيمُ»: بمَعْنَى: الشَّرِيف[٦].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٣٢)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٤)، الحجة (٣/ ١٥٢).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من (ت).

(٣) السبعة (ص:٢٣٢)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٤)، والحجة (٣/ ١٥٣)، وقوله: (الميم) ليس في (ف).

(٤) الحجة (٣/ ١٥٥).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٢١) من طريق أسباط، به.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

فِي سببِ نُزولِها ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ أُمَّ سلَمَةَ قالَتْ: يا رسُولَ اللهِ! يغْزُو الرِّجالُ، ولا نغْزُوا(١)، وَإنَّما لنَا نِصْفُ المِيرَاثِ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه مُجاهِدٌ(٢).

والثَّانِي: أنَّ النِّساءَ قُلْنَ: ودِدْنَ أنَّ اللهَ جعَلَ لنَا الغزْوَ، فَنُصِيبُ مِنَ الأجْرِ مَا يُصِيبُ(٣) الرِّجالُ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه عكرِمَةُ(٤).

والثَّالِثُ: أنَّه لمَّا نزَلَ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] قالَ الرِّجالُ: إنَّا لنَرْجُو(٥) أنْ نفْضُلَ علَى النِّساء بحسناتِنا، كما فُضِّلْنا عليهِنَّ فِي المِيراثِ، وقالَ النِّساءُ: إنَّا لنَرْجُو أنْ يكونَ الوزرُ علَيْنا نِصفَ مَا علَى

---

(١) في (ج): يغزوا النِّساء.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٢٢)، والترمذي (٣٠٢٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٣٦) وغيرهم من طريق سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أم سلمة رضي الله عنها، بنحوه.

قال الترمذي: هذا حديث مرسل، رواه بعضهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مرسل، أن أم سلمة قالت: كذا وكذا.

(٣) في الأصل: تصيب.

(٤) رواه إسحاق بن راهويه في تفسيره كما في العجاب (٢/ ٨٦٢)، ومن طريق الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٥٠) من طريق خصيف، به، بنحوه.

(٥) في (ت): نرجوا.

الرِّجالِ، كما لنَا المِيراثُ علَى النِّصفِ مِنْ نَصِيبِهِم، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَه قتادَةُ[١]، والسُّدِّيُّ[٢].

وفِي معْنَى هذَا التَّمَنِّي قوْلَانِ:

أحدُهما: أنْ يتمنَّى الرَّجُلُ مالَ غيْرِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وعطَاءٌ.

والثَّانِي: أنْ يتمَنَّى النِّسَاءُ أنْ يكُنَّ رِجَالًا. وقدْ رُوي عنْ أُمِّ سلمَةَ أنَّها قالتْ: يا[٣] ليْتَنا كُنَّا رِجالًا، فنزَلَتْ هذِه[٤] الآيَةُ[٥].

ولِلتَّمَنِّي وُجُوهٌ:

أحدُها: أنْ يتَمَنَّى الإنْسَانُ [أنْ يَحْصُلَ له مَالُ غيْرِهِ، ويزُولَ عنِ الغَيْرِ، فهذَا [ضَرْبٌ مِنَ][٦] الحَسَدِ.

والثَّانِي: أنْ يتَمنَّى][٧] مِثْلَ مَا لِغيْرِه[٨]، ولَا يُحِبُّ زَوالَه عنِ الغَيْرِ، فهذَا هوَ الغِبْطَةُ، وربَّما لم يكنْ [نيْلُ][٩] ذلِك مَصلَحَةً فِي حَقِّ المُتمنِّي.

---

(١) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في العجاب (٢/ ٨٦٣) من طريق شيبان، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٦٧) من طريق سعيد، كلاهما، عن قتادة، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٢٩) من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به.

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) ليست في (ت).

(٥) تقدم الكلام عنه.

(٦) من (ف).

(٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) في الأصل: مثل مال غيره، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ. وفي (ج): قبل.

وَقَالَ الحَسَنُ: لَا يَتَمَنَّ[١] مَالَ فُلَانٍ، (وَلَا مَالَ فُلَانٍ)[٢]، وَمَا[٣] يُدْرِيكَ لَعَلَّ هَلَاكَهُ فِي ذَلِكَ المَالِ[٤].

والثَّالث: أنْ تتمَنَّى المرْأَةُ أنْ تكُونَ رجُلًا، ونحوَ هذَا مِمَّا لا يقَعُ، فلْيَعلَمِ العَبْدُ أنَّ اللهَ تعَالى أعْلَمُ[٥] بالمَصَالِح، فلْيرْضَ بِقضَاءِ اللهِ، ولْتكُن أمَانِيه الزِّيادَةُ مِن عمَلِ الآخِرَةِ فحَسبُ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المُرادَ بِهذِهِ الآيةِ والاِكْتِسَابِ[٧]: المِيرَاثُ، وهوَ قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وعِكرِمَةَ.

والثَّانِي: أنَّه الثَّوَابُ والعِقَابُ.

فالمَعْنَى: أنَّ المرْأَةَ تُثابُ كثَوَابِ الرَّجُلِ، وتَأْثَمُ كإِثْمِه، هذَا قوْلُ قتَادَةَ، وابْنِ السَّائِبِ، ومُقاتِلٍ، واحْتجَّ علَى صِحَّتِه أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ بأنَّ المِيراثَ لا يحْصُلُ بالاِكْتِسَابِ، وبأنَّ الآيَةَ نزَلَتْ فِي تمَنِّي الفضْلِ[٨].

---

(١) في (ت)، و(ج)، (ف): تمَنَّ.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت): ولا.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٦٥) من طريق قتادة، به.

(٥) في (ج): عليم. في (ف): يعلم.

(٦) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٧) في (ت)، و(ج)، و(ف): بهذا الاكتساب.

(٨) في (ت)، (ج)، و(ف): نزلت لأجل تمنِّي الفضل.

قولُه تعَالى: ﴿وَسْـَٔلُوا اللَّهَ﴾.

قـرأ ابْـنُ كثِـيرٍ، والكِسَـائِيُّ، وأبَـانُ[١]، وخلَـفٌ (فِي اخْتِيـارِه)[٢]: «وَسَـلُوا اللهَ» «فَسَـلِ الَّذِيـن» «فَسَـلْ بَنِـي إِسْرَائِيـلَ» «وَسَـلْ[٣] مَـنْ أَرْسَـلْنَا» ومَـا كانَ مِثْلُـه مِـنَ الأمْـرِ المُواجَـهِ بِـهِ، وقبْلَـه «واوٌ» أوْ «فـاءٌ» فهـوَ غـيْرُ مهْمُـوزٍ عنْدَهُـم. [١٤٣/أ]
وكذلِـك نُقِـل عـنْ أبي جعْفَـرٍ، وشَـيْبَةَ.

وقَرأَ البَاقُون بالهمْزِ فِي ذلِك كُلِّه[٤].

ولم يخْتَلِفُوا فِي قوْلِه تعالَى: ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠] أنّه مهْمُوزٌ[٥].

وفِي المُرادِ بالفَضْلِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ الفَضْلَ الطَّاعةُ، قالَه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ.

والثَّـانِي: أنَّـه الـرِّزْقُ، قالَـه ابْـنُ السَّـائِبِ، فيكُـونُ المعْنَـى: سَـلُوا اللهَ مَـا تَتمنَّوْنَـهُ مِـنَ النِّعَـم، ولا تَتمنَّـوْا مـالَ غيْرِكُـم.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ٣٣﴾ [النسـاء: ٣٣].

---

(١) في (ف): ونافع.

(٢) في (ت): واختاره.

(٣) ليست في (ت).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٣٢)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٥)، والحجة (٣/ ١٥٥-١٥٦).

(٥) انظر: معاني القراءات (١/ ٣٠٥)، والحجة (٣/ ١٥٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ ﴾.

«المَـوالِي»: الأوْلِيـاءُ، وهـمُ الوَرثَـةُ مِـنَ العصَبَـةِ وغيْرِهـم. ومعْنَـى الآيَـةِ: لِكُلِّ إنْسَانٍ مَـوالِي يرِثُـونَ مَـا تَـرَكَ.

وارْتِفَاعُ الوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ علَى معْنَيَيْنِ[١] مِنَ الإعْرَابِ:

أحدُهمـا: أنْ يكُـونَ الرَّفْـعُ[٢] عـلَى الابْتِـداءِ، ويَكُـونُ[٣] التَّقْدِيـرُ: وهـمُ[٤] الوَالِـدَانِ والأقْرَبُـون، ويكـون تمـامُ الـكلامِ قوْلَـه: ﴿مِمَّا تَرَكَ ﴾.

والثَّـانِي: أن يكُـونَ رُفعـا عـلَى أنَّـه الفاعـلُ التَّـارِكُ للـمَالِ، فيكـون الوَالِـدَانِ، هـمُ الموتَـى.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ: «عاقَـدَتْ» بالألِـفِ[٥].

وقَـرأ عاصِـمٌ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: «عقَـدَتْ» بِـلا ألِفٍ.

قـالَ أبـو عـلِيٍّ: مَـن قـرَأ بالألِـفِ، فالتَّقْدِيـرُ: والَّذِيـن عَاقَدَتْهـم أيمانُكـم، ومَـنْ حـذَفَ الألِـفَ، فالمعْنَـى: عقَـدَتْ حَلِفَهُـمْ أيْمانُكُـم، فحُـذِفَ المُضـافُ، وأُقِيـمَ[٦] المُضـافُ إلَيْـهِ مقامَـهُ[٧].

---

(١) في (ت): المعنيين.

(٢) في (ج): الارتفاع.

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) في (ف): وهو.

(٥) انظر: السبعة (ص:٢٣٣)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٦)، والحجة (٣/ ١٥٦).

(٦) في الأصل: وأقام، والمثبت من (ت)،

(٧) الحجة (٣/ ١٥٧).

وفِيهم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم أهْلُ الحَلِفِ، كان الرَّجُلُ يُحالِفُ الرَّجُلَ، فأيُّهما ماتَ ورِثَه الآخَرُ، فنُسخ ذلِك بقوْلِه تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]، رواه ابنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وروى عنْه عطيَّةُ قالَ: كانَ الرَّجُلُ يلْحقُ الرَّجُلَ فِي الجاهلِيَّةِ، فيكُونُ تابِعَهُ، فإذا ماتَ الرَّجُلُ، صارَ لأهْلِه المِيراثُ، وبقِي تابِعُه[١] بغيْرِ شيءٍ، فأنزَلَ اللهُ تعالَى: «والَّذِينَ عاقَدَتْ أَيْمانُكُم» فأُعْطِيَ مِن ميراثِه، ثُمَّ نزَلَ بعد ذلِك[٢]: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، ومِمَّن قالَ هم الحُلفاءُ: سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعِكرمةُ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّهمُ الَّذِين آخَى بيْنَهُم رسُولُ اللهِ ﷺ، وهُمُ المُهاجِرُونَ والأنْصارُ، كانَ المُهاجِرُونَ يُورِّثُونَ الأنْصارَ دونَ ذَوِي رَحِمِهم للأخوَّةِ الَّتي عقدَها رسُولُ الله ﷺ بيْنَهُم. رواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ. وبهِ قالَ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: أنَّهُم [الَّذِين][٣] كانوا يتبنَّوْنَ أبْناءَ غيْرِهم فِي الجاهلِيَّةِ، هذا قوْلُ سعِيدِ بْنِ المُسيِّبِ.

فأمَّا أرْبابُ القوْلِ الأوَّلِ، فقالُوا: نُسخ حكْمُ الحُلفاءِ الَّذِين كانُوا يتعاقَدُون علَى النُّصْرةِ والمِيراثِ بآخِرِ[٤] «الأنْفالِ»، وإليهِ ذهبَ ابْنُ

---

(١) من قوله: (فإذا مات الرجل)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٢) في (ج): ثم نزل من ذلك.

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (ف): بأخذ.

عبَّاسٍ، والحسَنُ، وعِكرِمَةُ، وقتادَةُ، والثَّوريُّ، والأوْزَاعِيُّ، ومالِكٌ، والشَّافِعيُّ، وأحمَدُ(١). [١٤٣/ب]

وقالَ أبو حَنيفَةَ وأصْحَابُه: هذَا الحُكمُ باقٍ غيرَ أنَّه جعَلَ ذَوي الأرْحَامِ أوْلَى مِن مَوالي المُعاقَدةِ(٢).

وذهَبَ قَوْمٌ إلَى أنَّ المُرادَ: فآتوهم نَصيبَهُم مِنَ النَّصْرِ والنَّصِيحةِ مِن غيْرِ مِيراثٍ، وهذَا مرْويٌّ(٣) عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، ومُجاهِدٍ(٥).

وذهَبَ [قَوْمٌ](٦) آخرونَ إلى أنَّ المُعاقَدَةَ: إنَّما(٧) كانَتْ فِي الجاهلِيَّةِ علَى(٨) النُّصرةِ لَا غيْرُ، والإسْلامُ لم يُغيِّرْ ذلِك، وإنَّما قرَّرهُ. فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«أيُّما حِلْفٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً»**(٩). وأرادَ: النَّصْرَ والعوْنَ. وهذَا قوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، وهوَ يدُلُّ علَى أنَّ الآيَةَ مُحْكَمةٌ.

---

(١) في (ت): وأحمد والشافعي.

(٢) انظر: المبسوط (١/ ١٢٤)؛ للسرخسي، و بدائع الصنائع (٤/ ١٧٠).

(٣) في (ف): يروى.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦ / ٦٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٣٩)، وابن المنذر في تفسيره (١٦٩٥) من طريق سعيد بن جبير به.

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٩١٩٨)، وفي تفسيره (٥٦٥) ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦ / ٦٧٩)، وأبو عُبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (٤١٢) من طريق منصور، ورواه سعيد بن منصور في سننه (٢٦٠)، وفي تفسيره (٦٢٦) من طريق ابن أبي نجيح كلاهما (منصور، وابن أبي نجيح) عن مجاهد.

(٦) من (ج).

(٧) ليست في (ف).

(٨) في الأصل: عن، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) رواه مسلم (٢٥٣٠)، وأبو داود (٢٩٢٥) من حديث جبير بن مطعم بنحوه.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

سَبَبُ نُزولِها:

أنَّ رَجُلًا لطَمَ زَوْجَتَهُ لطْمةً[١] فاسْتعْدَتْ عليْه رسُولُ الله ﷺ، فنَزلَتْ هذِه الآيَةُ، رَواه أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

وذكَرَ المُفسِّرونَ أنَّه سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ الأنْصَاريُّ[٣].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿قَوَّٰمُونَ﴾؛ أي: مُسلَّطُونَ علَى تأدِيبِ النِّساءِ فِي الحَقِّ[٤].

ورَوى هِشامُ بْنُ مُحمَّدٍ عنْ أبِيه فِي قوْلِه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ قالَ: إذا كانُوا رِجالًا.

---

(١) ليست في (ت). وفي (ج): لطمًا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٧٠)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ١٥١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعة، وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعيه.

وأنْشدَ[1] [من المتقارب]:

أَكُلَّ امْـرِئٍ تَحْسَـبِينَ امْـرَأً وَنَـارٍ تَوَقَّـدُ بِاللَّيْـلِ نَـارَا

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ﴾ يعنِـي: الرِّجَـال﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعنِـي: النِّسـاءَ، وفُضِّـلَ الرَّجُـلُ عـلى المـرْأَةِ بزيـادَةِ العقـلِ، وتوفِـيرِ الحَـظِّ فِي المِـيراثِ، والغَنِيمـة، والجُمُعـةِ، والجمَاعَـاتِ[2]، والخِلَافـةِ، والإمَـارَةِ، والجِهـادِ، وجُعِـلَ الطَّـلاقُ إليْـه، إلى غـيْرِ ذلِـك.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ يعنـي: المهْـرَ والنَّفقَـةَ عليْهِـنَّ[3].

وفي «الصَّالحاتِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: المُحسنَاتُ إلى أزْوَاجِهنَّ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: العَامِلاتُ بالخيْرِ، قالَه ابْنُ المُباركِ.

قـالَ ابْنُ عبَّـاسٍ[4]: وَ«القانِتَـاتُ»: المُطِيعَـاتُ للهِ فِي أزْوَاجِهِـنَّ، والحَافظَاتُ للغَيْـبِ؛ أي: لغَيْـب أزْوَاجِهنَّ[5].

---

(١) البيـت لعـدي بـن زيـد، وقيـل: لأبي دؤاد واسـمه حارثـة بـن الحجـاج الإيـادي، انظـر: إيضـاح شـواهد الإيضـاح (١/ ٤٢٤)، والكتـاب لسـيبويه (١/ ٦٦)، والكامـل (٣/ ٧٥)، وخزانـة الأدب (٩/ ٥٩٢).

(٢) في (ج): والجماعة.

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٦ / ٦٨٧)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٢٤٧) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، بـه، بنحـوه.

(٤) من قوله: (قاله ابن عباس)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦ / ٦٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

وقال عطاءٌ[١]، وقتادةُ[٢]: يحْفَظْنَ ما غابَ عنْهُ الأزْوَاجُ مِنَ المَالِ[٣]، وما يجِبُ علَيْهِنَّ مِن صِيانَةِ أنْفُسِهِنَّ لهُم.

قَوْلُه تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ قَرأَ الجُمهورُ برفْعِ اسْمِ «اللهِ»[٤].

وفي معْنَى الكلامِ علَى قِراءَتِهِم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بحفْظِ اللهِ إيَّاهُنَّ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وعطَاءٌ، ومُقاتِلٌ، ورَوى ابْنُ المُبارِكِ عنْ سُفيانَ، قالَ: بحفْظِ اللهِ إيَّاهَا أنَّهُ جعلَهَا كذلِك[٥].

والثَّاني: بمَا حفِظَ اللهُ لهنَّ مُهورَهُنَّ، وإيجَابُ نفَقتِهِنَّ، قالَه الزَّجَّاجُ[٦].

والثَّالثُ: أنَّ معناه: حافِظاتٌ للغيْبِ بالشَّيءِ الَّذي يُحفظُ بهِ أمْرُ اللهِ، حكَاهُ الزَّجَّاجُ[٧].

وقرأ أبو جعْفرٍ بنصْبِ اسْمِ اللهِ[٨]. والمعنَى: بحفظِهِنَّ اللهَ في طَاعتِهِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٩٣) من طريق ابن جريج، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٩١-٦٩٢) من طريق سعيد، ومعمر، به.

(٣) في نسخة: الأموال.

(٤) انظر: المبسوط (ص:١٧٩)، والكامل (ص:٥٢٧)، والإتحاف (ص:٢٤١).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٥٢) من طريق ابن المبارك به.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦).

(٨) انظر: المبسوط (ص: ١٧٩)، والكامل (ص: ٥٢٧)، والإتحاف (ص: ٢٤١)، قرأ أبو جعفر المدني بنصب الهاء (الله)، وما موصولة والتقدير: بالذي حفظ حق الله، أو أمر الله.

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾.

فِي الخوْفِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى العلِمِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: بمعْنَى الظَّنِّ لَما يبْدُو مِنْ دلائِلِ النُّشُوزِ، قالَه الفَرَّاءُ[١].

وأنْشَدَ [من الطويل]:

. . . . وَمَا خِفْتُ يَا سَلَّامُ أَنَّكَ عَائِبِي[٢]

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والنُّشوزُ: بُغضُ المرْأةِ للزَّوجِ[٣]، يُقالُ: نَشَزَتِ المرْأَةُ [١٤٤/أ] علَى زوْجِها، ونشَصَتْ[٤]: إذَا فَرِكَتْهُ[٥]، ولم تطْمَئِنَّ إليْهِ[٦]، وأصْلُ النُّشوزِ: الانْزِعاجُ[٧].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أصْلُه مِنَ النَّشَزِ، وهوَ المكَانُ المُرتَفِعُ مِنَ الأرْضِ[٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١ / ٢٦٦).

(٢) عجز بيت لأبي الغول -علباء بن جوشن من بني قطن بن نهشل- وصدره: أَتَانِي كَلامٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ. انظر: النوادر في اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٤٦)، والشعر والشعراء (ص: ٢٧٨)، وهو في تفسير ابن جرير الطبري (٤/ ١٣٥) بلا نسبة.

(٣) في (ت): الزَّوج.

(٤) في (ج): ونشزت.

(٥) في (ج): تركته.

(٦) في (ت)، و(ج)، و(ف): عنده.

(٧) غريب القرآن (١/ ١٢٦).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧).

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾.

قالَ الخَليلُ: الوعْظُ: التَّذْكيرُ بالخيْرِ فيمَا يَرقُّ له القلْبُ(١).

قالَ الحسَنُ: يعِظُها بلسَانِه، فإنْ أبَتْ، وإلَّا هجَرَها(٢).

واخْتلَفُوا فِي المُراد بـ«الهَجْرِ فِي المَضْجَعِ» علَى أربَعةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه تَرْكُ الجِماعِ، رَواهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وابْنُ أبي طلْحَةَ، والعَوفِيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ ابْنُ جُبيرٍ، ومُقاتلٌ(٣).

والثَّانِي: أنَّه تَرْكُ الكلَامِ، لَا تَرْكُ الجِماعِ، رَواه أبو الضُّحَى، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وخُصَيْفٍ، عنْ عِكرمَةَ، وبهِ قالَ السُّدِّيُّ، والثَّوْرِيُّ.

والثَّالِثُ: أنَّه قوْلُ الهُجْرِ مِنَ الكلَامِ فِي المَضاجِعِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وعِكرمَةَ. فيكُونُ المعْنَى: قُولُوا لهُنَّ فِي المَضاجِعِ هُجْرًا مِنَ القوْلِ.

والرَّابعُ: أنَّه هَجرُ فِراشِهَا، ومُضاجَعتِهَا. رُوي عنِ الحسَنِ، والشَّعبيِّ، ومُجاهِدٍ، والنَّخعِيِّ، ومِقسمٍ، وقَتادةَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: اهْجُرْهَا فِي المَضْجعِ، فإنْ أقبلتْ وإلَّا فقدْ أذِنَ اللهُ لكَ أنْ تضْرِبَها ضرْبًا غيْرَ مُبرِّحٍ(٤).

---

(١) انظر: مجمل اللغة (١/ ٩٣١).

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه (١٤٤٢)، وأبو عُبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (٢٠٢)، وعبد الرزاق في تفسيره (٥٧٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٦٢٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٦٩٨) من طرق عن الحسن، بنحوه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٢٩).

(٤) لم أقف عليه.

وقالَ جماعةٌ مِن أهْلِ العلْمِ: الآيةُ علَى التَّرتيبِ، فالوعْظُ عنْدَ[(١)] خوْفِ النُّشوزِ، والهجْرِ عنْد ظُهورِ النُّشوزِ، والضَّربُ عنْدَ تكرُّرِه، واللَّجاجِ فيهِ.

ولا يجوزُ الضَّربُ عنْدَ ابْتداءِ النُّشوزِ.

قالَ القاضي أبو يَعْلَى: وعلَى هذَا[(٢)] مذْهبُ أحمدَ[(٣)]. وقالَ الشَّافِعيُّ: يجوزُ ضرْبُها في ابْتِداءِ النُّشوزِ[(٤)].

قوْلُه تعالَى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي في المَضجَعِ ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾؛ أي: فلَا تَتَجنَّ عليْهَا الْعِلَلَ[(٥)].

وقالَ سُفيانُ بْنُ عُيينَةَ: لا تُكلِّفْها الحُبَّ؛ لأنَّ قلبَها ليْسَ في يدِها[(٦)].

وقالَ ابْنُ جَريرٍ: المعْنَى: فلَا تلْتَمِسُوا سَبِيلًا إِلَى ما لَا يحِلُّ لكُم مِن أبْدَانِهنَّ وأمْوَالِهنَّ بالعِلَلِ، وذلِك أن تقُولَ لَها وهيَ مُطِيعةٌ [لكَ][(٧)]: لسْتِ[(٨)] لِي مُحبَّةً، فيضربُها، أو يُؤذِيها[(٩)][(١٠)].

---

(١) في (ج): من.

(٢) في (ف): وهذا على.

(٣) انظر: المغني (٧/ ٣١٨).

(٤) انظر: الأم (٥/ ١٢٠). ومن قوله: (قال القاضي أبو يعلى)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٧١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٧٧) وابن المنذر في تفسيره (١٧٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٧١٤) من طريق يعلى بن أمية، به.

(٧) من (ت).

(٨) في (ت): ليست.

(٩) في (ت)، و(ج)، و(ف): فتضربها أو تؤذيها.

(١٠) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦/ ٧١٣).

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

قالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: لا تبْغُوا علَى أزْواجِكُم، فهوَ ينْتَصِرُ لهُنَّ مِنكُم.

وقالَ الخطَّابِيُّ: «الكبِيرُ»: المَوصُوفُ بالجَلالِ، وكِبرُ الشَّأنِ، يصْغُرُ دُونَ جلالِه كُلُّ كَبيرٍ. ويُقالُ: هوَ الَّذي كَبُرَ عنْ شَبهِ المَخْلُوقِينَ[1].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾.

فِي الخوْفِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الحذرُ مِنْ وُجودِ مَا لا يُتيقَّنُ وُجودُهُ، قالَه الزَّجَّاجُ[2].

والثَّانِي: أنَّه العِلمُ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قالَ الزَّجَّاجُ: و«الشِّقَاقُ»: العداوةُ، واشْتِقاقُهُ مِنَ أنَّ[3] المُتشَاقِّينَ[4]، كُلُّ صِنفٍ منْهُم فِي شِقٍّ. و«الحَكَم»: هو القَيِّمُ بمَا يُسندُ إليْهِ[5].

وفِي المأمُورِ بإنْفاذِ الحَكمَيْنِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه السُّلطانُ إذا ترَافعَا إليْهِ، قالَه سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ.

والثَّانِي: الزَّوجَانِ، قالَه السُّدِّيُّ.

---

(١) شأن الدعاء (١/ ٦٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٨).

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) في (ج): المشتاقين.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٨).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي الحكَمَيْنِ(١). [١٤٣/ب]

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه(٢) رَاجِعٌ إِلَى الحَكمَيْنِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعطَاءٌ، والسُّدِّيُّ، والجُمهورُ.

والثَّانِي: أنَّه راجِعٌ إِلَى الزَّوْجينِ، ذكرَهُ بعْضُ المُفسِّرينَ.

فَصْلٌ

والحكَمانِ وكِيلانِ للزَّوْجيْنِ، ويُعتَبرُ رِضى الزَّوْجينِ فيما يحْكُمانِ بهِ، هذا قوْلُ أحمَدَ(٣)، وأبِي حنِيفةَ وأصْحَابِه(٤).

وقالَ مالِكٌ(٥)، وأصْحَابُه(٦) والشَّافِعيُّ(٧): لا يفْتقِرُ حكمُ الحكَمَيْنِ [إلى](٨) رِضَى الزَّوْجيْنِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٨٦)، وابن المنذر في تفسيره (١٧٤٧) من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، به.

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: المغني (٧/ ٣٢٠).

(٤) انظر: الأصل (١١/ ٢٠٢)؛ لمحمد بن الحسن الشيباني، والمبسوط (٢١/ ٦٢)؛ للسرخسي، و بدائع الصنائع (٢/ ٣٣٤).

(٥) انظر: المدونة (٢/ ٢٧٠).

(٦) ليست في (ت)، (ج)، و(ف).

(٧) انظر: الأم (٥/ ١٢٤).

(٨) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وحِّدُوهُ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ قالَ الفَرَّاءُ: أغْرَاهُم بالإِحْسانِ إِلَى الوَالِديْنِ[٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه[٣] الجارُ الَّذي بيْنَك وبيْنَه قرَابَةٌ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وقتَادَةُ، وابْنُ زيْدٍ، ومُقاتِلٌ فِي آخرِينَ.

والثَّانِي: أنَّه الجارُ المُسلِمُ، قالَه نوْفٌ الشَّامِيُّ[٤].

فيكونُ المعْنَى: ذي القُربَى منْكُم بالإِسْلامِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾.

رَوى المُفضَّلُ، عنْ عاصِمٍ: «والجَار الجَنْب» بفتْحِ الجِيم، وإِسْكانِ النُّونِ[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢٨٩) من طريق عكرمة أو سعيد بن جبير به .

(٢) معاني القرآن (١/ ٢٦٦).

(٣) ليست في (ف).

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٥٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٦٣٢).

(٥) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٣٣)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ١٣٥)، وإعراب القراءات؛ للعكبري (١/ ٣٨٦).

قالَ أبو عليٍّ: المعْنى: والجَارِ ذِي الجنبِ، فحُذف المُضافُ(١).

وفي «الجَار الجُنب» ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الغريبُ الَّذي ليْس بيْنَك وبيْنَه قرَابَةٌ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وعطَاءٌ، وعِكرمَةُ، [والضَّحَّاكُ](٢)، وابْنُ زيْدٍ، ومُقاتلٌ فِي آخَرينَ.

والثَّانِي: أنَّه جارُكَ عن يمينِكَ، وعنْ شمالِكَ، وبيْنَ يديْكَ، وخلْفِكَ، رَواه الضَّحَّاكُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّه اليهودِيُّ والنَّصْرانِيُّ، قالَه نوْفٌ الشَّامِيُّ.

وفي «الصَّاحِبِ بالجنْب» ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الزَّوجَةُ، قالَه علِيٌّ، وابْنُ مسْعُودٍ، والحسَنُ، وإبْراهِيمُ النَّخَعيُّ، وابْنُ أبي ليْلَى.

والثَّانِي: أنَّه الرَّفِيقُ فِي السَّفرِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ فِي رِوايَةِ مُجاهِدٍ، وقتادَةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، وابْنِ قُتيبةَ(٣). وعنْ سَعيدِ بْنِ جُبيرٍ كالقوْلَينِ.

والثَّالث: أنَّه الرَّفِيقُ، رواه ابْنُ جريجٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عِكرمَةُ.

قالَ ابْنُ زيْدٍ: هوَ الَّذي يلْصِقُ بكَ رَجاءَ خيْرِكَ(٤).

وقالَ مُقاتِلٌ: هوَ رفِيقُك حضَرًا وسَفرًا(٥).

---

(١) الحجة (٣/ ١٥٧).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) غريب القرآن (١/ ١٢٧).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٧/ ١٥) من طريق ابن وهب، به.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٧٢).

وفِي «ابْنِ السَّبِيل» أقْوَالٌ[١] قد ذكرْنَاهَا فِي «البقرَةِ».

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعْنِي: المَمْلُوكِينَ. وقالَ بعْضُهُم: يدْخُلُ فيهِ الحَيَوانُ البَهِيمُ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وَ«المُخْتالُ»: البطرُ فِي مِشيَتِهِ، و«الفخُور»: المُفتَخِرُ علَى النَّاسِ بكِبْرِه[٢].

وقالَ مُجاهِدٌ: هوَ[٣] الَّذِي يَعُدُّ مَا أُعْطِيَ (مِنْ نِعَم اللهِ)[٤]، ولَا يشْكُرُ اللهَ[٥]. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: «المُخْتالُ»: ذُو الخُيلاءِ والكِبْرِ[٦]. وقالَ الزَّجَّاجُ: «المُختالُ»: الصَّلِفُ التَّيَّاهُ[٧] الجَهُولُ[٨].

وإِنَّما ذكَرَ «الاخْتِيالَ» هَاهُنا؛ لأنَّ المُختالَ يأْنَفُ مِن ذَوي قَرَاباتِه، ومِن جِيرَانِه إذا كانُوا فُقَراءَ.

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء: ٣٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ذكَرَ المُفسِّرُون أنَّها نزَلَتْ فِي اليهودِ[٩].

---

(١) في (ج): ستة أقوال.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١) بنحوه.

(٣) ليست في (ف).

(٤) ليس في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٠) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٦) غريب القرآن (١/ ١٢٧).

(٧) في (ف) زيادة بعد هذه الكلمة: (الياء مشددة).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٥).

(٩) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٣٠٦).

فأمّا سببُ نُزولِها:

فقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ كَرْدَمُ بْنُ زيْدٍ(١)، وأُسامَةُ بْنِ حَبِيبٍ، ونَافِعُ بْنِ أبي نَافِعٍ، وبَحْرِيُّ بْنُ عمْرٍو، وحُيَيُّ بْنُ أخْطَبَ، ورِفَاعَةُ بْنِ زيْدِ بْنُ التَّابُوتِ، يأْتُون رِجالًا مِنَ الأنْصارِ مِن أصْحابِ رسُولِ الله ﷺ وكانُوا [١٤٥/أ] يُخالِطُونَهُم، ويَنتَصِحُونَ(٢) لهُم، فيَقُولُون: لا تُنفِقُوا أمْوالَكُم، فإنَّا نَخْشَى عليْكُمُ الفقْرَ، ولا تُسارِعُوا إلَى(٣) النَّفَقةِ، فإنَّكُم لا تدْرُونَ ما يَكونُ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ(٤).

وفِي الَّذِي «بَخِلُوا بِهِ وأمَرُوا النَّاسَ بالبُخل بهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه المَالُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّانِي: أنَّه إظْهَارُ صِفةِ النَّبيِّ ﷺ ونُبوَّتِهِ، قالَه مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾.

قَرأَ ابْنُ كثِيرٍ، [ونافِعٌ](٥)، وأبُو عمْرٍو، وعَاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «بالبُخْلِ» خفيفًا. وقَرأَ حمْزَةُ والكِسائِيُّ: «بالبَخَلِ» مُحرَّكًا(٦)، وكذلِكَ فِي سُورةِ «الحديد»(٧).

---

(١) توجد زيادة في المطبوع لم نقف عليها في النسخ الخطية التي بين أيدينا، وهي: (حليف كعب بن الأشرف).

(٢) في (ج): وينتصرون.

(٣) في نسخة: في.

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٧/ ٢٤) من طريق سعيد بن جبير، به.

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في (ف): محرَّكًا مُثقَّلًا.

(٧) انظر: السبعة (ص: ٢٣٣)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٨)، والحجة (٣/ ١٦٠).

وفِي الَّذِي آتاهُمُ اللهُ مِن فضلِهِ قولَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ اليَهُودُ، أُوتوا عِلمَ نعتِ النَّبيِّ ﷺ، فكتَمُوه، هذا قولُ الجُمهورِ(١).

والثَّانِي: أنَّهم أربابُ الأموَالِ بخِلُوا بِها، وكتَمُوا الغِنى، ذكَرَهُ المَاوردِيُّ فِي آخَرِينَ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: معْناه: جعلْنا ذلِك(٣) عَتادًا لهُم؛ أي: مُثبتًا لهُم(٤).

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَن نزلَتْ علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ اليهودُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّهمُ المُنافقونَ، قالَه السُّدِّيُّ، والزَّجَّاجُ(٥)، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والثَّالِثُ: مُشركُو مكَّةَ أنْفقُوا علَى عداوَةِ النَّبيِّ ﷺ، ذكَرَهُ الثَّعلَبيُّ(٦).

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٢٤).

(٢) النكت والعيون (١/ ٤٨٧).

(٣) ليست في (ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥١).

(٦) الكشف والبيان (٣/ ٣٠٧).

و«القَرِينُ»: الصَّاحِبُ المُؤالِفُ[١]، وهو فَعِيلٌ مِنَ الاقْتِرَانِ[٢] [بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ][٣].

وفي معنَى مُقارنة الشَّيطانِ قوْلَانِ:

أحدُهما: مُصاحَبتُهُ في الفِعلِ.

والثَّاني: مُصاحَبتُهُ في النَّارِ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء: ٣٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾.

المَعْنى: وأَيُّ شيْءٍ علَى هؤلاءِ الَّذِين يُنْفقون أمْوالَهم رِئاءَ النَّاسِ، ولَا يُؤمِنونَ باللهِ، لوْ آمَنُوا!.

وفي الإنْفاقِ المذْكُورِ هاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الصَّدَقَةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الزَّكَاةُ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

وفي قوْلِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ تَهْدِيدٌ لهُم علَى سُوءِ مَقاصدِهِم.

---

(١) في (ف): المؤالف باللام.

(٢) في (ج): قرنت.

(٣) من (ج).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

قدْ شرحْنا «الظُّلمَ» فِيما سلَفَ[١]، وهوَ مُستحِيلٌ علَى اللهِ ﷻ؛ لأنَّ قوْمًا قالُوا: الظُّلمُ: تَصرُّفٌ فيما لا يمْلِكُ، والكُلُّ مِلكُهُ. وقالَ آخرونَ: هوَ وضْعُ الشَّيْءِ فِي غيْرِ موضِعِه، وحِكْمتُه لا تقْتَضِي فِعلًا لا فائِدةَ تحْتَهُ.

ومِثقالُ الشَّيْءِ: زِنةُ الشَّيْءِ. قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقالُ: هذا علَى مِثقالِ[٢] هذَا؛ أي: علَى وزْنِه[٣]. قالَ الزَّجَّاجُ: وهوَ مِفعالٌ مِنَ الثِّقلِ[٤].

(قَالَ الشَّيْخُ)[٥]: وقرأْتُ علَى شيْخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ قالَ: يظُنُّ النَّاسُ أنَّ المِثقالَ وزْنُ دِينارٍ لَا غيْرُ، وليْسَ كما يَظُنُّونَ. مِثقالُ كُلِّ شيْءٍ: وزْنُه، وكُل وزْنٍ يُسمَّى مِثقالًا، وإن كانَ وزْنَ ألْفٍ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قالَ أبو حاتِم: سألْتُ الأصْمعِيَّ عنْ صَنجَةِ المِيزانِ، فقالَ: فارِسِيٌّ، [١٤٥/ب] ولا أدري كيْفَ أقُولُ، ولكِنِّي أقُولُ: مِثقالًا[٦]، فإذَا قلْتَ للرَّجلِ: ناولْنِي

---

(١) في (ج): سبق.

(٢) من قوله: (الشيء: زنة)... إلى هنا ساقط في (ت).

(٣) غريب القرآن (١/ ١٢٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥).

(٥) من الأصل فقط.

(٦) في (ت)، (ج)، و(ف): مثقال.

مثقـالًا، فأعْطَـاك صَنجـة ألْـف، أو صَنجـة[١] حَبَّـةٍ، كانَ مُمْتثِـلًا[٢].

وفِي المُراد بـ«الذَّرَّةِ» خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه[٣] رأسُ نملَةٍ حمْرَاءَ، روَاه عِكرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: ذرَّةٌ يَسِيرةٌ مِنَ التُّرابِ، رَواه يزِيدُ بْنُ الأصَمِّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالثُ: أصْغرُ النَّمل، قالَه ابْنُ قُتيبةَ، و ابْنُ فارسٍ[٤].

والرَّابع: الخَرْدَلَةُ.

والخامس: الواحِـدَةُ مِـنَ الهَبـاءِ الطَّائـرِ[٥] فِي ضَـوْءِ الشَّـمسِ إذا طلَعـتْ مِـن ثُقـبٍ، ذكرَهُمـا الثَّعلبِـيُّ[٦].

واعْلَـم أنَّ ذِكْـرَ الـذَّرَّةِ ضَرْبُ مثَـلٍ بـمَا[٧] يعْقِـلُ، والمقصُـودُ أنَّـه لا يَظلِـمُ قلِيـلًا ولا كثِـيرًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾.

قَرأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ: «حسنَةٌ» بالرَّفع. وقَرأ البَاقونَ بالنَّصبِ[٨].

---

(١) في (ج): وصنجة.

(٢) التكملة والذيل على درة الغواص (ص: ٨٦٣).

(٣) في (ت): أنها.

(٤) غريب القرآن (١/ ١٢٧)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (١/ ٣٥٣).

(٥) في (ت): الظاهر.

(٦) انظر: «الكشف والبيان (٣/ ٣٠٨).

(٧) في الأصل: فيها، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) انظر «السبعة (ص: ٢٣٣)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٨)، والحجة (٣/ ١٦٠)، والمبسوط (ص: ١٧٩).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَن رفَعَ، فالمعْنَى: وإنْ تحْدُثْ حسَنَةٌ، ومَن نصَبَ، فالمعْنَى: وإنْ تَكُ فِعْلتُهُ حسَنَةً[١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾.

قَرأ ابْنُ عامِرٍ، وابْنُ كثِيرٍ[٢]: «يُضعِّفها» بالتَّشْديدِ مِنْ غيْرِ ألِفٍ.
وقَرأَ الباقُونَ: «يُضاعِفها» بألِفٍ معَ كسْرِ العَيْنِ[٣].

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُضاعِفها بالألِفِ[٤]: يُعْطى مثْلَها مرَّاتٍ، ويُضعِّفْها بغَيرِ ألِفٍ: يُعْطي مثْلَها[٥] مَرَّةً[٦].

قوْلُه تعَالَى: ﴿مِن لَّدُنۡهُ﴾ أي: مِن قِبَلِه. و«الأجرُ العَظِيمُ»: الجَنَّةُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى الآيةِ: فكيْفَ يكونُ حَالُ هؤلاءِ[٧] يوْمَ القِيامةِ، فحَذَفَ الحَالَ؛ لأنَّ فِي الكَلامِ دليلًا عليْهِ[٨].

ولفظُ «كيْفَ» لفظُ الاِسْتِفهامِ، ومعْناهَا: التَّوبِيخُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٣).
(٢) في الأصل: ابن كثير ونافع، والمثبت من بقية النسخ.
(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٣٣)، والحجة (٣/ ١٦١)، والمبسوط (ص: ١٤٨).
(٤) من قوله: (مع كسر العين)... إلى هنا ساقط من (ج).
(٥) من قوله: (مرات)... إلى هنا ساقط من (ج).
(٦) غريب القرآن (١/ ١٢٧).
(٧) من قوله: (بشهيد)... إلى هنا ساقط من (ت).
(٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٣).

و«الشَّهِيدُ»: نَبِيُّ الأُمَّةِ.

وبماذا يشهد فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه[١] قد بلَّغ أمَّتَهُ. قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ جُريج، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: بإِيمانِهِم، قالَه أبو العَالِيَةِ.

والثَّالث: بأعْمالِهِم، قالَه مُجاهِدٌ، وقَتادةُ.

والرَّابع: يَشهَدُ لهُم وعليْهِم، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يعْنِي: نَبِيَّنا ﷺ.

وفي ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّهم سَائِر[٣] أُمَّتِهِ.

ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يَشهَدُ عليْهِم.

والثَّانِي: يَشْهَدُ لَهم فتكون «علَى» بمَعْنى: اللَّامِ.

والقوْلُ الثَّانِي: أنَّهم الكُفَّارُ يَشْهَدُ عليهم بتبْلِيغِ الرِّسَالةِ، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّالث: اليهودُ والنَّصارى، ذكَرَهُ الماوردِيُّ[٤].

(١) في (ت): بأنه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٤).

(٣) في (ت)، و(ج): جميع.

(٤) النكت والعيون (١/ ٤٨٨).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النسـاء: ٤٢].

قَوْلُه تعالى: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾.

قَـرأ ابْـنُ كثِـيرٍ، [وعَاصِـمٌ](١)، وأبـو عمْـرٍو: «لـو تُسْـوى»، بضَـمِّ التَّـاءِ، وتخْفِيـفِ السِّـينِ(٢).

والمعْنَـى: ودُّوا لـو جُعِلُـوا تُرابًـا، فكَانُـوا هُـم والأرْضُ سَـواءٌ، هـذا قـوْلُ الفَـرَّاءِ فِي آخريـن(٣).

قـالَ أبـو هُريـرةَ: إذا حَـشَرَ اللهُ الخلائِـقَ، قـالَ للبَهائِـمِ، والـدَّوابِّ، والطَّـيرِ: كُـونِي تُرابًـا. فعنْدَهـا يقـولُ الكافِـرُ: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبـأ: ٤٠](٤).

وقَرأ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ: «لَوْ تَسَوَّى»: بفتْحِ التَّاءِ، وتشْديدِ السِّينِ(٥).

والمعْنى: لو تَتَسوَّى، فأُدغمتِ التَّاءُ فِي السِّينِ؛ لِقرْبِها منها.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٣٤)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٨- ٣٠٩)، والحجة (٣/ ١٦٠- ١٦٣).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٦٩-٢٧٠).

(٤) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٧٨٦) مـن طريـق معمـر، ومـن طريقـه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٩/ ٢٣٥)، والحاكـم في المسـتدرك (٢/ ٣٤٥) وقـال: عـلى شرط مسـلم، ووافقـه الذهبـي، ورواه وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧٢٦٢) مـن طريـق كثـير بـن هشـام، كلاهمـا (معمـر، وكثـير) عـن جعفـر بـن برقـان، عـن زيـد الأصـم، بـه، بنحـوه.

(٥) السبعة(ص: ٢٣٤)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٩)، والمبسوط (ص: ١٧٩).

قَالَ أبو عليٍّ: وفِي هذه القَرَاءةِ اتِّساعٌ؛ لأنَّ الفعلَ مُسنَدٌ إلى الأرْض، وليس المُرادُ: ودُّوا لو صارتِ الأرْضُ مِثلَهم، إنَّما المعْنَى: ودُّوا لو[١] يَتسوَّون بها[٢].

ثُمَّ فِي المَعْنى للمُفسِّرينَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: ودُّوا لو تخرَّقتْ بهمُ الأَرْضُ، فسَاخُوا فِيها، قالَه قتادةُ، وأبو عُبيدةَ، ومُقاتِلٌ. [١٤٦/أ]

والثَّاني: أنَّ معْناه: ودُّوا أنَّهم لم يُبعثوا[٣]؛ لأنَّ الأرْضَ كانتْ مُستويةً بهم قبْلَ خُروجِهم منْها، قالَه ابنُ كيسانَ، وذكَرَ نحوَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

وقَرأ حمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «لو تَسَوَّى»، بفتح التَّاءِ، وتخْفِيفِ السِّينِ، والواوُ مشدَّدةٌ مُمالَةٌ.

وهي بمعْنَى: تَتسوَّى، فحذَفَ التَّاءَ الَّتي أدْغمَها نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ[٥].

فأمَّا معْنى القِراءتَيْنِ، فوَاحِدٌ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

فِي الحديثِ قوْلَانِ:

أحدُهما: [أنَّه][٦] قوْلُهم: ما كُنَّا مشركين، هذا قوْلُ الجُمهورِ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) الحجة(٣/ ١٦٢).

(٣) في الأصل: يتعنتوا، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٤).

(٥) انظر: السبعة (ص: ٢٣٤)، ومعاني القراءات (١/ ٣٠٩)، والحجة (٣/ ١٦٢).

(٦) من (ت)، و(ج)، و(ف).

والثَّانِي: أنّه أمْرُ النّبيِّ ﷺ ونَعْتُه وصِفتُهُ(١)، قالَه عطاءٌ.

فعلَى الأوّل يتعلَّق الكِتمانُ بالآخرَةِ.

وعلَى الثّاني يتعلّقُ بما كانَ فِي الدُّنيا، فيكون المعْنَى: ودُّوا أنّهم لم يكتمُوا ذلك.

وفِي معْنى الآيَةِ ستّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ودُّوا إذَا فضَحَتْهُم جَوارِحُهم أنّهم لم يكتمُوا اللهَ شِرْكَهم، وهذَا المعْنى مرْويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّانِي: أنّهم لمَّا(٣) شهِدَتْ عليْهِم جوَارِحُهم لم يكتُموا اللهَ حدِيثًا بعْدَ ذلِك، رُوي(٤) عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثَّالث: أنّهم فِي موطنٍ (لا يكتمُونَ اللهَ(٥) حدِيثًا، وفِي موطن)(٦) يكتُمونَ(٧)، ويقولُون: ما كُنّا مُشركِينَ، قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: أنَّ قوْلَه تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ لا يَتعلَّقُ بقوْلِه: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾، هذَا قوْلُ الزَّجَّاجِ وَالفرَّاءِ(٨).

ومعْنى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: لا يقْدِرُونَ علَى كتْمانِه؛ لأنّه ظاهرٌ عنْدَ اللهِ.

---

(١) في (ت)، (ج)، و(ف): وصفته ونعته.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٤) من طريق عطية العوفي.

(٣) من قوله: (شركهم)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٤) من قوله: (مروي عن)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٥) في (ف): يكتمونه.

(٦) ساقط من (ت).

(٧) من قوله: (الله حديثًا)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٨) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٢٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٤).

والخامس: أنَّ المعْنى: ودُّوا لو سُوِّيتِ الأرْضُ بِهِم[١]، وأنَّهم لم يكتمُوا اللهَ حديثًا.

والسَّادِس: أنَّهم لم يعْتَقِدُوا قوْلَهم: ما كُنَّا مشركين كذبًا، وإنَّما اعْتَقَدُوا[٢] أنَّ عبادةَ الأصنامِ طاعَةٌ، ذكرَ القوْلَين ابْنُ الأنْبارِيِّ.

وقالَ القاضي أبو يعْلَى: أخبروا بما توهَّموا، وكانُوا يظنُّون أنَّهم ليْسُوا بمُشركين، وذلِك لا يُخرجهم عن أن يكونوا قد كذَبُوا.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء: ٤٣].

قوْلُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾.

رَوى أبو عبْدِ الرَّحمن السُّلَمِي، عنْ علِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ رضي الله عنه قالَ: صنَع لنا[٣] عبْدُ الرَّحمنِ بْنُ عوْف طعَامًا، فدَعانا، وسقَانا مِنَ الخمْرِ، فأخذَتِ مِنَّا، وحضَرتِ الصَّلاةُ، فقدَّمُونِي، فقرَأتُ: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون[٤])، فنزلَتْ هذِه الآيةُ[٥].

---

(١) في (ج): بهم الأرض.
(٢) من قوله: (قولهم: ما)... إلى هنا ساقط من (ت).
(٣) في (ج): صنع عبد الرحمن.
(٤) عبارة: (ونحن نعبد ما تعبدون) ليست في (ت).
(٥) رواه عبد بن حميد في المنتخب (٨٢)، وأبو داود (٣٦٧١)، والترمذي (٣٠٢٦)، والنسائي في الكبرى (١١٠٤١) من طريق عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، به، بنحوه.

وفي روايةٍ أخرى، عن أبي عبد الرَّحمنِ، عن عليٍّ ﷺ أنَّ الَّذي قدَّمُوه، وخلَط في هذهِ السُّورَةِ، عبدُ الرَّحمنِ بْنُ عوفٍ(١).

وفي معْنى قوْله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قولانِ:

أحدُهما: لا تتعرَّضوا بالسُّكرِ في أوْقَاتِ الصَّلاةِ.

والثَّاني: لا تدْخُلوا في الصَّلاةِ [في](٢) حالِ السُّكر.

والأوَّل أصَحُّ؛ لأنَّ السَّكرانَ لا يعْقِلُ ما يُخاطَب بهِ.

وفي معْنى قوْلهِ: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: منَ الخمرِ، قالَه الجمهُورُ.

والثَّاني: مِنَ النَّومِ، قالَه الضَّحَّاكُ، وفيه بُعْدٌ.

[١٤٦/ب] وهذِه الآيةُ اقتضَتْ إبَاحةَ السُّكرِ في غيرِ أوْقَاتِ الصَّلاةِ، ثُمَّ نُسخَتْ بتَحريمِ الخمْرِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الجنَابَةُ: البُعدُ(٣).

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ: رَجُلٌ جُنُبٌ، ورَجُلانِ جُنُبٌ، ورِجالٌ جُنُبٌ، كما يُقالُ: رَجُلٌ رِضًى، وقومٌ رِضًى(٤).

---

(١) رواها الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٨) وقال: وقد اختلف فيه على عطاء بن السائب على ثلاثة أوجه هذا أوَّلُها وأصحُّها، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٣) غريب القرآن (١/ ١٢٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٥).

وفي تسمِيةِ الجُنُبِ بهذَا الاسْمِ قوْلَانِ:

أحدُها: لُمجانبةِ مَائهِ محلَّهُ.

والثَّـاني: لِـا يلزمُـه مِـنِ اجْتِنـابِ الصَّـلاةِ، وقـراءةِ القُـرآنِ، ومَـسِّ المُصحـفِ، ودُخـولِ المسْـجدِ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾.

فِيه قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ المعْنـى: لا تقْرَبُـوا الصَّـلاةَ وأنْتُـم جنُـبٌ إلَّا أن تكونُـوا مُسـافِرينَ غـيْرَ واجِديـنَ للـماءِ فتيمَّمُـوا، وَصَلُّـوا[١]. وهـذَا المعنـى مـرْوِيٌّ عـنْ علِيٍّ ﷺ، ومُجاهـدٍ، والحكَـمِ، وقتـادَةَ، وابْـنِ زيْـدٍ، ومُقاتـلٍ، والفـرَّاءِ[٢]، والزَّجَّـاجِ.

والثَّـاني: لا تقْرَبُـوا مواضِـعَ الصَّـلاةِ -وهِـيَ المسَـاجِدُ- وأنْتُـم جُنـبٌ إلَّا مُجتازِيـنَ، ولا تَقعُـدُوا. وهـذا المعْنَـى مـرْويٌّ عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ، وأنَـسِ بْـنِ مالِـكٍ، والحسَـنِ، وسـعِيدِ بْـنِ المُسـيِّبِ، وعكرِمَـةَ، وعطَـاءٍ الخُراسـانِيِّ، والزُّهـريِّ، وعمْـرِو بْـنِ دِينَـارٍ، وأبي الضُّحَـى، وأحمَـدَ، والشَّـافعِيِّ، وابْـنِ قُتيبـةَ. وعـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وسـعِيدِ بْـنِ جُبـيرٍ، كالقوْلَـيْنِ.

فعَلَى القوْلِ الأوَّلِ: «عَابِر السَّبِيل»: المُسافِرُ، وقُربانُ الصَّلاةِ: فِعلُهَا.

---

(١) في (ت)، و(ج): وتصلوا.

(٢) مجاز القرآن (١/ ١٢٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٦).

وعلَى الثَّاني: «عابِر السَّبِيل»(١): المُجتازُ فِي المسْجدِ، وقُربانُ الصَّلاةِ: دُخولُ المسْجدِ الَّذِي تُفعلُ فيهِ [الصَّلاةُ](٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾.

فِي سببِ نُزولِ هذَا الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ رجُلًا مِنَ الأنْصارِ كانَ مَرِيضًا فلم يستَطِعْ أن يقُومَ فيتَوضَّأَ، ولم يكنْ لَه خادمٌ، فأتَى رسُولَ اللهِ ﷺ، فذَكَر له ذلِك، فنزَلَتْ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ قالَه مُجاهِدٌ(٣).

والثَّانِي: أنَّ أصْحابَ رسُولِ الله ﷺ أصابَتْهُم جراحَاتٌ، ففَشَتْ فِيهم وابْتُلوا بالجَنابةِ فشَكُوا [ذلِك](٤) إلى رسُولِ اللهِ ﷺ، فنزَلَتْ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾... الآيَةَ كُلَّها، قالَه إبْراهِيمُ النَّخعيُّ(٥).

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: وظاهِرُ الآيَةِ يقتَضِي جوازَ التَّيمُّمِ مع حُصولِ المرضِ الَّذِي يستضرُّ معه باسْتعمالِ المَاءِ، سواءٌ كانَ يخافُ التَّلفَ، أوْ لَا يخافُ، وكذلِك السَّفرُ يجوزُ فيهِ التَّيمُّمُ عنْد عدمِ الماءِ، سواءٌ كانَ قصِيرًا، أوْ طَويلًا، وعدَمُ الماءِ ليْسَ بِشرْطٍ فِي جوازِ تيَمُّمِ المرِيضِ، وإنَّما الشَّرطُ:

---

(١) من قوله: (المسافر)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٢) من (ج).

(٣) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٢) من قول ابن زيد.

(٤) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٧٥) من طريق محمد بن جابر اليمامي، عن حماد بن أبي سليمان، به، بنحوه.

حصُولُ الضَّررِ، وأمَّا السَّفرُ، فعدَمُ الماءِ شرْطٌ في[١] إباحَةِ التَّيمُّمِ، وليْس السَّفرُ بشرْطٍ، وإنَّما ذُكِرَ السَّفَرُ؛ لأنَّ الماءَ يُعدمُ فيهِ غالبًا.

قوْله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾.

«أوْ» بمعْنَى الواوِ؛ لأنَّها لو لمْ تكُن كذلِكَ، لكانَ وجُوبُ الطَّهارةِ علَى المريضِ والمُسافر غيْرَ متعلِّقٍ بالحدَثِ[٢].

و﴿ٱلْغَآئِطِ﴾: المكانُ المطْمَئِنُّ منَ الأرضِ، فكُنِّي عن الحدثِ بمكانِهِ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

وكذلِك قالوا للمزادَةِ: رَاويةٌ، وإنَّما الرَّاويةُ البَعِيرُ الَّذي يُستَقَى عليه، وقالُوا للنِّساء: ظَعائِنٌ، وأصْلُ الظَّعائِنِ: الهوادِجُ، وإنْ لمْ يكُنَّ فِيها[٤]، وسَمَّوا الحدَثَ عَذرَةً؛ لأنَّهم كانوا يُلقونَ الحدثَ بأفْنِيةِ الدُّورِ. [١٤٧/أ]

قوْله تعالَى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾.

قَرأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «أوْ لَامسْتُم» بألِفٍ هَاهُنا، وفِي «المائدة».

وقرَأ حمْزةُ، والكسَائِيُّ، وخلَفٌ في اخْتيارِهِ، والمُفضَّلُ عنْ عاصِمٍ، والوَلِيدُ بْنُ عُتبةَ، عنِ ابْنِ عامِرٍ «أوْ لَمَسْتُم» بغَيْرِ ألِفٍ هَاهُنا، وفِي «المائدَةِ»[٥].

---

(١) من قوله: (جواز تيمم)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٢) في (ت): بالحديث.

(٣) مجاز القرآن (١/ ١٢٧).

(٤) في (ت)، و(ف): وكن يكن فيها. وفي (ج): ولكن يكن فيها.

(٥) السبعة (ص: ٢٣٤)، ومعاني القراءات (١/ ٣١٠)، والحجة (٣/ ١٦٣).

وفي المُراد بالمُلامسَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الجماعُ، قالَه عليٌّ، وابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّها مِنَ(١) المُلامسَة باليدِ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عمَرَ، والشَّعبيُّ، وعبيدةُ، وعطَاءٌ، وابْنُ سِيرينَ، والنَّخعِيُّ، والنَّهديُّ، والحكَمُ، وحمَّادٌ.

قالَ أبو عليٍّ: اللَّمسُ يكونُ باليَدِ، وقدِ اتُّسِعَ فيه، فأُوقِع علَى غيْرِه، فمِن ذلِك ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨]؛ أي: عالجنَا غيْبَ السَّماءِ، ورُمْنَاهُ؛ أي(٢): لِيَستَرِقَهُ فيُلْقِيهُ(٣) إلى الكَهنَةِ، ونُخْبِرُهم بهِ(٤). فلـمَّا كانَ اللَّمس يقَعُ علَى غيْرِ المُباشَرَةِ باليدِ، قالَ: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧] فخصَّ اليدَ؛ لئلَّا يلْتبسَ بالوجهِ [الآخرِ](٥)، كما قالَ: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]؛ لأنَّ الابْنَ قد يُتبنَّى وليْس مِنَ الصُّلبِ(٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾.

سبَبُ نزُولِها:

أنَّ عائِشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كانَتْ معَ النَّبيِّ ﷺ في بعْضِ أسْفَارِه، فانْقَطَع

---

(١) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٢) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٣) في (ت): لنسترقه فنلقيه. وفي (ج): لنسرقه فنلقيه.

(٤) ليست في (ج)، وقوله: (ونخبرهم به) ليس في (ف) أيضًا.

(٥) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٦) الحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي الفارسي (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

عِقــدٌ لهَــا، فأقَـامَ النَّبـيُّ ﷺ عـلَى الْتِمَاسِــه، وليْسُــوا عــلى مــاءٍ، وليْـس معَهُــم مَــاءٌ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، فقَـالَ أُسيدُ بْـنُ حُضيرٍ: مـا هِـيَ بـأوَّلِ برَكتِكُـم يـا آلَ أبي بكْـرٍ. أخرَجَـهُ البُخـارِيُّ، ومُسـلِمٌ[1] (في الصحيحـينِ)[2].

وفِي رِوايـةٍ أُخـرى أخرجَهـا البُخـاريُّ، ومُسـلمٌ أيضًا: أنَّ عائِشـةَ رضي الله عنهـا اسْـتعارتْ مِـن أسَـماءَ قِـلادةً[3] فهلَكَـتْ، فبعَـثَ رسُـولُ اللهِ ﷺ رِجـالًا فِي طلبِهَـا، فأدْركَتْهُـمُ الصَّـلاةُ وليْس معَهُـم مـاءٌ، فصَلُّـوا بغـير[4] وُضُوءٍ، وشـكوا ذلِـك إلى رسُـولِ الله ﷺ، فنزَلَـتْ آيَـةُ التَّيمُّـمِ[5].

والتَّيمُّــمُ فِي اللُّغــةِ: القصْــدُ، وقــد ذكرْنَــاه فِي قوْلِــه تعَــالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾ [البقـرة: ٢٦٧].

فَأمَّــا الصَّعِيــدُ: فهـوَ الـتُّرابُ، قالَـه علِيٌّ، وابْـنُ مسْـعُودٍ، والفـرَّاءُ، وأبـو عُبيـدٍ، والزَّجَّـاجُ، وابْـنُ قُتيبـةَ[6].

وقـالَ الشَّـافِعيُّ رضي الله عنـه: لا يَقـعُ اسْـمُ الصَّعِيـدِ إلَّا عـلَى تُـرابٍ ذِي غُبـارٍ[7].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

(٢) ليس في (ت)، (ج)، و(ف).

(٣) في (ج): قلادة من أسماء.

(٤) ليست في (ت).

(٥) انظر: الحديث السابق.

(٦) انظر: معـاني القـرآن (٢/ ١٣٤)، ومجـاز القـرآن (١/ ١٢٨)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه (٢/ ٥٦)، وغريـب القـرآن (١/ ١٢٧).

(٧) الأم (١/ ٦٦).

وفِي الطَّيبِ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّه الطَّاهرُ.

والثَّانِي: الحلالُ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ الوجهُ المَسوحُ فِي التَّيمُّمِ: هوَ المَحدُودُ فِي الوُضُوءِ.

وفِيما يَجِبُ مسْحُه مِنَ الأيْدِي ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه إلَى الكُوعيْنِ حيْثُ يُقطعُ السَّارِقُ.

رَوى عمَّارٌ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «التَّيمُّمُ ضَرْبَةٌ لِلْوَجهِ والْكَفَّيْنِ»(١).

وبِهذا قالَ سعِيدُ بْنُ المُسيِّبِ، وعطَاءُ بْنُ أبِي رَباحٍ، وعِكرمَةُ، والأوْزاعِيُّ، ومَكحُولٌ، ومالِكٌ(٢)، وأحمَدُ(٣)، وإسْحاقُ(٤)، ودَاودُ(٥).

والثَّانِي: أنَّه إلَى(٦) حَدِّ المِرفقَيْنِ. [١٤٧/ب]

رُوِي عنِ(٧) ابْنِ عبَّاسٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه تَيمَّمَ، فمَسَح ذِراعيْهِ(٨).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٨- ٣٣٩- ٣٤٠- ٣٤١- ٣٤٣- ٣٤٦- ٣٤٧)، ومسلم (٣٦٨).

(٢) المدونة (١/ ١٤٥).

(٣) المغني (١/ ١٧٩)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/ ٢٥٤).

(٤) مسائل الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل (١/ ٤٦). وقوله: (وإسحاق) ليس في (ف).

(٥) انظر: المغني (١/ ١٧٩).

(٦) ليست في (ت).

(٧) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٨) رواه أبو داود (٣٣٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٨١)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٨)، والطبراني في الأوسط (٧٧٨٤)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٤٥)، والدارقطني في سننه (٦٧٦)، والبيهقي في الكبري (١/ ٢١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٣٥) من طريق محمد بن ثابت العبدي، عن نافع به.=

وبهذا قالَ ابنُ[١] عُمرَ، وابْنُه سَالِمٌ، والحسَنُ، وأبو حَنيفةَ، والشَّافِعيُّ، وعنِ الشَّعبيِّ كالقولَيْنِ.

والثَّالث: أنَّه يجِبُ المسْحُ مِن رؤُوسِ الأنامِلِ إلى الآبَاطِ.

رَوى عمَّارُ بْنُ ياسرٍ قالَ: كُنَّا معَ رسُولِ الله ﷺ في سفَرٍ، فنزَلتِ الرُّخصَةُ في المسْحِ، فضربْنَا بأيدِينَا ضرْبةً لِوجوهِنا، وضرْبةً لأيدينَا إلى المناكِبِ والآبَاط[٢]. وهذا قوْلُ الزُّهريِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾.

قالَ الخطَّابيُّ: «العفوُ»: بناءٌ علَى المُبالغةِ[٣]. و«العفوُ»: الصَّفحُ عنِ الذُّنوبِ، وترْكُ مُجازاةِ المُسيءِ[٤].

وقِيلَ: إنَّه مأخوذٌ مِن عفتِ الرِّيحُ الأثرَ: إذا درَستْهُ، فكأنَّ العافِيَ عنِ الذَّنبِ[٥] يمْحوهُ بصفْحِه عنْه[٦].

=قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: روى محمد بن ثابت حديثًا منكرًا في التيمم.

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٠- ٣٢١)، وأبو داود (٣١٨- ٣١٩)، وابن ماجه (٥٦٥- ٥٧١)، وابن حبان في صحيحه (١٣١٠) وغيرهم من طرق عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عمار بن ياسر، بنحوه.

قال ابن حبان: كان هذا حيث نزل آية التيمم قبل تعليم النبي ﷺ عمارًا كيفية التيمم ثم علمه ضربة واحدة للوجه والكفين لما سأل عمار النبي ﷺ.

(٣) في (ت): بناء المبالغة.

(٤) شأن الدعاء (ص: ٩٠).

(٥) في (ت): الذنوب.

(٦) النكت والعيون (٦/ ٢٤٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النساء: ٤٤].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَت علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها[1] نزلَت فِي رِفاعة بْنِ زَيْدِ[2] بْنِ التَّابُوتِ.

والثَّانِي: أنَّها نزلَتْ فِي رَجُلَيْنِ كانَا إذا تكلَّم النَّبِيُّ ﷺ لَوَيَا أَلْسِنَتَهما وعَابَاهُ، رُوِي القَوْلَانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّالث: أنَّها نزلَتْ فِي اليهُودِ، قالَه قتادَةُ.

وفِي النَّصِيبِ الَّذِي أُوتُوهُ قوْلَانِ:

أحدُهما: [أنَّه][4] عِلْمُ نبوَّةِ النَّبيِّ ﷺ.

والثَّانِي: العِلم بمَا فِي كتَابِهِم دُون العمَلِ [بِهِ][5].

قَوْلُهُ تعالَى: ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: هذا[6] مِنَ الاخْتصَارِ، والمعنى: يشْتَرونَ الضَّلالَةَ بالهُدى، ومِثْلُه: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ [الصافات: ٧٨]؛ أي: تركْنَا علَيْهِ ثناءً حسَنًا، فحذَفَ الثَّناءَ لِعلْمِ المُخاطَبِ[7].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ت): زياد.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٩٩) من طريق سعيد بن جبير أو عكرمة، به.

(٤) من (ج).

(٥) من (ف).

(٦) في الأصل: هو، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) غريب القرآن (١/ ١٢٩).

و[فِي][(١)] معنى اشْترائِهِمُ [الضَّلالةَ][(٢)] أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: [أنَّه][(٣)] اسْتبدالُهُم الضَّلالَةَ بالإيمانِ، قالَه أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه اسْتبدَالُهُمُ التَّكذِيبَ بالنَّبيِّ ﷺ بعْدَ ظهورِهِ بإيمانِهِم بهِ قبْلَ ظُهورِهِ، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّالث: أنَّه إيثَارُهُمُ التَّكذِيبَ بالنَّبِي ﷺ لأخْذِ الرِّشوةِ، وثُبوتِ الرِّئاسَةِ لهُم، قالَه الزَّجَّاجُ[(٤)].

والرَّابع: أنَّه إعْطاؤُهُم أحبَارَهُم أمْوالَهم علَى ما يصْنَعونَهُ مِنَ التَّكذيبِ بالنَّبيِّ ﷺ، ذكَرَهُ الماوردِيُّ[(٥)].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ خِطابٌ للمُؤمنينَ. والمُرادُ بـ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: طريقُ الهُدى.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٥].

---

(١) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٧).

(٥) النكت والعيون (١/ ٤٩٣).

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡ﴾ فهو يُعلِمُكم ما هُم عليه، فلا تَستنصِحوهم[١]، وهمُ اليهودُ[٢] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ لكم[٣]، فمَن كانَ وليُّه اللهُ[٤]، لم يَضرَّه عدُوُّه.

وقالَ الخطَّابيُّ: «الوَليُّ»: النَّاصِرُ، و«الوَلِيُّ»: المُتولِّي للأمْرِ[٥]، والقائمُ بهِ، وأصْلُه مِنَ الوَلي، وهوَ القُربُ، و«النَّصِيرُ»: فعِيلٌ بمعْنَى فاعِلٍ[٦].

قوْلُه تعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾ [النساء: ٤٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: نزلَتْ في رِفاعةَ بْنِ زيْدٍ، ومالكِ بْنِ الضَّيفِ، وكعْبِ بْنِ أُسيدٍ، وكلُّهم يهودُ[٧].

وفي «مِن» قوْلانِ، ذكرَهُما الزَّجَّاجُ[٨]:

أحدُهما: أنَّها مِن صِلةِ الَّذينَ أوتوا الكتابَ، فيكونُ المعْنى: ألم تَرَ إلى

---

(١) في (ت): يستنصحوهم.

(٢) في (ت): يهود.

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ج): فمن كان له ولي. وفي (ف): فمن كان وليه.

(٥) في الأصل: الأمر، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) شأن الدعاء (ص:٧٨).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٧٧).

(٨) قوله: (ذكرهما الزجاج) ليس في (ج).

الَّذيـن أوتـوا نصيبًا مِـنَ الكتـاب مِـنَ الَّذيـن هـادُوا.

[والثَّـانِي: أنَّهـا مُسـتأنفَةٌ، فالمعْنَـى: مِـنَ الَّذِيـن هـادُوا قـومٌ][١] يُحرِّفُـون، فيكـونُ قوْلُـه: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفَـةً، ويكـونُ الموصُـوفُ محذوفًـا[٢]. [١٤٨/أ]

وأنْشد سِيبويهِ[٣] [من الطويل]:

وَمَـا الدَّهْـرُ إِلَّا تَارَتَـانِ فمِنْهُـمَا   أَمُـوتُ وَأُخْـرَى أَبْتَغِـي العَيْشَ أَكْدَحُ

والمعْنى: فمنْهُما تارةً أموت فِيها[٤].

قـال أبـو عـلِيٍّ الفـارسيُّ: المعْنـى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ مِـنَ الَّذيـن[٥] هـادوا؛ أي: إنَّ اللهَ ينْـصُر عليهـم[٦].

فأمَّا «التَّحريفُ»، فهوَ التَّغْييرُ.

و«الْكَلِمَ»: جمْعُ كلمةٍ.

وقِيـل: إنَّ «الـكلامَ» مأخـوذٌ مِـنَ «الكلْـم»، وهـو الجُـرحُ[٧] الَّـذي يشـقُّ الجلـدَ واللَّحـمَ، فسُـمِّي الـكلامُ كلامًـا؛ لأنَّـه يشُـقُّ الأسْـماعَ بوصُولِـه إِليْهَـا، وقيـلَ: بـل لِتشْـقِيقِهِ المَعـانِيَ المَطلوبـةَ فِي أنْـواعِ الخِطـابِ.

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٧).

(٣) البيت لتميم بن مقبل في ديوانه (ص: ٢٤)، وتهذيب اللغة (٤/ ٥٩)، ولسان العرب (٢/ ٥٦٩) (كدح)، و(٤/ ٩٧) (تور)، والحيوان (٣/ ٤٨)، وخزانة الأدب (٥/ ٥٥).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: الحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٥).

(٧) في (ت)، و(ج)، و(ف): الجراح.

وفي معنى تحريفِهِمُ الكَلِمَ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانوا يسألونَ النَّبيَّ ﷺ عنِ الشَّيءِ، فإذا خرجُوا (منْ عنْدِهِ)[١]، حرَّفوا كلامَه[٢]، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه تبْدِيلُهُمُ التوراةَ، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُه تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾؛ أي: عن أمَاكنِهِ وَوُجوهِهِ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قالَ مُجاهدٌ: سمعْنَا لِقوْلِك[٣]، وعصينا أمْرَكَ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: اسْمعْ لا سَمِعْتَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ، وابْنُ قُتيبةَ[٥].

والثَّانِي: أنَّ معناه: اسْمعْ غيْرَ مقْبُولٍ ما تقُولُ، قالَه الحسَنُ، ومُجاهدٌ.

وقد تقدَّم في «البقرةِ» معنى[٦]: ﴿وَرَٰعِنَا﴾.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾.

---

(١) ليس في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٢) في (ج): كلامهم.

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ف): قولك.

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٧/ ١٠٤) من طريق القاسم بن أبي بزة، به.

(٥) غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٦) ليست في (ج).

قال قتادةُ: «اللَّيُّ»: تحريكُ ألسنتِهم بذلِك[١].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ معنـى ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: أنَّهـم يُحرِّفُـون «رَاعِنـا» عـن طريـقِ المُراعـاة والانْتِظـارِ، إلى السَّـبِّ والرُّعُونـةِ[٢].

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مِمَّـا بدَّلُـوا ﴿وَأَقْوَمَ﴾؛ أي: أعـدلَ (مِمَّـا غُـيِّرَ)[٣] ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ بمحمَّـدٍ ﷺ[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

فيهِ قوْلانِ:

أحدُهمـا: فـلَا يُؤمِـنُ منهـم إِلَّا قلِيـلٌ، وهُـم عبْـدُ اللهِ بْـنُ سـلَامٍ، ومَـنْ تبِعَـهُ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ.

والثَّانِي: فلا يُؤمنون إِلَّا إيمانًا قليلًا، قالَه قتادَةُ، والزَّجَّاجُ[٥].

قالَ مُقاتِلٌ: وهوَ اعْتِقادُهُم أنَّ اللهَ[٦] خلَقَهُم ورزَقَهُم[٧].

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النسـاء: ٤٧].

---

(١) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٥٩٥)، ومـن طريقـه ابـن جرير الطـبري في تفسـيره (٧/ ١٠٧) مـن طريـق معمـر بـه.

(٢) غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١) بلا نسبة.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٩).

(٦) لفظ الجلالة ليس في (ج).

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٧٧).

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾.

سبَبُ نُزولِها:

أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعا قوْمًا مِن أحبَارِ اليهُودِ، مِنهُم عبدُ اللهِ بْنُ صُوريَا، وكعْبُ [بْنُ أسَدٍ][١] إلى الإسْلامِ، وقالَ لهُم: «إنَّكُمْ لتعْلَمُونَ أنَّ الَّذِي جِئتُ بِهِ حَقٌّ»، فقالُوا: ما نعْرِف ذلِك، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

وفِي الَّذِين أُوتوا الكتابَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهمُ اليهودُ، قالَه الجُمهورُ.

والثَّانِي: اليهودُ والنَّصارى، ذكرَهُ الماورديُّ[٣].

وعلَى الأوَّلِ يكونُ الكتَابُ: التَّوراةَ، وعلَى الثَّانِي: التَّوراةُ والإنْجيلُ.

والمُراد ﴿بِمَا نَزَّلْنَا﴾: القُرآنُ، وقد سبَقَ فِي «البقرة» بيانُ تصْديقِهِ لَما معهم.

قوْلُه تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾.

فِي طمْسِ الوُجُوهِ ثلاثةُ أقْوالٍ: [١٤٨/ب]

أحدُها: أنَّه إعْماءُ العُيونِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتَادَةُ، والضَّحَّاكُ.

والثَّانِي: أنَّه طمسُ ما فيها مِن عينٍ، وأنْفٍ، وحَاجبٍ، وهذا المعْنَى مرْويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتيارُ ابْنِ قُتيبةَ[٤].

---

(١) من المطبوع.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١١٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٤١٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٣٣) من طريق سعيد بن جبير أو عكرمة به.

(٣) النكت والعيون (١/ ٤٩٤).

(٤) غريب القرآن (١/ ١٢٨).

والثَّالث: أنَّه ردَّهَا عن طَريقِ الهُدى، وإلى هذا المعْنَى[١] ذهَبَ الحسَنُ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ.

وقالَ مُقاتِل: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾؛ أي: نحوِّلُ المِلَّةَ عنِ الهُدى والبَصِيرةِ[٢].

فعَلَى هذا القوْلِ يكونُ ذِكْرُ الوجهِ مَجازًا. والمُراد: البَصِيرةُ والقُلوبُ.

وعلَى القوْلَينِ اللَّذين[٣] قبْلَه يكونُ المُرادُ بالوجهِ: العُضوُ المعْرُوفُ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: نُصيِّرُهَا فِي الأقْفَاءِ، ونَجعلُ عُيونَهَا فِي الأقْفاءِ، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وعطِيَّةَ، وقتَادَةَ.

والثَّاني: نُصيِّرُها كالأقْفَاءِ، ليْس فيهَا فمٌ، ولا حَاجبٌ، ولا عيْنٌ، وهذَا قوْلُ قوْمٍ، مِنْهُم ابْنُ قُتيبةَ[٤].

والثَّالث: نجْعلُ الوجهَ مَنْبتًا للشَّعر، كالقُرودِ، هذا قوْلُ الفرَّاءِ[٥].

والرَّابع: نَنفِيها مُدبرةً عنْ دِيارِها ومواضعِهَا. وإلى نحوِه ذهَبَ ابْنُ زيْدٍ[٦].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٧٧).

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٤) غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٧٢).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (٥٤١٨) من طريق ابن وهب، به.

قَالَ ابْنُ جريرٍ: [فيكونُ][(١)] المعْنَى: مِن قبلِ أن نَطمِسَ وجوهَهم الَّتي هُم[(٢)] فيها. وناحيتَهُم الَّتي هم بِها نُزولٌ ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ من حيثُ جاءوا بديًّا مِنَ الشَّام[(٣)].

والخامسُ: نَردُّها فِي الضَّلالةِ، وهذا قولُ الحسَنِ، ومُجاهدٍ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ.

قوْلُه تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ يعودُ إلى أصْحابِ الوُجوهِ.

وفِي معْنى لعْنِ أصْحَابِ السَّبْتِ قوْلَانِ:

أحدُهما: مسْخُهُم قردةً، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: طَردُهُم فِي التِّيهِ حتَّى هلَك فيهِ أكثرُهُم، ذكرَهُ المَاوردِيُّ[(٤)].

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

قَالَ ابْنُ جريرٍ: الأمْرُ هَاهُنا بمعْنَى المأمورِ، سُمِّي باسْمِ الأمْرِ لِحدُوثِهِ عنْهُ[(٥)].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

قَالَ ابْنُ عُمرَ: لَمَّا نزلَتْ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟

---

(١) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ١١٤).

(٤) النكت والعيون(١ / ٤٩٤).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ١٢٠).

﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ[١]: والشِّركُ؟ فكَرِهَ رسُولُ اللهِ ﷺ ذلِكَ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ[٢].

وقد سبَقَ معْنى الإِشْرَاكِ.

والمُرادُ مِن الآيةِ: لا يغْفِرُ لمُشرِكٍ ماتَ علَى شِرْكِه.

وفِي قوْلِه تعَالَى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ نعمةٌ عظِيمةٌ مِن وجْهيْنِ:

أحدُهما: أنَّها تقْتضِي أنَّ كُلَّ ميِّتٍ علَى ذنْبٍ دُون الشِّركِ لا يُقطعُ عليْهِ بالعذَابِ، وإنْ ماتَ مُصرًّا.

والثَّانِي: أنَّ تعليقَه بالمَشيئةِ فيهِ نفْعٌ للمُسلمِينَ، وهوَ أنْ يكُونوا علَى[٣] خوْفٍ وطمَعٍ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾ [النساء: ٤٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾.

سبَبُ نُزولِها:

أنَّ مَرْحَبَ بْنَ زيْدٍ، وبَحْرِيَّ بْنَ عوْنٍ -وهُما مِنَ اليهُودِ- أَتيَا إِلَى[٤] النَّبيِّ ﷺ بأطْفَالِهما، ومعَهُما طَائِفةٌ مِنَ اليُهودِ، فقالُوا: يا مُحمَّدُ! هلْ علَى

(١) في (ج): قالوا لرسول الله.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٢٢) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن المجبر بن عبد الرحمن بن عمر، به، بنحوه.

(٣) في (ف): في.

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

هـؤلاءِ مِـن ذنْـبٍ؟ قـالَ: «لَا»، قالُـوا: واللهِ مـا نحْـنُ إلَّا كهَيْئَتِهِـم، مَـا مِـن ذنْـبٍ نعملُـهُ بالنَّهـارِ إلَّا كُفِّـرَ عنَّـا باللَّيـلِ، ومـا مِـن ذَنْـبٍ نعملُـهُ باللَّيـلِ إلَّا كُفِّـرَ عنَّـا بالنَّهـارِ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ. هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ[1]. [١٤٩/أ]

وفِي قوْله تعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: ألَمْ تُخْبَرْ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[2].

والثَّانِي: ألَمْ تعلَمْ، قالَه الزَّجاج[3].

وفِي الَّذِين يُزكُّونَ أنْفُسَهم قوْلَانِ:

أحدُهمـا: اليهـودُ علَـى مـا ذكرْنَـا عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ، وقتـادَةُ، ومُقاتِـلٌ.

والثَّانِي: أنَّهُمُ اليهودُ، والنَّصارَى، وبهِ قالَ الحسَنُ، وابْنُ زيْدٍ.

ومعْنـى ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾: يزْعُمـون أنَّهـم أزْكِيـاءُ، يُقـال: زَكَـى الشَّـيْءُ: إذَا نـمَا فِي الصَّـلاح.

وفِي الَّذِي زكُّوا بِهِ أنْفُسَهُم أربَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم برَّؤُوا أنْفُسَهُم مِنَ الذُّنُوبِ، رَواه أبو صالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـانِي: أنَّ اليهـودَ قالُـوا: إنَّ أبناءَنَـا الَّذِيـن ماتُـوا يُزكُّونَنَـا عنْـدَ اللهِ، ويشْـفَعُونَ لنـا، رَواه عطيَّـةُ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

---

(١) ذكره مقاتل في تفسيره (١/ ٣٧٨) بلا سند، وأورده الواحدي في أسباب النزول(ص: ١٥٥) عـن الكلبي.

(٢) غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٥٦).

والثَّالثُ: أنَّ اليهودَ كانُوا يُقدِّمُون صِبيانَهُم فِي الصَّلاةِ فيُؤمُّونَهُم، يزْعُمونَ أنَّهُم لا ذُنوبَ لَهُم، هذا قوْلُ عِكرمَةَ، ومُجاهدٍ، وأبي مالِكٍ.

والرَّابِع: أنَّ اليهُودَ والنَّصارى قالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، هذا قوْلُ الحسَنِ، وقتادَةَ.

قوْلُه تَعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يجعلُه زاكِيًا، ولا يظْلِم اللهُ أحَدًا مِقدارَ فَتِيلٍ.

قَالَ ابْنُ جريرٍ: وأصْلُ «الفَتِيلِ»: المفْتُولُ، صُرف عنْ مفعُولٍ إلى فَعِيلٍ، كصَرِيعٍ(١)، ودَهِينٍ(٢).

وفي «الفَتِيلِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه ما يكونُ فِي شقِّ النَّواةِ، رَواه عِكرمَةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وعطَاءُ بْنُ أبي رباحٍ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ، وعطِيَّةُ، وابْنُ زيْدٍ، ومُقاتِلٌ، وأبو عُبيدَةَ، وابْنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ(٣).

والثَّانِي: أنَّه مَا يخْرُجُ مِنَ(٤) [بيْنِ](٥) الأصابِعِ مِنَ الوسَخِ إذا دُلِكْنَ، رَواه العوفِيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وأبو مَالِكٍ، والسُّدِّيُّ، والفرَّاءُ(٦).

---

(١) في (ت): كضريع.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ١٣٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٧٨)، مجاز القرآن (١/ ١٢٩)، وغريب القرآن (١/ ٢٥٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٣).

(٤) ليست في بقية النسخ.

(٥) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٦) معاني القرآن (١/ ٢٧٣).

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [النسـاء: ٥٠].

قوْلُـه تعـالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ وهـوَ قوْلُهـم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائـدة: ١٨]، وقوْلُهـم: ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١]، وقوْلُهـم: لَا ذنْـبَ لنـا[١] ونحـوُ ذلِـك مِمَّـا كذَبُـوا فيـهِ، ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ ﴾؛ أي: وحسْـبُهم بقِيلِهـمُ الكـذِبَ ﴿ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ يُبَـيِّنُ[٢] كذِبَهُـم لِسـامِعِيه.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النسـاء: ٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِها أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ جماعـةً مِـنَ اليهُـودِ قدِمُـوا عـلَى قُريـشٍ، فسَـألُوهُم: أَدِينُنَـا خـيْرٌ، أَمْ دِيـنُ مُحمَّـدٍ؟ فقـالَ اليهـودُ: بـل دينكُـم، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، هـذَا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٣].

---

(١) من قوله: (وقولهم: لن يدخل)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) في (ج): تبين.

(٣) رواه النسـائي في الكـبرى (١١٦٤٣)، وابـن حبـان (٦٥٧٢)، والطـبراني في الكبير (١١٦٤٥)، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ١٤٢)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٤٤٠)، والبيهقـي في دلائـل النبـوة (٣/ ١٩٣) مـن طريـق محمـد بـن أبي عـدي، عـن داود بـن أبي هنـد، عكرمـة بـه .

والثَّانِي: أنَّ كعْبَ بْنَ الأشْرَفِ، وحُيَيَّ بْنَ أخْطَبَ، قدِمَا مكَّةَ، فقالَتْ لهُما[١] قُرَيشٌ: أنَحْنُ خيرٌ، أمْ مُحمَّدٌ؟ فقَالَا: أنْتُم، فنزَلَتْ (هذِه الآيَةُ)[٢]، هذَا قوْلُ عِكرمَةَ فِي رِوايَةٍ[٣].

وقالَ قتادَةُ: نزَلَتْ فِي كعْبٍ، وحُيَيٍّ، ورَجُلَيْنِ آخَرينَ مِن بنِي النَّضِير قالُوا لِقُرَيشٍ: أنْتُم أَهْدى مِن مُحمَّدٍ[٤].

والثَّالِث: أنَّ كعبَ بْنَ الأشْرفِ وهوَ الَّذِي قالَ لِكفَّارِ قُريشٍ[٥]: أنْتم أَهْدَى مِن مُحمَّدٍ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ. وهذَا قوْلُ مُجاهِدٍ[٦]، والسُّدِّيِّ[٧]، وعِكرمَةَ فِي رِوايَةٍ[٨]. [١٤٩/ ب]

والرَّابِعُ: أنَّ حُيَيَّ بْنَ أخْطَبَ قالَ للمُشرِكِينَ: نحنُ وإيَّاكُم خيرٌ مِنْ مُحمَّدٍ، فنزَلَت هذه الآيَةُ، هذا قوْلُ ابْنِ زيْدٍ[٩].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ف).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٠٣) من طريق أيوب، وسعيد بن منصور في تفسيره (٦٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٤١) من طريق عمرو كلاهما (أيوب، و عمرو بن دينار) عن عكرمة، بنحوه.

(٤) رواه ابن شبة في أخبار المدينة (٢/ ٤٥٤) من طرق شيبان، و رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٥٩) من طريق سعيد كلاهما (شيبان، و سعيد) عن قتادة، بنحوه.

(٥) في (ف): لقريش.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٥٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٥٧) من طرق عن السدي، بنحوه.

(٨) رواها ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٤٣) من طريق خالد الواسطي، عن داود بن أبي هند، به.

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٤٧) من طريق ابن وهب، به.

والمُرادُ بالمذكورين في هذه الآيةِ اليهُودُ.

وفي «الجِبتِ» سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه السِّحرُ، قالَه عُمرُ بْنُ الخطَّابِ، ومُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ[١].

والثَّاني: الأصْنامُ، رَواه عَطِيَّةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ. وقالَ عِكرمَةُ: الجِبتُ: صَنَمٌ[٢].

والثَّالث: حُييُّ بْنُ أخْطَبَ، رَواهُ ابْنُ أبي طلْحَةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ، والفرَّاءُ[٤].

والرَّابعُ: كعْبُ بْنُ الأشْرَفِ، رَواه الضَّحَّاكُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وليْثٌ عنْ مُجاهِدٍ.

والخامس: الكَاهِنُ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ ابْنُ سيرينَ، ومَكحُولٌ.

والسَّادس: الشَّيْطانُ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ في رِوايَةٍ، وقتادَةُ، والسُّدِّيُّ.

والسَّابعُ: السَّاحِرُ، قالَه أبو العالِيةِ، وابْنُ زيْدٍ.

ورَوى أبو بِشرٍ، عنْ سعيدِ بْنِ جُبيرٍ قالَ: الجِبتُ: السَّاحِرُ بلِسانِ[٥] الحبَشَةِ[٦].

---

(١) في (ج): والسُّدِّي.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٠٤)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٣٤) من طريق أيوب، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٣٩) من طريق معاوية بن صالح، به، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٤٦) من طريق العوفيين به.

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٧٣).

(٥) في (ف): بلغة.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٣٥) من طريق أبي بشر، به.

وفي المراد بالطَّاغوت هاهُنا ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: الشَّـيطانُ، قالَـه عُمـرُ بْـنُ الخطَّـابِ، ومُجاهِـدٌ في رِوايـةٍ، والشَّـعْبيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ.

والثَّـاني: أنَّـه اسْـمٌ للَّذيـن يكونُـونَ بـين يـدي الأصْنَـامِ يُعـبِّرُونَ عنْهـا ليضلُّـوا النَّـاسَ، رَواه العـوفيُّ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّالـث: كعْـبُ بْـنُ الأشْرَفِ، رَواه ابْـنُ أبي طلْحَـةَ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ الضَّحَّـاكُ، والفـرَّاءُ[1].

والرَّابـعُ: الكاهِـنُ، وبـهِ قـالَ سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، وأبـو العاليـةِ، وقتـادَةُ، والسُّـدِّيُّ[2]، (والضَّحَّـاكُ، والفـرَّاءُ)[3].

والخامس: أنَّه الصَّنَمُ، قالَه عِكرمَةُ. وقالَ: الجِبتُ والطَّاغُوتُ صَنَمانِ.

والسَّادس: السَّاحِرُ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ سِيرينَ، ومَكْحُولٍ.

فهذِه الأقْوالُ تدُلُّ على أنَّهُما اسْمانِ لِمُسَمَّيَيْنِ.

وقـالَ اللُّغويُّـون مِنهـم ابْـنُ قُتيبـةَ، والزَّجَّـاجُ[4]: كُلُّ مَعبُـودٍ مِـن دُونِ اللهِ، مِـنْ حَجَـرٍ، أو صُـورَةٍ، أو شَـيطَانٍ، فهـوَ جِبْـتٌ وطَـاغُـوتٌ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعْنِـي لِمُشركِـي قُريْـشٍ: أنْتُم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعْنـونَ النَّبـيَّ ﷺ وأصْحابَـهُ طَريقًـا في الدِّيانـةِ والاعْتِقادِ.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٧٣).

(٢) ليست في (ف).

(٣) وضعها على الحاشية في الأصل كلحق بعد قوله: (والسدي)، وهي ثابتة في (ف).

(٤) غريب القرآن (١/ ١٢٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦١).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النســاء: ٥٢، ٥٣].

قَوْلُه تعَالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾.

هذَا اسْتِفهامٌ معناه الإِنْكارُ، فالتَّقدِير: ليْس لهُم (نصيب منَ الملكِ)[١].

وقـالَ الفـرَّاءُ: قوْلُـه[٢]: ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ جَـوابٌ لِجـزاءٍ مُضمَـرٍ، تقدِيـرُه: ولئِـن كانَ لهُـم نصِيـبٌ لا يُؤتـون النَّـاسَ نقِـيرًا[٣].

وفِي «النَّقِير» أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا[٤] النُّقطَـةُ الَّتـي فِي ظهْـرِ النَّـواةِ. رَواه ابْـنُ أبي طلْحَـةَ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ، وعطَـاءُ بْـنُ[٥] أبي رَبـاحٍ، وقتـادَةُ، والضَّحَّـاكُ، والسُّـدِّيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ، ومُقاتِـلٌ، والفـرَّاءُ، وابْـنُ قُتيبـةَ فِي آخريـنَ[٦].

والثَّـانِي: أنَّـه القِـشْرُ الَّـذي يكـونُ فِي وسـطِ النَّـواةِ[٧]. رَواه التَّيْمِـيُّ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ. ورُوي عـنْ مُجاهِـدٍ: أنَّـه الخَيْـطُ الَّـذي يكـونُ فِي وسَـطِ النَّـوَاةِ[٨].

والثَّالـث: أنَّـه نَقْـرُ الرَّجُـلِ الـشَّيءَ بطَـرَفِ إِبْهَامِـهِ. رَواهُ أبـو العَالِيـةِ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) من قوله: (أم لهم نصيب)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) معاني القرآن (١/ ٢٧٣).

(٤) ليست في (ت).

(٥) في الأصل: وابن، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) معاني القرآن (١/ ٢٧٣)، وغريب القرآن (١/ ١٢٩).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٥٢) من طريق أبي العالية به.

(٨) من قوله: (رواه التيمي)... إلى هنا ساقط من (ج).

والرَّابِعُ: أَنَّه حبَّةُ النَّواةِ الَّتِي فِي وسطِهَا. رَواه ابْنُ أبي نجِيحٍ، عنْ مُجاهِدٍ. [١٥٠/أ]

قَالَ الأزهَرِيُّ: و«الفَتِيل» وَ«النَّقِيرُ» و«القِطْمِيرُ»: تُضرَبُ أمْثالًا للشَّيْءِ التَّافِهِ الحَقِيرِ(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾.

سببُ نُزولِها:

أنَّ أهْلَ الكِتابِ قالُوا: يَزعُمُ مُحمَّدٌ أنَّه أُوتِيَ مَا أُوتِيَ فِي تَواضُعٍ، ولَه تِسْعُ نِسْوةٍ، فأيُّ مُلْكٍ أفْضَلُ مِن هذَا؟! فنزلَتْ (هذِه الآيةُ)(٢)، رَواه العوفِيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

وفِي «أَمْ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى أَلِفِ الاِسْتِفهامِ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ(٤).

والثَّانِي: بمعْنَى «بَلْ» قالَه الزَّجَّاجُ(٥).

---

(١) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٠٦).

(٢) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٧٠) من طريق العوفيين.

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٩١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٤).

وقد سبَقَ ذِكرُ «الحسَدِ» فِي «سورةِ البقَرةِ[1]» والحاسِدُون هَاهُنا: اليَهودُ.

وفِي المُرادِ بـ﴿ٱلنَّاسَ﴾ هَا هُنا[2] أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: النَّبيُّ مُحمَّدٌ ﷺ، رَواه عطِيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: النَّبيُّ ﷺ، وأبو بكْرٍ، وعُمرُ، رُوي عنْ عِليِّ بْنِ أبي طَالِبٍ ﷺ.

والثَّالث: العرَبُ، قالَه قَتادةُ.

والرَّابع: النَّبيُّ والصَّحابَةُ، ذكَرَهُ المَاوردِيُّ.

وفِي الَّذي آتاهُمُ اللهُ مِن فضْلِه ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: إباحَةُ اللهِ تعَالى نَبيَّه أنْ ينْكِحَ ما شَاءَ مِنَ النِّساءِ مِن غيْرِ[3] عدَدٍ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ.

والثَّانِي: أنَّه النُّبوَّةُ، قالَه ابْنُ جُريجٍ، والزَّجَّاجُ[4].

والثَّالثُ: بِعثَةُ نبيٍّ منْهُم علَى قوْلِ مَن قالَ: همُ العرَبُ.

قوْلُه تعالَى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

يعْنِي: التَّوراةَ، والإنْجيلَ، والزَّبُورَ. كُلُّه كانَ فِي آلِ إبْراهِيمَ، وهذَا النَّبيُّ مِن أوْلادِ إبْراهيمَ.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) ليست في (ت).

(٣) ليست في (ت).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٤).

وفي الحِكمة قوْلَانِ:

أحدُهما: النُّبوَّةُ، قالَه السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: الفِقهُ فِي الدِّينِ، قالَه أبو سُليْمانَ الدِّمشقِيُّ.

وفِي المُلك العَظيم خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها(١): مُلك سُليمانَ عليه السلام، رَواه عطيَّةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: مُلك داودَ عليه السلام، و(وَلَدِهِ)(٢) سُليمانَ فِي النِّساءِ، كانَ لِداودَ مائَةُ امْرَأةٍ، ولِسليمانَ سبعُمائةِ امْرأةٍ وثلاثِمائةِ سُرِّيَّةٍ، رَواه أبو صَالحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ السُّدِّيُّ.

والثَّالث: النُّبوَّةُ، قالَه مُجاهدٌ.

والرَّابع: التَّأييدُ بالملائكةِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ فِي آخرينَ.

والخامِس: الجمْعُ بيْنَ سِياسَةِ الدُّنْيا، وشرْعِ الدِّينِ، ذكرَهُ المَاوردِيُّ(٣).

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾.

فِيمَن تعُودُ عليْهِ الهاءُ والمِيمُ قوْلَانِ:

أحدُهما: اليهودُ الَّذِين أنذرَهُم نَبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، وهذَا قوْلُ مُجاهِدٍ، ومُقاتلٍ، والفرَّاءِ فِي آخرينَ(٤).

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٣) النكت والعيون (١/ ٤٩٦).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٣٨٠)، ومعاني القرآن (١/ ٢٧٥).

فعلَى هذَا القوْلِ فِي هاءِ (بِهِ) ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: تعُودُ علَى ما أنْزلَ اللهُ علَى نَبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ، قالَه مُجاهِدٌ.

قالَ أبو سُليمانَ: فيكونُ الكلامُ مَبْنِيًّا علَى قوْلِه تعَالى: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهوَ النُّبوَّةُ، والقُرآنُ.

والثَّانِي: أنَّها تعُودُ إلى النَّبيِّ ﷺ، فتكُونُ مُتعلِّقةً بقوْلِه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يعْني بالنَّاس: مُحمَّدًا ﷺ، ويكونُ المُرادُ بقوْلِه: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ عبْدُ الله بْنُ سلام، وأصْحابُه.

[١٥٠/ب] **والثَّالث**: أنَّها تعُودُ إلى النَّبأ عنْ آلِ إبْراهِيمَ، قالَه الفرَّاءُ[١].

والقوْلُ الثَّانِي: أنَّ الهاءَ، والمِيمَ فِي قوْلِه: ﴿فَمِنْهُم﴾ تعُود إلَى آلِ[٢] إبْراهِيمَ.

فعلَى هذَا فِي هاءِ «بِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها عائِدةٌ إلى إبْراهِيمَ، قالَه السُّدِّيُّ.

والثَّانِي: إلى الكتَابِ، قالَه مُقاتِلٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾.

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُبيرٍ، وعِكرمَةُ، وابْنُ يعمُرَ، والجَحدَرِيُّ: «مَن صُدَّ» برفْعِ الصَّادِ[٣].

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٧٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) وهي قراءة شاذة، عن ابن عباس وابن مسعود في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٣)، وانظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ١٣٧)، وإعراب القراءات للعكبري (١/ ٣٩١)، والبحر (٣/ ٢٢٣).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعْبٍ، وأبو الجوزاءِ وأبو رَجاءٍ والجُونيُّ: بكسْرِ الصَّادِ(١).

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أي نَشويهم فِي نارٍ(٢). ويُروى أنَّ يهوديَّةً أهدتْ إِلَى النَّبيِّ ﷺ شَاةً مصليَّةً؛ أي: مشْويَّةً(٣).

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها غيْرُها حَقِيقةً، ولا يلْزَمُ علَى هذَا أنْ يُقالَ: كيْفَ بُدِّلَتْ جلُودٌ التذَّتْ بالمعَاصِي بجُلودٍ مَا التذَّتْ؛ لأنَّ الجُلودَ آلَةٌ فِي إيصَالِ العذَابِ إِلَيْهِم، كما كانتْ آلةً فِي إيصالِ اللَّذَّةِ، وهمُ المُعاقبُون لا الجُلودُ.

والثَّانِي: أنَّها هيَ بعينِها تُعاد بعْدَ احْترَاقِها، كما تُعاد بعْدَ البِلى فِي القُبورِ. فتكونُ الغيْرِيَّةُ عائِدةً إِلى الصِّفةِ، لا إِلَى الذَّاتِ، فالمعْنَى: بدلنَاهُم جُلودًا غيْرَ(٤) مُحترقَةٍ، كما تقُول: صُغتُ(٥) مِن خاتَمِي خاتمًا آخرَ.

---

(١) ﴿صِدَّ﴾ وهي شاذة، انظر: إعراب القراءات؛ للعكبري (١/ ٣٩١- ٣٩٢)، والمضاعف المدغم الثلاثي يجوز فيه إذا بني للمفعول ما جاز في (باع) إذ بني للمفعول، فيجوز في فائه ثلاثة أوجه الكسر المحض والضم المحض والإشمام.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٥).

(٣) رواه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ت): غيرها.

(٥) في الأصل: صنعت، والمثبت من بقية النسخ.

وقَالَ الحَسَنُ البصريُّ: فِي هذِه الآيَةِ: تأكلُهُمُ النَّارُ كُلَّ يومٍ سبعِينَ ألفَ مرَّة، كلَّما أكلتْهُم قِيلَ لَهُم: عُودوا، فعَادُوا[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء: ٥٧].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هوَ الَّذِي يُظِلُّ مِن الحرِّ والرِّيحِ، وليْسَ كلُّ ظلٍّ كذلِك، فأعْلَم اللهُ عَزَّ وجَلَّ أنَّ ظِلَّ[2] الجنَّةِ ظَلِيلٌ لا حرٌّ معَه، ولا بردٌ[3].

فإنْ قِيل: أفِي الجنَّةِ حرٌّ أو بردٌ[4] يحتاجُون معَهُ إلى ظِلٍّ؟

فالجوَابُ: أنْ لَا، وإنَّما خاطبَهُم بما يعقِلُون مثْلَه؛ كقَوْله تعَالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

وجوابٌ آخَرُ: وهو أنَّه إشارَةٌ إلى كمَالِ وصْفِها، وتمكينِ بنائِها، فلو كانَ الحرُّ أوِ البردُ[5] يتسلَّطُ عليْها، لكانَ فِي أبْنِيتِها وشجرِها ظِلٌّ ظليلٌ.

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

---

(١) قال البيهقي في شعب الإيمان في (١/ ٦٠٢): وروينا في كتاب البعث، عن الحسن البصري بنحوه.

(٢) في الأصل زيادة: أهل.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٦).

(٤) في (ج)، و(ف): بردٌ أو حرٌّ.

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ف): البرد والحرُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

فِي سببِ(١) نُزولِها ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا فتَحَ مكَّةَ، طلَبَ مِفتاحَ البيْتِ مِن عُثمانَ بْنِ أبي طلْحَةَ، فذَهَب لِيعطيَهُ إيَّاهُ، فقَالَ العبَّاسُ: بأبي أنْتَ وأُمِّي اجمعْهُ لِي معَ السِّقايَةِ، فكفَّ عثمانُ يدَه مَخافةَ أنْ يُعطيَهُ للعبَّاسِ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «هَاتِ المِفْتَاحَ» فأعَادَ العبَّاسُ قوْلَه، وكفَّ عُثمانُ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ:(٢) «**أَرِنِي المِفْتَاحَ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ باللهِ وَباليَوْمِ الآخِرِ**» فقَالَ: هَاكَه يَا رسُولَ اللهِ! بأمَانَةِ اللهِ، فأَخذَ المِفتاحَ، ففتَحَ البيْتَ(٣)، فنزَلَ جِبريلُ عليه السلام بهذِه الآيَةِ، فدَعا عُثمانُ، فدفَعَهُ إليْهِ. رَواه أبو صَالحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، والزُّهريُّ، وابْنُ جُريجٍ، ومُقاتلٌ(٤).

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ فِي الأُمراءِ. رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥)، وبهِ قالَ زيْدُ بنُ أسْلَمَ، وابْنُه، ومَكحُولٌ، واخْتارَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ [١٥١/أ] وقَالَ: أُمِرَ الأُمراءُ أن يُؤدوا الأمانَةَ فِي أمْوالِ المُسلمينَ.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) من قوله: (هات المفتاح)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٣) في (ج): الباب.

(٤) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٢/ ٥٧٠) للسيوطي، وانظر: تفسير مقاتل ابن سليمان (١/ ٣٨١).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥١٨) من طريق علي بن أبي طلحة به.

والثَّالث: أَنَّها[١] نزلَتْ عامَّةً، وهو مرويٌّ عنْ أُبيِّ بْنِ كعْبٍ[٢]، وابْنِ عبَّاسٍ[٣]، والحسنِ[٤]، وقتادةَ[٥]، واخْتارَهُ القاضي أبو يعْلَى.

واعْلَم أنَّ [نُزولَها علَى سببٍ][٦] لا يمْنعُ عمومَ حكمِهَا[٧]، وهِي[٨] عامَّةٌ فِي الودائعِ وغيْرِها مِنَ الأَمَاناتِ.

وقالَ ابْنُ مسْعُودٍ: الأَمَانةُ فِي الوُضوءِ، وفِي الصَّلاةِ، وفِي الصَّومِ، وفِي الحدِيثِ، وأشدُّ ذلِك فِي الودائِع[٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾.

(يقولُ: نِعِمَّ الشَّيءُ يعِظُكُم بِهِ)[١٠]، وقد ذكرْنَاهُ فِي «البقرة».

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) في (ت): أنها.

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٩٨).

(٣) انظر: البسيط في التفسير؛ للواحدي (٦/ ٥٣٧).

(٤) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٩٨).

(٥) انظر: النكت والعيون (١/ ٤٩٨).

(٦) في الأصل: عموم حكمها، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في (ف): واعلم أن عموم حكمها لا يمنع نزولها على سبب.

(٨) في (ت): فإنها. وفي (ج): وإنها.

(٩) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (١٥٩)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٨٥) وغيرهم من طريق عن عبد الله بن السائب الكندي، عن زاذان، عن ابن مسعود، بنحوه.

(١٠) ما بين الهلالين ليس في (ف).

قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهـا: أنَّهـا نزلَـتْ فِي عبْـدِ اللهِ بْـنِ حُذافـةَ [بْـنِ قيْـسٍ][1] السَّـهمِيِّ إِذْ بعثَـهُ النَّبِـيُّ[2] ﷺ فِي سَرِيَّـةٍ، أخرَجَـهُ البُخـارِيُّ، ومُسـلِمٌ، مـن حديـثِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[3].

والثَّانِي: أنَّ عـمَّارَ بْـنَ يـاسرٍ كانَ مـعَ خالـدِ بْـنِ الولِيـدِ فِي سَرِيَّـةٍ، فهـرَبَ القـوْمُ، ودَخـلَ رجُـلٌ مِنهُـم علَى عـمَّارٍ، وقـالَ: إِنِّي قـد أسْلمتُ، هـل ينْفعُنـي، أَوْ أذْهَـبُ كـمَا ذهـبَ قوْمِـي؟ قـالَ عـمَّارُ: أَقِـمْ فأنْـتَ آمِـنٌ، فرَجَـعَ الرَّجُـلُ، وأقـامَ، فجـاءَ خالِـدٌ، فأخَـذَ الرَّجُـلَ، فقـالَ عـمَّارٌ: إِنِّي قَـدْ أَمَّنْتُـهُ، و[إِنَّـه][4] قـد أسْـلَم، قـالَ: أَتُجِير علَـيَّ وأنَـا الأمِـيرُ؟ فتَنازَعـا، وقدِمَـا علَى رسُـولِ الله ﷺ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، رَواه أبـو صالِـحٍ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.

طاعـةُ الرَّسُـول فِي حيَاتِـه: امْتثَـالُ أمْـرِهِ، واجْتِنـابُ نَهيِـهِ، وبعْـدَ مماتِـهِ: اتِّبـاعُ سُـنَّتِهِ.

---

(١) من (ت).

(٢) في (ت): رسول الله.

(٣) رواه البخاري (٤٥٨٤)، و مسلم (١٨٣٤).

(٤) من (ج).

(٥) رواه ابن مردويه في تفسيره كما قاله ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٢٦).

وفي أولي الأمر أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهمُ الأمراءُ، قالَه أبو هُريرةَ، وابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةٍ، وزيْدُ بْنُ أسْلَم، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ.

والثَّاني: أنَّهمُ العُلماءُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وهوَ قوْلُ جابرِ بْنِ عبْدِ الله، والحسَنِ، وأبي العاليةِ، وعطاءٍ، والنَّخَعيِّ، والضَّحَّاكِ، ورَواه خُصيفٍ عنْ مُجاهدٍ.

والثَّالث: أنَّهم أصحابُ النَّبيِّ ﷺ، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ[1] عنْ مُجاهدٍ، وبهِ قالَ بكر بْنُ عبدِ اللهِ المُزنيُّ.

والرَّابع: أنَّهم أبو بكْرٍ وعُمرُ، وهذا قوْلُ عكرِمَةَ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: معْناه: اخْتلفْتُم. وقالَ كُلُّ فريقٍ: القوْلُ قوْلي[2].

واشْتقاقُ المُنازعةِ: أنَّ كُلَّ واحدٍ ينْتزِعُ الحُجَّةَ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

في كيفيَّةِ هذا الرَّدِّ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ ردَّه إلى اللهِ ردُّه إلى كِتابِه، وردَّه إلَى النَّبيِّ ردُّه إلى سُنَّتِه، هذا قوْلُ مجاهدٍ، وقتادَةَ، والجُمهورِ.

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: وهذا الرَّدُّ يكونُ مِن وَجْهيْنِ:

أحدُهما: إلى المنْصُوصِ عليْهِ باسْمِه ومعْناهُ.

---

(١) في (ف): ابن أبي طلحة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨).

والثَّانِي: الـرَّدُّ إِليهـا(١) مِـن جهـةِ الدِّلالـةِ عليْـهِ، واعْتبـارُه مـن طريـقِ القِيـاسِ، والنَّظائِـرِ.

والقـوْلُ الثَّـانِي: أنَّ ردَّهُ إلى اللهِ ورسـولِهِ أن يقُـولَ مَـن لا يعْلَـمُ الـشَّيءَ: اللهُ ورسـولُه أعْلَـمُ، ذكـرَهُ قـوْمٌ، مِنْهـمُ الزَّجَّـاجُ(٢). [١٥١/ب]

وفي المُراد بالتَّأويلِ أربعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الجزاءُ، والثَّوابُ، وهوَ قوْلُ مُجاهِدٍ، وقتادَةَ.

والثَّـانِي: أنَّـه العاقِبـةُ، وهـوَ قـوْلُ السُّـدِّيِّ، وابْـنِ زيْـدٍ، وابْـنِ قُتيبـةَ، والزَّجَّـاجِ(٣).

والثَّالـثُ: أنَّـه التَّصديـقُ، مثْـلُ قوْلِـه تعـالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسـف: ١٠٠]. قالَـه ابْـنُ زيْـدٍ في رِوايَـةٍ.

والرَّابـع: أنَّ معْنـاه: رَدُّكُـم إيَّـاه إلى اللهِ ورسُـولِه أحْسَـنُ مِـن تأويلِكُـم، ذكـرَهُ الزَّجَّـاجُ(٤).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النسـاء: ٦٠].

---

(١) في (ت): عليهما.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨).

(٣) غريب القرآن (١/ ١٣٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٨).

قوْله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِها أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها[(١)] نزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ المُنافقِينَ كان بيْنَه وبيْنَ يهودِيٍّ خُصومَةٌ، فقالَ اليهُودِيُّ: انْطلِقْ بِنا إلى مُحمَّدٍ، وقالَ المُنافِقُ: بلْ إِلَى كعْبِ بْنِ الأشْرَفِ، فأَبى اليهودِيُّ، فأتَيا إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فقَضَى للِيهودِيِّ، فلمَّا خرَجا، قالَ المُنافِقُ: ننْطلِقُ إِلَى عُمرَ بْنِ الخطَّابِ، فأقبلَا إِلَيْه، فقصَّا عليْهِ القِصَّةَ، فقالَ: رُويدًا حتَّى أخْرُجَ إليْكُما، فدخَلَ البيْتَ، فاشْتملَ [علَى][(٢)] السَّيفِ، ثُمَّ خرَجَ، فضرَبَ [بِهِ][(٣)] المُنافقَ حتَّى برِدَ، وقالَ: هكَذا أقْضِي بيْنَ مَن لم يرْضَ بقَضاءِ اللهِ ورسُولِه، فنزَلَت هذِه الآيَةُ. رَواه أبو صَالحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٤)].

والثَّانِي: أنَّ أبا برْزَةَ الأسْلَمِيَّ كانَ كاهنًا يقْضِي بيْنَ[(٥)] اليهودِ، فتنَافَرَ[(٦)] إليه ناسٌ مِنَ المُسلِمِينَ فنزلَتْ هذِه الآيةُ، رَواه عكْرمَةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٧)].

والثَّالثُ: أنَّ يهوديًّا ومُنافقًا كانتْ بيْنَهُما خُصومَةٌ، فدَعا اليهودِيُّ

(١) ليست في (ت).

(٢) من (ت).

(٣) من (ت). وفي (ف): ثم خرج به.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٨٣).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في الأصل: فترافع، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٤٧)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧٣رقم: ١٢٠٤٥)، و في مسند الشاميين (١٠٢٧) من طريق عكرمة، به.

المُنافِقَ إلى النَّبِيِّ؛ لأنَّه لا يأخذُ الرِّشوةَ، ودعَا المُنافقُ[١] إلى حُكَّامِهم؛ لأنَّهم يأخذُون[٢] الرِّشوةَ[٣]، فلمَّا اخْتلَفَا، اجْتمَعَا أنْ يُحكِّمَا كاهِنًا، فنزَلَتْ هذه الآيةُ، هذَا قوْلُ الشَّعبِيِّ[٤].

والرَّابع: أنَّ رجلًا مِن بني النَّضِير قتَلَ رَجُلًا مِن بني قُريظةَ، فاخْتصمُوا، فقالَ المنافقون منهم: انْطلِقُوا إلى أبي بـرْزَةَ الكاهِنِ، فقالَ المُسلمون مِن الفريقَيْنِ: بل إلى النَّبيِّ ﷺ، فأَبَى المُنافقون، فانْطلَقُوا إلى الكَاهنِ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ. هذا قوْلُ السُّدِّيِّ[٥].

والزَّعم والزُّعمُ لُغتان، وأكْثر ما يُستعمَلُ فِي قوْلِ مَا لا يَتحقَّقُ صِحَّتُه.

وفِي الَّذِين زَعمُوا «أنَّهم آمنوا بما أُنزل إليه وما أُنزل مِن قبله» قوْلَان:

أحدُهما: أنَّه المُنافقُ.

والثَّانِي: أنَّ الَّذي زَعَم أنَّه آمَن بما أُنزل إليْهِ المُنافقُ، والَّذي زعَم أنَّه آمَن بما أُنزل مِن قبْلِه اليهودِيُّ.

---

(١) من قوله: (إلى النبي)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٢) ساقطة من (ج).

(٣) من قوله: (ودعا المنافق)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٤) رواه محمد بن نصر المَرْوَزِي في تعظيم قدر الصلاة (٧١١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٠)، وابن المنذر في تفسيره (١٩٤٢) من طريق داود بن أبي هند، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٤٩) من طريق أسباط به.

و﴿ٱلطَّـٰغُوتِ﴾: كعْبُ بْنُ الأشرفِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والرَّبيعُ، ومُقاتِلٌ.

قولُه تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: أنْ يتبرَّؤُوا مِنَ الكهَنَةِ[١]. و«الضَّلالُ البعيدُ»: الطَّويلُ.

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

قالَ مُجاهِدٌ: هذِه [الآيَةُ][٢] والَّتي قبلَها نزلَتَا فِي خُصومةِ المُنافقِ واليهوديِّ[٣].

والهاءُ والمِيمُ فِي «لَهم»: إشارةٌ إلى الَّذين يزعُمونَ.

[١٥٢/أ] والَّذي أنْزَل اللهُ: أحْكامُ القُرآنِ. ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: إلى حُكمِهِ.

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: كيفَ يصْنعُون ويحْتالُون إذا أصابتْهُم[٤] عُقوبةٌ مِن اللهِ؟

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٨٥).

(٢) من (ج)

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٤٨ ـ ٥٥٥٥)، وابن المنذر في تفسيره (١٩٤٤) من طريق ابن أبي نجيح، به. وفي (ج): اليهودي والمنافق.

(٤) من قوله: (مصيبة؛ أي)... إلى هنا ساقط من (ت).

وفِي المُراد بالمُصيبةِ قَوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه تَهدِيدٌ وَوعِيدٌ.

والثَّانِي: أنَّه قتْلُ المُنافقِ الَّذي قتَلَه عُمرُ رضي الله عنه.

وفِي الَّذي قدَّمت أيدِيهم ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: نِفاقُهم واسْتِهزاؤُهم.

والثَّانِي: في رَدِّ[1] حُكمِ النَّبيِّ ﷺ.

والثَّالث: معاصِيهم المُتقدِّمةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ بمعْنى: ما أرَدْنا.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾.

فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه لَمَّا قَتلَ عمَرُ صاحِبَهُم، جاءوا يطْلُبونَ بدمِه، ويَحلِفُونَ مَا أرَدْنَا فِي المُطالبةِ بدَمِه إلَّا إحْسانًا إلَيْنَا، وما يُوافق الحَقَّ فِي أمْرِنَا.

والثَّانِي: ما أرَدْنا بالتَّرافُعِ إلى عُمرَ إلا إحْسانًا وتوْفِيقًا.

والثَّالث: أنَّهم جاءوا يَعْتذِرونَ إلى النَّبيِّ ﷺ مِن مُحاكمَتِهم إلى غيْرِه، ويقولُون: ما أرَدْنَا فِي عُدولِنَا عنْك إلَّا إحسانًا بالتَّقريبِ فِي الحكْمِ، وتوفيقًا بيْنَ الخُصوم دُونَ الحمْلِ علَى مُرِّ الحقِّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾ [النساء: ٦٣].

---

(١) في (ت)، (ج)، و(ف): ردُّهم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾؛ أي[١]: مِـنَ النِّفـاقِ والزَّيْـغِ.

وقالَ ابْنُ عبَّاس: إِضْمارُهُم خلافَ مَا يقُولُون[٢].

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ ولا تُعاقِبْهـم ﴿ وَعِظۡهُمۡ ﴾ بلسـانِكَ ﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾؛ أي: تُقَـدِّمَ إِلَيْهِـم: إِنْ فعلْتُـمُ الثَّانيـةَ؛ عاقبْتُكُـم.

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: يُقَـال: بَلُـغ الرَّجـل يبْلُـغُ بلاغَـةً فهـوَ بليِـغٌ: إِذا كانَ يبلـغُ بعبـارَةِ لِسـانِهِ كُنـهَ مـا فِي قلْبِـهِ[٣].

وقـد تكلَّـم العُلماءُ فِي حَـدِّ «البلاغَـةِ» فقـالَ بعْضُهُـم: البلاغَـةُ: إِيصَـالُ المعْنَـى إلى القلْـبِ فِي أحسَـنِ[٤] صُـورةٍ مِـنَ اللَّفـظِ، وقِيـل: البَلاغَـةُ: حُسـنُ العِبـارةِ مـعَ صِحَّـةِ المعْنَـى، وقِيـل: البلاغَـةُ: الإِيجَـازُ مـعَ الإِفْهـامِ، والتَّـصرُّفِ مِـن غـيْرِ إِضْجـارٍ.

قـالَ خالـدُ بْـنُ صفْـوانٍ: أحسَـنُ الـكلامِ مـا قلَّـتْ أَلْفاظُـه، وكثُـرَتْ معانِيـه، وخـيرُ الـكلامِ مـا شَـوَّقَ أوَّلُـه إلى سَـماعِ آخِـرِه.

وقـالَ غـيْرُه: إِنَّـما يسـتَحِقُّ الـكلامُ اسْـمَ البلاغَـةِ إذا سَـابقَ لفظُـه معْنَـاه، ومعْنَـاهُ لفظَـهُ، ولم يكـن لفظُـه إلى سـمْعِكَ أسْـبَقَ مِـن معْنـاه إلى قلْبِـكَ.

❁❁❁

---

(١) ليست في (ت).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٨٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٠).

(٤) ليست في (ت).

فَصْلٌ

وقدْ ذهَبَ قوْمٌ إلى أنَّ «الإعْراضَ» المذْكُورَ في هذهِ الآيَةِ منْسُوخٌ بآيَةِ السَّيْفِ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء: ٦٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: «مِـن» دخلَـتْ للتَّوكيـدِ. والمعْنَـى: ومـا أرْسـلنَا رَسُـولًا إلَّا لِيُطاعَ[١].

وفي قوْلِه: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه[٢] بمعْنَى: الأمْرِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه الإِذْنُ نفسُهُ، قالَه مُجاهدٌ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنى: إلَّا لِيُطاعَ[٣] بإذن الله له[٤] في ذلِك.

وقوْلُـه تعـالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يرجِـعُ إلى المُتحاكِمَـيْنِ اللَّذَيْـنِ سـبَقَ ذِكْرُهُمـا.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٥]: ظلمُوا أنْفُسَهم بِسخطِهِم قضَاءَ الرَّسُولِ[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٠).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ت): بأن الله أذن له.

(٤) ليست في (ج).

(٥) من قوله: (يرجع إلى)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٦) لم أقف عليه.

﴿جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ مِن صَنِيعِهِم.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[١٥٢/ب] فِي سببِ نُزولها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها نزَلَتْ فِي خُصومَةٍ كانتْ بيْنَ الزُّبيرِ وبيْنَ[1] رَجُلٍ مِنَ الأنْصارِ فِي شَراجِ الحرَّةِ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ للزُّبير: «اسْقِ ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ المَاءَ[2]» فغَضِبَ الأنْصارِيُّ، وَقَالَ: يا رسُولَ اللهِ! أَنْ كانَ ابْنَ عمَّتِكَ! فتَلَوَّنَ وجْهُ رسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قالَ للزُّبير: «اسْقِ [يا زُبيْرُ][3]، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حتَّى يَبلُغَ إِلَى الجَدْرِ» قالَ الزُّبير: فواللهِ مَا أحْسَبُ هذِه الآيَةَ نزَلَتْ إِلَّا فِي ذلِك. أخرَجَهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ[4].

والثَّانِي: أنَّها نزَلَتْ فِي المُنافق، واليهودِيِّ اللَّذَيْنِ تحاكَمَا إِلى كعْبِ بْنِ الأشْرَفِ، وقد سبَقَتْ قِصتُهُما، قالَه مُجاهدٌ[5].

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: لا يكونُونَ مُؤمنين حتَّى يُحَكِّمُوكَ، وقيل: «لَا» رَدٌّ لِزعمِهِم أنَّهم يُؤمنونَ[6]، والمعْنى: فلَا؛ أي: ليْس الأمْرُ كما يَزعمُون أنَّهم آمَنوا، وهُم يُخالِفُون حُكمَك.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ت)، و(ج).

(٣) من (ت).

(٤) رواه البخاري (٢٣٥٩- ٢٣٦١- ٢٣٦٢- ٢٧٠٨- ٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ت): مؤمنون.

ثُــمَّ اسْــتأْنَفَ، فقــالَ: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: فيـــا اخْتلَفُـــوا فيـــهِ.

وفِي «الحَرج» قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه الشَّـكُّ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهـدٌ، وقتـادَةُ، والسُّـدِّيُّ فِي آخَريــنَ.

والثَّانِي: الضِّيقُ، قالَه أبو عُبيدةَ، والزَّجَّاجُ(١).

وفِي قوْلِه: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهمـا: يُســلِّمُوا لِمَـا أمَرتَهــم بــهِ، فــلا يُعارِضُونَــكَ، هــذا قــوْلُ ابْــنِ عبَّــاسٍ، والزَّجَّــاجِ(٢)، والجُمهــورِ.

والثَّانِي: يُسلِّمُوا ما تَنازَعُوا فيهِ لِحُكمِكَ، ذكَرَهُ الماورِدِيُّ(٣).

قوْلُــهُ تعَــالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النســاء: ٦٦، ٦٨].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٣٦)، معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧١).

(٣) النكت والعيون (١/ ٥٠٣).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾.

سَبَبُ نُزُولِهَا:

أَنَّ رجُلًا مِنَ اليَهودِ قالَ: واللهِ[1] لقد كتَبَ اللهُ علينا أنِ اقْتُلوا أنفسَكُم، فقتَلْناها. فقالَ ثابتُ بْنُ قَيسِ بنِ الشَّماسِ: واللهِ لو كتَبَ اللهُ علينَا[2] ذلِك لفعلْنَا، فنزَلَتْ هذه الآيةُ. هذا قَوْلُ السُّدِّيِّ[3].

قالَ الزَّجَّاجُ: «لَوْ» يمْتَنِعُ بهِ الشَّيءُ لِامْتِناعِ غيْرِه، تقُولُ: لو جاءَنِي زيْدٌ لجئْتُه. والمعْنى: أنَّ مجيئَكَ امْتنَع لِامْتِناعِ مجيئِه[4].

و﴿كَتَبۡنَا﴾ بمعْنَى: فرَضْنَا.

والمعْنى: لو أنَّا فرَضْنَا علَى المُؤمِنين بكَ أنِ اقْتلُوا أنْفسكُم.

قَرأَ أبو عمْرٍو: ﴿أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ﴾ بكسْرِ النُّونِ، «أوُ اخْرجوا» بضَمِّ الواوِ[5].

وقرَأَ ابْنُ عامِرٍ، وابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، والكِسَائِيُّ: «أنُ اقْتُلُوا» «أوُ اخْرجُوا» بضَمِّ النُّونِ والواوِ[6].

---

(١) ليست في (ت).

(٢) من قوله: (أن اقتلوا)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٦٨) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧١).

(٥) انظر: السبعة (ص: ٢٣٤)، والحجة (٣/ ١٦٧)، والمبسوط (ص: ١٤١- ١٤٢)، ومعاني القراءات (١/ ١٨٩- ١٩٠).

(٦) انظر: المراجع السابقة.

وقَرأَ عاصِمٌ، وحمْزَةُ بكسْرِهِمَا[١].

والمعْنى: لو فرَضْنَا عليْهِم كما فرَضْنَا علَى قوْمِ مُوسى، لم يفعلْهُ ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ هذِه قراءَةُ الجُمهورِ[٢].

وقرَأَ ابْنُ عامِرٍ: «إِلَّا قليلًا» بالنَّصبِ[٣].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ يعْنِي: المُنافقِينَ[٤] الَّذِين يزْعمُونَ أنَّهم آمنوا، وهُم يَتحاكمُونَ إلَى الطَّاغُوتِ، ويصدُّون عنْكَ ﴿فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: ما يذَكَّرُون بهِ مِن طاعةِ اللهِ، والوقوفِ معَ أمْرِه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وأثْبتَ لِأُمُورِهم.

وقالَ السُّدِّيُّ: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾؛ أي: تَصْديقًا[٥].

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) برفع ﴿قليلٌ﴾ وهو الأقيس والأكثر في الاستعمال. انظر: السبعة (ص: ٢٣٥)، ومعاني القراءات (١/ ٣١١)، والحجة (٣/ ١٦٨).

(٣) كذلك في مصحف الشام بالألف، فمن نصب فعلى الاستثناء، ومن رفع فعلى تكرير الفعل، انظر: السبعة (ص: ٢٣٥)، ومعاني القراءات (١/ ٣١١)، والمبسوط (ص: ١٨٠).

(٤) في (ج): المنافقون.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٦٩) من طريق أسباط بن نصر، به.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِهَا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ ثوْبـانَ مـوْلَى رسُـولِ اللهِ ﷺ كانَ شـدِيدَ المَحبَّـةِ للنَّبـيِّ ﷺ، فـرَآهُ (رسُـولُ اللهِ)[1] يومًـا فعـرَفَ الحُـزنَ فِي وجْهِـهِ، فقـالَ: «يـا ثوْبَـانُ مَـا غَـيَّرَ وَجْهَـكَ؟» فقَـالَ: مَـا بِي مِـن أَلَمٍ[2] غـيْرَ أنِّي إذا لَمْ أرَكَ اشْـتقْتُ إلَيـكَ، فأذْكُـر الآخِـرةَ، فأخَـافُ أنْ لَا أرَاكَ هُنـاك، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، رَواه أبـو صَالـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[3]. [١٥٣/أ]

والثَّـانِي: أنَّ أصحَـابَ رسُـولِ اللهِ ﷺ قالـوا لـه: مـا يَنْبغِـي أنْ نُفارِقَـكَ فِي الدُّنيـا، فإنَّـك إذا فَارقْتَنَـا رُفعـتَ فوْقَنـا، فنزَلَـتْ هـذه الآيَـةُ. هـذا قـوْلُ مَـسروقٍ[4].

والثَّالـثُ: أنَّ رَجُـلًا مِـنَ الأنْصـارِ جـاءَ إلى النَّبـيِّ ﷺ وهـو مَحْزُونٌ، فقالَ: مَـا لِي أرَاكَ مَحْزُونًـا؟ فقـالَ: يَـا رسُـولَ اللهِ! غـدًا تُرفـعُ مـعَ الأنْبِيـاءِ، فـلَا نَصِـلُ إلِيْـكَ. فنزَلَـتْ هـذه الآيَـةُ. هـذا قـوْلُ سَـعيدِ بْـنِ جُبـيرٍ[5].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ف): وجع.

(٣) ذكـره الواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ١٦٥) عـن الكلبـي، والثعلبـي في الكشـف والبيان (٣/ ٣٤١) بغير إسناد، وانظر: العجاب (٢/ ٩٠٤).

(٤) رواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (٣١٧٧٤)، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ٢١٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٥٧٧)، مـن طريـق أبي الضحـى، بـه، وانظـر: أسـباب النـزول(ص: ١٦٥)، والعجـاب (٢/ ٩١٣).

(٥) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ٢١٣) مـن طريـق جعفـر بـن أبي المغـيرة، عـن سـعيد بن جبير، مرسلاً.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ فِي الفرَائضِ، ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ في السُّنَنِ[١].

قَالَ ابْنُ قتيبة: و«الصدِّيقُ»: الكثِيرُ الصِّدْقِ، كما يُقال: فِسِّيقٌ، وسِكِّيرٌ، وشِرِّيبٌ، وخِمِّيرٌ، وسِكِّيتٌ، و فِجِّيرٌ، وعِشِّيقٌ، وضِلِّيلٌ، وظِلِّيمٌ: إذا كَثُر منْهُ ذلِك[٢].

ولَا يُقال ذلِك لِمَن فعَلَ الشَّيءَ مرَّةً، أو مَرَّتيْنِ حتَّى يكْثُرَ منه ذلِك، أوْ يكونُ [ذلك][٣] عادَةً. فأمَّا «الشُّهداءُ» فجمْعُ شهيدٍ وهوَ القَتِيلُ فِي سبيلِ اللهِ.

وفِي تسميتِهِ بالشَّهيدِ خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: لأنَّ اللهَ تعَالى وملائكتَهُ شَهِدُوا له بالجنَّةِ، (قالَه ثعْلَبٌ)[٤].

والثَّانِي: لأنَّ ملائكةَ الرَّحمَةِ تَشهَدُهُ.

والثَّالث: لِسُقوطِهِ بالأرْضِ، والأرْضُ: هِيَ الشَّاهِدةُ، ذكَرَ القوْليْنِ ابْنُ فارسٍ اللُّغويُّ[٥].

والرَّابعُ: لِقيامِه بشهادَةِ الحَقِّ فِي أمْرِ اللهِ حتَّى قُتل، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

---

(١) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٣٤٢) من قول قتادة ومسروق، وذكره الشوكاني في فتح القدير (١/ ٥٠١) من قول ابن عباس رضي الله عنهما بغير سند.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٨).

(٣) من (ج).

(٤) ليست في (ج).

(٥) مقاييس اللغة (٣/ ١٧٢).

والخامس: لأنَّه يشْهَدُ ما أعَدَّ اللهُ له مِنَ الكرَامةِ بالقتْلِ، قالَه شيْخُنا عَلِيُّ بْنُ عُبيدِ اللهِ.

فأمَّا «الصَّالحون»: فهوَ اسْمٌ لِكلِّ مَن صَلُحَتْ سريرتُه وعلانِيَتُه.

والجُمهورُ علَى أنَّ «النَّبيينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداءَ، والصَّالِحين» عَامٌّ فِي جَميعِ[١] مَنْ هذِه صِفتُهُ.

وقالَ عِكرمَةُ: المُرادُ بـ«النَّبيين» هاهُنا مُحَمَّدٌ، و«الصِّدِّيقينَ»[٢] أبو بكر، وبـ«الشُّهداءِ» عُمرُ وعُثمانُ وعَلِيٌّ، وبـ«الصَّالِحين» سَائِرُ الصَّحابَةِ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿رَفِيقًا﴾: منْصُوبٌ علَى التَّمْييزِ، وهوَ ينُوبُ عنْ رُفقاءَ[٤]. قالَ الشَّاعر[٥][من الطويل]:

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فَأمَّا عِظَامُهَا ... فَبِيضٌ وَأمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

وقالَ آخَرُ[٦][من الرجز]:

. . . . فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شُجِينَا

(١) في (ف): سائر.

(٢) من قوله: (والشهداء، والصالحين)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٣٤٢)، و أبو حيان في البحر المحيط(٣/ ٧٠١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ٧٣).

(٥) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه (ص: ٤٠)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ١٣٤)، وشرح اختيارات المفضل (ص: ١٥٨٨)، والكتاب (١/ ٢٠٩)، وخزانة الأدب (٧/ ٥٥٩).

(٦) البيت لطفيل الغنوي كما في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤١)، والمحتسب (٢/ ٨٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٩٥)، ونسبه في لسان العرب (١٤/ ٤٢٢) لمسيب بن زيد بن مناة، وصدره: لا تُنكِروا القَتْلَ وقد سُبينا.

يُريدُ: فِي حُلوقِكُم عِظَامٌ.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ ﴾ الَّـذِي أُعْطِـى المَذْكُوريـنَ ﴿مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ بالمقاصِـدِ والنِّيَّـاتِ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ [النســاء: ٧١].

قوْلُه تعَالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾.

فِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: احْذَرُوا عَدُوَّكُم.

والثَّانِي: خُذوا سِلاحَكُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: جَماعَاتٍ، واحِدَتُها: ثُبَةٌ، يُريد جَماعةً بعْدَ جَماعةٍ[(١)].

وقــالَ الزَّجَّــاجُ: «الثُّبــاتُ»: الجمَاعَــاتُ المُتفرِّقَــةُ[(٢)]. قــالَ زُهـيرٌ[(٣)] [من الوافـر]:

وَقَـدْ أَغْـدُو عَـلَى ثُبَـةٍ كِـرَامٍ نَشَـاوَى وَاجِدِيـنَ[(٤)] لِمَـا نَشَـاءُ

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٣٠). وقوله: (يريد جماعة بعد) ليست في (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٥).

(٣) البيت في ديوان زهير (ص: ١٤)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١٣٢)، وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢١٧).

(٤) في الأصل و(ج): آخذين، والمثبت من (ت)، و(ر)، و(ف)، و(م)، والمصادر.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فانْفِرُوا ثُبَاتٍ؛ أي[١]: عُصَبًا، سَرَايَا مُتفرِّقِينَ، أوِ انْفِرُوا [جميعًا، يعْنِي][٢]: كُلَّكُم[٣].

❁❁❁

فَصْلٌ

[١٥٣/ب] وقد نُقل عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ هذه الآيَةَ وقوْلَه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة: ٤١]، وقولَه تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [التوبة: ٣٩] منْسُوخاتٍ بقوْلِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ١٢٢][٤].

قالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقي: والأمْرُ في ذلك بحسَبِ ما يَراه الإمَامُ، وليْس في هذا [مِنَ][٥] المنْسُوخِ شَيْءٌ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ما بين المعكوفين من (ج).

(٣) رواه البخاري معلقاً (٤/ ٢٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢١٨)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٨٢)، والبيهقي في الكبرى (١٧٩٣٨) من طريق عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٤) رواه أبو داود (٢٥٠٥) من طريق عكرمة، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٧٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠١١٥)، والخطابي في معالم السنن (٢/ ٢٣٥) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٣) من طريق عطاء الخرساني والبيهقي في الكبرى (١٧٩٣٧) من طريق يَزِيدَ النَّحْوِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وفي (١٧٩٣٨) من طريق عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٥) من (ت)، و(ج)، و(ف).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [النسـاء: ٧٢، ٧٣].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾.

اخْتلَفُوا فِيمن نزلَت علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا فِي المُنافِقـين، كعبْـدِ اللهِ بْـنِ أُبيٍّ، وأصْحابِـهِ كانـوا يَتثَاقَلُـونَ عـنِ الجِهـادِ، فـإِنْ لَقِيـتِ السَّريَّـةُ نكْبَـةً، قـالَ مَـنْ أبْطـأَ مِنْهـم: لَقَـدْ أنْعَـمَ اللهُ علِيَّ، وإِنْ لقُـوا غنيمـةً، قـالَ: يـا لَيْتنِـي كُنـتُ معَهـم. هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، وابْـنِ جُريـجٍ[٢].

والثَّـانِي: أنَّهـا نزَلَـتْ فِي المُسـلمينَ الَّذِيـن قلَّـتْ عُلومُهـم بأحْـكامِ الدِّيـنِ، فتَبَطَّـوا لِقلَّـةِ العِلـم، لا لِضعْـفِ الدِّيـن، ذكـرَهُ المـاوردِيُّ وغـيْرُه.

فعـلَى الأوَّلِ: تكـون إِضافتُهـم إِلى المُؤمنـين بقوْلِـه «مِنْكُـم» لِمِوْضِـع نُطقِهم بالإِسْـلامِ، وجريَـانِ أحْكَامِـهِ عليْهِم.

وعلَى الثَّانِي: تكونُ الإِضَافةُ حقِيقةً.

قالَ ابْنُ جريرٍ: اللَّام فِي ﴿لَمَن﴾ لَامُ تَوْكِيدٍ[٣].

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٢٠) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٢١).

قَالَ الزَّجَّاجُ: واللَّامُ فِي ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لامُ القَسَمِ؛ كقولِك: إنَّ مِنْكُم لَمَن أحْلِفُ باللهِ لَيُبطِّئَنَّ[١]، يُقال: «أبْطَأَ الرَّجُلُ» و«بَطُؤَ» فمعْنَى «أَبْطأَ»: تأخَّرَ، ومعْنَى «بَطُؤَ»: ثَقُلَ[٢].

وقرَأ أبو جعْفرٍ: «لَيُبَطِّيَنَّ» بتخْفِيفِ الهمزَةِ[٣].

وفِي معْنى ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: لَيُبطِئنَّ هوَ نفْسُه، وهو قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: ليُبطِئنَّ غيْرَهُ، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: و«المُصيبةُ»: النَّكبَةُ. و«الفضْلُ مِنَ اللهِ»: الفتْحُ والغَنِيمةُ[٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾.

قَرأَ ابْنُ كثيرٍ، وحفْصٌ، والمُفضَّلُ، عنْ عاصِمٍ: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ﴾ بالتَّاءِ؛ لأنَّ الفاعِلَ المُسندَ إِليه مُؤنَّثٌ فِي[٥] اللَّفظِ[٦].

---

(١) في (ج) زيادة بعد هذه الكلمة: بتخفيف الهمزة، وفي معنى ليبطئن.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٥).

(٣) المبسوط في القراءات العشر (ص: ١٠٥)، والكامل في القراءات (ص: ٣٧٢)، والنشر في القراءات العشر (١/ ٣٩٦)، والبدور الزاهرة (١/ ٨١).

(٤) انظر: التفسير البسيط (٦/ ٥٩٠).

(٥) ليست في (ف).

(٦) السبعة في القراءات (ص: ٢٣٥)، والحجة للقراء السبعة (٣/ ١٧٠)، والمبسوط في القراءات العشر (ص: ١٨٠)، والكامل في القراءات (ص: ٥٢٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٠-٢٨٣)، وتحبير التيسير (ص: ٣٤١)، وحجة القراءات (ص: ٢٠٨).

وقَرأ نافِعٌ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ، وأبو بكْرٍ، عنْ عاصِمٍ: يَكُن باليَاءِ؛ لأنَّ التَّأنيثَ ليْس بحقِيقِيٍّ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يكُونَ المعْنَى: لَيقُولَنَّ يا ليْتَني كُنتُ معهم، كأنْ لم يكن بيْنكم وبيْنه مودَّةٌ[٢]؛ أي: كأنَّه لم يُعاقدْكُم على أنْ يُجاهدَ معَكُم، ويجوزُ أن يكونَ هذا الكلامُ مُعتَرَضًا بهِ، فيكونُ المعْنَى: ولئن أصابَكُم فضْلٌ مِنَ اللهِ لَيقولَنَّ يا ليْتني كُنتُ معَهم فإنْ أصابتْكُم مُصيبةٌ، قالَ: قد أنْعم اللهُ عليَّ، كأنْ لم يكُن بيْنكم وبيْنه مودَّةٌ. فيكونُ معْنى «المودَّةِ»؛ أي: كأنَّه لم يعاقدْكُم علَى الإيمانِ[٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ [النساء: ٧٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾.

﴿يَشْرُونَ﴾ [هاهُنا][٤]: بمعْنى يبيعُونَ[٥] في قوْلِ الجماعةِ.

---

(١) السبعة في القراءات (ص: ٢٣٥)، والحجة للقراء السبعة (٣/ ١٧١)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٠- ٢٨٣).

(٢) ليست في (ج).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٧٦).

(٤) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) في (ج): يبتغون.

وأنْشَدُوا[(١)] [مجزوء الكامل]:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ

و«بُرْدٌ»: غُلامٌ له[(٢)] باعَهُ.

ومعْنَى الآيةِ: لِيكُن قِتالُ المقاتِلِ[(٣)] علَى وجْهِ الإِخْلاصِ وطلَبِ الآخِرةِ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ خَرجَ مخرَجَ الغالبِ[(٤)]، وقد يُثاب مَن لم يَغلِب ولَم يُقتَل.

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: تقدِيرُه: وفِي المُستضعفِين[(٥)]. وكذلِك رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٦)]. [١٥٤/أ]

---

(١) نقلًا عن التفسير البسيط (٦/ ٥٩٥)، والبيت ليزيد بن مفرغ الحميري؛ كما في ديوانه (ص: ٢١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٤٨- ٣٠٤)، والكامل (١/ ٣٧٣)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٢٧٨)، (٢/ ٧٧).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت): المقاتلين.

(٤) ساقطة من (ج).

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٩٠).

(٦) رواه ابن المبارك في الجهاد (٧٤) عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، بنحوه، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٢٦).

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: المُستضعفُونَ فِي موْضِـع خفْـضٍ، والمَعنـى فِي سَـبيلِ اللهِ، وسـبِيلِ المُسـتضعفِين؛ أي: مَـا لَكُـم لا تَسْـعوْن فِي خَـلاصِ هـؤلاءِ؟[١].

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: وهـم نَـاسٌ مُسـلِمُون بمكَّـة كانـوا[٢] لا يسـتَطِيعونَ أن يَخرجُوا[٣].

و«القريةُ»: مكَّةُ فِي قوْلِ الجَماعةِ.

قـالَ الفـرَّاءُ: وإنَّـما خُفـض ﴿ٱلظَّالِمِ﴾؛ لأنَّـه نعْـتٌ لأَهْـلِ القريَـةِ[٤]، فلـمَّا عَـادَ الأَهْـلُ عـلَى القرْيَـةِ كَانَ فِعـلُ مـا أُضِيـفَ إِليْهَـا بمنزِلـةِ فعْلِهـا، تقُـول: مـرَرْتُ بالرَّجُـلِ الوَاسِـعَةِ دَارُهُ[٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾.

قـالَ أبـو[٦] سُـليمانَ: سَـألُوا اللهَ وليًّـا مِـن عنـدِه يَـلِي إِخْراجَهـم منهـا، ونَصِـيرًا يمْنعُهـم مِـنَ المُشركِـينَ.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: فلـمَّا فتَـحَ رسُـولُ اللهِ مكَّـةَ، جعَـلَ اللهُ تَعـالَى النَّبِـيَّ ﷺ وَلِيَّهُـم، واسْـتعمَلَ علَيْهِـم[٧] رسُـولُ اللهِ ﷺ عَتَّـابَ بْـنَ أَسِـيدٍ، وكَانَ نصِـيرًا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ٧٧).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ف): كانوا بمكة.

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره(٧/ ٢٢٨)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٦١٢) مـن طريـق عطيـة العـوفي، عـن ابـن عبـاس رضي الله عنهـما.

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ف): للأهل.

(٥) معاني القرآن(١/ ٢٧٧).

(٦) ليست في (ت).

(٧) ليست في (ف).

لهُـم، يُنصِـفُ[1] الضَّعِيـفَ مِـنَ القَـوِيِّ[2].

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النسـاء: ٧٦].

قوْله تعَالَى: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾.

﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ هَاهُنـا: الشَّـيْطانُ، وقـال أبـو عُبيـدَةَ: الطَّاغـوتُ هَاهُنـا في معْنـى جماعَـة؛ كقولِـه: ﴿وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ {البقـرة: ١٧٣} معناه: ولحـمَ الخنازيرِ.

قوْلـه تعَـالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ يعْنـي: مكـرَهُ وصَنِيعَـهُ ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ حيْـثُ خـذَلَ أصْحابَـهُ يـوْمَ بـدْرٍ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النسـاء: ٧٧].

قوْله تعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾.

اخْتلَفُوا فِيمَنْ نزَلَت علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا نزلَـتْ في نَفـرٍ مِـنَ المُهاجريـنَ، كانـوا يُحبُّـون أنْ يُـؤْذَنَ لهُـم في قِتـالِ المُشركـينَ وهُـم بمكَّـةَ قبْـلَ أنْ يُفـرَضَ القِتـالُ، فنُهـوا عـن ذلـك، فلـمَّا أُذِنَ لهُـم فيـهِ، كَرِهَـهُ بعضُهُـم. رَوى هـذا المعْنَـى أبـو صالـحٍ عـنِ ابْـنِ

---

(١) في (ج): ينصر.

(٢) ذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط(٦/ ٦٠٢)عن ابـن عبـاس، وأبـو الليـث السـمرقندي في بحـر العلـوم (١/ ٣١٨) عـن محمـد بـن السـائب الكلبـي.

عبَّاسٍ[١]، وهوَ قوْلُ قتادَةَ[٢]، والسُّدِّيِّ[٣]، ومُقاتلٍ[٤].

والثَّاني: أنَّها نزلَتْ وَاصِفَةً أحوَالَ قوْمٍ كانوا في الزَّمانِ المُتقدِّمِ، فحُذِّرتْ هذه الأمَّةُ مِن مِثلِ حالِهم، رَوى هذا المعْنى عطيَّةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

قالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ: كأنَّه يُومِئُ إلى قِصَّةِ الَّذِين قالوا: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وقالَ مُجاهِدٌ: هِي فِي اليهُودِ[٦].

فأمَّا «كفُّ اليدِ» فالمُرادُ بِهِ: الامْتِناعُ عنِ القِتالِ، وَذلِك كانَ بمكَّةَ.

و﴿كُتِبَ﴾ بمعْنى: فُرِض، وذلِك بالمدينةِ، هذا علَى القوْلِ الأوَّلِ.

---

(١) لم أقف على رواية أبي صالح، وإنما رواه النسائي(٣٠٨٦)، وفي الكبرى (٤٢٧٩-١١٠٤٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٣٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦-٣٠٨)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٩) من طريق عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، بنحوه، وانظر: العجاب (٢/ ٩١٧).

(٢) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢٠٠٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٣٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، وعبد بن حميد في تفسيره كما في العجاب(٢/ ٩١٧)من طريق شيبان، كلاهما (سعيد، وشيبان) عن قتادة.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٣١) من طريق أحمد بن مفضل، عن أسباط بن نصر، به.

(٤) تفسير مقاتل(١/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٣٣) من طريق عطية العوفي، به، بنحوه.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦١٩) من طريق ابن أبي نجيح، به.

قَوْلُه تعالَى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾.

فِي هذَا الفرِيقِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ المُنافِقونَ.

والثَّانِي: أنَّهم كانوا مُؤمِنينَ، فلمَّا فُرِضَ القِتالُ، نافَقوا جُبْنًا وخَوْفًا[1].

والثَّالثُ: أنَّهم مُؤمِنون[2] غيرَ أنَّ طباعَهُم[3] غلبتْهُم، فنفَرتْ نفوسُهم عنِ القِتالِ.

قَوْلُه: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾.

فِي المُراد بـ«النَّاس» قَوْلانِ:

أحدُهما: كُفَّار مكَّةَ.

والثَّانِي: جميعُ[4] الكُفَّارِ.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾قِيل: إنَّ «أَوْ» بمعْنَى الوَاوِ.

و﴿كَتَبْتَ﴾ بمعْنَى: فَرضْتَ.

و﴿لَوْلَآ﴾ بمعْنَى «هَلَّا»، قال الفَرَّاءُ: إذا لم تَرَ بعدَها اسْمًا فهِيَ [١٥٤/ب] اسْتِفهامٌ بمعْنَى هلَّا، وإذا رأيْتَ بعدَها اسْمًا مرْفُوعًا، فهي الَّتِي جوابُها اللَّامُ، تقول: لوْلَا عبْدُ اللهِ لَضربْتُكَ[5].

---

(١) في (ف): جئنا من الحين خوفًا.

(٢) في (ج): أنهم كانوا مؤمنين.

(٣) في (ج): طبائعهم.

(٤) في (ف): سائر.

(٥) معاني القرآن(١/ ٣٣٤).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: إذا رأيْتَها بغيْرِ جَوابٍ، فهِيَ بمعْنَى «هَلَّا»، تقُول: لوْلَا فعلْتَ كذَا، ومثْلُها «لَوْمَا»، فإذا رأيْتَ لِـ«لوْلَا»[1] جوابًا، فليْستْ بمعْنَى «هَلَّا»، إنَّما هي التي تكون لأمْرٍ يقعُ بِوقُوعِ غيْرِه؛ كقوْلِه تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣- ١٤٤][2].

(قالَ الشيخُ)[3]: فأمَّا «لوْلَا» الَّتِي لها جَوابٌ فكثِيرةٌ فِي الكَلامِ، وأنْشدُوا فِي[4] ذلِك [من الكامل]:

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَثَا ... فِيهِ المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ[5]

وأمَّا الَّتِي بمعنى «هَلَّا» فأنْشدُوا مِنها[6] [من الطويل]:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الكَمِيَّ[7] الْمُقَنَّعَا

---

(١) في (ت): للو.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٨٩).

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ف): قلت.

(٤) في (ف): من.

(٥) البيت لعدّي بن الرقاع في ديوانه (ص: ٩٩)، والأغاني (٣/ ٣٧٤)، (٩/ ٣٠٤- ٣٠٧)، وأمالي المرتضى (١/ ٥١١)، ولسان العرب (١٢/ ١٠٠) (جسم)، (١٥/ ٢٨) (عتا).

(٦) في الأصل: فيها، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) البيت لأشهب بن رميلة في مجاز القرآن (١/ ٥٢)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ١٨٠)، وابن سيده في المخصص (٤/ ١٣٠)، ونسبه في المحكم (٨/ ١٧٣) لجرير وهو الذي عليه الأكثر، انظر: النقائض(ص: ٨٣٣)، والخصائص (٢/ ٧٤)، المفصل (ص: ٤٣١)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٣٧)، والصحاح؛ للجوهري (٢/ ٧٢١)، ونسبه في الدر المصون (٦/ ٢٦٨)، وابن عادل في اللباب (١٠/ ٤١٣) للفرزدق ولعله خطأ، والنِّيب:=

أرادَ: فهَلَّا تَعُدُّون الكَمِيَّ، والكمِيُّ: الدَّاخلُ فِي السِّلاحِ.

وفِي الأجلِ القَرِيبِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الموْتُ، فكأنَّهُم قالوا: هَلَّا تركتَنَا نمُوت موْتًا، وعافَيْتَنا مِنَ القتْلِ، هذا قوْلُ السُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ.

والثَّانِي: أنَّه إمْهَالُ زمَانٍ، فكأنَّهُم قالوا: هَلَّا أخرْتَ فرْضَ الجهادِ عنَّا قليلًا حتَّى نكثُرَ ونَقوَى، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ فِي آخَرِينَ.

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾؛ أي: مدَّةُ الحياةِ فِيها قلِيلةٌ[1].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

قرَأ ابْنُ كثيرٍ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «وَلاَ يُظْلَمُونَ» بالياءِ.

وقَرأ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ: بالتَّاءِ[2].

وقد سبَقَ ذكْرُ «المتاعِ القَلِيلِ»، و«الفَتِيلِ»[3].

قوْلُهُ تَعالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨].

=جمع نابة وهي الناقة المسنَّة، أسموها بذلك لطول نابها. وعقر النيب: ضرب قوائمها فقطعها، وكانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه، ثم نحروه، وإنما يفعلون به ذلك كيلا يشرد عند النحر. وبنو ضوطرى تقالُ للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء، وهم أيضاً حيٌّ معروف، وقيل: الضوطرى: الحمقى. والكمي: الشجاع الذي لا يرهب.

(١) هذه العبارة كلها ساقطة من (ج).

(٢) السبعة في القراءات (ص: ٢٣٥)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٣١٣)، والمبسوط في القراءات العشر (ص: ١٨٠).

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾.

سبَبُ نزُولِها:

أنَّ المُنافقِينَ قالُوا فِي حقِّ شُهداءِ أُحُدٍ: لو كانوا عنْدَنا ما[1] ماتُوا، ومَا قُتِلُوا، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قَالَه[2] ابْنُ عبَّاسٍ[3]، ومُقاتِلٌ[4].

و«البُروجُ»: الحُصونُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ قُتيبةَ[5].

وفِي «المُشيَّدةِ» خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الحَصِينةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ.

والثَّانِي: المُطوَّلةُ، قالَه أبو مَالِكٍ، ومُقاتِلٌ، وابْنُ قُتيبةَ[6].

والثَّالث: المُجصَّصَةُ، قالَه هِلالُ بْنُ خبَّابٍ، واليَزيدِيُّ.

والرَّابع: أنَّها المَبْنِيَّةُ بالشِّيدِ[7]، وهو الجِصُّ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والخامِس: أنَّها بروجٌ فِي السَّماءِ، قالَه الرَّبيعُ بْنُ أنسٍ، والثَّوريُّ.

وقالَ السُّدِّيُّ: هيَ قُصورٌ بِيضٌ فِي السَّماءِ مَبْنِيَّةٌ[8].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ف): هذا قول.

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦٨) عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٣٩١).

(٥) غريب القرآن(ص: ١١٤- ١٣٠).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٣٩٠)، وغريب القرآن (ص: ١٣٠)، وقوله: (وابن قتيبة) ليس في (ج).

(٧) في (ج): بالمشيد.

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٤٣) من طريق أسباط بن نصر، به.

قوْلُه تَعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾.

اخْتلفُوا فيهِم علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّهمُ المُنافِقون واليهودُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: المُنافِقونَ، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: اليهودُ، قالَه ابْنُ السَّرِيِّ.

وفِي «الحسَنةِ» و«السَّيئَةِ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ «الحسنَةَ»: الخَصْبُ، والمَطَرُ. و«السِّيئَةَ»: الجدْبُ، والغَلاءُ، روَاه أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّ «الحسَنةَ»: الفتْحُ والغَنيمةُ، و«السَّيئَةَ»: الهزيمَةُ والجِراحُ، ونحوُ ذلِك، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿مِنۡ عِندِكَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: بشُؤْمِكَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: بسُوءِ تدبِيرِكَ، قالَه ابْنُ زيْدٍ. [١٥٥/أ]

قوْلُه تعَالَى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الحسَنةُ والسَّيئَةُ، أمَّا الحسَنَةُ، فأَنْعمَ بِها علَيْك، وأمَّا السَّيئَةُ، فابْتلاكَ بِها[١].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٤٠)، وابن المنذر في تفسيره (٢٠٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾.

وقفَ أبو عمرٍو، والكِسائيُّ علَى الألِفِ مِن «فَما» في قوْلِه تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾، و﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الكهف: ٤٩]، و﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ [الفرقان: ٧]، ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المعارج: ٣٦].

والباقُون وقَفوا علَى اللَّامِ(١).

فأمَّا «الحدِيثُ»، فقِيلَ: هوَ القرآنُ، فكأنَّه قالَ: لا يفْقهُونَ القُرآنَ، فيُؤمِنونَ بهِ، ويعلَمُون أنَّ الكُلَّ مِن عنْدِ اللهِ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

فِي المُخاطَبِ بهذَا الكلامِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه عامٌّ، فتقدِيرُه: مَا أصابَكَ أيُّها الإنْسانُ، قالَه قتادَةُ.

والثَّانِي: أنَّه خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، والمُرادُ به غيرُه، قالَه ابنُ قُتيبةَ والزَّجَّاجُ.

والثَّالِثُ: أنَّه خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ(٢) وهوَ المُرادُ بِهِ، ذكرَهُ الماورديُّ(٣).

---

(١) انظر: النشر (٢/ ١٤٦)، والدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٤٦)، ولا يجوز الوقف على الألف ولا على اللام إلا لضرورة كانقطاع النفس، لأن الوقف على الأول فيه قطع المبتدأ عن خبره ،والوقف على الثاني فيه قطع لحرف الجر عن مجرورة.

(٢) من قوله: (والمراد به غيره)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) النكت والعيون (١/ ٥٠٩).

وقـالَ ابْـنُ الأنبـارِيِّ: مـا أصابَـكَ اللهُ [بـهِ][١] مِـن حسَـنةٍ، ومَـا أصابَـك اللهُ بـهِ[٢] مِـن سيِّئةٍ، فالفِعـلانِ يرْجِعـانِ[٣] إلى اللهِ ﷻ.

وفي «الحسَنةِ» و«السَّيِّئةِ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ «الحسَـنةَ»: مـا فُتـحَ عليـهِ يـوْمَ بـدْرٍ، و«السَّـيِّئةَ»: مَـا أصابَـهُ يـوْمَ أُحـدٍ، رَواه ابْـنُ أبي طلْحَـةَ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّاني: «الحسَنةُ»: الطَّاعةُ، و«السَّيِّئةُ»: المَعصِيةُ، قالَه أبو العالِيةِ.

والثَّالـث: «الحسَـنةُ»: النِّعمَـةُ، و«السَّـيِّئةُ»: البَليَّـةُ، قالَـه ابْـنُ قُتيبـةَ[٤]، وعـنِ أبي العالِيـة نحـوُه، وهـوَ أصَـحُّ؛ لأنَّ الآيـةَ عامَّـةٌ.

وروى كِـرْدابُ، عـنْ يعْقُـوبَ: «مَـا أصَابَـكَ مِـنْ حَسَـنَةٍ فَمَـنُّ اللهِ» بتشْـدِيدِ النُّـونِ ورفْعِهـا ونصْـبِ المِيـمِ وخفْـضِ اسْـمِ اللهِ، «ومَـا أصَابَـك مِـن سـيئة فمَـن نَفسُـك » بنصـبِ المِيـمِ ورفْـعِ السِّـينِ[٥].

وقـرَأَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: «ومَـا أصَابَـكَ مِـن سَـيِّئَةٍ فَمِـنْ نَفْسِـكَ وأنَـا كَتَبْتُهـا علَيْـكَ»[٦].

---

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) في (ف): به الله.

(٣) في (ج)، و(ف): راجعان.

(٤) غريب القرآن (ص: ١٣٠).

(٥) وهي قراءة شاذة، في شواذ القراءات (ص: ١٣٨).

(٦) في شـواذ القـراءات(ص: ١٣٩) عـن ابـن عبـاس وجماعـة روايـة أخـرى ﴿وأنـا قدرتهـا عليـك﴾، وفي البحـر(٣/ ٢٤٥)﴿وإنـما قضيتهـا عليـك﴾ في مصحـف ابـن مسـعود وقـرأ بهـا ابـن عبـاس.

وقرأ ابنُ مسْعُودٍ: «وَأَنَا قَدَّرْتُهَا[١] عليْكَ»[٢][٣].

قوْلُه تعالى: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ أي: فبذنبِكَ، قالَه الحسَنُ، وقتادةُ، والجماعَةُ.

وذكَر فيه ابْنُ الأنباريِّ وجهًا آخر[٤]، فقَال: المعْنَى: أفمن نفسِكَ، فأُضمرتِ ألفُ الاسْتِفهام كما أُضمرتْ فِي قوْلِه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي: أوَ تلْكَ [نعمة][٥][٦].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: ذِكْر الرَّسول مُؤكِّدٌ[٧] لِقوْلِه تعالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَكَ﴾، والباءُ فِي «بالله» مُؤكِّدةٌ. والمعْنى: وكفَى[٨] الله شهِيدًا. و﴿شَهِيدًا﴾: منْصُوبٌ علَى التَّمْييز؛ لأنَّك إذا قُلتَ: كفَى الله[٩]، ولم تُبيِّنْ فِي أيِّ شيْءٍ الكفَايَةَ كنْتَ مبهمًا[١٠].

---

(١) في (ج)، و(ف): قدرتها.

(٢) لم أقف على كتاب أبي عمرو الداني، والألفاظ الثلاثة مخالفة للمصحف، انظر كتبتها لابن عباس في إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٧)، وله ولابن مسعود في الهداية لمكي (٢/ ١٣٩٣)، وعزا قدّرتها لهما في آخرين الكرماني في الشواذ (ص: ١٣٩)، وقضيتها لم أجدها.

(٣) من قوله: (روى (كرداب)... إلى هنا ساقط من (ت)، وألحقها في الأصل بالحاشية: وقال ناسخها: ساقطة من أولها إلى آخرها.

(٤) ليست في (ج).

(٥) من (ج).

(٦) إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٨١٣).

(٧) في (ج)، و(ف): مؤكدًا.

(٨) ليست في (ف).

(٩) في الأصل: بالله، والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٠).

وفي المُرادِ بشهادةِ الله هَاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدها: شهيدًا لك بأنَّك رسولُه، قالَه مُقاتلٌ.

والثَّانِي: على مقالتِهِم، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّالث: لك بالبلاغِ، وعليْهِم بالتَّكذيبِ والنِّفاق، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

فإنْ قِيلَ: كيف عاب اللهُ هؤلاء حين قالوا: إنَّ الحسنَةَ من عند الله، والسَّيِّئَةَ من عنْدِ النَّبي؛ وردَّ عليهم بقوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثمَّ عاد فقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فهل قالَ القومُ إلَّا هكذا[1]؟

فعنه جوابَانِ:

أحدهما: أنَّهم أضافوا السَّيئةَ إلى النَّبيِّ ﷺ تشاؤُمًا به، فردَّ اللهُ عليهم، فقالَ: كلٌّ بتقدير الله. ثُمَّ قالَ: ما أصابَك مِن حسنةٍ، فمن الله؛ أي: مِن فضْلِه، وما أصابَكَ مِن[2] سيئةٍ، فبِذنْبِكَ، وإنْ كان [الكُلُّ][3] من عندِ[4] الله تقديرًا. [١٥٥/ب]

والثَّاني: أنَّ جماعةً من أرْبابِ[5] المعاني قالُوا: في هذا[6] الكلامِ محْذوفٌ مقدَّرٌ، تقديرُه: فما لهؤلاءِ القوْمِ لا يكادون يفقهون حديثًا، يقولون: ما

---

(١) في (ف): هذا.

(٢) من قوله: (حسنة، فمن)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) من (ت)، (ج)، و(ف).

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) في (ت): أهل.

(٦) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

أصابك مِن حسنَةٍ فمِنَ اللهِ، وما أصابَكَ مِن سيِّئةٍ فمِنْ نفسِكَ. فيكون هذا مِن قوْلِهم.

والمحذوف المقدَّرُ في القرآن كثيرٌ:

ومنه: قوْله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ أي: يقولَانِ: ربَّنا [تقبَّلْ مِنَّا][1].

ومثْلُه: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]؛ أي[2]: فحلْقٌ، ففديَةٌ[3].

ومثْلُه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦]؛ أي: فيُقَال لهُم.

ومثْلُه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]؛ أي: يقولون سلَامٌ.

ومثْلُه: ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ [الرعد: ٣١] أراد: لَكان هذَا القرآنَ.

ومثْلُه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]؛ أي[4]: لعذَّبَكم.

ومثْلُه: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]؛ أي: يقُولُون.

---

(١) من (ف).

(٢) ليست في (ت).

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ت)، (ج)، و(ف): أراد.

وقال النَّمِرُ بنُ تولب[1] [من المتقارب]:

فَـإِنَّ الْمنِيَّـةَ مَـن يَخْشَـهَا فَسَـوْفَ تُصَادِفُـه أَيْنَـما

أَرَاد: أَيْنَما ذَهب.

وقالَ غيْرُه (في ذلِكَ أيْضًا)[2] [من الطويل]:

فأُقْسِـمُ لَـوْ شَيْءٌ أَتَانَـا رَسُـولُهُ سِـواكَ وَلكِـن لم نَجِـدْ لَـكَ مَدْفعًـا[3]

أراد: لرددْناه.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

سبَبُ نُزولها:

أنَّ النَّبـيّ ﷺ قـالَ: «**مَـنْ أَطَاعَنِـي؛ فَقَـدْ أطَـاعَ الله، وَمَـنْ أَحَبَّنِـي؛ فَقَـدْ أَحَـبَّ الله**» فقـالَ المُنافقـون: لقَـدْ قـارَبَ هـذا الرَّجُـلُ الـشِّركَ، فنزلَـتْ هـذِهِ الآيـةُ، قالَـه مُقاتـلٌ[4].

---

(١) البيت للنمر بن تولب، وهو: من عكل، وكان شاعرًا جوادًا، ويسمى الكيِّس، لحسن شعره، وهو جاهلي، وأدرك الإسلام وأسلم، انظر: الشعر والشعراء (١/ ٢٩٩)، والبيت في ديوانه (ص: ٣٧٨)، وأدب الكاتب (ص: ٢١٤)، وشرح التصريح (٢/ ٢٥٢).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ٧٣)، وخزانة الأدب (١٠/ ٨٤، ٨٥)، وبلا نسبة في خزانة الأدب (٤/ ١٤٤)، (١٠/ ١١٧)، وشرح المفصل (٩/ ٧- ٩٤).

(٤) تفسير مقاتل(١/ ٣٩٢).

ومعْنَـى الـكلامِ: مـن قَبِـلَ مـا أتـى بـه الرَّسُـولُ، فإنَّـما قَبـل: مـا أمَـر اللهُ بـهِ، ومَـن تـولَّى؛ أي: أعْـرَض عـنْ طاعَتِـهِ.

وفي «الحفيظ» قوْلان:

أحدهما: أنَّه الرَّقيب، قاله ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: المُحاسِبُ، قالَه السُّدِّيُّ، وابْنُ قُتيبةَ[1].

❁❁❁

فَصْلٌ

قالَ المُفسِّرون: وهذا كان قبلَ الأمْرِ بالقتال، ثم نُسخ بآيةِ السَّيفِ[2].

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) ﴾ [النسـاء: ٨١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾.

نزلَـت فِي المُنافِقِـين، كانـوا يُؤمِنُـونَ عنْـدَ رسُـول اللهِ ﷺ لِيأْمَنُـوا، فـإذا خَرجُـوا، خَالَفُـوا، هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ[3].

قالَ الفرَّاءُ: والرَّفعُ فِي «طَاعة» على معْنى: أمرُك طاعَةٌ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿ بَيَّتَ طَائِفَةٌ ﴾.

---

(١) غريب القرآن(ص: ١٣١).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٣/ ٣٤٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٧٠).

(٤) معاني القرآن(١/ ٢٧٨).

قرَأ أبو عمْرٍو، وحمْزةُ: (بَيّتْ)، بسكُون «التّاءِ» وإدْغامِها في «الطّاء».

ونَصَب الباقون «التّاءَ»[١].

قال أبو عليٍّ: التّاء والطّاءُ والدّالُ مِن حيِّزٍ واحِدٍ، فحُسنَ الإدْغامُ، ومَن بيَّن، فلانْفِصالِ الحرْفيْنِ، واختِلافِ المخرجَيْنِ[٢].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: والمعْنى: قالُوا، وقدَّروا ليلًا غيْرَ ما أعطَوْكَ نهارًا[٣].

قالَ الشّاعِرُ[٤] [من المتقارب]:

أَتَونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وَكَانُوا أَتَوْنِي بِشَيْءٍ نُكُرْ

والعرَبُ تقُول: هذا أمْرٌ قدْ قُدِّر بليْلٍ، [وفُرغ منه بليلٍ[٥]، ومنه قوْلُ الحارثِ بْنِ حِلِّزة[٦] [من الخفيف]:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمّا][٧][٨] ....

(١) السبعة (ص: ٣٣٥)، ومعاني القراءات (١/ ٣١٣)، والمبسوط (ص: ٩٥).

(٢) الحجة (٣/ ١٧٣).

(٣) غريب القرآن (ص:١٣١).

(٤) البيت لأبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ١٣٣)، وفي تفسير الطبري(٧/ ٢٤٧)، وفي الزاهر لابن الانباري (١/ ٣٨٢)، ونسبه ابن منظور في لسان العرب (٥/ ٢٣٢) إلى الأَسْوَد بنُ يَعْفُر.

(٥) في الأصل زيادة: قاله الزجّاج.

(٦) انظر: ديوان الحارث بن حلزة (ص: ٢)، والحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٨٧،٧/ ٩٤)، وغريب القرآن (ص: ١٣١)،وجمهرة اللغة(١/ ٢٤٢)، والمحكم (٨/ ٢١٨)، ولسان العرب (١٤/ ٨٨).

(٧) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من (ت).

(٨) وعجزه: أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ.

وقال بعْضُهم: بيَّت، بمعْنَى: بدَّل، وأنْشدَ[١] [من المتقارب]: [١٥٦/أ]

بَيَّتَ قَوْلِيَ عِنْدَ[٢] الْمَلِيكِ قَاتَلَكَ اللهُ عَبْدًا كَفُورَا[٣]

وفِي قوْله تعالى: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: غيْرَ الَّذي تقُولُ الطَّائفةُ عنْدَك[٤]، وهو قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ قُتيبةَ[٥].

والثَّانِي: غيْرَ الَّذِي تقُولُ أنْتَ يا محمَّدُ، وهو قوْلُ قتادَةَ، والسُّدي.

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾.

فيهِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: يكتبُه فِي الأعْمَال الَّتي تُثبتها الملائِكَةُ، قالَه مُقاتِلٌ فِي آخَرينَ.

والثَّانِي: يُنزله إِليك فِي كتابه.

والثَّالث: يحفظُه عليْهِم لِيُجازَوا به، ذكَرَ القوْلَيْنِ الزَّجَّاجُ[٦].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فأعْرِضْ عنهم: فلا تُعاقبهم، وثِقْ بالله ﷻ، وكفَى بالله[٧] ثقةً لك. قال: ثُم نُسخ هذا الإِعْرَاضُ، وأُمِر بقتالِهم[٨].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٣٢)، ونسبه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٧٤) لِلْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ، والزاهر (١/ ٣٨٣).

(٢) كذا في النسخ الخطية، وفي غريب القرآن؛ لابن قتيبة: عبد.

(٣) وروي عند ابن جرير: (كنودًا) بدل من (كفورًا).

(٤) ليست في (ف)

(٥) غريب القرآن (ص:١٣١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨١).

(٧) في (ت)، و(ف): به.

(٨) انظر: التفسير البسيط (٦/ ٥٥٧)، تفسير البغوي (٢/ ٢٥٤)، الكشف والبيان (٣/ ٣٤٩)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٦٢٣).

فـإنْ قِيـل: مـا الحِكمـةُ فِي أنّـه ابتـدأ بذكْرِهِـم جملـةً، ثُـمَّ قـالَ: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ والـكُلّ مُنافقُـونَ؟

فالجوابُ مِن وجْهَيْنِ، ذكرهما أهْلُ التَّفْسِير:

أحدهمـا: أنّـه أخـبرَ عمَّـن سـهِرَ ليلَـه، ودبَّـر أمـرهُ منهـم دون غـيْرِه مِنْهُـم[١].

والثَّـانِي: أنّـه ذكـر مَـن علِـم أنّـه يبقـى عـلى نفاقِـه دُون مَـن علِـمَ أنّـه يرجـع.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النسـاء: ٨٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: «التَّدبُّـر»: النَّظـرُ فِي عاقبَـةِ الـشَّيءِ. و«الدَّبْـر» النَّحْـلُ، سُـمِّي دبـرًا؛ لأنَّـه يُعْقِـبُ مـا يُنتفـع بـهِ، و«الدّبْـر»: المَـالُ الكثِـيرُ، سُـمِّي دبـرًا لكثرتِـهِ؛ لأنَّـه يبقـى للأعْقَـابِ، والأدبـار[٢].

وقـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾فيتفكَّـرُون فيـه، فـيرون تصديـقَ بعضِـه لبعْـضٍ، وأنَّ أحـدًا مِـنَ الخلائـق لا يقْـدِر عليـه[٣].

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: و«القُـرآن» مـن قولـك: مَـا قـرأتِ النَّاقَـةُ سَـلًى قـطُّ؛ أي:

---

(١) ليست في (ج)، و(ف).

(٢) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ٨٢).

(٣) تفسير البغوي(٢/ ٢٥٤).

ما ضَمَّتْ[١] فِي رحِمِهَا ولدًا. وأنْشدَ أبو عُبيدةَ[٢] [من الوافر]:

. . . . هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقرأْ جَنِينَا[٣]

وإنما سُمِّي قرآنًا؛ لأنَّه جمعَ السُّورَ، وضمَّها[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

فيه ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه التَّناقضُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ، والجُمهورُ.

والثَّانِي: الكذِبُ، قالَه مُقاتل، والزَّجَّاجُ[٥].

والثَّالث: أنَّه اخْتلافُ تفَاوُتٍ مِن جهةِ بلِيغٍ مِن الكلامِ، ومرذولٍ؛ إذْ لَا بدَّ للكلام إذا طالَ مِن مَرْذُول، وليْسَ فِي القرآن إلَّا بليغٌ، ذكرَهُ الماورديُّ فِي جماعةٍ[٦].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

---

(١) في (ت): أي: ضمته.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢-١٧).

(٣) عجز بيتٍ لعمرو بن كلثوم، من معلقته المشهورة، كما في مجاز القرآن (١/ ٢) والجمهرة؛ لابن دريد (١/ ٢٨٤)، وتفسير الطبري (١/ ٩٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٧٧)، وتهذيب اللغة (٢/ ٩٨)، وصدره: ذِرَاعَيْ بَكْرَةٍ أَدْمَاءَ بَكْرٍ، وهجان اللون: بيضاء كريمة.

(٤) مجاز القرآن (١/ ١).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٣٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٢).

(٦) النكت والعيون (١/ ٥١١).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا اعْتزلَ نساءَهُ، دخلَ عُمرُ المسجِدَ، فسمِعَ النَّاسَ يقولون: طلَّقَ رسُولُ الله ﷺ نساءَهُ، فدخلَ علَى النَّبيِّ ﷺ فسألَه: أطلَّقتَ نِساءَكَ؟ قالَ: «لَا». فخرَجَ فنادَى: أَلَا إنَّ رسُولَ اللهِ لم يطلِّقْ نساءَهُ. فنزلَتْ هذِه الآيةُ. فكان هوَ الَّذي استنبط الأمرَ. انفرد بإخْرَاجِه مُسلمٌ، من حديث ابْنِ عبَّاسٍ، عنْ عُمرَ[١].

والثَّانِي: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كان إذا بعث سريَّةً مِن السَّرايا فغَلَبَتْ أو غُلِبَت، تحدَّثُوا بذلك، وأفْشَوْه، ولم يصْبِرُوا حتَّى يكونَ النَّبيُّ[٢] ﷺ هو المتحدِّث به[٣]. فنزلَتْ هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس[٤]. [١٥٦/ب]

وفِي المشار إليهم بهذه الآيةِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهمُ المُنافقون. قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والجمهور.

والثَّانِي: أهْلُ النِّفاق، وضعَفَةُ المُسلمين، ذكره الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) رواه مسلم (١٤٧٩) مطولًا ولكن بلفظ مختلف وليس فيه فخرج فنادى ألا إن رسول الله لم يطلّق نساءه، و رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٨٢)، وأبو عوانة في المستخرج (١١/ ٥٩٨)، وفي مسنده(٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) في (ج):الرسول.

(٣) في (ت): المحدث. و(به) ليست في (ج).

(٤) الدر المنثور(٤/ ٥٤٨).

(٥) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ٨٣).

وفِي المُراد بالأمن أربعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: فوزُ السريَّةِ بالظفَر والغنيمةِ، وهو[١] قوْلُ الأكثرين[٢].

والثَّانِي: أنَّه الخبَرُ يأتِي إلى[٣] النَّبيِّ ﷺ أنَّه ظاهَرَ علَى قومٍ، فيأمن منْهم، قالَه الزَّجاجُ[٤].

والثَّالث: أنَّه ما يعزم عليه رسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الموادعةِ والأمان لِقومٍ، ذكرَهُ المَاوردِيُّ[٥].

والرَّابع: أنَّه الأمر[٦] يأْتِي مِنَ المأمَن وهو المدينَةُ، ذكرَهُ أبو سُليمان الدمشقِيُّ مُخرجًا على[٧] حديث عمر.

وفِي ﴿ٱلْخَوْفِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه النَّكبة التي تُصيب السريّةَ، ذكرَه جماعةٌ مِنَ المُفسِّرينَ.

والثَّانِي: أنَّه الخبَرُ[٨] يأْتِي أنَّ قوْمًا يجمعون للنَّبيِّ ﷺ، فيخاف منهم، قالَه الزَّجَّاجُ[٩].

والثَّالث: ما يعزم عليه النَّبيُّ مِنَ الحرْبِ والقِتال، ذكرَهُ الماوردِيُّ.

---

(١) في (ج)، و(ف): وهذا.

(٢) في (ج): الأكثرون.

(٣) ليست في (ج).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٣).

(٥) لم أقف عليه في تفسير المسمى بالنكت والعيون، وذكره عنه أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ٧٢٦).

(٦) في (ت)، و(ج): الأمن.

(٧) في نسخة: من.

(٨) ليست في (ج).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٣).

قوْلُه تعالى: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أشاعُوه[١].

قال ابْنُ جريرٍ: والهاء عائدةٌ علَى الأمْرِ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ يعني: الأمر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ حتَّى يكون هوَ المخبِر بهِ. ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾.

وفيهم أربعةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّهم مثل أبي بكر، وعمرَ، وعُثمانَ، وعلِيٍّ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّهم أبو بكر، وعمرُ، قالَه عِكرمةُ.

والثَّالِث: العُلماء، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ، وابْنُ جُريجٍ.

والرَّابع: أُمراء السَّرايا، قالَه ابْنُ زيْدٍ، ومُقاتل.

وفِي ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمْ الَّذين يتتبعونه[٣] مِن المُذيعين لَه، قالَه مجُاهدٌ.

والثَّانِي: أنَّهم أُولو الأمْرِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

و«الاستنباط» فِي اللُّغة: الاستخراجُ. قالَ الزَّجَّاجُ: أصْلُه مِنَ النَّبط، وهو الماءُ الَّذي يخْرُج مِنَ البئرِ فِي أوَّل ما تُحْفَرُ، يُقال من ذلك: قد أنْبَطَ فلانٌ فِي غضرَاءَ[٤]؛ أي: استنبط الماءَ من طين حُرٍّ[٥]. والنَّبط[٦]: سُمُّوا

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٣٢).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٢٥٢).

(٣) في (ج): يتبعونه.

(٤) الغضراء: الأرض الطيبة الخضراء. انظر: الصحاح (٢/ ٧٧٠) (غضر).

(٥) طين نقي جيد المعدن.

(٦) النبط والنبيط: قوْمٌ ينزلون بالبطائح بين العِرَاقيْنِ، والجمع: أنباط. انظر: الصحاح=

نبطًا؛ لِاسْتنبَاطِهم ما يخرُجُ مِنَ الأرْضِ[١].

قالَ ابْنُ جرير: ومعنى الآية: وإذا جاءَهُم خبرٌ عن[٢] سريَّةٍ للمُسلمين[٣] بخيْرٍ أو بشرٍّ أفْشَوْه، ولو سكتوا حتَّى يكون الرسولُ وذوو الأمر يتولَّون الخبَرَ عن ذلك، فيصحِّحُوه[٤] إنْ كان صحيحًا، أو يُبطلوه إن كان باطلًا، لَعلِمَ[٥] حقيقة ذلك مَن يبحث عنه مِن أُولى الأمر[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾.

فِي المُراد بـ «الفضل» أربعةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه رسُولُ الله ﷺ.

والثَّانِي: الإِسلام.

والثَّالث: القرآن.

والرَّابع: أُولو الأمر.

وفِي «الرَّحمة» أربعة أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها[٧] الوحي.

والثَّاني: اللُّطف.

=(٣/ ١١٦٢) (نبط).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٣).

(٢) في (ف): من.

(٣) في (ف): من المسلمين.

(٤) في (ج): فيصحونه.

(٥) في (ج): ليعلم.

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٢٥٢).

(٧) في (ف): أنه.

والثَّالث: النِّعمة.

والرَّابع: التَّوفيق.

قولُه تعالى: ﴿لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

فِي معنى هذا الاستثناء ثلاثَةُ أقْوَالٍ: [١٥٧/أ]

أحدها: أنَّه راجع إلى الإذاعة، فتقديره: أذاعوا بهِ إلَّا قليلًا. وهذا قَوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وابْنِ زيْدٍ، واخْتارَهُ الفرَّاءُ وابْنُ جريرٍ[١].

والثَّانِي: أنَّه راجِعٌ إلى المستنبطين، فتقديرُه: لَعلمَهُ الَّذين يستنبطونه منهم إلَّا قليلًا، وهذا قَوْلُ الحسَنِ، وقتادَةَ، واخْتارَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٢].

فعلى هذين القَوْلَيْنِ فِي الآية تقديمٌ وتأْخِيرٌ.

والثَّالِث: أنَّه راجِعٌ إلى اتِّباع الشَّيطان، فتقديرُه: لاتَّبعتمُ الشَّيطانَ إلَّا قليلًا منكم، وهذا قَوْلُ الضَّحَّاكِ، واخْتارَهُ الزَّجَّاجُ[٣].

وقالَ بعْضُ العلماء: المعنى: لولا فضْلُ الله بإرسَالِ النَّبيِّ إليكم، لَضلَلْتُم إلَّا قليلًا منكم كانوا يستدركون بعقولِهم معرفةَ اللهِ، ويعرفون ضلالَ مَن يَعبُد غيرَه؛ كقس بن ساعدة[٤].

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: ٨٤].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ١٣٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٤).

(٤) تفسير الفخر الرازى (ص: ١٥٠٩)، وتفسير النسفي (١/ ٢٣٠).

قَوْلُه تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ النَّبيَّ ﷺ لما ندب الناسَ لَموعِد أبي سفيانَ ببدر الصُغرى بعد أُحُد، كرِهَ بعضُهُم ذلك، فنزلَت هذه الآيةُ، رواه أبو صالح، عن ابْنِ عبَّاسٍ(١).

وفي «فاء» ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه جوابُ قوْلِه تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾.

والثَّاني: أنَّها مُتَّصلةٌ بقوْلِه تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ذكرَهُما ابْنُ السَّريِّ.

والمُرادُ بـ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الجهادُ.

قوْلُه تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾؛ أي: إلَّا المُجاهدَةَ(٢) بنفسِك.

﴿وَحَرِّضِ﴾: بمعْنَى حضِّض.

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعنى «عَسَى» في اللُّغةِ: معْنَى الطَّمع والإشْفَاقِ. والإِطْماعُ مِن الله واجِبٌ. و«البأس»: الشدَّةُ(٣).

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: والله أشدُّ عذابًا(٤).

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٧٣٠).

(٢) في (ج): الجهاد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

(٤) انظر: التفسير البسيط (٧/ ٧).

قالَ قتادَةُ: و«التَّنكيل»: العقوبَةُ[١].

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء: ٨٥].

قوْلُه تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾.

فِي المُراد بـ«الشفاعة الحسنة» أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها[٢] شفاعةُ الإِنسان للإنسان، لِيجتلب له نفعًا، أو يُخلِّصه مِن بلاءٍ، وهذا قولُ الحسَنِ، ومُجاهِدٍ، وقتادَةَ، وابْنِ زيْدٍ.

والثَّانِي: أنَّها[٣] الإِصلاح بين اثْنَين، قالَه ابْنُ السَّائِبِ.

والثَّالث: أنَّه الدُّعاء للمؤمنين والمؤمنات، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٤].

والرَّابع: أنَّ المعنى: مَن يَصِرْ شفعًا لِوِترِ أصحابك يا محمد، فيشفعهم فِي جهادِهِم، قالَه ابْنُ جرير، وأبو سُليمان الدمشقيُّ[٥].

وفِي «الشَّفاعة السَّيِّئة» ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها السَّعيُ بالنَّمِيمة، قالَه ابْنُ السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّها الدُّعاءُ علَى المؤمنين والمؤمنات، وكانتِ اليهودُ تفعلُه، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٦].

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢٠٦١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٠٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) ليست في (ت).

(٣) في (ج)، و(ف): أنه.

(٤) النكت والعيون(١/ ٥١٢).

(٥) الطبري في تفسيره(٧/ ٢٦٨).

(٦) النكت والعيون(١/ ٥١٢).

والثالث: (أنَّ المعْنى)[١]: مَنْ يشْفَعْ وِتْرَ أهْلِ الكُفْرِ، فيُقاتل المُؤمنين قالَه ابْنُ جرير، وأبو سُليمان [الدمشقي][٢][٣].

قالَ الزَّجّاجُ: و«الكفل» فِي اللُّغة: النَّصيبُ، وأُخذَ مِن قوْلِهم: [١٥٧/ب] اكْتفلْتَ[٤] البَعِيرَ: إذا أَدَرْتَ[٥] علَى سِنَامِه، أو على موْضِعٍ مِن ظهْرِه[٦] كِساءً، وركبتَ عليه. وإنَّما قِيل له: كِفْلٌ؛ لأنَّه لم يستعمَلِ الظَّهْرَ كلَّهُ، وإنَّما اسْتعمَلَ نَصِيبًا منه[٧].

وفي «المقيت» سبعَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه المقتدر، قال[٨] أُحيحة بن الجلَّاح[٩] [من الوافر]:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتًا

وإلى هذا المعنى ذهب ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جريرٍ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ زيْدٍ، والفرَّاءُ، وأبو عُبيدٍ، وابْنُ قُتيبةَ، والخطَّابِيُّ[١٠].

---

(١) ليست في (ت).

(٢) من (ج).

(٣) الطبري في تفسيره (٧/ ٢٦٨).

(٤) في معاني القرآن: أكفَلْتَ.

(٥) في (ج): ركزت.

(٦) في (ت): ظهوره.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥).

(٨) ليست في (ج).

(٩) البيت في غريب القرآن (ص: ١٣٢)، وإيضاح الوقف والابتداء (١/ ٨٠)، وشأن الدعاء (١/ ٨٠).

(١٠) الطبري في تفسيره (٧/ ٢٧٢)، ومعاني القرآن (١/ ٢٨٠)، وغريب القرآن (ص: ١٣٢)، وشأن الدعاء (١/ ٦٨).

والثَّـانِي: أنَّـه الحفِيـظُ، رواه ابْـنُ أبي طلْحَـةَ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ قتـادَةُ، والزَّجَّـاجُ(١).

وقـالَ: هـو بالحفيـظ أشـبه؛ لأنَّـه مشـتقٌّ مِـن القـوت(٢)، يُقـال: قُـتُّ الرَّجُـلَ أَقوتُـه(٣) قوْتًـا: إذا حفَظْـتَ عليْـهِ نفْسَـهُ بِـمَا يقُوتُـهُ، واسْـمُ الـشَّيءِ الَّـذِي يحفَـظُ نفسَـهُ: القُـوتُ، فمعنـى(٤) المقيـت: الحافـظ الـذي يُعطِـي الـشيءَ عـلى قـدْرِ الحاجـة مِـنَ الحفـظ(٥). قـال الشَّـاعر(٦) [مـن الخفيـف]:

أَلِيَ الفَضْـلُ أَمْ عَـلَيَّ إِذَا حُـو سِـبْتُ إِنِّي عَـلَى الْحِسَـابِ مُقِيـتُ

والثَّالـث: أنَّـه الشَّـهيدُ، رواه ابْـنُ أبي نجيـح، عـن مجُاهـدٍ(٧)، واخْتـارَهُ أبـو سُـليمان الدِّمشقيُّ.

والرَّابع: أنَّه الحَسِيبُ، رواه خُصيف عن مجُاهدٍ.

والخامس: الرَّقيب، رواه أبو شيبةَ عن عطَاءٍ.

والسَّادس: الدَّائم، رواه ابْنُ جُريج عن عبْد اللهِ بْنِ كثِيرٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥).

(٢) في (ج): مشتق التقوت.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في الأصل: يعني، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥).

(٦) والبيـت لسـموأل بـن عاديـاء كـما في ديوانـه (ص: ٦)، وفي طبقـات فحـول الشـعراء (١/ ٢٨٠)، وانظـر: مجاز القـرآن (١/ ١٣٥)، وفي الزاهـر (١/ ٨٧)، وذكـره ابـن المنـذر في تفسـيره (٢٠٦٩)، وابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ٢٧٣)، والزجـاج في معـاني القـرآن وإعرابـه(٢/ ٨٦).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٧١)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٢١).

والسَّابع: أنَّه معطي[١] القوتَ، قاله مُقاتِل بْنُ سُليمانَ[٢].

وقال الخطَّابي: «المقيت» يكون بمعنى مُعطي[٣] القوت[٤].

قال الفرَّاءُ: يقال: قاته وأقاته[٥].

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النسـاء: ٨٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾.

فِي «التَّحيَّةِ» قوْلانِ:

أحدهما: أنَّها السَّلامُ، قاله ابْنُ عبَّاسٍ، والجُمهورُ.

والثَّانِي: الدُّعاء، ذكرَهُ ابْنُ جريرٍ، والماورديُّ[٦].

فأمَّا «أحسَن منها» فهو الزِّيادةُ عليها، و«ردُّها» : قوْلُ مثلِها.

قـالَ الحسَـنُ: إذا قـالَ أخـوك المُسـلمُ: السَّـلام عليكـم، فَـرُدَّ السَّـلامَ، وزِدْ: ورحمـة الله. أو رُدَّ مـا قـالَ ولا تـزد[٧].

وقـالَ الضَّحَّـاكُ: إذا قـال: السَّـلامُ عليْـكَ، قلـت: وعليكم السـلام ورحمة الله، وإذا قـالَ: السَّـلام عليـك ورحمـة الله، قلـتَ: وعليكـم السـلام ورحمـة الله وبركاتـه، وهـذا منتهـى السَّـلام[٨].

---

(١) في (ف): يعطي.

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٣٩٤).

(٣) في (ف): يعطي.

(٤) شأن الدعاء (١/ ٦٩).

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٨٠).

(٦) الطبري في تفسيره (٧/ ٢٧٣)، والنكت والعيون (١/ ٥١٣).

(٧) رواه ابن المنذري في تفسيره (٢٠٧٥) من طريق يونس بن عبيد، به.

(٨) التفسير البسيط (٧/ ٢٠).

وقَـالَ قتـادَةُ: «بأحسَـن مِنهـا» للمُسـلم، «أو ردُّوهـا» عـلى أهْـلِ الكِتـابِ(١).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النسـاء: ٨٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

قالَ مُقاتلُ: نزلَتْ فِي الَّذين شكُّوا فِي البعث(٢).

قـالَ الزَّجَّـاجُ: والـلَّام فِي(٣) ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾(٤) لَامُ القسَـمِ؛ كقوْلِـك: واللهِ ليجمعنَّكُـم، قـال: وجائـزٌ أن تكـون سُـمِّيتِ القِيامـةُ، لِقيـام النَّـاسِ مِـن قُبورِهـم، وجائـزٌ أن تكـونَ(٥)، لِقيامِهـم للحسَـابِ(٦).

قوْلُـه تعـالَى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ إنَّـما وصـف نفسَـه بهـذا؛ لأنَّ سـائِرَ(٧) الخلْـقِ يجُوزُ عليهـم الكـذِبُ، ويسـتَحِيل فِي حقِّـه عـزَّ وجـلَّ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ [النسـاء: ٨٨].

---

(١) رواه ابـن المنـذر في تفسـيره (٢٠٧٦)، والطـبري في التفسـير (٧/ ٢٧٥-٢٧٦)، وابـن أبي حاتـم في التفسـير (٥٧٢٧) مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه.

(٢) تفسير مقاتل(١/ ٣٩٤).

(٣) ليست في (ف).

(٤) قوله: (في ليجمعنكم) ليس في (ج).

(٥) في (ف): يكون.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٧).

(٧) في (ت)، و(ج): جميع.

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.

فِي سبَبِ نُزولها سبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ قوْمًـا أسْـلَمُوا، فأصابَهُـم وَبَـاءُ بالمدينَـةِ وحُماهـا، فخرَجُـوا [١٥٨/أ] فاسْتقبلَهم نفَرٌ مِنَ المُسلمين، فقالـوا: مـا لكم خرجْتُم؟ قالـوا: أصابَنَـا وبـاءُ المدينَـةِ، واجْتَوَيْنَاهـا، فقالـوا: أمَـا لَكُـم فِي رسُـول الله أُسـوةٌ؟ فقَـالَ بعْضُهـم: نافَقُـوا، وقـال بعْضُهُـم: لم يُنافقـوا، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ. رَواه أبـو سـلَمَة[١] بْـنُ عبـدِ الرَّحمـنِ عـنْ أَبيـه[٢].

والثَّـانِي: أنَّ رَسُـولَ الله ﷺ لَّمـا خـرَجَ إلى أُحـد، رجـع نـاسٌ مِّمَّـن خـرَجَ معـه، فافْـتَرَق فِيهـم أصْحـابُ رسُـولِ الله، ففِرقَـةٌ تقـولُ: نقْتلُهُـم، وفِرقَـةٌ تقُـول: لَا نقْتلُهـم، فنزلَـتْ هـذِهِ الآيَـةُ، هـذا فِي «الصَّحيحـين» مِـن قـوْلِ زيْـدِ بْـنِ ثابِـتٍ[٣].

والثَّالِـث: أنَّ قوْمًا كانوا بمكَّة تكلَّمُوا بالإِسـلام وكانـوا يُعاونُون المُشركين، فخرجُـوا مِـن مكَّة لحاجةٍ لهم، فقـالَ قوْمٌ مِنَ المُسـلمين: اخْرُجوا إليهـم فاقتلوهم فإنَّهـم يُظاهـرون عدوَّكـم. وقال قـوْمٌ: كيف نقتلُهم وقـد تكلَّموا بمثل مـا تكلَّمنا بـه[٤]؟ فنزلَتْ هذه الآيَـةُ، رواه عطيةُ عنِ ابْـنِ عبَّاسٍ[٥].

---

(١) في (ف): أبو سليمان.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٩٢) وغيره من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، فذكره..

(٣) متفق: عليه البخاري(٤٠٥٠)، ومسلم (٢٧٧٦).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٤١) من طريق عطية العوفي، به، بنحوه.

والرَّابع: أنَّ قومًا قدِمُوا المدينة، فأظهروا الإسلام، ثُم رجعوا إلى مكَّة، فأظهروا الشِّركَ، فنزلتْ هذه الآيةُ، هذا قوْلُ الحسَنِ[١]، ومُجاهدٍ[٢].

والخامس: أنَّ قوْمًا أعلنوا الإيمانَ بمكَّة وامْتنَعُوا مِن الهجرة، فاخْتلَفَ المؤمنون فيهم، فنزلَتْ هذه الآيةُ، وهذا قوْلُ الضَّحَّاكِ[٣].

والسَّادس: أنَّ قومًا مِنَ المنافقين أرادوا الخروجَ مِنَ المدينة، فقالوا للمؤمنين: إنَّه قد أصابتنا[٤] أوجاعٌ في المدينة، فلعلَّنا نخرج فنتماثَلُ[٥]، فإنَّا كنَّا أصحابَ باديةٍ، فانْطلقُوا[٦]، واخْتلَفَ فيهم أصْحابُ رسُولِ الله ﷺ، فنزلَتْ هذه الآيةُ. هذا قوْلُ السُّدِّيِّ[٧].

والسَّابع: أنَّها نزلَتْ في شأنِ ابْنِ[٨] أُبيٍّ حين تكلَّم (في عائِشةَ)[٩] بما تكلَّم، وهذا قوْلُ ابْنِ زيْدٍ[١٠].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٤٤) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨٤) من طريق عبيد بن سليمان، به.

(٤) في (ج)، و(ف): أصابنا.

(٥) في (ت): فتماثل.

(٦) ليست في (ج).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨٥) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٨) ليست في (ت).

(٩) ما بين الهلالين ليس في (ج)، و(ف).

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨٦) من طريق ابن وهب، به.

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾ خِطـابٌ للمُؤمنـين. والمعنـى: أيُّ شيْءٍ لكُـم فِي الاخْتـلافِ فِي أمْرِهِـم؟

و«الفئة»: الفِرقةُ.

وفِي معْنى ﴿أَرۡكَسَهُم﴾ أربعةُ أقْوالٍ:

أحدها: ردَّهم، رواه عطاءٌ، عن ابْنِ عبَّاسٍ.

قـال ابْـنُ قُتيبـةَ: رَكَسْـتُ الـشَّيْءَ، وأَرْكَسْـتُه: لُغتـانِ؛ أي: نكَّسَـهُم وردَّهُم فِي كُفرِهـم، وهـذا قـوْلُ الفـرَّاء، والزَّجَّـاجِ(١).

والثاني: أَوْقعَهُم، رواه ابْنُ أبِي طلْحةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أهْلَكَهُم، قالَه قتادةُ.

والرَّابع: أضلَّهم، قالَه السُّدِّيُّ.

فأمَّا «الَّذي(٢) كسبوا» فهوَ كُفرُهُم، وارْتِدادُهُم.

قـال أبـو سـليمان: إنَّـما قـال: أتريـدون أن تهـدوا مَـن أضـلَّ الله؛ فـلأنَّ قومًـا مـن المؤمنـين قالـوا: إخوانُنـا، وتكلَّمُـوا بكلمتنـا.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾.

فيه قولان:

أحدُهما: إلى الحُجَّة، قالَه الزَّجَّاجُ(٣). [١٥٨/ ب]

والثَّانِي: إلى الهدى، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

---

(١) غريب القرآن(ص: ١٣٣)، ومعاني القرآن (١/ ٢٨٠)، معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٨).

(٢) في (ج): الذين.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٨).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾ [النساء: ٨٩].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾.

أخـبَرَ اللهُ ﷻ المُؤمنـين بـما فِي ضمائِـر تلـك الطَّائفـةِ، لِئـلَّا يُحسـنوا الظَّـنَّ بِهِـم، ولا يُجادلـوا عنهـم، وليعتقـدوا عدَاوَتَهُـم.

قَوْلُـه تعـالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: لا تُوالُوهـم[١] فإنَّهـم أعـداءٌ لكـم ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾؛ أي: يرجِعُـوا إِلى النَّبـيِّ ﷺ.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: فـإِنْ تَولَّـوا عـنِ الهِجـرةِ والتَّوْحيـدِ ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾؛ أي: ائسرُوهُـم[٢]، واقْتُلوهـم حيْـثُ وجدتمُوهـم فِي الحِـلِّ والحـرَمِ[٣].

❁ ❁ ❁

(١) في (ج): تتوالوهم.

(٢) ليست في (ف).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٢٩١) من طريق عطية العوفي، به.

فَصْلٌ

قالَ القَاضي أبو يَعْلَى: كانتِ الهجرَةُ فرْضًا إلى أنْ فُتحتْ مكَّةُ.

وقالَ الحسَنُ: فرْضُ الهجرَةِ باقٍ.

(واعْلم أنَّ النَّاسَ فِي الهِجرَةِ)[١] علَى ثلاثَةِ أضْرُبٍ:

[أحدُها][٢]: مَن تجِبُ عليهِ، وهوَ الَّذي لا يَقدِرُ على إظْهارِ الإسلامِ فِي دارِ الحرْبِ؛ خوْفًا علَى نفسِه، وهو قادرٌ علَى الهِجرةِ، فتَجِبُ عليْهِ؛ لِقوْلِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾.

والثَّانِي: مَن لا تجِب عليه بل تُستحبُّ له، وهو مَنْ كان قادرًا على إظْهارِ دينِه فِي دارِ الحرْبِ.

والثَّالثُ: مَن[٣] لا تُستحبُّ له وهوَ الضَّعيفُ الَّذِي لا يقدِرُ علَى إظْهار دينِهِ، ولا علَى الحركَةِ كالشَّيخِ الفانِي، والزَّمِن، فلم تُستحبَّ له للحُوقِ[٤] المشقَّةِ.

قوْلُهُ تعالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء: ٩٠].

---

(١) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٢) من المطبوع.

(٣) ليست في (ت).

(٤) في (ف): لخوف.

قَوْلُه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هذا الاستثناءُ راجعٌ إلى القتْلِ، لا إِلَى الموالاةِ.

وفي ﴿يَصِلُونَ﴾ قولان:

أحدُهما: أنّه بمعنى يتّصلِونَ ويلجئُونَ[1].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَ هِلالُ بنُ عُويمرٍ الأسْلَمِيُّ وادَعَ رسُولَ الله ﷺ على[2] أنْ لا نُعِينَكَ ولا نُعِينَ عليْكَ[3]. فكانَ مَنْ وَصَلَ إلى هِلالٍ مِن قوْمِه وغيْرِهم، فلهُم مِن الجِوارِ مِثْلُ مَا لِهلالٍ[4].

والثَّاني: أنّه بمعنى ينْتَسِبونَ، قالَه ابنُ قُتيبةَ، وأنْشدَ[5] [من الطويل]:

إِذَا اتَّصلَتْ قَالَتْ: أَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ وَبَكْرٌ سَبَتْهَا وَالْأُنُوفُ رَوَاغِمُ

يُريد: إِذا انْتسبت، قالَتْ: أبكرًا؛ أي: يا آلَ بكْرٍ.

وفي القوْمِ المذْكُورينَ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّهُم بنو بكْرِ بْنِ زيْد مَناةَ[6]، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج): ويلحقون.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت): على أن لا نعين عليك.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٥٧) من طريق عكرمة، به.

(٥) البيت له في مجاز القرآن (١/ ١٣٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٨)، تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٥)، المحكم والمحيط (٨/ ٣٧٤)، ومعناه: تدعى إليهم وتنتسب، وهي من إمائهم اللواتي سبين وقد رغمت أنوفهن وأنوف رجالهن الذي كانوا يدافعون عنهن، ثم انهزموا عنهن وتركوهن للسباء.

(٦) في (ج): أنهم بنو زيد بن مناة.

والثَّـانِي: أنَّهـم هِـلالُ بْـنُ عُويمـرٍ الأسْـلَمِيُّ، وسُراقَـةُ بْـنُ مَالِـكٍ، وخُزيمَـةُ بْـنُ عامِـرِ بْـنِ عبْـدِ منَـافٍ، قالَـه عِكرمَـةُ.

والثَّالث: أنَّهم بنُو مُدلَج، قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: خُزاعةُ وبنُو مُدلج، قالَه مُقاتلٌ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: «والمِيثاقُ»: العَهْدُ[١].

قوْلُه تعالى: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ معْنـاه: أو يَصلِـونَ إلى قـوْمٍ جَاءُوكـم، قالَـه الزَّجَّـاجُ فِي جماعَـةٍ[٢].

والثَّـانِي: أنَّـه يعـودُ إلى المطلُوبـين للقتْـلِ. فتقديـرُه: أوْ رَجعُـوا فدَخلُـوا فِيكُـم، وهـو بمعْنَـى قـوْلِ السُّـدِّيِّ.

قوْلُه تعالَى: ﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾.

فِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ فيهِ إِضْمارَ «قَدْ».

والثَّـانِي: أنَّـه خَـبرٌ بعْـدَ خَـبرٍ، فقوْلُـه: ﴿جَآءُوكُمۡ﴾: خَـبرٌ قـد تَـمَّ، و﴿حَصِرَتۡ﴾: خَـبرٌ مُسـتأنَفٌ، حكَاهُمَـا الزَّجَّـاجُ[٣]. [١٥٩/أ]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره في غير ما موضع منها (١٩/ ٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩).

وقَرأَ الحسَنُ ويعقُوبُ والمُفضَّلُ، عنْ عاصِمٍ: «حَصِرةً صُدورُهُم» علَى الحَالِ[١].

و﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقَتْ، ومعْنى الكلامِ: ضاقَتْ صُدورُهُم عنْ قِتالِكُم للعَهدِ الَّذي بيْنَكُم وبيْنَهُم، أو يُقاتِلوا قومَهم، يعْنِي قُريشًا.

قالَ مُجاهِدٌ: هلالُ بْنُ عُويمرٍ هوَ الَّذي حصِر صَدرُه أن يُقاتِلَكُم، أو يُقاتلَ قوْمَهُ[٢][٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أخْبرَ أنَّه إنَّما كفَّهُم بالرُّعبِ الَّذي قُذف في قلُوبِهِم[٤].

وفِي ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الإِسْلامُ، قالَه الحسَنُ.

والثَّانِي: الصُّلحُ، قالَه الرَّبيعُ، ومُقاتِلٌ.

❁❁❁

(١) بالنصب على الحال في معاني القراءات (١/ ٣١٣)، وعن الحسن وقتادة في المحرر (٦/ ٢٥)، وعن المفضل في الكامل (ص: ٥٢٩)، والحسن في القرطبي (٥/ ٣٠٩)، وقرئ شاذًّا ﴿حَصِرَات﴾ عن الضحاك، و﴿حاصرات﴾ عن ابن حبيش. انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٣٤).

(٢) من قوله: (يعني قريشًا)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٣) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢٠٨٣)، والطبري في تفسيره(٧/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم(٥٧٦٠) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٩).

فَصْلٌ

قالَ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرينَ: مُعاهدةُ المُشركِينَ ومُوادعتُهُم(١) المذْكورَةُ في هذِه الآيةِ منْسوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ.

قالَ القاضي أبو يعْلَى: لما أعزَّ اللهُ الإسلامَ أُمروا أن لا يقبلوا مِن مُشركِي العرَبِ إلَّا الإسْلامَ أو السَّيفَ.

قوْلُهُ تعالَى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء: ٩١].

قوْله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾.

اختلفُوا فيمَن نزلَتْ علَى أربعةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ فِي أسَدٍ وغطَفانَ، كانوا قد تكلَّموا بالإسلام ليَأْمَنُوا المُؤمنين بكلِمَتِهم، ويأمَنوا قوْمَهُم بكُفْرِهم، رَواه أبو صالح، عن ابنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ فِي بني عبْدِ الدَّارِ، رواه الضَّحَّاكُ، عن ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والثَّالث: أنَّها نزلَتْ فِي قوْمٍ أرادوا أخْذَ الأمانِ مِنَ النَّبيِّ ﷺ، وقالوا: لَا نُقاتِلُكَ ولا نُقاتِلُ قومَنا، قالَه قتادةُ(٤).

---

(١) في (ج): مواعدتهم.

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٣/ ٣٥٨) عن الكلبي، عن أبي صالح، به.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٣٥٧).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٦٨) يزيد= =بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به.

والرَّابع: أنَّها نزلَتْ في نُعيم بْنِ مسعود الأشجعيِّ، كان يأمَنُ في المُسلمينَ والمُشركين، فينْقُلُ الحديثَ بيْنَ النَّبيِّ ﷺ وبينَهُم، ثُمَّ أسْلَمَ نُعَيْمٌ، هذا قوْلُ السُّدِّيِّ(١).

ومعنى الآيةِ: ستَجِدُون قومًا يُظهرون الموافقةَ لكم ولقوْمِهم، ليأْمَنُوا الفَرِيقَيْنِ، كلَّما دُعوا إلى الشِّرْكِ، عادُوا فيهِ، فإنْ لم يَعْتزِلُوكم في القتالِ، ويُلقوا إليكمُ الصُّلحَ، ويكُفُّوا أيديَهُم عن قتالِكُم، فخُذُوهم؛ أي: ائسرُوهُم، واقْتلُوهم حيث أدْركتمُوهُم، وأولائكم جعلْنَا لكم عليهم حجةً بيِّنةً في قتْلِهم.

فَصْلٌ

قال أهل التَّفْسير: والكفُّ عن هؤلاء المذكورين في هذه الآيةِ(٢) منْسُوخٌ بآيةِ السَّيفِ(٣).

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٦٧) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٥/ ١٦٦)، وتفسير الخازن (١/ ٤٠٨). وفي (ج): بالسيف.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ عيَّاشَ بْنَ أبي ربِيعةَ أسْلَم بمكَّةَ قبْلَ هجرَةِ رسُولِ الله ﷺ[١]، ثُمَّ خافَ أن يُظهرَ إسْلامَه لقوْمِه، فخرَجَ إلى المدينةِ، فقالَتْ أُمُّه لِابْنَيْها أبي جهلٍ، والحارِثِ ابْنَيْ هِشامٍ، وهما أخَواه لأُمِّه: واللهِ لا يُظِلُّني سقْفٌ، ولَا أذُوقُ طعامًا ولا شرابًا حتَّى تأتيانِي بهِ. فخرَجا فِي طلبِهِ، ومعَهُما الحارِثُ بْنُ زيْدٍ، حتَّى أتَوْا عيَّاشًا وهو مُتحَصِّنٌ في أُطُمٍ[٢]، فقالوا له: انْزل فإنَّ أُمَّك لم يُؤوِها سقْفٌ، ولم تذُقْ طعَامًا، ولا شرابًا، ولَك علينَا أن لا نحُولَ بينكَ وبيْنَ دينِكَ، فنَزَل، فأوْثَقُوه، وجلَدَهُ كلُّ واحِدٍ منهم مائةَ جلدةٍ، فقدِمُوا به علَى أُمِّهِ، فقالَت: واللهِ لا أحُلُّك مِن وَثاقِك حتَّى تكفُرَ، فطُرِحَ موثقًا فِي الشَّمس حتَّى أعطَاهم ما أرَادُوا، فقالَ له الحَارِثُ [١٥٩/ب] بْنُ زيْدٍ: يا عيَّاشُ! لئِن كانَ ما كُنْتَ عليه هدًى لقد تركْتَهُ، وإنْ كان ضلالًا لقد ركِبْتَه[٣] فغَضِبَ، وقالَ: واللهِ لا ألْقاكَ خاليًا إلَّا قتلْتُكَ، ثُم أفْلتَ عيَّاشٌ بعد ذلِك وهاجَرَ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ بالمدينةِ[٤]، ثُمَّ أسْلم الحارِثُ بعدَهُ وهاجَرَ، ولم يعْلَمْ عيَّاشٌ، فلَقِيه يوْمًا فقتَلَه، فقِيل[٥] له: إنَّه قد أسْلَم، فجاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فأخبَرَهُ بما كانَ، وقالَ: لم أشْعُرْ بإسْلامِه،

---

(١) في (ج): قبل الهجرة.

(٢) أطم: بضم الهمزة والطاء؛ وهو حصن مبني بالحجارة، كان أهل المدينة يتخذونها ويسكنونها يحتمون بها.

(٣) في (ف): تركته.

(٤) ليست في (ف).

(٥) ليست في (ت).

فنزَلَتْ هـذه الآيـةُ، رواه أبـو صالـح، عـن ابْـنِ عبَّـاس[١]. وهـو قـوْلُ سـعِيدِ بْـنِ جُبـير[٢]، والسُّـدِّيِّ[٣]، والجُمهـور.

والثَّـانِي: أنَّ أبـا الـدَّرداءِ قتَـلَ رجُـلًا قـالَ: لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ فِي بعـض السَّرَايا، ثُـمَّ أتـى النَّبـيَّ ﷺ فذكَـر لـه مـا صَنَـع، فنزَلَـتْ هـذه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ ابْـنِ زيْـدٍ[٤].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: معْنـى الآيـةِ: ومـا كان لِمُؤمـنٍ أن يقْتُـلَ مُؤمنًـا ألْبتَّـةَ. والاِسْـتِثناءُ ليـس مِـنَ الأوَّلِ، وإنَّـما المعنـى: إلَّا أنْ يُخطِـئَ المُؤمِـنُ[٥].

رَوى أبـو عُبيـدةَ، عـن يُونـسَ: أنَّـه سـأَلَ رُؤبـةَ عـن هـذه الآيـةِ، فقـالَ: ليْـس لـه أنْ يقْتُلَـه عمْـدًا ولا خطَـأً، ولكنَّـه أقـامَ «إِلَّا»[٦] مَقـامَ «الـوَاوِ» قـالَ الشَّـاعِرُ[٧] [مـن الوافـر]:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُـهُ أَخُـوهُ ... لَعَمْـرُ أَبِيـكَ إِلَّا الفَرْقَـدَانِ

أرَادَ: والفَرْقَدَانِ.

وقـالَ بعْـضُ أهْـلِ المعـاني: تقديـرُ الآيـةِ: لكـن قـد يقْتُلُـه خطَـأً، وليْـس

(١) انظر: التفسير البسيط (١٧/ ٤٩٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٧٨٢) من طريق عطاء بن دينار، به.

(٣) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢١٠٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٠٨) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٠٩-٣٦٠) من طريق ابن وهب، به.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٠).

(٦) في الأصل، و(ت)، و(ف): الألف.

(٧) البيت نسب لعمرو بن معدي كرب كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (ص: ٢٥)، والجاحظ في البيان والتبيين (ص: ١٢٨)، وهو عند سيبويه في الكتاب (٢/ ٣٣٤)، المؤتلف والمختلف (ص: ٣٥)، ولعمرو أو لحضرمي في خزانة الأدب (٣/ ٣٩٠)، والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان.

ذلِكَ فيما جعَلَ اللهُ لـه؛ لأنَّ الخطَأ لا تَصحُّ فيه الإباحَةُ، ولا النَّهيُ. وقيل: إنَّما وقَعَ الاسْتِثناءُ علَى ما تَضمَّنَتْه الآيةُ مِنِ اسْتحقاقِ الإثْمِ، وإيجابِ القَتْلِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾.

قالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: عِتقُ الرَّقبَةِ واجِبٌ علَى القاتِلِ في مالِهِ.

واختلَفُوا في عِتقِ الغُلامِ الَّذي لا يصحُّ مِنه فعْلُ الصَّلاةِ والصِّيام:

فرُوي عنِ الإمامِ[1] أحمدَ جوازُه[2]، وكذلِك رَوى ابنُ أبي طلْحةَ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ، وهذَا قوْلُ عطاءٍ، ومُجاهدٍ.

ورُوي عن أحمَدَ: لا يُجزئُ إلَّا مَنْ صَام وصلَّى[3]، وهوَ قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ في روايةٍ[4]، والحسَنِ، والشَّعبيِّ، وإبْراهِيمَ، وقتادَةَ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾.

قالَ القاضي أبو يَعْلَى: ليْس في هذه الآيةِ بيانُ مَن تلزمُه هذِه الدِّيةُ، واتَّفقَ الفُقهاءُ علَى أنَّها علَى عاقلَةِ القاتلِ تحملُها عنه علَى طريقِ المُواساةِ، وتلزَمُ العاقلَةُ في ثلاثِ سنينَ، كُلَّ سنةٍ ثلثُها، والعاقِلةُ: العصبَاتُ مِن ذوي الأنْسابِ. ولا يلزَمُ الجانِي منْها شيْءٌ.

وقالَ أبو حنيفَةَ: هوَ كواحِدٍ مِن العاقلَةِ[5].

---

(١) ليست في (ت)، (ج)، و(ف).

(٢) انظر: المغني(٩/ ٥٤٧).

(٣) المغني(١١/ ٢٦٨).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٣١١-٣١٢)، وابن أبي حاتم في التفسير (٥٧٨٧) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٥) انظر: بدائع الصنائع(٧/ ٢٥٥)، المغني(٩/ ٤٩٨).

[١٦٠/أ] وللنَّفس سِتَّةُ أَبْدالٍ:

مِنَ الذَّهب ألفُ دينارٍ، ومِن الوَرِقِ اثنا عشَرَ ألفَ درهمٍ، ومِنَ الإبِلِ مائةٌ، ومِنَ البقرةِ مائتَا بقرةٍ، ومِنَ الغنَمِ ألفَا شاةٍ.

وفي الحُلَلِ رِوايتانِ عن أحمَدَ، إحداهما: أنَّها أصْلٌ، فتكون مائتَا حُلةٍ[١].

فهذه ديةُ الذَّكرِ الحُرِّ المُسلمِ، ودِيةُ الحُرَّةِ المُسلمَةِ على النِّصفِ مِن ذلك.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾.

قالَ سعيدُ بْنُ جُبيرٍ: إلَّا أن يتصدَّقَ أوْلياءُ المقتولِ بالدِّيةِ علَى القاتلِ[٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: وإن كانَ المَقتولُ خطَأً مِن قوْمٍ كُفَّارٍ، ففِيهِ تحريرُ رقبَةٍ مِن غيْرِ دِيةٍ[٣]؛ لأنَّ أهْلَ مِيراثِهِ كُفَّارٌ.

(والثَّانِي: وإنْ كانَ مُقيمًا بيْنَ قوْمِه[٤])[٥]، فقتَلَه مَن لا يَعْلَمُ بإيمانِهِ، فعليهِ تحريرُ رقبَةٍ ولا ديَةَ؛ لأنَّه ضيَّع نفسَهُ بإقامتِهِ معَ الكُفَّارِ، والقوْلانِ مَرويَّانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: الإنصاف (١٠/ ٤٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٥٧٩٤) من طريق عطاء، به.

(٣) في (ج): تحرير رقبة، ولا دية.

(٤) في (ف): قوم كفَّار.

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

وبالأوَّلِ قالَ النَّخَعيُّ، وبالثَّانِي سعِيدُ بْنُ جُبير.

وعلَى الأوَّل تكونُ «مِن» للتَّبْعيض، وعلَى الثَّانِي تكون بمعْنَى فِي.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الرَّجُل مِن أهْلِ الذِّمَّةِ يُقتل خطَأً، فيجِبُ على قاتلِهِ الدِّيةُ، والكفَّارةُ، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، والشَّعبيِّ، وقتادَةَ، والزُّهريِّ.

ولأبي حَنِيفةَ[1]، والشَّافعِيِّ[2]، ولأصْحابِنَا تفْصِيلٌ فِي مِقدارِ ما يجِبُ مِنَ الدِّيةِ[3].

والثَّانِي: أنَّه المُؤمِنُ يُقْتَلُ، وقومُه مُشركونَ، ولهم عقْدٌ، فدِيتُه لِقوْمِه، ومِيراثُه للمُسلمين، هذا قوْلُ النَّخَعيِّ.

---

(١) انظر: الأصل (٤/ ٤٥٩)، والحجة على أهل المدينة (٤/ ٣٢٢ـ ٣٢٣)، والمبسوط (٢٦/ ٨٤ ـ ٨٥).

(٢) انظر: الأم (٧/ ٣٣٩).

(٣) انظر: مسائل الإمام أحمد -رواية أبي الفضل- (٣/ ١٧٢)، والمغني (٨/ ٣٩٨- ٣٩٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

اخْتلَفُوا هل هذا الصِّيامُ بدَلٌ مِنَ الرَّقبَةِ وحدَها إذا عدِمَها، أو بدَلٌ مِنَ الرَّقبةِ والدِّيةِ؟.

فقالَ الجُمهورُ: عنِ الرَّقبَةِ وحدَهَا.

وقالَ مسْرُوقٌ، ومُجاهِدٌ، وابْنُ سيرينَ: عنْهُما.

واتَّفق العُلماءُ على أنَّه إذا تخلَّلَ صوْمَ الشَّهرين إفطارٌ لغيرِ عذْرٍ، فعليهِ الابْتِداءُ. فأمَّا إذا تخلَّلها المرضُ، أوِ الحيْضُ، فعندنا لا ينْقَطِعُ التَّتابعُ. وبهِ قالَ مالِكٌ(١).

وقالَ أبو حَنِيفةَ رضي الله عنه: المرَضُ يقطَعُ، والحيْضُ لا يقطَعُ، وفرَّقَ بيْنَهُما بأنَّه يُمكن فِي العادَةِ صوْمُ شهرينِ بلا مرَضٍ، ولا يُمكن ذلِك فِي الحيْضِ(٢).

وعندنا أنَّها معذُورَةٌ فِي المَوْضِعَيْنِ.

قوْلُه تعالى: ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ قالَ الزَّجَّاج: معناه: فعَلَ اللهُ ذلِك توْبَةً مِنْه(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾؛ أي: لم يزَلْ علِيمًا بما يُصلح خلقَهُ مِنَ التَّكليفِ، (حَكِيمًا) فيما يقْضِي بيْنَهم، ويُدبِّره مِن أُمورِهِم.

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

---

(١) انظر: الفواكه الدواني (٢/ ١٩٩)، وتفسير القرطبي (٥/ ٣٢٨).

(٢) في (ج): ذلك بلا حيض.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾.

سببُ نُزولِها:

أنَّ مِقْيَسَ بْنَ صُبابَةَ(١) وجدَ أخاه هِشامَ بْنَ صُبابَةَ قَتيلًا في بني [١٦٠/ب] النَّجَّارِ، وكان مُسلمًا، فأتى رَسُولَ اللهِ ﷺ فذَكَر ذلِكَ له، فأرْسَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ رسُولًا مِن بني فِهر، فقالَ له(٢): إيتِ بني النَّجَّارِ، فأَقْرِئهم منِّي السَّلامَ، وقُلْ لهم: إنَّ رسُولَ الله يأمرُكم إنْ علِمْتم قاتِلَ هِشَامٍ، فادْفعوه إلى مِقْيَسٍ، وإنْ لم تعْلَمُوا له قاتلًا، فادْفعُوا إليه دِيَتَه، فأَبْلغَهُم الفِهريُّ ذلِك، فقَالُوا: واللهِ ما نعْلَمُ له قاتِلًا، ولكنَّا نُعطِي ديتَه، فأَعْطَوْهُ مِائةً مِنَ الإبِلِ، ثُمَّ انْصرَفا رَاجعِينَ(٣) إلى المدينةِ، فأتَى الشَّيْطانُ مِقيسَ بْنَ صُبابةَ، فقَال: تقبلُ ديةَ أخيك، فيكونُ(٤) عليْكَ سبَّةٌ ما بقِيتَ. اقْتُلِ الَّذي معكَ مكانَ أخِيك، وافْضُل بالدِّيَةِ، فرَمى الفهريُّ بصخرةٍ، فشَدَخَ رأسَهُ، ثُمَّ ركِب بعيرًا منها، وساق بقِيَّتَها راجعًا إلى مكَّةَ، وهوَ يقُولُ [من الطويل]:

قَتَلْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَّلْتُ عَقْلَه   سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ

---

(١) هشام بن صبابة بضمّ المهملة وموحدتين الأولى خفيفة، ابن حزن بن سيار من ليث بن بكر، أسلم وقاتل يوم المريسيع مع المسلمين حتى أمعن، فلقيه رجل من الخزرج، فظنه مشركا فقتله، فقتله أخوه مقيس بعد أخذ ديته، ثم ارتد وأقام بمكة. انظر: الإصابة (٦/ ٤٢٢).

(٢) ليست في (ج).

(٣) زاد في (ج): إلى رسول الله ﷺ.

(٤) في (ت)، و(ف): فتكون.

وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَاضَّطجَعْتُ مُوَسَّدًا وَكُنْتُ إِلَى الأَصْنَامِ أَوَّلَ رَاجِعِ[١]

فنزلَت هذه الآيةُ، ثُم أهْدرَ النَّبيُّ ﷺ دمَه يوْمَ الفتْح، فقُتل، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٢].

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: مُتعمِّدًا لأجلِ أنَّه مُؤمِنٌ، قالَه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّانِي: مُتعمِّدًا لِقتلِه، ذكَرَهُ بعْضُ الْمُفسِّرينَ.

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها[٣] جزاؤُهُ قطعًا.

والثَّانِي: أنَّها جزَاؤُهُ إِنْ جازَاهُ.

واخْتلَفَ العُلماءُ هل للمُؤمِنِ إِذا قتَلَ مُؤمنًا مُتعمِّدًا توْبَةٌ أمْ لَا؟

فذَهَبَ الأكْثرُون إِلَى أنَّ لَه توْبةً، وذَهَبَ ابْنُ عبَّاسٍ[٤] إِلَى أنَّه لا توبَةَ لَه[٥].

❁❁❁

(١) البيتان لِقَيس بن صُبابة حين قَتَل قاتل أخيه في العقد الفريد (٧/ ٢٩٧)، تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٩)، العقل في كلام العرب: الدية. سراة: اسم للجمع، والسّري: الرفيع في كلام العرب من سرا: السّرو: المروءة والشرف. الفارع: يُقال فلان فارع: مرتفع طويل.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٧٧)، وانظر: أسباب النزول(ص: ١٧٠).

(٣) في (ف): أنه.

(٤) البخاري (٤٣١٤).

(٥) في حاشية (ج) بغير خط الناسخ: هذا أحد القولين من ابن عبَّاسٍ، والقول الآخر مثل قول الأكثرين؛ كما في التيسير وغيره. ولي الدين.

فَصْلٌ

اخْتلَفَ العُلماءُ فِي هذه الآيَة هل هي مُحكمَةٌ أمْ(١) مَنسُوخةٌ؟

فقالَ قوْمٌ: هي مُحكَمَةٌ، واحْتجُّوا بأنَّها خبَرٌ، والأخبارُ لا تحتمِلُ النَّسخَ.

ثُمَّ افْترقَ هؤلاءِ فِرْقتَيْنِ:

إِحدُاهما قالتْ: هي علَى ظاهِرِها، وقاتِلُ المُؤمنِ مُخلَّدٌ فِي النَّارِ.

والفِرقةُ الثَّانيةُ قالَتْ: هي عامَّةٌ دخلَها التَّخْصيصِ بدليل أنَّه لو قتلَه كافِرٌ، ثُمَّ أسْلم الكافِرُ، انْهدرتْ عنه العُقوبةُ فِي الدُّنيا والآخرة، فإذا ثَبت كونُها مِنَ العامِّ المُخصَّص، فأيُّ دليلٍ صَلُحَ(٢) للتَّخصيص وجَبَ العمَلُ بهِ. ومِن أسبَاب التَّخْصيصِ أن يكونَ قَتلَه مُستحِلًّا، فيستحِقُّ الخُلودَ لِاسْتحْلَالِه.

وقال قوْمٌ: هي مخْصُوصةٌ فِي حقِّ مَن لم يَتُبْ، واسْتدلُّوا بقوْلِه تعالى فِي «الفرقان»: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية: ٧٠].

وقالَ آخرونَ: هِيَ منْسُوخةٌ بقوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٣) [النساء: ١١٦].

---

(١) في (ج): أو.

(٢) في (ج): أصلح.

(٣) في (ج): واستدلوا بقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء: ٩٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾.

في سبَبِ نزُولِهَا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدهـا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَ سرِيَّةً فيها المِقدادُ بْنُ الأسْودِ، فلمَّا أتَوا القَوْمَ، وجَدُوهُم قدْ تفرَّقُوا، وبقِي رجُلٌ له مالٌ كثِيرٌ لم يَبْرحْ، فقالَ: أشْهد أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، فأهْوَى إلَيهِ[1] المِقدادُ بْنُ الأسودِ فقتَلَه، فلمَّا قدِمُوا علَى النَّبيِّ ﷺ قالوا لَه: يا رسُولَ اللهِ! إنَّ رجلًا شَهِدَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، فقتَلَه المِقدادُ، فقَالَ: يا مِقْدادُ! أَقَتلْتَ[2] رَجُلًا قَالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، فكَيْفَ بِلَا إلَهَ إلَّا اللهُ غَدًا؟!» فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ. رَواه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3]. [١٦١/أ]

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): قتلت.

(٣) رواه البزار في مسنده (٥١٢٧) وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن ابن عباس، ولا نعلم له طريقًا عن ابن عباس إلا هذا الطريق، والطبراني في الكبير (١٢٣٧٩) من طريق جعفر بن سلمة، عن أبي بكر بن علي بن مقدم، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، به.

والثَّـانِي: أنَّ رجُـلًا مِـن بنـي سُـليم مَـرَّ عـلى نفَـرٍ[(١)] مِـن أصْحـابِ رسُـول الله ﷺ ومعـه غنَـمٌ، فسـلَّم عليهـم[(٢)]، فقالـوا: مـا سـلَّم عليكـم إلَّا لِيتعـوَّذَ، فعمـدوا إليـه فقتلـوه وأخـذوا غنمـه، فأتـوا بهـا [إلَى][(٣)] رسُـولِ الله ﷺ، فنزلَتْ هـذه الآيـةُ. رواه عِكرمَـةُ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[(٤)].

والثَّالـث: أنَّ قومًـا مـن أهـل مكَّـة سـمِعُوا بسريَّـةٍ لرسُـولِ الله ﷺ أنَّهـا تريدُهـم فهربـوا، وأقـام رجُـلٌ منهـم كانَ قـد[(٥)] أسْـلَم، يُقـال لـه: مِـرداس، وكان عـلى السريَّـة رجـلٌ، يُقـال لـه: غالـب بـن فُضالـة، فلـمَّا رأى مـرداسُ الخيْـلَ، كـبَّر، ونـزل إليهـم، فسـلَّم عليهـم، فقتلَـه أسـامةُ بْـنُ زيْـدٍ، واسـتاق غنمَـه، ورجعـوا إلى النَّبـيِّ ﷺ فأخـبروه، فوجَـدَ رسُـولُ الله ﷺ مِـن ذلـك وجْـدًا شـديدًا، ونزَلَـتْ هـذه الآيـةُ. رواه أبـو صالـح عـن ابـن عبـاس[(٦)].

وقال السُّدِّيُّ: كان أسامةُ أميرَ السريَّة[(٧)].

(١) في (ف): قوم.

(٢) ليست في (ج).

(٣) من (ج).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٢٩- ٢٧٢- ٣٢٤)، والترمذي (٣٠٣٠) وغيرهما من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، به، بنحوه.

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٥٦) من طريق علي بن أبي طلحة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٣٩) من طريق عطاء بن دينار كلاهما عن ابن عباس بنحوه.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٥٧) من طريق أسباط بن نصر، به.

والرَّابع: أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ أبا حدردٍ الأسْلمِيَّ، وأبا قتادَةَ، ومُحلِّمَ[١] بْنَ جثَّامَةَ فِي سريَّةٍ إِلى إِضَمَ[٢]، فلقوا عامِرَ بْنَ الأَضْبطِ الأَشْجعِيَّ، فحيَّاهُم بتحيَّةِ الإِسْلام، فحَمَل عليه مُحَلِّمُ[٣] [بْنُ جثَّامَةَ][٤]، فقتَلَه، وسلبَهُ بعيرًا وسِقاءً. فلمَّا قدِمُوا على[٥] النَّبيِّ ﷺ، أخْبرُوه، فقَالَ: أَقَتلْتَهُ[٦] بعْدَ مَا قالَ آمَنْتُ؟! ونزَلتْ هذه الآيةُ. رواه ابن أبي حدرد، عن أبيه[٧].

فأمَّا التَّفسير:

فقوْلُه تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سِرتُم وغزَوْتُم.

وقوْلُه تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾.

قرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: ﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾ بالنُّونِ مِنَ التَّبيين للأمْرِ قبْلَ الإِقْدام عليْهِ.

---

(١) في (ف): ومحكم.

(٢) إضم: بالكسر ثم الفتح، وميم؛ واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، من عند المدينة، وهو واد لأشجع وجهينة. انظر: معجم البلدان (١/ ٢١٤).

(٣) في الأصل، و(ف): محكم، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) من (ج).

(٥) في (ج): إلى.

(٦) في (ج): قتلته.

(٧) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٠١٣)، وابن الجارود في المنتقى (٧٧٧) وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، عن أبيه، بنحوه.

وقَـرَأَ حمْـزَةُ والكِسـائِيُّ وخلَـفٌ: «فتَثَبَّتُـوا» بالثَّـاءِ مِـنَ الثَّبـاتِ وتـرْكِ الاسْـتعجَالِ[(١)]. وكذلِـكَ قـرءُوا فِي «الحُجـرات»[(٢)].

قوْلُه تعالَى: ﴿لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾.

قَـرأَ ابْـنُ كثيـرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وأبـو بكـر، وحفْـصٌ، عـن عاصِـمٍ، والكِسَـائِيُّ: «السَّـلام» بالألـف مـع فتـح[(٣)] السِّـين.

قـال الزَّجَّـاجُ: يجـوزُ أن يكـون بمعنـى (التَّسـليم، ويجـوز أن يكـون بمعْنـى)[(٤)] الاسْتِسْـلَامِ[(٥)].

وقَـرَأَ نافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ[(٦)]، وخلَـفٌ، وجبَلَـةُ[(٧)] عـنِ المُفضَّـل عـنْ عاصِـمٍ: «السَّـلَم[(٨)]» بفتـح السِّـين والـلَّام[(٩)] مـن غـير ألِـفٍ وهـوَ مِـنَ الِاسْتِسْـلامِ[(١٠)].

---

(١) في (ج): التعجيل.

(٢) السبعة (ص: ٢٣٦)، ومعاني القراءات (١/ ٣١٥)، والحجة (٣/ ١٧٣-١٧٤)، والمبسوط (ص: ١٨٠).

(٣) ليست في (ت).

(٤) العبارة ساقطة من (ت).

(٥) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ٩٢).

(٦) ليست في (ف).

(٧) جبلة بن مالك بن جبلة بن عبد الرحمن، أبو أحمد الكوفي، من أهل الضبط، قرأ على المفضل بن محمد الضبي، وسمع منه الحروف أيضًا وهو مشهور عنه، روى القراءة عنه أبو زيد عمر بن شبة النمري. غاية (١/ ١٩٠).

(٨) في الأصل: السلام، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) قوله: (بفتح السين واللام) ليس في (ج).

(١٠) السبعة (ص: ٢٣٦)، ومعاني القراءات (١/ ٣١٥)، والحجة (١/ ١٧٥-١٧٦).

وقَـرَأَ أبـانُ بْـنُ يزيـدَ(١)، عـنْ عاصِـمٍ بكـسْرِ السِّـينِ وإِسْـكانِ الـلَّام مِـنْ غـيْرِ ألِـفٍ(٢). [١٦١/ب]

و«السِّلْمُ»: الصُّلْحُ.

وقرأ الجُمهورُ: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ بكسْر المِيم(٣).

وقَـرأَ عَـلِيٌّ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، وعِكرمَـةُ، وأبـو العالِيـةِ، ويحْيَـى بْـنُ يعمُـرَ(٤) وأبـو جعفـر: بفتْـحِ المِيـم مِـنَ الأمـانِ(٥).

قوْله تعَالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

«عَرَضُهـا»: مـا فيهـا مِـن مـالٍ، قـلَّ أو كثُـر. قـالَ المُفـسِّرون: وأريـدَ بـهِ(٦): مَـا غنِمُـوه مِـنَ الرَّجُـلِ الَّـذِي قتَلُـوه.

---

(١) في (ج)، و(ف): زيد.

(٢) وهـي قـراءة شـاذة في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٣٤)، وعـن الحسـن وأبي رجـاء في شـواذ القـراءات (ص: ١٤١)، وعـن الحسـن في البحـر (٣/ ٢٥٩)، والمحـرر (١/ ٩١)، وعـن أبـان في الكامـل (ص: ٥٢٩)، وقـرأ الجحـدري ﴿السِّـلم﴾ بكـسر السـين وسـكون الـلام.

(٣) اسـم فاعـل؛ أي: إنـما فعلـت ذلـك متعـوذًا، وعليـه القـراء العـشرة عـدا أبي جعفـر، انظـر: الإتحـاف(ص: ٢٤٥). وهـذه الفقـرة سـاقطة مـن (ف).

(٤) ليست في (ت).

(٥) في الكامـل (ص: ٥٣٠) الهاشـمي عـن أبي جعفـر، وعـن أبي جعفـر وأبي حمـزة واليـماني في المحـرر (٢/ ١٤)؛ أي: لا نؤمنـك في نفسـك، وعـن عـلي، وابـن عبـاس، وابـن مسـعود في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٣٤).

(٦) في (ج): والمراد به.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه ثوَابُ الجنَّةِ، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّها أبْوابُ الرِّزقِ فِي الدُّنيا، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾.

فيهِ ثلاثَة أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معناه: كذلِك[1] كُنْتم تأمَنُونَ فِي قوْمِكمُ المُؤمنين بِهذه الكلِمَةِ، فلا تُخيفُوا[2] مَن قالَها، رواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: كذلك كنتم تُخْفُون إيمانكُم بمكَّةَ كما كان هذا يُخْفِي إيمانَهُ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: كذلك كُنتم مِن قبْلُ مُشركِينَ، قالَه مَسروقٌ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

فِي الَّذي مَنَّ بِهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: الهِجرةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: إعْلانُ الإيمانِ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: الإسْلامُ، قالَه قتادَةُ، ومسْرُوقٌ.

والرَّابع: التَّوبَةُ على الَّذِي قتَلَ ذلك الرَّجُلَ، قالَه السُّدِّيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تأكِيدٌ للأوَّلِ.

---

(١) في (ج): أن معنى ذلك.

(٢) في (ج): تخافوا.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾.

قـالَ أبـو سُـليمان الدِّمشـقيُّ: نزلَـتْ هـذه الآيـةُ مِـن أجـل قـوْمٍ كانُـوا إذا حـضَرَتْ غـزَاةٌ يَسـتأْذِنُون فِي القُعـود(١).

وقـالَ زيْـدُ بْـنُ ثابـتٍ: إنِّي لَقاعِـدٌ إلى جنْـبِ رسُـولِ الله ﷺ؛ إذْ غشـيَتْهُ السَّـكِينَةُ، ثُـمَّ سرِّي عنـه، فقَـالَ: «اكْتُـبْ: **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِـدُونَ مِـنَ الْمُؤْمِنِيـنَ والمُجاهِـدُونَ...**»... الآيـةَ، فقَـامَ ابْـنُ أمِّ مكْتُـومٍ، فقَـالَ: يَـا رسُـولَ اللهِ! فكيْـفَ بمَـنْ(٢) لا يَسْـتطِيعُ الجِهـادَ؟ فـواللهِ مَـا قـضَى كلامَـه حتَّـى غَشِـيتْ رسُـولَ اللهِ السَّـكِينةُ، ثُـمَّ سرِّي عنْـه، فقَـالَ: اقْـرأْ، فقـرَأْتُ: «لَا يَسْـتوي القاعـدِونَ مِـنَ المُؤمِنـين والمُجاهِـدُون»، فقَـالَ النَّبـيُّ ﷺ: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فألْحَقْتُهـا(٣).

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾يعْنِـي عـنِ الجِهـادِ، والمَعْنـى: أنَّ المُجاهِدِيـن أفْضَـلُ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وأُريدَ(٤) بِهذا الجِهادِ غزْوة(٥) بدرٍ(٦).

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٤).

(٢) في الأصل: من، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) رواه البخاري (٢٨٣٢- ٤٥٩٢)، ومسلم (١٨٩٨).

(٤) في (ف): قال ابن عبَّاس وابن زيد: والمراد.

(٥) في (ت): غزاة.

(٦) رواه البخاري(٣٩٥٤) من طريق مقسم مولى عبد الله بن الحارث، به.

وقالَ مُقاتلٌ(١): غزوة(٢) تبُوكَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثِيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وحمْـزَةُ: «غَـيْرُ» برفْـعِ الـرَّاءِ(٤). وقـرَأ نافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، والكِسَـائِيُّ، وخلَـفٌ، والمُفضَّـلُ: بنَصْبِهـا(٥).

قـالَ أبـو عـلِيٍّ: مَـنْ رفَـعَ الـرَّاءَ(٦) جعَـلَ «غـيْر» صِفَـةً للقاعدِيـنَ، ومَـنْ نصَبَهـا، جعَلَـه اسْـتِثناءً مِـنَ القاعدِيـنَ(٧).

وفي «الضَّررِ»(٨) قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه العجزُ بالزَّمانَةِ والمرضِ، ونحوِهِمَا.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: هُـم قـوْمٌ كانَـتْ تحبِسُـهُم عـنِ الغَـزَاةِ أمْـرَاضٌ وأوْجَـاعٌ(٩).

---

(١) الاسم ليس في (ج).

(٢) في (ت): غزاة.

(٣) تفسير مقاتل(١/ ٤٠١).

(٤) السبعة (ص: ٢٣٧)، ومعاني القراءات (١/ ٣١٦).

(٥) الحجـة (٣/ ١٧٨)، والمبسـوط (ص: ١٨١)، وكذلـك روى شـبل عـن ابـن كثـير بنصبهـا في معـاني القـراءات (١/ ٣١٦)، ولم أقـف عـلى نسـبة المفضـل.

(٦) ليست في (ج).

(٧) الحجة (١/ ١٦٠).

(٨) من قوله: (قرأ ابن كثير)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٩) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ٣٧٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٨٤٧) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، بـه .

[١٦٢/أ] وقالَ ابْنُ جُبيرٍ[(١)]، وابْنُ قُتيبةَ: هُم أُولو الزَّمانةِ[(٢)].

وقالَ الزَّجَّاجُ: الضَّررُ: أن يكونَ ضريرًا أوْ أعْمَى أوْ زَمِنًا[(٣)].

والثَّاني: أنَّه العذرُ، رواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعالَى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾.

فِي هؤلاءِ القاعِدينَ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهمُ القاعدون بالضَّرر، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ.

والثَّانِي: القاعدون مِن غيْرِ ضَرَرٍ، قالَه أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

قالَ ابْنُ جرير: والدَّرجَةُ: الفَضيلَةُ[(٤)].

فأمَّا ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: فهي الجنَّةُ في قوْلِ الجماعَةِ[(٥)].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: القاعدونَ هَاهُنا: غيْرُ أُولي الضَّررِ[(٦)].

وقالَ سعِيد بن جبير: همُ الَّذينَ لا عُذرَ لهم[(٧)].

قوْلُهُ تعالَى: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٧١) من طريق عطاء بن دينار، به.

(٢) غريب القرآن (ص: ١٣٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٣).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٣٧٥).

(٥) في (ج): الجنة.

(٦) رواه الترمذي (٣٠٣٢)، والنسائي في الكبرى (١١٠٥٢) وغيرهم من طريق ابن جريج، عن عبد الكريم، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٨٥٥) من طريق عطاء بن دينار، به.

قوْله تعَالى: ﴿ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ ﴾.

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: دَرجَـاتٍ، [فِي][1] موضـع نصْـبٍ بـدلًا مِـن قوْلِـه تعَـالى: ﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ وهـو مفـسِّرٌ للأجْـرِ[2].

وفِي المُراد بالدَّرجاتِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا درجـاتُ الجنَّـةِ، قـال ابْـنُ مُحيريـز[3]: الدَّرجـاتُ: سـبعونَ درجـةً مـا بـيْنَ كُلِّ درجَتَـيْنِ حُـضْرُ الفـرس[4] الجـواد المُضَمَّـرِ[5] سـبعين سـنَةً، وإلى نحـوِهِ ذهَـبَ مُقاتـلٌ[6].

والثَّانِي: أنَّ معْنى الدَّرجاتِ: الفضَائِلُ، قاله سعيدُ بْنُ جُبيرٍ.

قَـالَ قتـادَةُ: كان يُقـال: الإِسْـلَامُ دَرَجَـةٌ، والهِجـرةُ فِي الإِسْـلامِ[7] درَجَـةٌ، والجِهـادُ فِي الهِجـرَةِ درجَـةٌ، والقَتْـلُ[8] فِي الجِهـادِ درجَـةٌ[9].

وقـالَ ابْـنُ زيْـدٍ: الدَّرجـاتُ: هـي السَّـبعُ الَّتـي ذكرَهَـا اللهُ تعَـالَى فِي «بَـراءة» حِـين قـال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ﴾... إلى قوْلِـه: ﴿وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ بِـهِۦ﴾ [الآيَاتــان: ١٢٠-١٢١][10].

---

(١) من (ف).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٣).

(٣) في (ج): جرير.

(٤) حضر الفرس: ارتفاعه في عدوه، أحضر الفرس يحضر إحضارًا، عدَا عدوًا شديدًا.

(٥) الفرس المضمر: هو الَّذي أعدَّ إعدادًا للسباق والركض.

(٦) تفسير مقاتل(١/ ٤٠١).

(٧) قوله: (في الإسلام) ليس في (ج).

(٨) في الأصل: العمل، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٧٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٧٧) من طريق ابن وهب، به.

فإنْ قِيلَ: ما الحِكمَةُ فِي أنَّ اللهَ تعَالى ذكَرَ فِي أوَّلِ الكلامِ درجَةً، وفِي آخرِهِ درجَاتٍ؟

فعنه جوابَانِ:

أحدُهما: أنَّ الدَّرجَةَ الأُولى تفضيلُ المُجاهدين[1] علَى القاعِدِين مِن أُولِي الضَّررِ منزلَةً، والدَّرجَاتُ: تفْضِيلُ المُجاهدين علَى القاعِدِين مِن غيْرِ أُولِي الضَّررِ منازلُ كثِيرةٌ، وهذا معْنى قوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّ الدَّرجَةَ الأُولى درجَةُ المدْحِ والتَّعظِيمِ، والدَّرجَاتُ: منازِلُ الجنَّةِ، ذكرَهُ القاضِي أبو يعْلَى.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

فِي سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ أُناسًا كانوا بمكَّة قد أقرُّوا[2] بالإسْلامِ، فلمَّا خرجَ النَّبِيُّ ﷺ إلى بدْرٍ لم تدَعْ قُريشٌ أحدًا إلَّا أخرجُوه معَهُم، فقُتلَ أولئك الَّذين أقرُّوا بالإسْلامِ، فنزلَتْ فيهم[3] هذه الآيةُ، رَواه عكرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

---

(١) في (ف): للمجاهدين.

(٢) في (ت): قروا.

(٣) ليست في (ج).

(٤) أخرجه البخاري(٧٠٨٥-٤٥٩٦) بنحوه.

وقــالَ قتــادة: نزَلــتْ فِي أُنــاسٍ تكلَّمُــوا بالإِسْــلامِ، فخرجُــوا مــعَ أبي جهـلٍ، فقُتلُـوا يـوْمَ بـدْرٍ، واعْتـذَرُوا بغـيْرِ عُـذرٍ، فأبـى اللهُ أن يقبَـلَ مِنْهُـم[١].

والثَّـانِي: أنَّ قوْمًـا نافقُـوا يـوْمَ بـدْرٍ، وارْتَابُـوا، وقالـوا: غـرَّ هـؤلاءِ دِينُهُـم وأقامُـوا مـعَ المُشركـين حتَّـى قُتلـوا، فنزَلـتْ فيهِـم[٢] هـذِه الآيـةُ، رَواه أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٣]. [١٦٢/ ب]

والثَّالـث: أنَّهـا نزَلـتْ فِي قـوْمٍ تخلَّفُـوا بعـدَ[٤] النَّبـيِّ ﷺ، ولم يخْرجُـوا معـه، فمَـن مـاتَ مِنهُـم قبْـلَ أنْ يلْحـقَ بالنَّبـيِّ ﷺ، ضرَبَـتِ الملائِكـةُ وجْهَـهُ ودُبـرَهُ، رواه العـوفيُّ عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ[٥].

وفِي «التَّوَفِّي» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه قبْضُ الأرْوَاحِ بالموْتِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّانِي: الحشْرُ إلى النَّارِ، قالَه الحسَنُ.

قـالَ مُقاتِـلٌ: والمُـراد بالملائكـةِ ملَـكُ المـوْتِ وحـدَهُ[٦]. وقـالَ فِي موضـعٍ آخَـرَ: ملَـكُ المـوْتِ وأعْوَانُـه، وهـمْ سِـتَّةٌ: ثلاثَـةٌ يَلـونَ أرْواحَ المُؤمِنـينَ، وثلاثَـةٌ يَلـون أرْواحَ الكُفَّـارِ[٧].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٨٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) ليست في (ج).

(٣) لم أجده.

(٤) في (ج): عن.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٨٣) من طريق عطية، به.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ١٢١).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٦).

قَالَ الزَّجَّاجُ: «ظَالِمِي أنفُسِهِم» نصْبٌ علَى الحَالِ، والمَعْنَى: تَتوفَّاهُم فِي حالِ ظُلمِهِم أنفُسَهُم، والأصْلُ ظالمِينَ؛ لأنَّ النُّون حُذفتِ اسْتخفافًا[(١)].

فأمَّا ظُلمُهُم لِأنفُسِهِم، فيُحتمل علَى ما[(٢)] ذُكر فِي قِصَّتِهِم أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه ترْكُ الهِجرةِ.

والثَّانِي: رُجُوعُهم إلى الكُفرِ.

والثَّالث: الشَّكُّ بعْدَ اليقِينِ.

والرَّابع: إعانةُ المُشركينَ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هوَ سُؤالُ توْبِيخٍ، والمَعْنَى: كُنتم فِي المُشركينَ أوْ فِي المُسلمين[(٣)].

قوْلُه تعَالَى: ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قَالَ مُقاتِلٌ: كُنَّا مُقهورِين فِي أرْضِ مكَّةَ، لا نستطيعُ أنْ نُظهرَ[(٤)] الإِيمانَ، قالتِ الملائكةُ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ يعْنِي المدِينَةَ ﴿فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ يعْنِي: إليها. وقوْلُ الملائكةِ لهُم يدُلُّ علَى أنَّهُم كانوا يَستطِيعُون الهِجرةَ[(٥)].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٤).

(٢) ليست في (ت).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٥).

(٤) في (ج): نذكر.

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٤٠١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩].

قَوْلُه تعالَى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾.

سبَبُ نُزولِها:

أنَّ المُسلمينَ قالُوا في حَقِّ المُستضعفِينَ مِنَ المُسلمينَ بمكَّةَ: هؤلاءِ بمنزلَةِ(١) الَّذين قُتلوا ببدْرٍ، فنزَلَتْ هذه الآيَةُ. قالَه مُجاهدٌ(٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ نصبٌ علَى الاسْتِثناءِ مِن [قوْلِه تعالَى] (٣): ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾(٤).

قالَ أبو سُليمانَ: «المُستضعفون»: ذُوو الأَسْنانِ، والنِّساءُ، والصِّبْيانُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾؛ أي: لا يقْدرونَ علَى حِيلةٍ فِي الخُروجِ مِن مكَّةَ، ولا علَى نفقةٍ، ولا قوَّةٍ.

وفي قوْلِه تعالى: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم لا يعرفُونَ الطَّريقَ إلى المدينَةِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وعكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ١٧١) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٨٦٧) عن ابن أبي نجيح، به.

(٣) في الأصل: قولهم، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٥).

والثَّانِي: أنَّهم لا يعْرِفُون طريقًا يتوجَّهُون إليه، فإنْ خَرَجُوا هلكُوا، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفِي ﴿عَسَى﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى الإيجابِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّانِي: أنَّها بمعْنَى[1] التَّرجِّي، فالمعْنَى: أنَّهم يرْجُونَ العفوَ[2]، قالَه الزَّجَّاجُ[3].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٠﴾ [النساء: ١٠٠].

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾.

قالَ سعِيدُ بنُ جُبيرٍ[4]، ومُجاهِدٌ[5]: مُتزحزَحًا عمَّا يكره.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: المُراغمُ والمهاجَرُ: واحِدٌ، يُقال: راغمْتُ وهاجرْتُ، وأصْلُه: أنَّ الرَّجُلَ كانَ إذا أسْلَم، خرَجَ[6] عنْ قوْمِه، مُراغمًا [لهُم][7]؛

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٥).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في التفسير (٥٨٧٩) من طريق ابن أبي نجيح، به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٥٠) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦) في (ف): يخرج.

(٧) من (ف).

أي: مغاضبًا لهُم[١]، ومهاجِرًا؛ أي: مقاطِعًا مِنَ الهُجرانِ، فقِيل للمذْهب: مُراغمٌ، وللمصِيرِ إلَى النَّبيِّ ﷺ هِجرَةٌ؛ لأنَّها كانَتْ بهجرَةِ[٢] الرَّجُلِ [١٦٣/أ] قوْمَه[٣].

وفِي «السَّعةِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها السَّعةُ فِي الرِّزق، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والجُمهورُ.

والثَّانِي: التمكُّنُ مِن إظْهارِ الدِّينِ، قالَه قتادَةُ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ اتَّفقوا علَى أنَّه نزَلَ فِي رَجُلٍ خرَجَ مُهاجِرًا، فماتَ فِي الطَّريقِ.

واخْتلفُوا فيهِ على سِتَّةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ضَمْرَةُ بْنُ الْعِيصِ، وكانَ ضريرًا موسِرًا، فقالَ: احْمِلُونِي فحُمل، وهو مريضٌ، فماتَ عند التَّنْعِيم، فنزَلَ فيهِ هذا الكلامُ، رواه سالمٌ عنْ سعيدِ بْنِ جُبيرٍ[٤].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في الأصل، و(ج): هجرة، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) غريب القرآن(ص: ١٣٤).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٩٨)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٨٩٠) من طريق سالم بن عجلان الأفطس، به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٥١) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد.

والثَّـانِي: أنَّـه أبـو العِيـصِ ضَمْـرَةُ بْـنُ زِنْبَـاعِ الخُزَاعِـيُّ[١]، أمـرَ أهلَـه أن يحمِلُـوه عـلى سَريـرِهِ، فلـمَّا بلَـغَ التَّنعِيـمَ، مـاتَ، فنـزَلَ فِيـهِ هـذَا[٢]، رَواه أبـو بِـشرٍ، عـنْ سـعيدِ بْـنِ جُبـيرٍ[٣].

والثَّالـث: أنَّـه ابْـنُ ضَمْـرَةَ الجُنْدَعِـيُّ، مَـرِضَ فقـالَ لِبنِيـهِ: أخْرِجُـونِي مِـن مكَّـةَ، فقَـدْ قتَلَنِـي غمُّهـا، فقَالُـوا: أيْـنَ؟ فأَوْمَـأَ بيدِهِ نحـوَ المدينَـةِ، يُريـد الهِجرةَ، فخَرجُـوا بـهِ، فـماتَ فِي الطَّريـقِ، فنـزَلَ فيـهِ هذا، ذكـرَهُ ابْـنُ إسْـحَاقَ[٤].

وقالَ مُقاتلٌ: هو جُندب بْنُ ضَمْرَةَ[٥].

والرَّابـع: أنَّ اسْـمَهُ سَـبْرَةُ[٦]، فلـمَّا نـزل قوْلُـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النسـاء: ٩٧]... إلى قولـه: ﴿مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ قـالَ لأهْلِـه وهـو مريـضٌ: احْمِلـوني، فـإنِّي مـوسِرٌ، ولي مِـنَ المَـالِ مـا يُبلغنـي إلى[٧] المدينـة، فلـمَّا جـاوزَ الحـرَمَ، مـاتَ فنـزَلَ فيـهِ هـذا[٨]، قالَـه قتـادَةُ.

---

(١) قـال أبـو عمـر: والصَّحِيـح أنـه ضَمـرَة لا أبُـو ضَمـرَة، انظـر: الاسـتيعاب في معرفـة الأصحـاب (٢/ ٧٥٠).

(٢) في الأصل: فنزلت فيه هذا، وفي (ج): هذه الآية، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) رواه البَـلَاذُري في أنسـاب الأشراف (١/ ٢٦٥)، ورواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ٣٩٣)، ورواه أبـو نعيـم في معرفـة الصحابـة (٣/ ١٥٤٧)، والبيهقـي في الكـبرى (١٧٧٦١) بنحـوه.

(٤) رواه أبـو نعيـم في معرفـة الصحابـة (٢/ ٥٨٦) عـن محمـد بـن اسـحاق، عـن يزيـد بـن عبـد الله بـن قسـيط أن جنـدب بـن ضمـرة الجندعي..الحديـث.

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٤٠٢)، ولكن قال: جُنْدُب بن حمزة بدلًا من ضمرة.

(٦) في الأصل، و(ت): سيرة.

(٧) في (ت): من.

(٨) في (ج): فنزلت فيه هذه الآية.

والخامس: أَنَّه رجُلٌ مِن بني كنانَةَ هاجَرَ فماتَ فِي الطَّرِيقِ، فسخِرَ منه قومُه، فقالُوا: لا هو بلغَ ما يُريد، ولا أَقامَ فِي أَهْلِه حتَّى[١] يُدفنَ، فنزَلَ فيهِ هذَا، قالَه ابنُ زيْدٍ.

والسَّادِس: أَنَّه خالدُ بْنُ حِزام أخُو حكيمِ بْنِ حِزامٍ، خرَج مُهاجرًا، فماتَ فِي الطَّريق، ذكرَهُ الزُّبير بْنُ بكَّار[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَعَ﴾ معْنَاه: وَجَبَ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: ١٠١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

رَوى مُجاهد عن أبي عيَّاش الزَّرقي قالَ: كنَّا مع رسول الله ﷺ بعُسفانَ، وعلى المشركين خالدُ بْنُ الوليد، فصلَّيْنَا الظُّهرَ، فقالَ المشركون: لقد أصبْنَا غِرَّةً، لو كنَّا حملنا عليهم وهم فِي الصَّلاة، فنزلت آيةُ القصْرِ فيما بيْنَ الظُّهر والعصْرِ[٣].

و«الضَّرب فِي الأرْضِ: السَّفر، و«الجُناح»: الإِثْمُ، و«القصر»: النَّقصُ، و«الفتنةُ»: القتْلُ.

وفِي «القصر» قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه القصرُ مِن عددِ الرَّكعات.

والثَّانِي: أَنَّه القصرُ مِن حُدودِها.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها (ص: ٣٩٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٨٩٦) من طريق منصور، به.

وظاهر الآيةِ يدُلُّ على أنَّ القصْرَ لا يجوز إلَّا عنْدَ الخوْفِ، وليس الأمْرُ كذلك، وإنَّما نزلتِ الآيةُ على غالبِ أسْفار رسُولِ الله ﷺ، وأكثرُها لم يخلُ عن خوْفِ العدوِّ.

وقيل: إنَّ قوْلَه: ﴿أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ كلامٌ تامٌّ. وقوْلَه تعالى: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ كلامٌ مُبتدأ، ومعناه: وإنْ خِفتم.

[١٦٣/ب] **واخْتلَفَ العُلماء هل صلاة المُسافر ركعتَيْنِ مقْصُورة أمْ لا؟**

فقالَ قوْمٌ: ليست مقصورةً، وإنَّما فَرْضُ المُسافرِ ذلك، وهو قوْلُ ابْنِ عُمرَ، وجابِرِ بْنِ عبدِ الله، وسعيدِ بْنِ جُبير، والسُّدِّيِّ، وأبي حنيفةَ[1].

فعلى هذا القولِ قصْرُ الصَّلاةِ أن تكونَ ركعةً، ولا يجوز ذلك إلَّا بوجود السَّفر والخوْفِ؛ لأنَّ عند هؤلاء أنَّ الرَّكعتيْنِ في السَّفر إذا لم يكن فيه خوْفٌ تمامٌ غيْرُ قصْرٍ.

واحْتجُّوا بما رَوى ابْنُ عبَّاسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّى بذي قَرد، فصفَّ النَّاسَ خلْفَه صفَّيْنِ، صفًّا خلْفَهُ، وصفًّا مُوازي العدوِّ، فصلَّى بالَّذين خلْفَه ركعةً، ثُمَّ انْصرَفَ هؤلاء، إلى مكان هؤلاء، وجاءَ أولئك فصلَّى بهم ركعَةً، ولم يقضوا[2].

وعنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: فرَضَ اللهُ الصَّلاةَ على لِسان نبيِّكم في

---

(١) بدائع الصنائع (١/ ٩٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٣٢- ٥/ ١٨٣- ٥/ ٣٨٥)، والنسائي (١٥٣٣)، وفي الكبرى (٥٢٠- ١٩٣٤)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٧١) وغيرهم من طرق عن سفيان الثوري، عن أبي بكر بن أبي الجهم العدوي، عن عبيد الله بن عبد الله، به، بنحوه.

الحضَرِ أرْبعًا، وفي السَّفر ركعتَيْنِ، وفي الخوْفِ ركعَةً[١].

والثَّانِي: أنَّها مقصورةٌ، وليست بأصْلٍ، وهو قوْلُ مجاهدٍ، وطَاوسٍ، وأحمَدَ[٢]، والشَّافِعيِّ[٣].

قال يعلى بْنُ أُميَّة: قلتُ لِعمرَ بْنِ الخطَّابِ: عجِبْتُ مِن قصر النَّاسِ اليوْمَ، وقد أَمِنُوا، وإنَّما قال الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ فقالَ عُمرُ: عجِبتُ ممَّا عجِبتَ منه، فذكرْتُ ذلك لِرسُول الله ﷺ، فقال: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»[٤].

فَصْلٌ

وإنَّما يجوزُ للمُسافر القصرُ إذا كانَ سفرُهُ مُباحًا، وبِهذا قالَ مالكٌ[٥]، والشَّافعِيُّ[٦]، وقالَ أبو حنيفةَ: يجوزُ له القصْرُ في سفَرِ المعصيَةِ[٧].

فأمَّا مُدَّةُ الإقامة الَّتي إذا نوَاها أتَمَّ الصَّلاةَ، وإنْ نوى أقلَّ منها، قصَر:

فقالَ أصحابُنا: إقامةُ اثنين وعشرين صلاةً[٨].

(١) رواه مسلم (٦٨٧).

(٢) المغني (٢/ ١٠٨).

(٣) الأم (١/ ١٧٩).

(٤) رواه ومسلم (٦٨٦).

(٥) التبصرة (٢/ ٤٦١).

(٦) الحاوي (١/ ٢٦٧).

(٧) بدائع الصنائع (٢/ ٩٤).

(٨) المذهب إذا نوى الإقامة في بلد أكثر من إحدى وعشرين صلاة أتم، وإلا قصر، وهذا إحدى الروايات عن أحمد اختارها الخرقي وأبو بكر، قال ابن قدامة في الكافي (١/ ٣١٠): هي المذهب. وقال في المغني (٢/ ٢١٥): هذا المشهور عن أحمد. وانظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/ ٣٢٩).

وقالَ أبو حنيفة: خمسةَ عشَرَ يوْمًا[١].

وقالَ مالِكٌ[٢]، والشّافعِيُّ[٣]: أربعة أيّام.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢﴾ [النساء: ١٠٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

سببُ نُزولِها:

أنَّ المُشركين لما رأوُا النَّبيَّ ﷺ، وأصْحابَهُ قد صلُّوا الظُّهرَ، نَدِمُوا إذْ لم يكبُّوا عليهم، فقالَ بعضُهم لبعضٍ[٤]: دَعُوهم فإنَّ لهم صلاةً هي أحَبُّ إليهم مِن آبائِهم وأبْنائِهم، يعنونَ العصْرَ، فإذا قاموا فشدُّوا عليهم، فلمَّا قامُوا إلى صلاةِ العصر، نزَلَ جِبريلُ بِهذه الآيةِ. رواه أبو صالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

---

(١) بدائع الصنائع (١/ ٩٧).

(٢) المدونة (١/ ٢٠٧).

(٣) الحاوي (٢/ ٣٧١).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٣٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٠) من طريق عكرمة، به، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وانظر: أسباب النزول(ص: ١٨٠).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ خِطـابٌ للنَّبِـيِّ ﷺ، ولا يـدُلُّ عـلَى أنَّ الحُكـمَ مقْصورٌ عليـه، فهو كقَوْلِـه تعـالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقـال أبـو يوسـفَ: لا تجـوزُ صـلاةُ الخـوفِ بعـدَ النَّبِـيِّ ﷺ، والهـاءُ والمِيمُ مِـن[1] «فيهـم» تعـودُ عـلى الضَّاربـين فِي الأرْضِ[2].

قوْلُـه تعـالى: ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: ابْتدأْتَهـا، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾؛ أي: لتقـف، ومثْلُـه: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ [البقـرة: ٢٠].

﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ فيهم قولان:

أحدُهما: أنَّهمُ الباقون[3]، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّـانِي: أنَّهـمُ المصلُّـون معَـهُ، ذكـرَهُ ابْـنُ جريـرٍ، قـالَ: وهـذَا السِّـلاحُ [١٦٤/أ] كالسَّـيفِ، يتقلَّـده الإنْسـانُ، والخِنجـر يشـدُّه إلى ذِراعِـه[4].

قوْله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ يعْنِي المُصلِّين معَهُ.

﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ فِي المُشار إليهم قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـمُ الطَّائفـةُ الَّتـي لم تصـلِّ، أُمـرتْ أن تحـرِسَ الطَّائفـةَ[5] المصلِّيـةَ، وهـذا معْنـى قـوْلِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّانِي: أنَّهمُ المُصلُّون معه، أُمروا إذا سجَدُوا أن ينْصَرِفُوا إلى الحَرَس.

واخْتلف العُلماءُ كيف ينْصرِفُون بعد السُّجودِ؟

---

(١) ليست في (ف).

(٢) المبسوط (٢/ ٤٥)، بدائع الصنائع (١/ ٢٤٢).

(٣) في (ج): المنافقون. تصحيفًا.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٤٢٤).

(٥) ليست في (ج).

فقالَ قومٌ: إذا أتمُّوا معَ الإمام ركعةً أتمُّوا لأنْفُسِهم ركعةً، ثم سلَّموا وانْصرفُوا، وقد تمتْ صلاتُهُم.

وقالَ آخرون: ينصرفُون عن ركعةٍ، واختلف هؤلاء، فقالَ بعضُهم: إذا صلُّوا مع الإمام ركعةً وسلَّموا، فهي تُجزئهُم.

وقالَ آخرون منهم أبو حنيفةَ: بل ينْصَرِفُون عن تلك الرَّكعةِ إلى الحَرَس وهم على صلاتِهم، فيكونونَ فِي وجهِ العدوِّ مكانَ الطَّائفةِ التي لم تُصلِّ، وتأتِي تلك الطَّائفةُ[1].

واخْتلفوا فِي الطَّائفةِ الأُخرى:

فقالَ قومٌ: إذا صلَّى بِهِمُ الإمامُ أطالَ التَّشهدَ حتَّى يقضوا[2] الرَّكعةَ الفائِتةَ، ثم يسلِّم بِهم.

وقال آخرونَ: بل يُسلِّم هوَ عند فراغِه مِنَ الصَّلاةِ بِهم، فإذا سلَّم قضَوْا ما فاتَهم.

وقال آخرون: بلَ يُصلِّي بالطَّائفةِ الثَّانيةِ ركعَةً ويُسلِّم هوَ، ولا تُسلِّم هي، بل ترجِعُ إلى وجهِ العدوِّ، ثُمَّ تجيءُ الأُولى، فتقْضِي ما بقِي مِن صلاتِهَا وتُسلِّم، وتمضي وتجيء الأُخرى، فتُتمُّ صلاتَها، وهذا مذهبُ أبي حنيفة[3].

---

(١) انظر: المبسوط (٢/ ٤٧).

(٢) في (ج)، و(ف): يقضون.

(٣) انظر: المصدر السابق.

قوْله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

(قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد الَّذِين صلُّوا أوَّلًا)(١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يُريدَ به الَّذين(٢) وُجاهَ العدوِّ؛ لأنَّ المصلِّي غيرُ مقاتِلٍ، ويجوز أن يكونَ(٣) الجماعة أُمروا بحمل السِّلاحِ؛ لأنَّه أرْهبُ للعدوِّ، وأحْرى أن لا يقدموا عليهم(٤).

و«الجناح»: الإثْمُ، وهو من: جنحت: إذا عدلت عنِ المكانِ، وأخذتُ جانبًا عنِ القصْدِ. والمعنى: أنَّكم إذا وضعتُم أسلِحتكُم، لم تعدلوا عنِ الحقِّ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: رخَّص لهم في وضعِ(٥) الأسلِحة لِثقلِها على المريض وفي المطر، وقال: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ كي لا يتغفَّلُوكم(٦).

قوْلُهُ تعالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣].

---

(١) ليست في (ت).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ف): تكون.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٧).

(٥) في (ج): موضع.

(٦) رواه البخاري (٤٥٩٩) من طريق سعيد بن جبير بلفظ: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَانَ جَرِيحًا»، وكذلك رواه النسائي في الكبرى (١١٠٥٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٦٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني: صلاةَ الخوف، و﴿قَضَيْتُمُ﴾ بمعنى: فرغتم.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾.

فِي هذا الذِّكرِ قوْلَانِ:

أحدُهما: [أنَّه][1] الذِّكرُ للهِ فِي غير[2] الصَّلاةِ، وهذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، والجُمهور، قالوا: وهو التَّسبيحُ، والتَّكبِيرُ، والدُّعاءُ، والشُّكرُ.

والثَّانِي: أنَّه الصَّلاةُ، فيكون المعنى: فصلُّوا قيامًا، فإن لم تستطيعوا فقعودًا، فإنْ لم تطيقوا[3] فعلى جنوبِكُم، هذا قوْلُ ابْنِ مسْعُودٍ[4].

[١٦٤/ب] وفِي المُراد بـ«الطُّمأنينة» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الرُّجوعُ إلى الوطن عنِ السَّفرِ، وهوَ قوْلُ الحسَنِ، ومُجاهدٍ وقتادَةَ.

والثَّانِي: أنَّه الأمنُ بعْدَ الخوْفِ، وهوَ قوْلُ السُّدِّيِّ، والزَّجَّاجِ، وأبي سُليمان الدِّمشقيِّ.

وفِي «إقامة الصَّلاةِ» قوْلَانِ:

أحدهما: إتمامُها، قالَه مُجاهدٌ وقتادَةُ والزَّجَّاجُ وابْنُ قُتيبةَ[5].

والثَّانِي: أنَّه إقامةُ رُكوعِها وسجودِها، وما يجِبُ فيها مِمَّا قد يُتْرَكُ[6] فِي حالةِ الخوْفِ، هذا قوْلُ السُّدِّيِّ.

---

(١) من (ت)، وبقية النسخ.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): تستطيعوا.

(٤) في (ت): ابن عبَّاس.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٩٩)، وغريب القرآن (ص: ٣١)، ولكن قال: إدامتها لأوقاتها.

(٦) في (ج): ترك.

قوْلُه تعالى: ﴿كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾؛ أي: فرْضًا.

وفي «الموقوتِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعنى المفروضِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّانِي: أنَّه[1] الموقتُ في أوقاتٍ معلومةٍ، وهوَ قوْلُ ابْنِ مسْعُودٍ، وقتادةَ، وزيْدِ بْنِ أسْلَم، وابْنِ قُتيبةَ[2].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤﴾ [النساء: ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾.

قالَ أهْلُ التَّفْسيرِ: سببُ نُزولِها:

أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمَرَ أصحابَهُ لَمَّا انْصَرَفُوا مِن أُحدٍ أن يسيروا في أثرِ أبي سُفيانَ وأصحابِهِ، فشكَوْا ما بِهِم مِنَ الجراحاتِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[3].

قال الزَّجَّاجُ: ومعنى «تَهِنُوا»: تضعفُوا، يُقال: وَهَنَ يهِنُ: إذا ضَعُفَ، وكلُّ ضَعْفٍ فهو وَهْنٌ[4][5].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) غريب القرآن (ص:١٣٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٤٠٤)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة والسدي وابن زيد (٧/ ٤٥٣- ٤٥٤).

(٤) في الأصل: وكل وهن فهو ضعف، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٠).

و«ابْتَغى القوْمَ»: طلَبَهم بالحرْبِ. و«القوم» هاهُنا: الكُفَّار.

قوْلُه[١]: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾؛ أي: تُوجَعون، فإنَّهم يجِدُون مِنَ الوجع بما ينالهم مِنَ الجِراحِ والتَّعب، كما تجِدُون، وأنتُم مع ذلك ترْجُون ما لا يرْجُون.

وفي هذا الرَّجاء قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الأمَلُ، قالَه مُقاتِلٌ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وهو إجماع أهل اللغة الموثوق بعلْمِهم[٢].

والثَّاني: أنَّه الخوْفُ، رَواه أبو صالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ الفرَّاءُ: ولم نجِدِ[٣] الخوفَ بمعْنَى الرَّجاءِ إلَّا ومعه جحْدٌ، [فإذا كان كذلك كان الخوْفُ علَى جِهة الرَّجاءِ والخوف، وكانَ الرَّجاءُ كذلك][٤]؛ كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، وقوله: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] قال الشَّاعر[٥] [من الرجز]:

لَا تَرْتَجِي حِينَ تُلَاقِي الذَّائِدَا ... أَسَبْعَةً لَاقَتْ مَعًا أَمْ وَاحِدَا

---

(١) ليست في (ت)، و(ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٠).

(٣) في (ج): يوجد.

(٤) من المطبوع.

(٥) الرجز لأبي محمد الفقعسي في التنبيه والإيضاح (٢/ ٣٨)؛ وهو أيضًا في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٢٨٩)، والأضداد (ص: ١١)، والتبيان (٣/ ٣١٥).

وقال الهُذليُّ(١) [من الطويل]:

إِذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها(٢) ....

ولا يجوز رَجَوْتُكَ وأنت تريد خِفْتُكَ، ولا خِفْتُكَ وأنت تريد رَجَوْتُكَ(٣).

قالَ الزَّجاج: وإِنَّما اشتمل الرجاء على معنى الخوف؛ لأَنَّه أمل قد يخاف أن لا يُتمَّ(٤).

فعلى القول(٥) الأوَّل يكون المعنى: ترجون النصرَ وإِظهارَ دينِكُم [والجنة](٦). وعلى الثَّاني: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥].

---

(١) البيت لأبي ذُؤيب في مجاز القرآن (١/ ٢٧٥)، وكتاب فيه لغات القرآن (ص: ١٠٨)، وإصلاح المنطق (ص: ١٢٦)، وتفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ١٢١-٢٣/ ٢٩٧).

(٢) وعجزه: (وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوْبٍ عَوامِلِ)، و(عوامل) رواية معاني القرآن؛ للفراء، ويروى أيضًا: (عواسل)، والعواسل: النحل التي تصنع العسل، أو ذوات العسل، والنوب من النحل: ذباب العسل سُمِّيت نوبًا؛ لأنها تضرب إلى السواد. وقيل: لأنها ترعى ثم تنوب، تشبيهًا بنوبة الناس والرجوع المرة بعد المرة. انظر: التاج (ن و ب).

(٣) نسبه الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٤٤) لأبي ذؤيب، وانظر: لسان العرب (١٤/ ٣٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ١٠٠).

(٥) ليست في (ج)، و(ف).

(٦) من (ت)، و(ج).

قَوْلُه تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾.

فِي سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ طُعمةَ بْنَ أُبَيْرِق سرَقَ دِرعًا لِقتادةَ بنِ النُّعْمانِ، وكانَ الدِّرعُ فِي جِرَابٍ فيهِ دقيقٌ، فجعَلَ الدَّقِيقُ ينتَثِرُ من خَرْقٍ [فِي][1] الجِرَابِ، حتَّى انْتَهى إِلى الدَّار، ثُمَّ خبَّأَهَا عند رجُلٍ مِنَ اليهُودِ، فالْتَمسْتُ الدِّرعَ عنْد طُعمَةَ، فلم تُوجدْ[2] عندَهُ، وحلَفَ: مَا لِي بِهَا علْمٌ، فقَالَ أصْحَابُها: بلَى واللهِ! لقَدْ دخَلَ علينَا فأخذَهَا، وطلبْنَا أثرَهُ حتَّى دخَلَ دارَهُ، فرَأَيْنَا أثَرَ الدَّقيق، فلَمَّا حلَف ترَكُوه، واتَّبعوا أثَرَ الدَّقيق حتَّى انْتهوا إلى منْزل اليَهُوديِّ فأخَذُوهُ، فقال: دفعَها إِلَيَّ طُعمةُ[3]، فقَالَ قومُ طُعمةَ: انْطَلِقُوا إلى رسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِنجادلَ عن صَاحبِنَا فإنَّه بريءٌ، فأتَوْه فكلَّموه فِي ذلك، فهَمَّ أن يفعلَ، وأن يُعاقِبَ[4] اليهوديَّ، فنزلَتْ هذه الآياتُ كلُّها. رواه أبو صالح عن ابن عباس[5]. [١٦٥/أ]

والثَّانِي: أنَّ رجلًا مِنَ اليهود، اسْتَوْدَعَ طُعمةَ بْنَ أُبيرق دِرْعًا[6]، فخانَهَا، فلَمَّا خافَ اطِّلاعَهم عليْها، ألْقاها فِي دَارِ أبي مُلَيْلٍ[7] الأنْصاريِّ،

---

(١) من (ت)، و(ف).

(٢) من قوله: (عند رجل من اليهود)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٣) في (ج)، و(ف): دفعتها إلى طعمة.

(٤) في (ف): ويعاقب.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٦٣) من طريق العوفي.

(٦) ليست في (ج).

(٧) في (ف): مليك.

فجادَلَ قومُ طُعْمةَ عنهُ، وأتَوْا إلى[1] النَّبِيِّ ﷺ، فسألُوه أنْ يُبرِّئَهُ، ويكذِّبَ اليهوديَّ، فنزلَتِ الآياتُ. هذا قولُ السُّدِّيِّ[2]، ومُقاتلٍ[3].

والثَّالث: أنَّ مَشْرُبةَ رفاعةَ بْنِ زيدٍ نُقبت، وأُخذ طعامُه وسلاحُه، فاتَّهمَ به بنو أُبيرق، وكانوا ثلاثةً: بشير، ومبشِّر، وبشر، فذهب قتادةُ بْنُ النُّعمانِ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسُولَ الله! إنَّ أهْلَ بيْتٍ مِنَّا فيهم جَفاءٌ نَقَّبُوا مَشْرُبةً لِعمِّي رفاعةَ بْنِ زيْدٍ، وأخَذُوا سِلاحَه، وطعامَه، فقال: أنظرُ في ذلك، فذهب قوْمٌ مِن قوْمِ بني أُبيرق إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالوا: إنَّ قتادةَ بْنَ النُّعمان، وعمَّه [رِفاعةَ][4] عمَدُوا إلى أهل بيْتٍ مِنَّا فرَمَوْهُم[5] بالسَّرقة وهم أهْلُ[6] بيتِ إسْلامٍ وصَلاحٍ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لِقتادَة: رمَيْتَهُم بالسَّرقةِ على غير بيِّنةٍ! فنزَلَتْ هذهِ الآياتُ. قالَه قتادةُ بْنُ النُّعمانِ[7].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٦٦) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٤٠٤).

(٤) من (ف)

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ف): يرمونهم.

(٦) ليست في (ج).

(٧) رواه الترمذي في جامعه (٣٠٣٦)، والطبري في تفسيره (٧/ ٤٥٨)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٣٣)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٩ برقم: ١٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٦) من طرق عن محمد بن سلمة الحراني، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن ابيه، عن جده قتادة، به، بنحوه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة، وروى يونس بن بكير، وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلُ، لم يذكروا فيه: عن أبيه، عن جده. أهـ

و«الكِتابُ»: القُرآنُ. و«الحَقُّ»: الحُكمُ بالعدْلِ.

﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: لتقضيَ[١] بيْنَهُم.

وفي قوْلِه تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّه الَّذي علَّمه، والَّذي علَّمه أن لا يقبلَ دعوى أحدٍ على أحدٍ إلَّا ببُرهانٍ.

والثَّاني: أنَّه ما يؤدي إليه اجتهادُه، ذكرَهُ الماورديُّ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: لا تكن مخاصمًا، ولا دافعًا عن[٣] خائن[٤].

واخْتلفوا هل خاصم عنه أم لا؟

على قولين[٥]:

أحدهما: أنَّه قام خطيبًا فعذَّره. رواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه همَّ بذلك، ولم يفعلْه، قالَه سعيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ.

قالَ القاضي أبو يعلى: (وهذه الآيةُ)[٦] تدُلُّ على أنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يُخاصِمَ عن غيره في إثْباتِ حقٍّ أو نفْيِهِ، وهو غير عالم بحقيقة أمره؛ لأنَّ الله تعالى عاتَبَ نبيَّهُ على مثل ذلك.

---

(١) في (ج): تقضي.

(٢) النكت والعيون (١/ ٥٢٨).

(٣) في (ج): من.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠١).

(٥) في (ج): فيه قولان.

(٦) ليست في (ج).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء: ١٠٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾.

فِي الَّذي أُمر(١) بالاسْتِغْفَارِ مِنه قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه(٢) القِيامُ بعذرٍ(٣).

والثَّانِي: أنَّه العزْمُ على ذلِك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٧، ١٠٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: يخُونون أنفسَهُم، فيجعلونَها خائنةً بارْتِكاب الخِيانةِ.

قالَ عِكرِمَةُ: والمُراد بِهم: طُعمة بن أُبيرق، وقومُه الَّذين جادلُوا عنْهُ(٤).

وفِي حديث العوفيِّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: انطلَقَ نفرٌ من عشيرةِ طُعمةَ ليْلًا إلى رسول الله ﷺ، فقالُوا: إنَّ صاحبَنا بريءٌ(٥). [١٦٥/ب]

و«الاستخفاء»: الاستتار، والمعنى: يستترون من الناس لئلَّا يطَّلعوا(٦) على خيانتِهم وكذِبِهم، ولا يستترون من الله، وهو معهم بالعلم. وكلُّ ما

(١) في (ج)، (ف): أمره.

(٢) في (ج): على أنه.

(٣) في (ج)، و(ف): بعذره.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٦٨) من طريق ابن جريج، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٦٣).

(٦) في (ج)، و(ف): يطلعون.

فُكِّـر فيـه، أو خيـض(١) فيـه بليْـلٍ، فقـد بُيِّـتَ.

وجمهـور العلـماء عـلى أنَّ المشـارَ إليـه بالاسـتخفاء والتبييـتِ، قـوْمُ طُعمةَ. والَّـذي بيَّتـوا: احْتِيالُهُـم فِي بـراءَةِ صاحبِهِـم بالكذِبِ.

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: هـوَ السَّـارِقُ نفسُـهُ، والَّـذِي بيَّـتَ أنَّـه قـال: أرْمِـي اليهـوديَّ بأنَّـه سـارقُ الـدِّرع، وأحلِـفُ أنِّي لم أسرقْهـا، فتُقبـلَ يَمِينـي، ولا تُقبـل يمـينُ اليهـوديِّ(٢).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النسـاء: ١٠٩].

قوله تعَالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: «هَا» للتَّنْبيهِ، وأُعيدتْ فِي «أُولَاء»(٣).

والمعْنَـى: هَـا أنْتُـم الَّذيـن جادلْتُـم. و«المجادلـة، والجـدال»: شـدَّةُ المخاصمـة، و«الجَـدْلُ»: شـدَّةُ الفتـل(٤). والـكلام يعـودُ إلى مَـنِ احْتـجَّ عـنِ السَّـارق.

فأمَّـا قوْلُـه: ﴿عَنْهُمْ﴾ فإنَّـه عائِـدٌ إلى السَّـارقِ. و﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمعنـى «لهـم». و«الوكيـل»: القائِـمُ بأمْـرِ مَـن وكَّلـه. فكأنَّـه قـال: مَـن [ذا](٥) الَّـذي يتـوكَّلُ لهـم منكـم في خُصومـةِ ربِّهـم؟!

---

(١) في (ج): وخيض.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) في (ت): القتل.

(٥) من (ف).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠﴾ [النسـاء: ١١٠].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾.

اخْتلفوا فِي [سببِ][1] نُزولِها علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدهـا: أنَّهـا نزلَـتْ خِطابًـا للسَّـارقِ، وعَرْضًـا للتَّوبـة عليـه. رواه أبـو صالـح عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال ابْـنُ زيْـدٍ، ومقاتـل[2].

والثَّانِي: أنَّها للَّذين جادلوا عنه مِن قوْمِه، رواه[3] العوفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّه عُنِي بِها كلُّ مُسيءٍ ومُذْنِبٍ. ذكرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وإِطْلاقُها لا يمنع[4] أنْ تكُونَ نزلَتْ علَى سببٍ[5].

وفِي هذا السُّوءِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه السَّرِقةُ.

والثَّانِي: الشِّركُ.

والثَّالث: أنَّه كُلُّ ما يأثم به.

وفِي هذا الظُّلم قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه رميُ البريءِ بالتُّهمةِ.

والثَّانِي: ما دُون الشِّرْكِ.

---

(١) من (ف).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤٠٦).

(٣) من قوله: (أبو صالح عن ابن عبَّاس)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٤) في (ج): وإطلاقها يمنع.

(٥) في (ف): سبب خاص.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ [النسـاء: ١١١].

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾؛ (أي: ومَـن يعمـل ذنْبـا)[١] ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾يقـولُ: إنَّـما يعـود وبالُـه عليـه. قالَـه مُقاتِـلٌ. وهـذه[٢] [الآيـةُ][٣] في طُعمـةَ أيضًـا.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النسـاء: ١١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾.

جمهور العُلماء على أنَّها نزلَتْ متعلِّقةً بقصَّةِ طُعمة بنِ أُبيرق.

وقـد روى الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّهـا نزلَـتْ في عبْـدِ الله بـن أُبيِّ بْـنِ سـلُول إِذْ رمـى عائشـةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بالإفْـكِ[٤].

وفي قوْلِه تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾أربعةُ أقْوالٍ:

أحدهـا: أنَّ «الخطيئـةَ» يمـينُ السَّـارق الكاذبـةُ، و«الإِثـم»: سرقتـه الدرع، ورميـه اليهـودي، قالَـه ابْنُ السَّـائب.

والثَّـاني: أنَّ «الخطيئَـةَ» مـا يتعلَّـق[٥] بـه مـن الذَّنـب، و«الإِثـم»: قذفُـه للـبريءِ[٦]، قالَـه مُقاتِـلٌ.

---

(١) ما بين الهلالين ليس في (ف).

(٢) في (ج): هذا.

(٣) من (ف).

(٤) تفسير الثعلبي (٣/ ٣٨٣).

(٥) في (ج): يعلق.

(٦) في (ج)، و(ف): البريء.

والثَّالث: أنَّ «الخطيئة» قد تقع عن عمْدٍ، وقد تقع عن[1] خطأ، و«الإثم»: يختصُّ العمد. قالَه ابْنُ جرير[2]، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وذكر الزَّجَّاجُ أنَّ الخطيئة نحوُ قتْلِ الخطأ الَّذي يرتفع فيه الإِثْمُ[3].

والرَّابع: أنَّه لَمَّا سمى الله ﷻ بعض المعاصي خطيئةً، وبعضَها إثمًا، [١٦٦/أ] أعْلَم أنَّ مَن كسَب ما يقع عليه أحدُ[4] هذين الاسمين، ثم قذف به[5] بريئًا، فقدِ احتمل [بهِ][6] بهتانًا، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ أيضًا[7].

فأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾؛ أي: يقذفُ بما جناهُ بَرِيئًا منه.

فإنْ قِيلَ: الخطيئة والإِثْمُ اثْنَان، فكيف قالَ: ﴿بِهِۦ﴾؟

فعنْهُ أرْبَعةُ أجْوِبَةٍ:

أحدُها: أنَّه أراد: ثُمَّ يرْمِ بِهِما، فاكْتفى بإعادة الذِّكر علَى الإثْمِ مِن إعادتِهِ علَى الخطيئة؛ كقوْلِه تعالى: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١] فخصَّ التِّجارةَ، والمعنى: للتِّجارة واللَّهو.

والثَّانِي: أنَّ الهاءَ تعودُ على الكسب، فلما دلَّ بـ«يكسب» على الكسب، كنَّى عنه.

---

(١) ليست في (ت)، و(ف).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٤/ ٤٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٣).

(٤) في (ت): أجر.

(٥) ليست في (ج).

(٦) من (ت).

(٧) المصدر السابق.

والثَّالث: أنَّ الهاءَ راجعةٌ على معنى الخطيئة والإثم، كأنَّه قال: ومَن يكسب ذنبًا، ثُمَّ يرم به [بريئًا][(١)]. ذكر هذه الأقوالَ ابْنُ الأنباري.

والرَّابع: أنَّ الهاءَ تعودُ على الإِثم خاصَّةً، قالَه ابْنُ جرير الطَّبريُّ[(٢)].

وفي المُراد بالبريء الَّذي[(٣)] قذَفَهُ هذا السَّارقُ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه كان يهوديًّا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وعِكرمَةُ، وابْنُ سِيرينَ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ. وسمَّاه عكرمةُ، وقتادَةُ: زيد بن السُّمير[(٤)].

والثَّاني: أنَّه كانَ مُسلمًا، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتادَةَ بْنِ النُّعمانِ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ[(٥)].

واخْتلَفُوا في ذلِك المُسلم:

فقالَ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: هوَ عَائِشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمَّا قذفَها ابْنُ أُبيٍّ[(٦)].

وقالَ قتادَةُ بْنُ النُّعمان: هو لَبيد بْنُ سهْلٍ[(٧)].

---

(١) من (ف).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٤٧٨).

(٣) ليست في (ت)، و(ج).

(٤) كذا في الأصل، وبقية النسخ، وفي أسباب النزول للواحدي: (ص: ١٣٤): زيد بن السمير، بالراء، وفي (ف)، وسائر المصادر: السمين. ولم أقف له على ترجمة.

(٥) تفسير مقاتل(١/ ٤٠٦).

(٦) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٣٨٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٠).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(٥٩٥١).

وقال السُّدِّيُّ[١]، ومُقاتلٌ[٢]: هو أبو مُلَيْلٍ[٣] الأنْصَارِيُّ.

فأمَّا «البُهتان»: فهو الكذبُ الَّذي يُتَحيَّر من عِظَمِه، يُقال: بُهِتَ الرَّجُلُ: إذا تَحيَّرَ. قالَ ابْنُ السَّائِب: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾ برميه البَرِيءَ، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيَمِينِهِ الكاذبة[٤].

قوْلُهُ تعالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها متعلِّقةٌ بقصَّةِ طُعمةَ وقومِه، حيث لبَّسُوا على النَّبيِّ ﷺ أمرَ صاحبِهم، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ مِن طريق ابْنِ السَّائبِ[٥].

والثَّاني: أنَّ وفدَ ثقيفٍ قدِمُوا على رسُولِ الله ﷺ فقالوا: جِئْناكَ نُبايعكَ[٦] على أن لا نُحشرَ ولا نُعشرَ، وعلى أن تُمتِّعَنا[٧] بالعُزَّى سنةً، فلم

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٤٩) من طريق أسباط، به.

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤٠٦).

(٣) في الأصل: مليك، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/ ٦٠).

(٥) تفسير الثعلبي (٣/ ٣٨٣).

(٦) في (ج): لنبايعك.

(٧) في الأصل: تمنعنا، والمثبت من بقية النسخ.

يُجبْهم، فنزلت هذه الآية، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ في رِوايةِ الضَّحَّاكِ(١).

وفي المُراد بـ«فضل الله ورحمته» قوْلَانِ:

أحدُهما: النبوَّة والعِصمَةُ.

والثَّاني: الإِسْلامُ والقُرآن، رُويَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

قالَ مُقاتل: لوْلا فضْلُ الله عليْكَ حيْثُ(٣) بيَّن لك أمْرَ طُعمةَ وحوَّلَكَ بالقُرآن عن تصْدِيق الخائن لهمَّت طائفَةٌ منهم أن يُضِلُّوك(٤).

قال الفرَّاء: والمعنى لقد همَّت(٥).

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ وقد همت بإضْلَالِه؟

فالجوَابُ: أنَّه لو لا فضْلُ الله [عليْكَ ورحمتُه](٦)، لظَهَر تأثيرُ ما همُّوا به(٧).

فأمَّا «الطَّائفةُ» فعلى رواية ابْنِ السَّائبِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: قوْمُ طُعمةَ، وعلَى رِوايةِ الضَّحَّاكِ: وفدُ ثقيفٍ(٨).

---

(١) البحر المحيط(٤/ ٦١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(١٢/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره(١٠٤٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) في الأصل: حين، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) تفسير مقاتل(١/ ٤٠٦).

(٥) معاني القرآن(١/ ٢٨٧).

(٦) من (ج).

(٧) من قوله: (فإن قيل)... إلى هنا ساقط من (ت)، و(ف).

(٨) انظر: البحر المحيط(٤/ ٦١).

وفِي الإِضلال قوْلَانِ: [١٦٦/ب]

أحدهما: التَّخْطِئةُ فِي الحُكم.

والثَّانِي: الِاسْتزلالُ عنِ الحَقِّ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وما يُضلُّون إِلَّا أنفُسهم؛ [لِأنَّهُم][١] يعملُون عمَلَ الضَّالِّينَ، فيرجع[٢] الضَّلالُ إليهم[٣].

فأمَّا ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ فهوَ القُرآنُ.

وفِي «الحِكمةُ» ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه[٤] القضاءُ بالوحي، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: الحلال والحرام، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّالث: بيانُ ما فِي الكتاب، وإِلهامُ الصَّواب، وإِلقاءُ[٥] صحَّةِ الجواب فِي الرَّوع[٦]، قالَه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه الشَّرعُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ.

والثَّانِي: أخبار الأوَّلين والآخِرينَ، قالَه أبو سُليمانَ.

والثَّالث: الكتاب والحكمة، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٧].

---

(١) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٢) في (ج): فرجع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٤).

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) ليست في (ف).

(٦) في (ف): الدِّرْع.

(٧) النكت والعيون (١/ ٥٢٨).

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه المنَّةُ بالإيمان.

والثاني: المِنَّةُ بالنبوَّة، هذان عن ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّه عامٌّ فِي جميع الفضلِ الَّذي خصَّه [اللهُ][١] به، قاله أبو سُليمانَ [الدِّمشقيُّ][٢].

قوْلُهُ تَعالَى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هُم قوْمُ طُعمةَ[٣].

وقالَ مُقاتِلٌ: وكلُّهم يهودُ تناجوا فِي أمْرِ طُعمةَ[٤].

وقالَ مُجاهدٌ: هو عامٌّ فِي نجوى جميع[٥] النَّاس[٦].

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعنى «النَّجوى»: ما تنفردُ[٧] به الجماعةُ أو الاثْنَانِ، سِرًّا كان أو ظاهرًا[٨]. ومعنى «نجوتُ الشَّيءَ» فِي اللُّغة. خلَّصتُه وألقيتُه،

---

(١) من (ج).

(٢) من (ف).

(٣) كما في تفسير الثعلبي (٣/ ٣٨٤)، البحر المحيط (٤/ ٦٤).

(٤) تفسير مقاتل(١/ ٤٠٦).

(٥) في (ج): في جميع نحوى.

(٦) تفسير البغوي (٢/ ٢٨٦).

(٧) في (ج): يتفرد.

(٨) في (ج): جهرًا.

يُقال: نجوْتُ الجِلدَ: إذا أَلْقيْتُه عنِ البَعير وغيْرِه[١].

قالَ الشَّاعر[٢] [من الطويل]:

فَقُلْتُ انْجُوَا عَنْهَا نَجَا الجِلْدِ إِنَّهُ ... سَيُرْضِيكُما مِنْهَا سَنَامٌ وَغَارِبُهْ

وقد نجوت فلانًا: إذا استنكهته.

قال الشَّاعر[٣] [من الوافر]:

نَجَوْتُ مُجَالِدًا فَوَجَدْتُ مِنْهُ ... كَرِيحِ الْكَلْبِ مَاتَ قَدِيمَ[٤] عَهْدِ

وأصْلُه كلُّه مِنَ النَّجوة، وهو ما ارْتَفَع مِنَ الأرْضِ.

قال الشَّاعِرُ يصِفُ سيلًا[٥] [من البسيط]:

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ ... وَالْمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٤).

(٢) البيت في جمهرة اللغة (١/ ٤٩٧)، وإصلاح المنطق (ص: ٩٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣١٧)، و شرح القصائد السبع (ص: ٤٤٠)، نسبه الفراء في المقصور والممدود (ص: ٢٣) لأبي الغمر الكلابي. قال البغدادي في خزانة الأدب (٤/ ٣٦٠): ورأيت في حاشية الصحاح؛ لابن بَرِّي نسبة هذا البيت لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ﷺ. قلت: وكذا نسبه الزبيدي في تاج العروس، مادة: (ن ج ا).

(٣) البيت للحكم بن عبدل الأسدي، كما نسبه الجاحظ في الحيوان (١/ ٢٥١)، واقتطاف الأزاهر (ص: ٢١٦). وكذا أيضًا في تهذيب اللغة (٤/ ٥٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٥)

(٤) في (ف): حديث.

(٥) البيت لأوس بن حجر في ديوانه (ص: ١٠)، والشعر والشعراء (ص: ٣٧)، ومنتهى الطلب (ص: ٥٩)، ونسبه ابن أبي عون في التشبيهات (ص: ٣٥) لعبيد بن الأبرص، والقرواح: الأرض البارزة للشمس.

والمراد بنجواهم: ما يدبِّرونه[١] بينهم من الكلام.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾.

فيجوز أن يكون بمعنى: إلَّا فِي نجوى مَن أمَرَ بصدقةٍ، ويجوز أن يكون[٢] استثناءً ليس من الأوَّل، فيكون بمعنى: لكن مَن أمَرَ بصدقةٍ[٣]، ففي نجواهم خيرٌ.

فَأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ فالمعنى: حثَّ عليها.

وأمَّا «المعروف» ففيه قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه الفرض، رُوي عن ابْنِ عبَّاسٍ، ومُقاتلٍ[٤].

والثَّانِي: أنَّه عامٌّ فِي جميع أفعال البرِّ، وهوَ اخْتِيارُ القاضي أبي يعلى، وأبي سُليمان الدِّمشقيِّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لَمَّا نزَلَ القُرآنُ بتكذِيبِ طُعمَةَ، وبيانِ ظلْمِه، وخافَ علَى نفْسِه مِنَ القطْعِ والفضِيحَةِ، هرب إلَى مكَّة، فلحِقَ بأهْلِ الشِّركِ، [١٦٧/أ]

(١) في (ج): يديرونه.

(٢) من قوله: (بمعنى)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٣) من قوله: (ويجوز أن يكون استثناء)... إلى هنا ساقط من(ج).

(٤) تفسير مقاتل(١/ ٣٥٨).

فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١)، وقتـادَةَ(٢)، وابْـنِ زيْـدٍ(٣)، والسُّـدِّيِّ(٤).

وقـالَ مُقاتـلٌ: لَّـا قـدِمَ مكَّـةَ نـزَلَ عـلى الحجَّـاجِ بْـنِ عِـلاط السُّـلَمِيِّ فأَحْسَـنَ نُزلَـه، فبلغـه أنَّ فِي بيْتِـه ذهبًـا، فخـرج فِي اللَّيـل فنقَّـب حائِـطَ البيْـتِ، (فعَلِمُـوا بـه فأحاطُـوا بالبيـتَ)(٥)، فلـمَّا رأوه، أرادوا أن يرجمـوه، فاسـتحيا الحجَّـاجُ؛ لأنَّـه ضيفُـه، فتَرَكُـوه، فخـرج، فلحِـقَ بحـرَّةَ بنـي سُـليم يعبُـد صنمَهُـم(٦) حتَّـى مـات عـلى الـشِّرك، فنـزَل فيـه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النسـاء: ١١٦](٧).

وقـال غـيْرُه: بـل خـرَجَ مـع تجارٍ فـسَرقَ منهـم شـيْئًا، فرَمَـوْهُ بالحجـارةِ حتَّـى قتَلُـوه(٨)، وقيـل: ركِـبَ [فِي](٩) سـفينةٍ، فـسرَقَ فيهـا مـالًا، فعُلِـمَ بـه، فأُلقِـيَ فِي البحـر.

والقـول الثَّـاني: أنَّ قومًـا قدمـوا عـلَى رسـول الله ﷺ فأسـلموا(١٠)، ثُـمَّ ارتـدُّوا، فنزلَـتْ فيهـم هـذه الآيـةُ، روي عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٧/ ٤٦٣) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(٥٩٦٥) من طريق معمر، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٧/ ٤٦٤) من طريق ابن وهب، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٧/ ٤٦٦) من طريق أسباط، به.

(٥) ليست في (ف).

(٦) في (ج): صنمًا.

(٧) تفسير مقاتل(١/ ٤٠٧).

(٨) في (ج): مات.

(٩) من (ت).

(١٠) ليست في (ج).

ومعنى الآية: ومَن يخالف الرسولَ في التَّوحيدِ، والحُدودِ، مِن بعد ما تبيَّنَ له التَّوحيدُ والحُكمُ، ويتبعْ غيْرَ دين المسلمين[1]، نولِّه ما تولى؛ أي: نكِلُه إلى ما اختار لنفْسِه، ونُصله جهنم: نُدخله إيَّاها.

قالَ ابْنُ فارسٍ: تقول [العربُ][2]: صليتُ اللَّحم أُصليه: إذا شويتُه، فإن أردتَ أنَّك أحرقته، قلت: أصليته[3].

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾؛ أي: مرجعًا يُصار إليه.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

قوْلُه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

فِي سبب[4] نُزولِها قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها نزلت في حقِّ طُعمة[5] بن أُبيرق لَّما هرب مِن مكَّة، ومات على الشِّرك، وهذا قوْلُ الجمهور، منهم سعيد بن جبير[6].

والثَّاني: أنَّ شيْخًا من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي مُنهمكٌ فِي الذُّنوب، إلَّا أنِّي لم أشرِكْ بالله[7] منذ عرفتُه، وإنِّي لَنادِمٌ مُستغفرٌ،

---

(١) في (ف): الإسلام.

(٢) من (ج).

(٣) مجمل اللغة (ص: ٥٣٨).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ج): طعيمة.

(٦) تقدم الكلام عليه.

(٧) في الأصل: به، والمثبت من بقية النسخ.

فـمَا حـالِي؟ فنزلَـتْ هـذه الآيـةُ، رُوي عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ(١).

فأمَّا تفسيرها: فقد تقدَّم.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨﴾ [النسـاء: ١١٧، ١١٨].

قَوْلُه تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ «إنْ» بمعْنَى: «مَا».

و﴿يَدْعُونَ﴾ بمعْنَى: يعبدون. والهاءُ في ﴿دُونِهِۦٓ﴾ ترجع إلى الله ﷻ.

والقِراءَةُ المشهورَةُ: ﴿إِنَٰثًا﴾.

وقـرَأَ سـعْدُ بْـنُ أبي وقـاصٍ، وعبْـدُ الله بْـنُ عُمـرَ، وأبـو مِجْلـز، وأبـو المتـوكل، وأبـو الجـوزاء: «إِلَّا وَثَنًـا»، بفتْـحِ الـوَاوِ، والثَّـاءِ مـن غـير ألـف(٢).

وقرأ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو رَزين: «أُنُثًا»، برفْعِ الهمزة والنُّونِ مِن غير ألف(٣).

وقـرَأَ أبـو العاليـة، ومُعـاذٌ(٤) القـارئُ، وأبـو نُهيـك: «أُنَاثًـا»، برفْـعِ الهمـزة وبألِـفٍ بعـد النُّـونِ(٥)(٦).

---

(١) انظر: أسباب النزول (ص: ٣٣٥).

(٢) في تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٧) ابن عباس، وفي البحر (٣/ ٢٨٦) سعد وعبدالله وجماعة على إفراد اسم الجنس.

(٣) قراءة شاذة. انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ١٤٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٩)، والبحر المحيط (٣/ ٣٥٢).

(٤) في الأصل: أبو معاذ، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في الأصل، و(ج)، (ف): الثاء، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) شاذة على وزن فعال، وبدون نسبة في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٤٠٩)، وعن عائشة في شواذ القراءات (ص: ١٤٣)، ولم أقف على النسبة التي ذكرها المؤلف.

وقَرَأَ أبو السَّوارِ العَدويُّ وأبو شيخ الهُنائي[١] (أوثانًا)[٢] بهمزة مفتوحةٍ بعْدَهَا واوٌ وبألِفٍ[٣] بعْدَ الثَّاءِ.

وقرَأَ أبو هُريرةَ، والحسَنُ، والجُونِيُّ: «إلا أُنْثى»، على وزْنِ «فُعْلَى»[٤].

وقرَأَ أيوبُ السِّختيانيُّ: «إلَّا وُثُنًا»، برفْعِ الواو والثَّاءِ من غير ألِفٍ[٥].

وقرأ مورِّقُ العجِليُّ: «أُثُنًا»، برفْعِ الهمزة والثَّاءِ مِن غير ألِفٍ[٦].

[١٦٧/ب] قالَ الزَّجَّاجُ: فمن قال: إِنَاثًا، فهو جمع أنثى وإِناث، ومَن قال: أنثى، فهو جمع إِناث، ومَن قالَ: أُنثًا[٧]، فهو جمع وثن، (والأصل: وُثُنٌ)[٨]، إِلَّا أنَّ الواوَ إِذا انضمَّت جاز إِبدالُها همزةً[٩]؛ كقوْلِه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ [المرسلات: ١١] الأصل: وقتت. وجائزٌ أن يكون أُثُن أصلها: أُثْن،

---

(١) في (ف): الصنابي.

(٢) في (ف): أوناثًا.

(٣) من قوله: (الهمزة وبألف)... إلى هنا ساقط من (ج)

(٤) شاذة عن الحسن وابن عباس بخلاف في شواذ القراءات (ص: ١٤٣)، وبدون نسبة في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٤٠٩)،وعن الحسن في البحر (٣/ ٢٨٦).

(٥) شاذة في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٥) عن النبي ﷺوجماعة، وعن ابن جندب في شواذ القراءات (ص: ١٤٣)، وبدون نسبة في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٤٠٩)، وعن أيوب السختياني في البحر(٣/ ٢٨٦) ، وعن ابن عباس في تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٦).

(٦) شاذة في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٥)، وعن ابن عباس وابن مسعود وابن جندب في شواذ القراءات (ص: ١٤٣)، وقراءة النبي ﷺفيما روته عائشة في المحتسب (١/ ١٩٨).

(٧) ليست في (ت).

(٨) ليست في (ج).

(٩) في الأصل: بهمزة، والمثبت من بقية النسخ.

فأُتبعَتِ الضَّمَّةُ الضمةَ، وجائِزٌ أن يكون[١] أُثُنٌ؛ مِثل: أَسَد وأُسُد[٢].

فأمّا المُفسِّرون، فلَهم في معنى الإناثِ أربعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الإِناثَ بمعْنى الأموات، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ فِي روايةٍ، وقتادَةُ.

قالَ الحسَنُ: كلُّ شيءٍ لا روحَ فيهِ، كالحَجرِ، والخشبَةِ، فهو إناثٌ[٣].

قالَ الزَّجّاجُ: والموات كلُّها يُخْبَرُ عنها، كما يُخْبَرُ عنِ المؤنَّثِ، تقول من ذلك: الأحجار تعجبني، والدراهم تنفعني[٤].

والثّاني: أنَّ الإِناث الأوثان، وهو قوْلُ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومجاهدٍ.

والثّالث: أنَّ الإِناث اللّات والعُزّى ومناة، كلُّهن مؤنَّث، وهذا قوْلُ أبي مالِكٍ، وابْنِ زيْدٍ والسُّدِّيِّ.

وروى أبو رجاء عنِ الحسَنِ قالَ: لم يكن حيٌّ مِن أحْياءِ العرَبِ إلَّا ولَهم صنَمٌ يُسمَّونه: أُنثى[٥] بني فلان، فنزلت هذه الآيةُ[٦].

قالَ الزَّجّاجُ: والمعنى: ما يدعون إلَّا ما يُسمُّونه باسْمِ الإِناثِ[٧].

والرّابع: أنَّها الملائكةُ كانوا يزعمون أنَّها بناتُ الله، قالَه[٨] الضَّحّاكُ.

---

(١) من قوله: (فأتبعت)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٨٧) من طريق مبارك بن فضالة، به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٠).

(٥) في الأصل، و(ت): أثنى.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٧/ ٤٨٨) من طريق نوح بن قيس، به، بنحوه.

(٧) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ١١٠).

(٨) في (ت): رواه.

وفي المُراد بالشَّيطان ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدها: شيطانٌ يكون في الصَّنَم. قال ابْنُ عبَّاسٍ: في كُلِّ صنمٍ شيطانٌ يتراءى للسَّدَنة فيُكلِّمهم[1].

وقالَ أُبيُّ بْنُ كعْبٍ: معَ كُلِّ صنَمٍ جِنيَّةٌ[2].

والثَّاني: أنَّه إبليس، وعبادتُه: طاعتُه فيما سَوَّل لهم، هذا قوْلُ مُقاتلٍ، والزَّجَّاجِ[3].

والثَّالث: أنَّه من[4] أصنامِهم الَّتي[5] عبدوا[6]، ذكرَهُ الماورديُّ[7].

فأمَّا «المَريد» فقَالَ الزَّجَّاجُ: «المَريد»: المارد، وهو الخارجُ عنِ الطَّاعة، ومعناه: أنَّه قد مرَدَ في الشَّرِّ، يُقال: مرد الرجلُ يمرُد مُرودًا: إذا عَتَا، وخرج عن الطَّاعة[8].

وتأويل المرود[9]: أنْ يبْلُغَ الغايةَ الَّتي يخرجُ بها مِن جُملةِ ما عليه

---

(١) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٣٨٧).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٧٠) من طريق الفضل بن موسى، عن حسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، به، ومن طريق عبد الله بن أحمد رواه الضياء في المختارة (٢/ ٨٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٨).

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) في (ت): الذي.

(٦) في (ف): يعبدونها.

(٧) النكت والعيون (١/ ٥٢٩).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٨).

(٩) في (ت): المراد.

ذلك الصِّنفُ، وأصْلُه فِي اللُّغة: امْلِساسُ(١) الشَّيءِ، ومنْهُ قِيل: للإنسان أمرد: إِذا لم يكن فِي وجهه شعرٌ، وكذلك يُقال: شجرةٌ مرداءُ: إِذا تناثر ورقُهَا، وصخرةٌ مرداءُ: إذا كانت ملساءَ.

وفِي قوْلِه تَعالى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه ابتداءُ دعاءٍ عليه باللَّعن، وهو قوْلُ مَن قالَ: هوَ الأوثان.

والثَّانِي: أنَّه إِخبارٌ عن لعْنٍ متقدّم(٢)، وهوَ قوْلُ مَن قالَ: هو إِبليسُ.

قالَ ابْنُ جرير: المَعْنى: قد لعنَهُ الله(٣).

قال ابْنُ عبَّاس: معْنَى الكلام: دحرَهُ(٤) [الله](٥)، وأخْرَجَهُ مِنَ الجنَّةِ(٦).

﴿وَقَالَ﴾ يعْنِي: إِبْلِيسَ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

قالَ ابْنُ قتيبة: أي: حظًّا افْتَرَضتُه لنفسي منهم، فأُضلُّهُم(٧).

وقالَ مُقاتِلٌ: النَّصِيب المفروض: أنَّ مِنْ كُلِّ ألفٍ إنسانٌ واحِدٌ فِي الجنَّة، وسائِرهم فِي النَّارِ(٨). [١٦٨/أ]

قال الزَّجَّاج: «الفرض» فِي اللُّغة: القطْعُ، و«الفُرضة»: الثّلمَةُ تكون فِي النَّهر. و«الفرض» فِي القوس: الحزُّ الَّذي يُشدُّ فيه الوتر، والفرض فيما

---

(١) في (ج): امسِلساس.

(٢) من قوله: (هو الأوثان)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٤٩١).

(٤) في (ج): درجه.

(٥) من (ج).

(٦) التفسير البسيط (٧/ ٩٩).

(٧) غريب القرآن (ص:١٣٥).

(٨) تفسير مقاتل (١/ ٤٠٨).

ألزمه الله العبادَ: جعله حتمًا عليهم قاطعًا[١].

قولُه تعالَى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩].

قوْله تعَالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: عن سبيل الهُدى[٢].

وقالَ غيْرُه: ليْسَ له[٣] مِنَ الضَّلال سوى الدُّعاء إليه[٤][٥].

وفي قوْله تعالى: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أربعةُ أقْوال:

أحدها: أنَّه الكذِبُ الَّذي[٦] يُخبِرُهم به، قالَ ابْنُ عبَّاس: يقولُ لهم: لا جنةَ، ولا نارَ، ولا بعْثَ[٧].

والثَّاني: أنَّه[٨] التَّسويفُ بالتَّوبةِ، رُوي عن ابْنِ عبَّاسٍ[٩].

والثَّالِث: أنَّه إيهامُهم أنَّهم سينالون مِن[١٠] الآخرة حظًّا، قالَه

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٩).

(٢) التفسير البسيط (٧/ ١٠١).

(٣) ليست في (ت)، و(ف).

(٤) في (ت): له. وفي (ج): سوى دعاء إليه.

(٥) التفسير البسيط (٧/ ١٠٤).

(٦) ليست في (ف).

(٧) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٣٨٨).

(٨) ليست في (ت).

(٩) التفسير البسيط (٧/ ١٠١).

(١٠) في (ف): في.

الزَّجَّـاجُ(١).

والرَّابع: أنَّه تزْيِينُ الأمانِي لهُم، قالَه أبو سُليمان [الدِّمشقيُّ](٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

قالَ قتادَةُ(٣)، وعِكرمَةُ(٤)، والسُّدِّيُّ(٥): هو شَقُّ أُذنِ البَحيرةِ.

قـالَ(٦) الزَّجَّـاجُ: ومعنـى «يبتكـن» يُشـقِّقن، يُقـال: بتكـتُ الـشَّيءَ أُبْتِكـه بتْـكًا: إذا قطعْتـه، وَبتكـه وبتَـك؛ مثـل: قطعـه، وقطـع(٧).

وهـذا فِي البحـيرة كانـتِ الجاهليَّـةُ إذا ولـدتِ النَّاقـةُ خمسـةَ أبطُـن، وكان الخامـسُ ذكـرًا، شـقُّوا أُذنَ النَّاقـة، وامتنعـوا مِـنَ الانْتفـاع بِهـا، ولم تُطـردْ عـن مـاءٍ، ولا مرعًـى، وإذا لقيهـا المُعْيَـي(٨)، لم يركبْهَـا، سـوَّلَ لهُـم إبليـسُ أنَّ هـذا قربـةٌ إلى الله تعـالى.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٠٩).

(٢) من (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٩٣) من طريق معمر، به.

(٤) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ٤٩٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥٩٨٢) مـن طريـق ابـن جريـج، عـن القاسـم بـن أبي بـزة، بـه.

(٥) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره(٧/ ٤٩٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره(٥٩٨٣) مـن طريـق أحمـد بـن المفضـل، عـن أسـباط بـن نـصر، بـه.

(٦) في (ج): قاله.

(٧) معاني القرآن وإعرابه(٢/ ١٠٩).

(٨) في الأصل: المعني، والمثبت من بقية النسخ.

وفي المُراد بـ«تغيير خلق الله» خمسةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه تغييرُ دينِ الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن في روايةٍ، وسعيد بن المسيِّب، وابنُ جُبير، والنَّخعيُّ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ زيْدٍ، ومُقاتِلٌ.

وقِيل: معْنَى تغْيِير الدِّين: تحليلُ الحرامِ وتحْريمُ الحَلَالِ.

والثَّاني: أنَّه[1] تغيير الخلْق بالخصاء، رَواه عِكرمَةُ عن ابْنِ عبَّاسٍ، وهوَ مرويٌّ عن أنس بْنِ مالِكٍ، وعن مُجاهِدٍ، وقتادَةَ، وعِكرمَةَ، كالقوْلَيْن.

والثَّالث: أنَّه التَّغييرُ بالوشم[2]، وهو قوْلُ ابْنِ مسْعُودٍ، والحسَنِ في روايةٍ.

والرَّابع: أنَّه تغْيِيرُ أمْرِ اللهِ، رواه أبو شَيْبَةَ عن عطَاءٍ.

والخامس: أنَّه عبادةُ الشَّمس والقمر والحجارة، وتحريمُ ما حرَّموا مِنَ الأنْعَامِ، وإنَّما خُلِق ذلك للانْتِفاع به، قاله الزَّجَّاجُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

فِي المُراد بالولي قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه بمعنى الرَّب، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّاني: من الموالاة، قالَه أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

فإنْ قالَ قائلٌ: مِن أين لإبليسَ العِلْمُ[4] بالعَواقِبِ حتَّى قالَ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾. وقالَ فِي الأعْرَاف: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الآية: ١٧].

---

(١) ليست في (ج): وفي (ف): أن.

(٢) في (ف): الوسم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٠).

(٤) في (ج): من العلم.

وقــالَ فِي بنــي إِسْرَائِيــلَ: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]؟

فعنْهُ ثَلاثَةُ أَجْوبةٍ.

أحدُهــا: أَنَّــه ظَــنَّ ذلــك، فتحقَّــق ظنُّــه، وذلِــك قوْلُــه تعَــالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾[1] [ســبأ: ٢٠] قالَــه الحسَــنُ، وابْــنُ زيْــدٍ. [١٦٨/ ب]

وفِي سببِ ذلِك الظَّنِّ قوْلَانِ:

أحدُهــا: أنَّــه لَّمــا قــالَ اللهُ تعَــالى لَــه[2]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ {ص: ٨٥} علِـمَ أَنَّـه يَنـال مـا يُريـد.

والثَّانِي: أنَّه لَّما استزَلَّ آدمَ، قالَ: ذرِّيةُ هذا أضْعفُ منه.

والثَّــانِي: أنَّ المعنــى: لأُحرضَــنَّ ولأَجْتهِــدَنَّ فِي ذلِــك، لا أَنَّــه كان[3] يعلَــمُ الغيــبَ، قالَـه ابْـنُ الأنبـاري.

والثَّالِـث: أنَّ مـن الجائـز أن يكـونَ علِـمَ مِـن جهـة الملائكـةِ بخـبَرٍ مِـنَ الله تعـالى أنَّ أكثـر الخلـق لا يشـكرون، ذكـرَهُ المـاوردِيُّ[4].

فـإنْ قِيـل: فلِـمَ اقْتـصَر عـلى بعضِهـم؟ فقـالَ: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، وقـالَ: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعـراف: ١٧]، وقـالَ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]؟

---

(١) من قوله: (وذلك قوله تعالى)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٢) ليست في (ف).

(٣) ليست في (ج).

(٤) النكت والعيون (٢/ ٢٠٧).

فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ:

أحدُها: أنَّه يجوز أن يكون علِمَ مآلَ الخلْقِ مِن جهةِ الملائكةِ، كما بيَّنَّا.

والثَّانِي: أنه لَّما لم ينلْ مِن آدم كلَّ ما يُريد، طمِعَ فِي بعض وَلَدِهِ، ويأسَ من بعْضٍ.

والثَّالث: أنَّه لَّما عاينَ الجنَّةَ والنَّارَ، علِمَ أنَّهما خُلقتا[1] لمَن يسكنُهما، فأشار بالنَّصيب المفروض إلى ساكني النَّار.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٠، ١٢٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿يَعِدُهُمْ﴾ يعْنِي: الشَّيطانَ يعِدُ أوْلياءَهُ.

وفيما يعدهُم بِهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لا بعثَ لهم، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّانِي: النُّصرةُ لهم، ذكرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وفيما يُمنِّيهم قوْلَانِ:

أحدهما: الغُرورُ والأمانِي؛ مثْلُ أن يقُولَ: سيطُولُ عمرُك، وتنال من الدُّنيا مرادَك:

والثَّاني: الظفَرُ بأولياء الله.

---

(١) في (ف): خلقا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: باطلًا يغرُّهم به.

فأمَّا «المحيص» فقَال الزَّجَّاجُ: هو المَعْدِلُ[(١)] والمَلْجأ، يُقال: حِصْتُ عن الرَّجُل أَحِيصُ، ورَوَوْا: جِضْتُ أَجِيضُ بالجيم والضَّادِ، بمعْنى: حِصْتُ، ولا يجوز ذلك فِي القُرآن، وإِن كان المعنى واحِدًا؛ لأنَّ القِراءةَ سُنَّةٌ، والَّذِي فِي القُرآن أفْصحُ مِمَّا يجوز، ويُقال: حُصْتُ أَحُوصُ حَوْصًا وحِياصَةً: إذا خِطْتُ، قالَ الأصمَعِيُّ: يُقال: حُصْ عَيْنَ صَقْرِكَ؛ أي: خِطْ عيْنَهُ، والحَوْصُ فِي العين: ضيقُ[(٢)] مُؤَخَّرِهَا، ويُقال: وقَعَ فِي حَيْصَ بَيْصَ، وحَاصَ بَاصَ: إذا وقَع فيما لَا يقدِرُ علَى التَّخلُّصِ مِنْه[(٣)].

قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾.

فِي سبب نزولِها ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ أهلَ الأديانِ اخْتصَمُوا، فقالَ أهْلُ التَّوراة: كتابُنا خيرُ الكُتُبِ، ونبيُّنا خيْرُ الأنْبياءِ، وقالَ أهْلُ الإنجيل مثلَ ذلِك، وقالَ المسلمون: كتابُنا نسخَ كلَّ كتابٍ، ونبيُّنا خاتَمُ الأنْبياءِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ، ثُمَّ خيَّرَ بيْنَ الأدْيانِ بقوْلِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٢٥]. رَواه العوفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٤)]، وإلى هذا المعْنى ذهَب

(١) في (ف): العدل.

(٢) في (ف): الضيق من.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥١٠).

مسْرُوقٌ وأبو صالِحٍ، وقتادةُ(١)، والسُّدِّيُّ(٢).

والثَّانِي: أنَّ العرَبَ قالَتْ: لا نُبعثُ، ولا نُعذَّبُ، ولا نُحاسب، فنزلَتْ هذه الآيةُ، هذا قوْلُ مُجاهِدٍ(٣).

والثَّالث: أنَّ اليهودَ والنَّصارى قالوا(٤): لا يدخل الجنَّةَ غيرُنا، وقالتْ قريش: لا نُبعث، فنزلَتْ هذه الآيةُ، هذا قوْلُ عكرمةَ(٥).

قالَ الزَّجَّاجُ: اسْمُ «ليْسَ» مضمرٌ، والمعْنَى: ليس ثوابُ الله ﷻ بأمانِيِّكُم، وقد جرَى ما يدُلُّ على الثَّواب(٦)، وهو قوْلُه تعالى: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٧).

وفي المُشار إليهم بقوْله تعالى: «أمانيكم» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهُمُ المسلمون على قوْلِ الأكثرين.

والثَّاني: المُشركون على قوْلِ مُجاهِدٍ.

فأمَّا أمانِيُّ المسلمين، فما نُقل(٨) مِن قوْلِهم: كتابُنا ناسِخٌ للكتب(٩)، ونبيُّنا خاتَمُ الأنبياء، وأمانِيُّ المشركين قوْلُهم: لا نُبعث، وأمانِيُّ أهْلِ الكتاب

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٧/ ٥٠٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٧/ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في التفسير(٥٩٨٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٧/ ٥١٢-٥١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره(٥٩٩٠).

(٤) ليست في (ج).

(٥) لم أجده.

(٦) من قوله: (بأمانيكم)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١١).

(٨) في (ف): تقدَّم.

(٩) في (ج): الكتب.

قوْلُهم: نحن أبناءُ الله وأحباؤه، وإنَّ النار لا تمسُّنا إلَّا أيامًا معدودةً، وإنَّ كتابَنَا خيرُ الكتب، و[إنَّ][1] نبيَّنَا خيرُ الأنبياءِ، فأخبرَ الله ﷻ أنَّ دخولَ الجنَّةِ والجزاءَ، بالأعمالِ لا بالأمانيِّ.

وفي المُراد «بالسُّوء» قوْلانِ:

أحدهما: أنَّه المعاصي؛ ومنه حديثُ أبي بكرٍ الصِّديقِ ﷺ أنَّه قال: يا رسولَ اللهِ! كيف الصَّلاحُ بعد هذه الآيةِ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فإذا عملنا سوءًا جُزينا به، فقال: «غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ[2]؟ فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ»[3].

والثَّاني: أنَّه الشِّركُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ويَحْيى بْنُ أبي كثيرٍ.

وفي هذا الجزاء قولان:

أحدهما: أنَّه عامٌّ فِي كُلِّ مَن عمِلَ سوءًا فإنَّه يُجازى به[4]، وهو معْنَى قوْلِ أُبيِّ بن كعب، وعائشةَ، واخْتَارَهُ ابْنُ جرير[5]، واستدلَّ عليه بحديثِ أبي بكرٍ الَّذي قدمناه.

---

(١) من (ف).

(٢) في (ف): الأدواء. وكتب في الحاشية كالمثبت.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٦)، وعبد بن حميد في المنتخب (٧)، والترمذي (٣٠٣٩) وغيرهم من طرق عن عبد الله بن عمر، فذكره بلفظ مطول، وقال الترمذي: حديث غريب، وفي إسناده مقال.

(٤) في (ج): فإنه يجزى.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٥١٩).

والثَّانِي: أنه خاصٌّ فِي الكفَّار يُجازَوْن بكُلِّ ما فعلوا[(١)]، فأمَّا المؤمنُ فلَا يُجازى بكُلِّ ما جَنَى، قالَه الحسَنُ البصريُّ.

وقالَ ابْنُ زيْدٍ: وعَدَ اللهُ المؤمنين أن يكفِّر عنهم سيئاتِهم، ولم يَعِدِ المُشركين[(٢)].

قوْله تعَالى: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾.

قالَ أبو سُليمانَ: لا يجد مَن أراد اللهُ أن يَجزيَه بشيءٍ مِن عملِه وليًّا، وهو القريبُ، ولا ناصرًا يمنعه مِن عذابِ الله وجزائِه.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾.

قالَ مسْروقٌ: لَمَّا نزلَتْ: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ قال أهْلُ الكِتاب: نحن وأنتم سواءٌ، فنزلَتْ: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾... الآيةَ[(٣)].

وهذه الآيةُ[(٤)] تدلُّ على ارْتباط الإيمان بالعمل الصَّالِح، فلا يُقبل أحدُهما إلَّا بوجود الآخر.

وقد سبق ذكْرُ «النَّقِيرِ».

---

(١) في (ف): عملوا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥١٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٠٧-٥٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٠٠).

(٤) ليست في (ج).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: خيَّر اللهُ بيْنَ الأدْيانِ بِهذه الآيةِ[١].

و﴿أَسْلَمَ﴾ بمعنى: أخْلَصَ.

وفِي «الوجه» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه الدِّين.

والثَّانِي: العمل.

وفِي «الإحسان» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه[٢] التَّوحيدُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: القيام لله بما فرض الله[٣]، قالَه أبو سُليمانَ [الدِّمشقِيُّ][٤].

وفِي اتِّباع ملَّة إبْراهِيمَ قوْلَانِ:

أحدهما: اتِّباعه على التَّوحيد والطَّاعةِ.

والثَّانِي[٥]: اتباع شريعتِهِ، اخْتاره القاضي أبو يعلى.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٠٤) من طريق العوفي. وكلمة (الآية) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ليس في (ف).

(٤) من المطبوع.

(٥) ليست في (ت).

فأمَّا «الخليل» فقال ابْنُ عبَّاسٍ: الخليلُ: الصَّفِيُّ[(١)].

وقال غيرُه: المُصافِي.

وقالَ الزَّجَّاجُ: هو المُحبُّ الَّذي ليس[(٢)] في محبَّته خللٌ. قال: وقيل: الخليلُ: الفقير، فجائزٌ أن يكون إبراهيمُ سُمِّي خليلَ اللهِ بأنَّه أحبَّه محبَّةً كاملةً، وجائزٌ أن يكون لأنَّه لم يجعل فقرَه وفاقتَهُ إلَّا إليه، و«الخُلَّة»: الصَّداقة[(٣)]؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يسدُّ خللَ صاحبِهِ، و«الخَلَّة» (بفتح الخاء)[(٤)]: الحاجةُ: سُميت خَلَّةً للاختلال[(٥)] الَّذي يلحقُ الانسانَ فيما يحتاج إليه، وسُمِّي الخَلُّ الَّذي يُؤكَلُ خلًّا؛ لأنَّه اخْتُلَّ منه طعمُ الحلاوة[(٦)].

وقال ابْنُ الأنباري: الخَلِيلُ: فَعِيلٌ مِنَ[(٧)] الخُلَّةِ، والخلَّة: المودَّةُ[(٨)].

وقال بعْضُ أهل اللُّغة: الخَلِيلُ، المُحبُّ، والمُحبُّ الَّذي ليس في محبَّتِهِ نقْصٌ ولا خللٌ، والمعْنَى: أنَّه كان يحبُّ اللهَ، ويحبُّهُ اللهُ محبَّةً لا نقص فيها[(٩)]، ولا خلل، ويُقال: الخلِيلُ: الفقير، فالمعنى: اتَّخذه فقيرًا إليه يُنزِلُ[(١٠)] فقرَهُ وفاقتَهُ بهِ، لا بغيره[(١١)].

---

(١) لم أجده مسندًا.

(٢) ليست في (ت).

(٣) ليست في (ت).

(٤) ليست في (ت).

(٥) في (ج): لاحتمال.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٢).

(٧) ليست في (ج).

(٨) الزاهر (١/ ٤٢٥).

(٩) قوله: (لا نقص فيها) ليس في (ج).

(١٠) في (ج): يترك.

(١١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٢).

وفي سببِ اتِّخاذ اللهِ له خليلًا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه اتَّخذه خليلًا لإطْعامِه الطَّعامَ. روي [عَنْ][1] عبدِ اللهِ بن عمْرو عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**يَا جِبْرِيلُ! لِمَ اتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؟ قَالَ: لِإِطْعَامِهِ الطَّعَامَ**»[2].

والثَّاني: أنَّ النَّاس أصابتهم سنَةٌ فأقبلوا إلى[3] باب إبراهيم يطلبون الطَّعامَ، وكانت له مِيرَةٌ من صديق له بمِصرَ في كُل سَنةٍ، فبعث غِلمانَهُ بالإبل إلى صديقِه، فلم يُعْطِهم شيْئًا، فقالوا: لوِ احْتملنا من هذه البطحاءِ ليرى الناسَ أنَّا قد جِئْنَا بمِيرةٍ، فملؤوا الغرائِرَ رمْلًا، ثُمَّ أتوا إلى إبْراهِيم ؛، فأعْلَمُوه، فاهْتَمَّ إبراهيمُ لأجل الخلْقِ. فنامَ وجاءت سارةُ وهي لا تعلم ما كان، ففتحتِ الغرائرَ، فإذا هوَ[4] دقيق حُواري، فأمرتِ الخبَّازين فخبزوا، وأطْعَمُوا النَّاسَ، فاستيقظَ إبْرَاهِيمُ، فقَالَ: مِن أينَ هذَا الطَّعامُ؟ فقالَتْ: مَنْ عنْدِ خَلِيلِكَ المِصريِّ، فقَال: بل من عندِ[5] خليلي الله ﷻ، فيومئذٍ اتَّخذَه اللهُ[6] خليلًا، رواهُ أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) من (ف).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩١٧١)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٨٢)، وفي الوسيط (٢/ ١٢٢) من طريق موسى بن إبراهيم المروزي، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، بنحوه. وموسى بن إبراهيم المروزي كذبه ابن معين، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وانظر: الميزان (٣/ ١٩٩).

(٣) في (ت): على.

(٤) ليست في (ت)، و(ج).

(٥) في (ت) زيادة لفظ الجلالة بعد قوله: (عند).

(٦) في (ت): اتخذ الله إبراهيم.

والثَّالث: أنَّه اتَّخذه خليلًا لكسْرِه الأصْنامَ، وجدالِه قوْمَهُ، قالَه مُقاتِلٌ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النسـاء: ١٢٦].

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾؛ أي: أحـاط علمُـه بِـكُلِّ شيءٍ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ [النسـاء: ١٢٧].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾.

فِي سببِ نُزولِها خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـم كانـوا فِي الجاهليَّـةِ لا يُورِّثـون النِّسـاءَ والأطفـالَ، فلـمَّا فـرض اللهُ المواريـثَ فِي هـذه السـورةِ، شَـقَّ ذلـك عليهـم، فسـألوا رسـولَ الله ﷺ عـن ذلـك، فنزلـت هـذه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، وسـعيدِ بْـنِ جبـيرٍ[٢]، ومُجاهـدٍ[٣]، وقتـادةَ[٤]، وابْـنِ زيْـدٍ[٥].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٥٣١) من طريق سعيد بن جبير، به. وفي (ف): يورثون.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في التفسـير (٧/ ٥٣٢) وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦٠٢١) مـن طريـق عطـاء بـن السـائب، بـه.

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري في التفسـير (٧/ ٥٣٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦٠٢٢) مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، بـه.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٥٣٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٥٤٥).

والثَّـانِي: أنَّ وليَّ اليتيمـةِ كان يتزوَّجُهـا إذا كانـت جميلـةً وهَوِيَهـا، فيـأكل مالَهـا، وإن كانـت دميمـةً منعَهـا الرِّجـالَ حتَّـى تمـوتَ، فـإذا ماتـت ورثَهـا، فنزلـت هـذه الآيـة، رواه ابـن أبي طلحـة عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١].

والثَّالـث: أنَّهـم كانـوا لا يُؤتـون[٢] النسـاء[٣] صَدُقَاتِهِـنَّ، ويتملَّـك ذلـك أولياؤُهـنَّ، فلـمَّا نـزل[٤] قوْلُـه تعـالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النسـاء: ٤] سـألوا رسُـولَ الله ﷺ عـن ذلِـك، فنزلَـتْ هـذه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ عائشـةَ ﵂[٥].

والرَّابـع: أنَّ رجـلًا كانـت لـه امْـرأةٌ كبِـيرةٌ، ولـه منهـا أولادٌ، فـأراد طلاقَهـا، فقالَـتْ: لا تفعـل، وأقْسـم لي فِي كُلِّ شـهرٍ إنْ شـئْتَ أو أكثـر فقَـال: لئـن كان هـذا يصلـحُ، فهـو أحـبُّ إِلَيَّ، فأتـى رسُـولَ الله ﷺ، فذكـر لـه ذلك[٦]، فقَـالَ: «**قَـدْ سَـمِعَ اللهُ مَـا تَقُـولُ، فَـإِنْ شَـاءَ أَجَابَـكَ**»، فنزَلَـتْ هـذه الآيَـةُ، والَّتِـي بعْدَهَـا، رَواه سَـالِمٌ الأفْطَـسُ عـن سَـعيدِ بْـنِ جُبَـير[٧].

(**والخامـس**: أنَّ وليَّ اليتيمـةِ كان إذا رغِـبَ)[٨] فِي مالهـا وجمالِهـا لم يبسـط لهـا فِي صداقِهـا، فنزلَـتْ هـذه الآيـةُ، ونُهـوا أن ينكِحُوهـنَّ، أو يبلغـوا بِهِـنَّ عـلى سُـنَّتِهِن مِـن الصَّـداق، ذكـرَهُ القـاضي أبـو يعْـلَى.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٥٤٣) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) في (ف): يورثون.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ج): نزلت.

(٥) رواه البخاري (٢٤٩٤).

(٦) في (ج): ذلك له.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠١٩).

(٨) العبارة ساقطة من (ت).

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾؛ أي: يطْلُبـون منـك[١] الفتـوى، وهـي تبيـين المُشْـكِلِ مِـنَ الأحْـكامِ. وقيـل: الاسْـتِفتاءُ: الِاسْـتِخبَارُ.

قـال المفـسِّرُون: والَّـذي اسْـتَفْتَوه فيـه مـيراثُ النِّسـاءِ، وذلـك أنَّهـم قالـوا: كيـف تـرِثُ المـرأةُ والصبـيُّ الصغـير؟.

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: موْضِـعُ «مَـا» رفـعٌ، المعنـى: اللهُ يُفتيكـم فيهـنَّ، ومـا يُتـلى عليكـم فِي الكتـاب أيضًـا يُفتيكـم فيهِـنَّ. وهـوَ قوْلُـه تعـالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾... الآيـةَ [النسـاء: ٢][٢]. والَّـذي تُـلِيَ[٣] عليهـم فِي التَّزْويـج[٤] قوْلُـه تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النسـاء: ٣].

وفِي يتَامى النِّساء قوْلَان:

أحدُهمـا: أنَّهـنَّ النِّسـاءُ اليتَامـى، فأُضِيفـتِ الصِّفـةُ إلى الِاسْـم، كـما تقـول: يـوم[٥] الجمعة[٦].

والثَّاني: أنَّهنَّ أمهاتُ اليتَامى، فأضيف إِليهِنَّ أولادُهنَّ اليتَامى.

(١) ليست في (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٤).

(٣) في (ج): يتلى.

(٤) في (ت): التزوج.

(٥) في (ج): في يوم.

(٦) في حاشـية (ف): (في يتامـى النسـاء) أضـاف الصفـة إلى الموصـوف، وليـس كذلـك يـوم الجمعـة فإنـه أضـاف الموصـوف إلى الصفـة؛ لأنـه أصلـه اليـوم الجامـع.

وفِي الَّذِي كُتب لهُنَّ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الميراثُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ فِي آخَرين.

والثَّانِي: أنَّه الصَّداقُ.

ثُمَّ فِي المخاطب بهذا قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهُم[1] أولياءُ المرأة كانوا يَحُوزونَ صداقَها دُونَها.

والثَّانِي: وليُّ اليتيمةِ، كان إذا تزوَّجَها لم يعدِلْ فِي صداقِها.

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ **قوْلَان:**

أحدُهما: وترْغَبُون فِي نكاحِهنَّ رغبةً فِي جمالِهن، وأموالِهنَّ، هذا قوْلُ عائِشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وعبيدةَ.

والثَّانِي: وترغبون عن نكاحِهنَّ لِقُبحِهنَّ، فتمسِكُوهنَّ[2] رغبةً فِي أموالِهنَّ، وهذا قوْلُ الحسَنِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾.

(قالَ الزَّجَّاج: موضع «المستضعفين»)[3] خفْضٌ على قوْلِه تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ المعنى: وفِي الولدان[4].

قال ابْنُ عبَّاسٍ: يريد أنَّهم لم يكونوا يُورِّثُون صغيرًا مِنَ الغِلمان والجواري، فنهَاهُم اللهُ تعالى عن ذلك، وبيَّن لكلِّ ذي[5] سهْمٍ سهمَهُ[6].

---

(١) في (ت) زيادة: كانوا.

(٢) ليست في (ت).

(٣) العبارة ساقطة من (ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٥).

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٥٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٢٨) من=

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاج: موضِـعُ «أن» خفـضٌ، فالمعْنـى: فِي يتامـى النِّسـاء، وفِي أنْ تقومـوا لليتامـى بالقسـط[١].

قال ابْنُ عبَّاسٍ: يريد العدْلَ فِي مُهورِهِنَّ ومَواريثِهنَّ[٢].

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النسـاء: ١٢٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾.

فِي سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدهـا: أنَّ سـودَةَ خشِـيت أن يُطلِّقَهـا رسـولُ الله ﷺ، فقالَـتْ: يا رسـولَ اللهِ لا تُطلقنِـي، وأمْسـكني، واجْعَـلْ يومـي لِعائشـةَ، ففعَـلَ، فنزلَـتْ هـذه الآيةُ، رَواهُ عِكرمـةُ عـن ابْنِ عبَّـاسٍ[٣].

والثَّـانِي: أنَّ بنـتَ مُحمَّـد بْـنِ مسـلمة[٤] كانـت تحـتَ رافـع بـن خدِيـج، فكَـرِهَ منهـا أمـرًا، إمَّـا كِـبَرًا، وإمـا غـيرَهُ، فـأرَادَ طلاقَهـا، فقالَـتْ: لا تُطلقنـي، وأقْسـم لي مـا شـئْت، فنزَلَـتْ هـذه الآيَـةُ، رواه الزُّهـريُّ عـن سـعيد بـن

=طريق علي بن أبي طلحة، به.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٣٠) من طريق الضَّحَّاكِ.

(٣) رواه الطيالسي في مسنده (٢٨٠٥)، والترمذي (٣٠٤٠) وقال: حسن غريب، وابن أبي حاتم في التفسير (٦٠٣٦- ٦٠٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٥- ١١٧٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٤٧٣٥) وغيرهم من طريق سماك بن حرب، عن عكرمة، به.

(٤) في (ج): سلمة.

المسيِّب[١]. وقالَ مُقاتلٌ: واسمُها خُويلةُ[٢].

والثَّالث: قد ذكرناهُ[٣] عن سالم الأفطَسِ عن سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ فِي نُزولِ الآيةِ الَّتي قبلها[٤].

وقالَتْ عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: نزلَتْ فِي المرأة تكون عند الرَّجُل، فلا يستكثِرُ منها، ويُريد فِراقَها[٥]، ولعلَّها تكون له محبَّةً أو يكون لها ولدٌ فتكْرَهُ فِراقَه، فتقولُ له: لا تطلقْنِي وأمْسكْنِي، وأنْتَ فِي حِلٍّ مِن شأنِي. رَواه البُخاريُّ، ومسلمٌ[٦].

وفِي خوْفِ النُّشوز قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه العلمُ به عند ظهورِه.

والثَّانِي: الحذر مِن وجوده لأماراته.

قال الزَّجَّاجُ: والنُّشوزُ مِن بعْلِ المرْأَةِ: أن يُسيءَ عشرتَها، وأن يمنعَها نفسَه ونفقتَهُ[٧].

---

(١) رواه الشافعي في مسنده (١٧٣٤)، ابن أبي شيبة (١٦٤٦٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في الكبرى (١٣٤٣٦)، وفي الصغرى (٢٦٠٤).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤١٢).

(٣) في (ت): ذكرنا.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠١٩).

(٥) في (ت): طلاقها.

(٦) البخاري(٢٤٥٠- ٢٦٩٤- ٤٦٠١- ٥٢٠٦)، ومسلم (٣٠٢١).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٥).

وقالَ أبو سُليمان [الدِّمشقيُّ][(١)]: نشوزًا؛ أي: نَبوًا عنْهَا إلى غيرها، أو إعراضًا عنها، واشتغالًا بغيرها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا﴾ قرأَ ابْنُ كثير، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «يَصَّالَحا» بفتْحِ الياء والتَّشديد[(٢)]. والأصل: «يتَصالَحا»، فأدغمتِ التَّاءُ في الصَّاد.

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «يُصلحا» بضم الياء[(٣)] والتَّخفيف[(٤)].

قال المُفسِّرُون: والمعنى: أن يوقِعَا بينهما أمرًا يَرْضَيانِ بِهِ، وتدومُ بينهما الصُّحبةُ؛ مثل: أن تصْبِرَ على تفْضِيله.

وروي عن عليٍّ، وابْنِ عبَّاسٍ: أنَّهُما أجازا لهما أن يَصطلِحَا على ترْكِ بعْضِ مهْرِها، أو بعْضِ أيَّامِها، بأن يجعلَه[(٥)] لغيرِها.

وفي قوْله تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ قوْلانِ:

أحدهما: خيْرٌ منَ[(٦)] الفُرقة، قالَه مُقاتِلٌ، والزَّجَّاجُ[(٧)].

---

(١) من (ف).

(٢) السبعة (ص:٢٣٨)، ومعاني القراءات (١/ ٣١٨)، والحجة (٣/ ١٨٣).

(٣) في (ت): التاء.

(٤) المبسوط (ص: ١٨٢)، وقرئ شاذًا ﴿يَصَّلِحا﴾؛ أي: يصطلحا؛ أي: يفتعلا، فأبدلت الطاء صادًا ثم أدغم فيها الصاد التي هي فاء الكلمة. انظر: المحتسب (١/ ٢٠١)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٣٦) عن الجحدري، وفي شواذ القراءات (ص: ١٤٤) عن الأعمش: ﴿إن اصَّالحا﴾.

(٥) في (ف): تجعله.

(٦) في (ج): عن. وكلمة: (خير) ليست في (ف).

(٧) تفسير مقاتل (١/ ٤١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٦).

والثَّانِي: خيرٌ مِنَ النُّشوز والإِعْرَاضِ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[١].

قـال قتـادَةُ: متـى مـا رَضِيـتْ بـدون مـا كان لهـا، واصْطلَحـا عليـه، جـاز، فـإنْ أبـتْ لم يَصلـحْ أن يحبسَـها[٢] عـلى الخسْـفِ[٣][٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾.

«أُحضرت» بمعنى: أُلزمت.

و«الشُّح»: الإِفْراطُ فِي الحِرص علَى الشَّيءِ.

وقـالَ ابْـنُ فـارسٍ: «الشُّـحُّ»: البُخـلُ مـعَ الحِـرصِ، وتشـاحَّ الرَّجُـلانِ عـلَى الأمْـر: لا يريـدان أن يفُوتَهُـمَا[٥].

وفيمَنْ يعُود إِليه هذا الشُّحُّ مِنَ الزَّوجين[٦] قوْلَانِ:

أحدُهمـا: المـرأةُ، فتقديـره: وأُحـضرت نفـسُ المـرأةِ الشُّـحَّ[٧] بحقِّهـا مـن زوْجِهـا، هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وسـعِيدِ بْـنِ جُبـيرٍ. [١٦٩/أ]

والثَّـانِي: الزَّوجـانِ جميعًـا، فالمـرأة تَشـحُّ عـلَى مكانِها مِـن زوجِهـا، والرَّجُلُ يشـحُّ عليهـا بنفسِـه إِذا كان غيرُهـا أحـبَّ إِليه، هذا قـوْلُ[٨] الزَّجَّـاجِ[٩].

---

(١) النكت والعيون (١/ ٥٣٣).

(٢) أشار ناسخ (ف) إلى نسخة فيها: يحملها.

(٣) في حاشية (ف): الخسف: الذلُّ.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٥٦) من طريق سعيد، به.

(٥) مقاييس اللغة (٣/ ١٧٨).

(٦) قوله: (من الزوجين) ليس في (ف).

(٧) ليست في (ج).

(٨) في (ج): قال.

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٦).

وقالَ ابْنُ زيْدٍ: لا تطيب نفسُه أن يعطيَها شيئًا فتحلله، ولا تطيب نفسها أن تعطيَه شيئًا من مالِها، فتعطِّفه عليها(١).

قوْله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ **فيه قوْلانِ:**

أحدهما: بالصَّبر على الَّتي(٢) يكرهُهَا.

والثَّانِي: بالإِحْسان إِليها فِي عشرتِهَا.

قوْله تعالى: ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ يعني الجورَ عليها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازيكم عليه.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩].

قوْله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

قالَ أهْلُ التَّفسيرِ: لن تَطِيقوا أن تسوُّوا بينهُنَّ فِي المحبَّةِ الَّتي هي ميْلُ الطِّباع(٣)؛ لأنَّ ذلك ليس من كسبِكُم ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلِك ﴿فَلَا تَمِيلُواْ﴾ إِلى الَّتي تُحبُّون فِي النَّفقة والقسم(٤).

وقال مجاهِدٌ: لا تتعمَّدُوا الإِساءةَ فتَذَرُوا الأُخرَى كالمعلَّقة(٥).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٦٤).

(٢) في الأصل: الذي، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ف): الطبع.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٥٦٦)، والتفسير البسيط (٧/ ١٣٣).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٦٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: المعلَّقةُ: الَّتي لا هي أيِّمٌ، ولا ذاتُ بعْلٍ[١].

وقالَ قتادةُ: المعلَّقةُ[٢]: المسجونةُ[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾؛ (أي: بالعدْلِ)[٤] في القسمة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجورَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمَيْلِ القُلوبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء: ١٣٠، ١٣٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾.

يقول: وإنْ أبتِ المرأةُ [أنْ][٥] تسمَحَ لزوجِها بإيثارِ الَّتي يميلُ إليها، واختارتِ الفُرقةَ، فإنَّ الله يُغني كلَّ واحدٍ من سَعَتِه.

قال ابْنُ السَّائبِ: يُغْنِي المرأةَ برَجُلٍ، والرَّجلَ بامْرأةٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) من قوله: (قال ابن عباس)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٦٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) ليست في (ف).

(٥) من (ت)، و(ج)، و(ف).

ثم ذكر ما يوجب الرَّغبة إليه في طلب الخَيْر، فقال: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يعْنِي: أهْلَ[1] التَّوراة، والإنجيل، وسائر الكتاب ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ يا أهلَ القُرآن ﴿ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ قيل: وحِّدُوه ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا ﴾ بما أوْصاكم به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فلا يضرُّه خِلافكم. وقِيل: له ما في السَّماوات، وما في الأرض من الملائكة، فهُم أطْوعُ منْكُم.

وقد ذكرْنا في سُورة «البقرة» معْنَى «الغني والحميد»، وفي «آل عمران» معنى «الوكيل».

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) ﴾ [النساء: ١٣٣].

قوْلُه تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يُريد المشركين والمُنافقين ﴿ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ أطوعَ له منْكُم[2].

وقال أبو سُليمان: هذا تَهديدٌ[3] للكفار، يقول: إن يشأْ يُهلككم كما أهلك مَن [كانَ][4] قبلكم إذْ كفروا به، وكذَّبُوا رسلَه.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾ [النساء: ١٣٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) البحر المحيط (٤/ ٩٢).

(٣) في (ت): تهددٌ.

(٤) من (ف).

قيل: إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ من أجل المُنافقين كانوا لا يُصدِّقون بالقيامةِ، وإنَّما يطلبون عاجلَ الدُّنيا، ذكرَهُ أبو سليمان.

وقالَ الزَّجَّاجُ: كان مشركو العربِ يتقرَّبُون إلى الله لِيعطيَهُم مِن خيرِ الدُّنيا، ويَصرِفَ عنهم شرَّها، ولا[١] يؤمنون بالبعث، فأَعْلَم اللهُ ﷻ أنَّ خيرَ الدُّنيا والآخرة عنده[٢].

وذكر الماوردِيُّ أنَّ المراد بثواب الدُّنيا: الغنيمةُ فِي الجهاد، وثواب [١٦٩/ب] الآخرة: الجنَّةُ. [قال][٣]: والمُراد بالآية: حَثُّ المجاهِدِ على قصْدِ ثوابِ اللهِ تعالى[٤].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ فقيرًا وغنيًّا اخْتصَمَا إلى النَّبيِّ ﷺ، فكانَ صَغْوُه[٥] معَ الفقيرِ يرَى أنَّ الفقيرَ لا يَظلم الغنيَّ[٦]، فنزلَتْ هذه الآيةُ، هذا قوْلُ السُّدِّيِّ[٧].

---

(١) في (ت): شر هؤلاء.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٧).

(٣) من (ت).

(٤) النكت والعيون (١/ ٥٣٤).

(٥) أي: ميْله.

(٦) ليست في (ج).

(٧) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٥) من طريق أسباط بن نصر، به.

والثَّانِي: أنَّها مُتعلِّقَةٌ بقصَّةِ ابْنِ أُبَيرِقَ، فهي خِطابٌ للَّذِين جادَلُوا عنه، ذكَرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

و «القوَّام»: مُبالغَةٌ مِن قائِم. و«القِسْطُ»: العدْلُ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كُونوا قوَّالِينَ بالعدْلِ فِي الشَّهادةِ علَى مَن كانَتْ، ولَوْ علَى أنْفُسِكُم[(١)].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى الكلامِ: قُومُوا بالعدْلِ، واشْهدُوا للهِ بالحَقِّ، وإنْ كانَ الحَقُّ علَى الشَّاهِدِ، أو علَى والِديْهِ، أو قريبِهِ، إنْ يَكُنِ المَشهودُ له غَنِيًّا فاللهُ أوْلى بِهِ، وإنْ[(٢)] يكنْ فقيرًا فاللهُ أوْلَى بهِ[(٣)].

فأمَّا الشَّهادةُ على النَّفسِ، فهي إقْرارُ الإنْسانِ بما عليه مِن حقٍّ. وقد أمَرتِ الآيةُ بأنْ لا يُنظرَ إلى فقْرِ المَشهُودِ عليْهِ، ولَا إلى غِناه، فإنَّ اللهَ تعالى أوْلَى بالنَّظرِ إليْهِما.

قالَ عطاءٌ: لا تَحِيفُوا على الفقِيرِ، ولا تُعظِّمُوا الغنِيَّ، فتُمْسِكُوا عنِ القوْلِ فيه[(٤)].

ومِمَّن قالَ: إنَّ الآيةَ نزلَتْ فِي الشَّهادَاتِ، ابْنُ عبَّاسٍ[(٥)]، والحَسَنُ[(٦)]،

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٦)، و رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) في الأصل: فأما وإن.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٨).

(٤) التفسير البسيط (٧/ ١٤١).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٦) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٩٨).

ومُجاهِـدٌ[١]، وعِكرمَـةُ، والزُّهـريُّ[٢]، وقتـادَةُ[٣]، والضَّحَّـاكُ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ ﴾.

فيهِ أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ معنـاه: فـلا تَتَبِعُـوا الهـوَى، واتَّقُـوا اللهَ أنْ تعدِلُـوا عـنِ الحَـقِّ، قالَـه مُقاتـلٌ.

والثَّاني: فلا تَتَّبعُوا الهَوَى لِتعْدِلُوا، قالَه الزَّجَّاجُ[٥].

والثَّالث: فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى كَراهِيَّةَ أنْ تعْدِلُوا عنِ الحَقِّ.

والرَّابعُ: فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى فتَعْدِلُوا[٦]، ذكرَهُما الماوردِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وعَاصِـمٌ، والكِسـائِيُّ: ﴿تَلۡوُۥٓاْ ﴾ بوَاوَيْـنِ: الأُولى مَضْمومَـةٌ، والـلَّامُ سـاكِنَةٌ[٧].

وفِي معْنَى هذه القِراءةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنْ يلوِيَ الشَّاهِدُ لِسانَهُ بالشَّهادَةِ إلَى غيْرِ الحَقِّ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٦) من طريق يونس، به.

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٧/ ٥٨٧)، وابـن أبي حاتـم في التفسـير (٦٠٨١) مـن طريـق يزيـد بـن زُريـع ، عـن سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٢) من طريق عبيد بن سليمان، به.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٨).

(٦) في (ت): فيعتدلوا. ومن قوله: (قاله الزجاج)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٧) السـبعة (ص: ٢٣٨-٢٣٩)، ومعـاني القـراءات (١/ ٣١٨)، والحجـة (٣/ ١٨٥)، والمبسـوط (ص: ١٨٢).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يلْوِي لِسانَهُ بغيْرِ الحَقِّ، ولا يُقيمُ الشَّهادةَ علَى وجْهِهَا، أو يُعرضُ عنها ويتْرُكُها[1]. وهذا قوْلُ مجاهدٍ، وسعِيدِ بْنِ جُبير، والضَّحَّاكِ، وقتادَةَ، والسُّدِّيِّ، وابْنِ زيْدٍ.

والثَّانِي: أن يلوِيَ الحاكمُ وجْهَه[2] إلى بعْضِ الخُصومِ، أو يُعرِضَ عن بعضِهِم[3]، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثَّالث: أنْ يلوِيَ الإنْسانُ عُنقَه إعْراضًا عنْ أمْرِ اللهِ لِكبْرِهِ وعُتوِّه. ويكون: «أو تعرضوا» بمعنى: وتعرضوا، ذكرَهُ الماوردِيُّ.

وقَرأ الأعمشُ، وحمْزةُ، وابْنُ عامِرٍ: «تَلُوا»[4] بواو واحدةٍ، واللَّامُ مضمومَةٌ[5]. والمعنى: وأنْ تَلُوا أمورَ النَّاس، أو تَتْرُكوا، فيكون الخِطابُ للحكَّام.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٩) من طريق أبي ظبيان، به.

(٢) ليست في (ت).

(٣) في حاشية (ف): لوَى رَأسه وألْوى برَأْسِهِ، أمَال وَأعْرض. وَقَوله تَعَالَى: {وَإِن تلووا أَو تعرضوا} بواوين، قَالَ ابْن عَبَّاس: هُوَ القَاضِي يكون ليُّه وإعراضه لأحد الخَصْمَيْنِ على الآخر. الصحاح. انظر: الصحاح؛ للجوهري (٦/ ٢٤٨٥).

(٤) ليست في (ت).

(٥) عن ابن عامر وحمزة في معاني القراءات (١/ ٣١٩)، والحجة (٣/ ١٨٥)، وعن الأعمش في الإتحاف (ص: ٥٢٢)، وقرأ الكسائي وقتيبة عن أبي جعفر: ﴿تَلُوُوا﴾. انظر: شواذ القراءات (ص: ١٤٥).

قوْله تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. [١٧٠/أ]

فِي سبب نُزولِها قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّ عبدَ الله بْنَ سلام، وأسدًا، وأُسيدًا ابْنَيْ كعْبٍ، وثعلبةَ بْنَ قيْسٍ، وسلامًا، وسلمَةَ، ويامِينَ. وهؤلاء مؤمِنو أهْلِ الكتابِ أَتَوْا رسُولَ الله ﷺ فقالُوا: يا رسُولَ الله! نُؤمنُ بكَ، وبكتابِكَ، وبِمُوسى، والتَّوراةِ، وعُزيرٍ، ونكفُر بما سِوى ذلك مِنَ الكُتبِ والرُّسل، فنزلَت هذه الآيةُ، رواه أبو صالح عن ابْنِ عبَّاسٍ[1].

والثَّانِي: أنَّ مُؤمِني أهْلِ الكتاب كان بيْنَهُم وبيْنَ اليهودِ كلامٌ لَّما أسْلَمُوا، فنزلَتْ هذه الآيةُ، هذا قوْلُ مقاتِلٍ[2].

وفِي المُشار إليهم بقوْله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ المسلمونَ، قالَه الحسَنُ. فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا[3] بمحمَّدٍ والقرآنِ اثبُتوا على إيمانِكُم.

والثَّانِي: اليهودُ والنَّصارى، قالَه الضَّحَّاكُ. فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بمُوسى، والتوراةِ، وبعيسى، والإنْجيلِ: آمِنوا بمحمَّدٍ والقرآنِ.

والثَّالِث: المُنافقون، قالَه مُجاهِدٌ. فيكون المعْنَى: يا أيها الَّذين آمنوا فِي الظَّاهِر بألْسِنَتِهِم، آمِنُوا بقُلُوبِكُم.

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ ٤٠١).

(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤١٤).

(٣) من قوله: (أحدها: أنهم)... إلى هنا ساقط من (ج).

قوْله تعَالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثـير، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـر: «نُـزِّل عـلَى رسـولِهِ، والكتـاب الَّـذي أُنـزل» مضمومتين.

وقـرَأ نافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: «نَـزَّلَ عـلى رسُـولِه، والكتابِ الَّـذي أنْـزَلَ» مفتوحتين[1].

والمُـراد بالكتـاب الَّـذِي نَـزلَ[2] عـلى رسـولِه القـرآنُ، والكتـابُ الَّـذي أُنـزل مـن قبْـلُ: كلُّ كتـابٍ أُنـزل قبـل[3] القـرآنِ، فيكـون «الكتـاب» هَاهُنـا اسْـم جنْـسٍ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النسـاء: ١٣٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَن نزلَتْ علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُهـا: [أنَّهـا][4] فِي اليهـود آمَنـوا بموسـى، ثُـمَّ كفـروا بعْـد موسـى، ثـم آمَنـوا بعُزيـرٍ، ثُـمَّ كفـروا بعـدَه بعيسـى، ثُـمَّ ازْدادوا كفـرًا بمُحمَّـدٍ ﷺ، هـذَا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ[5].

---

(١) السبعة (ص: ٢٣٨)، ومعاني القراءات (١/ ٣١٨)، والحجة (٣/ ١٨٣-١٨٤)، والمبسوط (ص: ١٨٢).

(٢) في (ج): أنزل.

(٣) في (ج): من قبل.

(٤) من (ت).

(٥) التفسير البسيط (٧/ ١٤٧)، وتفسير الخازن (١/ ٤٣٨).

ورُوي عنْ قتادَةَ قالَ: آمَنوا بمُوسى، ثُمَّ كفروا بعبادَةِ العجل، ثُمَّ آمَنوا بهِ بعد عوْدِه، ثُمَّ كفروا بعِيسى، ثُمَّ ازْدادوا كفرًا بمحمَّدٍ ﷺ[1].

والثَّاني: أنَّها فِي اليهود والنَّصارى، آمَنَ[2] اليهودُ بالتَّوراة، وكفروا بالإنْجيل، وآمَنَ النَّصارى بالإنْجيل. ثُمَّ تَركُوه وكفروا به، ثُمَّ ازْدادوا كفرًا بالقرآن وبمحمَّدٍ ﷺ، رواه شيبانُ عنْ قتادَةَ[3].

ورُوي عن الحسَنِ قالَ: هُم قوْمٌ مِن أهْلِ الكتابِ، قصَدُوا تشْكِيكَ المُؤمِنينَ، فكانوا يُظْهِرُون الإيمانَ ثُم الكُفرَ[4]، ثُمَّ ازْدادوا كفرًا بثُبوتِهم علَى دينِهم[5].

وقالَ مُقاتِلٌ: آمَنوا بالتَّوراةِ ومُوسى، ثُمَّ كفروا مِن بعدِ مُوسى، (ثُمَّ آمَنوا بعِيسى والإنْجيل، ثُمَّ كفروا مِن بعدِه)[6]، ثُمَّ ازْدادوا كفرًا بمحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ[7].

والثَّالث: أنَّها فِي المُنافقين آمَنُوا، ثُم ارْتدُّوا، ثُمَّ ماتوا علَى كُفرهم، [١٧٠/ ب] قالَه مُجاهِدٌ[8].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٦-٥٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦١١٢- ٦١١٣- ٦١١٦- ٦١١٧) من طريق معمر، به.

(٢) في (ج): أقرَّ.

(٣) لم أجده.

(٤) في (ج): والكفر.

(٥) البحر المحيط (٤/ ٩٩).

(٦) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٧) تفسير مقاتل (١/ ٤١٤).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٧) لابن المنذر.

وروى ابنُ جُريج عن مجاهِد: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ قالَ: ثبتوا عليه حتَّى ماتُوا(١).

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقامُوا(٢) علَى ذلك ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾؛ أي: لا يجعلُهم بكفرِهم مُهتدِينَ(٣).

[قالَ](٤): وإنَّما علَّق امْتِناعَ المغْفِرة بكُفرٍ بعْدَ كُفرٍ؛ لأنَّ المؤمِنَ بعْدَ الكُفرِ يُغفرُ له كفْرُهُ، فإذا ارتدَّ طُولِب بالكُفر الأوَّلِ.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾ [النساء: ١٣٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

زعَم مُقاتِلٌ أنَّه لَمَّا نزلَتِ المغْفِرةُ في سُورةِ الفتْحِ للنَّبيِّ ﷺ والمُؤمِنينَ قالَ عبْدُ الله بْنُ أُبيٍّ ونفَرٌ معَهُ: فما لنَا؟ فنزلَتْ هذِه الآيةُ(٥).

وقالَ غيْرُه: كانَ المُنافِقونُ يتولَّون اليهودَ، فأُلحِقوا بِهِم في التَّبْشيرِ بالعذَاب(٦).

[وقالَ الزَّجَّاجُ: معْنى الآيةِ: اجْعلْ موضِعَ بِشارَتِهمُ العذابَ](٧).

والعرَبُ تقُول: تحيتُكَ الضَّربُ؛ أي: هذا بدلٌ لك مِنَ التَّحيَّةِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٧).

(٢) في (ت): قاموا.

(٣) لم أجده.

(٤) من (ت)، و(ج).

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٦٩).

(٦) التفسير البسيط (٧/ ١٥١).

(٧) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

قال الشَّاعِرُ [من الوافر]:

وَخَيْـلٍ قَـدْ دَلَفْـتُ لَهَـا بِخَيْـلٍ   تَحِيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَرْبٌ وَجِيـعُ(١)

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يتَّخِذُون اليهودَ أوْلياءَ فِي العوْنِ والنُّصرة(٢).

قوْلُـه تعـالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾؛ أي: القـوَّةَ بالظُّهـور عـلى مُحمَّـدٍ وأصْحابِـهِ. والمعنـى: أيتَّقُـون بِهِـم؟

قـالَ مُقاتِـلٌ: وذلِـك أنَّ اليهـودَ أعانُـوا مُشركِـي العـرَبِ عـلَى قِتـالِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ(٣).

وقَالَ الزَّجَّاجُ: أيبْتَغِي المُنافِقُون عنْد الكافرين(٤) العِزَّةَ.

و«العزَّةُ»: المنعَةُ، وشدَّةُ الغَلَبةِ، وهو مأْخُوذٌ مِن قوْلِهِم: أرْض عَزازٌ(٥).

قـالَ الأصمعـي: العَـزازُ: الأرْضُ الَّتِـي لا تُنْبِـت. فتأويـل العِـزَّة: الغَلَبـةُ والشِّـدَّةُ الَّتِـي لا يتعلَّـق بِهـا إذْلالٌ.

---

(١) معـاني القـرآن وإعرابـه (٢/ ١٢٠)، والبيـت للخنسـاء في ديوانهـا (ص: ٧٣)، والكتـاب (٢/ ٣٢٣) غـير منسـوب، والعمـدة لابـن رشـيق (ص: ٢١٠) ونسـبه أنـه مـن قـول عمرو بن معـدي كـرب، والمقتضـب (٢/ ٢٠)، والخصائـص (١/ ٣٦٨) بـلا نسـبة، ودلفـت: زحفـت.

(٢) لم أجده مسندًا.

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٤١٥).

(٤) في (ت): الكافر.

(٥) العزاز: الأرض الصلبة، وأعز الرجل وقع في هذه الأرض.

قالتِ الخَنْسَاءُ [من المتقارب]:

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمىً يُتَّقَى ... إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا[1]

أي: من قوي وغَلَبَ سَلبَ.

ويُقال: قد استُعِزَّ على المريضِ؛ أي: اشتدَّ وجعُه. وكذلِك قولُ النَّاس: يَعزُّ عليَّ أن يفعَلَ[2]؛ أي: يشتَدُّ، وقولهم: قد عزَّ الشَّيءُ: إذا لم يُوجَدْ، معناه: صعُبَ أن يُوجَدَ، والباب واحِدٌ.

قوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾.

وقرَأ عاصِمٌ، ويعْقوبُ: [«نَزَّل»][3] بفتْح النُّون والزَّاي[4].

قال المفسِّرُون: الَّذي نُزِّلَ عليهم[5] في النَّهي عن مُجالستِهم، قوْلُه تعالى في «الأنعام»: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: ٦٨] وكان المُنافقون يجلسون إلى أحْبَار اليهُودِ، فيسْخَرُون مِنَ القرآن ويُكذِّبُون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٠) والبيت من المتقارب، وهو في ديوانها (ص: ٢٧٤)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٤٩)، والصاحب في فقه اللغة (ص: ١٦٢)، والمستقصي (٢/ ٣٥٧)، ومغني اللبيب (١/ ٨).

(٢) في (ف): تفعل.

(٣) من (ف).

(٤) السبعة (ص: ٢٣٩)، ومعاني القراءات (١/ ٣٢٠)، والحجة (٣/ ١٨٧)، والمبسوط (ص: ١٨٢).

(٥) ليست في (ف).

بـه، فنهـى اللهُ المُسـلمين عـن مجالَسـتِهم.

و﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هي القُرآنُ.

والمعْنَـى: إذا سـمعْتُمُ الكفـرَ[١] بآيـاتِ الله، والاسـتهزاءَ بِهـا، فـلا تقْعُـدوا معهـم حتـى يأخـذوا في حديـثٍ غـيرِ الكُفـر، والاسـتهزاءِ. ﴿إِنَّكُمْ﴾ إنْ[٢] جالَسْتُمُوهم علـى مـا هُـم عليـه مـن ذلِـك، فأنْتُـم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾.

وفي ماذا[٣] تقَعُ المُماثَلةُ فيه، قوْلانِ:

أحدهما: فِي العِصيان.

والثَّانِي: فِي الرِّضى بحالِهم؛ لأنَّ مُجالسَ الكافرِ غيْرُ كافِرٍ.

وقد نبَّهتِ الآيَةُ على التَّحذير مِن مجالسةِ العُصاةِ. [١٧١/أ]

قـالَ إبراهيـم النَّخعـيُّ: إنَّ الرَّجُـل لَيجلـسُ (فِي المجلِـس)[٤] فيتكلَّـم بالكلمـةِ، فـيُرْضَي اللهَ بِهـا، فتُصيبُـه الرَّحمـةُ فتعـمُّ مَـن حوْلَـه، وإنَّ الرَّجُـل لَيجلِـسُ فِي[٥] المجلـس، فيتكَلَّـم بالكلمـة، فيسـخطُ اللهُ بِهـا، فيُصيبـه السَّـخطُ، فتَعـمُّ مَـن حوْلـه[٦].

---

(١) ساقطة من (ج).

(٢) ليست في (ت).

(٣) في (ف): وفيما.

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ت).

(٦) الزهـد لهنـاد (٢/ ٥٥٣). ومـن قولـه: (وإن الرجـل ليجلـس في المجلـس)... إلى هنـا سـاقط مـن (ف).

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾.

قالَ أبو سُليمانَ: هذه الآيةُ نزلَتْ فِي المنافقين خاصَّةً.

قالَ مُقاتل: كان المُنافقون يتَرَبَّصُون بالمؤمنين الدَّوائِرَ، فإنْ كانَ الفتْحُ، قالوا ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فأعْطُونا مِنَ الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾؛ أي: دولةٌ على المؤمنين، قالوا للكفَّار[١]: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾[٢].

قال المبرِّد: ومعنى: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾: ألم نغلبْكم على رأيكم[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: ألم نغلبْ عليكم بالموالاةِ لكم. و«نستحوذ» فِي اللُّغة، بمعنى: نستولِي، يقال: حُذْتُ الإبِلَ، وحُزْتُها: إذا استوليتُ عليها وجمعْتُها[٤].

وقال غيْرُه: ألم نستولِ عليكم بالمعونة[٥] والنُّصرة؟.

وقالَ ابْنُ جُريج: ألم نبيِّنْ لكم أنَّا على دينكم؟[٦].

---

(١) في (ج): للكافرين.
(٢) تفسير مقاتل (١/ ٤١٦).
(٣) التفسير البسيط (٧/ ١٥٨)، تفسير البغوي (٢/ ٣٠٢).
(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٢).
(٥) في (ج): بالمعرفة.
(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٠٨).

وفي قوْله تعَالى: ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: نمنعْكُم مِنْهُم بتخذيلِهِم عنْكُم.

والثَّانِي: بما نُعلِمْكم مِن أخبارهم.

والثَّالث: بصَرْفِنا إيَّاكم عنِ الدُّخول فِي الإِيمان.

ومُراد الكلام: إظهارُ المِنَّةِ مِنَ المُنافقين على الكفَّار؛ [أي][1]: فاعْرِفُوا [لنا][2] هذا الحقَّ عليْكُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعْنِي المُؤمنين والمُنافقين.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد أنَّه أخَّر عِقابَ المُنافقين[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

فيهِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه لا سبيلَ لهم عليْهِم[4] يوْمَ القيامة، روى يُسَيْعُ[5] الحَضْرَمِيُّ[6] عنْ عليِّ بْنِ أبي طَالِبٍ ﷺ أنَّ رجُلًا جاءَهُ، فقَالَ: أرأيْتَ قوْلَ الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهمْ يُقاتِلونَنا[7]

---

(١) من (ت).

(٢) من (ت)، (ج)، و(ف).

(٣) التفسير البسيط (٧/ ١٥٩).

(٤) ليست في (ت).

(٥) في (ج): سبيع.

(٦) يُسَيْع بن مَعْدان الحضرمي الكوفي، ويُقال له: أُسيع. ثقةٌ يُعد فِي الكوفيين سمع عليًا وروى عن النعمان بن بشير، وعنه: ذر الهمداني، قال ابْنُ حجر: ثقة. انظر: التاريخ الكبير؛ للبخاري (٨/ ٤٣٥)، والتقريب؛ لابن حجر (٧٨١٠).

(٧) في (ت): يقتلونا.

[فَيَظْهَرُون ويَقْتُلُون][(١)]، فقَال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يومَ القِيامة ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهذا مَرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتادَةَ.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ بالسَّبِيل: الظُّهورُ عليهم، يعْنِي: أنَّ المؤمنينَ همُ الظَّاهرون، والعاقبةُ لهُم، وهذا المعنى في رِوايةِ عكرمةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّ السَّبيل: الحُجَّةُ. قال السُّدِّيُّ: لم يجعلِ اللهُ عليهم حُجَّةً، يعني فيما فعَلُوا بِهم[(٢)] مِنَ القتْلِ والإخْراجِ مِنَ الدِّيار[(٣)].

قالَ ابْنُ جرير: لَمَّا وعدَ اللهُ المُؤمنين أنَّه لا[(٤)] يُدخلُ المُنافقين مُدخلَهم مِنَ الجنَّة، ولا المُؤمنين[(٥)] مُدخلَ المُنافقين، لم يكنْ للكافرين على المُؤمِنينَ حُجَّةً بأنْ يقولوا لهم: أنتم كنتُم أعداءَنا، وكان المُنافقون أولياءَنا، وقدِ اجْتمعتم[(٦)] في النَّار[(٧)].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: يعملُون عمَلَ المُخادع[(٨)].

---

(١) من المطبوع.

(٢) ليست في (ت).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٣١٦) من طريق أسباط، به.

(٤) في (ف): أن لا.

(٥) في (ت): والمؤمنين.

(٦) في (ت): أجمعتم.

(٧) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٦٠٦).

(٨) في (ت): الخادع.

وقيل: يخادعون نبيَّهُ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾؛ أي: مُجازيهم على خِداعِهم.

وقال الزَّجَّاجُ: لَمَّا أُمِر بقَبُول ما أظْهَرُوا، كان خادعًا لَهم بذلِك(١).

وقِيل: خِداعُه إيَّاهم يكونُ في القيامة بإطْفاء نُورِهم. [١٧١/ ب]

وقد شرحْنا طرفًا(٢) من هذا في «البقرة».

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾؛ أي: مُتثاقِلين.

و﴿كُسَالَىٰ﴾: جمع كسلان. و«الكسل»: التثاقُلُ عنِ الأمْرِ(٣).

وقَرَأ أبو عِمران الجَونيُّ: «كَسالى» بفتح الكاف(٤). [وقَرأ ابْنُ السَّميفع: «كَسلى»، بفتْحِ الكاف](٥) من غيْرِ ألِفٍ(٦).

وإنَّما كانوا هكذا؛ لأنَّهم يُصلُّون حذرًا على دمائهم، لا يرجُون بفعلِها ثوابًا، ولا يَخافون بتَرْكها عقابًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: يُصلُّون لِيراهُمُ النَّاسُ. قالَ قتادَةُ: واللهِ لوْلَا النَّاسُ ما صلَّى المُنافِقُ(٧).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٣).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): الأمور.

(٤) قراءة شاذة عن الأعرج في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٦)، وعن عبد الرحمن ابن هرمز في شواذ القراءات (ص: ١٤٥)، وبدون نسبة في الكشاف (١/ ٦١٣)، وهي لغة تميم وأسد انظر البحر (٣/ ٣٠٦).

(٥) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) قراءة شاذة في إعراب القراءات (١/ ٤١٥) عن ابن السميفع، وفي البحر (٣/ ٣٠٦)، وفي شواذ القراءات (ص: ١٤٦) عن يحي وإبراهيم ﴿كِسالى﴾ بكسر الكاف.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦١٤٠) من طريق سعيد، به.

وفي تسمية ذكرهم بالقليل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه سُمِّي قليلًا؛ لأنَّه غيرُ مقبول، قالَه عليٌّ ﷺ، وقتادةُ.

والثَّاني: لأنَّه رِياءٌ، ولو كان للهِ لكانَ كثيرًا، قالَه[1] ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ.

والثَّالث: أنَّه قليلٌ في نفسه؛ لأنَّهم يَقتصِرُون على ما يظْهَرُ، دُون[2] ما يخفَى مِنَ القراءة والتَّسبيح، ذكرَهُ الماورديُّ[3].

قوله تعالَى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

قوله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾.

المذبذبُ: المتردِّدُ بيْنَ أمْرَينِ، وأصْلُ التذبذُبِ: التحرُّكُ، والاضْطرابُ، وهذهِ صِفةُ المُنافقِ؛ لأنه مُتحيِّرٌ في دينِه لا يرجِعُ إلى اعْتقادٍ صَحيحٍ.

قالَ قتادةُ: ليْسُوا بالمشركين المصرِّحين بالشِّرك، ولا بالمُؤمنين المُخلصين[4].

قالَ ابْنُ زيْدٍ: ومعنى ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ يعني[5]: بيْنَ الإسْلامِ والكُفر، لم يُظهروا الكُفرَ فيكونوا إلى الكُفَّار، ولم يُصدِّقوا الإيمانَ، فيكونوا إلى المُؤمنين[6].

---

(١) في (ت): قال.

(٢) في (ت): على ما يظهرون.

(٣) النكت والعيون (١/ ٥٣٩).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦١٦)، وزواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦١٤٧).

(٥) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦١٧).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ(١): ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ إِلى الهُدى(٢).

وقد روى ابْنُ عُمرَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَثَلُ المُنافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ العَائِرَةِ(٣) بيْنَ الغَنَمَيْنِ(٤) تَعِيرُ(٥) إِلَى هَذِه مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَلَا تَدْرِي أَيَّهما(٦) تَتْبَعُ»(٧).

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٤٤].

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾.

في المُراد بالكافرين(٨) قوْلَانِ:

أحدُهما: اليهودُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: المُنافقون.

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعنى الآيَةِ: لا تجْعَلُوهم بطانتكُم وخاصَّتكُم(٩).

و«السلطان»: الحجَّةُ الظَّاهِرةُ، وإنَّما قيل للأمير: سلطانٌ؛ لأنَّه حجَّةُ الله فِي أرْضِه، واشتقاقُ السُّلطان: مِنَ السَّليط. والسَّليطُ: ما يُستضاءُ

(١) قوله: (قال ابن عبَّاس) ساقط من (ج).

(٢) لم أجده مسندًا.

(٣) العائرة: المترددة الحائرة، لا تدري أيها تتبع.

(٤) في الأصل: الغنم.

(٥) في (ت): يعني.

(٦) في (ت)، و(ج): أيها.

(٧) رواه ومسلم (٢٧٨٤).

(٨) في (ت): بالكافر.

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٣).

بـه، ومِـن هـذا قيـل للزَّيـت: السَّـليطُ. والعـرَبُ تؤنِّـث السُّـلطانَ وتُذكِّـره، تقـول: قضَـتْ عليْـكَ السـلطان، وأمرتْـكَ السُّـلطان، والتذكـير أكْثـر، وبـه جـاء القُـرآنُ، فمَـن أنَّـثَ، ذهـب إلى معنـى الحُجَّـةِ، ومَـنْ ذكَّـر، أراد صاحِـبَ السُّـلطان.

قـالَ ابْـنُ الأنبـاريِّ: تقديـر الآيـة: أتُريـدون أن تجعلـوا الله عليكـم بمُوالاة الكافريـن حجَّـةً بَيِّنـةً تُلزمكـم عذابَـهُ، وتُكْسِـبُكم غضبَهُ؟.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النسـاء: ١٤٥].

قوْله تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

قرَأ ابْنُ كثير، ونافع، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: بفتح الرَّاءِ.

[١٧٢/أ] وقَرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ: بتسْكِين الرَّاءِ[١].

قالَ الفَرَّاءُ: وهِي لُغتانِ[٢].

قالَ أبو عُبيدةَ: جهنم أدْرَاكٌ؛ أي: منازِلُ، وأطْباق. فكُلُّ منزِلٍ منها: دَركٌ[٣].

وحكـى ابْـنُ[٤] الأنبـاري عـن بعْـضِ العُلـماء أنّه قـال: الـدَّركات: مَـراقٍ، بعْضُهـا تحْتَ بعْـضٍ[٥].

---

(١) السـبعة (ص: ٢٣٩)، ومعـاني القـراءات (١/ ٣٢٠)، والحجـة (٣/ ١٨٨)، والمبسـوط (ص: ١٨٢-١٨٣).

(٢) معاني القرآن (١/ ٢٩٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ١٤٢).

(٤) ليست في (ت).

(٥) الزاهر (١/ ٤٤٧).

وقالَ الضَّحَّاكُ: الدَّرج: إذا كانَ بعْضُها فوْقَ بعْضِها، والدَّرك: إذا كانَ بعْضُها أسْفلَ مِن بعْضٍ[١].

وقالَ ابْنُ فارس: الجَنَّةُ دَرجاتٌ، والنَّار دَركاتٌ[٢].

وقالَ ابْنُ مسعود فِي هذهِ الآيَةِ: هُم فِي تَوابيتَ مِن حَديدٍ مُبهمةٍ [عليْهِم][٣][٤].

قالَ ابْنُ الأنباري: المُبهمةُ: الَّتِي لا أقْفَال عليْهَا، يُقال: أمرٌ مُبهم: إذا كان ملتبِسًا ولا يُعرف معناه، ولا بابُه[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ قال ابْنُ عبَّاسٍ: مانعًا من عذاب الله[٦].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: سببُ نزولِها:

أنَّ قوْمًا قالوا عنْدَ ذكْرِ مُستقرِّ المُنافقين: فقد كانَ فُلان وفُلانٌ منافقين، فتَابوا، فكيف يُفْعَل بِهم؟ فنزلَتْ هذه الآيَةُ[٧].

---

(١) التفسير البسيط (٧/ ١٦٦).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٩).

(٣) من المطبوع.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦١٥٣) من طريق سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن خيثمة، به.

(٥) الزاهر (١/ ٤٤٧).

(٦) ذكره الخازن في تفسيره (١/ ٤٤١).

(٧) تفسير مقاتل (١/ ٤١٧).

ومعنى الآية: إِلَّا الَّذين تابوا مِنَ النِّفاق ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ أعمالَهم بعْدَ التَّوبَةِ ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي[1]: اسْتَمْسَكوا بدينِه.

﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه الإِسْلامُ، وإِخْلاصُه: رفْعُ الشِّرك عنْهُ، قالَه مُقاتِلٌ[2].

والثَّانِي: أنَّه العمَلُ، وإِخْلاصُه: رفْعُ شَوائِبِ النِّفاقِ والرِّياءِ مِنْهُ، قالَه أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فِي «معَ» قولان:

أحدهما: أنَّها على[3] أصلِهَا، وهوَ الإِقْتِرانُ.

وفِي ماذا اقترنوا بالمؤمنين؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: فِي الولاية، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّانِي: فِي الدِّين والثَّوابِ. قالَه أبو سُليمانَ.

والثَّانِي: أنَّها بمعنى «مِن» فتقديرُه: فأولئك مِنَ المؤمنين، قالَه الفَرَّاءُ[4].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

قوْلُه تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾.

«مَا» حرْفُ اسْتفهامٍ، ومعناه: التقريرُ؛ أي: إِنَّ الله لا يُعذِّب الشاكرَ المُؤْمِنَ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ليست في (ت).

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٩٣).

ومعنَى الآيَةِ: ما يصنعُ اللهُ بعذابِكُم إنْ شكرتم نِعمَهُ، وآمنتم به وبرسولِه. والإيمانُ مقدَّمٌ في المعنى وإنْ أُخِّر في اللَّفظ.

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ المُرادَ بالشُّكر: التَّوحِيدُ[١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾؛ أي: للقليل مِنْ أعمالِكم، ﴿عَلِيمًا﴾ بنيَّاتِكُم، وقيل: ﴿شَاكِرًا﴾؛ أي: قَابلًا.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء: ١٤٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ ضيفًا تضيَّفَ قوْمًا فأَسَاؤُوا قِراهُ فاشْتكَاهُم، فنزلَتْ هذِه الآيَةُ رُخصةً فِي أنْ يشْكُوا، قالَه مُجاهِدٌ[٢].

والثَّاني: أنَّ رَجُلًا نالَ مِن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ والنَّبيُّ ﷺ حاضِرٌ، فسكَتَ عنْهُ أبو بكْرٍ مِرارًا، ثُمَّ ردَّ عليْهِ، فقَامَ النَّبيُّ ﷺ، فقالَ أبو بكر: يا رسُولَ اللهِ! شتَمَنِي فلَم تَقُلْ لَه[٣] شيْئًا، حتَّى إذا رَددتُ عليْهِ قُمْتَ؟! فقالَ: «**إنَّ مَلَكًا كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ، ذَهَبَ الْمَلَكُ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ**» [١٧٢/ب] فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، هذَا قوْلُ مُقاتِلٍ[٤].

---

(١) البحر المحيط (٤/ ١١٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٢٨-٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦١٦٨- ٦١٧٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٤١٨).

واخْتلَفَ القُرَّاءُ في قِراءة: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.

فقرأ الجُمهورُ بضَمِّ الظَّاءِ، وكسْرِ اللَّامِ[1].

وقَرأ عبْدُ اللهِ بنُ عمْرٍو، والحسَنُ، وابْنُ المُسيِّبِ، وأبو رجَاءٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبير، وقتادَةُ، والضَّحَّاكُ[2]، وزَيْدُ بْنُ أسْلَمَ، بفتحِهما[3][4].

فعَلَى قِراءَةِ الجُمهورِ، في معْنَى الكلامِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: إلَّا أنْ يدعوَ المظلُومُ علَى مَن ظلَمَهُ، فإنَّ اللهَ قد أرْخصَ لَه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: إلَّا[5] أنْ ينْتَصِرَ المظلُومُ مِن ظَالِمِه[6]، قالَه الحسَنُ، والسُّدِّيُّ.

والثَّالِث: إلَّا أنْ يُخبِرَ المظلُومُ بِظُلْم مَنْ ظلَمَهُ، رَواه ابْنُ أبي نَجِيح عنْ مُجاهِدٍ.

ورَوى ابْنُ جُريج عنْهُ قالَ: إلَّا أنْ يجهرَ الضَّيْفُ[7] بذمِّ مَن لم يُضيِّفْهُ[8].

فأمَّا قِراءة مَن فتَحَ الظَّاءَ، فقالَ ثعْلَبٌ: هِي مَردودةٌ علَى قوْلِه

---

(١) في البحر (٣/ ٣١٠)، والدر المصون (٤/ ١٣٥)، والمحرر (٢/ ١٢٩).

(٢) ليس في (ج).

(٣) في (ت): بفتحها.

(٤) قراءة شاذة في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٦) عن الضحاك ابن مزاحم، وزاد في المحتسب ابن عباس وسعيد وزيد وعبد الأعلى وعطاء وابن يسار، وشواذ القراءات (ص: ١٤٦) عن سعيد والضحاك وعطاء، وبدون نسبة في إعراب القراءات (١/ ٤١٧)، وزاد في البحر (٣/ ٣١٠) ابن عمرو ابن اسحاق والحسن وابن المسيب وقتادة وأبا رجاء.

(٥) ليست في (ف).

(٦) في (ف): ممن ظلمه. وفي (ج): من ظلمه.

(٧) ليست في (ج).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٢٩).

تعالَى: ﴿مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾، «إِلَّا مَنْ ظَلَم».[١]

وذكَرَ الزَّجَّاجُ فيها قولَيْنِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: إِلَّا أنَّ الظالِمَ يجهرُ بالسُّوءِ ظُلمًا.

والثَّانِي: إِلَّا أنْ تجْهَرُوا بالسُّوء للظَّالِمِ. فعَلَى هذا تكونُ[٢] «إِلَّا» فِي هذَا المكانِ اسْتِثْناءً مُنقطِعًا، ومعْناها: لكنِ المظلومُ يجوزُ[٣] له أن يجهرَ لظالِمه بالسُّوء، ولكنَّ الظَّالِمَ قد يجهرُ بالسُّوء، واجْهرُوا [له][٤] بالسُّوءِ[٥].

وقالَ ابنُ زيْدٍ: إِلَّا مَنْ ظلِم؛ أي: أقامَ علَى النِّفاقِ، فيُجهر لَه بالسُّوء حتَّى يَنْزِعَ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾؛ أي: لِما تَجْهَرُون بهِ مِن سُوءِ القَوْلِ عَلِيمًا بما تُخفُونَ.

وقِيل: ﴿سَمِيعًا﴾ لقَوْلِ المظْلُومِ، ﴿عَلِيمًا﴾ بما فِي قلْبه، فلْيَتَّقِ اللهَ، ولَا يقُلْ[٧] إِلَّا الحَقَّ.

وقالَ الحسَنُ: مَن ظُلِم، فقد رُخِّص له أن يدعوَ علَى ظالِمه مِن غيْرِ أن يعْتَدِيَ؛ مِثْل أن يقولَ: اللَّهم أعنِّي عليْهِ، اللَّهُمَّ اسْتخرِجْ لِي حقِّي،

---

(١) مجالس ثعلب (ص: ٣).

(٢) في الأصل: يكون، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) ليست في (ف).

(٤) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٥).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٣٠-٦٣١).

(٧) في (ت): يقبل.

اللَّهُمَّ حِلْ بيْنَه وبيْنَ ما يُريد[١].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد مِن أعْمالِ البِرِّ كالصِّيامِ والصَّدقَةِ[٢].

وقالَ بعْضُهُم: إنْ تُبدوا خيرًا بدلًا مِنَ السُّوء.

وأكثرُهم علَى أنَّ «الهاءَ» في ﴿تُخْفُوهُ﴾ تعودُ إلى الخير.

وقالَ بعْضُهُم: تعُودُ إلى السُّوءِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾.

قالَ أبو سُليمانَ: أي[٣]: لم يزَلْ ذا عفوٍ معَ قُدرتهِ، فاعْفُوا أنْتُم معَ القُدرةِ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء: ١٥٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾.

فِيهم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ اليهودُ، كانوا يُؤمِنونَ بِموسى، وعُزيرٍ، والتَّوراةِ، ويكْفُرونَ بعِيسى، والإنْجيلِ، ومُحمَّدٍ[٤]، والقُرآنِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٢٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (٦١٧١).

(٢) التفسير البسيط (٧/ ١٧٣).

(٣) ليست في (ج)، و(ف).

(٤) في (ج): وكفروا بمحمد.

والثَّاني: أنَّهُمُ اليهودُ والنَّصارى، آمَنَ اليهُودُ بالتَّوراةِ ومُوسى، وكَفَرُوا بالإنجيلِ وعيسى، وآمَنَ النَّصارى بالإِنْجيلِ وعِيسى، وكَفَرُوا بمُحمَّدٍ والقُرآنِ، قالَه قتادَةُ.

ومعْنى قوْلِه تعَالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: يُريدون أن يفرِّقُوا بيْنَ الإيمانِ باللهِ، والإيمانِ بِرُسلِه، ولا يصِحُّ الإِيمانُ بهِ والتَّكْذِيبُ بِرُسلِه أو ببعضِهم.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بيْنَ إيمانِهم ببعضِ الرُّسُلِ، وتكذيبِهم ببعْضٍ. [١٧٣/أ]

﴿سَبِيلًا﴾؛ أي: مذْهَبًا يذْهَبُون إليه. وقالَ ابْنُ جُريج: دِينًا يدِينُونَ به[1].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢)﴾ [النساء: ١٥١، ١٥٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾.

ذِكْرُ[2] «الحقِّ» هاهُنا توكيدًا[3] لِكفرِهم إزالةَ لتَوهُّم مَن يتوهَّمُ أنَّ إيمانَهم ببعضِ الرُّسلِ يُزيلُ عنْهُم اسْمَ الكُفرِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٦٣٧).

(٢) في (ج): ذكرهم.

(٣) في (ت): توكيد.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾.

فِي سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم سألُوه أنْ يُنزِّلَ عليهم كتابًا[1] خاصَّةً، هذا قوْلُ الحسَنِ[2]، وقتادةَ[3].

والثَّاني: أنَّ اليهودَ والنَّصارى أَتَوْا إلى رسُولِ الله ﷺ، فقالوا: لا نُبايعُكَ حتَّى تأتِيَنا بكتابٍ مِن عنْدِ اللهِ إلى فُلانٍ أنَّك رَسُولُ اللهِ، وإلَى فُلانٍ بكتابٍ أنَّك رسُولُ الله، فنزلَتْ هذه الآيةُ، هذا قوْلُ ابْنِ جُريجٍ[4].

والثَّالث: أنَّ اليهودَ سألُوا النَّبيَّ ﷺ أنْ يُنزِّلَ عليْهم كِتابًا مِنَ السَّماءِ مَكْتُوبًا كما نزَلَتِ التَّوراةُ علَى مُوسى[5]، هذا قوْلُ القُرظِيِّ[6]، والسُّدِّيِّ[7].

---

(١) في (ت)، و(ج)، و(ف): كتابًا عليهم.

(٢) البحر المحيط (٧/ ٥٦٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٣٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٤٠) من طريق حجاج، به.

(٥) من قوله: (عليهم كتابًا)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٣٩).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٣٩) من طريق أسباط بن نصر، به.

وفي المُراد بـ«أهْلِ الكتَابِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: اليهودُ والنَّصارَى.

والثَّانِي: اليهُودُ.

وفي المُراد بـ«الكتاب[1] المنزَّل مِنَ السَّماءِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: كِتابٌ مكتُوبٌ غير القُرآنِ.

والثَّانِي: كِتابٌ بتصديقِه فِي رِسالَتِه.

وقد بيَّنَّا فِي «البقرة» معْنَى سُؤالِهم رُؤيةَ اللهِ جهرَةً، واتِّخاذِهِمُ[2] العِجلَ.

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الآياتُ الَّتِي جاءَ بِها مُوسى.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قالَ: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾[3] و«ثُمَّ» تقْتَضِي التَّراخِيَ، والتَّأخُّرَ، أفكانَ اتِّخاذُ العِجل بعد قولِهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؟

فعنْهُ أربعَةُ أجْوبةٍ: ذكرَهُنَّ ابْنُ الأنْبارِيِّ:

أحدَهنَّ[4]: أن تكون «ثُمَّ» مَردُودةً علَى فعلِهِمُ القَدِيمِ، والمعْنَى: وإِذْ وَعَدْنَا مُوسى أربعين ليلةً فخالَفُوا أيضًا، ثُمَّ اتَّخذوا العِجلَ.

والثَّانِي: أن تكونَ مُقدَّمةً فِي المعْنَى، مُؤخَّرةً[5] فِي اللَّفظ، والتَّقديرُ: فقدِ اتَّخذوا العِجلَ، ثُمَّ سألُوا مُوسى أكْبَرَ مِن ذلِك، ومِثْلُه: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨] المعنى: فألْقِه إليهم، ثُمَّ انْظُر ماذا يرجِعُونَ، ثُمَّ تولَّ عنْهم.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ت): واتخذوا.

(٣) من قوله: (والبينات الآيات)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٤) في (ف): أحدها.

(٥) في (ج): أن تكون متقدمة، مؤخرة.

والثَّالث: أنَّ المعنى[(١)]، ثُم كانوا اتَّخذوا العِجل، فأضمرَ الكوْنَ.

والرَّابع: أنَّ [ثُمَّ][(٢)] معْنَاها التَّأخِيرُ فِي الإخبار، والتَّقدِيمُ فِي الفِعل، كما يقُولُ القائِلُ: شربْتُ الماءَ، ثُمَّ أكلْتُ الخُبزَ، يُريد: شربْتُ الماءَ، ثُمَّ أُخبركم[(٣)] أنِّي أكلْتُ الخبزَ بعْدَ إخْباري بشُرْبِ الماءِ[(٤)].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: لم نستأصِلْ عبدَةَ العجْلِ.

و«السُّلطان المبين»: الحجَّةُ البيِّنَةُ. قال ابْنُ عبَّاسٍ: اليدُ والعَصا.

وقال غيْرُه: الآياتُ التِّسعُ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: ١٥٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾؛ أي: بما أعْطَوُا اللهَ مِن العهدِ والمِيثاقِ: لَيعْمَلُنَّ[(٥)] بما في التَّوراة.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾.

قرأَ نافِعٌ: «لا تعْدُّوا» بتسكين العين وتشديدِ الدَّال. وروى عنه ورشٌ «تَعَدُّوا» بفتح العين وتشديدِ الدَّالِ. وقرَأَ الباقون «تَعْدوا» خفيفة[(٦)]، وكلُّهم ضمُّوا الدَّالَ.

---

(١) من قوله: (فألقه إليهم)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٢) من (ت)، و(ج)، و(ف).

(٣) ليست في (ج).

(٤) من قوله: (ثم أكلت الخبز)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٥) في (ت): ليعلمن.

(٦) السبعة (ص: ٢٤٠)، ومعاني القراءات (١/ ٣٢١)، والحجة (٣/ ١٩٠)، والمبسوط (ص: ١٨٣).

وقد ذكرنا هذا وغيره في «البقرة».

و«الميثاقُ الغليظ»: العهْدُ المؤكَّدُ.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ١٥٥].

قولُه تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ «ما» صِلةٌ مؤكِّدةٌ. [١٧٣/ ب]

قـالَ الزَّجَّـاجُ: والمعنـى: فبنقضِهِـم[١] ميثاقَهُـم، وهـو أنَّ اللهَ أخـذَ عليهـم الميثـاقَ أن يُبيِّنـوا مـا أُنـزل عليهـم مِـن ذكـر النَّبـيِّ ﷺ وغـيْرِه. والجالـب للبـاء العامـلُ فيهـا.

قوْلُـه تعـالى: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾ [النسـاء: ١٦٠]؛ أي: بنَقضِهِـم ميثاقَهُـم، والأشـياء التـي ذُكـرت بعـده حرَّمنـا عليهـم.

وقوْلُـه تعـالى: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ بـدلٌ[٢] مـن قوْلِـه تعـالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾، وجعـلَ الله جزاءَهُـم علـى كُفرِهـم أنْ طبَـعَ عـلَى قلوبِهِـم[٣].

وقـال ابْـنُ فـارس[٤]: الطَّبـع: الختـم، وطبـع الله عـلى قلـب الكافـر: أنْ[٥] ختَـمَ [عليـه حتَّـى لا يصـلَ إليـه هُـدى ولا نُـورٌ][٦] فلـم يُوفَّـق لخيرٍ، والطابـع: الخاتـم يُختَـم بـه[٧].

---

(١) من قوله: (ما صلة مؤكدة)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٢) ليست في (ت).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٧).

(٤) في (ف): ابن عبَّاس.

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ف): أي.

(٦) من المطبوع.

(٧) مقاييس اللغة (٢/ ٤٥).

قوْلُه تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: فلا يؤمن[١] منهم إلَّا القلِيلُ، وهم عبدُ الله بن سلام، وأصحابُه، قالَه ابنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّ المعنى: إيمانُهم[٢] قلِيلٌ، وهو قولهم: ربُّنا[٣] الله، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾

فِي إعادة ذكْرِ الكفر فائِدةٌ، وفيها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه أراد: وبكفرهم بمحمَّدٍ والقرآنِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: وبكفرهم بالمسيح، وقد بُشِّرُوا بِهِ، قالَه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

فأمَّا «البهتان» فهو فِي قوْلِ الجماعة: قذفُهم مريمَ بالزِّنا.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾.

قالَ الزَّجَّاج: أي باعترافهم بقتلهم إيَّاه -وما قتلُوه [يقينًا][٤]-

---

(١) في (ج): يؤمنون.

(٢) في (ف): أن إيمانهم.

(٣) في الأصل: أرنا، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) من (ج).

يُعذَّبون عذابَ مَنْ قتَل؛ لأَنَّهم قتلوا الَّذي قتلوه على أَنَّه نبِيٌّ[١].

وفي قوله تعالى: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه مِن قوْل اليهود، فيكون المعنى: أنَّه رسُولُ الله على زعمِهِ.

والثَّانِي: أنَّه مِن قوْلِ الله تعالى، لا على وجه الحكاية عنهم.

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؛ أي: أُلقِي شبهُه على غيْرِه.

وفيمن أُلقي عليه شبهه قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه بعضُ مَن أراد قتلَه مِن اليهود.

روى أبو صالح عن ابن عباس: أنَّ اليهود لما اجتمعَتْ على قتْلِ عيسى، أدْخلَه جِبريلُ خَوْخَةً[٢] لها رَوْزَنَةٌ[٣]، ودخَل وراءه رجُلٌ منهم، فألْقى الله عليه شبَه عيسى، فلمَّا خرج على أصحابه، قتلوه يَظنُّونَهُ عيسى[٤]، ثم صلبوه[٥]. وبهذا قال مقاتل[٦]، وأبو سليمان.

والثَّانِي: أنَّه رجُلٌ مِن أصْحَابِ عِيسى[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٨).

(٢) **الخوخة**: بفتح الخاءين، ما كان بين الدارين، وليس له بابٌ. انظر: القاموس المحيط؛ للفيروزآبادي، مادة: (خوخ).

(٣) **الروزنة**: فتحة في سقف البيت يدخل منها الضوء. انظر: القاموس المحيط؛ للفيروزآبادي، مادة: (رزن).

(٤) ليست في (ت).

(٥) تفسير البغوي (٢/ ٤٤).

(٦) تفسير مقاتل (١/ ٤٢٠).

(٧) في الأصل: من أصحابه، والمثبت من بقية النسخ.

روى سعيدُ بْنُ جبير عن ابْنِ عبَّاسٍ: أنَّ عيسى خرج على أصحابهِ لما أراد اللهُ رفعَهُ، فقال[١]: أيُّكم يُلقى عليه شبهي، فيُقتل مكانِي، ويكون [معي][٢] فِي درجتي؟ فقَام شابٌّ، فقال: أنا، فقال: اجْلس، ثُمَّ أعاد القولَ[٣]، فقام الشابُّ، فقال عِيسى: اجْلس، ثم أعَاد، فقَال الشَّابُّ: أنَا، فقالَ: نعم! أنت ذاك، فأُلقِي عليه شبه عيسى[٤]، ورُفِع عيسى، وجاء اليهود، فأخذوا الرَّجُلَ، فقتلوه، ثم صلَبُوه[٥]. وبِهذا القولِ قالَ وهبُ بْنُ منبِّهٍ، وقتادةُ، والسُّدِّيُّ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾.

فِي المختلفين قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهود.

فعلى هذا فِي هاء «فيه» قولان:

أحدهما: أنَّها كناية عن قتْلِه، فاخْتلَفُوا هل قتلُوه أمْ لا؟

وفِي سببِ اخْتلَافِهم في ذلك قوْلَانِ: [١٧٤/أ]

أحدهما: أنَّهُم[٦] لَمَّا قتلوا الشَّخْصَ المشبَّه [بِهِ][٧] كان الشَّبه قد أُلقي

(١) ساقطة من (ج).
(٢) من (ت)، و(ج)، و(ف).
(٣) ليست في (ج).
(٤) في (ج): شبهه.
(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في التفسير (٦٢٣٣).
(٦) ليست في (ت).
(٧) من (ت)، و(ج)، و(ف).

علـى وجهـه دون جسـده، فقالـوا: الوجـه وجـهُ[(١)] عِيسـى، والجسـد جسـدُ غـيْرِه، ذكـرَهُ ابْـنُ السَّـائِب.

والثَّـانِي: أنَّهـم قالـوا: إن كان هـذا عيسـى، فأيـن صاحبُنـا؟ وإن كان هـذا صاحبنـا، فأيـن عيسـى يعْنُـون الَّـذي دخـل فِي طلبـه، هـذا قـوْلُ السُّـدِّيِّ.

والثَّـانِي: أنَّ «الهـاء» كنايـةٌ عـن عيسـى، واختلافُهـم فيـه [هـوَ][(٢)] قـوْلُ بعضهـم: هـو ولـد زنًـى، وقـوْلُ بعضِهـم، هـو سـاحِرٌ.

والثَّانِي: أنَّ المختلفين النصارى.

فعلى هذا فِي هاء «فيه» قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إِلى قتلِهِ، هل قُتل أمْ لا؟

والثَّانِي: أنَّها ترجع إِليه، هل هو إِلهٌ أمْ لا؟

وفِي هاء «منه» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى قتْلِه.

والثَّانِي[(٣)]: إِلى نفسِه، هل هو إِلهٌ، أمْ هو لغيرِ[(٤)] رُشدةٍ، أمْ هو ساحِرٌ؟

قوْلُه تعَالَى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: «اتِّباعَ» منصوبٌ بالاستثناء، وهو استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّل[(٥)].

---

(١) ساقطة من (ج).

(٢) من (ج).

(٣) من قوله: (أنها ترجع)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٤) في الأصل: بغير، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٨).

والمعنى: ما لهم به من علم إِلَّا أنَّهُم يتبعون الظَّنَّ، وإن رُفع جاز على أن يُجعل علمهم[(١)] اتِّباع الظنِّ، كما تقول العرب: تحيَّتُك الضَّربُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾.

فِي «الهاءِ» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها ترجِعُ إِلى الظَّنِّ فيكون المعنى: وما قتلوا ظنَّهم يقينًا، هذا قولُ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّها ترجِعُ إِلى العِلْم؛ أي: وما قتلوا العِلمَ [بهِ][(٢)] يقينًا[(٣)]، تقول: قتلتُ العِلمَ والرَّأيَ يقينًا، وقتلتُه[(٤)] علْمًا. هذا قولُ الفرَّاءِ[(٥)]، وابْنِ قُتيبةَ[(٦)].

[قالَ ابْنُ قُتيبةَ][(٧)]: وأصْلُ هذا: أنَّ القتْلَ للشَّيءِ يكون عن قهر واسْتعلاءٍ وغلبَةٍ، يقول: فلم يكن علمُهم بقتْلِ المسيح علمًا أُحيط به، إنَّما كان ظنًّا[(٨)].

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلى عيسى، فيكون المعنى: وما قتلوا عيسى حقًّا، هذا قولُ الحسَنِ.

---

(١) في (ف): تجعل عليهم.

(٢) من المطبوع.

(٣) في (ج): أي: ما قتلوا ظنهم يقينًا.

(٤) في (ج): وقتله.

(٥) معاني القرآن (١/ ٢٩٤).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٣٧).

(٧) ليست في الأصل، و(ف): والمثبت من بقية النسخ.

(٨) غريب القرآن (ص: ١٣٧).

وقالَ ابْنُ الأنباري: اليقين مؤخَّرٌ في المعنى، فالتقدير: وما قتلوه، بل رفعه الله إليه[١] يقينًا[٢].

قوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: وما منهم أحدٌ إلَّا لَيُؤمننَّ به[٣]، ومثْلُه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١][٤].

وفي ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهُم اليهودُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: اليهود والنَّصارى، قالَه الحسَنُ، وعِكرِمَةُ.

وفي هاء «به» قولان:

أحدهما: أنَّها رَاجِعةٌ إلى عيسى عليه السلام، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والجُمهورُ.

والثَّانِي: أنَّها راجِعةٌ إلى محمَّد ﷺ، قالَه عكرِمَةُ.

وفي هاء «موْته» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها ترْجِعُ إلى المؤمِن.

روى سعِيدُ بْنُ جُبير عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: ليس يهودِيٌّ يموتُ أبدًا حتَّى يُؤمِنَ بعيسى، فقيل لابن عباس: إن خَرَّ مِن فوق بيْت؟ قال:

---

(١) ليست في (ت).

(٢) إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٦٠٩).

(٣) ليست في (ج).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٩).

يتكلم به في الهُويّ(١). قالَ: وهي [في](٢) قراءة أُبيٍّ: «قبل موْتِهِم»(٣). وهذا قوْلُ مُجاهدٍ، وسعيدِ بْنِ جُبير. [١٧٤/ب]

ورَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: يُؤمن اليهوديُّ قبْلَ أن يمُوتَ، ولا تخرجُ نفْسُ(٤) النَّصْرانِيِّ حتَّى يشهدَ أنَّ عيسى عبْدُ(٥) [اللهِ](٦)(٧).

وقالَ عِكرمَةُ: لا تخرجُ نفْسُ(٨) اليهوديِّ والنَّصْرانيِّ حتَّى يُؤمنَ بمحمَّدٍ ﷺ(٩).

والثَّاني: أنَّها تعودُ إلى(١٠) عيسى.

روى عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: إذا نزل إلى(١١) الأرض -[أعْنِي: عيسى](١٢)- لا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ولا أحدٌ يعبد غيرَ الله إلَّا اتَّبعه،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٦٦٨) عن سعيد، بنحوه، وفي (ت)، و(ف): الهواء.

(٢) من (ت).

(٣) قراءة شاذة عن الضحاك، ومجاهد، وأُبي بضم النون الأولى ﴿ليؤمنُنَّ به قبل موتهم﴾ على الجمع في شواذ القراءات (ص: ١٤٧)، وانظر: معاني الفراء (١/ ٢٩٥) وعلى معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم؛ لأنَّ أحدًا يصلح للجمع. انظر: الكشاف (١/ ٥٨٨).

(٤) في (ج): روح.

(٥) في الأصل: عبده، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) من (ف).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٦٢٥٥).

(٨) في (ح): روح.

(٩) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٧٢).

(١٠) في (ج): على.

(١١) ليست في (ت)، و(ج).

(١٢) من (ج).

وصدَّقه، وشهد أنَّه روحُ الله، وكلمتُه، وعبدُهُ ونبيُّه[١]. وهذا قوْلُ قتادةَ، (وابْنِ زيْدٍ)[٢]، وابْنِ قُتيبةَ[٣]، واخْتارَهُ ابْنُ جرير[٤]، وعن الحسَنِ كالقوْلَيْنِ.

وقال الزَّجَّاجُ: هذا بعيدٌ؛ لعموم قوْلِه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ والَّذين يبقوْن يومئذ[٥] شِرذمةٌ مِنْهُم، إلَّا أن يكون المعنى: أنَّهم كُلَّهم يقولون: إنَّ عيسى الَّذي ينزل لقتْلِ الدَّجَّال نُؤمن به[٦].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

قال قتادة: يكون شهيدًا؛ أي[٧]: أنَّه قد بلَّغ رسالاتِ ربِّه، وأقرَّ بالعبوديَّةِ على نفسه[٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

قال مُقاتِلٌ: حرَّم الله على أهل التوراة الرِّبا، وأن يأكلوا أموالَ النَّاسِ ظلمًا، ففعلوا، وصدُّوا عن دين الله، وعن الإيمان بمحمد ﷺ، فحرَّم الله

---

(١) التفسير البسيط (٧/ ١٨٦).

(٢) ليست في (ت).

(٣) غريب القرآن (ص:١٣٧).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٦٦٣).

(٥) في (ت): حينئذ.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٠).

(٧) ليست في (ت)، و(ج)، و(ف).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (٦٢٥٧).

عليهم ما ذَكَر فِي قوْلِه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] عقوبةً لهم(١).

قالَ أبو سليمان: وظلمهم(٢): نقضُهُم ميثاقَهم، وكفرُهم بآيات الله، وما ذُكِر فِي(٣) الآيات قبْلَها.

وقال مجاهد: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قَال: صدُّهم أنفسَهم وغيرَهم عن الحقِّ(٤).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بصَدِّهم(٥) عن سبيل الله، يعْنِي الإسلامَ، وأكلِهم أموالَ النَّاس بالباطل؛ أي: بالكذب على دين الله، وأخذ الرُّشى فِي حكم الله(٦)، وتبديل الكتب التي(٧) أنزلها الله ليستديموا المأكلَ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾؛ أي: أعددنا للكافرين، يعني اليهودَ.

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٤٢١).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): من.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢٦٢) من طريق ابن أبي نجيح، به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٢٨) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) في (ت): صدّهم.

(٦) لفظ الجلالة ليس في (ت).

(٧) في (ج): الذي.

وقيل: إنَّما قال: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ لأنَّه علِمَ أنَّ قومًا منهم[١] يؤمنون، فيأْمَنُون العذابَ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ١٦٢].

قوْلُه تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هذا استثناءٌ لمؤمِني أهلِ الكتاب، فأمَّا الرَّاسخون، فهم الثَّابِتون فِي العلم[٢].

قال أبو سُليمان الدِّمشقيُّ[٣]: وهم عبدُ الله بن سلام، ومَن آمَن معَهُ، والَّذين آمنوا من أهل الإنجيل ممَّن قَدِمَ مع جعفر[٤] من الحبشة، والمؤمنون، يعني أصحابَ رسُولِ الله ﷺ.

فأمَّا قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فهمُ القائمون بأدائِها كما أُمروا.

---

(١) ليست في (ت).
(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢٦٩) من طريق سعيد بن جبير، به، بنحوه.
(٣) ليست في (ت)، و(ج).
(٤) في (ت): عبد الله بن جعفر.

وفي نصب «المقيمين» أربعةُ أقوال:

أحدها: أَنَّه خطأٌ مِنَ الكاتب، وهذا قول عائشة رضي الله عنها، ورُوي عن عثمان بن عفان ﷺ أَنَّه قال: [إِنَّ][1] فِي المصحف لحنًا ستُقِيمُه العربُ بألسنتها[2].

وقد قَرأ ابْنُ مسعود، وأُبيٌّ [بْنُ كعْبٍ][3]، وسعيد بن جبير[4]، [١٧٥/أ] وعكرمَةُ، والجحدرِيُّ: «والمقيمون [الصَّلاةَ][5]» بالواو[6].

وقال الزَّجَّاجُ: [قوْلُ مَن قالَ إِنَّه خطَأٌ][7]، بعيدٌ جدًّا؛ لأنَّ الَّذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة، والقدوة، فكيف يتركون فِي كتاب الله شيئًا يُصلِحُه غيرُهم؟! فلا ينبغي أن ينسبَ هذا إليهم[8].

وقالَ ابنُ الأنباري: حديثُ عثمانَ لا يصِحُّ؛ لأنَّه غيْرُ مُتَّصل، ومُحال أن يؤخِّرَ عُثمان شيئًا فاسدًا، ليُصلحه [غيرُهُ][9] مَن بعدَهُ[10].

---

(١) من (ت).

(٢) رواه ابن أبي داود في المصاحف (٨٤- ٨٥-٨٦) من طرق عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي، قتادة، و يحيى بن يعمر)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٦٢)، والاعتراضات النحوية لابن الأنباري.

(٣) من (ت).

(٤) في الأصل: وسعيد بن جبير وأبي، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) من (ج).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٦٨٠)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ٢٥٠).

(٧) في الأصل، و(ف): وهذا، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣١).

(٩) من (ف).

(١٠) نقله الخازن في تفسيره (١/ ٤٤٧).

والثَّـانِي: أنَّـه نسـقٌ عـلى «مـا» والمَعْنى يُؤمنـون بـما أُنـزل إليْـكَ، وبالمُقِيمينَ الصَّـلاة، فقِيـل: هـمُ الملائِكـةُ، وقِيـل: [هُـم][١] الأَنْبِياءُ.

والثَّالِـثُ: أنَّـه نسـقٌ عـلى الهـاءِ والمِيـم مِـن قوْلِـه: {مِنْهُـمْ} فالمعْنَـى: لكـنِ الرَّاسِـخُون فِي العِلْـم مِنهُـم، ومِـن المُقيمِـين الصَّـلاةَ يُؤمنـون بـما أُنـزل إليـك.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وهـذا رديءٌ عنـد النَّحْويِـين، لا يُنْسـقُ بالظَّاهـر المجـرورِ عـلَى المُضمـر المجْـرُور إلَّا فِي الشِّـعر[٢].

والرَّابِـع: أنَّـه منصـوبٌ عـلى المـدْحِ، فالمعنـى: اذْكُـر المُقيمِـين الصَّـلاةَ، وهُـم المُؤتـون الـزَّكاةَ.

وأنْشدوا[٣][من الكامل التام]:

لَا يَبْعَـدَنْ قَوْمِـي الَّذِيـنَ هُـمُ ... سُـمُّ العُـدَاةِ وَآفَـةُ الجُـزْرِ
النَّازِلِـينَ بِـكُلِّ مُعْـتَرَكٍ ... وَالطَّيِّبُـونَ مَعاقِـدَ الأُزُرِ

وهـذَا عـلَى معْنـى: اذْكُـر النَّازِلِـينَ، وهـمُ الطَّيِّبُـون، ومِـن هـذا قولِـكَ: مـررْتُ بزيْـدِ الكريـمِ، إنْ أردْتَ أن تُخلِّصَـه مِـن غـيْرِه.

---

(١) من (ف).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣١).

(٣) البيـت للخرنـق بنـت بـدر بـن هفـان البكريـة القيسـية، مـن الشـعراء في الجاهليـة، وهـي أخـت لطرفـة بـن العبـد لأمـه، وهـو في ديوانهـا (ص: ٤)، والكتـاب (١/ ٢٠٢)، (٢/ ٦٤)، ومجـاز القـرآن، (١/ ١٤٣)، والكامـل (٣/ ٤٠)، ومعـاني الزجـاج (٢/ ١٣٢)، وإعـراب القـرآن؛ للنحـاس (١/ ٤٠٧). والأصـول في النحـو (٢/ ٤٠)، ومعنـى (لا يبعـدن): لَا يهلكـن، والعـداة: جمع عـاد، وآفـة الجزر: الآفـة العلـة، والجزر جمع جزور؛ أي: المكثريـن لنحـر الإبـل. والمعـترك: موضـع القتـال.

فالخفضُ هو الكلامُ، وإنْ أردْتَ المدْحَ والثَّناءَ، فإنْ شئْتَ نصبْتَ، فقُلْتَ: بزيدٍ الكريمَ، كأنَّكَ قُلتَ: اذْكُرْ الكريمَ، وإنْ شئْتْ رفَعْتَ على معْنى: هوَ الكريمُ. وتقول: جاءَنِي قوْمُك المُطعِمين فِي المحْل، والمُغِيثُون فِي الشَّدائِدِ علَى معْنَى: اذْكُر المُطعِمين، وهمُ المُغيثون، وهذا القوْلُ اخْتِيارُ الخليلِ[(١)]، وسِيبويهِ[(٢)].

فهذِه الأقْوالُ حكَاها الزَّجَّاجُ، واخْتارَ هذَا القوْلَ[(٣)].

قوْلُهُ تعالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

قوْلُه تعالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: قالَ عدِيُّ بْنُ زيْدٍ، وسُكينٌ: يا مُحمَّدُ! ما نعْلَمُ اللهَ أنْزلَ علَى بشَرٍ مِن شيءٍ بعْدَ موسى، فنزلَتْ هذِه الآيةُ[(٤)].

وقد ذكرْنا فِي «آل عمران» معْنى الوحي، وذكرْنا نوحًا هُنالك. و«إسْحاقُ»: أعْجمِيٌّ، وإنْ وافَقَ لفْظَ العربِيِّ، يُقال: أسْحقَهُ اللهُ يسْحقُه[(٥)] إسْحاقًا.

---

(١) كتاب العين (٤/ ٢٩٧).

(٢) الكتاب (٢/ ٦٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٨٦).

(٥) ليست في (ج).

و«يعْقُـوب»: أعجمِـيٌّ. فأمَّـا اليعْقُـوبُ، وهـو ذَكَـرُ الحَجَـلِ وهِـي القَبَـجُ[١] فعـرَبِيٌّ، كذلِـك قرأتُـه عـلَى شـيْخِنا أبي منْصُـورٍ اللُّغـويِّ.

و«أيوب»: أعْجمِيٌّ، و«يونُس»: [اسْمٌ][٢] أعْجمِيٌّ.

قالَ أبو عُبيدةَ: يُقال: يُونُس ويُونِس بضَمِّ النُّونِ وكسْرِها[٣].

وحكَـى أبـو زيْـدٍ الأنْصَـاريُّ عـنِ بعْـضِ[٤] العـرَبِ همْـزةً[٥] مـعَ الكسْرَةِ والضمَّـةِ والفتْحَـةِ[٦].

وقـالَ الفرَّاءُ:يونُـس بضَـمِّ النُّـون مِـن غـيْرِ همْـزٍ[٧] لُغـةُ أهْـلِ الحجـاز، وبعـض بنـي أسَـدٍ يقُـول: يُؤنـس بالهمـز، وبعْـض بنـي عُقيـل يقـول: يونَـس بفتـح النُّـون مـن غـير همـز[٨].

والمَشْهُورُ فِي القِراءة: «يونُس» برفْعِ النُّونِ مِن غيْرِ همْزٍ[٩]. [١٧٥/ب]

وقـد قـرَأَ ابْـنُ مسْـعُودٍ، وقتـادَةُ، ويحْيَـى بْـنُ يعمـر، وطلحَـةُ: يُؤنِـسُ بكسْـرِ النُّـونِ مهْمُـوزًا[١٠].

---

(١) القبـج: الكـروان، معـرّب، وهـو بالفارسـية كبـج، والقـاف والجيـم لا يجتمعـان في كلمـة واحـدة مـن كلام العـرب. انظـر: اللسـان (ق ب ج).

(٢) من (ت)، و(ف).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ليست في (ت).

(٥) في (ت): من همزة.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) في (ت): من غيرهم.

(٨) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٥٩).

(٩) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٩٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ٤٧٤).

(١٠) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٩٧)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٣٠).

وقرأ أبو الجوزاء وأبو عِمرانَ والجحدريُّ: يُونَس بفتح النُّون مِن غير همْزٍ[(١)].

وقرأ أبو المتوكل: يؤنَس بفتح النُّون مهموزًا[(٢)].

وقرأ أبو السَّمالِ العدويُّ: يونِس بكسْرِ النُّون من غير همز[(٣)].

وقرأ عمْرُو بْنُ دِينارٍ برفع النُّون مهموزًا[(٤)(٥)].

و«هارون»: اسْمٌ أعْجمِيٌّ. وباقي الأنبياءِ عليهمُ السلام قد تقَدَّم[(٦)] ذكْرُهُم.

فأمَّا «الزَّبُور» فأكثرُ القُرَّاء على فتْحِ الزَّاي[(٧)].

وقرَأَ أبو رزين، وأبو رجاء، والأعمش، وحمْزَةُ بضمِّ الزَّايِ[(٨)].

قال الزَّجَّاجُ: فمَنْ فتَح الزَّايَ، أرادَ: كتابًا، ومَنْ ضَمَّ، أراد: كتُبًا[(٩)].

ومعنى ذكر «داود»؛ أي: لا تُنكروا تفضيلَ محمَّدٍ ﷺ بالقُرآن، فقد أعْطَى اللهُ داودَ الزَّبُورَ.

---

(١) انظر: البحر (٣/ ٣٩٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ٤٧٤)، فقد حكى رواية الفتح عن أبي زيد.

(٢) لم أقف عليها.

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٩٧)، و(٥/ ١٩٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٣٩٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٣٧)، والدر المصون (٤/ ١٥٧).

(٥) في الأصل: قال أبو عبيدة: يقال يونس ويونس بضم النون وكسرها إلى هنا. وقد سبق ذكر هذه العبارة قبلُ، بعد قوْلِه: (وأيوب).

(٦) في (ت): قدم.

(٧) انظر: تحبير التيسير (ص: ٣٤٤)، المبسوط (ص: ١٨٣).

(٨) انظر: الحجة للقراء السبعة (٣/ ١٩٣).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٢).

وقال أبو عليٍّ: كأنَّ حمْزَةَ جعَلَ كتابَ داودَ أنحاءً، وجعَلَ كلَّ نحْوٍ زبرًا، ثُمَّ جُمع، فقال: زبُورًا[(١)].

وقال ابْنُ قُتيبة: الزَّبُور فعُول بمعنى مفعول، كما تقول: حلوب وركوب بمعنى: محلوب ومركوب، وهو مِن قوْلِك: زبرتُ الكتابَ أزْبُره زبرًا: إذا كتبته[(٢)].

قال: وفيه لغةٌ أُخرى: الزُّبور بضمِّ الزَّاي، كأنَّه جمع[(٣)].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ تأكيدُ كلَّم بالمصدر يدلُّ على أنَّه سمِع كلامَ اللهِ ﷻ حقيقةً.

روى أبو سُليمان الدِّمشقيُّ، قال: سمعْتُ إسْماعِيلَ بْنَ مُحمَّدٍ الصفَّارَ يقول: سمِعْتُ ثعلبًا يقُولُ: لوْلَا أنَّ اللهَ تعالى أكَّد الفِعلَ بالمصدر، لجَازَ أن يكونَ كما يقولُ أحدُنا للآخر: قد كلمتُ لك فلانًا، بمعنى: كتبْتُ إليه رقعةً، أو بعثْتُ إليه رسولًا، فلمَّا قال: ﴿تَكْلِيمًا﴾ لم يكن إلَّا كلامًا مسْمُوعًا مِنَ الله ﷻ.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٠٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٧).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٨).

قوْلـه تعـالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾؛ أي: لئـلَّا يحتجـوا في تـرْكِ التَّوحيـدِ والطَّاعـة بعـدم الرُّسـل؛ لأنَّ هـذه الأشـياءَ إنَّـما[1] تجِـبُ بالرُّسـل.

قوْلُـهُ تَعـالَى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النسـاء: ١٦٦].

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾.

فِي سبَبِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدهمـا: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ دخَـل عـلى جماعـةٍ مِـن اليهـود، فقَـالَ: «**إِنِّي وَاللهِ أَعْلَمُ أَنَّكُم لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولِ اللهِ**»[2]، فقالـوا: مـا نعلَـمُ ذلـك. فنزلَـت هـذه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّـانِي: أنَّ رؤسـاءَ أهْـلِ مكَّـة أتـوا رسُـولَ الله ﷺ، فقالـوا: سـألنا عنـك اليهـودَ، فزعمـوا أنَّهـم لا يعرفُونَـك، فائْتِنَـا بمَـنْ يشْـهَدُ لـك أنَّ اللهَ بعثَـك، فنزلَـتْ هـذه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ ابْـنِ السَّـائب[3].

قـال الزَّجَّـاجُ: «الشَّـاهد»: المبـيِّن لما[4] يشـهد بـه، فـاللهُ[5] ﷻ بـيَّن ذلـك، ويعلـم مـع إبانتِـهِ أنَّـه حَـقٌّ[6].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) أخرجـه الطـبري (٩/ ٤٠٩)، وابـن أبي حاتـم (٤/ ١١٢٠)، وأسـباب النـزول؛ للواحـدي (ص: ١٠٣).

(٣) أسباب النزول (ص: ١٨٧).

(٤) ليست في (ت).

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ت).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٤).

وفي معنَى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنزله وفيه علمه، قاله الزَّجَّاجُ[١].

والثَّانِي: أنزله مِن[٢] علْمِه، ذكره أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

والثَّالث: أنزله إليك بعلْمٍ منه أنَّك خِيرَتُهُ مِن خلْقِه، قالَه ابْنُ جَرِيرٍ[٣]. [١٧٦/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يشْهَدُون أنَّ الله أنْزَلَه.

والثَّانِي: يشْهَدُون بِصدْقِكَ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: «الباءُ» دخلَت مؤكِّدةً. والمعنى: اكتفوا بالله فِي شهادته[٥][٦].

قوْلُــهُ تعَــالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ [النســاء: ١٦٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قال مُقاتِلٌ وغيرُهُ: هُمُ اليهودُ كفروا بمحمَّدٍ، وصدُّوا النَّاسَ عن الإِسْلام[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٤).

(٢) في (ج): مع.

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٤٠٩).

(٤) في (ت): بصدقكم. وفي (ج): بصدقه.

(٥) من قوله: (قوله تعالى: وكفى بالله شهيد)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٤).

(٧) تفسير مقاتل (١/ ٤٢٤).

قَالَ أبو سُليمانَ: وكان صدُّهم عنِ الإسلام قولَهم للمشركين ولأتْبَاعِهِم: ما نَجِدُ صِفةَ مُحَمَّدٍ فِي كتابِنا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ وغيْرُه: همُ اليهودُ أيْضًا كفروا بمحمَّدٍ والقرآن[١].

وفِي الظُّلم المذْكُور [هَاهُنا][٢] قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الشِّركُ، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّه جحدُهُم صِفةَ [مُحَمَّدٍ][٣] النَّبيِّ ﷺ فِي كِتابِهِم.

قوْلُه تَعَالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ يُريد مَن مات مِنْهُم علَى الكُفْرِ.

وقالَ أبو سُليْمان: لم يكنِ اللهُ لِيستُرَ[٤] عليْهِم قَبيحَ فِعالِهم، بل يفضحهم فِي الدُّنْيا، ويعاقِبهُم بالقتْلِ والجلاءِ والسَّبْيِ، وفِي الآخرة بالنَّارِ ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ينجون فيه.

وقال مُقاتِلٌ: طريقًا إلى الهدى[٥].

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ يعْنِي كان عذابُهم على اللهِ هيِّنًا.

---

(١) تفسير مقاتل (١/ ٤٢٤).

(٢) من (ج).

(٣) من (ج).

(٤) في (ت): ليستتر.

(٥) المصدر السابق.

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠].

قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكلامُ عامٌّ.

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: أرَاد المُشركين[١].

﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالهُدى، والصِّدقِ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ عـنِ الخَليـلِ وجميـع البصريـين: إنَّـه منْصُـوبٌ بالحَمْـلِ[٢] علَى معْنَاه؛ لأنَّك إذا قلت: انْتَـهِ[٣] خـيْرًا لـك، وأنـت تدْفَعْهُ عـن أمْـرٍ فتُدْخِله فِي غـيْرِه، كان المعنـى: انْتَـهِ[٤] وأتِ خـيرًا لـك، وادْخُـلْ فِيـما هـو خـيرٌ لـك[٥].

وأنْشدَ الخلِيلُ وسِيبويه قوْلَ[٦] عُمرَ بْنِ أبي رَبِيعةَ[٧] [من السريع]:

فَوَاعِدِيـهِ سَرْحَتَـيْ مَالِـكٍ أَوِ الرُّبَـى بَيْنَهُـمَا أَسْـهَلَا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦٣٠٢).

(٢) في (ج): على الحمل.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ليست في (ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٤).

(٦) ليست في (ت).

(٧) عـزاه لـه في الكتاب لسـيبويه (١/ ٢٨٢)، وتفسـير الطـبري (٩/ ٤١٤)، والأغـاني (٩/ ٢٨٧)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه للزجـاج (٢/ ١٣٤)، مـع اختـلاف في الألفـاظ، والسرحـة الشـجرة، وسَرحَتـا مالـك: موضـع بعينـه، اشـتهر بشـجرتين نسـبتا لصاحبهـا، وقولـه: (أسْـهلَا)؛ أي: ائـت أسـهل الأمريـن عليـك، هـذا تفسـيره على مقالَـةِ سِـيبويه.

كأنَّه[١] قال: ائتي مكانًا أسهل[٢].

قولـه تعـالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: هـو غنـيٌّ عنكـم، وعـن إيمانكـم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بـما يكـون مِـن إيـمانٍ أوْ كُفـرٍ ﴿حَكِيمًا﴾ فِي تكليفِكـم مـعَ علْمِـه بـما يكـون منكـم.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٧١﴾ [النســاء: ١٧١].

قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾.

قال مُقاتِلٌ: نزلت فِي نصارى نجران: السّيدِ والعاقِبِ ومَن معهما[٣][٤].

والجمهورُ على أنَّ المرادَ بهذه الآيَةِ: النَّصارَى.

وقال الحسَنُ: نزلَتْ فِي اليهودِ والنَّصارى[٥].

و«الغلو»: الإفراطُ ومُجاوزةُ الحَدِّ، ومنه غلا السِّعر.

---

(١) في (ت): لأنه.

(٢) في (ت): سهلًا.

(٣) في (ف): تبعهما.

(٤) تفسـير مقاتـل (١/ ٤٢٤)، وذكـره الواحـدي بـدون سـند ولا عـزو لأحـد فِي «أسـباب النـزول» (ص: ٣٧٦) ولم يذكـر فيـه أسـماء.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ١٣٢)، وأسباب النزول؛ للواحدي (ص: ١٨٦).

وقال الزَّجَّاجُ: الغلو: مُجاوزةُ القدْرِ فِي الظُّلمِ[(١)].

وغلـو النَّصـارى فِي عيسـى: قـوْلُ بعضِهـم: هـوَ اللهُ، وقـوْلُ بعضِهـم: هـوَ ابْـنُ اللهِ، وقـوْلُ بعضِهـم: هـوَ ثالـثُ ثلاثـة. [١٧٦/ ب]

وعلَى قوْلِ الحسَنِ غُلوُّ اليهودِ فيهِ قوْلُهم: إنَّه لِغيرِ رُشدةٍ.

وقالَ بعْضُ العُلماء: لا تغلوا فِي دينِكُم بالزِّيادةِ على التَّشدُّدِ[(٢)] فيه[(٣)].

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: لا تقُولـوا: إِنَّ اللهَ[(٤)] له شريـكٌ أو ابْـنٌ أو زوجـةٌ.

وقد ذكرنا معْنى «المسيح» والكلمةِ فِي «آل عمران»[(٥)].

وفِي معْنَى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدهـا: أنَّـه روحٌ مـن أرواح الأبـدان. قـال أُبيُّ بْـنُ كعْـبٍ: لمـا أخَـذَ اللهُ[(٦)] الميثـاقَ عـلَى بنِـي آدمَ كان عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ روحًـا مِـن تلـك الأرواح، فأرسَـلَه إلى مريـم، فحمَلَـتْ به[(٧)].

والثَّـاني: أنَّ الـروح النفـخُ، فسُـمِّي روحًـا[(٨)]؛ لأنَّـه حـدَثَ عـن نفخـةِ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٢٢).

(٢) في (ت): التشديد.

(٣) ليست في (ت).

(٤) لفظ الجلالة ليس في (ج)، و(ف).

(٥) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ١٤٣).

(٦) لفظ الجلالة ليس في (ت).

(٧) أخرجه بنحوه الطبري (٦/ ٣٦).

(٨) قوله: (من تلك الأرواح)... إلى هنا ساقط من (ج).

جبريلَ عَ في دِرع(١) مرْيمَ، ومنه قولُ ذي الرُّمَّة [من الطويل]:

وَقُلتُ لَه ارْفَعْهَا إِلَيْكَ وَأَحْيِهَا بُرُوحِكَ، وَاقْتَتْهُ لَهَا قِيتَةً قَدْرَا

هذا قوْلُ أبي رَوق(٢).

والثَّالث: أنَّ(٣) معنى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: إِنسانٌ حيٌّ بإحْياءِ اللهِ له.

والرَّابع: أنَّ الروحَ الرَّحمةُ، فمعناه: ورحمةٌ منه، ومثْلُه: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

والخامس: أنَّ الرُّوح(٤) هَاهُنا جبريلُ. والمعنى ألقاها اللهُ إلى مريمَ، والَّذي ألقاها روحٌ منه، ذكر هذِه الأقوالَ الثَّلاثةَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والسَّادس: أنه سمَّاه روحًا؛ لأنَّه يحيا به النَّاسُ كما يَحْيَون بالأرْوَاح، ولهذا المعنى سُمِّي(٥) القرآنُ روحًا، ذكرَهُ القاضي أبو يعْلَى.

والسَّابع: أن الرُّوح الوحيُ أوْحَى اللهُ إلى مرْيمَ يُبشرُها به، وأوحى إلى جبريلَ بالنَّفخ في درعِها، وأوحى إلى ذاتِ عيسى أن: كن فكان. ومثْلُه: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ {النحل: ٢}؛ أي: بالوحي، ذكرَهُ الثَّعْلَبيُّ(٦).

---

(١) درع المرأة: قميصها.

(٢) البيت في ديوانه (ص: ١٧٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٧٦)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٤٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٨).

(٣) ليست في (ف).

(٤) من قوله: (الرحمة، فمعناه)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٥) ليست في (ت).

(٦) الكشف والبيان (١١/ ٩٥).

فأمَّا قوْلُه: «منه» فإنَّه إِضافَةُ تشْرِيفٍ، كما تقول: بيْتُ اللهِ، والمعنى: مِن أمْرِه، ومِمَّا يُقارِبُها قوْلُه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: رفعه بإضمار: لا تقولوا آلهتُنا ثلاثةٌ ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي: ما هوَ إلَّا إلهٌ واحِدٌ[١].

﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ (ومعنى «سبحانه»)[٢]: تَبْرِئتُه[٣] مِن أن يكون له ولَدٌ. قالَه أبو سُليمانَ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: قَيِّمًا على خلْقِه، مُدبِّرًا لهُم.

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾.

سبَبُ نُزولِها:

أنَّ وفْدَ نجْرانَ وفَدُوا علَى رسُولِ الله ﷺ، فقالوا: يا مُحمَّدُ! لِمْ تذْكُرْ صاحِبَنا؟ قالَ: ومَنْ صَاحِبُكُم؟ قالوا: عِيسى، قالَ[٤]: وأيُّ شيءٍ أقولُ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٥).

(٢) ما بين الهلالين ليس في (ت)، و(ج).

(٣) في (ف): تنزيهه.

(٤) ليست في (ت).

فيه[١]؟ هوَ عبدُ اللهِ، قالوا: بَلْ هوَ اللهُ، فقالَ: إِنَّه ليسَ[٢] بعَارٍ عليْهِ أن يكُونَ عبدًا للهِ، قالُوا: بلَى، فنزلَتْ هذه الآيةُ، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: معْنَى يَسْتَنْكِفُ: يأنف، وأَصْلُه فِي اللُّغة مِن نكَفْتَ الدَّمْعَ: إِذَا نَحَّيْتَهُ بِإِصْبُعِكَ مِن خدِّكَ[٤].

[١٧٧/أ] قال الشَّاعر[٥] [من الطويل]:

فَبَانُوا فَلُولَا مَا تذكَّرُ مِنْهُمُ ... مِنَ الخِلْفِ لَمْ يُنكَفْ لِعَيْنَيْكَ مَدْمَعُ

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: هم حملَةُ العرش[٦].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣﴾ [النساء: ١٧٣].

---

(١) في (ت)، و(ج)، و(ف): له.

(٢) ليست في (ف).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ١٩٠)، من رواية الكلبي، وانظر: الكشف والبيان (٣/ ٤٢٠)، وتفسير البغوي (١/ ٦٢٧). زاد في (ف) بعد قوله: (من خدك): نكفت ينكف نكفًا.

(٤) معاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ١٣٦).

(٥) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ١٣٦)، وكتاب العين (٥/ ٣٨٣)؛ وتهذيب اللغة (٤/ ٣٦٦٤)، والمحكم والمحيط (٧/ ٦١)، والمخصص (١/ ١٢٧)، ولسان العرب (٩/ ٣٤٠) (نكف).

(٦) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٤٥).

قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾؛ أي: ثواب[١] أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: مضاعفة الحسنات.

وروى ابنُ مسْعُودٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ في قوْلِه تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ قال: يدخلون الجنَّة ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: الشَّفاعةُ لِمَن وجبت له النَّارُ مِمَّن صنع إليهم المعروف في الدُّنيا[٢].

قوْلُهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

فِي البُرهان ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه الحُجَّةُ، قالَه مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ.

والثَّانِي: القُرآن، قالَه قتادَةُ.

والثالث: أنه النَّبيُّ [محمَّدٌ][٣] ﷺ، قالَه سُفيان الثَّوريُّ.

فأمَّا «النور المبين» فهو القرآن، قاله قتادة.

---

(١) في (ج): ثواب أجورهم؛ أي.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٤٨) من طريق بقية عن إسماعيل الكندي به، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣): «فيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكر وبقية رجاله وثقوا»، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨) من طريق ابن حمير عن الثوري عن شقيق عن عبد الله بن مسعود بنحوه، وقال: «غريب من حديث الأعمش، عزيز عجيب من حديث الثوري، تفرد به إسماعيل بن عبيد الله الكندي عن الأعمش، وعن إسماعيل بقية بن الوليد، وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ».

(٣) من (ت).

وإنَّما سمَّاه(١) نورًا؛ لأنَّ الأحكام تبين به بيانَ الأشياء بالنُّورِ.

قوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النسـاء: ١٧٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: اسْتَمْسَكُوا.

وفي هاء «به» قولان:

أحدهما: أنَّها تعُود إلى النُّور وهو القرآنُ، قالَه ابْنُ جريج.

والثَّانِي: تعُودُ إلى الله تعالى، قالَه مُقاتِلٌ.

وفِي «الرَّحمة» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها(٢) الجنَّةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّها نفْسُ الرَّحمةِ، والمعْنَى: سيرحمُهُم، قالَه أبو سُليمانَ.

وفِي «الفضل» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الرزقُ فِي الجنَّةِ، قالَه مُقاتِلٌ.

والثَّانِي: أنَّه الإحسان، قالَه أبو سُليمانَ.

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ أي: يُوفقهـم لإصابـة الطَّريـقِ المُسـتقيم.

---

(١) في (ت): سموه.

(٢) في (ج): أنه.

وقالَ ابْنُ الحَنفيةِ(١): الصِّراطُ المُستقيم(٢): دينُ اللهِ تعَالى(٣).

قوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦].

قوْلُه تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها نزَلَتْ فِي جابِرِ بْنِ عبْدِ الله.

رَوى أبو الزُّبير عن جَابرٍ قالَ: مرضْتُ فأتاني رسُولُ الله ﷺ يعودني هو وأبو بكر، فوجدني قد أغمي عليَّ، فتوضَّأ رسُولُ الله ﷺ، ثم صبَّ عليَّ مِن وَضُوئهِ، فأفقتُ، وقلت: يا رسولَ الله! كيف أصنع فِي مالي وكان لي تِسْعُ أخواتٍ، ولم يكن لي ولدٌ؟ فلم يجبْني بشيءٍ، ثم خرج وتركني، ثم رجع إليَّ وقال: يا جابرُ! لا أراك ميتًا من وجعك هذا، وإنَّ الله ﷻ قد

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم الهاشمي، ابن الحنفية، واسمها خولة بنت جعفر ولد في صدر خلافة عمر، وروى عن: أبيه، وعثمان، وعمار بن ياسر، وعنه: بنوه الحسن، وعبد الله، وعمر، وجماعة. توفي سنة (٨١هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٦/ ١٨١).

(٢) من قوله: (أي: يوفقهم)... إلى هنا ساقط من (ت).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ١٧٥)، وإسناده ضعيف، فيه: إسماعيل الأزرق: هو إسماعيل بن سليمان، وهو ضعيف، قال ابن معين: «ليس حديثه بشيء»، وقال ابن نمير والنسائي: «متروك»، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص: ٧٨ رقم ٣٥): «ينفرد بمناكير يرويها عن المشاهير».

أنـزل فِي أخواتِـك، وجعـل لهُـنَّ الثُّلثـين، فقـرأ عـلَيَّ هـذه الآيـةَ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ فـكان جابـر يقـول: أُنزلـت هـذه الآيـةُ فِيَّ[1].

والثَّانِي: أنَّ الصَّحابـة أهمَّهُـم [بيـانُ][2] شـأنِ الكلالـة فسـألوا عنهـا نبـيَّ الله ﷺ، فنزلَـتْ هـذه الآيـةُ، هـذا قـوْلُ قتـادةَ[3].

وقـالَ سـعِيدُ بْـنُ المسيِّبِ: سـأَل عُمـرُ بْـنُ الخطَّـاب ﷺ رسُـولَ الله ﷺ كيْـفَ نـورِّث[4] الكلالـةَ؟ فقـالَ: «أَوَ لَيْـسَ قَـدْ بَـيَّنَ اللهُ تَعَـالَى ذَلِـكَ»، ثُـمَّ قـرأَ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ [النسـاء: ١٢] فأنْـزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾[5]. [١٧٧/ب]

وقد تقدَّم الكلام فِي الكلالَةِ[6].

قوْلُـه تعـالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾؛ (أي: مـات لَيْـسَ)[7] ﴿لَهُۥ وَلَدٞ﴾ يُريـد: ولا والِـد: فاكْتفَـى بذكْـرِ أحدِهِـا، ويـدلُّ عـلى المحـذوف أنَّ الفُتيـا فِي الكلالـة، وهـي مَـن ليـس لـه ولـدٌ ولا والـدٌ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾ يُريد مِن أبيه وأُمِّه.

﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ﴾ عنْدَ انْفِرادِها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٢٣)، ومسلم (٥/ ١٦١٦)، من طريق سفيان.

(٢) من المطبوع.

(٣) أخرجـه الطـبري (٦/ ٤١)، (١٠٨٦٩) عـن قتـادة مرسـلًا، والبيهقـيُّ فِي السـنن الكـبرى (٦/ ٣١).

(٤) في (ت): تورث.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٤٣١) (١٠٨٦٦).

(٦) في (ت): وقد يقدم الكلالة.

(٧) ليست في (ت).

﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾؛ أي: يستغرق ميراثَ الأُخت إِذا لم يكن لها ولدٌ ولا والدٌ، وهذا هو الأخُ مِنَ الأبِ والأُمِّ، أو مِنَ الأَبِ.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ (يعني: أُختين.

وسُئِل الأخفشُ ما فائِدةُ قوْلِه: «اثنتين» وكانَتَا لَا يُفسَّر[1] إِلَّا[2] باثْنَتَيْنِ)[3]؟

فقال: أفادت العددَ العاريَ عن الصِّفة؛ لأَنَّه يجوز في كانَتَا صغيرتين، أو حرَّتين، أو صالحتين، أو طالحتين، فلمَّا قال: ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أفاد إطلاقَ العددِ على أيِّ وصفٍ كانتا عليه.

﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ﴾ مِن تركة أخيهما الميت.

﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ يعني المخلَّفِين.

قوْلُه تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾.

قال ابْنُ قُتيبة: لئلَّا تضِلُّوا[4].

وقال الزَّجَّاجُ: فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أن لا تضلوا، فأُضمِرَتْ لَا.

والثَّانِي: كرَاهة[5] أنْ تضلوا، وهو قوْلُ البصريين[6].

قالَ ابْنُ جُريج: أن تضلوا فِي شأنِ الَموارِيثِ[7].

---

(١) في (ف): تفسر.

(٢) ليست في (ج).

(٣) ما بين الهلالين ساقط من (ت).

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ١٣٧).

(٥) في (ت)، و(ج): كراهية.

(٦) معاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٤٣١).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٤٤٥)، (١٠٨٩١).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة النساء	
١	٥
٢	١١
٣	١٣
٤	٢١
٥	٢٣
٦	٢٧
٧	٣٣
٨	٣٥
٩	٣٩
١٠	٤١
١١	٤٥
١٢	٥٣
١٣، ١٥	٥٧
١٦	٥٩
١٧	٦١
١٨	٦٣
١٩	٦٥
٢٠	٧١
٢١، ٢٢	٧٣
٢٣	٧٧
٢٤	٨١

٢٥	....	٨٩
٢٦، ٢٨	....	٩٥
٢٩	....	٩٧
٣٠، ٣١	....	٩٩
٣٢	....	١٠٥
٣٣	....	١٠٩
٣٤	....	١١٣
٣٥	....	١١٩
٣٦	....	١٢١
٣٧	....	١٢٣
٣٨، ٣٩	....	١٢٥
٤٠	....	١٢٧
٤١	....	١٢٩
٤٢	....	١٣١
٤٣	....	١٣٣
٤٤، ٤٥	....	١٤٣
٤٦	....	١٤٥
٤٧	....	١٤٧
٤٨، ٤٩	....	١٥١
٥٠، ٥١	....	١٥٥
٥٢، ٥٤	....	١٥٩
٥٥	....	١٦١
٥٦	....	١٦٣
٥٧، ٥٨	....	١٦٥
٥٩	....	١٦٧

٦٠	١٦٩
٦١، ٦٣	١٧٣
٦٤	١٧٥
٦٥، ٦٨	١٧٧
٦٩، ٧٠	١٧٩
٧١	١٨٣
٧٢، ٧٣	١٨٥
٧٤	١٨٧
٧٥	١٨٩
٧٦، ٧٧	١٩١
٧٨	١٩٥
٧٩	١٩٧
٨٠، ٨١	٢٠٣
٨٢، ٨٣	٢٠٧
٨٤	٢١٣
٨٥	٢١٥
٨٦	٢١٧
٨٧، ٨٨	٢١٩
٨٩، ٩٠	٢٢٣
٩١	٢٢٧
٩٢	٢٢٩
٩٣	٢٣٥
٩٤	٢٣٩
٩٥	٢٤٥
٩٦	٢٤٧

٩٧ .... ٢٤٩
٩٨، ٩٩ .... ٢٥١
١٠٠ .... ٢٥٣
١٠١ .... ٢٥٥
١٠٢ .... ٢٥٩
١٠٣ .... ٢٦١
١٠٤ .... ٢٦٣
١٠٥ .... ٢٦٥
١٠٦، ١٠٨ .... ٢٦٩
١٠٩، ١١٠ .... ٢٧١
١١١، ١١٢ .... ٢٧٣
١١٣ .... ٢٧٥
١١٤ .... ٢٧٩
١١٥ .... ٢٨١
١١٦، ١١٨ .... ٢٨٣
١١٩ .... ٢٨٩
١٢٠، ١٢٣ .... ٢٩٣
١٢٤، ١٢٥ .... ٢٩٧
١٢٦، ١٢٧ .... ٣٠١
١٢٨ .... ٣٠٥
١٢٩، ١٣٢ .... ٣٠٩
١٣٣، ١٣٥ .... ٣١١
١٣٦ .... ٣١٥
١٣٧ .... ٣١٧
١٣٨، ١٣٩ .... ٣١٩

١٤٠ .... ٣٢١
١٤١ .... ٣٢٣
١٤٢ .... ٣٢٥
١٤٣، ١٤٤ .... ٣٢٧
١٤٥، ١٤٦ .... ٣٢٩
١٤٧، ١٤٨ .... ٣٣١
١٤٩، ١٥٢ .... ٣٣٥
١٥٣ .... ٣٣٧
١٥٤، ١٥٥ .... ٣٣٩
١٥٦، ١٥٨ .... ٣٤١
١٥٩ .... ٣٤٥
١٦٠ .... ٣٤٧
١٦١، ١٦٢ .... ٣٤٩
١٦٣ .... ٣٥٣
١٦٤، ١٦٥ .... ٣٥٥
١٦٦، ١٦٧ .... ٣٥٧
١٦٨، ١٧٠ .... ٣٥٩
١٧١ .... ٣٦١
١٧٢ .... ٣٦٣
١٧٣، ١٧٤ .... ٣٦٥
١٧٥، ١٧٦ .... ٣٦٧

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الخامس

المائدة - الأنعام

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٥

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا

بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

الدوحة 2021
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الخامس

المائدة - الأنعام

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بدار الرسالة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المائدة

[بسم الله الرحمن الرحيم][١]

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية[٢].

وقال مقاتل: نزلت نهارًا وكلها مدنية[٣].

وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] قال: وقيل: فيها من المكي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٢].

والصحيح أن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت [هذه][٤] بعرفة يوم عرفة، فلهذا نُسبت إلى مكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١].

---

(١) البسملة زيادة من (ج).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٤٧) وفيه: سورة المائدة مدنية، نهارية كلها، عشرون ومائة آية كوفية إلَّا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإنها نزلت بعرفة.

(٤) زيادة من (م).

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم المؤمنون من أُمتنا، وهذا قول الجمهور.

والثاني: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج.

و﴿بِٱلۡعُقُودِ﴾: العهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، والجماعة.

وقال الزجاج: «العقود»: أوكد العهود[1].

واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال:

أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحلَّ وحرَّم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن.

والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحِلْفُ الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله[2] على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جريج. وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٩).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (م).

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر أو يمين، وهذا قول ابن زيد[(١)]. [١٧٨/أ]

قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

في «بهيمة الأنعام» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها أجنَّة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أُمهاتها إذا ذبحت الأُمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس.

والثاني: أنها الإِبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسُّدي.

وقال الربيع: هي الأنعام كلها[(٢)].

وقال ابن قتيبة: هي الإِبل، والبقر، والغنم، والوحوش كلها[(٣)].

والثالث: أنها وحش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، روي عن ابن عباس، وأبي صالح.

وقال الفراء: بهيمة الأنعام: بقر الوحش، والظباء، والحمر الوحشيَّة[(٤)].

---

(١) قوله: (قول ابن زيد)، ليس في (ج).

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٣/ ٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٩) بلفظ: قَالَ: «الْأَنْعَامُ كُلُّهَا حِلٌّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا، فَإِنَّهُ صَيْدٌ، فَلَا يَحِلُّ إِذَا كَانَ مُحْرِمًا».

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٣٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٨).

قال الزجاج: وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت عن أن تميِّز، وكل حي لا يميِّز فهو بهيمة[١].

قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٢].

روي عن ابن عباس أنه قال: هي الميتة وسائر ما في القرآن تحريمه[٣].

وقال ابن الأنباري: المتلو علينا من المحظور الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾.

قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾.

قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال[٤].

وقال غيره: المعنى: أُحلت لكم بهيمة الأنعام غير مستحلي اصطيادها، وأنتم حرم.

قال الزجاج: الْحُرم: الْمُحرمون، وواحد الحُرم: حرام، يقال: رجل حَرامٌ، وقومٌ حُرمٌ[٥][٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤١).

(٢) الآية ليست في (ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: «هِيَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ».

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٧١).

(٥) قوله: (وقوم حُرم)، ليس في (ر).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤١-١٤٢).

قال الشاعر[١][من الطويل]:

فَقُلْتُ لَهَا فِيئِي إِلَيْكِ فَإِنَّنِي حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَاكَ لَبِيبُ

أي: مُلبٌّ.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخلق له يحل ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد على من يريد[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

قوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن شُرَيْح بْن ضُبَيْعَة أتى المدينة، فدخل على النبي ﷺ، فقال: إلام تدعو؟ فقال: «**إلى شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ**[٣]، وأنّي

(١) البيت للمُضَرَّب بْنُ كَعْب في لسان العرب (١/ ٧٣٠، ٧٣٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٧١)، وتاج العروس (٤/ ١٩٤)، وبلا نسبة في المخصص (٤/ ٢٤٢)، وجمهرة اللغة (ص: ٥٢١، ١٢٥٢)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٩٩).

(٢) قوله: (على ما يريد)، ليس في (ر).

(٣) قوله: (وحده)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

رَسُولُ الله»، فقال: إن لي أُمراء خلفي أرجع إليهم أشاورهم[١]، ثم خرج، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ، وَخَرَجَ بِعَقِبَيْ غَادِرٍ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ»، فمر شريح بسرح لأهل المدينة، فاستاقه، فلما كان عام الحُديبية، خرج شريح إلى مكة معتمرًا، ومعه تجارة، فأراد أهل السرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٢].

وقال السدي: اسمه الحطم بن هند البكري[٣].

قال: ولما ساق السَّرح جعل يرتجز [من الرجز]:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ ... لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ
وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الْوَضَمْ ... بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ
بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالزَّلَمْ ... خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ مَمْسُوحُ الْقَدَمْ

[١٧٨/ب] والثاني: أن ناسًا من المشركين جاءوا يؤمُّون البيت يوم الفتح مهلِّين بعمرة، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل[٤] نغير عليهم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[٥].

---

(١) في (ر): (أستأمرهم).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ١٨٩) عن ابن عباس.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤) من قول ابن زيد.

قال ابن قتيبة: و«شعائِر الله»: ما جعله [الله][(١)] علمًا لطاعته[(٢)].

وفي المراد بها هنا سبعة أقوال:

أحدها: أنها مناسك الحج، رواه الضحاك عن ابن عباس[(٣)].

وقال الفراء: كانت عامَّة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر[(٤)]، ولا يطوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تستحلوا ترك ذلك[(٥)].

والثاني: أنها ما حرم الله تعالى[(٦)] في حال الإحرام، رواه العوفي عن ابن عباس[(٧)].

والثالث: دين الله كله، قاله الحسن.

والرابع: حدود الله، قاله عكرمة، وعطاء.

والخامس: حَرَمُ الله، قاله السُّدي.

والسادس[(٨)]: الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام، قاله أبو عبيدة[(٩)]، والزجاج[(١٠)].

---

(١) من (ج)، و(ر).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢) من طريق ابن جريج، به، بنحوه.

(٤) في (ر): (من شعائر الله).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٨).

(٦) قوله: (الله تعالى)، ليس في (م).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣) بلفظ: «مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ أَنْ تُصِيبَهُ وَأَنْتَ مُحْرِمٌ».

(٨) ليست في (ر).

(٩) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٤٦).

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٢).

والسابع: أنها أعلام الحرم، نهاهم أن يتجاوزوها غير محرمين إذا أرادوا دخول مكة، ذكره الماوردي[١]، والقاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

قال ابن عباس: ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾ القتال فيه[٢].

وفي المراد بـ «الشهر الحرام» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ذو القَعدة، قاله عكرمة[٣]، وقتادة[٤].

والثاني: أن المراد به الأشهر الحرم.

قال مقاتل: كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ كلَّ سنة فيقول: ألا إني قد أحللت كذا، وحرَّمت كذا[٥].

والثالث: أنه رجب، ذكره ابن جرير الطبري[٦].

و﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾: كل ما أهدي إلى بيت الله تعالى من شيء.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨) بلفظ: «كَانَ الْمُشْرِكُ يَوْمَئِذٍ لَا يُصَدُّ عَنِ الْبَيْتِ، فَأُمِرُوا أَنْ لَا يُقَاتِلُوا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَا عِنْدَ الْبَيْتِ».

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٤٨) وفيه: «أن أبا ثمامة جنادة بن عَوْف بن أميَّة من بني كنانة كان يقوم كُلَّ سنة فِي سوق عكاظ، فيقول: ألا إني قَدْ أحللت المحرم وحرمت صفرا وأحللت كذا وحرمت كذا ما شاء».

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٥).

وفي ﴿ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها المقلَّدات مِن الهدي، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنها ما كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم[١] في الجاهلية، ليأمنوا به عدوَّهم، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحُرُم، فمن لقوة مقلِّدًا نفسه، أو بعيره، أو مشعرًا بُدنَهُ أو سائِقًا هديًا لم يُتعرض له.

قال ابن عباس: كانَ مَن أراد أن يسافر في غير الأشهر الحُرُم، قلَّد بعيره من الشعر والوبر، فيأمَن حيثُ ذهب[٢].

وروى مالك بن مِغوَل عن عطاء قال: كانوا يتقلَّدون من لحاء شجر الحرم، فيأمنون به إذا خرجوا من الحرم، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلَّد من السَّمُرِ[٤]، فلم يَعرِض له أحد، وإذا رجع تقلَّد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد[٥].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٧) عن قتادة، نحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨) من طريق وكيع، عن مالك بن مِغول، به، بنحوه.

(٤) السَّمُر: شجر الطَّلح، وهو نوع من العضاه، الواحدة: سَمُرة. انظر: المصباح المنير (١/ ٢٨٨).

(٥) رواه عبد الرزاق (٢/ ٤)، وابن جرير الطبري (٨/ ٣٨) في تفسيرهما، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٥٩)، والجصاص في أحكام القرآن (٣/ ٢٩٤) من طريق معمر، به، بنحوه.

وقال الفراء: كان أهل مكة يقلِّدونَ بلِحَاءالشجر، وسائر العرب يُقلِّدون بالوَبَر والشعر[1].

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تستحلُّوا المقلَّدات من الهدي.

والثاني: لا تستحلوا أصحاب القلائد.

[١٧٩/أ] **والثالث:** أن هذا نهيٌ للمؤمنين أن ينزعوا شيئًا من شجر الحرم، فيتقلَّدوه كما كان المشركون يفعلون في جاهليتهم، رواه عبد الملك عن عطاء. وبه قال مطرف، والربيع بن أنس.

قوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾.

«الآمُّ»: القاصد.

و«البيت الحرام»[2]: الكعبة.

و«الفضل»: الربح في التجارة.

و«الرضوان من الله»: يطلبونه في حجِّهم على زعمهم. ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه:٩٧].

وقيل: ابتغاء الفضل عام، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة.

قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٩).

(٢) قوله: (الآم: القاصد، والبيت الحرام)، ليس في (ر).

لفظُه لفظُ الأمر، ومعناه الإباحة، نظيره: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ {الجمعة:١٠}. وهو يدلُّ على إِحرامٍ متقدِّم.

قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

روى الوليد عن يعقوب: «يجرمنْكم» بسكون النون، وتخفيفها[١].

قال ابن عباس: لا يحملنَّكم[٢].

وقال غيره: لا يدخلنكم في الجُرم، كما تقول: آثمتُه أي: أدخلته في الإثم.

وقال ابن قتيبة: لا يكسبنكم، يقال: فلان جارمُ أهله، أي: كاسبهم، وكذلك جريمتهم[٣].

وقال الهُذلي، ووصف عقابًا[٤][من الوافر]:

جَرِيمَةَ نَاهِضٍ فِي رَأْسِ نِيقٍ تَرَى لِعِظَامِ مَا جَمَعَتْ صَلِيبَا

والناهض: فرخها، يقول: هي تكسب له، وتأتيه بِقُوتِه[٥].

---

(١) في البحر المحيط (٤/ ١٦٨) قرأ الحسن، وإبراهيم، وابن وثاب، والوليد عن يعقوب: «يَجْرِمَنْكُمْ» بسكون النون، جعلوا نون التوكيد خفيفة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٣٩).

(٤) البيت في غريب القرآن (ص: ١٣٩)، وفي شرح أشعار الهذليين (ص: ١٢٠٥)، والمحكم والمحيط (٧/ ٤١٤)، وتاج العروس (٣/ ٢٠٤)، ولسان العرب (١/ ٥٢٨، ١٢/ ٩٢)، وبلا نسبة في شرح كتاب سيبويه (٣/ ٣٦٣).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

و«الشنآن» البغض، يقال: شنئته أشنؤه: إذا أبغضته.

وقال ابن الأنباري: «الشنآن»: البغض، و«الشنآن» بتسكين النون: البغيض.

واختلف القراء في نون الشنآن:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بتحريكها.

وأسكنها ابن عامر.

وروى حفص عن عاصم تحريكها[1]، وأبو بكر عنه تسكينها.

وكذلك اختُلف عن نافع[2].

قال أبو علي: «الشَّنآن»، قد جاء وصفًا، وقد جاء اسمًا، فمن حرَّك، فلأنه مصدر، والمصدر يكثر على فَعَلان، نحو النَّزَوان، ومن سكَّن قال: هو مصدر، وقد جاء المصدر على فَعْلان، تقول: لويته دينَه لَيَّانًا، فالمعنى في القراءتين واحد، وإن اختلف اللفظان[3].

واختلفوا في قوله: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾.

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالكسر.

وقرأ الباقون بالفتح[4].

---

(١) من قوله: (وأسكنها ابن عامر)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٤٢)، والحجة (٣/ ١٩٥)، والتيسير (ص:٩٨)، والمبسوط (ص:١٨٤).

(٣) انظر: الحجة (٣/ ٢١٠).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٤٢)، والحجة (٣/ ٢١٢)، والتيسير (ص:٩٨)، والمبسوط (ص:١٨٤).

فمن فتح جعل الصَّد ماضيًا[١]، فيكون المعنى من أجل أن صدوكم، ومن كسرها[٢]، جعلها للشرط، فيكون الصَّد مترقَّبًا.

قال أبو الحسن الأخفش[٣]: وقد يكون الفعل ماضيًا مع الكسر، كقوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] وقد كانت السرقة عندهم قد وقعت[٤].

وأنشد أبو علي الفارسي[من الطويل]:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ ... وَلَمْ تَجِدِي مِنْ[٥] أَنْ تُقِرِّي بِهِ بُدًّا[٦]

قال ابن جرير: وقراءة مَن فتح الألف أبيَن، لأن هذه السورة نزلت بعد الحديبية، وقد كان الصدُّ تقدَّم[٧].

---

(١) في (م): (وقرأ الباقون بالفتح جعل الصد ماضيًا).

(٢) في (ج): (ومن كسر).

(٣) من قوله: (أن صدوكم، ومن كسرها)... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٢).

(٥) ليست في (ت)، و(ج).

(٦) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي في حاشية الأمي على المغني(١/ ٢٥)، وبلا نسبة في جواهر الأدب (ص: ٢٠٥)، وشرح شذور الذهب (ص: ٤٤٠)، وشرح شواهد المغني (ص: ٨٩)، ومغني اللبيب (ص: ٢٦).

(٧) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٥٠).

فعلى هذا في معنى الكلام قولان:

[١٧٩/ب] أحدهما: ولا يحملنكم بغض أهل مكة أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا فيه، فتقاتلوهم، وتأخذوا أموالهم إذا دخلتموه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: لا يحملنكم بغض أهل مكة[١]، وصدهم إياكم أن تعتدوا بإتيان ما لا يحل لكم من الغارة على المعتمرين من المشركين، على ما سبق[٢] في[٣] نزول الآية.

قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾.

قال الفراء: لِيُعِن بعضكم بعضًا[٤].

قال ابن عباس: البرُّ ما أُمرت به، و«التقوى»: ترك ما نُهيت عنه[٥].

فأمّا ﴿الْإِثْمِ﴾ فالمعاصي. ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: التَّعدِّي في حدود الله، قاله عطاء.

---

(١) في (م): (لا يحملنكم بغض أهل مكة أن يصدوكم عن المسجد الحرام).

(٢) في (ج): (كما سبق).

(٣) ليست في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٢) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة.

روي عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء. وكذلك قال أبو ميسرة في آخرين قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدي قبل أوان ذبحه.(١)

واختلفوا في «القلائد»:

فقال قوم: يحرم رفع القلادة عن الهدي حتى ينحر.

وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلِّد من شجر الحرم، فقيل لهم: لا تستحلُّوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا القاصدين إلى البيت.

والثاني: أنها منسوخة.

وفي المنسوخ منها أربعة أقوال:

أحدها: أن جميعها منسوخ، وهو قول الشعبي.

والثاني: أنها وردت في حق(٢) المشركين كانوا يقلِّدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنُهي المسلمون بهذه الآية

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٥٧) من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة قال: «لَمْ يُنْسَخْ مِنَ الْمَائِدَةِ شَيْءٌ». وانظر: تفسير مجاهد (١/ ٣١٧).

(٢) ليست في (ج).

عن التعرُّض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ {التوبة: ٥} وهذا قول الأكثرين.

والثالث: أن الذي نُسخ قوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ نسخه قوله: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ روي عن ابن عباس، وقتادة[١].

والرابع: أن المنسوخ فيها[٢]: تحريم الشهر الحرام، وآمُّون البيت الحرام: إذا كانوا مشركين، وهدي المشركين إذا لم يكن لهم من المسلمين أمان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة: ٣].

قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ مفسَّرٌ في «البقرة»[٣].

فأمَّا «المنخنقة»:

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ للنحاس (١/ ٣٩٥).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (منها).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٣).

فقال ابن عباس: هي التي تختنق فتموت[١].

وقال الحسن، وقتادة[٢]: هي التي تختنق بحبل الصائد[٣] وغيره.

قلت: والمنخنقة حرام كيف وقع ذلك.

قال ابن قتيبة: ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: التي تُضرب حتى تُوقَذ، أي: تُشْرِف على الموت، ثم تترك حتى تموت، وتؤكل بغير ذكاة، ومنه يقال: فلان وقيذ، وقد وقذته العبادة[٤].

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: الواقعة من جبل أو حائط، أو في بئر، يقال: تردَّى: إذا سقط.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: التي تنطحها شاة أخرى أو بقرة، «فعيلة» في معنى «مفعولة».

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: افترسه فأكل بعضه. [١٨٠/أ]

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: «السَّبْع» بسكون الباء[٥][٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٨/ ٥٥) من طريق معمر، عن قتادة قال: «الَّتِي تَمُوتُ فِي خِنَاقِهَا».

(٣) في (ج): (الصيد).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٠).

(٥) في (ت)، و(م)، و(ج): (وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: السَّبْع: بسكون الباء، والمراد ما افترسه فأكل بعضه).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:٣٧)، بإسكان الباء هارون عن أبي عمرو، والمعلى، عن=

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه.

فأما الاستثناء، ففيه قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾.

والثاني: أنه يرجع إلى «ما أكل السبع» خاصة، والعلماء على الأول.

فصل في الذَّكاة

قال الزجاج: أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه الذكاء في السن، وهو تمام السِّن(١).

قال الخليل: الذكاء: أن يأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهمًا تامًّا(٢)، سريع القبول. وذكَّيت النار، أي: أتممت إشعالها(٣).

وقد روي عن علي، وابن عباس، والحسن، وقتادة، أنهم قالوا: ما أدركت ذكاته بأن توجد له عينٌ تَطْرِف أو ذنب يتحرك، فأكله حلالٌ.

=عاصم، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٥١)وقرأ الحسن، والفياض، وطلحة بن سليمان، وأبو حيوة بسكون الباء وهي لغة أهل نجد. وقرأ بذلك عاصم في رواية أبي بكر عنه.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٥، ١٤٦).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٤٨)، ولسان العرب (١٤/ ٢٨٧).

قال القاضي أبو يعلى: ومذهب أصحابنا أنه إن كان يعيش مع ما به، حل بالذبح، فإن كان لا يعيش مع ما به، نظرت، فإن لم تكن حياته مستقرَّة، وإنما حركته حركة المذبوح، مثل أن شُقَّ جوفه، وأُبينت حشوته، فانفصلت عنه، لم يحل أكله، وإن كانت حياته مستقرة يعيش اليوم واليومين، مثل أن يشق جوفه، ولم تقطع الأمعاء، حل أكله.

ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياة في الجملة أُبيح بالذكاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياة مستقرة، فهو في حكم الميت. ألا ترى أن رجلًا لو قطع حُشْوَةَ آدمي، ثم ضرب عنقه آخر، فالأول هو القاتل، لأن الحياة لا تبقى مع الفعل الأول.

وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان:

إحداهما: أنه[1] الحلقوم والمريء والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئًا لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله.

والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء[2]، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل. وبه قال الشافعي.

وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم[3] والمريء[4] وأحد الودجين.

---

(١) ليست في (م).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قوله: (يجزئ قطع الحلقوم)، ليس في (ج).

(٤) ليست في (ر).

وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم.

وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم، ومنه موضع النَّفَس، وفيه شعب تتشعب منه في الرئة.

و«المريء»: مجرى الطعام، و«الودجان»: عرقان يقطعهما الذابح.

فأما الآلة التي تجوز بها الذكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفرى الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين أو غير منزوعين.

[١٨٠/ب] وأجاز أبو حنيفة الذكاة بالمنزوعين.

فأما البعير إذا توحش أو تردى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره.

وقال مالك: ذكاته ذكاة المقدور عليه.

فإن رمى صيدًا فأبان بعضه وفيه حياة مستقرة فذكَّاه، أو تركه حتى مات جاز أكله، وفي أكل ما بان منه روايتان.

قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

في ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها أصنام تنصب، فتُعبد من دون الله، قاله ابن عباس، والفراء، والزجاج[1].

فعلى هذا القول يكون المعنى، وما ذبح على اسم النُّصب، وقيل لأجلها، فتكون «على» بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله:

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٦).

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ [الواقعة:٩١] أي: عليك، وقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧].

والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرِّحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج.

وقرأ الحسن، وخارجة عن أبي عمرو[١]: «على النَّصْب» بفتح النون، وسكون الصاد[٢].

قال ابن قتيبة: يقال: نُصُبٌ ونُصْبٌ ونَصْبٌ[٣]، وجمعه أنصاب[٤].

قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾.

قال ابن جرير: أي: وأن تطلبوا عِلم ما قُسم لكم، أو لم يقسم بالأزلام، وهو استفعلت من القسم[٥].

قال ابن قتيبة: الأزلام: القداح، واحدها: زَلَم وزُلَم[٦][٧].

والاستقسام بها: أن تضرب بها فتعمل بما يخرج فيها من أمرٍ أو

(١) في (ر): (ابن عمرو)!، وهو خطأ.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٧) عن الحسن بن صالح بن مسلم بن حيٍّ، وأبي عبيدة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٥٣) عن الحسن بن أبي الحسن، والبحر المحيط (٤/ ١٧٢) وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: بِضَمِّ النُّونِ، وَإِسْكَانِ الصَّادِ. وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ: بِفَتْحَتَيْنِ، وَرُوِيَ عَنْهُ كَالْجُمْهُورِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: بِفَتْحِ النُّونِ، وَإِسْكَانِ الصَّادِ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٥) انظر: تفسيره (٨/ ٧٢).

(٦) تكررت في (م).

(٧) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

نهـي، وكانـوا إِذا أرادوا أن يقسـموا شـيئًا بينهـم، فأحبُّـوا أن يعرفـوا قسـم كل امـرئٍ تعرفـوا[1] ذلـك منهـا، فأُخِـذ الاستقسـام مـن القسـم وهـو النصيـب.

قـال سـعيد بـن جبـير: الأَزلام: حـصى بيـض، كانـوا إِذا أرادوا غـدوًّا، أو رواحًـا، كتبـوا في قدحـين، في أحدهمـا: أمـرني ربي، وفي الآخـر: نهـاني ربي، ثـم يضربـون بهـما، فأيهـما خـرج، عملوا بـه[2].

وقال مجاهد: الأزلام: سهام العرب، وكعاب فارس التي يتقامرون بها.

وقال السدي: كانت الأزلام تكون عند الكهنة[3].

وقال مقاتل: في بيت الأصنام.

وقال قوم: كانت عند سدنة الكعبة[4].

قـال الزجـاج: ولا فـرق بـين ذلـك وبـين قـول المنجمـين: لا تخـرج مـن أجـل نجـم كـذا، أو اخـرج مـن أجـل نجـم كـذا[5].

قوله: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

في المشار إِليه بذلكم قولان:

أحدهما: أنـه جميـع مـا ذكـر في الآيـة، رواه عـلي بـن أبي طلحـة عـن ابـن

(١) في (م): (فعرفوا).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٧٣) من طريق أبي حصين، به، بنحوه.

(٣) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (٣/ ١٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٧).

عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: أنه الاستقسام بالأزلام، رواه أبو صالح عن ابن عباس[(١)].

و«الفسق»: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته.

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾.

في هذا «اليوم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ مكة في حجة الوداع، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

وقال ابن السائب: نزلت ذلك اليوم[(٢)(٣)].

والثاني: أنه يوم عرفة، قاله مجاهد، وابن زيد. [١٨١/أ]

والثالث: أنه لم يرد يومًا بعينه. وإنما المعنى: الآن يئسوا، كما تقول: أنا اليوم قد كبرت، قاله الزجاج[(٤)].

قال ابن الأنباري: العرب توقع اليوم على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي، فيقولون: قد كنت في غفلة، فاليوم استيقظت، يريدون: فالآن، ويقولون: كان فلان يزورنا، وهو اليوم يجفونا، ولا يقصدون باليوم قصد يوم واحد.

---

(١) من قوله: (وبه قال سعيد بن جبير)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٥٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨، ١٤٧).

قال الشاعر[١] [من المتقارب]:

فَيَـوْمٌ عَلَيْنَـا وَيَـوْمٌ لَنَـا[٢]   وَيَـوْمٌ نُسَـاءُ وَيَـوْمٌ نُـسَرُّ

أراد: فزمان لنا، وزمان علينا، ولم يقصد ليوم واحد لا ينضم إليه غيره.

وفي معنى يأسهم قولان:

أحدهما: أنهم يئسوا أن يرجع المؤمنون[٣] إلى دين المشركين، قاله ابن عباس، والسُّدي.

والثاني: يئسوا من بطلان الإسلام، قاله الزجاج[٤].

قال ابن الأنباري: وإنما يئسوا من إبطال دينهم لَمَّا نقل الله خوف المسلمين إليهم، وأمنهم إلى المسلمين، فعلموا أنهم لا يقدرون على إبطال دينهم، ولا على استئصالهم، وإنما قاتلوهم بعد ذلك ظنًّا منهم أن كفرهم يبقى.

قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾.

قال ابن جريج[٥]: لا تخشوهم أن يظهروا عليكم[٦].

---

(١) البيت للنمر بن تولب في ديوانه (ص: ٣٤٧)، وتخليص الشواهد (ص: ١٩٣)، وحماسة البحتري (ص: ١٢٣)، والكتاب (١/ ٨٦).

(٢) قوله: (ويومٌ لنا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) في (ج): (المسلمون).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨).

(٥) في (ت)، و(ر): (ابن جرير)!.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٧٩).

وقال ابن السائب: لا تخشوهم أن يظهروا على دينكم، واخشوني في مخالفة أمري[(١)].

قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجلٌ مِنَ اليَهُودِ إلى عمرَ فقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ اليَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا[(٢)]، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»[(٣)].

وفي لفظ: «نزلت عشيَّة عرفة»[(٤)].

قال سعيد بن جبير: عاش رسول الله ﷺ بعد ذلك أحدًا وثمانين يومًا.

فأما قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾

ففيه قولان:

أحدهما: أنه يوم عرفة، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه ليس بيوم معيَّن، رواه عطية عن ابن عباس.

---

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٧٤).

(٢) في (ت): (والمكان الذي نزلت فيه).

(٣) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٤) رواها عبد بن حميد (٣٠)، وأحمد (١/ ٣٢٠).

وقد ذكرنا هذا(١) آنفًا.

وفي معنى «إكمال الدين» خمسة أقوال:

أحدها: أنه إكمال فرائضه وحدوده، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قاله ابن عباس، والسدي.

فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم.

والثاني: أنه بنفي المشركين عن البيت، فلم يحج معهم مشرك عامئذ، قاله سعيد بن جبير، وقتادة.

[١٨١/ب] وقال الشعبي: كمال الدين هاهنا: عزه وظهوره(٢)، وذل الشرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن، لأنها لم تزل تنزل إلى أن قبض رسول الله ﷺ، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم نصر دينكم(٣).

والثالث: أنه رفع النسخ عنه. وأما الفروض فلم تزل تنزل عليه حتى قُبض، روي عن سعيد بن جبير(٤) أيضًا.

والرابع: أنه زوال الخوف من العدو، والظهور عليهم، قاله الزجاج(٥).

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (م): (عز ظهوره).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٨٤)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/ ١٧) بلفظ: «نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَاتٍ، وَقَدْ أَطَافَ بِهِ النَّاسُ، وَتَهَدَّمَتْ مَنَارُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَاسِكُهُمْ، وَاضْمَحَلَّ الشِّرْكُ، وَلَمْ يَطُفْ حَوْلَ الْبَيْتِ عُرْيَانٌ».

(٤) في (م)، و(ر): (عن ابن جبير).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨).

والخامس: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها.

وفي «إتمام النعمة» ثلاثة أقوال:

أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس، وابن جبير، وقتادة.

والثاني: الهداية إلى الإيمان، قاله ابن زيد.

والثالث: الإظهار[١] على العدو، قاله السُّدي.

قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: دعته الضرورة إلى أكل ما حرُم عليه.

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ أي: مجاعة، و«الخمص»: الجوع.

قال الشاعر يذم رجلًا[٢][من الطويل]:

يَرَى الخَمْصَ تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَ شَبْعَةً ... يَبِتْ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الهَمِّ مُبْهَمَا

وهذا الكلامُ يرجع إلى المحرمات المتقدِّمة من الميتة والدم، وما ذكر معهما.

قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾.

قال ابن قتيبة: غير مائل إلى ذلك، و«الجَنَفُ»: الميل[٣].

---

(١) في (ت)، و(ر): (بالإظهار).

(٢) البيت؛ لحاتم الطائي في ديوانه (ص:٢٢٥)، وأساس البلاغة؛ للزمخشري (١/ ٢٦٦)، وخزانة الآداب (١٠/ ١٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٤١).

وقال ابن عباس[(١)]، والحسن، ومجاهد[(٢)]: غير متعمد لإثم.

وفي معنى «تجانف الإثم» قولان:

أحدهما: أن يتناول منه بعد زوال الضرورة، روي عن ابن عباس في آخرين.

والثاني: أن يتعرَّض لمعصية في مقصده، قاله قتادة.

وقال مجاهد: من بغى وخرج في معصية، حرم عليه أكله[(٣)].

قال القاضي أبو يعلى: وهذا أصح من القول الأول، لأن الآية تقتضي اجتماع تجانف الإثم مع الاضطرار، وذلك إنما يصحُّ في سفر[(٤)] العاصي، ولا يصح حمله[(٥)] على تناول الزِّيادة على سد الرَّمق، لأن الاضطرار قد زال.

قال أبو سليمان: ومعنى الآية: فمن اضطر فأكله غير متجانف لإثم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: متجاوز عنه[(٦)]، ﴿رَّحِيمٌ﴾ إذ أحل ذلك للمضطر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٩٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٩٥) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بلفظ: «غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لِإِثْمٍ، قَالَ: إِلَى حِرْمِ اللهِ مَا حَرَّمَ، رَخَّصَ لِلْمُضْطَرِّ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لِإِثْمٍ أَنْ يَأْكُلَهُ مِنْ جَهْدٍ؛ فَمَنْ بَغَى أَوْ عَدَا أَوْ خَرَجَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَهُ».

(٣) انظر: أثر مجاهد المتقدم.

(٤) في (م): (السفر).

(٥) في (م): (ولا يجوز يصح حمله).

(٦) قوله: (أي: متجاوز عنه)، ليس في (ت)، و(ر).

ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ [المائـدة: ٤].

قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب، قال الناس: يا رسول الله ماذا أُحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية. أخرجه أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي رافع عن النبي ﷺ[(١)].

وكان السبب في أمر النبي ﷺ بقتلها أن جبريل عليه السلام[(٢)] استأذن على رسول الله ﷺ فأذن له، فلم يدخل وقال: «**إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا**[(٣)] **فِيهِ كَلْبٌ**[(٤)] **أَوْ**[(٥)] **صُورَةٌ**»[(٦)]، فنظروا فإذا في بعض[(٧)] بيوتهم جرو. [١٨٢/أ]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٧٢٥-٥٧٢٦)، والطبراني في الكبير(٩٧١-٩٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٠)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٩/ ٣٩٣)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ١٩١) من طريق أبان بن صالح، عن القعقاع بن حكيم، عن سلمى أم أبي رافع، عن أبي رافع، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أُحِلَّ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَمَرْتَ بِقَتْلِهَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) قوله: (بقتلها أن جبريل عليه السلام)، ليس في (ر).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (م): (صورة كلب)!.

(٥) في (م)، و(ج): (ولا).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٤٢)، ومسلم (٢١٠٤)، وابن ماجه (٣٦٥١).

(٧) ليست في (م).

والثاني: أن عدي بن حاتم، وزيد الخيل الذي سماه رسول الله: زيد الخير، قالا: يا رسول الله إنا قومٌ نصيد بالكلاب والبُزاة، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما لا ندرك ذكاته، وقد حرَّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير(١).

قال الزجاج: ومعنى الكلام: يسألونك أي شيء أُحل لهم؟ قل: أُحل لكم الطيبات، وأُحل لكم صيد ما علَّمتم من الجوارح، والتأويل أنهم سألوا عنه ولكن حذف ذكر صيد ما علمتم(٢)، لأن في الكلام دليلًا [عليه](٣)(٤).

وفي ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها المباح من الذبائح.

والثاني: أنها ما(٥) استطابته العربُ(٦) مما لم يحرم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢) من طريق عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن عدي بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائيين سَأَلَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ حَرَّمَ اللهُ الْمَيْتَةَ، فَمَاذَا يَحِلُّ لَنَا مِنْهَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَعْنِي: الذَّبَائِحَ الْحَلَالَ الطَّيِّبَةَ لَهُمْ.

(٢) من قوله: (والتأويل أنهم سألوا عنه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٩).

(٥) ليست في (م).

(٦) ليست في (ر).

فأما ﴿ٱلۡجَوَارِحِ﴾ فهي[١] ما صيد به من سباع البهائم والطير، كالكلب، والفهد، والصقر، والبازي، ونحو ذلك مما يقبل التعليم.

قال ابن عباس: كل شيء صاد فهو جارح[٢].

وفي تسميتها بـ «الجوارح» قولان:

أحدهما: لكسب أهلها بها.

قال ابن قتيبة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لا جارح لها، أي: لا كاسب[٣].

والثاني: لأنها تجرح ما تصيد في الغالب، ذكره الماوردي[٤].

قال أبو سليمان الدمشقي: وعلامة التعليم أنك إذا دعوته أجاب، وإذا أسَّدته على الصيد استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك أمسك عليك لا على نفسه. وعلامة إمساكه عليك: أن لا يأكل منه شيئًا، هذا في السباع والكلاب، فأما تعليم جوارح الطير فبخلاف السباع، لأن الطائر إنما يُعلَّم الصيد بالأكل، والفهد، والكلب، وما أشبههما يعلمون بترك الأكل، فهذا فرق ما بينهما.

---

(١) في (ج): (فهو).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] يَعْنِي بِالْجَوَارِحِ: الْكِلَابَ الضَّوَارِي وَالْفُهُودَ وَالصُّقُورَ وَأَشْبَاهَهَا.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٤) انظر النكت والعيون (٢/ ١٥).

وفي قوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنهـم أصحـاب الـكلاب، رواه أبـو صالـح عـن ابـن عبـاس، وهـو قـول ابـن عمـر، وسـعيد بـن جبـير، وعطـاء، والضحـاك، والسـدي، والفـراء، والزجـاج، وابـن قتيبـة[١].

قال الزجاج: يقال: رجل مكلِّب وكلَّاب، أي: صاحب صيد بالكلاب[٢][٣].

والثـاني: أن معنـى ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مُضرِّيـن عـلى الصيـد، وهـذا مـروي عـن ابـن عبـاس، والحسـن، ومجاهـد.

والثالـث: أن ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بمعنـى: معلِّمـين. قـال أبـو سـليمان الدمشـقي: وإنـما قيـل لهـم: مكلبـين، لأن الغالـب مـن صيدهـم إنـما يكـون بالـكلاب.

قـال ثعلـب: وقـرأ الحسـن، وأبـو رزيـن: «مُكْلِبـين»، بسـكون الـكاف[٤]. يقـال: أكلـب[٥] الرجـل: كثـرت كلابـه، وأمشـى: كثـرت ماشـيته، والعـرب تدعـو الصائـد مكلِّبـا.

---

(١) انظـر: معـاني القـرآن (١/ ٣٠٢)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه (٢/ ١٤٩)، وغريـب القـرآن (ص: ١٤١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) في المحتسـب (١/ ٢٠٨)، والتحصيـل؛ للمهـدوي (١/ ٤٢٤) عـن أبي رزيـن، وفي المحـرر الوجيـز (٢/ ١٥٧) عـن الحسـن، وأبـو زيـد، وفي مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٣٧) ابـن مسـعود، والحسـن، وأبـو رزيـن بـن عـون.

(٥) في (ر): (كلب).

قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

قال سعيد بن جبير: تؤدِّبونهن لطلب الصيد[١].

وقال الفراء: تؤدبونهنَّ ألَّا يأكلن صيدهنَّ[٢]. [١٨٢/ب]

واختلفوا هل إِمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟

على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم تُؤكل[٣]، روي عن ابن عباس، وعطاء.

والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإن أكلت، روي عن سعد[٤] بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي.

والثالث: أنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي.

وهو أصح لما بيَّنا أن جارح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل، فلم يُبح ما أكلت منه[٥].

فعلى هذا إِذا أكل الكلب والفهد من الصيد، لم يبحْ أكله.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٥٧) بلا نسبة.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٢).

(٣) في (ر): (لم يؤكل).

(٤) في الأصل، و(ت)، و(ر): «سعيد»، وهو خطأ، وهو على الصواب في بقية النسخ.

(٥) من قوله: (وسباع البهائم)... إلى هنا، ليس في (ج).

فأما ما أكل منه الصقر والبازي، فمباح، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه.

وقال مالك: يُباح أكل ما أكل منه الكلب، والفهد، والصقر، فإن قتل الكلب، ولم يأكل، أُبيح.

وقال أبو حنيفة: لا يباح، فإن أدرك الصيد، وفيه حياة، فمات قبل أن يذكيه، فإن كان ذلك قبل القدرة على ذكاته أُبيح، وإن أمكنه فلم يذكِّه، لم يبحْ، وبه قال مالك، والشافعي.

وقال أبو حنيفة: لا يباح في الموضعين.

فأما الصيد بكلب المجوسي، فروي عن أحمد أنه لا يُكره، وهو قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري لقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾[1] وهذا خطاب للمؤمنين.

قال القاضي أبو يعلى: ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود، وإن كان معلَّمًا، لأن النبي ﷺ أمر بقتله، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت اليد، ويبطل حكم الفعل، فيصير وجوده كالعدم، فلا يباح صيده.

قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الأخفش: «من» زائدة كقوله: ﴿فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ [النور:٤٣][2].

---

(١) قوله: (من الجوارح)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٦).

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الإرسال، قاله ابن عباس، والسدي، وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد.

والثاني: ترجع إلى الأكل فتكون التسمية مستحبة.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

قال سعيد بن جبير: لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾ [المائدة: ٥].

قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾.

قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يريد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه الآية، ويجوز أن يريد اليوم الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقيل: ليس بيوم معين.

وقد سبق الكلام في «الطيبات» وإنما كرّر إحلالها تأكيدًا.

فأما أهل الكتاب، فهم اليهود والنصارى، وطعامهم: ذبائحهم، [١٨٣/أ] هذا قول ابن عباس، والجماعة.

وإنما أريد بها الذبائح خاصة، لأن سائر طعامهم لا يختلف بمن تولّاه من مجوسي وكتابي، وإنما الذكاة تختلف، فلما خصَّ أهل الكتاب بذلك، دل على أن المراد الذبائح، فأما ذبائح المجوس، فأجمعوا على تحريمها.

واختلفوا في ذبائح من دان باليهودية والنصرانية من عبدة الأوثان:

فروي عن ابن عباس أنه سُئل عن ذبائح نصارى العرب، فقال: لا بأس بها، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١][(١)].

وهذا قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وعكرمة، وقتادة، والزهري، والحكم، وحماد.

ورُوي عن علي، وابن مسعود في آخرين: أن ذبائحهم لا تحل.

ونقل الخرقي عن أحمد في نصارى بني تغلب روايتين[(٢)]:

إحداهما: تباح ذبائحهم، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

والثانية: لا تباح.

وقال الشافعي: من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن، لم يبح أكل ذبيحته[(٣)].

قوله: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي: وذبائحكم لهم حلال، فإذا اشتروا منا شيئًا كان الثمن لنا حلالًا، واللحم لهم حلالًا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥١٢) من طريق عكرمة، به، بنحوه.

(٢) انظر: مختصر الخرقي (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: الأم (٢/ ٢٥٤).

قال الزجاج: والمعنى: أُحل لكم أن تطعموهم[١].

فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقًا وإن ذكروا غير اسم الله عليها، وكان هذا ناسخًا لقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١].

والصحيح أنها [إنما][٢] أطلقت إباحة ذبائحهم، لأن الأصل أنهم يذكرون الله فيُحمل أمرهم على هذا. فإن تيقنًا أنهم ذكروا غيره فلا نأكل[٣] ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب[٤] علي، وابن عمر، وعبادة، وأبو الدرداء، والحسن في جماعة.

قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

فيهن قولان:

أحدهما: العفائف، قاله ابن عباس.

والثاني: الحرائر، قاله مجاهد.

وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قولان:

أحدهما: الحرائر أيضًا، قاله ابن عباس.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥١).

(٢) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٣) في (م): (لم يؤكل)، وفي (ج): (لم تأكل).

(٤) ليست في (ج).

والثاني: العفائِف، قاله الحسن، والشعبي، والنخعي، والضحاك، والسدي.

فعلى هذا القول يجوز تزويج الحرَّة منهن والأمة.

فصل

وهذه الآية أباحت نكاح الكتابية.

وقد روي عن عثمان[١] أنه تزوج نائِلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية.

وعن طلحة بن عبيد الله: أنه تزوج يهودية[٢].

وقد روي عن عمر، وابن عمر كراهة ذلك.

واختلفوا في نكاح الكتابية الحربية:

فقال ابن عباس: لا تحل[٣]. والجمهور على خلافه.

وإنما كرهوا ذلك، لقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ {المجادلة:٢٢}، والنكاح يوجب الودَّ. [١٨٣/ ب]

---

(١) في (م): (عمر).

(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠٠٦٠).

(٣) رواه الجصاص في أحكام القرآن (٢/ ١٧) من طريق عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قَالَ لَا تَحِلُّ نِسَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا كَانُوا حَرْبًا قَالَ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ - إلى قوله- ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

واختلفوا في نكاح نساء تغلب:

فروي عن عليٍّ ﷺ الحظر، وبه قال جابر بن زيد، والنخعي.

وروي عن ابن عباس الإباحة.

وعن أحمد روايتان.

واختلفوا في إماء أهل الكتاب:

فروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد: أنه لا يجوز نكاحهن، وبه قال الأوزاعي، ومالك، والليث بن سعد، والشافعي، وأصحابنا.

وروي عن الشعبي، وأبي ميسرة: جواز ذلك، وبه قال أبو حنيفة.

فأما المجوس:

فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شذَّ من قال: إنهم أهل كتاب.

ويبطل قولهم قوله ﷺ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ**»[1].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٤٢)، ومن طريقه الشافعي في مسنده (٤٣٠)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠٠٢٥)، وابن أبي شيبة (١٠٧٦٥)، وابن زنجويه في الأموال (١٢٢)، والبزار في مسنده (١٠٥٦)، وأبو يعلى في مسنده (٨٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣١٩) بلفظ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ». وفي سنده إنقطاع، وانظر: البدر المنير (٧/ ٦١٧)، والتلخيص الحبير (٣/ ٣٧٥).

فأما «الأجور»، و«الإحصان»، و«السِّفاح»، و«الأخدان» فقد سبق في «سورة النساء»[١].

قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

سبب نزول هذا الكلام:

أن الله تعالى لما رخَّص في نكاح الكتابيات قلن بينهن: لولا أن الله تعالى قد رضي علينا، لم يبح للمؤمنين تزويجنا، وقال المسلمون: كيف يتزوَّج الرجل منا الكتابية[٢]، وليست على ديننا، فنزلت: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس[٣].

وقال مقاتل بن حيَّان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر[٤].

وروى ليث عن مجاهد: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ قال: الإيمان بالله تعالى[٥].

وقال الزجاج: معنى الآية: من أحل ما حرَّم الله، أو حرَّم ما أحلَّه الله فهو كافر[٦].

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٢٤، ٢٥).

(٢) في (ج): (كيف يتزوج الرجل كتابية).

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٨٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٢٣)، والبحر المحيط (٤/ ١٨٦).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٥٠) من طرق عن مجاهد، بنحوه.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢).

وقال أبو سليمان: من جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله المتقدِّم.

وسمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه[1] يقول: إنما أباح الله ﷻ الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فَحَذَّر ناكحهنَّ من الميل إلى دينهن بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٦].

قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل:٩٨][2].

قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: إذا آخيت فآخ أهل الحسب، وإذا اتجرت فاتجر في البزِّ. قال: ويجوز أن يكون الكلام مقدَّمًا ومؤخرًا، تقديره: إذا غسلتم وجوهكم، واستوفيتم الطهور، فقوموا إلى الصلاة.

---

(١) الحسن بن أبي بكر النيسابوري، كان من أصحاب أبي حنيفة، وكانت له معرفة حسنة باللغة وفهم جيد في المناظرة. انظر: المنتظم للمؤلف (١٨/ ٣١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢).

وللعُلماء في المراد بالآية قولان:

أحدهما: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، فاغسلوا، فصار الحدث مضمرًا في وجوب الوضوء، وهذا قول سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، والفقهاء.

والثاني: أن الكلام على إطلاقه من غير إضمار، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة، محدثًا كان، أو غير محدث، وهذا مروي عن علي ﷺ، وعكرمة، وابن سيرين. [١٨٤/أ]

ونقل عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ.

ونقل عن جماعة من العلماء أن ذلك كان واجبًا، ثم نسخ بالسنة. وهو ما روى بُريدة أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح خمس صلوات بوضوءٍ واحدٍ، فقال له عمر: لقد صنعت شيئًا لم تكن تصنعه؟ فقال: «عَمْدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ»(١).

وقال قوم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناها: إذا قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فاغسلوا وجوهكم.

---

(١) رواه أبو عبيد في الطهور (٤٠)، وأحمد في مسنده (٣٨/ ١٣٤)، والترمذي (١٦)، وابن الجارود في المنتقى (١)، والطبري في تفسيره (٨/ ١٦٠)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢) وغيرهم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، وَصَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ فَعَلْتَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ قَالَ: «إِنِّي عَمْدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ».

قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾.

«إلى» حَرْفٌ موضوعٌ للغاية، وقد تدخل الغاية فيها تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقينًا، لم يرتفع إلا بيقين مثله، وهو غسل المرفقين.

فأما الرأس فنقل عن أحمد وجوب مسح جميعه. وهو قول مالك، وروي عنه: يجب مسح أكثره[١].

وروي عن أبي حنيفة روايتان: إحداهما: أنه يتقدَّر بربع الرأس.

والثانية: بمقدار ثلاثة أصابع.

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر اللام عطفًا على مسح الرأس.

وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب[٢]: بفتح اللام عطفًا على الغَسل[٣]. فيكون من المقدَّم والمؤخَّر.

قال الزجاج: الرِّجل من أصل الفخذ إلى القدم، فلما حدَّ الكعبين، عُلمَ أن الغسل ينتهي إليهما، ويدل على وجوب الغَسل التحديد بالكعبين، كما جاء في تحديد اليد «إلى المرافق»، ولم يجئ في شيء من المسح تحديد، ويجوز أن يراد الغسل على قراءة الخفض، لأن التحديد بالكعبين يدل على

(١) في (م): (كثيره).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٢)، والحجة (٣/ ٢١٤)، والتيسير (ص: ٩٨)، والمبسوط (ص: ١٨٤).

الغسل، فينسق بالغسل على المسح[1].

قال الشاعر[2] [من الكامل]:

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

والمعنى: وحاملًا رمحًا.

وقال الآخر[3] [من الرجز]:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا ....

والمعنى: وسقيتها ماءً باردًا.

وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجرُّ على الإتباع، والمعنى: الغسل، نحو قولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ[4].

وقال ابن الأنباري: لما تأخَّرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرب والجوار، وهي في المعنى نسق على الوجوه كقولهم: جحر ضبٍّ خَربٍ، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمِّي الغسل

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢-١٥٣).

(٢) البيت بلا نسبة في المحكم والمحيط (١/ ٣٠٦)، ولسان العرب (٨/ ٤٢)، وخزانة الآداب (٩/ ١٤٢).

(٣) البيت بلا نسبة في شرح كتاب سيبويه (١/ ٧٠)، والخصائص (٢/ ٤٣٣)، والإنصاف (٢/ ٥٠١)، وأمالي ابن الشجري (٣/ ٨٢)، ولسان العرب (٢/ ٢٨٧، ٣/ ٣٦٧) وتمامه: حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٧).

مسحًا، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح.

وقال أبو علي: مَن جرَّ فحُجَّتُه أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجارة، ووجه العاملين إذا اجتمعا: أن يحمل الكلام على الأقرب منهما دون الأبعد، وهو «الباء» هاهنا[١].

وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين:

أحدهما: أن أبا زيد قال: المسح خفيف الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة[٢]. [١٨٤/ب]

وقال أبو عبيدة: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ[٣]﴾ [ص:٣٣]، أي ضربًا، فكأن المسح في الآية غسل خفيف[٤].

فإن قيل: فالمستحب التكرار ثلاثًا؟

قيل: إنما جاءت الآية بالمفروض دون المسنون.

والوجه الثاني: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول دون الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، عُلم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد، وحجة من نصب أنه حَمل ذلك على الغسل لاجتماع فُقهاء الأمصار على الغسل.

---

(١) انظر: الحجة (٣/ ٢١٤).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ١٥٩).

(٣) قوله: (والأعناق)، زيادة من (م).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٣).

قوله: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

«إلى» بمعنى «مع». و«الكعبان»: العظمان الناتئان من جانبي القدم.

قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ أي: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد، [واجتُلبت الهمزة توصُّلاً إلى النطق بالساكن](١).

وقد بين الله ﷻ طهارة الجنب في «سورة النساء» بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ [الآية:٤٣] وقد ذكرنا هناك الكلام في تمام الآية إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، و«الحرج»: الضيق، فجعل الله الدين واسعًا حين رخَّص في التيمم.

قوله: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: يريد أن يطهركم.

قال مقاتل: من الأحداث والجنابة(٢).

وقال غيره: من الذنوب والخطايا، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾.

في الذي يتمُّ به النعمة أربعة أقوال:

أحدها: بغفران الذنوب.

قال محمد بن كعب القرظي: حدثني عبد الله بن دارة، عن حمران قال: مررت على عثمان بفخَّارةٍ من ماءٍ، فدعا بها فتوضأ، فأحسن

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٦).

الوضوء ثم قال: لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ غير مرة أو مرتين أو ثلاثًا ما حدثتكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا تَوَضَّأَ عَبْدٌ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّاهَا، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى». قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث الْتَمَسْتُهُ في القرآن؛ فَالْتَمَسْتُ هذا فوجدته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح:١-٢] فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت[١] الآية التي في المائدة: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ فعلمت أنه لم يتم النعمة عليهم حتى غفر لهم[٢].

والثاني: بالهداية إلى الإيمان، وإكمال الدين، وهذا قول ابن زيد.

والثالث: بالرخصة في التيمم، قاله مقاتل[٣]، وأبو سليمان.

---

(١) في (ر): (نزلت).

(٢) غريب بهذا اللفظ، رواه ابن المبارك في الزهد كما في زيادات المروزي (٩٠٤)، ومن طريقه الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٧٢) من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن دارة، به، بنحوه. ونجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني ضعيف، وقد اختلط.

والحديث في البخاري(١٥٩)، ومسلم(٢٢٦) بلفظ: أَنَّ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ، رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ، فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٦).

والرابع: ببيان[1] الشرائع، ذكره بعض المفسرين[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾ [المائدة: ٧].

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني النعم كلَّها. وفي هذا حثٌّ على الشكر.

وفي الميثاق أربعة أقوال:

أحدها: أنه إقرار كل مؤمن بما آمن به.

قال ابن عباس: لما أنزل الله الكتاب، وبعث الرسول، فقالوا: آمنا، ذكَّرهم ميثاقه الذي أقرُّوا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء[3]. [١٨٥/أ]

والثاني: أنه الميثاق الذي أخذه من بني آدم حين أخرجهم من ظهره، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد.

والثالث: أنه ما وثق على المؤمنين على لسان نبيه ﷺ من الأمر بالوفاء بما أقرُّوا به من الإيمان. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أنه الميثاق الذي أخذ من الصحابة على السمع والطاعة في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، ذكره بعض المفسرين.

---

(١) في (ج): (تبيان).

(٢) في (ج): (ذكره المفسرون).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢٠)، والطبراني في الكبير (١٣٠٣١) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

قال مقاتل: اتقوه في نقض الميثاق[١].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من إيمان وشك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت من أجل كفار قريش أيضًا، وقد تقدَّم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس[٢]، وبه قال مقاتل[٣].

والثاني: أن قريشًا بعثت رجلًا ليقتل رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول الحسن[٤].

والثالث: أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في ديةٍ، فهمُّوا بقتله، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وقتادة[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٧).

(٢) في (ج): (روي نحو هذا عن أبي طلحة عن ابن عباس).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٥٧).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٨).

(٥) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٩٧).

ومعنى الآية: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في الولي والعدو ﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: إلى التقوى.

والمعنى: أقرب إلى أن تكونوا متقين، وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة: ٩، ١٠].

قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾.

في معناها قولان:

أحدهما: أن المعنى: وعدهم أن يغفر لهم ويأجرهم فاكتفى بما ذكر عن هذا المعنى.

والثاني: أن المعنى: وعدهم فقال: لهم مغفرة.

وقد بينا في «البقرة» معنى «الجحيم»[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١﴾ [المائدة: ١١].

قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٩).

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن رجلًا من محارب قال لقومه: الا أقتل لكم محمدًا، فقالوا: وكيف تقتله؟ فقال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وسيفه في حجره، فأخذه، وجعل يهزُّه، ويهمُّ به، فيَكْبِتُه الله، ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: «لا»، قال: لا تخافني وفي يدي السيف؟! قال: «يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ»، فأغمد السيف، ونزلت هذه الآية، رواه الحسن البصري عن جابر [١٨٥/ ب] بن عبد الله[١].

وفي بعض الألفاظ: فسقط السيف من يده[٢].

وفي لفظ آخر: فما قال له النبي ﷺ شيئًا ولا عاقبه[٣].

واسم هذا الرجل: غورث بن الحارث من محارب خصفة.

والثاني: أن اليهود عزموا على الفتك برسول الله ﷺ، فكفاه الله شرهم، قال ابن عباس: صنعوا له طعامًا، فأوحى الله بشأنهم، فلم يأت.

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٦١)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ١٩٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن البصري، به، بنحوه.

(٢) رواه عبد بن حميد (١٠٩٦)، وأحمد (٢٣/ ١٩٣)، وأبو يعلى (١٧٧٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣١٥)، وابن حبان (٢٨٨٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) من طرق عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس، عن جابر، بألفاظ متقاربة.

(٣) انظر: المصدر السابق.

وقال مجاهد[(١)(٢)]، وعكرمة[(٣)]: خرج إليهم يستعينهم في دية، فقالوا: اجلس حتى نعطيك، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوا محمدًا أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحَّاش: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل، فأخبره، وخرج، ونزلت هذه الآية.

والثالث: أن بني ثعلبة، وبني مُحارب أرادوا أن يفتكوا بالنبي ﷺ وبأصحابه، وهم ببطن نخلة في غزاة رسول الله ﷺ السابعة، فقالوا: إن لهم صلاة هي أحبُّ إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقعنا بهم، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، وأُنزلت صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة[(٤)].

والرابع: أنها نزلت في حق[(٥)] اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابن زيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) من قوله: (صنعوا له طعامًا)... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٠) من طريق ابن جريج، به، بلفظ مطول.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٥) ليس في (م).

وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ [المائدة: ١٢].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

قال أبو العالية: أخذ الله ميثاقهم أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبُدوا غيره[١].

وقال مقاتل: أن يعملوا بما في التوراة[٢].

وفي معنى النقيب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الضمين، قاله الحسن[٣]. ومعناه: أنه ضمين لتُعرف أحوال من تحت يده، ولا يجوز أن يكون ضمينًا عنهم بالوفاء، لأن ذلك لا يصح ضمانه.

وقال ابن قتيبة: هو الكفيل على القوم. والنِّقَابة شبيهة بالعِرافة[٤].

والثاني: أنه الشاهد، قاله قتادة.

وقال ابن فارس: النقيب: شاهد القوم، وَضَمِينُهُمْ[٥].

والثالث: الأمين، قاله الربيع بن أنس، واليزيدي.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٣٥) من طريق الربيع، به، بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

(٣) قوله: (قاله الحسن)، ليس في (ت).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٦).

وهذه الأقوال تتقارب.

قال الزجاج: النقيب في اللغة، كالأمين والكفيل، يقال: نَقَبَ الرجل على القوم يَنْقُبُ: إذا صار نَقيباً عليهم، وصناعته النقابة، وكذلك عَرَفَ عَليْهم: إذَا صار عريفاً، ويقال لأول ما يبدو من الجرب: النُّقْبة، ويجمع النُّقْب والنُّقَب.

وقال الشاعر[1] [من الكامل]:

مُتَبَذِّلًا تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

ويقال: في فلان مناقب جميلة، وكل الباب معناه: التأثير الذي له عُمق ودخول، ومن ذلك نقبت الحائط، أي[2]: بلغت في النقب آخِرَه، والنقبة من الجرب: داء شديد الدخول. [١٨٦/أ]

وإنما قيل: نقيب، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم[3].

ونقل أن الله تعالى أمر موسى وقومه بالسير إلى الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبارون، فقال تعالى: يا موسى اخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، وخُذْ من قومك اثني عشر نقيبًا، من كل سبط نقيبًا يكون

---

(١) البيت؛ لدريد بن الصمة في معجم ديوان الأدب (١/ ١٥٠)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٦٠)، والمحكم والمحيط (٦/ ٤٥٠)، ولسان العرب (١/ ٧٦٦)، وشرح المفصل (٥/ ٦٥).

(٢) في (م): (إذا).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٧).

كفيلًا على قومه بالوفاء بما أُمروا به، فاختاروا النقباء.

وفيما بعثوا له قولان:

أحدهما: أن موسى ﷺ بعثهم إلى بيت المقدس، ليأتوه بخبر الجبارين، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسُّدي.

والثاني: أنهم بعثوا ضمناء على قومِهم بالوفاء بميثاقهم، قاله الحسن، وابن إسحاق.

وفي نبوتهم قولان: أصحهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ في الكلام محذوف. تقديره: وقال الله لهم.

وفي المقول لهم قولان:

أحدهما: أنهم بنو إسرائيل، قاله الجمهور.

والثاني: أنهم النقباء، قاله الربيع، ومقاتل(١).

ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالعون والنصرة.

وفي معنى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الإعانة والنصر، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

والثاني: أنه التعظيم والتوقير، قاله عطاء، واليزيدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة[١].

قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا[٢]﴾.

في هذا الإقراض[٣] قولان:

أحدهما: أنه[٤] الزكاة الواجبة.

والثاني: صدقة التطوع.

وقد شرحنا في «البقرة» معنى القرض الحسن[٥].

قوله: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ يشير إلى الميثاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ قصد الطريق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:١٥٦) فيه: نصرتموهم وأعنتموهم ووقرتموهم وأيدتموهم، وغريب القرآن (ص: ١٤١).

(٢) قوله: (قرضًا حسنًا)، ليس في الأصل، و(م)، وهو من بقية النسخ.

(٣) في (م): (القرض).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٤٥).

قوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فنقضوا، فبنقضهم لعنَّاهم.

وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس.

والثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن، ومقاتل[(١)].

والثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء، والزجاج[(٢)].

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قاسِيَةً بالألف، يقال: قست، فهي قاسية[(٣)].

وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضَّل عن عاصم[(٤)]: «قسيَّةً» بغير ألف [مع تشديد الياء][(٥)(٦)].

لأنه قد يجيء فاعل وفعيل، مثل شاهد وشهيد، وعالم وعليم.

و«القسوة»: خلاف اللِّين والرِّقة. وقد ذكرنا هذا في «البقرة»[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٩).

(٣) من قوله: (قرأ ابن كثير)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) قوله: (والمفضل عن عاصم)، ليس في (م).

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(م)، وهو من (ت)، و(ج)، و(ر).

(٦) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢١٦)، والتيسير (ص:٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥)، وليس فيها رواية المفضل عن عاصم.

(٧) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٧٤).

وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال:

أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل[١].

والثالث: تفسيره على غير ما أُنزل، قاله الزجاج[٢][٣].

قوله: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ مبيَّن في «سورة النساء»[٤].

قوله: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾. [١٨٦/ب]

«النسيان» هاهنا: الترك عن عمد. و«الحظ»: النصيب.

قال مجاهد[٥]: نسوا كتاب الله الذي أُنزل عليهم[٦].

وقال غيره: تركوا نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم.

وفي معنى ﴿ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ قولان:

أحدهما: أمروا.

والثاني: أوصوا.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

(٢) قوله: (قاله الزجاج)، ليس في (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٠).

(٤) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٤٦).

(٥) قوله: (قال مجاهد)، ليس في (ج).

(٦) رواه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/ ٤١).

قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾.

وقرأ الأعمش: «على خيانة منهم»[١].

قال ابن قتيبة: الخائنة: الخيانة. ويجوز أن تكون صفة للخائن، كما يقال: رجلٌ طاغية، وراوية للحديث[٢].

قال ابن عباس: وذلك مثل نقض قريظة عهد رسول الله ﷺ، وخروج كعب بن الأشرف إلى أهل مكة للتحريض على رسول الله، [إلَّا قليلاً][٣] مِنْهُمْ لم ينقضوا العهد، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقيل: بل القليل ممن لم يؤمن.

قوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾.

واختلفوا في نسخها على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة، قاله الجمهور.

واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها آية السيف.

والثاني: قوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:٢٩] الآية[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٣٨) عن ابن محيصن، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٧٠) عن الأعمش.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(ت)، وهو من (م)، و(ج)، و(ر).

(٤) قوله: (ولا باليوم الآخر، الآية)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج).

والثالث: قوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ [الأنفال:٥٨].

والثاني: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، فغدروا، وأرادوا قتل النبي ﷺ فأظهره الله عليهم، ثم أنزل الله هذه الآية، ولم تنسخ.

قال ابن جرير(١): يجوز أن يعفى عنهم في غدرةٍ فعلوها، ما لم ينصبوا حربًا، ولم يمتنعوا من أداء الجزية والإقرار بالصَّغار، فلا يتوجَّه النَّسخ(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٤].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ﴾.

قال الحسن: إنما قال: قالوا: إنا نصارى، ولم يقُل: من النصارى، لِيَدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة، وهم الذين تبعوا(٣) المسيح.

وقال قتادة: كانوا بقرية، يقال لها: ناصرة، فتسمَّوا بهذا الاسم(٤).

قال مقاتل: أُخذ عليهم الميثاق، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، فتركوا ما أُمروا به(٥).

---

(١) في الأصل: (ابن جبير)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٥٥).

(٣) في (ت)، و(م)، و(ر): (اتبعوا).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٩٦) عن معمر، ومن طريقه رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾.

قال النَّضر[(١)]: هيَّجنا بينهم[(٢)(٣)].

وقال المؤرِّج: حرَّشنا بعضهم على بعض[(٤)].

وقال الزجاج: ألصقْنَا بهم ذلك[(٥)]، يقال: غريتُ بالرجل غرىً - مقْصُورٌ - إِذَا لصِقتَ به، هذا قول الأصمعي. وقال غير[(٦)] الأصمعي: غَرِيتُ به غَرَاءً ممدود، وهذا الغِرَاءُ الذي يُغْرَى به إنما يلصق[(٧)] به[(٨)] الأشياء، ومعنى أغرينا بينهم العداوة والبغضاء: أنهم صاروا فرقًا يكفِّر بعضهم بعضًا[(٩)].

وفي الهاء والميم مِن قوله: ﴿بَيْنَهُمُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إِلى اليهود والنصارى، قاله مجاهد، وقتادة[(١٠)]، والسُّدي.

---

(١) قوله: (النضر)، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) قوله: (بينهم)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: الوسيط للواحدي (٢/ ١٦٨).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في (ج): (ألصقنا بهم على ذلك).

(٦) قوله: (غير)، ليس في (ت)، و(ر).

(٧) في (ت): (تلصق).

(٨) ليست في (م).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦١).

(١٠) ليست في (ج).

والثاني: ترجع إلى النصارى خاصة، قاله الربيع.

[١٨٧/أ] وقال الزجاج: هم النصارى، منهم النَسْطُوريةُ واليَعْقُوبيةُ والمَلْكَيَّة، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى(١).

وفي تمام الآية وعيد شديد لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة: ١٥].

قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود.

والثاني: اليهود والنصارى.

و«الرسول»: محمد ﷺ.

قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

قال ابن عباس: أخفوا آية الرَّجم، وأمر محمد ﷺ وصفته(٢).

﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ يتجاوز، فلا يخبرهم بكتمانه.

فإن قيل: كيف كان له أن يمسك عن حق كتموه فلا يبينه؟

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦٢) من طريق عكرمة،به، بنحوه.

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه كان متلقيًا ما يؤمر به، فإذا أُمِر بإظهار شيءٍ من أمرهم، أظهره، وأخذهم به، وإلا سكت.

والثاني: أن[١] عقد الذمة إنما كان على أن[٢] يُقرُّوا على دينهم، فلما كتموا كثيرًا مما أُمروا به، واتخذوا غيره دينًا، أظهر عليهم ما كتموه مِن صفته وعلامة نبوته، ليتحقق معجزته عندهم، واحتكموا إليه في الرجم، فأظهر ما كتموا مما يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارهم على دينهم.

قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾.

قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمد ﷺ[٣].

وقال غيره: هو الإسلام، فأما الكتاب المبين، فهو القرآن.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

قوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني: بالكتاب.

و﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾: ما رضيه الله تعالى.

---

(١) ليست في (م).

(٢) قوله: (على أن)، ليس في (م).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٨).

و«السُّبل»، جمع سبيل.

قال ابن عباس: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دين الإسلام(١).

وقال السدي: «السلام»: هو الله، و«سبله»: دينه الذي شرعه(٢).

قال الزجاج: وجائز أن يكون ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ طرق السَّلامة التي مَن سلكها سَلِمَ في دينه، وجائز أن يكون «السلام» اسم الله ﷻ، فيكون المعنى: طرق الله ﷻ(٣).

قوله: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

قال ابن عباس: يعني من الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني: الإيمان ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: بأمره ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهو الإسلام(٤).

وقال الحسن: طريق الحق(٥).

قَوۡلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [المائدة: ١٧].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦٥) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦١).

(٤) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢/ ١٦٩).

(٥) المصدر السابق بلفظ: هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة.

قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

قال ابن عباس: هؤلاء نصارى أهل نجران، وذلك أنهم اتخذوه إلهًا[1].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: فمن يقدر أن يدفع من عذابه شيئًا.

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: فلو كان إلهًا كما تزعمون لقَدَرَ أن يردَّ أمرَ اللهِ إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أمِّه، ولمَّا نزل أمر الله بأمِّه، لم يقدرْ أن يدفع عنها.

وفي قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ردٌّ عليهم حيث قالوا للنبي ﷺ: فهات مثله من غير أب.

فإن قيل: لم قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولم يقل: وما بينهن؟ [١٨٧/ ب]

فالجواب: أن المعنى: وما[2] بين هذين النوعين من الأشياء، قاله ابن جرير[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٥/ ٤٦٠)، وابن أبي حاتم (٣٦٠٦) في تفسيرهما، من طريق عطية العوفي، به، بلفظ مطول.

(٢) في (ت): (فما).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٦٧).

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

قال مقاتل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران[١].

وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل[٢]: إنَّ ولدك بكري من الولد، فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يومًا حتى تطهِّرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادي منادٍ: أخرجوا كلَّ مختون من بني إسرائيل[٣].

وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان معنى قولهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ أي: منَّا ابن الله.

وفي قوله: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إبطال لدعواهم، لأن الأب لا يعذِّب ولده، والحبيبُ لا يُعذِّبُ حبيبه، وهم يقولون: إن الله يعذبنا أربعين يومًا بالنار.

وقيل: معنى الكلام: فلمَ عذَّب منكم من مسخه قردةً وخنازير؟ وهم أصحاب السبت والمائدة.

قوله: ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ أي: أنتم كسائر بني آدم تُجازَوْن بالإحسان والإساءة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٤).

(٢) في (ت)، و(ر): (بني إسرائيل).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦٩) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

قال عطاء: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم الموحدون، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المشركون[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: ١٩].

قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾.

سبب نزولها:

أن معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب، قالوا: يا معشر اليهود اتقوا الله، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته، فقال وهب بن يهوذا، ورافع: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله بعد موسى من كتاب، ولا أرسل رسولًا[٢] بشيرًا ولا نذيرًا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[٣].

فأما «الفترة» فأصلها السكون، يقال: فتر الشيء يَفتر فتورًا: إذا سكنت حدَّته، وانقطع عمَّا كان عليه، والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد. والفتور: الضعف.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٠) بلفظ: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾، قال عطاء: لمن يوحد، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من لا يوحد.

(٢) ليست في (ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٧٣) من طريق سعيد بن جبير، أو عكرمة، به، بنحوه.

وفي مدة الفترة بين عيسى ومحمدٍ أربعة أقوال:

أحدها: أنه كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سلمان الفارسي، ومقاتل(١).

والثاني: خمسمائة سنة وستون سنة(٢)، قاله قتادة(٣).

والثالث: أربع مائة وبضع وثلاثون سنة، قاله الضحاك.

والرابع: خمسمائة [سنة](٤) وأربعون سنة، قاله ابن السائب.

وقال أبو صالح عن ابن عباس ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: انقطاع منهم(٥).

قال: وكان بين ميلاد عيسى، وميلاد محمد عليهما السلام خمسمائة سنة وتسعة وتسعون(٦) سنة، وهي فترة. وكان بعد عيسى أربعة من الرسل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤]. [١٨٨/أ]

قال: والرابع لا أدري من هو؟. وكان بين تلك السنين مائة سنة، وأربع وثلاثون [سنة](٧) نبوة وسائرها فترة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): (قاله مقاتل وقتادة).

(٤) من (ج).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٠).

(٦) في (م)، و(ر): (وستون).

(٧) من (ج).

قال أبو سليمان الدمشقي[١]: والرابع، والله أعلم: خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ»[٢].

قوله: ﴿أَن تَقُولُوا﴾.

قال الفراء: كي لا تقولوا: مثل قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء:١٧٦][٣].

وقال غيره: لئلا تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: ٢٠].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه البزار في مسنده (٥٠٩١)، والطبراني في الكبير (١٢٢٥٠) من طريق محمد بن الصلت، عن قيس بن الربيع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قَالَ: ذُكِرَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ عِنْدَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ: «ذَاكَ نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ».
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٤٩٣)، وابن شبه في تاريخ المدينة (٢/ ٤٢١) من طريق سفيان، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، مرسلًا.
قال البزار: وهذا الحديث رواه الثوري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير مرسلا، وأسنده قيس، ولم نسمع أحدًا يحدث به عن محمد بن الصلت إلا يحيى بن معلى، وإنما يحفظ هذا الحديث من حديث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٣).

قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الجبل، جعلهم الله أنبياء بعد موسى وهارون، وهذا قول ابن السائب، ومقاتل[١].

والثاني: أنهم[٢] الأنبياء الذين أُرْسِلوا من بني إسرائيل بعد موسى، ذكره الماوردي[٣].

وبماذا جعلهم ملوكًا؟ فيه ثمانية أقوال:

أحدها: بالمن والسلوى والحجر.

والثاني: بأن جعل للرجل منهم زوجةً وخادمًا.

والثالث: بالزوجة والخادم والبيت، رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس، وهذا الثالث اختيار الحسن، ومجاهد.

والرابع: بالخادم والبيت[٤]، قاله عكرمة.

والخامس: بتمليكهم الخدم. وكانوا أول مَن ملك الخدم، ومن اتخذ خادمًا فهو ملك، قاله قتادة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٤).

(٤) من قوله: (رويت هذه الثلاثة)... إلى هنا، ليس في (ج).

والسادس: بكونهم أحرارًا يملك الإنسان منهم نفسه وأهله وماله، قاله السُّدي.

والسابع: بالمنازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضحاك.

والثامن: بأن جعل لهم الملك والسلطان، ذكره الماوردي[(١)].

قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

اختلفوا[(٢)] فيمن خوطب بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم قوم موسى، وهذا مذهب ابن عباس، ومجاهد.

قال ابن عباس: ويعني بالعالمين: الذين هم بين ظهرانيهم[(٣)].

وفي الذي آتاهم ثلاثة أقوال:

أحدها: المن والسلوى والحجر والغمام، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثاني: أنه الدار والخادم والزوجة، رواه عطاء عن ابن عباس.

قال ابن جرير: ما أُوتي أحد من النِّعم في زمان قوم موسى ما أُوتوا[(٤)].

---

(١) انظر: المصدر.

(٢) قوله: (اختلفوا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤١) من طريق الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس ﷺ، في قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ قال: جعل منكم أنبياء ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾. قال: المرأة والخادم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. ومن طريق الحاكم، رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٩٨).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٨٣).

والثالث: كثرة الأنبياء فيهم، ذكره الماوردي[١].

والثاني: أن الخطاب لأمة محمد ﷺ، وهذا مذهب سعيد بن جبير، وأبي مالك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١].

قوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟﴾.

وقرأ ابن محيصن: «يا قومُ» بضم الميم، وكذلك «يا قومُ اذكروا [نعمة الله][٢]»، و«يا قومُ اعبدوا»[٣].

وفي معنى ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ قولان:

أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج[٤].

قال: وقيل للسطل: القَدَس، لأنهُ يتطهَّر منه، وسُمِّي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سمَّاها مقدَّسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكنًا للأنبياء والمؤمنين[٥]. [١٨٨/ب]

والثاني: أن المقدَّسة: المباركة، قاله مجاهد.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) في المحرر الوجيز (٢/ ١٧٣)، والبحر المحيط (٤/ ٢١٦) والكامل (١/ ٥٣٣) عن ابن محيصن، وفي التحصيل (٢/ ٤٥١)، عن شبل بن عباد، عن ابن كثير.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٥٠).

وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال:

أحدها: أنها أريحا: رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد.

قال السدي: أريحا هي أرض بيت المقدس(١).

وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس(٢).

قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إنَّك اخترت من الأنعام الضائنة(٣)، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإِيلياء، ومن إِيلياء بيت المقدس(٤).

فهذا يدل على أن إِيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي [قال](٦): إِيلياء(٧) بيت المقدس، وهو معرَّب(٨).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٧) بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٧٤).

(٣) مكانها بياض في (ج).

(٤) انظر: عيون الأخبار (٢/ ٨٩).

(٥) قوله: (قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٦) من (ت)، و(م)، و(ر).

(٧) من قوله: (الأرض التي فيها)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٨) انظر: المعرَّب (ص:١٣٩)، والتكملة والذيل (ص:٣١).

قال الفرزدق[(١)] [من الطويل]:

وبيتانِ بيتُ الله نحنُ وُلاتُهُ ... وبيتٌ بِأَعْلى إيلياءَ مُشرَّفُ

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردُن، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة.

وفي قوله: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ **ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنه بمعنى أمرَكم وفرض عليكم دخولها، قاله ابن عباس، والسُّدي.

والثاني: أنه بمعنى: وهبها الله لكم، قاله محمد بن إِسحاق.

وقال ابن قتيبة: جعلها لكم[(٢)].

والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ **وقد كتبها لهم؟**

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه إِنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصَوْا حرَّمها عليهم.

والثاني: أنه كتبها لبني إِسرائيل، وإِليهم صارت، ولم يعنِ موسى أن الله كتبها للذين أُمِرُوا بدخولها بأعيانهم.

---

(١) في ديوانه (٢/ ٣٢)، وفي لسان العرب (١١/ ٤٠)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٧٠٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

قال ابن جرير: ويجوز أن يكون الكلام خرج مخرج العموم، وأُريد به الخصوص فتكون مكتوبة لبعضهم، وقد دخلها يوشع، وكالب[(١)].

قوله: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته.

والثاني: لا ترجعوا إلى الشرك به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: ٢٢].

قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

قال الزجاج: الجبار من الآدميين: الذي يُجبِر الناس على ما يريد، يقال: جبار: بَيِّنُ الجَبْرِيَّة والجِبْرِيَّة، والجِبِرِيَّة بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوَّةُ والجَبَرَوَّةُ والتَّجبار والجَبروت[(٢)(٣)].

وفي معنى وصفه هؤلاء بالجبارين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا ذوي قوة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا عظام الخَلْق والأجسام، قاله قتادة.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٨٧).

(٢) في (ت): (والجبروة)، وفي معاني القرآن وإعرابه: (والجبورة).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٦).

والثالث: أنهم كانوا قتَّالين، قاله مقاتل[(١)].

الإشارة إلى القصَّة[(٢)]

[١٨٩/أ] قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومه بمدينة الجبارين، بعث اثني عشر رجلًا، ليأتوه بخبرهم، فلقيَهم رجل من الجبارين[(٣)]، فجعلهم في كسائِه، فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه، فاجتمعوا، فقالوا لهم: من أين أنتم؟ فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيَه بخبركم، فأعطوهم حبَّةً من عنبٍ توقر الرجل، وقالوا لهم، قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فاكهتهم، فلما رجعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قومًا جبارين[(٤)].

وقال السدي: كان الذي لقيهم، يقال له: عاج، يعني: عوج بن عناق، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجرته وعلى رأسه حزمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلِّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. فلما خرجوا قالوا: يا قوم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، فأخذوا الميثاق بينهم على كتمان ذلك، فنكث عشرة، وكتم رجلان[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٦).

(٢) في (ت): (قصة).

(٣) من قوله: (بعث اثنى عشر)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ مطول.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

وقـال مجاهـد: لما رأى النُّقباءُ الجبارينَ، وجدوهم يدخل في كمِّ أحدهم اثنان[١] منهم، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرمانة إذ نزع حبّها خمسة أو أربعة، فرجع النقباء كلُّهم[٢] ينهى سبطه عن قتالهم إلا يوشع[٣]، وابن يوقنَّا[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾.

في الرجلين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوقنة، قاله ابن عباس.

وقال مجاهد: ابن يوقنَّا، وهما[٥] من النقباء[٦].

والثاني: أنهما كانا من الجبارين فأسلما، روي عن ابن عباس.

---

(١) في (ج): (اثنا عشر).

(٢) في (ج): (كل منهم).

(٣) قوله: (إلا يوشع)، ليس في (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(٨/ ٢٩٤) من طريق منصور، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: ﴿رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ قَالَ: «يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَكِلَابُ بْنُ يوقنا، وَهُمَا مِنَ النُّقَبَاءِ».

والثالث: أنهما كانا في مدينة الجبارين، وهما على دين موسى، قاله الضحاك.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، وأيوب: «يُخافون» بضم الياء[١]. على معنى أنهما كانا من العدوِّ، فخرجا مؤمنين.

وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خافوا الله وحده.

والثاني: خافوا الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم قبول الحق.

والثالث: يُخاف منهم، على قراءة ابن جبير.

وفيما أنعم به عليهما أربعة أقوال:

أحدها: الإِسلام، قاله ابن عباس.

والثاني: الصلاح والفضل واليقين، قاله عطاء.

والثالث: الهُدى، قاله الضحاك.

والرابع: الخوف، ذكره ابن جرير عن بعض السلف[٢].

قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾.

قال ابن عباس: قال الرجلان: ادخلوا عليهم باب القرية فإنهم قد مُلئوا منا رعبًا وفرقًا[٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٣٨) عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وفي التحصيل(٢/ ٤٥٠) عن سعيد بن جبير، ومجاهد.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٧).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٣) بلا نسبة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾.

قال ابن زيد: قالوا له: انظر كما صنع ربك بفرعون وقومه، فليصنع بهؤلاء.

وقال مقاتل: فاذهب أنت وسل ربَّك النصر[١]. [١٨٩/ب]

وقال غيرهما: اذهب أنت وليُعِنْكَ ربك.

قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون صاحبه أحبُّ إليَّ مما عُدِلَ به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله ﷺ أشرق لذلك وجهه وسُرَّ به[٢].

وقال أنس: استشار رسول الله ﷺ الناس[٣] يوم خرج إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم[٤] استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، فقالوا: يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٩٥٢).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) ليست في (ج).

إسرائيل لموسى[١]: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة: ٢٥].

قوله: **﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾**.

فيه[٣] قولان:

أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه.

والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالمِلْكِ له.

وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ[٤]، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ[٥]**» فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله.[٦] يعني: أني متصرِّف حيث صرَّفتني، وأمرك جائز في مالي.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ٧٩)، والنسائي في الكبرى (٨٣٤٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٦٦ـ ٣٨٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٧٢١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠/ ٣١٦) من طريق حميد الطويل، به، بنحوه.

(٣) ليست في (ت).

(٤) قوله: (مال قط)، ليس في (ج).

(٥) في (ر): (ما نفعني مالٌ كمال أبي بكر).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٤١٤)، وفي فضائل الصحابة (٢٥)، وابن ماجه (٩٤)، والنسائي في الكبرى (٨١١٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٩٩)، وابن حبان=

قوله: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

قال ابن عباس: اقض بيننا وبينهم(١).

وقال أبو عبيدة: باعد، وافصل، وميِّز(٢).

وفي المراد بـ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: العاصون، قاله ابن عباس.

والثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد.

والثالث: الكافرون، قاله أبو عبيدة(٣).

قال السدي: غضب موسى حين قالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا، فدعا عليهم، وكانت عجلة من موسى عجلها(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

=في صحيحه (٦٨٥٨) وغيرهم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مرفوعًا، بنحوه.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٧) من طريق أسباط بن نصر، به، بلفظ مطول.

قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾.

الإشارة إلى الأرض المقدَّسة. ومعنى تحريمها عليهم: منعهم منها.

فأما نصب «الأربعين»، فقال الفراء: هو منصوب بالتحريم، وجائز أن يكون منصوبًا بـ«يتيهون»[(١)].

وقال الزجاج: لا يجوز أن ينتصب بالتحريم، لأن التفسير[(٢)] جاء أنها محرَّمة عليهم أبدًا[(٣)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: وقد اختلف المفسرون في ذلك:

فذهب الأكثرون، منهم عكرمة، وقتادة، إلى ما قال الزجاج، وأنها حرِّمت عليهم أبدًا.

قال عكرمة: فإنها محرَّمة عليهم أبدًا يتيهون في الأرض أربعين سنة[(٥)].

وذهب قومٌ منهم الربيع بن أنس أنها حُرِّمَت عليهم أربعين سنة[(٦)]، [١٩٠/أ] ثم أمروا بالسير إليها، وهذا اختيار ابن جرير قال: إنما نصبت بالتحريم، والتحريم كان عامًّا في حق الكلِّ، ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد، فلما انقضت، أُذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم[(٧)].

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٥).

(٢) قوله: (لأن التفسير)، ليس في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٦).

(٤) في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر): (قلت).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٠٩) بلفظ: «التَّحْرِيمُ لَا مُنْتَهَى لَهُ».

(٦) من قوله: (وذهب قوم منهم الربيع)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٣١٤).

قال أبو عبيدة: ومعنى: يتيهون: يحورون(١) ويضلون(٢).

الإشارة إلى قصتهم

قال ابن عباس: حرَّم الله على الذين عَصَوْا دُخُولَ بيت المقدس، فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع وكالب(٣) بأبناء القوم، وناهض يوشع بمن(٤) بقي معه مدينة الجبارين فافتتحها.

وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا(٥).

وقال السدي: لما ضرب الله عليهم التيه، ندم موسى على دعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعت بنا، أين الطعام؟ فأنزل الله المنَّ. قالوا: فأين الشراب؟ فأُمِر موسى أن يضرب بعصاه الحجر. قالوا: فأين الظلُّ؟ فظلِّل عليهم الغمام. قالوا: فأين اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرَّق لهم ثوب، وقُبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى دخول قرية الجبارين إلَّا مات، ولم يشهد الفتح(٦).

---

(١) في (ت): (يجوزون).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٠).

(٣) ليست في (م).

(٤) في (ج): (من).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٧) من طريق أسباط بن نصر، به.

وفيه قول آخر: أنه لما مضت الأربعون خرج موسى ببني إسرائيل من التيه، وقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد.

وقال ابن جرير الطبري[١]، وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح قرية[٢] الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج ملكهم، وكان بلعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى من قدمائهم غير يوشع وكالب، وإنما حرِّمت على الذين لم يطيعوا.

وفي مسافة أرض التيه قولان:

أحدهما: تسعة فراسخ، قاله ابن عباس.

قال مقاتل: هذا عرضها، وطولها ثلاثون فرسخًا[٣].

والثاني: ستة فراسخ في طول اثني عشر فرسخًا، حكاه مقاتل أيضًا[٤].

قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٠٨).

(٢) في (ج): (مدينة).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

قال الزجاج: لا تحزن على قوم شأنهم المعاصي، ومخالفة الرسل[١][٢].

وقال ابن قتيبة: يقال أسيت على كذا، أي: حزنت، فأنا آسي [أسىً][٣][٤].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائـدة: ٢٧].

قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ «النبأ»: الخبر.

وفي ﴿ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ قولان:

أحدهما: أنهما ابناه لِصُلبه، وهما قابيل وهابيل، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة. [١٩٠/ب]

والثاني: أنهما أخوان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وهذا قول الحسن.

والعلماء على الأول، وهو أصح لقوله: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣١] ولو كان من بني إسرائيل، لكان قد عرف الدَّفن.

ولأن النبي ﷺ قال عنه: **«أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»**[٥].

---

(١) في (ج): (الأنبياء).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٦).

(٣) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

(٥) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ=

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: كما كان.

و«القربان»: فعلان من القرب، وقد ذكرناه في «آل عمران»[(١)].

وفي السبب الذي قربا لأجله قولان:

أحدهما: أن آدم عليه السلام كان قد نُهي أن يُنكِحَ المرأة أخاها الذي هو توأمها، وأُجيز له أن يُنكحها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأُنثى، فوُلدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أُختك، وأُنكحك أُختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحق بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة[(٢)] صاحب غنم، فقال: هلمَّ فلنقرِّب قربانًا، فأينا تُقُبِّل قربانُه فهو أحقُّ بها، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أعين أقرن، وجاء صاحب الحرث بصُبْرَةٍ من طعام، فتُقُبِّل الكبش[(٣)]، فخزنه الله في الجنة أربعين خريفًا، فهو الذي ذبحه إبراهيم، فقتله صاحب الحرث، فوَلَدُ آدم كلهم من ذلك الكافر، رواه سعيد بن جبير[(٤)] عن ابن عباس[(٥)].

=مَنْ سَنَّ القَتْلَ».

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٨٣).

(٢) في (ج)، و(ر): (الذميمة).

(٣) في (ج): (فتُقُبِّل من صاحب الكبش).

(٤) في (ج): (جرير)!.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٣٩) من طريق عبد الله بن عثمان بن خُثيم، به، بنحوه.

والثاني: أنهما قرَّباه من غير سبب. روى العوفي عن ابن عباس[١] أن ابنيْ آدم كانا قاعدَين يومًا، فقالا: لو قرَّبنا قربانًا، فجاء صاحب الغنم بخير غنمه وأسمنها، وجاء الآخر ببعض زرعه، فنزلت النار[٢]، فأكلت الشاة، وتركت الزرع، فقال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أن قربانك تُقُبِّل، وأنك خيرٌ مني لأقتلنَّك[٣].

واختلفوا هل قابيل وأُخته وُلدا قبل هابيل وأُخته، أم بعدهما؟ على قولين:

وهل كان قابيل كافرًا أو فاسقًا غير كافر؟ فيه قولان:

وفي سبب قبول قربان هابيل قولان:

أحدهما: أنه كان أتقى لله من قابيل.

والثاني: أنه تقرَّب بخيار ماله، وتقرب قابيل بشرِّ ماله.

وهل كان قربانهما بأمر آدم، أم من قِبل أنفسهما؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه كان وآدم قد ذهب إلى زيارة البيت.

والثاني: أن آدم أمرهما بذلك.

وهل قُتل هابيل بعد تزويج أُخت قابيل، أم لا؟

---

(١) من قوله: (والثاني: أنهما قرباه)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٢) في (ت): (هذه النار).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١٩).

فيه قولان:

أحدهما: أنه قتله قبل ذلك لئلا يصل إليها.

والثاني: أنه قتله بعد نكاحها.

قوله: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

وروى زيد عن يعقوب: «لأقتلنْك» بسكون النون وتخفيفها[١].

والقائل: هو الذي لم يُتقبَّل منه.

[١٩١/أ] قال الفراء: إنما حذف ذكره، لأن المعنى يدل عليه، ومثل ذلك في الكلام أن تقول[٢]: إذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت، وإذا اجتمع السفيه والحكيم[٣] حُمِد، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يشكل، فلو قلت: مرَّ بي رجلٌ وامرأةٌ فأعنتُ، وأنت تريد أحدهما، لم يجز، لأنه ليس هناك علامة تدل على مُرادِك[٤].

وفي المراد بالمتقين قولان:

أحدهما: أنهم الذين يتقون المعاصي، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك.

---

(١) الجمهور على التشديد، وفي البحر المحيط (٤/ ٢٢٨) عن زيد بن علي، وانظر: المبسوط (١/ ١٧٣)، والكامل (١/ ٥٣٢).

(٢) في (ت)، و(ر): (يقول).

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ر): (والحليم)، وفي (م): (والحكيم والحليم).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المائدة: ٢٨].

قوله: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ما أنا بمنتصرٍ لنفسي، قاله ابن عباس.

والثاني: ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة.

وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان:

أحدهما: أنه منعه التحرُّج مع قدرته على الدفع وجوازه له، قاله ابن عمر، وابن عباس.

والثاني: أن دفع الانسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزًا، قاله الحسن، ومجاهد.

وقال ابن جرير: ليس في الآية دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله، ثم ترك الدفع عن نفسه، وقد ذُكر أنه قتله غِيلةً، فلا يدَّعى ما ليس في الآية إلا بدليل[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة: ٢٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٣٠).

قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: إني أُريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أن تبوء بإثمي في خطاياي، وإثمك في قتلك لي، وهو مروي عن مجاهد[١] أيضًا.

قال ابن جرير: والصحيح عن مجاهد القول الأول[٢].

وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُقتَلُ نَفسٌ**[٣] **ظُلْمًا، إلَّا كانَ على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفلٌ مِن دَمِها، لأنَّهُ كانَ أوَّلَ مَن سَنَّ القَتلَ**»[٤].

فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتني أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج[٥].

---

(١) من قوله: (وقتادة والضحاك)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٣١).

(٣) ليست في (ج).

(٤) تقدم قريبًا.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٧).

والثاني: أن في الكلام محذوفًا، وتقديره: إني أُريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] أي: أن[١] لا تميد بكم[٢].

ومنه قول امرئ القيس[٣]:[من الطويل]:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

أراد: لا أبرح. وهذا مذهب ثعلب.

والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، [وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك][٤]. فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣] أي: حب العجل، ذكره والذي قبله ابن [١٩١/ب] الأنباري.

قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الإشارة إلى مصاحبة النار[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠].

---

(١) ليست في (م)، و(ج).

(٢) ليست في (ت)، و(م).

(٣) في ديوانه (ص:٣٢)، والكتاب (٣/ ٥٠٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٢٠)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٣)، وخزانة الأدب (٩/ ٢٣٨ـ ٢٣٩).

(٤) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٥) من قوله: (قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾)... إلى هنا، ليس في (ج).

قوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: تابعته على قتل أخيه، قاله ابن عباس.

والثاني: شجَّعته، قاله مجاهد.

والثالث: زيَّنت له، قاله قتادة.

والرابع: رَخَّصَتْ له، قاله أبو الحسن الأخفش(١).

والخامس: أنَّ «طوَّعت» فعَّلت من «الطوع»، والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: أتاه طوعًا، حكاه الزجاج عن المبرِّد(٢).

وقال ابن قتيبة: شايعتْه وانقادت له، يقال: لساني لا يَطوع بكذا، أي: لا ينقاد، وهذه المعاني تتقارب(٣)(٤).

وفي كيفية قتله ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه رماه بالحجارة حتى قتله، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: ضرب رأسه بصخرة وهو نائم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٧).

(٣) في (ت): (وهذه المعنى يتقارب).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٤٢).

والثالث: رضخ رأسه بين حجرين.

قال ابن جريج: لم يدر كيف يقتله، فتمثَّل له إبليس، وأخذ طائِرًا فوضع رأسه على حجر، ثم شدخه بحجر آخر، ففعل به هكذا، وكان لـ «هابيل» يومئذٍ عشرون سنة[١].

وفي موضع مصرعه ثلاثة أقوال:

أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس.

والثاني: بالبصرة، قاله جعفر الصادق.

والثالث: عند عقبة حِرَاء[٢]، حكاه ابن جرير الطبري.

وفي قوله: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: من الخاسرين الدنيا والآخرة، فخسرانه الدنيا: أنه أسخط والديه، وبقي بلا أخ، وخسرانه الآخرة: أنه أسخط ربه، وصار إلى النار، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه أصبح من الخاسرين الحسنات، قاله الزجاج[٣].

والثالث: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها، قاله القاضي أبو يعلى.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٣٨).

(٢) في (ت): (جزاء).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٧).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائـدة: ٣١].

قوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾.

قـال ابـن عبـاس: حملـه على عاتقـه[١]، فـكان إذا مشـى تخـطُّ يـداه ورجلاه في الأرض، وإذا قعـد وضعـه إلى جنبـه حتـى رأى غرابـين اقتـتلا، فقتـل أحدهمـا الآخـر، ثـم بحـث لـه الأرض حتـى واراه بعـد أن حمله سـنين[٢].

وقال مجاهد: حمله على عاتقه مائة سنة[٣].

وقال عطية: حمله حتى أروح[٤].

وقال مقاتل: حمله ثلاثة أيام[٥].

وفي المراد بسوأة أخيه قولان:

أحدهما: عورة أخيه.

والثاني: جيفة أخيه.

---

(١) قوله: (على عاتقه)، ليس في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٢) من طريق علي بن أبي طلحة،به، بمعناه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٣) من طريق ليث، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٠).

قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

فإن قيل: أليس الندم توبة، فَلِم لم تُتقبل[(١)] منه؟

فعنه أربعة أجوبة[(٢)]:

أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدَّمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها خصَّت بخصائِص لم تشارَك فيها، قاله الحسين بن الفضل.

والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله.

والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله.

والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب. [١٩٢/أ]

وفي هذه القصة تحذير من الحسد، لأنه الذي أهلك قابيل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾.

قال الضحاك: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلمًا[(٣)].

---

(١) في (ت)، و(م)، و(ر): (تُقبل).

(٢) في (ر): (أقوال).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤٨).

وقال أبو عبيدة: من جناية ذلك، ومن جري ذلك[١].

قال الشاعر[٢][من الطويل]:

وَأَهْلُ خِبَاءٍ صَالِحٍ ذَاتُ بَيْنِهِمْ قَدِ احْتَرَبُوا فِي عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ

أي: جانيه وجاره عليهم.

وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله، والمعنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك.

فعلى هذا يَحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسن الوقف. والأول أصح.

و﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: فرضنا.

ومعنى ﴿قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: قتلها ظلمًا ولم تقتل[٣] نفسًا.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [منسوق على نفس المعنى][٤]، أي: وبغير[٥] فساد يستحق به القتل.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) البيت لخوات بن جبير في تهذيب اللغة (١١/ ١٣٢)، ومجمل اللغة (١/ ٨٨)، ومقاييس اللغة (١/ ٦٤)، ولسان العرب (١١/ ١٢)، ونُسب لزهير في إيضاح الشواهد (١/ ٢٩٤)، والبحر المحيط (٤/ ٢٣٧).

(٣) في (ت): (يقتل).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) في (ت)، و(ر): (بغير).

وقيل[١]: أراد بالفساد هاهنا: الشرك.

وفي معنى قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

خمسة أقوال:

أحدها: أن عليه إثم من قتل الناس[٢] جميعًا، قاله الحسن، والزجاج[٣].

والثاني: أنه يصلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعًا، قاله مجاهد، وعطاء.

وقال ابن قتيبة: يُعذَّبُ كما يُعذَّب قاتل[٤] النَّاسِ جميعًا[٥][٦].

والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعًا، قاله ابن زيد.

والرابع: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعينوا ولي المقتول حتى يُقيدوه منه، كما لو قتل أولياءَهم جميعًا، ذكره القاضي أبو يعلى[٧].

والخامس: أن المعنى: من قتل نبيًّا أو إمامًا عادلًا، فكأنما قتل الناس جميعًا، رواه عكرمة عن ابن عباس.

---

(١) قوله: (يستحق به القتل. وقيل)، ليس في (ج).

(٢) في (ج): (النفس).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٨).

(٤) ليست في (م).

(٥) من قوله: (قاله مجاهد، وعطاء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:١٤٣).

(٧) في (م): (قاله ابن عباس، ذكره القاضي أبو يعلى).

والقول بالعموم أصح.

فإن قيل: إذا كان إثم قاتل الواحد كإثم من قتل الناس جميعًا، دل هذا على أنه لا إثم عليه في قتل مَن يقتله بعد قتل الواحد إلى أن يفنى الناس؟

فالجواب: أن المقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعًا معلوم عند الله محدود، فالذي يقتل الواحد يلزمه ذلك الإثم المعلوم، والذي يقتل الاثنين يلزمه مثلاه، وكلما زاد قتلًا زاده الله إثمًا، ومثل هذا قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] فالحسنة معلوم عند الله مقدار ثوابها، فعاملها يعطى بمثل ذلك عشر مرات.

وهذا الجواب عن سؤال سائل[١] إن قال: إذا كان[٢] من أحيا نفسًا فله ثواب من أحيا الناس، فما ثواب من أحيا[٣] الناس كلِّهم؟ هذا كله منقول عن المفسرين.

والذي أراه أن التشبيه بالشيء تقريبٌ منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصين كإثم قاتل شخص، وإنما وقع التشبيه بـ «كأنما»، لأن جميع الخلائق من شخص واحد، فالمقتول يتصوَّر منه نشر عدد الخلق كلِّهم. [١٩٢/ب]

وفي قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾.

---

(١) في (ج): (السائل).

(٢) قوله: (إذا كان)، ليس في (ج).

(٣) قوله: (من أحيا)، ليس في (ج).

خمسة أقوال:

أحدها: استنقذها من هلكةٍ، روي عن ابن مسعود، ومجاهد.

قال الحسن: من أحياها من غرق أو حرق أو هلاك[١].

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: من شدَّ عَضُدَ نبي أو إِمامٍ عادِلٍ، فكأنما أحيا الناس جميعًا[٢].

والثاني: ترك قتل النفس المحرمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية.

والثالث: أن يعفو أولياء المقتول عن القصاص، قاله الحسن، وابن زيد، وابن قتيبة[٣].

والرابع: أنه يزجر عن قتلها وينهى.

والخامس: أن يعين الوليَّ على استيفاء القصاص؛ لأن في القصاص حياةً، ذكرهما القاضي أبو يعلى.

وفي قوله: ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ قولان:

أحدهما: فله أجر من أحيا الناس جميعًا، قاله الحسن، وابن قتيبة[٤].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٥٤) من طريق يونس، به، بلفظ: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ قال: «العَفْوُ بَعْدَ القُدْرَةِ».

(٢) أورده البغوي في تفسيره (٢/ ٤٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٤٣).

(٤) انظر: المصدر السابق.

والثاني: فعلى جميع الناس شكره كما لو أحياهم، ذكره الماوردي[١].

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بني إسرائيل الذين جرى ذكرهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ [المائدة: ٣٣].

قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في ناسٍ من عُرينة قدموا المدينة، فاجتووها، فبعثهم رسول الله ﷺ في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا، فصحُّوا، وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم، فجيء بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمَّر أعينهم، وألقاهم بالحرَّة حتى ماتوا، ونزلت هذه الآية، رواه قتادة عن أنس[٢]، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي.

والثاني: أن قومًا من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فخيَّر الله رسوله بهذه الآية:

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢).

(٢) متفق عليه، البخاري (١٥٠٥)، ومسلم (١٦٧١).

إِن شـاء أن يقتلهـم، وإِن شـاء أن يقطـع أيديهـم وأرجلهـم مـن خـلاف. رواه ابـن أبي طلحـة عـن ابـن عبـاس[١]، وبـه قـال الضحـاك[٢].

والثالـث: أن أصحـاب أبي بُـردة الأسـلمي قطعـوا الطريـق عـلى قـوم جـاءوا يريـدون الإسـلام، فنزلـت هـذه الآيـة، رواه أبـو صالـح عـن ابـن عبـاس[٣].

وقـال ابـن السـائب: كان أبـو بـردة، واسـمه هـلال بـن عويمـر، وادع النبـي ﷺ عـلى أن لا يعينـه ولا يعـين عليـه، ومـن أتـاه مـن المسـلمين لم يُهَـجْ، ومـن مـر بهـلال إلى رسـول الله ﷺ لم يُهَـجْ، فمـرَّ قـوم مـن بنـي كنانـة يريـدون الإسـلام بنـاسٍ مـن قـوم هـلال، فَنَهَـدُوا إِليهـم، فقتلوهـم وأخـذوا أموالهـم، ولم يكـن هـلال حـاضرًا، فنزلـت هـذه الآيـة[٤].

والرابـع: أنهـا نزلـت في المشركـين، رواه عكرمـة عـن ابـن عبـاس[٥]، وبـه [١٩٣/أ] قـال الحسـن.

واعلم أن ذكر «المحاربة» لله ﷻ في الآية مجاز.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٠) من طريق هشيم، عن جويبر، به.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٥٥)، وتفسير البغوي (١/ ٦٧٤)، والبحر المحيط (٤/ ١١).

(٥) تقـدم قـول ابـن عبـاس، وأثـر عكرمـة، والحسـن البـصري رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (٨/ ٣٦١).

وفي معناها للعلماء قولان:

أحدهما: أنه سماهم محاربين له تشبيهًا بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب. فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي.

والثاني: أن المراد: يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله.

وقال سعيد بن جبير: أراد بالمحاربة لله ورسوله الكفر بعد الإسلام[١].

وقال مقاتل: أراد بها الشرك[٢].

فأما «الفساد» فهو القتل والجراح وأخذ الأموال، وإخافة السبيل.

قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾.

اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟

فمذهب أحمد ﷺ أنها على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال[٣]، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتِلوا وصلِّبوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال[٤]، نُفوا.

قال ابن الأنباري: فعلى هذا تكون «أو» مبعِّضة، فالمعنى: بعضهم يفعل به كذا، وبعضهم كذا، ومثله قوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٢) بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٢).

(٣) في (ج): (الأموال).

(٤) من قوله: (ولم يقتلوا، قطعت أيديهم)... إلى هنا، ليس في (ج).

[البقرة:١٣٥] المعنى: قال بعضهم هذا، وقال بعضهم هذا. وهذا القول[١] اختيار أكثر اللغويين.

وقال الشافعي: إذا قتلوا وأخذوا المال[٢]، قُتِلوا وصُلِّبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال، قُتلوا ولم يُصلَّبوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقتلوا، قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف[٣].

وقال مالك: الإمام مخير في إقامة أيِّ الحدود شاء، سواء قتلوا أو لم يقتلوا، أخذوا المال أو لم يأخذوا، والصلب بعد القتل[٤].

وقال أبو حنيفة، ومالك: يُصْلب ويُبعج برمحٍ حتى يموت.

واختلفوا[٥] في مقدار زمان الصَّلب:

فعندنا[٦] أنه يُصلب بمقدار ما يشتهر صلبُه.

واختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم: ثلاثة أيام. وهو مذهب أبي حنيفة.

وقال بعضهم: يترك حتى يسيل صديده.

---

(١) في (ت): (قول).

(٢) قوله: (على عاتقه)، ليس في (ج).

(٣) انظر: الأم (٤/ ٣١٠).

(٤) انظر: الجامع لمسائل المدونة (٦/ ١٢٦).

(٥) في (ج): (واختلف أصحاب الشافعي).

(٦) في (ج): (فعنده).

قال أبو عبيدة: معنى ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أن تُقطَع يدُه اليُمنى ورجله اليسرى، يُخالَف بين قطعهما[1].

فأما «النفي» فأصله الطرد والإبعاد.

وفي صفة نفيهم أربعة أقوال:

أحدها: إبعادهم من بلاد الإسلام إلى دار الحرب، قاله أنس بن مالك، والحسن، وقتادة، وهذا إنما يكون في حق المحارب المشرك، فأما المسلم فلا ينبغي أن يُضطر إلى ذلك.

والثاني: أن يُطلبوا لِتُقام عليهم الحدود، فيُبعدوا، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثالث: إخراجهم مِن مدينتهم إلى مدينة أُخرى، قاله سعيد بن جبير.

وقال مالك: ينفى إلى بلدٍ غير بلده، فيحبس هناك. [١٩٣/ب]

والرابع: أنه الحبس، قاله أبو حنيفة وأصحابه.

وقال أصحابنا: صِفَةُ النفي: أن يُشرَّد ولا يترك يأوي في بلد، فكلما حَصَل في بلد نُفي إلى غيره.

وفي «الخزي» قولان:

أحدهما: أنه العقاب.

والثاني: الفضيحة.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ١٦٤).

وهل يثبت لهم حكم المحاربين في المصر، أم لا؟

ظاهر كلام أصحابنا أنه لا يثبت لهم ذلك في المصر، وهو قول أبي حنيفة.

وقال الشافعي، وأبو يوسف[1]: المصر والصحارى سواء، ويعتبر في المال المأخوذ قدر نصاب، كما يُعتبر في حقِّ السَّارِقِ، خلافًا لمالك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة: ٣٤].

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾.

قال أكثر المفسرين: هذا الاستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من شركهم وحربهم وفسادهم، وآمنوا قبل القدرة عليهم، فلا سبيل عليهم فيما أصابوا من مال أو دمٍ، وهذا لا خلاف فيه.

فأما المحاربون المسلمون، فاختلفوا فيهم:

ومذهب أصحابنا: أن حدود الله تسقط عنهم مِن انحتام القتل والصلب والقطع والنفي.

فأما حقوق الآدميين من الجراح والأموال، فلا تسقطها التوبة، وهذا قول الشافعي.

---

(١) انظر: الأم (٦/ ١٦٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٥، ٣٧].

قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

في ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها القربة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء[(١)].

وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه[(٢)].

قال أبو عبيدة: يقال: توسلت إليه، أي: تقربت إليه[(٣)][(٤)].

وأنشد[(٥)]:

إِذَا غَفَلَ الْوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) ليست في (م).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٤).

(٥) البيت لجميل بن عبد الله العذري في الحماسة البصرية (٢/ ٨٨)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ١٦٤)، وتفسير ابن جرير (٨/ ٤٠٣).

والثاني: المحبة، يقول: تحببوا إلى الله، هذا قول ابن زيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾.

قال ابن السائب: نزلت في طُعمة بن أُبيرق، وقد مضت قصته في «سورة النساء»[١].

و﴿وَٱلسَّارِقُ﴾: إنما سُمِّي سارقًا، لأنه يأخذ الشيء في خفاء، واسترق السَّمع: إذا تسمَّع مستخفيًا.

قال المبرِّد: والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء، لأنه ليس القصد منه واحدًا بعينه، وإنما هو، كقولك: مَنْ سَرَق فاقطعْ يده.

وقال ابن الأنباري: وإنما دخلت الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط، تقديره: من سرق فاقطعوا يَدَهُ.

قال الفراء: [وفي قراءة ابن مسعود: «السارقون والسارقات فاقطعوا أيمانَهما»][٢]، وإنما قال: فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهما لأن كلَّ شيءٍ موحَّد من خلق الإنسان إذا ذُكِرَ مضافًا إلى اثنين فصاعدًا، جُمع، تقول: قد هشمت رؤوسَهما وملأت بطونهما[٣]، ومثله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]،

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠٥).

(٢) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو زيادة من (ج).

(٣) ونص العبارة في معاني القرآن (١/ ٣٠٦): «قد هشمت رؤوسَهما، وملأت ظهورهما وبطونهما ضربًا».

[وإنما اختير الجمع على التثنية، لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين اثنين في الانسان: اليدين، والرجلين، والعينين، فلما جرى أكثره على هذا، ذُهِبَ بالواحد منه إذا أُضيف إلى اثنين مذهب التثنية، وقد يجوز تثنيتهما(١).

قال أبو ذؤيب(٢)[من الكامل]:

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوَافِذِ كَنَوَافِذِ الْعُبُطِ الَّتِي لَا تُرْقَعُ](٣)

فصل

وهذه الآية اقتضت وجوب القطع على كلِّ سارق، وبينت السُنَّة أن المراد به السارقُ لِنِصابٍ(٤) من حِرْزِ مثله، كما قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ {التوبة:٥}، ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء، والصبيان، وأهل الصوامع. [١٩٤/أ]

واختُلِفَ في مقدار النصاب، فمذهب أصحابنا: أن للسرقة نصابين:

أحدهما: من الذهب ربع دينار، ومن الورق ثلاثة دراهم، أو قيمة ثلاثة دراهم(٥) مِن العروض، وهو قول مالك.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٦).

(٢) البيت في الدرر (١/ ١٥٨)، وشرح اختيارات المفضل (ص: ١٧٢٦)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ٤٠)، ولسان العرب (٦/ ٦٥)، وبلا نسبة في همع الهوامع (١/ ٥١).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(م)، و(ت)، و(ر)، وهو زيادة من (ج).

(٤) في (ت): (النصاب).

(٥) قوله: (أو قيمة ثلاثة دراهم)، ليس في (ج).

وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى تبلغ السرقة عشرة دراهم.

وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك بربع دينار، وغيره مقوَّمٌ به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قُطع، فإن سَرق نصابًا من التِّبر، فعليه القطع.

وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصابًا مضروبًا، فإن سرق[1] منديلًا لا يساوي نصابًا، في طرفه دينار، وهو لا يعلم، لا يقطع[2].

وقال الشافعي: يقطع. فإن سرق ستارة الكعبة، قطع، خلافًا لأبي حنيفة. فإن سرق صَبيًّا صغيرًا حُرًّا، لم يقطع، وإن كان على الصغير حُلي.

وقال مالك: يقطع بكل حال.

وإذا اشترك جماعة في سرقة نصاب، قطعوا، وبه قال مالك، إلا أنه اشترط أن يكون المسروق ثقيلًا يحتاج إلى معاونة بعضهم لبعض في إخراجه.

وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا قطع عليه بحال ويجبُ القطع على جاحد العاريَّة عندنا، وبه قال سعيد بن المسيب، والليث بن سعد، خلافًا لأكثر[3] الفقهاء.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ر): (لم يقطع).

(٣) ليست في (م).

فصل[١]

فأما الحرز، فهو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون أمتعتهم بها[٢]، فكل ذلك حِرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سُرِق من ذلك وهو مفتوح الباب، أو لا باب له إلا أنه محجَّر بالبناء. فأما ما كان في غير بناءٍ ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه.

ونقل الميموني عن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان المكان مشتركًا في الدخول إليه، كالحمَّام والخيمة لم يقطع السارق منه، ولم يُعتَبَر الحافظ.

ونُقل عن ابن منصور: لا يقطع سارق الحمَّام إلا أن يكون على المتَاع أجير حافظ.

فأما النبَّاش، فقال أحمد في رواية أبي طالب: يقطع، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى.

وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة: لا يقطع.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): (فيها).

فصل

فأما موضع قطع السارق، فمن مَفْصِل الكَفِّ، ومِن مَفْصِلِ الرِّجْلِ.

فأما اليد اليسرى والرجل اليُمنى، فروي عن أحمد: لا تقطع، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي حنيفة، وروي عنه: أنها تقطع، وبه قال مالك، والشافعي.

ولا يثبت القطع إلا بإقراره مرتين، وبه قال ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وأبو يوسف.

وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: يثبت بمرة. [١٩٤/ب]

ويجتمع القطع والغرم موسِرًا كان أو معسرًا.

وقال أبو حنيفة: لا يجتمعان، فإن كانت العين باقية أخذها ربُّها، وإن كانت مستهلكة، فلا ضمان.

وقال مالك: يضمنها إن كان موسرًا، ولا شيء عليه إن كان معسرًا.

قوله: ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

قد ذكرنا «النكال» في «البقرة»(١).

قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٦).

قال سعيد بن جبير: شديد في انتقامه، حكيم إذا[١] حكم بالقطع[٢].

قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابيٌّ، فقلت: والله غفور رحيم، سهوًا، فقال الأعرابي: كلام مَن هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم[٣]، فقال [الأعرابي][٤]: ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾ [المائدة: ٣٩، ٤٠].

قوله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾.

سبب نزولها:

أن امرأة كانت قد سرقت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟

---

(١) ليست في (ج).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٨٥) بلا نسبة.

(٣) من قوله: (سهوًا، فقال الأعرابي)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٤) من (ج)، و(ر).

(٥) انظر: المصدر السابق.

فنزلت هذه الآية(١). قاله عبد الله بن عمرو(٢).

وقال سعيد بن جبير: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقته، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١١/ ٢٣٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤١) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو قَالَ: سَرَقَتِ امْرَأَةٌ حُلِيًّا، فَجَاءَ الَّذِينَ سَرَقَتْهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ سَرَقَتْنَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْطَعُوا يَدَهَا الْيُمْنَى» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩].
وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الله بن لهيعة.
قال ابن كثير: وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت، وحديثها ثابت في الصحيحين، من رواية الزهري، عن عروة، عن عائشة. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١١١).

(٢) في (م)، و(ج): (عبد الله بن عمر).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٥٠).

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أن النبي ﷺ مرَّ بيهودي وقد حمموه وجلدوه، فقال: «**أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ**»؟ قالوا: نعم، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ: «**أَنْشُدُكَ اللهَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى** ؈، **هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ**»؟ قال: لا، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا نترك الشريف، ونُقيمه على الوضيع، فقلنا: تعالوا نُجْمِع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع[1]، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**» فأمَرَ به فرُجم، ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب[2].

والثاني: أنها نزلت في ابن صوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروي عن أبي هريرة[3].

والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهوديًا، ثم قال: سلوا محمدًا فإن كان بُعِثَ بالدِّية، اختصمنا إليه، وإن كان بُعث بالقتل، لم نأته، قاله الشعبي[4].

---

(١) من قوله: (فقلنا: تعالوا نجمع)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٧٠٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤١٤) من طريق الزهري، عن رجل من مزينة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، مرفوعًا، بلفظ مطول، وهو منقطع، انظر: نصب الراية (٤/ ١٠٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ٤١٣)، وابن أبي حاتم (٤٥٤٤) في تفسيرهما من طريق زكريا بن أبي زائدة، به، بنحوه.

والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس، ومجاهد[١].

والخامس: أن رجلًا من الأنصار أشارت إليه قريظة يوم حِصارهم: على ماذا ننزل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبح، قاله السدي[٢].

قال مقاتل: هو أبو لبابة بن عبد المنذر، قالت له قريظة: أننزل على حُكم سعدٍ؟ فأشار بيده: أنه الذَّبح، وكان حليفًا لهم. قال أبو لبابة: فعلمت أني قد خُنتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية[٣]. [١٩٥/أ]

ومعنى الكلام: لا يحزنك مسارعة الذي يُسارِعُون في الكفر من الذين قالوا آمنَّا بأفواههم وهم المنافقون، ومن الذين هادوا وهم اليهود.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ قال سيبويه: هو مرفوعٌ بالابتداء.

قال أبو الحسن الأخفش: ويجوز أن يكونَ رفعُه على معنى: ومن الذين هادوا سماعون للكذب[٤].

وفي معناه أربعة أقوال:

أحدها: سماعون منك ليكذبوا عليك.

والثاني: سماعون للكذب، أي: قائلون له.

والثالث: سماعون للكذب الذي بدَّلوه في توراتهم.

---

(١) قوله: (ومجاهد)، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤١٣) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٨١).

والرابع: سماعون للكذب، أي قابلون له، ومنه: «سمع الله لمن حمده» أي: قبل.

وفي قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾ قولان:

أحدهما: يسمعون لأولئك، فهم عيونٌ لهم.

والثاني: سماعون من قوم آخرين، وهم رؤساؤهم المبدِّلون التوراة.

وفي السمَّاعين للكذب، وللقوم الآخرين قولان:

أحدهما: أن «السمَّاعين للكذب» يهود المدينة، والقوم الآخرون الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ[١] يهود فدَك.

والثاني: بالعكس من هذا.

وفي تحريفهم الكلم خمسة أقوال:

أحدها: أنه تغيير حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غيَّروا الرَّجم، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: تغيير ما يسمعونه من النبي ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن.

والثالث: إِخفاء صفة النبي ﷺ.

والرابع: إِسقاط القود بعد استحقاقه.

والخامس: سوء التأويل.

---

(١) قوله: (الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ)، ليس في (م).

وقال ابن جرير: المعنى يُحرِّفون حكم[(١)] الكلم، فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين بذلك[(٢)].

قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

قال الزجاج: أي من بعد أن وَضَعه الله مواضعه، فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه[(٣)].

قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾.

في القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلًا وامرأةً من أشرافهم زنيا، وكان حدهما الرَّجم، فكرهت اليهود رجمها، فبعثوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن قضائه في الزانيين إذا أُحصِنَا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور.

والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعطون قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قتلت[(٤)] قريظة من [بني][(٥)] النضير لم يَرْضوا إلا بالقود تعززًا عليهم، فقتل بنو [١٩٥/ ب]

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٢٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٥).

(٤) في (ت): (فعلت).

(٥) زيادة من (م)، و(ج).

النضير رجلاً من قريظة عمدًا، فأرادوا رفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن قتيلكم قتيل عمد، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيتُ عليكم القود، فإن قُبِلَتْ منكم الدِّية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر(١).

وفي معنى ﴿فَٱحۡذَرُواْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: فاحذروا أن تعملوا بقوله الشديد.

والثاني: فاحذروا أن تُطْلِعُوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به.

والثالث: فاحذروا أن تسألوه بعدها.

قوله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾.

في «الفتنة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: العذاب، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج(٢).

قوله: ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾.

أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ من حزنه على مسارعتهم في الكفر.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٢٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٦).

قوله: ﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

قال السدي: يعني المنافقين واليهود، لم يُرِدْ أن يطهر قلوبهم من دَنَسِ الكُفر، ووَسَخ الشِّرك بطهارة الإِيمان والإِسلام(١).

قوله: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾.

أما خزي المنافقين، فبهتك سترهم وإطلاع النبي على كفرهم، وخزي اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم.

قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسبيهم، وخزي النضير بإجلائهم(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾.

قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذبُ عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها(٣).

---

(١) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٢٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٢٨).

وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب[١]، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم.

قوله: ﴿أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: «السُّحُتُ» مضمومة الحاء مثقَّلة.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة «السُّحْتُ»[٢] ساكنة الحاء خفيفة.

وروى خارجة بن مصعب عن نافع: «أَكَّالون للسَّحْت» بفتح السين وجزم الحاء[٣].

قال أبو علي: السُّحْت والسُّحُتُ لغتان، وهما اسمان للشيء المسحوت، وليسا بالمصدر، فأما من فتح السين، فهو مصدر سحتٍ[٤]، فأوقع اسم المصدر على المسحوت، كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير[٥].

وفي المراد بـ «السحت» ثلاثة أقوال:

أحدها: الرشوة في الحكم.

---

(١) في (م): (كاهن).

(٢) من قوله: (السحت مضمومة الحاء مثقلة)... إلى هنا، ليست في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢٢١)، والتيسير (ص: ٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥).

(٤) ليست في (ت).

(٥) انظر: الحجة (٣/ ٢٢٢).

والثاني: الرشوة في الدين، والقولان عن ابن مسعود.

والثالث: أنه كل كسب لا يحل، قاله الأخفش(١).

قوله: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾.

فيمن أُريد بهذا الكلام قولان: [١٩٦/أ]

أحدهما: اليهوديان اللذان زنيا، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي.

والثاني: رجلان من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر، قاله قتادة.

وقال ابن زيد: كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيري ديتين، وللقرظي دية، لأنه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حُيي، ونتحاكم إلى محمد، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾ الآية(٢).

فصل

اختلف علماء المفسِّرين(٣) في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة، وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النبي ﷺ كان مخيَّرًا، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩] فلزمه الحكم، وزال التخيير، وهذا مروي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والسدي.

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٦٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٣٨).

(٣) في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر): (التفسير).

والثاني: أنها محكمة، وأن الإمام ونوابه في الحكم مخيَّرون إذا ترافعوا إليهم، إن شاؤوا حكموا بينهم، وإن شاؤوا أعرضوا عنهم، وهذا مروي عن الحسن، [والسدي][(١)]، والشعبي، والنخعي، والزهري، وبه قال أحمد بن حنبل، وهو الصحيح، لأنه لا تنافي بين الآيتين، لأن إحداهما: خيَّرت بين الحكم وتركه. والثانية: بينت كيفية الحكم إذا كان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة: ٤٣].

قوله: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾.

قال المفسِّرون: هذا تعجيب من الله ﷻ لنبيه من تحكيم اليهود إياهُ بعد علمهم بما في التوراة من حكم ما تحاكموا إليه فيه، وتقريع لليهود إذ يتحاكمون إلى مَن يجحدون نبوته، ويتركون حكم التوراة التي يعتقدون صحتها.

قوله: ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: حكم الله بالرجم، وفيه تحاكموا، قاله الحسن.

والثاني: حكمه بالقود[(٢)]، وفيه تحاكموا، قاله قتادة.

قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) في (ر): (والثاني: في حكم العرب).

فيه قولان:

أحدهما: من بعد حكم الله في التوراة.

والثاني: من بعد تحكيمك.

وفي قوله: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان:

أحدهما: ليسوا بمؤمنين لتحريفهم التوراة.

والثاني: ليسوا بمؤمنين أن حكمك من عند الله لجحدهم نبوّتك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية(١): استفتاء اليهود رسول الله ﷺ في أمر الزانيين، وقد سبق.

و«الهدى»: البيان. فالتوراة مبيِّنة صحة نبوَّة محمد ﷺ، ومبينة ما تحاكموا فيه إليه.

و«النور»: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح للمشكلات.

---

(١) في (ر): (سبب نزولها).

وفي «النبيين الذين أسلموا» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الأنبياء من لَدُنْ موسى إلى عيسى، قاله الأكثرون. [١٩٦/ب]

فعلى هذا القول في معنى «أسلموا» أربعة[(١)] أقوال:

أحدها: سلموا لحكم الله، ورضوا بقضائه.

والثاني: انقادوا لحكم الله، فلم يكتموه كما كتم هؤلاء.

والثالث: أسلموا[(٢)] أنفسهم إلى الله ﷻ.

والرابع: أسلموا لما[(٣)] في التوراة ودانوا بها، لأنه قد كان فيهم من لم يعمل بكل ما فيها كعيسى ﷺ.

قال ابن الأنباري: وفي «المسلم» قولان:

أحدهما: أنه سُمِّي بذلك لاستسلامه وانقياده لربه.

والثاني: لإخلاصه لربه، من قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر:٢٩] أي: خالصًا له.

والثاني: أن المراد بالنبيين نبينا محمد ﷺ، قاله الحسن، والسدي. وذلك حين حكم على اليهود بالرجم، وذكره بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤].

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ت)، و(ر): (سلموا).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

وفي الذي حكم به منها قولان:

أحدهما: الرجم والقود.

والثاني: الحكم بسائرها ما لم يرد في شرعه ما يخالف.

والثالث: النبي محمد ﷺ، ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، قاله عكرمة.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

قال ابن عباس: تابوا من الكفر(١).

قال الحسن: هم اليهود(٢).

قال الزجاج: ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير. على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونورٌ للذين هادوا، يحكم بها النبيون الذين أسلموا(٣).

فأما «الربانيون» فقد سبق ذكرهم في «آل عمران»(٤).

وأما «الأحبار» فهم العلماء واحدهم حَبر وحِبر، والجمع أحبار وحبور.

وقال الفراء: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأحبار: حِبر بكسر الحاء(٥).

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٨).

(٤) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٤٦).

(٥) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٢).

وفي اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الحَبار وهو الأثر الحسن، قاله الخليل[(١)].

والثاني: أنه من الحِبر الذي يكتب به، قاله الكسائي[(٢)].

والثالث: أنه من الحبر الذي هو الجمال والبهاء، وفي الحديث: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ»[(٣)]. أي: جماله وبهاؤه؛ فالعالم بَهِيٌّ بجمال العلم، وهذا قول قطرب.

وهل بين الربانيين والأحبار فَرْق أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: لا فرق، والكُلُّ العلماء، هذا قول الأكثرين، منهم ابن قتيبة، والزجاج[(٤)].

وقد روي عن مجاهد أنه قال: «الربانيون»: الفُقهاء العُلماء، وهم فوق الأحبار[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) لا أصل له بهذا اللفظ، ولكن جاء عن ابن جرير الطبري (١٩/ ٥٤٨) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾ قَالَ: «وَاللهِ لَوْلَا أَنَّهُ عَرَّفَهُ مَا عَرَفَهُ، لَقَدْ غَيَّرَتِ النَّارُ حِبْرَهُ وَسِبْرَهُ».

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٨).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

وقال السدي: «الربانيون»: العلماء، و«الأحبار»: القُرَّاء[١].

وقال ابن زيد: «الربانيون»: الولاة، و«الأحبار»: العُلماء، وقيل: «الربانيون»: علماء النصارى، و«الأحبار»: علماء[٢] اليهود[٣].

قوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: بما استودعوا من كتاب الله وهو التوراة[٤].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: يحكمون بحكم ما استحفظوا.

والثاني: العلماء بما استحفظوا.

قال ابن جرير: «الباء» في قوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ من صلة الأحبار[٥]. [١٩٧/أ]

وفي قوله: ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ قولان:

أحدهما: وكانوا على ما في التوراة من الرَّجم شهداء، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٢).

(٢) قوله: (وقيل: «الربانيون»: علماء النصارى، و«الأحبار»: علماء)، سقط من (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٤) من طريق ابن وهب، به.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٩٠).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٤).

والثاني: وكانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قال أنه حق. رواه العوفي عن ابن عباس.

قوله: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، وابن عامر، والكسائي: «واخشون» بغير ياء في الوصل والوقف.

وقرأ أبو عمرو بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف[١].

وكلاهما حسنٌ، وقد أشرنا إلى هذا في «سورة[٢] آل عمران».

ثم في المخاطبين بهذا قولان.

أحدهما: أنهم رؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد ﷺ، والعمل بالرجم، واخشوني في كتمان ذلك، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس.

قال مقاتل: الخطاب ليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرجم، ونعت محمد ﷺ، واخشوني في كتمانه[٣].

والثاني: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تخشوا الناس، كما خشيت اليهود الناس، فلم يقولوا[٤] الحق، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢١٨)، والتيسر (ص: ١٠١)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

(٢) ليست في (م)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٧٩).

(٤) في الأصل: (يفعلوا)، والمثبت من بقية النسخ.

قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

في المراد بالآيات قولان:

أحدهما: أنها صفة محمد ﷺ والقرآن.

والثاني[١]: الأحكام والفرائض. والثمن القليل مذكور في «البقرة»[٢].

فأما قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. وقوله بعدها: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة، رواه عبيد الله بن عبد الله[٣] عن ابن عباس، وبه قال قتادة[٤].

والثاني: أنها نزلت في المسلمين، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا المعنى.

والثالث: أنها عامة في اليهود[٥]، وفي هذه الأمة، قاله ابن مسعود[٦]، والحسن، والنخعي، والسدي.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٤١).

(٣) قوله: (بن عبد الله)، ليس في (ج).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٦٠).

(٥) في (م): (والثالث: أنها على العموم وفي اليهود)، وفي (ر): (والثالث: أنهن على العموم في اليهود).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦١) بلفظ مطول.

والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، قاله أبو مجلز[١].

والخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، قاله الشعبي[٢].

وفي المراد بالكفر المذكور في الآية الأولى قولان:

أحدهما: أنه الكفر بالله تعالى.

والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملَّة.

وفصل الخطاب:

أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر.

ومن لم يحكم به ميلًا إِلى الهوى[٣] من غير[٤] جحود، فهو ظالم[٥] وفاسِق.

وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومَن أقرَّ به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم[٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦٢).

(٣) في (ج): (ميلاً إلى اليهود).

(٤) ليست في (ر).

(٥) قوله: (فهو ظالم)، ليس في (م).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ أي: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿فِيهَا﴾ أي: [١٩٧/ب] في التوراة.

قال ابن عباس: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ فما بالهم يخالفون، فيقتلون النفسين[١] بالنفس، ويفقئون العينين[٢] بالعين، وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو، وليس بينهم دية في نفس ولا جُرح، فخفف الله عن أُمة محمد بالدية[٣].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ ينصبون ذلك كلَّه[٤]، ويرفعون «والجروحُ».

---

(١) في (م)، و(ر): (النفس)!.

(٢) في (م)، و(ر): (العين)!.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٤) في (م): (مقصور ذلك كله).

وكان نافع، وعاصم، وحمزة[١] ينصبون ذلك كلَّه[٢][٣].

وكان الكسائي يقرأ: «أن النفس بالنفس» نصبًا، ويرفع ما بعد ذلك[٤].

قال أبو علي: وحجته أن الواو لعطف الجُمل، لا للاشتراك في العامل، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى، لأن معنى: وكتبنا عليهم: قلنا لهم: النفس بالنفس، فحمل العين على هذا، وهذه حجة من رفع الجروح. ويجوز أن يكون مستأنفًا، لا أنه مما كُتب على القوم، وإنما هو ابتداء إيجاب[٥].

قال القاضي أبو يعلى: وقوله: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ ليس المراد قلع العين بالعين، لتَعذُّر استيفاء المماثلة، لأنا لا نقف على الحدِّ الذي يجب قلعه، وإنما يجب فيما ذهب ضوؤها وهي قائمةٌ، وصفة ذلك أن تُشدَّ عين القالع، وتُحمى مرآة، فتقدَّم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها. وأما الأنف فإذا قطع المارن، وهو ما لان منه، وتركت قصبته، ففيه القصاص، وأما إذا قطع من أصله، فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن استيفاء القصاص، كما لو قطع يده من نصف الساعد.

وقال أبو يوسف، ومحمد: فيه القصاص إذا استوعب.

---

(١) في (ج): (وكان عاصم، وحمزة).

(٢) من قوله: (ويرفعون «والجروح»).. إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٤)، والحجة (٣/ ٢٢٣)، والمبسوط (١/ ١٨٥).

(٤) انظر: الحاشية السابقة.

(٥) الحجة (٣/ ٢٢٣).

وأما الأُذن، فيجب القصاص إذا استُوعِبَت، وعرف المقدار.

وليس في عظمٍ قصاص إلا في السن، فإن قلعت قلع مثلها، وإن كُسِرَ بعضُها، برد بمقدار ذلك.

وقوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

يقتضي إيجاب القصاص في سائِر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها.

قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يشير إلى القصاص ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

في هاء «له» قولان:

أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدَّق بالقصاص كُفِّر من ذنوبه، وهذا قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والحسن، والشعبي.

والثاني: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كُفِّر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل.

وهو محمول على أن الجاني تاب من جنايته، لأنه إذا كان مُصرًّا فعقوبة الإصرار باقية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

[١٩٩/أ] قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: وأتبعنا على آثار النَّبيّين الذين أسلموا ﴿بِعِيسَى﴾ فجعلناه يقفو آثارهم ﴿مُصَدِّقًا﴾ أي: بعثناه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ (١) وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ ليس هذا تكرار للأوّل، لأنَّ الأوّل لعيسى، والثَّاني للإنجيل، لأنَّ عيسى (٢) كان يدعو إلى التَّصديق بالتَّوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التَّصديق بالتَّوراة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾.

قرأ الأكثرون (٣) بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه.

وقرأ الأعمش، وحمزة بكسر اللام، [وفتح الميم] (٤) على معنى «كي» (٥). فكأنه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

---

(١) ليست في (م)، و(ر).

(٢) قوله: (والثاني للإنجيل، لأن عيسى)، ليس في (ر).

(٣) في (ج): (والأكثرون يقرؤون).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٢٧)، والتَّيسير (١/ ٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥)، وإعراب القرآن؛ للنَّحاس (١/ ٢٧٠)، والمحرر الوجيز (٢/ ١٩٩).

قَوْلُــهُ تَعَــالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائــدة: ٤٨].

قولــه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعنــي القــرآن ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالصِّــدق ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قــال ابــن عبَّــاسٍ: يريــد كلَّ كتــاب أنزلــه الله تعــالى(١).

وفي «المهيمن» أربعة أقوال:

أحدهــا: أنــه المؤيمــن، رواه التَّميمــي عــن ابــن عبَّــاسٍ، وبــه قــال سـعيد بــن جُبَــيْر، وعكرمــة، وعطــاء، والضَّحَّــاك.

وقــال المــبرِّد: «مهيمــن» في معنــى: «مؤيمــن» إلا أن الهــاء بــدل مــن الهمــزة، كــما قالــوا: أرقــت المــاء، وهرقــت، وإيَّــاك وهِيَّــاك(٢).

وأربــاب هــذا القــول يقولــون: المعنــى: أن القــرآن مؤتمــن عــلى مــا قبلــه مــن الكتــب، إلا أن ابــن أبي نجيــح روى عــن مجاهــد: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قــال:

---

(١) رواه ابـن جريـر الطَّبري في تفسيره (٨/ ٤٨٨)، وابـن أبي حاتـم في تفسيره (٦٤٦٩) بلفـظ: قَوْلُـهُ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وَهُـوَ الْقُرْآنُ، شَـاهِدٌ عَلَى التَّـوراةِ وَالْإِنْجِيـلِ، مُصَدِّقًـا لَهُـمَا ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ يَعْنِي: «أَمِينًـا عَلَيْـهِ، يَحْكُـمُ عَـلَى مَـا كَانَ قَبْلَـهُ مِـنَ الْكُتُـبِ».

(٢) انظر: الزَّاهر؛ لابن الأنباريِّ (١/ ٨٦)، وأمالي ابن الشَّجري (٣/ ١٢٢).

محمد مؤتمن على القرآن[١].

فعلى قوله، في الكلام محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيمنًا عليه[٢]، فتكون هاء ﴿عَلَيۡهِ﴾ راجعة إلى القرآن.

وعلى غير قول مجاهد يرجع[٣] إلى الكتب المتقدِّمة.

والثَّاني: أنه الشَّاهد، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، وقتادة، والسُّدِّي، ومقاتل.

والثَّالث: أنه المصدِّق على ما أخبر عن الكتب، وهذا قول ابن زيد، وهو قريبٌ من القول الأوَّل.

والرَّابع: أنه الرَّقيب الحافظ، قاله الخليل[٤].

قوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ يشير إلى اليهود ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾.

قال أبو سليمان الدِّمشقي[٥]: المعنى: فترجع عما جاءك.

قال ابن عبَّاسٍ: لا تأخذ بأهوائِهم في جَلد المُحصَن.

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٤٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

(٢) ليست في (م).

(٣) ليست في (ت)، و(ر)، وفي (ج)، و(م): (ترجع).

(٤) انظر: العين (٥/ ١٥٥).

(٥) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾.

قال مجاهد: «الشِّرعة»: السُّنَّة، و«المنهاج»: الطَّريق[1].

وقال ابن قُتَيْبة: «الشِّرْعَةً» و«الشَّرِيعة» واحد، و«المِنْهَاجُ»: الطَّريق الواضح[2].

فإن قيل: كيف نسق «المنهاج» على «الشِّرعة» فكلاهما[3] بمعنى [واحد][4]؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن بينهما فرقًا من وجهين:

أحدهما: أن «الشِّرْعَة» ابتداء الطَّريق، و«المِنْهَاجُ»: الطَّريق المستمر، قاله المبرِّد[5].

والثَّاني: أن «الشِّرْعَة» الطَّريق الذي ربَّما كان واضحًا، وربَّما كان غير واضح، و«المِنْهَاجُ»: [الطَّريق][6] الذي لا يكون إلا واضحًا، ذكره ابن الأنباريِّ[7]. [١٩٩/ب]

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٤٩٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٤).

(٣) في (ج)، و(ر): (وكلاهما).

(٤) زيادة من (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزَّجَّاج (٢/ ١٨٥)، وتهذيب اللُّغة؛ للأزهري (١/ ٢٧٠)، ومعاني القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٣١٩).

(٦) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٧) انظر: تفسير البحر المحيط؛ لأبي حيَّان (٤/ ٢٨٤).

فلما وقع الاختلاف بين «الشِّرْعَة» و«المِنْهَاج»، حَسُنَ نسق أحدهما على الآخر.

والثَّاني: أن «الشِّرْعَة» و«المِنْهَاج» بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين.

قال الحطيئة[١] [من الطويل]:

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ ... وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالبُعْدُ

فنسق البُعد على النَّأي لما خالفه في اللفظ، وإن كان موافقًا له في المعنى، ذكره ابن الأنباريِّ.

وأجاب عنه أربابُ القول الأوَّل، فقالوا: «النَّأي» كلُّ ما قلَّ بعده أو كثُر كأنه المفارقة، والبعد إنما يُستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته.

وللمفسِّرين في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لكلِّ ملَّة جعلنا شرعةً ومنهاجًا، فلأهل[٢] التَّوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، [و][٣] هذا قول الأكثرين.

---

(١) انظر: ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السِّكيت (ص:٧١)، ولسان العرب (٣/ ٢٢٣) (سند)، وفي (١٥/ ٣٠٠) (نأي)؛ والبيت بلا نسبة في شرح المفصَّل (١/ ٥٤).

(٢) في (ر): (ولأهل).

(٣) زيادة من (ج).

قال قتادة: الخطاب للأمم الثَّلاث: أمةِ موسى، وعيسى، ومحمد، فللتَّوراة شريعة(١)، وللإنجيل شريعة، وللفرقان(٢) شريعة، يُحِلُّ الله فيها ما يشاء، [ويُحرِّم فيها ما شاء](٣)، ويحرِّم ابتلاءً(٤)، ليعلمَ من يطيعه ممن يعصيه، والدِّين واحد الذي لا يُقبل غيره، التَّوحيدُ والإخلاصُ لله الذي جاءت به الرُّسل(٥).

والثَّاني: أن المعنى: لكلٍّ مَن دخل في دين محمَّد جعلنا القرآن شرعةً(٦) ومنهاجًا، هذا قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لجمعكم على الحقِّ.

والثَّاني: لجعلكم على ملَّةٍ واحدةٍ.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الكتب، وبيَّن لكم من الملل.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (وللقرآن).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (بلاءً).

(٥) رواه عبد بن حميد كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٩٦)، وابن جرير الطَّبري (٨/ ٤٩٣)، وابن أبي حاتم (٦٤٨٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٦) في (ج): (شريعة).

فإن قيل: إذا كان المعنيُّ بقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ نبيَّنا محمدًا مع سائر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾؟

فالجواب: أنه خطاب لنبيِّنا، والمراد به سائر الأنبياء والأمم.

قال[١] ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائبًا، فأرادت الخبر عنه أن تغلِّب المخاطَب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب[٢].

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ[٣]، والضَّحَّاك[٤]: هو خطابٌ لأمة محمد ﷺ.

قال مقاتل: و«الخيرات»: الأعمال الصالحة[٥].

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدِّين.

قال ابن جرير: قد بيَّن ذلك في الدُّنيا بالأدلَّة والحجج، وغدًا يبيِّنه بالمجازاة[٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

---

(١) في الأصل: (قاله)، والمثبت من بقية النُّسخ.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٤٩٩).

(٣) لم نقف على هذا المعنى عنه ﷺ.

(٤) رواه سعيد بن منصور في التَّفسير (٢٢٨)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٤٩١).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص:٤٨٢).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٠٠).

قوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ جماعة من اليهود منهم كعب بن أَسِيد، وعبد الله بن صُوريا، وَشَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، [لعلَّنا][١] نَفْتِنهُ عَنْ دِينِهِ، فأتَوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفتَ أنَّا أحبارُ اليهود وأشرافُهم، وأنَّا إن[٢] اتَّبَعْنَاكَ، اتَّبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة[٣]، فَنُحَاكِمُهُمْ إِلَيْكَ، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى [٢٠٠/أ] ذلك رسول الله ﷺ، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عبَّاسٍ[٤].

وذكر مقاتل: أنَّ جماعة[٥] من بني النَّضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدُّنيا[٦]، كما كنَّا عليه من قبلُ، ونبايعك؟ فنزلت هذه الآية[٧].

---

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) قوله: (وبين قوم خصومة)، ليس في (ت)، وقوله: (قوم خصومة) ليس في (ر).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم (٦٤٩٤) في تفسيرهما.

(٥) في (م): (وذكر جماعة).

(٦) في (م)، و(ر)، والنسخة المطبوعة من تفسير مقاتل: (الدِّماء).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٤٨٣).

قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكرارًا لما تقدَّم، وإنما نزلتا في سببين[(١)] مختلفين[(٢)]:

أحدهما: في شأن الرَّجم.

والأخرى: في التَّسوية في الدِّيات حتى[(٣)] تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾ أي: يصرفوك ﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه الرَّجم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: شأن القصاص والدِّماء، قاله مقاتل[(٤)].

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: عن حكمك.

والثَّاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذِّبهم ببعض ذنوبهم.

---

(١) في (ت)، و(ج)، و(ر): (شيئين).

(٢) في (ت)، و(ر): (المختلفين).

(٣) في (ت)، و(ر): (حين).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٣٨٥).

وفي[١] ذكر البعض[٢] قولان:

أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما[٣] يصيبهم ببعض[٤] ما يستحقُّونه.

والثَّاني: أن المراد به الكلّ، كما يُذكر لفظ الواحد ويراد به الجماعة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ {الطلاق:١} والمراد: جميع المسلمين.

وقال الحسن: أراد ما عجَّله من إجلاء بني النَّضير وقتل بني قريظة[٥].

قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ قال المفسِّرون: أراد اليهود.

وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: الكفر، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: الكذب، قاله ابن زيد.

والثَّالث: المعاصي، قاله مقاتل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

قوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

---

(١) في (ج): (في).

(٢) في (ت)، و(ر): (وفي بعض).

(٣) في (ر): (وأنَّ ما).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: أحكام القرآن؛ لأبي بكر الجصَّاص (٤/ ٩٩).

قرأ الجمهور: «يَبْغُونَ»(١) بالياء، لأن قبله غَيبة، وهي قوله تعالى(٢): ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

وقرأ ابن عامر(٣): «تَبْغُونَ»(٤) بالتاء، على معنى: قل لهم(٥).

وسبب نزولها:

أن النَّبيَّ ﷺ لما حكم بالرَّجم على اليهوديَّين تعلَّق بنو قريظة ببني النَّضير، وقالوا: يا محمد هؤلاء إِخواننا، أبونا واحد، وديننا واحد، إِذا قتلوا منا قتيلًا أعطونا سبعين وسقًا من تمر، وإِن قتلنا منهم واحدًا أخذوا منا أربعين ومائة وسق، وإِن قتلنا منهم رجلًا قتلوا به رجلين، وإِن قتلنا امرأةً قتلوا بها رجلًا، فاقض بيننا بالعدل، فقال رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ لِبَنِي النَّضِيرِ عَلَى بَنِي قُرَيظَةَ فَضْلٌ فِي عَقْلٍ وَلَا دَمٍ»**، فقال بنو النَّضير: والله لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولنأخذنَّ بأمرنا الأوَّل، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس(٦).

---

(١) قوله: (قرأ الجمهور: يبغون)، ليس في (ج).

(٢) قوله: (وهي قوله تعالى)، ليس في (م).

(٣) في (م): (ابن عباس).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة؛ لابن مجاهد (١/ ٢٤٤)، والحجَّة؛ لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٢٨)، والمبسوط؛ للنَّيسابوري (١/ ١٨٦).

(٦) ذكره بمعناه بلا نسبة مقاتل بن سليمان في تفسيره (ص: ٤٨٠) مختصرًا، والبغوي في معالم التَّنزيل (١/ ٤٦٥).

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: أتطلب اليهود حكمًا لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب الله، كما تفعل[١] الجاهلية؟![٢]. [٢٠٠/ب]

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ قال ابن عبَّاسٍ: ومن أعدل؟!.

وفي قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يوقنون بالقرآن، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: يوقنون بالله، قاله مقاتل.

وقال الزَّجَّاج: من أيقن تبيَّن عدلَ الله في حكمه[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

في[٤] سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي لُبابة حين قال لبني قريظة إذ رضوا بحكم سعد: إنه الذَّبح، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وهو قول عكرمة[٥].

---

(١) في (ج)، و(م): (يفعل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٤) ليست في (ج)، و(ر).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في التَّفسير (٨/ ٥٠٦)، وابن المنذر كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٩٩).

والثَّاني: أن عُبادة بن الصَّامت قال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود، وإني أبرأ إلى الله مِن ولاية يهود، فقال عبد الله بن أُبيٍّ: إنِّي رجلٌ أخاف الدَّوائر، ولا أبرأ [إلى الله](١) مِن(٢) ولاية يهود، فنزلت هذه الآية، قاله عطيَّة(٣) العَوْفي(٤)(٥).

والثَّالث: أنه لما كانت وقعة أُحد خافت طائفةٌ من النَّاس أن يُدال عليهم الكُفَّارُ، فقال رجل لصاحبه: أمَّا أنا فألحق بفلان اليهودي، فآخذ منه أمانًا، أو أتهوَّد معه، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّي(٦)، ومقاتل(٧).

قال الزَّجَّاج: لا تتولَّوهم في الدِّين(٨).

وقال غيره: لا تستنصروا بهم، ولا تستعينوا بهم(٩)، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنُّصرة.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) في (ج)، و(م): (عطاء).

(٤) ليست في (ت)، و(ر)، وفي (م): (والعوفي).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٠١)، و ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٠٤).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٠٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٠٧) من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص:٤٨٣).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٩) ليست في (ت)، و(ج)، و(ر).

قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: من يتولَّهم في الدِّين، فإنه منهم في الكفر.

والثَّاني: من يتولَّهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ [المائدة: ٥٢].

قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ قال المفسِّرون: نزلت في المنافقين.

ثم لهم في ذلك قولان:

أحدهما: أن اليهود والنَّصارى كانوا يميرون المنافقين ويقرضونهم فيُوادُّونهم[١]، فلمَّا نزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ[٢]﴾ قال المنافقون[٣]: كيف نقطع مودَّة قوم إن أصابتنا سنة وسَّعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاس.

---

(١) في (ج): (ويوادُّونهم).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (م): (كان المنافقون قالوا).

ومن قال: نزلت في المنافقين، ولم يعيِّن[١]: مجاهد[٢]، وقتادة[٣].

والثَّاني: أنها نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ، قاله عطيَّة العَوْفي[٤].

وفي المراد بالمرض[٥] قولان:

أحدهما: أنه الشَّك، قاله مقاتل[٦].

والثَّاني: النِّفاق، قاله الزَّجَّاج[٧].

وفي قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يسارعون في موالاتهم ومناصحتهم، قاله مجاهد، وقتادة.

والثَّاني: في رضاهم، قاله ابن قُتَيْبة[٨].

والثَّالث: في معاونتهم على المسلمين، قاله الزَّجَّاج[٩].

---

(١) في (ج): (ولم يعيره).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥١١)، وابن أبي حاتم كذلك في تفسيره (٦٥١٩) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥١٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ر): (وفي المرض).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص:٤٨٤).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٨) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

وفي المراد «بالدَّائرة» قولان:

أحدهما: الجدب والمجاعة، قاله ابن عبَّاسٍ.

قال ابن قُتَيْبة: نخشى أن يدور علينا الدَّهرُ بمكروه، يعنون الجَدْب، فلا يُبَايِعُونَنَا، ونَمْتَارُ فيهم فلا يميروننا[١][٢].

والثَّاني: انقلاب الدَّولة لليهود على المسلمين، قاله مقاتل[٣].

وفي المراد بالفتح أربعة[٤] أقوال: [٢٠١/أ]

أحدها: فتح مكَّة، قاله ابن عبَّاسٍ، والسُّدِّي.

والثَّاني: فتح قرى اليهود، قاله الضَّحَّاك.

والثَّالث: نصر النَّبيِّ ﷺ على مَن خالفه، قاله قتادة، والزَّجَّاج[٥].

والرَّابع: الفَرَج، قاله ابن قُتَيْبة[٦].

وفي الأمر أربعة أقوال:

أحدها: إجلاء بني النَّضير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي ذراريهم، قاله ابن السَّائب، ومقاتل.

---

(١) في (ت): (فلا يبايعوننا، ولا يميروننا)، وفي (ج): (فلا يبايعونا، ولا يميرونا)، وفي (م): (فلا يبايعونا، ولا يميروننا)، وفي (ر): (فلا يبايعولنا، ولا يميروننا).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٤).

(٤) في (ج): (ثلاثة).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

والثَّاني: الجزية، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: الخصب، قاله ابن قُتَيْبة(١).

والرَّابع: أن يأمر النَّبيُّ ﷺ بإظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزَّجَّاج(٢).

وفيما ﴿أَسَرُّواْ﴾ قولان:

أحدهما: موالاتهم.

والثَّاني: قولهم: لعلَّ محمَّدًا لا(٣) ينصر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[المائدة: ٥٣].

قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

قرأ أبو عمرو، بنصب اللام على معنى(٤): وعسى أَنْ يَقُولَ(٥).

ورفعه الباقون، فجعلوا الكلام مستأنفًا(٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٣) في (ج): (ما).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، والحجَّة (١/ ١٣١)، ومعاني القراءات (١/ ٣٣٣).

(٦) قال أبو علي الفارسي: فالحجة لمن رفع: أنه ابتدأ بالفعل فأعربه بما وجب له بلفظ المضارعة. اهـ. الحجَّة (١/ ١٣١-١٣٢).

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «يقولُ»، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكَّة والمدينة[١].

قال المفسِّرون: لمَّا أجلى رسول الله ﷺ بني النَّضير، اشتدَّ ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسَّفون على فراقهم، وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جادًّا في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك[٢]؟ فلما قُتلت قريظة، لم يُطق أحدٌ من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعمائة حُصِدوا في ليلةٍ، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾[٣] يعنون[٤] المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: أغلظوا في الأيمان[٥].

وقال مقاتل: ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ القسم بالله[٦].

وقال[٧] الزَّجَّاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ﴾ على عدوِّكم[٨] ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بنفاقهم[٩].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، ومعاني القراءات (١/ ٣٣٣).

(٢) في (ت): (أشبعوك).

(٣) في (ج): (هؤلاء).

(٤) ليست في (ج).

(٥) أورده الواحدي في التَّفسير الوسيط (٣/ ٦٢).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٥).

(٧) في الأصل: (فقال)، والمثبت من بقية النُّسخ.

(٨) في (م): (عدوِّهم).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكِسَائِي: يرتدَّ، بإدغام الدَّال الأولى في الأخرى.

وقرأ نافع، وابن عامر: «يرتدد»، بدالين[(١)](٢).

قال الزَّجَّاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثَّاني إذا سُكِّن مِن المضاعف، ظهر التَّضعيف. فأما «يرتدَّ» فأدغمت الدَّال الأولى في الثَّانية، وحرِّكت الثَّانية بالفتح، لالتقاء السَّاكنين(٣).

قال الحسن: علم الله أن قومًا يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيِّهم ﷺ، فأخبرهم أنه سيأتي ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٤).

(١) في (ت): (بالدالين).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، والحجَّة (١/ ١٣٢)، والمبسوط (١/ ١٨٦)، قال أبو علي الفارسي: يُقرَأُ بالإدغام والفتح، وبالإظهار والجزم. فالحجة لمن أدغم: أنه لغة أهل الحجاز؛ لأنهم يدغمون الأفعال لثقلها كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾، ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾، ليفرِّقوا بذلك بين الاسم والفعل.
والحجَّة لمن أظهر: أنه أتى بالكلام على الأصل، ورغب - مع موافقة اللُّغة - في الثواب إذ كان له بكل حرف عشر حسنات.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٢).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٩٩).

وفي المراد بهؤلاء القوم ستَّة أقوال:

أحدها: أبو بكر الصِّدِّيق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الرِّدَّة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن جريج.

قال أنس بن مالك: كرهت الصَّحابة قتال مانِعي الزَّكاة، وقالوا[1]: أهل القبلة، فتقلَّد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بُدًّا من [٢٠١/ ب] الخروج على أثره[2].

والثَّاني: أبو بكر، وعمر. روي عن الحسن، أيضًا.

والثَّالث: أنهم قومُ أبي[3] موسى الأشعري.

روى عياض الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**هُمْ قَوْمُ هَذَا**» يَعْنِي: أَبَا مُوسَى[4].

والرَّابع: أنهم أهل اليمن. رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهد.

والخامس: أنهم الأنصار، قاله السُّدِّي.

---

(١) في (ج): (فقالوا).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٩٩).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٢٦١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٥١٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٣٥)، والطَّبراني في الكبير (١٠١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض الأشعري، بنحوه.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذَّهبي.
وقال الحافظ: إسناد رواته ثقات. إتحاف الخيرة (٦/ ٢٠٥).

والسَّادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي.

قال ابن جرير: وقد أنجز الله ما وَعَد فأتى بقومٍ في زمن عمر كانوا أحسن موقعًا في الإسلام ممَّن ارتدَّ(١).

قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال علي بن أبي طالب: أَهْلُ رِقَّةٍ عَلَى أَهْلِ دِينِهِمْ، أَهْلُ غِلْظَةٍ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ فِي دِينِهِمْ(٢).

وقال الزَّجَّاج: معنى «أَذِلَّةٍ»: جانبهم ليِّن على المؤمنين، لا أنهم أذلَّاءُ(٣).

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ لأن المنافقين يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله ﷻ أن الصَّحيحَ الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: محبَّتهم لله، ولين جانبهم للمسلمين، وشدَّتهم على الكافرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥١٨).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٢٧) من طريق سيف بن عمر، عن أبي روق عطيَّة بن الحارث، عن أبي أيوب، به، بنحوه. وسيف بن عمر التَّميمي ضعيف جدًّا.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٣).

قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أن عبد الله بن سلام وأصحابه جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا[(١)]: إن قومًا قد أظهروا لنا العداوة، ولا نستطيع أن نجالس أصحابك لبُعد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقالوا: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين[(٢)]، وأذَّن بلال بالصَّلاة، فخرج رسول الله ﷺ، فإذا مسكين يسأل[(٣)] النَّاس، فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ [شَيْئًا]**[(٤)]؟» قال: نعم. قال: «**مَاذَا؟**» قال: خاتم فضَّة. قال: «**مَنْ**[(٥)] **أَعْطَاكَهُ؟**» قال: ذاك القائِم، فإذا هو علي بن أبي طالب، أعطانيه[(٦)] وهو راكع، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[(٧)]، وبه قال مقاتل[(٨)].

---

(١) في (ت)، و(م): (فقالوا).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ت)، و(ر): (يسألون).

(٤) من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٥) في (ت)، و(ر): (ما).

(٦) في (ج): (تصدَّق).

(٧) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٠) من طريق محمد بن السَّائب الكلبي، عن أبي صالح، به، بنحوه. ومحمد بن السَّائب الكلبي متَّهم بالكذب، وجاء في عدة روايات صحيحة أخرى أنها نزلت في علي ﵁، أوردها السيوطي في الدُّرِّ المنثور(٣/ ١٠٥).

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٦).

وقال مجاهد: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدَّق وهو راكع[(١)].

والثَّاني: أن عبادة بن الصَّامت لَمَّا تبرَّأ من حلفائه اليهود، نزلت هذه الآية في حقِّه، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ[(٢)].

والثَّالث: أنها نزلت في أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ، قاله عكرمة[(٣)].

والرَّابع: أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن[(٤)].

قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم، وهو تصدُّق عليٍّ ﷺ بخاتمه في ركوعه.

[٢٠٢/أ] **والثَّاني:** أن من شأنهم إِيتاء الزَّكاة وفعل الرُّكوع.

وفي[(٥)] المراد بالرُّكوع ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه نفس الرُّكوع على ما روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٣١) من طريق غالب بن عبيد الله، عن مجاهد.
وغالب بن عبيد الله العقيلي الجزري ضعَّفه ابن معين والدَّارقطني. انظر: ميزان الاعتدال؛ للذهبي (٣/ ٣٣١).

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٧٩) من طريق سلمة بن رجاء، عن سلمة بن سابور قال: سمعت عطيَّة العَوْفي يقول: قال ابن عبَّاسٍ ﷺ، فذكره بنحوه.
وسلمة بن سابور ضعيف. انظر: ميزان الاعتدال؛ للذهبي (٢/ ١٩٠).

(٣) أورده أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (٤/ ٣٠٠).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في (ت)، و(ر): (والثاني في).

وقيل: إن الآية نزلت وهُم في الرُّكوع.

والثَّاني: أنه صلاة التطوُّع باللَّيل والنَّهار، وإنما أُفرد الرُّكوع بالذِّكر تشريفًا له، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

والثَّالث: أنه الخضوع والخشوع.

وأنشدوا[١] [من المنسرح]:

لَا تُذِلَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

ذكره الماورديُّ[٢].

فأما ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ[٣]﴾.

فقال الحسن: هم جند الله[٤].

وقال أبو عبيدة: أنصار الله[٥].

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) البيت للأضبط بن قريع السَّعدي، وهو في الشعر والشعراء (١/ ٣٧١)، والبيان والتبيان (٣/ ٢٢٣)، والكامل (٢/ ١٠١)، والحماسة الشجرية (١/ ٤٧٤)، وخزانة الأدب (١١/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (١/ ١١٤).

(٣) ليست في (ت).

(٤) انظر: تفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٠٢).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٩).

والثَّاني: الأنصار[١]، ذكره أبو سليمان[٢].

قَوْلُــهُ تَعَــالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [المائــدة: ٥٧].

قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾.

سبب نزولها:

أن رفاعـة بـن زيـد بـن[٣] التَّابـوت، وسـويد بـن الحـارث كانـا قـد أظهـرا الإسـلام، ثـم نافقـا، وكان رجـال مـن المسـلمين يوادُّونهـما، فنزلـت هـذه الآية، قاله ابــن عبَّــاسٍ[٤].

فأمـا اتخاذهـم الدِّين هـزُوًا ولعبًـا: فهـو إظهارهـم الإسـلام[٥] وإخفاؤهم الكفـر وتلاعبهـم بالدِّين.

و«الذين أُوتوا الكتاب»: اليهود والنَّصارى، و«الكفار»: عبدة الأوثان.

قـرأ ابـن كثـير ونافـع وابـن عامـر وحمـزة: ﴿وَٱلۡكُفَّارَ﴾[٦] بالنَّصـب عـلى معنـى: لا تتَّخـذوا الكفـار أوليـاء.

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (الماورديُّ).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) رواه ابـن جريـر الطَّـبري في تفسـيره (٨/ ٥٣٣) مـن طريـق سـعيد بـن جُبَـيْر، أو عكرمـة، بـه، بنحـوه.

(٥) في (ت)، و(ر): (إظهار المسلمين)!.

(٦) من قوله: (عبدة الأوثان. قرأ ابن كثير)... إلى هنا، ليس في (م).

وقرأ أبو عمرو والكِسائِي: «وَالْكُفَّارِ» خفضًا، لقرب الكلام من العامل الجارِّ، وأمال أبو عمرو الألف[١].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أن تولَّوهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة: ٥٨].

قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن منادي رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصَّلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلَّوا لا صلَّوا، على سبيل الاستهزاء والضَّحك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السَّائب[٢].

والثَّاني: أن الكفار لمَّا سمعوا الأذان حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين[٣] على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئًا لم نسمع به[٤] فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدَّعي النُّبوَّة، فقد[٥] خالفت في هذا[٦] الأذان

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٥)، والحجَّة (١/ ١٣٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٠)، والمبسوط (١/ ١٨٦).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٠) من قول محمد بن السَّائب الكلبي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٧٥)، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبَّاسٍ، بنحوه.

(٣) في (ت)، و(ر): (والمسلمون)!.

(٤) في (ج): (لم يُسمع مثله).

(٥) في (ت)، و(ر): (فقال).

(٦) في (ر): (هذه).

الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصَّوت، وأسمج[١] هذا الأمر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسِّرين[٢].

وقال السُّدِّي: كان رجل من النَّصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: حُرِّقَ[٣] الْكَاذِبُ، فدخلت[٤] خادمه ذات ليلة بنارٍ وهو نائم، وأهله نِيَامٌ، فسقطت شَرَارَةٌ فَأَحْرَقَتِ البيت، فَاحْتَرَقَ هُوَ وَأَهْلُهُ[٥][٦]. [٢٠٢/ب]

و«المناداة»: هي الأذان. واتِّخاذهم إيَّاها هزوًا: تضاحكهم وتغامزهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما لهم في إجابة الصَّلاة، وما عليهم في استهزائهم بها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩].

---

(١) في (ر): (وما أسمج).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠١).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) كذا بالأصل وجميع النسخ، وتفسير الطَّبري وابن أبي حاتم.

(٥) في (ج): (وأحرقته وأهله).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم (٦٥٥٧) في تفسيرهما من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به، بنحوه.

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾.

سبب نزولها:

أن نفرًا من اليهود أتوا رسول الله ﷺ، فسألوه عمَّن يؤمن به من الرُّسل، فذكر جميع[1] الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوَّته، وقالوا: والله ما نعلم دينًا شرًّا من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله ابن عبَّاسٍ[2].

وقرأ الحسن، والأعمش: «تَنْقَمون» بفتح القاف[3].

قال الزَّجَّاج: يقال: نَقَمْتُ على الرَّجل أَنْقِمُ، ونَقِمْت عليه أَنْقَمُ، والأوَّل أجود. ومعنى «نقمت»: بالغت في كراهة الشيء، والمعنى: هل تكرهون منَّا إلَّا إيمانَنا، وفسقكم، لأنكم علمتم أنَّنا على حقٍّ، وأنَّكم فسقتم[4].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

---

(١) في (ج): (سائر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٢/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم (٦٥٥٩) في تفسيرهما من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر، أو عكرمة، به، بنحوه.
وعند ابن أبي حاتم عن محمد بن أبي محمد، مرسلًا.

(٣) وهي شاذة كما في مختصر شواذ القرآن؛ لابن خالويه (٣٩)، وانظر: الكامل في القراءات؛ لأبي القاسم الهذلي.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٦).

قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾.

قال المفسِّرون: سبب نزولها:

قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دينٍ أقلَّ حظًّا منكم في الدُّنيا والآخرة، ولا دينًا شرًّا من دينكم.

وفي قوله: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ قولان:

أحدهما: بشرٍّ من المؤمنين، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: بشرٍّ مما نقمتم مِن إيمانِنا، قاله الزَّجَّاج[١].

فأما «المثوبة» فهي الثَّواب.

قال الزَّجَّاج: وموضع «مَنْ» في قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ[٢]﴾ إن شئت كان رفعًا، وإن شئت كان خفضًا، فمن خفض جعله بدلًا مِن «شرٍّ»، فيكون المعنى: أنبئكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فبإضمار «هو» كأنَّ قائلًا قال: مَن ذلك؟ فقيل: هو من لعنه الله[٣].

قال أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شرٌّ مثوبةً عند الله[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٨٧).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٧).

(٤) لم نهتد إليه.

وروي عن ابن عبَّاسٍ أن المسخين من أصحاب السَّبت: مسخ شُبَّانهم[(١)] قردة، ومشايخهم خنازير[(٢)].

وقال غيره: «القردة»: أصحاب السَّبت، و«الخنازير»: كفار مائدة عيسى.

وكان ابن قُتَيْبة يقول: أنا أظنُّ أن هذه «القردة» و«الخنازير»[(٣)] هي المسوخ[(٤)] بأعيانها توالدت. قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ فدخول الألف واللام تدلُّ[(٥)] على المعرفة، وعلى أنها القرود[(٦)] التي تُعاين، ولو كان أراد شيئًا انقرض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة وخنازير، إلا أن يصحَّ حديث أم حبيبة في «المسوخ»، فيكون كما قال ﷺ[(٧)].

قال الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٨)]: وحديث أم حبيبة في «الصَّحيح» انفرد بإخراجه مسلم، وهو أنَّ رجلاً سأل النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، القردة والخنازير هي مما مُسِخ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله[(٩)] لَمْ يَمْسَخْ قَوْمًا، أَوْ يُهْلِكْ قَوْمًا،** [٢٠٣/أ]

---

(١) في (ت)، و(ر): (شبابهم)، وفي (ج): (شابهم).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٨٥)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٢٠٤).

(٣) من قوله: (كفار مائدة عيسى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) في (م): (الشيوخ)!.

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ر): (يدلُّ).

(٦) في (ج)، و(م): (القردة).

(٧) انظر: تأويل مختلف الحديث (١/ ٣٧٣).

(٨) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (قلت أنا).

(٩) قوله: (إن الله)، ليس في (ج)، و(م)، و(ر).

فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ»(١).

وقد ذكرنا في «سورة البقرة» عن ابن عبَّاسٍ زيادة بيان [ذلك](٢)، فلا يُلتفت إلى ظنٍّ ابن قُتَيْبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

فيها عشرون قراءة:

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، والكِسَائِي: «وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدَّال، ونصب تاء «الطَّاغُوتَ»(٣).

وفيها وجهان:

أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطَّاغوت.

والثَّاني: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطَّاغوت.

وقرأ حمزة: «وعَبُدَ الطَّاغُوتِ» بفتح العين والدَّال، وضم الباء، وخفض تاء الطَّاغُوتِ(٤).

قال ثعلب: ليس لها وجه إلا أن يجمع فَعْل على فَعُل(٥).

---

(١) رواه الحميدي في مسنده (١٢٥)، وأحمد (١/ ٣٩٠ـ ٤٣٣ـ ٤٤٥)، ومسلم (٢٦٦٣)، والنَّسائي في عمل اليوم والليلة (٢٦٤) واللفظ لأحمد.

(٢) من (ج).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٦)، والحجَّة (١/ ١٣٢)، والمبسوط (١/ ١٨٦).

(٤) انظر: المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢١٤)، وحجة القراءات (١/ ٢٣١).

(٥) في (ر): (قال ثعلب: ليس لها وجه، لا يُجمع فعل).

وقال الزَّجَّاج: وجهها أن الاسم بُني على «فَعُل» كما تقول: عَلُمَ[١] زيدٌ، ورَجُلٌ حَذُرٌ، أي: مبالغ في الحَذَرِ. فالمعنى: جعل منهم خَدَمة الطَّاغوت، ومن بلغ في طاعة الطَّاغوت الغاية[٢].

وقرأ ابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب: «وعَبَدُوا»، بفتح العين والباء ورفع الدَّال على الجمع، «الطَّاغوتَ» بالنَّصب[٣].

وقرأ ابن عبَّاسٍ، وابن أبي عبلة: «وعَبَدَ» بفتح العين والباء والدَّال، إلا أنهما كسرا تاء «الطَّاغوتِ»[٤].

قال الفرَّاء: أرادا «عبدة» فحذفا الهاء[٥].

وقرأ أنس بن مالك: «وعَبيدَ» بفتح العين والدَّال[٦] وبياء بعد الباء وخفض[٧] تاء «الطاغوتِ».

وقرأ أيوب، والأعمش: «وعُبَّدَ»، برفع العين ونصب الباء والدَّال مع تشديد الباء، وكسر تاء «الطَّاغوتِ»[٨].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٨).

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن؛ لابن خالويه (ص: ٤٠)، والمحتسب (١/ ٢١٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٤).

(٦) من قوله: (إلا أنهما كسرا تاء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) في (ج): (وخفضوا).

(٨) انظر: المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢١٤)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢١٢).

وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وابن[1] السَّمَيْفع: «وعابد» بألف، مكسورة الباء مفتوحة الدَّال، مع كسر تاء «الطَّاغوتِ».

وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثَّاب: «وعُبُدَ» برفع العين والباء وفتح الدَّال، مع كسر تاء الطَّاغوتِ.

قال الزَّجَّاج: هو جمع[2] عبيد، وعُبُد، مثل رغيف[3]، ورُغُف[4]، وسرير، وسُرُر، فالمعنى: وجعل منهم عُبُدَ الطَّاغوتِ[5].

وقرأ أبو عمران الجوني، ومورِّق العجلي، والنَّخعي: «وعُبِدَ» برفع العين، وكسر الباء مخففة[6]، وفتح الدَّال مع ضم تاء «الطاغوتُ».

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «وعَبَّدَ» بفتح العين والدَّال وتشديد الباء، مع نصب تاء «الطاغوتَ».

وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو نهيك: «وعَبْدَ» بفتح العين والدَّال، وسكون الباء خفيفة مع كسر تاء «الطَّاغوتِ».

---

(١) ليست في (م).

(٢) في الأصل، و(ت)، و(ج): (جميع)، والمثبت من معاني القرآن وإعرابه.

(٣) في (ر): (ورغيف) بدلاً من قوله: (مثل رغيف).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٨).

(٦) ليست في (ر).

وقرأ قتادة، وهذيل بن شرحبيل: «وعَبَدَة» بفتح العين والباء والدَّال[١] وتاء[٢] في اللفظ منصوبة بعد الدَّال، «الطَّواغيت»[٣] بألف وواو وياء بعد الغين على الجمع.

وقرأ الضَّحَّاك، وعمرو بن دينار: «وعُبَدَ» برفع العين وفتح الباء والدَّال مع تخفيف الباء، وكسر تاء «الطَّاغوتِ». [٢٠٣/ب]

وقرأ سعيد بن جُبَيْر، والشَّعبي: «وعَبْدَة» مثل حمزة، إلا أنهما رفعا تاء «الطَّاغوتُ».

وقرأ يحيى بن يعمر، والجحدري: «وعَبُدُ» بفتح العين ورفع الباء والدَّال مع كسر تاء «الطَّاغوتِ».

وقرأ أبو الأشهب العطاردي: «وعُبْدَ» برفع العين وتسكين الباء ونصب الدَّال، مع كسر تاء «الطَّاغوتِ».

وقرأ أبو السَّمَّال: «وعَبَدَةُ» بفتح العين والباء والدَّال وتاء في اللفظ بعد الدَّال[٤] مرفوعة مع كسر تاء «الطَّاغوتِ»[٥].

وقرأ معاذ القارئ: «وعابدُ» مثل قراءة أبي هريرة إلا أنه ضمَّ الدَّال.

---

(١) ليست في (ت).

(٢) في (م): (وبهاء)، وفي (ر): (وبتاء).

(٣) في (ج): (طواغيت).

(٤) قوله: (وتاء في اللفظ بعد الدَّال)، ليس في (ر).

(٥) انظر: الكامل في القراءات العشر والزائدة عليها (١/ ٥٣٥).

وقرأ أبو حيوة: «وعُبَّادَ» بتشديد الباء وبألف بعدها مع رفع العين، وفتح الدَّال، [«الطَّاغوتِ» خفض][(١)].

وقرأ ابن[(٢)] حَذْلَم، وعمرو بن فائد[(٣)]: «وعَبَّادُ»[(٤)] مثل أبي حيوة إلا أن العين [مفتوحة][(٥)]، والدَّال مضمومة[(٦)].

وقد سبق ذكر «الطَّاغوت» في «سورة البقرة».

وفي المراد به هاهنا قولان:

أحدهما: الأصنام.

والثَّاني: الشَّيطان[(٧)].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانٗا﴾.

أي: هؤلاء الذين وصفناهم شرٌّ مكانًا من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين[(٨)] قالوا للمؤمنين: لا نعرف شرًّا منكم، فقيل: من كان[(٩)] بهذه الصِّفة، فهو شرٌّ منهم.

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) في (ج): (أبو).

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ر): (قايد).

(٤) ليست في (م).

(٥) زيادة من (ج)، و(م)، و(ر).

(٦) قوله: (والدَّال مضمومة)، ليس في (م).

(٧) في (ج): (الشَّياطين).

(٨) في (ج)، و(م): (حيث).

(٩) ليست في (ج).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائـدة: ٦١].

قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا[1]﴾.

قـال قتـادة: هـؤلاء نـاسٌ مـن اليهـود كانـوا يدخلـون عـلى رسـول الله ﷺ، فيخبرونـه أنهـم مؤمنـون بـما جـاء بـه[2]، وهـم متمسِّـكون بضلالتهـم[3].

قولـه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ أي: دخلـوا كافريـن، وخرجـوا كافريـن، فالكفـر معهـم في حالتيهـم، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ مـن الكفـر والنِّفـاق.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المائـدة: ٦٢].

قولـه: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ[4]﴾ يعنـي: اليهـود ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ أي: يبـادرون ﴿فِي ٱلْإِثْمِ﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: المعاصي، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: الكفر، قاله السُّدِّي.

---

(١) قوله: (قَالُوٓاْ ءَامَنَّا)، ليس في (ج).

(٢) قوله: (بما جاء به)، ليس في (ج).

(٣) رواه ابـن جريـر الطَّـبري (٨/ ٥٤٧)، وابـن أبي حاتـم (٦٥٦٤)، في تفسـيرهما مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه، وعـزاه السـيوطي في الـدُّر المنثـور (٣/ ١٠١) لعبـد بـن حميـد، وابـن المنـذر.

(٤) قوله: (منهم)، ليس في (ج).

فأما «العدوان» فهو الظُّلم.

وفي «السُّحت» ثلاثة أقوال:

أحدها: الرِّشوة في الحكم.

والثَّاني: الرِّشوة في[١] الدِّين.

والثَّالث: الرِّبا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾ [المائدة: ٦٣].

قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ[٢]﴾.

﴿لَوْلَا﴾ بمعنى: «هلَّا».

و﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ مذكورون في «آل عمران»[٣].

﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ قد تقدَّم ذكرهم في هذه السُّورة.

وهذه الآية من أشدِّ الآيات على تاركي الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، لأن الله تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذَّمِّ.

قال ابن عبَّاسٍ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدَّ تَوْبِيخًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ[٤].

---

(١) قوله: (الحكم. والثاني: الرشوة في)، ليس في (ر).

(٢) من (ج).

(٣) قوله: (في آل عمران)، ليس في (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٥١) من طريق خالد بن دينار، به. وعزاه السيوطي في الدُّر المنثور (٣/ ١١٢) لأبي الشيخ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

قال أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ: نزلت في فنحاص اليهوديِّ وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة[١].

وقال مقاتل: فنحاص وابن صلوبا، وعازر بن أبي عازر[٢]. [٢٠٤/أ]

وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرِّزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمَّد ﷺ وكفروا به، كفَّ عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عكرمة.

والثَّاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمَّة، فقالوا: إن الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، قاله قتادة.

والثَّالث: أن النَّصارى لَمَّا أعانوا بختنصر المجوسيَّ على تخريب بيت المقدس، قالت[٣] اليهود: لو كان الله صحيحًا لمنعنا منه، فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضًا.

---

(١) ذكره ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٦/ ٢٧٨) عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ، بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

(٣) في (ت): (قالوا).

و«المغلولة»: الممسكة المنقبضة.

وبماذا عَنوا أنها ممسكة، فيه قولان:

أحدهما: عن العطاء. قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة، والفرَّاء[١]، وابن قُتَيْبة[٢]، والزَّجَّاج[٣].

والثَّاني: ممسكة من عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلَّة القسم بقدر عبادتنا العجل، قاله الحسن.

وفي قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: غلَّت في جهنَّم، قاله الحسن.

والثَّاني: أُمسكت[٤] عن الخير، قاله مقاتل[٥].

والثَّالث: جُعِلوا بُخلاء، فهم أبخل قوم، قاله الزَّجَّاج[٦].

قال ابن الأنباريِّ: وهذا خبر أخبر الله تعالى به الخلق أن هذا قد نزل بهم، وموضعه نصب على معنى[٧] الحال. تقديره: قالت اليهود هذا في حال حكم الله بغلِّ أيديهم، ولعنته إياهم، ويجوز أن يكون المعنى:

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٩).

(٤) في (ج): (مُسكت).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٠).

(٧) ليست في (ر).

فغلَّت أيديهم، ويجوز أن يكون دعاء، معناه: تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم، كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد:١] وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ[١]﴾ [الفتح:٢٧].

وفي قوله: ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أُبعدوا من رحمة الله تعالى.

والثَّاني: عذِّبوا في الدُّنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنَّار.

والثَّالث: مُسخوا قردة وخنازير.

وروى ابن عبَّاسٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ لِلَّعْنَةِ [لَهُ][٢] أَهْلاً، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَى الْيَهُودِ بِلَعْنَةِ اللهِ إِيَّاهُمْ»[٣].

قال الزَّجَّاج: وقد ذهب قومٌ إلى أن معنى[٤] ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾: نعمته، وهذا خطأ[٥] ينقضه ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فيكون المعنى على قولهم: نعمتاه، ونعم الله أكبر[٦] من أن تُحصى[٧].

---

(١) في (م): (مؤمنين).

(٢) من (م).

(٣) رواه الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٠٦) من طريق نوح بن أبي مريم، عن الكلبي، عن أبي صالح، به، بنحوه، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي، متروك الحديث.
ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٨٢٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء قال: سمعت الكلبي فذكره، من قوله. والكلبي متروك.

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ت)، و(ر): (خطاب).

(٦) في (ج)، و(ر): (أكثر).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٩).

والمراد بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أنه جواد ينفق كيف يشاء، وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنباريِّ.

قال ابن عبَّاسٍ: إن شاء وسَّع[١] في الرِّزق، وإن شاء قتَّر.

قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

قال الزَّجَّاج: كلما نزل عليك شيء كفروا به، فيزيد كفرهم[٢].

و«الطُّغيان» هاهنا: الغلوُّ في الكفر. [٢٠٤/ب]

وقال مقاتل: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾ بني النَّضير ﴿مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ[٣]﴾ من أمر الرَّجم والدِّماء ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[٤].

قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.

فيمن عني بهذا قولان:

أحدهما: اليهود والنَّصارى، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، ومقاتل.

فإن قيل: أين ذكر النَّصارى؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١].

والثَّاني: أنهم اليهود، قاله قتادة.

---

(١) في (ج): (أوسع).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٠).

(٣) قوله: (من ربك)، ليس في (ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾.

ذِكْر إِيقاد النَّار مَثَلٌ ضُربَ لاجتهادهم في المحاربة.

وقيل: إن[١] الأصل في استعارة اسم النَّار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أُخرى أوقدت النَّار على رؤوس الجبال، والمواضع المرتفعة، ليُعلم استعدادهم للحرب، فيتأهَّب من يريد إِعانتهم.

وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجدِّ في حربهم، أوقدوا نارًا، وتحالفوا.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: كلما جمعوا لحرب النَّبيِّ ﷺ فرَّقهم الله.

والثَّاني: كلما مكروا مكرًا ردَّه الله تعالى.

قوله: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عبَّاسٍ، ومقاتل.

والثَّاني: بمحو[٢] ذكر النَّبيِّ ﷺ من كتبهم، ودفع الإِسلام، قاله الزَّجَّاج[٣].

والثَّالث: بالكفر.

والرَّابع: بالظُّلم، ذكرهما الماورديُّ.

---

(١) في (ت)، و(ر): (بأن).

(٢) في (ت)، و(ر): (بمجرد).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ [المائدة: ٦٥].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود والنَّصارى ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله وبرسوله[1] ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّرك ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي سلفت.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: عملوا بما فيها[2].

وفيما أُنزل إليهم من ربِّهم قولان:

أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل.

والثَّاني: القرآن، لأنهم لما خوطبوا به، كان نازلًا إليهم.

قوله: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لأكلوا بقطر السَّماء، ونبات الأرض، وهذا قول ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وقتادة.

---

(١) في (ج)، و(م): (ورسوله).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٠٨).

والثَّاني: أن المعنى: لوسَّع عليهم، كما يُقال: فلان في خير من قرنه إلى قدمه، ذكره الفرَّاء(١)، والزَّجَّاج(٢).

وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التَّقوى سبب في توسعة الرِّزق كما قال(٣): ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦] وقال: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣].

قوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ يعني: من أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد.

وقال القرظي: هم الذين قالوا: المسيح عبد الله ورسوله.

و«الاقتصاد»: الاعتدال في القول والعمل من غير غلوٍّ(٤) ولا تقصير.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾. [٢٠٥/أ]

ذكر المفسِّرون أن هذه الآية نزلت على أسباب:

روى الحسن أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَمَّا بَعَثَنِي اللهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِي ضِقْتُ بِهَا ذَرْعًا وَعَرَفْتُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُكَذِّبُنِي**». وكان رسول الله ﷺ يهاب

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩١).

(٣) في (ت): (يقال).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (علوٍّ).

قُرَيْشًا وَالْيَهُودَ وَالنَّصارى، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال مجاهد: لَمَّا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «يَا رَبِّ، كَيْفَ أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا وَحْدِي يَجْتَمِعُ عَلَيَّ النَّاسُ»، فأنزل الله: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

وقال مقاتل: لما[٣] دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحُرِّض بهذه الآية[٤].

وقال ابن عبَّاسٍ: كان رَسُولُ الله ﷺ يُحرَسُ فيرسل معه أبو طالب كلَّ يوم رجالًا من بني هاشم يحرسونه؛ حتى نزلت عليه هذه الآية، فقال: «يَا[٥] عَمَّاهُ إِنَّ اللهَ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ»[٦].

وقال أبو هريرة: نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُنِي مِنْكَ[٧]؟

---

(١) رواه أبو الشيخ كما في الدُّر المنثور (٣/ ١١٦) مرسلًا، وأورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم (٦٦١٣) في تفسيرهما.

(٣) في (ج): (لما نزلت).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٢).

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه الواحدي في أسباب النزول (٢/ ٢٠٩) من طريق محمد بن العلاء، عن عبد الحميد الحماني، عن النضر بن عبد الرحمن أبي عمر الخزاز، عن عكرمة، به، بنحوه. والنضر بن عبد الرحمن الخزاز، ضعيف الحديث. انظر: الميزان؛ للذهبي (٤/ ٢٦٠).

(٧) هكذا في الأصل، وجميع النُّسخ: (من يمنعني منك؟).

فقال: «اللهُ»، فنزل قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١).

وقالت عائشة: سهر رَسُولُ الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: ما شأنك؟ قال: «أَلَا رَجُلٌ صَالِحٌ يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» فبينما نحن في ذلك إذ سمعت صوت السِّلاح، فقال: «مَنْ هَذَا؟» فقال: سعد وحذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه، فنزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبَّة أدم، وقال: «انْصَرِفُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ تَعَالَى»(٢).

قال الزَّجَّاج: قوله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ معناه: بلِّغ جميع ما أُنزل إليك، ولا تراقبنَّ أحدًا، ولا تتركنَّ شيئًا منه مخافة أن ينالك مكروه، فإن تركت منه شيئًا، فما بلَّغت(٣).

---

(١) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٣١٣)، وابن أبي شيبة كما في فتح الباري (٦/ ٩٨)، وابن حبان كما في الموارد (١٧٣٩)، وابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٥) من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، به، بنحوه، وإسناده حسن. ويشهد له ما في صحيح البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣) من حديث جابر ﷺ، بلفظ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي».

(٢) بهذا السياق أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٢)، ورواه أحمد (١٨/ ٤٢)، ومسلم في صحيحه (٢٤١٠)، والتِّرمذي (٣٧٥٦)، والنَّسائي في الكبرى (٨١٦٠) إلى قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ.
وليس فيه ذكر حذيفة ﷺ، وله طرق وألفاظ أخرى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، انظر: الدُّر المنثور (٣/ ١١٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٢).

قال ابن قُتَيْبة: يدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾[١].

وقال ابن عبَّاسٍ: إن كتمت آيةً فما بلَّغت رسالتي[٢].

وقال غيره: المعنى: بلِّغ جميع ما أُنزل إليك جهرًا، فإن أخفيت شيئًا منه لخوف أذىً يلحقك، فكأنك ما بلَّغت شيئًا.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي: «رِسالَتَهُ» على التَّوحيد.

وقرأ نافع «رِسَالَاتِه» على الجمع[٣].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

قال ابن قُتَيْبة[٤]: أي يمنعك منهم.

و«عصمةُ الله»: مَنْعُهُ العبدَ من المعاصي، ويُقال: طعام لا يَعصِمُ، أي: لا يَمنعُ من الجوع[٥].

فإن قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسِرت رَباعيته، وبُولِغَ في أذاه؟ [٢٠٥/ب]

---

(١) انظر: المسائل والأجوبة (١/ ٢٢٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم (٦٦١٢) في تفسيرهما، من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ.

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٦)، والحجَّة (١/ ١٣٣)، والمبسوط (١/ ١٨٦).

قال أبو علي: فالحجة لمن وحَّد: أنه جعل الخطاب للرَّسول ﷺ، والحجَّة لمن جمع: أنه جعل كل وحي رسالة. اهـ

(٤) قوله: (قال ابن قتيبة)، ليس في (ج).

(٥) انظر: غريب القرآن؛ لابن قُتَيْبة (١/ ١٤٥).

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسرِ وتلفِ الجملة، فأمَّا عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة[(١)].

والثَّاني: أن هذه الآية نزلت بعد ما جرى عليه ذلك، لأن «المائدة» من[(٢)] أواخر ما نزل[(٣)].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا يهديهم إلى الجنَّة.

والثَّاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ اليهود قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ألست تؤمن بما عندنا من التَّوراة، وتشهد أنها حقٌّ؟ قال: «**بَلَى، وَلَكِنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ وَجَحَدْتُمْ مَا فِيهَا، فَأَنَا**

---

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): (في).

(٣) في (ر): (من أواخر مائدة ما نزل)!.

بَرِيءٌ مِنْ أَحْدَاثِكُمْ». فقالوا: نحن على الهدى، ونأخذ بما في أيدينا، ولا نؤمن بك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاسٍ[1].

فأما ﴿يَٰٓأَهۡلَ[2] ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فالمراد بهم اليهود والنَّصارى.

وقوله: ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ أي: لستم على شيء من الدِّين الحقِّ[3] حتى تقيموا[4] التَّوراة والإنجيل، وإقامتها: العمل بما فيها، ومن ذلك الإيمان بمحمَّد ﷺ.

وفي الذي أُنزل إليهم من ربِّهم قولان قد سبقا، وكذلك باقي الآية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ [المائدة: ٦٩].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾.

قد ذكرنا تفسيرها في «البقرة»، وكذلك اختلفوا في إحكامها ونسخها كما بيَّنا هناك.

فأما رفع «الصَّابئين» فذكر الزَّجَّاج عن البصريِّين، منهم الخليل، وسيبويه أن قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ محمول على التَّأخير، ومرفوع بالابتداء.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٧٢) من طريق عكرمة، أو سعيد بن جُبَيْر، به، وفيه قصة.

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ر): (أهل).

(٣) في (ج): (والحقِّ).

(٤) في (ت)، و(ر): (يقيموا).

والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والصَّابئون والنَّصارى كذلك أيضًا[١].

وأنشدوا[٢][من الوافر]:

وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

المعنى: فاعلموا[٣] أنا بُغاة ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضًا كذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾ [المائدة: ٧٠].

قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

قال مقاتل: أخذ ميثاقهم في التَّوراة بأن يعملوا بما فيها[٤].

قال ابن عبَّاسٍ: كان فيمن كُذِّبُوا: محمد وعيسى، وفيمن قُتِلوا: زكريا ويحيى[٥] صلوات الله عليهم.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٢).

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه (ص: ١٦٥)، والإنصاف (١/ ١٩٠)، وتخليص الشواهد(ص:٣٧٣)، وخزانة الأدب(١٠/ ٢٩٣-٢٩٧)، وشرح أبيات سيبويه(٢/ ١٤).

(٣) من قوله: (أنَّا وأنتم بغاة)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٢).

(٥) انظر: المصدر السابق.

قال الزَّجَّاج: فأما التَّكذيب، فاليهود والنَّصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختصُّ[(١)] اليهود[(٢)(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة: ٧١].

قوله: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿تَكُونَ﴾ بالنصب.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي: «تكُونُ» بالرفع.

ولم يختلفوا في رفع «فتْنَةٌ»[(٤)].

قال[(٥)] مَكِّي بن أبي طالب: من رفع جعل «أن» مخففة من الثقيلة، فأضمر[(٦)] معها «الهاء»، وجعل «حسبوا» بمعنى: أيقنوا، لأن «أن» للتَّأكيد، والتَّأكيد لا يجوز إلا مع اليقين. والتَّقدير: أنه لا يكون فتنة. ومن نصب جعل «أن» هي النَّاصبة للفعل، وجعل «حسبوا» بمعنى: ظنُّوا. ولو كان [٢٠٦/أ] قبل «أن» فعلٌ لا يصلح للشَّكِّ، لم يجز أن تكون إلَّا مخفَّفة من الثَّقيلة، ولم يجز نصب الفعل بها، كقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ﴾ [طه:٨٩]، و﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل:٢٠][(٧)].

(١) في (ت)، و(ر): (فتختص).

(٢) في (م): (باليهود).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٤).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧)، والحجَّة (٣/ ٢٤٦)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

(٦) في (ت)، و(م)، و(ر): (وأضمر).

(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٣٣).

وقال أبو عليٍّ: الأفعال ثلاثة:

فعلٌ يدلُّ على ثبات الشَّيء واستقراره، نحو العلم والتيقُّن.

وفعلٌ يدلُّ على خلاف الثَّبات والاستقرار.

وفعلٌ يجذب إلى هذا مرَّة، وإلى هذا أُخرى.

فما كان معناه العلم، وقعت بعده «أن» الثَّقيلة، لأن معناها ثبوت الشيء واستقراره، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤].

وما كان على غير وجه الثَّبات والاستقرار نحو: أطمع وأخاف وأرجو، وقعت بعده «أن» الخفيفة، كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ[1]﴾[البقرة:٢٢٩]، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ[2]﴾ [الأنفال:٢٦]، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف:٨٠] ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى﴾ [الشعراء:٨٢].

وما كان متردِّدًا بين الحالين مثل: حسبتُ وظننتُ، فإنه يُجعلُ تارةً بمنزلة العلم، وتارةً بمنزلة[3] أرجو وأطمع، وكلتا القراءتين في ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قد جاء بها التَّنزيل.

---

(١) قوله: (حدود الله)، ليس في (م)، و(ر).

(٢) من (ج).

(٣) ليست في (ر).

فمثل مذهب من نصب: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ [الجاثية:٢١]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾(١) [العنكبوت:٤]، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ [العنكبوت:٢].

ومثلُ مذهب مَنْ رفع: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم﴾ [المؤمنون:٥٥]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ(٢)﴾ [الزخرف:٨٠](٣).

قال ابن عبَّاسٍ: ظنُّوا أن الله لا يعذِّبهم، ولا يبتليهم بقتلهم(٤) الأنبياء، وتكذيبهم الرُّسل(٥).

قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا(٦) مثل تأويله: أنهم لم يعملوا بما سمعوا ورأوا من الآيات، فصاروا كالعُمْي الصُّمِّ(٧)(٨).

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

---

(١) في (ر) تقدَّمت هذه الآية على التي قبلها.

(٢) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٤٦-٢٤٩).

(٤) سقطت من (ت)، و(ر).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢١١).

(٦) ليست في (ت)، و(ر).

(٧) في (ج): (والصُّمّ).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

فيه قولان:

أحدهما: رفع عنهم البلاء، قاله مقاتل(١).

وقال غيره: هو(٢) ظفرهم بالأعداء، وذلك مذكور في قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الإسراء: ٦].

والثَّاني: أن معنى «تاب عليهم»: أرسل إليهم محمدًا ﷺ يعلِّمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدَّقوا، قاله(٣) الزَّجَّاج(٤).

وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ قولان:

أحدهما: لم يتوبوا بعد رفع البلاء، قاله مقاتل(٥).

والثَّاني: لم يؤمنوا بعد بعثة محمد ﷺ، قاله الزَّجَّاج(٦).

قوله: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: عمي وصمَّ كثيرٌ منهم، كما تقول: جاءني قومُك أكثرُهم(٧).

قال ابن الأنباريِّ: هذه الآية(٨) نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت)، و(ر): (قال).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٤).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

(٧) في (ت)، و(ر): (أكثر منهم)!.

(٨) ليست في (ج).

أن يبعث رسول الله ﷺ، فلما بعث كذَّبوه بغيًا وحسدًا، وقدَّروا أن [هذا الفعل][1] لا يكون مُوبقًا لهم، وجانيًا عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: ظنُّوا ألَّا يقع بهم[2] فتنة في الإصرار على الكفر، فعموا وصمُّوا بمجانبة الحقِّ. ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: عرَّضهم للتَّوبة بأن أرسل محمَّدًا ﷺ وإن لم يتوبوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ بعد بيان الحقِّ بمحمدٍ، [٢٠٦/ب] ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ فخصَّ بعضهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلُّهم على خلاف رسول الله ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

قوله: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾.

قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، قالوا ذلك[3].

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المسيح قال لهم وهو بين أظهرهم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾.

قال مجاهد: هم النَّصارى[(١)].

قال وهب بن منبِّه: لما وُلد عيسى لم يبق صنمٌ إلا خرَّ لوجهه، فاجتمعت الشَّياطين إلى إبليس، فأخبروه، فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي[(٢)] وُلد من غير ذكر، أردت أن أنظر إليه، فوجدت الملائكة [و][(٣)]قد حفَّت بأمِّه، فليتخلَّف عندي اثنان من مردتكم، فلما أصبح خرج بهما في صورة الرِّجال، فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدَّثون بأمر عيسى، ويقولون: مولود من غير أبٍ. فقال إبليس: ما هذا ببشر، ولكنَّ الله أحبَّ أن يتمثَّل في امرأةٍ ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أحبَّ[(٤)] أن يتَّخذ ولدًا. وقال الثَّالث: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أراد أن يجعل إلهًا في الأرض، فألقوا هذا الكلام على ألسنة النَّاس، ثم تفرَّقوا، فتكلَّم به النَّاس[(٥)].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨١)، وابن حاتم (٦٦٤٤) في تفسيرهما.

(٢) ليست في (ر).

(٣) من (ج).

(٤) في (ج): (أراد).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٥/ ٣٤٢)، وابن المنذر (٣٨٧) في تفسيرهما بلفظ مختصر.

وقال محمد بن كعب: لمَّا رُفِع عيسى ﷺ اجتمع مائة من علماء بني إسرائيل، وانتخبوا منهم أربعة:

فقال أحدهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما بدا له، ثم صَعِد إلى السَّماء، لأنه لا يحيي الموتى ولا يبرئ الأكمه والأبرص إلا الله.

وقال الثَّاني: ليس كذلك، لأنَّا قد عرفنا عيسى، وعرفنا أُمَّه، ولكنَّه ابن الله.

وقال الثَّالث: لا أقول كما قلتما، ولكن جاءت به أُمُّه من عمل غير صالح[1].

فقال الرَّابع: لقد قلتم قولاً قبيحًا، ولكنه عبد الله، ورسوله، وكلمته[2]، فخرجوا، فاتَّبع كلَّ رجل منهم[3] عُنُقٌ من النَّاس[4].

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: أن النَّصارى قالت: الإلهيَّة مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكلٌّ[5] واحد منهم إلهٌ. وفي الآية إضمار، فالمعنى: ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، لأنه لا يكفر من قال: هو ثالث ثلاثة[6]، ولم يرد الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا وهو ثالثهما، وقد دلَّ على المحذوف قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

---

(١) في (م): (من غير عمل صالح).

(٢) في (ت)، و(ر): (وكلمته، ورسوله).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه بمعناه ابن المنذر في تفسيره كما في الدُّر المنثور (٣/ ١٢٢).

(٥) في (ت)، و(ر): (فكلٌّ).

(٦) من قوله: (آلهة، فحذف ذكر الآلهة)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

قال الزَّجَّاج: ومعنى ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾: أنه أحد ثلاثة[(١)(٢)].

ودخلت «من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ للتَّوكيد.

و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ هم المقيمون على[(٣)] هذا القول. [٢٠٧/أ]

وقال ابن جرير: المعنى: ليَمسَّنَّ الذين [كفروا][(٤)] يقولون: المسيح هو الله، والذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكل كافر [قد][(٥)] يسلك سبيلهم، عذاب أليم[(٦)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤].

قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾.

قال الفرَّاء: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ[(٧)]﴾ [المائدة: ٩١][(٨)].

---

(١) قوله: (أنه أحد ثلاثة)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٦).

(٣) سقطت من (ج).

(٤) زيادة من (ج)، و(م).

(٥) زيادة من (ر).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨٠).

(٧) في (ج): (مسلمون).

(٨) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥].

قوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾.

فيه ردٌّ على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النَّصارى في ادِّعائهم إلهيَّته.

والمعنى: أنه[١] ليس بإلهٍ، وإنما حكمُه حكم من سبقه من الرُّسل.

وفي قوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ ردٌّ على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة.

قال الزَّجَّاج: و«الْصِدِّيقَةُ»: المبالغة في الصِّدق، وصِدِّيق «فِعِّيل» من أبنية المبالغة، كما تقول: فلانٌ سِكِّيت، أي: مبالغ في السُّكوت[٢].

وفي قوله: ﴿كَانَا [٣]يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه بيَّن أنهما يعيشان بالغذاء، ومن لا يُقيمه إلا أكلُ الطَّعام فليس بإلهٍ، قاله الزَّجَّاج[٤].

والثَّاني: أنه نبَّه بأكل الطَّعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لآكل الطَّعام من الحدث، قاله ابن قُتَيْبة[٥].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٦ـ ١٩٧).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٦ـ ١٢٧).

قال: وقوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ من ألطف ما يكون من الكناية(١).

و﴿يُؤۡفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقِّ ويُعدَلون، يقال: أُفِك الرَّجل عن كذا: إذا عُدِل [به](٢) عنه، وأرض مأفوكة: محرومة المطر والنَّبات، كأنَّ ذلك صُرِف عنها وعُدل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة: ٧٦].

قوله: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

قال مقاتل: قل لنصارى نجران: أتعبدون من دون الله، يعني عيسى [ابن مريم](٣)، ما لا(٤) يملك لكم ضرًّا في الدُّنيا، ولا نفعًا في الآخرة(٥)(٦).

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم: «المسيح ابن الله»، و«ثالث ثلاثة»، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بمقالتهم.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) من (ت)، و(ر).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٤) في (ر): (ولا) بدلاً من: (ما لا).

(٥) قوله: (في الآخرة)، ليس في (ت)، و(ر).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٥).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائـدة: ٧٧].

قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال مقاتل: هم نصارى نجران(١).

والمعنى: لا تغلوا في دينكم، فتقولوا [على الله](٢) غير الحقِّ في عيسى.

وقد بيَّنا معنى «الغُلُوِّ» في آخر سورة «النِّساء».

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾.

قال أبو سليمان الدِّمشقي(٣): من قبل أن يضِلُّوا(٤).

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم رؤساء الضَّلالَةِ من اليهود(٥).

والثَّاني: رؤساء اليهود والنَّصارى، والآية خطاب للذين كانوا في عصر نبيِّنا ﷺ نُهوا أن يتَّبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٦).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٤) في (ت)، و(ر): (تضلوا).

(٥) في (م): (رؤساء اليهود من الضَّلالة).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائـدة: ٧٨].

قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

في لعنهم قولان:

أحدهما: أنه نفس اللَّعن، ومعناه المباعدة من الرَّحمة.

قـال ابـن عبَّاسٍ: لُعنـوا عـلى لسـان داود، فصـاروا قـردة، ولعنـوا[1] عـلى لسـان عيسـى في الإنجيـل[2].

قـال الزَّجَّـاج: وجائـز أن يكـون داود وعيسـى أُعْلِمَا أن محمدًا نبـيٌّ، ولعنا من كفر بـه[3]. [٢٠٧/ ب]

والثَّاني: أنـه المسـخ، قالـه مجاهـد، لعنـوا عـلى لسـان داود؛ فصـاروا قردة، وعلى لسـان عيسـى؛ فصـاروا خنازيـر[4].

وقـال الحسـن، وقتـادة: لعـن أصحـاب السَّـبت عـلى لسـان داود، فإنهـم لمـا اعتـدوا، قـال داود: اللَّهـم العنهـم، واجعلهـم آيـةً، فمُسـخوا قـردة.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه بنحـو هـذا اللفـظ: ابـن جريـر الطَّـبري (٨/ ٥٨٨)، وابـن أبي حاتـم (٦٦٦٤) في تفسـيرهما، مـن قـول أبي مالـك الغفـاري.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٨).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم (٦٦٦٤) في تفسيرهما.

ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السَّبت، فجُعلوا خنازير(١).

[قوله تعالى](٢): ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ أي: ذلك اللَّعن بمعصيتهم لله تعالى في مخالفتهم أمره [ونهيه](٣)، وباعتدائهم في مجاوزة ما حدَّه لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩].

قوله: ﴿كَانُوا(٤) لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.

التَّناهي: تفاعل من النَّهي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عن المنكر.

وذكر المفسِّرون في هذا المنكر ثلاثة أقوال:

أحدها: صيدُ السَّمك يوم السَّبت.

والثَّاني: أخذ الرِّشوة في الحُكْم.

والثَّالث: أكل الرِّبا، وأثمان الشُّحوم.

وذِكْر المنكر منكَّرًا يدلُّ على الإطلاق، ويمنع هذا الحصر، ويدلُّ على ما قلنا: ما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا رَأَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ نَهَاهُ عَنْهُ تَعْذِيرًا، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا**

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٨٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وانظر: التَّفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢١٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ر)، وفي (ج)، و(م): (قوله).

(٣) زيادة من (ج).

(٤) ليست في (ج).

رَأى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ[١] وَخَلِيطَهُ وَشَرِيكَهُ[٢]، فَلَمَّا رَأى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ بِقُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»[٣].

قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: اللام دخلت للقسم والتَّوكيد، والمعنى: لبئس شيئًا فعلهم[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

قوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾.

في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم المنافِقُون، روي عن ابن عبَّاسٍ، والحسن، ومجاهد.

والثَّاني: أنهم اليهود، قاله مقاتل في آخرين[٥].

---

(١) في (ت)، و(ر): (وكيله).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (وشريبه).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٦١) في تفسيرهما، وأبو يعلى في مسنده (٥٠٣٥) من طريق أبي عبيدة، به، بنحوه.
وهو عند أحمد (٦/ ٢٥٠)، والتِّرمذي (٣٠٤٧)، وابن ماجه (٤٠٠٦) بلفظ مقارب.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٩).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٩).

فعلى هذا القول انتظام الآيات ظاهر، وعلى الأول يرجع الكلام إلى قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة:٥٢].

وفي الذين كفروا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله أرباب القول الأوَّل.

والثَّاني: أنهم مشركو العرب، قاله أرباب [هذا][(١)] القول الثَّاني.

قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: بئسما قدَّموا لمعادهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون[(٢)] «أن»[(٣)] في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل: هو أن سخط الله عليهم[(٤)(٥)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

---

(١) من (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (تكون).

(٣) ليست في (م).

(٤) من قوله: (قال الزَّجَّاج)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٩).

قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾.

قال المفسِّرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلَّق بها في النَّجاشي وأصحابه.

قال سعيد بن جُبَيْر: بعث النَّجاشيُّ قومًا إلى رسول الله ﷺ، فأسلموا، فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها، وسنذكر قصَّتهم فيما بعد[1]. [٢٠٨/أ]

قال الزَّجَّاج: واللام في[2] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ لام القسم، والنُّون دَخَلَتْ تَفْصِلُ بينَ الحال والاسْتِقْبَالِ، و﴿عَدَٰوَةً﴾ منصوب على التَّمييز، واليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدًا للنبيِّ ﷺ[3].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ يعني: عبدة الأوثان.

فأما ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ فهل هذا عامٌّ في كلِّ النَّصارى أم خاصٌّ؟[4]

فيه قولان:

أحدهما: أنه خاصٌّ.

ثم فيه قولان[5]:

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٩٤) من طريق عبد الواحد بن زياد، عن خصيف، به، بنحوه.

(٢) سقطت من (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٩).

(٤) قوله: (فهل هذا عامٌّ في كلِّ النَّصارى أم خاصٌّ؟)، ليس في (م).

(٥) قوله: (أحدهما: أنه خاص)...إلى هنا، ليس في (م).

أحدهما: أنه أراد النَّجاشيَّ وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عبَّاس، وابن جُبَيْر.

والثَّاني: أنهم قوم من النَّصارى كانوا متمسِّكين بشريعة عيسى، فلما جاء محمد ﷺ؛ أسلموا، قاله قتادة.

والقول الثَّاني: أنه عامٌّ.

قال الزَّجَّاج[1]: يجوز أن يراد به النَّصارى لأنهم كانوا أقلَّ مظاهرةً للمشركين من اليهود[2].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾.

قال الزَّجَّاج: «القُسُّ» و«القِسِّيس»[3] من رؤَساءِ النَّصارى[4].

وقال قطرب: القِسِّيس: العالم بلغة الرُّوم[5].

فأما «الرُّهبان»: فهم العبَّاد أرباب الصَّوامع.

قال ابن فارس[6]: التَّرَهُّبُ: التَّعبُّد[7].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٠٠).

(٣) في (ت)، والمطبوع من كتاب معاني القرآن؛ للزَّجَّاج: (والقِيس).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٢١٧).

(٦) في (ج): (قال ابن عبَّاس)!.

(٧) انظر: مقاييس اللُّغة (٢/ ٤٤٧).

فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسِّيسين ورهبانًا وليس ذلك من أمرِ شريعتنا؟

فالجواب: أنه مدحهم بالتَّمسُّك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرَّهبانيَّة مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ.

قال القاضي أبو يعلى: وربما ظنَّ جاهلٌ في أن هذه الآية مدحًا للنَّصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح مَن آمن منهم، ويدلُّ عليه ما بعد ذلك، ولا شكَّ أن مقالة النَّصارى أقبح من مقالة اليهود.

قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبَّرون عن اتِّباع الحقِّ.

قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لمَّا حضر أصحاب الرَّسول ﷺ بين يدي النَّجاشي، وقرءوا القرآن، سمع ذلك القِسِّيسون والرُّهبان، فانحدرت دموعهم ممَّا عرفوا من الحقِّ، فقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا[(١)]﴾ إلى قوله: ﴿الشَّاهِدِينَ﴾[(٢)].

وقال سعيد بن جُبَيْر: بعث النَّجاشي من خيار أصحابه ثلاثين رجلًا إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فبكوا ورقُّوا [له][(٣)]، وقالوا:

---

(١) من (ت)، و(ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٥٩٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ مطول.

(٣) من (ج).

نعرف والله، وأسلموا، وذهبوا إلى النَّجاشي فأخبروه فأسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ الآية(١).

وقال السُّدِّي: كانوا اثني عشر رجلًا سبعة من القِسِّيسين، وخمسة من الرُّهبان، فلمَّا قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، بكوا وآمنوا، فنزلت [٢٠٨/ب] هذه الآية فيهم(٢).

قوله(٣): ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: مع من يشهد بالحقِّ.

وللمفسِّرين في المراد بـ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: محمد وأُمَّته، رواه علي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: الذين يشهدون بالإيمان، قاله الحسن.

والرَّابع: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزَّجَّاج(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المائدة: ٨٤، ٨٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٠٠).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٠١).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٠).

قوله: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لامهم قومهم على الإيمان، فقالوا هذا(١).

وفي ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أصحاب رسول الله ﷺ، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: رسول الله ﷺ وأصحابه، قاله ابن زيد.

والثَّالث: المهاجرون الأوَّلون، قاله مقاتل.

قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: ثواب المؤمنين(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجالًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، منهم عثمان بن مظعون، حرَّموا اللَّحم والنِّساء على أنفسهم، وأرادوا جَبَّ أنفسهم ليتفرَّغوا للعبادة، فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ»، ونزلت هذه الآية، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ(٣).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١١٨) عن جماعة من المفسِّرين.

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ١١٩).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦١١).

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[١]، قال: كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد [بن الأسود][٢]، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذرٍّ، وعمَّار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواثقوا على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» ونزلت هذه الآية[٣].

قال السُّدِّي: كان سبب عزمهم على ذلك أنَّ رسول الله ﷺ جلس يومًا، فلم يزدهم على التَّخويف، فرقَّ النَّاس، وبكوا، فعزم هؤلاء على ذلك، وحلفوا على ما عزموا عليه[٤].

وقال عكرمة: إن عليَّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد، وسالمًا[٥] مولى أبي حُذيفة في أصحابه، تبتَّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النِّساء، ولبسوا المُسُوح[٦]، وحرَّموا طيِّبات الطَّعام واللِّباس[٧]، إلا ما يأكل ويلبس أهل السِّياحة من بني إسرائيل، وهمُّوا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام اللَّيل وصيام النَّهار، فنزلت هذه الآية[٨].

(١) قوله: (وروى أبو صالح عن ابن عباس)، ليس في (م).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) انظر: الدُّر المنثور (٣/ ١٤٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٠٩) بلفظ مطول.

(٥) في (ج): (وسلمان).

(٦) المِسْحُ بِالْكَسْرِ: البِلَاسُ بِكَسْرِ الموحَّدة وتفتح، ثَوْبٌ من الشَّعرِ غليظٌ، كَذَا فِي التَّهْذِيبِ، وَالْجَمْعُ: الْمُسُوحُ انظر: تاج العروس (٧/ ١٢٢) مادة (مسح)، والمصباح المنير (٢/ ٥٧١) مادة (مسح).

(٧) في (ج): (وحرَّموا الطَّيِّبات واللِّباس).

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦١٢).

والثَّاني: أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني إذا أكلت من هذا اللَّحم، أقبلت على النِّساء، وإني حرَّمته عليَّ، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عبَّاسٍ(١).

والثَّالث: أن ضيفًا نزل بعبد الله بن رواحة، ولم يكن حاضرًا، فلما [٢٠٩/أ] جاء(٢)، قال لزوجته: هل أكل الضَّيف؟ فقالت: انتظرتك. فقال: حبست ضيفي من أجلي؟! طعامك عليَّ حرام. فقالت(٣): وهو عليَّ حرام إن لم(٤) تأكله، فقال الضَّيف: وهو عليَّ حرام إن لم(٥) تأكلوه(٦)، فلما رأى ذلك ابن رواحة قال: قرِّبي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النَّبيِّ ﷺ، فأخبره بذلك فقال(٧): «أَحْسَنْتَ». ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ رواه عبد الرَّحمن بن زيد عن أبيه(٨).

فأما «الطَّيِّبات» فهي اللَّذيذات التي تشتهيها النُّفوس ممَّا أبيح.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم (٦٦٨٧) في تفسيرهما من أبي عاصم الضَّحَّاك بن مخلد، عن عثمان بن سعيد، عن عكرمة، به، بنحوه.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (م): (فقال).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ت)، و(ر): (تأكله).

(٧) في (ت)، و(ر): (وقال).

(٨) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم (٦٦٩٢) في تفسيرهما من طريق يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد، به، بنحوه.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ خمسة أقوال:

أحدها: لا تجبُّوا أنفسكم، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وقتادة، وإِبراهيم.

والثَّاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن.

والثَّالث: لا تسيروا بغير سيرة المسلمين مِن ترك النِّساء، وإِدامة الصِّيام، والقيام، قاله عكرمة.

والرَّابع: لا تحرِّموا الحلال، قاله مقاتل[1].

والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرَّمة، ذكره الماورديُّ[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: ٨٩].

قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾.

سبب نزولها:

أنه لما نزل قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال القوم الذين كانوا حرَّموا النِّساء واللَّحم: يا رسول الله كيف نصنع بأيمانا التي حلفنا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ[3].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٩).

(٢) انظر: تفسير النُّكت والعيون (٢/ ٥٩).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦١٦).

وقد سبق ذكر «اللَّغو» في «سورة البقرة».

قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ[١]﴾ بغير ألف، مشدَّدة القاف.

قال أبو عمرو: معناها: وَكَّدتم.

وقرأ أبو بكر، والمفضَّل عن عاصم: «عقَدْتُم» خفيفة بغير ألف[٢]، واختارها[٣] أبو عبيد[٤].

قال ابن جرير[٥]: معناها: أوجبتموها على أنفسكم[٦].

وقرأ ابن عامر: «عاقدتم» بألف، مثل «عاهدتم»[٧].

قال القاضي أبو يعلى: وهذه القراءة المشدَّدة لا تحتمل إلا عقد قول[٨]، فأما المخفَّفة، فتحتمل عقد القلب، وعقد القول.

---

(١) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) من قوله: (معناها: أوجبتموها)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ج): (اختارها).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧)، والحجَّة (١/ ١٣٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٥) في (ج): (ابن جُبَير)!.

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٦).

(٧) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧)، والحجَّة (١/ ١٣٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٨) في (م): (لا تحتمل على قول).

وذكر المفسِّرون في معنى الكلام قولين:

أحدهما: ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم عليه قلوبكم(١) في التَّعمُّد لليمين، قاله مجاهد.

والثَّاني: بما عقَّدتم عليه قلوبكم أنه كذب، قاله سعيد بن جُبَيْر.

قوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ قال ابن جرير(٢): الهاء عائدةٌ على «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾(٣).

فصلٌ

فأما إِطعام المساكين:

فروي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عبَّاسٍ، والحسن في آخرين: أن لكلِّ مسكين مُدَّ بُرٍّ، وبه قال مالك، والشَّافعي.

وروي عن عمر، وعلي، وعائشة في آخرين: لكلِّ مسكين نصف صاع من بُرٍّ.

قال عمر، وعائشة: أو(٤) صاعًا من تمر. وبه قال أبو حنيفة.

[٢٠٩/ب] ومذهب أصحابنا في جميع الكفَّارات التي فيها إِطعام، مثل كفارة اليمين، والظِّهار، وفدية الأذى، والمفرِّطة في قضاء رمضان: مُدُّ بُرٍّ، أو نصف صاع تمر أو شعير.

---

(١) زاد في (م) هنا: (أنه كذب)!.

(٢) في (ج): (ابن جُبَير)!.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦١٨).

(٤) ليست في (ج).

ومِنْ شرط صحَّة الكفَّارة:

تمليك الطَّعام للفقراء، فإن غدَّاهم وعشَّاهم، لم يجزئه، وبه قال سعيد بن جُبَيْر، والحكم، والشَّافعي.

وقال الثَّوري، والأوزاعي: يجزئه، وبه قال أبو حنيفة، ومالك.

ولا يجوز صرف مُدَّين إلى مسكين واحد، ولا إخراج القيمة في الكفَّارة، وبه قال الشَّافعي.

وقال أبو حنيفة: يجوز.

قال الزَّجَّاج: وإنما وقع لفظ التَّذكير في المساكين، ولو كانوا إناثًا لأجزأ، لأن المغلَّب في كلام العرب التَّذكير(١).

وفي قوله: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ قولان:

أحدهما: من أوسطه في القدر، قاله عمر، وعلي، وابن عبَّاسٍ، ومجاهد.

والثَّاني: مِن أوسط أجناس الطَّعام، قاله ابن عمر، والأسود، وعبيدة، والحسن، وابن سيرين.

وروي عن ابن عبَّاسٍ قال: كان(٢) أهل المدينة للحُرِّ مِن القوت أكثر ما للمملوك، وللكبير أكثر مما للصغير، فنزلت: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ ليس بأفضله ولا بأخسِّه(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٢).

(٢) ليست في (ج)، و(ر).

(٣) انظر: أحكام القرآن؛ للجصَّاص (٤/ ١١٨)، ولفظه: «كَانَ لِأَهْلِ المدينة قوت، وكان للكبير أكثر مما للصغير، وَلِلْحُرِّ أَكْثَرُ مِمَّا لِلْمَمْلُوكِ».

وفي ﴿كِسْوَتُهُمْ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أنها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وطاوس، وعطاء، والشَّافعي.

والثَّاني: ثوبان، قاله أبو موسى الأشعري، وابن المسيَّب، والحسن، وابن سيرين، والضَّحَّاك.

والثَّالث: إِزار ورداء وقميص، قاله ابن عمر.

والرَّابع: ثوب جامع كالملحفة، قاله إِبراهيم النَّخعي.

والخامس: كسوة تجزئ فيها الصَّلاة، قاله مالك.

ومذهب أصحابنا: أنه إِن كسا الرَّجل، كساه[1] ثوبًا، والمرأة ثوبين، درعًا وخمارًا، وهو أدنى ما تُجزئ فيه الصَّلاة.

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي وأبو الجوزاء ويحيى بن يعمر: «أو كُسوتهم» بضم الكاف.

وقد قرأ[2] سعيد بن جُبَيْر وأبو العالية وأبو نهيك ومعاذ القارئ: «أو كإِسوتِهم» بهمزة مكسورة مفتوحة الكاف مكسورة[3] التاء والهاء.

وقرأ ابن السَّمَيْفع[4] وأبو عمران الجوني مثله، إِلا إنهما فتحا الهمزة[5].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (وقرأ).

(٣) في (ت)، و(ر): (بكسرة).

(٤) قوله: (وقرأ ابن السَّمَيْفع)، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) انظر: المحتسب؛ لابن جنِّي (١/ ٢١٨)، والمختصر في شواذِّ القرآن (ص: ٤٠) والمحرر=

قال الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): ولا أرى هذه القراءة جائزة؛ لأنها تسقط أصلًا من أصول الكفارة(٢).

قوله: ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ تحريرها: عتقها. والمراد بالرَّقبة: جملة الشَّخص.

واتفقوا على اشتراط إيمان الرَّقبة في كفَّارة القتل لموضع النَّصِّ.

واختلفوا في إيمان الرَّقبة المذكورة في هذه الكفَّارة على قولين:

أحدهما: أنه شرط، وبه قال الشَّافعي، لأن الله تعالى قيَّد بذكر الإيمان في كفَّارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيَّد.

والثَّاني: ليس بشرط، وبه قال أبو حنيفة. [٢١٠/أ]

وعن أحمد ﷺ في إيمان الرَّقبة المعتقة في كفارة اليمين، وكفارة الظِّهار، وكفَّارة الجماع، والمنذورة: روايتان.

قوله: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾.

اختلفوا فيما إذا لم يجده، صام، على خمسة أقوال:

أحدها: أنه إذا لم يجد درهمين صام، قاله الحسن.

والثَّاني: ثلاثة دراهم، قاله سعيد بن جُبَيْر.

=الوجيز (٢/ ٢٣٠)، والبحر المحيط (٤/ ٣٥٣).

(١) قوله: (قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ليس في (ج)، و(م).

(٢) هذه العبارة كلُّها ليست في (ت)، و(ر).

والثَّالث: إذا لم يجد[١] إلا قَدْرَ ما يُكَفِّر به، صام، قاله قتادة.

والرَّابع: مائتي درهم، قاله أبو حنيفة.

والخامس: إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته[٢] يومه وليلته، قاله أحمد، والشَّافعي ﷺ.

وفي تتابع الثَّلاثة أيام، قولان:

أحدهما: أنه شرط، وكان أُبيٌّ[٣]، وابن مسعود[٤] يقرآن: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات». وبه قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وطاوس، وعطاء، وقتادة، وأبو حنيفة، وهو قول أصحابنا.

والثَّاني: ليس بشرط، ويجوز التَّفريق، وبه قال الحسن، ومالك.

وللشَّافعي فيه[٥] قولان.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡ﴾ فيه إضمار تقديره: إذا حلفتم وحنثتم.

---

(١) من قوله: (درهمين صام، قال الحسن)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (عياله).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٥٢)، وابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٦٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٦١٠٣)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٩٨)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٥٢) وغيرهم.

(٥) ليست في (م).

وفي قوله: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أقِلُّوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤].

وأنشدوا[1][من الطويل]:

قَلِيلُ الْأَلَايَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ ....

والثَّاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها.

والثَّالث: راعوها لكي تؤدُّوا الكفَّارة عند الحنث فيها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن سعد بن أبي وقَّاص أتى نفرًا من المهاجرين والأنصار، فأكل عندهم، وشرب الخمر قبل أن تُحرَّم، فقال: المهاجرون خير من الأنصار، [فتنازعوا في ذلك][2]، فأخذ رجلٌ لَحْي جمل فضربه [به][3]،

---

(١) البيت لكثير عزة في ديوانه (ص: ٣٢٥)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٤/ ٤٠) (ألا)، ومجمل اللُّغة (١/ ٢٠٣).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) من (م).

فجدع أنفه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه[١].

وقال سعيد بن جُبَيْر: صنع رجل من الأنصار صنيعًا، فدعا سعد بن أبي وقَّاص، فلما أخذت فيهم الخمرة[٢] افتخروا واستبُّوا[٣]، فقام الأنصاري إلى لَحْي بعير[٤]، فضرب به رأس سعد، فإذا الدَّم على وجهه، فذهب سعد يشكو إلى النَّبيِّ ﷺ، فنزل[٥] تحريم الخمر في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿تُفْلِحُونَ﴾[٦].

والثَّاني: أن عمر بن الخطَّاب قال[٧]: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت التي في «البقرة»، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت التي[٨] في «النِّساء» ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [الآية:٤٣] فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت[٩] هذه الآية،

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٥٩).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (الخمر).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (جمل).

(٥) في (ت): (فنزلت).

(٦) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٧) ليست في (م).

(٨) ليست في (ت)، و(ر).

(٩) من قوله: (التي في النساء)... إلى هنا، ليس في (ج).

رواه أبو ميسرة عن عمر[١].

والثَّالث: أن ناسًا من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضًا، وتكلَّموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي [٢١٠/ ب] طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا[٢]، فلما ثَمِلوا عبث بعضهم ببعض، فلما صحَوْا جعل الرَّجل [منهم][٣] يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان!، والله لو كان بي رؤوفًا ما[٤] صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضَّغائن، وكانوا إِخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ[٥].

وقد ذكرنا «الخمر» و«الميسر» في «البقرة»[٦].

وذكرنا في «النُّصب» في أوَّل هذه السُّورة قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسِّرون في الأنصاب، وذكرنا هناك «الأزلام».

---

(١) رواه أحمد (١/ ٥٣)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والتِّرمذي (٣٠٤٩)، والنَّسائي (٥٥٤٠)، وفي الكبرى (٥٠٣١)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٥٧)، وابن المنذر في تفسيره (١٧٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٣٥١) وغيرهم من طُرق عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة عمرو بن شُراحيل، به.

(٢) في (م): (الخمر شربوا).

(٣) زيادة من (م).

(٤) في (ت)، و(ر): (فما).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٦٠).

(٦) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٩).

فأما «الرِّجس»:

فقال الزَّجَّاج: هو اسمٌ لكلِّ ما اسْتُقْذِرَ من عمل، يقال: رَجُس الرَّجل يرجُس، ورَجِسَ يَرْجَسُ: إِذا عمل عملًا قبيحًا، و«الرَّجس» بفتح الراء: شدَّة الصَّوت، فكأن الرِّجسَ، العملُ الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: رعدٌ رجَّاس: إِذا كان شديد الصَّوت[1].

قوله: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: من تزيين الشَّيطان[2].

فإن قيل: كيف نُسِبَ إِليه، وليس من فعله؟

فالجواب: أن نسبته إِليه مجاز، وإِنما نسب إِليه، لأنه هو الداعي إِليه، والمزيِّن له، ألا ترى أن رجلًا لو أغرى رجلًا بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: اتركوه. واشتقاقه في اللُّغة: كونوا جانبًا منه[3].

فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟

فالجواب: أن الهاء عائدةٌ على الرِّجس، والرِّجس واقعٌ على الخمر،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٧٦١) عن ابن جُبَيْر.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٥).

والميسر، والأنصاب[١]، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقعٌ عليه، ومنبئ[٢] عنه، ذكره ابن الأنباريّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩١، ٩٢].

قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ[٣]﴾.

أما ﴿ٱلْخَمْرِ﴾ فوقوع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والمماراة.

وأما «الميسر»:

فقال قتادة: كان الرَّجل يقامر على أهله وماله، فيُقمَرُ ويبقى حزينًا سليبًا، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء[٤].

قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه الأمر. تقديره: انتهوا.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (ومبني).

(٣) قوله: ﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾، ليس في (ت).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٦٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

قال الفرَّاء: ردَّد عليَّ أعرابيٌّ: هل أنت ساكتٌ؟ [هل أنت ساكتٌ؟][(١)]، وهو يريد: اسكت، اسكت[(٢)] [(٣)].

والثَّاني: أنه استفهام، لا بمعنى الأمر.

ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: إنها لم تُحرِّمها[(٤)]، إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم ننته، فلما نزلت: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف:٣٣] حُرِّمت، لأن «الإِثم» اسمٌ للخمر. [٢١١/أ]

[وأنشدوا[(٥)][من الوافر]:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ذَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ][(٦)]

وهذا القول ليس بشيء، والأوَّل أصحُّ[(٧)].

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمَرَاكم ﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ خلافهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ محمد[(٨)] ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وهذا

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر)، وليست في الأصل، ولا في معاني القرآن؛ للفرَّاء.

(٢) في (ج): (اسكت)، مرة واحدة دون تكرار.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٥٤).

(٤) في (ت)، و(ر): (لم تُحرِّم).

(٥) بلا نسبة في الزَّاهر (٢/ ٢١)، ولسان العرب (٦/ ١٢)، وتهذيب اللُّغة (١٥/ ١٦١).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٧) قوله: (والأوَّل أصحُّ)، ليس في (ت)، و(ر).

(٨) ليست في (ج).

وعيدٌ لهم، كأنه قال: فاعلموا أنَّكم قد استحققتم العقاب لتولِّيكم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣].

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾.

سبب نزولها:

أن ناسًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ ماتوا وهم يشربون الخمر، إذ كانت مباحة، فلما حرِّمت قال ناس: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم[(١)] يشربونها؟! فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب[(٢)].

و«الجُناح»: الإثم.

وفيما[(٣)] طعموا ثلاثة[(٤)] أقوال:

أحدها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عبَّاسٍ، والجمهور.

قال ابن قُتَيْبَة: يقال: لم أطعم خُبْزًا ولا ماءً ولا نومًا[(٥)(٦)].

(١) من قوله: (يشربون الخمر، إذ كانت)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) رواه التِّرمذي (٣٠٥٠ـ ٣٠٥١)، وأبو يعلى في مسنده (١٧١٩)، وابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٦٧)، وابن أبي حاتم (٦٧٧٥) في تفسيرهما.

(٣) في (ت)، و(ر): (فيما).

(٤) في (ج): (فيه).

(٥) قوله: (ولا نومًا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٥).

قال الشَّاعر[1][من الطويل]:

فَإنْ شئتِ حرَّمتُ[2] النِّساء سِواكُمُ وإن شئتِ لم أطْعَمْ نُقَاخا[3] ولا بَرْدَا

النُّقاخ: الماء البارد[4] الذي ينقخ الفؤاد ببرده[5][6]، والبرد: النَّوم[7].

والثَّاني: ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر.

والثَّالث: ما طعموا من المباحات.

وفي قوله: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: اتقوا بعد التَّحريم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: اتقوا المعاصي والشِّرك.

والثَّالث: اتقوا مخالفة الله في أمره.

وفي قوله: ﴿وَءَامَنُوا۟﴾ قولان:

أحدهما: آمنوا بالله ورسوله.

---

(١) البيت للعرجي في ديوانه (ص: ١٠٩)، ولسان العرب (٣/ ٦٥ـ ٨٥)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٢٩٢، ٢/ ١٠)، وتاج العروس (٧/ ٣٦١).

(٢) سقطت من (ج).

(٣) في (ج): (تقاخًا)!.

(٤) ليست في (ج).

(٥) قوله: (البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده)، ليس في (م).

(٦) قوله: (الماء البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده)، ليس في (ت)، و(ر).

(٧) قوله: (والبرد: النوم)، ليس في (ج).

والثَّاني: آمنوا بتحريمها.

قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال مقاتل: أقاموا على الفرائض[(١)][(٢)].

قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾.

في هذه التَّقوى المعادة أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد خوف الله ﷻ.

والثَّاني: أنها تقوى الخمر والميسر بعد التَّحريم.

والثَّالث: أنها الدَّوام على التَّقوى.

والرَّابع: أن التَّقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التَّحريم، والثَّانية لمن شربها بعد التَّحريم.

قوله: ﴿وَءَامَنُواْ﴾.

في هذا الإيمان المُعاد قولان:

أحدهما: صدَّقوا بجميع ما جاء به محمد ﷺ.

والثَّاني: آمنوا بما يجيء من النَّاسخ والمنسوخ.

قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾.

في هذه التَّقوى الثَّالثة أربعة أقوال:

أحدها: اجتنبوا العودَ إلى الخمر بعد تحريمها، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) هذه العبارة كلها ليست في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٣).

والثَّاني: اتقوا ظلم العباد.

والثَّالث: توقَّوا الشُّبهات.

والرَّابع: اتقوا جميع المحرَّمات.

وفي الإحسان قولان:

أحدهما: أحسنوا العمل بترك شربها بعد التَّحريم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أحسنوا العمل بعد تحريمها، قاله مقاتل[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة: ٩٤].

[٢١١/ب] قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾.

قال المفسِّرون: لما كان عام الحديبية، وأقام النَّبيُّ ﷺ بالتَّنعيم، كانت الوحوش والطَّير تغشاهم في رحالهم، وهم مُحرِمون، فنزلت هذه الآية، ونهوا عنها ابتلاءً.

قال الزَّجَّاج: اللام في ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ لام القسم، ومعناه: لنختبرنَّ[2] طاعتكم من معصيتكم[3].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٣).

(٢) في (ت)، و(ر): (ليختبرن).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٦).

وفي «مِن» قولان:

أحدهما: أنها للتَّبعيض.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى صيد البرِّ دون صيد البحر.

والثَّاني: أنه لَمَّا عنى الصيد ما داموا في الإِحرام كان ذلك بعض الصيد.

والثَّاني: أنها لبيان الجنس، كقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

قوله: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾.

قال مجاهد: الذي تناله اليد: الفراخ والبيض، وصغار الصَّيد، والذي تناله الرِّماح: كبار الصَّيد[1].

قوله: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾.

قال مقاتل: ليرى الله ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ولم يَره، فلا يتناول الصَّيد وهو مُحرم ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾ فأخذ الصَّيد عمدًا بعد النَّهي للمُحرِم عن قتل الصَّيد ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: يوسع بطنه وظهره جلدًا، ويسلب ثيابه[2].

---

(١) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٣١٥)، وابن جرير الطَّبري (٨/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٦٧٨٦) في تفسيرهما من طريق بن أبي نجيح، به.

(٢) انظر: البحر المحيط؛ لأبي حيَّان (٤/ ٣٦٤).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة: ٩٥].

قوله: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾.

بيَّن الله ﷻ بهذه الآية من أيِّ وجهٍ تقع[1] البلوى، وفي أيِّ زمانٍ، وما على من قتله بعد النَّهي.

وفي قوله: ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: وأنتم محرمون بحجٍّ أو عمرة، قاله الأكثرون.

والثَّاني: وأنتم في الحرم، يقال: أحرم: إذا دخل في الحرم، وأنجد: إذا أتى نجدًا.

والثَّالث: الجمع بين القولين.

قوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن يتعمَّد قتله ذاكرًا لإحرامه، قاله ابن عبَّاسٍ، وعطاء.

والثَّاني: أن يتعمَّد قتله ناسيًا لإحرامه، قاله مجاهد.

---

(١) في (ج): (يقع).

فأما قتله خطأً، ففيه قولان:

أحدهما: أنه كالعمد، قاله عمر، وعثمان، والجمهور.

قال الزُّهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السُّنَّة في الخطأ[١].

يعني: ألحقت المخطئ بالمتعمِّد في وجوب الجزاء.

وروي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**الضَّبُعُ صَيْدٌ**[٢] **وَفِيْهِ كَبْشٌ إِذَا قَتَلَهُ الْمُحْرِمُ**»[٣].

وهذا عامٌّ في العامد والمخطئ[٤].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٨/ ٦٧٨) من طريق هشيم، عن بعض أصحاب الزهري، به.

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٩٧)، والدارمي (١٩٤٢)، وأبو داود (٣٨٠١)، والتِّرمذي (٨٥١-١٧٩١)، والنَّسائي (٢٨٣٦)، وفي الكبرى (٣٨٠٥-٤٨١٦)، وابن ماجه (٣٢٣٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٦٤٥) من طُرق عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي عمار، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بلفظ: سَأَلْتُ جَابِرًا، فَقُلْتُ: الضَّبُعَ آكُلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَصَيْدٌ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَسَمِعْتَ ذَاكَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ.

ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٦٤٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٢٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٩٢) من طريق حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا. بلفظ: «**الضَّبُعُ صَيْدٌ؛ فَإِذَا أَصَابَهُ الْمُحْرِمُ فَفِيهِ جَزَاءُ كَبْشٍ مُسِنٍّ، وَتُوكَلُ**».

وصححه البخاري، والتِّرمذي، وابن حبان، انظر: نصب الراية (٣/ ١٣٤-١٣٥)، والبدر المنير (٦/ ٣٥٩-٣٦٠)، والتلخيص الحبير (٢/ ٥٨٩-٥٩٠).

(٤) في (م): (وهذا عامٌّ في العامل والعامد والمخطئ).

قال القاضي أبو يعلى: أفاد تخصيص العمد بالذِّكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد، وإنما يختصُّ ذلك بالعامد.

والثَّاني: أنه لا شيء فيه، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن جُبَيْر، وطاوس، وعطاء، وسالم، والقاسم، وداود.

وعن أحمد ﷺ روايتان، أصحُّهما الوجوب.

قوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فجزاءُ مثلِ» مضافة وبخفض «مثل».

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ منون ﴿مِّثْلُ﴾[1] مرفوع[2].

قال أبو عليٍّ: من أضاف، فقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ يكون صفة للجزاء، [٢١٢/أ] وإنما قال: ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، لأنهم يقولون: أنا أُكرِمُ مثلك، يريدون: أنا أُكرِمُك، فالمعنى: جزاء ما قتل. ومَن رفع «المثل»، فالمعنى: فعليه جزاء من النَّعم مماثل للمقتول[3]، والتَّقدير: فعليه جزاء من النَّعم مماثل ما قتل من الصَّيد[4].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٧ـ٢٤٨)، والحجَّة (٣/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٥٦).

قال ابن قُتَيْبة: النَّعَم: الإِبل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإِبل[١].

وقال الزَّجَّاج: النَّعم في اللغة: الإِبل والبقر والغنم، فإن انفردت الإبل، قيل لها: نَعَمٌ[٢]، وإن[٣] انفردت البقر والغنم، لم تُسمَّ نَعَمًا[٤].

فصلٌ

قال القاضي أبو يعلى: والصَّيد الذي يجب الجزاء بقتله: ما كان مأكول اللَّحم، كالغزال، وحمار الوحش، والنَّعامة، ونحو ذلك، أو كان متولِّدًا من حيوان يؤكل لحمه، كالسِّمْع[٥][٦]، فإنه متولِّد من الضَّبع، والذِّئب، وما عدا ذلك من السِّباع كلِّها، فلا جزاء على قاتلها سواء ابتدأ قتلها، أو عدت عليه فقتلها دفعًا عن نفسه، لأن السَّبع لا مثل له صورة ولا قيمة، فلم يدخل تحت الآية.

ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ أجاز للمحرم قتل الحيَّة، [والعقرب][٧]، والفويسقة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور، والسَّبع العادي.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٠٢).

(٢) في الأصل: (نعمًا)، والمثبت من بقية النسخ، وهو الذي في معاني القرآن وإعرابه.

(٣) في (ج): (وإذا).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٧).

(٥) في (م): (كالسَّبع)!.

(٦) السِّمْع: ولد الذئب من الضَّبع. انظر: المصباح المنير؛ للفيومي (١/ ٢٨٩).

(٧) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

قال: والواجب بقتل الصَّيد فيما له مثلٌ من الأنعام مثله، وفيما لا مثل له قيمته.

وهو قول مالك، والشَّافعي.

وقال أبو حنيفة: الواجب فيه القيمة، وحمل المثل على القيمة[(١)](٢).

وظاهرُ الآية يردُّ ما قال، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم حملوا الآية على المثل من طريق الصُّورة[(٣)]، فقال ابن عبَّاسٍ: المثل: النَّظير، ففي الظَّبية شاة، وفي النَّعامة بعير[(٤)].

قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين.

وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني: من أهل ملَّتكم.

قوله: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾.

قال الزَّجَّاج: هو منصوب على الحال، والمعنى: يحكمان به مقدَّرًا أن يهدى[(٥)](٦).

---

(١) في (ت)، و(ر): (وقال أبو حنيفة: الواجب حمل المثل على القيمة).

(٢) انظر: المبسوط؛ للسَّرخسي (٤/ ٩٣).

(٣) في (م): (من طريق العادة الصورة).

(٤) انظر: أحكام القرآن؛ للجصَّاص (٤/ ١٣٤).

(٥) في (ج): (هذا).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٨).

ولفظ قوله: ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ لفظ معرفة، ومعناه: النَّكرة. والمعنى: بالغًا الكعبة، إلا أن التَّنوين حُذف استخفافًا.

قال ابن عبَّاسٍ: إذا أتى مكَّة ذبحه، وتصدَّق به(١)(٢).

قوله: ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٌ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي(٣): أَوْ ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ منونًا ﴿طَعَامُ﴾ رفعًا.

وقرأ نافع، وابن عامر: «أو كفَّارةُ» رفعًا غير منوَّن، «طعامِ مساكين(٤)» على الإضافة(٥).

قال أبو علي: من رفع ولم يضف، جعله عطفًا على الكفارة عطف بيان، لأن الطَّعام هو الكفارة(٦)، ولم يضف الكفارة إلى الطَّعام، لأن الكفارة لقتل الصيد، لا للطعام، ومن أضاف الكفارة إلى الطَّعام، فلأنه لما خيَّر المكفِّر بين الهدي، والطَّعام، والصِّيام(٧)، جازت الإضافة لذلك، فكأنه [٢١٢/ب]

(١) في (م): (إذا أتى مكَّة تصدَّق به).

(٢) انظر: التَّفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٢٩).

(٣) قوله: (والكسائي)، ليس في (م).

(٤) قوله: (عطف بيان، لأن الطَّعام هو الكفارة)، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٨)، والحجَّة (٢/ ٢٧٣)، والمبسوط (١/ ١٨٨).

(٦) في (ت)، و(ر): (مسكين).

(٧) في (م): (والصَّيد).

قال: كفارةُ طعامٍ، لا كفارة هدي، ولا صيام. والمعنى[١]: أو عليه بدل الجزاء والكفارة، وهي طعامُ مساكين[٢].

وهل يعتبر في إِخراج الطَّعام قيمة النَّظير، أو قيمة الصَّيد؟

فيه قولان:

أحدهما: قيمة النَّظير، وبه قال عطاء، والشَّافعي، وأحمد.

والثَّاني: قيمة الصَّيد، وبه قال قتادة، وأبو حنيفة، ومالك.

وفي قدر الإطعام لكلِّ مسكين قولان:

أحدهما: مُدَّان من بُرٍّ، وبه قال ابن عبَّاسٍ، وأبو حنيفة[٣].

والثَّاني: مُدُّ بُرٍّ، وبه قال الشَّافعي.

وعن أحمد روايتان، كالقولين.

قوله: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾.

قرأ أبو رزين، والضَّحَّاك، وقتادة، والجحدري، وطلحة: «أو عِدل ذلك»، بكسر العين[٤].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٥٨).

(٣) في (ج): (وبه قال أبو حنيفة).

(٤) انظر: التَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٥١٢)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢٤٠)، وفي مختصر شواذ القرآن (ص: ٤٠): قراءة النبي ﷺ وابن عبَّاسٍ.

وقد شرحنا هذا المعنى في «البقرة».

قال أصحابنا: يصوم عن كل مُدّ بُرٍّ، أو نصف صاع تمر، أو شعير يومًا.

وقال أبو حنيفة: يصوم يومًا عن نصف صاع في الجميع.

وقال مالك، والشَّافعي: يصوم يومًا[١] عن كلِّ مُدٍّ من الجميع.

فصلٌ

وهل هذا الجزاء على التَّرتيب، أم على التَّخيير؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه على التَّخيير[٢] بين إخراج النَّظير، وبين الصِّيام، وبين الإطعام.

والثَّاني: أنه على التَّرتيب، إن لم يجد الهدي، اشترى طعامًا، فإن كان معسرًا صام، قاله ابن سيرين.

والقولان مرويَّان عن ابن عبَّاسٍ، وبالأوَّل قال جمهور الفقهاء.

قوله: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ أي: جزاء ذنبه.

قال الزَّجَّاج: «الوَبَالُ»: ثِقَلُ الشيءِ في المكروه، ومنه قولهم: طعامٌ وبيل، وماءٌ وبيل: إذا كانا ثقيلين. قال الله ﷻ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل:١٦] أي: ثقيلًا شديدًا[٣].

---

(١) من قوله: (عن نصف صاع في الجميع)... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) قوله: (فيه قولان: أحدهما: أنه على التَّخيير)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٨).

قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ما سلف في الجاهليَّة، من قتلهم الصَّيد، وهم محرمون، قاله عطاء.

والثَّاني: ما سلف من قتل الصَّيد في أول مرَّة، حكاه ابن جرير[(١)(٢)]. والأوَّل أصحُّ.

فعلى القول الأوَّل يكون معنى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإسلام.

وعلى الثَّاني: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانية بعد أولى.

قال أبو عبيدة: «عاد» في موضع يعود، وأنشد[(٣)] [من البسيط]:

إن يَسْمَعُوا رِيبةً طارُوا بها فَرَحاً ... وإنْ ذكرتُ بسوءٍ عندهمْ أذنُوا

قوله: ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ «الانتقام»: المبالغة في العقوبة.

وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إيجاب جزاء ثانٍ إذا عاد، وهذا قول الجمهور، وبه قال مالك[(٤)]، والشَّافعي، وأحمد.

---

(١) في (ج): (ابن جبير)!.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٧١١-٧١٢).

(٣) البيت لقعنب ابن أم صاحب. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٧٦-١٧٧)، ولسان العرب (٤/ ٤٣٤ ــ ١٣/ ١٠)، وأمالي بن الشَّجري (٢/ ٢٣٣).

(٤) مكانها بياض في (ت).

وقد روي عن ابن عبَّاسٍ، والنَّخعي، وداود: أنه لا جزاء عليه في الثَّاني، إنَّما وعد بالانتقام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦].

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾.

قال أحمد: يؤكل كلُّ ما في البحر[١] إلا الضِّفدِع والتِّمساح، لأن [٢١٣/أ] التِّمساح[٢] يأكل النَّاس يعني: أنه يَفْرِسُ.

وقال أبو حنيفة، والثَّوري: لا يباح منه إلا السَّمك.

وقال ابن أبي ليلى، ومالك: يباح كلُّ ما فيه[٣] من ضفدع وغيره.

فأما «طعامه» ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما نبذه البحر ميِّتًا، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر، وأبو أيوب، وقتادة.

والثَّاني: أنه مالحه، قاله سعيد بن المسيب، وسعيد بن جُبَيْر[٤]، والسُّدِّي، وعن ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وعكرمة كالقولين.

---

(١) في (م): (قال أحمد: يؤكل جميع ما في الموت البحر)!.

(٢) قوله: (لأن التِّمساح)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) في (م): (في البحر).

(٤) في (م): (قاله سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب).

واختلفت الرِّواية عن النَّخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح، وما لَفَظَهُ.

والثَّالث: أنه ما نبت بمائه من زروع البَرِّ، وإنما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه ينبت بمائه، حكاه الزَّجَّاج[١].

وفي «المتاع» قولان:

أحدهما: أنه المنفعة، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، وقتادة.

والثَّاني: أنه الحِلُّ؛ قاله النَّخعي.

قال مقاتل: متاعًا لكم يعني المقيمين، وللسَّيارة، يعني المسافرين[٢][٣].

قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

أما الاصطياد فمحرَّم على المُحْرِم[٤]، فإن صيد لأجله، حَرُم عليه أكله خلافًا لأبي حنيفة، فإن أكل فعليه الضمان خلافًا لأحد قولي الشَّافعي.

فإن ذبح المُحرم صيدًا، فهو ميتة، خلافًا لأحد قولي الشَّافعي أيضًا[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٩).

(٢) في (ج): (والسيارة والمسافرين).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٦).

(٤) قوله: (على المحرم)، ليس في (ج).

(٥) ليست في (ج).

فإن ذبح الحلال صيدًا في الحرم، فهو ميتة أيضًا، خلافًا[١][٢] لأكثر الحنفيَّة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٧، ٩٨].

قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ «جعل» بمعنى: صيَّر.

وفي تسمية الكعبة «كعبة» قولان:

أحدهما: لأنها مربَّعة، قاله عكرمة، ومجاهد.

والثَّاني: لعُلُوها ونتوئها، يقال: كعبت المرأة كعابة، وهي كاعب، إذا نتأ ثديها[٣].

ومعنى تسمية البيت حرام:

أنه حَرُم أن يُصاد عنده، وأن يُختلى ما عنده من الخلا، وأن يُعضَدَ شجرُه، وعظمت حرمته.

والمراد: بتحريم البيت سائر الحرم، كما قال: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وأراد: الحرم. والقيام: بمعنى القوام.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من قوله: (لأحد قولي الشَّافعي أيضًا)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٦٥)، والصحاح (١/ ٢١٣)، والمخصص (١/ ٦٦)، ولسان العرب (١/ ٧١٩)، والقاموس المحيط (١/ ١٣١).

وقرأ ابن عامر: «قيمًا» بغير ألف[١].

قال أبو عليٍّ: وجهه على أحد أمرين، إما أن يكون جعله مصدرًا، كالشِّبع. أو حذف الألف وهو يريدها، كما يُقصر الممدود[٢].

وفي معنى الكلام ستَّة أقوال:

أحدها: قيامًا[٣] للدِّين[٤]، ومعالم للحجِّ[٥]، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: قيامًا لأمرِ مَن توجَّه إليها، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

قال قتادة: كان الرَّجل لو جرَّ كلَّ جريرة، ثم لجأ إليها[٦]، لم يتناول[٧].

والثَّالث: قيامًا لبقاء الدِّين، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّت واستُقْبِلت، قاله الحسن.

والرَّابع: قوام دنيا[٨] وقوام دين، قاله أبو عبيدة[٩].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٢٦)، والحجَّة (٣/ ٢٥٨)، والمبسوط (١/ ١٨٨).

(٢) انظر: السَّبعة (٢/ ٢٥٩).

(٣) في (ج): (قوامًا).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (للناس).

(٥) في (ت)، و(م)، و(ر): (ومعالم الحج).

(٦) من قوله: (رواه العوفي)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٩)، وابن المنذر (٧٣٥) في تفسيرهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بلفظ مطول.

(٨) في (ج): (دليل).

(٩) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٧٧).

والخامس: قيامًا للنَّاس[١]، أي: مما أُمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزَّجَّاج[٢].

والسَّادس: قيامًا لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التِّجارة [٢١٣/ ب] عندها[٣]، ذكره بعض المفسِّرين.

فأما «الشَّهر الحرام» فالمراد به الأشهر الحرم، كانوا يأمن بعضهم بعضًا فيها، فكان ذلك قوامًا لهم، وكذلك إِذا أهدى الرَّجل هديًا أو قلَّد بعيره أمِنَ كيف تصرَّف، فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للنَّاس بما جعل في صدورهم من تعظيمها.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾.

ذكر ابن الأنباريِّ في المشار إِليه بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم، وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لتعلموا، أي: ذلك الغيب الذي أنبأتكم به عن الله يدلُّكم على أنه يعلم ما في السَّماوات وما في الأرض، ولا يخفى[٤] عليه خافية.

---

(١) في (ت)، و(ر): (والخامس: وللناس).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٠).

(٣) في (ت)، و(ر): (عنده).

(٤) في (ت)، و(ر): (تخفى).

والثَّاني: أن العرب[١] كانت تسفك الدِّماء بغير حلِّها، وتأخذ الأموال بغير حقِّها، ويقتل أحدهم غير القاتل، فإذا دخلوا البلد الحرام، أو دخل الشَّهر الحرام، كفُّوا عن القتل.

والمعنى: جعل الله الكعبة أمنًا، والشَّهر الحرام أمنًا، إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتًا يزول فيه الخوف هلكوا، فذلك يدلُّ على أنه يعلم ما في السَّماوات وما في الأرض[٢].

والثَّالث: أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكَّة في الشُّهور المعلومة، فإذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعًا، لعلمه بما في ذلك من صلاحهم، وليستدلُّوا بذلك على أنه يعلم ما في السَّماوات وما في الأرض.

والرَّابع: أن الله تعالى جعل مكَّة[٣] أمنًا، وكذلك الشَّهر الحرام، فإذا دخل الظَّبي الوحشيُّ الحرم، أنس بالنَّاس، ولم ينفر من الكلب، ولم يطلبه الكلب[٤]، فإذا خرجا[٥] عن حدود الحرم[٦]، طلبه الكلبُ، وذُعِر هو منه، والطائِر يأنس بالنَّاس في الحرم، ولا يزالُ يطير حتى يقرب من البيت، فإذا

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (وفي الأرض).

(٣) في (ت)، و(ر): (الكعبة).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ج): (خرج).

(٦) من قوله: (أنس بالناس)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

قـرب منـه عـدل عنـه، ولمْ يطـرْ فوقـه إِجـلالًا لـه، فـإذا لحقـه وجـعٌ طرح نفسـه علـى سـقف البيـت استشـفاءً بـه، فهـذه الأعاجيـب في ذلـك المـكان، وفي ذلـك الشَّـهر الحـرام قـد دللن عـلى أن الله تعالى يعلـم ما في السَّـماوات ومـا في الأرض.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائـدة: ٩٩].

قوله: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ في هذه الآية تهديدٌ شديدٌ.

وزعـم مقاتـل أنهـا نزلـت والتـي بعدهـا، في أمـر شُريـح بـن ضُبيعـة وأصحابـه، وهـم حجَّـاج اليمامـة حيـث هـمَّ المسـلمون بالغـارة عليهـم[١].

وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة.

وهل هذه الآية محكمةٌ، أم لا؟

فيه قولان:

أحدهمـا: أنهـا محكمـة، وأنهـا تـدلُّ عـلى أن الواجـب عـلى الرَّسـول التَّبليـغ، وليـس عليـه الهُـدى[٢].

والثَّاني: أنها كانت قبل الأمر بالقتال، ثم نسخت بآية السَّيف.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائـدة: ١٠٠].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٧).

(٢) من قوله: (أحدهما: أنها محكمة)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

[٢١٤/أ] قوله: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾.

روى جابر بن عبد الله أن رجلًا قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ[١]» فنزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ[٢].

وفي ﴿ٱلْخَبِيثُ﴾، ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: الحلال والحرام، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن.

والثَّاني: المؤمن والكافر، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: المطيع والعاصي.

والرَّابع: الرديء والجيِّد، ذكرهما الماورديُّ[٣].

ومعنى «الإعجاب» هاهنا: السُّرور بما تعجب[٤] منه.

---

(١) في (ج): (طيِّبًا).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٠) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَشُرْبَ الخَمْرِ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ، أَلَا إِنَّ الخَمْرَ لُعِنَ شَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعُهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا»، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي، فَاعْتَقَبْتُ مِنْ بَيْعِ الخَمْرِ مَالًا فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ المَالُ إِنْ عَمِلْتُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ فَالخَبِيثُ: الحَرَامُ.

(٣) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٧٠).

(٤) في (ج): (يتعجب).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائـدة: ١٠١].

قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

في سبب نزولها ستَّة أقوال:

أحدها: أن النَّاس سألوا النَّبيَّ ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضبًا خطيبًا، فقال: «**سَلُونِي، فوالله لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ما دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ**»، فقام رجل من قريش، يقال له: عبد الله بن حُذافة كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبيَّ الله مَن أبي؟ قال: «**أَبُوكَ حُذَافَةُ**» فقام آخر، فقال: يا نبيَّ الله أين أبي؟[١] قال: «**فِي النَّارِ**» فقام عمر فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، إنَّا حديثو عهدٍ بجاهلية، والله أعلم مَن آباؤنا، فسكن غضبه ﷺ، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة[٢]، وقتادة عن أنس[٣].

والثَّاني: أن رسول الله ﷺ خطب النَّاس، فقال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ**» فقام عكَّاشة بن مُحصن، فقال: أفي كلِّ عام يا رسول الله؟ فقال: «**أَمَا إِنِّي لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُمْ لَضَلَلْتُمْ، اسْكُتُوا عَنِّي مَا سَكَتُّ**

(١) في (ت)، و(ر): (فقام فقال: أين أنا؟)، وفي (ج)، و(م): (فقام آخر فقال: أين أنا؟).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٧٧)، والبخاري (٧٠٨٩)، ومسلم (٢٣٥٩) بألفاظ مختصرة ومطولة.

عَنْكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ(١) بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة(٢).

وقيل: إن السَّائل عن ذلك الأقرع بن حابس.

والثَّالث: أن قومًا كانوا يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرَّجل: مَن أبي؟ ويقول الرَّجل تضلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه(٣) أبو الجويرية عن ابن عبَّاسٍ(٤).

والرَّابع: أن قومًا سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عبَّاسٍ(٥)، وبه قال ابن جُبَيْر.

والخامس: أن قومًا كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنى عن عكرمة(٦).

والسَّادس: أنها نزلت في تمنِّيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذِنَ لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحبِّ الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي. [٢١٤/ ب]

---

(١) في (ج): (فإنما هلك من هلك ممَّن كان قبلكم).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٩)، وابن مردويه كما في الدُّر المنثور (٣/ ٢٠٦) من طريق الحسين بن واقد، عن محمد بن زياد الجمحي، به.

(٣) ليست في (ج).

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٢)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ١٤)، وابن أبي حاتم (٦٨٧٧) في تفسيرهما.

(٥) رواه سعيد بن منصور (٨٣٩)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٢) في تفسيرهما من طريق عتاب بن بشير، عن خصيف بن عبد الرحمن الجزري، به، بنحوه.

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٢).

قال الزَّجَّاج: ﴿أَشْيَآءَ﴾ في موضع خفض إلا أنها فتحت، لأنها لا تنصرف[١].

و﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾: تظهر لكم. فأعلم الله تعالى أن السُّؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، لأنه يسوء الجواب عنه.

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي: إِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِيهَا بِتَغْلِيظٍ سَاءَكُمْ[٢] ذَلِكَ[٣].

قوله: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

أي: حين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب، أو نهي أو حكم، وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتم حينئذ عنها تبد لكم.

وفي قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ **قولان:**

أحدهما: أنها إشارة إلى الأشياء.

والثَّاني: إلى المسألة.

فعلى القول الأوَّل في الآية تقديم وتأخير. والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، عفا الله عنها. ويكون معنى: عفا الله عنها: أمسك[٤] عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكمًا.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٢).

(٢) في (ج): (شانكم).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٥) من طريق عطيَّة العَوْفي، عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) من قوله: (عفا الله عنها)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

وعلى القول الثَّاني، الآية على نظمها، ومعنى: عفا الله عنها: لم يؤاخذ بها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)﴾ [المائدة: ١٠٢].

قوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾.

في هؤلاء القوم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الذين سألوا عيسى نزول المائدة، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن.

والثَّاني[١]: أنهم قوم صالح حين سألوا النَّاقة، هذا على قول السُّدِّي.

وهذان القولان يخرَّجان على أنهما سألوا الآيات.

والثَّالث: أن القوم هم الذين سألوا في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرةً لأجزأت، ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم، قاله ابن زيد.

وهذا يخرَّج[٢] على سؤال من سأل عن الحجِّ، إذ لو أراد الله أن يشدِّد عليهم[٣] بالزِّيادة في الفرض لشدَّد.

والرَّابع: أنهم الذين قالوا لنبيٍّ لهم: ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضًا. وهو يخرَّج على [قول][٤] من قال: إنما سألوا عن الجهاد والفرائض تمنيًا لذلك.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (ويخرَّج).

(٣) ليست في (ج).

(٤) زيادة من (ت)، و(م)، و(ر).

قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدِّقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣].

قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾ أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به.

وفي «البحيرة» أربعة أقوال:

أحدها: أنها النَّاقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكرًا نحروه، فأكله الرِّجال والنِّساء، وإن كان أنثى شقُّوا أُذنها، وكانت حرامًا على النِّساء[٢] لا ينتفعن بها، ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرِّجال خاصَّة، فإذا ماتت، اشترك فيها الرِّجال والنِّساء، قاله ابن عبَّاس، واختاره ابن قُتَيْبة[٣].

والثَّاني: أنها النَّاقة تلد خمس إناث ليس فيهنَّ ذكر، فيَعْمِدون إلى الخامسة، فيَبْتِكُون أُذنها، قاله عطاء.

والثَّالث: أنها ابنة السَّائبة، قاله ابن إسحاق، والفرَّاء[٤]. [٢١٥/أ]

قال ابن إسحاق: كانت النَّاقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٩).

(٢) في (م): (وكانت على النِّساء حرامًا).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

فيهنَّ ذكر، سُيِّبت، فإذا نتجت بعد ذلك أُنثى، شقَّت أُذنها، وسمِّيت بحيرة، وخلِّيت مع أُمِّها(١).

والرَّابع: أنها النَّاقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن، وكان آخرها ذكرًا بحروا أُذنها، أي: شقُّوها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وإذا لقيها المُعْيي لم يركبها، قاله الزَّجَّاج(٢).

فأما «السَّائبة»، فهي فاعلة بمعنى: مفعولة، وهي المسيَّبة، كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢١]: أي مرضيَّة.

وفي «السَّائبة» خمسة أقوال:

أحدها: أنها التي تُسيَّب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهرًا، ولا يحلبون لها لبنًا، ولا يجزُّون منها وبرًا، ولا يحملون عليها شيئًا، رواه ابن أبي طلحة(٣) عن ابن عبَّاس(٤).

والثَّاني: أن الرَّجل كان يُسيِّب من ماله ما شاء، فيأتي به إلى خزنة الآلهة، فيطعمون ابن(٥) السَّبيل من ألبانه ولحومه إلا النِّساء، فلا يطعمونهن شيئًا منه إلا أن تموت، فيشترك(٦) فيه الرِّجال والنِّساء، رواه أبو

(١) انظر: غريب الحديث؛ لابن قُتَيْبة (١/ ٤٢٥)، والنُّكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٧٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٣) في (ج): (أبو صالح).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٦٨٩٢) في تفسيرهما.

(٥) ليست في (م).

(٦) في (م): (فيشترط).

صالح عن ابن عبَّاسٍ.

وقال الشَّعبيُّ: كانوا يهدون آلهتهم الإبل والغنم، ويتركونها عند الآلهة، فلا يشرب منها إلا رجلٌ، فإن مات منها شيءٌ أكله الرِّجال والنِّساء(١).

والثَّالث: أنها النَّاقة إذا ولدت عشرة أبطن، كلهن إناث، سيِّبت، فلم تركب، ولم يُجزَّ لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدُها حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرِّجال والنِّساء، ذكره الفرَّاء(٢).

والرَّابع: أنها البعير يُسيَّب بنذر يكون على الرَّجل إن سلَّمه الله تعالى من مرض أو بلَّغه منزله أن يفعل ذلك، قاله ابن قُتَيْبة(٣).

قال الزَّجَّاج: كان الرَّجل إذا نذر لشيء من هذا، قال: ناقتي سائبة، فكانت(٤) كالبحيرة في أن لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء ومرعى(٥).

والخامس: أنه البعير يحجُّ عليه الحجَّة، فيُسيَّب، ولا يستعمل شكرًا لنَجْحِها، حكاه الماورديُّ عن الشَّافعيِّ(٦).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٣).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٨).

(٤) في (م): (وكانت).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٦) انظر: الأم (٦/ ١٩٨) وعبارته هكذا: «وَهُوَ الْبَعِيرُ يُنْجِحُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ الْحَاجَةَ أَوْ يَبْتَدِئَ الْحَاجَةَ أَنْ يُسَيِّبَهُ فَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ» انتهى.

وفي «الوصيلة» خمسة أقوال:

أحدها: أنها الشَّاة [كانت][1] إذا نتجت سبعة أبطن، نظروا إلى السَّابع[2]، فإن كان[3] أُنثى، لم ينتفع النِّساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرِّجال والنِّساء، وإن كان ذكرًا، ذبحوه، فأكلوه جميعًا، وإن كان ذكرًا وأُنثى، قالوا: وصلت أخاها، فتترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرِّجال دون النِّساء، فإذا ماتت، اشترك فيها الرِّجال والنِّساء[4]، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

[٢١٥/ب] وذهب إلى نحوه ابن قُتَيْبة فقال: إن كان السَّابع ذكرًا، ذبح فأكل منه الرِّجال والنِّساء، وإن كان أُنثى، تركت في الغنم، وإن كان ذكرًا وأُنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح، لمكانها، وكانت لحومها حرامًا على النِّساء، ولبن[5] الأُنثى حرامًا على النِّساء إلا أن يموت[6] منها شيء فيأكله الرِّجال والنِّساء[7].

---

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (الرابع).

(٣) في (ج)، و(م): (كانت).

(٤) في (ت)، و(ر): (اشترك الرجال والنساء فيها).

(٥) في (ج): (لأن).

(٦) في (ج): (تموت).

(٧) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٨ـ ١٢٩).

والثَّاني: أنها النَّاقة البكر تبتكر في أول نتاج الإِبل بالأُنثى، ثم تثنِّي بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويَدْعونها الوصيلة، أي: وصلت إِحداهما بالأُخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزُّهري عن ابن المسيَّب.

والثَّالث: أنها الشَّاة تنتج عشر إِناثٍ متتابعاتٍ في خمسة أبطن، فيدعونها الوصيلة، وما ولدت بعد ذلك فللذُّكور دون الإِناث، قاله ابن إِسحاق.

والرَّابع: أنها الشَّاة تنتج سبعة أبطن، عَنَاقين عَناقين، فإذا ولدت في[1] سابعها عناقًا وجديًا، قيل: وصلت أخاها، فجَرت مجرى السَّائبة، قاله الفرَّاء[2].

والخامس: أن الشَّاة كانت إِذا ولدت أُنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكرًا جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكرًا وأُنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذَّكر لآلهتهم[3]، قاله الزَّجَّاج[4].

وفي «الحام» ستَّة أقوال:

أحدها: أنه الفحل، ينتج[5] من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسيِّبونه لأصنامهم، ولا يحملُ عليه، قاله ابن مسعود، وابن عبَّاسٍ، واختاره أبو عبيدة، والزَّجَّاج[6].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٣) من قوله: (فإن ولدت ذكرًا وأنثى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٥) في (ت)، و(ر): (تنتج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

والثَّاني: أنه الفحل يولد لولده، فيقولون: قد حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه، ولا يجزُّون وبره، ولا يمنعونه ماءً، ولا مرعى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ، واختاره الفرَّاء[١]، وابن قُتَيْبة[٢].

والثَّالث: أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناثٍ من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء.

والرَّابع: أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات، قاله ابن زيد.

والخامس: أنه الذي لصُلبه عشرة كلُّها تضرِب[٣] في الإِبل، قاله أبو روق.

والسَّادس: أنه الفحل يضرب في إِبل الرَّجل عشر سنين، فيخلَّى، ويقال: قد حمى ظهره، ذكره الماورديُّ عن الشافعيِّ[٤].

قال الزَّجَّاج: والذي ذكرناه في البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام أثبت ما روينا عن أهل اللُّغة[٥].

وقد أعلم الله ﷻ في هذه الآية أنه لم يحرِّم من هذه الأشياء شيئًا، وأن الذين كفروا افتروا على الله ﷻ.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٩).

(٣) في (ت)، و(ر): (يضرب).

(٤) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٧٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

قال مقاتل: وافتراؤهم: قولهم: إن الله حرَّمه، وأمرنا به[١].

وفي قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قولان:

أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرَّموا[٢]، قاله الشَّعبيُّ.

والثَّاني: لا يعقلون أن هذا التَّحريم من الشَّيطان، قاله قتادة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤].

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قيل هؤلاء المشركين الذين حرَّموا على أنفسهم هذه الأنعام: ﴿تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن من تحليل ما حرَّمتم على أنفسكم، قالوا: ﴿حَسْبُنَا﴾ أي: يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ من الدِّين والمنهاج ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ من الدِّين[٣] ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ له، أتتَّبعونهم في خطئهم[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٠).

(٢) قوله: (الذين حرَّموا)، ليس في (ج).

(٣) قوله: (من الدين)، ليس في (ج).

(٤) في (ج): (خطاياهم).

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن النَّبيَّ ﷺ كتب إِلى هَجَر، وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إِلى الإسلام، فإن أبوا فليُؤدُّوا الجزية، فلما أتاه الكتاب، عرضه على مَن عنده من العرب واليهود والنَّصارى والمجوس، فأقرُّوا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «**أَمَّا الْعَرَبُ فَلَا نَقْبَلُ**[١] **مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَالمَجُوسُ فَاقْبَلْ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ**». فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقو مكة: عجبًا لمحمدٍ يزعم أن الله بعثه ليقاتل النَّاس كافَّة[٢] حتى يسلموا، وقد قبل من مجوس هَجر، وأهل الكتاب الجزية، فهلَّا أكرههم على الإسلام[٣]، وقد ردَّها على إِخواننا من العرب، فشقَّ ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٤].

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب فلما أسلمت العرب طوعًا وكرهًا، قبلها من مجوس هَجَر، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت هذه الآية[٥].

---

(١) في (ج): (فلا يُقبل).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): (فهلَّا أكرههم حتى يُسلموا).

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٢) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به. ومحمد بن السَّائب الكلبي متروك.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١١).

والثَّاني: أن الرَّجل كان إِذا أسلم، قالوا له[١]: سفَّهت آباءك وضلَّلتهم، وكان ينبغي لك[٢] أن تنصرهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد[٣].

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: إِنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف، لأن المؤمن إِذا تركه وهو مستطيع له، فهو ضالٌّ، وليس بمهتدٍ[٤].

وقال عثمان بن عفان: لم يأت تأويلُها بعد[٥].

وقال ابن مسعود: تأويلُها في آخر الزَّمان: قولوا ما قبل منكم، فإذا غلبتم، فعليكم أنفسكم[٦].

وفي قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ[٧]﴾ قولان:

أحدهما: لا يضرُّكم من ضلَّ بترك الأمر بالمعروف إِذا اهتديتم أنتم للأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، قاله حُذيفة بن اليمان، وابن المسيَّب.

والثَّاني: لا يضرُّكم من ضلَّ من أهل الكتاب إِذا أدَّوا الجزية، قاله مجاهد.

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٤).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٤).

(٦) رواه أبو عبيد في النَّاسخ والمنسوخ (٥٢٦)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٦)، وابن أبي حاتم(٦٩٢٢) في تفسيرهما.

(٧) قوله: (إذا اهتديتم)، ليس في (م).

وفي قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيهٌ على الجزاء.

فصلٌ

فعلى ما ذكرنا عن الزَّجَّاج في معنى الآية، هي محكمة، وقد ذهب قومٌ من المفسِّرين إلى أنها منسوخة.

ولهم في ناسخها قولان:

أحدهما: أنه آية السَّيف.

والثَّاني: أن آخرها نسخ أوَّلها.

روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية[1] جمعت النَّاسخ والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ والنَّاسخ: قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2].

و«الهُدى» هاهنا: الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)﴾ [المائدة: ١٠٦].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: النَّاسخ والمنسوخ؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٢٨٦).

روى سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ قال: كان تميم الدَّاري، وعدي بن بدَّاء يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجلٌ من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس فيها[١] أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما، دفعاها إلى أهله، وكتما جامًا كان معه من فضة، وكان مخوَّصًا بالذَّهب، فقالا: لم نره، فأُتي بهما إلى النَّبيِّ ﷺ فاستحلفهما بالله: ما كتما، وخلَّى سبيلهما، ثم إن الجام وُجدَ عند قومٍ من أهل[٢] مكَّة، فقالوا: ابتعناه من تميم الدَّاري، وعدي بن بدَّاء[٣]، فقام أولياء السَّهمي، فأخذوا الجام، وحلفوا[٤] رجلان منهم[٥] بالله[٦]: إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق مِن شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها[٧].

قال مقاتل: واسم الميِّت: بُزيلُ بن أبي مارية مولى العاص بن وائل السَّهمي، وكان تميم، وعدي نصرانيَّين، فأسلم تميم، ومات عديٌّ نصرانيًّا[٨].

---

(١) في (ت)، و(ر): (بها).

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ج): (زيد).

(٤) في (ت)، و(م)، و(ر): (وحُلِّف).

(٥) في (م): (منهما).

(٦) ليست في (م).

(٧) رواه البخاري في التَّاريخ الكبير (١/ ٢١٥)، والتِّرمذي (٣٠٦٠)، والطَّبراني في الكبير (١٢٥٠٩)، والدَّارقطني في السنن (٤٣٤٨).

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١١).

فأما التَّفسير:

فقال الفرَّاء: معنى الآية: ليشهدكم اثنان إِذا حضر أحدكم الموت[١].

قال الزَّجَّاج: المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين[٢]، فحذف[٣] «شهادة» ويقوم «اثنان» مقامها[٤].

وقال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: ليشهدكم في سفركم إِذا حضركم الموت، وأردتم الوصيَّة اثنان.

وفي هذه الشَّهادة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الشَّهادة على الوصيَّة التي[٥] ثبتت عند الحكام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثَّوري، والجمهور.

والثَّاني: أنها أيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد.

والثَّالث: أنها شهادة الوصيَّة، أي: حضورها، كقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٣٣]، جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيدًا، واستدلَّ

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٣).

(٢) في (ت)، و(ر): (المعنى: شهادة اثنين).

(٣) في (ت)، و(ر): (فتُحذف).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٤).

(٥) ليست في (ج).

أرباب هذا القول بقوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ قالوا: والشَّاهد لا يلزمه يمينٌ[١].

فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدِّماته.

قوله: ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ أي: وقت الوصيَّة.

وفي قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: من أهل دينكم وملَّتكم، قاله ابن مسعود، وابن عبَّاسٍ، وسعيد بن المسيَّب، وسعيد بن جُبَيْر، وشريح، وابن سيرين، والشَّعبي، [٢١٦/أ] وهو قول أصحابنا.

والثَّاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضًا، قاله الحسن، وعكرمة، والزُّهري، والسُّدِّي.

قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ[٢]﴾ تقديره: أو شهادة آخرين.

وفي قوله: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: من غير ملَّتكم ودينكم، قاله أرباب القول الأول.

والثَّاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضًا، قاله أرباب القول الثَّاني.

وفي «أوْ» قولان:

أحدهما: أنها ليست للتَّخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم

---

(١) في (ت)، و(ر): (قالوا: والشاهد تلزمه).

(٢) قوله: (من غيركم)، ليس في (م).

تجدوا منكم، وبه قال ابن عبَّاسٍ، وابن جُبَيْر.

والثَّاني: أنها للتَّخيير، ذكره الماورديُّ[١].

فصلٌ

والقائل بأن[٢] المراد بالآية شهادة مسلمين من القبيلة، أو من غير القبيلة لا يشك في إِحْكَامِ هذه الآية.

فأما القائل بأن المراد بقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أهل الكتاب إِذا شهدوا على الوصيَّة في السَّفر.

فلهم[٣] فيها قولان:

أحدهما: أنها محكمة، والعمل على هذا باق، وهو قول ابن عبَّاسٍ، وابن المسيَّب، وابن جُبَيْر، وابن سيرين، وقتادة، والشَّعبي، والثَّوري، وأحمد في آخرين.

والثَّاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ {الطلاق: ٢} وهو قول زيد بن أسلم، وإليه يميل أبو حنيفة، ومالك، والشَّافعي، قالوا: وأهل الكفر ليسوا بعدول.

والأوَّل أصحُّ، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحيض والنِّفاس والاستهلال.

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٧٥).

(٢) في (ج): (أن).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ[١]﴾ هذا الشَّرط متعلق بالشَّهادة، والمعنى: ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض، أي: سافرتم.

﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فيه محذوفٌ، تقديره: وقد أسندتم الوصيَّة[٢] إليهما، ودفعتم إليهما مالكم.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ خطابٌ للورثة إذا ارتابوا[٣].

وقال ابن عبَّاسٍ: هذا من صلة قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من الكفار، فأما إذا كانا مسلمين، فلا يمين عليهما[٤].

وفي هذه الصَّلاة قولان:

أحدهما: صلاة العصر، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال شريح، وابن جُبَيْر، وإبراهيم، وقتادة، والشَّعبيُّ.

والثَّاني: من بعد صلاتهما في دينهما، حكاه السُّدِّي عن ابن عبَّاسٍ. وقال[٥] به.

قال الزَّجَّاج: كان النَّاس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع النَّاس[٦].

---

(١) قوله: (في الأرض) من (ج).

(٢) في (م): (المصيبة).

(٣) في (ت)، و(ر): (إذا تابوا).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٦) من طريق العَوْفي مختصرًا.

(٥) كلمة (قال) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٦).

وقال ابن قُتَيْبة: لأنه وقت يعظِّمه أهل الأديان[١].

قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: فيحلفان ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم يا أولياء الميِّت.

[٢١٦/ب] ومعنى الآية: إذا قدم الموصى إليهما بتركة المتوفى، فاتهمهما الوارث، استحلفا بعد صلاة العصر: أنهما لم يسرقا، ولم يخونا.

فالشَّرط في قوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ متعلِّق بـ ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾، كأنه قال: إن ارتبتم حبستموهما فاستحلفتموهما، فيحلفان بالله: [لَا نَشْتَرِى بِهِۦ] أي: بأيماننا، وقيل: بتحريف شهادتنا، فالهاء عائدة على المعنى.

﴿ثَمَنًا﴾ أي: عرضًا من الدُّنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، وخصَّ ذا القرابة، لميل القريب إلى قريبه. والمعنى: لا نحابي في شهادتنا أحدًا، ولا نميل مع ذي القربى في قول الزُّور ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ إنما أُضيفت إليه، لأمره بإقامتها، ونهيه عن كتمانها.

وقرأ سعيد بن جُبَيْر: «ولا نكتم شهادةً» بالتنوين، «الله» بقطع الهمزة وقصرها، وكسر الهاء، ساكنة النون في الوصل[٢].

وقرأ سعيد بن المسيَّب، وعكرمة: «شهادةً» بالتنوين والوصل

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٩).

(٢) انظر: مختصر في شواذ القرآن (ص: ٤١)، وعزاها لسعيد بن جُبَيْر، والشَّعبي.

منصوبة الهاء[1].

وقرأ أبو عمران الجوني: «شهادةً» بالتنوين وإسكانها في الوصل، «اللهَ» بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء[2].

وقرأ الشَّعبي وابن السَّمَيْفع: «شهادةً» بالتنوين وإسكانها في الوصل، «اللهِ» بقطع الهمزة، ومدِّها، وكسر الهاء[3].

وقرأ أبو العالية، وعمرو بن دينار مثله، إلَّا أنهما نصبا الهاء[4].

واختلف العلماء لأيِّ معنىً وجبت اليمين على هذين الشَّاهدين:

على ثلاثة أقوال:

أحدها: لكونهما من غير أهل الإسلام، روي هذا المعنى عن أبي موسى الأشعريِّ.

والثَّاني: لوصيَّةٍ وقعت بخطِّ الميِّت فَقَدَ ورثتُهُ بعضَ ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: لأن الورثة كانوا يقولون: كان مال ميِّتنا أكثر[5]، فاستخانوا

---

(١) انظر: المصدر السابق، والبحر المحيط (٤/ ٣٩٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٦).

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن (ص:٤١)، وإعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٤٦٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٦).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

الشَّـاهدين، قالـه الحسـن، ومجاهد.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المائـدة: ١٠٧].

قوله: ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا ﴾.

قال المفسِّرون:

لمـا نزلـت الآيـة الأولى، دعـا رسـول الله ﷺ عديًّـا وتميـمًا، فاسـتحلفهما عنـد المنـبر: أنهـما لم يخونـا شـيئًا ممـا دفـع إليهـما فحلفـا، وخـلَّى سـبيلهما، ثـم[١] ظهـر الإنـاء الـذي كتـماه، فرفعهـما أوليـاء الميِّـت إلى رسـول الله ﷺ فنزلـت: ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا ﴾[٢].

ومعنـى [عُثِرَ]: اطُّلـع أي: إن عثـر أهـل الميِّـت، أو مَـن يـلي أمـره، عـلى أن الشَّـاهدين اللَّذيـن همـا آخـران مـن غيرنـا ﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ لميلهـما[٣] عـن الاسـتقامة في شـهادتها ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقـام هذيـن الخائنـين ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾.

قـرأ ابـن كثـير ونافـع وأبـو عمـرو وابـن عامـر والكِسَـائِي: «اسـتُحِقَّ»

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: معالم التَّنزيل؛ للبغوي (٢/ ٩٨).

(٣) في (ت)، و(ر): (بميلهما).

بضم التاء، «الْأَوْلَيَانِ» على التَّثنية[(١)][(٢)].

وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان:

أحدهما: أنهما الذِّمِّيَّان.

والثَّاني: الوليَّان.

فعلى الأول في معنى ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾[(٣)] أربعة أقوال: [٢١٧/أ]

أحدها: استحقَّ عليهم الإِيصاء، قال ابن الأنباريِّ: المعنى: من القوم الذين استحقَّ فيهم الإِيصاء، استحقَّه الأوليان بالميِّت.

وكذلك قال الزَّجَّاج: المعنى: من الذين استحقَّت الوصيَّة أو الإِيصاء عليهم[(٤)].

والثَّاني: أنه الظُّلم، والمعنى: من الذين استحقَّ عليهم ظلم الأولَيان؛ فحذف الظُّلم، وأقام الأولين مقامه، ذكره ابن القاسم أيضًا.

والثَّالث: أنه الخروج مما قاما به من الشَّهادة، لظهور خيانتهما.

والرَّابع: أنه الإثم، والمعنى: استحقَّ منهم الإثم، ونابت «على» عن «مِن» كقوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين:٢] أي: منهم.

---

(١) في (م): (وأبان عن عاصم على التَّثنية)، بدلاً من قوله: («الْأَوْلَيَانِ» على التَّثنية).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٨)، والحجَّة (١/ ١٣٥)، والمبسوط (١/ ١٨٨).

(٣) من قوله: (قولان)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

قال الفرَّاء: «على» بمعنى «في» كقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: في ملكه، ذكر القولين أبو عليٍّ الفارسي[١].

وعلى هذه الأقوال مفعول «استحقَّ» محذوف مُقدَّر.

وعلى القول الثَّاني في معنى ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان:

أحدهما: استحقَّ منهم الأوليان، وهو[٢] اختيار ابن قُتَيْبة[٣].

والثَّاني: جني عليهم الإثم، ذكره الزَّجَّاج[٤].

فأما «الأوليان»: فقال الأخفش: الأوليان: اثنان، واحدهما[٥]: الأولى، والجمع: الأولون[٦].

ثم للمفسِّرين فيهما قولان:

أحدهما: أنهما أولياء الميت، قاله الجمهور.

قال الزَّجَّاج: «الأوليان» في قول أكثر البصريين يرتفعان على البَدَلِ مما في «يقومان»، والمعنى: فليقم الأوليان بالميِّت مقام هذين الخائنين[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٤)، والحجَّة (٣/ ٢٦٨).

(٢) في (ت)، و(ر): (وهذا).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٢٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

(٥) في (ت)، و(ر): (أحدهما).

(٦) في (م): (الأولون).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

وقال أبو عليٍّ: لا يخلو الأوليان أن يكون ارتفاعهما على الابتداء، أو يكون خبر مبتدأ محذوف[١]، كأنه قال: فآخران يقومان مقامهما هما[٢] الأوليان، أو يكون بدلًا من الضَّمير الذي في «يقومان»، والتَّقدير: فيقوم الأوليان[٣].

والقول الثَّاني: أن[٤] الأوليان: هما الذِّمِّيَّان، والمعنى: أنهما الأوليان بالخيانة، ذكره ابن الأنباريِّ.

فيكون المعنى: يقومان، إلَّا[٥] من الذين استحق عليهم [الإثم، وهما الأوليان بالخيانة][٦].

قال الشَّاعر[٧][البيت من الطويل]:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً ... مُبَرَّدَةً باتَتْ عَلَى طَهَيَانِ

أي: بدلاً من ماء زمزم[٨].

---

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٦٧).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

(٥) قوله: (يقومان، إلا)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(م)، و(ر).

(٧) البيت ليعلى بن الأحول الكندي في خزانة الأدب (٥/ ٢٧٦، ٩/ ٤٥٣)، ولسان العرب (١٤/ ٤٢٦)، و(١٥/ ٤٧٧)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٢٩)، وتهذيب اللُّغة (٦/ ٣٧٧).

(٨) من قوله: (قال الشاعر)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

وروى[١] قرَّة[٢] عن ابن كثير[٣]، وحفص عن عاصم: «استَحَق»[٤] بفتح التاء والحاء، «الأوليان» على التثنية[٥].

والمعنى[٦]: استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها، فحذف المفعول.

وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم[٧]: «استُحِقَّ» برفع التاء، وكسر الحاء، «الأوَّلِينَ» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع[٨].

والتَّقدير: من الأولين الذين استحق فيهم الإثم، أي: جني عليهم، لأنهم كانوا أولين في الذِّكر، ألا ترى أنه قد تقدَّم ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

وروى الحلبيُّ عن عبد الوارث: «الأوَّلَيْنِ» بفتح الواو وتشديدها، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهو تثنية: أوَّل[٩].

---

(١) في (م): (روى).

(٢) في (م): (قرة عن ابن عباس).

(٣) في (ت)، و(ر): (ورُوي عن ابن كثير).

(٤) في (م): (ليستحق)!.

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٢٥٤).

(٦) ليست في (م).

(٧) في (ت)، و(ر): (وقرأ أبوبكر عن عاصم).

(٨) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٩).

(٩) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٢٥٤).

وقرأ الحسن البصري: «استَحَق» بفتح التاء والحاء، «الأوَّلان» تثنية «أوَّل» على البدل من قوله: ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾[١]. [٢١٧/ ب]

وقال ابن قُتَيْبة: أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرِّفنا كيف يشهد[٢] بالوصيَّة عند حضور الموت فقال: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: عدلان من المسلمين، وعلم أن من النَّاس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين[٣]، وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت، فلا يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من غير أهل دينكم، فالذِّمِّيَّان في السَّفر خاصَّة إذا لم يوجد غيرهما، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أراد: تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم[٤] في[٥] شهادتهما، وخشيتم أن يكونا قد[٦] خانا، أو بدَّلا فإذا حلفا، مضت شهادتهما، ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ أي: ظهر على أنهما ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: حنثا في اليمين بكذب أو خيانة، ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ أي: قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوليان يقال: هذا الأولى بفلان، ثم يحذف من الكلام «بفلان»، فيقال:

---

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٤١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٢٥٤).

(٢) في (ت)، و(ر): (تشهد)، وفي (ج): (نشهد).

(٣) من قوله: (وعلم أن من الناس)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) من قوله: (أراد: تحبسونهما)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) في (ت)، و(ر): (من).

(٦) ليست في (ج).

هـذا الأولى، وهـذان الأوليـان(١)، و«عليهـم» بمعنـى: «منهـم» فيحلفـان بـالله: لقـد ظهرنـا عـلى خيانـة الذِّمِّيَّـين، وكذبهـما، ومـا اعتدينـا عليهـما، ولشـهادتنا أصـحُّ، لكفرهمـا وإيمانـنا، فترجـع عـلى الذِّمِّيَّـين بـما اختانـا، وينقـض مـا مـضى مـن الحكـم بشـهادتهما تلـك(٢).

وقـال غـيره: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾ أي: ليميننـا أحـقُّ، وسـمِّيت اليمـين شـهادة، لأنهـا كالشَّـهادة عـلى مـا يحلـفُ عليـه أنـه كذلـك.

قـال المفسِّرون: فلـما نزلـت هـذه الآية قـام عمـرو بـن العـاص، والمطَّلب بـن أبي وَداعـة السَّـهميَّان، فحلفـا بـالله، ودُفِعَ الإنـاء إليهـما وإلى أوليـاء الميِّت.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾ [المائـدة: ١٠٨].

قولـه: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ أي: ذلـك الـذي حكمنـا بـه مـن ردِّ اليمـين، أقـرب إلى إتيـان أهـل الذِّمَّـة بالشَّـهادة عـلى وجههـا، أي: عـلى مـا كانـت، وأقـرب أن يخافـوا أن تـردَّ أيـمان أوليـاء الميـت بعـد أيمانهـم، فيحلفـون عـلى خيانتهـم، فيفتضحـوا، ويغرمـوا، فـلا يحلفـون كاذبـين إذا خافـوا ذلـك. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أن تحلفـوا كاذبـين، أو تخونـوا أمانـة، ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ الموعظـة.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المائـدة: ١٠٩].

---

(١) من قوله: (وهما الوليان يقال: هذا)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٩ ـ ٢٢١).

قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾.

قال الزَّجَّاج: نصب ﴿يَوْمَ﴾ محمول على قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واتقوا يوم جمعه للرُّسل، ومعنى مسألته للرُّسل توبيخ الذين أُرسلوا إليهم[١].

فأما قول الرُّسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾.

ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنهم طاشت عقولهم حين زفرت جهنَّم، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ثم تُرَدُّ إليهم عقولُهم، فينطلقون بحجَّتهم، رواه أبو الضُّحى عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

والثَّاني: أن المعنى ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إلَّا علمٌ أنت أعلم به منا، رواه[٢] ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عملوا بعدكم، وأحدثوا، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ قاله ابن جُرَيْج[٣]، وفيه بُعْد. [٢١٨/أ]

والرَّابع: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع علمك، لأنك تعلم الغيب، ذكره الزَّجَّاج[٤].

والخامس: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ كعلمك، إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمروا، ونحن نعلم ما أظهروا، ولا نعلم ما أضمروا،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٨).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت)، و(ر): (ابن جرير).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٨).

فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، هذا اختيار ابن الأنباريِّ.

والسَّادس: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بجميع أفعالهم إذ كنا نعلم بعضها وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان بعد وفاتنا، وإنما يُستحقُّ الجزاء بما تقع به الخاتمة، حكاه ابن الأنباريِّ.

قال المفسِّرون: إذا ردَّ الأنبياء العلم إلى الله[1] أُبْلِسَتِ الأممُ، وعلمت أن ما أتته في الدُّنيا [كان][2] غير غائب عنه، وأن الكلَّ لا يخرجون عن قبضته.

قوله: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

قال الخطَّابي: «العلَّام»: بمنزلة العليم، وبناء «فعَّال» بناء التَّكثير[3].

فأما [ٱلْغُيُوبِ] فجمع غيب، وهو ما غاب عنك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ قال ابن عبَّاسٍ: معناه: وإذ يقول.

قوله: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾.

---

(١) في (م): (قال المفسرون: إذا أراد العلم إلى الله).

(٢) زيادة من (ت)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص: ١٠٣).

في تذكيره النِّعم فائدتان:

إحداهما: إسماع الأمم ما خصَّه به من الكرامة.

والثَّانية: توكيد حجَّته على جاحده.

ومن نعمه على مريم أنه اصطفاها وطهَّرها، وأتاها برزقها من غير سبب.

وقال الحسن: المراد بذكر النِّعمة: الشُّكر.

فأما «النِّعمة» فلفظها لفظ الواحد، ومعناها الجمع.

فإن قيل: لم قال هاهنا: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ وفي «آل عمران»: ﴿فِيهِ﴾؟

فالجواب: أنه جائز أن يكون ذكر الطَّير على معنى الجميع، وأنَّث على معنى الجماعة، وجاز أن يكون «فيه» للطَّير، «وفيها» للهيئة، ذكره أبو عليٍّ[١] الفارسي[٢].

قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم هاهنا، وفي «هود»، و[في][٣] «الصَّفِّ»[٤]: ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقرأ في «يونس»: ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ {الآية: ٢} بألف.

---

(١) سقطت من (ت).

(٢) انظر: الحجَّة (٣/ ٤٤).

(٣) من (م).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، الأربعة: ﴿سِحْرٌ﴾ بغير ألف[١].

فمن قرأ «سحر» أشار إلى ما جاء به، ومن قرأ «ساحر»، أشار إلى الشَّخص.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائـدة: ١١١].

وفي الوحي إلى الحواريِّين قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإلهام، قاله الفرَّاء[٢].

وقال السُّدِّي: قذف في قلوبهم[٣].

والثَّـاني: أنـه بمعنـى الأمـر، فتقديـره: أمـرت الحواريِّـين، و«إلى» صلـة، قالـه أبـو عبيـدة[٤].[٥]

وفي قوله: ﴿وَٱشْهَدْ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم يعنون الله تعالى.

والثَّاني: عيسى ﷺ.

وقوله: ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون للعبادة والتَّوحيد.

وقد سبق شرح ما أُهمل هاهنا فيما تقدَّم.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٩)، والحجَّة (٣/ ٢٧٠)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٢٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (٧٠٠٥) في تفسيرهما.

(٤) في الأصل: (أبو عبيد)، والمثبت من بقية النُّسخ، وهو الصواب.

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].

قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: هل يقدر(١).

وقرأ الكِسَائِي: «هل تستطيع» بالتاء، ونصْب «الرَّب»(٢).

قال الفرَّاء: معناه: هل تقدر أن تسأل ربَّك(٣)(٤).

قال ابن الأنباريِّ: ولا يجوز لأحدٍ أن يتوهَّم أن الحواريين شكُّوا [٢١٨/ ب] في قدرة الله، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع، ولكنَّه يريد: هل يسهل عليك.

وقال أبو عليٍّ: المعنى: هل يفعل ذلك بمسألتك إيَّاه(٥).

وزعم بعضهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم، فردَّ عليهم عيسى بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أن تنسبوه إلى عجز، والأوَّل أصحُّ.

فأمَّا «المائدة».

فقال اللُّغويون: «المائدة»: كلُّ ما كان عليه من الأَخوِنة طعام، فإذا

---

(١) في الأصل، و(ت)، و(ر): (أي: هل تقدر أن تسأل ربك)!، والمثبت من (ج)، و(م)، وفي معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٥): (أي: هل يقدر ربُّك).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٩)، والحجَّة (٣/ ٢٧٣)، والتَّيسير (١/ ١٠١).

(٣) من قوله: (وقرأ الكِسَائِي)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٥).

(٥) انظر: الحجَّة (٣/ ٢٧٤).

لم يكن عليه [طعام][١] فليس بمائدة، والكأس: كل إناء فيه شراب، فإذا لم يكن فيه شراب[٢]، فليس بكأس، ذكره الزَّجَّاج[٣].

قال الفرَّاء: وسمعت بعض العرب يقول للطَّبق الذي تهدى[٤] عليه الهديَّة: هُوَ المُهْدَى، مقصور، ما دامت عليه الهديَّة، فإذا كان فارغًا رجع إلى اسمه إن كان طبقًا أو خوانًا أو غير ذلك[٥].

وذكر الزَّجَّاج عن أبي عبيدة أن لفظها فاعلة، وهي في المعنى مفعولة، مثل عِيشَةٍ راضِيَةٍ[٦].

قال أبو عبيدة: وهي من العطاء، والممتاد: المفتعل المطلوب منه العطاء[٧].

قال الشَّاعر[٨][من الرجز]:

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُمْتَادِ ....

وَمَادَ زيدٌ عَمْرًا: إذا أعطاه.

قال الزَّجَّاج: والأصل عندي في «مائدة» أنها فاعلةٌ من: ماد يميد:

---

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) قوله: (فإذا لم يكن فيه شراب)، ليس في (م).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٥).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (يهدى).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢١٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٠)، ومجاز القرآن (١/ ١٨٢).

(٧) المصدر السابق.

(٨) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه (ص: ٤٠)، ومجاز القرآن (١/ ٣٤١)، ولسان العرب (٣/ ١١٤).

إذا تحـرَّك، فكأنهـا تميـد بـها عليهـا[١].

وقال ابن قُتَيْبَة: «المائدة»: الطَّعام، من: مَادَنِي يَميدُني[٢]، كأنها تميدُ للآكلين، أي: تعطيهم، أو تكون فاعلة بمعنى: مفعول بها، أي: ميد بها الآكلون[٣].

قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: اتَّقوه أن تسألوه البلاء، لأنها إن نزلت وكذَّبتم، عُذِّبتم، قاله مقاتل[٤].

والثَّاني: أن تسألوه ما لم تسأله الأُمم قبلكم، ذكره أبو عبيد[٥].

والثَّالث: أن تشكُّوا في قدرته.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائـدة: ١١٣].

قوله: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾.

هذا اعتذار منهم بيَّنوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه.

وفي إرادتهم للأكل منها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أرادوا ذلك للحاجة، وشدَّة الجوع، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٠).

(٢) في (ج): (ومائدة الطَّعام مأخوذة من: مادني يميدني).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٧).

(٥) انظر: البحر المحيط (١/ ٦٠١).

والثَّاني: ليزدادوا إيمانًا، ذكره ابن الأنباريِّ.

والثَّالث: للتَّبرُّك بها، ذكره الماورديُّ[(١)].

وفي قوله: ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تطمئنُّ إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبيًّا.

والثَّاني: إلى[(٢)] أن الله تعالى قد[(٣)] اختارنا أعوانًا لك.

والثَّالث: إلى أن الله تعالى قد أجاب [سؤالنا][(٤)].

وقال ابن عبَّاسٍ: قال لهم عيسى: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يومًا، ثم لا تسألونه شيئًا إلا أعطاكم؟ فصاموا، ثم سألوا المائدة[(٥)].

فمعنى: ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ في أنَّا إذا صمنا ثلاثين يومًا لم نسأل الله شيئًا إلا أعطانا.

وفي هذا العلم قولان:

[٢١٩/أ] **أحدهما**: أنه علمٌ يحدث[(٦)] لهم لم يكن، وهو قول مَن قال: كان سؤالهم قبل استحكام معرفتهم[(٧)].

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٨٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ليست في (ج).

(٤) زيادة من (ت)، و(م)، و(ر)، وفي (ج): (قد أجاب لنا).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٧٠١٦) في تفسيرهما.

(٦) في (ت)، و(ر): (محدث).

(٧) في (ج): (كان سؤالهم بعد معرفتهم).

والثَّاني: أنه زيادة علم إلى علم، ويقين إلى يقين، وهو قول من قال: كان سؤالهم بعد معرفتهم.

وقرأ الأعمش: «وتعلم» بالتاء، والمعنى: وتعلم القلوب أن قد صدقتنا[١].

وفي قوله: ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: من الشَّاهدين لله بالقدرة، ولك بالنُّبوَّة.

والثَّاني: عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرِّيَّة عند هذا السُّؤال.

والثَّالث: من الشَّاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدنا من الآيات الدَّالة على أنك نبيٌّ.

والرَّابع: من الشَّاهدين[٢] لك عند الله بأداء ما بُعثت به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ [المائدة: ١١٤].

قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

وقرأ ابن محيصن، وابن السَّمَيْفع، والجحْدَري: «لِأُولَانَا وَأُخْرَانَا» برفع الهمزة، وتخفيف الواو[٣].

---

(١) أي: وَتَعْلَمُهُ قُلُوبُنَا. في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وإعراب القراءات الشاذة (١/ ٤٦٥)، والبحر المحيط (٤/ ٤١٢)

(٢) من قوله: (عند من يأتي من قومنا)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٤٢): عن زيد بن ثابت، وابن محيصن، واليماني، وفي معاني=

والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيدًا لنا، نعظِّمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسُّدِّي.

وقال كعب: أُنزلت عليهم يوم الأحد، فاتَّخذوه عيدًا[١].

وقال ابن قُتَيْبَة: عيدًا، أي: مجمعًا[٢].

قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه[٣].

وقال ابن الأنباريِّ: سُمِّيَ عيدًا للعودِ من التَّرح إلى الفرح[٤].

قوله: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾.

أي علامة منك تدلُّ على توحيدك، وصحَّة نبوَّة[٥] نبيِّك.

وقرأ ابن السَّمَيْفع، وابن مُحَيْصِن، والضَّحَّاك: «وأنَّه منك» بفتح الهمزة، وبنون مشدَّدة[٦].

=القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٣٨٦): عن عاصم الجَحْدَري، والبحر المحيط (٤/ ٤١٣) وقال: ﴿لِأُولَانَا وَأُخْرَانَا﴾ أنَّثوا على معنى الأمة والجماعة.

(١) المشهور عن كعب أنها آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ كما في تفسير ابن جرير الطَّبري (٨/ ٨٧) عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بن الخطَّاب: إِنِّي لَأَعْرِفُ قَوْمًا لَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ لَنَظَرُوا إِلَى يَوْمِ نَزَلَتْ فِيهِ، فَاتَّخَذُوهُ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ فَقَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي أَيِّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] يَوْمَ جُمُعَةٍ، يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُمَا لَنَا عِيدَانِ».

(٢) انظر: غريب الحديث (١/ ١٤٩).

(٣) انظر: البحر المحيط (٤/ ٤١٣).

(٤) انظر: الزَّاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩١).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:٤٢)، والبحر المحيط (٤/ ٤١٣) عن اليماني.

وفي قوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ قولان:

أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك.

والثَّاني: ارزقنا الشُّكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا[1].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

قرأ نافع وعاصم وابن عامر: «منزِّلها» بالتَّشديد، وقرأ الباقون خفيفة[2].

وهذا وعدٌ بإجابة سؤال عيسى عليه السلام.

واختلف العلماء: هل نزلت أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبِّه عن أبي عثمان النَّهدي، عن سلمان الفارسيِّ قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدُّوا في طلبها لبس جُبَّة من شعر، ثم توضَّأ، واغتسل، وصفَّ قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وطأطأ رأسه خضوعًا، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خدِّه، وتقطر

---

(١) في (ج): (من إحياء ميتك لنا).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ١٦٥)، والحجَّة (٣/ ٢٨٣)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

مـن أطـراف لحيتـه حتـى ابتلَّـت الأرض مـن دموعـه[١] حيـال[٢] وجهـه، ثـم رفـع رأسـه إلى السَّـماء، فقـال: اللهـمَّ ربَّنـا أنـزل علينـا مائـدة مـن السَّـماء، فبينما عيسـى كذلـك، هبطـت عليهـم مائـدةٌ مـن السَّـماء، سـفرة حمـراء بـين غمامتـين، غمامـة مـن تحتهـا، وغمامـة مـن فوقهـا، وعيسـى يبكـي ويتـضرَّع، ويقـول: إلهي [٢١٩/ب] اجعلهـا سـلامةً، لا تجعلهـا عذابًـا[٣]، حتـى اسـتقرَّت بـين يديـه، والحواريُّـون مـن[٤] حولـه، فأقبـل هـو وأصحابـه حتـى قعـدوا حولهـا، وإذا عليهـا منديـلٌ مغطًّـى، فقـال عيسـى: أيُّكـم أوثـق بنفسـه وأقـلُّ بـلاءً عنـد ربِّـه فليأخـذ هـذا المنديـل، وليكشـف لنـا عـن هـذه الآيـة. قالـوا: يـا روح الله أنـت أولانـا بذلك، فاكشـف عنهـا، فاسـتأنف وضـوءًا جديـدًا، وصـلَّى ركعتـين، وسـأل ربَّـه أن يـأذن لـه بالكشـف عنهـا، ثـم قعـد إليهـا، وتنـاول المنديـل، فـإذا عليهـا سـمكة مشـويَّة، ليـس فيهـا شـوك، وحولهـا مـن كلِّ البقـل مـا خـلا الكـرَّاث، وعنـد رأسـها الخـلُّ، وعنـد ذنبهـا الملـح، وحولهـا خمسـة أرغفـةٍ، عـلى رغيـف تمـر، وعـلى رغيـف زيتـون[٥]، وعـلى رغيـف خمـس رمَّانـات. فقـال شـمعون رأس الحواريِّـين: يـا روح الله أمِـن طعـام الدُّنيـا هـذا، أم مـن طعـام الجنَّـة؟ فقـال عيسـى: سـبحان الله أمـا تنتهـون! مـا أخوفنـي عليكـم. قـال شـمعون: لا وإلـه بنـي إسرائيـل مـا أردت بهـذا سـوءًا. قـال عيسـى ﵇: ليـس مـا تـرون عليهـا

(١) قوله: (من دموعه)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (حال).

(٣) مكانها بياض في (ت).

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٥) قوله: (وعلى رغيف زيتون)، ليس في (ت)، و(ر).

من طعام الدُّنيا، ولا من طعام الجنَّة، إنما هو شيءٌ ابتدعه الله[١]، فقال له: «كن» فكان أسرع من طرفة عين. فقال الحواريُّون: يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية، فقال: سبحان الله! ما اكتفيتم بهذه الآية؟! ثم أقبل على السَّمكة[٢] فقال: عودي بإذن الله حيَّةً طريَّةً، فعادت تضطرب على المائدة، ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشويَّة[٣]، فقال: يا روح الله كن أنت أوَّل من يأكل منها، فقال: معاذ الله بل يأكل منها مَن سألها، فلما رأوا امتناعه، خافوا أن يكون نزولها عقوبة، فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزَّمنى واليتامى، فقال: كلوا من رزق ربِّكم[٤]، ودعوة نبيِّكم، ليكون[٥] مهنؤها لكم، وعقوبتها على غيركم، فأكل منها ألف وسبعمائة إنسان، يصدرون[٦] عنها شباعًا وهي كهيئتها حين نزلت، فصحَّ كلُّ مريض، واستغنى كلُّ فقير أكل منها، ثم نزلت بعد ذلك عليهم، فازدحموا عليها، فجعلها عيسى نوبًا بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعين يومًا، تنزل يومًا، وتغبُّ[٧] يومًا، وكانت تنزل عند ارتفاع

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (السَّماء).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) في (ج): (الله).

(٥) في (ج): (لتكون).

(٦) سقطت من (ج).

(٧) كذا بالأصل، وفي (ت)، و(ج)، و(ر): (وتغيب)، والغِبُّ، مِنْ وِرْدِ الماءِ: فَهُوَ أَن تَشْرَبَ يَوْمًا، وَيَوْمًا لا، والغِبُّ: وِرْدُ يَوْمٍ، وظِمءُ آخرَ. انظر: لسان العرب (١/ ٦٣٥).

الضُّحى، فيأكلون منها حتى إذا قالوا؛ ارتفعت إلى السَّماء وهم ينظرون إلى ظلِّها في الأرض(١).

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرةً وعشيَّة، حيث كانوا(٢).

[٢٢٠/أ] وقال غيره: نزلت يوم الأحد مرتين.

وقيل: نزلت غدوة وعشيَّة يوم الأحد، فلذلك جعلوه عيدًا.

وفي الذي كان على المائدة ثمانية أقوال:

أحدها: أنه خبز ولحم، روي عن عمار بن ياسر عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**نَزَلَتِ المَائِدَةُ من السَّماء خُبْزًا وَلَحْمًا**»(٣).

والثَّاني: أنها سمكة مشويَّة، وخمس أرغفة، وتمر، وزيتون، ورمَّان. وقد ذكرناه عن سلمان(٤).

والثَّالث: ثمرٌ من ثمار الجنَّة، قاله عمار بن ياسر.

وقال قتادة: ثمرٌ من ثمار الجنَّة، وطعامٌ من طعامها(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٠١٩) مختصرًا.

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ١٢٨).

(٣) رواه التِّرمذي (٣٠٦١)، والبزار في مسنده (١٤١٩)، وأبو يعلى (١٦٥١)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم (٧٠٢٢) في تفسيرهما وغيرهم من طريق سعيد، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، به، بلفظ: «**نَزَلَتِ المَائِدَةُ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا وَلَا يَرْفَعُوا لِغَدٍ، فَخَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**».

(٤) في (م): (سليمان).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٢٨)، وابن الأنباريِّ في الأضداد (١/ ٣٥١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

و **الرَّابع**: خبزٌ، وسمكٌ، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، وأبو عبد الرحمن السُّلمي.

والخامس: قصعةٌ من ثريد، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ.

والسَّادس: أنه أُنزل عليها كلُّ شيء إلَّا اللَّحم، قاله سعيد بن جُبَيْر.

والسَّابع: سمكةٌ فيها طعم كلِّ شيءٍ من الطَّعام، قاله عطيَّة العَوْفي.

والثَّامن: خبز أرز وبقل، قاله ابن السَّائب.

والقول الثَّاني: أنها لم تنزل، روى قتادة عن الحسن أن المائِدة لم تنزل، لأنه لما قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: أُنزلت مائدة عليها ألوانٌ من الطَّعام، فعرضها عليهم، وأخبرهم أنه العذاب إن كفروا، فأبوها فلم تنزل.

وروى ليث عن مجاهد قال: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لخلقه، لينهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه، ولم ينزل عليهم شيء.

والأوَّل أصحُّ.

قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي: بعد إنزال المائدة.

وفي العذاب المذكور قولان:

أحدهما: أنه المسخ.

والثَّاني: جنسٌ من العذاب لم يعذَّب به أحد سواهم.

قال الزَّجَّاج: ويجوز أن يعجل لهم في الدُّنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة[١].

وفي ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه عامٌّ.

والثَّاني: عالمو زمانهم.

وقد ذكر المفسِّرون أن جماعة من أصحاب المائدة مسخوا.

وفي سبب مسخهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أمروا أن لا يخونوا، ولا يدَّخِروا، فخانوا وادَّخروا، فمسخوا قردةً وخنازير، رواه عمار بن ياسر عن النَّبيِّ ﷺ[٢].

والثَّاني: أن عيسى خصَّ بالمائدة الفقراء، فتكلَّم الأغنياء بالقبيح من القول، وشكَّكوا النَّاس فيها، وارتابوا، فلما أمسى المرتابون بها، وأخذوا مضاجعهم، مسخهم الله خنازير، قاله سلمان[٣] الفارسيُّ.

والثَّالث: أن الذين شاهدوا المائدة، ورجعوا إلى قومهم، فأخبروهم، فضحك بهم من لم يشهد، وقالوا: إنما سحر أعينكم، وأخذ بقلوبكم، فمن أراد الله به خيرًا، ثبت على بصيرته، ومن أراد به فتنة، رجع إلى كفره، فلعنهم عيسى، فأصبحوا خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا، [٢٢٠/ ب] قاله ابن عبَّاس.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٢).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) في (م): (أبو سلمان)!.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائـدة: ١١٦].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾.

في زمان هذا القول قولان:

أحدهما: أنه يقوله له يوم القيامة، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة(١)، وابن جُرَيْج.

والثَّاني: أنه قاله له حين رفعه إِليه، قاله السُّدِّي، وميسرة(٢).

والأوَّل أصحُّ.

وفي «إِذْ» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها زائدة، والمعنى: وقال الله، قاله أبو عبيدة(٣).

والثَّاني: أنها على أصلها، والمعنى: وإذ يقول الله، قاله ابن قُتَيْبة(٤).

والثَّالـث: أنهـا بمعنـى: «إذا»، كقولـه تعـالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [سـبأ:٥١] والمعنـى: إذا.

---

(١) ليست في (م).

(٢) ليست في (ت)، و(م)، و(ر).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٩).

قال أبو النَّجم[1] [من الرجز]:

ثُمَّ جَزَاكَ اللهُ عَنِّي إِذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التَّوبيخ لِمَن ادَّعى ذلك على عيسى.

قال أبو عبيدة: وإنما قال: ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ لأنهم إذا أشركوا فعلَ ذكرٍ مع فعل أنثى ذكَّروهما[2].

فإن قيل: فالنَّصارى لم يتَّخذوا مريم إلهًا، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟

فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشرًا، وإنما ولدت إلهًا، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعضيَّة بمثابة مَن ولدته، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: براءة لك من السُّوء.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: لست أستحقُّ العبادة فأدعو النَّاس إليها.

وروى عطاء بن السَّائب عن ميسرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ رُعِد كلُّ مَفْصِل منه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله، وما قال: إني لم أقل، ولكنه قال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾[3].

---

(١) البيت في الأضداد؛ لابن الأنباريِّ (١/ ١١٩)، والصاحبي في فقه اللُّغة (١/ ٩٩)، ولسان العرب (١٥/ ٤٦٣) برواية:

ثُمَّ جزاه اللهُ عَنَّا، إذْ جَزى جَنَّاتِ عَدْنٍ والعلاليِّ العُلا

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٠٥٤) من طريق قيس، به.

فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟

فالجواب: أنه تثبيت للحجَّة على قومه، وإكذاب لهم في ادِّعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرارٌ من عيسى ﷺ بالعجز في قوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾، وبالعبوديَّة في قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾.

قوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾.

قال الزَّجَّاج: تعلم ما أُضمره، ولا أعلم ما عندك علمُه، والتَّأويل: تعلم ما أعلم، وأنا لا أعلم ما تعلم[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ ﴾ [المائدة: ١١٧].

قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحِّدوه[٢].

قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ أي: على ما يفعلون ما كنت مقيمًا فيهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالرَّفع إلى السَّماء.

والثَّاني: بالموت عند انتهاء الأجل.

و«الرَّقيب» مشروحٌ في سورة «النِّساء»، و«الشَّهيد» في «آل عمران».

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨].

قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فبتوبة كانت منهم[١].

وقال الزَّجَّاج: علم[٢] عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على[٣] الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: إن تعذِّب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم، لأنك قد أوضحت لهم الحقَّ، فكفروا، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ[٤]﴾ أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم، وآمن، فذلك تفضُّل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز، لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في[٥] ذلك[٦]. [٢٢١/أ]

وقال ابن الأنباريِّ: معنى الكلام: لا ينبغي لأحدٍ أن يعترض عليك، فإن عذَّبتهم، فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم - ولست فاعلًا إذا ماتوا على الكفر - فلا اعتراض عليك.

---

(١) انظر: التَّفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٤٨).

(٢) في (ج): (يعلم).

(٣) ليست في (ج).

(٤) ليست في (م).

(٥) قوله: (وأنت في مغفرتك لهم عزيز)... إلى هنا، ليس في (م).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٣ـ ٢٢٤).

وقال غيره: العفو لا ينقص عزَّك، ولا يخرج عن حكمك.

وقد روى أبو ذرٍّ ﵁ قال: قام رسول الله ﷺ قيام ليلةٍ بآيةٍ يردِّدها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)﴾ [المائدة: ١١٩، ١٢٠].

قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

قرأ الجمهور برفع «اليوم».

وقرأ نافع بنصبه على الظَّرف(٢).

قال الزَّجَّاج: المعنى: قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصَّادقين صدقهم، ويجوز أن يكون على معنى: قال الله هذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصَّادقين صدقهم(٣).

و[في](٤) المراد باليوم: يوم القيامة، وإنما خصَّ نفع الصِّدق به لأنه يوم الجزاء.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٨٣٦٨)، وأحمد (٣٥/ ٢٥٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٤٧) وغيرهم.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٠)، والحجَّة (٣/ ٢٨٢)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٤).

(٤) من (م).

وفي هذا الصِّدق قولان:

أحدهما: أنه صدقهم في الدُّنيا ينفعهم في الآخرة.

والثَّاني: صدقهم في الآخرة ينفعهم هنالك.

وفي هذه الآية تصديقٌ لعيسى فيما قال.

قوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ أي: بطاعتهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بثوابه.

وفي قوله: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ تنبيهٌ على عبوديَّة عيسى، وتحريضٌ على تعليق الآمال بالله وحده.

سورة الأنعام

فصلٌ في نزولها[(١)]

روى مجاهد عن ابن عبَّاسٍ: أن الأنعام مما نزل بمكَّة[(٢)]. وهذا قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد.

وروى يوسف بن مهران عن ابن عبَّاسٍ، قال: نزلت «سورة الأنعام» جملة[(٣)] ليلًا بمكة، وحولها سبعون ألف ملك[(٤)].

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ قال[(٥)]: هي مكِّيَّة، نزلت جملة واحدة، ونزلت ليلاً وكتبوها من ليلتهم، غير ستِّ آيات منها مدنيَّات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] إلى آخر الثَّلاث آيات. وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام:٩١]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٩٣] إلى آخر الآيتين[(٦)].

---

(١) في (ج): (بسم الله الرحمن الرحيم)، بدلاً من قوله: (فصل في نزولها).

(٢) رواه النَّحاس في النَّاسخ والمنسوخ (١/ ٤١٥)، بلفظ مطول، وانظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢٥٦).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٤٠)، وابن الضريس في فضائله (١٩٦)، والطَّبراني في الكبير (١٢٩٣٠) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، به، بنحوه. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٥) من قوله: (نزلت سورة الأنعام جملة)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطيَّة (٢/ ٢٥٦).

وذكر مقاتل نحو هذا. وزاد آيتين: قوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:١١٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ [٢٢١/ب] يَعْرِفُونَهُ﴾ [الأنعام:٢٠][١].

وروي عن ابن عبَّاسٍ، وقتادة قالا: هي مكِّيَّة، إلَّا آيتين نزلتا بالمدينة قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:٩١]. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ[٢]﴾ [الأنعام:١٤١].

وذكر أبو الفتح بن شَيْطَا[٣]: أنها مكية، غير آيتين نزلتا بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ[٤]﴾ [الأنعام:١٥١]، والتي بعدها.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٤٧ـ٥٤٨).

(٢) قوله: (وغير معروشات) زيادة من (ج).

(٣) هو: عبد الواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شَيْطَا ــ أبو الفتح ــ مقرئ العراق مصنف كتاب التِّذكار في القراءات، قال الخطيب: كتبنا عنه، وكان ثقةً عالمًا بوجوه القراءات، بصيرًا بالعربيَّة، حافظًا لمذاهب القراء، توفي (٤٥٠هـ).
انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٦٩)، والوافي بالوفيات (١٩/ ١٦٩)، وغاية النهاية (١/ ٤٧٣).

(٤) قوله: (أتل ما حرم ربكم عليكم)، ليس في (ج)، و(ف)، و(ر).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ [الأنعام: ١].

فأمَّا[١] التَّفسير:

فقال كعب: فاتحة التَّوراة فاتحة «الأنعام»، وخاتمتها خاتمة «هود»، وإنما ذكر السَّماوات والأرض، لأنهما[٢] من أعظم المخلوقات[٣].

والمراد «بالجَعل»: الخلق. وقيل: إنَّ «جعل» هاهنا: صلة، والمعنى: والظُّلمات.

وفي المراد بـ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: الكفر والإيمان، قاله الحسن.

والثَّاني: اللَّيل والنَّهار، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: جميع الظُّلمات والأنوار[٤].

قال قتادة: خلق السَّماوات قبل الأرض، والظلماتِ قبل النُّور، والجنةَ قبل النَّار[٥].

---

(١) في (ر): (وأما).

(٢) في (ر): (لأنها).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٢٤٧)، والدارمي (٣٤٤٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٤٧)، وابن الضريس في فضائله (١٩٩) بألفاظ مطولة ومختصرة.

(٤) في (ف)، و(ر): (والنور).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٧٠٧٩) في تفسيرهما من طريق يزيد=

قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا(١)﴾ يعني: المشركين بعد هذا البيان.

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يجعلون له عَدِيلًا، فيعبدون الحجارة المواتَ، مع إقرارهم بأنه الخالق لِما وُصِف. يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساويته به.

قال أبو عبيدة: هو مقدَّم ومؤخَّر، تقديره: يعدلون بربِّهم(٢).

وقال النَّضر بن شُمَيْلٍ: الباء: بمعنى «عن».

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ [الأنعام: ٢].

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾.

يعني: آدم، وذلك أنه لما شكَّ المشركون في البعث، وقالوا: من يحيي هذه العظام(٣)؟ أعلمهم [الله](٤) أنه خلقهم من طين، فهو قادر على إعادة خلقهم.

=بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به.

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٥).

(٣) من قوله: (لما وُصف. يقال: عدلت)... إلى هنا، بياض في (ر).

(٤) من (ج).

قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾.

فيه ستة أقوال:

أحدها: أن الأجل الأول: أجل[1] الحياة إلى الموت. والثَّاني: أجل الموت إلى البعث، روي عن ابن عبَّاسٍ، والحسن، وابن المسيَّب، وقتادة، والضَّحَّاك، ومقاتل.

والثَّاني: أن الأجل الأول: النَّوم[2] [الذي][3] تُقْبَضُ فيه الرُّوح، ثم ترجع في حال اليقظة، والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان. رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أن الأجل الأوَّل: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثَّاني: أجل الدُّنيا، قاله مجاهد في رواية.

والرَّابع: أن الأوَّل: خلق الأشياء في ستة أيام، والثَّاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني.

والخامس: أن الأوَّل: قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثَّاني: الحياة في الدُّنيا، قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذُّريَّة حين أحياهم وخاطبهم.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ر): (اليوم).

(٣) زيادة من (ج).

والسَّادس: أن الأوَّل: أجل من قد مات من قبل، والثَّاني: أجل من يموت من[(١)] بعد، ذكره الماورديُّ[(٢)].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أي بعد هذا البيان.

﴿تَمْتَرُونَ﴾ **وفيه قولان:**

[٢٢٢/أ] **أحدهما**: تشكُّون، قاله قتادة، والسُّدِّي.

وفيما شكُّوا فيه قولان:

أحدهما: الوحدانية.

والثَّاني: البعث.

والثَّاني: يختلفون: مأخوذ من المراء، ذكره الماورديُّ[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: [و][(٤)] هو المعبود في السَّماوات وفي الأرض، قاله ابن الأنباريِّ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٩٣).

(٣) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٩٣).

(٤) من (ر).

والثَّاني: وهو المنفرد بالتدبير في السَّماوات وفي الأرض، قاله الزَّجَّاج(١).

والثَّالث: وهو الله في السَّماوات، ويعلم سرَّكم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير(٢).

والرَّابع: أنه مقدَّم ومؤخَّر. والمعنى: وهو الله يعلم سرَّكم وجهركم في السَّماوات والأرض، ذكره بعض المفسِّرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾ [الأنعام: ٤، ٥].

قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ نزلت في كفار قريش.

وفي «الآية» قولان:

أحدهما: أنها الآية من القرآن.

والثَّاني: المعجزة، مثل انشقاق القمر.

والمراد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: القرآن. و«الأنباء»: الأخبار. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ [الأنعام: ٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٥٥).

قوله: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾.

«القرن»: اسم أهل كلِّ عصر. وسمُّوا بذلك، لاقترانهم في الوجود.

وللمفسِّرين في المراد بالقرن سبعة أقوال:

أحدها: أنه أربعون سنة، ذكره ابن سيرين عن النَّبيِّ ﷺ[1].

والثَّاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بسر المازني، وأبو سلمة بن عبد الرحمن.

و الرَّابع: مائة[2] وعشرون سنة، قاله زُرارة بن أوفى، وإياس بن معاوية.

والخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري.

والسَّادس: سبعون سنة، ذكره الفرَّاء.

والسَّابع[3]: أن القرن: أهل كلِّ مدَّة كان فيها نبيٌّ، أو طبقة من العلماء، قلَّتِ السُّنون، أو كثرت بدليل قوله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي**»[4] يعني: أصحابي «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» يعني: التَّابعين «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» يعني: الذين أخذوا عن التَّابعين.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٤/ ٥٣٥) من طريق عمر بن شاكر، عن ابن سيرين، مرسلًا.

(٢) من قوله: (سنة، قاله عبد الله بن بسر)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ج): (والسَّادس) كرَّره مرتين!.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

فالقـرن: مقـدار التَّوسـط في أعـمار أهـل الزَّمـان، فهـو في كلِّ قـوم عـلى مقـدار أعمالهـم.

واشتقاق القرن: من الاقتران.

وفي معنى ذلك الاقتران قولان:

أحدهما: أنـه سـمِّي قرنًـا، لأنـه المقـدار الـذي هـو أكثـر مـا يقـترن فيـه أهـل ذلـك الزَّمـان في بقائهـم. هـذا اختيـار الزَّجَّـاج[١].

والثَّـاني: أنـه سـمِّي قرنًـا، لأنـه يَقْـرِنُ زمانًـا بزمـانٍ، وأُمَّـةً بأمَّـةٍ، قالـه ابـن الأنبـاريِّ.

وحكـى ابـن قُتَيْبـة عـن أبي عبيـدة قـال: يـرون أن أقـلَّ مـا بـين القرنـين: ثلاثـون سـنة[٢].

قوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

قـال ابـن عبَّـاسٍ: أعطيناهـم مـا لم نُعطِكـم[٣]. يقـال: مكَّنتُـه ومكَّنـتُ لـه: إذا أقدرتـه عـلى الـشيء بإعطـاء مـا يصـحُّ بـه الفعـل مـن العـدة. [٢٢٢/ ب]

وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب.

فأما ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: فالمراد بها المطر.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٥)، وغريب القرآن (١/ ١٥٠).

(٣) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٧٧٥)، وابـن جريـر الطَّـبري (٩/ ١٥٦)، وابـن أبي حاتـم (٧١١٠) في تفسـيرهما عـن قتـادة، وليـس ابـن عبَّـاسٍ ﷺ.

ومعنى «أرسلنا»: أنزلنا.

و«المدرار»: مفعال، من درَّ يَدِرُّ، والمعنى: نرسلها[١] كثيرة الدَّرِّ. ومِفعال: من أسماء المبالغة، كقولهم: امرأة مذكار: إذا كانت كثيرة الولادة للذُّكور، وكذلك مئناث.

فإن قيل: «السَّماء» مؤنَّثة، فلم ذكَّر «مدرارًا»؟!

فالجواب: أن حكم ما انعدل من النُّعوت عن منهاج الفعل وبنائه، أن يلزم التَّذكير في كلِّ حال، سواء كان وصفًا لمذكَّر أو مؤنَّث كقولهم: امرأة مذكار، ومعطار، وامرأة مذكر، ومؤنث[٢]: وهي كفور، وشكور. ولو بُنيتْ هذه الأوصاف على الفعل، لقيل: كافرة، وشاكرة، ومُذْكِرَة، فلما عدل عن بناء الفعل، جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التَّأنيث فيه عن العلامة كقولهم: النَّعلَ لبستُها، والفأسَ كسرتُها، وكان إيثارهم التَّذكير للفرق[٣] بين المبني على الفعل، والمعدول عن مِثْلِ الأفاعيل.

والمراد بالمدرار: المبالغة في اتصال المطر ودوامه، يعني: أنها تَدِرُّ وقت الحاجة إليها، لا أنها تدوم ليلًا ونهارًا، فتفسد، ذكره ابن الأنباريِّ.

---

(١) في (ف): (الفرق).

(٢) في (ج): (ونث)!.

(٣) في (ف): (والنور).

قَوْلُــهُ تَعَــالَى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعــام: ٧].

قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾.

سبب نزولها:

أن مشركـي مكَّـة قالـوا: يـا محمـد، والله لـن نؤمـن لـك حتـى تأتينـا بكتـاب مـن عنـد الله، ومعـه أربعـة مـن الملائكـة، يشـهدون أنـه مـن عنـد الله، وأنـك رسـوله، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه ابـن السَّـائب[(١)].

قـال ابـن قُتَيْبـة: و«القرطـاس»: الصَّحيفـة، يقـال للرَّامـي[(٢)] إذا أصـاب الصَّحيفـة: قَرْطَـسَ[(٣)].

قـال شـيخنا أبـو منصـور اللُّغـوي[(٤)]: القرطـاس[(٥)] قـد تكلَّمـوا بـه قديمًا. ويقـال: إن أصلـه غـير عـربي.

والجمهور على كسر قافه.

وضمَّها أبو رزين، وعكرمة، وطلحة، ويحيى بن يعمر[(٦)].

---

(١) ذكره الواحدي في التَّفسير الوسيط (٢/ ٢٥٣)، والثعلبي في تفسيره (٤/ ١٣٥).

(٢) في (ف): (الرامي).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٠ـ ١٥١).

(٤) من قوله: (الصحيفة، يقال للرامي)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) ليست في (ج).

(٦) وعن معن الكوفي في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وانظر: حجَّة القراءات (١/ ٢٤٠).

فأما قوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فهو توكيد لنزوله، وقيل: إنما علَّقه باللَّمس باليد إبعادًا له عن السِّحر، لأن السِّحر يُتخيَّلُ في المرئيَّات دون الملموسات.

ومعنى الآية: إنَّهم يدفعون الصَّحيح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام: ٨].

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾.

قال مقاتل: نزلت في النَّضْر بن الحارث، وعبد الله بن أبي أُمية، ونوفل[١] بن خويلد[٢].

و﴿لَوْلَا﴾ بمعنى «هلَّا» ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نصدِّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ فعاينوه ولم يؤمنوا.

﴿لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: لماتوا، ولم يؤخَّروا طرفة عين لتوبة، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: لقامت السَّاعة، قاله عكرمة، ومجاهد.

والثَّالث: لعجِّل لهم العذاب، قاله قتادة.

(١) في (ج): (والنوفل).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩].

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: ولو جعلنا الرَّسول إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ﴾ في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون رؤية المَلَك على صورته، [٢٢٣/أ] ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ أي: لشبَّهنا عليهم. يقال: ألبست[١] الأمر على القوم، ألبِسه أي: شبَّهته عليهم، وأشكلته. والمعنى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكُّوا، فلا يدرون أمَلَكٌ هو أم آدميٌّ؟ فأضللناهم بما به ضلُّوا قبل أن يُبعث المَلَك.

وقال الزَّجَّاج: كانوا يلبسون على ضعفتهم في أمر النَّبيِّ ﷺ، فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم، فقال تعالى: لو رأوا المَلَك رجلًا، لكان يلحقهم فيه من اللَّبْسِ مثلُ ما لحق ضعفتهم منه[٢].

وقرأ الزُّهري، ومعاذ القارئ، وأبو رجاء: «وللبَّسنا» بالتَّشديد، «عليهم ما يلبِّسون» مشدَّدة أيضًا[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الأنعام: ١٠، ١١].

---

(١) في (ج)، و(ف): (لبَّست).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣١).

(٣) عن الزُّهري في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، والبحر المحيط (٤/ ٤٤٤).

قوله: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟﴾ أي: أحاط.

قال الزَّجَّاج: الحَيْقُ في اللُّغة: ما يشتمل[(١)] على الإنسان من مكروه فعَلَهُ، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣] أي: لا ترجع عاقبة مَكْرُوهِهِ إلا عليهم[(٢)].

قال السُّدِّي: وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢].

قوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلا فـ ﴿قُل﴾ لهم[(٤)] ﴿لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: قضى لنفسه أنه أرحم الرَّاحمين[(٥)].

قال الزَّجَّاج: ومعنى كتب: أوجب ذلك إيجابًا مؤكدًا، وجائز أن يكون كتب في اللَّوح المحفوظ، وإنما خُوطِبَ الخلقُ بما يعقلون، فهم يعقلون أن توكيد الشيء المؤخَّر أن يحفظ بالكتاب[(٦)].

---

(١) في (ف): (اشتمل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٦٦)، وابن أبي حاتم (٧١٣٩) في تفسيرهما.

(٤) ليست في (ف).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٥٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٤).

وقال غيره: رحمته عامة فمنها تأخير العذاب عن مستحقِّه، وقبول توبة العاصي[١].

قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

اللام: لام القسم. كأنه قال: والله ليجمعنَّكم إلى اليوم الذي أنكرتموه.

وذهب قوم إلى أن «إلى» بمعنى: «في». ثم اختلفوا، فقال قوم: في يوم القيامة. وقال آخرون: في قبوركم إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بالشِّرك، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِما سبق فيهم من القضاء.

وقال ابن قُتَيْبة: قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ مردود إلى قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين خسروا[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام: ١٣].

قوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

سبب نزولها:

أن كفار مكَّة قالوا للنبيِّ ﷺ: قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبًا في أموالنا حتى تكون من

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥١).

أغنانا رجلًا، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاسٍ[١].

وفي معنى ﴿سَكَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه من السُّكنى. قال ابنُ الأعرابيِّ: «سكن» بمعنى حلَّ[٢].

والثَّاني: أنه من السُّكون الذي يضادُّ الحركة.

قال مقاتل: من المخلوقات ما يستقرُّ بالنَّهار، وينتشر باللَّيل ومنها [٢٢٣/ب] ما يستقرُّ باللَّيل، وينتشر بالنَّهار[٣][٤].

فإن قيل: لم خصَّ السُّكون بالذِّكر دون الحركة؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن السُّكون أعمُّ وجودًا من الحركة.

والثَّاني: أن كلَّ متحرِّك قد يسكن، وليس كلُّ ساكن يتحرَّك.

والثَّالث: أن في الآية إضمارًا، والمعنى: وله ما سكن وتحرَّك، كقوله تعالى ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١] أراد: والبرد، فاختصر.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤) عن الكلبي، عن ابن عبَّاسٍ ﷺ.

(٢) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٢٥٦).

(٣) من قوله: (وينتشر بالليل)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٢).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤، ١٥].

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾.

ذكر[١] مقاتل أن سبب نزولها:

أن كفَّار قريش قالوا: يا محمد، ألا ترجع إلى دين آبائك؟ فنزلت هذه الآية.

وهذا الاستفهام معناه الإنكار، أي: لا أتخذ وليًّا غير الله أتولَّاه، وأعبده، وأستعينه.

قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[٢]﴾.

الجمهور على كسر راء «فاطرِ».

وقرأ ابن أبي عبلة برفعها[٣].

قال أبو عبيدة: «الفاطر» معناه: الخالق[٤].

وقال ابن قُتَيْبة: هو المبتدئ، ومنه: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**»[٥].

---

(١) في (ج): (قال).

(٢) ليست في (ف)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٩٤)، وإعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٧).

(٥) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم(١).

وقال ابن عبَّاسٍ: كنت لا أدري ما فاطر السَّماوات والأرض(٢)، حتى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أي(٣): أنا ابتدأتها(٤).

قال الزَّجَّاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى الخلق، والانفطار الانشقاق في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١].

فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى «فطرهما»: خلقهما خلقًا قاطعًا. والانفطار، والفطور: تقطُّعٌ وتشقُّقٌ.

قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

قرأ الجمهور بضم الياء من الثَّاني، ومعناه: وهو يَرزق ولا يُرزق، لأن بعض العبيد يرزق مولاه.

وقرأ عكرمة والأعمش: «ولا يَطعم» بفتح الياء(٥).

---

(١) انظر: غريب القرآن(١/ ١٥١).

(٢) قوله: (السَّماوات والأرض)، ليس في (ج).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه أبو عبيد في فضائله (١/ ٣٤٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٧٥)، وابن الأنباريّ في الوقف والابتداء (١٠٩)،وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢١٢).

(٥) عن مجاهد في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وعن الأعمش في إعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ٤٠٥)، وفي البحر المحيط (٤/ ٤٥٢): عن مجاهد، وابن جُبَيْر، وأبي حيوة، وعمرو بن عبيد، وأبي عمرو.

قـال الزَّجَّـاج: وهـذا الاختيـار عنـد البـصراء بالعربيَّـة، ومعنـاه: وهـو يَـرزق ويُطْعِـمُ ولا يـأكل[١].

قوله: ﴿إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَ﴾ أي: أوّل مسلم من هذه الأمة.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

قال الأخفش: معناه: وقيـل لي: لا تكونـنَّ، فصـارت: أُمـرت، بـدلًا من ذلـك؛ لأنـه حـين قـال: أمـرت، قـد أخـبر أنـه قيل لـه[٢].

قوله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

زعـم بعـض المفسِّريـن أنـه كان يجـب عليـه أن يخـاف عاقبـة الذُّنـوب، ثـم نُسـخ ذلك بقولـه: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢].

والصَّحيـح أن الآيتين خبر، والخبر لا يدخلـه النَّسـخ، وإنـما هـو معلَّـق بـشرط،[وذلـك لا يقـع][٣]، ومثلـه: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمـر:٦٥].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [الأنعـام:١٦].

قوله: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ر).

قرأ ابن كَثِيرٍ[١] ونافع وأبو عَمْرٍو وابن عامر وحفص عن عاصم: «مَنْ[٢] يُصْرَفْ عَنْهُ[٣]» بضم الياء وفتح الرَّاء. يعنون: العذاب.

وقرأ حمزة والكِسَائِي وأبو بكر عن عاصم: «يَصرِف»[٤] بفتح الياء وكسر الرَّاء، الضَّمير قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾[٥]. [٢٢٤/أ]

ومما يحسِّن هذه القراءة قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ فقد اتفق إسناد الضَّمير[٦] إلى اسم الله ﷻ.

ويعني بقوله: ﴿يُصْرَفْ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني: صرف العذاب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾.

«الضُّرُّ»: اسم جامع لكلِّ ما يتضرَّرُ به الإنسان، من فقر ومرض وغير ذلك، والخير: اسم جامع لكلِّ ما ينتفع به الإنسان[٧].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ف).

(٣) من (ج).

(٤) من قوله: (بضم الياء وفتح الراء)... إلى هنا، ليس في (ف).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٤)، والحجَّة (٣/ ٢٨٥)، والمبسوط (١/ ١٩١).

(٦) في (ف): (الضميرين)، وفي (ج): (الطمير)!.

(٧) من قوله: (من فقر ومرض)... إلى هنا، ليس في (ف).

وللمفسِّرين في «الضُّرِّ» و«الخير» قولان:

أحدهما: أن «الضُّرَّ»: السُّقم، و«الخير»: العافية.

والثَّاني: أن «الضُّرَّ»: الفقر، و«الخير»: الغنى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام: ١٨].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

القاهر: الغالب، والقهر: الغلبة. والمعنى: أنه قهر الخلق فصرَّفهم على ما أراد طوعًا وكرهًا، فهو المستعلي عليهم، وهم تحت التَّسخير والتَّذليل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩﴾ [الأنعام: ١٩].

قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ﴾.

سبب نزولها:

أن رؤساء مكَّة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما ترى أحدًا يصدِّقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنَّصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح[١] عن ابن عبَّاسٍ[٢].

---

(١) من قوله: (ذكر ولا صفة، فأرنا)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٤٠) عن الكلبي.

ومعنى الآية: قل لقريش: أيُّ شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك، وإلَّا فقل: الله، وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول.

وقال الزَّجَّاج: أمره الله تعالى أن يحتجَّ عليهم بأن شهادة الله ﷻ في نُبُوَّته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ ففي الإنذار به دليل على نبوَّته، لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي، وفيه خبر ما كان وما يكون، ووعد فيه بأشياء، فكانت كما قال[١].

وقرأ عكرمة، وابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري: «وأَوحَى إليَّ» بفتح الهمزة وفتح الحاء[٢]، «القرآنَ» بالنَّصب[٣].

فأمَّا «الإنذار»، فمعناه: التَّخويف.

ومعنى ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: من بلغ إليه هذا القرآن، فإني نذير له.

قال القُرَظِيُّ: من بلغه القرآن فكأنما رأى النَّبيَّ ﷺ، وكلَّمه[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٤).

(٢) في (ف): (بفتح الهمزة والحاء).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٥٥٩) عن أبي نَهِيك، وفي البحر المحيط (٤/ ٤٦٠) عن عكرمة، وأبي نَهِيك، وابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري.
والمعنى: لأنذركم ولأبشركم فحذف المعطوف لدلالة المعنى عليه، أو اقتصر على الإنذار لأنه في مقام تخويف هؤلاء المكذبين بالرسالة المتخذين غير الله إلهًا.

(٤) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٣٢٠)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٨٢) بمعناه.

وقال أنس بن مالك: لمَّا نزلت هذه الآية، كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وكلِّ جبار يدعوهم[1] إلى الله ﷻ[2].

قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار عليهم.

قال الفرَّاء: وإنما قال: ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولم يقل: «آخر» لأن الآلهة جمع، والجمع يقع عليه التَّأنيث، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقال: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ[3] ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١][4]. [٢٢٤/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

في الكتاب قولان:

أحدهما: أنه التَّوراة والإنجيل، وهذا قول الجمهور.

والثَّاني: أنه القرآن.

---

(١) في (ج): (يدعوه).

(٢) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٥٦).

(٣) في (ج): (قرون)!.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٩).

وفي هاء ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها[١] ترجع[٢] إلى النَّبيِّ ﷺ، قاله السُّدِّي.

وروي عن عمر بن الخطَّاب ﷺ أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيِّه بمكَّة ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فكيف هذه المعرفة؟ فقال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأَنَا أشدُّ معرفةً بمحمد ﷺ مني بابني. فقال عمر: وكيف ذاك؟ فقال: إني أشهد أنه رسول الله حقًّا، ولا أدري ما يصنع[٣] النِّساء[٤].

والثَّاني: أنها ترجع إلى الدِّين والنَّبيِّ. فالمعنى: يعرفون الإسلام أنه دين الله ﷻ، وأن محمدًا رسول الله، قاله قتادة.

والثَّالث: أنها ترجع إلى القرآن. فالمعنى: يعرفون الكتاب الدَّالَّ على صدقه، ذكره الماورديُّ[٥].

وفي ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم مشركو مكَّة.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ف): (يرجع).

(٣) في (ف): (صنع).

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ١٣) من طريق الكلبي، عن الربيع، عن ابن عبَّاس، به، بنحوه.

(٥) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٠١).

والثَّاني: كفَّار أهل الكتابين[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١].

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق على الله الكذب في ادِّعاء شريك معه.

وفي «آياته» قولان:

أحدهما: أنها محمد والقرآن، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: القرآن، قاله مقاتل[٢].

والمراد بالظُّلم المذكور في هذه الآية: الشِّرك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢].

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.

انتصب «اليومَ» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم.

وقال ابن جرير: والمعنى: لا يفلحون اليوم، ولا يوم نحشرهم[٣].

---

(١) في (ف): (الكنايس).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٥).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٨٨).

وقرأ يعقوب: «يحشرهم» «ثم يقول» بالياء فيهما[١].

وفي الذين عني[٢] قولان:

أحدهما: المسلمون والمشركون.

والثَّاني: العابدون والمعبودون.

وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾.

سؤال توبيخ. والمراد بشركائهم: الأوثان، وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء لله.

وفي معنى ﴿تَزْعُمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يزعمون أنهم[٣] شركاء[٤] مع الله.

والثَّاني: يزعمون أنها تشفع لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٩)، والحجَّة (٣/ ٤٠٦)، والمبسوط (١/ ٥٣٨).

(٢) في (ج): (عنوا).

(٣) في (ف): (أنها).

(٤) من قوله: (لله. وفي معنى [٨])... إلى هنا، ليس في (ج).

قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بالتَّاء، ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالرَّفع.

وقرأ نافع، وأبو عَمْرٍو، وأبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتَّاء أيضًا، «فتنتَهم» بالنَّصب، وقد رُويت عن ابن كَثِيرٍ أيضًا[١].

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «يكن» بالياء، «فتنتَهم» بالنَّصب[٢].

وفي «الفتنة» أربعة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى الكلام والقول. قال ابن عبَّاسٍ[٣]، والضَّحَّاك[٤]: لم يكن كلامُهُم.

والثَّاني: أنها المعذرة. قال قتادة، وابن زيد: لم تكن معذرتهم.

قال ابن الأنباريِّ: فالمعنى: اعتذروا بما هو مُهْلِكٌ لهم، وسبب لفضيحتهم. [٢٢٥/أ]

والثَّالث: أنها بمعنى البليَّة. قال عطاء الخُرَاساني: لم تكن بليَّتهم[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٤)، والحجَّة (٣/ ٢٨٧)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ٤٦٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٩١)، وابن أبي حاتم (٧١٧٥) في تفسيرهما من طريق عطاء الخرساني، به. ولفظ ابن أبي حاتم: معذرتهم.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ١٩١)، وابن أبي حاتم (٧١٧٩) في تفسيرهما.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧١٧٨).

وقال أبو عُبَيد: لم تكن بليَّتهم التي ألزمتهم الحجة، وزادتهم لائمة.

و الرَّابع: أنها بمعنى الافتتان. والمعنى: لم تكن عاقبة فتنتهم.

قال الزَّجَّاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه.

ومثل ذلك في اللُّغة أنْ ترى إنْسَاناً يُحِبُّ غاوِياً، فإذا وقع في هَلَكَةٍ، تبرَّأ منه فيقول له: ما كانت محبَّتك لفلان إلا أن انتفيت منه.

قال: وهذا تأويل لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام، وتصرُّفَ العربِ في ذلك[١].

وقال ابن الأنباريِّ: المعنى: أنهم افتتنوا بقولهم هذا، إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدُّنيا.

قوله: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ[٢]﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وعاصم، وابن عامر[٣]: «واللهِ ربِّنا» بكسر الباء.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف: بنصب الباء[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) قوله: (ما كنا مشركين)، زيادة من (ج).

(٣) في (ج): (وابن عامر، وعاصم).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (١/ ١٣٧)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون.

والثَّاني: المنافقون.

ومتى يحلفون؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: إذا رأوا أنه لا يدخل الجنَّة إلَّا من كان مسلمًا، قالوا: تعالوا نكابر عن شركنا، فحلفوا، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنهم إذا دخلوا النَّار، ورأوا أهل التَّوحيد يخرجون؛ حلفوا، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد.

والثَّالث: أنهم إذا سئلوا: أين شركاؤكم؟ تبرَّؤوا، وحلفوا: ما كنَّا مشركين، قاله مقاتل(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤].

قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: باعتذارهم بالباطل ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب ما كانوا يدَّعون ويختلقون من أن الأصنام شركاء لله، وشفعاؤهم في الآخرة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٥، ٢٦].

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾.

سبب نزولها:

أن نفرًا من المشركين، منهم عتبة، وشيبة، والنَّضر بن الحارث، وأُميَّةُ وأُبيٌّ ابنا خلف، جلسوا إلى رسول الله ﷺ، واستمعوا[١] إليه، ثم قالوا للنَّضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بنيةً[٢]، ما أدري ما يقول؟ إلا أني أرى تحرُّك شفتيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدِّثكم عن القرون الماضية، وكان النَّضر كثير الحديث عن القرون الأولى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٣].

فأما «الأكنَّة»، فقال الزَّجَّاج: هي جمع كِنان، وهو الغِطاءُ، مثل عِنان وأعِنَّة[٤].

وأما: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ فمنصوب على أنه مفعول له. المعنى: وجعلنا على قلوبهم أكنَّةً لكراهة أن يفقهوه، فلما حذفت اللام، نصبت الكراهة، [٢٢٥/ب] ولما حذفت الكراهة، انتقل نصبُها إلى «أنْ».

(١) في (ف): (فاستمعوا).

(٢) في (ف): (بيته)، وهو موافق لما في تفسير الثعلبي (٤/ ١٤١).

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٦).

«الوَقْر»: ثِقَلُ السَّمع، يقال: في أذنه وَقْر، وَقد وُقِرَتِ الأذن تُوْقَر.

قال الشَّاعر(١)(٢)[من الرمل]:

وكلامٌ سَيِّئٌ قَدْ وُقِرَتْ أُذُني عَنْهُ، وَمَا بِي مِنْ صَمَمْ

والوِقر، بكسر الواو أن يُحَمَّل البعير وغيره مقدار ما يطيق، تقول: عليه وِقر، ويقال: نخلة موقِر، وموقِرة، وإنما فُعل ذلك بهم مجازاة لهم بإقامتهم على كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يفقهوه، ولم يسمعوه، ولكنهم لَمَّا عدلوا عنه، وصرفوا فكرهم عمَّا عليهم في سوء العاقبة، كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ أي: كلَّ علامة تدلُّ على رسالتك، ﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾.

ثم أعلم الله ﷻ مقدار احتجاجهم وجدلهم، وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

وفيها قولان:

أحدهما: أنها ما سُطِّر من أخبارهم وأحاديثهم. روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ قال: أساطير الأولين: كذبهم، وأحاديثهم في دهرهم.

---

(١) بداية سقط من (ف) بمقدار لوح تقريبًا.

(٢) البيت للمثقَّب العبدي في ديوانه (ص٢٣٠)؛ ولسان العرب (١٢/ ٢٦٥)، والعين (٥/ ٢٠٦)، والمفضليات (١/ ٢٩٤).

وقال أبو الحسن الأخفش: يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير: أُسْطُورَة.

وقال بعضهم: إِسطارَة، ولا أُراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو عَبادِيد ومَذاكِير وأَبابِيل(١).

وقال ابن قُتَيْبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سُطِرَ منها، أي: ما كتب، ومنه قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ {القلم:١} أي: يكتبون، واحدها سطر، ثم أسطار، ثم أساطير جمع الجمع، مثل قول، وأقوال، وأقاويل(٢).

والقول الثَّاني: أن معنى أساطير الأوَّلين: التُّرَّهات.

قال أبو عُبَيدة: واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، ومجازها مجاز التُّرَّهات(٣).

قال ابن الأنباريِّ: التُّرَّهات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك مشكلة، يقول قائلهم: قد أخذنا في تَرَّهات البسابس، يعني: قد عدلنا عن الطَّريق الواضح إلى المشكل، وعمَّا يُعرف إلى ما لا يُعرف. و«البسابس»: الصَّحاري الواسعة، والتُّرَّهات: طرق تتشعَّب من الطَّريق الأعظم، فتكثر وتُشكِل، فجُعلت مثلاً لما لا يصحُّ وينكشف(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ٣٧).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: العين (٧/ ٢٠٥)، والصحاح (٣/ ٩٠٩)، وجمهرة اللغة (١/ ١٧٥)، ولسان العرب (١/ ٤٦٠)، والقاموس المحيط (١/ ٥٣٣) وغيرها.

فإن قيل: لِمَ عابوا القرآن بأنه أساطير الأوَّلين، وقد سطر الأوَّلون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحي من الله تعالى.

والثَّاني: أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل.

فعلى الجواب الأوَّل تكون «أساطير» من التَّسطير[١].

وعلى الثَّاني يكون بمعنى التُّرَّهات، وقد شرحنا معنى التُّرَّهات. [٢٢٦/أ]

قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عمَّا جاء به، فنزلت فيه هذه الآية، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ[٢]، وهو قول عمرو بن دينار[٣]، وعطاء بن دينار[٤]، والقاسم بن مخيمرة[٥].

---

(١) في (ج): (يكون ال ! من التسطير).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٥) من طريق حبيب بن أبي ثابت، به، بنحوه.

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢/ ٢٦٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٠٥).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٠٤).

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنَّبيِّ ﷺ[١] سوءًا، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم، فيقتلوه، قال: ما لي عنه صبر؛ فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنَّت ناقة إلى غير فصيلها دفعتُه إليكم. وقال:

والله لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ بِجَمْعِهِم ... حَتَّى أُوَسَّدَ في التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وابْشِرْ وقَرَّ بذاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَعَرَضْتَ دِينًا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ ... مِنْ خَيْرِ أدْيانِ البرِيَّةِ دِينَا
لَولا المَلامَةُ أو حَذَارِي سُبَّةً ... لَوَجَدْتَني سَمْحًا بذَاكَ مُبِيْنَا

فنزلت فيه هذه الآية[٢].

والثَّاني: أن كفار مكَّة كانوا ينهون النَّاس عن[٣] اتِّباع النَّبيِّ ﷺ، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالبيُّ عن ابن عبَّاسٍ[٤]. وبه قال ابن الحنفيَّة[٥]، والضَّحَّاك[٦]، والسُّدِّي[٧].

---

(١) من قوله: (عند أبي طالب يدعوه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٦)، ورواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٥) وهو حديث عبد الله بن عباس ﷺ المتقدم قريبًا.

(٣) نهاية السَّقط المشار إليه آنفًا في (ف).

(٤) الوالبي هو سعيد بن جُبَيْر، ونظنه يقصد حديثه المتقدم.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٧٢٠١) في تفسيرهما.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم عقب الأثر رقم (٧٢٠١).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٠٢).

فعلى القول الأول، يكون قوله تعالى: «وهم» كنايةً عن واحد.

وعلى الثَّاني: عن جماعة.

وفي هاء ﴿عَنْهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى النَّبيِّ ﷺ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: ينهون عن أذاه.

والثَّاني: عن اتِّباعه.

والقول الثَّاني: أنها تَرْجِع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بمعنى يبعدون.

وفي هاء ﴿عَنْهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها راجعة إلى النَّبيِّ ﷺ.

والثَّاني: إلى القرآن.

قوله: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ أي: وما يهلكون ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتَّباعد عنه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّهم يهلكون بها[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

---

(١) في (ف): (يهلكونها).

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

في معنى ﴿وُقِفُوا۟﴾ ستة أقوال:

أحدها: حُبِسُوا عليها، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: عُرِضُوا عليها، قاله مقاتل(١).

والثَّالث: عاينوها.

و الرَّابع: وقفوا عليها(٢) وهي تحتهم.

والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي فهمته وتبيَّنته، ذكر هذه الأقوال الثَّلاثة الزَّجَّاج(٣)، واختار الأخير(٤).

[٢٢٦/ ب] وقال ابن جرير: عَلَى هاهنا بمعنى «في»(٥).

والسَّادس: جعلوا عليها وقفًا، كالوقوف المؤبَّدة على سبلها، ذكره الماورديُّ(٦).

والخطاب بهذه الآية للنَّبيِّ ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجبًا.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٢) من قوله: (قاله مقاتل)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٩).

(٤) في (ف): (الآخر).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٠٦).

(٦) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٠٥).

قوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من «نكذبُ»، والنون من «نكونُ»(١).

قال الزَّجَّاج: والمعنى أنهم تمنَّوا الرَّدَّ، وضمنوا أنهم لا يكذِّبون.

والمعنى: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ ونحن لا نكذِّب بآيات ربِّنا، رُدِدْنا أو لم نُردَّ، ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّا قد عاينَّا ما لا نكذِّب معه أبدًا.

قال: ويجوز الرَّفع على وجه آخر، على معنى ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ يا ليتنا لا نكذِّب، كأنهم تمنُّوا الرَّدَّ والتَّوفيق للتَّصديق(٢).

وقال الأخفش: إذا رفعت جعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نكذِّب -والله- بآيات ربِّنا، ونكون -والله- من المؤمنين(٣).

وقرأ حمزة إلا العجليَّ، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بنصب الباء من «نكذِّبَ»، والنون من «نكونَ»(٤).

قال مَكِّي بن أبي طالب: وهذا النَّصب على جواب التَّمني، وذلك بإضمار «أن»، حملًا على مصدر «نُردُّ»، فأضمرت «أن» لتكون مع الفعل مصدرًا، فتعطف بالواو مصدرًا على مصدر. وتقديره: يا ليت لنا ردًّا، وانتفاء من التَّكذيب، وكونًا من المؤمنين(٥).

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٧).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٥٠).

وقرأ ابن عامر برفع الباء من «نُكذبُ»، ونصب النون من «نكونَ»، فالرَّفع قد بيَّنا علَّته، والنَّصب على جواب التَّمني(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٨، ٢٩].

قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾.

«بل»: هاهنا ردٌّ لكلامهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو ردُّوا لآمنوا.

وقال الزَّجَّاج: «بل» استدراك وإيجاب بعد نفي، تقول: ما جاء زيد بل عمرو(٢).

وفي معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض، قاله الحسن.

والثَّاني: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بألسنتهم، قاله مقاتل(٣).

والثَّالث: بدا لهم جزاء ما كانوا(٤) يخفونه، قاله المُبَرِّد.

و الرَّابع: بدا للأتباع ما كان يُخفيه الرؤساء، قاله الزَّجَّاج(٥).

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجَّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) من قوله: (يخفون من قبل)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٠).

قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لعادوا إلى ما نُهوا عنه[1] من الشِّرك، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

قال ابن الأنباريِّ: كذَّبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم أنهم إن رُدُّوا آمنوا ولم يكذِّبوا، ولم يكذِّبْهم في التَّمني.

قوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ هذا إخبار عن منكري البعث.

قال مقاتل: لما أخبر النَّبيُّ ﷺ كفار مكَّة بالبعث، قالوا هذا[3]. [٢٢٧/أ]

وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا حكاية قولهم، لو رُدُّوا لقالوا[4].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٣٠].

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

قال مقاتل: عُرِضُوا على ربِّهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾[5].

وقال غيره: أليس هذا البعث حقًّا؟.

---

(١) قوله: (قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهوا عنه)، ليس في (ج).

(٢) أورده الماوردي في النُّكت والعيون (٢/ ١٠٦) بلا نسبة.

(٣) انظر: تفسر مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٢٠) مختصرًا.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

فعلى قول مقاتل: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالبعث.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

إنما وُصِفُوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم.

والمراد ﴿بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: البعث والجزاء. و﴿السَّاعَةُ﴾: القيامة. و«البغتة»: الفجأة.

قال الزَّجَّاج: كلُّ ما أتى فجأةً فقد بغت، يقال: قد بغته الأمر يَبْغَتُه بَغْتًا وبغتةً: إذا أتاه فجأةً.

قال الشَّاعر[1] [من الطويل]:

وَلَكِنَّهُمْ بانُوا وَلَمْ أَخْشَ بَغْتَةً ... وَأَفْظَعُ شيءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ البَغْتُ

قوله: ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ «الحسرة»: التَّلهف على الشيء الفائت، وأهل التَّفسير يقولون: يا ندامتنا.

فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقِلُ؟

فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فتدخِلُ عليه «يا» التنبيه، والمراد تنبيه النَّاس،

(١) البيت ليزيد بن ضَبَّةَ الثقفي في غريب الحديث؛ للحربي (٢/ ٦١٥)، والزاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٦)، ولسان العرب (٢/ ١١)، والعين (٤/ ٣٩٧).

لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرينَّك هاهنا. لفظه لفظ النَّاهي لنفسه، والمعنى للمنهي، ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله.

وقال سيبويه: إذا قلتَ: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر وتعال يا عَجَبُ، فهذا زمانك[١].

فأما «التَّفريط» فهو: التَّضييع.

وقال الزَّجَّاج: «التَّفريط» في اللُّغة: تقدمة العجز[٢].

وفي المكني عنه بقوله: ﴿فِيهَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الدُّنيا، فالمعنى: على ما ضيَّعنا في الدُّنيا من عمل الآخرة، قاله مقاتل[٣].

والثَّاني: أنها الصَّفقة، لأن الخسران لا يكون إلَّا في صفقة، وترك ذكرها اكتفاءً بذكر الخسران. قاله ابن جرير[٤].

والثَّالث: أنها الطَّاعة. ذكره بعض المفسِّرين.

فأما «الأوزار» فقال ابن قُتَيْبة: هي الآثام، وأصل الوزر: الحمل على الظَّهر[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢١٤-٢١٥).

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٢).

وقال ابن فارس: الوزر: الثِّقل[١].

وهل هذا الحمل حقيقة؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه على حقيقته. قال عمير بن هانئ: يُحشر مع كلِّ كافر عمله في صورة رجل قبيح، كلَّما كان هَوْلٌ عظَّمه عليه، وزاده خوفًا، فيقول: بئس الجليس أنت[٢]، ما لي ولك؟ فيقول: أنا عملك، طالما ركبتني في الدُّنيا، فلأركبنَّك اليوم حتى أُخزيَك على رؤوس النَّاس، فيركبُه ويتخطَّى به النَّاس حتى يقف بين يدي ربه، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا قول السُّدِّي[٣]، وعمرو بن قيس المُلائي[٤]، ومقاتل[٥]. [٢٢٧/ب]

والثَّاني: أنه مثل، والمعنى: يحملون ثقل ذنوبهم، قاله الزَّجَّاج[٦].

قال: فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أَثْقَلِ ما يُتحَمَّل.

ومعنى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس الشَّيء شيئًا يزرونه، أي: يحملونه.

---

(١) انظر: مجمل اللُّغة (١/ ٩٢٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم (٧٢٢٩) في تفسيرهما.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم (٧٢٢٨) في تفسيرهما.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧_٥٥٨).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣٢].

قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: وما الحياة الدُّنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها إلا كالشَّيء يُلعب به.

والثَّاني: وما أمر الدُّنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة، لا من الدُّنيا.

والثَّالث: وما أهل الحياة الدُّنيا إلا أهل لعب ولهو، لاشتغالهم عما أمروا به. واللَّعب: ما لا يُجدي نفعًا.

قوله: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾.

اللام: لام القسم.

و«الدَّار الآخرة»: الجنَّة.

«أفلا يعقلون» فيعملون لها.

قرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرٍو، وحمزة، والكِسَائِي: «يعقلون» بالياء، في «الأنعم» و«الأعراف»، و«يوسف»، و«يس»[١]، وقرءوا في «القصص» بالتَّاء.

---

(١) في (ج): (ويونس).

وقرأ نافع كلَّ ذلك بالياء.

وروى حفص، عن عاصم كلَّ ذلك بالتَّاء، إلا في «يس» في الْخَلْقِ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٨]، بالياء[١].

وقرأ ابن عامر الذي في «يس» بالياء، والباقي بالتَّاء[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له: الحارث بن عامر، قال: والله يا محمد ما كذبتنا قطُّ فنتَّهِمَك اليوم، ولكنا إن نتَّبِعْك نُتَخَطَّفْ من أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[٣].

---

(١) في (ج): (بالتَّاء).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٦)، والحجَّة (٣/ ٢٩٥-٢٩٦)، والمبسوط (١/ ٣٧٢).

(٣) رواه النَّسائي في الكبرى (١١٣٢١) عن ابن أبي مليكة، قال: قال عمرو بن شعيب، عن ابن عبَّاسٍ، ولم يسمعه منه، أن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [القصص: ٥٧]. ورواه ابن جرير الطَّبري من طريق ابن أبي مليكة، عن ابن عبَّاسٍ، به، بنحوه بدون ذكر عمرو بن شعيب.

وقال مقاتل: كان الحارث بن عامر يكذِّب النَّبيَّ في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته، قال: ما محمد من أهل الكذب، فنزلت فيه هذه الآية[١].

والثَّاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النَّبيَّ ﷺ قالوا فيما بينهم: إنه لَنبيٌّ، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح[٢].

والثَّالث: أن أبا جهل قال للنَّبيِّ ﷺ: إنَّا لا نكذِّبك، ولكن نُكذِّب الذي[٣] جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب[٤].

وقال أبو يزيد المدني: لقي رسولُ الله ﷺ أبا جهل، فصافحه أبو جهل، فقيل له: أتصافح هذا الصابئ؟ فقال: والله إني لأعلم أنه نبيٌّ، ولكن متى كنا تبعًا لبني عبد مناف؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[٥].

و الرَّابع: أن الْأَخْنَسَ بْن شَرِيقٍ[٦] لقي أبا جهل فقال الْأَخْنَس: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو، أم كاذب؟ فليس هاهنا من

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٨).

(٢) رواه أبو الشيخ كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٦٤) قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذا رَأَوْا رَسُول الله ﷺ بِمَكَّة قَالَ بَعضهم لبَعض فِيمَا بَينهم: إِنَّه لنَبِيٌّ فَنزلت هَذِه الْآيَة: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

(٣) في (ج): (بالذي).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٧٢٣٥) في تفسيرهما، من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، به، بنحوه. ورواه الترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥) من نفس الطريق بذكر علي بن أبي طالب ﷺ، والأول أصح.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٣٩)، وأبو الشيخ كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: (سريق)، والمثبت من بقية النُّسخ.

[٢٢٨/أ] يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللِّواء، والسِّقاية، والحجابة، والنُّبوَّة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّي (١).

فأما الذي يقولون، فهو التَّكذيب للنَّبيِّ ﷺ، والكفر بالله.

وفي الآية تسلية للنَّبيِّ ﷺ وتعزية عما يواجهونه به.

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

قرأ نافع، والكِسَائي: «يُكْذِبُونَك» بالتخفيف وتسكين الكاف(٢).

وفي معناها قولان:

أحدهما: لا يُلْفُونَك كاذبًا. قاله ابن قُتَيْبة(٣).

والثَّاني: لا يكذِّبون الشيء الذي جئت به، إنما يجحدون آياتِ الله، ويتعرَّضون لعقوباته.

قال ابن الأنباريِّ: وكان الكِسَائي يحتجُّ لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبْتُ الرَّجل: إذا نسبْتَه إلى الكذب وصنعة الأباطيل من القول، وأكذبتُه: إذا أخبرتَ أن الذي يحدِّث به كذب، ليس هو الصَّانع له.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٢١ـ ٢٢٢) من طريق أسباط بن نصر، به، مطولًا.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٣٠٢)، والمبسوط (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٣).

قال: وقال غير الكِسَائِي: يقال: أكذبتُ الرَّجل: إذا أدخلتَه في جملة الكذَّابين، ونسبتَه إلى صفتهم، كما يقال: أبخلتُ الرَّجل: إذا نسبتَه إلى البخل، وأجبنتُه: إذا وجدتَه جبانًا.

قال الشَّاعر(١)[من الطويل]:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ ... وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ ومُذْنِبُ

وقرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرٍو، وعاصم، وحمزة، وابن عامر: ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتَّشديد وفتح الكاف(٢).

وفي معناها خمسة أقوال:

أحدها: لا يكذِّبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عِناد وبَهْتٍ، قاله قتادة، والسُّدِّي.

والثَّاني: لا يقولون لك: إنَّك كاذب، لعلمهم بصدقك، ولكن يكذِّبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب.

والثَّالث: لا يكذِّبونك في السِّرِّ، ولكن يكذِّبونك في العلانية، عداوةً لك، قاله ابن السَّائب، ومقاتل(٣).

و الرَّابع: لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: كذبت.

---

(١) البيت للكميت في لسان العرب (٢/ ١٤٢)، وتاج العروس (٥/ ٣٣٧).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٣٠٢)، والمبسوط (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٨)، والبحر المحيط (٤/ ٤٨٩).

والخامس: لا يكذِّبونك بقلوبهم، لأنهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الزَّجَّاج(١).

وقال أبو عليٍّ: يجوز أن يكون معنى القراءتين(٢) واحدًا وإن اختلفت اللَّفظتان، إلا أن «فعَّلتُ» إذا أردتَ أن تنسبه(٣) إلى أمر أكثر من «أفعَلتُ».

ويؤكد أنَّ القراءتين بمعنىً، ما حكاه سيبويه أنهم قالوا: قلَّلتُ، وأقللت، وكثَّرتُ، وأكثرت، بمعنىً(٤).

قال أبو عليٍّ: ومعنى «لا يكذِّبونك»: لا يقدرون أن ينسبوك إلى الكذب فيما أخبرتَ به مما جاء في كتبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذبًا، كما تقول: أحمدت فلانًا(٥): إذا أصبتَه محمودًا، لأنهم [٢٢٨/ ب] يعرفونك بالصِّدق والأمانة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بألسنتهم ما يعلمونه يقينًا، لعنادهم(٦).

وفي «آيات الله» هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها محمد ﷺ، قاله السُّدِّي.

والثَّاني: محمد والقرآن، قاله ابن السَّائب.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

(٢) في (ف): (القولين).

(٣) في (ف): (إذا أرادوا أن ينسبوه).

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٠٣).

(٥) في (ف): (الرَّجل).

(٦) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٠٣).

والثَّالث: القرآن، قاله مقاتل[١].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعـام: ٣٤].

قوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه تعزية له على ما يلقى منهم.

قـال ابـن عبَّـاسٍ: ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾ رجـاء ثـوابي، ﴿وَأُوذُوا۟﴾ حتـى نُـشروا بالمناشـير، وحُرِّقـوا بالنَّـار ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ بتعذيـب مـن كذَّبهـم[٢][٣].

قوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: لا خُلْفَ لمواعيده، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: لا مبدِّل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزَّجَّاج[٤].

والثَّالـث: لا مبـدِّل لحكوماتـه وأقضيتـه النَّافـذة في عبـاده، فعـبَّرت الكلـمات عـن هـذا المعنـى، كقولـه تعـالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمـر:٧١] أي: وجـب مـا قـضي[٥] عليهـم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٨).

(٢) في (ج): (يُكذِّبهم).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٣).

(٥) في (ف): (قضاه).

فعلى هذا القول، والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدِّل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة:٢١].

و الرَّابع: أن معنى الكلام معنى النَّهي، وإن كان ظاهره الإخبار، فالمعنى: لا يُبدِّلن أحدٌ كلماتِ الله، فهو كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ {البقرة:٢}.

والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللَّفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزَّيغ، ذكر هذه الألفاظ(١) الثَّلاثة ابن الأنباريِّ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: فيما صبروا عليه من الأذى فنُصروا(٢). وقيل: إن «مِن» صلة(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٥].

---

(١) في (ج)، و(ف): (الأقوال).

(٢) في الأصل: (فتصبروا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ج): (صلته).

قوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.

سبب نزولها:

أنَّ الحارث بن عامر أتى رسول الله ﷺ في نفر من قريش فقال: يا محمد، ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات، فإن فعلت آمنا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ(١).

و ﴿كَبُرَ﴾: بمعنى «عَظُم».

وفي معنى(٢) إعراضهم قولان:

أحدهما: عن استماع القرآن.

والثَّاني: عن اتباع النَّبيِّ ﷺ.

فأما «النَّفق»، فقال ابن قُتَيْبة: النَّفق في الأرض: المدخل، وهو السَّرْب. والسُّلَّم في السَّماء: المصعد(٣).

وقال الزَّجَّاج: النَّفق: الطَّريق النَّافذ في الأرض. والنَّافقاء، ممدود: أحد جحرة اليربوع يَخرِقه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض، فإذا بلغ الجلدة أرقَّها، حتى إنْ رابه ريب، دفع برأسه ذلك الموضع(٤) وخرج، ومنه سُمِّي المنافق، لأنه أبطن غير ما أظهر، كالنَّافقاء الذي ظاهره غير [٢٢٩/أ] بيِّن، وباطنه حفر في الأرض.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٣).

(٤) في (ج)، و(ف): (المكان).

و«السُّلَّم» مشتقٌّ من السَّلامة، وهو الشيء الذي يسلِّمك إلى مصعدك.

والمعنى: فإن استطعت هذا فافعل، وحذف «فافعل»، لأن في الكلام دليلاً عليه[١].

وقال أبو عُبَيدة: السُّلَّم: السبب والمرقاة، تقول: اتخذتني سُلَّماً لحاجتك، أي: سبباً[٢].

وفي قوله: ﴿فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖ﴾ قولان:

أحدهما: بآية قد سألوك إيَّاها، وذلك أنهم سألوا نزول ملك الموت، ومثل آيات الأنبياء، كعصا موسى، وناقة صالح.

والثَّاني: بآية هي أفضل من آيتك.

قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لو شاء أن يطبعهم على الهدى لطبعهم.

والثَّاني: لو شاء لأنزل ملائكة[٣] تضطرُّهم إلى الإيمان. ذكرهما الزَّجَّاج[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٤).

(٣) في (ج)، و(ف): (آيةً).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٤).

والثَّالث: لو شاء لآمنوا كلُّهم، فأخبر [أنَّهم][1] إنما تركوا الإيمان بمشيئته، ونافذ قضائه.

قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى.

والثَّاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم، ويكفر [بك][2] بعضهم.

والثَّالث: لا تكونَنَّ ممن لا صبر له، لأن قلة الصَّبر من أخلاق الجاهلين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: ٣٦].

قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إنما يجيبك من يسمع، والمراد به سماع قبول.

وفي المراد بالموتى قولان:

أحدهما: أنهم الكفار، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة.

فيكون المعنى: إنما يستجيب المؤمنون، فأما الكفار فلا يستجيبون حتى يبعثهم الله تعالى، ثم يحشرهم كفارًا، فيجيبون اضطرارًا.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) زيادة من (ف).

والثَّاني: أنهم الموتى حقيقة، ضربهم الله تعالى[١] مثلًا.

والمعنى: أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله، فكذلك الذين لا يسمعون.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، فيجازي الكُلَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: ٣٧].

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: نزلت في رؤساء قريش[٢].

و ﴿لَوْلَا﴾: بمعنى «هلَّا» وقد شرحناها في «سورة النِّساء»[٣].

وقال مقاتل: أرادوا بالآية مثل آيات الأنبياء[٤].

وقال غيره: أرادوا نزول ملك يشهد له بالنُّبوَّة.

وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: لا يعلمون بأنَّ الله ﷻ قادر على إنزال الآية.

والثَّاني: لا يعلمون ما عليهم من البلاء في إنزالها، لأنهم إن لم يؤمنوا بها، زاد عذابهم.

---

(١) قوله: (الله تعالى)، ليس في (ف).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (١/ ٢١٩).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٧٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٩).

والثَّالث: لا يعلمون المصلحة في نزول الآية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد كلَّ ما دبَّ على الأرض(١).

قال الزَّجَّاج: وذكر الجناحين توكيد، وجميع ما خُلق لا يخلو إما أن يدُبَّ، أو يطير(٢). [٢٢٩/ب]

وقوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

قال مجاهد: أصناف مصنَّفة(٣).

وقال أبو عُبَيدة: أجناس يعرفون الله ويعبدونه(٤).

وفي معنى ﴿أَمْثَالُكُم﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أمثالكم في كون بعضها تفقه(٥) عن بعض، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم (٧٢٥٦) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به، بلفظ: «**أَصْنَافٌ مُصَنَّفَةٌ تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا**».

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩١).

(٥) في (ف): (يفقه).

والثَّاني: في معرفة الله، قاله عطاء.

والثَّالث: أمثالكم في الخلق والموت والبعث، قاله الزَّجَّاج[١].

و الرَّابع: أمثالكم في كونها تطلب الغذاء، وتبتغي الرِّزق، وتتوقَّى المهالك، قاله ابن قُتَيْبة[٢].

قال ابن الأنباريِّ: وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى ركَّب في المشركين عقولًا، وجعل لهم أفهامًا ألزمهم بها أن يتدبَّروا أمر النَّبيِّ ﷺ ويتمسَّكوا بطاعته، كما جعل للطَّير أفهامًا يعرف بها بعضها إشارة بعض، وهدى الذَّكَرَ منها لإتيان الأنثى، وفي كلِّ ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها.

قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾.

في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنه اللَّوح المحفوظ.

روى ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ: ما تركنا شيئًا إلا وقد كتبناه في أمِّ الكتاب[٣]. وإلى هذا المعنى ذهب قتادة، وابن زيد.

والثَّاني: أنه القرآن.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٥).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٤٩).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٧٢٥٩) في تفسيرهما.

روى عطاء عن ابن عبَّاسٍ: ما تركنا من شيء إلا وقد بيَّناه لكم[١].

فعلى هذا يكون من العامِّ الذي أريد به الخاصُّ، فيكون المعنى: ما فرَّطنا في[٢] شيء بكم إليه حاجة إلا وبيَّناه في الكتاب، إما نصًّا، وإما مجملًا، وإما دلالة، كقولنا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] أي: لكلِّ شيء يُحتاج إليه في[٣] أمر الدِّين.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه الجمع يوم القيامة.

روى أبو ذرٍّ قال: انتطحت شاتان عند النَّبيِّ ﷺ فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي فِيمَا انْتَطَحَتَا؟**» قلت: لا. قال: «**وَلَكِنَّ اللهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**»[٤].

وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق يوم القيامة، البهائم والدَّوابَّ والطَّير وكلَّ شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا، فيقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا[٥].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٨).

(٢) في (ف): (من).

(٣) في (ف): (من).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٦)، عن معمر، عن الأعمش، ذكره عن أبي ذر، به. ومن طريقه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٣٦) وهو منقطع بين الأعمش وأبي ذر ﷺ.
وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد في مسنده (١٥/ ٣٣)، وسنده ضعيف أيضًا.

(٥) رواه عبد الرزاق (٢/ ٤٦)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (١٩١٠٩) في تفسيرهما.

والثَّاني: أن معنى حشرها: موتها، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾ [الأنعام: ٣٩].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ، ﴿صُمٌّ﴾ عن القرآن لا يسمعونه، ﴿وَبُكْمٌ﴾ عنه لا ينطقون به ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الشِّرك والضَّلالة. ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ﴾ فيُضلُّه[1] فيموت على الكفر ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠)﴾ [الأنعام: ٤٠].

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾.

[٢٣٠/أ] قرأ ابن كَثِيرٍ، وعاصم، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر، وحمزة: «أرأيتم» و«أرأيتكم» و«أرأيت» بالألف في كلِّ القرآن مهموزًا.

وليَّن الهمزة نافع في الكلِّ.

وقرأ الكِسَائِي بغير همز ولا ألف[2].

قال الفرَّاء: العرب تقول: أرأيتك، وهم يريدون: أخبرني[3].

---

(١) في (ج)، و(ف): (يضلله).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٣٠٥)، والمبسوط (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٣).

فأمّا ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾.

ففي المراد به هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: العذاب الذي كان يأتي الأمم الخالية، قاله مقاتل(١).

فأما ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ فهي القيامة.

قال الزَّجَّاج: وهو اسم للوقت الذي يُصعق فيه العباد، وللوقت الذي يُبعثون فيه(٢).

قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: أتدعون صنمًا أو حجرًا لكشفِ ما بكم؟! فاحتجَّ عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مسَّهم الضُّرُّ دعوا الله.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾، لأنه بمعنى أخبروا، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين، فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم؟.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤١].

قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٦).

قال الزَّجَّاج: أعلمهم أنهم لا يدعون في الشَّدائد إلا إيَّاه، وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام[١].

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾.

المعنى: فيكشف الضُّرَّ الذي من أجله دعوتم، وهذا على اتِّساع الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]، أي: أهل القرية.

﴿وَتَنسَوْنَ﴾: يجوز أن يكون بمعنى «تتركون»، ويجوز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾ [الأنعام: ٤٢].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

في الآية محذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أُمم من قبلك رسلاً فخالفوهم، فأخذناهم بالبأساء.

وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الزَّمَانَة والخوف، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنها البؤس، وهو الفقر، قاله ابن قُتَيْبة[٢].

والثَّالث: أنها الجوع، ذكره الزَّجَّاج[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ٧٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

وفي الضَّرَّاء ثلاثة أقوال:

أحدها: البلاء، والجوع، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: النَّقص في الأموال والأنفس، ذكره الزَّجَّاج[1].

والثَّالث: الأسقام والأمراض، قاله أبو سليمان.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: لكي يتضرَّعوا.

و«التَّضرُّع»: التَّذلل والاستكانة.

وفي الكلام محذوف تقديره: فلم يتضرَّعوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

قوله: ﴿فَلَوْلَآ﴾ معناه: «فهلَّا».

و«البأس»: العذاب.

ومقصود الآية: أن الله تعالى أعلم نبيَّه ﷺ أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أُخذوا بالشَّدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم، وزيَّن لهم الشَّيطان ضلالتهم فأصرُّوا عليها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: تركوا ما وُعظوا به[١].

[٢٣٠/ب] ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يريد رخاء الدُّنيا وسرورها.

وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فَتَّحنا» بالتَّشديد هنا، وفي «الأعراف»، وفي «الأنبياء»: «فُتِّحت»، وفي «القمر»: «فَتَّحنا».

والجمهور على تخفيفهن[٢].

قال الزَّجَّاج: أبواب كلِّ شيء كان مغلقًا عنهم من الخير، حتى إذا ظنُّوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقامًا، وما فُتح عليهم باستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا[٣].

وقال ابن الأنباريِّ: إنما أراد بقوله: «كلَّ شيء»: التَّأكيد، لقول القائل: أكلنا عند فلان كلَّ شيء، وكنا عنده في كلِّ سرور، يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٢٣].

وقال الحسن: من وُسِّع عليه فلم ير أنه يُمكر به، فلا رأي له، ومن قُتِّر عليه فلم ير أنه يُنظر له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مُكر بالقوم وربِّ الكعبة، أُعطوا حاجاتهم ثم أُخذوا[٤].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧)، والحجَّة (٣/ ٤٤١)، والمبسوط (١/ ١٩٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٩٣)، وأبو الشيخ كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٧٠).

قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

في المُبْلِس خمسة أقوال:

أحدها: أنه الآيس من رحمة الله ﷻ، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، وقال في رواية أخرى: الآيس من كلِّ خير.

وقال الفرَّاء: المُبْلِسُ: اليائس المنقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجَّته، فلا يكون عنده جواب: قَدْ أَبْلَسَ.

قال العجَّاج[من الرجز]:

يَا صَاحِ هَلْ تعرِفُ رَسْمًا مُكْرَسا   قَالَ نَعَمْ! أعْرِفُه! وأبْلَسَا

أي: لم يُحِرْ جوابًا[١].

وقيل: المُكْرَس: الذي قد بعرت فيه الإبل، وبوَّلت، فيركب بعضه بعضًا.

والثَّاني: أنه المُفْتَضِح. قال مجاهد: الإبلاس: الفضيحة[٢].

والثَّالث: أنه المُهْلَك، قاله السُّدِّي.

و الرَّابع: أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشَّرِّ ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد.

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٣٥)، والبيت للعجاج في ديوانه (١/ ١٨٥)، ولسان العرب (٦/ ٣٠)، والتنبيه والإيضاح (٢/ ٢٦٢)، وتهذيب اللُّغة (١٢/ ٤٤٢)، والكامل (٢/ ١٤١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧٣).

والخامس: أنه الحزين النَّادم، قاله أبو عُبَيدة.

وأنشد لرؤبة [من الرجز]:

وَحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسُ

أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن[١].

وقال الزَّجَّاج: هو الشَّديد الحسرة، الحزين، اليائس.

وقال في موضع آخر: المُبْلِسُ: السَّاكت المتحيِّر[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾ [الأنعام: ٤٥].

قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

قال ابن السَّائب: دابرهم: الذي يتخلَّف في آخرهم[٣].

والمعنى: أنهم استؤصلوا.

وقال أبو عُبَيدة[٤]: دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم[٥].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٢)، والبيت لرؤبة في ديوانه (ص ٦٧)، وبلا نسبة في لسان العرب (٦/ ٣٠)، وتهذيب اللُّغة (١٢/ ٤٤٢)، ومقاييس اللُّغة (١/ ٣٣٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩، ٤/ ٢٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢).

(٤) من قوله: (قال ابن السَّائب)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٢).

قال ابن قُتَيْبة: هو كما يقال: اجتُثَّ أصلهم(١).

قال المفسِّرون: وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم، لأن ذلك إنعام على رسلهم الذين كذبوهم، وعلم الحمد على كفايته شر الظَّالمين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۝٤٦﴾ [الأنعام: ٤٦].

قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أي: أذهبها ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ حتى لا تعرفون شيئًا ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾؟

في هاء ﴿بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: [٢٣١/أ]

أحدها: أنها تعود على الفعل، والمعنى: يأتيكم بما أخذ الله منكم، قاله الزَّجَّاج(٢).

وقال الفرَّاء: إذا كنيت عن الأفاعيل، وإن كثرتْ، وحَّدتَ الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذيني.

والثَّاني: أنها تعود إلى الهدى، ذكره الفرَّاء(٣).

فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور، ولكن المعنى يشتمل عليه، لأن من أُخذ سمعه وبصره وخُتم على قلبه لم(٤) يهتد.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٥).

(٤) في (ف): (فلم).

والثَّالث: أنها تعود على السَّمع، ويكون ما عُطف عليه داخلًا معه في القصة، لأنه معطوف عليه، ذكره الزَّجَّاج(١).

والجمهور يقرءون: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ﴾ بكسر هاء «بِهِ».

وروى المسيَّبي عن نافع: «بهُ انظر»: بالضم(٢).

قال أبو عليٍّ: من كسر، حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو: بهي عيب، ومن ضمَّ، فعلى قول من قال: «فخسفنا بهو و بدارهو الأرض» فحذف الواو(٣).

قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾.

قال مقاتل: يعني تكون العلامات في أُمور شتى، فيخوِّفهم بأخذ الأسماع والأبصار والقلوب، وما صُنع بالأُمم الخالية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أي: يعرضون فلا(٤) يعتبرون(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام: ٤٧].

قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٧ـ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١٠)، ومعاني القراءات (١/ ٣٥٤).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٣١٠).

(٤) في (ج): (ولا).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦١).

قال الزَّجَّاج: «الْبَغْتَةُ»: المفاجأة. و«الْجَهْرَةُ»: أن يأتيهم وهم يرونه[١].

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم[٢] معاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالثَّواب ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ أي: بالعقاب، وليس إرسالهم ليأتوا بما يقترحونه من الآيات.

ثم ذكر ثواب من صدَّق، وعقاب من كذَّب في تمام الآية والتي[٣] بعدها.

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿يَفْسُقُونَ﴾: بمعنى يكفرون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾.

سبب نزولها:

أن أهل مكَّة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزًا فتستغني به،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٢) من قوله: (أن يأتيهم وهم يرونه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ف): (والذي).

فإنك فقير محتاج، أو تكون لك جنة تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

وقال الزَّجَّاج: وهذه الآية متَّصلة بقوله: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [يونس:٢٠]، فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحي، ولا يقول: إنه مَلَكٌ، لأن الملك يشاهد من أمور الله تعالى ما لا يشاهده البشر(١).

وقرأ ابن مسعود، وابن جُبَيْر، وعكرمة، والجَحْدَري: «إني مَلِكٌ» بكسر اللام(٢).

وفي ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ قولان:

أحدهما: أن «الأعمى»: الكافر، و«البصير»: المؤمن، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة.

والثَّاني: «الأعمى»: الضالُّ، و«البصير»: المهتدي، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد. [٢٣١/ب]

وفي قوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: فيما بُيِّن لكم من الآيات الدَّالَّة على وحدانيَّته وصدق رسوله.

والثَّاني: فيما ضُرب لكم من مثل الأعمى والبصير وأنهما لا يستويان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٠).

(٢) وعن طلحة الحضرمي في مختصر ابن خالويه (ص:٤٣).

قوله: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾.

قال الزَّجَّاج: يعني بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم، وإن كان مُنْذِرًا لجميع الخلق، لأن الحجَّة على الخائفين الحشر أظهر، لاعترافهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما مسلم، فيُنذَر ليؤديَ حقَّ الله عليه في إسلامه، وإما كتابيٌّ، فأهل الكتاب مجمعون على البعث. وذكر الولي والشفيع، لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبَّاؤه، فأعلم ﷻ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ"(١).

وقال غيره: ليس لهم من دونه وليٌّ، أي: ليس لهم غير الله وليٌّ ولا شفيعٌ، لأن شفاعة الشَّافعين بأمره.

وقال أبو سليمان الدِّمشقي: هذه الآية متعلِّقة بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ [الأنعام:١٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾.

روى سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة: فيَّ، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١).

قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهؤلاء، فاطردهم عنك؛ فدخل على رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فنزلت هذه الآية[1].

وقال خبَّاب بن الأرتِّ: نزلت فينا، كنا ضعفاء عند النَّبيِّ ﷺ يعلِّمنا بالغداة والعشيِّ ما ينفعنا، فجاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فقالا: إنا من أشراف قومنا، وإنا نكره أن يرونا معهم، فاطردهم إذا جالسناك. قال: «نَعَمْ». فقالوا: لا نرضى حتى تكتب بيننا كتابًا، فأُتي بأديم ودواة، ودعا عليًّا ليكتب، فلما أراد ذلك، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ [2]فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ فرمى بالصَّحيفة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ». فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٣) مختصرًا، وعبد بن حميد (١٣١)، والنَّسائي في الكبرى (٨١٦٣-٨١٨٠-٨٢٠٧-٨٢٠٩-١١٠٩٨)، وابن ماجه (٤١٢٨)، والبزار في مسنده (١٢٢٨)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨٢٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٩٥) بألفاظ متقاربة.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٢٧)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٥٩)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (١/ ١١٣)، والطَّبراني في الكبير (٣٦٩٣)، والبزار في مسنده (٢١٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٠٩).

وقال ابن مسعود: مرَّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خبَّاب، وصهيب، وبلال، وعمَّار، فقالوا: يا محمد، رضيتَ بهؤلاء، أتريد أن نكون تبعًا لهم؟! فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[1].

وقال عكرمة: جاء عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، في أشراف بني عبد مناف، إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم في صدورنا، وأدنى [٢٣٢/أ] لاتِّباعنا إياه، فأتاه أبو طالب فحدَّثه بذلك، فقال عمر بن الخطَّاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته[2].

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاس: أن هذه الآيات نزلت في الموالي، منهم بلال، وصُهَيب، وخبَّاب، وعمَّار، ومِهْجَع، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأن قوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ نزلت فيهم أيضًا[3].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧/ ٩٢)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٥٨)، وابن أبي حاتم (٧٣٤٢) في تفسيرهما، والطَّبراني في الكبير (١٠٥٢٠)، والبزار في مسنده (٢٠٤١) وغيرهم من طرق عن أشعث بن سوار، عن كردوس الثعلبي، عن ابن مسعود ﵁، به، بنحوه. وهو حديث حسن. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أشعث، وهو ابن سوار الكندي، ويشهد له حديث سعد بن أبي وقاص ﵁ المتقدم.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٢) من طريق حجاج، عن ابن جُرَيج، به.

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٥٢٠).

وقد روى العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ أناسًا من الأشراف قالوا للنَّبيِّ ﷺ: نؤمن لك، وإذا صلَّينا فأخِّر هؤلاء الذين معك، فليصلُّوا خلفنا[١].

فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصَّفِّ، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه.

قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾.

في هذا الدُّعاء خمسة أقوال:

أحدها: أنه الصَّلاة المكتوبة، قاله ابن عمر، وابن عبَّاسٍ.

وقال مجاهد: هي الصَّلوات الخمس[٢].

وفي رواية عن مجاهد، وقتادة قالا: يعني صلاة الصُّبح والعصر.

وزعم مقاتل أن الصَّلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشيِّ، ثم فرضت الصَّلوات الخمس بعد ذلك[٣].

والثَّاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النَّخعي، وعنه كالقول الأوَّل.

والثَّالث: أنه عبادة الله، قاله الضَّحَّاك.

و الرَّابع: أنه تعلُّم القرآن غدوة وعشيَّة، قاله أبو جعفر.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٧).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٣).

والخامس: أنه دعاء الله بالتَّوحيد، والإخلاص له[١]، وعبادته، قاله الزَّجَّاج[٢].

وقرأ الجمهور: «بالغداة».

وقرأ ابن عامر هاهنا وفي «الكهف» أيضًا: «بالغُدْوَةِ» بضم الغين وإسكان الدَّال وبعدها واو[٣].

قال الفرَّاء: والعرب لا تدخل الألف واللام في «الغدوة»؛ لأنها معرفة بغير ألف ولام، ولا تضيفها العرب يقولون: أتيتك غداة الخميس، ولا يقولون: غُدوة الخميس، فهذا دليل على أنها معرفة[٤].

وقال أبو عليٍّ: الوجه: الغداة، لأنها تستعمل نكرة[٥]، وتتعرَّف باللام، وأما غُدوة، فمعرفة[٦].

وقد قال الخليل: يجوز أن تقول: أتيتك اليوم غُدوة وبُكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة، فهذا وجه قراءة ابن عامر[٧].

فإن قيل: دعاء القوم كان متَّصلًا باللَّيل والنَّهار، فلماذا خصَّ الغداة والعشي؟

---

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١٩)، والمبسوط (١/ ١٩٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٩).

(٥) في الأصل، و(ج): (بكرة)، والمثبت من (ر)، وهو الموافق لما في كتاب الحجَّة.

(٦) انظر: الحجَّة (٣/ ٣١٩).

(٧) انظر: الكتاب؛ لسيبويه (٣/ ٢٩٤).

فالجواب: أنه نبَّه بالغداة على جميع النَّهار، وبالعشيِّ على اللَّيل، لأنه إذا كان عمل النَّهار خالصًا له، كان عمل اللَّيل أصفى.

قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي يريدون الله، فشهد الله لهم بصحة النِّيَّات، وأنهم مخلصون في ذلك[1].

[٢٣٢/ب] **فأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه حساب الأعمال، قاله الحسن.

والثَّاني: حساب الأرزاق.

والثَّالث: أنه بمعنى الكفاية. والمعنى: ما عليك من كفايتهم، ولا عليهم كفايتك.

قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قال ابن الأنباريِّ: عظم هذا الأمر على النَّبيِّ ﷺ، وخُوِّفَ بالدُّخول في جملة الظَّالمين، لأنه كان قد همَّ بتقديم الرُّؤساء على الضُّعفاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١) بمعناه.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

المعنى: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا هؤلاء[١] أيضًا بعضهم ببعض. و«فتنا» بمعنى: ابتلينا واختبرنا ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ يعني الكبراء: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون الفقراء والضعفاء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالهدى؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة.

قال ابن السَّائب: ابتلى الله الرُّؤساء بالموالي، فإذا نظر الشَّريف إلى الوضيع قد آمن قبله، أنف أن يُسلم، ويقول: سبقني هذا![٢].

قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا منَّ عليهم بالهداية.

والمعنى: إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر.

والاستفهام في «أليس»، معناه التَّقرير، أي: إنه كذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنَّا أصبنا

---

(١) ليست في (ف).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٦).

ذنوبًا عظيمة، فسكت عنهم رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله أنس بن مالك[١].

والثَّاني: أنها نزلت في الذين نُهي عن طردهم، فكان النَّبيُّ ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسَّلام، وقال: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»، قاله الحسن، وعكرمة[٢].

والثَّالث: أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وعثمان بن مظعون، وأبي عُبَيدة، ومصعب بن عمير، وسالم، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعمار، وبلال، قاله عطاء[٣].

و الرَّابع: أن عمر بن الخطَّاب كان أشار على رسول الله ﷺ بتأخير الفقراء، استمالة للرُّؤساء إلى الإسلام، فلمَّا نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ جاء عمر بن الخطَّاب يعتذر من مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن السَّائب[٤].

والخامس: أنها نزلت مبشِّرة بإسلام عمر بن الخطَّاب، فلما جاء وأسلم تلاها عليه رسول الله ﷺ، حكاه أبو سليمان الدِّمشقي.

---

(١) رواه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٠٦)، و ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم (٧٣٤٥) في تفسيرهما من طريق سفيان الثَّوري، عن مجمع، عن ماهان، مرفوعًا.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٥) عن عكرمة، مرسلًا.

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٥٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٢٦٢) من طريق ابن جُرَيْج، عن عكرمة من قوله، بلفظ مطول.

فأما قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فمعناه: يصدِّقون بحججنا وبراهيننا.

قوله: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه أُمر بالسَّلام عليهم تشريفًا لهم، وقد ذكرناه عن الحسن، وعكرمة. [٢٣٣/أ]

والثَّاني: أنه أُمر بإبلاغ السَّلام إليهم عن الله تعالى، قاله ابن زيد.

قال الزَّجَّاج: ومعنى السَّلام: دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات[١].

وفي السُّوء قولان:

أحدهما: أنه الشِّرك.

والثَّاني: المعاصي.

وقد ذكرنا في «سورة النِّساء» معنى «الجهالة»[٢].

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وحمزة، والكِسَائِي: «إنه من عمل منكم سوءًا» «فإنه غفور» بكسر الألف فيهما.

وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتح الألف فيهما.

وقرأ نافع بنصب ألف «أنه من عمل»، وكسر ألف «فإنه غفور»[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٢- ٢٥٣).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٧).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١١)، والمبسوط (١/ ١٩٤ـ ١٩٥).

قال أبو عليٍّ: من كسر ألف «إنه» جعله تفسيرًا للرَّحمة، ومن كسر ألف «فإنه غفور» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن فتح ألف «أنه من عمل» جعل «أنَّ» بدلاً من الرَّحمة، والمعنى: كتب ربكم «أنه من عمل»، ومن فتحها بعد الفاء أضمر خبرًا تقديره: فله «أنه غفور رحيم»، والمعنى: فله غفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة:٦٣] معناه: فله أن له نار جهنم، وأما قراءة نافع، فإنه أبدل من الرَّحمة، واستأنف ما بعد الفاء[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: وكما فصَّلنا لك في هذه السُّورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين، كذلك نبيِّن لك حجَّتنا في كل حقٍّ ينكره أهل الباطل.

قال ابن قُتَيْبة: ومعنى تفصيلها: إتيانها متفرِّقة شيئًا بعد شيء[2].

قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر: «وَلِتَسْتَبِين» بالتَّاء، «سبيلُ» بالرَّفع.

وقرأ نافع، وزيد عن يعقوب: بالتَّاء أيضًا، إلا أنهما نصبا السَّبيل.

---

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣١١).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم: «وَلِيَسْتَبِينَ» بالياء، «سبيلُ» بالرَّفع[1].

فمن قرأ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالياء أو بالتَّاء، فلأن السَّبيل يُذكَّر ويُؤنَّث على ما بيَّنا في «آل عمران»، ومن نصب اللام، فالمعنى: ولتستبين أنت يا محمد سبيلَ المجرمين.

وفي سبيلهم التي بُيِّنت له، قولان:

أحدهما: أنها طريقهم في الشِّرك، ومصيرهم إلى الخزي، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحسد، لا إيثار مجالسته واتِّباعه، قاله أبو سليمان.

فإن قيل: كيف انفردت لام «كي» في قوله: «ولتستبين»، وسبيلها أن تكون شرطًا لفعل يتقدَّمها أو يأتي بعدها؟

فقد أجاب عنه ابن الأنباريِّ بجوابين:

أحدهما: أنها شرط لفعل مضمر، يراد به: ونفعل ذلك لكي تستبين.

والثَّاني: أنها معطوفة على لام مضمرة، تأويله: نفصِّل الآيات لينكشف أمرهم، ولتستبين سبيلهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١٤)، والمبسوط (١/ ١٩٥).

قوله: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ يعني: الأصنام.

وفي معنى ﴿تَدۡعُونَ﴾ قولان: [٢٣٣/ ب]

أحدهما: تدعونهم آلهة.

والثَّاني: تعبدون، قاله ابن عبَّاسٍ.

وأهواؤهم: دينهم.

قال الزَّجَّاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البيِّنة والبرهان(١).

ومعنى «إذًا» معنى الشَّرط، والمعنى: قد ضللت إن عبدتها(٢).

وقرأ طلحة، وابن أبي ليلى: «قد ضلِلت» بكسر اللام(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧﴾ [الأنعام: ٥٧].

قوله: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾.

سبب نزولها:

أن النَّضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنَّبيِّ ﷺ: يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا به، استهزاءً، وقام النَّضر عند الكعبة فقال: اللَّهمَّ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٣) عن يحيى وابن أبي ليلى، وفي البحر المحيط (٤/ ١٤٢) عن السُّلمي.

إن كن ما يقول حقًّا، فائتنا بالعذاب، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[١].

فأما «البيِّنة» فهي الدِّلالة التي تفصل بين الحقِّ والباطل.

قال الزَّجَّاج: أنا على أمر بيِّن، لا متَّبعٌ هوى[٢].

قوله: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾.

في هاء الكناية، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الرَّبِّ.

والثَّاني: ترجع إلى البيان.

والثَّالث: ترجع إلى العذاب الذي طلبوه استهزاءً.

قوله: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: ما بيدي.

وفي الذي استعجلوا به قولان:

أحدهما: أنه العذاب، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن.

والثَّاني: أنه الآيات التي كانوا يقترحونها، ذكره الزَّجَّاج[٣].

قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٩) عن محمد بن السَّائب الكلبي من قوله.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٦).

فيه قولان:

أحدهما: أنه الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثَّواب والعقاب.

والثَّاني: أنه القضاء بإنزال العذاب على المخالف.

قوله: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وعاصم، ونافع ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ بالصاد المشددة، من القصص. والمعنى: أن كلَّ ما أخبر به فهو حقٌّ.

وقرأ أبو عَمْرٍو، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: «يَقْضِي الحقَّ» من القضاء[١]. والمعنى: يقضي القضاء الحقَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنعام: ٥٨].

قوله: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي: من العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يقول: لم أمهلكم ساعةً، ولأهلكتكم[٢].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: إن شاء عاجلهم، وإن شاء أخَّر عقوبتهم.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣١٨)، والمبسوط (١/ ١٩٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٥٣٢).

والثَّاني: أعلم بما يؤول إليهم أمرهم، وأنه قد يهتدي منهم قوم، ولا يهتدي آخرون؛ فلذلك يؤخِّرهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾.

قال ابن جرير: وَالمَفَاتِحُ: جمع مِفْتَح يقال: مِفْتَحٌ وَمِفْتَاحٌ، فمن قال: مِفْتَحٌ، جمعه: مَفَاتِحَ. ومن قال: مِفْتَاحٌ، جمعه: مَفَاتِيحَ [1].

وفي ﴿مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ سبعة[2] أقوال:

أحدها: أنها خمس لا يعلمها إلا الله ﷻ.

روى البخاريُّ في أفراده من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، لَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ[3] إِلَّا اللهُ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ إِلَّا اللهُ»**[4]. [٢٣٤/أ]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٨٢).

(٢) في (ج): (ستة).

(٣) في (ج): (ولا ما يكون غدًا).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٩٧)، وعبد بن حميد في مسنده (٧٣٣).

قال ابن مسعود: أُوتي نبيُّكم علم كلِّ شيء إلا مفاتيحَ الغيب(١).

والثَّاني: أنها خزائن غيب السَّماوات والأرض من الأقدار والأرزاق، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: ما غاب عن الخلق من الثَّواب والعقاب، وما تصير إليه الأمور، قاله عطاء.

و الرَّابع: خزائن غيب العذاب، متى ينزل، قاله مقاتل(٢).

والخامس: الوُصلة إلى علم الغيب إذا اسْتُعْلم، قاله الزَّجَّاج(٣).

والسَّادس: عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال.

والسَّابع: ما لم يكن، هل يكون، أم لا يكون؟ وما يكون كيف يكون، وما لا يكون إن كان، كيف يكون؟.

فأما ﴿ٱلْبَرِّ﴾ فهو القفْر.

وفي «البحر» قولان:

أحدهما: أنه الماء، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنه القرى، قاله مجاهد.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٨/ ٥٨٧) بلفظ: «كُلُّ شَيْءٍ أُوتِيهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ إِلَّا عِلْمَ الْغَيْبِ الْخَمْسَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

قوله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، كما تقول: ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله: أعرفه في حال مجيئه فقط[١].

فأما ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فالمراد بها بطن الأرض.

وفي «الرَّطب واليابس» خمسة أقوال:

أحدها: أن الرَّطب: الماء، واليابس: البادية.

والثَّاني: الرَّطب: ما ينبت، واليابس: ما لا ينبِت.

والثَّالث: الرَّطب: الحي، واليابس: الميت.

والرَّابع: الرَّطب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرَّك بذكر الله.

والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين[٢] إلى الأخرى، فهو يعلمه رطبًا، ويعلمه يابسًا.

وفي «الكتاب المبين» قولان:

أحدهما: أنه اللَّوح المحفوظ، قاله مقاتل[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

(٢) في (ج): (الحالين).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٤).

والثَّاني: أنه علم الله المتقَنُ، ذكره الزَّجَّاج[١].

فإن قيل: ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب؟

فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرهنَّ ابن الأنباريِّ:

أحدها: أنه أحصاها في كتاب، لتقف الملائكة على نفاذ علمه.

والثَّاني: أنه نبَّه بذلك عباده على تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع.

والثَّالث: أن المراد بالكتاب: العلم؛ فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٦٠﴾ [الأنعام: ٦٠].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾.

يريد به النَّوم، لأنه يقبض الأرواح عن التَّصرف، كما يقبض بالموت.

وقال ابن عبَّاسٍ: يقبض أرواحكم في منامكم[٢].

و﴿جَرَحْتُم﴾: بمعنى كسبتم.

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ أي: يوقظكم ﴿فِيهِ﴾ أي: في النَّهار.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨١).

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لتبلغوا الأجل المسمَّى لانقطاع حياتكم، فدلَّ باليقظة بعد النَّوم على البعث بعد الموت. [٢٣٤/ ب]

قَوْلُـهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

قوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

«الحفظة»: الملائكة، واحدهم: حافظ، والجمع: حفظة، مثل كاتب وكتبة، وفاعل وفعلة.

وفيما يحفظونه قولان:

أحدهما: أعمال بني آدم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أعمالهم وأجسادهم، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

وقرأ حمزة: «توفَّاه رسلنا»، وحجَّته أنه فعل مسند إلى مؤنَّث غير حقيقيٍّ، وإنما التَّأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ {يوسف: ٣٠}[1].

وفي المراد بالرُّسل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أعوان مَلَك الموت، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) هي قراءة حمزة في إعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ١٤)، والحجَّة (٣/ ٣٢٥)، والتيسير (١/ ١٠٣).

وقال النَّخعي: أعوانه يتوفَّون النُّفوس، وهو يأخذها منهم[(١)].

والثَّاني: أن المراد بالرُّسل: مَلَك الموت وحده، قاله مقاتل[(٢)].

والثَّالث: أنهم الحفظة، قاله الزَّجَّاج[(٣)].

قوله: ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لا يضيِّعون.

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [السجدة:١١]؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه يجوز أن يريد بالرُّسل ملك الموت وحده، وقد يقع الجمع على الواحد.

والثَّاني: أن أعوان مَلَك الموت يفعلون بأمره، فأضيف الكلُّ إلى فعله.

وقيل: توفِّي أعوان ملك الموت بالنَّزع، وتوفِّي ملك الموت بأن يأمر الأرواح فتجيب، ويدعوها فتخرج، وتوفِّي الله تعالى أن يخلق الموت في الميِّت.

(١) رواه الثَّوري في تفسيره (١/ ١٠٨)، وعنه عبد الرزاق (٨٠٩)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم (٧٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٨).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعـام: ٦٢].

قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني العباد.

وفي متولِّي الرَّدِّ قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة، رَدَّتهم بالموت إلى الله تعالى.

والثَّاني: أنه الله ﷻ، ردَّهم بالبعث في الآخرة.

وفي معنى ردِّهم إلى الله تعالى قولان:

أحدهما: أنهم رُدُّوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده.

والثَّـاني: أنهـم رُدُّوا إلى تدبـيره وحـده؛ لأنـه لمـا أنشـأهم كان منفـردًا بتدبيرهـم، فلـما مكَّنهـم مـن التَّصرف صـاروا في تدبـير أنفسـهم، ثـم كفَّهـم عنـه بالمـوت فصـاروا مردوديـن إلى تدبـيره.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعني القضاء.

وبيان «سرعة الحساب» في « البقرة»[1].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعـام: ٦٣، ٦٤].

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٠٢).

قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾.

قرأ عاصم، وحمزة، والكِسائِي، وأبو جعفر: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾، ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾[1] [الأنعام:٦٤] مشدَّدتين.

وقرأ يعقوب، والقزَّاز عن عبد الوارث: بسكون النون وتخفيف الجيم[2].

قال الزَّجَّاج: والمشدَّدة أجود للكثرة[3].

و﴿ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: شدائدها، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدَّةً: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدَّت ظلمته حتى صار كاللَّيل.

قال الشَّاعر[4][من الطويل]:

فِدَىً لِبَنِي ذُهْلِ بنِ[5] شَيْبَانَ نَاقَتِي إذا كَانَ يَوْمًا ذا[6] كَواكَب أشْنَعَا[7]

---

(١) هذه الآية ليست في (ف).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣٢١-٣٢٢)، والمبسوط (١/ ١٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٩).

(٤) البيت لمُقَاس العائِذِي، في الكتاب؛ لسيبويه (١/ ٤٧)، وغريب الحديث؛ للخطَّابي (٢/ ٢٤٠)، وشرح المفصل (٤/ ٣٤٦)، وبلا نسبة في لسان العرب (١/ ٥٠٩).

(٥) قوله: (ذهل بن)، ليس في (ج).

(٦) ليست في (ف).

(٧) في (ج): (أشعثا).

قوله: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾.

أي: مظهرين الضَّراعة، وهي شدَّة الفقر إلى الشيء، والحاجة. [٢٣٥/أ]

قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾.

قرأ عاصم إلا حفصًا: «وخِفية» بكسر الخاء، وكذلك في «سورة(١) الأعراف».

وقرأ الباقون بضم الخاء، وهما لغتان(٢).

قال الفرَّاء: وفيها لغة أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة: خِفْوة، وخَفْوة(٣).

ومعنى الكلام، أنكم تدعونه في أنفسكم، كما تدعونه ظاهرًا.

«لئن أنجيتنا» كذلك قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وابن عامر، وأبو عَمْرٍو: «لئن أنجيتنا».

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ بألف، لمكان الغيبة في قوله: ﴿تَدْعُونَهُ﴾.

وكان حمزة، والكِسَائِي، وخلف، يميلون الجيم(٤).

قوله: ﴿مِّنْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: في أي شدَّة وقعتم، قلتم: «لئن أنجيتنا من هذه».

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣١٦-٣١٧)، والمبسوط (١/ ١٩٦)، والتيسير (١/ ١٠٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٨).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٥٩)، والحجَّة (٣/ ٣٢٢)، والمبسوط (١/ ١٩٥-١٩٦)، والتيسير (١/ ١٠٣).

قال ابن عبَّاسٍ: و«الشَّاكرون»[(١)] هاهنا: المؤمنون. وكانت قريش تسافر في البرِّ والبحر، فإذا ضلُّوا الطَّريق وخافوا الهلاك، دعَوُا الله مخلصين، فأنجاهم[(٢)].

فأما «الكرب» فهو الغمُّ الذي يأخذ بالنَّفس، ومنه اشتقَّت الكربة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن الذي فوقهم: العذاب النَّازل من السَّماء، كما حُصب قوم لوط، وأصحاب الفيل، والذي من تحت أرجلهم: كما خُسف بقارون، قاله ابن عبَّاسٍ، والسُّدِّي، ومقاتل[(٣)].

وقال غيرهم: ومنه الطُّوفان، والرِّيح، والصَّيحة، والرَّجفة.

---

(١) في (ج): (الشاكرين).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠٣٠٢) في تفسيرهما من طريق عطيَّة العَوْفي، به، بلفظ: «إِذَا أَضَلَّ الرَّجُلُ الطَّرِيقَ دَعَا اللهَ لَئِنْ أَنْجِينَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٥)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٨٣).

والقول الثَّاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَل أمرائهم، والذي من تحتهم من سَفَلتهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ[١].

وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أئمة السُّوء، والذي من تحت أرجلهم: عبيد السُّوء[٢].

قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ [ومجاهد][٣]: يَبُثُّ فيكم الأهواء المختلفة، فتصيرون فِرَقًا[٤].

قال ابن قُتَيْبة: ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: من الالتباس عليهم[٥].

والمعنى: حتى تكونوا شِيعًا، أي: فرقًا مختلفين[٦]. ثم يذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والحرب.

وقال الزَّجَّاج: ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ أي: يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. يقال: لَبَسْتُ عليهم الأمر، ألبسه: إذا لم أبيِّنه[٧].

ومعنى ﴿شِيَعًا﴾: أي يجعلكم فرقًا، فإذا كنتم مختلفين، قاتل بعضكم بعضًا.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٨) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٠) في تفسيرهما.

(٣) زيادة من (ج).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨٤).

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

(٦) ليست في (ج).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٠).

قوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾. أي: يقتل بعضكم بيد بعض.

وفيمن عُني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها في المسلمين أهل الصَّلاة، هذا مذهب ابن عبَّاسٍ، وأبي العالية، وقتادة.

وقال أُبي بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلُّهن عذاب، وكلُّهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، أُلبسوا شيعًا، وأُذيق بعضهم بأس بعض، وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرَّجم[1]. [٢٣٥/ب]

والثَّاني: أن العذاب للمشركين، وباقي الآية للمسلمين، قاله الحسن.

وقد روي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: **«سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُه أَنْ لَا يُصِيبَكُمْ بِعَذَابٍ أَصَابَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُه أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَكُمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَمَنَعَنِيهَا»**[2].

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن (١٧١٧)، و عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٥/ ١٥٢)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم (٧٣٩٨) في تفسيرهما، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٥)، والضياء في المختارة (٣/ ٣٥٦) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، به، بنحوه.

(٢) رواه الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٠٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٣٣).

والثَّالث: أنها تهدُّدٌ للمشركين، قاله ابن جرير الطَّبري[(١)]، وأبو سليمان الدِّمشقي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦﴾ [الأنعام: ٦٦].

قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾.

في هاء «به» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها كناية عن القرآن.

والثَّاني: عن تصريف الآيات.

والثَّالث: عن العذاب.

قوله: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لست حفيظًا على أعمالكم لأُجازيكم بها، إنما أنا منذر، قاله الحسن.

والثَّاني: لست حفيظًا عليكم، آخذكم بالإيمان، إنما أدعوكم إلى الله تعالى، قاله الزَّجَّاج[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٠).

فصلٌ

وفي هذا القدر من الآية قولان:

أحدهما: أنه اقتضى الاقتصار في حقِّهم على الإنذار من غير زيادة، ثم نسخ ذلك بآية السَّيف.

والثَّاني: أن معناه: لست حفيظًا عليكم، إنما أُطالبكم بالظَّواهر من الإِقرار والعمل، لا بالأسرار فعلى هذا هو محكم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧].

قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾.

أي: لكلِّ خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.

قال السُّدِّي: فاستقرَّ نبأ القرآن بما كان يَعِدهم من العذاب يوم بدر[1].

وقال مقاتل: منه في الدُّنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنَّم[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣١١)، وابن أبي حاتم (٧٤٢٠) في تفسيرهما.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٧).

قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾.

فيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: المشركون.

والثَّاني: اليهود.

والثَّالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن.

وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء، والمراء، والخصومات.

قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أي: فاترك مجالستهم، حتى يكون خوضهم في غير القرآن.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ﴾.

وقرأ ابن عامر: «يُنَسِّيَنَّكَ»، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثَّانية[1].

ومثل هذا: غَرَّمْتُهُ وأغرمتُه. وفي التَّنزيل: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ ﴾ [الطارق:١٧]، والمعنى: إذا أنساك الشَّيطان، فقعدت معهم ناسيًا نَهْيَنا لك، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾.

و«الذِّكر» و«الذِّكرى»: واحد. قال ابن عبَّاسٍ: قم إذا ذكرت[2].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٠)، والحجَّة (٣/ ٣٢٤)، والمبسوط (١/ ١٩٦)، والتيسير (١/ ١٠٣).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨٥) بلفظ: إن نسيت فقعدت، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقم إذا ذكرت.

و«الظَّالمون»: المشركون.

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: ٦٩].

قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال: [٢٣٦/أ]

أحدها: أن المسلمين قالوا: لئن كنا كلَّما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه فمنعناهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ولا أن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية.

والثَّاني: أن المسلمين قالوا: إنا نخاف الإثم إن لم ننههم عن الخوض، فنزلت هذه الآية.

والثَّالث: أن المسلمين قالوا: لو قمنا عنهم إذا خاضوا، فإنا نخشى الإثم في مجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مقاتل(١)، والأوَّلان عن ابن عبَّاسٍ(٢)(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٧).

(٢) من قوله: (قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾. في سبب نزولها ثلاثة أقوال)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٥٧).

قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يتقون الشِّرك.

والثَّاني: يتقون الخوض.

قوله: ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ يعني: حساب الخائضين.

وفي «حسابهم» قولان:

أحدهما: أنه كفرهم وآثامهم.

والثَّاني: عقوبة خوضهم.

قوله: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي: ولكن عليكم أن تذكِّروهم.

وفيما يذكِّرونهم[1] به قولان:

أحدهما: المواعظ.

والثَّاني: قيامكم عنهم.

قال مقاتل: إذا قمتم عنهم، منعهم من الخوض الحياء منكم، والرَّغبة في مجالستكم[2].

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

---

(١) قوله: (وفيما يذكِّرونهم)، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٧).

فيه قولان:

أحدهما: يتقون الاستهزاء.

والثَّاني: يتقون الوعيد.

فصلٌ(١)

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاقتصار على تذكيرهم، ثم نُسخت بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء:١٤٠].

والصَّحيح أنها محكمة، لأنها خبر، وإنما دلَّت على أن كلَّ عبد يختصُّ بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)﴾ [الأنعام: ٧٠].

قوله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار.

---

(١) ليست في (ج).

والثَّاني: اليهود والنَّصارى.

وفي اتخاذهم دينهم لعبًا ولهوًا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه استهزاؤهم بآيات الله إذا سمعوها.

والثَّاني: أنهم دانوا بما اشتَهوا، كما يلهون بما يشتهون.

والثَّالث: أنهم يحافظون على دينهم إذا اشتَهوا، كما يلهون إذا اشتَهوا.

قال الفرَّاء: ويقال: إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد، فهم يلهون في أعيادهم، إلَّا أمَّة محمد ﷺ، فإن أعيادهم صلاةٌ وتكبيرٌ وبرٌّ وخيرٌ[١].

فصلٌ

ولعلماء النَّاسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية قولان:

أحدهما: أنه خرج مخرج التَّهديد، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١]. فعلى هذا هو محكم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد.

والثَّاني: أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم، ثم نُسخ بآية السَّيف، وإلى هذا ذهب قتادة، والسُّدِّي.

قوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي: عظ بالقرآن.

وفي قوله: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قولان:

أحدهما: لئلَّا تبسل[٢] نفس، كقوله: ﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء:٤٤]. [٢٣٦/ب]

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٩).

(٢) من قوله: (قولان)... إلى هنا، ليس في (ج).

والثَّاني: ذكَّرهم إبسال المبسلين بجناياتهم لعلَّهم يخافون.

وفي معنى ﴿تُبْسَلَ﴾ سبعة أقوال:

أحدها: تُسْلَم، رواه عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

وقال ابن قُتَيْبة: تُسْلَم إلى الهلكة.

قال الشَّاعر[1][من الوافر]:

وَإِبْسَالِي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقِ

أي: بغير جرم أجرمناه، والبَعْوُ: الجناية[2].

وقال الزَّجَّاج: تُسْلَمُ بعملها غير قادرة على التَّخلص.

و«المسْتَبْسِلُ»: المُسْتَسْلِمُ الذي لا يعلم أنه يقدر على التَّخلص[3].

والثَّاني: تُفْضَح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: تُدفع، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ.

و الرَّابع: تُهلَكُ، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

---

(١) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي في الألفاظ؛ لابن السِّكِّيت (١/ ٣١٥)، وتفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٢٣)، والمحكم والمحيط (٢/ ٣٧٧)، ومجمل اللُّغة (١/ ١٢٥)، ولسان العرب (١١/ ٥٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦١).

والخامس: تُحبس وتُؤخذ، قاله قتادة، وابن زيد.

والسَّادس: تُجزى، قاله ابن السَّائب، والكِسَائِي.

والسَّابع: تُرتهن، قاله الفرَّاء. وقال أبو عُبَيدة: تُرتهن وتسلم.

وأنشد[١][من الطويل]:

هُنَالِكَ لا أرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي   سَمِيْرَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بالجَرَائِرِ

سمير الليالي: أبَدَ الليالي.

فأما «الولي»: فهو النَّاصر الذي يمنعها من عذاب الله.

و«العدل»[٢]: الفداء.

قال ابن زيد: وإن يفتد كلَّ فداء لا يُقبل منها[٣].

فأما «الحميم» فهو الماء الحار.

قال ابن قُتَيْبَة: ومنه سمِّي الحَمَّام[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٩)، ومجاز القرآن (١/ ١٩٥) والبيت للشنفري في جمهرة اللُّغة (٢/ ١٠٠٣)، والخطَّابي في غريب الحديث (٢/ ٥٩)، ولسان العرب (٤/ ٣٧٧).

(٢) في (ف): (والعذاب)!.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٢٤) بلفظ: «وَإِنْ تَعْدِلْ: وَإِنْ تَفْتَدِ يَكُونُ لَهُ الدُّنيا وَمَا فِيهَا يَفْتَدِي بِهَا لَا يُؤْخَذْ مِنْهُ عَدْلًا عَنْ نَفْسِهِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ».

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٥).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧١، ٧٢].

قوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

أي أنعبد ما لا يضرُّنا إن لم نعبده، ولا ينفعنا إن عبدناه، وهي الأصنام.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع إلى الكفر ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام، فنكون ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

وقرأ حمزة: «استهواه الشَّياطين»، على قياس قراءته: «توفاه رُسْلُنا»[(١)].

وفي معنى «استهوائها» قولان:

أحدهما: أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قُتَيْبة[(٢)].

وقال أبو عُبَيدة: تُشبَّه له الشَّياطين، فيتَّبعها حتى تهوي به في الأرض، فتضلُّه[(٣)].

والثَّاني: زيَّنت له هواه، قاله الزَّجّاج.

---

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٢٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٦)، والتيسير (١/ ١٠٣)، وفي المصاحف؛ لابن أبي داود (١/ ١٧٦)، وإعراب القرآن (٢/ ١٦)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٤٣) ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيطان﴾ عن عبد الله بن مسعود، والأعمش.

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٦).

قال: و«حيران» منصوب على الحال، أي: استهوته في حال حيرته(١).

قال السُّدِّي: قال المشركون للمسلمين: اتَّبِعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضلَّ، فحيَّرته الشَّياطين، وأصحابه على الطَّريق يدعونه: يا فلان هلمَّ إلينا، فإنا على الطَّريق، فيأبى(٢).

وقال ابن عبَّاس: نزلت هذه الآية في عبد الرَّحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق، دعاه أبوه وأُمُّه إلى الإسلام فأبى(٣).

قال مقاتل: والمراد بأصحابه: أبواه(٤).

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾.

هذا ردٌّ على من دعا إلى عبادة الأصنام، وزجرٌ عن إجابته، كأنه قيل له: لا تفعل ذلك، لأن هدى الله هو الهدى، لا هدى غيره. [٢٣٧/ أ]

قوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾.

قال الزَّجَّاج: العرب تقول: أَمَرْتُك بأنْ تفعل، وأَمَرتُك لِتَفْعَل،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٦٦) عن أسباط بن نصر، به.

(٣) نقله الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٩٥) عن أبي عُبَيدة، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٠٧)، والبحر المحيط (٤/ ٥٥٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٩).

وَأمَرْتُـك أنْ تَفْعَـلَ. فمـن قـال: «بـأن» فالبـاء للإلصـاق[١]. والمعنـى: وقـع الأمـر بهـذا الفعـل، ومـن قـال: «أن تفعـل»، فعلى حـذف البـاء، ومـن قـال: «لتفعـل» فقـد أخبر بالعلَّـة التـي لهـا وقـع الأمـر.

قال: وفي قوله: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وجهان:

أحدهما: أُمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصَّلاة.

والثَّاني: أن يكـون محمـولًا عـلى المعنـى، لأن المعنـى: أُمرنـا بالإسـلام، وبإقامـة الصَّـلاة[٢].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: خلقهما للحقِّ.

والثَّاني: خلقهما حقًّا.

والثَّالث: خلقهما بكلامه وهو الحقُّ.

و الرَّابع: خلقهما بالحكمة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٦٣).

قوله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾.

قال الزَّجَّاج: الأجود أن يكون منصوبًا على معنى: واذكر يوم نقول كن فيكون، لأن بعده: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ فالمعنى: واذكر هذا وهذا[١].

وفي الذي يقول له كن فيكون، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوم القيامة، قاله مقاتل[٢].

والثَّاني: ما يكون في [يوم][٣] القيامة.

والثَّالث: أنه الصُّور، وما ذكر من أمر الصُّور يدلُّ عليه، قالهما الزَّجَّاج.

قال: وخُصَّ ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشَّيء، ليدلَّ على سرعة أمر البعث[٤].

قوله: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ أي: الصِّدق الكائن لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾.

وروى إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي عمرو: «ننفخ» بنونين[٥].

ومعنى الكلام: أن الملوك يومئذ لا ملك لهم، فهو المنفرد بالملك وحده، كما قال: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار:١٩].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٩).

(٣) زيادة من (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٣).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٤٢٤)، والحجَّة (٥/ ٢٥٠)، والتيسير (١/ ١٥٣)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٣): «يَنفُخ» عن عبد الوارث، عن أبي عمرو.

وفي ﴿ٱلصُّورِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصُّور، فقال: «هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»(١).

وقال مجاهد: الصُّور كهيئة البوق(٢).

وحكى ابن قُتَيْبة: أن الصُّور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن.

وأنشد(٣)[من الرجز]:

نَحْنُ نَطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الجَمْعَيْنْ ... بالضَّابِحَاتِ في غُبَارِ النَّقْعَيْنْ

نَطْحًا شَدِيدًا لا كَنَطْحِ الصُّوَرَيْنْ ... .

---

(١) رواه أحمد (١١/ ٤١٠)، والدارمي (٢٨٤٠)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٣٢٤٤)، والنَّسائي في الكبرى (١١٢٥٠)، والطَّبراني في الكبير (١٤٥١٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤).

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٥٨٠)، وابن جرير الطَّبري (١٨/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢٣) في تفسيرهما.

(٣) بلا نسبة في غريب القرآن (١/ ٢٦)، والزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٤١٦)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٦٩)، والأمالي (١/ ٣٦).

وأنشد الفرَّاء(١)[من البسيط]:

لَوْلَا ابنُ جَعْدَةَ لَمْ يُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُم(٢) وَلَا خُرَاسَانُ حتَّى يُنْفَخَ الصُّوْرُ

وهذا اختيارُ الجمهور.

والثَّاني: أن الصُّور جمع صورة يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء، والمراد نفخ الأرواح في صُوَرِ النَّاس، قاله قتادة، وأبو عُبَيدة(٣).

وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو مِجْلَز، وأبو المتوكِّل: «في الصُّوَر» بفتح الواو(٤).

قال ثعلب: الأجود أن يكون الصُّور: القرن، لأنه قال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [٢٣٧/ ب] [الزمر:٦٨] ولو كان الصُّوَر، كان: ثم نُفخ فيها، أو فيهنَّ، وهذا يدلُّ على

---

(١) بلا نسبة في معاني القرآن (١/ ٣٤٠)، والزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٤١٦)، ولسان العرب (٣/ ٦٣).

(٢) القُهُنْدُز: بضم القاف والهاء والدَّال، أعجميٌّ معرَّب، وهو اسم جنسٍ لكلِّ حصنٍ في وسط المدينة العظمى، وقلَّما يخلو بلدٌ من خراسان وما وراء النهر من قهندز. انظر: تاج العروس (١٥/ ٢٩٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٦).

(٤) وعن عياض، قتادة في المحتسب (٢/ ٥٩-٢١٢)، وعن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٤).

أنه واحد، وظاهر القرآن يشهد أنه[1] يُنفخ في الصُّور مرتين.

وقد روى أهل التَّفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخَاتٍ: الأُولَى: نَفْخَةُ الْفَزَعِ. وَالثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ. وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[2].

قال ابن عبَّاسٍ: وهذه النَّفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى، يعني: نفخة الصَّعق[3].

قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ وهو ما غاب عن العباد ممَّا لم يعاينوه ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ وهو ما شاهدوه ورأوه.

وقال الحسن: يعني بذلك السِّرَّ والعلانية[4].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤].

قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾.

---

(١) في (ج): (بأن).

(٢) رواه إسحاق في مسنده (١٠)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصَّلاة (٢٧٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٦)، وابن جرير الطَّبري (١٥/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢١) في تفسيرهما، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٧٤٤)، وضعَّفه الحافظ كما في الفتح (١١/ ٣٦٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٨٦) بلفظ: «الشَّهَادَةُ، مَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْغَيْبُ: مَا غَابَ عَنْكُمْ مَا لَمْ تَرَوْهُ».

في ﴿ءَازَرَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم أبيه، روي عن ابن عبَّاسٍ، والحسن، والسُّدِّي، وابن إسحاق.

والثَّاني: أنه اسم[1] صنم، فأمَّا اسم أبي إبراهيم: فتارخ، قاله مجاهد.

فيكون المعنى: أيتخذ آزر أصنامًا؟ فكأنه جعل أصنامًا بدلًا من آزر، والاستفهام معناه الإنكار.

والثَّالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبٌّ يعيب[2].

وفي معناه قولان:

أحدهما: أنه المعوَّج، كأنه عابه بزيغه وتعويجه عن الحقِّ، ذكره الفرَّاء[3].

والثَّاني: أنه المخطئ، فكأنَّه قال: يا مخطئ أتتَّخذ أصنامًا؟ ذكره الزَّجَّاج[4].

و الرَّابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان.

قال ابن الأنباريِّ: قد يغلب على اسم الرَّجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه[5].

والجمهور على قراءة «آزرَ» بالنصب.

---

(١) من قوله: (أبيه، روي عن ابن عباس)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) في الأصل: (سبب بعيب)، والمثبت من (ج) وغيرها.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥).

(٥) انظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٢٨٩).

وقرأ الحسن، ويعقوب بالرَّفع(١).

قال الزَّجَّاج: من نصب، فموضع «آزر» خفضٌ بدلًا من أبيه، ومن رفع فعلى النِّداء(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحقَّ في خلاف قومه، نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وقيل: ﴿نُرِيٓ﴾ بمعنى أرينا.

قال الزَّجَّاج: والملكوت بمنزلة المُلك، إلا أن الملكوت أبلغ في اللُّغة، لأن الواو والتاء يزادان للمبالغة، ومثل الملكوت: الرَّغَبُوت، والرَّهَبُوت(٣).

قال مجاهد: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: آياتها تفرَّجت له السَّماوات السَّبع، حتى العرش، فنظر فيهنَّ، وتفرَّجت له الأرضون السَّبع، فنظر فيهنَّ(٤).

وقال قتادة: «ملكوت السَّماوات»: الشَّمس والقمر والنُّجوم،

---

(١) وفي المحتسب (١/ ٢٢٣) عن أُبي وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المدني ويعقوب، ورُويت عن سليمان التَّيمي. وانظر: إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٢٣٦)، والمبسوط (١/ ١٩٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٥) في تفسيرهما من طريق أبي حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، به، بنحوه.

و«ملكوت الأرض»: الجبال والشَّجر والبحار[١].

وقال السُّدِّي: أُقيم على صخرة، وفتحت له السَّماوات والأرض، فنظر إلى ملك الله ﷻ، حتى نظر إلى العرش، وإلى منزله من الجنَّة، وفتحت له الأرضون السَّبع، حتى نظر إلى الصَّخرة التي عليها الأرضون[٢].

قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.

هذا عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السَّماوات [٢٣٨/أ] والأرض ليستدلَّ به، ويكون من الموقنين.

وفي ما يوقِن به ثلاثة أقوال:

أحدها: وحدانيَّة الله وقدرته.

والثَّاني: نبوَّته[٣] ورسالته.

والثَّالث: ليكون موقنًا بعلم كلِّ شيء حسًّا، لا خبرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام: ٧٦].

قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٥) في تفسيرهما من طريق معمر، به.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٢) في تفسيرهما من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٣) قوله: (والثاني: نبوَّته)، ليس في (ج).

قال الزَّجَّاج: يقال: جَنَّ عليه الليلُ، وأجَنَّه الليلُ: إذا أظلَمَ حتى يَستتِر بظلمته، ويقال لكلِّ ما ستر: جَنَّ، وأَجَنَّ، والاختيار أن يقال: جَنَّ عليه الليل، وأجَنَّه الليلُ[(١)].

الإشارة إلى بُدُوِّ قصة[(٢)] إبراهيم عليه السلام

روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ قال: وُلد إبراهيم عليه السلام في زمن نُمرود، وكان لنمرود كُهَّان، فقالوا له: يولد في هذه السَّنة مولود يفسد آلهة أهل الأرض، ويدعوهم إلى غير دينهم، ويكون هلاك أهل بيتك على يديه، فعزل النِّساء عن الرِّجال، ودخل آزر إلى بيته، فوقع على زوجته، فحملت، فقال الكهَّان لنمرود: إن الغلام قد حُمل به اللَّيلة. فقال: كلُّ من ولدت غلامًا فاقتلوه. فلما أخذ أُم إبراهيم المخاضُ، خرجت هاربة، فوضعته في نهر يابس، ولفَّته في خرقة، ثم وضعته في حَلْفاء، وأخبرت به أباه، فأتاه، فحفر له سربًا، وسدَّ عليه بصخرة، وكانت أُمُّه تختلف إليه فترضعه، حتى شبَّ وتكلَّم، فقال لأُمِّه: من ربِّي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربُّكِ؟ قالت: أبوك. قال: فمن ربُّ أبي؟ قالت له: اسكت. فسكت، فرجعت إلى زوجها، فقالت: إن الغلام الذي كنا نتحدَّث أنه يغيِّر دين أهل الأرض، ابنك. فأتاه، فقال له مثل ذلك. فلما جنَّ عليه اللَّيل، دنا من باب السِّرب، فنظر فرأى كوكبًا[(٣)].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٦).

(٢) في (ج): (قصة بُدُوِّ).

(٣) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ٥٦٩ـ ٥٧٠) بلا نسبة.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وحفص عن عاصم: «رَأى»، بفتح الرَّاء والهمزة.

وقرأ أبو عَمْرٍو: «رَإِى» بفتح الرَّاء وكسر الهمزة.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم: «رِإِى»، بكسر الرَّاء والهمزة، واختلفوا فيها إذا لقيها ساكن، وهو آت في ستة مواضع: ﴿فَلَمَّا(١) رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾، وفي النَّحل ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾(٢)، ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآيتان:٨٥-٨٦] وفي الكهف: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الآية:٥٣]، وفي الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية:٢٢].

وقرأ أبو بكر عن عاصم، وحمزة إلا العبسي، وخلف -في اختياره-: بكسر الرَّاء(٣) وفتح الهمزة في الكلِّ.

وروى العبسيُّ كسرة الهمزة أيضًا.

وقرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر، والكِسَائِي: بفتح الرَّاء والهمزة(٤).

فإن اتَّصل ذلك بمكني، نحو: رآك، ورآه، ورآها، فإن حمزة، والكِسَائِي، وخلف، والوليد عن ابن عامر، والمفضَّل، وأبان، والقزَّاز عن [٢٣٨/ب] عبد الوارث، والكِسَائِي عن أبي بكر: يكسرون الرَّاء، ويميلون الهمزة.

---

(١) من (ج).

(٢) هذه الآية ليست في (ف).

(٣) في الأصل: (الخاء)!، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٠)، والحجَّة (٣/ ٣٢٦ـ٣٢٧)، والمبسوط (١/ ١٩٦ـ١٩٧).

وفي الكوكب الذي رآه قولان:

أحدهما: أنه الزُّهرة، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة.

والثَّاني: المشتري، قاله مجاهد، والسُّدِّي.

قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ: قال هذا ربِّي، فعبده حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشَّمس حتى غابت[1].

واحتجَّ أرباب هذا القول بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدلُّ على نوع تحيُّر، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل.

وهذا القول لا يُرتضى، والمتأهِّلون للنُّبوَّة محفوظون من مثل هذا على كلِّ حال.

فأما قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾.

فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرَّعون في دفع الضَّلال عنهم، كقولهم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السَّماوات والأرض ليكون موقنًا، فكيف لا

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٥٦)، وابن أبي حاتم (٧٥١١) في تفسيرهما.

يعصمه عن مثل هذا التَّحير؟!

والثَّاني: أنه قال ذلك استدراجًا للحجَّة، ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يضمر في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنُّون، فيكون كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [القصص:٦٢] وإما أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله تعالى[١]: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر بن الأنباريِّ.

ويكون مراده بذلك استدراج الحجَّة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل بقوم يعبدون صنمًا، فأظهر تعظيمه، فأكرموه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدوٌّ، فشاورهم ملِكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال: هاهنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعَوُا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا.

والثَّالث: أنه قال مستفهمًا، تقديره: أهذا ربِّي؟ فأُضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]؟ أي: أفهُم الخالدون؟.

قال الشَّاعر[٢] [من الكامل]:

---

(١) من قوله: (﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) البيت للأخطل في ديوانه (ص: ٣٨٥)، والكتاب (٣/ ١٧٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٦٧)، وشرح التصريح (٢/ ١٤٤)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٤٣)، ولسان العرب (١/ ٧٠٦، ٧٠٩).

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلام مِنَ الرَّبَابِ خَيَالا

أراد: أكذبتك؟.

قال ابن الأنباريِّ: وهذا القول شاذٌّ، لأن حرف الاستفهام لا يُضمر إذ كان فارقًا بين الإخبار والاستخبار، وظاهر قوله: هذا رَبِّي، إشارة إلى الصَّانع.

وقال الزَّجَّاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربِّي، أي هذا الذي يدبِّرني، فاحتجَّ عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبِّر، لا يُرى فيه إلَّا أثر مدبَّر(١).

[٢٣٩/أ] و﴿أَفَلَ﴾ بمعنى: غاب يقال: أفل النَّجم يأفُل ويأفِل أُفولًا.

قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: حبَّ ربٍّ معبود، لأن ما ظهر وأفل كان حادثًا مدبَّرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾ [الأنعام: ٧٧، ٧٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٧).

قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: سمِّي القمر قمرًا لبياضه، والأقمر: الأبيض، وليلة قمراء، أي: مضيئة(١).

فأما «البازغ» فهو الطَّالع.

ومعنى ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى﴾: لئن لم يثبِّتني على الهدى.

فإن قيل: لِمَ قال في الشَّمس: هذا، ولم يقل: هذه؟

فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أنه رأى ضوء الشَّمس، لا عينها، قاله محمد بن مقاتل.

والثَّاني: أنه أراد: هذا الطَّالع ربِّي، قاله الأخفش(٢).

والثَّالث: أن الشَّمس بمعنى الضِّياء والنُّور، فحمل الكلام على المعنى.

و الرَّابع: أن الشَّمس ليس في لفظها علامة من علامات التَّأنيث، وإنما يشبه لفظها لفظ المذكَّر، فجاز تذكيرها. ذكره والذي قبله ابن الأنباريِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٩، ٨٠].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٦).

قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾.

قال الزَّجَّاج: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين ﷻ[١].

وباقي الآية قد تقدَّم.

قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: جادلوه في آلهتهم، وخوَّفوه بها، فقال منكرًا عليهم: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾[٢].

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ و﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ [الزمر:٦٤] بتشديد النون.

وقرأ نافع، وابن عامر بتخفيفها، فحذفا النون الثَّانية لالتقاء النونين[٣].

ومعنى ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في توحيده. ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ أي: بيَّن لي ما به اهتديت.

وقرأ الكِسَائِي: «هداني»، بإمالة الدَّال[٤].

والإمالة حسنة فيما كان أصله الياء، وهذا من هدى يَهدي.

قوله: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٨).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦١)، والحجَّة (٣/ ٣٣٢-٣٣٣)، والتيسير (١/ ١٠٤)، والمبسوط (١/ ١٩٧).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦١).

أي: لا أرهب آلهتكم، وذلك أنهم قالوا: نخاف أن تمسَّك آلهتنا بسوء، فقال: لا أخافها لأنها لا تضرُّ ولا تنفعُ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ فله أخاف ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: عَلِمه علمًا تامًّا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾.

أي: من هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم، وهو قادر على ضرِّكم ونفعكم ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجة ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أي: بأن يأمن العذاب، الموحِّدُ الذي يعبد من بيده الضُّرُّ والنَّفع؟ أم المشرك الذي يعبد ما لا يضرُّ ولا ينفع؟ ثم بيَّن الأحقَّ من هو بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوه بشرك.

روى البخاري، ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، [٢٣٩/ ب] وأيُّنا ذلك؟ فقال: «إِنَّما هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان:١٣][١].

(١) رواه البخاري (٣٣٦٠، ٣٤٢٨)، ومسلم (١٢٤).

وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إبراهيم وأصحابه، وليست في هذه الأمة، قاله علي بن أبي طالب ﷺ.

وقال في رواية أخرى: هذه الآية لإبراهيم خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيء.

والثَّاني: أنه من هاجر إلى المدينة، قاله عكرمة.

والثَّالث: أنها عامَّة، ذكره بعض المفسِّرين.

وهل هي من قول إبراهيم لقومه، أم جواب من الله تعالى؟ فيه قولان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾.

يعني ما جرى بينه وبين قومه من الاستدلال على حدوث الكوكب والقمر والشَّمس، وعيبهم، إذ سوَّوا بين الصَّغير والكبير، وعبدوا من لا ينطق، وإلزامه إيَّاهم الحجَّة.

﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه إليها بالإلهام.

وقال مجاهد: الحجَّة قول إبراهيم: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾[1].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٣٨) في تفسيرهما.

قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر: «درجاتِ من نشاء»، مضافًا.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسائي: ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ منوَّنًا، وكذلك قرءوا في «يوسف»[(١)].

ثم في المعنى قولان:

أحدهما: يرفع[(٢)] بالعلم والفهم والمعرفة.

والثَّاني: بالاصطفاء للرِّسالة.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾.

قال ابن جرير: حكيم في سياسة خلقه، وتلقينه أنبياءه[(٣)] الحُجج على أممهم المكذِّبة ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يؤول إليه أمر الكلِّ[(٤)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٤، ٨٧].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦١ـ ٢٦٢)، والحجَّة (٣/ ٣٣٥ـ ٣٣٦)، والتيسير (١/ ١٠٤).

(٢) في (ج)، و(ف): (أن الرَّفع).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٨٠).

قولـه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولـدًا لصلبـه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولـدًا لإسـحاق ﴿كُلًّا﴾ مـن هـؤلاء المذكوريـن ﴿هَدَيْنَا﴾ أي: أرشـدنا.

قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾.

في «هاء الكناية» قولان:

أحدهمـا: أنهـا ترجـع إلى نـوح، رواه أبـو صالـح عـن ابـن عبَّـاسٍ، واختـاره الفـرَّاء، ومقاتـل، وابـن جريـر الطَّـبري(١).

والثَّاني: إلى إبراهيم، قاله عطاء.

وقال الزَّجَّاج: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعًا قد جرى(٢).

واحتـجَّ ابـن جريـر للقـول الأوَّل بـأن الله تعـالى ذكـر في سـياق الآيـات لوطًـا، وليـس مـن ذرِّيَّـة إبراهيـم(٣).

وأجـاب عنـه أبـو سـليمان الدِّمشـقي بأنـه يحتمـل أن يكـون أراد: ووهبنـا لـه لوطًـا في المعاضـدة والنُّـصرة، ثـم قولـه تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مـن أبـين دليـل عـلى أنـه إبراهيـم، لأن افتتـاح الـكلام إنـما هـو بذكـر مـا أثـاب بـه إبراهيـم.

فأمـا «يوسـف» فهـو اسـم أعجمـيٌّ. قـال الفـرَّاء: «يوسُـف» بضم السـين مـن غـير همـز، لغـة أهـل الحجـاز، وبعـض بنـي أسـد يقـول: «يؤسـف» بالهمز،

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٧٣)، وتفسير الطَّبري (٩/ ٣٨١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٨١).

وبعض العرب تقول: «يوسِف» بكسر السين، وبعض بني عقيل تقول: «يوسَف»[١] بفتح السين[٢].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [٢٤٠/أ]

أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه، بأن رفعنا درجته، ووهبنا له أولادًا أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المحسنين.

فأما «عيسى، وإلياس، واليسع، ولوطًا» فأسماء أعجميَّة.

وجمهور القرَّاء يقرءون: «اليسع» بلام واحدة مخفَّفة، منهم ابن كَثِير، ونافع، وعاصم، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي هاهنا وفي «ص»: «إلْلَيْسَّعَ» بلامين مع التَّشديد[٣].

قال الفرَّاء: وهي أشبه بالصَّواب، وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل، ولأن العرب لا تدخل على «يَفْعَل»، إذا كان في معنى فلان، ألفًا ولامًا، يقولون: هذا يسع قد جاء، وهذا يعمر، وهذا يزيد، فهكذا الفصيح من الكلام.

وأنشدني بعضهم[٤] [من الطويل]:

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدَ مُبَارَكًا ... شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهْ

(١) من قوله: (بالهمز، وبعض العرب)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٥٩).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٢)، والحجَّة (٣/ ٣٣٧)، والتيسير (١/ ١٠٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٨) والبيت لابن ميَّادة في شرح أبيات المغني (١/ ٣٠٩)، والمحكم والمحيط (٩/ ٨٦)، و خزانة الأدب (٢/ ٢٢٦)، ولسان العرب (٣/ ٢٠٠).

فلما ذكر الوليد بالألف واللام، أتبعه يزيد بالألف واللام، وكلٌّ صواب.

وقال مَكِّي: من قرأه بلام واحدة، فالأصل عنده: يسع، ومن قرأه بلامين، فالأصل عنده: «لَيْسَعُ» فأدخلوا عليه حرف التَّعريف(١).

وباقي أسماء الأنبياء قد تقدَّم بيانها.

والمراد بـ «العالمين»: عالمو زمانهم.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ «من» هاهنا للتَّبعيض.

قال الزَّجَّاج: المعنى: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذرِّيَّاتهم(٢).

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ مثل اخترناهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه.

فأمَّا «الصِّراط المستقيم» فهو التَّوحيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: ذلك دين الله الذي هم عليه ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾(٣).

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٥٩ـ ٢٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩٦).

﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ يعني الأنبياء المذكورين ﴿لَحَبِطَ﴾ أي: لبطل وزال عملهم، لأنه لا يقبل عمل مشرك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام: ٨٩].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني الكتب التي أنزلها عليهم ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾: الفقه والعلم ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ يعني بآياتنا.

وفيمن أُشير إليه بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل مكَّة، قاله ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن المسيَّب، وقتادة.

والثَّاني: أنهم قريش، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: أمَّة النَّبيِّ ﷺ، قاله الحسن.

قوله: ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾.

قال أبو عُبَيدة: فقد رزقناها قومًا(١).

وقال الزَّجَّاج: وكَّلنا بالإيمان بها قومًا(٢).

وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل المدينة من الأنصار، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن المسيَّب، وقتادة، والسُّدِّي.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٠).

والثَّاني: الأنبياء والصَّالحون، قاله الحسن.

[٢٤٠/ب] وقال قتادة: هم النَّبيُّون الثَّمانية عشر المذكورون في هذا المكان، وهذا اختيار الزَّجَّاج، وابن جرير[١].

والثَّالث: أنهم الملائكة، قاله أبو رجاء.

و الرَّابع: أنهم المهاجرون والأنصار.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يعني النَّبيِّين المذكورين.

وفي قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ قولان:

أحدهما: بشرائعهم وبسننهم فاعملْ، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: اقتدِ بهم في صبرهم، قاله الزَّجَّاج[٢].

وكان ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وعاصم، يثبتون الهاء من قوله: ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ في الوصل ساكنة.

وكان حمزة، والكِسَائِي[٣]، وخلف، ويعقوب، والكِسَائِي عن أبي بكر، واليزيدي - في اختياره - يحذفون الهاء في الوصل[٤].

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٨٢٤)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٠)، وابن أبي حاتم (٧٥٧٦) في تفسيرهما.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ١٨٨ـ ١٨٩)، والحجَّة (٣/ ٣٥٠ـ ٣٥١)، والتيسير (١/ ١٠٥).

ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وإسكانها فيه.

قوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ يعني على القرآن.

و«الذِّكرى»: العظة. و«العالمون» هاهنا: الجنُّ والإنس.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعـام: ٩١].

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾.

في سبب نزولها سبعة أقوال:

أحدها: أن مالك بن الصَّيف[1] رأس اليهود، أتى رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَتَجِدُ فِيهَا أَنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينَ؟**» قال: نعم. قال: «**فَأَنْتَ الْحَبْرُ السَّمِينُ**»[2]. فغضب، ثم[3] قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[4]. وكذلك قال سعيد بن جُبَيْر،

(١) في (ف): (الضَّيف).

(٢) في جميع ألفاظ الأثر: «وَكَانَ حَبْرًا سَمِينًا».

(٣) ليست في (ف).

(٤) بهذا اللفظ رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم (٧٥٩٧) في تفسيرهما من قول سعيد بن جُبَيْر.

وعكرمة[1]: نزلت في مالك بن الصَّيف[2].

والثَّاني: أن اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: «نَعَمْ». قالوا: والله ما أنزل الله من السَّماء كتابًا، فنزلت هذه الآية، رواه الوالبيُّ عن ابن عبَّاسٍ[3].

والثَّالث: أن اليهود قالوا: يا محمد، إن موسى جاء بألواح يحملها من عند الله، فائتنا بآية كما جاء موسى، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء:١٥٣]، إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء:١٥٦]. فلما حدَّثهم بأعمالهم الخبيثة، قالوا: والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى، ولا على بشر، من شيء، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن[4] كعب[5].

و الرَّابع: أنها نزلت في اليهود والنَّصارى، آتاهم الله علمًا، فلم ينتفعوا به، قاله قتادة[6].

والخامس: أنها نزلت في فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، قاله السُّدِّي[7].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٤).

(٢) في (ف): (الضَّيف).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم (٧٥٩١) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٥).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٥).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٣٩٤) من طريق أسباط بن نصر، به.

والسَّادس: أنها نزلت في مشركي قريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد(١).

والسَّابع: أن أوَّلها، إلى قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ في مشركي قريش.

وقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ في اليهود، رواه ابن كثير عن مجاهد(٢).

وفي معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ(٣)﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: ما عظَّموا الله حقَّ عظمته، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، [٢٤١/أ] والفرَّاء، وثعلب، والزَّجَّاج(٤).

والثَّاني: ما وصفوه حقَّ صفته، قاله أبو العالية، واختاره الخليل(٥).

والثَّالث: ما عرفوه حقَّ معرفته، قاله أبو عُبَيدة(٦).

قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس.

وقيل: إنما قال: ﴿قَرَاطِيسَ﴾ لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطَّعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاءوا.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم (٧٥٧٨) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم مختصرًا (٧٥٩٢) في تفسيرهما.

(٣) قوله: (حقَّ قدره)، ليس في (ف).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩٧).

(٦) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

قوله: ﴿تُبْدُونَهَا﴾ قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو: «يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون» بالياء فيهن.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: بالتَّاء فيهن(١).

فمن قرأ بالياء، فلأن القوم غُيَّب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. ومن قرأ بالتَّاء، فعلى الخطاب، والمعنى: تبدون منها ما تحبُّون، وتخفون كثيرًا، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرَّجم، ونحو ذلك مما كتموه.

قوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾.

في المخاطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنه خطاب للمسلمين، قاله مجاهد.

فعلى الأوَّل: عُلِّموا ما في التَّوراة، وعلى الثَّاني: عُلِّموا على لسان محمد ﷺ.

قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ وتقديره: فإن أجابوك، وإلا فقل: الله أنزله.

وقوله: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ تهديد. و﴿خَوْضِهِمْ﴾: باطلهم.

وقيل: إن هذا أمر بالإعراض عنهم، ثم نُسخ بآية السَّيف.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٢)، والوقف والابتداء؛ لابن الأنباريِّ (٢/ ٦٤٠)، والحجَّة (٣/ ٣٥٤ـ ٣٥٥)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعـام: ٩٢].

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن.

قال الزَّجَّاج: و«المبارك»: الذي يأتي من قِبَله الخير الكثير(١).

والمعنى: أنزلناه للبركة والإنذار.

قوله: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب.

قوله: ﴿وَلِتُنذِرَ﴾.

قرأ عاصم إلا حفصًا: «ولينذر» بالياء فيكون الكتاب هو المنذر.

وقرأ الباقون: بالتَّاء، على الخطاب للنَّبيِّ ﷺ(٢).

فأما ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، فهي مكَّة.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: لتنذر أهلَ أمِّ القرى(٣).

وفي تسميتها بأمِّ القرى أربعة أقوال:

أحدها: أنها سمِّيت بذلك، لأن الأرض دُحيت من تحتها، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٥٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١).

والثَّاني: لأنها أقدمُها، قاله ابن قُتَيْبة(١).

والثَّالث: لأنها قبلة جميع النَّاس، يَؤُمُّونها.

و الرَّابع: لأنها كانت أعظم القرى شأنًا، ذكرهما الزَّجَّاج(٢).

قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد الأرض كلَّها(٣).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن.

والثَّاني: إلى النَّبيِّ محمد ﷺ.

والمعنى: من آمن بالآخرة آمن به، ومن لم يؤمن به، فليس إيمانه [٢٤١/ب] بالآخرة حقيقة، ولا يعتدُّ به، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فدلَّ على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصَّلوات.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٣)، وابن أبي حاتم (٧٦١٤) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أوّلها، إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ نزل في مُسيلمة الكذَّاب. وقوله: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣] نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلَّم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ في بعض الأحايين فاذا أُملي عليه: «عزيز حكيم» كتب: «غفور رحيم» فيقول رسول الله ﷺ: «**هَـذَا وَذَاكَ سَوَاءٌ**». فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عجب عبد الله بن سعد، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ، فَاكْتُبْهَا**» فشكَّ حينئذ، وقال: لئن كان محمد صادقًا، لقد أُوحي إليَّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذبًا، لقد قلتُ كما قال، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. قال عكرمة: ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكَّة[١].

والقول الثَّاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد، قاله السُّدِّي[٢].

والثَّالث: أنها نزلت في مسيلمة، والأسود العنسيِّ، قاله قتادة[٣].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٤٠٥) من طريق ابن جُرَيْج، عن عكرمة من قوله. ورواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٨) من طريق العَوْفي عن ابن عباس مختصرًا.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٥).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم (٧٦٢٥) في تفسيرهما من طريق معمر، به، بنحوه.

فإن قيل: كيف أفرد قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ﴾ وذاك مفترٍ أيضًا؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن الوصفين لرجل واحد، وصف بأمر بعد أمر ليدلَّ على جرأته.

والثَّاني: أنه خصَّ بقوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ[1]﴾ بعد أن عمَّ بقوله: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ لأنه ليس كلُّ مفترٍ على الله يدَّعي أنه أوحي إليه، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

قوله: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول.

قال ابن عبَّاسٍ: يعنون الشِّعر، وهم المستهزئون[2].

وقيل: هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح[3].

قال الزَّجَّاج: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ [الأنفال: ٣١][4].

---

(١) قوله: (وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) زيادة من (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٠٨)، وابن أبي حاتم (٧٦٢٧) في تفسيرهما من طريق عطيَّة العَوْفي، به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٦٢٩) عن السُّدِّي.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قوم كانوا مسلمين بمكَّة، فأخرجهم الكفار معهم إلى قتال بدر، فلما أبصروا قلَّة أصحاب رسول الله ﷺ رجعوا عن الإيمان، فنزلت[١] فيهم هذا، قاله أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ قاله أبو سليمان.

والثَّالث: الموصوفون في هذه الآية، وهم المفترون والمدَّعون الوحي إليهم، ومماثلة كلام الله.

قال الزَّجَّاج: وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو تراهم في غمرات الموت لرأيت عذابًا عظيمًا[٢].

ويقال لكلِّ من كان في شيء كثير: قد غمر فلانًا ذلك. [٢٤٢/أ]

قال ابن عبَّاسٍ: غمرات الموت: سكراته[٣].

قال ابن الأنباريِّ: قال اللُّغويون: سمِّيت غمرات لأن أهوالها يغمرن من يقعن به[٤].

---

(١) في (ف): (فنزل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٤٠٩) من طريق ابن جُرَيْج، به.

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٢٩٢-٢٩٣).

قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بالضَّرب، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: بالعذاب، قاله الحسن، والضَّحَّاك.

والثَّالث: باسطوها لقبض الأرواح من الأجساد، قاله الفرَّاء[1].

وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عند الموت. قال ابن عبَّاسٍ: هذا عند الموت، الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وملك الموت يتوفَّاهم[2].

والثَّاني: يوم القيامة، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: في النَّار، قاله الحسن.

قوله: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ فيه إضمار «يقولون».

وفي معناه قولان:

أحدهما: استسلموا لإخراج أنفسكم.

والثَّاني: أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٥).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم (٧٦٣٠) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قوله: ﴿تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾.

قال أبو عُبيدة: الهُون: مضموم، وهو الهوان، وإذا فتحوا أوّله، فهو الرِّفق والدَّعة(١).

قال الزَّجاج: والمعنى: تجزون العذاب الذي(٢) يقع به الهوان الشَّديد(٣).

قَوْلُهُ تعالَى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤].

قوله: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾.

سبب نزولها:

أن النَّضر [بن الحارث](٤) قال: سوف تشفع لي اللَّات والعزَّى، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة(٥).

ومعنى ﴿فُرَٰدَىٰ﴾: وُحدانًا.

وهذا إخبار من الله تعالى بما يوبِّخ به المشركين يوم القيامة.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم (٧٦٤٤) في تفسيرهما من طريق ابن جُرَيج، عن الحكم بن أبان، به، بنحوه. وعزاه السيوطي في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٣٢٣) لابن المنذر، وأبي الشيخ.

قال أبو عُبَيدة: ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ أي: فرد فرد[١][٢].

وقال ابن قُتَيْبة: فرادى: جمع فرد[٣].

وللمفسِّرين في معنى ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ خمسة أقوال متقاربة المعنى:

أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: كلٌّ واحد على حدة، قاله الحسن.

والثَّالث: ليس معكم من الدُّنيا شيء، قاله مقاتل[٤].

و الرَّابع: فكلُّ وَاحِدٍ مُنْفَرِدٌ مِن شريكه في الغيِّ وشَقِيقِهِ، قاله الزَّجَّاج[٥].

والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا مال ولا أهل ولا ولد.

والثَّاني: حفاةً عراةً غرلًا. والغُرْل: القلف.

والثَّالث: أحياءً.

---

(١) من قوله: (وهذا إخبار من الله تعالى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٣).

و﴿خَوَّلْنَاكُمْ﴾: بمعنى ملَّكناكم. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: في الدُّنيا. والمعنى: أن ما دأبتم في تحصيله في الدُّنيا فني، وبقي النَّدم على سوء الاختيار.

وفي شفعائهم قولان:

أحدهما: أنها الأصنام.

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾ أي: آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم. و﴿زَعَمْتُمْ[1] أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: عندكم ﴿شُرَكَٰٓؤُا﴾.

وقال ابن قُتَيْبة: زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء[2].

والثَّاني: أنها الملائكة كانوا يعتقدون شفاعتها، قاله مقاتل[3]. [٢٤٢/ب]

قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم[4]: بالرَّفع.

وقرأ نافع، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم: بنصب النون على الظرف[5].

قال الزَّجَّاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطَّع وصلكم، والنصب جائز ومعناه: لقد تقطَّع ما كنتم فيه من الشِّركة بينكم[6].

---

(١) من قوله: (أنهم يشفعون لكم)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

(٤) من قوله: (قرأ ابن كَثِيرٍ)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٥٧)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٣).

وقال ابن الأنباريِّ: التَّقدير: لقد تقطَّع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناها.

قال أبو عليٍّ: الذين رفعوه، جعلوه اسمًا، فأسندوا الفعل الذي هو «تقطَّع» إليه، والمعنى: لقد تقطَّع وصلكم. والذين نصبوا، أضمروا اسم الفاعل في الفعل، والمضمر هو الوصل، فالتَّقدير: لقد تقطَّع وصلكم بينكم[1].

وفي الذين كانوا يزعمون قولان:

أحدهما: شفاعة آلهتهم.

والثَّاني: عدم البعث والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: ٩٥].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾.

في معنى الفلق قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الخلق، فالمعنى: خالق الحبِّ والنَّوى، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحَّاك، ومقاتل[2].

والثَّاني: أن الفلق بمعنى الشَّقِّ.

---

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنه فلق الحبَّة عن السنبلة، والنَّواة عن النَّخلة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّاني: أنه الشِّقَّان اللَّذان في الحَبِّ والنَّوى، قاله مجاهد، وأبو مالك.

قال ابن السَّائب: «الحَبُّ»: ما لم يكن له نوى، كالبرِّ، والشَّعير. و«النَّوى»: مثل نوى التَّمر(١).

قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ قد سبق تفسيره في «آل عمران»(٢).

قوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحقِّ بعد هذا البيان(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)﴾ [الأنعام: ٩٦].

قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ في معنى «الفلق» قولان قد سبقا.

فأما ﴿الْإِصْبَاحِ﴾ فقال الأخفش: هو مصدر من أصبح(٤).

وقال الزَّجَّاج: الإصباح والصُّبح واحد(٥).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية (٢٧).

(٣) من نوله: (قوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٧).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٤).

وللمفسِّرين في ﴿ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ضوء الشَّمس بالنَّهار، وضوء القمر باللَّيل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنه إضاءة الفجر، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: فلق الإصباح من اللَّيل.

والثَّالث: أنه نوَّر النَّهار، قاله الضَّحَّاك.

وقرأ أنس بن مالك، والحسن، وأبو مجلز، وأيوب، والجَحْدَري: «فالق الأَصباح» بفتح الهمزة[1].

قال أبو عُبَيدة[2]: ومعناه جمع صبح.

قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾.

قرأ ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، وابن عامر: «جاعل» بألف.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: «وجعل» بغير ألف. «الليلَ» نصبًا[3].

قال أبو عليٍّ: من قرأ: «وجاعل» فلأجل «فالق» وهم يراعون المشاكلة. ومن قرأ: «جعل» فلأنَّ «فاعلاً» هاهنا بمعنى: «فعل» بدليل [٢٤٣/أ] قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾[4].

---

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي إعراب القرآن (٢/ ٨٤) عن عيسى بن عمر، وزاد في المحرر الوجيز (٢/ ٣٢٥)، والبحر المحيط (٤/ ٥٩٣) أبا رجاء.

(٢) في (ف): (أبو عبيد).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٦١)، والمبسوط (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٦١).

فأما «السَّكن» فهو ما سكنْتَ إليه.

والمعنى: أن النَّاس يسكنون فيه [سكون][(١)] راحة.

وفي الحسبان قولان:

أحدهما: أنه الحساب، قاله الجمهور.

قال ابن قُتَيْبة: يقال: خذ من كلِّ شيء[(٢)] بحسبانه، أي: بحسابه[(٣)(٤)].

وفي المراد بهذا الحساب[(٥)] ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما يجريان إلى أجل جُعل لهما، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: يجريان في منازلهما بحساب، ويرجعان إلى زيادة ونقصان، قاله السُّدِّي.

والثَّالث: أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور، والأعوام، قاله مقاتل[(٦)].

والقول الثَّاني: أن معنى الحسبان: الضِّياء، قاله قتادة.

قال الماورديُّ: كأنه أخذه من قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ [الكهف:٤٠] أي: نارًا[(٧)].

---

(١) زيادة من (ج)، و(ر)، و(ف).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قوله: (أي: بحسابه)، ليس في (ج)، وفي (ر): (أي: بحسبانه).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٥) في (ج): (الحسبان).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٠).

(٧) انظر: النُكت والعيون (٢/ ١٤٨).

قال ابن جرير: وليس هذا من ذاك في شيء[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾.

«جعل» بمعنى[٢] خلق.

وإنما امتنَّ عليهم بالنُّجوم، لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في اللَّيل لمقاصدهم بها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾.

قرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرٍو، ويعقوب، إلا رُويسًا: بكسر القاف.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكِسَائِي: بفتحها[٣].

قال الزَّجَّاج: من كسر، فالمعنى: «فمنكم مستقِر»، ومن نصب، فالمعنى: «فلكم مستقَر»[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٣٠).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٣)، والحجَّة (٣/ ٣٦٤)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٤).

فأما «مستودَع» فبالفتح، لا غير. ومعناه على فتح القاف: «ولكم مستودَع» وعلى كسرها: «ومنكم مستودِع».

وللمفسِّرين في معنى «المستقرّ» و«المستودع» تسعة أقوال:

أحدها: فمستقرٌّ في الأرحام، ومستودع في الأصلاب، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، وعطاء، والضَّحَّاك، والنَّخعي، وقتادة، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّاني: المستقرُّ في الأرحام، والمستودع في القبر، قاله ابن مسعود.

والثَّالث: المستقرُّ في الأرض، والمستودع في الأصلاب، رواه ابن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: المستقرُّ والمستودع في الرَّحم، رواه قابوس عن أبيه عن ابن عبَّاسٍ.

والخامس: المستقرُّ حيث يأوي، والمستودع حيث يموت، رواه مِقْسَم عن ابن عبَّاسٍ.

والسَّادس: المستقرُّ في الدُّنيا، والمستودع في القبر.

والسَّابع: المستقرُّ في القبر، والمستودع في الدُّنيا، وهو عكس الذي قبله، رويا عن الحسن.

والثَّامن: المستقرُّ في الدُّنيا، والمستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد.

والتَّاسع: المستقرُّ في الأصلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر[1]، وهو عكس الأول.

(١) هو: عمرو بن بحر بن محبوب، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالمطر.

وفي قوله: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان:

[٢٤٣/ب] أحدهما: نبات كلِّ شيء من الثِّمار، لأن كلَّ ما ينبت، فنباته بالماء.

والثَّاني: رزق كلِّ شيء وغذاؤه.

وفي قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قولان:

أحدهما: من الماء، أي: به.

والثَّاني: من النَّبات.

قال الزَّجَّاج: الخَضِر بمعنى الأخضر، يقال: اخضرَّ، فهو أخْضر، وخَضِر، مثل: اعورَّ، فهو أعْوَر، وعَوِر[1].

قوله: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ كالسُّنبل والشَّعير.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

و«المتراكب»: الذي بعضه فوق بعض.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾.

وروى الخفَّاف عن أبي عمرو: «قُنوان» بضم القاف[١]، وروى هارون عنه بفتحها[٢].

قال الفرَّاء: معناه: ومن النَّخل ما قنوانه دانية، وأهل الحجاز يقولون: «قِنوان» بكسر القاف، وقيس يضمُّونها، وضبَّة وتميم يقولون: «قنيان».

أنشدني المفضَّل عنهم[٣][من الطويل]:

فأثَّتْ أعَالِيهِ وآدَتْ أصُولُه وَمَالَ بِقِنْيانٍ من البُسْرِ أحْمَرَا

ويجتمعون جميعًا، فيقولون: «قِنو» و«قُنو»، ولا يقولون: «قِني» ولا «قُني»، وكلب[٤] تقول[٥]: «ومال[٦] بقنيان».

(١) انظر: الكامل في القراءات العشر (١/ ٥٤٤). وعن أبي عمرو والأعمش والسلمي، عن علي ﷺ، وكذا في ﴿صُنْوان﴾.

(٢) وعن الأعرج في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، والمحتسب (١/ ٢٢٣)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٣١)وقال: ورُوي عنه أيضًا: ضمُّها، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٢٨)، والبحر المحيط (٤/ ٥٩٧) وقال ابن جني: ينبغي أن يكون ﴿قَنْوَان﴾ هذا اسمًا للجمع غير مكسر؛ لأن فعلان ليس من أمثلة الجمع.

(٣) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٢)، والبيت لامرئ القيس في ديوانه (ص ٥٧)، ولسان العرب (٣/ ٧٧)، وتهذيب اللُّغة (٩/ ٣١٥)، وتاج العروس (٧/ ٣٩٦).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ف): (يقولون).

(٦) ليست في (ج).

قلت[١]: هذا البيت لامرئ القيس رواه أبو سعيد السُّكَّري[٢]: «ومال بِقِنوان» مكسورة القاف مع الواو، ففيه أربع لغات: قِنوان، وقُنوان، وقِنيان[٣]، وقُنيان، و«أثَّت»: كثرت، ومنه: شعر أثيث، و«آدت»: اشتدَّت.

وقال ابن قُتَيْبة: «القِنْوَانُ»: عُذُوقُ النَّخل، واحدها قِنْوٌ، جمع على لفظ تثنية صِنْو وصِنْوان في التَّثنية، وصِنْوانٌ في الجمع[٤].

وقال الزَّجَّاج: قِنوان: جمع قِنو، وإذا ثنَّيته فهما قِنوان، بكسر النون، ودانية، أي: قريبة المتناول، ولم يقل: «ومنها قنوان بعيدة»؛ لأن في الكلام دليلًا أن البعيدة السَّحيقة قد كانت غير سحيقة، فاجتزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ[٥] ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١][٦].

---

(١) في (ف): (قال المصنِّف).

(٢) هو: الْحَسَن بن الحسين بْنِ عَبْد الرَّحْمَنِ بن العلاء بن أَبِي صفرة بن المهلب، أَبُو سعيد السُّكَّري النَّحوي، سمع يَحْيَى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، ومحمد بن حبيب، وعمر بن شبة، وغيرهم، وكان ثقة دَيِّنًا صادقًا، يقرئ القرآن، له من الكتب كتاب أشعار هذيل، والنقائض، وكتاب النبات، وكتاب الوحوش، وكتاب المناهل والقرى، وكتاب الأبيات السائرة. وعمل أشعار جماعة من الشعراء منهم: امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، والنابغة الجعدي، وزهير، والحطيئة، ولبيد، وغيرهم. توفي سنة (٢٧٥هـ).
انظر ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٧)، والسير (١٣/ ١٢٦)، ومعجم الأدباء (٢/ ٨٥٦).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٥).

وقال ابن عبَّاسٍ: «القُنوان الدَّانية»: قِصَار النَّخل اللَّاصِقَة عُذُوقَها بالْأَرْضِ(١).

قوله: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: هو نسق على قوله: ﴿خَضِرًا﴾(٢).

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ المعنى: وأخرجنا منه شجر الزَّيتون والرُّمَّان.

وقد روى أبو زيد عن المفضَّل: «وجنَّاتٌ» بالرَّفع(٣).

قوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: مشتبهًا في المنظر، وغير متشابه في الطَّعم، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: مشتبهًا ورقه، مختلفًا ثمره، قاله قتادة، وهو في معنى الأول.

والثَّالث: منه ما يشبه بعضه بعضًا، ومنه ما يخالف.

قال الزَّجَّاج: وإنما قرن الزَّيتون بالرُّمَّان، لأنهما شجرتان تعرف

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٤٦)، وابن أبي حاتم (٧٧٠٥) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

(٣) عن الأعمش كما في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي التَّحصيل (١/ ٦٣١) عن عاصم، وفي إعراب القرآن (٢/ ٨٦) عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى من قراءة عاصم.

العـرب أن ورقهـا يشـتمل عـلى الغصـن مـن أوّلـه إلى آخـره(١).

قال الشّاعر(٢)[من الخفيف]:

بُـورِكَ الميِّـتُ الْغَرِيـبُ كَـما بُـو ... رِكَ نَضْـحُ الرُّمَّـانِ والزَّيْتُـونِ

ومعناه: أن البركة في ورقه اشتمالُه على عوده كلِّه. [٢٤٤/أ]

قوله: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾.

قـرأ ابـن كَثِـير، ونافـع، وأبـو عَمْـرٍو، وابـن عامـر، وعاصـم: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾، و﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الأنعـام:١٤١]، و﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [يـس:٣٥]: بالفتـح في ذلـك.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف: بالضَّمِّ فيهنَّ(٣).

قـال الزَّجَّـاج: يقـال: ثَمَـرَةٌ، وثَمَـرٌ(٤)، وثِـمارٌ، وثُمُـرٌ، فمـن قـرأ: «إلى ثُمُـره» بالضَّـمِّ أراد جمـع الجمـع(٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

(٢) البيـت لأبي طالـب بـن عبـد المطلـب في المحـرر الوجيـز (٤/ ٢٥٠)، ولسـان العـرب (٢/ ٦٢٠ ــ ١٠/ ٣٩٦)، والبحـر المحيـط (٨/ ٤٦).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٤)، والحجّة (٣/ ٣٦٦)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

وقال أبو عليٍّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: هذا، وهو أن يكون الثَّمر جمع[١] ثمار.

والثَّاني: أن يكون الثَّمر جمع ثمرة، وكذلك: أكمة، وأُكُم، وخشبة، وخُشُب.

قال الفرَّاء: يقول: انظروا إليه أوَّل ما يَعْقِد، وانظروا إلى ينعه، وهو نضجه وبلوغه. وأهل الحجاز يقولون: يَنْعَ، بفتح الياء، وبعض أهل نجد يضمونها[٢].

قال ابن قُتَيْبة: يقال: يَنَعَت الثَّمَرَة وأيْعَنَت: إذا أدْرَكَت. وهو اليَنْع واليَنِع واليُنُوع [٣].

وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن[٤] محيصن: «ويُنْعِه» بضم الياء[٥].

قال الزَّجَّاج[٦]: الينع[٧]: النُّضج[٨].

---

(١) من قوله: (الجمع. وقال أبو علي)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٦٦ـ ٣٦٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٤) في (ر): (ابن) بدون واو.

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥) عن مجاهد، وابن إسحاق، وفي التَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٣٦٠) عن مجاهد، وابن محيصن، وانظر: إعراب القراءات الشاذة (١/ ٥٠٠).

(٦) قوله: (قال الزجاج)، ليس في (ر).

(٧) في (ر): (والينع).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

قال الشَّاعر(١)[من المديد]:

فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

وبـيَّن الله تعالى لهم بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنه كذلك يبعثهم.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يصدِّقون أن الذي أخرج هذا النَّبات قادر على أن يحيي الموتى(٢).

وقال مقاتل: يصدِّقون بالتَّوحيد(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠].

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾.

«جعلوا» بمعنى وصفوا.

قال الزَّجَّاج: نصبُ «الجنِّ» من وجهين:

---

(١) البيت ليزيد بن معاوية كما في جمهرة اللُّغة (٢/ ٩٥٦)، ونُسب للأخطل كما في المحكم والمحيط (٧/ ١٦٢)، وتاج العروس (١١/ ٢٩٣)، ولسان العرب (٤/ ٢٨٥).
قال أبو عُبَيدة: هذا الشعر يختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. انظر: الكامل (١/ ٣٠١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨١).

أحدهما: أن يكون مفعولًا، فيكون المعنى: وجعلوا لله الجنَّ شركاء، ويكون الجنُّ مفعولًا ثانيًا، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف:١٩].

والثَّاني: أن يكون الجنُّ بدلًا من شركاء، ومفسِّرًا للشُّركاء(١).

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو عمران، وأبو حيوة، والجَحْدَري: «شركاء الجنُّ» برفع النُّون(٢).

وقرأ ابن أبي عبلة، ومعاذ القارئ: «الجنِّ» بخفض النُّون(٣).

وفي معنى جعلهم الجنَّ شركاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أطاعوا الشَّياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، قاله الحسن، والزَّجَّاج(٤).

والثَّاني: قالوا: إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات:١٥٨] فسمَّى الملائكة جنًّا لاجتنانهم، قاله قتادة، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّالث: أن الزَّنادقة قالوا: الله خالق النُّور والماء والدَّواب والأنعام، وإبليس خالق الظُّلمة والسِّباع والحيَّات والعقارب، وفيهم نزلت هذه [٢٤٤/ب] الآية. قاله ابن السَّائب.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٧).

(٢) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي البحر المحيط (٤/ ١٩٦) عن أبي حيوة.

(٣) عن أبي البرهسم في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي البحر المحيط (٤/ ١٩٦) شعيب بن أبي حمزة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٧).

قوله: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾.

في الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشُّركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون.

والثَّاني: أنها ترجع إلى الجنِّ، فيكون المعنى: والله خلق الجنَّ، فكيف يكون الشَّريك لله مُحدَثًا؟ ذكرهما الزَّجَّاج[(١)].

قوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ[(٢)]﴾.

وقرأ نافع: «وخرَّقوا» بالتَّشديد، للمبالغة والتَّكثير، لأن المشركين ادَّعوا الملائكةَ [بناتِ الله][(٣)]، والنَّصارى المسيحَ، واليهود عزيرًا[(٤)].

وقرأ ابن عبَّاسٍ، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وحرَّفوا» بحاء غير معجمة وبتشديد الرَّاء وبالفاء[(٥)(٦)].

وقرأ ابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري[(٧)]: «وخارقوا» بألف وخاء معجمة.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) ليست في (ف).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج)، و(ر)، وفي (ف): (بنات).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٤)، والحجَّة (٣/ ٣٧٢)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٥) ليست في (ر).

(٦) عن ابن عباس، وابن عمر ﷺ في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، ووقع تصحيف في المطبوع فقال: (وخرقوا)، والمحتسب (١/ ٢٢٤)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٥٠).

(٧) ليست في (ج).

قال السُّدِّي: أما «البنون»، فقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النَّصارى: المسيح ابن الله، وأما «البنات» فقول مشركي العرب: الملائكة بناتُ الله[١][٢].

قال الفرَّاء: خرَّقوا، واخترقوا، وخلقوا، واختلقوا، بمعنى: افْتَرَوْا [٣].

وقال أبو عُبَيدة: خرقوا: جعلوا[٤].

قال الزَّجَّاج: ومعنى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أنهم لم يذكروه من[٥] علم، إنما ذكروه تكذُّبًا[٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠١، ١٠٢].

قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة؟!.

واحتجَّ عليهم في نفي الولد بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له؟! فإذا نُسب إليه

---

(١) قول السُّدِّي جاء بعد كلام أبي عبيدة في (ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٧٧٢٤) في تفسيرهما.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٨).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٣).

(٥) في (ر): (عن).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

الولـد، فقـد جُعـل لـه مثـل[١].

قَوْلُـهُ تَعَـالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

في الإدراك قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإحاطة.

والثَّاني: بمعنى الرؤية.

وفي ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها العيون، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنها العقول، رواه عبد الرَّحمن بن مهدي عن أبي حصين القارئ.

ففي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدهـا: لا تحيـط بـه الأبصـار، رواه العَـوْفي عـن ابـن عبَّـاسٍ، وبـه قـال سـعيد بـن المسيَّب، وعطـاء.

وقـال الزَّجَّـاج: معنـى الآيـة: الإحاطـة بحقيقتـه، وليـس فيهـا دفـع للرُّؤيـة، لِمـا صـحَّ عـن رسـول الله ﷺ مـن الرُّؤيـة، وهـذا مذهـب أهـل السُّـنَّة والعلـم والحديـث[٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

والثَّاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلَّى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: لا تدركه الأبصار في الدُّنيا، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، ومقاتل(١).

ويدلُّ على أن الآية مخصوصة بالدُّنيا، قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ {القيامة:٢٢-٢٣} فقيَّد النَّظر إليه بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيَّد.

وقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فيه القولان.

قال الزَّجَّاج: وفي هذا الإعلام دليل على أنَّ خَلْقَه لا يدركون [٢٤٥/أ] الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه، فأعلم الله أن خلقًا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه فكيف به ﷻ؟!(٢).

فأما ﴿اللَّطِيفُ﴾ فقال أبو سليمان الخطَّابي: هو البرُّ بعِبَاده، الذي يلطف لهم(٣) من حيث لا يعلمون، ويسبِّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون(٤).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

(٣) في (ج)، و(ر): (بهم).

(٤) انظر: شأن الدعاء (ص:٦٢).

قال ابنُ الأعرابيِّ[(١)]: اللَّطِيفُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَيْكَ أَرَبَكَ فِي رِفْقٍ، ومنه قولهم[(٢)]: لطف الله بك، ويقال: هو الذي لَطُفَ عن أن يُدرَكَ بالكيفيَّة[(٣)].

وقد يكون اللُّطف بمعنى الدِّقة والغموض، ويكون بمعنى الصِّغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه.

وقال الأزهري: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ من أسماء الله، معناه: الرَّفيق بعباده. و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: العالم بكنه الشَّيء، المطَّلع على حقيقته[(٤)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

«البصائر»: جمع بصيرة، وهي الدِّلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر[(٥)].

---

(١) هو: محمد بن زياد أبي عبد الله ــ المعروف ــ بابن الأعرابي الكوفي النَّحوي اللُّغوي، كان أحد العالمين باللُّغة المشهورين بمعرفتها، توفي (٢٣١هـ). انظر: ترجمته: معجم الأدباء (٦/ ٢٥٣٠)، وإنباه الرواة (٣/ ١٢٩)، وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٩).

(٢) في (ف): (قوله).

(٣) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٣٠٨).

(٤) انظر: تهذيب اللُّغة (١٣/ ٢٣٥).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله ﷻ غنيٌّ عن خلقه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

فصلٌ

وذكر المفسِّرون أن هذه الآية نُسخت بآية السَّيف.

وقال بعضهم: معناها: لست رقيبًا عليكم، أحصي أعمالكم، فعلى هذا لا وجه للنَّسخ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾.

قال الأخفش: وَكَذلِكَ معناها: وهكذا[١].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: وَمِثْلُ ما بيَّنَّا فيما تُلي عليك، نُبيِّن الآيات[٢].

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ أي نبيِّنها في كلِّ وجه، ندعوهم بها مرَّة، ونخوِّفهم بها أُخرى[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٨).

﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ يعني أهل مكَّة حين تقرأ عليهم القرآن: «دارست»[1].

قال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: وكذلك نصرِّف الآيات، لنلزمهم الحجَّة، وليقولوا: دارست، وإنما صرَّف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها، فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي.

قال الزَّجَّاج: وهذه اللام في: «ليقولوا» يسميها أهل اللُّغة لام الصيرورة.

والمعنى: أن السَّبب الذي أدَّاهم إلى أن يقولوا: دارست!، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨] وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوًّا وحزنًا. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم [٢٤٥/ب] يقصد أن يُهلك نفسه بالكتاب، ولكنَّ العاقبة كانت الهلاك[2].

فأما «دَرَسْتَ» فقرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرو: «دارسْتَ» بالألف وسكون السين وفتح التاء، ومعناها: ذاكرت أهل الكتاب.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي: «درسْتَ» بسكون السين وفتح التاء، من غير ألف، على معنى: قرأت كتب أهل الكتاب.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٧٢)، وابن أبي حاتم (٧٧٤٨) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: قَالُوا: «قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ، تَقُولُ ذَلِكَ قُرَيْشٌ».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

قال المفسِّرون: معناها: تعلَّمت من جَبْرٍ[١] وَيَسَارٍ، وسنبيِّن هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣] إن شاء الله.

وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «دَرَسَتْ» بفتح الرَّاء والسين وسكون التاء من غير ألف، والمعنى: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد دَرَسَتْ. أي: قد مضت وامَّحت.

وجميع من ذكرنا فتح الدَّال في قراءته[٢].

وقد روي عن نافع أنه قال: «دُرِسَت» برفع الدَّال وكسر الرَّاء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابن يعمر[٣]. ومعناها قُرئت.

وقرأ أبي بن كعب: «دَرُسَتْ» بفتح الدَّال والسين وضم الرَّاء وتسكين التاء[٤].

قال الزَّجَّاج: وهي بمعنى: «دَرَسَتْ» أي: امَّحت إلا أن المضمومة الرَّاء أشدُّ مبالغة[٥].

وقرأ معاذ القارئ، وأبو العالية، ومورِّق: «دُرِّسْتَ» برفع الدَّال، وكسر الرَّاء وتشديدها ساكنة السين[٦].

---

(١) في (ف): (خير)، وفي (ر): (حبر).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٤)، والحجَّة (٣/ ٣٧٣)، والمبسوط (١/ ٢٠٠).

(٣) وعن ابن عباس في خلاف، وقتادة، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، والتَّحصيل (١/ ٦٥١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٣١)، والبحر المحيط (٤/ ٦٠٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠)، والبحر المحيط (٤/ ٦٠٨) بلا نسبة.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

(٦) انظر: البحر المحيط (٤/ ٦٠٨).

وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرِّف: «دَرَسَ» بفتح الرَّاء والسين بلا ألف ولا تاء[١].

وروى عصمة عن الأعمش: «دارس» بألف[٢].

قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ يعني: التَّصريف ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ما بُيِّن لهم من الحقِّ فيقبلوه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٦، ١٠٧].

قوله: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

قال المفسِّرون: نُسخ بآية السَّيف.

قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال حكاها الزَّجَّاج:

أحدها[٣]: لو شاء لجعلهم مؤمنين.

والثَّاني: لو شاء لأنزل آية تضطرهم إلى الإيمان.

والثَّالث: لو شاء لاستأصلهم، فقطع سبب شركهم[٤].

---

(١) عن ابن مسعود في المحتسب (١/ ٢٢٥)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٤٥).

(٢) انظر: الكامل (١/ ٥٤٥).

(٣) في (ر): (فيه ثلاثة أقوال: أحدها حكاه الزَّجَّاج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

قال ابن عبَّاسٍ: وباقي الآية نُسخ بآية السَّيف(١).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعـام: ١٠٨].

قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ {الأنبياء:٩٨} قالوا: لتنتهينَّ يا محمد عن سبِّ آلهتنا وعيبها، أو لنهجونَّ إلهك الذي تعبده، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ(٢).

والثَّاني: أن المسلمين كانوا يسبُّون أوثان الكفار، فيردُّون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبُّوا لربِّهم قومًا جهلة لا علم لهم بالله، قاله قتادة(٣).

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وهي الأصنام.

---

(١) قوله: (بآية السيف)، ليس في (ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (٧٧٦٠) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به. وأورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢١) عن سعيد بن جُبَيْر، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٤٨٠) في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة، وابن أبي حاتم (٧٧٦١) في تفسيره من طريق معمر، كلاهما عن قتادة، بنحوه.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ أي: فيسبُّوا من أمركم بعيبها، فيعود ذلك إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يصرِّحون بسبِّ الله تعالى، لأنهم كانوا يقرُّون أنه [٢٤٦/أ] خالقهم، وإن أشركوا به.

وقوله: ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: ظلمًا بالجهل.

وقرأ يعقوب: «عُدُوًّا»، بضم العين والدَّال وتشديد الواو[١].

والعرب تقول في الظُّلم: عدا فلان عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدوانًا. وعدا، أي: ظلم.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي: كما زيَّنا هؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشَّيطان، كذلك زيَّنا لكلِّ جماعة اجتمعت على حقٍّ أو باطل عملهم من خيرٍ أو شرٍّ.

قال المفسِّرون: وهذه الآية نُسخت بتنبيه الخطاب في آية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩].

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما نزل في «الشعراء»: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الآية:٤] قال المشركون: أنزِلها علينا حتى والله نؤمن بها، فقال المسلمون:

---

(١) عن الحسن، وأبي رجاء، وقتادة، وسلام، ويعقوب في المحتسب (١/ ٢٢٦)، والتَّحصيل (١/ ٦٥١)، والكامل (١/ ٥٤٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٠) عن يعقوب، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥) بعض المكيين.

يا رسول الله، أَنزِلها عليهم لكي يؤمنوا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: أن قريشًا قالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، فينفجر منها اثنتا عشرة عينًا، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فائتنا بمثل هذه الآيات حتى نصدِّقك: فقال: «أَيُّ شَيْءٍ تُحِبُّونَ؟» قالوا: أن تجعل لنا الصَّفا ذهبًا. قال: «فَإِنْ فَعَلْتُ تُصَدِّقُونِي؟» فقالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتَّبعنَّك أجمعين. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل فقال: «إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصَّفَا ذَهَبًا، وَلَكِنِّي لَمْ أُرْسِلْ آيَةً فَلَمْ يُصَدَّقْ بِهَا، إِلَّا أَنْزَلْتُ الْعَذَابَ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتُهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ». فقال رسول الله ﷺ «اتْرُكْهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ»، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١]، هذا قول محمد بن كعب القُرَظِي[٢].

وقد ذكرنا معنى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الآية:٥٣] في «المائدة» وإنما حلفوا على ما اقترحوا من الآيات، كقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء:٩٠].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو القادر على الإتيان بها دوني ودون أحد من خلقه ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ﴾ أي: يدريكم أنها.

قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمْرٍو، وأبو بكر عن عاصم، وخلف في اختياره: بكسر الألف[٣].

---

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦١٣).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٤٨٥-٤٨٦)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢٣).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥)، والحجَّة (٣/ ٣٧٥)، والتيسير (١/ ٧٣).

فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله: ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ويكون المعنى: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون «إنها» مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم.

وقال أبو عليٍّ: التَّقدير: وما يشعركم إيمانهم، فحذف المفعول.

[٢٤٦/ب] والمعنى: لو جاءت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا. فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: «وما يشعركم إنها» فقلت: ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن[1] ذلك في هذا الموضع إنما قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم ابتدأ فأوجب، فقال: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» ولو قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ[2] أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كان ذلك عذرًا لهم[3].

وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكِسَائِي[4]: «أنها» بفتح الألف[5].

فعلى هذا، المخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ رسول الله ﷺ وأصحابه.

---

(١) في (ف): (تحسبن).

(٢) قوله: (ثم ابتدأ فأوجب)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٧٥-٣٧٧).

(٤) قوله: (والكسائي)، ليس في (ر).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥)، والحجَّة (٣/ ٣٧٥).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: وما يدريكم لعلَّها إذا جاءت لا يؤمنون.

وفي قراءة أُبيٍّ: «لعلَّها إذا جاءت لا يؤمنون»(١).

والعرب تجعل «أن» بمعنى «لعلَّ». يقولون: ائت السُّوق أنك تشتري لنا شيئًا، أي: لعلَّك.

قال عدي بن زيد(٢)[من الطويل]:

أَعَاذِلَ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي ... إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى غَدِ

أي: لعلَّ منيَّتي.

وإلى هذا المعنى ذهب الخليل، والفرَّاء في توجيه هذه القراءة(٣).

والثَّاني: أن المعنى: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون «لا» صلة كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] وقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥]، ذكره الفرَّاء، وردَّه الزَّجَّاج واختار الأوَّل(٤).

---

(١) عن أُبي بن كعب ﷺ في معاني القرآن؛ للنحاس (٢/ ٤٧٤)، وبلا نسبة في معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٣٧٩).

(٢) البيت لعدي بن زيد الْعِبَادِيِّ في ديوانه (ص: ١٠٣)، ولسان العرب (١٣/ ٣٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٠-٣٥٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٢-٢٨٣).

والأكثرون على قراءة: «يؤمنون» بالياء منهم ابن كَثِيرٍ، ونافع، وأبو عَمْرٍو، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم.

وقرأ ابن عامر، وحمزة: بالتَّاء، على الخطاب للمشركين.

قال أبو عليٍّ: من قرأ بالياء، فلأنَّ الذين أقسموا غُيَّبٌ، ومن قرأ بالتَّاء، فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠].

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ التَّقليب: تحويل الشَّيء عن وجهه.

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدها: لو أتيناهم بآية كما سألوا، لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحُلْنا بينهم وبين الهدى، فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وابن زيد.

والثَّاني: أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرُّجوع إلى الدُّنيا، فالمعنى: لو رُدُّوا لحُلْنا بينهم وبين الهدى كما حُلْنا بينهم وبينه أوَّل مرة وهم في الدُّنيا، روى هذا المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥)، والحجَّة (٣/ ٣٨٢_٣٨٣)، والمبسوط (١/ ٢٠٠).

والثَّالث: ونقلِّب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات، قاله مقاتل[١].

و الرَّابع: أن ذلك التَّقليب في النَّار، عقوبة لهم، ذكره الماورديُّ[٢].

وفي هاء «به» أربعة أقوال.

أحدها: أنها كناية عن القرآن.

والثَّاني: عن النَّبيِّ ﷺ. [٢٤٧/أ]

والثَّالث: عمَّا ظهر من الآيات.

و الرَّابع: عن التَّقليب.

وفي المراد بـ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المرَّة[٣] الأولى: دار الدُّنيا.

والثَّاني: أنها معجزات الأنبياء قبل محمد.

والثَّالث: أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو نزلت، والطُّغيان والعمه مذكوران في «[سورة][٤] البقرة»[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٤).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٥٦).

(٣) في (ف): (المراد).

(٤) زيادة من (ف).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

سبب نزولها:

أن المستهزئين أتوا رسولَ الله ﷺ في رهط من أهل مكّة، فقالوا له: ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم: أحقٌّ ما تقول، أم باطل؟ أو أرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله، أو ائتنا بالله والملائكة قبيلًا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ(١).

ومعنى الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما سألوا ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فشهدوا لك بالنُّبوَّة ﴿وَحَشَرْنَا﴾ أي: جمعنا: ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الدُّنيا ﴿قُبُلًا﴾ ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته، لا كما ظنُّوا أنهم متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا لم يؤمنوا.

فأمَّا قوله تعالى: «قِبَلًا»، فقرأ ابن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء(٢).

قال ابن قُتَيْبة: معناها: معاينة(٣).

وقرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرو، وعاصم، وحمزة، والكِسَائِي: ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء(٤).

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥-٢٦٦)، والحجَّة (٣/ ٣٨٣)، والتيسير (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٨).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٥-٢٦٦)، والحجَّة (٣/ ٣٨٣)، والتيسير (١/ ١٠٦).

وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جمع قبيل، وهو الصِّنْف.

فالمعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيء قبيلًا قبيلًا، قاله مجاهد، واختاره أبو عُبَيدة، وابن قُتَيْبة(١).

والثَّاني: أنه جمع قبيل أيضًا، إلا أنه: الكفيل.

فالمعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيء، فكَفَلَ بصحَّة ما تقول، اختاره الفرَّاء(٢).

وعليه اعتراض، وهو أن يقال: إذا لم يؤمنوا بإنزال الملائكة، وتكليم الموتى، فَلأَنْ لا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول، أولى.

فالجواب: أنه لو كَفَلَت الأشياء المحشورة، فنطق ما لم ينطق، كان ذلك آية(٣) بينة.

والثَّالث: أنه بمعنى المقابل.

فيكون المعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيء، فقابلهم، قاله ابن زيد.

قال أبو زيد(٤): يُقال: لقيت فلانًا قِبَلًا وقَبَلًا وقُبُلًا وقَبِيلاً وقبليًّا ومقابلةً، وكلُّه واحد، وهو المواجهة.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٤)، وغريب القرآن (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) هو سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري، صاحب النحو واللُّغة، له من الكتب كتاب المغزى، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان، وغيرها، توفي (٢١٥هـ). انظر: إنباه الرواة (٢/ ٣٠-٣٥).

قال أبو عليٍّ: فالمعنى في القرآن -على ما قاله أبو زيد- واحد، وإن اختلفت الألفاظ(١).

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يجهلون أن الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى.

والثَّاني: أنهم يجهلون أنهم لو أوتوا بكلِّ آية ما آمنوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾ [الأنعام: ١١٢].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.

أي: وكما جعلنا لك ولأُمَّتك شياطين الإنس والجنِّ أعداءً، كذلك جعلنا لمن تقدَّمك من الأنبياء وأُممهم. [٢٤٧/ ب]

والمعنى: كما ابتليناك بالأعداء، ابتلينا مَنْ قبلك، ليعظم الثَّواب عند الصَّبر على الأذى.

قال الزَّجَّاج: «عدوٌّ»: في معنى أعداء، و«شياطين الإنس والجنِّ»: منصوب على البدل من «عدو»، ومفسِّر له، ويجوز أن يكون: «عدوًّا» منصوب على أنه مفعول ثان، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجنِّ أعداءً لأُممهم(٢).

---

(١) انظر: الحجَّة (٣/ ٣٨٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨١ـ ٢٨٤).

وفي ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم مردة الإنس والجنِّ، قاله الحسن، وقتادة.

والثَّاني: أن «شياطين الإنس»: الذين مع الإنس، و«شياطين الجنِّ»: الذين مع الجنِّ، قاله عكرمة، والسُّدِّي.

والثَّالث: أن «شياطين الإنس والجنِّ»: كفارهم، قاله مجاهد.

قوله: ﴿يُوحِى﴾ أصل الوحي: الإعلام والدِّلالة بِسَتر وإخفاء.

وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: يأمر.

والثَّاني: يوسوس.

والثَّالث: يشير.

وأما ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ فهو ما زُيِّن منه، وحُسِّن، ومُوِّه، وأصل الزُّخرف: الذَّهب.

قال أبو عُبَيدة[١]: كلُّ شيء حسَّنته وزيَّنته وهو باطل، فهو زخرف[٢].

وقال الزَّجَّاج: «الزُّخرف» في اللُّغة: الزِّينة؛ فالمعنى: أن بعضهم يزيِّن لبعض الأعمال القبيحة و﴿غُرُورًا﴾ منصوب على المصدر، وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى إيحاء الزُّخرف من القول: معنى الغرور،

(١) في (ر): (أبو عبيد)!.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٥).

فكأنه قال: يَغرُّون غرورًا[١].

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾: الأمانيُّ بالباطل[٢].

قال مقاتل: وَكَّلَ إبليسُ بالإنس شياطين يُضِلُّونَهم، فإذا التقى شيطان الإنس بشيطان الجنِّ قال أحدهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضلِلْ أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحي بعضهم إلى بعض[٣].

وقال غيره: إن المؤمن إذا أعيا شيطانه، ذهب إلى متمرِّدٍ من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن ليفتنه.

وقال قتادة: إن من الجنِّ شياطين، وإن من الإنس شياطين[٤].

وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشدُّ عليَّ من شيطان الجنِّ، لأنِّي إذا تعوَّذت من ذاك ذهب عنِّي، وهذا يجُرُّني إلى المعاصي عِيانًا[٥].

قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾.

في هاء الكناية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الوسوسة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٤).

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٦٢) ومن طريقه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٧٧٨٨) في تفسيرهما.

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٣).

والثَّاني: ترجع إلى الكفر.

والثَّالث: إلى الغرور، وأذى النَّبيِّين.

قوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

قال مقاتل: يريد كفار مكَّة وما يفترون من الكذب(١).

وقال غيره: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياؤهم، وما يختلقون من كذب.

وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣].

قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾.

[أي](٢): ولتميل، والهاء: كناية عن الزُّخرف والغرور. [٢٤٨/أ]

و«الأفئدة»: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة.

قال ابن الأنباريِّ: فعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، «وليرضوا» الباطل.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ أي: ليكتسبوا، وليعملوا ما هم عاملون.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٥).

(٢) زيادة من (ف)، و(ر).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾.

سبب نزولها:

أن مشركي قريش قالوا للنَّبيِّ ﷺ: اجعل بيننا وبينك حَكَمًا إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت[1] من أحبار النَّصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية، ذكره الماورديُّ[2].

فأما «الحَكَمُ» فهو بمعنى الحاكم. والمعنى: أفغير الله أطلب قاضيًا بيني وبينكم؟!.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن.

و«المفصَّل»: المبيَّن الذي بان فيه الحقُّ من الباطل، والأمر من النَّهي، والحلال من الحرام.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **فيهم قولان:**

أحدهما: علماء أهل الكتابين، قاله الجمهور.

والثَّاني: رؤساء أصحاب النَّبيِّ محمد ﷺ، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأشباههم، قاله عطاء.

---

(١) من قوله: (قالو للنبي ﷺ: اجعل بيننا)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦٠).

قوله: ﴿يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ﴾.

قرأ ابن عامر(١)، وحفص عن عاصم: ﴿مُنَزَّلٞ﴾ بالتَّشديد.

وخفَّفها الباقون(٢).

قَوْلُـهُ تعَـالَى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعـام: ١١٥].

قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «كلمات» على الجمع.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكِسَائِي، ويعقوب: «كلمة» على التَّوحيد(٣).

وقـد ذكـرت العـرب الكلمـة، وأرادت الكثـرة يقولـون: قـال قُـسٌّ في كلمتـه، أي: في خطبتـه، وقـال زهـير في كلمتـه، أي: في قصيدتـه.

وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة.

والثَّاني: أقضيتُه وعداته(٤).

والثَّالث: وعده ووعيده وثوابه وعقابه.

---

(١) في الأصل: (أبو عمرو)، والمثبت من (ف) وغيرها، وهو الصَّواب.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٦)، والمبسوط (١/ ٢٠١)، والتيسير (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) في (ر): (وعذابه).

وفي قوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قولان:

أحدهما: ﴿صِدْقًا﴾ فيما أخبر، ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما قضى وقدَّر.

والثَّاني: ﴿صِدْقًا﴾ فيما وعد وأوعد، ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما أمر ونهى.

وفي قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ قولان:

أحدهما: لا يقدر المفترون على الزِّيادة فيها والنُّقصان منها.

والثَّاني: لا خُلف لمواعيده، ولا مغيِّر لحكمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦].

قوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾.

سبب نزولها:

أن الكفار قالوا للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل ربُّكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفرَّاء(١).

والمراد بـ ﴿أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾: الكفار.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٢)، وقد رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٢٢) من طريق عكرمة، عن ابن عباس ﵄ «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: مَا قَتَلَ رَبُّكُمْ فَلَا تَأْكُلُونَ، وَمَا قَتَلْتُمْ أَنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ؟» فَأَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وفي ماذا يطيعهم فيه أربعة أقوال:

أحدها: في أكل الميتة.

والثَّاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام.

والثَّالث: في عبادة الأوثان.

و الرَّابع: في اتِّباع ملل الآباء.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه.

قال ابن قُتَيْبة: ومعنى ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يَحْدِسُون ويوقِعون، ومنه قيل للحازر: خَارِصٌ[1].

فإن قيل: كيف يجوز تعذيب من هو على ظنٍّ من شركه، وليس [٢٤٨/ ب] **على يقينٍ من كفره؟!**

فالجواب: أنهم لما تركوا التماس الحجَّة، واتبعوا أهواءهم، واقتصروا على الظنِّ والجهل، عُذِّبوا، ذكره الزَّجَّاج[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧].

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٥).

قال الزَّجَّاج: موضع ﴿مَن﴾ رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أيُّ النَّاس يَضل عن سبيله(١).

وقرأ الحسن: «من يُضِل» بضم الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابن أبي شريح(٢).

قال أبو سليمان: ومقصود الآية: لا تلتفت إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات، فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام: ١١٨].

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

سبب نزولها:

أن الله تعالى لَمَّا حرم الميتة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم، يريدون الميتة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ(٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٨٦).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن الحسن، ونصير عن الكِسَائِي، وفي المحتسب (١/ ٢٢٨)، والتَّحصيل (١/ ٦٥٣) قراءة الحسن، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢١٠) أحمد بن أبي شريح.

(٣) تقدم قريبًا من رواية عكرمة، عن ابن عباس ﷺ.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعـام: ١١٩].

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾.

قـال الزَّجَّـاج: المعنـى: وأيُّ شيء يقـع لكـم في أن لا تأكلـوا؟. وموضـع «أن» نصـب، لأن «في» سـقطت، فوصـل المعنـى إلى «أن» فنصبهـا[١].

قوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾.

قـرأ ابـن كثـير، وأبـو عمـرو، وابـن عامـر: «فُصِّـل لكـم مـا حُـرِّم عليكـم» مرفوعتـان.

وقـرأ نافـع، وحفـص عـن عاصـم، ويعقـوب، والقـزاز عـن عبـد الـوارث: «فَصَّـل» بفتـح الفـاء، «مـا حَـرَّم» بفتـح الحـاء.

وقـرأ حمـزة، والكِسَـائِي، وأبـو بكـر عـن عاصـم: «فَصَّـل» بفتـح الفـاء، «مـا حُـرِّم» بضـم الحـاء[٢].

قـال الزَّجَّـاج: أي: فُصِّـل لكـم الحـلال مـن الحـرام، وأُحـلَّ لكـم في الاضطـرار مـا حُـرِّم[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٧)، والحجَّة (٣/ ٣٩٠)، والمبسوط (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

وقال سعيد بن جُبَيْر: فُصِّل لكم ما حُرِّم عليكم، يعني: ما بُيِّن في «المائدة» من الميتة، والدَّم، إلى آخر الآية[١].

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ يعني: مشركي العرب يَضلون في أمر الذَّبائح وغيره.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَيَضلون»، وفي «يونس»: «ربنا لِيَضِلوا» وفي «إبراهيم»: «أندادًا لِيَضِلوا» وفي «الحج»: «ثاني عطفه لِيَضِل» وفي «لقمان»: «لِيَضِل عن سبيل الله بغير علم» وفي «الزمر»: «أندادًا لِيَضِل»، بفتح الياء في هذه المواضع السِّتَّة.

وضمَّهن عاصم، وحمزة، والكِسَائِي.

وقرأ نافع، وابن عامر: «لَيَضِلون بأهوائهم»، وفي «يونس» «لِيَضِلوا» بالفتح، وضمَّا الأربعة الباقية[٢].

فمن فتح، أراد: أنهم هم الذين ضلوا، ومن ضم، أراد: أنهم أضلوا غيرهم، وذلك أبلغ في الضَّلال؛ لأن كلَّ مضلٍّ ضالٌّ، وليس كلُّ ضالٍّ مضلًّا[٣].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨١٨) بلفظ: «إلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ يَعْنِي: مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَيْتَةِ، فَهُوَ الاضْطِرَارُ كُلُّهُ».

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٧)، والحجَّة (٣/ ٣٩٢)، والمبسوط (١/ ٢٠١)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٣) من قوله: (قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ليضلون)... إلى هنا، ليس في (ر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠].

قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾.

في الإثم هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الزِّنا، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. [٢٤٩/أ]

فعلى هذا في ظاهره وباطنه قولان:

أحدهما: أن ظاهره: الإعلان به، وباطنه: الاستسرار به، قاله الضَّحَّاك، والسُّدِّي.

قال الضَّحَّاك: وكانوا يرون الاستسرار بالزِّنا حلالًا.

والثَّاني: أن ظاهره نكاح المحرَّمات، كالأُمهات، والبنات، وما نكح الآباء. وباطنه: الزِّنا، قاله سعيد بن جُبَيْر.

والثَّاني: أنه عامٌّ في كلِّ إثم. والمعنى: ذروا المعاصي سرَّها وعلانيتها، وهذا مذهب أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، والزَّجَّاج[1].

وقال ابن الأنباريِّ: المعنى: ذروا الإثم من جميع جهاته.

والثَّالث: أن الإثم: المعصية، إلَّا أنَّ المراد به هاهنا أمر خاصٌّ.

قال ابن زيد: ظاهره هاهنا: نزع أثوابهم، إذ كانوا يطوفون بالبيت عراة، وباطنه: الزِّنا[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

(٢) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٣٢).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعـام: ١٢١].

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

سبب نزولها:

مجادلـة المشركـين للمؤمنـين في قولهـم: أتأكلـون ممـا قتلتـم، ولا تأكلـون مـا قتـل الله! عـلى مـا ذكرنـا في سـبب قولـه تعـالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعـام:١١٨] هـذا قـول ابـن عبَّـاسٍ(١).

وقـال عكرمـة: كتبـت فـارس إلى قريـش: إن محمـدًا وأصحابـه لا يأكلـون مـا ذبحـه الله، ويأكلـون مـا ذبحـوا لأنفسـهم، فكتـب المشركـون إلى أصحـاب النَّبـيِّ ﷺ بذلـك، فوقـع في أنفـس نـاسٍ مـن المسـلمين مـن ذلـك شيء، فنزلـت هـذه الآية(٢).

وفي المراد بما لم يُذكر اسم الله عليه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الميتة، رواه ابن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّـاني: أنـه ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾، ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ إلى قولـه تعـالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائـدة:٣] روي عـن ابـن عبَّـاسٍ.

---

(١) تقدم من رواية عكرمة، عنه.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٢١) من طريق عمرو بن دينار، به، بنحوه.

والثَّالث: أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء.

و الرَّابع: أنه عامٌّ فيما لم يسمَّ الله[(١)] عند ذبحه، وإلى هذا المعنى ذهب عبد الله بن يزيد الخطمي، ومحمد بن سيرين.

فصلٌ

فإن تعمَّد ترك التَّسمية فهل يباح؟

فيه عن أحمد روايتان. وإن تركها ناسيًا أُبيحت.

وقال الشَّافعي: لا يحرم في الحالين جميعًا.

وقال شيخنا علي بن عبيد الله: فإذا قلنا: إن ترك التَّسمية عمدًا يمنع الإباحة، فقد نُسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وعلى قول الشَّافعي: الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ يعني: وإنَّ أكلَ ما لم يُذكر عليه اسم الله لفسقٌ، أي: خروج عن الحقِّ والدِّين.

وفي المراد بـ﴿ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ هاهنا قولان:

أحدهما: أنهم شياطين الجنِّ، روي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: قوم من أهل فارس، وقد ذكرناه عن عكرمة. [٢٤٩/ب]

---

(١) في (ر): (أنه عامٌّ فيما لم يُذكر اسم الله).

فعلى الأوَّل: وحيهم الوسوسة، وعلى الثَّاني: وحيهم الرِّسالة.

والمراد بـ ﴿أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفار الذين جادلوا رسول الله ﷺ في ترك أكل الميتة.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم مشركو قريش.

والثَّاني: اليهود.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وأبي جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث، وحمزة لم يؤمن بَعْدُ، فأُخبر حمزةُ بما فعل أبو جهل، فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس، فقال له: أما ترى ما جاء به؟ سفَّه عقولنا، وسبَّ آلهتنا، فقال حمزة: ومن أسفهُ منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله؟! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عبَّاسٍ(١).

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢٤).

والثَّاني: أنَّها نزلت في عمَّار بن ياسر، وأبي جهل، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[١]، وبه قال عكرمة[٢].

والثَّالث: في عمر بن الخطَّاب، وأبي جهل، قاله زيد بن أسلم[٣]، والضَّحَّاك[٤].

و الرَّابع: في النَّبيِّ ﷺ، وأبي جهل، قاله مقاتل[٥].

والخامس: أنها عامَّة في كلِّ مؤمن وكافر، قاله الحسن في آخرين[٦].

وفي قوله: ﴿كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ قولان:

أحدهما: كان ضالًّا فهديناه، قاله مجاهد.

والثَّاني: كان جاهلًا، فعلَّمناه، قاله الماورديُّ[٧].

---

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٣٤) عن رجل، عن عكرمة، به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٥٣) عن خالد ابن حُمَيْدٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخطَّاب». قَالَ: وَكَانَا مَيْتَيْنِ فِي ضَلالَتِهِمَا، فَأَحْيَا اللهُ عُمَرَ بِالإِسْلامِ، وَأَعَزَّهُ، وَأَقَرَّ أَبَا جَهْلٍ فِي ضَلالَتِهِ وَمَوْتِهِ، قَالَ: فَفِيهِمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٣٣).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٦) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٤٦).

(٧) انظر: النُكت والعيون (٢/ ١٦٣).

وقرأ نافع: «ميِّتا» بالتَّشديد(١).

قال أبو عبيدة: الميْتة، مخفَّفة: من ميِّتة، والمعنى واحد(٢).

وفي «النُّور» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الهدى، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: القرآن، قاله الحسن.

والثَّالث: العلم.

وفي قوله: ﴿يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يهتدي به في النَّاس، قاله مقاتل(٣).

والثَّاني: يمشي به بين النَّاس إلى الجنَّة.

والثَّالث: ينشر به دينه في النَّاس، فيصير كالماشي، ذكرهما الماورديُّ(٤).

قوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾.

المثل: صلة، والمعنى: كمن هو في الظُّلمات.

وقيل: المعنى: كمن لو شُبِّه بشيء كان شبيهُه من في الظُّلمات.

وقيل: المراد بالظُّلمات هاهنا: الكفر.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٨)، والحجَّة (٣/ ٣٩٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٤٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٤) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦٣).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾.

أي: كما بقي هذا في ظلماته لا يتخلَّص منها ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الشِّرك والمعاصي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾.

أي: وكما زيَّنا للكافرين عملهم، فكذلك جعلنا في كلِّ قرية ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾، وقيل معناه: وكما جعلنا فُسَّاق مكَّة أكابرها، فكذلك جعلنا فُسَّاق كلِّ قرية أكابرها.

وإنما جعل الأكابر فُسَّاقَ كلِّ قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرِّياسة والسَّعة. [٢٥٠/أ]

وقال ابن قُتَيْبة: تقدير الآية: وكذلك جعلنا في كلِّ قرية مجرميها أكابر، و«أكابر» لا ينصرف، وهم العظماء(١).

قوله: ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾.

قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة، والحيلة، والفجور، والغدر، والخلاف(٢).

قال ابن عبَّاسٍ: ليقولوا فيها الكذب.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٩).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

قال مجاهد: أَجْلَسُوا على كلِّ طريق من طرق مكَّة أربعةً، ليصرفوا النَّاس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون للنَّاس: هذا شاعر، وكاهن(١).

قوله: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ذلك المكر بهم يحيق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾.

سبب نزولها:

أن أبا جهل قال: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشَّرف، حتى إذا صرنا كَفَرَسَيْ رِهَان، قالوا: منَّا نبيٌّ يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولا نَتَّبعه أو أن يأتيَنا وحي كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل(٢).

قال الزَّجَّاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم(٣).

وقال أبو سليمان: يعود(٤) على المجادلين في تحريم الميتة.

قال مقاتل: والآية: انشقاق القمر، والدُّخان(٥).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٨).

(٤) في (ر): (تعود).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

قال ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ قال: حتى يوحى إلينا، ويأتينا جبريل، فيخبرنا أن محمدًا صادقٌ[١].

قال الضَّحَّاك: سأل كلُّ واحد منهم أن يختصَّ بالرِّسالة والوحي[٢].

قَوْلُهُ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ بنصب التَّاء على التَّوحيد[٣].

والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل[٤]، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النُّبوَّة حقًّا لكنتُ أولى بها منك، لأني أكبرُ منك سنًّا، وأكثرُ منك مالًا، فنزل قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وقال أهل المعاني: الأبلغ في تصديق الرُّسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم، لأن الطَّعن كان يتوجَّه عليهم، فيُقال: إنما كانوا رؤساء فاتُّبِعوا، فكان الله أعلم حيث جعل الرِّسالة ليتيم أبي طالب، دون أبي جهل والوليد، وأكابر مكَّة.

قوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٩).

(٢) أورده النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٥٨).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٤٦)، والحجَّة (٣/ ٢٣٩)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٤) قوله: (والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل)، ليس في (ر).

قال أبو عبيدة: «الصَّغار»: أشَدُّ الذُّلِّ[١].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: هم، وإن كانوا أكابر في الدُّنيا، فسيصيبهم صغار عند الله، أي: صغار ثابت لهم عند الله[٢].

وجائز أن يكون المعنى: سيصيبهم عند الله صغار.

وقال الفرَّاء: معناه: صغار من عند الله، فحذفت «مِنْ»[٣].

وقال أبو رَوق: صغار في الدُّنيا، وعذاب شديد في الآخرة[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾.

قال مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل[٥].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٣).

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٨٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٨) وفيه: «﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ لدينه ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ نزلت في النَّبيِّ ﷺ يعني يوسع قلبه ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ عن دينه ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتَّوحيد يعني أبا جهل حتَّى لا يجد التَّوحيد من الضيق مجازًا».

قوله: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾.

قال ابنُ الأعرابيِّ: الشَّرح: الفتح(١).

قال ابن قُتَيْبة: ومنه يقال: شرحتُ لك الأمر، وشرحتُ اللَّحم: إذا [٢٥٠/ ب] فتحتَه(٢).

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ أي: يوسعْ قلبه للتَّوحيد والإيمان(٣).

وقد روى ابن مسعود أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشَّرح؟ قال: «نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ، فَيَنْفَتِحُ الْقَلْبُ». قالوا: فهل لذلك من أمارة؟ قال: «نَعَمْ». قيل: وما هي؟ قال: «الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»(٤).

قوله: ﴿ضَيِّقًا﴾.

قرأ الأكثرون بالتَّشديد.

وقرأ ابن كثير: «ضَيْقًا»، وفي «الفرقان»: «مَكَانًا ضَيْقًا». بتسكين الياء خفيفة.

---

(١) انظر: التَّفسير الوسيط (٢/ ٣٢٠)، والبحر المحيط (٤/ ٦٢١).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٧٤) من طريق عكرمة، به.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣١٥)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٤٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٦٨)، وفي القضاء والقدر (٣٨٩) من طرق لا تسلم من ضعف عن عبد الله بن مسعود ﷺ، به، بنحوه.

قال أبو عليٍّ: الضَّيِّق، والضَّيْق: مثل الميِّت، والمَيْت[١].

قوله: ﴿حَرَجًا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكِسائِي: ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء.

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الراء[٢].

قال الفرَّاء: وهما لغتان[٣].

وكذلك قال يونس بن حبيب النَّحْوي: هما لغتان. إلا أن الفتح أكثر على ألسنة العرب من الكسر، ومجراهما مجرى الدَّنَفِ والدَّنِفَ.

وقال الزَّجَّاج: الحرج في اللُّغة: أضيق الضِّيق[٤].

قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾.

قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكِسائِي: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بتشديد الصاد والعين وفتح الصَّاد من غير ألف.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يصَّاعد» بتشديد الصَّاد وبعدها ألف.

وقرأ ابن كثير: «يَصْعَد» بتخفيف الصَّاد والعين من غير ألف والصَّاد ساكنة[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٨)، والحجَّة (٣/ ٣٩٩ـ ٤٠٠)، والتَّيسير (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٠).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٨ـ ٢٦٩)، والحجَّة (٣/ ٤٠١ـ ٤٠٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٦ـ ١٠٧).

وقرأ ابن مسعود، وطلحة: «تَصْعَدُ»(١) بتاء من غير ألف(٢).

وقرأ أُبيٌّ بن كعب: « يتَصَاعَد » بألف وتاء(٣).

قال الزَّجَّاج: قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾، وَ«يصَّاعَدُ»(٤)، أصله(٥): «يَتَصَاعَدُ»، و«يَتَصَعَّدُ»، إلا أن التاء تدغم في الصَّاد لقربها منها، والمعنى كأنه قد كُلِّف أن يَصْعَدَ إلى السَّماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأن قلبه يصعد في السَّماء نُبُوًّا عن الإسلام والحكمة(٦).

وقال الفرَّاء: ضاق عليه المذهب، فلم يجد إلا أن يصعد في السَّماء، وليس يقدر على ذلك(٧).

وقال أبو عليٍّ: «يَصَّعَّد» و«يَصَّاعد»: من المشقة، وصعوبة الشيء، ومنه قول عمر: ما تَصَعَّدني شيء كما تصعَّدتني(٨) خطبة النِّكاح، أي: ما شقَّ عليَّ شيء مشقَّتها(٩).

---

(١) في (ر): (يتصعَّد).

(٢) في المصاحف؛ لابن أبي داود (١/ ١٧٦).

(٣) في معاني القراءات (١/ ٣٨٥)، وحجة القراءات (١/ ٢٧١) بلا نسبة.

(٤) من قوله: (قال الزجاج)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) في (ر): (وأصله).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٠).

(٧) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٤).

(٨) في (ر): (ما يصعد في شيء كما تصعدني).

(٩) انظر: الحجَّة (٣/ ٤٠٤).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك.

﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ وفيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه الشَّيطان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ. يعني: أن الله يسلِّطه عليهم.

والثَّاني: أنه المأثم، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد.

و الرَّابع: العذاب، قاله عطاء، وابن زيد، وأبو عبيدة[1].

[٢٥١/أ] والخامس: أنه اللَّعنة في الدُّنيا والعذاب في الآخرة، قاله الزَّجَّاج[2].

وهذه الآية تقطع كلام القَدَريَّة، إذ قد صرَّحت بأن الهداية والإضلال متعلِّقة بإرادة الله تعالى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦].

قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن مسعود.

والثَّاني: التَّوحيد، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٠).

والثَّالث: ما هو(١) عليه من الدِّين، قاله عطاء.

ومعنى استقامته: أنه يؤدِّي بسالكه إلى الفوز.

قال مَكِّي بن أبي طالب: و﴿مُسْتَقِيمًا﴾: نصب على الحال من ﴿صِرَٰطُ﴾، وهذه الحال يقال لها: الحال المؤكدة، لأن صراط الله، لا يكون إلا مستقيمًا، ولم يؤت بها لتفرِّق بين حالتين، إذ لا يتغيَّر صراط الله عن الاستقامة أبدًا، وليست هذه الحال كالحال من قولك: هذا زيد راكبًا. لأن زيدًا قد يخلو من الرُّكوب(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٧].

قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعني الجنَّة.

وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن السَّلام، هو الله، وهي داره، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي.

والثَّاني: أنها دار السَّلامة التي لا تنقطع، قاله الزَّجَّاج(٣).

والثَّالث: أن تحية أهلها فيها السَّلام، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

والرَّابـع: أن جميـع حالاتهـا مقرونـة بالسَّـلام، ففـي ابتـداء دخولهـم: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ [الحجـر:٤٦]، وبعـد اسـتقرارهم: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾ [الرعـد:٢٣-٢٤]، وقولـه تعـالى: ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾ [الواقعـة:٢٦]، وعنـد لقـاء الله تعـالى ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يـس:٥٨]، وقولـه: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ ﴾ [الأحـزاب:٤٤].

ومعنـى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: مضمونـة لهم عنـده، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ أي: متولِّي إيصـال المنافـع إليهـم، ودفـع المضـارِّ عنهـم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ مـن الطَّاعات.

قَوۡلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ ﴾ [الأنعـام: ١٢٨].

قوله: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ يعني الجنَّ والإنس.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ بالياء[١].

قـال أبـو سـليمان: يعنـي: المشركـين وشـياطينهم الذيـن كانـوا يوحـون إليهـم بالمجادلـة لكـم فيـما حرَّمـه الله مـن الميتـة.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٦٩)، والحجَّة (٣/ ٤٠٦)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾.

فيه إضمار تقديره[١]: فيُقال لهم: يا معشر الجنِّ[٢]، والمعشر[٣]: الجماعة أمرهم واحد، والجمع: المعاشر.

وقوله: ﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أي: من إغوائهم وإضلالهم.

﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ يعني الذين أضلَّهم الجنُّ.

﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٍ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن استمتاع الإنس بالجنِّ: أنهم كانوا إذا سافروا، فنزلوا واديًا، وأرادوا مبيتًا، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شرِّ أهله، واستمتاع الجنِّ بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قومهم، ويقولون: قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، [٢٥١/ ب] وبه قال مقاتل، والفرَّاء[٤][٥].

والثَّاني: أن استمتاع الجنِّ بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغرُّونهم به من الضَّلالة والكفر والمعاصي. واستمتاع الإنس بالجنِّ[٦]: أن الجنَّ زَيَّنَتْ لهم

(١) ليست في (ف).

(٢) زيد في (ر): (والإنس).

(٣) في (ر): (المعشر) بدون واو.

(٤) قوله: (والفراء)، ليس في (ر).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٨)، ومعاني القرآن (١/ ٣٥٤).

(٦) في (ر): (والجن).

الأمور الَّتي يهتوونها ويشتهونها[١] إليهم حتى سهل عليهم فعلها، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال محمد بن كعب، والزَّجَّاج[٢].

والثَّالث: أن استمتاع الجنِّ بالإنس: إغواؤهم إيَّاهم. واستمتاع الإنس بالجنِّ: ما يتلقَّون منهم من السِّحر والكهانة ونحو ذلك.

والمراد بالجنِّ في هذه[٣] الآية: الشَّياطين.

قوله: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: الموت، قاله الحسن، والسُّدِّي.

والثَّاني: الحشر، ذكره الماورديُّ[٤].

قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: المثوى: المقام، و﴿خَٰلِدِينَ﴾ منصوب على الحال[٥].

المعنى: النَّار مقامكم في حال خلود دائم، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هو استثناء من يوم القيامة، والمعنى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ مُذْ يبعثون ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومدَّتهم في محاسبتهم.

---

(١) في (ف)، و(ر): (يهونها وشهوها).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

(٣) في (ر): (وهذه) بدلاً من: (في هذه).

(٤) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

ويجوز أن تكون ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يزيدهم من العذاب.

وقال بعضهم: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من كونهم في الدُّنيا بغير عذاب.

وقيل في هذا غير قول، ستجدها مشروحةً في «هود» إن شاء الله تعالى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾.

في معناه أربعة أقوال:

أحدها: جعل بعضهم أولياء بعض، رواه سعيد عن قتادة.

والثَّاني: نُتْبِعُ بعضهم بعضًا في النَّار بأعمالهم من الموالاة، وهي المتابعة، رواه معمر عن قتادة.

والثَّالث: يُسلَّط بعضُهم على بعض، قاله ابن زيد.

و الرَّابع: نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم، ذكره الماورديُّ(١).

قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي: من المعاصي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

---

(١) انظر: النُكت والعيون (٢/ ١٦٩).

قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾.

قرأ الحسن، وقتادة: ﴿تَأْتِكُمْ﴾[١] بالتاء[٢].

﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾

واختلفوا في الرِّسالة إلى الجنِّ على أربعة أقوال:

أحدها: أن الرُّسل كانت تبعث إلى الإنس خاصَّة، وأن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ إلى الإنس والجنِّ، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أن رسل الجنِّ، هم الذين سمعوا القرآن، فولَّوا إلى قومهم منذرين، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

وقال مجاهد: الرُّسل من الإنس، والنُّذر من الجنِّ، وهم قوم يسمعون كلام الرُّسل، فيبلِّغون الجنَّ ما سمعوا[٣].

والثَّالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلًا منهم، كما بعث إلى الإنس رسلًا منهم، قاله الضَّحَّاك[٤]، ومقاتل[٥]، وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام.

والرَّابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلًا منهم، وإنما جاءتهم رسل [٢٥٢/أ]

---

(١) قوله: (قرأ الحسن)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) في التَّحصيل (١/ ٦٧٩) عن الحسن، وابن هرمز.

(٣) انظر: الكشف والبيان (٤/ ١٩١)، والتفسير الوسيط (٢/ ٣٢٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٦٠) من رواية عبيد بن سليمان، به.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٩).

الإِنس، قاله ابن جُرَيْج، والفرَّاء، والزَّجَّاج(١).

قالوا: ولا يكون الجمع في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ مانعًا أن تكون الرُّسل من أحد الفريقين، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]، وإنما هو خارج من المِلْح وحده.

وفي دخول الجنِّ الجنَّة إذا آمنوا قولان:

أحدهما: يدخلونها، ويأكلون ويشربون، قاله الضَّحَّاك.

والثَّاني: [أنَّ](٢) ثوابهم أن يُجاروا من النَّار ويصيروا ترابًا، رواه سفيان عن ليث.

قوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ أي: يقرءون عليكم كتبي، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ أي: يخوِّفونكم بيوم القيامة.

وفي قوله: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ قولان:

أحدهما: أقررنا على أنفسنا بإنذار الرُّسل لنا(٣).

والثَّاني: شهد بعضنا على بعض بإنذار الرُّسل إياهم.

ثم أخبرنا الله تعالى بحالهم، فقال: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: بزينتها وإمهالهم فيها ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أقرُّوا أنهم كانوا في الدُّنيا كافرين.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٦١)، ومعاني القرآن (١/ ٣٥٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٢).

(٢) زيادة من (ر).

(٣) ليست في (ف).

وقال مقاتل: ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشِّرك والكفر[(١)].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ۝١٣١﴾ [الأنعـام: ١٣١].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: ذلـك الـذي قصصنـا عليـك مـن أمـر الرُّسـل، وأمـر عـذاب مـن كـذَّب، لأنـه لم يكـن ربُّـك مهلـك القـرى بظلـم، أي: لا يهلكهـم حتـى يبعـث إليهـم رسـولًا[(٢)].

قال ابن عبَّاسٍ: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لم يأتهم رسول[(٣)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قولـه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: لـكلِّ عامـل بطاعـة الله أو بمعصيتـه درجـات، أي: منـازل يبلغهـا بعملـه، إن كان خـيرًا فخـيرًا، وإن كان شرًّا فـشرًّا.

وإنما سمِّيت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدَّرج.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٣).

(٣) انظر: تفسير الوسيط (٢/ ٣٢٤).

قوله: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

قرأ الجمهور بالياء.

وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: ١٣٣، ١٣٤].

قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ يريد: الغني عن خلقه.

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: بأوليائه وأهل طاعته(٢).

وقال غيره: بالكلِّ.

ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك وقيل: هذا الوعيد لأهل مكَّة.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ أي: ابتدأكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ يعني: آباءهم الماضين.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ به من مجيء السَّعة والحشر ﴿لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ١٦١)، والحجَّة (٣/ ٤٠٩)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٢٤).

قال أبو عبيدة: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ١٣٥].

قوله: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ على الجمع[٢].

قال ابن قُتَيْبة: أي: على موضعكم، يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة[٣]. [٢٥٢/ب]

وقال الزَّجَّاج: اعملوا على تمكُّنكم.

قال: ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه. تقول للرَّجل إذا أمرته أن يثبت على حال: كن على مكانتك[٤].

قوله: ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ أي: عامل ما أمرني به ربِّي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿مَن تَكُونُ﴾ بالتاء.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القراءات (١/ ٣٨٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٣)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٣).

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: بالياء[١]. وكذلك خلافهم في «القصص».

ووجه التَّأنيث: للَّفظ، ووجه التَّذكير: أنه ليس بتأنيث حقيقي.

و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: الجنَّة. و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ هاهنا: المشركون.

فإن قيل: ظاهر هذه الآية أمرهم بالإقامة على ما هم عليه، وذلك لا يجوز؟

فالجواب: أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد، فكأنه قال: أقيموا[٢] على ما أنتم عليه، إن رضيتم بالعذاب، قاله الزَّجَّاج[٣].

فصلٌ

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أن المراد بها التَّهديد؛ فعلى هذا هي محكمة.

والثَّاني: أن المراد بها ترك القتال، فعلى هذا هي منسوخة بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٠)، والحجَّة (٣/ ٤٠٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) من قوله: (أن معنى هذا الأمر)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤).

قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: ﴿ذَرَأَ﴾ بمعنى خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ وهو الزَّرع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم، وكانوا إذا زرعوا، خطُّوا خطًّا، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حصدوا ما جعلوه لله، فوقع منه شيء فيما جعلوه لآلهتهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة، وإذا حصدوا ما جعلوه لآلهتهم، فوقع منه شيء في مال الله، أعادوه إلى موضعه. وكانوا يجعلون من الأنعام شيئًا لله؛ فإذا ولدت إناثها ميتًا أكلوه، وإذا ولدت أنعام آلهتهم ميتًا عظَّموه فلم يأكلوه[(١)].

وقال الزَّجَّاج: معنى الآية: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ وجعلوا لشركائهم نصيبًا، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾، فدلَّ بالإشارة إلى النَّصيبين على نصيب الشُّركاء، وكانوا إذا زكا ما لله، ولم يزكُ ما لشركائهم، ردُّوا الزَّاكي على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غنيٌّ، وإذا زكا ما للأصنام، ولم يزكُ ما لله، أقرُّوه على ما به[(٢)].

قال المفسِّرون: وكانوا يَصرفون ما جعلوا لله إلى الضِّيفان والمساكين.

فمعنى قوله: ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى هؤلاء. ويصرفون نصيب آلهتهم في الزَّرع إلى النَّفقة على خُدَّامها.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

فأما نصيبها في الأنعام ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان للنَّفقة عليها أيضًا.

والثَّاني: أنهم كانوا يتقرَّبون به، فيذبحونه لها.

والثَّالث: أنه البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام. [٢٥٣/أ]

وقال الحسن: كان إذا هلك ما لأوثانهم غَرِموه، وإذا هلك ما لله لم يَغْرَمُوه[١].

وقال ابن زيد: كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان[٢].

فأما قوله: ﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾.

فقرأ الجمهور: بفتح الزَّاي.

وقرأ الكِسَائِي، والأعمش: بضمِّها[٣].

وفي الزَّعْمِ ثلاث لغات:

ضم الزَّاي، وفتحها، وكسرها. ومثله: السُّقْط، والسَّقْط، والسِّقْط[٤]، والفَتْك والفُتْك، والفِتْك، والزَّعم، والزُّعم، والزِّعم.

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٧٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٠)، والحجَّة (٣/ ٤٠٩)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

(٤) ليست في (ر).

قال الفرَّاء: فتح الزاي في الزَّعم، لأهل الحجاز وضمها لأسد وكسرها لبعض قيس فيما يحكي[1] الكِسَائِي[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام: ١٣٧].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح فيما قسموا بالجهل زيَّن.

قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يكون ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مستأنفًا، غير مشارٍ به إلى ما قبله، فيكون المعنى: وهكذا زيَّن.

وقرأ الجمهور: ﴿زَيَّنَ﴾ بفتح الزَّاي والياء، ونصب اللام من ﴿قَتْلَ﴾، وكسر الدَّال من ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾، ورفع «الشُّركاء». ووجه هذه القراءة ظاهر.

وقرأ ابن عامر: بضم زاي «زُيِّن»، ورفع اللام[3]، ونصب الدال من «أولادَهم»، وخفض «الشُّركاء».

قال أبو عليٍّ: ومعناها: قتلُ شركائهم أولادَهمُ؛ ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهذا قبيح، قليل في الاستعمال[4].

---

(١) في (ف)، و(ر): (حكى).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٦).

(٣) يعني: اللام من (قتلُ)

(٤) انظر: الحجَّة (٣/ ٤٠٩ـ ٤١٠)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، والحسن: «زُيِّن» بالرفع، «قتلُ» بالرفع أيضًا، «أولادِهم» بالجرِّ، «شركاؤُهم» رفعًا(١).

قال الفرَّاء: رفع القتل إذا لم يسمَّ فاعله، ورفع الشُّركاء بفعل نواه، كأنه قال: زيَّنه لهم شركاؤهم(٢).

وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة كأنه قيل: مَن زيَّنه؟ فقال: شركاؤهم.

قال مَكِّي بن أبي طالب: وقد روي عن ابن عامر أيضًا أنه قرأ بضم الزاي، ورفع اللام، وخفض الأولاد والشُّركاء؛ فيصير الشُّركاء اسمًا للأولاد، لمشاركتهم للآباء في النَّسب والميراث والدِّين(٣).

وللمفسِّرين في المراد بشركائهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الشَّياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

والثَّاني: شركاؤهم في الشِّرك، قاله قتادة.

والثَّالث: قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفرَّاء، والزَّجَّاج(٤).

والرَّابع: أنهم الغُواة من النَّاس، ذكره الماورديُّ. وإنما أضيف الشُّركاء إليهم، لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، عن علي بن أبي طالب، وفي التَّحصيل (١/ ٦٨٠) عن الحسن، والسُّلمي.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٨).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٤).

وفي الذي زيَّنوه لهم من قتل أولادهم قولان:

أحدهما: أنه وأْد البنات أحياءً خيفة الفقر، قاله مجاهد.

والثَّاني: أنه كان يحلف أحدهم أنه إن وُلد له كذا وكذا غلامًا أن [٢٥٣/ب] ينحر أحدهم، كما حلف عبد المطَّلب في نحر عبد الله، قاله ابن السَّائب، ومقاتل[١].

قوله: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم.

وفي هذه اللام قولان:

أحدهما: أنها لام «كي».

والثَّاني: أنها لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ {القصص:٨} أي: آل أمرهم إلى الرَّدى، لا أنهم قصدوا ذلك.

قوله: ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي: ليخلطوا.

قال ابن عبَّاسٍ: ليُدخلوا عليهم الشَّكَّ في دينهم، وكانوا على دين إسماعيل، فرجعوا عنه بتزيين الشَّياطين[٢].

قوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: كان أهل الجاهليَّة إذا دفنوا بناتهم قالوا: إن الله أمرنا بذلك فقال: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يكذبون وهذا تهديد ووعيد، فهو محكم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٢).

(٢) أورده الواحدي في تفسيره (٢/ ٣٢٨).

وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السَّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨].

قوله: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾.

«الحرث»: الزَّرع، و«الحِجر»: الحرام، والمعنى: أنهم حرَّموا أنعامًا وحرثًا جعلوه لأصنامهم.

قال ابن قُتَيْبة: وإنما قيل للحرام: حِجر، لأنه حُجر على النَّاس أن يصيبوه[١].

وقرأ الحسن، وقتادة: «حُجْر» بضم الحاء[٢].

قال الفرَّاء: يقال: حِجْر، وحُجْر، بكسر الحاء وضمِّها، وهي في قراءة ابن مسعود: «حِرْجٌ»[٣]، مثل: «جذب» و«جبذ»[٤].

وفي هذه الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان:

أحدهما: أنها البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦١).

(٢) في إعراب القرآن؛ للنَّحَّاس (٢/ ٣٤)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٨٠)، وزاد أبا رجاء، والكامل (١/ ٥٤٨) وزاد عبد الوهاب، عن أبي عمرو.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) أُبي بن كعب فقط، وفي المحتسب (١/ ٢٣١)، والمحرَّر الوجيز (٢/ ٣٥١) أُبي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير، والأعمش، وعكرمة، وعمرو بن دينار.

(٤) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٣).

والثَّاني: أنها الذَّبائح [التي][1] للأوثان[2]، وقد سبق ذكرهما.

قوله: ﴿لَا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد.

وفيمن أطلقوا له تناولها قولان:

أحدهما: أنهم منعوا منها النِّساء، وجعلوها للرِّجال، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: عكسه، قاله ابن زيد.

قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ أن هذا التَّحريم زعم منهم، لا حجَّة فيه ولا برهان[3].

وفي قوله: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحام، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: البحيرة، كانوا لا يحجُّون عليها، قاله أبو وائل.

والثَّالث: البحيرة، والسَّائبة، والحام، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

هي قربان آلهتهم، يذكرون عليها اسم الأوثان خاصَّة.

وقال أبو وائل: هي التي كانوا لا يحجُّون عليها[4].

---

(١) من (ر).

(٢) في (ر): (الأوثان).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٨٢).

وقد ذكرنا هذا عنه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾، فعلى قوله، الصِّفتان لموصوف واحد.

وقال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء، لا إن ركبوا، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن نتجوا[1].

وفي قوله: ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾ قولان:

أحدهما: أن ذكر أسماء أوثانهم وترك ذكر الله، هو الافتراء.

والثَّاني: أن إضافتهم ذلك إلى الله تعالى، هو الافتراء؛ لأنهم كانوا [٢٥٤/أ] يقولون: هو حرَّم ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾ [الأنعام: ١٣٩].

قوله: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

يعني بالأنعام: المحرَّمات عندهم، من البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة.

وللمفسِّرين في المراد بما في بطونها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللَّبن، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة.

والثَّاني: الأجنَّة، قاله مجاهد.

والثَّالث: الولد واللَّبن، قاله السُّدِّي، ومقاتل.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥٨٣) من طريق ابن جُرَيْج، به.

قوله: ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾.

قرأ الجمهور: «خالِصَةٌ» على لفظ التَّأنيث[١].

وفيها أربعة أوجه:

أحدها: أنه إنما أُنِّثت[٢]، لأن الأنعام مؤنَّثة، وما في بطونها مثلها، قاله الفرَّاء[٣].

والثَّاني: أن معنى «ما» التَّأنيث، لأنها في معنى الجماعة، فكأنه قال: جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة، قاله الزَّجَّاج[٤].

والثَّالث: أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف، كما قالوا: «علَّامة» و«نسَّابة».

و الرَّابع: أنه أُجري مجرى المصادر التي تكون بلفظ التَّأنيث عن الأسماء المذكَّرة، كقولك: عطاؤك عافية، والرُّخص نعمة، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والضَّحَّاك، والأعمش، وابن أبي عبلة: «خالصٌ» بالرفع، من غير هاء[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٣)، والتَّيسير (١/ ١٠٩).

(٢) في (ر): (أثبت).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤ـ٢٩٥).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن ابن عباس، وفي المحتسب (١/ ٢٣٢) عن ابن عباس وابن مسعود والأعمش بخلاف، وفي إعراب القرآن (٢/ ٣٤) عن الأعمش، وفي التَّحصيل (١/ ٦٨١) ابن مسعود، وابن عباس.

قال الفرَّاء: وإنما ذُكِّر لتذكير «ما»(١).

وقرأ ابن عبَّاسٍ، وأبو رزين، وعكرمة، وابن يعمر: «خالصُهُ» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكَّر(٢).

قال الزَّجَّاج: والمعنى: ما خلص حيًّا(٣).

وقرأ قتادة: «خالصةً» بالنَّصب(٤).

فأما «الذُّكور» فهم الرِّجال، و«الأزواج»: النِّساء.

قوله: ﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً﴾.

قرأ الأكثرون: ﴿يَكُن﴾ بالياء، ﴿مَّيۡتَةً﴾ بالنَّصب، وذلك مردودٌ على لفظ «ما». والمعنى: وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة.

وقرأ ابن كثير: ﴿يَكُن﴾ بالياء، «ميتةٌ» بالرفع.

ووافقه ابن عامر في رفع «الميتة» غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإن تحدث وتقع؛ فجعل «كان»: تامة لا تحتاج إلى خبر.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٨).

(٢) ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، والتَّحصيل (١/ ٦٨١)، وفي المحتسب (١/ ٢٣٢) ابن عباس بخلاف، والزُّهري، والأعمش، وأبو طالوت، وفي الكامل (١/ ٥٤٩) قرأ الشيزري، والأنطاكي عن أبي جعفر، والأصمعي عن نافع، وابن مِقْسَم، وأبو حيوة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٤) في المحتسب (١/ ٢٣٢)، ابن عباس بخلاف، والأعرج، وقتادة، وسفيان بن حسين، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن الزُّهري، وفي التَّحصيل (١/ ٦٨١) قتادة وابن هرمز.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء، «ميتةً» بالنَّصب[١]. والمعنى: وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة.

قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ يعني الرِّجال والنِّساء.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠].

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قتَّلوا» بالتَّشديد[٣].

قال ابن عبَّاسٍ: نزلت في ربيعة، ومضر، والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياءً في الجاهليَّة من العرب[٤].

وقال قتادة: كان أهل الجاهليَّة يقْتل أحدهم بنته مخافة السَّبْي والْفَاقَةِ، وَيَغْذُو كَلْبَهُ[٥].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٠ـ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٤ـ ٤١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٤).

(٤) في الكشف والبيان؛ للثَّعلبي (٤/ ١٩٦) بلا نسبة.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم (٧٩٤٣) في تفسيرهما من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

قال الزَّجَّاج: وقوله: «سفهًا» منصوب على معنى اللام. تقديره: للسَّفه تقول: فعلت ذلك حذر الشَّرِّ[(١)].

وقرأ ابن السَّمَيْفع، والجَحْدَري، ومعاذ القارئ: «سُفَهاءً» برفع [٢٥٤/ ب] السِّين وفتح الفاء والهمزة بالمدِّ وبالنَّصب والهمز[(٢)].

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أي: كانوا يفعلون ذلك للسَّفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرَّموا ما رزقهم الله من الأنعام والحرث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض، فانتشر مما يعرَّش، كالكرم، والقرع، والبِطيخ. وغير معروشات: ما قام على ساق، كالنَّخل، والزَّرع، وسائر الأشجار.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، والبحر المحيط (٤/ ٦٦٣) عن اليماني.

والثَّاني: أن المعروشات: ما أنبته النَّاس. وغير معروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثِّمار، رُويا عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أن المعروشات، وغير المعروشات: الكرم، منه ما عُرِّش، ومنه ما لم يُعرَّش، قاله الضَّحَّاك.

و الرَّابع: أن المعروشات: الكروم التي قد عُرِّش عنبها، وغير المعروشات: سائر الشَّجر الذي لا يعرَّش، قاله أبو عبيدة[1].

و«الأُكُلُ»: الثَّمر.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ قد سبق تفسيره.

قوله: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾.

هذا أمر إباحة وقيل: إنما قدَّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها.

قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾.

قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكِسَائِي: بكسرها، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفرَّاء[2].

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٧).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٣)، والسَّبعة (١/ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٦)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

وفي المراد بهذا الحقِّ قولان:

أحدهما: أنه الزَّكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عبَّاسٍ، وسعيد بن المسيَّب، والحسن، وطاوس، وجابر بن زيد، وابن الحنفيَّة، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، الآية محكمة.

والثَّاني: أنه حقٌّ غير الزَّكاة فُرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزَّرع والثَّمر، قاله عطاء، ومجاهد.

وهل نُسخ ذلك، أم لا؟

إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزَّكاة، وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقي الحكم.

فإن قيل: هل يجب إيتاء الحقِّ يوم الحصاد؟

فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد، وإن قلنا: إنه الزَّكاة؛ فقد ذكرنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النَّخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما الزُّروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد؛ فيؤخَّر إلى زمان التَّنقية، ذكره بعض السَّلف.

والثَّاني: أن اليوم ظرف للحقِّ، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقَّه الذي وجب يوم حصاده بعد التَّنقية.

[٢٥٥/أ] والثَّالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحقَّ لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحقَّ يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى.

وفي قوله: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ ستة أقوال:

أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزَّكاة إلى حدٍّ يُجحف به، قاله أبو العالية، وابن جُرَيْج.

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاس: أن ثابت بن قيس بن شمَّاس صَرَمَ خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئًا، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(١).

والثَّاني: أن الإسراف: منع الصَّدقة الواجبة، قاله سعيد بن المسيَّب.

والثَّالث: أنه الإنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزُّهري.

و الرَّابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطيَّة، وابن السَّائب.

والخامس: أنه خطاب للسُّلطان لئلَّا يأخذ فوق الواجب من الصَّدقة، قاله ابن زيد.

والسَّادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزَّكاة، قاله ابن بحر.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٥١٦) من قول ابن جُرَيْج.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام: ١٤٢].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ هذا نسق على ما قبله، والمعنى: أنشأ جنَّاتٍ، وأنشأ حمولة وفرشًا.

وفي ذلك خمسة أقوال:

أحدها: أن «الحمولة»: ما حمل من الإبل، و«الفرشَ»: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قُتَيْبة[١].

والثَّاني: أن «الحمولة»: ما انتفعت بظهورها، و«الفرش»: الرَّاعية، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ[٢].

والثَّالث: أن[٣] «الحمولة»: الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحمَل عليه. و«الفرش»: الغنم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

و الرَّابع: «الحمولة»: من الإبل. و«الفرش»: من الغنم، قاله الضَّحَّاك.

والخامس: «الحمولة»: الإبل، والبقر. و«الفرش»: الغنم، وما لا يحمل عليه من الإبل، قاله قتادة.

وقرأ عكرمة، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء: «حُمولة» بضم الحاء[٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) في (ر): (عن ابن عمران)!.

(٣) ليست في (ف)، و(ر).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن عيسى، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥١٧)=

قوله: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: لا تحرِّموا ما حرَّمتم مما جرى ذكره، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: طرقه[1].

قال: وقوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾. والزَّوج في اللُّغة: الواحد الذي يكون معه آخر.

قلت: وهذا كلام يفتقر إلى تمام، وهو أن يقال: الزَّوج: ما كان معه آخر[2] من جنسه، فحينئذ يقال لكلٍّ واحد منهما: زوج.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

قوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

﴿ٱلضَّأْنِ﴾[3]: ذوات الصُّوف من الغنم، و﴿ٱلْمَعْزِ﴾: ذوات الشَّعر منها.

=ويقرأ بالضم، وهو جمعُ حمل، وفيه حذف مضاف تقديره: ومن الأنعام ذوات حمولةٍ.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨).

(٢) من قوله: (قلت: وهذا كلام يفتقر)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) ليست في (ر).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: من «المَعَز» بفتح العين.

وقرأ نافع، وحمزة، وعاصم، والكِسَائِي: بتسكين العين(١).

والمراد بـ ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: الذَّكر والأنثى.

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضَّأن والمعز(٢) حرَّم الله عليكم أم [٢٥٥/ب] ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منها؟ المعنى: فإن كان ما حرَّم الله عليكم الذَّكرين. فكل الذُّكور حرام، وإن كان حرَّم الأنثيين، فكلُّ الإناث حرام، وإن كان حرَّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فهي تشتمل على الذُّكور، وتشتمل على الإناث(٣)، وتشتمل على الذُّكور والإناث، فيكون كلُّ جنين حرامًا.

وقال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: ألِحَقَكم التَّحريم من جهة الذَّكرين، أم من جهة الأنثيين؟ فإن قالوا: من جهة الذَّكرين حَرُم عليهم كلُّ ذكر، وإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كلُّ أُنثى، وإن قالوا: من جهة الرَّحم، حَرُمَ عليهم الذَّكر والأنثى.

وقال ابن جرير الطَّبري: إن قالوا: حَرَّم الذَّكرين، أوجبوا تحريم كلِّ ذكر من الضَّأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض الذُّكران منها وظهوره، وفي ذلك فساد دعواهم. وإن قالوا: حرَّم الأنثيين، أوجبوا تحريم لحوم كلِّ أُنثى من ولد الضَّأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) ليست في (ر).

(٣) قوله: (وتشتمل على الإناث)، ليس في (ر).

بعض ذلك وظهوره. وإن قالوا: ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها[١].

قال المفسِّرون: فاحتجَّ الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها، لأنهم كانوا يحرِّمون أجناسًا من النَّعَم[٢]، بعضها على الرِّجال والنِّساء، وبعضها على النِّساء دون الرِّجال.

وفي قوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾.

إبطال لما حرَّموه من البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام.

وفي قوله: ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ إبطال قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَا﴾.

قوله: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: فسِّروا ما حرَّمتم بعلم، أي: أنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتاب[٣].

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ أي: هل شاهدتم الله قد حرَّم هذا، إذا كنتم لا تؤمنون برسول؟.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٢٥).

(٢) في الأصل: (الغنم)، والمثبت من (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٩).

قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد عمرو بن لُحَيٍّ، ومن جاء بعده(١).

والظَّالمون هاهنا: المشركون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قوله: ﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾.

نبَّههم بهذا على أن التَّحريم والتَّحليل، إنما يثبت بالوحي.

وقال طاوس(٢)، ومجاهد(٣): معنى الآية: لا أجد محرَّمًا مما كنتم تستحلُّون في الجاهليَّة إلَّا هذا.

والمراد بالطَّاعم: الآكل.

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلَّا أن يكون المأكول ميتة.

قرأ ابن كثير، وحمزة: «﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ بالياء، ﴿مَيْتَةً﴾ نصبًا.

وقرأ ابن عامر: «إلَّا أن تكون» بالتاء، «ميتةٌ» بالرفع(٤). على معنى: [٢٥٦/أ] إلا أن تقع ميتةٌ، أو تحدث ميتةٌ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٣١).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم (٨٠٠١) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٣٣).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ١٩٣)، والحجَّة (٣/ ٤٢٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ قال قتادة: إنما حُرِّمَ المسفوحُ. فأما اللَّحم إذا خالطه دم، فلا بأس به(١).

وقال الزَّجَّاج: المسفوح: المصْبُوب(٢).

وكانوا إذا ذَكَّوا يأكلون الدَّم كما يأكلون اللَّحم.

و«الرِّجس»: اسم لما يُستقذَر، والعذاب(٣).

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ المعنى: أو أن يكون المأكول فسقًا.

﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: رُفع الصَّوت على ذبحه باسم غير الله، فسُمِّي ما ذُكر عليه غير اسم الله فسقًا.

و«الفسق»: الخروج من الدِّين.

فصلٌ

اختلف علماء النَّاسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة.

ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النَّسخ.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/ ٧٠)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٣٤)، وابن أبي حاتم (٨٠١٣) في تفاسيرهم، من طريق معمر، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٠).

(٣) في (ر): (وللعذاب).

والثَّاني: أنها جاءت جوابًا عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السُّؤال، ثم حُرِّم بعد ذلك ما حُرِّم.

والثَّالث: أنه ليس في الحيوان محرَّم إلا ما ذُكر فيها.

والقول الثَّاني: أنها منسوخة بما ذُكر في «المائدة» من المنخنقة والموقوذة، وفي السُّنَّةِ من تحريم(١) الحُمُر الأهليَّة، وكلِّ ذي ناب من السِّباع، ومخلب من الطَّير.

وقيل: إن آية «المائدة» داخلة في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلَّها ميتة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦].

قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾.

وقرأ الحسن، والأعمش: «ظُفْرٍ» بسكون الفاء(٢).

وهذا التَّحريم تحريم بلوى وعقوبة.

وفي «ذي الظُّفر» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، والنَّعام، والإوَزِّ، والبطِّ، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن جُبَيْر، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

(١) قوله: (من تحريم)، ليس في (ر).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٧)، والتَّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٨٢) عن الحسن، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٦٧٧) أُبي بن كعب، والأعرج.

والثَّاني: أنه[١] الإبل فقط، قاله ابن زيد.

والثَّالث: كلُّ ذي حافر من الدَّوابِّ، ومخلب من الطَّير، قاله ابن قُتَيْبة.

قال: وسمي الحافر ظفرًا على الاستعارة، والعرب تجعل الحافر والأظلاف موضع القدم، استعارة.

وأنشدوا[٢][من الطويل]:

سَأَمْنَعُها أوْ سَوْفَ أجْعَلُ أمْرَهَا إلى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقَّق

أراد قدميه، وإنما الأظلاف للشَّاء والبقر[٣].

قال ابن الأنباريِّ: الظُّفر هاهنا، يجري مجرى الظُّفر للإنسان، وفيه ثلاث لغات أعلاهن: ظُفُر، ويقال: ظُفْر، وأُظفور[٤].

وقال الشَّاعر[٥][من الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَوتَ أدْرَكَ مَنْ مَضَى فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ ذَا جَنَاحٍ وَذَا ظُفُر

---

(١) ليست في (ف).

(٢) البيت لِعُقْفان بنِ قَيْسِ بنِ عَاصِمٍ في لسان العرب (٩/ ٢٢٩)، وسمط اللآلي (ص:٧٤٦)، وتاج العروس (٢٤/ ١١٥)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ١٣١٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٢٠).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٩٩).

(٤) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ٣٣٨).

(٥) البيت بلا نسبة في المذكر والمؤنث (١/ ٣٣٨).

وقال الآخر[١][من الطويل]:

لَقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَظُفْرٍ عَلَى العِدَى   فَأَصْبَحْتُ مَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا ظُفْرِي

وقال الآخر[٢][من الطويل]:

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الْأُولَى إِذَا انْحَدَرَتْ   وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيهَا قِيدُ أُظْفُورِ

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال: [٢٥٦/ب]

أحدها: أنه إنما حرِّم من ذلك شحوم الثُّرُوب[٣] خاصة، قاله قتادة.

والثَّاني: شحوم الثُّرُوب والكُلَى، قاله السُّدِّي، وابن زيد.

والثَّالث: كلُّ شحم لم يكن مختلطًا بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جُرَيْج.

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ **ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنه ما علق بالظَّهر من الشُّحوم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: الأَلْيَة، قاله أبو صالح، والسُّدِّي.

والثَّالث: ما علق بالظَّهر والجنب من داخل بطونها، قاله قتادة.

---

(١) البيت للعتبي كما في الدُّرِّ الفريد (٥/ ٢٨٢)، والتَّذكرة الحمدونيَّة (٤/ ٢٧٤)، وفي الحماسة البصريَّة (١/ ٢٤٠) لطريف أبو وهب العبسي.

(٢) البيت لحميد بن الأرقط في العقد الفريد (٧/ ٢٠٨)، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث (١/ ٣٣٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ١١٩٤).

(٣) الثُّرُوب: جمع ثَرْب: وهي الشَّحم الرَّقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء من الذَّبائح والأنعام. وانظر: المصباح المنير؛ للفيومي (١/ ٨١).

فأما ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾ فللمفسِّرين فيها أقوال تتقارب معانيها.

قال ابن عبَّاسٍ، والحسن، وابن جُبَيْر، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي، وابن قُتَيْبة: هي المَبَاعِرُ[١].

وقال ابن زيد: هي بنات اللَّبن، وهي المرابض التي تكون فيها الأمعاء[٢].

وقال الفرَّاء: الحوايا: هي المَبَاعِرُ، وبنات اللَّبن[٣].

وقال الأصمعي: هي بنات اللَّبن، واحدها: حاوياء، وحاوية، وحَوِيَّة[٤].

قال الشَّاعر[٥][من الرجز]:

أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَهْ ... الْجَاحِظَ العَيْنِ العَظِيمَ الْحَاوِيَهْ

وقال الآخر[٦][من الطويل]:

كَأَنَّ نَقِيقَ الحَبِّ فِي حَاوِيَائِهِ[٧] ... فَحِيحُ الْأَفَاعِي أَوْ نَقِيقُ الْعَقَارِبِ

---

(١) في (ر): (الباعر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم (٨٩٣٩) في تفسيرهما.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٣).

(٤) انظر: الأضداد؛ لابن الأنباريِّ (١/ ٢٢٢).

(٥) البيت لعلي بن أبي طالب في ديوانه (ص: ٢٠٨)، ولسان العرب (١٤/ ٢٠٩)، وكتاب العين (٣/ ٣١٨)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ٢٣١)، والمخصص (٢/ ٣٢).

(٦) البيت لجرير في ذيل ديوانه (ص: ١٠٢١)، ولسان العرب (١٠/ ٣٦٠)، وديوان الأدب (٣/ ١٤٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ١١٢)، ومجمل اللغة (٤/ ٥٤)، والمخصص (١٦/ ٧٤).

(٧) في الأصل و(ج): (حاوياته) بالتاء، والمثبت من (ر) وغيرها، ومصادر البيت.

وقال أبو عبيدة: الحوايا اسم لجميع ما تحوَّى من البطن، أي: ما استدار منها[١].

وقال الزَّجَّاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوَّى من الأمعاء، أي: استدار[٢].

وقال ابن جرير الطَّبري: الحوايا: ما تحوَّى من البطن. فاجتمع واستدار، وهي بنات اللَّبن، وهي المَبَاعِرُ، وتسمَّى: المرابض، وفيها الأمعاء[٣].

قوله: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه شحم البطن والأَلْية، لأنهما على عظم، قاله السُّدِّي.

والثَّاني: كلُّ شحم في القوائم، والجنب، والرَّأس، والعينين، والأذنين، فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جُرَيْج[٤].

واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما حلال، بالاستثناء من التَّحريم.

فأما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان:

أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح، والمعنى: وأُبيح لهم ما حملت الحوايا من الشَّحم، وما اختلط بعظم، وهذا قول الأكثرين.

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للنَّحَّاس (٢/ ٥١١)، وغريب الحديث (٣/ ٣٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠١).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٤٣).

(٤) في (ف): (ابن جرير).

والثَّـاني: أنـه نسـق عـلى مـا حـرِّم، لا عـلى الاسـتثناء. فالمعنـى: حرَّمنـا عليهـم شـحومهما، أو الحوايـا، أو مـا اختلـط بعظـم، إلا مـا حملـت الظُّهـور، فإنـه غـير محـرَّم، قالـه الزَّجَّـاج(١).

فأمـا «أو» المذكـورة هاهنـا، فهـي بمعنـى الـواو، كقولـه تعـالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسـان:٢٤].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: ذلك التَّحريم عقوبة لهم على بغيهم.

وفي بغيهم قولان:

أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الرِّبا.

والثَّاني: أنه تحريم ما أحلَّ لهم.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعـام: ١٤٧].

[٢٥٧/أ] قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾.

قـال ابـن عبَّـاسٍ: لـمَّا قـال رسـول الله ﷺ للمشركـين: «هَـذَا مَـا أُوحِـيَ إِلَيَّ أَنَّـهُ مُحَـرَّمٌ عَـلَى الْمُسْـلِمِينَ وَعَـلَى الْيَهُـودِ»، قالـوا: فإنـك لم تصـب، فنزلـت هـذه الآية(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠١).

(٢) لم نقف عليه.

وفي المكذِّبين قولان:

أحدهما: المشركون، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: اليهود، قاله مجاهد.

والمراد بذكر الرَّحمة الواسعة، أنه لا يعجل بالعقوبة. والبأس: العذاب.

وفي المراد بالمجرمين قولان:

أحدهما: المشركون.

والثَّاني: المكذِّبون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: إذا لزمتْهم الحجَّة، وتيقَّنوا باطل ما هم عليه من الشِّرك وتحريم ما لم يحرِّمه الله ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾، فجعلوا هذا حجَّة لهم في إقامتهم على الباطل، فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه، وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لِمَ تقولون عن مخالفيكم: إنهم ضالُّون، وإنما هم على المشيئة أيضًا؟ فلا حجَّة لهم؛ لأنهم تعلَّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعمُّ جميع الكائنات، وأمره لا يعمُّ مراداته، فعلى العبد اتِّباع الأمر، وليس له أن يتعلَّل بالمشيئة بعد ورود الأمر.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: أي: قالوا لرسلهم مثلما قال هؤلاء لك.

﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾ أي: عذابنا.

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ أي: كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرَّمتم.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ لا اليقين، و«إن» بمعنى «ما».

و﴿تَخۡرُصُونَ﴾: تكذبون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩].

قوله: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾.

قال الزَّجَّاج: حجَّته البالغة: تبيينه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج المعجزة[1].

قال السُّدِّي: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يوم أخذ الميثاق[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠﴾ [الأنعام: ١٥٠].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٥٦١).

قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾.

قال الزَّجَّاج: زعم سيبويه أن هَلُمَّ: هاء ضُمَّت إليها «لُمَّ»، وجعلتا كالكلمة الواحدة، فأكثر اللُّغات أن يقال: «هلمَّ»: للواحد والاثنين والجماعة، بذلك جاء القرآن. ومن العرب من يثنِّي ويجمع ويؤنِّث، فيقول للذَّكر: «هلمَّ»، وللمرأة: «هلمِّي»، وللاثنين «هلمَّا»، وللثنتين: «هلمَّا»، وللجماعة: «هلمُّوا»، وللنِّسوة: «هلمُمْن»[١].

وقال ابن قُتَيْبة: هَلُمَّ، بمعنى: «تعال». وأهل الحجاز لا يثنُّونها ولا يجمعونها، وأهل نجد يجعلونها من «هَلمَمْتُ»؛ فيثنُّون ويجمعون ويؤنِّثون، وتوصل باللام، فيقال: «هلمَّ لك»، «وهلمَّ لكما»[٢].

قال: وقال الخليل: أصلها «لُمَّ»، وزيدت الهاء في أوَّلها[٣].

وخالفه الفرَّاء فقال: أصلها «هل» ضُّم إليها «أُمَّ»، والرَّفعة التي في اللام من همزة «أُمَّ» لما تركت انتقلت إلى ما قبلها، وكذلك «اللهُمَّ» يرى أصلها: «يا ألله أُمَّنا بخير» فكثرت في الكلام، فاختلطت، وتركت[٢٥٧/ب] الهمزة[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٣).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٩٥).

(٣) هَلُمَّ: كلمةُ دعوةٍ إلى شَيْء. التَّثنيةُ والجمعُ والوحدان والتَّأنيثُ والتَّذكيرُ فيه سواءٌ، إلَّا في لغة بني سعدٍ فإنَّهم يحملونَهُ على تَصريفِ الفِعْل، فيقولون: هلُمَّا وهلُمُّوا ونحو ذلك. انظر: العين (٤/ ٥٦)

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٠٣).

وقال ابن[١] الأنباريِّ: معنى «هَلُمَّ»: أَقْبِل، وأصله: «أُمَّ يا رجل»، أي: «اقصد»، فضمُّوا «هل» إلى «أُمَّ» وجعلوهما حرفًا واحدًا، وأزالوا «أُمَّ» عن التَّصرف، وحوَّلوا ضمَّة همزة «أُمَّ» إلى اللام، وأسقطوا الهمزة، فاتصلت الميم باللام[٢]. وإذا قال الرَّجل للرَّجل: «هَلُمَّ»، فأراد أن يقول: لا أفعل، قال: لا أَهْلُمُّ، ولا أَهَلُمُّ[٣].

قال مجاهد: هذه الآية جواب قولهم: إن الله حرَّم البحيرة، والسَّائبة[٤].

قال مقاتل: ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الحرث والأنعام، ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ أن الله حرَّمه ﴿فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡ﴾ أي: لا تصدِّق قولهم[٥].

قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ «ما» بمعنى «الذي».

وفي «لا» قولان:

أحدهما: أنها زائدة كقوله: ﴿أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف:١٢].

---

(١) سقطت من (ر).

(٢) في (ر): (فانقلبت الميم واللام) بدلاً من قوله: (فاتصلت الميم باللام).

(٣) انظر: الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (٢/ ٢٥٣ـ ٢٥٤).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٥٥)، وابن أبي حاتم (٨٠٥٣) في تفسيرهما.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٤).

والثَّاني: أنها ليست زائدة، وإنَّما هي نافية.

فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾، محمولاً على المعنى، فتقديره: أتلُ عليكم أن لا تشركوا، أي: أتلُ تحريم الشِّرك.

والثَّاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا، لأن قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحسانًا، ذكرهما الزَّجَّاج[1].

والثَّالث: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾.

ثم في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها إغراء، كقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، فالتقدير: عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الأنباريِّ.

والثَّاني: أن يكون بمعنى: فُرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا.

وفي هذا الشِّرك قولان:

أحدهما: أنه ادِّعاء شريك مع الله ﷻ.

والثَّاني: أنه طاعة غيره في معصيته.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾ يريد دفن البنات أحياءً ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: من خوف فقر.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٤).

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الفواحش: الزِّنا، وما ظهر منه: الإعلان به، وما بطن: الاستسرار به، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، والسُّدِّي.

والثَّاني: أن ما ظهر: الخمر، ونكاح المحرَّمات، وما بطن: الزِّنا، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد.

والثَّالث: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزِّنا، قاله الضَّحَّاك.

والرَّابع: أنه عامٌّ في الفواحش، وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سِرُّها، قاله قتادة.

والخامس: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب[1]، ذكره الماورديُّ في تفسير هذا الموضع[2]، وفي تفسير قوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠][3].

و﴿النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: نفس مسلم أو معاهد.

والمراد ﴿بِالْحَقِّ﴾: إذن الشَّرع.

---

(١) في (ر): (القلب).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٨٦).

(٣) النظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٦١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

إنما خصَّ مال اليتيم[١]؛ لأن الطَّمع فيه لقلَّة مراعيه وضعف مالكه أقوى.

وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله [٢٥٨/أ] ابن عبَّاسٍ، وابن زيد.

والثَّاني: أنه[٢] التِّجارة فيه، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، والضَّحَّاك، والسُّدِّي.

والثَّالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السَّائب.

و الرَّابع: أنه حفظه عليه، وتثميره له، قاله الزَّجَّاج[٣].

قال: و﴿حَتَّىٰ﴾ محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشدَّه، فإذا بلغ أشدَّه، فادفعوه إليه.

فأما «الأشُدُّ» فهو استحكام قوة الشَّباب والسِّنِّ.

---

(١) قوله: (إنما خصَّ مال اليتيم)؛ ليس في (ر).

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٥).

قال ابن قُتَيْبة: ومعنى الآية: حتى يتناهى في النَّبات إلى حدِّ الرِّجال. يقال: بلغ أشدَّه: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النُّقصان[١].

وقال أبو عبيدة: «الأَشُدُّ» لا واحد له منه؛ فإن أُكرهوا على ذلك، قالوا: شَدَّ، بمنزلة[٢]: ضَبَّ، والجمع: أَضُبُّ[٣].

قال ابن الأنباريِّ: وقال جماعة من البصريين: واحد الأشُدِّ: شُدٌّ، بضم الشين[٤].

وقال بعض البصريين: واحد الأشُدِّ: شِدَّةٌ، كقولهم: نِعمة، وأنْعُم.

وقال بعض أهل اللُّغة: الأشُدُّ: اسم لا واحد له.

وللمفسِّرين في «الأَشُدِّ» ثمانية أقوال:

أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أربعون سنة، روي عن عائشة ﷺ.

و الرَّابع: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومقاتل.

والخامس: خمس وعشرون سنة؛ قاله عكرمة.

---

(١) في غريب القرآن (١/ ٢٥٤): «يتناهَى في الثَّبات إلى حدِّ الرِّجال».

(٢) في (ر): (معنى).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٧٨).

(٤) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ٥٩٦).

والسَّادس: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان الثَّوري.

والسَّابع: ثلاثون سنة، قاله السُّدِّي. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء:٦] فكأنه يشير إلى النَّسخ.

والثَّامن: بلوغ الحلم، قاله زيد بن أسلم، والشَّعبي، ويحيى بن يعمر، وربيعة، ومالك بن أنس.

وهو الصَّحيح، ولا أظنُّ بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله فسَّروا هذه الآية بما ذُكر عنهم، وإنما أظنُّ الذين جمعوا التَّفاسير، نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ [يوسف:٢٢] إلى هذا المكان، وذلك نهاية الأشدِّ، وهذا ابتداء تمامه، وليس هذا مثل[١] ذاك.

قال ابن جرير: وفي الكلام محذوف، تُرك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حُذف، لأن المعنى: حتى يبلغ أشدَّه؛ فإذا بلغ أشدَّه[٢]، فآنستم منه رشدًا، فادفعوا إليه ماله[٣].

قال الشَّيخ[٤]: إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية، فليس بصحيح، وإنما استفدنا إيناس الرُّشد والابتلاء من آية أخرى[٥].

---

(١) في (ر): (ابتداء).

(٢) قوله: (فإذا بلغ أشده)، ليس في (ر).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٦٤).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ر)، وفي (ف): (قال المصنِّف).

(٥) وفي (ر)، وحاشية الأصل، جاءت هذه العبارة بطريقة أخرى، هكذا: (وهذا الذي ذكره ابن جرير ليس بصحيح؛ لأنه ليس في الآية إيناس الرُّشد، وإنما استفيد من سورة=

[٢٥٨/ب] قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي: أتموه ولا تنقصوا منه.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: وَزْنَ الميزان.

و«القسط»: العدل.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما يسعها، ولا يضيق عنه.

قال القاضي أبو يعلى: لمَّا كان الكيل والوزن يتعذَّر فيهما التَّحديد بأقل القليل، كُلِّفنا الاجتهاد في التَّحري، دون تحقيق الكيل والوزن.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾.

أي: إذا تكلَّمتم أو شهدتم، فقولوا الحقَّ، ولو كان المشهود له أو[١] عليه ذا قرابة.

و«عَهْد الله» يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتذَّكَّروه[٢] وتأخذوا به.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تذَّكَّرون» و«يذَّكَّرون»[٣] و«يذَّكَّر الإنسان» و«أن يذَّكَّر» و«ليذَّكَّروا» مشددًا ذلك كله.

=«النِّساء» إيناس الرُّشد، وابتلاء اليتامى، فوجب حمل هذا المطلق على ذلك التقييد).

(١) قوله: (له أو)، ليس في (ر).

(٢) في (ر): (ليتذكَّروه).

(٣) في (ر): (ويتذكَّرون).

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر كلَّ ذلك بالتَّشديد، إلا قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَـٰنُ﴾ [مريم:٦٧] فإنهم خفَّفوه.

روى أبان، وحفص عن عاصم: «تذْكرون» خفيفة الذال في جميع القرآن.

قرأ حمزة، والكِسَائِي: «يذَّكَّرون» مشددًا إذا كان بالياء، ومخففًا إذا كان بالتاء[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قوله: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الألف مع تشديد النون[٢].

قال الفرَّاء: إن شئت جعلت «أن» مفتوحة بوقوع «أتل» عليها، وإن شئت جعلتها خفضًا، على معنى: ذلكم وصَّاكم به، وبأن هذا صراطي مستقيمًا[٣].

وقرأ ابن عامر بفتح الألف أيضًا، إلا أنه خفَّف النون، فجعلها مخفَّفة من الثقيلة، وحكم إعرابها حكم تلك.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: بتشديد النون مع كسر الألف.

قال الفرَّاء: وكسر الألف على الاستئناف[٤].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٢)، والحجَّة (٣/ ٤٢٥)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٣)، والحجَّة (٣/ ٤٣٥)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٤).

(٤) انظر: المصدر السابق.

وفي «الصِّراط» قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

والثَّاني: الإسلام.

وقد بيَّنا إعراب قوله: ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ آنفًا.

فأما ﴿ٱلسُّبُلَ﴾.

فقال ابن عبَّاسٍ: هي الضَّلالات[١].

وقال مُجَاهِد: البدع والشُّبهات[٢].

وقال مقاتل: أراد ما حرَّموا على أنفسهم من الأنعام والحرث[٣].

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: فتضلِّكم عن دينه.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام: ١٥٤].

قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٠٣) في تفسيرهما، من طريق عطية العَوْفي، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٠٤) في تفسيرهما، من طريق شبل، عن ابن أبي نجيح، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٧).

قال الزَّجَّاج: «ثُمَّ» هاهنا للعطف على معنى التِّلاوة، فالمعنى: أتل ما حرَّم ربُّكم، ثم أتل عليكم ما آتاه الله موسى[(١)](٢).

وقال ابن الأنباريِّ: الذي بعد «ثُمَّ» مقدَّم على الذي قبلها في النيَّة، والتَّقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾.

في قوله: ﴿تَمَامًا﴾ قولان:

أحدهما: أنها كلمة متَّصلة بما بعدها، تقول: أعطيتك كذا تمامًا على كذا، وتمامًا لكذا، وهذا قول الجمهور. [٢٥٩/أ]

والثَّاني: أن قوله: ﴿تَمَامًا﴾ كلمة قائمة بنفسها، غير متَّصلة بما بعدها، والتَّقدير: آتينا موسى الكتاب تمامًا، أي: في دفعة واحدة، لم نفرِّق إنزاله كما فُرِّق إنزال القرآن، ذكره أبو سليمان الدِّمشقي.

وفي المشار إليه بقوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه الله ﷻ.

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: تمامًا على إحسان الله تعالى إلى أنبيائه، قاله ابن زيد.

والثَّاني: تمامًا على إحسان الله ﷻ إلى موسى.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

وعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى «ما».

والقول الثَّاني: أنه إبراهيم الخليل؛ فالمعنى: تمامًا للنِّعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله تعالى؛ فكانت نُبُوَّة موسى نعمة على إبراهيم، لأنه من ولده، ذكره الماورديُّ[(١)].

والقول الثَّالث: أنه كلُّ محسن من الأنبياء، وغيرهم.

وقال مُجَاهِد: تمامًا على المحسنين، أي: تمامًا لكلِّ محسن[(٢)].

وعلى هذا القول، يكون «الذي» بمعنى «مَن»، و«على» بمعنى لام الجر، ومن هذا قول العرب: أتمَّ عليه، وأتمَّ له.

قال الرَّاعي[(٣)][من الوافر]:

رَعَتْهُ أَشْهُراً وَخَلاَ عَلَيْهَا ....

أي: لها.

قال ابن قُتَيْبة: ومثل هذا أن تقول: أُوصي بمالي للذي غزا وحجَّ، تريد: للغازين والحاجِّين[(٤)].

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٧٤) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) البيت للرَّاعي النُّميري، أبو جندل، عبيد بن حصين، من بني نمير، كان سيِّدًا في قومه، وسمِّي بالراعي؛ لأنه أكثر من وصف راعي الإبل في شعره.
وتمام البيت: (فطارَ النِّيُّ فِيهَا واسْتَغارا). انظر: المخصص (٤/ ٢٣٩)، والزَّاهر (١/ ٢١٣)، ولسان العرب (٥/ ٣٨).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٢٧).

والقول الرَّابع: أنه موسى.

ثم في معنى: ﴿أَحْسَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أَحْسَنَ في الدُّنيا بطاعة الله ﷻ.

قال الحسن، وقتادة[١]: تمامًا لكرامته في الجنَّة إلى إحسانه في الدُّنيا.

وقال الرَّبيع: هو إحسان موسى بطاعته[٢].

وقال ابن جرير: تمامًا لنعمنا[٣] عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهينا[٤].

والثَّاني: أحسن من العلم وكُتُب اللهِ القديمةِ، فكأنه زيد على ما أحسنه من التَّوراة، ويكون «التَّمام» بمعنى الزِّيادة، ذكره ابن الأنباريِّ.

فعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى: «ما».

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي، وأبو رزين، والحسن، وابن يَعْمَرَ: «على الذي أحسنُ»، بالرَّفع[٥].

قال الزَّجَّاج: معناه: على الذي هو أحسن الأشياء[٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم (٨١١٢) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ٦٧٦) بلفظ: «فِيمَا أَعْطَاهُ اللهُ».

(٣) في (ر): (لنعمتنا).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٧٧).

(٥) في المحتسب (١/ ٢٣٤)، والتَّحصيل (١/ ٧٠٢)، والكامل (١/ ٥٤٩) قراءة ابن يَعْمَرَ، و الحسن، وأحمد، والكِسَائِي عن أبي جعفر، وشِبْل.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

وقرأ عبد الله بن عمرو، وأبو المتوكِّل، وأبو العالية: «على الذي أُحْسِنَ» برفع الهمزة وكسر[١] السين وفتح النون[٢]. وهي تحتمل الإحسان[٣]، وتحتمل العلم[٤].

قوله: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تبيانًا لكلِّ شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ يعني القرآن ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾ أن تخالفوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: لتكونوا راجين للرَّحمة[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾.

---

(١) في (ر): (وبكسر).

(٢) لم نقف على هذه القراءة.

(٣) في (ر): (الإنسان)!.

(٤) قوله: (وتحتمل العلم)، ليس في (ر).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٦).

قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾.

سبب نزولها:

أن كفار مكَّة قالوا: قاتل الله اليهود والنَّصارى، كيف كذَّبوا أنبياءهم فوالله لو جاءنا نذير وكتاب، لكنَّا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية، قاله [٢٥٩/ ب] مقاتل (١).

قال الفرَّاء: «أن» في موضع نصب في مكانين: أحدهما: أنزلناه لئلَّا تقولوا. والآخر: من قوله: واتقوا أن تقولوا(٢).

وذكر الزَّجَّاج عن البصريِّين، أن معناه: أنزلناه، كراهة أن تقولوا، ولا يجيزون إضمار «لا»(٣).

فأما الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكَّة، والمراد إثبات الحجَّة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا(٤) يوم القيامة: إن التَّوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنَّصارى، وكنا غافلين عمَّا فيهما.

و﴿دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم الكتاب.

قال الكِسَائِي: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتبهم لم تكن بلُغَتِنَا، فأنزل الله تعالى كتابًا بلغتهم لتنقطع حجَّتهم(٥).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٧).

(٤) في (ر): (لا تقولوا).

(٥) انظر: المصدر السابق.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعـام: ١٥٧].

قوله: ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: إنـما كانـوا يقولـون هـذا، لأنهـم مُدِلُّـون بالأذهـان والأفهـام، وذلـك أنهـم كانـوا[1] يحفظـون أشـعارهم وأخبارهـم، وهـم أُمِّيُّـون لا يكتبـون[2].

﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي: ما فيه البيان وقطع الشُّبهات.

قـال ابـن عبَّـاسٍ: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي: حجَّـة، وهـو النَّبـيُّ، والقـرآن، والهـدى، والبيـان، والرَّحمـة، والنِّعمـة[3].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: أكفر.

﴿مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني محمدًا والقرآن.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض فلم يؤمن بها.

و﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ قبيحه.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) هكـذا جـاء الكلام في معـاني القـرآن وإعرابـه (٢/ ٣٠٧): لأنهـم كانـوا مُدِلِّـين بالأذهـان وحُسْـنِ الأفهـام، وذلـك أنهـم يحفظـون أشـعارهم وأخبارهـم وآثارهـم.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٤٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «يأتيهم» بالياء(١).

وهذا الإتيان لقبض أرواحهم.

وقال مقاتل: المراد بالملائكة: ملك الموت وحده(٢).

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾.

قال الحسن: أو يأتي أمْرُ ربِّك(٣).

وقال الزَّجَّاج: أو يأتيَ إهلاكه وانتقامه، إمَّا بعذاب عاجل، أو بالقيامة(٤).

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٣_ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٨).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٤) بلفظ: وجاء أمر ربك، وقضاء ربك، لأن في يوم القيامة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٧).

روى عبد الوارث إلا القزَّاز تسكين ياء «أو يأتي»، وفتحها الباقون(١).

وفي هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنه طلوع الشَّمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدريُّ عن النَّبيِّ ﷺ(٢)، وبه قال ابن مسعود في رواية زرارة بن أوفى عنه، وعبد الله بن عمرو، ومُجاهِد، وقتادة، والسُّدِّي.

وقد روى البخاريُّ، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ، آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾**»(٣).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنَ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ، طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ**»(٤). [٢٦٠/أ]

والثَّاني: أنه طلوع الشَّمس والقمر من مغربها، رواه مسروق عن ابن مسعود.

---

(١) في الكامل (١/ ٥٥٠) عن عبد الوارث.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣١)، وعبد بن حميد (٩٠٢)، والتِّرمذي (٣٠١٧) وغيرهم من طُرق عن وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن عطية العَوْفي، به، بنحوه
قال التِّرمذي: هذا حديث حسن غريب، رواه بعضهم، ولم يرفعه.

(٣) البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٩٢)، والطَّبراني في الأوسط (٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٢٠) وصحَّحه العلَّامة أحمد شاكر.

والثَّالث: أنه إحدى الآيات الثَّلاث، طلوع الشَّمس من مغربها، والدَّابَّة، وفتح يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود.

والرَّابع: أنه طلوع الشَّمس من مغربها، والدَّجَّال، ودابَّة الأرض، قاله أبو هريرة. والأول أصح.

والمراد بالخير هاهنا: العمل الصالح، وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان.

وقال الضَّحَّاك: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قُبِل منه، كما يُقبل منه قبل الآية(١).

وقيل: إن الحكمة في طلوع الشَّمس من مغربها، أن الملحدة والمنجِّمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله تعالى قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، وليتحقَّق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٢٩).

فصلٌ

وفي قوله: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن المراد به التَّهديد، فهو محكم.

والثَّاني: أنه أمر بالكفِّ عن القتال، فهو منسوخ بآية السَّيف.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿فَرَّقُواْ﴾ مشدَّدة.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «فارقوا» بألف.

وكذلك قرءوا في «الرُّوم»[(١)].

فمن قرأ: «فرَّقوا»، أراد: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. ومن قرأ: «فارقوا»، أراد: باينوا.

وفي المشار إليهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل الضَّلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة.

والثَّاني: أنهم اليهود والنَّصارى، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك، وقتادة، والسُّدِّي.

والثَّالث: اليهود، قاله مُجاهِد.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٣٨)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

والرَّابع: جميع المشركين، قاله الحسن.

فعلى هذا القول، دينهم: الكفر الذي يعتقدونه دينًا، وعلى ما قبله، دينهم: الذي أمرهم الله به.

و«الشِّيَع»: الفرق والأحزاب.

قال الزَّجَّاج: ومعنى «شيَّعتُ» في اللُّغة: اتَّبعت. والعرب تقول: شاعكم السَّلام، وأشاعكم، أي: تبعكم.

قال الشَّاعر(١)[من الوافر]:

ألا يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... بَرُوْدِ الظِّلِّ شَاعَكُم السَّلَامُ

وتقول: أتيتك غدًا، أو شِيَعة، أي: أو اليوم الذي يتبعه.

فمعنى الشِّيَعة: الذين يتبع بعضهم بعضًا، وليس كلهم متَّفقين.

وفي قوله: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ قولان:

أحدهما: لست من قتالهم في شيء، ثم نُسخ بآية السَّيف، وهذا مذهب السُّدِّي.

والثَّاني(٢): لست منهم، أي: أنت بريء منهم، وهم منك براء، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم، فتكون الآية محكمة.

---

(١) البيت للأحوص في ديوانه (ص: ١٩٠)، وخزانة الأدب (٢/ ١٩٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٩)، ولسان العرب (٨/ ١٩١)، وتاج العروس (٢١/ ٣٠٤).

(٢) في (ف): (والثالث).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

وقرأ يعقوب، والقزَّاز عن عبد الوارث: «عَشْرٌ» بالتنوين، «أمثالُها» بالرفع[1]. [٢٦٠/ب]

قال ابن عبَّاسٍ: يريد من عَمِلَها، كتبت له عشر حسنات[2].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ﴾ إلَّا جزاء مِثْلِها.

وفي الحسنة والسَّيئة هاهنا قولان:

أحدهما: أن «الحسنة»: قول لا إله إلا الله. و«السَّيئة»: الشِّرك، قاله ابن مسعود، و مُجاهِد، والنَّخعي.

والثَّاني: أنه عامٌّ في كل حسنة وسيِّئة.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٧) عن الحسن، وفي الكامل (١/ ٥٥٠) قراءة عبد الوارث، ومحبوب، وهارون، ويونس عن أبي عَمْرٍو، ويَعْقُوب، وسهل، والْجَحْدَرِي، والحسن، و مُجَاهِد، والْأَعْمَش، والزَّعْفَرَانِي، وابْن مِقْسَم، وأبو حنيفة، وفي التَّحصيل (١/ ٧٠٣) الحسن ويعقوب الحضرمي.

(٢) يشير لحديث ابن عباس الذي رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) عن النَّبيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذرٍّ عن النَّبيِّ ﷺ قال: يقول الله ﷻ: «**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ**»[1].

فإن قيل: إذا كانت الحسنة كلمة التَّوحيد، فأي مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها؟

فالجواب: أن جزاء الحسنة معلوم القدر عند الله، فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله، وكذلك السَّيئة.

وقد أشرنا إلى هذا في «المائدة» عند قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية:٣٢].

فإن قيل: المثل مذكَّر، فلم قال: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والهاء إنما تسقط في عدد المؤنَّث؟

فالجواب: أن الأمثال خلقت حسنات مؤنثة، وتلخيص المعنى: فله عشر حسنات أمثالها، فسقطت الهاء من عشر، لأنها عدد مؤنَّث، كما تسقط عند قولك: عشر نعال، وعشر جباب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

---

(١) مسلم (٢٦٨٧).

قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[١]﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: دلَّني على الدِّين الذي هو دين الحقِّ. ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾[٢].

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قَيِّمًا» مفتوحة القاف، مشدَّدة الياء.

والقيِّم: المستقيم.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: «قِيَمًا» بكسر القاف وتخفيف الياء[٣].

قال الزَّجَّاج: وهو مصدر، كالصِّغَر والكِبَر[٤].

وقال مَكِّي: من خفَّفه بناه على «فِعَل»، وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: «قِوَمًا» كما قالوا: عِوَض، وحِوَل، ولكنه شذَّ عن القياس[٥].

قال الزَّجَّاج: ونصب قوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ محمول على المعنى، لأنه لما قال: «هداني» دلَّ على عرَّفني دينًا، ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فالمعنى: هداني صراطًا مستقيمًا دينًا قيمًا.

---

(١) قوله: (إلى صراط مستقيم)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٠).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٣٩)، والتَّيسير (١/ ٢٢٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٠).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٩).

و﴿حَنِيفًا﴾ منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: هداني ملَّة إبراهيم في حال حنيفيَّته.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ يريد: الصَّلاة المشروعة.

و«النُّسك»: جمع نسيكة.

وفي النُّسك هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنها الذَّبائح، قاله ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن جُبَيْر، ومُجاهِد، وابن قُتَيْبة[١].

والثَّاني: الدِّين، قاله الحسن.

والثَّالث: العبادة.

قال الزَّجَّاج: «النُّسك» كلُّ ما تُقُرِّب به إلى الله ﷻ، إلا أن الغالب عليه أمر الذَّبح[٢].

والرَّابع: أنه الدِّين، والحجُّ، والذَّبائح، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. [٢٦١/أ]

قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾.

الجمهور على تحريك ياء «محياي»، وتسكين ياء «مماتي».

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١١).

وقرأ نافع: بتسكين ياء «محياي»، ونصب ياء «مماتي»[(١)].

ثم للمفسِّرين في معناه قولان:

أحدهما: أن معناه: لا يملك حياتي ومماتي إلا الله.

والثَّاني: حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه.

ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما تشركون أنتم به.

قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قال الحسن[(٢)]، وقتادة[(٣)]: أوَّل المسلمين من هذه الأمَّة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤].

قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾.

سبب نزولها:

أن كفار قريش قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك الكُفلاء بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل[(٤)].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٤)، والحجَّة (٣/ ٤٤٠)، والتَّيسير (١/ ١٠٨).

(٢) لم نقف عليه مسندًا.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (٨١٨٤) في تفسيرهما، من طريق معمر، به، بنحوه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٦٠٠).

قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا يُؤخذُ سواها بعملها.

وقيل: المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

قال الزَّجَّاج: لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أخرى(١).

والمعنى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره.

قال أبو سليمان: ولما ادَّعت كلُّ فرقة من اليهود والنَّصارى والمشركين أنهم أولى بالله من غيرهم؛ عرَّفهم أنه الحاكم بينهم يوم القيامة بقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، ونظيره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الحج:١٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾.

قال أبو عبيدة: الخلائف: جمع خليفة(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٩).

قال الشَّمَّاخ(١)[من الوافر]:

تُصيبُهُمْ وتُخْطِئُني المَنَايا ... وَأَخْلُفُ في رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعِ

وللمفسِّرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خلفوا الجنَّ الذين كانوا سكَّان الأرض، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أن بعضهم يخلُف بعضًا، قاله ابن قُتَيْبة(٢).

والثَّالث: أن أمة محمد ﷺ خلفت سائر الأمم، ذكره الزَّجَّاج(٣).

قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: في الـرِّزق، والعلم، والشَّرف، والقوة، وغير ذلك.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيظهر منكم ما يكون عليه الثَّواب والعقاب.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه سمَّاه سريعًا، لأنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ.

والثَّاني: أنه إذا شاء العقوبة، أسرع عقابه.

آخر تفسير سورة الأنعام(٤).

---

(١) البيت للشَّمَّاخ بن ضرار في ديوانه (ص: ٢٢٤)، ولسان العرب (٨/ ١٠٢-٩/ ٨٩)، وتهذيب اللُّغة (٢/ ٣٦٩)، وتاج العروس (٢١/ ٢٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٢).

(٤) قوله: (آخر تفسير سورة الأنعام)، ليس في (ف).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة المائدة	
١	٥
٢	٩
٣	٢١
٤	٣٣
٥	٣٩
٦	٤٥
٧، ٨	٥٣
٩، ١١	٥٥
١٢	٥٧
١٣	٦١
١٤	٦٥
١٥، ١٦	٦٧
١٧، ١٨	٦٩
١٩	٧١
٢٠	٧٣
٢١	٧٧
٢٢	٧٩
٢٣	٨١

٢٤ .... ٨٣

٢٥، ٢٦ .... ٨٥

٢٧ .... ٨٩

٢٨، ٢٩ .... ٩٣

٣٠ .... ٩٥

٣١، ٣٢ .... ٩٩

٣٣ .... ١٠٥

٣٤ .... ١٠٩

٣٥، ٣٨ .... ١١١

٣٩، ٤١ .... ١١٧

٤٢ .... ١٢٣

٤٣، ٤٤ .... ١٢٧

٤٥ .... ١٣٥

٤٦، ٤٨ .... ١٣٩

٤٩ .... ١٤٥

٥٠ .... ١٤٧

٥١ .... ١٤٩

٥٢ .... ١٥١

٥٣ .... ١٥٥

٥٤ .... ١٥٧

٥٥، ٥٦ .... ١٥٩

٥٧، ٥٨ .... ١٦٣

٥٩، ٦٠	....	١٦٥
٦١، ٦٢	....	١٧٣
٦٣، ٦٤	....	١٧٥
٦٥، ٦٧	....	١٨١
٦٨	....	١٨٥
٦٩، ٧٠	....	١٨٧
٧١	....	١٨٩
٧٢	....	١٩١
٧٣	....	١٩٣
٧٤	....	١٩٥
٧٥، ٧٦	....	١٩٧
٧٧، ٧٨	....	١٩٩
٧٩، ٨١	....	٢٠١
٨٢، ٨٣	....	٢٠٣
٨٤، ٨٨	....	٢٠٧
٨٩	....	٢١١
٩٠	....	٢١٧
٩١، ٩٢	....	٢٢١
٩٣	....	٢٢٣
٩٤	....	٢٢٧
٩٥	....	٢٢٩
٩٦	....	٢٣٧

٩٧، ٩٨	٢٣٩
٩٩، ١٠٠	٢٤٣
١٠١	٢٤٥
١٠٢، ١٠٣	٢٤٩
١٠٤، ١٠٥	٢٥٥
١٠٦	٢٥٩
١٠٧	٢٦٧
١٠٨، ١٠٩	٢٧٣
١١٠	٢٧٥
١١١، ١١٢	٢٧٧
١١٣	٢٧٩
١١٤	٢٨١
١١٥	٢٨٣
١١٦	٢٨٩
١١٧	٢٩١
١١٨، ١٢٠	٢٩٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الأنعام	
١	٢٩٧
٢	٢٩٩
٣، ٦	٣٠١

٧ .... ٣٠٥
٨، ١١ .... ٣٠٧
١٢، ١٣ .... ٣٠٩
١٤، ١٥ .... ٣١١
١٦ .... ٣١٣
١٧، ١٩ .... ٣١٥
٢٠ .... ٣١٧
٢١، ٢٢ .... ٣١٩
٢٣ .... ٣٢١
٢٤ .... ٣٢٣
٢٥، ٢٦ .... ٣٢٥
٢٧ .... ٣٢٩
٢٨، ٣٠ .... ٣٣٣
٣١ .... ٣٣٥
٣٢ .... ٣٣٧
٣٣ .... ٣٣٩
٣٤ .... ٣٤٣
٣٥ .... ٣٤٥
٣٦ .... ٣٤٧
٣٧، ٣٨ .... ٣٤٩
٣٩، ٤١ .... ٣٥٣
٤٢، ٤٤ .... ٣٥٥
٤٥، ٤٦ .... ٣٥٩
٤٧، ٥٠ .... ٣٦١
٥١، ٥٢ .... ٣٦٣

٥٣، ٥٤ .... ٣٦٩
٥٥، ٥٦ .... ٣٧٣
٥٧ .... ٣٧٥
٥٨، ٥٩ .... ٣٧٧
٦٠، ٦١ .... ٣٨١
٦٢، ٦٤ .... ٣٨٣
٦٥ .... ٣٨٧
٦٦ .... ٣٨٩
٦٧، ٦٨ .... ٣٩١
٦٩ .... ٣٩٣
٧٠ .... ٣٩٥
٧١، ٧٢ .... ٣٩٩
٧٣ .... ٤٠١
٧٤ .... ٤٠٥
٧٥، ٧٦ .... ٤٠٧
٧٧، ٨٠ .... ٤١٣
٨١، ٨٢ .... ٤١٥
٨٣، ٨٧ .... ٤١٧
٨٨، ٨٩ .... ٤٢١
٩٠، ٩١ .... ٤٢٣
٩٢ .... ٤٢٧
٩٣ .... ٤٢٩
٩٤ .... ٤٣٣
٩٥، ٩٦ .... ٤٣٧
٩٧، ٩٨ .... ٤٤١

٩٩	٤٤٣
١٠٠	٤٤٩
١٠١، ١٠٢	٤٥١
١٠٣	٤٥٣
١٠٤، ١٠٥	٤٥٥
١٠٦، ١٠٨	٤٥٩
١٠٩	٤٦١
١١٠	٤٦٥
١١١	٤٦٧
١١٢	٤٦٩
١١٣	٤٧١
١١٤، ١١٥	٤٧٣
١١٦، ١١٧	٤٧٥
١١٨، ١١٩	٤٧٧
١٢٠	٤٧٩
١٢١	٤٨١
١٢٢	٤٨٣
١٢٣	٤٨٥
١٢٤	٤٨٧
١٢٥	٤٨٩
١٢٦، ١٢٧	٤٩٣
١٢٨	٤٩٥
١٢٩، ١٣٠	٤٩٧
١٣١، ١٣٤	٥٠١
١٣٥، ١٣٦	٥٠٣

١٣٧	٥٠٧
١٣٨	٥٠٩
١٣٩	٥١١
١٤٠، ١٤١	٥١٥
١٤٢	٥١٩
١٤٣، ١٤٤	٥٢١
١٤٥	٥٢٣
١٤٦	٥٢٥
١٤٧، ١٤٨	٥٣١
١٤٩، ١٥٠	٥٣٣
١٥١	٥٣٥
١٥٢	٥٣٧
١٥٣	٥٤١
١٥٤	٥٤٣
١٥٥، ١٥٦	٥٤٧
١٥٧، ١٥٨	٥٤٩
١٥٩	٥٥٣
١٦٠، ١٦١	٥٥٥
١٦٢، ١٦٣	٥٥٧
١٦٤، ١٦٥	٥٥٩

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد السادس

الأعراف - الأنفال - التوبة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٦

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021 الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير

في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد السادس

الأعراف - التوبة ١٠٠

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

فصلٌ في نزولها

روى العَوْفِي، وابن أبي طلحة، وأبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، أن «سورة الأعراف» من المكِّيِّ. وهذا قول الحسن، و مُجَاهِد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة. [٢٦١/ب]

وروي عن ابن عبَّاسٍ، وقتادة أنها مكِّيَّة، إلَّا خمس آيات، أوَّلها قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [الآية:١٦٣][١].

وقال مقاتل: كلُّها مكِّيَّة، إلَّا قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية:١٧٢] فإنهنَّ مدنيَّات[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف: ١].

فأمَّا التَّفسير، فقوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قد ذكرنا في أول «سورة البقرة» كلامًا مجملًا في الحروف المقطَّعة أوائلَ السُّور، فهو يعمُّ هذه أيضًا.

فأما ما يختصُّ بهذه، ففيه سبعة أقوال:

أحدها: أن معناه: أنا الله أعلم وأفضل، رواه أبو الضُّحى عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنه قَسَمٌ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: التَّحصيل (٣/ ١٥٣)، والمحرَّر الوجيز (٢/ ٣٧٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٧).

والثَّالث: أنها اسم من أسماء الله تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أن الألف مفتاح اسمه «الله»، واللام مفتاح اسمه «لطيف»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، قاله أبو العالية.

والخامس: أن «المص» اسم للسُّورة، قاله الحسن.

والسَّادس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

والسَّابع: أنها بعض كلمة.

ثم في تلك الكلمة قولان:

أحدهما: المصوِّر، قاله السُّدِّي.

والثَّاني: المصير إلى كتاب أنزل إليك، ذكره الماورديُّ[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ٢].

قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء[2].

ومذهب الفرَّاء أن الله تعالى اكتفى في مفتَتَح السُّور ببعض حروف المعجم عن جميعها، كما يقول القائل: «أ ب ت ث» ثمانية وعشرون حرفًا؛ فالمعنى: حروف المعجم: كتاب أنزلناه إليك[3].

قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يرتفع الكتاب بإضمار: هذا الكتاب.

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٨).

وفي الحرج قولان:

أحدهما: أنه الشَّكُّ، قاله ابن عبَّاسٍ، ومُجاهِد، وقتادة، والسُّدِّي، وابن قُتَيْبة[١].

والثَّاني: أنه الضِّيق، قاله الحسن، والزَّجَّاج[٢].

وفي هاء «منه» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب.

فعلى هذا، في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لا يضيقنَّ صدرك بالإبلاغ، ولا تخافنَّ، قاله الزَّجَّاج[٣].

والثَّاني: لا تشُكَّنَّ أنه من عند الله.

والقول الثَّاني: أنها ترجع إلى مضمر، وقد دلَّ عليه الإِنذار، وهو التَّكذيب، ذكره ابن الأنباريِّ.

قال الفرَّاء: فمعنى الآية: لا يضيقنَّ صدرك إن كذَّبوك.

قال الزَّجَّاج: وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ مقدَّم، والمعنى: أُنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾[٤].

﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض، فأما النصب، فعلى قوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾، ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي ولتذكِّر به ذكرى، لأن في الإنذار معنى التَّذكير.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥).

[٢٦٢/أ] ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذكرى، لقولك[١]: وهو ذكرى للمؤمنين.

فأما الخفض، فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى «لتنذر»: لأن تنذر، وهو في موضع خفض[٢]، المعنى: للإنذار والذِّكرى للمؤمنين[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

قوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

إن قيل: كيف خاطبه بالإفراد في الآية الأولى، ثم جمع بقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ[٤]﴾؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه لما علم أن الخطاب له ولأمته، حسن الجمع لذلك المعنى.

والثَّاني: أن الخطاب الأوَّل خاصٌّ له، والثَّاني محمول على الإنذار، والإنذار في طريق القول، فكأنه قال: ليقول لهم منذرًا: ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

والثَّالث: أن الخطاب الثَّاني للمشركين، ذكره جماعة من المفسِّرين، قالوا: والذي أنزل إليهم القرآن.

---

(١) في (ف): (كقولك).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) قوله: (المعنى: للإنذار والذِّكرى للمؤمنين)، ليس في (ف).

(٤) قوله: (ما أنزل إليكم من ربكم)، ليس في (ف).

وقال الزَّجَّاج: الذي أنزل: القرآن وما أتى عن النَّبيِّ ﷺ، لأنه مما أنزل عليه، لقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][١].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لا تتولَّوا مَنْ عدل عن دين الحقِّ، وكلُّ من ارتضى مذهبًا فهو وليُّ أهل المذهب.

وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

«ما»: زائدة مؤكِّدة، والمعنى: قليلًا يذَّكَّرون.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تذَّكَّرون» مشددة الذال والكاف.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم: «تذَكَّرون» خفيفة الذال مشددة الكاف.

قال أبو علي: من قرأ «تذَّكَّرون» بالتَّشديد، أراد «تتذكَّرون» فأدغم التاء في الذال، وإدغامها فيها حسن، لأن[٢] التاء مهموسة، والذال مجهورة، والمجهور أزيد صوتًا من المهموس وأقوى، فإدغام الأنقص في الأزيد حسن.

فأما[٣] حمزة ومن وافقه، فإنهم حذفوا التاء التي أدغمها هؤلاء، وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥-٣١٦).

(٢) في (ر): (قولان)! بدلاً من: (لأن).

(٣) في (ف): (وأما).

وقرأ ابن عامر: «يتذكَّرون» بياء وتاء[1]، على الخطاب للنبيِّ ﷺ[2]، والمعنى: قليلًا ما يذَّكَّر هؤلاء الذين ذُكِّروا بهذا الخطاب[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ٤﴾ [الأعراف: ٤].

قوله: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾.

و«كم» تدلُّ على الكثرة، و«رُبَّ»: موضوعة للقلَّة.

قال الزَّجَّاج: المعنى: وكم من أهل قرية، فحذف الأهل، لأن في الكلام دليلًا عليه[4].

وقوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا[5]﴾ محمول على لفظ القرية، والمعنى: فجاءهم ﴿بَأْسُنَا﴾ غفلة وهم غير متوقِّعين له، إما ليلًا وهم نائمون، أو نهارًا وهم قائلون.

قال ابن قُتَيْبة: ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا، و﴿بَيَٰتًا﴾: ليلًا. و﴿قَآئِلُونَ﴾: من القائلة نصف النَّهار[6].

---

(١) في (ر): (بتاء وياء).

(٢) قوله: (للنبي ﷺ)، ليس في (ف).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٨)، والحجَّة (٤/ ٥ ـ ٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٧).

(٥) قوله: (بأسنا)، من (ر).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٥).

فإن قيل: إنما أتاها البأس قبل الإهلاك، فكيف يقدِّم الهلاك؟

فعنه ثلاثة أجوبة: [٢٦٢/ ب]

أحدها: أن الهلاك والبأس يقعان معًا، كما تقول: أعطيتني فأحسنت، وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، وإنما وقعا معًا، قاله الفرَّاء[1].

والثَّاني: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكناها، وكان بأسنا قد جاءها، فأُضمر الكون، كما أُضمر في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢]، أي: ما كانت الشَّياطين تتلوه، وقوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ [يوسف:٧٧]، أي: إن يكن سرق.

والثَّالث: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتًا[2]، أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥] أي: رافعك ومتوفِّيك، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾.

قال الفرَّاء: فيه واو مضمرة، والمعنى: فجاءها بأسنا بياتًا، أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقًا على نسق[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الأعراف: ٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧١).

(٢) ليست في (ف).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٧٢).

قوله: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾.

قال اللُّغويون: الدَّعوى هاهنا بمعنى الدُّعاء والقول.

والمعنى: ما كان قولهم وتداعيهم إذ جاءهم العذاب [إلا][١] الاعتراف بالظُّلم.

قال ابن الأنباريِّ: وللدَّعوى في الكلام موضعان:

أحدهما: الادِّعاء.

والثَّاني: القول والدُّعاء.

قال الشَّاعر[٢] [من الطويل]:

إذَا مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي بدَعْواكِ مِنْ مَذْلٍ لها[٣] فيَهُونُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ⁦(٦)⁩ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۢ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ⁦(٧)⁩ ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

قوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يعني: الأمم يُسألون: هل بلَّغكم الرُّسُل وماذا أجبتم؟ ويسأل الرُّسل: هل بَلَّغتم، وماذا أُجبتم؟.

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾ أي: فلنُخبرنَّهم بما عملوا بعلم منا ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ عن الرُّسل والأمم.

---

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (١١/ ٦٢٢)، والمخصص (٥/ ٨٤).

(٣) في (ر): (بها).

وقال ابن عبَّاسٍ: يوضع الكتاب، فيتكلَّم بما كانوا يعملون[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

قوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ أي: العدل. وإنما قال: ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ لأن «مَن» في معنى جميع، يدلُّ عليه قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾.

وفي معنى ﴿يَظْلِمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يجحدون.

والثَّاني: يكفرون.

قال الفرَّاء: والمراد بموازينه: وزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك، يريدون: حذاء دارك[٢].

قال الشَّاعر[٣] [من الكامل]:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لقائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ ... عِنْدي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ

يعني: مثل كلامه ولفظه.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٨٢٢١) في تفسيرهما، من طريق العَوْفي، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٨٧).

(٣) بلا نسبة في شرح القصائد السبع؛ لابن الأنباري (١/ ١٦٧)، والمحكم والمحيط (٩/ ١١٠)، ولسان العرب (١٣/ ٤٤٧).

فصلٌ

والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به.

وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعراض، فكيف توزن؟

فالجواب: أن الوزن يرجع إلى الصَّحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ**(١) **مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي** [٢٦٣/أ] **الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ[أَشْهَدُ]**(٢) **أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتُوضَعُ لَهُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، يَعْنِي**(٣)**: وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ**» أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي(٤).

وروى(٥) أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْأَكُولِ الشَّرُوبِ، فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(٦)، فعلى هذا يوزن الإنسان.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) زيادة من (ف).

(٣) ليست في (ف).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢١٣)، وعبد بن حميد (٣٣٩)، والتِّرمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦) من طريق أبي عبد الرحمن الحُبُلي، بنحوه. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٥) في الأصل: (رواه)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) بهذا اللفظ رواه ابن جرير الطَّبري (١٥/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم (١٣٠٠٢)، وابن=

قال ابن عبَّاسٍ: توزن الحسنات والسَّيئات في ميزان، له لسان وكِفَّتان. فأما المؤمن، فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته، وأمَّا الكافر فيُؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان؛ فيخف وزنه[١].

وقال الحسن: للميزان لسان وكفتان[٢].

وجاء في الحديث: «**أَنَّ دَاوُدَ** عليه السلام **سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الْمِيزَانَ فَأَرَاهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا إِلَهِي مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَهُ حَسَنَاتٍ؟ فَقَالَ: يَا دَاوُدُ إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَن عَبْدِي مَلَأْتُهَا بِتَمْرَةٍ**[٣]»[٤].

وقال حذيفة: جبريل صاحب الميزان يوم القيامة يقول له ربه: زِنْ بَيْنَهُمْ، ورُدَّ من بعضهم على بعض، فيردُّ على المظلوم من الظَّالم ما وجد له من حسنة. فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم، فردَّ[٥]

=عدي في الكامل (٧/ ٤٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢٨٢) من طريق صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، به، بنحوه.

وهو في البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) بلفظ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**».

(١) أورده البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧٧) من رواية الكلبي محمد بن السَّائب، به، بنحوه.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٢١٠) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان، به.

(٣) في (ر): (بثمرة).

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٢٧٧)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٩٣) بلا سند.

(٥) في (ر): (فيرد).

على سيئات الظَّالم، فيرجع وعليه مثل الجبل[(١)][(٢)].

فإن قيل: أليس الله ﷻ يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟

فالجواب: أن فيه خمس حكم:

إِحداها: امتحان الخلق بالإِيمان بذلك في الدُّنيا.

والثَّانية: إظهار علامة السَّعادة والشَّقاوة في الأخرى.

والثَّالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر.

والرَّابعة: إقامة الحجَّة عليهم.

والخامسة: الإعلام بأن الله تعالى عادل لا يظلم.

ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النِّسيان عليه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠].

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ملَّكناكم إياها.

والثَّاني: سهَّلنا عليكم التَّصرف فيها.

---

(١) في (ف): (الجبال).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٦٩) من طريق بلال بن يحيى، به، بنحوه.

وفي المعايش قولان:

أحدهما: ما يعيشون به من المطاعم والمشارب.

والثَّاني: ما يتوصَّلون به إلى المعايش، من زراعة، وعمل، وكسب.

وأكثر القرَّاء على ترك الهمز في «معايش».

وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة[١].

قال الزَّجَّاج: وجميع النَّحويِّين البصريِّين يزعمون أن همزها خطأ، [٢٦٣/ب] لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة، نحو صحيفة وصحائف، فصحيفة من الصُّحف، والياء زائدة، فأما معايش، فمن العيش، فالياء أصلية[٢].

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكركم قليل.

وقال ابن عبَّاسٍ: يريد أنكم غير شاكرين[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾ [الأعراف: ١١].

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾.

فيه ثمانية أقوال:

أحدها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ في ظهر آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ في الأرحام، رواه عبدالله بن الحارث عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ في أصلاب الرِّجال، وصوَّرناكم في أرحام النِّساء، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عكرمة.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٨)، والحجَّة (٤/ ٦ـ ٧)، والمبسوط (١/ ٢٠٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٥٢).

والثَّالـث: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعنـي آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يعنـي ذرِّيَّتـه مـن بعـده، رواه العَـوْفي عـن ابـن عبَّـاسٍ.

والرَّابع: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في ظهره، قاله مُجاهِد.

والخامس: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ نطفًا في أصلاب الرجال، وترائب النِّساء، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ عند اجتماع النُّطف في الأرحام، قاله ابن السَّائب.

والسَّادس: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ في بطون أُمَّهاتكم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ فيما بعد الخلق بشقِّ السَّمع والبصر، قاله معمر.

والسَّابع: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني آدم خلقناه من تراب، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾، أي: صوَّرناه، قاله الزَّجَّاج[1]، وابن قُتَيْبة[2].

قال ابن قُتَيْبة: فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه، فمن قال: عنى بقوله: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ آدم، فمعناه: خلقنا أصلكم، ومن قال: صوَّرنا ذرِّيَّته في ظهره، أراد إخراجهم يوم الميثاق كهيئة الذَّرِّ.

والثامن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني الأرواح، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يعني الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد»[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢١).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٩٨).

(٣) وهو الإمام العلَّامة شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي، ابن الفرَّاء، صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب، ولد أول سنة ثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، وكتابه المعتمد هذا شبه مفقود. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩)، وطبقات الحنابلة (٢/ ١٦٦-١٦٧).

وفي «ثم» المذكورة مرتين قولان:

أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله الأخفش[(١)].

والثَّاني: أنها للتَّرتيب، قاله الزَّجَّاج[(٢)].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

«ما» استفهام، ومعناها الإنكار.

قال الكِسَائِي: «لا» هاهنا زائدة. والمعنى: ما منعك أن تسجد؟.

وقال الزَّجَّاج: موضع «ما» رفع. والمعنى: أيُّ شيء منعك من السُّجود؟ و«لا» زائدة مؤكدة، ومثله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩][(٣)].

قال ابن قُتَيْبة: وقد تزاد «لا» في الكلام. والمعنى: طرحُها لإباءٍ في الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد «لا» لأنه لم يسجد. ومثله: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] على قراءة من فتح «أنها»، فزاد «لا» لأنهم لم يؤمنوا، ومثله: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥][(٤)].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٣).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ١٥٤).

وقال الفرَّاء: «لا» هاهنا جحد محض، وليست بزائدة، والمنع راجع إلى تأويل القول، والتَّأويل: من قال لك: لا تسجد؟، فأحلَّ المنع محلَّ القول، ودخلت بعده «أن» ليدلَّ على تأويل القول الذي لم يتصرَّح لفظه[1].

وقال ابن جرير: في الكلام محذوف، تقديره: ما منعك من السُّجود، فأحوجك أن لا تسجد؟[2]. [٢٦٤/أ]

قال الزَّجَّاج: وسؤال الله تعالى لإبليس «ما منعك» توبيخ له، وليُظهر أنه معاند، ولذلك لم يتب، وأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأن قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ هو جواب: أيكما خير؟ ولكن المعنى: منعني من السُّجود فضلي عليه. ومثله قولك للرَّجل: كيف كنت؟ فيقول: أنا صالح، وإنما الجواب: كنت صالحًا، فيجيب بما يُحتاج إليه وزيادة[3].

قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حيث قاس مع وجود النَّص، وخفي عليه فضل الطِّين على النَّار، وفضله من وجوه:

أحدها: أن من طبع النَّار الطَّيش والالتهاب والعجلة، ومن طبع الطِّين الهدوء والرَّزانة.

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٤).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٨٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٣).

والثَّاني: أن الطِّين سبب الإنبات والإيجاد، والنَّار سبب الإعدام والإهلاك.

والثَّالث: أن الطِّين سبب جمع الأشياء، والنَّار سبب تفريقها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣].

قوله: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى السَّماء، لأنه كان فيها، قاله الحسن.

والثَّاني: إلى الجنَّة، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

إن قيل: فهل لأحد أن يتكبَّر في غيرها؟

فالجواب: أن المعنى: ما للمتكبِّر أن يكون فيها، وإنما المتكبِّر في غيرها.

وأما الصَّاغر، فهو الذَّليل. والصَّغار: الذُّلُّ.

قال الزَّجَّاج: استكبر إبليس بإبائه السُّجود، فأعلمه الله ﷻ أنه صاغر بذلك(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥].

قوله: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾ أي أمهلني وأخِّرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فأراد أن يعبر قنطرة الموت وسأل الخلود، فلم يُجبه إلى ذلك، وأنظره إلى النَّفخة الأولى حين يموت الخلق كلُّهم. وقد بيَّن مدة إمهاله في «الحجر» بقوله:

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الآيـة:٣٨].

وفي ما سأل الإمهال له قولان:

أحدهما: الموت.

والثَّاني: العقوبة.

فإن قيل: كيف قيل له: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وليس أحد أُنظِر سواه؟

فالجـواب: أن الذيـن تقـوم عليهـم السَّـاعة منظـرون إلى ذلـك الوقـت بآجالهـم، فهـو منهـم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٦].

قوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾.

في معنى هذا الإغواء قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإِضلال، قاله ابن عبَّاسٍ، والجمهور.

والثَّـاني: أنـه بمعنـى الإهـلاك، ومنـه قولـه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريـم:٥٩] أي: هـلاكًا، ذكـره ابـن الأنبـاريِّ.

وفي معنى «فبما» قولان:

أحدهما: أنها بمعنى القسم، أي: فبإغوائك لي.

والثَّاني: أنها بمعنى الجزاء، أي: فبأنك أغويتني، ولأجل أنك أغويتني.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ﴾.

قال الفرَّاء(١)، والزَّجَّاج(٢): أي على صراطك. ومثله قولهم: ضُرب زيد الظَّهر والبطن.

وفي المراد بالصِّراط هاهنا ثلاثة أقوال: [٢٦٤/ ب]

أحدها: أنه طريق مكَّة، قاله ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جُبَيْر، كأن المراد صدُّهم عن الحجِّ.

والثَّاني: أنه الإِسلام، قاله جابر بن عبد الله، وابن الحنفيَّة، ومقاتل(٣).

والثَّالث: أنه الحقُّ، قاله مُجاهِد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧].

قوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾.

فيه سبعة أقوال:

أحدها: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أُشكِّكهم في آخرتهم، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أُرغِّبهم في دنياهم، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: من قِبل حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ من قِبل سيِّئاتهم، قاله ابن عبَّاس، وقتادة.

والثَّاني: مثلُه، إلا أنهم جعلوا ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الدُّنيا، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ الآخرة، قاله النَّخعي، والحكم بن عُتَيْبَة(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣١).

(٤) في الأصل، و(ر): (عيينة)، والمثبت من بقية النسخ.

والثَّالث: مثل الثَّاني، إلا أنهم جعلوا ﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ من قِبل الحقِّ أصدُّهم عنه، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قِبل الباطل أردُّهم إليه، قاله مُجاهِد، والسُّدِّي.

والرَّابع: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من سبيل الحقِّ، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من سبيل الباطل، ﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ من قِبل[1] آخرتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من أمر الدُّنيا، قاله أبو صالح.

والخامس: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ من حيث يبصرون، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من حيث لا يبصرون، نُقل عن مُجاهِد أيضًا.

والسَّادس: أن المعنى: لأتصرَّفن لهم في الإِضلال من جميع جهاتهم، قاله الزَّجَّاج[2]، وأبو سليمان الدِّمشقي.

فعلى هذا، يكون ذكر هذه الجهات، للمبالغة في التَّأكيد.

والسَّابع: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ فيما بقي من أعمارهم، فلا يقدمون فيه على طاعة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فيما مضى من أعمارهم، فلا يتوبون فيه من معصية، ﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ من قبل الغنى، فلا ينفقونه في مشكور، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قبل الفقر، فلا يمتنعون فيه من محظور، قاله الماورديُّ[3].

قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾.

---

(١) قوله: (من قبل)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

(٣) انظر: تفسير النُّكت والعيون (٢/ ٢٠٧).

فيه قولان:

أحدهما: موحِّدين، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: شاكرين لنعمتك، قاله مقاتل(١).

فإن قيل: من أين علم إبليس ذلك؟

فقد أسلفنا الجواب عن هذا في سورة «النِّساء».

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨، ١٩].

قوله: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾.

وقرأ الأعمش: «مذُومًا» بضم الذَّال من غير همز(٢).

قال الفرَّاء: الذَّأْمُ: الذَّمُّ يقال: ذَأَمْتُ الرَّجلَ، أذأَمُه ذأمًا وذممتُه، أذُمُّه ذمًّا وذِمْتُه، أذيمُه ذيمًا، ويقال: رجل مذءوم، ومذموم، ومَذيم، بمعنى(٣).

قال حسان بن ثابت(٤):

وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيرُوا جَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُلُّهم مَذْءومُ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣١).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) الزُّهري والأعمش، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢٧٧) أبا جعفر، وفي المحتسب (١/ ٢٤٣) الزُّهري.

(٣) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٤).

(٤) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص: ٩٢)، والزَّاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣).

قال ابن قُتَيْبة: «المذؤوم»: المذموم بأبلغ الذَّمِّ. و«المدحور»: المقصى المبعَد(١).

وقال الزَّجَّاج: معنى «المذؤوم» كمعنى المذموم، و«المدحور»: المبعد من رحمة الله(٢).

[٢٦٥/أ] واللام من ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: لام القسم، والكلام بمعنى الشَّرط والجزاء، كأنه قيل له: من تبعك، أُعذبْه، فدخلت اللام للمبالغة والتَّوكيد.

فلام ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ هي لام القسم، ولام ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ توطئة لها.

فأما قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾.

فقال ابن الأنباريِّ: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم؛ لأنه حين قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ كان مخاطبًا لولد آدم، فرجع إليهم، فقال: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ فجعلهم غائبين، لأن مخاطبتهم في ذا الموضع توقع لَبْسًا، والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب.

ومن قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ خطاب لآدم، قال: أعاد الهاء والميم على ولده، لأن ذكره يكفي من ذكرهم، والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال اللَّبس.

قال الشَّاعر(٣):

أَرَى الْخَطَفى بَذَّ الفرزدقَ شِعْرُهُ ... وَلَكِنَّ خَيرًا مِنْ كُلَيبٍ مُجاشِعُ

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

(٣) البيت للصَّلتان العبدي، وقد جعلوا إليه الحكم بين الفرزدق وجرير أيهما أشعر؟. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٤٩٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٤١)، وخزانة الأدب (٢/ ١٧٧).

أراد: أرى ابن الخطفى، فاكتفى[١] بالخطفى من ابنه[٢].

قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ يعني أولاد آدم المخالفين وقرناءهم الشَّياطين.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعـراف: ٢٠].

قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

قيل: إن الوسوسة: إخفاء الصَّوت.

قال ابن فارس: الوسواس: صوت الْحَلْيِ، ومنه وسواس الشَّيطان[٣].

و﴿لَهُمَا﴾ بمعنى «إليهما».

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ أي: ليظهر لهما.

﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾ أي: سُتِرَ.

وقيـل: إن لام ﴿لِيُبْدِيَ﴾ لام العاقبـة، وذلـك أن عاقبـة الوسوسـة أدَّت إلى ظهـور عورتهـما، ولم تكـن الوسوسـة لظهورهـا.

قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾.

قال الأخفش[٤]، والزَّجَّاج[٥]: معناه: ما نهاكما إلا كراهة أن تكونا ملَكَين.

وقال ابن الأنباريِّ: المعنى: إلا أن لا تكونا، فاكتفى بـ«أن» من «لا» فأسقطها.

---

(١) في (ف): (واكتفى).

(٢) في (ف): (عن أبيه).

(٣) انظر: مقايس اللُّغة (٦/ ٧٦).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٦).

فإن قيل: كيف انقاد آدم لإبليس، مستشرفًا إلى أن يكون ملكًا، وقد شاهد الملائكة ساجدة له؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه عرف قربهم من الله تعالى، واجتماع أكثرهم حول عرشه، فاستشرف لذلك، قاله ابن الأنباريِّ.

والثَّاني: أن المعنى: إلا أن تكونا طويلَي العمر مع الملائكة ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ لا تموتان أبدًا، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير: «أن تكونا مِلكين» بكسر اللام، وهي قراءة الزُّهري[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٥].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن الحسن بن علي، وابن عباس، و الزُّهري، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢٧٩)، والفتوحات الإلهية (٢/ ١٢٩): الضحاك، ويحيى بن كثير، وابن حكيم عن ابن كثير، وفي التَّحصيل (٣/ ١٥) عن ابن عباس، وفي إعراب القرآن؛ لأبي جعفر (٢/ ٤٨): ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ﴾ قراءة شاذة.

قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾.

قال الزَّجَّاج: حلف لهما، فدلَّاهما في المعصية بأن غرَّهما[(١)].

قال ابن عبَّاسٍ: غرَّهما[(٢)] باليمين، وكان آدم لا يظنُّ أن أحدًا يحلف بالله كاذبًا[(٣)].

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ أي: فلما ذاقا ثمر الشَّجرة.

قال الزَّجَّاج: وهذا يدلُّ على أنهما إنما ذاقاها ذواقًا، ولم يبالغا في الأكل[(٤)].

والسَّوأة كناية عن الفرج، لا أصل له[(٥)] في تسميته.

ومعنى ﴿وَطَفِقَا﴾ أخذا في الفعل، والأكثر: طَفِقَ يَطْفَقُ، وقد رويت: [٢٦٥/ب] طَفِقَ يَطْفِقُ، بكسر الفاء.

ومعنى ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذي يرقِّع النَّعل: خصَّاف.

وفي الآية دليل على أن إظهار السَّوأة قبيح من لدن[(٦)] آدم، ألا ترى إلى قوله: ﴿يُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ فإنهما بادرا يستتران لقبح التَّكشف.

وقيل: إنما سمِّيت السَّوأةُ سوأةً، لأن كشفها يسوء صاحبها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٧).

(٢) قوله: (قال ابن عباس: غرَّهما)، ليس في (ر).

(٣) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٤١٢) مختصرًا.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٨).

(٥) ليست في (ف)، و(ر).

(٦) في (ف): (ابن).

قال وهب بن منبه: كان لباسهما نورًا على فروجهما، لا يرى أحدهما عورة الآخر؛ فلما أصابا الخطيئة، بدت لهما سوءاتهما(١).

وقرأ الحسن: «سَوْأَتِهِما» على التَّوحيد، وكذلك قرأ «يَخِصِّفان» بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد(٢).

وقرأ الزُّهري: بضم الياء وفتح الخاء مع تشديد الصاد(٣).

وفي الورق قولان:

أحدهما: ورق التِّين، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: ورق الموز، ذكره المفسِّرون.

وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ يعني الأرض.

واختلف القرَّاء في تاء ﴿تُخْرَجُونَ﴾.

فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: بضم التاء وفتح الراء، هاهنا وفي «الرُّوم»: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الآية:١٩]. وفي «الزُّخرف»: ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الآية:١١] وفي «الجاثية»: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الآية:٣٥].

وقرأهنَّ حمزة، والكِسَائِي: بفتح التاء وضم الرَّاء.

وفتح ابن عامر التاء في «الأعراف» فقط(٤).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١١٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن الحسن، وعن الحسن أيضًا ﴿يَخَصِّفان﴾، وعنه أيضًا ﴿يَخَصَّفان﴾. انظر: المحتسب (١/ ٢٤٥)، والتَّحصيل (٣/ ١٥).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٤٨) ﴿يُخَصِّفان﴾ عن الزُّهري، وعنه أيضًا ﴿يُخْصِفان﴾. انظر: المحتسب (١/ ٢٤٥)، والتَّحصيل (٣/ ١٦).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٨_٢٧٩)، والحجَّة (٤/ ٩)، والتَّيسير (١/ ١٧٥).

فأما التي في «الرُّوم» ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الآية:٢٥]، وفي «سأل سائل» ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ﴾ [المعارج:٤٣] فمفتوحتان من غير خلاف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦].

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾.

سبب نزولها:

أن ناسًا من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراةً، فنزلت هذه الآية، قاله مُجَاهِد[١].

وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، منَّ علينا باللِّباس.

وفي معنى ﴿أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: خلقنا لكم.

والثَّاني: ألهمناكم كيفية صنعه.

والثَّالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباسًا.

وأكثر القرَّاء قرءوا: «وريشًا»[٢].

وقرأ ابن عبَّاسٍ، والحسن، وزرُّ بن حبيش، وقتادة، والمفضَّل، وأبان عن عاصم: «ورياشًا» بألف[٣].

---

(١) رواه مُجَاهِد في تفسيره (١/ ٣٣٤)، وعنه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم (٨٣٢٨) في تفسيرهما.

(٢) انظر: المبسوط (١/ ٢٠٨)، والكامل (١/ ٥٥١).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨)، عن النَّبيِّ ﷺ، وعلي بن أبي طالب ﷺ، وفي إعراب القرآن (٢/ ١٢٠)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٨٤)، وفتح القدير (٢/ ١٩٧) عن أبي عبد الرَّحمن=

قال الفرَّاء: يجوز أن يكون الرِّياش جمع الرِّيش، ويجوز أن تكون بمعنى الرِّيش كما قالوا: لبس، ولباس.

قال الشَّاعر:

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللِّبْس عَنْهُ مَسَحْنَهُ ... بِأَطْرَافِ طَفْلٍ زانَ غَيْلًا مُوَشَّمَا[1]

قال ابن عبَّاسٍ[2]، و مُجَاهِد[3]: «الرِّياش»: المال.

وقال عطاء: المال والنَّعيم.

وقال ابن زيد: الرِّيش: الجمال[4].

وقال معبد الجهني: الرِّيش: الرِّزق[5].

وقال ابن قُتَيْبَة: الرِّيش والرِّياش: ما ظهر من اللِّباس[6].

وقال الزَّجَّاج: الرِّيش: اللِّباس وكل ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته. يقال: تريَّش فلان، أي: صار له ما يعيش به[7].

=السُّلَمي، والحسن، وعاصم من رواية المفضل الضبي وأبي عمرو من رواية الحسن بن علي الجعفي، وفي المحتسب لابن جني (١/ ٢٤٦): النبي ﷺ وجماعة وعاصم.

(١) البيت من الطويل، وهو لحميد بن ثور في ديوانه (ص: ١٤)، ولسان العرب (٦/ ٢٠٦)، وتهذيب اللُّغة (١٢/ ٤٤٢)، وتاج العروس (١٦/ ٤٦٧).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (٨٣٣١) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٣).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٨٣٣٥) في تفسيرهما.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٢٤).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٦).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٨).

أنشد سيبويه[١] [من الوافر]: [٢٦٦/أ]

وريشِي مِنكُمُ وَهَوَايَ مَعْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا

وعلى قول الأكثرين: الرِّيش والرِّياش بمعنى.

قال قطرب: الرِّيش والرِّياش واحد[٢].

وقال سفيان الثَّوري: الرِّيش: المال، والرِّياش: الثِّياب.

قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: «﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بالرَّفع.

وقرأ ابن عامر، ونافع، والكِسَائِي: بنصب اللِّباس[٣].

قال الزَّجَّاج: من نصب اللِّباس، عطف به على الرِّيش، ومن رفعه، فيجوز أن يكون مبتدأ، ويجوز أن يكون مرفوعًا بإضمار "هو"، المعنى: وهو لباس التَّقوى، أي: وستر العورة لباس المتَّقين[٤].

وللمفسِّرين في «لباس التَّقوى» عشرة أقوال:

أحدها: أنه السَّمت الحسن، قاله عثمان بن عفان، ورواه الذَّيَّال بن عمرو عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: العمل الصالح، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) البيت لجرير في ديوانه (ص:٢٢٥)، والكتاب (٢/ ٢٨٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٩١)، والمقاصد النحوية (٣/ ٤٣٢).

(٢) انظر: تفسير الكشف والبيان (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٨ـ٣٢٨).

والثَّالث: الإيمان، قاله قتادة، وابن جريج، والسُّدِّي. فعلى هذا سمي لباس التَّقوى، لأنه يقي العذاب.

والرَّابع: خشية الله تعالى، قاله عروة بن الزُّبير.

والخامس: الحياء، قاله معبد الجهنيُّ، وابن الأنباريِّ.

والسَّادس: ستر العورة للصَّلاة، قاله ابن زيد.

والسَّابع: أنه الدِّرع، وسائر آلات الحرب، قاله زيد بن علي.

والثَّامن: العفاف، قاله ابن السَّائب.

والتَّاسع: أنه ما يُتَّقى به الحرُّ والبرد، قاله ابن بحر.

والعاشر: أن المعنى: ما يَلْبَسه المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدُّنيا، رواه عثمان بن عطاء[١] عن أبيه.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: المعنى: ولباس التَّقوى خير من الثِّياب، لأن الفاجر - وإن كان حسن الثوب - فهو بادي العورة، و«ذلك» زائدة[٢].

قال الشَّاعر في هذا المعنى[٣][من البسيط]:

إنِّي كَأنِّي أرَى مَنْ لا حَيَاءَ لَهُ ... وَلاَ أمَانَةَ وَسْطَ القَوْمِ عُرْيَانَا

قال ابن الأنباريِّ: ويقال: لباس التَّقوى، هو اللِّباس الأول، وإنما أعاده لِما أخبر عنه بأنه خير من التعرِّي، إذ كانوا يتعبَّدون في الجاهليَّة بالتعرِّي في الطَّواف.

---

(١) في (ف): (عطيَّة).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٦).

(٣) البيت لسوار بن المضرب في لسان العرب (٧/ ٤٢٨)، وتاج العروس (٢٠/ ١٧٦).

قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

قال مقاتل: يعني: الثِّياب والمال من آيات الله وصنعه، لكي يذَّكروا، فيعتبروا في صنعه[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

قال المفسِّرون: هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون عراةً، والمعنى: لا يخدعنَّكم ولا يضلنَّكم بغروره، فيزيِّن لكم كشف عوراتِكم، كما أخرج أبويكم من الجنَّة بغروره[2]. وأضيف الإخراج ونزع اللِّباس إليه، لأنه السبب.

وفي ﴿لِبَاسَهُمَا﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه النُّور، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ وقد ذكرناه عن ابن منبه.

والثَّاني: أنه كان كالظُّفُر فلما أكلا، لم يبق عليهما منه إلا الظُّفُر، رواه سعيد [٢٦٦/ ب] بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عكرمة، وابن زيد.

والثَّالث: أنه التَّقوى، قاله مُجاهِد.

والرَّابع: أنه كان من ثياب الجنَّة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ أي: ليري كلَّ واحد منهما سوأة صاحبه.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٣).

(٢) ليست في (ر).

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ قال مُجَاهِد: قبيله: الجنُّ والشَّياطين[١].

قال ابن عبَّاسٍ: جعلهم الله تعالى يَجرون من بني آدم مجرى الدَّم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: سلَّطناهم عليهم، يزيدون في غيِّهم[٢].

وقال أبو سليمان: جعلناهم موالين لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً﴾.

فيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مُجَاهِد، وزيد بن أسلم، والسُّدِّي.

والثَّاني: أنهم الذين جعلوا السَّائبة والوصيلة والحام، وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنهم المشركون. والفاحشة: الشِّرك، قاله الحسن، وعطاء.

---

(١) هو في تفسير مُجَاهِد (١/ ٣٣٤)، وعنه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٨٣٥١) في تفسيرهما.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٩).

قال الزَّجَّاج: فأعلمهم ﷻ أنه لا يأمر بالفحشاء، لأن حكمته تدلُّ على أنه لا يفعل إلا المستحسن[١].

والقسط: العدل. والعدل: ما استقرَّ في النُّفوس أنه مستقيم لا ينكره مميِّز، فكيف يأمر بالفحشاء، وهي ما عظم قبحه؟!.

قوله تعالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: إذا حضرت الصَّلاة وأنتم عند مسجد، فصلُّوا فيه، ولا يقولنَّ أحدكم: أُصلِّي في مسجدي، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك، واختاره ابن قُتَيْبة[٢].

والثَّاني: توجَّهوا حيث كنتم في الصَّلاة إلى الكعبة، قاله مُجاهِد، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّالث: اجعلوا سجودكم خالصًا لله تعالى دون غيره، قاله الرَّبيع بن أنس.

والرَّابع: اقصدوا المسجد في وقت كلِّ صلاة، أمرًا بالجماعة لها، ذكره الماورديُّ.

وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه العبادة.

والثَّاني: الدُّعاء.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٧).

وفي قوله: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قولان:

أحدهما: مُفْردين له العبادة.

والثَّاني: موحِّدين غير مشركين.

وفي قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء، كذلك تبعثون، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مُجَاهِد، والقرظي، والسُّدِّي، ومقاتل، والفرَّاء[1].

والثَّاني: كما خُلقتم بقدرته كذلك يعيدكم، روى هذا المعنى العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزَّجَّاج[2]، وقال: هذا الكلام متَّصل بقوله: ﴿فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الأعراف:٢٥]. [٢٦٧/أ]

والثَّالث: كما بدأكم لا تملكون شيئًا، كذلك تعودون، ذكره الماورديُّ[3].

قوله تعالَى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠].

قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾.

قال الفرَّاء: نصب الفريق بـ﴿تَعُودُونَ﴾[4].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤)، ومعاني القرآن (١/ ٣٧٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣١).

(٣) انظر: النُكت والعيون (٢/ ٢١٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٦).

وقال ابن الأنباريِّ: نصب ﴿ فَرِيقًا ﴾، ﴿وَفَرِيقًا ﴾ على الحال من الضمير الذي في ﴿تَعُودُونَ ﴾، يريد: تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين، بعضكم سعداء، وبعضكم أشقياء.

قوله تعالى: ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ أي: بالكلمة القديمة، والإرادة السَّابقة.

قوله تعالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴾.

سبب نزولها:

أن ناسًا من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراةً، الرِّجال بالنَّهار، والنِّساء باللَّيل، وكانت المرأة تعلِّق على فرجها سيورًا، وتقول:

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ ... وَمَا بَدا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاسٍ(١).

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كانوا إذا حجُّوا، فأفاضوا من منى، لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فيلقيهما حتى يقضي طوافه، فنزلت هذه الآية(٢).

وقال الزُّهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراةً، إلا الحمس قريشٌ وأحلافها، فمن جاء من غيرهم، وضع ثيابه وطاف في ثوبي أحمس، فإن لم يجد من يُعيره من الحمس، ألقى ثيابه وطاف عريانًا، فإن طاف في ثياب

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٤٩) من طريق سعيد بن جُبَيْر، به.

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢٦) من طريق الزُّهري، به، بنحوه.

نفسه، جعلها حرامًا عليه إذا قضى الطَّواف، فلذلك جاءت هذه الآية(١).

وفي هذه الزِّينة قولان:

أحدهما: الثِّياب.

ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ورد في ستر العورة في الطَّواف، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن في جماعة.

والثَّاني: أنه ورد في ستر العورة في الصَّلاة، قاله مُجاهِد، والزَّجَّاج(٢).

والثَّالث: أنه ورد في التَّزين بأجمل الثِّياب في الجمع والأعياد، ذكره الماورديُّ(٣).

والثَّاني: أن المراد بالزِّينة: المشط، قاله أبو روْق.

قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

قال ابن السَّائب: كان أهل الجاهليَّة لا يأكلون في أيام حَجِّهم دَسَمًا، ولا ينالون من الطعام إلَّا قوتًا، تعظيمًا لحجَّتهم، فنزل قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾(٤).

وفي قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أربعة أقوال:

أحدها: لا تسرفوا بتحريم ما أحلَّ لكم، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧٧) عن معمر، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٥٤)، والأزرقي في أخبار مكَّة (١/ ١٧٥) من طريق معمر، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٢).

(٣) انظر: النُكت والعيون (٢/ ٢١٨).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٠).

والثَّاني: لا تأكلوا حرامًا، فذلك الإِسراف، قاله ابن زيد.

والثَّالث: لا تشركوا، فمعنى الإسراف هاهنا: الإشراك، قاله مقاتل[١].

والرَّابع: لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة، قاله الزَّجَّاج[٢].

ونُقل أن الرَّشيد كان له طبيب نصرانيٌّ حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطِّبِّ شيء، فقال علي: قد جمع الله تعالى الطِّبَّ في نصف آية من كتابنا. قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾. قال النَّصراني: ولا يؤثر عن نبيِّكم شيء من الطِّبِّ، فقال: قد جمع رسولنا علم الطِّبِّ في ألفاظ يسيرة. قال: وما [٢٦٧/ب] هي؟ قال: «**الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَالْحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّواءِ، وَعَوِّدُوا كَلَّ بَدَنٍ مَا اعْتَادَ**». فقال النَّصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيُّكم لجالينوس طبًّا[٣].

قال الشَّيخ[٤]: هكذا نقلتُ هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النَّبيِّ ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطِّبِّ أحاديث قد ذكرتها في كتاب: «لقط المنافع [في الطِّبِّ][٥]»[٦].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٣).

(٣) هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولا يصح رفعه إلى النَّبيِّ ﷺ. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة؛ لملا علي القاري (١/ ٣٢٠)، والسلسلة الضعيفة؛ للألباني (١/ ٤١٩).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ر)، وفي (ف): (قال المصنِّف).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من (ر).

(٦) وكتاب: «لقط المنافع في الطِّبِّ»: من كتب الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ المخطوطة التي لم=

قولـه تعَـالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المشركين عيَّروا المسلمين، إذ لبسوا الثِّياب في الطَّواف، وأكلوا الطَّيِّبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنهم كانوا يُحرِّمون أشياء أحلَّها الله من الزُّروع وغيرها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: نزلت في طوافهم بالبيت عراة، قاله طاوس، وعطاء.

وفي ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ستر العورة، فالمعنى: من حرَّم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟.

والثَّاني: أنها زينة اللِّباس.

وفي الطَّيِّبات قولان:

أحدهما: أنها الحلال.

والثَّاني: المستلذ.

=تر النور بعد، وقد سبق أن طُبع عن دار الكتب الوطنية بالقاهرة في مجلدين طبعة مختصرة.

ثم في ما عني بها ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنهـا البحائـر، والسَّـوائب، والوصائـل، والحوامـي التـي حرَّموهـا، قالـه ابـن عبَّـاسٍ، وقتـادة.

والثَّـاني: أنهـا السَّـمْن، والألبـان، واللَّحـم، وكانـوا حرَّمـوه في الإحـرام، قالـه ابـن زيد.

والثَّالث: الحرث، والأنعام، والألبان، قاله مقاتل[١].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً﴾.

قـال ابـن الأنبـاريِّ: ﴿خَالِصَةً﴾ نصـب عـلى الحـال مـن لام مضمـرة، تقديرهـا: هـي للذيـن آمنـوا في الحيـاة الدُّنيـا مشـتركة، وهـي لهـم في الآخـرة خالصـة، فحذفـت الـلام لوضـوح معناهـا، كـما تحـذف العـرب أشـياء لا يُلبِـس سـقوطها.

قال الشَّاعر[٢][من الطويل]:

تَقُـوْلُ ابْنَتِـي لَمَّـا رَأتْنـيَ شَـاحِبا ... كأنَّـكَ يَحْمِيـكَ الطَّعـامَ طَبِيـبُ
تَتَابَـعَ أَحْـدَاثٌ تَخَرَّمْـنَ إِخْـوَتي ... فشـيَّبن رَأْسِي، والخُطُـوبُ تُشِـيبُ

أراد: فقلـت لهـا: الـذي أكسـبني مـا تريـن، تتابـع أحـداث، فحـذف لانكشـاف المعنـى.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤).

(٢) البيـت لأبي الحدرجـان في نـوادر أبي زيـد (ص: ٢٣٩)، وبـلا نسـبة في الخصائـص (١/ ٢٢٩)، ولسـان العـرب (١٤/ ٨).

قال المفسِّرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطَّيِّبات، فأكلوا ولبسوا ونكحوا، ثم يخلص الله الطَّيِّبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيء.

وقيل: خالصة لهم من ضرر أو إثم.

وقرأ نافع: «خالصةٌ» بالرفع(١).

قال الزَّجَّاج: ورفعُها على أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب، والمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدُّنيا، خالصةٌ يوم القيامة(٢).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: هكذا نبيِّنها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾. [٢٦٨/أ]

قرأ حمزة: «ربي» بإسكان الياء(٣).

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: أن المراد بها الزِّنا، ما ظهر منه: علانيته، وما بطن: سرُّه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيد بن جُبَيْر.

والثَّاني: أن ما ظهر: نكاح الأمهات، وما بطن: الزِّنا، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال علي بن الحسين.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٣)، والتَّيسير (١/ ١٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨٠).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٣٠١)، والتَّيسير (١/ ١١٥).

والثَّالث: أن ما ظهر: نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، وما بطن: الزِّنا، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

والرَّابع: أن ما ظهر: الزِّنا، وما بطن: العزل، قاله شريح.

والخامس: أن ما ظهر: طواف الجاهليَّة عراة، وما بطن: الزِّنا، قاله مُجَاهِد.

والسَّادس: أنه عامٌّ في جميع المعاصي.

ثم في ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أن الظَّاهر: العلانية، والباطن: السِّرُّ، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

والثَّاني: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، والباطن: اعتقاد القلوب، قاله الماورديُّ[١].

وفي الإثم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الذَّنب الذي لا يوجب الحدَّ، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك، والفرَّاء[٢].

والثَّاني: المعاصي كلُّها، قاله مُجَاهِد.

والثَّالث: أنه الخمر، قاله الحسن، وعطاء.

قال ابن الأنباريِّ: أنشدنا رجل في مجلس ثعلب بحضرته، وزعم أن أبا عبيدة أنشده[٣]:

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٢١٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٣) بلا نسبة في الزَّاهر (٢/ ٢١)، واللسان (١٢/ ٧).

نَشْرَبُ الإِثْمَ بالصُّواعِ جِهَارًا وَنَرى المُتْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارَا

فقال أبو العباس: لا أعرفه، ولا أعرف الإثم: الخمر، في كلام العرب.

وأنشدنا رجل آخر[1] [من الوافر]:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الإِثْمُ تَذْهَبُ بالعُقُولِ

قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفًا أيضا في شعر من يحتجُّ بشعره، وما رأيت أحدًا من أصحاب الغريب أدخل الإثم في أسماء الخمر، ولا سمَّتها العرب بذلك في جاهليَّة و[لا][2] إسلام.

فإن قيل: إن الخمر تدخل تحت الإثم: فصوابٌ، لا؛ لأنه اسم لها.

فإن قيل: كيف فصل الإثم عن الفواحش، وفي كلِّ الفواحش إثم؟

فالجواب: أن كلَّ فاحشة إثم، وليس كلُّ إثم فاحشة، فكان الإثم كل فعل مذموم.

والفاحشة: العظيمة.

فأما «البغي»، فقال الفرَّاء: هو الاستطالة على النَّاس[3].

قوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا﴾.

قال الزَّجَّاج: موضع «أن» نصب، فالمعنى: حرَّم الفواحش، وحرَّم الشِّرك[4].

والسُّلطان: الحجَّة.

---

(١) بلا نسبة في الزَّاهر (٢/ ٢١)، ولسان العرب (٦/ ١٢)، وتهذيب اللُّغة (١٥/ ١٦١).

(٢) من (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٤).

قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عام في تحريم القول في الدِّين من غير يقين.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

سبب نزولها:

أنهم سألوا النَّبيَّ ﷺ العذاب، فأُنزلت، قاله مقاتل(١). [٢٦٨/ب]

وفي الأجل قولان:

أحدهما: أنه أجل العذاب.

والثَّاني: أجل الحياة.

قال الزَّجَّاج: الأجل: الوقت المؤقت(٢).

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ المعنى: ولا أقلَّ من ساعة، وإنما ذكر السَّاعة، لأنها أقل أسماء الأوقات.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٧].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٤).

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾.

قال الزَّجَّاج: أضمر: «فأطيعوهم»[١].

وقد سبق معنى ﴿إِمَّا﴾ في سورة «البقرة»[٢].

والباقي ظاهر إلى قوله: ﴿يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

ففي معناه سبعة أقوال:

أحدها: ما قُدِّر لهم من خير وشرٍّ، رواه مُجَاهِد عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: نصيبهم من الأعمال، فيُجزَون عليها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: ما كُتِبَ عليهم من الضَّلالة والهدى، قاله الحسن.

وقال مُجَاهِد[٣]، وابن جبير[٤]: من السَّعادة والشَّقاوة.

والرَّابع: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الرَّبيع، والقرظي، وابن زيد.

والخامس: ما كتب لهم من العذاب، قاله عكرمة، وأبو صالح، والسُّدِّي.

والسَّادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلِّها: أنه من افترى على الله كذبًا، اسودَّ وجهه، قاله مقاتل[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٨).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٦٩).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٦٩).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٥).

والسَّـابع: مـا أخـبر في الكتـب مـن جزائهـم، نحـو قولـه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليـل:١٤] قالـه الزَّجَّـاج[١].

فإذن في الكتاب خمسة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ.

والثَّاني: كُتُبُ الله كلُّها.

والثَّالث: القرآن.

والرَّابع: كتاب أعمالهم.

والخامس: القضاء.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾.

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أعوان مَلَكِ الموت، قاله النَّخعي.

والثَّاني: ملك الموت وحده، قاله مقاتل[٢].

والثَّالث: ملائكة العذاب يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يتوفَّونهم بالموت، قاله الأكثرون.

والثَّاني: يتوفَّونهم بالحشر إلى النَّار يوم القيامة، قاله الحسن.

والثَّالـث: يتوفَّونهـم عذابًـا، كـما تقـول: قتلـت فلانًـا بالعـذاب، وإن لم يمـت، قالـه الزَّجَّـاج[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٦).

قولــه: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبــدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهــذا سـؤال تبكيـت[١] وتقريـع.

قال مقاتل: المعنى: فليمنعوكم من النَّار[٢].

قـال الزَّجَّـاج: ومعنـى ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾: بطلـوا وذهبـوا، فيعترفـون عنـد موتهـم أنهـم كانـوا كافريـن[٣].

وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة.

قولــه تعَــالَى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٞ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابٗا ضِعْفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعْفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨].

قوله: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ﴾.

إن الله تعـالى يقـول لهـم ذلـك بواسـطة الملائكـة، لأن الله تعـالى لا يكلِّـم الكفـار يـوم القيامـة[٤].

قال ابن قُتَيْبة: و «في» بمعنى «مع»[٥].

وفي قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ قولان:

---

(١) في (ر): (تنكيت)!.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٥).

(٤) هنـاك نصـوص واردة تـدل أن الله يكلمهـم يـوم القيامـة، ونصـوص أخـرى تـدل عـلى نفـي كلام الله يـوم القيامـة، وهـي محمولـة عـلى أن الله لا يكلمهـم كلام رضـا ورحمـة، وإنـما يكلمهـم كلام فيـه توبيـخ وتقريـع وتبكيـت؛ زيـادة في عذابهـم يـوم القيامـة. والله أعلـم.

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٧).

أحدهما: مضت إلى العذاب.

والثَّاني: مضت في الزَّمان، يعني كفار الأمم الماضية.

قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

وهذه أُخُوَّةُ الدِّين والملَّة، لا أُخُوَّةُ النَّسب. [٢٦٩/أ]

قال ابن عبَّاسٍ: يلعنون من كان قبلهم[١].

قال مقاتل: كلما دخل أهل ملَّة، لعنوا أهل ملَّتهم، فيلعن اليهودُ اليهودَ، والنَّصارى النَّصارى، والمشركون المشركين، والأتباع القادة، ويقولون: أنتم ألقيتمونا هذا الملقى حين أطعناكم[٢].

وقال الزَّجَّاج: إنما تلاعنوا، لأن بعضهم ضلَّ باتِّباع بعض[٣].

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: أي: تداركوا، فأدغمت التاء في الدَّال، وأُدخلت الألف لِيَسْلَم السُّكون لِما بعدها، يريد تتابعوا فيها واجتمعوا[٤].

قوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: آخر أُمَّة لأول أُمَّة، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: آخر أهل الزَّمان لأوَّليهم الذين شرعوا له ذلك الدِّين، قاله السُّدِّي.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٦٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٧).

والثَّالث: آخرهم دخولًا إلى النَّار، وهم الأتباع، لأوَّلهم دخولًا، وهم القادة، قاله مقاتل[١].

قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: شرعوا لنا أن نتَّخذ من دونك إلهًا[٢].

قوله: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: عذابًا مضاعفًا[٣].

قوله: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: عذاب مضاعف.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

قرأ أبو بكر، والمفضَّل عن عاصم: «يعلمون» بالياء[٤].

قال الزَّجَّاج: والمعنى: لا يعلم كلُّ فريق مقدار عذاب الفريق الآخر[٥].

وقرأ الباقون: «تعلمون» بالتاء.

وفيها وجهان ذكرهما الزَّجَّاج:

أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكلٍّ فريق من العذاب.

والثَّاني: لا تعلمون يا أهل الدُّنيا مقدار ذلك[٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٦).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٦٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٥٨٩)، والحجَّة (٤/ ١٧)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

وقيل: إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة، ليكون أحد العذابين على الكفر، والثاني على إغرائهم به، فأجيبوا ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: كما كان للقادة ذلك، فلكم عذاب بالكفر، وعذاب بالاتباع.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٩].

قوله: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: في الكفر، نحن وأنتم فيه سواء، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: في تخفيف العذاب، قاله مجاهد.

قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ قال مقاتل: من الشِّرك والتَّكذيب[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بحججنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوَّة الأنبياء، وتكبَّروا عن الإيمان بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿لَا[2] تُفَتَّحُ﴾ بالتاء، وشدَّدوا التاء الثَّانية.

وقرأ أبو عمرو: «لا تُفْتَح» بالتاء خفيفة، ساكنة الفاء.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٦).

(٢) من (ر).

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «لا يُفْتَح» بالياء مضمومة خفيفة(١).

وقرأ اليزيدي عن اختياره: «لا تَفتح» بتاء مفتوحة، «أبوابَ السَّماء» بنصب الباء(٢). فكأنه أشار إلى أفعالهم.

وقرأ الحسن: بياء مفتوحة، مع نصب الأبواب(٣). كأنه يشير إلى الله ﷻ.

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

[٢٦٩/ب] **أحدها**: لا تفتح لأرواحهم أبواب السَّماء، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، وهو قول أبي موسى الأشعري، والسُّدِّي في آخرين، والأحاديث تشهد به.

والثَّاني: لا تفتح لأعمالهم، رواه العَوْفِي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، قاله ابن جريج، ومقاتل.

وفي السَّماء قولان:

أحدهما: أنها السَّماء المعروفة، وهو المشهور.

والثَّاني: أنَّ المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنَّة ولا يدخلونها، لأن الجنَّة في السَّماء، ذكره الزَّجَّاج(٤).

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٨)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) ﴿لا يَفتح﴾ عن اليزيدي. والصواب أنها بالتاء، وانظر: الكامل في القراءات العشر (١/ ٥٥٢).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن مجاهد والأعمش، وانظر: إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٣٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

﴿ٱلْجَمَلُ﴾: هو الحيوان المعروف.

فإن قال قائل: كيف خصَّ الجمل من دون سائر الدَّوابِّ، وفيها ما هو أعظم منه؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصِّل المقصود، والمقصود أنهم لا يدخلون الجنَّة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهمًا، وهذا لا يغني عنك فتيلًا، وإن كنا نجد أقلَّ من الدِّرهم والفتيل.

والثَّاني: أن الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدَّوابِّ، فإنهم يقدِّمونه في القوَّة على غيره، لأنه يوقَر بحمله فينهض به دون غيره من الدَّوابِّ، ولهذا عجَّبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]، فآثر الله تعالى ذكره على غيره لهذا المعنى. ذكر الجوابين ابن الأنباريِّ.

قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عبَّاسٍ أنه قرأ: «حتى يلج الجُمَّلُ» بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْس الغليظ[١].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن ابن عباس، وفي المحتسب (١/ ٢٤٩)، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢٩٧) ابن عباس في رواية عطاء والضَّحَّاك والجحدري.

قلت[١]: وهي[٢] قراءة أبي رزين، ومُجَاهِد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يَعْمَرَ، وأبان عن عاصم[٣].

قال: وروى مُجَاهِد عن ابن عبَّاسٍ: «حتى يلج الجُمَلُ» بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها.

قلت[٤]: وهي قراءة قتادة.

وقد رويت عن سعيد بن جُبَيْر، وأنه قرأ: «حتى يلج الجُمْل» بضم الجيم وتسكين الميم.

قلت[٥]: وهي قراءة عكرمة[٦].

قال ابن الأنباريِّ: فالجُمَل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجُمَّلُ، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجِمال، قيل في جمعها: جمل، كما يقال: حُجْرة، وحُجَر، وظُلْمة، وظُلَم. وكذلك من قرأ: «الجُمْلَ» يسوغ له أن يقول: الجُمْلُ، بمعنى الجُمَّل، وأن يقول: الجُمْل، جمع جُمْلة، مثل بُسْرة، وبُسْر. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الحبل والحبال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال.

---

(١) في (ف): (قال المصنِّف).

(٢) في (ر): (وهذه).

(٣) انظر: المحتسب (١/ ٢٤٩)، و الكامل (١/ ٥٥٢).

(٤) في (ف): (قال المصنِّف).

(٥) في (ف): (قال المصنِّف).

(٦) انظر: المحتسب (١/ ٢٤٩).

وروى عطاء بن يسار عن ابن عبَّاسٍ أنه قرأ: «الجُمُل» بضم الجيم والميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضَّحَّاك، والجَحْدَري.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء: «الجَمْل» بفتح الجيم، وبسكون الميم خفيفة.

قوله: ﴿فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

السَّمُّ في اللُّغة: الثُّقْب.

وفيه ثلاث لغات: [٢٧٠/أ]

فتح السين، وبها قرأ الأكثرون.

وضمها، وبه قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، وطلحة بن مصرِّف(١).

وكسرها، وبه قرأ أبو عمران الجوني، وأبو نهيك، والأصمعيُّ عن نافع(٢).

قال ابن القاسم: والخياط: المِخْيَط، بمنزلة اللِّحاف والملحف، والقِرام والمقرم(٣).

وقد قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو مجلز: «في سمِّ المخيط»(٤).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٩): أبو السَّمَّال. وفي المحرَّر الوجيز (٢/ ٤٠٠)، والتَّحصيل (٣/ ٣٣): ابن سيرين، وأبو السَّمَّال. وفي الكامل (١/ ٥٥٢): أبو حيوة، وأبو السَّمَّال، وأحمد، وابن مُحَيْصِن، وقَتَادَة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٩) أبو حيوة، وفي الكامل (١/ ٥٥٢) الأصمعي عن نافع.

(٣) انظر: شرح القصائد السبع (١/ ٥٣١).

(٤) في لغات القرآن (١/ ٦٨)، والمحرَّر الوجيز (٢/ ٤٠٠)، ومختصر ابن خالويه (ص:٤٩) عن ابن مسعود.

قال الزَّجَّاج: الخياط: الإبرة، وسَمُّها: ثُقبها. والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنَّة أبدًا(١).

قال ابن قُتَيْبة: هذا كما يقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، ويَبْيَضَّ القارُ(٢).

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنَّة.

قوله تعالَى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف: ٤١، ٤٢].

قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ المهاد: الفراش.

وفي المراد بالغواشي ثلاثة أقوال:

أحدها: اللُّحُفُ، قاله ابن عبَّاسٍ، والقرظي، وابن زيد.

والثَّاني: ما يغشاهم من فوقهم من الدُّخان، قاله عكرمة.

والثَّالث: غاشية فوق غاشية من النَّار، قاله الزَّجَّاج(٣).

قال ابن عبَّاسٍ: والظالمون هاهنا: الكافرون(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٨).

(٤) في التفسير الوسيط (٢/ ٣٦٨): يريد الذين أشركوا به، واتخذوا من دونه إلهًا.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأعراف: ٤٣].

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

فيمن عني بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أهل بدر.

روى الحسن عن عليٍّ؛ أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾(١).

وروى عمرو بن الشَّريد عن عليٍّ أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزُّبير، من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾(٢).

والثَّاني: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهليَّة حين أسلموا.

روى كثير النَّوَّاء عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في عليٍّ، وأبي بكر، وعمر، قلت لأبي جعفر: فأي غلٍّ هو؟ قال: غلُّ الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في الجاهلية شيء، فلما أسلم هؤلاء، تحابُّوا، فأخذتْ أبا بكر الخاصرةُ، فجعل عليٌّ يسخِّن يده ويكمِّد بها

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (٨٤٦٦) في تفسيرهما، من طريق ابن عيينة، عن إسرائيل، عن الحسن، به.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (٧٥٨) من طريق شعبة، عن حبيب بن الزبير، عن عبد الرحمن بن الشريد، به.

خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية[(١)].

والثَّالث: عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، قاله أبو صالح[(٢)].

والرَّابع: أنها في صفة أهل الجنَّة إذا دخلوها.

روى أبو سعيد الخدري عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجنَّةِ. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي[(٣)] كَانَ فِي الدُّنيا**»[(٤)].

وقال ابن عبَّاسٍ: أول ما يدخل أهلُ الجنَّة الجنَّة[(٥)]، تعرض لهم
٢٧٠/ب] عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيُذهب الله ما في قلوبهم من غلٍّ وغيره مما كان في الدُّنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتُشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النَّعيم[(٦)(٧)].

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٤) عن علي بن هاشم، عن كثير، يعني: النواء، قال: قلت لأبي جعفر: إن فلانًا حدثني، عن علي بن حسين، فذكره. ومن طريقه أخرجه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٧٦).

(٢) لم نقف عليه مسندًا.

(٣) ليست في (ف).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٣٥)، وأحمد في مسنده (١٧/ ١٩٥).

(٥) من قوله: (منه بمنزله الذي كان في الدنيا)... إلى هنا، سقط من (ر).

(٦) في (ر): (الغنم)!.

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٨٤٧٠) في تفسيرهما بنحوه عن السُّدِّي.

فأما «النَّزع» فهو قلع الشيء من مكانه.

و«الغلُّ»: الحقد الكامن في الصَّدر.

وقال ابن قُتَيْبة: الغلُّ: الحسد والعداوة[١].

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾.

قال الزَّجَّاج: معناه: هدانا لِما صيَّرنا إلى هذا[٢].

قال ابن عبَّاسٍ: يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته[٣].

وروى عاصم بن ضمرة عن علي؛ قال: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منثور، فيطوفون بهم كإطافتهم بالحميم جاء من الغيبة، ويبشِّرونهم بما أعدَّ الله لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشِّرونهنَّ، فيستخفهنَّ الفرح، فيقمن على أُسْكُفَّةِ الباب، فيقلن: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه، فإذا صخر من لؤلؤ، ثم يرفع بصره، فلولا أن الله ذلَّله لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك، فإذا هو بالسُّرر الموضونة، والفرش المرفوعة، والزَّرابي المبثوثة، فعند ذلك قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ[٤]﴾[٥].

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٩).

(٣) أورد نحوه الواحدي في تفسيره البسيط (٩/ ١٤٠) بلفظ: «حمدوا الله على ما أرشدهم إليه ووفقهم له».

(٤) قوله: (لولا أن هدانا الله)، ليس في (ف).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢٠٠-٢٠١)، وابن أبي حاتم (٨٤٧٦) في تفسيرهما من طريق أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة، به.

كلُّهم قرأ: ﴿وَمَا كُنَّا﴾ بإثبات الواو[١].

غير ابن عامر، فإنه قرأ: «ما كنا لنهتديَ» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام[٢].

قال أبو علي: وجه الاستغناء عن الواو أن القصة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف، ومثله ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢][٣].

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ هذا قول أهل الجنَّة حين رأوا ما وعدهم الرُّسل عيانًا.

﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ قال الزَّجَّاج: إنما قال: ﴿تِلْكُمُ﴾ لأنهم وعدوا بها في الدُّنيا، فكأنه قيل لهم: هذه تلكم التي وُعدتم بها[٤].

وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «أورثْتُموها» غير مدغمة[٥].

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي «أورتُّموها» مدغمة[٦].

وكذلك قرءوا في «الزُّخرف»[٧].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ٢٥)، والمبسوط (١/ ٢٠٨).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ٢٥)، والمبسوط (١/ ٢٠٨).

(٣) انظر: الحجَّة (٤/ ٢٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٠).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والحجَّة (٤/ ٢٥).

(٦) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والحجَّة (٤/ ٢٥).

(٧) انظر: المصادر السابقة.

قال أبو علي: من ترك الإدغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم، فلأن التاء والثاء مهموستان متقاربتان(١).

وفي معنى ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أربعة أقوال:

أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَرِثُ الْمُؤْمِنَ مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ الْكَافِرَ مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ**» فذلك قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

وقال بعضهم: لما سمي الكفار أمواتًا بقوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل:٢١]. وسمّى المؤمنين أحياء بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٧٠] أورث الأحياء الموتى.

والثَّاني: أنهم أُورثوها عن الأعمال، لأنها جُعلت جزاءً لأعمالهم، وثوابًا عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدِّمشقي. [١/٢٧١]

والثَّالث: أن دخول الجنَّة برحمة الله، واقتسامَ الدَّرجات بالأعمال. فلما كان يفسَّر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثًا. والميراث: ما أخذته عن غير عوض.

والرَّابع: أن معنى الميراث هاهنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث.

---

(١) انظر: الحجَّة (٤/ ٢٥-٢٦).

(٢) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٦٩) من طريق أبي بكر بن عيَّاش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به.

قولـه تعـالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ [الأعـراف: ٤٤، ٤٥].

قولـه: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾ أي: مـن العـذاب؟ وهـذا سـؤال تقريـر وتعيـير.

﴿قَالُواْ نَعَمۡ﴾ قرأ الجمهور بفتح العين في جميع القرآن.

وكان الكِسَائِي يكسرها[1].

قال الأخفش: هما لغتان.

قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: نادى منادٍ.

﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾.

قـرأ ابـن كثـير في روايـة قنبـل، ونافـع، وأبـو عمـرو، وعاصـم: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ خفيفـة النـون سـاكنة.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: «أنَّ» بالتشديد، «لعنةَ الله» بالنصب[2].

قـال الأخفـش: و«أنْ» في قولـه: ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ [الأعـراف:٤٣] وقولـه: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾، وقولـه: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [يونـس:١٠]، و﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾، هـي «أنَّ» الثقيلـة خففـت[3].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والمبسوط (١/ ٢٠٩).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والحجَّة (٤/ ٢١ـ ٢٢)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٦).

قال الشَّاعر(١) [من البسيط]:

في فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أنْ هَالِكٌ كلُّ مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعِلُ

وأنشدوا أيضًا(٢) [من الوافر]:

أُكاشِرُهُ وَأعْلَمُ أنْ كِلانَا ... عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَه حَرِيْصُ

ومعناه: أنه كلانا. وتكون ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ في معنى: أي.

قال ابن عبَّاسٍ: والظَّالمون هاهنا: الكافرون(٣).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أذَّن المؤذِّن أن لعنة الله على الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله، وهو الإسلام.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مفسَّر في «آل عمران».

﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: وهم بِكَوْن الآخرة ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

قوله تعالَى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: ٤٦].

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ١٠٩)، والإنصاف (ص: ١٩٩)، وتخليص الشواهد (ص: ٣٨٢)، وخزانة الأدب (٥/ ٤٢٦).

(٢) البيت لعدي بن زيد في الكتاب (٣/ ٧٤)، وليس في ديوانه؛ ولعمر بن جابر الحنفي في حماسة البحتري (ص ١٨)، وبلا نسبة في الإنصاف (١/ ١٦٣)، وشرح المفصل (١/ ٥٤)، والمقتضب (٣/ ٢٤١).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٧٠) عن ابن عباس بلفظ: «يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله، وهم بالآخرة أي: بالدار الآخرة والمصير إلى الله كافرون».

قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الجنَّة والنَّار حاجز، وهو السُّور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ﴾ [الحديد:١٣]، فسُمِّي هذا السُّور بالأعراف لارتفاعه.

قال ابن عبَّاسٍ: الأعراف: هو السُّور الذي بين الجنَّة والنَّار، له عرف كعرف الدِّيك[١].

وقال أبو هريرة: الأعراف: جبال بين الجنَّة والنَّار، فهم على أعرافها، يعني: على ذراها، خِلقتها كخِلقة عرف الدِّيك[٢].

قال اللُّغويون: الأعراف عند العرب: كلُّ ما ارتفع من الأرض وعلا يقال لكلِّ عال: عُرف، وجمعه: أعراف.

قال الشَّاعر[٣][من الرجز]:

كُلُّ كِنازٍ لَحْمُه نِيَافِ ... كالعَلَمِ المُوفي على الأَعْرافِ

وقال الآخر[٤]:

وَرِثتُ بِنَاءَ آبَاءٍ كِرَامٍ ... عَلَوْا بالمَجْدِ أعْرَافَ البِنَاءِ

وفي ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم من بني آدم، قاله الجمهور.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢١١) من طريق مجاهد، به.

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (ص: ٢١٥)، وتفسير ابن جرير (١٠/ ٢٠٩)، ولسان العرب(٩/ ٣٤٣).

(٤) بلا نسبة في الأضداد (ص:٣٧٠)، والمقصور والممدود؛ للقالي (١/ ٤٤٩).

وزعم مقاتل أنهم من أُمة محمد ﷺ خاصة(١).

وفي أعمالهم تسعة أقوال:

أحدها: أنهم قوم قُتلوا في سبيل الله ﷻ بمعصية آبائهم، فمنعهم من [٢٧١/ ب] دخول الجنَّة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النَّار قتلهم في سبيل الله، وهذا مرويٌّ عن النَّبيِّ ﷺ(٢).

والثَّاني: أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تبلغ بهم حسناتهم دخول الجنَّة، ولا سيئاتهم دخول النَّار، قاله ابن مسعود، وحذيفة، وابن عبَّاسٍ، وأبو هريرة، والشَّعبي، وقتادة.

والثَّالث: أنهم أولاد الزِّنا، رواه صالح مولى التَّوأمة عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله الحسن، و مُجَاهِد. فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النُّزهة.

والخامس: أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أُمهاتهم، أو أُمهاتهم دون آبائهم، رواه عبد الوهاب بن مُجَاهِد عن إبراهيم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٩).

(٢) رواه أحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢١٠)، والحارث بن أسامة كما في بغية الباحث (٢/ ٧٢٢)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٩٥٤)، وابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٨٤٩٨) في تفسيرهما، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٥٢)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٤) من طريق أبي معشرٍ، عن يحيى بنِ شِبْلٍ، عن عمرو بن عبد الرحمن المزني، عن أبيه، به.
وأبو معشر هو نجيح بن عبد الرَّحمن السِّندي، ضعيف، مرة يرويه موصولاً، ومرة يرسله، ومرة يسمِّي ابن عبد الرحمن المزني: عمرًا، ومرة: عمر، ومرة: محمدًا، ومرة: يحيى.

والسَّادس: أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدِّلوا دينهم، قاله عبد العزيز بن يحيى.

والسَّابع: أنهم أنبياء، حكاه ابن الأنباريِّ.

والثامن: أنهم أولاد المشركين، ذكره المَنْجُوفي[١] في تفسيره[٢].

والتَّاسع: أنَّهم قوم عملوا لله تعالى، لكنهم راءوا في عملهم، ذكره بعض العلماء.

والقول الثَّاني: أنهم ملائكة، قاله أبو مجلز، واعتُرِض[٣] عليه، فقيل: إنهم رجال، فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث.

وقيل: معنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: على معرفة أهل الجنَّة من أهل النَّار، ذكره الزَّجَّاج[٤]، وابن الأنباري. وفيه بُعدٌ وخلاف للمفسِّرين.

قوله: ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ أي: يعرف أصحابُ الأعراف أهل الجنَّة وأهل النَّار.

---

(١) في الأصل: (المنخوفي)!، والمثبت من (ج)، و(ف).

(٢) وهذا التفسير لم نقف عليه بعد البحث والتحرِّي، ولعلَّه من الكتب المفقودة، وأمَّا (المَنْجُوفي)، فالمشهور بهذه النِّسبة، هو: أحمد بن عبد الله بن علي المَنْجُوفي: نسبة إلى جدِّ أبيه منجوف، بفتح الميم وسكون النون وضم الجيم، وفي آخره فاء، ومعناه المُوَسَّع، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وهو من شيوخ الإمام البخاري رحمه الله. انظر: إرشاد الساري؛ للقسطلاني (١/ ١٣٤). فقد يكون هو مؤلِّف هذا التفسير، وقد يكون غيره، والله أعلم.

(٣) في (ر): (فاعترض).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٣).

وسيما أهل الجنَّة: بياض الوجوه، وسيما أهل النَّار: سواد الوجوه، وزرقة العيون. والسِّيما: العلامة.

وإنما عرفوا النَّاس، لأنهم على مكانٍ عالٍ يشرفون فيه على أهل الجنَّة والنَّار.

﴿وَنَادَوْا﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنَّة وهم يطمعون في دخولها، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يُذهَب بها إلى الجنَّة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها، هذا قول السُّدِّي.

قوله تعالَى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٧].

قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعني أصحاب الأعراف.

والتِّلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة.

وقال أبو عبيدة: تلقاء أصحاب النَّار، أي: حيالهم[1].

قوله تعالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٨].

قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢١٥).

روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ قال: ينادون: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاص بن وائل، يا أميَّة بن خلف، يا أُبيَّ بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار، ما أغنى عنكم جمعكم في الدُّنيا المال والولد(١). [٢٧٢/أ]

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: تتعظَّمون عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٩].

قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن أهل النَّار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النَّار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنَّة، فيقول الله تعالى لأهل النَّار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني أهل الأعراف ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ﴾ رواه وهب بن منبه عن ابن عبَّاسٍ.

قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اطَّلع عليهم ربُّهم فقال لهم: ادخلوا الجنَّة فإني قد غفرت لكم(٢).

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٢٣٧)، والبحر المحيط (٥/ ٥٩).

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٩٥٥)، وابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٨٤٩٩) في تفسيرهما، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٢) وغيرهم من طريق الشَّعبي، عن حذيفة ﷺ، وسنده ضعيف؛ للانقطاع بين عامر الشَّعبي وحذيفة.
وقد رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٠)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٢) من طريق الشعبي، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، به، بنحوه.

والثَّاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنَّة الفقراء والمساكين الذين كان الكفَّار يستهزئون بهم، كسلمان، وصهيب، وخبَّاب، فينادون الكفار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ وأنتم في الدُّنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾. قاله ابن السَّائب.

فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: ﴿بِرَحۡمَةٍ﴾ ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنَّة.

وقد ذكر المفسِّرون في قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون خطابًا من الله لأهل الأعراف، وقد ذكرناه.

والثَّاني: أن يكون خطابًا من الله لأهل الجنَّة.

والثَّالث: أن يكون خطابًا من أهل الأعراف لأهل الجنَّة، ذكرهما الزَّجَّاج(١).

فعلى هذا الوجه الأخير، يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنَّة: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾: اعلوا إلى القصور المشرفة، وارتفعوا إلى المنازل المنيفة، لأنهم قد رأوهم في الجنَّة.

وروى مُجَاهِد عن عبد الله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهر يقال له: الحياة، عليه قضبان الذَّهب مكلَّلة باللؤلؤ، فيُغمسون فيه، فيخرجون، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، ويقال لهم: تمنَّوا ما شئتم، ولكم سبعون ضعفًا، فهم مساكين أهل الجنَّة(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن إعرابه (٢/ ٣٤٣ـ ٣٤٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٤٠٤١)، وابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٠)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٦).

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠].

قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنَّة، وطمع[١] أهل النار في الفرج بعد اليأس، فقالوا: يا رب، إن لنا قرابات من أهل الجنَّة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلِّمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النَّعيم فعرفوهم. ونظر أهل الجنَّة إلى قراباتهم من أهل جهنَّم فلم يعرفوهم، قد اسودَّت وجوههم وصاروا خلقًا آخر، فنادى أصحابُ النار أصحاب الجنَّة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم، فينادي الرَّجل أخاه: يا أخي قد احترقتُ فأغثني فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٢].

قال السُّدِّي: عنى بقوله: ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الطَّعام[٣].

[٢٧٢/ب] قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ أن ابن آدمَ غيرُ مستغنٍ عن الطعام والشَّراب، وإن كان معذَّبًا[٤].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾ [الأعراف: ٥١].

---

(١) في (ر): (طمع).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣٢) من طريق سعيد بن جبير، به، مختصرًا.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (٨٥٣٤) في تفسيرهما من طريق أسباط بن نصر، به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٤).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: هم المستهزئون(١).

والمعنى: أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم.

وقال أبو رَوْق: دينهم: عيدهم(٢).

وقال قتادة: ﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أي: أكلًا وشربًا(٣).

وقال غيره: هو ما زيَّنه الشيطان لهم من تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والمكاء، والتصدية، ونحو ذلك من خصال الجاهلية.

قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا(٤).

و«ما» نسق على «كما» في موضع جرٍّ. والمعنى: وكجحدهم.

قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يكون المعنى: فاليوم نتركهم في النَّار على علم منا ترك ناسٍ غافلٍ كما استعملوا(٥) في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغفل.

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم مختصرًا (٨٥٣٩) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: «وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا دُعُوا إِلَى الْإِيمَانِ سَخِرُوا مِمَّنْ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَهَزَءُوا بِهِ اغْتِرَارًا بِاللهِ» ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١] يَقُولُ: وَخَدَعَهُمْ عَاجِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالْخَفْضِ وَالدَّعَةِ عَنِ الْأَخْذِ بِنَصِيبِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ حَتَّى أَتَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ.

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٤/ ٢٣٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٤٩) من طريق عمر بن نبهان، به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤١).

(٥) في (ر): (اشتغلوا).

قولــه تعــالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَـةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعـراف: ٥٢].

قولــه: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ﴾ يعنــي القــرآن ﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾ أي: بيَّنَّــاه بإيضــاح الحــقِّ مــن الباطــل.

وقيـل: فصَّلنـاه فصـولًا مـرة بتعريـف الحـلال، ومـرة بتعريـف الحـرام، ومـرة بالوعـد، ومـرة بالوعيـد، ومـرة بحديـث الأمـم.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قولان:

أحدهما: على علم منا بما فصَّلناه.

والثَّاني: على علم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه.

وقــرأ ابــن السَّـمَيْفع، وابــن محيصــن، وعاصــم، والجحــدري، ومعــاذ القــارئ: «فضَّلنــاه» بضــاد معجمــة[1].

قولــه تعــالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعـراف: ٥٣].

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: تصديق ما وُعدوا في القرآن[2].

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ وهــو يــوم القيامــة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أي: تركــوه ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيــا ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالبعــث بعــد المــوت.

---

(١) في مختــصر ابــن خالويــه (ص: ٤٩)، والمحــرر الوجيــز (٢/ ٤٠٧) عــن ابــن محيصــن، وفي البحــر المحيــط (٥/ ٦٢) وزاد الجحــدري.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٢٤٢) بلفظ: يوم القيامة.

قوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أو هل نُردُّ(١).

وقوله: ﴿فَنَعْمَلَ﴾ منصوب على جواب الفاء للاستفهام.

قوله تعالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف: ٥٤].

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

اختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوم السبت. روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «**خَلَقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَةَ(٢) يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**»(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٢).

(٢) في (ف): (البريّة).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٧)، ومسلم (٢٧٨٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٤٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: «خلق الله التربة يوم السبت» فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، وقال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الأحبار، وقد ذكر تعليله البيهقي أيضاً، وبينوا أنه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ، وهو مما أنكر الحُذّاق على مسلم إخراجه إياه. انظر: الفتاوى (١٧/ ٢٣٦).=

وهذا اختيار محمد بن إسحاق. وقال ابن الأنباريِّ: وهذا إجماع أهل العلم.

والثَّاني: يوم الأحد. قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضَّحَّاك، ومُجَاهِد، واختاره ابن جرير الطَّبري[1]، وبه يقول أهل التَّوراة.

والثَّالث: يوم الإثنين. قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل.

[٢٧٢/أ] ومعنى قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشَّمس وغروبها، ولم تكن الشَّمس حينئذ.

قال ابن عبَّاسٍ: مقدار كلِّ يوم من تلك الأيام ألف سنة[2]. وبه قال كعب[3]، ومُجَاهِد[4]، والضَّحَّاك[5]، ولا نعلم خلافًا في ذلك.

ولو قال قائل: إنها كأيام الدُّنيا، كان قوله بعيدًا من وجهين:

أحدهما: خلاف الآثار.

=وقال ابن كثير: هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري، وغير واحد من الحفَّاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة، فجعله مرفوعاً، وذكره أيضًا.... وقال: وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، ليس مرفوعاً. انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢١٥ـ٣/ ٤٢٦).

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (١٢/ ٣٢٨).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (١٨/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم (٨٥٧٥) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٢/ ٣٢٩) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، به.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٦/ ٥٩٨).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٢/ ٣٣٠) عن أبي روق، به.

والثَّاني: أن الذي يتوهمه المتوهِّم من الإبطاء في ستة آلاف سنة، يتوهمه في ستة أيام عند تصفُّح قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فإن قيل: فهلَّا خلقها في لحظة، فإنه قادر؟

فعنه خمسة أجوبة:

أحدها: أنه أراد أن يوقع في كلِّ يوم أمرًا تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الأنباريِّ.

والثَّاني: أن التثبُّت في تمهيد ما خُلق لآدم وذرِّيَّته قبل وجوده، أبلغُ في تعظيمه عند الملائكة.

والثَّالث: أن التَّعجيل أبلغ في القدرة، والتَّثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

والرَّابع: أنه علَّم عباده التَّثبُّت، فإذا تثبَّت من لا يزلُّ، كان ذو الزَّلل أولى بالتَّثبُّت.

والخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطَّبع أو بالاتِّفاق.

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾.

قال الخليل بن أحمد: ﴿العرشُ﴾: السَّرير، وكل سرير لملك يسمى عرشًا، وقلَّما يُجمع العرش إلا في اضطرار[1].

واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهليَّة والإسلام.

قال أُمية بن أبي الصلت[2]:

(١) انظر: العين (١/ ٢٤٩).

(٢) الأبيات في تأويل مختلف الحديث (١/ ١١٩)، والمجالسة وجواهر العلم (٤/ ٥٨).

مجِّـدوا الله فَهْــو لِلمَجْـدِ أهْـلٌ   ربُّنــا في السَّـماء أمْسَــى كَبـيْرا
بالبنـاء الأعـلى الـذي سبق النَّـا   س وسـوَّى فـوق السَّـماء سَرِيـرَا
شَرْجَعًــا لا يَنَالُــهُ نَاظِــرُ العَيْـ   ـنِ تَـرَى دُوْنَـه المَلائِـكُ صُـوْرا

وقال كعب: إن السَّماوات في العرش كالقنديل معلَّق بين السَّماء والأرض[1].

وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطَّائي قال: العرش ياقوتة حمراء[2].

وإجماع السَّلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية[3].

وقد شذَّ قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٠١٨٢) في تفسيره.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٧٩)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦/ ٢٢٢).

(٣) إن أراد به أنَّهم لا ينفون ما دلَّت عليه، وما ذكر فيها بتأويلات النفاة؛ مثل قولِهم: العرش والملك، أوِ اسْتوى بمعْنَى: استولى ونحو ذلك فهم ينكرونه؛ فهذا صحيح. وإنْ أراد أنَّ السَّلف لم يكونوا يعلَمون معْنى الاسْتواء ولا فسَّرُوه فهذا باطِلٌ خلاف المنقول المتواتر عنهم؛ مثل قول ربيعة ومالك لمَّا قيل لهم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجِبٌ، والسُّؤال عن الكيْفِ بدْعةٌ. وذكر البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد لمَّا ذكر الاستواء، قال أبو العالية: استوى إلى السَّماء ارتفع فسوى خلقهن. وقالَ مُجاهد: استوى على العرش علَا على العرش، وهذا ممَّا رَواه أهْلُ التَّفْسير، فروى ابن أبي حاتم وغيره بالإسناد المعروف عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة ٢٩]، قال: ارتفع. قال: وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثله، وفي قوْله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة ٢٩] قال: سوى خلقهن، وأعاد ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف ٥٤]، وروي عن قتادة أنَّه قَالَ: استوى على العرش في اليوم السابع ،قال: وروي عن محمد بن إسحاق مثل ذلك.
انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٣٠١- ٣٠٣).

الى التجوُّز، مع مخالفة الأثر، ألم يسمعوا قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧] أتراه كان المُلك على الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟!.

وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى، ويحتجُّ بقول الشَّاعر(١)[من الرجز]:

حتَّى اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبقول الشَّاعر أيضًا(٢):

هُمَا اسْتَوَيا بِفَضْلِهِما جَمِيْعًا ... عَلَى عَرْشِ المُلُوكِ بغَيْرِ زُوْرِ

وهذا منكر عند اللُّغويين.

قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم.

قالوا: وإنما يقال: استولى فلان على كذا، إذا كان بعيدًا عنه غير متمكن منه، ثمَّ تمكَّن منه، والله ﷻ لم يزل مستوليًا على الأشياء، والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللُّغوي.

ولو صحَّا، فلا حجَّة فيهما لما بيَّنَّا من استيلاء من لم يكن مستوليًا.

نعوذ بالله من تعطيل الملحدة، وتشبيه المجسِّمة.

قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُغْشي» ساكنة الغين خفيفة.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم: «يُغَشِّي» مفتوحة الغين مشددة.

---

(١) نُسب للأخطل في تاج العروس مادة (سوا)، وليس في ديوانه؛ وبلا نسبة في لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، ورصف المباني (ص: ٣٧٢).

(٢) بلا نسبة في البحر المحيط (٥/ ٦٥).

وكذلك قرءوا في «الرعد»(١).

قال الزَّجَّاج: المعنى: أن اللَّيل يأتي على النَّهار فيغطِّيه، وإنما لم يقل: ويغشي النَّهار اللَّيل، لأن في الكلام دليلًا عليه، وقد قال في موضع آخر: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر:٥](٢).

وقال أبو علي: إنما لم يقل: يغشي النَّهار اللَّيل، لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل:٨١]، وانتصب اللَّيل والنَّهار، لأن كلَّ واحد منهما مفعول به(٣).

فأما «الحثيث» فهو السَّريع.

قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ﴾.

قرأ الأكثرون: بالنَّصب فيهنَّ. وهو على معنى: خلق السَّماوات والشَّمس.

وقرأ ابن عامر: «والشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ مسخراتٌ» بالرفع فيهن هاهنا وفي «النَّحل»، تابعه حفص في قوله تعالى: «وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ» في «النحل» فحسب. والرفع على الاستئناف(٤).

والمسخَّرات: المذلَّلات لما يراد منهنَّ من طلوع وأفول وسير على حسب إرادة المدبِّر لهنَّ.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾ لأنه خلقهم ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾ فله أن يأمر بما يشاء. وقيل: الأمر: القضاء.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٢)، والحجَّة (٤/ ٢٦-٢٧)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٢).

(٣) انظر: الحجَّة (٤/ ٢٨).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٢-٢٨٣)، والحجَّة (٤/ ٢٨-٢٩)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: تفاعل من البركة، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ. وكذلك قال القتيبيُّ، والزَّجَّاج(١).

وقال أبو مالك: افتعل من البركة.

وقال الحسن: تجيء البركة من قِبَله(٢).

وقال الفرَّاء: تبارك: من البركة وهو في العربية كقولك: تقدَّس ربُّنا(٣).

والثَّاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. وكذلك قال أبو العباس: تبارك: ارتفع، والمتبارِك: المرتفِع(٤).

والثَّالث: أن المعنى: باسمه يُتبرَّك في كلِّ شيء، قاله ابن الأنباريِّ(٥).

والرَّابع: أن معنى «تبارك» تقدَّس، أي: تطهَّر، ذكره ابن الأنباريِّ أيضًا(٦).

قوله تعالَى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

قوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾.

«التَّضرُّع»: التذلُّل والخضوع. و«الخُفية»: خلاف العلانية.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٧).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٢٣)، وتفسير البغوي (٢/ ١٩٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٦٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٣٠)، ولسان العرب (١٠/ ٣٩٦).

(٥) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٣).

(٦) انظر: المصدر السابق.

قال الحسن: كانوا يجتهدون في الدُّعاء، ولا تسمع إلا همسًا[١].

ومن هذا حديث أبي موسى: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا»[٢].

وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان: [٢٧٣/أ]

أحدهما: أنه الاعتداء في الدُّعاء.

ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشَّرِّ، كالخزي واللَّعنة، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومقاتل.

والثَّاني: أن يسأل ما لا يستحقُّه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز.

والثَّالث: أنه الجهر في الدُّعاء، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: أنه مجاوزة المأمور به، قاله الزَّجَّاج[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

فيه ستة أقوال:

أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان.

والثَّاني: لا تفسدوها بالظُّلم بعد إصلاحها بالعدل.

والثَّالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطَّاعة.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٩٦٧١)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٢٤٧).

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٤).

والرَّابع: لا تعصوا، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب.

والخامس: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه.

والسَّادس: لا تفسدوها بتكذيب الرُّسل بعد إصلاحها بالوحي.

وفي قوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ قولان:

أحدهما: خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه.

والثَّاني: خوفًا من الرَّدِّ، وطمعًا في الإجابة.

قوله: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

قال الفرَّاء: رأيت العرب تؤنِّث القريبة في النَّسب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منَّا قريب، ومن القرب والبعد، ذكَّروا وأنَّثوا، وذلك أنهم جعلوا القريب خَلَفًا من المكان، كقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود:٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، ولو أُنِّث ذلك لكان صوابًا[(١)].

قال عروة[(٢)][من الطويل]:

عَشِيَّةَ لاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ قريبةٌ ... فَتَدْنُو وَلاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ

وقال الزَّجَّاج: إنما قيل: «قريب»؛ لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد، وكذلك كلُّ تأنيث ليس بحقيقي[(٣)].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨١).

(٢) البيت في المذكر والمؤنث (٢/ ٢٨)، ولسان العرب (٣/ ٩٠)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٤).

وقال الأخفش: جائز أن تكون الرَّحمة هاهنا في معنى المطر[(١)].

قولــه تعــالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعـراف: ٥٧].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم: «الرِّياح» على الجمع.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكِسَائِي: «الرِّيح» على التَّوحيد[(٢)].

وقـد يـأتي لفـظ التَّوحيـد ويـراد بـه الكثـرة كقولهـم: كثـر الدِّرهـم في أيــدي النــاس، ومثلــه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العـصر:٢].

قوله: ﴿بُشْرًا﴾.

قـرأ أبـو عمـرو، وابـن كثـير، ونافـع: «نُـشُرًا» بضـم النـون والشـين[(٣)]. أرادوا جمـع نشـور، وهـي الرِّيـح الطَّيِّبـة الهبـوب، تهـبُّ مـن كلِّ ناحيـة وجانب.

قال أبو عبيدة: النُّشر: المتفرِّقة من كلِّ جانب.

قــال أبــو عــلي: يحتمــل أن تكــون النُّشــور بمعنــى المنـشر، وبمعنــى المنتـشر[(٤)]، وبمعنــى النَّــاشر يقــال: أنــشر الله الرِّيــح، مثــل أحياهــا، فنـشرت، أي: حييــت[(٥)].

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٣)، والحجَّة (٤/ ٣١)، والتَّيسير (١/ ١٧٥).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٣)، والحجَّة (٣/ ٣١).

(٤) في (ف): (النَّشر).

(٥) انظر: الحجَّة (٤/ ٣٧).

والدَّليل على أنَّ إنشار الرِّيح إحياؤها قولُ الفقعسي[١][من الطويل]: [٢٧٣/ ب]

وهبَّتْ له رِيْحُ الجَنُوبِ وأُحْيِيَتْ لـه رَيْـدَةٌ يُحيـي المِيَـاهَ نَسِـيْمُهَا

ويدلُّ على ذلك أن الرِّيح قد وصفت بالموت.

قال الشَّاعر[٢][الرجز]:

إنِّي لأَرْجُـو أَنْ تَمُـوْتَ الرِّيْـحُ وأقعـدُ اليَـوْمَ وَأَسْـتَرِيْحُ

والرَّيْدَةُ والرَّيْدَانَةُ: الرِّيح.

وقرأ ابن عامر، وعبد الوارث، والحسن البصري: «نُشْرًا» بالنون مضمومة وسكون الشين. وهي في معنى «نُشُرًا». يقال: كُتُب وكُتْب، ورُسُل ورُسْل.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف، والمفضل عن عاصم: «نَشْرًا» بفتح النون وسكون الشين[٣].

قال الفرَّاء: النَّشر: الرِّيح الطَّيِّبة اللَّينة التي تنشئ السَّحاب[٤].

وقال ابن الأنباريِّ: النَّشْر: المنتشرة الواسعة الهبوب.

---

(١) البيت للمرار الفقعسي في المخصص (٩/ ٩١)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (٣/ ١٩٢).

(٢) بلا نسبة في لسان العرب (٢/ ٩٢)، وتاج العروس (٥/ ٩٨)، والمخصص (٩/ ٩١).

(٣) تقدم عزوه قريبًا.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨١).

وقال أبو علي: يحتمل النَّشْر أن يكون خلاف الطَّيِّ، كأنها كانت بانقطاعها كالمطويَّة.

ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في النَّشر: إنها المتفرِّقة في الوجوه[1].

ويحتمل أن يكون من[2] النَّشر الذي هو الحياة، كقول الشَّاعر[3] [من السريع]:

يا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ ....

قال: وهذا هو الوجه.

وقرأ أبو رجاء العطاردي، وإبراهيم النَّخعي، ومسروق، ومورِّق العجلي: «نَشَرًا» بفتح النُّون والشِّين[4].

قال ابن القاسم: وفي النَّشَر وجهان:

أحدهما: أن يكون جمعًا للنُّشور، كما قالوا: عَمود وَعَمَد، وإِهَابٍ وَأَهَبٍ.

والثَّاني: أن يكون جمعًا، واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غائب وغَيَبٌ، وحَافد وحَفَد، وكلُّ هؤلاء[5] القرَّاء نوَّن الكلمة.

وكذلك اختلافهم في «النَّمل» و«الفرقان».

هذه قراءات من قرأ بالنون.

---

(١) انظر: الحجَّة (٤/ ٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٧).

(٢) في (ر): (معناها).

(٣) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ١٩١)، ولسان العرب (٥/ ٢٠٦)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٣٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٣٠)، وتاج العروس (١٤/ ٢١٥).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٥٠) عن مسروق، وانظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤١٢).

(٥) ليست في (ف)، و(ر).

وقد قرأ آخرون بالباء فقرأ عاصم إلا المفضل: «بُشْرى» بالباء المضمومة وسكون الشين مثل فُعْلى[١].

قال ابن الأنباريِّ: وهي جمع بشيرة، وهي التي تبشِّر بالمطر. والأصل ضم الشِّين، إلا أنهم استثقلوا الضَّمَّتين.

وقرأ ابن خثيم، وابن حذلم مثله، إلا أنهما نوَّنا الرَّاء.

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: بضم الباء والشين[٢]. وهذا على أنها جمع بشيرة.

و«الرَّحمة» هاهنا: المطر سمَّاه رحمة؛ لأنه كان بالرَّحمة.

و﴿أَقَلَّتۡ﴾ بمعنى حملت.

قال الزَّجَّاج: السَّحاب: جمع سحابة[٣].

قال ابن فارس: سمِّي السَّحاب [سحابًا][٤] لانسحابه في الهواء[٥].

قوله: ﴿ثِقَالٗا﴾ أي: بالماء.

وقوله: ﴿سُقۡنَٰهُ﴾ ردَّ الكناية إلى لفظ السَّحاب، ولفظه لفظُ واحدٍ.

وفي قوله: ﴿لِبَلَدٖ﴾ قولان:

أحدهما: إلى بلد.

والثَّاني: لإحياء بلد.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤١٢) عن عصمة، عن عاصم.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤١٢)، والبحر المحيط (٥/ ٧٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٥).

(٤) زيادة من (ف).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٤٢).

و«الميْتُ»: الذي لا نبت فيه، فهو محتاج إلى المطر.

وفي قوله: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الكناية ترجع إلى السَّحاب.

والثَّاني: إلى المطر، ذكرهما الزَّجَّاج(١).

والثَّالث: إلى البلد، ذكره ابن الأنباريِّ.

فأما هاء ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾ فتحتمل الأقوال الثَّلاثة. [٢٧٤/أ]

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: كما أحيينا هذا البلد.

وقال مُجَاهِد: نحيي الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به(٢).

قال ابن عبَّاسٍ: يرسل الله تعالى بين النفختين مطرًا كمني الرجال، فينبت النَّاس به في قبورهم كما نبتوا في بطون أُمهاتهم(٣).

قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: لعلَّ: ترجٍّ. وإنما خوطب العباد على ما يرجوه بعضهم من بعض، والمعنى: لعلَّكم بما بيَّناه لكم تستدلُّون على توحيد الله وأنه يبعث الموتى(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٥٦) من طريق ابن أبي نجيح، به، بمعناه.

(٣) أورده البغوي في تفسيره (٢/ ٢٠٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٦).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: ٥٨].

قوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني الأرض [الطيبة][١] التربة.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾.

وقرأ ابن أبي عبلة: «يُخْرِج» بضم الياء وكسر الراء، «نباتَه» بنصب التاء، «وَالَّذِي خَبُثَ لا يُخْرِجُ» كذلك أيضًا[٢].

وروى أبان عن عاصم: «لا يُخرِج» بضم الياء وكسر الراء.

والمراد بالذي خبث: الأرض السبخة.

قوله: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾.

قرأ الجمهور: بفتح النون وكسر الكاف.

وقرأ أبو جعفر: «نَكَدًا» بفتح الكاف[٣].

وقرأ مجاهد، وقتادة، وابن محيصن: «نَكْدًا» بإسكان الكاف[٤].

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٠) نسبها لعيسى بن عمر، وفي التحصيل (٣/ ٤٨) نسبها لعيسى الثقفي، وفي الكامل في القراءات؛ لأبي القاسم الهذلي (ص:٥٥٣) نسبها لابن أبي عبلة، والزعفراني، وأبي حيوة، وفي المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤١٤)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٨٠) نسباها لابن أبي عبلة، وأبي حيوة، وعيسى بن عمر.

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢٩)، والتحصيل (٣/ ٤٩).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٠)، والتحصيل (٣/ ٤٩) كلاهما نسبها لطلحة بن مصرف، وانظر: الكامل في القراءات (ص:٥٥٣).

قال أبو عبيدة: قليلًا عسرًا في شدة(١).

وأنشد(٢)[من المنسرح]:

لَا تُنْجِزِ الوَعْدَ إِنْ وَعَدْت وإِنْ أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهًا نَكِدَا

قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالمؤمن إذا سمع القرآن وعَقِلَه انتفع به وبان أثره عليه، فشُبِّه بالبلد الطيب الذي يُمرع ويُخصب ويحسُن أثر المطر عليه، وعكسه الكافر.

قوله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٢].

قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

قال مقاتل: وحِّدوه(٣).

وكذلك في سائر القصص بعدها.

قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢١٧).

(٢) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٧)، ولسان العرب (١٣/ ٤٨١) مادة (تفه)، وتاج العروس (٣٦/ ٣٥٦) مادة (تفه).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٦).

قرأ الكسائي: «غيرِه» بالخفض(١).

قال أبو علي: جعل غيرًا صفة لـ «إله» على اللفظ(٢).

قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾.

قرأ أبو عمرو: «أُبْلِغكم» ساكنة الباء خفيفة اللام.

وقرأ الباقون: «أُبَلِّغكم» مفتوحة الباء مشددة اللام(٣).

قوله: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يقال: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له.

قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من مغفرته لمن تاب عليه(٤) وعقوبته لمن أصرَّ.

وقال مقاتل: أعلمُ من نزول العذاب ما لا تعلمونه، وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم عذِّبوا قبلهم(٥).

قوله تعالَى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٦٣، ٦٤].

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٨٤)، والحجة (٤/ ٣٩)، والتيسير (ص: ١١٠).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ٤٠).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٨٤)، والحجة (٤/ ٤١)، والتيسير (ص: ١١١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤١٥)، والتحصيل (٣/ ٦٤).

(٤) ليست في (ف).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٣).

قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: هـذه واو العطـف، دخلـت عليهـا ألـف الاسـتفهام، فبقيـت مفتوحـة[١].

وفي الذِّكر قولان:

أحدهما: الموعظة.

والثاني: البيان.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أن «على» بمعنى: «مع»، قاله الفراء[٢].

والثاني: أن المعنى: على لسان رجل منكم، قاله ابن قتيبة[٣].

قوله: ﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾.

قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه[٤].

قولـه تعـالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٦٩).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٠-٣٨١).

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف: ٦٥، ٧٠].

قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ المعنى: وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾.

قال الزَّجَّاج: وإنما قيل: أخوهم، لأنه بشر مثلهم من ولد أبيهم [٢٧٤/ ب] آدم، ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم[١].

وقال أبو سليمان الدمشقي: وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح، وإنما سماه أخاهم لأنه كان نسيبًا لهم، وهو وهُم من ولد عاد بن عَوْص بن إرم بن سام.

قوله: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾.

قال ابن قتيبة: السَّفاهة: الجهل[٢].

وقال الزَّجَّاج: السَّفاهة: خِفَّة الحُلم والرأي، يقال: ثوب سفيه، إذا كان خفيفًا[٣].

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فكفروا به، ظانِّين لا متيقنين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٦٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٧).

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ ﴾ هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة، فإنه دفع ما سبُّوه به من السفاهة بنفيه[1] فقط.

قوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

قال الضحاك: أمين على الرسالة[2].

وقال ابن السائب: كنت فيكم أمينًا قبل اليوم[3].

قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾.

ذكَّرهم النعمة حيث أهلكَ من كان[4] قبلهم، وأسكنهم مساكنهم.

﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ أي: طولًا وقوَّة.

وقال ابن عباس: كان أطولُهم مائةَ ذراع، وأقصرُهم ستينَ ذراعًا[5].

قال الزَّجَّاج: وآلاء الله: نعمه، واحدها: «إلى»[6].

قال الشاعر[7][من المنسرح]:

(١) في (ف): (بنفسه).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٤٥)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٤) ليست في (ف).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٨).

(٧) البيت للأعشى كما في ديوانه (١٥٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٣٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٢١)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٩٤)، ولسان العرب (١١/ ٢٦) مادة (ألل).

أَبْيَـضُ لا يَرْهَـبُ الهُـزَالَ وَلَا يَقْطَـعُ رَحِمًـا وَلاَ يَخُـوْنُ إلَا

ويجوز أن يكون واحدها «إليا»، «وألى».

قولـه: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: مـن نـزول العـذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أن العـذاب نـازل بنـا.

وقال عطاء: في نبوَّتك وإرسالك إلينا(١).

قولـه تعـالَى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعـراف: ٧١، ٧٢].

قوله: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ أي: وجب عليكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾.

قال ابن عباس: عذاب وسخط(٢).

وقـال أبـو عمـرو بـن العـلاء: الرِّجـز والرِّجـس بمعنـى واحـد، قلبـت السـين زايًا(٣).

قولـه: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ يعنـي: الأصنـام.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢/ ٣٨٢).

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٧٩).

وفي تسميتهم لها قولان:

أحدهما: أنهم سمَّوها آلهة.

والثاني: أنهم سمَّوها بأسماء مختلفة.

والسلطان: الحجة.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ الذي يأتيكم من العذاب في تكذيبكم إيَّاي.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: ٧٣، ٧٤].

قوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾.

قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلَّة مائها[١].

قال ابن فارس: الثَّمد: الماء القليل الذي لا مادة له[٢].

قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٨٠).

(٢) انظر: مجمل اللغة (١/ ١٦٢).

في إضافتها إليه قولان:

أحدهما: أن ذلك للتخصيص والتفضيل، كما يقال: بيت الله.

والثاني: لأنها كانت بتكوينه من غير سبب.

قوله: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي: علامة تدل على قدرة الله، وإنما قال: «لكم»؛ لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم.

وفي وجه كونها آية قولان:

أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملساء، فتمخَّضت بها تمخُّض الحامل، ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها. [٢٧٥/أ]

والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كلَّه في يوم، وتسقيهم اللَّبن في يوم[1].

قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن الأنباري: ليس عليكم مؤنتها وعلفها.

و﴿تَأْكُلْ﴾ مجزوم على جواب الشرط المقدر، أي: إن تذروها تأكل.

قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي: لا تصيبوها بعقر.

قوله: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم يقال: تبوأ فلان منزلًا: إذا نزله. وبوَّأْتُهُ: أنزلته.

(١) في (ف): (وتسقيهم اللبن مكانه).

قال الشاعر[١]:[من المنسرح]:

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا

أي: أنزلت من الكرم في صميم النسب، قاله الزَّجَّاج[٢].

قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾.

السهل: ضد الحزن. والقصر: ما شُيِّد وعلا من المنازل.

قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء[٣].

قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم يبني البنيان، فيمرُّ عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجدِّده، فيمرُّ عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجدِّده، فيمرُّ عليه مائة سنة، فيخرب، فأضجرهم ذلك، فاتَّخذوا من الجبال بيوتًا[٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

---

(١) البيت لإبراهيم بن هَرْمة كما في ديوانه (ص:٥٧)، مقاييس اللغة (١/ ٣١٢)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٨٢٦)، وبلا نسبة كما في لسان العرب (١/ ٣٩) مادة (بوأ)؛ وكتاب العين (٨/ ٤١١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٣).

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٩٤).

قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾.

وقرأ ابن عامر: «وقال الملأ»، بزيادة واو وكذلك هي [في][1] مصاحفهم[2].

ومعنى الآية: تكبَّروا عن عبادة الله.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ يريد: المساكين.

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ لأنهم المؤمنون.

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ﴾ هذا استفهام إنكار.

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٧، ٧٨].

قوله: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ أي: قتلوها.

قال ابن قتيبة: والعقر يكون بمعنى: القتل، ومنه قوله ﷺ عند ذكر الشهداء: «مَنْ عُقِرَ جَوادُهُ»[3].

وقال ابن إسحاق: كَمَنَ لها قاتلُها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عَضَلة ساقها، ثم شدَّ عليها بالسيف فكسر عُرقوبها، ثم نحرها[4].

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٨٤)، والحجة (٤/ ٥١)، والتحصيل (٣/ ٦٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٢٣)، والبحر المحيط (٥/ ٩٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٤) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٥/ ٤١٦).

قال الأزهري: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جُعل العقر نحرًا، لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره[١].

قوله: ﴿وَعَتَوۡاْ﴾.

قال الزَّجَّاج: جاوزوا المقدار في الكفر[٢].

قال أبو سليمان: عتوا عن اتِّباع أمر ربهم.

قوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: من العذاب.

قوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾.

قال الزَّجَّاج: الرَّجفة: الزَّلزلة الشديدة[٣].

قوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ﴾ أي: في مدينتهم.

فإن قيل: كيف وحَّد الدَّار هاهنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: ﴿فِي دِيَارِهِمۡ﴾؟

فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري:

أحدهما: أنه أراد بالدار: العسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: في ديارهم: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١).

والثاني: أنه أراد بالدار: الديار، فاكتفى بالواحد من الجميع، كقول [٢٧٥/ ب] الشاعر[1][من الوافر]:

كُلُوا في نِصْفِ بِطْنِكُم تَعِيشُوا ....

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله: ﴿جَٰثِمِينَ﴾.

قال الفراء: أصبحوا رمادًا جاثمًا[2].

وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جثُوم، والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل[3].

وقال ابن قتيبة: الجثوم: البروك على الرُّكَب[4].

وقال غيره: كأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال.

وقال الزَّجَّاج: أصبحوا أجسامًا ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم[5].

---

(١) البيت بلا نسبة في الصاحبي؛ لابن فارس (ص:١٦١)، والمقتضب؛ للمبرد (٢/ ١٧٢)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٤٨)، وعجزه: «فإنَّ زمانكمْ زمنٌ خَميصُ».

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢١٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٦٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١).

قال المفسرون: معنى ﴿جَٰثِمِينَ﴾: بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض[1] عند نزول العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢﴾ [الأعراف: ٧٩، ٨٢].

قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾.

يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة؛ لأن الله تعالى أوحى إليه أن اخرُجْ من بين أظهرهم، فإني مهلكهم.

وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحًا أسمع قومَه كما أسمع نبيكم قومَه، يعني: بعد موتهم[2].

قوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ يعني إتيان الرجال.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ﴾.

قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكَر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط[3].

---

(١) قوله: (على بعض)، ليس في (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٩٠) من طريق أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٦٨) من طريق إِسْمَاعِيل بْنِ عُلَيَّةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ بِهِ.

وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين[١].

قال الزَّجَّاج: وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كإسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد[٢].

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ هذا استفهام إنكار.

والمسرف: المجاوز ما أُمر به.

وقوله: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ يعني: لوطًا وأتباعه المؤمنين.

﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

قال ابن عباس: يتنزَّهون عن أدبار الرجال وأدبار النِّساء[٣].

قوله تَعَالَى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأعراف: ٨٣، ٨٤].

قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾.

في أهله قولان:

أحدهما: ابنتاه.

والثاني: المؤمنون به.

---

(١) انظر: جمهرة اللغة (٢/ ٩٢٧)، والصحاح (٣/ ١١٥٨)، ومجمل اللغة (ص:٧٩٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٢١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١- ٣٥٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٠٧)، و(١٨/ ٩٧) من طريق مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ به.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في عذاب الله تعالى.

قال أبو عبيدة: وإنما قال: ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ لأن صفة النساء مع[1] صفة الرجال تُذكَّر إذا أُشرك بينهما[2].

قوله: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗا﴾.

قال ابن عباس: يعني: الحجارة[3].

قال مجاهد: نزل جبريل فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط ورفعها ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة[4].

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥].

قوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ﴾.

قال قتادة: ﴿مَدۡيَنَ﴾: ماء كان عليه قوم شعيب[5].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢١٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٢٤).

(٤) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٨٤)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ١٩٧).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٠٣) كلاهما من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

وكذلك قال الزَّجَّاج، وقال: لا ينصرف؛ لأنه اسم البقعة[١].

وقال مقاتل: ﴿مَدْيَنَ﴾: هو ابن إبراهيم الخليل لصلبه[٢].

وقال أبو سليمان الدمشقي: ﴿مَدْيَنَ﴾: هو ابن مديان بن إبراهيم.

والمعنى: أرسلنا إلى ولد مدين، فعلى هذا: هو اسم قبيلة.

وقال بعضهم: هو اسم للمدينة.

فالمعنى: وإلى أهل مدين.

قال الشيخ[٣]: قال شيخنا أبو منصور اللغوي: مدين اسم أعجمي، فإن كان عربيًّا، فالياء زائدة، من قولهم: مدن بالمكان: إذا أقام به[٤].

قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. [٢٧٦/أ]

قال الزَّجَّاج: البَخْسُ: النقص والقلَّة، يقال: بَخَسْتُ أَبْخَسُ بالسين، وبخصت عينه، بالصاد لا غير[٥].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل[٦]، وإرسال الرسل.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٨).

(٣) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ف).

(٤) انظر: المعرَّب (ص: ٦٠٠)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٩٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٤).

(٦) في (ف): (بالعذاب)!.

قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدِّقين بما أخبرتكم عن الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: ٨٦].

قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ أي: بكل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ مَن آمن بشعيب بالشر، وتخوِّفونهم بالعذاب والقتل.

فإن قيل: كيف أفرد الفعل، وأخلاه من المفعول فهلَّا قال: توعِدون بكذا؟

فالجواب: أن العرب إذا أخلت هذا الفعل من المفعول، لم يدل إلا على شر، يقولون: أوعدت فلانًا، وكذلك إذا أفردوا: وعدت من مفعول، لم يدل إلا على الخير.

قال الفرَّاء: يقولون: وعدته خيرًا، ووعدته شرًّا، فإذا أسقطوا الخير والشر، قالوا: وعدته: في الخير، وأوعدته: في الشر، فإذا جاءوا بالباء، قالوا: وعدته بالشر.

وقال الراجز[1] [من الرجز]:

أَوْعَدَنِي بِالسِّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ ....

---

(١) البيت بلا نسبة في إصلاح المنطق (ص:١٦٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٦٠)، ومعجم ديوان الأدب (٣/ ٢٦٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ٨٦)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٢٥)، وغيرها من كتب اللغة، وعجزه: «رِجْلي ورِجْلي شَثْنَةُ المناسم».

قال الشيخ(١): وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا أرادوا أن يذكروا ما تهدَّدوا به مع أوعدت، جاءوا بالباء، فقالوا: أوعدته بالضرب، ولا يقولون: أوعدته الضرب(٢).

قال السدي: كانوا عشَّارين(٣).

وقال ابن زيد: كانوا يقطعون الطريق(٤).

قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تصرفون عن دين الله من آمن به.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مفسر في «آل عمران»(٥).

قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: جائز أن يكون المعنى: جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء، وجائز أن يكون: كثَّر عددَكم بعد أن كنتم قليلًا، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار، فكثَّرهم(٦).

---

(١) في (ف): (قال المصنف).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٠٧).

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٢)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥/ ١٠٦).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦١).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٩٩).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٧، ٨٨].

قوله: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ أي: إن اختلفتم في رسالتي، فصرتم فريقين، مكذِّبين ومصدِّقين.

﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المكذِّبين، وإنجاء المصدِّقين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه العدل الذي لا يجور.

قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ يعنون ديننا، وهو الشرك.

قال الفراء: جعل في قوله: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ لامًا كجواب اليمين، وهو في معنى شرط، ومثله في الكلام: والله لأضربنَّك أو لتُقِرَّ لي، فيكون معناها معنى: «إلا»، أو معنى: «حتى»[1].

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أي: أو تجبروننا على ملتكم إن كرهناها؟! والألف للاستفهام.

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾، وشعيب لم يكن في كفر قط، فيعود إليه؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم لما جمعوا في الخطاب معه من كان كافرًا، ثم آمن، خاطبوا شعيبًا بخطاب أتباعه، وغلَّبوا لفظهم على لفظه، لكثرتهم، وانفراده.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٧٠).

والثاني: أن المعنى: لتصيرُنَّ إلى ملتنا فوقع العَود على معنى الابتداء، [٢٧٦/ ب] كما يقال: قد عاد عليَّ من فلان مكروه، أي: قد لحقني منه ذلك، وإن لم يكن سبق منه مكروه.

قال الشاعر[١] [من الطويل]:

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَحسنَّ مرَّةً ... إليَّ فقَدْ عَادَتْ لهُنَّ ذُنُوبُ

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ في «البقرة»[٢].

وقد ذكر معنى الجوابين الزَّجَّاج[٣]، وابن الأنباري.

قوله تعالَى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٨٩، ٩٣].

---

(١) البيت لكَعْب بن سعد بن عقبة الغنوي من قصيدة يرثي فيها أخاه شبيبًا، ونُسب إليه في ديوان المعاني (٢/ ١٧٨)، ومختارات شعراء العرب لابن الشجري (١/ ٢٦)، والحماسة البصرية (١/ ٢٣٢)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٦٩١).
ونُسب لمحمد بن كعب الغنوي، كما في جمهرة أشعار العرب (ص:١٦٥)، ونُسب لغريقة بن مسافع العبسي، كما في الأصمعيات (ص:٩٩).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٥).

قوله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾.

وذلك أن القوم كانوا يدَّعون أن الله أمرهم بما هم عليه، فلذلك سمَّوه مِلَّةً.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي: في الملة.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾.

قال ابن عباس: يعلم ما يكون قبل أن يكون[١].

قوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: فيما توعدتمونا به، وفي حراستنا عن الضلال.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾.

قال أبو عبيدة: احكم بيننا[٢].

وأنشد[٣]: [من الوافر]:

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُوْلًا ... بأَنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٣٥)، وفي الوسيط (٢/ ٣٨٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٢٠).

(٣) البيت بلا نسبة في أمالي القالي (٢/ ٢٨١)، وفي إصلاح المنطق (ص:٨٨)، والمخصص (٤/ ٤١٣)، وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن: (ص: ٢٢٠ وقال بعده: «وهو لبعض مراد»، ونُسب في تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٩)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٣) للأسعر الجعفي.

قال الفراء: وأهل عُمان يسمون القاضي: الفاتح والفتّاح[١].

قال الزَّجّاج: وجائز أن يكون المعنى: أظهِر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وينكشف، فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم[٢].

قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: كأن لم يعيشوا في دارهم، قاله ابن عباس[٣]، والأخفش[٤].

قال حاتم طيء[٥][من الطويل]:

غَنِيْنَا زَمَانًا بالتَّصَعْلُكِ وَالغِنَى ... فَكُلًّا سَقَانَاه بكأْسَيْهِما الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ... غِنَانَا، ولا أزْرَى بأحْسَابِنَا الفَقْرُ

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٥).
وقد ذكره عنه أيضًا: الطبري في تفسيره (١٠/ ٣١٩)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٧)، والثعلبي في الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٢)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٤٠)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٨)، وفي التفسير البسيط (٩/ ٢٣٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢٦)، و(١٢/ ٤٦٥)، و(١٢/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٠٠٣) من رواية معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٣)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٢٤١)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١١٧).

(٥) وقد عزاهما إليه أبو علي القالي في المقصور والممدود (ص:٣٦٩)، وابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٤١٦)، وابن منظور في لسان العرب (١٠/ ٤٥٦) وغيرهم.

قال الزَّجَّاج: معنى غنينا: عشنا. والتصعلك: الفقر، والعرب تقول للفقير: الصعلوك(١).

والثاني: كأن لم يتنعَّموا فيها، قاله قتادة.

والثالث: كأن لم يكونوا فيها، قاله ابن زيد، ومقاتل(٢).

والرابع: كأن لم ينزلوا فيها، قاله الزَّجَّاج(٣).

قال الأصمعي: المغاني: المنازل، يقال: غنينا بمكان كذا، أي: نزلنا به(٤).

وقال ابن قتيبة: كأن لم يقيموا فيها، ومعنى: غنينا بمكان كذا: أقمنا(٥).

قال ابن الأنباري: وإنما كرر قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ للمبالغة في ذمهم كما تقول: أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي شتم أعراضنا(٦).

قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: فأَعْرَض.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٠)

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٣٥٨)، و(٣/ ٦٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية؛ لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٤٢٦)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٥٥)، و(٣/ ٣٦١).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٠).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٤٠).

والثاني: انْصَرَف.

﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾.

قال قتادة: أسمع شعيب قومَه، وأسمع صالح قومَه كما أسمع نبيكم قومَه يوم بدر(١). يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك. [٢٧٧/أ]

﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾ أي: أحزن.

وقال ابن إسحاق: أصاب شعيبًا على قومه حزنٌ شديد، ثم عاتب نفسه، فقال: [كيف](٢) آسى على قوم كافرين(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ [الأعراف: ٩٤].

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ﴾.

قال الزَّجَّاج: يقال لكل مدينة: قرية، لاجتماع الناس فيها(٤).

وقال غيره: في الآية اختصار، تقديره: فكذَّبوه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥١٧، ١٥٢٤) من طريق أبي زرعة، عن صفوان، عن الوليد، عن سعيد بن بشير، عن قتادة به.

(٢) زيادة من (ف).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٢٤) من طريق سَلَمَة، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، بنحوه.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٩).

﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ وقد سبق تفسير البأساء والضَّرَّاء في «الأنعام»(١)، وتفسير التَّضرُّع في هذه السورة.

ومقصود الآية: إعلام النبي ﷺ بسنَّة الله في المكذِّبين، وتهديد قريش.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف: ٩٥، ٩٧].

قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾.

فيه قولان:

أحدها: أن «السيئة»: الشدة. و«الحسنة»: الرخاء، قاله ابن عباس.

والثاني: «السيئة»: الشر. و«الحسنة»: الخير، قاله مجاهد.

قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾.

قال ابن عباس: كثروا، وكثرت أموالهم(٢).

﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ فنحن مثلهم يصيبنا ما أصابهم، يعني: أنهم أرادوا أن هذا دأب الدهر وليس بعقوبة.

---

(١) انظر: تفسير سوة الأنعام الآية رقم (٤٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٢٦) من رواية معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة بنزول العذاب.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله حتى أهلكهم.

قوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أتاهم الغيث من السماء، والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكيًا كثيرًا[1].

قوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٨، ٩٩].

قوله: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾.

قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع: «أَوْ أمن» بإسكان الواو.

وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بتحريك الواو.

وروى ورش عن نافع: «أو أمن» يدغم الهمزة، ويلقي حركتها على الساكن[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٠).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٨٦-٢٨٧)، والحجة (٤/ ٥٢)، والتيسير (ص:١١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣٣)، والتحصيل (٣/ ٧٦).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: ١٠٠، ١٠١].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾.

وقرأ يعقوب: «نَهد» بالنون، وكذلك في «طه»، و«السجدة»[١].

قال الزَّجَّاج: من قرأ بالياء، فالمعنى: أو لم يبيِّن الله لهم، ومن قرأ بالنون، فالمعنى: أو لم نبيِّن[٢].

وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ليس بمحمول على ﴿أَصَبْنَاهُم﴾، لأنه لو حمل على ﴿أَصَبْنَاهُم﴾ لكان: ولطبعنا، وإنما المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم، ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، كما قال: ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ﴾ والمعنى: لو شئنا.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون معطوفًا على: أصبنا، إذ كان بمعنى نُصيب، فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال، كما قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: إن يشأ، يدل عليه قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾[٣] [الفرقان: ١٠].

---

(١) انظر: المبسوط (ص: ٢١١، ٣٥٤)، والكامل في القراءات العشر (ص: ٥٥٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٦٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦١).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٢٢).

قال الشاعر[١] [من البسيط]:

إنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طارُوا بِهَا فَرَحًا ... مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

أي: يدفنوا.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون، ومنه: «سمع الله لمن حمده»[٢].

قال الشاعر[٣] [من الوافر]: [٢٧٧/ ب]

دَعَوْتُ اللهَ حتَّى خِفْتُ أنْ لاَ ... يَكُوْنَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أقُوْلُ

قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذِّبون به يوم أقرُّوا له بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، هذا قول أُبيِّ بن كعب[٤].

---

(١) البيت نُسب لقعنب بن أم صاحب كما في الصحاح (٥/ ٢٠٦٨)، ولسان العرب (١٣/ ١٠)، وتاج العروس (٣٤/ ١٦٤)، وشرح ديوان الحماسة (٢/ ١٨٧)، وغيرها، وفي شمس العلوم (٤/ ٢١١٩) عزاه لكعب بن زهير.

(٢) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٢٤٣).

(٣) البيت منسوب لشمير بن الحارث الضبي في نوادر أبي زيد (ص:٣٨١)، ومنسوب لشُتَيرَ بن الحارث الضبي في غريب الحديث؛ للخطابي (١/ ٣٤٢)، والفائق في غريب الحديث؛ للزمخشري (٢/ ١٩٧) ، ومنسوب لسُمَيْر بن الحارثِ الضَّبِّي في تاج العروس (٢١/ ٢٣٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٠) من رواية أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ بِهِ.=

والثاني: فما كانوا ليؤمنوا [عند إرسال الرسل][(١)] بما كذَّبوا من قبل يوم أخذ الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، فآمنوا كرهًا حيث أقروا بالألسن، وأضمروا التكذيب، قاله ابن عباس، والسدي[(٢)].

والثالث: فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذَّبوا به من قبل هلاكهم، هذا قول مجاهد[(٣)].

والرابع: فما كانوا ليؤمنوا بما كذَّب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل شاركوهم في التكذيب، قاله يمان بن رباب.

والخامس: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذَّبوا قبل رؤيتها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾ [الأعراف: ١٠٢].

قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾.

قال مجاهد: يعني: القرون الماضية[(٤)].

=وانظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٥)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٢٤).

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٥)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٢٥٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣١)، و(٦/ ١٧٥٩) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾.

قال أبو عبيدة: أي: وفاء[١].

قال ابن عباس: يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم[٢].

وقال الحسن: العهد هاهنا: ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئًا[٣].

قوله: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾.

قال أبو عبيدة: وما وجدنا أكثرهم إلَّا الفاسقين[٤].

قوله تعالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف: ١٠٣، ١٠٧].

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ يعني: الأنبياء المذكورين.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في البسيط (٩/ ٢٥٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٢٦).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٤٤).

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية، وفي مجاز القرآن: (فاسقين). (ص:٢٢٣).

قوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾.

قال ابن عباس: فكذَّبوا بها[١].

وقال غيره: فجحدوا بها.

قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ «على» بمعنى الباء.

قال الفراء: العرب تجعل الباء في موضع «على» تقول: رميت بالقوس، وعلى القوس، وجئت بحال حسنة، وعلى حال حسنة[٢].

وقال أبو عبيدة: «حقيق» بمعنى: حريص[٣].

وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: «حقيق عليَّ» بتشديد الياء وفتحها، على الإضافة[٤].

والمعنى: واجب عليَّ.

قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾.

قال ابن عباس: يعني: العصا[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في البسيط (٩/ ٢٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٦).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٨٧، ٣٠١)، والحجة (٤/ ٥٦)، والمبسوط (ص:٢١١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٥)، والتحصيل (٣/ ٧٦)، والكامل في القراءات العشر (ص:٥٥٥).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٦٣).

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أطلق عنهم، وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة.

﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

قال أبو عبيدة: أي: حية ظاهرة(١).

قال الفراء: الثعبان: أعظم الحيات، وهو الذَّكَر(٢).

وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس: الثعبان: الحيَّة الذَّكر(٣).

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٢)، و(٨/ ٢٧٥٨) رقم (١٥٥٨٩) من رواية الضحاك عن ابن عباس ﷺ به.

وقد رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٥) ولكن من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ به.

وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ١٦٩).

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٨، ١٢٢].

قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾.

قال ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فخرُّوا على وجوههم، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت(١).

قال مجاهد: بيضاء من غير برص(٢).

قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

قال ابن عباس: ما الذي تشيرون به عليَّ؟(٣).

[٢٧٨/أ] وهذا يدل على أنه من قول فرعون، وأن كلام الملإ انقطع عند قوله: ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٥٩٧) من رواية يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس ﷺ به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٦) من رواية محمد بن عمرو، عن أبي عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.
ومن رواية المثنى، عن أبي حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٦٥-٢٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٣٤).
وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٦٠٠) من رواية عمار بن خالد، عن محمد بن الحسن، ويزيد بن هارون، عن أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ، قال: «فاستشار الملأ فيما رأى فقالوا: هذان ساحران».

وقال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون من قول الملإ، كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه، أو خاطبوه وحده؛ لأنه قد يقال للرئيس المطاع: ماذا ترون؟[١].

قوله: ﴿أَرْجِهْ﴾.

قرأ ابن كثير: «أرجئهو» مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ.

وقرأ أبو عمرو مثله، غير أنه كان يضم الهاء ضمة، من غير أن يبلغ بها الواو[٢]، وكانا يهمزان: «مرجئون» و«ترجئ».

وروى قالون والمسيَّبي عن نافع: «أرجهِ» بكسر الهاء، ولا يبلغ بها الياء، ولا يهمز[٣].

وروى عنه ورش: «أرجهي» يصلها بياء، ولا يهمز بين الجيم والهاء.

وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع[٤]، وهي قراءة الكسائي[٥].

وقرأ حمزة: «أرجهْ» ساكنة الهاء غير مهموز[٦].

وكذلك قرأ عاصم في غير رواية المفضل[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٨٧)، والحجة (٤/ ٥٧)، والمبسوط (ص:٢١٢).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٠٩)، والحجة (٤/ ٥٨، ٦١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٧).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٨٧)، والحجة (٤/ ٥٨).

(٥) انظر: السبعة (ص:٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٠).

(٦) انظر: السبعة (ص:٢١٢، ٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٠)، والمبسوط (ص:١٦٦).

(٧) انظر: السبعة (ص:٢١٢، ٢٨٨)، والحجة (٤/ ٥٩)، والمبسوط (ص:١٦٦، ٢١٢).

وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز، وهي قراءة أبي جعفر[(١)].

وكذلك اختلافهم في سورة «الشعراء».

قال ابن قتيبة: أَرْجِهُ: أَخِّره وقد يهمز، يقال: أرجأت الشيء، وأرجيته، ومنه قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١][(٢)].

قال الفراء: بنو أسد تقول: أرجيت الأمر، بغير همز، وكذلك عامة قيس وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر، بالهمز، والقراء مولَعون بهمزها، وترك الهمز أجود[(٣)].

قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ يعني مدائن مصر ﴿حَٰشِرِينَ﴾ أي: من يحشر السحرة إليك ويجمعهم.

وقال ابن عباس: هم الشرط[(٤)].

قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾.

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢١٢)، والمحرر الوجيز(٢/ ٤٣٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٠).

(٣) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (ص:٦٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٤)، و(٨/ ٢٧٦١) برقم (١٥٦١٠) من رواية مجاهد عن ابن عباس به.

ورواه الطبري (١٠/ ٣٥١) من رواية السدي عن ابن عباس به، ورواه أيضًا (١٠/ ٣٥٢) من رواية عكرمة عن ابن عباس به.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «ساحرٍ»، وفي «يونس»: «بِكُلِّ سَاحر».

وقرأ حمزة والكسائي: «سحَّارٍ» في الموضعين[١].

ولا خلاف في «الشعراء» أنها: سَحَّارٍ[٢].

قوله: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص عن عاصم: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مكسورة الألف على الخبر، وفي «الشعراء»: «آينَّ» ممدودة مفتوحة الألف، غير أن حفصًا روى عن عاصم في «الشعراء»: «أإن» بهمزتين.

وقرأ أبو عمرو: «آين لنا» ممدودة في السورتين.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بهمزتين في الموضعين[٣].

قال أبو علي: الاستفهام أشبه بهذا الموضع، لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهموا عنه[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٣) والتحصيل (٣/ ٧٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٤-٦٥)، والمبسوط (ص:٢١٣)، والتحصيل (٣/ ٧٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

(٤) انظر: الحجة (٤/ ٦٥).

قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

قوله: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾.

قال أبو عبيدة: غَشَّوْا أعين الناس وأخذوها[١].

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خوَّفوهم.

وقال الزَّجَّاج: استَدعَوا رهبتهم حتى رهبهم الناس[٢].

قوله: ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾.

وقرأ عاصم: ﴿تَلْقَفُ﴾ ساكنة اللام، خفيفة القاف هاهنا وفي «طه»، و«الشعراء»[٣].

[٢٧٨/ب] وروى البزِّيُّ[٤]، وابن فُلَيح عن ابن كثير: «تلقف» بتشديد التاء[٥].

قال الفراء: لقفتُ الشيء، فأنا ألقَفُه لَقْفًا ولَقَفانًا، والمعنى: تبتلع[٦].

قوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: يكذبون، لأنهم زعموا أنها حيَّات.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٦).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٦)، والتحصيل (٣/ ٧٧).

(٤) في (ف): (اليزيدي).

(٥) انظر: السبعة (ص:٤٧١،٤٢١،٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٦) و(٥/ ٢٣٥، ٣٥٧)، والمبسوط (ص:١٥٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٩).

(٦) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٠).

قوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾.

قال ابن عباس: استبان(١).

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من السحر.

الإشارة إلى قصتهم

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولًا:

أحدها: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس(٢).

والثاني: اثنان وسبعون ألفًا، روي عن ابن عباس أيضًا، وبه قال مقاتل(٣).

والثالث: سبعون، روي عن ابن عباس أيضًا(٤).

والرابع: اثنا عشر ألفًا، قاله كعب(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٦) من رواية عمار بن خالد، عن محمد بن الحسن، ويزيد بن هارون، عن أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس يعني قوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ١١٨]، قال: ظهر الحق.
وانظر: البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٣٩).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٤١٣)، وحكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٨) عن مقاتل، وحكاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨) عن النقاش.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٨)، وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٤): «والسحرة اثنان وسبعون رَجُلاً».

(٤) ونسب الثعلبيُّ في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٩) هذا القول للكلبي.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٩).

والخامس: سبعون ألفًا، قاله عطاء[١]، وكذلك قال وهب في رواية، إلَّا أنه قال: فاختار منهم سبعة آلاف.

والسادس: سبعمائة.

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب أنه قال: كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفًا متخيَّرين من سبعمائة ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين الألف سبعمائة.

والسابع: خمسة وعشرون ألفًا، قاله الحسن.

والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة[٢].

والتاسع: ثمانون ألفًا، قاله محمد بن المنكدر[٣].

والعاشر: بضعة وثلاثون ألفًا، قاله السدي[٤].

والحادي عشر: خمسة عشر ألفًا، قاله ابن إسحاق[٥].

والثاني عشر: تسعة عشر ألفًا، رواه أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) ذكر الواحدي في التفسير البسيط (١٤/ ٤٥٧): «قال ابن عباس في رواية عطاء: كان عدد السحرة سبعين ألف رجل»، وفي الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٩) نسب هذا القول لعكرمة.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨) عن ابن جريج.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٩).

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

(٥) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي(١).

فأما أسماء رؤسائهم:

فقال ابن إسحاق: رؤوس السحرة ساتور، وعاذور، وحُطحُط، ومُصَفًّى، وهم الذين آمنوا، كذا حكاه ابن ماكولا(٢).

قال الشيخ(٣): ورأيت عن غير ابن إسحاق: سابورًا، وعازورًا.

وقال مقاتل: اسم أكبرهم: شمعون(٤).

قال ابن عباس: ألقوا حبالًا غلاظًا، وخشبًا طُوالًا، فكانت ميلًا في ميل، فألقى موسى عصاه، فإذا هي أعظم من حبالهم وعصيهم، قد سدت الأفق، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعًا، فابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيِّهم، وجعلت تأكل جميع ما قدرت عليه من صخرة أو شجرة، والناس ينظرون، وفرعون يضحك تجلُّدًا، فأقبلت الحيَّة نحو فرعون، فصاح: يا موسى، يا موسى؛ فأخذها موسى، وعرفت السحرة أن هذا من السماء، وليس هذا بسحر، فخرُّوا سُجَّدًا، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فقال فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾، فأصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء(٥).

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨): «وهذه الأقوال ليس لها سند يوقف عنده».

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٤٠).

(٣) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ف).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٧)، والتفسير البسيط (٩/ ٢٨١).

وقال وهب بن منبه: لما صارت ثعبانًا حملت على الناس فانهزموا منها، فقتل بعضهم بعضًا، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا[١].

وقال السدي: لقي موسى أمير السحرة، فقال: أرأيت إن غلبتك غدًا، أتؤمن بي؟ فقال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يغلبه السحر، فوالله لئن غلبتني لأومننَّ بك[٢]. [٢٧٩/أ]

فإن قيل: كيف جاز أن يأمرهم موسى بالإلقاء، وفعل السحر كفر؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن مضمون أمره: إن كنتم محقين فألقوا.

والثاني: ألقوا على ما يصح، لا على ما يفسد ويستحيل، ذكرهما[٣] الماوردي[٤].

والثالث: إنما أمرهم بالإلقاء لتكون معجزته أظهر، لأنهم إذا ألقوا، ألقى عصاه فابتلعت ذلك، ذكره الواحدي[٥].

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ وإنما سجدوا باختيارهم؟

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٢) من رواية إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٦٢).

(٣) في (ف): (ذكره).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٤٦)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٢٧٩).

(٥) انظر: التفسير البسيط (١٤/ ٤٥٦).

فالجواب: أنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله تعالى من أمره، اضطرهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحًا وتعظيمًا لشأن ما رأوا من الآيات، ذكره ابن الأنباري.

قال ابن عباس: لما آمنت السحرة، اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل[1].

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٥].

قوله: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾.

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «آمنتم به» بهمزة ومدة على الاستفهام.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أآمنتم به» فاستفهموا بهمزتين، الثانية ممدودة.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الخبر[2].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧١) من رواية عكرمة، عن ابن عباس به.
وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٤١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٤٣).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٨)، والمبسوط (ص:٢١٣)، والتحصيل (٣/ ٧٧).

وروى أبو[١] الإخريط[٢] عن ابن كثير: «قال فرعون وأمنتم به» فقلب همزة الاستفهام واوًا، وجعل الثانية مليَّنة بين بين.

وروى قنبل عن القواس مثل رواية أبي[٣] الإخريط، غير أنه كان يهمز بعد الواو[٤].

قال أبو علي: همز بعد الواو، لأن هذه الواو منقلبة عن همزة الاستفهام، وبعد همزة الاستفهام همزة: «أَفَعَلْتُم» فحققها ولم يخففها[٥].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾.

قال ابن السائب: لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها[٦].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما صنعتم.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ وهو قطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى.

---

(١) في (ف): (ابن)!.

(٢) وهو وهب بن واضح أبو الإخريط، ويقال: أبو القاسم المكي مقرئ أهل مكة، وروى عنه أحمد بن محمد البزي وغيره. انظر طبقات القراء (٢/ ٣٦١).

(٣) في (ف): (ابن).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٩)، والتحصيل (٣/ ٧٧).

(٥) انظر: الحجة (٤/ ٦٩).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٨٧).

قال ابن عباس: أول من فعل ذلك، وأول من صلب، فرعون[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦، ١٢٨].

قوله: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ أي: وما تكره منا شيئًا، ولا تطعن علينا إلا لأنا آمنا.

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.

قال مجاهد: على القطع والصلب حتى لا نرجع[٢] كفارًا[٣].

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصين على دين موسى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٦٣) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥١٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في (ف): (ترجع).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٨٩) ولفظه عنده: «قال مجاهد: اصبب علينا الصبر عند الصلب والقطع حتى لا نرجع كفاراً».

قوله: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ هذا إغراء من الملأ لفرعون.

وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان:

أحدهما: قتل أبناء القبط، واستحياء نسائهم، كما فعلوا ببني إسرائيل، قاله مقاتل[١].

والثاني: دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

قوله: ﴿وَيَذَرَكَ﴾.

جمهور القراء على نصب الراء، وقرأ الحسن برفعها[٢].

قال الزَّجَّاج: من نصب «ويذرَك» نصبه على جواب الاستفهام بالواو، والمعنى: أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك؟ ومن رفعه [٢٧٩/ب] جعله مستأنفًا، فيكون المعنى: أتذر موسى وقومه، وهو يذرك وآلهتك، والأجود أن يكون معطوفًا على «أتذر»، فيكون المعنى: أتذر موسى، وأيذرك موسى؟ أي: أتطلق له هذا؟[٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٥).

(٢) انظر: الكامل في القراءات العشر (ص:٥٥٥)، وفي المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٥٦) نسبها لنعيم بن ميسرة والحسن بخلاف، وفي التحصيل؛ للمهدوي (٣/ ٧٨) نسبها لنعيم بن ميسرة وغيره، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٤١) نسبها للحسن، ونعيم بن ميسرة، ونعيم بن ميسرة هو: الكوفي النحوي أبو عمرو، نزل الرَّيَّ وكان ثقة، روى الحروف عن أبي عمرو، وعاصم، وروى عنه الكسائي، وتُروى عنه حروف شواذ من اختياره، توفي سنة (١٧٤هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٣٧٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

قوله: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾.

قال ابن عباس: كان فرعون قد صنع لقومه أصنامًا صغارًا، وأمرهم بعبادتها، وقال: أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤](١).

وقال غيره: كان قومه يتعبَّدون تلك الأصنام تقربًا إليه.

وقال الحسن: كان يعبد تيسًا في السِّرِّ(٢).

وقيل: كان يعبد البقر سرًّا(٣).

وقيل: كان يجعل في عنقه شيئًا يعبده(٤).

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن: «وإلاهتك» بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبألف بعدها(٥).

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٧١)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٢).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٧١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٨) عن معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه قال: وبلغني أيضًا عن ابن عباس أنه قال: كان يعبد البقر.
وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٤١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٤٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٨) عن معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه قال: بلغني أنه كان يجعل في عنقه شيئا يعبده.

(٥) انظر: التحصيل (٣/ ٧٨) ونسبها أيضًا: علي بن أبي طالب، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (١/ ٦٤)، والقراءات الشاذة (ص:٤٥)، ومختصر الشواذ (ص:٥٠) ونسبها أيضًا: لعلي، والمحتسب (١/ ٢٥٦) ونسبها أيضًا: لأنس بن مالك وعلي بن أبي=

قال الزَّجَّاج: المعنى: ويذرك وربوبيتك[١].

وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الإِلاهة: العبادة، فالمعنى: ويذرك وعبادة الناس إياك.

قال ابن قتيبة: من قرأ: «وإِلاهتك» أراد: ويذرك والشمس التي تعبد، وقد كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها إلهة[٢].

قال الأعشى[٣]:

فَـمَا أَذْكُـرُ الرَّهْـبَ حتَّـى انْقَلَبْتُ ... قُبيْـلَ الإلاهَـةِ مِنْهـا قَرِيْبـا

يعني الشمس، والرَّهب: ناقته. يقول: اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت.

قوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿سَنُقَتِّلُ﴾، و﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأعراف:١٤١] بالتشديد، وخففهما نافع.

=طالب وعلقمة والجحدري والتيمي وأبي طالوت وأبي رجاء، وفي التفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٢٩٢) نسبها أيضًا: للضحاك والشعبي وابن أبي إسحاق.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث (ص:١٩٥).

(٣) البيت للأعشى في تأويل مختلف الحديث؛ لابن قتيبة (ص:١٩٥).

وقرأ ابن كثير[١]: «سَنَقْتُلُ» خفيفة، و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ مشدَّدة[٢].

وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلمه أنه لا يقدر عليه.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ أي: عالون بالملك والسلطان.

فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم، فقال موسى: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على ما يُفعل بكم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

وقرأ الحسن، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «يورِّثها» بالتشديد[٣].

فأطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم.

قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: الجنة.

---

(١) في (ف): (وابن كثير).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩١-٢٩٢)، والحجة (٤/ ٧١-٧٢)، والمبسوط (١/ ٢١٣)، والتحصيل (٣/ ٧٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٢) وقال: «وَلم يروها عَن حَفْص غير هُبَيْرَة وَهُوَ غلط، وَالْمَعْرُوف عَن حَفْص التَّخْفِيف»، وكذلك قال في الحجة (٤/ ٧٢)، وفي مختصر في الشواذ؛ لابن خالويه (ص:٥٠) قال: «هبيرة عن حفص، ويحيى وابن مسعود»، وفي التحصيل (٣/ ٧٨) نسبها للحسن وابن وثَّاب، وفي الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص:٥٥٥) نسبها للحسن، وابْن مِقْسَم، والخزاز في قول الْخُزَاعِيّ، وفي الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٧٢) نسبها للحسن.

والثاني: النصر والظفر.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ [الأعراف: ١٢٩، ١٣٠].

قوله: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾.

في هذا الأذى ستة أقوال:

أحدها: أن الأذى الأول والثاني أخذ الجزية، قاله الحسن.

والثاني: أن الأول ذبح الأبناء، والثاني إدراك فرعون يوم طلبهم، قاله السدي.

والثالث: أن الأول أنهم كانوا يسخَّرون في الأعمال إلى نصف النهار، [٢٨٠/أ] ويرسَلون في بقيته يكتسبون، والثاني تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جويبر.

والرابع: أن الأول تسخيرهم في ضرب اللَّبِن، وكانوا يعطونهم التِّبن الذي يخلط به الطين، والثاني أنهم كلِّفوا ضرب اللَّبِن وجعلَ التبن عليهم، قاله ابن السائب.

والخامس: أن الأول قتل الأبناء، واستحياء البنات، والثاني تكليف فرعون إيَّاهم ما لا يطيقون، قاله مقاتل(١).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٦).

والسادس: أن الأول استخدامهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، والثاني إعادة ذلك العذاب.

وفي قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ قولان:

أحدهما: تأتينا بالرِّسالة، ومن بعد ما جئتنا بها، قاله ابن عباس[(١)].

والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلِّصنا ومن بعد ما جئتنا به، ذكره الماوردي[(٢)].

قوله: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: عسى: طمع وإشفاق، إلا أن ما يُطمِع الله فيه فهو واجب[(٣)].

قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

في هذا الاستخلاف قولان:

أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه.

والثاني: استخلاف عن الله تعالى؛ لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٥٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٤).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٥٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

وفي الأرض قولان:

أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس[١].

والثاني: أرض الشام، ذكره الماوردي[٢].

قوله: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: يراه بوقوعه منكم، لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما علم أنه سيقع منهم[٣].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾.

قال أبو عبيدة: مجازُه: ابتليناهم بالجدوب، و﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أهل دينه وقومه[٤].

وقال مقاتل: هم أهل مصر[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٥) ولفظه عنده: «قال ابن عباس: يملككم ما كان يملك فرعون»، وفي البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٤٦): «وَالْأَرْضِ هُنَا أَرْضُ مِصْرَ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ».

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٥٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٦).

قال الفراء: ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ أي: بالقحط والجدوب عامًا بعد عام(١).

وقال الزَّجَّاج: السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مسَّتهم السَّنة، ومعناه: جدب السَّنة، وشدة السَّنة، وإنما أخذهم بالضراء، لأن أحوال الشدة تُرِقُّ القلوبَ، وتُرغِّبُ فيما عندَ الله، وفي الرُّجوع إليه(٢).

قال قتادة: أما السنون، فكانت في بواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم(٣).

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يبس لهم كل شيء، وذهبت مواشيهم، حتى يبس نيل مصر، فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت ربًّا كما تزعم، فاملأ لنا نيل مصر، فقال: غُدْوة يصبِّحكم الماء، فلما خرجوا من عنده، قال: أيَّ شيء صنعت؟ أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر؟ غدوة أصبح، فيكذِّبوني. فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثم لبس مِدرعة من صوف، ثم خرج حافيًا حتى أتى بطن نيل مصر فقام في بطنه، فقال: اللهم إنك تعلم أني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماء، [٢٨٠/ ب] فاملأه، فما علم إلا بخرير الماء لما أراد الله به من الهلكة(٤).

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٢) من رواية يزيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٢) من رواية أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس ﷺ به.

قال الشيخ[١]: وهذا الحديث بعيد الصحة؛ لأن الرجل كان دهريًا لا يثبت إلهًا، ولو صحَّ، كان إقراره بذلك كإقرار إبليس، وتبقى مخالفته عنادًا.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١].

قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة.

﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وهي القحط والجدب والبلاء.

﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي: يتشاءموا بهم.

وكانت العرب تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قال أبو عبيدة: ﴿أَلَآ﴾ تنبيه وتوكيد ومجاز. ﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾ حظهم ونصيبهم[٢].

---

(١) في (ف): (قال المصنف).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٦).

وقال ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن الذي أصابهم من الله[(١)].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا[(٢)].

قوله تعالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٣].

قوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا﴾.

قال الزَّجَّاج: زعم النحويون أن أصل «مهما» ماما، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ فـ«ما»، الأولى هي «ما» الجزاء، و«ما» الثانية هي التي تزاد تأكيدًا للجزاء، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و«ما» تزاد فيه، قال الله ﷻ: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال:٥٧] كقولك: إن تثقفنهم، وقال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ [الإسراء:٢٨]، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاء، والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس[(٣)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٧) من رواية معاوية، عن علي، عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] يقول: «مصائبهم عند الله».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٩).

قال ابن الأنباري: فعلى قول من قال: إن معنى «مه» الكف، يحسن الوقف على «مه»، والاختيار عندي أن لا يوقف على «مه» دون «ما» لأنهما في المصحف حرف واحد.

وفي «الطوفان» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الماء.

قال ابن عباس: أُرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام[١].

وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك[٢]، ومقاتل[٣]، واختاره الفراء[٤]، وابن قتيبة[٥].

والثاني: أنه الموت، روته عائشة عن النبي ﷺ[٦].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٤) من رواية الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٢).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٧١).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٠٥-٣٠٦) ثلاثتهم من طريق يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميناء، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الطوفان الموت».

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يحيى بن يمان العجلي، والمنهال بن خليفة، والحجاج بن أرطاة، فهو إسناد مسلسل بالضعفاء.

ولذلك قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/ ٢٤٠): «حديث غريب».

وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥١٩)، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه.

وبه قال مجاهد، وعطاء، ووهب بن منبه، وابن كثير[١].

والثالث: أنه الطاعون، نقل عن مجاهد[٢]، ووهب أيضًا.

وفي «القمَّل» سبعة أقوال:

أحدها: أنه السوس الذي يقع في الحنطة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٣]، وقال به.

والثاني: أنه الدَّبى، رواه العوفي عن ابن عباس[٤]، وبه قال مجاهد، وعطاء[٥].

وقال قتادة: القمَّل: أولاد الجراد[٦].

وقال ابن فارس: الدَّبى: الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته[٧]. [٢٨١/أ]

والثالث: أنه دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٠).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٥١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٧) من رواية جرير، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٣) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.
ورواه أيضًا (١٠/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٦) من رواية الضحاك، عن ابن عباس به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٣).

(٧) انظر: مجمل اللغة (ص:٣٤٦).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٥).

وقيل: هذه الدواب هي السوس.

والرابع: أنه الجعلان، قاله حبيب بن أبي ثابت[١].

والخامس: أنه القمل، ذكره عطاء الخراساني، وزيد بن أسلم[٢].

والسادس: أنه البراغيث، حكاه ابن زيد[٣].

والسابع: أنه الحَمنان، واحدتها: حَمنانة، وهي ضرب من القِردان، قاله أبو عبيدة[٤].

وقرأ الحسن، وعكرمة، وابن يعمر: «القُمْل» برفع القاف وسكون الميم[٥].

وفي «الدم» قولان:

أحدهما: أن ماءهم صار دمًا، قاله الجمهور.

والثاني: أنه رعاف أصابهم، قاله زيد بن أسلم[٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٥١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٦).

(٥) انظر: التحصيل (٣/ ٩٦)، ومختصر ابن خالويه (ص:٥٠)، والمحتسب (١/ ٢٥٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٤٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٩٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٤٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٥١).

الإشارة إلى شرح القصة

قال ابن عباس: جاءهم الطوفان، فكان الرجل لا يقدر أن يخرج إلى ضيعته، حتى خافوا الغرق، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا لهم، فكشفه الله عنهم، وأنبت لهم شيئًا لم ينبته قبل ذلك، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد؛ فأكل ما أنبتت الأرض، فقالوا: ادع لنا ربك، فدعا، فكشف الله عنهم، فأحرزوا زروعهم في البيوت، فأرسل الله عليهم القُمَّل، فكان الرجل يخرج بطحين عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يرى منها ثلاثة أقفزة، فسألوه، فدعا لهم، [فكُشف عنهم][1]، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ولم يكن عليهم شيء أشد منها، كانت تجيء إلى القدور وهي تغلي وتفور، فتلقي أنفسها فيها، فتفسد طعامهم، وتطفئ نيرانهم، وكانت الضفادع برِّيَّة، فأورثها الله ﷻ برد الماء والثرى إلى يوم القيامة، فسألوه، فدعا لهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقُلُبهم دمًا، فلم يقدروا على الماء العذب، وبنو إسرائيل في الماء العذب، فإذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دمًا، والماء من بين يديه ومن خلفه صافٍ عذبٌ لا يقدر عليه، فقال فرعون: أقسم بإلهي يا موسى لئن كشفتَ عنا الرِّجز لنؤمننَّ بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا موسى، فذهب الدم وَعَذُبَ ماؤهم، فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل[2].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٧)، وابن أبي حاتم مختصرًا في تفسيره (٥/ ١٥٤٧).

قوله: ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾.

قال ابن قتيبة: بين الآية والآية فصل[١].

قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت، ثم يبقون عقيب رفعها شهرًا في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى.

وقال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يومًا[٢].

[٢٨١/ب] وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات، الجراد والقمَّل والضَّفادع والدَّم[٣].

وفي قوله: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ قولان:

أحدهما: عن الإيمان.

والثاني: عن الانزجار.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٤، ١٣٦].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ١٧١).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٥٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٩) عن نوف الشامي، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٥٢) عنه أيضًا.

قوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ أي: نزل بهم العذاب.

وفي هذا العذاب قولان:

أحدهما: أنه طاعون أهلك منهم سبعين ألفًا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنه العذاب الذي سلَّطه الله عليهم من الجراد والقُمَّل وغير ذلك، قاله ابن زيد.

قال الزَّجَّاج: ﴿ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب[1].

ومعنى الرجز في العذاب: أنه المقلقل لشدته قلقلة شديدة متتابعة، وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: ناقة رجزاء، إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها، ومنه رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقالُ من بيت إلى بيت سريعٌ، نحو قوله[2][من الرجز]:

يَا لَيْتَنِي فِيْهَا جَذَعْ ... أَخُبُّ فيها وَأَضَعْ

وزعم الخليل أن الرَّجَز ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٠).

(٢) البيت لدريد قاله يوم هوازن كما في الشعر والشعراء؛ لابن قتيبة (٢/ ٧٣٨)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٤٩٩)، والصحاح (٣/ ١٣٠٠)، والفائق في غريب الحديث؛ للزمخشري (١/ ١٣٨)، ولسان العرب (٨/ ٣٩٨)، ودريد: هو ابن الصمة بن معاوية الجشمي، شاعر جاهلي فارس شجاع كان سيد قومه، توفي (سنة ٨ هـ) ولم يسلم.

(٣) انظر: تهذيب اللغة؛ للأزهري (١٠/ ٣٢٣)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (ص: ٤٢١).

قوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به.

والثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك.

والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عمن آمن.

والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ أي: إلى وقت غرقهم.

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي: ينقضون العهد.

قوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

قال أبو سليمان الدمشقي: انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم، وتلك النقمة تغريقنا إياهم في اليمِّ.

قال ابن قتيبة: اليمُّ: البحر بالسريانية[1].

قوله: ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: عن الآيات، وغفلتهم: تركهم الاعتبار بها.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧١)، ولفظه فيه: «والْيَمُّ: البحر».

والثاني: عن النقمة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٧، ١٣٨].

قوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ﴾ يعني بني إسرائيل.

﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ﴾ أي: يُستذلون بذبح الأبناء، واستخدام النساء، وتسخير الرجال.

﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: مشارق الشام ومغاربها، قاله الحسن.

والثاني: مشارق أرض الشام ومصر.

والثالث: أنه على إطلاق في شرق الأرض وغربها.

قوله: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾.

قال ابن عباس: بالماء والشجر(١).

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٥٤).

قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وهي وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، وذلك في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٥]، وقد بيَّنا علَّة تسمية ذلك كلِّه في «آل عمران». [٢٨٢/أ]

وقوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

فيه قولان:

أحدهما: على طاعة الله تعالى.

والثاني: على أذى فرعون.

قوله: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارات والمزارع، والدمار: الهلاك.

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ أي: يبنون.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء هاهنا، وفي «النحل».

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بضم الراء فيهما(١).

وقرأ ابن أبي عبلة: «يُعرِّشون» بالتشديد(٢).

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٢، ٣٧٤)، والحجة (٤/ ٧٤)، و(٥/ ٧٦)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٤٧).

(٢) في الكامل في القراءات (ص:٥٥٥)، نسبها لابن مقسم، وابن أبي عبلة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٤٧) نسبها لابن أبي عبلة.

قال الزَّجَّاج: يقال: عَرَش يَعْرِشُ ويَعْرُشُ: إذا بنى[١].

قوله: ﴿يَعْكُفُونَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، [ويعقوب][٢]: «يَعْكُفُون» بضم الكاف.

وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل: بكسر الكاف[٣].

وقرأ ابن أبي عبلة: بضم الياء وتشديد الكاف[٤].

قال الزَّجَّاج: ومعنى ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئًا وواظب عليه: عَكَفَ يَعْكِفُ ويَعْكُفُ[٥].

قال قتادة: كان أولئك القوم نزولًا بالرقة، وكانوا من لخم[٦].

وقال غيره: كانت أصنامهم تماثيل البقر.

وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعد ما رأوا الآيات.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧١).

(٢) زيادة من (ف).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٢)، والحجة (٤/ ٧٤)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦).

(٤) انظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها؛ لأبي القاسم الهذلي (ص:٥٥٦)، ونسبها لابن أبي عبلة، وابن مقسم.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧١).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٢٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ [الأعراف: ١٣٩، ١٤٠].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ﴾.

قال ابن قتيبة: مُهلَك. والتَّبار: الهلاك[١].

قوله: ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ أي: أطلب لكم، وهذا استفهام إنكار.

قال المفسِّرون، منهم ابن عباس، ومجاهد[٢]: والعالمون هاهنا: عالمو زمانهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾ [الأعراف: ١٤١].

قوله: ﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾.

قرأ ابن عامر: «وإذ أنجاكم» على لفظ الغائب المفرد[٣].

قوله تعالى: ﴿۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف: ١٤٢].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٢).

(٢) انظر: التفسير البسيط (٩/ ٣٢٧).

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦).

قوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً﴾ المعنى: وعدناه انقضاء ثلاثين ليلة.

قال ابن عباس: قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشرًا، فكانت فتنتهم في ذلك العشر(١).

فإن قيل: لم زيد هذا العشر؟

فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئًا من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحبُّ إليَّ من ريح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام(٢).

وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغَنا أنه لم يُحدث حتى هبط منه(٣).

فإن قيل: ما معنى ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً﴾ وقد عُلم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٥٦) من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٢٩) مختصرًا.

(٣) رواه الطبري (١/ ٦٦٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٧) في تفسيرهما من رواية آدم، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية به، ولفظه عند الطبري: «... فمكث على الطور أربعين ليلة، وأنزل عليه التوراة في الألواح، وكانت الألواح من زبرجد؛ فقربه الرب إليه نجيًا، وكلّمه، وسمع صريف القلم. وبلغنا أنه لم يُحدث حدثًا في الأربعين ليلة حتى هبط من الطور».

فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه للتأكيد.

والثاني: ليدل أن العشر، ليالٍ لا ساعات.

[٢٨٢/ب] والثالث: لينفي إتمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأُتمت بعشر.

وقد بينا في سورة «البقرة»[(١)] لماذا كان هذا الوعد.

قوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾.

قال ابن عباس: مرهم بالإصلاح[(٢)].

وقال مقاتل: ارفق[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٣، ١٤٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٣١) بلفظ: «يريد: الرفق بهم والإحسان إليهم»، ثم قال الواحدي: «فعلى هذا معناه: وأصلح أمرهم».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦١).

قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: للوقت الذي وقَّتنا له(١).

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أسمعه كلامه، ولم يكن بينه وبين الله ﷻ فيما سمع أحد.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي: أرني نفسك.

قوله: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾.

تعلَّق بهذا نُفاة الرؤية وقالوا: «لن» لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنِّيه في النار بقولهم: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا(٢).

وقال غيره: هذا جواب لقول موسى: «أرني»، ولم يُرد: أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا، فأُجيب عما سأل.

وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك.

وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى سألها، ولو كانت مما تستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك، لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة، وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٣٤).

لقال: «لا أُرى» ألا ترى أن نوحًا لما قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود:٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦]، ومما يدلُّ على جواز الرؤية أنه علَّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدلَّ على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علَّقه بمستحيل فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: ثبت ولم يتضعضع.

قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾.

قال الزَّجَّاج: ظهر، وبان[١].

﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «دكًّا» منوَّنة مقصورة هاهنا وفي «الكهف».

وقرأ عاصم: «دكًّا» هاهنا منوَّنة مقصورة، وفي «الكهف»: «دكاء» ممدودة غير منونة.

وقرأ حمزة والكسائي: «دكاء» ممدودة غير منونة في الموضعين[٢].

قال أبو عبيدة: «جعله دكًّا» أي: مندكًّا، والمندكُّ: المستوي، والمعنى: مستويًا مع وجه الأرض، يقال: ناقة دكَّاء، أي: ذاهبة السنام مستوٍ ظهرها[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٣)، والحجة (٤/ ٧٥)، (٥/ ١٨٢)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥١).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٨).

قال ابن قتيبة: كأن سنامها دُكَّ، أي: التصق، قال: ويقال: إن أصل دككتُ: دققت، فأبدلت القاف كافًا لتقارب المخرجين[١].

وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: ساخ الجبل[٢].

قال ابن عباس: واسم الجبل: زبير، وهو أعظم جبل بمدين، وإن الجبال تطاولت ليتجلَّى لها، وتواضع زبير فتجلَّى له[٣].

قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

فيه قولان: [٢٨٣/أ]

أحدهما: مغشيًّا عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٢).

(٢) رواه الطبري (١٠/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٠) في تفسيرهما، والترمذي في سننه (٣٠٧٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٠)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٥٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٣٤١) (٢٧٢)، والحاكم في مستدركه (١/ ٧٧) وغيرهم من رواية حَمَّاد بن سَلَمَة، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».
وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٤٧٠): «وَرَوَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْد، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ، عَنْ هُدْبَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، فَذَكَرَهُ. وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ لَا عِلَّةَ فِيهِ».

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٧٥).

والثاني: ميتًا، قاله قتادة، ومقاتل[(١)][(٢)].

والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾، وذلك لا يقال للميت.

وقيل: بقي في غشيته يومًا وليلة.

قوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾.

فيما تاب منه ثلاثة أقوال:

أحدها: سؤال الرؤية، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها.

والثالث: اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا.

وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنك لن تُرى في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾.

فتح ياء «إني» ابن كثير، وأبو عمرو[(٣)].

وقرأ ابن كثير، ونافع «برسالتي»[(٤)].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢).

(٣) انظر: السبعة (ص:١٥٣)، والحجة (١/ ٤١٢)، والمبسوط (ص:٢١٩)، والتيسير (ص:١١٥).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٤٦)، والحجة (٣/ ٢٣٩)، (٤/ ٧٧)، والتحصيل (٣/ ٦٦).

قال الزَّجَّاج: المعنى: اتخذتك صفوة على الناس ﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٥].

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.

في ماهية الألواح سبعة أقوال:

أحدها: أنها زبرجد، قاله ابن عباس.

والثاني: ياقوت، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: زمرُّد أخضر، قاله مجاهد.

والرابع: بَرَد، قاله أبو العالية.

والخامس: خشب، قاله الحسن.

والسادس: صخر، قاله وهب بن منبه.

والسابع: زمرد وياقوت، قاله مقاتل(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣)

وفي عددها أربعة أقوال:

أحدها: سبعة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: لوحان، رواه[1] أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء[2].

قال: وإنما سماها الله تعالى ألواحًا، على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨] يريد داود، وسليمان، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤][3].

والثالث: عشرة، قاله وهب.

والرابع: تسعة، قاله مقاتل[4].

وفي قوله: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ قولان:

أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره.

والثاني: من الحِكَم والعِبَر.

قوله: ﴿مَّوْعِظَةً﴾ أي: نهيًا عن الجهل ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ أي: تبيينًا لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام.

قوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

---

(١) في (ف): (قاله).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٠٨، ٢٤٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢).

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بجدٍّ وحزم، قاله ابن عباس.

والثاني: بطاعة، قاله أبو العالية.

والثالث: بشكر، قاله جويبر.

قوله: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾.

إن قيل: كأن فيها ما ليس بحسن؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: يأخذوا بحسنها، وكلها حَسَن، قاله قطرب[١].

وقال ابن الأنباري: ناب «أحسن» عن «حسن» كما قال الفرزدق[٢] [من الطويل]:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

أي: عزيزة طويلة[٣].

وقال غيره: «الأحسن» هاهنا صلة، والمعنى أن يأخذوا بها.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٣)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٤٧).

(٢) والبيت في ديوانه (٢/ ١٥٥)، ومنسوب إليه في العين (١/ ٧٦)، و تفسير الطبري (١٨/ ٤٨٨)، والصاحبي في فقه اللغة (ص:١٩٨)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٢/ ١٤٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ١٢٧).

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٠).

[٢٨٣/ب] **والثاني**: أن بعض ما فيها أحسن من بعض.

ثم في ذلك خمسة أقوال:

أحدها: أنهم أُمروا فيها بالخير ونُهوا عن الشر، فَفِعْلُ الخير هو الأحسن.

والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأُمِروا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزَّجَّاج[١].

فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون[٢] الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح[٣] وهو المعصية.

والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح.

والرابع: أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الأشبه بالحق.

والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.

قوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَٰسِقِينَ﴾.

فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٥).

(٢) من قوله: (العزائم والفضائل)... إلى هنا، ليس في (ف).

(٣) وقع تكرار في الأصل هكذا: (أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح).

والثاني: أنها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي.

والثالث: أنها منازل من هلك من الجبابرة والعمالقة، يريهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة.

والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي.

ومعنى الكلام: سأُرِيكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

قوله تعالَى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦، ١٤٧].

قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات.

والثاني: أنها عامة، وهو أصح.

وفي الآيات قولان:

أحدهما: أنها آيات الكتاب المتلوَّة.

ثم في [معنى](١) **الكلام ثلاثة أقوال:**

أحدها: أمنعُهم فهمها.

والثاني: أمنعهم من الإيمان بها.

والثالث: أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال.

والثاني: أنها آيات المخلوقات كالسماء والأرض والشمس والقمر وغيرها، فيكون المعنى: أصرفهم عن التفكر والاعتبار بما خلقتُ.

وفي معنى ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: يتكبَّرون عن الإيمان واتباع الرسول.

والثاني: يحقرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم.

قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «سبيل الرُّشْد» بضم الراء خفيفة.

وقرأ حمزة، والكسائي: «سبيل الرَّشَد» بفتح الراء والشين مثقلَّة(٢).

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٣)، والحجة (٤/ ٧٨)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٤).

قال الزَّجَّاج: فعل الله بهم ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي: كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها بمنزلة الغافلين، ويجوز أن يكون المعنى: وكانوا عن جزائها غافلين(١).

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: ١٤٨].

قوله: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل [٢٨٤/أ] للميقات.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء.

وقرأ حمزة، والكسائي: «حِلِيِّهم» بكسر الحاء.

وقرأ يعقوب: بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء(٢).

والحُلِيُّ: جمع حَلْيٍ، مثل ثَدْيٍ وثُدِيٍّ، وهو اسم لما يُتحسَّن به من الذهب والفضة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٤)، والحجة (٤/ ٨٠)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٥)، والتحصيل (٣/ ٩٧).

قال الزَّجَّاج: ومن كسر الحاء من «حليهم» أتبع الحاء كسر اللام[١].

و«الجسد»: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجثة فقط.

قال ابن الأنباري: ذِكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليها روح ولا نفس[٢].

فأما «الخُوار» فهو صوت البقرة، يقال: خَارَت البقرة تَخُورُ، وَجَأَرَت تَجْأَرُ، وقد نُقِلَ عن العرب أنهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم: رَغَا البعير، وجَرْجَرَ وهَدَرَ وقَبْقَبَ، وصَهَلَ الفرس وحَمْحَمَ، وشَهَقَ الحمار ونَهَقَ، وشَحَجَ البغل، وثَغَتِ الشاة ويَعَرَتْ، وثأَجَتِ النَّعجة، وبغم الظَّبي ونزب، وزأر الأسد ونَأَتَ، ووَعْوَعَ الذئب، ونَهَم الفِيْلُ، وزَقَحَ القِرْدُ، وَضَبَحَ الثَّعْلَبُ، وعَوَى الكَلْبُ وَنَبَحَ، ومَاءَتِ السِّنَّور، وَصَأَت الفأرة، ونَغَقَ الغُرَابُ، معجمةَ الغين، وزقأ الدِّيك وسَقَعَ، وصَفَرَ النَّسْرُ، وَهَدَرَ الحمام وَهَدَلَ، ونَقَضَتِ الضَّفَادِع ونقَّت، وعَزَفَتِ الجِنُّ[٣].

قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ١٥٥).

(٣) وعزيف الجن: هو صوتها. انظر: الصحاح (٤/ ١٤٠٣)، والمحكم (١/ ٥٢٧)، ولسان العرب (٩/ ٢٤٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٨) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ به. وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٧٧).

وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خار خورة واحدة ولم يُتبعها مثلها[١]، وبهذا قال وهب[٢]، ومقاتل[٣].

وكان مجاهد يقول: خواره حفيف الريح فيه[٤].

وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح.

وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: «له جُوار» بجيم مرفوعة[٥].

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: لا يستطيع كلامهم.

﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يبيِّن لهم طريقًا إلى حجة.

﴿اتَّخَذُوهُ﴾ يعني اتخذوه إلهًا.

﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

قال ابن عباس: مشركين[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٥٩)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ٤١٩).

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٨٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٤).

(٤) رواه الطبري (١٦/ ١٥٠) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به. وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٤/ ٤٩٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٥)، وقال: «وقرأت فرقة: «له جوار» بالجيم وهو الصياح».

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٦٠).

قولــه تعــالَى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعـراف: ١٤٩، ١٥٢].

قوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: ندموا.

قـال الزَّجَّـاج: يقـال للرجـل النـادم عـلى مـا فعـل، المتحسر عـلى مـا فـرَّط: قـد سُـقط في يـده، وأُسـقط في يـده[١].

وقرأ ابن السميفع، وأبو عمران الجوني: «سَقَطَ» بفتح السين[٢].

قـال الزَّجَّـاج: والمعنـى: ولمـا سـقط النَّـدم في أيديهـم، يشـبَّه مـا يحصـل في القلـب وفي النفـس بـما يُـرى بالعـين[٣].

قال المفسرون: هذا الندم منهم إنما كان بعد رجوع موسى.

قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

(٢) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٥١)، ونسبها لليماني، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يرْحمنا ربُّنا» «ويغفرْ لنا» بالياء والرفع.

وقرأ حمزة، والكسائي: «ترحمنا» «وتغفر لنا» بالتاء، «ربَّنا» بالنصب[١].

قوله: ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾.

في الأسِفِ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الحزين، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. [٢٨٤/ ب]

والثاني: الجزِع، قاله مجاهد.

والثالث: أنه الشديد الغضب، قاله ابن قتيبة[٢]، والزَّجَّاج[٣].

وقال أبو الدرداء: الأسف: منزلة وراء الغضب أشد منه[٤].

قوله: ﴿قَالَ﴾ أي: لقومه ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ فتح ياء «بعديَ» أهل الحجاز، وأبو عمرو[٥].

والمعنى: بئس ما عملتم بعد فراقي من عبادة العجل.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٤)، والحجة (٤/ ٨٨)، والمبسوط (ص:٢١٥)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٦)، والتحصيل (٣/ ٩٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٥٠) من رواية نصر بن علقمة، عن أبي الدرداء ﷺ به، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٥).

(٥) انظر: السبعة (ص:٣٠٢)، والمبسوط (ص:٢١٩)، والتيسير (ص:١١٥).

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾.

قال الفراء: يقال: عَجِلْتُ الأمر والشيء: سبقتُه، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثثته[1].

قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له؟![2].

قال الحسن: يعني وَعْدَ الأربعين ليلة[3].

قوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التوراة.

وفي سبب إلقائه إياها قولان:

أحدهما: أنه الغضب حين رآهم قد عبدوا العجل، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه لما رأى فضائل غير أمته من أمة محمد ﷺ اشتد عليه، فألقاها، قاله قتادة، وفيه بُعدٌ.

قال ابن عباس: لما رمى بالألواح فتحطمت، رُفع منها ستة أسباع، وبقي سُبع[4].

قوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٦٨).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٦٣).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٢) من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ به.

في ما أخذ به من رأسه ثلاثة أقوال:

أحدها: لحيته وذؤابته.

والثاني: شعر رأسه.

والثالث: أُذنه.

وقيل: إنما فعل به ذلك، لأنه توهم أنه عصى الله بمُقامه بينهم وتركِ اللحوق به، وتعريفِه ما أحدثوا بعده ليرجع إليهم فيتلافاهم ويردَّهم إلى الحقِّ، وذلك قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [طه: ٩٢، ٩٣].

قوله: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «قال ابن أُمَّ» نصبًا.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الميم، وكذلك في «طه»[١].

قال الزَّجَّاج: من فتح الميم فلكثرة استعمال هذا الاسم، ومن كسر أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسمًا واحدًا، ومن العرب من يقول: «يا ابن أمي» بإثبات الياء[٢].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٥، ٤٢٣)، والحجة (٤/ ٨٩)، و(٥/ ٢٤٧)، والمبسوط (ص:٢١٥)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

قال الشاعر[1] [من الخفيف]:

يَـا ابْـنَ أُمِّـي ويَـا شُـقَيِّقَ نَفْـسِي   أَنْــتَ خَلَّفْتَنــي لِدَهْـرٍ شَــدِيدِ

وقال أبو علي: يحتمل أن يريد من فتح: «يا ابن أم» أُمَّا، ويحذف الألف، ومن كسر: «ابن أمِ» فيحذف الياء[2].

فإن قيل: لم قال: «يا ابن أمَّ» ولم يقل: «يا ابن أب»؟

فالجواب: أن ابن عباس قال: كان أخاه لأبيه وأُمه، وإنما قال له ذلك ليرقِّقه عليه[3].

قال أبو سليمان الدمشقي: والإنسان عند ذكر الوالدة أرقُّ منه عند ذكر الوالد.

وقيل: كان لأمه دون أبيه، حكاه الثعلبي[4].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ يعني عبدة العجل.

﴿ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ أي: استذلُّوني.

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي يرثي ابن أخته الجلاح في ديوانه (ص ٤٨)، والكتاب (٢/ ٢١٣)، وتفسير الطبري (١٠/ ٤٥٩)، والدرر (٥/ ٥٧)، ولسان العرب (١٠/ ١٨٢)، وتاج العروس (٢٥/ ٥١٦).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ٢٤٨).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٧٦)، ولم ينسبه لأحد، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٢٥٨) ونسبه للكلبي، وانظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٩٤).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٦/ ٢٥٨).

﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾.

قرأ ابن عباس، وابن محيصن، وحميد: «فلا تَشْمَت» بتاء مفتوحة مع فتح الميم، «الأعداءُ» بالرفع[1].

وقرأ مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وأبو رجاء: «فلا تَشْمِتْ» بفتح التاء وكسر الميم، «الأعداءَ» بالنصب[2]. [٢٨٥/أ]

وقرأ أبو الجوزاء، وابن أبي عبلة مثل ذلك، إلا أنهما رفعا «الأعداءُ»[3].

ويعني بالأعداء: عبدة العجل.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي﴾ في موجدتك وعقوبتك لي.

﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهم عبدة العجل.

فلما تبين له عُذْرُ أخيه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾.

---

(١) انظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها؛ لأبي القاسم الهذلي (ص:٣٨٤)، ونسبها لمجاهد وأبان، إلا أنه قال: «وَحُمَيْد غير أنه كسر الميم». وكذا قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٧)، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥١) نسبها لمالك بن دينار، وفي التحصيل؛ للمهدوي (٣/ ٩٨) نسبها لمجاهد وقال: «وعنه أيضًا: فتح التاء والميم، والنصب، وعن ابن محيصن بخلاف: فتح التاء، وكسر الميم، ونصب ﴿ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾».

(٢) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤٥٧-٤٥٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٨٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٧).

قوله: ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها الجزية، قاله ابن عباس.

والثاني: ما أُمروا به من قتل أنفسهم، قاله الزَّجَّاج(١).

فعلى الأول يكون ما أُضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك قُتلوا ولم يؤدُّوا جزية.

قال عطية: وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتولِّيهم متخذي العجل ورضاهم به(٢).

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾.

قال ابن عباس: كذلك أُعاقب من اتخذ إلهًا دوني(٣).

وقال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلَّا وهو يجد فوق رأسه ذلَّة، وقرأ هذه الآية(٤).

وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلَّة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى: قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٩).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٨٠).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٨٠).

سمعتم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ قالوا: يا [أبا][1] محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلَّا، اتلوا ما بعدها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف: ١٥٣].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها الشرك.

والثاني: الشرك وغيره من الذنوب.

﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ يعني السيئات.

وفي قوله: ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ قولان:

أحدهما: آمنوا بالله وهو يُخرَّج على قول من قال: هي الشرك.

والثاني: آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧١) بلفظ مختصر: «قال سفيان: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾، قال: كل صاحب بدعة ذليل»، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٨).

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ يعني من السيئات.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤].

قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾.

وقرأ ابن عباس، وأبو عمران: «سَكَّت» بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها، «الغضبَ» بالنصب[١].

وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، والجحدري: «سُكِّت» بضم السين وتشديد الكاف مع كسرها[٢].

وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وطلحة: «سَكَنَ» بنون[٣].

قال الزَّجَّاج: «سكت» بمعنى سكن، يقال: سكت يسكت سَكْتًا: إذا سكن، وسكت يسكت سكْتًا وسكوتًا: إذا قطع الكلام[٤].

قال: وقال بعضهم: المعنى: ولما سكت موسى عن الغضب - على القلب -، كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي.

---

(١) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٥) بلا نسبة، وفي شواذ القراءة (ص:٩٠) عن بعضهم.

(٢) قال في مختصر ابن خالويه (ص:٥١): «(ولمَّا سُكِّت) بالتشديد، حكاه أبو معاذ»، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٥) بلا نسبة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥١) نسبها لمعاوية بن قرة، وكذلك ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٩)، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٥) بلا نسبة

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٩).

والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، والأول قول أهل العربية.

قوله: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ يعني التي كان ألقاها.

وفي قوله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ قولان:

أحدهما: وفيها بقي منها، قاله ابن عباس.

والثاني: وفيها نُسخ فيها، قاله ابن قتيبة[1]. [٢٨٥/ ب]

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنه عام في الذين يخافون الله، وهو معنى قول ابن عباس.

والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ خاصة، وهو معنى قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ المعنى: اختار من قومه، فحُذف «من»، تقول العرب: اخترتك القوم، أي: اخترتك من القوم.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

وأنشدوا[1][من الطويلِ]:

مِنَّا الذي اخْتيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً ... وجُودًا إذا هبَّ الرِّياح الزَّعازعُ

هذا قول ابن قتيبة[2]، والفراء[3]، والزَّجَّاج[4].

وفي هذا الميقات أربعة أقوال:

أحدها: أنه الميقات الذي وَقَّتَهُ الله لموسى ليأخذ التوراة، أُمر أن يأتيَ معه بسبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البِكَاليُّ.

والثاني: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربَّهم، فدعوا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحدًا قبلنا، ولا تعطيه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه

---

(١) البيت للفرزدق كما في ديوانه (١/ ٤١٨)، والكتاب (١/ ٣٩)، وتفسير الطبري (١/ ٤٧٢)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٢٥٥)، ولسان العرب (٤/ ٢٦٥)، وتاج العروس (١١/ ٢٤١)، وبدون نسبة كما في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٣٨٠)، وشرح المفصل (٨/ ٥١)، والمقتضب (٤/ ٣٣٠)، وهمع الهوامع (١/ ١٦٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٠).

فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتقِ بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك، قاله وهب بن منبه.

والرابع: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر إليه من فِعْل عبدة العجل، قاله السدي.

وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربَّه إلا بإذن منه(١).

فأما ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ فهي الحركة الشديدة.

وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال:

أحدها: أنه ادعاؤهم على موسى قتل هارون، قاله علي بن أبي طالب.

والثاني: اعتداؤهم في الدعاء، وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنهم لم ينهَوْا عبدة العجل ولم يرضَوْا، نُقل عن ابن عباس أيضًا(٢)، وقال قتادة، وابن جريج: لم يأمروهم بالمعروف، ولم ينهَوْهم عن المنكر، ولم يزايلوهم(٣).

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٨٨).

(٢) ليست في (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٩) ونسبه لقتادة، وابن جريج، ومحمد بن كعب.

والرابع: أنهم طلبوا سماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] قاله السدي، وابن إسحاق.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾.

قال السدي: قام موسى يبكي ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾[1].

وقال الزَّجَّاج: لو شئت أمتَّهم قبل أن تبتليهم بما أوجب عليهم الرجفة[2].

[٢٨٦/أ] وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني.

قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾.

قال المبرِّد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تُهلكْنا[3].

وقال ابن الأنباري: هذا استفهام على تأويل الجحد، إذ أراد لست تفعل ذلك[4].

---

(١) رواه الطبري (١٠/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم (١/ ١١٣) في تفسيرهما من رواية عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي به.
وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٩٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٩٠).

و﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ هاهنا: عبدة العجل.

وقال الفراء: ظن موسى أنهم أُهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل، وإنما أُهلكوا بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣](١).

قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها الابتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو العالية.

والثاني: العذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: ناصرنا وحافظنا.

قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٥).

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٨].

قوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾ أي: حقق لنا وأوجب.

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي الأعمال الصالحة.

﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ المغفرة والجنة.

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا.

قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وقتادة، والضحاك، والسدي.

وقال ابن قتيبة: ومنه ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ كأنهم رجعوا من شيء إلى شيء[1].

وقرأ أبو وجزة السعدي: «إنا هِدنا» بكسر الهاء[2].

قال ابن الأنباري: المعنى: لا يتغيَّر، يقال: هاد يهود ويهيد[3].

قوله: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٢) انظر: التحصيل (٣/ ١١٣)، والزاهر؛ لابن الأنباري (٢/ ٢١٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٠)، ومختصر ابن خالويه (ص:٥١) ونسبها أيضًا لمجاهد، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٦) بلا نسبة.

وأبو وجزة السعدي هو: يزيد بن عبيد المدني الشاعر، كان ثقة عالمًا، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، تُوفي سنة (١٣٠هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٣٨٧٨).

(٣) انظر: الزاهر (٢/ ٢١٤).

وقرأ الحسن البصري، وأبو العالية: «من أساء» بسين غير معجمة مع النصب[١].

قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

في هذا الكلام أربعة أقوال:

أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ، لقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابن عباس.

والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البرَّ والفاجر، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة.

فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويُدفع عنه، كقوله في حق قارون: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد.

والرابع: أن الرحمة تَسَع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدِّر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥١) نسبها للحسن، وعمرو بن عبيد، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦١) نسبها للحسن، وطاووس، وعمرو بن فائد، وفي التحصيل (٣/ ١١٣) نسبها للحسن فقط، وفي المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٦١) نسبها للحسن، وعمرو بن فائد.

قال الزَّجَّاج: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في الآخرة[1].

قال المفسرون: معنى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: فسأوجبها.

وفي «الذين يتقون» قولان:

أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس.

والثاني: للمعاصي، قاله قتادة.

وفي قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قولان: [٢٨٦/ب]

أحدهما: أنها زكاة الأموال، قاله الجمهور.

والثاني: أن المراد بها طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس، والحسن، ذهبا إلى أنها العمل بما يزكِّي النفس ويطهِّرها.

وقال ابن عباس، وقتادة: لما نزلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فنزعها الله من إبليس، فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فقالت اليهود والنَّصارى: نحن نتَّقي، ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فنزعها الله منهم، وجعلها لهذه الأمة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٨٤) عن ابن جريج، وقتادة.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧٩) عن أبي بكر الهذلي، وقتادة.

ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٠) لابن عباس، وقتادة، وأبي بكر الهذلي.

وقال نَوفٌ: قال الله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض طهورًا ومسجدًا، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فأخبر موسى قومه بذلك، فقالوا: لا نريد أن نصلِّي إلَّا في الكنائس، ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظرًا، فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وهؤلاء المذكورون في قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ قولان(٢):

أحدهما: أنهم كل من آمن بمحمد ﷺ وتبعه، قاله ابن عباس(٣).

[**والثاني**: أنه محمد ﷺ، قاله السدي، وقتادة](٤).

وفي تسميته بالأمي قولان:

أحدهما: لأنه لا يكتب.

والثاني: لأنه من أُمِّ القرى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٨٩) من رواية ليث، عن شهر بن حوشب، عن نوف الحميري به.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ر): (قال ابن عباس: هم كل من آمن بمحمد وتبعه).

(٤) ليست في (ف).

قوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ أي: يجدون نعته ونبوَّته.

قوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

قال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون مستأنفًا، ويجوز أن يكون: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ أنه يأمرهم بالمعروف[1].

قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام[2].

وقال مقاتل: المعروف: الإيمان، والمنكر: الشرك[3].

وقال غيره: المعروف: الحق، لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل، لأن العقول تنكر صحته.

وفي ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنها الحلال، المعنى: يُحل لهم الحلال.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيبه.

والثالث: أنها الشحوم المحرَّمة على بني إسرائيل.

والرابع: ما كانت العرب تحرِّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٩٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٧).

وفي ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحرام، فالمعنى: ويحرِّم عليهم الحرام.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبثه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات.

والثالث: ما كانوا يستحلُّونه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿إِصْرَهُمْ﴾.

وقرأ ابن عامر: «آصارهم» ممدودة الألف على الجمع[1]. [٢٨٧/أ]

وفي هذا الإِصر قولان:

أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت، و[أكل][2] الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٩٣)، والمبسوط (ص:٢١٥)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ١١٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٣-٤٦٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٩٥).

(٢) زيادة من (ف).

وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتب على باب بيته: إن كفارته أن تنْزِع عينيك، فينْزِعهُما.

قوله: ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾.

قال الزَّجَّاج: ذِكر الأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقًا في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق[1].

﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾: أنه كان عليهم أن لا يُقبَل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يَقْرِضُوا ما أصاب جلودهم من البول.

قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ يعني بمحمد ﷺ.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾.

وروى أبان: «وعَزَروه» بتخفيف الزاي[2].

وفي المعنى قولان:

أحدهما: نصروه وأعانوه، قاله مقاتل[3].

والثاني: عظَّموه، قاله ابن قتيبة[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨١).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٢) نسبها للجحدري، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٤) نسبها للجحدري، وسليمان التيمي، وقتادة، وعيسى، وفي المحتسب (١/ ٢٦١) نسبها للجحدري، وسليمان التيمي، وقتادة، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٧) بلا نسبة.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

و﴿ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: القرآن، سماه نورًا، لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون.

وفي قوله: ﴿مَعَهُۥٓ﴾ قولان:

أحدهما: أنها بمعنى «عليه».

والثاني: بمعنى أُنزل في زمانه.

قال قتادة: أما نصره، فقد سُبقتم إليه، ولكن خيركم من آمن به واتبع النور الذي أُنزل معه[1].

قوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

في الكلمات قولان:

أحدهما: أنها القرآن، قاله ابن عباس.

وقال قتادة: كلماته: آياته[2].

والثاني: أنها عيسى ابن مريم، قاله مجاهد، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٨٥) من رواية يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٨٧) من رواية يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

قوله: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يدعون إلى الحق.

والثاني: يعملون به.

قوله: ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: وبالحق يحكمون(١).

وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أنهم من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب.

والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الماوردي(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٧٠).

أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٠، ١٦٢].

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ يعني قوم موسى، يقول: فرَّقناهم.

﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ يعني أولاد يعقوب، وكانوا اثنى عشر ولدًا، فولد كل واحد منهم سبطًا.

قال الفراء: وإنما قال: ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ والسبط ذكر، لأن بعده: ﴿أُمَمًا﴾ فذهب بالتأنيث إلى الأمم، ولو كان «اثني عشر» لتذكير السبط، كان جائزًا[١].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾[٢] ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ فرقة. ﴿أَسْبَاطًا﴾ [٢٨٧/ ب] نعت «فرقة» كأنه يقول: جعلناهم أسباطًا، وفرَّقناهم أسباطًا، فيكون ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدلًا من ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾، و﴿أُمَمًا﴾ من نعت أسباط.

والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل ليُفصل بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٧).

(٢) في (ف): (وفرقناهم).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨١-٣٨٢).

وقال أبو عبيدة: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، أحدهم: سبط. ويقال: من أي سبط أنت؟ أي: من أي قبيلة وجنس؟[١].

قوله: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ﴾.

قال ابن قتيبة: انفجرت. يقال: تبجَّس الماء، كما يقال: تفجَّر، والقصة مذكورة في «البقرة»[٢].

قوله: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡ﴾ بالتاء مهموزة على الجمع.

وقرأ أبو عمرو: «نغفر لكم خطاياكم» مثل: قضاياكم، ولا تاء فيها.

وقرأ نافع: «تُغفَر» بالتاء مضمومة، «خطيئاتُكم» بالهمز وضم التاء، على الجمع.

ووافقه ابن عامر في «تُغفَر» بالتاء المضمومة، لكنه قرأ: «خطيئتكم» على التَّوحيد[٣].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٥-٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٤-٩٥)، والتحصيل (٣/ ١١٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣].

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يعني أسباط اليهود، وهذا سؤال تقرير وتوبيخ يقرِّرهم على قديم كفرهم، ومخالفة أسلافهم الأنبياء، ويخبرهم بما لا يُعلم إلا بوحي.

وفي ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أنها أيلة[(١)(٢)]، رواه مُرَّة عن ابن مسعود، وأبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنها مَدْيَن، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: أنها ساحل مدين، روي عن قتادة.

والرابع: أنها طبرية، قاله الزهري.

---

(١) في (ف): (بلد).

(٢) قال في معجم البلدان (١/ ٢٩٢): «أَيْلَة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام».

والخامس: أنها قرية يقال لها: مَقْنَا[1]، بين مدين وعَيْنُونا[2]، قاله ابن زيد.

ومعنى ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج[3]: أي يظلمون، يقال: عدا فلان يعدو عُدْوانًا وعَداءً وعَدْوًا وعُدُوًّا: إذا ظلم، وموضع «إذ» نصب.

والمعنى: سلهم عن وقت عَدْوِهم في السبت.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ في موضع نصب أيضًا بـ ﴿يَعْدُونَ﴾.

والمعنى: سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإتيان.

﴿شُرَّعًا﴾ أي: ظاهرة.

﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ أي: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم بفسقهم.

ويحتمل على بعد أن يكون المعنى: وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كذلك، أي: لا تأتيهم شُرَّعاً ويكون ﴿نَبْلُوهُم﴾ مستأنفًا.

---

(١) قال في معجم البلدان (٥/ ١٧٨): «مقنا: قرب أيلة صالحهم النبي ﷺ على ربع عروكهم، والعروك حيث يصطاد عليه، وعلى أن يعجل منهم ربع كراعهم وخلفتهم، وقال الواقدي: صالحهم على عروكهم وربع ثمارهم وكانوا يهودًا».

(٢) قال في معجم البلدان (٤/ ١٧٦): «عَيْنُ أُنا: ويروى عينونا، وقد ذكرت بعد هذا، ومن قال بهذا قال: أُنا واد بين الصَّلا ومدين وهو على الساحل، وقال السُّكري: هي قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجُّوا، وأُنا: وادٍ».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٤).

وقرأ [الحسن، و][(١)] الأعمش، وأبان، والمفضل عن عاصم: «يُسبِتون» بضم الياء[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾.

قال المفسرون: افترق أهل القرية ثلاث فرق: فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد، وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين، فقالت الفرقة الناهية: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾. [٢٨٨/أ]

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «معذرةٌ»[(٣)] رفعًا، أي: موعظتنا إياهم معذرةٌ.

والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذرًا إلى الله.

---

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٢) نسبها لعلي بن أبي طالب، والجعفي عن عاصم، وفي التحصيل (٣/ ١١٤) نسبها للمفضل عن عاصم وغيره، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٨) نسبها للحسن بن أبي الحسن، وعاصم بخلاف.

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٧)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، والتحصيل (٣/ ١١٥).

وقرأ حفص عن عاصم: «معذرةً» نصبًا[١]، وذلك على معنى نعتذر معذرةً.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: وجائز أن ينتفعوا بالموعظة فيتركوا المعصية.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)﴾ [الأعراف: ١٦٥، ١٦٧].

قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: تركوا ما وُعظوا به.

﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم الناهون عن المنكر.

و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم المعتدون في السبت.

قوله: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «بئيس» على وزن فعيل، الهمزة بين الباء والياء.

وقرأ نافع: «بِيسٍ» بكسر الباء من غير همز.

وقرأ ابن عامر كذلك، إلا أنه همز[٢].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٧)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والتحصيل (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٨)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، والتحصيل (٣/ ١١٥).

وروى خارجة عن نافع: «بَيْسٍ» بفتح الباء من غير همز، على وزن «فَعْلٍ»[١].

وروى أبو بكر عن عاصم: «بَيْأسٍ» على وزن «فَيْعَلٍ»[٢].

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأيوب: «بَيْآسٍ» على وزن «فَيْعالٍ»[٣].

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، ومعاذ القارئ: «بَئِسٍ» بفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن «تَعِس»[٤].

وقرأ الضحاك، وعكرمة: «بَيِّسٍ» بتشديد الياء مثل: «قيِّم».

وقرأ أبو العالية، وأبو مجلز: «بَئِسَ»[٥] بفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن «فَعِلَ».

وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء: «بائسٍ» بألف ومَدَّة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن «فاعِلٍ»[٦].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، والتحصيل (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: الكامل في القراءات العشر (ص:٣٨٤) ونسبها للأعمش.

(٤) انظر: المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٥) ليست في (ف).

(٦) انظر هذه القراءات التي أوردها الإمام ابن الجوزي في: مختصر ابن خالويه (ص:٥٢)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٦٤- ٢٦٧)، والتحصيل؛ للمهدوي (٣/ ١١٥- ١١٧)، وإعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٥٧٠-٥٧٣)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤٦٩- ٤٧٠)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٩٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٢٠٥).

قال أبو عبيدة: البئيس: الشّديد، وأنشد[١]: [من الكامل]

حَقًّا عَليَّ وما تَرَى لِي فِيهُمُ أَثَرًا بَئِيسَا

وقال الزَّجَّاج: يقال: بَئس يبأس بأسًا، والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة[٢].

وقال ابن جرير: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ أي: تمردوا فيما نُهوا عنه[٣].

وقد ذكرنا في «سورة البقرة»: قصة مسخهم[٤].

وكان الحسن البصري يقول: والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قوم مسلمين.

قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أعلم، قاله الحسن، وابن قتيبة، وقال: هو من آذنتك بالأمر[٥].

---

(١) البيت لذي الإصبع العدواني كما نسبه إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن (ص:٢٣١)، والطبري في تفسيره (١/ ٥٢٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٠٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٢٨).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٥).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٤).

وقال ابن الأنباري: «تأذن» بمعنى آذن، كما يقال: تعلَّم أن فلانًا قائم، أي: اعلم.

وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أعلم أنبياء بني إسرائيل.

والثاني: حتم، قاله عطاء.

والثالث: وعد، قاله قطرب.

والرابع: تألَّى، قاله الزَّجَّاج[١].

قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود.

وقال مجاهد: على اليهود والنصارى بمعاصيهم[٢].

﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾ أي: يوليهم سُوءَ الْعَذابِ.

وفي المبعوث عليهم قولان:

أحدهما: أنه محمد ﷺ وأمته، قاله ابن عباس.

والثاني: العرب، كانوا يجبونهم الخراج، قاله سعيد بن جبير، قال: [٢٨٨/ب] ولم يجْبِ الخراجَ نَبيٌّ قط إلا موسى، جباه ثلاث عشرة سنة، ثم أُمسك إلى النبي ﷺ[٣].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٣) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٣) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، قال: هم اليهود بعث الله عليهم العرب يجبوا منهم الخراج فهو سوء العذاب، ولم يكن نبيٌّ جبا الخراج إلا=

وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم(١).

وفي ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: الجزية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: الخراج، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والرابع: أنه القتال حتى يُسلموا، أو يُعطوا الجزية.

قوله تعالَى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨].

قوله: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا﴾.

قال أبو عبيدة: فرَّقناهم فِرقًا(٢).

قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة(٣).

=موسى عليه السلام، فجباه ثلاث عشرة سنة، ثم كف عنه، وإلا النبي ﷺ.

وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٠٩) من كلام سعيد بن جبير.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٣٢) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣١).

(٣) رواه الطبري (١٠/ ٥٣٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٥) في تفسيرهما من رواية جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٢٦).

وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل[١].

وقيل: معناه: شتات أمرهم وافتراق كلمتهم.

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهم المؤمنون بعيسى ومحمد ﷺ.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وهم الكفار.

وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يبعث عيسى، وقبل ارتدادهم[٢].

قوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ أي: اختبرناهم.

﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ وهي الخير، والخصب، والعافية.

﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي الجدب، والشر، والشدائد.

فالحسنات والسيئات تحث على الطاعة، أما النعم فلطلب الازدياد منها، وخوف زوالها، والنقمُ فلكشفها، والسلامة منها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يتوبوا.

قوله تعالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٣٣).

قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعد الذين وصفناهم ﴿خَلۡفٌ﴾.

وقرأ الجوني، والجحدري: «خَلَفٌ» بفتح اللام(١).

قال أبو عبيدة: الخَلْفُ والخَلَفُ واحد، وقوم يجعلون المحرَّك اللام، للصالح، والمسكَّن، لغير الصالح(٢).

وقال ابن قتيبة: الخَلْفُ: الرديء من الناس، ومن الكلام، يقال: هذا خَلْفٌ من القول(٣).

وقال ابن الأنباري: أكثر ما تستعمل العرب الخَلْفَ، بإسكان اللام، في الرديء المذموم، وتفتح اللام في الفاضل الممدوح، وقد يوقع الخَلْفُ على الممدوح، والخلَفُ على المذموم، غير أن المختار ما ذكرناه(٤).

وفي المراد بهذا الخَلْف ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن زيد.

والثاني: النصارى.

والثالث: أن الخَلْفَ من أُمة محمد ﷺ، والقولان عن مجاهد.

---

(١) انظر: إعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٥٧٣) قال: «يُقرأ بفتح اللام»، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٢) نسبها لبعض السلف.

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٤).

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٠٦).

فإن قيل: الخَلْفُ واحد، فكيف [قال][(١)]: ﴿يَأْخُذُونَ﴾ وكذلك قال في «مريم» ﴿أَضَاعُوا﴾ [مريم:٥٩]؟

فقد ذكر ابن الأنباري عنه جوابين:

أحدهما: أن الخَلْف جمع خالف، كما أن الركب جمع راكب، والشَّرْب جمع شارب.

والثاني: أن الخَلْف مصدر يكون للاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث[(٢)].

قوله: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى [٢٨٩/أ] خلف.

فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التوراة.

والثاني: الإنجيل.

والثالث: القرآن.

قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم منها.

وقيل: سمّاه عرضًا، لقلة بقائه.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٠٦).

قال ابن عباس: يأخذون ما أحبُّوا من حلال أو حرام[١].

وقيل: هو الرِّشوة في الحكم[٢].

وفي وصفه بالأدنى قولان:

أحدهما: أنه من الدُّنُوِّ.

والثاني: أنه من الدناءة.

قوله: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: إنا لا نؤاخَذ، تمنِّيًا على الله الباطلَ.

والثاني: أنه ذنْب يغفره الله لنا، تأميلًا لرحمة الله تعالى.

وفي قوله: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن.

والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد.

قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٣٩) قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يقول: يأخذون ما أصابوا، ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام، ويقولون: سيغفر لنا.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٧٥).

قال ابن عباس: وكَّد الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار[١].

قوله: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ معطوف على ﴿وَرِثُوا﴾.

ومعنى ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: قرءوه، فكأنه قال: خالفوا على علم.

﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: ما فيها من الثواب.

﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني.

قرأ ابن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم: بالتاء، والباقون بالياء[٢].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)﴾ [الأعراف: ١٧٠].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٤٠) عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها.
وفي التفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٤٣٤): «قال عطاء عن ابن عباس: وكَّد الله في التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، فقالوا الباطل».

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٥٦)، والحجة (٣/ ٢٩٥)، والمبسوط (ص:١٩٣)، والتيسير (ص:١٠٢).

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَـٰبِ ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: [﴿يُمَسِّكُونَ﴾][(١)] مشددة. وقرءوا ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠] مخففة.

وقرأهما أبو عمرو بالتشديد.

وروى أبو بكر عن عاصم أنه خففها[(٢)].

ويقال: مسَّكتُ بالشيء، وتمسَّكت به، واستمسكت به، وامتسكت به.

وهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب الذين حفظوا حدوده ولم يُحرِّفوه، منهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

قال ابن الأنباري: وخبر «الذين»: «إنا» وما بعده، وله ضمير مقدَّر بعد «المصلحين» تأويله: والذين يمسِّكون بالكتاب إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم، ولهذه العلة وَعَدَهُم حفظَ الأجر بشرطٍ، إذ كان منهم من لم يصلح.

قال: وقال بعض النحويين: المصلحون يرجعون على الذين، وتلخيص المعنى عنده: والذين يمسِّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجرهم، فأظهرت كنايتهم بالمصلحين، كما يقال: علي لقيتُ

(١) ليست في الأصل، وهي من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٧)، والحجة (٤/ ١٠٢-١٠٣)، و(٦/ ٢٨٦)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والتيسير (ص:١١٤)، والتحصيل (٣/ ١١٧).

الكسائي، وأبو سعيد رويت عن الخدري، يراد: لقيتُهُ ورويت عنه.

قال الشاعر(١): [من الطويل] [٢٨٩/ ب]

فَيَا رَبَّ لَيْلَى أَنْتَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَأَنْتَ الذي في رَحْمَةِ الله أطْمَعُ

أراد في رحمته، فأظهر ضمير الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١].

قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: واذكر لهم إذ نتقنا الجبل، أي: رفعناه.

قال مجاهد: أُخرج الجبل من الأرض، ورفع فوقهم كالظُّلَّة، فقيل لهم: لتؤمنُنَّ أو ليقعنَّ عليكم(٢).

وقال قتادة: نزلوا في أصل جبل، فرُفع فوقهم، فقال: لتأخُذُنَّ أمري، أو لأرمينَّكم به(٣).

---

(١) البيت لمجنون بني عامر كما في شرح شواهد المغني (٢/ ٥٥٩)، والمقاصد النحوية (١/ ٤٩٧)، وليس في ديوانه؛ وبلا نسبة في شرح الأشموني (١/ ٦٧)؛ وشرح التصريح (١/ ١٤٠)، ومغني اللبيب (١/ ٢١٠)، وهمع الهوامع (١/ ٨٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: «رفع الجبل فوقهم كالسحابة، فقيل لهم: لتؤمننَّ أو ليقعنَّ عليكم، فآمنوا». وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ١٣٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩)، و(١٠/ ٥٤٤) من رواية بشر بن معاذ، عن يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه الظن المعروف.

والثاني: أنه بمعنى اليقين.

وباقي الآية مفسر في «[سورة][(١)] البقرة»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ**» -[ونعمان قريب من عرفة، ذكره ابن قتيبة][(٣)]- «**فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، وقال:** ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾»[(٤)].

---

(١) من (ف).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٣).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو زيادة من (ف)، وفي (ر): (ذكر ابن قتيبة في الغريب أن نعمان قريب من عرفة).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٤٧)، وأحمد في مسنده (٢٤٥٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٢٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠) (٧٥)، و(٢/ ٥٩٣) (٤٠٠٠) من رواية جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن=

ومعنى الآية: وإذ أخذ ربكم من ظهور بني آدم.

فقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

وقيل: إنما قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهر آدم، لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم؛ لأنه قد علم أنهم بنوه، وقد أُخرجوا من ظهره.

وقوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «ذُرِّيَّاتِهِم» على الجمع[١].

قال أبو علي: الذُّرِّية تكون جمعًا، وتكون واحدًا[٢].

=سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.
قال النسائي: «وكلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».
وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣) من رواية جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفًا عليه.
وقد رجَّح الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٠١) وقفه على ابن عباس.

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٧-٢٩٨)، والحجة (٤/ ١٠٤)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والتحصيل (٣/ ١٣٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٧٥).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٠٥).

وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أشهدهم على أنفسهم بإقرارهم، قاله مقاتل(١).

والثاني: دلَّهم بخلقه على توحيده، قاله الزَّجَّاج(٢).

والثالث: أنه أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك، قاله ابن جرير(٣).

قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

والمعنى: وقال لهم: ألست بربكم؟ وهذا سؤال تقرير. قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا.

قال السدي: قوله: ﴿شَهِدْنَآ﴾ خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم(٤).

ويحسن الوقف على قوله: ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأن كلام الذرية قد انقطع.

وزعم الكلبي أن الذُّرِّيَّة لَمَّا قالت: ﴿بَلَىٰ﴾، قال الله تعالى للملائكة: «اشْهَدُوا» فقالوا: ﴿شَهِدْنَآ﴾(٥).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٤٦).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٦٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٠٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٥١).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٥٠-٤٥١).

وروى أبو العالية عن أُبَيِّ بن كعب قال: جمعهم جميعًا، فجعلهم أزواجًا، ثم صوَّرهم، ثم استنطقهم، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ أنك إلهنا. قال: فإني أُشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأُشهد عليكم أباكم آدم ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ لم نعلم بهذا(١).

وقال السدي: أجابته طائفة طائعين، وطائفة كارهين تقيةً(٢).

قوله: ﴿أَن تَقُولُوا﴾.

قرأ أبو عمرو: «أن يقولوا»، «أو يقولوا» بالياء فيهما. [٢٩٠/أ]

وقرأ الباقون بالتاء فيهما(٣).

قال أبو علي: حجة أبي عمرو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، وحجة من قرأ بالتاء، أنه قد جرى في الكلام خطاب: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾(٤).

ومعنى قوله: ﴿تَقُولُوا﴾: لئلَّا تقولوا، ومثله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣٧) من رواية أبي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رُفَيْعٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٠٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٨)، والحجة (٤/ ١٠٧)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٧٦)، والتحصيل (٣/ ١٣٣).

(٤) انظر: الحجة (٤/ ١٠٧).

وفي قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ قولان:

أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار.

والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق.

قال المفسرون: وهذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلَّفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلَّا يقول الكفار: إنا كنَّا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يُسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي ﷺ الصادق، وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذِّكر، فالاحتجاج به قائم.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٣].

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاتَّبعنا منهاجهم على جهلٍ منَّا بإلهيتك ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ في دعواهم أن معك إلهًا.

فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا، إذ ذكَّرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم.

وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذُّرِّيَّة، وركَّب فيهم عقولًا وأفهامًا عرفوا بها ما عرض عليهم.

وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفًا، ومعنى إشهادهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين.

ولما عرفوا ذلك ودعاهم كلُّ ما يرون ويشاهدون إلى التصديق، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهِدين على أنفسهم بصحته، كما قال: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٧] يريدهم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا: نحن كفرة، كما يقول الرجل: قد شهدتْ جوارحي بصدقك، أي: قد عرفته.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٨] أي: بيَّن وأعلم، وقد حكى نحو هذا القول ابن الأنباري، والأول أصح، لموافقة الآثار.

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: وكما بيَّنا في أخذ الميثاق والآيات، ليتدبَّرها العباد فيعملوا بموجبها.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: ولكي يرجعوا عمَّا هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قوله: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: اتل عليهم إذ أخذ ربك، ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾[١].

وفيه ستة أقوال:

أحدها: أنَّه رجل من بني إسرائيل يقال له: بَلْعَمُ بنُ أَبَرَ، قاله ابن مسعود.

وقال ابن عباس: بَلْعَمُ بنُ بَاعُورَاء[٢]. ٢٩٠/ب]

وروي عنه: أنه بلعام بن باعور، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدي.

وروى العوفي عن ابن عباس أن بلعمًا من أهل اليمن[٣].

وروى عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبَّارين[٤].

والثاني: أنه أُميَّة بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٤٥، ٨٥٥١، ٨٥٥٢) عن ابن عباس ﷺ.

وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٠٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨٥٥٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨٥٤٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٧٠-٥٧١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٠٦)، والبحر المحيط (٥/ ٢٢١).

وكان أمية قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسِل رسولًا، ورجا أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ، حسده وكفر.

والثالث: أنه أبو عامر الراهب، روى الشعبي عن ابن عباس قال: الأنصار تقول: هو الراهب الذي بُني له مسجد الشِّقاق(١).

وروي عن ابن المسيب نحوه(٢).

والرابع: أنه رجل كان في بني إسرائيل، أُعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سمجة دميمة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها، فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها، رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه، دعا الله أن يجعلها كلبة نَبَّاحَةً، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أمُّنا كلبةً نبَّاحة يعيِّرنا الناس بها، فادع الله أن يردَّها إلى الحال التي كانت عليها أولًا، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث، رواه عكرمة عن ابن عباس(٣).

والذي روي لنا في هذا الحديث: «وكانت سَمِجة» بكسر الميم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٤٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٢٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٤٩) من رواية عكرمة، عن ابن عباس ﷺ.
وانظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٣٠٧)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤٧٧)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٢٢١).

وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون: رجل سَمْج: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمِج بكسرها.

والخامس: أنه المنافق، قاله الحسن.

والسادس: أنه كل من انسلخ من الحق بعد أن أُعطيَه من اليهود والنصارى والحنفاء، قاله عكرمة.

وفي الآيات خمسة أقوال:

أحدها: أنه اسم الله الأعظم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير.

والثاني: أنها كتاب من كتب الله ﷻ.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: هو بلعام، أوتي كتابًا فانسلخ منه[1].

والثالث: أنه أوتي نبوَّة، فَرَشاهُ قومه على أن يسكت، ففعل، وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وفيه بُعدٌ، لأن الله تعالى لا يصطفي[2] لرسالته إلا معصومًا عن مثل هذه الحال.

والرابع: أنها حُجج التوحيد، وفهم أدلَّته.

والخامس: أنها العلم بكتب الله ﷻ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٧٣، ٥٨٤) من رواية عكرمة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٢) في الأصل: (لا يعطي)، والمثبت من (ف)، و(ر).

والمشـهور في التفسـير أنـه بلعـام، وكان مـن أمـره عـلى مـا ذكـره المفسرون أن موسـى عليه السلام غـزا البلـد الـذي هـو فيـه، وكانـوا كفـارًا، وكان هـو مجـاب الدعـوة، فقـال ملكهـم: ادع عـلى موسـى، فقـال: إنـه مـن أهـل [٢٩١/أ] دينـي، ولا ينبغـي لي أن أدعـوَ عليـه، فأمـر الملـك أن تنحـت خشـبة لصَلبـه، فلـما رأى ذلـك، خـرج عـلى أتـان ليدعـوَ عـلى موسـى، فلـما عايـن عسـكرهم، وقفـت الأتـان فضربهـا، فقالـت: لم تضربنـي، وهـذه نـار تتوقَّـد قـد منعتنـي أن أمـشي؟ فارجـع، فرجـع إلى الملـك فأخـبره، فقـال: إمـا أن تدعـو عليهـم، وإمـا أن أصلبـك، فدعـا عـلى موسـى باسـم الله الأعظـم أن لا يدخـل المدينـة، فاسـتجاب الله لـه، فوقـع موسـى وقومـه في التيـه بدعائـه، فقـال موسـى: يـا ربِّ، بـأي ذنـب وقعنـا في التيـه؟ فقـال: بدعـاء بلعـم. فقـال موسـى: يـا رب، فكـما سـمعت دعـاءه عـليَّ، فاسـمع دعائـي عليـه، فدعـا اللهَ أن ينـزع منه الاسـم الأعظـم، فنـزع منـه.

وقيـل: إنـه أمـر قومـه أن يزيِّنـوا النسـاء ويرسـلوهنَّ في العسـكر ليَفشـو الزنـا فيهـم، فيُنـصروا عليهـم.

وقيل: إن موسى عليه السلام قتله بعد ذلك.

وروى السـدي عـن أشـياخه أن بلعـم أتـى إلى قومـه متبرِّعًـا، فقـال: لا ترهبـوا بنـي إسرائيـل، فإنكـم إذا خرجتـم لقتالهـم، دعـوتُ عليهـم فهلكـوا، فـكان فيـما شـاء عندهـم مـن الدنيـا، وذلـك بعـد مـضي الأربعـين سـنة التـي تاهـوا فيهـا، وكان نبيهـم يوشـع، لا موسـى(١).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٧٢، ٥٨١) من رواية أسباط عن السدي به.

قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي: خرج من العلم بها.

قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

قال ابن قتيبة: أدركه. يقال: اتَّبعتُ القوم: إذا لحقتُهم، وتبعتُهم: سرتُ في أثرهم[١].

وقرأ طلحة بن مصرِّف: «فاتَّبعه» بالتشديد[٢].

وقال اليزيدي: أتْبعه واتَّبعه: لغتان. وكأن «أتبعه» خفيفة بمعنى: قفاه، و«اتَّبعه» مشددة: حذا حذوه. ولا يجوز أن تقول: أتبعناك، وأنت تريد: اتَّبعناك، لأن معناها: اقتدينا بك[٣].

وقال الزَّجَّاج: يقال: تبع الرجل الشيء واتَّبعه بمعنى واحد، قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة:٣٨] وقال: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [يونس: ٩٠].

قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٤).

(٢) انظر: الكامل في القراءات العشر؛ للهذلي (ص:٣٨٤) ونسبها للحسن، وقَتَادَة، وطَلْحَة، والزَّعْفَرَانِي، وأيوب، وأبان وهارون عن أَبِي عَمْرٍو، وفي التحصيل؛ للمهدوي (٣/ ١٣٤) عزاها للحسن، وقتادة، وغيرهما، ورواها حسين عن أبي عمرو، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٧٧): «وقرأ الحسن فيما روى عنه هارون «فاتَّبعه» بصلة الألف وشد التاء، وكذلك طلحة بن مصرف بخلاف».

(٣) انظر: الغريبين في القرآن والحديث؛ لأبي عبيد الهروي (١/ ٢٤٧)، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار؛ للقاضي عياض (١/ ١١٨).

فيه قولان:

أحدهما: من الضالين، قاله مقاتل[(١)].

والثاني: من الهالكين الفاسدين، قاله الزَّجَّاج[(٢)].

قوله تعالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦].

قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾.

في هاء الكناية في «رفعناه» قولان:

أحدهما: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور. فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علَّمناه.

والثاني: أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا، وهذا المعنى مروي عن مجاهد.

وقال الزَّجَّاج: لو شئنا لحُلْنا بينه وبين المعصية[(٣)].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١).

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ركن إلى الدنيا وسكن.

قال الزَّجَّاج: يقال: أخلد وخلد، والأول أكثر في اللغة[١].

والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن الدنيا هي الأرض بما عليها. [٢٩١/ب]

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنه رَكَن إلى أهل الدنيا، ويقال: إنه أرضى امرأته بذلك؛ لأنها حملته عليه.

وقيل: أرضى بني عمِّه وقومَه.

والثاني: أنه ركن إلى شهوات الدنيا، وقد بُيِّن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى.

قال ابن زيد: كان هواه مع قومه[٢].

وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى.

قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾.

معناه: أن هذا الكافر، إن زجرتَه لم ينزجر، وإن تركتَه لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فإنه إن طُرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهثًا، وإن تُرك وربض، كان أيضًا لاهثًا.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٠) عن ابن زيد به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٦٨).

والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة، فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهثًا، وإنما شبَّهه بالكلب اللاهث، لأنه أخسُّ الأمثال على أخس الحالات وأبشعها.

وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلًا لمن كذَّب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال[١]، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضًا لهث[٢].

قال المفسرون: زُجِرَ في منامه عن الدعاء على بني إسرائيل فلم ينزجر، وخاطبتْه أتانه فلم ينته، فضُرب له هذا المثل ولسائر الكفَّار، فذلك قوله تعالى: ﴿ذَّلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ لأن الكافر إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال، وهو مع إرسال الرسل إليه كمن لم يأته رسول ولا بيِّنة.

قوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾.

قال عطاء: قَصَصَ الذين كفروا وكذَّبوا أنبياءهم[٣].

قوله تعالَى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٧، ١٧٨].

---

(١) قوله: (وإن لم تعظه فهو ضال)، ليس في (ف).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٢١٦).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٧٢).

قوله: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ﴾.

يقال: ساء الشيء يسوء: إذا قَبُح، والمعنى: ساء مثلًا مثل القوم، فحُذِف المضاف، فنُصب «مثلًا» على التمييز.

قوله: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: يضُرُّون بالمعصية.

قوله تعالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ أي: خلقنا.

قال ابن قتيبة: ومنه ذرية الرجل، إنما هي الخلق منه، ولكن همزها يتركه أكثر العرب[1].

قوله: ﴿لِجَهَنَّمَ ﴾ هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص:٨].

ومثله قول الشاعر[2]: [من البسيط]

أمْوالُنَا لِذَوِي المِيْرَاثِ نَجْمَعُهَا ... وَدُوْرُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيْهَا

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزِّيه بموت ابنه.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٥).

(٢) البيت لسابق البربري في كتاب اللامات؛ للزجاجي (ص:١٢٠)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٢/ ٥٦٢) مادة (لوم)، وتاج العروس (٣٣/ ٤٥١).

فقال(١): [من الطويل]

تَعَـزَّ أَمِـيْرَ الْمُؤْمِنِـينَ فإِنَّـهُ   لِمَا قَـدْ تَـرَى يُغْـذَى الصَّغِـيْرُ ويُوْلَـدُ

وقـد أخـبر الله ﷻ في هـذه الآيـة بنفـاذ عِلمـه فيهـم أنهـم يصـيرون إليهـا بسـبب كفرهـم.

قوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾.

لَّـا أعـرض القـوم عـن الحـق والتفكـر فيـه، كانـوا بمنزلـة مـن لم يفقـه ولم [٢٩٢/أ] يُبـصر ولم يسـمع.

وقـال محمـد بـن القاسـم النحـوي: أراد بهـذا كلـه أمـر الآخـرة، فإنهـم يعقلـون أمـر الدنيـا.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ شبَّهم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر ولا تعتبر.

ثـم قـال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعـام تبـصر منافعهـا ومضارهـا، فتلـزم بعـض مـا تبـصره، وهـؤلاء يعلـم أكثرهـم أنـه معانـد فيُقـدِم عـلى النـار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عن أمر الآخرة.

قولـه تعـالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعـراف: ١٨٠].

(١) البيـت بـلا نسـبة في عيـون الأخبـار؛ لابـن قتيبـة (٣/ ٦٢)، والتعـازي؛ للمـبرد (ص:٧٨)، والكامـل في اللغـة والأدب (٤/ ١٦).

قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

سبب نزولها:

أن رجلًا دعا الله في صلاته، ودعا الرحمنَ، فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحدًا، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية، قاله مقاتل(١).

فأما ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فهي تأنيث الأحسن.

ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن.

وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنِّقمة(٢).

وقوله: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ أي: نادوه بها، كقوله: يا الله، يا رحمن.

قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء، وكذلك في «النحل» و«السجدة»(٣).

وقرأ حمزة: «يَلحَدون» بفتح الحاء والياء فيهن، ووافقه الكسائي، وخلف في «النحل»(٤).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٨٢).

(٣) يعني سورة فصلت آية ٤٠.

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٩٨، ٣٧٥)، والحجة (٤/ ١٠٧-١٠٨)، و(٥/ ٧٨)، والمبسوط (ص:٢١٦، ٢١٧، ٢٦٥)، والتيسير (ص:١١٤، ١٣٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨١)، والتحصيل (٣/ ١٣٤).

قال الأخفش: أَلْحَد ولَحَدَ: لغتان فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين، فكأن الإلحاد: العدول عن الاستقامة.

وقال ابن قتيبة: يجورون عن الحق ويعدلون، ومنه لَحْدُ القبر، لأنه في جانب[١].

قال الزَّجَّاج: ولا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يسمِّ [به][٢] نفسه، فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سخي، ويقول: يا قوي، ولا يقول: يا جلْد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رقيق، لأنه لم يصف نفسه بذلك[٣].

قال أبو سليمان[٤] الخطابي: ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحادٌ، ومما يُسمع على ألسنة العامة قولهم: يا سبحانُ، يا برهانُ، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه، وربما قال بعضهم: يا رب طه ويس[٥].

وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن[٦].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٥).

(٢) زيادة من (ف)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٢).

(٤) قوله: (أبو سليمان)، ليس في (ف).

(٥) انظر: شأن الدعاء (ص:١٧).

(٦) قال الخطابي في شأن الدعاء (ص:١٧): «وأولُ من أنْكَرَ ذلك ابنُ عباسٍ ﷺ فإنهُ سَمِعَ رَجُلاً، يقولُ عنْدَ الكَعْبَةِ: يا ربَّ القرآن. فقال: مَهْ! إنَّ القرآنَ لا رَبَّ لَهُ، إن كُل مربوبٍ مخلوقٌ».

وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسمائه أنهم سمَّوا بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزَّى من العزيز، ومناة من المنَّان[1].

فَصْلٌ

والجمهور على أن هذه الآية محكمة، لأنها خارجة مخرج التَّهديد، كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١].

وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة بآية القتال، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا قول ابن زيد. [٢٩٢/ ب]

قوله تعالَى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ أي: يعملون به.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي: وبالعمل به يعدلون.

وفيمن أُريد بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٨٤) عن ابن عباس ﷺ به. وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٢).

وكان ابن جريج يقول: ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هَـٰذِهِ أُمَّتِي، بِالْحَقِّ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ»[١].

وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا تلا هذه الآية قال: «هَـٰذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمُ مِثْلَهَا» ثم يقرأ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾»[٢].

والثاني: أنهم من جميع الخلق، قاله ابن السائب.

والثالث: أنهم الأنبياء.

والرابع: أنهم العلماء، ذكر القولين الماوردي[٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾.

قال أبو صالح عن ابن عباس: هم أهل مكة[٤].

وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش[٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٠) عن ابن جريج مرسلاً به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٠) عن قتادة مرسلاً به.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٨٣).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٤) وعزاه للكلبي.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٧).

قوله: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾.

قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم[١].

وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يُتدرج إلى الشيء في خُفية قليلًا قليلًا ولا يُهجم عليه، وأصله من الدَّرَجة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مَرقاة مرقاة، ومنه: دَرَجَ الكتاب: إذا طواه شيئًا بعد شيء، ودرج القوم: إذا ماتوا بعضُهم في إثر بعض[٢].

وقال اليزيدي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم[٣].

وقال ابن قتيبة: هو أن يذيقهم من بأسه قليلًا قليلًا من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم[٤].

وقال الأزهري: سنأخذهم قليلًا قليلًا من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النَّعيم ما يغتبطون به ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرَّتهم أغفل ما يكونون[٥].

قال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة[٦].

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٣٣).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٣).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٣١٢).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٨١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٤١).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٦).

وفي قوله: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج.

والثاني: بالهلكة.

قوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ الإملاء: الإمهال والتأخير.

قوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

قال ابن عباس: إن مَكري شديد(١).

وقال ابن فارس: الكيد: المكر، فكل شيء عالجته فأنت تَكيدُه(٢).

قال المفسرون: مكر الله وكيده: مجازاة أهل المكر والكيد.

على نحو ما بيَّنا في «[سورة](٣) البقرة»، و«آل عمران» من ذِكر الاستهزاء والخداع والمكر(٤).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: ١٨٤، ١٨٦].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٧)، والتفسير الوسيط (٢/ ٤٣٢).

(٢) انظر: مجمل اللغة (١/ ٧٧٤).

(٣) زيادة من (ف).

(٤) انظر: سورة البقرة الآية رقم (٩، ١٥، ١٤)، وسورة آل عمران الآية رقم (٥٤).

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾.

سبب نزولها:

أن رسول الله ﷺ علا على الصفا ليلة، ودعا قريشًا فخذًا فخذًا: يا بني فلان، فحذَّرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوِّت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، وقتادة[١].

[٢٩٣/أ] ومعنى الآية: أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جِنة، أي: جنون، فحثَّهم على التفكر في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: مخوِّف ﴿مُّبِينٌ﴾ يبيِّن طريق الهدى.

ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ليستدلوا على أن لها صانعًا مدبرًا.

وقد سبق بيان الملكوت في «سورة الأنعام»[٢].

قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾.

وقرأ ابن مسعود، وأبيٌّ، والجحدري: «آجالهم»[٣].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٢) من رواية سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصفا، فدعا قريشًا، فجعل يفخذهم فخذًا فخذًا: يا بني فلان، يا بني فلان، فحذرهم بأس الله، ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوِّت إلى الصباح، أو حتى أصبح.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية (٧٥).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣) نسبها لأبي معين المكي، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٦) بلا نسبة.

ومعنى الآية: أولم ينظروا في الملكوت وفيما خلق [الله][١] من الأشياء كلِّها، وفي أنْ عسى أن تكون آجالهم قد قربت فيهلِكوا على الكفر، ويصيروا إلى النار.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني القرآن، وما فيه من البيان.

ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان، فقال: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «ونذرهم» بالنون والرفع.

وقرأ أبو عمرو بالياء وبالرفع.

وقرأ حمزة والكسائيّ: «ويذرْهُم» بالياء مع الجزم خفيفة[٢].

فمن قرأ بالرفع استأنف، ومن جزم «ويذرْهم» عطفَ على موضع الفاء.

قال سيبويه: وموضعها جزْم، فالمعنى: من يضلل الله يَذَرْه[٣].

وقد سبق في «سورة البقرة» معنى الطُّغيان والعَمَه[٤].

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٨-٢٩٩)، والحجة (٤/ ١٠٩-١١٠)، والمبسوط (ص:٢١٧)، والتيسير (ص:١١٥)، والتحصيل (٣/ ١٣٤).

(٣) انظر: الكتاب (٣/ ٩٠).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥).

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن قومًا من اليهود قالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[1].

والثاني: أن قريشًا قالت: يا محمد، إن بيننا وبينك قرابة، فبيِّن لنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[2].

وقال عروة: الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة.

والمراد بالسَّاعة هاهنا التي يموت فيها الخلق.

قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٨).

وروى الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٤) من رواية سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال حمل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًّا كما تقول، فإنا نعلم متى هي، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [الأعراف: ١٨٧] إلى قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٨).

قال أبو عبيدة: أي: متى مُرساها؟ أي: منتهاها. ومرسى السفينة: حيث تنتهي[(١)].

وقال ابن قتيبة: «أيَّان» بمعنى: متى، و«متى» بمعنى: أيَّ حين، ونرى أن أصلها: أيَّ أوانٍ، فحذفت الهمزة، وجعل الحرفان واحدًا، ومعنى الآية: متى ثبوتها؟ يقال: رسا في الأرض، أي: ثبت، ومنه قيل للجبال: رواسي[(٢)].

قال الزَّجَّاج: ومعنى الكلام: متى وقوعها؟[(٣)].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: قد استأثر بعلمها.

﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ أي: لا يظهرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: ثَقُل وقوعها على أهل السماوات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكلَّ يخافونها، محسنهم ومسيئهم.

والثاني: عظُم شأنها في السماوات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج.

والثالث: خفي أمرها، فلم يُعلم متى كونها، قاله السدي. [٢٩٣/ ب]

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٣).

والرابع: أن «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثقلت على السماوات والأرض، قاله قتادة.

قوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي: فجأة.

قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه من المقدَّم والمؤخَّر، فتقديره: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ، أي: برٌّ بهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

قال العوفي عن ابن عباس(١)، وأسباط عن السدي(٢): كأنك صديق لهم.

والثاني: كأنك حفيٌّ بسؤالهم، مجيب لهم.

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: كأنك يعجبك سؤالهم(٣).

وقال خُصَيف عن مجاهد: كأنَّك تحبُّ أن يسألوك عنها(٤).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٧) عن ابن عباس ﷺ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٢) عن أسباط، عن السدي به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٦) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٩) عن خُصَيْفٍ عَنْ مُجَاهِدٍ به.

وقال الزَّجَّاج: كأنك فَرِح بسؤالهم[١].

والثالث: كأنك عالم بها، قاله الضحاك عن ابن عباس[٢]، وهو قول ابن زيد[٣]، والفراء[٤].

والرابع: كأنك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال عكرمة: كأنَّك مسؤول عنها[٥].

وقال ابن قتيبة: كأنك معنيٌّ بطلب علمها[٦].

وقال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بها، والحفيُّ في كلام العرب: المعنيُّ.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: لا يعلمها إلا هو.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل في آخرين: المراد بالنَّاس هاهنا أهل مكَّة[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٥).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٩).

(٥) في تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٢٠) عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عِكْرِمَةَ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قَالَ: قَدْ أَتَيْنَا مِنْكَ وَبَحَثْنَا عَلَيْكَ.

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٥).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٨).

وفي قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: لا يعلمون أنها كائنة، قاله مقاتل(١).

والثاني: لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾.

سبب نزولها.

أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري فتربح، وبالأرض التي تريد أن تُجدب، فترتحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس(٢).

وفي المراد بالنفع والضر قولان:

أحدهما: أنه عامٌّ في جميع ما ينفع ويضر، قاله الجمهور.

والثاني: أن النفع: الهدى، والضَّر: الضلالة، قاله ابن جريج.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٣-٣١٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥٠٧)، وفي أسباب النزول (ص:٢٢٨) وعزاه للكلبي.

قولـه: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا مـا أراد أن أملكـه بتمليكـه إيـاي، ومـن هـو عـلى هـذه الصفـة فكيـف يعلـم علـم السـاعة؟.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدهـا: لـو كنـت أعلـم بجـدب الأرض وقحـط المطـر قبـل كـون ذلـك لهيَّـأت لسـنة الجـدب مـا يكفيهـا، قالـه أبـو صالـح عـن ابـن عبـاس.

والثـاني: لـو كنـت أعلـم مـا أربـح فيـه إذا اشـتريته لاسـتكثرت مـن الخـير، قالـه الضحـاك عـن ابـن عبـاس.

والثالـث: لـو كنـت أعلـم متـى أمـوت؛ لاسـتكثرت مـن العمـل الصالـح، قالـه مجاهـد.

والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأَجبت عنه.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: لم يلحقني تكذيب، قاله الزَّجَّاج(١).

[٢٩٤/أ] فأما «الغيب» فهو كل ما غاب عنك.

ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه العمل الصالح.

والثاني: المال.

والثالث: الرزق.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٤).

قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الفقر، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه كل ما يسوء، قاله ابن زيد.

والثالث: الجنون، قاله الحسن.

والرابع: التكذيب، قاله الزَّجَّاج[1].

فعلى قول الحسن، يكون هذا الكلام مبتدأ، والمعنى: وما بي من جنون إنما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلِّقًا بما قبله.

قوله تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩١].

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني بالنفس: آدم، وبزوجها: حواء.

ومعنى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنس بها ويأتي إليها.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي: جامعها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٤).

قال الزَّجَّاج: وهذا أحسن كناية عن الجماع[١].

والحَمل، بفتح الحاء: ما كان في بطن، أو أخرجتْه شجرة، والحِمل، بكسر الحاء: ما يُحمل.

والمراد بالحمل الخفيف: الماء.

قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ أي: استمرَّت به، قعدت وقامت ولم يُثقلها.

وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، والضحاك: «فاستمرت به»[٢].

وقرأ أُبَيُّ بن كعب، والجَوني: «فاستمارَّت به» بزيادة ألف[٣].

وقرأ عبد الله بن عمرو، والجحدري: «فمارَّت به» بألف وتشديد الراء[٤].

وقرأ أبو العالية، وأيوب، ويحيى بن يعمر: «فَمَرَتْ به» خفيفة

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣)، وفي المحتسب (١/ ٢٧٠)، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٨) ثلاثتهم نسبوها لابن عباس، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٩) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٤٦) نسبها لسعد بن أبي وقاص، وابن عباس، والضحاك.

(٣) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٩) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٤٦) نسبها لأبي بن كعب، والجرمي.

(٤) في المحتسب (١/ ٢٧٠)، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٨) كلاهما نسبها لعبد الله بن عمرو بن العاص، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٤٦) نسبها لعبد الله بن عمرو بن العاص، والجحدري، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٨) بلا نسبة، وفي التحصيل (٣/ ١٤٧) نسبها لعبد الله بن عمرو، لكن قال: «بألفٍ والتخفيف».

الـــراء[1]، أي: شــكَّت وتمــارت أحملــت، أم لا؟.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي: صار حملها ثقيلًا.

وقال الأخفش: صارت ذا ثقل، يقال: أثمرنا، أي: صرنا ذوي ثمر[2].

قوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ يعني آدم وحواء ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾.

وفي المراد بالصالح قولان:

أحدهما: أنه الإنسان المشابه لهما، وخافا أن يكون بهيمة، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أنه الغلام، قاله الحسن، وقتادة.

شرح السبب في دعائهما

ذكــر أهــل التفســير أن إبليــس جــاء حــواء، فقــال: مــا يدريــك مــا في بطنــكِ، لعلــه كلــب أو خنزيــر أو حمــار؟ ومــا يدريــك مــن أيــن يخــرج، أيشــق بطنــك، أم يخــرج مــن فيــك، أو مــن منخريــك؟ فأحزنهــا ذلــك، فدعــوا الله حينئــذ، فجــاء إبليــس فقــال: كيــف تجدينــك؟ قالــت: مــا أســتطيع القيــام إذا قعــدت، قــال: أفرأيــت إن دعــوت الله، فجعلــه إنســانًا مثلــك ومثــل آدم، أتســمينه باســمي؟ قالــت: نعــم. فلــما ولدتــه ســويًّا، جاءهــا إبليــس فقــال: لم لا تُســمِّينه بي كــما وعدتنــي، فقالــت: ومــا اســمك؟ قــال: الحــارث، وكان

(١) في المحــرر الوجيــز (٢/ ٤٦٨) نســبها ليحيــى بــن يعمــر، وابــن عبــاس، وفي التحصيــل (٣/ ١٤٧)، ومختـصر ابـن خالويـه (ص:٥٣) كلاهمـا نسبها ليحيـى بـن يعمـر ، وفي إعـراب القـراءات الشـواذ (١/ ٥٧٩) بـلا نسبة، وفي البحـر المحيـط (٥/ ٢٤٦) نسبها لابـن عبـاس، وأبي العاليـة، ويحيـى بـن يعمـر، وأيـوب.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٣).

اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته: عبد الحارث، وقيل: عبد شمس برضى آدم، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾[1].

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿شُرَكَآءَ﴾ بضم الشين والمدِّ، جمع شريك.

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «شِركًا» مكسورة الشين على المصدر، لا على الجمع[2].

قال أبو علي: من قرأ «شِرْكًا» حذف المضاف، كأنه أراد: جعلا له ذا شِرك، وذوي شريك، فيكون المعنى: جعلا لغيره شِركًا، لأنه إذا كان التقدير: جَعلا له ذوي شرك، فالمعنى: جعلا لغيره شركًا، وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ «شركاء»[3].

وقال غيره: معنى «شركاء»: شريكًا، فأوقع الجمع موقع الواحد، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣].

والمراد بالشريك: إبليس، لأنهما أطاعاه في الاسم، فكان الشرك في الطاعة، لا في العبادة، ولم يقصدا أن الحارث ربُّهما، لكن قصدا أنه سبب

(١) هذه القصة يظهر عليها أنها من آثار أهل الكتاب، وقد أعلّها أهل الحديث، رغم ورودها فى كتب الحديث،وفي السند أسباط عن السدي، وعليهما تدور الروايات، وأسباط لم يتفقوا عليه، راجع تفسير: ابن كثير (٢/ ٢٧٥)، والإسرائيليات والموضوعات للشيخ أبى شهبة (ص: ١٧٩).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٩)، والحجة (٤/ ١١١)، والمبسوط (ص:٢١٧)، والتحصيل (٣/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٧).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ١١١).

نجاة ولدهما، وقد يُطلَق العبد على من ليس بمملوك.

قال الشاعر(١): [من الطويل]

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وما فِيَّ إلا تِلْكَ مَنْ شِيْمَةِ العَبْدِ

[٢٩٤/ب] وقال مجاهد: كان لا يعيش لآدم ولد، فقال الشيطان: إذا وُلد لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فأطاعاه في الاسم، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾(٢)، هذا قول الجمهور.

وفيه قول ثان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أشرك آدم، إن أول الآية لَشكر، وآخرها مَثَل ضربه الله لمن يعبده في قوله ﷻ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾(٣).

وروى قتادة عن الحسن قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوَّدوهم ونصَّروهم(٤).

(١) البيت منسوب لقيس بن عاصم المنقري في الكامل في اللغة والأدب؛ للمبرد (٢/ ١٣٣)، وقواعد الشعر؛ لثعلب (ص:٤٤)، والجليس الصالح الكافي (ص:٦٠)، ومنسوب للمقنع الكندي في شرح ديوان الحماسة (ص:٨٢٩)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٧٥١)، والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٤) بلفظ:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٢٦) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.
وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٥٢) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦) أيضًا لابن المنذر.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٥٩) من رواية قتادة عن الحسن به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦) أيضًا لعبد بن حميد، وابن المنذر.=

وروي عن الحسن[١]، وقتادة قالا[٢]: الضمير في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء.

وقيل: الضمير راجع إلى الولد الصالح، وهو السليم الخلْق، فالمعنى: جعل له ذلك الولدُ شركاء.

وإنما قال: «جعلا»؛ لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرًا وأُنثى.

قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء، فتأويل الآية: فلما آتاهما صالحًا، جعل أولادُهما له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢].

وذهب السدي إلى أن قوله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في مشركي العرب خاصة، وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء[٣].

=وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥٢٠).

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٢٩) عن معمر، قال. قال الحسن: «عنى بهذا ذرية آدم، من أشرك منهم بعده». وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥١٩-٥٢٠). وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٧٦) بعد أن أورد هذا الأثر والذي قبله عن الحسن، قال: «وَهَـٰذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ عَنِ الحسن ﷺأَنَّهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ».

(٢) الوارد عن قتادة في تفسير هذه الآية: ما رواه الطبري (١٠/ ٦٢٦)، وابن أبي حاتم (٨٦٥٩) في تفسيرهما عَنْ قَتَادَةَ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ فَكَانَ شِرْكًا فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ شِرْكًا فِي عِبَادَتِهِ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٦١) عن السدي= =قَالَ: هَـٰذِهِ فَصْلٌ مِنْ آيَةِ آدَمَ، خَاصَّةً فِي آلِهَةِ الْعَرَبِ.

قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١].

قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾.

قال ابن زيد: هذه لآدم وحواء حيث سمَّيا ولدهما عبد شمس، والشمس لا تخلق شيئًا(١).

وقال غيره: هذا راجع إلى الكفار حيث أشركوا بالله الأصنام، وهي لا تخلق شيئًا.

وقوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة.

قال ابن الأنباري: وإنما قال: «ما» ثم قال: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأن «ما» تقع على الواحد والاثنين والجميع، وإنما قال: «وهم» وهو يعني الأصنام، لأن عابديها ادَّعوا أنها تعقل وتميِّز، فأجريت مجرى الناس، فهو كقوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل:١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].

قال الشاعر(٢): [من الطويل]

تمَزَّزْتُها والدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ إذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دنَوْا فتصوَّبُوا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٦٤) عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ به.

(٢) البيت للنابغة الذبياني الجعدي في ديوانه (٤)، والصاحبي في فقه اللغة (ص:١٩٢- ١٩٣)، وفقه اللغة (ص:٢٦٥)، ولسان العرب (٦/ ٣٥٥)، والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٤٠)، وقوله: «تمَزَّزْتُها»: أي: شربتها.

وأنشد ثعلب لعبدة بن الطبيب(١): [من البسيط]

إذْ أشْرَفَ الدِّيكُ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِه ... لَدَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَازِيْلُ

لمَّا جعله يدعو، جعل الدِّيكَة قومًا، وجعلهم معازيل، وهم الذين لا سلاح معهم، وجعلهم أسرة، وأسرة الرجل: رهطه وقومه.

قوله تعالَى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩٢].

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ يقول: إن الأصنام لا تستطيع نصر مَنْ عبدها، ولا تمنع من نفسها.

قوله تعالَى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [الأعراف: ١٩٣].

قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾. [٢٩٥/أ]

فيه قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الأصنام، فالمعنى: وإن دعوتم أيها المشركون أصنامكم إلى سبيل رشاد لا يتبعوكم، لأنهم لا يعقلون.

---

(١) البيت في ديوان عبدة بن الطبيب (ص: ٧٩)، وفقه اللغة (ص:٢٦٦)، ولسان العرب (١١/ ٤٤١) مادة (عزل)، وتاج العروس (٢٩/ ٤٦٥) مادة (عزل).
وأما المَعازيلُ: فهم القوم الذين لا رماح معهم. والمِغْزالُ أيضًا: الضعيف الأحمق. والمِغْزالُ أيضًا: الذي يعتزل أهل الميسر لؤمًا. كما في الصحاح (٥/ ١٧٦٤).

والثاني: أنها ترجع إلى الكفار، فالمعنى: وإن تدع يا محمد هؤلاء المشركين إلى الهدى، لا يتَّبعوكم، فدعاؤكم إياهم وصمتكم عنهم سواء، لأنهم لا ينقادون إلى الحق.

وقرأ نافع: «لا يَتْبعوكم» بسكون التاء(١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٦].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني الأصنام.

﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ في أنهم مسخَّرون مذلَّلون لأمر الله.

وإنما قال: ﴿عِبَادٌ ﴾ وقال: ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ ﴾ وإن كانت الأصنام جمادًا، لما بيَّنا عند قوله: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾.

قوله: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ ﴾ أي: فليجيبوكم.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ لكم عندهم نفعًا وثوابًا.

﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ ﴾ في المصالح.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٩)، والحجة (٤/ ١١٣)، والمبسوط (ص:٢١٧)، والتيسير (ص:١١٥)، والتحصيل (٣/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٨).

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ في دفع ما يؤذي.

وقرأ أبو جعفر: «يبطُشون» بضمِّ الطَّاء هاهنا، وفي «القصص»، و«الدخان»[1].

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ المنافع من المضار.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ تضرعكم ودعاءكم؟ وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا مَنْ هم أفضل منه.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ قال الحسن: كانوا يخوِّفونه بآلهتهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تؤخِّروا ذلك.

وكان ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي يقرءون: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ بغير ياء في الوصل والوقف.

وقرأ أبو عمرو، ونافع في رواية ابن حماد بالياء في الوصل.

وروى ورش، وقالون، والمسيِّبي بغير ياء في الوصل، ولا وقف[2][3].

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢١٧)، والكامل (ص:٥٥٧)، والتحصيل (٣/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٩).

(٢) في (ف): (في الوصل والوقف)، وفي (ر): (ووصل ووقف).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٩-٣٠٠)، والحجة (٤/ ١١٤)، والمبسوط (ص:٢١٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٩).

فأما ﴿تُنظِرُونِ﴾ فأثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف[١].

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي: ناصري.

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو القرآن، أي: كما أيدني بإنزال الكتاب ينصرني.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف: ١٩٧].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يمنعون أنفسهم من سوء أريد بهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٩٨﴾ [الأعراف: ١٩٨].

قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾.

في المراد بهؤلاء قولان:

أحدهما: أنهم الأصنام.

ثم في قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قولان:

أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك.

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢١٨)، والكامل (ص:٤٣٤).

﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنه ليس فيهم أرواح.

والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعينًا مصنوعة، فأسقط كاف التشبيه، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ [الحج: ٢] أي: كأنهم سكارى، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ في الحقيقة، وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم. [٢٩٥/ب]

والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ العفو: الميسور.

وقد سبق شرحه في «سورة البقرة»[1].

وفي الذي أُمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال:

أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد، فيكون المعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء.

والثاني: أنه المال.

وفيه قولان:

أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية، والضحاك.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٩).

والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نُسخت بالزكاة، روي عن ابن عباس.

والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد.

قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي بالمعروف.

وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنهم المشركون، أُمر بالإعراض عنهم، ثم نُسخ ذلك بآية السيف.

والثاني: أنه عام فيمن جهل، أُمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم.

وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة، وعند بعضهم أن وسطها محكم وطرفيها منسوخان على ما بيَّنا.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠، ٢٠١].

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾.

قال ابن زيد: لما نزلت: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قال النبي ﷺ: «**يا رَبِّ كَيْفَ بِالْغَضَبِ؟**» فنزلت هذه الآية[1].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٤٦) عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «فكيف بالغضب يا رب»؟ قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فأمّا قوله: ﴿ وَإِمَّا ﴾ فقد سبق بيانه في «البقرة»[١] في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ [الآية:٣٨].

وقال أبو عبيدة: ومجاز الكلام: وإما تستخفَنَّك منه خفة وغضب وَعَجَلة[٢].

وقال السدي: النزغ: الوسوسة وحديث النفس[٣].

قال الزَّجَّاج: النزغ: أدنى حركة تكون، تقول: قد نزغته: إذا حركته[٤].

وقد سبق معنى الاستعاذة.

قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ ﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو، والكسائي: «طيف» بغير ألف.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «طائف» بألف ممدودًا مهموزًا[٥].

وقرأ ابن عباس، وابن جبير، والجحدري، والضحاك: «طَيِّفٌ» بتشديد الياء من غير ألف[٦].

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٦).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٣٥)، من رواية أسباط، عن السدي به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦).

(٥) انظر: السبعة (ص:٣٠١)، والحجة (٤/ ١٢٠)، والمبسوط (ص:٢١٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٩٢)، والتحصيل (٣/ ١٤٩).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣) نسبها لابن عباس، وسعيد، وفي التحصيل (٣/ ١٤٩) نسبها لابن عباس، وابن جبير، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٢) بلا نسبة،=

وهل الطائف والطيف بمعنى واحد، أم يختلفان؟

فيه قولان:

أحدهما: أنهما بمعنى واحد، وهما ما كان كالخيال والشيء يُلم بك، حكي عن الفراء[1].

وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطَّائف.

قال الشاعر[2]: [من المتقارب]

أَلا يَـا لَقَـوْمٍ لِطَيْـفِ الخَيَـالِ أَرَّقَ[3] مِـنْ نَـازِحٍ ذي دَلاَلِ

=وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٢) نسبها لسعيد بن جبير.

(١) الذي في معاني القرآن له (١/ ٤٠٢): «وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ﴾، وقرأ إِبْرَاهِيم النخعي: (طَيْف) وهو اللَّمم والذنب».

وهذه العبارة التي أوردها المصنف حكاها الطبري في تفسيره عن بعض البصريين، يقول الطبري (١٠/ ٦٤٧): «قال بعض البصريين: الطائف والطيف سواء، وهو ما كان كالخيال والشيء يلم بك».

(٢) البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي كما في الكتاب (٢/ ٢١٦)، وخزانة الأدب (٢/ ٤٢٩، ٤٣٥)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٤٦٧)، وشرح أشعار الهذليين (٢/ ٤٩٤) ولسان العرب (١/ ٧٨٩) مادة (هيب)، وتاج العروس (٢٤/ ١١٠) مادة (طيف)؛ ولأبي أمية في المقاصد النحوية (٤/ ٦٣)، وبلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة (ص ٧٦).
وأمية بن أبى عائذ الهذلي: هو أحد بنى عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، وقد مدح بنى مروان. انظر: الأغانى (٢٠/ ١١٥).

(٣) تكررت هذه الكلمة في الأصل.

والثاني: أن الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللَّمة والوسوسة والخَطْرة، حكي عن أبي عمرو.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللَّمة من الشيطان، والطيف: الغضب[1]. [٢٩٦/أ]

وقال ابن الأنباري: الطائف: الفاعل من الطيف، والطيف عند أهل اللغة: اللَّمم من الشيطان.

ويزعم مجاهد أنه الغضب.

قوله: ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: تذكَّروا الله إذا همُّوا بالمعاصي فتركوها، قاله مجاهد.

والثاني: تفكَّروا فيما أوضح الله لهم من الحجة، قاله الزَّجَّاج[2].

والثالث: تذكَّروا غضب الله، والمعنى: إذا جرَّأهم الشيطان على ما لا يحل، تذكَّروا غضب الله فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتَّفكر.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٩٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ الطائف: اللمة من الشيطان».
وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٩٥) من رواية عكرمة قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال ابن عباس: «الطائف: الغضب»

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦).

قوله تعالَى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾.

في هذه الهاء والميم قولان:

أحدهما: أنها عائدة على المشركين فتكون هذه الآية مقدَّمة على التي قبلها، والتقدير: وأعرض عن الجاهلين، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين.

﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾.

قرأ نافع: «يُمِدونهم» بضم الياء وكسر الميم.

والباقون: بفتح الياء وضم الميم[1].

قال أبو علي: عامة ما جاء في التنزيل فيما يُحمَد ويُستَحب: أمددت، على أفعلت، كقوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل:٣٦]، ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ﴾ [المؤمنون:٥٥] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور:٢٢]، وما كان على خلافه يجيء على: مددت، كقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة:١٥][2].

فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء، إلَّا أنَّ وجه قراءة نافع أنها بمنزلة: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠١)، والحجة (٤/ ١٢٢)، والمبسوط (ص:٢١٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٩٣)، والتحصيل (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٢٢).

قال المفسرون: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ أي: يزيِّنونه لهم، ويريدون منهم لزومه، فيكون معنى الكلام: إن الذين اتَّقوا إذا جرَّهم الشيطان إلى خطيئة، تابوا منها، وإخوان الجاهلين وهم الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾، هذا قول الأكثرين من العلماء، وقال بعضهم: الهاء والميم ترجع إلى الشياطين، وقد جرى ذكرهم كقوله: ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فالمعنى: وإخوان الشياطين يَمدُّونهم.

والثاني: أن الهاء والميم ترجع إلى المتقين، فالمعنى: وإخوان المتقين من المشركين، وقيل: من الشياطين يمدونهم في الغي، أي: يريدون من المسلمين أن يدخلوا معهم في الكفر، ذكر هذا القول جماعة، منهم ابن الأنباري.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ وليسوا على دينهم؟

فالجواب: أنا إن قلنا: إنهم المشركون، فجائز أن يكونوا إخوانهم في النسب، أو في كونهم من بني آدم، أو لكونهم يظهرون النصح كالإخوان، فإن قلنا: إنهم الشياطين، فجائز أن يكونوا لكونهم مصاحبين لهم، والقول الأول أصح.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.

وقرأ الزهري وابن أبي عبلة: «لا يقصِّرون» بالتشديد[1].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣) نسبها للزهري، ويحيى، وإبراهيم، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٢) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٣)، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٦٠) كلاهما نسبها لابن أبي عبلة، وعيسى بن عمر.

قال الزَّجَّاج: يقال: أقصر يُقْصِر، وقصَّر يقصِّر[١].

قال ابن عباس: لا الإنس يقصِّرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تُقصِر عنهم[٢]. [٢٩٦/ ب]

فعلى هذا يكون قوله: ﴿يُقْصِرُونَ﴾ من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور، ويخرَّج على القول الثاني أن يكون هذا وصفًا للإخوان فقط.

قوله تعالَى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

قوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ يعني به المشركين.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: إذا لم تأتهم بآية، سألوها تعنتًا، قاله ابن السائب.

والثاني: إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل[٣].

وفي قوله: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ قولان:

أحدهما: هلَّا افتعلتها من تلقاء نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء[٤]، والزَّجَّاج[٥]، وابن قتيبة[٦] في آخرين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٧٠٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥٥٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٨٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٧).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٦).

وحكي عن الفراء أنه قال: العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته: إذا افتعلته من قبل نفسك[(١)].

والثاني: هلَّا طلبتها لنا قبل مسألتك؟ ذكره الماوردي[(٢)]، والأول أصح.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ أي: ليس الأمر لي.

قوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ يعني القرآن.

قال أبو عبيدة: البصائر بمعنى الحجج والبرهان والبيان، واحدتها: بصيرة[(٣)].

وقال الزَّجَّاج: معنى البصائر: ظهور الشيء وبيانه[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾.

اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[(٥)].

---

(١) وهذا الكلام حكاه عنه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٥٦) قال: «وحكي عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته: إذا افتعلته من قبل نفسك. حدثني بذلك الحارث، قال: ثنا القاسم، عنه». وانظر أيضًا: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٠٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٦-٢٣٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٧).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٤) من رواية ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن ابن عباس ﷺ به، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٣٠).

والثـاني: أن المشركـين كانـوا يأتـون رسـول الله ﷺ إذا صـلى، فيقـول بعضهـم لبعـض: لا تسـمعوا لهـذا القـرآن والغَـوا فيـه، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه سـعيد بـن المسـيب.

والثالـث: أن فتـى مـن الأنصـار كان كلَّما قـرأ النبـي ﷺ شـيئًا، قـرأ هـو، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه الزهـري[1].

والرابـع: أنهـم كانـوا يتكلمـون في صلاتهـم أول مـا فُرضـت، فيجـيء الرجـل فيقـول لصاحبـه: كـم صليتـم؟ فيقـول: كـذا وكـذا، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه قتـادة[2].

والخامـس: أنهـا نزلـت تأمـر بالإنصـات للإمـام في الخطبـة يـوم الجمعـة، روي عـن عائشـة، وسـعيد بـن جبـير[3]، وعطـاء[4]، ومجاهـد[5]، وعمـرو بـن دينـار[6] في آخريـن.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٥٩) من رواية أشعث، عن الزهري به، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦١) من رواية سعيد، عن قتادة به، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٦) من رواية ثابت بن عجلان، عن سعيد بن جبير به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٥) من رواية جابر، عن عطاء به.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٤) من رواية سعيد بن مسروق، عن مجاهد به.

(٦) قال الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٣٠): «وقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وجماعة: نزلت في الإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة».

قولـه تعـالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعـراف: ٢٠٥].

قوله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾.

في هذا الذكر أربعة أقوال:

أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس.

فعلى هذا، أُمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار.

والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سرًّا في نفسه، قاله قتادة.

والثالث: أنه ذِكْرُ الله باللسان.

والرابع: أنـه ذِكـر القلـب باسـتدامة الفكـر، لئـلَّا يغفـل عـن الله تعـالى، ذكـر القولـين المـاوردي[1].

وفي المخاطب بهذا الذِّكر قولان:

أحدهما: أنه المستمع للقرآن، إما في الصلاة، وإما من الخطيب، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه خطاب النبي ﷺ، ومعناه عام في جميع المكلفين. [٢٩٧/أ]

قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾.

التَّضرُّع: الخشوع في تواضع، والخيفة: الحذر من عقابه.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٩٠).

قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

الجهر: الإعلان بالشيء، ورجل جهير الصوت: إذا كان صوته عاليًا.

وفي هذا نصٌّ على أنه الذِّكر باللسان، ويحتمل وجهين:

أحدهما: قراءة القرآن.

والثاني: الدعاء.

وكلاهما مندوب إلى إخفائه، إلا أن صلاة الجهر قد بُيِّن أدبها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠].

فأما «الغدوُّ»: فهو جمع غُدوة.

و«الآصال»: جمع أُصُل، والأُصُل جمع أصيل، فالآصال جمع الجمع، والآصال: العشيَّات.

وقال أبو عبيدة: هي ما بين العصر إلى المغرب.

وأنشد[1]: [من الطويل]

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ ... وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ

وروي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالغدوِّ: صلاة الفجر، وبالآصال: صلاة العصر[2].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٩).

والبيت لأبي ذؤيب الهذلي في إصلاح المنطق (ص ٢٢٨)؛ وخزانة الأدب (٥/ ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٤٩٧)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ١٤٢)، ولسان العرب (١١/ ١٦) مادة (أصل).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٢٠) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعـراف: ٢٠٦].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة.

﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبَّرون ويتعظَّمون.

﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾.

وفي هذه العبادة قولان:

أحدهما: الطاعة.

والثاني: الصلاة والخضوع فيها.

وفي قوله: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ **قولان:**

أحدهما: ينزِّهونه عن السوء.

والثاني: يقولون: سبحان الله.

قوله: ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ أي: يصلُّون.

وقيل: سبب نزول هذه الآية:

أن كفار مكة قالوا: أنسجد لما تأمُرنا؟ فنزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأنًا، لا يتكبَّرون عن عبادة الله.

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ، أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**»[1].

(١) رواه مسلم في صحيحه (٨١) من رواية أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ به.

سورة الأنفال

وهي مدنيَّة بإجماعهم، وحكى الماورديُّ عن ابن عباس أنَّ فيها سبع آيات مكيَّات، أوَّلها: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الآية: ٣٠][(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ①﴾ [الأنفال: ١].

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا**»، فأما المشيخة، فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان، فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشركونا معكم، فإنا كنا لكم ردءًا فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت «سورة الأنفال»، رواه عكرمة عن ابن عباس[(٢)].

---

(١) وذكر الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٢٤) أنها مدنية، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٦): «هي مدنية كلها كذا قال أكثر الناس، وقال مقاتل هي مدنية غير آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[الآية: ٣٠] الآية كلها».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٦٦١)، وأبو داود في سننه (٢٧٣٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٢٠٨، ٥٣٦٨)، والحاكم في مستدركه (٢٥٩٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٧١٢، ١٢٨١٧) من رواية داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

قال الحاكم: « هذا حديث صحيح فقد احتج البخاري بعكرمة وقد احتج مسلم=

والثاني: أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفًا يوم بدر، فقال: يا رسول [٢٩٧/ب] الله، هبه لي، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه(١).

وفي رواية أخرى عن سعد قال: قتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله ﷺ، فقال: «**اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ فِي الْقَبَضِ**» فرجعت، وبي ما لا يعلمه إلا الله، فما جاوزت إلا قريبًا حتى نزلت «سورة الأنفال»، فقال: «**اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ**»(٢).

وقال السدي: اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف، فسألوا النبي ﷺ، فأخذه النبي ﷺ منهم، فنزلت هذه الآية(٣).

والثالث: أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله ﷺ، ليس لأحد منها شيء، فسألوه أن يعطيهم منها شيئًا، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس(٤).

=بداود بن أبي هند ولم يخرجاه».
وقال الذهبي: «هو على شرط البخاري».

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥)، وأحمد في مسنده (١٥٣٨)، ومسلم في صحيحه (١٧٤٨)، وأبو داود في سننه (٢٧٤٠)، والترمذي في سننه (٣٠٧٩)، والنسائي في الكبرى (١١١٣٢) من رواية مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٠٨٥)، وأحمد في مسنده (١٥٥٦)، والبزار في مسنده (١٢٣٩) من رواية محمد بن عبيد الله الثقفي، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ به.
وإسناده منقطع؛ محمد بن عبيد الله الثقفي لم يدرك سعد بن أبي وقاص، وانظر: مراسيل ابن أبي حاتم (٦٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢١) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٣) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨) أيضًا لابن=

وفي المراد بالأنفال ستة أقوال:

أحدهـا: أنها الغنائم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وأبو عبيدة[١]، والزَّجَّاج[٢]، وابن قتيبة[٣] في آخرين.

وواحد الأنفال: نفل.

قال لبيد[٤]: [من الرمل]

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ ... وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ

والثاني: أنه ما نفَّله رسول الله ﷺ القاتلَ من سلَبِ قتيله.

والثالث: أنها ما شذَّ[٥] من المشركين إلى المسلمين من عَبْد أو دابة بغير قتال، قاله عطاء.

وهذا والذي قبله مرويان عن ابن عباس أيضًا.

=المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٧).

(٤) البيت للبيد في ديوانه (ص: ١٧٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص:٢١)، وفقه اللغة (ص:٢٣١)، والصحاح (٥/ ١٨٣٣)، ولسان العرب (١١/ ٦٧٠) مادة (نفل)؛ ومقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤)، وتاج العروس (٣١/ ١٦) مادة (نفل).

(٥) في (ف)، و(ر): (شدَّ).

والرابع: أنه الخُمس الذي أخذه رسول الله ﷺ من الغنائم، قاله مجاهد.

والخامس: أنه أنفال السرايا، قاله علي بن صالح بن حيٍّ.

وحكي عن الحسن قال: هي السرايا التي تتقدم أمام الجيوش(١).

والسادس: أنها زيادات يُؤْثِرُ بها الإِمام بعضَ الجيش لما يراه من المصلحة، ذكره الماوردي(٢).

وفي «عن» قولان:

أحدهما: أنها زائدة، والمعنى: يسألونك الأنفال، وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وأبو العالية: «يسألونك الأنفال» بحذف «عن»(٣).

والثاني: أنها أصل، والمعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ أو عن حكم الأنفال؟.

وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين.

وذُكر أنهم إنما سألوا [رسول الله ﷺ](٤) عن حكمها؛ لأنها كانت حرامًا على الأُمم قبلهم.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٩٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٩٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٥٤) نسبها لابن مسعود، وفي المحتسب (١/ ٢٧٢) نسبها لابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وعلي بن الحسين، وأبي جعفر محمد بن علي، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد، وطلحة بن مصرف.

(٤) ما بين المعكوفين من (ف).

فَصْلٌ

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية:

فقال بعضهم: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه، وذلك أن الغنائم كانت حرامًا في شرائع الأنبياء المتقدمين، فنسخ الله ذلك بهذه الآية، وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول ﷺ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال:٤١].

وقال آخرون: المراد بالأنفال شيئان: [٢٩٨/أ]

أحدهما: ما يجعله الرسول ﷺ لطائفة من شجعان العسكر ومتقدميه، يستخرج به نصحهم، ويحرِّضهم على القتال.

والثاني: ما يفضُل من الغنائم بعد قسمتها، كما روي عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة، فغنمنا إبلًا، فأصاب كل واحد منَّا اثنى عشر بعيرًا، ونفَّلنا بعيرًا بعيرًا[1].

فعلى هذا هي محكمة، لأن هذا الحكم باقٍ إلى وقتنا هذا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٣٣٨) من حديث ابن عمر ﷺ، بلفظ: «بعث النبي ﷺ سرية قبل نجد فكنت فيها، فبلغت سهامنا اثني عشر بعيرًا، ونفلنا بعيرًا بعيرًا، فرجعنا بثلاثة عشر بعيرًا».
ورواه أيضًا: أبو داود في سننه (٢٧٤٥)، وأحمد في مسنده (٦٤٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٧٩٤).

فَصْلٌ

ويجوز النَّفَل قبل إحراز الغنيمة، وهو أن يقول الإمام: من أصاب شيئًا فهو له، وبه قال الجمهور.

فأما بعد إحرازها، ففيه عن أحمد روايتان.

وهل يستحق القاتل سَلَبَ المقتول إذا لم يشرطه له الإمام؟

فيه قولان:

أحدهما: يستحقه، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي.

والثاني: لا يستحقه، ويكون غنيمة للجيش، وبه قال أبو حنيفة، ومالك، وعن أحمد روايتان كالقولين.

قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: يحكمان فيها ما أرادا.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بترك مخالفته.

﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: معنى ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حقيقة وصلكم[١].

والبين: الوصل كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:٩٤].

ثم في المراد بالكلام قولان:

أحدهما: أن يَرُدَّ القويُّ على الضعيف، قاله عطاء.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٠).

والثاني: ترك المنازعة تسليمًا لله ورسوله.

قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: اقبلوا ما أُمرتم به في الغنائم وغيرها.

قوله تعالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: إذا ذُكرتْ عظمتُه وقدرتُه وما خوَّف به من عصاه، فزعت قلوبهم.

قال الشاعر[1]: [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

يقال: وجِل يَوْجَل وياجَل ويَيْجَل ويِيجَل، هذه أربع لغات حكاها سيبويه. وأجودها: يَوْجَل[2].

---

(١) البيت لمعن بن أوس في ديوانه (ص ٣٩)، والزاهر (١/ ٣٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٢٢)، وخزانة الأدب (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٨٩، ٢٩٤)، وشرح التصريح (٢/ ٥١)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ١١٢٦)، ولسان العرب (١٢٧/ ٥) مادة (كبر)، (١١/ ٧٢٢) مادة (وجل)؛ والمقاصد النحوية (٣/ ٤٩٣)، ودرة الغواص (ص:١٤٩)، وبلا نسبة في العين (٦/ ١٨٢)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٠٠)، والأشباه والنظائر (٨/ ١٤٠)، وأوضح المسالك (٣/ ١٦١)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٩٣)، وخزانة الأدب (٦/ ٥٠٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٠).

وقال السدي: هو الرجل يهمُّ بالمعصية، فيذكر الله فينزع عنها[١].

قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: آيات القرآن.

وفي قوله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تصديقًا، قاله ابن عباس.

والمعنى: أنهم كلما جاءهم شيء عن الله آمنوا به، فيزدادوا إيمانًا بزيادة الآيات.

والثاني: يقينًا، قاله الضحاك.

والثالث: خشية الله، قاله الربيع بن أنس.

وقد ذكرنا معنى التَّوكُّل في «آل عمران»[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٣].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٩) عن السدي، في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهم بمعصية أحسبه قال: فينزع عنه.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٥) أيضًا، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٣)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٢٧).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٢٢).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

قال ابن عباس: يعني الصلوات الخمس(١).

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يعني الزكاة.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٤].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

قال الزَّجَّاج: «حقًّا» منصوب بمعنى دلت عليه الجملة، والجملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فالمعنى: أحَقَّ ذلك حقًّا(٢).

وقال مقاتل: المعنى: أولئك هم المؤمنون لا شكَّ في إيمانهم كشكِّ المنافقين(٣).

قوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

قال عطاء: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم(٤). [٢٩٨/ب]

والرزق الكريم: ما أُعدَّ لهم فيها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٦) من رواية= علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٠).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٢٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٤).

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ [الأنفال: ٥، ٦].

قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾.

في متعلَّق هذه الكاف خمسة أقوال:

أحدها: أنها متعلقة بالأنفال.

ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تأويله: امض لأمر الله في الغنائم وإن كرهوا، كما مضيت في خروجك من بيتك وهم كارهون، قاله الفراء[1].

والثاني: أن الأنفال لله والرسول ﷺ بالحق الواجب، كما أخرجك ربك بالحق، وإن كرهوا ذلك، قاله الزَّجَّاج[2].

والثالث: أن المعنى: يسألونك عن الأنفال مجادلة، كما جادلوك في خروجك، حكاه جماعة من المفسرين.

والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ﴾، والمعنى: إن التقوى والإصلاح خير لكم، كما كان إخراج الله نبيه محمدًا خيرًا لكم وإن كرهه بعضكم، هذا قول عكرمة.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٩).

والثالـث: أنهـا متعلِّقـة بقولـه: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾، فالمعنـى: مجادلتهـم إيـاك في الغنائـم كإخـراج الله إيـاك إلى بـدر وهـم كارهـون، قالـه الكسـائي.

والرابـع: أنهـا متعلِّقـة بقولـه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، والمعنـى: وهـم المؤمنـون حقًّـا كـما أخرجـك ربك مـن بيتك بالحـق، ذكره بعـض ناقلي التفسـير.

والخامـس: أن «كـما» في موضـع قَسَـم، معناهـا: والـذي أخرجـك مـن بيتـك، قالـه أبـو عبيـدة[1]، واحتـج بـأن «مـا» في موضـع «الـذي»، ومنـه قولـه: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليـل:٣]، قالـه ابـن الأنبـاري.

وفي هذا القول بُعْدٌ؛ لأن الكاف ليست من حروف الأقسام.

وفي هذا الخروج قولان:

أحدهمـا: أنـه خروجـه إلى بـدر، وكـره ذلـك طائفـة مـن أصحابـه، لأنهـم علمـوا أنهـم لا يظفـرون بالغنيمـة إلا بالقتـال.

والثاني: أنه خروجه من مكة إلى المدينة للهجرة.

وفي معنى قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قولان:

أحدهما: أنك خرجت ومعك الحق.

والثاني: أنك خرجت بالحق الذي وجب عليك.

وفي قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ قولان:

أحدهما: كارهون خروجك.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٠).

والثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم، وهذه كراهة الطبع لمشقة السفر والقتال، وليست كراهةً لأمر الله تعالى.

قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾.

يعني في القتال يوم بدر، لأنَّهم خرجوا بغير عدَّة، فقالوا: هلَّا أخبرتنا بالقتال لنأخذ العُدَّة، فجادلوه طلبًا للرخصة في ترك القتال.

وفي قوله: ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تبيَّن لهم فرضُه.

والثاني: تبيَّن لهم صوابه.

والثالث: تبيَّن لهم أنك لا تفعل إلا ما أُمِرتَ به.

وفي «المجادلين» قولان:

أحدهما: أنهم طائفة من المسلمين، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: أنهم المشركون، قاله ابن زيد.

فعلى هذا، يكون جدالهم في الحق الذي هو التوحيد، لا في القتال. [٢٩٩/أ]

فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ أي: في لقاء العدو ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظرًا إليه، وعالمًا به.

وعلى قول ابن زيد: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ حين يُدعَوْن إلى الإسلام لكراهتهم إيَّاه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٧، ٨].

قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾.

قال أهل التفسير: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنا من بدر، نزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريدهم، فبلغهم ذلك، فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثًا، فخرجت قريش للمنع عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسولَ الله ﷺ، ونزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾(١).

والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين.

والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش، فلما سبق أبو سفيان بما معه كتب إلى قريش: إن كنتم خرجتم لتُحرِزوا ركائبكم فقد أحرزتُها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع، وسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودُّوا أن لو نالوا

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٥) بلفظ مقارب عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: أقبلت عير أهل مكة يريد: من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير، فبلغ ذلك أهل مكة، فسارعوا السير إليها لا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه، فسبقت العير رسول الله ﷺ، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين، فكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنمًا. فلما سبقت العير، وفاتت رسول الله ﷺ، سار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم، فكره القوم مسيرهم لشوكة في القوم.

الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال، فذلك قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي: ذاتِ السلاح. يقال: فلان شاكي السلاحِ بالتخفيف، وشاكٌّ في السلاح بالتشديد، وشائك.

قال أبو عبيدة: ومجاز الشوكة الحَدُّ، يقال: ما أشد شوكةَ بني فلان، أي: حَدَّهم[١].

وقال الأخفش: إنما أَنَّث ﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ لأنه يعني الطائفة[٢].

قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾.

في المراد بالحق قولان:

أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس في آخرين.

والثاني: أنه القرآن، والمعنى: يُحِق ما أنزل إليك من القرآن.

قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: بعداتِه التي سبقت من إعزاز الدِّين، كقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣].

قوله: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يجتث أصلهم.

وقد بيَّنَّا ذلك في «الأنعام»[٣].

قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ المعنى: ويريد أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٥).

وفي هذا الحق القولان المتقدمان.

فأما ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ فهو الشرك.

و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هاهنا: المشركون.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾.

سبب نزولها:

ما روى عمر بن الخطَّاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر، نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيِّف، ونظر إلى المشركين وهم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا**» فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر الصديق فأخذ رداءه فردَّاه به، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]. ٢٩٩/ب]

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١)، وابن حبان (٤٧٩٣)، والبغوي في شرح السنة (٣٧٧٧)، وأحمد في مسنده (٢٠٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٥٨٣، ٣٦٦٨٤)، وعبد بن حميد في مسنده (٣١)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨٢٥) وغيرهم عن عمر بن الخطاب ﷺ.

قوله: ﴿إِذْ﴾.

قال ابن جرير: هي من صلة «يبطل»[(١)].

وفي قوله: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تستنصرون.

والثاني: تستجيرون.

والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص.

وفي المستغيثين قولان:

أحدهما: أنه رسول الله ﷺ والمؤمنون[(٢)]، قاله الزُّهري.

والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله السدي.

فأما الإمداد فقد سبق في «آل عمران»[(٣)].

وقوله: ﴿بِأَلْفٍ﴾.

قرأ الضحاك، وأبو رجاء: «بآلاف» بهمزة ممدودة وبألف على الجمع[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٠).

(٢) في (ف)، و(ر): (والمسلمون).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٢٤).

(٤) في التحصيل (٣/ ١٦٦) نسبها لجعفر بن محمد، والجحدري، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤) نسبها لعاصم الجحدري فقط، وفي الكامل (١/ ٥٥٨) قال: «على الجمع المُعَلَّى عن أبي بكر، واختيار الزَّعْفَرَانِيّ».

وقرأ أبو العالية، وأبو المتوكل: «بألُوف» برفع الهمزة واللام وبواو بعدها على الجمع(١).

وقرأ ابن حَذْلَم، والجحدري: «بألُفٍ» بضم الألف واللام من غير واو ولا ألف(٢).

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «بِيَلْفٍ» بياء مفتوحة وسكون اللام من غير واو ولا ألف(٣).

فأما قوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾.

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مردِفين» بكسر الدال(٤).

(١) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٦) بلا نسبة، وفي شواذ القراءة (ص:٩٤) نسبها للجحدري.

(٢) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٦) بلا نسبة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٤) نسبها للجحدري.

(٤) انظر: السبعة (ص:٣٠٤)، والحجة (٤/ ١٢٤)، والمبسوط (ص:٢٢٠)، والتيسير (ص:١١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧).

قال ابن عباس(١)، وقتادة(٢)، والضحاك(٣)، وابن زيد(٤)، والفراء(٥): هم المتابعون.

وقال أبو علي: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكونوا مردفين مثلهم، تقول: أردفت زيدًا دابتي، فيكون المفعول الثاني محذوفًا في الآية.

والثاني: أن يكونوا جاءوا بعدهم، تقول العرب: بنو فلان مردفونا، أي: هم يجيئون بعدنا(٦).

قال أبو عبيدة: مردفين: جاءوا بعدُ(٧)(٨).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨٢٨) من رواية هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس به.
قال ابن أبي حاتم: «وروي عن قتادة وأبي مالك ومحمد بن كعب والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ذلك».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٥) من رواية سعيد، عن قتادة به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠) لعبد بن حميد أيضًا.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٦) من رواية عبيد بن سليمان، عن الضحاك به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٥) من رواية ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: المردفين: بعضهم على إثر بعض، يتبع بعضهم بعضًا.

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٤).

(٦) انظر: الحجة (٤/ ١٢٥).

(٧) في (ف): (بعدهم).

(٨) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤١).

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «مردَفين» بفتح الدال[١].

قال الفراء: أراد: فُعِلَ ذلك بهم[٢]، أي: إن الله أردف المسلمين بهم.

وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي، وأبو مجلز: «مُرَدَّفين» بفتح الراء والدال مع التشديد[٣].

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «مُرُدِّفين» برفع الراء وكسر الدال[٤].

وقال الزَّجَّاج: يقال: ردفت الرجلَ: إذا ركبتُ خلفه، وأردفتُه: إذا أركبتُه خلفي. ويقال: هذه دابة لا تُرادِف، ولا يقال: لا تُردِف. ويقال: أردفتُ الرجلَ: إذا جئتَ بعده[٥].

فمعنى «مردفين»: يأتون فرقة بعد فرقة. ويجوز في اللغة: مُرَدِّفين ومُرُدِّفين ومُرِدِّفين، فالدال مكسورة مشددة على كل حال، والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر.

[٣٠٠/أ] قال سيبويه: الأصل مرتدفين، فأدغمت التاء في الدال فصارت مُرَدِّفين لأنك طرحت حركة التاء على الراء وإن شئت لم تطرح حركة

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٠٤)، والحجة (٤/ ١٢٤)، والمبسوط (ص: ٢٢٠)، والتيسير (ص: ١١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٤).

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٥٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧)، والمحتسب (١/ ٢٧٣)، والبحر المحيط (٥/ ٢٧٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤).

(٤) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٧٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤)، والمحتسب (١/ ٦٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٢).

التاء، وكسرت الراء لالتقاء الساكنين، والذين ضموا الراء، جعلوها تابعة لضمة الميم[١].

وقد سبق في «آل عمران» تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾[٢] [الآية:١٢٦].

وكان مجاهد يقول: ما أمدَّ اللهُ النبي ﷺ بأكثر من هذه الألف التي ذُكرت في «سورة[٣] الأنفال»، وما ذَكَر الثلاثةَ والخمسةَ إلَّا بشرى، ولم يُمَدُّوا بها[٤].

والجمهور على خلافه.

وقد ذكرنا اختلافهم في عدد الملائكة في «سورة آل عمران»[٥].

قوله تعالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

---

(١) انظر: الكتاب (٤/ ٤٤٤).

(٢) انظر: سورة آل عمران الآية رقم (١٢٦).

(٣) ليست في (ف).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٣٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: «إنما جعلهم ليستبشروا بهم، وليطمئنوا إليهم، ولم يقاتلوا معهم يومئذ، يعني يوم أحد» قال مجاهد: ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر. وانظر: الدر المنثور (٢/ ٣١١).

(٥) انظر: سورة آل عمران الآية رقم (١٢٤-١٢٥).

قوله: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾.

قال الزَّجَّاج: «إذ» موضعها نصب على معنى: وما جعله الله[1] إلا بشرى، في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون المعنى: اذكروا إذ يغشاكم النعاس[2].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «إذ يَغْشَاكم» بفتح الياء وجزم الغين وفتح الشين وألف، «النعاسُ» بالرفع.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «يُغَشِّيكم» بضم الياء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة، «النعاسَ» بالنصب.

وقرأ نافع: «يُغْشِيكم» بضم الياء وجزم الغين وكسر الشين، «النعاسَ» بالنصب[3].

وقال أبو سليمان الدمشقي: الكلام راجع على قوله: ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ﴾ إذ يغشيكم النعاس.

قال الزَّجَّاج: و«أمنةً» منصوب: مفعول له، كقولك: فعلت ذلك حذر الشر. يقال: أمنتُ آمَنُ أمْنًا وأمانًا وأمَنَةً[4].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ف).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٨٢، ٣٠٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٣).

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن محيصن: «أَمْنَةً منه[١]» بسكون الميم[٢].

قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.

قال ابن عباس: نزل النبي ﷺ يوم بدر، وبينه وبين الماء رملة، وغلبهم المشركون على الماء، فأصاب المسلمينَ الظمأُ، وجعلوا يصلون محدِثين، وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة، يقول: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون محدِثين، فأنزل الله عليهم مطرًا، فشربوا وتطهَّروا، واشتد الرمل حين أصابه المطر، وأزال الله رجز الشيطان، وهو وسواسه، حيث قال: قد غلبكم المشركون على الماء[٣].

وقال ابن زيد: رجز الشيطان: كيده، حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة[٤].

وقال ابن الأنباري: ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، فأرسل الله السماء، فزالت وسوسة الشيطان التي تُكسب عذابَ الله وغضبه، إذ الرجز: العذاب.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في المحتسب (١/ ٢٧٣) نسبها لابن محيصن، وفي إعراب القراءات (١/ ٥٨٨) بلا نسبة.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨٦٧) عن ابن زيد به.

قوله: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾.

الربط: الشد، و«على» في قول بعضهم صلة، فالمعنى: وليربط قلوبكم.

وفي الذي ربط به قلوبهم وقوّاها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل(١).

[٣٠٠/ب] **والثالث:** أنه المطر الذي أرسله يثبِّت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها.

قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾.

في هاء «به» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الماء، فإن الأرض كانت رَمِلة، فاشتدت بالمطر، وثبتت عليها الأقدام، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين.

والثاني: أنها ترجع إلى الربط، فالمعنى: ويثبت بالربط الأقدام، ذكره الزَّجَّاج(٢).

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ١٢، ١٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٤).

قوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾.

قال الزَّجَّاج: «إذ» في موضع نصب، والمعنى: وليربط إذ يوحي[١].

ويجوز أن يكون المعنى: واذكروا إذ يوحي.

قال ابن عباس: وهذا الوحي إلهام[٢].

قوله: ﴿إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وهم الذين أمدَّ بهم المسلمين.

﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصرة.

﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: قاتلوا معهم، قاله الحسن.

والثاني: بشِّروهم بالنصر، فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، قاله مقاتل[٣].

والثالث: ثبِّتوهم بأشياء تُلْقُونها في قلوبهم تَقوى بها، ذكره الزَّجَّاج[٤].

والرابع: صحِّحوا عزائمهم ونياتهم على الجهاد، ذكره الثعلبي[٥].

فأما ﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ فهو الخوف.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٤).

(٢) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٢٣٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٤).

(٥) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٣٣٣).

قال السائب بن يسار: كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السُّوائيَّ عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين كيف؟ كان يأخذ الحصى فيرمي به الطَّست فيطِنُّ، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا[1].

قوله: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾.

في المخاطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة.

قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس، فعلَّمهم الله تعالى ذلك.

والثاني: أنهم المؤمنون، ذكره جماعة من المفسرين[2].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: فاضربوا الأعناق، و«فوق» صلة، وهذا قول عطية، والضحاك، والأخفش[3]، وابن قتيبة[4].

وقال أبو عبيدة: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضربته فوق الرأس، وضربته على الرأس[5].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٤) عن سعيد بن السائب الطائفي، عن أبيه به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٧١).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٧).

(٥) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٢).

والثاني: اضربوا الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، وبه قال عكرمة.

وفي المراد بالبنان ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الأطراف، قاله ابن عباس، والضحاك.

وقال الفراء: علَّمَهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل[١].

وقال أبو عبيدة[٢]، وابن قتيبة[٣]: البنان: أطراف الأصابع.

قال ابن الأنباري: واكتفى بهذا من جملة اليد والرِّجل.

والثاني: أنه كل مَفْصِل، قاله عطية، والسدي.

والثالث: أنه الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء، والمعنى: أنه أباحهم قتلهم بكل نوع، هذا قول الزَّجَّاج[٤].

قال: واشتقاق البنان من قولهم: أَبَنَّ بالمكان: إذا أقام به، فالبنان به يُعتمل كلُّ ما يكون للإقامة والحياة.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الضرب. [٣٠١/أ]

و﴿شَآقُّوا۟﴾ بمعنى: جانبوا، فصاروا في شقٍّ المؤمنين.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٥).

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ خطاب للمشركين، والمعنى: ذوقوا هذا في عاجل الدنيا.

وفي فتح «أنَّ» قولان:

أحدهما: بإضمار فعل، تقديره: ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين.

والثاني: أن يكون المعنى: ذلك بأن للكافرين عذاب النار.

فإذا ألقيت الباء، نصبت، وإن شئت جعلت «أن» في موضع رفع يريد: ذلكم فذوقوه، وذلكم أن للكافرين عذاب النار، هذا معنى قول الفراء[1].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾.

الزحف: جماعة يزحفون إلى عدوهم، قاله الليث.

والتزاحف: التداني والتقارب.

قال الأعشى[2]: [من الكامل]

لِمَنِ الظَّعَائِنُ سَيْرُهُنَّ تَزَحُّفُ ....

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) البيت لأعشى همدان في أساس البلاغة (١/ ١٢٦) مادة (جدف)؛ والفرج بعد الشدة؛ للتنوخي (٢/ ١٢٣)، وبلا نسبة في البيان والتبيين (٣/ ١٢٩)، وكتاب الأفعال (٣/ ٤٤٧)، وتاج العروس (٢٣/ ٣٧٥) مادة (زحف)، وعجزه: «عَوْمَ السَّفِينِ إذا تَقَاعَسَ يَجْدِفُ».

قال الزَّجَّاج: ومعنى الكلام: إذا واقفتموهم للقتال فلا تُدبروا[١].

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ ﴾ يوم حربهم ﴿دُبُرَهُۥ﴾ إلا أن يتحرف ليقاتل، أو يتحيز إلى فئة فـ﴿مُتَحَرِّفًا ﴾، و﴿مُتَحَيِّزًا ﴾ منصوبان على الحال.

ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء، فيكون المعنى: إلا رجلًا متحرفًا أو متحيزًا، وأصل متحيز: مُتْحَيْوِز فأدغمت الياء في الواو.

قوله: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: مرجعه إليها، ولا يدل ذلك على التخليد.

فَصْلٌ

اختلف العلماء في حكم هذه الآية:

فقال قومٌ: هذه خاصة في أهل بدر، وهو مروي عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، والحسن، وابن جبير، وقتادة، والضحاك.

وقال آخرون: هي على عمومها في كل منهزم، وهذا مروي عن ابن عباس أيضًا.

وقال آخرون: هي على عمومها، غير أنها نسخت بقوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٦] فليس للمسلمين أن يفرُّوا من مِثلَيهم، وبه قال عطاء بن أبي رباح.

وروى أبو طالب عن أحمد أنه سئل عن الفرار من الزحف، فقال: لا يفر رجل من رجلين، فإن كانوا ثلاثة، فلا بأس.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٥).

وقد نُقل نحو هذا عن ابن عباس.

وقال محمد بن الحسن: إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفًا، فليس لهم أن يفروا من عدوهم، وإن كثُر عددهم.

ونُقل نحو هذا عن مالك.

ووجهه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا هُزِمَ قَومٌ إِذَا بَلَغُوا اثْنَي عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ إِذَا صَبَرُوا وَصَدَقُوا»(١).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦٨٢، ٢٧١٨، ٢٦٨٢)، والدارمي (٢٤٨٢)، وأبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، وابن خزيمة (٢٥٣٨)، وابن حبان (٤٧١٧)، والحاكم في مستدركه (١٦٢١، ٢٤٨٩)، والبيهقي في الكبرى (١٨٤٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٢٧١٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٧٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٣٩)، وابن عساكر في معجم الشيوخ (١٥٨٨) وغيرهم من رواية الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ إِذَا صَبَرُوا وَصَدَقُوا».

هذا، وقد رواه عبد الرزاق في مصنفه (٩٦٩٩) من رواية معمر، عن الزهري، عن النبي ﷺ.

وكذلك رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٣٨٧) من رواية عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ.

قال أبو داود: «والصحيح أنه مرسل».

وقد رواه في كتابه المراسيل (٣١٤) من رواية يونس، عن عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ. ثم قال: «قد أُسند هذا ولا يصح، أسنده جرير بن حازم وهو خطأ».

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا يُسنده كبير أحد غير جرير بن حازم. وإنما روي هذا الحديث عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً».

وقال البيهقي: «تفرد به جرير بن حازم موصولاً، ورواه عثمان بن عمر عن يونس،=

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٧ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨].

قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.

وقرأ ابن عامر، وأهل الكوفة إلا عاصمًا: «ولكِنِ اللهُ قتلهم»، «ولكنِ اللهُ رمى»، بتخفيف النون ورفع اسم الله فيهما[١].

وسبب نزول هذا[٢] الكلام:

أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا عن بدر جعلوا يقولون: قَتَلْنا وقَتَلْنا، هذا معنى قول مجاهد.

فأما قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.

ففي سبب نزوله ثلاثة أقوال: [٣٠١/ ب]

أحدها: أن النبي ﷺ قال لعلي: «**نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ[٣]**»، فناوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي منهم أحد إلا وقعت في عينه حصاة[٤].

=عن عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ منقطعًا».

(١) انظر: السبعة (ص:١٦٨)، والحجة (٢/ ١٦٩، ١٧٠)، والمبسوط (ص:١٣٤)، والتيسير (ص:٧٥).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): (حصى).

(٤) رواه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٢٨٥) (١١٧٥٠) من رواية عكرمة، عن ابن عباس به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٤) (٩٩٩٩): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

وقيل: أخذ قبضة من تراب، فرمى بها، وقال: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**» فما بقي مشرك إلا شُغل بعينه يعالج التراب الذي فيها، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١] وذلك يوم بدر، هذا قول الأكثرين[٢].

وقال ابن الأنباري: وتأويل شاهت: قبحت، يقال: شاه وجهه يشوه شَوهًا وشُوهة، ويقال: رجل أشوه، وامرأة شوهاء: إذا كانا قبيحين.

والثاني: أن أُبي بن خلف أقبل يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده، فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ، فخلَّوا سبيله، وطعنه النبي ﷺ بحربته، فسقط أُبيٌّ عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: إنما هو خدش، فقال: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل الحجاز لماتوا أجمعون، فمات قبل أن يَقْدَم مكة، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن أبيه[٣].

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير (٣/ ٢٠٣) (٣١٢٨) من حديث حكيم بن حزام، قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ، فأخذ كفًّا من الحصباء فاستقبلنا به، فرمانا بها، وقال: «شاهت الوجوه» ، فانهزمنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٤) (٩٩٩٨): «رواه الطبراني، وإسناده حسن».

(٢) في (ف): (وهذا قول ابن عباس).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٦٣) عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: أقبل أُبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده، فاعترض رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أُبي من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته فسقط أُبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعًا من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار=

والثالث: أن رسول الله ﷺ رمى يوم خيبر بسهم، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.

اختلفوا في معنى[1] إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوال:

أحدها: أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم.

والثاني: أنه أضاف القتل إليه؛ لأنه تولَّى نصرهم.

والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين، وأمكنهم منهم.

والرابع: لأنه ألقى الرعب في قلوبهم.

وفي قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن المعنى: وما ظفرت أنت ولا أصبت، ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة[2].

=الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش؛ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتل أُبيًّا» ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين. فمات أبي إلى النار، فسحقًا لأصحاب السعير قبل أن يقدم مكة فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] الآية.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٤٤).

والثـاني: ومـا بلـغ رميُـك كفًّـا مـن تـراب أو حـصى أن تمـلأ عيـون ذلـك الجيـش الكثـير، إنـما الله تـولى ذلـك، قالـه الزَّجَّـاج[1].

والثالـث: ومـا رميـت قلوبهـم بالرعـب إذ رميـت وجوههـم بالـتراب، ذكـره ابـن الأنبـاري.

قولـه: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: لينعـم عليهـم نعمـة عظيمـة بالنـصر والأجـر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتهم.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج[2]: موضعه رفع، والمعنى: الأمر ذلكم[3].

وقال غيره: «ذلكم» إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: واعلموا أن الله.

والـذي ذكرنـاه في فتـح «أنَّ» في قولـه: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال:١٤] هـو مذكـور في فتـح «أنَّ» هـذه.

قوله: ﴿مُوهِنُ﴾.

قـرأ ابـن كثـير، ونافـع، وأبـو عمـرو: «مُوَهِّـنٌ» بفتـح الـواو وتشـديد الهـاء منونـة، «كيـدَ» بالنصـب. [٣٠٢/أ]

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٦).

(٢) قوله: (قال الزجاج)، ليس في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٧).

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «مُوْهِنٌ» ساكنة الواو، «كيدَ» بالنصب.

وروى حفص عن عاصم: «موهنُ كيدِ» مضاف[(١)].

والموهن: المضعف، والكيد: المكر.

قوله تعالَى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ١٩، ٢٠].

قوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أن أصحاب رسول الله ﷺ استنصروا الله وسألوه الفتح، فنزلت هذه الآية، وهذا المعنى مرويٌّ عن أبي بن كعب، وعطاء الخراساني[(٢)].

والثاني: أن أبا جهل قال: اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس[(٣)].

---

(١) انظر هذه القراءات والروايات كلها في: السبعة (ص:٣٠٤-٣٠٥)، والحجة (٤/ ١٢٧)، والمبسوط (ص:٢٢٠-٢٢١)، والتيسير (ص:١١٦)، والتحصيل (٣/ ١٦٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥١٢).

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٧٩).

(٣) لم نقف عليه عن ابن عباس، ولكن رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩١-٩٤) عن=

والثالث: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي(١).

والرابع: أن المشركين قالوا: اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد، فافتح بيننا وبينه بالحق، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة(٢).

والخامس: أنهم قالوا بمكة: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢]، فعذبوا يوم بدر، قاله ابن زيد(٣).

فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطَبين بقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ قولان:

أحدهما: أنهم المؤمنون.

والثاني: المشركون، وهو الأشهر.

=الزهري، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير، والضحاك، وعطية العوفي، ويزيد بن رومان، ورواه ابن أبي حاتم (٨٩١٧، ٨٩١٩، ٨٩٢٠) عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، وعروة بن الزبير، وعطية العوفي.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٢) من رواية أسباط، عن السدي به. وقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٧٦).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٧٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٢) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

وفي الاستفتاح قولان:

أحدهما: أنه الاستنصار، قاله ابن عباس، والزَّجَّاج[١] في آخرين.

فإن قلنا: إنهم المسلمون، كان المعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر بالملائكة.

وإن قلنا: هم المشركون، احتمل وجهين:

أحدهما: إن تستنصروا فقد جاء النصر عليكم.

والثاني: إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله، فقد جاءكم النصر لأحب الفريقين.

والثاني: أن الاستفتاح: طلب الحكم، والمعنى: إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين، فقد جاءكم الحكم، وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة، ومجاهد، وقتادة.

فأما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة.

وفي معناه قولان:

أحدهما: إن تنتهوا عن قتال محمد ﷺ والكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٨).

والثاني: إن تنتهوا عن استفتاحكم فهو خير لكم، لأنه كان عليهم لا لهم، ذكره الماوردي[١].

وفي قوله: ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ قولان:

أحدهما: وإن تعودوا إلى القتال، نَعُدْ إلى هزيمتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: وإن تعودوا إلى الاستفتاح، نعد إلى الفتح لمحمد ﷺ، قاله السدي.

قوله: ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: جماعتكم وإن كثرت.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٣٠٢/ب] وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «وإن الله» بكسر الألف.

وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وأن» بفتح الألف[٢].

فمن قرأ بكسر «أن» استأنف.

قال الفراء: وهو أحب إليَّ من فتحها[٣].

ومن فتحها، أراد: ولأن الله مع المؤمنين.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٥)، والحجة (٤/ ١٢٨)، والمبسوط (ص:٢٢١)، والتحصيل (٣/ ١٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

قوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا تولَّوا عن رسول الله ﷺ.

والثاني: لا تولَّوا عن أمر رسول الله ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما نزل من القرآن، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنفال: ٢١، ٢٢].

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس[(١)].

والثاني: في اليهود، قريظة والنضير، روي عن ابن عباس أيضًا[(٢)].

والثالث: في المنافقين، قاله ابن إسحاق[(٣)]، والواقدي[(٤)]، ومقاتل[(٥)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣٦) من رواية مجاهد، عن ابن عباس به. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤١)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٠٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٨٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣٢) من رواية سلمة، عن ابن إسحاق به. وذكره الواحدي في التفسر البسيط (١٠/ ٨٢).

(٤) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٧٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٧).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: سمعنا، ولم يتفكَّروا فيما سمعوا، فكانوا كمن لم يسمع، قاله الزَّجَّاج[١].

والثاني: أنهم قالوا: سمعنا سماع من يقبل، وليسوا كذلك، حكي عن مقاتل[٢].

قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس[٣].

والثاني: في المنافقين، قاله ابن إسحاق[٤]، والواقدي[٥].

و﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾: اسم كل حيوان يَدِبُّ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩١٨٠) من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: «هم نفر من قريش من بني عبد الدار».

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣٢) من رواية سلمة، عن ابن إسحاق به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٨٢).

(٥) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٧٢).

وقد بينا في «سورة[1] البقرة» معنى الصُّمِّ والبُكْم، ولم سماهم بذلك[2].

قولــه تعَــالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفــال: ٢٣].

قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: ولو علم فيهم صدقًا وإسلامًا.

والثاني: لو علم فيهم خيرًا في سابق القضاء.

والثالث: لو علم أنهم يَصْلُحون.

والرابع: لو علم أنهم يُصْغون.

وفي قوله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لأسمعهم جواب كلِّ ما يسألون عنه، قاله الزَّجَّاج[3].

والثاني: لرزقهم الفهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والثالث: لأسمعهم كلام الموتى يَشهدون بنبوَّتك، حكاه الماوردي[4].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٩).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٠٧).

وفي قوله: ﴿وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ قولان:

أحدهما: مكذِّبون، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: وهم معرضون عمَّا أسمعهم لمعاندتهم، قاله الزَّجَّاج[١].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

قوله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾ أي: أجيبوا.

قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ يعني الرسول ﷺ.

﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ وفيه ستة أقوال:

أحدها: أن الذي يحييكم: كلُّ ما يدعو الرسولُ ﷺ إليه، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس.

وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد بن[٢] المعلَّى قال: كنت أصلِّي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلِّي، فقال: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾؟» قلت[٣]: بلى، ولا أعود إن شاء الله[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٩).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): (قال).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤٤٧٤، ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦) من حديث أبي سعيد بن المعلَّى ﷺ.

والثاني: أنه الحق، رواه شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنه الإيمان، رواه ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه [٣٠٣/ أ] قال السدي.

والرابع: أنه اتِّباع القرآن، قاله قتادة، وابن زيد.

والخامس: أنه الجهاد، قاله ابن إسحاق.

وقال ابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينَهم ويعليهم[١].

والسادس: أنه إحياء أمورهم، قاله الفراء[٢].

فيخرَّج في إحيائهم خمسة أقوال:

أحدها: أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة.

والثاني: بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا، وحياة الأبد في الآخرة.

والثالث: أنه دوام نعيمهم في الآخرة.

والرابع: أنه كونهم مؤمنين، لأن الكافر كالميِّت.

والخامس: أنه يحييهم بعد موتهم، وهو على قول من قال: هو الجهاد، لأن الشهداءَ أحياءٌ، ولأن الجهاد يُعِزُّهم بعد ذُلِّهم، فكأنَّهم صاروا به أحياءً.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾.

وفيه عشرة أقوال:

أحدها: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: يحول بين المؤمن وبين معصيته، وبين الكافر وبين طاعته، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء[(١)].

والثالث: يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل، قاله مجاهد.

قال ابن الأنباري: المعنى يحول بين المرء وعقله، فبادروا الأعمال، فإنكم لا تأمنون زوال العقول، فتحصُلون على ما قدمتم.

والرابع: أن المعنى: هو قريب من المرء، لا يخفى عليه شيء من سرِّه، كقوله: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وهذا معنى قول قتادة.

والخامس: يحول بين المرء وقلبه، فلا يستطيع إيمانًا ولا كفرًا إلا بإذنه، قاله السدي.

والسادس: يحول بين المرء وبين هواه، ذكره ابن قتيبة[(٢)].

والسابع: يحول بين المرء وبين ما يتمنَّى بقلبه من طول العمر والنَّصر وغيره.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٨).

والثامن: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فبادروا الأعمال قبل وقوعه.

والتاسع: يحول بين المرء وقلبه بعلمه، فلا يضمر العبد شيئًا في نفسه إلا والله عالم به، لا يقدر على تغييبه عنه.

والعاشر: يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن، فيأمن بعد خوفه، ويخاف بعد أمنه، ذكر معنى هذه الأقوال ابن الأنباري.

وحكى الزَّجَّاج أنهم لما فكَّروا في كثرة عدوِّهم وقلة عددهم، فدخل الخوف قلوبهم، أعلمهم الله تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوفِ الأمنَ، ويبدل عدوَّه بالقوَّة الضَّعف، وقد أعلمت هذه الآية أن الله تعالى هو المقلِّب للقلوب، المتصرِّف فيها[١].

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ أي: للجزاء على أعمالكم.

قوله تعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥].

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، [٣٠٣/ب] والضحاك.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٩-٤١٠).

وقال الزبير بن العوام: لقد قرأناها زمانًا، وما نُرى أنَّا مِن أهلها، فإذا نحن المَعْنِيُّون بها[١].

والثاني: أنها نزلت في رجلين من قريش، قاله أبو صالح عن ابن عباس[٢]، ولم يسمِّهما.

والثالث: أنها عامة.

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: في هذه الآية، أمر الله المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب[٣].

وقال مجاهد: هذه الآية لكم أيضًا[٤].

والرابع: أنها نزلت في علي، وعمار، وطلحة، والزبير، قاله الحسن[٥].

وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل[٦].

وفي الفتنة هاهنا سبعة أقوال:

أحدها: القتال.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٦٢) من رواية عقبة بن صهبان، عن الزبير بن العوام ﷺ.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٠٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٦٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٥) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٣) من رواية داود بن أبي هند، عن الحسن به.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٥) من رواية أسباط، عن السدي به.

والثاني: الضلالة.

والثالث: السكوت عن إنكار المنكر.

والرابع: الاختبار.

والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد.

والسادس: البلاء.

والسابع: ظهور البدع.

فأمَّا قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.

فقال الفراء: أمرهم، ثم نهاهم، وفيه طرف من الجزاء، وإن كان نهيًا، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ [النمل:١٨] أمرهم، ثم نهاهم، وفيه تأويل الجزاء[١].

وقال الأخفش: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ ليس بجواب، وإنما هو نهي بعد نهي، ولو كان جوابًا ما دخلت النون[٢].

وذكر ابن الأنباري فيها قولين:

أحدهما: أن الكلام تأويله تأويل الخبر، إذ كان المعنى: إن لا يتَّقوها، تُصِبْ الذين ظلموا، أي: وغيرهم، أي: لا تقع بالظالمين دون غيرهم، لكنها تقع بالصالحين والطالحين، فلما ظهر الفعل ظهور النهي، والنهي

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٧).

راجع إلى معنى الأمر، إذ القائل يقول: لا تقم، يريد: دع القيام، ووقع مع هذا جوابًا للأمر، أو كالجواب له، فأُكِّد له شبه النهي، فدخلت النون المعروف دخولها في النهي وما يضارعه.

والثاني: أنها نهي محض، معناه: لا يقصدنَّ الظالمون هذه الفتنة، فيهلكوا، فدخلت النون لتوكيد الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾.

وللمفسرين في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لا تصيبن الفتنةُ الذين ظلموا.

والثاني: لا يصيبن عقاب الفتنة.

فإن قيل: فما ذنب مَن لم يظلم؟

فالجواب: أنه بموافقته للأشرار، أو بسكوته عن الإنكار، أو بتركه للفرار، استحق العقوبة.

وقد قرأ عليٌّ، وابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب: «لَتصيبنَّ الذين ظلموا» بغير ألف[1].

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٤) نسبها لابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي العالية، وفي التحصيل (٣/ ١٨٨) نسبها لعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٩١) بلا نسبة، وفي المحتسب (١/ ٢٧٧) نسبها لعلي، وزيد بن ثابت، وأبي جعفر محمد بن علي، والربيع بن أنس، وأبي العالية، وابن جماز.

قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾.

قال ابن عباس: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عِدَّتُهم قليلةً، وهم مقهورون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون[١].

وفي المراد بالناس ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس.

والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبِّه.

والثالث: أنهم المشركون الذين حضروا بدرًا، والمسلمون قليلون يومئذ، قاله قتادة. [٣٠٤/أ]

قوله: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: فآواكم إلى المدينة بالهجرة، قاله ابن عباس، والأكثرون.

والثاني: جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين، ذكره الماوردي[٢].

وفي قوله: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ **قولان**:

أحدهما: قوَّاكم بالملائكة يوم بدر، قاله الجمهور.

والثاني: عضدكم بنصره في بدر وغيرها، قاله أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ١١٧).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣١٠).

وفي قوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها الغنائم التي أحلَّها لهم، قاله السدي.

والثاني: أنها الخيرات التي مكَّنهم منها، ذكره الماوردي[1].

قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

قوله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وذاك أن النبي ﷺ لما حاصر قريظة سألوه أن يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير، على أن يسيروا إلى أرض الشام، فأبى أن يعطيَهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحًا لهم، لأن ولده وأهله كانوا عندهم، فبعثه إليهم، فقالوا: ما ترى، أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح، فلا تفعلوا، فأطاعوه، فكانت تلك خيانته، قال أبو لبابة: فما زالت قدمايَ حتى عَرفتُ أني قد خنت الله ورسوله، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس[2]، والأكثرين.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣١٠).

(٢) عزاه الواحدي لابن عباس كما في التفسير البسيط (١٠/ ١٠٦)، ولم نقف عليه عنه ﷺ، وإنما هو عن عبد الله بن أبي قتادة كما عند الطبري في تفسيره (١١/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٧٥)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٠٥) (٩٨٧)، ورواه=

وروي أن أبا لبابة ربط نفسه بعد نزول هذه الآية إلى سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموتَ أو يتوب الله عليَّ، فمكث سبعة أيام كذلك، ثم تاب الله عليه، فقال: والله لا أَحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يَحُلُّني، فجاء فحلَّه بيده، فقال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**يُجْزِئُكَ الثُّلُثُ**»(١).

والثاني: أن جبريل أتى رسولَ الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**اخْرُجُوا إِلَيْهِ وَاكْتُمُوا**»، فكتب إليه رجل من المنافقين: إن محمدًا يريدكم، فخذوا حذركم، فنزلت هذه الآية، قاله جابر بن عبد الله(٢).

=الطبري (١١/ ١١/ ١٢١) أيضًا عن الزهري، والذي وقفنا عليه عن ابن عباس في هذه الآية هو ما رواه الطبري (١١/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٨٩٧٤، ٨٩٧٨) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: بترك فرائضه ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ يقول: بترك سننه وارتكاب معصيته.

(١) رواه الطبري (١١/ ١١/ ١٢١) عن الزهري قوله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] قال: نزلت في أبي لبابة، بعثه رسول الله ﷺ فأشار إلى حلقه أنه الذبح. قال الزهري: فقال أبو لبابة: لا والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا، حتى خر مغشيًا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك قال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحلّه بيده. ثم قال أبو لبابة: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالي قال: «**يجزيك الثلث أن تصدق به**».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٢١) من رواية عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله ﵁ به.

والثالث: أنها نزلت في قتل عثمان بن عفان، قاله المغيرة بن شعبة(١).

والرابع: أن قومًا كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ، فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي(٢).

وفي خيانة اللهِ قولان:

أحدهما: ترك فرائضه.

والثاني: معصية رسوله.

وفي خيانة الرسول قولان:

[٣٠٤/ب] **أحدهما**: مخالفته في السِّرِّ بعد طاعته في الظاهر.

والثاني: ترك سنَّته.

وفي المراد بالأمانات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الفرائض، قاله ابن عباس(٣).

وفي خيانتها قولان:

أحدهما: تنقيصها.

والثاني: تركها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٢٢) من رواية محمد بن عبد الله بن عون الثقفي، عن المغيرة بن شعبة ﷺ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٢٣) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٣) رواه الطبري (١١/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٨٩٧٤، ٨٩٧٨) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

والثاني: أنها الدِّين، قاله ابن زيد.

فيكون المعنى: لا تُظهروا الإيمان وتُبطنوا الكفر.

والثالث: أنها عامة في خيانة كلِّ مُؤتَمَنٍ، ويؤكِّده نزولها في ما جرى لأبي لبابة.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٨، ٢٩].

قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

قال ابن عباس: هذا خطاب لأبي لبابة، لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة[1].

فأما الفتنة، فالمراد بها: الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس من اتِّباع الهوى أو تجنُّبه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ خير من الأموال والأولاد.

قوله: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بترك معصيته، واجتناب الخيانة لله ورسوله.

---

(١) لم نقف عليه.

قوله: ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه المخرج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وابن قتيبة[١].

والمعنى: يجعل لكم مخرجًا في الدين من الضلال.

والثاني: أنه النجاة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي.

والثالث: أنه النصر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الفراء[٢] [٣].

والرابع: أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

قوله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

هذه الآية متعلِّقة بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ فالمعنى: أذكِرِ المؤمنين ما مَنَّ الله به[٤] عليهم، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٨).

(٢) قوله: (وبه قال الفراء)، ليس في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٨).

(٤) ليست في (ف).

الإشارة إلى كيفية مكرهم

قال أهل التفسير: لَمَّا بويع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفقت قريش أن يعلوَ أمره، وقالوا: والله لكأنكم به قد كرَّ عليكم بالرجال.

فاجتمع جماعة من أشرافهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحًا، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: احبسوه في وَثاق، وتربَّصوا به ريب المنون. فقال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم. فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم. فقال: ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلامًا، ثم نعطي كل غلام سيفًا فيضربوه به[1] ضربة رجل واحد، فيفرَّق دمه في القبائل، فلا أظن هذا الحي من قريش يقوى على حرب قريش كلِّها، فيقبلون العَقل ونستريح. فقال إبليس: هذا والله الرأي. فتفرَّقوا عن ذلك. [٣٠٥/أ]

وأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت في مضجعه تلك الليلة، وأمر عليًّا فبات في مكانه،

(١) ليست في (ف).

وبـات المشركـون يحرسـونه، فلـمّا أصبـح رسـول الله ﷺ، أذن الله لـه في الخـروج إلى المدينـة، وجـاء المشركـون لمّـا أصبحـوا، فـرأوا عليًّـا، فقالـوا: أيـن صاحبك؟ قـال: لا أدري، فاقتصُّـوا أثـره حتـى بلغـوا الجبـل، فمـرُّوا بالغـار، فـرأوا نسـج العنكبـوت، فقالـوا: لـو دخلـه لم يكـن عليـه نسـج العنكبـوت(١).

فأما قوله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾.

فقـال ابـن قتيبـة: معنـاه: ليحبسـوك. يقـال: فـلان مثبـت وجعًـا: إذا لم يقـدر عـلى الحركـة(٢).

وللمفسرين فيه قولان:

أحدهما: ليثبتوك في الوَثاق، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين.

والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء، والسدي في آخرين.

وكان القـومُ أرادوا أن يحبسـوه في بيـت ويسـدوا عليـه بابـه ويلقـوا إليـه الطعـام والـشراب.

وقد سبق بيان معنى المكر في «آل عمران»(٣).

---

(١) رواه الطبري نحوه في تفسيره (١١/ ١٣٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٨٩٩٤) مـن روايـة مجاهـد، عـن ابـن عبـاس ﷺ بـه. وكذلـك رواه بنحـوه عبـد الـرزاق في مصنفـه (٩٧٤٣) مـن روايـة معمـر عـن عثـمان الجـزري عـن مقسـم مـولى ابـن عبـاس ﷺ بـه.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٥٤).

قولــه تعَــالَى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنفــال: ٣١].

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾.

ذكـر أهـل التفسـير أن هـذه الآيـه نزلـت في النـضر بـن الحـارث بـن علقمـة بـن كلـدة، وأنـه لمَّـا سـمع رسـول الله ﷺ يذكـر قصـص القـرون الماضيـة، قـال: لـو شـئت لقلـت مثـل هـذا[(١)].

وفي قوله: ﴿قَدْ سَمِعْنَا ﴾ قولان:

أحدهما: قد سمعنا منك ولا نطيعك.

والثـاني: قـد سـمعنا قبـل هـذا مثلـه، وكان النـضر يختلـف إلى فـارس تاجـرًا فيسـمع العبَّـاد يقـرءون الإنجيـل.

وقد بين التحدِّي كذب من قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾.

وقد سبق معنى الأساطير في «الأنعام»[(٢)].

قولــه تعَــالَى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفــال: ٣٢].

---

(١) رواه الطـبري في تفسـيره (١١/ ١٤٣، ١٤٢)، وابـن أبي حاتـم (٩٠٠١، ٩٠٠٢) عـن ابـن جريـج، والسـدي، وسـعيد بـن جبـير.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢٥).

قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في النضر أيضًا، رواه جماعة عن ابن عباس[١]، وبه قال سعيد بن جبير[٢]، ومجاهد[٣]، وعطاء[٤]، والسدي[٥].

والثاني: أنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا، قاله أنس بن مالك، وهو مخرَّج في «الصحيحين»[٦].

والثالث: أنها نزلت في قريش، قالوا هذا ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ رواه أبو معشر عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس[٧].

وفي المشار إليه بقوله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن.

والثاني: كل ما يقوله رسول الله ﷺ من الأمر بالتوحيد وغيره.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٠٨) من رواية رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري (١١/ ١٤٤) من رواية أبي بشر، عن سعيد بن جبير.

(٣) رواه الطبري (١١/ ١٤٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري (١١/ ١٤٥) من رواية طلحة بن عمرو، عن عطاء.

(٥) رواه الطبري (١١/ ١٤٥) من رواية أسباط، عن السدي.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٤٩،٤٦٤٨)، ومسلم في صحيحه (٢٧٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥١) من رواية أبي معشر، عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس به.

والثالث: أنه إكرام محمد ﷺ بالنبوة من بين قريش.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

في المشار إليه قولان:

أحدهما: أهل مكة.

وفي[١] معنى الكلام قولان:

أحدهما: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم. [٣٠٥/ب]

قال ابن عباس: لم تُعذَّب قرية حتى يخرج نبيُّها والمؤمنون معه[٢].

والثاني: وما كان الله ليعذِّبهم وأنت حيٌّ، قاله أبو سليمان.

والثاني: أن المشار إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان الله[٣] ليعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به مَن قبلهم وأنت حيٌّ، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) في (ف): (ثم في).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥٥) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٣) قوله: (وما كان الله)، ليس في (ف).

فَصْلٌ

قال الحسن، وعكرمة[١]: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾، وفيه بُعد؛ لأن النسخ لا يدخل على الأخبار.

وقال ابن أبزى: كان النبي ﷺ بمكة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ فخرج إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وكان أولئك البقية من المسلمين[٢] بمكة يستغفرون! فلما خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾[٣].

وجميع أقوال المفسرين تدلُّ على أنَّ قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ كلام مبتدأ من إخبار الله ﷻ.

وقد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال: هذه الآية من قول المشركين، قالوا: والله إنَّ الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾[٤].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٣٠) عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فنسختها الآية التي تليها: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فقوتلوا بمكة، فأصابهم فيها الجوع والحصر.

(٢) قوله: (من المسلمين)، ليس في (ف).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٢٧) من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبزى به.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٥٢).

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

في معنى هذا الكلام خمسة أقوال:

أحدها: وما كان الله معذِّب المشركين، وفيهم من قد سبق له أن يؤمن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الزَّجَّاج[١].

والثاني: وما كان الله معذِّبَهم وهم يستغفرون الله، فإنهم كانوا يلبون ويقولون: غفرانك، وهذا مروي عن ابن عباس أيضًا، وفيه ضعف، لأن استغفار المشرك لا أثر له في القبول.

والثالث: وما كان الله معذِّبَهم، يعني المشركين، وهم - يعني: المؤمنين الذين بينهم - يستغفرون، روي عن ابن عباس أيضًا، وبه قال الضحاك، وابن مالك.

قال ابن الأنباري: وُصفوا بصفة بعضهم، لأن المؤمنين بين أظهرهم، فأوقع العموم على الخصوص، كما يقال: قتل أهل المسجد رجلًا، وأخذ أهل البصرة فلانًا، ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد.

والرابع: وما كان الله معذِّبهم وفي أصلابهم مَن يستغفر، قاله مجاهد.

قال ابن الأنباري: فيكون معنى تعذيبهم: إهلاكهم، فالمعنى: وما كان الله مهلكهم، وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه، فوصفهم بصفة ذراريهم، وغُلِّبوا عليهم كما غُلِّب بعضهم على كلهم في الجواب الذي قبله.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

والخامس: أن المعنى لو استغفروا لما عذَّبهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقُّوا العذاب، وهذا كما تقول العرب: ما كنت لأهينك وأنت تكرمني، يريدون: ما كنت لأهينك لو أكرمتني، فأما إذ لست تكرمني، فإنك مستحقٌّ لإهانتي، وإلى هذا القول ذهب قتادة، والسدي. [٣٠٦/أ]

قال ابن الأنباري: وهو اختيار اللغويين.

وذكر المفسرون في معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الاستغفار المعروف، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

والثاني: أنه بمعنى الصلاة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، ومنصور عن مجاهد، وبه قال الضحاك.

والثالث: أنه بمعنى الإسلام، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

هذه الآية أجازت تعذيبهم، والأُولى نفت ذلك.

وهل المراد بهذا: العذابُ الأولُ، أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه هو الأول، إلا أن الأول امتنع بشيئين:

أحدهما: كون النبي ﷺ فيهم.

والثاني: كون المؤمنين المستغفرين بينهم، فلما وقع التمييز بالهجرة، وقع العذاب بالباقين يوم بدر، وقيل: بل وقع بفتح مكة.

والثاني: أنهما مختلفان، وفي ذلك قولان:

أحدهما: أن العذاب الثاني قَتْلُ بعضِهم يوم بدر، والأول استئصال الكُلِّ، فلم يقع الأول لِما قد عُلم من إيمان بعضهم، وإسلام بعضِ ذراريهم، ووقع الثاني.

والثاني: أن العذاب الأول عذاب الدنيا.

والثاني: عذاب الآخرة، قاله ابن عباس.

فيكون المعنى: وما كان اللهُ معذِّبَ المشركين لاستغفارهم في الدنيا، وما لهم ألا يعذبهم الله في الآخرة.

قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى وهم يصدون عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أولياءَه[1].

وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى «المسجد الحرام»، وهو قول الجمهور.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فردَّ الله عليهم بهذا(١).

والثاني: أنها تعود إلى الله ﷻ، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾ أي: ما أولياؤه.

﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ إلَّا المُتَّقونَ للشرك والمعاصي، ولكنَّ أكثر أهل مكة لا يعلمون من الأولى ببيت الله.

قوله تعالَى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾.

سبب نزولها:

أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفِّقون ويَصْفِرُون ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر(٢).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٣٠).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٣٦) من رواية قرة عن عطية، عن ابن عمر به. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٩٦): «وحكى ابن عمر: أنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون».

فأما المكاء ففيه قولان:

أحدهما: أنه الصَّفير، قاله ابن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة[١]، والزَّجَّاج[٢]، وابن قتيبة[٣].

قال ابن فارس: يقال: مكا الطائر يمكو[٤] مُكاءً: إذا صَفَر، ويقال: مَكِيَتْ يده مَكىً[٥]، مقصور، أي: غلُظت وخشُنت، ويقال: تمكَّى: إذا توضَّأ[٦].

وأنشدوا[٧]: [من الرجز]

.... كَالْمُتَمَكِّي بِدَمِ الْقَتِيلِ

وسئل أبو سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء، فجمع كفَّيْه، وجعل يَصْفِر فيهما[٨].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٤) ليست في (ر).

(٥) ليست في (ر).

(٦) انظر: مجمل اللغة (١/ ٨٣٨).

(٧) البيت لعنترة الطائي في لسان العرب (١٥/ ٢٩٠) مادة (مكا)؛ وتاج العروس (٣٩/ ٥٥٣) مادة (مكا)؛ وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١٠/ ٢٢٣)، والصحاح (٦/ ٢٤٩٦)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٤٥)، وصدره: «إِنَّكَ والجَوْرَ عَلَى سَبِيل».

(٨) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦٦) عن جعفر بن ربيعة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، في قوله: ﴿مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: النفخ، وأشار بكفه قبل فيه، والتصدية: التصفيق.

[٣٠٦/ ب] **والثاني**: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم يخلطون به، وبالتَّصدية على محمد ﷺ صلاتَه، قاله مجاهد.

قال ابن الأنباري: أهل اللغة ينكرون أن يكون المكاء[1] إدخالَ الأصابع في الأفواه، وقالوا: لا يكون إلا الصفير.

وفي التصدية قولان:

أحدهما: أنها التَّصفيق، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور.

قال ابن قتيبة: يقال صدَّى: إذا صفَّق بيديه[2].

قال الراجز[3]: [من الرجز]

ضَنَّت بخَدٍّ وجَلَتْ عَنْ خَدِّ وَأَنَا مِنْ غَرْوِ الْهَوَى أُصَدِّي

الغرو: العجب، يقال: لا غرو من كذا، أي: لا عجب.

والثاني: أن التصدية: صدُّهم الناس عن البيت الحرام، قاله سعيد بن جبير.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٣) البيت لبشار بن برد كما في الشعر والشعراء (٢/ ٧٤٦)، والأشباه والنظائر (١/ ٢٤)، والتشبيهات لابن أبي عون (باب في الوجه والضياء)، والدر الفريد (٤/ ٧٨).

وقال ابن زيد: وهو صدُّهم عن سبيل الله ودينه(١).

وزعم مقاتل أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام، قام رجلان من المشركين من بني عبد الدار عن يمينه فيصفِّران، ورجلان عن يساره فيصفِّقان، فتختلط على النبي ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله ببدر، فذلك قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بتوحيد الله(٢).

فإن قيل: كيف سمى المكاءَ والتصديةَ صلاةً؟

فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري:

أحدهما: أنهم جعلوا ذلك مكان الصلاة، ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل: زرت عبد الله، فجعل جفائي صِلَتي، أي: أقام الجفاء مقام الصِّلة.

قال الشاعر(٣): [من الرجز]

قُلْتُ لَهُ اطْعِمني عَمِيْمُ تَمْرَا فَكَانَ تَمْرِيْ كَهْرَةً وَزَبْرَا

أي: أقام الصياح عليَّ مقام التمر.

والثاني: أن من كان المكاءُ والتصديةُ صلاتَه فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء، يريدون: مَنِ السخاء عيبه، فلا عيب له.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٥٠) عن ابن زيد به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٤).

(٣) الرجز بلا نسبة في المخصص (١/ ٢٢٠)، والأضداد (ص:١٧٨)، وكتاب الأفعال (٣/ ٤٦٨). الكهرة: الانتهار. الزبر: الزجر.

قال الشاعر(١): [من الطويل]

فَتــىً كَمُلَــتْ خيراتُــهُ غَــيْرَ أنّــهُ جَــوادٌ فَــلا يُبقِــي مِــنَ الْمَــالِ بَاقِيَــا

قولــه تعــالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنهـا نزلـت في المطعِمـين ببـدر، وكانـوا اثنـي عـشر رجـلًا يطعمـون النـاس الطعـام، كل رجـل يطعـم يومًـا، وهـم: عتبـة، وشـيبة، ومُنبِّه، ونُبَيـه ابنـا الحجـاج، وأبـو البَخْـتَري، والنـضر بـن الحـارث، وأبـو جهـل، وأخـوه الحـارث، وحكيـم بـن حـزام، وأُبَيُّ بـن خلـف، وزمعـة بـن الأسـود، والحـارث بـن عامـر بـن نوفـل، هـذا قـول أبي صالـح عـن ابـن عبـاس(٢).

---

(١) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (ص ١٧٣)، والكتاب (٢/ ٣٢٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٨٤)، وأمالي القالي (٢/ ٢)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٥٣٧)، وأمالي المرتضى (١/ ٢٦٨)، وخزانة الأدب (٣/ ٣٣٤، ٣٣٦)، والدرر (٣/ ١٨٢)، وديوان المعاني (١/ ٣٦)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١٦٢)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٦١٤)، ولسان العرب (٢/ ٦٣١)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (٨/ ١٩٣)، والصاحبي في فقه اللغة (ص٢٦٧)، وهمع الهوامع (١/ ٢٣٤).

(٢) لم نقف عليه عن ابن عباس، وقد عزاه أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣١٦) لمقاتل والكلبي.

والثاني: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أُحُد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله ﷺ سوى من استجاش من العرب، قاله سعيد بن جبير(١).

وقال مجاهد: نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحُد(٢).

والثالث: أنها نزلت في أهل بدر، وبه قال الضحاك(٣). [٣٠٧/أ]

فأمَّا ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فهو دين الله.

قوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي تكون عاقبة نفقتهم ندامة، لأنهم لم يظفروا.

قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٧].

قوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «ليميز» خفيفة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٥٤) من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٧٢) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٧٤) من رواية عبيد بن سليمان، عن الضحاك به.

وقرأ حمزة، والكسائي: «ليميِّز» بالتشديد[١]، وهما لغتان: مِزْتُه وميَّزتُه.

وفي لام ﴿لِيَمِيزَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ قاله ابن الأنباري.

والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ قاله ابن جرير الطبري[٢].

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقال السدي، ومقاتل[٣]: يميز المؤمن من الكافر.

والثاني: ليميِّز العمل الطيب من العمل الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: ليميز الإنفاق الطيب في سبيله، من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان، قاله ابن زيد، والزَّجَّاج[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٢٠، ٣٠٦)، والحجة (٣/ ١١٠)، و(٤/ ١٥٢)، والمبسوط (ص: ١٧٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٢٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٧٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

قولـه: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يجمع بعضه فوق بعض، وهو قوله: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾.

قال الزَّجّاج: الرَّكم: أن يُجعَل بعضُ الشيء على بعض، يقال: ركمت الشيء أركُمه رَكمًا، والرُّكام: الاسم، فمن قال: المراد بالخبيث: الكفار، فإنهم في النار بعضهم على بعض[1].

ومن قال: أموالهم، فله في ذلك قولان:

أحدهما: أنها أُلقيت في النار ليعذَّب بها أربابُها، كما قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة:٣٥].

والثاني: أنهم لَمّا عظَّموها في الدنيا، أراهم هوانها بإلقائها في النار كما تُلقى الشمس والقمر في النار، لَيرى مَن عبدهما ذُلَّهما.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨].

قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾.

نزلت في أبي سفيان وأصحابه، قاله أبو صالح عن ابن عباس[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٣).

(٢) عزاه الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٤٨) للكلبي، ومعلوم أنه أخذ تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة يُغْفَرْ لهم ما سلف من حربهم، فلا يُؤاخَذون به، وإن يعودوا إلى المحاربة، فقد مضت سنة الأولين في نصر الله أولياءه، وقيل: في قتل من قُتِل يوم بدر وأُسر.

والثاني: إن ينتهوا عن الكفر يُغْفَر لهم ما قد سلف من الإثم، وإن يعودوا إليه، فقد مضت سُنَّةُ الأولين من الأمم السالفة حين أُخذوا بالعذاب المستأصِل.

قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: إنَّ توحيدًا لم يعجِزْ عن هدم ما قبله من كفر، لا يعجِزُ عن هدم ما بعده من ذنب[1].

قوله تعالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ [الأنفال: ٣٩].

قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: شرك.

وقال الزَّجَّاج: حتى لا يفتن الناس فتنة كفر، ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[2].

قوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: عن الكفر والقتال.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٥٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٣).

وقرأ يعقوب إلا روحًا: «بما تعملون» بالتاء(١).

قولــه تعــالَى: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٤٠ ﴾ [الأنفـال: ٤٠].

قوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ أي: وليكم وناصركم. [٣٠٧/ ب]

قال ابن قتيبة: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ ﴾ أي نعم الولي(٢).

﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ أي: الناصر، مثل قدير وقادر، وسميع وسامع.

قولــه تعــالَى: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤١ ﴾ [الأنفـال: ٤١].

قوله: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾.

اختلفوا، هل الغنيمة والفيء بمعنى واحد، أم يختلفان؟

على قولين:

أحدهما: أنهما يختلفان.

(١) انظر: المبسوط (ص:٢٢١)، والبحر المحيط (٥/ ٣١٩)، والتحصيل (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٢٩٥).

ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الغنيمة: ما ظُهر عليه من أموال المشركين، والفيء: ما ظُهر عليه من الأرضين، قاله عطاء بن السائب.

والثاني: أن الغنيمة: ما أُخذ عنوةً، والفيء: ما أُخذ عن صلح، قاله سفيان الثوري.

وقيل: بل الفيء: ما لم يوجَفْ عليه بخيلٍ ولا ركاب، كالعشور والجزية، وأموال المهادنة والصلح، وما هربوا عنه.

والثاني: أنهما واحد، وهما كل ما نيل من المشركين، ذكره الماوردي[1].

وقال الزَّجَّاج: الأموال ثلاثة أصناف فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، فقد سمّاه الله تعالى: أنفالًا وغنائم، وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يؤخذ في الحرب، فقد سماه: فيئًا، وما خرج من أموال المسلمين، كالزكاة، والنذر، والقرب، سماه: صدقة[2].

وأما قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فالمراد به: كل ما وقع عليه اسم شيء.

قال مجاهد: المِخْيَط من الشيء[3].

قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣١٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٣-٤١٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٨٤) من رواية ليث، عن مجاهد به.

وروى عبد الوارث [عن أبي عمرو][١]: «خُمْسَهُ» بسكون الميم[٢].

وفي المراد بالكلام قولان:

أحدهما: أن نصيب الله مستَحَقٌّ يُصرف إلى بيته.

قال أبو العالية: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، فيقسم أربعة بين الناس ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة، وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال[٣].

والثاني: أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين:

أحدهما: لأنه المتحكِّم فيه، والمالك له، والمعنى: فإن للرسول خمسهُ ولذي القربى، كقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

والثاني: أن يكون المعنى: إن الخمس مصروف في وجوه القرب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور.

فعلى هذا تكون الواو زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٤]، المعنى: ناديناه، ومثله كثير.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

(٢) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٩٥) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٢٦) نسبها للحسن وعبد الوارث عن أبي عمرو.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٨٦) من رواية الربيع بن أنس، عن أبي العالية به.

فَصْلٌ

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة.

فأما الخمس الخامس، فكيف يقسم؟

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية، وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية، وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم.

والثاني: أنه مقسوم على خمسة أسهم: سهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، على ظاهر الآية، وبه قال الجمهور.

والثالث: أنه يقسم على أربعة أسهم: فسهم الله ﷻ وسهم رسوله
[٣٠٨/أ] عائد على ذوي القربى، لأن رسول الله ﷺ لم يكن يأخذ منه شيئًا، وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

فَصْلٌ

فأما سهم الرسول ﷺ، فإنه كان يصنع فيه ما بيَّنَّا.

وهل سقط بموته أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد، والشافعي في آخرين.

وفيما يُصنَع به قولان:

أحدهما: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة.

والثاني: أنه[١] يُصْرَفُ في المصالح، وبه قال أحمد، والشافعي.

والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط[٢] الصفيُّ، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة.

وأما ذوو القربى، ففيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم جميع قريش.

قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم فأبى علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى[٣].

والثاني: بنو هاشم وبنو المطلب، وبه قال أحمد، والشافعي.

والثالث: أنهم بنو هاشم فقط، قاله أبو حنيفة.

وبماذا يستحقون؟

فيه قولان:

أحدهما: بالقرابة وإن كانوا أغنياء، وبه قال أحمد، والشافعي.

والثاني: بالفقر لا بالاسم، وبه قال أبو حنيفة.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ف): (سقط).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٩٤) من رواية أبي معشر، عن سعيد المقبري، عن ابن عباس ﵄ به.

وقد سبق في «البقرة» معنى اليتامى والمساكين وابن السبيل(١).

وينبغي أن تُعتبر في اليتيم أربعة أوصاف:

موت الأب: وإن كانت الأم باقية.

والصِّغَر: لقوله ﷺ: **«لا يُتْمَ بعد حُلُم»**(٢).

والإسلام: لأنه مال للمسلمين.

والحاجة: لأنه معدٌّ للمصالح.

قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾.

هو يوم بدر، فُرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين.

والذي أُنزل عليه يومئذ قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ نزلت حين اختلفوا فيها.

فالمعنى: إن كنتم آمنتم بذلك، فاصدروا عن أمر الرسول ﷺ في هذا أيضًا.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٢٨٧٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٤٥٠، ١١٤٥١)، وسعيد بن منصور في سننه (١٠٣٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦٥٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٩٠، ٦٥٦٤، ٧٣٣١)، وفي الصغير (٢٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٣٠٩)، والبغوي في شرح السنة (٢٣٥٠)، والضياء في المختارة (٦٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٣٩، ١٥٥٠، ٥٢٩٣) وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.
وفي الباب: عن جابر كما عند الطيالسي في مسنده (١٨٧٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٣٨٩٩)، وعن أنس كما عند البزار في مسنده (٦٢٤٣).

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

قوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بالعِدوة» و«العِدوة» العين فيهما مكسورة.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بضم العين فيهما(١).

قال الأخفش: لم يُسمع من العرب إلا الكسر(٢).

وقال ثعلب: بل الضم أكثر اللغتين(٣).

قال ابن السِّكِّيت: عُدوة الوادي وعِدوته: جانبه، والجمع: عُدىً وعِدىً(٤).

و﴿الدُّنْيَا﴾: تأنيث الأدنى وضدها: القصوى وهي تأنيث الأقصى، وما كان من النعوت على «فُعلى» من ذوات الواو، فإن العرب تحوِّله إلى الياء، نحو: الدنيا، من: دنوت، والعليا، من: علوت، لأنهم يستثقلون

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠٦)، والحجة (٤/ ١٢٨)، والمبسوط (ص:٢٢١)، والتيسير (ص:١١٦)، والتحصيل (٣/ ١٨٩).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٢٧)، وهو مخالف لما في كتابه معاني القرآن حيث أقرَّ اللغتين فقال: «وهما لغتان».

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٦٦)، ولم أجده في كتابه الفصيح.

(٤) انظر: إصلاح المنطق (ص:٩١).

الـواو مـع ضـم الأول، وليـس في هـذا اختـلاف، إلا أن أهـل الحجـاز قالـوا: القُصـوى، فأظهـروا الـواو، وهـو نـادر، وغيرهـم يقـول: القصيـا.

قـال المفـسرون: ﴿إِذْ أَنتُم﴾ بشـفير الـوادي الأدنـى مـن المدينـة، وعدوكـم بشـفيره الأقـصى إلى مكـة، وكان الجمعـان قـد نـزلا وادي بـدر عـلى
٣٠٨/ب] هـذه الصفـة، ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾: أبـو سـفيان وأصحابـه.

قـال الزَّجَّاج: مـن نصـب «أسـفلَ» أراد: والركـب مكانًـا أسـفل منكـم، ويجـوز الرفـع عـلى معنـى: والرَّكـب أشـدُّ تسـفُّلا منكـم(١).

قال قتادة: كان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله(٢).

وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾ قولان:

أحدهمـا: لـو تواعدتـم، ثـم بلغكـم كثرتهـم، لتأخَّرتـم عـن الميعـاد، قالـه ابـن إسـحاق.

والثـاني: لـو تواعدتـم عـلى الاجتـماع في المـكان الـذي اجتمعتـم فيـه مـن عِـدوتي وادي بـدر لاختلفتـم في الميعـاد، قالـه أبـو سـليمان.

وقـال المـاوردي: كانـت تقـع الزيـادة والنقصـان، أو التقـدم والتأخـر مـن غـير قصـد لذلـك(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٠٤) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٢).

قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهو إعزاز الإسلام، وإذلال الشرك.

قوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾.

وروى خلف عن يحيى: «ليُهلَك» بضم الياء وفتح اللام[١].

قوله: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾.

قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «من حيَّ» بياء واحدة مشددة، وهذه رواية حفص عن عاصم، وقنبل عن ابن كثير.

وروى شِبْلٌ عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: «حيِي» بياءين الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، وهي قراءة نافع[٢].

فمن قرأ بياءين، بيَّن ولم يُدغم، ومن أدغم ياء «حيي» فلاجتماع حرفين من جنس واحد.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: ليُقتَل من قُتل من المشركين عن حُجة، ويبقى من بقي منهم عن حُجة.

والثاني: ليكفر من كفر بعد حُجة، ويؤمن من آمن عن حُجة.

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٦-٣٠٧)، والحجة (٤/ ١٢٩)، والمبسوط (ص:١٠٠).

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال: ٤٣].

قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلَّة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قال مجاهد: لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلًا، كان ذلك تثبيتًا لهم(١).

قال أبو سليمان الدمشقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى: وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك، عليم بما يضمرونه، إذ حدثتَهم بما رأيت في منامك.

والثاني: إذ يريكهم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن.

قال الزَّجَّاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: إذ يريكهم الله في موضع منامك، أي: بعينك، ثم حذف الموضع وأقام المنام مقامه(٢).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩١١٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٩).

قوله: ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: لجبنتم وتأخَّرتم عن حربهم.

وقال مجاهد: لفشل أصحابك، ولرأوا ذلك في وجهك(١).

قوله: ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لاختلفتم في حربهم، فكان ذلك من دواعي هزيمتكم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ من المخالفة والفشل.

قوله تعالَى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤].

قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾.

قال مقاتل: صدَّق الله رؤيا رسوله التي أخبر بها المؤمنين عن قلة [٣٠٩/ أ] عدوهم قبل لقائهم، بأن قلَّلهم وقت اللقاء في أعينهم(٢).

وقال ابن مسعود: لقد قلُّوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جانبي: أتُراهم سبعين؟ قال: أُراهم مائة حتى أخذنا رجلًا منهم، فسألناه، فقال: كنَّا ألفًا(٣).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩١٢٠)من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢١٢) من رواية ابن جريج، عن ابن مسعود بلفظ: «قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل: أتراهم يكونون مائة؟».

وقد ذكره بلفظ المصنِّف: الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٢)، و(٤/ ٣٦٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٣٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٧٨).

قال أبو صالح عن ابن عباس: استقلَّ المسلمون المشركين، والمشركون المسلمين، فاجترأ بعضهم على بعض[1].

فإن قيل: ما فائدة تكرير الرؤية هاهنا، وقد ذُكرت في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن الأولى كانت في المنام، والثانية في اليقظة.

والثاني: أن الأولى للنبي ﷺ خاصة، والثانية له ولأصحابه.

فإن قيل: تكثير المؤمنين في أعين الكافرين أولى، لمكان إعزازهم؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنهم لو كثروا في أعينهم، لم يقدموا عليهم، فلم يكن قتال، والقتال سبب النصر، فقلَّلهم لذلك.

والثاني: أنه قلَّلهم لئلا يتأهَّب المشركون كل التأهُّب فإذا تحقق القتال، وجدهم المسلمون غير مستعدين، فظفروا بهم.

والثالث: أنه قلَّلهم ليحمل الأعداء عليهم في كثرتهم، فيغلبهم المسلمون، فيكون ذلك آية للمشركين ومنبِّهًا على نصرة الحقِّ.

---

(١) في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ١٧٨): «قال ابن عباس: ليجترؤا عليكم ولا ينهزموا ولا يرجعوا عن قتالكم».

قولــه تعــالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفـال: ٤٥، ٤٦].

قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ الفئة: الجماعة.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الدعاء والنصر.

والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

قوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ قد سبق ذكر التنازع والفشل آنفًا.

قوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وروى أبان: «ويذهبْ» بالياء والجزم(١).

وفيه أربعة أقوال:

أحدها: تذهب شدَّتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

وقال السدي: حِدَّتكم وجدُّكم(٢).

---

(١) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٩٧) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٣٢) كلاهما نسبها لعيسى بن عمر، وانظر: التحصيل (٣/ ٢٠٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢١٥) من رواية أسباط،عن السدي بلفظ: «حربكم وجدكم». وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٦٣) بلفظ: «جماعتكم وحدتكم»، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٨٢) بلفظ: «جرأتكم».

وقال الزَّجّاج: صولتكم وقوتكم[١].

والثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد، وقتادة.

والثالث: تتقطَّع دولتكم، قاله أبو عبيدة[٢].

وقال ابن قتيبة: يقال: هبَّت له ريح النصر: إذا كانت له الدولة. ويقال: له الريح اليوم: أي الدولة[٣].

والرابع: أنها ريح حقيقةً، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو، ومنه قوله ﷺ: **«نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهْلِكتْ عادٌ بالدَّبور»**[٤].

وهذا قول ابن زيد، ومقاتل[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٠٣٥، ٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم في صحيحه (٩٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٨).

قـال المفسرون: هـم أبـو جهـل ومـن خـرج معـه مـن مكـة، خرجـوا ليدفعـوا عـن عيرهـم التـي كانـت مـع أبي سـفيان، ومعهـم القيـان والمعـازف، وهـم يشربـون الخمـور، فلـما رأى أبـو سـفيان أنـه قـد أحـرز مـا معـه، كتـب إليهـم: إني قـد أحـرزت أموالكـم فارجعـوا، فقـال أبـو جهـل: والله لا نفعـل حتـى نَـرِدَ بـدرًا فنقيـم ثلاثًـا، وننحـر الجـزر، ونطعـم الطعـام، ونسـقي الخمور، [٣٠٩/ ب] وتسـمع بنـا العـرب، فـلا[١] يزالـون يهابونـا[٢].

فسـاروا إلى بـدر، فكانـت الوقعـة، فسُـقوا كـؤوس المنايـا مـكان الخمـر، وناحـت عليهـم النوائـح مـكان القيـان.

فأما البطر فهو الطغيان في النعم، وترك شكرها.

والرياء: العمل من أجل رؤية الناس.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هاهنا: دينه.

قولـه تعَـالَى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفـال: ٤٨].

(١) في (ف): (ولا).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٤).

قوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدَّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعًا[١].

وفي المراد بـ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: شركهم.

والثاني: مسيرهم إلى بدر.

والثالث: قتالهم لرسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ أي: صارتا بحيث رأت إحداهما الأخرى.

وفي المراد بالفئتين قولان:

أحدهما: فئة المسلمين، وفئة المشركين، وهو قول الجمهور.

والثاني: فئة المسلمين، وفئة الملائكة، ذكره الماوردي[٢].

قوله: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٢٢) من رواية يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير به.

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٥).

قال أبو عبيدة: رجع من حيث جاء[١].

وقال ابن قتيبة: رجع القهقري[٢].

قال ابن السائب: كان إبليس في صفِّ المشركين على صورة سراقة، آخذًا بيد الحارث بن هشام، فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفرارًا من غير قتال؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾، فلما هُزم المشركون، قالوا: هَزَمَ الناسَ سراقةُ، فبلغه ذلك، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم[٣].

قال قتادة: صدق عدوُّ الله في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾، ذُكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوَّة له بهم[٤].

وقال عطاء: معناه: إني أخاف الله أن يهلكني[٥].

وقال ابن الأنباري: لما رأى نزول الملائكة، خاف أن تكون القيامة فيكون انتهاء إنظاره فيقع به العذاب.

ومعنى ﴿نَكَصَ﴾ رجع هاربًا بخزي وذلٍّ.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن(ص:١٧٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٩٠) من رواية الكلبي عن ابن عباس به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٢٣) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٦٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٩٢).

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ هل هو ابتداء كلام، أو تمام الحكاية عن إبليس، على قولين.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

قال ابن عباس: هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج(١).

فأما «الذين في قلوبهم مرض» ففيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قوم كانوا قد تكلَّموا بالإسلام بمكة فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كُرهًا، فلما رأوا قلَّة المسلمين وكثرة المشركين [٣١٠/أ] ارتابوا ونافقوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وإليه ذهب الشعبي في آخرين.

وعدَّهم مقاتل فقال: كانوا سبعة: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة(٢).

---

(١) في تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٧١٦) عن ابن عباس: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٤٩]، وهم يومئذ في المسلمين. وفي التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ١٩٣): «قال ابن عباس في رواية عطاء: المنافقون من الأوس والخزرج».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٠).

والثاني: أنهم المشركون، لما رأوا قلة المسلمين، قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن.

والثالث: أنهم قوم مرتابون، لم يظهروا عداوة النبي ﷺ، ذكره الماوردي[١].

والمرض هاهنا: الشَّكُّ.

والإشارة بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى المسلمين، وإنما قالوا هذا، لأنهم رأوا قلَّة المسلمين، فلم يشكُّوا في أن قريشًا تغلبهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قرأ الجمهور: «يتوفى» بالياء.

وقرأ ابن عامر: «تتوفى» بتاءين[٢].

قال المفسرون: نزلت في الرهط الذين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾.

وفي المراد بالملائكة ثلاثة أقوال:

أحدها: ملك الموت وحده، قاله مقاتل[٣].

والثاني: ملائكة العذاب، قاله أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٧)، والحجة (٤/ ١٥٩)، والمبسوط (ص:٢٢١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٠)، والتحصيل (٣/ ٢٠٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢١).

والثالث: الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر، ذكره الماوردي[1].

وفي قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ **أربعة أقوال**:

أحدها: يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا.

والثاني: أنهم جاءوهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فالذين أمامهم ضربوا وجوههم، والذين وراءهم ضربوا أدبارهم.

والثالث: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا لقوهم، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار.

والرابع: أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت بسياط من نار.

وهل المراد نفس الوجوه والأدبار، أم المراد ما أقبل من أبدانهم وأدبر؟ فيه قولان.

وفي قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنه في الدنيا، وفيه إضمار «يقولون»، فالمعنى: يضربون ويقولون، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة:١٢٧] أي: ويقولان.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٦).

قال النابغة[١]: [من الوافر]

كَأَنَّـكَ مِـنْ جِمَـالِ بَنِـي أُقَيْـشٍ　　　يُقَعْقَـعُ خَلْـفَ رِجْلَيْـهِ بِشَـنِّ

والمعنـى: كأنَّـك جمـل مـن جمـال لبنـي أقيـش، هـذا قـول الفـراء، وأبي عبيـدة[٢].

والثـاني: أن الـضرب لهـم في الدنيـا، فـإذا وردوا يـوم القيامـة إلى النـار، قـال خزنتهـا: ذوقـوا عـذاب الحريـق، هـذا قـول مقاتـل[٣].

قولـه تَعَـالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٥١﴾ [الأنفـال: ٥١].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي: بما كسبتم من قبائح أعمالكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ لا يظلـم عبـاده بعقوبتهـم عـلى الكفـر، وإن كان كفرهـم بقضائـه، لأنـه مالـك، فلـه التَّـصرُّف في ملكـه كـما شـاء فيسـتحيل [٣١٠/ ب] نسـبة الظلـم إليـه.

---

(١) البيـت للنابغـة الذبيـاني في ديوانـه (ص ١٢٦)، والكتاب ٢/ ٣٤٥، ومجاز القرآن (ص:٢٤٧)، وشرح أبيـات سـيبويه (٢/ ٥٨)، وشرح المفصـل (٣/ ٥٩)، ولسـان العـرب (٦/ ٣٧٣) مـادة (وقـش)، والمقاصـد النحويَّـة (٤/ ٦٧)، وخزانـة الأدب (٥/ ٦٧، ٦٩)، وبـلا نسـبة في سر صناعـة الإعـراب (١/ ٢٨٤)، وشرح الأشـموني (٢/ ٤٠١)، وشرح المفصـل (١/ ٦١)، ولسـان العـرب (٤/ ٢٣١) مـادة (خـدر)، والمقتضـب (٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢١).

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٥٢﴾ [الأنفال: ٥٢].

قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كعادتهم.

والمعنى: كذَّب هؤلاء كما كذَّب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك.

قال ابن عباس: أيقن آل فرعون أن موسى نبيُّ الله وكذَّبوه[١]، فكذلك هؤلاء في حق محمد ﷺ[٢].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ [الأنفال: ٥٣].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: ذلك الأخذ والعقاب بأن الله ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟﴾ بالكفران وترك الشكر.

قال مقاتل: والمراد بالقوم هاهنا أهل مكة، أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ثم بعث فيهم محمدًا ﷺ، فلم يعرفوا المنعم عليهم، فغيَّر الله ما بهم[٣].

---

(١) في (ف)، و(ر): (فكذبوه).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (٥/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٣٠) عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «كصنع آل فرعون».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢١).

وقال السدي: كذَّبوا بمحمد، فنقله الله[١] إلى الأنصار[٢].

قال أبو سليمان الخطابي: والقوي يكون بمعنى القادر، فمن قوي على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه: التَّامُّ القُوَّة الذي لا يستولي عليه العجز في حال، والمخلوق وإن وُصف بالقُوَّة فقوَّته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة[٣].

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ۝٥٤﴾ [الأنفال: ٥٤].

قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذَّب أهل مكة بمحمد والقرآن، كما كذب آل فرعون بموسى والتوراة، وكذَّب مَنْ قبلهم بأنبيائهم.

قال مكي بن أبي طالب: الكاف في ﴿كَدَأْبِ﴾ في موضع نصب، نعت لمحذوف تقديره: غيَّرنا بهم لما غيروا تغييرًا مثل عادتنا في آل فرعون، ومثلها الآية الأولى، إلا أن الأولى للعادة في العذاب تقديره: فعلنا بهم ذلك فعلًا مثل عادتنا في آل فرعون[٤].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧١٨) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص:٧٧).

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٢٨٥١).

قولـه: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ يعنـي الأمـم المتقدمـة، بعضهـم بالرجفـة، وبعضهم بالريـح، فكذلـك أهلكنـا كفـار مكـة ببـدر.

وقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ الذين أهلكوا ببدر.

قولـه تعَـالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾ [الأنفـال: ٥٥].

قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قـال أبـو صالـح عـن ابـن عبـاس: نزلـت في بنـي قريظـة مـن اليهـود، منهـم كعـب بـن الأشرف وأصحابـه[1].

قولـه تعَـالَى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾ [الأنفـال: ٥٦].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾.

في «مِنْ» أربعة أقوال:

أحدها: أنها صلة، والمعنى: الذين عاهدتهم.

والثـاني: أنهـا للتبعيـض، فالمعنـى: إن شرَّ الـدواب الكفـار، وشرُّهـم الذيـن عاهـدت ونقضـوا.

والثالث: أنها بمعنى «مع»، والمعنى: عاهدت معهم.

---

(١) لم نقف عليه.

والرابع: أنها دخلت، لأن العهد أُخذ منهم.

قوله: ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ أي: كلما عاهدتهم نقضوا.

وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ قولان:

أحدهما: لا يتّقون نقض العهد.

والثاني: لا يتّقون الله في نقض العهد. [٣١١/أ]

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا ومالؤوا الكفار يوم الخندق، وكتب كعب بن الأشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ.

قوله تَعَالَى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٧].

قوله: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾.

قال أبو عبيدة: مجازه: فإن تثقفنّهم(١).

فعلى قوله، تكون «ما» زائدة.

وقد سبق بيان ﴿ فَإِمَّا ﴾ في «البقرة»(٢).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٨).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٨).

قال ابن قتيبة: فمعنى ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تظفر بهم(١).

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم فعلًا من العقوبة والتنكيل يتفرَّق به من وراءهم من أعدائك.

قال: ويقال: شرِّد بهم، أي: سمِّع بهم، بلغة قريش(٢).

قال الشاعر(٣): [من الوافر]

أُطَوِّفُ فِي الأَبَاطِحِ كُلَّ يَوْمٍ مَخَافَةَ أَنْ يُشَرِّدَ بِي حَكِيمُ

وقال ابن عباس: نَكِّل بهم تنكيلًا يشرد غيرهم من ناقضي العهد، لعلَّهم يذكرون النَّكال فلا ينقضون العهد(٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٣) البيت بلا نسبة كما في العين (٦/ ٢٤٢)، والزاهر (١/ ٤١٥)، وشمس العلوم (٦/ ٣٤٤٦)، ومتخير الألفاظ (ص:٦٠)، الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٩٨٥)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٢٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٣٧) مادة (شرد)، وأُطَوِّفُ: أي: أَطُوفُ. وأن يُشَرِّد بي: أي: أن يُسَمِّعَ بِي. وحَكِيمٌ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْم كَانَتْ قُرَيْشٌ وَلَّتْهُ الأَخذ عَلَى أَيدي السُّفَهَاءِ. لسان العرب (٣/ ٢٣٧).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٠٧).

قال المفسرون: الخوف هاهنا بمعنى العلم، والمعنى: إن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانة، وهي نقض عهد.

وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة(١).

وفي قوله: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ **أربعة أقوال:**

أحدها: فألقِ إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنَّقض سواء، وهذا قول الأكثرين، واختاره الفراء(٢)، وابن قتيبة(٣)، وأبو عبيدة(٤).

والثاني: فانبذ إليهم جهرًا غير سرٍّ، ذكره الفراء أيضًا في آخرين.

والثالث: فانبذ إليهم على مهل، قاله الوليد بن مُسلم.

والرابع: فانبذ إليهم على عدل من غير حيف.

وأنشدوا(٥): [من الرجز]

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الْغُدَّرِ الْأَعْدَاءِ   حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ

ذكره أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٢) لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد به.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤١٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٨٠).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٤٩).

(٥) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١١/ ٢٤٠)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ١٨٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنفال: ٥٩].

قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ولا تحسِبن» بالتاء وكسر السين، إلا أن عاصمًا فتح السين.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: بالياء وفتح السين[1].

وفي الكافرين هاهنا قولان:

أحدهما: جميع الكفار، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين انهزموا يوم بدر، ذكره محمد بن القاسم النحوي وغيره.

و﴿سَبَقُوٓا۟﴾ بمعنى فاتوا.

قال ابن الأنباري: وذلك أنهم أشفقوا من هلكة تنزل بهم في بعض الأوقات فلما سلموا منها، قيل: لا تحسبنَّ أنهم فاتونا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزونا، أي: لا يفوتونا فيما يستقبلون من الأوقات.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

قرأ الجمهور: بكسر الألف.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢١٩، ٢٢٠، ٣٠٧)، والحجة (٣/ ١٠٠، ١٠١)، و(٤/ ١٥٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٤).

وقرأ ابن عامر: بفتحها[١]، وعلى قراءته اعتراض. [٣١١/ ب]

لقائل أن يقول: إذا كان قد قرأ «يحسبن» بالياء، وقرأ «أنهم» بالفتح، فقد أقرَّهم على أنهم لا يُعجزون، ومتى علموا أنهم لا يعجزون، لم يلاموا.

فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: المعنى: «لا يحسبن الذين كفروا سبقوا» لا يَحسِبُنَّ أنهم يعجزون، و«لا» زائدة مؤكدة.

وقال أبو علي: المعنى: لا يحسبنَّ الذين كفروا أنفسَهم سبقوا وآباءَهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون، فهم يُجزَون على كفرهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾.

في المراد بالقوة أربعة أقوال:

أحدها: أنها الرَّمي، رواه عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠٨)، والحجة (٤/ ١٥٧)، والمبسوط (ص:٢٢٢)، والتيسير (ص:١١٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٥).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٥٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٩١٧) عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».

وقال الحكم بن أبان: هي النَّبْل.

والثاني: ذكور الخيل، قاله عكرمة.

والثالث: السلاح، قاله السدي، وابن قتيبة(١).

والرابع: أنه كل ما يُتقوَّى به على حرب العدو من آلة الجهاد.

قوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ يعني ربطها واقتناءها للغزو، وهو عام في الذكور والإناث في قول الجمهور.

وكان عكرمة يقول: المراد بقوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ إناثها(٢).

قوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾.

روى رويس، وعبد الوارث: «تُرَهِّبُون» بفتح الراء وتشديد الهاء(٣).

أي: تخيفون وترعبون به عدو الله وعدوكم، وهم مشركو مكة وكفار العرب.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٢٢) من رواية شعبة بن دينار، عن عكرمة به.

(٣) في التحصيل (٣/ ٢٠٦) نسبها لزر بن حُبيش، قال: «ورُويت عن أبي عمرو، ورواها عنه عبيد»، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠١) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٦) قال: «قرأ الحسن ويعقوب: «ترهِّبون» بفتح الراء وشد الهاء معدًّى بالتضعيف، ورويت عن أبي عمرو بن العلاء»، وفي المبسوط (ص:٢٢٢): «قرأ يعقوب برواية رويس «تُرَهِّبُونَ بِهِ» بفتح الراء وتشديد الهاء»، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٤٤) قال: «قرأ الحسن ويعقوب وابن عقيل لأبي عمرو».

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي: من دون كفار العرب.

واختلفوا فيهم على خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الجن.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هُمُ الجِنُّ، فَإِنَّ الشَّيطَانَ لَا يُخَبِّلُ أَحَدًا فِي دَارِهِ فَرَسٌ عَتِيقٌ**»(١).

والثاني: أنهم بنو قريظة، قاله مجاهد.

والثالث: أهل فارس، قاله السدي.

والرابع: المنافقون، قاله ابن زيد.

والخامس: اليهود، قاله مقاتل(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ [الأنفال: ٦١].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٢٣)، والطبراني في معجمه الكبير (١٧/ ١٨٩) (٥٠٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٤٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٦٩٦)، والحارث في مسنده كما في بغية الباحث للهيثمي (٦٥٢) من رواية يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ.
قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧) (١١٠٣٠): «رواه الطبراني، وفيه مجاهيل».
وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤/ ٨٢): «وهذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٣).

قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾.

قرأ أبو بكر عن عاصم: «للسِّلم» بكسر السين[١].

قال الزَّجَّاج: السَّلْم: الصلح والمسالمة. يقال: سَلْم وسِلْم وسَلَم في معنى واحد، أي: إن مالوا إلى الصلح فمِل إليه[٢].

قال الفراء: إن شئت جعلت ﴿لَهَا﴾ كناية عن السَّلم لأنها تؤنَّث، وإن شئت جعلتها للفعلة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] [الأعراف:١٥٣].

فإن قيل: لم قال: ﴿لَهَا﴾ ولم يقل: «إليها»؟

فالجواب: أن «اللام» و«إلى» تنوب كل واحدة منهما عن الأخرى.

وفيمن أريد بهذه الآية قولان:

أحدهما: المشركون، وأنها نسخت بآية السيف.

والثاني: أهل الكتاب.

فإن قيل: إنَّها نزلت في ترك حربهم إذا بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة، فهي محكمة، وإن قيل: نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجَّه النَّسخ لها بآية الجزية.

---

(١) انظر: السبعة (ص:١٨٠، ٣٠٨)، والحجة (٢/ ٢٩٢)، و(٤/ ١٥٨)، والمبسوط (ص:٢٢٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٢).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤١٦).

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾.

قال مقاتل: يعني يهود قريظة ﴿أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانوهم عليك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾[1]. [٣١٢/أ]

قال الزَّجَّاج: فإن الذي يتولَّى كفايتك الله ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ﴾ أي: قوَّاك[2].

وقال مقاتل: قوَّاك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر[3].

قوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ يعني الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانت بينهم عداوة في الجاهلية، فألَّف الله بينهم بالإسلام.

وهذا من أعجب الآيات، لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة، فلو أن رجلًا لطم رجلًا، لقاتلت عنه قبيلته حتى تدركَ ثأره، فآل بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٤).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

قوله: ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: حسبُك اللهُ، وحسبُ من اتَّبَعَكَ، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل[١]، والأكثرون.

والثاني: حسبُك اللهُ ومتَّبِعُوكَ، قاله مجاهد.

وعن الشعبي كالقولين.

وأجاز الفراء[٢]، والزَّجَّاج[٣]، الوجهين.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون، ثم أسلم عمر فصاروا أربعين، فنزلت هذه الآية[٤].

قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤١٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٣).

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٦٠) (١٢٤٧٠) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨) (١١٠٣٢): «رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب».

والقول الأول أصح.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

قوله: ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

قال الزَّجَّاج: تأويله: حُثَّهم(١).

وتأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حثًّا يعلم معه أنه حارض إن تخلَّف عنه، والحارض: الذي قد قارب الهلاك.

قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾.

لفظُ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضًا في أول الأمر، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ ففرض على الرجل أن يثبت لرجلين، فإن زادوا جاز له الفرار.

قال مجاهد: وهذا التشديد كان في يوم بدر(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٣).

(٢) قال الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٣٢): «قال مجاهد: وهذا يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين؛ فشقَّ ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾».

واتفق القراء على قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ﴾ فقرؤوا «يكن» بالياء.

واختلفوا في قوله: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾، وفي قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ﴾.

فقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: بالتاء فيهما.

وقرأهما عاصم، وحمزة، والكسائي: بالياء.

وقرأ أبو عمرو: «يكن منكم مائة يغلبوا» بالياء، «فإن تكن منكم مائة صابرة» بالتاء[1].

قال الزَّجَّاج: من أَنَّث، فللفظ المائة، ومن ذكَّر، فلأن المائة وقعت على عدد مذكر[2].

وقال أبو علي[3]: من قرأ بالياء، فلأنه أريد منه المذكر، بدليل قوله تعالى: ﴿يَغْلِبُوا۟﴾، وكذلك المائة الصابرة هم رجال، فقرؤوها بالياء، لموضع التذكير.

فأما أبو عمرو، فإنه لمَّا رأى صفة المائة مؤنَّثة بقوله تعالى: ﴿صَابِرَةٌ﴾ أَنَّث الفعل، ولما رأى ﴿يَغْلِبُوا۟﴾ مذكرًا، ذكَّر.

ومعنى الكلام: إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند اللقاء، يغلبوا مائتين، لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم، وأهل الشرك يقاتلون على

(١) انظر: الحجة (٤/ ١٥٩-١٦٠)، والتيسير (ص:١١٧)، والتحصيل (٣/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٤).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ١٦٠).

غير احتساب ولا طلب ثواب، فإذا صَدَقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا، [٣١٢/ب] وذلك معنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله: ﴿وَعَلِمَ﴾

وروى المفضل: «وعُلم» بضمِّ العين(١).

﴿أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «ضُعْفًا» بضم الضاد.

وقرأ عاصم، وحمزة: بفتح الضاد.

وكذلك خلافهم في «الروم»(٢).

قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم.

قال الزَّجَّاج: والمعنى في القراءتين واحد، يقال: هو الضَّعف والضُّعف، والمَكث والمُكث، والفَقر والفُقر، وفي اللغة كثير من باب فَعْل وفُعْل، والمعنى واحد(٣).

---

(١) في التحصيل (٣/ ٢٠٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥١)، والبحر المحيط (٥/ ٣٥١) ثلاثتهم نسبوها للمفضل عن عاصم، وفي إعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٦٠٣) بلا نسبة.

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٠٨)، الحجة (٤/ ١٦١)، و(٥/ ٤٥٠)، والمبسوط (ص:٢٢٢، ٢٢٣، ٣٥٠)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥١)، والتحصيل (٣/ ٢٠٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٤).

وقرأ أبو جعفر: «وعلمَ أن فيكم ضُعَفَاءَ» على فُعَلاءَ[١].

فأما قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فهو إعلام بأن الغلبة لا تقع إلا بإرادته.

قوله تعالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

روى مسلم في أفراده من حديث عمر بن الخطاب قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقُتل منهم سبعون وأسر سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا. فقال رسول الله: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان -قريبٌ لعمر- فأضرب عنقه، وتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخيه فلان فيضرِب عنقه، حتى يعلمَ الله ﷻ أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهَوِيَ رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد، غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكَيت، وإن لم أجد بكاءً

(١) انظر: المبسوط (ص:٢٢٢).

تباكيت. فقال النبي ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» لشجرة قريبة، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾[1].

وروي عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم وفاداهم رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ [الأنفال:٦٧] إلى قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، فلقي النبي ﷺ عمر فقال: «كَادَ يُصِيبُنَا فِي خِلَافِكَ بَلَاءٌ»[2].

فأما الأسرى، فهو جمع أسير، وقد ذكرناه في «سورة البقرة»[3].

والجمهور قرءوا: ﴿أَن يَكُونَ﴾ بالياء، لأن الأسرى مذكَّر.

وقرأ أبو عمرو: «أن تكون»[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٧٠) من رواية مجاهد، عن ابن عمر ﷺ، قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلِّ سبيلهم. فاستشار عمر فقال: اقتلهم. قال: ففداهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] قال: فلقي النبي ﷺ عمر قال: «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء».
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٨٥).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣٠٩)، والحجة (٤/ ١٦٢)، والمبسوط (ص:٢٢٣)، والتحصيل (٣/ ٢٠٧).

[٣١٣/أ] قال أبو علي: أنَّثَ على لفظ الأسرى، لأن الأسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنَّث اللفظ[١].

والأكثرون قرءوا: «أسرى» وكذلك: ﴿لِّمَن فِىٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقرأ أبو جعفر، والمفضل: «أُسارى» في الموضعين، ووافقهما أبو عمرو، وأبان في الثاني[٢].

قال الزَّجَّاج: والإثخان في كل شيء: قُوَّة الشيء وشِدَّته. يقال: قد أثخنه المرض: إذا اشتدت قُوَّته عليه، والمعنى: حتى يبالغ في قتل أعدائه[٣].

ويجوز أن يكون المعنى: حتى يتمكن في الأرض.

قال المفسرون: معنى الآية: ما كان لنبي أن يحبس كافرًا قدر عليه للفداء أو المن قبل الإثخان في الأرض، وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله ﷺ، ولم يكن قد أثخن في الأرض بعد.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهو المال، وكان أصحاب رسول الله ﷺ قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ١٦٢).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٩)، والحجة (٤/ ١٦٣)، والمبسوط (ص:٢٢٤،٢٢٣)، والتحصيل (٣/ ٢٠٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٥).

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ **قولان:**

أحدهما: يريد لكم الجنة، قاله ابن عباس.

والثاني: يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة، ذكره الماوردي(١).

فَصْلٌ

وقد روي عن ابن عباس(٢)، ومجاهد(٣) في آخرين: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ {محمد: ٤}، وليس للنسخ وجه، لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قِلَّةٌ، فلما كثروا واشتدَّ سلطانُهم، نزلت الآية الأخرى، ويبيِّن هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

قوله تَعالَى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨].

قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾.

في معناه خمسة أقوال:

أحدها: لولا أن الله كتب في أمِّ الكتاب أنه سيُحِلُّ لكم الغنائم لمسَّكم فيما تعجَّلتم من المغانم والفداء يوم بدر قبل أن تُؤمروا بذلك

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٣٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٣٢) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٧٣) من رواية خصيف، عن مجاهد.

عـذابٌ عظيـم، روى هـذا المعنـى عـلي بـن أبي طلحـة عـن ابـن عبـاس، وبـه قـال مقاتـل[١].

وقال أبو هريرة: تعجَّل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية[٢].

والثـاني: لـولا كتـاب مـن الله سـبق أنَّـه لا يعـذِّب مـن أتـى ذنبًـا عـلى جهالـةٍ لعوقبتـم، روى هـذا المعنـى عطـاء عـن ابـن عبـاس، وابـن جريـج عـن مجاهـد.

وقـال ابـن إسـحاق: سـبق أن لا أعـذِّب إلا بعـدَ النهـي، ولم يكـن نهاهـم[٣].

والثالـث: لـولا مـا سـبق لأهـل بـدر أن الله لا يعذِّبهـم، لعُذِّبتـم، قالـه الحسـن، وابـن جبـير، وابـن أبي نجيـح عـن مجاهـد.

والرابـع: لـولا كتـاب مـن الله سـبق مـن أنـه يغفـر لمـن عمـل الخطايـا ثـم علـم مـا عليـه فتـاب، ذكـره الزَّجَّـاج.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٦).

(٢) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥/ ١٧٣٣) مـن روايـة الأعمـش، عـن أبي صالـح، عـن أبي هريـرة ﷺ.

وقـد عـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٠٨) كذلـك: لابـن أبي شـيبة في المصنـف، والترمـذي وصححـه، والنسـائي، وابـن المنـذر، وأبي الشـيخ، وابـن مردويـه، والبيهقـي في سـننه.

(٣) انظـر: السـير والمغـازي؛ لابـن إسـحاق (ص:٣٠٧)، وقـد ذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٠/ ٢٥٨)، والمـاوردي في النكـت والعيـون (٢/ ٣٣٣).

والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعُذِّبتم، ذكره الماوردي[١].

فيخرَّج في الكتاب قولان:

أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

والثاني: أنه القرآن.

والثاني: أنه بمعنى القضاء.

قوله تعالَى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٩، ٧٠].

قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾. [٣١٣/ ب]

قال الزَّجَّاج: الفاء للجزاء، والمعنى: قد أحللت لكم الفداء فكلوا، والحلال منصوب على الحال[٢].

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٣٣).

(٢) لم أقف على كلامه هذا في كتابه: (معاني القرآن وإعرابه)، وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٦٠) وعزاه للزجاج.

قال مقاتل: إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حِلِّها، رحيم بكم إذْ أحَلَّها لكم، فجعل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وخبَّاب بنَ الأرتِّ يوم بدر على القبض، وقسمها النبي ﷺ بالمدينة، وانطلق بالأسارى، فيهم العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مع العباس يومئذ عشرون أوقية من ذهب، فلم تحسب له من فدائه، وكلِّف أن يفدي ابني أخيه، فأدَّى عنهما ثمانين أوقية من ذهب، وقال النبي ﷺ: «أَضْعِفُوا عَلَى الْعَبَّاسِ الْفِدَاءَ» فأخذوا منه ثمانين أوقية، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية، فقال العباس لرسول الله: لقد تركتني ما حييت أسأل قريشًا بكفِّي. فقال له: «أَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي تَرَكْتَهُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ؟» فقال: أي الذهب؟ فقال: «إِنَّكَ قُلْتَ لَهَا: إِنِّي لَا أَدْرِي مَا يُصِيبُنِي فِي وَجْهِي هَذَا، فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ، فَهُوَ لَكِ وَلِوَلَدِكِ» فقال: ابن أخي، مَن أخبرك؟ فقال: «اللهُ أَخْبَرَنِي»، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم، وأمر ابني أخيه فأسلما، وفيهم نزلت: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ الآية[١].

وروى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من أُسر يوم بدر[٢].

وقال ابن زيد: لما بُعِثَ رسول الله ﷺ أتاه رجالٌ، فقالوا: لولا أنَّا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا، ولكنَّا نشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسولُ الله. فلما كان يوم بدر، قال المشركون: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٦) من رواية العوفي عن ابن عباس به.

واستحللنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقُتلت طائفة منهم وأُسرت طائفة. فأما الذين قُتلوا، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]. وأما الذين أُسروا فقالوا: يا رسول الله أنت تعلم أنا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفًا منهم، فذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فأما قوله: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ فمعناه إسلامًا وصدقًا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء.

وفيه قولان:

أحدهما: أكثر مما أُخذ منكم.

والثاني: أحلُّ وأطيب.

وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن أبي عبلة: «مما أَخَذ منكم» بفتح الخاء يشيرون إلى الله تعالى[2].

وفي قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: يغفر لكم كفركم وقتالكم رسول الله ﷺ، قاله الزَّجَّاج.

والثاني: يغفر لكم خروجكم مع المشركين، قاله ابن زيد في تمام كلامه الأول.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٨٧) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٢) في التحصيل (٣/ ٢٠٧) نسبها لمجاهد، وشيبة، وقال: «ورُويت عن أبان عن عاصم».

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧١، ٧٢].

[٣١٤/أ] قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ يعني: إن أراد الأُسراء خيانتك بالكفر بعد الإسلام.

﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ إذ كفروا به قبل أسرهم.

وقال ابن زيد: فقد خانوا بخروجهم مع المشركين[١].

وقد ذكرنا عنه أنها نزلت في قوم تكلَّموا بالإسلام.

وقال مقاتل: المعنى: إن خانوك أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما أمكنتُك ببدر[٢].

قال الزَّجَّاج: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخيانة إن خانوها، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره عليهم ومجازاته إياهم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٨٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٨).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ يعني: الأنصار، آووا رسولَ الله ﷺ، وأسكنوا المهاجرين ديارهم، ونصروهم على أعدائهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في النصرة.

والثاني: في الميراث.

قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: «وَلايتهم» بفتح الواو.

وقرأ حمزة: بكسر الواو[١].

قال الزَّجَّاج: المعنى: ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا[٢].

ومن كسر واو الولاية، فهي بمنزلة الإمارة، وإذا فتحت، فهي من النصرة.

وقال يونس النحوي: الولاية، بالفتح، لله ﷻ، والوِلاية من وُلِّيت الأمر[٣].

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠٩)، والحجة (٤/ ١٦٥)، والمبسوط (ص:٢٢٤)، والتيسير (ص:١١٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٥).

(٣) انظر: الحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي الفارسي (٥/ ١٥٠).

وقال أبو عبيدة: الوَلاية، بالفتح، للخالق، والوِلاية، للمخلوق(١).

قال ابن الأنباري: الوَلاية، بالفتح، مصدر الوليِّ، والوِلاية: مصدر الوالي، يقال: وليٌّ بين الوَلاية، ووالٍ بيِّن الوِلاية، فهذا هو الاختيار، ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا.

وقال ابن فارس: الوَلاية، بالفتح: النصرة، وقد تكسر، والوِلاية، بالكسر: السلطان.

فَصْلٌ

وذهب قوم إلى أن المراد بهذه الولاية موالاة النصر والمودَّة. قالوا: ونسخ هذا الحكم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١].

فأما القائلون بأنها ولاية الميراث، فقالوا: نسخت بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٥].

قوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

أي: إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد، فلا تغدروا بأرباب العهد.

وقال بعضهم: لم يكن على المهاجر أن ينصرَ من يهاجر إلَّا أن يستنصره.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥١).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٣، ٧٤].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: في الميراث، قاله ابن عباس.

والثاني: في النصرة، قاله قتادة.

وفي قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنها ترجع إلى الميراث، فالمعنى: إلَّا تأخذوا في الميراث بما [٣١٤/ب] أمرتكم، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه يرجع إلى التَّناصر، فالمعنى: إلَّا تتعاونوا وتتناصروا في الدين، قاله ابن جريج.

وبيانه: أنه إذا لم يتولَّ المؤمنُ المؤمنَ تولِّيًا حقًّا، ويتبرأ من الكافر جدًّا، أدَّى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين، فإذا هجر المسلم أقاربه الكفار، ونصر المسلمين، كان ذلك أدعى لأقاربه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

قوله: ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

قرأ أبو هريرة، وابن سيرين، وابن السَّمَيفَع: «كثير» بالثاء[(١)].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

أي: هم الذين حقَّقوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك.

والرزق الكريم: هو الحسن، وذلك في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من بعد المهاجرين الأولين.

قال ابن عباس: هم الذين هاجروا بعد الحديبية[(٢)].

---

(١) في المحرر الوجيز (٢/ ٥٥٧) قال: «وقرأ جمهور الناس «كبير» بالباء المنقوطة واحدة، وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي بالثاء منقوطة مثلثة»، وفي التحصيل (٣/ ٢٠٨) نسبها للشيرزي عن الكسائي، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٦) نسبها لعيسى بن سليمان الحجازي عن الكسائي، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٥) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٥٩) قال: «وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي: كثير بالثاء المثلثة».

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٧١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٦٠).

قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: في المواريث بالهجرة.

قال ابن عباس: آخى النبي ﷺ بين أصحابه، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية، فتوارثوا بالنسب[1].

قوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ.

والثاني: أنه القرآن.

وقد بيَّن لهم قسمة الميراث في «سورة النساء».

والثالث: أنه حكم الله، ذكره الزَّجَّاج.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

سورة براءة

فَصْلٌ في نزولها(١)

هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية:١٢٨] فإنها نزلت بمكة.

روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت براءة(٢).

وقد نُقل عن بعض العرب أنه سمع قارئًا يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهودًا تُنْبَذُ، وقضايا(٣) تُنَفَّذ(٤).

فَصْلٌ

واختلفوا في أول ما نزل من «براءة» على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل منها قوله: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾ [الآية:٢٥] قاله مجاهد.

---

(١) قوله: (فَصْلٌ في نزولها)، ليس في (ر).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٣٦٤، ٤٦٠٥، ٤٦٥٤) عن البراء ﷺ.

(٣) في (ف)، و(ر): (ووصايا).

(٤) وفي المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ٣): «وحكى عمران بن جدير أن أعرابيًّا سمع سورة براءة، فقال: أظن هذه من آخر ما أنزل الله على رسوله، فقيل له: لم تقول ذلك؟ فقال: أرى أشياء تنقص وعهودًا تنبذ».

والثـاني: ﴿ٱنفِـرُواْ خِفَافًا وَثِقَـالًا ﴾[الآية:٤١]، قالـه أبـو الضحـى، وأبـو مالـك.

والثالث: ﴿إِلَّا تَنصُـرُوهُ ﴾[الآية:٤٠]، قاله مقاتل[1].

وهـذا الخـلاف إنـما هـو في أول مـا نـزل منهـا بالمدينـة، فإنهـم قـد قالـوا: نزلـت الآيتـان اللتـان في آخرهـا بمكـة.

فَصْلٌ

ولها تسعة أسماء:

أحدها: سورة التوبة.

والثاني: براءة، وهذان مشهوران بين الناس.

والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة.

والرابع: المُقَشْقِشَة، قاله ابن عمر.

والخامـس: سـورة البحـوث، لأنهـا بحثـت عـن سرائـر المنافقـين، قالـه المقـداد بـن الأسـود.

والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس.

والسـابع: المبعثِـرة، لأنهـا بعثـرت أخبـار النـاس وكشـفت عـن سرائرهم، قالـه الحـارث بـن يزيـد، وابن إسـحاق. [٣١٥/أ]

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧١).

والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة.

والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزَّجَّاج(١).

فَصْلٌ

وفي سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ثلاثة أقوال:

أحدها: رواه ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى «الأنفال» وهي من المثاني، وإلى «براءة» وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»؟ فقال: كان رسول الله ﷺ إذا أُنزل عليه الشيء يدعو بعض مَن يكتب، فيقول: «**ضَعُوا هَذَا فِي أَوَّلِ**(٢) **السُّورةِ الَّتي يُذْكَرُ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا**»، وكانت «الأنفال» من أوائل ما نزل بالمدينة، و«براءة» من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقُبِض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنها منها، فظننا أنها منها فمن ثَمَّ قرنتُ بينهما ولم أكتب بينهما: «بسم الله الرحمن الرحيم»(٣).

وذُكر نحو هذا المعنى عن أُبَيِّ بن كعب.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٧).

(٢) ليست في (ف)، و(ر).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٩٨)، وأحمد في مسنده (٣٩٩، ٤٩٩)، والحاكم في مستدركه (٢٨٧٥) وغيرهم من رواية يزيد الفارسي، عن ابن عباس به.
وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٩) لابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن أبي داود في المصاحف، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل.

قال الزَّجَّاج: والشبه الذي بينهما، أن في «الأنفال» ذكر العهود، وفي «براءة» نقضها[(١)][(٢)].

وكان قتادة يقول: هما سورة واحدة[(٣)].

والثاني: رواه محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي: لِمَ لم تكتبوا في «براءة» «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: يا بنيَّ، إن «براءة» نزلت بالسيف، وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمانٌ[(٤)].

وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين[(٥)].

والثالث: أن رسول الله ﷺ، لما كتب في صلح الحديبية: «بسم الله الرحمن الرحيم»، لم يقبلوها وردُّوها، فما ردَّها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكي.

---

(١) في (ف): (بعضها).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٧٩).

(٤) لم نقف عليه عن محمد ابن الحنفية، وإنما عن ابن عباس ﷺ قال: «سألت علي بن أبي طالب ﷺ لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف».

وقد رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٧٣) من رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه به.

وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٢) لأبي الشيخ، وابن مردويه.

وذكره الواحدي في التفسير البسيط(١٠/ ٢٧٨)، وعزاه لابن عباس أيضًا.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٧٨).

فَصْلٌ

فأما سبب نزولها:

فقال المفسرون: أخذت العرب تنقض عهودًا بَنَتْها مع رسول الله ﷺ، فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل براءة في سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة، وبعث معه صدرًا من «براءة» ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا رسول الله ﷺ عليًّا، فقال: «**اخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِذَلِكَ**»، فخرج عليٌّ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، أُنزل في شأني شيء؟ قال: «**لَا، وَلَكِنْ لَا يُبَلِّغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنِّي، أَمَا تَرْضَى أَنَّكَ كُنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ، وَأَنَّكَ صَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ**»؟ قال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميرًا على الحج، وسار عليٌّ ليؤذن بـ «براءة»[(١)]. [٣١٥/ ب]

فَصْلٌ

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله ﷺ من أول «براءة» خمسة أقوال:

أحدها: أربعون آية، قاله عليٌّ.

والثاني: ثلاثون آية، قاله أبو هريرة.

والثالث: عشر آيات، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣١٦، ٣١٧).

والرابع: سبع آيات، رواه ابن جريج عن عطاء.

والخامس: تسع آيات، قاله مقاتل[١].

فَصْلٌ

فـإن توهَّـم مُتوهِّـمٌ أن في أخـذ «بـراءة» مـن أبي بكـر، وتسـليمها إلى عـليٍّ، تفضيـلًا لعـليٍّ عـلى أبي بكـر، فقـد جهـل؛ لأن النبـي ﷺ أجـرى العـرب في ذلـك عـلى عادتهـم.

قـال الزَّجَّـاج: وقـد جـرت عـادة العـرب في عقـد عهدهـا ونقضهـا، أن يتـولى ذلـك عـلى القبيلـة رجـل منهـا فـكان[٢] جائـزًا[٣] أن تقـول العـرب إذا تلا عليهـا نقـضَ العهـد مَن ليـس مـن رهـط النبـي ﷺ: هـذا خـلاف مـا نعـرف فينـا في نقـض العهـود، فـأزاح النبـي ﷺ العلَّـة بـما فعـل[٤].

وقـال عمـرو بـن بحـر: ليـس هـذا بتفضيـل لعـليٍّ عـلى أبي بكـر، وإنـما عاملهـم بعادتهـم المتعارفـة في حَـلِّ العقـد، وكان لا يتـولى ذلـك إلا السَّـيِّدُ منهـم، أو رجـل مـن رهطـه دَنِيًّـا، كأخ، أو عـمٍّ، وقـد كان أبـو بكـر في تلـك الحَجـة الإمـام، وعـليٌّ يأتـمُّ بـه، وأبـو بكـر الخطيـب، وعـليٌّ يسـتمع.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٥٤).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): (وجائز).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٨).

وقال أبو هريرة: بعثني أبو بكر في تلك الحجة مع المؤذِّنين الذين بعثهم يؤذِّنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فأذَّن معنا علي بـ «براءة» وبذلك الكلام[1].

وقال الشعبي: بعث رسول الله ﷺ عليًّا يؤذن بأربع كلمات: «**أَلَا لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، أَلَا وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، أَلَا وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُسْلِمٌ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ مُدَّةٌ فَأَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، وَاللهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**»[2].

فَصْلٌ

فأما التفسير:

قوله تعالَى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾ [التوبة: ١].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٣١)، والبخاري في صحيحه (٣٦٩)، ومسلم في صحيحه (١٣٤٧) من رواية حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ﷺ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣١٣)، والنسائي في المجتبى (٢٩٥٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٨٢٠)، والحاكم في مستدركه (٣٢٧٥) والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٨٢١) وغيرهم عن الشعبي، عن المحرر بن أبي هريرة، عن أبيه قال: جِئْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءَةَ، قَالَ: مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: «كُنَّا نُنَادِي إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ، فَأَجَلُهُ أَوْ أَمَدُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا مَضَتِ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، فَإِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَرَسُولُهُ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

فقوله: ﴿بَرَآءَةٌ﴾.

قال الفراء: هي مرفوعة بإضمار «هذه»، ومثله ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١](١).

وقال الزَّجَّاج: يقال: بَرِئْتُ من الرجل والدَّيْن براءةً، وبرئتُ من المرض وبرأتُ أيضًا أبرأُ برءًا، وقد رووا: برأت أبرأ بروءًا، ولم نجد في ما لامه همزة: فَعَلْتُ أفعل، إلا هذا الحرف، ويقال: بريت القلم، وكل شيء نحتَّه: أبريه بَرْيًا، غير مهموز(٢).

وقرأ أبو رجاء، ومورق، وابن يعمر: «براءةً» بالنصب(٣).

قال المفسرون: والبراءة هاهنا: قطع الموالاة، وارتفاع العصمة، وزوال الأمان.

والخطاب في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، والمراد رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي كان يتولَّى المعاهدة، وأصحابُه راضون، فكأنهم بالرضا عاهدوا أيضًا، وهذا عام في كل من عاهد رسول الله ﷺ. [٣١٦/أ]

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٢٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٨).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٦) نسبها لعيسى بن عمر، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٦) بلا نسبة.

وقال مقاتل: هم ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبنو مدلج، وبنو جذيمة[(١)(٢)].

قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة: ٢].

قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم منّا مكروه.

إن قال قائل: هذه مخاطبة شاهد، والآية الأولى إخبار عن غائب؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب.

قال عنترة[(٣)]: [من الكامل]

شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

---

(١) في (ف): (خزيمة).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٧/ ٣٥).

(٣) البيت لعنترة في ديوانه (ص ١٠٩)، ومجاز القرآن (ص:٢٥٢)، ولسان العرب (٧/ ٣٣٤) مادة (شطط)؛ وتاج العروس (١٩/ ٤١٥) مادة (شطط)، والأضداد (ص:١٣٥)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٤٤)، وشرح القصائد العشر؛ للتبريزي (ص:١٨٠)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٣/ ٤٢). ومعنى (شطت): أي جاوزت، يقال: شطت الدار تَشُطُّ وتَشِطُّ؛ إذا تباعدت، والمعنى: شطَّت عبلة مزار العاشقين، أي بعدت من مزارهم.

هذا قول أبي عبيدة(١).

والثاني: أن في الكلام إضمارًا، تقديره: فقل لهم: سيحوا في الأرض، أي: اذهبوا فيها، وأقبلوا، وأدبروا، وهذا قول الزَّجَّاج(٢).

واختلفوا فيمن جُعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال:

أحدها: أنها أمان لأصحاب العهد، فمن كان عهده أكثر منها، حُطَّ إليها، ومن كان عهده أقل منها، رفع إليها، ومن لم يكن له عهد، فأجله انسلاخ المحرَّم خمسون ليلة، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أنها للمشركين كافَّةً، مَنْ له عهد، ومَنْ ليس له عهد، قاله مجاهد، والزهري، والقرظي.

والثالث: أنها أجل لمن كان رسول الله ﷺ قد آمنه أقلَّ من أربعة أشهر، أو كان أمانه غير محدود، فأما من لا أمان له، فهو حرب، قاله ابن إسحاق.

والرابع: أنها أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد، فأما أرباب العهود، فهم على عهودهم إلى حين انقضاء مُددهم، قاله ابن السائب.

ويؤكده ما روي أن عليًّا نادى يومئذ: ومَن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فعهده إلى مدَّته.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٩).

وفي بعض الألفاظ: فأجله أربعة أشهر(١).

واختلفوا في مدة هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال:

أحدها: أنها الأشهر الحرم: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أولها يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وآخرها العاشر من ربيع الآخر، قاله مجاهد، والسدي، والقرظي.

والثالث: أنها شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، قاله الزهري.

قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا أضعف الأقوال، لأنه لو كان كذلك، لم يجز تأخير إعلامهم به إلى ذي القعدة(٢)، إذ كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام.

والرابع: أن أولها العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم، ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة، وفيها حجَّ رسول الله ﷺ وقال: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ**»(٣)، ذكره الماوردي(٤).

---

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٢) في (ف)، و(ر): (ذي الحجة).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٦٢)، ومسلم في صحيحه (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٣٨).

قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: وإن أُجِّلْتُمْ هذه الأربعة [٣١٦/ب] الأشهر فلن تفوتوا الله.

قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

قال الزَّجَّاج: الأجود فتح «أن» على معنى: اعلموا أن، ويجوز كسرها على الاستئناف، وهذا ضمان من الله نصرة المؤمنين على الكافرين[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [التوبة: ٣].

قوله: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ أي: إعلام، ومنه أذان الصلاة.

وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعكرمة، والجحدري، وابن يعمر: «وَإِذْنٌ» بكسر الهمزة وقصرها ساكنة الذال من غير ألف[٢].

قوله: ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: للناس. يقال: هذا إعلام لك، وإليك. والناس هاهنا عامٌّ في المؤمنين وفي المشركين.

وفي ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوم عرفة، قاله عمر بن الخطاب، وابن الزبير، وأبو جحيفة، وطاوس، وعطاء.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٩).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٦) نسبها ليزيد، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٧) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٦٧) نسبها للضحاك وعكرمة وأبي المتوكل.

والثاني: يوم النحر، قاله أبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن أبي أوفى، وابن المسيب، وابن جبير، وعكرمة، والشعبي، والنخعي، والزهري، وابن زيد، والسدي في آخرين.

وعن علي، وابن عباس، كالقولين.

والثالث: أنه أيام الحج كلُّها، فعبَّر عن الأيام باليوم، قاله سفيان الثوري.

قال سفيان: كما يقال: يوم بعاث، ويوم الجمل، ويوم صفِّين يراد به: أيام ذلك، لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أيامًا(١).

وعن مجاهد كالأقوال الثلاثة.

وفي تسميته بـ ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه سمَّاه بذلك؛ لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون، ووافق ذلك عيدَ اليهود والنصارى، قاله الحسن.

والثاني: أن الحج الأكبر: هو الحج، والأصغر: هو العمرة، قاله عطاء، والشعبي.

والثالث: أن الحج الأكبر: القِران، والأصغر: الإفراد، قاله مجاهد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٣٦) بلفظ مختصرٍ عن أبي عبيد، قال: كان سفيان يقول: «يوم الحج، ويوم الجمل، ويوم صفين: أي أيامه كلها».
وذكره بلفظه المطوَّل: الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٨٧).

قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ﴾.

وقرأ الحسن، ومجاهد، وابن يعمر: «إِن الله» بكسر الهمزة(١).

﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من عهد المشركين، فحذف المضاف.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ رفعٌ على الابتداء، وخبره مضمر على معنى: ورسوله أيضًا بريء.

وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر، وزيد عن يعقوب: «ورسولَه» بالنصب(٢).

ثم رجع إلى خطاب المشركين بقوله: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أي: رجعتم عن الشرك، ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان.

قوله تعالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة: ٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٦) نسبها للحسن، ويحيى، وإبراهيم، وعيسى، وفي التحصيل (٣/ ٢٢٩) نسبها للحسن، وغيره، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٦) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٧)، والبحر المحيط (٥/ ٣٦٧) كلاهما نسبها للحسن والأعرج.

(٢) في التحصيل (٣/ ٢٢٩) نسبها للحسن، وغيره، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٧) نسبها لابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٦٧) نسبها لابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وزيد بن علي.

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

قال أبو صالح عن ابن عباس: فلما قرأ عليٌّ «براءة»، قالت بنو ضمرة: ونحن مثلهم أيضًا؟ قال: لا، لأن الله تعالى قد استثناكم، ثم قرأ هذه الآية[١].

وقال مجاهد: هم قوم كان[٢] بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة، فأُمر أن يفي لهم[٣].

قال الزَّجَّاج: معنى الكلام: وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهود، إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوكم، فليسوا داخلين في البراءة ما لم ينقضوا العهد[٤].

[٣١٧/أ] قال القاضي أبو يعلى: وفصل الخطاب في هذا الباب: أنه قد كان بين رسول الله ﷺ وبين جميع المشركين عهد عامٌّ، وهو أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت، ولا يُخافَ أحد في الشهر الحرام، فجعل الله عهدهم أربعة أشهر، وكان بينه وبين أقوام منهم عهود إلى آجال مسمَّاة، فأُمر بالوفاء لهم وإتمام مدَّتهم إذا لم يخش غدرهم.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) ليست في (ف).

(٣) في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٥٠) من رواية ابن جريج عن مجاهد قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤] قال: كان بقي لبني مذحج وخزاعة عهد فهو الذي قال الله: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤].

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٠).

قولـه تعـالَى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥].

قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله الأكثرون.

والثاني: أنها الأربعة الأشهر التي جُعلت لهم فيها السياحة، قاله الحسن في آخرين.

فعلى هذا، سميت حُرُمًا؛ لأن دماء المشركين حرِّمت فيها.

قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: مَن لم يكن له عهد.

﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾.

قال ابن عباس: في الحلِّ والحرم والأشهر الحرم(١).

قوله: ﴿وَخُذُوهُمْ ﴾ أي: ائسروهم، والأخيذ: الأسير.

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾ أي: احبسوهم، والحصر: الحبس.

قال ابن عباس: إن تحصَّنوا فاحصروهم(٢).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٩٤) وعزاه للفراء، وهو في معاني القرآن له (١/ ٤٢١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٩٤).

قوله: ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾.

قال الأخفش: أي: على كل مرصد، فألقى «على» وأعمل الفعل، قال الشاعر[1]: [من الوافر]

نُغالي اللَّحْمَ لِلأَضْيافِ نِيئًا ونُرْخِصُهُ إذَا نَضِجَ القُدُورُ

المعنى: نغالي باللحم، فحذف الباء كما حذف «على»[2].

وقال الزَّجَّاج: ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ ظرف، كقولك: ذهبتُ مذهبًا، فلستَ تحتاج أن تقول في هذه إلا ما تقوله في الظروف، مثل: خلف، وقُدَّام[3].

قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ أي: من شركهم.

وفي قوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قولان:

أحدهما: اعترفوا بذلك.

والثاني: فعلوه.

---

(١) البيت لرجل من قيس كما في جمهرة اللغة (٣/ ١٣١٧)، وأساس البلاغة (ص:٧٠٩) (غلو)، وبلا نسبة في المخصص (٤/ ٢٤٦)، لسان العرب (٧/ ٤٠) مادة (رخص)، وجمهرة اللغة (٣/ ١٣١٩)، وتاج العروس (١٧/ ٥٩٥) مادة (رخص)، وتهذيب اللغة (٦/ ٨١)، ومعجم ديوان الأدب (٤/ ١٢١)، ومعناه: يَقُولُ: نُغْلِيه نِيّاً إذا اشْتَرَيْناه ونُبِيحُه إذا طَبَخْناه لأَكْلِه. لسان العرب (٧/ ٤٠).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣١).

فَصْلٌ

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه[1] الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن حكم الأسارى كان وجوبَ قتلهم، ثم نسخ بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، قاله الحسن، وعطاء في آخرين.

والثاني: بالعكس، وأنه كان الحكم[2] في الأسارى: أنه لا يجوز قتلهم صبرًا، وإنما يجوز المنُّ أو الفداء بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] ثم نُسخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قاله مجاهد، وقتادة.

والثالث: أن الآيتين محكمتان، والأسير إذا حصل في يد الإمام، فهو مخيَّر، إن شاءَ مَنَّ عليه، وإن شاء فاداه، وإن شاء قتله صبرًا، أيَّ ذلك رأى فيه المصلحة للمسلمين فعلَ، هذا قول جابر بن زيد، وعليه عامة الفقهاء، وهو قول الإمام أحمد.

قوله تعالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: ٦].

قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾.

قال المفسرون: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أُمر به ونُهي عنه، فأَجِرْه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه. [٣١٧/ ب]

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في الأصل: (الحكمة)، والمثبت من (ف)، و(ر).

وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن المعنى: ذلك الذي أمرناك به من أن يُعرَّفوا ويُجاروا لجهلهم بالعلم.

والثاني: ذلك الذي أمرناك به من ردِّه إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان، لأنهم قوم جهلة بخطاب الله.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: ٧].

قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ أي: لا يكون لهم ذلك.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ **وفيهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم بنو ضمرة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم قريش، قاله ابن عباس أيضًا.

وقال قتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبيُّ الله ﷺ زمن الحديبية، فنكثوا وظاهروا المشركين(١).

والثالث: أنهم خزاعة، قاله مجاهد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩٧) من رواية معمر، عن قتادة به.

وذكر أهل العلم بالسِّيَر[١] أن رسول الله ﷺ لما صالح سهيل بن عمرو في غزوة الحديبية، كتب بينه وبينه: «هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ، وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ، وَأَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً، وَأَنَّه مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَعَقْدِهِ فَعَلَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَعَقْدِهَا فَعَلَ، وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ عَنَّا عَامَهُ هَذَا بِأَصْحَابِهِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْنَا فِي[٢] قَابِلٍ فِي أَصْحَابِهِ، فَيُقِيمُ بِهَا ثَلَاثًا لَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا بِسِلَاحٍ، إِلَّا سِلَاحَ الْمُسَافِرِ، السُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ»، فوثبتْ خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها. ثم إن قريشًا أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح فبيَّتوا خزاعة ليلًا، فقتلوا منهم عشرين رجلًا. ثم إن قريشًا ندمت على ما صَنَعَتْ، وعلموا أنَّ هذا نقضٌ للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصابهم، فخرج إليهم فكانت غزاة الفتح[٣].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٦)

(٢) ليست في (ف).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٨٩١٠) من رواية محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم به.

وهو عند البخاري (٢٧٣١) من رواية معمر، عن الزهري به.=

قال أبو عبيدة: الإسلال: السرقة، والإغلال: الخيانة.

قال ابن الأعرابي: وقوله: «وَأَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً» مَثَلٌ، أراد: أنَّ صُلْحَنَا مُحكَم مُسْتَوْثَقٌ منه، كأنه عيبة مُشْرَجَة [(١)].

وزعم بعض المفسرين أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ نُسخ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾.

قوله تَعَالَى: ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾ [التوبة: ٨].

قوله: ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم، فحذف ذلك، لأنه قد سبق [(٢)]، قال الشاعر [(٣)]: [من الطويل]

=قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٧/ ٣٤٩): «وقد رواه البخاري في صحيحه، فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة».

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٩١): «وَفِيهِ «إنَّ بيْننا وبَيْنكم عَيْبَةً مَكْفُوفة» أَيْ: مُشْرَجة عَلَى مَا فِيهَا مُقْفَلة، ضَرَبَها مَثَلاً للصُّدُور، وَأَنَّهَا نَقيَّة مِنَ الغِلِّ والغِشِّ فِيمَا اتَّفقوا عَلَيْهِ مِنَ الصُّلح والهُدْنَة. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أنْ يَكُونَ الشَّرُّ بَيْنَهُم مَكْفُوفاً، كَمَا تُكَفُّ العَيْبَةُ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ المَتَاع، يُرِيد أنَّ الذُّحُول الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهم اصْطَلَحوا عَلَى أَلَّا يَنْشُروها، فكأنَّهم قَدْ جَعَلوها فِي وِعاء وَأَشْرَجُوا عَلَيْهِ».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٣).

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته الشهيرة في الأصمعيات (٩٩)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٢) (٢٨٤)، والحيوان (٣/ ٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٢٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٩)، ولسان العرب (١٥/ ٤٥٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٤١)، وأمالي القالي (٢/ ١٥١)، ومعناه: وخبرتماني إنما الموت بالقرى: يقول:=

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى ... فَكَيْفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وَقَلِيبُ

أي فكيف مات وليس بقرية؟. [٣١٨/أ]

ومثله قول الحطيئة[1]: [من الطويل]

فَكَيْفَ وَلَمْ أَعْلَمْهُمُ خَذَلُوكُمُ ... عَلَى مُعْظَمٍ وَلَا أَدِيمَكُمْ قَدُّوا

أي: فكيف تلومونني على مدح قوم؟.

واستغنى عن ذكر ذلك، لأنه قد جرى في القصيدة[2] ما يدل على ما أضمر.

وقوله: ﴿يَظْهَرُوا﴾ يعني: يقدروا ويظفروا.

وفي قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يحفظوا، قاله ابن عباس.

والثاني: لا يخافوا، قاله السدي.

والثالث: لا يراعوا، قاله قطرب.

=قلتما لي إنَّ مَن سكن الأمصار والقرى مرض، للوباء الذي يكون في الأمصار، فكيف مات أخي في هذا الموضع وهو بَرِّيَّة، وهذه هضبة! أشار إلى هضبة في الموضع الذي مات أخوه فيه. والهضبة: الجبل. وقليب: بئر عظيمة.

(١) البيت للحطيئة في ديوانه (١٤٠)، والغريبين في القرآن والحديث؛ للهروي (٥/ ١٦٦١)، ومختارات شعراء العرب؛ لابن الشجري (٣/ ١٣).

(٢) في (ف): (القصة).

وفي الإلّ خمسة أقوال:

أحدها: أنه القرابة، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والسدي، ومقاتل[١]، والفراء[٢].

وأنشدوا[٣]:

إنَّ الْوُشَاةَ كَثِيرٌ إِنْ أَطَعْتَهُمُ ... لا يَرْقُبُون بنا إِلًّا وَلا ذِمَمَا

وقال الآخر[٤]: [من الوافر]

لعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيش ... كإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَام

والثاني: أنه الجوار، قاله الحسن.

والثالث: أنه الله ﷻ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٥٨).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٠٥)، ولم أجده في كتابه معاني القرآن.

(٣) البيت بلا نسبة في الأضداد؛ لابن الأنباري (ص:٣٩٦)، والزاهر (١/ ٤٨١)، ونسبه الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ١٠٨) للحارث المخزومي، ولكن بلفظ: «إن الوشاة قليل إن أطعتهم..».

(٤) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص ١٠٥)، وتفسير الطبري (١١/ ٣٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠)، والغريب المصنف (١/ ٤٠٤)، وغريب الحديث (١/ ١٠٠) كلاهما لأبي عبيد، والحيوان (٤/ ٤٣٥)، وأمالي القالي (١/ ٤١)، ومعجم ديوان الأدب (٤/ ١٥٥)، والصحاح (٤/ ١٦٢٦)، والفائق في غريب الحديث (٤/ ١٨)، ولسان العرب (١١/ ٢٦)، وتاج العروس (٢٨/ ١٨)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (١/ ٢١)، وكتاب العين (٨/ ٣٦١)، والمخصص (١/ ٣٣٢).

والرابع: أنه العهد، رواه خصيف عن مجاهد، وبه قال ابن زيد، وأبو عبيدة[١].

والخامس: أنه الحِلْف، قاله قتادة.

وقرأ عبد الله بن عمرو، وعكرمة، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرِّف: «إيلًا» بياء بعد الهمزة[٢].

وقرأ ابن السميفع والجحدري: «أَلًّا» بفتح الهمزة وتشديد اللام[٣].

وفي المراد بالذمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها العهد، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك في آخرين.

والثاني: التذمم ممن لا عهد له، قاله أبو عبيدة[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٣).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها لعكرمة، وطلحة بن مصرف، وفي التحصيل (٣/ ٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠) كلاهما نسبها لعكرمة، وفي إعراب القراءات الشوذ؛ للعكبري (١/ ٦٠٨) بلا نسبة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها للكلبي، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٨) بلا نسبة.

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٣).

وأنشد[١]:

.... لاَ يَرْقُبُـوْنَ بِنَـا إِلًّا ولا ذِمَمَـا

والثالث: الأمان، قاله اليزيدي، واستشهد بقوله ﷺ: «وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ»[٢].

قوله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء، وتأبى قلوبهم إلا الغدر.

والثاني: يرضونكم بأفواههم في العِدَة بالإيمان، وتأبى قلوبهم إلا الشرك.

والثالث: يرضونكم بأفواههم في الطاعة، وتأبى قلوبهم إلا المعصية، ذكرهنَّ الماوردي[٣].

---

(١) هذا عجز البيت، وصدره: «إنَّ الوشاة كثيرٌ إن أطعتهمُ»، وهو بلا نسبة في الأضداد؛ لابن الأنباري (ص:٣٩٦)، والزاهر (١/ ٤٨١)، ونسبه الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ١٠٨) للحارث المخزومي، ولكن بلفظ: «إن الوشاة قليل إن أطعتهم... لا يرقبون بنا إلًّا ولا ذمما».

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤٥٣٠)، والنسائي في المجتبي (٤٧٣٤)، وأحمد في مسنده (٩٥٩) وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٤٣).

قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

قال ابن عباس: خارجون عن الصِّدق، ناكثون للعهد[١].

قوله تعالَى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة: ٩، ١١].

قوله: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم قوم من اليهود، قاله أبو صالح.

فعلى الأول، آيات الله: حججه، وعلى الثاني: هي آيات التوراة.

والثمن القليل: ما حصَّلوه بدلًا من الآيات.

وفي وصفه بالقليل وجهان:

أحدهما: لأنه حرام، والحرام قليل.

والثاني: لأنه من عَرَض الدنيا الذي بقاؤه قليل.

(١) في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ٣٠٩): «قال ابن عباس: يريد: كاذبون».

وفي قوله: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: عن بيته، وذلك حين منعوا النبي ﷺ بالحديبية دخول مكة.

والثاني: عن دينه بمنع الناس منه.

والثالث: عن طاعته في الوفاء بالعهد.

قوله تَعالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة: ١٢].

قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾. [٣١٨/ ب]

قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ أن يسير إليهم فينصر خزاعة، وهم الذين همُّوا بإخراج الرسول ﷺ(١).

فأما النَّكث، فمعناه: النَّقض.

والأيمان هاهنا: العهود.

والطعن في الدِّين: أن يعاب، وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام، لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٦).

قوله: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾.

قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «أئمة» بتحقيق[١] الهمزتين.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: بتحقيق[٢] الأولى وتليين الثانية[٣].

والمراد بأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ أي: لا عهود لهم صادقة، هذا على قراءة من فتح الألف، وهم الأكثرون.

وقرأ ابن عامر: «لا إِيمان لهم» بالكسر[٤].

وفيها وجهان ذكرهما الزَّجَّاج[٥]:

أحدهما: أنه وصف لهم بالكفر ونفي الإيمان.

والثاني: لا أمان لهم، تقول: آمنته إيمانًا، والمعنى: فقد بطل أمانكم لهم بنقضهم.

---

(١) في الأصل: (بتخفيف)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في الأصل: (بتخفيف)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) انظر: السبعة (ص:٣١٢)، والحجة (٤/ ١٦٧)، والمبسوط (ص:٢٢٥)، والتحصيل (٣/ ٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٢)، والحجة (٤/ ١٧٦ - ١٧٧)، والمبسوط (ص:٢٢٥)، والتحصيل (٣/ ٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٥).

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: عن الشرك.

والثاني: عن نقض العهود.

وفي «لعل» قولان:

أحدهما: أنها بمعنى الترجّي، المعنى: ليرجى منهم الانتهاء، قاله الزَّجَّاج[1].

والثاني: أنها بمعنى: «كي»، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٣، ١٥].

قوله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحضُّ على قتالهم[2].

قال المفسرون: وهذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله ﷺ الذي عاهدهم بالحديبية حيث أعانوا على خزاعة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٦).

وفي قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش، كانوا فيمن همَّ بإخراج الرسول ﷺ من مكة.

والثاني: أنهم قوم من اليهود، غدروا برسول الله ﷺ، ونقضوا عهده وهمَّوا بمعاونة المنافقين على إخراجه من المدينة.

قوله: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: بدءوكم بإعانتهم على حلفائكم، قاله ابن عباس.

والثاني: بالقتال يوم بدر، قاله مقاتل[١].

قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه؟! فمكروه عذاب الله أحق أن يُخشى إن كنتم مصدِّقين بعذابه وثوابه[٢].

قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]: يعني خزاعة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨١)، والبسيط (١٠/ ٣٢٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٥٣، ١٠٠٥٤) عن مجاهد.

قولـه: ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: كَربها وَوجْدها بمعونة قريشٍ بني بكر عليها.

قوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾.

قال الزَّجَّاج: هو مستأنف وليس بجواب ﴿قَٰتِلُوهُمۡ﴾[1].

وفيمن عُني به قولان:

[٣١٩/أ] **أحدهما**: بنو خزاعة، والمعنى: ويتوب الله على من يشاء من بني خزاعة، قاله عكرمة.

والثاني: أنه عام في المشركين كما تاب على أبي سفيان، وعكرمة، وسهيل.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيَّات المؤمنين.

﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قضى.

قوله تعالَى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التوبة: ١٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٧).

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا ﴾.

في المخاطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم المؤمنون، خوطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال، قاله الأكثرون.

والثاني: أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله ﷺ الخروج معه إلى الجهاد تعذيرًا، قاله ابن عباس.

وإنما دخلت الميم في الاستفهام، لأنه استفهام معترض في وسط الكلام، فدخلت لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ.

قال الفراء: ولو أُريد به الابتداء، لكان إما بالألف، أو بـ «هل»[١].

ومعنى الكلام: أن يتركوا بغير امتحان يبَين به الصادق من الكاذب.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: ولـمّا تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم، وقد كان يعلم ذلك غيبًا، فأراد إظهار ما علم ليجازي على العمل[٢].

فأما الوليجة:

فقال ابن قتيبة: هي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلًا من المشركين وخليطًا ووادًّا، وأصله من الولوج[٣].

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٢٦).

(٢) في (ف)، و(ر): (العلم).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٣).

وقال أبو عبيدة: وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم(١).

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٧، ١٨].

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مسجد الله» على التوحيد، «﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ على الجمع.

وقرأ عاصم، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي على الجمع فيهما(٢).

وسبب نزولها:

أن جماعة من رؤساء قريش أُسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فعيَّروهم بالشِّرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبِّخ العباس بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقالوا: وهل لكم من محاسن؟ قالوا: نعم، لنحن أفضل منكم أجرًا، إنا

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٥٤).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣١٣)، والحجة (٤/ ١٧٨)، والمبسوط (ص: ٢٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥)، والتحصيل (٣/ ٢٣٠).

لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل في جماعة[١].

وفي المراد بالعِمارة قولان:

أحدهما: دخوله والجلوس فيه.

والثاني: البناء له وإصلاحه.

فكلاهما محظور على الكافر.

والمراد من قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: يجب على المسلمين منعهم من ذلك.

قال الزَّجَّاج: وقوله: ﴿شَٰهِدِينَ ﴾ حال. المعنى: ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ لأن كفرهم أذهب ثوابها.

فإن قيل: كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر، وهم يعتقدون أنهم على الصواب؟ [٣١٩/ ب]

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه قول اليهودي: أنا يهودي، وقول النصراني: أنا نصراني، قاله السدي.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٧).

والثاني: أنهم ثبَّتوا[1] على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي ﷺ، وهو حق لا يخفى على مميِّز، فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه.

والثالث: أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد ﷺ بالتصديق، وحرَّضوا على اتِّباعه، فلما آمنوا بهم وكذَّبوه، دلُّوا على كفرهم، وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر، لأن الشهادة هي تبيين وإظهار، ذكرهما ابن الأنباري.

فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ولم يذكر الرسول، والإيمانُ لا يتم إلا به؟

فالجواب: أن فيه دليلًا على الرسول، لقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلاة التي جاء بها الرسول، قاله الزَّجَّاج[2].

فإن قيل: ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ ترجٍّ، وفاعل هذه الخصال مهتد بلا شك؟

فالجواب: أن «عسى» من الله واجبة، قاله ابن عباس. **فإن قيل:** قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات.

فالجواب: أن المراد به من كان على هذه الصفات المذكورة، كان من أهل عمارتها، وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة.

---

(١) في الأصل: (بينوا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٨).

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٩، ٢٢].

قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾.

في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: رواه مسلم في «صحيحه» من حديث النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد أن أسقيَ الحاجَّ[1]، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكني إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية[2].

والثاني: أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نَعمُر المسجد الحرام ونسقي

(١) في (ف)، و(ر): (فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٨٧٩)، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٩) من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

الحاج ونفك العاني، فنزلت هذه الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(١).

والثالث: أن المشركين قالوا: عمارة البيت الحرام، والقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله، فنزلت هذه الآية، رواه عطية العوفي عن ابن عباس(٢).

والرابع: أن عليًّا والعباس وطلحة - يعني سادن الكعبة - افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، بيدي مفتاحه، ولو أشاء بتُّ فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ في المسجد. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، والشعبي، والقرظي(٣). [٣٢٠/أ]

والخامس: أنهم لما أُمروا بالهجرة قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مجاهد(٤).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٦٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٦٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٨٠) عن محمد بن كعب القرظي بلفظه، وعن الحسن والشعبي بمعناه مختصرًا. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٣٦) عن ثلاثتهم.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٨٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

قال الشيخ: هكذا ذكره مجاهد، وإنما الصواب عثمان بن طلحة؛ لأن طلحة هذا لم يُسلم[(١)].

والسادس: أن عليًّا قال للعباس: ألا تهاجر[(٢)]؟ ألا تلحق بالنبي ﷺ؟ فقال: ألستُ في أفضلَ من الهجرة، ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مُرَّة الهَمْداني، وابن سيرين[(٣)].

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله؟ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه[(٤)].

قال الحسن: كان يُنبذ زبيبٌ، فيسقُون الحاج في الموسم[(٥)].

وقال ابن عباس: عمارة المسجد: تجميره، وتخليقه[(٦)].

فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك، وسماهم ظالمين لشركهم.

---

(١) هذه العبارة ليست في (ف)، و(ر).

(٢) قوله: (ألا تهاجر؟)، ليس في (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢٠) وعزاه لهما.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٨).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٣٨).

قوله: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾.

قال الزَّجَّاج: هو منصوب على التمييز، والمعنى: أعظم من غيرهم درجة(١).

والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير.

فأما النعيم: فهو لين العيش.

والمقيم: الدَّائم.

قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أنه لما أُمر المسلمون بالهجرة، جعل الرجل يقول لأهله: إنا قد أُمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك، ومنهم من يتعلق به عياله وزوجته فيقولون: نَنْشُدك الله أن تدعنا إلى غير شيء، فيرقُّ قلبه فيجلس معهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٨).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠).

والثاني: أنه لما أمر الله المؤمنين بالهجرة، قال المسلمون: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشائرنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك عن ابن عباس(١).

والثالث: أنه لما قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر، نزلت هذه الآية والتي قبلها، هذا قول قتادة، وقد ذكرناه عن مجاهد(٢).

والرابع: أن نفرًا ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم، وأنزل هذه الآية، قاله مقاتل(٣).

والخامس: أن النبي ﷺ لما أمر الناس بالجهاد لنصرة خزاعة على قريش، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، نعاونهم على قومنا؟ فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠) مختصرًا.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٨) من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وهو في تفسير مجاهد (ص:٣٦٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٤).

قوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الآية.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في الذين تخلَّفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا، [٣٢٠/ ب] قاله أبو صالح عن ابن عباس(١).

والثاني: أن علي بن أبي طالب قدم مكة، فقال لقوم: ألا تهاجرون؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن سيرين(٢).

والثالث: أنه لما نزلت الآية التي قبلها، قالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين في هذه الآية، وذكره بعضهم في الآية الأولى كما حكيناه عن ابن عباس(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠).

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٤٦): «وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب ﷺ مكة فقال للعباس ﷺ: أي عم ألا تهاجر ألا تلحق برسول الله ﷺ فقال: أعمر المسجد الحرام وأحجب البيت فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الآية. وقال لقوم قد سماهم: ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله ﷺ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الآية كلها».

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠) مختصرًا.

فأما العشيرة: فهم الأقارب الأدنون.

وروى أبو بكر عن عاصم: «وعشيراتُكم» على الجمع[١].

قال أبو علي: وجهه أن كل واحد من المخاطَبين له عشيرة، فإذا جمعت قلتَ: عشيراتكم، وحجة من أفرد: أن العشيرة واقعة على الجمع، فاستغنى بذلك عن جمعها[٢].

وقال الأخفش: لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها على عشائر[٣].

والاقتراف: بمعنى الاكتساب.

والتربص: الانتظار.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد والأكثرون.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٣)، والحجة (٤/ ١٨٠)، والمبسوط (ص:٢٢٦)، والتحصيل (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٨٠).

(٣) وقول الأخفش هذا لم نقف عليه في كتابه: «معاني القرآن»، ولكن نقله عنه عدد من الأئمة، وانظر: الحجة؛ لأبي علي الفارسي (٤/ ١٨٠)، والتفسير البسيط (١٠/ ٣٤٢)، والوسيط (٢/ ٤٨٦) كلاهما للواحدي، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ١٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٣٩١).

ومعنى الآية: إن كان المُقام في أهاليكم، وكانت الأموال التي اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ لفراقكم بلدكم ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم﴾ من الهجرة، فأقيموا غير مثابين، حتى تُفتح مكة، فيسقط فرض الهجرة.

والثاني: أنه العقاب، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾ [التوبة: ٢٥].

قوله: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾ أي: في أماكن.

قال الفراء: وكل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان لم يُجْرَ[١]، مثل، صوامع، ومساجد: وجُريَ «حنين» لأنه اسم لمذكَّر، وهو وادٍ بين مكة والطائف، وإذا سمَّيتَ ماءً أو واديًا أو جبلًا باسم مذكَّر لا علَّة فيه، أجريته، من ذلك: حنين، وبدر، وحِراء، وثَبِير، ودابق[٢].

ومعنى الآية: أن الله ﷻ[٣] أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم.

---

(١) إجراء الاسم عند الكوفيين معناه: صرفه وتنوينه، وعدم إجرائه معناه: منع صرفه.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٢٨- ٤٢٩).

(٣) في (ف): (النبي ﷺ).

وفي عددهم يوم حنين أربعة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا ستة عشر ألفًا، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: عشرة آلاف، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: كانوا اثني عشر ألفًا، قاله قتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، والواقدي.

والرابع: أحد عشر ألفًا وخمسمائة، قاله مقاتل[(١)].

قال ابن عباس: فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش، وقد عجب لكثرة الناس: لن نُغلَب اليوم من قلَّة، فساء رسول الله ﷺ كلامُه، ووُكِلوا إلى كلمة الرجل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[(٢)].

وقال سعيد بن المسيب: القائل لذلك أبو بكر الصديق[(٣)].

وحكى ابن جرير أن القائل لذلك رسول الله ﷺ[(٤)].

وقيل: بل العباس.

وقيل: رجل من بني بكر.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨٧)، وفي البسيط (١٠/ ٣٤٦) من رواية عطاء عن ابن عباس به.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٩٣).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٣٨٦).

[٣٢١/أ] قوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: برحبها.

قال الفراء: والباء هاهنا بمنزلة «في» كما تقول: ضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها[١].

الإشارة إلى القصة

قال أهل العلم بالسيرة: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، تآمر عليه أشراف هوازن وثقيف، فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس، وأجمعوا المسير إليه، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما التقوا أعجبتهم كثرتُهم فهُزموا.

وقال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فأقبلوا بالسهام، فانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ[٢].

وبعضهم يقول: ثبت مع النبي ﷺ يومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث.

وبعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان.

فجعل النبي ﷺ يقول للعباس: «**نَادِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ**» فنادى، وكان صيِّتًا، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: يا لبيك، فنظر النبي ﷺ إلى قتالهم، فقال: «**الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ، أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب**» ثم قال

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٣١٧)، ومسلم في صحيحه (١٧٧٦)، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٢) من رواية شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب ﷺ به.

للعباس: «نَاوِلْنِي حَصَيَاتٍ» فناوله، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ورمى بها، وقال: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا[١].

وقيل: أخذ رسول الله ﷺ كفًّا من تراب، فرماهم به فانهزموا، وكانوا يقولون: ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه بالتراب[٢].

قوله تعالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٦، ٢٧].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أي: بعد الهزيمة.

قال أبو عبيدة: هي فعيلة من السكون.

وأنشد[٣]: [من الكامل]

للهِ قَبْرٌ غَالَهَا مَاذا يُجِنُّ   لقد أَجَنَّ سكينةً ووَقارًا[٤]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧٧٥) من رواية كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن العباس رضي الله عنه.

(٢) وفي صحيح مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع، وفيه: «فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين».

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٤).

(٤) البيت لأبي عُرَيْف الكُلَيْبي في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (ص:٢٥٤)، ولسان العرب (١٣/ ٢١٣) مادة (سكن).

وكذلك قال المفسرون: الأمن والطمأنينة.

قوله: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

قال ابن عباس: يعني الملائكة[1].

وفي عددهم يومئذ ثلاثة أقوال:

أحدها: ستة عشر ألفًا، قاله الحسن.

والثاني: خمسة آلاف، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: ثمانية، قاله مجاهد، يعني: ثمانية آلاف.

قال: وهل قاتلت الملائكة يومئذ، أم لا؟ فيه قولان.

وفي قوله: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أربعة أقوال:

أحدها: بالقتل، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: بالقتل والهزيمة، قاله ابن أبزى، ومقاتل[2].

والثالث: بالخوف والحذر، ذكره الماوردي[3].

والرابع: بالقتل والأسر وسبي الأولاد وأخذ الأموال، ذكره بعض ناقلي التفسير[4].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨٨) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٠).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٠).

قولـه: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يوفِّقـه للتوبـة مـن الـشرك.

قولـه تعـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التوبـة: ٢٨].

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾. [٣٢١/ب]

قال أبو عبيدة: معناه: قذر[١].

قال الزَّجَّاج: يقال لكل شيء مستقذَر: نَجَسٌ[٢].

وقـال الفـراء: لا تـكاد العـرب تقـول: نَجِسٌ، إلا وقبلهـا رِجْسٌ، فـإذا أفردوهـا قالـوا: نَجَس[٣].

وفي المراد بكونهم نجسًا ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنهـم أنجـاس الأبـدان، كالكلـب والخنزيـر، حـكاه المـاوردي عـن الحسـن، وعمـر بـن عبـد العزيـز[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤١).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٨) أن عمر بن عبد العزيز كتب: أن امنعوا اليهود، والنصارى من دخول مساجد المسلمين، وأتبع في نهيه قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾.

وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ[١].

والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاسًا، قاله قتادة.

والثالث: أنه لما كان علينا اجتنابهم كما تجتنب الأنجاسُ، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾.

قال أهل التفسير: يريد جميع الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر الصديق، وقرئت «براءة».

وقد أخذ إمامنا[٢] أحمد ﷺ بظاهر الآية، وأنه يحرم عليهم دخول الحرم، وهو قول مالك، والشافعي.

واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد:

فروي عنه المنع أيضًا إلا لحاجة، كالحرم، وهو قول مالك.

وروي عنه جواز ذلك، وهو قول الشافعي.

وقال أبو حنيفة: يجوز لهم دخول المسجد الحرام، وسائر المساجد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٨) من رواية أشعث، عن الحسن به.

(٢) ليست في (ف)، و(ر).

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾.

وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، والشعبي، وابن السميفع: «عايلة»(١).

قال سعيد بن جبير: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ شقَّ على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بطعامنا؟ وكانوا يَقْدَمون عليهم بالتجارة، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾(٢).

قال الأخفش: العيلة: الفقر. يقال: عال يعيل عَيْلة: إذا افتقر، وأعال إعالة فهو يُعيل: إذا صار صاحب عيال(٣).

وقال أبو عبيدة: العيلة هاهنا مصدر عالَ فلانٌ: إذا افتقر(٤).

وأنشد(٥): [من الوافر]

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها لابن مسعود، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦١٣) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٢١) نسبها لعلقمة وغيره من أصحاب ابن مسعود.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٠١) من رواية واقد، عن سعيد بن جبير به.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٦).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٥).

(٥) البيت لأحيحة بن الجلاح في مجاز القرآن (ص:٢٥٥)، ولسان العرب (١١/ ٤٨٨) مادة (عيل)؛ وجمهرة اللغة (١/ ٥٩)، والصحاح (٥/ ١٧٧٩)، وتاج العروس (٣٠/ ٧٩) مادة (عيل)؛ وجمهرة أشعار العرب (ص ٢٧، و٥١٨)، والأشباه والنظائر (١/ ٢٠)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٢٨٢).

وللمفسرين في قوله: ﴿وَإِنْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها للشرط، وهو الأظهر.

والثاني: أنها بمعنى «وإذ»، قاله عمرو بن فائد.

قالوا: وإنما خاف المسلمون الفقر، لأن المشركين كانوا يحملون التجارات إليهم، ويجيئون بالطعام وغيره.

وفي قوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم، فكثر خيرهم، قاله عكرمة.

والثاني: أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب، قاله قتادة، والضحاك.

والثالث: أن أهل نجد، وجُرَش، وأهل صنعاء أسلموا، فحملوا الطعام إلى مكة على الظَّهْرِ، فأغناهم الله به، قاله مقاتل[1].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾.

قال ابن عباس: عليم بما يصلحكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم في المشركين[2]. [٣٢٢/أ]

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨٨)، وفي التفسير البسيط (١٠/ ٣٥٧).

قولـه تعَـالَى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبـة: ٢٩].

قوله: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾.

قال المفسرون: نزلت في اليهود والنصارى.

قـال الزَّجَّـاج: ومعناهـا: لا يؤمنـون بـالله إيـمان الموحِّديـن، لأنهـم أقـرُّوا بأنـه خالقُهـم وأنَّـه لـه ولـد، وكذلـك إيمانهـم بالبعـث؛ لأنهـم لا يقـرُّون بـأنَّ أهـل الجنـة يأكلـون ويشربـون[١].

وقـال المـاوردي: إقرارهـم باليـوم الآخـر يوجـب الإقـرار بحقوقـه، وهم لا يقـرُّون بهـا، فكانـوا كمـن لا يُقِرُّ بـه[٢].

قوله: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾.

قال سعيد بن جبير: يعني الخمر والخنزير[٣].

قوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾.

في ﴿ٱلْحَقِّ ﴾ قولان:

أحدهما: أنه اسم الله، فالمعنى: دين الله، قاله قتادة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤١).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٢٨) من رواية عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير به.

والثـاني: أنـه صفـة للديـن، والمعنـى: ولا يدينـون الدِّيـنَ الحـقَّ فأضـاف الاسـم إلى الصفـة.

وفي معنى ﴿يَدِينُونَ﴾ قولان:

أحدهمـا: أنـه بمعنـى الطاعـة، والمعنـى: لا يطيعـون الله طاعـةَ حـقٍّ، قالـه أبـو عبيـدة[١].

والثاني: أنه من: دان الرجل يدين كذا: إذا التزمه.

ثم في جملة الكلام قولان:

أحدهما: أن المعنى: لا يدخلون في دين محمد ﷺ، لأنه ناسخ لما قبله.

والثاني: لا يعملون بما في التوراة من اتِّباع محمد ﷺ.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾.

قـال ابـن الأنبـاري: الجزيـة: الخـراج المجعـول عليهـم سـميت جزيـة، لأنهـا قضـاء لمـا عليهـم، أُخـذ مـن قولهـم: جَـزى يَجْـزي: إذا قـضى، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨]. وقولـه ﷺ: «**وَلَا تَجْـزِي عَـنْ أَحَـدٍ بَعْـدَكَ**»[٢].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٥).

(٢) وهـو جـزء مـن حديـث في قصـة أبي بـردة بـن نِيَـار، حينـما ذبـح قبـل صـلاة العيـد، فـأذن لـه النبـي ﷺ أن يضحـي بالجذعـة، وقـد رواه البخـاري في صحيحـه (٩٥٥) وعـدة مواضـع أخـرى، ومسـلم في صحيحـه أيضًـا (١٩٦١).

وفي قوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ ستة أقوال:

أحدها: عن قهر، قاله قتادة، والسدي.

وقال الزَّجَّاج: عن قهر وذُلٍّ(١).

والثاني: أنه النقد العاجل، قاله شريك، وعثمان بن مقسم.

والثالث: أنه إعطاء المبتدئ بالعطاء، لا إعطاء المكافئ، قاله ابن قتيبة(٢).

والرابع: أن المعنى: عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم.

والخامس: عن إنعام عليهم بذلك؛ لأن قبول الجزية منهم إنعام عليهم، حكاهما الزَّجَّاج(٣).

والسادس: يؤدُّونها بأيديهم، ولا ينفذونها مع رسلهم، ذكره الماوردي(٤).

قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ الصاغر: الذليل الحقير.

وفي ما يُكَلَّفونه من الفعل الذي يوجب صغارهم خمسة أقوال:

أحدها: أن يمشوا بها ملبَّبِين، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن لا يُحمدوا على إعطائهم، قاله سلمان الفارسي.

والثالث: أن يكونوا قيامًا، والآخذ جالسًا، قاله عكرمة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥١).

والرابع: أن دفع الجزية هو الصغار.

والخامس: أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار.

فَصْلٌ

واختُلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار:

فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس، وبه قال الشافعي.

ونقل الحسن بن ثوَّاب عن أحمد: أنه من سُبي من أهل الأديان
٣٢١/ب] من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا، وإلا السيف، وأولئك إن أسلموا، وإلا الجزية.

فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

فَصْلٌ

فأما صفة الذين تؤخذ منهم [الجزية][1]:

فهم أهل القتال، فأما الزَّمِنُ، والأعمى، والمفلوج، والشيخ الفاني، والنساء، والصبيان، والراهب الذي لا يخالط الناس، فلا تؤخذ منهم.

---

(١) زيادة من (ر).

فَصْلٌ

فأما مقدارها:

فقال أصحابنا: على الموسر: ثمانية وأربعون درهمًا، وعلى المتوسط: أربعة وعشرون درهمًا[١]، وعلى الفقير المعتمل: اثنا عشر، وهو قول أبي حنيفة.

وقال مالك: على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الوَرِق أربعون درهمًا، وسواء في ذلك الغني والفقير.

وقال الشافعي: على الغني والفقير دينار.

وهل تجوز الزيادة والنقصان مما يؤخذ منهم؟

نقل الأثرم عن أحمد: أنها تزاد وتنقَص على قدر طاقتهم، فظاهر هذا: أنها على اجتهاد الإمام ورأيه.

ونقل يعقوب بن بختان: أنه لا يجوز للإمام أن ينقص من ذلك، وله أن يزيد.

---

(١) ليست في (ف)، و(ر).

فَصْلٌ

ووقت وجوب الجزية:

آخر الحول، وبه قال الشافعي.

وقال أبو حنيفة: تجب في أول الحول.

فأما إذا دخلت سنة في سنة، فهل تسقط جزية السنة الماضية؟

عندنا لا تسقط، وقال أبو حنيفة: تسقط.

فأما إذا أسلم، فإنها تسقط بالإسلام.

فأما إن مات فكان ابن حامد يقول: لا تسقط.

وقال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن تسقط.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: «عزيرا ابن الله» بغير تنوين.

وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وعبد الوارث عن أبي عمرو: منوَّنًا[(١)].

قال مكي بن أبي طالب[(٢)]: من نوَّن عزيرًا رفعه على الابتداء، و«ابن» خبره. ولا يحسن حذف التنوين على هذا من «عزير» لالتقاء الساكنين، ولا تحذف ألف «ابن» من الخط، ويكسر التنوين لالتقاء الساكنين، ومن لم ينون «عزيرًا» جعله أيضًا مبتدأ، و«ابن» صفة له، فيُحذف التنوينُ على هذا استخفافًا لالتقاء الساكنين، ولأن الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، وتحذف ألف «ابن» من الخط، والخبر مضمر تقديره: عزير ابن الله نبيُّنا وصاحبنا.

وسبب نزولها:

أن سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصَّيف، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: كيف نتَّبِعُكَ وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[(٣)].

وقال ابن عمر، وابن جريج[(٤)]: إن القائل لذلك فنحاص.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٣)، والحجة (٤/ ١٨١)، والتيسير (ص:١١٨).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٢٩٦٩-٢٩٧٠)، والحجة؛ لأبي علي الفارسي (٤/ ١٨١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٠٩) من رواية سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧١) لابن المنذر.

وفي تفسير الطبري (١١/ ٤٠٨) عن ابن جريج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير، قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] قال: قالها رجل واحد، قالوا: إن اسمه فنحاص.

فأما ﴿عُزَيْرٌ﴾ فقال شيخنا أبو منصور اللغوي: هو اسم أعجمي معرَّب، وإن وافق لفظ العربية، فهو عِبراني كذا قرأته عليه[١]. [٣٢٣/أ]

وقال مكي بن أبي طالب: العزير عند كل النحويين: عربي مشتق من قوله: يعزِّروه[٢].

وقال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنهم لما عملوا بغير الحق، أنساهم الله التوراة، ونسخها من صدورهم، فدعا عزير اللهَ تعالى فعاد إليه الذي نسخ من صدورهم، ونزل نور من السماء فدخل جوفه، فأذَّن في قومه فقال: قد آتاني الله التوراة، فقالوا: ما أُوتيها إلا لأنه ابن الله[٣].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس، وقتل من قرأ التوراة، كان عزير غلامًا، فتركه. فلما توفي عزير ببابل، ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، فقال: أنا عزير فكذَّبوه وقالوا: قد حدَّثنا آباؤنا أن عزيرًا مات ببابل، فإن كنتَ عزيرًا فأملل علينا التوراة، فكتبها لهم، فقالوا: هذا ابن الله[٤].

---

(١) انظر: المعرَّب (ص:٤٥٢).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٢٩٧٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٠٩) عن ابن عباس ﷺ.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧١) لابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس ﷺ.

وفي الذين قالوا هذا عن عزير ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم جميع بني إسرائيل، روي عن ابن عباس.

والثاني: طائفة من سلفهم، قاله الماوردي(١).

والثالث: جماعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وفيهم قولان:

أحدهما: فنحاص وحده، وقد ذكرناه عن ابن عمر، وابن جريج.

والثاني: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس.

فإن قيل: إن كان قولَ بعضهم، فلِمَ أُضيف إلى جميعهم؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة، تقول العرب: جئت من البصرة على البغال، وإن كان لم يركب إلا بغلًا واحدًا.

والثاني: أن من لم يقله، لم ينكره.

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

في سبب قولهم هذا قولان:

أحدهما: لكونه ولد من غير ذكَر.

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٣).

والثاني: لأنه أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وقد شرحنا هذا المعنى في «المائدة»(١).

قوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

إن قال قائل: هذا معلوم، فما فائدته؟

فالجواب: أن المعنى أنه قول بالفم، لا بيانَ له(٢) ولا برهانَ ولا تحته معنى صحيح، قاله الزَّجَّاج(٣).

قوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾.

قرأ الجمهور: من غير همز.

وقرأ عاصم: «يضاهئون»(٤).

قال ثعلب: لم يتابع عاصمًا أحدٌ على الهمز(٥).

قال الفراء: وهي لغة(٦).

---

(١) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (١١٠).

(٢) في (ف)، و(ر): (فيه).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٤)، والحجة (٤/ ١٨٦)، والمبسوط (ص:٢٢٩)، والتيسير (ص:١١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، والتحصيل (٣/ ٢٥٦).

(٥) انظر: الحجة (٤/ ١٨٦).

(٦) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ٣٧٩).

قال الزَّجَّاج: يضاهون: يشابهون قولَ من تقدَّمَهم من كَفَرتِهم، فإنما قالوه اتباعًا لمتقدِّميهم. وأصل المضاهاة في اللغة: المشابهة، والأكثر ترك الهمز، واشتقاقه من قولهم: امرأة ضهياء، وهي التي لا ينبت لها ثدي. وقيل: هي التي لا تحيض، والمعنى: أنها قد أشبهت الرجال[1].

قال ابن الأنباري: يقال: ضاهَيت، وضاهأت: إذا شبَّهتَ[2].

وفي ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هاهنا[3] ثلاثة أقوال: [٣٢٣/ ب]

أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى: أن أولئك قالوا: الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم اليهود، فالمعنى: أن النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، شابهوا اليهود في قولهم: عزير ابن الله، قاله قتادة، والسدي.

والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم في أقوالهم تقليدًا، قاله الزَّجَّاج[4]، وابن قتيبة[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٣).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٨٢).

(٣) ليست في (ف).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٣).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٤).

وفي قوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: لعنهم الله، قاله ابن عباس.

والثاني: قتلهم الله، قاله أبو عبيدة(١).

والثالث: عاداهم الله، ذكره ابن الأنباري.

قوله: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: من أين يصرفون عن الحق.

قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ قد سبق في «المائدة» معنى الأحبار والرهبان(٢).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «أَمَا إِنَّهُم لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُم، وَلَكِنَّهُم كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُم شَيئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِم شَيئًا حَرَّمُوهُ»(٣).

فعلى هذا المعنى: إنهم جعلوهم كالأرباب وإن لم يقولوا: إنهم أرباب.

قوله: ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾.

قال ابن عباس: اتخذوه ربًّا(٤).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٦).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٤٤).

(٣) رواه الترمذي في سننه (٣٠٩٥)، والطبري في تفسيره (١١/ ٤١٧، ٤١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٥٧) من حديث عدي بن حاتم ﷺ.
قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث».

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٩١)، والتفسير البسيط (١٠/ ٣٨٨).

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: يخمدوا دين الله بتكذيبهم[1].

يعني: أنهم يكذبون به ويُعرضون عنه يريدون إبطاله بذلك.

وقال الحسن وقتادة: نور الله: القرآن والإسلام[2].

فأما تخصيص ذلك بالأفواه، فلما ذكرنا في الآية قبلها.

وقيل: إن الله تعالى لم يذكر قولًا مقرونًا بالأفواه والألسن إلا وهو زور.

قوله: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾.

قال الفراء[3]: إنما دخلت «إلا» هاهنا، لأن في الإباء طرفًا من الجحد، ألا ترى أن «أبيت» كقولك: «لم أفعل»، فكأنه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد، قال الشاعر[4]: [من الطويل]

فَهَلْ لِيَ أُمٌّ غيرُها إِنْ تَرَكْتُها ... أَبى اللهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَما

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٩١)، والتفسير البسيط (١٠/ ٣٨٨).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٣).

(٤) البيت للمتلمس في المقتضب (٢/ ٩٣)، والأصمعيات (ص:٢٤٥)، وسر الفصاحة (ص:١٥٧)، ومختارات شعراء العرب؛ لابن الشجري (١/ ٣٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٣٣)، والبيت من قصيدة له يرد فيها على من عيره أمه، مطلعها:

تعيرنى أمي رجال ولا أرى ... أخا كرم إلا بأن يتكرما

وقال الزَّجَّاج: المعنى: ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره[١].

قال مقاتل: ﴿يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أي: يظهر دينه[٢].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ يعني محمدًا ﷺ.

﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التوحيد.

والثاني: القرآن.

والثالث: تبيان[٣] الفرائض.

فأما دين الحق، فهو الإسلام.

وفي قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ، فالمعنى: ليعلِّمه شرائع الدِّين كلَّها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها راجعة إلى الدين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٨).

(٣) في (ف): (بيان).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل.

ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: عند نزول عيسى عليه السلام، فإنه يتبعه أهل كل دين، وتصير الملل واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدَّوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. [٣٢٤/أ]

والثاني: أنه عند خروج المهدي، قاله السدي.

والقول الثاني: أن إظهار الدِّين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى.

وفي الباطل أربعة أقوال:

أحدها: أنه الظلم، قاله ابن عباس.

والثاني: الرشا في الحكم، قاله الحسن.

والثالث: الكذب، قاله أبو سليمان.

والرابع: أخذه من الجهة المحظورة، قاله القاضي أبو يعلى.

والمراد: أخذ الأموال، وإنما ذكر الأكل؛ لأنه معظم المقصود من المال.

وفي المراد بـ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هاهنا قولان:

أحدهما: الإيمان برسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أنه الحق في الحكم.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت عامة في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذر، والضحاك.

والثاني: أنها خاصَّة في أهل الكتاب، قاله معاوية بن أبي سفيان.

والثالث: أنها في المسلمين، قاله ابن عباس، والسدي.

وفي الكنز المستحقِّ [عليه][1] هذا الوعيد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما لم تؤدَّ زكاته.

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

قال ابن عمر: كل مال أُدِّيتْ زكاتُه وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل مال لا تؤدَّى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا على وجه الأرض[١].

وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. فعلى هذا، معنى الإنفاق: إخراج الزكاة.

والثاني: أنه ما زاد على أربعة آلاف، روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أربعة آلاف نفقة، وما فوقها كنز[٢].

والثالث: ما فضل عن الحاجة، وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام، ثم نُسخ بالزكاة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿يُنفِقُونَهَا﴾ وقد ذكر شيئين؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: يرجع إلى الكنوز[٣] والأموال.

والثاني: أنه يرجع إلى الفضة، وحذف الذهب، لأنه داخل في الفضة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٢٣٠) من رواية نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما به.
قال البيهقي: «هذا هو الصحيح موقوف، وكذلك رواه جماعة عن نافع، وجماعة عن عبيد الله بن عمر، وقد رواه سويد بن عبد العزيز وليس بالقوي عن عبد الله بن عمر مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ».

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٠٧٥)، وفي مصنفه (٧١٥٠)، والطبري في تفسيره (١١/ ٤٢٧) من رواية جعدة بن هبيرة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) في الأصل: (الزكاة)، والمثبت من بقية النسخ.

قال الشاعر[١]: [من المنسرح]

نَحْــنُ بِــمَا عِنْدَنَــا وأنْــتَ بِــمَا عِنْــدَكَ رَاضٍ وَالــرَّأْي مُخْتَلِــفُ

يريد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ، ذكر القولين الزَّجَّاج[٢].

وقال الفراء: إن شئت اكتفيت بأحد المذكورين، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء:١١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة:١١].

وأنشد[٣]: [من الكامل]

إِنِّي ضَمِنْــتُ لِمَــنْ أَتَــانِي مَــا جَنَــى وَأبِــي وَكَانَ وَكُنْــتُ غــير غَــدورِ

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه (ص:٢٣٩)، والكتاب (١/ ٧٤-٧٥)، وتخليص الشواهد (ص:٢٠٥)، والدرر (٥/ ٣١٤)، والمقاصد النحوية (١/ ٥٥٧)، ونسبه لعمرو بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي في شرح أبيات سيبويه (١/ ١٨٦)، وجمهرة أشعار العرب (ص:٥٣٠)، والبيان والتبيين (٣/ ٦٩)، وخزانة الأدب (٤/ ٢٧٥)، ونسبه لِدِرْهَم بن زيد الأنصاري في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين (١/ ٧٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٤٥)، والصاحبي في فقه اللغة (ص:٢١٨)، ولسان العرب (٣/ ٣٦٠) مادة (قعد)، ومغني اللبيب (٢/ ٦٢٢)، والمقتضب (٣/ ١١٢،٤/ ٧٣) وهمع الهوامع (٢/ ١٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٥).

(٣) البيت للفرزدق في تفسير الطبري (٢١/ ٤٢٤)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٣/ ٧٧)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٦٠)، وتهذيب اللغة (١/ ١٣٧)، ولسان العرب (٣/ ٣٦٠)، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين (١/ ٨٠)، والرد على النحاة (ص: ٩١)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ١٥٥)، والكتاب (١/ ٧٦).

ولم يقل: غدورين، وإنما اكتفى بالواحد لاتفاق المعنى(١).

قال أبو عبيدة: والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا، فخبَّروا عن أحدهما استغناء بذلك، وتحقيقًا لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه، [٣٢٤/ب] ودخل معه في ذلك الخبر.

وأنشد(٢): [من الطويل]

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

والنصب في «قيار» أجود، وقد يكون الرفع(٣).

وقال حسان بن ثابت(٤): [من الخفيف]

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٣/ ٧٧).

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي قاله في أبيات عندما سُجن في المدينة على عهد عثمان ﷺ، كما في الكتاب (١/ ٧٥)، وتفسير الطبري (١٦/ ١٠٠)، ونوادر أبي زيد (ص:١٨٢)، والمذكر والمؤنث (١/ ٣٦٩)، والشعر والشعراء (١/ ٣٣٩)، والأصمعيات (ص:١٨٤)، والصحاح (٢/ ٨٠١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٠٠)، ولسان العرب (٥/ ١٢٥)، وتاج العروس (١/ ٣١٦)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (ص:٢٥٧)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣١١)، وقيار: اسم فرسه. وقيل: اسم جمله.

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٧).

(٤) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص:٢٨٢)، والحيوان (٣/ ٢٨)، ومجاز القرآن (ص:٢٥٨)، والمذكر والمؤنث (١/ ٣٣٣)، وغريب الحديث؛ لأبي عبيد (٣/ ١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٩) مادة (شرخ)؛ وتهذيب اللغة (٧/ ٤٠)، وجمهرة اللغة (ص: ٩٢، ٥٨٥)، وديوان الأدب (١/ ١٠١)، والصحاح (١/ ٤٢٤)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٩)، والمخصص (١/ ٣٨)، والصاحبي (ص:١٦٦)، والبحر المحيط (١/ ٢٩٩).

إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الأسـ ودَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونَا

ولم يقل: يعاصيا.

قوله تعالَى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة: ٣٥].

قوله: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴾ أي: على الأموال.

قال ابن مسعود: والله ما من رجل يُكوى بكنز، فيوضعُ دينار على دينار، ولا درهم على درهم، ولكن يوسَّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدته(١).

وقال ابن عباس: هي حيَّة تنطوي على جنبيه وجبهته، فتقول: أنا مالك الذي بخلت به(٢).

قوله: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ ﴾.

فيه محذوف تقديره: ويقال لهم هذا ما كنزتم ﴿لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي: عذاب ذلك.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٦٩٧) من رواية مسروق، عن عبد الله بن مسعود ﷺ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩١) من رواية قابوس عن أبيه عن ابن عباس ﷺ به.

فإن قيل: لم خصَّ الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن؟

فالجواب: أن هذه المواضع مجوَّفة، فيصل الحر إلى أجوافها، بخلاف اليد والرجل.

وكان أبو ذرٍّ يقول: بشر الكنَّازين بكيٍّ في الجباه وكيٍّ في الجنوب وكيٍّ في الظهور، حتى يلتقي الحرُّ في أجوافهم(١).

وجواب آخر: وهو أن الغنيَّ إذا رأى الفقير، انقبض وإذا ضمه وإياه مجلس، ازورَّ عنه وولَّاه ظهره، قاله أبو بكر الورَّاق(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ﴾.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله، فربما وقع حجهم في رمضان، وربما وقع في شوال، إلى غير ذلك، وكانوا يستحلُّون المحرَّم عامًا، ويحرِّمون مكانه صفر، وتارة يحرِّمون المحرَّم ويستحلُّون صفر.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٣٧) من رواية حميد بن هلال عن أبي ذر ﷺ به.

(٢) وهو الإمام المحدث أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الورَّاق، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات: في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (١٦/ ٣٨٨) (٢٧٩).

قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ أن عدد شهور المسلمين التي تُعُبِّدوا بأن يجعلوه لسنتهم: اثنا عشر شهرًا على منازل القمر، فجعل حجهم[1] وأعيادهم على هذا العدد، فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء، وتارة في الصيف، بخلاف ما يعتمده أهل الكتاب، فإنهم يعملون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يومًا وبعض يوم[2].

وجمهور القراء على فتح عين «اثنا عشر».

وقرأ أبو جعفر: اثنا عْشر، وأحد عْشر، وتسعة عْشر، بسكون العين فيهن[3].

قوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

قال ابن عباس: في الإمام الذي عند الله، كتبه[4].

﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ **وفيها قولان:**

أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله الأكثرون.

وقال القاضي أبو يعلى: إنما سماها حُرُمًا لمعنيين:

أحدهما: تحريم القتال فيها، وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضًا.

---

(١) قوله: (فجعل حجهم)، ليس في (ف).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٩٤)، وفي البسيط (١٠/ ٤٠٧).

والثاني: لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشدَّ من تعظيمه في غيرها، [٣٢٥/أ] وكذلك تعظيم الطاعات فيها.

والثاني: أنها الأشهرُ التي أُجِّل المشركون فيها للسياحة، ذكره ابن قتيبة(١).

قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس.

والثاني: ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي، قاله ابن قتيبة(٢).

قوله: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾.

اختلفوا في كناية ﴿فِيهِنَّ﴾ **على قولين**:

أحدهما: أنها تعود على الاثني عشر شهرًا، قاله ابن عباس.

فعلى هذا يكون المعنى: لا تجعلوا حرامها حلالًا، ولا حلالها حرامًا، كفعل أهل النسيء.

والثاني: أنها ترجع إلى الأربعة الحرم، وهو قول قتادة، والفراء(٣)، واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: لثلاث ليال خَلَوْنَ، وأيام خلون، فإذا جُزتَ العشَرة قالوا: خلتْ ومضتْ، ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: هُنَّ، وهؤلاء، فإذا جزتَ العشرة، قالوا: هي، وهذه: إرادةَ أن تُعرف سمة القليل من الكثير.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٥).

وقال ابن الأنباري: العرب تعيد الهاء والنون على القليل من العدد، والهاء والألف على الكثير منه، والقلَّة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثرة: ما جاوز العشرة. يقولون: وجهتُ إليك أكبُشًا فاذبحْهُنَّ، وكباشًا فاذبحها، فلهذا قال: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وقال: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ لأنه يعني بقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ الأربعة.

ومن قال من المفسرين: إنه يعني بقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ الاثني عشر، فإنه ممكن؛ لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل.

وعلى قول من قال: ترجع ﴿فِيهِنَّ﴾ إلى الأربعة:

يُخَرَّج في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال:

أحدها: أنه المعاصي فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظُم فيها أشدَّ من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله تعالى: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:٩٨]، وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ(١) وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة، وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] وإن كان منهيًّا عنه في غير الحج، وكما أُمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى، وإن كان مأمورًا بالمحافظة على غيرها، هذا قول الأكثرين.

---

(١) ليست في الأصل، و(ر)، وهي من (ف).

والثاني: أن المراد بالظلم فيهنَّ فعل النسيء، وهو تحليل شهر محرَّم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق.

والثالث: أنه البداية بالقتال فيهن، فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بالقتال [فيهنَّ][(١)] إلا أن تُبدَؤوا بالقتال، قاله مقاتل[(٢)].

والرابع: أنه ترك القتال فيهن، فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوِّكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل.

والسرُّ في أن الله تعالى عظَّم بعض الشهور على بعض، ليكون الكفُّ [٣٢٥/ ب] عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكفِّ في غيرها تدريجًا للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعًا.

قوله تعالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [التوبة: ٣٧].

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.

الجمهور على همز النسيء ومَدِّه وكسر سينه.

وروى شبل عن ابن كثير: «النَّسْءُ» على وزن النِسْع.

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٩).

وفي رواية أخرى عن شبل [عنه][١]: «النَّسِيُّ» مشددة الياء من غير همز، وهي قراءة أبي جعفر[٢].

والمراد بالكلمة التأخير.

قال اللغويون: النسيء: تأخير الشيء[٣].

وكانت العرب تحرِّم الشهور الأربعة، وكان هذا مما تمسَّكت به من ملة إبراهيم، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرَّم للحرب تكون بينهم، فيؤخِّرون تحريم المحرَّم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضًا إلى الشهر الذي بعده، ثم تتدافع الشهور شهرًا بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنَّة كلِّها، فكأنهم يستنسئون الشهر الحرام ويستقرضونه، فأعلم الله تعالى أن ذلك زيادة في كفرهم، لأنهم أحلُّوا الحرام وحرَّموا الحلال.

﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ أي ليوافقوا.

﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فلا يخرجون من تحريم أربعة، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعة الحرم، ولا يبالون بتحليل الحرام وتحريم الحلال، وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم.

قال الفراء: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصَّدَرَ عن مِنًى قام رجل من بني كنانة يقال له: نُعيم بن ثعلبة، وكان رئيس الموسم،

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٤)، والحجة (٤/ ١٩١)، والمبسوط (ص:٢٢٦).

(٣) انظر: لسان العرب (١/ ١٦٧).

فيقول: أنا الذي لا أُعابُ ولا أُجابُ ولا يُرَدُّ لي قضاء، فيقولون: أنسئنا شهرًا، يريدون: أخِّر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعل ذلك. وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حُرُم لا يُغِيرون فيها، وإنما كان معاشهم من الإغارة، فتستدير الشهور كما بيَّنَّا[١].

وقيل: إنما كانوا يستحلُّون المحرَّم عامًا، فإذا كان من قابل ردُّوه إلى تحريمه.

قال أبو عبيد: والتفسير الأول أحب إليَّ، لأن هذا القول ليس فيه استدارة[٢].

وقال مجاهد: كان أولَ من أظهر النسيء جنادةُ بن عوف الكناني، فوافقت حجَّةُ أبي بكر ذا القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام المقابل[٣] في ذي الحجة، فذلك حين قال: «**أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَومَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**»[٤].

وقال الكلبي: أول من فعل ذلك نُعيم بن ثعلبة[٥].

قوله: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يَضِل» بفتح الياء وكسر الضاد.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٦).

(٢) انظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢/ ١٥٩).

(٣) في (ف)، و(ر): (القابل).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٧)، ومسلم في صحيحه (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٤٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٤٢٣).

والمعنى: أنهم يكتسبون الضلال به.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُضَلُّ» بضم الياء وفتح الضاد على ما لم يُسم فاعله(١).

[٣٢٦/أ] وقرأ الحسن البصري، ويعقوب إلا الوليد: «يُضِل» بضم الياء وكسر الضاد(٢).

وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يُضِلُّ الله به.

والثاني: يُضِلُّ الشيطان به، ذكرهما ابن القاسم.

والثالث: يُضِلُّ به الذين كفروا الناس، لأنهم الذين سنُّوه لهم.

قال أبو علي: التقدير: يُضل به الذين كفروا تابعيهم(٣).

قال ابن القاسم: والهاء في «به» راجعة إلى النسيء، وأصل النسيء: المنسوء، أي: المؤخَّر، فصرف عن «مفعول» إلى «فعيل»، كما قيل: مطبوخ وطبيخ، ومقدور وقدير.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٤)، والحجة (٤/ ١٩٤)، والتحصيل (٣/ ٢٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها للحسن وأبي رجاء، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٧) نسبها للحسن ويعقوب وغيرهما، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٣٢) نسبها لابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون.

(٣) انظر: الحجة (٤/ ١٩٤).

قال: وقيل: الهاء راجعة إلى الظلم، لأن النسيء كَشَفَ تأويل الظلم، فجرى مجرى المظهر، والأول اختيارنا.

قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

قوله: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾.

قال المفسرون: لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وكان في زمن عسرة وجدب وحرٍّ شديد، وقد طابت الثمار، عَظُمَ ذلك على الناس وأحبوا المُقام، فنزلت هذه الآية(١).

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام معناه التَّوبيخ.

وقوله: ﴿ٱنفِرُواْ﴾.

معناه: اخرجوا، وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر هاج إلى ذلك.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ١٧٠)، وتفسير الطبري (١١/ ٤٥٨)، والتفسير البسيط (١٠/ ٤٣٠)، وغيرها.

وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾.

قال ابن قتيبة: أراد: تثاقلتم، فأدغم التاء في الثاء، وأحدثت[1] الألف ليسكن ما بعدها، وأراد: قعدتم[2].

وفي قراءة ابن مسعود، والأعمش: «تثاقلتم»[3].

وفي معنى ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تثاقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها، قاله مجاهد.

والثاني: اطمأننتم إلى الدنيا، قاله الضحاك.

والثالث: تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزَّجَّاج[4].

قوله: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

أي: بنعيمها من نعيم الآخرة، فما يُتمتَّع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يَتمتَّع به الأولياء في الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [التوبة: ٣٩].

---

(١) في (ف): (وأحدث).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٦).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧)، والتحصيل (٣/ ٢٥٨) كلاهما نسبها للأعمش، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦١٧) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٧).

قوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾.

سبب نزولها:

أن رسول الله ﷺ لما حثَّهم على غزو الروم تثاقلوا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

وقال قوم: هذه خاصَّة فيمن استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر.

قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حيًّا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه، فأُمسك عنهم المطر فكان عذابهم[١].

وفي قوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

وعيد شديد في التخلُّف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قومًا غير متثاقلين.

ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضروه، كما لم يضرُرْه ذلك إذْ كان بمكة.

وفي هاء ﴿تَضُرُّوهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله، والمعنى: لا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن.

والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: لا تضروه بترك نصره، قاله الزَّجَّاج[٢].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٦١) من رواية نجدة الخراساني، عن ابن عباس ﷺ به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٣) لأبي داود، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٨).

فَصْلٌ

وقد روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة أنهم قالوا: نسخ قوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة:١٢٢]. ٣٢٦/ب]

وقال أبو سليمان الدمشقي: ليس هذا من المنسوخ، إذ لا تنافي بين الآيتين، وإنما حكم كل آية قائم في موضعها.

وذكر القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدوَّ، ففرضٌ على الناس النفير إليهم، ومتى استغنَوا عن إعانة مَن وراءهم، عُذر القاعدون عنهم.

وقال قوم: هذا في غزوة تبوك، ففُرِض على الناس النَّفير مع رسول الله ﷺ.

قوله تعالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: بالنفير معه.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إعانةً على أعدائه.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠] فأعلمهم أن نصره ليس بهم.

قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾.

العرب تقول: هو ثاني اثنين، أي: أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، أي: أحد الثلاثة.

قال الزَّجَّاج: وقوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي: نصره منفردًا إلا من أبي بكر[(١)].

وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر[(٢)].

وقال ابن جرير: المعنى: أخرجوه وهو أحد الاثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر[(٣)].

فأما ﴿ٱلْغَارِ﴾ فهو ثقب في الجبل.

وقال ابن فارس: الغار: الكهف، والغار: نبت طيِّب الرِّيح، والغار: الجماعة من الناس، والغاران: البطن والفرج، وهما الأجوفان، يقال: إنما هو عبد غارَيْه[(٤)].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٤٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٦٣).

(٤) انظر: مجمل اللغة (١/ ٦٩٠).

قال الشاعر[١]: [من الطويل]

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الدَّهْـرَ يَـوْمٌ وَلَيْلَـةٌ ... وأَنَّ الفَتَـى يَسْـعَى لِغَارَيْـهِ دَائِبَـا

قال قتادة: وهذا الغار في جبل بمكة يقال له: ثور[٢].

قال مجاهد: مكثا فيه ثلاثًا[٣].

قال الشيخ[٤]: وقد ذكرت حديث الهجرة في كتاب «الحدائق»[٥].

قال أنس بن مالك: أمر الله ﷻ شجرة فنبتت في وجه رسول الله ﷺ فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه، وأمر حمامتين وحشيتين فوقعتا في فم الغار، فلما دنوا من الغار، عَجِل بعضهم لينظر، فرأى حمامتين، فرجع فقال: رأيت حمامتين على فم الغار، فعلمت أنه ليس فيه أحد[٦].

---

(١) البيت بلا نسبة في إصلاح المنطق (ص:٢٧٨)، ولسان العرب (٥/ ٣٥) مادة (غور)، والمخصص (٤/ ١٥٠)، ومعجم ديوان الأدب (٣/ ٣٣٤)، والصحاح (٢/ ٧٧٤)، ومجمل اللغة (١/ ٦٩٠)، وأساس البلاغة (١/ ٧١٥)، وتاج العروس (١٣/ ٢٧٣) مادة (غور).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٦٥) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٦٦) من رواية إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد به.

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ف)، و(ر).

(٥) وهو كتاب: «الحدائق في علم الحديث والزهديات»، جمع فيه المصنِّف أربعة وستين كتابًا في علم الحديث والزهديات، وقد وصف كتابه بأنه جمع فيه الأحاديث المتعلقة بالآداب والفضائل والقصص والترغيب والترهيب، وأخرج فيه من أخبار الزهاد وكلمات الحكماء أشرفها وأشرقها وأظرفها وأطرفها، والكتاب في ثلاثة مجلدات.

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٢٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٨١)، والطبراني في الكبير (٢/ ٤٤٣) (١٠٨٢) عن أنس بن مالك ﵁.=

وقال مقاتل: جاء القائف فنظر إلى الأقدام فقال: هذه قدم ابن أبي قحافة، والأخرى لا أعرفها، إلا أنها تشبه القدم التي في المقام، وصاحبه في هذه الآية أبو بكر(١).

وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار، فقال له النبي ﷺ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»(٢).

وفي السكينة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس.

والثاني: الوقار، قاله قتادة.

والثالث: السكون والطمأنينة، قاله ابن قتيبة(٣)، وهو أصح.

وفي هاء ﴿عَلَيْهِ﴾ ثلاثة أقوال: [٣٢٧/أ]

أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت.

=قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٣١): «رواه الطبراني في الكبير ومصعب المكي والذي روى عنه، وهو عوين بن عمرو القيسي لم أجد من ترجمها، وبقية رجاله ثقات».

وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٤/ ٢٠١) لابن مردويه.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٦٣)، ومسلم في صحيحه (٢٣٨١) من رواية أنس بن مالك، عن أبي بكر ﵁.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٦).

واحتجَّ من نصر هذا القول بأن النبي ﷺ كان مطمئنًا.

والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مقاتل[١].

والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية، والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، فاكتفى بإعادة الذِّكر على أحدهما من إعادته عليهما، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]، ذكره ابن الأنباري.

قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: قوَّاه، يعني النبي ﷺ بلا خلاف.

﴿بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ وهم الملائكة.

ومتى كان ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، قاله ابن عباس.

والثاني: لما كان في الغار، صَرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، قاله الزَّجَّاج[٢].

فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في «أيَّده» ترجع إلى النبي ﷺ، فكيف تفارقها هاء «عليه»، وهما متفقان في نظم الكلام؟

فالجواب: أن كل حرف يُردُّ إلى الأليق به، والسكينة إنما يَحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبي ﷺ منزعجًا.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩).

فأما التأييد بالملائكة، فلم يكن إلا للنبي ﷺ، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعني النبي ﷺ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح:٩] يعني الله ﷻ.

قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، وكلمة الله وهي التوحيد، هي العليا، لأنها ظهرت، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدَّروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله أنه ناصره، رواه عطاء عن ابن عباس.

وقرأ ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، ويعقوب: «وكلمةَ الله» بالنصب[1].

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه من الكافرين ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

---

(١) في المبسوط (ص:٢٢٧) نسبها ليعقوب، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٨) نسبها للأعمش ويعقوب، وفي الهداية (٤/ ٣٠٠٣) نسبها لعلقمة والحسن ويعقوب، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٣٦) نسبها للحسن بن أبي الحسن ويعقوب.

قوله: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

سبب نزولها:

أن المقداد جاء إلى رسول الله ﷺ، وكان عظيمًا سمينًا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت هذه الآية، قاله السدي[1].

وفي معنى ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أحد عشر قولًا:

أحدها: شيوخًا وشبابًا، رواه أنس عن أبي طلحة، وبه قال الحسن، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وأبو صالح، وشَمْرُ بن عطية[2]، وابن زيد في آخرين.

والثاني: رجَّالةً وركبانًا، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الأوزاعي.

والثالث: نِشاطًا وغير نِشاط، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، ومقاتل[3].

[٣٢٧/ ب] **والرابع**: أغنياء وفقراء، روي عن ابن عباس.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٣) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) وهو شمر بن عطية بن عبد الرحمن الأسدي، من بني مرة بن الحارث بن سعد ابن ثعلبة، وكان ثقة وله أحاديث صالحة. وقال النَّسائي: ثقة. وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب الثقات. وروى له أبو داود في المراسيل، والتِّرمذي، والنَّسائي في اليوم والليلة. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣١٠)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٥٦٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٢).

ثم في معنى هذا الوجه قولان:

أحدهما: أن الخفاف: ذوو العسرة وقلَّة العيال، والثقال: ذوو العيال والميسرة، قاله الفراء[١].

والثاني: أن الخفاف: أهل الميسرة، والثقال: أهل العسرة، حكي عن الزَّجَّاج[٢].

والخامس: ذوي عيال، وغير ذوي عيال، قاله زيد بن أسلم.

والسادس: ذوي ضياع، وغير ذوي ضياع، قاله ابن زيد.

والسابع: ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال، قاله الحكم.

والثامن: أصحَّاء، ومرضى، قاله مرة الهمداني، وجويبر.

والتاسع: عزَّابًا ومتأهِّلين، قاله يمان بن رباب.

والعاشر: خفافًا إلى الطاعة، وثقالًا عن المخالفة، ذكره الماوردي[٣].

والحادي عشر: خفافًا من السلاح، وثقالًا بالاستكثار منه، ذكره الثعلبي[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٦٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٩).

فَصْلٌ

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة:١٢٢][١].

وقال السدي: نسخت بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة:٩١][٢].

قوله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾.

قال القاضي أبو يعلى: أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعًا، فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال، فعليه الجهاد بماله، بأن يعطيه لغيره فيغزو به، كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قويًا، وإن كان له مال وقوة، فعليه الجهاد بالنفس والمال، ومن كان معدمًا عاجزًا، فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله، لقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٩١].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ذلكم الجهاد خير لكم من تركه والتثاقل عنه.

والثاني: ذلكم الجهاد خير حاصل لكم.

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (١٩٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠١١٥) من رواية عطاء الخراساني، عن ابن عباس به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٣) من رواية أسباط، عن السدي به.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما لكم من الثواب.

قوله تعالَى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢].

قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾.

قال المفسرون: نزلت في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك(١).

ومعنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عَرَضًا قريبًا.

والعرض: كلُّ ما عرض لك من منافع الدنيا.

فالمعنى: لو كانت غنيمةٌ قريبة، أو كان سفرًا قاصدًا، أي: سهلًا قريبًا، لاتَّبعوك طمعًا في المال.

﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾:

قال ابن قتيبة: الشقة: السفر(٢).

وقال الزَّجَّاج: الشقة: الغاية التي تقصد(٣).

وقال ابن فارس: الشقة: مصير إلى أرض بعيدة، تقول: شقَّة شاقَّة(٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٧١).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٤٥١) وعزاه لليث، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٢٤) وعزاه لابن فارس.

قوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ يعني المنافقين إذا رجعتم إليهم.

﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾.

وقرأ زائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع: «لَوُ استطعنا» بضم الواو[1]، وهكذا أين وقع، مثل: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الكهف:١٨]، كأنه لما احتيج إلى حركة الواو، حُرِّكت بالضم لأنها أخت الواو، والمعنى: لو قدرنا وكان لنا سَعَةٌ في المال.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكذب والنفاق.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا.

قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣].

قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

[٣٢٨/أ] كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلُّف لَّما خرج إلى تبوك، قال ابن عباس: ولم يكن يومئذ يعرف المنافقين[2].

---

(١) في المحتسب (١/ ٢٩٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٨) كلاهما نسبها للأعمش، وفي الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (ص:٥٦٢) نسبها لزائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠١).

قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فعاتبه الله ﷻ كما تسمعون(١).

قال مورِّق: عاتبه ربُّه بهذا(٢).

وقال سفيان بن عيينة: انظر إلى هذا اللطف، بدأه بالعفو قبل أن يعيِّره بالذَّنْب(٣).

وقال ابن الأنباري: لم يخاطَب بهذا الجرم أجرمه، لكنَّ الله وقَّره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريمًا عليه: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك، هلَّا زرتني.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: حتى تعرف ذوي العذر في التخلُّف ممن لا عذر له.

والثاني: لو لم تأذن لهم لقعدوا وبان لك كذبهم في اعتذارهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه، والطبري في تفسيره (١١/ ٤٧٩) من رواية سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن ميمون الأودي به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٣) من رواية موسى بن سروان، عن مورق العجلي به.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢/ ٥٠٠).

قال قتادة: ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقوله: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾(١)[النور:٦٢].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

قوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود(٢).

قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ نبيَّه ﷺ أنَّ علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان(٣).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٧٨، ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٦) عن قتادة به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٨٠) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٠).

فَصْلٌ

وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢] إلى آخر الآية[١].

قال أبو سليمان الدمشقي: فليس للنسخ هاهنا مدخل، لإمكان العمل بالآيتين، وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة، ذهبوا من غير استئذانه.

قوله تعالَى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧].

قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ يعني المستأذنين له في القعود.

وفي المراد بالعُدَّة قولان:

أحدهما: النية، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: السلاح والمركوب وما يصلح للخروج، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٨٠).

والانبعاث: الانطلاق.

والتثبُّط: ردُّك الإنسان عن الشيء يفعله.

قوله: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾.

في القائل لهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أُلهموا ذلك خذلانًا لهم، قاله مقاتل[1].

والثاني: أن النبي ﷺ قاله غضبًا عليهم.

والثالث: أنه قول بعضهم لبعض، ذكره الماوردي[2].

وفي المراد بالقاعدين قولان:

أحدهما: أنهم القاعدون بغير عذر، قاله ابن السائب.

والثاني: أنهم القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان، ذكره علي بن عيسى.

قال الزَّجَّاج: ثم أعلم الله ﷻ لم كره خروجهم، فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾.

والخبال: الفساد وذهاب الشيء[3]. [٣٢٨/ ب]

وقال ابن قتيبة: الخبال: الشر[4].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٠).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٧).

فإن قيل: كأن الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؟

فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع، والمعنى: ما زادوكم قوَّة، لكن أوقعوا بينكم خبالًا.

وقيل: سبب نزول هذه الآية:

أن النبي ﷺ لما خرج، ضرب عسكره على ثنيَّة الوداع، وخرج عبد الله بن أُبي، فضرب عسكره على أسفل من ذلك، فلما سار رسول الله ﷺ، تخلَّف ابن أُبي فيمن تخلَّف من المنافقين، فنزلت هذه الآية[1].

قوله: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾.

قال الفراء: الإيضاع: السير بين القوم[2].

وقال أبو عبيدة: لأسرعوا بينكم، وأصله من التخلل[3].

قال الزَّجَّاج: يقال: أوضعت في السير: أي: أسرعت[4].

قوله: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾.

قال الفراء: يبغونها لكم[5].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٥١).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٩).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦١).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥١).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٠).

وفي ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ قولان:

أحدهما: الكفر، قاله الضحاك، ومقاتل[١]، وابن قتيبة[٢].

والثاني: تفريق الجماعة، وشتات الكلمة.

قال الحسن: لأوضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم[٣].

قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: عيون ينقلون إليهم أخباركم، قاله مجاهد، وابن زيد.

والثاني: مَن يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨].

قوله: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ﴾.

في ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ قولان:

أحدهما: الشر، قاله ابن عباس.

والثاني: الشرك، قاله مقاتل[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٤٦٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٣).

قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ غزوة تبوك.

وفي قوله: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: بَغَوْا لك الغوائل، قاله ابن عباس.

وقيل: إن اثني عشر رجلًا من المنافقين وقفوا على طريقه ليلًا ليفتكوا به، فسلَّمه الله منهم(١).

والثاني: احتالوا في تشتُّت أمرك وإبطال دينك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قال ابن جرير: وذلك كانصراف ابن أُبيٍّ يوم أُحد بأصحابه(٢).

والثالث: أنه قولهم ما ليس في قلوبهم.

والرابع: أنه ميلهم إليك في الظاهر، وممالأة المشركين في الباطن.

والخامس: أنه حلفهم بالله ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي(٣).

قوله: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني النصر.

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠١-٥٠٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٨٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٦٩).

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾.

سبب نزولها:

أن رسول الله ﷺ قال للجَدِّ بن قيس: «يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ، لَعَلَّكَ أَنْ تَغْنَمَ بَعْضَ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ»، فقال: يا رسول الله، ائذن لي فأقيم، ولا تفتني ببنات الأصفر، فأعرض عنه وقال: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ»، ونزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس(١).

وهذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ [التوبة: ٦٠] في المنافقين.

قوله: ﴿وَمِنْهُم﴾ يعني المنافقين.

﴿مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ أي: في القعود عن الجهاد، وهو الجد بن قيس.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ أربعة أقوال:

[٣٢٩/أ] أحدها: لا تفتنِّي بالنساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد.

والثاني: لا تكسبني الإثم بأمرك إيَّايَ بالخروج وهو غير متيسِّر لي، فآثم بالمخالفة، قاله الحسن، وقتادة، والزَّجَّاج(٢).

---

(١) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وإنما من رواية الضحاك عن ابن عباس، وذلك فيما رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٦٠٤)، والمعجم الكبير (٢/ ٢٧٥) (٢١٥٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢١٣) لابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في المعرفة عن ابن عباس.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠) (١١٠٤٣): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف».

هذا وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٦٠٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥١).

والثالث: لا تكفِّرني بإلزامك إيَّايَ الخروج، قاله الضحاك.

والرابع: لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

قوله: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾.

في هذه الفتنة أربعة أقوال:

أحدها: أنها الكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: الحرج، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: الإثم، قاله قتادة، والزَّجَّاج(١).

والرابع: العذاب في جهنم، ذكره الماوردي(٢).

قوله تعالَى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥٠، ٥١].

قوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ أي: نصر وغنيمة.

والمصيبة: القتل والهزيمة.

﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ أي: عَمِلنا بالحزم فلم نخرج.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٠).

﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾ بمصابك وسلامتهم.

قوله: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما قضى علينا، قاله ابن عباس.

والثاني: ما بيَّن لنا في كتابه من أنَّا نظفر فيكون ذلك حسنى لنا، أو نقتل فتكون الشهادةُ حسنى لنا أيضًا، قاله الزَّجَّاج(١).

والثالث: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وُعدنا، ذكره الماوردي(٢).

قوله: ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾ أي: ناصرنا.

قوله تعالَى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢﴾ [التوبة: ٥٢].

قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ أي: تنتظرون.

والحسنيان: النصر والشهادة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧١).

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ في هذا العذاب قولان:

أحدهما: الصواعق، قاله ابن عباس.

والثاني: الموت، قاله ابن جُرَيج.

قوله: ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني: القتل.

قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة: ٥٣].

قوله: ﴿أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾.

سبب نزولها:

أن الجد بن قيس قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افتتنت، ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[١].

قال الزَّجَّاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، المعنى: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يُتقبَّل منكم[٢].

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٩٩) من رواية ابن جريج، عن ابن عباس به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٣).

ومثله في الشعر قول كثيِّر[1]: [من الطويل]

أَسِـيْئِي بِنَـا أَو أَحْسِـنِي لَا مَلُوْمَـةً ... لَدَيْنَـا ولا مَقْلِيَّـةً إن تَقَلَّـتِ

لم يأمرها بالإساءة، ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها.

قال الفراء: ومثله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠][2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تقبل» بالتاء.

وقرأ حمزة، والكسائي: «يقبل» بالياء[3].

---

(١) البيت لكثيِّر عزة في ديوانه (٥٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٥٣)، (٣/ ١٣)، والأضداد (ص:١٣٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٩٨)، ولسان العرب (١٣/ ١١٥)، والشعر والشعراء (١/ ٥٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤١).

(٣) انظر: السبعة (ص:٣١٤-٣١٥)، والحجة (٤/ ١٩٥-١٩٦)، والمبسوط (ص:٢٢٧)، والتيسير (ص:١١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٥)، والتحصيل (٣/ ٢٥٩).

وقال أبو علي: من أنَّث، فلأن الفعل مسند إلى مؤنَّث في اللفظ، ومن قرأ بالياء، فلأنه ليس بتأنيث حقيقي، فجاز تذكيره كقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٥][(١)].

وقرأ الجحدري: «أن يَقبل» بياء مفتوحة، «نفقاتِهم» بكسر التاء[(٢)].

وقرأ الأعمش: «نفقتُهم» بغير ألف، مرفوعة التاء[(٣)].

وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «أن يَقبل» بالياء، «نفقتَهم» بنصب التاء [٣٢٩/ب] على التوحيد[(٤)].

قوله: ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابن الأنباري: «أن» هاهنا مفتوحة، لأنها بتأويل المصدر مرتفعة بـ﴿مَنَعَهُمْ﴾، والتقدير: وما منعهم قبول النفقة منهم إلا كفرهم بالله.

قوله: ﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ قد شرحناه في «سورة النساء»[(٥)].

قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنهم يعدُّون الإنفاق مغرمًا.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ١٩٦).

(٢) في الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (ص: ٥٦٢) نسبها لأبي عبد الرحمن السُّلَمِي.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨) نسبها للأعرج، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) نسبها للأعمش، وفي الكامل (ص:٥٦٢) نسبها لطلحة.

(٤) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢١) بلا نسبة، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) نسبها للأعمش.

(٥) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٤٢).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

قوله: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ أي: لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد.

وفي معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: فلا تعجبك أحوالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة(١).

فعلى هذا في الآية تقديم وتأخير، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها.

والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: ليُعذبهم بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، فهي لهم عذاب، وللمؤمنين أجر، قاله ابن زيد.

والثالث: أن المعنى: ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله، قاله الحسن.

فعلى هذا ترجع الكناية إلى الأموال وحدها.

والرابع: ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم، ذكره الماوردي(٢).

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٣١).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٢).

فعلى هذا تكون في المشركين.

قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تخرج، يقال: زهق السَّهم: إذا جاوز الهدف.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة: ٥٦، ٥٧].

قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: مؤمنون.

و﴿يَفْرَقُونَ﴾ بمعنى يخافون.

فأما الملجأ: فقال الزَّجَّاج: الملجأ واللَّجأ مقصور مهموز، وهو المكان الذي يُتحصن فيه(١).

والمغارات: جمع مغارة، وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان، أي: يستتر فيه.

وقرأ سعيد بن جبير، وابن أبي عبلة: «أو مُغارات» بضم الميم(٢)، لأنه يقال: أغرت وغُرت: إذا دخلتَ الغور.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) كلاهما نسبها لعبد الرحمن بن عوف، وفي المحتسب (١/ ٢٩٥) نسبها لسعد بن عبد الرحمن بن عوف، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٦) نسبها لسعيد بن عبد الرحمن بن عوف، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢١) بلا نسبة.

وأصل مدَّخَل: مدتخل، ولكن التاء تبدل بعد الدال دالًا، لأن التاء مهموسة، والدال مجهورة، والتاء والدال من مكان واحد، فكان الكلام من وجه واحد أخف.

وقرأ أُبيٌّ، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «أو مُتَدَخَّلًا» برفع الميم، وبتاء ودال مفتوحتين، مشددة الخاء[١].

وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «مُندخَلًا» بنون بعد الميم المضمومة[٢].

وقرأ الحسن، وابن يعمر، ويعقوب: «مَدْخلًا» بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها[٣].

قال الزَّجَّاج: من قال: «مَدْخلًا» فهو من دخل يدخل مدخلًا، ومن قال: «مُدْخلًا» فهو من أدخلته مُدخلًا[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، وفي التحصيل (٣/ ٢٦٠)، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٦) ثلاثتهم نسبوها لأبي بن كعب، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٢) بلا نسبة.

(٢) في التحصيل (٣/ ٢٦٠)، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٦)، وفي المحتسب (١/ ٢٩٥) ثلاثتهم نسبوها لأبي بن كعب، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٢) بلا نسبة.

(٣) في المحرر الوجيز (٣/ ٤٦) نسبها لمسلمة بن محارب، والحسن، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن، وابن كثير بخلاف عنه، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) نسبها لعبد الله بن الزبير، والحسن، ويعقوب، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٨) نسبها لعبد الله بن مسلم، وفي الكامل (ص:٥٦٣) قال: «(مُدْخَلًا): بفتح الميم وتخفيف الدال: الزَّعْفَرَانِي عن ابن مُحَيْصِن وبصري إلا أيوب، وزبان إلا حسين الجعفي، وهارون، ووهيبًا، ويونس».

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٥).

قال الشاعر[١]: [من البسيط]

الْحَمْـدُ للهِ مُمْسَـانَا وَمُصْبَحـنَـا بِالْخَـيْرِ صَبَّحَنَـا رَبِّي وَمسَّـانَا

ومعنى مُدَّخل: أنهم لو وجدوا قومًا يدخلون في جملتهم.

﴿لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى أحد هذه الأشياء.

﴿وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ أي: يسرعـون إسراعًـا لا يـردُّ فيـه وجوهَهـم شيء. يقـال: جمـح وطمـح: إذا أسرع ولم يـردَّ وجهـه شيء، ومنـه قيـل: فـرس جمـوح، [٣٣٠/أ] للـذي إذا حمـل لم يـرده اللِّجـام.

قولـه تعَـالَى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨﴾ [التوبـة: ٥٨].

قوله: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾.

فيمن نزلت فيه قولان:

أحدهمـا: أنـه ذو الخويـصرة التَّميمـي، قـال للنبـي ﷺ يومًـا: اعـدل يـا رسـول الله، فنزلـت هـذه الآيـة[٢].

---

(١) البيـت لأميـة بـن أبي الصلـت في ديوانـه (ص ٦٢)، والكتـاب (٤/ ٩٥)، وإصـلاح المنطـق (ص ١٢٧)، ومعـاني القـرآن؛ للأخفـش (١/ ٢٥٣)، والأغـاني (٤/ ١٣٢)، وخزانـة الأدب (١/ ٢٤٨، ٢٤٩)، والمخصـص (٤/ ٣٢٢)، وشرح أبيـات سـيبويه (٢/ ٣٣٨)، وشرح المفصـل (٦/ ٥٣)، ولسـان العـرب (١٥/ ٢٨٠) مـادة (مسـا)، وتـاج العـروس (٣٩/ ٥٣٠)، وبـلا نسـبة في شرح الأشـموني (٢/ ٣٥٢)، وشرح المفصـل (٦/ ٥٠).

(٢) رواه البخـاري في صحيحـه (٦٩٣٣)، وعبـد الـرزاق في تفسـيره (١٠٩٢)، والطـبري في=

ويقال: أبو الخواصر، ويقال: ابن ذي الخويصرة.

والثاني: أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء، فنزلت فيه هذه الآية[1].

قال ابن قتيبة: «يلمزك» يعيبك ويطعن عليك، يقال: همزت فلانًا ولمزته: إذا اغتبته وعبته[2].

والأكثرون على كسر ميم «يلمزك».

وقرأ يعقوب، ونظيف عن قنبل، وأبان عن عاصم، والقزَّاز عن عبد الوارث: «يلمُزون» و«يلمُزك» و«لا تلمُزوا» بضم الميم فيهنَّ[3].

=تفسيره (١١/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٤٠) وغيرهم من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْ قَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٨).

(٣) قال في الكامل (ص:٥٦٣): «(يَلْمِزُكَ)، و(يَلْمِزُونَ)، وبابه بضم الميم: نظيف، وابن سلمة، وابن مِقْسَمٍ عن ابن كثير، وأبان، وعَاصِم، وبصري إلا أيوب، وزبان إلا=

وقرأ ابن السميفع: «يلامزك» مثل: يفاعلك.

وقد رواها حماد بن سلمة عن ابن كثير[١].

قال أبو علي الفارسي: وينبغي أن تكون فاعلت في هذا من واحد، نحو: طارقت النعل، وعافاه الله، لأن هذا لا يكون من النبي ﷺ[٢].

وقرأ الأعمش: «يلمّزك» بتشديد الميم من غير ألف، مثل: يفعّلك[٣].

قال الزَّجَّاج: يقال: لمزت الرجل ألمِزُه وألمُزُه، بكسر الميم وضمها: إذا عبته، وكذلك: همزته أهمزه[٤].

=القرشي والقزاز عن عبد الواحد، وخير أُوقِيَّة عن عباس، الباقون بكسر الميم، وهو الاختيار، لأنها لغة قريش»، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٧) قال: «وقرأ ابن كثير فيما روى عنه حماد بن سلمة «يلمزك» بضم الميم، وهي قراءة أهل مكة وقراءة الحسن وأبي رجاء وغيرهم»، وفي البحر المحيط (٥/ ٤٣٩) نسبها ليعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير والحسن وأبي رجاء. وانظر: السبعة (ص:٣١٥)، والحجة (٤/ ١٩٦)، والمبسوط (ص:٢٢٧)، والتحصيل (٣/ ٢٦٠).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٣) بلا نسبة، وفي التحصيل (٣/ ٢٦٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، والبحر المحيط (٥/ ٤٣٩) ثلاثتهم نسبوها لحماد بن سلمة، عن ابن كثير.

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٩٨).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وفي التحصيل (٣/ ٢٦٠) ثلاثتهم نسبوها للأعمش، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٣) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٥).

قال الشاعر(١):

إذا لَقِيتُك تُبْدِي لِي مُكاشَرَةً ... وَإِنْ تغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللُّمَزَهْ

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٥٩، ٦٠].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: قنعوا بما أُعطوا.

﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في الزيادة، أي: لكان خيرًا لهم.

وهذا جواب «لو»، وهو محذوف في اللفظ.

ثم بيَّن المستحق للصدقات بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾.

اختلفوا في صفة الفقير والمسكين على ستة أقوال:

أحدها: أن الفقير: المتعفف عن السُّؤال، والمسكين: الذي يسأل، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، والزهري، والحكم، وابن زيد، ومقاتل(٢).

---

(١) البيت لزياد الأعجم في مجاز القرآن (١/ ٢٦٣)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١١/ ٥٠٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ٤٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، والبيت من بحر البسيط، وزياد هو: ابن سليمان الأعجم، ويكنى أبا أمامة، له ترجمة في الأغاني (١٤/ ٩٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٦).

والثاني: أن الفقير: المحتاج الذي به زمانة، والمسكين: المحتاج الذي لا زمانة به، قاله قتادة.

والثالث: الفقير: المهاجر، والمسكين: الذي لم يهاجر، قاله الضحاك بن مزاحم، والنَّخعي.

والرابع: الفقير: فقير المسلمين، والمسكين: من أهل الكتاب، قاله عكرمة.

والخامس: أن الفقير: من له البلغة من الشيء، والمسكين: الذي ليس له شيء، قاله أبو حنيفة، ويونس بن حبيب، ويعقوب بن السكِّيت، وابن قتيبة(١).

واحتجوا بقول الرَّاعي(٢): [من البسيط]

أَمَّا الفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلُوبَتُه ... وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ

فسماه فقيرًا، وله حَلوبة تكفيه وعياله.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٨).

(٢) البيت للراعي النميري في ديوانه (ص ٦٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٨)، ولسان العرب (٥/ ٦٠) مادة (فقر)، ومجمل اللغة (١/ ٧٠٣)، وفقه اللغة (ص:٥٩)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٠٣)، وإصلاح المنطق (ص ٢٣٢)، وأدب الكاتب (ص ٣٤)، وأساس البلاغة (٢/ ٣٤٧)، وتاج العروس (١٣/ ٣٣٦)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (١/ ١٩١)، وبلا نسبة في الزاهر (١/ ١٢٧)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٥٦)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٢٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٤٤)، والمخصص (٣/ ٤٥٢)، والسبد: الشعر، وقيل: الوبر. والراعي: هو حصين بن معاوية وكان سيدًا، وإنما قيل له الراعي؛ لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشراف، وكان أعور توفي سنة ٩٠ - ٩١هـ. الشعر والشعراء (٤١٥).

وقال يونس: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله، بل مسكين. يريد: أنا أسوأ حالًا من الفقير[1].

[٣٣٠/ب] **والسادس**: أن الفقير أمسُّ حاجة من المسكين، وهذا مذهب أحمد، لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفَقَار، والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع، وذلك أبلغ.

قال ابن الأنباري: ويروى عن الأصمعي أنه قال: المسكين أحسن حالًا من الفقير[2].

وقال أحمد بن عبيد: المسكين أحسن حالًا من الفقير، لأن الفقير أصله في اللغة: المفقور الذي نزعت فَقرة من فِقَرِ ظهره، فكأنه انقطع ظهره من شدة الفقر، فصُرف عن مفقور إلى فقير، كما قيل: مجروح وجريح، ومطبوخ وطبيخ[3].

---

(١) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٢٢)، ومكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٣٠٣٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٠٢).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٨).

(٣) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٠٤-٥٠٥)، وذكره بنحوه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٨).

قال الشاعر[١]: [من الكامل]

لَمَّا رَأَى لُبَدَ النُّسُورِ تَطَايَرَتْ   رَفَعَ القَوادِمَ كَالْفَقِيرِ الأَعْزَلِ

قال: ومن الحجة لهذا القول قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف:٧٩] فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالًا، قال: وهو الصحيح عندنا[٢].

قوله: ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾.

وهم السعاة لجباية الصدقة، يُعْطَوْنَ منها بقدر أُجُور أمثالهم، وليس ما يأخذونه بزكاة.

قوله: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألَّفهم على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذوي شرف، وهم صنفان: مسلمون، وكافرون.

فأما المسلمون، فصنفان صنف كانت نِيَّاتُهم في الإسلام ضعيفة، فتألَّفهم تقويةً لِنيَّاتهم، كعُيَيْنة بن حصن، والأقرع، وصنف كانت نياتهم حسنة، فأُعطوا تألُّفًا لعشائرهم من المشركين، مثل عدي بن حاتم.

(١) البيت للبيد في ديوانه (ص ٢٧٤)، ولسان العرب (٤/ ٥٩٥) مادة (عقر)، والتنبيه والإيضاح (٢/ ١٨٣)، وتهذيب اللغة (١/ ١٤٨)، والصحاح (٢/ ٧٨٣)، ومقاييس اللغة (٤/ ٩٠)، وتاج العروس (١٣/ ١١٦، ٣٣٧) مادة (عقر)، (فقر)، وديوان الأدب (١/ ٤٠٧)، وكتاب العين (٥/ ١٥١)، والبيت من الكامل.

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٨).

وأما المشركون، فصنفان: صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتألَّفهم دفعًا لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألَّفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أُمية.

وقد ذكرت عدد المؤلفة في كتاب «التلقيح»[1].

وحكمهم باقٍ عند أحمد في رواية، وقال أبو حنيفة، والشافعي: حكمهم منسوخ.

قال الزهري: لا أعلم شيئًا نسخَ حكم المؤلَّفة قلوبهم[2].

قوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ قد ذكرناه في «سورة البقرة»[3].

قوله: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ وهم الذين لزمهم الدَّين ولا يجدون القضاء.

قال قتادة: هم ناس عليهم دَيْنٌ من غير فساد ولا إِسراف ولا تبذير[4].

---

(١) يقصد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه: «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير»، وهو مصنَّف لطيف في مجلد واحدٍ، يقول واصفًا له: «هذا كتاب ذكرت فيه من السير فنونًا، ومن علوم الحديث عيونًا؛ ليكون للمبتدي تبصرة، وللمنتهي تذكرة، فهو في الحديث ومتعلقاته، وبه يُعرف مرتبة الكتاب، ففيه التاريخ والسير وعلوم الحديث والأثر والوفيات وطبقات الرواة وبيان المقلين والمكثرين... وغير هذا من الفوائد التي لا تكاد تُوجد في غيره لطلبة العلم المبتدئين، وللعلماء المنتهين».

(٢) ذكره النحاس في كتابه معاني القرآن (٣/ ٢٢٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٤١).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٧).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٢٦) من رواية سعيد، عن قتادة به.

وإنما قال هذا، لأنه لا يؤمَن في حق المفسد إذا قُضِيَ دَيْنُه أن يعود إلى الاستدانة لذلك، ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه، ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية.

قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الغزاة والمرابطين.

ويجوز عندنا أن يعطى الأغنياء منهم والفقراء، وهو قول الشافعي.

وقال أبو حنيفة: لا يعطى إلا الفقير منهم.

وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

هو المسافر المنقطع به، وإن كان له مال في بلده قاله مجاهد، وقتادة، [٣٣١/أ] وأبو حنيفة، وأحمد.

فأما إذا أراد أن ينشئ سفرًا، فهل يجوز أن يعطى؟

قال الشافعي: يجوز.

وعن أحمد نحوه[١].

وقد ذكرنا في «سورة البقرة» فيه أقوالًا عن المفسرين[٢].

قوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني أن الله افترض هذا.

---

(١) في (ف): (مثله).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٧).

فَصْلٌ

وحدُّ الغنى الذي يمنع أخذ الزكاة عند أصحابنا بأحد شيئين:

أن يكون مالكًا لخمسين درهمًا، أو عِدلها من الذهب، سواء كان ذلك يقوم بكفايته أو لا يقوم.

والثاني: أن يكون له كفاية، إمَّا بصنعة، أو أجرة عقار، أو عروض للتجارة يقوم ربحها بكفايته.

وقال أبو حنيفة: الاعتبار في ذلك أن يكون مالكًا لنصاب تجب عليه فيه الزكاة.

فأما ذوو القربى الذين تحرم عليهم الصدقة:

فهم بنو هاشم، وبنو المطلب.

وقال أبو حنيفة: تحرم على ولد هاشم، ولا تحرم على ولد المطلب.

ويجوز أن يعمل على الصدقة من بني هاشم وبني المطلب ويأخذ عمالته منها، خلافًا لأبي حنيفة.

فأما موالي بني هاشم وبني المطلب، فتحرم عليهم الصدقة، خلافًا لمالك.

ولا يجوز أن يعطيَ صدقته مَنْ تلزمه نفقتُه، وبه قال مالك، والثوري.

وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا يعطي والدًا وإن علا، ولا ولدًا وإن سفل، ولا زوجه، ويعطي مَنْ عَداهم.

فأما الذميُّ:

فالأكثرون على أنه لا يجوز إعطاؤه.

وقال عبيد الله بن الحسن: إذا لم يجد مسلمًا، أعطي الذمي[١].

ولا يجب استيعاب الأصناف، ولا اعتبار عدد من كل صنف:

وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

وقال الشافعي: يجب الاستيعاب من كل صنف ثلاثة.

فأما إذا أراد نقل الصدقة من بلد المال إلى موضع تُقصر فيه الصلاة:

فلا يجوز له ذلك، فإن نقلها لم يُجزئه، وهو قول مالك، والشافعي.

وقال أبو حنيفة: يكره نقلها، وتجزئه.

قال أحمد: ولا يعطي الفقير أكثر من خمسين درهمًا.

وقال أبو حنيفة: أكره أن يعطي رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، وإن أعطيته أجزأك.

فأما الشافعي، فاعتبر ما يدفع الحاجةَ من غير حدٍّ.

فإن أعطى من يظنُّه فقيرًا، فبان أنه غنيٌّ، فهل يجزئ، فيه عن أحمد روايتان.

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٤٢).

قولـه تعـالَى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: ٦١].

قوله: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن خِذام بن خالد، والجُلاس بن سويد، وعبيد بن هلال في آخرين، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغه فيقع بنا، فقال الجلاس: بل نقول ما شئنا، فإنما محمد أُذنٌ سامعة، ثم نأتيه فيصدِّقنا؛ فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن رجلًا من المنافقين يقال له: نَبْتَل بن الحارث، كان ينمُّ حديث رسول الله ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أُذن، مَنْ حدَّثه شيئًا صدقه، نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن إسحاق[1]. [٣٣١/ب]

والثالث: أن ناسًا من المنافقين منهم جلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، اجتمعوا، فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ، وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس، فحقروه، فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقوله محمد حقًّا، لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام، وقال: والله إن

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٣٥) من رواية سلمة، عن ابن إسحاق به.

ما يقوله محمد حق، وإنكم لشرٌّ من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامرًا كاذب، وحلف عامر أنهم كذبوا[١]، وقال: اللهم لا تفرِّق بيننا حتى تبيِّنَ صدق الصادق، وكذب الكاذب، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ [التوبة:٦٢]، قاله السدي[٢].

فأما الأذى فهو عيبه ونقل حديثه.

ومعنى ﴿أُذُنٌ﴾ يقبل كل ما قيل له.

قال ابن قتيبة: الأصل في هذا أن الأُذُنَ هي السامعة، فقيل لكل من صدَّق بكل خبر يسمعه: أذن[٣].

وجمهور القراء يقرءون: «هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ» بالتثقيل.

وقرأ نافع: «هو أُذْنٌ قل أُذْنُ خير» بإسكان الذال فيهما[٤].

ومعنى ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: أذن خير، لا أُذُنُ شرٍّ يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشرِّ إذا سمعه.

---

(١) في (ف): (كذبة).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٣) عن السدي.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٩).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٥)، والحجة (٤/ ١٩٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٣).

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: «أُذُنٌ» بالتنوين، «خيرٌ» بالرفع(١).

والمعنى: إن كان كما قلتم، يسمع منكم ويصدِّقكم، خيرٌ لكم من أن يكذِّبكم.

قال أبو علي: يجوز أن تطلق الأذن على الجملة كما قال الخليل: إنما سميت النابُ من الإبل لمكان الناب البازل، فسميت الجملة كلُّها به، فأجرَوا على الجملة اسم الجارحة لإرادتهم كثرة استعماله لها في الإصغاء بها(٢).

ثم بيَّن ممن يَقبل، فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن قتيبة: الباء واللام زائدتان، والمعنى: يصدِّق اللهَ ويصدِّقُ المؤمنين(٣).

وقال الزَّجَّاج: يسمع ما ينزِّله الله عليه، فيصدِّق به، ويصدِّق المؤمنين فيما يخبرونه به(٤).

---

(١) في التحصيل (٣/ ٢٨٣) نسبها للمفضل عن عاصم، والأعشى عن أبي بكر عن عاصم، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٥٣) نسبها للحسن بن أبي الحسن ومجاهد وعيسى بخلاف، وقال في الكامل (ص:٥٦٣): «(أذنٌ خيرٌ لَكُمْ) منون مرفوع: ابن أبي عبلة، وقَتَادَة، وطَلْحَة، والحسن، وابن مِقْسَم، والزَّعْفَرَانِي، وإسماعيل عن جعفر طريق الدهان، والأعشى، والبرجمي، وأبو زيد عن المفضل، والجعفر عن عَاصِم، وأَبُو عَمْرٍو، وعباس ومخير».

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٩٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٧).

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: وهو رحمة، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين.

وقرأ حمزة «ورحمةٍ» بالخفض[١].

قال أبو علي: المعنى: أُذُنُ خيرٍ ورحمة، والمعنى: مستمعُ[٢] خيرٍ ورحمةٍ[٣].

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ [التوبة: ٦٢].

قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

قال ابن السائب: نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع النبي ﷺ، أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم، ويحلفون ويعتلُّون[٤].

وقال مقاتل: منهم عبد الله بن أُبيٍّ، حلف لا يتخلَّف عن رسول الله ﷺ ولَيكونَنَّ[٥] معه على عدوِّه[٦].

وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا بالعيب. [٣٣٢/أ]

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٥)، والحجة (٤/ ٢٠٣)، والمبسوط (ص:٢٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٣)، والتحصيل (٣/ ٢٨٣).

(٢) في (ف): (مسمع).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ٢٠٣).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٥٠).

(٥) في الأصل: (ولنكونن)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٨).

وحكى الزَّجَّاج عن بعض النحويين أنه قال: اللام في: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ بمعنى القسم، والمعنى: يحلفون بالله لكم لنرضينَّكم[(١)].

قال: وهذا خطأ، لأنَّهم حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليُرضُوا باليمين، ولم يحلفوا أنهم يُرضُون في المستقبل.

قال الشيخ: قلت[(٢)]: وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزَّجَّاج[(٣)]، وقد مال إليه الأخفش[(٤)].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: بالتوبة والإنابة.

والثاني: بترك الطعن والعيب.

فإن قيل: لم قال: ﴿يُرْضُوهُ﴾ ولم يقل: يرضوهما؟

فقد شرحنا هذا عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٨).

(٢) في (ف): (قال المصنف)، وفي (ر): (قلت).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة: ٦٣].

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾.

روى أبو زيد عن المفضل: «ألم تعلموا» بالتاء(١).

﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من يخالف الله، قاله ابن عباس.

والثاني: من يعاد الله، كقولك: من يُجانِبِ الله ورسوله، أي: يكون في حدٍّ، واللهُ ورسولُه في حدٍّ.

قوله: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

قرأ الجمهور: «فأن» بفتح الهمزة.

وقرأ أبو رزين، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: بكسرها(٢).

فمن كسر، فعلى الاستئناف بعد الفاء، كما تقول: فله نار جهنم، ودخلت «إنَّ» مؤكدة، ومن قال: «فأَنَّ له» فإنما أعاد «أنَّ» الأولى توكيدًا؛ لأنه لما طال الكلام، كان إعادتها أوكد.

---

(١) في التحصيل (٣/ ٢٨٣) نسبها لابن هرمز، والحسن، وغيرهما، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٥٤) نسبها للأعرج، والحسن.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٤)، وقال في البحر المحيط (٥/ ٤٥٢): «وقرأ ابن أبي عبلة: (فإن له) بالكسر في الهمزة حكاها عنه أبو عمرو الداني، وهي قراءة محبوب عن الحسن، ورواية أبي عبيدة عن أبي عمرو».

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة: ٦٤].

قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المنافقين كانوا يعيبون رسول الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرَّنا، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد(١).

والثاني: أن بعض المنافقين قال: لوددت أني جُلدت مائة جلدة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت هذه الآية، قاله السدي(٢).

والثالث: أن جماعة من المنافقين وقفوا للنبي ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل ؑ، ونزلت هذه الآية، قاله ابن كيسان(٣).

وفي قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه إخبار من الله ﷻ عن حالهم، قاله الحسن، وقتادة، واختاره ابن القاسم.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤١)، وابن أبي حاتم (١٠٠٤٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به. وعزاه في الدر المنثور (٤/ ٢٢٩) أيضًا لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٥٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٥٢).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٥٢).

والثـاني: أنـه أمـر مـن الله ﷻ لهـم بالحـذر، فتقديـره: ليحـذر المنافقـون، قالـه الزَّجَّـاج(١).

قـال ابـن الأنبـاري: والعـرب ربـما أخرجـت الأمـر عـلى لفـظ الخـبر، فيقولـون: يرحـم الله المؤمـن، ويعـذب الكافـر، يريـدون: ليرحـم وليعـذب، فيسـقطون الـلام ويُجْرُونَـه مجـرى الخـبر في الرفـع، وهـم لا ينـوون إلا الدعـاء، والدعـاء مضـارع للأمـر.

قوله: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديدًا.

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: مظهر ما تُسِرُّون.

والثاني: ناصر مَنْ تخذلون، ذكرهما الماوردي(٢).

قولـه تعـالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبـة: ٦٥، ٦٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٨).

قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾.

[٣٣٢/ ب] في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: أن جَدَّ بنَ قيس، ووديعة بن خذام، والجُهَير بن خُمَير، كانوا يسيرون بين يدي رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، فجعل رجلان منهم يستهزئان برسول الله ﷺ، والثالث يضحك مما يقولان ولا يتكلم بشيء، فنزل جبريل فأخبره بما يستهزئون به ويضحكون، فقال لعمار بن ياسر: «**اذْهَبْ فَسَلْهُم عَمَّا كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَقُلْ لَهُمْ: أَحْرَقَكُمُ اللهُ**»، فلما سألهم، وقال: أحرقكم الله علموا أنه قد نزل فيهم قرآن، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ، وقال الجُهَير: والله ما تكلَّمت بشيء، وإنما ضحكت تعجُّبًا من قولهم، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾ يعني جَدَّ بن قيس ووديعة، ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ يعني الجهير، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ يعني الجدَّ ووديعة، وهذا قول أبي صالح عن ابن عباس(١).

والثاني: أن رجلًا من المنافقين قال: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، ولا أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ، ولا أجبنَ عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال له عوف بن مالك: كذبت، لكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فذهب ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، هذا قول ابن عمر، وزيد بن أسلم، والقرظي(٢).

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٤٦، ١٠٠٤٧)، والكشف والبيان (٥/ ٦٥)، والتفسير الوسيط (٢/ ٥٠٧)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٣٥).

والثالث: أن قومًا من المنافقين كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ، فقالوا: إن كان ما يقول هذا حقًا، لنحن شرٌّ من الحمير، فأعلم الله نبيه ما قالوا، ونزلت: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾، قاله سعيد بن جبير(١).

والرابع: أن رجلًا من المنافقين قال: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا، وما يُدريه ما الغيب؟ فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد(٢).

والخامس: أن ناسًا من المنافقين قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات فأطلع الله نبيَّه على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: «**احْبِسُوا عَلَيَّ الرَّكْبَ**»، فأتاهم، فقال: «**قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا**»، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة(٣).

والسادس: أن عبد الله بن أُبيٍّ، ورهطًا معه، كانوا يقولون في رسول الله ﷺ وأصحابه ما لا ينبغي، فإذا بلغ رسول الله ﷺ قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، قاله الضحاك(٤).

فقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: عما كانوا فيه من الاستهزاء.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠٠) من رواية سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٤٨) من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١١٠٥)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٤٩) عن قتادة به.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٥).

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: نلهو بالحديث.

[٣٣٣/أ] وقوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ أي: قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان، وهذا يدل على أن الجِدَّ واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء.

قوله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾.

قرأ الأكثرون: «إن يُعْفَ» بالياء، «تعذَّب» بالتاء(١).

وقرأ عاصم غير أبان: «إن نَعْفُ»، «نُعَذِّبْ»، بالنون فيهما، ونصب «طائفةً»(٢).

والمعنى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بالتوفيق للتوبة، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ بترك التوبة.

وقيل: الطائفتان هاهنا ثلاثة، فاستهزأ اثنان وضحك واحد.

ثم أنكر عليهم بعض ما سمع [وجانبهم](٣).

وقد ذكرنا عن ابن عباس أسماء الثلاثة، وأن الضاحك اسمه الجُهَيْر.

وقال غيره: هو مَخْشِيُّ بن حُمَيْر.

---

(١) قوله: («تعذَّب» بالتاء)، ليس في (ف).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٦)، والحجة (٤/ ٢٠٥)، والمبسوط (ص:٢٢٨)، والتيسير (ص:١١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٥)، والتحصيل (٣/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٣) زيادة من (ف)، و(ر).

وقال ابن عباس(١)، ومجاهد(٢): الطائفة الواحد فما فوقه.

وقال الزَّجَّاج: أصل الطائفة في اللغة الجماعة، ويجوز أن يقال للواحد طائفة، يراد به نفس طائفة(٣).

وقال ابن الأنباري: إذا أريد بالطائفة الواحد كان أصلها طائفًا، على مثال: قائم وقاعد، فتدخل الهاء للمبالغة في الوصف، كما يقال: راوية، علَّامة، نسَّابة(٤).

قال عمر بن الخطَّاب: ما فُرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد إلا سينزل فيه شيء(٥).

قوله تعالَى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ

---

(١) رواه الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤٥) من رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﷺ به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٣٩).

(٢) رواه الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤٥) من رواية ليث، عن مجاهد به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٣٩) عن ابن الأنباري.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢١) لأبي الشيخ عن عكرمة، عن عمر بن الخطاب ﷺ به.

كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة: ٦٧، ٧٠].

قوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.

قال ابن عباس: بعضهم على دين بعض(١).

وقال مقاتل: بعضهم أولياء بعض(٢).

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ وهو الكفر.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان.

وفي قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ **أربعة أقوال:**

أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد.

والثاني: عن كل خير، قاله قتادة.

والثالث: عن الجهاد في سبيل الله.

والرابع: عن رفعها في الدعاء إلى الله، ذكرهما الماوردي(٣).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠٨)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٤٠).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٠).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٩).

قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: تركوا أمره، فتركهم من رحمته وتوفيقه[١].

قال: وقوله: ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: هي كفاية ذنوبهم، كما تقول: عذَّبتُك حسبَ فِعلك، وحسبُ فلان ما نزل به، أي: ذلك على قدر فعله[٢].

وموضع الكاف في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ نصب، أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم[٣].

وقال غيره: رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم، وشبَّههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية[٤].

قوله: ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾.

قال ابن عباس: استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٠٩).

(٥) الوارد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، هو ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٣) من رواية عكرمة عن ابن عباس قال: «ما أشبه الليلة بالبارحة ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ فهؤلاء بنو إسرائيل أشبهناهم. قال ابن جريج: ولا أعلم إلا أن فيه: والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل رجل جحر ضب لدخلتموه».

وقال الزَّجّاج: بحظهم من الدنيا(١).

قولـه: ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: في الطعـن عـلى الدِّيـن وتكذيـب نبيكـم كـما خاضـوا.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ لأنها لم تُقبل منهـم، وفي الآخرة، لأنهـم لا يثابـون عليها.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب.

قوله: ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

[٣٣٣/ب] قال ابن عباس: يريد نمرود بن كنعان(٢).

﴿وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ﴾ يعني قوم شعيب.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ﴾ قرى لوط.

قال الزَّجّاج: وهم جمع مؤتفكة، ائتفكت بهم الأرض، أي: انقلبت(٣).

قال: ويقال إنَّهم جميع من أُهلك، كما يقال للهالك: انقلبت عليه الدنيا(٤).

قوله: ﴿أَتَتْهُمْ﴾ يعني هذه الأمم.

﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ فكذَّبوا بها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠٩)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦١).

(٤) انظر: المصدر السابق.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾.

قال ابن عباس: ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبيًّا ينذرهم(١).

والمعنى أنهم أهلكوا باستحقاقهم.

قوله تعالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

أي: بعضهم يوالي بعضًا، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر.

قوله: ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

قال أبو عبيدة: في جنات خُلْد، يقال: عَدَن فلان بأرض كذا، أي: أقام، ومنه: المِعدنُ، وهو في مَعْدِن صدق، أي: في أصل ثابت(٢).

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٤٧).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٣).

قال الأعشى[١]: [من المتقارب]

وَإِنْ تَسْتَضِيفُوا إِلَى حِلْمِهِ ... تُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ

أي: رزين لا يُستخف[٢].

قال ابن عباس: جنات عدن، هي بُطنان الجنة[٣].

وبُطنانها: وسطها، وهي أعلى درجة في الجنة، وهي دار الرحمن ﷻ، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محدقة بها[٤].

قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

قال ابن عباس: أكبر مما يوصف[٥].

وقال الزَّجَّاج: أكبر مما هم فيه من النعيم[٦].

فإن قيل: لم كان الرضوان أكبر من النعيم؟

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه (١٧)، وتفسير الطبري (١١/ ٥٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٨)، والبحر المحيط (٥/ ٤٤٧)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٤)، والزاهر (١/ ٤٩٨).

(٢) في (ف): (لا يستحق).

(٣) لم نقف عليه عن ابن عباس، وإنما عن ابن مسعود كما رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٣٧٤)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٠٤) من رواية مسروق عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ٥٥٠).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١١)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥١).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦١).

فعنه جوابان:

أحدهما: أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب، وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب.

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: أَفَلَا أُعْطِيكُم أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا**»(١).

والثاني: أن الموجِب للنعيم الرضوان، والموجَب ثمرة الموجب، فهو الأصل.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣].

قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

أما جهاد الكفار فبالسيف.

وفي جهاد المنافقين قولان:

أحدهما: أنه باللسان، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس.

والثاني: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، روي عن الحسن، وقتادة.

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري في صحيحه (٦٥٤٩)، ومسلم في صحيحه (٢٨٢٩).

فإن قيل: إذا كان رسول الله ﷺ قد أُمر بجهادهم وهو يعلم أعيانهم، فكيف تركهم بين أظهر أصحابه فلم يقتلهم؟.

فالجواب: أنه إنما أُمر بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام عليها، فأما من إذا أُطلع على كفره، أنكر وحلف وقال: إني مسلم، فإنه أمر أن يأخذ بظاهر أمره، ولا يبحث عن سِرِّه. [٣٣٤/أ]

قوله: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾.

قال ابن عباس: يريد شدة الانتهار لهم، والنظر بالبغضة والمقت(١).

وفي الهاء والميم من ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى الفريقين، قاله ابن عباس.

والثاني: إلى المنافقين، قاله مقاتل(٢).

قوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ [التوبة: ٧٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٢).

قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ ذكر المنافقين فعابهم، فقال الجُلاس بن سويد: إن كان ما يقول على إخواننا حقًّا لنحن شرٌّ من الحمير، فقال عامر بن قيس: والله إنه لصادق، ولأنتم شرٌّ من الحمير، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فأتى الجلاسُ فقال: ما قلت شيئًا، فحلفا عند المنبر، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس(١).

وذهب إلى نحوه الحسن، ومجاهد، وابن سيرين.

والثاني: أن عبد الله بن أُبيٍّ قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ، فسمعه رجل من المسلمين، فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة(٢).

---

(١) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، لكن أخرج الطبري في تفسيره (١١/ ٥٦٩) نحوه عن هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٧٤] قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: إن كان ما جاء به محمد حقًّا، لنحن أشر من الحمير، فقال له ابن امرأته: والله يا عدو الله، لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة وأؤاخذ بخطيئتك، فدعا النبي ﷺ الجلاس، فقال: «يا جلاس أقلت كذا وكذا؟» فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٢) من رواية سعيد، عن قتادة به.

والثالث: أن المنافقين كانوا إذا خَلَوْا، سبُّوا رسول الله وأصحابه، وطعنوا في الدين، فنقل حذيفة إلى رسول الله ﷺ بعض ذلك، فحلفوا ما قالوا شيئًا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك[١].

فأما ﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾.

فهي سبُّهم الرسول ﷺ وطعنهم في الدِّين.

وفي سبب قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في ابن أُبيٍّ حين قال: لئن رجعنا إلى المدينة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة[٢].

والثاني: أنها نزلت فيهم حين همُّوا بقتل رسول الله ﷺ، رواه مجاهد عن ابن عباس، قال: والذي همَّ رجل يقال له: الأسود[٣].

وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلًا، هَمُّوا بقتله ليلة العقبة[٤].

والثالث: أنه لما قال بعض المنافقين: إن كان ما يقول محمد حَقًّا، فنحن شرٌّ من الحمير، وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شرٌّ من الحمير[٥]،

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٥١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٢) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٠٢) من رواية مجاهد عن ابن عباس ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ قال: همَّ رجل يقال له: الأسود بقتل محمد ﷺ.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٣).

(٥) قوله: (وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شرٌّ من الحمير)، تكررت في الأصل.

همَّ المنافق بقتله فذلك قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾، هذا قول مجاهد[١].

والرابع: أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة، عقدنا على رأس عبد الله بن أُبيٍّ تاجًا نباهي به رسول الله ﷺ، فلم ينالوا ما همُّوا به[٢].

قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: ليس ينقمون شيئًا، ولا يتعرفون من الله إلا الصنع، ومثله قول الشاعر[٣]: [من المنسرح]

مَا نَقَمَ[٤] النَّاسُ مِنْ أُمَيَّة إلاَّ ... أَنَّهُمْ يَحْلُمونَ إِنْ غَضِبُوا [٣٣٤/ب]

وأنَّهم سَادَةُ المُلُوكِ وَلاَ ... تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ العَرَبُ

وهذا ليس مما يُنقم، وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئًا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٠٣) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥٤) كلاهما للواحدي، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٥/ ٧٠)، ونسبوا هذا الكلام للسدي.

(٣) البيتان لعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ في ديوانه (ص:٤)، وتفسير الطبري (٨/ ٥٣٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ١٨٦)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٤٥)، ولسان العرب (١٢/ ٥٩١) مادة (نقم)؛ وتهذيب اللغة (٩/ ١٦٢)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٣٥)، والشعر والشعراء (١/ ٥٣١)، وتاج العروس (٣٤/ ٧) مادة (نقم).

(٤) في (ف): (ينقم).

وكقول النابغة[(١)]: [من الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

أي: ليس فيهم عيب.

قال ابن عباس: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضَنْك من معاشهم، فلما قدم عليهم، غنموا، وصارت لهم الأموال[(٢)].

فعلى هذا، يكون الكلام عامًّا.

وقال قتادة: هذا في عبد الله بن أُبيٍّ[(٣)].

وقال عروة: هو الجلاس بن سويد، قُتل له مولى، فأمر له رسول الله ﷺ بديته، فاستغنى فلما نزلت: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال الجلاس: أنا أتوب إلى الله[(٤)].

---

(١) البيت للنابغة في ديوانه (ص ٤٤)، والكتاب (٢/ ٣٢٦)، وفقه اللغة (ص:٢٦٤)، والأضداد (١/ ١٧٨)، والعين (٨/ ٣١٦)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٢/ ٤٧٩)، والزاهر (١/ ٢٨٠)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٥٣٨)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠١) من رواية سعيد، عن قتادة: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤] قال: كانت لعبد الله بن أبي دية، فأخرجها رسول الله ﷺ له.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠٣) من رواية هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤] قال: قال الجلاس: «قد استثنى الله لي التوبة، فأنا أتوب، فقبل منه رسول الله ﷺ».

قوله: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ أي: يعرضوا عن الإيمان.

قال ابن عباس: كما تولَّى عبد الله بن أُبيّ[١].

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

قوله تعالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة: ٧٥].

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالًا، فقال: «**وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ، قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ**»، قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ اللهِ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ شِئْتُ أَنْ تَسِيرَ مَعِيَ الْجِبَالُ ذَهَبًا وَفِضَّةً، لَسَارَتْ**» فقال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوتَ الله أن يرزقني مالًا، لأوتينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالًا**»، فاتخذ غنمًا، فنمت، فضاقت عليه المدينة، فتنحَّى عنها، ونزل واديًا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما، ثم نَمت، حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم نمت، فترك الجمعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ، فأُخبر خبره، فقال: «**يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ**»، وأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣] وأنزل فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥٧).

على الصدقة، وكتب لهما كتابًا يأخذان الصدقة، وقال: «مُرَّا بِثَعْلَبَةَ، وَبِفُلَانٍ» رجل[١] من بني سُليم، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا إلا جزية، ما هذه إلا أُخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إليَّ. فانطلقا فأُخبر السُّلَمي، فاستقبلهما بخيار ماله، فقالا: لا يجب هذا عليك، فقال: خذاه، فإن نفسي بذلك طيبة، فأخذا منه. فلما فرغا من صدقتهما، مرَّا بثعلبة، [٣٣٥/أ] فقال: أروني كتابكما، فقال: ما هذه إلا أُخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا، فأخبرا رسول الله ﷺ بما كان، فنزلت هذه الآية، إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾، وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة [فخرج إلى ثعلبة][٢] فأخبره، فأتى رسول الله ﷺ، وسأله[٣] أن يقبل منه صدقته، فقال: «إِنَّ اللهَ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ صَدَقَتَكَ»، فجعل يحثو التراب على رأسه. فقال: «هَذَا عَمَلُكَ، قَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي». فرجع إلى منزله، وقُبض رسول الله ﷺ، ولم يقبل منه شيئًا، فلما ولي أبو بكر، سأله أن يقبل منه، فأبى، فلما ولي عمر، سأله أن يقبل منه، فأبى، فلما ولي عثمان، سأله أن يقبلها فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، فلم يقبلها، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه، روى هذا الحديث القاسم عن أبي أمامة الباهلي[٤].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ف)، و(ر).

(٣) في (ف): (وأخبره).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠٦)، والواحدي=

وقال ابن عباس: مرَّ ثعلبة على مجلس، فأشهدهم على نفسه: لئن آتاني الله من فضله، آتيت كل ذي حق حقه، وفعلت كذا وكذا، فآتاه الله من فضله، فأخلف ما وعد، فقصَّ الله علينا شأنه[١].

والثاني: أن رجلًا من بني عمرو بن عوف، كان له مال بالشام، فأبطأ عنه، فجُهد له جُهدًا شديدًا، فحلف بالله لئن آتانا من فضله، أي: من ذلك المال، لأصَّدقَّن منه، ولأصِلَنَّ، فأتاه ذلك المال، فلم يفعل، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس[٢].

قال ابن السائب: والرجل حاطب بن أبي بلتعة.

والثالث: أن ثعلبة ومُعتِّب بن قُشير، خرجا على ملإٍ، فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصَّدَّقنَّ، فلما رزقهما، بخلا به، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن[٣]، ومجاهد[٤].

=في أسباب النزول (ص:٢٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٤٨) وغيرهم من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ.

قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١١٧٩): «أخرجه الطَّبَرَانِي بِسَنَد ضَعِيف». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك».

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٠).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٦٦) عن ابن السائب.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٢) من رواية عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٢) من رواية ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٥] قَالَ: رَجُلَانِ خَرَجَا عَلَى مَلَإٍ قُعُودٍ، فَقَالَا: وَاللهِ لَئِنْ رَزَقَنَا اللهُ لَنَصَّدَّقَنَّ، فَلَمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ بَخِلُوا بِهِ.

والرابع: أن نبتل بن الحارث، وجَدَّ بن قيس، وثعلبة بن حاطب، ومعتِّب بن قشير، قالوا: لئن آتانا الله من فضله لنصدقن، فلما آتاهم من فضله بخلوا به، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك[1].

فأما التفسير:

فقوله: ﴿وَمِنْهُم﴾ يعني المنافقين.

﴿مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ أي: قال: عليَّ عهدُ الله.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ الأصل: لنتصدقن، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: لنعملنَّ ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والإنفاق في الخير.

وقد روى كَهْمَس عن معبد بن ثابت[2] أنه قال: إنما هو شيء نَوَوْه في أنفسهم، ولم يتكلموا به، ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾[3] [التوبة:٧٨].

قوله تعالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة: ٧٦].

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٦٦).

(٢) هكذا في الأصل، وجميع النسخ: (معبد بن ثابت)، وفي تفسير الطبري: (سعيد بن ثابت).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٧) من رواية كهمس، عن سعيد بن ثابت به.

قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: ما طلبوا من المال.

﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ ولم يفوا بما عاهدوا. [٣٣٥/ ب]

﴿وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن عهدهم.

قوله تعالَى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٧، ٧٨].

قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: صيَّر عاقبة أمرهم النفاق.

وفي الضمير في «أعقبهم» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم بخلُهم بما نذروا نفاقًا، قاله الحسن.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ يعني المنافقين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ وهو ما في نفوسهم.

﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ حديثهم بينهم.

قوله تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما نزلت آية الصدقة، جاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لَغَنِيٌّ عن صاع هذا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو مسعود(١)(٢).

والثاني: أن عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً، وإنْ كان اللهُ ورسولُهُ لَغنيَّين عن هذا الصاع، قاله ابن عباس(٣).

وفي هذا الأنصاري قولان:

أحدهما: أنه أبو خيثمة، قاله كعب بن مالك.

والثاني: أنه أبو عقيل.

وفي اسم أبي عقيل ثلاثة أقوال:

أحدها: عبد الرحمن بن بِيْجَان(٤)، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) في الأصل، وبقية النسخ: (ابن مسعود)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٤١٥)، ومسلم في صحيحه (١٠١٨)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٥) عن أبي مسعود ﷺ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٦) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٤) في الأصل: (بنجان)، والمثبت من بقية النسخ.

ويقال: ابن بِيْحان، ويقال: سِيْحَان.

وقال مقاتل: هو أبو عقيل بنُ قيس[١].

والثاني: أن اسمه الحَبْحَاب، قاله قتادة.

والثالث: الحُبَاب.

قال قتادة: جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف، وجاء عاصم بن عدي بن العَجلان بمائة وَسق من تمر[٢].

و﴿يَلۡمِزُونَ﴾ بمعنى يعيبون.

و﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ أي: المتطوعين.

قال الفراء: أدغمت التاء في الطاء، فصارت طاءً مشددة[٣].

والجُهد لغة أهل الحجاز، ولغة غيرهم الجَهد.

قال أبو عبيدة: الجهد، بالفتح والضم سواء، ومجازه: طاقتهم[٤].

وقال ابن قتيبة: الجُهد: الطاقة، والجَهد: المشقة[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١١١٢)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٩١) من رواية مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ به.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٤).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٩٠).

قال المفسرون: عُني بالمطوِّعين: عبدُ الرحمن، وعاصم، وبالذين لا يجدون إلا جهدهم: أبو عقيل[1].

وقوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ أي: جازاهم على فعلهم، وقد سبق هذا المعنى.

قوله تعالَى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾ [التوبة: ٨٠].

قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾.

سبب نزولها:

أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا: يا رسول الله استغفر لنا، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِنَ السَّبْعِينَ مَرَّةً، لَعَلَّ اللهَ يَغْفِرَ لَهُمْ**» فنزل قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [المنافقون:٦]، قاله أبو صالح عن ابن عباس[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٨٨)، والتفسير الوسيط (٢/ ٥١٤).

(٢) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وإنما رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٠١) من رواية عطية العوفي، عن ابن عباس قَوْلُهُ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: «أَسْمَعُ رَبِّي قَدْ رَخَّصَ لِي فِيهِمْ، فَوَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ». فَقَالَ اللهُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

وظاهر قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ الأمر، وليس كذلك، إنما المعنى: إن استغفرت، وإن لم تستغفر، لا يغفر لهم، فهو كقوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ [التوبة:٥٣]، وقد سبق شرح هذا المعنى هناك، هذا قول المحققين.

وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على السبعين، رجي لهم الغفران، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾. [٣٣٦/أ]

فإن قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم، وقد أُخبر بأنهم كفروا؟

فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر.

فإن قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟

فالجواب: أن العرب تستكثر في الآحاد من سبعة، وفي العشرات من سبعين.

قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾ [التوبة: ٨١].

قوله: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ يعني المنافقين الذين تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

والمخلّف: المتروك خلفَ من مضى.

﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ أي: بقعودهم.

وفي قوله: ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أن معناه: بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة(١).

والثاني: أن معناه: مخالَفَةُ رسول الله ﷺ، وهو منصوب، لأنه مفعول له، فالمعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ، قاله الزَّجَّاج(٢).

وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبلة: «خَلْفَ رسول اللهِ»(٣).

ومعناها: أنهم تأخَّروا عن الجهاد.

وفي قوله: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ﴾ قولان:

أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض، قاله ابن إسحاق، ومقاتل(٤).

والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره الماوردي(٥).

وإنما قالوا هذا، لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لأبي حيوة، وفي التحصيل (٣/ ٢٨٤) نسبها لعمرو بن ميمون، وعمرو بن عبيد، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٧) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٦٦) نسبها لابن عباس، وأبي حيوة، وفي الكامل (ص:٥٦٣) نسبها لحمصي، وابن أبي عبلة، والزَّعْفَرَانِي.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٧).

(٥) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٨٧).

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ لمن خالف أمر الله.

وقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ معناه: يعلمون.

قال ابن فارس: الفقه: العلم بالشيء. تقول: فَقِهْتُ الحديث أَفْقَهُهُ، وكل علم بشيء: فقه، ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه[1].

قال الشيخ[2]: وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلَّفين، بنحو التحليل، والتحريم، والإيجاب، والإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك. وبعضهم يختار أن يقال: الفِقْه: فَهْمُ الشيء، وبعضهم يختار أن يقال: علم الشيء.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢].

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه التهديد.

وفي قلَّة ضحكهم وجهان:

أحدهما: أن الضحك في الدنيا، لكثرة حزنها وهمومها، قليل، وضحكهم فيها أقل، لِما يتوجه إليهم من الوعيد.

والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا، وبقاؤها قليل.

﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ في الآخرة.

---

(١) انظر: مجمل اللغة (ص:٧٠٣).

(٢) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ر)، وفي (ف): (قال المصنف).

قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أُجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع، فلمثل ما هم فيه فليُبكَ[1].

قوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ أي: من النفاق والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾ [التوبة: ٨٣].

قوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: ردَّك[2] من غزوة تبوك إلى المدينة إلى طائفة من المنافقين الذين تخلَّفوا بغير عذر. [٣٣٦/ ب]

وإنَّما قال: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ﴾ لأنه ليس كل من تخلَّف عن تبوك كان منافقًا.

﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ معك إلى الغزو.

﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ إلى غزاة.

﴿إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ﴾ عني ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك.

وذكر الماوردي في قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ قولين:

أحدهما: أول مرة دُعيتم.

والثاني: قبل استئذانكم.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٧٨).

(٢) في الأصل: (إلى ربك)! بدلاً من: (أي: ردَّك)، والمثبت من بقية النسخ.

وأما الخالفون، فقال أبو عبيدة: الخالف: الذي خلف بعد شاخص، فقعد في رحله، وهو الذي يتخلَّف عن القوم[١].

وفي المراد بالخالفين قولان:

أحدهما: أنهم الرجال الذين تخلَّفوا لأعذار، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم النساء، قاله الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾.

سبب نزولها:

أنه لما توفي عبد الله بن أبيٍّ، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه، وقال: «آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ»، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر بن الخطاب، وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ»: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فصلى عليه، فنزلت هذه الآية، رواه نافع عن ابن عمر[٢].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٦٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٢٦٩)، وأحمد في مسنده (٤٦٨٠)، وابن ماجه في سننه (١٥٢٣)، والترمذي في سننه (٣٠٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٢٠٦) وغيرهم من رواية نافع عن ابن عمر ﷺ به.

قال قتادة: ذُكر لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يقول: **«مَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ بِهِ أَلْفٌ مِنْ قَوْمِهِ»**[1].

قال الزَّجَّاج: فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لمَّا رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ، وأراد الصلاة عليه[2].

فأما قوله: ﴿مِّنْهُم﴾ فإنه يعني المنافقين.

وقوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾.

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا دُفن الميت، وقف على قبره ودعا له، فنُهي عن ذلك في حق المنافقين.

وقال ابن جرير: معناه: لا تتولَّ دفنه، وهو من قولك: قام فلان بأمر فلان[3].

وقد تقدَّم تفسيره.

قوله تعالَى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦١٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦١٠).

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة: ٨٥، ٨٩].

قوله: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ﴾ سبق تفسيره[١].

قوله: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ هذا عامٌّ في كل سورة.

وقال مقاتل: المراد بها «سورة براءة»[٢].

قوله: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ ﴾ أي: بأن آمنوا.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: استديموا الإيمان.

والثاني: افعلوا فعل من آمن.

والثالث: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم، فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين.

قوله: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ ﴾ أي: في التَّخلُّف.

﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ ﴾ يعني الغنى، وهم الذين لا عذر لهم في التخلُّف.

---

(١) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٥٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٨).

وفي ﴿ٱلۡخَوَالِفِ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم النساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وشمر بن عطية، وابن زيد، والفراء(١).

وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون الخوالف هاهنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل، غير أنهم قد قالوا: فارس، والجميع: فوارس، وهالك وهوالك(٢). [٣٣٧/أ]

قال ابن الأنباري: الخوالف لا يقع إلا على النساء، إذ العرب تجمع فاعلة: فواعل فيقولون: ضاربة، وضوارب، وشاتمة، وشواتم، ولا يجمعون فاعلًا: فواعل، إلا في حرفين: فوارس، وهوالك، فيجوز أن يكون مع الخوالف: المتخلفات في المنازل، ويجوز أن يكون: مع المخالفات العاصيات، ويجوز أن يكون: مع النساء العجزة اللاتي لا مدافعة عندهن.

والقول الثاني: أن الخوالف: خساس الناس وأدنياؤهم، يقال: فلان خالفة أهله: إذا كان دونهم، ذكره ابن قتيبة(٣).

فأما «طَبَع»، فقال أبو عبيدة: معناه: ختم(٤).

و﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُ﴾ جمع خَيْرة.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٦٥).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٩١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٦٦).

وللمفسرين في المراد بالخيرات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الفاضلات من كل شيء، قاله أبو عبيدة(١).

والثاني: الجواري الفاضلات، قاله المبرِّد.

والثالث: غنائم الدنيا ومنافع الجهاد، ذكره الماوردي(٢).

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التوبة: ٩٠].

قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾.

وقرأ ابن مسعود: «المعتذرون»(٣).

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن يعمر، ويعقوب: «المُعْذِرون» بسكون العين وتخفيف الذال(٤).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٧).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٩٠).

(٣) في المحرر الوجيز (٣/ ٧٠)، والبحر المحيط (٥/ ٤٨١) كلاهما نسبها لسعيد بن جبير.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لابن عباس، وفي التحصيل (٣/ ٢٩٩) قال: «قتيبة عن الكسائي، وابن عباس، والضحاك، وغيرهم، ورواها أبو كريب، عن أبي بكر، عن عاصم»، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٨) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٦٩) نسبها للضحاك وحميد الأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال، وفي البحر المحيط (٥/ ٤٨١) قال: «قرأ ابن عباس، وزيد بن علي، والضحاك، والأعرج، وأبو صالح، وعيسى بن هلال، ويعقوب، والكسائي، في رواية (المُعْذِرون) من أعذر».

وقرأ ابن السميفع: «المعاذرون»[١] بألف[٢].

قال أبو عبيدة: ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ من معذِّر، وليس بجادٍّ وإنما يعرِّض بما لا يفعله أو يُظهر غير ما في نفسه[٣].

وقال ابن قتيبة: يقال: عذَّرتُ في الأمر: إذا قصَّرتَ، وأعذرتُ: جَدَدْتَ[٤].

وقال الزَّجَّاج: من قرأ ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بتشديد الذال، فتأويله: المعتذرون الذين يعتذرون، كان لهم عذر، أو لم يكن، وهو هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر[٥].

وأنشدوا[٦]: [من الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ... وَمَنْ يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعْتَذَرْ

---

(١) في (ف): (العاذرون)!.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لابن أبي ليلى، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٩) بلا نسبة.

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٩١).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٤).

(٦) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه (ص:٢١٤)، والأضداد (ص:٣٢١)، والزاهر (١/ ٤٣٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ٤٠٣)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٨٤)، والصحاح (٢/ ٧٣٨)، ولسان العرب (٤/ ٥٤٥) مادة (عذر)، والخصائص (٣/ ٣١)، وبدون نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٦٤)، وغريب الحديث؛ لإبراهيم الحربي (١/ ٢٧٤).

أي: فقد جاء بعذر.

ويجوز أن يكون ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ الذين يعذِّرون، يوهمون أنَّ لهم عذرًا، ولا عذر لهم، ويجوز في النحو: المِعِذِّرون بكسر العين، والمُعُذِّرون بضم العين، غير أنه لم يُقرأ بهما، لأن اللفظ بهما يثقل.

ومن قرأ: «المعْذرون» بتسكين العين، فتأويله: الذين أُعذروا وجاءوا بعذر.

وقال ابن الأنباري: المعذِّرون هاهنا: المعتذرون بالعذر الصحيح.

وأصل الكلمة عند أهل النحو: المعتذرون، فحوِّلت فتحة التاء إلى العين، وأبدلت الذال من التاء وأدغمت في الذال التي بعدها فصارتا ذالًا مشددة، ويقال في كلام العرب: اعتذر، إذا جاء بعذر صحيح، وإن لم يأت بعذر.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ فدل على فساد العذر.

وقال لبيد[١]: [من الطويل]

.... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَر

أي: فقد جاء بعذر صحيح.

وكان ابن عباس يقرأ ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ ويقول: لعن الله المعذِّرين[٢].

---

(١) سبق عزوه قريبًا.

(٢) رواه الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٤٨)، وعن ابن الأنباري في كتاب الأضداد (ص: ٣٢١) من رواية الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، ومن رواية جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٨٨).

يريد: لعن الله المقصِّرين من المنافقين وغيرهم.

[٣٣٧/ب] والمعْذرون: الذين يأتون بالعذر الصحيح، فبان من هذا الكلام أن لهم عذرًا على قراءة من خفَّف.

وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدَّد؟ فيه قولان.

قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذَن لهم في التخلُّف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله ﷺ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علَّة، جرأة على الله تعالى.

قوله تعالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة: ٩١، ٩٣].

قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في عائذ بن عمرو وغيره من أهل العذر، قاله قتادة(١).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٢٣) من رواية سعيد، عن قتادة به، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦١) لابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

والثاني: في ابن أم مكتوم، قاله الضحاك[١].

وفي المراد بالضعفاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الزَّمنى والمشايخ الكبار، قاله ابن عباس، ومقاتل[٢].

والثاني: أنهم الصغار.

والثالث: المجانين، سُمُّوا ضعافًا لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوردي[٣].

والصحيح أنهم الذين يضعفون لزَمانةٍ، أو عَمىً، أو سِنٍّ أو ضَعف في الجسم.

و﴿ٱلْمَرْضَىٰ﴾: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ هم المُقِلُّون.

والحرج: الضيق في القعود عن الغزو بشرط النصح لله ولرسوله ﷺ.

وفيه وجهان:

أحدهما: أن المعنى: إذا برئوا من النفاق.

والثاني: إذا قاموا بحفظ الذراري والمنازل.

فإن قيل بالوجه الأول، فهو يعم جميع المذكورين، وإن قيل بالثاني، فهو يخص المقلِّين، وإنما شُرط النصح، لأن من تخلف بقصد السعي

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٨١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٩١).

بالفساد، فهو مذموم، ومن النصح لله: حث المسلمين على الجهاد، والسعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين.

قوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أي من طريق بالعقوبة، لأن المحسن قد سَدَّ بإحسانه باب العقاب.

قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ نزلت في البكَّائين.

واختُلف في عددهم وأسمائهم:

فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هم ستة: عبد الله بن مغفَّل، وصخر بن سلمان، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعُلَيَّة بن زيد الأنصاري، وسالم بن عُمير، وثعلبة بن عنمة، أتوا رسول الله ﷺ ليحملهم، فقال: «**لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**» فانصرفوا باكين[1].

---

(١) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وقد أخرج نحوه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٢٣) من رواية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩١] إلى قوله: ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني، فقالوا: يا رسول الله احملنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**والله ما أجد ما أحملكم عليه**» فتولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا. فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله، أنزل عذرهم في كتابه، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١] إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي مكان صخر بن سلمان: سلمة بن صخر، ومكان ثعلبة بن عنمة: عمرو بن عنمة[١].

قال: وقيل: منهم معقل بن يسار[٢].

وروى ابن إسحاق عن أشياخ له أن البكَّائين سبعة من الأنصار: سالم بن عُمير، وعُلَبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحُمام بن الجموح، وعبد الله بن مغفَّل[٣].

وبعض الناس يقول: بل عبد الله بن عمرو المزني، وعِرباض بن سارية، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف.

وقال مجاهد: نزلت في بني مقرِّن[٤].

وهم سبعة وقد ذكرهم محمد بن سعد، فقال: النعمان بن عمرو بن مقرن[٥]. [٣٣٨/أ]

وقال أبو خيثمة: هو النعمان بن مقرِّن، وسويد بن مقرِّن، ومعقل بن مقرِّن، وسنان بن مقرِّن، وعقيل بن مقرِّن، وعبد الرحمن بن مقرِّن، وعبد الرحمن بن عقيل بن مقرِّن.

(١) انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٢/ ١٦٥).

(٢) انظر: السيرة النبوية (٤/ ١٧٢).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٣/ ٤٨٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٢٠٣) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٥) الطبقات الكبرى (٦/ ١٨-٢٠).

وقال الحسن البصري: نزلت في أبي موسى وأصحابه[١].

وفي الذي طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحملهم عليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الدواب، قاله ابن عباس.

والثاني: الزاد، قاله أنس بن مالك.

والثالث: النعال، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾ [التوبة: ٩٤].

قوله: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾.

قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ من غزوة تبوك، فلا تعذروهم فليس لهم عذر. فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ لن نصدقكم، قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عذر ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ إن عملتم خيرًا وتبتم من تخلفكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد الموت إلى ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فيخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في السر والعلانية[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٩٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٧).

قولــه تعــالَى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [التوبــة: ٩٥].

قوله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ ﴾.

قـال مقاتـل: حلـف منهـم بضعـة وثمانـون رجـلًا، منهـم جَـدُّ بـن قيـس، ومُعتِّـب بـن قشـير[١].

قوله: ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لتصفحوا عن ذنبهم.

والثاني: لأجل إعراضكم.

وقد شرحنا في «المائدة» معنى الرِّجس[٢].

قولــه تعــالَى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبــة: ٩٦].

قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ﴾.

قـال مقاتـل: حلـف عبد الله بـن أُبيٍّ للنبـي ﷺ لا أتخلـف عنـك، ولأكونَنَّ معـك عـلى عـدوِّك، وطلـب منـه أن يـرضى عنـه، وحلـف عبـد الله بـن سـعد بـن أبي سرح لعمـر بـن الخطَّـاب، وجعلـوا يترضَّـون النبـي ﷺ وأصحابـه، وكان رسـول الله ﷺ قـال لمـا قـدم المدينـة: «**لَا تُجَالِسُـوهُمْ وَلَا تُكَلِّمُوهُـمْ**»[٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩١).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٩٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩١)، والكشف والبيان (٥/ ٨٢)، والتفسير البسيط (١١/ ٨).

قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [التوبة: ٩٧].

قوله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾.

قال ابن عباس: نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة، أخبر الله ﷻ أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة، لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضر(١).

قوله: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾.

قال الزَّجَّاج: «أن» في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من «أن»، المعنى: أجدر بترك العلم. تقول(٢): جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليق بأن تفعل، أي: هذا الفعل ميسَّر فيك، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ«أن»، وإن أتيت بالباء، صلح بـ«أن» وغيرها، فتقول: أنت جدير بأن تقوم وجدير بالقيام. فإذا قلت: أنت جديرٌ القيامَ، كان خطأً، وإنما صلح مع «أن» لأن «أن» تدل على الاستقبال، فكأنها عوض من المحذوف(٣).

فأما قوله: ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فيعني به الحلال والحرام والفرائض.

[٣٣٨/ب] وقيل: المراد بالآية أن الأعمَّ في العرب هذا.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٩)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠).

(٢) في (ج): (يُقال).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٥).

قولــه تعَــالَى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [التوبـة: ٩٨].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾.

إذا خرج في الغزو، وقيل: ما يدفعه من الصدقة.

﴿مَغْرَمًا﴾ لأنه لا يرجو له ثوابًا.

قال ابن قتيبة: المَغْرَم: هو الغُرم والخُسر(١).

وقـال ابـن فـارس: الغُـرم: مـا يلـزم أداؤه، والغـرام: الـلازم، وسـمي الغريـم لإلحاحـه(٢).

وقال غيره: وفي الالتزام ما لا يلزم.

قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ أي: وينتظر بِكم.

﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: دوائر الزمان بالمكروه، بالموت، أو القتل، أو الهزيمة.

وقيل: ينتظر موت الرسول ﷺ وظهور المشركين.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بضم السين.

وقرأ نافع، وعاصم وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «السَّوء» بفتح السين.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٩١).

(٢) انظر: مجمل اللغة (ص:٦٩٤).

وكذلك قرءوا في «سورة الفتح»[(١)].

والمعنى: عليهم يعود ما ينتظرونه لك من البلاء.

قال الفراء: وفتح السين من السَّوء هو وجه الكلام، فمن فتح أراد المصدر من: سُؤْتُه سَوْءًا ومَساءَةً، ومن رفع السين، جعله اسمًا، كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب، ولا يجوز ضمُّ السين في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٍ﴾ [مريم:٢٨] ولا في قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح:١٢]؛ لأنه ضدٌّ لقولك: رجُلُ صِدْق، وليس للسوء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء، فيُضم[(٢)].

قوله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾ [التوبة: ٩٩].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: وهم من أسلم من الأعراب، مثل جُهينة، وأسلم، وغِفار[(٣)].

وفي قوله: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ قولان:

أحدهما: في الجهاد.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٦، ٦٠٣)، والحجة (٤/ ٢٠٦)، و(٦/ ٢٠٠)، والمبسوط (ص:٢٢٨)، والتحصيل (٣/ ٢٩٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٤)، و(٥/ ١٢٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٨٣) عن الكلبي.

والثاني: في الصدقة.

فأما القربات، فجمع قُربة، وهي: ما يقرِّب العبدَ من رضى الله ومحبته.

قال الزَّجّاج: وفي القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء، وفتحها، وإسكانها[١].

وفي المراد بصلوات الرسول قولان:

أحدهما: استغفاره، قاله ابن عباس.

والثاني: دعاؤه، قاله قتادة، وابن قتيبة[٢]، والزَّجّاج[٣].

وأنشد الزَّجّاج[٤]: [من البسيط]

عَلَيكِ مِثْلُ الَّذي صَلَّيتِ فَاغْتَمِضِي ... نَوْمًا فإنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مضطَجَعا

قال: إن شئتَ قلتَ: مثلَ الذي، ومثلُ الذي، فالأول أَمْرٌ لها بالدعاء، كأنه قال: ادعي لي مثل الذي دعوتِ، والثاني بمعنى: عليكِ مثلُ هذا الدعاء[٥].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٩١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٦).

(٤) البيت للأعشى في ديوانه (ص:١٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٦٦)، والزاهر (١/ ٤٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٠٠)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، والفائق في غريب الحديث (٢/ ٣٠٩)، ولسان العرب (١٤/ ٤٦٥)، وتاج العروس (١٢/ ٣٩٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص:١٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٦).

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «قُرْبةٌ لهم» خفيفة.

وروى ورش، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وأبان، والمفضل عن عاصم: «قُرُبةٌ لهم» بضم الراء[1].

وفي المشار إليها وجهان:

أحدهما: أن الهاء ترجع إلى نفقتهم وإيمانهم.

والثاني: إلى صلوات الرسول.

قوله: ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾.

قال ابن عباس: في جنَّته[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٦)، والحجة (٤/ ٢٠٩)، والمبسوط (ص: ٢٢٨)، والتيسير (ص:١١٩)، والتحصيل (٣/ ٢٩٩).

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٥١٩)، والبسيط (١١/ ٢٣).

فيهم ستة أقوال:

أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، وقتادة.

والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، وهي [٣٣٩/ أ] الحديبية، قاله الشعبي.

والثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء بن أبي رباح.

والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، حصل لهم السبق بصحبته.

قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[1].

والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى، ذكره الماوردي[2].

والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾.

قرأ يعقوب: «والأنصارُ» برفع الراء[3].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٢) لأبي الشيخ وابن عساكر عن أبي صخر حميد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي به.

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٩٥).

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢٢٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٥).

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾.

من قال: إن السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: والذين اتَّبعوهم بإحسان إلى أن تقوم الساعة[١][٢].

ومن قال: هم المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدَوْا بهم في أفعالهم، ففضِّل أولئك بالسبق، وإن كانت الصحبة حاصلة للكلِّ.

وقال عطاء: اتباعهم إياهم بإحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحَّمون عليهم[٣].

قوله: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

قرأ ابن كثير: «من تحتها»، فزاد «من»، وكسر التاء الثانية[٤].

وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ يعمُّ الكُلَّ.

قال الزَّجَّاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به[٥].

---

(١) في (ر): (إلى يوم الساعة).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢١)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢١) عن عطاء، وفي التفسير البسيط (١١/ ٢٤) عن عطاء عن ابن عباس.

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٧)، والمبسوط (ص:٢٢٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٥)، والتحصيل (٣/ ٣٠٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٦).

فهرس الآيات

رقم الآية		الصفحة
سورة الأعراف		
١	....	٥
٢	....	٧
٣	....	٩
٤، ٥	....	١١
٦، ٩	....	١٣
١٠، ١١	....	١٧
١٢	....	١٩
١٣، ١٥	....	٢١
١٦، ١٧	....	٢٣
١٨، ١٩	....	٢٥
٢٠	....	٢٧
٢١، ٢٥	....	٢٩
٢٦	....	٣١
٢٧	....	٣٥
٢٨، ٢٩	....	٣٧
٣٠، ٣١	....	٣٩
٣٢	....	٤٣
٣٣	....	٤٥
٣٤، ٣٧	....	٤٧
٣٨	....	٥١

٣٩، ٤٠	٥٣
٤١، ٤٣	٥٩
٤٤، ٤٦	٦٥
٤٧، ٤٨	٦٩
٤٩	٧١
٥٠، ٥١	٧٣
٥٢، ٥٤	٧٥
٥٥	٨١
٥٦	٨٣
٥٧	٨٥
٥٨	٨٩
٥٩، ٦٤	٩١
٦٥، ٧٠	٩٣
٧١، ٧٢	٩٥
٧٣، ٧٤	٩٧
٧٥، ٧٨	٩٩
٧٩، ٨٤	١٠٣
٨٥	١٠٥
٨٦	١٠٧
٨٧، ٩٣	١٠٩
٩٤	١١٣
٩٥، ٩٩	١١٥
١٠٠، ١٠١	١١٧
١٠٢، ١٠٧	١١٩
١٠٨، ١٢٢	١٢١

١٢٣، ١٢٥	١٣١
١٢٦، ١٢٨	١٣٣
١٢٩، ١٣٠	١٣٩
١٣١، ١٣٣	١٤٣
١٣٤، ١٣٦	١٤٩
١٣٧، ١٣٨	١٥١
١٣٩، ١٤٢	١٥٥
١٤٣، ١٤٤	١٥٧
١٤٥	١٦١
١٤٦، ١٤٧	١٦٥
١٤٨	١٦٧
١٤٩، ١٥٢	١٧١
١٥٣	١٧٧
١٥٥	١٧٩
١٥٦، ١٥٨	١٨٣
١٥٩	١٩١
١٦٠، ١٦٢	١٩٣
١٦٣	١٩٥
١٦٤	١٩٧
١٦٥، ١٦٧	١٩٩
١٦٨، ١٦٩	٢٠٣
١٧٠	٢٠٧
١٧١	٢٠٩
١٧٢	٢١١
١٧٣، ١٧٥	٢١٥

١٧٦	٢٢١
١٧٧، ١٧٨	٢٢٣
١٧٩، ١٨٠	٢٢٥
١٨١، ١٨٣	٢٢٩
١٨٤، ١٨٦	٢٣١
١٨٧	٢٣٥
١٨٨	٢٣٩
١٨٩، ١٩١	٢٤١
١٩٢، ١٩٣	٢٤٧
١٩٤، ١٩٦	٢٤٩
١٩٧، ١٩٨	٢٥١
٢٠٠، ٢٠١	٢٥٣
٢٠٢	٢٥٧
٢٠٣، ٢٠٤	٢٥٩
٢٠٥	٢٦١
٢٠٦	٢٦٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الأنفال	
١	٢٦٥
٢، ٣	٢٧١
٤، ٦	٢٧٣
٧، ٨	٢٧٧
٩، ١٠	٢٧٩

١١ .... ٢٨٣

١٢، ١٤ .... ٢٨٧

١٥، ١٦ .... ٢٩١

١٧، ١٨ .... ٢٩٣

١٩، ٢٠ .... ٢٩٧

٢١، ٢٢ .... ٣٠١

٢٣ .... ٣٠٣

٢٤ .... ٣٠٥

٢٥ .... ٣٠٧

٢٦ .... ٣١١

٢٧ .... ٣١٣

٢٨، ٢٩ .... ٣١٥

٣٠ .... ٣١٧

٣١، ٣٢ .... ٣١٩

٣٣ .... ٣٢١

٣٤ .... ٣٢٥

٣٥ .... ٣٢٧

٣٦، ٣٧ .... ٣٣١

٣٨ .... ٣٣٣

٣٩، ٤١ .... ٣٣٥

٤٢ .... ٣٤١

٤٣، ٤٤ .... ٣٤٥

٤٥، ٤٦ .... ٣٤٧

٤٧، ٤٨ .... ٣٤٩

٤٩، ٥٠ .... ٣٥٣

٥١	٣٥٥
٥٢، ٥٤	٣٥٧
٥٥، ٥٧	٣٥٩
٥٨	٣٦١
٥٩، ٦٠	٣٦٣
٦١	٣٦٥
٦٢، ٦٣	٣٦٧
٦٤، ٦٦	٣٦٩
٦٧	٣٧٣
٦٨	٣٧٥
٦٩، ٧٠	٣٧٧
٧١، ٧٢	٣٨١
٧٣، ٧٤	٣٨٣
٧٥	٣٨٥

رقم الآية	الصفحة
سورة التوبة	
١	٣٩٣
٢	٣٩٥
٣	٣٩٧
٤	٣٩٩
٥	٤٠١
٦	٤٠٣
٧	٤٠٥

٨	....	٤٠٧
٩، ١١	....	٤١١
١٢	....	٤١٣
١٣، ١٥	....	٤١٥
١٦	....	٤١٧
١٧، ١٨	....	٤١٩
١٩، ٢٢	....	٤٢١
٢٣، ٢٤	....	٤٢٥
٢٥	....	٤٢٩
٢٦، ٢٧	....	٤٣١
٢٨	....	٤٣٣
٢٩	....	٤٣٧
٣٠، ٣١	....	٤٤٣
٣٢	....	٤٤٩
٣٣، ٣٤	....	٤٥١
٣٥، ٣٦	....	٤٥٧
٣٧	....	٤٦١
٣٨	....	٤٦٥
٣٩	....	٤٦٧
٤٠	....	٤٦٩
٤١	....	٤٧٣
٤٢	....	٤٧٧
٤٣	....	٤٧٩
٤٤، ٤٧	....	٤٨١
٤٨، ٤٩	....	٤٨٥

٥٠، ٥١ .... ٤٨٧
٥٢، ٥٣ .... ٤٨٩
٥٤ .... ٤٩١
٥٥، ٥٧ .... ٤٩٣
٥٩، ٦٠ .... ٤٩٩
٦١ .... ٥٠٧
٦٢ .... ٥٠٩
٦٣ .... ٥١١
٦٤، ٦٦ .... ٥١٣
٦٧، ٧٠ .... ٥١٧
٧١، ٧٢ .... ٥٢١
٧٣ .... ٥٢٣
٧٤ .... ٥٢٥
٧٥ .... ٥٢٩
٧٦، ٧٩ .... ٥٣٣
٨٠، ٨١ .... ٥٣٧
٨٢ .... ٥٣٩
٨٣، ٨٤ .... ٥٤١
٨٥، ٨٩ .... ٥٤٣
٩٠ .... ٥٤٥
٩١، ٩٣ .... ٥٤٩
٩٤، ٩٦ .... ٥٥٣
٩٧، ٩٨ .... ٥٥٥
٩٩ .... ٥٥٧
١٠٠ .... ٥٥٩

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد السابع
تتمة التوبة - يونس - هود - يوسف

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٧

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير

في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد السابع

التوبة ١٠١ - يوسف ٨١

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

قولُه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: مُزَينة، وجُهَينة، وأسلَم، وغِفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون(١).

قَالَ مُقَاتِل: وكانت منازِلُهم حولَ المدينة(٢).

وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: مرنوا عليه وثبتوا، منهم عبد الله بن أُبَيٍّ، وجَد بن قيس، والجلاس، ومعتِّب(٣)، ووَحْوَح، وأبو عَامِر الراهب(٤).

وقَالَ أبو عُبَيدَة: عَتَوْا ومَرَنُوا عليه، وهو مِنْ قولهم: تمرَّد فلان، ومنه: شيطان مَرِيدٌ(٥).

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟﴾ وليس يجوز في الكلام: مِنَ القَوم قَعَدُوا؟

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٩٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٦).

(٢) نظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٢).

(٣) في (ج): (ومغيث).

(٤) نظر: تفسير الثعلبي (٥/ ٨٧)، والتفسير الوسيط (٢/ ٥٢١).

(٥) نظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٨).

فعَنْهُ ثلاثة أَجْوِبَةٍ:

أَحَدُهَا: أن تكون «من» الثَّانية مَرْدُودةً على الأولى، والتقدير: وممَّن حولَكُم من الأعراب ومن أَهْلِ المدينة منافقون، ثمَّ استأنف «مَرَدُوا».

والثَّاني: أن يكُونَ في الكلام «مَنْ» مضمرٌ، تقديره: ومن أهل المدينة مَنْ مَرَدُوا، فأُضْمِرَتْ «مَنْ» لدلالة «مِنْ» عليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤] يريد: إلا مَنْ له مَقَامٌ معلومٌ، وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله تعالى: «منافقون».

[٣٣٩/ب] والثَّالث: أنَّ «مَرَدُوا» متعلِّقٌ بمنافقين، تقديره: ومِنْ أهل المدينة منافقون مَرَدُوا، ذَكَرَ هذه الأجْوِبَةَ ابنُ الأَنْبَارِيِّ[1].

قَولُه: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾.

فيه وَجْهَان:

أَحَدُهُمَا: لا تعلمهم أنت حتى نُعْلِمَكَ بهم.

والثَّاني: لا تعلم عَوَاقِبَهم.

قَولُه: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾.

فيه عشرة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّ العذابَ الأوَّل في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنِّفاق، والعذاب الثَّاني عذابُ القبر، قَالَه ابنُ عبَّاس.

---

(١) لم أقف عليه وانظر التفسير البسيط (١١/ ٢٧).

قَالَ: وقام رسُولُ الله ﷺ يوم جمعة خطيبًا، فقال: «**يَا فُلَانُ اخْرُجْ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ، وَيَا فُلَانُ اخْرُجْ**»(١) ففَضَحَهم.

والثَّاني: أنَّ العذاب الأوَّل: إقامة الحدود عليهم، والثَّاني: عذاب القبر، وهذا مرويٌّ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثَّالث: أنَّ أحد العذابين: الزكاة التي تؤخذ منهم، والآخر: الجهاد الذي يُؤْمَرون به، قَالَه الحسَنُ.

والرَّابع: الجوع، وعذاب القبر، رواه شبل عَنِ ابنِ أبي نجيحٍ عن مجاهِدٍ، وبه قَالَ أبو مالك.

والخامِسُ: الجوع والقتل، رواه سفيان عنِ ابْنِ أبي نجيحٍ عن مجاهِدٍ.

والسَّادس: القتل والسَّبي، رواه مَعمَر عن ابنِ أبي نجيحٍ عن مجاهِدٍ.

وقَالَ ابْنُ قتيبة: القتل والأسر(٢).

والسَّابع: أنهم عُذِّبُوا بالجوع مرتين، رواه خُصَيف عن مجاهد.

والثَّامِن: أنَّ عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنَّار، قَالَه ابن زيد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٧٩٢) من رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤) (١١٠٥٣): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف».

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٩٢).

والتاسع: أنَّ الأوَّل: عند الموت، تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، والثَّاني: في القبر بمنكرٍ ونكيرٍ، قَالَه مُقَاتِل بن سُلَيان(١).

والعاشر: أنَّ الأوَّل بالسَّيف، والثَّاني عند الموت، قَالَه مُقَاتِل بن حيان.

قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني عذاب جهنَّم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢].

قَوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

اختلفوا فيمَن نَزَلَتْ على قولين:

أَحَدُهُمَا: أنَّهم عشرة رَهطٍ تخلَّفوا عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، فلمَّا دنا رجوع النبيِّ ﷺ، أوثق سبعةٌ منهم أنفسَهم بسواري المسجد، فلما رآهم رسول الله ﷺ، قال: «مَنْ هَؤُلَاءِ؟» قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلَّفوا عنك، فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتَّى تطلقهم أنت وتعذرهم(٢)، فقال: **«وَأَنَا أُقْسِمُ بِاللهِ لَا أُطْلِقُهُمْ وَلَا أَعْذُرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ، رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ»**، فنزلت هذه الآية، فأرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم، رواه علي بنُ أبي طلحة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٣).

(٢) ليست في (ف).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٠٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٧١-٢٧٢) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

وروى العَوفي عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ الذين تخلَّفوا كانوا ستَّة، فأوثق أبو لبابة نفسه ورجلان معه، وبقي ثلاثة لم يُوثِقُوا أنفسهم، فلما نزلت هذه الآية، أطلقهم رسولُ الله ﷺ وعذرهم[١].

وروى أبو صالح عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن خِذام الأنصاري. [٣٤٠/أ]

وقال سعيدُ بنُ جُبير، ومجاهد، وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية[٢].

وقَالَ قَتَادَة: ذُكر لنا أنَّهم كانوا سبعة[٣].

والثَّاني: أنَّها نزلت في أبي لبابة وحده.

واختلفوا في ذَنْبِه على قولين:

أَحَدُهُمَا: أنَّه خان الله ورسولَه بإشارته إلى بني قريظة حين شاوروه في النُّزول على حكم سعد أنَّه الذبح، وهذا قول مجاهد، وقد شرحناه في «سورة الأنفال»[٤].

والثَّاني: أنَّه تخلُّفه عن تبوك، قالَه الزُّهرِيّ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٠٥) من رواية العوفي عن ابن عباس به.

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٥/ ٨٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٤٤٩) (١٧١٤٠) من طريق سعيد عن قتادة.

(٤) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٢٧).

فأمّا الاعتراف، فهو الإقرار بالشَّيء عن معرفة، والاعتراف بالذنب أدعى إلى صدق التَّوبة والقَبول.

قَولُه: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾.

قَالَ ابْنُ جريرٍ: وُضِعَ الواوُ مكان الباء، والمعنى: بآخَرَ سيِّئ، كما يقال: خلطت الماءَ واللبن[١].

وفي ذلك العمل قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ العملَ الصَّالح: ما سبق من جهادهم، والسَّيِّئ: التأخر عن الجهاد، قَالَه السُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّ العملَ الصَّالح: توبتهم، والسَّيِّئ: تخلُّفهم، ذَكَرَه الفَرَّاء[٢].

وفي قَولِه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه واجبٌ من الله تعالى، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّاني: أنَّه ترديدٌ لهم بين الطَّمع والإشفاق، وذلك يصُدُّ عن اللهو والإهمال.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣].

قَوْلُه: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٥٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٥٠-٤٥١).

قال المُفَسِّرون: لمَّا تاب الله ﷻ على أبي لُبابة وأصحابه، قالوا: يا رسُولَ الله، هذه أموالنا فتصدَّق بها عنَّا، فقال: «مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا» فنزلت هذه الآية[(١)].

وفي هذه الصَّدقة قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها الصَّدقة التي بذلوها تطوُّعًا، قَالَه ابنُ زيدٍ، والجمهور.

والثَّاني: الزكاة، قَالَه عِكْرِمَةُ.

قَوْلُه: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾.

وقَرَأ الحسَنُ: «تُطَهِّرْهم» بجزم الرَّاء[(٢)].

قال الزَّجَّاجُ: يصلح أن يكون قَوْلُه: «تطهرهم» نعتًا للصَّدقة كأنَّه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهِّرة، والأجود أن يكون للنبيِّ ﷺ، المعنى: فإنَّك تطهرهم بها، فـ«تطهرْهم» بالجزم على جواب الأمر، المعنى: إنْ تأخُذْ من أموالهم تطهرْهم[(٣)].

ولا يجوز في: «تُزكِّيهم» إلَّا إثباتُ الياء، اتِّباعًا للمصحف.

قَالَ ابنُ عبَّاس: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الذُّنوب ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ تصلحهم[(٤)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩)، والتحصيل (٣/ ٣٠٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٨)، والمحتسب (١/ ٣٠١) كلهم نسبوها للحسن.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢٢).

وفي قَولِه: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: اسْتَغْفِرْ لهم، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّاني: ادْعُ لهم، قَالَه السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾.

قَـرَأَ ابْـنُ كَثِـيرٍ، وأبـو عَمـرٍو، ونَافِـعٌ، وابـنُ عَامِـرٍ، وأبـو بكـر عـن عَاصِـمٍ: «إنَّ صَلَوَاتِـكَ» عـلى الجمـع.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «إنَّ صلاتك» على التَّوحيد[١].

وفي قوله: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ خمسةُ أقْوالٍ:

أَحَدُهَا: طمأنينةٌ لهم أنَّ الله قد قَبِلَ منهم، قَالَه أبو صَالح عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقَالَ أبُو عُبَيدَة: تثبيتٌ وسكون[٢].

[٣٤٠/ب] **والثَّاني:** رحمةٌ لهم، رواه ابن أبي طَلحة عَنِ ابْنِ عبَّاس.

والثَّالث: قُرْبَةٌ لهم، رواه الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: وَقَارٌ لهم، قَالَه قَتَادَة.

والخامس: تزكيةٌ لهم، حكاه الثَّعْلَبِيُّ[٣].

---

(١) انظـر: السـبعة (ص:٣١٧)، والحجـة (٤/ ٢١٢-٢١٣)، والمبسـوط (ص:٢٢٨-٢٢٩)، والتحصيـل (٣/ ٣٠٠).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٨).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٩٠).

قَالَ الحَسَنُ، وقَتَادَة: وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خلّفوا(١).

قَوْلُـهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤، ١٠٥].

قَوْلُه: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ ﴾.

قَرَأَ الجمهورُ: «يعلموا» بالياء.

ورَوَى عبدُ الوارث: «تعلموا» بالتاء(٢).

وقولُه: ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾.

قَالَ أَبُو عبيدة: أي: من عَبِيده، تقول: أخذته منك، وأخذته عنك(٣).

وقوله: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: يقبلها. ومثله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾[الأعراف:١٩٩] أي: اقْبَلْهُ(٤).

---

(١) انظر: البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٥٠٠).

(٢) في التحصيل (٣/ ٣٠٠) نسبها للحسن، والسلمي، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لعلي بن أبي طالب، وأُبي، وأنس بن مالك، وفي الكامل (ص:٥٦٤) قال: «بالتاء: الحسن في رواية عمرو بن عبيد، وعباس في اختياره وعبد الوارث، ومحبوب، وخارجة عن أَبِي عَمْرٍو، وأَبُو حَاتِم عن المفضل، وهارون عن عَاصِم كروايته عن أَبِي عَمْرٍو، وزاد أَبُو حَاتِم، وهارون «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ» بالتاء، الباقون بالياء، وهو الاختيار»، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٧٩) نسبها للحسن، ومن مصحف أبي بن كعب.

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٩٢).

قَولُه: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ قَالَ ابْنُ زيد: هذا خطابٌ للذين تابوا.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦﴾ [التوبة: ١٠٦].

قَوله: ﴿**وَآخَرُوْنَ مُرْجَؤُوْنَ**﴾.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾ بغير همز(١).

والآيَـةُ نزلـت في كَعْـبِ بـنِ مالـكٍ، ومُـرارةَ بـنِ الرَّبيـع، وهلال بـن أميَّة، وكانـوا فيمَـن تخلَّـف عـن تبـوك مـن غـير عـذرٍ، ثـمَّ لم يبالغـوا في الاعتـذار كـما فعـل أبـو لبابـة وأصحابـه، ولم يوثقـوا أنفسَـهم بالسَّـواري، فَوَقَـفَ رسـولُ الله ﷺ أمْرَهُـم، ونهـى النَّـاسَ عـن كلامهـم ومخالطتهـم حتَّـى نـزل قَولُـه تعـالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبـة:١١٨](٢).

قَـالَ الزَّجَّـاج: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ عطـفٌ على قولـه: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾، فالمعنـى: منهـم منافقـون، ومنهـم آخـرون ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾ أي: مؤخَّـرون، و﴿إِمَّا﴾ لوُقُـوعِ أَحَـدِ الشَّـيئين، والله تعـالى عـالمٌ بـما يصـير إليـه أمرُهـم، لكنَّـه خاطـب العِبَـادَ بـما يعلمـون، فالمعنـى: ليَكُـنْ أَمْرُهُـم عندكـم عـلى الخَـوف والرَّجـاء(٣).

---

(١) انظـر: المبسـوط (ص:٢٢٩)، والمحـرر الوجيـز (٣/ ٨٠)، والتحصيـل (٣/ ٣٠٠)، وبـه قـرأ حفـص عـن عاصـم (معـاني القـراءات للأزهـري) (١/ ٤٦٤).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص:٢٥٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٧).

قَولُـه: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عَلِيـمٌ بـما يـؤول إليـه حالهـم، حَكِيـمٌ بـما يفعلـه بهـم.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبـة: ١٠٧].

قَولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾.

قَـرَأَ ابْـنُ كثـيرٍ، وأبـو عَمـرٍو، وعَاصِـمٌ، وحَمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: «والذيـن» بـواو، وكذلـك هـي في مَصَاحِفِهـم.

وقَـرَأَ نَافِـعٌ، وابـن عَامِـرٍ: «الذيـن» بغـير واو، وكذلـك هـي في مَصَاحِـفِ أهـل المدينـة والشـام[١].

قَـالَ أَبُـو عليّ: من قَـرَأَ بالواو، فهـو معطوفٌ على مـا قَبْله، نحـو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبـة:٧٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ [التوبـة:٥٨] ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبـة:٦١]، والمعنـى: ومنهم الذين اتَّخذوا مسـجدًا.

ومَن حذف الواو، فعلى وَجْهَين:

أَحَدُهُمَـا: أن يضمـر: «ومِنْهُـمُ الَّذِيـنَ اتَّخـذوا»، كقولـه تعـالى: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمـران:١٠٦]، المعنـى: فيُقَـال لهـم: أكفرتـم.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٨)، والحجة (٤/ ٢٣٩)، والمبسوط (ص:٢٢٩).

والثَّاني: أن يُضمَرَ الخبرُ بعدُ، كما أُضْمِرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الحج:٢٥] المعنى: يُنتَقم منهم ويعذَّبون(١).

قال أهلُ التَّفسير: لما اتَّخذ بنو عَمرِو بنِ عوفٍ مسجد قباء، وبعثوا إلى رسُولِ الله ﷺ فأتَاهم، فصَلَّى فيه حسدهم إخوتهم بنو غَنْم بن عَوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا: نبني مَسْجِدًا، ونُرْسِلُ إلى رسول الله ﷺ فيُصلِّي فيه، ويُصَلِّي فيه أبو عَامِر الرَّاهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عَامِرٍ قد ترهَّب في الجاهليَّة وتنصَّر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، عاداه، فخرج إلى الشَّام، وأرسل إلى المنافقين أن أعدِّوا ما استطعتم من قوَّة وسلاح، وابنوا لي مسجدًا، [٣٤١/أ] فإني ذاهِبٌ إلى قَيصَر فآتي بجند الرُّوم فأُخرج محمدًا وأصحابه، فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلًا: خِذام بن خالد، ومِنْ داره أُخرِجَ المسْجِدِ، ونَبْتَل بن الحارث، وبِجاد بن عثمان، وثعلبة بن حاطب، ومُعتِّب بن قُشير، وعبَّاد بن حُنَيف، ووديعة بن ثابت، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عَامِر، وابناه يزيد ومُجمِّع، وكان مُجمِّع إمامهم فيه، ثمَّ صلحت حالُه، وبحرج جدُّ عبد الله بن حنيف، وهو الذي قالَ له رسول الله ﷺ: «مَا أَرَدْتَ بِمَا أَرَى»؟ فقال: والله ما أردت إلَّا الحسنى، وهو كاذب(٢).

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٦) من رواية العوفي عن ابن عباس به.

وقَالَ مُقَاتِل: الذي حلف مُجمِّع[١].

وقيل: كانوا سبعةَ عشرَ، فلمَّا فرغوا منه، أَتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إنَّما[٢] قد ابتنينا مسجدًا لذي العلَّة والحاجة والليلة المطيرة، وإنَّا نحبُّ أن تأتينا فتصليَ فيه، فدَعَا بقميصه[٣] ليلبسه[٤]، فنزل عليه القُرآن، وأخبره الله خَبَرَهُم، فدعا معن بن عدي، ومالك بن الدُّخشُم في آخرين، وقال: «**انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمُوهُ وَأَحْرِقُوهُ**»، وأَمَرَ به رسول الله ﷺ أن يُتَّخَذَ كُناسةً تُلقى فيها الجِيَف[٥].

وماتَ أبو عَامِر بالشَّام وحيدًا غريبًا.

فأمَّا التَّفسير:

فقال الزَّجَّاجُ: «الذين» في مَوضعِ رَفْعٍ، المعنى: ومنهم الذين اتَّخذوا مسجدًا ضرارًا، و﴿ضِرَارًا﴾ انتصبَ مفعولًا له، المعنى: اتخذوه للضرار والكفر والتَّفريق والإرصاد، فلمَّا حُذِفَتِ اللامُ، أفضى الفعل فنَصب[٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٦).

(٢) كذا في النسخ الخطية وفي تفسير الطبري وابن هشام (إنا).

(٣) في (ج): (فدعا قميصه).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٧٢-٦٧٣) من رواية مُحَمَّد بن إِسْحَاق عَن الزُّهْرِي وَيزِيد بْن رُومَان وَعبد الله بن أبي بكر وَعَاصِم بن عمر بن قَتَادَة به.
وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٨).

قال المُفَسِّرون: والضِّرار بمعنى المُضارَّة لمسجد قباء، ﴿وَكُفۡرٗا﴾ بالله ورسُوله ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لأنَّهم كانوا يُصلُّون في مسجد قباء جميعًا، فأرادوا تفريقَ جماعتهم.

والإرْصَادُ: الانتظارُ، فانتظروا به مجيءَ أبي عَامِر، وهو الذي حَارَبَ الله ورَسُولَه من قبل بناء مسجد الضِّرار.

﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ أي: ما أردنا. ﴿إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: ما أردنا بابْتِنَائِه إلَّا الحسنى.

وفيها ثلاثةُ أوجهٍ(١):

أَحَدُهَا: طاعَةُ الله.

والثَّاني: الجنَّة.

والثَّالث: فِعْلُ التي هي أحسن من إقامة الدِّين والاجتماع للصلاة.

وقد ذكرنا اسم الحالف.

قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة: ١٠٨].

قوله: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ﴾ أي: لا تصلِّ فيه أبدًا.

---

(١) في (ج): (أقوال).

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: بُنِيَ على الطَّاعة، وبناه المتَّقون.

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أي: منذ أوَّل يومٍ.

قال الزَّجَّاجُ: [دخلت][1] «مِنْ» في الزمان، والأصل: منذ ومذ، وهو الأكثرُ في الاستعمال، وجائزٌ دخولُ «من» لأنَّها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض.

ومثله قول زهير[2]: [من الكامل]

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ ... أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ

وقيل معناه: مِن مَرِّ حِجَجٍ ومِن مَرِّ شهرٍ[3]. [٣٤١/ب]

وفي هذا المسجد ثلاثة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة الذي فيه منبرُه وقبره.

روى سهل بنُ سعد أنَّ رجلين اختلفا في عهد رسولِ الله ﷺ في المسجد الذي أسِّس على التقوى، فقال أَحَدُهُمَا: هو مسجد الرَّسول،

(١) زيادة من (ج)، و(ف)، و(ر).

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه (ص ٨٦)، والبيان والتبيين (٢/ ١٧٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٨)، ودرة الغواص (ص٩١)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٤٠)، والصحاح (٦/ ٢٢٠٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٦٩)، ولسان العرب (٤/ ١٧٠)، والشعر والشعراء (١/ ١٣٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٨).

وقال الآخر: هو مسجدُ قباء، فذكروا[١] ذلك لرسُولِ الله ﷺ، فقال: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»[٢].

وبه قَالَ ابْنُ عُمر، وزيدُ بن ثابت، وأبو سعيد الخدريّ، وسعيد بن المسيِّب.

والثَّاني: أنَّه مسجد قباء، رواه عليُّ بن أبي طلحة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ سعيدُ بن جُبير، وقتادة، وعروة، وأبو سلمةَ بن عبد الرَّحمن، والضَّحَّاك، ومُقَاتِل[٣].

والثَّالث: أنَّه كلُّ مسجدٍ بني في المدينة، قَالَه محمَّد بن كعب.

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾.

---

(١) في (ر): (فذُكر).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٨٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٢٢)، وأحمد في مسنده (٢٢٨٠٥)، وعبد بن حميد في مسنده (٤٦٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٧٣٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٠٢٥)، والحاكم في مستدركه (٣٢٨٤) من رواية عمران بن أبي أنس، عن سهل بن سعد به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشاهده حديث أبي سعيد الخدري أصح منه».
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤): «رواه كله أحمد والطبراني باختصار، ورجالهما رجال الصحيح».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٦).

سبب نزولها: أنَّ رجالًا من أهل قباء كانوا يَسْتَنْجُونَ بالماء، فنزلت هذه الآية، قَالَه الشعبي(١).

قَالَ ابنُ عبَّاس: لما نَزَلَتْ هذه الآيَةُ، أتاهم رسولُ الله ﷺ فقال: «مَا الَّذي أَثْنَى اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ» فقالوا: إنَّا نَسْتَنْجِي بالماء(٢).

فعلى هذا، المراد به الطَّهارة بالماء.

وقَالَ أبُو العالية: أن يتطهَّروا من الذُّنوب(٣).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٩١) من رواية داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: لما نزلت: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: «ما هذا الذي أثنى الله عليكم؟» قالوا: ما منا من أحد إلا وهو يستنجي من الخلاء.

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير (١١٠٦٥)، والحاكم في مستدركه (٦٧٢)، والبيهقي في السنن الصغير (٥٤)، والسنن الكبرى (٥١٢) من رواية مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت الآية ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] بعث النبي ﷺ إلى عويمر بن ساعدة فقال: «ما هذا الطهور الذي أثنى الله عز وجل عليكم؟» فقالوا: يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه - أو قال: مقعدته -. فقال النبي ﷺ: «هو هذا».
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٨٣) عن أبي المنهال قال: كنت عند أبي العالية فتوضأ أو توضأت، فقلت: إن الله يحب المتطهرين، فقال: إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب.

قَوْلُــهُ تَعَــالَى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبـة: ١٠٩].

قوله: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ﴾.

قَـرَأَ ابْـنُ كثـيرٍ، وأبـو عمـرٍو، وعَاصِـمٌ، وحَمْـزَةُ، والكِسَـائِيّ: «أَسَّـس» بفتـح الألـف في الحرفـين جميعًـا وفتـح النُّـون فيهـا.

وقَرَأَ نَافِع، وابن عَامِر: «أُسِّس» بضم الألف، «بنيانُه» برفع النون[1].

والبنيان مَصْدَرٌ يراد به المبنيّ[2].

والتأسـيس: إحـكامُ أُسِّ البِنَـاء، وهـو أصلـه، والمعنـى: المؤسِّـس بنيانَـه متَّقيًـا يخـاف الله ويرجـو رضوانـه خـيرٌ، أم المؤسِّـس[3] بنيانَـه غـيرَ مُتَّـقٍ؟.

قال الزَّجَّاج: وشفا الشيء: حَرفُه وحدُّه[4].

والشَّفا مقصورٌ، يكتب بالألف ويثنَّى شَفَوان.

قَولُه: ﴿جُرُفٍ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عمرٍو، والكِسَائِيُّ: «جُرُف» مثقَّلًا.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٨)، والحجة (٤/ ٢١٨)، والمبسوط (ص:٢٢٩)، والتيسير (ص:١١٩).

(٢) في (ج): (النبي ﷺ)!.

(٣) في (ج): (أمَّن أُسس)، وفي (ف): (من المؤسس).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٠).

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وحَمْزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «جُرْف» ساكنة الراء(١).

قَالَ أَبُو علي: فالضمُّ الأصلُ، والإسكان تخفيفٌ، ومثله: الشُّغُل والشُّغْل(٢).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: المعنى: على حَرْفِ جُرْفٍ هائر، والجرف: ما يتجرَّف بالسّيول من الأودية، والهائر: السَّاقط، ومنه: تهوَّر البناء وانهار: إذا سَقَطَ(٣).

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وحَمْزَةُ: «هار» بفتح الهاء.

وأمال الهاء نَافِعٌ، وأبو عمرو.

وعن عَاصِمٍ كالقراءتين(٤).

قوله: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ أي: بالباني ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

قال الزَّجَّاج: وهذا مَثَلٌ، والمعنى: أنَّ بناء هذا المسجد كبناءٍ على جُرُفِ جهنَّم يتهوَّر بأهله فيها(٥)(٦).

وقَالَ قَتَادَة: ذُكر لنا أنَّهم حفروا فيه حفرةً فرُئِيَ فيها الدُّخان(٧).

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٨)، والحجة (٤/ ٢٢١)، والمبسوط (ص:٢٢٩)، والتيسير (ص:١١٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٥)، والتحصيل (٣/ ٣٠١).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٩٢).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣١٨-٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٢٣)، والتيسير (ص:٥١).

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٠).

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩٠) من رواية سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم

قال جَابِر: رأيتُ المسجدَ الذي بُنِيَ ضرارًا يخرج منه الدُّخان(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١١٠].

قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ﴾ يعني: مسجد الضرار.

﴿الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوالٍ:

[٣٤٢/أ] أَحَدُهَا: شَكًّا ونِفَاقًا، لأنَّهم كانوا يحسبون أنَّهم مُحْسِنُون في بنائه، قَالَه ابنُ عبَّاس، وابنُ زيد.

والثَّاني: حَسْرَة ونَدَامَة، لأنَّهم نَدِمُوا على بنائِه، قَالَه ابنُ السَّائب، ومُقَاتِلٌ(٢).

والثَّالث: أنَّ المعنى: لا يَزَالُ هَدْمُ بنيانهم حَزَازَةً وغيظًا في قلوبهم، قَالَه السُّدِّيُّ، والمبرِّد.

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

قَرَأَ الأكثرون: «إِلَّا» وهو حرف استثناء.

مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] قال: والله ما تناهى أن وقع في النار، ذُكر لنا أنَّه حفرت بقعة منه فرئي منها الدخان.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٨٩) من رواية طلق بن حبيب عن جابر به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩٨).

وَقَرَأَ يعقوبُ: «إلى أن» فجَعَلَه حرفَ جرٍّ(١).

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائِيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تُقَطَّع» بضمِّ التاء.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وحَمْزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «تَقَطَّع» بفتح التَّاء(٢).

ثمَّ في المعنى قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: إلَّا أَنْ يموتوا، قَالَه ابنُ عبَّاس، ومُجَاهِدٌ، وقَتَادَة في آخرين.

والثَّاني: إلَّا أن يتوبوا توبةً تتقطَّع بها قلوبُهم ندمًا وأَسَفًا على تفريطهم، ذكره الزَّجَّاجُ(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

قَوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾.

سببُ نزولها: أنَّ الأنصار لما بايَعَتْ رسُولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبَة وكانوا سبعين رجلًا، قالَ عبدُ الله بن رواحة: يا رسولَ الله اشترط لربِّك ولنفسِكَ

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٦)، والتحصيل (٣/ ٣١٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٣٠)، والمبسوط (ص:٢٣٠)، والتيسير (ص:١٢٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٦)، والتحصيل (٣/ ٣١٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧١).

ما شئت، فقال «أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ»، قالوا: فإذا فَعَلْنَا ذلك، فما لنا؟ قال: «الْجَنَّةُ» قالوا: رَبِحَ البيعُ، لا نُقِيلُ ولا نَسْتَقِيل، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، قَالَه محمَّد بن كعب القرظي[1].

فأمَّا اشتراء النَّفس فبالجهاد.

وفي اشتراء الأموال وجهان:

أَحَدُهُمَا: بالإنفاق في الجهاد.

والثَّاني: بالصَّدقات.

وذِكْرُ الشِّراء هاهنا مَجَازٌ؛ لأنَّ المشتري حَقِيقَةً هو الَّذي لا يَمْلِكُ المشْتَرَى، فهو كقَولِه تَعَالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

والمرادُ من الكلامِ أنَّ الله أمَرَهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليُجَازِيهم عن ذلك بالجنَّة، فعَبَّر عنه بالشِّراء لِما تضمَّن من عوضٍ ومعوَّض.

وكان الحسَنُ يقول: لا والله، إنْ في الدُّنيا مؤمنٌ إلَّا وقد أُخِذَتْ بَيعَتُه[2].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦) عن محمد بن كعب القرظي به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٠٦) من رواية مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: اسمعوا رحمكم الله، بيعة بايع الله لكل مؤمن، قال الحسن: لا والله ما على ظهر الأرض مؤمن إلا قد دخل في هذه البيعة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ الآية.

ورواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦) عن أبي رجاء، عن الحسن، أنَّه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾[التوبة: ١١١] قال: «بايعهم فأغلى لهم الثمن».

وقَالَ قَتَادَة: ثامَنَهم اللهُ فأَغْلَى لهم(١).

قوله: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامِرٍ، وعَاصِمٌ: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ فاعلٌ ومفعول.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «فيُقتَلُون ويَقتُلون» مفعول وفاعل(٢).

قَالَ أَبُو علِيّ: القِرَاءةُ الأولى بمعنى أنَّهم يَقتُلون أوّلًا ويُقتلون، والأخرى يجوز أن تكُونَ في المعنى كالأولى، لأنَّ المعطوف بالواو يجوز أن يُرَادَ به التقديم، فإنْ لم يُقدَّر فيه التقديم، فالمعنى: يُقتَلُ مَن بقيَ منهم بعدَ قتلِ مَنْ قُتِلَ، كما أنَّ قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ما وهن مَن بقي بِقَتْلِ من قُتل، ومعنى الكلام أنَّ الجنَّة عوضٌ عن جهادهم، قَتَلوا أو قُتلوا(٣).

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: نصب «وعدًا» بالمعنى، لأنَّ معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

قال: وقولُه تَعَالَى: ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ يدلُّ على أنَّ أهلَ كلِّ ملَّة أُمِرُوا بالقتال ووُعِدوا عليه الجنَّة(٤). [٣٤٢/ب]

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦) من رواية محمد بن يسار، عن قتادة به.

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٣١)، والتيسير (ص:٩٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٨٧).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ٢٣١-٢٣٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧١).

قَوْلُه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: لا أحَدَ أوفى بما وَعَد مِنَ اللهِ.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ أي: فافرَحُوا بهذا البيع.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾.

سبب نزولها: أنَّه لما نَزَلَتْ [الآية][(١)] التي قبلها، قال رجلٌ: يا رسولَ الله، وإنْ سَرَقَ وإن زَنَى وإن شرب الخمر؟ فنزلت هذه الآية، قالَه ابنُ عبَّاس[(٢)].

قال الزَّجَّاج: يَصلُحُ الرَّفعُ هاهنا على وجوه:

أَحَدُهَا: المدحُ، كأنَّه قال: هؤلاء التَّائبون، أو هم التَّائبون.

ويجوز أن يكونَ على البَدَلِ، والمعنى: يقاتِلَ التَّائِبُون، فهذا مذهب أهلِ اللُّغة، والذي عندي أنَّه رُفِعَ بالابتداء، وخبرُه مضمرٌ، المعنى: التَّائبون ومَنْ ذُكِرَ معهم لهم الجنَّة أيضًا وإن لم يجاهدوا إذا لم يقصدوا تركَ الجهاد ولا العِنَاد، لأنَّ بعضَ المسلمين يجزئ عن بعضٍ في الجِهَاد[(٣)].

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧١-٤٧٢).

وللمُفَسِّرين في قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ **قَوْلان:**

أَحَدُهُمَا: الرَّاجِعُون عن الشِّرك والنِّفاق والمعاصي.

والثَّاني: الرَّاجِعُون إلى الله في فعل ما أَمَرَ واجْتِنَابِ ما حَظَرَ.

وفي قوله: ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ ثلاثة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: المطيعون لله بالعِبَادَةِ، قَالَه أبو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: المقيمون الصَّلاة، قَالَه الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: الموحِّدون، قَالَه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

قولُه: ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾.

قَالَ قَتَادَةَ: يحمدون اللهَ تَعَالَى على كلِّ حالٍ(١).

وفي السَّائِحِينَ أربعة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الصَّائِمُون، قَالَه ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَير، وقَتَادَة في آخرين.

قال الفرَّاء: ويرى أهلُ النَّظر أنَّ الصَّائِمَ إنَّما سمِّيَ سائحًا تشبيهًا بالسَّائِحِ، لأنَّ السَّائِحَ لا زادَ مَعَه، والعربُ تقولُ للفرسِ إذا كان قائمًا لا عَلَفَ بين يديه: صائِمٌ، وذلك أنَّ له قُوتَين، غدوةً وعشِيَّةً، فشُبِّه به صيامُ الآدميِّ لتسحُّره وإفطارِه(٢).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٠) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٦٧-١٦٨).

والثَّاني: أنَّهم الغُزاة، قَالَه عَطَاء.

والثَّالث: طلَّاب العِلْم، قَالَه عِكْرِمَة.

والرَّابع: المهاجِرُون، قَالَه ابنُ زيدٍ.

قَولُه: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ يعني في الصَّلاة.

﴿ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو طاعة الله.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو معصية الله.

فإن قيل: ما وجه دخول الواو في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾؟

فعنه جوابان:

أَحَدُهُما: أنَّ الواو إنَّما دخلت هاهُنا لأنَّها الصِّفة الثَّامِنة، والعربُ تَعطِفُ بالواو على السَّبعة، كقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢] وقولُه في صفة الجنَّة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣]، ذكره جماعةٌ من المفسِّرين.

والثَّاني: أنَّ الواو إنَّما دخلت على النَّاهين؛ لأنَّ الآمِرَ بالمعروف نَاهٍ عن المنْكَرِ في حَالِ أَمْرِهِ، فكَانَ دخُولُ الواوِ دلالةً على أنَّ الأمْرَ بالمعروفِ لا ينفردُ دُونَ النَّهيِ عنِ المنْكَرِ، كما ينفَرِدُ الحَامِدُونَ بالحَمْدِ دونَ السَّائحين، والسَّائحُون بالسِّياحَةِ دون الحامِدينَ في بَعْضِ الأحْوَالِ والأَوْقَاتِ.

قَوْلُه: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾.

قَالَ الحَسَنُ: القائمون بأمْرِ الله(١).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤].

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾. [٣٤٣/أ]

في سَبَبِ نُزُولها أربعة أقْوالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّ أبا طالبٍ لما حضرته الوفاةُ، دَخَلَ عليه رسولُ الله ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبدُ الله بن أبي أميَّة، فقال: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ مَعِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فقال أبو جهل وابنُ أبي أميَّة: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلِّمانه، حتَّى قال آخر شيء كلَّمهم به: على ملَّة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**(٢)»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] أخرجه البخاريُّ ومسلم في «الصحيحين» من حديث سَعيدِ بن المسيِّب عن أبيه(٣).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٤٢) عن الحسن به.

(٢) في (ج): (عنه).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢)، ومسلم في صحيحه (٢٤) من حديث سعيد بن المسيب، عن أبيه به.

وقيل: إنَّه لَمَّا ماتَ أبو طالبٍ، جعل النبيُّ ﷺ يستغفر له، فقال المُسْلِمُون: ما يمنعنا أن نَسْتَغْفِرَ لآبائنا ولِذَوِي قراباتنا، وقد استغفر إبراهيمُ لأبيه، وهذا محمَّد يستغفرُ لعمِّه؟ فاستغفروا للمشركين، فنَزَلَتْ هذه الآية[(١)].

قالَ أبو الحُسَين[(٢)] بنُ المنادي[(٣)]: هذا لا يصح، إنَّما قال النبيُّ ﷺ لعمِّه: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» قبل أن يموتَ، وهو في السِّياق، فأمَّا أن يكون استغفرَ له بعد الموت فَلَا، فانقلب ذلك على الرواة، وبقي على انقلابه.

والثَّاني: أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بقبر أمِّه آمنة، فتوضَّأ وصلَّى ركعتين، ثمَّ بكى فبكى النَّاس لبكائه، ثمَّ انصرف إليهم، فقالوا: ما الذي أبكاك؟

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢١) عن عمرو بن دينار، أن النبي ﷺ قال: «استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي» فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي ﷺ لعمه فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة: ١١٣].. إلى قوله: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة: ١١٤].

(٢) في الأصل، و(ج): (أبو الحسن)، وما أثبتناه من بقية النسخ هو الصواب.

(٣) وهو أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين بن المنادي: ولد سنة (٢٥٦هـ)، وهو عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد، ومات سنة (٣٣٦هـ)، ودفن في مقبرة الخيزران. قيل: صنف في علوم القرآن (٤٠٠) كتاب. وقال ابن النديم: له مائة ونيف وعشرون كتابًا. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه. آخر من روى عنه محمد بن فارس الغوري. من كتبه: (اختلاف العدد) و(دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات). انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٣)، وتاريخ بغداد (١٩٥٩)، والأعلام؛ للزركلي (١/ ١٠٧).

فقَـال: «مَـرَرْتُ بِقَـبْرِ أُمِّـي فَصَلَّيْـتُ رَكْعَتَـيْنِ، ثُـمَّ اسْـتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْـتَغْفِرَ لَهَـا، فَنُهِيْـتُ، فَبَكَيْـتُ، ثُـمَّ عُـدْتُ فَصَلَّيْـتُ رَكْعَتَـيْنِ، وَاسْـتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْـتَغْفِرَ لَهَـا، فَزُجِـرْتُ زَجْـرًا، فَأَبْـكَانِي»، ثـمَّ دعـا براحِلَتِـه فركبهـا فـما سـار هنيَّـةً حتـى قامَـتِ النَّاقـة لثِقَـل الوحـي فنزلـت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ والآيـة التـي بعدهـا، رواه بريـدة عـن رسـول الله ﷺ[١].

والثَّالـث: أنَّ رَجُـلًا اسـتغفرَ لأبوَيْـه، وكانـا مشركـين، فقـالَ لـه عـليُّ بـنُ أبي طالـب: أَتَسْـتَغْفِرُ لهـما وهمـا مُشْرِكَان؟ فقـال: أو لم يسـتغفر إبراهيـم لأبِيـه؟ فذكـر ذلـك عـليٌّ لرسـولِ الله ﷺ، فنَزَلَـتْ هـذه الآيـة والتـي بعدهـا، رواه أبـو الخليـلِ عن عـلي[٢].

والرَّابـع: أنَّ رجـالاً مـن أصحـاب رسـولِ الله ﷺ قالـوا: يـا نبـيَّ الله إنَّ مـن آبائنـا مَـن كان يُحْسِـنُ الجِـوَار، ويَصِـلُ الأرحـام[٣]، ويفـكُّ العـاني، ويـوفي بالذِّمَـم، أفـلا نسـتغفر لهـم؟ فقـال: «بَـلَى وَاللهِ لَأَسْـتَغْفِرَنَّ لِأَبِي كَـمَا اسْـتَغْفَرَ إِبْرَاهِيـمُ لِأَبِيـهِ»، فنزلـت هـذه الآيـةُ، وبـيَّن عُـذْرَ إبراهيـم، قَالَـه قَتَـادَة[٤].

---

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٩٧٦) من حديث أبي هريرة بنحو رواية الطبري.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٠١)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٠٩).

(٣) في (ف): (الرحم).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٤) من رواية سعيد، عن قتادة به.

ومعنى قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: من بعدِ مَا بَانَ أنَّهم ماتوا كفَّارًا.

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ فيه قَوْلان:

[٣٤٣/ب] أَحَدُهُمَا: أنَّ إبراهيم وعدَ أباه الاسْتِغْفَارَ، وذلك قَوْلُه تعالى: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم:٤٧]، وما كان يَعْلَمُ أنَّ الاسْتِغْفَارَ للمشركين محظُورٌ حتَّى أخبرَه الله تعالى بذلك.

والثَّاني: أنَّ أباه وعَدَه أنَّه إنِ اسْتَغْفَرَ له آمَنَ، فلمَّا تبيَّن لإبراهيم عداوةُ أبيه لله تعالى بمَوْتِهِ على الكفر، تَرَكَ الدُّعاء له.

فعلى الأوَّل تكون هاء الكناية في «إيَّاه» عائدةً على آزر، وعلى الثَّاني تعود على إبراهيم.

وَقَرَأَ ابْنُ السَّمَيْفَعِ، ومعاذ القارئ، وأبو نَهيك: «وعدها أباه» بالباء[1].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) نسبها لحماد الراوية، ويقال: إنَّه صحَّفه، وفي الكشف والبيان؛ للثعلبي (٥/ ١٠٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٢٨) كلاهما عزاها للحسن، وفي البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٥١٣) عزاها للحسن، وحماد الراوية، وابن السميفع، وأبي نهيك، ومعاذ القارئ.

وفي الأوَّاه ثمانية أقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه الخاشِعُ الدَّعَّاء المتضرِّع، رواه عبدُ الله بنُ شدَّاد بن الهاد عن النبيِّ ﷺ[١].

والثَّاني: أنَّه الدَّعَّاء، رواه زِرٌّ عن عبد الله، وبه قال عُبَيْدُ بنُ عمير.

والثَّالث: الرَّحيم، رواه أبو العبيد بن العَامِري عن ابنِ مَسْعُود، وبه قَالَ الحَسَنُ، وقتادة، وأبو مَيْسَرَة.

والرَّابع: أنَّه المؤقِنُ، رواه أبو ظبيان عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قَالَ مُجَاهِدٌ، وعَطَاء، وعِكْرِمَة، والضَّحَّاك.

والخامس: أنَّه المؤمِنُ، رواه العوفي، ومجاهد، وابنُ أبي طَلْحَة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والسَّادس: أنَّه المسبِّح، رواه أبو إسْحَاقَ عن أبي ميسرة، وبه قال سعيدُ بنُ المسيِّب، وابنُ جُبَير.

والسَّابع: أنَّه المتأوِّه لِذكْرِ عذابِ الله، قَالَه الشَّعبي.

قَالَ أبُو عُبَيْدَة: مجازُ أوَّاه مجازُ فَعَّال من التأوُّه، ومعناه: مُتَضَرِّع شَفَقًا[٢] وفَرَقًا ولزومًا لطاعة ربِّه[٣].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٢) من رواية شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد مرسلاً به.

(٢) في (ج): (مشفقًا).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٧٠).

قال المُثَقَّب(١): [من الوافر]

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

والثَّامِن: أنَّه الفَقِيه، رواهُ ابنُ جُريج(٢) عن مجاهِدٍ.

فأمَّا الحليم، فهو الصَّفوح عن الذُّنوب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمَۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة: ١١٥، ١١٦].

قولُه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمَۢا﴾ الآية.

سبب نزولها: أنَّه لما نزلت [آيةُ](٣) الفرائِضِ، وجاء النَّسْخُ، وقد غابَ قومٌ وهم يعلمون بالأمرِ الأوَّل مثل أمرِ القِبلَة والخَمرِ، ومات أقوامٌ على ذلك، فسألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قالَه أبو صالحٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ(٤)(٥).

---

(١) البيت للمثقب العبدي في ديوانه (ص١٩٤)، والعين (٤/ ١٠٤)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٦٢)، والزاهر (١/ ٢٥٣)، ومعجم ديوان الأدب (٤/ ١٦٢)، وإصلاح المنطق (ص٢٢٨)، ودرة الغواص (ص١٨٠)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٣٣٩)، والصحاح (٤/ ١٧٠٧)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٢)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٤٥٠).

(٢) في (ج): (ابن جرير).

(٣) زيادة من (ف).

(٤) قوله: (قاله أبو صالح عن ابن عباس)، تكرَّرت في الأصل.

(٥) عزاه الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٠٤) لمقاتل، والكلبي، ومعلومٌ أن الكلبي= =أخذ تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقَالَ قَومٌ: المعنى: أنَّه بيَّن أنَّه لم يكن ليأْخُذَهُم بالاستِغْفَارِ للمُشْرِكِينَ قبل تحريمه، فإذا حرَّمَه ولم يمتنعوا عنه، فقد ضَلُّوا[1].

وقَالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: في الآيَةِ حذفٌ واختصارٌ، والتأويل: حتَّى يتبيَّن لهم ما يتَّقُون، فلا يتَّقُونه، فعند ذلك يستحقُّون الضَّلال، فحُذِفَ ما حُذِفَ لبيان معناه، كما تقول العَرَبُ: أَمَرْتُكَ بالتِّجارة فكسبتَ الأموالَ، يريدون: فتجرتَ فكسبتَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

قَوْلُه: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾.

قال المُفَسِّرون: تابَ عليه من إذنه للمُنَافقين في التَّخَلُّف.

وقال أهلُ المعاني: هو مفتاحُ كلامٍ، وذلك أنَّه لما كانَ سَبَبَ تَوبَةِ التَّائبين، ذُكِرَ معهم، كقَولِه تَعَالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

---

(١) وهذا معنى كلام مجاهد الذي رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] قال: بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة، وفي بيانه طاعته ومعصيته، فافعلوا أو ذروا.

قَوْلُه: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوه في غَزْوَةِ تَبُوك، والمرادُ بسَاعَةِ العُسْرَةِ: وقتُ العُسرَةِ، لأنَّ[1] السَّاعة تقعُ على كلِّ الزَّمان، وكان في ذلك [٣٤٤/أ] الوقت حرٌّ شديدٌ، والقَوم في ضيقة شَدِيدَة، كان الجمل بين جماعة يعتقَّبُون عليه، وكانوا في فَقْرٍ، فربَّما اقتسمَ التَّمرةَ اثنان، وربَّما مصَّ التَّمرةَ الجماعةُ ليَشْرَبُوا عليها الماءَ، وربَّما نحروا الإبِلَ فشَرِبُوا من ماء كروشها من الحرِّ[2].

وقيل لعُمَرَ بن الخطَّاب: حدِّثْنَا عن ساعة العسرة فقال: خرجنا إلى تبوك في قَيْظٍ شديدٍ، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عَطَشٌ حتَّى ظننَّا أنَّ رقابنا ستنقطعُ، حتَّى إنَّ الرَّجل ليذهب يلتَمِسُ الماء، فلا يرجعُ حتَّى يظنَّ أنَّ رقَبَتَه ستَنْقَطِعُ، وحتَّى إنَّ الرَّجل لينحَرُ بَعيرُه فيعصرُ فَرْثَهُ فيشْرَبُه، ويجعل ما بقي على كَبِدِه. فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، إنَّ الله تعالى قد عوَّدك في الدُّعاء خيرًا، فادْعُ لنا. قال: «تُحِبُّ ذَلِكَ؟» قال: نعم. فرَفَعَ يديه، فلم يرجعها حتَّى قالت السَّماء، فملؤوا ما معهم، ثمَّ ذهبنا نَنْظُرُ، فلم نجدها جاوزت العسْكَرَ[3].

---

(١) في (ج): (فإن).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١٠١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٢٩٢)، والبزار في مسنده (٢١٤)، والحاكم في مستدركه (٥٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦٤١) وغيرهم من رواية نَافِع بن جبير بن مطعم، عن ابن عباس به. =

قَولُه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾.

قَرَأَ حَمْزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «كاد يزيغ» بالياء.

وقَرَأَ الباقون بالتَّاء[1].

وفي معنى الكلام ثلاثة أَقْوالٍ:

أَحَدُهَا: تميل إلى التخلُّفِ عنه، وهم نَاسٌ من المسلمين هَمُّوا بذَلِكَ، ثمَّ لحقوه، قَالَه أبو صالحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ القُلُوبَ مَالَتْ إلى الرُّجُوعِ للشِّدَّةِ التي لقوها، ولم تَزِغ عن الإيمان، قَالَه الزَّجَّاجُ[2].

والثَّالث: أنَّ القلوبَ كادَتْ تزيغُ تَلَفًا بالجهد والشدَّة، ذكره الماوَرْدِيُّ[3].

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

كرَّرَ ذِكْرَ التَّوبة، لأنَّه ليس في ابْتِدَاءِ الآيةِ ذِكْرُ ذَنْبِهِم، فقدَّم ذِكْرَ التَّوبة فَضْلًا منه، ثمَّ ذكر ذَنْبَهُم، ثمَّ أعاد ذِكْرَ التَّوبَةِ.

=قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٩)، والحجة (٤/ ٢٣٤)، والمبسوط (ص:٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٩٣)، والتحصيل (٣/ ٣١٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٤).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٤١٢).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨].

قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾.

وقَرَأَ أَبُو رزين، وأبو مِجْلَزٍ، والشَّعبي، وابنُ يعمر: «خالفوا» بألف[١].

وقَرَأَ معاذٌ القارِئُ، وعِكْرِمَةُ، وحميد: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللَّام المخفَّفة[٢].

وقَرَأَ أَبُو الجَوْزَاءِ، وأبو العَالِيَة: «خَلَّفوا» بفتح الخاء واللَّام مع تشديدها[٣].

وهـؤلاء هـم المـرَادُون بقولـه تعـالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾، وقـد تقدَّمـت أسـاؤهم.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) نسبها لعلي، وجعفر بن محمد، والسلمي، وفي التحصيل (٣/ ٣١٦) نسبها لأبي جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٤) نسبها لأبي جعفر محمد بن علي وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وأبي عبد الرحمن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) عزاها لعكرمة بن خالد، وزر بن حبيش، وفي التحصيل (٣/ ٣١٦) عزاها لعكرمة، وزر بن حبيش، ورواها عبد الوارث، وهارون، عن أبي عمرو، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٤) عزاها لعكرمة بن هارون المخزومي، وزر بن حبيش، وعمرو بن عبيد، وأبي عمرو، وفي البحر المحيط (٥/ ٥١٩) نسبها لعكرمة بن هارون المخزومي، وزر بن حبيش، وعمرو بن عبيد، ومعاذ القاري، وحميد.

(٣) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٣٤) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٥١٩) نسبها لأبي العالية، وأبي الجوزاء.

وفي معنى ﴿خُلِّفُوا﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: خُلِّفوا عن التَّوبة، قَالَه ابنُ عبَّاس، ومجاهِدٌ.

فيكون المعنى: خُلِّفوا عَنْ تَوبَةِ الله على أبي لُبَابَةَ وأصحابه إذ لم يخضَعُوا كما خَضَعَ أولئك.

والثَّاني: خُلِّفوا عن غَزْوَةِ تَبُوك، قَالَه قتادة.

وحديثُهم مندرجٌ في توبة كعبِ بنِ مالكٍ، وقد رَوَيْتُها في كتاب «الحدائق».

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: ضاقت مع سَعَتها.

وذلك أنَّ المسْلِمِينَ مُنِعُوا من مُعَامَلَتِهِم وكلامهم، وأُمِرُوا باعتزال أزواجهم، وكانَ النَّبيُّ ﷺ مُعرِضًا عنهم.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بالهمِّ والغمِّ، ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي: أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ أي: لا مُعْتَصَمَ مِنَ الله ومن عذابه إلا هو. [٣٤٤/ ب]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أعاد التوبة تأكيدًا. ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾. قَالَ ابنُ عبَّاس: ليستقيموا[1].

وقَالَ غيرُه: وفَّقهم للتَّوبة ليَدُومُوا عليها ولا يَرْجِعُوا إلى ما يبطلها.

وسُئِلَ بعضُهُم عنِ التَّوبَةِ النَّصُوحِ، فقال: أَنْ تَضِيقَ على التَّائِبِ الأرضُ، وَتَضِيقَ عليه نَفْسُهُ، كَتَوْبَةِ كَعبٍ وصَاحِبَيْهِ[2].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١٣).

(٢) في (ج): (وصاحبته).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبـة: ١١٩].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

في سبب نزولها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها نَزَلَتْ في قصَّة الثلاثة المتخلِّفين.

والثَّاني: أنَّها في أهْلِ الكتاب.

والمعنى: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا بموسى وعيسى اتَّقُوا اللهَ في إيمانكم بمحمَّدٍ ﷺ وكُونُوا مع الصَّادِقِين.

وفي المراد بالصَّادِقِينَ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه النَّبِيُّ ﷺ وأصحابُه، قَالَه ابنُ عمر.

والثَّاني: أبو بكرٍ، وعُمَرُ، قَالَه سعيدُ بنُ جُبَير، والضَّحَّاك.

وقد قَرَأَ ابْنُ السَّمَيْفَعِ، وأبو المتوكِّل، ومعاذ القَارِئُ: «مع الصَّادِقَيْنِ» بفتح القاف وكَسْرِ النُّون على التثنية[١].

(١) في البحر المحيط (٥/ ٥٢٢) نسبها لزيد بن علي، وابن السميفع، أو أبي المتوكل. ومعاذ القاري.

والثَّالث: أنَّهم الثَّلاثة الَّذين خُلِّفوا، صَدَقُوا النَّبيَّ ﷺ عن تأخُّرهم، قَالَه السُّدِّيُّ.

والرَّابع: أنَّهم المهاجِرُون، لأنَّهم لم يَتَخَلَّفُوا عن رسُولِ الله ﷺ في الجهاد، قَالَه ابن جريج[1].

قَالَ أبُو سُلَيْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ: وقيل: إنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ احتجَّ بهذه الآية يومَ السَّقيفة، فقال: يا معشَرَ الأنصار، إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨] من هم؟ قالت الأنصارُ: أنتم هم. قال: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فأمركم أن تكونوا مَعَنَا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراءُ وأنتم الوزراء.

والخامِسُ: أنَّه عامٌّ، قَالَه قَتَادَة.

و«مع» بمعنى: «مِنْ»[2]، وكذلك هِيَ في قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «وكونوا من الصَّادقين»[3].

---

(١) في (ج): (ابن جرير).

(٢) في (ج): (وهو بمعنى من).

(٣) في تفسير الطبري (١٤/ ٥٦٠) نسبها لابن مسعود، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٥)، والبحر المحيط (٥/ ٥٢٢) كلاهما نسبها لابن مسعود، وابن عباس.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبـة: ١٢٠، ١٢١].

قَوْلُه: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: يعني: مُزَينَة، وجُهَينَة، وأشجَع، وأسْلَم، وغفار[1].

﴿أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ في غزوةٍ غزاها.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ لا يرضَـوا لأنفسِـهم بالخفْـضِ والدَّعـةِ، ورسـولُ الله ﷺ في الحـرِّ والمشَـقَّةِ، يقـال: رغبـت بنفـسي عـن الـشَّيء: إذا ترفَّعـت عنـه.

قولـه: ﴿ذَٰلِكَ ﴾ أي: ذلـك النَّهـي عـن التَّخلُّـف. ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ وهـو العطـش. ﴿وَلَا نَصَبٌ ﴾ وهـو التَّعـب. ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾ وهـي المجاعـة.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٩٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٦).

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أسْرًا أو قَتْلاً أو هزيمـةً، فأَعْلَمَهُـم الله أنَّـه يجازيهم علـى جميـع ذلـك.

قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ قَالَ ابنُ عبَّاس: تمرةً فما فوقها[١].

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ مقبلـين أو مدبريـن. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي: أُثْبِـتَ لهـم أجـرُ ذلـك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسَـنِ ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٤)، وفي التفسير البسيط (١١/ ٩١).

فَصْلٌ

قَالَ شَيْخُنَا عَلِيُّ بْنُ عُبَيدِ الله: اخْتَلَفَ المُفَسِّرونَ في هَذِهِ الآية:

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كان في أوّل الأمْرِ لا يجوزُ التخلُّفُ عن رَسُولِ الله ﷺ

[٣٤٥/أ] حيث[1] كان الجهادُ يلْزَمُ الكُلَّ، ثمَّ نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾.

وقَالَتْ طَائِفَةٌ: فَرَضَ الله تعالى على جميع المؤمنين في زمان النَّبِيِّ ﷺ مِمَّن لا عذرَ له الخروجَ معه لشيئين:

أَحَدُهُمَا: أنَّه مِنَ الواجِبِ عليهم أنْ يَقُوهُ بأنفسهم.

والثَّاني: أنَّه إذا خَرَجَ الرَّسول فقد خَرَجَ الدِّينُ كلُّه، فأُمِرُوا بالتَّظاهر لئلَّا يقلَّ العددُ، وهذا الحكمُ باقٍ إلى وقتنا، فلو خَرَجَ أميرُ المؤمنين إلى الجهاد، وجبَ على عامَّة المسلمين مُتَابعَتُه لما ذكرنا.

فعلى هذا، الآيةُ مُحْكَمَةٌ.

وقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ: لكلِّ آيةٍ وجهها، وليس للنَّسْخِ على إحدى الآيتين طريقٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

---

(١) في (ف): (حين).

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾.

فِي سَبَبِ نُزُولِهَا أربعة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّه لَمَّا أنزلَ الله ﷻ عيوبَ المنافقين في غَزْوَة تَبُوك، قال المؤمنون: والله لا نَتَخَلَّفُ عن غزوةٍ يَغْزُوها رَسُولُ الله ﷺ ولا سَرِيَّة أبدًا، فلما أرسلَ السَّرايَا بعد تبوك نَفَرَ المسلمون جميعًا، وتركوا رسولَ الله ﷺ وحدَه، فنزلت هذه الآيةُ، قَالَه أبو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1].

والثَّاني: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما دَعَا على مُضَرَ، أَجْدَبَتْ بلادُهُمْ فَكَانَتِ القبيلةُ منهم تُقبِلُ بِأَسْرِهَا إلى المدينة منَ الجُهد، ويُظْهِرُونَ الإسلامَ وهم كاذبون، فَضَيَّقُوا على أصحابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِه الآيةُ، رواه ابن أبي طلحة عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

والثَّالث: أنَّ ناسًا أَسْلَمُوا، وخَرَجُوا إلى البَوَادِي يعلِّمون قومَهم، فنزلت: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [التوبة:٣٩]، فقال ناسٌ من المنافقين: هَلَكَ مَنْ لم يَنْفِرْ من أهلِ البَوَادِي، فنزلت هذه الآية، قَالَه عِكْرِمَة[3].

والرَّابع: أن ناسًا خَرَجُوا إلى البَوَادِي يعلِّمون النَّاس ويَهدونهم، ويصيبون من الحَطَبِ ما ينتفعون به، فقال لهم النَّاس: ما نَرَاكم إلَّا قد

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١١١) وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٧٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٨٠) من رواية عن سليمان الأحول، عن عكرمة به.

تركتم أصْحَابَكُم وَجِئْتُمُونَا، فأقبلوا من البادية كلُّهم، فنزلت هذه الآية، قَالَه مُجَاهِدٌ(١).

قال الزَّجَّاج: ولَفْظُ الآيَةِ لَفْظُ الخَبَرِ، ومعناها الأمْرُ، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:١١٣]، والمعنى: يَنْبَغِي أَنْ يَنْفِرَ بَعْضُهُم، ويبقى البَعْضُ(٢).

قال الفَرَّاءُ: يَنفِر وينفُر، بكسر الفَاء وضمِّها، لغتان(٣).

واختلف المُفَسِّرون في المراد بهذا النَّفير على قولَين:

أَحَدُهُمَا: أنَّه النَّفِيرُ إلى(٤) العدوِّ، فالمعنى: ما كان لهم أن يَنْفِروا بأجمعهم، بَلْ تَنْفِرُ طائفةٌ، وتبقَى مع النَّبيِّ ﷺ طائفةٌ ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يعني الفرقةَ القاعدين، فإذا رَجَعَتِ السَّرايا، وقد نَزَلَ بعدهم قرآن أو تجدَّد أمرٌ، أعلموهم به وأنْذَرُوهم به إذا رَجَعُوا إليهم، وهذا المعنى مرويٌّ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

[٣٤٥/ب] **والثَّاني:** أنَّه النَّفير إلى رسُول الله ﷺ، بَلْ تنفر منهم طائفةٌ ليَتفَقَّهَ هؤلاء الذين يَنفِرُون، ولِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم المتخلِّفين، هذا قولُ الحَسَنِ، وهو أشبَهُ بظاهِرِ الآيَة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٧٦) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٥).

(٣) لم نقف عليه في كتابه معاني القرآن، وانظر: المزهر في علوم اللغة (١/ ١٦٤)، وتاج العروس (١/ ٨٤).

(٤) في (ج): (في).

فعلى القَول الأوَّل، يكون نفير هذه الطَّائفة مع رسول الله ﷺ إن خرج إلى غزاة أو مع سراياه.

وعلى القَول الثَّاني، يكون نفيرُ الطَّائفة إلى رسول الله ﷺ لاقتباس العِلْم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٣، ١٢٦].

قَولُه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾.

قد أُمِرَ بقتال الكفَّار على العموم، وإنَّما يُبتدأ بالأقربِ فالأقرب.

وفي المراد بمَن يليهم خمسةُ أقْوالٍ:

أَحَدُهَا: أنَّهم الرُّوم، قَالَه ابنُ عمر.

والثَّاني: قُرَيظَة والنَّضير وخَيْبَر وفدك، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّالث: الدَّيلَم، قَالَه الحسن.

والرَّابع: العَرَب، قَالَه ابنُ زيدٍ.

والخامس: أنَّه عامٌّ في قتالِ الأقربِ فالأقرب، قَالَه قتادة.

وقال الزَّجَّاجُ: وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّه ينبغي أن يُقَاتِلَ أهلُ كلِّ ثغرٍ الذين يلونهم.

قال: وقيل: كان النَّبيُّ ﷺ ربَّما تخطَّى في حربه الذين يلونه من الأعداء ليكون ذلك أَهْيَبَ له، فأُمر بِقِتَال من يليه لِيُستَنَّ بذلك[1].

وفي الغِلْظَةِ ثلاثُ لغاتٍ:

«غِلْظة»: بكسر الغين، وبها قَرَأَ الأكثرون[2].

و«غَلْظة»: بفتح الغين، رواها جَبَلَة عن عَاصِم[3].

و«غُلْظة»: بضمِّ الغين، رواها[4] المفضل عن عَاصِم[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٢٠)، والحجة (٤/ ٢٤١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٩٧)، والتحصيل (٣/ ٣١٦)، والبحر المحيط (٥/ ٥٢٨).

(٣) في السبعة (ص:٣٢٠)، والحجة (٤/ ٢٤١)، ومختصر ابن خالويه (ص:٦٠)، والتحصيل (٣/ ٣١٦) كلهم نسبوها للمفضل عن عاصم، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٧) نسبها للمفضل عن عاصم، والأعمش، وفي البحر المحيط (٥/ ٥٢٨) قال: «والأعمش وأبان بن ثعلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها، وهي لغة الحجاز».

(٤) في (ج)، و(ف): (وقرأها).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:٦٠) نسبها لأبان بن عثمان. قال ابن خالويه: «إنما هو أبان بن تغلب أبو سعيد، وكان مكتبًا أي: معلِّمًا»، وفي التحصيل (٣/ ٣١٦): «السلمي، وزر، وأبان بن تغلب: بضم الغين، ورواها أبو زيد عن أبي عمرو»، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٩٧): «وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبان بن ثعلبة، وابن أبي عبلة: «غُلْظة» بضمها، وهي قراءة أبي حيوة، ورواها المفضل عن عاصم أيضًا، قال أبو حاتم: رويت الوجوه الثلاثة عن أبي عمرو، وفي هاتين القراءتين شذوذ وهي لغات»،=

ومثلها: جِذوة وجَذوة وجُذوة، ووِجنة ووَجنة ووُجنة، ورِغوة ورَغوة ورُغوة، ورِبوة ورَبوة ورُبوة، وقِسوة وقَسوة وقُسوة، وإِلوة وأَلوة وأُلوة في اليمين، وشاة[1] لِجبة ولَجبة ولُجبة: قد ولّى لبنها.

قَالَ ابنُ عبَّاس في قَوْلِه «غلظة»: شجاعة[2].

وقَالَ مُجَاهِدٌ: شدَّة[3].

قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ هذا قول المنافقين بعضُهم لبعضٍ استهزاءً بقول الله تعالى.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لأنَّهم إذا صدَّقوا بها وعَمِلُوا بما فيها، زادتهم إيمانًا. ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يَفْرحون بنزولها.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ ونفاقٌ.

وفي المراد بالرِّجْسِ ثلاثة أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الشَّكّ، قَالَه ابنُ عبَّاس.

والثَّاني: الإثم، قَالَه مُقَاتِل[4].

=وفي البحر المحيط (٥/ ٥٢٨) نسبها لأبي حيوة، والسلمي، وابن أبي عبلة، والمفضل، وأبان، وهي لغة تميم.

(١) في (ج): (وكذلك) بدلًا من قوله: (وشاة).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ٩٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ٩٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٠٤).

والثَّالث: الكُفر، لأنَّهم كلَّما كفروا بسورة زادَ كُفْرُهم، قَالَه الزَّجَّاج[١].

قوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني المنافقين.

وقَرَأ حَمْزَةُ: «أَوَلَا تَرَوْنَ» بالتَّاء على الخطاب للمؤمنين[٢].

وفي معنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ ثَمانِيَةُ[٣] أَقْوالٍ:

أَحَدُهَا: يكذبون كذبَةً أو كذبتين يُضلُّون بها، قَالَه حُذَيفَة بن اليمان.

والثَّاني: ينافقون ثمَّ يؤمنون ثمَّ ينافقون، قَالَه أبو صالح عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: يُبْتَلَوْنَ بالغَزْوِ في سبيل الله، قَالَه الحسن، وقتادة.

والرَّابع: يُفْتَنون بالسَّنَة والجُوعِ، قَالَه مُجَاهِدٌ.

والخامس: بالأَوْجَاعِ والأَمْرَاضِ[٤]، قَالَه عَطِيَّة.

[٣٤٦/أ] والسادس: يَنقضُون عهدهم مرَّة أو مرَّتين، قَالَه يمان.

والسَّابع: يكفرون، وذلك أنَّهم كانوا إذا أخبرهم النَّبيُّ ﷺ بما تكلَّموا به إذ خَلَوْا، عَلِمُوا أنَّه نَبيّ، ثمَّ يأتيهم الشَّيطان فيقول: إنَّما بلغه

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٩٠)، والمبسوط (ص:٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٩٩)، والتحصيل (٣/ ٣١٧).

(٣) في (ف): (ثلاثة)!.

(٤) في (ج): (والأوصاب).

هـذا عنكـم، فيُشْرِكـون(١)، قَالَـه مُقَاتِـل بـن سُـلَيْمان(٢).

والثَّامِن: يُفضَحون بإظهار نِفَاقِهِم، قَالَه مُقَاتِل بن حيَّان.

قَولُــه: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي: مِــن نِفَاقهــم. ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يَعْتَــبِرُون ويتَّعِظُــون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: ١٢٧].

قوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾.

قَـالَ ابـنُ عبَّـاس: كانـت إذا أُنزلت سُـورة فيهـا عيـبُ المنافقـين، وخَطَبَهم رسُولُ الله ﷺ وعَـرَّض بهـم في خُطبَتِـه، شَـقَّ ذلـك عليهـم ونظـر بعضُهـم إلى بعـضٍ يريـدون الهـربَ يقولـون: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ مـنَ المؤمنـين إن قمتـم؟ فـإن لم يَرَهُـمْ أحـدٌ خَرَجُـوا مـن المسـجد(٣).

قـال الزَّجَّـاج: كأنَّهـم يقولـون ذلـك إيـماءً لئـلَّا يعلـم بهـم أحـدٌ، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عـن المـكان، وجائـزٌ عـن العَمَـلِ بـما يسـمعون(٤).

وقَـالَ الحَسَـنُ: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عـلى عَـزْمِ التَّكذيـب بمحمَّـدٍ ﷺ وبـما جاء بـه(٥).

---

(١) في (ج)، و(ف): (فيشكون).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٠٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٢).

قَوْلُه: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: عن الإيمان[(١)].

وقالَ الزَّجَّاج: أَضَلَّهم مجازاةً على فِعْلِهِمْ[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

قَوْلُه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

قَرَأَ الجمهور بضَمِّ الفاء.

وَقَرَأَ ابْنُ عبَّاس، وأبو العَالِيَة، والضَّحَّاكُ، وابنُ مُحَيْصِنٍ، ومحبوبٌ عن أبي عَمْرٍو: بفتحها[(٣)].

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وفي التفسير البسيط (١١/ ١٠٤): «قَالَ ابنُ عبَّاس: عن كل رُشْد وخير وهدى».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٦٠) قال: «بفتح الفاء: النبي ﷺ، وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وابن عباس رضي الله عنه»، وفي المحتسب (١/ ٣٠٦)، والتحصيل (٣/ ٣١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠٠) كلهم نسبوها لعبد الله بن قسيط المكي، وفي النكت والعيون (٢/ ٤١٧) بلا نسبة، وفي الكشف والبيان (٥/ ١١٤) نسبها لابن عباس، وابن ثعلبة، وعبد الله بن قسيط المكي، وابن محيصن، والزهري، وقال في البحر المحيط (٥/ ٥٣٣): «وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمرو وعبد الله بن قسيط المكي، ويعقوب من بعض طرقه: (من أنفَسكم) بفتح الفاء، ورويت هذه القراءة عن رسول الله ﷺ، وعن فاطمة، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

وفي المضمومةِ أرْبَعَةُ أوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: من جميعِ العَرَبِ، قَالَه ابنُ عبَّاس، وقال: ليْسَ في العَرَبِ قبيلةٌ إلَّا وقَدْ وَلَدَتْ رسولَ الله ﷺ(١).

والثَّاني: ممَّن تعرفُون، قَالَه قتادة.

والثَّالث: من نِكَاحٍ لم يصبه شيءٌ من ولادَةِ الجاهليَّة، قَالَه جعفرُ الصَّادق.

والرَّابع: بشَرٌ مثلكم، فهو آكَدُ للحُجَّة، لأنَّكم تَفْهَمُون عمَّن هو مثلكم، قَالَه الزَّجَّاجُ(٢).

وفي المفتوحة ثلاثةُ أوجهٍ(٣):

أَحَدُهَا: أفضَلُكُم خُلُقًا.

والثَّاني: أشْرَفُكُم نسبًا.

والثَّالث: أكْثَرُكُم طاعةً لله ﷻ.

قَوْلُه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ **فيه قَوْلان:**

أَحَدُهُمَا: شديدٌ عليه ما شَقَّ عليكم، رواه الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١١٤)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٥- ٥٣٦)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٧) لعبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن المنذر وابن مردويه، وأبي نعيم في دلائل النبوة، وابن عساكر.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٣) في (ف): (أقوال).

قال الزَّجَّاجُ: شديدٌ عليه عَنَتُكُم، والعَنَتُ: لقاء الشِّدَّة[١].

والثَّاني: شديدٌ عليه ما آثَمَكُم، رواه أبو صالحٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾. قَالَ الحَسَنُ: حريصٌ عليكم أن تؤمنوا[٢].

قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: سمّاه باسْمَينِ مِنْ أَسْمائِهِ[٣].

وقَالَ أَبُو عُبَيدَة: «رؤوف» فعولٌ من الرَّأفَةِ، وهي أرَقُّ من الرَّحمة، ويقال: «رؤف»[٤].

وأنشد[٥]: [من الوافر]

تَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيكَ حَقًّا ... كفِعْلِ الْوَالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ

وقيل: رؤوفٌ بالمطيعين، رحيمٌ بالمذنبين[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٠٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٣٦)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٧٠).

(٥) هذا البيت لجرير في ديوانه (٥٠٨)، والزاهر (١/ ٩٧)، والصحاح (٤/ ١٣٦٢)، واللسان (٩/ ١١٢)، وتاج العروس (٢٣/ ٣٢٢) مادة (رأف)، والكامل في اللغة (٢/ ١٠٤).

(٦) في (ج): (رؤوف بالمؤمنين) بدلًا من قوله: (رحيم بالمذنبين).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبـة: ١٢٩].

قَوْلُـه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: أعْرَضُـوا عـن الإيـمان، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: يكفينـي، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾. وَقَـرَأَ ابْـنُ مُحَيْصِـنٍ: «العظيـمُ» برفـع الميـم[(١)].

وإنَّما خصَّ العرشَ بالذِّكر، لأنَّه الأعْظَمُ، فيَدْخُلُ فيه الأصْغَرُ. [٣٤٦/ ب]

قـال أُبيُّ بـنُ كعـبٍ: آخِـرُ آيَـةٍ أُنْزِلَـتْ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ إلى آخـر السُّـورة[(٢)(٣)].

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:٦١) ونسـبها لأهـل مكـة، وفي التحصيـل (٣/ ٣١٧) نسـبها لإسـماعيل عـن ابـن كثـير، وابـن محيصـن، وفي الكشـف والبيـان (٥/ ١١٥) نسـبها لابـن محيصـن، وفي البحـر المحيـط (٥/ ٥٣٤) نسـبها لابـن محيصـن، وقـال: رويـت عـن ابـن كثـير، وفي الكامـل (ص:٥٦٦) نسـبها لمجاهـد، وابـن مُحَيْصِـن، وحميـد، ومحبـوب عـن ابْـن كَثِـيرٍ.

(٢) في (ج): (الآية).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٠١) من رواية ابن عباس، عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سُورةُ يُونسَ عليه السلام(١)

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

رَوى عطيَّةُ، وابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مكيَّةٌ(٢)، وبهِ قالَ الحسَنُ وعكرمَةُ، ورَوى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ فِيها مِنَ المْدنيِّ قوْلَه(٣): ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾... الآيةَ(٤) [يونس: ٤٠].

وفِي رِوايةٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: [أنَّ](٥) فيها ثلاثَ آياتٍ مِنَ المْدنيِّ، أوَّلُها قوْلُه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] إلى رأْسِ ثلاثِ آياتٍ(٦)، وبهِ قالَ قتادةُ.

وقالَ مُقاتِلٌ: هيَ مكِّيَّةٌ، غيْرَ آيتيْنِ، قوْلُه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ والَّتي تليها(٧). [يونس: ٩٤- ٩٥].

---

(١) في (م): (بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ يسرِّ وأعن، سورة يونس عليه السلام).

(٢) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٩)، وعزاه إلى النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة يونس بمكة.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ليست في (ف).

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(م).

(٦) عزاه الواحدي في التفسير البسيط؛ (١١/ ٢٠٤) للكلبي، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٠٢) قال: «وقال الكلبي: هي مكية إلا قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [يونس: ٤٠] نزلت في اليهود بالمدينة».

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٤)، ومن قوله: (من المدني)... إلى هنا ساقط في (ج).

وقالَ بعْضُهم: هي مكيَّةٌ إلَّا آيَتَيْنِ(١)، وهيَ قوْلُه تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ والَّتي تليها(٢) [يونس: ٥٨- ٥٩].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: ١](٣).

فأمَّا قوْلُه: ﴿الٓر﴾ قرأَ ابْنُ كثيرٍ: ﴿الٓر﴾(٤) بفتْحِ الرَّاءِ. وقرأَ أبو عمْرٍو، وابْنُ عامرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «الر» على الهِجاءِ مَكْسُورةً(٥). وقدْ ذكرْنا في أوَّل سُورةِ ﴿البقرة﴾ ما يشتَمِلُ علَى بيانِ هذا الجِنْسِ.

وقدْ خُصَّتْ هذهِ الكلِمَةُ بستَّةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناها: أنَا اللهُ أرَى، رَواهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٦).

---

(١) من قوله: (قوله: فإن كنت في شك)... إلى هنا ساقط في (ج).

(٢) انظر: البيان في عدِّ آي القرآن؛ لأبي عمرو الداني (ص: ١٦٣)، وهو المروي عن ابن عباس عند النحاس في ناسخه (ص: ٥٢٩)، وهو المروي عن عبد الله بن الزبير كما عند ابن مردويه، انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٢٥)، وذكر القرطبي في تفسيره ذلك عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

(٣) من قوله: (وقال بعضهم)... إلى هنا سقاط في (ف).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٢٢)، ومعاني القراءات للأزهري (٢/ ٣٩)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ١٢٠).

(٦) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/ ٥٨٩)، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٤)، (١٠٦٣١) عن الضحاك، عن ابن عبَّاس.

والثَّانِي: أَنَا اللهُ الرَّحْمنُ، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّالِثُ(٢): أَنَّه بعْضُ اسْمٍ مِن أَسْمَاءِ اللهِ تعالى، رَوى عكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: «الر»، و«حم»، و«نون» حرُوفُ الرَّحْمنِ(٣).

والرَّابعُ: أَنَّه قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ بِهِ، رَواه ابْنُ أَبي طَلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤).

والخامِسُ: أَنَّه اسْمٌ مِن أَسْماءِ القُرآنِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ(٥).

والسَّادِسُ: أَنَّه اسْمٌ للسُّورةِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

وفِي قوْلِهِ تعَالَى: ﴿تِلْكَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه بمعنى: «هذِه» قالَهُ أبو صالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتارَهُ أبو عُبيدةَ(٦).

والثَّانِي: أَنَّه علَى أَصْلِه.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٣٧)، ومكي بن أبي طالب في تفسير المشكل من غريب القرآن (ص: ١٠١)، وبنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢١)، من رواية عكرمة عنه، ولفظه: (الر) حروف الرحمن مفرقة، ورواه ابن جرير (١١/ ٧٩) بلفظ: (الر) و(حم) و(ن) حروف الرحمن مفرقة.

(٢) من قوله: (أنا الله الرحمن)... إلى هنا ساقط في (ج).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٢١)، (١٠١٨٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٠٧)، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٧٣)، وعنه ابن جرير (١٩/ ٥٨)، وأخرج ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٤٧)، من طريق آخر عنه، وفيه زيادة: «اسم من أسماء القرآن، أقسم به ربك»، وبهذه الزيادة ذكره الثعلبي (٨/ ١٠٧)، عن قتادة وأبي روق.

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٧٢).

ثُمَّ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الإشارةَ إلى الكُتُبِ الْمُتقدِّمةِ مِنَ التَّوراةِ والإنْجيلِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ؛ فيكونُ الْمَعْنَى: هذه الأقاصِيصُ الَّتِي تَسْمَعونَها، تلكَ الآياتُ الَّتي وصِفتْ في التَّوراةِ والإنْجيلِ.

والثَّاني: أنَّ الإشارةَ إلى الآياتِ الَّتي جَرى ذِكْرُها، مِنَ القُرآنِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

والثَّالثُ: أنَّ «تلك» إشارةٌ إلى «الر» وأخواتِها مِن حُروفِ الْمُعجمِ؛ أي: تلكَ الحرُوفُ المفتتحةُ بها السُّورُ هي: آياتُ الْكِتابِ؛ لأنَّ الكتابَ بها يُتلى، وألفاظُه إليها ترجِعُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

قالَ أبو عبيدةَ(٢): ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ بمعنى: المحْكم المبيَّن الموضَّح؛ والعربُ قد تضعُ فعيلًا في معنى: مفعل؛ قال [الله](٣) تعالى: ﴿هَٰذَا(٤) مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]؛ أي: مُعَدٌّ.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٢ - ٣].

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٥).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٧١).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) ليست في (ف).

قوْله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾.

سببُ نُزولها: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بعَث محمَّدًا ﷺ أنْكرتِ الكفَّارُ ذلِك[١]، وقالوا: اللهُ أعْظمُ[٢] مِن أن يكونَ رسولُه بشرًا مِثلَ مُحمَّدٍ[٣]، فنزلَتْ هذه الآيةُ.

والمُرادُ بالنَّاس هاهُنا: أهلُ مكَّةَ، والمرادُ بالرَّجُلِ: مُحمَّدٌ ﷺ. ومعْنَى ﴿مِّنْهُمْ﴾: يعرِفُون نسبَه، قالَه ابنُ عبَّس، فأمَّا الألِفُ فهي[٤] للتَّوبيخِ والإنْكار[٥]. [٣٤٧/أ]

قالَ[٦] ابنُ الأنْباريِّ[٧]: والاحْتجاجُ عليْهم (في كونِهم عجِبُوا)[٨] من إرسَال مُحمَّدٍ، محذوفٌ هَاهُنا وهو مبيَّنٌ في قوْلِه تعَالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ أي: فكما وضَّح لكُم هذا التَّفاضلَ بالمشاهدَةِ، فلَا تُنكروا[٩] تفضيلَ اللهِ مَن شاءَ بالنُّبوَّة؛ وإنَّما حذفَه هاهُنا اعتمادًا على ما بيَّنَه في موضعٍ آخرَ.

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): أعلم.

(٣) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ١٥٠).

(٤) ليست في (ر).

(٥) (والإنكار) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٦) في (ج): قاله.

(٧) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨٥).

(٨) ما بين الهلالين ليس في (ر)، وفي (ج): في كونهم من إرسال محمد.

(٩) في (ف): ينكر.

قالَ: وقيل: إنَّما عجِبُوا مِن ذكْرِ البعْثِ والنُّشور؛ لأنَّ الإنذارَ والتَّبْشيرَ يتَّصِلانِ بهما، فكانَ[1] جوابُهم في مواضعَ كثيرةٍ تدلُّ على كونِ ذلك؛ مثْل قوْله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقوْله تعالى: ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وفي الْمُراد بقوْله تعالى: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ سبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنهَّ الثَّوابُ الحسَنُ بما قدَّمُوا مِن أعْمالِهم، رواه العوفيُّ عن ابْنِ عبَّاسٍ، ورَوى عنه أبو صالح قال: عملٌ صالحٌ يقدِمُون عليه[2].

والثَّاني: أنَّه ما سبَق لهم مِنَ السَّعادة في الذِّكر الأوَّلِ، رَواه ابْنُ أبي طلحةَ عن ابْنِ عبَّاس. قالَ أبو عبيدةَ: سابقةُ صِدقٍ[3].

والثَّالث: شفِيعُ صدْقٍ، وهوَ مُحَمَّدٌ ﷺ يشفعُ لهم يوْمَ القيامةِ، قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: سلَفُ صدْقٍ تقدَّمُوهم[4] بالإيمان، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والخامسُ: مقَامُ صدْقٍ لا زَوالَ عنْهُ، قالَه عطَاءٌ.

والسَّادس: أنَّ قدمَ الصِّدق: المنزلةُ الرَّفِيعةُ، قالَه الزَّجَّاجُ[5].

---

(١) في (ر): وكان.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٠٦) من قول العوفي عن ابن عبَّاس.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٧٣)، ولفظه: قدم صدق عند ربهم: مجازه: سابقة صدق عند ربهم، ويقال: له قدمٌ في الإسلام وفي الجاهلية.

(٤) في (ر): يقدموهم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

والسَّابع: أنَّ القدَم هَاهُنا: مصيبةُ المسلمينَ بنَبيِّهم عليه السَّلام[١]، ومَا يلحقُهُم من ثواب اللهِ تعَالى عند أسَفِهم على فقْدِه ومحبَّتِهم لِمُشاهدتِه، ذكَره ابْنُ الأنْباريِّ.

فإنْ قِيل: لَمِ آثَر القدمَ هاهُنا على اليدِ، والعرَبُ تستَعْمِل اليدَ في موْضعِ الإحْسانِ؟

فالجوَابُ: أنَّ القدَمَ ذُكرتْ هاهُنا للتقدُّم، لأنَّ العادةَ جاريةٌ بتقدُّم السَّاعي على قدمَيْه، والعرَبُ تجعلُها كنايةً عن العملِ الَّذي يُتقدَّم فيهِ ولا يقَعُ فيه تأخُرٌ، قال ذو الرِّمة [من الطَّويل]:

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ[٢]

فإنْ قِيلَ: مَا وجْهُ إضَافةِ القدَمِ إلى الصِّدق؟

فالجوابُ: أنَّ ذلِك مدحٌ للقدَم، وكلُّ شيءٍ أضفتَه إلى الصِّدق، فقد مدَحْتَه؛ ومثْلُه: ﴿أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾. وقوْلُه: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ وفي الكلام محذوفٌ، تقْدِيرُه: أنْ[٣] أوْحَيْنا إلى رجلٍ منْهُم، فلمَّا أتاهُمُ بالوَحيِ[٤] ﴿قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٤-١٦).

(٢) انظر عزوه له في تفسير الطبري (١٥/ ١٦)، تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤٤)، تفسير الثعلبي (٥/ ١١٨).

(٣) ليست في (ج)، و(ف).

(٤) في (ف): الوحي.

قَـرَأ ابْـنُ كثـيرٍ، وعَاصِـمٌ، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ: «لسَـاحر» بألِـفٍ. وقـرَأ نَافِـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ: «لسـحر» بغـير ألـف[١].

قـالَ أبـو عـليٍّ: قـد تقـدَّم قولُـه تعَـالى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ[٢]﴾ فمَـن قـالَ: سـاحِرٌ، أرادَ الرَّجـلَ؛ ومَـن قـال: سِـحْرٌ، أرَاد الَّـذي أُوحـي سِـحْرٌ؛ أي: الَّـذي تقولـون[٣] أنتـم فيـه[٤]: إنَّـه وحْـيٌ، سـحْرٌ[٥].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: لَمَّـا أنْذرَهـم بالبعْـثِ والنُّشـور، فقَالُـوا: هـذا سـحْرٌ، أخبرَهُـم أنَّ الَّـذِي خلـقَ السَّـمواتِ والأرْضَ قـادِرٌ عـلى بعْثِهـم بقولـه تَعَـالى: [٣٤٧/ب] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾[٦]، وقـد سـبَقَ تفسـيرُه فِي الأعْـرَافِ.

قوْلـه تعـالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، قـالَ مُجاهـدٌ: يَقْضِيـه[٧]. وقـالَ غـيْرُه: يأمُـرُ بـه ويُمْضِيـه[٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: لا يشفَعُ أحَدٌ إلَّا أن يأذنَ لَه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر التيسير (ص: ١٢٠)، السبعة (ص: ٣٢٢)، وخلاف ابن كثير خارج الطرق.

(٢) ليست في (ج)، و(ر).

(٣) في الأصل، و(ر): يقولون، والمثبت من (ت).

(٤) في (ت): منه.

(٥) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٥٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

(٧) انظر قول مجاهد في: تفسير الطبري (١٥/ ١٩).

(٨) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٤٢٢).

قالَ الزَّجَّاجُ(١): لم يجرِ للشَّفِيع ذكْرٌ قبْلَ هذا، ولكنِ الَّذين خُوطِبوا كانوا يقولون: الأصنامُ شفعَاؤُنَا.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: لا ثَاني معه، مأْخُوذٌ مِن الشَّفْعِ(٢)؛ لأنَّه لم يكن معَه أحَدٌ، ثُمَّ خلَقَ الأشْياءَ.

فقوْلُه: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾؛ أي: من بعْدِ أمْرِه أن يكُونَ الخلْقُ فكَانَ(٣)، ذكَرَه الماورِدِيُّ(٤).

قوْلُه تعالى: ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: وحِّدُوهُ(٥). وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: فاعْبدُوه وحْدَهُ(٦). وقوْلُه تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ معْنَاه(٧): تتَّعِظُونَ.

﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤﴾ [يونس: ٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ(٨)﴾؛ أي: مصِيركم يوْمَ القِيامَةِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

(٢) في (ف): الشفيع.

(٣) ليست في (ج).

(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٤٢٣).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٢٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦).

(٧) ليست في (ر).

(٨) ليست في (ج)، و(ر)، و(ف).

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ[(١)]﴾، قـالَ الزَّجّـاجُ: «وعْـدَ اللهِ» منْصـوبٌ عـلى معْنَـى: وعدَكَـمُ اللهُ وعـدًا؛ لأنَّ قوْلَـه تعَـالى: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ معْنـاه: الوعْـدُ [بالرُّجـوع][(٢)]، و«حقًّـا» منصـوبٌ عـلى: أُحـقُّ ذلِـكَ حقًّـا[(٣)].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ قـرَأه الأكْثـرون بكسْـرِ الألِـفِ[(٤)]. وقرأتْ عائِشـةُ، وأبـو رَزيـن، وعِكْرمةُ، وأبـو العَالِيـةِ، والأعْمـشُ: (أنَّـه)[(٥)] بفتْحِها[(٦)].

قـالَ الزَّجّـاجِ: مَـن كـسَرَ[(٧)]؛ فعَـلى الاِسْـتئنافِ، ومَـن فتَـحَ، فالمعْنَـى: إليـه مرجعُكـم؛ لأنَّه يبـدَأُ الخلْـقَ[(٨)].

قالَ مُقاتل: يبدَأُ الخلْقَ ولم يكُنْ شيْئًا، ثُمَّ يُعِيدُه بعْدَ الموْتِ[(٩)].

فَأمَّا القِسْطُ: فهوَ العدْلُ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧).

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر (٣/ ١٠٢).

(٥) ليست في (ر)، و(ف).

(٦) قـراءة عشريـة انظـر عزوهـا لأبي جعفـر في النـشر (٢/ ٢٨٢)، حيـث قـال: (أنَّـه) بفتـح الهمـزة عـلى حـذف لام الجـرِّ؛ أي: لأنَّـه يبـدأ، وللأعمـش وسـهل في المحتسـب (١/ ٣٠٧)، ومختصر الشـواذ (ص: ٦١)، ولعبـد الله في البحـر المحيـط (٦/ ١٢)، وانظـر: إعـراب القرآن؛ لابـن النحـاس (٢/ ٤٩)، تفسـير الطـبري (١٥/ ٢١).

(٧) في (ر): وكسر.

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧).

(٩) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٦).

فإنْ قِيل: كيْفَ خصَّ جزاءَ المؤمِنين بالعدْلِ، وهو في جزاءِ الكافرين عادِلٌ أيضًا؟

فالجوابُ: أنَّه لو جمع الفريقَيْنِ في القِسْط، لم يتبيَّنْ في حالِ اجْتماعِهما ما يقعُ بالكافرِين مِنَ العذابِ الأليمِ والشُّربِ مِنَ الحميمِ(١)، ففَصَلَهُم مِنَ المؤمنين لِيُبيِّنَ ما يجزيهم به مِمَّا هو عدْلٌ أيْضًا، ذكرَهُ ابنُ الأنْباريِّ.

فأمَّا الحَمِيمُ: فهوَ المْاءُ الحَارُّ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: كلُّ حارٍّ فهوَ حَمِيمٌ(٢).

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٥ - ١٠].

قَوْلُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾.

---

(١) في (ج): والشراب الحميم.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٧٤).

قرأ الأكثرون: «ضِيَاء»(١) بهمزةٍ واحِدةٍ، وقرأ ابنُ كثيرٍ(٢): «ضِئَاءً» بهمزتَينِ في كُلِّ القُرآن؛ أي: ذاتَ ضِياءٍ. ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾؛ أي: ذا نورٍ. ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾؛ أي: قدَّر لَهُ، فحذف الجارَّ، والمعْنَى: هيَّأ ويسَّر له منازلَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: الهاءُ ترجِعُ إلى «القمر»؛ لأنَّه المقدَّرُ لِعِلْم السِّنين والحسَابِ، وقد يجوزُ أن يعُودَ إلى الشَّمسِ والقمَرِ، فحُذف أحدُهما اخْتصارًا(٣).

وقالَ الفرَّاءُ: إنْ شئْتَ جعلْتَ تقْدِيرَ المنازلِ للقمر خاصَّةً؛ لأنَّ به تُعلم(٤) الشُّهورُ، وإنْ شِئْتَ جعلتَ التَّقْدِير لهمَا، فاكْتُفِي بذكْرِ أحدِهِما مِن صاحبِه؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾(٥) [التوبة: ٦٢].

قالَ ابنُ قُتيبَةَ: منازِلُ القمَرِ ثمانيةٌ وعِشرونَ منزلًا مِن أوَّلِ الشَّهرِ إلى ثماني وعشْرِينَ ليْلَةً، ثُم يسْتَتِر، وهذِه المنازِلُ، هي النُّجوم الَّتِي كانتِ العرَبُ تنسبُ إليها الأنْواءَ، وأسماؤُها عندهم: الشُّرْطَانِ(٦)، والبُطَيْنُ، والثُّرَيَّا، وَالدَّبَرانُ، وَالْهَقْعَةُ، والْهَنْعَةُ، والذِّرَاعُ، والنَّثْرَةُ، والطَّرْفُ، والجَبْهَةُ، [٣٤٨/أ]

(١) ليست في (ف).

(٢) قرأ ابن كثير من طريق قنبل (ضئاء) بهمزتين، وهي قراءة سبعية. انظر: السبعة (١/ ٣٢٣)، والتيسير (ص: ١٢١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧).

(٤) في (ج)، و(ف): يعلم.

(٥) معاني القرآن (١/ ٤٥٨).

(٦) كأنها في الأصل: الشرطين. وفي (ج)، و(ف) السرطان.

والزَّبْـرَةُ، والصَّرْفَـةُ، والعَـوَّاءُ[١]، والسِّـماكُ[٢]، والغَفْـرُ، والزِّبَـانيُّ، والإِكْلِيـلُ، والْقَلْـبُ، والشَّـوْلَةُ، وَالنَّعَائِـمُ، والبَلْـدَةُ، وسَـعْدُ الذَّابِـح، وسَـعْدُ بُلَـعْ[٣]، وسـعدُ السُّـعُودِ، وسَـعْدُ الأَخْبِيـةِ، وفَـرْغُ[٤] الدَّلْـوِ الْمُقَـدَّمِ، وفَـرْغُ[٥] الدَّلْـوِ الْمُؤَخَّـرِ، وَالرِّشَـاءُ وهـوَ الحـوتُ[٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: للحـقِّ[٧]، مِـن إظْهـار صُنعِـه وقُدرتـهِ والدَّليـلِ عـلى وحدَانِيَّتِـهِ.

﴿يُفَصِّلُ[٨] ٱلْءَايَٰتِ﴾: قَـرأ ابْـنُ كَثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «يُفَصِّـلُ» باليـاء، وقـرَأَ نَافِـعٌ، وابْـنُ عَامِـرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ[٩] عاصِـمٍ: «نُفَصِّـل الآيَـاتِ» بالنُّـون[١٠]، **والمعْنَـى**: نُبيِّنُهـا. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يسـتدِلُّون بالأمَـاراتِ عـلى قُدْرتِـهِ.

---

(١) كذا ضبطها في (ج)، و(ر).

(٢) كذا ضبطها في (ر).

(٣) كذا ضبطها في (ج)، و(ر).

(٤) في (ف): فزع، وفي (ج)، و(ف): فرع.

(٥) في سائر النسخ: وفرع.

(٦) أدب الكاتب (ص: ٨٦).

(٧) في الأصل: الحق، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) في (ج): نفصل.

(٩) من قوله: (عاصم: يفصل)... إلى هنا ساقط من (ف).

(١٠) قراءتـان سبعيتان، ووجـه ابـن كثـير الثـاني مـن روايـة محمـد بـن صالـح عـن شـبل، ومضر بـن محمد عـن البـزي. انظـر: السـبعة (ص: ٣٢٣).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَّقُونَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: يتَّقُون الشِّركَ.

والثَّاني: عقوبةَ اللهِ.

فيكُـون المعْنَـى: إنَّ الآيـاتِ لِمَـن لم يحملْـهُ هـوَاه عـلى خِـلافِ مَـا وضَـحَ لـه مِـن الحـقِّ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: لا يخَافُـون البعْـثَ[1]. ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: اخْتـارُوا مـا فيهَـا عـلَى الآخِـرَةِ. ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: آثَرُوهَـا. وقـالَ غـيْرُه[2]: ركَنُـوا إليْهَـا؛ لأنَّهـم لا يُؤمِنـونَ بالآخِـرَة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ فيهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها آياتُ القُرآنِ ومحمَّدٌ -ﷺ- قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: ما ذكَرَه في أوَّلِ السُّورةِ مِن صُنْعِه، قالَه مُقاتِلٌ[3].

فأمَّـا قوْلُـه تعَـالَى: ﴿غَٰفِلُونَ﴾ فقَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ[4]: مُكذِّبُـون. وقـالَ غـيْرُه[5]: مُعْرِضُـونَ. وَقـالَ ابْـنُ زيْـدٍ[6]: وهـؤلاءِ هـمُ الكفَّـارُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط؛ (٢/ ٥٤٠)، والتفسير البسيط أيضًا (١١/ ١٢٧).

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٧).

(٤) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٢٢).

(٥) ذكر ذلك مقاتل في تفسيره (٢/ ٢٢٧).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧) عنه.

قوْلُه تعَالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قالَ مُقاتِلٌ[١]: مِن الكُفْرِ والتَّكْذيبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ **فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: يَهدِيهم إلى الجنَّةِ ثوابًا بإِيمانِهم.

والثَّانِي: يجعَلُ لهم نُورًا يمْشُونَ بهِ بإِيمانِهم.

والثَّالث: يزِيدُهم هدًى بإِيمانِهم.

والرَّابع: يُثِيبُهم[٢] بإِيمانِهم.

فأمَّا الهدَايةُ؛ فقد سبقَتْ لهم.

قوْلُه تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾؛ أي: تجْرِي بين أيْدِيهم وهم يرَوْنها مِن عُلُوٍّ.

قوْلُه تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: دُعاؤُهم. وقد شرحْنا ذلِكَ في أوَّلِ الأعْرافِ.

وفِي المُراد بِهذا الدُّعاءِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه اسْتدعاؤُهم ما يشْتهُون، قالَ ابْنُ عبَّاس: كلَّما اشتهَى أهْلُ الجنَّة شيْئًا قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ فيَأْتِيهم ما يشتهُونَ، فإذا طعِمُوا، قالُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلِك آخِرُ دعْواهُم[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٧).

(٢) في (ج): يبشرهم.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٣١).

وقال ابنُ جُريج: إذا مرَّ بهمُ الطَّيرُ يشتهُونه، قالُوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيأْتِيهمُ الملَكَ بما اشْتهُوا، فيُسلِّمُ عليْهِم، فيردُّونَ عليْه، فذلِك قوْلُه: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾، فإذا أكَلُوا، حَمِدُوا ربَّهُم، فذلِك قوْلُه: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

[٣٤٨/ ب] والثَّاني: أنَّهم إذا أرادوا الرَّغبةَ إلى اللهِ تعَالى في دُعاءٍ يدْعُونَهُ بهِ، قالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، قالَهُ قتادَةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها تحيَّةُ بعْضِهم لِبعضٍ، وتحيَّةُ الملائِكةِ لهُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ الله تعَالى يُحيِّيهم بالسَّلام.

والثَّالث: أنَّ التحيَّةَ: المُلْكُ، فالمعْنَى: مِلْكُهم[2] فيها سَالمٌ، ذكرَهُما الماوردِيُّ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾؛ أي: دُعاؤُهم، وقوْلُهم: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ [رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ]﴾[4] قرَأ أبو مِجْلَزٍ، وعكْرِمةُ، ومُجاهِدٌ، وابْنُ يعْمُرَ، وقتادَةُ، ويعْقُوبُ: «أنَّ الحمدَ للهِ» بتشْديدِ النُّونِ ونصْب الدَّالِ[5].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠) عن ابن جريج.

(٢) في (ج): تحيتهم.

(٣) النكت والعيون (٢/ ٤٢٤).

(٤) ما بين المعكوفين من (ج).

(٥) انظر عزوها لهم مع التوجيه في المحتسب (١/ ٣٠٨)، والشواذ للكرماني (ص: ٢٢٤).

قَالَ الزَّجَّاجُ: أعْلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّهم يبْتدِئُونَ بتعْظِيمِ اللهِ وتنْزِيهِهِ، ويختُمونَ بشُكْرِهِ والثَّناءِ عليهِ[١].

وقالَ ابْنُ كيْسَانَ: يفْتَتِحُون كلامَهُم بالتَّوْحيدِ، ويخْتِمُونَه بالتَّوْحيدِ[٢].

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس: ١١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾.

ذكَرَ بعْضُهم أنَّها نزلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الحارث[٣] حينَ[٤] قَالَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، **والتَّعْجِيلُ:** تقْدِيمُ الشَّيْءِ قبْلَ وقْتِه.

وفِي المُرَادِ بالآية قوْلَانِ:

أحدُهما: ولو يُعجِّلُ اللهُ للنَّاس الشَّرَّ إذا دعَوا على أنْفُسِهِم عنْدَ الغَضبِ وعلَى أهْلِيهِم، واسْتعْجَلُوا به، كما يُعجِّلُ لهمُ الخيرَ، لَهلكُوا، هذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهدٍ، وقتادَةَ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨) مختصرا، وقد ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٠) والبسيط (١١/ ١٣٢) بهذا اللفظ.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٢٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ١٧٤)، وفيهما: (ويختمونه بالتحميد) بدل: (التوحيد).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٩)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٤٠).

(٤) في المطبوع: حيث.

والثَّـانِي: ولَـو يُعجِّـلُ اللهُ للكافريـن العـذابَ عـلى كُفرِهـم كـما عجَّـل لَهُـم خـيْرَ الدُّنْيـا مِـنَ المـالِ والولَـدِ، لَعجَّـلَ لهُـم قضـاءَ آجالِهـم ليتعجَّلُـوا[١] عـذابَ الآخِـرَةِ، حـكَاهُ المـاورديُّ[٢].

ويقوِّي هذا تمامُ الآيَةِ وسببُ نُزولِها.

وقـد قـرَأ الجمْهُـور: «لَقُـضِي إِلَيْهِـم» بضَـمِّ القـافِ «أجَلُهُـم» بضَـمِّ الـلَّامِ. وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ: «لَقَـضَى» بفتْـحِ القـافِ «أجَلَهُـم» بنصْـبِ الـلَّامِ[٣]. وقـد ذكرْنَـا في أوَّلِ [سُـورَة][٤] الْبَقـرَة معْنَـى الطُّغْيـانِ والعَمَـهِ.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونـس: ١٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾ اخْتلَفُوا فيمَن نزلَت على قوْلَيْنِ:

أحدُهُـما: أنَّهـا نزلَـتْ فِي أبي حُذيفـةَ، واسْـمُه: هاشِـمُ بْـنُ المغِـيرةِ بْـنِ عبدِ اللهِ المخْزُومِـيُّ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُقاتِـلٌ[٥].

والثَّاني: أنَّها نزلَت في عُتبةَ بْنِ ربِيعةَ، والولِيدِ بْنِ المغِيرةِ، قالَهُ عطَاءٌ.

---

(١) في النكت والعيون: لِيتعَجَّلَ.

(٢) النكت والعيون (٢/ ٤٢٥).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: النشر (٢/ ٢٨٢).

(٤) ما بين المعكوفين من (ف).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

و«الضُّرُّ»: الجهْدُ والشِّدَّةُ. واللَّامُ في قوْلِه: ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ بمعْنى: «على».

وفي معْنى الآيَةِ قوْلَان:

أحدُهما: إذَا مسَّه الضُّرُّ دعَا على جنْبِه، أو دعَا قاعِدًا، أو دعَا قائِمًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: إذا مسَّه الضُّرُّ فِي هذِه الأحْوَالِ؛ دعَا، ذكَرَهُ الماوردِيُّ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ **فِيهِ ثَلَاثةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: أعْرَضَ عنِ الدُّعاءِ، قالَه مُقاتِلٌ[(٢)].

والثَّاني: مرَّ فِي العافِيةِ على ما كانَ علَيْه قبْلَ أنْ يُبْتلى، ولم يتَّعِظْ بما نَالَه[(٣)]، قالَهُ الزَّجَّاج[(٤)].

والثَّالث: مرَّ طَاغِيًا على ترْكِ الشُّكْرِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ[(٥)]: «كأَنْ» هذِهِ مخفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلةِ، المعْنَى: كأنَّه[(٦)] لم يدْعُنَا، قالَتِ الخنْسَاءُ [من المتقارب]:

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٢٥).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

(٣) في (ف): قاله، وفي المطبوع: يناله.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠).

(٦) في (ج): كأنْ.

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمًى يُتَّقَى ... إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا(١)

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾. [٣٤٩/أ]

المعْنَى: كما زُيِّن لِهذَا الكافرِ الدُّعاءُ عنْد البَلاءِ، والإعْراضُ عنْدَ الرَّخاءِ، كذلِك زُيِّن للمُسْرفين(٢)، (وهمُ المجَاوزُونَ الحَدَّ في الكفْرِ والمعصيَةِ عملَهُم)(٣).

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۙ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس: ١٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: هذا تخويفٌ لِكفَّارِ مكَّةَ(٤). والظلْمُ هاهُنا بمعْنَى: الشِّرك.

وفي قوْلِه تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ قوْلَان:

أحدُهما: أنَّه عائدٌ على أهْل مكَّةَ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٥).

والثَّاني: علَى القُرُون المتقدِّمةِ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

---

(١) البيت للخنساء في ديوانها (ص: ٨١)، والأمالي الشجرية (١/ ٢٤١)، والمحاسن والأضداد (١/ ١٧٢)، والكامل (٣/ ٥٤)، والمغني (١/ ٨٥)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٤٩).

(٢) من قوله: (المعنى: كما زين)... إلى هنا ساقط من (ج)، و(ر).

(٣) ما بين الهلالين متقدم على قوله: (المعنى: كما زين).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٠).

قالَ ابْنُ الأَنْبَاري: أَلْزمَهُم اللهُ تَرْكَ الإيمانِ لِمُعانَدَتِهِمُ الحقَّ وإيثارِهِمُ الباطِلَ(١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: جائِزٌ أن يكونَ جعَلَ جزاءَهُمُ الطَّبعَ على قلُوبِهم، وجائِزٌ أن يكونَ أعْلَمَ ما قد عَلِمَ منْهُم(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي﴾؛ أي: نُعاقِبُ ونُهلِكُ ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يعْنِي: المشْرِكينَ مِن قوْمِك.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: جعَلْناكُم يا أمَّةَ مُحمَّدٍ ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾؛ أي: اسْتخْلَفْناكُم في الأرْضِ(٣).

وقالَ قتادَةُ: ما جعلَنا اللهُ خلائِفَ إلَّا لِينْظُرَ إلى أعمالِنا، فأَرُوا اللهَ مِن أعمالِكُم خيْرًا باللَّيلِ والنَّهارِ(٤).

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٠)، والبسيط (١١/ ١٤١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٧١).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٤) (١٠٢٦٧).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ على قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها نزلَتْ في المستهزئِينَ بالقُرآن مِن أهْل مكَّةَ، قالَه أبو صَالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ في مُشركِي مكَّةَ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ. والْمُرادُ بالآياتِ: آياتُ[1] القُرآنُ، و«يرجُون» بمعنى: يخافونَ.

وفي علَّةِ طلَبِهم سِوى هذَا القرآنِ أو تبديلِه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم أرَادوا تغْيِيرَ آيةِ العذَابِ بالرَّحْمةِ، وآيةِ الرَّحمةِ بالعذَابِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُم كَرِهُوا منه ذِكْرَ البعْثِ والنُّشورِ؛ لأنَّهم لا يُؤمنون به، وكَرِهوا عيْبَ آلهتِهم، فطَلَبُوا ما يخلُوا مِن ذلك، قالَهُ الزَّجَّاجُ[2].

والفرْقُ بين تبْدِيلِه والإتْيانِ بغَيْرِه: أنَّ تبديلَه لا يجوزُ أن يكونَ معه، والإتْيانَ بغَيْره قد يجوزُ أن يكونَ معه.

قوْلُه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ﴾ حرَّك[3] هذه اليَاءَ ابْنُ كثيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وأسْكنَهَا الباقون[4]. ﴿مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾ حرَّكَها نَافِعٌ، وأبو

(١) ليست في المطبوع.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١).

(٣) في (ج): فتح.

(٤) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٣ - ١٢٤)،=

عمْـرٍو، وأسْـكنَهَا البَاقُـونَ[١].

(والمعْنَـى: مـن عنْـدِ نفْـسِي)[٢]، فالمعْنَـى: أنَّ الَّـذي أَتيـتُ بـهِ مِـن عنـدِ الله لا مِـن عنْـدِي فأُبدِّلـه.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ فتحَ هذه الياءَ ابْنُ كثير، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو[٣]. ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾؛ [أي][٤]: في تبدِيلِه وتغْيِيرِه[٥]. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعْنِي: في القِيامَةِ.

فَصْلٌ

وقـدْ تكلَّـم علـماءُ النَّاسـخِ والمنْسـوخِ في هـذِه الآيَـةِ عـلى مـا بيَّنَّـا في نظِيرتِهـا في الأَنْعَـامِ. ومقصـودُ الآيتَـيْنِ: تهدِيـدُ المخالِفـين؛ وأُضِيـف ذلـك إلى الرَّسُـول ﷺ لِيصْعُـبَ[٦] الأمْـرُ فيـهِ.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٦ - ١٧].

=والكشف؛ لمكي (١/ ٥٢٣).

(١) قرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بإسكانها. انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٣ - ١٢٤).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٣) المصدر السابق.

(٤) من (ج)، و(ر).

(٥) في نسخة: أو تغييره.

(٦) في (ف): لتصعب.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ يعْنِـي: القـرآنَ؛ وذلِـك أنَّـه كانَ لا يُنزِّلُـه عـليَّ، فيأمـرُنِي بتلاوتِـه علَيْكـم. ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾؛ [٣٤٩/ ب]
أي: ولا أَعْلَمَكُـم اللهُ[١] بـهِ.

قـرَأ ابْـنُ كثِـير: «وَلَأَدْرَاكُـم» بـلَامِ التَّوْكيـدِ مِـنْ غـيْرِ ألِـفٍ بعْدَهَـا، يجعلُهَـا لَامًـا دخلَـتْ عـلَى «أدْرَاكُـم»[٢].

(وقـرَأ ابْـنُ كثِـير، ونافِـعٌ، وحفْـصٌ عـن عاصِـمٍ: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ بفتْـحِ الرَّاء والألِـفِ)[٣].

وقـرَأ أبـو عمْـرٍو، (وابْـنُ عامِـرٍ)[٤]، وحمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: «أَدْرِيكُـم» بالإمَالـةِ[٥].

وقـرَأ الحَسَـنُ، وابْـنُ أبي عبْلَـةَ، وشـيْبةُ بْـنُ نَصَّـاحٍ[٦]: «ولَا أدرأْتُكـم»

(١) لفظ الجلالة ليس في (ر).

(٢) من قوله: (قرأ ابن كثير)... إلى هنا ساقط من (ج)، و(ف).

(٣) مـا بـين الهلالـين سـاقط مـن (ر)، والمثبـت مـن بقيـة النسـخ. والقـراءة عزاهـا في التيسـير لقنبـل عنـه (ص: ١٢١)، ورويـت عـن البـزي، وروي عنـه كقـراءة الجمهـور.

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: التيسير في القراءات (ص: ١٢١)، والنشر في القراءات (٢/ ٢٨٢)

(٦) هـو شـيبة بـن نصـاح، بـن سرجـس بـن يعقـوب، إمـامٌ ثقـةٌ، مقرئ المدينـة مـع أبي جعفـر، وقاضيهـا، ومـولى أم سـلمة رضي الله عنهـا مسـحت عـلى رأسـه ودعـت لـه بالخـير. قـال الحافـظ أبـو العـلاء: هـو مـن قـراء التابعـين الذيـن أدركـوا أصحـابَ النَّبـي - ﷺ - وأدرك أُمَّـي المؤمنـين عائشـة وأم سـلمة زوجـي النبـي - ﷺ - ودعتـا الله تعـالى لـه أن يعلمـه القـرآن. تـوفي سـنة (١٣٠هــ)، وقيـل: (١٣٨هــ). انظـر: طبقـات القـرّاء (١/ ٣٢٩).

بتَاءٍ (مرفوعة)(١) بينَ الألِفِ والكافِ(٢).

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾، وقرأ الحسنُ، والأعمشُ: «عُمْرًا» بسُكونِ الميمِ(٣).

قالَ أبو عُبيدةَ: وفي العُمر ثلاثُ لُغاتٍ: عُمُر، وعُمْر، وعَمْر(٤).

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أقمْتُ فيكم أربعِين سنَةً لا أُحدِّثُكم بشيْءٍ مِن القرْآنِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّه ليس من قِبَلِي(٥). ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يُريد: إنِّي لم أفترِ علَى اللهِ ولم أكذبْ عليْهِ، وأنتم فعَلْتُم ذلِك حيْثُ زعَمْتُم أنَّ معَهُ شريكًا. والمجرِمُون هَاهُنا: المشرِكُون.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾؛ (أي: لا يضُرُّهم)(٦) إنْ لم يعبدُوه، ولا ينفعُهم إنْ عبدُوه، قالَهُ مُقاتِلٌ، والزَّجَّاجُ(٧).

---

(١) ليست في (ر).

(٢) قوله: (بين الألف والكاف) ليس في (ف)، وهي قراءة شاذة عزاها لهم ابن جني في المحتسب (١/ ٣٠٩)، وهي قراءة أبي رجاء أيضًا؛ كما في البحر المحيط (٦/ ٢٥).

(٣) انظر: الكامل في القراءات (ص: ٥٦٦)، والبحر المحيط (٥/ ١٣٣).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٧٦).

(٥) ذكره الواحدي في تفسير الوسيط (٢/ ٥٤١)، والبسيط (١١/ ١٤٧)، ورواه بمعناه البخاري في صحيحه (٣٨٥١)، وأحمد في المسند (١/ ٣٧١).

(٦) ليست في (ج)، و(ر).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعْنِي: المشركِين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعْنُونَ[1]: الأَصْنَامَ.

قَالَ أبو عُبيدَةَ: خرجتْ[2] كنايتُهَا على لفْظِ كِنايةِ الآدمِيِّينَ[3]. وقد ذكرْنا هذا المعْنى في الأعْرَافِ عند قوْلِه: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

وفي قوْلِه: ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: شفعاؤُنا في الآخِرة، قالَهُ أبو صَالحٍ عن ابْنِ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ[4].

والثَّاني: شفعاؤُنا في إصْلاحِ معَايِشِنا[5] في الدُّنْيا؛ لأنَّهم لا يُقِرُّون بالبعْثِ، قالَهُ الحسَنُ.

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾.

قالَ الضَّحَّاكُ: أَتُخَبِّرُونَ اللهَ أنَّ له شرِيكًا، ولا يعْلَمُ اللهُ لِنفسِه شرِيكًا فِي السَّمَوَاتِ ولَا في الأرْضِ[6].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٩﴾ [يونس: ١٩].

---

(١) في (ر): ولا يعنون. خطأ.

(٢) في (ج): حركت.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٧٦).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٢).

(٥) في (ف): معاشنا.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٢، والبسيط (١١/ ١٤٩).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا ﴾ قد شرَحْنَا[١] (هـذا)[٢] في [سُـورةِ][٣] البقرة [آية: ٢١٣]، وأحْسَـنُ الأقْوَالِ [أنَّهُـم][٤] كانوا على دينٍ واحـدٍ مُوحِّديـن، فاخْتلَفُـوا وعبَـدُوا الأصْنَـامَ، فـكان أوَّل مَن بُعـث إليهم نوحٌ عليه السَّـلام.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ [مِن رَّبِّكَ][٥] ﴾ بتأخِـير [عذَابِ][٦] هـذه الأُمَّـةِ أنَّـه لَا يُهلكُهـم بالعذَاب كـما أهْلَـكَ الَّذين مِـن قبْلِهـم، لَقُـضي بيْنَهُم بنُـزولِ العـذَابِ، فـكانَ ذلِك فصْـلًا بيْنَهم فيـما فيـهِ يخْتلِفون مِـنَ الدِّينِ.

والثَّـاني: أنَّ الكلمـةَ: أنَّ لِـكلِّ أُمَّـةٍ أجـلًا، وللدُّنيـا مُـدَّةً لا يتقـدَّم[٧] ذلـك عـلى وقْتِـه.

والثَّالث: أنَّ الكلمةَ: أنَّه لَا يأْخذُ أحدًا إلَّا بعد إقَامةِ الحُجَّةِ عليْهِ.

وفي قوْلِه: ﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ قوْلَانِ:

---

(١) في (ف): شرحناها.

(٢) ليست في (ج).

(٣) من المطبوع.

(٤) من (ف).

(٥) من (ج).

(٦) من (ج).

(٧) في (ج): للدنيا لا يتقدم.

أحدُهما: لَقُضي بينَهُم[١] بإقامةِ السَّاعةِ.

والثَّاني: بنُزولِ العذَابِ على المكذِّبينَ.

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يونس: ٢٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعْنِي: المشْرِكين ﴿لَوْلَآ ﴾؛ أي: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾؛ مثل: العصَا، واليدِ، وآياتِ الأنْبياءِ.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ سؤَالَكم: لِمَ لمْ تنزلِ الآيةُ؟ غيْبٌ، ولا يعْلَمُ عِلَّةَ امْتِناعِها إلَّا اللهُ تعالى.

والثَّاني: أنَّ نُزولَ الآيةِ متَى يكون؟ غيْبٌ، ولا يعْلَمُه إلَّا اللهُ تعالى.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: انْتَظِروا نُزولَ الآيةِ.

[٣٥٠/أ] والثَّاني: قضَاءَ الله بيْنَنَا بإِظْهارِ الْمُحقِّ علَى الْمُبطلِ.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس: ٢١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾.

---

(١) في (ف): بينهما.

سببُ نُزولها: أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - لَمَّا دعَا على أهْلِ مكَّةَ بالجدْبِ فقَحطُوا سبْعَ سِنِينَ، أتَاهُ أبو سُفيانَ، فقَالَ: ادْعُ لنَا بالخَصْبِ، فإنْ أخْصبْنَا صدَّقْنَاكَ، فدعَا لَهُم، فسُقُوا ولم يُؤمِنُوا، ذكرَهُ الماورديُّ(١).

قالَ المفسِّرُون: المرَادُ بالنَّاسِ هاهُنا: الكُفَّارُ.

وفِي المرادِ بالرَّحمة والضَّرَّاءِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الرَّحمةَ: العافِيةُ والسُّرورُ، والضَّرَّاءَ: الفقْرُ والبَلاءُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الرَّحمةُ: الإسْلامُ (والخَصْب)(٢)، والضَّرَّاءُ: الكفْرُ، وهذا فِي حقِّ المنافِقينَ، قالَهُ الحَسنُ.

والثَّالثُ: الرَّحمةُ: الخصْبُ، والضَّرَّاءُ: الجدْبُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

وفِي المرَادِ بالمكرِ هاهُنا أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الاِسْتِهزاءُ والتَّكْذِيبُ، قالَهُ مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ(٣).

والثَّاني: أنَّه الجُحودُ والرَّدُّ، قالَهُ أبو عُبيدةَ(٤).

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٣٠).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٤).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٧٦).

والثَّالـث: أنَّـه إضافـةُ النِّعَـم إلى غـيْرِ اللهِ، فيقولُـون: سُـقينا بنَـوْءِ كـذَا، قالَـهُ مُقاتـل بْـنُ حيَّـانَ(١).

والرَّابع: أنَّ المكرَ: النِّفاقُ؛ لأنَّه إظهارُ الإيمانِ وإبْطانُ الكفرِ، ذكرَهُ الماورديُّ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾؛ أي: جـزاءً علَى المكْـرِ(٣). ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعْنِـي: الحفظـةَ ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾؛ أي: يحْفَظُـون ذلِـك لِمُجازَاتِكُـم عليْهِ.

وقرأ يعْقوبُ إلَّا رويْسًا وأبَا حَاتمٍ، وأبانُ عن عَاصمٍ: «يَمْكُرُونَ» [باليَاء](٤)(٥).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣].

---

(١) مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخراز، ثقةٌ صالح من العباد الصالحين والدعاة إلى الإسلام، صاحب سنة وصدق. حكى أبو الفتح الأزدي أن وكيعًا كذَّبه. ورد عليه الذهبي وقال: «فابن حيان صدوق قوي الحديث، والذي كذَّبه وكيع فابْن سليمان. وكذا ردَّ عليه ابن حجر، وقال: «أخطأ الأزدي في زعمه أنَّ وكيعًا كذبه، وإنما كذب الذي بعده - وهو مقاتل بن سليمان الأزدي - مات مقاتل قبل الخمسين ومائة. انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٥٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤٨-٢٤٩)، والتقريب (٢/ ٢٧٢).

(٢) النكت والعيون (٢/ ٤٣٠).

(٣) في (ج): الكفر.

(٤) من (ج)، و(ر)، و(ف)، و(م).

(٥) قراءة العشرة بالتاء إلا روحًا عن يعقوب فبالياء؛ كما في النشر (٢/ ٢٨٢)، وعزاها للحسن ومجاهد وقتادة في مختصر الشواذ (ص: ٦١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾؛ أي: اللهُ الَّـذي هــو أسْرعُ مكْـرًا، هــو الَّـذِي يُسـيِّرُكُم ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ عـلى الـدَّوابِّ، أوْ في[1] البحْـرِ عـلى السُّـفنِ، فلـو شَـاءَانْتقَـم منْكُـم في الـبرِّ أوْ في[2] البحْـرِ.

وقـرَأَ ابْـنُ عَامِـرٍ، وأبـو جعْفـرٍ: «ينْشُرُكُـم» بالنُّـون والشِّـين مِـنَ النَّشر[3]، وهـو في المعْنَـى مثْـلُ قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النسـاء: ١].

والفلكُ: السُّفنُ.

قـالَ الفـرَّاءُ: الفُلكُ تُذكَّـر وتُؤنَّثُ، وتكـونُ واحدةً وتكونُ جمعًـا، قالَ تعَالى هاهُنـ: ﴿جَآءَتْهَا﴾ فأنَّثَ، وقال فِي {يـس}: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فذكَّر[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ عادَ بعْدَ المخاطَبةِ لهُم إلى الإخبَارِ عنْهُم.

قـالَ الزَّجَّـاجُ[5]: كُلُّ مَـن أقـامَ الغائِـبَ مقَـامَ مَـنْ يُخاطبُـه جـازَ أن يـردَّه إلى الغائِـبِ، قـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الكامـل]:

شَـطَّتْ مَـزَارُ الْعَاشِـقِينَ فَأَصْبَحَـتْ   عَـسِرًا عَـلَيَّ طِلَابُـكِ ابْنَـةَ مَخْـرَمِ[6]

---

(١) في جميع النسخ) عدا الأصل: وفي.

(٢) في ج)، و(ر): وفي.

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢١)، وكذا أبو جعفر كما في النشر (٢/ ٣١٨).

(٤) معني القرآن (١/ ٤٦٠).

(٥) معني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣).

(٦) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ١٩)، وشعراء النصرانية (٦/ ٨٠٩)، الكامل (١/ ٣٩٩)، (٢/ ٧٢٩).

قَوْلُه تعالى: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ أي: ليِّنةٍ[١]. ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ لِلِينها[٢]. ﴿جَاءَتْهَا﴾ يعْني: الفُلْكَ.

قالَ الفرَّاءُ: وإنْ شئْتَ جعلتَها للرِّيح، كأنَّك قلْتَ: جاءتِ الرِّيحَ الطَّيِّبةَ رِيحٌ عاصِفٌ، [والعربُ تقُول: عَاصِفٌ][٣] وعاصِفةٌ، وقد عصفتِ الرِّيحُ وأعْصفتْ، والألِفُ لُغةٌ لِبني أسَد[٤].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الرِّيحُ العَاصِفُ[٥]: الشَّدِيدةُ[٦].

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ: عَصَفتِ الرِّيحُ، فهِيَ عاصِفٌ وعاصِفةٌ، وأعْصَفتْ، فهِيَ مُعْصِفٌ ومُعْصِفةٌ[٧].

﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: مِن كُلِّ أمْكنَةِ المَوْجِ.

قَوْلُه تعالى: ﴿وَظَنُّوا﴾ فيهِ قوْلَانِ: [٣٥٠/ب]

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى: اليَقِينِ.

والثَّاني: أنَّه التَّوهُّم.

---

(١) في (ف): آمنةٍ.

(٢) في (ج): بلينها.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن (١/ ٤٦٠).

(٥) في (ف): العاصفة.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥١).

(٧) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٦٠)، ولم أجده عند الزجاج في معاني القرآن وإعرابه.

وفي قوْلِه: ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: [أنَّهم][١] دَنَوْا مِنَ الهلَكةِ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وأصْلُ هذا أنَّ العدُوَّ إذا أحاطَ ببلَدٍ فقَدْ دنَا أهْلُه مِنَ الهلَكةِ[٢].

وقالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ لِكُلِّ مَنْ وقَعَ في بَلاءٍ: قد أُحِيطَ بِفُلانٍ؛ أي: أحَاطَ بِهِ البلَاءُ[٣].

والثَّاني: أحَاطَتْ بِهمُ الملائِكَةُ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ دُونَ أوْثَانِهم.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ترَكُوا الشِّرْكَ، وأخْلَصُوا لَه بالرُّبُوبيَّةِ[٥]، وقالُوا: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الرِّيحِ العاصِفِ[٦] ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: الموحِّدِينَ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ البَغْيُ: التَّرَامِي في الفسَادِ.

قالَ الأصْمَعِيُّ: يُقالُ: بغَى الجُرْحُ: إذَا ترَامَى إلى فسَادٍ[٧].

---

(١) من (ف).

(٢) غريب القرآن (ص: ١٩٥)، ومن قوله: (قال ابن قتيبة)... إلى هنا ساقط من (ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٣)، والبسيط (١١/ ١٥٩).

(٦) في (ف): العاصفة.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١٨٠)، وفي (ر): ترامى فسادًا.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يبْغُون فِي الأرْضِ بالدُّعاءِ إلى عبادةِ غيْرِ اللهِ والعملِ بالمعَاصِي والفسَادِ[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ. ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾؛ أي: جناية مظالِمكُم بيْنكم علَى أنْفسكِم. وقَالَ الزَّجَّاجُ: عملُكُم بالظُّلمِ عليْكُم يَرجِعُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

وقَرَأَ ابْنُ عبَّاسٍ، وأَبُو رَزِين، وأبو عبْدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، والحسَنُ، وحفْصٌ، وأبَانُ عن عاصِمٍ: «متاعَ الحيَاةِ الدُّنْيَا» بنصْبِ المتَاعِ[٣].

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَن رفَع المتَاعَ؛ **فالمعْنَى**: أنَّ ما ينالُونَهُ بهذا البَغْيِ إنَّما ينْتَفِعُون به فِي الدُّنيا، ومَنْ نصَب المتاعَ، فعلَى المصدرِ؛ **فالمعْنى**: تُمَتَّعُون متاعَ الحياةِ الدُّنْيا[٤].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: «متاعَ الحيَاةِ الدُّنيا»؛ أي: منفعةً في الدُّنْيا[٥].

(وقَرأَ أبو المتوكلِ، واليزِيديُّ في[٦] اخْتِيارِه، وهارونُ العتكِيُّ عن

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤).

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢١)، والسبعة (ص: ٣٢٥)، وإعراب القرآن؛ للنَّحاس (٢/ ١٤٤)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٦٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٤٤).

(٦) في (ف): عن.

عَاصِمٍ: «متاعِ الحياةِ [الدُّنيا][(١)]» بكسْرِ العينِ)[(٢)(٣)].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهذا مثلٌ ضرَبَهُ اللهُ تعالى للدُّنيا الفانيةِ، فشبَّهَها بمَطرٍ نزَل مِنَ السَّماءِ ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعْنِي: الْتفَّ النباتُ بالمطرِ، وكثُرَ ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ مِنَ الحبوب وغيرِها ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ مِنَ المرْعَى. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ قالَ ابنُ قتيبة: زِينتَها بالنَّباتِ، وأصْلُ الزّخرفِ: الذَّهبُ، ثُمَّ يُقال للنَّقْش والنُّورِ والزَّهرِ، وكلِّ شيْءٍ زيِّنَ: زُخرفٌ[(٤)].

وقالَ الزَّجّاجُ: الزُّخرفُ: كمَالُ[(٥)] حُسنِ الشَّيءِ[(٦)].

---

(١) من (ج).

(٢) ما بين الهلالين متقدم على قول ابن عباس في (ر).

(٣) قراءة شاذة، بالجر على أنه نعت للأنفس، على تقدير: ذوات متاع الحياة الدنيا. كذا ذكرت هذه القراءة في التبيان (٢/ ٦٧٠)، والدر المصون (٦/ ١٧٥) دون نسبة. وانظر: اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة (٢/ ٤٤٦).

(٤) غريب القرآن (ص: ١٩٥).

(٥) في (ف): كما.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾.

قـرأَهُ الجمهُـورُ «وَازَّيَّنَـتْ» بالتَّشْـديدِ[١]. وقـرَأ سـعْدُ بْـنُ أبي وقَّـاصٍ، وأبـو عبـدِ الرَّحمَـنِ [السُّـلَميُّ][٢]، والحسَـنُ، وابْـنُ يعْمـرَ: بفتْـحِ الهمـزةِ وقطْعِهـا سـاكنَةَ الـزَّاي، عـلى وزْن: وأَفْعلَـتْ[٣].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مَـن قـرَأَ: «وَازَّيَّنَـتْ» بالتَّشـديدِ[٤]؛ فالمعْنَـى: وتَزيَّنَـتْ، فاذْغُمـتِ التَّـاءُ في الـزَّاي وأُسـكنتِ الـزَّاي، فاجْتُلبـتْ لهـا أَلِـفُ الوصـلِ؛ ومَـنْ قـرأَ «وأَزْيَنَـتْ» بالتَّخفيـفِ عـلَى أَفْعَلَـتْ[٥]؛ فالمعْنَـى: جـاءتْ بالزِّينـةِ.

وقَرَأ (أُبيٌّ)[٦]، وابْنُ مسْعُودٍ: «وتَزيَّنت»[٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ﴾؛ أي: أيْقَـنَ أهْـلُ الأرْضِ ﴿أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾؛ أي: عـلى مـا أنْبتَتْـه، فأخـبرَ عـنِ الأرْضِ، والمـرَادُ: النَّبـاتُ؛ [٣٥١/أ] لأنَّ المعْنَـى مفهُـومٌ. ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾؛ أي: قَضَاؤُنـا بإهْلاكِهـا ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾؛ أي: محْصُـودًا لا شيْءَ فيهَـا.

والحصِيدُ: المقْطُوعُ المسْتأصَلُ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج).

(٣) قراءة شاذة، انظر عزوها في المحتسب (١/ ٣١١).

(٤) ليست في (ف).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

(٦) ليس في (ج)، و(ر).

(٧) قراءة شاذة، انظر عزوها في تفسير الثعلبي (٥/ ١٢٧)، والبحر المحيط (٦/ ٣٨).

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ قالَ الزَّجّاجُ: لم تَعْمُرْ، والمغانِي: المنازِلُ الَّتي يعْمُرُها النّاسُ بالنُّزولِ(١) بها(٢)، يُقال: غنِيْنا بالمكان: إذا نَزلُوا به(٣).

وقرأ الحسَنُ: «كأنْ لم يَغْنَ [بالأَمْسِ](٤)» بالياء(٥)، يعني: الحَصِيدَ.

قالَ بعْضُ المفسِّرين: تأويلُ الآيةِ(٦): أنَّ الحياةَ في الدُّنيا سببٌ لِاجْتماعِ المالِ وما يرُوقُ مِن زهرَةِ الدُّنيا ويعجِبُ، حتَّى إذا اسْتَتَمَّ ذلِك عنْدَ صاحبِه، وظنَّ أنَّه مُمتَّعٌ بذلِك، سُلبَ عنه بموْتِه، أو بحادثةٍ تُهلكه، كما أنَّ الماءَ سببٌ لِالتِفافِ النَّباتِ وكثْرتِه، فإذا تزيَّنَتْ به الأرْضُ، وظَنَّ النَّاس أنَّهم مُستَمْتِعون بذلِك، أهلكَهُ اللهُ، فعادَ ما كان فيها كأنْ لم يَكُنْ.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعْني: الجنَّةَ. وقد ذكرْنا معْنى تسْمِيتِها بذلِك عنْدَ قوْلِه: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

واعْلَم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ [قَدْ](٧) عمَّ بالدَّعْوةِ، وخصَّ بالهِدايةِ مَن شاءَ، لأنَّ الحُكم لَهُ فِي خلْقِه.

---

(١) في (ج): للنزول.

(٢) في (ف): فيها.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

(٤) من (ج).

(٥) قراءة شاذة، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٢٦)، والمحتسب (١/ ٣١٢).

(٦) في (ر): الآيات.

(٧) من (ج).

وفِي المراد بالصِّرَاط المستقِيم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، رَواه عِليٌّ عنِ النَّبي ﷺ[١].

والثَّاني: الإسْلامُ، رَواه النَّوَّاسُ بْنُ سمْعَانَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

والثَّالثُ: الحقُّ، قالَهُ مُجاهدٌ، وقتادَةُ.

والرَّابعُ: المخرجُ مِنَ الضَّلالاتِ والشُّبهِ، قالَهُ أبو العالِيةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ [يونس: ٢٦] قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: قالُوا: لَا إِلَـه إِلَّا اللهُ[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم مرفوعًا (١/ ٣٠) (٣١) قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْيَمَانِ، عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ، عَنْ سَعْدٍ الطَّائِيِّ، عَنِ ابْنِ أَخِي الحارث الأَعْوَرِ، عَنِ الْحَارِثِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللهِ»، ابن جرير الطبري موقوفًا (١/ ١٧٣)، من طريق حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث، عن عليّ، قال: «الصِّراطُ المستقيم: كتاب الله تعالى ذِكرُهُ».

(٢) حديث النواس بن سمعان مرفوعًا: «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيماً»... الحديث، وفيه: «فالصراط: الإسلام»، أخرجه: أحمد (٤/ ١٨٢ و١٨٣)، والترمذي (٢٨٥٩)، والنسائي في الكبرى (١١٢٣٣) وفي تفسيره (٢٥٣)، والطبري في تفسيره (١/ ٧٥)، والطحاوي في شرح المشكل (٢٠٤١) و(٢١٤٣)، والطبراني في مسند الشاميين (١١٤٧) و(٢٠٢٤)، والآجري في الشريعة (١٢ - ١٣)، والحاكم (١/ ٧٣) من طرق عن النواس بن سمعان، به، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٧١) (١٧٤٤٢)، قال: حدثني المثنى قل، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾، يقول: للذين شهدوا أن لا إله إلا الله، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٤)،=

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: الحُسْنى: كلمةٌ مُستغْنًى[١] عنْ وصْفِها ونعْتِها؛ لأنَّ العرَبَ تُوقِعُها على الخَلَّةِ المحبُوبةِ، (والخلةِ)[٢] المرغُوبِ فيهَا المفروحِ بها، فكانَ الَّذي تعلمُه[٣] العرَبُ مِن أمْرِها يُغنِي عن نعْتِها، فكذلِك المزِيدُ عليْهَا محْمُولٌ على معْنَاها ومتعرَّفٌ مِن جِهتِهَا، يدُلُّ على هذَا قوْلُ امرِئ القيْسِ [من الطَّويل]:

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ ... هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ

فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا ... وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلَالِ[٤][٥]

أي: صرتُ إلى الأمْرِ المحْبُوب. وهصرْتُ بمعْنى: مدَدْتُ. **والغُصْنُ**: كنايةٌ عنِ المرأةِ. والباءُ مؤكِّدةٌ للكلام، كما تقولُ العرَبُ: ألقى بيدِه إلى الهلاكِ، يُريدون: ألقى يدَه. **والشَّماريخ**: كنايةٌ عن الذَّوائِبِ. **ورُضْتُ**، معناه: أذلَلت. ومِن أجل هذا قالَ: (أيَّ إذْلَالِ)، ولم يقُلْ: أيَّ رِياضةٍ.

=(١٠٣٣٣) من نفس طريق ابن جرير.

(١) في (ج): يستغنى.

(٢) زيادة من الأصل فقط.

(٣) في (ج)، و(ف): يعلمه.

(٤) البيتان لامرئ القيس في ديوانه (ص: ٣٢)، والشعر والشعراء؛ لابن قتيبة (١/ ١٣٦)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ٢١٤)، وأشعار الستة الجاهلين (ص: ١٣).

(٥) ذكر كلام ابْنِ الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١١/ ١٧٠).

وللمُفسِّرين في المرَادِ بالحُسْنى خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها الجنَّة، رُوي عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ[١]؛ وبهِ قالَ الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّها الواحِدةُ مِنَ الحسَناتِ بِواحِدةٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالث: النُّضرةُ[٢]، قالَهُ عبْدُ الرحمن بْنُ سابِطٍ[٣].

والرَّابع: الجزَاءُ في الآخِرةِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ. [٣٥١/ ب]

والخامِس: الأُمنيَّةُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ[٤].

وفي الزِّيادةِ ستَّةُ أقْوالٍ:

---

(١) هذا قول جماعة من الصحابة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت، وهو قول الحسن، وعكرمةَ والضَّحَّاك، ومقاتل والسدي، ويدل على صحَّةِ هذا القول المنقول والمعقول؛ أمَّا المنقول: فما روي عن صهيب أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، قال: فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» زادَ في رواية «ثم تلا هذه الآية: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» أخرجه مسلم، حديث (٢٩٧-١٨١). وأمَّا المعقول فنقول: إن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت إلى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو إلى دار السلام فثبت بهذا أن المراد من لفظة الحسنى هي الجنة وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرًا مغايرًا لكلِّ ما في الجنة من النعيم.

(٢) في بعض النسخ: النصرة.

(٣) في (ج): رابط.

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ٤٣).

أحدُها: [أنَّها][١] النَّظرُ إلى الله عزَّ وجَلَّ.

رَوى مُسلمٌ[٢] في «صحيحِه» من حديثِ صُهيبٍ عنِ النَّبي - ﷺ - أنَّه قالَ: «الزِّيادَةُ: النَّظرُ إلَى وَجْهِ الله عَزَّ وجَلَّ»[٣].

وبهذَا القوْلِ قالَ أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، وأبو مُوسى الأشْعَرِيُّ، وحُذيفةُ، وابْنُ عبَّاسٍ، وعِكْرمَةُ، وقتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وعبْدُ الرَّحمَنِ بْنُ أبي ليْلَى. والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّ الزِّيادَةَ: غُرفةٌ مِن لُؤلؤةٍ وَاحِدةٍ لهَا أرْبعَةُ أبْوابٍ، رَواه الحَكم عنْ عليٍّ عليه السَّلام[٤]، ولا يصِحُّ.

والثَّالث: [أنَّ][٥] الزِّيادَةَ: مُضاعفةُ الحسَنةِ إلى عشْرِ أمْثالها. قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ.

والرَّابعُ: أنَّ الزِّيادَةَ: مغْفِرةٌ ورضوانٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامس: أنَّ الزِّيادَةَ: أنَّ ما أعْطاهُم فِي الدُّنْيا لا يُحاسِبُهم بِه في القيامَةِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٢) في ج): البخاري.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٨-١٨١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٦٩) قال: حدثنا به يحيى بن طلحة قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن الحكم، عن علي رضي الله عنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «الزيادة»: غرفةٌ من لؤلؤة واحدةٍ لها أربعة أبواب.

(٥) من جميع النسخ.

والسَّادس: أنَّ الزِّيادةَ: ما يَشْتَهُونَهُ، ذكَرَهُ الماوردِيُّ[١].

قوْلُــه تعَــالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾؛ أي: لا يغْشَــى[٢] ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ وقــرأ الحسَــنُ، وقتَــادةُ، والأعْمَــشُ: «قَــتْرٌ» بإِسْــكانِ التَّــاءِ[٣].

وفيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه السَّوادُ. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: سَوادُ الوُجُوهِ[٤] مِنَ الكآبَةِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: القتَرُ: الغبْرَةُ الَّتِي معَها سَوادٌ[٥].

والثَّاني: أنَّه دُخانُ جهنَّمَ، قالَهُ عطَاءٌ.

والثَّالث: الخِزيُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرَّابعُ: الغُبَارُ، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٦].

وفي الذِّلَّةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الكآبَةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: الهَوَانُ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٣٣).

(٢) في (ر): أن يغشى.

(٣) قراءة شاذة انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٦١)، والبحر المحيط (٦/ ٤٤).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٧٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٧٧).

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: عمِلُوا الشِّرْكَ[١] ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ في الآيةِ محذوفٌ، وفي تقديرِهِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّ فيها إضمارَ «لهم»، **المعْنَى:** لهم جزاءُ سيئةٍ بمثْلِها، وأنْشَدَ ثعْلبٌ [من الطويل]:

فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ عَنْهُ فَقُلْ لَهُم ... وَذَاكَ عَطَاءٌ لِلْوُشَاةِ جَزِيلُ
مُلِمٌّ بِلَيْلَى لَمَّةً ثُمَّ إِنَّه ... لَهَاجِرُ لَيْلَى بَعْدَهَا فَمُطِيلُ[٢]

أراد: هو مُلِمٌّ، وهذا قوْلُ الفرَّاءِ[٣].

والثَّاني: أنَّ فيها إضمارَ «منْهُم»، **والمعنى:** جزاءُ سيِّئةٍ منْهُم بمِثْلِها، تقُولُ العرَبُ: رأيتُ القوْمَ صَائِمٌ وقَائِمٌ؛ أي: منْهُم صائِمٌ وقَائِمٌ، أنْشدَ الفرَّاءُ[٤] [من البسيط]:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الصُّبْحُ فِي غَلَسٍ ... وَغُودِرَ الْبَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْصُودُ[٥]

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في البسيط (١١/ ١٧٤).

(٢) البيتان بلا نسبة في النوادر في اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٥٥١)، وأشعار النِّساء؛ للمرزباني (٦١).

(٣) (١/ ٤٦١).

(٤) معاني القرآن (١/ ١٩٣).

(٥) البيت لذي الرمة في ديوانه (ص: ١٣٦٦)، والسمط (١/ ٣٥٤)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٤١٠)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٧٦)، والنحاس في إعراب القرآن (٣/ ٤٦٩).

(أي: منه مَلْوِيٌّ)[١]، وهذا قولُ ابنِ الأنْباري[٢]. وقال بعْضُهم: الباءُ زائِدةٌ هاهُنا.

و«مِن» في قوْلِه تعالى: ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ صلةٌ، والعَاصِمُ: المانِعُ.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾؛ أي: أُلبِست ﴿قِطَعًا﴾ [قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ: «قطَعًا»][٣] مفتوحةَ الطَّاءِ، وهي جمعُ قِطْعَةٍ.

وقرَأ ابْنُ كثيرٍ، والكِسائِيُّ، ويعقوبُ: «قطْعًا» بتسكينِ الطَّاءِ[٤].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وهوَ اسْمُ مَا قُطع[٥].

قالَ ابْنُ جريرٍ: وإنَّما قالَ: «مُظلِمًا» ولم يقُلْ: «مُظْلمةً»؛ لأنَّ المعنى: قِطعًا مِنَ اللَّيلِ الْمُظلمِ[٦]، ثُم حُذفتِ الألفُ واللَّامُ مِنَ «المظلم» فلمَّا صارَ نكِرةً، وهوَ مِن نَعْتِ اللَّيلِ، نُصِبَ على القطْعِ؛ وقوْمٌ يُسمُّون ما [٣٥٢/أ]
كان كذلِك حالًا، وقوْمٌ قطْعًا[٧].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٧٤)، قال: وزاد ابن الأنباري بيانًا فقال: إذا رفعت الجزاء بالباء أضمرت العائد إلى الموصول، على تقدير: جزاء سيئة منهم بمثلها، فالجزاء مرتفع بالباء و(الذين) يرتفعون برجوع الهاء المضمرة عليهم، وصلح إضمار (منهم) في ذا الموضع كما تقول: رأيت القوم صائم وقائم، يراد: منهم صائم وقائم.

(٣) ما بين المعكوفين سقط بالأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢١)، والنشر (٢/ ٣١٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ١٩٦).

(٦) ليست في (ج).

(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٧٦).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨ - ٢٩].

قولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يجمعُ الكُفَّارَ وآلهتَهم[(١)]. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾؛ أي: آلهتُكم.

قالَ الزَّجَّاجُ: «مَكَانَكُم»: منصُوبٌ على الأمرِ، كأنَّهم قِيلَ لهم: انْتَظِرُوا مكانَكُم حتَّى نفصِلَ بينَكُم، والعربُ تتوعَّدُ فتقُولُ: مكانَكَ؛ أي: انْتَظِرْ مكانَك، فهيَ كلِمَةٌ جرَتْ على الوَعِيدِ[(٢)].

قولُه تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ وقرأ ابنُ أبي عبْلَةَ: «فزايَلْنا» بألِفٍ[(٣)]. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: فرَّقنا بينَهم وبيْنَ آلهتِهم[(٤)].

وقالَ ابنُ قُتيبةَ: هوَ مِن زَالَ يَزُول وأَزَلْتُهُ[(٥)].

وقالَ ابنُ جريرٍ: إنَّما قالَ «فزيَّلْنا» ولم يقُلْ: «فزِلْنا» لإرادةِ تكْريرِ الفِعْلِ وتكْثِيرِه[(٦)].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٢) عن ابن عباس، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٧٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦).

(٣) قراءة شاذّة، عزاها إلى ابن أبي عبلة الهذليُّ في الكامل (ص: ٥٦٧)، والكرماني في الشواذ (ص: ٢٢٦)، وهي بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفرَّاء (١/ ٤٦٢)، وتفسير الطبري (١٥/ ٧٨)، والهداية؛ لمكي (٥/ ٣٢٥٨)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٤٥).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٧٣).

(٥) غريب القرآن (ص: ١٩٦).

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٧٨).

فإنْ قِيل: «كيف تقعُ الفُرقةُ بينَهُم وهُم معَهم في النَّار؛ لقوْلِه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]؟

فالجوابُ: أنَّ الفُرقةَ وقعَتْ بتَبرِّي كُلِّ معْبُودٍ ممَّن عبدَهُ، وهو قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: آلهتُهم[1]، يُنْطِقُ اللهُ الأوثانَ، فتقُول: ﴿مَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: لا نعْلَمُ بعِبادَتِكُم لنَا؛ لأنَّه ما كانَ فينَا روحٌ، فيقُول العابِدُون: بلى قد عبدْنَاكُم، فتقُول الآلهةُ: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعْلَمُ بها.

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿إِن كُنَّا﴾ معْناه: مَا كنَّا إلَّا غافِلينَ[2].

فإنْ قيل: ما وجْهُ دخُولِ الباءِ في قوْلِه تعَالى: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾؟.

فعنْهُ جوابَانِ:

أحدُهما: أنَّها دخلتْ للمُبالغةِ في المدْحِ كما قالُوا: أَظْرِفْ بعَبْدِ اللهِ، وأَنْبِلْ بعَبْدِ الرَّحمنِ، وناهِيكَ بأخِينَا، وحَسْبُكَ بصَدِيقِنَا[3]، هذا قوْلُ الفرَّاءِ[4] وأصْحَابِه.

---

(١) تنوير المقباس (ص/ ١٧٣)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٦)، عن ابن عبّاس، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٧٨) عن مجاهد.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦).

(٣) في الأصل: تصديقنا، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١١٩).

والثَّاني: أنَّها دخلَتْ توْكِيدًا للْكلَامِ؛ إذ سُقوطُها مُمكِنٌ، كما يُقال: خُذْ[١] بالخِطَامِ، وخُذْ الخِطَامَ، قالَهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾ [يونس: ٣٠].

قوْلُه تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثير، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «تَبْلُو» بالبَاءِ. وقرَأ حمْزةُ، والكِسَائِيُّ، وخلَفٌ، وزَيْدٌ عن يعْقُوبَ: «تَتْلُو» بالتَّاء[٢].

قالَ الزَّجَّاجُ: «هُنالِكَ» ظرْفٌ، والمعْنَى: في ذلِكَ الوقت تبْلُو، وهو منْصُوبٌ بـ«تَبْلُو»، إلَّا أنَّه غيْرُ مُتمكِّنٍ، واللَّامُ زائِدةٌ، والأصْلُ: هُناكَ، وكُسِرتِ اللَّامُ لِسُكونِهَا وسُكونِ الألِفِ، والكافُ للمُخاطبةِ[٣].

و«تَبْلُو»: تُختَبَرُ[٤]؛ أي: تَعْلَمُ. ومَن قرَأ[٥] «تَتْلُو» بتاءَيْن، فقد فسَّرها الأَخْفشُ[٦] وغيْرُه: تتْلُو مِنَ التِّلاوةِ؛ أي: تقرأُ. وفسَّرُوه أيضًا: تَتْبعُ كُلُّ نفْسٍ مَا أسْلَفَتْ، ومثْلُه قوْلُ الشَّاعر [من الرجز]:

---

(١) من قوله: (والثاني)... إلى هنا ساقط من (ر).

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧).

(٤) في معاني القرآن وإعرابه: تخبر.

(٥) في (ج): وقد قرأ.

(٦) معاني القرآن (١/ ٣٧٤).

قَـدْ جعَلَـتْ دَلْـوِيَ تَسْـتَتْلِينِي(١) ....

أي: تَسْتتبِعُني؛ أي: مِن نَقْلِهَا(٢) تستدْعِي اتِّباعِي إيَّاهَا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ﴾؛ أي: في الآخِـرَةِ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ الَّـذي يمْلِـكُ أمْرَهُـم حقًّـا، لا مَـنْ جعلُـوا معَـهُ مِـنَ الـشُّركَاءِ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾؛ أي: زَالَ وبطَـلَ ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: مِـنَ الآلهَـةِ.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونـس: ٣١].

[٣٥٢/ب] قوْلُـه تعَـالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطَـرَ، ومِـنَ الأرْضِ النَّبـات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾؛ أي: خلَـقَ السَّـمعَ والأبصَـارَ. وقـد سـبَقَ معْنَـى إخْـراجِ الحَـيِّ مِـنَ الميِّـتِ، والميِّـتِ مِـنَ الحَـيِّ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾؛ أي: أمْـرَ الدُّنْيَـا والآخِـرَةِ ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّهُـم خُوطِبـوا بـما لا يقْـدِرُ عليْـهِ إلَّا اللهُ، فـكانَ في ذلِـك دلِيـلُ توْحِيـدِه.

[وفي](٣) قوْلِه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أفَلا تَتَّعِظُونَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) الرجـز بـلا نسـبة في معـاني القـرآن؛ للزجـاج (٣/ ١٧)، والنـوادر في اللغـة؛ لأبي زيـد (ص: ٣٩٠)، والمحكـم والمحيـط؛ لابـن سـيده (٩/ ٥٣٦)، وبعـده: ولا أريـد تبـع القريـن.

(٢) في (ر): ثقلها.

(٣) ليست في الأصل والمثبت من سائر النسخ.

والثَّاني: تَتَّقون الشِّرْكَ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾.

قـال الخطَّـابِيُّ: الحـقُّ: هـوَ الْمُتحقِّـقُ وجُـودُه، وكُلُّ شيءٍ صَـحَّ وجُـودُه وكوْنُـه؛ فهـوَ حَـقٌّ(١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: كيْـفَ تُـصرَفُ عقُولُكـم إلى عبَـادةِ مَـن لا يـرزقُ ولا يُحْيـي ولا يُميـتُ(٢).

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونـس: ٣٣ - ٣٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾.

قـرَأ ابْـن كثِـيرٍ، وعاصِـمٌ، وأبـو عمْـرٍو، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: «كلِمَـةُ ربِّـكَ» وفي آخِـرِ السُّـورةِ كذلِـكَ. وقـرَأَ نافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ الحَرْفَـيْنِ «كلِـماتُ» عـلَى الجمْـعِ(٣).

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٧٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٨٨).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٢)، والنشر (٢/ ٢٦٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: الكافُ في موْضِعِ نَصْبٍ؛ أي: مِثْلَ أفْعَالِهِم جَازَاهُم ربُّكَ، **والمعْنَى**: حَقٌّ عليْهِم أنَّهم لا يُؤمِنونَ، وقوْلُه تعَالى: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، وجَائِزٌ أنْ تكونَ الكلِمةُ حَقَّتْ عليْهِم؛ لأنَّهم لا يُؤمِنُونَ، وتكونَ الكلمةُ مَا وُعِدوا بهِ مِنَ العِقَابِ[1].

وذكَرَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ[2] في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ **قوْلَيْنِ**:

أحدُهما: أنَّها إشَارَةٌ إلى مصْدرِ «يُصرفون»[3]، **والمعنى**: مثْل ذلِكَ الصَّرف حقَّتْ كلمَةُ ربِّكَ.

والثَّانِي: أنَّه بمعْنَى: هكذَا.

وفي معْنَى ﴿حَقَّتْ﴾ **قوْلَانِ**:

(**أحدُهما**: وجَبَتْ.

والثَّاني: سبَقَتْ.

وفي كلِمتِه قوْلَانِ)[4]:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: وعْدِهِ[5].

والثَّانِي: بمعْنَى: قضَائِهِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨).

(٢) ذكر قولَ أبي بكر بن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٨٨).

(٣) في (ف): تصرفون.

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٥) في (ج): وعدهم.

ومَـن قـرَأَ: «كَلِـمَاتُ» جعَـل كُلَّ واحـدةٍ مِـن الكَلِـم الَّتـي تُوعِّـدُوا[١] بهـا كلِمَـةً. وقـد شرحْنَـا معنـى الكلِمَـةِ في الأَعْـرَافِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾؛ أي: إلى الحقِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وابْـنُ عامِـرٍ، وورْشٌ عـنْ نافِـعٍ: «يَهَـدِّي» بفتْـحِ اليـاءِ[٢] والهـاءِ، وتَشْـديدِ الـدَّالِ[٣].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: الأَصْـلُ يَهْتـدي، فأُدْغِمـتِ التَّـاءُ في الـدَّالِ، فطُرحَـت فتْحتُهـا عـلَى الهَـاءِ[٤].

وقـرَأَ نافِـعٌ إلَّا ورْشًـا، وأبـو عمْـرٍو: «يَهْـدِّي» بفتْـحِ اليـاءِ وإسْـكانِ الهـاءِ، وتشْـديدِ الـدَّالِ، غـيْرَ أنَّ أبـا عمْـرٍو كان يُشِـمُّ الهـاءَ شـيْئًا مِـنَ الفتْـحِ[٥].

وقرَأَ حمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «يَهْدِي» بفتْحِ الياءِ وسُكونِ الهَاءِ وتخْفِيفِ الدَّالِ[٦].

قَـالَ أبـو عـلِيٍّ: والمعْنَـى: لَا يَهْـدِي[٧] غَـيْرَهُ إلَّا أنْ يُهْـدَى هـوَ[٨]، ولَـو

(١) في (ف): توعدون.

(٢) في (ر): التاء.

(٣) قراءة سبعية؛ انظر: التيسير (ص: ١٢٢)، والنشر (٢/ ٢٨٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩).

(٥) انظر التيسير (ص: ١٢٢) والنشر (٢/ ٢٨٤).

(٦) المصدر السابق.

(٧) في الحجة للقراء السبعة: أفمن يهدي.

(٨) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٧٥).

هُـدي الصَّنـمُ(١) لم يهْتَـدِ، ولكـنْ لَمَّـا جعلُوهَـا كمَـنْ يعْقِـلُ، أُجْرِيـتْ مجـرَاهُ.

ورَوى يَحْيـى بْـنُ آدمَ، عنْ أبي بَكْـرٍ، عن عَاصِمٍ: «يِهِدِّي» بكَسْرِ اليَاءِ والهَاءِ، وتشْـدِيدِ الدَّالِ، وكذلـك رَوى أَبانُ وجبَلَةُ عنِ الْمُفضَّـل وعبْدِ الوَارثِ(٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: أَتْبَعُوا الكسْرَةَ الكَسْرَةَ، وهِيَ رديئَةٌ؛ لِثِقَلِ الكَسْرَةِ في اليَاءِ(٣).

ورَوى حفْـصٌ عـن عَاصِـمٍ، والكِسَـائِيُّ عـن أبي بكْـرٍ عنْـهُ: «يَهِـدِّي» [٣٥٣/أ] بفتْـحِ اليَـاءِ وكـسْرِ الهَـاءِ وتشْـدِيدِ الـدَّالِ(٤).

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وهـذِه في الجـوْدَةِ كالمَفْتُوحَـةِ الهَـاءِ(٥) [إلَّا أنَّ الهـاءَ](٦)، كُـسرتْ لِالْتِقـاءِ السَّـاكِنَيْنِ(٧).

وقرَأَ ابْنُ السَّمَيفَعِ(٨): «يهتدي» بزيادَةِ تَاءٍ(٩).

---

(١) في (ج): الصم.

(٢) انظر: الحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي (٤/ ٢٧٥)، والكامل في القراءات العشر (ص: ٦١٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩).

(٤) هـذه خمس قـراءات سـبعية، انظرهـا في التيسـير (ص: ١٢٢)، إلا أنـه صـدر لقالـون وأبي عمـرو بالإخفـاء، وانظـر: النـشر (٢/ ٢٨٤)، والحجـة للقـراء السـبعة (٤/ ٢٧٥).

(٥) في الأصل: بالهاء، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩).

(٨) في الأصل: السميقع، خطأ، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) قـراءة ابـن مسـعود، انظـر: حجـة القـراءات؛ لابـن زنجلـة (ص: ٣٣١- ٣٣٢)، ولم أقـف عـلى أحـد عزاهـا إلى ابـن السـميفع غـير المصنـف.

والمراد بقوْلِه: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾: الصنَم[١] ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾.

وظاهرُ الكلام يدلُّ على أنَّ الأصنامَ إنْ هُدِيَتْ اهْتدَتْ، وليستْ كذلِك؛ لأنَّها حِجارَةٌ لا تَهْتدِي، إلَّا أنَّهم لَمَّا اتَّخذُوها آلهةً، عبَّر عنْهَا كما يُعبَّر عمَّن يعْقِلُ (ويفْعَلُ)[٢]، ووصُفِتْ صفَةَ مَنْ يعْقِلُ وإنْ لم تكن في الحقيقةِ كذلِك؛ ولهذا المعْنَى قالَ في صفتِها: {مَن}؛ لأنَّهم جعلُوها كمَن يعْقِلُ. ولَمَّا أعْطَاها حقَّها في أصْلِ وضْعِها؛ قالَ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ [مريم: ٤٢].

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾؛ أي: أَتعْبُدونَ مَا لَا يقْدِرُ أنْ ينْتَقِلَ مِن مكانِه إلَّا أنْ يُحوَّلَ[٣]؟ وقد صرَفَ بعْضُهم الكَلامَ إلى الرُّؤساءِ والمضلِّينَ، والأوَّل أصَحُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هو كلامٌ تامٌّ، كأنَّه قِيل لهُم: أيُّ شيءٍ لكُم في عبادَةِ الأوْثَانِ؟ ثم قِيلَ لهم: ﴿[كَيْفَ][٤] تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: على أيِّ حالٍ تحكمُونَ[٥]؟.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كيْفَ تقْضُونَ لِأنْفسِكُم[٦]؟ وقالَ مُقاتِلٌ: كيْفَ تقْضُونَ بالجَوْرِ[٧]؟.

---

(١) في (ف): الصم.

(٢) ليست في (ر)، و(ف)، والمطبوع.

(٣) معاني القرآن (١/ ٤٦٤).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠).

(٦) تنوير المقباس (ص: ١٧٤).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٨)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٤٧).

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ٣٦].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: كلُّهُم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: مَا يسْتيْقِنُونَ أنَّها آلهةٌ، بل يظُنُّون شيْئًا فيتَّبِعُونَه ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾؛ أي: ليْس هو كاليقِينِ، ولا (يقُومُ)[1] مقامَ الحقِّ.

وقالَ مُقاتلٌ: ظَنُّهم بأنَّها آلهةٌ لا يدْفَعُ عنْهُم مِنَ العذَابِ شيْئًا[2].
وقالَ غيْرُه: ظنُّهُم أنَّها تشْفعُ لهُم لا يُغْنِي عنْهُم.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

قالَ الزَّجاجُ[3]: هذا جوابُ قوْلِهم: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] وجوابُ قوْلِهم: ﴿افْتَرَاهُ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: ومعْنَى الآيةِ: ما[4] ينْبَغِي لمِثْلِ هذَا القُرآنِ أنْ يُفترى [مِن دُون اللهِ][5]... فجاءَتْ «أنْ» على معْنَى: ينْبَغِي[6].

(١) ليست في (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٢٣٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠).

(٤) في (ج): لا.

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(م).

(٦) معاني القرآن (١/ ٤٦٤).

وقـالَ ابْـنُ الأنْبَـاري: يجـوز أَنْ تكُـونَ «أنْ» مـعَ «يُفـترى» مصْـدرًا، وتقدِيـرُه: ومـا كانَ هـذَا القـرْآنُ افْـتراءً(١).

ويجـوزُ أن تكـونَ(٢) «كانَ» تامَّـةً، فيكـون المعْنَـى: مـا نـزَل هـذا القُـرآنُ، ومـا ظهَـر هـذا القـرآنُ لأنْ يُفْـترى، وبـأنْ يُفـترى، فتُنصـب «أنْ» بفقْـدِ الخافضِ في قـوْلِ الفـرَّاء(٣)، وتُخفـضُ بإضْـمار الخافـضِ في قـوْلِ الكِسـائي.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: معْنى ﴿أَن يُفْتَرَىٰ﴾؛ أي(٤): يُضافَ إلى غيْرِ اللهِ، أو يُختلَقَ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ **فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُهـا: أنَّـه تصْديـقُ الكُتُـبِ المتقدِّمـةِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ. فعلَى هـذا إنَّـما قـالَ: ﴿ٱلَّذِى﴾؛ لأنَّـه يُريـد الوحْيَ.

والثَّاني: ما بين يديْهِ مِنَ البعْثِ والنُّشورِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ(٦).

والثَّالـث: تصْدِيـقُ (النَّبـيِّ ﷺ)(٧) الَّـذِي بـين يـدِي القـرآنِ؛ لأنَّهـم شـاهَدُوا النَّبـيَّ ﷺ وعرَفُـوه قبْـلَ سـماعِهِمُ القُـرآنَ، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ١٩٩) عنه.

(٢) في (ج)، و(ف): يكون.

(٣) معاني القرآن (١/ ٣٦٤).

(٤) في (ج): أنْ.

(٥) غريب القرآن (ص: ١٩٧)، وفي (ف): ويختلق.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠).

(٧) ما بين الهلالين ليس في (ج).

[٣٥٣/ب] قوْلُه تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: وبيانَ الكتابِ الَّذي كتبَهُ اللهُ على أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، والفرائضَ الَّتي فرضَها عليْهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

قوْلُه تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ في «أَمْ»(١) قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: الواوِ، قالَهُ أبو عُبيدةَ(٢).

والثَّاني: بمعْنَى: بَلْ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٣).

قوْلُه تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعْنَى: فأْتُوا بسُورةٍ مثْلَ سُورةٍ مِنْهُ، فذَكَر المِثْلَ؛ لأنَّه إنَّما التمَسَ شِبهَ الجِنْسِ، ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ مِمَّن هوَ في التَّكْذيبِ مثلُكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّه اختلقَهُ(٤).

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: ٣٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنى: بما لم يُحيطُوا بعلْمِ مَا فيهِ مِنْ ذِكْرِ الجنَّةِ والنَّارِ والبعْثِ والجزاءِ.

---

(١) في (ج): أن. خطأ.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٧٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١).

والثَّاني: بما لم يُحيطوا بعِلْمِ التَّكذِيب بِهِ؛ لأنَّهم شاكُّون فيهِ.

وفي قوْله تعَالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ قوْلَان:

أحدُهما: تصْدِيقُ مَا وُعِدوا بهِ مِنَ الوَعِيدِ.

والتَّأويل: ما يؤُول إليْهِ الأمْرُ.

والثَّانِي: ولم يكنْ معهم عِلْمُ تأوِيلِه، قالَهُ الزَّجَّاجُ[١].

قيلَ لِسفْيانَ بْنِ عُيَيْنةَ: (يقُولُ النَّاسُ)[٢]: كُلُّ إنْسانٍ عدوُّ مَا جهِلَ، فقالَ: هـذَا في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ. قيلَ لَهُ[٣]: أيْنَ؟ فقَالَ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾[٤].

وقِيلَ للحُسيْنِ بْنِ الفضْلِ: هل تجِدُ[٥] فِي القُرآن: مَنْ جهِلَ شيْئًا عَاداه؟ فقالَ: نعَمْ، في موْضِعَيْنِ: قوْلُه تعَالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾، وقوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١][٦].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ما بين الهلالين ليس في (ف).

(٣) ليست في (ف).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في الأصل: نجد، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥/ ١٣٣)، وساق السيوطي في الإتقان (٥/ ١٩٣٩) في مبحث (أمثال القرآن) طرفًا من أسئلة إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم للحسين بن الفضل حول استنباط الأمثال من القرآن، وعدَّ هذا منها.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾ [يونس: ٤٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾.

فِي الْمُشار إِلَيْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهمُ اليهودُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قريشٌ، قالَهُ مُقاتِلُ بْنُ سُليمانَ(١).

وفي هَاءِ «بِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى محمَّدٍ ﷺ ودينِهِ، قالَه مُقاتِلٌ(٢).

والثَّانِي: إلى القُرآنِ، قالَه أبو سُليمان الدِّمَشْقِيُّ.

وهذه الآيةُ تضمَّنتِ الإخْبارَ عمَّا سبَقَ في عِلْمِ الله تعَالى، فالمعْنَى: ومنْهُم مَن سيؤمِنُ بهِ. وقالَ الزَّجَّاجُ: منْهُم مَنْ يعْلَمُ أنَّه حقٌّ فيُصدِّقُ بهِ ويُعانِدُ فيُظْهِرُ الكُفْرَ ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾؛ أي: يشكُّ ولا يُصدِّقُ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قالَ عطَاءٌ: يُريد المكذِّبينَ(٤)، وهذا تهديدٌ لهم.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١-٢٢).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٠٤).

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي﴾... الآيَةَ.

قَالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: نسخَتْهَا آيةُ السَّيْفِ[1]؛ وليْسَ هذا بِصَحيحٍ؛ لأنَّه لَا تنَافِي بيْنَ الآيتَيْنِ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس: ٤٢].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ علَى ثلاثَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: في يهُودِ المدِينةِ، كانُوا يأْتُونَ رسُولَ اللهِ ويَسْتمِعُونَ القُرْآنَ فيعْجَبُون ويشْتَهُونَهُ ويغلِبُ عليهِمُ الشَّقاءُ، فنزَلَت هذه الآيَةُ.

والثَّاني: أنَّها نزَلتْ فِي الْمُستهزِئِينَ، كانُوا يسْتمِعُون إلى النَّبيِّ ﷺ للاسْتِهزاءِ والتَّكذِيب، فلم ينْتَفِعوا، فنزَلَتْ فيهِم هذِه الآيَةُ، والقوْلَانِ مرْوِيَّانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٩٥) عن ابن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٤) من طريق آخر عن ابن زيد، ولم أقف على رواية أبي صالح عن ابن عبَّاس.

والثَّالثُ: أنَّها[١] نزَلَتْ في مُشرِكِي قُريشٍ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

[٣٥٤/أ] قالَ الزَّجَّاجُ: ظاهِرُهم ظاهِرُ مَنْ يسْتَمِعُ، وهُم لِشدَّةِ عداوَتِهم بمنْزِلةِ الصُّمِّ. ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: ولو كانُوا مع ذلِك جُهَّالًا[٣].

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريدُ أنَّهم شرٌّ مِنَ الصُّمِّ؛ لأنَّ الصُّمَّ لهُم عُقولٌ وقُلوبٌ، وهؤلاءِ قد أَصَمَّ اللهُ قلُوبَهم[٤].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاس: يُريدُ: متعجِّبينَ مِنْكَ ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ يُريدُ: أنَّ اللهَ تعَالى أعْمَى قلُوبَهُم فلَا يُبصِرُونَ[٥].

وقالَ الزَّجَّاجُ: ومنْهُم مَنْ يُقبِلُ عليْكَ بالنَّظرِ، وهوَ مِن بُغْضِه لكَ وكَراهتِه لِمَا يرَى مِن آياتِكَ كالأَعْمَى[٦].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٠٦).

(٥) المصدر السابق.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢).

وقـالَ ابْـنُ جريـرٍ: ومنْهُـم مَـنْ يسْـتَمِعُ قوْلَـك وينْظُـرُ إلى حُجَجِـكَ عـلَى نُبوَّتِـك، ولكـنَّ اللهَ قـد سـلَبَهُ التَّوفِيـقَ(١).

وقالَ مُقاتِلٌ: «و لَوْ» في الآيتَيْنِ بمعْنَى: «إذا»(٢).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤ ﴾ [يونـس: ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾.

لَمَّـا ذكَـر الَّذيـن سبقَ القضَـاءُ عليهِـم بالشَّـقَاوةِ؛ أخـبَرَ أنَّ تقدِيـرَ ذلِـكَ عليْهِـم ليـس بظُلْـمٍ؛ لأنَّـه يتـصرَّفُ في [خلْقِـهِ وَ](٣) مُلكِـهِ كيـف شـاءَ(٤)، وهـم إذا كسَـبُوا المعَـاصِي فقَـدْ ظلَمُـوا أنْفُسَـهم؛ لأنَّ الفعْـلَ منْسُـوبٌ إليْهِـم، وإن كانَ بقضَـاءِ اللهِ بذلِـكَ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾.

قـرَأ حمْـزةُ، والكِسـائِيُّ، وخلَـفٌ: «ولكـنِ النَّـاسُ» بتخْفيـفِ النُّـونِ وكسْرِهـا، ورفْـعِ الاسْـمِ بعْدَهَـا(٦).

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٩٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩)، وفيه: (إذ)، بدل: (إذا).

(٣) من (ج).

(٤) في (ج)، و(ف)، و(م): يشاء.

(٥) ليست في (ر)، والمطبوع.

(٦) قراءة سبعية، انظرها في التيسير (ص: ١٢٢).

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝٤٥﴾ [يونس: ٤٥].

قوْلُه تعَالى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ» وقرَأ حفْصٌ: «يَحْشُرُهُم» باليَاءِ(١). قالَ أبو سُليمانَ الدِّمَشقيُّ: همُ المشرِكُونَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: كأنْ لم يلْبَثُوا في قبُورِهم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: فِي الدُّنْيا، قالَهُ مُقاتِلٌ(٢).

قالَ الضَّحَّاكُ(٣): قصُرَ عنْدَهُم مِقدارُ الوَقْتِ الَّذي بيْنَ موْتِهم وبعْثِهم(٤)، فصَارَ كالسَّاعةِ مِنَ النَّهارِ، لِهوْلِ مَا اسْتقْبَلُوا مِنَ [أمْرِ البعْثِ و](٥) القِيامَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إذَا بُعِثوا مِنَ القُبُورِ تعارَفُوا، ثُمَّ تنْقَطِعُ المعْرِفَةُ(٦).

قالَ الزَّجَّاجُ: وفي معرِفَةِ بعْضِهم بعْضًا، وعلْمِ بعْضِهم بإضْلالِ

---

(١) قراءة سبعية، انظرها في التيسير (ص: ١٠٧).

(٢) تفسير مقاتل (ص: ٢٣٩-٢٤٠).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٢١٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢١١).

(٤) في (ج): بين بعثهم وموتهم.

(٥) من (ف).

(٦) المصدر السابق.

بعْضٍ، [فِي][١] التَّوبِيخ لَهُم، وإثْبَات الحُجَّةِ عليْهِم[٢].

وقِيل: إذَا تعارَفُوا؛ وبَّخ بعْضُهُم بعْضًا، فيقُولُ هذَا لهذَا: أنْتَ أضْلَلْتنِي، وكسَّبتَنِي دخُولَ النَّارِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ هو مِن قوْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، لا مِن قوْلِهم، والمعْنَى: خسِرُوا ثوابَ الجنَّةِ؛ إذْ كذَّبُوا بالبَعْثِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ مِنَ الضَّلالَةِ.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٦ - ٤٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾.

قالَ المفسِّرُون: كانتْ وقعةُ بدْرٍ مما أراهُ اللهُ في حياتِه مِن عذابِهِم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبْلَ أن نُرِيكَ ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعْدَ الموْتِ، والمعْنَى: إنْ لم ننْتَقِمْ منْهُم عاجِلًا؛ انتقمْنَا [منْهم][٣] آجِلًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي[٤]: مِنَ الكفْرِ والتَّكْذِيبِ.

---

(١) من (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢).

(٣) من (ج).

(٤) ليست في (ج).

قَالَ الفَرَّاءُ: «ثُمَّ» هاهُنَا عطْفٌ، ولو قِيل: معْنَاها: هناكَ(١) اللهُ شَهِيدٌ، كانَ جائِزًا(٢).

وقالَ غيْرُه: «ثُمَّ» هاهُنا بمعْنَى الوَاوِ.

[٣٥٤/ب] وقرَأ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «ثَمَّ اللهُ شَهِيدٌ» بفتْحِ الثَّاءِ(٣)، يُراد به: هُنالِكَ(٤) اللهُ شهِيدٌ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم﴾ **فيهِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: إذا جاءَ فِي الدُّنْيا بعْدَ الإذْنِ لَه في دُعَائِهم؛ قُضِي بيْنَهُم بتعْجِيلِ الانْتِقَامِ منْهُم قالَهُ الحسَنُ.

وقالَ غيْرُه: إذَا جاءَهُم في الدُّنْيا؛ حُكِم عليْهِم عنْدَ اتِّباعِه وخِلافِهِ بالطَّاعةِ والمعصيَةِ.

والثَّاني: إذا جَاءَ يوْمَ القِيامَةِ، قالَهُ مُجاهِدٌ. وقالَ غيْرُه: إذَا جاءَ شَاهِدًا عليْهِم.

والثَّالث: إذا جاءَ في القِيامَة وقد كذَّبُوه في الدُّنْيا، قالَهُ ابْنُ السَّائِب.

قوْلُه تعالَى: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: بيْنَ الأُمَّةِ، فأُثِيب المُحسنُ وعُوقِب المُسِيءُ.

---

(١) في معاني القرآن؛ للفراء: هنالك.

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٦٦).

(٣) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٢٧)، والكامل (ص: ٢٠١)، والبحر المحيط (٥/ ١٦٧).

(٤) في (ج)، و(ف): هناك.

والثَّاني: بينَهم وبيْنَ نَبيِّهم.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يونس: ٤٨].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ في القائلِينَ [هذا][1] قوْلَانِ:

أحدُهما: الأُممُ المتقدِّمةُ، أخبَرَ عنهم باسْتعجالِ العذابِ لأنْبيائِهم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُم المشركونَ الَّذين أنذرَهم نبيُّنا [مُحمَّدٌ][2] ﷺ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

وفي المرادِ بالوَعْدِ قوْلَانِ:

أحدُهما: العذابُ قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قِيامُ السَّاعةِ. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنْت وأتْباعك.

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يونس: ٤٩ - ٥٢].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر)، و(م).

(٢) من (ج).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا﴾ (قـالَ الشَّـيْخ)[١]: [الآيـةُ][٢] قـد ذكـرْتُ تفسـيرَها في آيَتَـينِ مِـن الأَعْـرَافِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: البَياتُ: كُلُّ ما كانَ بلَيْلٍ[٣].

وقوْلُه تعَالَى: ﴿مَّاذَا﴾ فِي موْضعِ رفْعٍ مِن جِهتَيْنِ:

إحدَاهُما: أن يكونَ «ذا» بمعْنَى: الَّذِي.

المعْنَى: مَا الَّذي يسْتَعْجِلُ منه المجرمون؟.

ويجوزُ أن يكـون «مَـاذا» اسـمًا واحـدًا؛ فيكـون المعْنَـى: أيُّ شيْءٍ يسـتعْجِلُ منـه المجرمون؟.

والهـاءُ فِي «منْـهُ» تعُـودُ عـلى العـذَابِ، وجائِـزٌ أنْ تعُـودَ عـلى ذكْـرِ اللهِ تعـالى؛ فيكُـون المعْنَـى: أيُّ شيْءٍ يسْـتعْجِلُ المجْرِمُـون مِـنَ الله تعـالى؟ وعوْدُهـا عـلَى العـذَابِ أجْـودُ؛ لقوْلِـه: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم [بِهِۦٓ][٤]﴾.

وذكَـرَ بعْـضُ المفسِّريـن أنَّ المـرَادَ بالمجرِمـينَ: المشْرِكُـون، وكانـوا يقولُونَ: نُكـذِّب بالعذابِ ونَسـتَعْجِلُه، ثُـمَّ إذا وقعَ العذَابُ آمنَّـا بهِ؛ فقالَ اللهُ تعَـالى مُوبِّخًا

---

(١) زيادة من الأصل فقط.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤).

(٤) من (ف).

هُم: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ العَذابُ[١] ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾؛ أي: أَهُنالِكَ[٢] تُؤمِنونَ فلا يُقبلُ منكُمُ الإيمانُ، ويُقالُ لكم: الآنَ تُؤمِنونَ؟ (فأضمر: تُؤمِنون)[٣] بِهِ مع الآن ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: مُستهزئِينَ، وهو قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: كفرُوا، عندَ نُزولِ العَذابِ ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾؛ لأنَّه إذا نَزلَ بِهمُ العذابُ، أفضَوا منْهُ إلى عذابِ الآخرَةِ الدَّائم.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٣ - ٥٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾؛ أي: ويَستخبِرُونَك: أَحَقٌّ هُوَ؟ يعْنُونَ البعْثَ والعذَابَ. ﴿قُلْ إِى﴾ المعْنَى: نعَمْ ورَبِّي، وفتَحَ هذِه الياءَ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو[٤]، وإنَّما أقسَمَ معَ إخبارِه تأكِيدًا.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ج)، والمطبوع: هنالك، وفي (ف): هناك.

(٣) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٤)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (ص: ٢٥٢).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: «إِي» بمعْنَى: «بَلَى»[١] ولا تأْتِي إِلَّا قبْلَ اليَمِينِ صِلةً لَهَا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بِسابِقِينَ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: لسْتُم مِمَّن يُعْجِزُ أنْ يُجازَى على كفْرِه[٤].

[٣٥٥/أ] **قوْلُه تعَالى:** ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاس: أشْركَتْ[٥]. ﴿[مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ]﴾[٦] ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾ عنْد[٧] نُزولِ العذَابِ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ يعْنِي: الرُّؤسَاءَ أخْفوها مِنَ الأتْباع ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾؛ أي: بين الفَرِيقَيْنِ.

وقالَ آخَرُون منْهُم أبو عُبيدةَ[٨] والْمُفضَّل[٩]: «أسرُّوا النَّدامَةَ» بمعْنَى: أظْهَرُوهَا[١٠]؛ لأنَّه ليس بيومِ تَصنُّعٍ ولا تَصبُّرٍ، والإِسْرَارُ مِنَ الأضْدادِ؛ يُقال: أسرَرْتُ الشَّيء، بمعْنَى: أخْفَيْتُه. وأسْررْتُه: أظْهرْتُه، قالَ الفرزدَقُ [من الطَّويل]:

---

(١) في (ج)، و(ف): بل.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٩٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٩٠) (٧٩٠٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٦١) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٢١٤)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٢٤).

(٦) من (ف)، و(ر).

(٧) في (ف): من.

(٨) مجاز القرآن (٢/ ٣٤).

(٩) والمفضل عن الأصمعي في كتابه: الأضداد (ص: ٢١).

(١٠) في (ف): أظهروا.

وَلَمَّـا رَأَى الْحَجَّـاجَ جَـرَّدَ سَـيْفَهُ أَسَرَّ الْحَـرُورِيُّ الَّـذي كَانَ أَضْمَـرَا(١)

يعْنِي: أظْهَرَ(٢).

فعَلى هـذَا القوْلِ: أظْهَـرُوا النَّدامةَ عنْـد إحْراقِ النَّـارِ لهُم؛ لأنَّ النَّـار ألْهَتْهُم عـنِ التَّصَنُّـع والكِتْمانِ. وعلَى الأوَّلِ: كتَمُوهـا قبْلَ إحْراقِ النَّـارِ إيَّاهُم.

وقوْلُـه تعَـالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاس: مـا وعَـد أوْليـاءَهُ مِـنَ الثَّـوابِ، وأعْـداءَهُ مِـنَ العِقـابِ(٣). ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعْنِـي: الْمُشرِكِـينَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) البيت ليس في ديوانه، وقد نُسب إليه في كتاب الأضداد؛ للأصمعي (ص: ٢١)، وكتاب الأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٤٦)، وشكَّك في صحة نسبته للفرزدق أبو حاتم السجستاني؛ حيث قال: وكان يقول -يعني أبا عبيدة- في هذه الآية: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ أظهرها، ولا أثق بقوله في هذا، والله أعلم، وقد زعموا أن الفرزدق قال... ، وذكر البيت، ثم قال: ولا أثق أيضًا بقول الفرزدق في القرآن، ولا أدري لعله قال: الذي كان أظهرا؛ أي: كتم ما كان عليه، والفرزدق كثير التخليط في شعره...، فلا أثق به في القرآن. انظر: كتاب الأضداد له (ص: ١١٥)، وقال الأزهري: وأهل اللغة أنكروا قوْلَ أبي عبيدة أشد الإنكار، انظر: لسان العرب (٤/ ١٩٨٩) (سرر).

(٢) أي الحروري.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٠)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٢٧).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني: قُريشًا[1] ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: القُرآنَ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: دواءٌ لداءِ الجَهْلِ ﴿وَهُدًى﴾؛ أي: بيانٌ مِنَ الضَّلالةِ.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ فيه ثمانيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ فضلَ اللهِ: الإسْلامُ، ورحْمَتَه: القُرآنُ.

رواهُ ابْنُ أبي طلحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2]، وبهِ قالَ قتادَةُ، وهِلالُ بْنُ يَسافٍ[3]، ورُوي عنِ الحسَنِ[4]، ومُجاهِدٍ في بعْضِ الرِّوايةِ عنْهُما[5]، وهوَ اخْتيارُ ابْنِ قُتيبةَ[6].

والثَّاني: أنَّ فضلَ اللهِ: القُرآنُ، ورحمَتَهُ: أنْ جعلَهُم مِنْ أهْلِ القُرآنِ،

(١) هذا التخصيص، الذي اعتمده المؤلف، ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٠)، وقد ذهب إلى هذا التخصيص أيضًا السمرقندي (٢/ ١٠٢)، والقرطبي (٨/ ٣٥٣)، والأصل بقاء الخطاب على عمومه؛ وإلى ذلك ذهب ابن جرير في تفسيره (١١/ ١٢٤)، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ١٦٧): هذه آية خوطب بها جميع العالم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٩) (١٠٤٢٨) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٥٩) (١٠٤٢٩).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) (١٧٦٧٦).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) (١٧٦٧٧).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

رَواهُ العوْفِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وبهِ قالَ أبو سَعِيدٍ الخُدريُّ(٢)، والحسَنُ في رِوايةٍ.

والثَّالث: أنَّ فضلَ اللهِ: العِلْمُ، ورحمتَه: مُحَمَّدٌ ﷺ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والرَّابع: أنَّ فضْلَ اللهِ: الإسْلامُ، ورحمتَه: تَزْيِينُه فِي القُلوبِ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ.

والخامس: أنَّ فضْلَ اللهِ: القُرآنُ، ورحمتَهُ: الإسْلامُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، وزَيْدُ بْنُ أَسْلمَ، وابْنُه، ومُقاتِلٌ(٤).

والسَّادِس: أنَّ فضْلَ اللهِ ورحمتَهُ: القُرآنُ، رَواه ابْنُ أبي نَجِيحٍ عنْ مُجاهِدٍ، واخْتارَهُ الزَّجَّاجُ(٥).

والسَّابع: أنَّ فضْلَ اللهِ: القُرْآنُ، ورحمتَهُ: السُّنَّةُ، قالَهُ خالِدُ بْنُ معْدَان.

والثَّامن: فضْلُ اللهِ: التَّوْفِيقُ، ورحمتُهُ: العِصمَةُ، قالَهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾.

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٥٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٦)، (١٧٦٦٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٧٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٢)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٨) (١٧٦٨٤) عن الضحاك، وزيد بن أسلم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مجلزٍ، وقتادةُ، وأبو العاليةِ، ورُويسٌ عن يعْقُوبَ: «فَلْتَفْرَحُوا» بالتَّاء[1].

وقرأ الحسَنُ، ومُعاذٌ القَارِئُ[2]، وأبو المتوكِّلِ مثْلَ ذلِك، إلَّا أنَّهم كسَرُوا اللَّامَ[3].

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وأبو عِمرانَ: «فَبِذَلِكَ فَافْرَحُوا»[4].

قال ابْنُ عبَّاس: بذلك الفضْلِ والرَّحمةِ ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾؛ أي: مما يجمَعُ الكُفَّارُ مِنَ الأمْوالِ[5].

وقرَأ أبو جعْفرٍ، وابْنُ عامِرٍ، ورُويسٌ: «تَجْمَعُونَ» بالتَّاء[6].

[٣٥٥/ب] وحكى ابْنُ الأنْبارِيِّ أنَّ البَاءَ في قوْلِه: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ خبَرٌ لاسْمٍ مُضمرٍ، تأويلُه: هذا الشِّفاءُ وهذِه الموعِظةُ بفضْلِ اللهِ ورحْمَتِه، فبِذلِك

---

(١) قراءة سبعية، انظرها في تفسير الطبري (١٥/ ١٠٩) (١٧٦٨٧) عن أبي بن كعب، وحجة القراءات؛ لابن زنجلة (ص: ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٢٨٥).

(٢) هو ابن الحارث الأنصاري المدني المعروف بالقارئ، روى عن نافع، وابن سيرين. وتوفي بالحرة سنة ثلاث وستين. انظر: غاية النهاية (٢/ ٣٠١-٣٠٢).

(٣) شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣١٦)، والبحر المحيط (٦/ ٧٧) عن الحسن.

(٤) شاذة، عزوها إلى أبيٍّ بن كعب كما في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٦٩) إعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٥١)، والبحر المحيط (٦/ ٧٦)، قال أبو علي الفارسي: وزعموا أنها في حرف أبيٍّ: «فافرحوا». انظر: الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٨٢)، وانظر أيضًا: المحتسب (١/ ٣١٣)، ومختصر ابن خالويه (ص:٥٧)، وإعراب القراءات السبع وعللها (١/ ٢٦٩).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٧) (١٧٦٧٩).

(٦) قراءة سبعية، انظر عزوها في: حجة القراءات؛ لابن زنجلة (ص: ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٢٨٥)، والكامل في القراءات (ص: ٥٦٨).

التَّطَـوُّلِ مِــنَ اللهِ فلْيفْرَحُــوا(١).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونـــس: ٥٩].

قوْلُه تعالَى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾.

قـالَ المفسِّرُون: هـذا خِطـابٌ لِكفَّـارِ قُريـشٍ، كانـوا يُحرِّمُـونَ مَـا شَـاؤُوا، [ويُحلُّـونَ مـا شَـاؤُوا](٢) و﴿أَنزَلَ﴾ بمعْنَى: خلَـق. وقد شرحْنَا بعْـضَ مذَاهِبِهم فيـما كانـوا يفْعَلُـون مِـنَ البَحيرةِ والسَّـائِبةِ وغـيْرِ ذلِـك في المائـدة، والأنْعَام.

[قوْلُه تعالَى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾؛ أي(٣): في هذا التَّحْليلِ والتَّحْريم](٤).

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونـــس: ٦٠].

قوْلُــه تعَــالَى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ فِي الــكلَامِ محْذُوفٌ، تقْدِيـرُه: مَـا ظَنُّهـم أنَّ اللهَ فاعِـلٌ بِهـم يـوْمَ القِيامـة بكذِبِهـم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حـينَ لم يعجِّــلْ عليهــمْ بالعُقوبــةِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ تأخـيرَ العــذَابِ عنْهُــم.

---

(١) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٢٨).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(م).

(٣) ليست في (ج).

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾؛ أي: في عمَلٍ مِنَ الأعْمالِ، وجمعُه: شُؤون ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾.

في هاءِ الكنَايةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُودُ إلى الشَّأْنِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: **معْنَى الآيَةِ:** أيُّ وقْتٍ تكونُ في شأنٍ مِنْ عبادةِ اللهِ، ومَا تلوتَ مِنَ الشَّأنِ مِنْ قُرآنٍ[١].

والثَّاني: أنَّها تعودُ إلى اللهِ تعَالى، فالمعْنَى: وما تلوْتَ[٢] مِن اللهِ، أي: مِن نازلٍ منْهُ مِن قُرآنٍ، ذكرَهُ جماعةٌ مِنَ العُلماء.

والخطَابُ للنَّبي ﷺ، وأمَّتُهُ داخِلُون فيهِ، بدليلِ قوْلِه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾.

قالَ ابنُ الأنْباري[٣]: جمَعَ في هذا؛ ليدلَّ على أنَّهم داخِلُون في الفِعْلَيْنِ الأوَّلَيْنِ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاءُ عائِدةٌ علَى العمَلِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦).

(٢) في الأصل: تكون، والمثبت من .

(٣) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٢)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٤٠).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: تُفيضُونَ بمعْنَى: تأْخُذونَ فيهِ(١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: تنْتَشِرُونَ فيهِ، يُقالُ: أفَاضَ القَوْمُ في الحدِيثِ: إذَا انْتَشَرُوا فيهِ وخَاضُوا(٢).

﴿وَمَا يَعۡزُبُ﴾ معْناه: وما يبْعُدُ. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: مَا يبعُد ولا يغِيبُ(٣).

وقرأَ الكِسائِيُّ «يعزِب» بكسْر الزَّاي هَاهُنا وفي {سَبَإٍ} وقد بيَّنَّا «مثقال ذرة» في [سُورةِ](٤) النِّسَاء(٥).

قوْله تعَالى: ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾.

وَقرَأ الجمْهُورُ بفتْحِ الرَّاء فِيهمَا. وقرَأَ حمْزةُ، وخلَفٌ، ويعْقُوبُ، برفْعِ الرَّاء فِيهِمَا(٦).

قالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قرَأ بالفتْحِ، فالمعْنَى: وما يعْزب عن ربِّك مِن مثقالِ ذرَّةٍ، ولَا مثْقالِ أصْغرَ مِن ذلِك ولا أكْبَرَ، والمَوْضِعُ موْضِعُ خفْضٍ، إلَّا أنَّه فُتح؛ لأنَّه لا ينْصَرِفُ، ومَن رفَع، فالمعْنَى: وما يعْزُبُ عنْ ربِّكَ

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر)، و(م).

(٥) قراءة سبعية، انظر عزوها في التيسير؛ للداني (ص: ١٢٢).

(٦) قراءتان سبعيتان؛ انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٢٢)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٢٨).

مِثقَالُ ذرَّةٍ ولَا أصْغَرُ (مِن ذلِكَ)(١) ولا أكْبَرُ(٢). ويجوزُ رفعُه على الإبْتداءِ، فيكونُ(٣) المعْنَى: ولا أصْغَرُ مِن ذلِك ولا أكْبَرُ.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هو اللَّوحُ المحْفُوظُ(٤).

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ روى ابنُ عبَّاسٍ أنَّ رجُلًا قالَ: يا رسُولَ اللهِ! مَنْ أوْلِياءُ اللهِ [الَّذِينَ لَا خوْفٌ عليْهِم ولَا هُم يحْزَنُونَ؟](٥)، قالَ «الَّذِينَ إذا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ»(٦).

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦).

(٣) في (ج): ويكون.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٢)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٤٤)، وبنحوه رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عند تفسير آية الأنعام، كما في الدر المنثر (٣/ ٢٩).

(٥) ما بين المعكوفين من (ج).

(٦) روي هذا الحديث موصولاً ومرسلاً، والإرسال أشبه بالصَّواب، أخرجه االنسائي في الكبرى (٦/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٥٨)، والطبراني في الكبر (١٢/ ١٣)، ومن طريقه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٧٦) من طريق جعفر بن أبي مغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبي -ﷺ- قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قال: «يذكر الله عزَّ وجلَّ برؤيتهم».
واختلف فيه على جعفر بن أبي مغيرة، فروي عنه، عن سعيد بن جبير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلًا، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٤٧٧)، والطبري=

وروى عُمرُ بْنُ الخطَّاب ﷺ، عنْ رسولِ اللهِ - ﷺ - أنَّه قالَ: «إنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ، وَمَا أَعْمَالُهُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟ قالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ [٣٥٦/أ] بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»... ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

قوْلُه تعالَى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فِيهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الرُّؤيا الصَّالحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أو تُرى لَهُ،

=(١٥/ ١١٩)، وجعفر بن أبي مغيرة الخزاعي القمي صدوق يهم وليس بالقوي في سعيد بن جبير، وقد تابع على هذه الرواية المرسلة: سهلٌ أبو الأسد؛ كما عند ابن جرير الطبري (١٢/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠٤٥٤) من طريق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، وسعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، موقوفًا عليه، بنحوه، وعند ابن أبي حاتم بدون ذكر سعيد بن جبير، وابن أبي ليلى ضعيف.

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧)، وأخرجه ابن أبي الدُّنيا في الإخوان (٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩٩٧) من طريق ابن فضيل به، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٣٦) من طريق محمد بن فضيل، عن أبيه وعمارة، عن أبي زرعة به، وأخرجه أبو يعلى (٦١١٠)، وعنه ابن حبان (٥٧٣) من طريق ابن فضيل عن عمارة، عن أبي زرعة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٠) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

رَواه عُبادةُ بْنُ الصَّامِت[(١)]، وأبو الدَّرْداءِ[(٢)]، وجابرُ بْنُ عبدِ اللهِ[(٣)]، وأبو هُريرةَ[(٤)]، عنِ النَّبيِّ - ﷺ.

وَالثَّانِي: أنَّهَا بِشارَةُ الملائِكةِ لَهُم عنْد الموْتِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، وقتادَةُ، والزُّهرِيُّ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٥)، والطبري (١٢/ ٢١٧)، والشاشي في مسنده (٣/ ١٤٤) (١٢١٧)، من طرق عن حميد بن عبد الله المزني، أنَّ رجلًا سأل عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- عن قول الله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فقال عبادةُ -رضي الله عنه-: سألت رسول الله -ﷺ-، فقال: «لقد سألتني عن أمر ما سألني عنه أحد من أمتي، تلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له»، ومن هذا الوجه: أخرجه ابن مردويه، كما في تخريج الكشاف؛ للزيلعي (٢/ ١٣٢ - ١٣٣)، ووقع عند أحمد: حميد بن عبد الرحمن، وهذا ضعيف لإبهام السائل، وحميد بن عبد الله المزني؛ ذكره ابن حبان في (الثقات)، ولم يذكر فيه البخاري، ولا ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلًا. ينظر: التاريخ الكبير (٢/ ٣٥٤)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٤)، الثقات (٤/ ١٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٧)، والترمذي (٢٢٧٣- ٣١٠٦)، والطبري (١٢/ ٢١٦- ٢١٧)، والإسماعيلي في معجم شيوخه (١/ ٤٢٥)، والبيهقي في الشعب (٤٧٥٢) من طريق سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى، فذكره مرفوعًا، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الرواي عن أبي الدرداء، وخالف ابن جريج، فرواه عن ابن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء به بدون واسطة، أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٢)، لكن أخرجه الحميدي في مسنده (٣٩١)، والترمذي بإثر حديث (٣١٠٦)، والطبري (١٢/ ٢٢٠)، والحاكم (٤/ ٣٩١) من طريق سفين بن عيينة، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح ذكوان السمان، عن عطاء بن يسار، رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به؛ فهذا هو الأشبه.

(٣) أورده في الدر المنثور (٧/ ٦٨٣)، وعزاه إلى: ابن مردويه، من طريق أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٩٠).

والثَّالِث: أنَّها مَا بشَّر اللهُ عزَّ وجلَّ بهِ في كتابِهِ مِن جنَّتِهِ وثوَابِهِ؛ كقوْلِه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ [التوبة: ٢١]، وهذَا قوْلُ الحسَنِ[١]، واخْتارَهُ الفرَّاءُ[٢]، والزَّجَّاجُ[٣]، واستدلَّا[٤] بقوْلِه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَا خُلف لِمواعِيدِه، وذلِك أنَّ مواعيدَهُ بكلِمَاتِه، فإذَا لمْ تُبدَّلِ الكلماتُ، لمْ تُبدَّلِ المواعِيدُ[٥].

فأمَّا بُشْرَاهُم في الآخِرَة، ففِيهَا ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها الجنَّةُ، رَواه أبو هريرَةَ عنِ النَّبِيِّ ﷺ[٦]، واخْتارَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٧].

والثَّاني: أنَّه عنْد خُروجِ الرُّوحِ تُبشَّر[٨] بِرِضْوَانِ اللهِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّها عنْد الخُروجِ مِن قُبورِهِم، قالَهُ مُقاتِلٌ[٩].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٣)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٤١).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦- ٢٧).

(٤) في (ج): واستدلَّ.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٥٤)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٥٠).

(٦) أخرجه الطبري بإسناد حسن.

(٧) غريب القرآن (ص: ١٩٧).

(٨) في الأصل: يبشر.

(٩) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٣).

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس: ٦٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: تكْذِيبُهم[١]. وقالَ غيْرُه: تظاهُرهم عليْكَ بالعدَاوةِ وإنْكارُهم وأذاهُم[٢]. وتمَّ الكلامُ هاهُنا. ثُمَّ ابْتدأ فقالَ: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: الغلبةَ لَهُ، فهوَ ناصِرُكَ وناصِرُ دينِكَ، [وَ][٣]﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِقوْلِهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بإضْمارِهم، فيُجازِيهم على ذلِك.

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يونس: ٦٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: «أَلَا» افْتِتاحُ كلامٍ وتنْبِيهٌ؛ أي: فالَّذي هُمْ لَهُ، يفْعَلُ فيهِم وبهِم ما يشاءُ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾؛

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥١)، وبمعناه رواه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٥٦٣).

(٢) انظر نحو هذا القول في: معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٢٧)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٣٠٤).

(٣) من (ج).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧).

أي: ما يتَّبِعون شُركاءَ علَى الحقيقةِ؛ لأنَّهم يعدُّونَها[١] شُركاءَ للهِ شُفعاءَ لهُم، وليْسَت علَى ما يظنُّونَ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في ذلِك ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاس: يُكذِّبونَ[٢]. وقالَ ابنُ قُتيبةَ: يحْدُسونَ [ويكذِّبونَ][٣] ويحْزُرُون[٤].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس: ٦٧].

قوْله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾.

المعْنى: إنَّ ربَّكُمُ الَّذِي يجِبُ أنْ تعتقدِوا رُبوبيَّتَهُ، هو الَّذي جعَلَ لكمُ اللَّيلَ لِتسْكُنوا فيهِ، فيزُول تعَبُ النَّهارِ وكلالُه بالسُّكونِ في اللَّيْلِ، وجعَلَ النَّهارَ مُبصرًا؛ أي: مُضِيئًا يُبصرونَ[٥] فيهِ.

وإنَّما أضافَ الإبْصارَ إليهِ؛ لأنَّه قد فهِم السَّامِعُ المقصودَ؛ إذِ النَّهارُ لَا يُبصِرُ، وإنَّما هو ظرْفٌ يفعلُ فيهِ غيْرُه؛ كقوْلِه: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] إنَّما هي مَرْضيَّة، وهذَا كما يُقال: ليلٌ نائِمٌ، قالَ جريرٌ [من الطويل]: [٣٥٦/ ب]

---

(١) في (ف): يعبدونها.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢١٦) بلفظ: يكذبون للسفلة، وفي كتاب غريب القرآن لابن عباس: (يخرصون): يكذبون بلغة هذيل.

(٣) من (ج).

(٤) غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٠٤) وبكلا المعنيين جاءت اللغة كما في لسان العرب (٢/ ١١٣٣) (خرص).

(٥) في المطبوع: تبصرون.

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ[١]

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ اعْتِبارٍ، فيعْلَمُون أنَّه لا يقْدِرُ على ذلِك إلَّا الإلهُ القادِرُ.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)﴾ [يونس: ٦٨ - ٧٠].

قوْلُه تعالى: ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي أهْلَ مكَّةَ، جعلُوا الملائِكةَ بناتَ اللهِ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنْزِيهٌ[٣] له عمَّا قالُوا، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنِ الزَّوْجةِ والوَلَدِ، ﴿إِنْ عِندَكُم﴾؛ أي: ما عنْدَكُم ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾؛ أي: حُجَّةٍ بما تقُولُونَ[٤].

---

(١) البيت لجرير في الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٠)، ومجاز القرآن (١/ ٢٧٩)، والكامل للمبرد (١/ ١١٣)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٤٤)، والمحتسب (٢/ ١٨٣)، من قصيدة له طويلة، أجاب بها الفرزدق، وأم غيلان: ابنة جرير.

(٢) ذكره عن ابن عباس بنحوه الفيروز آبادي في تنوير المقباس (ص: ٢١٦)، وهو قول ابن جرير (١١/ ١٤٠)، والسمرقندي (٢/ ١٠٥)، والبغوي (٤/ ١٤٢).

(٣) في (ج): تنزيهًا.

(٤) في (ف): يقولون.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: لا يبْقُونَ فِي الدُّنْيَا.

والثَّانِي: لا يسْعَدُونَ في العَاقبَةِ.

والثَّالث: لا يفُوزُونَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذا وقْفُ التَّمامِ(١).

وقوْلُه: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ مرْفُوعٌ علَى معْنَى: ذلِك متاعٌ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ فيـهِ دلِيـلٌ عـلَى نُبوَّتِـه، حيْـثُ أخْـبرَ عـنْ قصَـصِ الأنبيـاءِ ولم يكُـنْ يقْـرَأُ الكُتـبَ، وتحرِيـضٌ لـه عـلى الصَّـبْرِ، وموْعِظـةٌ لِقوْمِـه بذِكْـرِ قـوْمِ نُـوحٍ ومـا حَـلَّ بهِـم مِـنَ العُقوبَـةِ بالتَّكْذيـبِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ﴾؛ أي: عظُـم وشَـقَّ ﴿[عَلَيْكُم](٢) مَّقَامِي﴾؛ أي: طُـولَ مُكْثِـي.

وقرَأَ أبو مِجلَزٍ، وأبو رجَاءٍ، وأبو الجوْزَاءِ «مُقَامِي» برفْعِ الميم(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٨٧).

﴿وَتَذْكِيرِى﴾: وعْظِي. ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نُصْرتي ودفْعِ شرِّكُم عنِّي.

﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ قرأ الجمْهُورُ: «فأَجْمِعُوا» بالهمْزِ وكسْرِ الميم، مِن «أَجْمَعْتَ» وروى الأصْمَعِيُّ عن نافِعٍ: «فاجْمَعُوا» بفتْح الميم[(١)]، مِن «جَمَعْتَ» ومعْنَى «أجْمِعُوا أمْرَكُم»: أحْكِمُوا أمْرَكُم واعْزِمُوا علَيْه.

قالَ المؤرِّجُ[(٢)]: «أجْمَعْتُ الأمْرَ»: أفْصَحُ مِنْ «أجْمَعْتُ علَيْهِ»[(٣)]، وأنْشَدَ [من الكامل]:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ[(٤)]

فأمَّا رِوايةُ الأصْمَعِيِّ؛ فقالَ أبو عَلِيٍّ: يجوزُ أن يكونَ معْناها: اجْمَعُوا ذَوِي الأمْرِ مِنْكُم؛ أي: رؤساءَكُم. ويجوزُ أن يكُونَ جعَلَ الأمْرَ ما كانُوا

---

(١) رواية رويس عن يعقوب بخلف عنه، انظر: النشر (٢/ ٢٨٥)، وانظر عزوها لرواية الأصمعي في السبعة (٣٢٨).

(٢) في الأصل: المؤرخ، والمثبت من سائر النسخ، وهو مؤرِّج بن عمرو بنُ الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن السَّدوسي، وقيل: إن اسمه «مرثد» و«مؤرج» لقبٌ له، من العلماء المشهود لهم بالثقة والدّراية في علوم العربيّة، أخذ عن الخليل، توفي سنة (١٩٥هـ)، انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين؛ للزبيدي (ص: ٧٥)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٨)، ووفيات الأعيان (٥/ ٣٠٤)، وإنباه الرواة (٣/ ٣٢٧).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٢٥٢).

(٤) البيت أنشده أبو زيد في نوادره (ص: ٣٩٩) بغير نسبة، وهو أيضًا في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٧٣)، وإعراب القراءات؛ لابن خالويه (١/ ٢٧١)، وحجة القراءات؛ لابن خالويه (ص: ١٨٣)، والخصائص؛ لابن جني (٢/ ١٣٦)، وجامع البيان؛ للطبري (١١/ ١٤١)، والحجة؛ للفارسي (٣/ ٣٢٠)، (٤/ ٢٨٧)، وإصلاح المنطق (ص: ١٩٠).

يجمَعُونَـهُ مِـن كيْدِهـمُ الَّـذي يكِيـدُون بـِهِ، فيكـون كقوْلِـه تعَـالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾[١] [طـه: ٦٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾.

قالَ الفرَّاءُ[٢] وابْنُ قُتيبةَ[٣]: **المعْنَى**: وادْعُوا شُركاءَكُم.

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: الـواوُ هَاهُنـا بمعْنَـى «مـعَ» **فالمعْنَـى**: مـعَ شُركائِكُـم، تقُـول: لـو تركْـتَ النَّاقـةَ وفَصِيلَهَـا لَرَضَعَهَـا؛ أي: مـعَ فصِيلِهَـا[٤]. وقـرَأَ يعْقُـوبُ «وشُركَاؤُكُـم» بالرَّفْـعِ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: لَا يكُن أمْرُكُم مكْتُومًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّـانِي: غـمًّا عليكُـم، كـما تقُـول: كَـرْبٌ وكُرْبَـةٌ، قالَـه ابْـنُ قُتيبـةَ[٦]. وذكَـرَ الزَّجَّـاجُ[٧] القوْلَـيْنِ.

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٨٧).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٣٠٥).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨).

(٥) قراءة عشرية؛ انظر عزوها ليعقوب في النشر (٢/ ٢٨٦).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨).

وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ قولان:

أحدُهما: [ثُمَّ][١] اقْضُوا إليَّ مَا فِي أنفُسِكُم، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: افْعَلُوا ما تُريدونَ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢]، وابْنُ قُتيبةَ[٣].

وقالَ ابنُ الأنْبارِي: معْناه: اقْضُوا[٤] إليَّ بمَكْرُوهِكُم ومَا تُوعِدونَنِي بِهِ، كما تقُولُ العرَبُ: قد قضَى فُلانٌ، يُريدونَ: ماتَ ومضَى[٥].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧٢ - ٧٣].

[٣٥٧/أ] قوْلُه تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: أعْرَضْتُم عنِ الإيمانِ. ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: لم يكُنْ دُعائِي إيَّاكُم طمَعًا فِي أمْوالِكُم.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ حرَّكَ[٦] هذِهِ الياءَ ابْنُ عامِرٍ، وأبو عمْرٍو، ونافِعٌ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ، وأسْكنَها الباقُونَ[٧].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٢) المصدر السابق.

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٤) في جميع المصادر التي نقلت عن ابن الأنباري: امْضُوا.

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٠).

(٦) في (ج): فتح.

(٧) قراءتان سبعيتان، انظرهما في السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾؛ أي: جعلْنَـا الَّذيـن نجَـوْا مـع نـوحٍ خلفًـا مِمَّـن هلَـكَ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونـس: ٧٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: مِـن بعْدِ نُـوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد إبْراهِيـمَ وهُـودًا و صَالحًـا ولُوطًـا وشُـعيْبًا ﷺ(١).

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بَـانَ لهـم أنَّهُـم رُسـلُ اللهِ. ﴿فَمَا كَانُوا۟﴾؛ أي: أولئِـكَ الأقْـوام ﴿لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟﴾ يعنِـي: الَّذِيـن قبْلَهـم.

والمـرَادُ: أنَّ المتأخِّريـن مضَـوا عـلى سَـنَنِ المتقدِّمـين في التَّكذِيـب. وقـالَ مُقاتِـلٌ: فـمَا كانُـوا لِيُؤمنـوا بـمَا كذَّبُـوا بـهِ مِـنَ العـذابِ مِـن قبْـلِ نُزولِـهِ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾؛ أي: كـمَا طبعْنَـا عـلى قُلـوب أولئِـكَ ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يعْنِـي: الْمُتجاوزيـنَ مَـا أُمِـروا بـهِ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونـس: ٧٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ يعْنِي: الرُّسلَ الَّذِين أَرْسلْنَا[١] بعْدَ نُوحٍ.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يونس: ٧٦ - ٨٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ وهو ما جاءَ بِهِ مُوسى مِنَ الآياتِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: المعْنى: ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾ هذَا اللَّفْظَ، وهُو[٢] قوْلُهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، ثُمَّ قرَّرهُم فقَالَ: ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾؟[٣].

قَالَ ابْنُ الأنْبارِي: إنَّما أدْخَلُوا الألفَ[٤] علَى جِهة تفْظِيعِ الأمْرِ، كما يقُولُ الرَّجلُ إذا نظَرَ إلى الكِسوةِ الفاخِرَةِ. أَكِسوةٌ هذِه؟ يُريد بالاسْتِفهام تَعْظِيمَها، وتأْتِي الرَّجُلَ جائِزةٌ، فيقُولُ: أحقٌّ ما أرَى؟ معظِّمًا لما ورَد علَيْهِ[٥].

(١) في (ج)، و(ف): أرسلوا.

(٢) في (ج): وهو من.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩).

(٤) أي: الاستفهام.

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٤).

وقالَ غيْرُه: تقْدِيرُ الكلَامِ: أتقولُونَ للحَقِّ لَمَّا جاءَكُم: هو سِحْرٌ؟ أسِحْرٌ هذَا؟ فحذَفَ السِّحْرَ الأوَّلَ اكْتِفاءً بدلالَةِ الكلَامِ علَيْهِ؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [الإسراء: ٧] المعْنَى: بعثْنَاهُم لِيسوؤوا وجُوهَكُم(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: لِتَصْرِفَنَا، يُقالُ: لَفَتُّ فُلانًا عن كذَا؛ إذا صرفتَهُ، ومنْهُ الِالْتفاتُ، وهوَ الانْصِرافُ عمَّا كنْت مُقبلًا(٢) علَيْهِ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ [فِي ٱلۡأَرۡضِ](٤)﴾ وروى أبانُ، وزيْدٌ عن يعْقُوبَ {ويَكُونَ لَكُما الكبرياء} باليَاءِ(٥).

وفي المُراد بالكِبْرياءِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: الملْكُ والشَّرفُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الطَّاعةُ(٦)، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

---

(١) ذكر هذا القول الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٧٤).

(٢) ليست في (ف).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٥) ليست في شيء من طرق التيسير، لكنها رواية العليمي عن شعبة في النشر (٢/ ٢٨٦)، وجامع البيان (٣/ ١١٨٥)، وهي للحسن بن أبي الحسن في إعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٥٤)، وانظر: البحر المحيط (٦/ ٩٢).

(٦) في (ف): بالطاعة.

والثَّالث: العُلوُّ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: والأرْضُ هاهُنا: أرْضُ مِصْرَ[(١)].

قوْلُه تعالى: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ قرأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ: «بِكُلِّ سَحَّارٍ» بتشْديدِ الحاءِ وتأْخيرِ الألِفِ[(٢)].

قوْلُه تعالى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾.

قرأ الأكْثَرُونَ «السِّحْرُ» بغيْرِ مدٍّ، على لفْظِ الخبَرِ، والمعْنى: الَّذي جئْتُم بهِ مِنَ الحِبالِ والعِصِيِّ، [هوَ][(٣)] السِّحْرُ[(٤)]، وهذا ردٌّ لِقولِهم للحَقِّ: هذا سِحْرٌ، فتقدِيرُه: الَّذي جئْتُم بهِ أنْتُم[(٥)] السِّحرُ، فدخلَتِ الألفُ واللَّامُ؛ لأنَّ النَّكِرةَ إذا عادَتْ؛ عادَتْ معْرِفَةً؛ كما تقُولُ: رأيْتُ رجُلًا، فقَالَ لِي الرَّجُلُ. [٣٥٧/ب]

وقرَأَ مُجاهِدٌ، وأبو عمْرٍو، وأبو جعْفرٍ، وأبانُ عن عاصِمٍ، وأبو حَاتِمٍ عنْ يعْقُوبَ «آلسِّحْرُ» بمَدِّ الألِفِ؛ اسْتِفهامًا[(٦)].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٧٧).

(٢) اتفق القراء على حرف سورة الشعراء أنَّه «سَحَّار»، واختلفوا في التي في «الأعراف» (١١٢)، والتي هنا؛ فقرأ حمزة والكسائي: «سحَّار». انظر: التيسير (ص: ١١٢)، والنشر (٢/ ٢٧٠).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ف).

(٦) قراءتان سبعيتان، انظرهما في التيسير (ص: ١٢٣)، والنشر (١/ ٣٧٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٤٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: أيُّ شيءٍ جئْتُم بِهِ؟ أسِحْرٌ هوَ؟ علَى جِهةِ التَّوبِيخِ لَهُم[١].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِي: هذَا الإسْتِفهامُ معْنَاه التَّعْظِيمُ للسِّحْر، لا علَى سبِيلِ الإسْتِفْهام عنِ الشَّيءِ الَّذي يُجهلُ، وذلِك مثْل قوْلِ الإنْسانِ في الخَطأِ الَّذي يسْتَعْظِمُه مِن إنْسانٍ: أخطَأٌ هذَا؟ أي: هوَ عظِيمُ الشَّأْنِ في الخطَأ[٢]، والعرَبُ تسْتَفهِمُ عمَّا هوَ معْلُومٌ عندَها، قالَ امْرؤُ القيس [من الطويل]:

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ[٣]

وقالَ قيس بن ذريح[٤] [من الطويل]:

أَرَاجِعَةٌ يَا لُبْنُ أَيَّامُنَا الْأُلَى ... بِذِي الطَّلْحِ أَمْ لَا مَا لَهُنَّ رُجُوعُ[٥]

فاسْتَفْهَم وهوَ يعْلَمُ أنَّهنَّ لا يرْجِعْنَ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠).

(٢) ذكره المؤلف في تذكرة الأريب (ص: ١٥٦).

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ١٣)، والكتاب (٤/ ٢١٥)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٣٣٨)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٠)، وشرح قطر الندى (ص: ٨٥)، وبلا نسبة في الخصائص (٣/ ١٣٠)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٥١٤).

(٤) قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني، هو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته لبنى. ترجمته في: الأغاني (٩/ ١٨٠)، والشعر والشعراء (ص: ٦١٠).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٨٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾؛ أي: يُهلكُه، ويُظهر فضيحتكُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾؛ [أي][(١)]: لا يجعلُ عملَهم نافعًا لهُم. ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ [ٱلۡحَقَّ][(٢)]﴾؛ أي: يُظهره ويمكنُه، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بما سبق من وعْدِه بذلك.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٨٣ - ٩٢].

قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ﴾.

في المرادِ بالذُّرِّيَّةِ هاهُنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ المرادَ بالذُّرِّيَّةِ: القَليلُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) من (ج).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

والثَّـانِي: أنَّهُـم أوْلادُ الَّذِيـن أُرْسِـلَ إليهـم مُوسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مـاتَ آباؤُهُم لِطـولِ الزَّمَـانِ، وآمَنُـوا هُـم، قالَـهُ مُجاهِدٌ.

وقـالَ ابْـنُ زَيْـدٍ: هُـمُ الَّذِيـن نَشـؤُوا مـعَ مُوسـى حـين كَـفَّ فِرْعـونُ عـنْ ذَبْحِ الغِلْـمانِ[١].

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاري: وإنَّـما قِيـلَ لهـؤلاءِ «ذرِّيـة»؛ لأنَّهـم أوْلادُ الَّذِيـن بُعث إليهِـم مُوسـى عليـه السَّـلام، وإنْ كانـوا بالِغِين[٢].

والثَّالِـث: أنَّهـم قـوْمٌ، أمَّهاتُهُـم مِـن بنِـي إسْرائِيـلَ، وآباؤُهُـم مِـنَ القِبْـطِ، قالَـهُ مُقاتِـلٌ[٣]، واختـارَهُ الفـرَّاءُ[٤].

قـالَ: وإنَّـما سُـمُّوا ذرِّيـةً كـما قِيـلَ لأوْلادِ فـارسٍ: الأبْنـاءُ؛ لأنَّ أمَّهاتِهِـم مِـن غـير جِنْـسِ آبائِهِـم[٥].

وفِي هاءِ «قوْمِه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تعُود إلى مُوسى، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: إلى فرعـونَ[٦]، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، فعـلى القـوْلِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥١٨) عن زيد بن أسلم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٥).

(٤) معاني القرآن (١/ ٤٧٦).

(٥) المصدر السابق، وعنه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٤٥).

(٦) رجح هـذا القـول ابـن عطيـة في المحـرر الوجيـز (٥/ ٢٢٧)، بينـما ردَّه ابـن جريـر في تفسـيره (١١/ ١٥٠)، ورجـح عـود الضمـير إلى موسـى عليـه السـلام؛ لأنَّـه أقـرب مذكـور يعـود=

الأَوَّلِ يكـون قوْلُـه تعَـالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾؛ أي: ومـلأِ فرْعونَ.

قـالَ الفرَّاءُ: وإنَّـما قالَ: «وملَئِهِـم» بالجَمْعِ، وفرْعَـونُ واحِـدٌ؛ لأنَّ الملِكَ إذَا ذُكِـر ذهَـب الوَهْـمُ إليْـهِ وإلى مَـنْ معَـهُ، تقُول قـدِمَ الخليفَـةُ فكثُـر النَّـاسُ، تُريد: بمَـنْ معَهُ[١]. وقـد يجُوزُ أنْ يُريـدَ بِفرْعـونَ: آلَ فِرعونَ؛ لِقوْلِـه تعَالى[٢]: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[يوسـف: ٨٢] وعـلى القـوْلِ الثَّـانِي: يَرجِعُ ذكْـرُ المـلأ إلى الذرِّيةِ.

قـالَ ابْـنُ جَريـرٍ: وهـذا أصَـحُّ؛ لأنَّـه كان في الذّرِّيـةِ مَـن [كانَ][٣] أبـوهُ قبطيًّـا وأمُّـه إسْرائيليَّـةٌ، فهـو مـعَ فرعَـونَ عـلى مُوسَـى[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعْنِـي: فرْعـونَ، ولم يقُـلْ: يفْتِنُوهُـم[٥]؛ لأنَّ قوْمَـه كانُـوا عـلى مـا[٦] كان عليْـهِ. [٣٥٨/أ]

وفي هذِه الفتْنةِ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّها القتْلُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

=إليـه الضمـير ولظهـور اسـم فرعـون في قولـه تعـالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ ولـو كان الضمـير الأول يعـود إليـه لقـال: عـلى خـوف منـه.

(١) معاني القرآن (١/ ٤٧٦).

(٢) في جميع النسخ عدا الأصل: كقوله.

(٣) من (ف).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٦٧).

(٥) في (ف): يفتنونهم.

(٦) في (ف): من.

والثَّاني: التَّعذِيبُ، قالَه ابْنُ جَريرٍ[(١)].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: مُتطاولٌ في أرْضِ مِصرَ[(٢)] ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ حِين كانَ عبْدًا فادَّعى الرُّبوبيَّةَ[(٣)].

قوْلُه تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ لَمَّا شَكَا بنُوا إسْرائِيلَ إلى مُوسى مَا يُهدِّدهم بهِ فرْعونُ مِن ذبْحِ أوْلادِهم، واسْتِحياءِ نسائِهم، قالَ لهم هذَا.

وفي قوْلِه: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ **ثلاثةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: لا تُهلكْنا بعذابٍ على أيدِي قوْمِ[(٤)] فرْعونَ، ولا بعذابٍ مِن قِبلك، فيقُول قوْمُ فرْعونَ: لو كانُوا على حقٍّ ما عُذِّبُوا ولا سُلطنا عليْهِم.

والثَّاني: لا تُسلِّطهم عليْنَا فيَفْتِنُونا، والقوْلان مرْويَّانِ عن مُجاهدٍ.

والثَّالث: لا تُسلِّطهم عليْنَا فيَفْتَتِنونَ بنَا؛ لِظنِّهم أنَّهم على حقٍّ، قالَه أبو الضُّحى، وأبو مجلزٍ[(٥)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٨٥).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ٢٣)، والبغوي (٤/ ١٤٧)، ومعناه في تفسير الطبري (١١/ ١٥١).

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (١١/ ١٩٧٦)، عن أبي مجلز، وروياه أيضًا عن أبي الضحى، لكن بلفظ: قال: لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾.

قالَ المفسِّرُون: لَمَّا أُرسل مُوسى، أمرَ فِرعونُ بمساجِدِ بني إسرائيلَ فخُرِّبت كلُّها، ومُنعوا مِنَ الصَّلاة وكانوا لا يُصلُّون إلَّا في الكنائس، فأُمِروا أن يتَّخِذوا مساجدَ في بُيوتِهم ويُصلُّون فيها خوفًا مِن فرعون. و«تبوآ» معناه: اتَّخذا، وقد شرحناه في الأَعْرَافِ.

وفي المراد بمصرَ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه البلدُ المعروفُ بمِصرَ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: أنَّه الإسْكندريَّة، قالَه مُجاهِدٌ.

وفي البُيوت قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها المساجدُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: القُصور، قالَهُ مُجاهِدٌ.

وفي قوْلِه: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أرْبعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: اجْعلُوها مساجِدَ، رواه مُجاهِدٌ[1]، وعِكرِمَةُ[2]، والضَّحَّاكُ

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٣ - ١٧٤) من طريقين: أحدهما: من رواية ابن جريج وهي ضعيفة لعنعنة ابن جريج وهو مدلس كما في التقريب (ص: ٣٦٣) (٤١٩٤)، والثانية: من رواية ابن أبي نجيح وهي ضعيفة أيضًا؛ لأنَّ في سندها أبا حذيفة؛ وهو صدوق سيء الحفظ وكان يصحف، ولم يخرج له البخاري إلا في المابعات.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٧٤)، والبغوي (٤/ ١٤٦).

عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، وبـهِ قـالَ النَّخَعـيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ[٢]، وقـد ذكرْنـا أنَّ فِرعـونَ أمـرَ بهـدْمِ مسـاجدِهِم، فقِيـل لهـم: اجْعلُـوا بُيوتَكـم قِبلـةً بـدلًا مِـنَ المسـاجِدِ.

والثاني: اجْعلُوها قِبلَ القِبْلةِ، رواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

وروى الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، قـالَ: قِبَـل مكَّـةَ. وقـال مجاهِـدٌ: أُمروا أن يجعلُوهَـا مسـتقبلةَ الكعبـةَ[٤]، وبه قـالَ مُقاتِـلٌ[٥]، وقتادةُ، والفـرَّاءُ[٦].

والثَّالـث: اجْعلُوهـا يُقابـل[٧] بعضُهـا بعضًـا، وهـو مـرويٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أيضًـا، وبـهِ قـالَ سـعِيدُ بْـنُ جُبـير[٨].

والرَّابـع: واجْعلُـوا بُيوتَكُـمُ الَّتِـي بالشَّـامِ قِبلـةً لكُـم في الصَّـلاةِ، فهِـي قِبلـةُ اليهـودِ إلى اليـوْمِ، قالَـه ابْـنُ بحـرٍ.

فإنْ قيلَ: البيوتُ جمْعٌ، فكيْفَ قالَ: «قِبلة» على التَّوْحيدِ؟.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٧٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٤).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٧٤).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٦)، والاسم ليس في (ر).

(٦) معاني القرآن (١/ ٤٤٧).

(٧) في (ف): مقابل.

(٨) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٧٥) عن عطاء عن سعيد بن جبير.

فقد أجاب عنه ابْنُ الأنْبَارِي، فقالَ: مَن قالَ: المرادُ بالقِبلةِ الكعبةُ، قالَ: وُحِّدتِ القبلَةُ لِتوْحِيدِ الكعْبَةِ(١).

قالَ: ويجوزُ أن يكونَ أرَادَ: اجْعلُوا بُيوتَكُم قِبَلًا، فاكْتَفى بالواحِدِ عنِ الجمْعِ، كما قالَ العبَّاس بْنُ مِرداس(٢) [من الوافر]:

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الْإِحَنِ الصُّدُورُ(٣)

يُريد: إنَّا إخْوتُكُم. ويجوز أن يكونَ وحَّد «قِبلة»؛ لأنَّه أجراهَا مُجرى المصدر، فيكونُ المعْنَى: واجْعلُوا بُيوتَكم إقبالًا على الله، وقصْدًا لِمَا كنتم تستعمِلُونَهُ في المساجد. [٣٥٨/ب]

ويجوزُ أن يكونَ وحَّدَها، والمعنى: اجْعلُوا(٤) بُيوتَكم شيْئًا قِبلةً، ومكانًا قِبلةً، ومحلَّةً قِبلةً.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أتمُّوا الصَّلاةَ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنتَ يا مُحمَّدُ(٥). قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: بشِّرْهُم بالنَّصر في الدُّنيا، وبالجنَّةِ في الآخِرةِ(٦).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٩٠).

(٢) العباس بن مرداس: ابن أبي عامر السلمي، وأُمُّه الخنساء الشاعرة، وهو مخضرم. أخباره في الأغاني (١٣/ ٦٢)، والإصابة رقم (٤٥١١)، والاستيعاب (٣/ ١٠١).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٥٢)، ومجاز القرآن (١/ ٧٩)، والمقتضب (٢/ ١٧٤)، وبلا نسبة في تأويل مشكل القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ١٧٤).

(٤) في نسخة: واجعلوا.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٧٦).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٨) (١٠٥٣٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ لهم مِن لدن فُسطاط مِصرَ إلى أرْضِ الحبَشة جِبالٌ فيها معَادِنُ ذهَبٍ وفضَّةٍ وزَبْرجد وياقوت(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾.

وفي لَام «ليَضِلُّوا» أربعةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّها لَامُ «كي»، **والمعْنَى**: آتيتَهم ذلك كي يُضلُّوا، وهذا قوْلُ الفرَّاءِ(٢).

والثَّاني: أنَّها لامُ العاقبَةِ، **والمعْنَى**: إنَّك آتيتَهم ذلِك فأصارَهُم إلى الضَّلالِ، ومثْلُه قوْلُه: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨]؛ أي: آلَ أمْرُهم إلى أنْ صارَ لهم عدوًّا، لا أنَّهم قصَدُوا ذلِك(٣)، وهذا كما تقُول للَّذي كسَب مالًا فأدَّاه ذلِك(٤) إلى الهلاك: إنَّما كسَب فلانٌ لحِتْفِه، وهوَ لم يطْلبِ(٥) المالَ طلبًا للحَتْفِ، وأنْشدُوا [من البسيط]:

وَلِلْمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... وَلِلْخَرَابِ يَجِدُّ النَّاسُ عُمْرَانَا(٦)

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٩١).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٣) وهذا قول الزجَّاج، انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠).

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ف): يكسب.

(٦) البيت بلا نسبة في بهجة المجالس (ص: ٢٤٦)، والبحر المحيط (٦/ ٩٩).

وقالَ آخَرُ [من الطويل]:

وَلِلْمَـوْتِ تَغْذُو[١] الْوَالِدَاتُ سِـخَالَهَا كَـمَا لِخَرَابِ الـدُّورِ تُبْنَى الْمَسَـاكِنُ[٢]

وقالَ آخَرُ [من المتقارب]:

فَـإِنْ يَكُـنِ الْمَـوْتُ أَفْنَاهُـمُ فَلِلْمَـوْتِ مَـا تَلِـدُ الْوَالِـدَهْ[٣]

أرَادَ: عاقِبَةَ الأمْرِ ومصْيرَه إلى ذلِك، هذا قوْلُ الزَّجَّاجِ[٤].

والثَّالِـثُ: أنَّهـا لامُ الدُّعـاءِ، فالمعْنَـى[٥]: ربَّنـا ابْتَلِهـم بالضَّـلال عـن سـبيلِك، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبـاري[٦].

والرَّابـع: أنَّهـا لَامُ أجْـلٍ، فالمعنـى: آتيتَهـم لِأجْـلِ ضلالَتِهـم عقوبـةً مِنْـك لهـم، ومثْلُـه قوْلُـه: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ [التوبـة: ٩٥]؛ أي: لأجْـلِ إعْراضِكُـم، حـكَاهُ بعْـضُ المفسِّريـنَ.

وقـرَأَ أهْـلُ الكُوفـةِ إلَّا الْمُفضّـلَ، وزيْـدٌ، وأبـو حاتِـمٍ عـنْ يعْقُـوبَ:

---

(١) في الأصل: تغدوا، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) البيـت لسـابق البربـري في العقـد الفريـد (٢/ ٦٩)، وخزانـة الأدب (٩/ ٥٢٩، ٥٣٢)، وبـلا نسـبة في مغنـي اللبيـب (١/ ٢١٤)، ولسـان العـرب (١٢/ ٥٦٢) (لـوم)، والـدر (٤/ ١٦٨).

(٣) البيـت لنهيكـة بـن الحـارث المـازني، أو لشـتيم بـن خويلـد في خزانـة الأدب (٩/ ٥٣٠)، ولشـتيم أو لسـماك بـن عمـرو في لسـان العـرب (لـوم) وبـلا نسـبة في شرح شـواهد المغنـي (٢/ ٥٧٢)، ومغنـي اللبيـب (١/ ٢١٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠).

(٥) في نسخة: والمعنى.

(٦) انظر ما ذكره ابن الأنباري في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٢٩٢- ٢٩٣).

«لِيُضلُّوا» بضَمِّ الياء؛ أي: ليضلوا غيرَهُم(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ﴾ روى الحلبيُّ عنْ عبدِ الوَارث: «اطْمُسْ» بضمِّ الميمِ(٢)، ﴿عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ وفيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها جُعلت حجارةً، رواهُ مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ قتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وأبو صَالِحٍ، والفرَّاءُ(٣).

وقالَ القُرظيُّ(٤): جعَل سُكَّرَهُم(٥) حجَارةً(٦).

وقال ابْنُ زيْدٍ: صَار ذهبُهُم ودَارَهِمُهُم وعدَسُهُم وكلُّ شيْءٍ لهم حجَارةً(٧).

وقالَ السُّدِّيُّ(٨): مسخَ اللهُ النَّخلَ والثِّمارَ والأطعمةَ حِجارةً، فكانتْ إحْدى الآياتِ التِّسع(٩).

(١) قراءة سبعية، انظرها في: التيسير (ص: ١٢٣)، والنشر (٢/ ٢٦٢).

(٢) قراءة شاذة، انظرها في: شواذ ابن خالويه (ص: ٢٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٢٩)، والبحر المحيط (٥/ ١٨٧).

(٣) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٤) هو محمد بن كعب القرظي.

(٥) بضم السين وتشديد الكاف، وهو معروف، أو بفتح السين والكاف من غير شديد، وهو نقيع التمر الذي لم تمسه النار، أو الخمر، أو النبيذ، وكان إبراهيم والشعبي وأبو رزين يقولون: السَّكَر: خمر. وقال أبو عبيدة: الطعام. واحتجَّ بقول الآخر: «جعلت أعراض الكرام سكرا»، انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٧١٩) (سكر)، والتكملة والذيل والصلة (٣/ ٣٣) (سكر).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٩).

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨١)، والثعلبي في تفسيره (٥/ ١٤٥).

(٨) في (ر): مجاهد.

(٩) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥/ ١٤٥) عن السدِّي.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: تَطمِيسُ الشَّيءِ: إذْهابُه عن صورتِهِ والانْتفاعُ بـه على الحـال الأُولى الَّتـي كان عليْهَا[١].

والثَّاني: أنَّهـا هلَكـتْ، فالمعْنَـى: أهلَـكَ أمْوالَهُـم، رَواه العـوفيُّ[٢] عـنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]، وبـهِ قال مُجاهِدٌ[٤]، وأبـو عُبيدةَ[٥]، وابْـنُ قُتيبةَ[٦]، ومنْهُ يُقال: طمسـتْ [٣٥٩/ أ] عينُـه؛ أي: ذهبَـتْ، وطمـس الطَّريقُ: إذا عفَـا ودَرَس.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدهـا: اطْبـعْ عليْهَـا، رَواه العـوفيُّ عنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٧]، وبهِ قـالَ مقاتِلٌ[٨]، والفـرَّاءُ[٩]، والزَّجَّـاجُ[١٠].

والثَّاني: أَهْلِكْهُم كفَّارًا، رَوَاهُ أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: اشدُدْ عليها بالضَّلالَةِ، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

(٢) أي: عطية العوفي.

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ١٨١)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ١٩٧٨) عـن عطيـة، عـن ابـن عبـاس... بنحـوه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨١).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٩)، (١٠٥٤١).

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٧).

(٩) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

والرَّابع: أنَّ معْنَاه: قسِّ قلوبَهُم، قالَه ابْنُ قُتيبةَ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه دُعاءٌ عليْهِم أيْضًا، كأنَّه قالَ: اللَّهُمَّ فلا يُؤمِنُوا، قالَهُ الفَرَّاءُ(٢)، وأبو عُبيدةَ(٣)، والزَّجَّاجُ(٤).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: معناه: فلا آمَنُوا(٥)، قالَ الأَعْشَى [من الطويل]:

فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى   وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ(٦)

معنَاهُ: لا أنْبَسط، ولا لقيتني.

والثَّاني: أنَّه عطْفٌ على قوْلِه: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾، فالمعْنَى: أنَّك آتيتَهم ليَضِلّوا فلَا يُؤمِنُوا، حكَاهُ الزَّجَّاجُ عن المبرِّدِ(٧).

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هو الغرَقُ(٨)،

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٨).

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٢٩٦).

(٦) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة في الزاهر؛ للأنباري (٢/ ١٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١٩٨)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (٩/ ١١٨).

(٧) ذكر قول المبرد هذا: الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٣١).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨٢) من طريق حجاج، عن ابن جريج، عن ابن عباس... به..

وكانَ مُوسى يدعُو، وهارونُ يُؤمِّنُ، فقَال اللهُ تعَالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، وكان بين الدُّعاءِ والإجَابةِ أربعُونَ(١) سنَةً.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قالَ: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾ وهما دعْوتَانِ؟.

فعنْهُ ثلاثَةُ أجْوبَةٍ:

أحدُها: أنَّ الدَّعوةَ تقَعُ على دعوتَيْنِ وعلى دعوَاتِ، وكلامٌ يطُول، كما بينَّا في الأعْرَافِ أنَّ الكلمةَ تقَعُ على كلِمات، قالَ الشَّاعِر [من المتقارب]:

وَكَانَ دَعَا دَعْوَةً قَوْمَهُ هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ(٢)

فأوْقَعَ «دعْوةً» على ألْفاظٍ بيَّنَها آخِر بيْتِه.

والثَّاني: أنْ يكونَ المعْنَى: قد أُجِيبتْ دعواتُكُما، فاكْتَفَى بالوَاحِدِ مِن ذِكْر الجمِيعِ، ذكَرَ الجوابَيْنِ ابْنُ الأنْباري(٣).

وقد رَوى حمَّاد بْنُ سلَمةَ عن عاصِمٍ أنَّه قرَأَ: «دعَوَاتُكُما» بالألفِ وفتْحِ العَيْنِ(٤).

والثَّالث: أنَّ موسى هو الَّذي دعَا، فالدَّعوَةُ لَه، غيْرَ أنَّه لَمَّا أمَّنَ

---

(١) في (ج)، و(ف): أربعين.

(٢) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ٤٣)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٢٠٨)، وبلا نسبة في الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٧٢)، والصرم: القطع البائن.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٧٢).

(٤) قراءة شاذة، نسبها أبو الفتح (١/ ٣١٦) إلى أبي عبد الرحمن السلمي، ونسبها ابن عطية (٥/ ٢٣٦) إلى السلمي، والضَّحَّاك. وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٣).

هـارُونُ، أشركَ بيْنَهُـما في الدَّعـوة؛ لأنَّ التَّأْمـين عـلى الدَّعـوةِ منْهَـا.

وفي قوْلِه تعَالَى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: فاسْتَقِيما على الرِّسالَةِ ومَا أمرْتُكُما بهِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: فاسْـتقِيما عـلَى دُعـاءِ فرعَـونَ وقوْمِـه إلى طاعـةِ اللهِ تعـالى قالَـه ابْـنُ جَريـرٍ[١].

والثَّالث: فاسْتَقِيما فِي دُعائِكُما علَى فِرعَونَ وقوْمِه.

والرَّابع: فاسْتَقِيما علَى دِيني، ذكرَهُمَا أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾.

قـرَأ الأكْثرُونَ بتشْـدِيدِ تَاءِ «تَتَّبِعَـانِّ»، وقرَأ ابْـنُ عامِرٍ بتَخْفِيفها مـعَ الِاتِّفَاقِ عـلى تشْـديدِ نُـونِ «تَتْبَعَـانِّ» (إلَّا أنَّ فِي[٢] بعْـضِ الرِّوَاياتِ عـنِ ابْنِ عامِـرٍ تخفِيفَ النُّـونِ[٣]. قـالَ الزَّجَّـاجُ[٤]: موْضِـعُ «تتبعـانّ» جـزْمٌ)[٥]، إلَّا أنَّ النُّـونَ الشَّـديدةَ دخلَـتْ للنَّهـي مؤكِّدةً، وكُسرتْ لِسـكونِها وسُـكونِ النُّـونِ الَّتي قبْلَهـا، (واخْتِير لهـا)[٦] الكسْرُ؛ لأنَّها بعْـدَ الألفِ، فشـبهتْ بنُـون الِاثْنينِ[٧]. [٣٥٩/ ب]

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٥).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ج)، و(ف): تخفيفها.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١).

(٥) ما بين الهلالين ليس في (ف).

(٦) ليس في (ر).

(٧) قراءتان سبعيتان، انظر عزوهما في: التيسير (ص: ١٢٣)، والسبعة (ص: ٣٢٩).

قَالَ أبو عَلِيٍّ: ومَن خفَضَ النُّونَ أمْكَن أن يكونَ خفَّفَ النُّونَ الثَّقِيلَةَ، فإنْ شِئْتَ كانَ على لفْظِ الخبَرِ، والمعْنَى الأمْرُ؛ كقوْلِه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨ - ٢٣٤] و﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ﴾ [البقرة: ٢٣٣]؛ أي: لا ينبَغِي ذلِك، وإنْ شِئْتَ جعلْتَه حَالًا من قوْلِه: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ تقْدِيرُه: اسْتقِيما غير مُتَّبِعينَ[1].

وفي المرَادِ بسبيلِ الَّذِين لا يعلمُونَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم[2] فِرعَونُ وقومُه، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الَّذِين يسْتعْجِلُون القضَاءَ قبْلَ مجِيئِه، ذكرَهُ أبو سُليمان الدِّمشْقِيُّ.

فإنْ قِيلَ: كيفَ جازَ (أنْ يدْعُو مُوسى)[3] على قوْمِه؟.

فالجوَابُ: أنَّ بعضَهُم يقُول: كان ذلِك بوَحيٍ، وهو قوْلٌ صَحيحٌ؛ لأنَّه لا يُظنُّ بِنَبيٍّ أنْ يقدُمَ على مثْلِ ذلِك إلَّا عنْ إذنٍ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ دُعاءَهُ سببٌ للانْتِقامِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾.

قَالَ أبو عُبيدَةَ: أَتْبَعَهُمْ وتَبِعَهُم سَواءٌ[4]. وقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: أَتْبَعَهُمْ:

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٢٩٣).

(٢) في (ف): أنَّه.

(٣) في (ر): جاز لموسى.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

لِحَقِهِـم(١). ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾؛ أي: ظُلـمًا.

وقـرأ الحسَـنُ: «فَاتَّبَعَهُـمْ» بالتَّشـديدِ، وكذلِـكَ شـدَّدُوا ﴿وَعَدْوًا﴾ مـع ضَمِّ العَـيْنِ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وعَاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «أَنَّه» بفتْحِ الألِفِ، والمعْنَى: آمنْتُ بأنَّه، فلمَّا حُذِف حرْفُ الجَرِّ، وصل الفعْلُ إلى «أن» فنُصِب(٣).

وقـرأَ حمـزَةُ والكِسَـائِيُّ: «إنَّـه» بكسْرِ الألِـف، فحمَلُـوه عـلى القـوْلِ المضمـر، كأنَّـه قـال: آمنـت، فقلـت: إنَّـه(٤).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم يقبلِ اللهُ إيْمانَهُ عنْد رُؤيةِ العذَابِ(٥).

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: جنَـح فرْعـونُ إلى التَّوبـة حِـين أُغلـق بَابُها؛ لِحُضـور المـوْتِ ومعاينَـةِ الملائِكـةِ، فقِيـلَ لَـه: ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾؛ أي: الآنَ تتـوبُ وقـد أضَعْـتَ التَّوبــةَ فِي وقْتِهــا، وكنْــتَ مِــنَ المفسِــدينَ بالدُّعــاءِ إلى عبــادةِ غــيْرِ اللهِ عــزَّ وجَــلَّ(٦)؟ والمخاطِـبُ لـه بهـذا كان جِبريـلُ عليـه السَّـلام(٧).

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٩).

(٢) قراءة شاذة، انظر عزوها له في تفسير الثعلبي (٥/ ١٤٧)، ومختصر الشواذ (ص: ٦٣).

(٣) في (ج): فنصبت.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٠).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٠٢).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٠٣).

(٧) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٤٨)، وقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن المخاطب له=

وجاء في الحديث: «أنَّ جبريلَ جعلَ يدُسُّ الطِّينَ فِي فَمِ فِرْعونَ خشيةَ أنْ يُغفرَ لَهُ»[١].

قال الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ[٢]: اذكُروا اللهَ في الرَّخاءِ يَذْكُرْكُم في الشِّدَّةِ؛ إنَّ يُونُسَ -عليهِ السَّلام- كانَ عبدًا صالحًا، وكانَ يذْكُرُ اللهَ عزَّ وجلَّ، فلَمَّا وقَعَ فِي بطْنِ الحُوتِ سأَلَ اللهَ تعالى، فقَالَ اللهُ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤]، وإنَّ فِرْعونَ كَان عبْدًا[٣] طَاغيًا نَاسِيًا لِذكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فلَمَّا أدرَكَهُ الغرَقُ قالَ: ﴿ءَامَنتُ﴾، فقَال اللهُ: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[٤].

=هو تعالى، وإليه ذهب ابن جرير (١٥/ ١٨٤)، والسمرقندي (٢/ ١١٠)، وهو الظَّاهر، ويدلُّ عليه قولُه تعالى بعد ذلك: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٣٨) عن محمد بن المثنى به، وأخرجه أحمد (٤/ ٤٥)، (٥/ ٢٤٥)، والحاكم (١/ ٥٧) من طريق محمد بن جعفر، وأخرجه الطيالسي (٢٧٤٠)، والترمذي (٣١٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٨٢) من طرق عن شعبة.

(٢) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، وقيل: أبو أُنيس، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو سعيد. مِن صغار الصحابة، روى عن النبي -ﷺ- وعن عمر بن الخطاب، وحبيب بن مسلمة الفهري وغيرهم. وعنه: حدَّث معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن جبير، والشعبي وغيرهم. خرَّج له النسائي، شهد فتح دمشق وسكنها ومات مقتولًا في مرج راهط سنة أربع وستين. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤١).

(٣) في (ج): عنيدًا.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١١٠)، وأورده السيوطي في الدر (٧/ ١٢٥)، وعزاه لأحمد في الزهد، وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن قتادة.

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾.

وقرَأ يعْقُوبُ «نُنْجِيكَ» مُخَفَّفةً(١).

قـال اللُّغويُّـونَ، منْهُـم يُونـسُ وأبـو عُبيـدةَ(٢): نُلقِيـكَ عـلَى نجـوةٍ مِـنَ الأرْضِ؛ أي: ارْتِفـاعٍ؛ لِيصـيرَ علَـمًا أنَّـه قـد غـرِقَ.

وقرَأ ابْنُ السَّميْفَع(٣): «نُنَحِّيكَ» بحَاءٍ(٤).

وفي سبَبِ إخْراجِهِ مِنَ البحْرِ بعْدَ غرَقِهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ مُوسـى عليـه السَّـلام وأصحَابَـهُ(٥) لَمَّـا خرَجُـوا، قـالَ مَـن بقِـيَ مِـنَ(٦) المدَائِـنِ مِـن قـوْمِ فِرعـونَ: مـا أُغْـرق فرْعَـونُ، ولكنَّـه هـوَ(٧) [٣٦٠/أ] وأصْحابُـه يتصيَّـدُون في جزائـرِ البحْـرِ، فأوْحَـى اللهُ تعـالى إلى البحْـرِ أنِ الْفـظْ فرعـونَ عُريانًـا، فكانـتْ نجاتُـهُ عـبْرةً، وأوْحـى اللهُ تعَـالى إلى البحـرِ: أنِ الْفـظْ مَـا فِيـكَ، فلَفظهـمُ البحـرُ بالسَّـاحلِ، ولم يكـنْ يلفِـظُ غريقًـا فصَـار لا يقْبَـلُ غرِيقًـا إلى يـوْمِ القِيامَـةِ، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٨).

---

(١) قراءة عشرية، انظرها في: النشر (٢/ ٢٥٨).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٣) في الأصل: السميقع، خطأ.

(٤) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣١٥).

(٥) في (ج): وقومه.

(٦) في (ج)، و(ر): في.

(٧) ليست في (ف).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم رقم (١٠٥٦٨) عن أبيه قال: ثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى، ثنا=

والثَّاني: أنَّ أصْحابَ مُوسى قالُوا: إنَّا نخافُ أنْ يكُونَ فِرعونُ ما غرِقَ، ولا نُؤمِنُ بهلَاكِهِ، فدَعا مُوسى عليه السَّلام ربَّه عزَّ وجلَّ، فأَخْرَجه حتَّى أيْقَنُوا بهلاكِه، رَواه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وإلى نحوِه ذهبَ قيْسُ بْنُ عبَّادٍ، وعبْدُ اللهِ بْنُ شدَّادٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ(٢).

وقالَ السُّدِّيُّ(٣): لَمَّا قالَ بنُو إسْرائِيلَ: لم يغرَقْ فِرْعونُ، دعَا مُوسى [ربَّهُ عزَّ وجلَّ](٤)، فخرَجَ فِرْعونُ في ستِّمائةِ ألفٍ وعِشرينَ ألْفًا عليهمُ الحديدُ، فأخذتْه بنو إسْرائِيل يُمثِّلُون بهِ. وذكَرَ غيْرُه: أنَّه إنَّما أُخرج مِنَ البحْرِ وحْدَه دُون أصْحَابِه.

وقالَ ابْنُ جُريجٍ: كذَّبَ بعْضُ بني إسْرائِيلَ(٥) بغرَقِه، فرَمَى بهِ البَحْرُ(٦) علَى سَاحِل البحْرِ حتَّى رَآه بنُو إسْرائِيلَ قَصِيرًا أحْمرَ كأنَّه ثوْرٌ(٧).

=بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، به مثله، وهذا إسناد ضعيف، وفيه انقطاع.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥١٠) من طريق يزيد به، وأخرجه أيضًا (١٥٦٨٣).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٥)، وابن أبي حاتم في مواضع متفرقة من تفسيره (١٥٦٦١-١٥٦٦٩-١٥٦٧٦-١٥٦٧٩-١٥٦٨٤) عن أبي زرعة، عن عمرو بن حماد به.

(٤) من (ج).

(٥) في (ج): كذَّب بنو إسرائل.

(٦) ليست في (ج).

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٧) (١٧٨٨٠).

وقالَ أبو سُليمان(١): عرَفَهُ بنو إسْرائيلَ بدِرْعٍ كانَ(٢) لَه مِن لُؤلُؤٍ لم يكُنْ لأحَدٍ مثْلُها. فأمَّا وجْهُه فقد غيَّرَه سخَطُ اللهِ تعَالَى.

والثَّالث: أنَّه كان يدَّعي أنَّه ربٌّ، فكانَ يعبُدُه قوْمُه، فبَيَّنَ اللهُ تعالى أمْرَهُ، فأغْرَقَهُ وأصْحابَهُ، ثُمَّ أخرجَهُ مِن بينِهم، قالَه الزَّجَّاجُ(٣).

وفي قوْلِه: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بجَسدِكَ مِن غيْرِ روحٍ، قالَهُ مجاهِدٌ. وذكْرُ البدَنِ دليلٌ على عدَمِ الرُّوحِ.

والثَّاني: بدِرعِكَ، قالَهُ أبو صَخْرٍ(٤).

وقد ذكَرْنَا أنَّه كانت له دِرعٌ مِن لُؤلؤٍ، وقِيل: مِن ذهَبٍ، فعُرف بدِرْعِه.

والثَّالث: نُلقِيك عريانًا، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٥).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: كانت، والمثبت من

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢).

(٤) هو: حميد بن زياد أبو صخر، ابن أبي المخارق الخراط المدني، رأى سهل بن سعد، وروى عن جماعة من التابعين، روى عنه المفضل وغيره. قال أحمد ويحيى: ليس به بأس، وقال ابن حجر: صدوق يهم. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٢)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٦-٣٧)، والتقريب (١/ ٢٠٢)، وقوله أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٧١) حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني، ثنا سعيد ابن أبي مريم، ثنا مفضل بن فضالة، حدثني أبو صخر... فذكره. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٨) ونسبه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢).

والرَّابع: نُنجِّيك وحْدَكَ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[(١)].

وفي قوْلِه تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: لِتكُونَ لِمَنْ بعْدَكَ فِي النَّكالِ آيةً؛ لئلَّا يقولُوا مثْلَ مقالتِكَ، فإنَّك لو كُنْتَ إلهًا مَا غرِقْتَ، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ أبو عُبيدةَ[(٢)]: «خلْفَكَ» بمعْنَى: بعْدَكَ، والآيةُ: العلامَةُ.

والثَّاني: لِتكونَ لِبني إسْرائيل آيَةً، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والثَّالث: لِمَنْ تخلَّف مِن قوْمِه؛ لأنَّهم أنْكَرُوا غرَقَه على ما ذكرْنا في أوَّل الآيةِ، فخرَج فِي معْنَى الآيةِ قوْلانِ:

أحدُهما: عِبرةً للنَّاسِ.

والثَّاني: علامَةً تدلُّ على غرَقِهِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: الآيةُ أنَّه كانَ يدَّعِي أنَّه ربٌّ، فبَانَ أمْرُه، وأُخْرِج مِن بيْنِ أصْحابِه لَمَّا غرِقُوا[(٣)].

وقرَأ ابْنُ السَّميفعِ، وأبو الْمُتوكِّل، وأبو الجَوْزَاءِ: {لِمَنْ خَلَقَكَ} بالقَافِ[(٤)(٥)].

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٨١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢).

(٤) في الأصل: بقاف.

(٥) قراءة شاذة، نقلها الثعلبي (٥/ ١٤٨) عن علي.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣) فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)﴾ [يونس: ٩٣ - ٩٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾؛ أي: أنْزلْنَاهُم منْزِلَ صِدقٍ؛ أي: منْزِلًا كرِيمًا.

وفِي الْمُراد ببني إِسْرَائِيلَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أصْحَابُ مُوسى.

والثَّانِي: قُرِيظَةُ والنَّضيرُ.

وفِي الْمُراد بالمنْزِلِ الَّذي أُنزِلوه خمْسةُ أقْوالٍ: [٣٦٠/ب]

أحدُها: أنَّه الأَردنُ، وفلسطِينُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: الشَّامُ، وبيْتُ المقدسِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ وقتادَةُ.

والثَّالثُ مِصرُ، رُوِي عنِ الضَّحَّاكِ أيْضًا.

والرَّابعُ: بيْتُ المقدسِ، قالَهُ مُقاتِلُ(١).

والخامِس: مَا بينَ المدينَةِ والشَّامِ مِن أرْضِ يثْرِبَ، ذكرَهُ علِيُّ بْنُ

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٤٨).

أحْمَدَ النَّيسابُورِيُّ[١]، والمرادُ بالطَّيِّباتِ: مَا أُحِلَّ لَهُم مِنَ الخَيْرات الطَّيبةِ.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ يعني: بنِي إسرائيلَ. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مَا اخْتلَفُوا فِي مُحمَّدٍ ﷺ، لم يزَالُوا بهِ[٢] مُصدِّقين ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ يعْنِي: القُرآنَ، ورُوي عنْهُ: حتَّى جاءَهُم العِلْمُ، يعْنِي: مُحمَّدًا ﷺ[٣]. فعلَى هذا يكونُ العِلْمُ هاهُنا: عِبارةً عنِ المعْلُومِ[٤].

وبيانُ هذَا: أنَّه لَمَّا جاءَهُمُ اخْتلَفُوا في تصْديقِه، وكفرَ به أكثرُهُم بغْيًا وحسَدًا بعد أنْ كانُوا مجتمعِينَ على تصْديقِه قبْل ظُهورِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ فِي تأويلِ هذه الآيَةِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الخِطابَ للنَّبيِّ ﷺ، والْمُراد غيْرُه مِنَ الشَّاكِّينَ، بدليلِ قوْلِه في آخرِ السُّورةِ: ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ [يونس: ١٠٤]، ومثْلُه قوْلُه تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [الأحزاب: ١]، ثُمَّ قالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ [الأحزاب: ٢]، ولم يقُلْ: بما تعمَلُ[٥]، وهذا قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّ الخطابَ للنَّبيِّ ﷺ، وهو المرَاد به.

---

(١) أي: الواحدي، وقوله في التفسير الوجيز (ص: ٥٠٨)، والتفسير البسيط (١١/ ٣١١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير (١١/ ٣١٣).

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٧٨)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٥٠).

(٥) في (ر): تعملوا هذا.

ثُمَّ فِي المعْنَى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه خُوطب بذلِك وإنْ لم يَكُنْ في شَكٍّ؛ لأنَّه مِنَ الْمُستفيض فِي لُغَةِ العرَبِ أنْ يقُولَ الرَّجُلُ لِولَدِه: إنْ كنْتَ ابْنِي فبرَّنِي، ولِعبدِه: إنْ كُنْتَ عبْدِي فأَطِعْنِي، وهذَا اخْتِيارُ الفرَّاءِ[1].

وقالَ[2] ابْنُ عبَّاسٍ: لم يكُنْ رسُولُ اللهِ ﷺ فِي شَكٍّ، ولَا سأَلَ[3].

والثَّانِي: أنْ تكُونَ «إنْ» بمعْنَى: «مَا» فالمعْنَى: مَا كُنْتَ في شَكٍّ ﴿فَسْئَلِ﴾، فالمعْنَى: لسْنَا نُريد (أنْ نأمرَكَ)[4] أنْ تسْأَلَ؛ لأنَّك شَاكٌّ، ولكنْ لِتزْدَادَ بَصِيرةً، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[5].

والثَّالث: أنَّ الخِطَابَ للشَّاكِّينَ، فالمعْنَى: إنْ كُنْتَ أيُّها الإنْسانُ فِي شَكٍّ مما أُنزل إليْكَ على لِسانِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فسَلْ، رُوي عنِ ابْنِ قُتيبة[6].

وفِي الَّذِي أُنْزلَ إليه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه أُنزل إليهِ أنَّه رسُولُ اللهِ ﷺ.

والثَّاني: أنَّه مكتوبٌ عنْدَهُم في التَّوراةِ والإنْجيلِ.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٤٧٩).

(٢) في الأصل: قال، بدون واو.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٨٣).

(٤) ليس في (ر).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣).

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٧).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾ وهـمُ اليهـودُ والنَّصـارَى.

وفِي الَّذِين[1] أُمر بِسؤَالِهِم مِنْهُم قوْلَان:

أحدُهما: مَن آمَن؛ كعبدِ اللهِ بْنِ سلامٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ في آخَرينَ.

والثَّـاني: أهْـلُ الصِّـدقِ مِنْهُـم، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ، وهـو يرجِـعُ إلى الأَوَّلِ، لأنَّـه لا يُصـدِّق إلَّا مَـن آمَـنَ.

قوْلُه تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ [مِن رَّبِّكَ][2]﴾ هذا كلامٌ مُستأنَفٌ.

[٣٦١/أ] قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ﴾؛ أي: وجبَـتْ ﴿عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: قوْلُـه.

وبماذَا حقَّتِ الكلمةُ عليْهِم؟ فيهِ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: باللَّعنةِ.

والثَّاني: بنُزولِ العذابِ.

والثَّالث: بالسَّخَطِ.

والرَّابع: بالنِّقمةِ.

---

(١) في (ج): الذي.

(٢) من (ر).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ قـالَ الأخْفَـش: إنَّـما أنَّـث فعْـلَ «كُلّ»؛ لأنَّـه أضَافَـهُ إلى «آيـة» وهـي مُؤنَّثـةٌ[١].

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونـس: ٩٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾؛ أي: أهْلُ قرْيَةٍ.

وفِي «لَوْلَا» قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا[٢] بمعْنَـى: لم تكُـنْ قرِيَـةٌ آمَنَـتْ ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾؛ أي: قُبِـلَ منْهَـا ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ.

وقالَ قتَادَةُ[٣]: لم يكُن هذَا لِأُمَّةٍ آمَنَتْ عنْدَ نُزولِ العذَابِ، إلَّا لِقوْمِ يُونسَ.

والثَّاني: أنَّها بمعْنَى: فهلَّا[٤]، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٥]، وابْنُ قُتيبةَ[٦]، والزَّجَّاجُ.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٢) في (ج)، و(ف): أنه.

(٣) رواه بنحوه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠٥٩٨)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٥٧٢).

(٤) انظر مجيء (لولا) بمعنى (هلَّا) للتحضيض في رصف المباني؛ للمالقي (ص: ٣٦١)، والجنى الداني؛ للمرادي (ص: ٦٠٥).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٨٤).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٠).

قالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: فهلَّا كانَتْ قرِيةٌ آمَنتْ فِي وقتٍ نفَعَهَا إيمانُها، إلَّا قوْمَ يُونس؟ و«إلَّا» هاهُنا استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّل، كأنَّه قالَ: لكنَّ قوْمَ يُونسَ[١].

قالَ الفرَّاء: نصَبَ القوْمَ علَى الانْقطَاعِ ممَّا قبْلَه، ألَا ترَى أنَّ «مَا» بعْدَ «إلَّا» في الجحْدِ يتبَعُ ما قبْلَها؟ تقُول: ما قامَ أحَدٌ إلَّا أخُوكَ، فإذَا قلْتَ: ما فيهَا أحَدٌ إلَّا كلبًا أو حمارًا، نصبتَ؛ لِانْقطاعِهم مِنَ الجنْسِ، كذلِك كانَ قوْم يونُس منقطعين مِن غيْرِهم مِنْ أُمم الأنْبياءِ، ولو كانَ الِاسْتِثناءُ وقَع على طائفةٍ منْهُم لكان رفعًا[٢].

وذكر ابْنُ الأنباري[٣] في قوْلِه: «إلَّا» قوْلَيْنِ آخرينِ:

أحدُهما: أنَّها بمَعْنى الوَاوِ، والمعْنَى: وقوْم يُونس لما آمَنُوا فعلْنَا بِهم كذَا وكذَا، وهذَا مرْويٌّ عن أبي عُبيدة[٤]، والفرَّاءُ يُنكره[٥].

والثَّانِي: أنَّ الِاسْتثناءَ مِنَ الآيةِ الَّتي قبل هذه، تقديره: حتَّى يروا العذابَ الأليمَ إلَّا قومَ يُونس، فالاسْتثناءُ على هذا مُتَّصلٌ غيرُ مُنقطعٍ.

قوْلُه تعالى: ﴿كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: صرفْنا عنْهُم ﴿عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾؛ أي: عذابَ الهُوانِ والذُّلِّ ﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾؛ أي: إلى حينِ آجالِهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤)، أورده النحاس في إعراب القرآن (٢/ ٢٦٨)، وقال: هذا قول الكسائي والأخفش والفراء.

(٢) معاني القرآن (١/ ٤٧٩).

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٤٢٠).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٨٢).

(٥) معاني القرآن (١/ ٤٧٩- ٤٨٠).

الإِشَارَةُ إِلَى شَرْحِ قِصَّتِهِم

ذكر أَهْلُ العلْمِ بالسِّيرِ[١] والتَّفْسير: أنَّ قوم يونس عليه السلام كانوا بِنَيْنَوى مِن أَرْضِ الموصل، فأرسَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ إليهم يُونسَ يدْعُوهم إلى اللهِ تعالى ويأمُرُهم بتَرْكِ الأصْنام فأَبَوا، فأخبَرَهُم أنَّ العذابَ مصبِّحُهُم بعد ثلاثٍ، فلما تغشَّاهمُ العذَابُ، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٢]، وأَنَسٌ[٣]: لم يبْقَ بين العذَابِ وبيْنَهم إلَّا قدْرُ ثُلثي مِيلٍ.

وقال مُقاتِلٌ: قدْرُ مِيلٍ[٤]، وقالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: وجَدُوا حرَّ العذَابِ علَى أكْتَافِهِمْ[٥]، وقالَ سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: غَشِيَهُمُ العذَابُ كما يغْشَى الثَّوبُ القبْرَ[٦].

وقالَ بعْضُهم: غَامتِ السَّماءُ غيْمًا أَسْوَدَ يُظْهِرُ دُخانًا شَدِيدًا، فغَشِي مدينَتَهُم واسودَّتْ سطوحُهُم، فلمَّا أيْقنوا بالهَلاكِ لَبِسوا الْمُسوحَ، وحثَوا على رؤوسِهِم الرَّمادَ، وفرَّقُوا بيْنَ كُلِّ وَالدةٍ وولدِها مِنَ النَّاسِ والأنْعَامِ، وعجُّوا إلى اللهِ تعالى بالتَّوْبةِ الصَّادقةِ، وقالُوا آمنَّا: بما جاءَ بهِ يُونسُ، [٣٦١/ ب]

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٦٦- ٢٦٧) عن ابن إسحاق.

(٢) منقطع، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٩٤) من طريق قتادة عن ابن عبَّاس، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٣)، وعزاه لأحمد، وابن جرير.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠)، وروي أيضًا عن قتادة، كما عند ابن أبي حاتم (١٠٥٩٨).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٩- ١١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٠٣).

فاسْتجَابَ اللهُ منْهُم[١].

قالَ ابْنُ مسْعُودٍ: بلَغَ مِن توْبَتِهِم أنْ تَرادُّوا المظالِمَ بيْنَهُم، حتَّى أنْ كانَ الرَّجُلُ ليَأتِي إلى الحجرِ قد وُضِع[٢] أساسُ بُنيانِه عليْهِ فيقلَعُه، فيردُّهُ[٣].

وقَالَ أبو الجلد[٤]: لَمَّا غَشِيَهُمُ العذَابُ، مشَوْا إلى شيْخٍ مِن بقيَّةِ عُلمائِهِم، فقالُوا: مَا تَرَى؟ قالَ: قُولُوا: يا حَيُّ حين لا حَيٌّ، يا حيُّ مُحيي[٥] المْوتَى، يا حيُّ لَا إلهَ إلَّا أنْتَ، فقالُوها: فكُشِفَ العذَابُ عنْهُم[٦].

قالَ مُقاتِلٌ: عجُّوا إلى اللهِ أرْبَعِين ليْلَةً، فكُشِفَ العذَابُ عنْهُم، وكانتِ التَّوبَةُ عليهِم فِي يوْمِ عاشُورَاء يوْمَ الجمُعةِ[٧].

قالَ[٨]: وكانَ يُونس قد خرَج مِن بين أظْهُرِهِم، فقِيل له: ارْجِعْ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٠٩- ٢١٠)، وتفسير القرآن العظيم؛ لابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٨)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٤/ ١٥٢).

(٢) في (ف): وضع عليه.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٢٩٤).

(٤) هو أبو الجلد جيلان بن أبي فروة الأسدي، ثقة. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٥٤٧)، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٢).

(٥) في (ف): يحيي.

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٢٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٣)، وعزاه لأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠).

(٨) في (ج)، و(ر): قالوا.

إليهم، فقالَ: كيْفَ أرجِعُ [إليهم][١] فيجدُوني كاذبًا؟ وكان مَنْ يكذِبُ بيْنَهُم ولا بيِّنَةَ له يُقتل، فانْصرَفَ مُغاضِبًا، فالْتقمَهُ الحوتُ[٢].

وقالَ أبو صَالِحٍ[٣] عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أوْحَى [اللهُ][٤] إلى نبيٍّ مِن أنْبياءِ بنِي إسْرائِيلَ، يُقال له: شَعْيَا[٥]، فقِيلَ له: ائْتِ فُلانًا الملكَ، فقُل له: يبعثُ إلى بني إسْرائِيلَ نبيًّا قويًّا أمِينًا، وكانَ في مملكتِهِ خمسةٌ مِنَ الأنْبياءِ، فقَالَ الملِك لِيونُسَ: اذْهَبْ إليْهِم، فقالَ: ابْعَثْ غيْرِي، فعزَم عليه أنْ يذْهبَ، فأتَى بحرَ الرُّومِ، فركِب سفينةً، فالْتقمَهُ الحُوتُ، فلمَّا خرَجَ مِن بطْنِهَا أُمِرَ أنْ ينْطَلِقَ إلى قوْمِه، فانْطَلق نذيرًا لهم، فأَبَوا عليْه، فوعدَهُم بالعذَابِ، وخرَجَ، فلمَّا تَابُوا رُفِع عنْهُم.

والقوْلُ الأوَّلُ أثْبتُ عند العُلماءِ، وأنَّه إنَّما الْتقمَهُ الحوتُ بعدَ إنْذارِهِ لهم وتوْبتِهِم[٦]. وسيَأْتِي شرْحُ قصتِهِ في الْتقام الحوتِ إيَّاه في مكانِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٨/ ٢٣٤)، وانظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٥/ ٣٥٠)، مختصرًا، ولباب التأويل؛ للخازن (٣/ ٣١٨) مختصرًا.

(٣) باذان، أبو باذام ضعيفٌ يُرسل.

(٤) ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) بياض مقدار الكلمة في (ج)، وهو: شعيا بن إمضيا، من أنبياء بني إسرائيل، وكان بعد داود وسليمان، وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام. انظر: تاريخ الرسل والملوك؛ للطبري (١/ ٣١٢)، والبداية والنهاية؛ لابن كثير (٢/ ٣٢).

(٦) انظر: عرائس المجالس (ص: ٤٠٧).

فإنْ قِيلَ: كيف كُشِف العذابُ عنْ قومِ يونُسَ بعد إتْيَانِه إليهم، ولم يُكشف عن فِرعونَ حين آمَنَ؟.

فعنْهُ ثلاثةُ أجْوبَةٍ:

أحدُها: أنَّ ذلِك كانَ خاصًّا لهم كما ذكرْنَا في أوَّلِ الآيَةِ.

والثَّاني: أنَّ فرْعونَ باشَرَهُ العذَابُ، وهؤلاءِ دنَا منْهُم ولم يُباشِرْهُم، فكانوا كالمريضِ يخافُ الموتَ ويرجو العافِيةَ، فأمَّا الَّذي يُعايِنُ، فلا توْبةَ له، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ(١).

والثَّالث: أنَّ اللهَ تعالى علِمَ منْهُم صِدْقَ النِّياتِ، بخِلافِ مَنْ تقدَّمَهُم مِنَ الهالِكينَ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ(٢).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾ [يونس: ٩٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كان رسُولُ الله - ﷺ- حرِيصًا على إيمانِ جميعِ النَّاسِ، فأخبَرَهُ اللهُ تعالى أنَّه لا يُؤمِنُ إلَّا مَن سبقَتْ له السَّعادةُ(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤).

(٢) انظر قول ابن الأنباري في البحر المحيط (٦/ ١٠٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٥٠)، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٩) من طريق عبد الله بن صالح به.

قالَ الأخْفَشُ: جاءَ بقوْلِه: «جميعًا» مع «كُلّ» تأكِيدًا؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾(١) [النحل: ٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

قالَ المفسِّرُون، منْهُم مُقاتِلٌ(٢): هذا منسوخٌ بآيَةِ السَّيفِ.

والصَّحيح أنَّه ليس هاهُنا نسْخٌ؛ لأنَّ الإكْراهَ على الإيمانِ لا يصِحُّ؛ لأنَّه عملُ القلْبِ. [٣٦٢/أ]

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ١٠٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فيهِ سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بقضَاءِ اللهِ وقدَرِه.

والثَّاني: بأمْرِ اللهِ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: بمَشِيئَةِ اللهِ، قالَهُ عطَاءٌ.

والرَّابعُ: إلَّا أنْ يأذنَ اللهُ في ذلِكَ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٣).

والخامِسُ: بعلْمِ اللهِ تعالى.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠)، ليس معنى آية السيف الإكراه على الدين، فلا تعارض بينها وبين هذه الآية، وبالتَّالي فليست ناسخة لها، كما سيذكر بعدُ.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥٠).

والسَّادس: بتوْفِيق اللهِ تعالى، ذكرَهُما الزَّجَّاجُ[١]، وابْنُ الأنْبَارِي.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾؛ أي: ويجعَـلُ اللهُ الرِّجـسَ. ورَوى أبـو بكـرٍ عـنْ عاصِـمٍ «ونَجْعَـلُ الرِّجْـسَ» بالنُّـونِ[٢].

وفيهِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه السخَطُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

والثَّاني: الإثْمُ والعُدوانُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالثُ: أنَّه ما لَا خيْرَ فيهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرَّابع: العذابُ، قالَهُ الحسَنُ[٤]، وأبو عُبيدةَ[٥]، والزَّجَّاجُ[٦].

والخامِس: العذَابُ والغضَبُ، قالَهُ الفرَّاءُ[٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لا يعْقِلُـون عـنِ اللهِ أمْـرَه ونهْيَـهُ. وقِيـلَ: لَا يعْقِلُـون حُجَجَـهُ ودلَائِـلَ توْحيـدِه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦).

(٢) قراءة سبعية متواترة، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٢٣).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦١٢) من رواية علي بن أبي طلحة.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٢٥).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦).

(٧) معاني القرآن (١/ ٤٨٠).

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

قوْلُه تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قالَ المفسِّرُونَ: قُل للمشركينَ الَّذي يسألُونَكَ الآياتِ على توْحيدِ اللهِ: انْظُروا بالتَّفكُّرِ والاعْتبارِ، ماذا في السَّمواتِ والأرْضِ مِنَ الآياتِ والعِبرِ الَّتِي تدُلُّ على وحدانِيَّتِه ونفاذِ قُدرَتِه كالشَّمسِ، والقمَرِ، والنُّجومِ، والجبالِ، والشَّجرِ، وكلُّ هذا يقْتَضِي خالقًا مدبِّرًا(١).

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في علْمِ اللهِ تعالى.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٢ - ١٠٣].

قوْلُه تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ(٢): يعْنِي: كفَّارَ قُريشٍ ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قالَ ابنُ الأنْبارِي: أي: مثْلَ وقائعِ اللهِ بمَنْ سلَفَ قبْلَهم، والعَربُ تُكنِّي بالأيَّام عنِ الشُّرورِ والحرُوبِ، وقدْ تقْصِدُ بها أيَّامَ السُّرورِ والأفْراحِ إذا قامَ دليلٌ بذلِك(٣).

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٢٧)، وبنحوه البغوي (٤/ ١٥٣)، وبمعناه ابن جرير (١٥/ ٢١٥).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (١٤/ ٢٩٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٣١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَانتَظِرُوا﴾: هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لنزولِ العذابِ بكم. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: منَ العذابِ إذا نزَل، فلم يهلِكْ قومٌ قطُّ إلَّا نجا نبيُّهم والَّذِين آمنوا معَهُ.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقرأ يعقوبُ[1]، وحفصٌ، والكِسائيُّ في قِراءتِهِ وروايتِهِ عنْ أبي بكْرٍ: «نُنْجِ المؤمِنينَ» بالتَّخْفِيف[2].

ثُمَّ في هذا الإنْجاءِ قوْلانِ:

أحدُهما: نُنجيهم مِنَ العذابِ إذا نزَلَ بالمكذِّبين، قالَهُ الرَّبيعُ بْنُ أنسٍ.

والثَّاني: نُنجيهم في الآخِرَة مِنَ [عذابِ][3] النَّار، قالَهُ مُقاتِلٌ[4].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)﴾ [يونس: ١٠٤ - ١٠٦].

قوله تعالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ[5]: يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾: الإسْلامِ ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: وهي

---

(١) في (ج)، و(ف): ابن مسعود.

(٢) قراءة سبعية، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٢٣).

(٣) من (ج).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٥١).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٢٢٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٣٢)، ولا دليل على هذا التخصيص.

الأصْنـامُ ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى﴾ يقـدِرُ أنْ يُميتكُـم.

وقـالَ ابْـنُ جريـرٍ: معْنَـى الآيـةِ: لا ينْبغِـي لكُـم أن تشـكُّوا في دينِـي؛ لأنِّي أعبُـدُ اللهَ الَّـذِي يُميـت وينْفَـعُ ويـضرُّ، ولا تُسـتنكرُ[1] عبـادةُ مَـن يفْعَـلُ هـذَا، [٣٦٢/ب] وإنَّـما ينْبَغِـي لكـم أنْ تشـكُّوا وتُنكـروا مـا أنتـم عليـه مِـن عبـادَةِ الأصْنَـام الَّتـي لا تـضرُّ ولا تنْفَـعُ[2].

فإنْ قِيلَ: لمَ قالَ: ﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ ولمْ يقُلْ: «الَّذي خلقَكُم»

فالجوَابُ: أنَّ هذا يتضمَّنُ تهديدَهم؛ لأنَّ ميعادَ عذابِهِم الوفَاةُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ المعْنَى: وأُمِرت أنْ أقِم وجْهَك.

وفِيهِ قوْلَانِ:

أحدُها: أخْلِص عملَك.

والثَّاني: اسْتقِمْ بإِقبَالِك علَى مَا أُمرتَ بهِ بوجِهِكَ.

وفِي المرَادِ بالحنِيفِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه المتَّبِعُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: المخلِصُ، قالَهُ عطَاءٌ.

والثَّالث: المستقِيمُ، قالَهُ القُرظِيُّ[3].

---

(١) في (ف): يستنكر.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢١٧).

(٣) أي: محمد بن كعب القرظي. وروى قوله ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٩٣).

قوْلُـه تعـالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إنْ دعوْتَـهُ ﴿وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إنْ تركْـتَ عبادَتَـهُ. و«الظَّـالم»: الَّـذي يضَـعُ الـشَّيْءَ فِي غـيرِ موْضعِـهِ.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧ - ١٠٩].

قوْلُـه تعـالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾؛ أي: بشـدَّةٍ وبـلاءٍ ﴿ فَلَا كَاشِفَ ﴾ لذلـك ﴿إِلَّا هُوَ ﴾ دُونَ مـا يعبـدُه المشركُـونَ مِـنَ الأصْنـامِ. و{إن يصبك بخـير}؛ أي: برخَـاءٍ ونعْمـةٍ وعَافيـةٍ، فـلا يقـدِرُ أحَـدٌ أن يمنعَـكَ إيَّـاه. ﴿يُصِيبُ بِهِۦ ﴾؛ أي: بـكُلِّ واحِـدٍ مِـنَ الـضُّرِّ والخَـيرِ.

قوْلُه تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه القُرآنُ.

والثَّاني: مُحمَّدٌ ﷺ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾؛ أي: فإنَّـما يكـونُ وبـالُ ضلالِـهِ علـى نفْسِـه.

قوْلُـه تعـالى: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾؛ أي: في منعِكُـم مِـنِ اعْتقـادِ الباطـلِ، والمعْنَـى: لسـتُ بحفيـظٍ عليْكُـم مِـنَ الهـلاكِ، كـما يحْفَـظُ الوكِيـلُ المتـاعَ مِـنَ الهـلَاكِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ[١]: وهذه منسُوخةٌ بآيةِ القِتالِ، والَّتي بعْدَها أيضًا، وهيَ قوْلُه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ اللهَ تعالى حكَم بقتْلِ المشركين، والجزيةِ علَى أهْلِ الكتابِ.

والصَّحِيحُ: أنَّه ليس هَاهُنا نسْخٌ؛ أمَّا الآيةُ الأُولى، فقد ذكَرْنَا الكلامَ عليْهَا في نظيرتِهَا في «الأنعام»، وأمَّا [الآيةُ][٢] الثَّانيةُ، فقد ذكَرْنَا نظيرتَهَا في سورة[٣] «البقرة» وَهِيَ قوْلُه: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩]، [والله تعَالى أعلم بالصَّوابِ][٤].

---

(١) ذكره عن ابن عباس الثعلبيُّ في الكشف والبيان (١٤/ ٣٠٢)، والبغوي (٤/ ١٥٥)، وانظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٨٩)، وانظر رد هذا القول في: نواسخ القرآن؛ للمصنف (ص: ٣٧٤).

(٢) من (ر).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) من (ر).

سُورَةُ هُودٍ عليه السلام

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

رَوى ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مكيَّةٌ كلُّها، وبهِ قالَ الحسَنُ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وجَابرُ بْنُ زيْدٍ، وقتادَةُ.

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: هي مكيَّةٌ، إلَّا آيةً، وهي قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] وعن قتادةَ نحوهُ(١).

وقالَ مُقاتلٌ: [هي](٢) مكيَّةٌ كلُّها، إلَّا قوْلَه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ [هود: ١٢]، وقولَه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [هود: ١٧]، وقوْلَه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤](٣).

ورَوى أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه- قالَ: قُلْتُ: يَا رسُولَ اللهِ! عَجِلَ(٤) إلَيْكَ الشَّيْبُ! قَالَ: **«شَيَّبَتْنِي هُودٌ وأَخَوَاتُها: الْحَاقَةُ، والْوَاقِعَةُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»**(٥).

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٦) وعزاه إلى النحاس في تاريخه وأبي الشيخ وابن مردوايه من طرق عن ابن عبَّاس، وانظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٣٢٧)، النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٥٥).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٦٩).

(٤) في (ج): عمِدَ.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٧٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٣٦)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٦٦٤)، كلُّهم من طريق يزيد الرَّقاشي عن أنس به. وأخرجه البزار في البحر الزخار (١/ ٦٩) من طريق زائدة بن أبي الرُّقاد=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

فأمَّا ﴿الر﴾ فقد ذكرْنا تفسيرَها في سُورة {يُونُس}.

[٣٦٣/أ] قَالَ الفرَّاءُ: و﴿كِتَابٌ﴾: مرْفُوعٌ بالهجاءِ الَّذي قبْلَه[1]، كأنَّكَ قُلْتَ: حُروفُ الهِجَاءِ هذَا القُرآنُ، وَإنْ شئْتَ رفعْتَهُ بإِضْمَارِ: «هَذَا كِتَابٌ»، والكِتَابُ: القُرْآنُ.

وفي قوْلِه: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ أَرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها[2]: أُحكمتْ فَلَمْ[3] تُنسخْ بكتَابٍ كما نُسختِ الكتُبُ والشَّرائِعُ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، واختَارَهُ ابنُ قُتيبةَ[4].

والثَّاني: أُحكمتْ (بالأمْرِ والنَّهيِ، قالَهُ الحسَنُ[5]، وأبو العاليةِ[6].

=وهو منكر الحديث؛ كما في تقريب التهذيب؛ لابن حجر (١٩٩٢) فالحديث ضعيف جدًّا.

(١) معاني القرآن (٢/ ٣).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في نسخة: فما

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٩٥)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٣/ ٥٧٨).

(٦) الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٠٧).

والثَّالث: أُحْكمتْ)(١) عنِ الباطِلِ؛ أي: مُنعت، قالَهُ قتادَةُ، ومُقاتِلٌ(٢).

والرَّابع: أُحْكمت بمعْنَى: جُمعت، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ عمَّ الآياتِ هاهُنا بالإحْكامِ، وخصَّ بعْضَها في قوْلِه تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فعنْهُ جوابَانِ:

أحدُهما: أنَّ الإحْكامَ الَّذي عمَّ بِهِ هاهُنا، غيْرَ الَّذِي خصَّ بِهِ هُناك.

وفي معْنَى الإحْكامِ العامِّ خمْسةُ أقْوالٍ، قد أسْلَفْنَا منْها أرْبعةً في قوْلِه: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾.

والخامِسُ: أنّه إعْجازُ النَّظمِ والبلاغَة وتضمِينُ الحِكَمِ المعجزة(٣).

ومعْنَى الإحْكَامِ الخَاصِّ: زَوالُ اللَّبْسِ، واسْتِواءُ السَّامِعينَ في معْرِفةِ معْنَى الآيةِ.

والجَوابُ الثَّانِي: أنَّ الإحْكَامَ في المَوْضِعيْنِ بمعْنى واحِدٍ.

والمرَادُ بقوْلِه: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أُحْكِم(٤) بعضُهَا بالبَيانِ الوَاضِحِ ومنْعِ الِالْتِباسِ، فأَوْقعَ العمُوم على معْنَى الخصُوصِ، كما تقُول العرَبُ: قَدْ أكَلْتُ طَعَامَ زيْدٍ، يعْنُونَ: بعْضَ طعَامِهِ، ويقُولُونَ: قُتِلْنَا وربِّ الكعْبَةِ،

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧١).

(٣) في (ج): والمعجزة.

(٤) في (ج): حكم.

يعْنُـونَ: قُتِـل بعْضُنَـا، ذكـرَ ذلِـكَ ابْـنُ الأنْبَـارِي[١].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: فصِّلت بالحَلالِ والحَرَامِ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والثَّانِي: فصِّلتْ بالثَّوابِ والعقَابِ، رَواهُ جَسْر[٣] بن فَرْقَد[٤]، عن الحسَنِ[٥].

والثَّالث: فُصِّلَتْ بالوَعْدِ والوَعِيدِ، رَواهُ أبو بكْرٍ الهُذَليُّ عنِ الحسَنِ أيْضًا[٦].

والرَّابع: فُصِّلَت بمعْنَى فُسِّرَتْ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامِسُ: أُنزلتْ شيْئًا بعْدَ شيْءٍ، ولم تنْزِلْ جُملَةً، ذكرَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٧].

والسَّـادس: فُصِّلَـتْ بجمِيـعِ مـا يحتَـاجُ إليـه مِـنَ الدّلالَـةِ علَى التَّوْحيـدِ، وتثبيـتِ نبُـوَّةِ الأنْبيـاءِ، وإقامَـةِ الشَّرَائـعِ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ﴾؛ أي: مِن عنْدِه.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٤٣).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٨١).

(٣) في الأصل: جبير، خطأ، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) هـو أبـو جعفـر جسر بـن فرقـد البـصري، قـال البخـاري: ليـس بذلـك عندهـم، وقـال ابـن معـين: ليـس بـشيء. انظـر: الميـزان (١/ ٣٩٨).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٣٨).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٠١).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧)، وقوله: (قاله الزجاج) ليس في (ج).

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾ [هــود: ٢ – ٤].

قولُـه تعـالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قالَ الفـرَّاءُ: المعْنَى: فُصِّلـت آياتُه بأنْ[١] لا تعبُـدوا إلَّا اللهَ ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾ و«أنْ» في موْضِعِ النَّصْـبِ بإِلْقَائِكَ الخَافضَ[٢].

وقالَ الزَّجَّاجُ[٣]: المعْنَى: آمرُكُم أنْ لَا تعْبُدوا، وأنِ اسْتغْفِرُوا[٤].

قالَ مُقاتِلٌ: والمرادُ بهذِه العِبادةِ: التَّوْحيدُ، والخِطابُ لِكفَّارِ مكَّةَ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ الِاسْتغفَارَ والتَّوبةَ هَاهُنا مِنَ الشِّركِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٦].

والثَّـاني: اسْـتغْفِرُوه مِنَ الذُّنُوبِ السَّـالفَةِ، ثُـمَّ تُوبوا إليهِ مِنَ الْمُسـتأنَفةِ متى وقَعـتْ، و[قَـدْ][٧] ذُكر عنِ الفـرَّاءِ أنَّه قالَ: «ثُـمَّ» هاهُنا بمعْنَـى: الواوِ[٨].

---

(١) في (ج): أن.

(٢) وهو الباء والأصل: بألا تعبدوا. معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣).

(٣) في (ج): وقال الحسن.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧١).

(٦) المصدر السابق.

(٧) من (ج)، و(ف).

(٨) لم أجـده في كتـاب معـاني القـرآن، ومـا حكـي عنـه ذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١١/ ٣٤٥).

[٣٦٣/ ب] قوْلُه تعَالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يتفَضَّلُ عليْكُم بالرِّزق والسَّعةِ[١].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُعمِّرْكُم، وأصْلُ الإمْتاعِ: الإطَالةُ، يُقال: أمْتعَ اللهُ بِكَ، ومتَّعَ اللهُ بِكَ، إمْتاعًا ومتَاعًا، والشيْءُ الطَّويلُ: مَاتِعٌ، يُقال: جبلٌ ماتِعٌ، وقد مَتَع النَّهارُ: إذا تطاوَلَ[٢].

وفِي المُراد بالأجلِ المُسمَّى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الموْتُ، قالَهُ أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّه يوْمُ القِيامةِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾.

فِي هاءِ الكنَايةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ تعَالى.

ثُمَّ فِي معْنَى الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ مِن حسَنةٍ وخيرٍ ﴿فَضْلَهُۥ﴾ وهوَ[٣] الجنَّةُ.

والثَّاني: يُؤتِيهِ فضْلَه مِنَ الهدَايةِ إلى العمَلِ الصَّالحِ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٤٦) عن ابن عباس في رواية عطاء.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٠١).

(٣) في (ج)، و(ف): وهي.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى العبْدِ، فيكونُ المعْنَى: ويُؤتِ كُلَّ مَن زادَ في إحْسَانِهِ وطَاعاتِهِ(١) ثوابَ ذلِكَ الفضْلِ الَّذي زادَهُ، فيُفضِّلُه في الدُّنيا بالمنْزِلةِ الرَّفِيعةِ، وفي الآخرةِ بالثَّوابِ الجزيلِ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾؛ أي: تُعْرِضُوا عمَّا أُمرتم بِهِ.

وقرأَ أبو عبْدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو مجلزٍ، وأبو رجَاءٍ: «وإنْ تُوَلُّوا» بضَمِّ التَّاء(٢).

﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾: فيهِ إضْمارُ «فقُلْ»، واليومُ الكَبيرُ: يوْمُ القِيامَةِ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ [هود: ٥].

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾.

فِي سببِ نُزولِها خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ فِي الأخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ(٣)، وكانَ يُجالِسُ رسُولَ اللهِ

---

(١) في (ج): وفي طاعته.

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٣١)، والقراءة الشاذة بضم التاء واللام وفتح الواو مضارع ولّى، والقراءة الأولى مضارع تولّى، وفي تفسير ابن عطية (٥/ ٢٦١): وقرأ اليماني وعيسى البصري: {وإن تولوا} بثلاث ضمات مبنيًّا للمفعول، وقرأ الأعرج: {تولوا} بضم التاء واللام وسكون الواو مضارع أولى. وانظر أيضًا: البحر المحيط (٦/ ١٢١).

(٣) أُبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج الثقفي أبو ثعلبة، يعرف بالأخنس، كان حليفًا لبني زهرة، ثم أسلم، فكان من المؤلفة، وشهد حنينًا، ومات في أول خلافة=

-ﷺ- ويَحْلِفُ إنَّـه لَيُحِبُّـهُ، ويُضمِـرُ خـلافَ مَـا يُظْهِـرُ لَـهُ، فنزَلَـتْ فيـهِ هـذِه الآيـةُ، رَواه أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[1].

والثَّـانِي: أنَّهَـا نزَلَـتْ فِي نـاسٍ كانُـوا يسْـتحْيُونَ أنْ يُفضُـوا إلى السَّـماءِ فِي

=عمر، وذكره في الصحابة أبو موسى عن ابن شاهين وابن فتحون عن الطبري. قال ابن عطية: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم. قال ابن حجر: وقد أثبته في الصحابة من تقدم ذكره، ولا مانع أن يسلم، ثم يرتد، ثم يرجع إلى الإسلام. انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٢٧٩)، وأسد الغابة؛ لابن الأثير (١/ ٤٧)، (١/ ٥٦) وتجريد أسماء الصحابة؛ للذهبي (١/ ٧)، (١/ ٥١)، والإصابة؛ لابن حجر (١/ ٢٣).

(١) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٤٩)، عن أبي صالح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وهو من رواية الكلبي المتهم بوضع الحديث، وذكره البغوي في تفسيره (٢/ ٣٧٣) بدون إسناد. وانظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٢٧١)، والبحر المحيط (٦/ ١٢١).

والقول بأنها نزلت في الأخنس بن شريق فيه نظر من وجوه:

أولًا: عدم ثبوت الرواية بذلك.

ثانيًا: قد صحت الرواية في سبب نزول الآية غير هذا، وهو ما أخرجه البخاري، عن ابن عباس، قال: أناس كانوا يستحبون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

ثالثًا: أنَّ الآية مكِّية، والنِّفاق ظهر في المدينة فكيف تكون الآية نازلة في المنافقين؟!

رابعًا: أنَّ الأخنس في عداد الصحابة كما ذكر ابن حجر في الإصابة (١/ ٢٥) قال: «أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، ثم شهد حنينًا، ومات في أول خلافة عمر... وذكر الذهلي في الزهريات بسند صحيح عن الزهري، عن سعيد بن المسيب أنَّ أبا سفيان وأبا جهل والأخنس اجتمعوا ليلاً يسمعون القرآن سرًّا فذكر القصة: وفيها أنَّ الأخنس أتى أبا سفيان فقال: ما تقول؟ قال: أعرف وأنكر، قال أبو سفيان: فما تقول أنت؟ قال: أراه الحق» وقد عدّه في الصحابة: ابن شاهين، وابن فتحون عن الطبري ا. هـ. انظر: روح المعاني؛ للآلوسي (١١/ ٢١١)، وأضواء البيان (٣/ ١٢).

الخَـلاءِ ومجامعَـةِ النِّسـاءِ، فنزَلَـتْ فيهِـم هـذه الآيَـةُ، رَواه محمَّـدُ بْـنُ عبَّـادٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١).

والثَّالـث: أنَّهـا نزَلَـتْ في بعْـضِ المنافِقِـين، كان إذا مـرَّ برسُـولِ اللهِ -ﷺ- ثنَـى صـدْرَهُ وظهْـرَهُ، (وطَأْطـأَ رَأْسَـهُ)(٢)، وغطَّـى وجْهَـهُ؛ كيْـلَا(٣) يـرَاهُ رسُـولُ اللهِ، قالَـهُ عبْـدُ اللهِ بْـنُ شـدَّادٍ(٤)(٥).

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ (٤٦٨١) (٤٦٨٢)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٥٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في نسخة: لئلاً.

(٤) هو عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي أبو الوليد المدني، ولد على عهد النبي - ﷺ -، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات، وكان معدودًا في الفقهاء، قتل سنة (٨١)، وقيل: (٨٣هـ). انظر: التقريب (ص: ٣٠٧) (٣٣٨٢)، والكاشف (١/ ٥٦١).

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، تفسير سورة هود (٥/ ٣٣٧)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن، وابن المنذر، وأبو الشيخ؛ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٣/ ٥٧٩)، وسنده صحيح إلى عبد الله بن شداد، لكنه تابعيٌّ فيكون مرسلًا، وقد اختاره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥١- ٣٥٢)؛ حيث قال بعد سياقه: وهذا القول هو الأليق بظاهر اللَّفظ، ولا يحتاج معه إلى إضمار.
قلت: بل الراجح بخلاف ذلك، فإن الهاء في (منه) تعود على اسم (الله) ولم يرد ذكر النبي - ﷺ -، ولذا أخبرهم جل وعلا أنَّ استخفاءهم عن الله جهلٌ منهم، فقال: ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾، وقد رجَّح هذا القول الطبري (١١/ ١٨٥)، وابن عطية (٧/ ٢٤١)؛ حيث قال: «هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى»، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٨).

والرَّابِـع: أنَّ طائِفـةً مِـنَ المشركِـينَ قالُـوا: إذَا أغْلَقْنَـا أبوابَنَـا وأرْخَيْنَـا سُـتورَنَا واسْتَغْشَـيْنَا ثِيابَنَـا وثَنَيْنَـا صُدورَنَـا عـلَى عـدَاوةِ محُمَّـدٍ -ﷺ- كيْـفَ يعْلَـمُ بِنَـا؟ فأَخْـبرَ اللهُ عـمَّا كَتَمُـوا، ذكَـرَهُ الزَّجَّـاجُ[1].

والخامِـس: أنَّهـا نزلَـتْ في قـوْمٍ كانُـوا لِشـدَّةِ عدَاوَتِهِـم رُسـولَ اللهِ -ﷺ- إذَا سَـمِعُوا منْـهُ القُـرْآنَ حنُـوا صُدورَهُـم، ونكسُـوا رؤُوسَـهُم، وتغشُّـوا ثِيابَهَم؛ لِيبعـدَ عنْهُـم صـوْتُ رسُـولِ اللهِ -ﷺ- ولا يدْخـلَ أسْـماعَهُم شَيْءٌ مِـنَ القُـرآنِ، ذكَـرَهُ ابْـنُ الأنْبـارِيّ[2].

قوْلُه تعَالَى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يُقال: ثنيْتُ الشَّيْءَ: إذَا عطفْتَه وطويْتَهُ.

وفِي معْنَى الكلَامِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: يكتمُـونَ مـا فيهَـا مِـنَ العـدَاوةِ لِمُحمَّـدٍ -ﷺ- قالَـهُ أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

[٣٦٤/أ] والثَّانِي: يَثْنُونَ صُدورَهُم على الكُفْرِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالث: يحْنُونَهَا[3] لئلَّا يسمَعُوا كتابَ اللهِ، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابـع: يَثْنُونَهـا إذا ناجَـى بعْضُهـم بعْضًـا في أمْـرِ رسُـولِ اللهِ -ﷺ- قالَـهُ ابْـنُ زيْـدٍ.

والخامِسُ: يثْنُونَها حياءً مِنَ اللهِ تعالى، وهو يُخَرَّج على ما حكيْنَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨- ٣٩).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٠٣).

(٣) في (ج): تخفونها.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وكان ابْنُ عبَّاسٍ يقرؤُها: «**أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي**[١] **صُدُورُهُمْ**»[٢]، وفسَّرَها: أنَّ ناسًا كانُوا يسْتَحْيُونَ أنْ يَفْضُوا إلى السَّماءِ في الخلاءِ ومجامَعةِ النِّساءِ.

فتَثْنَوْنِي: تَفْعَوْعِلُ، وهو فعْلُ الصُّدورِ[٣]، معْنَاه: المبالَغةُ في تثنِّي الصُّدورِ، كما تقُولُ العرَبُ: احْلَوْلَى الشَّيْءَ، يَحْلَوْلِي: إذا بَالَغُوا في وصْفِهِ بالحَلاوةِ، قال عنْترَةُ [من الطويل]:

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا ... وَقَاتَلَ ذِكْرَاكِ السِّنِينَ الْخَوَالِيَا

وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي[٤] لَا تَنَالُهُ ... إِذَا مَا هُوَ احْلَوْلِي أَلَا لَيْتَ ذَا لِيَا[٥][٦]

---

(١) في الأصل: يثنوني، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨١ - ٤٦٨٢) من طريق محمد بن عباد بن جعفر أنَّه سمع ابن عباس يقرأ: (ألا إنهم تَثْنَوْني صدورهم)، قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلَّوا فيفيضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفيضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. وحكى ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٥٠) أن أهل القراءات حكوا عن ابن عباس في هذه الكلمة عدة قراءات. وهي قراءة مجاهد ونصر بن عاصم؛ كما في المحتسب؛ لابن جني (١/ ٣١٧) وقرأ بها غيرهم. انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٣٩)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٢٠٢).

(٣) في (ج)، (ف)، و(ر): فعلٌ للصدور.

(٤) في (ف): التي.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩٤).

(٦) البيتان لعنترة في ديوانه (٢٢٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ٢٧٤)، والشعراء الستة الجاهليين (ص: ٥٥١)، والطلول: الآثار، والبواليا: الشاخصة، واحْلَوْلَى: كثرت حلاوته.

فعلَى هـذَا القوْلِ، هوَ فِي حـقِّ المؤْمِنينَ، وعلَى بقيَّةِ الأقْـوَالِ، هوَ في [حَقِّ][(١)] المنافقِـينَ، وقد خرَجَ من هذِه الأقْـوَالِ في معْنى ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه[(٢)] حقِيقةٌ فِي الصُّدورِ.

والثَّانِي: أنَّه كِتمانُ مَا فيهَا.

قوْلُه تعَالَى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ فِي هاءِ «مِنْه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى اللهِ تعَالى.

والثَّانِي: إلى رسُولِ اللهِ ﷺ.

قوْلُه تعالَى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾.

قـالَ أبـو عُبيـدَةَ: العـربُ تُدخـلُ «ألَا» توْكِيـدًا وإيجابًـا وتَنْبيهًـا[(٣)]. قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: «يَسْتَغْشُـونَ ثِيَابَهُـمْ»؛ أي: يَتَغَشَّـوْنَهَا[(٤)] ويَسْـتَتِرُونَ[(٥)] بِهَـا[(٦)].

قـالَ قتـادَةُ: أَخْفَـى مَـا يكُـونُ ابْـنُ آدم إذَا حنَـى ظهـرَهُ، واسْتَغْشَـى ثِيابَـهُ، وأضْمَـرَ همَّـهُ فِي نفْسِـه[(٧)(٨)].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٢) في (ف): أنها.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨٥).

(٤) في (ج)، و(ر): يستغشونها.

(٥) في (ر): ويستهزئون.

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٢)، ومن قوله: (قال ابن قتيبة)... إلى هنا ساقط من (ف).

(٧) في (ج): قلبه.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم=

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: أعْلَم اللهُ أنَّه يعْلَمُ سرَائِرَهُم كما يعْلَمُ مظهَراتِهِمْ(١).

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وقد شرَحْناها(٢) في آل عمران [آية: ١١٩].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٦ - ٧].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قالَ أبو عُبيدةَ: «مِنْ» مِنْ حُروفِ الزَّوائِدِ(٣). والمعْنى: ومَا دابَّةٌ، والدَّابَّةُ: اسْمٌ لِكلِّ حيوَانٍ يدبُّ.

وقوْلُه تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ قالَ العُلماءُ: فضْلًا مِنْهُ، لا وُجُوبًا علَيْهِ(٤). و«علَى» هاهُنا بمعْنَى: «مِن»(٥)، وقد ذكرْنا الْمُستقرَّ والمستودعَ في سورة الأنعام: [آية: ٦٧].

=في تفسيره (١٠٦٦٤)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٣/ ٥٨٠).

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٠) عن ابن الأنباري.

(٢) في (ج)، و(ف): شرحناه، وفي (ر): شرحنا.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨٥).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣١٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٣)، وهذا هو مذهب أهل السنة، وخالفهم المعتزلة فقد أوجبوا على الله فعل الأصلح.

(٥) نسبه ابن حبيب في تفسيره (ص: ١٠٤)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٤)، والتفسير البسيط (١١/ ٣٥٣) لبعض أهل المعاني، واستشهد بقول الشاعر:

إذا رَضِيتْ عليَّ بَنُو قُشَيْرٍ *** لَعُمْرُ الله أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: كُلُّ[١] ذلِـك عنْـدِ اللهِ فِي اللَّـوحِ المحْفُـوظِ، هذَا قـوْلُ المُفسِّريـنَ[٢].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنى[٣]: ذلِك ثابتٌ فِي عِلْمِ[٤] اللهِ عزَّ وجَلَّ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: عرْشُه: سَريرُهُ، وكانَ المْاءُ إذْ كانَ العرْشُ عليْهِ علَى الرِّيحِ[٦].

قالَ قتادَةُ: ذلِك قبْلَ أنْ يخْلُقَ السَّمواتِ والأرْضَ[٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أي: لِيختبرَكُمُ الاخْتبارَ الَّـذي يُجازي عليْه، فيُثِيـب المعتـبرَ بما يرَى مِـنْ آياتِ السَّـموَاتِ والأرْضِ، ويُعاقِب أهْـلَ العِنادِ.

---

(١) ليست في (ف)، و(ر).

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٤).

(٣) ليست في (ف).

(٤) في (ج): عند.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩).

(٦) أخرجـه ابـن جريـر في تفسـيره (١٥/ ٢٤٩)، والدارمـي في الـرد عـلى بـشر المريـسي (ص: ٤٤٥)، وابـن أبي عاصـم في السـنة (١/ ٢٥٨)، والحاكـم في المسـتدرك (٢/ ٣٤١)، والبيهقـي في الأسـماء والصفـات (٢/ ٢٣٧)، رقـم (٨٠٢) بلفـظ: سـئل ابـن عبـاس عـن قـول الله تعـالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ عـلى أي شيء كان المـاء؟ قـال: «عـلى متـن الريـح». كلهـم بإسـنادهم عـن سـفيان عـن الأعمـش بنحـوه. قـال الحاكـم: هـذا حديـث صحيـح عـلى شرط الشـيخين ولم يخرجـاه.

(٧) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (١١٨٢) عـن معمر بـه، والطـبري في تفسـيره (١٥/ ٢٤٦)، وابـن أبي حاتم في تفسـيره (١٠٦٩٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أيُّكم أحْسنُ عقْلًا، وأَوْرَعُ[١] عَنْ محارِمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأسْرَعُ في [٣٦٤/ ب] طاعةِ اللهِ تعَالى، رَواه ابْنُ عُمرَ عنْ رسُول اللهِ ﷺ[٢].

والثَّاني: [أيُّكم أعْملُ بطاعَةِ اللهِ تعَالى، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالثُ][٣]: أيُّكم أتَمُّ عقْلًا، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابع: أيُّكم أزْهَدُ فِي الدُّنْيا، قالَهُ الحسَنُ وسُفيانُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: السِّحرُ بَاطِلٌ عنْدَهُم، فكأنَّهُم قالُوا: إنَّ هذَا إلَّا باطِلٌ بيِّنٌ، فأعْلَمَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ القُدرةَ على خلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ تدُلُّ علَى بعْثِ[٤] الموْتَى[٥].

---

(١) في (ف): وأدرع، وفي (ر): وأزود.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٠) عن داود بن المحبر، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٠٥)، والثعلبي (٩/ ٣٥٥) من طريق داود، عن عبد الواحد بن زياد، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر، عن النبي - ﷺ -، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث؛ للهيثمي (٢/ ٨١٠)، والمطالب العالية؛ لابن حجر (٣/ ١٧ - ١٨)، وقد قال الحافظ ابن حجر بعد أحاديث كثيرة في باب العقل: هذه الأحاديث من «كتاب العقل» لداود ابن المحبر، وكلها موضوعة ذكرها الحارث في «مسنده» عنه.

(٣) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

(٤) في (ج): خلق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠).

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [هود: ٨].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: هؤلاءِ كُفَّارُ مكَّةَ. والمرَادُ بالأُمَّةِ المعْدُودةِ: الأجَلُ المعْلُومُ، والمعْنَى: إلى مجِيءِ أُمَّةٍ وانْقِراضِ أُخْرى قبْلَها[١]. ﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ وإنَّما قالُوا ذلك تكذيبًا واسْتِهزاءً.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾.

وقالَ بعْضُهم: لا يُصرف عنْهُمُ العذَابُ[٢] إذَا أتَاهُم[٣]. وقالَ آخَرُون: إذا أخذَتْهم سُيوفُ رسُولِ الله ﷺ لم تُغمد عنْهُم حتَّى يُبادَ أهْلُ الكُفْرِ وتعْلُوا كلِمَةُ الإخْلاصِ[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ قالَ أبو عُبيدَةَ: نزَلَ بهم وأصابَهُم[٥].

وَفي قوْلِه تعَالَى: ﴿ مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه الرَّسُولُ والكِتابُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، فيكونُ المعْنَى: حَاقَ بهِم جزاءُ اسْتِهْزَائِهِم.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٣٢٤)، وانظر: تهذيب اللغة؛ للأزهري (٦/ ٤٧٤) أمم، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٥٢).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: تنوير المقباس (ص: ١٨٢)، والتبيان في إعراب القرآن؛ لأبي البقاء (٢/ ٦٩٠).

(٤) ذكره الواحدي عن أبي بكر ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٣٥٨).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٨٥).

والثَّانِي: أَنَّه العذَابُ، كانُوا يسْتَهزِئونَ بقوْلِهم: ﴿ يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ وهذا قوْلُ مُقاتِلٍ[١].

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ ﴾ [هود: ٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ فِي الوليدِ بْنِ المغِيرةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: فِي عبْدِ اللهِ بْنِ أبي أُميَّةَ المخزوميِّ، ذكرَهُ الوَاحِديُّ[٢].

والثَّالث: أنَّ الإنْسانَ هاهُنا اسْمُ جِنْسٍ، والمعْنَى: ولئِنْ أذَقْنا النَّاسَ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٣]. والمرَادُ بالرَّحمَةِ: النِّعمَةُ، مِنَ العافيةِ، والمالِ، والوَلدِ.

واليَؤوسُ: القنُوط، قالَ أبو عُبيدةَ: هو فَعُولٌ؛ مِن يَئِسْتُ[٤].

قالَ مُقاتِلٌ: إنه ليؤُوسٌ عنْدَ الشِّدَّةِ مِنَ الخيرِ، كفُورٌ للهِ عزَّ وجلَّ في نعمِهِ في الرَّخاءِ[٥].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٣).

(٢) التفسير البسيط (١١/ ٣٥٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٨٦).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٣).

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هـود: ١٠].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: صِحَّـةً وسِـعةً فِي الـرِّزْقِ ﴿ بَعْدَ ضَرَّآءَ ﴾: بعْـدَ مـرَضٍ وفقْـرٍ[1]. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ﴾ يُريـدُ: الـضُّرَّ والفقـرَ. ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ ﴾؛ أي: بطِـرٌ ﴿فَخُورٌ ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُفاخِـرُ أوْلِيائِـي بـِمَا أوْسـعْتُ علَيْـهِ[2].

فـإنْ قِيـلَ: مَـا وجْـهُ عيْـبِ الإنْسـانِ فِي قوْلِـه: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ﴾ ومَا وجْـهُ ذمِّـهِ علَـى[3] الفـرَحِ، وقـدْ وصَـفَ اللهُ تعَالى الشُّـهداءَ فقـالَ: ﴿ فَرِحِينَ ﴾؟.

فقـدْ أجَـابَ عنْـهُ ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ[4]، فقَـال: إنَّـما عَابَـهُ بقوْلِـه: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ﴾؛ لأنَّـه لم[5] يعـترِفْ بنعْمَـةِ اللهِ، ولم يحْمَـدْهُ علـى مـا صَرفَ عنْـهُ، وإنَّـما ذمَّـهُ بهـذا الفـرَحِ؛ لأنَّـه يرجِـعُ إلى معْنـى المـرَحِ والتَّكـبُّرِ علـى عبـادةِ[6] اللهِ عـزَّ وجـلَّ، قـالَ الشَّـاعِرُ [مِـن الوافـر]:

وَلَا يُنْسِـينِيَ الْحَدَثَـانُ عِـرْضِي ... وَلَا أُلْقِـي مِـنَ الْفَـرَحِ الْإِزَارَا[7]

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٦)، والتفسير البسيط (١١/ ٣٥٩)

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٦)، والتفسير البسيط (١١/ ٣٦٠).

(٣) في (ج)، و(ف): في.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ليست في (ر).

(٦) في(ج): عن عبادة، وفي (ف): عن طاعة.

(٧) البيت لابـن الأحمـر في مجـاز القـرآن؛ لأبي عبيـدة (٢/ ١١١)، والأضـداد؛ لابـن الأنبـاري=

يعْنِي مِنَ المرَحِ. وفرحُ الشُّهداءِ فرحٌ لا كِبْرَ فيهِ ولَا خُيلاءَ، بل هوَ [٣٦٥/أ] مقْرونٌ بالشُّكْرِ فهوَ مُستحسَنٌ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: هذَا الاِسْتِثناءُ مِنَ الإنْسانِ[1]؛ لأنَّه في معْنَى النَّاسِ؛ كقوْلِه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [2] [العصر: ٢ - ٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ[3]: هذَا اسْتِثْناءٌ ليْسَ مِنَ الأوَّلِ، والمعْنَى: لكنِ الَّذِين صَبرُوا[4].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الوصْفُ الأوَّلُ للكَافِرِ[5]، والَّذِين صَبرُوا أصْحَابُ مُحمَّدٍ ﷺ[6].

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود: ١٢].

=(ص: ١٩٨)، والتفسير البسيط (١٧/ ٤٥٥)، وعمدة الحفاظ (٣/ ٢٣٨)، وأنشده المبرد في الكامل (١/ ٥٩)، ولم ينسبه، وفيه: ولا أرخي من المرح.

(١) في (ج): الإيمان.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١).

(٤) في (ج): آمنوا.

(٥) في (ج): للكافرين.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٢٠) عن زيد بن أسلم.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾.

سبَبُ نُزولِها: أنَّ كُفَّارَ قُريشٍ، قالُوا للنَّبيِّ -ﷺ-: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ﴾ [يونس: ١٥] فهَمَّ النَّبيُّ -ﷺ- أنْ لا يُسمِعَهُم[(١)] عيْبَ آلهتِهم؛ رجاءَ أنْ يتَّبِعُوه، فنزَلَتْ هذه الآيةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[(٢)].

وفِي معْنَى الآيَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: فلعلَّك تَارِكٌ تبْلِيغَ بعْضِ مَا يُوحى إليْكَ مِن أمْرِ الآلهةِ، وضَائِقٌ بِما كُلِّفتَهُ مِن ذلِك صدرَكَ؛ خشْيةَ أنْ يقُولوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾.

والثَّاني: فلعلَّك لِعظِيمِ مَا يرِدُ علَى قلْبِك مِن تخْلِيطِهم تتوهَّمُ أنَّهم يُزيلونَك عنْ بعْضِ ما أنْت عليه مِن أمْرِ ربِّك. فأمَّا الضَّائِقُ، فهوَ بمعْنَى: الضَّيِّقِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعْنَى ﴿أَن يَقُولُواْ﴾: كراهِيَةَ[(٣)] أنْ يقُولُوا، وإنَّما عليْكَ أنْ تُنذِرَهُم بِما[(٤)] يُوحى إليْكَ، وليْسَ عليْكَ أنْ تأتِيَهُم باقْتِراحِهِمْ مِنَ الآياتِ[(٥)].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الحافِظُ.

---

(١) في (ج): يسميهم.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٣)، وذكره الواحدي في الوجيز (١/ ٥١٤) بدون إسنادٍ.

(٣) في (ف): كراهة.

(٤) في (ج): ما.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١).

والثَّاني: الشَّهِيدُ، وقد ذكرْناهُ في آل عمران [آية: ١٧٣].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

قوْلُه تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ «أَمْ» بمعْنَى: «بَلْ»، و«افْتَراهُ»: أتَى بهِ مِن [قِبَلِ][١] نفْسِه. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟﴾ أنْتُم في مُعارَضتي ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في البلاغَةِ ﴿مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾ بزعْمِكُم ودَعْواكُم ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المعَاونَةِ علَى المعَارَضَةِ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في قوْلِكُم: «افْتَراه».

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾؛ أي: يُجِيبوكُم إلى المعَارَضةِ؛ فقدْ قامَتِ الحُجَّةُ عليْهِم لَكُم.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ وحَّدَ القوْلَ في قوْلِه: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟﴾، ثُمَّ جمَعَ في قوْلِه «فإنْ لمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ» فعَنْهُ جَوابَانِ:

أحدُهما: أنَّ الخِطابَ للنَّبيِّ -ﷺ- وحْدَهُ في الموضِعيْنِ، فيكُونُ الخِطابُ لهُ بقوْلِه «لَكُم» تعْظِيمًا؛ لأنَّ خِطابَ الواحِدِ بلفْظِ الجمِيع[٢] تعظِيمٌ، هذا قوْلُ المفسِّرينَ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من المطبوع.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(ر): الجمع.

والثَّاني: أنَّه وحَّد في الأوَّل لخِطَاب النَّبيِّ -ﷺ- وجمَعَ في الثَّاني لمُخاطبَةِ النَّبيِّ -ﷺ- وأصْحابِه، قالَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنْزلَهُ وهوَ عالِمٌ بإنْزالِه، وعالِمٌ أنَّه(٢) حقٌّ مِن عنْدِه.

والثَّاني: أنزَلَهُ بما أخْبرَ فيهِ مِنَ الغَيْبِ، ودلَّ علَى ما سيَكُون ومَا سلَفَ، ذكرَهُما الزَّجَّاجُ(٣).

[٣٦٥/ب] قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: واعْلَمُوا ذلِكَ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ اسْتِفْهامٌ بمعْنَى الأمْرِ.

وفيمَن خُوطبَ بهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أهْلُ مكَّةَ، ومعْنَى إسْلامِهِم: إخْلاصُهُم للهِ العبادَةَ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهم أصْحَابُ رسُولِ اللهِ -ﷺ- قالَهُ مُجاهِدٌ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٢٧)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٦٥).

(٢) في (ف): بأنَّه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَتْ علَى أرْبعَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها عامَّةٌ في جميعِ الخلْقِ، وهوَ قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّها في أهْلِ القِبْلَةِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّها فِي اليهودِ والنَّصارَى، قالَه أنَسٌ.

والرَّابع: أنَّها فِي أهْلِ الرِّياءِ، قالَه مُجاهِدٌ.

ورَوى عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: مَن كانَ يُريد عاجِلَ الدُّنْيا فلَا[1] يُؤمنُ بالبعْثِ والجزَاءِ[2]. وقالَ غيْرُه: إنَّما هِيَ في الكَافِرِ؛ لأنَّ المؤمِنَ يُريدُ الدُّنْيا والآخِرَةَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾؛ أي: أُجورَ أعْمالِهم ﴿ فِيهَا ﴾ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: أُعطوا ثوابَ مَا عمِلُوا مِن خيْرٍ في الدُّنْيا[3].

وقالَ مُجاهِدٌ: مَنْ عمِلَ عملًا مِنْ صِلةٍ، أو صدَقةٍ، لا يُريد بهِ وجْهَ اللهِ؛ أعْطاهُ اللهُ تعَالى فِي الدُّنْيا ثوابَ ذلِك[4]، ويدْرَأُ بهِ عنْهُ في الدُّنْيا[5].

---

(١) في (ج)، و(ف): ولا.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٣٧).

(٤) في (ف): ثواب ذلك في الدنيا.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٦٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: أي: فِي الدُّنيـا. ﴿ لَا يُبْخَسُونَ ﴾؛ [أي][1]: لا يُنْقصـونَ مِـن أعْمالِهـم فِي الدُّنيـا شـيئًا. ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ﴾ عمِلُـوا لغَـيْرِ اللهِ ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ ﴾؛ أي: مـا عمِلُـوا في الدُّنْيـا مِـن حسـنَةٍ ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ ﴾ لغَـيْرِ اللهِ ﴿يَعْمَلُونَ ﴾.

فَصْلٌ

وذكَـرَ قـوْمٌ مِـنَ المفسِّرِيـن، منْهُـم مُقاتِـلٌ[2]، أنَّ هـذه الآيَـةَ اقْتَضَـتْ أنَّ مَـن أرادَ الدُّنْيَـا بعمَلِـه؛ أُعْطِـي فيهَـا ثـوَابَ عمَلِـه مِـنَ الـرِّزقِ والخَـيْرِ، ثُـمَّ نُسِـخ ذلِـكَ بقوْلِـه: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] وهـذَا لا يصِـحُّ؛ لأنَّـه لَا يُـوفِّي إلَّا لِمَـنْ يُريـد.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هـود: ١٧ - ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾.

فِي المرَادِ بالبيِّنَةِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٥).

أحدُها: أنَّها[١] الدِّينُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّها رَسُولُ اللهِ -ﷺ- قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: القُرآنُ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والرَّابعُ: البَيانُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

وفي الْمُشارِ إليْهِ بِـ«مَنْ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه رسُولُ الله -ﷺ- قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّهمُ المسْلِمُونَ، وهو يُخرَّج علَى قوْلِ الضَّحَّاكِ.

وفي قوْلِه تعَالَى: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: يتَّبِعُه.

والثَّانِي: يقْرَؤُه.

وفي هاءِ «يتْلُوهُ» قوْلَانِ:

أحدُهُما: أنَّها ترْجِعُ إلى النَّبِيِّ ﷺ.

والثَّاني: إلى القُرْآنِ، وقد سبَق ذكْرُه في قوْلِه: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٤٦) ثم أوضح مقاتل أن هذا البيان: هو النبي ﷺ، فرجع إلى القول الثاني.

وفي المرَادِ بالشَّاهدِ ثمانِيةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه جِبْرِيلُ عليه السَّلام، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وإبْرَاهِيمُ فِي آخَرِينَ.

والثَّانِي: أنَّه لِسانُ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- الَّذي كانَ يتْلُو القرآنَ، قالَهُ عليُّ بْنُ أبي طالِبٍ، والحسَنُ، وقتادَةُ فِي آخَرِينَ. [٣٦٦/أ]

والثَّالث: أنَّه عِليُّ بْنُ أبي طَالبٍ.

و«يتْلُوه» بمعْنَى: يتَّبِعُه، رَواه جماعَةٌ عنْ عِليِّ بْنِ أبي طَالِبٍ، وبهِ قالَ مُحمَّدُ بْنُ عليٍّ، وزَيْدُ بْنُ عليٍّ.

والرَّابع: أنَّه رَسُولُ اللهِ -ﷺ- هو شَاهِدٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَهُ الحُسينُ بْنُ عليٍّ عليه السَّلام.

والخامس: أنَّه ملَكٌ يحفَظُه ويُسدِّدُه، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والسَّادس: أنَّه الإنْجِيلُ يتْلُو القرآنَ بالتَّصْديقِ، وإنْ كانَ قدْ أُنزل قبْلَه؛ لأنَّ النَّبيَّ -ﷺ- بشَّرَتْ بهِ التَّوراةُ، قالَهُ الفرَّاءُ[1].

والسَّابع: أنَّه (القُرآنُ و)[2] نظْمُه وإعْجَازُه، قالَهُ الحُسيْنُ بْنُ الفضْلِ.

والثَّامن: أنَّه صُورةُ رسُولِ اللهِ -ﷺ- ووجْهُه ومخايلُه؛ لأنَّ كُلَّ عاقِلٍ نَظَر إليْهِ علِمَ أنَّه رسُولُ اللهِ ﷺ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٦).

(٢) ليس في (ج).

وفي هاءِ ﴿ مِّنْهُ ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجعُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

والثَّاني: إلى النَّبيِّ ﷺ.

والثَّالث: إلى البيِّنَةِ.

قوْلُه تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾ في هذه الهاءِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجعُ إلى النَّبي -ﷺ- قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: إلى القُرآنِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: إلى الإنْجيلِ؛ أي: ومِن قبْلِ الإنْجيلِ ﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ يتبعُ مُحمَّدًا ﷺ بالتَّصْديقِ له، ذكرَهُ ابنُ الأنْباريِّ(١).

قالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: وكانَ مِن قبْلِ هذَا كِتابُ مُوسى دليلًا على أمْرِ النَّبي -ﷺ- فيكُون «كتاب مُوسى» عطْفًا على قوْلِه تعالى: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾؛ أي: ويتْلُوه كتابُ مُوسى؛ لأنَّ مُوسى وعيسى بشَّرا بالنَّبيِّ -ﷺ- في التَّوْراةِ والإنْجيلِ.

ونصبَ «إمَامًا» علَى الحَالِ(٢).

فإنْ قِيلَ: كيْفَ تتْلُوه التَّوراةُ، وهِي قبْلَهُ.

قيل: لما بشَّرتْ بهِ، كانَتْ كأنَّها تالِيةً له؛ لأنَّها تبِعتْهُ بالتَّصْديقِ لَهُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٧٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٤).

وقَـال ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ مفعـول في المعْنَـى؛ لأنَّ جبريـلَ عليـه السَّـلام تـلَاهُ عـلَى موسَـى، فارْتفَـعَ {الكتَـاب} وهـو مفعـولٌ بمُضْمـرٍ بعْـدَه، تأويلُـه: ومـن قبلـه كِتـابُ موسى كـذاكَ[1]؛ أي: تـلَاه جِبريـلُ أيضًـا، كـما تقُـولُ العـرَبُ: أكرمْـتُ أخَـاكَ وأبُـوكَ، فيرفعُـونَ الأبَ وهـو مكـرمٌ عـلى الاِسْـتِئْنافِ، بمعْنَـى: وأبـوكَ مكـرمٌ أيْضًـا[2].

قـالَ: وذهَـب قـوْمٌ إلى أنَّ[3] ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فاعِـلٌ؛ لأنَّـه تـلَا مُحمَّـدًا ﷺ بالتَّصديـقِ كـما تـلَاهُ الإنْجِيـلُ.

فَصْلٌ

فتلخيص الآية: أفمَنْ كانَ علَى بيِّنَةٍ مِنْ ربِّه كمَنْ لم يَكُنْ؟.

قـالَ الزَّجَّـاجُ[4]: تـرْكَ المضَـادَّ لـه؛ لأنَّ في مـا بعْـدَه دليـلًا عليْـهِ، وهـو قوْلُـه: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ [هـود: ٢٤].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: لَمَّـا ذكَـرَ قبْـلَ هـذِه الآيَـةِ قوْمًـا ركنُـوا إلى الدُّنْيـا؛ جـاءَ بهـذِه الآيَـةِ، وتقْدِيـرُ الـكلَامِ: أفمَـنْ كانَـتْ[5] هـذِه حالُـه كمَـنْ يُريـد الدُّنيـا؟ [٣٦٦/ ب] فاكْتفَـى مِـنَ الجـوَابِ بـما تقـدَّم؛ إذْ كانَ فيـهِ دلِيـلٌ عليْـهِ[6].

(١) في (ج)، و(ف): كذلك.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ١٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣).

(٥) في (ج): كان.

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٢٧).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ(١): إنَّما حُذفَ لانْكشَافِ المعْنَى، والمحذُوفُ المقدَّرُ كثِيرٌ فِي القُرآنِ والشِّعْرِ، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ... سِوَاكِ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكِ مَدْفَعَا(٢)

فإنْ قُلْنَا: إنَّ المرَادَ بمَن كانَ علَى بيِّنَةٍ مِن ربِّه: رسُولُ اللهِ ﷺ؛ **فمعْنَى الآيةِ**: ويتبعُ هذَا النَّبِيَّ شَاهِدٌ، وهوَ جِبريلُ عليه السَّلام. «منه»؛ أي: مِنَ اللهِ.

وقيل: «شاهد» هو عليُّ بْنُ أبي طالِبٍ، ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

وقِيلَ: «يتْلُوه» **يعْنِي**: القُرآنَ، يتْلُوه جِبريلُ، وهوَ شَاهِدٌ لِمحمَّدٍ -ﷺ- أنَّ الَّذي يتْلُوه(٣) جاءَ مِن عنْدِ اللهِ تعَالى.

وقِيل: ويتْلُو رسولُ اللهِ -ﷺ- القرآنَ وهوَ شَاهِدٌ مِنَ اللهِ.

وقيل: ويتْلو لسانُ رسُولِ الله -ﷺ- القرآنَ، فلِسَانُه(٤) شاهِدٌ منْهُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٧٤- ٣٧٥) ونسبه لأكثر أهل العلم. ونسبه النحاس في معاني القرآن (٣/ ٤٩٦) إلى أكثر أهل اللغة، وهو اختيار السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٩٣)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ١١٢).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ١١٣)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٦٣)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٨)، وبلا نسبة في شرح المفصل (٩/ ٧، ٩٤)، وكتاب الصناعتين (ص: ١٨٢)، وخزانة الأدب (٤/ ١٤٤)، (١٠/ ١١٧).

(٣) في (ج)، و(ر): يتلوا.

(٤) في (ر): فلأنه.

وقيل: ويتَّبعُ مُحمَّدًا شاهِدٌ له بالتَّصديقِ وهو الإنْجِيلُ مِنَ الله تعَالى.

وقيل: ويتَّبعُ هذا النَّبيَّ شاهِدٌ مِن نفْسِه، وهو سمْتُه وهدْيُه الدَّالُّ علَى صدْقِه.

وإنْ قُلْنَا: إنَّ المرادَ بمَنْ كانَ على بيِّنَةٍ مِن ربِّه المسلِمُونَ، فالمعْنَى: أنَّهم يتَّبعُونَ رسُولَ اللهِ -ﷺ- وهوَ البيِّنَةُ، ويتبع هذَا النَّبِيَّ شاهِدٌ له بصدْقِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ إنَّما سمَّاه إمامًا؛ لأنَّه كان يُهتدى به، «ورحمة»؛ أي: وذَا رحْمةٍ، وأراد بذلِك: التَّوراةَ؛ لأنَّها كانت إمَامًا وسببًا لِرحمةِ مَن آمَنَ بِها.

قوْلُه تعَالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه[1] إشارَةٌ إلى أصْحَابِ مُوسى.

والثَّاني: إلى أصْحَابِ مُحمَّدٍ ﷺ.

والثَّالث: إلى[2] أهْلِ الحَقِّ مِن أُمَّةِ مُوسى وعيسى ومُحمَّدٍ صلى الله عليهم.

وفي هاءِ ﴿بِهِۦ﴾ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى التَّوراةِ.

والثَّاني إلى القُرْآنِ.

والثَّالِثُ: إلى مُحمَّدٍ ﷺ.

---

(١) في (ف): أنها.

(٢) في (ج): أنها.

وفي المَرَادِ بالأحْزَابِ هاهُنا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها[١]: جميعُ المِلَلِ[٢]، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّاني: اليهُودُ والنَّصارى، قالَه قتادَةُ[٣].

والثَّالثُ: قُريشٌ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والرَّابِع: بنو أُميَّةَ، وبنُو المغِيرَةِ بْنِ عبْدِ الله المخزومِيُّ، وآلُ أبي طلحَةَ بْنِ عبدِ العُزَّي، قالَهُ مُقاتِلٌ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]؛ أي: إليْهَا مصيرُهُ، قالَ حسَّانُ بْنُ ثابِتٍ [من البسيط]:

أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْمَوْتُ لَاقِيهَا[٥]

---

(١) في (ج): أحدها أنه.

(٢) في (ج)، و(ف): الملك.

(٣) صحح هذا القول الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٧٦)، قال: يدلُّ على صحة هذا ما روى سعيد بن جبير عن أبي موسى أن النبي - ﷺ - قال: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي، إلا كان من أهل النار».

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٦)، وفي (ج): مقاتل بن حيَّان.

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٢٥٩)، وسيرة ابن هشام (٢/ ١٣٢)، والروض الأنف (٦/ ١٠١)، والبداية والنهاية (٥/ ٤٦٨)، وفيهم: والقتل لاقيها، بدل: والموت لاقيها. الحِيَاض: جمع حَوْض. والضاحية: البارزة للشمس.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ قَـرَأَ الحسَـنُ، وقتَـادَةُ: {مُرْيَـةٍ} بضَـمِّ الميـمِ أيْـنَ[١] وقَـعَ[٢].

وفِي المكْنِي عنْهُ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه الإخبَـارُ بمَصِـيرِ الكافـرِ بـهِ، فالمعْنَـى: فـلَا تـكُ فِي شـكٍّ أنَّ موعِـدَ المكـذِّبِ بـهِ النَّـارُ، وهـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّـاني: أنَّـه القُـرآنُ، فالمعْنـى: فـلا تـكُ فِي شَـكٍّ مِـن أنَّ القُـرآنَ مِـنَ اللهِ تعَـالى، قالَـهُ مُقاتِـلٌ[٣]. قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: والمـرَادُ بالنَّـاسِ هَاهُنـا: أهْـلُ مكَّـةَ[٤]. [٣٦٧/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: ذكْـرُ عرْضِهِـم توْكِيـدًا لحِالِهـم فِي[٥] الإنْتِقَـامِ منْهُـم، وإنْ كانَ غيْرُهـم يُعـرَض أيْضًـا[٦].

فأمَّا ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ ففِيهم خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم الرُّسُلُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج): حين.

(٢) قـراءة شـاذة، انظـر: الشـواذ؛ للكرمـاني (ص: ٢٢٣)، وإعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٣/ ٧٤)، والبحـر المحيـط (٦/ ١٣٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٦).

(٤) ذكره الواحدي في تفسير الوسيط (٢/ ٥٨٦).

(٥) ليست في (ر).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٤).

والثَّاني: الملائِكةُ، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّالث: الخلَائِقُ، رُوي عنْ قَتادةَ أيْضًا.

وقالَ مُقاتِلٌ: ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: النَّاسُ كما يُقالُ: علَى رُؤوسِ الأشْهادِ؛ أي: علَى رُؤوسِ النَّاسِ(١).

والرَّابع: الملائِكةُ والنَّبيُّون وأُمَّةُ مُحمَّدٍ -ﷺ- يشْهدُون علَى النَّاسِ، والجوارِحُ تشْهَدُ على ابْنِ آدمَ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والخامس: الأنبياءُ والمؤمنون، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وفائِدَةُ إخْبارِ الأشْهَادِ بما يعلمُه اللهُ: تعْظِيمُ بالأمْرِ(٣) المشْهُودِ عليهِ، ودفعُ المجاحَدةِ فيهِ(٤).

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [هود: ١٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قد تقَدَّم تفْسِيرُها في الأعراف [آية: ٤٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٤).

(٣) في (ج)، و(ف)، و(ر): تعظيم الأمر.

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في البسيط (١١/ ٣٧٩).

قالَ الزَّجَّاجُ: ذكِرَتْ ﴿هُمْ﴾ ثانيةً على جِهةِ التَّوْكيدِ لِشأْنِهم في الكُفْرِ[(١)].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [هود: ٢٠ - ٢١].

قوْلُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم يُعْجِزُوني أنْ آمُرَ الأرْضَ فتُخسِفَ بهِم[(٢)]. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: لا وليَّ لهم ممَّن يعبُدونَ يمنعُهُم منِّي.

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: لَمَّا كانتْ عادةُ العربِ جاريَةً بقوْلِهم: لا وزَرَ لك منِّي ولا نَفَق، يعْنُونَ بالوزَرِ: الجبَلُ، والنَّفَق: السرَب، وكلاهما يَلْجَأُ إليه الخائفُ، أعْلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ هؤلاء الكافرين لا يسبِقُونه هربًا، ولا يجدون ما يحجز بيْنَهُم وبين عذابِه مِن جميع ما يُستر في[(٣)] الأرض ويُلجأ إليه. قال: وقوْلُه: ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ يقتضي محذوفًا، تلْخِيصُه: مِن أوْلِياءَ يمْنعُونَهم مِن عذابِ اللهِ، فحُذِف هذا لِشهرَتِه.

قوْلُه تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعْنِي: الرُّؤساءَ الصَّادِّينَ عن سَبيلِ اللهِ، وذلِكَ لِإضْلَالِهم أتْباعَهُم واقْتداءِ غيْرِهم بِهم.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في دارِ الدُّنْيا،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٥).

(٢) ذكر قول ابن عبَّاس الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨١).

(٣) في نسخة: من

ولَا لهُم وَلِيٌّ يمْنَعُ مِنِ انْتقَامِ اللهِ[١]، ثُمَّ اسْتأنَفَ: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ لِعظَمِ كُفْرِهِم بنَبِيِّه وبالبعْثِ والنُّشورِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾.

فيمَن عُني بهذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهمُ الكُفَّارُ.

ثُمَّ فِي معْنَاه ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهَا: أنَّهم لمْ يقْدِرُوا علَى اسْتِماعِ الخيْرِ، وإبْصَارِ الحقِّ، وفعْلِ الطَّاعةِ؛ لأنَّ اللهَ تعَالى حالَ بيْنَهُم وبيْنَ ذلِك، هذا معْنَى قوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، ومُقاتِلٍ[٣].

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: يُضاعَفُ لهُمُ العذَابُ بما كانُوا يسْتطِيعُونَ السَّمعَ ولا يسمعُونَهُ، وبما كانُوا يُبصِرُونَ حُججَ اللهِ تعَالى ولا يَعْتَبِرُون بهَا، فحذفَ الباءَ، كما تقُول العرَبُ: لَأَجْزِيَنَّكَ مَا عمِلْتَ، وَبِمَا عَمِلْتَ، ذكرَهُ [٣٦٧/ ب] الفرَّاءُ[٤]، وأنْشدَ ابنُ الأنْبارِيِّ فِي الاحتجَاجِ لَهُ[٥] [من الوافر]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٥) بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٨٦)، البغوي (٤/ ١٦٩)، ونصه: «أخبر الله سبحانه أنّه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة... إلخ».

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٧).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٨).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨٣).

نُغَـالِي اللَّحْـمَ لِلأَضْيَـافِ نِيْئًـا   وَنَبْذُلُـهُ إِذَا نَضِـجَ الْقُـدُورُ[١]

أَرَاد: نُغالي باللَّحمِ.

والثَّالـث: أنَّهـم مِـن شـدَّةِ كُفْرِهـم وعدَاوتِهـم للنَّبـيِّ -ﷺ- مَـا كانُـوا يسْـتطِيعُون أنْ يتفهمُـوا مَـا يقُـولُ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ[٢].

والقـوْلُ الثَّـاني: أنَّهـمُ الأَصْنـامُ، فالمعْنَـى: مـا كانَ لِلآلهَـةِ سـمْعٌ ولَا بـصَرٌ، فلـم تَسـتطِعْ لِذلِـكَ السَّـمْعَ، ولم تَكُـنْ[٣] تُبـصِرُ.

فعـلَى هـذَا يرجِـعُ قوْلُـه: ﴿مَا كَانُوا﴾ إِلَى أوْليائِهـم، وهـيَ الأَصْنَـامُ، وهـذَا المعْنَـى منْقُـولٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أيضًـا.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هـود: ٢٢ - ٢٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد: حقًّا إنَّهُمُ الأَخْسرُونَ[٤].

---

(١) البيـت لرجـل من قيـس، في جمهرة اللغـة (ص: ١٣١٧)، أسـاس البلاغـة (ص: ١٧١) (غلو)، وبلا نسـبة في لسـان العـرب (٦/ ٣٢٩٠)، انظر: معـاني القرآن؛ للفـراء (٢/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٥).

(٣) في (ج): يكن، وليست في (ف).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨٤).

وقـالَ الفـرَّاءُ: ﴿لَا جَرَمَ﴾ كلِمـةٌ كانَـتْ فِي الأصْـلِ بمَنْزلَـةِ لَا بُـدَّ وَلَا محالَـةَ، فجـرَتْ عـلَى ذلِـكَ، وكثُـرَ اسْـتعْمَالُهُم إيَّاهَـا، حتَّـى صـارَتْ بمنْزِلَـةِ {حَقًّـا} ألَا تَـرَى أنَّ العـرَبَ تقُـولُ: لَا جَـرَم لَآتِينَّـكَ، لا جـرَمَ لقَـدْ أحسـنْتَ، وأصْلُهـا مِـن جَرَمْـت؛ أي: كَسَـبْت الذَّنْـبَ[١].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: ومعْنَـى ﴿لَا جَرَمَ﴾ لَا نفـيَ لِمَا ظَنُّـوا أنَّـه ينفعُهُـم، كأنَّ المعْنَـى: لا ينْفعُهُـم ذلِـك جـرَمَ أنَّهُـم فِي الآخِـرَةِ هُـمُ الأَخْسـرُونَ؛ أي: كَسـبَ لهُـم ذلِـك الفعْـلُ الخُـسرانَ[٢].

وذكَـرَ ابْـنُ الأنْبـارِيّ أنَّ ﴿لَا﴾ رَدٌّ عـلَى أهْـلِ الكُفْـر فيـمَا قـدَّرُوه مِـنِ انْدِفَـاعِ الـشَّرِّ عنْهُـم فِي الآخِـرَةِ[٣].

والمعْنَـى: لَا ينْدَفِـعُ عنْهُـم عـذَابِي، ولا يجِـدُونَ وليًّـا يـصْرِفُ عنْهُـم نِقْمَتِـي، ثُـمَّ ابْتَـدَأَ مُسـتأنفًا «جَـرَمَ» قـالَ[٤]: وفِيهَـا قـوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا بمعْنَـى: كَسَـبَ كفرُهُـم ومَـا قـدَّرُوا مِـنَ البَاطِـلِ وُقُـوعَ العـذَابِ بِهِـم. فـ«جَـرَمَ»: فعـلٌ مـاضٍ، معْنـاه: كَسَـبَ، وفاعِلُـه مُضمـرٌ فيـهِ[٥] مِـن ذكْـرِ الكُفـرِ وتقْريـرِ الباطِـلِ.

(١) معاني القرآن (٢/ ٨- ٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٦).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٧٣)، وانظر: التفسير البسيط (١١/ ٣٨٦).

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

(٥) في (ف): فعنه.

والثَّـانِي: أنَّ معْنَـى جَـرَمَ: أَحـقَّ وصحَّـحَ، وهـوَ فعْـلٌ مـاضٍ، وفاعِلُـه مُضمـرٌ فيـهِ، والمعْنَـى: أحَـقَّ كفرُهُـم وقُـوعَ العـذَابِ والخـسْران بِهـم، قـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الكامـل]:

وَلَقَـدْ طَعَنْـتَ أَبَـا عُيَيْنَـةَ طَعْنَـةً ... جَرَمَـتْ فَـزَارَةَ بَعْدَهَـا أَنْ يَغْضَبُـوا[1]

أرَاد: حقَّـتِ الطَّعنَـةُ فَـزَارةَ بالغَضَـبِ، ومِـنَ العَـرَبِ مَـنْ يُغَـيِّرُ[2] لفْـظَ «جَـرَمَ» مـعَ «لَا» خاصَّـةً، فيقُـول بعْضُهـم: «لَا جُـرْمَ»، ويقُـولُ آخَـرُونَ: «لَا جَـرْ» بِإسْـقاطِ المِيـمِ، ويُقـالُ: «لَا ذَا جَـرَمَ»، و«لَا ذَا جَـرْ» بغَـيْرِ مِيـمٍ، وَ«لَا أَنْ ذَا جَـرَمَ»، و«لَا عَـنْ ذَا جَـرَمَ» ومعْنَـى اللُّغَـاتِ كلِّهَـا: حقًّـا[3].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيهِ سبْعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خَافُوا ربَّهُم، رَواه ابْنُ أبي طلحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

والثَّانِي: أَنَابُوا إلى ربِّهِم، رَواه العوْفِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[5].

---

(١) البيت لأبي أسماء بن الضريبة الفزاري في الكتاب (٣/ ١٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ١٤٧)، والمقتضب (٢/ ٣٥١)، مشكل القرآن (ص: ٤١٨)، والفاخر (ص: ٢٠٠).

(٢) في (ف): يعتبر.

(٣) انظر هذه اللغات في تهذيب اللغة (١١/ ٤٧) عن الكسائي.، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٦٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٩٦) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٦) إلى أبي الشيخ.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٨٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عبَّاس، قال: الإخبات: الإنابة.

والثَّالث: ثَابُوا إِلَى رَبِّهِم، قالَهُ قتادَةُ[١].

والرَّابع: اطْمَأَنُّوا، قالَهُ مُجاهِدٌ[٢].

والخامِس: أخْلَصُوا، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

والسَّادس: تخَشَّعُوا لِربِّهِم، قالَهُ الفرَّاءُ[٤].

والسَّابع: تَوَاضَعُوا لِربِّهِم، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٥].

فإنْ قِيلَ: لِمَ أُوثِرَتْ «إِلَى» على اللَّام في قوْلِه: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ والعَادةُ جارِيةٌ بأنْ يُقالَ: أَخْبَتُوا لِربِّهِم؟. [٣٦٨/أ]

فالجوَابُ: أنَّ المعْنَى: وجَّهُوا خَوْفَهُم وخُشوعَهُم وإخْلاصَهُم إلى ربِّهِم، واطْمَأَنُّوا إلى ربِّهِم.

قالَ الفرَّاءُ: ورُبَّما جعلَتِ العَربُ «إِلَى» في موْضِعِ اللَّامِ؛ كقوْلِه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥]، وقوْلِه تعالى: ﴿ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقد يجُوزُ فِي العَربيَّةِ: فُلانٌ يُخْبِتُ إِلَى اللهِ، يُريدُ: يفْعَلُ ذلِك بِوجْهِهِ إلى اللهِ[٦].

---

(١) المروي عن قتادة: قوله: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: «وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ» عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ. ولم أقف على قوله: (ثابوا).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٢).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٩- ١٠).

قَـالَ بعْـضُ المفسِّريـنَ: هـذِه الآيـةُ نازِلَـةٌ في أصْحَـابِ مُحمَّـدٍ[١] -ﷺ- ومَـا قبْلَها نـازِلٌ فِي الْمُشرِكينَ[٢].

ثم ضرَبَ لِلْفرِيقَيْنِ مثلًا؛ فقَال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾.

قَـالَ مُجاهِـدٌ: الفَرِيقَـانِ: الكَافـرُ والْمُؤمِـنُ[٣]. فأمَّـا الأعْمَـى والأصَـمُّ: فهـوَ الْكَافِـر، وأمَّـا الْبَصِـيرُ والسَّـمِيعُ: فهـوَ الْمُؤمِـنُ[٤].

قـالَ قتَـادَةُ: الكَافِـرُ عَمِـيَ عـنِ الحَـقِّ وصُـمَّ عنْـهُ، والمؤْمِـنُ أَبْـصَرَ الحَـقَّ وسَـمِعَهُ، ثُـمَّ انْتَفَـعَ بـهِ[٥].

وقالَ أبو عُبيدَةَ: فِي الكلَامِ ضمِيرٌ، تقْدِيرُهُ: مثَلُ الفَرِيقَيْنِ كمَثَلِ الأَعْمَى[٦].

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: مثَـلُ فرِيـقِ المسـلمينَ[٧] كالبَصِـيرِ والسَّـمِيعِ، ومثَـلُ

---

(١) في (ف): رسول الله.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٦٩- ٥٧٠).

(٣) في (ف): المؤمن والكافر.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٢)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع)، الفريقان الكافران، والمؤمنان، فأما الأعمى والأصم فالكافران، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان».

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٢)، قال: حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾... الآية، هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن، فأمَّا الكافر فصم عن الحق، فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره. وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به.

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٨٧).

(٧) في (ف): الفريقين المسلمين.

فريقِ الكافِرينَ كالأَعْمَى والأَصَمِّ؛ لأنَّهم في عداوَتِهم وتَرْكِهِم التَّفهم[١] بمَنْزِلةِ مَن لا يسْمَعُ ولا يُبْصِرُ[٢].

قَوْلُه تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؛ أي: هل يسْتَوِيَانِ في الْمُشابَهةِ؟ والمعْنَى: كما لا يسْتَويانِ عنْدَكُم، كذلِك لا يستَوِي المؤمِنُ والكافِرُ عنْدَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقالَ أبو عُبيدَةَ: ﴿هَلْ﴾ هاهُنا بمعْنَى: الإيجابِ، لا بِمعْنَى: الاسْتفهَامِ، والمعْنَى: لَا يسْتَوِيَانِ[٣].

قالَ الفرَّاءُ: وإنَّما لم يقُلْ: {يَسْتَوُونَ}؛ لأنَّ الأَعْمَى والأَصمَّ مِن صفةِ واحِدٍ، والسَّميعِ والبصِيرِ مِن صفةِ واحِدٍ؛ كقَوْلِ القَائلِ: مررتُ بالعَاقلِ واللَّبيبِ، وهوَ يعْنِي وَاحِدًا[٤]. قالَ الشَّاعِرُ [من الوافر]:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ... أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي[٥]

فقَالَ: أيُّهما، وإنَّما ذكَرَ الخيْرَ وحْدَهُ؛ لأنَّ المعْنَى يُعرفُ؛ إذِ المبتغِي للخيْرِ متَّقٍ للشَّرِّ.

---

(١) في (ف): للفهم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٦).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٨٧).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٧).

(٥) البيت للمثقب العبدي في المفضليات (ص: ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٥)، والانتصار للقرآن (٢/ ٥٧٥)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٤٠٢)، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٣).

وقـالَ ابْـنُ الأَنْبـارِي: الأعْمَـى والأصَـمّ: صِفَتـانِ لِكافـرٍ، والسَّـمِيع والبَصِـير: صِفتَـانِ لِمُؤمِـنٍ، فـرُدَّ الفعـلُ إلى الموصُوفِـين بالأوْصَـافِ الأرْبعَـةِ؛ كـما تقُـولُ: العَاقِـلُ والعَـالم، والظَّـالم والجاهِـل، حـضرَا مجلِـسي، فتُثنِّـي الخَـبرَ بعْـد ذكْـرِك أربعَـةً؛ لأنَّ الموصُـوفَ بالعِلْـم هـوَ الموصُـوفُ بالعقْـلِ[١]، وكذلِـك المنْعُـوتُ بالجهْـلِ هـوَ المنْعُـوتُ بالظُّـلم، فلـمَّا كانَ المنْعُوتَـانِ اثْنَـيْنِ، رجـعَ الخَـبرُ إليْهِـما، ولم يُلتفَـتْ إلى تفْرِيـقِ الأوْصَـافِ، ألَا تـرَى أنَّـه يسُـوغُ أنْ تقُـولَ: اللَّبيب والأَدِيـبُ[٢] والكريـمُ والجمِيـلُ قصَـدَنِي، فتوحِّـد الفِعْـل بعْـد أوْصَـافٍ لعلَّة أنَّ الموصُـوفَ بِهِـنَّ واحِـدٌ.

ولَا يمْتَنِـعُ عطْـفُ النُّعـوتِ[٣] عـلى النُّعـوتِ بحُـروفِ العطْـفِ، والموصُـوفُ واحِـدٌ، فقـدْ قـالَ اللهُ تعَـالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾، ثُـمَّ قـالَ: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبـة: ١١٢] فلَـمْ يقتَـضِ دخـولُ الـواوِ وقُـوعَ خـلافٍ بـيْنَ الآمِريـنَ والنَّاهِـينَ، وقـد قِيـلَ: [٣٦٨/ ب] الآمِـرُ بالمعـرُوف نـاهٍ عـنِ المنكَـرِ في حَـالِ أمْـرِه؛ فَـكان دخـولُ الـواوِ دلالَـةً عـلى الآمِـر بالمعْـرُوفِ؛ لأنَّ الأمْـرَ بالمعـرُوفِ لَا ينْفَـرِد دُون النَّهـيِ عـنِ المنكَـرِ، كـما ينْفَـرِدُ الحامِـدُون بالحَمْـدِ دُون السَّـائِحين، والسَّـائِحونَ بالسِّـياحةِ دُون الحامِدِيـن، ويـدلُّ أيْضـا عـلى أنَّ العـرَبَ تنسِـقُ النَّعـتَ عـلَى النَّعـتِ، والمنْعُـوتُ واحِـدٌ؛ كقـوْلِ الشَّـاعِرِ -يُخاطِـبُ سـعيدَ بْـنَ عمْـرِو بْـنِ عُثْـمانَ بْـنِ عفَّـانَ-

---

(١) في (ج): لأن الموصوف بالعقل هو الموصوف بالعلم.

(٢) في (ف): الأديب واللبيب.

(٣) في (ف)، و(ر): المنعوت، وفي (ف): النعوت على المنعوت.

[مـن الطويـل]:

يَظُـنُّ سَـعِيدٌ وَابْـنُ عَمْـرٍو بِأَنَّنِـي إِذَا سَـامَنِي ذُلًّا أَكُـونُ بِـهِ أَرْضَى[١]

فنَسَق ابْنَ عمْرٍو علَى سعِيدٍ، وهوَ سعِيدٌ[٢].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هـود: ٢٥ - ٢٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي ﴾.

قـرَأَ ابْـنُ كثِـير، وأبـو عمْـرٍو، والكِسَـائِيُّ: {أَنِّي} بفتْـحِ الألِـفِ، والتَّقدِيـر: أرْسـلْناه بـأَنِّي، وكأنَّ الوجْـهَ بأنَّـه لهُـم نذِيـرٌ، ولكنَّـه عـلَى الرُّجُـوعِ مِـنَ الإخْبـارِ عـنِ الغائِـبِ إلى خِطـابِ نـوحٍ قوْمَـه.

وقـرَأَ نافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ: «إِنِّي» بكسْـرِ الألِـفِ، فحَمَلُـوه عـلَى القـوْلِ المُضمَـرِ، والتَّقْدِيـرُ: فقـالَ لهُـم: إِنِّي لكُـم نذِيـرٌ[٣].

---

(١) البيت بلا نسبة في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٣٩٠)، والأضداد؛ لابن الأنباري (١١/ ٣٩٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٨٩- ٣٩٠) مختصرًا.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظرهما في التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة (ص: ٣٣٢).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾؛ أي: إنْسَـانًا مثْلَنَـا، لَا فضْـلَ لـكَ علَيْنـا.

فأمَّا الأَرَاذِلُ، فقَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: همُ السَّفَلَةُ[١].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: هُـم جمْـعُ: {أَرْذَلٍ} يُقـال: رَجُـل رَذْلٌ، وقـدْ رَذُلَ رذَالَـةً ورُذُولـةً[٢]. ومعْنَـى الأَراذِلِ: الـشِّرارُ.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ قـرَأَ الأَكْثَـرُونَ: {بَـادِي} بغَـيْرِ همْـزٍ، وقـرَأَ أبـو عمْـرٍو بالهمْـزِ بعْـدَ الـدَّالِ[٣]، وكلُّهـم همَـزَ {الـرَّأْي} غـيْرَ أبي عمْـرٍو[٤].

وللْعُلَماءِ فِي معْنَى ﴿بَادِيَ﴾ إذَا لَم تُهمزْ[٥] ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ المعْنَـى: مَـا نـرَى أَتْباعَـكَ إِلَّا سـفلتَنَا وأَرْذَالَنـا فِي بـادِي الـرَّأْيِ لِـكُلِّ ناظِـرٍ، يعْنُـونَ أنَّ مَـا وصفْنَاهُـم بـهِ مِـنَ النَّقْـصِ لا يخْفَـى عـلَى أحَـدٍ فيُخالِفُنـا، هـذَا مذْهـب مُقاتِـلٍ[٦] في آخرِيـنَ.

والثَّـانِي: أنَّ المْعْنَـى: أنَّ هـؤُلَاءِ القـوْمَ اتَّبَعُـوك فِي ظاهِـرِ مَـا يُـرَى منْهُـم، وطويَّتُهـم عـلَى خِلافِـكَ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٣١٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٨)، عن قتادة.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٠٣).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٤).

(٤) انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٣٢)، وهـذا إنـما هـو عـلى قاعـدة السـوسي في إبـدال الهمـز السـاكن.

(٥) في (ف): يهمز.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

والثَّالِثُ: أنَّ المعْنى: اتَّبَعُوكَ فِي ظاهِرِ رأْيِهِم، ولم يتدبَّرُوا ما قلْتَ، ولو رجعُوا إلى التَّفكُّر لم يتَّبعوكَ، ذكرَ هذَيْنِ القوْلَينِ الزَّجَّاجُ[١].

قالَ ابْنُ الأنْباري: وهذِه الثَّلاثةُ الأقْوَال علَى قِراءةِ مَنْ لم يهْمِزْ؛ لأنَّه مِنْ بدَا، يبْدُو: إذَا ظهرَ. فأمَّا مَنْ همَزَ «بَادِئ»؛ فمعْنَاه: ابْتدَاءُ الرَّأي؛ أي: اتَّبَعُوكَ أوَّلَ مَا ابْتدَؤُوا ينْظُرونَ ولَو فكَّرُوا لم يعْدِلُوا عنْ مُوافقَتِنَا فِي تكْذِيبِكَ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ **فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: مِن فضْلٍ فِي الخَلْقِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: فِي الْمُلكِ والْمَالِ ونحوِ ذلِك، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

والثَّالِثُ: مَا فُضِّلتم باتِّبَاعِكم نوحًا، ومُخالَفَتِكُم لنَا بفَضِيلةٍ نَتَّبِعُكُم طلبًا لهَا، ذكَرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمَشْقِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:** [٣٦٩/أ]

أحدُهما: نتيقَّنُكُم، قالَه الكلْبِيُّ[٤].

والثَّاني: نَحْسبُكُم، قالَهُ مُقاتِلٌ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٧).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٤١).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٤١).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٨).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: على يقِينٍ وبصِيرَةٍ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وقوْلُه: ﴿إِن كُنتُ﴾ شرْطٌ لا يُوجِبُ شكًّا يلْحقُه، لكنَّ الشَّكَّ يلْحَقُ المُخاطَبِينَ مِن أهْلِ الزَّيغِ، فتقْدِيرُه: إنْ كنْتُ على بيِّنَةٍ مِن ربِّي عنْدَكُم[(١)].

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ فِيهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهَا النُّبوَّةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[(٢)].

والثَّانِي: الهِدَايةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[(٣)].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأَبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عن عاصِمٍ: {فعَمِيَتْ} بتخْفِيفِ المِيم وفتْحِ العَيْنِ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والمعْنَى: عَمِيتم عنْهَا، يُقال: عَمِيَ علَيَّ هذَا الأمْرُ؛ إذَا لم أفْهمْهُ، وعَمِيت عنْه بمعنًى[(٤)].

قالَ الفرَّاءُ: وهذَا مِمَّا حوَّلَتِ العرَبُ الفعْلَ إليْهِ، وهوَ في الأصْلِ لغيْرِه؛ كقوْلِهم: دخَلَ الخاتمُ في يدِي، والخُفُّ في رِجْلي، وإنَّما الأَصبُعُ تدْخُلُ في الخاتمِ، والرِّجلُ في الخُفِّ، واسْتَجازُوا ذلِكَ؛ إذْ كانَ المعْنَى معْرُوفًا[(٥)].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٩٨).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٤٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٣٩٨).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٣).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٢).

وقـرَأ حمْـزَةُ، والكِسـائِيُّ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بضَـمِّ العَـيْنِ، وتشْـديدِ الميـمِ(١).

قـالَ ابْنُ الأنْبـارِي(٢): ومعْنَى ذلـك: فعمَّاهَـا اللهُ عليْكُم؛ إذْ كُنْتُم مِمَّنْ حُكم عليْـهِ بالشَّـقاءِ. وكذَلِك قـرَأ أُبَيُّ بْنُ كعْـبٍ، والأعْمَشُ: «فعَمَّاهَـا علَيْكُمْ»(٣).

وفي المُشارِ إليْهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: البَيِّنةُ.

والثَّاني: الرَّحمَةُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾؛ أي: أَنُلْزِمُكُـم قَبولَهَـا؟ وهـذَا اسْـتِفهَامٌ معْنَاه الإنْـكَارُ، يقُـول: لا نقْـدِرُ أنْ نُلزمَكُـم مِـن(٤) ذاتِ أنْفُسِـنَا.

قـالَ قتـادَةُ: واللهِ لـوِ اسْـتطاعَ نَبِـيُّ اللهِ -ﷺ- لَألْزمَهَـا قوْمَـهُ، ولكنَّـه لم يمْلِـكْ ذلِـك(٥).

---

(١) القراءتان سبعيَّتان، انظر عزوهما في التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة؛ لابن مجاهد (٣٣٢).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠١).

(٣) قـراءة شـاذةٌ، وهـي قـراءة عبـد الله بـن مسـعود، وأُبيٍّ، وعـليٍّ، والسُّـلمي، والحسـنِ، والأعمشِ، انظر: الحجـة؛ لأبي عـلي الفـارسي (٤/ ٣٢٤)، وحجـة القـراءات (ص: ٣٣٨)، ومختـصر شـواذ ابـن خالويـه (ص: ٦٤)، ومشـكل إعـراب القـرآن؛ لمـي (١/ ٣٦١).

(٤) في (ف): في.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٢٩٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٠٨١٩) مـن طريـق سـعيد بـه، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٣/ ٣٢٦) إلى أبي الشـيخ.

وقِيل: كانَ مُرادُ نُوحٍ عليْهِ السَّلامُ رَدَّ قوْلِهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فبَيَّنَ فضْلَهُ وفضْلَ مَنْ آمَنَ بهِ بأنَّه علَى بيِّنَةٍ مِن ربِّه، وقد آتاهُ رحمَةً مِن عنْدِه، وسُلِب المكذِّبُون ذلِك.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: علَى نُصْحِي ودُعائِي إيَّاكُم ﴿مَالًا﴾ فتتَّهِمُونِي. وقالَ ابْنُ الأنْبارِي: لَمَّا كانَتِ الرَّحمةُ بمعْنَى الهُدى والإيمانِ، جازَ تذْكيرُها[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

قالَ ابْنُ جُريجٍ: سَأَلُوه طَردَهُم أنَفَةً مِنْهم، فقالَ: لا يجُوزُ لِي طرْدُهُم؛ إذ كانُوا يلْقَوْنَ اللهَ فيُجزِيهم بإيمانِهم، ويأْخُذُ لهم ممَّنْ ظلَمَهُم وصَغَّرَ شُؤونَهم[2].

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: تَجْهَلُونَ أنَّ هذا الأمْرَ مِنَ اللهِ تعَالى، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[3].

والثاني: تجْهلُونَ لِأمْرِكُم إيَّايَ بِطرْدِ المؤْمنِينَ، قالَهُ أبو سُليمانَ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٦) إلى أبي الشيخ.

(٣) الذي ذُكر عن ابن عبَّاسٍ: تجهلون ربوبية ربكم وعظمته. انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٠٤).

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٣٤ ﴾ [هود: ٣٠ - ٣٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي ﴾؛ أي: مَنْ يمْنَعُني مِن عذابِ اللهِ ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡ﴾(١).

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾.

قالَ ابنُ الأنْبارِي: أرادَ بالخَزائنِ: عِلْمَ الغيْبِ المطْوِيِّ عنِ الخلْقِ؛ [٣٦٩/ب] لأنَّهم قالُوا له: إنَّما اتَّبعَك هؤلاءِ في الظَّاهِرِ وليْسُوا معَكَ، فقالَ لهُم: ليس عنْدِي خزائنُ غُيوبِ اللهِ فأَعْلَمُ ما تنْطَوي عليه الضَّمائرُ. وإنَّما قِيل للغُيوبِ: خزائِنُ؛ لِغُموضِها عنِ(٢) النَّاسِ واسْتِتارِها(٣) عنْهُم(٤).

---

(١) من قوله: (قوله تعالى: ويا قوم)... إلى هنا ساقط من (ج)، و(ف).

(٢) في (ج): على.

(٣) في (ف): باستتارها.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠٤- ٤٠٥)، وانظر: تفسير البغوي (٤/ ١٧٢)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (١/ ١٠٢٧)، (خزن).

قَالَ سُفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّما آيَاتُ القُرْآنِ خَزائِنُ، فإِذَا دخَلْتَ خِزانَةً فاجْتَهِدْ أنْ لَا تَخْرُجَ مِنْهَا حتَّى تعْرِفَ ما فِيهَا[1].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ قِيلَ: إنَّما قَالَ لَهُم هذَا؛ لأنَّ أرْضَهُم أجْدبَتْ، فسَأَلُوهُ: متَى يجِيءُ المطَرُ؟ وقِيلَ: بلْ سأَلُوه: متَى يجِيءُ العذَابُ؟ فقَالَ: ولَا أعْلَمُ الغيْبَ.

وقوْلُه: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ جوَابٌ لِقوْلِهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ [هود: ٢٧]، و﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾؛ أي: تحْتَقِرُ وتسْتَصْغرُ المؤْمِنينَ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿تَزۡدَرِيٓ﴾ تَسْتَقِلُّ[2] وتستخِسُّ[3]، يُقَال: زَرَّيْتُ علَى الرَّجُلِ؛ إذَا عبْتُ علَيْهِ وخَسَّسْت فعْلَه، وأَزْرَيْتُ بهِ؛ إذا قَصَّرْتُ بهِ، وأصْلُ «تَزْدَرِي»: تَزْتَرِي، إلَّا أنَّ هذِه التَّاءَ تُبدل بعْدَ الزَّاي دَالًا؛ لأنَّ التَّاءَ مِن حُروفِ الهمْسِ، وحُروفُ الهمْسِ خفيَّةٌ، فالتَّاءُ بعْدَ الزَّاي تُخْفى، فأُبْدِلَتْ منْهَا الدَّالُ لِجهْرِهَا[4].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إِيمانًا[5].

ومعْنَى الكَلَامِ: ليسَ لِي أنْ أَطَّلِعَ علَى ما فِي نُفُوسِهِم فأقْطَعَ عليْهِم

---

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (٧/ ٩٦).

(٢) الذي في معاني الزَّجَّاج المطبوع: تَسْتَسفِلُ.

(٣) تعدُّهم سِفْلَةً أخساء.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٨).

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤١٦) لأبي الشيخ عن السدي.

بشيْءٍ، وليْسَ لِاحْتقارِكُم إيَّاهُم[١] يبطُلُ أجْرُهُم ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إنْ قُلْتُ هذَا الَّذِي تقدَّم ذكْرُه، وقيل: إنْ طرَدتُهُم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: الجِدالُ: هوَ المبالَغةُ فِي الخُصومَةِ والمناظَرةِ، وهوَ مأْخوذٌ مِنَ الجدْلِ، وهوَ شِدَّةُ الفتْلِ[٢]، ويُقالُ للصَّقرِ: أجْدلُ؛ لأنَّه مِنْ أشدِّ الطَّيرِ[٣]. ويُقرأ: «فأَكْثَرْتَ جَدلَنَا»[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يعْنُونَ العذَابَ[٥]. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أنَّه يأْتِينَا.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾؛ أي: أنْصَحكُم. وفِي هذِه الآيةِ شرْطانِ؛ فجَوابُ الأوَّلِ النُّصحُ، وجوَابُ الثَّانِي النَّفْعُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: يُضِلَّكُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[٦].

---

(١) في (ج): إياي.

(٢) في الأصل، و(ف)، و(ر): القتل، والمثبت من (ج)، و(م).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٩).

(٤) قراءة شاذة، عزاها لابن عبَّاس ولإيوب السختياني ابنُ خالويه في مختصر الشواذ (ص: ٦٤)، وابن جني في المحتسب (١/ ٣٢١).

(٥) تنوير المقباس (٢/ ١٠٤)، وهو قول أهل التفسير. انظر: الطبري (٨/ ٢٢٢)، والسمرقندي (١/ ٥٥١).

(٦) ذكره الواحدي من رواية عطاء عن ابن عباس في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧١)، والبسيط (١١/ ٤٠٦)، وانظر: البغوي (٤/ ١٧٢).

والثَّاني: يُهْلِكَكُم، حكاهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وقالَ: هو قوْلٌ مرْغُوبٌ عنهُ[١][٢].

والثَّالث: يُضِلَّكُم ويُهْلِكَكُم، قالهُ الزَّجَّاجُ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: هوَ أوْلَى بِكُم، يتصرَّفُ فِي ملْكِه كما يشَاءُ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعْدَ المَوْتِ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)﴾ [هود: ٣٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أيقُولُونَ: افْتَرَاهُ؟[٤]. قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الِافْتِراءُ: الاخْتِلاقُ. ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾؛ أي: جرْمُ ذلِك الاخْتِلاقِ إنْ كنْتُ فعلْتُ. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ فِي التَّكْذِيبِ[٥]. وقرَأَ أبو المتوكِّل، وابْنُ السَّميْفع: {فَعَلَيَّ أَجْرَامِي} بفتْحِ الهمْزةِ[٦].

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ [هود: ٣٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾.

---

(١) في (ج): فيه.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٠٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٣).

(٦) قراءة شاذة، ذكرها أبو حيان في البحر المحيط عن النحاس (٥/ ٢٢٠)، وفسرَّها: فعليَّ آثامي.

قالَ المفسِّرُونَ: لمَّا أُوحي إليْهِ هذا، اسْتَجازَ الدُّعاءَ عليهم، فقَالَ: [٣٧٠/ أ] ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[١]، ومُجاهِدٌ[٢]: لَا تحْزَنْ. وقالَ الفرَّاءُ[٣]، والزَّجَّاجُ[٤]: لَا تَستكِنْ ولا تحْزَنْ. قالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥]: فلا تحْزَنْ إذا نزَلَ بهمُ الغرَقُ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٧ - ٣٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾؛ أي: واعْملِ السَّفِينةَ.

وفي قوْلِه: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ **ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: بمرْأى منَّا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بحفْظِنا، قالَهُ الرَّبِيعُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٥) (١٠٨٣٢).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٧)، ومن طريقه الفريابي؛ كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٥) (١٠٨٣١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٠).

(٥) تنوير المقباس (ص: ١٨٥).

والثَّالث: بعلْمِنا، قالَهُ مُقاتِلٌ[١].

قالَ ابنُ الأنْبارِي[٢]: إنَّما جُمع العينُ[٣] على مذْهبِ العرَبِ في إيقاعِهَا الجمْعَ على الوَاحدِ؛ تقولُ: خرجْنَا إلى البصْرةِ في السُّفُنِ، وإنَّما جمَعَ: لأنَّ مِن عادةِ المَلِك أن يقُولَ: أمرْنَا ونهيْنَا.

وفي قوْله: ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: وأمْرُنَا لكَ أنْ تصْنعَهَا.

والثَّاني: وبتعْليمِنَا إيَّاك كيْفَ تصْنعُها.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا تسْألْنِي الصَّفْحَ عنْهُم.

والثَّاني: لَا تُخاطِبْني فِي إمْهالِهِم.

وإنَّما نُهِي عنِ الخِطابِ فِي ذلِك؛ صِيانةً له عنْ سُؤالٍ لَا يُجابُ فيهِ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤١٠)، وانظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٢٩٣) (عان).

(٣) ليست في (ف).

الْإِشَارَةُ إِلى كَيْفِيَّةِ عَمَلِ السَّفِينَةِ

رَوى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ: قَالَ كانَ نُوحٌ يُضرب ثُم يُلفُّ فِي لِبْدٍ فيُلْقى فِي بيْتِهِ، يَرَوْنَ أنَّه قد ماتَ، ثُم يخْرُجُ فيدْعُوهُم. حتَّى إذا يئِسَ مِن إيمانِ قوْمِه، جاءَهُ رجُلٌ ومعَهُ ابْنُه وهوَ يتوكَّأُ علَى عصًا، فقَالَ: يا بُنيَّ انْظُر هذَا الشَّيْخَ لَا يغْرُرْكَ، قالَ: يا أَبَتِ أمْكِنِّي مِنَ العَصَا، فأخذَها فضَرَبَهُ ضرْبَةً شَجَّهُ مُوضِحَةً[١]، وسالَتِ الدِّمَاءُ على وجْهِهِ، فقَالَ رَبِّ قد تَرَى ما يَفْعَلُ بي عبادُكَ، فإِنْ يكُنْ لكَ فِيهِم حَاجَةٌ فاهْدِهِم، وإلَّا فصَبِّرْنِي إلى أنْ تحْكُمَ بيْنَنا[٢]، فأوْحَى اللهُ إليْهِ: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾... إلى قوْلِه: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ قالَ: يَا رَبِّ! ومَا الفُلْكُ؟ قالَ: بيْتٌ مِن خشَبٍ يجْرِي علَى وجْهِ الماءِ أُنجِّي فيهِ أهْلَ طاعَتِي، وأُغْرِق أهْلَ معْصِيَتِي، قالَ: يا رَبِّ، وأيْنَ الماءُ؟ قالَ: إنِّي علَى ما أشَاءُ قَدِيرٌ، قالَ: يَا رَبِّ! وأيْنَ الخشَبُ؟ قالَ: اغْرِسِ الشَّجرَ، فغَرَسَ السَّاجَ عِشرِينَ سنَةً، وكفَّ عنْ دُعائِهِم، وكفُّوا عنْهُ، إلَّا أنَّهم يسْتهْزِؤُونَ بهِ، فلَمَّا أدْركَ الشَّجرُ، أمرَهُ ربُّه، فقطَعَهُ وجفَّفَهُ ولفَّقَهُ[٣]، فقالَ: يا ربِّ! كيْفَ أتَّخِذ هذا الْبَيْتَ؟ قالَ: اجْعلْهُ علَى ثلاثِ صُورٍ، رأسُهُ كرَأْسِ الطَّاوُسِ، وجُؤْجُؤُهُ كجُؤْجُؤِ الطَّائرِ[٤]، وذنَبُه كذنَبِ الدِّيكِ، واجْعلْهَا مُطْبَقَةً، وبعَثَ اللهُ [إليْهِ][٥]

(١) الموضحة من الشجاج: التي بلغت العظم فأوضحت عنه. انظر: اللسان (وضح).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ج)، و(ف): فقطعها وجففها ولفقها.

(٤) أي: صدرها. انظر: اللسان (جأجأ).

(٥) من سائر النسخ.

جِبْرِيلَ يُعلِّمُه، وأوْحَى اللهُ إليْهِ أنْ عجِّلْ عمَلَ السَّفِينةِ فقدِ اشْتدَّ غضَبِي علَى مَنْ عصَانِي، فاسْتأْجَرَ نجَّارِينَ يعْملُونَ معَهُ، وسَامُ، وحَامُ، ويَافِثُ معَه ينْحِتُونَ السَّفِينَةَ، فجَعَلَ طُولَهَا سِتَّمائةِ ذِراعٍ، وعرضَهَا ثَلاثَمائةٍ وثَلاثِينَ ذِراعًا، وعُلُوهَا ثَلاثًا وثَلاثِينَ ذراعًا، وفجَّرَ اللهُ له عيْنَ القَارِ تغْلي غلَيانًا حتَّى طَلاهَا[1]. [٣٧٠/ ب]

وعنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قَالَ: جعَلَ لها ثلاثَ بُطُونٍ، فحمَلَ فِي لبطْنِ الأوَّلِ الوُحُوشَ والسِّبَاعَ والهَوَامَّ، وفِي الأوْسَطِ الدَّوابَّ والأنْعامَ، ورَكِبَ هوَ ومَنْ معَهُ البطْنَ الأعْلَى[2].

ورُويَ عنِ الحسَنِ [أنَّه][3] قالَ: كانَتْ سفِينَةُ نُوحٍ طُولُهَا ألْفُ ذِراعٍ، ومِائتَا ذِراعٍ، وعرْضُهَا سِتُّمائةِ ذِراعٍ[4].

وقالَ قتادَةُ: كانَتْ فِيما ذُكِر لنَا طُولُهَا ثَلاثُمائَةِ ذِراعٍ وعرْضُهَا خمْسُمائَةِ ذِراعٍ، وطُولُهَا فِي السَّماءِ ثَلاثُونَ ذِراعًا[5].

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٦٢/ ٢٤٨- ٢٤٩) من طريق جويبر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ. وذكره الثعلبي في العرائس (ص: ٥٦- ٥٧) مطولًا، والخبر من الإسرائليَّات.

(٢) ينظر تاريخ ابن عساكر (٦٢/ ٢٤١- ٢٤٩).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ف).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١١)، وتاريخه (١/ ١٨١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٣٦) من طريق محمد بن سيف أبي رجاء عن الحسن به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٨) إلى أبي الشيخ.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١١)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ١٨١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

وقالَ ابْنُ جُريجٍ: كانَ طُولُها ثلاثمائةِ ذِراعٍ، وعرْضُها خمْسِينَ ومائةَ ذِراعٍ، وطُولُها فِي السَّماء ثَلاثُون ذِراعًا، وكانَ فِي أعْلَاهَا الطَّيْرُ، وفي وسطِهَا النَّاسُ، وفِي أسْفلِهَا السِّباعُ[١].

وزعَم مُقاتِلٌ أنَّه عمِلَ السَّفِينةَ فِي أربعِمائَةِ سَنةٍ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ فِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم رَأَوهُ يبْنِي السَّفِينَةَ ومَا رَأَوا سفِينَةً قطُّ، فكانُوا يسْخَرُون ويقُولُونَ: صِرْتَ بعْدَ النُّبوَّةِ نجَّارًا؟ وهذا قوْلُ ابْنِ إسْحاقَ[٣].

والثَّاني: أنَّهم قالُوا له: مَا تصْنَعُ؟ فقالَ: أبْنِي بيْتًا يمْشِي علَى الماءِ، فسَخِرُوا مِنْ قوْلِه، وهذا قوْلُ مُقاتلٍ[٤].

وفي قوْلِه: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: إنْ تسْخَرُوا مِنْ قوْلِنَا فإنَّا نسْخَرُ مِنْ غفْلتِكُم.

والثَّاني: إنْ تسْخَرُوا مِن فعْلِنا عنْدَ بنَاءِ السَّفينَةِ، فإنَّا نسْخَرُ منكُم عنْدَ الغرَقِ، ذكرَهُ المفسِّرُونَ.

والثَّالث: إنْ تسْخَرُوا مِنَّا فِي الدُّنْيا، فإنَّا نسْخَرُ منْكُم فِي الآخِرة، قالَهُ ابْنُ جريرٍ[٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٣٣٥)، وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ١٩٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤١٢)، وفي (ج): وهذا قول ابن عبَّاسٍ.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨١).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٣١٠).

والرَّابع: إنْ تَسْتجهِلُونَا، فإنَّا نَسْتجهِلُكُم، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

والخامِس: إن تسْخَرُوا مِنَّا، فإنَّا نستَنْصِرُ اللهَ عليْكُم، فسمَّى هذا سُخرِيةً؛ لِيتَّفِقَ اللَّفْظانِ كما بينَّا في قوْلِه: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ هذا قوْلُ ابْنِ الأنْبارِيِّ(٢).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم يكُنْ فِي الأرْضِ قبْلَ الطُّوفانِ نَهرٌ و لابحْرٌ، فلِذلِكَ سَخِرُوا منْهُ، وإنَّما مِياهُ البِحَارِ بقيَّةُ الطُّوفانِ(٣).

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩﴾ [هود: ٣٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ هذَا وعِيدٌ، ومعْنَاه: فسوفَ تعْلَمُون مَنْ هوَ(٤) أحقُّ بالسُّخريَّةِ، ومَنْ هوَ أحْمدُ عاقبةً.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾؛ أي: يذلُّهُ، وهو الغرَقُ. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: ويجِبُ عليْهِ ﴿عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ في الآخِرةِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود: ٤٠].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير (١١/ ٤١٢).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٧١)، وهو مخالف لصريح النقل، وفي نسبته لابن عبَّاس نظر.

(٤) ليست في (ج)، و(ر).

قوْلُه تعَالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: جاءَ أمْرُنا بعذَابِهم وإهْلاكِهِم.

والثَّانِي: جاءَ عذَابُنا وهوَ الماءُ، ابْتدَأَ بِجنبَاتِ الأرْضِ فدَارَ حوْلَها كالإكْليلِ، وجعَلَ المطَرُ ينْزِلُ مِنَ السَّماءِ كأفْوَاهِ القِرَبِ، فجعَلَتِ الوحُوشُ يطْلُبنَ وسْطَ الأرْضِ هرَبًا مِنَ الماءِ حتَّى اجْتمَعْنَ عند السَّفِينَةِ، فحينئذٍ حمَلَ فيهَا مِن كُلٍّ زوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ الفورُ: الغلَيانُ؛ والفُوَارَةُ: مَا يفُورُ مِنَ القِدْرِ، قالَهُ ابْنُ فارِسٍ[١]. [٣٧١/أ]

قالَ الشَّيْخُ[٢]: وقرَأْتُ على شيخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ[٣] عنِ ابْنِ دُريدٍ قالَ: التنُّورُ: اسْمٌ فارِسِيٌّ مُعرَّبٌ لا تعْرِفُ له العرَبُ اسْمًا غيْرَ هذَا؛ فلِذلك جاءَ في التَّنْزِيلِ؛ لأنَّهُم خُوطِبُوا بِما عرَفُوا[٤].

ورُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: التَّنُّورُ، بكُلِّ لِسانٍ عرَبِيٍّ وعجَمِيٍّ[٥].

---

(١) مجمل اللغة (ص: ٥١١) (فور).

(٢) في (ف): المصنف، ويعني به: ابن الجوزي.

(٣) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ١٣٢).

(٤) عبارة ابن دريد في الجمهرة (٢/ ١٤): قال أبو حاتم: «التنور» ليس بعربي صحيح، ولم تعرف له العرب اسمًا غير «التنور»؛ فلذلك جاء في التنزيل: {وَفارَ التَّنُّورُ}؛ لأنهم قد خوطبوا بما عرفوا.

(٥) انظر: أدب الكاتب (٤٩٦).

وَفِي الْمُرادِ بِهذَا التَّنُّورِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه اسْمٌ لوجْهِ الأرْضِ، رَواهُ عكْرِمَةُ [١] عَنْ عَلِيٍّ عليْهِ السَّلامُ.

ورَوى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ: التَّنُّورُ: وجْهُ الأرْضِ، قالَ: قِيلَ لَهُ[٢]: إذا رأَيْتَ المَاءَ قدْ علَا وجهَ الأرْضِ، فارْكَبْ أنْتَ وأصْحابَكَ، وهذا قوْلُ عِكرمَةَ، والزُّهْرِيِّ[٣].

والثاني: أنَّه تنْوِيرُ الصُّبحِ، روَاهُ أبو جُحيفَةَ عنْ عَلِيٍّ رضِيَ اللهُ عنْهُ[٤].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: التَّنْوِيرُ[٥] عِنْدَ الصَّلاةِ[٦].

والثَّالثُ: أنَّه طُلوعُ الفجْرِ، رُوِي عنْ علِيٍّ أيضًا أنَّهُ قالَ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: طلَعَ الفجْرُ[٧].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم (١٠٨٥٨) من طريق يعقوب به، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٨٧) عن هشيم به، وعزاه اسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٩) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) في (ج): قيل لنوح عليه السلام.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٤٧٢)، وأخرجه عن ابن عبَّاس وعكرمة الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠١-٤٠٢)، وذكره عن الزهري البغويُّ (٢/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ٢٠٢٨) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور(٣/ ٣٢٩) إلى أبي الشيخ.

(٥) في (ف): التنور.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠٢).

والرَّابعُ: أنَّه طُلوعُ الشَّمْسِ، وهو منْقُولٌ عنْ عليٍّ أيْضًا(١).

والخَامِس: أنَّه تنُّورُ أهْلِهِ.

روى العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: إذَا رأيْتَ تنُّورَ أهْلِكَ يخْرُجُ منْهُ المَاءُ، فإنَّه هلَاكُ قوْمِكَ(٢).

ورَوى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أنَّه تنُّورُ آدمَ عليْهِ السَّلامُ، وهبَهُ اللهُ تعَالى لِنُوحٍ، وقيلَ لَهُ: إذَا فارَ المَاءُ منْهُ، فاحْمِلْ مَا أُمِرتَ بهِ(٣).

وقالَ الحسَنُ: كان تنُّورًا مِن حِجارَةٍ(٤)، وهذا قوْلُ مُجاهِدٍ، والفَرَّاءِ، ومُقاتِلٍ.

والسَّادس: أنَّه أعْلَى الأرْضِ وأشْرفُهَا(٥).

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: شُبِّهَتْ أعَالِي الأرْضِ وأمَاكِنُها المُرْتَفِعةُ لِعلوِّهَا بالتَّنَانِيرِ(٦).

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ٣١٨ - ٣١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٨)، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٤٥) بلفظ: طلوع الشَّمس.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٩) عن محمد بن سعد به.

(٣) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤١٥)، وفي تفسير الطبري (١٥/ ٣٢٠): عن أبي محمد، عن الحسن قال: كان تنورًا من حجارة كان لحوّاء حتى صار إلى نوح. قال: فقيل له: إذا رأيت الماء يفورُ من التنور فاركب أنتَ وأصحابك.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٠)، وتاريخه (١/ ١٨٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٨) إلى الطبري.

(٥) روي ذلك عن قتادة في تفسير الطبري (١٥/ ٣١٩)، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٥٩٦)، ورواه أبو الشيخ أيضًا عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٣/ ٥٩٦).

(٦) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١١/ ٤١٤).

واخْتلَفُوا فِي المكَانِ الَّذِي فارَ منْهُ التَّنُّورُ علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه فـارَ مِـنْ مسْـجدِ الكُوفـةِ، رَواه حَبَّـةُ العُـرَنِّي[1] عـنْ عـلِيٍّ عليْـهِ السَّـلامُ[2].

وقالَ زِرُّ بْنُ حُبيشٍ: فارَ التَّنُّورُ مِنْ زَاويةِ مسْجدِ الكُوفةِ اليُمْنَى[3].

---

(١) في الأصل، و(ر): العربي، وهو خطأ، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(م)، وهو أبو قدامة حبة بن جوين بن علي بن عبد نهم بن مالك العُرني الكوفي، حدث عَن: عَلِيّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ وَابْن مَسْعُود، وروى عَنهُ: سَلمَة بن كهيل. قال ابن معين: «حبة العرني، ليس بشيء». وقال البخاري: «فيه نظر، يذكر عنه سوء مذهب»، وقال النَّسائي: «ليس بالقوي»، وقال ابن سعد: «يضعف»، ونقل عن أحمد أنَّه وثقه، وقال العجلي: «كوفي تابعي ثقة». وقال ابن حبان: «كان غاليًا في التشيع، واهيًا في الحديث». وقال ابن سعد: مات سنة ست وسبعين. انظر: تاريخ أسماء الثقات؛ لابن شاهين (ص: ١٠٥)، والطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٦/ ١٧٧)، والجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم (٣/ ٢٥٣)، والثقات؛ لابن حبان (٤/ ١٨٢)، والمجروحين؛ لابن حبان (١/ ٢٦٧)، والكامل؛ لابن عدي (٢/ ٤٢٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٢٢)، وعزاه إلى الشيخ عَن حَبَّة الْعُرنِي، قال: جاء رجل إلى عليّ -رَضِي الله عَنهُ- فقال: إِنِّي قد اشْتريت رَاحِلَةً، وفرغت من زادي أُرِيد بَيت الْمُقَدّس لأصلي فِيهِ، فَإِنَّهُ قد صلى فِيهِ سَبْعُونَ نَبيًّا، وَمِنْه فار التَّنور، يَعْنِي: مَسْجِد الْكُوفَة.

(٣) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٤٢١) رقم (٧٥٨)، قال: حدثنا أبو هاشم زياد بن أيوب، قال: حدثنا القاسم بن مالك أبو جعفر المزني، قال: حدثنا توبة بن سالم، قال: رأيت زر بن حبيش يصلي في ميمنة المسجد، فقيل له، فقالَ: مِن هَاهُنا فار التنور، يعني: مسجد الكوفة.

وقَـالَ مُجاهِـدٌ: نبَـعَ المَـاءُ مِـنَ التَّنُّـورِ، فعَلِمَـتْ بـهِ امْرأتُـهُ فأخْبَرتْـهُ، وكانَ ذلِـك بنَاحيـةِ الكُوفـةِ[1]. وكان الشَّـعْبيُّ يَحْلِـفُ بـاللهِ: مـا كانَ التَّنُّـورُ إلَّا بناحِيَـةِ الكُوفـةِ[2].

والثَّاني: أنَّه فَارَ بالهِنْدِ، رَواه عِكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّالـث: أنَّـه كانَ فِي أقْـصَى دارِ نُـوحٍ، وكانَـتْ بالشَّـامِ في مـكانٍ يُقـال لـه: عَـينُ ورْدَةَ[4]، قالَـهُ مُقاتِـلٌ[5].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾؛ أي: فِي السَّـفِينةِ ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

ورَوى حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتَّنْوينِ[6].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٠)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ١٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢١)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ١٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٢١)، وفي تاريخه (١/ ١٨٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٩) (١٠٨٦١)، من طريق أبي يحيى عبد الحميد الحماني به.

(٤) وكونه بالشَّام، قاله ابن عباس وقتادة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٢٩)، وقالا: العين التي بالجزيرة عين الوردة.اهـ. قال ياقوت: وهو رأس عين المدينة المشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر. انظر: معجم البلدان؛ لياقوت الحموي (٢/ ٧٣١)، (٣/ ٧٦٤)، ومراصد الاطلاع؛ لابن عبد الحق (٢/ ٩٧٩).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٢)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤١٥).

(٦) قراءة سبعيَّة، انظرها في التيسير (ص: ١٢٤).

قَالَ أبو عليٍّ: والمعْنَى[١]: مِن كُل شيْءٍ، ومِنْ كُلِّ زوجٍ زَوْجَينِ، فحُذِف المضافُ. وانْتصابُ ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ علَى أنَّهُما صِفةٌ لِزوجَيْنِ، وقد عُلِم أنَّ الزَّوْجينِ اثْنانِ، ولكنَّه توْكِيدٌ[٢].

قالَ مُجاهِدٌ: مِنْ كُل صنْفٍ، ذكرًا وأُنْثى[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الزَّوْجُ يكونُ واحِدًا، ويكونُ اثْنَيْنِ، وهوَ هاهُنَا واحِدٌ. ومعْنَى الآيةِ: احْمِلْ مِن كُلِّ ذكَرٍ وأُنْثى اثْنَيْنِ[٤]. [٣٧١/ ب]

وقَالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: احْمِلْ زوْجَيْنِ اثْنَينِ مِن كُل شيْءٍ، والزَّوْجُ في كلام العرَبِ يجُوزُ أن يكُونَ معَهُ واحِدٌ، والاِثْنانِ يُقال لهُما: زَوْجانِ، يُقال: عنْدِي زَوْجانِ مِنَ الطَّيرِ[٥]، إنَّما يُرِيدُ ذكَرًا وأُنْثى فقط[٦].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إنَّما قالَ: ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ فثَنَّى الزَّوجَ؛ لأنَّه قصَدَ قصْدَ الذَّكَرِ والأُنْثى مِنَ الحيَوانِ، وتقْدِيرُه: مِنْ كُلِّ ذكَرٍ وأُنْثى[٧].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٢٨).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٢)، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٩) إلى أبي الشيخ بلفظ: في كلام العرب يقولون للذكر والأنثى زوجان.

(٤) أدب الكاتب (ص: ٦١٧).

(٥) الذي في معاني الزجاج المطبوع: الخفاف.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥١).

(٧) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩٨) بلفظ مقارب.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾؛ أي: وَاحْمِـلْ أَهْلَـكَ. قـالَ المفـسِّرُون: أَرَاد بأهْلِـهِ: عيالَـهُ وولَـدَهُ.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: سـبَقَ عليْـهِ القـوْلُ مِـنَ اللهِ بالإهْـلَاكِ. قـالَ الضَّحَّـاكُ: وهـمُ امْرأتُـهُ وابْنُـه كنْعَـانُ(١).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ معْنَاه: واحْمِلْ مَن آمَنَ.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وفِي عددِهم ثمانِيةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـم كانُـوا ثمانِـينَ رجُـلًا معَهُـم أهْلُوهُـم، رَواه عِكرِمَـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٢).

والثَّـاني: أنَّ نُوحًـا حمَـلَ معَـهُ ثمانِـينَ إنْسـانًا، وبَنِيـه الثَّلاثَـةَ، وثَـلاثَ نسْـوةٍ لِبَنِيـهِ، وامْـرأةَ نُـوحٍ، رَواه يوسـفُ بْـنُ مِهـرانَ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٣).

والثَّالث: كانُوا ثمانِينَ إنْسانًا، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: كانُوا أَرْبعِينَ رجُلًا وأرْبعِينَ امْرأةً(٤).

---

(١) قالـه ابـن جريـج والضَّحَّـاك، أخرجه عنهـم الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣٢٤ - ٣٢٥)، وذكره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٤: ٣٦٣)، وانظـر: معـالم التنزيـل؛ للبغـوي (٤/ ١٧٧)، ونسـبه الواحـدي في الوسـيط (٢/ ٥٧٣) للمفسريـن.

(٢) أخرجـه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٠٨٨٢)، وذكـره السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٤٣١)، وعـزاه إلى ابْـن الْمُنْـذر وَابْـن أبي حَاتِـم وَابْـن عَسَـاكِر مـن طَرِيـق عِكْرِمَـة عَـن ابْـن عَبَّـاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَـالَ: كَانَ مَـعَ نـوح فِي السَّـفِينَة ثَمَانُـون رجـلًا مَعَهـم أهلوهـم.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٧٢).

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٤٥٢).

والرَّابع: كانوا أرْبعِينَ، ذكرَهُ ابْنُ جُريجٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والخامس: كانُوا ثلاثِينَ رجُلًا، رَواه أبو نَهِيكٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والسَّادس: كانوا ثمانِيةً، قالَ الحكَمُ بْنُ عُتيبةَ: كان نوحٌ عليه السلام وثلَاثةُ بَنيهِ وأرْبَعُ كنَائِنِهِ[٢].

قالَ قتَادةُ: ذُكِر لنَا أنَّه لم ينْجُ فِي السَّفينةِ إلَّا نوحٌ وامْرأتُه[٣] وثلاثَةُ بَنِينَ له ونِساؤُهم، فجمَاعتُهُم ثَمانِيةٌ[٤]، وهذا قوْلُ القُرطيِّ، وابْنِ جُريجٍ.

والسَّابع: كانُوا سبْعةً: نوحٌ عليه السلام، وثلاثُ كنَائِنَ[٥] لهُ وثلَاثَةُ بَنِينَ، قالَهُ الأعْمَشُ[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٦٤) عَنْ أَبِي نَهِيكٍ عن ابن عباس قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلًا أحدهم جرهم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٥)، وكذلك في تاريخه (١/ ١٨٨) عن ابن وكيع والحسن به، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٨٧٧) من طريق يحيى بن أبي غنية به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) إلى أبي الشيخ. وانظر: تفسير القرطبي (٩/ ٣٥).

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٩): وهذا فيه نظرٌ، بل الظاهر أنها هلكت؛ لأنها كانت على دين قومها، فأصابها ما أصابهم، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٧٣) عن قتادة.

(٥) **الكَنَّة**: بالفتح؛ امرأة الابن أوالأخ. انظر: تاج العروس (ك ن ن).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٦)، قال: حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش: {وما آمن معه إلا قليل}، قال: كانوا سبعة: نوح، وثلاث كنائن له، وثلاثة بنين. وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ١٨٨).

والثَّامِن: كانُوا عشرةً سِوى نِسائِهم، قالَهُ ابْنُ إسْحَاق. ورُوي عنْهُ أنَّه قالَ: الَّذِين نَجُوا معَ نُوحٍ بنُوه الثَّلَاثةُ، ونِساؤُهم ثلاثٌ، وسِتَّةٌ مِمَّن آمَنَ بِهِ[١].

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعْنِي: نُوحًا للَّذِينَ أُمِر بحمْلِهِم ﴿ٱرْكَبُواْ﴾[٢] السَّفِينَةَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ركِبُوا فيها لعشْرٍ مَضَيْنَ مِن رجَبٍ، وخرَجُوا منْهَا يوْمَ عَاشُوراءَ[٣].

وقالَ ابْنُ جُريج: دُفِعتْ[٤] مِن عيْنِ ورْدَةَ يوْمَ الجمُعَةِ لِعشْرٍ مَضيْنَ مِن رجَبٍ، فأتَتْ موْضِعَ البيْتِ فطافَتْ بهِ أُسْبوعًا، وكانَ البيْتُ قدْ رُفِع في ذلِك الوقْتِ، ورَسَتْ بِبَاقِرْدَى[٥] علَى الجُودِيِّ يوْمَ عاشُوراءَ[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٠٢)، وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ١٨٩).

(٢) في (ج): اركبوا الماء.

(٣) رواه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧٥) عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٤) في المطبوع: رفعت.

(٥) ضبطه ياقوت الحموي: بكسر القاف وفتح الدال، وهو موضع بالجزيرة تقع شرقي دجلة بالقرب من جبل الجودي. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٦٦- ٤٧٦)، ومعجم ما استعجم (١/ ٢٢٢).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٥)، وفي تاريخه (١/ ١٩٠).

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: قرَضَ الفأْرُ حِبالَ السَّفِينةِ، فشَكَا نوحٌ ذلِك، فأوْحَى اللهُ تعالى إليْه[١]، فمسَحَ ذنَبَ الأسَدِ، فخَرجَ سُنُّورَانِ، وكانَ في السَّفِينةِ عَذِرَةٌ، فشَكَا ذلِكَ إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، فأوْحَى اللهُ تعالى إليْه، فمسَحَ ذنَبَ الفِيلِ، فخَرجَ [منْهُ][٢] خِنْزِيرَانِ فأكَلَا ذلِك[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

[٣٧٢/أ] قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: {مُجْرَاهَا} بضمِّ الميم. وقرَأ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: {مَجْرَاهَا} بفتْحِ الميمِ، وكسْرِ الرَّاءِ[٤].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٥)، من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، وإسناده واه، علي ضعيف، روى مناكير كثيرة، وكرره الطبري (١٨١٥٤) عن علي بن زيد عن يوسف به ليس فيه ذكر ابن عباس، وهو الصواب، وهو من الإسرائيليات المنكرة بلا ريب، بل هو من ترهاتهم وأساطيرهم، ولو لم يذكر المفسرون مثل هذا لكان أولى، والله أعلم. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٧٢) عن يُوسُفَ بنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ. وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٨)، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال: أثر غريبٌ.

(٤) ويعني بالكسر: الإمالة الكبرى.

وكلُّهم قرءُوا بضَمِّ الميمِ مِنْ: {مُرْسَـٰهَا}، إلَّا أنَّ ابنَ كثيرٍ، وأبا عمْرٍو، وابْنَ عامِرٍ، وحفْصًا⁽¹⁾ عنْ عاصِمٍ، كانُوا يفْتحُون السِّينَ. ونافِعٌ وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ كانا[٢] يقرَءانِهَا بيْنَ الكَسْرِ والتَّفْخِيم، وكان حمْزةُ والكِسائِيُّ، وخلَفٌ، يُمِيلُونَها[٣].

وليْسَ في هؤلاءِ أحَدٌ جعَلَها نعْتًا لله، وإنَّما جعَلَ الوصْفَيْنِ نعْتًا للهِ عزَّ وجلَّ الحسَنُ وقتادَةُ وحُميدٌ الأعْرجُ وإسْماعِيلُ بْنُ مُجالِدٍ عنْ عاصِمٍ، فقَرءُوا: {مُجريهَا ومُرسيها} بضَمِّ الميمِ، وبياءيْنِ صَحِيحتَيْنِ؛ مِثْلُ: مُبديها ومُنْشيها.

وقرَأَ ابْنُ مسْعودٍ: ﴿مَجْرٖىٰهَا﴾ بفَتْحِ الميمِ، وإمَالَةِ الرَّاءِ، بعْدَها ألِفٌ، ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ برفْعِ الميمِ، وإمَالَةِ السِّين، بعْدَها ألِفٌ[٤].

وقرَأَ أبو رَزِين، وأبو المتوكّلِ: ﴿مَجْرَىٰهَا﴾ بفتْحِ الميمِ والرَّاءِ، وبألِفٍ بعْدَها، ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ برفْعِ المِيمِ وفتْحِ السِّينِ، وبألِفٍ بعْدَها[٥].

وقرَأَ أبو الجوْزَاءِ، وابْنُ يعْمُرَ: ﴿مَجْرَىٰهَاوَمَرْسَىٰهَآ﴾ بفتْحِ الميمِ فِيهما جمِيعًا، وفتْحِ الرَّاءِ والسِّينِ، وبألِفٍ بعْدَهُما.

---

(١) في (ج)، و(ف): وحفص.

(٢) في (ج)، و(ر): كانوا.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٤)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٣).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٤).

(٥) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، والتبصرة (ص: ٥٣٨)، والمبسوط في القراءات العشر؛ لابن مهران الأَصْبهانِيّ (ص: ٢٣٩)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٣/ ١١٤).

وقـرأ يحيى بن وثاب: بفتح الميمين، إلا أنه أمال الراء والسين فيهما. وقرأ أبو عمران الجوني[١]، وابن جبير: برفع الميم فيهما، وفتح الراء والسين، وبألف بعدهما جميعًا[٢].

فمن قرأ بضم الميمين؛ جعله من أجرى وأرسى، ومن فتحهما جعله مصدرًا من جرى الشيء يجري مجرى، ورسى [يرسي][٣] مرسى[٤].

(قال الزجاج)[٥]: قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بالله، والمعنى: أنه أمرهم أن يسموا[٦] في وقت جريها، ووقت استقرارها[٧].

ومن قرأ بضم الميمين؛ فالمعنى: بالله إجراؤها، وبالله إرساؤها. ومن فتحهما؛ فالمعنى: بالله يكون جريها، وبالله يقع إرساؤها[٨]؛ أي: إقرارها[٩].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) قراءة شاذة، انظر عزوها في: إعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٦٩)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٣٥).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ف).

(٦) في (ج)، و(ف): يسمون.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٥).

(٨) في الأصل: رسوُّها، والمثبت من سائر النسخ.

(٩) في الأصل: قرارها، والمثبت من سائر النسخ.

(قَالَ الشَّيخُ)[١]: وسمعْتُ شيْخَنَا أَبَا منْصُورٍ اللُّغويَّ يقُولُ[٢]: مَنْ ضمَّ الميمَ فِي: ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ أرَادَ أجْرَاهَا اللهُ مُجْرى، ومَنْ فتحَها، أرَادَ: جرَتْ مَجْرى.

وقَالَ الضَّحَّاكُ: كانَ إذَا أرَادَ أن تجرِيَ؛ قَالَ: بسْمِ اللهِ فجرَتْ. وإذَا أرَاد أنْ ترسِيَ، قَالَ: بسْمِ اللهِ، فرسَتْ[٣].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٢ - ٤٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

شبَّهَهُ[٤] بالجِبالِ فِي عِظَمِهِ وارْتفَاعِه، ويُقَالُ: إنَّ المَاءَ ارْتفَعَ على أطْولِ جبَلٍ في الأرْضِ أرْبعِينَ ذِراعًا، ويُرْوَى: خمْسَ عشرةَ ذِرَاعًا[٥]. وذكَرَ بعْضُ المفسِّرِينَ أنَّه ارْتفَعَ نحْوَ السَّماءِ سبْعِين فرْسخًا مِنَ الأرْضِ.

---

(١) زيادة من الأصل فقط.

(٢) ليست في (ج).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٣) (١٠٨٨٦) من طريق جابر بن نوح به بنحوه، وفيه تقديم وتأخير، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) إلى الطبري.

(٤) في (ف): شبه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٣)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٧٧)، عن معمر، عن قتادة، ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١] قال: بلغنا أنه طغى فوق كل شيء خمس عشرة ذراعًا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٠) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ لا يختلِفُون أنّه كانَ كافرًا.

وفي اسْمهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: كنْعَانُ، وهوَ قوْلُ الأكْثَرينَ[١].

والثَّانِي: اسْمهُ يَام، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عُبيدُ بْنُ عُميرٍ[٢]، وابْنُ إسْحاقَ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ المَعْزِل: المكانُ المنْقَطِعُ. ومعْنى العزْلِ: التَّنْحيةُ (والإبْعادُ)[٤].

[٣٧٢/ ب] وفي معْنَى الكلَامِ وجْهانِ -ذكرَهُمَا الزَّجّاجُ[٥]-:

(١) قاله قتادة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٥)، وقاله أيضًا مقاتل في تفسيره (٢/ ٢٨١)، ومحمّد بن إسحاق كما في الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٧٤)، وهو قول أكثر أهل التفسير. انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٣٨)، ولباب التأويل؛ للخازن (٣/ ٣٠٥).

(٢) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، قاض أهل مكة في زمانه، من كبار التابعين، وكان بليغًا فصيحًا، كان ابن عمر يجلس إليه ويقول: لله درُّ أبي قتادة ماذا يأتي به؟! ويروى عن مجاهد أنّه قال: نفخر على التابعين بأربعة فذكره منهم، ومن أقواله الجميلة المأثورة: «إنْ أعْظَمَكُم هذا الليل أن تُكابدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، جبنتم عن العدو أن تقاتلوه، فأكثروا من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ»، توفي في سنة أربع وسبعين، وقيل: إنّه توفي قبل ابن عمر بأيّام يسيرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦)، وطبقات الحفاظ (١/ ٢٢)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٦٥)، صفوة الصفوة (٢/ ٢٠٧).

(٣) قاله ابن عباس وابن إسحاق، واختاره الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣١).

(٤) من الأصل، و(ر).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٤).

أحدُهما: فِي معْزِلٍ مِنَ السَّفِينةِ.

والثَّانِي: فِي معْزِلٍ مِن دينِ أَبِيهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونَافِـعٌ، وأبُـو عمْـرٍو، وعَاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: {يَـا بُنَـيِّ ارْكَـبْ} مُضافَـةً بكَسْرِ اليَـاءِ، ورَوَى أبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: {يابُنَـيَّ} مفْتُوحـةَ اليَـاءِ هَاهُنـا، وباقِـي القُـرآن مكْسُـورةً.

ورَوى حفْصٌ عنْهُ بالفتْحِ فِي كُلِّ القُرآنِ: {يابُنَـيَّ} إذا كانَ واحِدًا[١].

قالَ النَّحْويُّونَ: الأصْلُ فِي «بنيّ» ثلاثُ ياءَاتٍ:

- ياءُ التَّصْغِيرِ.
- وياءٌ بعْدَها؛ هِي لامُ الفِعْلِ.
- وياءٌ بعْدَ لَامِ الفِعْلِ؛ هيَ ياءُ الإضَافَةِ.

فمَـن قـرَأَ: «يَـا بُنَـيِّ» أرادَ: «يَـا بُنَيِّـي» فحذَفَ يـاءَ الإضْافـةِ وتـرَكَ الكسْرَةَ تـدُلُّ عليْهَـا؛ كـمَا يُقـال: يـا غـلَامِ أقْبِـلْ، ومَـنْ فتَـحَ اليَـاءَ، أبْـدَلَ مِـن كـسْرةِ لَامِ الفِعْـلِ فتْحـةً؛ اسْـتِثْقالًا لِاجْتِـمَاعِ اليَـاءَاتِ مـعَ الكَسْرَةِ؛ فانْقلَبَتْ يـاءُ الإضَافةِ[٢] ألِفًـا، ثُـمَّ حُذفـتِ الألِـفُ كـمَا تُحذفُ اليـاءُ، فبَقِيـتِ الفتْحَةُ عـلَى حالِهَا.

---

(١) انظـر القـراءات الـواردة في هـذا الحـرف: السـبعة (ص: ٣٣٤)، والتيسـير (ص: ١٢٤)، وهـي مـن جميـع طـرق عاصم؛كـما في جامـع البيـان (٣/ ١١٩٩).

(٢) في (ج)، و(ف): فانقلبت بالإضافة.

وقِيلَ: إنَّ المعْنَى: يَا بُنَيَّ آمِنْ وارْكَبْ معَنَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿سَآوِيٓ﴾؛ أي: سَأصِيرُ وأرْجِعُ ﴿إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي﴾؛ أي: يمْنَعُنِي ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾؛ أي: مِن تغْرِيقِ المَاءِ.

﴿قالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ اليوم من أمْر الله﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا مانِعَ اليوْمَ مِن أمْرِ اللهِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لا معْصُومَ، ومثْلُه: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدْفُوقٍ، وَسِرٌّ كَاتِمٌ، ولَيْلٌ نَائِمٌ، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هذَا اسْتِثْنَاءٌ ليْس مِنَ الأوَّلِ، والمعْنَى: لكِنْ مَنْ رحِمَ اللهُ فإنَّه معْصُومٌ[٢].

قالَ مُقاتِلٌ: إلَّا مَنْ رحِمَ فرَكِبَ السَّفِينةَ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾.

فِي المكنّى عنْهُما قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهما ابْنُ نوحٍ والجبلُ الَّذِي زعَم أنَّه يعْصِمُه، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤]، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٣).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٨٥)، وانظر: معاني القرآن (٢/ ١٧).

والثَّاني: نوحٌ وابْنُه، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ [هود: ٤٤ - ٤٧].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ وقفَ قومٌ على ظاهِرِ الآيةِ، وقالُوا: إنَّما ابْتلعتْ ما نبع منْها، ولم تبْتلعْ ماءَ السَّماءِ، فصارَ ذلِكَ بِحارًا وأنْهارًا، وهو معْنى قوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وذَهبَ آخرُونَ إلى أنَّ المرادَ: ابْلَعِي ماءَكِ الَّذي عليْكِ، وهوَ ما نبعَ مِنَ الأرْضِ ونزَل مِنَ السَّماءِ، وذلِك بعْدَ أنْ غرِقَ ما على وجْهِ الأرْضِ.

قوْلُه تعالى: ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾؛ أي: أمْسِكي عنْ إنْزالِ الماءِ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: لمَّا تقدَّم ذكْرُ الماءِ، عُلم أنَّ المعْنى: أقْلِعي عنْ إنْزالِ الماءِ(٢).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٣).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي (١١/ ٤٣٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾؛ أي: نقَصَ.

قال الزَّجَّاجُ: يُقال: غَاضَ المَاءُ يَغِيضُ؛ إذَا غابَ فِي الأرْضِ، ويجُوزُ إشْمَامُ الضَّمِّ فِي الغيْنِ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: غرِقَ مَنْ غرِقَ، ونجَا مَنْ نَجَا[2].

وقالَ مُجاهِدٌ: «قُضِيَ الأمْرُ»: هَلاكُ قوْمِ نُوحٍ[3].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: «وقُضِيَ الأمْرُ»؛ أي: فُرِغَ منْهُ[4].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: والمعْنَى: أُحْكِمَتْ هلَكَةُ قوْمِ نُوحٍ، فلمَّا دلَّتِ القِصَّةُ علَى مَا يُبيِّنُ هلكتهُم؛ أغْنَى عنْ نعْتِ الأمْرِ[5].

[٣٧٣/أ] قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ يعْنِي: السَّفِينةَ ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾: وهوَ اسْمُ جبَلٍ.

وقرَأَ الأعْمَشُ، وابْنُ أبِي عبْلَةَ: ﴿عَلَى الْجُودِيْ﴾ بسُكونِ اليَاءِ[6].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٥)، وإشمام الضم: الميل إلى الضمِّ قليلاً في الغين.

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٨٥).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٧- ٣٨٨)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٧) (١٠٩١٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٥) إلى أبي الشيخ.

(٤) غريب القرآن (ص: ٨١).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ١٦٠).

(٦) قراءة شاذة، انظر عزوها للأعمش في المحتسب (١/ ٣٢٣)، وهما في الكامل للهذلي (ص: ٥٧١).

قَالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: وتشْديدُ اليَاءِ فِي ﴿ٱلْجُودِيِّ﴾؛ لأنَّها ياءُ النِّسْبة، فهِيَ كاليَاءِ فِي عَلَوِيٍّ، وهَاشِمِيٍّ، وقَدْ خفَّفَها بعْضُ القُرَّاءِ، ومِنَ العرَبِ مَنْ يُخفِّفُ ياءَ النِّسبَة، فيُسكِّنُها فِي الرَّفْعِ، والخفْضِ، ويفتحُها فِي النَّصْبِ، فيَقُولُ: قامَ زَيْدٌ العَلَوِي، ورَأَيْتُ زيدًا العَلَوِيَ[١].

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: دارَتِ السَّفِينَةُ بالبيْتِ أرْبعِينَ يوْمًا، ثُمَّ وجَّهَها اللهُ إلى الجُودِيِّ فاسْتقرَّتْ عليْهِ[٢].

واخْتلَفُوا أيْنَ هذَا الجبَلُ علَى ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه بالمَوْصِلِ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ[٤].

والثَّاني: بالجزيرَةِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

وقالَ مُقاتِلٌ: هوَ بالجزِيرَةِ قرِيبٌ مِنَ المَوْصِلِ[٥].

والثَّالث: أنَّه بناحِيةِ آمِدَ[٦]، قالَه الزَّجَّاجُ[٧].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٨٨٢) عن عكرمة عن ابن عبَّاس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٣١) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة به.

(٣) تنوير المقباس (١/ ١٨٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٨)، قال: حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول: {واستوت على الجودي}، هو جبل بالموصل. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩١٨) من طريق آخر عن الضحاك.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٢).

(٦) آمد: بكسر الميم؛ بلدٌ قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نَشَز وجلة، من الثغور المعروفة، ينسب إليها علماء، أشهرهم أبو الحسن الآمدي. انظر: معجم البلدان (١/ ٥٧).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٥).

وفي عِلَّةِ اسْتِوَائِهَا عليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لم يغْرَقْ؛ لأنَّ الجِبالَ تشامَخَتْ يومَئِذٍ وتطاوَلَتْ، وتواضَعَ هوَ فلم يغْرَقْ، فأَرْسَتْ عليْهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ(١).

والثَّاني: أنَّهُ لَمَّا قلَّ الماءُ أرسَتْ عليْهِ، فكانَ اسْتِوَاؤُها عليْهِ دِلالَةً علَى قِلَّةِ الماءِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بُعدًا مِن رحْمَةِ اللهِ للْقَوْمِ الكافِرينَ(٢).

فإنْ قيلَ: ما ذَنْبُ مَن أُغْرِقَ مِنَ البهائِمِ والأطْفالِ؟.

فالجوابُ: أنَّ آجالَهُم حضَرَتْ، (فأُمِيتُوا بالغرَقِ)(٣)، قالَهُ الضَّحَّاكُ(٤)، وابنُ جُريجٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ إنَّما قالَ نوحٌ هذا؛ لأنَّ اللهَ تعَالى

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٨)، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٧) عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩١٥) من طريق ورقاء، به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٥) إلى أبي الشيخ.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٣) ليست في (ج).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٣٩) قال: حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان قال: سمعت الضحاك يقول: تزعُم أناسٌ أن من غرق من الولدان مع آبائهم، وليس كذلك، إنما الولدان بمنزلة الطير وسائر من أغرق الله بغير ذنب، ولكن حضرت آجالهم فماتوا لآجالهم.

وعَـدَهُ نجـاةَ أهْلِـه، فقَـال﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [بالحـقِّ](١)، قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ(٢): أعْـدَلُ العَادِلِـينَ.

وقالَ ابنُ زيْدٍ: وأنْتَ أحْكمُ الحَاكِمينَ بالحَقِّ(٣).

واخْتلَفُوا فِي هذَا الَّذِي سأَلَ(٤) فيهِ نوحٌ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهمـا: أنَّـه ابْـنُ نُـوحٍ لِصلْبِـه، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وعِكرِمَـةُ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، ومُجاهِـدٌ، والضَّحَّـاكُ، والجُمهُـورُ.

والثَّانِي: أنَّه وُلِدَ علَى فِراشِهِ لِغيرِ رِشْدَةٍ(٥) ولَمْ يكُنْ ابْنه(٦).

---

(١) من (ف).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧٥)، والتفسير البسيط (١١/ ٤٣٤- ٤٣٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٠) من طريق ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {وأنت أحكم الحاكمين} قال: أحكم الحاكمين بالحق، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩٢٣)، من طريق أصبغ بن الفرج، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول في قول الله: {وأنت أحكم الحاكمين} قال: بالحق.

(٤) ليست في (ج).

(٥) ويقصدون بقولهم: ليس ولد رشدة؛ أي: أنَّه ولد زنا.

(٦) وهو قول ابن جريج، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٢)، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢٦): وقد نصَّ غيرُ واحدٍ من الأئمة على تخطِئةِ مَن ذهبَ في تفسير هذَا إلى أنَّه ليس بابنه، وإنما كان ابنَ زِنْية، ويُحكى القوْلُ بأنَّه ليس بابْنه، وإنَّما كان ابْنَ امرأتِه عن مُجاهدٍ، والحسنِ، وعُبيدِ بْنِ عُميرٍ، وأبي جعفرٍ الباقِرِ، وابْنِ جُريجٍ، واحتجَّ بعضُهم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾، وبقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم: ١٠] فمِمَّن قالَهُ الحسَنُ البصرِيُّ، احْتجَّ بهاتَيْنِ الآيَتَيْنِ. وبعضُهم يقُول: كان ابْنَ امْرأتِه، وهذا يُحتملُ أن يكونَ أرَادَ مَا أرَادَ الحسَنُ، أوْ أرَادَ أنَّه نُسِب إليه مجازًا؛ لكوْنِه كان ربيبًا عنده، والله أعلم. وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ، وغيْرُ واحِدٍ مِنَ السَّلفِ: ما زَنَتْ امْرأةُ نبِيٍّ=

رَوى ابْنُ الأنْبَارِيِّ بإسْنادِهِ عنِ الحَسنِ أنَّه قالَ: لم يكُن ابْنَهُ[١]، إنَّ امْرأتهُ فجَرَتْ.

وعنِ الشَّعْبِيِّ قالَ: لم يَكُن ابْنَهُ، إنَّ امْرأتَهُ خانَتْهُ[٢]، وعن مُجاهِدٍ نحْوُ ذلِك.

وقالَ ابْنُ جُريجٍ[٣]: ناداهُ نُوحٌ وهوَ يحْسِبُ أنَّه ابْنُه، وكان وُلِد علَى فِراشِهِ.

فعَلى القوْلِ الأوّلِ؛ يكُونُ في معْنَى قوْلِه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ قوْلانِ:

أحدُهُما: ليْسَ مِنْ أهْلِ دينِكَ.

والثَّاني: ليْس مِنْ أهْلِكَ الَّذين وعدْتُك نَجاتَهُم.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مَا بغَتِ امْرَأةُ نَبيٍّ قطُّ، وإنَّما **المعْنَى:** ليْسَ مِنْ أهْلِكَ الَّذِينَ وعَدْتُكَ نَجاتَهُم[٤].

=قطُّ، قالَ: وقوْلُه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾؛ أي: الذين وعَدْتُك نَجاتَهم. وقولُ ابْنِ عبَّاسٍ في هذا هوَ الحقُّ الذي لا مَحيدَ عنْهُ، فإنَّ اللهَ سُبحانه أغْيَرُ مِن أنْ يُمكِّنَ امْرأةَ نَبيٍّ مِنَ الفاحِشةِ، ولهذا غَضِب اللهُ علَى الَّذِين رَمُوا أُمَّ المؤمِنينَ عائِشةَ بِنتَ الصِّدِّيقِ زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ وأنْكَر على المؤمِنينَ الَّذِين تكلَّمُوا بهذا وأشاعُوه.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٩) من طريق هشيم عن عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ قال: لم يكن ابنه. ولم أقف على رواية ابن الأنباري.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٣٦) عن الشعبي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٢)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٧٥).

(٤) أخرجه عبد الرَّزّاق في تفسيره (٢/ ٣٠٧)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٥٢)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٣٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٦) إلى الفريابي وأبي الشيخ وابن عساكر.

وعَلَى القَوْلِ الآخَرِ؛ الكَلامُ علَى ظاهِرِه، والأوَّلُ أصَحُّ؛ لِموافقتِهِ ظاهِرَ القُرآنِ، ولاجْتِماعِ الأكْثَرِينَ عليْهِ، وهوَ أوْلَى مِن رمْيِ زوْجةِ[١] نَبيٍّ بفاحِشَةٍ. [٣٧٣/ ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾.

قرَأ ابْنُ كَثيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عَامِرٍ، وعَاصِمٌ، وحمْزةُ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾ رفعٌ[٢] مُنوَّنٌ ﴿غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ برفْعِ الرَّاءِ[٣].

وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يرجِعُ إلى السُّؤالِ فيهِ.

فالمعْنَى: سُؤالُك إيَّايَ فيهِ عمَلٌ غيْرُ صَالِحٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ، وهذَا ظاهِرٌ؛ لأنَّه قد تقدَّم السُّؤالُ فيهِ في قوْلِه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فرجعَتِ الكِنايةُ إليْهِ.

والثَّاني: أنَّه يرجِعُ إلى المسْؤولِ فيهِ.

وفي هذَا المعْنَى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لِغيْرِ رِشْدَةٍ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّ المعْنى: إنَّه ذو عمَلٍ غيْرِ صالِحٍ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

---

(١) في (ف): وجه.

(٢) في (ف): برفع.

(٣) قراءة الجمهور، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٥).

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: مَنْ قَالَ: «هُوَ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ»؛ قَالَ: المَعْنَى: إنَّ أصْلَ ابْنِكَ الَّذِي تظُنُّ أنَّه ابْنُكَ عمَلٌ غيْرُ صَالِحٍ. ومَنْ قَالَ[١]: إنَّه ذو عمَلٍ غيْرِ صَالِحٍ؛ قَالَ: حذَفَ المُضافَ، وأقَامَ العَمَلَ مَقامَهُ؛ كما تقُولُ العرَبُ: عبدُ اللهِ إقْبَالٌ وإدْبَارٌ؛ أي: صاحِبُ إقْبَالٍ وإدْبَارٍ[٢].

وقرَأَ الكِسائِيُّ: {عَمِلَ} بكسْرِ المِيمِ وفتْحِ اللَّامِ {غَيْرَ صَٰلِحٍ} بفتْحِ الرَّاءِ، يُشِيرُ إلى أنَّه مُشرِكٌ[٣].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ: «فَلاَ تَسْأَلَنِّ» بفتْحِ اللَّامِ، وتشْدِيد النُّونِ، غيْرَ أنَّ نافِعًا، وابْنَ عامِرٍ[٤]، كسَرَا النُّونَ، وفتَحَها ابْنُ كثِيرٍ، وحذَفُوا اليَاءَ فِي الوَصْلِ والوَقْفِ.

وقرَأ عاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ[٥]، والكِسائِيُّ: بسُكونِ اللَّامِ، وتخْفِيفِ[٦] النُّونِ، غيْرَ أنَّ أبَا عمْرٍو، وأبَا جعْفرٍ[٧]، أثْبَتَا اليَاءَ في الوَصْلِ، وحذَفَاهَا في الوَقْفِ، ووَقَفَ عليْهَا يعْقُوبُ بالياءِ، والباقُونَ يَحْذِفُونَها في الحَالَيْنِ[٨].

---

(١) من قوله: (من قال: هو لغير رشدة)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧١٣- ٧١٤).

(٣) قراءة سبعية متواترة، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٤) في (ج)، و(ف) زيادة: وحمزة.

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ف): وتشديد.

(٧) ليس في (ج).

(٨) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٥)، وتفسير ابغوي=

قَالَ أبو عَلِيٍّ: مَن كسَرَ النُّونَ؛ فقَدْ عدَّى السُّؤالَ إلى مفعُولَيْنِ: **أحدُهما**: اسْمُ المتكلِّم، **والآخَر**: الِاسْمُ الموْصُولُ، وحُذفَتِ النُّونُ الْمُتصلةُ بيَاءِ المتكلِّمِ؛ لاجْتِماعِ النُّونَاتِ. فأمَّا إثْباتُ الياءِ في الوَصْلِ فهوَ الأصْلُ، وحذْفُها أخَفُّ، والكسْرَةُ تدُلُّ عليها، وتُعْلِم[1] أنَّ المفْعُولَ مُرادٌ في المعْنَى[2].

ثُمَّ في معْنَى الكلَامِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه نسْبتُه إليْهِ، وليْس منْهُ.

والثَّاني: في إدْخالِهِ إيَّاه في جُملَةِ أهْلِه الَّذين وعَدَهُ نجاتَهُم.

والثَّالث: سُؤالُه فِي إنْجاءِ كَافِرٍ مِنَ العَذَابِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ **فيهِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: أنْ تكُونَ مِنَ الجَاهِلينَ فِي سُؤالِكَ مَنْ ليْسَ مِنْ حِزْبِكَ.

والثَّاني: مِنَ الجاهِلِين بوَعْدِي؛ لأنِّي وعْدتُ بانْجاءِ المؤْمِنينَ.

والثَّالث: مِنَ الجَاهِلِينَ بنَسَبِكَ؛ لأنَّه ليْسَ مِن أهْلِكَ.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٨﴾ [هود: ٤٨].

=(٢/ ٤٠٥)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٨٩).

(١) في المطبوع من الحجة، و(ج): ويعلم. وليست في (ف).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٤٦).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿يَـٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـدُ: مِـنَ السَّـفِينةِ إلى الأرْضِ[١]. ﴿بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾؛ أي: بِسَـلامِهِ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيۡكَ﴾.

قـالَ المفَسِّرُونَ: الـبَرَكَاتُ علَيْـه: أنَّـه صـارَ أبَـا للْبَـشرِ[٢] جميعًـا؛ لأنَّ جميعَ الخلْقِ مِنْ نسْـلِه. ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ قـالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريـدُ: مِنْ ولَدِكَ[٣].

قـالَ ابْنُ الأنْبـارِيِّ[٤]: المعْنَى: مِـن ذَرارِي مَنْ معَـكَ، والمـرَادُ: المؤْمِنُونَ مِن ذُرِّيَّتِـه. ثُمَّ ذكَـرَ الكفَّارَ، فقـالَ: ﴿وَأُمَمٌ﴾؛ أي: مِـنَ الذُّرِّيَّةِ أيضًا. [٣٧٤/ أ]

والمعْنَـى: وفيمَـنْ نَصِـفُ لَـكَ أُمَـمٌ، وفيمَـنْ نَقُـصُّ عليْـكَ أمْـرَهُ أُمَـمٌ ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾؛ أي: في الدُّنْيـا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فِي الآخِـرَةِ.

قـالَ مُحَمَّـدُ بْـنُ كعْـبٍ القُرَظِـيُّ[٥]: لم يبْـقَ مُؤمِـنٌ ولَا مُؤْمِنـةٌ فِي أصْـلابِ الرِّجـالِ وأرْحَـامِ النِّسـاءِ يومئـذٍ إلى (أنْ تقُـومَ السَّـاعةُ)[٦] إلَّا وقـد دخَـلَ فِي ذلِـكَ السَّـلامِ والـبَرَكاتِ، ولم يبْـقَ كافِـرٌ إلَّا دخَـل في ذلِـك المتَـاعِ والعـذَابِ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٧٦)، والتفسير البسيط (١١/ ٤٤١).

(٢) في (ج)، و(ف): البشر.

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (١١/ ٤٤٢).

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي التفسير البسيط (١١/ ٤٤٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤١).

(٦) في (ف): إلى يوم القيامة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)﴾ [هود: ٤٩ - ٥٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاء الْغَيْبِ﴾.

في المشَارِ إليْه(١) بـ﴿تِلْكَ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: قِصَّةُ نُوحٍ.

والثَّاني: آيَاتُ القُرآنِ.

والمعْنَى: تلْك مِنْ أخْبَارِ ما غَابَ عنْكَ وعنْ قوْمِك.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قالَ هَاهُنا: ﴿تِلْكَ﴾ وفي مكانٍ آخَرَ ﴿ذَلِكَ﴾؟.

فقَدْ أجَابَ عنْهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ، فقَالَ: ﴿تِلْكَ﴾ إشَارةٌ إلى آيَاتِ القُرآنِ، و﴿ذَلِكَ﴾ إشَارةٌ إلى الخبَرِ والحدِيثِ، وكلَاهمَا معْرُوفٌ في اللُّغةِ الفَصيحَةِ؛ يقُولُ الرَّجُلُ: قد قدِمَ فُلانٌ، فيقُولُ سامِعُ قوْلِه: قد فرِحْتُ بِه، وقد سُررتُ بِها(٢)، فإذا ذكَّر، عنَى القُدومَ، وإذا أنَّث، ذهبَ إلى القَدْمَة(٣).

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ج): قد سررت، وقد فرحت بها.

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٨).

قوْلُه تعالى: ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ يعْنِي: القُرآنَ ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صبَرَ نوحٌ علَى أذَى قوْمِه ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾؛ أي: آخِرَ الأمْرِ بالظَّفرِ والتَّمْكينِ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: لَكَ ولِقوْمِكَ كما كانَ لِمُؤمِني قوْمِ نُوحٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾؛ أي: ما أنْتُم إلَّا كاذِبُونَ في إشْراكِكم معَ اللهِ عزَّ وجلَّ الأوْثَانَ. وما بعْدَ هذَا قد سبَقَ تفسْيرُه [يونس: ٧٢]... إلى قوله تعَالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، وهذا أيضًا قد سبَقَ تفْسِيرُه[1] في سُورة الأنْعامِ [آية: ٦١].

والسَّببُ في قوْلِه لهُم ذلِكَ: أنَّ اللهَ تعَالى حبَسَ المطرَ عنْهُم ثلاثَ سِنينَ، وأعْقَمَ أرْحامَ نِسائِهم، فوَعَدهُم إحْياءَ بِلادِهِم وبسْطَ الرِّزْقِ لهُم إنْ آمَنُوا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الولدُ وولدُ الوَلدِ، روَاه أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يزدكُمْ شِدَّةً إلى شِدَّتِكُم، قالَهُ مُجاهِدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّالِثُ: خصْبًا إلى خصْبِكُم، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: لَا تُعْرِضُوا عنِ التَّوْحيدِ مُشْركِينَ[2].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٦).

قوْلُه تعالى: ﴿مَاجِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾؛ أي: بحجَّةٍ واضحةٍ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ يعْنُونَ: الأصْنامَ ﴿عَن قَوۡلِكَ﴾؛ أي: بقوْلِك، و «الباء» و «عنْ» يتعاقبانِ.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

قوْلُه تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ﴾؛ أي: ما نقُولُ في سببِ مُخالفتِك إيَّانا إلَّا أنَّ بعْضَ آلهتِنا أصابَكَ بجُنونٍ لِسبِّكَ إيَّاها، فالَّذي تُظهِر مِن عيْبِها لِما لحِقَ[1] عقْلَك مِنَ التَّغْيير[2].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ[3]: يُقالُ: عَرانِي كذَا، واعْتَرانِي: إذَا ألَمَّ بِي. ومنْهُ[4] قِيلَ لِمَن أتاكَ يطْلُبُ نائِلَك: عارٍ، ومنْهُ قوْلُ النَّابغةِ [من الوافر]: [٣٧٤/ ب]

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ[5]

قوْلُه تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾... إلى آخر الآية.

حرَّكَ ياءَ ﴿إِنِّيٓ﴾ نافعٌ.

---

(١) في (ج): محق.

(٢) ذكره الواحدي في الوجيز (ص: ٥٢٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٠٤).

(٤) ليست في (ج).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٢٢٢)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٣)، والشعر والشعراء (ص: ٨٤)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٣٧٣) (عرا)، ليس قوله: عاريًا، من عريت، وإنما هو من عروته؛ إذا ألممت به، والخلق: البالي.

ومعْنَى الآيـةِ: إنْ كنْتُـم تقُولـونَ: إنَّ الآلهـةَ عاقَبتْنِي لِطَعْنِـي عليْهَـا؛ فـإِنِّي علـى يقِـينٍ مِـن عيبِهَـا والـبراءَةِ منْهَـا، وهَـا أنَـا ذَا أزِيـدُ في الطَّعْـن عليْهَـا.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾؛ أي: احْتالُـوا أنْتـم وأوْثَانُكـم في ضرِّي. ﴿ثُمَّ [لَا تُنظِرُونِ﴾؛ أي](١): لا تُمهِلُـون.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وهـذَا مِـن أعْظَـمِ آيـاتِ الرُّسُـلِ(٢)، أنْ يكُـونَ الرَّسُـولُ وحْـدَهُ، وأُمتُـه مُتعاوِنَـةٌ عليْـهِ، فيقُـولُ لهُـم: كِيـدُوني، فـلا يسْتطِيعُ أحَـدٌ منْهُـم ضَرَّهُ، وكذلِـكَ قـالَ نـوحٌ لِقوْمِـه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾، وقـالَ محُمَّـدٌ ﷺ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسـلات: ٣٩] (٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ قـالَ أبُـو عُبيـدَةَ(٤): المعْنَـى: أنَّهـا في قبْضَتِـهِ ومُلْكِـه وسُـلْطانِهِ(٥).

فإنْ قِيلَ: لِمَ خصَّ النَّاصِيةَ؟.

فالجـوَابُ: أنَّ النَّاصِيـةَ هِـي شَـعرُ مُقـدَّمِ الـرَّأسِ، فـإذا أخـذْتَ بهـا مِـن شـخْصٍ، فقَـدْ ملَكْـتَ سـائرَ بدَنِـه، وذَلَّ لـكَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

---

(١) من (ج).

(٢) في (ج): الرسول.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٨).

(٤) قوله: (قال أبو عبيدة) ليس في (ج).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٩٠).

قَالَ مُجَاهِدٌ: عَلَى الحَقِّ(١). وقَالَ غَيْرُه: فِي الكَلَام إضْمَارٌ، تَقْدِيرُه: إنَّ رَبِّي يَدُلُّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٢).

فَإِنْ قِيلَ: مَا وَجْهُ المُنَاسَبَةِ بَيْن قَوْلِه: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ وبَيْنَ كَوْنِه عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟.

فعَنْهُ جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّه لمَّا أخبَرَ(٣) أنَّه آخِذٌ بنوَاصِي الخلْقِ، كانَ معْناهُ: أنَّهم لا يخْرُجون عنْ قبْضَتِه، فأخْبَرَ أنَّه علَى طريقٍ لا يعْدِلُ عنْه هارِبٌ، ولا يخْفَى عليْه مُستَتِرٌ.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: أنَّه وإنْ كانَ قادِرًا عليْهِم، فهوَ لا يظْلِمُهُم، ولا يُريد إلَّا العدْلَ، ذكرَهُما ابنُ الأنْبارِيِّ(٤).

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ٥٧﴾ [هود: ٥٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه فعْلٌ ماضٍ، معْناهُ: فإنْ أعْرَضُوا؛ فعلَى هذا فِي الآيَةِ إضْمارٌ، تلْخِيصُه: فإنْ أعْرَضُوا فقُل لهُم: قد أبْلغْتُكُم، هذَا مذْهبُ مُقاتلٍ في آخَرِينَ(٥).

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٨٧) (٧٢٦٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٧) إلى أبي الشيخ.

(٢) ذكره الفخر الرازي في تفسيره (١٨/ ١٤) دون عزو.

(٣) في (ف): أخبره.

(٤) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٤٩).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٦).

والثَّاني: أنَّه خِطابٌ لِلْحاضِرينَ، وتقْدِيرُه: فإن تتولَّوا، فاسْتثْقلُوا الجمْعَ بيْنَ تاءَيْنِ مُتحرِّكتيْنِ، فاقْتُصر على إحْداهُما، وأُسْقِطتِ الأُخْرَى؛ كما قالَ النَّابغَةُ [من مجزوء الكامل]:

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعِيـ ـشَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهْ
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْقَـ ـى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ
وَتَصَرَّفُ الْأَيَامُ حَتـ ـى مَا[1] يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهْ[2]

أرادَ: وتتصرف الأيام، فأسقَط إحْدَى التَّاءَيْنِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[3].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيهِ وعِيدٌ لهُم بالهَلاكِ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: حفِيظٌ على أعْمالِ العِبادِ حتَّى يُجازِيَهم بِهَا.

والثَّاني: أنَّ «علَى» بمعْنَى اللَّامِ، فالمعْنَى: لِكلِّ شيْءٍ حافِظٌ، فهوَ يحْفظُني مِن أنْ تنالُوني بِسُوءٍ. [٣٧٥/أ]

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود: ٥٨].

---

(١) في (ج)، و(ف): لا.

(٢) تنازع هذا البيت ثلاثة: النابغة الذبياني، والجعديّ ولبيد، وهو في دواوينهم، صفحات (ص: ٢٣٠)، و(ص: ١٩١)، و(ص: ٣٦٥)، كما تُنسب لأبي العتاهية، وهي في ديوانه (ص: ١٠٤) وفي الحماسة؛ للبحتري (ص: ٩٥) مع بعض الاختلاف في اللفظ.

(٣) من قوله: (أراد)... إلى هنا ساقط من (ج).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهُما: جاءَ[١] عذَابُنَا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: جاءَ أمْرُنا بِهلَاكِهِم.

قوْلُه تعَالى: ﴿ نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهُما: نجَّيْنَاهُم[٢] مِنَ العذَابِ بِنعْمَتِنَا.

والثَّاني: نجَّيْنَاهُم بأنْ هدَيْنَاهُم إلى الإيمانِ[٣]، وعصَمْنَاهُم مِنَ الكُفْرِ، رُوي القوْلَانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾؛ أي: شدِيدٍ؛ وهوَ ما استحقَّهُ قوْمُ هودٍ مِنْ عذَابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩ ﴾ [هود: ٥٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ [جَحَدُواْ][٤] ﴾ يعْنِي: القَبِيلَةَ ﴿ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ ﴾ لِقائِلٍ أنْ يقُولَ: إنَّما أُرسِل إليهِم هودٌ وحْدَهُ، فكيْفَ ذُكِر بلفْظِ الجمْعِ؟.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ف): أنجيناهم.

(٣) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: الإسلام.

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ر)، و(م).

فالجوابُ مِن ثلاثَةِ أوْجهٍ:

أحدُها: أنَّه قدْ يُذكر[١] بلفْظِ[٢] الجمْعِ ويُرادُ بهِ الواحِدُ؛ كقوْلِه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ والمرَادُ بهِ: النَّبيُّ ﷺ وحْدَهُ[٣].

والثَّاني: أنَّ مَنْ كذَّبَ رسُولًا واحِدًا[٤]؛ فقَدْ كذَّبَ الكُلَّ.

والثَّالث: أنَّ كُلَّ مرَّةٍ يُنذرهُم فيهَا هِي رِسالَةٌ مُجدَّدةٌ، وهوَ بها[٥] رَسُولٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾؛ أي: واتَّبعَ الأَتْباعُ أمْرَ الرُّؤسَاءِ.

والجبَّارُ: الَّذي طالَ وفَاتَ [اليَدَ][٦][٧].

ولِلْعُلماء فِي الجبَّارِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الَّذِي يقْتُلُ علَى الغضَبِ ويُعاقِبُ علَى الغضَبِ، قالَهُ الكلْبِيُّ.

والثَّانِي: أنَّه الَّذِي يجبُرُ النَّاسَ علَى مَا يُريدُ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٨].

والثَّالث: أنَّه المسلَّطُ.

---

(١) في (ف): يذكره.

(٢) في (م): لفظ.

(٣) من قوله: (من ثلاثة أوجه)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٤) ليست في (ف).

(٥) في (ج): فيها.

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) انظر: الصحاح؛ للجوهري (٢/ ٦٠٨).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٣).

والرَّابع: أنَّه العَظِيمُ فِي نفْسِه، المتكبِّرُ علَى العِبادِ، ذكرَهُما[١] ابْنُ الأنْبارِيِّ[٢].

والَّـذي ذكرْنَـاه يجْمَـعُ هـذهِ الأقْـوالَ، وقـد زدْنَا هـذَا شرْحًا في [سـورة][٣] المائدة [آيـة: ٢٢].

فأمَّا العَنِيدُ: فهوَ الَّذي لا يقْبَلُ الحقَّ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ[٤]: العَنُودُ، والعَنِيدُ[٥]، والعَانِدُ: المعَارِضُ لَكَ بالخِلافِ علَيْكَ[٦].

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

---

(١) في (ف): ذكره.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧١).

(٣) من (ج).

(٤) في (ج): قال أبو عبيد.

(٥) في (ج): العنيد والعنود.

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٥).

وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود: ٦٠ - ٦٩].

قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾؛ أي: أُلحِقوا لعنةً تنصرفُ معهم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: وفي يومِ[1] القيامةِ لعِنوا[2] أيضًا ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: بربِّهم، فحذفَ الباءَ، وأنشدوا [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرتَ بِهِ[3] ....

قالَ الزَّجَّاجُ: وقولُه: «أَلَا»: ابْتداءٌ وتنْبيهٌ، و﴿بُعْدًا﴾ منصوبٌ على معْنى[4]: أبْعدَهُمُ اللهُ فبَعِدُوا[5] بُعدًا، والمعْنى: أبْعدَهم [اللهُ][6] مِن رحْمتِه[7].

قوْلُه تعَالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ (فيهِ قوْلانِ:

---

(١) ليس في (ج).

(٢) في (ج): لعنوا به.

(٣) البيت بلا نسبة في الكامل؛ للمبرد (١/ ٣٦)، والمقتضب (٢/ ٣٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/ ٣٥١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١/ ٣١٧)، (١/ ٣٣٧)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٧٢)، وعجزه: فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ.

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ف).

(٦) من (ج).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٩).

أحدُهما: خلقَكُم مِن آدَمَ، وآدَمُ خُلِق مِنَ الأرْضِ)[١].

والثَّاني: أنْشأَكُم فِي الأرْضِ.

وفِي قوْلِه: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ **ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: «أعْمَرَكُم فِيها»؛ أي: جعَلَكُم سَاكِنِيها مُدَّةَ أعْمارِكُم، ومنْه العُمْرَى[٢]، وهذَا قوْلُ مُجاهِدٍ[٣].

والثَّاني: أطَالَ أعْمارَكُم، وكانَتْ أعْمارُهُم[٤] مِن ألْفِ سنَةٍ إلى ثلاثِمائَةِ [سنَةٍ][٥]، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: جعَلَكُم عُمَّارَهَا، قالَهُ أبو عُبيدةَ[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ **فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّهُم كانُوا يرْجُونَهُ للمملَكةِ بعْدِ ملكِهِم؛ لأنَّه كانَ ذا حسَبٍ وثروَةٍ، قالَهُ كعْبٌ. [٣٧٥/ب]

---

(١) في (ج): أي: أنشأكم من آدم، وآدم خلق من الأرض.

(٢) هي بضم العين وإسكان الميم؛ هي ما تجعله للرجل مدة عمرك أو عمره، وقال ثعلب: العمرى: أن يدفع الرجل لأخيه دارًا، فيقول: هذه لك عمرك، أو عمري، أينا مات دفعت الدار إلى أهله؛ أي إلى ورثته.

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٤٨) (١٠٩٧٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٨) إلى أبي الشيخ.

(٤) في (ر): أعماركم

(٥) من (ج).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٩١) بلفظ: جعلكم عمار الأرض.

والثَّـاني: أنَّـه كان يبْغـضُ أصْنامَهُـم ويعْـدِلُ عـنْ دِينِهـم، وكانُـوا يرْجُـونَ رُجوعَـهُ إلى دِينِهـم، فلـمَّا أظْهَـر إنْذارَهُـم؛ انْقَطَـع رجَاؤُهُـم منْـهُ، وإلى نحْـوِ هـذَا ذهَـبَ مُقاتِـلٌ(١).

والثَّالـث: أنَّهُـم كانـوا يرْجُـون خـيْرَه، فلـمَّا أنْذرَهُـم، زعَمُـوا أنَّ رجاءَهُـم لِخيْرِه قـدِ انْقطَـعَ، ذكـرَهُ المـاورديُّ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ﴾ إنْ قـالَ قائِـلٌ: لِمَ قـالَ هاهُنـا: ﴿وَإِنَّنَا﴾، وقـالَ فِي «إبْرَاهِيـم»: «وإنَّـا»؟.

فالجوَابُ: أنَّهُما لُغتانِ مِن لُغاتِ قُريشٍ السَّبعِ الَّتِي نزَلَ القُرآنُ عليْهَا.

قـالَ الفـرَّاء(٣): مَـنْ قـالَ: {إنَّنَـا} أخْـرجَ الحـرْفَ عـلَى أصْلِـه؛ لأنَّ كِنايـةَ المتكلِّمِـينَ «نـا» فاجْتمعَـتْ ثـلاثُ نُونـاتٍ: نُونَـا «إن»، والنُّـونُ المضْمُومَـةُ إلَى الألِـفِ، ومَـنْ قـالَ: «إنَّـا» اسْـتثْقَلَ الجمْـعَ بـيْنَ ثـلاثِ نُونَـاتٍ، وأسْـقطَ الثَّالِثةَ؛ وأبْقَـى الأُولَتَـين، وكذلِـكَ يُقـالُ: «إنَّ وإنَّنِـي»، و«لعَـلِّي ولَعلَّنِـي»، و«ليْتِـي وليْتَنِـي»، قـالَ اللهُ تعَـالى فِي [اللُّغـة](٤) العُليـا: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦﴾ [غافـر: ٣٦]، وقـالَ الشَّـاعِرُ فِي اللُّغـةِ الأُخْـرَى [مـن الطويـل]:

أَرِينِـي جَـوَادًا مَـاتَ هَـزْلًا لَعَلَّنِـي   أَرَى مَـا تَرَيْـنَ أَوْ بَخِيـلًا مُخَلَّـدَا(٥)

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٨).

(٢) النكت والعيون (٢/ ٤٧٩).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٧٦).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) البيت للأسود ابن يعفر في مجاز القرآن (١/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٣/ ٧٨)، والحجة؛=

وقـالَ [اللهُ][1] تعـالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾ [النسـاء: ٧٣]، وقـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الوافـر]:

كَمُنْيَـةِ جَابِـرٍ إِذْ قَـالَ: لَيْتِـي أُصَادِفُـهُ وَأُتْلِـفُ بَعْـضَ مَـالِي[2]

فأمَّا المرِيبُ: فهوَ الموقِعُ للرِّيبة والتُّهمَةِ، والرَّحمَةُ يُراد بها هَاهُنا: النُّبوَّةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ التَّخْسِير: النُّقْصَانُ.

وفِي معْنَي الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: فَمَا تزِيدُونَنِي غيْرَ بِصَارَةٍ في خَسَارَتِكُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[3].

=لأبي علي (٢/ ٢٢٥)، والكنز اللغوي؛ لابن السكيت (ص: ٢٣)، والأغاني (١٣/ ٣٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٤١)، وجاءت في رواية: (لأنني) بدل: (لعلني)، وجاء في الصحاح؛ للجوهري (٥/ ١٧٧٤): «وأنشد أبو زيد لحاتم»... فذكره، وفي تاج العروس (٣٤/ ٢٠٤): «قال ابن بري: وهو الصحيح، وقيل: هو لدريد، قال: وقد وجدته في شعر معن بن أوس المزني»، وجاء في تفسير القرطبي (٧/ ٦٤) معزوًّا لدريد بن الصمة.

(١) من (م).

(٢) البيت لزيد الخيل الطَّائي في ديوانه (ص: ٨٧)، ونوادر اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٢٦٩)، وكتاب سيبويه (٢/ ٣٧٠)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٩٧)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٧٧)، وبلا نسبة في المقتضب (١/ ٢٥٠)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ٥٥٠)، المنية: ما يتمناه الإنسان، جابر: رجل من غطفان تمنى أن يلقى زيدًا، فلما التقيا طعنه زيد برمح، فانكسر ظهره.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٣٩٣)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٥٧).

وقالَ الفرَّاءُ: المعْنَى: فما تَزِيدُونَنِي غيْرَ تَخْسِيرٍ لكُم؛ أي: كُلَّما اعْتذرْتُم عنْدِي بعُذْرٍ؛ فهوَ يزِيدُكم تخْسِيرًا[١].

وقالَ ابْنُ الأعْرابِيِّ[٢]: غيْرَ تَخْسِيرٍ لكُم، لا لي.

وقالَ بعْضُهم[٣]: المعْنَى: فما تَزِيدُونَنِي بما قُلْتُم إلَّا نِسْبَتِي لكُم إلى الخَسارَةِ.

والقوْلُ الثَّاني: فما تَزِيدُونَنِي غيْرَ الخُسْرانِ إنْ رجعْتُ إلَى دِينِكُم، وهذَا معْنَى قوْلِ مُقاتِلٍ[٤].

فإنْ قِيلَ: فظَاهِرُ هذَا أنَّه كانَ خاسِرًا، فزَادُوهُ خسارًا، فقدْ أسْلفْنَا الجوَابَ في قوْلِه تعَالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ﴾ قدْ شرحْناهَا في سورة[٥] الأعْراف [آية: ٧٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ﴾؛ أي: اسْتَمْتِعُوا بحياتِكُم، وعبَّرَ عنِ الحَياةِ بالتَمتُّعِ؛ لأنَّ الحَيَّ يكُونُ مُتمتِعًا بالحوَاسِّ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠).

(٢) انظر قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١/ ١٠٢٩) (خسر)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٥٨). وفي (ج): وقال ابن الأنباري.

(٣) ذُكر هذا القول عن الحسين بن الفضل؛ كما في الكشف والبيان (١٤/ ٣٩٣)، وتفسير البغوي (٤/ ١٨٦).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٨).

(٥) ليست في (ج)، و(ف).

قوْلُه تعَالى: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾.

قَالَ المفَسِّرُونَ: لَمَّا عُقرتِ[١] النَّاقةُ صعَد فَصِيلُها إلى الجبَلِ، ورَغَا[٢] ثلاثَ مرَّاتٍ، فقَالَ صَالِحٌ: لِكُلِّ رغْوةٍ أجَلُ يومٍ، ألَا إنَّ اليَوْمَ الأَوَّلَ تُصبِحُ وجُوهُكُم مُصفَرَّةً، واليَوْمَ الثَّانِي محُمرَّةً، واليَوْمَ الثَّالثَ مُسْودَّةً، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليَوْمِ الأوَّلِ، إذَا وجُوهُهُم مُصفرَّةٌ، فصَاحُوا وضَجُّوا، وبَكَوا، وعرَفُوا أنَّه العذَابُ، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليَوْمِ الثَّانِي؛ إذَا وجُوهُهُم محُمرَّةٌ، [٣٧٦/أ] فضَجُّوا، وبَكَوا، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ؛ إذَا وجُوهُهُم مُسودَّة كأنَّما طُلِيَتْ بالْقَارِ، فصَاحُوا جمِيعًا: ألَا قدْ حضَرَكُمُ العَذَابُ؛ فتكَفَّنُوا وألْقَوْا أنْفسَهُم بالأرْضِ، لَا يدْرُونَ مِن أيْنَ يأْتِيهمُ العَذَابُ، فلمَّا أصْبَحُوا فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ، أتَتْهُم صيْحَةٌ مِنَ السَّماءِ فِيها صوْتُ كُلِّ صاعِقَةٍ، فتَقَطَّعتْ قلُوبُهُم في صُدُورِهِم[٣].

وقَالَ مُقاتِلٌ: حفَرُوا لِأَنْفُسِهِم قُبورًا، فلمَّا ارْتفَعتِ الشَّمْسُ مِنَ اليَوْمِ الرَّابِعِ، ولم يأْتِهِمُ العذَابُ، ظَنُّوا أنَّ اللهَ قدْ رَحِمَهُم، فخَرَجوا مِنْ قُبورِهِم يدْعُو

---

(١) نقل عن الأزهري قوله: «العقر عند العرب: كشف عرقوب البعير، ثم يجعل النحر عقرًا؛ لأنَّ العقر سبب النحر، وناحر البعير يعقره ثم ينحره، هذا هو الأصل، ثم جعل النحر عقرًا وإن لم يكن هناك قطع للعرقوب». انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٥١٣) مادة: (عقر).

(٢) الرُّغاء: صوت ذوات الخف، رغا البعير والناقة ترغو رغاءً، انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٤٣١) (رغا).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٧٤- ٣٧٦)، وتاريخه (١/ ٢٢٧- ٢٣٠) مسندًا عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة، قال: قلنا له: حدِّثنا حديث ثمود... فذكره مطولًا.

بعْضُهُم بعْضًا؛ إذْ نزَلَ جِبريلُ عليه السَّلام، فقَامَ فوْقَ المدِينَةِ فسَدَّ ضوْءَ الشَّمْسِ، فلمَّا عَايَنُوه، دخَلُوا [إلَى][1] قُبورِهِم، فصَاحَ بِهم صَيْحةً: مُوتُوا، علَيْكُم لعْنَةُ اللهِ، فخرَجَتْ أرْواحُهُم، وتزَلْزلَتْ بُيوتُهُم فوَقَعتْ علَى قُبورِهِم[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ﴾؛ أي: العذَابُ ﴿غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾؛ أي: غيْرُ كذِبٍ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، ابْنُ عامِرٍ: ﴿يَوۡمِئِذٍ﴾ بكسْرِ الميمِ. وقرَأ الكِسائِيُّ بفتْحِهَا معَ الإضَافَةِ[4].

قال مكِّيٌّ[5]: مَن كسَرَ الميمَ؛ أعْرَبَ وخفَضَ؛ لإضافَةِ الخِزْيِ إلى اليوْمِ، ولم يبْنِهِ؛ ومَن فتَحَ؛ بَنى اليوْمَ علَى الفتْحِ؛ لإضافَتِه[6] إلى غيْرِ مُتمكِّنٍ، وهوَ «إذْ».

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ: {وَمِنْ خِزْيٍ} بالتَّنْوينِ {يَوْمَئِذٍ} بفتْحِ الميمِ[7].

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٧١٣).

(٣) في (ف): مكذب.

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٦).

(٥) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٦٧).

(٦) ليست في (ج).

(٧) قراءة شاذة، عزاها أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ١٧٨) لطلحة وأبان بن تغلب، وفي الشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٣٦).

قالَ ابْنُ الأنبارِيِّ: وهذِه الواوُ في قوْلِه: ﴿وَمِنْ خِزْيِ﴾ معْطُوفةٌ علَى محْذُوفٍ، تقْدِيرُه: نجَّيْناهُم مِنَ العذابِ ومِنْ خِزيِ يومِئذٍ.

قالَ: ويجُوزُ أنْ تكُونَ(١) دخلَتْ لفِعْلٍ مُضمَرٍ، تأويلُه: نجَّيْنا صالحًا والَّذِين آمَنُوا معَهُ برحْمَةٍ مِنَّا، ونجَّيْناهُم مِن خِزيِ يوْمِئذٍ. قالَ: وإنَّما قالَ: ﴿وَأَخَذَ﴾؛ لأنَّ الصَّيحةَ محْمُولةٌ علَى الصِّياحِ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

اختَلَفُوا في صرْفِ «ثمُود» وترْكِ إجْرائِه(٣) في خمْسَةِ مواضِعَ:

- في «هُود» موْضعانِ: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.
- وفي «الفُرْقَان»: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [آية: ٣٨].
- وفي: «العنكَبُوتِ»: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ [آية: ٣٨].
- وفي «النَّجْمُ»: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [آية: ٥١].

قرَأ ابْنُ كثِير، وأبو عمْرٍو، ونافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ بالتَّنْوينِ في أرْبعَةِ مواضِعَ منْها، وترَكُوا ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ فلم يَصْرِفُوه. وقرَأ حمْزةُ بترْكِ صَرْفِ هذِه الخمْسَةِ الأحْرُفِ، وصرَفهُنَّ الكِسائِيُّ.

واخْتُلفَ عنْ عاصِمٍ؛ فروَى حُسينُ الجُعفِيُّ عنْ أبي بكْرٍ عنْهُ أنَّه أجْرَى الأرْبعَةَ الأحْرُفِ مثْلَ أبي عمْرٍو، وروَى يحْيَى بنُ آدم عنْ أبي بكْرٍ

---

(١) في الأصل، و(ج): يكون، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٢٠).

(٣) يعني بالإجراء: الصرف.

أنَّه أجرَى ثلاثةً: في «هُود»: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ﴾، وفي «الفُرْقان»، و«العَنكَبُوت»، وروى حفْصٌ عنهُ أنَّه لم يُجرِ شيْئًا منها مثْلَ(١) حمْزَةَ(٢).

[٣٧٦/ب] واعْلَمْ أنَّ «ثمُود» يُراد بهِ القَبيلةُ تارَةً، ويُرادُ بهِ الحَيُّ تارَةً. فإذا أُرِيدَ بهِ القَبيلةُ، لم يُصرفْ(٣)، وإذا أُرِيدَ به الحَيُّ صُرِفَ.

ومَا أخللْنَا بهِ، فقد سبَقَ تفسِيرُه... إلى قوْلِه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ والرُّسُلُ هَاهُنا: الملائِكَةُ.

وفي عدَدِهم سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم كانُوا ثلاثةً: جِبْريلَ، ومِيكائِيلَ، وإسْرَافِيلَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وسَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: جِبْرِيلُ، ومِيكائِيلُ، ومَلَكُ الموْتِ(٤).

والثَّاني: أنَّهم كانوا اثْني عشَرَ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالث: ثَمانِيةٌ، قالَهُ مُحمَّدُ بْنُ كعْبٍ.

والرَّابع: تسْعةٌ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والخامس: أحدَ عشَرَ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

---

(١) في (ف): بمثل.

(٢) كلها سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، والتيسير (ص: ١٢٥).

(٣) في (ج)، و(ف): ينصرف.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٠).

والسَّادس: أرْبعَةٌ، حكَاه الماوردِيُّ(١).

وفِي هذِه البُشْرى أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها(٢) البُشْرى بالوَلَدِ، قالَهُ الحسَنُ، ومُقاتِلٌ(٣).

والثَّاني: بِهلَاكِ قوْمِ لُوطٍ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالثُ: بِنُبوَّتِهِ، قالَهُ(٤) عِكْرمَةُ.

والرَّابع: بأنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يخْرُجُ مِن صُلْبِهِ، ذكرَهُ الماوردِيُّ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: انْتصب بالقوْلِ؛ لأنَّه حرْفُ مقُول، والسَّلامُ الثَّاني مرْفُوعٌ بإضْمارِ «عليْكُم»(٦).

وقالَ الفرَّاءُ(٧): فيهِ وجْهانِ:

أحدُهما: أنَّه أضْمرَ {عَلَيْكُمْ}؛ كما قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٨٢).

(٢) ليست في (ج).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٠).

(٤) في (ف): حكاه.

(٥) النكت والعيون (٢/ ٤٨٢).

(٦) نصب «سلامًا» لوجهين: أحدهما: أن يكون منصوبًا بقالوا، كما يقال: قلت خيرًا، وقلت شعرًا. والثاني: أن يكون منصوبًا على المصدر. انظر: البيان في غريب القرآن (٢/ ٢١).

(٧) معاني القرآن (٢/ ٢١).

فَقُلْنَـا السَّـلَامُ فَاتَّقَـتْ مِـنْ أَمِيرِهَـا فَـمَا كَانَ إِلَّا وَمْؤُهَـا بِالْحَوَاجِـبِ[١]

والعرَبُ تقُولُ: الْتَقَيْنَا فقُلْنَا: سَلَامٌ سلَامٌ.

والثَّـانِي: أنَّ القـوْمَ سـلَّمُوا، فقَـالَ حيـنَ أنْكرَهُـم هـوَ: سـلَامٌ، فمَـنْ أنْتُم؟ لإنْـكَارِهِ إيَّاهُمْ.

وقـرَأَ حمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ: «قَـالَ سِلْـمٌ»[٢]، وهـوَ بمعْنَـى سـلَام؛ كـما قالُـوا: حِـلٌّ وحَـلالٌ، وحِـرمٌ وحَـرامٌ؛ فعَـلى هـذَا يكـونُ، معْنَـى «سِلْـمٌ»: سَـلام علَيْكُـم.

قالَ أبو علِيٍّ: فيَكُونُ معْنَى القِراءَتَيْنِ واحِدًا وَإِنِ اخْتلَفَ[٣] اللَّفْظَانِ[٤].

وقالَ الزَّجَّاجُ: مَن قَرَأَ: «سِلْـمٌ» فالمعْنَى: أمْرُنَا سِلْمٌ، أي: لا بأْسَ علَيْنَا[٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾؛ أي: مـا أقَـامَ حتَّـى جـاءَ بعِجْـلٍ حَنِيـذٍ؛ لأنَّـه ظنَّهـم أضْيافًـا، وكانـتِ الملائِكـةُ قـد جاءَتْـهُ في صُـورةِ الغِلْـمانِ الوِضَـاءِ.

---

(١) البيـت بـلا نسـبة في معـاني القـرآن (١/ ٤٠)، (٢/ ٢١)، (٣/ ١٢٤)، وإيضـاح الوقـف والابتـداء (٢/ ٩٠٧)، والزاهـر في معـاني كلـمات النـاس (١/ ٦٥)، وإعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٤/ ٢٢٠)، والتنبيـه والإيضـاح (١/ ٣٤)، أميرهـا: الـذي لـه عليهـا الولايـة والأمـر يريـد زوجهـا، وَمْؤُهـا: إشـارتها.

(٢) قراءة سبعيَّة، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٣) في (ف): اختلفت.

(٤) الحجـة للقـراء السـبعة (٤/ ٣٦٣) بلفـظ: فيكـون عـلى هـذا قـراءة مـن قـرأ: «قـال سـلم وسـلام» بمعنـى واحـد وإن اختلـف اللفظـان.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٤).

وفِي الحَنِيذِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه النَّضِيجُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وقتَادَةُ.

والثَّاني: أنَّه الَّذِي[١] يقْطُر ماؤُهُ ودَسمُهُ (وقد شُويَ)[٢]، قالَهُ شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ[٣].

والثَّالث: أنَّه ما حَفَرْتَ [في][٤] الأرْضَ ثُمَّ غَمَمْتَهُ، وهوَ مِنْ فعْلِ أهْلِ البَادِيةِ، معْرُوفٌ[٥]، وأصْلُه: مَحْنُوذٌ، فقِيلَ: حنِيذٌ، كما قِيل: طَبِيخٌ للمطْبُوخِ، وقَتِيلٌ للمقْتُولِ. هذا قوْلُ الفرَّاءِ[٦].

والرَّابع: أنَّه المشْوِيُّ، قالَهُ أبو عُبيدَةَ[٧].

والخامِس: المشوِيُّ بالحِجارَةِ الْمُحْماةِ، قالَه مُقاتِلٌ، وابْنُ قُتيبةَ[٨].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ليست في (ج).

(٣) هو: شِمْر بن عطية الأسدي الكاهلي الكُوفي، قال النَّسائيّ، وابن معين، وابن سعد، والعجلي، والدارقطني: ثِقَة. وذكره ابن حبان في الثِّقات، ونقل ابن خلفون توثيقه عن ابن نمير. وقال ابن حجر: صدوق. توفي بعد سنة (١٠٠هـ). انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٦/ ٣١٠)، وتاريخ أسماء الثِّقات؛ لابن شاهين (ص: ٢٢٣)، الكاشف (١/ ٤٩٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٧٩).

(٤) من (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٢١).

(٧) مجاز القرآن (١/ ٢٩٢).

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦١).

والسَّادسُ: السَّمِيط، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ، وقالَ: يُقالُ: إنَّه المشوِيُّ فقطْ، ويُقالُ: المشْوِيُّ الَّذي يَقْطُرُ، ويُقالُ: المشْوِيُّ بالحِجَارةِ[1].

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ [هود: ٧٠].

قوْلُه تعالَى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ ﴾ يعْنِي: الملائكةَ ﴿ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ يعْنِي: العِجلَ ﴿ نَكِرَهُمْ ﴾؛ أي: أنْكَرَهم.

قالَ أبو عُبيدةَ: نَكِرَهم وأَنْكَرَهم واسْتَنْكَرَهم، سَواءٌ[2]، قالَ الأعْشى [٣٧٧/أ] [من البسيط]:

فَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا[3]

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾؛ أي: أضْمَرَ في نفسِهِ خوْفًا.

قالَ الفرَّاءُ: وكانَت سُنَّةً في زمَانِهِم إذا وردَ عليْهِم[4] القوْمُ فأتَوْهُم بالطَّعامِ فلَم يمَسُّوه، ظَنُّوا أنَّهم عدُوٌّ ولُصوصٌ[5]، فهُنالِكَ أوجَسَ في

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٣).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٠٥)، والخصائص (٣/ ٣١٠)، والمحتسب (١/ ٣٤٧)، وشرح المفصل (٣/ ١٣)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٣) وقال أبو عبيدة: قال يونس: قال أبو عمرو: أنا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره فذهب، فأتوب إلى الله منه، وهو في تفسير الطبري (١٢/ ٧١)، وتفسير الثعلبي (١٤/ ٤٠١)، والبحر المحيط (٥/ ٢٤٢).

(٤) في (ج): إذا جاءهم.

(٥) في (ف): أو لصوص.

نفسِه خِيفَةً، فرَأَوْا ذلِك في وجهِهِ، فقَالُوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾[١].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أيْ: أُرْسِلْنَا بالعذَابِ إلَيْهِم[٢].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وإنَّما أضْمَر ذلِك هَاهُنا؛ لِقيامِ الدَّلِيلِ عليْهِ بذكْرِ اللهِ تعالى له في سُورةٍ أُخْرى[٣].

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود: ٧١ - ٧٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ واسْمُها: سارَّة.

واخْتلَفُوا أيْنَ كانَتْ قائِمةً علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: ورَاءَ السِّتْرِ تسْمَعُ كلامَهُم، قالَهُ وهْبٌ.

والثَّاني: كانتْ قائِمةً تخْدِمُهم، قالَهُ مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ.

والثَّالث: كانتْ قائِمةً تُصلِّي، قالَهُ محمَّد بْنُ إسْحاقَ[٤].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢).

(٢) معاني القرآن (٣/ ١٨١).

(٣) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٤٧٣).

(٤) ذكره عن محمد بن إسحاق الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٨٤).

وفي قوْلِه: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الضَّحِكَ هَاهُنا بمعْنَى: التَّعجُّبِ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ معْنى «ضَحِكَتْ»: حَاضَتْ، قالَه مُجاهِدٌ، وعِكْرِمَةُ.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: وهذا مِنْ قوْلِهم: ضَحِكَتِ الأرْنَبُ؛ إذا حَاضَتْ. فعَلى هذَا يكُونُ حيْضُها حينئِذٍ تأْكِيدًا للْبِشارةِ بالولَدِ؛ لأنَّ مَنْ لا تَحِيضُ لا تَحْمِلُ[1].

وقالَ الفرَّاءُ: لمْ نَسْمَعُ مِن ثِقةٍ أنَّ معْنَى «ضَحِكَتْ»: حَاضَتْ[2].

قَالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: أنْكَر الفرَّاءُ[3]، وأبو عُبيدَةَ[4]، أنْ يكُونَ «ضَحِكَتْ» بمعْنَى: حاضَتْ، وعَرفَهُ غيْرُهُم[5]، قالَ الشَّاعِرُ [من المديد]:

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ[6]

(١) غريب القرآن (ص: ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) لم أقف عليه في مجاز القرآن في موضعه (١/ ٢٩٣).

(٥) ذكر قول ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٤٧٦).

(٦) البيت من قصيدة تنسب للشنفري ولتأبط شرًّا، ولابن أخت تأبط شرًّا ولخلف الأحمر. انظر: ديوان الشنفري (ص: ٨٤)، وللشنفري في الأغاني (٦/ ٨٣)، ولخلف الأحمر في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٢/ ٨٣٧)، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي (٢/ ١٦٤)، ولتأبط شرًّا في لسان العرب (١٠/ ٤٦٠) (ضحك)، وجمهرة اللغة (ص: ٥٤٦)، ولابن أخت تأبط شرًّا في العقد الفريد (٣/ ٣٠٠)، ولأحد الأربعة المتقدمين في سمط اللآلي (ص: ٩١٩)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٨٩)، والمعاني الكبير (١/ ٢١٤).

قال بعْضُ أهْلِ اللُّغة: معْنَاه: تحيضُ[١].

والثَّالث: أنَّه الضَحِكُ المعْرُوفُ، وهوَ قوْلُ الأكْثَرينَ.

وفِي سببِ ضَحِكِهَا ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا ضَحِكـتْ مِـن شِـدَّةِ خـوْف إبْراهِيـمَ مِـن أضْيافِـهِ، وقالَـتْ: مِـن مـاذا[٢] يخَـافُ إبراهيـمُ، وإنَّـما هُـم ثلاثَـةٌ، وهـوَ فِي أهْلِـه وغِلْمانِـهِ؟! رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٣]، وبـهِ قـالَ مُقاتِـلٌ[٤].

والثَّـاني: أنَّهـا ضَحِكـتْ مِـن بِشـارَةِ الملَائِكـةِ لإبْراهِيـمَ بالوَلَـدِ، وهـذَا مـرْوِيٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاس أيضًـا، ووهْـبِ بْـنِ مُنبِّـهٍ؛ فعلَى هـذا إنَّـما ضحِكَـتْ سُرورًا بالبِشَـارةِ، ويكـونُ فِي الآيـةِ تقْدِيـمٌ وتأخِـيرٌ.

المعْنَى: وامْرأتُه قائِمةٌ فبشَّرْناهَا فضَحِكَتْ، وهوَ اخْتِيارُ ابْنِ قُتيبةَ[٥].

والثَّالث: ضحِكَتْ مِن غفْلةِ قوْم لوطٍ وقرْبِ العذَابِ منْهُم، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابـع: ضحِكَـتْ مِـن إمْسـاكِ الأضْيـافِ عـنِ الأَكْلِ، وقالَـتْ: عجبًـا لِأضْيافِنـا[٦]، نخْدِمُهـم بأنْفُسِـنا، وهُـم لَا يأكُلُـون طعامَنَـا، قالَـهُ السُّـدِّيُّ.

---

(١) انظر: جمهرة اللغة (ص: ٥٤٦).

(٢) في (ج): ممَّ.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٣١٠) من طريق جويبر عن الضحاك به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤٨) إلى إسحاق بن بشر، وابن عساكر.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٠).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٦).

(٦) في (ج): عجبًا من أضيافنا.

والخامِس: ضحِكت سُرورًا بالأمْنِ؛ لأنَّها خافَتْ كخوْفِ إبْراهِيمَ، قالَهُ الفرَّاءُ[(١)].

والسَّادس: أنَّها كانتْ قالَتْ لإبْراهِيمَ: اضمُم إليْكَ ابْنَ أخِيكَ لوطًا، فإنَّه سيَنْزِلُ العذَابُ بقوْمِه، فلمَّا جاءتِ الملائِكةُ بعَذابِهم؛ ضحِكَتْ سُرورًا بموَافقتِهَا للصَّوابِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[(٢)]. [٣٧٧/ ب]

قالَ المفَسِّرونَ: قالَ جِبريل عليه السلام لسارَّةَ: أبْشري أيَّتُها الضَّاحِكةُ بوَلدٍ اسْمُه إسْحاقُ، ومِنْ ورَاءِ إسْحاقَ يعْقُوبُ، فبَشَّرُوها[(٣)] أنَّها تلِدُ إسْحاقَ، وأنَّها تعِيشُ إلى أنْ ترَى ولَدَ الوَلَدِ.

وفي معْنى الورَاءِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه بمَعْنى: «بَعْدَ»، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتارَهُ مُقاتِلٌ، وابْنُ قُتيبةَ[(٤)].

والثَّاني: أنَّ الورَاءَ ولَدُ الوَلَدِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا[(٥)]، وبهِ قالَ الشَّعْبيُّ[(٦)]، واخْتارَهُ أبو عُبيدٍ[(٧)].

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢).

(٢) حكى هذا القول الزجَّاجُ في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦١)، وانظر البحر المحيط (٦/ ١٨١).

(٣) في (ف): فبشرها. وليست في (ج).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٥٦) من طريق حبيب به.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٥).

(٧) انظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ١٩٨).

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يكونُ يعْقُوبُ ورَاءَ إِسْحاقَ وهوَ ولَدُه لِصُلْبِه، وإنَّما الورَاءُ، ولَدُ الوَلَدِ؟

فقدْ أجَاب عنْهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[١]، فقَالَ: المعْنى: ومِن وراءِ المنْسُوبِ إلى إسْحاقَ يعْقُوبُ؛ لأنَّه قد كان الورَاءَ لإِبْراهيمَ مِن جِهةِ إسْحاقَ، فلوْ قالَ: ومِنَ الورَاءِ يعْقوبُ، لمْ يُعلم أهذَا الورَاءُ منْسوبٌ إلى إسْحاقَ، أمْ إلى إسْماعِيلَ؟ فأُضِيفَ إلى إسْحاقَ؛ لِينْكشِفَ المعْنَى ويزولَ اللَّبْس.

قال: ويجُوز أنْ يُنسبَ ولدُ إبْراهيمَ مِن غيرِ إسْحاقَ إلى سارَّةَ علَى [جِهةِ][٢] المجازِ. فكانَ تأْويلُ الآيةِ: مِن الوَراءِ المنْسُوبِ إلى سارَّةَ، وإلى إبْراهِيمَ مِن جِهةِ إسْحاقَ، يعْقُوبُ. ومَن حمَلَ الورَاءَ علَى «بَعْدَ» لزِمَ ظاهِرَ العربيَّةِ.

واخْتلَفَ القُرَّاءُ فِي ﴿يَعْقُوبَ﴾: فقرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، والكِسَائِيُّ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: {يَعْقُوبُ} بالرَّفْعِ. وقرَأَ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: {يَعْقُوبَ} بالنَّصْبِ[٣].

قالَ الزَّجَّاجُ: وفي رفْعِ {يَعْقُوبَ} وجْهانِ:

أحدُهما: علَى الابْتداءِ المؤخَّرِ، ومعْناه التَّقْديمُ؛ والمعْنَى: ويعقوبُ يحْدُثُ[٤] لها مِن وراءِ إسْحاقَ.

---

(١) الأضداد (ص: ٦٩)، وانظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٧٨).

(٢) من سائر النسخ، إلا أن في (ج): وجه.

(٣) روى حفص النصب، وشعبة الرفع، انظر: التيسير (ص: ١٢٥)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٣٨).

(٤) الذي في المعاني المطبوع: مُحْدَثٌ.

والثَّاني: وثَبت لَها مِن ورَاءِ إسْحاقَ يعْقُوبُ.

ومَنْ نصَبه حمَلَهُ علَى المعْنَى، والمعنى: وهبْنا لها إسْحاقَ، ووهَبْنَا لها يعْقُوبَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾.

هـذه الكلِمـةُ تُقـال عنْـدَ الإِيـذانِ بـورُودِ الأمْـرِ العَظِيـم. ولم تُـرِدْ بهـا[٢] الدُّعـاءَ عـلى نفْسِـها، وإنَّـما هـيَ كلِمَـةٌ تخِـفُّ عـلَى ألْسِـنةِ النِّسـاءِ عنْـد الأمْـرِ العَجيـبِ. وقولهـا: ﴿ءَأَلِدُ﴾: اسْـتفْهَامُ تعجُّـبٍ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: و﴿شَيْخًا﴾ منْصـوبٌ عـلى الحـالِ[٣]. قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: إنَّـما أشـارَتْ بقوْلِهـا هـذَا لتُنبِّـهَ[٤] عـلَى شـيْخُوختِهِ[٥].

واخْتلَفُوا في سِنِّ إبْراهِيمَ وسَارَّةَ يومئذٍ علَى أرْبعةِ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه كانَ إبْراهيـمُ ابْـنَ تسـعٍ وتِسـعينَ سـنَةً، وسـارَّةُ [يومئـذٍ][٦] بِنْـتَ ثَـمانٍ وتِسْـعينَ [سـنَةً][٧]. قالَـهُ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٢).

(٢) في الأصل: به، والمثبت من سائر االنسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٣).

(٤) في (ج): التنبيه.

(٥) البيـان في غريـب إعـراب القـرآن (٢/ ٢٢)، قـال: «هـذا» مـن معنـى الإشـارة أو التنبيـه، فـكأنَّ المعنـى: أشـير إليـه شـيخًا، أو أُنبِّـهُ عليـه شـيخًا.

(٦) من (ج).

(٧) من (ف).

والثَّـاني: أَنَّـه كانَ [إبْراهِيـمُ](١) ابْـنَ مائَـةِ سـنةٍ، وسـارَّةُ بنْـتَ تِسْـعٍ وتسْـعِينَ [سـنةً](٢)، قالَـهُ مجُاهِـدٌ(٣).

والثَّالث: كانَ إبْراهِيمُ ابْنَ تسْعِينَ (سنةً)(٤)، وسارَّةُ مثْلُه، قالَهُ قتادَةُ.

والرَّابـع: كانَ إبْراهِيـمُ ابْـنَ مائـةٍ وعشْرِيـنَ سـنَةً، وسـارَّةُ بنْـتَ تِسْـعينَ، قالَـهُ عُبيـدُ بْـنُ عُمـيرٍ، وابْـنُ إسْـحاقَ(٥).

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [هـود: ٧٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مِـن قضَائـهِ وقُدرتِـهِ، وهـوَ إيجـادُ ولَـدٍ مِـن بـيْنِ كبِيرَيْـنِ.

قـالَ السُّـدِّيُّ: قالَـتْ سـارَّةُ لجبريلَ: مَا آيـةُ ذلِـكَ؟ فأخَذَ بيـدِهِ عُودًا يابسًـا [٣٧٨/أ] فلَـوَاهُ بـيْنَ أصَابعِـهِ فاهْتَزَّ أخْـضَرَ، فقالَـتْ(٦): هـوَ إذَنْ للهِ ذَبيحٌ(٧).

---

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٨).

(٤) من الأصل فقط.

(٥) أخرجـه ابـن جريـر الطـبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٨)، وتاريخـه (١/ ٢٤٩) عـن ابـن حميـد بـه، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٥٩) مـن طريـق سـلمة عـن ابـن إسـحاق بنحـوه.

(٦) في (ف): قال.

(٧) أخرجـه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٣٩٥)، وتاريخـه (١/ ٢٧٢- ٢٧٣) مـن طريـق أسـباط عـن السـدي، قـال جبرائيـل لسـارَة: أبـشري بولـد اسـمه إسـحاق، ومـن وراء إسـحاق يعقـوب، فضربـت جبهتهـا عَجَبًـا، فذلـك قولـه: ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾،=

قوْلُه تعَالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ فِيهِ وجْهَانِ:

أحدُهُما: أنَّه مِن دُعاءِ الملائِكَة لهُم.

والثَّاني: أنَّه إخْبارٌ عنْ ثُبوتِ ذلِك لهُم.

ومِن تلْكَ البركَاتِ وجُودُ أكثَرِ الأنْبياءِ والأسْبَاطِ مِنْ إبْراهِيمَ وسَارَّةَ. و«الحَمِيدُ» بمعنى: المحمُود.

فأمَّا «المجِيدُ»، فقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: بمعْنَى: الماجِد، وهوَ الشَّرِيفُ[١].

وقَالَ أبو سُلَيْمانَ الخطَّابيُّ: هو الوَاسِعُ الكرَمِ، وأصْلُ المجْدِ في كلامِهِم: السَّعَةُ، يُقَال: رَجُلٌ ماجِدٌ؛ إذا كانَ سخيًّا واسِعَ العطَاءِ، وفي بعْضِ الأمْثالِ: «فِي[٢] كُلِّ شَجرٍ نَارٌ، واسْتَمْجَدَ المرْخُ والْعفَارُ»[٣]؛ أي:

=و﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾... إلى قوله: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ قالت سارة لجبريل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عودًا يابسًا، فلوَّاه بين أصابعه، فاهتزَّ أخضر، فقال إبراهيم: هو لله إذن ذَبيح.

(١) غريب القرآن (ص: ١٦).

(٢) في (ف): من.

(٣) المثل في غريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ١٤٧)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٩٢)، وكتاب الأمثال؛ لأبي عبيد (ص: ٣٦١)، ومجمع الأمثال (٢/ ٧٤)، قال الأزهري: وقد رأيتها في البادية، والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. قال الزمخشري في المستقصى (٢/ ١٨٣): هما شجرتان من أسرع الشجر خروج نار. وفي الميداني استمجد المرخ والعفار؛ أي: استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما. شُبِّها بمن يكثر العطاء طلبًا للمجد. قال أبو زياد: ليس في الشجر كله أورى زنادًا من المَرْخ، قال: وربما كان المرخ مجتمعًا ملتفًّا، وهبت الريح فحك بعضه بعضًا فأورى فاحترق الوادي كله... والزند الأعلى يكون من العفار، والأسفل من المرخ. انظر تفسير الأسماء؛ للزجاج (ص: ٥٣).

اسْتكثَرا منْهَا[١].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٤ - ٧٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ يعْنِي: الفَزَعَ الَّذِي أصَابَهُ حينَ امْتَنعُوا مِنَ الأكْلِ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ فيهِ إضْمارٌ؛ أخذَ وأقْبلَ يُجادِلُنا، والمرَادُ: يُجادِلُ رُسُلَنَا.

قالَ المفَسِّرُونَ: لَمَّا قالُوا لَهُ[٢]: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] قالَ: أتُهلِكُونَ قريةً فيها مائةُ مُؤمنٍ؟ قالُوا: لَا. قالَ: أتُهلِكُونَ قرْيةً فيهَا خمْسُون مُؤمِنًا؟ قالُوا: لَا. قالَ: أرْبعُونَ؟ قالُوا: لَا. فَما زَالَ يُنقِصُ حتَّى قالَ: فوَاحِدٌ؟ قالوا: لَا. فقَال حِينئذٍ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢]، هذَا قوْلُ ابْنِ إسْحاقَ[٣].

وقالَ غيْرُه: قِيلَ لَهُ: إنْ كانَ فِيهم خمْسةٌ لم نُعذِّبْهم، فَما كانَ فيهِم سِوى لوطٍ وابْنَتيْهِ.

وقالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: قالَ لَهُم: أتُهلِكونَ قرْيةً فيهَا أربعَةَ عشَرَ مُؤمِنًا؟ قالُوا: لَا؛ وكانَ إبْراهِيمُ يعدُّهم أربعَةَ عشَرَ معَ امْرأةِ لُوطٍ،

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٧٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٠٤).

فسكت(١) واطمأنَّت نفسُه؛ وإنَّما كانوا ثلاثة عشر فأُهلِكوا(٢).

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ قد فسَّرْناه في براءة [آية: ١١٤] فعنْدَ ذلك قالتِ الرُّسلُ لإبْراهيمَ: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ يعْنُون: الجِدالَ ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابِهم. وقيل: قد جاء عذابُ ربِّك، فليْس بمَرْدُودٍ؛ لأنَّ الله تعالى قد قضَى به.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٧٧ - ٨١].

قولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾.

قال المفسِّرون: خرجتِ الملائكةُ من عندِ إبْراهيمَ نحْوَ قريةِ لُوطٍ، فأتَوْها عِشاءً(٣).

---

(١) ليست في (ج).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٣)، وتاريخه (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٥٨) من طريق يعقوب به.

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٦).

وقـالَ السُّـدِّيُّ عـنْ أشْـياخِهِ: أتَوْهَـا نِصْـفَ النَّهـارِ، فلـمَّا بلَغُـوا نَهْـر سَـدُومَ، لقـوا ابْنَـةَ[١] لـوطٍ تسْـتَقِي المـاءَ لأَهْلِهـا، فقالُـوا: لهَـا يَـا جارِيـةُ، هـلْ مِـن منْـزِلٍ؟ قالَـتْ: نعَـمْ! مكَانَكُـم لا تدْخُلـوا حتَّـى آتِيَكُـم؛ فَرَقًـا[٢] عليْهِـم مِـن قوْمِهـا، فأتَـتْ أبَاهَـا، فقالَـتْ: يـا أبَتَـاه! أدْرِكْ فِتْيانًـا علَى بـابِ المدينَـةِ، مَـا رأيْـتُ وُجـوهَ قـوْمٍ هـيَ أحْسـن منْهَـم[٣]، لَا يأخذُهُـم قوْمُـك فيَفْضَحُوهُـم؛ وقـد كانَ قوْمُـه نَهَـوْهُ أنْ يُضِيـفَ رجُـلًا؛ فجـاءَ بِهِـم، ولم يعْلَـمْ بِهِـم أحـدًا إلَّا أهْـلَ بيْـتِ لُـوطٍ؛ فخرَجَـتِ امْرأَتُـه فأخْـبَرَتْ قوْمَهـا، فجَـاءُوا يَهْرعُـون إليْـهِ[٤].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ **فِيهِ قولَانِ:**

أحدُهُما: ساءَ ظَنُّه بقوْمِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ. [٣٧٨/ ب]

والثَّـاني: سـاءَهُ مَجِيءُ الرُّسُـلِ؛ لأنَّـه لم يعرفْهُـم، وأشْـفَقَ عليْهِـم مِـن قوْمِـه، قالَـهُ ابْـنُ جريـرٍ[٥].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وأصْـلُ ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾: سُـوِئَ بِهِـم، مِـنَ السُّـوءِ[٦]، إلَّا أنَّ الـواوَ أُسـكِنَتْ ونُقِلَـتْ كسْرتُهـا إلَى السِّـينِ[٧].

---

(١) في (ج): بنت. وفي (ف): بيت.

(٢) أي: خوْفًا.

(٣) في (ج): ما رأيت وجوهًا من وجوههم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٩)، وتاريخه (١/ ٢٩٩) بإسناد السدي، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٠)، والحاكم (٢/ ٥٦٢-٥٦٣) من طريق عمرو بن حماد به.

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٤٠٧).

(٦) في (ج)، و(ف): سيء بهم من السوء.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٦).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ضاقَ ذرْعًا بأضْيَافِه(١).

قالَ الفرَّاءُ: الأصْلُ فيهِ: وضَاقَ ذرْعُه بهم، فنَقَل الفعْلَ عنِ الذَّرع إلى ضمِير لوطٍ، ونَصَب الذَّرعَ بتحوُّلِ الفِعْل عنْه؛ كما قالَ: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤]، ومعناه: اشْتعَل شيْبُ الرَّأسِ(٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: ضَاقَ فُلانٌ بأمْرِه ذرْعًا؛ إذَا لم يجِدْ مِن المكْروهِ فِي ذلِك الأمْرِ مخْلَصًا(٣).

وذكَر ابْنُ الأنْبارِيِّ(٤) فيهِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناه: وقَعَ بهِ مكْروهٌ عظِيمٌ، لايصِلُ إلى دفْعهِ عن نفْسِه، فالذَّرْعُ كِنايةٌ عنْ هذَا المعْنَى.

والثَّاني: أنَّ معْناه: ضاقَ صبْرُه وعظُمَ المكْرُوهُ عليْه؛ وأصْلُه: مِن ذَرعَ فُلانًا القيْءُ؛ إذَا غلبَهُ وسبَقَهُ.

والثَّالثُ: أنَّ المعنى: ضاقَ بِهم وسْعُه، فنابَ الذَّرعُ والذِّراعُ عنِ الوُسعِ؛ لأن الذِّراعَ مِن اليدِ، والعرَبُ تقُولُ: ليْس هذَا فِي يدي، يعْنُون: ليس هذَا فِي وُسعِي؛ ويدلُّ على صحَّةِ هذَا أنَّهم يجعلُون الذِّراعَ، فِي موْضِع

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦١) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٢) إلى أبي الشيخ.

(٢) لم أقف على قول الفراء في المعاني، وانظره في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٦).

(٤) انظر ما ذكره ابن الأنباري من أقوال في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٣).

الـذَّرْع، فيقولـونَ: ضِقْـتُ بهـذَا الأمْـرِ ذِراعًـا، قـالَ الشَّـاعِرُ [مـن الوافـر]:

إِلَيْـكَ إِلَيْـكَ ضَـاقَ بِهِـمْ ذِرَاعًـا[١] ....

فأمَّـا «العَصِيـبُ»؛ فقَـالَ أبـو عُبيـدةَ[٢]: العَصِيـبُ: الشَّـدِيدُ الَّـذِي يَعْصِبُ النَّـاسَ بالـشَّرِّ، وأنْشَـدَ [مـن الرجز]:

يَـوْمٌ عَصِيـبٌ يَعْصِـبُ الْأَبْطَـالَا
عَصْـبَ الْقَـوِيِّ السَّـلَمَ الطِّـوَالَا[٣]

وقالَ أَبُو عُبيدٍ: يُقال: يوْمٌ عَصِيبٌ، ويوْمٌ عَصَبْصَبٌ؛ إذا كانَ شَديدًا[٤].

قوْلُـه تعَالى: ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ قـالَ ابْنُ عبَّـاسٍ[٥]، ومُجاهِدٌ[٦]: ﴿يُهْرَعُونَ﴾: يُسْرِعُونَ.

---

(١) عجـز بيـت للقطامـي في ديوانه (ص: ٤٤)، والزاهر (١/ ٤٥٣)، والتفسـير البسـيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٢)، وجمهـرة اللغـة (٢/ ١٠٣١)، وبلا نسـبة في الخصائـص (٣/ ١٠٤)، وصدره:
إِذَا التَّيَّازُ ذُو الْعَضَلَاتِ قُلْنَا *** ....
وهـذا في أبيـات يصـف بكـرة أحسـن القيـام عليهـا حتـى قويـت وعـزت عـلى القـوي أن يركبهـا. والتَّيَّـازُ: كثـير اللحـم. انظـر: اللسـان (تيـز).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٣).

(٣) بيتـان مـن الرجـز، نسـبهما الواحـدي في تفسـير البسـيط (١١/ ٤٩٤) إلى هانـئ العنـبري، وبـلا نسـبة في مجـاز القـرآن (١/ ٢٩٤)، الطـبري (١٥/ ٤١٠)، والثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٤/ ٤١٤).

(٤) الغريبين في القرآن والحديث (٤/ ١٢٨١).

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٤١٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٦١) مـن طريـق عبـد الله بـن صالـح.

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٣٨٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٢).

وقالَ الفرَّاءُ[١]، والكِسَائِيُّ[٢]: لا يكُونُ الإهْراعُ إلَّا إسْراعًا معَ رِعْدَةٍ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الإهْراعُ: شَبيهٌ بالرِّعدةِ، يُقالُ: أُهْرِعَ الرَّجُلُ؛ إذا أسْرعَ، علَى لفْظِ ما لم يُسمَّ فاعِلُه؛ كما يُقالُ: أُرْعِدَ[٣].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: الإهْراعُ: فعْلٌ واقِعٌ بالقوْمِ وهوَ لهُم في المعْنى؛ كما قالَتِ[٤] العرَبُ: قد أُولِعَ الرَّجُلُ بالأمْرِ، فجعَلُوه مفْعولًا، وهو صَاحِبُ الفعْلِ؛ ومثْلُه: أُرْعِدَ زيدٌ، وسُهْيَ عمْرٌو مِنَ السَّهوِ، كلُّ واحدٍ مِن هذِه الأفَاعيلِ خرَجَ الاسْمُ معَهُ مُقدَّرًا تقْديرَ[٥] المفْعُولِ، وهوَ صاحِبُ الفِعْلِ لا يُعرف لَه فاعِلٌ غيْرُه.

قالَ: وقالَ بعْضُ النَّحْويِّينَ: لا يجُوز للفِعلِ[٦] أن يُجعلَ فاعِلُه مفْعولًا، وهذِه الأفعالُ المذْكُورةُ فاعِلُوها محذُوفُونَ، وتأويلُ «أُولِعَ زَيْدٌ»: أوْلَعَهُ طبْعُه وجِبلَّتُه، «وأُرْعِدَ الرَّجُلُ»: أرْعَدَه غضَبُه، «وسُهِي عمْرٌو»: [ومعناه][٧]: جعلَهُ ساهِيًا مالُه أوْ جهْلُهُ، و«أُهْرِع» معناه: أهْرَعَهُ خوْفُه ورُعْبُه؛ فلهذِه العلَّةِ خرَجَ هؤلاء الأسْماء مَخرجَ المفْعُولِ بهِ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٨٧).

(٢) انظر قول الكسائي في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١/ ١٠١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٠٦).

(٤) في (ف): قال.

(٥) في (ج): بتقدير.

(٦) في (ج): الفعل.

(٧) من (ج)، و(ف)، و(م).

قَالَ: وقالَ بعْضُ اللُّغويين: لا يكونُ الإِهْراعُ إلَّا إسْراعَ المذْعُورِ الخَائِفِ؛ [٣٧٩/أ] لا يُقال لِكُلِّ مُسرعٍ: مُهرَعٌ حتَّى ينْضَمَّ إلى إسْراعِه جزَعٌ وذُعْرٌ(١).

قالَ المفسِّرونَ: سببُ إهْرَاعِهِم: أنَّ امْرأةَ لُوطٍ أخْبرَتْهُم بالأضْيافِ(٢).

﴿وَمِن قَبۡلُ﴾؛ أي: ومِن قبْلِ مجيئِهِم إلى لُوطٍ ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ يعْنِي: فعلَهُمُ المنْكر.

وفِي قوْلِه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ قوْلَان:

أحدُهما: أنَّهُنَّ بناتُه لِصُلبِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ جمَعَ، وإنَّما كُنَّ(٣) اثْنتَيْنِ؟.

فالجوَابُ: أنَّه قد يقَعُ الجمْعُ علَى اثْنَيْنِ؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

والثَّاني: أنَّه(٤) عنَى نِساءَ أُمَّتِهِ؛ لأنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أبو أُمَّتِهِ.

والمعْنَى: أنَّه عرَض عليهِم التَّزويجَ، أوْ أمرَهُم أنْ يكْتَفُوا بِنسائِهم، وهذَا مذْهبُ(٥) مُجاهِدٍ، وسعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، وقتادَةَ، وابْنِ جُريجٍ.

---

(١) انتهى قول ابن الأنباري، وانظره في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٤٩٥).

(٢) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٤/ ٣٢٢).

(٣) في (ج): وإن كان، وفي (ف): وقد كنَّ.

(٤) في (ف): أنها.

(٥) في (ج): قول.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ عرَضَ تزْوِيجَ المؤْمِناتِ[١] على الكافِرينَ؟.

فعنْهُ جَوابَانِ:

أحدُهما: أنَّه قد كان يجُوز ذلِكَ في شريعَتِه، وكانَ جائِزًا في صدْرِ الإسْلامِ حتَّى نُسخَ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّه عرَضَ ذلِك عليْهِم بشرْطِ إسْلامِهِم، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢].

ويُؤكِّدُه أنَّ عرْضَهُنَّ عليْهِم موْقُوفٌ علَى عقْدِ النِّكاحِ؛ فجازَ أنْ يقِفَ على شرْطٍ آخَرَ.

قوْلُه تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: هُنَّ أحَلُّ [لَكُم][٣] مِن إتْيَانِ الرِّجالِ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: اتَّقُوا عُقوبتَهُ.

والثَّاني: اتَّقُوا معْصِيتَهُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ حرَّكَ ياءَ ﴿ضَيْفِيٓ﴾ أبو عمْرٍو، ونافِعٌ[٥].

---

(١) في (ج): البنات.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٧)، ولفظه: فقيل: إنهم عُرِض عليهم التزويج، وكأنَّه عرضه عليهم إنْ أسلَمُوا.

(٣) من (ج)، و(ف).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٢)، ولفظه: أحل لكم من إتيان الرجال.

(٥) انظر: التيسير (ص: ١٢٦)، والنشر (٢/ ٢٩٢).

وفي معنَى هذَا الخِزْي ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الفضِيحةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: الإِسْتِحياءُ.

والمعْنَى: لا تفعلُوا بأضْيافِي فعلًا يُلزِمُني الاسْتِحياءُ منْهُ؛ لأنَّ المضِيفَ يلزمُه الاسْتِحياءُ مِن كُلِّ فعْلٍ يصِلُ إلى ضيْفِه. والعرَبُ تقُولُ: قد خزِي الرَّجلُ يخْزَى خِزايةً؛ إذَا اسْتحْيى، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

مِنَ الْبِيضِ لَا تَخْزَى إِذَا الرِّيحُ أَلْصَقَتْ ... بِهَا مِرْطَهَا أَوْ زَايَلَ الْحَلْيَ جِيدُهَا[٢]

والثَّالث: أنَّه بمعْنَى: الهلاكِ؛ لأنَّ المعرَّة الَّتي تقَعُ بالمضيفِ فِي هذهِ الحَالِ تُلزمُه[٣] هلكةً، ذكرَهُما ابْنُ الأنْباريّ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والضَّيفُ هاهُنا: بمعْنَى الأضْيافِ، والواحِدُ يدلُّ على الجمِيعِ[٤]، كَما تقُولُ: هؤلاءِ رسُولِي ووَكِيلي[٥].

---

(١) انظر: التفسير البسيط (١١/ ٤٩٩).

(٢) البيت لابن الدُّمينة في ديوانه (ص: ٥٢)، وفيه: ألزقت، بدل: ألصقت، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء (ص: ١٣٤) لعلي بن حسان البكري، وفيه: درعها، بدل: مرطها، ونسبه البكري في سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ١٠٨)، للحسين بن مطير، وهو بلا نسبة في النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٨٩)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٧٩).

(٣) في (ف): يلزمه.

(٤) الذي في الغريب؛ لابن قتيبة: الجمع.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

قَوْلُه تعَالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

فِي المرَادِ بالرَّشِيدِ قوْلَانِ:

أحدُهُما: المؤمِنُ.

والثَّانِي: الآمِرُ بالمعرُوفِ والنَّاهِي عنِ المنكرِ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ[1]: يجُوز أنْ يكُونَ الرَّشِيدُ بمعْنى: المرشدِ، فيكونُ المعنى: أَلَيْس منْكُم مُرشِدٌ يعظُكُم ويُعرِّفُكم قبيحَ مَا تأْتُونَ؟ فيكونُ الرَّشيدُ مِن صفَةِ الفاعِلِ؛ كالعَلِيم، والشَّهيدِ.

ويجُوز أن يكونَ الرَّشيدُ بمعْنى: المرشدِ[2]، فيكون المعنى: ألَيْس [٣٧٩/ ب] منْكُم رجُلٌ قد أسْعدَهُ اللهُ بما منَحه مِنَ الرَّشادِ يصْرِفُكم عن إتْيانِ هذِه المعرَّة؟ فيُجرِي «رَشِيدٌ» مُجرى مفْعولٍ؛ كالكتَابِ الحكِيم بمعْنَى: المحكَم.

قَوْلُه تعَالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ما لَنَا فيهنَّ [مِن][3] حاجَةٍ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: لسْنَ لنَا بأزْواجٍ فنَسْتحِقُّهنَّ، قالَه ابْنُ إسْحاقَ، وابْنُ قُتيبةَ[4].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ قالَ عطَاءٌ[5]: وإنَّك لَتعْلَمُ أنَّا نُريدُ

---

(١) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٠٠).

(٢) في (ف): الرشد.

(٣) من (ج).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٧-٤١٨) عن السدي، وذكره الواحدي في التفسير=

الرِّجـالَ، لَا النِّسـاءَ.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾؛ أي: جماعَـةً أقْـوى بِهِـم عليْكُـم. وقيـل: أَراد بالقُوَّةِ: البطْشَ. ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: أنضمُّ إلى عشـيرةٍ وشـيعَةٍ[١] تمنَعُنِـي. وجـوَابُ ﴿لَوْ﴾: محـذُوفٌ عـلى تقْديـرِ: لحُلْـتُ بيْنكُم وبـيْنَ المعْصِيةِ.

قـالَ أبـو عُبيـدةَ: قوْلُـه تعَـالى: ﴿ءَاوِيٓ﴾ مِـنْ قوْلِهِـم: آويْـتُ إليْـكَ، فأَنَـا آوِي أُويًّـا، والمعنـى: صِرْتُ إليْـكَ وانْضَمَمْـتُ، ومجـاز الرُّكـن هاهُنـا: العَشِـيرةُ العَزِيـزةُ الكثِـيرةُ المنِيعَـةُ[٢]، وأنْشَـدَ[٣] [مـن الرجـز]:

يَـأْوِي إِلَى رُكْـنٍ مِـنَ الْأَرْكَانِ
فِي عَـدَدٍ طَيْـسٍ وَمَجْـدٍ بَـانِ[٤]

والطَّيْسُ: الكَثِيرُ، يُقال: أتَانا بِلبَنٍ[٥] طَيْسٍ، وشَرَابٍ طيْسٍ؛ أي: كثِيرٍ.

واخْتلَفُوا أيُّ وقْتٍ قالَ هذَا لوطٌ عليه السَّلام؟.

فـرُوِي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: أنَّ لُوطًـا كانَ قـد أغْلَـق بابَـهُ، والملَائِكـةُ معَـهُ في

=البسيط (١١/ ٥٠١) عن عطاء.

(١) ليست في (ج).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٩٤).

(٣) في (ف): وأنشدوا.

(٤) الرجـز بـلا نسـبة في مجـاز القـرآن (١/ ٢٩٤)، وتفسـير الطـبري (١٥/ ٤٢٢)، والتفسـير البسـيط؛ للواحـدي (١١/ ٥٠٤).

(٥) في (ف): لبن.

الـدَّارِ، وهـوَ يُناظِرُهُـم ويُناشِـدُهم مِـن[١] وراءِ البـابِ، وهـم يُعالِجُـونَ البـابَ ويرُومُـونَ تَسـوُّرَ الجِدَارَ؛ فلـمَّا رأَتِ الملائِكـةُ مَـا يَلْقَـى مِـنَ الكَـرْبِ، قالُـوا: يَـا لُـوطُ! إنَّـا رُسُـل ربِّـكَ، فَافْتحِ البَـابَ ودَعْنَـا وإيَّاهُـم؛ ففتَـح البَـابَ، فدَخلُـوا، واسْـتَأذَنَ جِبريـلُ رَبَّـه عَـزَّ وجـلَّ فِي عُقُوبتِهِـم، فـأَذِنَ [لَـهُ][٢]، فـضَرَبَ بِجناحِه وجُوهَهُـم فأعْمَاهُـم، فانْصَرَفُـوا يقُولُـونَ: النَّجـاءَ النَّجـاءَ! فـإنَّ في بيْـتِ لُـوطٍ أسْـحَرُ قـوْمٍ في الأرْضِ، وجعَلُـوا[٣] يقُولُـون: يـا لُـوطُ! كـمَا أنْـتَ حتَّـى تُصْبحَ، يَتوعَّدُونَـهُ؛ فقَـالَ لهُـم لـوطٌ: متَـى موْعِـدُ هلَاكِهِـم؟ قالُـوا: الصُّبـحُ، قـالَ: لَـو أهْلَكْتُمُوهـمُ الآنَ، فقَالُـوا: ألَيْـسَ الصُّبـحُ بقَرِيـبٍ؟[٤].

وقـالَ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: إنَّهُـم لَمَّـا تَواعَـدُوهُ، قـالَ في نفْسِـه: ينْطَلِـق هـؤلَاءِ القـوْمُ غـدًا مِـن عنْـدِي، وأبْقَـى مـعَ هـؤلَاءِ فيُهْلِكـونِي، فقـالَ: لـوْ أنَّ لِي بكُـم قـوَّةً.

قَالَ الشَّيخُ[٥]: وإنَّما يتوجَّه هذا إذا قُلنا: إنَّه كانَ قبْلَ علْمِه أنَّهم ملائِكةٌ.

وقـال قـوْمٌ: إنَّـه إنَّـما قـالَ هـذَا لَمَّـا كـسَرُوا بابَـهُ وهجَمُـوا عليْـهِ. وقـالَ آخَـرُونَ: لمَّـا نَهاهُـم عـنْ أضْيافِـه فأَبَـوْا قـالَ هـذَا.

وفي الجُمْلَـةِ: مَـا أرَادَ بالرُّكـنِ نـصْرَ اللهِ وعوْنَـهُ؛ لأنَّـه لم يَخْـلُ مِـن ذلِـك،

(١) ليست في (ف).

(٢) من (ف)، و(م).

(٣) في (ج): وجعلوا الملائكة.

(٤) ذكره الثعلبي مختصرا في الكشف والبيان (١٤/ ٤٢٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٩٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٢٦- ٤٢٧) عن قتادة، والسدي.

(٥) في (ج)، و(ر)، و(م): قلت. وفي (ف): قال المصنف.

وإنَّما ذهَب إلى العَشِيرةِ والأُسرَةِ.

ورَوى أبُو هُريرةَ عنْ رسُولِ اللهِ أنَّه قالَ: «رَحِمَ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، ومَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا بَعْدَهُ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: فيهِ إضْمارٌ، تقْدِيرُه: لنْ يصِلُوا إليْكَ بسُوءٍ، وذلِك [٣٨٠/أ] أنَّهُم قالُوا لِلُوطٍ: إنَّا نرَى معَكَ رِجالًا سحَرُوا أبْصارَنا، فستَعْلَمُ غدًا ما تلْقَى أنْتَ وأهْلَك؛ فقالَ له جِبريلُ عليه السلام: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾.

قرَأَ عاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: ﴿فَأَسۡرِ﴾ بإثْباتِ الهمْزِ في اللَّفظِ مِن أسْرَيْتُ. وقرَأَ (ابْنُ كثِيرٍ)(٣)، ونافِعٌ: {فَاسْرِ بِأَهْلِكَ} بغيْرِ همْزٍ مِن سَرَيْتُ، وهُما لُغتانِ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٦٩٤)، ومسلم حديث (٤/ ١٨٣٩)، والترمذي حديث (٣١١٦)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٤١٩- ٤٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦١) كلهم من حديث أبي هريرة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٢).

(٣) ليست في (ف).

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة (ص: ٣٣٨)، والتيسير (ص: ١٢٥)، والنشر (٢/ ٢٩٠)، والإتحاف (ص: ٢٥٩)، والحجة (٤/ ٣٦٧).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: سَرَيْتُ، وأَسْرَيْتُ؛ إِذَا سِرْتُ لَيْلًا[١]، قَالَ الشَّاعِرُ [مِنَ الطويل]:

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ   وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ[٢]

وقالَ النَّابغَةُ [من البسيط]:

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ   تُزْجِي[٣] الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرَدِ[٤]

وقد رَوَوه: سَرَتْ.

فأمَّا أَهْلُه؛ فقالَ مُقاتِلٌ: همُ امْرأتُه وابْنَتَاهُ[٥]. واسْمُ ابْنَتَيْهِ: رُبْثَا وزُغرثَا[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٩).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ٩٣)، والكتاب (٣/ ٢٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٤٢٠)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٢٢٨)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٦٩)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٣٣)، وأسرار العربية (ص: ٢٦٧)، مطيهم؛ أي: مددت بهم في السير، ما يقدن بأرسان؛ أي: أعيت فلا تحتاج إلى أرسان، والأرسان: جمع رسن؛ وهو الحبل. وبأرسان متعلق بيقدن.

(٣) في (ج): حتى.

(٤) البيت ديوانه (ص: ١١)، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٦٩)، والزاهر (٢/ ٦٧)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (١٣/ ٣٨)، السارية: السحابة التي تسري ليلًا، وجمعها: السواري، وسرت: إذا أمطرت، وقوله: «من الجوزاء سارية»؛ كقولك: سقينا بنوء كذا وكذا؛ أي: أصابة المطر ليلًا، و«تزجي»: تسوق وتدفع على الثور جامد البرد.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٣).

(٦) في (ج): ريثا، بالياء، جاء في هامش الأصل: الصحيح «ربثا» بالباء المنقوط بواحدة من تحت، وفي الطبري: رثيا، و«زغرتا»، وفي مرآة الزمان للمصنف: واسم الكبرى: ريثا=

وقال السُّدِّيُّ: اسْمُ الكُبرى: رُبَّة[1]، واسْمُ الصُّغْرى: عروبة[2].

والمـرَاد بأهْلـهِ: ابْنتَـاه. فأمَّـا القِطْـعُ، فهـو بمعْنـى القِطعـةُ؛ يُقـال: مـضَى قِطـعٌ مِـن اللَّيـل؛ أي: قطْعـةٌ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد بهِ: آخِرَ اللَّيلِ[3].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: «بقِطع»؛ أي: ببقيَّةٍ تبْقَى[4] مِن آخِرهِ[5].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاري: ذكْـر القِطْـع بمعْنَـى القِطْعـةِ مُختـصٌّ باللَّيْـل، ولا يُقـال: عنْـدِي قِطـع مِـنَ الثَّـوبِ، بمعْنَـى: عنْـدِي قِطعـةٌ[6].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنى: لا يتَخلَّفُ منْكُم أحَدٌ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

=وقيل: ربة، واسم الصغرى: زغورا، وقيل: عروبة.

(١) في (ج)، و(ر): ربة.

(٢) ذكـر ذلـك الواحـدي في التفسـير البسـيط (١١/ ٥٠٦) مـن روايـة السـدي عـن أبي مالـك، وذكـر أن اسـم ابنتـه الكـبرى: «ربـة» بالبـاء الموحـدة.

(٣) تنويـر المقبـاس (ص: ١٨٩)، والروايـة: بطائفـة مـن الليـل، عـن عـلي عـن ابـن عبـاس، وفي روايـة أخـرى: جـوف الليـل، عـن ابـن جريـج عـن ابـن عبَّـاس، انظـر: تفسـير الطـبري (١٥/ ٤٣٠).

(٤) ليست في (ج).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٩).

والثَّاني: أنَّه الالْتِفاتُ المعْرُوفُ، قالَهُ مُجاهِدٌ[١]، ومُقاتِلٌ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ قرَأَ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ بنصْبِ التَّاءِ. وقرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ جمَّازٍ عنْ أبي جعْفرٍ برفْعِ التَّاءِ[٣].

قالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قرَأَ بالنَّصب، فالمعنى: فأسْرِ بأهْلِكَ إلَّا امْرأتَكَ. ومَن قرَأَ بالرَّفْعِ، حمَلَه على ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتُكَ﴾[٤]. وإنَّما أُمِروا بتَرْكِ الالْتِفاتِ؛ لئلَّا يروْا عظِيمَ ما ينْزِلُ بهِم مِنَ العذَابِ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وعلَى قِراءةِ الرَّفعِ، يكونُ الاسْتِثناءُ مُنقطعًا، معْناه: لكنِ امْرأتُكَ، فإنَّها تلْتَفِتُ فيُصِيبُها ما أصابَهُم؛ فإذا كانَ اسْتِثناءً مُنقطِعًا، كان الْتِفاتُها معْصِيةً لِربِّها[٥]؛ لأنَّه ندَبَ إلى ترْكِ الالْتِفافِ[٦].

قالَ قتادَةُ: ذُكِر لنا: أنَّها كانَتْ معَ لُوطٍ حِينَ خرَجَ مِنَ القرْيةِ، فلمَّا سمِعَتْ هَدَّةَ العذَابِ؛ الْتفتَتْ، فقالَتْ: وَا قوْمَاهُ، فأصَابَهَا حجَرٌ فأهْلَكَهَا[٧]،

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤١٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٣).

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٦٩- ٧٠).

(٥) في (ج): لله عزَّ وجلَّ.

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٢٦).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٢٥)، وتاريخه (١/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٦) (١١٠٨٨).

وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ﴾ العذاب(١) الصُّبْحُ.

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾.

قالَ المفسِّرُون: قالَتِ الملائكةُ: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ فقالَ: أُريدُ أعْجَلَ مِن ذلِك، فقالُوا لَه: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾(٢)؟.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣].

قوْلُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ: [٣٨٠/ب]

أحدُها: أمْرُ اللهِ للملائكَةِ بعذَابِهم.

والثَّاني: أنَّ الأمْرَ بمعْنَى العذَابِ.

والثَّالث: أنَّه بمعْنَى القضَاءِ بعذَابِهم.

قوْلُه تعالى: ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الكِنايةُ تعُودُ إلى المؤْتفِكَاتِ، وهيَ قُرى قوْمِ لُوطٍ، وقد ذكرْنَاهَا في «بَرَاءة» ونحْن نُشير إلى قِصَّةِ هَلاكِهم هَاهُنا.

---

(١) في (ف): للعذاب.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٠٩)، والبغوي في تفسيره (٤/ ١٩٣)، والقرطبي في تفسيره (٩/ ٨١).

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أمَرَ جِبريلُ لُوطًا بالخُرُوجِ، فقَالَ: اخْرُجْ وأَخْرجْ غنَمَك وبقَرَكَ، فقَالَ: كيْفَ لِي بذلِكَ وقدْ أُغْلِقتْ أبْوابُ المدِينَةِ؟ فبَسطَ جناحَهُ، فَحمَلَهُ وبِنْتَيْهِ ومَا لهُم مِنْ شيْءٍ، فأَخْرجَهُم[(١)] مِنَ المدينَةِ، وسألَ جِبريلُ ربَّهُ، فقالَ: يَا ربِّ! ولِّنِي هلاكَ هؤُلاءِ القوْمِ، فأوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليْهِ أنْ تولَّ هلاكَهُم؛ فلمَّا أنْ بدَا[(٢)] الصُّبْحُ، غدَا عليْهِم جِبريلُ فاحْتمَلَهَا على جَناحِهِ، ثُمَّ صعَدَ بها حتَّى خرَج الطَّيرُ في الهوَاءِ لا يدْرِي أيْنَ يذْهَبُ، ثُمَّ كفَأَها عليْهِم، وسمِعُوا وَجْبَةً[(٣)] شَديدَةً، فالْتَفتتِ امْرأةُ لُوطٍ، فرَمَاها جِبريلُ بحجَرٍ فقتَلَهَا، ثُمَّ صَعدَ حتَّى أشْرَف علَى الأَرْضِ، فجعَلَ يتَّبِعُ مُسافِرَهم ورُعَاتَهم ومَنْ تحوَّلَ عنِ القريَةِ، فرَمَاهُم بالحجَارةِ حتَّى قتَلَهُم[(٤)].

وقالَ السُّدِّيُّ: اقْتلَع جِبريلُ الأرْضَ مِن سبْعِ أرضِينَ، فاحْتمَلَها حتَّى بلَغ بها إلَى أهْلِ السَّماءِ الدُّنْيا، حتَّى سمِعَ أهْلُ السَّماءِ نباحَ كِلابِهِم، ثُمَّ قلَبَها[(٥)].

---

(١) في (ف): فأخرجه.

(٢) في (ج)، و(ر): فلما جاء.

(٣) الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهدّة. القاموس، مادة: (و ج ب).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٨٠٩) (١٥٨٩٣) مختصرا، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥١٠).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٥١) من طريق عمرو، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٢)، وتاريخه (١/ ٣٠٦) عن السدي.

وقالَ غيْرُه: كانَتْ خمْسَ قُرى، أعْظَمُها سَدومُ، وكانَ القوْمُ أربَعةَ ألْفِ[1] ألْفٍ[2]. وقيلَ: كانَ في كُلِّ قريَةٍ مائةُ ألْفِ مُقاتلٍ، فلمَّا رفَعَها[3] إلى السَّماءِ، لم ينْكَسِرْ لهُم إناءٌ، ولم يسقُطْ حتَّى قلَبَها عليْهِم. وقيلَ: نجا مِنَ الخمْسِ واحِدَةٌ لم تكُنْ تعْمَلُ مِثْلَ عملِهِم.

وانفرَدَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، فقَال: إنَّ جِبْريلَ وميكائِيلَ توَلَّيَا قلْبَها.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ في هاءِ الكِنايَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى القُرى.

والثَّاني: [ترْجِعُ][4] إلى الأُمَّةِ.

وفي السِّجْيلِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها بالفارسيَّةِ: «سَنْكِ وَكِلْ»، **السَّنْكُ:** الحجَرُ، والكِلْ:

---

(١) في (م): آلاف.

(٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٢) من رواية محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن نبي الله ﷺ، قال: «بعث الله جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التي كان لوط فيهم، فاحتملها بجناحه، ثم صعد بها حتى إنَّ أهل السماء الدنيا ليسمعون نُباح كلابها وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها الله بالحجارة، يقول الله: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات، وكنّ خمس قريات: «صنعة»، و«صعوة»، «وعثرة»، و«دوما»، و«سدوم»، وسدوم هي القرية العظمى، ونجا الله لوطًا ومن معه من أهله، إلا امرأته كانت فيمن هلك.

(٣) في (ج)، و(ف)، و(م): رفعهم.

(٤) من (ج).

الطِّينُ، هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ[١]، وعكرِمةَ[٢]، وسعيدِ بنِ جُبيرٍ[٣].

وقالَ مُجاهِدٌ: أوَّلُها حجَرٌ، وآخِرُها طِينٌ[٤].

وقالَ الضَّحَّاكُ: يعْنِي: الآجُرَّ[٥].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: مَن ذهَب إلى هذا القَوْلِ، اعْتَبَره بقوْلِه: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾ [الذاريات: ٣٣] يعْنِي: الآجُرَّ[٦].

وحكَى الفرَّاءُ: أنَّه طِينٌ قد طُبِخَ حتَّى صَار بمنْزِلَةِ الأرْحَاءِ[٧].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٤) عن ابن عباس: وهو بالفارسية: سنك وجل، سنك هو: الحجر، وجل: الطين، يقول: أرسلنا عليهم حجارة من طين، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨) (١١١٠٣)، عن عطاء بن السائب عن عكرمة، في قوله: {حجارة من سجيل}، قال: لها اسمٌ بالنبطية، واسم بالفارسية.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٣)، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، قال: فارسية أعربت سنك وكل. وحكاه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٣٩٠)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٣)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، بالفارسية، أوَّلها حَجَر، وآخرها طين. وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٨).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٤٢٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥١٢)، البغوي في تفسيره (٤/ ١٩٤).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٧).

(٧) في نسخة: الرَّحاء، وفي اللسان الرحاء من الرحا: الحجارة، والصخرة العظيمة، وانظر: معاني القرآن (٢/ ٢٤).

والثَّاني: أنَّه بحْرٌ معلَّقٌ في الهوَاءِ بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، ومنْهُ نزلَتِ الحِجارَةُ، قالَهُ عكْرِمَةُ.

والثَّالث: أنَّ السِّجيلَ: اسْمُ السَّماءِ الدُّنْيا، فالمعْنَى: حِجارةٌ مِنَ السَّماءِ الدُّنْيا، قالَهُ ابنُ زيْدٍ.

والرَّابع: أنَّه الشَّدِيدُ مِن الحجَارةِ الصَّلبِ، قالَهُ أبو عُبيدةَ[١]، وأنْشدَ لابْنِ مُقبل [من البسيط]:

[وَرَجْلَةً يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ عُرُضٍ][٢] ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا[٣]

وردَّ هذا القوْلَ ابنُ قُتيبةَ؛ فقالَ: هذَا بالنُّونِ، وذاكَ باللَّام، وإنَّما هوَ في [٣٨١/أ] هذَا البيْتِ فِعِّيل؛ من سَجَنْتُ؛ أي: حَبَسْتُ، كأنَّه يُثْبِتُ صاحِبَهُ[٤].

والخامس: أنَّ قوْلَه: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ كقوْلِك مِن سِجِلٍّ؛ أي: ممَّا كُتب لهُم أن يُعذَّبوا به، وهذا اخْتِيارُ الزَّجَّاجِ[٥].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٩٦).

(٢) صدر البيت ليس في الأصل، والمثبت من (م)

(٣) البيت لابن مقبل- تميم بن أُبَيٍّ- ديوانه (ص: ٣٣٣)، والرواية فيه: «ضربا تواصىَ...»، ومجاز القرآن (١/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري ١٥/ ٤٣٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٣١٠)، ومنتهى الطالب (ص: ٤٤)، والمعاني الكبير (ص: ٩٩١)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٦٣٤)، (٢/ ١٦٣٦)، وجمهرة اللغة (ص: ٤٦٤، ١١٩٢)، والرجلة: جماعة الرجال. والبيض- بالكسر-: كناية عن السيوف؛ أي: يضربون بها، وإن قرئ بالفتح فهي المغافر على رؤس الفرسان. وسجين وسجيل بمعنى واحد، والعرب تعاقب بين النون واللام.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٠٨).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧١).

والسَّادس: أنَّه مِن أسْجلْتُه؛ أي: أرْسَلْتُه، فكأنَّها مُرسَلةٌ عليْهِم.

والسَّابع: أنَّه مِن أسْجَلْتُ: إذَا أعْطَيْتُ، حكَى القوْلَيْنِ الزَّجَّاجُ(١).

وفي قوْلِه: ﴿مَنضُودٍ﴾ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: يتْبَعُ(٢) بعْضُه بعضًا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مصْفُوفٌ، قالَه عِكرِمةُ، وقَتادَةُ.

والثَّالث: نُضِّدَ بعْضُه على بعْضٍ؛ لأنَّه طِينٌ جُمِعَ فجُعِلَ حِجارةً، قالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أنَسٍ.

قوْلُه تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أي: مُعلَّمةً، أُخِذ مِنَ السَّومَةِ، وهيَ العَلامَةُ(٣).

وفي عَلامَتِها سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: بَياضٌ فِي حُمرةٍ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، وبهِ قالَ الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّها كانَتْ مخْتُومةً، فالحَجرُ أبْيضُ، وفِيه نُقطةٌ سوداءُ، أو أَسْودُ وفيهِ نُقطةٌ بيْضاءُ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ف): أتبع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٦٧)

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٦٩) (١١١٠٨) عن أبي روق، عن الضَّحاك، عن ابن عبَّاس.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٩).

والثَّالث: أنَّها المخَطَّطَةُ بالسَّوَادِ والحُمرةِ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والرَّابع: عليْهَا نضْحٌ مِن حُمرةٍ فِيها خُطوطٌ حمْرٌ علَى هيْئَةِ الجَزْعِ(٢)، قالَهُ عِكرمةُ، وقتادَةُ.

والخامِس: أنَّها كانَتْ مُعلَّمةً بعلَامةٍ تُعرف(٣) بها أنَّها ليْستْ مِن حِجارةِ الدُّنْيا، قالَهُ ابْنُ جُريجٍ.

والسَّادس: أنَّه كانَ علَى كلِّ حجَرٍ منْهَا اسْمُ صَاحِبِهِ، قالَهُ الرَّبِيعُ.

وحُكي عنْ بعْضِ مَنْ رأى تلْكَ الحِجارةَ أنَّه قالَ: كانَتْ مثْلَ رؤوسِ(٤) الإبْلِ، ومثْلَ مبارِكِ الإبِلِ، ومثْلَ قبْضَةِ الرَّجُلِ.

وفِي قوْلِه تعَالَى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: جاءَتْ مِن عنْدِ ربِّك، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ(٥).

والثَّاني: عنْد ربِّك مُعدَّةٌ، قالَهُ أبو بكْرٍ الهُذليُّ(٦).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٨٩)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٦٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥١٧) عن الفراء. وانظر: معاني القرآن (٢/ ٢٤).

(٢) الجَزع -بفتح الجيم-: ضرب من الخرز فيه سواد وبياض. انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٥٣)، والمحكم والمحيط (١/ ٣٠٢)، والقاموس، مادة (ج ز ع).

(٣) في (م): يعرف.

(٤) في (ج)، و(ف): رأس.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٣).

(٦) أبو بكر الهذلي البصري، اسمه: سُلمى بن عبد الله بن سلمى. وقيل: اسمه روح، وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري. ضعَّفه أحمد، وأبو زرعة. وقال ابن=

والثَّالث: أنَّ المعنى: أنَّ(١) هذا التَّسويمُ لَزِمَ هذه الحِجارَةَ عند الله(٢) إيذانًا بنفاذِ قُدْرتِه وشِدَّةِ عذابِه، قالَه ابْنُ الأنْبارِيِّ(٣).

والرَّابع: أنَّ معنى قوْلِه: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه الَّتي لَا يُتصرَّفُ في شيْءٍ منْها إلَّا بإذْنِه.

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

في المراد بالظَّالمين هاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المراد بالظَّالمين هَاهُنا: كُفَّارُ قُريشٍ، خوَّفَهَمُ اللهُ بِها، قالَهُ الأَكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّه عَامٌّ في كُلِّ ظالمٍ؛ قالَ قتادَةُ: واللهِ مَا أجَارَ اللهُ منْهَا ظَالمًا بعْدَ قوْمِ لُوطٍ(٤)، فاتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مِنْهُ علَى حذَرٍ.

=معين: ليس بشيء. وفي رواية: ليس بثقة. وقال أبو حاتم: لين الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النَّسائيّ وعلي بن الجنيد والدارقطني: متروك الحديث. وقال ابن المديني: ضعيف جدًّا. وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: لين الحديث. وقال في الكاشف: واهٍ. وقال ابن حجر: أخباري متروك الحديث. تُوفِّي سنة (١٦٧هـ). انظر: تاريخ يحيى بن معين رواية الدُّوريّ (٢/ ٦٨٧)، وتهذيب الكمال؛ للمزي (٣٣/ ١٥٩)، وميزان الاعتدال؛ للذهبي (٤/ ٤٩٧)، والكاشف؛ للذهبي (٢/ ٤١٤)، وتهذيب التهذيب؛ لابن حجر (٤/ ٤٩٨).

(١) ليست في (م).

(٢) في (ج): ربك.

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٠)، وهو قول أكثر المفسرين؛ كما في التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٨٥).

والثَّالثُ: أنَّهُم قومُ لُوطٍ، فالمعْنَى: وما هِي مِنَ الظَّالِمين؛ أي: مِن قومِ لُوطٍ ببعيدٍ، والمعْنَى: لم تكُن لِتُخطِئهم، قالَهُ الفرَّاءُ[1].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: ٨٤ - ٨٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ قد فسَّرْناه[2] في الأعْرافِ [آية: ٨٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾؛ أي: لا تُطَفِّفوا؛ وكانوا يُطَفِّفُون معَ كُفْرِهم.

قوْلُه تعالَى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه رُخصُ الأسْعارِ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومجاهِدٌ. [٣٨١/ ب]

والثَّاني: سِعَةُ المالِ، وهو مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا، وبِهِ قالَ قتادةُ، وابْنُ زيْدٍ.

وقالَ الفرَّاءُ: أمْوالُكم كثِيرةٌ، وأسْعارُكم رخِيصةٌ، فأيُّ حاجةٍ بكُم إلى سُوءِ الكيلِ والوزْنِ[3]؟.

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

(٢) في (م): ذكرناه

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه غلاءُ السِّعرِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقالَ مُجاهِدٌ: القحْطُ والجدْبُ والغلاءُ[١].

والثَّاني: العذَابُ في الدُّنيا، وهوَ الَّذي أصابَهم، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

والثَّالث: عذَابُ النَّارِ في الآخِرةِ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ أي: أتمُّوا ذلك بالعدْلِ. والإيفاءُ: الإتمامُ. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ بنقصِ المكْيالِ والميزانِ.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٤٣٣) عن مجاهد بلفظ: خصب وسعة.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٣).

(٣) النكت والعيون (٤/ ٣٦٥).

﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى
بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾
[هود: ٨٦ - ٩٥].

قَوْلُه تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيهِ ثَمانيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ما أَبْقَى اللهُ لكُم مِنَ الحلَالِ بعْدَ إيفاءِ الكيْلِ والوزْنِ، خيرٌ مِنَ البَخْسِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ[(١)].

و[القولُ][(٢)] **الثَّاني:** رزْقُ اللهِ خيرٌ لكُم، (رُوِيَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا، وبهِ قالَ سُفيانُ[(٣)].

والثَّالث: طاعَةُ اللهِ خيرٌ لكُم)[(٤)]، قالَه مُجاهِدٌ[(٥)]، والزَّجَّاجُ[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٧)، ثم قال: وهذا قول روي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل. وانظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٥/ ٥٨٦)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٢/ ٣٩٨).

(٢) من (ج).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٥٩).

(٤) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٢).

والرَّابع: حظُّكُم مِنَ اللهِ خيرٌ لكُم، قالَهُ قتَادةُ(١).

والخامس: رحْمةُ اللهِ خيرٌ لكُم، قالَه ابْنُ زيْدٍ(٢).

والسَّادس: وصيَّةُ اللهِ خيرٌ لكُم، قالَهُ الرَّبيعُ(٣).

والسَّابع: ثَوابُ اللهِ فِي الآخِرَة خيرٌ لكُم، قالَه مُقاتِلٌ(٤).

والثَّامن: مُراقَبةُ اللهِ خيرٌ لكُم، ذكرَهُ الفرَّاءُ(٥).

وقرَأ الحسَنُ البصرِيُّ(٦): «تَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ» بالتَّاء.

قوْلُه تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شرْطُ الإيمانِ في كوْنِه خيْرًا لهم؛ لأنَّهم إنْ كانوا مُؤمنِينَ باللهِ عزَّ وجلَّ؛ عرَفُوا صِحَّةَ مَا يقُولُ.

وفِي قوْلِه: ﴿وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ما أُمِرت بقِتالِكُم وإكْراهِكُم علَى الإيمانِ.

والثَّاني: ما أُمِرت بِمُراقبتِكُم عنْد كيْلِكُم لئلَّا تبْخَسُوا.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٢) (١١١٣٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٤).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص/ ٢٣٨)، والبحر المحيط (٥/ ٢٥٢).

والثَّالث: ما أحْفَظُكُم مِن عذابِ اللهِ إنْ نالَكُم[١].

قوْلُه تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ وقرأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ، وحفْصٌ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ علَى التَّوْحيدِ[٢].

وفي المرَادِ بصَلَوَاتِه ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: دينُه، (قالَه عطَاءٌ)[٣].

والثَّاني: قِراءتُه، قالَهُ الأعْمشُ.

والثَّالث: أنَّها الصَّلواتُ المعْروفةُ، وكان شُعيبٌ كثِيرَ الصَّلاةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ[٤] فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾.

قال الفرَّاءُ: **معْنى الآيةِ**: أَصلَواتُك تأْمُرُك أنْ نتْرُكَ ما يعبُدُ آباؤُنا، أوْ أنْ نترُكَ أنْ نفْعَلَ في أمْوالِنا ما نَشاء[٥]؟.

---

(١) في (ف)، و(ر): أن يأتيكم.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالتَّوحيد، وقرأ الباقون بالجمع، وحجة من وحَّد أن «الصلاة» بمعنى الدعاء، والدعاء صنف واحد وهي مصدر، والمصدر يقع للقليل والكثير بلفظه، وحجة من جمع أنَّه قدر أن الدعاء مختلف أجناسه وأنواعه فجمع المصدر لذلك، انظر: الكشف (١/ ٥٠٧)، والسبعة (ص: (٣١٧)، والإتحاف (ص: ٢٥٩).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في الأصل: تفعل.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٥).

وفي معْنى الكلامِ علَى قِراءة مَن قرَأ بالنُّون قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ فِعلَهُم في أمْوَالِهم هوَ البخْسُ والتَّطْفِيفُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ؛ فالمعْنَى: قد ترَاضَيْنا فيما بيْنَنَا بذلِك.

والثَّاني: أنَّهم كانوا يقْطَعُون الدَّراهِمَ والدَّنانِير، فنهَاهُم عن ذلِك، قالَهُ ابْن زيْدٍ.

وقال القُرظيُّ: عُذِّبُوا في قطْعِهِمُ الدَّارهِمَ(١).

قالَ ابْنُ الأنبارِيِّ: وقرَأَ الضَّحَّاكُ بْنُ قيْسٍ الفِهريُّ(٢): «مَا تَشَاء» بالتَّاءِ(٣)، ونسَقَ «أن نَفْعَل» على «أَن نَترك»(٤)، واسْتغْنَى عنِ الإضْمارِ. [٣٨٢/ أ]

قالَ سُفيان الثَّوريُّ: في معْنى هذِه القِراءَةِ: أنَّه أمرَهُم بالزَّكاةِ فامْتَنعُوا(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥١)، من طريق موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي قال: عُذّب قوم شعيب في قطعهم الدراهم.

(٢) سبقت ترجمته في سورة يونس.

(٣) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦١)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٣٨)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٢٥)، والبحر المحيط (٥/ ٢٥٣).

(٤) في (م): تترك.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٣) (١١١٣٩) من طريق عيسى بن جعفر عن سفيان الثوري، قال: في قوله: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ قال: الزكاة. وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٩٦).

وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِيُّ، والضَّحَّاكُ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «أَوْ أَن تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا تَشَاء» بالتَّاء فِيهما[١]؛ ومعْنَى هذِه القِراءَةِ كمعْنَى قِراءة الفِهْرِيِّ.

وفِي قوْلِه[٢]: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم قالُوه اسْتِهزاءً بِهِ، رَواه أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قتادَةُ[٣]، والفرَّاءُ[٤].

والثَّاني: أنَّهم قالُوا له: إنَّك لَأنْتَ السَّفِيهُ الجاهِلُ، فكنَّى بِهذا عن ذلِك، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

والثَّالث: أنَّهم سبُّوه بأنَّه ليْس بحَلِيمٍ[٦] ولا رشِيدٍ، فأثْنَى اللهُ عزَّ وجلَّ عليْهِ، فقالَ: بلْ إنَّك لَأنْتَ الحَلِيمُ[٧] الرَّشِيدُ، لا كما قالَ لكَ الكافِرُونَ، حكَاه أبو سُليمان الدِّمشقِيُّ[٨]، عنْ أبي الحسَنِ المِصِّيصِي.

---

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله (١٥/ ٤٥٢): فمن قرأ ذلك كذلك، فلا مؤونة فيه، وكانت «أن» الثانية حينئذ معطوفة على «أن» الأولى. والذي قرأ بالتاء فيهما ابن أبي عبلة فقط، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والضَّحاك: «نفعل» بالنون، وقرءوا جميعًا «تشاء» بالتاء، انظر: الشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٣٨).

(٢) في (ج): وفي معنى.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٣) (١١١٤٢) عن قتادة قوله: {إنك لأنت الحليم الرشيد} قال: استهزاء بالنبي ﷺ.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٣).

(٦) في الأصل: بحكيم، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في الأصل: الحكيم، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) هو محمد بن عبد الله بن سليمان السَّعدي، أبو سليمان الدمشقي الشافعي، مُفَسِّر،=

والرَّابع: أنَّهمُ اعْترفُوا له بالحِلْم والرُّشدِ حقِيقةً، وقالُوا: أنْت حلِيمٌ رشِيدٌ، فلِمَ تنْهانَا أنْ نفعَلَ في أمْوالِنا ما نَشاءُ؟! حكَاه الماورديُّ[١]، وذهبَ إلى نحوْهِ ابنُ كيْسان[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ قد تقَدَّم تفْسِيرُه.

وفي قوْلِه: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّه الحلالُ؛ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وكانَ شعيبٌ كثِيرَ المَالِ[٣].

والثَّاني: النُّبوَّةُ.

والثَّالث: العِلْم والمعرِفةُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وجوابُ الشَّرْطِ هَاهُنا مترُوكٌ، والمعْنَى: إنْ كنْتُ على بيِّنةٍ مِن ربِّي، أتَّبِعُ الضَّلالُ[٤]؟ فترَكَ الجوَابَ؛ لعِلْم المخاطَبِينَ بالمعْنَى، وقد مرَّ مثْلُ هذَا[٥].

=صنف مجتبى التفسير، والمهذب في التفسير، عاش في القرن الرابع. ينظر: تاريخ دمشق (٥٣/ ٣٤٩)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (ص:٨٩).

(١) النكت والعيون (٢/ ٤٩٧).

(٢) انظر إلى ما ذهب إليه ابن كيسان في الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٤٣٧)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٢٧).

(٣) من رواية الكلبي؛ كما في التفسير البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٢٧)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٩٧) عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) أي: أأتبع الضلال، فهي جملة استفهامية.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ قـالَ قتـادَةُ: لمْ أكُـنْ لأَنْهاكُـم عـنْ أمْـرٍ ثـم أرْتَكِبُـه(١).

وقالَ الزَّجَّاجُ(٢): ما أقْصِدُ بخِلافِكُم القَصْدَ إلى ارْتكَابِه(٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾؛ أي: مـا أُريـد بـمَا آمُركُـم بـهِ إلَّا إصْـلاحَ أُمُورِكـم بقـدْرِ طَاقَتِـي. وقـدْرُ طَاقَتِي: إبْلاغُكُـم لَا إجْبارُكُـم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فتَـحَ يَـاءَ: {تَوْفِيقِـيَ} أهْـلُ المدِينـةِ، وابْـنُ عامِـرٍ(٤).

ومعْنـى الـكلَامِ: (أي)(٥): مـا إصَابتِـي الحَـقَّ في مُحاولـةِ صَلاحِكُـم إلَّا بـاللهِ. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أي: فوضْـتُ أمْـري، وذلِـك أنَّهُـم تواعَـدُوه بقوْلِهـم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ [الأعـراف: ٨٨] ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾؛ أي: أرْجِـعُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ﴾ حـرَّكَ هـذِه اليـاءَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، ونَافِـعٌ(٦).

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٤٥٣) قـال: حدثنـا بـشر قـال، حدثنـا يزيـد قـال، حدثنـا سـعيد، عـن قتـادة: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾، يقـول: لم أكـن لأنهاكـم عـن أمـر أركبـه أو آتيـه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٣).

(٣) في نسخة المعاني المطبوعة: أرْتكِبه. أي: ما أريد بمخالفتكم مجرد المخالفة.

(٤) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٧)، والكشف؛ لمكي (١/ ٥٣٩).

(٥) من الأصل فقط.

(٦) قـراءة سـبعية، انظـر: التيسـير؛ للـداني (ص: ١٢٧)، والكشـف؛ لمكـي (١/ ٥٣٩)، النـشر (٢/ ٢٩٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: لَا تُكْسِبَنَّكُم عداوتكُم إيَّايَ أَنْ تُعَذَّبُوا[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم كانُوا قرِيبًا مِنْ مسَاكِنِهم.

والثَّاني: أنَّهُم كانُوا حدِيثِي عهْدٍ بعذَابِ قوْمِ لُوطٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: كانَ إهلَاكُ قوْمِ لُوطٍ أقرَبَ الإِهلَاكاتِ الَّتي عرَفُوهَا[٢].

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: إنَّما وحَّد بعيدًا؛ لأنَّه أزالَه عنْ صِفةِ القوْمِ، وجعلَهُ نعتًا مكانَ[٣] محذُوفٍ، تقْدِيرُه: وما قوْمُ لُوطٍ منْكُم بمكانٍ بعِيدٍ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ قد سبَقَ معْنَى الرَّحِيم.

فأمَّا الوَدُودُ: فقالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: معنَاه: المُحِبُّ لعِبادِهِ؛ مِن قوْلِهِم: وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوَدُّه وُدًّا وَوَدًّا (وِدًّا)[٥]، ويُقَالُ: ودِدْتُ الرَّجُلَ وِدَادًا وَوِدَادَةً وَوَدادةً[٦]. [٣٨٢/ب]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (ف): لمكانٍ.

(٤) انظر قول ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٥٣١).

(٥) ليست في (ر)، و(م).

(٦) الزاهر (١/ ٨٨- ٨٩).

وقالَ الخطَّابِيُّ: هو اسْمٌ مأْخُوذٌ مِنَ الوُدِّ؛ وفيهِ وجْهانِ:

أحدُهما: أنْ يكونَ فعُولًا فِي محلِّ مَفْعُولٍ؛ كما قِيلَ: رَجُلٌ هَيُوبٌ؛ بمعْنَى: مَهِيبٍ، وفرَسٌ رَكُوبٌ؛ بمعْنَى: مَرْكوبٍ، فاللهُ سُبْحانهُ مَوْدودٌ فِي قُلوبِ أوْليائِه لما يتعرَّفُونَهُ مِنْ إحْسانِهِ إليْهِم.

والوجْهُ الآخَرُ: أنْ يكُونَ؛ بمعْنَى: الوَادِّ؛ أي: أنَّه يوَدُّ عبادَهُ الصَّالِحِينَ، بمعْنَى: أنَّه يرْضَى عنهُم بتقبُّلِ[1] أعمالِهم؛ ويكُون معْناه: أنْ يُوَدِّدَهُم إلى خَلْقِه؛ كقوْلِه: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[2] [مريم: ٩٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾.

قال ابْنُ الأنْبارِيِّ: معْناه: ما نَفْقهُ صِحَّةَ كثِيرٍ ممَّا تقُول؛ لأنَّهم كانُوا يتَديَّنُونَ بغْيرِه، ويجُوز أنْ يكونُوا لِاسْتِثْقالِهم ذلِك كأنَّهم لَا يفْقَهُونَهُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ وفيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ضَرِيرًا؛ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[4]، وابْنُ جُبيرٍ[5]، وقتادَةُ[6]: كان أعْمَى.

---

(١) في الأصل: يتقبل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انتهى كلام الخطَّابي، وهو في شأن الدعاء (ص: ٧٤).

(٣) انظر قول ابن الأنباري في التفسير البسيط (١١/ ٥٣١)

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٧٦) (١١١٦٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥٧)، وفي تاريخه (١/ ٣٢٥) عن عبد الأعلى به، وابن عساكر في تاريخه (٢٣/ ٧٢) من طريق أسيد به.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٣٤).

قالَ الزَّجَّاجُ: ويُقال: إنَّ حِمْيرَ تُسمِّي المكْفُوفَ ضعِيفًا[١].

والثَّانِي: ذلِيلًا، قالَهُ الحسَنُ، وأبُو رَوقٍ، ومُقاتِلٌ[٢].

وزعَم أبُو روْقٍ أنَّ اللهَ تعَالى لمْ يبْعثْ نبيًّا أعْمَى، ولا نبِيًّا بهِ زمَانةٌ.

والثَّالث: ضعِيفُ البصرِ، قالَهُ سُفيانُ.

والرَّابع: عاجزًا عنِ التَّصرُّف فِي المكاسِبِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: لوْلَا عشِيرتُك لَقتلْنَاكَ بالرَّجمِ، والرَّجْمُ مِن سيِّئِ القِتْلاتِ، وكانَ رهْطُه مِن أهْل ملَّتِهِم، فلِذلِك أظْهرُوا الميْلَ إليْهِم والإكْرَامَ لهُم[٣].

وذكَرَ بعْضُهُم أنَّ الرَّجْمَ هاهُنا بمعْنَى: الشَّتْمِ والأذَى.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: بكرِيمٍ.

والثَّانِي: بمُمْتنعٍ أن نقْتلَك.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وأسكَنَ ياءَ {رَهْطي} أهْلُ الكُوفةِ، ويعْقُوبُ[٤]، والمعْنَى: أتُراعُونَ رهْطِي فيَّ، ولَا تُراعُونَ اللهَ فيَّ؟.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٥).

(٣) معاني القرآني وإعرابه (٣/ ٧٤).

(٤) قرأ الكوفيون، ويعقوبُ، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ بإسكان الياء، والباقون: بفتحها، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٩٢).

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ﴾ فِي هاءِ الكِنايَةِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَهُ الجمْهُورُ.

قالَ الفرَّاءُ: المعْنَى: رمَيْتُم بأمْرِ الله وراءَ ظُهورِكُم[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: والعربُ تقُولُ لكُلِّ مَنْ لَا يعْبَأُ بأمْرٍ: قد جعَلَ فُلانٌ هذَا الأَمْرَ بظَهْرٍ[٢]، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

تَمِيمَ بْنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بِظَهْرٍ فَلَا يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا[٣]

والثَّاني: أنَّها كِنايةٌ عمَّا جاءَ بهِ شُعيبٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾؛ أي: عالمٌ بأعْمالِكم، فهوَ يُجازِيكم بها. وما بعْدَ هذا قد سبَقَ تفْسِيرُه إلى قوْلِه: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

فإنْ قالَ قائِلٌ: كيْفَ قالَ هاهُنا ﴿سَوۡفَ﴾، وفِي سُورةٍ أُخْرى ﴿فَسَوۡفَ﴾؟ [الأنعام: ١٣٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٥).

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه (١/ ٨٦) في سياق قصة، وورد بلفظ:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي *** لديك ولا يعيا عليَّ جوابها

وهو له أيضًا في الأضداد؛ لابن الأنباري (٢٥٦)، وفيه: «... فلا يخفى علي جوابها»، قال ابن الأنباري: «وأراد الفرزدق بقوله: لا تكنن حاجتي بظهر، لا تطَّرحها»، وذكره الأزهري (٦/ ٢٥٦) بلا نسبة، ونسبه القرطبي في تفسيره (١٣/ ٦٣) إلى الفرزدق، وفيه: تميم بن قيس.

[٣٨٣/أ] فالجوابُ: أنَّ كِلَا الأمْرَيْنِ حسنٌ عنْدَ العرَبِ، إنْ أدْخلُوا الفاءَ، دلُّوا على اتِّصالِ ما بعْدَ الكلامِ بما قبْلَه، وإنْ أسْقَطُوها، بَنَوا الكلامَ الأوَّل على أنَّه قدْ تمَّ، وما بعْدَه مُستأنَفٌ؛ لِقوْلِه[1]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧].

والمعْنَى: فقالُوا: أتتَّخِذُنا، [بالفاءِ][2]، فحُذفتِ الفاءُ لِتمامِ ما قبْلَها، قالَ امْرؤُ القيْسِ [من الطويل]:

فَقَالَتْ: يَمِينَ اللهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ ... وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي
خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا ... عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[3]

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: أرادَ فخرجْتُ، فأسْقَطَ الفاءَ لِتمامِ ما قبْلَها. ويُروى: «فقُمْت بِها أمْشِي».

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ارْتَقِبُوا العذَابَ، فإنِّي أرْتَقِب[4] الثَّوابَ[5].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ قالَ المفَسِّرُون: صَاح بِهم

---

(١) في (ف): كقوله.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من (م).

(٣) البيتان في ديوانه ديوانه (ص: ١٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٢٥)، معاهد التنصيص (١/ ٨)، وأشعار الستة الجاهليين (ص: ١٠)، المرحّل: ضرب من برود اليمن، سمي مرحّلًا؛ لأنَّ عليه تصاويرَ رحل. ومرط مرحّل: إذا وخز فيه علم.

(٤) في (ج): مرتقب.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٣٩).

جِبْريلُ عليه السَّلام فماتُوا في أمْكِنَتِهِم[١].

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ كعْبٍ: عُذِّب أهْلُ مديَنَ بثلاثَةِ أصْنافٍ مِنَ العذابِ: أخذَتْهُم رجفَةٌ في دِيارِهِم، حتَّى خافُوا أن تسْقطَ[٢] عليْهِم، فخرَجُوا منْها فأصابَهُم حرٌّ شدِيدٌ، فبعَثَ اللهُ الظُّلَّةَ، فتنادَوا: هلُمَّ إلى الظِّلِّ؛ فدخلُوا جميعًا في الظُّلَّةِ، فصِيحَ بهم صيحةً واحِدةً فماتُوا كلُّهم[٣].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لم تُعذَّبْ أُمَّتانِ قطُّ بعذابٍ واحِدٍ، إلَّا قوْمَ شُعيبٍ وصالِحٍ، فأمَّا قوْمُ صالِحٍ، فأخذَتْهُمُ الصَّيحَةُ مِن تحتِهِم، وأمَّا قوْمُ شُعيبٍ، فأخذَتْهُم مِن فوْقِهِم، نشَأَتْ لهم سحَابةٌ كهيْئةِ الظُّلَّةِ فيها رِيحٌ بعْدَ أنِ امْتنعتِ الرِّيحُ عنْهُم، فأتَوْها يَسْتظِلُّون تحتَها فأحْرَقَتْهُم[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾؛ أي: كما هلَكَتْ [ثمُودُ][٥].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: يُقال: بعِدَ يبْعُدُ: إذا كانَ بُعدُه هلَكةً؛ وبَعُدَ يَبْعُدُ: إذا نأَى[٦].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَاتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

---

(١) انظر: التفسير البسيط (١١/ ٥٤٠).

(٢) في (ف): يسقط.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٩) (١١١٨١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١٦) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي.

(٤) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٦٩) عن أبي صالح، عن ابن عبَّاس.

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من (م).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: بِعلاماتِنا الَّتي تدُلُّ على صِحَّةِ نُبوَّتِه[1]. ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: حُجَّةٍ بيِّنةٍ.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ما أمرَهم به مِن عبادتِه واتِّخاذِه إلهًا. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾؛ أي: مرشدٍ إلى خيرٍ.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: يُقال: قدَمْتُ القَوْمَ أقْدُمُهم، قَدْمًا وقُدُومًا: إذا تَقدمْتُهم؛ والمعْنَى: تَقدَّمَهُم[2] إلى النَّارِ؛ ويدُلُّ عليه قولُه: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[3]. قال ابنُ عبَّاسٍ: أوْرَدَهم بمعْنَى: أدْخلَهم[4].

وقالَ قتَادةُ: يمْضِي بيْنَ أيْدِيهم حتَّى يَهجُمَ بهم علَى النَّارِ[5].

قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٦).

(٢) في (ف): يقدمهم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٦٧) عن معمر عن قتادة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٠).

(٥) أخرجه الطبري في (١٥/ ٤٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٠) عن محمد بن عبد الأعلى عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣١٢) عن معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٨) إلى أبي الشيخ.

قالَ المفسِّرُون: **الوردُ**: المَوْضِعُ الَّذي تَرِدُه.

وقالَ [ابْنُ][١] الأنْبارِيِّ: **الوِردُ**: مصْدَرٌ ومعْناه: الوُرُودُ، تجعلُه العرَبُ بمعْنَى: المَوْضِعُ المَوْرُودُ؛ **فتلخِيصُ الحرْفِ**: وبئْسَ المدْخلُ المدْخُولُ النَّارُ[٢].

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)﴾ [هود: ٩٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

في هذِه اللَّعنةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها في الدُّنيا الغرَقُ، وفِي الآخِرةِ عذَابُ النَّارِ، هذَا قوْلُ الكلْبِيِّ، ومُقاتِلٍ[٣].

والثَّاني: أنَّها اللَّعنةُ فِي الدُّنيا مِنَ المؤمِنينَ، وفي الآخِرةِ مِنَ الملائِكةِ، [٣٨٣/ ب] ذكرَهُ الماوردِيُّ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: **الرِّفْدُ**: العطِيَّةُ؛ يقُولُ: اللَّعنَةُ بئْسَ العطِيَّةُ؛ يُقال: رَفَدْتُه أرْفِدُهُ: إذَا أعْطَيْتُه وَأَعَنْتُه[٥].
والمرْفُود: المعطى.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠)﴾ [هود: ١٠٠].

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١١/ ٥٤٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٧).

(٤) النكت والعيون (٢/ ٥٠٢).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

قَوْلُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعْنِي: ما تقدَّم مِنَ الخبَرِ عنِ القُرى المهْلَكَةِ. ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾؛ أي: نُخبِرُكَ بهِ.

﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ قالَ قتادَةُ: القائِمُ: مَا يُرى مكانُه[1]. والحصِيدُ: لا يُرى أثَرُه. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: القائِمُ: الظَّاهِرُ العَينِ[2]. والحصِيدُ: الَّذي قد أُبِيد وحُصِد.

وقالَ الزَّجَّاجُ: القَائِم: ما بقِيتْ حيطَانُه[3]. والحصِيدُ: الَّذي خُسِفَ بهِ ومَا قدِ امَّحَى أثَرُهُ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: ١٠١].

قَوْلُه تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بالعذابِ والإهْلاكِ. ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفْرِ والمعَاصِي. ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾؛ أي: فما نفعَتْهُم ولَا دفعَتْ عنهُم شيْئًا ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالهَلاكِ. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ يعْنِي: الآلهَة.

﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ وفِيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه التَّخسِيرُ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4]، وبهِ قالَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٩) إلى أبي الشيخ.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٧).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩١).

مُجاهِدٌ(١)، وقتادةُ(٢)، واخْتارَهُ ابْنُ قُتيبةَ(٣)، والزَّجّاجُ(٤).

والثَّاني: أنَّه الشَّرُّ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: التَّدْميرُ والإهْلاكُ، قالَهُ أبو عُبيدةَ(٥).

فإنْ قِيلَ: الآلهَةُ جمادٌ، فكيْفَ قالَ: «وَمَا زَادُوهم»؟

فعَنْهُ جوابَانِ:

أحدُهما: ومَا زَادَتْهم عِبادَتُها.

والثَّاني: أنَّها فِي القِيامةِ تكُونُ عوْنًا عليْهِم فتَزيدُهُم شرًّا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾؛ أي: كما ذُكِر مِن إهْلاكِ الأُممِ وأخْذِهِم بالعذَابِ أخْذُ ربِّك ﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ وصفَ القُرى بالظُّلم، والمرَادُ أهْلُها.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الظُّلمُ هَاهُنا: بمعْنَى: الكُفْرِ.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٩١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٨٣) (١١٢٠٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٨) (١٢٤٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٧).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٢٩٩).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤)﴾ [هود: ١٠٣ - ١٠٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يعْنِي: ما ذُكِر مِن عذابِ الأُممِ وأخْذِهِم. والآيةُ: العِبرةُ والعِظةُ. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾؛ لأنَّ الخلْقَ(١) يُحشرونَ فيه، ويشْهدُه البرُّ والفاجرُ، وأهْلُ السَّماءِ والأرْضِ.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ وروى زيْدٌ عن يعْقُوبَ، وأبو زيْدٍ عنِ المفضَّلِ: «وَمَا يُؤَخِّرُهُ» بالياءِ(٢)، والمعْنَى: وما نُؤخِّر ذلِك اليوْمَ إلَّا لِوقتٍ(٣) معْلُومٍ لا يعْلمُه إلَّا اللهُ.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨].

قوْلُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمْرٍو، والكِسائِيُّ: «يَوْمَ يَأْتِي» بياءٍ في الوَصْلِ، وحذفُوها في الوقْفِ؛ غيْرَ أنَّ ابنَ كثيرٍ كان يقِفُ بالياءِ، ويصِلُ بالياءِ. وقرأ عاصِمٌ، وابْنُ عامرٍ، وحمْزةُ بغيرِ ياءٍ في الوصْلِ والوَقْفِ(٤).

---

(١) في (ج): الناس.

(٢) قراءة شاذة، وهي للأعمش أيضًا، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٢٣٨)، وتفسير المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٣٨١).

(٣) في (ج): لأن الوقت.

(٤) قراءات سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: الَّذِي يختارُه النَّحويُّونَ[١]: «يَوْمَ يَأْتِي» بإثْباتِ الياءِ، والَّذي فِي المصْحَفِ وعلَيْهِ أكثَرُ القِراءاتِ بكسْرِ التَّاءِ، وهُذيلٌ تَستعْمِلُ حذفَ هذِه الياءَاتِ كثِيرًا. وقدْ حكَى الخليلُ، وسِيبويه، أنَّ العرَبَ تقُولُ: «لَا أدْرِ»، فتحْذِفُ الياءَ، وتجْتزِئُ بالكسْرَةِ، ويزعمُونَ أنَّ ذلك لِكثرةِ الاِسْتعمالِ[٢].

وقالَ الفرَّاءُ: كُلُّ ياءٍ ساكنَةٍ ومَا قبْلَها مكْسُورٌ، أو واوٍ ساكنَةٍ ومَا قبْلَها مضْمُومٌ؛ فإنَّ العرَبَ تحْذِفُها وتجْتَزِئُ بالكسْرةِ مِنَ الياءِ، وبالضَّمَّةِ [٣٨٤/أ] مِنَ الواوِ، وأنْشدَنِي بعْضُهُم[٣] [من الرجز]:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا ... جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا[٤]

قالَ المفَسِّرُونَ: وقوْلُه تعالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يعْنِي: يأْتِي ذلِك اليوْمُ ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٥] فكُلُّ الخلائِقِ ساكِتُونَ، إلَّا مَن أذِنَ اللهُ له فِي الكلَامِ. وقِيلَ: المرَادُ بهذَا الكلَامِ الشَّفاعَةُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾.

---

(١) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: اللغويون.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٧).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٧).

(٤) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٢٧)، وتفسير الطبري (١٥/ ٤٧٩)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٨٣)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص. ٢٦٤)، والزاهر (٢/ ٨٠).

(٥) في (ج): بإذن الله تعالى.

قَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: منْهُـم مَـن كُتِبـتْ عليـهِ الشَّـقاوةُ، ومنْهُـم مَـنْ كُتِبـت لـه السَّـعادةُ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ الزَّفِـيرَ كزفِـيرِ الحِـمارِ فِي الصـدْرِ، وهـوَ أوَّل مـا ينْهـقُ، والشَّـهيق كشـهِيقِ الحِـمارِ في الحلْـقِ، وهـوَ آخِـرُ مـا يفْـرغُ مِـن نهِيقـهِ، روَاه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٢)، وبـهِ قـالَ الضَّحَّـاكُ، ومُقاتِـلٌ(٣)، والفـرَّاءُ(٤).

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: **الزَّفِـيرُ**: شـدِيدُ الأَنِـينِ وقبِيحُـه، **والشَّـهيقُ**: الأنِـينُ الشَّـدِيدُ المرتَفـعُ جـدًّا، وهُمـا مِـن أصْـوَات المكرُوبِـينَ.

وزعَـم أهْـلُ اللُّغـةِ مِـنَ الكُوفِيِّـينَ والبصريِّـينَ: أنَّ الزَّفِـيرَ بمنْزلَـةِ ابْتـدَاءِ صـوْتِ الحِـمارِ فِي النَّهِيـقِ، والشَّـهيقَ بمنْزلَـةِ آخـرِ صوْتِـه فِي النَّهِيـقِ(٥).

والثَّـانِي: أنَّ الزَّفِـيرَ فِي الحلْـقِ، والشَّـهِيقَ فِي الصُّـدُورِ(٦)، رَواهُ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٧)، وبـهِ قـالَ أبـو العَاليـةِ، والرَّبِيـعُ بْـنُ أنَـسٍ.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٤٤٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٥٤).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٩١).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٨).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٨).

(٥) انتهى كلام الزجاج، انظره في: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٩).

(٦) في (ج): الصدر.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٥) (٢٠٨٥).

وفي رِوايةٍ أُخرى عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: **الزَّفِيرُ**: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، **والشَّهِيقُ**: الصَّوْتُ الضَّعِيفُ(١).

وقالَ ابْنُ فارسٍ: **الشَّهِيقُ**: ضِدُّ الزَّفِيرِ؛ لأنَّ الشَّهِيقَ رَدُّ النَّفَسِ، **والزَّفِيرُ**: إخْراجُ النَّفَسِ(٢).

وقالَ غيْرُه: **الزَّفِيرُ**: الشَّدِيدُ؛ مأْخُوذٌ مِنَ الزَّفْرِ؛ وهوَ الحِمْلُ علَى الظَّهْرِ لِشِدَّتِهِ. **والشَّهِيقُ**: النَّفَسُ الطَّوِيلُ المُمْتَدُّ(٣)، مأْخُوذٌ مِنْ قوْلِهِم: جَبَلٌ شَاهِقٌ؛ أي: طَوِيلٌ(٤).

والثَّالث: أنَّ الزَّفِيرَ زفِيرُ الحِمارِ، والشَّهِيقَ شَهِيقُ البِغَالِ، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها السَّمواتُ المعْرُوفَةُ عِندنَا، والأرْضُ المعْرُوفةُ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ(٥)، وابْنُ الأنْبارِيِّ(٦): للْعَربِ فِي معْنَى الأَبَدِ أَلْفاظٌ؛ تقُولُ: لَا أفْعَلُ ذلِك مَا اخْتلَفَ اللَّيْلُ والنَّهارُ، ومَا دَامَتِ السَّمواتُ والأَرْضُ، ومَا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٨٥) (١١٢٢٤)، (١١٢٢٦).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٢٢- ٢٢٣).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٥٠٤).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٣).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٨٥)، وانظر البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٥٧).

اخْتلَفَتِ الجِـرَّةُ والدِّرَّةُ[١]، ومَـا أطَّتِ الإبِلُ[٢]، فِي أشْبَاهٍ لهذَا كثِيرةٍ، ظنًّا منْهُم أنَّ هذِه الأشْياءَ لا تتغيَّرُ، فخاطَبَهُـم اللهُ بِمَا يسْـتَعملُونَ فِي كلامِهِم.

والثَّاني: أنَّها سموَاتُ الجنَّةِ والنَّارِ وأرْضُهُما.

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

فِي الاِسْتِثْناءِ المذْكُورِ فِي حَقِّ أهْلِ النَّارِ سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ الِاسـتثناءَ فِي حـقِّ الموحِّديـنَ الَّذيـن يخْرُجـونَ بالشَّـفاعةِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، والضَّحَّاكُ.

والثَّـاني: أنَّـه اسْـتثناءٌ لا يفْعلُـه، تقُـول: واللهِ لأَضْربنَّـك إلَّا أنْ أرَى غـيْرَ ذلِـك، وعزِيمَتُـكَ عـلَى ضرْبِـهِ، ذكرَهُ الفـرَّاءُ[٣]، وهـوَ معْنَـى قـوْلِ أبي صالحٍ عنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: «إلَّا مَـا شَـاءَ رَبُّـكَ» قـالَ: فقَـد شـاءَ أنْ يُخلَّـدُوا فِيهَا[٤]. [٣٨٤/ب]

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وفائِـدةُ هـذَا: أنَّـه لـو شـاءَ أنْ يرحَمَهُـم لَرَحِمَهُـم، ولكنَّـه أعْلمَنَـا أنَّهُـم خالِـدُون أبـدًا[٥].

---

(١) الجِرَّة: مـا يخرجـه البعـير للاجـترار، والـدِّرَّة: كثـرةُ اللبـن وسَـيَلانُه؛ واختلافهـا أن الـدِّرة تسـفل والجِّـرة تعلـو. الصحـاح للجوهـري، مـادة: (ج ر ر) و(درر).

(٢) أي: حنـت الإبـل. انظـر: القامـوس المحيـط (ص: ٨٤٩) مـادة: (أطّ)، ولسـان العـرب؛ لابـن منظـور (٧/ ٢٥٦) (أطّ).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩١).

(٥) معـاني القـرآن وإعرابـه (٣/ ٧٩)، بلفـظ: فتكـون الفائـدة في هـذا الـكلام أن لـو شـاء يخرجهـم لَقَـدَر، ولكنـه قـد أعلمنـا أنهـم خالـدون أبـداً.

والثَّالث: أنَّ المعنى: خالِدينَ فيها أبدًا، غيرَ أنَّ اللهَ تعالى يأمُرُ النَّارَ فتَأْكلُهُم وتُفْنِيهم، ثُمَّ يجددُ خلْقَهم، فيرجِعُ الاسْتثناءُ إلى تلك الحالِ، قالَه ابْنُ مسعودٍ.

والرَّابع: أنَّ «إلَّا» بمعْنَى: «سوى»، تقُول: لو كانَ معَنَا رجلٌ إلَّا زيْدٌ، أي: سِوى زيدٍ؛ **فالمعْنَى**: خالِدين فيها مِقدارَ دَوامِ السَّمواتِ والأرْضِ سِوى ما شاءَ ربُّك مِنَ الخُلودِ والزِّيادةِ، وهذا اخْتِيارُ الفرَّاءِ[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ومثْلُه في الكلامِ أنْ تقُولَ: لَأُسْكِنَنَّكَ فِي هذهِ الدَّارِ حوْلًا إلَّا مَا شئْتَ؛ تُريدُ: سِوَى مَا شِئْتَ أنْ أزِيدَكَ[٢].

والخامس: أنَّهُم إذا حُشروا وبُعِثوا، فهُم في شُروط القِيامةِ؛ فالِاسْتِثناءُ واقِعٌ مِنَ[٣] الخُلودِ بمِقدَار موْقِفِهم فِي الحِسابِ.

فالمعْنَى: خالِدينَ فيها ما دامتِ السَّمَواتُ والأرْضُ إلَّا مِقدارَ موْقِفِهم للمُحاسبَةِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٤].

وقالَ ابْنُ كيسانَ: الِاسْتثناءُ يعُودُ إلى مُكثِهم فِي الدُّنْيا والبرْزخِ والوقُوفِ للْحِسابِ[٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٨).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٣).

(٣) في (ف): في.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٠).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٥٩).

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: فالمعْنَى: خالِدينَ في النَّارِ وخالِدينَ في الجنَّةِ دوَامَ السَّماءِ والأرْضِ إلَّا مَا شاءَ ربُّكَ مِن تعْميرِهِم في الدُّنْيا قبْلَ ذلِك، فكأنَّه جعَلَ دَوامَ السَّماءِ والأرْضِ بمَعْنَى الأبدِ علَى ما كانتِ العرَبُ تستعْمِلُ، وإنْ كانَتَا قد تتغيَّرانِ، واسْتثنَى المشيئةَ مِن دوامِهما؛ لأنَّ أهلَ الجنَّةِ والنَّارِ قد كانوا في وقْتٍ مِنْ أوْقاتِ دوَامِ السَّماءِ والأرْضِ في الدُّنْيا، لا في الجنَّةِ، ولا في النَّارِ[١].

والسَّادس: أنَّ الاِسْتثناءَ [قدْ][٢] وقعَ على أنَّ لهُم فيها زفيرًا وشَهيقًا، إلَّا ما شَاءَ ربُّك مِنْ أنْواعِ العذَابِ الَّتي لم تُذكرْ؛ وكذلِك لأهْلِ الجنَّة نعِيمٌ ممَّا ذُكر، ولهُم مما لَمْ يُذكَرْ ما شَاءَ ربُّك، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ أيضًا[٣].

والسَّابع: أنَّ «إلَّا» بمعْنَى: «كَما»، ومنْهُ قوْلُه: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] ذكرَهُ الثَّعلَبيُّ[٤].

فأمَّا الاِسْتِثناءُ فِي حقِّ أهْلِ الجنَّةِ، ففِيهِ سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه اسْتِثناءٌ لا يفْعلُه.

والثَّانِي: أنَّ «إلَّا» بمعْنَى: «سِوَى».

والثَّالث: أنَّه يرْجِعُ إلى وقُوفِهم للحِسَابِ ولُبْثِهم في القُبورِ.

---

(١) مشكل القرآن وغريبه (١/ ٢١٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٧٦).

(٢) من (ج).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٠).

(٤) الكشف والبيان (١٤/ ٤٥٧).

والرَّابع: أنَّه بمعْنَى: إلَّا ما شَاءَ أنْ يزِيدَهُم مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي لم يُذكرْ.

والخامِس: أنَّ «إلَّا» بمعْنَى: «كَمَا» وهذِه الأقْوَالُ قد سبَق شرْحُها.

والسَّادس: أنَّ الإسْتثناءَ يرجِعُ إلى لُبثِ مَنْ لبِثَ في النَّارِ مِن الموحِّدينَ، ثُمَّ أُدخل الجنَّةَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: فيكُونُ الإسْتثناءُ مِنَ الخُلودِ مُكْثَ أهْلِ الذُّنُوبِ مِنَ المسلِمِينَ في النَّارِ، فكأنَّه قالَ: إلَّا ما شَاءَ ربُّك مِنْ إخْراجِ المذْنِبين إلى الجنَّةِ، وخالِدِينَ فِي الجنَّةِ إلَّا ما شَاءَ ربُّكَ مِنْ إدْخالِ المذْنِبينَ النَّارَ مُدةً[٢].

واخْتلَفَ القُرَّاءُ فِي: «سُعِدُوا»:

فقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ [٣٨٥/أ] عاصِمٍ: «سَعِدُواْ» بفتْحِ السِّين. وقرَأ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عَاصِمٍ: بضمِّهَا، وهُما لُغتانِ[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٩٩).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٣). قال الإمام الطبري رحمه الله (١٥/ ٤٨٩): وأوْلى الأقْوال في ذلك عندي بالصَّواب: القولُ الذي ذكرته عن الضَّحاك وهو: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من قدر مُكثهم في النار، من لدن دخولها إلى أن دخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص؛ لأن الأشهر من كلام العرب في «إلَّا» توجيهها إلى معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالةٌ تدلُّ على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام، أعني في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تدلُّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيوَجَّه إليه.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ نصـبَ «عطَـاءً» بـما دلَّ عليـه الـكلَامُ، كأنَّـه قـالَ: أعْطاهُـم النَّعِيـمَ عطَـاءً[1].

والمجـذوذُ: المقْطُـوعُ. قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يُقَـال: جـذَذْتُ، وَجَـدَدْتُ، وجَذَفْـتُ، وجدَفْـتُ: إذا قَطعْـتُ[2].

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هـود: ١٠٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾؛ أي: فـلَا تَكُ يَا مُحمَّدُ فِي شَـكٍّ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشرِكُـونَ مِـنَ الأصْنَامِ، أنَّه باطِـلٌ وضلالٌ، إنَّما يُقلِّـدُون آباءَهُم.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ وفِيهِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ما قُدِّر لهم مِنْ خيْرٍ وشرٍّ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: نَصِيبُهُم مِنَ الرِّزْقِ، قالَهُ أبو العالِيةِ.

والثَّالث: نَصِيبُهُم مِنَ العذَابِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

وقالَ بعْضُهُم: لا يُنقصهم مِن عذَابِ آبائِهِم[3].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ [هـود: ١١٠].

---

(١) من قوله: (نصب عطاء)... إلى هنا ساقط من (ج).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٩٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعْنِـي: التَّـوْراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمِـن مُصـدِّقٍ بـه ومُكـذِّبٍ كـما فعَـلَ قوْمُـك بالقُـرآنِ.

قالَ المفَسِّرُونَ: وهذِه تعْزِيةٌ للنَّبِيِّ ﷺ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـدُ: إنِّي أَخَّـرْتُ أُمَّتَـك إلى يـوْمِ القِيامـةِ، ولـوْلَا ذلِـك لعجَّلْـتُ عقَابَ مَـنْ كذَّبـكَ[١].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: لوْلَا نَظِرَةٌ لهُم إلى يوْمِ الدِّينِ[٢] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدُّنْيا[٣].

وقـالَ ابْـنُ جَريـرٍ: سـبَقَتْ مِـن ربِّـك أنَّـه لا يُعجِّـلُ عـلَى خلْقِه بالعـذَابِ، لَقُـضِي بـيْنَ المصَـدِّقِ منْهُـم والمكَـذِّبِ بإهْـلاكِ المكـذِّبِ وإنْجاءِ المصَـدِّقِ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾؛ أي: مِـنَ القُـرآنِ ﴿مُرِيبٍ﴾؛ أي: مُوقِـعٍ للرَّيـبِ.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود: ١١١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ يُشيرُ إلى جميعِ مَنْ قَصَّ قِصَّتَهُ في هذِه السُّورةِ.

---

(١) تنوير المقبس (ص: ١٩٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٦٧) بلفظه.

(٢) في (ج): إلى يوم يبعثون.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٤٩٣).

وقـالَ مُقاتِـلٌ: يعْنِـي بـهِ كُفَّـارَ هـذِهِ الأُمَّـةِ[١]. وقيـلَ: المعْنَـى: وإنَّ كُلًّا لَخَلْـقٌ أوْ بـشَرٌ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

قـرَأ أبـو عمْـرٍو، والكِسـائِيُّ: «وإنَّ» مُشـدَّدةَ النُّـونِ، «لَمـا» خفِيفـةً. والـلَّامُ فِي «لما» لامُ التَّوكيـدِ، دخلَـتْ علَى «مَـا» وهـي خـبَرُ: «إنَّ»، والـلَّامُ فِي: «لَيُوَفِّيَنَّهـمْ» الـلَّامُ الَّتِـي يتلقَّـى بهـا القسَـمُ، والتَّقدِيـر: واللهِ لَيُوفِّينَّهـم، ودخلَـتْ «مَـا» للفَصـلِ بـيْنَ اللَّامـيْنِ.

قـال مكـيُّ بْـنُ أبي طالِـبٍ: وقيـل: إنَّ «مَـا» زائِـدةٌ، لكـنْ دخلَـتْ لِتفْصِـلَ بـيْنَ اللَّامَـيْنِ اللَّذَيْـنِ يتَلَقَّيَـانِ القسَـمَ، وكِلاهُمَـا مفتُوحٌ، ففُصِـلَ بـ«مَـا» بيْنَهما[٢].

وقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ: «وَإِنْ» بالتَّخْفيـفِ، وكذلِـكَ «لَمَـا» قـالَ سِـيبويهِ: حدَّثَنـا مَـنْ نثِـقُ بـه أنَّـه سـمِعَ مِـنَ العـرَبِ مَـنْ يقُـولُ: إنْ عمْـرًا لَمُنطلِـقٌ، فيُخَفِّفُـونَ «إنْ» ويُعْمِلُونَـها، وأنْشـدَ[٣]: [مِـن الهـزج]:

وَوَجْــهٌ حَسَــنُ النَّحْــرِ كَأَنْ ثَدْيَيْــهِ حُقَّــانِ[٤]

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٠).

(٢) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٧٤- ٣٧٥).

(٣) الكتاب (٢/ ١٤٠).

(٤) في روايـة: «وَوَجْـهٌ مُشْرِقُ النَّحْرِ» وهـو مـن شـواهد سـيبويه التـي لم تنسـب، وانظـره في: الكتـاب (٢/ ١٤٠)، ومعـاني القـرآن؛ للأخفـش (١/ ٣٧٠)، والمحتسـب (١/ ٩)، والطـبري (١٥/ ٤٩٧)، والأصـول في النحـو (١/ ٢٤٦)، والإنصـاف؛ لابـن الأنبـاري (١/ ١٩٧)، وتهذيـب اللغـة (١/ ٢٢٣)، وشرح المفصـل (٨/ ٨٢)، حقـان: تثنيـة حـق، وهـو الوعـاء المعـروف. والعـرب تشـبه الثديـين بحُـقِّ العـاج.

وقرَأ نافِعٌ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «وإنْ» خفِيفةً، «لَمَّا» مُشدَّدةً.

والمعْنى: ومَا كُلًّا إلَّا؛ وهذَا كما تقُولُ: سأَلْتُكَ لَمَّا فعلْتَ، وإلَّا فعلْتَ، ومثْلُه قوْلُه: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

وقرَأ حمْزةُ، وابْنُ عامِرٍ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «وإنَّ» بالتَّشْدِيدِ، «لَمَّا» بالتَّشْديدِ أيْضًا(١).

قالَ أبو علِي: هذِه قِراءَةٌ مُشكِلةٌ؛ لأنَّه كمَا(٢) لا يحسُنُ: إنَّ زيْدًا إلَّا [٣٨٥/ ب] مُنطلِقٌ، كذلِكَ لَا يحسُنُ تثْقِيلُ «إنَّ» وتثْقِيلُ «لَمَّا»(٣).

وحُكي عنِ الكِسائِيِّ أنَّه قالَ(٤): لا أعْرفُ وجْهَ التَّثْقيلِ في: «لَمَّا» ولم يبعدْ فِيما قالَ.

وقالَ مكِيُّ بْنُ أبي طَالبٍ: الأصْلُ فيهَا: «لَمِنْ مَا»، ثُم أُدْغمتِ النُّونُ في الميمِ، فاجْتمعَتْ ثلَاثُ مِيماتٍ فِي اللَّفْظ، فحُذفتِ الميمُ(٥) المكْسُورةُ؛ والتَّقْدِيرُ: وإنَّ كُلًّا لَمِن خلْقٍ فَلَنوفِّيَنَّهُم(٦)، قالَ: وقيلَ: التَّقدير: «لَمَن مَا» (بفتْحِ الميمِ)(٧) في «مَنْ» فتكُونَ «مَا» زائِدةٌ وتُحذفُ إحْدَى المِيماتِ؛ لِتكريرِ

(١) كل ما سبق من قراءات واردة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٣٩)، والتيسير (١٢٦).

(٢) في (ف): كان.

(٣) الحجة (٤/ ٣٨٧).

(٤) انظر: حجة القراءات؛ لابن زنجلة (ص: ٣٥٢- ٣٥٣).

(٥) في (ج): النون.

(٦) في (ج)، و(ف): ليوفينهم.

(٧) ليست في (ف).

الميمِ فِي اللَّفظِ؛ والتَّقديرِ: لخلقٌ لَنُوفِّيَنَّهُم[(١)][(٢)]. ومعنى الكلام: لَنُوفِّيَنَّهُم[(٣)] جزاءَ أعمالِهِم.

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾.

قالَ ابْنُ عُيينَةَ: فَاسْتقِمْ علَى القُرآنِ[(٤)]. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: امْضِ علَى مَا أُمِرْتَ بِهِ[(٥)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مَن تابَ معَكَ مِنَ الشِّرْكِ[(٦)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لا تَطْغَوْا فِي القُرآنِ، فتُحِلُّوا وتُحرِّمُوا مَا لَمْ آمُرْكُمْ بِهِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لَا تعْصوا ربَّكُم ولَا تُخالِفُوه، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) في (ف): ليوفينهم.

(٢) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٧٤).

(٣) في (ف)، و(م): ليوفينهم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥١) إلى أبي الشيخ.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٦) تنوير المقباس (ص: ١٩٢).

والثَّالث: لا تخلِطُوا التَّوحيدَ بشِرْكٍ[١]، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾ [هـود: ١١٣].

قوْله تعَالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

رَوى عبْدُ الوَارثِ عنْ أبي عمْرٍو: «تَرْكُنُوا» بفتْحِ التَّاءِ وضَمِّ الكافِ، وهيَ قِراءةُ قتادَةَ[٣]. ورَوى هارُونُ عنْ أبي عمْرٍو: «تَرْكِنُوا» بفتْحِ التَّاءِ وكسْرِ الكافِ. ورَوى محْبُوبٌ عنْ أبي عمْرٍو: «تِرْكَنُوا» بكسْرِ التَّاءِ وفتْحِ الكافِ. وقرَأَ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «تُرْكَنُوا» بضمِّ التَّاءِ وفتْحِ الكافِ على ما لَمْ يُسمَّ فاعِلُه[٤].

وفي المرَادِ بهذَا الرُّكُونِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لا تَميلُوا إلى المشركِين، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لا ترضَوا أعْمالَهُم، قالَه أبو العالِيةِ.

والثَّالث: لا تلْحَقُوا بالمشرِكينَ، قالَهُ قتَادَةُ.

والرَّابع: لا تُداهِنُوا الظَّلَمَةَ، قالَهُ السُّدِّيُّ، وابْنُ زيْدٍ.

---

(١) في (ج)، و(ف): بشكٍّ.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٠).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٢٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٥/ ٣٤٧٨)، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها؛ لليشكري (ص: ٥٧٤).

(٤) انظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة (ص: ٥٧٤)، والبحر المحيط (٦/ ٢٢٠).

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ وجهان:

أحدهما: فتصيبكم النار، قاله ابن عباس.

والثاني: فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها، ذكره الماوردي(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: ليس لكم أعوان يمنعونكم من العذاب.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾.

أما سبب نزولها: فروى علقمة والأسود عن ابن مسعود أن رجلا قال للنبي -ﷺ-، إني أخذت امرأة في البستان فقبلتها، وضممتها (إلي وباشرتها)(٢)، وفعلت بها كل شيء، (غير أني لم أجامعها)(٣)، فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى(٤): ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾... الآية، (فدعا الرجل فقرأها عليه)(٥)، فقال عمر: أهي له خاصة، أم للناس كافة؟ قال: «لا بل

(١) النكت والعيون (٢/ ٥٠٨).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): إلا الجماع.

(٤) في (ج): فنزلت.

(٥) في (ج): فجاء الرجل يقرأها عليه.

للنَّـاسِ كَافَّـةً»⁽¹⁾.

وفِي رِوايـةٍ أُخْـرى عـنِ ابْـنِ مسْـعُودٍ: أنَّ رجُـلًا أصَـابَ مِـنِ امْـرَأةٍ قُبْلَـةً، فأتَـى رسُـولَ اللهِ، فذكَـر ذلِـكَ لَـهُ، فنزَلَـتْ هـذِهِ الآيَـةُ، فقَـالَ الرَّجُـلُ: إلَيَّ هـذِهِ الآيَـةُ؟ فقَـالَ: «لِمَنْ عَمِـلَ بِهَـا مِـنْ أُمَّتِـي»⁽²⁾. [٣٨٦/أ]

وقَـالَ مُعَـاذُ بْـنُ جبَـلٍ: كُنْـتُ قاعِـدًا عنْـدَ رسُـولِ اللهِ -ﷺ-، فجَـاءَ رَجُـلٌ، فقَـالَ: يَـا رسُـولَ اللهِ! مَـا تقُـولُ فِي رَجُـلٍ أصَـابَ مِـنِ امْـرَأةٍ مَـا لَا يَحِـلُّ⁽³⁾ لَـهُ، فلَـمْ يـدَعْ شـيْئًا يُصِيبُـهُ الرَّجُـلُ مِـنِ امْرَأتِـهِ إلَّا أصَابَـهُ منْهَـا، غـيْرَ أنَّـه لم يُجامعْهَـا؟ فقَـالَ لَـهُ النَّبِـيُّ ﷺ: «تَوَضَّـأْ وضُـوءًا حَسَـنًا، ثُـمَّ قُـمْ فَصَـلِّ» فأنْـزَلَ اللهُ تعَـالى هـذِه الآيَـةَ، فقَـالَ مُعَـاذٌ: أهِـيَ⁽⁴⁾ لَـهُ خَاصَّـةً، أَمْ للْمُسْـلِمِينَ عَامَّـةً؟ فقَـالَ: «بَـلْ هِـيَ للْمُسْـلمينَ عَامَّـةً»⁽⁵⁾.

---

(١) أخرجـه مسـلم (٢٧٦٣/ ٤٢)، وأبـو داود (٤٤٦٨)، والترمـذي (٣١١٢) مـن طـرق عـن أبي الأحـوص.

(٢) أخرجـه البخـاري (٤٦٨٧)، والترمـذي (٣١١٤)، والطـبراني في المعجـم الكبـير (١٠/ ٢٨٤) (١٠٥٦٠) مـن طريـق سـليمان التيمـي عـن أبي عثمان.

(٣) في الأصل، و(ج): تحل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في الأصل: هي.

(٥) أخرجـه الدارقطنـي (١/ ١٣٤) (٤)، وابـن جريـر (١٢/ ٨٢)، والطـبراني في المعجـم الكبـير (٢٠/ ١٣٧) (٢٧٨)، والترمـذي (٣١١٣) مـن طريـق عبـد الرحمـن بـن أبي ليـلى عـن معـاذ بـه، وإسـناده منقطـع.

واخْتلَفُوا فِي اسْمِ هذَا الرَّجُلِ:

فقَالَ أبو صَالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: هوَ عمْرُو بْنُ غُزيّةَ الأنْصارِيُّ[١]، وفيهِ نزَلَتْ هذِه الآيَةُ، كانَ يبِيعُ التَّمْرَ، فأتَتْه امْرَأةٌ تبْتَاعُ منْهُ تمرًا، فأعْجَبتْهُ، فقَالَ: إنَّ فِي البيْتِ تمرًا أجْودَ مِنَ هذَا، فانْطَلِقِي معِي حتَّى أُعطِيَكِ منْهُ؛ فذكَرَ نحْوَ حديثِ مُعاذٍ[٢].

وقالَ مُقاتِلٌ: هو أبو مُقبل عَامِرُ بْنُ قيْسٍ الأنْصارِيُّ[٣].

وذكَرَ أحْمدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ثابِتٍ [الخَطِيبُ][٤] الحَافِظُ: أنَّه أبو اليُسْر[٥] كعْبُ بْنُ عمْرٍو الأنْصَارِيُّ[٦].

وذُكِرَ فِي الَّذِي قالَ للنَّبِيِّ ﷺ: «أَلَهُ خَاصَّةً»؟ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه أبُو اليُسر[٧] صاحِبُ القِصَّةِ.

---

(١) أبو حبة عمرو بن غزيّة بن عمرو بن بن عطية بن خنساء بن مبذول بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري المازني. شهد العقبة وبدرًا ينظر: الاستيعاب (٣/ ١١٩٧)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٢٣)، والإصابة (٣/ ١٠).

(٢) تنوير المقباس، وذكره ابن الأثير في أُسد الغابة (٢١٥) في ترجمة عمرو بن غزية، وعزاه لابن مندة، وأبو نعيم من طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وانظر: الإصابة؛ لابن حجر (٤/ ٦٦٨)، ورواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦٢٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٠).

(٤) من (ف)، و(م).

(٥) في (ج): البشر، وفي (ف): البسر.

(٦) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (٦/ ٤٣٨)،

(٧) في (ج): البشر، وفي (ف): البسر.

والثَّاني: مُعاذ بْنُ جبَلٍ.

والثَّالث: عُمرُ بْنُ الخطَّابِ.

فأمَّا التَّفْسيرُ: فقوْلُه عزَّ وجلَّ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ أي: أتمَّ رُكوعَها وسُجودَهَا.

فأمَّا طرفَا النَّهارِ: ففِي الطَّرفِ الأوَّلِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه صلَاةُ الفجْرِ، قالَهُ الجمهُورُ.

والثَّانِي: أنَّه الظُّهرُ، حكَاهُ ابْنُ جَريرٍ(١).

وفِي الطَّرفِ الثَّانِي ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه صَلاةُ المغْرِبِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ(٢).

والثَّاني: العصْرُ، قالَهُ قتادَةُ. وعنِ الحَسنِ كالقوْلَيْنِ.

والثَّالثُ: الظُّهرُ، والعصْرُ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والقُرظِيُّ. وعنِ الضَّحَّاكِ كالأقْوَالِ الثَّلاثَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾.

وقرَأ أبو جعْفرٍ، وشَيْبةُ: «وزُلُفًا» بضَمِّ اللَّامِ(٣).

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٠٣) عن علي عن ابن عباس في قوله: {أقم الصلاة طرفي النهار} يقول: صلاة الغداة وصلاة المغرب، وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩١) من طريق أبي صالح به، وكذلك أخرجه الطبري (١٥/ ٥٠٣) عن ابن زيد في قوله: {أقم الصلاة طرفي النهار}: الصبح، والمغرب.

(٣) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٢٩١).

قَالَ أَبو عُبيدةَ[١]: الزُّلَفُ: السَّاعَاتُ، وَاحِدُهَا: زُلْفَة، أي: سَاعَةٌ ومنزِلةٌ وقُربةٌ، ومنهَا[٢] سُمِّيتِ المزدلِفَةُ، قَالَ العجَّاجُ [من الرجز]:

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِمَّا أَوْجَفَا
طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفًا فَزُلَفَا
سَمَاوَةَ الهِلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا[٣]

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: ومنهُ يُقالُ: أَزْلَفَنِي كذَا عندَكَ؛ أي: أَدْنَانِي؛ والمزَالِفُ: المنَازِلُ والدَّرَجُ، وكذلِكَ الزُّلَفُ[٤].

وفيهَا لِلْمُفسِّرينَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها صلَاةُ العتَمَةِ[٥]، رَواهُ ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦]، وعوْفٌ عنِ الحسَنِ، وابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ، وبهِ قَالَ ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٠٠).

(٢) في (ج)، و(ف): ومنه.

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٤٩٦)، والكتاب لسيبويه (١/ ٣٥٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٠٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٠٥)، الكامل؛ للمبرد (٣/ ٩٩)، وكتاب العين (٧/ ٣١٩)، ومجمل اللغة (٢/ ٢٤٦)، والأين: التعب، وجفا: من الوجيف: سرعة السير، سماوة الهلال: شخصه إذا ارتفع في الأفق شيئًا، احقوقف: اعوج، وإنما هو: «افعوعل» من الحقف، والحقف: النقا من الرمل يعوج ويدق. يريد طواه الأين كما طوت الليالي سماوة الهلال.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٥) **العتمة**: سميت صلاة العشاء العتمة تسمية بالوقت؛ إذ العتمة ظلمة الليل وهو وقت لصلاة العشاء.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩١) (١١٢٦٦) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

والثَّـاني: أنَّهـا صـلَاةُ المغْـربِ والعِشـاءِ، رُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أيْضًـا، ورَواه يُونُـسُ عـنِ الحسَـنِ[1]، ومنْصُـورٌ عـنْ مُجاهِـدٍ، وبـهِ قـالَ قتـادَةُ، ومُقاتِـلٌ[2]، والزَّجَّـاجُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

فِي المرَاد بالحسَنَاتِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا الصَّلَـواتُ الخمْـسُ، قالَـهُ ابْـنُ مسْـعُودٍ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ المسـيِّبِ، ومـسْروقٌ، ومُجاهِـدٌ، والقُرظـيُّ، والضَّحَّـاكُ، والمقَاتِـلانِ: ابْـنُ [٣٨٦/ ب] سُـليمانَ، وابْـنُ حيَّـانَ.

والثَّـاني: أنَّهـا سـبْحَانَ اللهِ، والحمْـدُ للهِ، ولَا إلـهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكْـبرُ، رواه منْصُـورٌ[4] عـنْ مُجاهِـدٍ.

والأوَّل أصَـحُّ؛ لأنَّ الجمْهُـورَ عليْـهِ، وفيـهِ حدِيـثٌ مُسـندٌ عـن رسُـولِ اللهِ ﷺ، روَاهُ عُثمانُ بْـنُ عفَّـانَ عـنْ رسُـولِ اللهِ ﷺ (أنَّـه توضَّـأَ، و)[5] قـالَ: «مَـنْ تَوَضَّـأَ وضُوئِـي هـذَا، ثُـمَّ صَـلَّى الظُّهْـرَ، غُفِـرَ لَـهُ مَـا كَانَ بَيْنَهَـا وَبَـيْنَ صَـلَاةِ[6]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩١) (١١٢٦٧) عن أبي رجاء عن الحسن.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥١٤).

(٥) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٦) ليست في (ف).

الصُّبْحِ، وَمَنْ[(١)] صَلَّى العَصْرَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ[(٢)] وَبَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَمَنْ[(٣)] صَلَّى المَغْرِبَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ صَلَّى العِشَاءَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ المَغْرِبِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَتَهُ يَتَمَرَّغُ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا[(٤)] وَبَيْنَ صَلَاةِ العِشَاءِ، وَهِيَ[(٥)] الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»[(٦)].

فأمَّا السَّيِّئَاتُ المذْكُورةُ هَاهُنا، فقالَ المفَسِّرونَ: هيَ الصَّغَائِرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وقد رَوى مُعاذُ بْنُ جبَلٍ، قالَ: قلْتُ: يَا رسُولَ اللهِ! أَوْصِنِي؛ قالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، قالَ: قُلْتُ: زِدْنِي؛ قَالَ: «أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»،

---

(١) في الأصل، (ج): ثم، والمثبت من (ر)، و(ف)، و(م).

(٢) في (م): بينها.

(٣) في الأصل، و(ج): ثم، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (ف): بينه.

(٥) في (ج): وهن.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٧) (٥١٣)، الطبري (١ / ٣٨٣) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ، بإسناد الإمام أحمد، والبزار (٤٠٥) من طريق عبد الله بن يزيد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٢) من طريق حيوة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣/ ٣٥٣) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه. وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٢٩٧)، وقال: في الصحيح بعضه، رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله (كذا قال، وصوابه: ابن عبد، ويغلب على الظن أنه خطأ من الناسخ) مولى عثمان بن عفان وهو ثقة.

قُلْتُ(١): زِدْنِي؛ قَالَ: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(٢).

قوْله تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ [لِلذَّٰكِرِينَ](٣)﴾.

في المشَارِ إليْهِ بـ«ذلِكَ» ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه القُرآنُ.

والثَّاني: إقَامُ(٤) الصَّلاةِ.

والثَّالث: جمِيعُ مَا تقَدَّمَ مِنَ الوصِيَّةِ بالِاسْتِقامةِ، والنَّهيِ عنِ الطُّغيانِ، وتركِ الميْلِ إلَى الظَّالِمين، والقِيامِ بالصَّلاةِ.

وفِي المرَادِ بالذِّكرَى قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى التَّوبَةِ.

والثَّاني: بمعْنَى العِظَةِ.

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥].

---

(١) في (ج): فقلت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥٩)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩٧) من طريق جرير بن عبد الحميد، و(٢٩٨) من طريق فضيل بن عياض، كلاهما عن ليث، وأخرجه الطبراني في الكبير أيضًا (٢٠/ ٢٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٧٦) من طريق أبي مريم عبد الغفار بن القاسم، والطبراني في الأوسط (٣٧٩١)، والصغير (٥٣٠) من طريق الأعمش، كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت.

(٣) من (م).

(٤) في (ج): إيقاع.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ فيمَا أُمِر بالصَّبْرِ عليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لِمَا[١] يلْقَاه مِن أذَى قوْمِه.

والثَّاني: الصَّلاةُ.

وفِي المرَادِ بالمحْسِنينَ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: المصلُّونَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: المخْلِصُونَ، قالَه مُقاتِلٌ[٢].

والثَّالث: أنَّهمُ المحْسِنُونَ فِي أعْمالِهِم، قالَهُ أبو سُليمانَ.

﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ ﴾ [هود: ١١٦].

قوْلُه تَعَالى: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٣]، والفرَّاءُ[٤]: المعْنَى: فلَمْ يَكُنْ. وقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: المعْنَى: فهَلَّا[٥].

---

(١) في (ج)، و(ف): ما.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠١).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٢٨)، عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٦) إلى ابن جرير الطبري وأبي الشيخ وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٠).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ ورَوى ابْـن جَمَّـازٍ عـنْ أبي جعْفَـرٍ: «أُولُـو بِقْيَـةٍ» بكَسْرِ البَاءِ وسُكونِ القَافِ وتخْفِيفِ اليَاءِ[١].

وفِي معْنَى «أُولُو بَقِيَّةٍ» ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أُولُو دِينٍ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

قَـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يُقَـالُ: قَـوْمٌ لهُـم بقِيَّـةٌ، وفِيهـم بقِيَّـةٌ: إذَا كانَـتْ بِهِـم مُسْـكَةٌ وفِيهـم خَـيْرٌ[٢].

والثَّانِي: أُولُو تَمْيِيزٍ.

والثَّالـثُ: أُولـو طَاعَـةٍ، ذكرَهُمَـا الزَّجَّـاجُ، وقـالَ: إذَا قُلْـتَ: فُـلانٌ فِيـه بقِيَّـةٌ، فمَعْنَـاه: فيـهِ فضْـلٌ[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: اسْـتِثناءٌ[٤] مُنقطِـعٌ؛ أي: لَكِـنَّ قلِيـلًا مِمَّـن أنْجيْنَـا منْهُـم مِمَّـن نَهَـى عـنِ الفسَـادِ.

قَـالَ مُقاتِـلٌ: لم يكُـنْ مِـنَ القُـرونِ مَـنْ ينْهَـى عـنِ المَعَـاصِي والـشِّرْكِ إلَّا قلِيـلًا مِمَّـنْ أنْجَيْنَـا مِـنَ العـذابِ مـعَ الرُّسُـلِ[٥].

---

(١) قـراءة متواتـرة عـن أبي جعفـر في روايـة ابـن جمـاز عنـه، كـما في النـشر (٢/ ٢٩٢) عنـه وعـن شـيبة، قـال: وقـد ترجمهـا أبـو حيَّـان بضـمِّ البـاء، فَوَهِـمَ.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٣).

(٤) في (ج)، و(ف): الاستثناء.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: اتَّبعُوا [٣٨٧/ أ] معَ ظُلمِهِم ﴿مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ معَ اسْتدامَةِ نعِيمِهِم، فلَم يقْبلُوا مَا ينْقُص مِن ترَفِهِم.

قالَ الفرَّاءُ(١): آثَرُوا اللَّذاتِ علَى أمْرِ الآخِرَةِ. قالَ: ويُقال: اتَّبعُوا ذُنوبَهُمُ السَّيِّئَةَ إلى النَّارِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧﴾ [هود: ١١٧].

قوْله تعَالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ فِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهُما: بغَيْرِ جُرمٍ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بشِرْكٍ، ذكرَهُ ابْنُ جريرٍ(٢)، وأبو سُليمانَ.

وفِي قوْله تعَالى: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ينْتَصِفُ بعْضُهم مِن بعْضٍ، رَواه قيْسُ بْنُ أبي حَازمٍ عنْ جَريرٍ(٣).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣١).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٢٨١) من طريق أبي الأشعث، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢/ ١٥٢) (٦٥٦) من طريق محمد بن القاسم الأسدي عن إسماعيل به موقوفًا على جرير، وأخرجه ابن الأعرابي في المعجم (٥/ ٣٥٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١/ ٩٣) مرفوعًا، ثم روى عن يحيى بن معين قوله عن عبيد بن القاسم راوي الحديث: هو كذاب. وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٩): رواه الطبراني؛ وفيه عبيد بن القاسم الكوفي وهو متروك.

قَـالَ أبـو جَعْفـرٍ الطَّـبَرِيُّ: فيكـونُ المعْنَـى: لا يُهلِكُهـم إذا تناصَفُـوا وإنْ كانُـوا مُشركِـينَ، وإنَّـما يُهلِكُهـم إذا تَظَالَمُـوا[1][2].

والثَّـاني: مُصلِحُـون لأعمالِهـم، مُتمَسِّـكُونَ بالطَّاعـةِ، قالَـهُ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّالث: مُؤمِنُونَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[3].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هـود: ١١٨ - ١١٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: لـوْ شـاءَ أنْ يجعلَهُـم كلَّهُـم مُسـلِمِينَ لَفعَـلَ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في المشَارِ إليْهِم قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهُـم أهْـلُ الحَـقِّ وأهْـلُ البَاطِـلِ، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[5]، فيكُـونُ المعْنَـى: إنَّ هـؤُلاءِ يُخالِفُـون هـؤلاءِ.

والثَّاني: أنَّهم أهْلُ الأَهْواءِ لا يَزَالُون مُختلِفِينَ، رَواه عِكرمَةُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[6].

---

(١) في (ر): إذا ظلموا.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠١).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٣) (١١٢٨٠).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٢٨١).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: هُـم أهْـلُ الحَـقِّ[١]. وقـالَ الحسَـنُ: (أهْـلُ رحْمَـةِ اللهِ)[٢] لا يختَلِفُـونَ[٣].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

فِي المشَارِ [إليْهِ][٤] بذلِكَ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه يرجِعُ إلى مَا هُم عليْهِ.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: خلَقَهُـم فرِيقَـيْنِ: فرِيقًـا يُرْحَـمُ فـلَا يَختَلِـفُ، وفرِيقًـا لَا يُرْحَـمُ يَخْتلِـفُ[٥].

والثَّـاني: أنَّـه يرجِـعُ إلى الشَّـقاءِ والسَّـعادةِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ أيضًـا، واخْتـارَهُ الزَّجَّـاجُ، قـالَ: لأنَّ اخْتلافَهُـم مُؤدِّيهـم إلى سـعادَةٍ وشـقَاوةٍ[٦].

قالَ ابْنُ جريرٍ: واللَّامُ فِي قوْلِه: «ولِذَلِكَ» بمَعْنَى: «عَلَى»[٧].

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٣٣)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٩٣- ٢٠٩٤) عـن ابـن عبـاس.

(٢) في (ج): هم أهل رحمته.

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٣٢)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٩٥) مـن طريـق منصـور عـن الحسـن.

(٤) من سائر النسخ.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٣٦)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٦/ ٢٠٩٥) مـن طريـق أبي صالـح.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٤).

(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٨).

والثَّالث: أنَّه يرجعُ إلى الاِخْتلافِ، رَواه مُباركُ عنِ الحسَنِ[١].

والرَّابع: أنَّه يرجِعُ إلى الرَّحمةِ، رَواه عِكرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قالَ عِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وقتَادَةُ؛ فعلَى هذَا يكُونُ المعْنَى: ولِرحمَتِه خُلِقَ الَّذِين لا يَختَلِفُونَ في دينِهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وجَبَ قوْلُ ربِّكَ[٣]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ مِن كُفَّارِ الجنَّةِ، وكُفَّارِ النَّاس.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: «كُلًّا» منْصُوبٌ بـ«نَقُصُّ» المعْنَى: وَكلُّ الَّذِي تحْتَاجُ[٤] إليْهِ مِن أنْبَاءِ الرُّسُلِ نقُصُّ عليْكَ. و«مَا» منْصُوبةٌ بدلًا مِنْ كُلٍّ. المعْنَى: نقُصُّ عليْكَ ما نُثبِّتُ به[٥] فؤَادَكَ؛ ومعْنَى تثبيتِ الفُؤادِ: تسْكِينُ القلْبِ هاهُنا، ليْسَ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٦) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣١٦) من طريق آخر عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣٧)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩١) عن الحكم بن أبان، عن ابن عباس.

(٣) تنوير المقباس (٢/ ٥٤).

(٤) في الأصل: يحتاج، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) ليست في (ر).

للشَّكِّ، ولكنْ كلَّما كانَ البرهَانُ والدِّلالةُ أكثرَ كانَ القلْبُ أثبتَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾.

فِي المشارِ إليْهِ بـ«هذِه» أرْبعَةُ أقْوالٍ:

[٣٨٧/ ب] **أحدُها:** أنَّها السُّورةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، وسَعيدُ بْنُ جُبيرٍ وأبو العَاليةِ، ورَواه شيْبانُ عنْ قتادَةَ.

والثَّاني: أنَّها الدُّنْيا، **فالمعْنَى:** وجاءَكَ في هذِه الدُّنْيا، رواهُ سعِيدٌ عنْ قتادَةَ؛ وعنِ الحسَنِ[٢] كالقوْليْنِ.

والثَّالث: أنَّها الأقاصِيصُ المذْكُورةُ.

والرَّابع: أنَّها هذِه الآيةُ[٣] بعيْنِها، ذكرَ القوْلَيْنِ ابْنُ الأنْبارِيِّ[٤].

وفِي المرَادِ بالحَقِّ هَاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ[٥] البيانُ.

والثَّاني: صِدْقُ القَصصِ والأنْباءِ.

والثَّالث: النُّبوَّةُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٤).

(٢) في الأصل: الحسين.

(٣) في (ج): الآيات.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٩٢).

(٥) في (م): أنها.

فإنْ قيلَ: أليْس قدْ جاءَهُ الحقُّ في كُلِّ القُرآنِ، فلِمَ خصَّ هذِه السُّورةَ؟.

فالجوابُ: أنَّا إنْ قُلْنا: إنَّ الحَقَّ النُّبوَّةُ، فالإشارَةُ بـ﴿هَٰذِهِ﴾ إلى الدُّنْيا، فيكُون المعْنَى: وجاءَكَ في هذِه الدُّنْيا النُّبوَّةُ، فيرْتَفِعُ الإشْكالُ.

وإنْ قُلْنا: إنَّها السُّورةُ؛ فعنْهُ أرْبعَةُ أجْوبَةٍ:

أحدُها: أنَّ المرادَ بالحقِّ البيانُ، وهذِه السُّورةُ جمعتْ (مِن تبْيينِ) [١] إهْلاكِ الأُمَمِ، وشرْحِ مَآلِهم، ما لمْ يجمَعْ غيرُها فبانَ أثَرُ التَّخْصِيصِ، وهذا مذْهَبُ بعْضِ المفَسِّرينَ.

والثَّاني: أنَّ بعْضَ الحقِّ أوْكدُ مِن بعْضٍ في ظُهورِهِ عنْدَنا وخفَائِهِ علَيْنَا، ولهذَا يقُولُ النَّاسُ: فُلانٌ في الحَقِّ: إذا كانَ في الموْتِ، وإنْ لم يكُنْ قبْلَهُ في بَاطِلٍ، ولكَن لِتعْظِيم ما هو فيهِ، فكأنَّ الحَقَّ المبيَّنَ في هذه السُّورةِ أجْلى مِنْ غيْرِه، وهذَا مذْهبُ الزَّجَّاجِ [٢].

والثَّالثُ: أنَّه خصَّ هذِه السُّورةَ بذلِكَ لِبيانِ فضْلِها، وإنْ كانَ في غيرِها حَقٌّ أيضًا، فهوَ كقوْلِهِ: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوْلِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وهذا مذْهَبُ ابْنِ الأنْبارِيِّ [٣].

---

(١) في (ج): بين.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٥٩٣).

والرَّابع: أنَّ المعْنى: وجاءَك في هذه السُّورةِ الحقُّ مع ما جاءَك من سائرِ السُّورِ[١]، قالَه ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ[٢].

قوْله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يتَّعِظون إذا سمِعُوا هذه السُّورةَ وما نزَلَ[٣] بالأُممِ فتلِينُ قلوبُهم.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود: ١٢١ - ١٢٢].

قوْله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تهديدٌ ووَعِيدٌ، والمعْنى: اعْملُوا على ما أنْتم عامِلون، فستَعْلَمُون عاقبةَ أمْرِكُم، ﴿وَانتَظِرُوا﴾ ما يعِدُكمُ الشَّيطانُ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ما يعِدُنا ربُّنَا.

---

(١) في (ف): السورة.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٤٣).

(٣) في (ف): نزلت.

فَصْلٌ

قَالَ المفَسِّرونَ: وهذه الآيةُ اقتضتْ تركَهم على أعمالِهم، والاقْتِناعَ بإنْذارِهم، وهيَ منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ(١).

واعْلَم أنّه إذا قُلْنا: إنَّ المرادَ بالآيةِ التَّهديدُ، لم يُتوجَّه نسْخٌ.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣].

قولُه تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: عِلْمُ(٢) مَا غابَ عنِ العِبادِ فِيهِما.

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ قرأَ نافعٌ، وحفْصٌ عنْ عاصمٍ: ﴿ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ [كُلُّهُۥ](٣) ﴾ بضمِّ الياءِ. وقرأَ الباقونَ، وأبو بكْرٍ عن عاصمٍ: {يَرجِعُ} بفتحِ الياءِ(٤)(٥). والمعْنى: إنَّ كُلَّ الأُمورِ ترجِعُ إليهِ [في المعادِ](٦).

﴿ فَٱعْبُدْهُ ﴾؛ أي: وحّدْهُ. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾؛ أي: ثِقْ بهِ. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قرأَ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفْصٌ عنْ عاصمٍ: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٤١).

(٢) في الأصل: عالِمٌ، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من سائر النسخ.

(٤) في الأصل: التاء، والمثبت من

(٥) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

بالتَّـاءِ. وقـرَأَ الباقُـون باليَـاءِ(١).

[٣٨٨/أ] قـالَ أبـو عـلِيٍّ: فمَـن قـرَأَ باليـاءِ؛ فالمعْنَـى: قُـلْ لهُـم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. ومَـنْ قـرَأَ بالتَّـاءِ؛ فالخِطـابُ للنَّبِـيِّ ﷺ وللجميـعِ(٢) الخلْـقِ مُؤمِنِهِـم وكافرِهِـم، فهـوَ أعَـمُّ مِـنَ اليـاءِ، وهـذا وعِيـدٌ، والمعْنَـى: إنَّـه(٣) يجـزِي المحسِـنَ بإحْسـانِهِ، والمسيءَ بإسـاءَتِهِ(٤).

[٣٨٨/ب] قالَ كعْبٌ: خاتمةُ التَّوراةِ خاتمةُ هُودٍ(٥)(٦).

(١) قراءتان سبعيتان أيضًا، انظر: التيسير (ص: ١٢٦).

(٢) في (ف): وجميع.

(٣) ليست في (ف).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٨٩- ٣٩٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٤٥)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٠٢) من طريق جعفر بن سليمان، والدارمي (٢/ ٤٥٣) من طريق أبي عمران الجوني، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥٧) إلى عبد الله بن أحمد في زوائده الزهد وأبي الشيخ.

(٦) في نسخة الأصل: تم الجزء الأول من كتاب زاد المسير يتلوه في الجزء الثاني سورة يوسف، والحمد لله وحده وصلاواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه. على يد الفقير المحتاج إلى عفو ربِّه المتعال الفخر الناسخ المعروف بالرمال تجاوز الله عن سيئاته بمنه وكرمه.
بتاريخ نهار الأربعاء السادس والعشرون من شهر رمضان المعظم، مختتم سنة ثمانمئة هلالية. بلغ مقابلة على نسخة عليها خط المؤلف رحمه الله، وذلك على حسب الجهد والطاقة.

سُورَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

هيَ مكيَّةٌ بالإجْماعِ.

وفي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أمَّا القولُ الأوَّلُ: فرُوي عنْ سعْدِ بْنِ أبي وقَّاصٍ قالَ: أُنزل القرْآنُ علَى رسُولِ اللهِ ﷺ، فتَلَاه عليْهم زمَانًا، فقالُوا: يا رسُولَ اللهِ! لو قصَصْتَ علينَا، فأنْزل اللهُ تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾... إلى قوْلِه تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ فتَلاهُ عليْهم زمانًا، فقالُوا: يا رسُولَ اللهِ! لو[1] حدَّثتنَا، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] كلُّ ذلك يُؤمَرُون بالقُرآنِ[2].

وقالَ عوْنُ بْنُ عبْدِ اللهِ: ملَّ أصْحابُ رسُولِ اللهِ ﷺ ملَّةً، فقَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ! حدِّثْنا، فأنْزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، ثُمَّ إنَّهم[3] ملُّوا ملَّةً أُخْرى، فقالُوا: يا رسُولَ الله!

---

(١) في (ج): لقد.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٠٩٩) (١١٣٢٣) من طريق محمد بن سعد العطار به، وأخرجه إسحاق بن راهويه، كما في المطالب (٤٠١٣)، ومن طريقه ابن حبان (٦٢٠٩)، والحاكم (٢/ ٣٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٠٣)، وابن مردويه، كما المطالب (٤٠١٤)، وأبو يعلى (٧٤٠)، والبزار (١١٥٢- ١١٥٣) من طريق عمرو بن محمد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) ليست في (ج)، و(ف).

فـوْقَ الحدِيـثِ، ودُونَ القُـرآنِ، يعْنُـون القصَـصَ، فأنْـزَل اللهُ عـزَّ وجـلَّ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، فـأرادُوا الحدِيـثَ، فدلَّهُـم عـلى أحْسَـنِ الحدِيـثِ، وأرَادُوا القصَـصَ، فدلَّهُـم عـلى أحْسَـنِ القصَـصِ[1].

والثَّـاني: رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ قـالَ: سـألَتِ اليهـودُ النَّبـيَّ ﷺ، فقَالُـوا: حدِّثْنـا عـنْ أمْـرِ[2] يعْقُـوبَ وولَـدِهِ وشـأْنِ يُوسـفَ، فأنْـزلَ اللهُ تعَـالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[3]، وذلِـك أنَّ التَّـوراةَ بالعِبرانيَّـةِ، والإنْجِيـلَ بالسُّريانِيَّـةِ، وأنْتُـم قـوْمٌ عـربٌ، ولـو أنْزلتُـهُ بغَـيْرِ العربيَّـةِ مَـا فهِمتمُـوهُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١].

وقـد بيَّنَّـا تفسْـيرَ أوَّلِ هـذِه السُّـورةِ في أوَّلِ «يونُـس»، إلَّا أنَّـه قـد ذكَـرَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ زيـادَةَ وجْـهٍ في هـذِه السُّـورةِ، فقَـالَ: لَمَّـا لَحِـقَ أصْحَـابَ رسُـولِ اللهِ ﷺ مَلَـلٌ وسَـآمةٌ، فقَالُـوا لَـهُ: حدِّثْنـا بـِمَا يُزيـلُ عنَّـا هـذَا الملـلَ، فقَـالَ: تلْـكَ الأحادِيـثُ الَّتـي تقـدُرُونَ الانْتفَـاعَ بهـا وانـصرافَ الملَـلِ، هـي آيـاتُ الكتَـابِ المبِـينِ.

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٥٢) مـن طريـق المسـعودي، وأبـو نعيـم في الحليـة (٤/ ٢٤٨) مـن طريـق وكيـع بـه، وأخرجـه أبـو عبيـد في فضائـل القـرآن (ص: ٢٢) مـن طريـق المسـعودي بـه. وينظـر: جامـع بيـان العلـم وفضلـه (١٩١٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢/ ٦٠١).

وفي معنى ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: البيِّنُ حلالُه وحرامُه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومجاهِدٌ.

والثَّاني: المبينُ للحروفِ[١] الَّتي تسقطُ عنْ[٢] ألْسُنِ الأعاجِم، رَواه خالدُ بْنُ معدان عنْ مُعاذ بْنِ جبلٍ[٣].

والثَّالث: البيِّنُ[٤] هُداه ورُشدُه، قالَهُ قتادةُ.

والرَّابع: المبيِّنُ للحقِّ مِنَ الباطِلِ.

والخامس: البيِّن[٥] إعْجازُه[٦] فلا يُعارض، ذكرَهُما الماوردِيُّ[٧].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى الكتَابِ، قالَهُ الجمهُورُ.

---

(١) في (ف): للحرف.

(٢) في (ج): على.

(٣) أخرجه الطبري (١٨٧٧١) من طريق الوليد بن سلمة، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ أنَّه قال في قوله تعالى: {الكتاب المبين} قال: بيَّن الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم، وهي ستة أحرف، والوليد بن سلمة الطبراني، قال أبو حاتم: ذاهب الحديث، وقال دحيم وغيره: كذاب، وقال ابن حبَّان: يضع الحديث على الثقات. انظر: ميزان الاعتدال (٧/ ١٣١).

(٤) في الأصل: المبين، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في الأصل: المبين، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ليست في (ج).

(٧) النكت والعيون (٣/ ٥).

والثَّانِي: إلى خبَرِ يُوسفَ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ(١)، وابْنُ القَاسِمِ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ قد ذكرْنا معْنَى القرآنِ واشْتِقاقَهُ فِي سُورة النِّساءِ [آية: ٨٢].

[٣٨٩/أ] وقدِ اخْتلفَ النَّاسُ، هلْ في القُرآنِ شيْءٌ بغيْرِ العربيَّةِ، أمْ لَا؟.

فمذْهبُ أصْحابِنَا أنَّه ليس فيهِ شيْءٌ بغير العربيَّةِ. وقالَ أبو عُبيدةَ: مَن زعَم أنَّ فِي القُرآنِ لِسانًا سِوى العربيَّة فقَدْ أعْظم علَى اللهِ القوْلَ(٣)، واحْتجَّ بقوْلِه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

ورُوِيَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ أنَّ فيهِ مِن غيْرِ لِسانِ العرَبِ؛ مثْلُ: «سِجِّيل» و«المشْكاة» و«اليَم» و«الطُّور» و«أباريق» و«إستبرق» وغير ذلك.

(قَالَ الشَّيخُ)(٤): وقرأْتُ على شيْخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ قالَ: قالَ أبو عُبيدٍ: وهؤلاءِ أعْلَم مِنْ أبي عُبيدةَ، ولكنَّهُم ذهَبُوا إلى مذْهبٍ، وذَهب هوَ إلى غيْرِه. وكِلاهُما مُصيبٌ إنْ شاء اللهُ تعَالى.

وذلِك: أنَّ هذِه الحرُوفَ بغيْرِ لِسانِ العرَبِ في الأَصْلِ، فقَالَ: أولئك علَى الأصْلِ، ثُمَّ لفظَتْ بهِ العرَبُ بألْسِنَتِها فعرَّبته فصارَ عربيًّا بتعْريبِهَا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٧).

(٢) أي: أبا بكر بن الأنباري، انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٨).

(٣) مجاز القرآن (١/ ١٧-١٨).

(٤) زيادة من الأصل فقط.

إِيَّـاه، فهـيَ عربيَّـةٌ في هـذِه الحـالِ(١)، أعْجَمِيَّـةُ الأصْـلِ. فهـذَا القـوْلُ يصـدِّقُ الفريقَـيْنِ جميعًـا(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لكي تفْهَمُوا(٣).

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ قـد ذكرْنـا سـبَبَ نُزولِهَـا فِي أوَّلِ الـكلامِ.

وقـد خُصَّـت بِسببٍ آخَرَ: فـرُوي عـنْ سـعيدِ بْـنِ جُبـيرٍ قـالَ: اجْتمـعَ أصْحَـابُ مُحمَّـدٍ ﷺ إلى سـلْمانَ(٤)، فقَالُـوا: حدِّثْنَـا عـنِ التَّـوْراةِ فإنَّهـا حسَـنٌ مـا فيهَـا، فأنْـزلَ اللهُ تعَـالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يعْنِـي: قصـصَ القُـرآنِ أحْسـنَ ممَّـا في التَّـوراةِ(٥).

قـالَ الزَّجَّـاج: **والمعْنَـى:** نحـن نُبيِّنُ لـكَ أحْسَـنَ البيـانِ، **والقَـاصُّ:** الَّـذي(٦) يـأْتِي بالقِصَّـة عـلى حقيقتِهَـا. قـالَ: وقوْلُـه: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي: بوحْيِنَـا إليْـكَ هـذَا القُـرآنَ(٧).

---

(١) في نسخة: الحالة.

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم (ص: ٥٣).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٩)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢١١).

(٤) لا يصحُّ ذلك، بل هو باطل، فإنَّ السورة مكية كما تقدم بإجماع، وإسلام سلمان مدني.

(٥) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس (ص: ٩٨).

(٦) في (ف): التي.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٨).

قَالَ العُلَماءُ: وإنَّما سُمِّيت قِصَّةُ يُوسفَ أحْسَنَ القصَصِ؛ لأنَّها جمعَتْ ذكْرَ الأنْبياءِ، والصَّالحِينَ، والملائِكةِ، والشَّياطِينِ، والأنْعَامِ، وسِيرِ الملوكِ، والممَالِيكِ، والتُّجارِ، والعُلَماءِ، والرِّجالِ، والنِّساءِ وحِيلِهِنَّ، وذكْرِ التَّوْحيدِ، والفِقهِ، والسِّرِّ، وتعْبيرِ الرُّؤيا، والسِّياسَةِ، والمعَاشرَةِ، وتدْبيرِ المعاشِ، والصَّبْرِ على الأذَى، والحِلْمِ، والعِزِّ، والحُكمِ، إلى غيْرِ ذلِك مِنَ العجائِبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كُنتَ﴾ **في «إنْ» قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: «قَدْ».

والثَّاني: بمَعْنَى: «مَا».

قوْلُه تعَالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: مِن قبْلِ نُزولِ القُرآنِ ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عنْ عِلْمِ خبَرِ يُوسفَ وما صنَعَ بهِ إخْوتُه[1].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: ٤ - ٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ **في «إذْ» قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها صِلةٌ للفِعْلِ المتقدِّمِ[2]، والمعْنَى: نحْنُ نقُصُّ عليْكَ إذْ قالَ يُوسفُ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٤٦).

(٢) في (ف): صلة الفعل المقدم.

والثَّـاني: أنَّهـا صِلـةٌ لفعْـلٍ مُضمَـرٍ، تقْدِيـرُه: اذْكُـر إذْ قـالَ يُوسـفُ، ذكرَهُمـا الزَّجَّـاجُ[١]، وابْـنُ الأَنْبَـارِيِّ[٢].

قوْلـه تعَـالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ قـرَأ أبـو جعْفـرٍ، وابْـنُ عامِـرٍ بفتْـحِ التَّـاءِ، ووقفَـا بالهَـاءِ، وافَقَهُـما ابْـنُ كثِيرٍ في الوقْـفِ بالهَـاءِ. وقـرَأ البَاقُـون بكسْرِ التَّـاءِ[٣].

فمَـنْ فتَـح التَّـاءَ، أرَادَ: يَـا أبَتَـا، فحذَفَ الأَلِـفَ كما تُحـذفُ اليـاءُ[٤]، فبَقِيتِ الفتْحَـةُ دَالَّـةٌ عـلَى الأَلِـفِ، كـمَا أنَّ الكَـسْرةَ تبْقَـى دَالَّةً على اليَـاءِ. ومَـنْ وقَفَ على الهَـاءِ؛ فلأنَّ تـاءَ التَّأنِيـثِ تُبدل منْهـا الهـاءُ فِي الوقْفِ[٥]. [٣٨٩/ ب]

وقرَأ أبو جعْفَرٍ: «أحد عْشر»، و«تسعة عْشر»، بسُكونِ العَيْنِ فيهما[٦].

وفِي مَا رَآه يوسُفُ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه رأَى الشَّمْسَ والقمَرَ والكواكِبَ، وهوَ قوْلُ الأكْثَرِينَ.

(قـالَ الفـرَّاءُ)[٧]: وإنَّـما قـالَ: «رَأَيْتهُـم» عـلَى جمْـعِ مَـا يعْقِلُ؛ لأنَّ السُّـجودَ فعْلُ مَـا يعْقِلُ؛ كقوْلِه تعَـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨][٨].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨٨).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٣٢).

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٧)، والنشر (٢/ ٢٩٣).

(٤) في (ف): التاء.

(٥) انظر: التيسير (ص: ٦٠).

(٦) قراءة عشرية، قرأ بها أبو جعفر، كما في النشر (٢/ ٢٧٩)، وانظر: المحتسب (١/ ٣٣٢).

(٧) ليس في (ج).

(٨) معاني القرآن (٢/ ٣٥).

قَالَ المفَسِّرُونَ: كانتِ الكوَاكِبُ فِي التَّأْويلِ إخْوتَه، والشَّمْسُ أمَّهُ، والقمَرُ أبَاهُ، فلَمَّا قصَّها علَى يعْقُوبَ أشْفقَ مِن حسَدِ إخْوتِه.

وقالَ السُّدِّيُّ: الشَّمْسُ أبُوه، والقمَرُ خالَتُه؛ لأنَّ أُمَّه كانتْ قد ماتَتْ[١].

والثَّاني: أنَّه رأى أبويْهِ وإخْوتَهُ سَاجِدينَ لَه، فكنَّى عنْ ذكْرِهِم، وهذا مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتَادَةَ.

فأمَّا تكرارُ قوْلِه: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ فقَالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما كرَّره لمَّا طالَ الكلامُ توْكيدًا[٢].

وفِي سِنِّ يُوسفَ لمَّا رَأى هذَا المنَامَ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: سبْعُ سِنينَ.

والثَّانِي: اثْنتا عشَرةَ سنَةً.

والثَّالث: سبْعَ عشْرَةَ سنَةً.

قَالَ المفَسِّرونَ: علِمَ يعْقوبُ أنَّ إخْوةَ يُوسفَ يعْلَمُون تأويلَ رُؤياه، فقَالَ: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: يَحْتالُوا لكَ حِيلةً ويغْتالُوكَ[٣]. وقالَ غيْرُه: اللَّام صِلةٌ، والمعْنَى: فيكِيدُوكَ. والعدُوُّ المبينُ: الظَّاهِرُ العدَاوةِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠١) (١١٣٣١)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ[١]، وابنُ الأنبارِيِّ[٢]: ومثلُ ما رأيتَ مِنَ الرِّفعةِ والحالِ الجليلةِ، يختارُك ربُّك ويصْطَفيك مِن بيْنِ[٣] إخوتِك.

وقد شرحْنا في الأنعامِ [آية: ٨٧] معْنَى الاجتباء. وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: يصْطَفِيكَ بالنُّبوَّةِ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ **فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه تعْبيرُ الرُّؤيا، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ، فعَلى هذَا سُمِّي تأويلًا؛ لأنَّه بيانُ مَا يؤُول أمْرُ المنَامِ إليْهِ.

والثَّاني: أنَّه العِلْمُ والحكْمَةُ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: تأويلُ أحاديثِ الأنْبياءِ والأُمَمِ والكُتبِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

قالَ مُقاتِلٌ: و«مِن» هَاهُنا صِلَةٌ[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٠٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٠) عن عكرمة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩٩) إلى ابن جرير وأبي الشيخ عن ابن عبَّاسٍ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٢).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٨)، وانظر التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٦٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بالنُّبوَّةِ[(١)]، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بإعْلاءِ الكلِمةِ.

والثَّالث: بأنْ أحْوجَ[(٢)] إخْوتَه إليْه حتَّى أنْعَم عليْهِم، ذكرَهُما الماوردِيُّ[(٣)].

وفِي ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم ولدُه، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يعْقُوبُ وامْرأتُه وأوْلادُه الأحَدَ عشَرَ، أتمَّ عليْهِم نعْمتَهُ بالسُّجودِ لِيوسُفَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[(٤)].

والثَّالث: أهْلُه، قالَهُ أبو عُبيدَةَ[(٥)]، واحْتجَّ بأنَّك إذَا صغَّرْتَ «الآل»، قلْتَ: أُهيلٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

قالَ عِكرمَةُ: فنعْمتُه علَى إبْراهِيمَ: أنْ نجَّاه مِنَ النَّار، ونعْمتُه علَى إسْحاقَ: أنْ نجَّاه مِنَ الذَّبح[(٦)].

---

(١) في (ج)، و(ف): النبوة.

(٢) في (ف): أخرج.

(٣) النكت والعيون (٣/ ٨).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣١٩)، وقوله: (قاله مقاتل) ليس في (ف).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٠٢).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٦١) (١٨٧٩٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور=

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾؛ أي: علِيـمٌ حيْـثُ يضَـعُ النُّبـوةَ ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدْبِـير خلْقِـه.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾؛ أي: في خـبَرِ يُوسـفَ وقصَّـةِ[١] إخْوتِـهِ ﴿ءَايَٰتٌ﴾؛ أي: عِـبرٌ لِمَـن سـأَلَ عنْهُـم، فـكُلُّ حـالٍ مِـن أحْوَالِـه آيـةٌ. [٣٩٠/أ]

وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ: {آيَةٌ}[٢].

قـالَ المفـسِّرُون: وكان اليهـودُ قـدْ سـأَلُوا رسُـولَ اللهِ ﷺ عنْ قِصَّةِ يُوسـفَ، فأخْبَرَهُـم بهَـا كـما في التَّـوراةِ، فعجِبُـوا مِـن ذلِك.

وفي وجْه هذِه الآيَاتِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: الدّلالَـةُ عـلَى صِـدْقِ مُحمَّـدٍ ﷺ حِـينَ أخْـبَرَ أخبَـارَ قـوْمٍ لم يُشـاهدْهُم، ولا نظَـرَ في الكُتُـبِ.

والثَّاني: ما أظْهرَ اللهُ في قِصَّةِ يُوسفَ مِن عوَاقِبِ البغْيِ عليْهِ.

والثَّالث: صدْقُ رُؤياه وصِحَّةُ تأْويلِه.

والرَّابع: ضبْطُ نفْسِه وقهْرُ[٣] شهوْتِه حتَّى قامَ بحَقِّ الأمَانةِ.

=(٤/ ٤) إلى ابن جرير، وقال أكثر المفسرين: الذبيح هو إسماعيل، والقول بأنّه إسحاق قول مرجوح.

(١) ليست في (ف).

(٢) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٧).

(٣) في (ج): وقمع.

والخامس: حدُوثُ السُّرورِ بعْدَ اليأسِ.

فإنْ قيلَ: لمَ خصَّ السَّائِلينَ، ولغيْرِهم فيهَا آياتٌ أيْضًا؟.

فعنْهُ جوَابانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: للسَّائلين وغيْرِهم، فاكْتَفى بذكْرِ السَّائِلين مِن غيْرِهم، كما اكْتَفى بذكْرِ الحرِّ مِنَ البرْدِ في قوْلِه تعالى: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

والثَّاني: أنَّه إذَا كانَ للسَّائلين عن خبَرِ يُوسفَ آيةٌ؛ كانَ لِغيرِهم آيةٌ أيضًا؟ وإنَّما خصَّ السَّائلين؛ لأنَّ سُؤالَهُم نتَجَ الأعْجُوبةَ وكشفَ الخبَرَ.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨].

قوْلُه تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ يعْنِي: إخْوةَ يُوسفَ. ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ يعْنُون: ابْن يامِينَ. وإنَّما قِيل له: ابْن يامِين؛ لأنَّ أُمَّه ماتَتْ نُفساءَ. ويَامِين بمعْنَى: الوجَع، وكان أخاه لِأُمِّه وأبيهِ. والبَاقُون إخْوتُه لأَبِيه دُون أُمِّه.

فأمَّا العُصبةُ: فقالَ الزَّجَّاجُ: هيَ فِي اللُّغةِ الجماعَةُ الَّذِين أمْرُهُم واحِدٌ يُتابِع بعْضُهم بعْضًا في الفِعْل، ويَتعصَّبُ بعْضُهم لِبعْضٍ[1].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

وللمُفسِّرينَ في العُصبةِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ما كانَ(١) أكْثرَ مِن عشرةٍ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّها ما بين العشْرةِ إلى الأرْبَعِينَ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا، وبهِ قالَ قتادةُ.

والثَّالث: أنَّها سِتَّةٌ أو سبعةٌ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والرَّابع: أنَّها مِنْ عشرةٍ إلى خمسةَ عشرَ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامس: الجماعَةُ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ، وابْنُ قُتيبةَ(٢)، والزَّجَّاجُ(٣).

والسَّادس: عَشرة، قالَه مُقاتِلٌ(٤).

وقالَ الفرَّاءُ: العُصبة: عشرةٌ فما زَادَ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: لَفِي خطأٌ مِن رَأيِه، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: فِي شقَاءٍ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٦)؛ والمرَادُ بهِ: عناء الدُّنيا.

---

(١) في (ف): كانت.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٣٦).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).

والثَّالِث: لَفِي ضَلالٍ عن طَرِيقِ الصَّوابِ الَّذِي يقْتَضِي تعديلَ المحبَّةِ بيْنَنَا؛ لأنَّ نفعَنَا لـه أعَـمُّ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: ولـو نسَبُوه إلى الضَّلالةِ[1] في الدِّين كانُوا كُفَّارًا، إنَّما أرَادُوا أنَّه قدَّم ابْنَينِ صَغِيرَيْنِ علينَا في المحبَّةِ ونحْنُ جماعَةٌ نفْعُنا أكْثَرُ[2].

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ ﴾ [يوسف: ٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾.

قَالَ أبو علِيٍّ[3]: قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، والكِسائِيُّ: «مُبِينٌ اقْتُلُوا» بضمِّ التَّنوين؛ لأنَّ تحْرِيكَهُ يلْزَمُ لِالْتقاءِ السَّاكنَيْنِ، فحرَّكُوه بالضَّمِّ؛ لِيُتبعُوا الضَّمةَ الضَّمةَ، كما قالُوا: «مُدَّ» و«ظُلُمات».

[٣٩٠/ب] وقَرأ أبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، (والكِسَائِيُّ)[4]: بكَسْرِ التَّنوين، فلم يُتبعُوا الضَّمَّة كما قالُوا: «مُدَّ» و«ظُلُمات»[5].

---

(١) في نسخة: الضلال.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٣٩٧- ٣٩٨).

(٤) من الأصل، و(م).

(٥) قراءتان سبعيتان، إلا أن ابن عامر مع نافع، لا عاصم، انظر: التيسير (ص: ٧٨)، والسبعة (ص: ١٧٤).

قالَ المفَسِّرُون: وهذا قوْلُهم بيْنَهُم: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: نصَب «أرْضًا» علَى إسْقاط «في» وإفْضاءِ الفعْلِ إليْها[١]؛ والمعْنَى: أوِ اطْرحوه أرضًا يبْعُد بها عنْ أبِيهِ.

وقال غيْرُه: أرضًا تأكلُه فيها السِّباعُ.

قوْلُه تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾؛ أي: يفرُغْ لكُم مِنَ الشُّغل بيُوسفَ.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾؛ أي: مِن بعْدِ يُوسف ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: صَالحين بالتَّوبةِ مِن بعْدِ قتْلِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: تصلُحُ[٢] حالُكُم عنْد أبِيكم، قالَهُ مُقاتلٌ[٣].

وفي قِصَّتِهم نُكتةٌ عجيبةٌ: وهوَ أنَّهم عزَمُوا علَى التَّوبةِ قبْلَ الذَّنْب، وكذلِكَ المؤْمِنُ لَا ينْسَى التَّوبةَ وإنْ كانَ مُرتَكِبًا للخَطايَا.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف: ١٠ - ١٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٢) في (م): يصلح.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه يهُوذا، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ وهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ[١].

والثَّاني: أنَّه شَمعُونُ، قالَهُ مُجاهِدٌ[٢].

والثَّالث: رُوبِيلُ، قالَهُ قتادَةُ[٣]، وابْنُ إسْحاقَ.

فأمَّا غيَابَةُ الجُبِّ: فقالَ أبو عُبيدةَ: كُلُّ شيْءٍ غَيَّبَ عنْكَ شيْئًا فهوَ غيابةٌ[٤]. **والجُبُّ:** الرَّكيةُ الَّتي لم تُطْوَ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: **الغيابَةُ:** كُلُّ ما غابَ عنْكَ، أو غيَّب شيْئًا عنْكَ[٥]، قالَ المنخَّلُ[٦] [من الطويل]:

فَإِنْ أَنَا يَوْمًا غَيَّبَتْنِي غَيَابَتِي فَسِيرُوا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ[٧]

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠٦)(١١٣٥٩) من طريق سفيان عن رجل عن مجاهد، قال ابن أبي حاتم: قال أبي: وفي كتاب غيري: عن ابن جريج عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠٦)(١١٣٥٧) من طريق سعيد عن قتادة.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٠٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٣).

(٦) هو المنخل بن سبيع بن زيد بن معاوية بن العنبر، له ترجمة في المؤتلف (ص: ١٧٨)، ومعجم المرزباني (ص: ٣٨٨).

(٧) البيت للمنخل في مجاز القرآن (١/ ٣٠٢)، ومعجم المرزباني (ص: ٣٨٨)، ومعاني=

فَالْجُبُّ: البِئرُ الَّتِي لم تُطو؛ سمِّيت جُبًّا مِن أجْل أنَّها قُطِّعت قطْعًا، ولم يحْدُثْ[١] فيهَا غيْرُ القطْعِ مِن طيٍّ وما أشبهَهُ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: {فِي غَيَابَةِ الْجُبّ} أي: في ظُلُماتِه[٢]. وقالَ الحسَنُ: في قعْرِه[٣].

وقرَأ نافِعٌ: {فِي غَيَابَاتِ الجُبِّ} فجعَل كُلَّ جزْءٍ منه غيابةً[٤]. ورَوى خارِجَةُ[٥] عن نافِعٍ: «غيَّابات» بتَشْديدِ اليَاءِ[٦]. وقرَأ الحسَنُ، ومجاهدٌ، وقتادَةُ[٧]: «غَيْبَةِ الْجُبِّ» بغيْرِ ألِفٍ معَ إسْكانِ اليَاءِ[٨].

=الزجاج (٣/ ٩٣)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٣١)، وشواهد الكشاف (ص: ٩٦).

(١) في الأصل: يحذف، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) تنوير المقبس (ص: ١٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٢).

(٤) قراءة سبعية، وهي قراءة نافع، وقرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وابن كثير بالإفراد. انظر: التيسير (ص: ١٠٤).

(٥) هو أبو لحجَّاج خارجة بن مصعب الضبعي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع وأبي عمرو، وله عنهما شذوذٌ كثيرٌ، روى عنه ابن الفضل وغيره. توفِّي سنة (١٦٨هـ). انظر: الغاية (١/ ٢٦٨).

(٦) قراءة شاذة، نسبها ابن جني في المحتسب (١/ ٣٣٣) إلى الأعرج، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٥٧٥) إلى خارجة عن نافع. وانظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢).

(٧) في نسخة: وقتادة، ومجاهد.

(٨) قراءة شاذة، نسبها ابن جني في المحتسب (١/ ٣٣٣) إلى الحسن، ونسبها الهذلي في الكامل (ص: ٥٧٥) إلى مجاهد والحسن وقتادة واللؤلؤي، وهارون عن أبي عمرو. وانظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢).

وأيْنَ كانَ هذَا الجُبّ، فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: بأرْضِ الأَرْدنِ، قالَهُ وهْبٌ.

وقالَ مُقاتِلٌ: هوَ بأرْضِ الأَردُنِ علَى ثلاثِ فرَاسِخَ مِن منْزِل يعْقُوبَ[١].

والثَّانِي: بِبيْتِ المقدِسِ، قالَهُ قتادَةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ[٢]: يأخُذُهُ بعْضُ مَنْ يسِيرُ. ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: إنْ أضْمرتُم له مَا تُرِيدُونَ.

وأكْثرُ القُرَّاء قرَءُوا ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ بالياءِ. وقرَأ الحسَنُ، وقتادَةُ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: بالتَّاءِ[٣].

قالَ الزَّجَّاجُ: وجميعُ النَّحْويينَ يُجيزونَ ذلِك؛ لأنَّ بعْضَ السَّيارةِ سيَّارةٌ، فكأنَّه قالَ: تَلْتقِطهُ[٤] سيَّارةُ بعْضِ السَّيَّارةِ[٥].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٥)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٢١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٠١).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٤٧)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٠٣)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤).

(٣) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣١٦)، والتبيان؛ للعكبري (١/ ٦٨٥).

(٤) في الأصل، و(ف): يلتقطه، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٤).

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ[(١)]: مَن قرَأ بالتَّاء، فقَدْ أنَّثَ فعْلَ «بعْض»، و«بعْض» مذكَّرٌ، وإنَّما فعَلَ ذلِكَ حمْلًا علَى المعْنَى؛ إذِ التَّأْوِيلُ: تلْتَقِطُه[(٢)] السَّيَّارةُ، قالَ الشَّاعِرُ [من الوافر]:

رَأَتْ[(٣)] مَرَّ السِّنِين أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلَالِ[(٤)]

أرادَ: رأَتِ السِّنينَ، وقالَ الآخَرُ [من الرجز]: [٣٩١/أ]

طُولُ اللَّيالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي
طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي[(٥)]

---

(١) المذكر والمؤنث (٢/ ١٨٨).

(٢) في (ف): يلتقطه.

(٣) في (ف): رأيت.

(٤) البيت لجرير بن عطية في ديوانه (ص: ٥٤٦)، ومجاز القرآن (١/ ٩٨)، (٢/ ٨٣)، والكامل؛ للمبرد (٢/ ١٤١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤/ ٨٢)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٧)، وتفسير الطبري (٧/ ٨٦)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٨)، والسرار -بكسر السين وفتحها-: آخر ليلة من الشهر، ليلة يستتر القمر؛ أي: يختفي، وأراد جرير بالسرار في هذا البيت: نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالًا، حتى يخفى في آخر ليلة، فهذا النقصان هو الذي يأخذ منه ليلة بعد ليلة.

(٥) الرجز للعجاج في تفسير الطبري (٧/ ٨٧)، وكذا نسبه إليه سيبويه في الكتاب (١/ ٥٣)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٩٩)، ونسبه أبو حاتم في المعمرين (ص: ١٠٨)، وأبو الفرج في الأغاني (٢١/ ٢٨) إلى الأغلب العجلي، وفي روايته اختلاف، وينظر الخزانة (٤/ ٢٢٤- ٢٢٦).

أرادَ: اللَّيالي[١] أسْرعَتْ، وقالَ جَريرٌ[٢] [من الكامل]:

لَمَّـا أَتَـى خَبَـرُ الزُّبَيْـرِ تَوَاضَعَـتْ سُـورُ الْمَدِينَـةِ وَالْجِبَـالُ الْخُشَّـعُ[٣]

أرادَ: تَوَاضَعَتِ المدِينةُ، وقالَ الآخَرُ [من الطويل]:

وَتَشْـرَقَ بِالْقَـوْلِ الَّـذِي قَـدْ أَذَعْتُـهُ كَـمَا شَرِقَتْ صَـدْرُ الْقَنَـاةِ مِنَ الـدَّمِ[٤]

أرادَ: كَما شرِقَتِ القَناةُ.

قـالَ المفَـسِّرونَ: فلـمَّا عـزَم القـوْمُ عـلى كيْـدِ يُوسـفَ، قالُـوا لِأبيـهِ: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾.

---

(١) في (ج): بالليالي.

(٢) في (ف): الآخر.

(٣) البيت لجرير في ديوانه (٢/ ٩١٣)،ومجاز القرآن (١/ ١٩٧)، والكامل (٢/ ١٤١)، والمقتضب (٢/ ١٩٧)، والمذكر والمؤنث؛ لابن الأنباري (ص: ٥٩٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٧٢٣)، والخصائص (٢/ ٤١٨)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٢٩٦)، ورصف المباني (ص: ١٦٩)، من قصيدة قالها جرير في هجاء الفرزدق، يقول: لما وافى خبر قتل الزبير إلى المدينة تواضعت هي وجبالها وخشعت حزنًا له؛ لأنَّ قاتل الزبير من رهط الفرزدق.

(٤) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ١٢٣)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٣٢)، والكتاب؛ لسيبويه (١/ ٥٢)، والمذكر والمؤنث؛ لابن الأنباري (٢/ ١٨٥)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٥٠)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٨)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٤٦٠)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ٩٤)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٨٧)، والمقتضب (٤/ ١٩٧)، وتشرق: اشتدت حمرته بدم، أو بحسن لون أحمر، والشاهد في البيت: أنَّه أنث الفعل شرق بالتاء، مع أنَّ فاعله وهو «صدر» مذكر. ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة، فكأنَّه جعل الفعل للقناة لا لصدرها.

قرأ الجماعةُ: «تأمَنـا» بفتحِ الميم وإدْغام النُّونِ الأُولى في الثَّانية والإشارة إلى إعْرابِ النُّون المدْغمَةِ بالضَّمِّ[١].

قالَ مكيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ: لأنَّ الأصْل «تَأْمَنُنَا» ثُمَّ أُدغمتِ النُّونُ الأُولى، وبقِيَ الإشْمامُ يدُلُّ على ضمَّةِ النُّون الأُولى.

والإشْمَامُ: هو ضمُّ شفَتَيْكَ مِن غيرِ صوْتٍ يُسمعُ، فهوَ بعْدَ الإدغَامِ وقبْل فتْحةِ النُّونِ الثَّانِيةِ. وابْنُ كِيسانَ يُسمِّي الإشمامَ الإشَارةَ، ويُسمِّي الرَّومَ إشْمامًا.

والرَّومُ: صوْتٌ ضعِيفٌ يُسمعُ خفيًّا[٢].

وقرأ أبو جعْفرٍ: «تأمنَّا» بفتْحِ النُّونِ مِن غير إشْمامٍ إلى إعْرابِ المدغمِ[٣]. وقرأ الحسَنُ: «مَالَك لا تأمُنا» بضمِّ الميمِ[٤].

وقرأ ابْنُ مِقسم: «تأمننا» بنونَيْنِ على الأصْلِ[٥]، **والمعْنَى**: مالَك لا تأمنَّا علَى يُوسفَ فتُرسِلُه[٦] معَنا، فإنَّه قد كبُرَ ولا يعْلَمُ شيْئًا مِن أمْرِ المعاشِ.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٤٠٠)، والسبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٤٥).

(٢) انتهى نقله من مكي بن أبي طالب هنا، وانظره في: مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٨٠- ٣٨١).

(٣) أبو جعفر يقرأ بالإدغام المحض بلا إشمام ولا روم. انظر: الإتحاف (ص: ٢٦٢)، وذكر البغوي في تفسيره (٢/ ٤٤١) أنَّ قراءة أبي جعفر هي رواية عن نافع أيضًا.

(٤) قراءة شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٤٢) إلى ابن هرمز، وانظر: الدر المصون (٦/ ٤٤٨).

(٥) قراءة شاذة، عزاها النحاس في إعراب القرآن (٢/ ١٩٤) إلى طلحة ابن مصرف، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٢٤٢) إلى ابن مسعود وطلحة بن مصرف.

(٦) في (ف): فأرسله.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فيما أشرْنا بهِ عليْكَ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصَّحراءِ.

وقالَ مُقاتِلٌ: في الكلامِ تقْدِيمٌ وتأْخِيرٌ، وذلِك أنَّهم قالُوا له: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾، فقالَ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ فقالُوا: ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا﴾[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو عمْرٍو: «نَرْتَعْ ونَلْعَب» بالنُّونِ فيهما، والعينُ ساكنةٌ؛ (وافقَهُم)[2] زيْدٌ عنْ يعْقُوبَ فِي «نرْتَع» فحسْبُ[3].

وفي معْنَى «نَرْتَع» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: (نَلْهُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: نَسْعَ[4]، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالثُ)[5]: نأْكُل؛ يُقالُ: رتَعتِ الإبْلُ؛ إذَا رعَتْ، وأرْتعْتُها؛ إذا ترَكْتُها ترْعَى. قالَ الشَّاعِرُ [من الرمل]:

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢١).

(٢) في (ج) زيادة فيها: إلا أنَّ ابن كثير يكسر العين ويصلها، كما في رواية ابن شنبوذ ووافقهم.

(٣) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٤٥).

(٤) في الأصل: يسعى، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

وَحَبِيبٍ لِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُوا لَهُ لَحْمِي رَتَعْ[١]

أي: أكلَهُ، هذا قوْلُ ابْنِ الأَنْبارِيِّ[٢]، وابْنِ قُتيبةَ[٣].

وقرأ عاصِمٌ، و حمْزةُ، والكِسائِيُّ: «يرْتَع ويلْعَب» بالياءِ فيهِما وجزمَ العَين والبَاء[٤]، يعنُونَ «يُوسفَ». وقرأ نافِعٌ: «نرتعِ» بكسْرِ العَيْن مِن «نرْتَعِ» مِن غيْر بلُوغٍ إلى الياءِ[٥].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ومعْناهَا: نتحَارسُ، ويرْعَى بعْضُنا بعضًا؛ أي: يحْفَظُ؛ ومنْهُ يُقال: رعَاكَ اللهُ؛ أي: حفِظكَ[٦].

و[قدْ][٧] رُويت عنِ ابْنِ كثِيرٍ (أيْضًا: «نرْتَعِي» بإثْباتِ ياءٍ بعْدَ العينِ في الوصْلِ والوقْفِ)[٨][٩]. وقرَأ أنسٌ، وأبُو رجاءٍ: «نُرتِعْ» بنونٍ

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في المفضليات (١٩٠ - ٢٠٢) تعد من علي الشعر وأنفسه، وانظر: ديوانه (ص: ٣١)، والشعر والشعراء (ص: ٢٧٠)، (ص: ٣٨٤)، والزاهر (٢/ ٣١)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٣٨) ولفظ صدره:= =ويُحَيِّينِي إذا لاقَيْتُه.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٢).

(٤) في الأصل: الياء، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٨).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢١٣).

(٧) من (ف).

(٨) ما بين الهلالين ليس في (ج)، واكتفى بقوله: (كما تقدَّم).

(٩) هي رواية ربيعة وابن الصباح عن قنبل، كما في التيسير (ص: ١٣١).

مرْفُوعــةٍ وكَـسْرِ التَّـاء وسُـكونِ العـيْنِ، و«نلْعــب» بالنُّــونِ(١).

قالَ أبُو عُبيدةَ: أيْ: نُرتع إبلَنَا(٢).

فأمَّا قوْلُه تعَالى: {وَنَلْعَبْ} فقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ونلْهُو(٣). [٣٩١/ ب]

فإنْ قيلَ: كيْفَ لم يُنْكِر عليْهِم يعْقُوبُ ذكْرَ اللَّعِبِ؟

فالجوَابُ: مِن وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّهم(٤) لم يكونوا حينئِذٍ أنْبياءَ، قالَهُ أبو عمْرو بْنُ العلاءِ(٥).

والثَّاني: أنَّهم عنُوا مُباح اللَّعبِ، قالَهُ الماورديُّ(٦).

قوْلُــه تعَــالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: يحْزُنُنــي ذهابُكُــم بــهِ؛ لأنَّــه يُفارِقُنِــي فــلَا أراهُ.

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ قــرَأ ابْــنُ كثــيرٍ، ونافِــعٌ، وأبــو عمْــرٍو،

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٢)، وإعراب القراءات الشاذة؛ للعكبري (١/ ٦٨٧)، والهداية؛ لمكي (٥/ ٣٥١٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٠٣).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٤)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٨) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) ليست في (ف).

(٥) أبو عمرو بن العلاء: زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء (٧٠- ١٥٤ هـ) من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، وتوفي بالكوفة. انظر: إنباه الرواة (٤/ ١٢٥)، ومعجم الأدباء (٣/ ٣٤٥)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٣١).

(٦) النكت والعيون (٣/ ١٢).

وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ: «الذِّئبُ» بالهمْزِ فِي الثَّلاثةِ[1] المَواضعِ. وقرأ الكِسائِيُّ، وأبو جعْفرٍ، وشيْبةُ بغيْرِ همْزٍ.

قالَ أبو عليٍّ: «الذِّئبُ» مهمُوزٌ في الأصْلِ، يُقالُ: تَذاءَبتِ الرِّيحُ؛ إذَا جاءَتْ مِنْ كُلِّ جِهةٍ كما يأْتِي الذِّئبُ[2].

وفي علَّةِ تخْصِيصِ[3] الذِّئبِ بالذِّكْرِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه رأى في منامِهِ أنَّ الذِّئبَ شدَّ علَى يُوسفَ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ أرْضَهُم كانتْ كثِيرةَ الذِّئابِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[4].

والثَّالث: أنَّه خافَهُم عليْه فكنَّى بذكْرِ الذِّئْبِ، قالَه الماوردِيُّ[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ **فيهِ قوْلانِ:**

أحدُهما: غافِلُونَ في اللَّعِبِ.

والثَّاني: مُشتَغِلُونَ برعيَّتِكُم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾؛ أي: جماعةٌ نرَى الذِّئبَ قد قصدَهُ ولَا نردُّ عنْهُ ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: عاجِزُونَ.

---

(١) في (ج): الثلاث.

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤٠٨).

(٣) في (ج): تخصيصه.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢١).

(٥) النكت والعيون (٣/ ١٣).

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: ومَن قَرَأَ: «عُصْبَةً» بالنَّصْبِ[١]، فتقْدِيرُه: ونحن نجْتمِعُ عُصْبَةً[٢].

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: ١٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ في الكلامِ اخْتصارٌ وإضْمارٌ، تقْديرُه: فأرْسَلَه معهُم {فلمَّا ذهَبوا وَأَجْمَعُواْ}؛ أي: عزَمُوا علَى أن يجْعَلُوه في غيابَةِ الجُبِّ.

الإِشَارَةُ إِلَى قِصَّةِ ذِهابِهِم

قَالَ المفَسِّرونَ: قالُوا لِيوسُفَ: أمَا تشْتاقُ أنْ تخْرُجَ معَنَا فتلعَبَ وتتصيَّدَ؟ قَالَ: بلَى، قالُوا: فسَلْ أبَاكَ أنْ يُرسِلَك معَنَا، قَالَ: أفْعَلُ، فدَخَلُوا بجماعتِهِم علَى يعْقُوبَ عليه السَّلام، فقَالُوا: يا أبانَا إنَّ يُوسفَ قدْ أحبَّ أنْ يخْرُجَ معَنَا، فقَالَ: ما تقُولُ يَا بُنيَّ؟ قَالَ: نعَمْ يَا أبَتِ! قد أرَى مِن إخْوَتي اللِّينَ واللُّطفَ، فأنَا أُحبُّ أنْ تأذَنَ لي، فأرْسَلَهُ معَهُم، فلمَّا أصْحَرُوا، أظْهَرُوا له ما في أنْفُسِهم مِنَ العداوَةِ، وأغْلَظُوا له القوْلَ، وجعَلَ يلْجأُ إلى هذَا، فيَضرِبُه، وإلى هذَا، فيُؤْذِيه، فلمَّا فطِنَ[٣] لِمَا قد عزَمُوا عليْهِ، جعَلَ يُنادِي: يا أبَتَاهُ، يَا يعْقُوبُ! لو رأيْتَ يُوسفَ ومَا

---

(١) قراءة شاذة، وقراءة النصب بعيدةٌ؛ ووجهه أن يكون حذف الخبر ونصب هذا على الحال؛ أي: ونحن نتعصَّب، أو نجتمع عصبة. انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢)، والتبيان في إعراب القرآن؛ لأبي البقاء العكبري (٢/ ٧٢٥).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٤٢).

(٣) في (ج): نظر.

ينْـزِلُ بـهِ مِـن إخْوَتِـه لأحْزَنَـك ذلِـكَ وأبْـكاكَ، يَـا أبَتَـاه مَـا أسْرعَ مـا نَسُـوا عهْـدَك، وضيَّعُـوا وصِيَّتَـكَ، وجعَـل يبْكِـي بُـكاءًا شـدِيدًا[١].

قـالَ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: فأخَـذَهُ رُوبيـلُ فجلَـدَ بـهِ الأرْض، ثُـم جثَـمَ عـلى صـدْرِه وأرَاد قتْلَـهُ، فقَـال لَـه يُوسـفُ: مهْـلًا يـا أخِـي لا تقْتلْنِـي، قـالَ: يـا ابْـنَ رَاحيـلَ صاحِـبَ الأحْـلامِ، قُـلْ لِرؤْيَـاك تُخلِّصْـكَ مِـن أيدِينَـا، ولَـوَى عُنقَـهُ لِيكسرَهـا، فنَـادى يُوسـفُ: يـا يَهُـوذَا اتَّـقِ اللهَ فيَّ، وخَـلِّ بيْنِـي [٣٩٢/أ] وبـيْنَ مَـن يُريـدُ قتْلِي، فأدْركتْـه لـه رحْمَـةٌ، فقَـال يهُـوذَا: يـا إخْوتَـاهُ، ألَا أدلُّكُـم عـلَى أمْـرٍ هـو خـيْرٌ لكُـم وأرْفَـقُ بـهِ؟ قالُـوا: ومَـا ذَاكَ؟ قـالَ: تُلقونَـهُ[٢] في هـذَا الجُـبِّ فيلْتقِطُـه بعْـضُ السَّـيَّارةِ، قالُـوا: نفعـلُ؛ فانْطلَقُـوا بـهِ إلى الجُـبِّ، فخَلعُـوا قمِيصَـهُ، فقَـالَ: يـا إخْوتَـاهُ! لم نزَعْتُـم قمِيـصي؟ رُدُّوه علَيَّ أسْـترُ بـه عـوْرَتِي ويكُـونُ كفنًـا لي فِي ممـاتِي؛ فأخْـرجَ اللهُ عـزَّ وجـلَّ لـه حَجـرًا في البِئـرِ مُرتفِعًـا مِـنَ المـاءِ، فاسْـتقرَّتْ عليْـهِ قدمَـاهُ.

وقـالَ السُّـدِّيُّ: جعَلُـوا يدْلُونَـهُ فِي البئْـرِ، فيَتعلَّـقُ بشـفِيرِ البِئْـرِ؛ فرَبطُـوا يدَيْـهِ ونزَعُـوا قمِيصَـه، فقَـالَ: يـا إخْوتَـاهُ! رُدُّوا عـلَيَّ قيمِـصي أتَـوارَى بـهِ، فقَالُـوا: ادْعُ الشَّـمْسَ والقمَـرَ والأحَـدَ عـشَرَ كوْكبًـا، فدلُّـوه فِي البئْـرِ، حتَّـى إذا بلَـغَ نِصفَهَـا ألْقـوه إرَادةَ أنْ يمُـوتَ، فـكانَ فِي البئْـرِ مـاءٌ فسـقَطَ فيـهِ، ثُـم أوَى إلى صخْـرَةٍ فيهَـا فقَـامَ عليْهَـا، فلـمَّا ألْقـوه في الجُـبِّ جعَـل يبْكِـي، فنـادوهُ، فظَـنَّ

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٢١).

(٢) في (ف): تلقوه.

أنَّها رحمةٌ أدركتْهُم فأجابَهُم، فأرَادُوا أن يرْضَخُوه بصخْرَةٍ، فمنعَهُم يهوذَا، وكانَ يهوذَا يأتِيهِ بالطَّعامِ[١].

وقالَ كعْبٌ: جمَعُوا يدَيْه إلى عُنُقِه ونزَعُوا قمِيصَه، فبعَثَ اللهُ إليْهِ ملَكًا، فحَلَّ عنْهُ وأخْرجَ له حجَرًا مِنَ الماءِ، فقَعدَ عليْه؛ وكان يعْقُوبُ قدْ أدْرجَ قمِيصَ إبْراهِيمَ الَّذِي كسَاهُ اللهُ إيَّاه يوْمَ أُلقِيَ في النَّارِ فِي قصَبةٍ، وجعَلَها فِي عُنقِ يُوسفَ، فألْبسَهُ إيَّاه الملَكُ حينئذٍ، وأضَاءَ لَهُ الجُبَّ[٢].

وقالَ الحسَنُ: أُلقِي في الجُبِّ، فعَذُبَ ماؤُه، فكانَ يُغْنِيه عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ، فَدخَلَ عليه جبْرِيلُ عليه السلام، فأنِسَ به، فلمَّا أمْسى، نهضَ جِبريلُ لِيذهبَ، فقَالَ له يُوسفُ: إنَّك إذَا خرجْتَ عنِّي اسْتوحَشْتُ، فقَالَ: إذَا رهبْتَ شيْئًا؛ فقُلْ: يا صَرِيخَ المستصْرِخينَ، ويا غوْثَ المستَغِيثِينَ، ويا مُفرِّجَ كرْبِ المكْرُوبِينَ، قد ترَى مكانِي وتعْلَمُ حالِي ولا يخْفَى عليْكَ شيْءٌ مِن أمْرِي.

فلمَّا قالها حفَّتْهُ الملائكةُ، فاسْتأنَسَ فِي الجُبِّ ومكثَ فيهِ ثلاثةَ أيَّامٍ، وكانَ إخْوتُه يرْعَونَ حوْلَ الجُبِّ.

وقالَ مُحمَّدُ بنُ مُسلِمٍ الطَّائِفيُّ: لَمَّا أُلقِي يُوسفُ في الجبِّ، قالَ: يَا شاهِدًا غيْرَ غَائبٍ، ويا قرِيبًا غيْرَ بعِيدٍ، ويا غالِبًا غيْرَ مغْلُوبٍ، اجْعلْ لي

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٧٣- ٥٧٤)، عن أسباط، عن السدي، وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ٣٣٢) بنفس الإسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠٨-٢١٠٩) (١١٣٧٥- ١١٣٧٦) من طريق أسباط به.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٢١).

فرجًا ممَّا أنا فيهِ؛ قالَ: فما باتَ فيهِ[١].

وفي مقدارِ سِنِّهِ حِينَ أُلْقِي في الجُبِّ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: اثْنتَا عشرَ سنةً، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّانِي: ستُّ سِنِينَ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: سبْعَةَ عشرَ [سنةً][٢]، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ، ورُوي عنِ الحسَنِ أيضًا.

والرَّابع: ثمانِيةَ عشرَ [سنةً][٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ **فيهِ قوْلانِ:**

أحدُهما: أنَّه إلهامٌ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه وحْيٌ حقِيقةً.

قالَ المفَسِّرونَ: أُوحي إليْه لتُخْبرنَّ إخْوتَك بأمْرِهِم؛ أي: بما صَنعُوا بكَ وأنْت عالٍ عليْهِم.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ **قوْلانِ:** [٣٩٢/ ب]

أحدُهما: لا يشْعُرونَ أنَّك يُوسفُ وقْتَ إخْبارِك لهُم، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُقاتِلٌ[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٠٣).

(٢) من (ج).

(٣) من (ج).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢١).

والثَّاني: لا يشْعُرونَ بالوحْيِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادةُ، وابْنُ زيْدٍ.

فعلَى الأوَّلِ يكونُ الكلامُ مِن صلَةِ «لَتُنبِّئَنَّهُم»؛ وعلَى الثَّاني مِن صلةِ «وأوْحَيْنا إليْهِ» قالَ حُميدٌ: قلْتُ للحسَنِ: أيَحْسُدُ المؤمِنُ المؤمِنَ؟ قالَ: لَا أبا لَكَ، مَا نسَّاكَ بنِي يعْقُوبَ؟[1].

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٦ - ١٧].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾.

وقرَأ أبو هُريرةَ، والحسَنُ، وابنُ السَّميْفَعِ، والأعْمَشُ: {عُشَاءً} بضَمِّ العَينِ[2].

قالَ المفسِّرُون: جاءُوا وقتَ العتَمَةِ ليكونُوا أجْرأَ في الظُّلْمةِ على الإعْتذارِ بالكذِبِ، فلمَّا سمِعَ صوْتَهم فزِعَ، وقالَ: ما لَكُم يا بَنِيَّ، هلْ أصابَكُم في غنَمِكُم شيْءٌ؟ قالُوا: لَا، قالَ: فمَا أصابَكُم؟ وأيْنَ يُوسفُ؟ ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ ﴾.

وفيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: نَنْتَضِلُ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، وابْنُ قُتيبةَ، قالَ: والمعْنَى، يُسابِقُ بعْضُنا بعضًا في الرَّمْيِ[3].

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٠٣)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ١٢).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٣)، وتوجيهها في المحتسب (١/ ٣٣٥)، وقراءة الحسن (عُشًى) على مثال (دجًى).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٣).

والثَّاني: نشْتَدُّ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

والثَّالث: نتَصيَّدُ، قالَهُ مُقاتِلٌ[١].

فيكونُ المعْنَى على الأوَّل: نسْتَبِق في الرَّمي لِننظرَ أيُّنا أسْبق سهمًا؛ وعلَى الثَّاني: نستَبِقُ على الأَقْدامِ؛ وعلَى الثَّالث: للصَّيْدِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾؛ أي: ثِيابِنا. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾؛ أي: بمُصدِّقٍ.

وفي قوْلِه: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: وإنْ كُنَّا قد صدقْنَا، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والثَّاني: لو كُنَّا عنْدكَ مِن أهْلِ الصِّدْقِ لَاتَّهَمْتَنَا فِي يُوسفَ لِمحبَّتِكَ إيَّاهُ، وظنَنْتَ أنَّا قد كذَبْنَاكَ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢].

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

قالَ اللُّغويُّونَ: معْنَاه: بدَمٍ مكْذُوبٍ فيهِ، والعربُ تجْعلُ المصْدَرَ في كثيرٍ مِنَ الكلامِ مفعُولًا، فيقُولُونَ للكذِبِ: مكْذُوبٌ، وللعَقْلِ: معْقولٌ، وللجلْدِ: مجْلُودٌ، قالَ الشَّاعِرُ [من الكامل]:

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٦).

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ   لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولَا[١]

أراد: عقلًا. وقالَ الآخَرُ [من الكامل]:

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ   بُلِغَ العَزَاءُ وَأُدْرِكَ الْمَجْلُودُ[٢]

يُريد: أُدْرِكَ الجلد.

ويقُولُونَ: ليْسَ لِفلانٍ عقْدُ رأْيٍ، ولَا معْقُودُ رأْيٍ، ويقُولُون: هذا ماءٌ سَكْبٌ، يُريدُون: مسْكوبًا، وهذَا شرَابٌ صَبٌّ، يُريدونَ: مصْبوبًا، وماءٌ غوْرٌ، يعْنُون: غائِرًا، ورجُلٌ صوْمٌ، يُريدُون: صائمًا، وامْرأةٌ نوْحٌ، يُريدُون[٣]: نائِحَةً؛ وهذا الكلَام مجْموعُ قوْلِ الفرَّاءِ[٤]، والأَخْفشِ[٥]، والزَّجَّاجِ[٦]، وابْنِ قُتيبةَ[٧] في آخرِينَ.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أخَذُوا جدْيًا فذَبَحُوه، ثُمَّ غمَسُوا قمِيصَ يُوسفَ

---

(١) البيت للراعي النمري في ديوانه (ص: ٢١٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٨٣)، وأساس البلاغة (١/ ٦٧٠)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٧٣٧)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٨)، والزاهر (١/ ٣٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٨١).

(٢) البيت لجرير في ديوانه (ص: ٣٣٧)، وبلا نسبة في المخصص (١٤/ ٢٠١)، وأمالي المرتضي (١/ ١٠٦)، ولفظ صدره في المصادر: إن التذكر فاعْذِلَاني أوْدَعَا.

(٣) في الأصل، و(ج): يعنون، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٨).

(٥) معاني القرآن (١/ ٣٩٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٦).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢١٣).

في دَمِـهِ، وأَتَـوْهُ بـهِ وليْـس فيـهِ خـرْقٌ، فقَـالَ: كذبْتُـم، لـو كانَ أَكَلَـهُ الذِّئـبُ لخَـرقَ القَمِيـصَ[١]. وقـالَ قتـادَةُ: كانَ دمَ ظَبيَـة[٢].

وقـرَأ ابْـنُ أبي عبْلَـةَ: {بِـدَمٍ كَذِبًـا} بالنصب[٣]. وقـرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، والحَسَـنُ، وأبـو العالِيَـةِ: «بِـدَمٍ كَـدِبٍ» بالـدَّالِ غير مُعجمـةٍ، أي: بدَمٍ طـريٍّ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾؛ أي: زيَّنَـتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ غـيْرَ مـا تصِفُـونَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قـالَ الخليـلُ: المعنـى: فشـأْنِي صـبْرٌ جميـلٌ، والَّـذِي أعْتقـده صـبْرٌ جميـلٌ.

وقـالَ الفـرَّاءُ: الصَّـبْرُ مرْفُـوعٌ؛ لأنَّـه عـزَّى نفْسَـه، وقـالَ: مَـا هـوَ إلَّا الصَّـبْرُ، ولـو أمَرَهُـم بالصَّـبر، لـكانَ نصْبًـا.

وقالَ قُطربُ: المعْنَى: فصبْرِي صَبْرٌ جميلٌ.

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وأُبَيٌّ، وأبو المتوكِّلِ: «فصبْرًا جمِيلًا» بالنَّصْبِ[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٠) (١١٣٨٥)، عن السدي.

(٢) أخرجـه ابـن أبي حاتـم (٢١١١) (١١٣٩٣) مـن طريـق سـعيد، عـن قتـادة: قولـه: {وجـاؤ عـلى قميصـه بـدم كـذب} قـال: صـادوا ظبيًـا فذبحـوه فلطخـوا بـه القميـص، فجعـل يقلـب القميـص فيقـول: مـا أرى بـه أثـر نـاب ولا ظفـر، إن هـذا لسـبع رحيـم.

(٣) قراءة شاذة، شواذ القراءات (ص: ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ٤٥٧).

(٤) قراءة شاذة، انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٣٠)، والمحتسب (١/ ٣٣٥)، وعزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٤٣) إلى أبي السمال، وانظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٣).

(٥) قـراءة شـاذة، انظـر: شـواذ ابـن خالويـه (ص: ٦٣)، وشـواذ القـراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٤٣)، وإعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٢/ ١٩٥).

قال الزَّجَّاجُ: والصَّبْرُ الجميلُ، لا جزَع فيهِ، ولا شكْوَى إلى النَّاسِ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: على مَا تصِفُونَ مِنَ الكذِبِ.

والثَّاني: على احْتِمَال مَا تصِفُونَ.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٩﴾ [يوسف: ١٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾؛ أي: قومٌ يسِيرُونَ.

﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ قالَ الأخْفشُ: أنَّث السَّيارةَ وذكَّر الوَارِدَ؛ لأنَّ السَّيَّارة فِي المعْنَى للرِّجالِ[٢]. وقالَ الزَّجَّاجُ: الوَارِدُ: الَّذي يرِدُ الماءَ لِيستقيَ للْقوْمِ[٣].

وفِي اسْمِ هذَا الوَارِدِ قوْلَانِ:

أحدهما: مالِكُ بْنُ ذَعْر بْنِ بُويبَ بْنِ عيْفَا بْنِ مَدْينَ[٤] بْنِ إبْراهِيمَ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّاني: مُجْلِثُ[٦] بْنُ رَعْوِيلَ، قالَهُ وهبُ بْنُ مُنبِّهٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٦).

(٢) معاني القرآن (١/ ٣٩٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٧).

(٤) في تفسير الطبري: عفقان بن مَدْيانَ.

(٥) تنوير المقباس (ص: ١٩٥)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٦).

(٦) في (ج): مجلز.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾؛ أي: أَرْسلَها.

قال الزَّجَّاجُ: يُقال: أَدْلَيْتَ الدَّلوَ؛ إذا أرْسلْتَها لِتملأَهَا ودلوْتَها؛ إذا أخْرجْتَها[١].

﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ قرَأهُ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: [«يا بُشْرايَ»][٢] بفتْح الياءِ[٣] وإثْباتِ الألِفِ. وروى ورْشٌ عن نافِعٍ: «بُشْرَايْ» و«محْيايْ» [الأنعام ١٦٢] و«مثْوايْ» [يوسف: ٢٣] بسُكونِ الياءِ[٤].

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «يا بُشْرَى» بألِفٍ بغَيْر ياءٍ. وعَاصِمٌ بفتْحِ الرَّاءِ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ يُمِيلَانِهَا[٥].

قالَ الزَّجَّاجُ: مَن قرأ: «يا بُشْرايَ» فهذَا النِّداءُ لِتنْبِيه المُخاطَبِينَ[٦]؛ لأنَّ البُشْرى لا تُجِيب ولا تعْقِلُ؛ فالمعْنَى: أَبْشِرُوا، ويا أيُّها البُشْرى هذَا مِن أوَانِكِ[٧].

وكذلِكَ إذا قلْتَ: يا عجباهُ، فكأنَّك قلْتَ: اعْجبُوا، ويا أيُّها العَجبُ هذَا مِن حينِكَ، وقد شرحْنا هذَا المعْنَى [هود: ٦٩- ٧٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٧).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في (ج): الباء.

(٤) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة (ص: ٣٤٧)، وليست من طريق الشاطبية والتيسير ولا النشر.

(٥) قراءتان سبعيَّتان، انظرهما مع إمالة الأخوين وتقليل ورش في التيسير (ص: ١٢٨).

(٦) في (ج)، و(ف): تنبيه للمخاطبين.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٧).

فأمَّا قِراءةُ مَنْ قرَأَ: «يَا بُشْرَى» فيجوز أن يكُونَ المعْنَى: يا مَنْ حضَرَ! هذِه بُشرى. ويجُوزُ أن يكونَ المعْنَى: يا بُشرى هذَا أوَانُكِ على ما سبَقَ بيانُه مِن تنْبيهِ الحاضِرينَ.

وذكر السُّدِّيُّ أنَّه نادَى بذَلِكَ أحَدَهُم وكانَ اسْمُه بُشْرَى[1].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: يجُوزُ فيهِ هذِهِ الأقْوَالُ، ويجُوز أنْ يكُونَ اسْمَ امْرَأَةٍ.

وقرَأَ أبو رَجاءَ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «يا بُشْرَيَّ» بتَشْديدِ الياءِ وفتْحِهَا مِن غيْرِ ألِفٍ[2].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لَمَّا أدْلَى دلْوَهُ؛ تعلَّقَ يُوسفُ بالحبْلِ فنَظَر إليْهِ؛ فإذا غُلامٌ أحسَنُ مَا يكونُ مِنَ الغِلْمانِ، فقَالَ لأصْحابِه: البُشْرى، فقالُوا: مَا وراءَكَ؟ قالَ: هذَا غُلامٌ فِي البئْرِ، فأقْبلُوا يسْألُونَهُ الشَّرِكةَ فيهِ، واسْتخْرجُوه مِنَ الجُبِّ، فقَالَ بعْضُهم لِبعْضٍ: اكْتُموهُ عنْ أصْحابِكُم؛ لئلَّا يسْألُونَكُمُ الشَّرِكَةَ فيهِ، فإنْ قالُوا: مَا هذَا؟ فقولُوا: اسْتبْضَعْنَاهُ[3] أهْلُ الماءِ لِنبيعَه لهُم بِمصْرَ؛ فجاءَ إخْوةُ يُوسفُ فطَلَبُوه فلم يجِدُوه فِي البئْرِ، فنَظَرُوا، فإذا هُمْ بالقوْمِ ومعَهُم يُوسفُ، فقَالُوا لهُم: هذا غُلامٌ أبِقَ مِنَّا، فقَال مالِكُ [٣٩٣/ ب]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣) (١٨٨٨٦)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ٣٣٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٣) (١١٤٠٩) من طريق يحيى بن آدم عن قيس بن الربيع عن السُّدِّي في قوله: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ قال: كان اسم صاحبه بُشْرَى.

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٣٦)، وشواذ القراءات (ص: ٢٤٣)، وعزاها إلى ابن أبي إسحاق والجحدري وابن أبي عبلة.

(٣) في (ف): استبضعنا.

بْـنُ ذَعْـر: فأنَـا أشْـتريهِ منكُـم، فبَاعُـوه بعِشْريـنَ دِرْهمًـا وحُلَّـةٍ ونعْلَـيْنِ، وأسَرَّهُ مالِـكُ بْــنُ ذَعْــر مِــن أصْحابِــه، وقــالَ: اسْــتبضعَنَاهُ أهْــلُ المــاءِ لِنبيعَــه لهُــم بمِـصرَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾.

قــالَ الزَّجَّــاجُ: «بِضَاعَــةً» منْصُــوبٌ عــلى الحَــالِ، كأَنَّــه قــالَ: وأَسَرُّوهُ جَاعِليــهِ بِضَاعَــةً[١].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: أَسَرُّوا فِي أنْفُسِهِم أنَّه بِضاعَةٌ وتِجارٌ[٢].

فِي الفاعِلينَ لِذلِكَ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهُـم وَارِدُو الجُـبِّ. أَسرُّوا ابْتِياعَــهُ عــنْ باقِــي أصْحابِهِــم، وتوَاصَــوا أنَّــه بِضاعَــةٌ اسْــتبضعَهُم إيَّاهَــا أهْــلُ المــاءِ؛ وقــد ذكرْنَــا هــذا المعْنَــى عــنِ ابْــنِ عبَّــاسٍ، وبــهِ قــالَ مُجاهِــدٌ.

والثَّـانِي: أنَّهُـم إخْوتُـهُ، أسَرُّوا أمْـرَه وبَاعُـوهُ، وقالُـوا: هُـوَ بِضاعَـةٌ لنَـا، وهــذَا المعْنَــى مــرْوِيٌّ عــنِ ابْــنِ عبَّــاسٍ أيْضًــا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ يعُمُّ الباعةَ والمشْتَرِينَ.

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسـف: ٢٠].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٤).

قوْلـه تعَـالى: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ هـذا حـرفٌ مِـن حُـروفِ الأضْـدَادِ، تقُـولُ: شريْـتُ الـشَّيْءَ، بمعْنَـى: بعْتُـه؛ وشرَيْتُـه؛ بمعْنَـى: اشْـتَرَيْتُه.

فإنْ كانَ بمعْنَى باعُوهُ؛ ففِيهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم إخْوتُه، وهوَ قوْلُ الأكْثَرِينَ.

والثَّاني: أنَّهُمُ السَّيَّارةُ، ولم يبِعْهُ إخْوتُه، قالَهُ الحسَنُ، وقتادَةُ.

وإنْ كانَ بمعْنَى: اشْتروهُ؛ فإنَّهُمُ السَّيَّارةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الحرَامُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ فِي آخَرِينَ.

والثَّاني: أنَّه القَلِيلُ، قالَهُ عِكْرِمةُ، والشَّعْبِيُّ.

قالَ ابْنُ قُتيْبَةَ: البخْسُ: الخَسِيسُ الَّذِي بخِس بهِ البَائِعُ[١].

والثَّالِـثُ: النَّاقِـصُ، وكانـتِ الدَّراهِـمُ عِشريـنَ [دِرْهمًـا][٢] في العـدَدِ، وهـيَ تنْقُـصُ عـنْ عِشريـنَ في الميـزَانِ، قالَـهُ أبـو سُـليْمانَ الدِّمَشْـقِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٍ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: إنَّما قِيل: «مَعْدُودَةٍ» لِيُستدَلَّ بهِ[٣] علَى القِلَّةِ[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في (م): بها.

(٤) غريب القرآن (٢/ ٤٠).

وقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: يَسِيرةً، سهُلَ عددُهَا لِقِلَّتِها، فلوْ كانَتْ كثِيرةً لثَقُل عددُهَا[١].

وقال ابْنُ عبَّاسٍ: كانُوا في ذلِكَ الزَّمَانِ لا يزِنُونَ أقَلَّ مِن أرْبَعِينَ دِرْهمًا. وقِيلَ: إنَّما لم يزِنُوها لِزُهْدِهِم فيهِ.

وفِي عدَدِ تلْكَ الدَّراهِمِ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: عشْرُون دِرهمًا، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ (فِي رِوايةٍ، وعكْرِمةُ فِي رِوايةٍ، ونوْفٌ الشَّامِيُّ، ووهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ، والشَّعبِيُّ، وعطِيَّةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ فِي آخرِينَ)[٢].

والثَّاني: عشْرُونَ دِرهمًا وحُلَّةٌ، ونعْلانِ، رُوِيَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالث: اثنانِ وعشْرُونَ دِرهمًا، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ.

والرَّابع: أرْبعُون دِرهمًا، قالَه عِكرِمَةُ فِي رِوايةٍ، وابْنُ إسْحاقَ. [٣٩٤/أ]

والخامِس: ثلاثُونَ دِرهمًا، ونعْلَانِ، وحُلَّةٌ، وكانُوا قالُوا له بالعبْرَانيَّةِ: إمَّا أنْ تُقِرَّ لنا بالعُبودِيَّةِ، وإمَّا أنْ نأْخُذَكَ منْهُم فنَقْتُلَك، قالَ: بلْ أُقِرُّ لكُم بالعبُوديَّةِ، ذكَرَهُ إسْحاقُ بْنُ بِشْرٍ[٣] عنْ بعْضِ أشْياخِه.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٤).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٣) هو: إسحاق بن بشر الكاهلي، أبو يعقوب الكوفي، له كتاب المبتدأ، كذَّاب، يضع الحديث. قال أبو زرعة: كان يكذب، يحدث عن مالك وأبي معشر بأحاديث موضوعة. وقال أبو=

قالَ المفَسِّرُونَ: اقْتَسَمُوا ثَمَنَهُ، فاشْتَرَوا بِهِ نِعالًا وخِفافًا.

وكانَ بعْضُ الصَّالِحِينَ يقُولُ: واللهِ ما يُوسفُ ـ وإنْ باعَهُ أعْداؤُهُ ـ بأعْجَبَ منْكَ فِي بيعِكَ نفْسَكَ بِشهْوَةِ ساعَةٍ مِنْ معاصِيكَ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ **الزُّهد:** قِلَّةُ الرَّغبةِ فِي الشَّيْءِ.

وفِي المشَارِ إلَيْهِمْ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم إخْوتُه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

فعلَى هذا فِي هاءِ «فِيهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترْجِعُ إلى يُوسفَ؛ لأنَّهُم لم يعْلَمُوا مكانَهُ مِنَ اللهِ تعَالى، قالَهُ الضَّحَّاكُ، وابْنُ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى الثَّمَنِ.

وفِي علَّةِ زُهْدِهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: رداءَتُهُ.

والثَّاني: أنَّهم قصَدُوا بُعْدَ يُوسفَ، لَا الثَّمنَ.

والثَّاني: أنَّهُمُ السَّيَّارةُ الَّذِين اشْتَرَوهُ.

=حاتم: كان يكذب. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: كذاب. وقال ابن عدي: هو في عداد من يضع الحديث. توفي سنة (٢٢٨ هـ). انظر: الجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم (٢/ ٢١٤)، والكامل؛ لابن عدي (١/ ٥٥٥)، وميزان الاعتدال؛ للذهبي (١/ ١٨٨).

وفي عِلَّةِ زُهدِهِم [فيه][١] **ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدُها: أنَّهم ارْتَابُوا لِقلَّةِ ثمنِهِ.

والثَّاني: أنَّ إخْوتَهُ وصَفُوه عنْدَهُم بالخِيانَةِ والإِبَاقِ.

والثَّالث: أنَّهم[٢] علِمُوا أنَّه حُرٌّ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾.

قالَ وهْبٌ: لَمَّا ذهبَتْ[٣] بِهِ السَّيَّارةُ إلى مصْرَ، وقفُوهُ في سُوقِها يَعْرِضُونَهُ[٤] للبيْعِ، فتَزايَدَ النَّاسُ في ثمَنِه حتَّى بلغَ ثمَنُه[٥] ووَزْنَه مِسْكًا، وَ[وَزْنُهُ][٦] ورِقًا، وَوَزْنُهُ حريرًا، فاشْتَراه بذلِك الثَّمنِ رجُلٌ يُقالُ لهُ: قِطْفِيرُ، وكانَ أمِينَ فرْعَونَ وخازِنَهُ، وكانَ مُؤمِنًا[٧].

---

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) في (ج)، و(ف): لأنهم.

(٣) في الأصل: ذهب، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (ج): عرْضًا.

(٥) ليست في (ج).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٢٩).

وقـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: إنَّـما اشْـتَرَاهُ قِطْفِـيرُ مِـن مالِـكِ بْـنِ ذَعْـرٍ بعشْرِيـنَ دِينـارًا، وزَوجَـيْ نعْـلٍ، وثَوْبـينِ أبْيَضَـيْنِ، فلـمَّا رجَـعَ بِـهِ[1] إلى منْزِلِـه قـالَ لِامْرأتِـهِ: أكْرِمِـي مثْـوَاهُ[2]. وقـالَ قـوْمٌ: اسْـمُه: إطْفِـيرُ[3].

وفي اسْمِ المرْأةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: رَاعِيلُ بِنْتُ رَعَابِيلَ[4]، قالَه ابْنُ إسْحاقَ[5].

والثَّانِي: أُزْليخَا بِنْتُ تمليخَا، قالَهُ مُقاتِلٌ[6].

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ يعْنِـي: أكْرِمِـي[7] منْزِلَـهُ ومُقامَـهُ عنْـدَكِ، مِـن قوْلِـكَ: ثَوَيْـتَ بالمكـانِ: إذَا أقمْـتَ بـهِ[8].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أحْسِنِي إليْهِ في طُولِ مُقامِه عنْدَنَا[9].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٩٤١)، وابن أبي حاتم (١١٤٣٣) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وانظر هذا اللفظ في: تنوير المقباس (ص: ١٩٥)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٢٥)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٥٢٨-٥٢٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٧)، وفيه: إطفير بن روحيب.

(٤) في نسخة: رعايل، أو رعائيل.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ٣٣٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٧) (١١٤٣٦).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٧).

(٧) ليست في (ج)، و(ف).

(٨) غريب القرآن (ص: ٢١٤).

(٩) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٨).

قَالَ ابْنُ مسْعُودٍ: أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلاثَةٌ: العَزِيزُ حِينَ تَفَرَّسَ فِي يُوسُفَ، فقَالَ لِامْرأَتِهِ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، وَابْنَةُ شُعَيْبٍ حِينَ قَالَتْ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾[القصص: ٢٦]، وأبو بكْرٍ حينَ اسْتَخْلَفَ عُمرَ[١].

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: يكفِينَا إذَا بلَغَ أُمورَنَا.

والثَّاني: بالرِّبحِ فِي ثمَنِهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: نَتبنَّاهُ[٢]. وقَالَ غيْرُه: لم يكُن لهُما ولَدٌ، وكانَ العَزِيزُ لا يأْتِي النِّسَاءَ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٧٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥- ٣٤٦)، والخلال في السنة (٣٤٠) من طريق وكيع، وأخرجه الطبراني (٨٨٢٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ٥٠٦) من طريق محمد بن كثير، عن سفيان، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٨) (١١٤٣٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٧٣) من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، ابن مسعود، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١١٣)، ومن طريقه الطبراني (٨٨٣٠) عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن ناس من أصحاب عبد الله بن مسعود، قالوا: قال عبد الله... فذكره، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٩٥)، وذكره الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩) بدون نسبة.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾؛ أي: وكـما أنْجيْنَـاه مِـن [٣٩٤/ ب] إخْوتِـه وأخْرجْنَـاهُ مِـنْ ظُلْمَـةِ[١] الجُـبِّ، مكنَّـا لـه فِي الأرْضِ؛ أي: ملَّكنَـاهُ في أرْضِ مِـصْرَ فجعلْنَـاهُ عـلَى خزَائِنِهَـا.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: إنَّـما دخلَـتِ الـوَاوُ فِي «وَلِنُعَلِّمَـهُ» لِفعْـلٍ مُضمَـرٍ هـوَ المجتلِـبُ لـلَّامِ[٢]، والمعْنَـى: مكنَّـا لِيوسُـفَ في الأرْضِ، واخْتصَصْنَـاهُ بذلِـكَ لِكـي نُعلِمَـه مِـن تأْوِيـلِ الأحَاديـثِ[٣].

وقد سبَقَ تفْسِيرُ تأويلِ الأحَاديثِ [يوسف: ٦].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ فِي هاءِ الكِنايَةِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا ترجِـعُ إلى اللهِ عـزَّ وجـلَّ. فالمعْنَـى: أنَّـه غالِـبٌ علَى مـا أرَادَ مِـن قضَائِـهِ، وهـذَا معْنَـى قـوْلِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٤].

والثَّـاني: أنَّهـا ترجِـعُ إلى يُوسـفَ، فالمعْنَـى: غالِـبٌ علَى أمْـرِ يُوسـفَ حتَّى يبلِّغَـه مـا أرَادَهُ لـه، وهـذا معْنَى قـوْلِ مُقاتـلٍ[٥].

وقـالَ بعْضُهـم: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ حيْـثُ أمَـر يعْقـوبُ يوسـفَ أنْ لا يقُـصَّ رُؤيـاهُ عـلى إخْوتِـه، فعلِمُـوا[٦] بهـا، ثُـمَّ أرادَ يعْقُـوبُ أنْ لا يَكِيـدُوهُ

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ف): للأمر.

(٣) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ٦١).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٢٧).

(٦) في (ج): فيعلموا.

فكَادُوهُ، ثُمَّ أرادَ إخوةُ يوسفَ قتْلَهُ فلم يُقدَّرْ لهُم، ثمَّ أرادُوا أنْ يلْتَقطَه بعْضُ السَّيَّارةِ فينْدَرس أمْرُه، فعَلَا أمْرُه، ثُمَّ باعوهُ لِيكونَ مملُوكًا، فغلَبَ[1] أمْرُه حتَّى ملَك، وأرَادُوا أن يعْطُفوا أبَاهُم فأبَاهُم، ثُمَّ أرَادوا أن يغروا يعْقُوبَ بالبُكاء والدَّم الَّذي ألقَوْه على القميص، فلم يَخْفَ عليْه، ثُمَّ أرَادُوا أن يكُونوا [مِنْ][2] بعده قوْمًا صالِحِين، فنَسُوا ذنْبَهُم إلى أن أقرُّوا به بعْدَ سنين؛ فقَالُوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾، ثُمَّ أرَادُوا أن يمْحُوا محبَّته مِنْ قلْبِ أبيهِ، فازْدَادتْ، ثُم أرَادَتْ أزْليخَا[3] أنْ تُلقِيَ عليه التُّهمةَ بقوْلِها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ فغلَبَ أمْرُه، حتَّى شهِدَ شَاهِدٌ مِن أهْلِها، وأرادَ يُوسفُ أنْ يتخلَّصَ مِنَ السِّجنِ بذكْرِ السَّاقِي، فنَسِيَ السَّاقِي حتَّى لبِثَ في السِّجْن بِضعَ سِنِينَ[4].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ قد ذكرْنَا معْنَى الأَشُدِّ في الأنْعَامِ [آية: ١٥٢].

واخْتلَفَ العُلماءُ في المرادِ بِهِ هَاهُنا على ثمانِيةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ثلاثٌ وثلاثونَ سنَةً، رَواهُ سعيدُ بنُ جُبيرٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[5]، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ[6]، وقتادَةُ.

---

(١) في (ف): فغلب على.

(٢) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) في (ج): زليخا.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٥٤٥- ٥٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٩)، وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ٢١).

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٥٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢) (١٨٩٥٧).

والثَّاني: ثَماني عشرةَ سنَةً، قالَهُ[١] أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عِكرِمَةُ.

والثَّالث: أرْبعُونَ سنَةً، قالَهُ الحسَنُ[٢].

والرَّابع: بلُوغ الحُلمِ، قالَهُ الشَّعْبِيُّ، ورَبيعةُ[٣]، وزيْدُ بنُ أسْلمَ، وابْنُه.

والخامِس: عِشرونَ سنَةً، قالَهُ الضَّحَّاكُ[٤].

والسَّادس: أنَّه مِن نحْوِ سبعَ عشرَةَ سنَةً إلى نحْوِ الأرْبَعِينَ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

والسَّابع: أنَّه بُلوغُ ثمانٍ وثلاثِينَ سنَةً، حكَاهُ ابْنُ قُتيبةَ[٦].

والثَّامن: ثَلاثُون سنَةً، ذكرَهُ بعْضُ المفَسِّرينَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ءَاتَيْنَهُ حُكْمًا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الفِقهُ والعقْلُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: النُّبوَّةُ، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

---

(١) في (ج): رواه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١١٧) (١١٤٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حات في تفسيره (٩/ ٢٩٥١) (١٦/ ١٦٧٤١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٨) إلى ابن أبي حاتم عن ربيعة.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣)، وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ٢١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

والثَّالثُ: أنَّه جُعِلَ حكيمًا، (قالَهُ الزَّجَّاجُ)[١]، [قالَ][٢]: وليسَ كُلُّ عالمٍ حكيمًا، إنَّما الحكيمُ: العالِمُ المستعمِلُ علْمَهُ، المُمْتنِعُ بهِ مِنِ اسْتعْمالِ ما يُجهَلُ فيهِ[٣].

والرَّابع: أنَّه الإصابَةُ في القوْلِ، ذكرَهُ الثَّعْلبيُّ[٤].

قالَ اللُّغويُّونَ: الحُكْمُ عنْدَ العرَبِ ما يَصْرِفُ عنِ الجَهْلِ والخطَأِ، ويمْنَعُ منْهُما، ويرُدُّ النَّفْسَ عمَّا يُشِينُها ويعُودُ عليها بالضَّررِ، ومنْهُ: حَكَمَةُ [٣٩٥/أ] الدَّابَّةِ.

وأصْلُ أحْكَمْتُ في اللُّغةِ: مَنَعْتُ، وسُمِّي الحاكمُ حاكمًا؛ لأنَّه يمْنعُ مِنَ الظُّلْمِ والزَّيغِ.

وفي المَرادِ بالعِلْمِ هاهُنا قوْلانِ:

أحدُهما: الفِقْه.

والثَّاني: علْمُ الرُّؤيا.

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: ومثْلُ ما وصفْنا مِن تعلُّمِ[٥] يُوسفَ وحِراستِهِ، نُثِيبُ مَن أحْسَنَ عملَهُ، واجْتَنَبَ المعاصِي،

---

(١) ليس في (ج).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩).

(٤) الكشف والبيان (١٤/ ٥٣٨).

(٥) في (ج)، و(ف): تعليم.

فنُنجِّيه مِنَ الهلَكَةِ، ونَسْتنقِذُه مِنَ الضَّلالةِ فنجعلُه مِنْ أهْلِ العِلْمِ والحِكمَةِ كَما فعلْنَا بيُوسفَ.

وفي المرَاد بالمحْسِنينَ هَاهُنا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: الصَّابِرُونَ علَى النَّوائِبِ.

والثَّاني: المهْتَدُونَ، رُويَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: المؤمِنُونَ.

قالَ مُحمَّدُ بْنُ جَريرٍ: هذَا، وإنْ كانَ مَخْرَجُ ظاهرِهِ علَى كُلِّ مُحسنٍ، فالمرَادُ بهِ مُحمَّدٌ ﷺ، **والمعْنَى:** كَما فعلْتُ بيُوسفَ بعْدَ مَا لَقِيَ مِنَ البَلاءِ فمَكَّنْتُهُ في الأرْضِ وآتيْتُه العِلْمَ، كذلِكَ أفعلُ بكَ وأُنجِّيكَ مِن مُشركِي قوْمِكَ[1].

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عنْ نفسِهِ﴾؛ أي: طلَبَتْ منْهُ المُوَاقعَةَ، وقد سبَقَ اسمُهَا.

قالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى:** رَاودَتْهُ عمَّا أرَادَتْهُ ممَّا يُريد النِّساءُ مِنَ الرِّجالِ[2].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩).

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: «هَيتُ لَكَ» بفتحِ الهاءِ، وتسكينِ الياءِ، وضمِّ التَّاء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «هِيتَ لَكَ» بكسرِ الهاءِ، وتسكينِ الياءِ، وفتحِ التَّاءِ، وهيَ مرويةٌ عنْ عليِّ بْنِ أبي طَالِبٍ.

وروى الحُلوانيُّ عنْ هِشامٍ، عنِ ابنِ عَامرٍ مثلَه، إلَّا أنَّه همَزَهُ. قالَ أبو عليٍّ الفَارسيُّ: هو خطأٌ[١].

ورُوي عنِ ابنِ عامرٍ: «هِئتُ لَكَ» بكسْرِ الهاءِ، وهمْزِ اليَاءِ، وضمِّ التَّاءِ، وهِيَ قِراءَةُ ابنِ عبَّاسٍ، وأبي الدَّرْداءِ، وقتَادَةَ[٢].

قالَ الزَّجَّاجُ: وهو[٣] مِنَ الهيْئَةِ، كأنَّها قالَتْ: تَهيَّأتُ لَكَ[٤].

وعنِ ابنِ مُحيْصنٍ، وطلحَةَ بْنِ مُصرِّف مثْلُ قِراءةِ ابْنِ عبَّاسٍ؛ إلَّا أنَّها بغَيْر همْزٍ، (وعنِ ابنِ مُحيصنٍ بفتْحِ الهَاءِ وكسْرِ التَّاءِ، وهِي قِراءةُ أبي رَزِينٍ، وحُميدٍ)[٥].

وعنِ الوَليدِ بْنِ عُتبةَ بكسْرِ الهَاءِ والتَّاءِ معَ الهمْزِ، وهيَ قِراءةُ أبي العاليةِ، وقرَأ ابنُ خُثيْمٍ مثْلَه، إلَّا أنَّه لم يهمِزْ.

وعنِ الوَليدِ بْنِ مُسلمٍ عنْ نافِعٍ بكسْرِ الهاءِ وفتْحِ التَّاءِ معَ الهمْزِ، وقرأ ابْنُ مسْعُودٍ، وابنُ السَّمَيْفعِ، وابنُ يعْمُرَ، والجحْدَرِيُّ: «هُيِّئْتُ لَكَ»

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤١٧).

(٢) كلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٨)، والنشر (٢/ ٣٣١).

(٣) في (ج): وهي.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٠).

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

برفْعِ الهاءِ والتَّاءِ وبياءٍ مُشدَّدةٍ مكسورةً بعْدَها همْزةٌ ساكِنةٌ.

وقرَأ أُبيُّ بنُ كعْبٍ: «هَا أَنَا لَكَ». وقرَأ البَاقُونَ بفتْحِ الهاءِ والتَّاءِ بغَيْرِ[١] همْزٍ[٢].

قالَ الزَّجَّاجُ: وهوَ أجْودُ اللُّغاتِ، وأكثرُها في كلامِ العرَبِ، ومعْنَاهَا: هلُمَّ لَكَ؛ أي: أقْبِلْ علَيَّ مَا أدْعُوكَ إليْهِ[٣]، قَالَ الشَّاعِرُ [من مجزوء الكامل]:

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِـ ـينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا[٤]

أي: فأقْبِلْ وتَعَالَ. [٣٩٥/ب]

وقالَ ابنُ قُتيبةَ: يُقالُ: هَيَّتَ فُلانٌ لفُلانٍ؛ إذَا دَعَاه وصَاحَ بهِ[٥]، قَالَ الشَّاعِرُ [من الرجز]:

قَدْ رَابَنِي أَنَّ الْكَرِيَّ أَسْكَتَا

---

(١) في الأصل، و(ج): من غير، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) قراءات شاذة، انظرها في معاني القرآن (٢/ ٤٠)، والمحتسب (١/ ٣٣٧)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٣)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٤)، والبحر المحيط (٥/ ٢٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٩- ١٠٠).

(٤) البيتان لرجل من أهل العراق كما في تاريخ الطبري (٤/ ٥٦٤)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٠٥)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٤٠)، والمحتسب (١/ ٣٣٧)، وعنق إليك: جماعة إليك.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

لَـوْ كَانَ مَعْنِيًّـا بِهَـا هَيَّتَـا[١]

(أسْكَتَا؛ أي: صَارَ ذَا سُكُوتٍ)[٢].

واخْتلَف العُلماءُ في قوْله: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بأيِّ لُغةٍ هِيَ، على أرْبعَةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها عربيَّةٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ[٣].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: وقـدْ قِيـل: إنَّهـا مِـن كلَامِ قُرَيْـشٍ، إلَّا أنَّها ممَّـا درَسَ وقـلَّ في أفْوَاهِهِـم آخِـرًا، فأَتَـى اللهُ بـهِ؛ لأنَّ أصْلَـهُ مِـنْ كلَامِهِـم، وهـذِه الكلمـةُ لا مصْـدرَ لهَـا، ولا تـصَرُّفَ، ولَا تثْنِيـةَ، ولا جمْـعَ، ولَا تأْنِيـثَ، يُقـالُ للاثْنَـيْنِ: هيْـتَ لكُـمَا، وللجَمِيـعِ: هيْـتَ لكُـمْ، وللنِّسْـوةِ: هيْـتَ لكُـنَّ[٤].

والثَّاني: أنَّها بالسُّرْيانِيَّةِ، قالَهُ الحسَنُ[٥].

---

(١) البيـت بلا نسـبة في غريب القـرآن؛ لابن قتيبـة (ص: ٢١٥)، وفقه اللغـة (ص: ١٤٨)، ومعجم ديـوان الأدب (٢/ ٢٨٥)، وتهذيب اللغـة (٦/ ٢٠٩)، والحجة؛ للفارسي (٤/ ٤١٨).

(٢) ساقط من (ج)، و(ف).

(٣) تفسـير مجاهـد (ص: ٣٩٤)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٧)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٢١) (١١٤٦٤)، عـن ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد في قـول الله تعـالى: {هيـت لـك} قـال: لغـة عربيـة، تدعـوه بها.

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٦٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧) (١٨٩٧٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٢) (١١٤٦٧) من طريق عمرو، عن الحسن: {هيت لك} قال: كلمة بالسريانية؛ أي: عليك.

والثَّالث: بالحُورانِيَّةِ، قالَه عِكرِمةُ[١]، والكِسَائِيُّ[٢].

وقالَ الفرَّاءُ: يُقال: إنَّها لُغةٌ لأهْلِ حُوران، سقَطَتْ إلى أهْلِ مكَّةَ فتكلَّمُوا بها[٣].

والرَّابع: أنَّها بالقِبطيَّة، قالَهُ السُّدِّيُّ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاج: هوَ مصْدرٌ، والمعْنَى: أعُوذُ باللهِ أنْ أفْعَلَ هذَا، يُقال: عُذتُ عِياذًا ومَعَاذًا ومعَاذةً. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾؛ أي: إنَّ[٥] العزِيزَ صَاحِبي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾، [قالَ: ويجُوزُ أنْ يكُونَ ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ يعْنِي: اللهَ عزَّ وجَلَّ][٦] ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾؛ أي: تَولَّانِي فِي طُولِ مَقَامِي[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٦) (١٨٩٧٢) عن عكرمة، مولى ابن عبَّاس في قوله: {هيت لك} قال: هلم لك، قال: هي بالحوْرانية، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٠٥).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧) (١٨٩٧٥)، عن أسباط، عن السدِّي: {وقالت هيت لك} قال: هلمَّ لك، وهي بالقبطية، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢) إلى ابن جرير.

(٥) ليست في (ف).

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: إنْ فعلْـتُ هـذَا فخُنْتُـه فِي أهْلِـه بعْدَمَـا أكْرَمَنِـي فأنَـا ظَـالِمٌ.

وقِيل: الظَّالِمُون هَاهُنا: الزُّناةُ.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ الهَـمُّ بالـشَّيْءِ فِي كلَامِ العـرَبِ: حَدِيـثُ المـرْءِ نفْسَـهُ بمُواقَعتِـهِ مـا لم يُواقِـعْ.

فأمَّا هَمُّ أُزلِيخَا[١]: فقَال المفَسِّرُونَ: دعتْهُ إلى نفْسِها واسْتَلْقَتْ لَهُ.

واخْتلَفُوا فِي همِّه بِهَا علَى خمْسةِ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه كانَ مِـن جنْسِ همِّهـا، فلـوْلَا أنَّ اللهَ تعَـالى عصَمَـهُ لَفعَـلَ، وإلى هـذَا المعْنَـى ذهَـبَ الحسَـنُ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، والضَّحَّـاكُ، والسُّـدِّيُّ، وهـوَ قـوْلُ عامَّـةِ المفَسِّريـنَ المتقدِّمِـينَ، واخْتـارَهُ مِـنَ المتَأخِّريـنَ جمَاعـةٌ منْهُـم ابْـنُ جريـرٍ[٢]، وابْـنُ الأنْبَـاريِّ.

وقَـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: لا يجُوزُ فِي اللُّغـةِ: همَمْـتُ بِفُـلانٍ، وهَـمَّ بِي، وأنْـتَ تُريـدُ: اخْتـلافَ الهَمَّـيْنِ[٣].

---

(١) في (ج): زليخا.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٩).

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ١٢٠).

واحتجَّ مَن نصر هذا القوْلَ بأنَّه مذهبُ الأكْثرينَ مِنَ السَّلفِ والعُلماءِ الأكابِرِ، ويدُلُّ عليْهِ ما سنذْكُره مِن أمْرِ البُرهانِ الَّذي رَآه.

قالُوا: ورُجوعُه عمَّا همَّ بهِ مِن ذلِك؛ خوْفًا مِنَ اللهِ تعَالى يمْحُو عنْهُ سيْءَ الهَمِّ، ويُوجِبُ له عُلوَّ المنازِلِ.

ويدلُّ علَى هذَا الحدِيثُ الصَّحِيحُ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ: «**أنَّ ثلاثَةً خَرَجُوا فلَجَؤُوا إِلَى غارٍ، فانْطَبَقَتْ عليْهِم صَخْرَةٌ، فقَالُوا: لِيذْكُرَ كُلُّ واحِدٍ منْكُم أفْضَلَ عملِهِ.**

فقَالَ أحَدُهُم: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعْلَمُ أنَّه كانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ فرَاوَدْتُها عنْ نفْسِهَا فأَبَتْ إلَّا بِمائَةِ دِينَارٍ، فلمَّا أتيْتُهَا بِها، وجَلسْتُ منْهَا مجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ المرْأَةِ، أُرْعِدَتْ، وقالَتْ: إنَّ هذَا العَمَلَ[١] **ما عمِلْتُه قطُّ، فقُمْتُ عنْها،**
[٣٩٦/ أ] **وأعْطَيْتُها المائَةَ دِينَارٍ**[٢]**، فإنْ كُنْتَ تعْلَمُ أنِّي فعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغاءَ وجْهِكَ فَافْرُجْ عنَّا، فزَالَ ثُلُثُ الحَجَرِ**»[٣]... والحديثُ معْرُوفٌ. وقد ذكرْتُه في «الحدَائقِ»[٤].

فعَلى هذَا نقُولُ[٥]: إنَّها[٦] همَّت، فتَرَقَّتْ همَّتُها إلى العَزِيمةِ، فصارَتْ مُصرَّةً على الزِّنَا.

---

(١) في (م): لعمل، وفي (ج)، و(ف): لعملاً.

(٢) في (م): الدينار.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (١٠٠- ٢٧٤٣).

(٤) الحدائق في علم الحديث والزهديات (٣/ ٣٧٥).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ج): إنما.

فأمَّا هوَ، فعَارَضَهُ مَا يُعارِضُ البَشرَ مِن خطِرَاتِ القلْبِ، وحدِيثِ النَّفْسِ، مِن غيْرِ عزْمٍ، فلم يُلزِمْهُ هذَا الهمُّ ذنْبًا، فإنَّ الرَّجُلَ الصَّالحَ قد يخطُرُ بقلْبِه وهوَ صائِمٌ شُرْبَ الماءِ البارِدِ، فإذَا لم يشْرَبْ لم يُؤاخَذْ بمَا هجَسَ في نفْسِه، وقدْ قالَ عليْهِ السَّلامُ: «**عُفِيَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ**»[1]. وقالَ عليْهِ السَّلامُ: «**هَلَكَ الْمُصِرُّونَ**»[2]، ولَيْسَ الإصْرارُ إلَّا عزْمَ القلْبِ، فقَدْ فرَّقَ بيْنَ حديثِ النَّفْسِ وعزْمِ القلْبِ.

وسئِلَ سُفيانُ الثَّوريُّ: أَيُؤاخَذُ العبْدُ بالهمَّةِ؟ فقالَ: إذا كانتْ عزْمًا[3]، ويُؤيده الحدِيثُ الصَّحِيحُ عنْ رسُولِ الله ﷺ أنَّه قالَ: «**يقُولُ الله تعَالى: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً**»[4].

واحْتجَّ القاضِي أبو يعْلَى على أنَّ همَّتَه لم تكُن مِن جِهةِ العَزيمَةِ، وإنَّما كانَتْ مِن جِهةِ دَواعِي الشَّهْوةِ بقوْلِه: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٢٨) من طريق سفيان بن عيينة عن مِسعَر، ومسلم (٢٠٢) من طريق وكيع، عن مِسعرٍ وهشام الدَّستوائي، ومن طريق شيبان كلهم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٢٣) (٧٨٥٧) موقوفًا على قتادة بلفظ: «إياكم والإصرار فإنما هلك المصرون الماضون قدمًا لا ينهاههم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك».

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٧٩) قال: حدثنا إسحاق بن علي، ثنا إبراهيم بن يوسف بن خالد، ثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثني محمد بن توبة، عن عبد الله بن المبارك، قال: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمة قال: إذا كانت عزما أخذ بها، ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٥٤٧)، والبغوي في تفسيره (١/ ٣٥٦).

(٤) أخرجه البخاري حديث (٧٥٠١)، ومسلم حديث (١٣٠).

وقوْلِــه تعَــالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ وكُلُّ ذلِــك إخْبــارٌ بِــبراءَةٍ ســاحتِهِ مِــنَ العَزيمَــةِ عــلى المعْصِيــةِ.

وعلَى هذَا تكُون همَّتُه مُجرَّدَ خَاطرٍ لم يخْرُجْ إلى العَزْمِ[١].

فإنْ قِيلَ: فقَدْ سوَّى القُرآنُ بيْنَ الهمَّتَيْنِ، فلِمَ فرَّقْتُمْ؟

فالجــوَابُ: أنَّ الاسْــتواءَ وقَــعَ في بِدايــةِ الهمَّــةِ، ثُــمَّ ترقَّــتْ همَّتُهَــا إلى العزيمَــةِ، بدلِيــلِ مُراودَتِهَــا [لَــهُ][٢] واسْــتِلْقائِها بــيْنَ يدَيْــهِ، ولم تَتَعــدَّ هِمَّتُــه مقامَهَــا، بــل نزَلَــتْ عــن رُتْبَتِهَــا، وانْحَــلَّ معْقودُهَــا، بدلِيــلِ هرَبِــهِ[٣] منْهَــا، وقوْلِــه: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾.

ولا يَصِــحُّ مَــا يُــروى عــنِ المفَسِّريــنَ أنَّــه حــلَّ السَّراوِيــلَ وقعَــدَ منْهَــا مقْعــدَ الرَّجُــلِ، فإنَّــه لَــوْ كانَ هــذَا، دَلَّ عــلَى العــزْمِ، والأنْبِيــاءُ عليهــم السَّــلامُ معْصُومُــونَ مِــنَ العــزْمِ عــلَى الزِّنَــا.

والقَــوْلُ الثَّــاني: أنَّهَــا همَّــتْ بــهِ أنْ يفْتَرِشَــهَا، وهَــمَّ بِهَــا؛ أي: تمنَّاهَــا أنْ تكُــونَ لَــه زوْجَــةً، رَواه الضَّحَّــاكُ عــنِ ابْــنِ عبَّــاسٍ.

و[القَــوْلُ][٤] الثَّالــث: أنَّ فِي الــكلامِ تقْدِيــمًا وتأْخِــيرًا، تقْدِيــرهُ: ولقَــدْ همَّــتْ بــهِ، ولَــوْلَا أنْ رأَى بُرهــانَ ربِّــه لهَــمَّ بِهَــا، فلَــمَّا رأَى البُرْهــانَ، لم يقَــعْ منْــهُ

---

(١) هذه العبارة متأخرة بعد الجواب في (ف).

(٢) من (م).

(٣) في (ج): هروبه.

(٤) من (ج)، و(م).

الهَمُّ، فقَدَّم جوَابَ «لَوْلَا» عليْهَا، كَمَا يُقال: قد كُنتَ مِنَ الهالِكين، لَوْلَا أنَّ فُلانًا خلَّصَكَ؛ لكُنْتَ مِنَ الهالِكين، ومنْهُ قَوْلُ الشَّاعرِ [من الطويل]:

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحُرَّةٍ لَئِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا وَتَسْلَمُ عَامِرُ[(١)]

أرَاد: لَئِنْ كنْتُ مقْتُولًا وتَسْلم عَامِرٌ؛ فلا يَدْعُنِي قوْمِي، فقدَّمَ الجوَابَ.

وإلى هذا القَوْلِ ذهبَ قُطرُبٌ، وأنْكرَهُ قوْمٌ، منْهُم ابْنُ الأنْبَاريِّ[(٢)]، وقالوا: تقدِيمُ جَوابِ «لَوْلَا» عليْهَا شاذٌّ مُستكرهٌ[(٣)]، لا يُوجد في فصيحِ[(٤)] [٣٩٦/ ب] كلَامِ العرَبِ.

فأمَّا البيتُ المستَشْهَدُ بهِ، فمِنِ اضطرارِ الشُّعراءِ؛ لأنَّ الشَّاعرَ يضِيقُ الكلَامُ بهِ عنْدَ اهْتمامِهِ بتصْحِيح أجْزاءِ شعْرِه، فيضَعُ الكلِمَةَ في غيْرِ موْضعِهَا، ويُقدِّمُ مَا حُكمُه التَّأخِيرُ، ويُؤخِّرُ ما حُكمُه التَّقدِيمُ، ويعْدِلُ عنِ الإخْتِيارِ إلى المستقْبَحِ للضَّرُورةِ، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ بِتَرْكِي وَخِذْلَانِي جَزَاءً مُوَفَّرَا[(٥)]

---

(١) القائل قيس بن زهير، في الكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦)، وشرح التسهيل (٣/ ٢١٨)، والرد على النحاة (ص: ١٥٠)، والدرر (٢/ ١٠)، وهو لورقاء بن زهير في شرح أبيات سيبويه؛ لابن السيرافي (٢/ ١٨٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن (١/ ٦٧)، والهمع (٢/ ١٦)، وأمالي المرتضي (١/ ٤٨٠).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٣٨)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٧٦).

(٣) في الأصل: مستكرهًا، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(م)، وفي (ف): مستنكر.

(٤) ليست في (ف).

(٥) أبو الأسود الدؤلي، أو النابغة الذبياني، أبو عبد الله بن همارق بن غطفان. انظر:=

تقدِيرُه: جزَى عنِّي عدِيَّ بْنَ حاتم رَبُّه، فاضْطَّره إلى تقديم الرَّبِّ.

وقالَ الآخَرُ [من السريع]:

لَمَّـا جَفَـا إِخْوَانُـهُ مُصْعَبًـا أَدَّى بِـذَاكَ الْبَيْـعَ صَاعًـا بِصَـاعِ[1]

أرَاد: لمَّا جفَا مُصعبًا إخْوانُهُ، وأنْشدَ الفرَّاءُ [من الكامل]:

طَلَبًا لِعُرْفِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى بَعْدَمَا تَتَقَطَّعَتْ بِي دُونَكَ الأَسْبَابُ[2]

فزَاد تاءً علَى [تاءِ][3] «تَقَطَّعَتْ» لَا أصْلَ لهَا ليصْلُحَ وزْنُ شعْرِه، وأنْشدَ ثعْلَبٌ [من الخفيف]:

إِنَّ شَكْلِي وَإِنَّ شَكْلَكِ شَتَّى فَالْزَمِي الخُفْضَ وَانْعَمِي تَبْيَضِضِّي[4]

=مستدرك ديوان أبي الأسود (ص: ١٢٤)، وديوان النابغة (ص: ٢١٤)، والفاخر (ص: ٢٣٠)، والخصائص (١/ ٢٩٤)، وشرح الجمل (٢/ ١٤)، وضرائر الشعر (ص: ٢٠٩)، والخزانة (١/ ٢٧٧)، ورواية عجزه: جزاء الكلاب العاويات وقد فعل.

(١) صدر البيت بلا نسبة في الصاحبي؛ لابن فارس (ص: ٢١٣)، والمزهر؛ للسيوطي (٢/ ٤٢٣)، والشاهد هنا على إعادة الضمير في «إخوانه» على ما هو متأخر رتبة ومكانًا، انظر: شرح ابن عقيل (١/ ٤١٨).

(٢) البيت بلا نسبة في ضرائر الشعر (ص: ٥٥)، وارتشاف الضرب (٥/ ٢٣٨٩)، وشرح أبيات المغني (٧/ ١٧٥)، وعجزه فقط في المغني (ص: ٦٧٧)، وهمع الهوامع (٢/ ١٥٧).

(٣) من (م).

(٤) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١/ ٢١٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٦)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٢٦)، وأمالي الشجري (١/ ٣٣٦)، وضرائر الشعر (ص: ٥٥).

فزادَ ضادًا لا أصْل لَهَا لتكملَ أجزاءُ البيْتِ، وقالَ الفرزْدَقُ:

هُمَا تَفَلَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدُّ لِجَامِيَا[١]

فزَادَ واوًا بعْد الميمِ[٢] لِيَصْلُحَ شعْرُهُ.

ومثْلُ هذِه الأشْياءِ [كثيرٌ][٣] لا يُحملُ عليها كِتابُ[٤] اللهِ النَّازلِ بالفَصاحَةِ؛ لأنَّها مِنْ ضرورَاتِ الشُّعراءِ.

والقوْلُ الرَّابع: أنَّه هَمَّ أنْ يضربَهَا ويدفعَهَا عنْ نفْسِه، فكانَ البُرهانُ الَّذي رَآه مِنْ ربِّه أنَّ اللهَ أوْقَع في نفْسِه إنْ ضرَبَهَا كان ضرْبُه إيَّاها حُجَّةً عليْهِ؛ لأنَّها تقُول: رَاودْني فمنعْتُه فضَربَنِي، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[٥].

والقوْلُ الخامس: أنَّه هَمَّ بالفِرَارِ منْهَا، حكَاهُ الثَّعْلبِيُّ[٦]، وهو قوْلٌ مرذُولٌ[٧]، أفَتَراهُ أرَادَ الفِرارَ منْهَا، فلمَّا رأَى البُرهانَ، أقَام عنْدَها؟.

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه (ص: ٧٧١)، الكتاب (٢/ ٨٣- ٢٠٢)، والمقتضب (٣/ ١٥٨)، والخصائص (١/ ١٧٠)، (٣/ ١٤٧)، والمحتسب (٢/ ٢٣٨)، والإنصاف (١/ ٣٤٥)، والخزانة (٢/ ٢٦٩)، (٣/ ٣٤٦)، وفي رواية: «نفثا»، بدل: «تفلا».

(٢) في (ف): ميم.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) في (ج): كلام.

(٥) الأضداد (ص: ٤١١).

(٦) الكشف والبيان (١٤/ ٥٥٣)، وقال: وهذا لا يصح؛ لأن الفرار مذكر وليس له في الآية ذكر.

(٧) في (ج): مردود.

قَالَ بعْضُ العُلَماء: كانَ هَمُّ يُوسفَ خَطِيئةً مِنَ الصَّغائِرِ الجائزَةِ علَى الأنْبياءِ، وإنَّما ابْتلاهُم بذلِك لِيكُونوا علَى خوْفٍ منْهُ، ولِيعرِّفَهُم مواقِعَ نعْمَتِه فِي الصَّفْحِ عنْهُم، ولِيجعلَهُم أئمَّةً لأهْلِ الذُّنُوبِ فِي رجاءِ الرَّحْمةِ.

قَالَ الحسَنُ: إنَّ اللهَ تعَالى لم يقْصُصْ عليْكُم ذنُوبَ الأنْبياءِ تعْيِيرًا لهُم، ولكنْ لئلَّا تقْنَطُوا مِن رحمتِهِ. يعْنِي الحَسنَ: أنَّ الحُجَّةَ للأنْبياءِ ألْزمُ، فإذَا قُبِلَ التَّوبةُ منْهُم؛ كانَ إلى قَبُولها منْكُم أسْرَعُ[1].

ورُوي عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ أنَّه قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَلْقَى اللهَ عزَّ وجلَّ إلَّا وَقَدْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ أَوْ عَمِلَهَا، إلَّا يَحْيَى بْنَ زَكريَّا** -عليه السَّلامُ- **فَإنَّهُ لَمْ يَهِمَّ وَلَمْ يَعْمَلْهَا**»[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوابُ «لوْلَا» محْذُوفٌ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى**: لوْلَا أنْ رأى بُرهانَ ربِّه لأمْضَى مَا هَمَّ بهِ[3].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٧٧)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٣١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٢١٥)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٢٦)، بروايات مختلفة وضعفها جميعًا. وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٤/ ٢٢٦): والظاهر أنَّه لم يثبت شيء من ذلك مرفوعًا: إما بانقطاع، وإما بعنعنة مدلس، وإما بضعف راوٍ كما أشار له ابن كثير وغيره.

وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص (١١/ ٥٦١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٧٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٧١)، وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتاده.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠١).

قَالَ ابْنُ الأَنْبارِي: لزَنَا، فلمَّا رأى البُرهانَ كانَ سببَ انْصرَافِ الزِّنا عنْهُ(١). [٣٩٧/أ]

وفِي البُرهانِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه مُثِّلَ له يعْقُوبُ.

رَوى ابْنُ أبي مُلَيْكَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قَالَ: نُودِيَ يَا يُوسفُ! أتَزْنِي فتَكُونُ مِثْلَ الطَّائِرِ الَّذِي نُتِفَ رِيشُهُ فَذَهَبَ يَطِيرُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ؟ فلَمْ يُعْطِ علَى النِّدَاءِ شيْئًا، فنُودِيَ الثَّانِيةُ، فلَمْ يُعْطِ علَى النِّدَاءِ شيْئًا، فتمَثَّلَ لَه يعْقُوبُ فضَرَبَ صدْرَهُ، فقَامَ، فخرَجَتْ شهْوتُه مِنْ(٢) أنَامِلِه(٣).

ورَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قَالَ: رأى صُورةَ أبيهِ يعْقُوبَ فِي وسَطِ البيْتِ عَاضًّا علَى أنَامِلِهِ، فأَدْبَرَ هارِبًا، وقَالَ: وَحَقِّكَ يَا أَبَتِ لَا أَعُودُ أبدًا(٤).

---

(١) الأضداد (ص: ٤١٣).

(٢) في (ف): في.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩) (١٩٠٣٢- ١٩٠٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٤) (٧٦٥٢) مختصرًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الثعلبي (١٤/ ٥٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٤) (١١٤٧٩)، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٢١) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عبَّاس.

وقالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: رأى مِثالَ يعْقُوبَ فِي الحَائِطِ عاضًّا علَى شَفَتَيْهِ(١).

وقالَ الحَسَنُ: مُثِّلَ لَهُ جِبريلُ فِي صُورةِ يعْقُوبَ فِي سقْفِ البَيْتِ عاضًّا علَى إبْهَامِه أوْ بعْضِ أصْابعِه(٢).

وإلى هذَا المعْنَى ذهَبَ مُجاهِدٌ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعِكرِمَةُ، وقتادَةُ، وابْنُ سيرينَ، والضَّحَّاكُ فِي آخَرِينَ.

وقالَ عِكرِمَةُ: كُلُّ ولَدِ يعْقُوبَ، قد وُلِد له اثْنا عشَرَ ولدًا، إلَّا يُوسُفَ فإنَّه وُلِد لَه أحَدَ عشَرَ ولدًا، فنقَصَ بتلْكَ الشَّهوةِ ولدًا(٣).

والثَّاني: أنَّه جبْريلُ عليْهِ السَّلام.

رَوى ابْنُ أبي مُليكَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: مُثِّلَ له يعْقُوبُ فلَمْ يزْدَجِرْ، فنُودِيَ: أتَزْنِي فتكُونُ مِثْلَ الطَّائِرِ نُتِفَ رِيشُه؟ فلَم يزْدَجِرْ حتَّى ركضَهُ جِبْريلُ في ظهْرِه، فوَثَبَ(٤).

والثَّالثُ: أنَّها قامَتْ إلى صَنمٍ فِي زاويةِ البَيْتِ فستَرَتْهُ بثَوْبٍ، فقَال لهَا يُوسفُ: أيُّ شيْءٍ تصْنَعِينَ؟ قالَتْ: اسْتحِي مِنْ إلَهِي هذَا أنْ يَرانِي علَى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٦) (١٩٠٧٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٤) إلى أبي عبيد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه عبد الرَّزاق في تفسيره (٢/ ٣٢١)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣) إلى أبي الشيخ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٢٥) (١١٤٨٤)، وهو من الإسرائليَّات الشنيعة.

(٤) تقدم قريبًا.

هـذِه السَّـوأَةِ، فقَـالَ: أَتَسْـتحِينَ مِـن صَنَـمٍ لَا يعْقِـلُ ولَا يسْـمَعُ(١)، ولَا أَسْـتَحِي مِـن إلهـي القَائِـمِ عـلَى كُلِّ نفْـسٍ بـمَا كسبَتْ؟ فهـوَ البُرهـانُ الَّـذِي رأَى، قالَـهُ عـليُّ بْـنُ أبي طَالِـبٍ عليـه السَّـلام، وعـليُّ بْـنُ الحُسـينِ(٢)، والضَّحَّـاكُ.

والرَّابـع: أنَّ اللهَ تعَـالى بعَـثَ إليـه ملـكًا، فكتَـبَ فِي وجْـهِ المـرْأَةِ بالـدَّمِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ قالَـهُ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّاسٍ.

ورُوِي عـنْ محُمَّـدِ بْـنِ كعْـبِ القُرَظِـيِّ: أنَّـه رأَى هـذِه الآيـةَ مكْتُوبـةً بـيْنَ عيْنَيْهَـا، وفِي رِوايـةٍ أُخْـرى عنْـهُ: أنَّـه رَآهـا مكْتُوبـةً فِي الحائـطِ(٣).

ورَوى مجاهِـدٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ قـالَ(٤): بـدَتْ فِيـما بيْنَهُما كـفٌّ ليْـس لَهَا(٥) عَضُـدٌ ولَا مِعْصَـمٌ، وفيهَـا مكْتُـوبٌ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فقَـامَ هارِبًـا، وقامَـتْ، فلـمَّا ذهَـبَ عنْهَـا الرُّعْـبُ عـادَتْ وعـادَ، فلـمَّا قعَـدَ إذا بِكـفٍّ قـدْ بـدَتْ فِيـما بيْنَهُـما فيهَـا مكْتُـوبٌ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾... الآيـةَ [البقـرة: ٢٨١]، فقَـامَ هارِبًـا، فلـمَّا عـادَ، قـالَ اللهُ تعَـالى لجبْرِيـلَ: أدْرِكْ عبْـدِي قبْـلَ أنْ يُصِيـبَ الخطِيئـةَ، فانْحـطَّ جبْرِيـل عَاضًّـا

(١) في (ج): أتستحين من إله لا يسمع ولا يبصر.

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٧١)، إسناده موضوع، آفته عبد الله بن أحمد الطَّائي وأبيه.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٧) (١٩٠٨٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٤) إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ف): فيها.

علَى كفِّه أوْ أُصبعِه وهوَ يقُول: يا يُوسُفُ! أتعْمَلُ عمَلَ السُّفهاءِ، وأنْتَ مكْتُوبٌ عنْدَ اللهِ في الأنْبياءِ(١)؟.

[٣٩٧/ب] وقالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: ظهَرَتْ تلْكَ الكَفُّ وعليْهَا مكْتُوبٌ بالعِبرانيَّةِ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾، فانْصرَفَا، فلَمَّا عادَا رجعَتْ وعليْهَا مكْتُوبٌ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] فانْصرَفَا، فلَمَّا عادَا(٢) عادَتْ، وعليْهَا مكْتُوبٌ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾... الآيةَ، فعادَ، وعادَتِ الرَّابعةُ وعليْهَا مكْتُوبٌ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فولَّى يُوسفُ هَارِبًا(٣).

والخامِس: أنَّه سيِّدُه العزِيزُ دنَا مِنَ البَابِ، رَواه ابْنُ إسْحاقَ عنْ بعْضِ أهْلِ العِلْمِ.

وقالَ ابْنُ إسْحاقَ: يُقال: إنَّ البُرْهانَ خَيالُ سيِّدِه، رَآه عنْدَ البَابِ فهرَبَ(٤).

والسَّادس: أنَّ البُرْهانَ أنَّه علْمُ مَا أحلَّ اللهُ ممَّا حرَّمَ اللهُ، فرَأى تَحْرِيمَ الزِّنَا، رُوي عنْ محمَّدِ بْنِ كعْبٍ القُرظيِّ.

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٦٦- ٥٦٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦٠٨) من طريق الثعلبي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ عن وهب بن منبه نحوه، وهو من المنقول عن بني إسرائيل.

(٢) في الأصل: عادت، والمثبت من

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٤/ ٥٦٩- ٥٧٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ، وهو من المنقول عن بني إسرائيل.

(٤) ذكره الطبري (١٦/ ٤٩) بدون إسناد.

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: رأى حُجَّـةَ اللهِ عليْـهِ[1]، وهـيَ البُرْهـانُ. وهذَا هـوَ القوْلُ الصَّحِيـحُ، ومَـا تقدَّمَـهُ فليـس بـشيْءٍ، وإنَّـما هـيَ أحاديثُ مِـن أعْـمالِ القُصَّاصِ.

وقـد أشرْتُ إلى فسـادِهَا في كتـاب «المغْنِـي فِي التَّفْسـير» وكيـف يُظـنُّ بنبـيٍّ للهِ كريـمٍ أنَّـه يخـوَّفُ ويرعَـبُ ويُضطَّـرُّ إلى تـرْكِ هـذه المعْصيـةِ وهـوَ مُـصِرٌّ؟! هـذَا غايَـةُ القُبْـحِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كذلِـك أرَيْنـاه البُرْهـانُ ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ وهـوَ خِيانَـةُ صاحِبـهِ ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ ركُـوبَ الفَاحشـةِ.

﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ قـرأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِرٍ: بكسْـرِ الـلَّامِ، والمعْنَـى: إنَّـه مِـن عِبادِنَـا الَّذِيـن أخْلَصُـوا دِينَهُـم[2].

وقـرَأ عاصِـمٌ، وحمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: بفتْـحِ الـلَّامِ[3]، أرَادُوا: مِـنَ الَّذِيـن أخْلَصَهُـمُ اللهُ مِـنَ الأَسْـواءِ والفَواحِـشِ. وبعْـضُ المفسِّريـنَ يقُـول: السُّـوءُ: الزِّنـا، والفحشـاءُ: المعَـاصي.

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾ [يوسـف: ٢٥ - ٢٧].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٨)، (ص: ١٤٩).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ﴾ يعْنِـي: يوسـفَ والمـرأةَ تبـادرَا إلى البـاب، يجْتهِـدُ كلُّ واحـدٍ منْهُـما أن يسْبِقَ صاحِبَـهُ، وأراد يُوسـفُ أن يسْـبِقَ لِيفتـحَ البـابَ ويخـرُجَ، وأرادَتْ هـيَ إنْ سـبقَتْ إمْسـاكَ البـابِ؛ لئـلَّا يخْـرُجَ، فأدْرَكتْـهُ فتعلَّقـتْ بقمِيصِـه مِـن ورائـه(١)، فجذبَتْـهُ إليْهَـا، فقَـدَّتْ قمِيصَـهُ مِـنْ دُبُـرٍ؛ أي: قطعَتْـهُ مِـن خلْفِـه؛ لأنَّـه كانَ هـوَ الهـارِبُ وهـيَ الطَّالِبـةُ لَـه.

قـالَ المفَـسِّرونَ: قطعَـتْ قمِيصَـهُ نِصْفَـيْنِ، فلـمَّا خرَجَـا ألْفيَـا(٢) سَـيِّدَهَا؛ أي: صادَفَـا زوْجَهَـا عنْـدَ البَـابِ، فحضرَهَـا في ذلِـكَ الوْقـتِ(٣) كيْـدٌ، فقالَـتْ سـابِقةً بالقـوْلِ مُبرِّئـةً لِنفسِـها مِـنَ الأمْـرِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: تُريـدُ الزِّنَـا ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾؛ أي: مَـا جـزَاؤُه إلَّا السِّـجنَ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تعْنِـي: الـضَّرْبَ بالسِّـياطِ، فغَضِـبَ يُوسـفُ حينَئِـذٍ، وقـالَ: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾، وقـالَ وهْـبُ بْـنُ مُنبِّـهٍ: قـالَ لَـهُ العَزِيـزُ حينَئِـذٍ: أَخُنْتَنِـي يَـا يُوسُـفُ فِي أهْـلِي، وغـدَرْتَ بِي، وغَررْتَنِـي بـمَا كنْـتُ أرَى مِـن صلَاحِـكَ؟ فقَـالَ حينَئِـذٍ: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ وذلِـك أنَّـه لَمَّـا تعـارَضَ قوْلَاهُمَـا، احْتاجَـا إلَى شـاهِدٍ يُعْلَـمُ بـهِ قـوْلُ(٤) الصَّـادِقِ. [٣٩٨/أ]

---

(١) في (م): خلفه.

(٢) في الأصل: لقيا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ج): صدق.

وفي ذلك الشَّاهِدِ ثَلاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ صبيًّا في المهْدِ، رَواه عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وشهْرُ بْنُ حوْشَب عنْ أبي هُريرةَ(٢)، وبهِ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ، وهِلالُ بْنُ يَسافَ فِي آخَرين.

والثَّاني: أنَّه كان مِنْ خاصَّةِ الملِكِ، رَواه ابْنُ أبي مُليكةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

وقالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: كانَ ابْنَ عمٍّ لهَا، وكانَ رجُلًا حكِيمًا، فقَالَ: قدْ سمِعْنَا الاِشْتدادَ والجلَبَةَ مِن وراءِ البابِ، فإنْ كانَ شقُّ القَمِيصِ مِن قُدَّامِه فأنْتِ صادِقةٌ وهوَ كاذِبٌ، وإنْ كانَ مِنْ(٤) خلْفِه فهوَ صادِقٌ وأنْتِ كاذِبةٌ(٥). وقالَ بعْضُهُم: كانَ ابْنَ خالةِ المرْأةِ(٦).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٨) (١١٥٠٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٤) (١٩١٠٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥) إلى ابن جرير الطبري، وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٩٥) من طريق ابن سرين عن أبي هريرة، بلفظ: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة بنت فرعون» مرفوعًا، وينظر: الضعيفة (٨٨٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦) (١٩١١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٢٩) (١١٥٠٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥) إلى الفريابي وأبي الشيخ.

(٤) ليست في (ر).

(٥) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ١٨٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٨٢) من رواية الكلبي.

(٦) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٣٥).

والثَّالث: أنَّه شقُّ القميص، رواه ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهد[١]، وفيه ضعفٌ؛ لقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾.

فإنْ قِيلَ: كيفَ وقعتْ شهادةُ الشَّاهِدِ هاهُنا مُعلَّقةً بشرْطٍ، والشَّارِطُ[٢] غيرُ عالمٍ بما يشرطُهُ؟.

فعنْهُ جوَابانِ -ذكرَهُما ابْنُ الأنْبَاريِّ[٣]-:

أحدُهما: أنَّ الشَّاهِدَ شهِدَ[٤] بأمْرٍ قد علِمَهُ، فكأنَّه سمِعَ بعْضَ كلامِ يُوسُفَ وأُزلَيْخَا[٥]، فعلِمَ، غيْرَ[٦] أنَّه أوْقَعَ في شهادَتِه شرْطًا لِيُلزِمَ المخاطَبِينَ قبُولَ شهادتِهِ مِنْ جِهةِ العقْلِ والتَّمْييزِ، فكأنَّه قالَ: هوَ الصَّادِقُ عنْدِي، وإنْ تدبَّرْتُم مَا اشترَطهُ لكُم؛ عقلْتُم قوْلي.

ومثْلُ هذا قوْلُ الحُكَماءِ: إنْ كانَ القَدَرُ حقًّا، فالحِرْصُ باطِلٌ، وإنْ كانَ الموْتُ يقِينًا، فالطُّمأنينةُ إلى الدُّنْيا حُمْقٌ.

والجوَابُ الثَّاني: أنَّ الشَّاهِدَ لم يقْطَعْ بالقوْلِ، ولم يعْلَمْ حقِيقةَ ما جرَى، وإنَّما قالَ مَا قالَ على جِهةِ إظْهارِ مَا يسنَحُ لَه مِنَ الرَّأي، فكانَ معْنَى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨) (١٩١٣١)، وفي تاريخه أيضًا (١/ ٣٣٩)، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) في (ج): والشاهد.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٨٢).

(٤) في نسخة: شاهد.

(٥) في (ج): زليخا.

(٦) ليست في (ج).

قوْلـه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾: أعْلَـم وبـيَّنَ، فقَـال: الَّـذِي عنْـدي مِـنَ الـرَّأيِ أنْ نقِيسَ القَمِيصَ لِيُوقفَ على الخائِنِ.

فهذَانِ الجوَابانِ يدُلَّانِ على أنَّ المتكلِّم رجُلٌ.

فـإنْ قُلنـا: إنَّـه صبِـيٌّ في المهْـدِ، كانَ دُخـولُ الـشرْطِ مصحّحًـا لـبرَاءةِ يُوسـفَ؛ لأنَّ كلامَ مثْلِـه أُعْجوبـةٌ ومُعجـزةٌ لا يبْقَـى معَهَـا شَـكٌّ.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسـف: ٢٨].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ﴾ في هـذَا الرَّائـي و[فِي](١) القائِـلِ: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ قـوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الزَّوْجُ.

والثَّاني: الشَّاهِدُ.

وفِي هاءِ الكنَايةِ فِي قوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّها ترجِعُ إلى تمْزيقِ القَمِيص، قالَهُ مُقاتِلٌ(٢).

والثَّـاني: إلى قوْلِهـا: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ فالمعْنَـى: قوْلُـك هـذَا مِـن كيْدِكُـنَّ، قالَـهُ الزَّجَّـاجُ(٣).

---

(١) من (ج).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٣).

والثَّالث: إلى(١) السُّوء الَّذِي دعتْهُ إليْهِ، ذكرَهُ الماوردِيُّ(٢).

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾؛ أي: عملَكُنَّ ﴿عَظِيمٌ﴾ تخلطْنَ البريءَ والسَّقِيمَ(٣).

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾ [يوسف: ٢٩ - ٣٠].

قوْله تعَالَى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ المعْنَى: يا يوسفُ أعْرِضْ.

وفي القائِلِ له هذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه ابْنُ عمِّها وهوَ الشَّاهِدُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

[٣٩٨/ ب] والثَّاني: أنَّه الزَّوْجُ، ذكرَهُ جماعةٌ مِنَ المفَسِّرينَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أعرِضْ عن هذَا الأمْرِ فلا تذْكُرهُ لأَحدٍ، واكْتُمْه عليْهَا(٤).

ورَوى الحلبيُّ عنْ عبْدِ الوراِثِ: «يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا» بفتْحِ الرَّاء علَى الخبَرِ(٥).

---

(١) في (ج): أن.

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٦)، والذي فيه: يخلص إلى البريء والسقيم.

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٦)، وانظر: تفسير الطبري ١٦/ ٦٠).

(٥) قراءة شاذة، ذكرها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٤٤) وعزاها إلى عبد الوارث من طريق الخياط.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: اسْتغْفِي زَوْجَك[١] لِئلَّا يُعاقبَكِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: تُوبي مِن ذنْبك [فإنَّكِ][٢] قدْ أثِمْتِ.

وفي القائِلِ لَهَا هذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: ابْنُ عمِّهَا.

والثَّاني: الزَّوْجُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ **يعْني**[٣]: مِنَ المذْنِبِينَ.

قالَ المفَسِّرونَ: ثُم شاعَ ذلِكَ الحدِيثُ فِي مِصرَ حتَّى تحدَّثَ بذلِكَ[٤] النِّساءُ، وهوَ قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾.

وفِي عدَدِهِنَّ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهنَّ كُنَّ أرْبعًا: امرَأةُ سَاقِي الملِكِ، وامْرأةُ صاحِبِ دَواتِهِ، وامْرَأةُ خبَّازِهِ، وامْرأةُ صَاحبِ سِجْنِه، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهنَّ خمْسٌ، امْرأةُ الخبَّازِ، وامْرأةُ السَّاقِي، وامْرأةُ السَّجَّانِ، وامْرأةُ صَاحِبِ الدَّواةِ، وامْرأةُ الآذنِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٥].

---

(١) في (ج): لزوجِكِ.

(٢) من (ف)، و(م).

(٣) في (ج): أي.

(٤) في (ج): في ذلك.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣١)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤/ ٥٨٣).

فأمَّا العَزيزُ: فهوَ بلُغتِهم الملِكُ. **والفتَى** بمعْنَى: العبد.

قالَ الزَّجَّاجُ: كانُوا يُسمُّونَ المَمْلُوك فتًى(١).

وإنَّما تكلَّم النِّسوةُ(٢) في حقِّها؛ طعْنًا فيها، وتحْقِيقًا لِبراءَةِ يُوسفَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾؛ أي: بلَغَ حبُّه [إلَى](٣) شغَافِ قلْبِهَا.

وفي الشِّغافِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه(٤) جِلدةٌ بيْنَ القلْبِ الفُؤادِ، رَواه عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥).

والثَّاني: أنَّه غِلافُ القلْبِ، قالَهُ أبو عُبيدةَ(٦).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ولم يُرِدِ الغِلافَ، إنَّما أرَادَ القلْبَ، يُقالُ: شَغفْتُ فُلانًا؛ إذَا أصَبْتَ شِغَافَهُ؛ كما يُقالُ: كبدْتُه؛ إذا أصبْتَ كبِدَهُ، وبطنْتُه؛ إذا أصبْتَ بطْنَه(٧).

والثَّالث: أنَّه حبَّةُ القلْبِ وسُوَيْداؤُه

والرَّابع: أنَّه داءٌ يكُونُ في الجوْفِ فِي الشَّراسيفِ، وأنْشدُوا [من الطويل]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٢) في (ج): النساء.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) في (ف): أنها.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/) من طريق عمرو عن عكرمة، عن ابن عبَّاس

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٠٨).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢١٥).

وَقَـدْ حَـالَ هَـمٌّ دُونَ ذَلِـكَ دَاخِـلٌ دُخُـولَ الشِّـغَافِ تَبْتَغِيـهِ الْأَصَابِـعُ[١]

ذكَرَ القوْلَيْنِ الزَّجَّاجُ[٢].

وقـالَ الأصْمَعِـيُّ: الشّـغَافُ عنْـدَ العـرَبِ: داءٌ يكـونُ تحْـتَ الشَّرَاسِـيفِ فِي الجَانِـبِ الأَيْمـنِ مِـنَ البطْـنِ[٣]. والشَّرَاسِـيفُ: مَقَـاطُّ رؤُوس الأَضْـلاعِ، واحِدُهـا: شُرسُـوفٌ.

وقـرَأَ عبْـدُ اللهِ بْـنُ عمْـرٍو، وعـليُّ بْـنُ الحُسَـيْنِ، والحَسَـنُ البـصرِيُّ، ومُجاهِـدٌ، وابْـنُ مُحَيصِـن، وابْـنُ أبي عبْلَـةَ: «قَـدْ شَـعَفَهَا» بالعَـيْنِ[٤].

قالَ الفرَّاءُ: كأنَّه ذهَب بها كُلَّ مذْهبٍ، والشَّعف: رؤُوس الجِبالِ[٥].

---

(١) البيـت للنابغـة الذبيـاني في ديوانـه (ص: ٣٨)، ومجـاز القـرآن (١/ ٣٠٨)، ومعـاني القـرآن؛ للنحـاس (٣/ ٤١٩)، وتفسـير الطـبري (١٦/ ٦٣)، وأمـالي القـالي (١/ ٢٠٥)، وبلا نسـبة في معـاني القـرآن وإعرابـه؛ للزجـاج (٣/ ١٠٥)، والشـغاف: جعله الطـبري بالفتـح، واللغويون يجعلونـه مـن «الشـغاف» بضـم الشـين: وهـو داء يأخـذ تحـت الشراسـيف مـن الشـق الأيمن، وإذا اتَّصـل بالطحـال قتل صاحبـه، وتبتغيه الأصابع: أي تلتمسـه أصابع المتطببـين؛ هل انحدر نحـو الطحـال فيُتوقع عـلى صاحبه المـوت، انظـر: الخزانـة (٢/ ٤٥٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٣) خلق الإنسان (ص: ١٩).

(٤) قـراءة شـاذة، انظـر عزوهـا لهـم جميعًـا في المحتسـب (١/ ٣٣٩)، ومفرَّقًـا في تفسـير الطـبري (١٦/ ٦٦)، وتفسـير الثعلبـي (٥/ ٢١٦)، ومعـاني القـرآن؛ للنحـاس (٣/ ٤١٩)، والهدايـة؛ لمكـي (٥/ ٣٥٤٩)، والإتحـاف (ص: ٣٣١)، وشـواذ القـراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٤٤).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: عـنْ طريـقِ الرُّشـدِ؛ لِحبِّهَـا إيَّـاه. والمبِـينُ: الظَّاهِـرُ.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسـف: ٣١ - ٣٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ يعْني[1]: امْرأةَ العَزيز. ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ وفِيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: [أنَّـه][2] قوْلُهُـنَّ وعيْبُهُـنَّ[3] لهَـا، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وقتَـادَةُ، والسُّـدِّيُّ، وابْـنُ قُتيبـةَ[4].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وإنَّـما سُـمِّي هـذَا القـوْلُ مكْـرًا؛ لأنَّهـا كانَـتْ أطْلعَتْهُـنَّ عـلى أمْرِهـا، واسْـتكْتَمَتْهُنَّ، فمكـرْنَ وأفْشَـيْنَ سِرَّهَـا[5].

والثَّـاني: أنَّـه مكْـرٌ حقِيقـةً، وإنَّـما قُلْـن ذلِـكَ مكْـرًا بِهـا لِتُريهـنَّ يُوسـفَ، قالَـهُ ابْـنُ إسْـحاق.

[٣٩٩/أ] قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في غريب القرآن؛ لابن قتيبة: وغِيبتهنَّ.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

قَالَ الزَّجَّاجُ: أفْعَلَتْ مِنَ العَتَادِ، وكُلُّ مَا اتَّخذْتَهُ عُدَّةً لِشيءٍ فهوَ عتَادٌ[١]. والعَتَادُ: الشَّيْءُ الثَّابِتُ اللَّازِمُ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: أعْتَدَتْ بمعْنَى: أَعَدَّتْ[٢][٣].

فأمَّا المتَّكأُ ففِيه ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه المجْلسُ، فالمعْنَى: هيَّأَتْ لهُنَّ مجْلِسًا، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الوَسائِدُ اللَّائِي يتَكِئْنَ عليْهَا، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: **المتَّكأُ**: ما يُتكَأُ عليْه لِطعامٍ أو شَرابٍ أو حَديثٍ[٤].

والثَّالث: أنَّه الطَّعامُ، قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقَالُ: اتَّكأْنَا عنْدَ فُلانٍ؛ إذَا طَعِمْنَا[٥]. قَالَ جمِيلُ بْنُ معْمَرٍ [منَ الخفيف]:

فَظَلِلْنَا فِي نِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا   وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ[٦]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٢) في الأصل: أثبتت.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٦)، وفيه: العتاد، بدل: أعدت.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٥).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢١٦).

(٦) البيت في ديوانه (ص: ٥٣)، وأساس البلاغة (٢/ ٢٧٣)، والأغاني (٧/ ٧٩)، ومشكل القرآن وغريبه (ص: ٢١٨).

والأَصْـلُ في هـذَا أنَّ مَـن دعوْتَـهُ لِيُطعـمَ[١]، أعـددْتَ لَـهُ التُّـكأةَ للمُقَـامِ والطُّمَأْنِينـةِ، فسُـمِّي الطَّعـامُ متَّـكأً علَى الإِسْتِعارةِ[٢].

وقـالَ الأزهـريُّ: إنَّـما قِيـل للطَّعـامِ: مُتَّـكأ؛ لأنَّ القـوْمَ إذَا قعَـدُوا عـلَى الطَّعـامِ اتَّكَـؤُوا، ونُهيَـتْ هـذِه الأُمَّـةُ عـنْ ذلِـكَ[٣].

وقَرَأ مجاهد: «مُتْكأً» بإسْكان التَّاء خفِيفةً[٤]. وفيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدهـا: أنَّـه الأُتْـرُجُّ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهـدٌ، ويَحْيـى بْـنُ يَعْمُـرَ فِي آخَرِيـنَ، ومنْـهُ قـوْلُ الشَّـاعِرِ [مـن الخفيـف]:

[نَشْـرَبُ الإِثْـمَ بالصُّـوَاعِ جِهَـارًا][٥] وَتَـرَى الْمُتْـكَ بَيْنَنَـا مُسْـتَعَارَا[٦]

يريد: الأُتْرُجَّ.

والثَّاني: أنَّه الطَّعامُ أيضًا، قالَهُ عِكرِمَةُ.

---

(١) في (ر): لتطعم.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠- ١٨١)، وتفسير غريب القرآن (ص: ٢١٦).

(٣) تهذيب اللغة (١/ ٤٤٥) (تكأ).

(٤) قـراءة شـاذة، انظر: شـواذ ابن خالويـه (ص: ٦٣)، وشـواذ القراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٤٥)، البحـر المحيط (٥/ ٣٠٢).

(٥) من (م).

(٦) البيـت بـلا نسـبة في الزاهـر (٢/ ٢١)، والتفسـير البسـيط؛ للواحـدي (١٢/ ٩٧)، والكشـف والبيـان؛ للثعلبـي (١٢/ ٣٤٣)، وتهذيـب اللغـة (١٥/ ١١٧)، ولسـان العـرب (١٢/ ٧)، المُتْـك: الأُتـرُجُّ.

والثَّالث: [أنَّهُ][(١)] كلُّ شيْءٍ يُحَزُّ بالسَّكاكِين، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والرَّابع: أنَّه الزُّمَاوَرْدُ[(٢)]، رُوي عنِ الضَّحَّاكِ أيْضًا[(٣)].

وقد رُوي عنْ جماعَةٍ أنَّهم فسَّرُوا المتَّكأَ بمَا فسَّرُوا به المُتْك، فرُوي عنِ ابْنِ جُريجٍ أنَّه قالَ: المتَّكأُ: الأُتْرُجُّ، وكُلُّ ما يُحَزُّ بالسَّكَاكِينِ[(٤)].

وعنِ الضَّحَّاكِ قالَ: المتَّكأُ: كُلُّ مَا يُحَزُّ[(٥)] بالسَّكاكِينِ[(٦)].

وفرَّقَ آخَرون بيْنَ القِراءتَيْنِ؛ فقالَ مُجاهِدٌ: مَن قرَأَ: «متَّكأً» بالتَّثْقيلِ، فهوَ الطَّعام، ومَنْ قرَأ بالتَّخْفيف، فهوَ الأُتْرُجُّ[(٧)].

---

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) البزماورد والزُّماورد: طعام من البيض واللحم، معرب. انظر: القاموس المحيط، مادة: (و ر د). وقال شهاب الدين الخفاجي: وهو الرقاق الملفوف باللحم... وفي كتب الأدب: هو طعام يقال له: لقمة القاضي، ولقمة الخليفة. انظر: شفاء الغليل (ص: ١١٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٠) (١٩١٧٢)، عن أبي روق، عن الضحاك، في قوله: {وأعتدتْ لَهُنَّ مُتَّكأً}، قال: البزماورد. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٣) (١١٥٤١)، من طريق أبي روق به، كما أخرجه أيضًا (٧/ ٢١٣٣) (١١٥٤٠) من طريق إبراهيم بن الزبرقان عن أبي سنان، عن الضَّحَّاك بلفظ: كنا نقول ونحن غلمان: هو البزماورد.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٩٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢١٦).

(٥) في تفسير الطبري نسخة الشيخ شاكر: يَجُزُّ. بالجيم.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٤) (١٩١٩٦) عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عُبيد بن سليمان، قال: سمعت الضَّحَّاك يقول في قوله: {متكأً}: فهو كلُّ شيْءٍ يُحَزُّ بالسِّكين. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٣) عقب الأثر (١١٥٤٢) معلقًا عن عبيد بن سليمان وعلي بن الحكم، عن الضَّحَّاك.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٧٣).

قَـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: مَـنْ قـرَأَ: «مُتْـكاً» فإنَّه يُريـد الأُتْـرُجّ، ويُقـال: الزُّمَـاوَرْد. وأيًّـا مَـا كانَ، فـإنِّي لَا أَحسـبُه سُـمِّي مُتَّـكأً إِلَّا بالقطْـعِ؛ كأنَّـه مأْخُـوذٌ مِـنَ البَتْـكِ، فأُبْدلَـتِ الميـمُ منْـهُ بـاءً؛ كـما يُقـال: سَـمَّدَ رأسَـه وسَـبَّدَه؛ إِذَا اسْـتأْصله، وشَرٌّ لَازِمٌ، ولَازِبٌ، والميـمُ تُبـدلُ مِـنَ البَـاءِ كثِـيرًا؛ لِقُـربِ مخْرجَيْهِـما(١).

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ إِنَّـما فعلَـتْ ذلِـك؛ لأنَّ الطَّعـامَ الَّـذِي قدَّمـتْ لهُـنَّ يحْتـاجُ إِلى السَّـكَاكينِ. وقِيـل: كانَ مقْصُودُهـا افْتضاحَهُـنَّ بتقْطِيـعِ أيْدِيهـنَّ؛ كـما فضَحْنَهَـا.

قَـالَ وهْـبُ بْـنُ منبِّـهٍ: ناوَلَـتْ كُلَّ واحِـدةٍ منْهُـنَّ أُتْرُجَّـةً وسِـكِّينًا، وقالَـتْ لهُـنَّ: لَا تقْطَعْـنَ ولَا تأْكُلْـنَ حتَّـى أُعْلِمَكُـنَّ، ثُـمَّ قالَـتْ لِيوسُـفَ: اخْـرُجْ علَيْهِـنَّ(٢).

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: إِنْ شـئْتَ ضمَمْـتَ التَّـاءَ مِـنْ قوْلِـه: «وَقَالَت»، وإِنْ شـئْتَ [٣٩٩/ب] كسَرْتَ، والكسْرُ الأَصْلُ؛ لِسكونِ التَّـاءِ والخـاءِ، ومَـنْ ضـمَّ التَّـاءَ، فلِثِقَـلِ الضَّـمَّـةِ بعْـدَ الكسْرَةِ، ولم يُمكِنْـهُ أنْ لَا يخْـرجَ؛ لأنَّـه بمنزلَـةِ العبْـدِ لهَـا(٣).

وذكَـرَ بعْـضُ أَهْـلِ العلْـمِ أنَّهـا إِنَّـما قالَـتْ: «اخْـرُج» وأضمَـرَتْ فِي نفْسِـها «علَيْهِـنَّ»، فأخْـبَرَ الحَـقُّ جـلَّ وعـزَّ عـمَّا فِي النَّفْسِ كأنَّ اللِّسـانَ قـد نطَـقَ بـهِ، ومثْلُـه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾... الآيـةَ [الإنسان: ٩] لم يقُولـوا ذلِـكَ، إِنَّـما أضْمَـرُوه. ويـدلُّ عـلى صِحَّـةِ هـذَا أنَّهـا لـو قالَـتْ لـه وهـوَ شـابٌّ مُستحسَـنٌ:

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٦- ٢١٧)، وفيه: مخرجهما.

(٢) انظر: التفسير الوجيز (ص: ٥٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٦).

اخْـرُجْ عـلَى نِسـوةٍ مِـن طبعِهِـنَّ الفِتنـةَ مَـا فعَـلَ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ قوْلَانِ:

أحدهمـا: أَعْظَمْنَـهُ، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وابْـنُ أبي نجِيـحٍ عـنِ مُجاهِـدٍ، وبـهِ قـالَ قتـادَةُ، وابْـنُ زيْـدٍ.

والثَّـاني: حِضْـنَ، روَاه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، ورَوى عـليُّ بْـنُ عبْـدِ اللهِ بْـنِ عبَّـاسٍ عـنِ أبيـه قـالَ: حِضْـنَ مِـنَ الفَـرَحِ(١)، قـالَ: وفي ذلِـك يقُـول الشَّـاعِرُ [مـن البسـيط]:

نَأْتِـي النِّسَـاءَ لَـدَى أَطْهَارِهِـنَّ وَلَا ... نَـأْتِي النِّسَـاءَ إِذَا أَكْـبَرْنَ إِكْبَـارَا(٢)

وقـد رَوى هـذا المعْنَـى ليْـثٌ عـنْ مُجاهِـدٍ(٣)، واخْتـارَهُ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ(٤)،

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٧٦) (١٩٢٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٥) (١١٥٥٢) من طريق عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عن جدِّه -يعني عبد الله بن عبَّاس- به، وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العبَّاس الهاشمي الأمير، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٣٥٣- ٣٥٤): وما عبد الصمد بحجة، ولعل الحفاظ إنَّما سكتوا عنه مداراة للدولة. أهـ، لكن ذكره العقيلي في الضعفاء (٣/ ٨٤) وذكر له حديثًا بهذا الإسناد، وقال: غير محفوظ ولا يعرف إلا به. أهـ.

(٢) البيت بلا نسبةٍ في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١٠/ ٢١١) (كبر)، وتفسير الطبري (٦/ ٧٧)، وقال: لا أحسب أنَّ له أصْلًا، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٥)، الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٥٩٦)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وقال: والبيت مصنوع مختلق.

(٣) ذكر رواية ليث عن مجاهد الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٩٨).

(٤) ذكر اختيار ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ١٠٠)، ونصه: وقال ابن=

وردَّهُ بعْضُ اللُّغويين، فرُوِيَ عنْ أبي عُبيدةَ[(١)] أنَّه قالَ: ليْس في كلَامِ العرَبِ «أَكْبَرْنَ» بمعْنَى: «حِضْنَ»، ولكِن عسَى أن يكُنَّ مِن شدَّةِ ما أعْظمْنَه حِضْنَ، وكذلِك رُوي عنِ الزَّجَّاجِ أنَّه أنْكَرَهُ[(٢)].

قوْله تعَالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ **فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: حَزَزْنَ أيديهن، وكُنَّ يحسبْنَ أنَّهنَّ يُقطِّعْنَ طعَامًا، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: قطَّعن أيديَهُنَّ حتَّى ألْقيْنَها، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّالث: كلَمْنَ الأكُفَّ وأَبَنَّ الأنَامِلَ، قالَهُ وهْبُ بْنُ مُنبِّهٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾.

قرَأ أبو عمْرٍو: «حاشا» بألِفٍ فِي الوصْلِ فِي الموْضِعيْنِ، واتَّفقُوا على حذْفِ الألِفِ فِي الوقْفِ، وأبو عمْرٍو جاءَ بهِ علَى التَّمامِ والأصْلِ، والبَاقُون حذَفُوا[(٣)].

=الأنباري: من أبطل هذا القول إنما أبطله من أجل الهاء، وقد رأو أن الهاء تنصرف إلى يوسف وليست منصرفة إليه، لكنها كناية عن مصدر الفعل يعنى بها أكبرن إكبارًا، أي حضن حيضًا، فكنى عن المصدر، كما يُقال: قدم زيد فأحببته، يعنون فأحببت قدومه، كما قال الشَّاعر:

وليسَ المَالُ فاعْلَمْهُ بمَالٍ ... وإن أغْنَاكَ إلا للذُّنِي

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٦ - ١٠٧).

(٣) في الوصل، فإذا وقف حذفها اتباعًا للخطِّ، وهي قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٨).

وهذهِ الكلِمَةُ تُستعمَلُ في موْضِعيْنِ:

أحدُهما: الاسْتِثناءُ.

والثَّاني: التَّبْرِئَةُ مِن الشَّرِّ.

والأصْلُ: «حاشَا» وهيَ مُشتقَّةٌ مِن قوْلِك: كُنتُ في حشَا فُلانٍ؛ أي: في ناحِيتِهِ. والحشَا: النَّاحِيةُ، وأنْشَدُوا [من الطويل]:

.... بأيِّ الحَشَا أمْسَى الخَلِيطُ المُبَايِنُ[١]

أي: بأيِّ النَّواحِي، والمعْنَى: صارَ يُوسفُ في حشًا مِن أنْ يكُونَ بشرًا، لِفرطِ جمَالِه. وقِيل: صارَ في حشًا ممَّا قرَفتْهُ[٢] بهِ امْرأةُ العَزيزِ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ[٣]: «حَاشَ للهِ» بمعْنَى: معاذَ اللهِ.

قالَ الفرَّاءُ: و«بشَرًا» منصوبٌ؛ لأنَّ الباءَ قدِ اسْتُعمِلتْ فيهِ، فلا يكادُ أهْلُ الحِجازِ ينْطِقُون إلَّا بالباءِ، فلمَّا حذَفُوها[٤] أحبُّوا أنْ يكونَ لها أثَرٌ فيما خرَجت منْه، فنصبُوا على ذلِك، وكذلِكَ قوْلُه: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡ﴾ [المجادلة: ٢].

---

(١) عجز بيت لمعطل الهذلي كما في إيضاح الشواهد (١/ ٤٦٦)، وهو للهذلي غير مسمى في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٩)، والحجة؛ للفارسي (٤/ ٤٢٣).

(٢) في (ج): قذفته.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٦) (١١٦٨٨)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ قال: معاذ الله.

(٤) في (ج)، و(ف): حذفوا.

وأمَّـا أهْـلُ نجْـدٍ فيتكلَّمُـونَ[١] بالبـاءِ وبغَـيْرِ البـاءِ، فـإذَا أسْـقَطُوها[٢] رفعُـوا، وهـوَ أقْـوَى الوجهَـيْنِ في العرَبيَّـةِ[٣].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: قوْلُـه: الرَّفْـعُ أقْـوَى الوَجهَـيْنِ، غلَـطٌ؛ لأنَّ كتـابَ اللهِ عـزَّ وجـلَّ أقْـوَى اللُّغَـاتِ، ولم يَقـرَأْ بالرَّفْـعِ أحَـدٌ. [٤٠٠/أ]

وزَعَـمَ الخَليـلُ، وسِـيبويه، وجمِيـعُ النَّحْويِـينَ القُدمـاء أنَّ «بَـشَرًا» منْصُـوبٌ؛ لأنَّـه خـبَرُ «مَـا»، و«مَـا» بمنْزِلـةِ: «ليْـسَ»[٤].

قـال الشـيخُ[٥]: وقدْ قـرَأَ أبو المتـوكّلِ، (وأَبـو نَهيـك)[٦]، وعِكرمَـةُ، ومُعاذٌ القَـارئُ فِي آخَريـن: «مَـا هَـذَا بَشَرٌ» بالرَّفْـعِ[٧]. وقرأ أُبَيُّ بـنُ كعْـبٍ، وأبـو الجوْزَاءِ، وأبـو السَّـوَّارِ: «مَـا هذَا بِـشِرًى» بكسْرِ البـاءِ والشِّـينِ مقْصُـورًا منوَّنًا[٨].

قال الفرَّاءُ: أي: ما هَذَا بمُشترًى[٩].

---

(١) في (ج)، و(ف): فيتكلموا.

(٢) في (ف): أسقطوا.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٧ - ١٠٨).

(٥) في (ر)، و(م): قلت. وفي (ف): قال المصنف: قلت.

(٦) ليست في (ج).

(٧) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٦)، والبحر المحيط (٦/ ٢٧٠).

(٨) قـراءة شـاذة، انظرهـا في شـواذ ابـن خالويـه (ص: ٦٣)، والمحتسـب (١/ ٣٤٢)، وشـواذ القـراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٤٦)، والبحـر المحيـط (٥/ ٣٠٤).

(٩) معاني القرآن (٢/ ٤٤).

وقَرَأ ابْنُ مسْعُودٍ: «بِشِرَاءٍ» بالمدِّ والهمْزِ مخْفُوضًا مُنوَّنًا[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ﴾ قرَأَ أُبيٌّ، وأبو رَزِين، وعكرِمَةُ، وأبو حياةَ، والجحْدَرِيُّ: «مِلك» بكسْرِ اللَّامِ[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾.

قالَ المفَسِّرُون: لَّما ذهلَتْ عقُولُهنَّ فقطَّعن أيدَيهُنَّ، قالَتْ لهُنَّ ذلِك.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ أشَارَتْ إِليْه وهوَ حاضِرٌ بقوْلِها: «فَذَلِكُنَّ»؟.

فعَنْهُ جوابَانِ -ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ[(٣)]-:

أحدُهما: أنَّها أشارَتْ بـ«ذَلِكُنَّ» إلى يُوسفَ بعْدَ انْصرافِهِ مِنَ المجلِسِ.

والثَّاني: أنَّ في الكلامِ إضمارَ «هذَا» تقْدِيرُه: فهذَا ذلِكُنَّ.

ومعْنَى «لُمتنَنِي فيه»؛ أي: في حُبِّه. ثُمَّ أقرَّتْ عنْدهُنَّ، فقالَتْ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾؛ أي: امْتنَعَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

---

(١) لم أقف عليها، ونسبها الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٢٤) إلى الحسن، وقال: على أنَّ الباء حرف جر، والشين مكسورة، وهذه قراءة ضعيفة لا تناسب ما بعدها من قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

(٢) قراءة شاذة، انظرها في شواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٦)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٥١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٠٥).

قال الزَّجَّاجُ: القِراءةُ الجيِّدةُ تخفيفُ: ﴿وَلَيَكُونًا﴾ والوقفُ عليها بالألِفِ؛ لأنَّ النُّونَ الخفيفةَ تُبدل منها في الوقْفِ الألِفُ؛ تقول: اضْربا زيْدًا، وإذا وقفتَ قلتَ: اضربا.

وقد قُرِئت: «ولَيَكُونَنَّ» بتشْدِيد النُّون[1]، وأكرَهُها؛ لخلافِ المصْحفِ؛ لأنَّ الشَّديدةَ لا يُبدلُ منها شيءٌ[2]. **والصَّاغِرُون**: المذَلُّون.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٤].

قوْلُه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾.

قال وهْبُ بنُ مُنبِّهٍ: لمَّا قالتْ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ قُلْنَ: لا لوْمَ عليْكِ، قالتْ: فاطْلُبْنَ إلى يُوسفَ أنْ يُسعِفَني بحاجَتِي، فقُلْنَ: يا يُوسُف افعَلْ، فقالَتْ: لَئِنْ لم يفعَلْ لأُخلدنَّهُ في[3] السِّجنِ، فعنْدَ ذلِك قالَ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾.

وقرَأ يعْقُوبُ: «السَّجْنُ» بفتْحِ السِّينِ هاهُنا فحَسْبُ[4].

---

(١) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٠٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٨).

(٣) ليست في (ج)، و(ف)، و(ر).

(٤) قراءة عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٣٢)، وانظر: الهداية؛ لمكي (٥/ ٣٥٥٦).

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ كَسَرَ سِينَ «السِّجن» فعلَى اسْمِ المكَانِ، فيكُون المعْنَى: نُزولُ السِّجْنِ أحبُّ إلي مِن رُكوبِ المعصِيةِ، ومَنْ فتَحَ، فعَلَى المصْدَرِ، المعْنَى: أنْ أُسْجنَ أَحَبُّ إليَّ. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾؛ أي: إلَّا تعْصِمْنِي ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾؛ أي: أَمِلْ إليهِنَّ. يُقال: صبا إلَى اللَّهوِ يصْبُو صُبُوًّا وصَبْوًا وَصَبَاءً؛ إذَا مَالَ إليهِ[١].

وقَالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: ومعْنَى هذا الكلامِ: اللَّهُمَّ اصْرِفْ عنِّي كيْدَهُنَّ، ولِذلكَ قَالَ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ قَالَ: فإنْ قِيلَ: إنَّما كادَتْه امْرأةُ العَزيزِ وحْدهَا، فكيْفَ قَالَ: «كيْدَهُنَّ».

فعَنْهُ ثلاثةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّ العرَبَ تُوقِعُ الجمْعَ علَى الوَاحِدِ، فيقُولُ قائِلُهم: خرجْتُ إلى البصرَةِ فِي السُّفنِ، وهو لم يخْرُجْ إلَّا فِي سفِينةٍ واحِدةٍ.

والثَّاني: أنَّ المكنِيَّ عنه امْرأةُ العزيزِ والنِّسوةُ اللَّاتي عاضَدْنَها علَى أمْرِها.

والثَّالث: أنَّه عنَى امْرأةَ العزيزِ وغيْرَها مِنْ نِساءِ العالَمين اللَّاتِي لهُنَّ [٤٠٠/ب] مِثْلُ كيدِها.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٣٥﴾ [يوسف: ٣٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٨).

فِي المرادِ بالآيَاتِ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها شقُّ القمِيصِ، وقضَاءُ ابْنِ عمِّهَا عليْهَا، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّها قدُّ القمِيصِ، وشَهادةُ الشَّاهِدِ، وقطْعُ الأيْدِي، وإعْظَامُ النِّساءِ إيَّاهُ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّالث: جمالُه وعِفَّتُه، ذكرَهُ الماوردِيُّ(٣).

قالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: فأشَارَ النِّسوةُ عليْهَا بِسجْنِه رجَاءَ أنْ يَسْتهوِينَهُ حين يخْلُو لهُنَّ فِي السِّجنِ، وقُلْنَ: متى سَجَنْتِيه قطَع ذلِك (عنْكِ قالةَ)(٤) النَّاسِ الَّتِي قدْ شاعَتْ، ورَأوا أنَّكِ تَبْغَضِينَهُ، ويذلُّه السِّجنُ لَكِ، فلمَّا انْصرَفْنَ عادَتْ إلى مُراوَدَتِه فلم يزْدَدْ إلَّا بُعدًا عنْهَا، فلمَّا يئِسَتْ، قالَتْ لِسيِّدِها: إنَّ هذا العبْدَ قدْ فضَحَنِي، وقدْ أبغضْتُ رُؤيتَهُ، فائْذَنْ لي فِي سِجْنِه، فأَذِنَ لهَا، فسَجَنَتْهُ وأضَرَّتْ بهِ(٥).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ١٣٩) عن ابن عباس وعكرمة.

(٣) النكت والعيون (٣/ ٣٣).

(٤) في (ج): مقالة.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٠٨).

وقالَ السُّدِّيُّ: قالَتْ: إمَّا أنْ تأذنَ لي فأَخْرج وأعْتذِر بعُذْرِي، وإمَّا أنْ تحْبِسَهُ كما حبَسْتَنِي، فظَهَر للعَزِيزِ وأصْحابِهِ مِنَ الرَّأي حبْسُ يُوسُفَ[١].

قالَ الزَّجّاجُ: كانَ العَزيزُ أمَرَ بالإعْراضِ فقطْ، ثُمَّ تغيَّرَ رأْيُه عنْ ذلِكَ[٢].

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ[٣]: وفي معْنَى الآيَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم ﴾؛ أي: ظَهَر لهُم بالقَوْل والرَّأيِ والفِكْرِ سِجْنُه.

والثَّاني: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم ﴾ في يُوسفَ بدْءٌ، فقالُوا: واللهِ لَنَسْجُنَنَّهُ، واللَّامُ جوَابُ يمِينٍ مُضمَرةٍ. فأمَّا الحينُ: فهوَ يقَعُ علَى قصِيرِ الزَّمانِ وطويلِهِ.

وفي المرادِ بهِ هَاهُنا للمُفسِّرينَ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خمْسُ سِنينَ، رَواه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّاني: سنَةٌ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا.

والثَّالث: سبْعُ سِنينَ، قالَهُ عِكرِمَةُ.

والرَّابع: إلى انْقِطاعِ القَالَةِ، قالَهُ عطَاءٌ.

والخامس: أنَّه زمَانٌ غيْرُ محْدُودٍ، ذكرَهُ الماورديُّ[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٣٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٤).

(٣) الزاهر (٢/ ٦١).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٦) من رواية الكلبي.

(٥) النكت والعيون (٣/ ٣٥).

وهـذا هـوَ الصَّحِيحُ؛ لأنَّهـم لم يعْزِمُـوا عـلى حبْسِـه مُـدَّةً معْلُومـةً، وإنَّـما ذكَـرَ المفَـسِّرُون قـدْرَ مَـا لَبِـثَ.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦ ﴾ [يوسف: ٣٦].

قوْله تعَالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: فيـهِ دلِيـلٌ عـلَى أنَّـه حُبِـس، وإنْ لم يُذكَـرْ ذلِـك. و«فَتيَـانِ» جائِـزٌ أنْ يكُونَـا حَدَثَـيْنِ أو شَـيْخَيْنِ؛ لأنَّهُـم يُسَـمُّونَ المَمْلُـوكَ فتًـى[1].

قـالَ ابْـنُ الأَنْبـارِيِّ: إنَّـما قـالَ: «فتيَـانِ»؛ لِأَنهُـما كانَـا مَمْلُوكَـيْنِ، والعـرَبُ تُسَـمِّي المَمْلُـوكَ فتًـى، شـابًّا كانَ أوْ شَـيْخًا.

قـالَ المفَـسِّرُونَ: عمَّـرَ مَلِـكُ مِـصْر فمَلُّـوه: فدسُّـوا إلى خبَّـازِه وصاحِـبِ شرَابِـه أنْ يُسِـمَّاهُ، فبلغَـهُ ذلِـك فحبَسَـهُما، وكانَ يُوسُـفُ قـالَ لأهْـلِ السِّـجْنِ: إنِّي أُعـبِّرُ الأحْـلامَ، فقَـالَ أحَـدُ الفتيَـيْنِ: هلُـمَّ فلْنجـرِّبْ هـذَا العبْـدَ العِـبَرانِيَّ.

واخْتلفُوا هل كانَتْ رُؤياهُمَا صادِقَةً، أمْ لَا؟ علَى ثلَاثةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها كانَتْ كذِبًا، وإنَّما سألَاهُ تجرِيبًا، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ، والسُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّها كانت صِدْقًا، قالَهُ مُجاهِدٌ، وابْنُ إسْحَاقَ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٩).

والثَّالث: أنَّ الَّذي صُلِب منْهُما كانَ كاذِبًا، وكانَ الآخَرُ صادِقًا، قالَهُ [١/٤٠١أ] أبو مِجلزٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ يعْنِي: السَّاقِيَ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾؛ أي[1]: فِي النَّوْمِ ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾؛ أي: عِنبًا.

وفي تسْمِيةِ العِنَبِ خمْرًا ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه سمَّاه باسْمِ ما يؤُول إليْهِ؛ لأنَّ المعْنَى لا[2] يلْتَبِس، كما يُقال: فُلانٌ يطبخُ الآجُرَّ ويعْمَلُ الدِّبْسَ، وإنَّما يطْبخُ اللَّبِنَ ويصْنَعُ التَّمرَ، وهذا قوْلُ أكثرِ المفَسِّرينَ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وإنَّما كانَ كذلِك؛ لأنَّ العربَ تُوقِعُ بالفرْعِ مَا هوَ واقِعٌ بالأصْلِ، كقوْلِهم: فُلانٌ يطبُخُ آجُرًّا[3].

والثَّاني: أنَّ الخمْرَ فِي لُغةِ أهْلِ عُمان اسْمٌ للعِنَبِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، والزَّجَّاجُ[4].

قالَ ابْنُ القَاسمِ: وقدْ نطَقَتْ قُريشٌ بهذِهِ اللُّغة وعرَفَتْها[5].

والثَّالث: أنَّ المعْنَى: أعْصِرُ عنَبَ خمْرٍ، وأصْلُ خمْرٍ، وسبَبُ خمْرٍ، فحُذِف المضَافُ، وخلفَهُ المضَافُ إليْهِ؛ كقوْلِه: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

---

(١) ليست في (ج)، و(ف).

(٢) في (ف): ما.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٩).

(٥) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ١١٤).

قالَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: رَأى يُوسُفُ عليه السلام ذاتَ يوْمٍ الخبَّازَ والسَّاقِيَ مهمُومَيْنِ، فقَالَ: مَا شأْنُكُما؟ قالَا: رَأيْنا رُؤْيَا، قالَ: قِصَّاهَا عليَّ، قالَ السَّاقي: إنِّي رأيْتُ كأنِّي دخلْتُ كرْمًا فجَنَيْتُ ثلاثةَ عناقِيدَ عِنَبٍ فعَصَرْتُهنَّ في الكأْسِ، ثُمَّ أتيْتُ بهِ الملِكَ فشَرِبَهُ، وقالَ الخبَّازُ: رأيْتُ أنِّي خرجْتُ مِن مطْبخِ الملِكِ أحْمِلُ فوْقَ رأسِي ثلاثَ سِلالٍ مِنْ خُبْزٍ، فوَقَع طَيْرٌ علَى أعْلاهُنَّ فأكَلَ منْها[1]. ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾؛ أي: أخْبِرْنا بتفْسيرِه.

وفي قوْلِه: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها[2]: أنَّه كانَ يعُودُ المرْضَى ويُدَاوِيهِم ويُعزِّي الحزِينَ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: إنَّا نَراكَ مُحْسِنًا إنْ أنبأْتَنا بتأْوِيلِه، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والثَّالث: إنَّا نَراكَ مِن العَالِمِين قد أحْسنْتَ العِلْمَ، قالَه الفرَّاءُ[4].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: فعَلى هذَا يكُون مفْعُولُ الإحْسانِ محْذُوفًا[5]، كما حُذِف في قوْلِه تعالى ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] يعْنِي: العِنبَ والسِّمْسمَ. وإنَّما علِمُوا أنَّه عالِمٌ؛ لِنشْرِه العِلْمَ بيْنَهُم.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٤٩)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٤).

(٢) في (ف): أحدهن.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٩٩) (١٩٢٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٣) (١١٦٠٦) عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩) إلى ابن جرير.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٤٥)، وعزاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٢) إلى الجمهور.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١١٦).

والرَّابع: إنَّا نراكَ ممَّن يُحسنُ التَّأويلَ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[١].

والخامس: إنَّا نراكَ مُحسنًا إلى نفسِك بلُزومِكَ طاعةَ اللهِ تعالَى، ذكرَهُ ابنُ الأنباريِّ[٢].

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٧ - ٣٩].

قولُه تعالَى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في معنَى: الكلامِ قولانِ:

أحدُهما: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في اليقظةِ إلَّا أخبرْتُكُما بهِ قبلَ أنْ يصِلَ إليكُما؛ لأنَّه كان يُخبرُ بما غابَ كعيسى عليهِ السَّلامُ، وهذا[٣] قولُ الحسَنِ[٤].

والثَّاني: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في المنامِ ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ في اليقظةِ، هذا قولُ السُّدِّيِّ[٥].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٠).

(٢) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ١١٦).

(٣) في (ج)، و(ف): وهو.

(٤) نقل الماورديُّ هذا القولَ في تفسيره (٢/ ٢٦٩) عن الحسن رحمه الله.

(٥) أخرج هذا القول الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠١) (١٩٢٨٤).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فقالا لَهُ: وكيْفَ تعْلَمُ ذلِك، ولسْتَ بسَاحِرٍ، ولا عرَّافٍ، ولا صَاحبِ نُجومٍ؛ فقَالَ: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي﴾[(١)].

فإنْ قيلَ: هذَا كلُّه ليْسَ بجوَابِ سُؤالِهما، (فأيْنَ جوَابُ سُؤالِهما)[(٢)]؟.

فعنْهُ أرْبعَةُ أجْوبةٍ:

أحدُهما: أنَّه لمَّا علِم أنَّ أحدَهُما مقْتولٌ، دعَاهُما إلى نصِيبِهما مِنَ الآخِرةِ، قالَهُ قتَادةُ.

[٤٠١/ب] والثَّاني: أنَّه عدَلَ عنِ الجوَابِ لِمَا فيهِ مِنَ المكْرُوهِ لِأحدِهما، قالَهُ ابْنُ جُريجٍ.

والثَّالث: أنَّه[(٣)] ابْتدأَ بِدُعائِهما إلى الإِيمانِ قبْلَ جوَابِ السُّؤالِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[(٤)].

والرَّابع: أنَّه ظنَّهُما كاذِبَيْنِ فِي رُؤْيَاهُما، فعدَلَ عنْ جوَابِهما لِيُعرِضَا عنْ مُطالبَتِه بالجوَابِ فلمَّا ألحَّا[(٥)] أجابَهُما، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

فأمَّا المِلَّةُ: فهيَ الدِّينُ. وتكْرِير قوْلِه: ﴿هُمْ﴾ للتَّوكيدِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريدُ: أنَّ اللهَ عصمَنَا مِنَ الشِّرْكِ ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: بحر العلوم (٢/ ١٩٢).

(٢) ليس في (ج).

(٣) ليس في (ج)، و(ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٠).

(٥) في (ج): ألجَّا.

عَلَيْنَا﴾؛ أي: اتِّباعِنَا الإيمانَ بتوْفِيقِ اللهِ تعَالى. ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعْنِي: المؤْمِنِينَ بأنْ دلَّهُم علَى دينِهِ(١).

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أنْ جعَلَنَا أنْبِياءَ ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أنْ بعثَنَا إليْهِم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ مِن أهْلِ مِصْرَ ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ اللهِ فيُوحِّدُونَهُ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ يعْنِي: الأصْنامَ مِن صغِيرٍ وكبِيرٍ ﴿خَيْرٌ﴾؛ أي: أعْظمُ صِفةً في المدْحِ ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يعْنِي: أنَّه أحَقُّ بالإلهيَّةِ مِنَ الأصْنامِ؟.

فأمَّا الواحدُ؛ فقالَ الخطَّابيُّ: هو الفرْدُ الَّذي لم يزَلْ وحْدَهُ، وقيل: هو المنْقَطِعُ القَرِينِ، المعدُومُ الشَّريكِ والنَّظِيرِ، وليْسَ كسائِرِ الآحَادِ مِنَ الأجْسَامِ المؤلَّفةِ، فإنَّ كُلَّ شيْءٍ سِواهُ يُدْعَى واحِدًا(٣) مِن جِهةٍ، غيْرَ واحِدٍ مِن جِهاتٍ، والوَاحِدُ لا يُثنَّى مِن لفْظِهِ، لا يُقالُ: وَاحِدَانِ(٤).

والقهَّارُ: الَّذي قهَرَ الجبَابِرةَ مِنْ عُتاةِ خلْقِه بالعُقوبَةِ، وقهَرَ الخلْقَ كُلَّهُم بالموْتِ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٣)، والتفسير البسيط (١٢/ ١١٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٣) (١٩٢٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٥) (١١٦٦١٤- ١١٦١٥) من طريق عبد الله بن صالح، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) مكررة في (ج)، و(ف).

(٤) شأن الدعاء (ص: ٨٢).

وقالَ غيْرُه: القهَّارُ: الَّذِي قهَرَ كُلَّ شيْءٍ فذَلَّـلَهُ، فاسْتَسْلَمَ وذَلَّ لَهُ(١).

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ [يوسـف: ٤٠ - ٤١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ إنَّـما جمَـع فِي الخِطـابِ لهُـما؛ لأنَّـه أرَاد جمِيـعَ مَـن شـارَكَهُما فِي شِرْكِهـما.

وقوْلُــه تعَــالى: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ أي: مِــنْ دُون الله ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ يعْنِــي: الأرْبَـابَ والآلِهَـةَ، ولَا يصِـحُّ معَـانِي تلْـكَ الأسْـماءِ للْأَصْنـامِ، فكأنَّهـا أسْـماءٌ فارِغَـةٌ، فكأنَّهُـم يعْبـدُونَ الأسْـمَاءَ؛ لأنَّهـا لَا تصِـحُّ معَانِيهَـا.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: مِـن حُجَّـةٍ بِعبادَتِهـا ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: مَـا القضَـاءُ والأَمْـرُ والنَّهْــيُ إلَّا لَــهُ ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾؛ أي: المسْـتَقِيمُ، يُشـيرُ إلى التَّوْحيـدِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لا يعْلَمُون أنّه لا يجُوزُ عِبادةُ غيْرِه.

والثَّاني: لا يعْلَمُون ما للْمُطِيعينَ مِنَ الثَّوابِ و[مَا](٢) للْعَاصِينَ مِنَ العِقابِ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٠٤).

(٢) من (ج).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾ **الرَّبُّ** هاهُنا: السَّيِّدُ.

قالَ ابْنُ السَّائِبِ: لما قصَّ السَّاقِي رُؤياهُ علَى يُوسفَ، قالَ لَهُ: مَا أحْسَنَ مَا رأَيْتَ! أمَّا الأغْصانُ الثَّلاثةُ؛ فثلاثةُ أيَّامٍ، يبْعَثُ إليْكَ الملِكُ عنْدَ انْقِضائِهَا، فيَردُّكَ إلى عمَلِك، فتَعُودُ كأحْسنِ[1] ما كُنْتَ فيهِ، وقالَ للْخبَّازِ: بِئْسَ مَا رَأيْتَ! السِّلالُ الثَّلاثُ؛ ثلاثةُ أيَّامٍ، ثُمَّ يبْعَثُ إليْكَ الملِكُ عنْدَ انْقضائِهِنَّ، فيقْتلُك ويصلبُكَ وتأْكُلُ[2] الطَّيْرُ مِن رأسِكَ، فقالَا: مَا رأيْنا شيْئًا، فقَال: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾؛ أي: فُرغ منه، [٤٠٢/أ] وسيقَعُ بِكُما، صَدَقْتُما أوْ كذَبْتُما[3].

فإنْ قِيلَ: لِمَ حتَّم علَى وقُوعِ التَّأويلِ، وربَّما صدَقَ تأويلُ الرُّؤيا وربَّما[4] كذَبَ؟.

فعَنْه جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّه حتَّم ذلِك لِوحْيٍ أتَاهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وسَبِيلُ المنامِ المكْذُوبِ فيهِ أنْ[5] لا يقعَ تأويلُه، فلمَّا قالَ: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ دلَّ علَى أنَّه بوَحْيٍ[6].

---

(١) في (ف): أحسن.

(٢) في (ج)، و(ف): ويأكل.

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٦- ١٩٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٢٠).

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ج): أنّه.

(٦) في (ج): وحي.

والثَّاني: أنَّه[١] لم يحتِّمْ، بدليلِ قوْلِه: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾.

قالَ أصحابُ هذا الجوابِ: معنى ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: قُطِعَ الجوابُ الَّذي الْتمستماهُ مِن جِهتي، ولم يعْنِ أنَّ الأمْرَ واقِعٌ بِكما.

وقالَ أصْحابُ الجوابِ الأوَّلِ: الظَّنُّ هاهُنا بمعْنَى: العِلْمُ.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ يعْنِي: السَّاقي.

وفي هذا الظَّنِّ قوْلانِ:

أحدُهما: [أنَّه][٢] بمعْنَى: العِلْمِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الظَّنُّ الَّذي يُخالِفُ اليقِينَ، قالَهُ قتادةُ.

قوْلُه تعالَى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: عنْد صَاحِبِكَ، وهوَ الملِكُ، وقُلْ لَه: إنَّ فِي السِّجْنِ غُلامًا حُبِسَ ظُلْمًا. واسْمُ الملِكِ: الوليدُ بْنُ الرَّيانِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: فأنْسى[٣] الشَّيطانُ السَّاقِيَ ذكْرَ يُوسفَ لِربِّه، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبِهِ قالَ ابْنُ إسْحاقَ[٤].

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ف)، و(ر).

(٣) في (ج)، و(م): فأنساه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٣) (١٩٣٢٢).

والثَّاني: فأنْسَى الشَّيْطانُ يُوسُفَ ذكْرَ ربِّه عزَّ وجلَّ، وأمَرَهُ بذكْرِ الملِكِ ابْتغَاءَ الفرَجِ مِنْ عنْدِه، قالَهُ مُجاهِدٌ(١)، ومُقاتِلٌ(٢)، والزَّجَّاجُ(٣)، وهذَا نِسيانُ عمْدٍ، لا نِسْيانُ سهْوٍ، وعكسُه القوْلُ الَّذِي قبْلَه.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾؛ أي: غيْرَ مَا كانَ قدْ لبِثَ قبْلَ ذلِكَ؛ عُقوبةً له علَى تعلُّقِه بمخْلُوقٍ.

وفي البِضْع تسْعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: ما بيْنَ السَّبعِ والتِّسعِ، رَوى ابْنُ عبَّاسٍ أنَّ أبا بكْرٍ الصِّدِّيقَ لَمَّا نَاحبَ(٤) قُريشًا عنْدَ نُزولِ ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢﴾ [الروم: ١ - ٢] قالَ لَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا احْتَطْتَ، فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ السَّبْعِ إِلَى التِّسْعِ»(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٩)، (١١٦٤٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢).

(٤) أي: راهن، وكانت بين أبي بكر رضي الله عنه وبين أحد كُفَّار قريش، حول حرب الرُّوم والفرس.

(٥) أخرجه الترمذي حديث (٣١٩١)، والطبري (٢٠/ ٦٨) (٢٧٨٦٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٩٠- ٢٩٩١)، والضياء في المختارة (١٤٦- ١٤٧) من طريق عبد الله بن الرحمن الجمحي، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود، عن ابن عبَّاسٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناحبة ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾: «ألا احتطت أبا بكر، فإنَّ البضع ما بين الثلاث إلى تسع»، وعبد الله بن عبد الرحمن الجمحي، أبو سعيد، مجهول الحال.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧٢٦٦) من طريق إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، عن حجاج بن محمد المصيصي، عن ابن جريج، عن عبد الرحمن بن أبي=

والثَّاني: اثْنَا عشرَةَ سنَةً، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: سبْعُ سِنينَ، قالَهُ عِكرِمَةُ.

والرَّابع: أنَّه مَا بيْنَ الخمْسِ إلَى السَّبعِ، قالَهُ الحسَنُ.

والخامِس: أنَّه مَا بيْنَ الأرْبَعِ إلى التِّسعِ، قالَهُ مُجاهِدٌ(١).

والسَّادس: ما بيْنَ الثَّلاثِ إلَى التِّسع(٢)، قالَهُ الأَصْمَعيُّ(٣)، والزَّجَّاج(٤).

والسَّابع: أنَّ البِضْعَ يكُون بيْنَ الثَّلاثِ والتِّسعِ والعَشْر، قالَهُ قتادَةُ(٥).

والثَّامن: أنَّه ما دُون العشَرَةِ، قالَهُ الفرَّاءُ(٦).

وقالَ الأخْفشُ: البِضْعُ: مِنْ واحِدٍ إلى عشَرَةٍ(٧).

=الزناد، عن أبيه، عن عروة، عن نيار بن مكرم، قال: قال رسول الله ﷺ: «البضع ما بين الثلاث سنين إلى التسع»، وإبراهيم المصيصي متروك: انظر: الميزان (١/ ٤٠). وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث الزُّهري، عن عبيد الله، عن ابن عبَّاسٍ.

(١) تفسير مجاهد (ص: ٣٩٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٥) (١٩٣٢٨)، والذي جاء عنه: أنَّه ما بين الثلاثة إلى التسعة.، وانظر: تفسير الماوردي المسمى بالنكت والعيون (٣/ ٤٠).

(٢) في (ج): والتسع.

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١١٢)، ومعاني القرآن (٣/ ٤٣٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٤)، وانظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٤٢٩).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٤٦).

(٧) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٥/ ٢٤٣)، والزاهر (٢/ ٣٤٣)، والتفسير البسيط (١٢/ ١٢٤).

والتَّاسع: أنَّه مَا لمْ يبْلُغِ[١] العَقدَ ولا نصْفَه، قالَه أبو عُبيدةَ[٢].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يعْنِي ما بيْنَ الوَاحِدِ إلى الأرْبَعةِ[٣].

ورَوى الأثْرَمُ عنْ أبي عُبيدةَ: **البِضْعُ**: ما بيْنَ ثلَاثٍ وخمْسٍ[٤].

وفِي جُملةِ مَا لبِثَ فِي السِّجنِ ثَلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: اثْنَا عشرَةَ سنَةً، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أربعَ عشرَةَ سنَةً[٥]، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: سبْعَ سِنِين، قالَهُ قتادَةُ. [٤٠٢/ ب]

قالَ مالِكُ بْنُ دِينارٍ: لمَّا قالَ يُوسُفُ للسَّاقِي: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ قِيل لَهُ: يا يُوسفُ! اتَّخذْتَ مِن دُونِي وَكِيلًا؟ لَأُطِيلَنَّ حبْسَك، فبَكَى، وقالَ: يا ربِّ! أنْسى قلْبِي كثْرةُ البَلْوَى، فقُلْتُ كلِمةً، فوَيلٌ لِإخْوَتِي[٦].

(١) في (ج): ما يبلغ.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٩٦)، بتصرف.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٧).

(٤) انظر: الزاهر (٢/ ٣٤٢).

(٥) زيادة من الأصل، و(ج).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٩) عن مالك بن دينار عن الحسن.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ يعْني: ملِكَ مِصْرَ الأكْبرَ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ يعْني: فِي المَنامِ، ولم يقُلْ: رأيْتُ، وهذا جائِزٌ فِي اللُّغةِ أنْ يقُولَ القائِلُ: أرَى، بمعْنَى: رأيْتُ.

قالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: لَّما انْقضَتِ المدَّةُ الَّتِي وقَّتَها اللهُ تعالى ليوسُفَ فِي حبْسِه، دخلَ عليْهِ جِبْريلُ عليه السَّلام إلى السِّجنِ، فبشَّرَهُ بالخُروجِ وبمُلْكِ[1] مِصْرَ ولِقاءِ أبيه، فلمَّا أمْسَى الملِكُ مِن ليلتئِذٍ[2]، رأى سبْعَ بقَراتٍ سِمانٍ خرجْنَ مِنَ البحْرِ، فِي آثارِهِنَّ سبْعٌ عِجافٌ، فأقْبلَتِ[3] العِجافُ علَى السِّمانِ، فأخذْنَ بأذْنابِهِنَّ فأكَلْنَهُنَّ إلى القَرْنَيْنِ، ولم يزِدْ فِي العِجافِ شيْءٌ، ورأى سبْعَ سُنْبلاتٍ خُضرٍ، وقدْ أقْبلَ عليْهِنَّ سبْعٌ يابِساتٌ فأكَلْنَهُنَّ حتَّى أتَيْنَ عليْهِنَّ، ولم يزدَدْ فِي اليابِساتِ شيْءٌ، فدَعا أشْرافَ قوْمِه فقصَّها عليْهِم، فقالُوا: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: والعِجافُ: الَّتِي قدْ بلَغتْ فِي الهُزالِ الغايةَ. والملأُ: الَّذِين يُرجَعُ إليْهِم فِي الأمُورِ ويُقتَدَى برأْيِهِم، واللَّام فِي قوْلِه تعالى:

---

(١) في (ج)، و(ف)، و(ر): وملك.

(٢) في (ج): ليلته.

(٣) في (ج)، و(ف): فأقبلن.

﴿لِلرُّءْيَا﴾[١] دخلَتْ على المفْعُول للتَّبْيِينِ، المعنى: إنْ كُنْتم تعبرونَ، ثُمَّ بَيَّنَ[٢] باللَّامِ، فقَالَ: ﴿لِلرُّءْيَا﴾.

ومَعْنى عبَّرْتُ الرُّؤيا وعبَرْتُها: أخبرْتُ[٣] بآخِرِ مَا يؤُولُ إليْهِ أمْرُها، واشْتقاقُه مِن عَبْرِ النَّهْرِ، وهو شاطئُ النَّهرِ، فتأويلُ عبرْتُ النَّهرَ: بلغْتُ إلى عِبْرِه؛ أي: إلى شَطِّه وهوَ آخِرُ عرْضِه[٤].

وذكَر ابْنُ الأنبارِيِّ[٥] فِي اللَّامِ قوْلَينِ:

أحدُهما: أنَّها للتَّوْكيدِ.

والثَّاني: أنَّها أفادَتْ معْنَى: «إلى»، والمعْنَى: إنْ كُنْتُم توجهون العِبارةَ إلى الرُّؤيَا.

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾.

قَالَ أَبو عُبيدَةَ: وَاحِدُها: ضِغْثٌ؛ مكْسُورةٌ[٦]، وهِيَ مَا لَا تأْوِيلَ له[٧] مِنَ الرُّؤيَا، وتَراه جمَاعَات تجمَعُ مِنَ الرُّؤيا كمَا يُجمَعُ الحَشِيشُ،

---

(١) وهذه اللام تسمى لام التعقيب؛ لأنها عقبت الإضافة؛ لأنَّ المعنى: إن كنتم عابري الرؤيا.

(٢) في (م): يبين.

(٣) في (ف): خبرت.

(٤) انتهى نقله عن الزجاج هنا، انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢).

(٥) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٢٧) عن ابن الأنباري.

(٦) في (ف): مكسور.

(٧) في مجاز القرآن: لها.

فيُقالُ: ضِغْثٌ؛ أي: مِلءُ كفٍّ منْهُ[١].

وقالَ الكِسائِيُّ: **الأضْغاثُ**: الرُّؤيا المختَلِطةُ[٢].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾؛ أي: أخلاطٌ مثلُ أضغاثِ النَّباتِ يجمعُهَا الرَّجُلُ، فيكُونُ فيهَا ضُرُوبٌ مختلِفَةٌ[٣].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: الضِّغْثُ في اللُّغةِ: الحُزمَةُ والبَاقةُ مِنَ الشَّيءِ، كالبَقْلِ ومَا أشبَهَهُ، فقَالُوا له: رُؤيَاكَ أخْلاطُ أضْغاثٍ؛ أي: حُزَمُ أخْلاطٍ، ليْسَت برُؤيَا بيِّنَةٍ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾؛ أي: ليس للرُّؤيا المخلتطةِ عنْدنا تأوِيلٌ[٤].

وقالَ غيْرُه: وما نحْنُ بتأوِيلِ الأحْلامِ الَّتِي[٥] هذَا وصفُها بعَالِمِينَ. **والأحْلامُ**: جَمْعُ حِلمٍ؛ وهوَ مَا يرَاه الإنْسانُ في نوْمِه ممَّا يصِحُّ وممَّا يبْطُلُ[٦].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: ٤٥ - ٤٨].

---

(١) معاني القرآن (١/ ٣١٢).

(٢) انظر قول الكسائي في تهذيب اللغة (٣/ ٢١٢٠) (ضغث)، والتفسير البسيط (١٢/ ١٣٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢١٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٢ - ١١٣).

(٥) في (م): الذي.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٥).

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعْنِي: الَّذي تخلَّص مِنَ القَتْلِ مِنَ الفَتيَيْنِ، وهوَ السَّاقِي. ﴿وَٱدَّكَرَ﴾؛ أي: تذكَّر شأْنَ يُوسفَ ومَا وصَّاهُ بِهِ. [٤٠٣/أ]

قالَ الزَّجَّاجُ: وأصْلُ {ادَّكَرَ}: اذْتَكَرَ، ولكنِ التَّاءُ أُبدلَتْ منْهَا الدَّالُ، وأُدغمتِ الذَّالُ فِي الدَّالِ[١]. وقرَأَ الحسَنُ: «واذَّكَر» بالذَّالِ المشدَّدةِ[٢].

وقوْلُه: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾؛ أي: بعْدَ حِينٍ، وهوَ الزَّمانُ الَّذي لبِثَهُ يُوسُفُ بعْدَهُ فِي السِّجْنِ، وقد سبَقَ بيانُه. وقرَأَ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ «بَعْدَ أَمَهٍ»[٣] أرَاد بعْدَ نِسيانٍ.

فإنْ قِيلَ: هذَا يدُلُّ علَى أنَّ النَّاسيَ فِي قوْلِه: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ هوَ السَّاقِي، ولا شَكَّ أنَّ مَنْ قالَ: إنَّ النَّاسِيَ يُوسُفُ يقُولُ[٤]: لم ينْسَ السَّاقِي.

فالجوَابُ: أنَّ مَنْ قالَ: إنَّ يُوسفَ نسِيَ، يقُول: معْنَى قوْلِه: «وادَّكَر»: ذَكَر؛ كمَا تقُولُ العرَبُ: احْتلَبَ بمعْنَى: حلَبَ، واغْتدَى بمعْنَى: غدَا، فلَا يدُلُّ إذًا علَى نِسْيانٍ سبَقَهُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٣).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٨)، والبحر المحيط (٥/ ٣١٤).

(٣) بالهاء، قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٤٤)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٨).

(٤) في (ف): تقول.

وقدْ روَى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: إنَّما لم يذْكُرِ السَّاقِي خبَرَ يُوسفَ للمَلِكِ حتَّى احْتاجَ الملِكُ إلى تأويلِ رُؤْياهُ؛ خوْفًا مِنْ أنْ يكُونَ ذكْرُه لِيوسُفَ سببًا لِذكْرِهِ الذَّنْبَ الَّذي مِن أجْلِه حُبِس[1]، ذكرَ هذَا الجوَابَ ابْنُ الأنْبارِيِّ[2].

قوْلُه تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾؛ أي: مِن جِهةِ يُوسفَ ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ أثْبتَ الياءَ فيهَا وفِي ﴿تَقۡرَبُونِ﴾ [يوسف: ٦٠] ﴿أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] يعْقُوبُ فِي الحَالَيْنِ[3]، فخاطَبَ الملِكَ وحْدَهُ بِخطابِ الجميعِ؛ تعظِيمًا، وقيلَ: خاطَبَهُ وخَاطَبَ أتْباعَهُ.

وفِي الكَلَامِ اخْتِصارٌ، المعْنَى: فأرْسلُوه فأَتَى يُوسفُ فقَالَ: [يَا يُوسُفُ][4] يا أيُّها الصِّديقُ. والصِّديقُ: الكثِيرُ الصِّدقِ، كما يُقالُ: فسِّيقٌ، وسِكِّيرٌ، وقد سبَقَ بيانُهُ [النساء: ٦٩].

قوْلُه تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعْنِي: الملِكَ وأصْحابَهُ والعُلماءَ الَّذِين جمعَهُم لِتعبيرِ رُؤْياهُ.

وفِي قوْلِه تعالَى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: يعْلَمُون تأوِيلَ رُؤيا الملِكِ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٥٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٣٣) من رواية الكلبي.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٣٣) عن ابن الأنباري.

(٣) قراءة عشرية، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٦٥).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

والثَّاني: يعْلَمُونَ بمكانِكَ فيكونُ سببَ خلَاصِكَ.

وذكَرَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ فِي تكْرِيرِ «لعلِّي» قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّ «لعَلَّ» الأُولى متعلِّقةٌ بالإفْتاءِ، والثَّانيةُ: مبنيَّةٌ على الرُّجوعِ، وكِلْتاهُما بمعْنَى: «كَي».

والثَّاني: أنَّ الأُولى بمعْنَى: «عسَى» والثَّانيةَ بمعْنَى: «كَيْ» فأُعِيدتْ لاِخْتلافِ المعْنَيَيْنِ، وهذَا هوَ الجوَابُ عنْ قوْلِه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢].

قالَ المفَسِّرونَ: كانَ سيِّدُه العزِيزُ قدْ ماتَ، واشْتغلَتْ عنْهُ امْرأتُهُ.

وقالَ بعْضُهم: لم يكُنِ العزِيزُ قدْ ماتَ، فقَالَ يُوسُفُ للسَّاقِي: قُلْ للمَلِكِ: هذِه سبْعُ سِنِينَ مخصِباتٌ، ومِن بعْدِهنَّ سبْعُ سِنِينَ شِدادٌ، إلَّا أنْ تحْتالَ[١] لهُنَّ، فانْطلَقَ الرَّسُول إلى الملِكِ فأخْبَرَهُ، فقَالَ له الملِكُ: ارْجِعْ إليْهِ فقُلْ له: كيْفَ يصنَعُ؟ فقَالَ: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾[٢].

قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ «دَأْبًا» ساكِنَةَ [الهمْزةِ][٣]، (إلَّا أنَّ)[٤] أبا عمْرٍو كانَ إذَا أدْرجَ القِراءةَ لم يهمِزْها[٥]. [٤٠٣/ب]

(١) في (ف): يحتال.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٦).

(٣) من سائر النسخ.

(٤) في (ف): لأنَّ.

(٥) أي: يسهل الهمزة عند درج القراءة، والقراءاتان مثل: نَهر، ونَهَر.

وروى حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «دَأَبًا» بفتْحِ الهمْزَةِ[١].

قالَ أبو علِيٍّ: الأكْثَرُ فِي «دأْبٍ» الإسْكانُ، ولعلَّ الفتْحَ لغةٌ، ومعْنَى «دَأَبًا»[٢]؛ أي: زِراعةً مُتوالِيةً علَى عادَتِكُم، والمعْنَى: تزْرَعُون[٣] دائِبِين. فنَابَ «دَأب» عنْ «دَائِبِينَ».

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: تدأَبُون[٤] دأبًا، ودلَّ على تدأَبُونَ[٥]: «تزْرَعُونَ[٦]». والدَّأْبُ: الملازمةُ للشَّيْءِ والعَادةُ[٧].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ حكَمَ بعِلْمِ غيْبٍ[٨]، فقَالَ: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ ولم يقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ؟.

فعنْهُ أرْبعَةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ بوحْيٍ[٩] مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

---

(١) قراءتان سبعيتان، إلا أن الفتح لحفص خاصة عن عاصم، كما ذكر المصنف، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤٢٥).

(٣) في الأصل: يزرعون، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في الأصل: يدأبون، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في الأصل: يدأبون، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) في الأصل: يزرعون، والمثبت ما سائر النسخ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٤).

(٨) في (ج)، و(ف): الغيب.

(٩) في (ج): وحي.

والثَّاني: أنَّه بنَى علَى علمٍ مَا علَّمَه اللهُ عزَّ وجلَّ مِنَ التَّأْويلِ الحَقِّ، فلم يشُكَّ.

والثَّالث: أنَّه أضْمَر «إنْ شاءَ اللهُ» كما أضْمَر إخوتُه في قوْلِهم: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥] فأضْمَرُوا الاِسْتِثناءَ فِي نيَّاتِهم؛ لأنَّهم على غيْرِ ثِقةٍ مما وُعِدُوا، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

والرَّابع: أنَّه كالآمِرِ لهُم، فكأنَّه قالَ: ازْرَعُوا.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ فإنَّه أبْقَى له، وأبْعَدَ مِنَ الفَسادِ.

والشِّدادُ: المجدبَاتُ الَّتِي تشْتدُّ علَى النَّاس ﴿يَأْكُلْنَ﴾؛ أي: يُذْهِبْنَ ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ فِي السِّنين المخصبَاتِ، فوصَفَ السِّنِينَ بالأكْلِ، وإنَّما يُؤكل فيهَا، كما يُقَال: ليلٌ نائِمٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾؛ أي: تُحرِزُون وتدَّخِرونَ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾.

إنْ قِيلَ: لمَ أشارَ إلى السِّنِينَ وهيَ مؤنَّثةٌ بـ«ذلِكَ»؟.

فعنْهُ جوَابَانِ -ذكرَهُما ابْنُ القَاسِمِ-:

أحدُهما: أنَّ السبعَ مؤنَّثةٌ، ولَا علامَةَ للتَّأْنِيثِ في لفْظِها، فأشْبهَتِ المذكَّرَ؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾[المزمل: ١٨] فذكَّر مُنْفطرًا لمَّا لم يكُنْ في السَّماءِ علَمُ تأْنِيثٍ[١]، قالَ الشَّاعِر [من المتقارب]:

---

(١) في (م): التَّأنيث.

فَـلَا مُزْنَـةٌ وَدَقَـتْ وَدْقَهَـا وَلَا أَرْضَ أَبْقَـلَ إِبْقَالَهَـا[١]

فذَكَّر «أبْقَلَ» لِمَا وصَفْنا.

والثَّـاني: أنَّ «ذلِـكَ» إشَـارةٌ إلى الجـدْبِ، وهـذَا قـوْلُ مُقاتـلٍ[٢]، والأوَّلُ قـوْلُ الكلْبِـيِّ[٣].

قالَ قتادَةُ: زادَهُ اللهُ عِلْمَ عامٍ لم يسْأَلُوه عنْهُ[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: يُصِيبهُمُ الغَيْثُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يُغاثُونَ بالخَصْبِ. ذكرَهُ الماورديُّ[٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

---

(١) الشاهد لعامر بن جوين الطائي شاعر جاهلي في الكتاب (٢/ ٤٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٦٧)، والكامل؛ للمبرد (٢/ ٣٧٩)، (٣/ ٩١)، والأصول (٢/ ٤١٣)، وبلا نسبة في: معاني الأخفش (١/ ٥٥)، (٢/ ٣٠٠)، والحجة؛ لأبي علي (٤/ ٢٣٨)، والمحتسب (٢/ ١١٢)، والخصائص (٢/ ٤١١)، والمزن: السحاب، والودق: المطر، وأبقلت: أخرجت البقل. والشاهد: حذف التاء من أبقلت للضرورة ولأن الأرض مؤنث مجازي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٨).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٥٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٣٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٣١٧)، عن معمر، عن قتادة، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٨) (١٩٣٧٧) من طريق معمر، عن قتادة، قال: ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها.

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٥).

قَـرَأَ ابْـنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأَبو عمْرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ، وعاصِـمٌ: «يَعْـصِرُونَ» باليَـاءِ. وقَـرَأَ حمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ بالتَّـاءِ[١]، فوجَّهَـا الخِطابَ إلى المسْـتَفْتِينَ.

وفِي قَوْلِه تعَالَى: «يَعْصِرُونَ» خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهَـا: يعْـصِرُونَ العِنـبَ والزَّيـتَ[٢] والثَّمـراتِ، رَواه العَـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قَـالَ قتَـادَةُ، والجمهُـورُ[٣].

والثَّاني: «يَعْصِرُونَ» بمعْنَى: يحتَلِبُونَ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

ورَوى ابْـنُ الأنْبـارِيِّ عـنْ أبيـهِ، عـنْ أحْمـدَ بْـنِ عُبيـدٍ، قـالَ: تفْسِـيرُ «يعْـصِرُونَ[٥]»: يحْتَلِبُـونَ الألْبـانَ لِسـعَةِ خيْرِهِـم واتِّسـاعِ خصبِهِـم[٦]، واحْتـجَّ بقَـوْلِ الشَّـاعِرِ [مـن الطويـل]:

فَمَـا عِصْمَةُ الْأَعْـرَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ... طَعَـامٌ وَلَا دَرٌّ مِـنَ الْمَـالِ يُعْـصَرُ[٧]

أي: يُحْلَبُ. [٤٠٤/أ]

---

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) في (ج): الزيت والعنب.

(٣) أخرجـه عنهـم الطـبري في تفسـيره (١٦/ ١٢٩- ١٣٠)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٥٥) عـن ابـن عبـاس، وقتـادة ومجاهـد.

(٤) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ١٣٠)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٥٥) مـن طريـق الفـرج بـن فضالـة.

(٥) في الأصل: تعصرون، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٢).

(٧) البيت بلا نسبة في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٢).

والثَّالث: ينْجُونَ، وهوَ مِنَ العَصَرِ، **والعَصَرُ**: النَّجاءُ، والعُصْرَةُ: المنجَاةُ[(١)]. ويُقال: فُلانٌ فِي عُصْرةٍ: إذَا كانَ فِي حِصْنٍ لا يُقدَرُ عليْهِ، قالَ الشَّاعِرُ [من الخفيف]:

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ... وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ[(٢)]

أي: غِياثًا للمغْلُوب المقهُورِ، وقالَ عدِيٌّ [من الرمل]:

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي[(٣)]

هذَا قوْلُ أبِي عُبيدَةَ[(٤)].

والرَّابع: يُصيبون مَا يحِبُّونَ، رُوي عنْ أبي عُبيدةَ أيْضًا أنَّه قالَ: المعتصِرُ: الَّذي يُصِيب الشَّيْءَ ويأخذُهُ، ومنْهُ هذهِ الآيةُ[(٥)]، ومنْه قوْلُ ابْنِ أحْمرَ [من السريع]:

---

(١) في الأصل: النجاة، والمثبت من سائر النسخ، إلا أن في (ج): منجاةً، بدل: المنجاة.

(٢) البيت لأبي زُبيد الطَّائي في ديوانه (ص: ٤٤)، وتفسير الطبري، والتفسير البسيط (١/ ١٦٨)، ولابن قلد الطَّائي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٨)، جمهرة أشعار العرب؛ لأبي زيد القرشي (ص: ١٣٨)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣١٣)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٣٤٥)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٢/ ١٤) (عصر)، والمنجود: المكروب.

(٣) البيت لعدي بن زيد في ديوانه (ص: ٩٣)، والأغاني (٢/ ٩٤)، والحيوان (٥/ ١٣٨- ٥٩٣)، والشعر والشعراء (١/ ٢٢٣)، وجمهر اللغة (٢/ ٧٢١).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٣).

(٥) انظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد (٤/ ٤٤٧).

فَإِنَّمَا الْعَيْشُ بِرُبَّانِهِ وَأَنْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مُعْتَصَرُ(١)

والخامِس: يعطُونَ ويفضِلونَ لِسعَةِ عيْشِهِم، رَواه ابْنُ الأنْبارِيِّ عنْ بعْضِ أهْلِ اللُّغةِ(٢). وقرأ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: «يُعْصَرُونَ» بضمِّ الياءِ وفتْحِ الصَّادِ(٣).

وقالَ الزَّجَّاجُ: أرادَ: يُمطَرُون مِنْ قوْلِه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)﴾ [يوسف: ٥٠ - ٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾.

قالَ المفَسِّرونَ: لمَّا رجَعَ السَّاقِي إلى الملِكِ وأخْبَره بتأْوِيلِ رُؤيَاهُ، وقَعَ في نفْسِه صِحَّةَ مَا قالَ، فقَالَ: ائْتُونِي بالَّذِي عبَّرَ رُؤيَايَ، فجاءَهُ

(١) البيت في ديوانه (ص: ٦١)، وفيه: «مقتفر» بدل: «معتصر»، وأمالي القالي (١/ ٢٤٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٨٣)، (٤/ ٣٤٤)، ومجمل اللغة (٢/ ٤٥٧)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٤٦١) (عصر)، وبلا نسبة في المخصص (١٢/ ٢٣٢)، يقال: افعَلْ ذلك الأمر برُبَّانِه -مضمومة الرَّاء-؛ أي: بحِدْثانِهِ وجِدَّتِهِ وطَراءَتِه.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٢).

(٣) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٤)، والمحتسب (١/ ٣٤٤)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٤٨).

الرَّسُولُ، فقالَ: أجِبِ الملِكَ، فأبَى أنْ يَخْرُجَ حتَّى تُبيَّنَ براءتُهُ ممَّا قُذفَ[١] بِهِ، فقَالَ: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعْنِي: الملِكَ.

﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ وقَرَأ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «النُّسوةِ» بضمِّ النُّونِ[٢]، والمعْنَى: فاسْأَلِ الملِكَ أنْ يتعرَّفَ ما شأْنُ تلْكَ النِّسوةِ وحَالِهن لِيعْلَم صِحَّةَ بَراءَتِي، وإنَّما أشفَقَ أنْ يرَاهُ الملِكُ بعينِ مشْكُوكٍ في أمْرِه أو مُتَّهمٍ بفاحشةٍ، وأحبَّ أنْ يرَاه بعْدَ اسْتِقرَارِ بَراءتِهِ عنْدَه.

وظاهِرُ قوْلِه: ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أنَّه يعْنِي: اللهَ عزَّ وجلَّ، وحكَى ابْنُ جريرٍ الطَّبَريُّ أنَّه أرَادَ بِهِ سيِّدَه العزيزَ[٣]، والمعْنَى: أنَّه يعْلَم بَراءَتِي.

وقدْ رُوِي عنْ نبيِّنَا ﷺ أنَّه اسْتحْسَنَ حزْمَ يُوسفَ عليه السَّلام وصبْرَهُ عنِ التَّسرُّعِ إلى الخُرُوجِ، فقَالَ عليه السَّلامُ: «**إنَّ الكَرِيمَ بْنَ الكَرِيمِ بْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يعْقُوبَ بْنِ إسْحَاقَ بْنِ إبْرَاهِيمَ، لَوْ لبثْتُ في السِّجْنِ مَا لبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُ**»[٤].

---

(١) في (ف)، و(م): قُرف.

(٢) ذكر ابن عطية أنها قراءة أبي بكر عن عاصم، وأبي حيوة، وليست من طرق التيسير، بل من رواية البرجمي والشموني عن الأعشى عنه، انظر: تفسير الكشف والبيان (٥/ ٢٢٨)، وجامع البيان (٣/ ١٢٣١)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٧٦)، وزاد نسبتها لأبي حيوة، وابن عبلة، والقراءة بالكسر هي المتواترة.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٣٧).

(٤) رواه الترمذي (٣١١٦)، وقال: حسن، والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٥٤)، والحاكم في المستدرك (٣٣٢٥)، وغيرهم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث الزهري، عن سعيد وأبي عبيد، عن أبي هريرة: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف فقط».=

وفي ذكْرِه للنِّسوةِ دُون امْرَأةِ العَزيز أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه خلطَهَا بالنِّسوة؛ لِحُسنِ عِشرَةٍ فيهِ وأدَبٍ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

والثَّاني: لأنَّها زوْجةُ ملِكٍ، فصَانَهَا.

والثَّالث: لأنَّ النِّسوةَ شَاهدَاتٌ عليْهَا لَهُ.

والرَّابع: لأنَّ فِي ذكْرِه لهَا نوْعُ تُهمةٍ، ذكرَ الأقْوَالَ الثَّلاثَةَ الماوردِيُّ(٢).

قالَ المفَسِّرونَ: فرَجَع الرَّسُول إلى الملِكِ برِسالةِ يُوسفَ، فدَعَا الملِكُ النِّسوةَ، وفيهِنَّ امْرأةُ العَزيزِ، فقَالَ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾؛ أي: مَا شأْنُكُنَّ [٤٠٤/ ب] وقِصَّتُكُنَّ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾.

=وأخرج البخاري تعليقًا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله». صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام وفي الجاهلية. هذا وقد أخرج البخاري برقم (٣٣٨٣) حديث أبي هريرة موصولًا بسياق آخر، ولفظ قال: سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». هذا وقد وافق الذهبي على تصحيح الحاكم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٥).

(٢) النكت والعيون (٣/ ٣٤).

فإنْ قِيلَ: إنَّما رَاودَتْه واحِدةٌ، فلِمَ جَمَعهُنَّ؟.

فعنْهُ ثلاثةُ أجوِبةٍ:

أحدُها: أنَّه جمعَهُنَّ في السُّؤالِ لِيُعْلمَ عيْن المراودَةِ.

والثَّاني: أنَّ أُزليْخَا[1] رَاودَتْهُ عَنْ[2] نفْسِه، ورَاوده[3] باقِي النِّسوةِ علَى القَبُولِ منْهَا.

والثَّالث: أنَّه جَمَعَهُنَّ في الخِطابِ، والمعْنَى لواحدةٍ منْهُنَّ؛ لأنَّه قد يوقَعُ علَى النَّوعِ وصْفُ الجنسِ (إذا أُمِنَ [مِنَ][4] اللَّبسِ)[5]، يدلُّ عليْهِ قوْلُ النَّبِيِّ ﷺ للنِّساءِ: «إنَّكُنَّ أكْثَرُ أهْلِ[6] النَّارِ»[7]، فجمَعَهُنَّ في الخِطَابِ والمعْنَى لِبعْضِهِنَّ، ذكَرَه ابْنُ الأنْبارِيِّ[8].

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: قرَأَ الحسَنُ بتسْكِينِ الشِّينِ، ولا اخْتِلافَ بيْنَ النَّحْويينَ أنَّ الإسْكانَ غيْرُ جائِزٍ؛ لأنَّ الجمْعَ بيْنَ ساكِنَيْنِ لا يجُوزُ، ولَا هو مِنْ كلَامِ

---

(١) في (ج): زليخا.

(٢) في (ج)، و(ف): على.

(٣) في (ج): وراودته.

(٤) من سائر النسخ، عدا (ج).

(٥) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٦) في (ج): أصحاب.

(٧) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٠٤).

(٨) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٦) عن ابن الأنباري.

العـرَبِ، فأعْلَـم النِّسـوةُ الملِـكَ بـراءَةَ يُوسُـفَ مِـنَ السُّـوءِ، فقَالَـتِ امْـرأةُ العَزِيـزِ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: بـرزَ وتبـيَّنَ، واشْـتِقاقُه فِي اللُّغـةِ مِـنَ الحِصَّـةِ؛ أي: بانَـتْ حِصَّـةُ الحَـقِّ وجهتُـه مِـنْ حِصَّـةِ جِهـةِ البَاطِـلِ[١].

وقـالَ ابْنُ القَاسِـمِ: «حَصْحَصَ» بمعْنَى: وضَحَ وانْكشـفَ، تقُـولُ العرَبُ: حصْحَـصَ البَعِيرُ في بُروكِـهِ: إذَا تمكَّن، وأثَّـرَ فِي الأرْضِ، وفرَّق الحَصَى[٢].

ولِلْمُفسِّرينَ فِي ابْتدَاءِ أُزلِيْخا[٣] بالإقْرَارِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا لمـا رأتِ النِّسـوةَ قـدْ برَّأْنـهُ[٤]، قالَـتْ: لم يبْـقَ إلَّا أنْ يُقْبلِـنَ علـيَّ بالتَّقْريـرِ، فأقـرَّتْ، قالَـهُ الفـرَّاءُ[٥].

والثَّاني: أنَّها أظهرَتِ التَّوبةُ وحقَّقتْ صِدقَ يُوسُفَ، قالَهُ الماوردِيُّ[٦].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: «ذلِكَ» بمعْنَى: هذَا[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٧)، وانظر: تهذيب اللغة (١/ ٨٣٥).

(٣) في (ج): زليخا.

(٤) في الأصل: برأته، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٨).

(٦) النكت والعيون (٣/ ٤٧).

(٧) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠).

وقالَ ابنُ الأنبارِيِّ[١]: قالَ اللُّغويُّونَ: «هذَا» و«ذلِك» يصلُحانِ فِي هذَا المَوْضِعِ وأشْباهِه؛ لِقُرْبِ الخبَرِ مِن أصْحابِه، فصَارَ كالمشَاهَدِ الَّذي يُشار إليْهِ بهذَا، ولمَّا كانَ مُتقضيًا[٢]، أمْكنَ أنْ يُشارَ إليْه بذَلِك؛ لأنَّ المقتَضي كالغائِبِ.

واخْتلَفُوا في القائِل لهذا علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه يُوسفُ، وهذَا[٣] [مِن][٤] أغْمَضِ ما يأْتِي مِنَ الكلَامِ أنْ تحْكِيَ عنْ شخْصٍ شيْئًا ثُمَّ تصلُه بالحكايةِ عنْ آخَرَ.

ونظِيرُ هذَا قوْلُه: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾ [الأعراف: ١١٠] هذا قوْلُ الملأ، ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾: قوْلُ فرعونَ. ومثْلُه: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤] هذا قوْلُ بلقِيس، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾: قوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ. ومثْلُه[٥]: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] هذَا قوْلُ الكُفَّار، فقالَتِ الملائِكةُ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، وإنَّما يجُوزُ مثْلُ هذَا فِي الكلَامِ؛ لِظُهورِ الدّلالَةِ علَى المعْنَى.

واخْتلَفُوا، أيْنَ قالَ يُوسُفُ هذَا؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه لمَّا رجَعَ السَّاقِي إلى يُوسفَ فأَخْبرَهُ وهوَ فِي السِّجنِ

---

(١) الأضداد (ص: ٤١٧)، وإيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧٢٤)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٤٩).

(٢) في الأصل: منقضيًا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (ف): وهو.

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في (ج): وقوله تعالى.

بِجوَابِ امْرأةِ العَزيزِ والنِّسوةِ للملِكِ، قالَ: حينئذٍ: ﴿[ذَٰلِكَ][(١)] لِيَعْلَمَ﴾ رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٢)]، وبهِ قالَ ابْنُ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّه قالَه بعْدَ حُضورِه مجْلِسَ الملِكِ، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾؛ أي: ذلِك الَّذي فعلْتُ مِن ردِّي رَسُولَ [٤٠٥/أ] الملِكِ؛ ﴿لِيَعْلَمَ﴾.

واخْتلَفُوا في المشَارِ إليْهِ بقوْلِه: ﴿لِيَعْلَمَ﴾، وقوْلِه تعَالى: ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾ علَى أرْبعةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه العَزيزُ، والمعْنَى: لِيعْلَمَ العَزيزُ أنِّي لم أخنْهُ في امْرأتِه ﴿بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: إذَا غابَ عنِّي، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٣)]، وبهِ قالَ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقتَادَةُ، والجمْهورُ.

والثَّاني: أنَّ المشَارَ إليْهِ بقوْلِه: [﴿لِيَعْلَمَ﴾ الملِكُ، والمشارَ إليْهِ بقوْلِه][(٤)]: ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾ العَزيزُ. والمعْنَى: لِيعلَمَ الملِكُ أنِّي لم أخُنِ العَزيزَ في أهْلِه بالغيْبِ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٥)].

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٠) من رواية الكلبي عن ابن عبَّاس.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤١) (١٩٤٢٦).

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤١) (١٩٤٢٧).

والثَّالث: أنَّ المشارَ إليْهِ بالشَّيْئَين الملِكُ، فالمعْنَى: لِيعْلَمَ الملِكُ أنِّي لم)[١] أخُنْهُ، يعْنِي: الملِكَ أيْضًا بالغَيْبِ.

وفي وجهِ خِيانةِ الملِك فِي ذلِك قوْلَانِ:

أحدُهما: لِكَوْنِ العزيزِ وزِيرَهُ، فالمعْنَى: لم أخُنْهُ فِي امْرأةِ وزِيرِهِ، قالَهُ ابْنُ الأنْبارِي[٢].

والثَّاني: لم أخُنْهُ في بنْتِ أُخْتِه، وكانتْ أُزلِيْخا بنْتَ أُخْتِ الملِكِ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

والرَّابعُ: أنَّ المشارَ إليْهِ بقوْلِه: ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ اللهُ عزَّ وجلَّ، فالمعْنَى: لِيعْلَم اللهُ أنِّي لم أخُنْهُ، رُوي عَنْ مُجاهِدٍ[٣]، قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: نسَبَ العِلْمَ إلى اللهِ تعالى فِي الظَّاهِرِ، وهوَ فِي المعْنَى للمخْلُوقِينَ، كقوْلِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].

فإنْ قِيلَ: إنْ كانَ يُوسفُ قالَ هذا فِي مجْلسِ الملِكِ، فكيْفَ قالَ: ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ ولمْ يقُلْ: لِتَعْلَم، وهوَ يُخاطبُه؟.

فالجوابُ: أمَّا إنْ قُلنا: إنَّه كانَ حاضِرًا عنْدَ الملِكِ، فإنَّما آثَرَ الخِطابَ بالياءِ توْقِيرًا للملِكِ، كما يقُولُ الرَّجلُ للوزِيرِ: إنْ رَأى الوزِيرُ أنْ يوقِعَ فِي قصَّتِي.

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ج)، و(ف).

(٢) الأضداد (ص: ٤١٨).

(٣) تفسير سفيان الثوري (ص: ١٤٣) عَنْ لَيْثٍ عن مجاهدٍ فِي قوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قَالَ: لِيَعْلَمَ اللهُ أنِّي لَمْ أخُنْهُ بِالغَيْبِ.

وإنْ قلْنا: إنَّه كانَ غائِبًا، فلَا وجْهَ لِدُخولِ التَّاءِ، وكذلِكَ إنْ قُلْنَا: إنَّه عنِي العَزيز، والعزيزُ غائِبٌ عنْ مجلسِ الملِكِ حينئذٍ.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه قوْلُ امْرأةِ العَزيزِ، فعَلى هذَا يتَّصِل بمَا قبْلَه، **والمعْنَى**: لِيعلَمَ يُوسفُ أنِّي لم أَخُنْهِ (فِي غيبتِه الآنَ بالكذِبِ عليْهِ.

والثَّالث: أنَّه قوْلُ العزيزِ، **والمعْنَى**: لِيعلَمَ يُوسفُ أنِّي لم أَخُنْهُ)[١] بالغَيْبِ، فلَمْ أغْفَلْ عنْ مُجازَاتِه علَى أمَانتِهِ، حكَى القوْلَيْنِ الماوردِيُّ[٢].

قوْله تعَالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لا يصوِّبُ عمَلَ الزُّناةِ[٣]، وقالَ غيْرُه: لا يُرشِدُ مَن خانَ أمَانَتَه ويفضحُه فِي عاقبتِهِ.

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ف).

(٢) النكت والعيون (٣/ ٤٧).

(٣) تنوير المقباس (ص: ١٩٩).

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ [يوسف: ٥٣ - ٥٦].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ ﴾ في القائِلِ لهذا ثلاثةُ أقوالٍ: وهيَ الَّتي تقدَّمَتْ في الآيةِ قبلَها. فالَّذين قالوا: هو يوسفُ.

اختلفوا في سببِ قوْلِه لِذلكَ على خمْسةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه لمَّا قالَ: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ غمَزهُ جِبْريلُ عليه السلام، فقَال [له][1]: ولا حِينَ همَمْتَ؟ فقَالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ ﴾، رَواه عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2]، وبه قالَ الأكْثرُون.

والثَّاني: أنَّ يُوسفَ لمَّا قالَ: ﴿لَمۡ أَخُنۡهُ﴾، ذكر أنَّه قد همَّ بها فقَالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ ﴾ روَاه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّالث: أنَّه لمَّا قالَ ذلِك، خافَ أن يكونَ قد زكَّى نفْسَه، فقَالَ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ ﴾ قالَهُ الحسَنُ.

---

(١) من (ج).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٤٣-١٤٤) (١٩٤٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٨) (١١٦٩٨) من طريق سماك عن عكرمة، عن عبَّاس، قال: هذا قول يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ فغمزه جبريل، فقال: ولا حِينَ هممْتَ؟ فقال: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾، ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ١٤٦) (١٩٤٤٥)، من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس.

والرَّابع: أنَّه لمَّا قالَهُ[١]، قالَ له الملِكُ الَّذي معَهُ: اذْكُرْ ما همَمْتَ [٤٠٥/ب] بهِ، فقَالَ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ قالَهُ قتادَةُ.

والخامِس: أنَّه لمَّا قالَهُ، قالتِ امْرأةُ العزيزِ: ولَا يوْمَ حللْتَ سرَاويلَكَ؟ فقالَ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ قالَهُ السُّدِّيُّ.

والَّذِين قالُوا: هذا قوْلُ امْرأةِ العَزيزِ، **فالمعْنَى**: ومَا أبرئ نفْسِي أنِّي كنت راودتُهُ.

والذين قالوا: هو العزيز، **فالمعْنى**: وما أبرئ نفْسِي مِن سُوء الظَّنِّ بِيُوسفَ؛ لأنَّه قد خطر لِي.

قوْله تعَالى: ﴿لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

قرَأ ابْنُ عامِرٍ، وأهْلُ الكُوفةِ، ويعْقُوبُ إلَّا رُويسًا: «بالسُّوءِ إلَّا» بتحقِيقِ الهمْزَتَيْنِ. وقرَأ أبو عمْرٍو، وابنُ شُنبوذ عنْ قُنبلٍ بتحْقِيقِ[٢] الثَّانيةِ وحذْفِ الأُولى، ورَوى نظِيفٌ[٣] عنْ قُنبلٍ بتحْقِيقِ[٤] الأُولى وقلْبِ الثَّانِية ياءً.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في الأصل: بتخفيف، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) هو نظيف بن عبد الله، أبو الحسن الكسروي نزيل دمشق مولى بني كسرى الحلبي، مقرئ كبير مشهور، أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن محمد اليقطيني، وموسى بن جرير النحوي، وأبي العباس الأشناني، وقرأ أيضًا على أبي الحارث محمد بن أحمد الرقي، وعلى قنبل في قول جماعة من المحققين، وقيل: بل على اليقطيني عن قنبل، قلت: وقراءته على قنبل تحتمل. قال الحافظ أبو عبد الله: كان من كبار القراء قلت: وقد انفرد عنه الهذلي بتقديم البسملة على التكبير، لم يروه أحد سواه. انظر: معرفة القراء (١/ ٢٤٥)، وغاية النهاية (٢/ ٣٤٢).

(٤) في الأصل: بتخفيف، والمثبت من سائر النسخ.

وقـرأ أبو جعْفـرٍ، وورْشٌ، ورُويـسٌ بتحْقِيـقِ الأُولى وتلْيين الثَّانِيـة بيْن بيْنَ؛ مثْـلُ: «السُّـوء عِـلَّا». ورَوى ابْـنُ فُليـح[١] بتحْقِيـقِ الثَّانيـةِ وقلْـبِ الأُولى واوًا، وأدغَمَهَـا في الـوَاوِ الَّتِي قبْلَها، فتصِير واوًا مكسـورةً مشـدَّدةً قبْلَ همْـزةِ: «إلَّا»[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: قـالَ اللُّغويُّـونَ: هـذَا اسْـتثناءٌ مُنقطِـعٌ، **والمعْنَـى**: إلَّا أنَّ رحمـةَ ربِّي عليْهَـا المعتمـد[٣].

قالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: **المعْنَى**: إلَّا مَنْ عصِمَ ربِّي[٤].

وقِيـلَ: «مَـا» بمعْنَـى: «مَـنْ»، قـالَ المـاورديُّ: ومَـنْ قـالَ: هـو قـوْلُ امْـرأةِ العزيـزِ[٥]، **فالمعْنَـى**: إلَّا مَـنْ رحِـمَ ربِّي فِي قهْـره لِشـهوَتِه، أو في نزعِهـا عنْـهُ. ومَـنْ قـالَ: هـو قـوْلُ العزيـزِ، **فالمعْنَـى**: إلَّا مَـنْ رحِـمَ ربِّي بـأنْ يكفِيَـه سـوءَ الظَّـنِّ، أو يثبِّتَـه، فـلا يعجـل.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: والقوْلُ بأنَّ هذَا قوْل يُوسفَ، أصَحُّ لِوجهَيْن[٦]:

---

(١) عبـد الوهـاب بـن فليـح بـن ربـاح، أبـو إسـحاق المكـي، إمـام أهـل مكـة في زمانـه، صـدوق، أخـذ القـراءة عرضًـا وسـماعًا عـن داود بـن شـبل، عـرض عليـه إسـحاق بـن أحمـد الخزاعي، توفي سـنة خمسـين ومائتـين، انظـر: غايـة النهايـة (١/ ٤٨٠).

(٢) انظر القراءات السابقة في: جامع البيان (٣/ ١٢٣١).

(٣) ذكَرَ قوْلَ ابن الأنباري الواحِديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٢).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٩٩).

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٨).

(٦) في (ج): الوجهين.

أحدُهما: لأنَّ العُلماءَ عليْهِ.

والثَّاني: لأنَّ المرأةَ كانتْ عابِدةَ وثَنٍ، وما تضمنتْهُ الآيةُ، أليقُ أنْ يكُونَ قوْلُ يُوسفَ مِن قوْلِ مَن لا يعرِفُ اللهَ تعَالى.

وقالَ المفَسِّرُونَ: فلمَّا تبيَّنَ للملكِ(١) عذْرَ يُوسفَ وعرفَ(٢) أمانَتَه، قالَ: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾؛ أي: أجعلْه خالِصًا لي، لا يُشركني فيهِ أحَدٌ.

فإنْ قيلَ: فقد رويْتُم في بعْضِ ما مضَى أنَّ يُوسفَ قالَ فِي مجْلِس الملِكِ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فكيْفَ قالَ الملِكُ: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾ وهوَ حاضِرٌ عنْدَه؟.

فالجوَابُ: أنَّ أرْبابَ هذَا القوْلِ يقُولُونَ: أمَرَ الملِكُ بإحْضارِه ليُقلِّدَه الأعمالَ فِي غيْرِ المجلِسِ الَّذي استحضَرَهُ فيهِ لِتعبيرِ الرُّؤْيا.

قالَ وهْبٌ: لَمَّا دخَلَ يُوسفُ علَى الملِكِ، وكانَ الملِكُ يتكلَّم بسبْعِينَ لِسانًا، كان كلَّما كلَّمَهُ بلِسانٍ، أجابَهُ يُوسفُ بذلِك اللِّسانُ، فعجِبَ الملِكُ، وكان يُوسف يومئذٍ ابْنَ ثلاثينَ سنَةً، فقَالَ: إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمعَ رُؤيَاي منْكَ شفَاهًا، فذكرَها له، قالَ: فما ترى أيُّها الصِّديقُ؟ قالَ: أرَى أنْ تزْرعَ زرْعًا كثِيرًا في هذه السِّنينَ المخْصبَةِ، وتجمَعَ الطَّعامَ، فيأتيك النَّاسُ فيمْتَارُون، وتجمْعَ عندَكَ مِنَ الكُنوزِ ما لم يجتمِعْ لأحَدٍ، فقَال الملِكُ: ومَن لِي بهذَا؟ قالَ يُوسفُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾(٣). [٤٠٦/أ]

---

(١) في (ف): الملك.

(٢) في (ف): وعلِم.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٥٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٧- ٤٩).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ويُرِيدُ بقوْلِه: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾؛ أي: قَدْ مكنْتُكَ[١] في مُلْكِي وائْتَمنْتُكَ فيه[٢].

وقالَ مُقاتل: المكِينُ: الوجِيهُ، والأمِينُ: الحافِظُ[٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خزائنِ أرْضِكَ.

وفي المرادِ بالخزائِنِ قوْلَانِ:

أحدُهما: خزَائِنُ الأمْوَالِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، والزَّجَّاجُ[٤].

والثَّاني: خزَائِنُ الطَّعامِ فحسْبُ، [قالَه ابْنُ السَّائِبِ][٥].

قَالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما سأَل ذلِك؛ لأنَّ الأنبياءَ، بُعِثُوا بالعدْلِ، فعلِم أنَّه لا أحدَ أقْوَمُ بذلِك منه[٦].

وفي قوْلِه تعَالَى: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ **ثلَاثةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: حفِيظٌ لما ولَّيْتنِي، عليمٌ بالمجاعَةِ متى تكونُ، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في الأصل: مكنتكه، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٦).

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ، وعزا الماوردي هذا القول إلى شيبة بن نعامة الضبي، انظر: النكت والعيون (٣/ ٥٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٦).

والثَّاني: حفيظٌ لِمَا استوْدَعْتَنِي، عليمٌ بهذِه السِّنين، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: حفيظٌ للحساب، عليمٌ بالألْسُن، قالَه السُّدِّيُّ.

وذلك أنَّ النَّاس كانوا يردُّون على الملِكِ مِن كُلِّ ناحيةٍ فيتكلَّمُون بلغاتٍ مختلفةٍ.

واخْتلَفُوا هل ولَّاه الملِكُ يومئذٍ، أمْ لَا؟ على ثلَاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه ولَّاه بعْدَ سنَةٍ.

رَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ، عنْ رسُولِ اللهِ -ﷺ- أنَّه قالَ: «**رَحِمَ اللهُ أَخِي يُوسُفَ، لَوْ لَمْ يقُلْ: اجْعلْنِي عَلَى خَزائِنِ الْأَرْضِ، لَاسْتَعْمَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، ولَكِنَّهُ أَخَّرَ ذلِكَ سنَةً**»(١).

وذكَرَ مُقاتلٌ أنَّ النَّبِي ﷺ قالَ: «**لَوْ أَنَّ يُوسُفَ قَالَ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالى لَمَلَكَ مِنْ وقْتِهِ**»(٢).

قالَ مُجاهِدٌ: أسْلَمَ الملِكُ علَى يدِ يُوسُفَ(٣).

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٥١- ٥٢)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٨)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٥١) كلاهما من طريق الثعلبي، وعلقه الواحدي في التفسير البسيط، فقال: روى جويبر عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس... فذكره. قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف؛ للزيلعي (٤/ ٩٠): أخرجه الثعلبي عن ابن عبَّاس من رواية إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضَّحاك عنه، وهذا إسناد ساقط. وإسحاق بن بشر ضعيف جدًّا.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥٢).

وقـالَ أهْـلُ السِّـيرِ: أقَـامَ في بيْـتِ الملِـكِ سـنَةً، فلـمَّا انْصرَمَـتْ[١]، دعـاه الملِـكُ، فتوَّجَـه، وَرَدَّاهُ[٢] بسـيْفِه، وأمـرَ لَـه بسَريـرٍ مِـن ذهـبٍ، وضرَبَ عليـه كِلَّـةً[٣] مِـن إسْـتبرق، فجلَـسَ عـلى السَّريـرِ كالقمَـرِ، ودانَـتْ لَـهُ الملُـوكُ، ولـزِم الملِـكُ بيتَـه، وفـوَّض أمْـرَه إليْـهِ، وعـزَل قِطفـيرَ عـمَّا كانَ عليْـهِ، وجعَـل يُوسـفَ مكانَـه، ثـم إنَّ قِطفـيرَ هلَـكَ في تلْـكَ اللَّيَـالي، فـزوَّج الملِـكُ يُوسـفَ بامْـرأةِ قِطفـيرَ، فلـمَّا دخَـل عليْهَـا، قـالَ: ألَيْـس هـذا خـيرًا مِمَّـا تُريدِيـنَ؟ فقَالَـتْ: أيُّها الصِّدِّيـقُ لَا تَلُمْنِـي، فـإنِّي كُنْـتُ امْـرأةً حسـناءَ في مُلْـكٍ ودُنيـا، وكان صَاحِبِـي لا يـأْتِي النِّسـاءَ، فغلبتْنِـي نفْسِـي، فلـمَّا بنَـى بهَـا يوسـفُ عليـه السَّـلام وجدَهـا عـذْرَاءَ، فولـدتْ لـه ابْنَـيْنِ: إفرايـم، وميشـا، واسْتوسَـقَ لـه مُلْـكُ مِـصْرَ[٤].

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه ملَّكه بعْد سنةٍ ونصفٍ، حكَاه مُقاتِلٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّالث: أنَّه سلَّم إليه الأمْرَ مِن وقْتِه، قالَه وهْبٌ، وابْنُ السَّائب.

فإنْ قيلَ: كيْفَ قالَ يُوسُفُ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ولم يقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ؟.

فعنْهُ ثلَاثةُ أجْوِبَةٍ:

أحدُهـا: أنَّ تـرْكَ الِاسْـتِثناءِ أوْجـبُ عُقوبـةً بـأن أخَّـر تمليكَـهُ، عـلى مـا ذكرْنَـا عـنِ النَّبـيِّ ﷺ.

---

(١) في الأصل: انصرفت، والمثبت من سائر النسخ، إلا أن في (ج): انصرم.

(٢) أي: قلَّده به.

(٣) الكِلَّة: ستر رقيق، يخُاط كالبيت، يُتوقَّى فيه من البق. انظر: الصحاح؛ للجوهري (٥/ ١٨١٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥١)، وذكره الثعلبي (١٥/ ٥٥).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٠).

والثَّاني: أنَّه أضْمرَ الاِسْتثناءَ، كما أضْمَرُوه في قوْلهم: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾.

والثَّالـث: أنَّـه أراد أنَّ حفْظِـي وعلْمِـي يزِيـدَانِ عـلى حفْـظ غـيْرِي [٤٠٦/ب] وعلْمِـه، فلـم يحتـجْ هـذَا إلى اسْـتثناءٍ[١]؛ لِعـدَمِ الشَّـكِ فيـهِ، ذكـرَ هـذِه الأقْـوالَ ابْـنُ الأنْبَـاري[٢].

فـإنْ قِيـلَ: كيْـف مـدَح نفْسَـه بِهـذَا القـوْلِ، ومَـنْ شـأْنِ الأنْبيـاءِ والصَّالحـين التَّواضـعُ.

فالجـوابُ: أنَّـه لَّـا خـلَا مدْحُـه لنفْسِـه مِـن بغْـيٍ وتَكـبُّرٍ، وكان مُـرادُه بـهِ الوُصـولَ إلى حَـقٍّ يُقِيمُـه وعـدلٍ يُحْيِـه وجـوْرٍ يُبطلُـه؛ كان ذلِـكَ جميـلًا جائـزًا، وقـدْ قـالَ نبِيُّنـا صلـوات الله عليـه: «**أَنـا أَكْـرَمُ وَلَـدِ آدَمَ عَـلَى رَبِّـه**»[٣]. وقـد[٤] قـالَ علِيٌّ [بْـنُ أبي طَالِـبٍ][٥] عليْـهِ السَّـلامُ: «واللهِ مَـا مِـنْ آيـةٍ إلَّا وَأنَـا أعْلَـمُ أَبِلَيْـلٍ نزَلَـتْ، أمْ بِنهَـارٍ»[٦]. وقـالَ ابْـنُ مسْـعُودٍ: «لَـوْ أعْلَـمُ أحـدًا أعْلـمَ بكِتابِ

---

(١) في (ج)، و(ف): إلى الاستثناء.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٥٦).

(٣) أخـرج الدارمـي (٤٨)، والترمـذي (٣٦١٠)، والبيهقـي في الدلائـل (٥/ ٤٨٤) مـن طريـق الربيـع بـن أنـس، عـن أنـس بـن مالـك قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «أنـا أول النـاس خروجًـا إذا بُعثـوا وأنـا خطيبهـم إذا وفـدوا، وأنـا مبشرهـم إذا أيسـوا، لـواءُ الحمـد يومئـذ بيـدي، وأنـا أكـرم ولـد آدم عـلى ربي ولا فخـر».

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

(٥) من (ف).

(٦) أخرجـه ابـن سـعد في الطبقـات (٢/ ٣٣٨) مـن طريـق معمـر، عـن وهـب بـن أبي دبيّ، عـن أبي الطّفيـل، عـن علـيّ. وإسـناده صحيـح، ورجالـه ثقـات جميعًـا.

اللهِ مِنِّي تبْلُغُه الإِبِلُ لَأَتَيْتُه»[١].

فهذِه الأشْياءُ، خرَجَت مخْرَجَ الشُّكرِ للهِ، وتعْرِيف المستفيد مَا عنْد المفيدِ، (ذكَرَ هذَا)[٢] مُحَمَّدُ بْنُ القَاسِم.

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى[٣]: وفي قصَّةِ يُوسفَ دِلالَةٌ[٤] علَى أنَّه يجُوزُ للإنْسانِ أنْ يصِفَ نفْسَه بالفضْلِ عنْدَ مَنْ لا يعْرِفُه، وأنَّه ليْس مِنَ المحْظُورِ فِي قوْلِه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾.

فِي الكلَام محْذُوفٌ، تقْدِيرُه: اجْعلْنِي علَى خزَائنِ الأرْضِ، قالَ: قدْ فعَلْتُ، فحذَفَ ذلِك؛ لأنَّ قوْلَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يدلُّ عليْهِ.

والمعْنَى: ومثْلُ ذلِك الإنْعَامِ الَّذي أنعمْنَا عليهِ في دفْعِ المكْرُوه عنْهُ، وتخْلِيصِه مِنَ السِّجن، وتقرِيبِه مِنْ قلْبِ الملِكِ، أقدرْنَاهُ علَى مَا يُرِيد فِي أرْضِ مِصْر ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ينْزِلُ حيْثُ أرَادَ[٥].

وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، والمفضَّلُ: «حَيْثُ نَشَاءُ» بالنُّونِ[٦].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٥٠٠٢)، ومسلم حديث رقم (٢٤٦٣).

(٢) في (ج): هذا قول.

(٣) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٤٦٤).

(٤) في (ج)، و(ف): دليل.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦١) (١١٧٢٢) عن سعيد بن جبير.

(٦) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

قَوْلُه تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾؛ أي: نختَصُّ بنعمَتِنَا مِنَ النُّبوَّةِ والنَّجاةِ ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يعْنِي: المؤمنِينَ.

يُقَالُ: إنَّ يُوسفَ باعَ أهْلَ مِصرَ الطَّعامَ بأمْوَالِهم، وحُلِيِّهم، ومَواشِيهم، وعقارِهم، وعبيدِهم، ثُمَّ بأوْلَادِهم، ثُمَّ بِرقابِهم، ثُمَّ قالَ للمَلِكِ: كيْفَ ترَى صُنْعَ ربِّي عزَّ وجلَّ؟ فقالَ الملِكُ: إنَّما نحْنُ لكَ تبَعٌ[(١)]، قالَ: فإنِّي أُشْهِدُ اللهَ وأُشْهِدُكَ أنِّي قدْ أعْتقْتُ أهْلَ مِصرَ ورَدَدْتُ عليْهِم أمْلاكَهُم. فكانَ يُوسفُ لا يشبَعُ فِي تلْكَ الأيَّامِ، ويقُول: إنِّي أخافُ أنْ أنْسَى الجائِعَ[(٢)].

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٧].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ المعْنَى: ما نُعْطِي[(٣)] يُوسفَ فِي الآخِرةِ، خيْرٌ ممَّا أعْطيْنَاه فِي الدُّنيا، وكذلِكَ غيْرُه مِنَ المؤْمِنِينَ ممَّن سلَكَ طرِيقَهُ في الصَّبْرِ.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾.

رَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: لمَّا فوَّضَ الملِكُ إلى يُوسفَ

---

(١) في (ف): نحن تبع لك.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٦٠).

(٣) في الأصل: يعطى، والمثبت من سائر النسخ.

أَمْـرَ مِـصْرَ[١]، تلَطَّـفَ يُوسـفُ للنَّـاس، ولم يـزَلْ يدْعُوهُـم إلى الإسْـلامِ، فآمَنُـوا بـهِ وأحَبُّـوه، فلـمَّا أصَـابَ النَّـاسَ القحْـطُ، نـزَلَ ذلِـك بـأرْضِ كَنعَـانَ، فأرْسَـلَ يعْقُـوبُ ولَـدَهُ للمِـيرةِ، وذاعَ أمْـرُ يُوسـفَ فِي الآفـاقِ، وانْتَـشَر عدْلُـه ورحمَتُـه ورَأفتُـه. فقَـالَ يعْقـوبُ: يَـا بَنِـيَّ! إنَّـه قـد بلغَنِـي أنَّ بِمِـصْرَ ملِـكًا صَالحًـا، فانْطلِقُـوا إليْـهِ وأقْرِئُـوه مِنِّـي السَّـلامَ، وانْتَسِـبُوا لَـه لعلَّـه يعرِفُكُـم، فانْطَلَقُـوا فدَخلُـوا عليْـهِ، فعَرَفَهُـم وأنْكَـرُوه، قـالَ: مِـنْ أيْـنَ أقْبَلْتُـم؟ قالُـوا: مِـنْ أرْضِ [٤٠٧/أ] كَنْعـانَ، ولنَـا شـيْخٌ يُقـال لـه: يعْقـوبُ، وهـوَ يُقرِئـكَ السَّـلامَ، فبَكَـى وعـصَرَ عيْنَيْـهِ، وقـالَ: لعلَّكـم جَوَاسِـيسُ جِئْتُـم تنْظُـرُونَ عـوْرةَ بلَـدِي، فقالُـوا: لَا واللهِ! ولكنَّـا مِـن كنعـانَ، أصَابَنَـا الجهْـدُ، فأمَرَنَـا أبُونَـا أنْ نأتِيَـكَ، فقَـدْ بلَغَـهُ عنْـكَ (خـيْرٌ)[٢]، قـالَ: فكَـمْ أنْتُـم؟ قالُـوا: أحـدَ عـشَرَ أخًـا، وكُنَّـا اثْنَـي عـشَرَ فـأكَلَ أحدَنَـا الذِّئْـبُ، قـالَ: فمَـنْ يعْلَـمُ صِدْقَكُـم؟ ائتُـونِي بأَخِيكُـمُ الَّـذِي[٣] مِـنْ أبِيكُـمْ[٤].

ورَوى أبـو صَالِـحٍ، عـنِ ابْنِ عبَّاسٍ قـالَ: لَمَّا دَخلُـوا عليْهِ كلَّمُـوه بالعِبْرانِيةِ، فأمَـرَ التَّرجمـانَ فكلَّمَهُـم ليُشبه عليْهِـم، فقالَ للتُّرجمان[٥]: قُـلْ لهُم: أنْتُـم عيونٌ، بعَثَكُـم ملِكُكُـم لِتَنْظُـروا إلى أهْـلِ مِـصْر فتُخْبِرُونَـهُ فيأْتِينـا بالجُنُـودِ، فقالُـوا: لَا،

(١) في (ج): لما فوض الملك أمر مصر ليوسف.

(٢) في (ج): أنك صالح.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٦٣)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٦١) من رواية الكلبي.

(٥) في (ف): الترجمان.

ولكنَّا قومٌ لنا أبٌ شيْخٌ كبيرٌ، وكُنَّا اثْنَي عشَرَ، فهلَكَ مِنَّا واحِدٌ في الغَنَمِ، وقد خلَّفْنَا عنْدَ أبِينا أخًا لَهُ مِنْ أُمِّه، فقَالَ: إنْ كُنْتُم صادِقِين، فخلِّفُوا عنْدِي بعضَكُم رهْنًا، وائْتُوني بأَخِيكُم، فحبَسَ عنْدَه شمْعُونَ[١].

واخْتلَفُوا بماذَا عرَفَهُم يُوسفُ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه عرَفَهُم برؤيَتِهِم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّانِي: أنَّه مَا عرَفَهُم حتَّى تعرَّفُوا إليْهِ، قالَهُ الحسَنُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: لا يعْرِفُونَهُ[٢].

وفي علَّةِ كوْنِهِم لم يعْرِفُوه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم جَاءُوه مُقدِّرِينَ أنَّه ملِكٌ كافِرٌ، فلَمْ يتأمَّلُوا منْهُ ما يزُولُ بهِ عنْهُم الشَّكُّ.

والثَّانِي: أنَّهُم عايَنُوا مِن زيِّهِ وحُليتِهِ ما كانَ سببًا لإنْكارِهِم.

وقد رَوى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه كانَ لَابِسًا ثِيابَ حرِيرٍ، وفِي عُنُقِهِ طوْقٌ [مِن][٣] ذهَبٍ[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥٣)، وتاريخه أيضًا (١/ ٣٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦٣) بنحوه عن السدِّي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤١).

(٣) من (ف)، و(م).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٦٠) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاسٍ. وانظر: الكشف والبيان (١٥/ ٦٢).

فإنْ قِيلَ: كيْفَ يخْفَى مَنْ قدْ أُعطِيَ نصْفَ الحُسْنِ، وكيْفَ يشْتبهُ بغَيْرِه؟

فالجَـوَابُ: أنَّهُـم فارَقُـوه طِفـلًا ورَأَوْه كبِـيرًا، والأحْـوَالُ تتغَـيَّرُ، ومَـا توَهَّمُـوا أنَّـه ينَـالُ هـذِه الرُّتْبَـةَ[1].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: معْنَـى كوْنِـه أُعْطِـي نصْـفَ الحُسْـنِ، أنَّ اللهَ تعَـالى جعَـل للْحُسْـنِ غايَـةً وحـدًّا، وجعَلَـه لِمَـن شَـاءَ مِـنْ خلْقِـه، إمَّـا للملائكَـةِ، أو للْحُورِ، فجَعَـلَ لِيُوسـفَ نصْـفَ ذلِـك الحُسْـنِ، فكأنَّـه كانَ حسـنًا مُقارِبًا لِتلـكَ الوُجُوهِ الحَسـنَةِ، وليْـس كـمَا يزْعُـم النَّـاسُ مِـنْ أنَّـه أُعْطِـي نصْـفَ الحُسْـنِ[2]، وأُعْطِـي النَّـاسُ كلُّهُـم نصْـفَ الحُسْـنِ[3].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف: ٥٩ – ٦٠].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾.

يُقـالُ: جهـزْتُ القـوْمَ تجْهِيـزًا؛ إذَا هيَّـأْتُ لهـم مـا يُصلِحُهُـم. **وجهـازُ البيْـتِ**: متاعُـه.

قـالَ المفَسِّرُون: حمَّـلَ لِـكلِّ رجُـلٍ منْهُـم بعِيـرًا، وقـال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾؛ أي: أُتمُّـهُ ولا أبْخسُـهُ ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ يعْنِـي: المضِيفِـينَ، وذلِـكَ أنَّـه أحْسَـنَ ضِيافتَهُـم.

---

(١) في (ف)، و(م): المرتبة.

(٢) في (م): أعطي هذا الحسن.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٤٤٥– ٤٤٦).

ثُمَّ أوْعدَهُم علَى تـرْكِ الإتْيَان بأخِيهِم، فقَالَ: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ وفِيه قولَانِ:

أحدُهُما: أنَّه يعْني به: فيما بعْدُ، وهوَ قوْلُ الأكثرِينَ. [٤٠٧/ب]

والثَّاني: أنَّه منَعَهُم الكيْلَ في الحالِ، قالَهُ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ.

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١﴾ [يوسف: ٦١].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾؛ أي: نطْلُبه منْهُ، والمرَاودَةُ: الاجتهادُ في الطَّلبِ.

وفي قوْلِه: ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: وإنَّا لجاؤُوك بهِ، وضَامِنُونَ لكَ المجِيءَ بهِ، هذا مذْهبُ الكلبِيِّ.

والثَّاني: أنَّه توْكِيدٌ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[١]، فعَلى هذا، يكونُ الفعْلُ الَّذي ضمَّنُوه عائِدًا إلى المرَاودَةِ، فيصِحُّ معْنَى التَّوْكيدِ.

والثَّالث: وإنَّا لُمديمونَ المطالبةَ بهِ[٢] لِأَبِينا، ومُتابعُون المشورةَ عليْهِ بتوجيهِهِ، وهذا غيْرُ المراودَةِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

فإنْ قيلَ: كيْف جازَ لِيوُسفَ أنْ يطْلُبَ أخَاه، وهوَ يعْلَمُ ما فِي ذلِكَ مِنْ إدْخَالِ الحُزْنِ علَى أبِيه؟.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٧).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

فعنهُ خمسَةُ أجْوبةٍ:

أحدُهـا: أنَّـه يجـوزُ أنْ يكُـونَ ذلِـك بأمْـرٍ عـنِ[1] اللهِ عـزَّ وجـلَّ زيـادَةً لِبـلاءِ يعْقُـوبَ لِتَعْظِيـمِ[2] ثوَابِـهِ، وهـذَا الأظْهَـرُ.

والثَّـاني: أنَّـه طلبَـهُ لَا لِيحبِسَـه، فلـمَّا عرَفَـهُ قـالَ: لَا أُفارِقُـك يـا يُوسـفُ! قـالَ: لا يُمكِنُنـي حبْسُـك إلَّا أنْ أنسبَكَ إلى أمْـرٍ فظِيـعٍ، قـالَ: افعْـلْ مـا بـدَا لـكَ، قالَـهُ كعْـبٌ.

والثَّالث: أن يكونَ قصَدَ تنْبِيهَ يعْقُوبَ بذلِكَ علَى حالِ يُوسفَ.

والرَّابع: لِيتضاعفَ سُرورُ يعْقُوبَ برجُوعِ ولَدَيْهِ.

والخامس: لِيُعجِّلَ سُرورَ أخيهِ باجْتِماعِهِ معَهُ[3] قبْلَ إخْوَتِه.

قَـالَ الشـيخُ[4]: وكلُّ هـذِه الأجْوبـةِ مدْخُولـةٌ، إلَّا الأوَّلَ، فإنَّـه الصَّحِيـحُ، ويـدلُّ عليْـهِ مَـا رَوينَـا عـنْ وهْـبِ بْـنِ مُنبِّـهٍ، قـالَ: لَمَّـا جَمَـعَ اللهُ تعَـالى بـيْنَ يوسُـفَ ويعْقُـوبَ، قـالَ لَـهُ يعْقُـوبُ[5]: بيْنِـي وبيْنَـك هـذِه المسـافَةُ القرِيبـةُ، ولَمْ تكتُـبْ[6] إليَّ تُعرِّفنِـي؟! فقَـالَ: إنَّ جبريـلَ عليـه السَّـلام أمَـرَنِي أنْ لَا أُعرِّفَـكَ،

---

(١) في (ج): من.

(٢) في (ف): ليعظم.

(٣) في (م): به.

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ج): قال يا بني.

(٦) في (ج): تسير.

فقَال لَهُ: سَلْ جبْريلَ، فسأَلَهُ، فقَالَ: إنَّ اللهَ تعَالى أمرَنِي بذلِكَ، فقَالَ: سَلْ ربَّك، فسأَلَهُ، فقَالَ: قُلْ لِيعقُوبَ: خِفْتَ عليْهِ الذِّئبَ، ولم تؤمنِّي؟.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢].

قوْله تعَالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، (وابْنُ عَامِرٍ)[1]، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «لِفِتْيَتِهِ»، وقرَأ حمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «لِفِتْيَانِهِ»[2].

قالَ أبو علِيٍّ: الفتيةُ جمْع فتًى في العدَدِ القلِيلِ، والفِتْيانُ في الكَثِير[3].

والمعْنَى: قالَ لِغلْمَانِه: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ وهيَ الَّتي اشْتروا بهَا الطَّعامَ ﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾، والرَّحلُ: كُلُّ شيْءٍ يُعَدُّ للرَّحيلِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾؛ أي: لِيعرِفُوها[4] ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾؛ أي: رجعُوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: لِكي يرجِعُوا.

وفي مقْصُودِه بذلِكَ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه تخوَّفَ أنْ لا يكُونَ عنْدَ أبيه منَ الورِقِ ما يرْجِعُون به مرَّةً أخْرَى، فجَعَل دراهِمَهم فِي رِحالِهم، قالَهُ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٤/ ٤٣٠).

(٤) في (م): ليعرفوها.

والثَّاني: أنَّه أرادَ أنَّهُم إذَا عرَفُوها، لم يستحلُّوا إمْساكَهَا حتَّى يردُّوهَا[١]، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّالثُ: أنَّه استقبَحَ أخْذَ الثَّمنِ مِن والِدِه وإخْوَتِه معَ حاجتِهِم [٤٠٨/أ] إليْهِ، فردَّهُ عليْهِم مِن حيْثُ لا يعْلَمُون، سبَب ردِّه تكرُّمًا وتفضُّلًا، ذكرَهُ ابْنُ جريرٍ الطَّبْرِيُّ[٢]، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والرَّابع: لِيعلَمُوا أنَّ طلبَهُ لِعوْدِهِم لم يكُنْ طمعًا في أمْوالهم، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٣].

والخامِس: أنَّه أراهُم كرمَهُ وبرَّهُ لِيكونَ أدْعَى إلى عوْدِهِم[٤].

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٣ - ٦٤].

قوْله تعَالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ ﴾.

قالَ المفَسِّرُون: لما عادُوا إلى يعْقُوبَ، قالُوا: يا أبانَا، قدِمْنا على خيْرِ رجُلٍ، أنزَلَنا، وأكْرَمَنا كرَامةً، لوْ كانَ رجُلًا مِنْ ولَدِ يعْقُوبَ مَا أكْرَمَنا كرَامَتَه.

وفي قوْلِه: ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ قوْلانِ: قد تقدَّما في قوْلِه: ﴿ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي ﴾ [يوسف: ٦٠].

---

(١) في الأصل: تردوها، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٥٧).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٥٦).

(٤) في (ج): رجوعهم.

فإنْ قُلْنا: إنَّه لم يكِلْ لهم، فلفظُ «مُنِعَ» بيِّنٌ.

وإنْ قلْنَا: إنَّه خوَّفَهم منْعَ الكيلِ؛ ففِي المعْنَى قوْلَانِ:

أحدُهما: حكَمَ علينَا بمنْعِ الكيْلِ بعْدَ هذَا الوقْتِ؛ كما تقُول للرَّجُلِ: دخلْتَ واللهِ النَّارَ بما فعلْتَ.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: يا أبانَا يُمْنعُ مِنَّا الكيلُ إنْ لم تُرْسلْهُ معَنَا، فنَابَ «مُنِع» عنْ «يُمْنَعُ»؛ كقوْلِه: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣]؛ أي: يخلدُه، وقوْلِه تعَالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦]؛ أي: وإذْ يقُول، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبَاريِّ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «نكْتَلْ» بالنُّونِ. وقرَأَ حمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «يَكْتَلْ» بالياءِ[2]. والمعْنَى: إنْ أرْسَلْتَه معَنَا اكْتلنَا، وإلَّا فقَدْ مُنعْنَا الكيْلَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: لَا آمَنكُم (عليْهِ)[3] إلَّا كأمْنِي علَى يُوسُفَ، يُريدُ أنَّه لم ينْفعْهُ ذلِك الأمْنُ إذْ خانُوه.

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «حِفْظًا»، والمعْنَى: خيْرٌ حِفْظًا مِن حفظِكُم.

---

(١) ذكره عن ابن الأنباري الواحدي (١٢/ ١٦٥).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٣) من الأصل، و(ج).

وقـرأ حمْـزَةُ والكِسـائِيُّ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «خَـيْرٌ حَافِظًـا» بألِـفٍ(١). قـالَ أبـو علِيٍّ: ونصبُـه علَى التَّمْييـزِ دُونَ الحـالِ(٢).

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف: ٦٥ - ٦٨].

قوْلُـه تعـالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ ﴾ يعْنِـي: أوْعِيـةَ الطَّعـامِ ﴿ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ ﴾ الَّتِـي حمَلُوهـا ثمَنًـا للطَّعـامِ ﴿ رُدَّتْ ﴾ قـالَ الزَّجَّـاجُ: الأصْـلُ «رُدِدَتْ»؛ فأُدغمـتِ الـدَّالُ الأولى في الثَّانيـةِ، وبقِيـتِ الـرَّاءُ مضْمُومـةً.

ومَـن قـرأ بكـسْرِ الـرَّاء جعَـلَ كسْرتَهـا منقُولـةً مِـنَ الـدَّالِ، كـما فعَـل ذلِـك فِي: «قِيـلَ»، و«بِيـعَ»؛ لِيـدُلَّ عـلَى أنَّ أصْـلَ الـدَّالِ الكـسْرُ(٣).

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٢٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٣/ ١١٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٨)، وفي (ج): أنَّ الأصل الكسر.

قوْلُه تعَالى: ﴿ مَا نَبۡغِى ﴾ فِي «مَا» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها اسْتفْهامٌ، المعْنَى: أيُّ شيْءٍ نبْغِي وقدْ رُدَّتْ بضاعَتُنا إليْنَا.

والثَّاني: أنَّها نافِيةٌ، المعْنَى: ما نبْغِي شيْئًا؛ أي: لسْنَا نطْلُب منْكَ دَراهِمَ نرجِعُ بها إليْهِ، بل تكْفِينَا هذِه فِي الرُّجوعِ إليْهِ، وأرَادُوا بذلِك تطْيِيبَ قلْبِه لِيأْذَنَ لهُم بالعَوْدِ.

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ يعْمُرَ، والجَحْدرِيُّ، وأبو حيْوَةَ: «مَا تَبْغِي» بالتَّاء، علَى الخِطابِ لِيعْقُوبَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا ﴾؛ أي: نجْلِبُ لهُم الطَّعامَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقالُ: مارَ أهْلَهُ يمِيرُهُم ميْرًا، وهوَ مائِرٌ[٢] لأهْلِه[٣]؛ إذا حمَلَ إليْهِم أقْواتَهم مِنْ غيْرِ بلَدِه[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَنَحۡفَظُ أَخَانَا ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: نحْفَظُ أخانَا بنيامِينَ الَّذِي تُرسِلُه معَنَا، قالَهُ الأكْثَرُونَ. [٤٠٨/ب]

والثَّاني: ونحْفَظُ أخانَا شمْعُونَ الَّذِي أخَذَه رهِينَةً عنْدَه، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) قراءة شاذة، انظر عزوها له في الكامل؛ للهذلي (ص: ٥٧٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٢٤٩).

(٢) في (ج): مائرة.

(٣) في (م)، والغريب: أهله.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٩).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾؛ أي: وقـرَ بعِـيرٍ، يعْنُـونَ بذلِـك نصِيبَ أخِيهِـم؛ لأنَّ يُوسُـفَ عليـه السَّـلام كانَ لَا يُعْطِـي الوَاحِـدَ أكْثـرَ مِـن حمْـلِ بعِيرٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: ذلِـك كيْـلٌ سرِيـعٌ، لا حبْـسَ فيـهِ، يعْنُـون: إذَا جـاءَ معنَـا عجَّـل الملِـكُ لنَـا الكيْـلَ، قالَـهُ مُقاتِـلٌ(١).

والثَّاني: ذلِكَ كيْلٌ سهْلٌ على الَّذي نمْضِي إليْهِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

والثَّالث: ذلِك الَّذي جئْنَاكَ بهِ كيْلٌ يَسِيرٌ لا يُقْنعُنا، قالَهُ الماوردِيُّ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾؛ أي: تُعْطُوني عهدًا أثِقُ بهِ.

والمعْنَى: حتَّى تحلِفُوا لي باللهِ ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦ ﴾؛ أي: لترُدُّنَّه إليَّ.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: وهـذِه الـلَّامُ جـوابٌ لِمُضمـرٍ، تلْخِيصُـه: وتقُولـوا: واللهِ لتَأْتُنَّنِـي بـهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنْ يهْلَكَ جمِيعُكُم، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنْ يُحالَ بيْنكُم وبيْنَه فلَا تقْدِرونَ علَى الإتْيَانِ به، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٥٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾؛ أي: أعْطَوهُ العَهْدَ، وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم حلَفُوا له بحَقِّ محمَّدٍ ﷺ ومنْزِلتِه مِن ربِّه، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهم حلَفُوا باللهِ تعَالى، قالَهُ السُّدِّيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الشَّهِيدُ.

والثَّاني: كفِيلٌ بالوفَاءِ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾.

قالَ المفَسِّرُون: لَمَّا تجهَّزُوا للرَّحيلِ، قالَ لهُم يعْقُوبُ: ﴿لَا تَدْخُلُواْ﴾ يعْنِي: مِصْرَ ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾.

وفي المرادِ بهذَا البَابِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه أرَادَ بابًا مِن أبوابِ مِصْرَ، وكانَ لِمِصْرَ أرْبعَةُ أبْوَابٍ، قالَهُ الجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّه أرادَ الطُّرُقَ لَا الأبْوَابَ، قالَهُ السُّدِّي(٢)، ورَوى نحْوَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٦٨) (١١٧٦٨) عن السدِّي.

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٠٠)، بلفظ: سكة واحدة.

وفيما أرادَ بذلِك ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه خافَ عليْهِمُ العينَ، وكانُوا أُولي جمالٍ[1] وقُوَّةٍ، وهذا قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٍ، وقتادَةَ.

والثَّاني: أنَّه خافَ أنْ يُغتالُوا لما ظَهرَ لهُم في أرْضِ مِصرَ مِنَ التُّهمةِ، قالَهُ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ.

والثَّالث: أنَّه أحبَّ أن يَلْقَوا يُوسفَ فِي خلْوةٍ، قالَهُ إبْراهِيمُ النَّخعِيُّ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾؛ أي: لن أدْفعَ عنكُم شيْئًا قضَاهُ اللهُ، فإنَّه إنْ شاءَ أهْلَكَكُم مُتفرِّقِين، ومصداقُه في الآيةِ الَّتي بعْدَها: ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهيَ إرَادتُه أن يكونَ دخولُهُم كذلِك؛ شفَقةً عليْهِم.

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿إِلَّا حَاجَةٗ﴾ اسْتِثناءٌ ليْسَ مِنَ الأوَّلِ، والمعْنى: لكن حاجَةً فِي نفْسِ يعْقُوب قضاهَا[2]. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿قَضَىٰهَا﴾؛ أي: أبْدَاهَا وتكلَّم بِها[3].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ فيهِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: إنَّه حافظٌ لِمَا علَّمْناه، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٠٠).

والثَّـاني: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ﴾ [أي][1]: أنَّ دُخولَهُـم مِـن أبْـوابٍ مُتفرِّقـةٍ لا [٤٠٩/أ] يُغْنـي عنْهُـم مِـنَ اللهِ شـيْئًا، قالَـهُ الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّالث: وإنَّه لعَامِلٌ بمَا علِمَ، قالَهُ قتادَةُ.

وقالَ ابْنُ الأنبَارِيِّ: سُمِّي العمَلُ علْمًا؛ لأنَّ العلْمَ أوَّلُ أسْبابِ العمَلِ[2].

والرَّابع: وإنَّه لَمُتيقِّنٌ لِوعْدِنا، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والخامس: وإنَّه لحَافِظٌ لِوصيَّتِنا، قالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

والسَّادس: وإنَّـه لَعـالمٌ بـما علَّمنَـاه أنَّـه لا يُصِيـب بنِيـه إلَّا مَـا قضَـاهُ اللهُ، قالَـه مُقاتِـلٌ[3].

والسَّابع: وإنَّه لَذُو علْمٍ لِتعلِيمِنا إيَّاه، قالَه الفرَّاءُ[4].

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ [يوسف: ٦٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يعْنِـي[5]: إخوْتَـه ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُ﴾ يعْنِـي: بِنيامِـينَ. وكانَ أخَـاه لأَبِيـه وأُمِّـه، قالَـه قتَـادةُ، وضمَّـهُ إليْـهِ وأنْزَلَـهُ معَـهُ.

---

(١) من (ج)، و(م).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٧٥) عن ابن الأنباري.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٥٠).

(٥) في (ج): أي.

قَـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يُقَـال آويـتُ فلانًـا إليَّ -بمـدِّ الألِـفِ-: إذَا ضمَمْتَـه إليْـكَ، وأويْـتُ إلى بنِـي فُلانٍ-بقـصْرِ الألِـفِ-: إذا لجـأْتُ إليْهـم(١).

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـم لَّـا دخلُـوا عليْـه حبَسَـهُم بالبَـابِ، وأدْخَـل أخَـاه، فقَـال لَـهُ: مَـا اسْـمُكَ؟ فقَـال: بنْيَامِـينُ، قـالَ: فَـمَا اسْـمُ أُمِّـك؟ قـالَ: رَاحِيـلُ بِنـتُ لَاوِي، فوَثَـب إليْـهِ فاعْتَنَقَـهُ، فقَـالَ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ قالَـه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وكذلِـكَ قـالَ ابْـنُ إسْـحاقَ: أخْـبَرَه أنَّـه يُوسـفَ(٢).

والثَّـاني: أنَّـه لم يعْـترفْ لـه بذلِـك، وإنَّـما قـالَ: أنـا أخـوكَ مـكانُ أخِيـكَ الهالِـكَ، قالَـه وهْـبُ بْـنُ مُنبِّـهٍ.

وقيـل: إنَّـه أجْلسَـهُم كُلّ اثْنَـينِ عـلَى مائـدةٍ، فبقِـي بنْيامِـينُ وحِيـدًا يبْكِـي، وقـالَ: لـوْ كانَ أخِـي حيًّـا لأجْلَسَـنِي معَـهُ، فضمَّـهُ يُوسـفُ إليْـهِ، وقـالَ: إنِّي أرَى هـذَا وحِيـدًا، فأجْلسَـه معَـهُ عـلى مائِدَتِـه. فلـمَّا جـاءَ اللَّيـلُ، نـامَ كُلُّ اثْنَـينِ عـلى منَـامٍ، فبقِـي وحِيـدًا، فقـالَ يُوسـفُ: هـذَا ينَـامُ معِـيَ، فلـمَّا خـلَا بـهِ. قـالَ هَـلْ لـكَ أخٌ مِـن أُمِّـك؟ قـالَ كانَ لِي أخٌ مِـن أُمِّـي فهلَـك، فقَـالَ: أتُحِـبُّ أنْ أكُـونَ أخَـاك بـدلَ أخِيـك الهالِـكِ؟ فقَـال: أيُّهـا الملِـكُ، ومَـنْ يجِـدُ أخًـا مثْلَـك؟ ولكـنْ لم يلِـدْكَ يعْقـوبُ ولَا راحِيـلُ، فبكَـى يُوسـفُ، وقـامَ إليْـهِ فاعْتَنقَـهُ،

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٩).

(٢) أخرجـه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٧٠) (١١٧٨٢)، عـن ابـن إسـحاق، قـال: فلـما خـلا بـه ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ أنـا يوسـف.

وقــالَ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسُــفُ ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ قــالَ قتــادَةُ: لا تــأْسَ ولَا تحْـزَنْ[١]. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: لَا تحْـزَنْ ولَا تسـتكِنْ[٢][٣].

قـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: «تبتئـس»: تفْتَعِـل مِـنَ البُـؤسِ، وهـوَ الضّرُّ والشِّـدَّةُ، أي: لا يلحقَنَّـكَ بُـؤسٌ بالَّـذِي فعَلُوا[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـم كانُـوا يُعَـيِّرُون يُوسـفَ وأخَـاه بعبَـادةِ جدِّهِمَـا أبِي أُمِّهِـمَا للْأصْنَـامِ، فقَـالَ: لَا تبْتَئِـسْ بـما كانـوا يعْمَلُـون مِـنَ التَّعيِـير لنَـا، رَوى هــذَا المعْنَـى أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٥].

والثَّـاني: لا تحْـزَنْ بـما سـيعْمَلُون بعْـدَ هــذَا الوقْـتِ حِـينَ يُسَرِّقُونَـك، فتكُـون «كانـوا» بمعْنَـى: «يكونُـون» قـالَ الشَّـاعِر [مـن الطويـل]:

فَأَدْرَكْـتُ مَـنْ قَـدْ كَانَ قَبْـلِي وَلَمْ أَدَعْ   لِمَنْ كَانَ بَعْـدِي فِي الْقَصَائِدِ مَصْنَعَا[٦]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧١) (١٩٥٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٠) (١١٧٨٣) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦) إلى أبي الشيخ.

(٢) في (ج): تشتكي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٩).

(٤) انظر: التفسير البسيط (١٢/ ١٧٧).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٧٨) من رواية الكلبي عن ابن عبَّاس.

(٦) البيت لجرير بن عطية في ديوانه (ص: ٢٦٣)، والتفسير البسيط (٦/ ٣٨٧)، وبلا نسبة في الأضداد (ص: ٦٠)، والخزانة (١٠/ ٣).

[٤٠٩/ب] وقالَ آخرُ [من الكامل]:

وَانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذَبَائِحِ[1]

أرَاد: فقَد كانَ، وهذا مذْهَب مُقاتِلٍ.

والثَّالث: لا تحْزنْ بـِمَا عمِلُوا مِن حسَدِنَا، وحرَصُوا على صرْفِ وجْهِ أبينَا عنَّا، وإلى هذَا المعْنَى ذهَبَ ابْنُ إسْحاقَ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾.

قالَ المفسِّرُونَ: أوْفَى لهم الكَيْلَ، وحمَّلَ «بنيامينَ» بعِيرًا باسْمِه كما حمَّلَ لهُم، وجعَلَ السِّقايَةَ فِي رحْلِ أخِيه، وهيَ[2] الصُّواعُ، فهُما اسْمانِ وَاقِعانِ علَى شيْءٍ واحِدٍ، كالبُرِّ والحِنْطَةِ، والمائدَةِ والخِوان.

وقالَ بعضُهم: الاِسْمُ الحقِيقيُّ: الصُّواعُ، والسِّقايةُ وصفٌ، كما يُقالُ: كوزٌ، وإناءٌ، فالاِسْمُ الخاصُّ: الكُوزُ.

(١) البيت لزياد الأعجم وهو زياد بن سُلْمى في ديوانه (ص: ٥٤)، والتفسير البسيط (١٢/ ١٧٨)، والشعر والشعراء (ص: ٢٨٠)، وأمالي المرتضى (٢/ ١٩٩ - ٢٠١)، والخزانة (٣/ ١٩٢)، ونسب للصلتان العبدي في أمالي المرتضى (٢/ ١٩٩)، وبلا نسبه في تلخيص الشواهد (ص: ٥١٢).

(٢) في (ج)، و(ف).

قالَ المفَسِّرُون: جعَلَ يُوسفُ ذلِك الصَّاعَ مِكيالًا؛ لئلَّا يُكالَ بغَيْرِه. وقيلَ: كالَ لإخْوَته بذلِك؛ إكْرامًا لهم. قالوا: ولمَّا ارْتحَل إخْوةُ يُوسفَ وأمْعَنُوا، أرْسَلَ الطَّلبَ في أثرِهم، فأُدْرِكوا وحُبِسُوا ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أعْلَم مُعلِّمٌ، يُقال: آذَنْتُه بالشَّيْءِ، فهوَ مؤْذَنٌ بهِ؛ أي: أعْلَمْتُه، وآذَنْت: أكثَرْتُ الإعْلامَ بالشَّيءِ[١]، يعْنِي: أنَّه إعْلَامٌ بعْدَ إعْلامٍ ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ يُريد: أهْلَ العِيرِ، فأنَّثَ؛ لأنَّه جعَلَها للعِير.

قالَ الفَرَّاءُ: لا يُقال: عِيرٌ، إلَّا لأصْحَابِ الإبِلِ[٢].

وقالَ أبو عُبيدةَ: العِيرُ: الإبِلُ المرْحُولةُ المرْكُوبةُ[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: العِيرُ: القوْمُ علَى الإبِلِ[٤].

فإنْ قِيل: كيْفَ جازَ لِيوسُفَ أنْ يُسرِّقَ مَن لم يَسْرِقْ؟

فعنْهُ أربعَةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: إنَّكم لَسارِقُونَ يُوسفَ حينَ قطَعْتُمُوه عنْ أبيهِ وطرَحْتُمُوه فِي الجُبِّ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٨٤)، ولم أقف عليه في معاني القرآن. وقد أبطله أبو الهيثم وغيره حيث قال: وقول مَن قال: العير: الابل خاصة باطلٌ، وانظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ١٨٠)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٣/ ١٦٨) (عير).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٨٠) وعزاه إلى أبي عبيدة.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢١٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٧).

والثَّـاني: أنَّ المنـادِي نـادى وهـوَ لا يعْلَـم أنَّ يُوسـفَ أمَـرَ بوضْـعِ السِّـقَايةِ فِي رحْـلِ أخِيـه، فـكانَ غـيْرَ كاذِبٍ في قوْلِـه، قالَـهُ ابْـنُ جريـرٍ[١].

والثَّالث: أنَّ المنادِي نادَى بالتَّسريقِ لهُم بغيْرِ أمْرِ يُوسفَ.

والرَّابـع: أنَّ المعْنَـى: ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ فيـما يظْهَـرُ لمـن لم يعْلَـمْ حقِيقـةَ أخْبارِكُـم؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخـان: ٤٩]؛ أي: عنْـدَ نفْسِـك، لا عنْدَنَـا، وقـوْلِ النَّبـيِّ ﷺ: «كـذَبَ إبْرَاهِيـمُ ثَـلاثَ كذِبَـاتٍ»[٢]؛ أي: قـالَ قـوْلًا يُشْـبِهُ الكـذِبَ، وليْـس بـهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُوا۟﴾ يعْني: إخْوةَ يُوسفَ ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: علَى المؤذِّن وأصْحابِه.

والثَّـاني: أقْبـلَ المنـادِي ومَـن معَـهُ عـلى إخْـوةِ يُوسـفَ بالدَّعـوى ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ مـا الَّـذِي ضـلَّ عنْكُم؟.

﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ قـالَ الزَّجَّـاجُ: الصُّـواعُ: هـوَ الصَّـاعُ بعيْنِـه، وهـو يُذكَّـر ويُؤنَّـثُ، وكذلِـك الصَّـاع يُذكَّـر ويُؤنَّـث[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٣٢٥٧- ٣٣٥٨)، ومسلم حديث (٣٢٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

وقد قرِئَ: «صُيَاعَ» بياءٍ[1]، وقُرِئَ: «صُوْغ» بغَيْنٍ معْجمةٍ، وقُرِئَ: «صُوع» بعيْنٍ غيرِ مُعجمَةٍ مع فتْحِ الصَّادِ وضمِّهَا[2]، وقرَأَ أبو هُريرةَ: «صَاعَ الملِكِ»[3]، وكُلُّ هذِه لُغاتٌ ترجِعُ إلى معْنى واحِدٍ، إلَّا أنَّ الصُّوغَ بالغَيْنِ المعجمَةِ، مصْدرُ صُغْتُ، وُصِفَ الإنَاءُ [بهِ][4]؛ لأنَّه كان مصُوغًا [٤١٠/أ] مِنْ ذهَبٍ.

واخْتلَفُوا في جنْسِه علَى خمْسةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ قدحًا مِن زبَرْجدَ.

والثَّاني: أنَّه كانَ مِن نُحاسٍ، رُويا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[5].

والثَّالث: أنَّه كانَ[6] شربةً[7] مِن فِضَّةٍ مُرصَّعةً بالجَوَهِرِ، قالَه عِكرِمَةُ.

والرَّابع: كانَ كأسًا مِن ذهَبٍ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، والمحتسب (١/ ٣٤٦)، وشواذ القراءات (ص: ٢٤٩).

(٢) قراءتان شاذتان، انظر: المصادر السابقة.

(٣) قراءة شاذة، شواذ ابن خالويه (ص: ٦٤)، وشواذ القراءات (ص: ٢٤٩)، والبحر المحيط (٥/ ٣٣٠).

(٤) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٧) (١٨٥٣٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧) إلى ابن جرير الطبري، وأبي الشيخ.

(٦) في (ف): كانت.

(٧) في (م): مشربة.

والخامِس: كانَ مِن مِسْ(١)، حكَاه الزَّجَّاجُ(٢).

وفي صِفتِهِ قولَانِ:

أحدهما: أنَّه كان مُستطِيلًا يُشبهُ المكُّوكَ.

والثَّاني: أنَّه كانَ يُشبِهُ الطَّاسَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾ يعْنِي: الصُّواعَ ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِنَ الطَّعامِ ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾؛ أي: كفِيلٌ لمَن ردَّه بالحِمْلِ، يقولُه المؤذِّنُ.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف: ٧٣ - ٧٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: «تاللهِ» بمعْنَى: واللهِ، إلَّا أنَّ التَّاءَ لا يُقسَم بها إلَّا فِي اللهِ عزَّ وجلَّ، ولَا يجُوز: تالرَّحمنِ لَأفعلَنَّ، ولا: تَربِّي لأفعلنَّ، والتَّاء تُبدل مِنَ الواوِ، كما قالُوا فِي ورَاثٍ: تُراث، وقالوا: يتَّزِنُ، وأصْلُه: يَوْتَزِنُ، مِنَ الوزنِ(٣).

(١) كذا في معاني القرآن للزجاج، وجميع النسخ الخطية، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٣): مَسك، قال محقق إعراب القرآن: «لعله من ماس، وربما من ميس، وهو شجر عظيم». والمسك: الجلد. قلت: وفي المحكم المحيط؛ لابن سيده (٢/ ٣٠٢): مِن مِسْ. وكذلك في تاج العروس (٢١/ ٣٧٩)، وضبطه هكذا: ومِسْ، بالكسر: النُّحَاسُ، قَالَ ابنُ دُرَيْدٍ: لَا أَدْرِي أَعَرَبِيٌّ هُوَ أَمْ لا، قلت: هي فارسية والسين مخففة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٠).

قَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: أُبدلتِ التَّاءُ مِنَ الوَاوِ، كما أُبدلَتْ في التُّخمةِ والتُّراثِ والتُّجاهُ، وأصْلهُنَّ مِنَ الوخمةِ والوراث والوجَاه؛ لأنَّهُنَّ مِنَ الوَخامةِ والورَاثة والوجه، ولا تقُول العرَبُ: تالرَّحمن، كما قالوا: تالله؛ لأنَّ الاستعْمالَ في الإقْسام كثُر باللهِ، ولم يكثُرْ[1] بالرَّحمنِ، فجاءتِ التَّاءُ بدلًا مِنَ الوَاو في المَوْضِع الَّذي يكثُرُ اسْتعْمالُه.

قَوْلُه تعالَى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾ يعْنُونَ: يُوسف ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: لِنظلِمَ أحدًا أو نَسرِقَ.

فإنْ قِيل: كيْفَ حلَفُوا علَى علْمِ قوْمٍ لا يعْرِفُونَهُم؟.

فالجوَابُ مِن ثلاثةِ أوْجهٍ:

أحدُها: أنَّهم قالُوا ذلك؛ لأنَّهم ردُّوا الدَّراهِمَ ولم يستحلُّوهَا، فالمعْنَى: لقد علِمتُم أنَّا ردَدْنَا عليْكُم دراهِمَكُم وهيَ أكْثرُ مِن ثمَنِ الصَّاع، فكيْفَ نستحِلُّ صاعَكُم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُقاتِلٌ[2].

والثَّاني: لأنَّهم لَمَّا دخلُوا مِصر كَعَمُوا[3] أفواهَ إبِلِهِم وحمِيرِهِم حتَّى لا تتنَاولَ شيْئًا، وكانَ غيْرُهم لا يفْعَلُ ذلِك، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج)، و(ف): يكن.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٥).

(٣) كعم البعير يكعمه كعماً فهو مكعوم وكعيم: شدَّ فاه، وقيل: شدَّ فاه في هياجه؛ لئلاً يعض أو يأكل. مقاييس اللغة مادة: كعم.

والثَّالث: أنَّ أهْلَ مِصرَ كانُوا قدْ عرَفُوهم أنَّهُم لا يظْلِمُون أحدًا.

قوْلُه تعالى: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ المعْنَى: قال المنادي وأصْحابُه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ قالَ الأخفش: إنْ شئْتَ ردَدْتَ الكنايةَ إلى السَّارقِ، وإنْ شئْتَ ردَدْتَها إلى السَّرقِ[1].

قوْلُه تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾؛ أي: في قوْلِكم ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ ﴿قَالُواْ﴾ يعْني: إخوةَ يُوسفَ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: يُستعبد بذلِك.

قالَ ابْنُ عبَّاس: وهذِه كانَتْ سنَّةَ آلِ يعْقُوبَ[2].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

قوْلُه تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: انْصرَف بِهم المؤذِّنُ إلى يُوسفَ، وقالَ: لَا بُدَّ مِن تفْتيشِ أمْتعَتِكُم، ﴿فَبَدَأَ﴾ يُوسفُ ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لإزالَةِ التُّهمةِ، فلَمَّا وصَل إلى وعاءِ أخيه، قالَ: مَا أظنُّ هذَا أخذَ شيْئًا، فقالُوا: واللهِ لا نبْرحُ حتَّى تنْظُرَ في رحْلِه، فهوَ أطْيَبُ لنفْسِك، فلَمَّا فتحُوا متاعَهُ [٤١٠/ب]

(١) ذكر قول الأخفشِ الثعلبيُّ في الكشف والبيان (١٥/ ٩٠).

(٢) أخرجه الطبري في (١٦/ ١٨٣) عن ابن إسحاق والسدي، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٤) عن ابن زيد.

وجَدُوا الصُّواعَ(١)، فذلِك قوْلُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾.

وفِي هاء الكِنايةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى السَّرِقةِ، قالَهُ الفرَّاءُ(٢).

والثَّاني: إلى السِّقاية، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٣).

والثَّالث: إلى الصّواعِ(٤) على لُغة مَن أنَّثه، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِي(٥).

قالَ المفَسِّرونَ: فأقْبَلُوا على بنيامين، وقالُوا: أيُّ شيءٍ صنعْتَ؟ فضَحْتَنا وأزْرَيْتَ بأبِيكَ الصِّدِّيقِ، فقَالَ: وَضَع هذا فِي رحْلِي الَّذِي وضَعَ الدَّراهِمَ فِي رِحالِكُم، وقد كانَ يُوسفُ أخْبرَ أخاه بما يُريد أنْ يصْنعَ بهِ.

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ **فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: كذلِك صنعْنا لَه، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: احْتلْنَا له، والكيْدُ: الحِيلَةُ، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ(٦).

والثَّالث: أردْنَا ليُوسُفَ، ذكرَهُ ابْنُ القاسِم(٧).

---

(١) في (ج): الصاع.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٢).

(٤) في (ج): الصاع.

(٥) المذكر والمؤنث (ص: ٦).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٢٠).

(٧) الأضداد (ص: ٩٧).

والرَّابع: دبَّرنا له بأنْ ألهمْناه ما فعَل بأخيهِ لِيتوصَّل إلى حبْسِه.

قالَ ابْنُ الأنباري: لما دبَّر اللهُ لِيوسُفَ ما دبَّر[1] مِن ارْتِفاعِ المنْزلةِ وكمالِ النِّعمَةِ على غيرِ مَا ظَنَّ إخوتُه، شُبِّه بالكيْدِ مِن المخلوقِين؛ لأنَّهم يستُرونَ ما يكِيدُون به عمَّن يكيدُونَه[2].

قوْلُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾.

في المرَادِ بالدِّينِ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه السُّلطانُ، فالمعْنَى: في سُلطانِ الملِكِ، رَواه العوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: أنَّه القضاءُ، فالمعْنَى: في قضاءِ الملِكِ؛ [لأنَّ قضاءَ الملِكِ][4] أنَّ مَن سرقَ إنَّما يُضرَبُ ويُغرَّم، قالَه أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وبيانُه: أنَّه لوْ أجْرى أخاه علَى حُكمِ الملِك ما أمْكنَهُ حبْسَه؛ لأنَّ حُكْمَ الملِكِ الغرمُ والضَّربُ فحسْبُ. فأجْرى اللهُ تعالى على ألسِنةِ إخْوتِه أنَّ جزاءَ السَّارِق الاسْترقاقُ، فكانَ ذلك ممَّا كادَ اللهُ لِيوسُفَ[5] لُطفًا حتَّى أظْفرَهُ[6] بمُرادِه بمشيئةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فذلِكَ معْنى قوْلِه: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقيلَ: إلَّا أنْ يشاءَ اللهُ إظْهارَ عِلَّةٍ يستحِقُّ بها أخاهُ.

---

(١) في (ج): دبره.

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٨٩).

(٣) أخرجه الطبري في (١٦/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٦).

(٤) ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في الأصل: له، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في الأصل: ظفره، والمثبت من بقية النسخ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾.

وقـرَأ يعْقُـوبُ: «يَرْفَـعُ [دَرَجَـاتٍ][١] مَـنْ يَشَـاءُ» باليـاءِ فيهِـمَا[٢]. وقـرَأ أهْـلُ الكُوفـةِ: «دَرجـاتٍ» بالتّنْويـن[٣]، والمعْنَـى: نرْفـعُ الدَّرجَـاتِ بصُنُـوفِ العَطَـاء، وأنْـواعِ الكرَامَـاتِ، وأبْـوابِ العُلـومِ، وقهْـرِ الهـوَى، والتَّوفِيـقِ للهـدى، كـما رفعْنـا يُوسـفَ.

﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾؛ أي: فـوْقَ كُلِّ ذِي علْـمٍ رفعَـهُ اللهُ بالعْلِـم مَـنْ هـوَ أعْلَـمُ منْـهُ حتَّـى ينْتهِـيَ العِلْـمُ إلى اللهِ عـزَّ وجـلَّ، والكـمالُ في العِلْـمِ معْـدُومٌ مِـن غـيْرِه.

وفي مقْصُودِ هذَا الكلام ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: يُوسفُ أعْلَمُ مِن إخْوَتِه، وفوْقَهُ مَن هوَ أعْلَمُ منْهُ.

والثَّـاني: أنَّـه نبَّه عـلى تعْظِيـم[٤] العِلْم، وبـيَّن أنّه أكْثـرُ[٥] مَـن أنْ [٤١١/ أ] يُحـاطَ بهِ.

والثَّالث: أنَّه تعْلِيمٌ للعالِمِ[٦] التَّواضُعَ؛ لئلَّا يُعْجبَ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٢٩٦).

(٣) قراءة سبعية، للكوفيين، كما في التيسير (ص: ١٠٤).

(٤) في (ج): تعليم.

(٥) في الأصل: أكبر، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) في (ف): أنه يعلم العالم.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ [يوسف: ٧٧ - ٧٩].

قوْلُه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ﴾ يعْنِي: إخْوةَ يُوسفَ ﴿إِن يَسۡرِقۡ﴾ يعْنُون: بنيَامِين ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ يعْنُونَ: يُوسفَ.

قال المفَسِّرونَ: عُوقب يُوسفُ ثلاثَ مرَّاتٍ: قالَ للسَّاقِي: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} فلَبِثَ في السِّجنِ بِضْع سِنِين، وقالَ للعَزِيزِ[1]: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، فقَال له جِبريلُ عليه السلام: ولَا حِينَ[2] همَمْتَ؟ فقَالَ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾، وقالَ لإخْوتِه: ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾، فقَالُوا: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾.

وفيما عنوا بِهذِهِ السَّرِقَةِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كان يسرِقُ الطَّعام مِن مائدةِ أبِيه فِي سِني المجاعَةِ، فيُطعِمُه المساكِينَ[3]، رَواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

والثَّاني: أنَّه سرقَ مُكحلَةً لِخالَتِه، رَواه أبو مالِكٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[5].

---

(١) في الأصل، و(ف): العزيز، والمثبت من (ج)، و(م).

(٢) في (ج): ولا يوم.

(٣) في (ج)، و(ف): للمساكين.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٩٣) عن عطاء عن ابن عبَّاس.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦٣) وعزاه إلى ابن المنذر عن ابن عبَّاس.

والثَّالِثُ: أنَّه سرَقَ صنمًا لجدِّه أبي أُمِّه، فكسَرَه وألْقَاهُ في الطَّرِيقِ، فعَيَّرَهُ إخْوتُه بذلِك، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ووهبُ بْنُ منبِّهٍ، وقتادَةُ.

والرَّابع: أنَّ عمَّةَ يُوسفَ -وكانَتْ أكْبرَ ولَدِ إسْحاقَ- كانَتْ تحضُنَ يُوسفَ وتُحبُّه حُبًّا شدِيدًا، فلمَّا ترعْرَعَ، طلبَهُ يعْقُوبُ، فقالَتْ: ما أقْدرُ أنْ يغِيبَ عنِّي، فقَالَ: واللهِ ما أنَا بتَارِكِه، فعمِدَتْ إلى مِنْطقَةِ إسْحاقَ، فربَطَتْها علَى يُوسف تحْتَ ثِيابِه، ثُمَّ قَالَتْ: لقَد فقَدْتُ مِنطقَةَ إسْحاقَ، فانْظُروا مَن أخذَهَا، فوجَدُوها معَ يُوسفَ، فأخبَرَتْ يعْقُوبَ بذلِك[١]، وقالَتْ: واللهِ إنَّه لي أصْنعُ فيهِ مَا شئْتُ، فقَالَ: أنْتَ وذَاك، فما قدِرَ عليْهِ يعْقُوبُ حتَّى ماتَتْ، فذَاك الَّذِي عيَّرَه به إخْوتُه، رَواه ابْنِ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ[٢].

والخامِس: أنَّه جاءَه سائِلٌ يوْمًا، فسرِقَ شيْئًا، فأعْطاهُ السَّائِلَ، فعيَّرُوه بذلِك.

وفي ذلِك الشَّيءِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ بيْضةً، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: [أنَّه][٣] شاةٌ، قالَه كعْبٌ.

---

(١) في (م): ذلك.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٦) (١٩٦٠٥) عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، وأخرجه أيضًا في تاريخه (١/ ٣٣٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٨) (١١٨٣٧) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦٣) إلى ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد.

(٣) من (م).

والثَّالث: دَجاجَةٌ، قالَهُ سُفيانُ بْنُ عُيينَةَ.

والسَّادس: أنَّ بنِي يعْقُوبَ عليه السلام كانوا علَى طعَامٍ، فنَظَر يوسُفُ إلى عرقٍ، فخبَّأَهُ، فعيَّرُوه بذلِك، قالَهُ عطيَّةُ العَوفِيُّ، وإدْرِيسُ الأَوْدِيُّ[١].

قالَ ابْن الأنْبارِيِّ: وليس في هذه الأفْعالِ كلِّها ما يُوجِب السَّرقَةَ، لكنَّها تُشبه السَّرِقَةَ، فعيَّرَه إخْوتُه بذلِك عنْد الغضَبِ[٢].

والسَّابع: أنَّهُم كذَبُوا عليْه فيمَا نسَبُوه إليْهِ، قالَهُ الحسَنُ.

وقرَأ أبو رَزِينٍ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «فَقَدْ سُرِّقَ» بضمِّ السِّين وكسْرِ الرَّاءِ وتشْدِيدِهَا[٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾.

فِي هَاءِ الكِنايةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترْجِع إلى الكلمةِ الَّتِي ذُكرتْ بعْدَ هذَا، وهي قوْلُه

---

(١) عبد الله بن إدريس الأودي أبو محمد، الإمام، الحافظ، المقرئ، القدوة، شيخ الإسلام، الكوفي. حدث عن: أبيه. من الطبقة الثامنة، توفي سنة (١٩٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٩)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٤٤).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ١٩٤) ولفظه: وهو في هذه كلها غير سارق في الحقيقة لكنه أتى ما يشبه السرق، فوصفه إخوته بذلك عند الغضب على جهة التشبيه والتمثيل، وقد يوصف بالشيء على جهة التمثيل، ولا يراد به الحقيقة.

(٣) قراءة شاذة، عزاها أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٣٠٨) إلى أحمد بن جبير الأنطاكي، وابن أبي شريح عن الكسائي، والوليد بن حسان عن يعقوب وغيرهم: «فَقَدْ سُرِّقَ» بالتَّشديد مبنيًا للفعول؛ بمعنى: نسب إلى السرقة.

تعالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، رَوى هذا المعْنَى العوْفيُّ عن ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّها ترْجع إلى الكلِمَةِ الَّتِي قالوهَا فِي حقِّه، وهِيَ قوْلُهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ وهذا معْنى قوْلِ أبي صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ. [٤١١/ب]

فعَلى هذا يكونُ المعْنَى: أسرَّ جوابَ الكلِمَةِ فلم يُجِبْهُم عليْهَا.

والثَّالث: أنَّها ترْجع إلى الحُجَّةِ.

المعْنَى: فأسرَّ الاحْتجاجَ عليْهِم فِي ادِّعائِهِم عليْهِ السَّرقةَ(٢)، ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: شَرٌّ صنِيعًا مِن يُوسُفَ لِما أقْدَمْتُم(٤) عليْهِ مِن ظُلْمِ أخيكُم وعُقُوقِ أبيكُم، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: شَرٌّ منزِلةً عنْدَ اللهِ، ذكَرَهُ الماورديُّ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٩) (١٩٦٠٨) قال: حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾، يقول: أسرَّ في نفسه قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٧٩) (١١٨٣٩) عن محمد بن سعد به.

(٢) ليست في (ف).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ١٩٤)، وفي (ج): ذكره الماوردي.

(٤) في (ج)، و(ف): قدمتم.

(٥) النكت والعيون (٣/ ٦٥).

أحدُهما: تقُولُون، قاله مُجاهِدٌ.

والثَّاني: بما تكْذِبُون، قاله قتَادَةُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: واللهُ أعْلَمُ أسَرقَ أخٌ له، أمْ لَا؟[1].

وذكَرَ بعْضُ المفَسِّرين أنَّه لَمَّا اسْتخرَجَ الصُّواعَ مِن رحْلِ أخيهِ، نقَر الصُّواعَ، ثُمَّ أدْناه مِن أُذنِه، فقَال: إنَّ صُواعِي هذَا يُخبرني[2] أنَّكُم كُنتم اثْني عشرَ رجُلًا، وأنَّكُمْ انْطلَقْتُم بأخٍ لكُم فبِعتمُوه.

فقالَ بنيامِينُ: أيُّها الملِكُ! سلْ صُواعَك عَنْ أخِي، أحيٌّ هوَ؟ فنقَرَهُ ثُمَّ، قالَ: هوَ حَيٌّ وسوَف تَراهُ. فقَالَ: سَلْ صُواعَكَ، مَن جعَلَهُ في رحْلِي؟ فنقَرَهُ، فقالَ: إنَّ صُواعِي هذَا غضْبانُ، وهوَ يقُول: كيْفَ تسْألُني عنْ صاحِبي وقدْ رأَيْتَ معَ مَنْ كنْت؟ فغضِب رُوبيلُ، فكانَ بنُو يعْقُوبَ إذَا غضِبُوا لم يُطاقُوا، فإذَا مسَّ أحَدُهُم الآخرَ ذهَب غضَبُهُ، فقَالَ: واللهِ أيُّها الملِكُ لَتتركنا، أو لَأُصِيحَنَّ صيْحةً لا يبْقَى بمِصرَ امْرأةٌ حامِلٌ إلَّا ألْقتْ ما في بطْنِها.

فقَالَ يوسُفُ عليه السلام لابْنِه: قُم إلى جنْبِ رُوبيل فامْسَسْهُ، ففَعَل الغُلامُ، فذَهَب غضَبُهُ، فقَال رُوبيلُ: مَا هذَا؟ إنَّ في هذَا البلَدِ مِن ذرِّيَّةِ يعْقُوبَ؟ قالَ يُوسُفُ: ومَنْ يعْقُوبُ؟ فقَالَ: أيُّها الملِكُ! لَا تذْكُرْ يعْقوبَ، فإنَّه إسْرائِيلُ اللهِ بْنُ ذَبيحِ اللهِ بْنِ خليلِ اللهِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٣).

(٢) في (ج): أخبرني.

فلـمَّا لم يجِـدُوا إلى خَـلاصِ أخِيهِـم سـبِيلًا، سـأَلُوه أنْ يأْخُـذَ منْهُـم بدِيـلًا بـِهِ، فذلِـك قوْلُـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾؛ أي: في سـنِّه، وقيـل: في قـدْرِه، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾؛ أي: تسـتعبِدُه بـدَلًا عنْـهُ.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: فيما مضَى.

والثَّاني: إنْ فعلْتَ.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ قد سبَقَ تفْسيرُه، والمعْنَى: أعوذ بالله أن نأْخُذَ برِيئًا بسقِيمٍ.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾ [يوسف: ٨٠ – ٨١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾؛ أي: يئِسُوا[(١)].

وفي هاءِ «منْهُ» قوْلانِ:

أحدُهـما: أنَّهـا ترجِـعُ إلى يُوسـفَ، فالمعْنَـى: يئِسُـوا مِـن يُوسـفَ أنْ يُخـلِّيَ سـبِيلَ أخِيهِـم.

والثَّاني: إلى أخِيهم، فالمعْنَى: يئِسُوا مِن أخِيهِم.

---

(١) في نسخة: أيسوا.

قوْلُه تعَالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾؛ أي: اعْتزَلُوا النَّاسَ ليْس معَهُم غيْرُهُم، يتناجُونَ ويتَنَاظَرُون ويتَشَاوَرُون، يُقال: قوْمٌ نُجِيٌّ، والجمْعُ أنْجِيَة، قالَ الشَّاعِر [من الرجز]: [٤١٢/أ]

إنِّي إذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهْ
وَاضْطَرَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ كَالأَرْشِيَهْ[(١)]

وإنَّما وحَّد «نَجِيًّا»؛ لأنَّه يجرِي مُجرى المصدر الَّذي يكون للاثْنين، والجمْعِ والمؤنَّث بلفْظٍ واحدٍ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: انْفردُوا متناجِينَ فيما يعمَلُون في ذهابِهِم إلى أبِيهِم وليْس معَهُم أخُوهُم[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه كبيرُهُم في العقْلِ.

ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يهُوذا، ولم يكُن أكبرَهُم سِنًّا، وإنَّما كان أكبرهُم سِنًّا رُوبيل، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[(٣)].

---

(١) الرجز لسحيم بن وثيل اليربوعي في لسان العرب (١٥/ ٣٠٨) (نجا)، وتاج العروس (نجا)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ٢٣٥- ٨٠٩)، ونوادر أبي زيد (ص: ١١)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٩٩)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٩٩)، ومجمل اللغة (٤/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٧).

والثَّاني: أنَّه شمْعُونُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّه كبيرُهُم في السِّنِّ وهو رُوبيلُ، قالَه قتادَةُ، والسُّدِّيُّ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في حفْـظِ أخِيكُـم وردِّهِ إليْـهِ.

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ قـالَ الفـرَّاءُ: «مَـا» في موْضِـع رفْـعٍ، كأنَّـه قـالَ: ومِـن قبْـلِ هـذَا تفريطُكـم في يُوسـفَ، وإنْ شـئْتَ جعلْتَهـا نصْبًـا. المعْنَـى: ألم تعْلَمُـوا هـذا، وتعْلَمُـوا مـن قبْـلُ تفريطَكـم في يُوسـفَ، وإنْ شـئْتَ جعلْـتَ «مَـا» صلـةً، كأنَّـه قـالَ: ومِـن قبْـلُ فرَّطْتـم في يُوسـفَ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذَا أجْودُ الوُجوهِ، أنْ تكونَ «مَا» لغْوًا[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: لـنْ أخْـرُجَ مِـن أرْضِ مِـصْر، يُقـال: بـرِحَ الرَّجُـلُ براحًـا؛ إذا تنحَّـى عـنْ موْضعِـه.

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: حتَّى يبعثَ إليَّ أنْ آتِيَه[٣].

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أو يحْكُمَ اللهُ لي، فيَرُدَّ أخِي عليَّ.

والثَّاني: يحْكُمَ اللهُ لي بالسَّيفِ، فأُحاربَ مَنْ حبَسَ أخِي.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٥٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٠٥).

والثَّالث: يقْضِي فِي أمْري شيئًا.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ أي: أعدلُهُم وأفضلُهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ وقرأ ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، وابْنُ أبي سُريجٍ عنِ الكِسائيِّ: «سُرِّقَ» بضَمِّ السِّينِ وتشْديدِ الرَّاء وكسْرِها[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ومَا شهِدنَا عليْهِ بالسَّرِقة إلَّا بما علِمْنا؛ لأنَّا رأيْنا المسْرُوقَ فِي رحْلِه، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: وما شهِدنَا عن يُوسفَ بأنَّ السَّارقَ يُؤْخذُ بسرِقتِه إلَّا بما علِمْنا مِن دينِك، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفِي قوْلِه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ ثمانيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الغيْبَ هوَ اللَّيْلُ. والمعْنى: لم نعْلَمْ ما صنعَ باللَّيْلِ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وهذَا يدُلُّ على أنَّ التُّهمةَ وقعَتْ به ليْلًا.

والثَّاني: ما كُنَّا نعْلَم أنَّ ابْنَك يسْرِقُ، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ عنِ مجاهدٍ[2]، وبهِ قالَ عكرِمةُ، وقتادَةُ، ومكْحُولٌ.

---

(١) قراءة شاذة، عزاها ابن عطية في تفسيره (٥/ ٥١٦) إلى ابن عباس وأبي رزين، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ٦٩)، وعزاها الهذلي في الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة (ص: ٥٧٧) إلى النهشلي عن علي.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٠٠)، ورواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢١١) (١٩٦٣٥)، وعزاه السيوطي في الدر السيوطي (٤/ ٢٩) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: فالمعْنَى: لم نعْلَمِ الغَيْبَ حين أعْطيْنَاك المَوْثِقَ لنَأْتِيَنَّكَ بهِ أنَّه يسْرِقُ فيُؤخَذُ[١].

والثَّالث: لم نستَطِعْ أنْ نحفظَهُ فلا يسْرِقُ، رَواه عبْدُ الوهابِ[٢] عنْ [٤١٢/ب] مُجاهِدٍ.

والرَّابع: لم نعْلَمْ أنَّه سرقَ للملِك شيْئًا، ولذلِك حكمْنَا باسْترقَاقِ السَّارقِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والخامِسُ: أنَّ المعْنَى: قدْ رأيْنَا السَّرقةَ قدْ أُخذَتْ مِن رحْلِه، ولَا عِلْمَ لنَا بالغيْبِ فلعَلَّهم سرَّقوه، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والسَّادس: ما كُنَّا لغيْبِ ابْنِك حافِظينَ، إنَّما نقْدرُ على حفْظِه في محْضرِه، فإذا غابَ عنَّا، خفِيتْ علينَا[٣] أمورُه.

والسَّابع: لو علِمْنا مِنَ الغيْبِ أنَّ هذه البليَّةَ تقَعُ بابْنِك ما سَافرْنَا بهِ، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ.

والثَّامن: لم نعْلَمْ أنَّك تُصاب بهِ كما أُصبْتَ بيُوسفَ، ولو علِمْنا لم نذْهَبْ بهِ، قالَهُ ابْنُ كيسانَ[٤].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) عبد الوهَّاب بن مجاهد بن جبر. قال النسائي: مَتْرُوك الحَدِيث. وقال وَكِيع كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّه لم يسمع من أَبِيه شَيْئًا. انظر: الضعفاء والمتركون (ص: ٦٨) ترجمة (٣٧٥)، والضعفاء الصغير (ص: ٧٧) ترجمة (٢٣٤).

(٣) في (ج)، و(ف): عنَّا.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١١٣)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٠٧) عن ابن كيسان.

فهرس الآيات

رقم الآية		الصفحة
سورة التوبة		

١٠١ .... ٥
١٠٢ .... ٩
١٠٣ .... ١١
١٠٤، ١٠٥ .... ١٣
١٠٦، ١٠٧ .... ١٥
١٠٨ .... ١٩
١٠٩ .... ٢٣
١١٠، ١١١ .... ٢٥
١١٢ .... ٢٩
١١٣، ١١٤ .... ٣١
١١٥، ١١٧ .... ٣٧
١١٨ .... ٤١
١١٩ .... ٤٣
١٢٠، ١٢١ .... ٤٥
١٢٢ .... ٤٧
١٢٣، ١٢٦ .... ٤٩
١٢٧ .... ٥٣

رقم الآية	الصفحة
سورة يونس	

رقم الآية	الصفحة
١	٦١
٢، ٣	٦٣
٤	٦٧
٥، ١٠	٦٩
١١	٧٥
١٢	٧٧
١٣، ١٥	٧٩
١٦، ١٧	٨١
١٨	٨٣
١٩	٨٥
٢٠، ٢١	٨٧
٢٢، ٢٣	٨٩
٢٤	٩٣
٢٥	٩٥
٢٦	٩٧
٢٧	١٠١
٢٨، ٢٩	١٠٣
٣٠	١٠٥
٣١، ٣٥	١٠٧
٣٦، ٣٧	١١٣
٣٨، ٣٩	١١٥
٤٠، ٤٢	١١٧

٤٣، ٤٤	١١٩
٤٥، ٤٧	١٢١
٤٨، ٥٢	١٢٣
٥٣، ٥٨	١٢٥
٥٩، ٦٠	١٣١
٦١	١٣٣
٦٢، ٦٤	١٣٥
٦٥، ٦٧	١٣٩
٦٨، ٧١	١٤١
٧٢، ٧٥	١٤٥
٧٦، ٨٢	١٤٧
٨٣، ٩٢	١٥١
٩٣، ٩٧	١٧١
٩٨	١٧٥
٩٩، ١٠٠	١٨١
١٠١، ١٠٣	١٨٣
١٠٤، ١٠٦	١٨٥
١٠٧، ١٠٩	١٨٧

رقم الآية	الصفحة
سورة هود	
١	١٩١
٢، ٤	١٩٣
٥	١٩٥
٦، ٧	٢٠١
٨، ٩	٢٠٥
١٠، ١٢	٢٠٧
١٣، ١٤	٢٠٩
١٥، ١٦	٢١١
١٧، ١٨	٢١٣
١٩	٢٢١
٢٠، ٢١	٢٢٣
٢٢، ٢٤	٢٢٥
٢٥، ٢٩	٢٣١
٣٠، ٣٤	٢٣٧
٣٥، ٣٨	٢٤١
٣٩، ٤٠	٢٤٧
٤١	٢٥٥
٤٢، ٤٣	٢٥٩
٤٤، ٤٧	٢٦٣
٤٨	٢٧١
٤٩، ٥٣	٢٧٣
٥٤، ٥٦	٢٧٥

٥٧ .... ٢٧٧

٥٨، ٥٩ .... ٢٧٩

٦٠، ٦٩ .... ٢٨١

٧٠، ٧٢ .... ٢٩٥

٧٣ .... ٣٠١

٧٤، ٧٦ .... ٣٠٣

٧٧، ٨١ .... ٣٠٥

٨٢، ٨٣ .... ٣١٩

٨٤، ٨٥ .... ٣٢٧

٨٦، ٩٥ .... ٣٢٩

٩٦، ٩٧ .... ٣٤١

٩٨، ١٠٠ .... ٣٤٣

١٠١، ١٠٢ .... ٣٤٥

١٠٣، ١٠٨ .... ٣٤٧

١٠٩، ١١١ .... ٣٥٥

١١٢، ١١٣ .... ٣٥٩

١١٤ .... ٣٦١

١١٥ .... ٣٦٧

١١٦ .... ٣٦٩

١١٧، ١١٩ .... ٣٧١

١٢٠ .... ٣٧٣

١٢١، ١٢٣ .... ٣٧٧

رقم الآية	الصفحة
سورة يوسف	
١، ٢	٣٨١
٣	٣٨٣
٤، ٥	٣٨٥
٦	٣٨٧
٧	٣٨٩
٨	٣٩١
٩، ١٤	٣٩٣
١٥	٤٠٥
١٦، ١٨	٤٠٩
١٩	٤١٣
٢٠	٤١٥
٢١	٤١٩
٢٢	٤٢٣
٢٣	٤٢٧
٢٤	٤٣١
٢٥، ٢٧	٤٤٣
٢٨	٤٤٧
٢٩، ٣٠	٤٤٩
٣١، ٣٢	٤٥٣
٣٣، ٣٥	٤٦٣
٣٦	٤٦٧
٣٧، ٣٩	٤٦٩

٤٠، ٤١ .... ٤٧٣
٤٢ .... ٤٧٥
٤٣، ٤٤ .... ٤٧٩
٤٥، ٤٨ .... ٤٨١
٤٩ .... ٤٨٥
٥٠، ٥١ .... ٤٨٩
٥٢ .... ٤٩٣
٥٣، ٥٦ .... ٤٩٩
٥٧، ٥٨ .... ٥٠٧
٥٩، ٦١ .... ٥١١
٦٢ .... ٥١٣
٦٣، ٦٤ .... ٥١٥
٦٥، ٦٨ .... ٥١٧
٦٩ .... ٥٢١
٧٠، ٧٢ .... ٥٢٥
٧٣، ٧٥ .... ٥٢٩
٧٦ .... ٥٣١
٧٧، ٧٩ .... ٥٣٥
٨٠، ٨١ .... ٥٣٩

الدوحة 2021
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثامن

تتمة يوسف - الرعد - إبراهيم
الحجر - النحل - الإسراء

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٨

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

الدوحة 2021
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثامن

يوسف ٨٢ - الإسراء

تحقيق وتعليق
مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ المعْنَى: قُولُوا لأَبِيكُم: سَلْ أهْلَ القريَةِ ﴿ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ يعْنُونَ: مِصرَ ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾؛ أي: وأهْلَ العِيرِ، وكانَ قد صحِبَهُم قومٌ مِن الكَنْعانِيينَ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: ويجوزُ أن يكونَ المعْنَى: وسَلِ القرْيةَ والعِيرَ فإنَّها تعْقِلُ عنْك لأنَّك نبيٌّ، والأنْبِياءُ قد تُخاطِبُهُم الأحْجارُ والبهَائِمُ، فعلَى هذَا تسْلَمُ الآيةُ مِن إضْمارٍ(١).

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف: ٨٣].

قوْلُه تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ﴾ في الكلامِ اخْتِصارٌ، والمعْنَى: فرَجعُوا إلى أبِيهم فقَالُوا له ذلِك، فقَال لهم هذَا، وقد شرَحْناهُ في أوَّل السُّورَةِ.

واخْتلَفُوا لأيِّ علَّةٍ قالَ لهم هذَا القوْلَ، علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه ظَنَّ أنَّ الَّذي تخلَّف منْهُم، إنَّما تخلَّف حِيلةً ومكْرًا ليصدِّقَهُم، قالَه وهْبُ بْنُ منبِّهٍ.

---

(١) ذكر قولَ ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٢٠٩).

والثَّـاني: أنَّ المعْنَـى: ﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ﴾ أنَّ خُروجَكُـم بأخِيكُـم يجلِـبُ نفْعًـا، فجـرَّ ضررًا، قالَـهُ ابْـنُ الأنْبـاريِّ[1].

والثَّالث: ﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ﴾ أنَّه سرقَ، ومَا سرَقَ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ يعْنِـي: يُوسُـفَ وبنْيَامِـينَ وأخَاهُمَـا المقِيـمَ بمـصْرَ. وقـالَ مُقاتِـلٌ: أقـامَ بمِـصْرَ يهُـوذا وشـمْعُونَ، فـأرَاد بقوْلـهِ: ﴿أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ﴾ يعْنِـي: الأرْبعَـةَ[2].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾؛ أي: بشِـدَّةِ حُـزني، وقِيـل: بمكَانِهِـم، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فِيـما حكَـمَ علَـيَّ.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف: ٨٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: أعْـرضَ عـنْ ولَـدِه أنْ يُطِيـلَ معَهُـم الخطْـبَ[3]، وانْفـردَ بحُزْنِـه، وهيَّـج عليْـه مَا جـرَى ذِكْـرَ يُوسـفَ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يـا طُـولَ حُـزنِي علَـى يُوسـفَ[4].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢١١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٨).

(٣) في (ج): الخطاب.

(٤) أخرجـه ابـن أبي حاتـم (٧/ ٢١٨٥) (١١٨٧٨) عـن الضحـاك، عـن ابـن عبـاس، في قولـه: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، قـال: يـا حزنـا عـلى يوسـف.

قالَ ابنُ قُتيبةَ: الأَسَفُ: أَشَدُّ الحَسْرَةِ[١]. قالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: لقد أُعْطِيت هذِه الأُمَّةُ عنْد المصيبةِ ما لَم يُعطَ الأَنْبِياءُ قبْلَهُم، (يعني قوله)[٢]: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ولَوْ أُعطِيها الأَنْبياءُ لَأُعطِيها يَعْقوبُ؛ إذْ يقُول: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[٣].

فإنْ قِيل: هذَا لفْظُ الشَّكوَى، فأَيْنَ الصَّبْرِ؟.

فالجوَابُ مِن وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه شكَا إلى اللهِ تعَالى، لَا مِنْهُ.

والثَّاني: أنَّه أرادَ بِهِ الدُّعاءَ، فالمعْنَى: يا ربِّ ارْحَمْ أَسَفِي علَى يُوسُفَ.

وذكَرَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ عنْ بعْضِ اللُّغويين أنَّه قالَ: نِداءُ يعْقُوبَ [٤١٣/أ] الأَسَفَ في اللَّفظِ، مِن المجازِ الَّذي يعْنِي بهِ غيْرَ المظهَرِ فِي اللَّفظ.

وتلْخِيصه: يا إلهي ارْحَم أَسَفِي (على يوسفَ)[٤]، أو أنْت رَاءٍ أَسَفِي، وهذَا أَسَفِي، فنادَى الأسفَ فِي اللَّفظ، والمنادَى فِي المعْنَى سِوَاه؛ كما قالَ: ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا﴾، والمعْنَى: يا هؤلاءِ تنبَّهوا على حسْرتِنا.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) زيادة من الأصل فقط.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٦٦) (١٤٢٨)، والبيهقي في الشعب (٩٦٩١) من طريق سفيان العصفري به.

(٤) من الأصل فقط.

قالَ: والحُزْنُ ونفُور النَّفس مِنَ المكرُوهِ والبَلاءِ لا عيْبَ فيهِ ولَا مأثَم إذا لم ينْطِقِ اللِّسانُ بكلَام مؤثِّم ولم يشْكُ إلَّا إلى ربِّه، فلـمَّا كانَ قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ شكوى إلى ربِّه، كان غيْرَ ملُومٍ(١).

وقد رُوي عنِ الحسَنِ رضي الله عنه أنَّ أخاهُ ماتَ، فجزَعَ الحسَنُ جزَعًا شدِيدًا، فعُوتِب في ذلِك، فقَال: ما وجدْتُ اللهَ تعَالى عابَ علَى يعْقُوبَ الحُزنَ؛ حيثُ قالَ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾؛ أي: انقَلبَتْ إلى حالِ البَياضِ.

وهَل ذهَب بصرُهُ، أمْ لَا؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه ذهَب [بصرُه](٣)، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: ضعُفَ بصَرُه لِبياضٍ تغشَّاهُ مِن كثرةِ البُكاء، ذكرَهُ الماورديُّ(٤).

وقالَ مُقاتِلٌ: لم يُبصِرْ بعينَيْه سِتَّ سِنِينَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وقوْلُه: ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾؛ أي: مِنَ البُكاءِ(٥)، يُريد أنَّ عينَيْهِ ابيضَّتا؛ لِكثْرةِ بُكائهِ، فلـمَّا كانَ الحزْنُ سببًا للبكاء، سُمِّي البكاءُ حُزنًا.

---

(١) انظر: تفسير الخازن (٢/ ٥٤٩).

(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٤).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٦٩).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٧).

وقـالَ ثابـتٌ البُنـانيُّ: دخَـل جِبريـلُ عليـه السـلام عـلَى يُوسـفَ، فقَـال: أيُّهـا الملِـكُ الكريـمُ عـلَى ربِّـه، هـل لـكَ علْـمٌ بِيعْقُـوبَ؟ قـالَ: نعَـمْ! قـالَ: مـا فعَـلَ؟ قـالَ: ابيضَّـتْ عيْنـاه، قـالَ: مـا بلَـغ حزْنُـه؟ قـالَ: حـزُن سـبْعِين ثـكْلَى، قـالَ: فهَـل لـه عـلى ذلِـكَ مِـن أجْـرٍ؟ قـالَ: أجْـرُ مائـةِ شـهيدٍ(١).

وقـالَ الحسَـنُ البـصريُّ: مـا فـارَقَ يعْقـوبَ الحـزْنُ ثمانِـينَ سـنَةً، ومـا جفَّـتْ عينُـه، ومـا أحَـدٌ يومئـذٍ أكْـرم عـلَى اللهِ منْـه حـين ذهَـبَ بـصرُهُ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ الكَظِيـمُ بمعْنَـى: الكاظِـمُ؛ وهوَ الــمُمْسِكُ عـلَى حُزْنـه فـلَا يُظهِـرُه، قالَـه ابْـنُ قُتيبـةَ(٣). وقـد شرحْنَـا هـذا عنْـد قوْلِـه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمـران: ١٣٤].

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسـف: ٨٥ - ٨٧].

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٣٠)، وذكره البغـوي في معالم التنزيـل (٤/ ٢٦٩- ٢٧٠) بنحـوه، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثور (٤/ ٣٠) إلى ابـن جريـر، وعبـد بـن حميـد، وابـن المنـذر، وابـن أبي حاتـم، وأبي الشـيخ.

(٢) أخرجـه الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٢/ ٦٢٧) قـال: أخبرنـا أبـو بكـر التميمـي، أنـا أبـو الشـيخ الحافـظ، نـا أبـو يحيـى الـرازي، نـا سـهل بـن عثمان، نـا ابـن إدريـس، عـن هشـام، عـن الحسـن قـال: مـا فـارق يعقـوب الحـزن ثمانـين سـنة ومـا جفـت عينـه، ومـا أحـد يومئـذ أكـرم عـلى الله منـه حـين ذهـب بـصره.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾.

قَالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: معْنَاه: واللهِ، وجوَابُ هذا القَسمِ «لَا» المضمَرةُ الَّتِي تأويلُها: تاللهِ لَا تفتأُ، فلمَّا كانَ موضعُها معْلومًا خفَّف الكلامَ لسُقوطِها[١] مِن ظاهرِه، كما تقُول العرَبُ: واللهِ أقصدك أبدًا، يعْنُون: لَا أقْصدُك[٢]، قَالَ امْرُؤ القيْسِ [من الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي[٣]

يُريد: لَا أبْرَحُ.

وقالتِ الخنْسَاءُ [من المتقارب]:

فَأَقْسَمْتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ ... أَوْ أَسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا[٤]

أرَادَتْ: لَا آسَى.

وقالَ الآخرُ [من المنسرح]:

[٣١٤/ب] لَمْ يَشْعُرِ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْـ ... ـعُرْفِ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا

---

(١) في (ج)، و(ف): بسقوطها.

(٢) الأضداد (ص: ١٤٢).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٠٨)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٥٤٠)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٢٢٥)، والأضداد (ص: ١٤٢)، والكتاب (٣/ ٥٠٤)، والصناعتين (ص: ١٣٨).

(٤) البيت في ديوانها (ص: ١٢٥)، وفيه:

فآليت آسي على هالك *** وأسأل باكية ما لها

وهو أيضًا لها في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٢١٨)، والتعازي؛ للمبرد (ص: ١٢١)، وأمالي المرتضى (ص: ٤٨).

تَـالله أَنْسَـى مُصِيبَتِـي أَبَـدًا مَـا أَسْـمَعَتْنِي حَنِينَهَـا الْإِبِـلُ[١]

وقـرأ أبـو عِمْـرانَ، وابْـنُ مُحيصِـنٍ، وأبـو حيْـوَةَ: «قَالُـوا بِـالله» بالبـاءِ[٢]، وكذلِـك كُلُّ قسَـمٍ في القُـرآنِ.

فأمَّـا قوْلُـه: ﴿تَفْتَؤُا﴾ فقـالَ المفَسِّرُون وأهْـلُ اللُّغـة: (معْنَى «تفتـأ»)[٣]: تـزَالُ، فمعْنَى الكلامِ: لَا تزَال تذْكُر يُوسـفَ، وأنْشَـدَ أبو عُبيـدةَ[٤] [من الطويل]:

فَـمَا فَتِئَـتْ خَيْـلٌ تَثُـوبُ وَتَدَّعِـي وَيَلْحَـقُ مِنْهَـا لَاحِـقٌ وَتَقَطَّـعُ[٥]

وأنْشد ابْنُ القاسِم [من الطويل]:

فَـمَا فَتِئَـتْ مِنَّـا رِعَـالٌ كَأَنَّهَـا رِعَالُ الْقَطَـا حَتَّى احْتَوَيْنَ بَنِي صَخْرِ[٦]

قوْلُه تعَالَى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الدَّنِفُ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) البيتـان لنُصَيْـب بـن ربـاح يرثـي عبـد العزيـز أو ابنه أبـا بكـر في الأغـاني (١/ ٣٤٦)، ومعجم البلـدان (٣/ ٢٣٠)، وحماسـة القـرشي (ص: ١٩٦).

(٢) لم أقف عليها.

(٣) في (ف): معناه.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٦).

(٥) البيـت لأوس بـن حجـر في ديوانه (ص: ٥٨)، ومجـاز القرآن؛ لأبي عبيـدة (١/ ٣١٦)، وغريب القـرآن؛ لابن قتيبـة (ص: ٢٢١)، والمسـائل الحلبيات (ص: ٢٦٧).

(٦) البيت للأعرج، كما في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٢١٧).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: أحْرَضَهُ الحزْنُ؛ أي: أدْنَفَهُ[١].

قالَ أبو عُبيدةَ: الحرَضُ: الَّذي قد أذابَهُ الحُزنُ أوِ الحُبُّ، وهيَ في موْضعِ مُحْرَضٍ[٢]. وأنْشدَ [من البسيط]:

إنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي   حَتَّى بَلِيتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ[٣]

أي: أذابَنِي.

وقالَ الزَّجّاج: الحرَضُ: الفاسِدُ في جسْمِه. والمعْنَى: حتَّى تكونَ مُدْنَفًا مَرِيضًا[٤].

والثَّاني: أنَّه الذَّاهبُ العقْلِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقال ابْنُ إسْحاقَ: الفَاسدُ العقْلِ[٥].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣١٧).

(٣) البيت لعبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي، كان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه. وهو في ديوانه (ص: ٥)، والشعر والشعراء (ص: ٣٨١)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٢٢)، ومجاز القرآن (١/ ٣١٧)، والاشتقاق (ص: ٤٨)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٢٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٤) (١٩٦٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٥-٢١٨٨) (١١٨٩٩) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قال: لما ذكر يعقوبُ يوسفَ قالوا يعني ولده الذين حضروه في ذلك الوقت، جهلًا وظلمًا: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾؛ أي: تكون فاسدًا لا عقل لك.

قالَ الزَّجَّاجُ: وقد يكون الحَرَضُ: الفاسِدُ في أخْلاقِه(١).

والثَّالث: أنَّه الفاسِدُ في جسْمِه وعقْلِه، يُقال: رجُلٌ حارِضٌ وحَرَضٌ، فحارِضٌ، يُثنَّى ويجمع ويُؤنَّث، وحرَضٌ لا يُجمع ولا يُثنَّى؛ لأنَّه مصدرٌ، قالَه الفرَّاءُ(٢).

والرَّابع: أنَّه الهرَمُ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ يعْنُون: الموْتى.

فإنْ قيلَ: كيْفَ حلَفُوا على شيْءٍ يجوزُ أنْ يتغيَّرَ؟.

فالجوابُ: أنَّ في الكلَامِ إضْمارًا، تقْدِيرُه: إنَّ هذَا في تقْدِيرنا وظَنِّنَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: البَثُّ: أشَدُّ الحُزنِ، سُمِّي بذلِك؛ لأنَّ صاحبَه لا يصْبِرُ عليْهِ حتَّى يبثَّهُ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ **المعْنَى**: إنِّي لَا أشْكُو إليْكُم، وذلِك لَمَّا عنَّفُوه بما تقَدَّم ذكْرُه.

ورَوى الحاكِم أبو عبدِ اللهِ في «صحيحِه» مِن حديثِ أنَسِ بْنِ مالِكٍ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

عـنْ رسُـولِ اللهِ ﷺ، أنَّـه قـالَ(١): «كانَ لِيعْقـوبَ أخٌ مُـؤاخٍ [لَـهُ](٢)، فقَـالَ لـه ذَاتَ يـوْمٍ: يَـا يعْقُـوبُ! مَـا الَّـذِي أذْهـبَ بـصرَكَ؟ ومَـا الَّـذِي قـوَّسَ ظهْـرَك؟.

قـالَ: أمَّـا الَّـذي أذْهـبَ بـصَرِي؛ فالبُـكاءُ عـلَى يُوسُـفَ، وأمَّـا الَّـذي قـوَّسَ ظهْـرِي؛ فالْحُـزْنُ عـلَى بنْيَامِـينَ. فأتَـاهُ جِبْريـلُ عليـه السـلام، فقَـالَ: يَـا يَعْقُـوبُ! إنَّ اللهَ يُقْرِئُـكَ السَّـلامَ ويقُـولُ لـكَ، أمَـا تَسْـتَحِي أنْ تَشْـكُونِي إلى غـيْرِي؟ فقَـال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فقَـالَ جِبْريـلُ: اللهُ أعْلَـمُ بِـمَا(٣) تَشْـكُو، ثُـمَّ قـالَ يعْقُـوبُ: أيْ رَبِّ! أمَـا تَرْحَـمُ الشَّـيْخَ الكَبِـيرَ؟ أذْهَبْـتَ [٤١٤/أ] بَـصَرِي، وقوَّسْـتَ ظهْـرِي، فَـارْدُدْ عـلَيَّ رَيحَـانِي أشُـمُّهُ شَـمَّةً قبْـلَ الْمَـوْتِ، ثُـمَّ اصْنَـعْ بِي يَـا رَبِّ مَـا شِـئْتَ، فأتَـاهُ جِبْريـلُ عليـه السـلام، فقَـالَ: يَـا يعْقُـوبُ! إنَّ اللهَ يَقْـرأُ عليْـكَ السَّـلامَ، ويقُـولُ: أبْشِرْ، فَوَعِـزَّتِي وجـلَالِي لَـوْ كَانَـا مَيِّتَـيْنِ لَنشَرْتُهـمَا لَـكَ، اصْنَـعْ طعَامًـا للْمَسـاكِينِ، فَـإنَّ أحَـبَّ عِبـادِي إليَّ الْمَسَـاكِينُ، وَتَـدْرِي لِمَ أذْهَبْـتُ بَـصَرَكَ، وقَوَّسْـتُ ظهْـرَكَ، وصنَـعَ إخْـوَةُ يُوسُـفَ بِيُوسُـفَ مَـا صنَعُـوا؟ لِأنَّكُـم ذبحْتُـمْ شَـاةً، فأتَاكُـم فُـلانٌ المسْكِينُ وهـوَ صَائِـمٌ، فلَـمْ تُطْعِمُـوه مِنْهَـا.

فـكانَ يعْقُـوبُ بعْـدَ ذلِـكَ إذا أرَادَ الغَـداءَ أمَـرَ مُنادِيًـا فنَـادَى: ألَا مَـنْ أرَادَ الغَـدَاءَ مِـنَ المسَـاكِينِ فَلْيَتَغَـدَّ مـعَ يعْقُـوبَ، وإذَا كانَ صائِـمًا أمَـرَ مُنادِيًـا فنـادَى: مَـنْ كانَ صَائِـمًا فَلْيُفْطِـرْ مـعَ يعْقُـوبَ»(٤).

---

(١) ليست في (ف).

(٢) من (م).

(٣) في (ف): بما الذي.

(٤) أخرجـه ابـن أبي الدنيـا في الفـرج بعـد الشـدة (٣٠)، وابن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٨٨)=

وقَالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: أوْحَى اللهُ تعَالى إلى يعْقُوبَ عليه السلام: أتَدْرِي لِمَ عاقَبْتُكَ وحبسْتُ عنْكَ يُوسُف ثَمانِين سنَةً؟ قالَ: لَا، قالَ: لأنَّك شوَيْتَ عناقًا، وقتَّرْتَ علَى جارِكَ وأكلْتَ ولم تُطْعمْهُ[1].

وذكَر بعْضُهُم أنَّ السَّببَ في ذلِكَ أنَّ يعْقُوبَ ذبَحَ عِجْلَ بقرَةٍ بيْنَ يدَيْهَا، وهيَ تخُورُ، فلَم يرحَمْهَا[2].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ صبرَ يُوسفُ عنْ أبيهِ بعْدَ أنْ صارَ ملِكًا؟.

فقَدْ ذكَرَ المفَسِّرُونَ عنْهُ ثلَاثَةَ أجْوِبَةٍ:

أحدُها: أنَّه يجُوز أنْ يكُونَ ذلِك عنْ أمْرِ اللهِ تعَالى، وهوَ الأظْهَرُ.

والثَّاني: لِئلَّا يظُنَّ الملِكُ بتعْجِيل اسْتِدْعائِه أهْلَه، شِدَّةَ فاقتِهِم.

والثَّالث: أنَّه أحبَّ بعْد خُروجه مِنَ السِّجنِ أنْ يدرِّجَ نفْسَهُ إلى كمَالِ السُّرورِ.

=(١١٩٠١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٤)، والواحدي في الوسيط بسنده (٢/ ٦٢٨) نحوه مرفوعًا من حديث أنس، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٨٧): حديث غريب، وفيه نكارة.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٢٦) بسنده من أبي عمران عن أبي الخلد ووهب بن منبه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ، وانظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٦٢٩)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٦٩).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٩) قال: إنَّ سبب ابتلاء يعقوب أنه كانت له بقرة، ولها عجل، فذبح عجلها بين يديها، وهي تخور، فلم يرحمها يعقوب، فأخذه الله به، وابتلاه بأعز ولده.

والصَّحِيح: أنَّ ذلِك كانَ عنْ أمْرِ اللهِ تعالى؛ لِيرفعَ درجةَ يعْقُوبَ بالصَّبر على البَلاءِ، وكان يُوسفُ يُلاقِي مِنَ الحُزْنِ لأجْلِ حُزْنِ أبيه عظِيمًا، ولا يقْدِر علَى دفْعِ سبَبِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **فيه أرْبعةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: أعْلَمُ أنَّ رُؤيَا يُوسفَ صَادقَةٌ وأنَّا سنَسْجدُ لَهُ، رَواه العوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1].

والثَّاني: أعْلَمُ مِن سلَامةِ يُوسُفَ مَا لَا تعْلَمُون.

قَالَ ابْنُ السَّائبِ: وذلِك أنَّ ملِكَ المَوْتِ عليه السَّلام أتَاه، فقَالَ له يعْقُوبُ: هلْ قبضْتَ رُوحَ ابْنِي يُوسُفَ؟ قَالَ: لَا[2].

والثَّالث: أعْلَمُ مِن رحْمَةِ اللهِ وقُدْرتهِ مَا لَا تعْلَمُون، قالَهُ عطَاءٌ.

والرَّابع: (أنَّه لمَّا)[3] أخْبَرَهُ بنُوه بِسيرةِ العزِيزِ، طمِعَ أنْ يكُونَ هوَ[4]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٩) (١١٩٠٨) من طريق محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: {وأعلم من الله ما لا تعلمون}، يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٩)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٠) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٩) (١١٩٠٣) عن النضر بن عربي.

(٣) في (ج): إنَّما.

(٤) ليست في (ج).

يُوسُفَ، قالَه السُّدِّيُّ، قالَ: ولذلِك قالَ لهُم: ﴿ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا ﴾(١).

وقالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: لَّما قالَ له ملِكُ الموْتِ: مَا قبضْتُ رُوحَ يُوسُفَ؛ تبَاشَر عنْدَ ذلِكَ، ثُمَّ أصْبحَ، فقَالَ لِبنِيه: ﴿ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾(٢).

قالَ أبو عُبيدةَ: «تَحسَّسُوا»؛ أي: تخبَّرُوا والْتَمِسُوا في المظانِّ(٣).

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قالَ: «مِنْ يُوسُفَ»، والغَالبُ أنْ يُقالَ: تحسَّستُ [٤١٤/ب] عنْ كذَا؟.

فعنْه جوَابَانِ -ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ(٤)-:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: عنْ يُوسُفَ، ولكنْ نابَتْ عنْهَا [«مِنْ»](٥)، كما تقُولُ العرَبُ: حدَّثَنِي فُلانٌ مِن فُلانٍ، يعْنُونَ: عنْهُ.

والثَّاني: أنَّ «مِنْ» أُوثِرتْ للتَّبْعِيضِ، والمعْنَى: تحسَّسُوا خبرًا مِنْ أخْبارِ يُوسُفَ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٧)، والطبراني في المعجم الأوسط، كما في مجمع الزوائد؛ للهيثمي (٧/ ٤٥)، وقال الهيثمي: فيه محمد بن أحمد الباهلي وهو ضعيف. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٣).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٩) عن النضر بن عربي نحوه.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣١٧).

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٤)، وفي (ج): ذكرهما الماوردي.

(٥) من (ج)، (ف)، و(م).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مِن رحْمةِ اللهِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: مِنْ(١) فرَجِ اللهِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: مِن توْسِعَةِ اللهِ، حكَاهُ ابْنُ القاسِمِ.

قالَ الأصْمعِيُّ: الرَّوحُ: الإسْتِراحةُ مِن غمِّ القلْبِ(٢).

وقالَ أهلُ المعانِي: لا تيْأسُوا مِنَ الرَّوْحِ الَّذي يأتِي بهِ اللهِ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ لأنَّ المؤمِنَ يرجُو اللهَ فِي الشَّدائِدِ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف: ٨٨ - ٩٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾.

---

(١) في (ف): أن من.

(٢) ذكر قول الأصمعي الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٤)، وانظر: تهذيب اللغة (٥/ ١٣٩).

في الكلَام محْذُوفٌ، تقْديرُه: فخَرَجُوا إلى مِصْرَ، فدَخلُوا على يُوسُفَ، فـ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ وكانُوا يُسمُّونَ ملِكَهُم بذلِك. ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ يعْنُون: الفقْرَ والحاجَةَ.

﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ [مُّزْجَىٰةٍ]﴾[١] وفي ماهيَّةِ تلْك البِضاعَةِ سبْعَةُ أقْوَالٍ.

أحدُها: أنَّها كانَتْ دراهِمَ، رَواه العوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والثَّاني: أنَّها كانَتْ متاعًا رَثًّا كالحبْلِ والغِرَارةِ[٣]، رَواه ابْنُ أبي مُليكَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّالث: أنَّه[٥] كانَت أقِطًا قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: كانَتْ نِعالًا وأُدُمًا، رَواه جُويبر عنِ الضَّحَّاكِ[٦].

---

(١) من (ف)، و(م).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦) (١٩٧٤٥)، عن العوفي عن ابن عبَّاس، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩٢٣) عن الضَّحاك عن ابن عبَّاس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) الغرارة: وعاءٌ من الخيش ونحوه يوضع فيه القمحُ ونحوه، وهو أكبرُ من الجوالق. انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٦٥١)، واللسان (٦/ ٣٢٣٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٢٨)، الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٠٧) (١١٤١) عن ابن عيينة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩١٩) من طريق الحسن بن يحيى.

(٥) ليست في (ف).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٣٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٨).

والخامِس: كانَتْ سُويقَ المقل[١]، رُوي عنِ الضَّحَّاكِ أيْضًا[٢].

والسَّادس: حبَّة الخضْرَاء وصُنوبر، قالَه أبو صَالِحٍ.

والسَّابع: كانَتْ صُوفًا وشيْئًا مِنْ سمْنٍ، قالَهُ عبْدُ اللهِ بْنُ الحارث.

وفي المزْجَاةِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها القَلِيلةُ.

رَوى العَوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: دَراهِمُ غيْرُ طَائلَةٍ[٣]، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وابْنُ إسْحاق، وابْنُ قُتيبةَ[٤].

قالَ الزَّجَّاجُ: تأْويلُه فِي اللُّغة أنَّ التَّزجِيةَ: الشَّيْءُ [القليلُ][٥] الَّذي يُدافَعُ بهِ، يُقال: فُلانٌ يُزَجِّي العيْشَ، أي: يدْفَعُ بالقَليلِ ويكْتَفِي بهِ، فالمعْنَى: جئْنا ببضَاعةٍ إنَّما يدافع[٦] بها ويتَقوَّتُ[٧]، وليْسَتْ مما يُتَّسَعُ بهِ[٨]، قالَ الشَّاعر [من الكامل]:

---

(١) المقل: ثمر شجر الدوم يؤكل.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٣٥- ١٣٦) بدون نسبة، بلفظ: روي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٧٦) إلى ابن النجار عن ابن عبَّاس.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦) (١٩٧٤٦).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٥) من (م).

(٦) في (م): يدفع.

(٧) في (م): ونتقوَّت.

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٧)، ومن قوله: (ويكتفي)... إلى هنا ساقط من (ج).

الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْهِجَانَ وَعَبْدَهَا عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا[١]

أي: تَدْفَعُ أطْفالَهَا.

والثَّاني: أنَّها[٢] الرَّدِيئةُ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

قالَ أبو عُبيدةَ: إنَّما قِيلَ للرَّدِيئةِ: مُزجاةً؛ لأنَّها مَرْدُودةٌ مدْفُوعةٌ غيْرُ مقْبُولةٍ ممَّن يُنْفِقُها، قالَ: وهيَ مِن الإزْجَاءِ، والإزْجَاءُ عنْدَ العرَبِ: السَّوْقُ والدَّفْعُ[٤]، وأنْشدَ [من الطويل]:

لِيَبْكِ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مِنَ[٥] اللَّيْلِ أَرْمَلَا[٦]

أي: تَسُوقُه.

---

(١) البيت لأعشى بني ثعلبة في ديوانه (ص: ٢٩)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٦)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٨٣)، والمقتضب (٤/ ١٦٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣/ ١٢٧)، والهجان من الإبل: البيض الكرام. العُوذ: جمع عائذ؛ وهي حديثة النِّتاج من الإبل والظِّباء والخيل. وفي (ف): أبطالها.

(٢) ليست في (ج).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٢٣٥) (١٩٧٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩٢٢) عن عكرمة عن ابن عبَّاس.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٧).

(٥) في (ج)، و(ف): مع.

(٦) البيت لحاتم الطائي في ديوانه (ص: ٢٨٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٦)، ونسب معد (١/ ٢٥١)، قال: وملحان: هو ابن حارثة بن سعد الطائي، ابن عم حاتم الطائي.

والثَّالث: الكاسِدةُ، رَواه الضَّحَّاكُ أيْضًا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

[٤١٥/أ] والرَّابِع: الرَّثَّةُ؛ وهيَ المَتاع الخَلِقُ، رَواه ابْنُ أبي مُليكةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والخامس: النَّاقصَةُ، رَواه أبو حُصينٍ عنْ عكْرِمَةَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾؛ أي: أتِمَّهُ لنا ولا تُنقِصُه لرداءةِ بضاعتِنَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: تصدَّقْ علينَا بما بيْن سعْرِ الجيَادِ والرَّدِيئةِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: كان الَّذي سألُوه مِنَ المسامحةِ يُشبه التَّصدُّق، وليْسَ بهِ.

والثَّاني: بردَّ أخِينَا، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

قالَ: وذلِك أنَّهم كانوا أنْبياءَ، والأنْبِيَاءُ لا تحِلُّ لهم الصَّدقةُ(٤).

والثَّالث: وتصدَّق علينَا بالزِّيادةِ على حقِّنا، قالَهُ ابْنُ عُيينَةَ.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٢٣٩) (١٩٧٧٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٣) (١٣٤٠)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦) (١٩٧٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩١٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩٢٤).

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٠).

وذهبَ إلى أنَّ الصَّدقةَ قد كانَتْ تحِلُّ للأنبياء قبْلَ نبيِّنَا [محمَّد][١] ﷺ، حكاه [عنه][٢] أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، وأبو الحسَنِ الماورديُّ[٣]، وأبو يعْلى ابْنُ الفرَّاء.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾؛ أي: بالثَّوابِ.

قالَ الضَّحَّاكُ: لم يقُولوا: إنَّ اللهَ يجْزِيك إنْ تصدقْتَ علينَا؛ لأنَّهم لم يعْلَمُوا أنَّه مُؤمِنٌ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

فِي سببِ قوْلِه لهُم هذَا ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه أخْرَج إليْهم نُسخةَ الكِتابِ الَّذي كتَبُوه على أنْفُسِهم ببيْعِه مِن مالِكِ بْنِ ذَعْرٍ، وفي آخرِ الكتابِ: «وكتَب يهُوذَا».

فلمَّا قرَؤُوا الكتَابَ اعْترَفُوا بصحَّتِه، وقالُوا: هذَا كتابٌ كتبْنَاهُ على أنْفُسِنا عنْدَ بيْعِ عبْدٍ كانَ لنَا. فقالَ يُوسف عنْدَ ذلِك: إنَّكُم تستَحقُّون العُقوبةَ، وأمَرَ بهِم لِيُقتَلُوا، فقَالُوا: إنْ كنْتَ فاعِلًا، فاذْهَب بأمْتِعتِنَا إلى يعْقُوبَ، ثُمَّ أقْبَل يهُوذَا على بعْضِ إخْوَتِه، فقالَ: قد كانَ أبونَا مُتَّصِلَ الحُزنِ لِفقْدِ واحِدٍ مِن ولدِهِ فكيْفَ بهِ إذا أُخْبِر بِهلاكِنا أجْمعِين؟ فرَقَّ

(١) من (ج).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٧٣).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٣٦).

يُوسفُ عليه السلام عند ذلك وكشَف لهُم أمْرَهُ، وقالَ لهُم هذَا القوْلَ، رَواه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

الثَّاني: أنَّهُم لَّما قالُوا: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ أدركتْهُ الرَّحمَةُ، فقَالَ لهُم هذَا، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والثَّالثُ: أنَّ يعْقُوبَ كتَبَ إليْهِ كتابًا: إنْ رددْتَ ولَدِي، وإلَّا دعوْتُ عليْكَ دعْوَةً تُدْركُ السَّابعَ مِن ولَدِكَ، فبكَى، وقالَ لهُم هذَا.

وفِي «هَل» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها اسْتفهَامٌ لِتعْظِيم القِصَّةِ، لا يُراد بِهِ نفْسُ الِاسْتِفهامِ.

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: فالمعْنَى: ما أعْظَمَ مَا ارْتكَبْتُم، ومَا أسْمَجَ مَا آثَرْتُم مِن قطِيعةِ الرَّحِمِ وتضْيِيعِ الحقِّ، وهذَا مثْلُ قوْلِ العربيِّ: أتدْرِي مَنْ عصَيْتَ؟ هلَ تدْرِي[1] مَن عادَيْتَ؟ لَا يُرد بذلِك الاسْتِفهامَ، ولكنَّه يقصد[2] تفْظِيعَ الأمْرِ[3]، قالَ الشَّاعر[4] [من الطويل]:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي[5] ....

---

(١) في (ج)، و(م): تعرف.

(٢) في (م): لكن يرد.

(٣) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٢).

(٤) اختُلف في نسبته؛ فتارة نسبوه إلى سوار بن المضرب، وتارة إلى مساور بن حمئان، وتارة إلى الفرزدق.

(٥) فهو لسوار بن المضرِّب السَّعدي في نوادر اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٢٣٣)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٤/ ١١٤)، والحجة؛ لأبي علي الفارسي (٥/ ١٨٦)، والبحر=

لم يُرِدِ الاسْتِفهامَ، إنَّما أرادَ أنَّ هذا غيْرُ مرجوٍّ عنْدَهُم.

وقدْ يجوزُ[١] أن يكونَ المعْنَى: هل علِمْتُم عُقْبى مَا فعلْتُم بِيُوسفَ [٤١٥/ب] وأخيهِ مِن تسْليمِ اللهِ لهُما مِنَ المكْروهِ؟ وهذِه الآيةُ تصْدِيقُ قوْلِه[٢]: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾.

والثَّاني: أنَّ «هَلْ» بمعْنَى: «قَدْ»، ذكَرَهُ بعْضُ المفسِّرين[٣].

فإنْ قِيلَ: فالَّذي فعَلُوا بِيُوسفَ معْلُومٌ، فما الَّذِي فعَلُوا بأخيهِ، ومَا سعَوْا في حبْسِه ولَا أرادُوه؟.

فالجوَابُ مِن وجُوهٍ:

أحدُها: أنَّهم فرَّقُوا بيْنَه وبيْنَ يُوسُفَ، فنغَّصُوا عيْشَه بذلِكَ.

والثَّاني: أنَّهم آذَوهُ بعْدَ فقْدِ يُوسفَ.

والثَّالث: أنَّهم سَبُّوه لَمَّا قُذِف بسرقةِ الصَّاعِ.

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: إذْ أنْتُم صِبيانٌ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

=المحيط (٧/ ٢١٣)، والدر المصون (٧/ ٥٣٧)، ولمساور بن هنان من بني ربيعة بن كعب في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٠)، وللفرزدق في جمهرة اللغة؛ لابن دريد (٣/ ١٣١٨)، وبلا نسبة في الأضداد (ص: ٦٨).

(١) في (ج)، و(م): قال: ويجوز.

(٢) في (ج): قولهم.

(٣) في (ج)، و(م): أهل التفسير.

والثَّاني: مُذْنِبونَ، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

والثَّالث: جاهِلُون بعُقوقِ الأبِ، وقطْعِ الرَّحِمِ، ومُوافقَةِ الهوَى.

والرَّابع: جاهِلُون بما يؤول إليْه أمْرُ يُوسفَ، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعْفرٍ، وابْنُ مُحَيْصن: «إِنَّكَ» علَى الخَبَرِ، وقرَأَهُ آخَرُون بهمْزَتيْنِ محقَّقَتيْنِ، وأدْخل بعْضُهُم بيْنَهُما ألِفًا(٣).

واخْتلَف المفَسِّرُونَ، هل عرَفُوه، أمْ شبَّهوهُ؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّهم شبَّهوهُ بيوسُفَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ فِي رِوايةٍ.

والثَّاني: أنَّهُم عرَفُوه، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

وفِي سبَبِ معْرِفتِهِم لَهُ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه تبسَّم، فشبَّهُوا ثنَايَاهُ بثنَايَا يُوسفَ، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه كانَتْ له علَامةٌ كالشَّامَةِ في قرْنِه، وكانَ لِيعْقُوب مثْلُها، ولإسْحاقَ مثْلُها، ولِسارَّةَ [مثْلُها](٤)، فلمَّا وضَعَ التَّاجَ عنْ رأْسِه، عرَفُوه،

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٩).

(٢) ذكره عنه الواحدي في تفسيره (١٢/ ٢٣٢).

(٣) قراءتان سبعيتان، (ص: ٣٢)، و(ص: ١٣٠).

(٤) من (م).

رَواهُ عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّالث: أنَّه كشِفَ الحِجابُ، فعرَفُوه، قالَه ابْنُ إسْحاقَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إنَّما أظْهرَ الإسْمَ، ولم يقُلْ: أنَا هو؛ تعْظِيمًا لِمَا وقَعَ بهِ مِن ظُلْمِ إخْوَتِه، فكأنَّه قالَ: أنَا المظْلُومُ المستحَلُّ منْهُ، المرَادُ قتْلُه، فكفَى ظهُورُ الإسْمِ مِن هذِه المعانِي؛ ولهذَا قالَ: ﴿وَهَٰذَآ أَخِى﴾ وهم يعْرِفُونه، وإنَّما قصَد: وهذَا المظْلُومُ كظُلْمِي[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ **فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: بخيرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

والثَّاني: بالجمْعِ بعْدَ الفُرقةِ.

والثَّالث: بالسَّلامَةِ ثُمَّ بالكرَامَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ في رِوَايةِ قُنبلٍ: ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ بياءٍ في الوَصْلِ والوقْفِ، وقرَأ الباقُونَ بغيْرِ ياءٍ في الحالَيْنِ[٣].

---

(١) أخرجه الثعلبي بإسناده في الكشف والبيان (١٥/ ١٤٢) من طريق إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عبَّاس، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٣).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٤).

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

وفي معنَى الكلامِ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: (أنَّه)[١] مَن يتَّقِ الزِّنَا ويصْبِرْ علَى البَلاءِ.

والثَّاني: مَنْ يتَّقِ الزِّنَا ويصْبِر على العزْبةِ.

والثَّالث: مَنْ يتَّقِ اللهَ ويصْبِر علَى المصائبِ، رُويت هذهِ الأقْوالُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: يتَّقِ معْصيةَ اللهِ ويصْبِر على السِّجْنِ، قالَهُ مُجاهدٌ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾؛ أي: أجْرَ مَن كانَ[٣] هذَا حَالُه.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: اخْتارَك وفضَّلَك.

وبماذَا عنَوا أنَّه فضَّلَه فيهِ؟ أرْبعَةُ أقْوالٍ: [٤١٦/أ]

أحدُها: بالمُلْكِ، قالَه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بالصَّبرِ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: بالحِلْمِ والصَّفْحِ عنَّا، ذكرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والرَّابع: بالعِلْمِ والعقْلِ والحُسْنِ وسائرِ الفضائِلِ الَّتي أعْطاهُ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٤٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٤٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٤).

(٣) ليست في (ج).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِـِٔينَ﴾.

(قالَ ابْنُ عبَّاسٍ)[١]: لَمُذْنِبينَ آثِمِينَ في أمْرِكَ[٢].

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: ولهذَا اخْتِير «خَاطِئين» على «مُخْطئين» وإنْ كان «أخْطأَ» على ألْسُنِ النَّاس أكثَرَ مِن «خطئ يخْطأ»؛ لأنَّ معْنى خطِئ يخطَأ، فهو خاطِئ: آثِمٌ، ومعْنَى أخْطأَ يُخطِئ، فهوَ مُخطِئ: ترَكَ الصَّوابَ ولم يأثَمْ، قالَ الشَّاعر [من الوافر]:

عِبَادُكَ يُخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبٌّ ... بِكَفَّيْكَ الْمَنَايَا وَالْحُتُومُ[٣]

أراد: يأثَمُونَ.

قالَ: ويجُوز أنْ يكونَ آثَرَ «خَاطِئين» على «مُخْطِئين»؛ لِموافقةِ رُؤوسِ الآياتِ؛ لأنَّ «خاطِئين» أشبَهُ بما قبْلَها[٤].

وذكرَ الفرَّاءُ في معْنَى «إنْ» قوْلَيْنِ:

أحدُهما: وقَدْ كُنَّا خاطِئِينَ.

---

(١) ليس في (ج).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٦).

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص: ٤٨١)، وتهذيب إصلاح المنطق (ص: ٦٣٢)، والمحتسب (٢/ ٢٠)، وتفسير الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٥٨٢)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٠٢)، وبلا نسبة في أدب الكاتب (ص: ٤٤٣)، الحتوم: جمع حتم، والحتم: القضاء، وقال ابن سيده: الحتم: إيجاب القضاء، وفي التنزيل: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، انظر: اللسان (ح ت م).

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٦).

والثَّاني: ومَا كُنَّا إلَّا خاطِئِين.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾.

قالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: لا أُعَيِّرُكم بعْد اليوْمِ بهذَا أبدًا[1].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إنَّما أشارَ إلى ذلِك اليوم؛ لأنَّه أوَّلُ أوْقاتِ العفْوِ، وسبِيلُ العافِي فِي مثْلِه أنْ لا يُراجِعَ عُقوبةً[2].

وقالَ ثعلب: قد ثرَّبَ فُلانٌ على فُلانٍ؛ إذا عدَّد عليْه ذُنوبَهُ[3].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: لا تعْيِيرَ عليْكُم بعْدَ هذا اليوْمِ بما صنعْتُم[4].

وأصْلُ التَّثْرِيبِ: الإفسَادُ، يُقال: ثربَ علينْا؛ إذا أفْسدَ، وفِي الحدِيث: «إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ»[5]؛ أي: لا يُعيِّرْه بالزِّنا.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: جعلَهُم فِي حِلٍّ، وسأَلَ اللهَ عزَّ وجلَّ المغْفِرةَ لهُم[6].

وقالَ السُّدِّيُّ: لما عرَّفهُم نفْسَه، سألَهُم عن أبيه، فقَالوا: ذهبَتْ عيْناه، فأعْطَاهُم قمِيصَه، وقالَ: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي﴾

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٨) من رواية الكلبي.

(٢) ذكر قول ابن االأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١/ ٤٧٦) (ثرب).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري حديث رقم (٢٢٣٤)، ومسلم حديث رقم (١٧٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣١).

وهـذا القِميـصُ كانَ في قصبَـةٍ[١] مِـن فضَّـةٍ مُعلَّقًـا في عُنـقِ يُوسـفَ لما أُلْقِـي في الجُـبِّ، وكانَ مِـنَ الجنَّـةِ[٢]، وقـد سـبَقَ ذكْـرُه [يوسـف: ١٨/ ٢٥/ ٢٦/ ٢٧/ ٢٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ قالَ أَبو عُبيدةَ: يعُودُ مُبْصرًا[٣].

فإنْ قِيل: مِن أيْنَ قطَعَ علَى الغيْبِ؟.

فالجوَابُ: أنَّ ذلِك كانَ بالوحْيِ إليهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قـالَ الكلْبِـيُّ: كان أهلُـه نحـوًا مِـن سـبْعِين إنْسـانًا[٥].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ [يوسـف: ٩٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾؛ أي: خرجَـتْ مِـن مِـصْرَ متوجِّهـةً إلى كنعـانَ، وكانَ الَّـذي حمَـلَ القمِيـصَ يهُـوذَا.

قـالَ السُّـدِّيُّ: قـالَ يهُـوذَا لِيُوسـفَ: أنَـا الَّـذِي حملْـتُ القَمِيـصَ إلى

---

(١) وعاء كالأنبوب، يكون من النبات ومن الفضة وغيرها.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٤٨)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٩٦)، وذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٥/ ١٤٦).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣١٨)، ولفظه: يَعُد مبصرا.

(٤) ذكـره الواحدي في التفسـير البسـيط (١٢/ ٢٤١) بلفـظ: أمره جبريل أن أرسـل إليه بقميصك، فـإن ريـح الجنة لا يقع عـلى مبتلى ولا سـقيم إلا صح وعوفي.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٤٢).

يعْقُوبَ بِدَمٍ كَذِبٍ فأحْزنْتُه، وأنَا الآن أحْمِلُ قمِيصَك لِأَسُرَّهُ[١]، فحمَلَه[٢].

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فخرَجَ حَافِيًا حاسِرًا يعْدُو، ومعَه سبْعَةُ أرْغفةٍ لم يستَوْفِ أكْلَها[٣].

[٤١٦/ب] **قوْلُه تعَالى:** ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعْنِي: يعْقوبَ لِمَن حضرَهُ مِن أهْلِه وقرَابتِه وولَدِ ولَدِه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ومعْنَى أجِدُ: أشُمُّ، قَالَ الشَّاعر [من البسيط]:

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ ... وَلَكِنَّهَا أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقَصَّفُ

وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ ... وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْمُخَلَّفُ[٤]

فإنْ قِيلَ: كيْفَ وجَدَ يعْقُوبُ ريحَهُ وهو بِمِصْرَ، ولم يجِدْ ريحَه مِنَ الجُبِّ وبعْدَ خُروجِه منْهُ، والمَسَافةُ هُناك أقْرَبُ؟.

فعنْهُ جَوابَانِ:

أحدُهما: أنَّ اللهَ تعالى أخْفى أمْرَ يُوسفَ علَى يعْقُوبَ في بدايةِ الأمْرِ لِتقَعَ البليَّةُ الَّتِي يتكامَلُ بها الأجْرُ، وأوْجَدَه ريحَه مِنَ المكانِ النَّازحِ عنْدَ تقَضي البلاءِ ومجيءِ الفرَجِ.

---

(١) في (ج): لأبشره.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٦).

(٤) البيتان في أمالي الزجاجي (ص: ٨٦)، وأمالي القالي (١/ ١١٣)، وزهر الآداب (٣/ ٧٢٠)، والحماسة البصرية (١/ ٢١٣)، وتاريخ بغداد (٤/ ١٥١)، والوافي بالوفيات (٧/ ٢٨٤)، ووفيات الأعيان (١/ ٩٠)، وفي رواية: «نسيم المسك» بدل: «فتيق المسك».

والثَّاني: أنَّ هذا القميصَ كانَ في قصبةٍ مِن فِضَّةٍ مُعلَّقًا في عُنق يُوسفَ على مَا سبَقَ بيانُه، فلمَّا نشرَهُ فاحَتْ روائِحُ الجِنَانِ في الدُّنيا فاتَّصلَتْ بيعْقُوبَ، فعَلِم أنَّ الرَّائحةَ مِن جهة ذلِك القميص.

قالَ مُجاهِدٌ: هبَّت ريحٌ فضرَبتِ القَميصَ، ففَاحَتْ رَوائِحُ الجنَّةِ في الدُّنْيا واتَّصلَتْ بيعقُوبَ فوجَد رِيحَ الجنَّةِ؛ فعَلِم أنَّه ليس فِي الدُّنْيَا مِن رِيحِ الجنَّةِ إلَّا ما كانَ مِن ذلِك القميص، فمِن ثَمَّ قالَ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[١].

وقيل: إنَّ رِيح الصَّبا استأذَنَتْ ربَّها عزَّ وجلَّ في أنْ تأتِيَ يعْقُوبَ بريحِ يُوسفَ قبْلَ البَشِيرِ فأذِنَ لها[٢]؛ فلذلِكَ يستَرْوِحُ كُلُّ محْزُونٍ إلى ريح الصَّبا، ويجِد المكرُوبون لها رُوحًا، وهي ريحٌ ليِّنةٌ تأتي مِن ناحيةِ المشْرِق؛ [أي: من ناحيتِهِ][٣]، قالَ أبو صخْرٍ الهُذليُّ [من الطويل]:

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهِيجُنِي ... نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يُطَّلَعُ الْفَجْرُ[٤]

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وجَد (يعْقوبُ)[٥] رِيحَ قمِيصِ يُوسفَ مِن مسِيرةِ ثمانِ ليالٍ ثمانِين فرسخًا.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٢) عن مجاهد.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٥).

(٣) من (ج).

(٤) البيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين (٢/ ٩٥٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٦٩)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٣/ ٤٦٠)، الحجة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٥٠)، والكامل؛ للمبرد (٣/ ٤٤).

(٥) من الأصل فقط.

قَوْلُه تعَالى: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ فيهِ خَمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: تُجَهِّلُونِ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ(١)، وبه قالَ مُقاتِلٌ(٢).

والثَّاني: تُسَفِّهُونِ، رَواه عبْدُ اللهِ بْنُ أبي الهُذيلِ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣)، وبه قالَ عَطاءٌ، وقتادَةُ، ومُجاهدٌ في رِوايةٍ(٤). وقالَ في [روايةٍ](٥) أُخْرى: لوْلَا أنْ تقُولُوا: ذهَبَ عقْلُكَ(٦).

والثَّالثُ: تُكذِّبُونِ، رَواه العَوفيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٧)، وبهِ قالَ سعِيدُ ابْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ.

والرَّابع: تُهرِّمُونِ، قالَه الحسَنُ، ومُجاهدٌ في رِوايةٍ(٨).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٥٣) (١٩٨٢١)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥) إلى ابن جرير الطبري وأبي الشيخ.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٥٣) (١٩٨٢٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥٣) (١٩٨٢٣) عن خصيف، عن مجاهد: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾، قال: لولا أن تسفهون.

(٥) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥٤) (١٩٨٣٤) عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ قال: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك!

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥٥) (١٩٨٤٣) قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾، يقول: تكذبون. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٨) (١١٩٦٧) من طريق مجاهد عن ابن عبَّاسٍ.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٥٥) (١٩٨٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره=

قالَ ابْنُ فارسٍ: الفندُ: إنْكارُ العقْلِ مِن هرَمٍ[١].

والخامس: تُعجِّزُونِ، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٢].

(وقالَ أبو عُبيدةَ)[٣]: تُسفِّهُونِ وتُعجِّزُونِ وتَلُومُونِ، وأنْشدَ[٤] [من البسيط]:

يَـا صَاحِبَـيَّ دَعَـا لَوْمِـي وَتَفْنِيـدِي   فَلَيْسَ مَـا فَاتَ مِـنْ أَمْـرِي بِمَـرْدُودِ[٥]

قالَ ابْنُ جريرٍ: وأصْل التَّفْنِيدِ: الإفْسَادُ، وأقْوالُ المفَسِّرينَ تتقَارَبُ معَانِيهَا[٦].

(قـالَ الشَّـيخُ)[٧]: وسـمِعْتُ[٨] الشَّـيخ أبـا مُحمَّـدٍ ابْـنَ الخشَّـابِ[٩]

=(٧/ ٢١٩٨) (١١٩٦٨) مـن طريـق إسرائيـل عـن ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾، قـال: لـولا أن تهرِّمـون.

(١) مقاييـس اللغـة (٤/ ٤٥٤) قـال: والفَنَـدُ: الهـرَمُ، وهـو ذاك القيـاس، ولا يكـون هرمًـا إلاَّ ومعـه إنْـكارُ عقْـلٍ.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٣) ليس في (ج).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٨).

(٥) البيـت لهانـئ بـن شـكيم في مجـاز القـرآن (١/ ٣١٨)، وبـلا نسـبة في تفسـير الطـبري (١٦/ ٢٥٢)، والكشـف والبيـان؛ للثعلبـي (١٥/ ١٥٤)، وتفسـير ابـن عطيـة (٥/ ٥٣٤).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٦).

(٧) من الأصل فقط.

(٨) في (ج): وسمعت من.

(٩) الإمـام، العلامـة، المحـدث، إمـام النحـو، أبـو محمـد عبـد الله بـن أحمـد بـن أحمـد ابـن عبـد الله بـن نـصر البغـدادي، ابـن الخشـاب، مـن يـضرب بـه المثـل في العربيـة، حتـى قيـل: إنـه بلـغ رتبـة أبي عـلي الفـارسي. تـوفي في رمضـان سـنة سـبع وسـتين وخمسـمائة. انظـر: تاريـخ بغـداد (١٥/ ٢٠٩- ٢١٠)، وسـير أعـلام النبـلاء (٢٠/ ٥٢٣- ٥٢٤).

[٤١٧/أ] -رحمه الله- يقول: [قوله][1]: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ فيه إضمارٌ، تقديرُه: لأخبرتُكم أنَّه حيٌّ.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف: ٩٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: بنُو بنِيه خاطبُوه بهذا[2]، وكذلك قالَ السُّدِّيُّ: هذا قوْلُ بني بَنِيه[3]؛ لأنَّ بنيه كانُوا بمِصْرَ.

وفي معْنَى هذا الضَّلالِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه بمعْنَى: الخطأ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه الجُنونُ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: الشَّقاءُ والعَناءُ، قالَه مُقاتِلٌ[4]، يُريد بذلِكَ شقَاءَ الدُّنْيَا.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٦ - ٩٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يهُوذَا، قالَه أبو صالحٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ

---

(١) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٥٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٩) (١١٩٧٤).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

وهْبُ بْنُ منبِّهٍ، والسُّدِّيُّ، والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّه شمْعُونُ، قالَه الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: ما الفرْقُ بين قوْلِه هاهُنا: ﴿فَلَمَّآ أَن [جَآءَ](١)﴾، وقالَ في موْضِعٍ [آخر](٢): ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾؟. [البقرة: ٨٩].

فالجوابُ: أنَّهما لُغتان لِقُريشٍ خاطبَهُمُ اللهُ بِهما جمِيعًا، فدُخول «أنْ» لِتوْكِيد مُضي الفعْلِ، وسُقوطها للاعتمادِ على إيضاح الماضي بنفْسِه، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ(٣).

قوْلُه تعالى: ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ يعْنِي: القمِيصَ ﴿عَلَىٰ (وَجْهِهِۦ﴾ يعْنِي)(٤): يعقُوبَ ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾، الارْتِدادُ: رُجوعُ الشَّيءِ إلى حالٍ قدْ كانَ عليْهَا.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: إنَّما قالَ: ارْتدَّ، ولم يقُلْ: ردَّ؛ لأنَّ هذا مِنَ الأفْعالِ المنْسُوبةِ إلى المفْعُولِين؛ كقوْلِهم: طالَتِ النَّخلةُ، واللهُ أطالَها، وتحرَّكتِ الشَّجرةُ، واللهُ حرَّكَها(٥).

قالَ الضَّحَّاكُ: رجَع إليْهِ بصرُه بعد العَمَى، وقوَّتُه بعدَ الضَّعفِ، وشبَابُه بعَد الهرَمِ، وسُرورُه بعْدَ الحُزْنِ(٦).

---

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٤٥).

(٤) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٤٦).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٤).

وَرَوى يحيى بْنُ يمانٍ عنْ سُفيانَ، قالَ: لَمَّا جاءَ البَشيرُ [إلى][(1)] يعْقُوبَ، قالَ: علَى أيِّ دينٍ تركْتَ يُوسفَ؟ قالَ: علَى الإسْلامِ، قالَ: الآنَ تمَّتِ النِّعمةُ[(2)].

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيهِ أقْوالٌ قدْ سبَقَ ذكْرُها قبْلَ هذا بقليلٍ.

قوْلُه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ سألُوه يسْتغْفِر لهُم ما أَتوا؛ لأنَّه نبِيٌّ مُجابُ الدَّعوةِ.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ في سببِ تأخيرِه لذلكَ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهما: أنَّه أخَّرَهُم لانْتِظارِ الوقْتِ الَّذي هو مظِنَّةُ الإجابةِ.

ثُم فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه أخَّرهُم إلى ليلَةِ الجُمُعةِ، رَواه ابْنُ عبَّاسٍ، عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ[(3)].

---

(١) من (ج).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٩) (١١٩٧٩)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٢) من طريق هشام بن حسَّان عن الحسن: «لما أنْ جاء البشير إلى يعقوب فألقى عليه القميص، قال: علَى أي خلَّت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمَّت النعمة».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٧٠) الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦١) من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عبَّاس، عن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: قد قال أخي يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة. ورواية الترمذي والحاكم بلفظ مطول، قال الترمذي: حسن=

قالَ وهْبٌ: كانَ يسْتغْفِرُ لهُم كُلَّ ليْلَةِ جُمُعةٍ فِي نيفٍ وعِشرينَ سنَةً(١).

والثَّاني: إلى وقْت السَّحرِ مِن ليلَةِ الجُمُعة، رَواه أبو صالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

قالَ طاووسٌ: فوَافَق ذلِكَ ليْلةَ عاشُوراءَ(٣).

والثَّالث: إلى وقْتِ السَّحرِ، رَواه عكْرِمةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، وبهِ قالَ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عُمرَ، وقتادَةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ(٥).

قالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما أراد الوقْتَ الَّذي هو أخْلَقُ لإجابَةِ الدُّعاءِ، لَا أنَّه ضنَّ عليْهِم بالِاسْتغفارِ، وهذا أشْبهُ بأخْلَاقِ الأنْبياءِ عليهم السلام(٦).

=غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. وقال ابن كثير: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي قائلًا: هذا حديث منكر شاذ، أخاف أن يكون موضوعًا، وقد حيرني والله جودة سنده. بل أزال هذه الحيرة في السير (٩/ ٢١٨)، فقال: هذا عندي موضوع والسلام، ولعل الآفة دخلت على سليمان بن بنت شرحبيل فيه، فإنه منكر الحديث وإن كان حافظًا، فلو كان قال فيه: عن ابن جريج، لراج، ولكن صرح بالتحديث، فقويت الريبة، وإنما هذا الحديث يرويه هشام بن عمار، عن محمد بن إبراهيم القرشي، عن أبي صالح، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، ومحمد هذا ليس بثقة، وشيخه لا يدرى من هو.

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٦٦).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٠٣).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٧).

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٤/ ٦٨).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٩).

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه دفعهُم عنِ التَّعْجيل بالوعْدِ.

قالَ عطاءٌ الخُراسانيُّ: طلَبُ الحَوائجِ إلى الشَّبابِ أسْهَلُ منْهَا عنْدَ الشُّيوخِ، ألَا ترَى إلى قوْلِ يُوسفَ عليه السَّلام: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ وإلى قوْلِ يعْقُوبَ: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾[1]. [٤١٧/ب]

والثَّالثُ: أنَّه أخَّرهُم لِيسألَ يُوسفَ، فإنْ عفَا عنْهُم، استغْفرَ لهُم، قالَهُ الشَّعبيُّ.

ورُوي عنْ أنَسِ بْنِ مالِكٍ أنَّهم قالُوا: يَا أبَانَا إنْ عفَا اللهُ عنَّا، وإلَّا فلَا قُرَّةَ عيْنٍ لنَا فِي الدُّنيا، فدَعَا يعْقُوبُ وأمَّنَ يُوسفُ، فلم يجِبْ فيهِم عشرينَ سنَةً، ثُمَّ جاءَ جبرِيلُ فقَالَ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أجابَ دعْوَتَك فِي ولَدِك، وعفَا عمَّا صنَعُوا بهِ، واعْتقد مواثِيقَهم مِن بعد على النُّبوَّةِ[2].

قال المفَسِّرُون: وكان يُوسفُ قد بعَثَ معَ البشيرِ إلى يعْقُوبَ جهازًا ومائَتَيْ رَاحِلَة، وسأَلَه أنْ يأتِيَه بأهْلِه ووَلَدِه.

فلمَّا ارْتحَلَ يعْقُوبُ ودَنَا مِن مِصرَ، استأْذَن يُوسفُ الملِكَ الَّذي فوْقَه فِي تلقِّي يعْقُوبَ، فأذِنَ له، وأمَرَ الملأَ مِن أصْحابِه بالرُّكوبِ معَهُ، فخرَجَ فِي أرْبعَةِ آلافٍ مِن الجُنْدِ، وخرَجَ معَهُم أهْلُ مِصْرَ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٥) (١١٩٥٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٨١) (١٩٩٤٨)، وفي سنده صالح المري، ويزيد الرقاشي، وهما ضعيفان.

وقيلَ: إنَّ الملِكَ خرَج معَهُم أيضًا.

فلـمَّا الْتقـى يعْقُـوبُ ويُوسـفُ، بكيَـا جميعًـا، فقـالَ يُوسـفُ: يَـا أبَـتِ بكيْـتَ عـليَّ حتَّـى ذهَـبَ بـصَرُك، أمَـا علِمْـتَ أنَّ القِيامـةَ تجمَعُنِـي وإيَّـاكَ؟ قـالَ: أيْ بُنـيَّ! خشِـيتُ أنْ تُسـلَبَ دينَـك فـلَا نجْتَمِـع[١].

وقيلَ: إنَّ يعْقُوبَ ابتدأَهُ بالسَّلامِ، فقَالَ السَّلامُ عليْكُم يا مُذْهِبَ الأحْزَانِ[٢].

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسف: ٩٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ يعْنِي: يعْقُوبَ وولَدَه.

وفي هذَا الدُّخولِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه دُخولُ أرْضِ مِصْرَ، ثُمَّ قالَ لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ يعْنِي: البلَدَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٢- ١٦٣) عن الثوري.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٥) (١٩٨٧٨) عن فرقد السبخي، قال لما ألقي القميص على وجهه ارتد بصيرًا، وقال: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فحمل يعقوب وإخوة يوسف، فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه، فخرج يتلقاه. قال: وركب معه أهلُ مصر، وكانوا يعظمونه. فلمَّا دنا أحدهما من صاحبه، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يُقال له يهوذا. قال: فنظر يعقوب إلى الخيل والناس، فقال: يا يهوذا، هذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ابنُك! قال: فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه، فذهب يوسف يبدؤه بالسَّلام، فمنع من ذلك، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل، فقال: السلام عليك يا ذاهب الأحزان عني، هكذا قال: يا ذاهب الأحزان عني.

والثَّاني: أنَّه دخولُ مِصْرَ، ثُمَّ قالَ لهُم: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾؛ أي[1]: اسْتوطِنُوها.

وفي قوْلِه: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أبوهُ وخالَتُه؛ لأنَّ أُمَّه كانَتْ قد ماتَتْ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ والجمْهُورُ.

والثَّاني: أبوهُ وأُمُّه، قالَهُ الحسَنُ، وابْنُ إسْحاقَ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ في الكلامِ تقدِيمًا وتأْخِيرًا، والمعْنَى: سوْف أستغْفِرُ لكُم ربِّي إنْ شاءَ اللهُ، إنَّه هوَ الغفورُ الرَّحيمُ، هذا قوْلُ ابْنِ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّ الِاسْتِثناءَ يعُود إلى الأمْنِ.

ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لم يثِقْ بانْصِرافِ الحوَادثِ عنْهُم.

والثَّاني: أنَّ النَّاسَ كانوا فيها خلَا[2] يخَافُونَ مُلوكَ مصْرَ، فلا يدخلُونَ إلَّا بجوَارِهِم.

والثَّالث: أنَّه يعُود إلى دُخول مصْرَ؛ لأنَّه قالَ لهُم هذا حينَ تلقَّاهُم قبْلَ دُخُولِهِم، على مَا سبَقَ بيَانُه.

والرَّابع: أنَّ «إنْ» بمعْنَى: «إذْ»؛ [كقوْلِه تعَالى][3]: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [النور: ٣٣].

---

(١) في (ج): يعني.

(٢) في (ج): أن الناس فيها حكي كانوا.

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: دخَلُوا مِصْر يومئذٍ وهُم نيِّفٌ وسبْعُونَ بين(١) ذكَرٍ وأُنْثى(٢).

وقالَ ابْنُ مسْعُودٍ: دخَلُوا وهُم ثلاثةٌ وتِسْعُونَ، وخرَجُوا معَ مُوسى وهم ستُّمائة ألفٍ وسبْعُونَ ألفًا(٣).

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾ [يوسف: ١٠٠ - ١٠١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

في «أبويه» قوْلَانِ: قد تقدَّمَا في الآيةِ الَّتي قبْلَها.

والعرْشُ هاهنا: سرِيرُ المملكةِ، أجْلَسَ أبوَيْهِ عليْهِ ﴿وَخَرُّوا لَهُ﴾ يعْنِي: أبويه وإخْوتَه.

وفي هاءِ «لَهُ» قوْلَانِ: [٤١٨/أ]

أحدُهما: أنَّها(٤) ترجِعُ إلى يُوسفَ، قاله الجمْهُورُ.

---

(١) في (ف): من.

(٢) ذكره مقاتل في تفسيره (٢/ ٣٥٠) والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٠) عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن شداد.

(٤) في الأصل: أنه، والمثبت من

قالَ أبو صالِحٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: كانَ سُجودُهُم كهيْأَةِ الرُّكوعِ، كما يفْعَلُ الأعَاجِمُ[(١)].

وقالَ الحسَنُ: أمرَهُمُ اللهُ بالسُّجود (لَه)[(٢)] لتأْويلِ الرُّؤيَا[(٣)].

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: سَجَدُوا له على جهةِ التَّحيةِ، لا على معْنى العبادَةِ، وكان أهْلُ ذلِك الدَّهرِ يحيي بعْضُهم بعضًا بالسُّجود والإنْحناءِ، فحظَرَهُ رسُولُ الله ﷺ[(٤)]، فرَوى أنَسُ بْنُ مالِكٍ قالَ: «**قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَحَدُنَا يَلْقَى صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ قَالَ: لَا**»[(٥)].

والثَّاني: أنَّها ترْجِع إلى اللهِ سبحانه، فالمعْنَى: وخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، رَواهُ عطَاءٌ والضَّحَّاكُ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ؛ فيكُونُ المعْنَى: أنَّهم[(٦)] سجَدُوا شُكرًا للهِ؛ إذْ جمَع بيْنَهُم وبيْنَ يُوسفَ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٣)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٥١) من رواية الكلبي.

(٢) من الأصل فقط.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٨٢).

(٤) ذكره ابن الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٥٠).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (٢٧٢٨)، وابن ماجه في سننه حديث رقم (٣٧٠٢)، وأبو يعلى حديث رقم (٤٢٨٩)، والطحاوي في المعاني (١/ ٢٨١)، و لبيهقي في سننه (٧/ ١٠٠) من طريق حنظلة بن عبد الله عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله! الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه، أينحني له؟ قال: «لا» قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: «لا» قال: فيأخذه بيده ويصافحه؟ قال: «نعم». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٦) ليست في (ج)، و(ف).

قَوْلُـه تعَـالَى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾؛ أي: تَصْدِيـقُ مَـا رأيْـتُ، وكانَ قَـدْ رَآهـم في المَنَـامِ يَسْـجدُون لـه، فـأرَاهُ اللهُ ذلِـك في اليَقَظَـةِ.

واخْتلَفُوا فيما بيْنَ رُؤيَاه وتأْوِيلِها علَى سبْعَة أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أرْبعُـون سـنَةً، قالَـه سـلْمَانُ الفـارِسيُّ، وعبـدُ اللهِ بْـنُ شـدَّادِ بْـنِ الهَـادِ، ومُقاتِـلٌ(١).

والثَّاني: اثْنتانِ وعشرونَ سنَةً، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: ثمانُون سنَةً، قالَهُ الحسَنُ، والفُضيل بْنُ عِياضٍ.

والرَّابع: سِتٌّ وثلاثُون سنَةً، قاله سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعكرِمَةُ، والسُّدِّيُّ(٢).

والخامِس: خمْسٌ وثلاثُونَ سنَةً، قالَه قَتادَةُ.

والسَّادس: سبْعُون سنَةً، قاله عبْدُ الله بْنُ شوْذَب.

والسَّابع: ثماني عشرَةَ سنةً، قالَه ابْنُ إسْحاقَ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾؛ أي: إليَّ.

والبدو: البسط مِن الأرْضِ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: البدو: البادية، وكانوا أهْلَ عمودٍ ومَاشيَةٍ(٣).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

(٢) في (ف): والسدي وعكرمة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧٦) (١٩٩٣٤) عن ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾؛ أي: أفْسَدَ بيْننا.

قالَ أبو عُبيدةَ: يُقال: نزَغَ بينَهم ينزَغ؛ أي: أفْسَد وهيَّج، وبعْضُهم يكْسِر الزَّاي (مِنْ)(١) ينْزِغ(٢)(٣).

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾؛ أي: عالمٌ بدقائقِ الأُمورِ. وقد شرحْنا معْنى «اللَّطيفِ» في الأنعام [آية: ١٠٢].

فإنْ قيلَ: قد توالتْ علَى يُوسفَ نِعَمٌ جمَّةٌ(٤)، فما (السِّرُّ في)(٥) اقْتصارِه على ذكْرِ السِّجنِ، وهلَّا ذكَرَ الجُبَّ، وهوَ أصْعَبُ.

فالجوَاب مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنَّه تركَ ذِكْر الجُبِّ تكرُّمًا؛ لئلَّا يذَكِّرَ إخْوتَهُ صَنيعَهُم، وقد قالَ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾.

والثَّاني: أنَّه خرَجَ مِن الجُبِّ إلى الرِّقِّ، ومِنَ السِّجنِ إلى الملْكِ، فكانَتْ هذِه النِّعمةُ أوْفى.

والثَّالث: أنَّ طُول لُبثِه في السِّجنِ كانَ عُقوبةً له، بخلَافِ الجُبِّ، فشكَرَ اللهَ علَى عفْوِه.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(م): يكسر زاي ينزغ.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣١٩).

(٤) في (ج)، و(م): خمسة.

(٥) من الأصل فقط.

قال العُلماءُ بالسِّير: أقامَ يعْقوبُ بعْدَ قُدومِهِ مِصرَ أرْبعًا وعِشرينَ سنَةً.

وقالَ بعْضُهم: سبعَ عشرَةَ سنَةً فِي أهْنَأ عيْشٍ، فلمَّا حضَرَتْهُ الوفَاةُ أوْصى إلى يُوسفَ أنْ يُحملَ إلى الشَّامِ حتَّى يدْفِنَه عنْدَ أبِيه إسْحاقَ [٣١٨/ ب]، ففعَلَ به ذلِك، وكانَ عمْرُه مائةً وسبْعًا وأرْبعِينَ سنَةً، ثُمَّ إنَّ يُوسفَ تَاقَ إلى الجنَّةِ، وعلِمَ أنَّ الدُّنْيا لا تدُوم فتمَنَّى الموْتَ(١).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ: ولم يتَمنَّ الموْتَ نَبيٌّ (قطُّ)(٢) قبْلَه(٣)، فقَالَ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ يعْنِي: مُلْكَ مِصْرَ ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ وقد سبَقَ تفْسيرُهَا [يوسف: ٦].

وفي «مِن» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها صِلةٌ، قالَه مُقاتِلٌ(٤).

والثَّاني: أنَّها للتَّبعيض؛ لأنَّه لم يُؤتَ كُلَّ الملْكِ، ولا كُلَّ تأويلِ الأحادِيثِ.

---

(١) قاله السدي، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٨٢)، وانظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٨١)، والكشف والبيان (١٥/ ١٧٣).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٧٨) (١٩٩٤٠)، وابن أبي حاتم (١٢٠١٢) من طريق أسباط بن نصر، عن السُّدِّي، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبري أيضًا (١٦/ ٢٨٠) (١٩٩٤٢)، وابن أبي حاتم (١٢٠١١) من طريق قتادة عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبري (١٦/ ٢٧٩) (١٩٩٤١) من طريق ابن جريج، عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذان منقطعان.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قد شرحْناه فِي الأنْعام [آية:٦].

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾؛ أي: الَّذي تَلِي أمْرِي. ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُرِيد: لَا تُسلبني الإسْلامَ حتَّى تتوفَّاني عليه[1].

وكانَ ابْنُ عقِيلٍ يقُول: لم يتَمنَّ يُوسفُ الموْتَ، وإنَّما سأَل أنْ يمُوتَ علَى صِفَةٍ. والمعْنَى: توَفَّنِي إذا توَفَّيْتَني مُسلمًا.

(قالَ الشَّيخُ)[2]: وهذَا[3] الصَّحِيحُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ والمعْنَى: ألْحِقْنِي بِدرَجاتِهِم.

وفيهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم أهْلُ الجنَّةِ، قالَه عِكرِمَةُ.

والثَّاني: آباؤُه إبْراهِيمُ وإسْحاقُ ويعْقُوبُ، قالَه الضَّحَّاكُ.

قالُوا: فلـمَّا احْتـضَرَ يُوسفُ، أوْصَى إلى يهُوذَا، ومَاتَ، فتَشاحَّ النَّاسُ في دفْنِه، كُلٌّ يُحبُّ أنْ يُدفَنَ في محلَّتِه؛ رجاءَ البركَةِ، فاجْتمَعُوا علَى دفْنِه فِي النِّيلِ لِيمُرَّ الماءُ عليْهِ ويصِلَ إلى الجميعِ، فدَفَنُوه في صُندُوقٍ مِن رُخامٍ، فكانَ هُنالِكَ إلى أنْ حمَلَه مُوسى عليه السَّلام حين خرَجَ مِن مصْرَ ودفَنَه بأرْضِ كنْعانَ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٥٦).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

(٣) في (ج): وهو.

قالَ الحسَنُ: مات يُوسفُ وهوَ ابْنُ مائةٍ وعشرينَ سنةً[١].

وذكرَ مُقاتِلٌ: أنَّه ماتَ بعْدَ يعْقُوب بِسنتَيْنِ[٢].

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

قوْلُه تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾؛ أي: ذلِك الَّذي قصَصْنا عليْكَ مِن أمْرِ يُوسفَ وإخْوتِه مِنَ الأخْبارِ الَّتي كانَتْ غائِبةً عنْك، فأنزَلَه اللهُ عليْكَ دلِيلًا على نُبوَّتِك.

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾؛ أي: عنْدَ إخْوةِ يُوسفَ ﴿ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ ﴾؛ أي: عزَمُوا على إلْقائِه في الجُبِّ ﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ بِيُوسفَ.

و[في][٣] هذا احْتجاجٌ على صِحَّةِ نُبوَّةِ نَبيِّنا [محمَّدٍ][٤] ﷺ؛ لأنَّه لم يُشاهِدْ تلْكَ القِصَّةَ، ولا كانَ يقْرأُ الكتابَ، وقد أخْبر عنْها بهذا الكلَامِ المعْجزِ، فدَلَّ على أنَّه أُخْبِر بِوحْيٍ.

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٢)، وانظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٤/ ٢٨٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٢).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) من (ج).

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: إنَّ قُرَيشًا واليهُودَ سأَلَتْ رسُولَ الله ﷺ عن[1] قِصَّةِ يُوسفَ وإخْوَتِه، فشرَحَها شرْحًا شافيًا، وهو يُؤمِّلُ أنْ يكُونَ ذلِكَ سببًا لإسْلامِهِم، فخالَفُوا ظَنَّه، فحَزِن رسُولُ اللهِ ﷺ، فعزَّاه اللهُ تعالى بهذه الآيةِ[2].

قَالَ الزَّجَّاجُ: ومعْناها: وما أكْثر النَّاس بمؤْمِنين ولوْ حرَصْت على أنْ تهْدِيَهُم[3].

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على القُرْآنِ وتِلاوتِهِ [وهِدَايتِكَ][4] ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ﴾؛ أي: ما هوَ إلَّا تذْكِرةٌ لهُم لما فيه صَلاحُهُم ونجَاتُهم.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥].

[٤١٩/أ] قوْلُه تعالى: ﴿وَكَأَيِّن﴾؛ أي: وكَم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾؛ أي: علامَةٍ ودلالَةٍ تدُلُّهم على توْحيدِ اللهِ، مِن أمْرِ السَّمَواتِ والأرْضِ. ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: يتَجاوزُونَها غيْرَ مُتفكِّرينَ ولَا مُعْتَبِرينَ.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

---

(١) في (ج): في.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٧)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٥٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٠).

(٤) من (ج)، و(ف)، و(م).

فيهِم ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّهمُ المشْرِكُونَ.

ثُمَّ في معْناها المتعَلّقِ بِهم قوْلَان:

أحدُهما: أنّهم يُؤمِنُون بأنَّ اللهَ خالِقُهم ورَازِقُهم وهُمْ مُشرِكونَ بهِ، رَواه أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، والشَّعبيُّ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنّها نزَلَتْ في تلْبِيةِ مُشركي العَربِ، كانُوا يقُولُون: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لبَّيْكَ لَبّيْكَ لَا شرِيكَ لَكَ، إلّا شَريكًا هوَ لَكَ، تَمْلِكُه ومَا ملَكَ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهمُ النَّصارى، يُؤمِنونَ بأنّه خالِقُهُم ورَازِقُهم، ومعَ ذلِك يُشركونَ بهِ، رَواه العَوفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّهمُ المنافِقُون، يُؤمِنُون في الظَّاهرِ رِئاءَ النَّاسِ، وهم فِي الباطِنِ كافِرون، قالَه الحسَنُ.

فإنْ قِيل: كيْفَ وصَفَ المشرِكَ بالإيمانِ؟.

فالجوَابُ: أنّه ليْس المرَادُ بهِ حقِيقةَ الإيمانِ، وإنّما المعْنَى: أنَّ أكْثرَهُم، معَ إظْهارِهمُ الإيمانَ بألْسِنَتِهم مُشرِكونَ.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾ [يوسف: ١٠٧].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

قالَ ابنُ قُتيبةَ: **الغاشِيةُ**: المجلِّلَةُ تغشَاهُم[1].

وقالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى**: يأتِيهم مَا يغمُرُهم مِنَ العذَابِ[2].

والبغْتَةُ: الفجْأَةُ مِن حيثُ لم تتوقَعْ.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ **المعْنَى**: قُلْ يا مُحمَّدُ للمُشركين: هذِه الدَّعوةُ الَّتي أدْعُو إليْها[3]، والطَّريقةُ الَّتي أنَا عليْها ﴿ سَبِيلِيٓ ﴾؛ أي: سُنَّتِي ومنْهَاجِي.

والسَّبِيل يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ[4]، وقد ذكَرْنا ذلِك في آل عمران [آية: ١٩٥].

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾؛ أي: على يقِينٍ.

قالَ ابنُ الأنبارِيِّ: وكُلُّ مُسلِمٍ لا يخْلُو مِنَ الدُّعاءِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه إذا تَلا القُرآنَ، فقَدْ دعَا إلى اللهِ بمَا فيهِ، ويجُوز أنْ يتِمَّ الكلامُ عنْدَ قوْلِه: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، ثُم ابْتدأَ فقَالَ: ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ **المعْنَى**: وقُلْ سبحَانَ اللهِ؛ تنْزِيهًا له عمَّا أشْرَكُوا.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٠).

(٣) في (ف): إياها.

(٤) في (م): تذكر وتؤنث.

(٥) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٦٣).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾.

هـذَا نـزَلَ مِـن أجْلِ قوْلِهِم: هَـلَّا بعثَ اللهُ ملكًا، فالمعْنَى: كيْفَ تعْجَبُوا مِن إرْسَالِنَا إيَّاك، وسائِرُ الرُّسُلِ كانُوا على مثْلِ حالِك {يُوحَى إِلَيْهِمْ}؟.

وقرَأ حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «نُوحِي» بالنُّونِ[١].

والمرادُ بالقُرى: المدَائِنُ.

وقـالَ الحسَـنُ: لم يبعْـثِ اللهُ نبِيًّـا مِـن أهْـلِ الباديـةِ، ولَا مِـنَ الجِـنِّ، ولا مِـنَ النِّسـاءِ[٢].

قالَ قتادَةُ: لأنَّ أهْلَ القُرى أعْلَمُ وأحْلُم مِن أهْلِ العمُودِ[٣].

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعْنِـي: المشركِـين المنْكِريـنَ نُبوَّتَـك ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ إلى مَصَـارِعِ الأُمَـمِ المكذِّبـة فيعْتَـبِروا بذلِـك.

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعْنِي: الجنَّةَ ﴿خَيۡرٞ﴾ مِنَ الدُّنْيا ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الشِّرْكَ.

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٦٤) عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٩٣).

[٤١٩/ب] قالَ الفرَّاءُ: أُضِيفتِ الدَّارُ [إلى][(١)] الآخِرةِ، وهي الآخِرةُ؛ لأنَّ العرَبَ [قد][(٢)] تُضِيفُ الشَّيءَ إلى نفسِه إذا اخْتلَف لفْظُه؛ كقوْلِه: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، والحق: هوَ اليقِينُ، وقوْلُهم: أتيْتُك عامَ الأوَّلِ، ويوْمَ الخميس[(٣)].

قوْلُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

قرَأ أهْلُ المدينَةِ، وابْنُ عامِرٍ، وحفْصٌ، والمفضَّلُ، ويعْقُوبُ[(٤)]: «تَعْقِلُونَ» بالتَّاء، وقرَأ الآخَرُون بالياءِ، والمعْنَى: أفلا يعْقِلُون هذا فيُؤمنوا[(٥)].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

قوْلُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾.

المعْنَى متعلِّقٌ بالآيةِ الأُولى، فتَقْدِيرُه: وما أرْسَلْنا مِن قبلِكَ إلَّا رِجالًا، فدعَوا قوْمَهُم، فكذَّبُوهم، وصَبَرُوا وطَال دُعاؤُهم وتكذِيبُ قوْمِهم حتَّى إذا اسْتيْأَس الرُّسُلُ.

---

(١) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٥٥-٥٦).

(٤) في (ف): والمفضل عن يعقوب.

(٥) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

وفيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: اسْتيْأَسُوا مِن تصْدِيق قوْمِهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مِن أنْ نُعذِّبَ[1] قوْمَهُم، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُه[2]: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ قرَأ ابنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «كُذِّبُوا» مشدَّدَة الذَّالِ [مضْمُومةَ الكافِ][3].

والمعْنَى: وتيقَّنَ الرُّسلُ أنَّ قوْمَهم قد كذَّبُوهُم، فيكونُ الظَّنُّ هاهُنا بمعْنَى: اليقينِ، هذَا قوْلُ الحسَنِ، وعَطاءٍ، وقتادَةَ.

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «كُذِبُوا» خفيفة[4].

والمعْنَى: ظَنَّ قوْمَهم أنَّ الرُّسُلَ قد كُذِبوا فيمَا وُعِدُوا [بِهِ][5] مِنَ النَّصرِ؛ لأنَّ الرُّسُلَ لا يظُنُّون ذلك.

وقرَأ أبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ: «كَذَبُوا» بفتْحِ الكافِ والذَّالِ خَفِيفةً[6].

والمعْنَى: ظنَّ قوْمَهم أيْضًا أنَّهُم قد كَذَبُوا، قالَهُ الزَّجَّاجُ[7].

---

(١) في الأصل: يُعذب، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) من (ج)، و(م). وهي قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٥) من (ج)، و(م).

(٦) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٠).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٢).

قوْله تعالى: ﴿ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ يعني[١]: الرُّسلَ.

﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾ قرأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأَبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «فنُنْجِي» بنُونَيْنِ، الأُولى مضْمومَة والثَّانية ساكِنَة والياءُ ساكِنة[٢].

وقرأ ابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ، وحفْصٌ، [جميعًا][٣] عنْ عاصِمٍ، [ويعْقُوبُ][٤]: «فَنُجِّيَ» مشدَّدَةَ الجيمِ مفْتُوحةَ الياءِ بنُونٍ واحدةٍ، يعْني: المؤمنين، نجُوا عنْدَ نُزولِ العذَابِ[٥].

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

قوْله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾؛ أي: في خبرِ يُوسفَ وإخْوتِه.

ورَوى عبْدُ الوَارثِ كسْرَ القَافِ، وهيَ قِراءةُ قتادَةَ، وأبي الجوْزَاءِ[٦].

﴿ عِبْرَةٌ ﴾؛ أي: عِظَةٌ ﴿ لِّأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ ﴾؛ أي: لِذوِي العُقولِ السَّليمةِ؛ وذلِك مِن وجْهيْنِ:

---

(١) في (ج): أي.

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعية (ص: ٣٥٢).

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٥) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (٢٥٣)، والكامل (ص: ٢٠٦).

أحدُهما: ما جرَى لِيوسُفَ مِن إعْزَازِهِ وتمليكِهِ بعْدَ اسْتِعْبَادِه، فإنَّ مَن فعَلَ ذلِكَ بِهِ، قادِرٌ علَى إعْزازِ محمَّدٍ ﷺ وتعلِيَةِ كلِمَتِه.

والثَّاني: أنَّ مَنْ تفكَّرَ؛ علِمَ أنَّ محمَّدًا ﷺ، معَ كوْنِه أُمِّيًا، لم يأْتِ بهذِه القِصَّةِ على مُوافقةِ ما فِي التَّوراةِ مِن قبَلِ نفْسِه، فاستُدِلَّ [بذلِك][1] على صِحَّةِ نُبوَّتِه.

قوْلُه تعَالَى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ في المشارِ إليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه القُرآنُ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: ما تقَدَّم مِنَ القَصَص، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

فعَلى القوْلِ الأوَّلِ: يكونُ معْنَى قوْلِه: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن كان تصْدِيقًا لما بيْنَ يديْهِ مِنَ الكُتبِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُحتاجُ إليه مِنْ أُمورِ الدِّينِ ﴿وَهُدًى﴾ بيَانًا ورحمةً لِقوْمٍ يُؤمِنون؛ أي: يُصدِّقُون بمَا جاءَ بِه مُحمَّدٌ ﷺ.

وعلى القوْلِ الثَّاني: وتفْصِيلَ كُلِّ شيْءٍ مِن نبَأِ يُوسُفَ وإخْوَتِه.

---

(١) من (ر)، و(م).

سورة الرَّعد

فَصْلٌ [فِي نُزولِها](١)

اخْتلَفُوا في نُزولِها علَى قوْلَيْنِ: [٤٢٠/أ]

أحدُهما: أنَّها مكيَّةٌ، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ(٢)، وعطَاءٌ، وقتادَةُ.

ورَوى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مكيَّةٌ، إلَّا آيَتيْنِ، منْهَا قوْلُه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾... إلى آخِرِ الآيةِ [الرعد: ٣١]، وقوْلُه ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣](٣).

والثَّاني: أنَّها مدنيَّةٌ، (رَواه عطَاءٌ الخُراسانِيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ جابِرُ بْنُ زيْدٍ(٤).

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مدَنيَّةٌ)(٥)، إلَّا آيَتيْنِ نزَلَتا بمِكَّةَ، وهُما قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾... إلى آخرِها [الرعد: ٣١](٦).

---

(١) من (م).

(٢) أخرجه عنه سعيد بن منصور وابن المنذر، كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩)، ونقله مكي في الهداية (٥/ ٣٦٥٩) عنه وعن قتادة. وينظر: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٦٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٠٥)، ونقله الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢٦٧) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس، وانظر: تفسير السمعاني (٣/ ٧٥).

(٤) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩).

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٦) انظر: البيان في عد آي القرآن؛ للداني (ص: ١٦٩)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١٣٥)، تفسير الطبري (١٦/ ٤٥٧).

وقال بعضهم: المدنيُّ منها قولُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾... إلى قوْلِه: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: ١ - ٢].

قوْلُه سبحانه تعالى: ﴿الٓمٓر﴾ قد ذكرْنا في سُورةِ البقرة جُملةً مِن الكلامِ في معاني هذه الحُروفِ.

وقد رُوي عنِ ابنِ عبَّاس في تفْسيرِ هذه الكلِمَةِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناها: أنَا اللهُ أعْلَم وأَرى، رَواه أبو الضُّحَى عنهُ.

والثَّاني: أنَا اللهُ أرَى، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنْهُ.

والثَّالث: أنَا اللهُ المِلكُ الرَّحمنُ، رَواه عطاءٌ عنْهُ.

قوْلُه تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في «تلْك» قوْلانِ، وفي «الكتابِ» قوْلانِ قد تقدَّمت في أوَّل يُونُس.

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ يعْني: القُرآنَ وغيْرَه مِنَ الوحيِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يعْني: أهْلَ مكَّةَ(١).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٨٠).

قَالَ الزَّجَّاجُ: لَمَّا ذكَر أنَّهُم لا يُؤمِنونَ؛ عرَّف الدَّليلَ الَّذي يُوجِبُ التَّصْديقَ بالخالقِ فقَال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾[١].

قَالَ أبو عُبيدةَ[٢]: **العمَدُ**: متحرِّكُ الحرُوفِ بالفتْحةِ، وبعْضُهم يحرِّكُها بالضَّمَّةِ؛ لأنَّها جمع عمُودٍ، وهوَ القِياسُ؛ لأنَّ كُلَّ كلمةٍ هِجاؤُهَا أرْبعةُ أحْرفٍ، الثَّالث منْها ألِفٌ أو يَاءٌ أوْ وَاوٌ، فجَمِيعُه[٣] مضْمُومُ الحرُوفِ؛ نحْوُ: رسُول. والجمْعُ: رُسُلٌ، وحِمارٌ، والجمع: حُمُر، غيرَ أنَّه قد جاءَتْ أسامي اسْتعمَلُوا جميعَها بالحركة والفتْحةِ؛ نحو: عمود، وأديم، وإهاب، قالوا: أُدُم، وأُهُب[٤]. ومعْنى «عمد»: سِوار، ودَعائم، وما يعمد البناء.

وقرَأ أبو حيْوَةَ: «بغَيْرِ عُمُد» بضَمِّ العينِ والميم[٥].

وفي قوْله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ هاءَ الكِنايةِ ترجِعُ إلى السَّمواتِ، **فالمعْنَى**: ترَوْنَها بغَيْر عمَدٍ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحَسَنُ، وقتادَةُ، والجمْهُورُ.

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: «ترَوْنَها»[٦]: خبرٌ مُستأنف، **والمعْنى**: رفع السَّمواتِ بلا عمدٍ ودعَامةٍ تمسكُهَا، ثُم قالَ: «ترَوْنَها»؛ أي: ما تُشاهِدون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٦).

(٢) في (ج): عبيد.

(٣) في (ج): فجمعه.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٢٠).

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٣).

(٦) في (ج): يرونها.

مِـن هــذا الأمْـرِ العَظِيـمِ، يُغنيكـم عـن إقامَـةِ الدَّلائـل عليـهِ[١].

والثَّـاني: أنَّهـا ترجِـعُ إلى العمـدِ، فالمعْنَـى: إنَّهـا بعمَـدٍ لا ترَوْنَهـا، رَواه عطَـاءٌ، والضَّحَّـاكُ[٢] عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وقـالَ: لهـا عمـدٍ علَى قـافٍ، ولكنَّكـم لا تـرَوْنَ العمَـدَ[٣]، وإلى هـذا القـوْلِ ذهَـبَ مجاهِـدٌ، وعِكرمَـةُ، والأوَّلُ أصَـحُّ. [٤٢٠/ب]

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾؛ أي: ذلَّلَهـما لِمَا يُـراد منْهُـما ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى وقـتٍ معْلُـومٍ، وهـوَ فنَـاءُ الدُّنْيـا. ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾؛ أي: يصْرِفُـه بحكمَتِـه. ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: يُبـيِّنُ الآيـاتِ الَّتـي تـدلُّ أنَّـه قـادِرٌ عـلى البعْـثِ لِكـي تُوقِنُـوا بذلِـك.

وقـرأَ أبـو رَزيـنٍ، وقتـادَةُ، والنَّخعِـيُّ: «نُدَبِّـرُ الْأَمْـرَ نُفَصِّـلُ الآيَـاتِ» بالنُّـون فيهِـما[٤].

---

(١) الأضـداد (ص: ٢٦٨)، وإيضـاح الوقـف والابتـداء (٢/ ٧٣٠- ٧٣١)، وذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٢/ ٢٨١).

(٢) في (ج): الضحاك وعطاء.

(٣) أخرجـه الطـبري (١٦/ ٣٢٤) مـن طريـق شريـك، عـن سـماك، عـن عكرمـة، عـن ابـن عبَّـاس، ويشـهد لـه بمعنـاه مـن طريـق معـاذ بـن معـاذ قـال: حدثنـا عمـران بـن حديـر، عـن عكرمـة، قـال: قلـت لابـن عبَّـاس، وقالـه قتـادة عـن ابـن عبَّـاسٍ مرسـلًا. وانظـر: التفسـير البسـيط؛ للواحـدي (١٢/ ٢٨٣).

(٤) قـراءة شـاذة، انظر: مختصر الشـواذ (ص: ٧٠)، وعزاهـا الهذلي في الكامـل (ص: ٥٧٧) للخزاز عـن حفـص والخفـاف عـن أبي عمـرو، والكرمـاني في شـواذ القـراءات (ص: ٢٥٤) لأبـان بن تغلـب، وهـارون العتكـي عن أبي عمـرو، وانظر: التحصيـل؛ للمهـدوي (٣/ ٥٦٣).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بسَطَها علَى الماءِ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أي: جبالًا ثوابِتَ، يُقالُ: رسَا الشَّيْءُ يرْسُو رُسُوًّا، فهوَ رَاسٍ؛ إذَا ثبتَ[٢].

و﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾؛ أي: نوْعَيْنِ. والزَّوجُ: الواحِدُ الَّذِي له قرِينٌ مِن جنْسِه. قالَ المفَسِّرون: ويعْنِي بالزَّوْجيْنِ: الحُلْوَ والحامِضَ، والعذْبَ والملحَ[٣]، والأبيضَ والأسْودَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ قد شرحْناه في الأعْرافِ.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ فِيها قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها الأرْضُ السَّبِخَةُ، والأرْضُ العذْبَةُ، تنْبُتُ هذِه، وهذِه إلى جنْبِها لا تنْبُتُ، هذا قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ، وأبي العالِيةِ، ومُجاهِدٍ، والضَّحَّاكِ.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٧).

(٣) ليست في (ر).

والثَّـاني: أنَّهـا القُـرى المتجَـاوِرَاتُ، قالَـه قتَـادَةُ، وابْـنُ قُتيبَـةَ[١]، وهـوَ يرجِـعُ إلى معْنَـى الأوَّلِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأَبـو عمْـرٍو، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ رفعًـا فِي الـكُلِّ.

وقـرَأ نافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسـائِيُّ وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: «وزرعٍ ونخيـلٍ صِنْـوانٍ وغـيرِ صِنْـوَانٍ» خفْضًـا فِي الـكُلِّ[٢].

قـالَ أبـو عـلِيٍّ: مَـن رفَـع، فالمعْنَـى: وفي الأرْضِ قِطـعٌ [مُتجـاوراتٌ][٣] وجنَّـاتٌ، وفِي الأرْضِ زرْعٌ، ومَـنْ خفَـضَ حمَلَـه عـلى الأعْنَـابِ، فالمعْنَـى: جنات مِـن أعنـابٍ، ومِـن زرعٍ، ومِـن نخيـلٍ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ هذَا مِن صِفة النَّخيلِ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: الصِّنْـوان: جمْـعُ صِنْـوٍ وصُنْـوٍ، ومعْنَـاه: أن يكـونَ الأصْـلُ واحـدًا، وفيـهِ النَّخلتَـانِ والثَّـلاثُ والأرْبَـعُ[٥].

وكذلِـك قـالَ المفَـسِّرُونَ: الصِّنْـوانُ: النَّخـلُ المجتمِـعُ، [و][٦] أصْلـه واحِـدٌ، وغـيْرُ صِنْـوَانٍ: المتفـرِّقُ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٤).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

(٣) من (م).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٨).

(٦) من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

وقـرَأ أبـو رَزِيـن، وأبـو عبْـدِ الرَّحمـنِ السُّـلمِيُّ، وابْـنُ جُبـيرٍ، وقتـادَةُ: «صُنْـوان» بضـمِّ الصَّـاد(١).

قـالَ الفـرَّاءُ: لُغـة أهْـلِ الحِجـازِ: «صِنْـوَان» بكسْرِ الصَّـادِ، وتميـمٌ وقيـسٌ يضُمُّـونَ الصَّـادَ(٢).

قوْله تعَالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «تُسْـقَى» بالتَّـاءِ، «ونُفَضِّـلُ» بالنُّونِ، وقَـرَأ حمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ: «تُسْـقَى»(٣) بالتَّـاء أيْضًـا، لكنَّهُـما أمَـالَا القَافَ.

وقـرَأ الحسَـنُ(٤): «ويُفَضِّـلُ» باليـاءِ. وقـرَأ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ: «يُسْـقَى» باليَـاءِ، «ونُفَضِّـلُ» بالنُّـون، وكلُّهُـم كسَرَ الضَّـادَ(٥).

ورَوى الحلَبِـيُّ عـنْ عبْـدِ الـوَارثِ ضَـمَّ اليَـاءِ مِـنْ «يُفَضِّـلُ» وفتْـحَ الضَّادِ، «بعْضُهـا» برفْـع الضَّاد(٦).

---

(١) هـي قـراءة عاصـم في روايـة القـواس في السـبعة (ص: ٣٥٦)، وجامـع البيـان؛ للـداني (٣/ ١٢٤٣)، وزاد أنهـا روايـة المفضـل أيضًـا.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٧٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ج).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: (ص: ١٣١).

(٦) قراءة شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٧٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٤).

وقـالَ الفـرَّاء: مَـن قـرأَ: «تُسْـقَى» بالتَّـاء؛ ذهَـب إلى تأنيـثِ الـزَّرعِ، [٤٢١/أ] والجنَّـاتِ، والنَّخيـلِ، ومَـن كسَرَ(١)؛ ذهَـب إلى النَّبْـتِ، وذلِـك كلُّـه يُسْـقَى بـماءٍ وَاحِـدٍ، وأُكُلـه مُختلِـفٌ حامِـضٌ وحُلـوٌ، ففِـي هـذَا آيـةٌ(٢).

قـالَ المفَسِّرونَ: الماءُ الوَاحِـدُ: [مـاءُ](٣) المطـرِ، والأُكُل: الثَّمرُ، بعْضُـه أكْثَـر(٤) مِـن بعْضٍ، وبعْضُـه أفْضَلُ مِن بعْـضٍ، وبعْضُه حامِضٌ وبعْضُـه حُلوٌ، إلى غـيْرِ ذلِـك، وفي هـذَا دلِيـلٌ على بُطـلانِ قـوْلِ الطَّبَائِعيِّـينَ؛ لأنَّه لـو(٥) كانَ حُدوثُ الثَّمرِ عـلى طبْـعِ الأرْضِ والهوَاءِ [والمـاءِ](٦)؛ وجَـبَ أنْ يتَّفِقَ مَا يحْـدثُ لِاتِّفاقِ مَا أوْجَـبَ الحُـدوثَ، فلـمَّا وقَـع الاخْتِـلافُ دَلَّ على مُدبِّـرٍ قادِرٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنَّـه لا تجُـوز العِبـادةُ إلَّا لمـن يقْـدِر عـلَى هـذَا.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٥﴾ [الرعـد: ٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾؛ أي: مِـن تكْذِيبِهِـم وعبادَتِهِـم مَـا لَا

---

(١) في (ر): ذكر.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٩).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

(٤) في (ر)، و(م): أكبر.

(٥) ليست في (ر).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

يَنْفَعُ ولَا يَضُرُّ بعدَمَا رَأوا مِن تأْثِيرِ قُدرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ في خلْقِ الأشْياءِ، فإنْكَارُهُم البعْثَ موْضِعُ عجَبٍ.

وقيل: المعْنَى: وإنْ تعْجَبْ بمَا وقفْتَ عليْهِ مِنَ القِطعِ المتجَاوِرَاتِ وقُدرةِ ربِّك في ذلِك، فعَجَبٌ جحْدُهمُ البعْثَ؛ لأنَّه قد بانَ لهُم مِن خلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ ما يدُلُّ على أنَّ البعْثَ أسْهلُ في[1] القُدرة.

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو: «آيذَا كُنَّا تُرَابًا آينَّا» جميعًا بالِاسْتِفهامِ، غيْرَ أنَّ أبا عمْرٍو يمدُّ الهمزَةَ ثُمَّ يأْتِي باليَاءِ ساكنَةً، وابْنُ كثِيرٍ يأْتِي بياءٍ ساكنةٍ بعْدَ الهمْزَةِ مِن غيْرِ مَدٍّ.

وقرَأ نافِعٌ: «آيذا» مثْلَ أبي عمْرٍو، واخْتُلِف عنْهُ في المدِّ، وقرَأ: «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ» مكسْورةً على الخبَرِ.

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ: «أَإِذَا كُنَّا» «أَإِنَّا» بهمْزَتَيْنِ فيهمَا.

وقرَأ ابْنُ عامِرٍ: «إِذَا كُنَّا تُرابًا» مكسُورةَ الألِفِ مِن غيْرِ اسْتفْهَامٍ، «أَإِنا» يهمِزُ ثُمَّ يمدُّ ثُمّ يهمِزُ علَى وزْن: عَاعَنَّا[2].

ورُوِي عنِ ابْنِ عامرٍ أيْضًا: «أَإِذَا» بهمْزَتَيْنِ لَا ألِفَ بيْنَهُما[3].

---

(١) في (م): من.

(٢) في (م): فاعنًا.

(٣) كلها سبعية، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٣١)، وهذا أول موضع من مواضع تكرر الاستفهام، وفيها بعض الاستثناءات.

والأغْلالُ جمْعُ غلٍّ، وفيهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها أغْلالُ يوْمِ القيامَةِ، قالَه الأكْثرون.

والثَّاني: أنَّها الأعْمالُ الَّتي هيِ أغْلالٌ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[1].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩)﴾ [الرعد: ٦ - ٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾.

اخْتلفُوا فيمَنْ نزلَت على ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلتْ في كفَّار مكَّةَ، سألُوا رسُولَ الله ﷺ أنْ يأْتِيَهُم بالعذَاب؛ اسْتِهزاءً منْهُم بذلِك، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: في مُشرِكي العرَبِ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث: في النَّضرِ بْنِ الحارِثِ حين قالَ: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قالَه مُقاتِلٌ[2].

وفي السَّيئَةِ والحسنَةِ قوْلَانِ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٧).

أحدُهما: بالعذابِ قبْلَ العافيَةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ[١].

والثَّاني: بالشَّرِّ قبْلَ الخيْرِ، قالَهُ قتادَةُ.

فأمَّا ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ فقرَأَ الجمْهورُ بفتْحِ الميمِ. وقرَأَ عُثْمانُ، وأبو رَزينٍ، وأبو مجلزٍ، وسعيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، والحسَنُ، وابْنُ أبي عبْلَةَ برفْعِ الميمِ[٢].

ثُمَّ في معناها قوْلان:

أحدهما: أنَّها العُقُوباتُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنى**: قد تقدَّم من العذَابِ ما هوَ مثلُه، وما فيه [٤٢١/ ب] نكالٌ، لو أنَّهم اتَّعظوا[٤].

وقالَ ابْنُ الأنباريِّ: **المُثْلَةُ**: العقوبةُ التي تُبقي في المعاقَب شَيْنًا بتغيير بعضِ خَلْقِه، من قوْلِهم: مثَّل فلانٌ بفلان، إذا شانَ خلقَه بقَطْعِ أنفه أو أُذُنِه، أو سمْلِ عيْنيه، ونحو ذلك[٥].

والثَّاني: أنَّ المثلاتِ: الأمثالُ الَّتي ضربَها اللهُ عزَّ وجلَّ لهم، قالَه مُجاهِدٌ، وأبو عُبيدةَ[٦].

(١) المصدر السابق.

(٢) قراءتان متواترتان، انظر: انظر: الكامل (ص: ٥٧٨).

(٣) في (ج): ابن السائب.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٩).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣).

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾.

قال ابن عباس: لذو تجاوزٍ عن المشركين إذا آمنوا، وإنَّه ﴿لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للمصرِّين على الشرك[1].

وقالَ مُقاتل: لذُو تجاوزٍ عن شركهم في تأخير العذاب، وإنَّه ﴿لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا عذَّب[2].

فَصْلٌ

وذهب بعْضُ المفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ منْسوخةٌ بقوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ والمحققون على أنها مُحكَمَةٌ.

قوْلُه تعالى: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ «لوْلَا»: بمعنى هلَّا، والآيةُ الَّتي طلبوها؛ مثلُ عصا موسى وناقة صالح. ولم يقتنعوا[3] بما رأوْا، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾؛ أي: مخوِّفٌ عذابَ الله، وليس إليْك[4] من الآيات شيْءٌ.

وفي قوْلِه تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ستَّةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّ المرادَ بالهادِي: اللهُ عزَّ وجلَّ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعكْرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والنَّخَعيُّ،

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٩٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٨).

(٣) في (م): يقنعوا.

(٤) في (م): لك.

([فيكون المعْنَى](١): إنَّما إليْكَ الإنذَارُ، واللهُ الهادِي)(٢).

والثَّاني: أنَّ الهادِي: الدَّاعي، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّ الهادي: النَّبيُّ ﷺ، قالَه الحسَنُ، وعطاءٌ(٣)، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ، فالمعْنَى: ولكلِّ قوْمٍ نبيٌّ يُنذِرُهم(٤).

والرَّابع: أنَّ الهادي: رسُولُ اللهِ ﷺ أيْضًا، قالَهُ عِكرِمَةُ، وأبو الضُّحى، والمعْنَى: أنْتَ مُنذِرٌ، وأنْتَ هَادٍ.

والخامِس: أنَّ الهادِي: العمَلُ، قالَه أبو العَالِيةِ.

والسَّادس: أنَّ الهَادي: القَائدُ إلى الخيْرِ أوْ إلى الشَّرِّ قالَهُ أبو صالِحٍ (عنِ ابْنِ عبَّاسٍ)(٥).

وقد رَوى المفَسِّرونَ مِن طُرُقٍ ليْس فيها ما يثْبتُ عنْ سعيدِ بْنِ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: لَمَّا نزَلَتْ هذه الآيةُ، وضَعَ رسُولُ اللهِ ﷺ يدَه على صدْرِه، فقَال: «أَنَا الْمُنْذِرُ» وأوْمَأ بيَدِه إلى منكِبِ عليٍّ عليه السَّلام، وقَال: «أَنْتَ الهَادِي يَا عَلِيُّ بِكَ يُهْتَدَى مِنْ بَعْدِي»(٦).

(١) ما بين ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٣) ليس في (ر).

(٤) في (ج): منذرهم.

(٥) ليست في (ج).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٥٧) من طريق الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: حدثنا معاذ بن مسلم بيَّاع الهروي، عن عطاء بن السَّائب، عن سعيد بن جبير،=

[قالَ المصنِّفُ][1]: وهذا مِن موْضُوعاتِ الرَّافِضةِ.

ثـمَّ إنَّ اللهَ تعالى أخبَرَهُم عن قدْرتِه، ردًّا على مُنكِري البعثِ، فقَالَ: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾؛ أي: مِنْ علقةٍ أو مُضغةٍ، أو زائدٍ أو ناقصٍ، أو ذكرٍ أو أنْثى، أو واحِدٍ أوِ اثْنينِ أوْ أكثر ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾؛ أي: وما تنْقُص.

﴿وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾ وفيهِ أرْبعَة أقْوالٍ:

أحدُها: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بالوْضع لأقلَّ مِن تسعة أشهُرٍ، ﴿وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾: بالوضْع لأكثر مِن تسعة أشْهُرٍ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ سعِيدُ ابْنُ جبيرٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[2]، وابْنُ قُتيبةَ[3]، والزَّجَّاجُ[4]. [٤٢٢/أ]

والثَّاني: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بالسَّقط النَّاقصِ، ﴿وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾: بالولَدِ التَّامِّ، رَواه العوْفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وعن الحسنِ كالقوْليْن.

والثَّالث: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بإراقةِ الدَّمِ في الحمْل (حتَّى يتضاءَلَ الولَدُ، ﴿وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾: إذَا أمْسكَتِ الدَّمَ فيعظُمُ الولَدُ)[5]، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرَّابع: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾: مَنْ ولَدتْهُ مِن قبلُ ﴿وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾:

=عن ابن عبَّاس به، والحسن هذا كان من رؤساء الشيعة، ليس بصدوق، ولا تقوم به حجة، ومعاذ مجهول نكرة، والآفة من أحدهما، يراجع الميزان (١/ ٢٢٥) (٣/ ١٧٨).

(١) من (م).

(٢) تفسير مقاتل (٣٦٨- ٣٦٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٠).

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

مَـنْ تلِـده مِـن بعْـدُ، رُوي عـنْ قتـادَةَ، والسُّـدِّيِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾؛ أي: بقدرٍ.

قـالَ أبـو عُبيـدةَ: هـو مِفعـال مِـن القـدرِ(١). قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: علِـمَ كُلَّ شيْءٍ فقـدَّره تقْدِيـرًا(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ قـد شرحْنـا ذلـك في الأنْعَـام. و ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ بمعْنَـى: العظِيـم.

ومعنـاه: يعـودُ إلى كِـبَرِ قـدْره واسْـتحقَاقِهِ صِفـاتِ العُلـوِّ، فهـوَ أكْـبر مِـن كُلِّ كبـيرٍ؛ لأنَّ كُلَّ كبـيرٍ يصْغُـر بالإضافَـة إلى عظمَتِـه. ويُقـال: «الكبـيرُ»: الَّـذي كـبُرَ عـنْ مُشـابهةِ المخلُوقِـينَ.

فأمَّـا ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ فقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ: «المتعَـالي» بيـاءٍ في الوصْـلِ والوقْـفِ، وكذلِـك روى عبْـدُ الـوارثِ عـنْ أبي عمْـرٍو، وأثبَتهـا في الوقْـفِ دُون الوصـل ابْـنُ شُـنبوذ عـنْ قُنبـلٍ، والباقُـون بغـير يـاءٍ في الحالَـيْنِ(٣).

والمتعَـالي: هـو المتنـزِّهُ عـنْ صِفـاتِ المخلُوقـينَ. قـالَ الخطَّـابيُّ: وقـد يكونُ بمعْنَـى العـالي فـوْقَ خلْقِه(٤).

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٠١).

(٣) انظـر: مذهـب ابـن كثـير في التيسـير (ص: ١٣٤)، وروايـة أبي عمـرو ليسـت مـن طرقـه، لكنهـا في السـبعة (ص: ٣٥٨).

(٤) شأن الدعاء (ص: ٨٩).

ورُوي عن الحسن أنَّه قالَ: المتعَالِي عمَّا يقول المشركون[١].

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: نابَ «سَواء» عَن مستوٍ[٢]، والمعْنى: مستوٍ منْكُم ﴿ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ ﴾؛ أي: أخْفَاه وكتمَهُ ﴿ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾: أعْلَنَهُ وأظْهرَهُ، والمعْنَى: أنَّ السِّرَّ والجهرَ عنْدَه سَواءٌ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المسْتَخْفي: هو المستَترُ المتَواري في ظُلْمةِ اللَّيلِ، والسَّارِبُ بالنَّهار: الظَّاهرُ المتصرِّفُ في حوَائجهِ. يُقالُ: سرَبَتِ الإبِلُ تسرُبُ؛ إذا مضَتْ في الأرْضِ ظاهِرَةً، وأنْشَدُوا [من الطويل]:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ ... وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ[٤]

أي: ذَاهِبٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٠٢).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٠٤).

(٣) في (ج)، و(م): سواء عنده.

(٤) هو للأخنس بن شهاب التغلبي، والبيت في تفسير غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٢٥)، والحماسة؛ لأبي تمام (١/ ٣٧٦)، والمفضليات؛ للمفضل الضبي (ص: ٣٠٨). والمعنى: أنه لم يقيد فحل إبلهم حتى يذهب حيث شاء من المراعي فنتبعه ولا نخشى الغارة.

ومعْنَى(١) الكلامِ: أنَّ الظَّاهرَ والخفِيَّ عنده سواءٌ، هذا قوْلُ الأكثرِينَ.

وروى العوْفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ قالَ: صَاحِبُ ريبةٍ باللَّيْلِ(٢)، فإذَا خرجَ بالنَّهارِ، أرَى النَّاسَ أنَّه بريءٌ مِنَ الإثْمِ(٣).

والثَّاني: أنَّ المسْتخْفِي باللَّيلِ: الظَّاهرُ. والسَّاربُ بالنَّهارِ: المسْتَتِرُ. يُقالُ: انْسرَبَ الوحْشُ؛ إذا دخلَ في كِنَاسِه(٤)، وهذا قوْلُ الأخْفشِ(٥)، وذكرَهُ قُطرب أيْضًا(٦)، واحْتجَّ له ابْنُ جريرٍ بقوْلِهم: خفيْتُ الشَّيءَ: إذَا أظْهرْتُه(٧)، ومنْهَا(٨): ﴿أَكَادُ أُخفِيهَا﴾ [طه: ١٥] بفتْحِ الألِفِ(٩)؛ أي: أُظْهرُها. قالَ: وإنَّما قيلَ للمُتوَارِي: سارِبٌ؛ لأنَّه صارَ في السَّربِ مُسْتخفِيًا(١٠).

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) في (ج)، و(ر): في معنى.

(٢) في (ج): في الليل.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٢٩) (١٢١٨١) عن محمد بن سعد.

(٤) أي: جحره، ومخبؤه.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٠٢).

(٦) انظر ما ذكره قطرب في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١٢/ ٢٨٧).

(٧) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٣).

(٨) في (ج)، و(ر)، و(م): ومنه قوله تعالى.

(٩) رُويت عن الحسن ومجاهد، انظر "المحتسب" (٢/ ٤٧)، الكامل للهذلي (ص٣٩٢).

(١٠) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٣- ٣٨٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾.

في هَاءِ «لَه» أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

[٤٢٢/ ب] أحدُهـا: أنَّهـا ترجِـعُ إلى رسُـولِ اللهِ ﷺ، رَواه أبـو الجـوزاء عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّاني: إلى المَلِكِ مِن مُلوك الدُّنيا، رَواه سعيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: إلى الإنْسانِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

والرَّابع: إلى الله سبحانه تعالى، ذكرَهُ ابْنُ جرِيرٍ(٢)، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وفي المعقِّبَاتِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الملائِكـةُ، رَواه عكرمـة عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ مُجاهـدٌ، والحسَـنُ، وقتَـادةُ فِي آخَريـنَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: للإنْسانِ ملائِكةٌ يعتَقِبونَ، يأتِي بعْضُهم بعقِبِ بعْضٍ(٣).

وقـالَ أكثَـرُ المفَسِّريـنَ: (همُ الحفظَـةُ)(٤): اثْنَـانِ بالنَّهـارِ، واثْنَـانِ باللَّيْلِ، إذا مـضَى فريقٌ، خلَـف بعْـدَه(٥) فرِيـقٌ، ويجتمِعُـون عنْدَ صـلَاةِ المغْـرِب والفجْرِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ج): خلفه.

وقـالَ قـوْمٌ، منْهُـم ابْـنُ زيْـدٍ: هـذِه الآيـةُ خاصَّـةٌ فِي رسُـول الله ﷺ، عـزَم عامِـرُ بْـنُ الطُّفيـل وأرْبَـدُ [بْـنُ قيْـسٍ](١) عـلَى قتْلِـه، فمنَعَـهُ اللهُ منْهُـما، وأنـزَل هـذِه الآية(٢).

والقـول الثَّـاني: أنَّ المعَقِّبَـات حُـرَّاسُ الملُـوكِ الَّذيـن يتَعاقَبُـون الحَـرْسَ، وهـذا مـرويٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وعكرِمَـةَ.

وقال الضَّحَّاكُ: همُ السَّلاطِينُ المشرِكُونَ المحترِسُونَ مِنَ اللهِ تعَالى(٣).

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: يحرسـونَهُ مِـن أمْـرِ اللهِ ولا يقْـدرُونَ، هـذَا عـلَى قـوْلِ مَـنْ قـالَ: هـيَ فِي المشرِكِـينَ المحترِسِـينَ مِـنْ أمْـرِ اللهِ تعَـالى.

والثَّـاني: أنَّ المعْنَـى: حفْظهُـم لـه مِـن أمْـرِ اللهِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ جُبيرٍ، فيكـونُ تقْدِيـرُ الـكلَامِ: هـذا الحفْـظُ ممَّـا أمرَهُـمُ اللهُ بـهِ.

والثَّالث: يحفظونَهُ بأمْرِ اللهِ، قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعكْرِمَةُ.

قـالَ اللُّغويُّـونَ: والبـاءُ تقُـوم مقَـامَ «مِـن» وحـرُوفُ الصِّفَـاتِ يقُـوم بعْضُهـا مقَـامَ بعْـضٍ.

والرَّابع: يحفَظُونه مِنَ الجِنِّ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والنَّخعيُّ.

---

(١) من (م).

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢٢٣٠)، عـن عبـد الرحمـن بـن زيـد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٧٤).

وقـال كعـب: لـوْلَا أنَّ اللهَ تعـالى وكَّلَ بِكُـم ملائكـةً يذبُّـون عنكُـم في مطعمِكُـم ومشربِكُـم وعوْراتِكُـم، إذًا لتخطَّفَتْكُـمُ الجِـنُّ[١].

وقـالَ مُجاهِـدٌ: مـا مِـن عبْدٍ إلَّا وملَـكٌ مُـوكَّلٌ بـهِ يحفظُـه في نوْمِـه ويقظتِـهِ مِـنَ الجِـنِّ، والإنْـسِ والهـوَامِّ، فـإذَا أرَاده شيْءٌ، قـالَ: وراءَكَ وراءَكَ، إلَّا شيْءٌ قـدْ قُـضي لـه أنْ يُصِيبَـهُ[٢].

وقـالَ أبـو مجلـزٍ: جـاءَ رجُـلٌ مِـن مُـرادٍ إلى عـليٍّ -عليـه السَّـلام- فقَـال: احْـتَرسْ، فـإنَّ ناسًـا مِـن مُـرادٍ يُريـدُون قتْلَـكَ، فقَـال [عـليٌّ عليـه السَّـلام][٣]: إنَّ مـعَ كُلِّ رجُـلٍ[٤] ملَكَـيْنِ يحفظَانِـه ممـا لم يقـدرْ، فـإذَا جـاءَ القـدَرُ خلَّيَـا بيْنَـه وبيْنَـهُ، وإنَّ الأجـلَ جُنَّـةٌ حصِينَـةٌ[٥].

والخامـس: أنَّ في الـكلام تقديـمًا وتأْخِـيرًا، والمعْنَـى: لـه مُعقِّبـاتٌ مِـن أمْـرِ اللهِ يحْفظُونَـهُ، قالَـهُ أبـو صالـح، والفـرَّاءُ[٦].

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٤٧) إلى ابـن جريـر.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٧) (٢٠٢٤٥)، وذكـره البغـوي في معـالم التنزيـل (٤/ ٣٠٠) عـن مجاهـد أنَّـه قـال: مـا مـن عبـد إلا له ملـك مـوكَّل يحفظـه في نومـه ويقظته من الجنِّ والإنـس والهـوامِّ، فـما منهـم شيء يأتيـه يريـده إلَّا قـال: وراءَكَ إلَّا شـيئًا يـأذن الله فيصيبـه.

(٣) من (ج).

(٤) في (ج): رجلين.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٤٧) إلى ابـن جريـر.

(٦) معاني القرآن (٢/ ٦٠).

والسَّادس: يحفظُونَهُ لأمْرِ اللهِ فيهِ[1] حتَّى يُسْلِموه إلى ما قُدِّر لَه، ذكرَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، واستدلَّ بما رَوى عكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ [أنَّه][2] قالَ: يحفَظُونَهُ مِن أمْرِ اللهِ، حتَّى إذا جاءَ القَدَرُ خلَّوا عنْهُ[3]. وقالَ عكْرِمَةُ: يحفظونه لأمر الله.

والسَّابع: يحفَظُونَ عليهِ الحسَنات والسَّيِّئاتِ، قالهُ ابْنُ جُريج.

قالَ الأخْفشُ: وإنَّما أنَّثَ المُعقباتِ؛ لِكثرةِ ذلِك منْها؛ نحوُ: النَّسابةُ، والعلَّامةُ، ثُمَّ ذكَّرَ في قوْلِه تعَالى: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾؛ لأنَّ المعْنَى مذكَّرٌ[4]. [٤٢٣/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾؛ أي: لَا يُسلبهم نِعمَه ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ فيعمَلُوا بمعاصِيه. قالَ مُقاتلٌ: ويعْني بذلِكَ: كُفَّارَ مكَّةَ[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه العذَابُ.

والثَّاني: البَلاءُ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٣٢)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٣٧١) (٢٠٢١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٣٧) (١٢١٩٦) من طريق إسرائيل به، عزاه السيوطي (٤/ ٤٧) إلى الفريابي وابن المنذر.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٤٠٣).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾؛ أي: لا يردُّه شيْءٌ ولا تنفعُهُ المعقِّبَاتُ.

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ يعْنِي: مِن دُون اللهِ ﴿مِن وَالٍ﴾؛ أي: مِن وليٍّ يدْفَعُ عنْهُمُ العذَابَ والبلَاءَ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد: ١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خوْفًا للمُسافرِ وطمَعًا للمُقيم، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ قتادةُ: فالمسافِرُ خافَ أذاه ومشقَّتَه، والمقِيمُ يرْجُو منْفَعتَهُ(١).

والثَّاني: خوْفًا مِنَ الصَّواعقِ وطمعًا في الغيْثِ، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ.

والثَّالث: خوْفًا للبلَدِ الَّذي يخافُ ضررَ المطرِ وطمَعًا لمن يرْجُو الإنْتِفاعَ بهِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

والرَّابع: خوْفًا مِنَ العِقابِ وطمَعًا في الثَّوابِ، ذكرَهُ الماورديُّ(٣).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٣)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٣٨٧) (٢٠٢٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٠٠).

وكانَ ابْنُ الزُّبيْرِ إذَا سمِعَ صوْتَ الرَّعْدِ يقُول: إنَّ هذَا وعيدٌ شدِيدٌ لأهْلِ الأرْضِ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾؛ أي: ويخلُقُ السَّحابَ الثِّقَالَ بالماءِ.

قالَ الفرَّاءُ: السَّحابُ، وإنْ كانَ لفْظُه واحِدًا، فإنَّه جمْعٌ، واحِدَتُه: سحَابةٌ، جعلَ نعْته على الجمْعِ، كما قالَ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، ولم يقُلْ: أخْضرَ، ولَا حَسن[٢].

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه اسْمُ الملَك الَّذي يزْجُر[٣] السَّحابَ، وصوْتُه: تسْبِيحُه، قالَه مُقاتِلٌ[٤].

والثَّاني: أنَّه الصَّوتُ المسْمُوعُ[٥].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٢)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٤) من طريق عامر بن عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير، أنَّه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: سبحان الذي {يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته}، ثم يقول: إنَّ هذا لَوعِيدٌ شديدٌ لأهل الأرض.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٦٠).

(٣) في (ج): يزجر به.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٠).

(٥) في (ر): أنه صوت المسموع.

وإنَّما خصَّ الرَّعد بالتَّسبيح؛ لأنَّه من أعْظَمِ الأصْواتِ.

قال ابْنُ الأنْباري: وإخْبارُه عنِ الصَّوْت بالتَّسبِيح مجازٌ، كما يقُول القائِلُ: قد غمَّنِي كلامُكَ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ في هاءِ الكنايةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وهوَ الأظْهرُ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يخافونَ اللهَ، وليْس كخوْفِ ابْنِ آدَمَ، لا يعرِفُ أحدُهم مَنْ علَى يمِينهِ ومَنْ علَى يسَارِه، ولا يُشْغلُه عنْ عِبادةِ اللهِ شيْءٌ[2].

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى الرَّعد، ذكرَهُ الماوردِيُّ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾.

اخْتلفُوا فيمَن نزلَتْ على ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ في أرْبَدَ بْنِ قيْسٍ، وعامِرِ ابْنِ الطُّفَيلِ، أتَيا إلى رسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدانِ الفتْكَ بهِ، فقَالَ: «**اللهُمَّ اكْفِنِيهما بِما شِئْتَ**» فأمَّا أرْبَدُ فأرْسَلَ اللهُ تعَالى عليْهِ صاعِقَةً فِي يوْمٍ صَائفٍ صَاحٍ فأحْرقتْهُ، وأمَّا عامِرٌ فأصَابتْهُ غدَّةٌ فهلَكَ، فأنْزلَ اللهُ تعَالى هذِه الآيَةَ، هذا قوْلُ الأكْثرِينَ، منْهُمُ ابْنُ جُريجٍ، وأرْبَدُ [٤٢٣/ب] هوَ أخُو لَبِيد بْنِ رَبيعةَ لِأُمِّهِ[4].

---

(١) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣١٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣١٥) عن ابن عبَّاس.

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٠١).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٧٩) (١٠٦٠)، والطبري في تفسيره=

والثَّاني: أنَّها نزلَتْ في رجُلٍ جاءَ إلى رسُول الله ﷺ فقَالَ: حدِّثْني يَا مُحمَّدُ عنْ إلهِكَ، أياقُوتٌ هوَ؟ أذَهَبٌ[1] هوَ؟ فنزلَتْ علَى السَّائِلِ صاعِقةٌ فأحْرقَتْهُ، ونزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ عليٌّ [بْنُ أبي طَالبٍ][2] عليه السَّلامُ[3].

قالَ مُجاهِدٌ: وكانَ يهُودِيًّا[4].

وقالَ أنَسُ بْنُ مالِكٍ: بعَثَ رسُولُ اللهِ ﷺ إلى بعْضِ فرَاعِنةِ العرَبِ يدْعُوه إلى اللهِ تعَالى فقَالَ للرسُولِ: ومَا اللهُ، أمِنْ ذَهَبٍ [هُوَ][5]، أمْ مِنْ فِضَّةٍ، أمْ مِنْ نُحاسٍ؟ فرجَعَ إلى النَّبيِّ ﷺ فأخْبرَهُ، فقَالَ: «ارْجِعْ إلَيْهِ

=(١٦/ ٣٩٣)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ ٦٦) من طريق عطاء بن يسار عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤١) بسبب عبد العزيز ابن عمران. قلت: هو متروك، كما في تقريب التهذيب (١/ ٥١١) (١١٤٢).

(١) في (ج): أم ذهب.

(٢) من (ج).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩١) (٢٠٢٦٩) من طريق أبي روق عن أيوب، عن عليٍّ، قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا محمدُ! حدِّثني من هذا الذي تدعو إليه؟ أياقوت هوَ، أذهبٌ هو أمْ مَا هوَ؟ قال: «فنزلت على السَّائل الصاعقة فأحرقته، فأنزل الله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾... الآية. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٢) إلى ابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩١) (٢٠٢٦٧) من طريق عن أبي بكر بن عياش، عن ليث، عن مجاهد، قال: جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: أخبرني عن ربِّك من أيِّ شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

(٥) من (م).

فَادْعُـهُ»، فرَجَـع[١]، فأَعـادَ عليْـهِ الـكلامَ، إلَى أنْ رجَـعَ إليْـهِ ثالثـةً، فبيْنَـما هُـما يتَرَاجعَـانِ الـكَلَامَ، إذْ بعَـثَ اللهُ تَعَـالى سـحَابةً حِيـالَ رأْسِـهِ، فرعَـدَتْ ووَقَعـتْ منهـا صَاعقَـةٌ فذهبَـتْ بقِحْـفِ رأْسِـه، ونزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[٢].

والثَّالـث: أنَّها نزلَـتْ[٣] في رجُلٍ أنْكر القُرآنَ وكذَّبَ رسُـولَ اللهِ ﷺ فأرْسَـل اللهُ عليْـهِ صاعِقَـةً فأهلكَتْـهُ، ونزَلَتْ هذِه الآيَـةُ، قالَهُ قتادَةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: يُكذِّبُون بعظمَةِ اللهِ سبحانه وتعالى، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: يُخاصِمُـون في اللهِ؛ حيْـثُ قـالَ قائِلُهُـم: أهـوَ مِـنْ ذَهَـبٍ، أمْ[٤] مِـن فِضَّـةٍ؟ عـلَى مـا تقـدَّمَ بيانُـه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ فيهِ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: شديدُ الأخْذِ، قالَهُ عِليٌّ عليه السَّلام.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجـه النسـائي في الكـبرى (١١٢٥٩)، والطـبراني في الأوسـط (٢٦٠٢)، الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٩٢) (٢٠٢٧٠)، والعقيـلي في الضعفـاء (٣/ ٢٣٢)، والواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٢٠٤) مـن طريـق عبـد الله بـن عبـد الوهـاب، قـال: ثنـا عـلي بـن أبي سـارة الشـيباني، قـال: ثنـا ثابـت البنـاني، عـن أنـس بـن مالـك... فذكـر الحديـث.

(٣) ليست في (ج)، و(م).

(٤) في (ج)، و(ر): أو.

والثَّاني: شدِيدُ المكْرِ، شديدُ العداوَةِ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: شدِيدُ العُقوبةِ، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقالَ مُجاهِدٌ فِي رِوايةٍ عنْهُ: شَدِيدُ الانْتِقامِ(١).

وقالَ أبو عُبيدةَ: شدِيدُ العُقوبةِ والمكْرِ والنَّكالِ(٢)، وأنْشد للأعْشَى [من الخفيف]:

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ
إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْـ ـطِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي(٣)

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: شدِيدُ الكَيْدِ(٤) وَالمكْرِ، وأصْلُ المحَالِ: الحِيلةُ(٥).

والرَّابع: شدِيدُ القُوَّةِ، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٢٧) إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٢٥).

(٣) البيت الأول في ديوانه (ص: ٧- ٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٢٥)، والزاهر (١/ ١٠٢)، والعين (٣/ ٢٤١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٤٨٥).
والبيت الثاني في ديوانه (ص: ٩)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٢٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٥/ ٤٨)، والمعنى: إن يعاقب هذا الممدوح أعداءه يكن هلاكًا ملازمًا لهم وإن يعط المسائل عطاءً جزيلًا فإنَّه لا يبالي بذلك العطاء فهو شجاع جواد.

(٤) في (ر)، و(م): اليد.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٦).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَال مَاحَلْتُه مِحَالًا؛ إذَا قَاوِيتُهُ حتَّى تبيَّنَ[1] لـه أيُّكـما الأَشـدُّ، والمَحْـلُ في اللُّغـة: الشِّـدَّةُ[2].

والخامس: شَـدِيدُ الحقْـدِ، قالَـهُ الحسَـنُ البـصْرِيُّ فيـما سـمِعْناهُ عنْـهُ مُسـندًا مِـن طُـرُقٍ.

وقـدْ رَواه عنْـهُ جماعـةٌ مِـن المفسِّريـنَ منْهُـم ابْـنُ الأنْبـارِيِّ، والنَّقَّـاشُ، ولَا يجُـوز هـذَا فِي صِفـاتِ اللهِ عـزَّ وجـلَّ.

قـالَ النَّقَّـاشُ: هـذَا قـوْلٌ مُنكـرٌ عنْـدَ أهْـلِ الخـبَرِ والنَّظَـرِ فِي اللُّغـةِ، لا يجـوزُ أنْ يكُـونَ[3] هـذِه صِفـةٌ مِـن صِفـاتِ اللهِ عـزَّ وجـلَّ.

والَّـذي أخْتـارُه في هـذَا مـا قالَـهُ عـليٌّ عليـه السـلام: شَـدِيدُ الأخْـذِ، يعْنِـي: أنَّـه إذَا أخَـذَ الكافِـرَ والظَّـالمَ لم يُفْلِتْـهُ مِـن عُقوبَاتِـهِ.

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [الرعد: ١٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا كلِمـةُ التَّوْحيـدِ، وهـيَ لَا إلـهَ إلَّا اللهُ، قالَـهُ عـلِيٌّ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، والجمْهُـورُ، فالمعْنَـى: لَـه مِـن خلْقِـه الدَّعْـوةُ الحَـقُّ، فأُضِيفـتِ الدَّعْـوةُ إلى الحَـقِّ؛ لاخْتِـلافِ اللَّفْظَـيْنِ.

---

(١) في (ج): بين.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٣).

(٣) في (م) تكون.

والثَّاني: أنَّ اللهَ تعَالى هوَ الحقُّ، فمَن دعَاه دعَا الحَقَّ، قالَهُ الحسَنُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعْني: الأصْنامَ يدْعُونَها آلهةً.

قالَ أبو عُبيدةَ: المعْنَى: والَّذين يدْعُونَ غيْرَه مِن دُونِه[1]. [٤٢٤/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾؛ أي: لَا يُجيبونَهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ فيهِ خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه العطْشَانُ يمدُّ يدَهُ إلى البئْرِ ليرتَفِعَ الماءُ إليْهِ ومَا هوَ ببالِغِهِ، قالَهُ عليٌّ [بنُ أبي طالبٍ][2] عليهِ السَّلام، وعطَاءٌ.

والثَّاني: أنَّه الرَّجلُ العطْشانُ قدْ وضَعَ كفَّيهِ فِي الماءِ وهوَ لا يرْفعُهُما، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّه العطْشَانُ يرَى خيالَهُ فِي الماءِ مِن بعيدٍ، فهوَ يُريد أن يتَناولَهُ فلا يقدِرُ عليْهِ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه الرَّجلُ يدْعُو الماءَ بلِسانِه ويُشيرُ إليْه بيدِه فلا يأْتِيه أبدًا، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامِسُ: أنَّه الباسِطُ كفَّيهِ لِيقبضَ على الماءِ حتَّى يُؤدِّيه إلى فيهِ، لَا يتمُّ لَه ذلِك، والعرَبُ: تقُول مَن طلَبَ ما لَا يجِدُ فهوَ كَالقابِضِ[3] على الماءِ، وأنْشدُوا [من الطويل]:

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٦).

(٢) من (ر).

(٣) في (ج)، و(م): القابض.

وَإِنِّي وَإِيَّاكُـمْ وَشَـوْقًا إِلَيْكُـمُ كَقَابِـضِ مَـاءٍ لَمْ تَسِـقْهُ أَنَامِلُـهُ(١)

أي: لم تحمله، والوسق: الحمل، وقال الآخر(٢) [من الطويل]:

فَأَصْبَحْـتُ مِمَّـا كَانَ بَيْنِـي وَبَيْنَهَـا مِنَ الْوُدِّ مِثْـلَ الْقَابِضِ الْمَـاءَ بِالْيَدِ(٣)

هذا قول أبي عُبيدةَ(٤)، وابْنِ قُتيبةَ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَادُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: ومَـا دُعَـاءُ الكافريـنَ ربِّهِـم(٦) إلَّا في ضـلالٍ؛ لأنَّ أصْواتَهُـم محجُوبـةٌ عـنِ اللهِ عـزَّ وجـلَّ، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّـاني: ومـا عِبـادةُ الكافريـنَ الأصْنَـامَ [إلَّا](٧) في خُسْرانٍ وباطـلٍ، قالَـهُ مُقاتلٌ(٨).

---

(١) هـو ضابـئ بـن الحـارث البرجمـي، وانظـر البيـت في مجـاز القـرآن (١/ ٣٢٧)، وتأويل مشـكل القـرآن (ص: ٢٢٤)، ومقاييـس اللغـة (٦/ ١٠٩)، تفسـير الطـبري (١٦/ ٣٩٩).

(٢) في (ج)، و(ر): آخر.

(٣) البيـت للأحـوص بـن محمـد بـن الأنصـاري، وهـو في مجـاز القـرآن؛ لأبي عبيـدة (١/ ٣٣٧)، وتفسـير الطـبري (١٦/ ٤٠٠)، والكشـف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٢٦٠)، والتفسـير البسـيط؛ للواحـدي (١٢/ ٣٢٥).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٢٧).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٦).

(٦) ليست في (ج).

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٢).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥].

قَوْلُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: مِنَ الملائكةِ، {وَ} مَنْ فِي {الأَرْضِ} مِنَ المؤمنِينَ ﴿طَوْعًا [وَكَرْهًا](١)﴾.

وفي معْنَى سُجودِ السَّاجِدينَ كَرْهًا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه سُجودُ مَنْ دخَل في الإِسْلامِ بالسَّيْفِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه سُجودُ ظِلِّ الكافرِ، قالَه مُقاتِلٌ(٢).

والثَّالث: أنَّ سُجودَ الكارِه تَذَلُّلُه وانْقِيادُه لما يُريدهُ اللهُ عزَّ وجلَّ منْهُ مِن عافيةٍ ومرضٍ وغِنًى وفقْرٍ.

قَوْلُه تعالى: ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾؛ أي: وتسْجدُ ظِلالُ السَّاجدينَ طوْعًا وكرْهًا، وسُجودُها: تمايلُها مِن جانبٍ إلى جانبٍ، وانْقِيادُها للتَّسْخيرِ بالطُّول والقِصَرِ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: قالَ اللُّغويُّون: الظِّلُّ: ما كانَ بالغَدواتِ قبْلَ انْبساطِ الشَّمْسِ، والفيْءُ: ما كانَ بعْدَ انْصرافِ الشَّمْسِ، وإنَّما سُمِّيَ فيْئًا؛ لأنَّه فاءَ؛ أي: رجَعَ إلى الحَالِ الَّتِي كانَ عليْهَا قبْلَ أنْ تنْبسِطَ الشَّمْسُ، وما كانَ سِوَى ذلِك فهوَ ظِلٌّ، نحوُ ظِلِّ الإنْسانِ، (وظِلِّ الجِدارِ)(٣)، وظِلِّ

---

(١) من (ر)، و(م).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٣).

(٣) ليست في (ر).

الثَّوْبِ، وظِلُّ الشَّجرةِ(١)، قالَ حُميدُ بْنُ ثوْرٍ [من الطويل]:

فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ... وَلَا الْفَيْءَ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ تَذُوقُ(٢)

وقالَ لَبِيدٌ [من الرمل]:

بَيْنَمَا الظِّلُّ ظَلِيلٌ مُؤْنِقٌ ... طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْهِ فَاضْمَحَلّ(٣)

وقالَ الآخَرُ(٤) [من الطويل]:

أَيَا أَثْلَاثَ القَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوضِحٍ ... حَنِينِي إِلَى أَظْلَالِكُنَّ طَوِيلُ(٥)

وقيلَ: إنَّ الكافِرَ يسْجدُ لِغيرِ اللهِ تعالى، وظلُّه يسْجدُ للهِ تعالى. وقد [٤٢٤/ب]
شرحْنا معْنى الغُدوِّ والآصالِ في الأعْرافِ [آية: ٧].

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٧٥).

(٢) البيت في ديوانه (ص: ٧٠)، وإصلاح المنطق (ص: ٣٢٠)، والصحاح؛ للجوهري (١/ ٦٣)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٦٨)، والبيت قاله يصف سَرْحَة شجر عظام طوال وكنَّى بها امرأة. والشاهد: أنه جعل الظلَّ وقت الضحى؛ لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت.

(٣) البيت بلا نسبة في قصر الأمل؛ لابن أبي الدنيا (ص: ١٩٦) لكن الرواية: «إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفَيْءٍ زَائِلٍ»، وروضة العقلاء (ص: ٢٧٩)، والبلدان؛ لابن الفقيه (١٠٣)، والعقد الفريد (٦/ ٢٣٩)، وهو لأبي الشعر موسى بن سحيم في الأمثال والحكم (ص: ١٨٠).

(٤) في (م): آخر.

(٥) البيت ليحيى بن طالب الحنفي في أمالي القالي (١/ ١٢٣)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٠٣)، وزهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ١٠٢)، ومصارع العشاق (١/ ٢٩٤)، والفرج بعد الشدة؛ للتنوخي (٤/ ٢٦٨).

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾.

إنَّما جاءَ السُّؤالُ والجوَابُ مِن جهةٍ؛ لأنَّ المشركين لا يُنكرون أنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيءٍ، فلـمَّا لم يُنكروا؛ كانَ كأنَّهم أجابُوا.

ثُمَّ ألْزمهُمُ الحجَّةَ بقوْلِه تعَالى: ﴿ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ يعْني: الأصْنامَ توليتمُوهُم فعبَدتمُوهُم وهُم لا يمْلِكونَ لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا، فكيف بِغيْرِهم[1]؟! ثُمَّ ضرب مثلًا للَّذي يعبُدُ الأصنَامَ والَّذي يعبُدُ اللهَ بقوْلِه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ يعْني[2]: المشركَ والمؤمنَ ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾.

وقرَأَ ابنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، (وابنُ عامِرٍ)[3]، وحفْصٌ، عنْ عاصِمٍ: «تَسْتَوِي» بالتَّاءِ. (وقرَأَ حمْزةُ، والكسَائيُّ، وأبو بَكْرٍ عن عاصِمٍ: «يَسْتَوِي» بالياء)[4][5].

---

(١) في (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م): لغيرهم.

(٢) في (ج): أي.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٥) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٣).

قالَ أبو عليٍّ: التَّأنيثُ حسَنٌ؛ لأنَّه فعْلٌ مؤنَّثٌ، والتَّذكيرُ سائغٌ؛ لأنَّه تأنيثٌ غيْرُ حقيقيٍّ[١].

ويعْنِي بالظُّلماتِ والنُّور: الشِّرْكَ والإيمانَ.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ قالَ ابنُ الأنباريِّ: معْناه: أجعلُوا للهِ شُركاءَ ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ فتَشابه خلْقُ اللهِ بخلْقِ هؤلاءِ؟ وهذا اسْتِفهامُ إنْكارٍ، والمعْنى: ليس الأمْرُ على هذا، بل إذا فكَّروا علِموا أنَّ اللهَ تعالى هوَ المنفرِدُ بالخلْقِ، وغيْرُه لا يخلُقُ شيْئًا[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: قُل ذلِكَ وبيِّنْه بما أُخبِرتَ بهِ مِن الدّلالَةِ في هذِه السُّورةِ ممَّا[٣] يدلُّ علَى أنَّه خالِقُ كُلِّ شيْءٍ، وقد ذكرْنا في «يُوسُفَ» معْنى الواحدِ القهَّارِ[٤].

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٧ - ١٨].

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٥).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٣٠).

(٣) في (ج): ما.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٥).

قوْلُه تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعْنِي: المطرَ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ وهي جمْعُ وادٍ؛ وهوَ كُلُّ مُنفرجٍ بيْنَ جبلَيْنِ يجتمِعُ إليهِ ماءُ المطرِ فيَسِيلُ ﴿بِقَدَرِهَا﴾؛ أي: بمبلغِ مَا تحمَّلَ، فإنْ صغُرَ الوادي؛ قلَّ الماءُ، وإنْ [هوَ][1] اتَّسعَ؛ كثُرَ.

وقرَأَ الحسَنُ، وابْنُ جُبيرٍ، وأبو العاليةِ، وأيوبُ، وابْنُ يعْمُرَ، وأبو حاتِمٍ عنْ يعْقُوبَ: «بقدْرِها» بإسْكانِ الدَّالِ[2].

وقوْلُه تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ توسعٌ في الكلَامِ، والمعْنَى: سالَتْ مِياهُها، فحذفَ المضافَ، وكذلك قوْلُه: «بقدرِهَا»؛ أي: بقدرِ مِياهِها.

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾؛ أي: عالِيًا فوْقَ الماءِ، وهذا مثَلٌ ضربَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ثُمَّ ضرَب مثلًا آخرَ، فقَالَ تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ قرَأَ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «تُوقِدُونَ [عليْهِ][3]» بالتَّاءِ. وقرَأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِم بالياءِ[4].

قال أبو علي: مَن قرَأَ بالتَّاءِ؛ فلِمَا قبْلَه مِنَ الخِطابِ، وهوَ قوْلُه: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم﴾، ويجُوز أنْ يكُونَ خِطابًا عامًّا للكافَّةِ. ومَنْ قرَأ بالياءِ فلأنَّ ذكْرَ الغيبةِ قد تقدَّم في قوْلِه تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾[5].

---

(١) من (ر)، و(م).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧١).

(٣) من (ج)، و(م).

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٣).

(٥) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٦).

ويعْنِي بقوْلِه: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ [عَلَيْهِ][(١)] ﴾: مَا يدْخُلُ إلى النَّار فيُذابُ مِنَ الجوَاهِرِ ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ يعْنِي: الذَّهبَ والفِضَّةَ ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ يعْنِي: الحدِيدَ والصُّفرَ والنُّحاسَ والرَّصاصَ، تُتَّخذ[(٢)] منْهُ الأَوَاني والأشْياءُ الَّتِي يُنتفعُ بهَا، ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: [له][(٣)] زبَدٌ إذَا أُذِيب مِثْلُ زبدِ السَّيل، فهذَا مثَلٌ آخَرُ. [٤٢٥/أ]

وفيمَا ضُرب لَه هذَانِ المثلَانِ ثَلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه القرْآنُ، شبَّه نُزولَهُ مِنَ السَّماءِ بالماءِ، وشبَّه قلُوبَ العبادِ بالأوْديةِ تحمِلُ منه على قدْرِ اليقينِ والشَّكِّ، والعقْلِ والجهْلِ، فيستكِنُّ فيهَا، (فينْتَفِعُ المؤْمِنُ بما في قلْبِه كانْتِفاعِ الأرْضِ الَّتِي يستقِرُّ فيهَا)[(٤)] المطرُ، ولا ينْتفِعُ الكافِرُ بالقُرآنِ لِمكانِ شكِّه وكُفْرِه، فيكونُ ما حصَلَ عنْدَه مِنَ القُرآنِ كالزَّبَدِ وكخَبَثِ الحديدِ لا يُنتفع بهِ.

والثَّاني: أنَّه الحقُّ والباطِلُ، فالحقُّ مُشبَّهٌ[(٥)] بالماءِ الباقِي[(٦)] الصَّافِي، والبَاطِلُ[(٧)] مُشبَّهٌ بالزَّبدِ الذَّاهبِ، فهوَ وإنْ علَا علَى الماءِ فإنَّه سيُمحقُ، كذلِك الباطِلُ، وإنْ ظهَر علَى الحقِّ في بعْضِ الأحْوالِ، فإنَّ اللهَ سيُبطلُه.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في (ر): يتخذ.

(٣) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٥) في (م): شبه.

(٦) في (ج): الناقي.

(٧) في الأصل: الباقي، والمثبت من سائر النسخ.

والثَّالث: أنَّه ضُرِب[١] للمُؤمِنِ والكافِرِ، فمثَلُ المؤمِنِ واعْتقَادِه وعملِه كالماءِ المنتفعِ بِهِ، ومثَلُ الكافرِ واعْتِقادِه وعمَلِه[٢] كالزَّبدِ.

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما ذكرَ هذا، يضرِبُ [اللهُ][٣] مثَلَ الحقِّ والباطلِ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: كذلِك يُمثّل اللهُ الحقَّ ويُمثّل الباطلَ[٤].

فأمّا الجفاءُ: فقالَ ابنُ قُتيبةَ: هوَ ما رمَى بهِ الوَادِي إلى جنبَاتِه، يُقال: أجفأتِ القِدْرُ بزبَدِها؛ إذا ألْقتْهُ عنْها[٥].

قالَ ابنُ فارس: الجُفاءُ: مَا نفاه السَّيْلُ، ومنْهُ اشتِقَاقُ الجفاءِ[٦].

وقالَ ابنُ الأنْباريِّ: «جُفاء»؛ أي: باليًا مُتفرِّقًا[٧]. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: إذَا مُسَّ الزَّبدُ لم يكُن شيْئًا.

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ الماءِ والجواهرِ الَّتي زَال زبدُها ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فينتَفعُ بهِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يبْقَى الحقُّ لأهْلِه.

قوْلُه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ يعْنِي: المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ يعْنِي: الكُفَّارَ.

---

(١) في (ف)، و(م) أنه مثل ضربه الله.

(٢) ليست في (ج).

(٣) من (م).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٢٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٦) مقاييس اللغة (١/ ٤٦٦).

(٧) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٢٦٥).

قالَ أبو عُبيدةَ: اسْتجبْتُ لكَ واسْتجبتُكَ سواءٌ، وهو بمعْنَى: أجبْتُ[١].

وفي الحُسْنى ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّها الجنَّةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّها الحياةُ والرِّزقُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: كُلُّ خيْرٍ مِنَ الجنَّةِ فما دُونَها، قالَه أبو عُبيدةَ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِۦٓ﴾؛ أي: لجعلُوه فداءَ أنْفُسِهِم مِنَ العذَابِ، ولا يُقبلُ منْهُم.

وفي سُوءِ الحسَاب ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها المناقشةُ بالأعْمالِ، رَواه أبو الجوْزَاءِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ. وقالَ النخعيُّ: هو أنْ يحاسبَ بذنْبِه كُلِّه، فلا يُغفر له منْهُ شيْءٌ[٣].

والثَّاني: أنْ لا تُقبلَ منْهُم حسنَةٌ، ولا يُتجاوزَ لهم عنْ سيِّئةٍ.

والثَّالث: أنَّه التَّوبيخُ والتَّقْريعُ عنْدَ الحسَابِ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤١٧) (٢٠٣٢٧)، قال: حدثني يعقوب قال: حدثنا ابن علية قال: حدثني الحجاج بن أبي عثمان قال: حدثني فرقد السبخي قال: قال إبراهيم النخعي: يا فرقد أتدري ما «سوء الحساب»؟ قلت: لا! قال: هو أن يحاسب الرّجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١٦٧- تفسير) من طريق آخر عن إبراهيم بمعناه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦) إلى أبي الشيخ.

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: نزَلَت في حمْزةَ، وأبي جهْلٍ[1]. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾؛ أي: [إنَّما][2] يتَّعِظُ ذوو العُقولِ. والتَّذكُّرُ: الاتِّعاظُ. [٤٢٥/ ب]

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠ - ٢١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ في هذا العَهْدِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه ما عَاهدَهُم عليْهِ حين اسْتخْرجَهُم مِن ظهْرِ آدَمَ.

والثَّاني: ما أمرَهُم بهِ وفرضَهُ عليْهِم.

وفي الَّذي أمَرَ اللهُ [بهِ][3] عزَّ وجلَّ، أنْ يُوصلَ ثلاثةُ أقْوالٍ قدْ نسبْناها إلى قائلِها في أوَّلِ سُورة البقرة [آية: ٧٢]، وقد ذكرْنا سُوءَ الحسابِ آنفًا.

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٣٨).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) من (ر)، و(م).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾؛ أي: عـلَى مـا أُمِـرُوا بـهِ ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: طلبًـا لِرِضَـاهُ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أتمُّوهَـا ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِـنَ الأمْـوالِ في طاعـةِ اللهِ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد بالصَّلاةِ: الصَّلواتِ الخمْسَ، وبالإنْفَاقِ: الزَّكاةَ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾؛ أي: يدْفعُونَ ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

وفي المرادِ بهما خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: يدْفعُون بالعمَلِ الصَّالحِ الشَّرَّ مِنَ العملِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يدْفَعُون بالمعرُوفِ المنْكرَ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: بالعفوِ الظُّلْمَ، قالَهُ جُويبر.

والرَّابع: بالحِلْمِ السَّفَهَ؛ كأنَّهم إذَا سفهَ عليْهِم حلمُوا، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ(٢).

والخامِس: بالتَّوبةِ الذَّنْبَ، قالَهُ ابْنُ كَيسانَ(٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد: عُقباهـمُ الجنَّـةُ؛ أي: تصِـيرُ الجنَّـةُ آخِـرَ أمْرِهِـم(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢١) (٢٠٣٣٥) عن علي، عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعْنِي: الصلوات الخمس ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يقول: الزكاة.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٣) ذكر عنه ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٢٧٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ وقرَأ ابْنُ أبي عبْلَة: «صَلُحَ» بضمِّ اللَّامِ[١].

ومعْنَى «صلح»: آمن، وذلِك أنَّ اللهَ تعَالى ألحقَ بالمؤْمن أهلَه المؤمنينَ؛ إكْرامًا له، لِتقرَّ عيْنُه بهم.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بالتَّحيَّةِ مِنَ اللهِ تعَالى والتّحفةِ والهدَايا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أضْمرَ القوْلَ هاهُنا؛ لأنَّ في الكلَامِ دليلًا عليهِ[٣].

وفي هذَا السَّلامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّحيَّةُ المعرُوفةُ، يدْخل الملَكُ فيُسلم وينْصرِف.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: وفي قوْلِه[٤]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ السَّلام: اللهُ عزَّ وجلَّ، والمعْنَى: اللهُ عليْكُم؛ أي: علَى حفْظِكُم.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: السَّلامةُ عليْكُم، فالسَّلامُ جمع: سلامة[٥].

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٨)، والكامل (ص: ٢٠٧)، والبحر المحيط (٥/ ٣٨٧).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٧).

(٤) في (ج)، (ر)، و(م): قول المُسلِّم.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٤).

والثَّاني: أنَّ معْنَاه: إنَّما سلَّمَكُم اللهُ تعَالى مِن أهْوالِ القِيامةِ وشرِّها بصبْرِكُم في الدُّنْيا.

وفيما صبرُوا عليْه خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّه أمْرُ الله، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبير.

والثَّاني: فُضولُ الدُّنيا، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: الدِّين.

والرَّابع: الفقرُ، رُويا عن أبي عمران الجَوني.

والخامس: أنّه فقْدُ المحْبُوب، قالَه ابْن زيد.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ قد سبَق تفْسِيرُه في [سُورة][(١)] البقرة [آية: ٧٢]. وقالَ مُقاتِلٌ: نزَلَتْ في كُفَّارِ أهْلِ الكتابِ[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾؛ أي: عليْهِم.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد: ٢٦].

---

(١) من (م).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٦).

قوْلُه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾؛ أي: يُوسِّعُ علَى مَنْ يَشاءُ ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾؛ أي: يُضيِّق ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد مُشركي مكَّةَ، فرحِوا بما نالُوا مِن الدُّنيا فطَغَوْا وكذَّبُوا الرُّسلَ[1].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾؛ أي: بالقِياسِ[2] إليْهَا ﴿ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾؛ أي: كالشَّيْءِ الَّذي يُتمتع بهِ، ثُمَّ يفْنَى. [٤٢٦/أ]

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرعد: ٢٧].

قوْله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

نزَلَت فِي مُشركي مكَّةَ حين طلَبُوا مِن رسُولِ الله ﷺ مثْلَ آياتِ الأنْبياءِ[3].

﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾؛ أي: يردُّه عنِ الهُدَى كما رَدَّكُم بعدمَا أنزَلَ مِن الآياتِ وحرمَكُم الِاسْتدلالَ بِها ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾؛ أي: رجعَ إلى الحَقِّ، وإنَّما يرْجِعُ إلى الحَقِّ مَن شاءَ اللهُ رجُوعَه، فكأنَّه قالَ: ويهْدِي مَنْ يشَاءُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٤).

(٢) في الأصل: القياس، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٤).

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هذا بدلٌ مِن قوْلِه: ﴿أَنَابَ ﴾، والمعْنَى: يهْدِي الَّذِين آمنُوا.

﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فِي هذَا الذِّكْرِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه القرآنُ.

والثَّاني: ذكْرُ اللهِ تعَالى علَى الإطْلاقِ.

وفي معْنَى هذِه الطُّمأْنِينةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الحبُّ لَه والأُنسُ بهِ.

والثَّاني: السُّكون إليْهِ مِن غيْرِ شَكٍّ، بِخلافِ الَّذِين إذا ذُكر اللهُ اشْمأزَّتْ قلُوبهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قالَ الزَّجَّاج: «أَلَا» حرْفُ تنْبِيهٍ وابْتِداءٍ، والمعْنَى: تطْمَئِنُّ القلُوبُ الَّتي هيَ قلُوب المؤمنِينَ؛ لأنَّ الكافِرَ غيْرُ مُطمئِنِّ القلْبِ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ فيهِ ثَمانِيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه اسْمُ شجرةٍ فِي الجنَّةِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

رَوى أبـو سـعِيدٍ الخُـدرِيُّ عـنْ النَّبـيِّ ﷺ أنَّ رجُـلًا قـالَ: يَـا رسُـولَ اللهِ! مَـا طُوبَـى؟ قـالَ: «شَـجرةٌ فِي الجنَّـة مَسِـيرةُ مائـةِ عَـامٍ[١]، ثِيـابُ أهْـلِ الجَنَّـةِ تخْـرُجُ مِـن أكْمامِهَـا»[٢].

وقـالَ أبـو هُريـرةَ: طُوبـى شـجرَةٌ فِي الجنَّـةِ، يقُـول اللهُ -عـزَّ وجَـلَّ- لهَـا: تَفتَّقِـي لِعبـدي عـمَّا شـاءَ، فتَتفتَّـقُ لَـه عـنِ الخيْـلِ بِسُرُوجِهَـا ولُجُمِهَـا، وعـنِ الإبْـلِ بأزِمَّتِهَـا، وعـمَّا شـاءَ مِـنَ الكِسـوةِ[٣].

وقـالَ شـهْرُ بْـنُ حوْشـبٍ: طُوبـى: شـجرَةٌ في الجنَّـة، كُلُّ شـجرِ الجنَّـةِ منْهَـا أغْصانُهَـا، مِـن وراءِ سُـورِ الجنَّـةِ[٤]، وهــذَا مذْهــبُ عطيَّــةَ، وشـمر بْـنِ عطيَّـة، ومغيـث بْـن سـمي، وأبي صالـح.

والثَّاني: أنَّه اسْمُ الجنَّةِ بالحبشيَّةِ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج)، و(ر): سنة.

(٢) أخرجـه ابـن أبي داود في البعـث (٦٧)، وابـن حبـان (٧٤١٣)، والآجـري في الشريعة (٦٢٤)، مـن طريـق ابن وهب به، وأخرجـه أحمد في مسنده (١١٦٧٣)، وأبو يعلى (١٣٧٤)، والخطيب في تاريخه (٤/ ٩٠)، مـن طريـق دراج بـه. وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثور (٤/ ٥٩) إلى أبي حاتم وابـن مردويه.

(٣) أخرجـه عبد الـرزاق في تفسـيره (٢/ ٣٣٦)، والطبري في تفسـيره (١٦/ ٤٣٨)، وابن المبارك في الزهـد (٢/ ٧٥)، ومـن طريقه البغوي في معـالم التنزيل (٤/ ٣١٦)، وابـن أبي الدنيا في صفة الجنـة، وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم كما في الـدر المنثـور؛ للسـيوطي (٤/ ١١٥)، وفيه شـهر بن حوشـب، مختلف فيه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٨) (٢٠٣٨٥).

[قَـالَ المصنِّـفُ][1]: وقـرَأْتُ عـلى شـيْخِنا أبي منْصُـورٍ [اللغـويِّ][2]، عـنْ سـعِيدِ بْـنِ مَسْـجُوحٍ[3]، قـالَ: طُوبـى: اسْـمُ الجنَّـةِ بالهِنْدِيَّـةِ[4]، وممَّـن ذهَـب إلى أنَّـه اسْـمُ الجنَّـةِ عكرِمَـةُ، وعـنْ مُجاهِـدٍ كالقوْلَـيْنِ:

والثَّالـث: أنَّ معْنَـى طُوبـى لهُـم: فـرَحٌ وقُـرَّةُ عـيْنٍ لهُـم، رَواه عـليُّ بْـنُ أبي طلْحـةَ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والرَّابـع: أنَّ معْنَـاه: نعمَـى لهُـم، قالَـهُ عكْرِمـةُ فِي رِوايـةٍ، وفِي رِوايـةٍ أُخْرى عنـه: نِعْـمَ مَا لَهُـم[5].

والخامِس: غبْطةٌ لهُم، قاله سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ.

والسَّـادس: أنَّ معْنَـاه: خـيْرٌ لهُـم، قالَـه النَّخَعِـيُّ في روايـةٍ، وفِي أخْـرَى عنْـهُ قـالَ: الخـيْرُ والكرَامَـةُ اللَّـذَانِ أعْطاهُـم[6] اللهُ[7].

---

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) قال في المعجم الصغير لرواة الطبري (١/ ١٩٩): سعيد بن مشجوج، وقيل: ابن مشجوع، وقيل: ابن مسجوع، وقيل: ابن مسجوح، من الرابعة أو الثالثة، لم أعرفه، ولم يعرفه شاكر قبلي.

(٤) المعرب (ص: ٤٤٦)، أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٦) (٢٠٣٧٦)، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن مشجوج في قوله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قال: ﴿طُوبَىٰ﴾: اسم الجنة بالهندية.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٤) (٢٠٣٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٨) إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) في (ر): أعطاهما.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٦)، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٤/ ١١١).

ورَوى معْمَرٌ عنْ قتادَةَ قالَ: يقُول الرَّجُلُ للرَّجُلِ: طُوبى لكَ؛ أي: أصبْتَ خيْرًا، وهِيَ كلِمةٌ عربيَّةٌ[١].

والسَّابع: حُسنى لهُم، رَواه سعِيدٌ عنْ قتادَةَ عنِ الحسَنِ.

والثَّامن: أنَّ المعْنَى: العيْشُ الطَّيِّبُ لهُم.

«وطُوبى» عنْدَ النَّحْويين: فُعْلَى مِنَ الطيِّب، هذا قوْلُ الزَّجَّاجِ[٢]. [٤٢٦/ ب]

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: تأْوِيلُها: الحالُ المستطَابَةُ، والخلَّةُ المستلذَّةُ، وأصْلُها: «طيبى» فصَارَتِ الياءُ واوًا؛ لِسكونِهَا وانْضِمامِ ما قبْلَها، كما صارَتْ فِي «مُوقن»، والأصْلُ فيهِ: «ميقن»؛ لأنَّه مأْخُوذٌ مِنَ اليَقِين، فغلبَتِ الضَّمَّةُ فيهِ الياءَ فجعلتْها واوًا[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ المآبُ: المرْجِعُ والمنْقَلبُ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾؛ أي: كما أرْسلْنا الأنْبياءَ قبْلَك.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٣٥)، والطبري في جامع البيان (١٦/ ٤٣٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٤٧).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

فِي سببِ نُزولِهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ لَمَّـا قـالَ لِكفَّـارِ قُريـشٍ: «اسْـجُدُوا للرَّحْمَـنِ»، قالُـوا: ومَـا الرَّحْمـنُ[١]؟ فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، وقيـلَ لهُـم: إنَّ الرَّحمـنَ الَّـذِي أنكرْتُـم هـوَ ربِّي، هـذَا قـوْلُ الضَّحَّـاكِ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّـاني: أنَّهـم لَمَّـا أرَادُوا كِتـابَ الصُّلـحِ يـوْمَ الحُديبيـةِ، كتَـب علـيٌّ عليـهِ السَّـلامُ: بِسْـمِ اللهِ الرَّحمـنِ الرَّحِيـمِ، فقَـالَ سُـهيلُ بْـنُ عمْـرٍو: مَـا نعْـرِفُ الرَّحمنَ إلَّا مُسـيلمةَ[٢]، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، قالَـهُ قتـادَةُ، وابْـنُ جُريـجٍ، ومُقاتلٌ[٣].

والثَّالِـثُ: أنَّ رَسُـول اللهِ ﷺ كانَ يوْمًـا فِي الحِجْـرِ يدْعُـو، وأبـو جهْـلٍ يسْـتمِعُ إليْـهِ وهـوَ[٤] يقُـولُ: «يَـا رَحْمَـنُ»، فـولَّى مُدبـرًا إلى[٥] المشْرِكـينَ، فقَـالَ: إنَّ محمَّـدًا كانَ[٦] ينْهانَـا عـنْ عِبـادةِ الآلهـةِ وهـوَ يدْعُـو إلهَـيْنِ فنزَلَـتْ هـذِه الآيَةُ، ذكَـرَهُ علـيُّ بْـنُ أحْمـدَ النَّيْسـابوريُّ[٧].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٢٩٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٧٣).

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٣١٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٤٥- ٤٤٦) عن قتادة ومجاهد مرسلاً. وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٨).

(٤) في (ج): والنبي ﷺ.

(٥) في (ج): فولَّ أبو جهل إلى.

(٦) ليست في (ج).

(٧) التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٩- ٣٥٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: هوَ مصدَرُ تبتُ إليْهِ[١].

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد: ٣١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾.

سبَبُ نُزولِهَا: أنَّ مُشركي قُريشٍ قالُوا للنَّبيِّ ﷺ: لوْ وسعتَ لنَا أوْدِيةَ مكَّة بالقُرآنِ، وسُيِّرت جِبالُهَا فاحْتَرَثْناهَا، وأحْيَيْتَ مَن مَاتَ مِنَّا، فنزَلَت هذِه الآيةُ، رَواه العوفيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

وقالَ الزُّبيرُ بْنُ العوَّامِ: قالَتْ قُريشٌ لِرسُولِ اللهِ ﷺ: ادْعُ اللهَ أنْ يُسيِّرَ عنَّا هذِه الجِبالَ ويُفجِّرَ لنَا الأرْضَ أنهارًا فنزْرَعَ، أو يُحيى لنَا موْتانَا فنُكلِمَهُم، أو تصِيرَ هذِه الصَّخرةُ ذهبًا فتُغْنِينَا عن رحْلَةِ الشِّتاءِ والصَّيْفِ، فقَدْ كانَ للأنْبياءِ آياتٌ، فنزلت هذه الآيةُ[٣]، ونزَل قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٧) (٢٠٣٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٠) (٦٧٩) من طريق عبد الجبار به، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٥) وأخرجه أيضًا الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٧٤).

ومعنى قوله: ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: شُقِّقت فجُعلت أنهارًا، ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: أُحيوا حتَّى كُلِّموا.

واختلفُوا في جوابِ «لَوْ» على قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه محذُوفٌ.

وفي تقْدِيرِ الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ تقْديرَه: لكانَ هذَا القُرآنَ، ذكرَهُ الفرَّاءُ[1]، وابْنُ قُتيبةَ[2].

قالَ قتادةُ: لو فعلَ هذَا بقُرْآنٍ غيْرِ قُرآنِكم؛ لفعَلَ بقُرْآنِكُم[3].

والثَّاني: أنَّ تقديرَه: لو كانَ هذَا كلُّه لمَا آمَنُوا، ودليلُه قوْلُه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾... إلى آخِرِ الآيةِ [الأنعام: ١١١] قالَهُ الزَّجَّاجُ[4].

والثَّاني: أنَّ جوَابَ «لَوْ» مُقدَّمٌ، والمعْنَى: وهُم يكْفُرونَ بالرَّحمنِ، ولو أننا أنْزلْنا عليْهِم مَا سألُوا، ذكرَهُ الفرَّاءُ أيْضًا[5]. [٤٢٧/أ]

قوْلُه تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾؛ أي: لوْ شاءَ أنْ يُؤمِنُوا لآمَنُوا، وإذَا لم يَشأْ، لم ينْفعْ مَا اقْترَحُوا مِنَ الآياتِ.

(١) معاني القرآن (١/ ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٩) (٢٠٤٠٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٦٣).

ثم أكّد ذلك بقوْلِه: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وفيهِ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أفَلم يتبيَّنْ، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، ورَوى عنْهُ عكرِمَةُ: أنَّه كانَ يقرؤُها كذلِك، ويقُولُ: أظنُّ الكاتِبَ كتبَها وهو ناعِسٌ[١]، وهذا قوْلُ مُجاهِدٍ، وعكرِمَةَ، وأبي مالِكٍ، ومُقاتلٍ[٢].

والثَّاني: أفَلَمْ يعلَمْ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: ويُقالُ: هيَ لُغةٌ للنَّخعِ[٣]: «ييأس» بمَعْنى: «يعلَم»[٤]، قالَ الشَّاعرُ [من الطويل]:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي ... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[٥]

وإنَّما وقَع اليأسُ في مكانِ العلْمِ؛ لأنَّ في علْمِكَ الشَّيءَ وتيقُّنِكَ بهِ: يأْسُك مِن غيْرِه.

والثَّالث: أنَّ المعْنَى: قد يئِسَ الَّذين آمَنُوا أن يهدوا واحدًا، ولو شاءَ اللهُ لهدَى النَّاسَ جميعًا، قاله أبو العَالِيةِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٣) إلى ابن جرير وابن الأنباري في المصاحف.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٣) النَّخع: قبيلة كبيرة من مَذْحِج باليمن.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٧- ٢٢٨).

(٥) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٣٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٤٥٠)، وبلا نسبة في المعاني الكبير؛ لابن قتيبة (٢/ ١١٤٨) والميسر والقداح (ص: ٣٣).

والرَّابع: أفَلَم ييأسِ الَّذِين آمَنُوا أنْ يُؤمنَ هؤلاءِ المشرِكُونَ، قالَهُ الكسائِيُّ(١).

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: المعْنَـى عنـدي: أفلَـمْ ييـأَسِ الَّذِيـن آمَنُـوا مِن إيـمانِ هؤلاءِ الَّذيـن وصفَهُـمُ اللهُ بأنَّهـم لا يُؤمِنـونَ؛ لأنَّـه لو شـاءَ لهـدَى النَّـاسَ جميعًا(٢).

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم جمِيعُ الكُفَّارِ، قالَهُ ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: كُفَّار مكَّةَ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٣).

فأمَّـا القارِعـةُ: فقَـال الزَّجَّـاجُ: هـيَ فِي اللُّغـةِ: النَّازلـةُ الشَّـدِيدةُ تنْـزِلُ بأمْـرٍ عظِيـمٍ(٤).

وفِي المرَادِ بِها هاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها عذَابٌ مِن السَّماءِ، رَواه العوْفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: السَّرايَـا والطَّلائـعُ الَّتـي كان ينْفذهَـا رَسُـولُ اللهِ ﷺ، قالَـه عكْرِمَــةُ(٥).

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٩).

(٥) في (ج): قاله عطاء.

وفي قوْلِه: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه رسُولُ اللهِ ﷺ، فالمعْنَى: أو تحلُّ أنْتَ يَا مُحَمَّدُ، رَواه سعِيدُ ابْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهدٌ، وعكرِمةُ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّها القارعَةُ، قالَهُ الحسَنُ.

وفي قوْلِه تعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: فتْحُ مكَّةَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ(١).

والثَّاني: القِيامةُ، قالَهُ الحسَنُ.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعْنِي: نفْسَه عزَّ وجلَّ. ومعْنَى القِيام هَاهُنا: التَّولِّي لأُمُور خلْقِه، والتَّدبِيرُ لأَرْزاقِهِم وآجالِهِم، وإحْصَاءُ أعْمالِهِم للجزَاءِ، والمعْنَى: أفمَنْ هو مجازي(٢) كُلِّ نفْسٍ بما كسبَتْ، يُثيبُها إذَا أحْسنَتْ، ويأخذُها بما جنَتْ، كمَنْ ليْس بهذِه الصِّفةِ مِنَ الأصنَامِ؟.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٢) في (ج): أفمن هو قائم ليجازي.

قَالَ الفَرَّاءُ: فَتَرَكَ جَوَابَهُ؛ لأنَّ المعْنَى معْلُومٌ، وقد بيَّنَه بعْدَ هذَا بقوْلِه تعالَى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ كأنَّه قيلَ: كشُركائِهِم[1][2]. [٤٢٧/ ب]

قوْلُه تعالَى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾؛ أي: بما يسْتحِقُّونه مِنَ الصِّفاتِ، وإضافةُ الأفْعَالِ إليْهِم إنْ كانُوا شركاءَ للهِ كما يُسمَّى [اللهُ][3] بالخالقِ، والرَّازقِ، والمحيِي، والمميتِ، ولوْ سمُّوهم بشيْءٍ مِن هذَا لكذَبُوا.

قوْلُه تعالَى: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذَا اسْتفهامٌ منقطِعٌ ممَّا قبْلَه، والمعْنَى: فإنْ سمَّوهم بصِفاتِ اللهِ، فقُل لهُم: أتُنبِّئونَهُ؛ أي: أتُخبِرُونَه بشريكٍ لَه فِي الأرْضِ وهوَ لَا يعلَم لنفْسِه شريكًا، ولو كانَ لعلِمَهُ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أمْ بظَنٍّ مِنَ القوْلِ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: بباطِلٍ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالثُ: بكلامٍ لا أصْلَ لَهُ ولَا حقِيقةَ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: زيَّنَ لهُمُ الشَّيْطانُ الكُفْرَ[4].

---

(١) في (ر): شركائهم

(٢) معاني القرآن (٢/ ٦٤).

(٣) المثبت من جميع النسخ.

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٦٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ: «وصَـدُّوا» بفتْـحِ الصَّـادِ، ومثْلُـه في: «حـم الْمُؤْمِـنُ» [غافر: ٣٧] وقـرَأ عاصِـمٌ، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ: «وصُـدُّوا» بالضَّـمِّ فيهـما[١]. فمَـن فتَـح؛ أرَادَ: صـدُّوا المسـلِمِينَ، إمَّـا عـنِ الإيـمانِ، أوْ عـنِ البَيْـتِ الحـرَامِ. ومَـنْ ضـمَّ؛ أرَاد صدَّهُـمُ اللهُ عـنْ سَـبِيلِ الهُـدَى.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعـد: ٣٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهـو القتْـلُ، والأسْرُ، والسَّـقمُ، فهـوَ لهُـم فِي الدُّنيـا عـذَابٌ، وللمُؤمنـين كفَّـارةٌ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ﴾؛ أي: أشـدُّ ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾؛ أي: مانـعٍ يقِيهـم عذَابَـهُ.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعـد: ٣٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ أي: صِفتُهـا أنَّ الأنْهـارَ تجْـرِي مِـن تحتِهَـا، هـذَا قـوْلُ الجمْهُـورِ.

وقـالَ ثعْلـبٌ: خـبَرُ المثَـلِ مُضمـرٌ قبْلَـه[٢]، والمعْنَـى: فيـما نصِـفُ لكـم مثَـلُ الجنَّـةِ، وفيـما نقصُّـه عليْكُـم خـبَرُ الجنَّـةِ.

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٥٩)، والتيسير (ص: ١٣٣).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٦٥).

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ قالَ الحسَنُ: يُريد أنَّ ثِمارَها لا تنقَطِعُ كثِمارِ الدُّنيا[١] ﴿وَظِلُّهَا﴾؛ لأنَّه لا يزُول ولَا تنسخُه الشَّمْسُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾؛ أي: عاقبةُ أمْرِهمُ المصير إليْهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم مُسلِمُو اليهودِ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: وهمْ عبْدُ اللهِ بْنُ سلامٍ وأصْحَابُه[٢].

والثَّاني: أنَّهم أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث: مُؤْمِنُو أهْلِ الكتَابَيْنِ مِنَ اليهُودِ والنَّصارَى، ذكرَهُ الماورديُّ[٣].

والَّذي أُنزل إليْهِ: القرْآنُ، فرِحَ بهِ المسْلِمُون وصدَّقُوه، وفرِحَ به مُؤمِنُو أهْلِ الكتابِ؛ لأنَّه صدَّق مَا عنْدَهُم.

وقيلَ: إنَّ عبدَ اللهِ بْنَ سلامٍ ومَن آمَن معَهُ مِن أهْلِ الكتابِ، ساءَهُم قلَّةُ ذكْرِ الرَّحمن فِي القُرآنِ مع كثْرةِ ذكْرِه في التَّوْراةِ، فلمَّا نزَل ذكْرُه فرِحُوا، وكفَرَ المشركُونَ بهِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٣).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

فأمَّا الأحْزابُ: فهمُ الكُفَّارُ الَّذين تحزَّبُوا علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمعادَاةِ.

وفِيهم أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ اليهودُ والنَّصارَى، قالَهُ قتادَةُ. [٤٢٨/أ]

والثَّاني: أنَّهُمُ اليهودُ والنَّصارى والمجوسُ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: بنُو أُميَّة وبنُو المغيرةِ وآلُ أبي طلْحةَ بْنِ عبْدِ العُزَّى، قالَهُ مُقاتلٌ[١].

والرَّابع: كفَّار قُريشٍ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٢].

وفي بعْضِه الَّذي أنْكرُوه ثلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه ذكْرُ الرَّحمن، والبعْثُ، ومحمَّدٌ ﷺ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

والثَّاني: أنَّهم عرَفُوا بعْثةَ الرَّسُول في كُتبِهم وأنْكرُوا نُبوَّته.

والثَّالث: أنَّهم عرَفُوا صدْقَه وأنْكرُوا تصْدِيقَه، ذكرَهُمَا الماوردِيُّ[٤].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٢) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٤) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: وكما أنْزلنا الكُتبَ علَى الأنْبياءِ بلُغاتِهِم أنزَلْنَا عليْكَ القُرآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد ما فيهِ مِنَ الفرَائِضِ(١). وقالَ أبو عُبيدةَ: دينًا عربيًّا(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: في صلاتِكَ إلى بيْتِ المقدسِ ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أنَّ قِبْلتَكَ الكعبَةُ، قالَهُ ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: في قبُولِ مَا دعوْكَ إليْهِ مِن ملَّةِ آبائِكَ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾؛ أي: مَا لكَ مِن عذَابِ اللهِ مِن قريبٍ ينْفعُكَ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يقِيكَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾... الآيةَ.

سببُ نُزولِها: أنَّ اليهُودَ عيَّرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بكثْرةِ التَّزْويجِ، وقالُوا: لوْ كانَ نبيًّا كما يزْعُم؛ شغلتْه النُّبُوَّةُ عنْ تزْويجِ النِّساءِ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ(٤)، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٩)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٧٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٣٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٥٩)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٥) من رواية الكلبي.

ومعْنَى الآيةِ: أنَّ الرُّسلَ قبْلَكَ كانُوا بشَرًا لهُم ﴿أَزْوَاجًا﴾ يعْنِي: النِّساءَ، و﴿وَذُرِّيَّةً﴾ يعْنِي: الأوْلادَ. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بأمْرِه، وهذَا جوَابٌ للَّذينَ اقْترحُوا عليهِ الآياتِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لكُلِّ أجَلٍ مِن آجَالِ الخلْقِ كِتابٌ عنْدَ اللهِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّه مِنَ المقدَّمِ والمؤخَّرِ، **والمعْنَى**: لكُلِّ كتابٍ ينْزِلُ مِنَ السَّماءِ أجَلٌ، قالَهُ الضَّحَّاكُ والفرَّاءُ[1].

والثَّالثُ: لكُلِّ أجَلٍ قدَّرَه اللهُ تعَالى، ولِكُلِّ أمْرٍ قضَاهُ اللهُ كتابٌ أُثبتَ فيهِ، ولا تكونُ آيةٌ ولا غيرُها إلَّا بأجَلٍ قدْ قضَاهُ اللهُ فِي كتابٍ، هذَا معْنَى قوْلِ ابْنِ جريرٍ[2].

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ [الرعد: ٣٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ: «ويُثْبِتُ» ساكنة الثَّاءِ خفيفة الباءِ. وقرَأ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «ويُثَبِّت» مشددة الباءِ مفتوحة الثاء[3].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٦).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة في القراءات (ص: ٣٥٩).

قَـالَ أبـو عـلِيٍّ: المعْنَـى: ويثبتـه، فاسْـتغنَى بتعديـةِ الأوَّلِ مِـنَ الفعلـيْنِ عـنْ تعديةِ الثَّــانِي(١).

واخْتلفَ المفَسِّرُونَ فِي المرَادِ بالَّذِي يمْحُو ويُثبت علَى ثمانِيةِ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه عـامٌّ، في الـرِّزقِ، والأجَـلِ، والسَّـعادةِ. والشَّـقاوةِ، وهـذا مذْهـبُ عُمـرَ، وابْـنِ مسْـعُودٍ، وأبِي وائـل، والضَّحَّـاكِ، وابْـنِ جُريـجٍ.

والثَّـاني: أنَّـه النَّاسـخُ والمنْسـوخُ، فيمحُـو المنْسـوخَ، ويُثبـت النَّاسـخَ، روى هـذا المعْنَـى علـيُّ بْـنُ أبي طلْحـةَ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، وقتـادَةُ، والقُرظـيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ. [٤٢٨/ب]

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: ينْسـخُ مِـنَ القُـرآن مَـا يشَـاءُ، «ويُثبِـت»؛ أي: يدعـه ثابتًـا لا ينْسـخُه، وهـوَ المحكَـمُ(٢).

والثَّالـث: أنَّـه يمحـو مـا يشـاءُ، ويُثبـت، إلَّا الشـقَاوةَ والسَّـعادةَ، والحيـاةَ والمـوْتَ، رَواه سـعِيدُ بْـنُ جُبـير عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

ودليـلُ هـذَا القـوْلِ، مَـا روى مُسـلِمٌ في «صحِيحـهِ» مِـن حديـثِ حُذيفـةَ ابْـنِ أَسِـيدٍ قـالَ: سـمعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يقُـول: «**إذَا مضَـتْ علَـى النُّطْفَـةِ خمْسٌ وأرْبَعُـونَ ليْلَـةً، يقُـولُ المَلَـكُ المُـوكَّلُ: أذكَـرٌ أمْ أُنْثَـى؟ فيَقْـضِي اللهُ عـزَّ وجـلَّ، ويكتُـبُ الملَـكُ، فيَقُـولُ: أشَـقِيٌّ، أَمْ سـعِيدٌ؟ فيقْـضِي اللهُ، ويكتُـبُ الملَـكُ، فيقُـولُ: عمَلُـه وأجَلُـه؟ فيَقـضِي اللهُ، ويكتُـب الملَـكُ، ثُـمَّ تُطـوى الصَّحيفَـةُ،**

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٢٠).

(٢) غريب القرآن (٢/ ٢٢٨).

فَلَا يُزادُ فِيها ولا يُنقصُ منْهَا»[١].

والرَّابع: يمْحُو مَا يشاءُ ويثبت، إلَّا الشَّقاوةَ والسَّعادةَ لا يُغيرانِ[٢]، قالَه مُجاهِدٌ.

والخامِس: يمْحُو مَن جاءَ أجلُه، ويُثبت مَن لم يجئْ أجَلُه، قالَه الحسَنُ.

والسَّادس: يمْحُو مِن ذُنوب عبادِه مَا يشَاءُ فيغْفِرُها، ويُثبت مَا يشاءُ فلا يغْفِرُها، رُوي عنْ سعِيدِ بنِ جُبيرٍ.

والسَّابع: يمْحُو مَا يشاءُ بالتَّوبةِ، ويُثبت مكانَها حسنَاتٍ، قالَه عكْرِمةُ.

والثَّامن: يمْحُو مِن دِيوانِ الحفظَةِ ما ليْس فيهِ ثوابٌ ولا عِقابٌ، ويُثبت ما فيهِ ثَوابٌ وعِقابٌ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، وأبو صالِحٍ.

وقالَ ابْنُ السَّائبِ: القوْلُ كلُّه يُكتب، حتَّى إذَا كانَ [في][٣] يوْمِ الخميسِ، طرح منْه كُلَّ شيْءٍ ليْس فيهِ ثوَابٌ ولا عِقابٌ؛ مِثْلُ قوْلِك: أكلْتُ، شربْتُ، دخلْتُ، خرجْت، ونحوه، وهو صادقٌ، ويُثبت ما فيهِ الثَّوابُ والعِقابُ[٤].

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم (٢٦٤٤)، ولفظ المصنف عند الطبراني في "الكبير" (٣٠٣٨).

(٢) في الأصل: يتغيران، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده، كما في بغية الباحث (٢٢٤)، المطالب العالية؛ لابن حجر (٨/ ٦٠١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٤) كلهم من طريق الكلبي، وهو متروك. قال الحافظ في فتح الباري (١٣/ ٥٢٣): والكلبي متروك، وأبو صالح لم يدرك جابرًا، ومما يضعفه أنَّ الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٤) رواه من طريق آخر عن الكلبي، عن أبي صالح.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أَصْلُ الكِتابِ[١].

قالَ المفَسِّرونَ: وهوَ اللَّوحُ المحفُوظ الَّذي أُثْبِت فيهِ ما يكونُ ويحدُثُ.

ورَوى أبو الدَّرداءِ عنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قالَ: «إِنَّ اللهَ سبحَانَه فِي ثلَاثِ سَاعَاتٍ يبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ينظُرُ فِي الكِتَابِ الَّذِي لَا ينْظُرُ فيهِ أحَدٌ غيْرُه، فيَمْحُو مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ»[٢].

ورَوى عكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: هُما كتابَانِ، كتَابٌ سِوَى أُمِّ الكتابِ يمْحُو منْهُ ما يشَاءُ ويُثبت، وعنْدَه أمُّ الكتَابِ لا يُغير منْهُ شيءٌ[٣].

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾؛ أي: مِنَ العقَاب[٤] وأنْتَ حيٌّ أوْ ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبْل أنْ نُريكَ ذلِك، فليْس عليْكَ إلَّا أنْ تبلِّغَ ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: يعْنِي: الجزاءَ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٤/ ١٢٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤١٢): وفيه زياد بن محمد الأنصاري، منكر الحديث. انظر: المجروحين؛ لابن حبان (١/ ٣٠٨)، والكامل؛ لابن عدي (٣/ ١٩٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٨)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٠)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٨١).

(٤) في (ج)، و(ر)، و(م): العذاب.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٣).

وروى ابنُ أبي طلْحةَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ قوْلَه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ نُسخ بآيةِ السَّيفِ وفرْض الجهادِ[١]، وبهِ قالَ قتادةُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].

قوْلُه تعالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ فيهِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه ما يفْتحُ اللهُ عزَّ وجلَّ علَى نبيِّه [محمَّد ﷺ][٢] مِنَ الأرْضِ، رَواه العَوْفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، والضَّحاكُ.

قالَ مقاتِلٌ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعْنِي: كُفَّارَ مكَّةَ ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ يعْنِي: أرْضَ مكَّةَ ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يعْنِي: مَا حوْلَها[٣]. [٤٢٩/أ]

والثَّاني: أنَّها القريةُ تخربُ حتَّى تبْقَى الأبياتُ في نَاحيتِهَا، رَواه عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عكْرِمَةُ.

والثَّالث: أنَّه نقْصُ أهلِهَا وبركتِهَا، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ الشَّعبيُّ: نقْصُ الأنْفسِ والثَّمراتِ[٤].

والرَّابع: أنَّه ذهَابُ فُقهائِها وخِيارِ أهْلِها، رَواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: نواسخ القرآن؛ للمصنف (ص: ١٦٣).

(٢) من (ج).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٦) (٢٠٥٢٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٨) إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والخامس: أنَّه موتُ أهْلِها، قالَهُ مُجاهِدٌ، وعطاءٌ، وقتادةُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: لا يتَعَقَّبُـه أحَـدٌ بتغْيـيرٍ ولَا نقْـصٍ(١). وقـد شرحْنَـا معْنَـى سُرعـةِ الحِسـابِ في [سُـورة](٢) البقـرةِ [آيـة: ٢٠٢].

﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾ [الرعـد: ٤٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعْنِـي: كفَّـارَ الأُمَـمِ الخاليـةِ، مكَـرُوا بأنْبيائِهِـم يقْصُـدونَ قتْلَهُـم، كـما مكـرَتْ قُريـشٌ بِرسُـولِ الله ﷺ لِيقتلُوه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾ يعْنِـي: أنَّ مكْـرَ الماكريـنَ مخْلُـوقٌ لـه، ولا يـضرُّ إلَّا بإرادتِـه؛ وفِي هـذَا تسـليةٌ لِرسُـولِ الله ﷺ وتسـكينٌ لـه.

﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ مِن خيْرٍ وشرٍّ، ولَا يقَعُ ضررٌ إلَّا بإذْنه.

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «وسَـيَعْلَمُ الكَافِـرُ»، قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يعْنـي: أبـا جهْـلٍ(٣). وقـالَ الزَّجَّـاجُ: الكافِـر هَاهُنـا: اسْـمُ جنْـسٍ(٤). وقـرَأ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ: «الكُفَّـار» عـلَى الجمْـعِ(٥).

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٩).

(٢) من (م).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢١)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٨٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥١).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة (ص: ٣٥٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: لمن الجنَّة آخر الأمْرِ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **فيهِم قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّهُم اليهودُ والنَّصارى.

والثَّاني: كُفَّارُ قريشٍ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾؛ أي: شاهِدًا ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظْهرَ مِنَ الآياتِ، وأبانَ مِنَ الدَّلالاتِ على نُبوَّتي.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ **فيهِ سبْعَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: أنَّهم عُلماءُ اليهُودِ والنَّصارى، رَواه العوفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه عبْدُ اللهِ بْنُ سلامٍ، قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعكْرِمَةُ، وابْنُ زيْدٍ، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ(١).

والثَّالث: أنَّهم قوْمٌ مِن أهْلِ الكتَابِ كانُوا يشْهَدُون بالحَقِّ، منْهُم عبْدُ اللهِ بْنُ سلامٍ، وسَلمانُ الفارِسيُّ، وتميمٌ الدَّاريُّ، قالَه قتادَةُ.

والرَّابع: أنَّه جبريلُ عليه السلام، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٤).

والخامس: أنَّه عليُّ بْنُ أبي طالبٍ، قالَه ابْنُ الحنفيَّة.

والسَّادس: أنَّه بنيامِينُ، قالَه شِمر.

والسَّابع: أنَّه اللهُ عزَّوجلَّ، رُوي عنِ الحسَنِ، ومُجاهِدٍ، واخْتارَه الزَّجَّاجُ[١]، واحتجَّ له بِقراءةِ مَن قرَأ: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكتَابُ» وهيَ قِراءةُ ابْنِ السَّميفَعِ، وابْنِ أبي عبْلَة، (ومُجاهِدٍ، وأبي حيوَةَ)[٢]. ورِوايةُ ابْنِ أبي سُريجٍ عنِ الكِسائيِّ: «ومِن» بكسْرِ الميمِ «عندِهِ» بكسْرِ الدَّالِ «عُلِمَ» بضمِّ العينِ وكسْرِ اللَّام وفتْحِ الميمِ «الكتابُ» بالرَّفعِ.

وقرَأ الحسَنُ: «ومِن» بكسْرِ الميمِ «عندِهِ» بكسْرِ الدَّال «عِلْمُ» بكسْرِ العينِ وضمِّ الميمِ «الكتابِ» مُضاف، كأنَّه قالَ: أُنزل مِن علْمِ اللهِ [٤٢٩/ ب] عزَّ وجلَّ[٣].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قراءتان شاذتان، انظرهما مع التوجيه في: المحتسب (١/ ٣٥٨).

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام

وهيَ مكيَّةٌ مِن غيرِ خِلافٍ علِمْنَاه بينَهُم، إلَّا مَا رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتادَةَ أنَّهما قالَا: سِوى آيَتَيْنِ منْهَا(١)، وهيَ(٢) قوْلُه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ والَّتي بعْدَهَا [إبراهيم: ٢٨- ٢٩].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم: ١ – ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿الر﴾ قد سبَق بيَانُه.

وقوْلُه: ﴿كِتَابٌ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: هذا كتَابٌ، (والكتَابُ: القُرآنُ)(٣)(٤).

وفي المرادِ بالظُّلماتِ والنُّورِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الظُّلماتِ: الكفْرُ، والنُّورَ: الإيمانُ، رَواه العوفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٥١٣)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٣٣٧)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٤/ ٣٢٩)، والبيان في عد آي القرآن (ص: ١٦٩)، وفنون الأفنان (ص: ١٣٨)، وجمال القراء (٢/ ٥٢٨).

(٢) في (م): وهما.

(٣) ليست في (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٣).

والثَّاني: أنَّ الظُّلماتِ: الضَّلالةُ، والنُّورَ: الهُدى، قالَهُ مُجاهِدٌ وقتادَةُ.

والثَّالث: أنَّ الظُّلماتِ: الشَّكُّ، والنُّورَ: اليَقينُ، ذكرَهُ الماوردِيُّ(١).

وفي قوْله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بأمْرِ ربِّهِم، قالَهُ مُقاتِلٌ(٢).

والثَّاني: بتَوْفِيقِ ربِّهِم، قالَه أبو سُليمانَ.

والثَّالث: أنَّه الإذْنُ نفْسُه، فالمعْنَى: بما أُذِن لكَ مِن تعْليمِهِم، قالَهُ الزَّجَّاجُ، قالَ: ثُمَّ بيَّنَ ما النُّورُ، فقالَ: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(٣).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وهذا مِثْلُ قوْلِ العرَبِ: جلَسْتُ إلى زيْدٍ، إلى العَاقلِ الفَاضِل، وإنَّما تُعاد «إلَى» بمعْنَى التَّعْظِيمِ للأمْرِ(٤)، قالَ الشَّاعرُ [من الطويل]:

إِذَا خَدِرَتْ رِجْلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا ... فَنَادَيْتُ لُبْنَى(٥) بِاسْمِهَا وَدَعَوْتُ
دَعَوْتُ الَّتِي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي ... لَأَلْقَيْتُهَا مِنْ حُبِّهَا وَقَضَيْتُ(٦)

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٢٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٣).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(م).

(٥) في (ج): ليلى.

(٦) البيتان لقيس بن ذريح في نور القبس؛ لأبي المحاسن (ص: ١٥)، وبلا نسبة في عمل اليوم والليلة (ص: ١٤٢)، وروضة المحبين (ص: ١٧٢).

فأعَاد «دعَوْتُ» لِتفْخِيمِ الأمْرِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وعَاصِـمٌ، وحمْـزةُ، والكِسـائيُّ: «الحميـدِ* اللهِ» عـلَى البـدَلِ. وقـرَأ نافِعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، [وأبـانُ، والْمُفضَّـلُ]: «الحميـدِ* اللهُ» رفْعًـا عـلَى الِاسْـتئنافِ(١)، وقـد سـبَقَ بيـانُ ألْفـاظِ الآيـةِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣ - ٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يُؤْثِرُونهـا ﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: يأخـذُون ما تعجَّل لهـم منها تهاونًـا بأمْـرِ الآخِرَةِ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يمنعُـونَ النَّـاس مِـنَ الدُّخـول في دينِـه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قـد شرحْنـاه في آل عمـران [آيـة: ٩٩].

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة (ص: ٣٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٩٨).

قوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ضَلَـٰلِۢ﴾؛ أي: في ذهَابٍ عن الحقِّ ﴿بَعِيدٖ﴾ مِنَ الصَّواب.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾؛ أي: بلغتِهم.

قالَ ابْنُ الأنباري: ومعنى اللُّغة عند العرب: الكلامُ المنْطُوق بهِ، وهو مأخوذٌ مِن قوْلِهم: لَغَا [الطَّائِرُ][1] يلْغُو؛ إذا صوَّت في الغلس[2].

وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، والجحدريُّ: «إِلَّا بِلُسُن قوْمِه» برفع اللَّام والسين من غير ألف.

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «بِلِسْنِ قوْمِه» بكسْرِ اللَّام وسكون السِّين مِن غيْرِ ألِفٍ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾؛ أي: الَّذي أرسل به فيفهمُونَه[4] عنه؛ وهذا نزل؛ لأنَّ قريشًا قالوا: ما بَالُ الكُتُب كلِّهَا أعجميَّةٌ، وهذا عربيٌّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ﴾.

[٤٣٠/أ] قالَ الزَّجَّاجُ: «أن» مُفسِّرٌ، والمعْنَى: قلنا له: أخرج قوْمَك[5]. وقد سبَقَ بيانُ الظُّلمات والنُّور [البقرة: ٢٥٧].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٩٩).

(٣) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٨)، والكامل (ص: ٢٠٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٩).

(٤) في الأصل: فيفهموه، والمثبت من (ر)، و(م)، وفي (ج): فيفهموا.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٥).

وفي قوْلِه: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّها نِعَمُ اللهِ، رواه أُبيُّ بن كعْبٍ عنِ النَّبي ﷺ، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن قتيبة[١].

والثَّاني: أنَّها وقائع الله في الأمم قبْلَهم، قاله ابْنُ زيد، وابْنُ السَّائب، ومُقاتِلٌ[٢].

والثَّالث: أنها أيَّامُ نِعَم الله عليهم وأيَّامُ نِقَمِه ممن كفَرَ مِن قوْم نوحٍ وعادٍ وثمودَ، قالَه الزَّجَّاجُ[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعني: التَّذكير ﴿لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على طاعةِ اللهِ وعن معصيتِه ﴿شَكُورٍ﴾ لأنْعُمِه.

والصَّبار: الكثير الصَّبرِ، والشَّكور: الكثير الشُّكرِ، وإنما خصَّه بالآيات؛ لانْتِفاعِه بهَا. وما بعد هذا مشْرُوحٌ في [سورة][٤] البقرة [آية: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٥).

(٤) من (م).

بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ
شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ
وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧ - ١٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ مذْكُورٌ في الأعراف [آية: ١٦٧].

وفي قوْلِه تعالَى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ثلاثة أقْوالٍ:

أحدها: لئِنْ شكرْتُم نِعمِي لأزيدنَّكُم مِن طاعَتِي، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: لئن شكرتم إنْعامي لأزيدنَّكُم مِن فضْلِي، قالَه الرَّبيعُ.

والثَّالث: لئن وحدتُّمونِي لأزيدنَّكُم خيرًا في الدُّنيا، قالَه مُقاتِلٌ[١].

وفي قوْلِه تعالَى: ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه الكفرُ[٢] بالتَّوحيد.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٩).

(٢) في (م): كفر.

والثَّاني: كفرانُ النِّعَم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ أي: غنـيٌّ عـنْ خلْقِـه، محمـودٌ في أفْعالِـه؛ لأنَّـه إمَّـا مُتفضـلٌ بفعْلِـه، أو عـادِلٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: أي: لَا يُحْـصِي عددَهُـم إلَّا الله[1]، عـلَى أنَّ الله تعَـالى أهْلَـك أُممًـا مِـنَ العـرَب وغيرِهـا، فانْقطَعَـتْ أخبارُهُـم، وعفَـتْ آثارُهُـم، فليْـس يعلمُهُـم أحـدٌ إلَّا الله[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ فيهِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم عضُّوا أصابِعَهُم، غيْظًا، قالَه ابْنُ مسْعودٍ، وابْنُ زيْدٍ.

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: «في» هاهنـا بمعنـى: «إلَى»، ومعْنَـى الـكلام: عضُّـوا عليهـا حنقًـا وغيْظًـا؛ كـما قـالَ الشَّـاعرُ [مـن المتقـارب]:

يَرُدُّونَ فِي فِيهِ عَشْرَ الْحَسُودِ[3]

يعنـي: أنَّهـم يَغيظُـون الحسُـودَ حتَّـى يعَـضُّ عـلى أصابعِـه العشْرِ، ونحوُه قوْلُ الهُـذَليِّ:

---

(١) في (ر)، و(م): هو.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤١٠).

(٣) شـطر بيـت بلا نسـبة في غريـب القرآن؛ لابـن قتيبـة (ص: ٢٣٠)، والمعاني الكبـير (٢/ ٨٣٤)، والاقتضـاب في شرح أدب الكاتب (٢/ ٢٧٥)، والكشـف والبيـان (١٥/ ٣٥٨).

قَــدْ أَفْنَــى أَنَامِلَــهُ أَزْمُــهُ فَأَضْحَــى يَعَــضُّ عَــلَيَّ الْوَظِيفَــا[١]

يقُـول: قـدْ أكَلَ أصابعَـهُ حتَّـى أفْناهـا بالعـضِّ، وأضْحَـى يعَـضُّ علـيَّ وظِيـفَ الـذِّارعِ[٢][٣].

والثَّاني: أنَّهُـم كانـوا إذَا جاءَهُـمُ الرَّسُـولُ، فقَـالَ: إنِّي رسُـولٌ، قالُـوا لـه: اسْـكُتْ، وأَشَـارُوا بأصابعِهِـم إلى أفْـواهِ أنفُسِـهِم، ردًّا عليْـهِ وتكذِيبًـا، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّالِـث: أنَّهُـم لَمَّـا سـمِعُوا كتَـابَ اللهِ، عجُّـوا ورجعـوا بأيديهِـم إلى أفْوَاههـم، رَواه العـوفيُّ عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والرَّابع: أنَّهُم وضعُوا أيديَهُم على أفواهِ الرُّسلِ، ردًّا لقوْلِهِم قالَه الحسَنُ.

والخامِس: أنَّهُم كذَّبُوهم بأفْوَاهِهِم، ورَدُّوا عليهِم قوْلَهُم، قالَه مُجاهدٌ، وقتادَةُ.

والسَّـادس: أنَّـه مثَـلٌ، ومعْنـاه: أنَّهُـم كفُّـوا عـمَّا أُمِـروا بقَبُولِـه مِـن الحـقِّ، [٤٣٠/ ب]

---

(١) البيـت لصخـر الغَـيِّ بـن عبـد الله الخُثَمِـي الهـذلي في شرح أشـعار الهذليـين (١/ ٢٩٩)، وغريـب القـرآن (ص: ٢٣٠)، والمعـاني الكبـير (٢/ ٨٣٤)، وتهذيـب اللغـة (٤/ ٤٩٥)، وروايتـه في هـذه المصـادر: (فأمسـى يَعَـضُّ...).

وقولـه: (أزْمُـهُ): عَضُّـهُ. مـن: (أزَمَ يـأزِم أزْمـا) و (أُزومـا)، فهـو (آزم وأزُوم)؛ إذا عَـضَّ بالفـم كلِّـه عَضًّـا شـديدًا. و(الوظيفـة): أصـل اسـتعمالها لـذوات الأربـع مـن الخيـل والإبـل، وهـي مـا اسـتدَقَّ مـن الـذراع أو السـاقين، ففـي البعـير هـي: مـا بـين الرسـغ والـذراع، أو بـين الرسـغ والسـاق، وجعلهـا الشـاعر هنـا للإنسـان.

(٢) في (ر)، و(م): بالذراع.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٠).

ولم يؤمنوا به. يُقال: ردَّ فُلانٌ يدَه إلى فمِه؛ أي: أمْسك فلَم يُجبْ، قالَه أبو عُبيدةَ(١).

والسَّابع: ردُّوا مَا لَو قبلُوه لكان(٢) نعمًا وأيادي مِن الله، فتكونُ الأيْدِي بمعْنى: الأيَادِي، و«فِي» بمعنى: الباء، والمعْنَى: ردُّوا الأيادي بأفواهِهِم ذكرَهُ الفرَّاء. وقالَ: قد وجدْنا مِن العرَبِ مَن يجعَل «في» موضعَ الباءِ، فيقول: أدخلَك اللهُ بالجنَّة، يُريد: في الجنة(٣)، وأنْشدني بعْضُهم:

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ(٤)

فقال: أرْغب فيها، يعْني: بنْتًا له، يُريد: أرْغَب بِهَا، وسِنْبِس: قَبِيلةٌ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾؛ أي: على زعْمِكُم أنَّكم أرْسلْتُم، لَا أنَّهُم أقرُّوا بإرْسالِهِم. وباقِي الآيةِ قد سبَق [تفْسِيرُه](٥) [هود: ٦٢].

قولُه(٦): ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ هذَا اسْتفهامُ إنْكارٍ، والمعْنَى: لا شكَّ في اللهِ؛ أي: في توحيدِه ﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ بالرُّسل والكتب ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٣٦).

(٢) في (ر): وكان.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٧٠).

(٤) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٠)، وتفسير الطبري (١٣/ ١٨٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٥)، (سِنْبس): حَيٌّ من قبيلة طيئ. الاشتقاق (ص: ٣٩٠).

(٥) من (م).

(٦) ليست في (ج)، و(ر)، و(ف).

قَالَ أبـو عُبيدةَ: «مـن» زائـدةٌ؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقـة: ٤٧]، قَـالَ أبـو ذُؤيـبٍ [مـن الطويل]:

جَزَيْتُـكِ ضِعْـفَ الْحُـبِّ لَمَّا شَـكَوْتِهِ   وَمَا إِنْ جَزَاكِ الضِّعْفَ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي[1]

أي: أحد[2].

وقوْلُـه: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهـو المـوْتُ، والمعْنَـى: لا يُعاجلكـم بالعـذَابِ.

﴿قَالُوٓاْ﴾ للرسـل ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾؛ أي: مـا أنتـم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: ليْس لكُـم عليْنَـا فضـلٌ. والسُّلطان: الحجَّـةِ. قالـت الرُّسـل: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فاعْترفـوا لهـم بذلِـكَ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يعْنُـون: بالنُّبوَّة والرِّسـالة، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليـس ذلِـك مِـن قبَـلِ أنْفُسِـنا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: بيَّنَ لنا رُشدَنا[3].

والثاني: عرَّفنَا طريقَ التَّوكُّلِ.

---

(١) البيـت لأبي ذؤيـب في ديـوان الهذليـين (١/ ٣٥)، ومجـاز القـرآن (١/ ٤٩)، والصاحبـي في فقـه اللغـة؛ لابـن فـارس (ص: ١٢٧)، والمحكـم والمحيـط؛ لابـن سـيده (١/ ٤١٢)، وبـلا نسـبة في المقتضـب (٤/ ١٣٧).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤٩).

(٣) في الأصل: رسلنا، والمثبت من سائر النسخ.

وإنما قصَّ[١] هذا وأمْثالُه على نبيِّنا لِيقتديَ بمن قبْلَه في الصَّبر، وليعلمَ مَا جرَى لهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعْني: الكافرينَ بالرُّسل.

وقوْلُه تعَالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: بعْد هلاكهِم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإسْكانُ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ (قالَ ابْنُ عبَّاسٍ)[٢]: خافَ مقامَه بيْنَ يدي[٣].

قالَ الفرَّاء: العرَب قد تُضيف[٤] أفْعالَهَا إلى أنْفسِها، وإلى ما أوْقعتْ عليْه، فتقُول: قد ندِمْت علَى ضرْبِي إيَّاكَ، وندِمْت علَى ضرْبِكَ، فهذَا مِن ذاك، ومثْلُه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢]؛ أي: رزقي إيَّاكم[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أثْبت ياءَ «وَعِيدِي» في الحالَيْنِ يعْقُوبُ، وتابعَهُ ورْشٌ في الوصْلِ[٦].

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

---

(١) في (م): نص.

(٢) في (ج): أي.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٢١).

(٤) في (ج): قد تضيف العرب.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٧١).

(٦) قراءة سبعية، انظر: انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٧٨)، والنشر (٢/ ٢٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٣٤١).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ ﴾ يعْنِي: اسْتنصَرُوا.

وقـرأ ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومجاهِـدٌ، وعكْرمـةُ، وحُميـدٌ، وابْـن مُحيصـن: «واسْـتَفْتِحُوا» بكَسْرِ التَّـاء عـلى الأمْـرِ(١).

وفي الْمُشار إليهِم قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهُمُ الرُّسلُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ، وقتادَةُ.

[٤٣١/أ] والثَّـاني: أنَّهُـمُ الكفَّـارُ، واسْـتِفْتاحُهم: سـؤالُهُم العـذَابَ؛ كقوْلِهـم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وقوْلِهـم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾... الآيـة [الأنفـال: ٣٢]، هـذا قـوْلُ ابْـنِ زيْـدٍ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾.

قـالَ ابْـنُ السَّـائب: خَـسِرَ عنْـدَ الدُّعـاءِ(٢). وقـالَ مُقاتِـلٌ: خَـسِرَ عنْـدَ نُـزولِ العـذَابِ(٣). وقـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقيُّ: يَئِـس مِـنَ الإجابـةِ.

وقد شرحْنَا معْنَى الجبَّارِ والعَنِيدِ في [سُورةِ](٤) هُود [آية: ٥٩].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه بمعْنَى القُدَّام، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد: أمامَه جهَنَّمُ(٥).

---

(١) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٢)

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وانظر: بحر العلوم؛ للسمرقندي (٢/ ٢٣٨).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠١).

(٤) من (ج).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (١/ ٣١٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٢٩).

وقالَ أبو عُبيدةَ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾؛ أي: قُدَّامه وأمامه، يُقال: الموْتُ مِن ورَائِك[1]، وأنْشدَ [من الطويل]:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا[2]

والثَّاني: أنَّها بمعْنى: «بعْد».

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾؛ أي: مِن بعْد يأْسِه، فدَلَّ «خَاب» علَى اليأْسِ، فكنَّى عنه، وحُملت «وراء» على معْنَى: «بعْد»؛ كما قالَ النَّابغةُ [من الطويل]:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ[3]

أراد: [ليْس][4] بعدَ اللهِ مذْهَبٌ[5].

قالَ الزَّجَّاجُ: والوراء يكونُ[6] بمعْنى: الخلْف والقُدَّام؛ لأنَّ ما بين يديْك وما قُدَّامك إذا توارى عنْك؛ فقدْ صارَ وراءَكَ، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٣٧) بنحوه.

(٢) سبق تخريجه في سورة يوسف آية (٨٨).

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه (ص: ٢٧)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٧٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٩٧)، والمحاسن والأضداد (ص: ٢٦٢)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٧).

(٤) من (ر)، و(م).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٣١).

(٦) ليست في (ج).

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تُحْنَى[١] عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ[٢]

قال: وليْس الوَراء مِنَ الأضداد كما يقُول بعْض أهْل اللُّغةِ[٣].

وسُئل ثعْلبٌ: لِمَ قِيلَ: الوراء للأمَام؟ فقَال: الوراء: اسْمٌ لِمَا توارى عنْ عينِكَ، سواءٌ كانَ[٤] أمَامك أو خلْفك[٥].

وقالَ الفرَّاء: إنَّما يجُوز هذا في الْمَواقيتِ مِنَ الأيَّام واللَّيالي والدَّهر، تقُول: ورَاءك برْدٌ شدِيدٌ، وبيْنَ يديْكَ[٦] برْدٌ شديدٌ.

[ولَا][٧] يجُوز أن تقُولَ للرَّجُل وهوَ بيْنَ يديْكَ: هوَ وراءَك، و[لَا][٨] للرَّجُل: وراءَك: هوَ بيْنَ يديْكَ[٩].

---

(١) في المعاني؛ للزجاج: تثنى.

(٢) البيت للبيد في شرح ديوان لبيد (ص: ١٧٠)، وحماسة البحتري (ص: ٤٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧١)، والأضداد؛ للسجستاني (ص: ٨٣)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٦٩)، والأغاني (١٤/ ٩٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥- ٣٠٦).

(٤) في (م): أكان.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٧)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٥٢٢).

(٦) في (ج): يديه.

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٩) معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ قالَ عكرمَةُ، ومُجاهدٌ، واللُّغويون: الصَّديد: القيْحُ، والدَّمُ، قالَه قتادَةُ، وهوَ مَا يخْرجُ مِن بيْنِ[١] جلْدِ الكافِرِ ولحْمِه[٢].

وقال القُرظِيُّ: هو غُسالة أهْلِ النَّار، وذلِك مَا يسيلُ مِن فُروجِ الزُّناةِ[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: المْعْنَى: يُسْقى الصَّديدَ مكانَ الْماءِ، قالَ: ويجُوز أن يكونَ علَى التَّشبيه؛ أي: [ما][٤] يُسْقَى ماءً كأنَّه صديدٌ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ التَّجرُّعُ: تناولُ الْمشْرُوب جُرْعةً جُرْعةً، لَا في مرَّة واحدةٍ، وذلِك لِشدَّةِ كراهتِه له، وأنَّما يُكرهه على شرْبه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: لا يقدِرُ على ابْتلاعِه، تقُول[٦]: ساغَ لي الشَّيءُ، وأسغْتُه[٧].

وروى أبو أُمامةَ عنْ رسُول الله ﷺ أنَّه قالَ: «يُقَرَّبُ إلَيْهِ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ»[٨]. [٤٣١/ب]

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦٤).

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٤١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦٤).

(٤) ليست في الأصل، و(ج)، والمثبت من (ر)، و(م).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣١).

(٦) في (ج): يقال.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٧).

(٨) أخرجه الطبري في التفسير: (١٦/ ٥٤٩-٥٥٠)، والترمذي في سننه، حديث (٢٥٨٣)،=

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: هَـمُّ المـوْتِ وكرْبُـه وألَمُـه ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ وفيـه ثلاثـةُ أقْـوالٍ:

أحدها: من كُلِّ شعرةٍ فِي جسَدِه، رَواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ سُفيان الثَّوْريُّ: من كُلِّ عرقٍ[١].

وقـالَ ابْـنُ جُريـج: تتعلَّـق نفْسُـه عنْـد حنْجرَتِـه، فـلا تخْـرُج مِـن فيـهِ فيمُـوت[٢]، ولَا ترجِـعُ إلى مكانِهَـا فتجِـدُ راحـةً[٣].

والثَّـاني: مِـن كُلِّ جهـةٍ، مِـن فوْقـه وتحْتِـه، وعـن يمينِـه وعَـن[٤] شـمالِه، وخلْفِـه وقُدَّامِـه، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ أيضًـا.

والثَّالـث: أنَّهَـا البلَايَـا الَّتِـي (تُصَـبُّ علَـى)[٥] الكافِـرِ في النَّـار، سـمَّاها موْتًـا، قالَـهُ الأخْفَـشُ[٦].

=وقـال: «هـذا حديـث غريـب، هكـذا قـال محمـد بـن إسـماعيل عـن عبيـد الله بـن بسـر، ولا يعـرف عبيـد الله بـن بسـر إلا في هـذا الحديـث». وأخرجـه الحاكـم في المسـتدرك (٢/ ٣٥١) وقـال: «هـذا حديـث صحيـح عـلى شرط الشـيخين»، ووافقـه الذهبـي، وأخرجـه الإمـام أحمـد في المسـند (٥/ ٢٦٥)، والبغـوي في شرح السـنة (١٥/ ٢٤٣-٢٤٤).

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٧)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٣٨).

(٢) في (م): فتموت.

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٥٥٠) (٢٠٦٣٤)، وعـزاه السـيوطي في لـدر النثـور (٤/ ٧٤) إلى ابـن جريـر.

(٤) ليست في (ج)، و(م).

(٥) في (ج)، و(ر)، و(م): تصيب.

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦٥).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾؛ أي: موْتًـا تنقطِـعُ معـه الحيَـاةُ. ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾؛ أي: مـن بعْـد هـذَا العـذَابِ.

قـالَ ابْـنِ السَّـائب: مِـن بعْـدِ الصَّديـد ﴿عَـذَاب غَلِيـظ﴾(١). وقـالَ إبراهِيـمُ التَّيمـيُّ: بعْـد الخلُـود في النَّـار(٢). والغليـظُ: الشَّـدِيدُ(٣).

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾.

قـال الفـرَّاءُ: أضـافَ الْمَثـلَ إليْهِـم، وإنَّـما الْمَثـلُ الأعْـمَالُ(٤)، فالمعْنَـى: مثَلُ أعْـمالِ الَّذيـن كفـروا. ومثْلُـه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمـر: ٦٠]؛ أي: تَـرى وجوهَهُـم(٥).

وجعـلَ العُصـوفَ تابِعًـا لليـوم في إعْرابـه، وإنَّـما العُصـوفُ للرِّيـح، وذلـك جائِـزٌ عـلى جهتَـيْن:

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٣٩).

(٢) أخرجـه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢٢٣٩) (١٢٢٣٩)، وذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٢٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في اج)، و(م): للأعمال.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٧٢- ٧٣).

أحدُهما: أنَّ العُصوفَ، وإن كان للرِّيح، فإنَّ اليومَ يُوصف به؛ لأنَّ الرِّيح فيهِ تكونُ، فجازَ أن يقُول[(١)]: يومٌ عاصِفٌ، كما يقُول[(٢)]: يوْمٌ باردٌ، ويوْمٌ حارٌّ.

والوجهُ الآخر: أنْ تُريد: في يوْم عاصِفِ الرِّيحِ، فتُحذفُ الرِّيحُ؛ لأنَّها قد ذكِرت فِي أوَّل الكلام، كما قالَ الشَّاعر [من الطويل]:

وَيَضْحَكُ[(٣)] عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنَا إِذَا كَانَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّمْسِ كَاسِفُ[(٤)]

يُريد: كاسفَ الشَّمس.

ورُوي عنْ سِيبويه أنَّه قال: في هذِه الآية إضْمارٌ[(٥)]، **والمعْنَى**: ومما نقصُّ عليك مثلُ الَّذين كفروا، ثُمَّ ابتدأ فقالَ: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ وقرأَ النَّخعيُّ، وابنُ يعْمُرَ، والجحْدريُّ: «فِي يوْمِ عاصفٍ» بغير تنوين اليوْم[(٦)].

قالَ الْمُفسِّرونَ: **ومعْنَى الآية**: أنَّ كُلَّ ما يتقرَّبُ بهِ المشركونَ يُحبط ولَا ينْتفِعُون بهِ، كالرَّماد الَّذي سفتْه الرِّيحُ فلا يقدِر على شيْءٍ منه، فهُم

---

(١) في (ج): يكون. وفي (ر)، و(م): تقول.

(٢) في (ر)، و(م): تقول.

(٣) في (ج): وتضحك.

(٤) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٤)، وعجزه في تفسير الطبري (١٦/ ٥٥٤)، والكشف والبيان (١٥/ ٣٦٧)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٤٢).

(٥) الكتاب (١/ ١٤٣)، وانظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٨٠- ١٨١)، ومشكل إعراب القرآن؛ لمكي (١/ ٤٤٧).

(٦) أي: بالإضافة، قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٦٠)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٠).

لا يقدِرُون مما كسبُوا في الدُّنيا علَى شيْءٍ في الآخرة؛ أي: لا يجِدُون ثوابَه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ مِن النَّجاةِ.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ [إبراهيم: ١٩ - ٢٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: ألم تُخبر، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: ألم تعلَمْ، قالَه مُقاتلٌ(١)، وأبو عُبيدةَ(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قالَ الْمُفسِّرونَ: أي: لم يخلقهُنَّ عبثًا، وإنَّما خلقَهُنَّ لأمْرٍ عظيمٍ.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد: يُميتكم يا معْشرَ الكُفَّارِ ويخْلُق قوْمًا غيْرَكُم خيرًا مِنْكُم وأطْوَعَ، وهذَا خِطابٌ لأهْلِ مكَّةَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾؛ أي: بِمُمْتنعٍ مُتعذِّرٍ.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١﴾ [إبراهيم: ٢١].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٣٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

[٤٣٢/أ] قوْلُه تعَالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لفْظُه لفْظُ الْماضِي، ومعْناه الْمُستقبل، والمعنى: خرجوا مِن قبُورهِم يوْمَ البعْث، واجْتمَعَ التَّابعُ والمتْبُوعُ، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ ﴾ وهمُ الأتْباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ ﴾ وهمُ المتبوعون ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هو جمْعُ تابِعٍ، يُقال: تابِعٌ وتَبَعٌ، مثل: غائِبٌ وغيَبٌ، والمعْنَى: تبعْنَاكم فيما دعوْتمُونا إليه(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا ﴾؛ أي: دافِعُون عنَّا ﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ قال القادةُ: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾؛ أي: لو أرْشدنا في الدُّنيا لأرْشدناكم، يريدون: أنَّ الله أضلَّنا فدعوناكُم إلى الضَّلالِ(٢).

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ قالَ ابْنُ زيدٍ: إنَّ أهلَ النَّارِ قالَ بعْضُهم لبعض: تعالَوا نبْكي ونتضرَّع، فإنَّما أدرك أهلُ الجنَّةُ الجنَّةَ ببكائِهم وتضرُّعِهم، فبكوا وتضرَّعُوا، فلمَّا رأوا ذلِك لا ينفعهم، قالوا: تعالوا نصبرْ، فإنَّما أدرك أهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ بالصَّبر، فصبروا صبرًا لم يُرَ مثْلُه قطُّ، فلم ينفعْهُم ذلك، (فعند ذلك)(٣) قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٨).

(٢) ذكره الواحدي بلا نسبة في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

(٣) في (ر)، و(م): فعندها.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٥٩) (٢٠٦٤٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٤) إلى ابن جرير بنحوه.

وروى مالكُ بنُ أنسٍ عن زيدِ بنِ أسلمَ قالَ: جزعُوا مائةَ سنةٍ، وصبرُوا مائةَ سنةٍ[١].

وقالَ مُقاتِلٌ: جزعُوا خمْسمائةِ عامٍ[٢]، وصبروا خمْسمائة عامٍ[٣]. وقد شرحْنا معْنى المْحيص في سورة النِّساءِ [آية: ١٢١].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾ [إبراهيم: ٢٢ - ٢٣].

قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ قالَ المُفسِّرون: يعْني به: إبْليسَ ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾؛ أي: فُرغ منهُ، فدخلَ أهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهْلُ النَّارِ النَّارَ، فحينئذ يجتمِعُ أهْلُ النَّار باللَّومِ على إبْليسَ، فيقُوم فيما بيْنَهُم خطيبًا، ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: وعدكُم كوْنَ هذا اليومِ فصدقكُم ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ أنَّه لا يكون ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ الوعْدَ ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾؛ أي: ما أظْهرتُ لكُم حجَّةً على مَا ادَّعيْتُ.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٠) (١٢٢٤٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

(٢) في (ج)، و(م): سنة.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٣). وفي (ج): سنة.

وقالَ بعْضُهم: ما كنْتُ أملكُكم فأُكرِهكم ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ وهذا مِنَ الاِسْتثناءِ الْمُنقطِعِ، والمعْنَى: لكِن ﴿دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ حيْثُ أجبْتُموني[1] من غير برهانٍ ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾؛ أي: بِمُغيثِكُم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾؛ أي: بِمُغِيثي.

قرَأ حمْزةُ «بِمُصْرِخيِّ» فحرَّكَ الياءَ إلى الكسْرِ، وحرَّكَها الباقون إلى الفتْحِ[2].

قال قُطربٌ: هي لغةٌ في بني يَربُوعٍ، يعْني: قراءةَ حمْزةَ[3].

قالَ اللُّغويُّون: يُقال: اسْتصْرخنِي فُلانٌ فأصْرخْتُه؛ أي: اسْتغاثَنِي فأغَثْتُه.

﴿إِنِّى كَفَرْتُ﴾ اليوم بإشْراككم إيَّاي في الدُّنيا معَ الله عزَّ وجلَّ في الطَّاعة ﴿إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعْني: الْمُشركينَ.

قوْلُه تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: بأمْر ربِّهِم.

وقوْلُه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ قد ذكرْناه في يُونس [آية: ١٠].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) قراءة سبعية، انظر عزوها لحمزة في التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٩).

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَلَمْ تَرَ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ بِإِعْلَامِي إِيَّاكَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا؛ أي: بَيَّنَ شَبَهًا ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[1]. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ أي: طَيِّبَةِ الثَّمَرَةِ، فَتَرَكَ ذِكْرَ الثَّمَرَةِ [٤٣٢/ب] اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

وَفِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[2]، وَقَدْ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[3]، وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ فِي آخَرِينَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، رَوَاهُ أَبُو ظَبْيَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦٧)، (٢٠٦٥٨)، والطبراني في الدعاء (١٥٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٧٢- ٢٧٣) (٢٠٦ من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٦١)، ومسلم حديث رقم (٢٨١١)، والترمذي حديث رقم (٢٨٦٧)، واللفظ عند البخاري: عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟» قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٢) (٢٠٦٩٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٣) (٢٠٦٩٥).

والثَّالث: أنَّها المؤمنُ، وأصْله الثَّابتُ أنَّه[١] يعمَلُ في الأرْضِ ويبْلُغ عملُه السَّماءَ.

وقولُه تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ﴾ فالمُؤمِنُ يذْكُرُ اللهَ كُلَّ ساعةٍ مِنَ النَّهار، رَواه عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾؛ أي: في الأرْضِ ﴿وَفَرْعُهَا﴾: أعْلَاها عالٍ ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: نحوَ السَّماء، وأُكُلُها: ثَمْرتُها[٣].

وفي الحينِ هَاهُنا سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه ثمانيةُ أشْهرٍ، قالَه عليٌّ عليه السَّلام.

والثَّاني: أنَّه[٤] ستَّةُ أشْهرٍ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ الحسَنُ، وعكْرِمةُ، وقتادةُ[٥].

والثَّالث: أنَّه بُكرةً وعشيَّةً، رَواه أبو ظَبْيانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦].

---

(١) ليست في (ج)، و(ف).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٦) (٢٠٧٠٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٥) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) في (ج)، و(ر): ثمرها.

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٨) (٢٠٧١٨- ٢٠٧٢١- ٢٠٧٢٣) عن سعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، وقتادة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٦) (٢٠٧٠٨)، والضياء في المختارة (١٠/ ١٤) من طريق علي بن الجعد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٦- ٧٧) إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

والرَّابع: أنَّه السَّنةُ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[(١)]، وبهِ قالَ مُجاهدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والخامس: أنَّه شهرَانِ، قالَه سعِيدُ بْنُ الْمُسيِّبِ.

والسَّادس: أنَّه غُدْوةً وعشيَّةً وكُلَّ ساعةٍ، قالَه ابْنُ جريرٍ[(٢)].

فمَن قالَ: ثمانِيةَ أشْهُرٍ، أشارَ إلى مُدَّة حمْلها باطِنًا وظاهِرًا، ومَن قالَ: سِتَّةَ أشْهُرٍ، فهي مُدَّةُ حمْلِها إلى حينِ صِرَامِهَا، ومَن قالَ: بُكرةً وعشيَّةً، أشار إلى الاجْتِناءِ منْها، ومَن قالَ: سنَةً، أشار إلى أنَّها لا تحمِلُ في السَّنةِ إلَّا مرَّةً [واحِدَةً][(٣)]، ومَن قالَ: شهرانِ، فهوَ مُدَّةُ صلاحِهَا.

قالَ ابْنُ الْمُسيِّبِ: لا يكونُ في النَّخلةِ أكْلُها إلَّا شهْرَيْنِ[(٤)].

ومَن قالَ: كُلَّ ساعَةٍ، أشارَ إلى أنَّ ثمرتَهَا تُؤكلُ دائِمًا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٠) (٢٠٧٣٠) عن عطاء بن السائب، عن رجل منهم أنَّه سأل ابن عباس، فقال: حلفت ألا أكلم رجلًا حِينًا؟ فقرأ ابن عباس: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾، فالحين سنة.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٢).

(٣) من (ج).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨١) (٢٠٧٣٣)، عن إبراهيم بن ميسرة قالَ: جاء رجل إلى سعيد بن المسيب، فقال: إني حلفت أن لا أكلم فلانًا حينًا؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قال: هي النخلة، لا يكون منها أُكُلُها إلا شَهْرين، فالحين شهران.

قالَ قتادَةُ: يؤكل ثمرُهَا[١] فِي الشِّتَاء والصَّيْفِ[٢].

قالَ ابْنُ جريرٍ: الطَّلْع في الشِّتاءِ مِن أُكُلها، والبَلَحُ والبُسْرُ والرُّطَبُ والتَّمرُ في الصَّيف[٣].

فأمَّا الحكمَةُ في تمثيلِ الإيمانِ بالنَّخلة، فمِن أوْجهٍ:

أحدُها: أنَّهَا شديدةُ الثُّبوتِ، فشبَّه ثباتَ الإيمانِ في قلْبِ الْمُؤمنِ بثَباتِهَا.

والثَّاني: أنَّهَا شديدةُ الإرْتفاعِ، فشبَّه ارْتفاعَ عمَلِ الْمُؤمنِ بارْتفاع فرُوعِها.

والثَّالث: أنَّ ثمرتَهَا تأتي في كُلِّ حينٍ فشبَّه مَا يكتَسِبُ[٤] الْمؤمنُ مِن بركةِ الإيمانِ وثَوابِه في كُلِّ وقْتٍ بثمرتِهَا الْمُجتناةِ في كلِّ حينٍ، على اخْتلافِ صُنوفها، فالْمؤمنُ كلَّما قال: لَا إلهَ إلَّا اللهُ، صعدتْ إلى السَّماء، ثُمَّ جاءَه خيْرُها ومنفعَتُها.

والرَّابع: أنَّها أشْبهُ الشَّجرِ بالإنْسانِ، فإنَّ كُلَّ شجرةٍ يُقطع رأسُها تتشعَّبُ غُصونُها مِن جوانبِهَا، إلَّا هِيَ، إذا قُطع رأسُهَا يبِسَتْ، ولأنَّهَا لا تحمِلُ حتَّى تلقَّحَ، ولأنَّها فضلةُ تُربةِ آدمَ عليه السلام فيما يُروى[٥].

---

(١) في (ج)، و(ر): تؤكل ثمرتها.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٢) (٢٠٧٣٤)، عن معمر، عن قتادة: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قال: يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٢).

(٤) في (ج)، و(ر): يكسب، وفي (ف): كسب.

(٥) يشير المصنف لحديث علي ﷺ، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها=

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هيَ الشِّرْكُ[١]. [٤٣٣/أ]

وقوْلُه تعَالى: ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ فيهَا خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الحنظَلةُ، رَواه أنسُ بْنُ مالِكٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ[٢]، وبهِ قالَ أنَسٌ، ومُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّها الكافِرُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

=مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطبا فتمرًا»، أخرجه أبو يعلى (٤٥٥)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ٤٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٣)، وفي إسناده مسرور بن سعيد. قال ابن الجوزي: لا يصح، مسرور بن سعيد منكر الحديث.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٩)، والطبري (١٦/ ٥٨٥) من طريق حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس بن مالك به مرفوعًا، قال الترمذي: روى غير واحد مثل هذا موقوفًا، ولا نعلم أحدًا رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد ولم يرفعوه. أ.هـ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٨) (٢٠٧٥٥) عن علي، عن ابن عباس قال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، وهي الشرك ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، يعني الكافر. قال: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾، يقول: الشرك ليس له أصلٌ، يأخذ به الكافرُ ولا برهانٌ، ولا يقبل الله مع الشرك عملًا.

وروى العوفيُّ عنه أنَّه قالَ: الكافِرُ لا يُقبل عملُه، ولا يصْعدُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، فليس له أصْلٌ في الأرْضِ ثابتٌ، ولا فرْعٌ في السَّماءِ[١].

والثَّالث: أنَّها الكَشُوثَى[٢] رواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

والرَّابع: أنَّه مثَلٌ، وليْسَتْ شَجَرةً[٤] مخْلُوقةً، رواه أبو ظَبْيانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والخامس: أنَّها الثُّومُ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

قوْله تعَالى: ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: اسْتُؤصلَتْ وقُطعَتْ[٥]. قالَ الزَّجَّاجُ: ومعْنى اجْتُثَّتِ الشَّيء في اللُّغة: أُخذتْ جُثَّته بكَمالِهَا[٦].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: مَا لَهَا مِن أصْلٍ، لم تَضرِبْ في الأرْضِ عِرقًا.

والثَّاني: مَا لَهَا مِن ثبَاتٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير (١٦/ ٥٨٦) (٢٠٧٥٠).

(٢) الكَشُوثَى: نبت يتعلق بالأغصان، ولا عرق له في الأرض. انظر: القاموس المحيط مادة: (ك ش ث).

(٣) أخرجه الطبري تفسيره (١٥/ ١١٥)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٨٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٦٩).

(٤) في (ج)، و(ر)، و(م): بشجرة.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦١).

ومعْنَى تَشْبيهِ الكافِرِ بِهذِه الشَّجرةِ أنَّه لا يصْعدُ للكافِرِ عمَلٌ صالِحٌ، ولَا قوْلٌ طيِّبٌ، ولَا لقوْلِه أصْلٌ ثابتٌ.

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾؛ أي: يُثبّتهُم علَى الحقِّ بالقوْلِ الثَّابتِ، وهوَ[1] شهادَةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّ الحياةَ الدُّنيا: زمَانُ الحياةِ علَى وجْهِ الأرْضِ، والآخِرَةَ: زمَانُ الْمُساءلَةِ فِي القبْرِ، وإلى هذا المعْنَى ذهَب البَراءُ بْنُ عازبٍ، وفيهِ أحاديثُ تُعضِّدُه.

والثَّاني: أنَّ الحياةَ الدنيا: زَمنُ السُّؤالِ في القبر، والآخرةَ: السُّؤالُ في القيامَةِ، وإلى هذا المعْنَى ذهَب طاووسٌ، وقتادَةُ.

قالَ الْمُفسِّرون: هذِه الآيةُ وردَتْ في فتْنةِ القبرِ، وسؤَالِ الملَكيْنِ، وتلقِينِ اللهِ سبحانَه وتعَالى للمُؤمنِين كلمةَ الحقِّ عند السُّؤال، وتثْبيتِه إيَّاه علَى الحقِّ.

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعْنِي: الْمُشركين، يُضلّهم عن هذِه الكلمَةِ. ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ مِن هدايةِ الْمُؤمنِ وإضْلالِ الكافر.

---

(١) في (ف): وهو قوله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾.

في الْمُشار إليْهم سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّهُم الأفجرَانِ مِن قُريش: بنو أميةَ، وبنو الْمُغيرةِ، رُوي[1] عنْ عُمرَ بْنِ الخطَّابِ، وعليِّ بْنِ أبي طالِبٍ عليهما السلام.

والثَّاني: أنَّهم مُنافقو قُريشٍ، رَواه أبو الطُّفيل عن عليٍّ عليه السلام[2].

والثَّالث: بنُو أُميَّةَ، وبنُو الْمُغيرةِ، ورُؤساءُ أهْل بدْرٍ الَّذين ساقُوا أهْلَ بدْرٍ إلى بدْرٍ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أهْل مكَّةَ، رَواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ.

والخامس: الْمُشركون مِن أهل بدْرٍ، قاله مُجاهدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والسَّادس: أنَّهم الَّذين قُتلوا ببدْرٍ مِن كُفَّارِ قُريشٍ، قالَه[3] سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وأبو مالِكٍ.

والسَّابع: أنَّها عامَّةٌ في جميع الْمُشركينَ، قالَه الحسَنُ.

---

(١) في (ف): وروي.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٠٢)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٧) من طريق شعبة به، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٥) من طريق أبي الطفيل علي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٤) إلى ابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه.

(٣) في (ف): رواه.

قَالَ الْمُفسِّرون: تبدِيلُهم[١] نعمَةَ اللهِ [كفرًا][٢]، أنَّ اللهَ أنْعم عليْهم برسُولِه، وأسْكنَهُم حرمَهُ، فكفَرُوا باللهِ وبرسولِه، ودعوا قومَهم إلى الكُفر به، [٤٣٣/ ب] فذلِك قوْلُه تعالى: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾؛ أي: الهلاك.

ثُمَّ فسَّر[٣] الدَّارَ بقوْلِه: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾[إبراهيم: ٢٩]؛ أي: يُقاسُون حرَّها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[إبراهيم: ٢٩]؛ أي: بئس المَقرُّ هِي.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾[إبراهيم: ٣٠].

قوْلُه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قد بينَّاه في [سورة][٤] البقرة [آية: ٢٢]، واللَّام في «لِيضلُّوا» لامُ العاقبةِ[٥]، وقد سبَق شرْحُها [يونس: ٨٨]، ومَن قرَأَ «ليُضلُّوا» بضَمِّ الياءِ[٦]، أراد: لِيُضلُّوا النَّاسَ عن دينِ اللهِ سبحانه وتعالى.

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾؛ أي: في حياتِكُمُ الدُّنيا، وهذا وعِيدٌ لهم.

---

(١) في سائر النسخ: وتبديلهم.

(٢) من (ر)، و(م).

(٣) في (ج): فسروا.

(٤) من (ف)، و(م).

(٥) هي التي يسميها الكوفيون لام الصيرورة: هذه اللام ناصبة لما تدخل عليه من الأفعال بإضمار أن، والمنصوب بعدها بتقدير اسم مخفوض، وهي ملتبسة بلام المفعول من أجله، وليست بها، وذلك قولك: أعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فأدعمه بها، وأنت لم ترد ميل الحائط ولا أعددتها للميل؛ لأنه ليس من بغيتك وإرادتك ولكن أعددتها خوفًا من أن يميل فتدعمه بها واللام دالة على العاقبة.

(٦) قراءة الضم والفتح قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

قَـالَ ابْـنُ عبَّاسٍ: لو كانَ الكافِـرُ مريضًا لا ينَامُ، جائعًا لا يـأكُلُ ولا يشْربُ، لَـكانَ هـذَا نعيـمًا يتمتَّـعُ بـهِ بالقِيـاسِ إلى مـا يصِيرُ إليْـهِ مِـنَ العـذابِ، ولـو كان الْمُؤمـنُ في أنْعـمِ عيْشٍ، لَـكان بُؤسًـا عندما يصِيـر إليه مِـنْ نعيم الآخِـرَة[1].

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣١ - ٣٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أسْـكنَ ابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسـائيُّ يـاءَ «عِبَـادِيْ»[2].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قَـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: معْنـاهُ: قُـل لِعبـادِي: أقِيمُـوا الصَّـلاةَ وأنفِقـوا، يُقيمـوا ويُنفقـوا، فحُـذف الأمْـران، وتُـرك الجَوابـانِ[3]، قَـال الشَّـاعر [مِـن المتقـارب]:

فَـأَيّ امْـرِئٍ أَنْـتَ أَيّ امْـرِئٍ ... إِذَا قِيـلَ فِي الْحَـرْبِ مَـنْ يُقْـدِمُ[4]

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٧٧).

(٤) البيـت للكميـت بـن زيـد الأسـدي في المعـاني الكبـير؛ لابـن قتيبـة (١/ ٤١٩)، والأزمنـة=

أرَادَ: إذا قِيل: مَن يُقدم؛ يُقدم[١].

ويجُوز أنْ يكُونَ المْعْنَى: قُل لعِبَادي: أقِيمُوا الصلاة، وأنْفِقوا، فصُرف عن لفْظِ الأمْرِ إلى لفْظِ الخبَرِ، ويجُوز أن يكُونَ المعْنَى: قُل لهُم: لِيقيمُوا الصَّلاة، ولِينفقُوا، فحُذفت[٢] لامُ الأمْر؛ لِدلالةِ «قُلْ» عليْهَا[٣].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والخِلالُ مصْدرُ خالَلْتُ فُلانًا خلالًا ومُخالَّةً، والاِسْمُ الخُلَّة، وهيَ الصَّداقةُ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾؛ أي: ذللَّهَا، تجري حيْث تُريدون، وتركبُون فيهَا حيث تشَاؤُونَ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لِتنتفعوا بِهما وتَستَضِيئُوا بضوْئِهِما ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ في إصْلاح ما يُصلحَانِه مِنَ النَّباتِ وغيرِه، لا يفتُرانِ.

ومعْنَى الدُّؤوب: مرُور الشَّيءِ في العمَلِ على عادةٍ جاريةٍ فيهِ. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لِتسْكُنوا فيه؛ راحةً لِأبْدانِكم ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لِتنتفِعُوا بمعاشِكُم، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾.

=والأمكنة (ص: ٤٩٠)، ولكن رواية العجز فيهما: إذا الزجر لم يَستَدِرّ الزّجورا.

(١) في (م): تقدم.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(ر): فحذف.

(٣) انظر: البيان في غريب الإعراب؛ لابن الأنباري (٢/ ٥٩)، والإملاء؛ للعكبري (٢/ ٦٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

وفيهِ خمسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: مِن كُلِّ الَّذي سألْتمُوه، قالَهُ الحسَنُ، وعكرِمَةُ.

والثَّاني: مِن كُلِّ مَا سألْتموه، [لوْ سألْتموه][(١)]، قالَه الفرَّاءُ[(٢)].

والثَّالث: وآتاكُم مِن كُلِّ شيْءٍ سألْتمُوه شيْئًا، فأضمَر الشَّيءَ؛ كقوْلِه: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ أي: مِن كُلِّ شيْءٍ فِي زمانِهَا شيْئًا، قالَه الأخْفشُ[(٣)].

والرَّابع: مِن كُلِّ ما سألْتمُوه، وما لم تَسْألُوه؛ لأنَّكم لم تسألُوا شمسًا ولا قمرًا ولا كثيرًا مِن النِّعَم الَّتي ابْتدأكم بِهَا، فاكْتفي بالأوَّلِ مِنَ الثَّاني؛ كقولِه: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] قالَه ابْنُ الأنْبارِيِّ[(٤)].

والخامس: علَى قِراءة ابْن مسْعُودٍ، وأبِي رَزِين، والحسَنِ، وعِكرِمَةَ، وقتادَةَ، وأبان عنْ عاصِمٍ، وأبي حاتمٍ عن يعْقُوبَ: «مِن كلٍّ مَا» بالتَّنوينِ مِن غيرِ إضَافةٍ[(٥)]،

[٤٣٤/أ] فالمعْنَى: آتاكم مِن كُلٍّ مَا لم تسْألُوه، قالَه قتادةُ، والضَّحَّاكُ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ، إلا أن في (م): سألتوه، بدل: سألتموه.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٧٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠٨).

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٢).

(٥) قراءة شاذة، رواها محمد بن إسحاق المسيبي عن أبيه عن نافع، كما في جامع البيان (٣/ ١٢٥٨)، وليست من طرق التيسير ولا النشر، وعزاها في المحتسب (١/ ٣٦٣) إلى ابن عبَّاس والحسن والضَّحاك، وزاد الثعلبي (١٥/ ٣٩٦) سلامًا، والكل في البحر المحيط (٦/ ٤٤٠).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنعامَـهُ ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا نُطِيقـوا الإِتْيـانَ عـلَى جميعِهَـا بالعـدِّ لِكثْرتِهَـا. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد أبـا جهْـلٍ[١].

وقالَ الزَّجَّاج: الإنْسانُ اسْمٌ للجنْسِ[٢] يُقصد بِهِ الكافِرُ خاصَّةً[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ الظَّلُـوم هَاهُنـا: الشَّـاكرُ غـيْرَ مَـنْ أَنعَـمَ عليـه، والكَفَّـارُ: الجحُـودُ لِنعَـمِ اللهِ تعـالى.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ قـد سبَق تفْسيرُه في [سـورة][٤] البقـرةِ [آيـة: ١٢٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾؛ أي: جنِّبنـي وإيَّاهـم، والمعْنـى: ثبِّتْنِـي عـلَى اجْتِنـابِ عبادتِهَـا. ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعْنِـي: الأصْنـامَ، وهـيَ لَا تُوصـف بالإضْـلالِ ولَا بالفعْـلِ، ولكنَّهـم لَمَّـا ضلُّـوا بسـببهَا، كانَـتْ كأنَّهَـا أضلَّتهـم.

﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾؛ أي: عـلى دِينـي التَّوحيـد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾؛ أي: فهـو عـلى ملَّتِـي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيـهِ ثلاثَـةُ أقْـوالٍ:

أحدُها: ومَن عصَانِي ثُم تابَ فإنَّك غفورٌ رحيمٌ، قالَه السُّدِّيُّ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٢).

(٢) في (ف): الجنس.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٤).

(٤) من (م).

والثَّاني: ومَن عصَاني فيما دُون الشِّرْكِ، قالَه مُقاتِلُ بْنُ حيَّان.

والثَّالث: ومَن عصاني فكفَر فإنَّك غفورٌ رحيمٌ أنْ تتوبَ عليْه فتهديَه إلى التَّوْحيدِ، قالَه مُقاتلُ بْنُ سُليمانَ[1].

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: يُحتمل أن يكونَ دعا بِهذَا قبْلَ أنْ يُعلمَه اللهُ تعَالى أنَّه لا يغْفِر الشِّرْكَ كما اسْتغْفَر لِأبيهِ[2].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قوْله تعَالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ في «مِنْ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها للتَّبْعيضِ، قالَه الأخْفَشُ[3]، والفرَّاءُ[4].

والثَّاني: أنَّها للتَّوْكيدِ، والمعْنَى: أسكنْتُ ذرِّيتي، ذكرَه ابْنُ الأنْباريِّ[5].

قوْلُه تعَالى: ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ يعْني: مكَّةَ، ولم يكُن فيها حرْثٌ ولا ماءٌ. ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ إنَّما سُمِّي مُحرَّمًا؛ لأنَّه يحْرُم اسْتحْلَالُ حُرْمتِه[6]

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠٨).

(٤) معاني القرآن (٧٨).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٧).

(٦) في (ج)، و(ف): حرماته، وفي (م): محرماته.

والإسْتِخْفافُ[١] بحقِّه.

فإنْ قيلَ: ما وجهُ قوْلِه تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ ولم يكُنْ هُناك بيْتٌ حينئذٍ، إنَّما بَناه إبْراهِيمُ عليه السَّلام بعد ذلِك بِمُدَّةٍ؟

فالجوَابُ مِن ثَلاثةِ وُجُوهٍ[٢]:

أحدُها: أنَّ اللهَ تعالى حرَّم موضِعَ البيْتِ منْذ خلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: عند بيْتِك الَّذي كان قبْلَ أنْ يُرفعَ أيَّامَ الطُّوفانِ.

والثَّالث: عند بيْتِك الَّذي قد جرَى في سابقِ علْمِكَ أنَّه يحدُث هاهُنا، ذكرَهُما ابْنُ جريرٍ[٣].

وكانَ أبو سُليمانَ الدِّمَشقيُّ يقُولُ: ظاهِرُ الكلامِ يدُلُّ علَى أنَّ هذا الدُّعاءَ إنَّما كانَ بعْدَ أنْ بُنِي البيتُ وصارتْ مكَّةُ بلدًا. والْمُفسِّرُون على خلافِ ما قالَ.

ورَوى ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ: أنَّ إبْراهيمَ عليه السلام خرَجَ مِنَ الشَّامِ ومعَهُ ابْنُه إسْماعيلُ وأمُّه هاجَرُ ومعَهُ جبْرِيلُ عليه السلام، حتَّى قدِم مكَّةَ، وبِها ناسٌ يُقالُ لهُم: العَمالِيقُ، خارجًا مِنْ مكَّةَ، والبيْتُ

---

(١) في (ف): واستخفاف.

(٢) في (ج): أوجه.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٢٤).

يومَئذٍ رَبْوةٌ حمْراءُ، فقالَ إبْراهيمُ لجِبريلَ عليه السلام: هَاهُنا[١] أُمِرْتُ أنْ أضَعهُما؟ قالَ: نعَمْ! فأنزَلَهما[٢] في مكانٍ مِن الحِجْرِ، وأمَرَ هاجَرَ أنْ تتَّخِذَ فيهِ عَريشًا، ثُمَّ قالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾... الآيةَ[٣].

وفتَح أهْلُ الحجَازِ، وأبو عمْرٍو ياءَ «إِنِّيَ أسْكَنْتُ»[٤]. [٤٣٤/ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في متعلَّق هذِه اللَّامِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها تتعلَّق بقوْلِه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ **فالمْعْنى**: جنِّبْهُم الأصْنَامَ ليقيمُوا الصَّلاةَ، هذا قوْلُ مُقاتِلٍ[٥].

والثَّاني: أنَّها تتعلَّقُ بقوْلِه: ﴿أَسۡكَنتُ﴾ **فالمْعْنَى**: أسكَنْتُهم عنْدَ بيْتِك لِيقِيمُوا الصَّلاةَ؛ لأنَّ البيْتَ[٦] قِبلةُ الصَّلواتِ، ذكَرَه الْماورديُّ[٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: قلُوبَ جماعةٍ مِنَ النَّاسِ، [قالَه الأكْثَرُون][٨].

---

(١) في (ف)، و(م): أهاهنا.

(٢) في (ف): فابن لهما.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٢) (٢٠٤٨)، والأزرقي في أخبار مكة (١/ ٢١- ٢٢) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٥)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨).

(٦) في (ر)، و(م): بيتك.

(٧) النكت والعيون (٣/ ١٣٨).

(٨) من (ج).

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: وإنَّما عبَّرَ عنِ القُلوبِ بالأفئِدَةِ؛ لِقُرْبِ القلْبِ مِنَ الفُؤادِ ومُجاورتِه[١]، قالَ امْرُؤُ القيس [من المتقارب]:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفُؤَادَ غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ[٢]

وقالَ الآخَر[٣] [من الطويل]:

كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ جَنَاحَ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وِكْرِ[٤]

وقالَ الآخَرُ[٥] [من الطويل]:

وَإِنَّ فُؤَادًا قَادَنِي لِصَبَابَةٍ إِلَيْكِ عَلَى طُولِ الْهَوَى لَصَبُورُ[٦]

يعْنُون بالفُؤاد: القلْبَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.

(١) انظر قول ابن الأنباري في تفسير الخازن (٣/ ٤١).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ١٠٥)، وأشعار الستة الجاهليين (ص: ٢٠)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٠٣)، والمقاصد النحوية (١/ ١٦٥).

(٣) في (ف)، و(م): آخر.

(٤) البيت ليحيى بن طالب الحنفي في أمالي القالي (١/ ١٢٣)، والحماسة البصرية (٢/ ١٣٦)، والتذكرة الحمدونية (٦/ ٧١).

(٥) في (ج)، و(م): آخر.

(٦) البيت بلا نسبة في النكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٣٨).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: تحِنُّ إليْهِم[١]. وقَالَ قتَادَةُ: تنْزِعُ إليهِم[٢]. وقَالَ الفرَّاء[٣]: تُريدُهم، كما تقُول: رأيْتُ فلانًا يهْوِي نَحْوك؛ أي: يُريدك[٤].

وقرَأ بعْضُهم: «تَهْوَى إلَيْهِم» بمعنى: تَهْوَاهُم[٥]؛ كقوْلِه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]؛ أي: ردِفكُم «وإلى» توكيدٌ للكلامِ.

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: ﴿تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ تنْحطُّ إليهِم وتنْحَدِر[٦].

وفي معْنى هذا المْيْل إليهم[٧] قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه الميْلُ إلى الحجِّ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّه حُبُّ سُكْنَى مكَّةَ، رَواه عطيَّة عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٨].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٩) من رواية عطاء عن ابن عبَّاس، بلفظ: يريد تحِنُّ إليهم زيارة بيتك.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦) عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور في الدر المنثور (٤/ ٨٧) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٣) في (ج): وقال ابن الأنباري.

(٤) معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٨).

(٥) قراءة شاذة، انظر عزوها في معاني القرآن (٣/ ٥٣٦)؛ للنحاس إلى مجاهد.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٩) بلا نسبة.

(٧) ليست في سائر النسخ.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦)، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال: إن إبراهيم خليل الرحمن سأل الله أن يجعل أناسًا من الناس يَهْوون سكنى أو سَكْن مكة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٧) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

ورَوى سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: لو كانَ إبْراهِيمُ قالَ: فاجْعلْ أفْئدةَ النَّاسِ تَهْوي إليْهِم، لحَجَّهُ اليهودُ والنَّصارى، ولكنَّه قالَ: مِنَ النَّاسِ(١).

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ [إبراهيم: ٣٨].

قوْلُه تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي﴾ قالَ أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: ما نُخْفي مِن الوجْدِ بمفارقةِ(٢) إسْماعيلَ، وما نُعلن مِنَ الحبِّ له(٣).

قالَ الْمُفسِّرونَ: إنَّما قالَ هذا لَمَّا نزَلَ إسْماعيلُ الحرَمَ، وأرَادَ فِراقَهُ.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ [إبراهيم: ٣٩ - ٤٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾؛ أي: بعْدَ الكِبَرِ ﴿إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وُلِد له إسْماعِيلُ وهوَ ابْنُ تسْعٍ وتسْعِينَ سنةً(٤)، ووُلِد له إسْحاقُ وهوَ ابْنُ مائةٍ واثْنَتي عشْرَةَ سنةً(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦) عن عطاء بن السَّائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس. وأخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٤٣٨) (٣٩٩٦) من طريق عطاء.

(٢) في (ف): من مفارقة.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٠٣).

(٤) ليست في (م).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٠٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٩٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، وحمْزةُ، وهُبيرةُ عنْ حفْصٍ عنْ عاصِمٍ: «وتَقَبَّلْ دُعَائِي» بياء في الوصل. وقالَ البزّي عنِ ابْنِ كثِيرٍ: يصِل ويقِفُ بياءٍ. وقالَ قُنبل عنِ ابْنِ كثِيرٍ: يشمُّ الياءَ في الوصْل، ولا يُثْبتها، ويقِفُ عليْهَا بالألِف البَاقُون «دعَاءِ» بغيْر ياءٍ في الحالَيْنِ[1].

قالَ أبو عليٍّ: الوقْفُ والوصْلُ بياءٍ هوَ القياسُ، والإِشْمامُ جائِزٌ؛ لِدلالةِ الكسْرةِ علَى الياءِ[2].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: استَغْفر لأبويْهِ وهمَا حيَّانِ، طمَعًا في أنْ يهديَا إلى الإسْلام[3]. وقيل: أراد بوالِدَيْهِ: آدمَ، وحوَّاءَ. [٤٣٥/أ]

وقرَأ ابْنُ مسْعودٍ، وأُبَيٌّ، النَّخعيُّ، والزُّهريُّ: «وَلِوَلَدَيَّ» يعْني: إسْماعِيلَ وإسْحاقَ، يدلُّ عليهِ ذكْرُهُما قبْلَ ذلِك. وقرَأَ مُجاهِدٌ: «ولِوَالِدِي»

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٥)، وحاصل طرق التيسير أن هذه الكلمة ثلاث قراءات؛ **الأولى**: قراءة الجمهور بكسر الهمز وحذف الياء وصْلًا ووقفًا، وهي لابن عامر وعاصم والكسائي ونافع من رواية قالون، وابن كثير من رواية قنبل، **والثانية**: إثبات الياء وصْلًا ووقفًا، وهي لحمزة وأبي عمرو وورش عن نافع، **والثالثة**: بإثباتها في الحالين، وهي للبزي عن ابن كثير.

(٢) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٤-٣٥)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٩٢- ٤٩٣).

علَى التَّوْحيدِ. وقرَأَ عاصِمٌ الجحْدَرِيُّ: «ولوُلْدِي» بضمِّ الواوِ. وقرَأَ يَحْيى ابْنُ يعْمُرَ، والجُونيُّ: «ولِوَلَدِي» بفتْحِ الواوِ وكسْرِ الدَّالِ علَى التَّوحيدِ[1].

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾؛ أي: يُظهِر الجزاءَ[2] علَى الأعْمالِ. وقيلَ: معْنَاه: يوْمَ يقُوم النَّاسُ للحِساب، فاكْتَفى بذكْرِ الحسَابِ مِن ذكْرِ النَّاسِ؛ إذ كانَ المْعْنَى مفهُومًا.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هذَا وعِيدٌ للظَّالِمِ، وتعزيةٌ للمظْلُومِ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ وقرَأَ أبو عبْدِ الرَّحمن السُّلميُّ، وأبو رَزِينٍ، وقتادَةُ: «نُؤخِّرُهم» بالنُّون[4]؛ أي: نُؤخِّر[5] جزاءَهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ

---

(١) كلها شاذة، انظر عزوها في: المحتسب (١/ ٣٦٥)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٢)، والكامل (ص: ٢٠٨).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨- ٢٩)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٦٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣- ٨٤) عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال: هي وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

(٤) قراءة شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٦٢) إلى الحسن وقتادة والسلمي، وعباس عن أبي عمرو والمفضل عن عاصم، وعن سعيد بن جبير (يؤخرْهم) بسكون الراء.

(٥) في (م): يؤخر.

فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: تشْخصُ أبْصارُ الخلائقِ لِظُهور الأحْوال فلا تغتمضُ.

قوْلُه تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّ الإهْطاعَ: النَّظرُ مِن غيْرِ أنْ يطْرُفَ النَّاظرُ، رواهُ العوْفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وأبو الضُّحَى.

والثَّاني: أنَّه الإسْرَاعُ، قالَه الحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وأبو عُبيدةَ(٢).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: أهْطَعَ(٣) البَعِيرُ فِي سَيْرِه، واسْتَهْطَعَ؛ إذَا أسْرَعَ(٤).

وفِي مَا أسْرَعُوا إليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: إلى الدَّاعِي، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: إلى النَّار، قالَه مُقاتِلٌ(٥).

والثَّالث: أنَّ الْمُهطعَ الَّذي لا يرْفَع رأسَه، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدهما: رَافعِي رُؤُوسِهِم، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٦)، وبه قالَ مُجاهِدٌ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩)، وعزاه السوطي في الدر المنثور (٦/ ١٣٤) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن ابن عبَّاس.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٤٣).

(٣) في (ف): هطع.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٠)

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣١-٣٢).

وسعيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وأَبُو عُبيدَةَ، وأنْشَد أبو عُبيدة[١] [من الرجز]:

أَنْغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ فَأَقْنَعَا[٢]

كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَطْمَعَا[٣]

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الْمُقنِعُ رأسَه: الَّذي رفعَه وأقبلَ بطرفِه علَى ما بيْنَ يدَيْهِ[٤].

وقالَ الزَّجَّاجُ: رافِعي رُؤوسِهم، مُلتصِقةً بأعْناقِهم. و ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ نُصب على الحالِ، المعْنَى: ليومٍ تشْخصُ فيهِ أبْصارُهُم مُهطِعينَ[٥].

والثَّاني: نَاكِسِي رُؤُوسِهم، حكَاهُ الْماوردِيُّ عنِ الْمُؤرج[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾؛ أي: لا يرْجِعُ[٧] إليْهم أبْصارُهُم مِن شدَّةِ النَّظرِ، فهِيَ شَاخِصةٌ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٤).

(٢) في سائر النسخ: وأقنعا.

(٣) الرجز بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٤٤)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٤٠٨)، وحياة الحيوان (٢/ ٤٩٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٥- ١٦٦).

(٦) النكت والعيون (٣/ ١٤٠).

(٧) في (م): ترجع.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والْمَعْنى: أنَّ نظرَهُم إلى شيْءٍ واحِدٍ[١]. وقالَ الحسَنُ: وجُوه النَّاسِ يوْمَ القِيامةِ إلى السَّماءِ، لا ينْظُر أحَدٌ إلى أحَدٍ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ الأفئِدَةُ: مسَاكنُ القُلُوبِ.

وفِي معْنَى الكلَامِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ القُلوبَ خرَجَتْ مِن مواضعِهَا فصَارتْ في الحنَاجرِ، رَواهُ عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

وقالَ قتادَةُ: خرَجَتْ مِن صُدورِهِم فنَشَبَتْ فِي حُلوقِهِم، فأفئِدَتُهُم هواءٌ ليْسَ فيهَا شَيْءٌ[٤].

[٤٣٥/ب] **والثَّاني:** وأَفْئِدتُهُم ليْس فيهَا شيْءٌ مِنَ الخَيْرِ، فهِي كالخرِبَةِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّالث: وأفْئِدتُهم مُنخَرِقَةٌ[٦] لَا تعِي شيْئًا، قالَه مُرَّةُ بْنُ شَراحِيلَ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٢)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٥٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٠٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٠٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٠١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٤٣)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣٤) عن معمر عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٨) إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٣).

(٦) في (م): مُتخرِّقة.

وقالَ الزَّجَّاجُ: مُتخرِّقةٌ[١] لَا تعِي شيْئًا مِنَ الخوْفِ[٢].

والرّابع: وأفئِدتُهُم جوْفٌ لا عُقولَ لَها[٣]، قالَه أبو عُبيدةَ[٤]، وأنشد لِحسّانَ [من الوافر]:

أَلا أَبلِغْ أَبا سُفيَانَ عَنِّي ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[٥]

فعلَى هذَا يكُون المْعْنَى: أنّ[٦] قُلوبَهُم خلَتْ عنِ العُقولِ، لَمَّا رَأَوْا مِنَ الهَوْلِ. والعَربُ تُسمِّي كُلَّ أجْوفَ خاوٍ: هوَاءً.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ويُقال: أفئدتُهم مَنْخُوبةٌ مِنَ الخوْفِ والجُبْنِ[٧].

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾؛ أي: خوِّفْهُم ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ يعْنِي بهِ: يوْمَ القيامَةِ؛ وإنَّما خصَّه بذكْرِ العذَابِ، وإنْ كان فيهِ ثَوابٌ؛ لأنَّ الكلامَ

(١) الذي في معاني الزجّاج المطبوع: منحرفة.
(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٦).
(٣) ليست في (ج)، و(ف).
(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٤٤).
(٥) البيت لحسان في مجاز القرآن (١/ ٣٤٤)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٥٤١)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٤٠٩).
(٦) ليست في (ج)، و(ف).
(٧) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

خرج مخرجَ التَّهديدِ للعُصاةِ، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد بالنَّاس هاهُنا: أهْلَ مكَّةَ[١].

قوْلُه تعالى: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: أشْرَكُوا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: أمْهِلْنا[٢] مُدَّةً يسيرةً.

وقالَ مُقاتِلٌ: سألُوا الرُّجوعَ إلى الدُّنْيا؛ لأنَّ الخُروجَ مِنَ الدُّنْيا قريبٌ[٣]. ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ يعْنِي: التَّوْحيدَ، فيُقالُ[٤] لهُم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: حلَفْتُم في الدُّنْيا أنَّكُم لا تُبعثُونَ ولا تنْتَقِلُونَ مِنَ الدُّنيا إلى الآخِرَةِ.

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: ٤٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: نزَلْتُم في أمَاكِنِهم وقُراهُم؛ كالحِجْرِ ومدْيَنَ، والقُرى الَّتي عُذِّب أهْلُها. ومعْنَى ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ [أي][٥]: ضَرُّوها[٦] بالكُفْرِ والمَعْصِيةِ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٥)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٥)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٠٤)

(٢) في (ج): مهلنا.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٠).

(٤) في (ف): فقال.

(٥) من (م).

(٦) في (ج): صيروها.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيُّ، وأبو الْمُتوكِّل النَّاجِي: «وتُبُيِّنَ» بضمِّ التَّاء[1]. ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يعني: كيفَ عذَّبناهُم، (يقُول: فكان)[2] ينبَغِي لكُم أنْ تنزَجِرُوا عنِ الْمُخالفةِ اعْتبارًا بمساكِنِهم بعْدَما علِمْتُم فعْلَنا بِهِم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُريد الأمْثالَ الَّتي فِي القُرآنِ[3].

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦ - ٤٧].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾.

فِي الْمُشار إليْهم أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه نَمْرودُ الَّذي حاجَّ إبْراهِيم فِي ربِّه.

قالَ: لَا أنْتهِي حتَّى أنْظُرَ إلى السَّماءِ، فأمَر بِفرْخَيْ نَسْرٍ فرُبِّيَا حتَّى سَمِنَا واسْتَعْلَجَا، ثُمَّ أمَر بِتابُوتٍ فنُحِتَ، ثُمَّ جعَلَ في وسَطِهِ خشَبةً، وجعَل على

(١) قراءة شاذة، والرواية عن السلمي: (وبُينَّ) الرفع من بين، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٦)، وعزاها ابن عطية في تفسيره (٥/ ٦٨١) إلى السلمي بنون عظمة مضمومة وجزم (ونُبَيِّنْ)، وانظر أيضًا: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٩)، والبحر المحيط (٥/ ٤٣٦).

(٢) في (ج): وكان.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٠٥).

رأسِ الخشَبةِ لحمًا شديدَ الحُمْرةِ، ثُمَّ جوَّعهُما وربطَ أرْجُلَهُما بأوْتارٍ إلى قوائِمِ التَّابوتِ، ودخلَ هوَ وصاحِبٌ له في التَّابوتِ وأغْلَق بابَه، ثُمَّ أرْسَلَهُما، فجعَلا يُريدَانِ اللَّحْمَ، فصَعِدَا في السَّماءِ مَا شاءَ اللهُ، ثُمَّ قالَ لِصاحبِه: افْتحْ وانْظُر ماذا تَرَى؟ ففتَحَ، فقَال: أرى الأرْضَ كأنَّها الدُّخانُ، فقَالَ له: أغْلِقْ، ثُمَّ صعِدَ مَا شاءَ اللهُ، ثُمَّ قالَ لَه[1]: افْتحْ [فانْظُر][2]، ففتَحَ، فقَالَ: ما أرَى إلَّا السَّماءَ، ومَا نَزْدادُ منْها إلَّا بُعْدًا، قالَ: فصوِّبْ خشَبتَك، فصوَّبَها، فانْقَضَّتِ النُّسورُ تُريدُ اللَّحمَ، فسَمِعَتِ الجبالُ هَدَّتَها، فكادَتْ تَزُولُ عنْ مراتِبِها، هذا قوْلُ عليِّ بنِ أبي طَالبٍ عليه السَّلام[3]. [٤٣٦/أ]

وفي رِوايةٍ عنْهُ: كانَتِ النُّسُور أرْبعَةً.

وروى السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه: أنَّه ما زَالَ يَصْعَدُ إلَى أنْ رَأى الأرْضَ يُحِيطُ بِها بحْرٌ، فكأنَّها فَلْكةٌ في مَاءٍ، ثُمَّ صعِدَ حتَّى وقَع في ظُلْمةٍ، فلَمْ يَرَ مَا فوْقَهُ ولم يَرَ مَا تحْتَهُ، ففَزِعَ، فصوَّبَ اللَّحْمَ، فانْقَضَّتِ النُّسورُ، فلَمَّا نزَلَ أخذَ في بِنَاءِ الصَّرْحِ، ثُمَّ صعِدَ منْهُ معَ النُّسورِ، فلَمَّا لَمْ يقْدِرْ علَى السَّماءِ، اتَّخذَه حِصْنًا، فأتَى اللهُ بُنْيانَهُ مِنَ القَواعِدِ[4].

---

(١) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩)، عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٩) إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري.

(٤) انظر: بحر العلوم (٢/ ٢٤٨).

وقالَ عِكْرِمَةُ: كانَ معَهُ في التَّابوتِ غُلامٌ قد حمَلَ القوْسَ والنُّشَّابَ، فرَمَى بسَهْمٍ فعَادَ إليْهِ مُلطَّخًا بالدَّمِ، فقَالَ: كُفِيتَ إلهَ السَّماءِ، وذلِك مِن دَمِ سَمكةٍ فِي بَحْرٍ مُعلَّقٍ فِي الهوَاءِ، فلمَّا هالَه الإرْتِفَاعُ، قالَ لِصاحبِه: صوِّبِ الخشَبَةَ، فصَوَّبَهَا، فانْحطَّتِ النُّسورُ، فظَنَّتِ الجبَالُ أنَّه أمْرٌ نَزَل مِنَ السَّماءِ فزَالَت عنْ مَوَاضعِهَا(١).

وقالَ غيْرُه: لَمَّا رأتِ الجِبالُ ذلِك، ظنَّتْ أنَّه قِيامُ السَّاعةِ، وكادَتْ تَزُولُ، وإلى هذَا الْمَعْنَى ذهَب سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وأبو مَالِكٍ.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه بختُنَصَّر، وأنَّ هذِه القِصَّة له جرَتْ، وأنَّ النُّسورَ لَمَّا ارْتفعَتْ تطْلُب اللَّحْم إلى حيْثُ [مَا](٢) شاءَ اللهُ تعَالى، نُودِي: يا أيُّها الطَّاغيةُ! أيْنَ تُريدُ؟ ففَرِقَ، ثُمَّ سمِعَ الصَّوْتَ فوْقَه، فنزَلَ، فلمَّا رأتِ الجِبالُ ذلِك، ظنَّتْ أنَّه قِيامُ السَّاعةِ فكادَتْ تزُولُ، وهذَا قوْلُ مجاهِدٍ.

والثَّالث: أنَّ الْمُشارَ إليْهِم الأُمَمُ الْمُتقدِّمةُ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ، [وعكْرِمةُ](٣): مكْرُهم: شِرْكُهُم(٤).

والرَّابع: أنَّهُمُ الَّذين مكَرُوا بِرسُولِ اللهِ ﷺ حين همُّوا بقتْلِه وإخْرَاجِه.

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٦١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤١٣).

(٢) من (ج).

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

وفي معنى(١) قوله تعالى: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّه محفوظٌ عندَه حتَّى يُجازيَهم به، قاله الحسَنُ، وقتادَةُ.

والثَّاني: وعنْدَ اللهِ جزاءُ مكْرِهِم.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ﴾ وقرَأ أبو بكْرٍ، وعُمَرُ، وعلِيٌّ، وابْنُ مسْعُودٍ، [وأُبيٌّ](٢)، وابْنُ عبَّاسٍ، وعِكرِمَةُ، وأبو العالِيةِ: «وَإِنْ كَادَ [مكْرُهُم](٣)» بالدَّالِ(٤).

﴿لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ وقرَأ الأكْثَرُون «لِتَزُولَ» بكسْرِ اللَّام الأُولى مِن «لِتَزُولَ» وفتْحِ الثَّانيةِ. أرادَ: وما كانَ مكْرُهم لِتزولَ مِنَ الجبَالِ؛ أي: هوَ أضْعفُ وأوْهنُ، كذلِك فسَّرَهَا الحسَنُ البصريُّ.

وقرَأ الكِسائِيُّ: «لَتَزولُ» بفتْح اللَّام الأُولى وضمِّ الثَّانيةِ(٥)، أراد: قد

---

(١) ليست في سائر النسخ.

(٢) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٣) من سائر النسخ.

(٤) قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٠- ٤١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٨٧)، والقراءات الشاذة؛ لابن خالويه (ص: ٧٤)، والمحتسب (١/ ٣٦٥)، وإعراب القراءات وعللها (١/ ٣٣٧).

(٥) انظر قراءة الكسائي في التيسير (ص: ١٣٥)، وانظر القراءات الواردة في هذه الكلمة في البحر المحيط (٦/ ٤٥٤)، وانظر عزوها لعلي وابن عبَّاس وأنس ومجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٤٠- ٤١)، وعزاها الثعلبي (٥/ ٣٢٦) إلى ابن جريج، وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٤) إلى ابن محيصن.

كادَتِ الجبَالُ تَـزُولُ مِـن مكْرِهِـم، كذلِـك فسَّرَهَـا ابْـنُ الأنْبَـارِيِّ[١].

وفي المُراد بالجبَالِ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّهَا الجبَالُ المعْرُوفةُ، قالَه الجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّهـا ضُربـتْ مثـلًا لأمْـرِ النَّبـيِّ ﷺ، وثُبُـوتِ دينِـه كثُبُـوتِ الجبَـالِ الرَّاسِـيةِ، والمعْنَـى: لـو بلَـغ كيْدُهـم إلى إزَالـةِ الجبَـالِ، لَمـا زالَ أمْـرُ الأسْـلامِ، قالَـه الزَّجَّـاجُ[٢]. [٤٣٦/ ب]

قـالَ أبـو علِيٍّ: ويـدلُّ علـى صحَّـةِ هـذَا قوْلُـه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾؛ أي: فقَـد وعَـدَكَ الظُّهـورَ عليْهِـم[٣].

قالَ ابْنُ عبَّاس: يُريد [بوعدِهِ][٤]: النَّصرَ والفتْحَ وإظْهارَ الدِّينِ[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾؛ أي: مَنِيـعٌ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِـن الكافريـن، وهـو أن يُجازيَهُـم بالعُقوبـةِ عـلَى كُفْرِهِـم.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٦-١٦٧).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٣).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥١٣).

وروى أبان (عنْ عاصم)[١] «يَوْمَ نُبدِّلُ» بالنُّونِ وكسْرِ الدَّالِ «الأرْضَ» بالنَّصْبِ، «والسَّمواتِ» (بخفْضِ التَّاء)[٢]، ولا خلافَ في نصْبِ «غيْرَ»[٣].

وفِي معْنى تبْدِيلِ الأرْضِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها تلْك الأرْض، وإنَّما يُزاد فيها وينْقص منْها، وتذْهبُ آكامُها وجِبالُها وأوْدِيتُها وشجرُها، وتمدُّ مدَّ الأدِيم، رَوى هذَا المعْنى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقد رَوى أبو هُريرةَ عنِ رسُولِ اللهِ ﷺ «﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ قَالَ: يبْسُطهَا[٤] ويَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيم»[٥].

والثَّاني: أنَّها تبدَّل بغيْرِها.

ثُمَّ فيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها تُبدَّلُ بأرْضٍ غيْرِها بيْضاءَ كالفِضَّةِ لم يُعملْ عليْها خطِيئةٌ، رَواه عمْرُو بْنُ ميْمُون عنِ ابْنِ مسْعُودٍ، وعطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في الأصل: بالخفض، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٣)، والبحر المحيط (٥/ ٤٤٠).

(٤) كذا في الأصل، وفي (ف)، و(ر)، و(م): ببسطها.

(٥) جزء من حديث الصور الطويل، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٩)، مختصرا، والطبراني في معجمه الكبير (٢٥/ ٢٦٦)، مطولًا، والبيهقي في البعث (ص: ٣٣٨) مطولًا، وطرفه: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور»، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤١٦) مختصرًا، والحديث ضعفه ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٦٧) ووصفه بالنكارة؛ بسبب تفرد إسماعيل بن رافع، وهو منكر الحديث.

والثَّاني: أنَّهَا تُبدَّلُ نارًا، قالَه أُبيُّ بْنُ كعْبٍ.

والثَّالث: أنَّهَا تُبدَّلُ بأرْضٍ مِن فضَّةٍ، قالَه أنَسُ بْنُ مالِكٍ.

والرَّابع: تُبدَّلُ بخبزَةٍ بيْضاءَ، فيأْكُلُ الْمُؤمنُ مِن تحتِ قدَمَيْهِ، قالَه أبو هُريرةَ ﷺ، وسعيدُ بْنُ جُبير، والقُرظيُّ.

وقالَ غيْرُهم: يأْكُلُ منْهَا أهْلُ الإسْلامِ حتَّى يُفْرغَ مِن حِسابِهِم.

فأمَّا تبْدِيلُ السَّموَاتِ ففيهِ[١] **سِتَّةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: أنَّهَا تُجعل مِن ذهبٍ، قالَه عليٌّ عليه السلام.

والثَّاني: أنَّهَا تصِيرُ جِنانًا، قاله أُبيُّ بنُ كعْبٍ.

والثَّالث: أنَّ تبْديلَها: تكْويرُ شمْسِهَا وتنَاثرُ نُجومِهَا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّ تَبْديلَها: اخْتلافُ أحْوالِهَا، فمرَّةً كالْمُهلِ، ومرَّةً تكون كالدِّهانِ، قالَه ابْنُ الأنْبارِيِّ[٢].

والخامس: أنَّ تبْدِيلَها أنْ تُطْوَى كطيِّ السِّجل للكتَابِ.

والسَّادس: أنْ تنْشقَّ فلا تظَلّ، ذكرَهما الْماوردِيُّ[٣].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾؛ أي: خرَجُوا مِنَ القُبورِ.

---

(١) في (ج): فعنه.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥١٥).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٤٤).

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩ - ٥١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعْني: الكُفَّارَ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ يُقال: قرنْتُ الشَّيءَ إلى الشَّيءِ: إذا وصلْتُه بهِ.

وفي معْنَى «مُقْرِنِينَ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم يُقرَنُونَ معَ الشَّياطينِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ أيديَهُم وأرْجُلَهم قُرنت إلى رِقابِهِم، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: يُقَرن بعْضُهم إلى بعْضٍ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ(١).

وفي الأصْفَاد ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الأغْلالُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ، وأبو عُبيدةَ(٢)، وابْنُ قُتيبةَ(٣)، وابْنُ الأنْباريِّ(٤).

والثَّاني: القُيودُ والأغْلالُ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث: القُيود، قالَه أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٤٥).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٤) شرح القصائد السبع (ص: ٤١٢).

فأمَّا السَّرابيلُ: فقَال أبو عُبيدةَ: هيَ القُمُص، واحِدُها: سِرْبالٌ[١].

وقالَ الزَّجَّاج: السِّربالُ: كُلُّ مَا لُبِس[٢]. [٤٣٧/أ]

وفي القَطرانِ ثلاثُ لُغاتٍ: فتْحُ القَافِ وكسْرُ الطَّاءِ، وفتْحُ القَافِ مع تسْكِينِ الطَّاءِ، وكسْرُ القَافِ مع تسْكين الطَّاء.

وفي معْناه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه النُّحاسُ الْمُذاب، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه قَطِرانُ الإبِلِ، قالَهُ الحسَنُ، وهوَ شيْءٌ يُتحلَّبُ مِن شجَرٍ تُهْنأُ بهِ الأبِلُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما جُعل لَهُم القَطِرانُ؛ لأنَّه يُبالغ في اشْتعالِ النَّارِ في الجلُودِ، ولو أرَاد اللهُ تعَالى الْمُبالغةَ في إحْراقِهم بغَيْر ذلِك لَقدرَ، ولكنَّه حذَّرَهم مَا[٣] يعرفُون حقِيقتَه[٤].

وقرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو مِجلزٍ، وعِكرمَةُ، وقتادَةُ، وابْنُ أبي عبْلَة، [وأبو حاتِمٍ][٥] عنْ يعْقُوبَ: «مِن قِطْرٍ» بكسْرِ القافِ وسُكونِ

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٠).

(٣) في (ف): لا.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٠).

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

الطَّاءِ والتَّنوينِ، «آنٍ»[١] بقطْعِ الهمزةِ وفتْحِها ومدِّها[٢].

والقِطر: النُّحاس، وآن: قد انتَهى حرُّه.

قوْله تعَالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: تعلُوها. واللَّام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلِّقةٌ بقوْلِه: ﴿وَبَرَزُوا۟﴾.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

قوْله تعَالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾.

في الْمُشار إليه قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه القُرآنُ.

والثَّاني: الإنْذارُ.

والبَلاغُ: الكِفايةُ. قالَ مُقاتِلٌ: والْمُراد بالنَّاسِ: أهْلُ مكَّةَ[٣].

قوْله تعَالى: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: أُنزِل؛ لِيُنذَروا بهِ، ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾ بِما[٤] فيهِ مِنَ الحُجَجِ ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾؛ أي: وليتَّعظَ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ [أي: العقولِ][٥].

---

(١) أي: كلمة مكونة من كلمتين: موصوف، وهو: (قِطرٍ)، وصفة، وهي: (آنٍ).

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٦٦)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٤).

(٤) في (ج): أنَّ ما.

(٥) من (ج).

سُورَةُ الحِجْرِ

وهيَ مكيَّةٌ [كلُّها][(١)] مِن غيْرِ خلافٍ نعْلَمُه[(٢)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الحجر: ١].

قوْلُه تعَالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قد سبَق بيانُه [يونس: ١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ القُرآنَ هوَ الكتابُ، جمَعَ له بيْنَ الاسْميْنِ.

والثَّاني: أنَّ الكتَابَ: هوَ التَّوراةُ والإنْجِيلُ، والقُرآنُ: كتابُنا. وقد ذكرْنا في أوَّلِ سُورَةِ يوسُفَ معْنَى المُبِين.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿رُّبَمَا﴾ وقرَأ ابْنُ كثيرٍ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ «رُبَّمَا» مشدَّدَةً. وقرَأ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وعبْدُ الوارث: «رُبَمَا» بالتَّخْفِيفِ[(٣)].

---

(١) ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٢٣)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ٢٦٣)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٤٧).

(٣) انظر تخفيف نافع وعاصم وتشديد غيرهما في التيسير (ص: ١٣٥)، والخلاف عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٦٦)

قَالَ الفَرَّاءُ: أَسَدٌ وتَمِيمٌ: يقُولُونَ «رُبَّما» بالتَّشْدِيدِ، وأهْلُ الحِجَازِ وكثِيرٌ مِن قَيْسٍ يقُولُون: «رُبَما» بالتَّخْفِيفِ، وتَيْمُ الرِّبابِ يقُولونَ: «رَبَما» بفتْحِ الرَّاءِ[1].

وقِيلَ: إنَّما قُرِئتْ بالتَّخفِيف، لِمَا فِيهَا مِنَ التَّضْعِيفِ، والحُرُوفُ[2] الْمُضاعفةُ قد تُحذفُ، نحْوُ «إن، ولكن» فإنَّهُم قد خفَّفُوها.

قَالَ الزَّجَّاجُ: يقُولُون[3]: رُبَّ رجُلٍ جاءَنِي، وَرُبَ رجُلٍ جاءَنِي[4]، وأنْشَدَ [من الكامل]:

أَزُهَيْرُ إِنْ يَشِبِ الْقَذَالُ فَإِنَّنِي ... رُبَ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ[5]

هذَا البيْتُ لأَبِي كثِيرٍ الهُذليِّ، وفي دِيوانِهِ:

.... رُبَ هَيْضَلٍ[6] لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

---

(١) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٧٨).

(٢) في (ف): وحروف.

(٣) في (ف): يقول.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٢).

(٥) البيت للهذلي في شرح أشعار الهذليين (ص: ١٠٧٠)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٤٨)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٨٧)، وبلا نسبة في المحتسب (٢/ ٣٤٣)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ١٧٩)، والإنصاف (ص: ٢٤٧)، والممتع في التصريف (٢/ ٦٢٧). والمقرب (٨/ ٢٠٠)، وزهير: مرخَّم زهيرة، وهي ابنته. والقذال: ما بين الأذن والقفا. ومَرِس: ذو مَرَاسَة وشدة. لَجِب: من قولهم: جيشٌ لجب؛ عرمرم، ذو جَلَبة وكثرة.

(٦) في (ج): هيطل.

والهَيْضَل: جمع هيْضَلة، وهي الجماعة يُغْرى بهم، تقول(١): لففتهم بأعدائهم في القتال. «ورُب»: كلمة موضوعة للتقليل، كما أنَّ «كَمْ» للتكثير، [٤٣٧/ب] وإنَّما زيدت «مَا» مع «رُبّ» ليليها الفعل، تقول: رُبَّ رَجُلٍ جاءني، ورُبَّما جاءني زَيْدٌ.

وقال الأخفش: أُدخل مع «رُب»: «مَا» ليتكلَّم بالفعل بعدَها، وإنْ شئتَ جعلتَ «مَا» بمنزلة «شَيْءٍ» فكأنَّك قلت: رُبَّ شيْءٍ؛ أي: «رُبَّ وُدٍّ يَوَدُّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا»(٢).

وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: «مَا» هاهُنا بمعْنَى «حِين»، فالمعْنَى: رُبَّ حينٍ يَوَدُّونَ فيه.

واختلفَ المفسِّرُونَ متى يقعُ هذا منَ الكفَّارِ على قولَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه في الآخِرة.

ومتَى يكونُ ذلِك؟ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه إذَا اجْتمَع أهْلُ النَّار في النَّار ومعَهُم مَن شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن أهْلِ القِبلَةِ، قالَ الكُفَّارُ للمُسلمينَ: أَلم تكُونوا مُسلمينَ؟ قالُوا: بلَى، قالُوا: فمَا أغنَى عنكُم إسْلامُكُم وقد صِرْتُم معَنَا في النَّار؟ قالُوا: كانَتْ لنَا ذُنوبٌ فأُخذنَا بهَا؛ فسَمِعَ اللهُ تعَالى مَا قالُوا، فأمَر بمَن كانَ في النَّار مِن أهْلِ القِبْلةِ فأُخرِجُوا، فلمَّا رأى ذلِك الكُفَّارُ، قالُوا: يا ليْتنَا

---

(١) في (م): يقول.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤١١).

كنَّا مُسلِمِينَ فنخرجُ كما أُخرِجُوا، رَواه أبو مُوسى الأشْعريُّ ﷺ عنِ النَّبيِّ ﷺ[١]، وذهَب إليْهِ ابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةٍ وأنَسُ بْنُ مالِكٍ، ومُجاهِدٌ، وعطاءٌ، وأبو العَاليةِ، وإبْراهيمُ.

والثَّاني: أنَّه مَا يزَالُ اللهُ عزَّ وجلَّ يرْحَمُ[٢] ويشْفعُ حتَّى يقُول جلَّ وعزَّ: مَن كانَ مِنَ المسلِمِينَ فلْيدخُلِ الجنَّةَ، فذلِك (قولُه)[٣]: حين ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّالث: أنَّ الكُفَّارَ إذا عَايَنُوا القِيامَةَ، وَدُّوا لو كانُوا مُسلِمِينَ، ذكَرَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٠٥) بنحوه، والطبري في تفسيره (١٧/ ٦١) بنحوه، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٢) بنحوه، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٩١)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٥) وقال: وفيه خالد بيت نافع الأشعري، قال عنه أبو داود: متروك، وبقية رجاله ثقات، وذكره أيضًا السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٢) وزاد نسبته إلى ابن مردويه، والحديث يدور على خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف بل قال عنه أبو داود: متروك، ولم يوافق الذهبي على تركه، وقال: هذا تجاوز فلا يستحق الترك وقد حدث عنه أحمد ومسدد، انظر: الميزان (٢/ ١٦٦).

(٢) في (ج): يرحمهم.

(٣) من الأصل فقط.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٦١)، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٨١) من طريق أبي عوانة، وهناد في الزهد (ص: ١٩٠) من طريق عطاء، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٢) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٣).

والرَّابع: أَنَّه كلَّما رأى أهْلُ الكفْرِ حالًا مِن أحْوالِ القِيامَةِ يُعذَّبُ فيها الكافِرُ ويسْلَم مِن مكْرُوهِهَا الْمُؤمِنُ، وَدُّوا ذلِك، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[١].

والقوْلُ الثَّاني: أَنَّه في الدُّنيا، إذَا عَاينُوا[٢] وتبيَّنَ لهمُ الضَّلالُ مِن الهُدَى وعلِمُوا مصِيرَهُم، وَدُّوا ذلِك، قالَه الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: إذَا قلْتُم: إنَّ «رُبَّ» للتَّقْليلِ، وهذِه الآيَةُ خارِجَةٌ مخرَجَ الوَعيدِ، وإنَّما يُناسبُ الوعِيد تكْثِيرُ مَا يُتواعدُ بهِ؟.

فعَنْه ثَلاثَةُ أجْوبةٍ -ذَكَرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ[٣]-:

أحدهُنَّ: أنَّ «رُبَّما» تقَعُ على التَّقْليلِ والتَّكثيرِ، كما يقَعُ النَّاهلُ على العطْشانِ والرَّيَّانِ، والجَوْن علَى الأسْودِ والأبْيضِ.

والثَّاني: أنَّ أهْوالَ القيامَةِ ومَا يقَع بِهم مِنَ الأهْوَال تكْثُر عليْهِم، فإذَا عادَت إليْهِم عقُولُهُم، وَدُّوا ذلِك.

والثَّالث: أنَّ هذَا الَّذِي خُوِّفُوا بهِ، لو كانَ مِمَّا يَودُّ في حالٍ واحِدةٍ مِن أحْوالِ العذَابِ، أوْ كانَ الإنْسانُ يخَاف النَّدمَ إذا حصَل فيهِ ولا يتيقَّنُه؛ لوَجَب عليه اجْتِنابُه.

---

(١) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٣٨)، وعزاه إلى الزجاج، وانظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣/ ١٧٢).

(٢) في (ف): عاينوه.

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٣٨- ٥٣٩).

فإن قِيلَ: كيْفَ جاءَ بعْدَ «رُبَّما» مُستقبلٌ، وسَبيلُها أنْ يأتيَ بعْدَها الماضي، تقُول: رُبَّما لقِيتُ عبْدَ اللهِ؟

فالجوَابُ: أنَّ مَا وعَدَهُ اللهُ تعَالى حَقٌّ، فمُستقبلُه بمنزلَةِ الماضِي، يدلُّ [٤٣٨/أ] عليهِ قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوْلُه تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١] علَى أنَّ الكِسائِيَّ والفرَّاءَ[1] حكيَا عنِ العرَبِ أنَّهم يقولُون: رُبَّما ينْدمُ فُلانٌ، قالَ الشَّاعِرُ [من الخفيف]:

رُبَّما تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْـرِ   لَـهُ فَرْجَـةٌ كَحلِّ الْعِقَالِ[2]

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ﴾؛ أي: دَعِ الكُفَّار يأخُذوا حُظُوظَهم في الدُّنيا ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾؛ أي: ويُشغلهُم مَا يأمُلُون في الدُّنيا عنْ أخْذِ حظِّهم مِنَ الإيمانِ والطَّاعةِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا ورَدُوا القِيامةَ وبالَ مَا صَنعُوا، وهذا وعِيدٌ وتهْدِيدٌ، وهذِه الآيةُ عنْدَ المفسِّرينَ منْسُوخةٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ [الحجر: ٤ - ٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٢).

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص: ٤٤٤)، لعبيد بن الأبرص في مجموعة المعاني (ص: ١٣٥)، وشعراء النصرانية (ص: ٦٥٠) وعنهما في ديوان عبيد (ص: ١١١)، ولعمير الحنفي في كتاب التعازي (ص: ٧٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾؛ أي: ومَا عذَّبنا مِن أهْلِ قرْيةٍ ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾؛ أي: أجَلٌ مُؤقَّتٌ لا يتقَدَّمُ ولا يتأَخَّرُ عنْهُ.

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ «من»: صلةٌ، والمعْنَى: ما تتَقَدَّمُ وقتَها الَّذي قُدِّر لها بلُوغُه، ولا تستأخِرُ عنْهُ.

قالَ الفرَّاءُ: إنَّما قالَ: «أجلَها»؛ لأنَّ الأُمَّة لفْظُها مؤنَّثٌ، وإنَّما قالَ: «يسْتأخِرُونَ» إخْراجًا له علَى معْنَى الرِّجالِ[1].

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ [الحجر: ٦ - ٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: نزَلَتْ في عبْدِ اللهِ بْنِ أبي أُميَّةَ، والنَّضرِ بْنِ الحارثِ، ونَوْفلِ بْنِ خُويلدٍ، والوليدِ بْنِ المغِيرةِ[2].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: والذِّكْرُ: القُرآنُ، وإنَّما قالوا هذا اسْتهزاءً، لَو أيْقَنُوا أنَّه نُزِّل عليْهِ الذِّكر؛ ما قالُوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾[3].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٤٢) من رواية عطاء عن ابن عبَّاس، وأخرجه الطبري (١٧/ ٦٦) عن الضَّحاك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٤) إلى ابن جرير.

قَالَ أبو عليٍّ الفَارسيُّ: وجوابُ هذه الآيةِ في سورةٍ أُخرى في قوْلِه: ﴿مَآأَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢][(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾.

قَالَ الفرَّاء: «لوْمَا»، و«لوْلَا» لُغتَان معْناهُمَا: هَلَّا[(٢)]، وكذلِكَ قَالَ أبو عُبيدةَ[(٣)]: وهما بمعْنَى واحِدٍ، وأنْشدَ لِابْنِ مُقبل [من البسيط]:

لَوْمَا الْحَيَاءُ وَلَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي[(٤)]

قَالَ المفسِّرون: إنَّما سألُوا الملائكةَ لِيشْهَدُوا له بصدْقِه، وأنَّ اللهَ أرْسلَه، فأجَابهمُ اللهُ تعَالى بقوْلِه: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامرٍ: «مَا تَنْزِلُ» بالتَّاء المفتوحةِ «الملائكةُ» بالرَّفْعِ[(٥)].

ورَوى أبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «مَا تُنَزَّلُ» بضمِّ التَّاءِ علَى مَا لَمْ يُسمَّ فاعلُهُ.

وقرَأ حمْزةُ، والكِسائيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ، [وخلَفٌ][(٦)]: «مَا نُنَزِّلُ» بالنُّونِ والزَّاي مشدَّدةً[(٧)] «الملائكةَ» نصْبًا[(٨)].

---

(١) الحجة (٦/ ٣٤٣- ٣٤٤) بتصرف.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ١٠٦).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٤٦).

(٤) البيت لتميم بن مقبل في مجاز القرآن (١/ ٣٤٦)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦٦)، والكشاف (٢/ ٣١٠)، والمقرب (١/ ٩٠)، ورصف المباني (ص: ٣١٦).

(٥) ليست في (ف).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) في (ر)، و(م): المشددة.

(٨) كلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٥).

وفي المرادِ بالحَقِّ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه العذابُ إنْ لم يُؤمِنوا، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: الرِّسالةُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالثُ: قبْضُ الأرْواحِ عنْدَ الموْتِ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والرَّابع: أنَّه القُرآن، حكَاه الماورديُّ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ﴾ يعْني: المشْركينَ ﴿إِذًا مُّنظَرِينَ﴾؛ أي: عنْدَ نُزولِ الملائكةِ إذا نزَلَتْ.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ مِن عادَةِ الملُوكِ إذَا فعَلُوا شيْئًا، قالَ [٤٣٨/ ب] أحدُهُم: نحْنُ فعلْنَا، يُريد نفْسَه وأتْباعَه، ثُمَّ صارَ هذَا عادةً للملِكِ في خِطابِهِ، وإنِ انْفَردَ بفعْلِ الشَّيءِ، فخُوطبتِ العرَبُ بِمَا تعْقِل مِن كلامِهَا. **والذِّكْر:** القُرآن، في قوْلِ جميعِ المفسِّرينَ.

وفي هَاءِ «لَه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى الذِّكر، قالَه الأكْثرُونَ.

قالَ قتادَةُ: أنْزَله اللهُ ثُمَّ حفِظَهُ، فلَا يستَطِيعُ إبْليسُ أنْ يزِيدَ فيهِ باطِلًا، ولَا ينْقصُ منْهُ حقًّا[٢].

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٤٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٨)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٧٣) (١٢٢) من طريق يزيد به، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٠)، وعزاه السيوطي في=

والثَّـاني: أنَّهـا ترجِـعُ إلى النَّبـيِّ ﷺ، فالمعْنَـى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ مِـنَ الشَّـياطِينِ والأعْـدَاءِ؛ لقوْلِهِـم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، هـذَا قـوْلُ ابْـنِ السَّـائبِ، ومُقاتِـلٍ[1].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ [الحجر: ١٠].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يعْنِـي: رُسُـلًا، فحُـذِفَ المفْعُـولُ؛ لدَلَالَـةِ الإِرْسَـالِ عليْـهِ. والشِّـيَعُ: الفِـرَقُ، وحُكـي عـنِ الفـرَّاءِ أنَّـه قـالَ: الشِّـيعة: الأُمَّـةُ المتابِعـةُ[2] بعْضُهـا بعضًـا فيـمَا يجْتَمِعُـونَ عليْـهِ مِـن أمْـرٍ[3].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ [الحجر: ١١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هـذَا تعْزِيـةٌ للنَّبـيِّ ﷺ، والمعْنَـى: إنَّ كُلَّ نبـيٍّ قبْلَـك كانَ مُبْتـلًى بقوْمِـه كـمَا ابْتُليـتَ.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الحجـر: ١٢ - ١٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ في الْمُشارِ إليْه ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الشِّركُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه الاِسْتِهزاءُ، قالَهُ قتادَةُ.

=الدر المنثور (٤/ ٩٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٥).

(٢) في (ف): المتتابعة.

(٣) ليس في معانيه، ولا في لغات القرآن، وذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٤٩).

والثَّالث: التَّكذِيبُ، قالَه ابْنُ جُريجٍ، والفرَّاءُ(١).

ومعْنَى الآيَةِ: كما سلَكْنَا الكُفْرَ(٢) في قلُوبِ شِيعِ الأوَّلِينَ، نُدخلُ في قلُوبِ هؤلاءِ التَّكذيبَ فلا يُؤْمِنوا. ثُمَّ أخْبَرَ عن هؤلاءِ المشركينَ، فقَالَ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

وفِي المشارِ إليْهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الرَّسُولُ(٣).

والثَّانِي: القُرآنُ.

والثَّالث: العذَابُ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: مضَتْ سُنَّةُ اللهِ في إهْلاكِ المكذِّبِينَ.

والثَّاني: مضَتْ سُنَّتُهم بتكْذِيبِ الأنْبياءِ.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٥).

(٢) في (ج): للكفر.

(٣) في (ج): أنه نبينا محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني: كُفَّارَ مكَّةَ ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾؛ أي: يصْعَدُونَ، يُقالُ: ظَلَّ يفْعَلُ كذا؛ إذا فعلَهُ بالنَّهارِ.

وفي المشارِ إليْهِم بهذا الصُّعودِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهمُ الملائِكةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، فالمعْنَى: لوْ كُشفَ عنْ أبْصارِ هؤلاءِ فرَأوْا بابًا مفْتُوحًا في السَّماءِ، والملائِكةُ تصْعَدُ فيهِ، لَما آمَنُوا بهِ.

والثَّاني: أنَّهمُ المشْركونَ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ، فيكونُ المعْنَى: لوْ وصلناهُم إلى صُعودِ السَّماءِ، لم يسْتشْعِرُوا إلَّا الكُفْرَ، لِعنادِهِم.

قوْلُه تعالى: ﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾.

قرَأ الأكْثرونَ بتَشْديدِ الكافِ، وقرَأ ابْنُ كثيرٍ، وعبْدُ الوَارِثِ بتخْفِيفِها.

قالَ الفرَّاءُ: ومعْنَى القِراءتَيْنِ مُتقارِبٌ، والمعْنَى: حُبِسَتْ؛ مِن قوْلِهم: «سَكَرَتِ» الرِّيحُ؛ إذا سَكَنَتْ ورَكَدَتْ[1].

وقالَ أبو عمْرِو بْنُ العلاءِ: معْنَى «سُكِرَتْ» بالتَّخفِيفِ، مأْخُوذٌ مِن سُكْرِ الشَّرابِ[2]. يعْنِي: أنَّ الأبْصارَ حارَتْ، ووقَعَ بها مِنْ فسادِ النَّظرِ مِثْلُ ما يقَعُ بالرَّجُلِ السَّكرانِ مِن تغيُّرِ العقْلِ. [٤٣٩/أ]

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٤).

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: إذَا كانَ هَذَا معْنَى(١) التَّخْفِيف، فسكِّرتْ، بالتَّشْديدِ، يُراد بهِ وقوعُ هذَا الأمْرِ مرَّةً بعْد مرَّةٍ(٢).

وقالَ أبو عُبيدٍ: «سُكِّرتْ» بالتَّشْديدِ، مِنَ السُّكورِ الَّتي(٣) تمنَعُ الماءَ الجِرْيَةَ، فكأنَّ هذِه الأبْصارَ مُنعتْ مِنَ النَّظر كما يمْنَعُ السُّكرُ الماءَ مِن الجَرْي(٤).

وقالَ الزَّجَّاج: «سُكِّرتْ» بالتَّشديدِ، فسَّروها: أُغْشيتْ، «وسُكِرتْ» بالتَّخْفيفِ: تحيَّرتْ وسكَنَتْ عنْ أنْ تنْظُرَ، والعرَبُ تقُول: سُكرَتِ الرِّيحُ تسْكَرُ؛ إذا سكَنَتْ(٥).

ورَوى العَوفيُّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ قالَ: أَخذَ بأبْصارِنَا (وشبَّه علينَا)(٦)، وإنَّما سَحرَنَا(٧).

وقالَ مُجاهِدٌ: «سُكِّرتْ» سُدَّتْ بالسِّحرِ، فيتَماثَلُ لأبْصارِنا غيْرَ مَا ترَى(٨).

---

(١) في (ف): بمعنى.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٨٧).

(٣) في (ف): من السكون الذي.

(٤) الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٩٠٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٥).

(٦) ليست في (ج).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٥).

(٨) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤١).

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾.

فِي البُروجِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها بُروجُ الشَّمسِ والقمَرِ؛ أي: منازِلُها، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو عُبيدةَ[١] في آخرينَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وأسْماؤُها: الحمَلُ، والثَّورُ، والجَوْزاءُ، والسَّرطَانُ، والأَسَدُ، والسُّنبلَةُ، والميزَانُ، والعقْرَبُ، والقوْسُ، والجَدْيُ، والدَّلْوُ، والحُوتُ[٢].

والثَّاني: أنَّها قُصورٌ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[٣].

وقالَ عطِيَّةُ: هيَ قُصورٌ في السَّماءِ، فيهَا الحرَسُ[٤]. وقالَ ابْن قُتيبةَ: أصْلُ البُروجِ: الحصُونُ[٥].

والثَّالث: أنَّها الكوَاكِبُ، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ[٦].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٢) أدب الكاتب (ص: ٨٦).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢١٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٥) إلى عبد بن حميد.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٦).

قالَ أبو صَالِحٍ: هيَ النُّجُومُ العِظامُ[(١)]. قالَ قتادَةُ: سُمِّيتْ بُروجًا؛ لِظُهورِهَا[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾؛ أي: حسَّنَّاها بالكَواكِبِ.

وفي المُرَادِ بالنَّاظرينَ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُم المبصرُونَ.

والثَّاني: المعْتَبِرونَ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: حفِظْناهَـا أنْ يصِـلَ إليْهَـا شَـيْطانٌ أو يعْلَـمَ مِـن أمْرِهـا شـيْئًا إلَّا اسْـتِرَاقًا، ثُـمَّ يتْبَعُـه الشِّـهابُ. **والرَّجِيـم:** مـشْرُوحٌ فِي آل عِمـرانَ [آيـة:٣٦].

واخْتلَـفَ العُلَـماءُ: هـل كانَـتِ الشَّـياطِينُ تُرمَـى بالنُّجـومِ قبْـلَ مبْعَـثِ نبيِّنَـا [مُحمَّـدٍ][(٣)] ﷺ، أمْ لَا؟ عـلَى قوْلَـيْنِ:

أحدُهـا: أنَّهـا لم تُـرْمَ حتَّـى بُعِـث ﷺ، (وهـذَا المعْنَـى: مذْكُـورٌ فِي رِوايـةِ سـعِيدِ بْـنِ جُبـيرٍ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ)[(٤)].

وقـد أخْـرَجَ في «الصَّحِيحَـيْنِ» مِـن حدِيـثِ سـعِيدِ بْـنِ جُبـيرٍ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، قـالَ: «انْطَلَـقَ رسُـولُ اللهِ -ﷺ- فِي طائِفَـةٍ مِـن أصْحابِـهِ عَامِدِيـنَ إلى سُـوقِ عُـكاظٍ، وقَـد حِيـلَ بـيْنَ الشَّـياطِينِ وبـيْنِ خـبَرِ السَّـماءِ، وأُرْسِـلَتْ عليْهِم

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٨٩).

(٢) ذكره الواحدي في تفسير الوسيط (٣/ ٣٤٤).

(٣) من (ج).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ج)، و(ف).

الشُّهُبُ»[١] وظاهِرُ هذا الحدِيثِ أنَّها لم تَكُنْ قبْلَ ذلِكَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ويدلُّ على أنَّها إنَّما كانَتْ بعْدَ موْلِدِ رَسُولِ الله ﷺ أنَّ شُعراءَ العرَبِ الَّذِين يمَثِّلُونَ بالبرْقِ والأشْياءِ المسْرِعةِ، لم يُوجدْ في أشعارِهَا ذكْرُ الكواكبِ المنْقَضَّةِ، فلمَّا حدَثَتْ بعْد موْلِدِ نبيِّنَا[٢] -ﷺ- اسْتعملَتِ الشُّعراءُ ذكْرَها[٣]؛ فقالَ ذوُ الرُّمةِ: [٤٣٩/ ب]

كَأَنَّـهُ كَوْكَـبٌ فِي إِثْـرِ عِفْرِيَـةٍ مُسَـوَّمٌ فِي سَـوَادِ اللَّيْـلِ مُنْقَضِـبُ[٤]

والثَّاني: أنَّه قد كانَ ذلِكَ قبْلَ نبيِّنَا [محمَّدٍ][٥] -ﷺ- فروى مُسلِمٌ في «صحيحهِ» مِن حديثِ عليِّ بْنِ الحُسينِ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ بيْنَما النَّبيُّ -ﷺ- جالِسٌ في نفرٍ مِن أصْحابِه؛ إذْ رُمِي بنَجْمٍ، فاسْتَنَارَ، فقَالَ: «**مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هـذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ**»؟ قالُوا كُنَّا نقُول: يمُوتُ عظِيمٌ، أوْ يُولَدُ عظِيمٌ، قالَ: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا**[٦] **إِذَا قَضَى أَمْرًا، سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِين يَلُونَهُم،**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٧٧٣- ٤٩٢١)، ومسلم حديث رقم (٤٤٩)، والترمذي حديث رقم (٣٣٢٣).

(٢) في (ج): بعد موت نبينا.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٦).

(٤) البيت لذي الرمة في معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١٧٦)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٥٣)، والحجة في القراءات السبع (ص: ٣٠٨)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٧١)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ٨٠)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ٩٥).

(٥) من (ج).

(٦) في (ج): الله تعالى.

حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّابعَةِ حَمَلَةَ العَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟ فَيُخْبِرُونَهُم، ثُم يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ (أَهْلَ سَمَاءٍ)[١]، حتَّى يَنْتَهِيَ الخَبَرُ إِلَى هذِهِ السَّمَاءِ[٢]، وَتَخْطِفُ الجِنُّ وَيُرْمَوْنَ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُم يَقْرِفُونَ فيهِ ويَزِيدُونَ»[٣].

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ الشَّياطينَ كانَتْ لا تُحجبُ عنِ السَّموَاتِ، فلمَّا وُلد عيسَى [بْنُ مَرْيَمَ][٤] عليه السلام، مُنِعتَ مِن ثلَاث سموَاتٍ، فلمَّا وُلد رسُولُ الله -ﷺ- مُنعُوا مِنَ السَّموَاتِ كلِّهَا[٥].

وقالَ الزُّهريُّ: قد كانَ يُرمى بالنُّجومِ قبْلَ مبْعَثِ رسُولِ اللهِ ﷺ، ولكنَّها غلُظَتْ حِينَ[٦] بُعث ﷺ[٧]، وهذَا مذْهبُ ابْنِ قُتيبةَ[٨]، قالَ: وعلى هذَا وجَدْنَا الشِّعْرَ القَديم، قالَ بِشر بْنُ أبي خَازمٍ، وهوَ جَاهِليٌّ[٩]

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): إلى السماء الدنيا.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم (٢٢٢٩).

(٤) من (ج).

(٥) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢١٦)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤١)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٦٦)، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٥٢) إلى الكلبي.

(٦) في الأصل: حيث، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٢٩)، والسمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٤١٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٢/ ٢٩٧).

(٨) تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٣٠).

(٩) في (ج): وكان جاهليًا.

[من الكامل]:

وَالْعَـيْرُ يُرْهِقُهَـا الْغُبَـارُ وَجَحْشُـهَا يَنْقَضُّ خَلْفَهَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ[1]

وقالَ أَوْسُ بْنُ حُجرٍ وهوَ جاهِلِيٌّ[2] [من الكامل]:

فَانْقَـضَّ كَالـدُّرِّيِّ يَتْبَعُـهُ نَقـعٌ يَثُـورُ تَخَالُـهُ طُنُبَـا[3]

قولُـه تعَـالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾؛ أي: اخْتطَـفَ مَـا يَسْـمعُه[4] مِـن كلَامِ الملائكـةِ. قـالَ ابْـنُ فـارسٍ: اسْـتَرق السَّـمعَ؛ إذَا سـمِعَ[5] مُسْـتخفيًا[6].

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾؛ أي: لِحَقَـهُ ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: كوْكـبٌ مُضيءٌ[7]. وقيـل: «مُبـينٌ» بمعْنَـى: ظاهِـرٌ يـرَاه أهْـلُ الأرْضِ. وإنَّـما يَسـتَرِقُ الشَّـيطَانُ مـا يكُـونُ مِـن أخْبـارِ الأرْضِ، فأمَّـا وحْـيُ اللهِ تعَـالى؛ فقـد صَانَـهُ عنْهُـم.

---

(١) البيت في لبشر ابن أبي خازم في ديوانه (ص: ٣٧)، وتأويل مشكل القرآن (٢٤٢- ٢٤٣)، والمعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، والحيوان (٦/ ٢٧٣)، برواية (الخبار) بدلًا من (الغبار)، و (خلفهما) بدلًا من (خلفها)، والكشاف (٢٩/ ٨٧) برواية: (خلفهما)، معنى البيت: الخبار: أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم، شبه الجحش بالكوكب المنقض في سرعته وبياضه.

(٢) في (ج): وكان جاهليًّا.

(٣) البيت له في ديوانه (ص: ٣)، برواية: (وانقض)، والحيوان (٦/ ٢٧٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٢٤٣)، والمعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٦/ ١١٢).

(٤) في (ر)، و(م): سمعه.

(٥) في (ج)، و(ف): يسمع.

(٦) مقاييس اللغة (٣/ ١٥٤).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

واخْتلَفُوا، هَلْ يَقْتلُ الشِّهابُ، أمْ لَا؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه يُحْرِقُ ويُخبِّلُ [ويجرحُ][١] ولَا يقْتلُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّه يقْتُلُ، قالَه الحسَنُ.

فعلَى هذَا القوْلِ، هلْ يُقتلُ الشَّيْطانُ قبْل أنْ يُخْبِرَ بمَا سمِعَ؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يُقتل قبْل ذلِك، فعلَى هذَا لا تصِلُ أخْبارُ السَّماءِ إلى غيْرِ الأنْبياءِ. قالَ ابْنُ عبَّاس: ولِذلِك انْقطَعتِ الكهانَةُ[٢].

والثَّاني: أنَّه يُقتل بعْد إلْقائِه ما سمِعَ إلى غيْرِه مِنَ الجِنِّ، ولِذلِك يعُودُون إلى الاِسْتِراقِ، ولو لم تَصِلْ[٣]؛ لقطَعُوا الاِسْتِراقَ. [٤٤٠/أ]

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر: ١٩ - ٢٠].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾؛ أي: بسطْنَاهَا على وجْهِ الماءِ ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهيَ الجِبالُ الثَّوابِتُ ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ فِي المشارِ إليْهَا[٤] قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها[٥] الأرْضُ، قالَه الأكْثرُونَ.

---

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ١٠٠) عن ابن عبَّاس، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٣٧) عن الزهري.

(٣) في (ج)، و(ف): يصل.

(٤) في (ر)، و(م): إليه.

(٥) في (ج): أنه.

والثَّاني: الجبَالُ، قالَه الفرَّاءُ(١).

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ قَوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ الموزونَ: المعْلُومُ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢)، وبهِ قالَ سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ.

وقالَ مُجاهِدٌ، وعكْرِمةُ في آخَرِينَ: الموزُونُ: المقْدورُ(٣).

فعَلى هذا يكُون المعْنَى: معْلُوم القدْرِ كأنَّه قد وُزن؛ لأنَّ أهْلَ الدُّنيا لَّما كانوا يعْلَمُون قدْرَ الشَّيءِ بوزْنِه، أخْبر اللهُ تعَالى عن هذَا أنَّه معْلومُ القدْرِ عنْدَه بأنَّه موْزونٌ.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أنَّه جرَى على وزْنٍ مِن قدَرِ اللهِ تعَالى، لا يُجاوزُ مَا قدَّره اللهُ تعالى عليه(٤)، ولا يسْتطِيعُ خلْقَ زيادةٍ فيه ولا نُقصانًا(٥).

والثَّاني: أنَّه عنى بهِ الشَّيءَ الَّذي يُوزن كالذَّهبِ، والفِضَّةِ، والرَّصاصِ، والحديدِ، والكُحلِ، ونحْوِ(٦) ذلِك، وهذا المعْنَى مرْويٌّ عنِ

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٥) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٠) عن مجاهد، وعكرمة.

(٤) ليست في (ج).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٦).

(٦) في (ج): وغير.

الحسَنِ، وعكرِمَةَ، وابْنِ زيْدٍ، وابْنِ السَّائبِ، واخْتارَهُ الفرَّاءُ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾ فِي المشارِ إليْهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الأرْضُ.

والثَّاني: أنَّها الأشْياءُ الَّتي أنبتَتْ. والمعَايِشُ جمْعُ معيشةٍ. والمعْنَى: جعلْنَا لكُم فيهَا أرْزاقًا تعِيشُون بها.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الدَّوابُّ والأنْعَامُ، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ(٢).

والثَّاني: الوحُوشُ، رَواه منْصُورٌ عنْ مُجاهِدٍ(٣).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الوحْشُ، والطَّيْرُ، والسِّباعُ، وأشباهُ ذلِك ممَّا لا يرزقُه ابْنُ آدمَ(٤).

والثَّالث: العَبِيدُ والإمَاءُ، قالَه الفرَّاءُ(٥).

والرَّابع: العَبِيدُ، والأنْعَامُ، والدَّوابُّ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٦).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٥) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٧).

قَالَ الفَـرَّاءُ: «ومَـنْ» في موْضِـعِ نصْـبٍ، فالمعْنَـى: جعلْنَـا لكُـم فيهـا المعَايـشَ، والعَبِيـدَ، والإِمـاءَ، ويُقَـال: إنَّهـا في موْضِـع خفْـضٍ، فالمعْنَـى: جعلْنَـا لكُـم فيهَـا معَايـشَ ولمَـن لسْـتُم لـه برَازقـين[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: جعلْنَا لكُمُ الدَّوابَّ، والعَبِيدَ، وكُفِيتم مُؤونَة أرْزاقِهَا[٢].

فـإنْ قيـل: كيْـفَ قُلتـم: إنَّ «مَـن» هَاهُنـا للوحُـوش والـدَّوابِّ، وإنَّـما تكُـون (مَـنْ) لِمَـن يعْقِـلُ؟

فالجـوَابُ: أنَّـه لَمَّـا وُصفـتِ الوُحـوشُ وغيْرُهـا بالمعَـاشِ الَّـذي الغالِـبُ عليْـهِ أنْ يُوصـفَ بـهِ النَّـاسُ، فيُقَـال: للآدمِـيِّ مَعـاشٌ، ولا يُقـال: للفـرَسِ معـاشٌ، جَـرتْ مجْـرَى النَّـاسِ؛ كـما قـالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمـل: ١٨]، وقـالَ: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسـف: ٤]، وقـال: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبيـاء:٣٣].

وإن قُلنـا: أُريـد بـهِ العَبيـدُ، والوحُوش؛ فإنَّـه إذا اجْتمَـع النَّـاسُ وغيْرُهم؛ غلَـب النَّـاسُ عـلى غيْرِهـم لِفضيلَـةِ العقْـلِ والتَّمْييزِ.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: ٢١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾؛ أي: ومـا مِـن شيْءٍ ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ وهـذَا الـكلَامُ عَـامٌّ في كُلِّ شيْءٍ. [٤٤٠/ب]

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٧).

وذهَبَ قومٌ مِنَ المفسِّرينَ إلى أنَّ المرَادَ بهِ المطَرُ خاصَّةً، فالمعْنَى عنْدَهم: ومَا مِن شيْءٍ مِنَ المطَرِ إلَّا عندَنا خزائِنُه؛ أي: في حُكمِنا وتدْبيرِنا، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ كُلَّ عَامٍ ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لا يزيدُ ولا ينقُصُ، فما مِن عامٍ أكْثَر مطَرًا مِن عامٍ، غيْرَ أنَّ اللهَ تعالى يصْرِفُه إلى مَنْ يشاءُ، ويمْنعُه مَن يشاءُ.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر: ٢٢ - ٢٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ وقرأ حمْزةُ؛ وخلَفٌ: «الرِّيحَ»[١] وكانَ أبو عُبيدةَ[٢] يذْهَبُ إلى أنَّ «لَواقِحَ» بمعْنَى مُلاقِح، فسقطَتِ الميمُ منْهُ، قالَ الشَّاعر [من الطويل]:

لِيُبْكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِضَرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ[٣]

أرادَ: المطَاوِحَ، فحذَفَ الميمَ، فمعْنَى الآيةِ عنْدَه: وأرْسلْنا الرِّيَاحَ مُلْقِحةً، فيكونُ هاهُنا فاعِلٌ بمعْنَى مفعِل، كما أتى فاعِلٌ بمعْنَى مفعُول؛ كقوْلِه: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدْفُوقٍ، و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، و[القارعة: ٧]؛ أي: مَرضيَّةٍ، وكقوْلِهم: ليْلٌ نائمٌ؛ أي: منُومٌ فيهِ، ويقُولون: أبقَل النَّبْتُ، فهوَ باقلٌ؛ أي: مُبقِل.

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٧٨).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٣) البيت لنهشل بن حري يرثي أخاه في مجاز القرآن (١/ ٣٤٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٦)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٥٧٨)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٧٠٨).

وقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُريد أَبو عُبيدةَ[١] أنَّها تُلْقِح الشَّجرَ، وتُلْقِح السَّحابَ كأنَّها تُنْتجُه، ولسْت أدْري ما أضطرَّه إلى هذا التَّفْسيرِ بهذَا الاِسْتكراهِ، وهو يجِدُ العرَبَ تُسمِّي الرِّياحَ لَواقحَ، والرِّيحَ لَاقحًا[٢]، قَالَ الطِّرماحُ -وذكَر بُرْدًا مَدَّه علَى أصْحابِه في الشَّمسِ يستظلُّون بِه- [من مجزوء الكامل]:

قَلِقٌ لِأَفْنَانِ الرِّيَاحِ لِلَاقِحٍ مِنْهَا وَحَائِلْ[٣]

فاللَّاقِحُ: الجنُوبُ، والحَائِلُ: الشمالُ، ويُسمُّونَ الشِّمالَ أيْضًا: عقِيمًا، والعَقِيمُ: الَّتِي لَا تحمِلُ، كما سمَّوا الجنُوبَ لَاقِحًا، قالَ كثيِّر [من الطويل]:

.... وَمَرَّ بِسِفْسَافِ التُّرَابِ عَقِيمُهَا[٤]

يعْنِي: الشِّمالَ. وإنَّما جعَلُوا الرِّيحَ لَاقحًا؛ أي: حامِلًا؛ لأنَّها تحمِلُ السَّحابَ وتقلِّبُه وتصرِّفُه، ثُمَّ تحلُّه فينْزِلُ، فهِيَ على هذَا حامِلٌ، ويدلُّ على هذَا قوْلُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ أي: حملَتْ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٣) البيت للطرماح في غريب القرآن (ص: ٢٣٦)، والحجة للقراء السبعة (٢/ ٢٥٢)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٥٨١)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٥٢٤)، وبلا نسبة في البصائر والذخائر (٩/ ٩٨).

(٤) عجز البيت لكثير في غريب القرآن (ص: ٢٣٧)، والمحكم والمحيط (٨/ ٤٢١)، وأساس البلاغة (١/ ١١٨)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٥٢٤)، وصدره: إذا مستثابات الرياح تنسمت.

قَالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: شبَّه ما تحمِلُه الرِّيحُ مِنَ الماءِ وغيْرِه، بالوَلَدِ الَّذي[١] تشْتمِلُ عليه النَّاقةُ، وكذلِك يقُولُون: حرْبٌ لاقِحٌ، لمَا تشْتَمِلُ عليهِ مِنَ الشَّرِّ[٢].

فعَلى قَوْلِ أبي عُبيدةَ[٣]؛ يكونُ معْنى «لَواقِح»: أنَّها مُلقِحةٌ لغيْرِها، وعلَى قَوْلِ ابْنِ قُتيبةَ[٤]: أنَّها لاقِحةٌ نفسَها.

وأكثرُ الأحاديثِ تدلُّ على القولِ الأوَّلِ؛ قالَ عبْدُ الله بْنُ مسْعُودٍ: يَبْعَثُ اللهُ الرِّيَاحَ لِتُلْقِحَ السَّحَابَ، فَتَحْمِلُ الْمَاءَ، فَتَمُجُّهُ ثُمَّ تَمْرِيهِ[٥]، فيُدِرُّ كمَا تُدِرُّ اللِّقْحَةُ[٦].

وقالَ الضَّحَّاكُ: يبْعَثُ اللهُ الرِّياحَ علَى السَّحابِ فتُلْقِحُه فيَمْتَلِئ مَاءً[٧].

---

(١) في (ر)، و(م): التي.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٨٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٥) مرى الناقة يمريها: مسح ضرعها، فأمرت هي: درّ لبنها، وهي: المرية بالضم والكسر. ومرى الشيء: استخرجه كامتراه. القاموس مادة (م ر ي).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٦) بنحوه، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٣)، والبيهقي (٣/ ٣/ ٣٦٤)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢٨) (١٠٠٦) بنحوه، من طرق عن الأعمش به، وذكره النحاس في معاني القرآن (٤/ ١٩) بنحوه، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢١٧) بنحوه، وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٥)، وقال: وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٦) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

قالَ النَّخَعي(١): تُلْقِحُ السَّحابَ ولَا تُلْقِحُ الشَّجرَ(٢).

وقالَ الحسَنُ في آخرينَ: تُلْقِحُ السَّحابَ والشَّجرَ، يعْنُونَ أنَّها: تُلْقِحُ السَّحابَ حتَّى يُمطِرَ، والشَّجرَ حتَّى يُثْمِرَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعْنِي: السَّحاب ﴿مَآءً﴾ يعْنِي: المطَرَ ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ أي: جعلْناه سُقيًا لكُم.

[٤٤١/أ] قالَ الفرَّاءُ: العرَبُ مجْتمِعُونَ علَى أن يقُولوا: سقَيْتُ الرَّجُلَ، فأَنا أسْقِيه: إذَا سَقَيْتُه لِشَفَتِه، فإذَا أجْرَوْا للرَّجُلِ نهْرًا، قالوا: أَسْقَيْتُه وسَقَيْتُه، وكذلِك السُّقْيَا مِنَ الغيْثِ، قالُوا فيهَا: سَقَيْتُ، وأَسْقَيْتُ(٤).

وقالَ أبو عُبيدَةَ: كُلُّ ما كانَ مِنَ السَّماءِ، ففِيه لُغتَانِ: أَسْقَاه اللهُ، وسَقَاه اللهُ، قالَ لَبِيد [من الوافر]:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ(٥)

---

(١) في (ر)، و(م): الحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٧)، وعزاه السيوطي (٤/ ٩٦) إلى أبي الشيخ عن إبر هيم.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٧)، وأبو الشيخ (٨٥٦) من طريق ابن عليه به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٦) إلى أبي عبيد وابن أبي حاتم.

(٤) لغات القرآن (ص: ٨٢).

(٥) البيت للبيد في ديوانه (ص: ٧١)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٥٦٢) والرواية فيه: (والقائلَ) بدل: (والقبائل)، ولغات القرآن؛ للفراء (ص: ٨٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١٧)، والكشف والبيان (١٦/ ٦٧)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٩/ ١٨١).

فجاءَ باللُّغتَيْنِ. وتقُول: سقَيْتُ الرَّجُلَ ماءً وشَرابًا مِن لبَنٍ وغيْرِه، وليْسَ فيهِ إلَّا لُغةٌ واحِدةٌ بغيْرِ ألِفٍ، إذا كانَ في الشَّفَه؛ فإذا جعلْتَ له شِرْبًا؛ فهوَ: أسْقَيْتُه، وأسْقَيْتُ أرْضَه، وإبِلَه، ولا يكونُ غيرَ هذَا، وكذلِك إذَا اسْتسْقَيْت له؛ كقوْل ذي الرُّمة [من الطويل]:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي ... فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهْ

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهْ[(١)]

فإذا وهبْتَ له إهابًا ليجعَلَهُ سِقاءً؛ فقدْ أسْقيْتَه إيَّاه[(٢)].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ﴾ يعني: المَاءَ المنزَّل ﴿بِخَٰزِنِينَ﴾ وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: بحَافظِينَ؛ أي: ليسَتْ خزَائنُه بأيْدِيكم، قالَه مُقاتِلٌ[(٣)].

والثَّاني: بِمانِعِينَ، قالَه سُفيانُ الثَّورِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ يعْنِي: أنَّه الباقِي بعْد فناءِ الخلْقِ.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ۝٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ۝٢٥﴾ [الحجر: ٢٤ - ٢٥].

---

(١) البيتان لذي الرمة في مجاز القرآن (١/ ٣٥٠)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٩)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٤٥٢)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٧١٠)، والجليس الصالح (ص: ٢٨٠)، ومصارع العشاق (٢/ ١٨٧).

(٢) انتهى نقله من مجاز القرآن (١/ ٣٤٩- ٣٥٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٧).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ يُقـال: اسْـتقدَم الرَّجـلُ، بمعْنَـى: تقَـدَّمَ، واسْـتأخَر، بمعْنَـى: تأخَّـرَ.

وفي سببِ نُزولها قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ امْـرأةً حسَـناءَ كانَـتْ تُصلِّي خلْـفَ رسُـولِ الله -ﷺ- فكانَ بعْضُهـم يتَقْـدَّمُ[1] حتَّـى يكـونَ في أوَّلِ صـفٍّ لِئَـلَّا يرَاهَـا، ويتَأخَّـرُ بعْضُهـم حتَّـى يكـونَ في آخِرِ الصـفِّ[2]، فـإذا ركَـعَ نظَـرَ مِـن تحْـتِ إبْطِـه، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، رَواه أبـو الجـوْزاءِ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[3].

والثَّـاني: أنَّ النَّبـيَّ -ﷺ- حـرَّضَ عـلَى الصَّـفِّ الأوَّلِ، فازْدحمُـوا علَيْـه، وقـالَ قـوْمٌ: بُيوتُهـم قاصِيـةٌ عـنِ المدِينَـةِ: لَنَبيعـنَّ دُورَنَـا، ولَنَشْـتَرِينَّ دُورًا قَرِيبَـةً مِـنَ المسْـجِدِ حتَّـى نُـدرِكَ الصَّـفَّ المتقـدّم[4]، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ؛ ومعْناهـا: إنَّما تُجـزونَ عـلَى النِّيَّـاتِ، فاطْمَأنُّـوا وسَـكَنُوا، رَواه أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[5].

---

(١) في (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م): يستقدم.

(٢) في (ف)، و(ر): صفٍّ.

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٨٣٥)، وأحمد (٢٧٨٣)، والترمذي (٣١٢٢)، والنسائي (٨٦٩)، وفي الكبرى (١١٢٧٣)، وابن ماجة (١٠٤٦)، الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٣)، وابن خزيمة (١٦٩٦- ١٦٩٧)، وابن حبان (٤٠١)، والطبراني (١٢٧٩٦)، والحاكم (٢/ ٣٥٣)، والبيهقي (٣/ ٩٨) من طرق عن نوح بن قيس، قال: حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عبَّاس.

(٤) في (ج): الأوَّل.

(٥) ذكره أبو بكر الجرجاني في درج الدرر (٢/ ١٧٢) من رواية الكلبي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٥٧)، والواحدي في أسباب النزل (ص: ٢٨٢) عن الربيع بن أنس.

وللمُفسِّرينَ في معْنَى المستقْدِمينَ والمستَأخِرينَ ثمانِيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: التَّقدُّم فِي الصَّفِّ الأوَّلِ، والتَّأخُّرُ عنْهُ، وهذا على القوْليْنِ المذْكورَيْنِ في سببِ نُزُولها، فعلَى الأوّلِ: هوَ التَّقدُّم للتَّقْوى، والتَّأخُّرُ للخِيَانةِ بالنَّظر، وعلَى الثَّاني: هوَ التَّقدّمُ لِطلبِ الفَضِيلةِ، والتَّأخُر للعُذْرِ.

والثَّاني: أنَّ المستقْدِمِينَ: مَن ماتَ، والمستأخِرينَ، مَن هو حيٌّ لم يمُتْ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1]، وخصِيفٌ عنْ مُجاهدٍ، وبهِ قالَ عطَاءٌ، والضَّحَّاكُ، والقُرظيُّ.

والثَّالث: أنَّ المسْتقْدِمِينَ: مَن خرَجَ مِن الخلْقِ وكانَ. والمستأخِرِينَ: الَّذينَ في أصْلَابِ الرِّجال، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قال [٤٤١/ ب] عكرمة[2].

والرَّابع: أنَّ المسْتَقدِمِينَ: مَن مضَى مِنَ الأُممِ، والمستَأخِرينَ (مِنْ)[3] أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، رَواه ابنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ[4].

والخامس: أنَّ المسْتَقْدِمينَ: المتقدِّمُونَ في الخيْرِ، والمستأخِرُونَ: المثبِّطُون عنْه، قالَه الحسَنُ، وقتَادةُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٠).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٨) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والسَّادس: أنَّ المستقْدِمينَ في صُفوفِ القِتالِ، والمستأخِرينَ عنْها، قالَه الضَّحَّاكُ.

والسَّابع: أنَّ المستَقْدِمينَ: مَن قُتل في الجهَادِ، والمستأْخِرينَ: مَن لم يُقتَلْ، قالَه القُرظيُّ.

والثَّامن: أنَّ المستقْدِمينَ: أوَّلُ الخلْقِ، والمستأْخِرين آخِرُ الخلْقِ، قالَه الشَّعبيُّ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٦ - ٢٩].

قوْله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعْني: آدمَ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ **وفيه ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه الطِّينُ اليَابِسُ الَّذي لم تُصبْهُ النَّارُ، فإذَا نقرْتَه صَلَّ، فسمِعْتَ لَه صلْصَلةً، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَة، وأبو عُبيدَةَ[١]، وابْنُ قُتيبةَ[٢].

والثَّاني: أنَّه الطِّينُ المنْتِنُ، قالَه مُجاهِدٌ، والكِسائِيُّ[٣]، وأَبو عُبيدٍ[٤]. ويُقَال: صلَّ اللَّحْمُ: إذَا تغيَّرتْ رائِحتُهُ.

والثَّالث: أنَّه طينٌ خُلطَ برملٍ، فصَار له صوْتٌ عنْد نقْرِه، قالَه الفرَّاءُ[٥].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٣٧).

(٣) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٦٠).

(٤) غريب الحديث (٣/ ١٦٦).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٨٨).

فأمَّا الحمَأُ: فقالَ أبو عُبيدةَ: هو جَمْعُ حمأَةٍ، وهوَ الطِّينُ المتغيِّرُ(١).

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: لا خِلافَ أنَّ الحمَأَ: الطِّينُ الأسْودُ المتَغيِّرُ الرِّيحِ(٢).

ورَوى السُّدِّي عنْ أشْياخِهِ قالَ: بلَّ التُّرابِ حتَّى صارَ(٣) طينًا، ثُمَّ تُركَ حتَّى أنْتَن وتغيَّر.

وفي المسْنُون أربعةُ أقْوالٍ:

أحدها: **المُنْتِنُ أيضًا**، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ في آخَرِينَ.

قال ابن قتيبة: المسْنُونُ: المتغيِّر الرَّائِحةِ(٥).

والثَّاني: أنَّه الطِّينُ الرَّطِبُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٦).

والثَّالث: أنَّه المصْبُوبُ، قالَه أبو عمْرِو بْنُ العَلاءِ(٧)، وأبو عُبيدةَ(٨).

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥١).

(٢) الأضداد (ص: ٣٩٧).

(٣) في الأصل، و(ج)، و(ف): عاد، والمثبت من (ر)، و(م).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٨).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير وبن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٤/ ٣٨٩).

(٨) مجاز القرآن (١/ ٣٥١).

والرَّابع: أنَّه المحْكوكُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنباري، قالَ: فمَن قالَ: المسْنُون: المتِن، قالَ: هوَ مِن قوْلِهم: قدْ تسَنَّى الشَّيءُ: إذَا أنْتَنَ، ومنْهُ قوْلُه تعَالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وإنَّما قِيل لَه: مسْنُونٌ؛ لِتقادُمِ السِّنِينَ عليْهِ.

ومَن قالَ: الطِّين الرَّطِب، قالَ: (سُمِّي مسْنُونًا)(١)؛ لأنَّه يسِيلُ وينْبسِطُ، فيكونُ كالماءِ المسْنُونِ المصْبُوبِ.

ومَن قالَ: المصْبوبُ، احْتجَّ بقوْلِ العرَبِ: قد سنَنْتَ عليَّ الماءَ: إذَا صببْتَهُ.

ويجوزُ أن يكونَ المصْبُوبُ على صُورةٍ ومِثالٍ؛ مِنْ قوْلِه: رأيتُ سُنَّةَ وجْهِه؛ أي: صُورةَ وجْهِه، قالَ الشَّاعرُ [من البسيط]:

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ ... مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبُ(٢)

ومَن قالَ: المحْكُوك، احْتجَّ بقَوْلِ العرَب: سنَنْتَ الحجَرَ علَى الحجَرِ؛ إذَا حككْتَهُ عليْهِ. وسُمِّي المَسَنُّ مسَنًّا؛ لأنَّ الحدِيدَ يُحكُّ عليهِ.

قالَ: وإنَّما كُرِّرت «مِن»؛ لأنَّ الأُولى متعلِّقةٌ بـ«خلقنا» والثَّانية متعلِّقةٌ بالصّلصالِ، تقْدِيرُه: ولقد خلقنا الإنسان مِنَ الصَّلصالِ الَّذي هو مِن حمإٍ مسْنُون(٣). [٤٤٢/أ]

---

(١) ليست في (ج).

(٢) البيت لذي الرمة في الأضداد (ص: ٣٩٨- ٣٩٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٤٠)، والمعاني الكبير؛ لابن قتيبة (١/ ٥٣٣)، والكشف والبيان (١٥/ ٤٦٠)، والتذكرة الحمدونية (٥/ ٣١٥)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٤)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٥٥).

(٣) انتهى نقله عن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٤٨٨- ٤٨٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلۡجَآنَّ﴾ **فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُهـا: أنَّـه مسِـيخُ الجـنِّ، كـَما أنَّ القِـردةَ والخنَازيـرَ مسِـيخُ الإنْـسِ، رَواه عكْرِمـةُ عنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّه أبو الجِنّ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

ورَوى عنْـهُ الضَّـحَّـاكُ أنَّـه قـالَ: الجَـانُّ أبـو الجِـنِّ، وليْسُـوا بِشـياطينَ، والشَّـياطِينُ ولَـدُ إبْلِيـسَ لا يمُوتـون إلَّا مـعَ إبْلِيـسَ، والجِـنُّ يمُوتُـون، ومنْهُـمُ المؤْمِـنُ ومنْهُـم الكافِـرُ(٢).

والثَّالث: أنَّه إبْليسُ، قالَه الحسَنُ، وعطَاءٌ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ(٣).

فإنْ قيلَ: ألَيْسَ أبو الجِنِّ هوَ إبْليسُ؟

فعنه جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّه هوَ، فيكون هذَا القوْلُ هوَ الَّذِي قبْلَهُ.

والثَّـاني: أنَّ الجـانَّ أبـو الجِـنِّ، وإبْلِيـسَ أبـو الشَّـياطِين، فبيْنَهُـما إذًا فـرْقٌ عـلَى مـا ذكرْنَـاه عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

قالَ العُلماء: وإنَّما سُمِّي جانًّا؛ لِتَوارِيهِ عنِ العُيونِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ يعْني: قبْلَ خلْقِ آدَمَ.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٧) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٢) إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن ابن عبَّاس.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٨).

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ وقال ابنُ مسعودٍ: مِن نارِ الرِّيحِ الحارَّةِ، وهيَ جزءٌ مِن سبعينَ جُزءًا مِنْ نارِ جهنَّم، والسَّمومُ في اللُّغةِ: الرِّيحُ الحارَّةُ وفيها نارٌ(١). قالَ ابنُ السَّائبِ: وهي نارٌ لَا دُخانَ لها(٢).

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر: ٣١ - ٤١].

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾؛ أي: عدلْتُ صورتَه، وأتممْتُ خلقتَه ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ هذه الرُّوح هيَ الَّتي يَحْيا بها الإنسانُ، ولا تُعلم ماهيَّتُها، وإنَّما أضافَها إليه؛ تشريفًا لآدم، وهذِه إضافةُ مِلْكٍ.

وإنَّما سُمِّي إجْراءُ الرُّوح فيهِ نفْخًا؛ لأنَّها جرَتْ في بدنِه على مثْل جرْي الرِّيح فيه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٠٠)، والحاكم (٢/ ٤٧٤) من طريق أبي إسحاق، وأخرجه الطبراني (٩٠٥٧) من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، وأخرجه معمر في جامعه (٢٠٣٥٧) عن أبي إسحاق، عن عمرو بن عاصم عن ابن مسعود، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٨) إلى الفريابي وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢١٧)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٤)، والتفسير البسيط (٢١/ ١٥٢).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أمْرٌ(١) مِنَ الوقُوعِ.

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قـالَ [فيـه](٢) سـيبويهِ والخليـلُ: هـو توكِيـدٌ بعْـدَ توْكِيـدٍ(٣).

وقـالَ المـبرِّدُ: «أجْمعُـون» يـدلُّ عـلَى اجْتماعِهِـم في السُّـجودِ، فالمعْنَـى: سـجَدُوا كلُّهُـم في حالـةٍ واحِـدةٍ(٤).

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: وهـذَا، لأنَّ «كُلًّا» تـدُلُّ عـلى اجْتـماعِ القـوْمِ في الفعْلِ، ولا تـدلُّ عـلَى اجْتماعِهِـم في الزَّمانِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وقوْلُ سِيبويهِ أجْودُ؛ لأنَّ «أجْمَعِينَ» معْرفةٌ، ولا تكُون حالًا(٥).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ قـالَ المفسِّرونَ: معْنـاه: يلعَنُـك أهْـلُ السَّـماءِ وأهْـلُ(٦) الأرْضِ إلى يـوْمِ الحسـابِ.

قـالَ ابْـنُ الأنْباريِّ: وإنَّـما قـالَ: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأنَّه يومٌ لـه أوَّلُ وليْس له آخِـرُ، فجَـرى مجرَى الأبـدِ الَّذِي لا يفْنـى، والمعْنَى: عليْـك اللَّعنة أبدًا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ يعْنِـي: المعْلُـومَ بمـوْتِ الخلائـقِ فيـهِ، فـأرَادَ أنْ يُذيقَـه ألمَ المـوْتِ قبْـلِ أن يُذيقَـه العـذَابَ الدَّائِـمَ في جهَنَّـم.

---

(١) في (ج): أي.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) الكتاب (٢/ ٣٨٧)، وذكره عنه وعن الخليل الزجَّاج في معانيه (٣/ ١٧٩).

(٤) المقتضب (٤/ ٣٩٥)، وذكر ذلك عنه الزجاج في معانيه (٣/ ١٧٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٩).

(٦) ليست في (ف)، و(ر)، و(م).

قوله تعالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: مفعولُ التَّزيينِ محذوفٌ، والمعْنَى: لأُزَيِّننَّ لهم الباطِلَ حتَّى يقعُوا فيهِ. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾؛ أي: ولأُضِلنَّهُم.

والمخْلِصُون: الَّذين أخْلَصُوا دينَهم للهِ عنْ كُلِّ شائبةٍ تُناقِضُ الإخْلاصَ، ومَا أخلَلْنَا بهِ مِنَ الكلِماتِ هاهُنا، فقد سبَقَ تفْسيرُها في الأعْرافِ [الآية: ١٦] وغيْرِها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

اخْتلَفُوا في معْنَى هذا الكَلامِ علَى ثلاثةِ أقْوالٍ: [٤٤٢/ب]

أحدُها: أنَّه يعْنِي بقوْلِه هذَا: الإخْلاصَ، فالمعْنَى: إنَّ الإخْلاصَ طَريقٌ إليَّ مُستقِيمٌ، و«عليَّ» بمعْنَى: «إليَّ».

والثَّاني: هذا طريقٌ عليَّ جوَازُه؛ لأنِّي بالمرْصَادِ، فأُجازِيهم بأعْمالِهم؛ وهوَ خارجٌ مخْرجَ الوَعيدِ؛ كما تقُول للرَّجُلِ تُخاصمُه: طَريقُك عليَّ، فهوَ كقوْلِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

والثَّالث: هذا صراطٌ عليَّ استقامتُه؛ أي: أنا ضامنٌ لاستقَامَتِه بالبَيانِ والبُرهانِ.

وقرأ قتادَةُ، ويعْقوبُ: «هذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ» بكسْرِ اللَّام ورفْعِ الياءِ وتنْوِينِها(١)؛ أي: رفيعٌ.

---

(١) قراءة عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٠١)، وعزاها في المحتسب (٢/ ٣) للمذكورين، وانظر: البحر المحيط (٦/ ٤٧٨).

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢ - ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ فِيهم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم المؤمنُونَ.

والثَّاني: المعْصُومُونَ، رُويا عنْ قَتادةَ.

والثَّالث: المخْلِصُونَ، قالَه مُقاتِلٌ(١).

والرَّابع: المطِيعُونَ، قالَه ابْنُ جريرٍ(٢).

فعَلى هذِه الأقْوَالِ، تكُونُ الآيَةُ مِنَ العَامِّ الَّذي أُريد بِهِ الخَاصّ.

وفي المرادِ بالسُّلطان قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الحُجَّةُ، قالَه ابْنُ جريرٍ(٣)، فيكُونُ المعْنَى: ليْسَ لكَ (عليْهم)(٤) حُجَّةٌ فِي(٥) إغْوائِهِم.

والثَّاني: أنَّه القهْرُ والغلَبَةُ؛ وإنَّما له أنْ يَغُرَّ ويُزَيِّنَ، قالَه أَبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٣).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٥).

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ج): على.

وسُئِل سُفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عنْ هذِه الآيَةِ[١]، فقَال: ليْس لكَ عليْهِم سُلطانٌ أنْ تُلْقِيَهُم فِي ذنْبٍ يَضِيقُ عفْوِي عنْهُ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ يعْنِي: الّذينَ اتّبعُوه.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ وهيَ درَكَاتُها بعْضُها فوْقَ بعْضٍ، قالَ عليٌّ عليه السلام: أبْوابُ جهَنّم ليْسَتْ كأبْوابِكُم هذِه، ولكنَّها هكذَا وهكَذَا وهكذَا بعْضُها فوْقَ بعْضٍ، ووصفَ الرَّاوي عنْه بيدِه وفتَح أصابعَهُ[٣].

قالَ ابْنُ جُريجٍ[٤]: لَها سبْعَةُ أبْوابٍ، أوَّلُها جهَنَّمُ، ثُمَّ لظَى، ثُمَّ الحُطَمَةُ، ثُمَّ السَّعِيرُ، ثُمَّ سَقَرُ، ثُمَّ الجَحِيمُ، ثُمَّ الهاويةُ[٥].

وقالَ الضَّحَّاكُ: هيَ سبْعَة أدْراك بعْضُها فوْقَ بعْضٍ، فأعْلَاها فيهِ أهْلُ التَّوْحيدِ يُعذَّبُون على قدْرِ ذُنُوبِهِم ثُم يَخْرجُونَ، والثَّاني فيهِ النَّصارى، والثَّالث فيهِ اليهُودُ، والرَّابع فيهِ الصَّابِئُونَ، والخامِسُ فيهِ المجوسُ، والسَّادس فيهِ مُشركُو العرَبِ، والسَّابعُ فيهِ المنافِقُون[٦].

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزل (٤/ ٣٨٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٠٦).

(٤) في (ج)، و(ف): جرير.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٠٧).

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٧١- ٤٧٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٦١٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٨٢- ٣٨٣).

قالَ ابنُ الأنباريِّ: لما اتَّصَلَ العذابُ بالبابِ، وكانَ البابُ مِن سببِه، سُمِّي باسْمِه للمُجاورةِ، كتَسْمِيتِهِمُ الحدثَ غائطًا.

قوْلُه تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: مِن أتباعِ إبليسَ ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ والجُزْءُ: بعْضُ الشَّيْءِ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ قد شرحْنا في [سورة][1] البقرةِ [آية: ٢ - ٢٥] معْنَى التَّقْوى والجنَّاتِ.

فأمَّا العُيون: فهيَ عُيونُ الماءِ، والخمْرِ، والسَّلْسَبيلِ، والتَّسْنيمِ، وغيْر ذلِك ممَّا ذُكر أنَّه مِن شرابِ الجنَّةِ.

قوْلُه تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ المعْنَى: يُقال لهُم: ادْخلوها ﴿بِسَلَٰمٍ﴾، **وفيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: بسلامَةٍ مِنَ النَّار.

والثَّاني: بسلامَةٍ مِن كُلِّ آفةٍ.

والثَّالث: بتحيَّةٍ مِنَ اللهِ تعالى.

---

(١) من (ر)، و(م).

وفي قوله تعالى: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: آمنين مِنْ عذابِ اللهِ.

والثَّاني: مِنَ الخُروجِ.

والثَّالث: مِنَ الموْتِ.

والرَّابع: مِنَ الخوْفِ والمَرَضِ.

[٤٤٣/أ] قوْلُه تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ قد ذكرْنا تفسيرَها في [سُورة][1] الأعْرافِ [آية: ٤٣]، فإنَّ المفسِّرين ذكرُوا ما هُناك هَاهُنا مِن تفْسيرٍ وسببِ نُزولٍ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِخْوَانًا﴾ منْصوبٌ علَى الحالِ، والمعْنَى: أنَّهم مُتوادُّونَ.

فإنْ قيلَ: كيْفَ نصبَ «إخْوانًا» على الحَالِ، فأوْجَب ذلِك أنَّ التَّآخي وقَع معَ نزْعِ الغِلِّ، وقد كانَ التَّآخِي بيْنَهُم في الدُّنْيا؟.

فقَد أجابَ عنْه ابْنُ الأنْبارِيِّ، فقال: ما مضَى مِنَ التَّآخي قد كانَ تشُوبُه ضغَائِنُ وشحْناءُ، وهذا التَّآخي بيْنَهمُ الموجودُ[2] عنْد نزْعِ الغلِّ وهوَ تآخِي المصافَاةِ والإخْلاصِ، ويجُوز أنْ ينْتصبَ ﴿إِخْوَانًا﴾ على المدْحِ، المعنى: اذْكر إخْواناً. فأمَّا السُّرُورُ: فجمْعُ سَريرٍ.

---

(١) من (ر)، و(م).

(٢) في (ف): موجود.

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: عَلَى سُررٍ مِن ذهَبٍ مُكلَّلَةٍ بالزَّبرجَدِ والدُّرِّ والياقُوتِ، السَّريرُ مِثْلُ مَا بيْنَ عدَن إلى أيْلةَ[١]، ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ لا يَرى بعْضُهم قفَا بعْضٍ، حيثُما الْتفَتَ رأَى وجهًا يُحِبُّه يُقابِلُه.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ أي: لَا يُصِيبُهُم في الجنَّةِ إعْياءٌ وتعَبٌ.

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

سببُ نُزولها: ما روَى ابْنُ المبارَكِ بإسْنادٍ له عنْ رجُلٍ مِن أصْحابِ رسُولِ اللهِ -ﷺ- [قالَ: طلَعَ علينَا رسُولُ اللهِ ﷺ][٢] مِنَ البَابِ الَّذي يدخُلُ منْهُ بنُو شَيْبَةَ، ونحْنُ نضْحَكُ، فقَال: «**أَلا أَراكُم تَضْحكُونَ**»؟ ثُمَّ أدْبرَ، حتَّى إذَا كانَ عنْدَ الحَجَرِ، رجَعَ إلَيْنَا القَهْقَرى، فقَالَ: «**إنِّي لَمَّا خَرجْتُ؛ جاءَ جِبْرِيلُ**

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٦١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٤٠٩)، وأَيْلة: بفتح أوله، على وزن فَعْلة، مدينة على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر - الذي تشترك فيه الحدود المصرية والفلسطينية والأردنية والسعودية، قيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وقيل وهي مدينة اليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا، قيل: وقد سميت بأيْلة بنت مدين ابن إبراهيم، وهي التي يطلق عليها اليهود اليوم: (ميناء إيلات)، انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢١٦)، ومعجم البلدان (١/ ٢٩٢)، وأطلس العالم (ص: ٢٩).

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

عليْـهِ السَّـلامُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّـدُ! يقُولُ اللهُ تعَـالَى: لِمَ تُقَنِّطُ عِبَـادِي؟ ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾»(١).

وقَـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو بتحْرِيـكِ يـاءِ: «عِبَـادِيَ» وَيَـاءِ «أَنِّيَ أَنَـا»، وأَسْـكَنَهَا البَاقُـون(٢).

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قَـد شرَحْنَـا القِصَّـةَ في هُـود [آيـة: ٦٩]، وبيَّنَّـا هُنالِـك معْنَـى الضَّيـفِ والسَّـببَ في خوْفِـه منْهُـم، وذكرْنَـا معْنَـى الوجَـلِ في الأنْفَـالِ [آيـة: ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: إنَّه(٣) يبلُغُ ويعلَمُ.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجـر: ٥٤ - ٦٦].

---

(١) أخرجـه ابـن المبارك في الزهد (٨٩٢) عن مصعب بن ثابت، والطبري في تفسيره (١٧/ ١١١)، وعـزاه السـيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٢) إلى ابـن جرير وابن مردويه.

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٦).

(٣) ليست في (ف).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي ﴾؛ أي: بالوَلَـدِ ﴿ عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾؛ أي: عـلَى حالـةِ الكـبَرِ والهـرَمِ ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾.

قـرَأ أبـو عمْـرٍو، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكسَـائِيُّ: «تُبَـشِّرونَ» بفتْـحِ النُّـونِ. وقـرَأ نافِـعٌ بكسْـرِ النُّـون، ووافَقَـه ابْـنُ كثِـيرٍ في كسْـرِهـا، لكنَّـه شـدَّدَهَا. وهـذَا اسْتفْهَامُ تعجُّـبٍ، كأنَّـه عجِـبَ مِـنَ الوَلَـدِ عـلَى كِـبَرِه[١].

﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: بـِمَا قـضَى اللهُ أنَّـه كائِـنٌ ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ يعْنِـي: الآيِسِـينَ.

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ: «ومَـنْ يقْنَـطُ» بفتْـحِ النُّـون في جميـعِ القُـرآن. وقـرَأ أبـو عمْـرٍو، والكِسـائِيُّ: «يقْنِـطُ» بكـسْرِ النُّـونِ[٢]. وكُلُّهـم قـرءُوا: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ [الشـورى: ٢٨] بفتْـحِ النُّـون.

ورَوى خارِجةُ عنْ أبي عمْرٍو: «ومَنْ يقْنُطُ» بضَمِّ النُّونِ[٣].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: يُقـالُ: قَنَـطَ يقنِـطُ، وقَنِـطَ يَقْنَـطُ، والقُنُـوطُ بمعْنَـى: اليـأْسِ[٤]، ولم يكُـن إبْراهيـمُ قانطًـا، ولكنَّـه اسْـتبْعَدَ وجُـودَ الولَـدِ. [٤٤٣/ب]

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٣) قـراءة شـاذة، انظـر: المحتسـب (٢/ ٥)، وإعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٢/ ٢٤٢)، ونقلهـا ابـن القطـاع في كتـاب الأفعـال (١/ ١٢) عـن حيـوة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨١).

قوْلُـه[1]: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾؛ أي: مَـا[2] أمْرُكُـم؟ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ ﴾؛ أي: بالعـذَابِ.

وقوْله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ اسْتِثناءٌ ليْس مِنَ الأوَّلِ.

فأمّا آلُ لُوطٍ: فهمْ أَتْباعُه المؤْمِنُونَ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ ﴾ قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ:

«لمُنَجُّوهُم» مشدَّدة الجيمِ. وقرَأ حمْزةُ، والكِسَائيُّ: «لمنْجُوهُم» خَفِيفة[3].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ المعْنَـى: إنَّـا لمنجُّوهُـم إلَّا امْرأتَـهُ، ﴿قَدَّرْنَآ ﴾ ورَوى أبـو بكْرٍ عـنْ عاصِمٍ: «قدَرْنَـا» بالتَّخْفيفِ[4]، والمعْنَى واحِـدٌ، يُقال: قدَّرْتُ وقـدَرْتُ، والمعْنَـى: قضَيْنَـا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ يعْنِي: البَاقـين في العذابِ.

قوْله تعَـالى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ يعْنِي: لا أعْرِفُكم، ﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يعْنُـون: العـذابَ، كانُـوا يشُـكُّونَ في نُزولِـه. ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: بالأمْـرِ الَّـذِي لا شـكَّ فيـهِ مِن عـذابِ قوْمِكَ.

قوْله تعَـالى: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾؛ أي: سِرْ خلْفَهُم ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾؛ أي: حيْـثُ يأمُرُكم جِبْرِيلُ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (ج): من.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٤) سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

وفي المكانِ الَّذي أُمِرُوا بالمضِي إليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الشَّام، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قريَةٌ مِن قُرى قوْمِ لُوطٍ، قالَه ابْنُ السَّائِبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾؛ أي: أوْحَيْنا إليْهِ ذلِك الأمْرَ؛ أي: الأمْرَ بهَلاكِ قوْمِه.

(قالَ الزَّجَّاجُ: فسَّرَ: مَا الأَمْرُ بِباقي الآيَةِ)[1]، والمعْنَى: وقضَيْنا إليْهِ أنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مقْطُوعٌ مُصبِحينَ[2].

فأمَّا الدَّابِرُ: فقد سبَقَ تفْسِيرُه، والمعْنَى: إنَّ آخِرَ مَن يبْقى منْكُم يهلَكُ وقْتَ الصُّبحِ.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهِي قريةُ[3] لُوطٍ، واسمُها: سَدُوم، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضْيافِ[4] لُوطٍ؛ طمَعًا في رُكوبِ الفَاحشَةِ، فقَال لهم لُوطٌ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾؛ أي: بقصْدِكُم إيَّاهُم بالسُّوءِ، يُقَال:

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٢).

(٣) في (م): وهم قوم.

(٤) في (ف): بأضياف قوم.

فضحَهُ يفْضحُه؛ إذا أبَان مِن أمْرِه مَا يلزمُه بِهِ العَارُ، وقد أثْبتَ يعْقُوبُ يَاءَ: «تَفْضَحُونِ» وَ«لَا تُخْزُونِ» في الوصْلِ والوقْفِ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: عنْ ضِيافَةِ العَالمينَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ﴾ حرَّكَ ياءَ: «بنَاتِي» نَافعٌ، وأبو جعْفر[2].

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [الحجر: ٧٢ - ٧٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ فيهِ ثلَاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناه: وحياتُك يَا مُحَمَّدُ، رَواه أبو الجوزَاءِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: لَعَيْشُكَ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4]، وبهِ قَال

---

(١) انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، والإتحاف؛ للدمياطي (ص: ٢٧٦).

(٢) سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢٧٦)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٨)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده -كما في المطالب (٤٠٢٦)- وأبو نعيم في الدلائل (٢١)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٨) من طريق سعيد بن زيد، وأخرجه أبو يعلى (٢٧٥٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢٢) من طريق عمرو بن مالك، بلفظ: «بحياتك»، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٣) إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٩)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٣٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية ابن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، به، وعزاه السيوطي (٤/ ١٠٤) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس.

الأخْفَشُ[١]، وهو يرجِعُ إلى معْنَى الأوَّلِ.

والثَّالث: أنَّ معْنَاه: وحقِّكَ على أُمَّتِكَ، تقُول العَربُ[٢]: لَعَمْرُ اللهِ لا أقُومُ، يعْنُونَ: وحَقِّ اللهِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبَاريِّ.

قالَ: وفي العَمر ثلاثُ لُغاتٍ: عَمرٌ وعُمْرٌ و عُمُرٌ، وهو عنْدَ العرَبِ: البقَاءُ[٣].

وحكَى الزَّجَّاجُ: أنَّ الخليلَ وسِيبويهِ وجميعَ أهْلِ اللُّغةِ قالُوا: العمرُ والعُمرُ في معْنًى واحِدٍ، فإذَا اسْتُعمل في القَسَم؛ فُتح لَا غيْرُ، وإنَّما آثَرُوا الفتْحَ (في القَسَم)[٤]؛ لأنَّ الفتْحَ أخَفُّ عليْهِم[٥]، وهمْ يُؤكِّدونَ القَسَم بـ«لعَمرِي» و«لعَمرك»، فلمَّا كثُر اسْتعمالُهُم إيَّاه، لزِمُوا الأخفَّ عليْهِم.

قالَ: وقالَ النَّحْويون: ارْتفَع: «لعمرك» بالابْتِداءِ، والخبَرُ محْذُوفٌ، [٤٤٤/أ] والمعْنَى: لعمْرك قسَمِي، ولعَمْرك مَا أُقْسِم بهِ، وحُذف الخبَرُ؛ لأنَّ في الكلامِ دليلًا عليهِ. المعْنَى: أُقسِم ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٦].

وفي المرَادِ بهذِه السَّكرةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: الضَّلالَةِ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: بمعْنَى: الغفْلَةِ، قالَه الأعْمَشُ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٣).

(٢) ليست في (ج).

(٣) الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٣٩١).

(٤) في (ج): للقسم.

(٥) في (ج): عليه.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٣- ١٨٤).

وقد شرَحْنَا معْنَى العمهِ في [سُورة][1] البقرَةِ [آية: ١٥].

وفي المشارِ إليْهم بهذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم قوْمُ لُوطٍ، قالَه الأكْثَرُون.

والثَّاني: قوْمُ نبيِّنَا ﷺ، قالَه عطَاءٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ يعْني: صيْحةَ العذَابِ، وهيَ صَيحةُ جبريلَ عليْهِ السَّلامُ.

﴿مُشْرِقِينَ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: أَشْرقْنَا، فنحْنُ مُشرِقُونَ: إذا صَادَفُوا شُروقَ الشَّمسِ، وهوَ طُلوعُها، كمَا يُقال: أصبحْنَا: إذا صادَفُوا الصُّبْحَ، يُقال: شرَقَتِ الشَّمسُ؛ إذا طلَعَتْ، وأشرَقت؛ إذا أضَاءَتْ وصفَتْ، [على][2] هذا أكثَرُ [أهلِ][3] اللُّغةِ. وقد قِيلَ: شَرَقَتْ وأشْرَقَتْ في معنى واحِدٍ، إلَّا أنَّ «مُشْرِقينَ» في معْنَى مُصادِفينَ لِطُلوعِ الشَّمْسِ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قد فسَّرْنا[5] الآيةَ في سُورة[6] هود [آية: ٨٢].

---

(١) من (ف)، و(م).

(٢) من (ج).

(٣) من (ج)، و(ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٤).

(٥) في (ج): شرحنا.

(٦) ليست في (ف).

وفي المتوَسِّمِينَ أَرْبعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُها: أَنَّهُم المتفَرِّسُونَ.

رَوى أبو سَعِيدٍ الخُدْريُّ عنِ النَّبيِّ -ﷺ- أنَّه قَالَ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تعالى»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قَالَ: للمتَفرِّسِينَ[1]. وبهذَا[2] قالَ مُجاهِدٌ، وابْنُ قُتيبةَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: توَسَّمْتُ فِي فُلانٍ الخَيْرَ؛ أي: تبيَّنْتُه[3].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المتوسِّمُونَ، في اللُّغةِ: النُّظَّارُ المتَثبِّتُونَ فِي نظَرِهِم حتَّى يعرفُوا حقيقةَ سِمةِ الشَّيءِ، يُقالُ: تَوسَّمْتُ في فُلانٍ كذَا؛ أي: عرفتُ وسْمَ ذلِكَ فيهِ[4].

وقالَ غيْرُه: المتَوسِّمُ: النَّاظِرُ فِي السِّمَةِ الدَّالَّةِ علَى الشَّيءِ[5].

والثَّاني: المعْتَبِرُونَ، قالَهُ قَتادةُ.

والثَّالث: النَّاظِرُونَ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٢١)، والطبراني في الأوسط (٧٨٤٣)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٢٩)، والخطيب في تاريخه (٣/ ١٩١)، (٧/ ٢٤٢) من طريق محمد بن كثير به، وأخرجه البخاري في تاريخه (٧/ ٣٥٤)، والترمذي (٣١٢٧) من طريق عمرو بن قيس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٣) إلى مردويه وابن السني وابن أبي نعيم.

(٢) في (ج): وبه.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٤).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٦٣٩) ونسبه إلى أبي إسحاق الزجّاج أيضًا.

والرَّابع: المتَفَكِّرُونَ، قالَه ابْنُ زَيْدٍ، والفرَّاءُ[١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا﴾ يعْنِي: قرْيةَ قوْمِ لُوطٍ ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَبِطَريقٍ واضِحٍ، رَواه نَهشَلٌ عنِ الضَّحَّاكِ عنْ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قَالَ قتادَةُ، والزَّجَّاجُ[٣]. وقالَ ابْنُ زيْدٍ: لَبِطَريقٍ[٤] مُبِينٍ[٥].

والثَّاني: لَبِهَلاكٍ، رواه أبو رَوقٍ عنِ الضَّحَّاكِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦]، والمعْنَى: إنَّها بحَالِ هلَاكِها لم تعمرْ حتَّى الآنَ، فالِاعْتِبارُ بِها مُمكنٌ، وهي علَى طريقِ قُرَيشٍ إذا سَافَرُوا إلى الشَّامِ.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: ٧٨ - ٧٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى «إنْ» واللَّام: التَّوكيدُ، والأَيْكُ: الشَّجَرُ الملتَفُّ،

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٩١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٤٩) بلفظه عن قتادة، والطبري (١٧/ ١٢٢) بلفظه عن قتادة، وبنحوه عن مجاهد والضحاك، وورد بنحوه في معاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٦٣٩)؛ للواحدي عن مجاهد وقتادة والضحاك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٣) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٤) في (ج): بطريق.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٢٣).

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٤) إلى ابن أبي حاتم.

فالفَصْلُ بيْنَ واحدِهِ وجمْعِه: الهاءُ. والمعْنَى: أصْحابُ الشَّجرةِ[1].

وقالَ المفسِّرُونَ: هُمْ قوْمُ شُعيبٍ، كانَ مكانُهُم ذَا شجَرٍ، فكذَّبُوا شُعيبًا فأُهْلِكوا بالحَرِّ كما بيَّنا في سُورة هود عليه السلام [آية: ٨٧].

قوْله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ في المكنَّى عنْهُما قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهما[2] الأيْكةُ ومدينَةُ قوْمِ لُوطٍ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: لُوطٌ وشُعيبٌ، ذكرَه ابْنُ الأنْبارِيِّ.

وفي قوْلِه تعالى: ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قوْلانِ: [٤٤٤/ب]

أحدُهما: لَبِطريقٍ ظَاهرٍ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وقِيل للطَّريق: إمَامٌ؛ لأنَّ المسَافِرَ يأتَمُّ[3] بهِ حتَّى يصِيرَ[4] إلى المَوْضعِ الَّذِي يُريده[5].

والثَّاني: لَفِي كِتَابٍ مُستَبِينٍ، قالَه السُّدِّيُّ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: «وإنَّهما» يعْنِي: لُوطًا وشُعيبًا لَبِطَريقٍ مِنَ الحقِّ يُؤتَمُّ بهِ[6].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٢) في الأصل، و(ج): أنها.

(٣) في الأصل: يلتم، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (ج): يصل.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٩).

(٦) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٣٩٢١).

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الحجر: ٨٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يعْنِي بِهِم: ثَمُودَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَتْ منازِلُهُم بالحِجْرِ بيْنَ المدينةِ والشَّامِ[١].

وفي الحِجر قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه اسْمٌ للوادِي[٢] الَّذي كانُوا بِهِ، قالَه قتادَةُ، والزَّجَّاجُ[٣].

والثَّاني: اسْمُ مدِينَتِهِم، قالَه الزُّهريُّ، ومُقاتِلٌ[٤].

قالَ المفسِّرون: والمرَادُ بالمرْسلِينَ: صالِحٌ وحْدَه؛ لأنَّه[٥] مَن كذَّبَ نَبِيًّا فقدْ كذَّبَ الكُلَّ.

والمراد بالآياتِ: النَّاقةُ، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ فيها آياتٌ: خُروجُها مِنَ الصَّخْرةِ، ودُنوُّ نتَاجِها عنْدَ خُروجِها، وعِظَمُ خلْقِها فلَمْ تُشبِهْها نَاقةٌ، وكثْرَةُ لَبنِها حتَّى كانَ يكْفِيهِم جميعًا، ﴿فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر: ٨١]: لم يتفكَّرُوا فيهَا ولم يسْتدلُّوا بها[٦].

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٣٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٧/ ٥٢٤).

(٢) في (ف)، و(ر)، و(م): اسم الوادي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٥).

(٥) في (ر)، و(م): لأن.

(٦) تنوير المقباس (ص: ٢٨٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٦٤٣).

﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٢ - ٨٦].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ قد شرحْناه في الأعْرافِ [آية: ٧٤].

وفي قوْلِه تعالى: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ **ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: آمِنِينَ أنْ تقعَ عليْهِم.

والثَّاني: آمِنِين مِن خَرابِها.

والثَّالث: مِن عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفي قوْلِه تعالى: ﴿ مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: مَا كانوا يعمَلُون مِن نحْتِ الجبَالِ.

والثَّاني: [ما كانُوا][1] يكْسِبونَ مِنَ الأمْوالِ والأنْعامِ.

قوْلُه تعالى: ﴿ إِلَّا ﴾؛ أي: للحَقِّ ولإظْهارِ الحَقِّ، وهوَ ثوابُ المصدِّقِ وعِقابُ المكذِّبِ.

﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾؛ أي: وإنَّ القيامَةَ لَتأْتِي، فيُجازى المشْركون بأعْمالِهم، ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ عنهُم، وهو الإعْراضُ الخَالي مِن جزعٍ وفُحشٍ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر)، و(م).

قالَ المفسِّرُون: وهذا منسُوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

فأمَّا ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾: فهو خالِقُ كُلِّ شيْءٍ. و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ قد سبَقَ شرْحُه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الحجر: ٨٧ - ٨٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾.

سببُ نُزولِها: أنَّ سبْعَ قَوافِلَ وَافتْ مِن بُصْرى وأذْرُعاتٍ لِيهُودِ قُرَيظةَ والنَّضيرِ في يوْمٍ واحِدٍ، فيهَا أنْواعٌ مِنَ البَزِّ والطِّيبِ والجَواهِرِ، فقَالَ المسْلِمُونَ: لو كانَتْ هذِه الأمْوالُ لنَا لتقَوَّينَا بهَا وأنْفقْنَاهَا في سَبيلِ اللهِ، فأنْزلَ اللهُ هذِه الآيةَ، وقَالَ: قد أعْطَيْتكم سبعَ آياتٍ هِيَ خيْرٌ لكُم مِن هذِه السَّبعِ القَوافلِ، ويدلُّ على صِحَّةِ هذَا قوْلُه تعَالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾... الآيةَ، قالَه الحُسينُ بْنُ الفضْلِ[1].

وفي المُرادِ بالسَّبْعِ المثَاني أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها فاتحةُ الكتَابِ، قالَه عُمرُ بْنُ الخطَّابِ، وعليُّ بْنُ أبي طالِبٍ، وابْنُ مسْعُودٍ في رِوايةٍ، وابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةِ الأكْثَرِينَ عنْهُ، وأبو هُريرَةَ، والحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، في رِوايةٍ، ومُجاهِدٌ في رِوايةٍ، وعطاءٌ، وقتَادَةُ في آخَرِينَ.

---

(١) عزاه المصنف للحسين بن الفضل تبعًا للواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٨٣) (٥٥٦)، والحسين بن الفضل لم أقف له على ترجمة.

فعلَى هذَا، إنَّما سُمِّيت بالسَّبعِ؛ لأنَّها سبْعُ آيَاتٍ.

وفي تسمِيتِهَا بالمثانِي سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: لأنَّ اللهَ تعَالى اسْتثْنَاهَا لِأُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، فلم يُعطِهَا أُمةً قبْلَهُم، [٤٤٥/أ] رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1].

والثَّاني: لأنَّها تُثنَّى في كُلِّ ركْعَةٍ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: **والمعْنَى:** آتيْناكَ السَّبعَ الآيَاتِ الَّتي تُثنَّى في كُلِّ ركْعَةٍ، وإنَّما دخلَتْ «مِنْ» للتَّوكيدِ؛ كقوْلِه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[2] [محمد: ١٥].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: سُمِّي «الحمْد» مثَاني؛ لأنَّها تُثنَّى في كُلِّ صلَاةٍ[3].

والثَّالث: لأنَّها ممَّا أُثنِيَ بهِ علَى اللهِ تعالى؛ لأنَّ فيها حمْدَ اللهِ وتوحِيدَه وذكْرَ مملكتِه، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[4].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٦٣) من طريق ابن جريج، قال: حدثني أبي عن سعيد بن جبير أنه أخبره أنَّه سأل ابن عبَّاس عن السبع المثاني قال: أم القرآن، قال سعيد: قرأها وقرأ فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقرأها سعيد بن جبير كما قرأها ابن عبَّاس، وقرأ فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقلت لابن عبَّاس: فما المثاني؟ قال: هي أم القرآن استثناها الله لأمة محمد فرفعها في أم الكتاب فذخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحدًا قبلها، قال: فقلت لأبي: أخبرك سعيد بن جبير أن ابن عباس قال له: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن؟ قال: نعم!. وهو إسناد لين بسبب والد ابن جريج، وهو عبد العزيز، وكان لا يتابع حديثه.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٠٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

والرَّابـع: لأنَّ فيهـا «الرَّحمـن الرَّحيـم» مرَّتَـيْنِ، ذكـرَه أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقيُّ عـنْ بعْـضِ اللُّغويـين، وهـذَا عـلى قـوْلِ مَـن يـرَى التَّسـمية منْهَـا.

والخامـس: لأنَّهـا مقْسُـومةٌ بـيْنَ اللهِ تعَـالى وبـيْنَ عبْـدِه، ويـدلُّ عليْـهِ حدِيـثُ أبي هُريـرةَ: «قَسَـمْتُ الصَّـلَاةَ بَيْنِـي وَبَـيْنَ عَبْـدِي»(١).

والسَّادس: لأنَّها نزَلَتْ مرَّتَيْنِ، ذكرَهُ الحُسينُ بْنُ الفضْلِ.

والسَّـابع: لأنَّ كلماتِهـا مُثنـاةٌ؛ مثْـلُ: الرَّحمـن الرحيـم، إيَّـاك إيَّـاك، الـصِّراط صِراط، عليهـم عليهـم، غـير غـير، ذكـرَه بعْـضُ المفسِّريـنَ.

ومِـن أعْظـم فضائلِهـا أنَّ اللهَ تعَـالى جعَلَهـا في حيِّـزٍ، والقُـرآنَ كلَّـه في حيِّـزٍ، وامْتـنَّ عليْـهِ بِهـا كَـما امْتـن عليْـهِ بالقُـرآن كُلِّـه.

والقـوْلُ الثَّـاني: أنَّهـا السَّـبْعُ الطُّـوَّلُ، قالَـه ابْـنُ مسْـعُودٍ في رِوايـةٍ، وابْـنُ عبَّـاسٍ في رِوايـةٍ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ في رِوايـةٍ، ومُجاهِـدٌ في رِوايـةٍ، والضَّحَّـاكُ.

فالسَّـبْعُ الطُّـوَّلُ هـي: «البقـرة»، و«ءالَ عِمْـرَانَ»، و«آلنِّسَـاء»، و«المائـدة»، و«آلأنْعَام»، و«آلأعْرَاف».

وفِي السَّابعةِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها «يُونُس»، قالَه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّاني: «بَرَاءةٌ» قالَه أبو مَالِكٍ.

(١) أخرجـه مسـلم حديـث رقـم (٣٩٥)، وأبـو داود في سـننه حديـث رقـم (٨٢١)، والترمـذي في سـننه حديـث رقـم (٢٩٥٣).

والثَّالث: «الأنفَال» و«بَرَاءةٌ» جميعًا، رَواه سُفيانُ عن مِسعرٍ عنْ بعْضِ أهْلِ العلْمِ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وكانُوا يرَوْنَ «الأنفَال» و«بَرَاءة» سُورةً واحِدةً، ولِذلِك لم يفْصِلُوا بيْنَهُما[١].

قالَ شيْخُنا أبو منْصُورٍ اللُّغوي: هيَ الطُّولُ بضمِّ الطَّاء، ولا تقلْهَا بالكُسْرِ.

فعَلى هذَا، في تسْمِيتِها بالمثَانِي قوْلَانِ:

أحدُهما: لأنَّ الحُدودَ والفَرائِضَ والأمْثَالَ ثُنِّيت فيهَا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لأنَّها[٢] تُجاوِزُ المائةَ الأُولى إلى المائةِ الثَّانيةِ، ذكَره الماورديُّ[٣].

والقوْلُ الثَّالث: أنَّ السَّبعَ المثَانِي سبْعُ معَانٍ أُنزلتْ في القُرآن: أمْرٌ، ونهيٌ، وبِشارةٌ، وإنْذارٌ، وضرْبُ الأمْثالِ، وتِعدادُ النِّعَمِ، وأخْبَارُ الأُمَمِ، قالَه زِيادُ بنُ أَبِي مَريم[٤].

والقوْل الرَّابع: أنَّ المثَاني: القُرآنُ كلُّه، قالَه طاووسٌ، والضَّحَّاكُ، وأبو مَالِكٍ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٢) في الأصل: لأنها لا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٧١).

(٤) زياد بن أبي مريم الجزري، قال العجلي: تبعي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، أخرج له ابن ماجه. انظر ترجمته في: التهذيب (٣/ ٣٣٠-٣٣١)، والتقريب (١/ ٢٧٠).

فعَلى هذَا، في تسْمِيةِ القُرآن بالمثَاني أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: لأنَّ بعْضَ الآياتِ يتْلو بعْضًا، فتُثنَّى الآخِرةُ علَى الأولى، ولها مَقاطِعُ تفْصِلُ الآيَة بعْدَ الآيةِ حتَّى تنْقَضِي السُّورةُ، قالَه أبو عُبيدةَ(١).

والثَّاني: أنَّه سُمِّي بالمثَانِي لِمَا يتَرَدَّدُ فيهِ مِنَ الثَّناءِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ.

[٤٤٥/ب] والثَّالث: لِمَا يتردَّدُ فيهِ مِن ذكْرِ الجنَّةِ، والنَّارِ، والثَّوابِ، والعِقابِ.

والرَّابع: لأنَّ الأقَاصِيصَ، والأخْبارَ، والموَاعِظَ، والآدَابَ، ثُنِّيتْ فيهِ، ذكرَهُنَّ ابْنُ الأنْبارِيِّ(٢).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: قد يكونُ المثَاني سُورَ القُرآنِ كلِّهِ، قِصارُها وطِوَالُها، وإنَّما سُمِّي مثَاني؛ لأنَّ الأنْباءَ والقَصصَ تُثنَّى فيهِ، فعَلى هذا القوْلِ، المرَادُ بالسَّبعِ: سبْعةُ أسْبَاعِ القُرآن، ويكونُ في الكلَامِ إضْمارٌ، تقْديرُه: وهيَ القُرآنُ العَظِيمُ(٣).

فأمَّا قوْلُه: ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ ففِي «مِن» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها للتَّبْعيضِ، فيكُونُ المعْنَى: آتينَاكَ سبْعًا مِن جُملةِ الآياتِ الَّتِي يُثْنَى بها علَى اللهِ تعَالى، وآتَيْناكَ القُرآنَ.

والثَّاني: أنَّها للصفَةِ(٤)، فيكونُ السَّبعُ هيَ المثَاني، ومنْهُ قوْلُه تعَالى:

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥٤).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٠٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٤) في (ف): الصفة.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] لا أنَّ بعْضَها رِجسٌ، ذكَرَ الوجهَيْنِ الزَّجَّاجُ[١]، وقد ذكرْنَا عن ابْنِ الأنْباريِّ قريبًا مِن هذَا المعْنَى.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ يعْنِي: العَظِيمَ القدْرِ؛ لأنَّه كلَامُ اللهِ تعَالى، ووحْيُه.

وفي المرادِ بِهِ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه جمِيعُ القُرآنِ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: أنَّه الفاتحةُ أيْضًا، قالَه أبو هُريرةَ، وقد رَويْنَا فيهِ حديثًا في أوَّلِ تفْسيرِ الفاتحةِ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: فعَلَى القوْلِ الأوَّل، يكونُ قد نسَقَ الكُلَّ على[٢] البَعْضِ، كمَا يقُولُ العربيُّ: رأيتَ جِدارَ الدَّارِ والدَّارَ، وإنَّما يصْلُح هذَا، لأنَّ الزِّيادةَ الَّتي في الثَّاني مِن كثْرةِ العددِ أشْبهُ بِها مَا يُغاير الأوَّل، فجوَّزَ ذلِك عطْفَه عليْهِ.

وعلَى القوْلِ الثَّاني؛ نَسقَ الشَّيءَ على نفْسِه لَمَّا زِيدَ عليْهِ معْنَى المدْحِ والثَّناءِ، كما قالُوا: رُوي ذلِك عنْ عُمرَ وابْنَ الخطَّابِ. يُريدون ابْنَ الخطَّابِ: الفاضِلَ العالِمَ الرَّفيعَ المنْزلَةِ، فلَمَّا دخلتْه زِيادةٌ، أشْبه مَا يُغاير الأوَّل، فعُطِف عليْه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٢) في (ج): عن.

ولمَّا ذكرَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنَّته عليْه بالقُرآن، نَهاه عنِ النَّظر إلى الدُّنْيا لِيستغْنِيَ بما آتاهُ مِنَ القُرآن عنِ الدُّنيا، فقَال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أصنافًا مِنَ اليهُود والمشركِينَ، والمعْنَى: أنَّه نهاه عنِ الرَّغبةِ في الدُّنْيا.

وفي قوْلِه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: لا تحْزنْ عليْهم إنْ لم يُؤمنوا.

والثَّاني: لا تحْزنْ بما أنْعمتُ عليْهم في الدُّنيا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ألِنْ جانِبَك لهُم. وخفْضُ الجنَاحِ: عبارةٌ عنِ السُّكونِ وترْكِ التَّصُّعبِ والإباءِ. قالَ ابْنُ عبَّاس: ارْفُقْ بِهم ولا تُغلِظْ عليْهم[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ حرَّكَ ياءَ «إنِّي» ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، ونافِعٌ[2]. وذكر بعْضُ المفسِّرينَ أنَّ معْناها منْسُوخٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩٣].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٢).

(٢) قراءة سبعية، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٦)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٧٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ في هذِه الكافِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها متعلِّقةٌ بقوْلِه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾.

ثُم في معْنى الكَلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: ولقد آتيناك سبْعًا مِنَ المثانِي؛ كما أنْزلنا الكُتبَ [٤٤٦/أ] علَى المقْتَسِمينَ، قالَه مُقاتِلٌ[١].

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: ولقد شرَّفْناك وكرَّمْناكَ بالسَّبْع المثَانِي، كما شرَّفْناكَ وأكرَمْناكَ بالَّذي أنْزلناه على المقْتَسِمينَ مِنَ العذَابِ، والكافُ بمعْنَى: «مِثل»، و«مَا» بمعْنَى: «الَّذي» ذكره ابْنُ الأنْبارِيِّ.

والثَّاني: أنَّها مُتعلِّقةٌ بقوْلِه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ والمعْنَى: إنِّي أنَا النَّذير، أنْذرتُكم مثْلَ الَّذي أُنزِل على المقْتَسِمينَ مِنَ العذَابِ، وهذا معْنَى قوْلِ الفرَّاءِ[٢].

فخرَجَ في معْنَى «أنْزلنَا» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنْزلنَا الكُتبَ، على قوْلِ مُقاتلٍ[٣].

والثَّاني: العذَابَ، على قوْلِ الفرَّاءِ[٤].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٩١- ٩٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٩١).

وفي «المقتسمين» ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنّهـم اليهـودُ والنَّصـارى، رَواه العَـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[1]، وبـهِ قـالَ الحسَـنُ، ومُجاهِـدٌ.

فعَلى هذَا، فِي تسْمِيتِهم بالمقْتَسِمينَ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـم آمَنـوا ببعْـضِ القُـرآنِ، وكفَـرُوا ببعْضِـه، رَواه سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّـاني: أنَّهُـمُ اقْتسَـمُوا القُـرآنَ، فقَـال بعْضُهـم: هـذِه السُّـورةُ لِي، وقـالَ آخَـرُ: هـذِه السُّـورةُ لِي؛ اسْـتهزَاءً بـهِ، قالَـه عِكرِمَـةُ.

والثَّالـث: أنَّهـمُ اقْتسـمُوا كُتبَهُـم، فآمَـن بعْضُهُـم ببعضِهَـا وكفَـر ببعْضِها، وآمَـن آخَـرُون بـما كفَـر بـهِ غيْرُهـم، قالَـه مُجاهِـدٌ.

والثَّاني: أنَّهم مُشركو قُريشٍ، قالَه قتادَةُ، وابْنُ السَّائبِ.

فعَلى هذَا، فِي تسْمِيتِهم بالمقْتَسِمِينَ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ أقْوَالهـم تقسَّـمت في القُـرآن، فقَـال بعْضُهـم: إنَّـه سـحْرٌ، وزعَـم بعْضُهـم أنَّـه كهانـةٌ، وزعَـم بعْضهـم أنَّـه أسـاطِيرُ الأوَّلِـينَ، منْهُـم: الأسَـودُ بْـنُ عبْـدِ يغُـوث، والولِيـدُ بْـنُ المغـيرةِ، وعـدِيُّ بْـنُ قيْـسٍ السَّـهمِيُّ،

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ١٤٢- ١٤٣- ١٤٤) مـن طريـق عطيـة العـوفي عـن ابـن عبـاس، ومـن طريـق هشـيم، قـال أخبرنـا أبـو بـشر، عـن ابـن عبَّـاس، ومـن طريـق الأعمـش، عـن أبي ظبيـان، عـن ابـن عبَّـاس، ومـن طريـق هشـيم، عـن منصـور، عـن الحسـن، ومـن عبـد الملـك، عـن قيـس، عـن مجاهـد.

والعَاص بْنُ وائلٍ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: أنَّهُم اقْتسمُوا على عِقَاب مكَّةَ.

قالَ ابْنُ السَّائب: هُم رهْطٌ مِن أهْلِ مكَّة اقْتسَمُوا على عِقابِ مكَّةَ حين حضَر المَوْسِمُ، قالَ لهُم الوليدُ بْنُ المغيرةِ: انْطَلِقُوا فتفَرَّقُوا على عِقابِ مكَّة حيْثُ يمرُّ بكُم أهْلُ المَوْسِمِ، فإذَا سألُوكم عنْهُ، يعْنِي: رسُولَ اللهِ -ﷺ- فلْيَقُلْ بعْضُكم: كاهِنٌ، وبعْضُكم: سَاحِرٌ، وبعْضُكم: شَاعِرٌ، وبعْضُكم: غَاوٍ، فإذَا انْتَهُوا إليَّ صَدَّقتُكُم، ومنْهُم: حنْظلَةُ بْنُ أبي سُفيانَ، وعُتبةُ وشَيْبةُ ابْنَا رَبيعةَ، والوليدُ بْنُ المغيرةِ، وأبُو جهْلٍ، والعَاص بْنُ هِشامٍ، وأبو قيْسِ بْنُ الوليدِ، وقيْسُ بْن الفَاكِه، وزُهير بْنُ أَبِي أُميَّةَ، وهِلالُ بْنُ عبْدِ الأسْوَدِ، والسَّائبُ بْنُ صَيفِيّ، والنَّضْرُ بْنُ الحارثِ، وأبو البختري بْنُ هِشامٍ، وزمْعَةُ بْنُ الحجَّاجِ، وأُميَّةُ بْنُ خلَفٍ، وأوْسُ بْنُ المغِيرةِ[1].

والثَّالث: أنَّهُم قوْمُ صالِحٍ عليه السلام الَّذِين ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [النمل: ٤٩]، فكفَاه اللهُ شرَّهُم، قالَه عبْدُ الرَّحمنِ بْنُ زيْدٍ. فعَلى هـذَا، هوَ من القسْمِ، لا مِن القِسْمَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ **في المرَادِ بالقُرآن قوْلَانِ**:

أحدُهما: أنَّه كتابُنَا، وهوَ الأظْهرُ، وعليْهِ الجمْهُورُ. [٤٤٦/ب]

والثَّاني: أنَّ المرادَ بهِ: كتُبُ المتقدِّمينَ قبْلَنا.

---

(١) انظر: بحر العلوم (٢/ ٢٦٢).

وفي «عِضينَ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مأخُوذٌ مِن الأعْضَاءِ.

قالَ الكِسائِيُّ، وأبو عُبيدَةَ: اقْتسمُوا القُرآن(١) وجعَلُوه أعْضاءً(٢).

ثُمَّ فيمَا فعلُوا فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم عضَّوه أعْضاءً، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. والمعْضِي: المفرّق. والتَّعْضية: تجْزِئةُ الذَّبيحةِ أعْضاءً.

قالَ(٣) عليه السَّلام: «**لَا تَعْضِيَةَ فِي مِيرَاثٍ**»(٤) أرَاد تفْريقَ مَا يُوجب تفْريقَه ضررًا علَى الورَثَةِ كالسَّيْفِ ونحْوِه، وقالَ رُؤبةُ [من الرجز]:

وَلَيْسَ دِينُ اللهِ بِالْمُعَضَّى(٥)

وهذَا المعْنَى فِي رِوايةِ سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (م): بالقرآن.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥٥).

(٣) في الأصل: قال علي، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

(٤) أخرجه الدارقطني (٤/ ٢١٩) بنحوه بروايتين عن أبي بكر، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣٣) بنحوه بروايتين، والحديث ضعيف كما قال الشافعي: قال: ولا يكون مثل هذا الحديث حجة؛ لأنه ضعيف، وهو قول من لقينا من فقهائنا، وقال البيهقي: وإنما ضعفه لانقطاعه، وهو قول الكافة، وعلة أخرى أن الحديث يدور على صديق بن موسى، وهو ليس بحجة كما في الميزان (٣/ ٢٨)، وقد أشار إلى ذلك الآبادي في ذيل سنن الدارقطني (٤/ ٢١٩).

(٥) الرجز لرؤبة بن العجاج، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٥٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٣٩).

والثَّاني: أنَّهم عضَوا القوْلَ فيهِ؛ أي: فرَّقُوا، فقالوا: شِعْرٌ، وقالُوا: سحْرٌ، وقالُوا: كهانةٌ، وقالوا: أساطِيرُ الأوَّلِينَ، وهذا المعْنَى في رِوايةِ ابْنِ جُريجٍ عنْ مُجاهدٍ، وبهِ قالَ قتادةُ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه مأخُوذٌ مِن العضَهِ، والعَضَهُ، بلِسانِ قُريشٍ: السِّحرُ، ويقُولون للسَّاحِرةِ: عاضِهةٌ، وفي الحديثِ: «أنَّ رسُولَ اللهِ -ﷺ- لَعَنَ الْعَاضِهَةَ وَالْمُسْتَعْضِهَةَ»(١)، فيكُون المعْنَى: جعلُوه سِحْرًا، وهذا المعْنَى في روايةِ عِكْرمَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢)، وبهِ قالَ عِكرمةُ، والفرَّاءُ(٣).

قوْلُه تعالَى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ هذا سؤالُ توْبيخٍ، يُسْألُون عمَّا عمِلُوا فيما أُمِروا بهِ مِنَ التَّوْحيدِ والإيمانِ، فيُقالُ لهُم: لِمَ عصيْتُم وتركْتُم الإيمانَ؟ فتَظهر فضِيحتُهُم عنْدَ تعذُّرِ الجوابِ.

قالَ أبو العاليةِ: يُسألُ العِبادُ كُلُّهُم يوْمَ القِيامةِ عنْ خلَّتيْنِ: عمَّا كانوا يعْبدُونَ، وعمَّا أجابُوا المرْسلِينَ(٤).

فإنْ قِيلَ: كيْفَ الجمْعُ بيْنَ هذِه الآيةِ، وبيْنَ قوْلِه تعالَى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٣٩) من حديث ابن عبَّاس، وفي إسناده زمعة بن صالح وسلمة بن وهرام، وهما ضعيفان، وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٢/ ٨٦٩): رواه سلمَة بن وهرام: عن عكرِمَة، عَن ابْن عَبَّاس. وَسَلَمَة: قَالَ أَحْمد بن حَنْبَل: أخْشَى أن يكون حَدِيثه ضَعِيفًا. وَالْبُخَارِيّ قَالَ: فِيهِ نظر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٤٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٣٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٠).

فعَنْهُ جَوابانِ:

أحدُهما: أنَّه لَا يسأَلُهم: هل عمِلْتُم كذَا؟ لأنَّه أعْلَمُ، وإنَّما يقُول: لِمَ عمِلْتُم كذَا؟ رواه ابْنُ أبي طَلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّهم يُسأَلُون في بعْضِ مواطِنِ القِيامَةِ، ولا يُسْأَلُون في بعْضِها، رَواه عِكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: فامْضِ لِمَا تُؤمر، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أظْهِر أمْرَكَ، رَواه ليْثٌ عنْ مُجاهِدٍ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾؛ أي: أظْهِر ذلِكَ. وأصْلُه: الفَرْقُ والفتْحُ، يُريد: اصْدَعِ البَاطِلَ بحَقِّكَ(٣).

وقالَ الزَّجَّاجُ: أَظْهِر بِمَا تُؤمَر به، أُخِذ ذلِك مِنَ الصَّدِيعِ، وهوَ الصُّبْحُ(٤)، قالَ الشَّاعر [من الوافر]:

.... كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ صَدِيعُ(٥)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٥٢٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٩٥) عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٦).

(٥) عجز بيت لعمرو بن معد يكرب في ديوانه (ص: ١٣٣)، وقيل: للشماخ في ملحق=

وقالَ الفرَّاء: إنَّما لم يقُلْ: بِما تُؤمر بِهِ؛ لأنَّه أرَاد: فاصْدَعْ بالأمْرِ(١).

وذكَر ابْنُ الأنْبارِيِّ أنَّ «بِهِ» مُضْمرةٌ؛ كما تقُول: مررْتُ بالَّذِي مرَرْتُ(٢).

والثَّالث: أنَّ المرَادَ بِهِ، الجهْرُ بالقُرآن في الصَّلاة، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ(٣).

وقالَ مُوسى بْنُ عُبيدةَ: مَا زَالَ رسُولُ اللهِ -ﷺ- مُستخْفِيًا حتَّى نزَلتْ هذِه الآيةُ، فخَرَج هوَ وأصْحَابُه(٤). [٤٤٧/أ]

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: اكْفُف عنْ حَرْبِهم.

والثَّاني: لا تُبالِ بِهِم، ولا تلْتفِتْ إلى لَوْمِهم على إظْهَارِ أمْرِك.

=ديوانه (ص: ٤٤٧)، وصدره:

تَرَى السِّرْحَانَ مُفْتَرِشًا يَدَيْهِ *** ....

وأكثر المصادر على (لَبّته) بدل (غرته). ويروى (به السرحان) أو (بها السرحان). والبيت في العين (١/ ٢٩٢)، والمعاني الكبير (١/ ١٩٣)، ومعاني الزجاج (٣/ ١٨٦)، وجمهرة اللغة (١/ ٥١٢)، ومعاني النحاس (٤/ ٤٥)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٢٤٠)، والبحر المحيط (٥/ ٤٥٤).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢/ ٩٣).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٣).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٤١٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٦) إلى ابن جرير عن أبي عبيدة، أنَّ عبد الله بن مسعود قال.

والثَّالث: أَعْرِضْ عنِ الاِهْتِمامِ باستهزائِهِم.

وأكثرُ المفسِّرينَ علَى أنَّ هذَا القدْرَ مِن الآيةِ منسوخٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٥ - ٩٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ المعْنَى: فاصْدعْ بأمْرِي كما كفَيْتُكَ المستهزِئِينَ، وهمْ قوْمٌ كانوا يستهْزِئُونَ بهِ وبالقُرآنِ.

وفي عددِهِم قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانُوا خمسةً: الوليدُ بْنُ المغيرةِ، وأبو زمْعَةَ، والأسْودُ بْنُ عبْدِ يغُوثَ، والعَاص بْنُ وائلٍ، والحارثُ بْنُ قيْسٍ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

واسْمُ أبي زمْعَةَ: الأسْودُ بْنُ المطلبِ. وكذلِك ذكرَهم سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، إلَّا أنَّه قالَ مكانَ الحارثِ بْنِ قيْس: الحارث بن غيطلَةَ.

قال الزُّهرِيُّ: غيطَلَةُ أمُّه، وقيْسٌ أبوهُ، فهوَ واحِدٌ[1].

وإنَّما ذكرْت ذلِك؛ لئلَّا يُظنَّ أنَّه غيرُهُ، وقد ذكرْتُ في كتاب «التَّلقيح»[2] مَن يُنسب إلى أُمِّه مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعين ومن بعدِهم، وسمَّيْتُ آباءَهم؛ لِيعْرفُوا إلى أيِّ الأبوَيْنِ نُسِبُوا.

---

(١) الأثر في تاريخ دمشق (٤١/ ٩٠).

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر؛ لابن الجوزي (ص: ١٧٥).

وفي رواية عن ابنِ عبَّاسٍ مكان الحارثِ بْنِ قيْسٍ: عديُّ بْنُ قيْسٍ[(١)].

والثَّاني: أنَّهم كانوا سبعةً، قالَه الشعْبِيُّ، وابْنُ أبي بزَّةَ[(٢)]، وعدَّهُم ابْنُ أبي بزَّةَ، فقَال: العاص بْنُ وائلٍ، والوليدُ بْنُ المغِيرةِ، والحارِثُ بْنُ عديٍّ، والأسْودُ بْنُ المطلبِ، والأسْودُ بْنُ عبْدِ يغُوث، وأصْرمُ وبعكك ابْنا عبدِ الحارثِ بْنِ السّباقِ[(٣)].

وكذلِك عدَّهُم مُقاتِلٌ، إلَّا أنَّه قالَ مَكان الحارثِ بْنِ عديٍّ: الحارثُ بْنُ قيْسٍ لسَّهمِيُّ، وقال: أصْرمُ وبعكك ابْنا الحجَّاجِ بْنِ السّباقِ.

ذِكْرُ مَا أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِهِ وكَفَى رسُولَه ﷺ أمْرَهُم

قالَ المفَسِّرونَ: أتَى جِبريلُ عليه السلام رسُولَ اللهِ -ﷺ- والمسْتَهْزِئُونَ يطُوفُونَ بالبَيْتِ، فمَرَّ الوليدُ بْنُ المغِيرةِ، فقَالَ جِبْريلُ: يَا مُحمَّدُ! كيْفَ تجِدُ هذَا؟ فقَالَ: «بِئْسَ عَبْدُ اللهِ» قالَ: قَد كُفِيتَ، وأَوْمَأَ إلى سَاقِ الوَليدِ، فمَرَّ الوليدُ برجُلٍ يريشُ[(٤)] نبْلًا لَه، فتعلَّقَتْ شَظْيةٌ مِن نبْلٍ بإزَارِهِ، فمنعَهُ الكِبْرُ أنْ يُطَامِنَ[(٥)] لينزعَها، وجعَلَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ، فمَرِضَ ومَاتَ، وقِيل: تعلَّقَ سهْمٌ بثوْبِه فأصَابَ أكْحلَهُ فقطَعَه، فمَاتَ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٢) (١٣٦٥)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٧).

(٢) القاسم بن أبي بزة، بفتح الموحدة وتشديد الزاي، المكي مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة من الخامسة، مات سنة خمس عشرة، وقيل: قبلها. انظر: التقريب (٢/ ١١٥)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٨).

(٤) راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش.

(٥) يقال: طأمن ظهره: إذا حنى ظهره.

ومـرَّ العَـاص بْـنُ وائـلٍ، فقَـالَ جِبريـلُ: كيْـفَ تجِـدُ هـذَا يـا محمَّـدُ؟ فقَـال: «بِئْـسَ عبْـدُ اللهِ» فأشَـارَ إلى أخْمَـصِ رِجْلِـه، وقـالَ: قَـدْ كُفِيـتَ، فدخلَـتْ شـوْكَةٌ في أَخْمُصِـهِ، فانْتَفَخَـتْ رجْلُـه ومَـاتَ.

ومـرَّ الأسْـودُ بْـنُ المطَّلبِ، فقَال: كيْـف تجِدُ هذَا؟ قالَ: «عبْدُ سُـوءٍ» فأشـارَ بيـدِه إلى عيْنَيْهِ، فعَمِـي وهلَك. وقِيل: جعَل ينْطَحُ برأْسِـه الشَّـجرَ ويضْرِب وجْهَه [٤٤٧/ب] بالشَّـوْكِ، فاسْـتغَاثَ بغُلامِـهِ، فقَال (غلامُـه)[1]: لَا أرَى أحدًا يصْنَـعُ بِكَ هذَا غيْر نفْسِـك، فمَات وهـوَ يقُول: قتَلَنِـي ربُّ محُمَّدٍ.

ومـرَّ الأسْـودُ بْـنُ عبْدِ يغُـوثَ، فقَـال جِبريـلُ عليـه السـلام: كيْـفَ تجِـدُ هـذَا؟ فقَـال: «بِئْـسَ عبْـدُ اللهِ» فقَـال: قـدْ كُفِيـتَ، وأشَـارَ إلى بطْنِـه، فسَـقَى بطنُـه، فـمَات. وقِيـلَ: أصَـاب عيْنَـه شـوْكٌ، فسَـالَتْ حدَقَتَـاهُ. وقِيـل: خـرَجَ عـنْ أهْلِـه فأصَابَـهُ السَّـمُومُ، فاسْـودَّ حتَّـى عـادَ حبَشِـيًّا، فلـمَّا أتَـى أهْلَـه لم يعْرِفُـوه، فأغْلَقُـوا دُونَـهُ الأبْـوَابَ حتَّـى مـاتَ.

ومـرَّ بـهِ الحـارثُ بْـنُ قيْسٍ، فقَـال: كيْـفَ تجِـدُ هـذَا؟ قـالَ: «عَبْـدُ سُـوءٍ» فأَوْمَـأ إلى رأْسِـه، وقـالَ: قـدْ كُفِيـتَ، فانْتفَـخَ رأسُـهُ فـمَاتَ، وقِيـل: أصَابَـهُ العَطَـشُ، فلـم يـزَلْ يـشْرَبُ المـاءَ حتَّـى انقَـدَّ بطْنُـه[2].

---

(١) من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٤٧) بنحوه، من طريق زياد، عن سعيد بن جبير، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٥٢٩- ٥٣١)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٩٥).

وأمَّا أضرمُ[١] وبَعْكَك: فقَال مُقاتِلٌ: أخذَتْ أحَدَهُما الدُّبَيْلَةُ[٢] والآخَرَ ذَاتُ الجَنْبِ، فمَاتَا جميعًا[٣].

قال عكْرِمةُ: هلَك المستَهْزِئُونَ قبْلَ بدْرٍ[٤]. وقالَ ابْنُ السَّائب: أُهْلِكُوا جميعًا في يوْمٍ وليلةٍ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه التَّكذِيبُ.

والثَّاني: الإسْتهزَاءُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: قُل سبْحَانَ اللهِ وبحَمْدِه، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: فصَلِّ بأمْرِ ربِّكَ، قالَه مُقاتِلٌ[٦].

---

(١) في تفسير مقاتل: أحرم، وفي البحر المحيط: الأثرم.

(٢) الدُّبيلة: داء في الجوف.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٣) (١٤٦٦)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٦) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ قال: هم خمسة كلهم هلك قبل بَدْر: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، وأبو زمعة بن عبد الأسود، والحارث بن قيس، والأسود بن عبد يغوث.

(٥) تنوير المقباس (ص: ٤٨٢)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٦٣).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٠).

وفي قوله: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: مِنَ المصلِّينَ.

والثَّاني: مِنَ المتَوَاضِعينَ، رُويا[١] عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الموْتُ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ، والجمْهورُ، وسُمِّي يقينًا؛ لأنه مُوقنٌ بهِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: معْنى الآيةِ: اعْبُدْ ربَّك أبدًا، ولوْ قِيلَ: اعْبُدْ ربَّك، بغَيْرِ توْقِيتٍ، لجازَ إذا عبَدَ الإنْسانُ مرَّةً أنْ يكونَ مُطيعًا، فلمَّا قالَ: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أُمِر بالإقامَةِ على العِبادة مَا دام حيًّا[٢].

والثَّاني: أنَّه الحقُّ الَّذي لَا ريْبَ فيهِ مِنْ نصْركَ علَى أعْدَائِكَ، حكَاهُ الماوردِيُّ[٣].

(١) في (ف): رووه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٧).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٧٦).

سُورَةُ النَّحْلِ

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

رَوى مُجاهِدٌ، وعطيَّةُ، وابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أنَّها مكيَّةٌ[١]، وكذلِك رُوي عنِ الحسَنِ، وعِكْرِمَةَ، وعطَاء: أنَّها مكيَّةٌ كلُّها[٢].

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةٍ: إنَّه نزَل منْها بعْدَ قتْلِ حمْزَةَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾[٣] [النحل: ١٢٦]، وقالَ في رِوايةٍ: هيَ مكيَّةٌ إلَّا ثلاثَ آياتٍ نزَلْتْ[٤] بالمدينَةِ، وهيَ[٥] قوْلُه: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾... إلى قوْلِه: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[٦] [النحل: ٩٥- ٩٧].

وقالَ الشَّعبِيُّ: كلُّها مكيَّةٌ إلَّا[٧] قوْلَه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخِرِ الآياتِ[٨] [النحل: ١٢٦- ١٢٨].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٠٧) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٦٥).

(٤) في (س)، و(م): نزلن.

(٥) في (م): وهن.

(٦) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ٥٤١)، ومعاني القرآن ٤/ ٥١).

(٧) في (ر): إلى.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٦٦) بمعناه عن الشعبي، وأحمد (٥/ ١٣٥)، بنحوه من طريقين عن أُبي، ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٦٥).

وقـالَ قتـادَةُ: هـيَ مكيَّـةٌ إلَّا خمْـسَ آيـاتٍ: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾... الآيتـيْنِ [النحـل: ٩٥- ٩٦]، ومِـن قوْلِـه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرِهَـا[١] [النحـل: ١٢٦].

وقـالَ ابْـنُ السَّـائبِ: هـيَ مكيَّـةٌ إلَّا خمْـسَ آيـاتٍ قوْلُـه[٢]: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾... الآيـةَ [النحـل: ٤١]، وقوْلُـه: [﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾... الآيـةَ][٣] [النحـل: ١١٠]، [٤٤٨/أ]
وقوْلُـه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرِهَـا[٤] [النحـل: ١٢٦].

وقـالَ مُقاتِـلٌ: هِـي مكيَّـةٌ إلَّا سـبْعَ آيـاتٍ: قوْلُـه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾... الآيـةَ [النحـل: ١١٠]، وقوْلُـه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾... الآيـةَ [النحـل: ١٠٦]، وقوْلُـه: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾... الآيـةَ [النحـل: ٤١]، وقوْلُـه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾... الآيـةَ [النحـل: ١١٢]، وقوْلُـه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرِهَـا[٥] [النحـل: ١٢٦].

وقالَ جابرُ بْنُ زيْدٍ: أُنْزِل مِن أوَّلِ النَّحْلِ: أرْبعُون آيةً بمكَّةَ وبقيَّتُها بالمدينةِ[٦].

---

(١) ذكره الجرجاني في درج الدرر (٣/ ١٠٦٥)، وأبو حيَّان البحر المحيط (٦/ ٥٠٢).

(٢) ليست في (ر).

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) تنوير المقباس (ص: ٢٢١).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٨).

(٦) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٧٥).

ورَوى حمَّادٌ عنْ عليِّ بْنِ زيْدٍ قالَ: كانَ يُقالُ لِسورةِ النَّحلِ: سُورةُ النِّعَمِ؛ يُريد لِكثْرةِ تَعْدادِ النِّعَم فيهَا(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ [النحل: ١ - ٣].

قوْلُه تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قرأ حمْزةُ، والكِسائيُّ بالإمالةِ(٢).

وسببُ نُزولِها: أنَّه لمَّا نزَل قوْلُه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، فقَال الكُفَّارُ بعْضُهم لِبعْضٍ: إنَّ هذا يزْعُم أنَّ القِيامةَ قدِ اقْترَبتْ، فأمْسِكُوا عنْ بعْضِ ما كُنْتُم تعمَلونَ حتَّى ننْظُرَ، فلمَّا رَأَوْا أنَّه لا ينْزِل شيْءٌ؛ قالُوا: ما نرَى شيْئًا فأنْزَل اللهُ تعَالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] فأشْفقُوا، وانْتَظرُوا قُربَ السَّاعةِ، فلمَّا امْتدَّتِ الأيامُ قالُوا: يا مُحمَّدُ! ما نَرى شيْئًا ممَّا تُخوفنَا بهِ؛ فأنْزَل اللهُ تعَالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثَب رسُولُ اللهِ ﷺ، ورَفَع النَّاسُ رُؤوسَهُم، فنَزَلَ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطْمَأَنُّوا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الخازن (٣/ ٦٦).

(٢) قراءة سبعية، انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٥- ٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٧٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ١٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٧).

وفي قوْلِه: ﴿أَتَىٰٓ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه[1] بمعْنَى: يأْتِي؛ كما يُقال: أتاكَ الخيْرُ فأبْشِرْ؛ أي: سيأتِيك، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[2]. وشاهِدُه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦] ونحْوُ ذلِك.

والثَّاني: أتَى بمعْنَى: قرُبَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: أعْلَم اللهُ تعَالى أنَّ ذلِك فِي قُرْبه بمنْزِلةِ مَا قدْ أتَى[3].

والثَّالث: أنَّ «أتَى» للماضِي، والمعْنَى: أتَى بعْضُ عذَابِ اللهِ، وهوَ: الجدْبُ الَّذي نزَلَ بِهم، والجُوعُ.

﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ فينزِلُ بكِم مستقبلًا كما نزَل بكُمْ[4] ماضيًا، قالَه ابْنُ الأنْبارِيِّ[5].

وفي المرَادِ بـ«أمْرِ اللهِ» خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها السَّاعةُ، وهِيَ تُخرَّجُ[6] على قوْلِ ابْنِ عباسٍ الَّذي قدَّمناه، وبِه قالَ ابْنُ قُتيبةَ[7].

---

(١) في (ر): أتى.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٩).

(٤) ليست في (م).

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٤).

(٦) في (ر): وقد يخرج. وفي (م): وقد تخرج: وفي (س): ويخرج.

(٧) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠).

والثَّـاني: خُـروج رسُـولِ اللهِ ﷺ، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، يعْنِـي: أنَّ خُروجَـه مِـن أمَـاراتِ السَّـاعةِ.

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: أتَـى أمْـرُ اللهِ مِـن أشْراطِ السَّـاعة، فـلا تسْـتعْجِلُوا قيـامَ السَّـاعةِ.

والثَّالث: أنَّه الأحْكامُ والفرَائِض، قالَه الضَّحَّاكُ.

والرَّابع: عذَابُ اللهِ، ذكَرَه ابْنُ الأنْبَاريِّ.

والخامِس: وعِيدُ المشْرِكينَ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ أي: لَا تطْلُبوهُ قبْـل حينِـه. ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنْزِيـهٌ لـه وبـراءَةٌ مِـنَ السُّـوءِ عـمَّا يُشركُـون بـهِ مِـنَ الأصْنَـامِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو: ﴿يُنْزِلُ﴾ بإسْـكانِ النُّـونِ وتخْفِيـف الـزَّاي. وقـرَأ نافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ: «يُنَـزِّلُ» بالتَّشْـديدِ، ورَوى الكِسَـائيُّ عـنْ أبي بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: {تُنَـزَّل} بالتَّـاء مضْمُومـةً، وفتْـحِ الـزَّاي مُشـدَّدةً[٣]. ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ رفْـعٌ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وَيُريد بالملائكةِ جبْريلَ عليه السَّلام وحْدَه[٤]. [٤٤٨/ ب]

---

(١) ذكـره السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ١٠٨)، وعـزاه إلى ابـن مردويـه مـن طريـق الضَّحَّـاك عـن ابـن عبَّـاسٍ.

(٢) النكت والعيون (٣/ ١٧٨).

(٣) قراءات سبعية، انظر: التيسير (ص: ٦١)، والسبعة (ص: ٣٧٠).

(٤) تنويـر المقبـاس (ص: ٢٢١)، وذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٥٥)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ٩).

وفي المُرَادِ بالرُّوح ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الوحْيُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّه النُّبوَّةُ، رَواه عكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّالث: أنَّ المعْنَى: يُنزِّلُ(٣) الملائكةَ بأمْرهِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤).

فعَلى هذا يكُون المعْنَى: أنَّ أمْرَ اللهِ كلَّه روحٌ.

قالَ الزَّجَّاجُ: الرُّوح مَا كانَ فيهِ مِن أمْرِ اللهِ حياةُ النُّفُوسِ(٥) بالإرْشادِ(٦).

والرَّابع: أنَّه الرَّحمةُ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ.

والخامِس: أنَّ أرْواحَ الخلْقِ(٧): لا ينْزل ملَكٌ إلَّا ومعَهُ رُوحٌ، قالَه مُجاهِدٌ.

والسَّادس: أنَّه القُرآنُ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

فعلَى هذَا سمَّاه رُوحًا؛ لأنَّ الدِّين يحيَا بهِ، كمَا أنَّ الرُّوحَ تُحيي البدَنَ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٠٩) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٦) عن مجاهد.

(٣) في (ر): تنزل.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٥).

(٥) في معاني الزجاج: للنفوس.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٠).

(٧) في (م): أنه أرواح الخلائق.

وقالَ بعْضُهم: الباءُ في قوْلِه: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بمعْنَى: معَ، فالتَّقْدِيرُ[١]: معَ الرُّوحِ، ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾؛ أي: بأمْرِه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ يعْنِي: الأنْبياءَ ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾.

قالَ الزَّجَّاج: والمعْنَى: أنْذِروا أهْلَ الكُفْرِ والمعَاصِي بـ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾؛ أي: مُرُوهُم بتوْحِيدي[٢]، وقالَ غيْرُه: أنْذِروا بـ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾؛ أي: مُرُوهُم[٣] بالتَّوْحيدِ معَ تخْوِيفِهم إنْ لم يُقِرُّوا.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤﴾ [النحل: ٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ قالَ المفَسِّرُونَ: أخَذَ أُبيُّ ابنُ خلَفٍ عظْمًا رَمِيمًا، فجعَلَ يفتُّه ويقُول: يا مُحمَّدُ! كيْفَ يبْعَثُ اللهُ هذَا بعدَمَا رمَّ؟.

فنزَلَتْ فيهِ[٤] هذِه الآيَةُ، والخَصِيمُ: المخاصِمُ، والمبين: الظَّاهِرُ الخُصومَةِ.

والمعْنَى: أنَّه مخْلُوقٌ مِن نُطفةٍ، وهوَ معَ ذلِك يخاصِمُ ويُنْكِر البعْثَ، أفلَا يُستدلُّ بأوَّلِهِ علَى آخِرِه، وأنَّ مَن قدرَ علَى إيجادِهِ أوَّلًا، قدِرَ[٥] علَى إعادَتِهِ ثانيةً؟.

---

(١) في (م): تقديره.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٠).

(٣) في (س): أنذروهم.

(٤) ليست في (س)، و(م).

(٥) في (ر): يقدر.

وفيه تنبيهٌ على إنعام الله عليه حيثُ[1] نقلَه من حالِ ضعفِ النُّطفةِ إلى القوَّة الَّتي أمكنَهُ معها الخِصام.

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾[النحل: ٥ - ٧].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ ﴾ الأنْعام: الإبِلُ، والبقَر، والغنَم.

قوْلُه تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ فيه قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه ما اسْتُدفِئَ بهِ مِن أوْبارِها تُتَّخذُ ثِيابًا، وأخْبِيةً، وغيْرَ ذلِك، رَوى العَوفيُّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: يعْني بالدِفْء: اللِّباسَ[2]، وإلى هذا المعْنى ذهَب الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّه نسْلُها. رَوى عكرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: ﴿ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ قالَ: الدِفْءُ: نسْلُ كُلِّ دابَّةٍ[3]، وذكَر ابْنُ السَّائبِ قالَ: يُقالُ: الدِفْء أوْلادُها، ومَن لا يَحمِلُ مِنَ الصِّغارِ[4]، وحكَى ابْنُ فارسٍ اللُّغويُّ عنِ

---

(١) في (ر)، و(م): حين.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٠) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٥٣)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٨) من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾ قال: نسل كلّ دابة، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٠) إلى عبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٧٩).

الأُمـويِّ، قـالَ: الـدِفْءُ عنْـدَ العـرَب: نَتَـاجُ الإبِـلِ وألْبَانِهَـا(١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾؛ أي: سِـوى الـدِفْء مِـنَ الجُلُـودِ، والألْبَـانِ، والنَّسْـلِ، والرُّكـوبِ، والعمَـلِ عليْهَـا، إلى غـير ذلِـك، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعْنِـي: مِـن لُحـومِ الأنْعَـامِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾؛ أي: زِينَـةٌ، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾؛ أي: حـين تَرِدُونَهَـا إلى مرَاحِهَـا(٢)، وهـوَ المـكانُ الَّـذي تـأْوِي إليْـهِ، فتَرْجِـعُ عِظَـامَ الـضُّروعِ والأسْـنِمَةِ، فيُقَـال: هـذَا مَـالُ فُـلانٍ، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُرسِـلُونَهَا بالغَـدَاة إلى مَراعِيهَـا.

فإنْ قِيلَ: لِمَ قدَّم الرَّواح وهوَ مُؤخَّرٌ؟.

فالجـوَابُ: أنَّهَـا في حـالِ الـرَّواحِ تكُـونُ أجمَـلَ؛ لأنَّهَا قـد رعَـتْ، وامْتلأَتْ [٤٤٩/أ] ضُروعُهَـا، وامْتدَّتْ أسْـنِمتُهَا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ الإشَـارةُ بهـذَا إلى مـا يطِيـق(٣) الحمْـلَ منْهَـا، والأثْقَـالُ: جمْـعُ ثُقْـلٍ، وهـوَ متَـاعُ المسَـافِرِ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه عامٌّ في كُلِّ بلدٍ يقْصدُه المسافِرُ، وهوَ قوْلُ الأكْثرِينَ.

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٧).

(٢) في (ر): مراحلها.

(٣) في (م): تطيق.

والثَّاني: أنَّ المرادَ بهِ: مكَّةَ، قالَه عكرِمَةُ، والأوَّل أصَحُّ، والمعْنَى: أنَّها تحملُكُم إلى كُلِّ بلَدٍ لَو تكلفتُم أنْتُم بلُوغه لم تبلغُوهُ إلَّا بشِقِّ الأنْفُسِ.

وفي معْنَى «شِقِّ الأنْفُس» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه المشقَّة، قالَه الأكْثَرُونَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقالُ: نحْنُ بشِقٍّ مِنَ العَيْشِ؛ أي: بجَهْدٍ[1]؛ وفِي حديثِ أُمِّ زرْعٍ: «وَجَدَنِي فِي أهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ»[2].

والثَّاني: أنَّ الشِّقَ: النِّصْفُ، فكانَ الجهْدُ يُنْقِص مِن قوَّةِ الرَّجُل ونفسِه كأنَّه قد ذَهَب نصْفُه، ذكرَه الفرَّاءُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: حِينَ مَنَّ عليكُم بالنِّعَمِ الَّتي فيهَا هذِه المرَافِق[4].

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ﴾؛ أي: وخلَقَ الخيْلَ ﴿وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: وخلَقَها زِينةً[5].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٩٧).

(٤) في (م): الرفق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

فَصْلٌ

ويجوزُ أكْلُ لحمِ الخيْلِ، وإنَّما لم يُذكرْ في الآيةِ؛ لأنَّه ليْس هوَ المقْصُودُ، وإنَّما معظَمُ المقْصُودِ بها: الرّكوبُ والزِّينةُ، وبهذَا قالَ الشَّافعِيُّ. وقالَ أبو حَنيفةَ، ومالِكٌ: لا تُؤكلُ لحُومُ الخيْلِ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ذكَر قوْمٌ مِنَ المفَسِّرينَ: أنَّ المرَاد بهِ عجائِبُ المخْلُوقاتِ فِي السَّمَواتِ والأرْضِ الَّتِي لم يُطَّلعْ عليْهَا؛ مثْلُ مَا يُروى: أنَّ للهِ ملكًا مِن صِفَتِه كذَا، وتحْتَ العرْشِ نهرٌ مِن صِفَتِه كذَا.

---

(١) اختلف أهل العلم في حكم أكل لحم الخيل على ثلاث مذاهب:

المذهب الأول: الجواز: اختاره من الصحابة عبد الله بن الزبير و أسماء وهو مذهب الشافعي وأحمد ومحمد وأبو يوسف وابن حبيب من المالكية وإسحاق والظاهرية غيرهم من أهل العلم. قال الشافعي الأم: كل ما لزمه اسم الخيل من العراب والمقاريف والبراذين، فأكلها حلال. قال ابن قدامة المقدسي الكافي: الحيوان ثلاثة أقسام: أهلي فيباح منه بهيمة الأنعام؛ لقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ والخيل كلها. قال ابن الهمام الفتح القدير: «وَيُكْرَهُ لَحْمُ الْفَرَسِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ»، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ.

المذهب الثاني: الكراهة ذهب إليه الأوزاعي وأبو عبيد وهو قول لمالك ورواية عن أبي حنيفة، قال ابن عبد البر: ولا تؤكل الخيل عند مالك كراهية لا تحريمًا.

المذهب الثالث: التحريم وهو مذهب ابن عباس وقول لأبي حنيفة وهو المعتمد من مذهب مالك. قال الموصلي الحنفي الاختيار: ولا يحل أكل كل ذي ناب من السباع ولا ذي مخلب من الطير، ولا تحل الحمر الأهلية ولا البغال ولا الخيل. انظر: الأم للشافعي (٢/ ٢٧٥)، الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٥٥٦- ٥٥٧)، وفتح القدير؛ للكمال ابن الهمام (٩/ ٥٠١)، والكافي في فقه المدينة (١/ ٤٣٦)، والاختيار لتعليل المختار (٥/ ١٤).

وقالَ قوْمٌ: هوَ مَا أعدَّ اللهُ لأهْلِ الجنَّةِ فيهَا، ولأهْلِ النَّارِ.

وقـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقيُّ: في النَّـاسِ مَـنْ كـرِهَ تفْسِـيرَ هـذَا الحـرْفِ. وقـالَ الشَّـعْبي: هـذَا الحـرْفُ مِـن أسْرَارِ القُـرآنِ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحـل: ٩ - ١١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾.

القَصْـدُ: اسْـتقامَةُ الطَّريـقِ، يُقـال: طَريـقٌ قصْـدٌ وقاصِـدٌ؛ إذا قصَـدَ بِـكَ مـا تُريـد. قـالَ الزَّجَّـاجُ: المعْنَـى: وعلَى اللهِ تبْيِـينُ الطَّريـقِ المسـتقِيمِ، والدُّعـاءُ إليْـهِ بالحُجَـجِ والبُرهـانِ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾.

قـالَ أبـو عُبيـدةَ: السَّـبِيلُ لفْظُـه لفْـظُ الواحِـدِ، وهـوَ في موْضِـعِ الجمِيـعِ، فكأنَّـه قـالَ: ومِـنَ السُّـبُلِ سَـبِيلٌ جائِـرٌ(٢).

قـالَ ابْـنُ الأنْباريِّ: لَمَّا ذُكرَ السَّـبِيلُ، دلَّ على السُّـبُلِ. فلِذلـكَ قالَ: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ كـمَا دلَّ الحدَثَـانِ علَى الحـوَادثِ في قوْلِ العبْـدِيِّ [من الوافر]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥٧).

وَلَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ حَيٌّ   فَهَلْ يَبْقَى عَلَيْهِنَّ السِّلَامُ

أرَاد: فهَل يبْقَى علَى الحوادثِ، والسِّلامُ: الصُّخورُ، قالَ: ويجُوز أنْ يكُونَ إنَّما قالَ: ﴿وَمِنْهَا﴾؛ لأنَّ السَّبِيلَ يُذكَّرُ ويُؤنَّث، فالمعْنَى: مِنَ السَّبِيل جائِرٌ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: المعْنَى: ومِنَ الطَّرِيقِ[1] جائِرٌ لا يهْتَدُون فيهِ، والجَائِرُ: العادِلُ عنِ القصْدِ[2].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ومنْهَا جائِرُ الأهْوَاءِ المختلفَةِ[3]. وقالَ ابْنُ المباركِ: [٤٤٩/ ب] الأهْوَاءُ والبِدَعُ[4].

قوْلُه تعالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعْنِي: المطَرَ ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾ وهوَ ما تشْربُونَه.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ذكرَ ابْنُ الأنْبارِيِّ في معْناه قوْلَيْنِ:

---

(١) في (ر)، و(م): الطرق.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٧٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٤) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: البيان ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ قال: الأهواء المختلفة.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٢٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٢٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١١).

أحدُهما: ومنْه سَقِي شَجرٍ، وشربُ شجَرٍ، فخلَفَ المضَافَ إليْه المضَافُ؛ كقوْلِه: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣].

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: ومِن جهةِ المَاءِ شَجرٌ، ومِن سَقْيِهِ شجَرٌ، ومِن نَاحِيتِه شَجرٌ، فحُذفَ الأوَّل، وخلَفَه الثَّاني، قالَ زُهيرٌ [من الكامل]:

.... أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ[1]

أي: مِن مَرِّ حِجَجٍ.

قالَ ابنُ قُتيبةَ: والمرَادُ بهذِه الشَّجرِ: المرْعَى[2]. وقالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ مَا نبَتَ[3] علَى الأرْضِ فهُو شَجرٌ، قالَ الشَّاعرِ يصِفُ الخيْلَ [من الرجز]:

يَعْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرْ
وَالْخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَرْ[4]

---

(١) البيت في ديوان زهير (ص: ٨٦)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ٤٧٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٤٥٤)، والجمل المنسوب للخليل (ص: ١٦١)، والجمل؛ للزجاجي (ص: ١٣٩)، والإنصاف (ص: ٣١٥). **والقنة** -بالضم-: أعلى الجبل وأراد بها هنا ما أشرف من الأرض. **والحجر** -بكسر الحاء-: منازل ثمود بناحية الشام عند وادي القرى. **وأقوين**: خلون وأقفرن، وصدره:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحِجْرِ *** ....

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) في (م): ينبت.

(٤) الرجز للنمر بن تَوْلَب في ديوانه (ص: ٣٥٥)، وفيه: (عَسُرَ) بدل: (ضَرَرْ). والشعر والشعراء (ص: ١٩١)، وفيه: (الشحم) بدل: (اللحم)، والأغاني (٢٢/ ٢٧٩)، واللسان (٨/ ٤٦٦٧) (هشش)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٣٢٤٨) (لحم)، وسمى اللبن=

يعْنِي: أنَّهم يسْقُون الخيْلَ اللَّبنَ إذَا أجْدَبَتِ الأرْضُ(١). و﴿تُسِيمُونَ﴾ بمعْنَى: تَرعَون، يُقال: سامَتِ الإبِلُ فهِيَ سائِمَةٌ؛ إذَا رعَتْ، وإنَّما أُخذ ذلِك مِنَ السُّومَةِ، وهيَ: العلَامةُ، وتأْويلُها: أنَّها تُؤثِّر في الأرْض برعْيها علَامَات.

قوْلُه تعَالَى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ﴾ ورَوى أبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «نُنْبِتُ» بالنُّون(٢).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد الحبُوبَ(٣)، ومَا بعْدَ هذا ظاهِرٌ إلى قوْله تعالَى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ قالَ الأخْفشُ: المعْنَى: وجعَل النُّجومَ مُسخَّراتٍ، فجازَ إضْمارُ فعْلٍ غيْرَ الأوَّلِ؛ لأنَّ هذا المضْمرَ، في المعْنَى مثْلُ المظْهرِ، وقد تفْعَلُ العربُ أشدَّ مِن هذَا، قالَ الرَّاجز [من الرجز]:

تَسْمَعُ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَرَدَا   وَفِي الْيَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَدَا(٤)

=لحمًا؛ لأنها تسمن على اللبن.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٨).

(٤) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٤١٥)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٠٥)، وروايته فيه:

تسمع للأحشاء منه لغطا *** ولليدين..............

وورد في الخصائص؛ لابن جني (٢/ ٤٣٢)، ورواية صدره:

تسمع للأجواف منه صرَدًا *** ....

وفي تفسير الطبري (١٤/ ٩٠- ٩١)، وروايته فيه: (صَوْرًا) بدل: (صَرَدًا)، وفيه: (وفي اليدين حشَّة وَبَوْرًا) وفيه: والحشة: اليبس.

المعْنَى: وتَرى في اليَديْنِ. والجُسْأَةُ: اليَبسُ. والبَدَدُ: السَّعَةُ[١].

وقالَ غيْرُه: قوْلُه تعالى: ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ حالٌ مؤكّدةٌ؛ لأنَّ تسخيرَهَا قد عُرف بقوْلِه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «وَالشَّمْسُ والْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسخَّرَاتٌ» (رفعًا كلّه، وروى حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: بالنّصب، كالجمهُورِ، إلَّا قوْلَه تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾)[٢] فإنّه رفعُهَا[٣].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٢ - ١٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾؛ أي: وسخَّرَ ما ذرأَ لكُم. وذرأَ بمعْنَى: خلَق. و﴿سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾؛ أي: ذلَّلَهُ للرُّكوبِ والغوْصِ فيهِ ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعْنِي: السَّمكَ ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعْنِي: الدُّرَّ، واللُؤلُؤَ، والمرْجانَ، وفي هذا دلالَةٌ علَى أنَّ حالِفًا

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٥).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (س).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

لـو حلَـف: لا يلبِـسُ حُليًّـا، فلبِـسَ لؤلـؤًا، أنَّـه يحْنَـثُ، وقـالَ أبـو حَنيفـةَ: لا يحْنَـثُ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ يعْنِي: السُّفنَ.

وفي معْنَى ﴿مَوَاخِرَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: جَواري، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

قالَ اللُّغويُّونَ: يُقال: مخرَتِ السَّفِينةُ مخرًا؛ إذا شقَّتِ الماءَ في جريَانِها.

والثَّاني: المواقِرُ[2]، يعْنِي: المْلُوءةَ، قالَه الحسَنُ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: بالرُّكوبِ فيهِ للتِّجارةِ ابْتغاءَ الرِّبحِ مِن فضْلِ اللهِ. [٤٥٠/أ]

والثَّاني: بما تستَخرِجُون مِن حلْيتِهِ، وتصيدُونَ مِن حيتَانِه.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: وفِي دخُـولِ الـوَاوِ في قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وجْهَـانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا معْطُوفـةٌ عـلى لَامٍ محْذُوفـةٍ، تقْدِيـرُه: وتـرَى الفُلْـكَ مواخِـرَ فيـهِ لِتنْتَفِعُـوا بذلِـكَ ولِتبْتَغُـوا.

---

(١) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (٢/ ٣٣٦)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى البحرين (١/ ٥٨٠).

(٢) في المطبوع: المواخر. وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٨١) من طريق عبد الوارث قال: ثنا يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ قال: المواقر.

والثَّاني: أنَّهَا دخلَتْ لِفعْلٍ مُضمرٍ، تقْدِيرُه: وفعَل ذلِك لكِي تبْتَغُوا[١].

قوْلُــه تعَــالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: نصَــبَ فيهَــا جِبــالًا ثوَابــتَ ﴿أَن تَمِيدَ﴾؛ أي: لِئــلَّا تمِيــدَ.

وقــالَ الزَّجَّــاجُ: كراهَــةَ أنْ تمِيــدَ، يُقــال: مــادَ الرَّجُــلُ يمِيــدُ ميْــدًا؛ إذا أُديــر[٢] بــهِ[٣].

وقــالَ ابْــنُ قُتيبــةَ: الميْــدُ: الحرَكَــةُ والميْــلُ، يُقــال: فــلانٌ يمِيــدُ في مشــيته؛ أي: يتكفَّــأُ[٤].

قوْلُــه تعَــالى: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ قــالَ الزَّجَّــاجُ: المعْنَــى: وجعَــل فيهَــا سُــبُلًا؛ لأنَّ معْنَــى «ألْقَــى»: «جعَــل»[٥]. فأمَّــا السُّــبُلُ: فهِــي الطُّــرقُ. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ أي: لِكــي تهْتــدوا[٦] إلى مقاصِدِكُــم.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ فِيها ثَلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهــا: أنَّهــا معــالِمُ الطُّــرقِ بالنَّهــارِ، وبالنَّجــم هُــم يهْتَــدُون باللَّيــلِ، رَواه

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٦).

(٢) في نسخة المعاني المطبوعة: دِيرَ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٤) غريــب القــرآن (ص: ٢٤٢)، وفيــه: والميــد: الحركــة والميــل. ومنــه يقــال: فــلان يَمِيــدُ في مشــيته: إذا تَكَفَّــأ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٦) في (م): أي: لعلكم تهتدون.

العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّها النُّجُوم أيْضًا، منْها ما يكونُ علامةً لَا يُهتدى بهِ، ومنْهَا ما يُهتدَى بهِ، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ، والنَّخَعِيُّ.

والثَّالث: الجِبَالُ، قالَه ابْنُ السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ(٢).

وفِي المرادِ بالنَّجمِ أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الثُّرَيَّا، وبَناتُ نعْشٍ(٣)، والفرقدَانِ(٤)، والجَدْي، قالَه السُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّه الجَدْي، والفَرقَدَانِ(٥)، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٨٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ يعني بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٨) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عبَّاس.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٢).

(٣) بنات نعش: سبعة كواكب؛ أربعة منها نَعْش؛ لأنها مُربعة، وثلاثةٌ بناتُ نعشٍ؛ الواحد ابنُ نَعْش؛ لأنَّ الكواكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا: ثلاث أو أربع، ذهبوا إلى البنات. انظر: المحيط في اللغة (١٠/ ٤١٩) (نوأ)، والأزمنة والأمكنة (ص: ١٣٩- ٥٤٧)، واللسان (٧/ ٤٤٧٤) (نعش).

(٤) الفرقدان: نجمان مُنيران في بنات نعش، يضرب بهما المثل في طول الصحبة في التساوي والتشاكل، وقيل: نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي، وقيل: كوكبان في بنات نعش الصغرى. انظر: اللسان (٦/ ٣٤٠٢) (فرقد)، وجنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين (ص: ٨٦).

(٥) في (م): أنه الفرقدان والجدي.

والثَّالث: أنَّه الجدْي وحْدَه؛ لأنه أثبَتُ النُّجومِ كُلِّها في مركَزِه، ذكرَهُ الماورديُّ(١).

والرَّابع: أنَّه اسْمُ جنْسٍ، والمرَادُ جميعُ النُّجومِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

وقرَأ الحسَنُ، (والضَّحَّاك، وأبو المتوكِّل)(٣)، ويحْيَى بْنُ وثَّاب: «وبالنُّجْم» بضمِّ النُّونِ وإسْكانِ الجِيم، وقرَأ الجَحْدريُّ: «وبالنُّجُم» بضَمِّ النُّونِ والجِيمِ، وقرَأ مُجاهِدٌ: «وبالنُّجُومِ» بواوٍ علَى الجمْعِ(٤).

وفي المرَادِ بهذَا الاهْتِداءِ قولَانِ:

أحدُهما: الاهْتدَاء إلى القِبْلَةِ.

والثَّاني: إلى الطَّرِيقِ في السَّفرِ.

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾ [النحل: ١٧ - ١٩].

قولُه تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ يعْنِي: الأوْثانَ، وإنَّما عبَّر عنْها بـ«مَنْ»؛ لأنَّهم نحَلُوها العقْلَ والتَّمييزَ. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يعْنِي: المشْرِكينَ، يقُول: أفلا تتعِظُونَ كما اتَّعَظ المؤمِنُونَ؟.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٨٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٣) ساقط من (م).

(٤) قراءات شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٩)، والبحر المحيط (٥/ ٤٨٠).

قالَ الفرَّاءُ: وإنَّما جازَ أنْ يقُولَ: ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾؛ لأنَّه ذُكِرَ معَ الخالِقِ؛ كقوْلِه: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ [النور: ٤٥]، والعربُ تقُول: اشْتبَهَ عليَّ الرَّاكِبُ وجمَلُه[١]، فما أدْرِي مَنْ ذَا مِنْ ذَا؛ لأنَّهم لمَّا جمَعُوا بيْنَ الإنْسانِ وغيْرِه، صلُحَتْ «مَن» فيهما جميعًا[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ قد فسَّرْناه في سورةِ[٣] إبراهيم [آية: ٣٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾؛ أي: لِما كانَ منْكُم مِن تقْصِيرِكُم في شكْرِ نعمِه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكُم إذْ لم يقطعْها عنكُم بتقْصِيرِكُم[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ روى عبْدُ الوارثِ، [٤٥٠/ب] إلَّا القزَّازَ «يُسِرُّون» و«يُعْلِنُونَ» بالياءِ[٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

---

(١) في (ر)، والمعاني للفراء: وحمله. وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٧)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٣/ ٣٧).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٩٨).

(٣) ليست في (ر)، و(س).

(٤) ليست في (س).

(٥) قراءة سبعية، قرأ عاصم في رواية هبيرة والقوّاس عن حفص بالياء فيهما، ويروى عن عبد الوارث عن أبي عمرو، وهو آحاد عنهم. انظر: السبعة (ص: ٣٧١)، وجامع البيان في القراءات السبع (٣/ ١٢٧١)، والمستنير في القراءات (ص: ٦٢٧)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٦٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قرَأ عاصِمٌ: يَدْعُونَ، باليَاءِ(١).

[قوْلُـه تعَـالى](٢): ﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ ﴾ يعْنِـي: الأصْنـام. قـالَ الفـرَّاءُ: ومعْنَـى الأمْـوَاتِ هاهُنـا: أنَّهـا لَا رُوحَ فيهَـا(٣). قـالَ الأخْفـشُ: وقوْلُـه: ﴿ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ ﴾ توْكِيـدٌ(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ «أيَّان» بمَعْنى: متَى.

وفِي المشارِ إليْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الأصْنامُ، عبَّرَ عنْهَا كما يُعبَّرُ عنِ الآدَمِيينَ.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: وذلِـك أنَّ اللهَ تعَـالى يبْعَـثُ الأصْنـامَ لهَـا أرْوَاحٌ ومعَهَـا شَـياطِينُهَا، فيتَـبرَّؤُونَ مِـن عبادَتِهـم، ثُـم يُؤمـر بالشَّـياطِينِ والَّذيـنَ كانـوا يعْبُدُونهـا إلى النَّـار(٥).

والثَّاني: أنَّهُم الكفَّارُ، لَا يعلَمُون متَى بعْثُهم، قالَه مُقاتِلٌ(٦).

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) من (ر).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٩٨).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٤١٥).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٣/ ٥٩)، والتفسير البسيط (١٣/ ٣٩).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٣).

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ
مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ
وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ
ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النحل: ٢٢ - ٢٧].

قوْلُه تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ قد ذكرْناه في سُورةِ البقرة [آية: ١٦٣].

قوْلُه تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾؛ أي: بالبعْثِ والجزاءِ ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾؛ أي: جاحِدةٌ لا تعْرِف التَّوحيدَ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾؛ أي: ممتَنِعُونَ مِن قبُولِ الحَقِّ.

قوْلُه تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ قد فسَّرْناه في هود [آية: ٢٢]، ومعْنى الآية: أنَّه يُجازِيهم بسرِّهِم وعلَنِهم؛ لأنَّه يعلمُه. والمسْتكْبِرُون: المتكبِّرُونَ عنِ التَّوحيدِ والإيمانِ.

وقالَ مُقاتِلٌ: ﴿مَا يُسِرُّونَ ﴾ حِين بَعثُوا في كُلِّ طريقٍ مَن يصدُّ النَّاسَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ حِين أظْهرُوا العداوةَ لِرسُولِ اللهِ(١).

(١) المصدر السابق.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾ يعْنِـي: المسـتكْبِرينَ ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ ﴾ عـلَى مُحمَّـدٍ ﷺ؟.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: «مـاذَا» بمعْنَـى «مَـا الَّـذي» و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ مرْفُوعـةٌ عـلى الجَـوابِ، كأنَّهُـم قالُـوا: الَّـذِي أَنْـزَل: أَسَـاطِير الأَوَّلِـينَ؛ أي: الَّـذِي تذْكُـرونَ أنْتُـم أنَّـه مُنـزَّلٌ: أَسَـاطِيرُ الأَوَّلِـينَ(١).

وقد شرحْنَا معْنَى الأسَاطِيرِ فِي الْأَنْعَامِ.

قـالَ مُقاتِـلٌ: هُـمُ الَّذِيـن بعَثَهُـمُ الولِيـدُ بْـنُ المغـيرةِ فِي طُـرق مكَّـةَ يصـدُّونَ النَّـاسَ عـنِ الإيـمانِ، ويقُـول بعْضُهُـم: إنَّ مُحمَّـدًا سَـاحِرٌ، ويقُـول بعْضُهُـم: شـاعِرٌ، وقـد شرحْنَـا هـذَا المعْنَـى في الْحِجْـرِ في ذكْـرِ المقْتَسِـمينَ(٢).

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ ﴾ هـذهِ لامُ العَاقبـةِ، وقـد شرحْنَاهَـا في غـيْرِ موْضِـعٍ، والأوْزارُ: الآثَـامُ، وإنَّـما قـالَ: كامِلـةً؛ لأنَّـه لم يُكفَّـر منْهَـا شيْءٌ بـما يُصِيبهُـم مِـن نكبَـةٍ، أو بليَّـةٍ، كـما يُكفَّـر عـنِ المؤمِـن، ﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾؛ أي: أنَّهـم أضلُّوهُـم بغـيرِ دلِيـلٍ، وإنَّـما حمَلُـوا مِـن أَوْزارِ الأَتْبَـاعِ؛ لأنَّهـم كانُـوا رُؤسـاءَ يُقْتـدى بِهِـم في الضَّلالَـةِ، وقـد ذكَـر ابْـنُ الأَنْبَـاريِّ(٣) في «مِـن» وجْهَـيْنِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا للتَّبْعِيـضِ، فهُـم يحمِلُـون مَـا شَرِكُوهـم فيـهِ، فأمَّـا مَـا ركِبَـه أولئـك باخْتِيارِهِـم مِن غـيْرِ تزْيِينِ هـؤلاءِ، فلا يحْمِلُونـه، فيصِحُّ معْنَـى التَّبْعيضِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٣- ٤٦٤).

(٣) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٣/ ٤٤).

والثَّاني: أنَّ «مِن» مُؤكِّدةٌ، والمعْنَى: وأوْزَار الَّذِين يُضلُّونهم. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾؛ أي: بِئس مَا حمِلُوا على ظُهُورِهم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. [٤٥١/أ]

قالَ المفَسِّرونَ: يعْنِي به: النَّمْرُودَ بْنَ كنْعَانَ، وذلِك أنَّه بنَى صرْحًا طويلًا.

واخْتلفُوا في طُولِه: فقَال ابنُ عبَّاس: خمْسة آلافِ ذِراعٍ[١]. وقَال مُقاتِلٌ: كانَ طولُه فرْسَخيْنِ[٢][٣]. قالُوا: ورَام أنْ يصعَدَ إلى السَّماءِ لِيُقاتِلَ أهْلَهَا بزعْمِه.

ومعْنَى «المكْرِ» هاهُنا: التَّدْبِيرُ الفاسِدُ.

وفِي الهاءِ والميمِ «مِنْ قَبْلِهِم» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها للمُقْتَسِمينَ علَى عِقابِ مكَّةَ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: لكفَّارِ مكَّة، قالَه مُقاتلٌ[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾؛ أي: مِنَ الأسَاسِ.

قالَ المفسِّرونَ: أرْسَل اللهُ ريحًا فألْقتْ رأسَ الصَّرحِ في البَحْرِ، وخرَّ عليْهِمُ البَاقِي.

---

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٧١) من رواية الكلبي، وذكره أيضًا الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٦).

(٢) في الأصل، و(س)، و(م): فرسخان، والمثبت من (ر).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

قَالَ السُّدِّيُّ: لمَّا سقط الصَّرحُ، تبَلْبَلَتْ أَلْسُنُ النَّاسِ مِنَ الفزَعِ، فتكلَّمُوا بثلاثَةٍ وسَبْعينَ لِسانًا، فلذلِكَ سُمِّيتْ «بابِل»، وإنَّما كانَ لِسانُ النَّاس قبْلَ ذلِك بالسُّريانيةِ[1].

وهذَا قوْلٌ مرْدُودٌ؛ لأنَّ التَّبلْبلَ يُوجِب الاخْتِلاطَ والتَّكلُّمَ بشيْءٍ غيرِ مُستقيمٍ، فأمَّا أنْ يُوجِبَ إحْداثَ لُغةٍ مضْبُوطةِ الحَواشي؛ فباطِلٌ، وإنَّما اللُّغاتُ تعْلِيمٌ مِنَ اللهِ تعَالى.

فإنْ قِيلَ: إذَا كانَ الماكِرُ واحِدًا، فكيْفَ قالَ: «الَّذِين» ولم يقُلْ: «الَّذي»؟.

فعنْهُ ثلاثَةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ الماكِرُ ملكًا له أتْباعٌ، فأُدْخِلوا معَه في الوصْفِ.

والثَّاني: أنَّ العرَبَ تُوقعُ الجمْعَ علَى الوَاحِدِ؛ فيقُول قائِلُهم: خرجْتُ إلى البصْرَةِ علَى البِغَالِ، وإنَّما خرَج علَى بغْلٍ واحِدٍ.

والثَّالث: أنَّ «الَّذِين» غيْرُ موقعٍ علَى واحِدٍ مُعيَّنٍ، لكنَّه يُراد بهِ: قد مكَرَ الجبَّارُونَ الَّذِين مِن قبْلِهم، فكانَ عاقِبَةُ مكْرِهم رُجُوعَ البلاءِ عليْهِم، ذكَرَ هذِه الأجْوبةَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ، قالَ: وذكَرَ بعْضُ العُلماءِ: أنَّه إنَّما قالَ: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾، لِيُنبِّهَ علَى أنَّهم كانُوا تحتَه؛ إذْ لو لم يقُلْ ذلِك، لاحْتملَ أنَّهم لم يكونُوا تحْتَه؛ لأنَّ العرَبَ تقُولُ: سقَطَ عليْنَا البيْتُ، وخرَّ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٢- ١٩٣) من طريق أسباط عن السدي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٧).

علينَا الحَانوتُ، وتدَاعتْ علينَا الدَّارُ، وليْسوا تحْتَ ذلِك(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: مِن حيْثُ ظنُّوا أنَّهم آمِنونَ فيهِ. قالَ السُّدِّيُّ: أُخِذُوا مِن مأمَنِهِم(٢).

وروى عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: خرَّ عليْهم عذَابٌ مِنَ السَّماءِ(٣).
وعامَّةُ المفسِّرينَ علَى ما حكيْنَاه مِن أنَّه بُنيانٌ سقَطَ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: هذَا مَثَلٌ، والمعْنَى: أهْلَكَهُمُ اللهُ، كَما هلَك مَنْ هُدِم مسْكَنُه مِن أسْفَلِه، فخَر علَيْه(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ﴾؛ أي: يذلُّهم بالعذَابِ. ﴿وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ قرَأ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وعاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسَائيُّ: «شُرَكاءِيَ» الَّذينَ بهمْزَةٍ وفتْحِ اليَاءِ، وقالَ البزِّي، عنِ ابْنِ كثيرٍ: «شُرَكَايَ»(٥)؛ مثْل: هدَاي، والمعْنَى: أيْن شركائي علَى زعمِكُم؟ هلَّا دفَعُوا عنْكُم. [٤٥١/ب]

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ يقول: عذاب من السماء لَمَّا رأوه استسلموا وذلوا.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٥) قراءات سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧١ - ٣٧٢)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧).

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾؛ أي: تُخالِفُون المسْلِمينَ فتعْبُدُونَهُم وهُم يعْبُدون اللهَ، وقرَأَ نافِعٌ: «تُشَاقُّونِ» بكسْرِ النُّونِ[1]، أرَاد: تُشاقُّونَني، فحذَفَ النُّونَ الثَّانِيَةَ، وأبْقَى الكسْرَةَ تدلُّ عليْهَا، والمعْنَى: كنْتُم تُنازِعُونَنِي فيهِم، وتُخالِفُون أمْرِي لِأَجْلِهِم.

قوْلُه تعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهِم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم الملائِكةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الحَفَظةُ مِنَ الملائِكةِ، قالَه مُقاتِلٌ[2].

والثَّالث: أنَّهم المؤمِنُونَ.

فأمَّا «الخِزْي» فقَد شرَحْناه في مِواضِعَ. و«السُّوء» هَاهُنا: العذَابُ.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٨ - ٢٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

قالَ عكْرِمَةُ: هؤلاءِ قوْمٌ كانوا بمكَّةَ أقرُّوا بالإسْلامِ ولم يُهاجِرُوا، فأخْرَجَهُم المشرِكونَ كرهًا إلى بدْرٍ، فقُتِل بعْضُهم[3]. وقد شرَحْنا هذَا في

---

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧)، وتفسير البغوي (٢/ ٦١١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٥) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن=

سُورةِ النِّساء [آية: ٩٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَلْقَوُا ٱلسَّلَمَ﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: انْقَادُوا واسْتَسْلمُوا، والسَّلَمُ الاسْتِسْلامُ[١].

قالَ المفَسِّرونَ: وهذا عندَ الموْتِ يتَبرَّؤُونَ مِنَ الشِّركِ، وهوَ قوْلُهم: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ وهو الشِّركُ، فتردُّ عليْهِم الملائكةُ فتقُولُ: «بَلَى». وقِيلَ: هذا ردُّ خزنَةِ جهنَّمَ عليْهِم ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ الشِّركِ والتَّكْذيبِ. ثُمَّ يُقالُ لهم: ادْخُلوا أبْوابَ جهنَّم، وقد سبَقَ تفْسيرُ ألْفاظِ الآيةِ، [النساء: ٩٧] و[الحجر: ٤٤].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٠ - ٣٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ﴾.

رَوى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ مُشركي قُريشٍ بعثُوا ستَّةَ عشَرَ رجُلًا إلى عِقابِ[٢] مكَّةَ أيَّامَ الحَجِّ على طريقِ النَّاسِ، ففرَّقُوهم على كلِّ

=دينار، عن عكرمة، قال: كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا، فأخرج بهم كرهًا إلى بدر، فقتل بعضهم، فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٢) العقاب: جمع عقبة، والعقبة: طريق في الجبل وعر.

عقبةٍ أربعةَ رجالٍ، ليصدُّوا النَّاسَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ. وقالُوا لهُم: مَن أتاكُم مِنَ النَّاسِ يسْألُكم عنْ محمَّدٍ فلْيقُلْ بعْضُكم: شَاعِرٌ، وبعْضُكم: كاهِنٌ، وبعْضُكم: مجنونٌ، وألَّا تَروْهُ ولَا يَراكُم خيْرٌ لكُم، فإذَا انْتَهوا إلينَا، صدَّقْنَاكُم، فبلَغَ ذلِك رسُولَ اللهِ ﷺ، فبعَث إلى كُلِّ أرْبعةٍ منْهُم أرْبعَةً مِنَ المسلِمِينَ، فيهِم عبْدُ اللهِ بْنُ مسْعُودٍ، فأُمِروا أنْ يكذِّبُوهُم، فكانَ النَّاسُ إذَا مَرُّوا علَى المشْركِينَ، فقالُوا مَا قالُوا، ردَّ عليْهِم المسلِمُونَ، وقالُوا: كذَبُوا، بل يدْعُو إلى الحَقِّ، ويأمُرُ بالمعْرُوفِ، وينْهَى عنِ المنكرِ، ويدْعُو إلى الخيْرِ، فيقُولُونَ: ومَا هذا الخَيْرُ الَّذي يدْعُوا إليْهِ؟ فيقُولُونَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُوا۟ خَيْرًا﴾؛ أي: أنْزَل خيْرًا، ثُم فسَّر ذلِكَ الخيْرَ، فقَالَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قالُوا: لَا إلَه إلَّا اللهُ، وأَحْسَنُوا العمَلَ ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ أي: كرامَةٌ مِنَ اللهِ تعَالى في الآخِرَة، وهيَ الجنَّة، {وقيلَ للَّذينَ أحْسَنُوا في هذِه الدُّنْيَا حسنَةٌ} وهيَ مَا رزَقَهُم مِن خيْرِها وطاعِتِه فيهَا، ﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعْنِي: الجنَّةَ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنَ الدُّنْيَا.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الجنَّةُ، قالَه الجمْهُورُ. [٤٥٢/أ]

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: في الكلَامِ محْذُوفٌ، تقْدِيرُه: ولنِعْمَ دارُ المتَّقِينَ الآخِرةُ، غيْرَ أنَّه لمَّا ذُكرت أوَّلًا، عُرِف معْنَاها آخرًا، ويجُوز أنْ يكُونَ

---

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٧٢).

المعْنَـى: ولنِعَـم دَارُ المتَّقِـين جنَّـاتُ عـدنٍ[١].

والثَّاني: أنَّها الدُّنيا.

قالَ الحسَنُ: ولَنِعْمَ دارُ المتَّقِينَ الدُّنْيَا؛ لأنَّهم نَالوا بالعَملِ فيهَا ثوَابَ الآخِرَةِ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ ﴾ قد شرحْنَاه فِي بَراءة [آية: ٧٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ وقـرَأَ حمْـزَةُ: «يتَوفَّـاهُـم» بيـاءٍ مـعَ الإمَالـةِ[٣].

وفي معْنَى «طَيِّبِينَ» خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مُؤمِنِينَ.

والثَّاني: طاهِرينَ مِنَ الشِّركِ.

والثَّالث: زَاكيةً أفْعالُهم وأقْوالُهم.

والرَّابع: طَيِّبَةً وفَاتُهم، سهُل خروجُ أرْوَاحِهم.

والخامسة: طَيِّبَةً أنْفُسُهم بالموْتِ، ثقَةً بالثَّوابِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَقُولُونَ ﴾ يعْنِي: الملائِكةَ ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾.

وفي أيِّ وقْتٍ يكونُ هذَا السَّلامُ؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: عنْدَ الموْتِ.

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٨٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٧).

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

قالَ البراءُ بْنُ عازبٍ: يُسلِّم علَيْهِ ملَكُ الموْتِ إذَا دخَل علَيْهِ(١).

وقالَ القرظيُّ: ويقُول لَه: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقْرَأُ علَيْكَ السَّلام، ويُبشِّرُه بالجنَّةِ(٢).

والثَّاني: عنْدَ دُخول الجنَّةِ.

قالَ مُقاتِلٌ: هذا قوْلُ خزنَةِ الجنَّة لهُم فِي الآخِرَةِ يقُولُون: سَلامٌ علَيْكُم(٣).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النحل: ٣٣ - ٣٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٩)، من طريق أبي رجاء، عن محمد بن مالك، عن البراء، قال: قوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ قال: يسلم عليه عند الموت، وذكره مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٣٩٨٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٧٦) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٨) من طريق يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، أنه سمع محمد بن كعب القُرَظيّ يقول: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال: السلام عليك وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم نزع بهذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ ... إلى آخر الآية. وأخرجه أيضًا أبو الشيخ في العظمة (ص: ١٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٧) من طريق أبي صخر به، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٢) من طريق يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن منده في كتاب الأحوال.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٧).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقـرأ حمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ: «يَأْتِيهُـم» باليَـاء(١)، وهـذَا تهْدِيـدٌ للمُشرِكِـينَ، وقـد شرَحْنَـاه في البقَـرةِ [آيـة: ٢١٠]، وآخِـرِ الأَنْعَـامِ.

وفي قوْله تعَالى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أمْرُ اللهِ فيهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: العذَابُ فِي الدُّنْيا، قالَه مُقاتِلٌ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يُريـد: كُفَّـارَ الأُمَـمِ الماضِيـةِ، كذَّبُـوا كـمَا كـذَّبَ هـؤلَاءِ. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهْلاكِهِـم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالـشِّركِ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾؛ أي: جزاؤُهـا.

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: جزاءَ مَـا عمِلُوا مِـنَ الـشِّركِ(٣)، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ قـد بيَّنَّاه في الأَنْعَـامِ، والمعْنَـى: أحـاطَ بِهِـم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مِـنَ العذَابِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٠٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٨).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٨٥)، بنحوه. وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦١)، والبسيط (١٣/ ٥٤).

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل: ٣٥ - ٣٧].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ يعْني: كُفَّار مكَّة ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ يعْني: الأصْنامَ[1]؛ أي: لو شاءَ ما أشْركْنا ولا حرَّمْنا مِن دُونه مِن شيْءٍ مِن البَحيرةِ، والسَّائبةِ، والوَصيلةِ، والحَامِ، والحَرْثِ، وذلك أنَّه لمَّا نزَل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] قالُوا هذَا علَى سبيلِ الاسْتهزاءِ، لا علَى سبيلِ الاعْتِقادِ، وقيلَ: معْنَى كلامِهم: لو لم يأمرْنا بهذَا ويُردْهُ منَّا، لم نأْتِه.

قوْلُه تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾؛ أي: من تكْذيبِ الرُّسلِ وتحْريمِ ما أحلَّ اللهُ ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ يعْني: ليْس عليْهم إلَّا التَّبليغُ، فأمَّا الهدايةُ، فهِيَ إلى اللهِ تعالى، وبيَّنَ ذلك بقوْلِه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾؛ أي: كما بعثْناكَ في هؤلاءِ ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ ﴾؛ أي:
[٤٥٢/ب] وحِّدُوه ﴿ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ وهوَ الشَّيطَانُ ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾؛ أي: أرْشدَهُ ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾؛ أي: وجبتْ في سابِقِ علْمِ اللهِ تعالى، فأعْلَم اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّه إنَّما[2] بعثَ الرُّسُلَ بالأمْرِ بالعِبادةِ، وهوَ مِن وراءِ الإضْلالِ والهِدايةِ.

﴿ فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: مُعْتبرينَ بآثارِ الأُممِ المكذِّبةِ، ثُمَّ أكَّد أنَّ مَن حقَّتْ عليْهِ الضَّلالةُ لا يهتدي، فقَال: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾؛ أي:

---

(١) ليست في (م).

(٢) في (س): لمَّا.

إن تطلُبْ هُداهُم بجهدِك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «لا يُهْدَى» برفعِ الياءِ وفتحِ الدَّالِ، والمعْنَى: مَن أضلَّه؛ فلَا هادِيَ لَه، وقرأ عاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «يَهْدِي» بفتْحِ الياءِ وكسْرِ الدَّالِ[1]، ولم يختلِفُوا في ﴿يُضِلُّ﴾ أنَّها بضَمِّ الياءِ وكسْرِ الضَّادِ، وهذِه القِراءةُ تحْتمِلُ معْنَيَيْنِ، ذكرهما ابن الأنبارِيِّ[2].

أحدُهما: لا يهْدِي مَن طبَعَه ضالًّا، وخلَقَه شقِيًّا.

والثَّاني: لا يهْدِي؛ أي: لا يهْتَدِي مَن أضلَّه؛ أي: مَن أضلَّهُ اللهُ لا يهْتَدِي، فيكُون معْنَى يهدي: يهتَدِي، تقُولُ العرَبُ: قد هُدِي فُلانٌ الطَّرِيقَ، يُريدون: اهْتَدَى.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل: ٣٨ - ٤٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾.

سبَبُ نُزولِها: أنَّ رجُلًا مِنَ المسْلِمينَ كانَ له علَى رجُلٍ مِنَ المشْركِينَ دَيْنٌ، فأتَاه يتقَاضاه، فكانَ فيمَا تكلَّم[3] بهِ: والَّذِي أرْجُوه بعْدَ الموْتِ،

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) ذكرهما الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٥٧) بدون نسبة إليه.

(٣) في (س): يتكلم.

فقَالَ المشْرِكُ: وإنَّك لتزعُمُ أنَّك تُبعَث بعْدِ الموْتِ؟ فأقْسَم باللهِ ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾... فنزَلَتْ هذه الآيةُ[1]، قالَه أبو العاليةِ. و﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مفسَّرٌ في المائدة [آية: ٥٣]، وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ عليْهِم. قالَ الفرَّاءُ: والمعْنَى: ﴿بَلَىٰ﴾ لَيبعثنّهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[2].

قوْله تعَالَى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: يجُوز أنْ يكُونَ متعلِّقًا[3] بالبعْثِ، فيكُونُ المعْنَى: بلى يبعثُهم لِيُبيِّنَ[4] لهم، ويجوزُ أن يكُونَ معلَّقًا[5] بقوْلِه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ ليبيِّنَ لهم[6].

وللمُفسِّرين في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم جميعُ النَّاسِ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: أنَّهم المشرِكُونَ، يُبيِّن لهم بالبعْثِ مَا خالَفُوا المؤْمنِينَ فيهِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٠٣)، من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٨) إلى ابن جرير، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٠٠).

(٣) في (م): تعلقًا.

(٤) في (ر): فبين.

(٥) في (ر)، و(م): متعلقًا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٨).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ﴾؛ أي: فيـمَا أقْسَـمُوا عليْـهِ مِـن نفْـيِ البعْـثِ. ثُـمَّ أخْـبَرَ بقُدْرتِـه عـلى البعْـثِ بقوْلِـه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وأبـو عمْـرٍو، وحمْـزةُ: «فيكُـونُ» رفعًـا، وكذلِـك في كُلِّ القُـرآنِ. وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ، والكِسَـائِيُّ: «فيكُـونَ» نصْبًـا[1].

قـالَ مكِـيُّ بْـنُ إبْراهيـمَ[2]: مَـن رفَـع، قطَعَـه ممَّـا[3] قبْلَـه، والمعْنـى: فهـوَ يكُـون، ومَـن نصَـب؛ عطفَـه عـلَى «يقُـول»، وهـذَا مثْـلُ قوْلِـه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وقـد فسَّرْنـاه في البقـرةِ [آيـة: ١١٧].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ سُمِّي الشَّيءُ قبْلَ وجُودهِ شيْئًا؟.

فالجـوابُ: أنَّ الـشَّيءَ وقَـع عـلَى المعْلُـومِ عنْـدَ اللهِ قبْـل الخلْـقِ؛ لأنَّـه بمنزِلَـةِ مـا قـدْ عُويـنَ وشُـوهِدَ. [٤٥٣/أ]

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) أبـو السـكن مكـي بـن إبراهيـم بـن بشـير بـن فرقـد البرجمـي الحنظـلي التميمـي البلخـي، ثقـة ثبـت، مـن الطبقـة الخامسـة، روى عـن: أيمـن بـن نابـل، ويزيـد بـن أبي عبيـد، وبهـز بـن حكيـم، والجعيـد بـن عبـد الرحيـم، وروى عنـه: البخـاري، والستة عـن رجـل عنـه، وأحمـد ابـن حنبـل، ويحيـى بـن معيـن، وبنـدار، ومحمـد بـن يحيـى الذُّهـلي. قـال عنـه الـدار قطنـي: ثقـة مأمـون، وقـال النسـائي: ليـس بـه بـأس. تـوفي سـنة (٢١٤هــ). انظـر: تاريـخ الإسـلام (٥/ ٤٦٤).

(٣) في (ر): عماَّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ ﴾.

اخْتلفُوا فيمَنْ نزَلَتْ على ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ في سِتَّةٍ مِن أصْحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ: بِلالٌ، وعمَّارٌ، وصُهيبٌ، وخبَّابُ بْنُ الأرَتِّ، وعايشُ[1] وجبْرٌ[2] مَوليانِ لِقُريشٍ، أخذَهُم أهْلُ مكَّة فجَعَلُوا يُعذِّبُونَهم، لِيردُّوهم عنِ الإسْلامِ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ في أبي جنْدَلِ بْنِ سُهيلِ بْنِ عمْرٍو، قالَه دَاودُ بْنُ أبي هنْدٍ.

والثَّالثُ: أنَّهم جميعُ المهاجرِينَ مِنْ أصْحَابِ رسُولِ اللهِ ﷺ، قالَه قتادَةُ: ومعْنَى ﴿ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: في طلَبِ رِضاه وثوابِه ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ بما نالَ المشرِكُون منْهُم.

﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً ﴾ وفيها خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لَنُنْزِلَنَّهُم المدينَةَ، رَوى هذَا المعْنَى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب: عابس، هو عابس مولى حويطب بن عبد العزَّى. انظر: أسد الغابة (٣/ ١٠٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٥٩).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، والصواب: جبير، فهو جبير مولى كثيرة بنت أبي سفيان. انظر: الكشف والبيان (١٦/ ٤٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٧١).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٢٤)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٢٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ٢٠).

عبَّاسٍ[١]، وبهِ قالَ الحسَنُ، والشَّعبيُّ[٢]، وقتادةُ، فيكونُ المعْنَى: لَنبوِئنَّهم دارًا حسنَةً وبلدةً حسَنةً.

والثَّاني: لنرزقنَّهُم في الدُّنْيا الرِّزقَ الحسَنَ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: النَّصْر على العدوِّ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والرَّابع: أنَّه ما بقِي بعْدَهم مِنَ الثَّناءِ الحسَنِ، وصارَ لأوْلادِهِم مِنَ الشَّرفِ، ذكرَهُ الماورِديُّ[٣]، وقد رُوي معْنَاه عنْ مُجاهِدٍ[٤]، فروى عنْهُ ابْنُ أبي نَجِيحٍ أنَّه قالَ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قالَ: لِسانُ صِدْقٍ[٥][٦].

والخامِس: أنَّ المعْنَى: لَنُحسِنَنَّ إليْهِم في الدُّنْيا، قالَ بعْضُ أهْلِ المعانِي: فتكون علَى هذِه الأقْوال «لَنبوئنَّهم» علَى سبِيلِ الاِسْتعارَةِ، إلَّا علَى القوْلِ الأوَّلِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي: الجنَّةَ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ[٧].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٢٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٠٥-٢٠٦) من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي، ومن طريق سعيد، عن قتادة.

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٨٩).

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن (٤/ ٦٧).

(٥) في (ر): لسانٌ صادقٌ.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٥٦٠).

(٧) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٦٣).

ونُقِل عنْ عُمرَ بْنِ الخطَّابِ -رضي الله عنه- أنَّه كانَ إذا أعْطَى الرَّجُلَ مِن المهاجِرينَ عطَاءَه، قالَ: خُذ بارَكَ اللهُ لكَ فيهِ، هذَا ما وعدَكَ(١) اللهُ في الدُّنيا، ومَا ذُخِر لكَ في الآخِرَةِ أفضَلُ، ثُم يتْلُو هذِه الآيةَ(٢).

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعَالى أثْنَى عليْهِم ومدَحهُم بالصَّبْرِ فقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾؛ أي: على دينِهم، لم يترُكُوه لأذًى نالَهُم، وهُم في ذلِك واثِقُون بربِّهِم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾.

قال المفَسِّرونَ: لَمَّا أنْكر مُشركو قُريشٍ نُبوَّةَ محمَّدٍ ﷺ، وقالُوا: اللهُ أعْظَم مِن أنْ يكونَ رسُولُه بشَرًا، فهلَّا بعَثَ إلَيْنا ملَكًا! فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، **والمعْنَى**: أنَّ الرُّسلَ كانوا مثْلَك آدَميينَ، إلَّا أنَّهُم يُوحَى إليْهِم.

وقرَأ حفْصٌ عنْ عاصِم: «نُوحِي» بالنُّون وكسْرِ الحَاءِ(٣). ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟﴾ يا معْشرَ المشركينَ ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ **وفيهِم أربعَةُ أقْوالٍ:**

---

(١) في الأصل: وعد، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٠٦)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ٢٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٨) إلى ابن المنذر.

(٣) قراءة سبعية، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧).

أحدُها: أنَّهُم أهْلُ التَّوراةِ والإنْجِيلِ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أهْلُ التَّوراةِ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: أهْلُ القُرآنِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والرَّابع: العُلماء بأخْبَارِ مَن سلَفَ، ذكرَهُ الماوردِيُّ(١). [٤٥٣/ ب]

وفِي قوْلِه تعَالَى: ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: لا تَعلَمُون أنَّ اللهَ تعَالى بعَث رسُولًا مِنَ البَشَرِ.

والثَّاني: لا تعْلَمُون أنَّ محمَّدًا رسُولُ اللهِ.

فعلَى القَوْلِ الأوَّلِ؛ جائِزٌ أن يسألَ مَن آمَن بِرسُولِ اللهِ ومَن كفَر؛ لأنَّ أهْلَ الكتابِ والعلْمِ بالسِّيرِ متَّفِقُون علَى أنَّ الأنبياءَ كلَّهم مِنَ البشر، وعلى الثَّاني إنَّما يسْألُ مَن آمَنَ مِن أهْلِ الكتَابِ، وقد رُوي عنْ مُجاهِدٍ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ قالَ: عبْدُ اللهِ بنُ سلَامٍ(٢)، وعنْ قتادَة، قالَ: سلْمَان الفَارسيّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ فِي هذِه «الباءِ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ في الكلَامِ تقْدِيمًا وتأْخِيرًا، تقْدِيرُه: ومَا أرْسَلْنَا مِن قبلِكَ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ إلَّا رِجالًا.

والثَّاني: أنَّ تقدير الكلام ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أرْسلْنَاهُم بالبيِّنَاتِ. والزُّبر: الكتب. وقد شرحْنا هذا في آل عمران [آية: ١٨٤].

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٨٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٣)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ وهوَ القُرآنُ بإجماعِ المفَسِّرينَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه مِن حلالٍ وحرامٍ[١]، ووعْدٍ ووَعِيدٍ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلِك فيعْتبِرُونَ.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: أرَاد: مُشركي مكَّةَ. **ومكْرُهُم السَّيئاتِ:** شرْكُهُم وتكْذِيبُهُم، وسُمِّي ذلِك مكْرًا؛ لأنَّ المكْرَ في اللُّغةِ: السَّعْي بالفسَادِ[٢]، وهذَا اسْتفهَامُ إنْكارٍ، ومعْنَاه: ينْبَغِي أنْ لَا يأْمَنُوا العُقوبةَ، وكانَ مُجاهِدٌ يقُول: عنَى بهذَا الكلامِ نمْرودَ بْنَ كنْعَانَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ فيهِ أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: فِي أسْفَارِهِم، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]، وبهِ قالَ قتادَةُ[٤].

والثَّاني: في منَامِهِم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

---

(١) في (س): ومن حرام.

(٢) في (م): في الفساد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٣٤) ط هجر.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٨)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٣) من طريق معمر، عن قتادة ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارهم.

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٥٣٥).

والثَّالث: في لَيْلِهم ونَهارِهم، قالَه الضَّحَّاكُ، وابْنُ جُريجٍ، ومُقاتِلٌ[١].

والرَّابع: أنَّه جميعُ مَا يتقَلَّبُون فيهِ، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: علَى تنقُّصٍ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: التَّخوُّفُ: التَنَقُّصُ، ومثْلُه التَّخوُّن. يُقالُ: تخَوَّفتْهُ الدُّهورُ[٣] وتخَوَّنتْه؛ إذا نقَصتْهُ وأخَذتْ مِن مالِه وجسمِهِ[٤].

وقالَ الهيْثَم بْنُ عديٍّ[٥]: التَّخوُّفُ: التَّنقُّصُ، بِلغةِ أزْد شُنوءة[٦].

ثُمَّ في هذَا التَّنقُّصِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه تنقُّصٌ مِن أعْمالِهم، قالَه[٧] الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٨].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠١).

(٣) في الأصل: الدهر، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٥) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن، أبو عبد الرحمن الطائي، الكوفي المؤرخ، قال ابن معين وأبو داود: كذاب، قال البخاري: سكتوا عنه، والنسائي: متروك الحديث، توفي سنة (٢٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٣)، والجرح والتعديل (٩/ ٨٥).

(٦) ذكر ذلك عنه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٣)، وذكره أيضًا الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٥٠).

(٧) في (ر)، و(م): رواه.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس.

والثَّاني: أخْذُ واحِدٍ بعْدَ واحِدٍ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[١].

والثَّالث: تنَقُّصُ أمْوَالِهم وثِمارِهم حتَّى يهلِكَهُم، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

والثَّاني: أنَّه التَّخوُّفُ نفْسُه. ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: يأخذُهُم على خوْفٍ أنْ يُعاقبَ أو يتجاوزَ، قالَه قتَادَةُ.

والثَّاني: أنَّه يأخذُ قرْيةً لِتخافَ القرْيةُ الأُخرى، قالَه الضَّحَّاكُ.

وقالَ الزَّجَّاج: يأْخُذهم بعْد أنْ يُخيفَهُم بأنْ يُهلكَ قريةً فتخَافَ الَّتِي تلِيهَا، فعَلى هذَا، يخوّفهم[٣] قبْل هلاكِهِم، فلم يتُوبُوا، فاسْتحقُّوا العذَابَ[٤].

[٤٥٤/أ] قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إذ لم يعجِّلْ بالعُقوبة، وأمْهَل للتَّوْبةِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٨ - ٥٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «أوَلَمْ يرَوا» باليَاءِ، وقرَأ حمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «ترَوْا» بالتَّاءِ، واخْتلف

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٩٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (ص: ٢٠١).

(٣) في (ر)، و(س)، و(م): خوفهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (ص: ٢٠١).

عـنْ عاصِـمٍ(١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ أرادَ مِـن شيْءٍ لـه ظِـلٌّ، مِـن جبَـلٍ، أو شَـجرٍ، أوْ جِسْـمٍ قائِـمٍ. ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ قـرَأ الجَماعَـةُ باليَـاءِ، وقـرَأ أبـو عمْـرٍو، ويعْقُـوبُ بالتَّـاءِ(٢). ﴿ظِلَـٰلُهُۥ﴾: وهـو جمْـعُ ظِـلٍّ، وإنَّـما جُمِـع وهـو مضـافٌ إلى واحِـدٍ؛ لأنَّـه واحِـدٌ يُـراد بـه الكثْـرة(٣)؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخـرف: ١٣].

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: ومعْنـى ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ﴾: يـدُور ويرجِـعُ مِـن جانـبٍ، إلى جانـبٍ، والفَـيْءُ: الرُّجُـوع، ومنْـهُ قيـلَ للظِّـلِّ بالعَـشيِّ: فيْءٌ؛ لأنَّـه فـاءَ عـنِ المغـرَبِ إلى المشْرِقِ(٤).

قـالَ المفَسِّرون: إذا طلَعَـتِ الشَّـمسُ وأنْـت مُتوجِّـهٌ إلى القبْلـةِ، كانَ الظِّـلُّ قُدَّامَـك، فـإذَا ارْتفَعَـت كان عـنْ يمِينِـكَ، فـإذا كانَ بعْـدَ ذلِـك كانَ خلْفَـك، وإذا دَنَـتْ للغُـروبِ كانَ عـلى يسَـارِكَ، وإنَّـما وحَّـد اليمِـينَ، والمَـرادُ بـهِ: الجمْـعُ، إيجـازًا في اللَّفـظِ؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمـر: ٤٥]، ودلَّـتِ «الشَّـمائل» عـلى أنَّ المـرَاد بـهِ الجمِيـعُ.

وقـالَ الفـرَّاءُ: إنَّـما وحَّـد اليمِـينَ، وجمَـعَ الشَّـمائلَ، ولم يقُـلْ: الشِّـمال؛ لأنَّ كُلَّ ذلـك جائـزٌ في اللُّغـة، وأنْشـدَ [مـن البسـيط]:

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٧٨).

(٢) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٠٤).

(٣) في (م): أراد به التكثير.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

الْـوَارِدُونَ وَتَيْـمٌ فِي ذَرَى سَـبَأٍ   قَدْ عَـضَّ أَعْنَاقَهُم جِلْدُ الْجَوامِيسِ[(١)]

ولم يقُل: جُلود، ومثْلُه [من الوافر]:

كُلُــوا فِي نِصْــفِ بَطْنِكُــم تَعِيشُــوا   ....[(٢)]

وإنَّما جازَ التَّوْحيدُ؛ لأنَّ أكْثَرَ الكلَامِ يُواجَه بِهِ[(٣)] الوَاحِد[(٤)].

وقـالَ غـيْرُه: اليمِـين راجِعـةٌ إلى لفْـظِ مَـا، وهـوَ واحِـدٌ، والشَّـمائِلُ راجِعةٌ إلى المعْنَى.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يعْنِـي[(٥)]: مُستَسْـلِمَةٌ، مُنقـادَةٌ[(٦)]، وقـد شرحْنـا هـذَا المعْنـى عنْـدَ قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعـد: ١٥].

---

(١) البيت لجرير من قصيدة له في هجاء تيم بن قيس من بكر بن وائل في ديوانه (ص: ٢٥٢)، والحجة للقراء السبعة (٤/ ٢١٧)، والمخصص؛ لابن سيده (١/ ٥٦)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٣٧٥)، وبلا نسبة في معاني الفراء (١/ ٣٠٨)، والمذكر والمؤنث (٢/ ١٢٠)، والمقصور والممدود؛ للقالي (١/ ٢٧٣).

(٢) البيت من الأبيات التي لا يعلم قائلها، وهو في معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٤٩)، وتفسير الطبري (١/ ٣٦١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٩٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٠٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٤/ ٧٢)، والكتاب؛ لسيبويه (١/ ٢١٠)، وعجزه:

.... *** فَإِنَّ زَمَانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ

(٣) ليست في (س).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٠٢).

(٥) من الأصل فقط.

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: والكفَّارُ صاغِرُونَ.

والثَّاني: وهذِه الأشْياءُ داخِرَةٌ مجبُولةٌ على الطَّاعةِ.

وقالَ الأخْفَش: إنَّما ذكَر مَنْ ليْسَ مِنَ الإنْس؛ لأنَّه لمَّا وصَفَهُم بالطَّاعةِ أشْبَهوا الإنْسَ في الفعْلِ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾... الآيَة.

السَّاجدونَ علَى ضرْبَيْنِ:

أحدُهما: مَن يعْقِلُ، فسجُودُه عِبادةٌ.

والثَّاني: مَن لَا يعْقِلُ، فسجُودُه بيانُ أثَرِ الصَّنْعةِ فيهِ، والخضُوع الَّذي يدلُّ علَى أنَّه مخْلُوقٌ، هذا قوْلُ جماعَةٍ مِنَ العُلماءِ، واحْتجُّوا في ذلِك بقوْلِ الشَّاعِرِ [من الطويل]:

بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ فِي حَجَراتِهِ ... تَرىَ الْأُكْمَ فِيهِ سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ(٢)

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٦).

(٢) البيت لزيد الخيل في تفسير الطبري (٢/ ٢٤٢)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٩٠)، والكامل (٢/ ٢٠١)، وبلا نسبة في الصناعتين (ص: ٢٨٦)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٢٩٥)، **البلق**: جمع أبلق، وهو الفرس المحجل، **الحجرات**: الناحية، **الأكم**: جمع أكمة، وهي تل أشد ارتفاعًا مما حوله ودون الجبل. يصف كثرة هذا الجيش وأن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: حَجَراتِه؛ أي: جوَانِبه، يُريد أنَّ حوَافِرَ الخيْلِ قدْ قلَعَتِ الأَكَمَ ووطِئتَهَا حتَّى خشَعَتْ وانْخَفَضتْ(١).

فأمَّا الشَّمْسُ والقمَرُ والنُّجُوم: فألْحَقَها جماعةٌ بمَن يعْقِلُ؛ فقَالَ أبو العاليةِ: سُجودُهَا حقِيقَةٌ، ما منْهَا غارِبٌ إلَّا خرَّ ساجِدًا بيْنَ يدَيِ اللهِ عزَّ [٤٥٤/ب] وجلَّ، ثُمَّ لا ينْصَرِفُ حتَّى يُؤذنَ لَه(٢).

ويشْهَدُ لقوْلِ أبي العاليةِ: حدِيثُ أبي ذَرٍّ قالَ: كنْتُ معَ رسُولِ اللهِ ﷺ في المسْجِدِ حِينَ وجبَتِ الشَّمْسُ، فقالَ: «يَا أَبا ذَرٍّ! تَدْرِي أيْنَ ذَهَبَتِ الشَّمْسُ؟» قلْتُ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَم، قالَ: «فإنَّها تذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بيْنَ يدَي ربِّهَا عزَّ وجلَّ فتَسْتَأْذِنُ في الرُّجُوعِ فيُؤْذَنُ لَها فكَأنَّها قَدْ قِيلَ لَها: ارْجِعي مِن حيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ إلى مَطْلِعِهَا فذلِك مُستقرُّهَا»... ثُم قرأ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] أخرجه البخاري ومسلم(٣).

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٦) من طريق ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر، قالا ثنا عوف، قال: سمعت أبا العالية الرياحي يقول: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٨) إلى ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) صحيح البخاري حديث رقم (٣١٩٩)، ومسلم حديث رقم (١٥٩)، بلفظ: قال النبي ﷺ: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾» [يس: ٣٨].

وأمَّا النَّبات والشَّجر، فلَا يخْلُو سُجودُه مِن أرْبعَة أشْياءَ:

أحدُها: أنْ يكونَ سجُودًا لا نعْلمُه، وهذَا إذا قُلْنا: إنَّ اللهَ تعَالى يُودعُه فهْمًا.

والثَّاني: أنَّه تفيُّؤُ ظِلالِه.

والثَّالث: بيانُ الصَّنْعةِ فيهِ.

والرَّابع: الِانْقِيادُ لما سخِّر له.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إنَّما أخْرجَ الملائكةَ مِنَ الدَّوابِّ؛ لِخُروجِهِم بالأجْنِحَةِ عنْ صفَةِ الدَّبيبِ.

وفي قوْلِه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مِن صِفةِ الملائِكةِ خَاصَّةً، قالَه ابْنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ(١).

والثَّاني: أنَّه عامٌّ في جميعِ المذْكُوراتِ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

وفِي قوْلِه: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ قوْلَانِ: ذكرَهُما ابْنُ الأنْباريِّ.

أحدُهما: أنَّه ثنَاءٌ علَى اللهِ تعَالى، وتعْظِيمٌ لِشأْنِه، وتلْخِيصُه: يخافُونَ ربَّهم عاليًا رفِيعًا عظِيمًا.

والثَّاني: أنَّه حالٌ، وتلْخِيصُه: يخَافُون ربَّهم مُعظِّمينَ له عَالِين بعَظِيمِ سُلْطانِه.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢ ﴾ [النحل: ٥١ - ٥٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾.

سبَبُ نُزولِها: أنَّ رجُلًا مِنَ المسْلِمينَ دعَا اللهَ في صلَاتِه، ودَعا الرَّحْمنَ، فقَالَ رجُلٌ مِنَ المشْرِكينَ: أَلَيس يزْعُم محُمَّدٌ وأصْحَابُه أنَّهُم يعْبُدونَ ربًّا واحِدًا، فما بَالُ هذَا يدْعُو ربَّيْنِ اثْنَيْنِ؟! فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه مُقاتِلٌ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: ذكْرُ الاثْنَيْنِ توكِيدٌ؛ كما قالَ تعَالَى: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾[٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ في المرَادِ بالدِّينِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الإخْلاصُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: العِبادةُ قالَه سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وإقَامةُ الحُدودِ، والفَرائِضِ، قالَه عِكْرِمَةُ.

والرَّابع: الطَّاعةُ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

وفي معْنَى[٤] «وَاصِبًا» أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: دائِمًا، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥]، وبهِ قالَ الحسَنُ،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٤) ليست في (م).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٠) إلى ابن جرير=

وعِكْرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ، وابْنُ زَيْدٍ، والثَّوْرِيُّ، واللُّغويُّونَ، وَقالَ أبو الأسْودِ الدُّؤلِيُّ [من الكامل]:

لَا أَبْتَغِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ   يَوْمًا بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبًا[١]

قالَ ابنُ قُتيبةَ: ومعْنَى الكلامِ: أنَّه ليسَ مِن أحَدٍ يُدَانُ له ويُطاع إلَّا انْقَطَع ذلِك عنْه[٢] بِزوالٍ أو هلَكَةٍ، غيْرُ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّ الطَّاعةَ تدُوم له[٣].

والثَّاني: واجِبًا، رَواه عِكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤]. [٤٥٥/أ]

والثَّالث: خالصًا، قالَه الرَّبِيع بْنُ أنَسٍ.

والرَّابع: وله الدِّين مُوصبًا؛ أي: مُتعبًا؛ لأنَّ الحَقَّ ثَقِيلٌ، وهذا[٥] كما تقُول العرَبُ: هُم ناصِبٌ، أي: مُنْصِبٌ، قالَ النَّابغةُ [من الطويل]:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ   وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ[٦]

=وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) البيت لأبي الأسود في ديوانه (ص: ٣٧)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٦١)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٩٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦/ ٥٨).

(٢) في (م): انقطع عنه ذلك.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٣) من طريق يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال: واجبًا. وذكره النحاس في معاني القرآن (٤/ ٧٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٠) إلى ابن جرير والفريابي.

(٥) في (ر): وهو.

(٦) البيت للنابغة في ديوانه (ص: ٥٤)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢/ ١٨٤)، ومعاني=

ذكره ابنُ الأنباريِّ(١).

قالَ الزَّجَّاجُ: ويجوزُ أنْ يكُونَ المعْنَى: لـه الدِّينُ، والطَّاعةُ، رضِيَ العبْدُ بما يُؤمَر بهِ وسهُل عليْه، أو لم يسْهُلْ، فلَه الدِّينُ وإنْ كانَ فيهِ الوَصَبُ، والوَصَبُ، شِدَّةُ التَّعبِ(٢).

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: ما حَلَّ بكُم مِن نعْمةٍ، مِن صحَّةٍ في جسْمٍ، أو سَعَةٍ في رِزْقٍ، أوْ متَاعٍ مِن مالٍ ووَلَدٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾(٣)، وقرَأ ابنُ أبي عبْلَةَ: «فمنَّ الله» بتشْديدِ النُّونِ(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريدُ الأسْقامَ، والأمْراضَ، والحَاجَةَ(٥).

=القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٢٠)، والكتاب؛ لسيبويه (٢/ ٢٠٧)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٣٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٦٧).

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٥٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٤) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٥) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: الضُّرُّ: السُّقم.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: تَجْأَرُون: ترْفعُون أصْواتَكُم إليْهِ بالإسْتِغاثة، يُقال: جأَرَ يجْأَرُ جُؤارًا، والأصْوات مبْنِيَّةٌ على «فُعَالٍ» و«فَعِيلٍ»، فأمَّا «فُعَال»؛ فنحْوُ: «الصُّرَاخُ» و «الجُؤَارُ»[1]، وأمَّا «الفَعِيلُ»؛ فنحْوُ: «العَوِيلُ» و«الزَّئِيرُ»، والفُعَالُ أكْثَرُ[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد أهْلَ النِّفاقِ[3].
وَقالَ ابْنُ السَّائبِ: يعْنِي: الكفَّارَ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: ليَكْفُروا بأنَّا أنْعمنَا عليْهِم، فجَعَلُوا نِعَمَنَا[5] سَببًا إلى الكُفْر، وهو كقوْلِه تعَالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾... إلى قوْلِه: ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨] ويجُوز أنْ يكُونَ «لِيكْفُروا»؛ أي: لِيجحدُوا نعْمةَ اللهِ في ذلِك[6].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ تَهدّدٌ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقِبةَ أمْرِكُم.

---

(١) في (ر): الخوار.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) في (س)، و(م): نعمتنا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤- ٢٠٥).

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل: ٥٦ - ٥٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعْنِي: الأوْثَانَ(١).

وفِي الَّذِين لَا يعْلَمُون قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم الجاعِلون، وهمُ المشركون، والمعْنى: لِما لَا يعْلَمُون لها ضرًّا ولا نفعًا، فمفْعُولُ العِلْم محْذُوفٌ، وتقْدِيرُه: ما قلْنَا، هذا قوْلُ مُجاهِدٍ، وقتَادَةَ.

والثَّاني: أنَّها الأصْنامُ الَّتِي لا تعْلم شيْئًا، وليْسَ لها حِسٌّ ولا معْرِفةٌ، وإنَّما قالَ: يعْلَمُون؛ لأنَّهم لما نَحَولُها الفهْمَ، أجْرَاها مُجْرى مَن يعْقِلُ على زعْمِهم، قالَه جماعَةٌ مِن أهْلِ المعَاني.

قالَ المفَسِّرونَ: وهؤلاءِ مُشركو العرَبِ جعلَوا لأوْثَانِهم جُزءًا مِن أمْوَالِهم؛ كالبَحيرةِ والسَّائبةِ وغيْرِ ذلِك ممَّا شرحْنَاه في الأنعام [آية: ١٣٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾ رجَع عنِ الإخْبار عنهُم إلى الخِطَابِ لهُم، وهذَا سُؤالُ توْبيخٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾.

---

(١) في (س)، و(م): للأوثان.

قَالَ المفسِّرُونَ: يعْنِي: خُزاعةَ وكنانَةَ، زعمُوا أنَّ الملائكةَ بنَاتُ اللهِ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾؛ أي: تنزَّهُ عمَّا زعمُوا. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعْنِي: البَنِينَ.

قالَ أبو سُليمانَ: المعْنَى: ويتَمنَّوْنَ لأنفُسِهِم الذُّكورَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾؛ أي: أُخْبِرَ أنَّه قد ولُد له [٤٥٥/ب] بنْتٌ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أي: مُتغيرٌ تغيُّرَ مُغتمٍّ، يُقال لكُلِّ مَن لقِيَ مكْرُوهًا: قدِ اسْودَّ وجْهُه غمًّا وحُزْنًا(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ أي: يكْظِمُ شِدَّةَ وجْدِه، فلا يُظْهِرُه، وقد شرحْنَاه في سُورة يُوسُفَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾.

قَالَ المفَسِّرُونَ: هذَا صَنِيعُ مُشركِي العرَبِ، كانَ أحَدُهم إذا ضَرَبَ امْرأتَهُ المْخاضُ، تَوارى إلى أنْ يعْلَمَ مَا يُولدُ له، فإنْ كانَ ذكرًا؛ سُرَّ بِهِ، وإنْ كانَتْ أُنْثى، لم يظْهرْ أيَّامًا يُدبِّر كيف يصْنَعُ في أمْرِها، وهوَ قوْلُه تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ وَالهَاءُ ترجِعُ إلى «مَا» في قوْلِه: ﴿مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ والهُون في كَلام العرَبِ: الهوَانُ.

وقرَأ ابْنُ مسْعُود، وابْنُ أبي عبْلَةَ، والجَحْدرِيُّ: «عَلَى هوَانٍ»(٢).

والدَّسُّ: إخْفَاءُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ، وكانُوا يدْفِنُون البنْتَ وهِيَ حيَّةٌ ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ إذ جعلُوا للهِ البنَاتِ اللَّاتي محلُّهنَّ منْهُم هذَا، ونسَبُوه إلى

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٥).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣).

الولَـدِ، وجعَلُـوا لأنفُسِـهمُ البَنِـين.

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النحـل: ٦٠].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾؛ أي: صفَـةُ السَّـوْءِ مِـنَ احْتياجِهِـم إلى الولَـدِ، وكرَاهتِهِـم الإنَـاثَ(١)؛ خـوْفَ الفقْـرِ والعَـارِ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾؛ أي: الصِّفَـةُ العُلْيَـا مِـن تنزُّهِـه وبرَاءتِـه عـنِ الولَـدِ.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحـل: ٦١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾؛ أي: بشِرْكِهِـم ومعَاصِيهِـم، كلَّـما وُجِـدَ شيْءٌ منْـهُ(٢) أُوخِـذُوا بِـه ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ يعْنِـي: الأرْضَ، وهـذِه كنايـةٌ عن غـيْرِ مذْكُورٍ، غيْرَ أنَّه مفهـومٌ؛ لأنَّ الدَّوابَّ إنَّما هـيَ على الأرْضِ.

وفي قوْلِه: ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه عنَى جميعَ ما يدبُّ على وجْهِ الأرْضِ، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ.

قالَ قتَادةُ: وقدْ فُعِل ذلِك في زمَنِ نُوحٍ عليْهِ السَّلامُ(٣).

---

(١) في (ر)، و(س)، و(م): للإناث.

(٢) في (ر)، و(س): منهم.

(٣) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٣/ ٧٣) مـن طريـق معمـر عـن قتـادة، في قوْلِـهِ تعَـالى: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطـر: ٤٥] قـال: «قـدْ فعَـلَ ذلِـكَ زمَـانَ نُـوحٍ». وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (٢٠/ ٤٨٦) مـن طريـق سـعيد، عـن قتـادة: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ إلا مـا حمـل نـوح في السـفينة.

وقالَ السُّدِّيُّ: المعْنَى: لأَقْحطَ المطَرُ فلم تَبْقَ دابَّةٌ إلَّا هلكَتْ[١]، وإلى نحْوِه ذهَب مُقاتِلٌ[٢].

والثَّاني: أنَّه أرَاد مِنَ النَّاس خاصَّةً، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

والثَّالث: مِنَ الإنْسِ والجِنِّ، قالَه ابْنُ السَّائبِ، وهوَ اخْتِيارُ الزَّجَّاجِ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهوَ منْتَهى آجالِهم، وباقِي الآيةِ قد تقدَّم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل: ٦٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ المعْنَى: ويحْكُمُون لَه بما يكْرهُونَه لأنفُسِهم، وهو البَناتُ، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: تقُول الكَذِبَ.

وقَرأ أبو العاليةِ، والنَّخعيُّ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «الْكُذُب» بضمِّ الكافِ والذَّالِ[٤]، ثُمَّ فسَّر ذلك الكذِبَ بقوْلِه: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وفيها **ثلاثةُ أقْوالٍ**:

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٤٠)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي في الآية يقُول: إذا قحط الْمَطَر لم يبْق فِي الأَرْض دَابَّة إِلَّا مَاتَت.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٦).

(٤) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١١)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣).

أحدُها: أنَّها البَنُون، قالَه مجاهِدٌ، وقتادَةُ، ومُقاتلٌ[١].

والثَّاني: أنَّها الجزاءُ الحسَنُ مِنَ اللهِ تعَالى، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

والثَّالث: أنَّها الجنَّةُ، وذلِك أنَّه لمَّا وعَدَ اللهُ تعَالى المؤْمِنينَ الجنَّةَ، قالَ المشرِكُونَ: إن كانَ ما تقُولُونَه حقًّا، لَنَدْخُلنَّها قبْلَكم، ذكَرَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحنَاها فيما مضَى.

[٤٥٦/أ] وقالَ الزَّجَّاجُ: «لَا» ردٌّ لِقوْلِهم، والمعْنَى: ليْس ذلِك كما وصَفُوا «جَرَمَ» أنَّ لهُم النَّارَ، المعْنَى: جرَمَ فعْلُهم؛ أي: كسَب فعْلُهم هذَا ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٣]، وفيهَا[٤] أرْبعةُ أوْجهٍ، قرَأ الأكْثَرُونَ: «مُفْرطُونَ» بسكُونِ الفاءِ وتخْفيفِ الرَّاءِ وفتْحِها[٥].

وفِي معْنَاها قوْلَانِ:

أحدُهما: مُتْرَكُونَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) في (ر): وفيه.

(٥) قرأ نافعٌ بكسرِ الراءِ وتخفيفِها، وقرأ أبو جعفرٍ بكسرِ الراءِ، وتشديدِها معَ فتحِ الفاءِ، وقرأ الباقون: بفتحِ الراءِ وتخفيفِها. انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٤).

وقالَ الفرَّاء: مَنْسِيُّونَ في النَّارِ(١).

والثَّاني: معجلونَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ أيضًا.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: معجلُونَ إلى النَّارِ(٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى «الفَرْطِ» في اللُّغةِ: المتقدِّمُ، فمعْنى «مُفْرَطُونَ»: مُقدَّمُون إلى النَّار، ومَن فسَّرها «مُتركُونَ» فهو كذلِك أيضًا؛ أي: قد جُعلوا مُقدَّمِينَ إلى العذَابِ أبدًا، متروكِينَ فيهِ(٣).

وقرَأَ نافِعٌ، ومحبُوبٌ عنْ أبي عمْرٍو، وقُتيبةُ عنِ الكِسائِيِّ: «مفرِطُون» بسكُون الفاءِ وكسْرِ الرَّاء وتخفِيفِها(٤).

قالَ الزَّجَّاجُ: ومعْناها: أنَّهُم أفْرَطُوا في معصيةِ اللهِ(٥).

وقرَأ أبو جعْفرٍ وابْنُ أبي عبْلَةَ: «مُفَرِّطُونَ» بفتْحِ الفاءِ وتشْدِيدِ الرَّاءِ وكسْرِها(٦).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٧).

(٤) قراءة سبعية، سبق ذكرها.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٨).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٣)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٠٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣)، والمروي عن ابن أبي عبلة والأعرج: بفتح الراء مشدد، كما في شواذ الكرماني.

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: ومعْناهـا: أنَّهـم فَرطُـوا في الدُّنْيـا فلـم يعملُـوا فيهـا للآخِـرةِ، وتصْدِيـقُ هـذِه القِـراءة: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[١] [الزمـر: ٥٦].

وروى الولِيـدُ بْـنُ مُسلمٍ عـنِ ابْـنِ عَامِـرٍ: «مُفَرَّطُـونَ» بفتْـح الفَـاء والرَّاءِ وتشْديدِهَا[٢].

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: وتفْسِـيرُها كتفْسِـير القِـراءةِ الأُولى، فالمفـرِّط والمفـرَّط بمعنًـى [واحـدٍ][٣][٤].

﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحـل: ٦٣ - ٦٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾.

قَـالَ المفَـسِّرونَ: هـذِه تعْزِيـةٌ للنَّبـيِّ ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ الخَبِيثَـةَ حتَّـى عصَـوا وكذَّبُـوا، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ فيـهِ قـوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه يـوْمُ القِيامـةِ، قالَـه ابْـنُ السَّـائبِ، ومُقاتِـلٌ[٥]، كأنَّهما أرادا:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٨).

(٢) تعتبر انفرادة شاذة من رواية الوليد، وتروى عن أبي جعفر من العشرة، وقد ذكرت في المبسوط (ص: ٢٢٥)، والمبهج (ص: ٥٨٧)، والبستان (ص: ٦٤٦).

(٣) من (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٨).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٥).

فهُوَ وليُّهُم يوْمَ تكُونُ لهُم النَّارُ.

والثَّاني: أنَّه الدُّنيا، فالمعْنَى: فهوَ مُواليهِم في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرةِ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوْلُه تعالَى: ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ يعْنِي: الكُفَّارَ(١) ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: مَا خالَفُوا فيهِ المؤمنينَ مِنَ التَّوْحيدِ والبعْثِ والجزاءِ، فالمعْنَى: أنْزلناه بيانًا لما وقَع فيهِ الاخْتِلافُ.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٥ - ٦٦].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعْنِي: المطَرَ ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾؛ أي: بعْد يُبْسِها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يعْتَبِرونَ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم﴾.

قرَأ أبو عمْرٍو، وابْنُ كثيرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائيُّ: «نُسْقِيكُمْ» بضمِّ النُّونِ، ومثْلُه في المُؤْمِنينَ.

وقرَأ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عن عاصِمٍ: «نَسْقِيكُم» بفتْحِ النُّون فيهما(٢). وقرَأ أبو جعْفَر: «تَسْقِيكم» بتاءٍ مفْتُوحةٍ(٣)، وكذلِك في

---

(١) في (س): للكفار.

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨).

(٣) قراءة عشرية، انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، وهي ضعيفة، كما في تفسير=

الْمُؤْمِنِينَ، وقد سبَق بيَانُ الأنْعام، وذكرْنا معْنَى «العِبرة» في آل عِمْرانَ، والفرْقُ بيْنَ «سَقَى» وأَسْقَى في الْحِجر.

فأمَّا قوْلُه: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ فقَال الفرَّاء: النَّعَم والْأنْعامُ شيْءٌ واحِدٌ، وهمَا جمْعانِ، فرَجَع التَّذْكير إلى معْنَى «النَّعَم»؛ إذ كانَ يؤدي عنِ الأنْعَام، [٤٥٦/ب] أنْشَدني بعْضُهم [من الرجز]:

وَطَابَ أَلْبَانُ اللِّقَاحِ وَبَرَدْ[1]

فرجَعَ إلى اللَّبَنِ؛ لأنَّ اللَّبَنَ والألْبانَ في معْنًى، قالَ: وقالَ الكِسَائيُّ: أرَاد: نَسْقِيكُم ممَّا في بُطُون[2] مَا ذكرْنا، وهوَ صوابٌ[3]، أنْشدني بعْضهم [من الرجز]:

مِثْلُ الْفِرَاخِ نُتِّفَتْ حَوَاصِلُهْ[4]

=القرطبي (١٠/ ١٢٣).

(١) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٣٨)، وتهذيب اللغة (٦/ ٦٥-٦٦)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١١٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨١)، وقبله:

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنَ الْأَسَدْ
جَبْهَتَهُ أَوِ الْخَرَاةِ وَالْكَتَدْ
بَالَ سُهَيْلٌ فِي الْفَضِيخِ فَفَسَدْ

(٢) في (ر): البطون.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٠٩).

(٤) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٠٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٣٩)، والمحتسب؛ لابن جني (٢/ ١٥٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨٠٠)، والصحاح؛ للجوهري (٤/ ٤٠).

وقالَ المبرد: هذَا فاشٍ في القُرآنِ؛ كقوْلِه للشَّمسِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] يعْنِي: هذَا الشَّيءَ الطَّالِعَ، وكذلِك ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٥-٣٦] ولم يقل: «جاءَتْ»؛ لأنَّ المعْنَى: جاءَ الشَّيْءُ الَّذِي ذكرْنَا(١).

وقالَ أبو عُبيدةَ: الهَاءُ في «بُطونِه» للبعْضِ، والمعْنَى: نَسْقِيكم ممَّا في بُطونِ البعْضِ الَّذِي له لَبنٌ؛ لأنَّه ليْس لكلِّ الأنْعامِ لبَنٌ(٢).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: ذهَب بقوْلِه: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ إلى النَّعَم، والنَّعمُ تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ(٣).

والفرْثُ: ما في الكرِش، والمعْنَى: أنَّ اللَّبن كان طعامًا، فخلَص مِن ذلِكَ الطَّعامِ دَمٌ، وبقِي منْهُ فرْثٌ في الكَرِشِ، وخلَص مِن ذلِكَ الدَّم.

﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾؛ أي: سهلًا في الشُّرب لا يشجى بهِ شَاربُه، ولا يغصّ. وقالَ بعْضُهم: سائغًا؛ أي: لا تعافه النَّفسُ وإنْ كانَ قد خرَجَ مِن بيْنِ فرْثٍ ودَمٍ.

ورَوى أبو صالِح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: إذا اسْتقرَّ العلَفُ في الكرِشِ، طحَنَه، فصَارَ أسْفلُه فرْثًا، وأعْلاه دمًا، وأوْسطُه لبنًا، والكبدُ مُسلطةٌ على هذِه الأصْنافِ الثَّلاثةِ، فيجْرِي الدَّمُ في العُروقِ، واللَّبنُ في الضَّرْعِ، ويبْقَى

(١) ذكر ذلك عن المبرد الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ١١٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٥).

الفـرْثُ في الكَـرِشِ[١].

قوْلـه تعـالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾[النحـل: ٦٧] تقْدِيـرُ الـكلَامِ: ولكُـم مِـن ثمَـراتِ النَّخِيـلِ والأعْنَـابِ مـا تتَّخِـذُونَ منْـهُ سـكرًا، والعـرَبُ تُضْمـر ﴿مَا﴾؛ كقوْلِـه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الإنسـان: ٢٠]؛ أي: مَـا ثـمَّ. والكنَايـةُ فِي «مِنْـه» عائِـدةٌ عـلَى «مَـا» المضمـرةِ.

وقـالَ الأخْفـشُ: إنَّـما لم يقُـلْ: منْهـا؛ لأنَّـه أضْمـر الـشَّيء؛ كأنَّـه قـالَ: ومنْهَـا شيْءٌ تتَّخـذونَ منْـهُ سـكرًا[٢].

وفِي المرادِ بالسّكر ثَلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه الخمـرُ، قالَـه ابْـنُ مسْـعودٍ، وابْـنُ عُمـرَ، والحسَـنُ، وسـعِيدُ ابْـنُ جُبـيرٍ، ومُجاهِـدٌ، وإبْراهيـمُ، ابْـنُ أبي ليْـلَى، والزَّجَّـاجُ[٣]، وابْـنُ قُتيبـةَ[٤].

ورَوى عمْرُو بْنُ سُفيان، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: السَّكرُ: مَا حُرِّم مِن ثمرتِها[٥].

---

(١) ذكـره الواحـدي في التفسير الوسـيط (٣/ ٧٠)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ١١٣) مـن روايـة الكلبـي عـن أبي صالـح.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤١٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٥).

(٥) أخرجـه عبـد الـرزاق (٢/ ٢٧١)، والطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٤١)، مـن طريـق الأسـود، عـن عمـرو بـن سـفيان، عـن ابـن عبـاس، قولـه: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قـال: السَّـكَر: مـا حُـرِّم مـن شرابـه، والـرزق الحسـن: مـا أحـلّ مـن ثمرتـه.

قَـالَ هـؤلاء المفَـسِّرون: وهـذه الآيـةُ نزلَـتْ إذْ كانـتِ الخمْـرةُ مُباحـةً، ثُـمَّ نُسـخ ذلِـك بقوْلِـه: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائـدة: ٩٠]، وممَّـن ذكَـر أنَّهـا منْسُـوخةٌ، سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، ومُجاهِـدٌ، والشَّـعْبِيُّ، والنَّخعـيُّ.

والثَّـاني: أنَّ السَّـكرَ: الخـلُّ، بلُغـةِ الحبَشـةِ، رَواه العـوْفيُّ عنِ ابْـنِ عبَّاسٍ(١)، وقـالَ الضَّحَّـاكُ: هـوَ الخَـلُّ، بلُغـةِ اليَمنِ(٢).

والثَّالـث: أنَّ «السَّـكر» الطَّعـم، يُقـال: هـذا لـه سـكرٌ؛ أي: طعْـمٌ، وأنْشـدُوا [مـن الرجـز]:

جَعَلْتُ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكَرَا(٣)

قالَه أبو عُبيدةَ(٤). فعَلى هذَيْنِ القوْلَيْنِ الآيةُ مُحكمَةٌ.

فأمَّـا الـرِّزْقُ الحسَـنُ: فهـو مـا أحـلَّ منْهُـا، كالتَّمـرِ، والعِنَـبِ، والزَّبيـبِ، [٤٥٧/ أ] والخَـلِّ، ونحْـوِ ذلِـك.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٤)، وعزاه السيوطي (٤/ ١٢٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٢) انظر: نواسخ القرآن؛ للمصنف (٢/ ٤٩٤).

(٣) الرجـز لجنـدل، كـما في مجـاز القـرآن (١/ ٣٦٣)، وبـلا نسـبة في غريـب القـرآن؛ لابـن قتيبـة (ص: ٢٤٥)، وتفسـير الطـبري (١٧/ ٢٤٦)، ومعـاني القـرآن؛ للنحـاس (٤/ ٨٣)، والكشـف والبيـان (١٦/ ٧٤)، والنكـت والعيـون (٣/ ١٩٨) ويـروى:

جعلت أعراض الكرام سكرا

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٦٣).

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ في هذا الوحْيِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه إلْهامٌ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ[1]، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[2].

والثَّاني: أنَّه أمْرٌ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3]. ورَوى ابْنُ مُجاهِدٍ عنْ أبيهِ قالَ: أرسَلَ إليْها.

والنَّحلُ: زَنابيرُ العسَلِ، وَاحِدتُها: نحْلةٌ. «ويعْرِشُون»: يجعلُونَهُ عريشًا.

وقرَأ ابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «يَعْرُشُونَ» بضَمِّ الرَّاءِ[4]، وهمَا لُغتانِ، يُقالُ: «يعرِش» و«يعرُش»؛ مثلُ: «يعكِف»، و«يعكُف»، ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: مَا يعرِشُون مِن الكرومِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٢) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عبَّاس قوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾... الآية، قال: أمرها أن تأكل من الثمرات، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللًا.

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، والتيسير؛ للداني (ص: ١١٣).

والثَّاني: أنَّهَا سُقوفُ البيوتِ، قالَه الفرَّاءُ(١).

وقَالَ ابْنُ قُتيبَةَ: كُلُّ شيْءٍ عرشٌ، مِن كَرْمٍ، أو نَباتٍ، أو سقْفٍ؛ فهوَ عَرْشٌ، ومَعْروشٌ(٢). وقيلَ: المراد بـ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾: ممَّا يبنُونَ لهَا(٣) مِنَ الأماكنِ الَّتي تُلقِي فيهَا العسَل، ولوْلَا التَّسْخيرُ، ما كانت تأوِي إليْهَا.

قوْلُه تعَالَى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: مِنَ الثَّمراتِ، و«كُلّ» هاهُنا ليسَتْ علَى العُمومِ، ومثْلُه قوْلُه: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ ﴾(٤) [الأحقاف: ٢٥].

قَالَ الزَّجَّاجُ: فهِيَ تأْكُلُ الحامِضَ والمرَّ، ومَا لا يُوصَفُ طعْمُه، فيحِيلُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن ذلِك عسلًا(٥).

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ السُّبُل: الطُّرق، وهيَ الَّتي تُطلب(٦) فيها الرَّعْي. «والذُّلل» جمْع ذَلُولٍ.

وفِي الموصُوف بِهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها السُّبُل، فالمعْنَى: اسْلُكِي السُّبُلَ مُذَلَّلةً لكِ، فلا يتوعَّرُ

(١) معاني القرآن (٢/ ١٠٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٣) في (ر): لهم.

(٤) المصدر السابق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٠).

(٦) في (ر): يطلب.

عليْهَا مكانٌ سلكْتَه، وهذا قوْلُ مُجاهِدٍ، واخْتِيارُ الزَّجَّاجِ(١).

والثَّاني: أنَّها النَّحْلُ، فالمعْنَى: إنَّكِ مُذلَّلةٌ بالتَّسْخيرِ لبني آدَمَ، وهذا قوْلُ قتادَةَ، واخْتِيارُ ابْنِ قُتيبةَ(٢).

قوْلُه تعالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعْنِي: العسَلَ ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: منْهُ أحمَرُ، وأبْيَضُ، وأصْفَرُ(٣).

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿يَخْرُجُ﴾ مِن بُطونِها، إلَّا أنَّها تُلْقِيه مِن أفْواهِهَا، وإنَّما قَالَ: ﴿مِنْ بُطُونِهَا﴾؛ لأنَّ اسْتِحالَةَ الأطْعمةِ لا تكُون إلَّا في البطْنِ، فيخْرُجُ كالرِّيقِ الدَّائِمِ الَّذِي يَخْرُجُ مِن فَمِ ابْنِ آدَمَ(٤).

قوْلُه تعَالَى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ في هاءِ الكنَايةِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى العسَلِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥)، وبه قالَ ابْنُ مسْعُودٍ.

وقَدِ اخْتلَفُوا، هلِ الشِّفَاءُ الَّذِي فيهِ يَختَصُّ بمرَضٍ دُون غيْرِه، أمْ لَا؟ علَى قوْلَينِ:

أحدُهما: أنَّه عامٌّ في كُلِّ مرَضٍ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٢٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٢٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ العسل.

قَالَ ابْنُ مسْعُودٍ: العسَلُ شِفاءٌ مِن كُلِ دَاءٍ[١]. وقَالَ قتَادَةُ: فيهِ شِفاءٌ للنَّاسِ مِن الأَدْوَاءِ[٢].

وقد رَوى أبو سعِيدٍ الخدريُّ قالَ: جاءَ رجُلٌ إلى رسُولِ اللهِ، فقَال: إنَّ أَخِي اسْتطلَقَ بطْنُه، فقَال: «اسْقِهِ عَسَلًا» فسَقَاهُ، ثُمَّ أَتَى فقَالَ: قَدْ سَقَيْتُه فلَم يَزِدْهُ إلَّا اسْتطلَاقًا، قالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»... فذكَر الحدِيثَ إلى أنْ قَالَ: فشُفِي[٣]، إمَّا فِي الثَّالثةِ، وإمَّا في الرَّابعَةِ. فقَالَ رسُول اللهِ «صَدَقَ اللهُ [٤٥٧/ب] وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ» أخرجَهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ[٤]. ويعْنِي: بقوْلِه: «صَدَقَ اللهُ»: هذِه الآيةَ.

والثَّاني: فيهِ شفَاء للأَوْجَاعِ الَّتِي شِفَاؤُها فيهِ، قالَه السُّدِّيُّ.

والصَّحِيحُ أنَّ ذلِك خَرج مخْرجَ الغالِبِ.

قَالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: الغالِبُ على العَسَلِ أنَّه يعْمَل في الأدْوَاءِ، ويدْخُلُ في الأدْويةِ، فإذَا لم يُوافِقْ آحادَ المرْضَى: فقَدْ وافَقَ الأكْثرِينَ، وهذا كقوْلِ العرَبِ: الماءُ حياةُ كُلِّ شيْءٍ، وقد نَرى مَنْ يقْتُلُه الماءُ، وإنَّما الكلَامُ على الأغْلَبِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٧) بلفظه، والطبري (١٧/ ٢٥٠) بلفظه، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٤٢)، وانظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٠) من طريق سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الأدواء.

(٣) في الأصل: فسقي، والمثبت من (ر)، و(س)، و(م).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٥٦٨٤)، ومسلم، حديث (٢٢١٧) من طريق أبي المتوكل.

والثَّاني: أنَّ الهاءَ ترجِع إلى الاِعْتِبارِ. والشِّفاءُ: بمعْنَى: الهدَى، قالَه الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلى القُرآنِ، قالَه مُجاهِدٌ.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل: ٧٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾؛ أي: أوْجدَكُم ولم تكُونوا شيْئًا ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ عنْد انْقِضاءِ آجالِكُم، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ وهو أرْدَؤُه، وأدْونُه، وهيَ حالَةُ الهرَمِ.

وفِي مِقدَارِه مِنَ السِّنِين ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خمْسٌ وسبعُون سنَةً، قالَه عليٌّ عليه السلام.

والثَّاني: تِسْعُون سنَةً، قالَه قتادَةُ.

والثَّالث: ثمانُون سنَةً، قالَه قطْرُبٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: لكَي لا يعقِلَ مِن بعْدِ عقْلِه الأوَّلِ شيْئًا[1].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: حتَّى لا يعْلَمَ بعْدَ علْمِه بالأمُورِ شيْئًا، لِشدَّةِ هرمِه[2].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أنَّ منكُم مَن يكبُر حتَّى يذْهبَ عقْلُه خرفًا، فيصِيرُ بعْدَ أنْ كانَ عالمًا جاهلًا؛ لِيريكُم مِن قُدْرتِه، كما قدرَ علَى إمَاتتِه

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

وإحْيائِـه، أنَّـه قـادِرٌ عـلَى نقْلِـه مِـنَ العِلْـمِ إلى الجهْـلِ[١].

ورَوى عطَـاءٌ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّـه قـالَ: ليْـسَ هـذَا في الْمُسْـلِمِينَ، المسْلِمُ لا يـزْدَادُ في طُـولِ العُمـرِ والبقَـاءِ إلَّا كرَامـةً عنْـدَ اللهِ وعقـلًا، ومعْرِفةً[٢].

وقالَ عكْرِمةُ: مَن قرَأ القُرآنَ لم يُردَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ[٣].

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ٧١﴾ [النحـل: ٧١].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾.

يعْنِـي: فضَّـل السَّـادةَ عـلى المماليـكِ ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾ يعْنِـي: السَّـادةَ ﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ فعـبَّرتْ «مَـا» عـنْ «مَـنْ»؛ لأنَّـه موْضِـعُ إبْهَـامٍ؛ تقُـول: مـا فِي الـدَّارِ؟ فيقُـول المخاطَـبُ: رجُـلانِ أو ثلَاثـةٌ.

ومعنـى الآيـة: أنَّ المـوْلَى لا يـردُّ عـلى مـا ملَكَـتْ يمِينُـه مِـن مالِـه حتَّـى يكـونَ المـولى والممْلُـوكُ فِي المـالِ سـواءً، وهـذَا[٤] مثَـلٌ ضرَبَـه اللهُ تعَـالى للمُشركِـينَ الَّذِيـن جعلُـوا الأصْنَـامَ شُركاءَ لـه، والأصْنـامَ ملكًـا لـه؛ يقُـول: إذا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٣)، والتفسير البسيط (١٣/ ١٢٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥١١)، والبيهقي في الشعب (٢٧٠٦) من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة، وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٧٠٦) من طريق عاصم، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٦٧) إلى ابن جرير وعبد بن حميد، من قول عكرمة.

(٤) في (ر): وهو.

لم يكنْ عبيدُكم معَكم في المُلْكِ سَواءً، فكيْفَ تجْعَلُون عبِيدي معِي سَواءً، وتَرضَون لِي ما تأْنَفُون لأنفُسِكم منْهُ؟.

ورَوى العوفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: لم يكُونوا أشْركُوا عبِيدَهم فِي أمْوَالِهم ونِسائِهم، فكيْفَ يُشركُونَ عبِيدي معِي في سُلطانِي[1]؟.

ورَوى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: نزَلَت في نصَارَى نَجرانَ حينَ قالُوا: عيسى ابْنُ اللهِ تعَالى[2]. [٤٥٨/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قرَأ أبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «تَجْحَدُونَ» بالتَّاءِ[3].

وفِي هذِه النِّعمةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: حُجَّتُه وهِدايتُه.

والثَّاني: فضْلُه ورِزْقُه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٢)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يقول: لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ فذلك قوله: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٨٠- ٨١).

(٣) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨).

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [النحل: ٧٢ - ٧٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ يعْنِي: النِّساءَ.

وفي معْنَى ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه خلَقَ آدَمَ، ثُم خلَقَ زوْجتِهِ منْهُ، قاله قتادَةُ.

والثَّاني: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾؛ أي: مِن جِنْسِكُم مِن بنِي آدَمَ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفِي الحفَدَةِ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم الأصْهارُ، أخْتانُ الرَّجُلِ علَى بنَاتِه، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ فِي رِوايةٍ[(١)]، ومجاهدٌ في رِوايةٍ[(٢)]، وسَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والنَّخَعيُّ، وأنْشدُوا مِن ذلِك [من الطويل]:

وَلَوْ أَنَّ نَفْسِي طَاوَعَتْنِي لَأَصْبَحَتْ ... لَهَا حَفَدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرُ
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ عَلَيَّ أَبِيَّةٌ ... عَيُوفٌ لِأَصْهَارِ اللِّئَامِ قَذُورُ[(٣)]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٤) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: ﴿وَحَفَدَةً ﴾ قال: الأصهار. وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٦) عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٤) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) المروي عن مجاهد في معنى الحفدة: الأنصار والأعوان، أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٦).

(٣) البيتان بلا نسبة في النكت والعيون (٣/ ٢٠٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٤٢)، ومحاضرات=

والثَّاني: أَنَّهم الخدَمُ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ في رِوايةٍ، الحسَنُ[١]، وطاووسٌ وعِكْرِمةُ في رِوايةٍ، والضَّحَّاكُ[٢].

وهذَا القوْلُ يحتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أَنَّه يُراد بالخدَمِ: الأَوْلَاد؛ فيكون المعنى: أنَّ الأَوْلَادَ يخدمونَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الحَفَدَةُ: الخَدَمُ والأعْوانُ، فالمعْنَى: هم بنُونَ، وهم خدَمٌ[٣].

وأصْلُ الحفَدِ: مدَاركةُ الخطو والإسْراع في المشي، وإنَّما يفعل الخدم هذا، فقِيل لهم: حفَدة، ومنْهُ يُقال في دُعاء الوتِر: «**وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِد**»[٤].

=الأدباء (٢/ ٢٢٩)، والبيت الأول في المذكر والمؤنث (١/ ٢١٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٠).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٦) عن مجاهد، والحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٥- ٢٥٧) عن الضحاك، وعكرمة.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٨٩) من طريق عبد القاهر، عن خالد بن أبي عمران، قال بينا رسول الله ﷺ يدعو... فذكره معضلًا به، وهذا إسناد ضعيف مع إعضاله، فعبد القاهر بن عبد الله، وأورده الذهبي في الميزان (٢/ ٦٤٢)، وقال: نكرة، ما روى عنه سوى معاوية بن صالح الحضرمي، وشيخه خالد بن أبي عمران، من أتباع التابعين، فحديثه معضل، انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٤٢)، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٠) كلاهما من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من قوله، قال البيهقي: صحيح موصول. وقول البيهقي صحيح إن سلم من تدليس ابن جريج، فإنه عنعنه.

والثَّـاني: أنْ يُـرادَ بالخـدَمِ: المَالِيـكُ؛ فيكُـون معْنَـى الآيـةِ: وجعَـل لكُـم مِـن أزْوَاجِكُـم بَنِـينَ، وجعَـل لكُـم حفَـدةً مِـن غـيْرِ الأزْوَاجِ، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبَـاريِّ(١).

والثَّالـث: أنَّهُـم بنُـو امْـرأةِ الرَّجُـل مِـن غـيْرِه، رَواه العَـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٢)، وبـهِ قـالَ الضَّحَّـاكُ.

والرَّابع: أنَّهم ولَدُ الولَدِ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والخامِس: أنَّهُـم كِبارُ الأوْلَادِ، والبَنُـون: صِغارُهُـم، قالَـه ابْنُ السَّـائب، ومُقاتِلٌ.

قال مُقاتِلٌ: وكانوا في الجاهليةِ تخدمُهُم أوْلادهم(٤).

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وحقِيقـةُ هـذا الـكلامِ أنَّ الله تعَـالى جعَـل مِـنَ الأزْوَاج بنِـينَ، ومَـن يُعـاون عـلَى مـا يحتـاج إليـه بسُرْعَـة وطَاعـةٍ(٥).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد: مِـن أنْـواع الثِّـمارِ والحُبـوبِ والحيَـوانِ(٦).

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٨) من طريق عطية العوفي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٣).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوجيز (ص: ٦١٣)، والتفسير البسيط (١٣/ ١٤٠).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الأَصْنامُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الشَّرِيكُ والصَّاحِبَةُ والوَلَدُ، فالمعْنَى: يُصدِّقُون أنَّ للهَ ذلِك؟ قالَه عطاءٌ.

والثَّالث: أنَّه الشَّيطانُ، أمَرَهُم بتحْرِيم البَحِيرةِ والسَّائبةِ، فصَدَّقُوا.

وفي المرَاد بـ«نعمة اللهِ» ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها التَّوْحيدُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: القُرآنُ والرَّسُولُ.

والثَّالث: الحلَالُ الَّذِي أحلَّهُ اللهُ لهُم.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾. [٤٥٨/ب]

وفي المشَار إليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الأَصْنامُ، قالَه قتَادَةُ.

والثَّاني: الملائِكةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعْنِي: المطرَ {و} مِن ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ، والثَّمر.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿شَيْـًٔا﴾.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨).

قَالَ الأَخْفَشُ: جعَلَ «شيْئًا» بدلًا مِنَ الرِّزْقِ(١)، والمعْنَى: لا يمْلِكُونَ رِزقًا قلِيلًا ولَا كثِيرًا، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: لا يقْدِرُونَ علَى شيْءٍ.

قَالَ الفَرَّاءُ: وإنَّما قَالَ في أوَّلِ الكَلَامِ: «يمْلِكُ»، وفِي آخِرِه: «يَستَطِيعُونَ»؛ لأنَّ «مَا» فِي مذْهَبِ: جمْعٌ لآلهتِهِم، فوحَّد «يمْلِك» علَى لفْظِ «مَا» وتوْحِيدها، وجمْعٌ فِي «يستَطِيعُون» علَى المعْنَى؛ كقوْلِه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾(٢) [يونس: ٤٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: لا تُشبِّهُوه بخَلْقِه؛ لأنَّه لا يُشْبِه شيْئًا، ولَا يُشْبِهُه شَيْءٌ، فالمعْنَى: لا تجعَلُوا له شريكًا.

وفي قوْلِه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: يعْلَمُ ضرْبَ المثَلِ، وأنْتُم لا تعْلَمُون ذلِك، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: يعْلَمُ أنَّه ليْسَ له شرِيكٌ، وأنْتُم لا تعْلَمُون أنَّه ليس له شَرِيكٌ، قالَه مُقاتلٌ(٣).

والثَّالث: يعْلَمُ خطأَ مَا تضْرِبُون مِنَ الأمْثَالِ، وأنْتُم لا تعْلَمُون صوَابَ ذلِك مِن خطَئِه.

والرَّابِع: يعْلَم ما كانَ ويكُونُ، وأنْتُم لا تعْلَمُون قدْرَ عظَمَتِه حين أشْرَكْتُم بِه، ونسَبْتُمُوه إلى العَجْزِ عنْ بعْثِ خلْقِه.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٧).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١١٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨).

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: ٧٥].

قوْلُه تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي: بيَّنَ شبهًا، فيهِ بيانٌ للْمقصودِ[١]، وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مثَلٌ للمُؤمنِ والكافرِ. فالَّذي ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: هو الكافِرُ؛ لأنَّه لا خيْرَ عندَه، وصاحِبُ الرِّزق هو المؤمنُ، لما عنْدَه مِنَ الخيْرِ، هذَا قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ، وقتادَةَ.

والثَّاني: أنَّه مثَلٌ ضرَبَهُ اللهُ تعالى لنفْسِه وللأوْثَانِ؛ لأنَّه مالِكُ كلِّ شيْءٍ، وهي لا تملِكُ شيْئًا، هذا قوْلُ مُجاهِدٍ، والسُّدِّيِّ. وذكر في التَّفسير أنَّ هذا المثَلَ ضُرب بقوْمٍ[٢] كانوا في زمَنِ رسُولِ الله ﷺ، وفيهم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المملُوكَ: أبو الجوارِ، وصَاحبَ الرِّزقِ الحسَنِ: سيِّدُه هِشامُ بْنُ عمْرٍو، رَواه عكْرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]. وقالَ مُقاتِلٌ: المْملُوكُ: أبو الحواجرِ[٤].

والثَّاني: أنَّ المْملوكَ: أبو جهْلِ بْنُ هِشامٍ، وصَاحبَ الرِّزقِ الحَسَنِ: أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

---

(١) في (ر)، و(م): المقصود.

(٢) في (م): لقوم.

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٩٤)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٦/ ٩٢-٩٣).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨). وفي الدر المنثور (٤/ ٢٣٥): أبو الجوزاء.

فأمَّا قوْلُه: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ ولم يقُلْ: يستويانِ؛ لأنَّ المرادَ: الجنْسُ.

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: لفْـظُ «مَـنْ» لفْـظُ توْحيـدٍ، ومعْنَاهـا معْنَـى الجمْـعِ، ولم يقَـعِ المثَـلُ بُعَبْـدٍ مُعـيَّنٍ، ومالِـكٍ معـينٍ، لكـن عنِـي بهـما جماعَـةُ عبيـدٍ، وقـوْم مالِكـونَ، فلـمَّا فـارَقَ مِـن تأويـلِ الجمْـعِ، جمَـعَ عائِدَهـا لِذلـكَ.

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هـو المسـتحِقُّ للحمْـدِ؛ لأنَّـه المنعِـمُ، ولا نعْمــةَ للأصْنــامِ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعْنِــي: المشركِــينَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الحمْـدَ لله. قـالَ العُلـماءُ: وصـفَ أكثرهـم [بذلِـك][1]، والمـراد: جميعُهُـم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ قـد فسَّرنـا «البكـم» في البقـرة [آيـة: ١٨]. ومعْنَـى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؛ أي: مِـن [٤٥٩/أ] الـكلامِ؛ لأنَّـه لا يفْهَـمُ ولا يُفْهـم عنْـهُ.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: ثقْلٌ علَى وَليِّهِ وقرَابتِهِ[2].

وفِيمَنْ أُريدَ بهذا المثَلِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه مثَـلٌ ضرَبَـه اللهُ تعَـالى للمؤمِـنِ والكافِـرِ، فالكَافِـرُ هـوَ الأبْكَـمُ، والَّـذي يأْمُـر بالعـدْلِ هـو المؤمـنُ، رَواه العـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[3].

(١) من (س)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٧).

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٦٣)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٢٥) إلى ابـن جريـر وابـن أبي حاتـم.

والثَّاني: أنَّها نزلَتْ في عُثمانَ بْنِ عفَّانَ، هو الَّذي يأمُرُ بالعدْلِ، وفي مولًى له كانَ يكرهُ الإسْلامَ وينْهى عُثمانَ عنِ النَّفقةِ في سَبيلِ اللهِ، وهوَ الأبْكَم، رَواه إبْراهيمُ بنُ يعْلَى بْنِ مُنيَّة[1] عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

والثَّالث: أنَّه مثَلٌ ضرَبهُ الله تعَالى لِنفسِه، وللوثَنِ. فالوَثنُ: هو الأبْكَمُ، والله تعالى: هو الآمِرُ بالعدْلِ، وهذا قوْلُ مُجاهدٍ، وقتادةَ، وابْنِ السَّائبِ، ومُقاتلٍ[3].

والرَّابع: أنَّ المرادَ بالأبْكم: أُبيُّ بْنُ خلَفٍ، وبالَّذي يأْمُر بالعَدْلِ: حمْزَةُ، وعُثمانُ بْنُ عفَّانَ، وعُثمانُ بْنُ مظْعُون، قالَه عطاءٌ.

فيُخرَّجُ على هذِه الأقوالِ في معْنَى «موْلَاه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مولى حقيقةً، إذا قلنا: إنَّه رجلٌ مِنَ النَّاس.

---

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي تفسير الطبري: أمية.

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٠)، وفيهما: إبراهيم، عن عكرمة، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٠٦)، وابن عساكر في تاريخه (٤٦/ ٢١٠- ٢١١) من طرق عن حماد بن سلمة به، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦٣)، من طريق إبراهيم، عن عكرمة، عن يَعلى بن أمية، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده. وفي قوله: ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾... إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ قال: هو عثمان بن عفان. قال: والأبكم الذي أينما يُوَجِّهُ لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفَّان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٨).

والثَّاني: أنَّه بمعنى الولي، إذا قلْنا: إنَّه الصَّنمُ، فالمعْنَى: وهو ثقل علَى وليِّهِ الَّذي يخدمُه ويزينه.

ويُخرج في معْنى «أينما يوجهه» قوْلَانِ: إنْ قلْنا: إنَّه رجلٌ، فالمعنى: أينما يُرسله. والتَّوجيه: الإرْسَال في وجهٍ مِنَ الطَّريق.

وإنْ قُلنا: إنَّه الصَّنم؛ ففي معْنى الكلام قوْلَانِ:

أحدُهما: أينَما يدْعُوه، لا يُجيبه، قالَه مُقاتلٌ(١).

والثَّاني: أينما يوجهه تأميله إيَّاه ورجاه له، لا يأتِهِ ذلِك بخير، فحذَف التَّأميل، وخلَفَه الصَّنم؛ كقوْلِه: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؛ أي: على ألْسِنةِ رُسلِك.

وقرأ البزيُّ عنِ ابْنِ مُحيصن «أيْنما تُوَجِّهْهُ» بالتَّاء على الخطابِ(٢).

فأمَّا قوْلُه: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فإنْ قُلنا: هو رجُلٌ، فإنَّما كان كذلِكَ؛ لأنَّه لا يفْهَمُ ما يُقال له، ولا يُفهم عنْهُ؛ إمَّا لِكفره وجُحودِه، أو لِبُكمٍ بهِ. وإنْ قُلنا: إنَّه الصنم؛ فلِكوْنِه جمادًا. ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾؛ أي: هذا الأبْكَمُ ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: ومَن هوَ قادِرٌ على التَّكلُّمِ، ناطِقٌ بالحقِّ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قـد ذكرْنـاه في آخـر هـود [آيـة: ١٢٣].

وسَـبَبُ نُـزولِ هـذِه الآيـةِ: أنَّ كُفَّـارَ مكَّـةَ سـأَلُوا رسُـولَ اللهِ ﷺ؟ متَـى السَّـاعةُ؟ فنزلَـتْ هـذهِ الآيـةُ، قالَـه مُقاتِـلٌ[١].

وقالَ ابْنُ السَّائبِ: المرادُ بالغَيْبِ هاهُنا: قِيامُ السَّاعةِ[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ يعْنِـي: القِيامـةَ ﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ واللَّمـحُ: النَّظـرُ بسُرعـةٍ، والمعْنَـى: إنَّ القيامـةَ في سُرعـةِ قِيامِهـا وبعْـثِ الخلائِـقِ كلَمْـحِ العَـيْنِ؛ لأنَّ اللهَ تعَـالى يقُـول: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقـرة: ١١٧].

﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ قـالَ مُقاتِـلٌ: بـلْ هـوَ أسْرعُ[٣]. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: ليْـسَ المـرادُ أنَّ السَّـاعةَ تـأْتي في أقْـربَ مِـن لمـحِ البَـصرِ، ولكنَّـه يصِـفُ سُرعـةَ القُـدرةِ [٤٥٩/ ب]
علَى الأتْيـانِ بهـا متَـى شـاءَ[٤].

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحـل: ٧٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٢).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٢٨).

(٣) انظر: بحر العلوم؛ للسمرقندي (٢/ ٢٨٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

قـرَأ حمْـزةُ: «إِمَّهَاتِكـم» بكسْرِ الألِـفِ والميـمِ، وقـرَأ الكِسـائيُّ بكسْرِ الألِـفِ وفتْـحِ الميـمِ، والباقـون بضـمِّ الألـفِ وفتْـحِ الميـم[1]، وكذلِـك في «النُّـور» و«الزمـر» [و«الطَّـارِق»][2] و«النَّجْـم»، ولا خِـلافَ بيْنَهُـم في الإِبْتـداءِ بضـمِّ الهمْـزةِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ لفْظُـه لفْـظُ الواحـدِ، والمـرادُ بـه الجمِيـعُ، وقـد بينَّـا علَّـةَ ذلِـك في أوَّلِ البقـرة [آيـة: ٧]. والأفِئـدةُ: جمْـعُ فـؤادٍ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مثْـلُ: غُـراب وأغْربـة، ولم يجمـع «فُـؤاد» عـلى أكْثـر العددِ، لم يقُـل فيـه: «فِئـدان»؛ مثْل غُـراب وغِربـان[3].

وقـال أبـو عبيـدة: وإنَّـما جعَـل لهـمُ السَّـمع والأبْصَـار والأفْئـدةَ قبْـلَ أنْ يخرجَهـم، غـيْر أنَّ العـربَ تقـدِّم وتؤخِّـر، وأنْشـد [مـن البسـيط]:

ضَخْـمٌ تُعَلَّـقُ أَشْـنَاقُ الدِّيَـاتِ بِـهِ إِذَا المُـؤون أُمِـرتْ فَوْقَـهُ حَمَـلَا[4]

الشَّـنَق: مـا بـيْنَ الفرِيضَـتَيْنِ، والمـؤون أعْظَـمُ مِـن الشَّـنَق، فبـدأ بالأقَـلِّ قبْـلَ الأعْظَـم[5].

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٩٤).

(٢) من (ر) فقط.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

(٤) البيت للأخطل في مجاز القرآن (١/ ٣٦٥)، والأضداد (ص: ٣٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٤٧٦)، ومجالس ثعلب (ص: ٨٨)، والمعاني الكبير (٢/ ١٠٠٧)، وكتاب الأفعال (٢/ ٣٤٠).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٦٥).

قال المفسرون: ومقصود الآية: أنَّ الله تعالى أبانَ نعمَه عليهم حيث أخرجَهُم جُهَّالًا بالأشياء، وخلَق لهم الآلات التي يتوصَّلُون بها إلى العلم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النحل: ٧٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: هوَ الهواءُ البعيدُ مِنَ الأرْضِ[1].

قوْلُه تعالى: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدهما: ما يُمْسكُهنَّ عنْد قبْضِ أجْنحتهِنَّ وبسْطِهَا أنْ يقعْنَ على الأرْضِ إلَّا اللهُ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: ما يُمسكُهنَّ أنْ يُرسلْنَ الحِجارةَ على شِرارِ هذِه الأُمَّةِ، كما فعلَ بغيْرِهم، إلَّا اللهُ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

[النحل: ٨٠ - ٨٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾؛ أي: موضعًا تسْكُنونَ فيهِ، وهي المساكِنُ المتَّخذةُ مِن الحجَرِ والمدَر تَسْتر العوْراتِ والحُرَمَ، وذلِك أنَّ الله تعَالى خلَق الخشَبَ والمدَر والآلَةَ الَّتي بها يُمكن بناءُ البيتِ وتسقيفُه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾: وهي القِبابُ والخِيمُ المتَّخذةُ من الأدمِ ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾؛ أي: يخِفُّ عليْكُم حمْلُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ قرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو: «ظَعَنِكُم» بفتْحِ العينِ. وقرَأ عاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسَائيُّ بتسْكينِ العينِ[1]، وهُما لُغتانِ؛ كالشَّعَر، والنَّهْر والنَّهَر، والمعْنَى: إذا سَافرتُم.

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾؛ أي: لا تثْقُلُ عليْكُم في الحالَيْنِ. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ يعْنِي: الضَّأنَ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعْنِي: الإِبِلَ ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ يعْنِي: المعِزَ ﴿أَثَٰثًا﴾ قالَ الفرَّاءُ: الأثَاثُ: المتَاعُ، لَا واحِدَ له، كما أنَّ المتاعَ لا واحِدَ له. والعرَبُ تقُول: جمْعُ المتاعِ: أمْتِعةٌ، ولو جمعْتَ الأثاثَ، لَقُلْتَ: ثلاثةُ آثَّةٍ وأُثُثٍ؛ مثْلُ: (أعَثّة وعثث) لا غيْرُ[2].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الأثَاثُ: متَاعُ البيْتِ مِنَ الفُرش والأكْسِيةِ. قالَ أبو زيْدٍ: واحِد الأثَاثِ: أثاثةٌ[3].

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، والسبعة (ص: ٣٧٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٧).

[٤٦٠/أ] وقــالَ الزَّجَّــاج: يُقــال: قــد أثَّ يئِــثُّ أثًّــا؛ إذا صــارَ ذَا أثــاثٍ[1]. ورُوي عــنِ الخليــلِ أنَّــه قــالَ: أصْلُــه مِــنَ الكثْــرةِ، واجْتــماع بعْــضِ المتــاعِ إلى بعْــضٍ، ومنْــهُ: شــعْرٌ أثيــثٌ[2].

فأمّا قوْلُه: ﴿وَمَتَـٰعًا﴾ فقِيل: إنَّما جمَعَ بيْنَه وبيْنَ الأثَاثِ، لِاخْتلافِ اللَّفْظينِ.

وفي قوْلِه: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدهمـا: **أنَّـه** المـوْتُ، **والمعْنَـى:** ينْتَفِعُـونَ بـهِ إلى حـينِ المـوْتِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهِـدٌ.

والثَّاني: **أنَّه** [إلى][3] حين البِلَى، **فالمعْنَى:** إلى أنْ يبْلَى ذلِك الشَّيء، قالَه مُقاتِلٌ[4].

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا﴾؛ أي: ممَّـا يَقِيكُـم حـرَّ الشَّـمسِ، **وفيـهِ خمْسَـةُ أقْـوالٍ:**

أحدُها: **أنَّه** ظِلالُ الغَمامِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: **ظِلالُ** البُيوتِ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّالث: **ظِلالُ** الشَّجرِ، قالَه قتادَةُ، والزَّجَّاجُ[5].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٥).

(٢) العين (٨/ ٢٥٣).

(٣) من (ر)، و(س)، و(م).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٥).

والرَّابع: ظِلالُ الشَّجرِ والجبَالِ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[١].

والخامِس: أنَّه كُلُّ شيْءٍ له ظِلٌّ مِن حائِطٍ، وسقْفٍ، وشجَرٍ، وجبَلٍ، وغيْرِ ذلِك، قالَهُ أبو سُليمانَ الدِّمَشقيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾؛ أي: مَا يكِنُّكُم مِنَ الحرِّ والبردِ، وهيَ: الغيران والأسْرَابُ. وواحِدُ الأكْنَان «كِنٌّ» وكُل شيْءٍ وقى شيْئًا وستَرَهُ فهوَ «كِنٌّ».

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: وهي القُمُص ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾، ولم يقُل: البرد؛ لأنَّ ما وقى مِنَ الحرِّ، وقى مِنَ البردِ، وأنْشدَ [من الوافر]:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي[٢]

وقالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما خصَّ الحرَّ؛ لأنَّهم كانوا في مكانَاتِهم[٣] أكْثر مُعاناةً له مِنَ البرْدِ، وهذَا مذْهبُ عطَاءِ الخُراسانيِّ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يُريد الدُّروعَ الَّتي يتَّقُون بها شِدَّةَ الطَّعنِ والضَّربِ في الحرْبِ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٢) البيت للمثقب العبدي، كما في المفضليات (ص: ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٥)، والانتصار للقرآن (٢/ ٥٧٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٥)، والصناعتين (ص: ١٨٥).

(٣) الذي في المعاني؛ للزجاج: مكانهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: مثلما أنْعَمَ اللهُ عليْكُم بهذه الأشْياءِ. ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ في الدُّنْيا ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ والخِطابُ لأهْلِ مكَّةَ، وكان أكْثرُهم حينئذٍ كفَّارًا، ولو قيلَ: إنَّه خِطابٌ للمُسلِمينَ، فالمعْنَى: لعلَّكُم تدُومُون على الإسْلام، وتقُومُون بحقِّه.

وقرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعِكرِمَةُ، وأبو رجَاءٍ: «لَعلَّكُم تَسْلَمُونَ» بفتْحِ التَّاءِ والـلَّام[1]، على معْنَى: لعلَّكُم إذا لبستُم الدُّروعَ تَسْلَمُون مِن الجِرَاح في الحَرْبِ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرَضُوا عنِ الإيمانِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وهذِه عنْدَ المفسِّرِينَ منْسُوخةٌ بآيَةِ السَّيفِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

وفِي هذِه النِّعمةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها المساكِنُ، نِعَمُ اللهِ عزَّ وجلَّ علَيْهِم في الدُّنْيا.

وفي إنْكَارِها ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم يقُولون: هذِه ورِثْنَاها عن آبائِنا.

رَوى ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ قالَ: نِعَمُ اللهِ: المَساكِنُ، والأنْعامُ، وسَرابِيلُ الثِّيابِ، والحديدِ، يعرِفُه كُفَّارُ قُريشٍ، ثُم يُنكرُونَه[2] بأنْ يقُولوا:

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٤).

(٢) في (س): ينكرونها.

هـذَا كانَ لآبائِنَـا ورِثْنَـاه عنْهُـم، (رواه ابـنُ أبي نَجِيـحٍ)(١) عـنْ مُجاهـدٍ(٢).

والثَّـاني: أنَّهـم يقُولـون: لـوْلَا فُـلانٌ لـكَانَ كـذَا، فهـذا إنْكَارُهـم، قالَـه [٤٦٠/ ب] عـوْنُ بْـنُ عبْـدِ اللهِ.

والثَّالِـث: يعْرِفُـون أنَّ النِّعَـمَ مِـنَ اللهِ، ولكـن يقُولُـونَ: هـذِه بشـفَاعةِ آلهتِنَـا، قالَـه ابْـنُ السَّـائبِ، والفـرَّاءُ(٣) وابْـنُ قُتيبـةَ(٤).

والثَّـاني: أنَّ المـرادَ بالنِّعمـةِ هاهُنـا: مُحمَّـدٌ ﷺ يعْرِفُـونَ أنَّـه نبـيٌّ(٥)، ثُـمَّ يُكذِّبُونـه، وهـذا مـرْويٌّ عـن مُجاهـدٍ، والسُّـدِّيِّ(٦)، والزَّجَّـاجِ(٧).

---

(١) في (ر): وهذا.

(٢) تفسير مجاهـد (ص: ٤٢٤)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٧٣) عـن ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قـال: هـي المسـاكن والأنعـام ومـا يرزقـون منهـا، والسَّرابيـل مـن الحديـد والثيـاب، تعـرف هـذا كفـار قريـش، ثـم تنكـره بـأن تقـول: هـذا كان لآبائنـا، فروّحونـا إيَّـاه. وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٢٧) إلى ابـن أبي شـيبة وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١١٢).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٥) هـذا القـول أولى الأقـوال عنـد الطـبري (١٧/ ٢٧٤): «وذلـك أنَّ الآيـة بـين آيتـين كلتاهمـا خـبر عـن رسـول الله وعـما بعـث بـه، فـأولى مـا بينهـما أن يكـون في معنـى مـا قبلـه ومـا بعـده. إذ لم يكـن معنـى يـدلُّ عـلى انصرافـه عـما قبلـه وعـما بعـده، فالـذي قبـل هـذه الآيـة قولـه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ ومـا بعـده: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهـو رسـولها...».

(٦) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٧٢- ٢٧٣) مـن طريـق محمـد بـن بشـار، قـال: ثنـا عبـد الرحمن، قـال: ثنـا سـفيان، عـن السـديّ ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قـال: محمـد ﷺ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قـالَ الحسَـنُ: وجمِيعُهُـم كُفَّـارٌ[١]، فذكَـر الأكْثـرَ، والمـرادُ بـهِ الجمِيـعُ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ (٨٦) وَأَلْقَوْا إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)﴾ [النحل: ٨٤ - ٨٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعْنِـي: يـوْمَ القِيامـةِ، وشـاهِدُ كُلِّ أُمَّـةٍ نَبِيُّهَـا[٢] يشْـهَدُ عليْهَـا بتصْدِيقِهَـا وتكْذِيبِهَـا.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي الاعْتـذارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي: لا يُطلَـب منْهُـم أن يرجِعُـوا إلى مـا أمَر اللهُ بـهِ؛ لأنَّ الآخِرةَ ليْسـتْ بـدارِ تكْلِيفٍ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: أشْركُـوا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ يعْنِـي: النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذابُ ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُؤخَّرُون، ولا يُمْهلُون.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ﴾ يعْنِـي: الأصْنـامَ الَّتِـي جعَلُوها شُركاءَ للهِ في العِبـادةِ، وذلِـك أنَّ اللهَ يبْعَثُ كُلَّ معْبُودٍ مِن دُونِـه؛ فيقُول المشْرِكُون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾؛ أي: نعْبُـدُ مِن دُونِكَ.

---

(١) ذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٧٧)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ١٦٤)، والمـاوردي في النكـت والعيـون (٣/ ٢٠٧).

(٢) في (م): منها.

فإنْ قيلَ: فهذَا معْلُومٌ عنْدَ اللهِ تعَالى، فما فائِدةُ قوْلِهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾؟

فعنْهُ جوابَانِ:

أحدُهما: أنَّهم لَّما كتمُوا الشِّركَ في قوْلِهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ عاقَبَهُم الله تعالى بإصْماتِ ألْسِنتِهم، وإنْطاقِ جوارِحِهم، فقَالُوا عنْدَ مُعاينةِ آلهتِهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾؛ أي: قد أقررْنا بعْدَ الجحدِ، وصدَّقْنا بعْدَ الكَذِبِ؛ الْتِماسًا للرَّحمة، وفِرارًا مِنَ الغضَبِ، فَكأنَّ هذا القوْلَ منْهُم على وجْهِ الاعْترافِ بالذَّنْبِ، لا على وجْهِ إعْلامِ مَن لا يعْلَم.

والثَّاني: أنَّهم لَّما عَايَنُوا عِظَمَ غضَبِ اللهِ تعَالى قالُوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ تقديرًا أن يعُودَ عليهم مِن هذا القوْلِ روحٌ، وأنْ تُلْزِم الأصْنام إجْرامَهُم، أو بعْضَ ذُنُوبِهِم؛ إذْ كانوا يدَّعُونَ لها العقْلَ والتَّمْييزَ، فأجابَتْهُمُ الأصْنَامُ بما حسَم طمَعهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي: أجَابُوهم وقالُوا لهُم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: ردَّت عليْهِم آلهتُهُم قوْلَهم[1].

وقالَ أبو عُبيدةَ: «فألْقَوْا»؛ أي: قالُوا لهُم، تقولُ[2]: ألْقَيْت إلى فُلانٍ كذَا؛ أي: قُلتُ له[3].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٢).

(٢) في (ر): يقال.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٦٦).

قَالَ العُلَماءُ: كذَّبُوهم في عبادَتِهم إيَّاهُم، وذلِك أنَّ الأصْنامَ كانَتْ جمادًا لا تعْرِفُ عَابدِيها، فظهَرَتْ فضيحَتُهم يومئذٍ؛ إذْ عبَدُوا مَن لم يعْلَمْ بعبادَتِهم، وهذا(١) كقوْلِه: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ ﴾ [مريم: ٨٣].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ المعْنَى: أنَّهم اسْتسلَمُوا له.

وفِي المشَار إليْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم المشركُونَ، قالَه الأكْثَرُونَ.

ثُمَّ فِي معْنَى اسْتسلامِهِم قوْلَانِ:

[٤٦١/أ] أحدُهما: أنَّهُم اسْتسلَمُوا له بالإقْرَارِ بتوْحِيدِه ورُبوبيَّتِهِ.

والثَّاني: أنَّهُم اسْتسلَمُوا لِعذَابه.

والثَّاني: أنَّهُم المشرِكُون والأصْنامُ كلُّهُم.

قالَ الكلبيُّ: والمعْنَى: أنَّهُم اسْتسلَمُوا للهِ مُنقادِين لحُكْمِه(٢).

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: بطَلَ قوْلُهم أنَّها تشْفَعُ لهم.

والثَّاني: ذهَب عنْهُم ما زيَّن لهُمُ الشَّيطانُ أنَّ للهِ شريكًا وولدًا.

---

(١) في (ر): وذلك.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٢٩) بلفظ: استسلم العابد والمعبود لله تَعَالَىٰ، وذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٦٨) بنفس لفظ التنوير.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: منعُوا النَّاسَ مِن طاعةِ اللهِ والإيمانِ بمُحمَّدٍ ﷺ(١).

قَوْلُه تعَالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ إنَّما نكَّر العذَابَ الأوَّلَ؛ لأنَّه نوعٌ خاصٌّ لقوْمٍ بأعْيَانِهم، وعرَّف العذَابَ الثَّاني؛ لأنَّه العذابُ الَّذي يُعذَّب بهِ أكْثرُ أهْلِ النَّار؛ فكانَ في شُهرتِه بمنزلةِ النَّار في قوْل القائل: نعُوذ باللهِ مِنَ النَّارِ، وقد قيل: إنَّما زِيدوا هذَا العذابَ على ما يستحِقُّونَهُ مِن عذابِهِم؛ بصَدِّهِم عن سبيل اللهِ.

وفي صِفة هذا العذابِ الَّذي زِيدوا أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها عقَاربُ كأمْثالِ النَّخْلِ الطِّوَالِ، رَواه مسْرُوقٌ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ(٢).

والثَّاني: أنَّها حيَّاتٌ كأمْثالِ الفِيَلةِ، وعقاربُ كأمْثالِ البغَالِ، رَواه زِرٌّ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ(٣).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٢٩)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٩)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٦)، والطبراني في الكبير (٩١٠٥)، والحاكم (٢/ ٣٥٥-٣٥٦) عن ابن عيينة، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٥٨)، وهناد في الزهد (٢٦٠) عن أبي معاوية وابن عيينة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال.

(٣) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٨) (٥٢٦) من طريق أبي بكر الحارثي، أنا محمد بن حيان، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، حدثنا الحكم،=

والثَّالث: أنَّها خمسةُ أنهارٍ مِن صُفْرٍ مُذابٍ تَسيلُ مِن تحتِ العرْشِ يُعذَّبُونَ بها؛ ثلاثةٌ على مِقدارِ اللَّيلِ، واثْنانِ على مِقدارِ النَّهارِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه الزَّمْهريرُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

قالَ الزَّجَّاجُ: يَخْرُجُون مِن حرِّ النَّارِ إلى الزَّمْهريرِ فيتبَادَرُون مِن شِدَّةِ بَرْدِه إلى النَّارِ[1].

قوْلُه تعالى: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **وفي المشارِ إليْهِم قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّهم قوْمُه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أُمَّتُه، قالَه مُقاتِلٌ[2].

وتمَّ الكلامُ هاهُنا، ثُمَّ قالَ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: التِّبيانُ: اسْمٌ في معْنَى البَيانِ[3].

فأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ فقالَ العُلماءُ بالمعَانِي: يعْنِي[4]: لكُلِّ شيْءٍ مِن أُمورِ الدِّينِ؛ إمَّا بالنَّصِّ عليْهِ، أو بالإحَالةِ علَى ما يُوجِبُ العِلْمَ؛ مثْلُ بيانِ رسُولِ اللهِ ﷺ، أوْ إجْماعِ المسْلِمِينَ.

=عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: زيدوا حيات كأمثال الفيلة وعقارب البغال الدلم، وقال أبو المنهال: إنهم يستغيثون بالنار فرارًا من تلك الأفاعي والعقارب وهربًا منها.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

(٤) ليست في (ر).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل: ٩٠ - ٩٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: **أنَّه** شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، رواه ابنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)].

والثَّاني: **أنَّه** الحقُّ رواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: **أنَّه** استواءُ السَّريرةِ والعَلانيةِ في العَمَلِ لله تعالى، قالَه سُفيانُ بْنُ عُيينةَ.

والرَّابع: **أنَّه** القضاءُ بالحَقِّ، ذكرَهُ الماورديُّ[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٩) من طريق علّي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. وأخرجه أيضًا البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٧٢) (٢٠٦) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٨) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٠٩).

قَالَ أبو سُليمانَ: العدْلُ في كلَامِ العرَبِ: الإنْصافُ، وأعْظَمُ الإنْصَافِ: الاعْتِرافُ للمُنْعِم بنِعْمَتِه.

وفي المرَادِ بالإحْسانِ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **أنَّه أدَاء الفرَائِضِ**، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1].

والثَّاني: **العفْوُ**، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: **الإخْلاصُ**، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

[٤٦١/ب] والرَّابع: **أنْ تعْبدَ اللهَ كأنَّك ترَاه**، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والخامِس: **أنْ تكُون السَّريرةُ أحْسنَ مِن العَلانِيةِ**، قالَه سُفيان بْنُ عُيينَةَ.

فأمَّا قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فالمرادُ بهِ: صِلةُ الأرْحَامِ.

وفي الفَحْشاء قوْلَانِ:

أحدُهما: **أنَّها الزِّنَا**، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: المعاصِي، قالَه مُقاتِلٌ[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ يقول: أداء الفرائض. وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٥٨٣) من طريق عبد الله بن صالح به.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٧٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

وفي المنْكَر أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الشِّركُ، قالَه مُقاتِلٌ[(١)].

والثَّاني: أنَّه مَا لَا يُعرف في شريعَةٍ ولا سُنَّةٍ.

والثَّالث: أنَّه ما وعَدَ اللهُ عليْهِ النَّارَ، ذكرَهُما ابْنُ السَّائب.

والرَّابع: أن تكونَ[(٢)] علانيةُ الإنْسانُ أحْسنُ مِن سَرِيرتِهِ قالَه سُفيان بْنُ عُيينةَ.

فأمَّا ﴿وَٱلۡبَغۡيِ﴾ فقال ابْنُ عبَّاسٍ: هوَ الظُّلم[(٣)]، وقد سبَقَ شرْحُه في موَاضِعَ [البقرة: ١٧٣]، و[الأعراف: ٣٣]، و[يونس: ٢٣/ ٩٠].

قوْلُه تعالى: ﴿يَعِظُكُمۡ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُؤدِّبكُم[(٤)]، وقد ذكرْنا معْنَى الوعْظِ في سُورَة النّسَاء، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعْنَى: تتَّعِظُونَ.

قالَ ابْنُ مسْعُودٍ: هذِه الآيةُ أجْمَعُ آيةٍ في القُرآنِ لخيرٍ أو لشرٍّ[(٥)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في الأصل: يكون، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٠) من طريق علّي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَٱلۡبَغۡيِ﴾ يقول: الكبر والظلم.

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٥٨) من طريق الحجاج ابن المنهال به، والحاكم (٢/ ٣٥٦)، والبيهقي في الشعب (٢٤٤٠) من طريق معتمر ابن سليمان به، كما أخرجه الطبراني في الكبير (٨٦٥٩- ٨٦٦٠) من طرق عن عامر الشعبي به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٨) إلى سعيد بن منصور ومحمد ابن نصر في الصلاة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقالَ الحسَنُ: واللهِ مَا تَرَكَ العَدْلُ والإِحْسَانُ شيْئًا مِن طاعةِ الله إلَّا جمَعَاه، ولا ترَكَتِ الفحشَاءُ والمنكرُ والبَغْيُ شيْئًا مِن معصِيةِ اللهِ إلَّا جمَعُوه[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ اخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَتْ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها نزَلَتْ في حِلْفِ أهْلِ الجاهليَّةِ، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ في الَّذِين بايعُوا رسُولَ اللهِ ﷺ.

قالَ المفَسِّرُونَ: العهْدُ الَّذي يجِبُ الوفَاءُ بهِ، هوَ الَّذي يحسُنُ فعْلُه، فإذَا عاهَدَ العبد عليْه، وجَبَ الوفاءُ بهِ، والوعْدُ مِن العَهْدِ.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ أي: بعد تغْليظِها وتشْديدِها بالعزْمِ والعقْدِ علَى اليمِين، بخِلافِ لغوِ اليمِينِ، ووكدْتُ الشَّيءَ توْكيدًا، لُغةُ أهْلِ الحجازِ، فأمَّا أهْلُ نجْدٍ، فيقُولُون: أكدْتُه تأكيدًا.

وقالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ: وكدْتُ الأمْرَ، وأكدْتُ، لُغتنانِ جيِّدَتانِ، والأصْلُ الواوُ، والهمزةُ بدلٌ منْها[2].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩٥) (١٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٨) من طريق عاصم بن علي، حدثنا جويرية بن بشير الهجيمي، قال: سمعت الحسن، قرأ يومًا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾... إلى آخرها، ثم وقف فقال: إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله، والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترَكَ العدْلُ، والإحْسَانُ من طاعةِ الله شيْئًا إلَّا جمَعَهُ، ولا ترَكَ الفحْشَاءُ، والمنْكرُ والبغْيُ، مِن مَعْصيةِ اللهِ شيْئًا إلَّا جمَعَهُ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾؛ أي: بالوفاءِ، وذلِك أنَّ مَن حلَف باللهِ، فكأنَّه أكْفلَ اللهَ بالوفاء بما حلَف عليْه.

وللمُفَسِّرينَ في معْنَى «كفِيلًا» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: شهِيدًا، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّاني: وكيلًا، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: حفيظًا، مراعيًا لِعقدكم، قالَه أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾.

قالَ مُجاهِدٌ: هذَا فِعْلُ نِساءِ أهْلِ نجْدٍ، تنْقُضُ إحْداهُنَّ حبْلَها، ثُم تَنْفُشُه، ثُمَّ تَخْلِطُه بالصُّوفِ فتَغْزِلُه(١).

وقالَ مُقاتِلٌ: هيَ امْرَأةٌ مِن قُريشٍ تُسمَّى رَيْطَةَ بنْتَ عمْرِو بْنِ كعْبٍ، كانَتْ إذا غزلَتْ، نقَضَتْه(٢).

وقالَ ابْنُ السَّائبِ: اسْمُها «رَائِطةُ»(٣). وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: اسْمُها: رَيطَةُ بنْتُ عمْرٍو المرية، ولقَبُها: الجَعْراءُ(٤)، وهيَ مِن أهْلِ مكَّةَ، وكانَتْ معْرُوفةً عنْد المخاطَبِينَ، فعرَفُوها بوصْفِها، ولم يكُن لها نظِيرٌ في فعْلِها

---

(١) ذكره أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٥٨٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٤).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٩١) واسمها في مطبوع التنوير: رابطة، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٧٨) وفيه: رابطة.

(٤) في البحر المحيط: الجفراء.

[٤٦٢/أ] ذلِك، كانَتْ مُتناهيةَ الحمْقِ، تغْزِل الغزْلَ مِن القُطن أو الصُّوف فتُحْكِمُه، ثُمَّ تأمُرُ جاريتَها بتقْطِيعِه(١).

وقالَ بعْضُهم: كانَتْ تغْزِل هيَ وجوَارِيها، ثُم تأمُرُهنَّ أنْ ينْقُضنَ ما غزَلْنَ، فضَربَها اللهُ مثلًا لِنَاقِضِي العْهَد. و«نقَضتْ» بمعْنَى: تنْقُض؛ كقوْلِه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] بمعْنَى: وينادي.

وفي المرادِ بالغزْلِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الغزْلُ المعْرُوفُ، سواءٌ كانَ مِن قُطْنٍ أو صُوفٍ أو شعْرٍ، وهو قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّه الحبْلُ، قالَه مُجاهِدٌ.

وقوْلُه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ قالَ قتادَةُ: مِن بعْدِ إبْرَامٍ(٢). وقوْلُه: ﴿أَنكَٰثٗا﴾؛ أي: أنْقَاضًا.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الأنْكَاثُ: ما نُقِض مِن غزْلِ الشَّعر وغيْرِه. وَواحِدُها: نِكْث؛ يقُول: لَا تؤكِّدُوا على أنْفُسِكم الأيمانَ والعُهودَ، ثُم تنْقُضوا ذلِك وتحْنَثُوا [فيهِ](٣)، فتكونُوا كامْرأةٍ غزَلَتْ ونسجَت، ثُمَّ نقَضتْ ذلِك النَّسجَ، فجعلَتْه أنْكاثًا(٤).

---

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٥٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٩) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) من (ر).

(٤) غريب القرآن (٢٤٨).

قوْلُه تعَالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: دغلًا، ومكرًا، وخديعةً، وكُلُّ شيْءٍ دخلَه عيْبٌ، فهو مدْخولٌ، وفيهِ دخَلٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: المعْنَى: لأنْ تكُونَ أمّةٌ، ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾؛ أي: هيَ أغْنَى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾[1]. وقالَ الزَّجّاجُ: المعْنَى: بأنْ تكونَ أمّةٌ هيَ أكْثَرُ، يُقالُ: ربَا الشّيْءُ يرْبُو: إذا كثُرَ[2].

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: قالَ اللُّغويُّونَ: «أرْبَى» أزْيدَ عددًا.

قالَ مُجاهِدٌ: كانُوا يُحالفُون الحُلفاءَ فيجِدُون أكْثَرَ منْهُم وأعزَّ، فينقُضُونَ حلْفَ هؤلَاءِ ويُحالِفُون أولئكَ، فنُهُوا عنْ ذلِكَ[3].

وقالَ الفرَّاءُ: المعْنَى: لا تغْدِرُوا بقوْمٍ لِقلّتِهِم وكثْرَتِكُم، أو قِلّتِكُم وكثْرَتِهِم، وقدْ غرَرْتُموهُم بالأَيْمانِ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ في هذِه الهاءِ[5] ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّها ترجِعُ إلى الكثْرَةِ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وابْنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ[6].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٤- ٤٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٦)، من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال: كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حِلْف هؤلاء، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم، فنهوا عن ذلك. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٩) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١١٣).

(٥) في (ر): الآية.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

فيكون المعنى: إنَّما يختبرُكُم اللهُ بالكثرةِ، فإذا كانَ بيْن قوْمَيْنِ عهْدٌ، وكثُر أحدُهما، فلَا ينبغِي أنْ يفسخَ العهدَ(١) الَّذي بيْنَه وبيْنَ الأقلِّ.

فإنْ قيلَ: إذا كنَّى عنِ الكثْرةِ، فهلَّا قِيل بِها؟

فقد أجابَ عنْهُ ابْنُ الأنْباريِّ، بأنَّ الكثرةَ ليْس تأنِيثُها حقِيقيًّا، فحُملتْ علَى معْنَى التَّذْكير، كما حُمِلتِ الصَّيحةُ على معْنَى الصِّياح.

والثَّاني: أنَّها ترْجِع إلى العَهْد، فإنَّه لِدلالةِ الأيْمانِ عليْهِ، يَجْري مجرَى المظْهرِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلى الأمْرِ بالوفَاء، ذكَرَه بعْضُ المفسِّرينَ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قد فسَّرْنَاه في آخِرِ هُود [آية: ١١٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ صرِيحٌ في تكْذِيب القدَرِيَّةِ، حيْثُ أضافَ الإضْلالَ والهدايةَ إليْهِ، وعلَّقَهُما بمشيئَتِه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: ٩٤ - ٩٦].

---

(١) ليست في (ر).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ هـذَا اسْـتِئْنافٌ للنَّهـي عـنْ أَيْـمانِ الخَدِيعـةِ.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ قـالَ أبُـو عُبيـدةَ: هـذا مثَلٌ يُقال لِكلِّ [٤٦٢/ ب] مُبتـلًى بعْـدَ عافِيـةٍ، أو سَـاقطٍ في ورْطـةٍ بعْـدَ سـلامةٍ: زلَّتْ بـه قدمُه[1].

قـالَ مُقاتِـلٌ: ناقِـضُ العْهـدِ يـزِلُّ في دينِـه كـمَا تـزِلُّ قـدَمُ الرَّجُـل بعْـدَ الاِسْـتِقامَةِ[2].

قـالَ المفَـسِّرونَ: وهـذَا نهْـيٌ للَّذيـن بَايَعُـوا رسُـولَ اللهِ ﷺ عـلَى الإسْـلَامِ ونـصْرةِ الدِّيـن عـنْ نقْـض العهْـدِ، ويـدلُّ عليـه قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعْنِـي: العُقوبـةَ ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يُريـد أنَّهـم إذا نقَضُـوا عهْدَهُـم مـعَ رسُـولِ اللهِ ﷺ، صـدُّوا النَّـاس عـنِ الإسْـلامِ، فاسْـتحَقُّوا العـذَابَ.

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعْنِـي: في الآخـرة. ثُـمَّ أكَّـد ذلـك بقوْلِـه: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

قـالَ أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: نزَلَـتْ في رَجُلـينِ اخْتصـمَا إلى رسُـولِ اللهِ ﷺ في أرْضٍ، يُقـال لأحَدِهمَـا: «عَيـدانُ بْـنُ أَشْـوعَ»[3] وهو صَاحِـبُ الأرْضِ،

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

(٣) عيـدان بـن أشـوع -ﷺ- هـو رَبِيعَـةُ بـن عَيْدَان بـن ذي العـرف بـن وائـل الكِنْدِي، ويقـال: الحضرمـي، شـهد فتـح مـصر، ولـه صحبـة، وهـو الـذي تخاصـم مـع امـرئ القيـس في أرض إلى النبـي -ﷺ-. انظـر: أسـد الغابـة (٢/ ٢٦٦)، والإصابـة (٣/ ٥١).

وللآخِرِ: «امْرؤُ القَيْس»[١] وهو المدَّعَى عليْهِ، فهَمَّ امْرؤُ القيْسِ أنْ يحلِفَ، فأخَّره رسُولُ الله ﷺ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ[٢].

وذكَر أبو بكْرٍ الخطِيبُ أنَّ اسْمَ صاحبِ الأرْضِ «رَبيعةُ بْنُ عبْدَانَ»[٣]، وقِيل: «عَيْدانَ» بفتْح العيْنِ وياءٍ مُعجمةٍ باثْنتينِ.

ومعْنَى الآيةِ: لا تنْقُضوا عُهودَكُم، تطْلبُون بنقْضِها عرضًا يسيرًا مِنَ الدُّنيا، إنَّ مَا عنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوابِ علَى الوَفاءِ هو خيْرٌ لكُم مِنَ العاجِلِ.

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾؛ أي: يفْنَى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في الآخِرة ﴿بَاقٍ ﴾ وقَفَ بالياءِ ابْنُ كثِيرٍ في رِوايةٍ عنْهُ، ولا خِلافَ في حذْفِها في الوصْلِ[٤].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ قرَأ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «ولَيَجْزِيَنَّ» بالياءِ. وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وعاصِمٌ: «وَلَنَجْزِيَنَّ» بالنُّونِ[٥].

---

(١) امرؤ القيس بن عابس الكندي -رضي الله عنه- صحابي، وفد إلى النبي -ﷺ- فأسلم وثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد من كندة، وكان شاعرًا نزل الكوفة في أواخر عمره، وتوفي بها نحو سنة (٢٥هـ). انظر: الاستيعاب (١/ ١٩٤)، وأسد الغابة (١/ ١٣٧)، والأعلام (٢/ ١١).

(٢) أخرج القصة الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٣٣)، عن الأشعث، وذكرها السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٤٩)، الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٨٨)، وانظر: تنوير المقباس (ص: ٢٩٢)، والعجاب في بيان أسباب النزول (١/ ٤٥١).

(٣) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (٦/ ٤٢٩).

(٤) رويَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (بَاقِي) و(مُفْتَرِي). انظر: الغيث؛ للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ١٣٧).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨).

ولم يختلفوا في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أنها بالنون، ومعنى هذه الآية: وليَجْزِينَّ الَّذينَ صَبَرُوا علَى أمْرِه أجرهم[1] بأَحْسَنَ ما كانوا يعملُون في الدُّنْيا، ويَتجَاوزُ عنْ سيِّئاتِهِم.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ امْرَأَ القيْسِ المتقدّم ذكرُه أقرَّ بالحقِّ الَّذي كانَ هَمَّ أنْ يحلفَ عليْهِ، فنزلَتْ فيهِ (هذه الآية)[2]: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا ﴾، وهوَ إقْرارهُ بالحقِّ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ ناسًا مِن أهْلِ التَّوارةِ، وأهْلِ الأنْجيلِ، وأهْلِ الأوْثَانِ، جلَسُوا، فتفَاضلُوا، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه أبو صالِحٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾.

اخْتلَفُوا أيْنَ تكونُ هذِه الحَياةُ الطَّيبةُ علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها في الدُّنْيا، رواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ يعني في الدنيا.

ثُمَّ فيهَا للمُفسِّرينَ تسْعةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا القَناعَـةُ، قالَـه عـلِيٌّ عليـه السَّـلام(١)، وابْـنُ عبَّـاسٍ في رِوايـةٍ، والحسَـنُ في رِوايـةٍ(٢)، ووهـبُ بْـنُ منبِّـهٍ.

والثَّاني: أنَّها الرِّزقُ الحلالُ، رَواه أبو مَالِكٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

وقالَ الضَّحَّاكُ: يأْكُل حَلالًا ويلبِسُ حلَالًا(٤).

[٤٦٣/أ] والثَّالث: أنَّها السَّعادةُ، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥).

والرَّابع: أنَّها الطَّاعةُ، قالَه عِكْرِمَةُ.

والخامِس: أنَّها رِزْق يوْمٍ بِيوْمٍ، قالَه قتَادَةُ.

والسَّادس: أنَّها الرِّزقُ الطَّيِّبُ، والعمَلُ الصَّالِحُ، قالَه إسْماعيلُ بْنُ أبي خالِدٍ.

والسَّابع: أنَّها حلَاوةُ الطَّاعةِ، قالَه أبو بكْرٍ الورَّاقُ.

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٩٠) مـن طريـق أبي خزيمـة سـليمان التـمَّار، عمَّـن ذكـره عـن عـلِيّ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قـال: القنـوع.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٩٠)، مـن طريـق أبي سـعيد، عـن الحسـن البـصريّ، قـال: الحيـاة الطيبـة: القناعـة.

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٨٩- ٢٩٠) مـن طريـق إسـماعيل بـن سَـمِيع، عـن أبي مالـك وأبي الربيـع، عـن ابـن عبـاس.

(٤) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٩٠) مـن طريـق أبي رَوْق، عـن الضحـاك، في قولـه: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قـالَ: يـأكل حـلالًا ويلبـس حـلالًا.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٩١) مـن طريـق عـلِيّ بـن أبي طلحـة، عـن ابـن عبـاس، قولـه: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قـال: السـعادة.

والثَّامن: العَافِيةُ والكِفَايةُ.

والتَّاسع: الرِّضا بالقَضاء ذكرَهُمَا الماورديُّ(١).

والثَّاني: **أنَّها في الآخرةِ**، قالَه الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ، وذلِك إنَّما يكونُ في الجنَّةِ.

والثَّالث: **أنَّها في القبر**، رَواه أبو غسان عن شريك(٢).

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ **فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: **أنَّ المعْنَى**: فإذَا أردْت القِراءةَ فاسْتعِذْ، ومثْلُه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]، وقوْلُه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[الأحزاب: ٥٣]، وقوْلُه: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾[المجادلة: ١٢]، ومثْلُه في الكلام: إذا أكَلْتَ فقُلْ: باسْمِ اللهِ، هذا قوْلُ عامَّةِ العُلماء واللُّغويين.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٢١٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٩٠) عن السدي.

والثَّاني: أنَّه علَى ظاهرِهِ، وأنَّ الاِسْتعاذةَ بعْدَ القِراءةِ، رُوي عنْ أبي هُريرةَ[١]، وداودَ.

والثَّالث: أنَّه مِنَ المقدَّمِ والمؤخَّرِ، فالمعْنَى: فإذا استعذْتَ باللهِ فاقرَأْ، قالَه أبو حاتمٍ السِّجستانيُّ[٢]، والأوَّلُ أصَحُّ.

فَصْلٌ

والاِسْتعاذَةُ عنْدَ القِراءة سُنَّةٌ في الصَّلاةِ وغيْرِها.

وفِي صِفتِهَا عنْ أحمدَ رِوايتَانِ:

إحداهما: أعوذ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، إنَّ اللهَ هوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، رَواها أبو بكْرٍ المروذيُّ.

والثَّانية: أَعوذُ باللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إنَّ اللهَ هوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، رَواها حنْبلٌ[٣]. وقد بينَّا معْنى «أَعُوذُ» في أوَّلِ الكِتَابِ.

---

(١) أخرجه الشافعي في تفسيره (١/ ١٨٥) من طريق إبراهيم بن محمد، عن ربيعة بن عثمان، عن صالح بن أبي صالح: أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم الناس رافعاً صوته: «ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم» ، في المكتوبة، «وإذا فرغ من أم القرآن». وهذا الإسناد لا يحتج به، لأن إبراهيم بن محمد هو الأسلمي، وقد أجمع أهل النَّقل والحديث على ضعفه، ولم يُوثِّقه سوى الشافعي. قال أبو داود: كان قدريًّا رافضيًّا مأبونًا كل بلاء فيه، وصالح بن أبي صالح الكوفي ضعيف واه. انظر: انظر: التاريخ الكبير (١/ ٣٢٣) ترجمة (١٠١٣)، والكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٣٥٣)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٨٠٥)، وميزان الاعتدال (٣/ ٣٠١).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥١٧).

(٣) انظر: الشرح الكبير (١/ ٥٢١).

وشرحْنَا اشْتقاقَ الشَّيطانِ في البقرَةِ: [آية: ١٤] والرَّجيمِ في آل عِمْرانَ [آية: ٣٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

فِي المرَادِ بالسُّلطانِ قوْلَانِ:

أحدُهما: **أنَّه التَّسلطُ.**

ثُم فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: ليسَ لـه عليْهِم (مِـنْ)[1] سُـلطانٍ بِحـالٍ؛ لأنَّ اللهَ صرَفَ سُـلطانَهُ عنْهُـم بقوْلِـه[2]: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ [الحجـر: ٤٢].

والثَّاني: ليسَ له عليْهِم سُلطانٌ؛ لِاسْتعاذَتِهِم منْهُ.

والثَّالث: ليسَ له قُدرةٌ علَى أنْ يحملَهُم على ذنْبٍ لا يُغفر.

والثَّاني: **أنَّه الحُجَّةُ.**

فالمعْنَى: ليْسَ له حُجَّةٌ على مَا يدْعُوهم إليْهِ مِنَ المعَاصِي، قالَهُ مُجاهِدٌ.

فأمَّا قوْلُه: ﴿ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ ﴾ معْنَاه: يُطِيعُونَهُ.

وفي هاءِ الكِنايةِ في قوْلِه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ **قوْلانِ:**

أحدُهما: **أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ تعَالى**، قالَه مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (م): لقوله.

والثَّـاني: أنَّهـا ترجِـعُ إلى الشَّـيطَانِ، فالمعْنَـى: والَّذِيـن هُـم مِـن أجْلِـه مُشركـونَ بـاللهِ، وهـذا كـما يُقـال: صَـار فـلانٌ بِـك عالمًـا؛ أي: مِـن أجْلِـك، هـذا قـوْلُ ابْـنِ قُتيبـةَ[1].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبَـاريِّ: المعْنَـى: والَّذيـن هُـم بإشْراكِهِـم إبْلِيـسَ في العِبـادةِ، مُشركـونَ بـاللهِ تعَـالى[2].

[٤٦٣/ب] قوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾.

سـبَبُ نُزولِهـا: أنَّ اللهَ تعَـالى كان يُنْـزِلُ الآيـةَ، فيُعمـل بهـا مُـدَّةً، ثُـم ينْسـخُهَا، فقَـال كُفَّـارُ قُريـشٍ: واللهِ مَـا مُحَمَّـدٌ إلَّا يسْـخَرُ مِـن أصْحابِـه، يأمُرُهـم اليـوْمَ بأمْـرٍ، ويأتِيهِـم غـدًا بـما هـوَ أهْـونُ عليْهِـم منْـهُ، فنزَلَـت هـذِه الآيـةُ، قالَـه أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[3].

والمعْنَـى: إذا نسـخْنَا آيـةً بآيـةٍ، إمَّـا نسـخُ الحكـمِ والتِّـلاوةِ، أوْ نسْـخُ الحُكـمِ مـعَ بقـاءِ التِّـلاوةِ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ مِـن ناسـخٍ ومنْسُـوخٍ، وتشْـديدٍ وتخْفِيـفٍ، فهـوَ عليـمٌ بالمصْلحـةِ في ذلِـك ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾؛ أي: كاذِبٌ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيـهِ قـوْلَانِ:

أحدُهما: لَا يعْلَمُون أنَّ اللهَ أنْزلَهُ.

والثَّاني: لا يعْلَمُون فائدةَ النَّسخِ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨- ٢٤٩).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٩٥).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ ﴾ يعْنِـي: القُـرآنَ ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ يعْنِـي: جِبريـلَ. وقـدْ شرحْنَـا هـذا الاسْـمَ في البقـرة [آيـة: ٨٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿مِن رَّبِّكَ ﴾؛ أي: مِـن كلامِـهِ ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: بالأمْـرِ الصَّحيـحِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بـما فيـهِ مِـنَ البيِّنـاتِ فيـزْدَادُوا يقِينًـا.

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النحـل: ١٠٣ - ١٠٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ يعْنِـي: قُريشًـا ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾؛ أي: آدمـيٌّ، ومـا هـوَ مِـن عنْـدِ اللهِ.

وفيمَن أرَادوا بِهذَا البَشرِ تسْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه كانَ لِبنـي المغِـيرة غُـلامٌ يُقـال لـه «يعِيـشُ» يقـرَأُ التَّـوراةَ، فقالُـوا: منْـهُ يتعلَّـمُ محُمَّـدٌ، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، رَواه عِكْرِمةُ عـنِ ابْنِ عبَّـاسٍ(١).

(١) تفسـير الثـوري (ص: ١٦٧)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٩٩)، وأخرجـه المسـتغفري في الصحابـة، كما في الإصابـة (٦/ ٦٨٩) مـن طريـق وكيـع، قـال: ثنـا أبي، عـن سـفيان، عـن حبيـب، عـن عكرمـة، قـال: كان النبـيّ ﷺ، يقرئ غلامًـا لبنـي المغيرة أعجميًّا، قـال سـفيان: أراه يقـال لـه: يَعِيـش، قـال: فذلـك قولـه: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٣١) إلى ابـن جريـر.

وقالَ عِكرِمَةُ في رِوايةٍ: كانَ هذَا الغُلامُ لِبني عَامرِ بْنِ لُؤيٍّ، وكانَ رُوميًّا[١].

والثَّاني: أنَّه فتًى كانَ بمكَّة يُسمَّى «بلْعامُ» وكانَ نصْرانيًّا أعجميًّا، وكانَ رسُولُ الله ﷺ يُعلِّمُه، فلمَّا رَأى المشْرِكُون دخولَه إليْه وخُروجَه، قالُوا ذلِك، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا[٢].

والثَّالث: أنَّه نزَلَتْ في كاتبٍ كانَ يكتُبُ لِرسُولِ اللهِ ﷺ، فيُملي عليْهِ «سَميعٌ عَليمٌ» فيكتبُ هوَ: «عزيزٌ حَكيمٌ» أو نحْوَ هذَا، فقَال رسُولُ اللهِ ﷺ: «أيَّ ذَلكَ كَتَبْتَ فهُوَ كذَلِكَ»، فافْتُتِنَ، وقالَ: إنَّ مُحمَّدًا يكِلُ ذلِك إليَّ فأكْتُب ما شئْتُ، رُوي عنْ سعِيدِ بْنِ المسيِّبِ[٣].

---

(١) ذكره عنه أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٤/ ١٠٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٩٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٨- ٢٩٩) من مسلم بن عبد الله المُلائي، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّم قينا بمكة، وكان أعجميَّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله ﷺ حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلِّمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٤٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣١) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠١) من طريق ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب: أنَّ الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر، إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله ﷺ: «سميع عليم» أو «عزيز حكيم» وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله ﷺ، فيقول: أعزيز حكيم، أو سميع عليم، أو عزيز عليم؟ فيقول رسول الله ﷺ: أيُّ ذلك كتبت فهو كذلك، ففتنه ذلك، فقال: إن محمدًا يكل ذلك إليَّ، فأكتب ما شئت، وهو الذي=

والرَّابع: أنَّه غُلامٌ أعْجمِيٌّ لِامْرأةٍ مِن قُريشٍ يُقال لَه: «جابِرٌ»، وكانَ جابِرٌ يأتي رسُولَ اللهِ ﷺ فيَتعلَّمُ منْهُ، فقَال المشرِكُونَ: إنَّما يتعلَّم محمَّدٌ مِن هذَا، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبير.

والخامِس: أنَّهم عنَوا سلْمانَ الفارِسِيَّ، قالَهُ الضَّحَّاكُ؛ وفيهِ بُعدٌ مِن جِهةِ أنَّ سلْمانَ أسْلمَ بالمدينَةِ، وهذِه [الآيةُ][١] مكيَّةٌ.

والسَّادس: أنَّهم عنَوا [بهِ][٢] رجُلًا حدَّادًا كان يُقال له: «يوحنّس» النَّصرانيّ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والسَّابع: أنَّهم عنَوا [بهِ][٣] غُلامًا لِعامرِ بْنِ الحضْرَمِيِّ، وكانَ يهوديًّا أعْجميًّا، واسْمُه: «يَسارٌ»، ويُكنى: «أبَا فكيهةَ» قالَه مُقاتِلٌ[٤]. وقدْ رُوي عنْ سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ نحوُ هذَا، إلَّا أنه لم يقُلْ: إنَّه كانَ يهوديًّا.

والثَّامن: أنَّهم عنَوا غُلامًا أعْجميًّا اسْمُه: «عَائشٌ» وكانَ مملُوكًا لِحُويطب، وكانَ قد أسْلَم، قالَه الفرَّاءُ[٥]، والزَّجَّاجُ[٦]. [٤٦٤/أ]

=ذكر في سعيد بن المسيب من الحروف السبعة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣١) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) من (ر).

(٢) من (ر).

(٣) من (ر).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١١٣).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٩).

والتَّاسع: أنَّهما رجُلانِ، قالَ عبْدُ اللهِ بْنُ مُسلِمٍ الحَضْرميُّ: كانَ لنَا عبْدَانِ مِن أهْلِ عينِ التَّمرِ، يُقالُ لأحدِهمَا: «يَسارٌ» وللآخرِ «جَبْرٌ» وكانَا يصْنعَانِ السُّيوفَ بمكَّةَ، ويَقرآنِ الإنجيلَ، فربَّما مرَّ بهما النَّبيُّ ﷺ، وهُما يَقرَآنِ فيقِفُ يسْتمِعُ، فقَال المشركُونَ: إنَّما يتعلَّم منْهُما[1].

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: فعَلى هذا القوْلِ؛ يكونُ البشَرُ واقعًا على اثْنَينِ، والبَشرُ مِنْ أسْماءِ الأجْناسِ، يُعبَّرُ عنِ اثنين، كما يُعبَّرُ «أحَدٌ» عنِ الاثْنينِ والجمع[2]، والمذكَّرِ والمؤنَّثِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبوعمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وعاصِمٌ: «يُلْحِدُونَ» بضمِّ الياءِ وكسْرِ الحاءِ، وقرَأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ: «يَلْحَدُونَ» بفتْحِ الياءِ والحَاءِ[3].

فأمَّا القِراءةُ الأُولى: فقَال ابْنُ قُتيبةَ: «يُلْحِدُونَ»؛ أي: يَميلُون إليْهِ ويزعُمونَ أنَّه يعلِّمُه، وأصْلُ الإلحادِ: الميْلُ[4]. وقالَ الفرَّاء: «يُلْحدون» بضَمِّ الياءِ: يعْترِضُونَ، ومنْهُ قوْلُه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ﴾ [الحج: ٢٥]؛ أي: باعْتِراضٍ، «ويَلْحَدون» بفتْحِ الياءِ: يَميلُونَ[5].

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩١) (١٣٦).

(٢) في (ر)، و(س)، و(م): والجميع.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٨٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١١٣)، ولغات القرآن (ص: ٧٠).

وقالَ الزَّجَّاج: يَلحدون إليْهِ؛ أي: يَمِيلُونَ القوْلَ فيهِ[١] أنَّه أعْجِميٌّ[٢].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: لا يكادُ عوَامُّ النَّاسِ يُفرِّقُون بيْنَ العجميِّ والأعْجميِّ، والعرَبِيِّ والأعْرابيِّ، **والأعْجَمِيُّ**: الَّذي لا يُفصح وإنْ كانَ نازلًا بالبادِيةِ، **والعَجمِيُّ**: منْسُوبٌ إلى العجَمِ وإنْ كان فصِيحًا؛ **والأعْرَابيُّ**: هو البدويُّ، **والعَربِيُّ**: منْسُوبٌ إلى العرَبِ وإنْ لم يكُن بدوِيًّا[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ﴾ يعْنِي: القُرآنَ ﴿عَرَبِيٌّ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أي: أنَّ صاحِبَه يتكلَّمُ بالعربيَّةِ[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الَّذين إذا رَأوا الآياتِ الَّتي لا يقْدِر عليْهَا إلَّا الله، كذَّبُوا بِهَا[٥]، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: أنَّ الكَذِبَ نعْتٌ لازِمٌ لهُم، وعادةٌ مِن عادَاتِهِم، وهذَا رَدٌّ عليْهِم إذْ قالُوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١]، وهذِه الآيةُ مِن أبْلَغِ الزَّجرِ عنِ الكذِبِ؛ لأنَّه خصَّ به مَن لا يُؤمِنُ.

---

(١) في (س): إليه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٩).

(٣) أدب الكاتب (ص: ٣٩- ٤٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٠).

(٥) في (س): كذبوها.

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦ - ١١١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾.

قـالَ مُقاتِـلٌ: نزلَـتْ في عبْـدِ الله بْـنِ سـعْدِ بْـنِ أبي سرْحٍ القُـرشيِّ، ومَقِيـس ابْـنِ صُبَابـةَ، وعبْـدِ اللهِ بْـنِ أنَـس بْـنِ خَطَـلٍ، وطُعْمـةَ بْـنِ أُبَـيْرِقٍ، وقَيْـسِ بْـنِ الوَلِيـدِ بْـنِ المغِـيرَةِ، وقيْـسِ بْـنِ الفَاكِـهِ المخزُومِـيِّ(١).

فأمَّا قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ فاخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَ على أرْبعَةِ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه نـزَلَ في عـمَّار بْـنِ يـاسرٍ، أخَـذَه المشْرِكـونَ فعذَّبُـوه، فأعْطَاهُم مـا أرَادُوا بلِسـانِه، رَواه مُجاهِـدٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قالَ قتـادَةُ(٢).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٨).

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٣٠٤) مـن طريـق سـعيد، عـن قتـادة ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ قـال: ذُكِـر لنـا أنهـا نزلـت في عـمار ابـن يـاسر، أخـذه بنـو المغـيرة فغطـوه في بئـر ميمـون وقالـوا: اكفـر بمحمـد، فتابعهـم عـلى=

والثَّاني: أنَّه لما نزَلَ قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾... إلى آخر الآيتينِ اللَّتينِ في سُورة النِّساء [آية: ٩٦- ٩٧] كتَبَ بها المسلِمُون [٤٦٤/ ب] الَّذين بالمدينَةِ إلى مَن كانَ بمكَّة، فخرَجَ ناسٌ ممَّن أقرَّ بالإسْلام، فاتبَعَهُمُ المشركون، فأدْرَكُوهم، فأكْرَهُوهُم[١] حتَّى أعْطوا الفِتنَةَ، فنزَلَ قولُه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، رَواه عِكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ مُجاهِدٌ[٢].

والثَّالث: أنَّه نزَلَ في عيَّاشِ بْنِ أبي رَبيعةَ، كانَ قد هاجَرَ فحلَفَتْ أُمُّه ألَّا تسْتَظِلَّ ولَا تشبَعَ مِن طعَامٍ حتَّى يرجِعَ، فرجَعَ إليْهَا، فأكْرَهَهُ المشرِكُونَ حتَّى أعْطَاهُم بعْضَ ما يُريدُونَ، قالَه ابْنُ سيرينَ.

=ذلك وقلبه كاره، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(١) ليست في (ر)، و(س).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٦- ٣٠٧) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ قال ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبيِّ ﷺ بالمدينة، أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٤٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣٢) إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

والرَّابع: أنَّه نزَل في جبْرٍ، غُلامِ ابْنِ الحضْرَمِيِّ، كان يهوديًّا فأسْلَم، فضَرَبه سيِّدُه حتَّى رجَع إلى اليهُوديَّة، قالَه مُقاتل[1].

فأمَّا قوْلُه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فقَال مُقاتِلٌ: هُمُ النَّفر المسَمّونَ في أوَّلِ الآيةِ[2].

فأمَّا التَّفسير: فاخْتلَف النُّحاةُ في قوْلِه: ﴿مَن كَفَرَ﴾، وقوْلِه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾ فقَال الكُوفيُّون: جوابُهما جمِيعًا في قوْلِه: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾، وقالَ البصريُّونَ: بل قوْلُه: ﴿مَن كَفَرَ﴾ مرْفوعٌ بالردِّ على ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: ويجوزُ أن يكونَ خبَرُ ﴿مَن كَفَرَ﴾ محذوفًا، لوضُوحِ معْناه، تقْديرُه: مَن كفَر باللهِ، فاللهُ عليْهِ غضْبانُ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: ساكِنٌ إليْهِ راضٍ بهِ. ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ قالَ قتادةُ: مَن أتاه بإيثارٍ واخْتيارٍ[4].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: مَن فتَحَ له صدْرَهُ بالقَبُولِ[5].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٨٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٤) بلفظ: من أتى الكفر على اختيار واستحباب.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

وقـالَ أبـو عُبيـدةَ: **المعْنـى**: مَـن تابعَتْـهُ نفْسُـه، وانْبَسَـط إلى ذلِـك، يُقـال: مَـا ينْشَرحُ صـدْري بذلِـك؛ أي: مـا يطِيـبُ، وجـاءَ قوْلُـه: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ عـلى معْنَـى الجمِيـع؛ لأنَّ «مَـن» تقَـعُ عـلى الجمِيـعِ(١).

فَصْلٌ

الإكْراهُ علَى كلمَةِ الكُفْرِ يُبيح النُّطق بِهَا.

وفي الإكْراه المبِيحِ لِذلك عنْ أحمَدَ رِوايتَانِ(٢):

إحدُاهمـا: أنَّـه يخـافُ عـلى نفْسِـه أو عـلَى بعْـضِ أعْضائِـه التَّلـفَ إنْ لم يفْعَـلْ مـا أُمِـر بـهِ.

والثَّانيـة: أنَّ التَّخويـفَ لا يكـونُ إكْراهًـا حتَّـى ينَـالَ بعـذابٍ، وإذا ثبَـت جـوازُ «التَّقيـة» فالأفْضـلُ ألَّا يفْعـلَ، نـصَّ عليـه أحمَـدُ، في أَسيرٍ خُـيِّرَ بـيْنَ القتْـلِ وشُرْب الخمْـرِ، فقَـال: إنْ صـبرَ عـلَى القتْـلِ فلـه الـشَّرفُ، وإنْ لم يصْـبِرْ، فلَـه الرُّخصـةُ، فظاهِـرُ هـذا الجـوَازُ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٨).

(٢) في المغنـي ١٢/ ٢٩٢- ٢٩٤: مـن أكـره عـلى الكفـر، فأتـى بكلمـة الكفـر لم يـصر كافـرا وبهـذا قـال مالـك وأبـو حنيفـة والشـافعي. وقـد قـال النبـي ﷺ: «عفـي لأمتـي عـن الخطـأ والنسـيان ومـا اسـتكرهوا عليـه». ولأنـه قـول أكـره عليـه بغـير حـق فلـم يثبـت حكمـه. لكـن مـن الأفضـل لـه أن يصـبر ولا يقولهـا وإن أتـى ذلـك عـلى نفسـه لمـا روى خبّـاب عـن رسـول الله ﷺ قـال: «إن كان الرّجـل مـن قبلكـم ليحفـر لـه في الأرض، فيجعـل فيهـا، فيجـاء بمنشـار، فيوضـع عـلى شـق رأسـه، ويشـقّ باثنـين، مـا يمنعـه ذلـك عـن دينـه، ويمشـط بأمشـاط الحديـد مـا دون عظمـه مـن لحـم مـا يصرفـه ذلـك عـن دينـه».

ورَوى عنْـهُ الأثْـرمُ أنَّـه سُـئل عـنِ التَّقيـةِ في شرْبِ الخمْـرِ، فقَـال: إنَّـما التَّقيـة في القـوْلِ. فظاهِـرُ هـذَا أنَّـه لا يجُـوزُ لـه ذلِـك(١).

فأمَّـا إذَا أُكـره عـلى الزِّنـا؛ لم يجُـزْ لـه الفعْـلُ، ولم يصِـحَّ إكْراهُـه، نـصَّ عليـه أحمـدُ.

فـإنْ أُكـره عـلى الطَّـلاقِ؛ لم يقَـعْ طلاقُـه، نـصَّ عليـه أحْمـدُ، وهـو قـوْلُ مالِـكٍ، والشَّـافعِيِّ. وقـالَ أبـو حَنيفـةَ: يقَـعُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ في المشَـارِ إليْـهِ بذلِـك قـوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الغضَبُ والعذابُ، قالَه مُقاتِلٌ(٢).

[٤٦٥/أ] والثَّاني: أنَّه شرْحُ الصَّدرِ للكُفْرِ.

«واسْتحبُّوا» بمعْنَى: أحبُّوا الدُّنْيا واخْتارُوها علَى الآخِرةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وبأنَّ اللهَ لا يُريد هدايتَهُم.

ومـا بعْدَ هذَا قد سبَقَ شرْحُه... إلى قولـه: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ **ففيه قولان:**

---

(١) قـال الطـوفي في شرح المختـصر (١/ ٤٦٥) العجـب مـن أصحابنـا يرجحون الأخـذ بالرخصة في الفطـر وقـصر الصـلاة في السـفر مـع يسـارة الخطـب فيهـا ويرجحـون العزيمـة فيـما يـأتي عـلى النفس كالإكـراه عـلى الكفـر وشرب الخمـر، فإمَّـا أن يرجحـوا الرخصـة مطلقًـا أو العزيمـة مطلقًـا، أمـا الفـرق فـما يظهـر لـه كبـيرة فائـدة أ.هـ. وانظـر القواعـد والفوائـد الأصوليـة (ص: ٤٩- ١١٨)، والمغنـي (٨/ ١٤٥- ١٤٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

أحدُهما: الغَافِلُون عمَّا يُراد بهم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: عنِ الآخِرة، قالَه مُقاتِلٌ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ قد شرحْناهَا في هُود.

قوْلُه تعَالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ﴾ اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ علَى أرْبعَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ فيمَن كان يُفتن بمكَّةَ منْ أصْحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ قوْمًا منَ المسلِمِينَ خرَجُوا للهجرَةِ، فلحِقَهُمُ المشْركُونَ فأعْطَوْهُمُ الفتنَةَ، فنَزلَ فيهِم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فكتَبَ المسْلِمُون إليْهِم بذلِك، فخرَجُوا، وأدْركَهُمُ المشركُونَ فقاتلُوهُم حتَّى نَجا مَن نجا وقُتلَ مَنْ قُتلَ، فنزلَتْ فيهِم هذِه الآيةُ، رَواه عِكرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٢)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٧) من طريق عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقُتِل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾... إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثم نزلت=

والثَّالث: أنَّها نزلَتْ فِي عبْدِ اللهِ بْنِ سعْدِ بْنِ أبي سَرْحٍ، كانَ الشَّيطانُ قد أزلَّه حتَّى لحِقَ بالكُفَّارِ، فأمَر بهِ رسُولُ الله ﷺ أنْ يُقتلَ يوْمَ الفتْحِ، فاسْتجارَ لَه عُثمانُ بْنُ عفَّانَ، فأجارَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ، وهذَا مرْويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وعِكرمَةَ، وفيهِ بُعدٌ؛ لأنَّ هذا المشارَ إليْه وإنْ كانَ قدْ عادَ إلى الإسْلامِ، فإنَّ الهجرةَ انْقطعَتْ بالفتْحِ.

والرَّابع: أنَّها نزَلَت في عيَّاشِ بْنِ أبي رَبيعةَ، وأبي جنْدلِ بْنِ سُهيل بْنِ عمْرٍو، وعبْدِ اللهِ بْنِ أسيد الثَّقفيِّ، قالَه مُقاتِلٌ[1].

فأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ فقرَأَ الأكْثَرُونَ: «فُتِنُوا» بضمِّ الفَاءِ وكسْرِ التَّاءِ، على معْنَى: مِن بعْدِ مَا فتَنَهُمُ المشرِكُونَ عنْ دينِهِم. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فُتِنوا بمعْنَى: عُذِّبوا[2].

وقرأ عبْدُ اللهِ بْنُ عامِرٍ: «فَتَنُوا» بفتْحِ الفاءِ والتَّاءِ[3]، على معْنَى: مِن بعْدِ مَا فتَنُوا النَّاسَ عنْ دينِ اللهِ، يُشير إلى مَنْ أسْلَم مِنَ المشركِينَ.

وقالَ أبو عليٍّ: مِن بعْد ما فتَنُوا أنْفسَهُم بإظْهارِ مَا أظْهرُوا للتَّقيةِ؛ لأنَّ الرُّخصةَ لم تكن نزَلَتْ بعْدُ[4].

=فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجًا، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتِل من قُتِل.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٣١).

(٣) قراءتان سبعيتان. انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٧٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾؛ أي: قاتَلُوا معَ رسُول اللهِ ﷺ ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الدِّين والجهَادِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ **فِي المكْني عنْهَا أرْبعَةُ أقْوَالٍ**:

أحدُها: **الفِتنةُ**، وهوَ مذْهَبُ مُقاتِلٍ(١).

والثَّاني: **الفعْلَةُ الَّتي فعَلُوهَا**، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

والثَّالث: **المجاهَدةُ**، والمهاجرَةُ، والصَّبرُ.

والرَّابعُ: **المهاجرَةُ**، ذكرهما واللَّذين قبْلَهُما ابْنُ الأنْبَارِيِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هو منْصُوبٌ علَى أحَدِ شيْئَيْنِ: إمَّا علَى معْنَى: إنَّ ربَّك لَغفورٌ يوْمَ تأْتِي، وإمَّا علَى معْنَى: اذْكُرْ يوْمَ تأْتِي(٣). [٤٦٥/ب]

ومعْنى ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾؛ أي: عنْهَا. والمرَادُ: أنَّ كُلَّ إنْسانٍ يُجادِلُ عنْ نفْسِهِ.

وقد رُوي عنْ عُمرَ بْنِ الخطَّابِ ﷺ أنَّه قالَ لِكعبِ الأحْبارِ: يا كعْبُ! خوِّفْنا، فقَالَ: إنَّ لجهنَّمَ زفْرةً ما يبْقَى ملَكٌ مُقرَّبٌ، ولَا نبِيٌّ مُرسلٌ إلَّا وقَع جَاثِيًا علَى رُكْبتَيْهِ، حتَّى إنَّ إبْراهِيمَ خليلَ الرَّحمنِ ليدلي بالخلَّةِ فيقُول: «يَا ربِّ! أنَا خَلِيلُكَ إبْراهِيمُ لَا أسْأَلُك إلَّا نفْسِي»، وإنَّ

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢١).

تصْدِيـقَ ذلِـك في كتَـابِ اللهِ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[١]، وقـد شرحْنَـا معْنَـى «الجـدال» في هـود [آيـة: ٣٢].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحـل: ١١٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ **في هذِه القرْيةِ قوْلَانِ:**

أحدُهمـا: أنَّهـا مكَّـةُ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهـدٌ، وقتـادةُ، والجمْهـورُ، وهـوَ الصَّحِيـحُ.

والثَّـاني: أنَّهـا قرْيـةٌ أوْسـعَ اللهُ علَى أهْلِهـا حتَّـى كانـوا يسْـتنْجُونَ بالخُبْـزِ، فبعَـثَ اللهُ عليْهِـم الجُـوعَ حتَّـى كانُـوا يأْكُلـون مـا يقْعـدونَ، قالَـه الحسَـنُ.

فأمَّـا مـا يُـروى عـنْ حفْصَـةَ أنَّهـا قالَـتْ: هـيَ المدِينـةُ، فذلِـك علَى سـبِيلِ التَّمْثيـلِ، لَا علَى وجْهِ التَّفْسِـيرِ.

وبيانُـه: مـا رَوى سُـلَيْمُ بـن عِـترٍ[٢]، قـالَ: صدرْنَـا مِـنَ الحـجِّ مـعَ حفْصَـةَ،

---

(١) أخرجـه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (١٣/ ١٥٤- ١٥٥)، وأحمـد في الزهـد (ص: ١٥١)، وأبـو نعيـم في الحليـة (٥/ ٣٦٨- ٣٦٩) بنحـوه.

(٢) سـليم بـن عـتر بـن سـلمة بـن مالـك بـن عـتر ابـن وهـب بـن عـوف بـن معاويـة بـن الحـارث بـن أيدعـان بـن سـعد بـن تجيـب أبـو سـلمة التّجيبـي المـصري، قـاضي مـصر، كان يسـمى الناسـك لشـدة عبادتـه، شـهد خطبـة عمـر بالجابيـة. وروى عـن عمـر، وعـلي بـن أبي طالـب، وأبي الـدرداء، وحفصـة أم المؤمنـين، وأم الـدرداء. تـوفي سـنة (٨٠هــ). انظـر: تاريـخ الإسـلام (٢/ ٨١٦).

وعُثمانُ محْصُورٌ بالمدينَةِ، فرَأَتْ رَاكِبَيْنِ فسَأَلَتْهُمَا عنهُ، فقَالَا: قُتل، فقَالَتْ: والَّذِي نفْسِي بيدِه إنَّها للقريةِ، تعْنِي: المدنيةَ الَّتِي قالَ اللهُ تعَالى في كتابه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾، تعْنِي حفْصة: أنَّها كانَتْ على قانُونِ الاِسْتِقامةِ في أيَّام النَّبِيِّ ﷺ وأبي بكْرٍ وعُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ عنْدَ قتْلِ عُثْمانَ رضي الله عنه(١).

ومعْنَى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾؛ أي: ذاتَ أمْنٍ يأمَنُ فيهَا أهْلُها أنْ يغَارَ عليْهِم، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾؛ أي: ساكِنةً بأهْلِها لا يحْتَاجُون إلى الاِنْتِقالِ عنْهَا لِخوْفٍ أو ضِيقٍ.

وقد شرَحْنَا معْنى الرَّغدِ في البقرةِ [آية: ٣٥- ٥٨].

وقوْلُه: ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: يُجلب إليها مِن كُلِّ بلَدٍ، وذلِك كلُّه بدعوةِ إبْراهِيمَ عليْه السلام، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكْذِيبِهِم رسُولَ اللهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣١٠)، من طريق نافع بن يزيد، قال: ثني عبد الرحمن بن شريح، أنَّ عبد الكريم بن الحارث الحضرميّ، حدث أنه سمع مِشْرَح بن عاهانَ، يقول: سمعت سليم بن نمير يقول: صدرنا من الحجّ مع حفصة زوج النبيّ ﷺ، وعثمان محصور بالمدينة، فكانت تسأل عنه ما فعل، حتى رأت راكبين، فأرسلت إليهما تسألهما، فقالا قُتِل فقالت حفصة: والذي نفسي بيده إنها القرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ قرأها، قال أبو شريح: وأخبرني عبد الله بن المغيرة عمن حدثه، أنّه كان يقول: إنها المدينة، وقوله: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها.

وفي وَاحدِ الأنْعُم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ واحِدَها «نُعْم» قالَه أبو عُبيدةَ[(١)]، وابْنُ قُتيبةَ[(٢)].

والثَّاني: «نعْمة» قالَهُ الزَّجَّاجُ[(٣)].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ليْسَ قوْلُ مَنْ قالَ: هو جمْعُ «نعْمَة» بشيْءٍ؛ لأنَّ «فِعْلَة» لا تجمَعُ علَى «أفْعُل» وإنَّما هوَ جمْعُ «نُعْم» يُقال: يوْمُ نُعْمٍ، ويوْمُ بُؤسٍ، ويجمَعُ «أنْعُمًا» و«أبْؤُسًا»[(٤)].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾.

ورَوى عُبَيدُ بْنُ عَقِيلٍ[(٥)]، وعبْدُ الوَارثِ عنْ أبي عمْرٍو: «والخوْفَ» بنصْبِ الفاءِ[(٦)].

وأصْلُ الذَّوقِ إنَّما هوَ بالفَمِ، وهذَا اسْتعارَةٌ منْهُ، وقد شرحْنَا هذَا المعْنَى في آل عمْرَانَ [آية: ١٠٦- ١٨٥].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢١).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٥) ابن عقيل بن صبيح، أبو عمرو الهلالي البصري، راو ضابط صدوق، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، روى القراءة عنه خلف بن هشام، مات سنة سبع ومائتين. انظر: غاية النهاية (١/ ٤٩٦).

(٦) قراءة سبعية. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٧٦)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٠).

وإنَّما ذكَر اللِّبَاسَ هاهُنا تجوزًا، لما يظْهرُ عليْهِم مِن أثَرِ الجُوعِ والخوْفِ، فهو كقوْلِه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك لَما يظْهر على المتَّقِي مِن أثَرِ التَّقوى.

قالَ المفَسِّرُونَ: عذَّبهم اللهُ بالجُوعِ سبْعَ سِنينَ حتَّى أكَلُوا الجِيفَ [٤٦٦/أ] والعِظامَ المحترقَةَ.

فأمَّا الخوْفُ: فهوَ خوْفهُم مِنْ رسُولِ اللهِ ﷺ ومِن سَرايَاهُ الَّتِي كانَ يبعثُها حوْلَهُم. والكلامُ في هذه الآيةِ خرَجَ على القرْيةِ، والمرَادُ أهْلُها، ولذلِكَ قالَ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ يعْنِي به: تكْذِيبَهم[1] لِرسُولِ اللهِ ﷺ وإخْراجَهُم إيَّاه ومَا همُّوا بهِ مِن قتْلِه.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ١١٣﴾ [النحل: ١١٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعْنِي: مُحمَّدًا ﷺ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: **أنَّه الجُوعُ**، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: **القتْلُ ببدْرٍ**، قالَه مُجاهِدٌ.

قالَ ابْنُ السَّائبِ: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: كافِرُونَ[2].

---

(١) في (ر): بتكذيبهم.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٣١).

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [النحل: ١١٤ - ١١٥].

قوْلُه تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ في المخاطَبِينَ بهذا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم المسلِمُونَ، وهوَ قوْلُ الجمهُورِ.

والثَّاني: أنَّهم أهْلُ مكَّةَ المشرِكونَ، لَمَّا اشتدَّتْ مجاعتهُم، كلَّم رؤساؤُهم رسُولَ الله ﷺ، فقَالُوا: إنْ كنْتَ عادَيْتَ الرِّجالَ، فما بَالُ النِّساءِ والصِّبيانِ؟ فأذِنَ رسُولُ اللهِ ﷺ للنَّاسِ أنْ يحملُوا الطَّعامَ إليْهِم، حكَاه الثَّعلَبيُّ[1]، وذكرَ نحْوَهُ الفرَّاءُ، وهذِه الآيةُ والَّتي تليها مفسَّرتَانِ في البقَرة [آية: ١٧٢- ١٧٣].

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل: ١١٦].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبَاريِّ: اللَّامِ في «لما» بمعْنَى مِن أجْلِ.

وتلخِيصُ الكلامِ: ولا تقُولُوا: هذِه الميتةُ حلَالٌ، وهذِه البَحِيرةُ حرَامٌ؛ مِن أجْلِ كذبِكُم، وإقْدامِكم على الوصْفِ، والتَّخرصِ لِمَا لَا أصْلَ لَه، فجرتِ اللَّامُ هاهُنا مجراهَا في قوْلِه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

(١) الكشف والبيان (١٦/ ١٤٧- ١٤٨).

[العاديات: ٨]؛ أي: وإنَّه مِن أجْلِ حُبِّ الخيْرِ، لَبَخيلٌ «ومَا» بمعْنَى المصْدر، والكذب: منْصُوبٌ بـ«تصِف».

والتَّلخِيص: لا تقولُوا لوصْفِ ألْسنتِكُمُ الكذِب.

وقرَأ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «الكُذُب»(١)، قالَ ابْنُ القاسِمِ: هو نعْتُ الألْسنةِ، وهوَ جمْعُ كذُوبٍ.

قال المفَسِّرونَ: والمعْنَى: أنَّ تحليلَكُم وتحريمَكُم ليْس له معْنى إلَّا الكذب.

والإشارَةُ بقوْلِه: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ إلى ما كانوا يُحلُّون ويُحرِّمُون ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وذلك أنَّهم كانُوا ينْسِبونَ ذلِك التَّحليلَ والتَّحريمَ إلى الله سبحانه، ويقولُونَ: هو أمرَنا بهذا.

وقوْلُه: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾؛ أي: متاعُهُم بهذا الَّذي فعَلُوه قليلٌ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٨ - ١١٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعْني بهِ ما ذُكر في الأنعام: [آية: ١٢٦]، وهوَ قوْلُه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بتحريمِنا ما حرَّمنا عليْهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالبغْي والمعاصِي.

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٦)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٤٢٩).

قَوْلُـه تعَـالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ قـد شرحْنَـاه في سُـورة النِّسَـاء [آيـة: ١٧] وشرحْنَـا في البقـرة [آيـة: ١٦٠] التَّوبـة والإِصْـلاحَ، وذكرْنَـا معْنَـى قوْلِـه: ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ آنفًـا. [٤٦٦/ب]

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحـل: ١٢٠ - ١٢٢].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

قَـالَ ابْـنُ الأَنْبَـارِيِّ: هـذا مِثْـلُ قَـوْلِ العَـرَبِ: فُـلان رحْمَـةٌ، وفُـلان عَلَّامَـةٌ، ونَسَّـابَةٌ، يقْصِـدُون بهـذَا التَّأْنِيـثِ قصْـدَ التَّناهِـي في المعْنَـى الَّـذِي يصِفُونَـه، والعَـربُ قـد تُوقِـع الأَسْـماءَ المبهمـةَ عـلى الجَماعـةِ، وعـلَى الواحِـدِ؛ كقَوْلِـه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمـران: ٣٩]، وإِنَّـما نـاداهُ جبْرِيـلُ وحْـدَه[١].

وللمُفسِّرين في المَرادِ بالأُمَّةِ هَاهُنا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: **أنَّ الأمَّـةَ**: الَّـذِي يعْلَـم الخَيْرَ، قالَـه ابْـنُ مسْـعُودٍ، والفـرَّاءُ[٢]، وابْـنُ قُتيبَـةَ[٣].

والثَّـاني: **أنَّـه المؤمـنُ وحْـدَه في زمانِـه**، رَوى هـذَا المعْنَـى الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ.

(١) ذكر قول ابن الأنباري أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٦٠٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١١٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

والثَّالث: أنَّه الإمامُ الَّذي يُقتدى بهِ، قالَه قتادةُ، ومُقاتِلٌ[(١)]، وأبو عُبيدةَ[(٢)]، وهوَ في معْنى القوْلِ الأوَّلِ.

فأمَّا القَانِتُ: فقَال ابْنُ مسْعُودٍ: هوَ المطِيعُ[(٣)]. وقد شرحْنَا «القنوت» في البقرة [آية: ١١٦- ٢٣٨] وكذلك الحَنيف [البقرة ١٣٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَمْ يَكُ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: أصْلُها: يكُنْ، وإنَّما حُذفتِ النُّون عنْدِ سِيبويهِ؛ لكثْرَةِ اسْتعمالِ هذَا الحرْفِ، وذكَرَ الجُلَّةُ مِن البصريين أنَّها إنَّما احتملتِ الحذْف؛ لأنَّه اجْتمَع فيهَا كثْرةُ الِاسْتعمَالِ، وأنَّها عِبارةٌ عنْ كُلِّ ما يمضي مِنَ الأفْعالِ وما يُستأنف، وأنَّها قد أشْبهَتْ حُروفَ اللِّين في أنَّها تكون علامةً كما تكُونُ حُروفُ اللِّينِ علامةً، وأنَّها غُنَّةٌ تخْرجُ مِنَ الأنْفِ، فلذلِك احْتملَتِ الحذْفَ[(٤)].

قوْلُه تعَالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ انتصب بدلًا مِن قوْلِه: ﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾ وقد ذكرْنَا واحِدَ الأنْعُمِ آنفًا، وشرحْنَا معْنى «الِاجْتِباء» في الأنعام [آية: ٨٧].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٧)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣١٦- ٢١٧)، من طريق سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العُبَيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود، عن الأمَّة القانت، قال: الأمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله. وأخرجه الطبراني (٩٩٤٤) من طريق شعبة به، ورقم (٩٩٤٦) من طريق شعبة، عن مجالد وبيان أو أحدهما عن الشعبي به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٢).

قالَ مُقاتِلٌ: والمرَاد بالصِّرَاطِ المستقيمِ هاهُنا: الإسْلامُ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَءَاتَيْنَهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ **فيهَا سِتَّةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: **أنَّه الذِّكرُ الحسَنُ**، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: **النُّبوَّةُ**، قالَه الحسَنُ.

والثَّالثُ: **لِسانُ صِدْقٍ**، قالَه مُجاهِدٌ.

والرَّابع: **اجْتماعُ المِلَلِ على وِلَايتِهِ**، فكلُّهُم يتولَّونَهُ ويرْضَوْنَهُ، قالَه قتادَةُ.

والخامِس: **أنَّها الصَّلاةُ عليْهِ مَقْرُونة بالصَّلاةِ علَى محمَّدٍ** صلى الله عليهما وسلم، قالَهُ مُقاتِلُ بْنُ حيَّانَ.

والسَّادس: **الأوْلَادُ الأبْرارُ على الكِبرِ**، حكَاهُ الثَّعلبيُّ[(٢)]. وباقِي الآيةِ مُفسَّرٌ فِي البقرَةِ [آية: ١٣٠].

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ مِلَّتُه: دِينُه.

وفيمَا أُمِر باتِّباعِه مِن ذلِك قوْلَانِ:

أحدُهما: **أنَّه أُمِر باتِّبَاعِه في جمِيع ملَّتِه، إلَّا مَا أُمِر بترْكِه**، وهذَا هوَ الظَّاهِرُ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢).

(٢) الكشف والبيان (١٦/ ١٥٥).

والثَّاني: اتِّباعُه في التَّبرُّؤِ مِن الأوْثانِ، والتَّديُّنِ بالإسْلامِ، قالَه أبو جعْفرٍ الطَّبريُّ[١].

وفي هذِه الآيةِ دليلٌ علَى جوَازِ اتِّباع المفْضُولِ؛ لأنَّ رسُولَنا أفْضلُ الرُّسُلِ، وإنَّما أُمِر باتِّباعِه؛ لِسبْقِه إلى القوْلِ بالحقِّ.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل: ١٢٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ ﴾؛ أي: إنَّما فُرض تعْظِيمُه وتحْريمُه، وقرَأ الحسَن، وأبو حيْوَةَ: «إنَّما جَعَلَ» بفتْحِ الجِيم والعَيْنِ، «السَّبْتَ» بنصْبِ التَّاء[٢] ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ والهاءُ ترجِعُ إلى السَّبت. [٤٦٧/أ]

وفي معْنى اخْتلافِهم فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ مُوسى عليه السلام قال لهُم: تفرَّغُوا لله في كُلِّ سبْعةِ أيَّامٍ يوْمًا، فاعْبدُوه في يوْمِ الجمُعةِ، ولا تعملُوا فيه شيْئًا مِن صنيعِكُم، فأبَوا أنْ يقْبلُوا ذلِك، وقالُوا: لا نبْتَغِي إلَّا اليوْمَ الَّذي فُرغ فيهِ مِن الخلْقِ، وهوَ يوْمُ السَّبتِ، فجُعل ذلِك عليْهِم، وشُدِّدَ عليْهِم فيهِ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٠).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٦)، والبحر المحيط (٦/ ٦١٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٢٢٩) عن الكلبي.

وقَالَ مُقاتِلٌ: لمَّا أمرَهُم مُوسى بيوْمِ الجمُعةِ، قالُوا: نتَفرَّغ يوْمَ السَّبْتِ، فإنَّ اللهَ لم يخْلُقْ فيه شيْئًا، فقَالَ: إنَّما أُمِرتُ بيوْمِ الجمُعة، فقَال أحْبارُهُم: انْتهوا إلى أمْرِ نبيِّكُم، فأَبَوا، فذلِك اخْتلافُهم، فلمَّا رأى مُوسى حرصَهم علَى السَّبت، أمَرَهُم بهِ، فاسْتحلُّوا فيهِ المعاصِي(١).

ورَوى سعِيد بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: رَأى مُوسى رجُلًا يحْمِلُ قصبًا يوْمَ السَّبت، فضَرَب عُنقَه، وعكفَتْ عليْهِ الطَّير أرْبعِينَ صَباحًا(٢).

وذكَر ابْنُ قُتيبةَ في «مختلف الحديثِ»: أنَّ الله تعالى بعَث مُوسى بالسَّبْت، ونُسخ السَّبتُ بالمسيحِ(٣).

والثَّاني: أنَّه بعْضُهم اسْتحلَّه، وبعْضُهم حرَّمه، قالَه قتادَةُ.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: نزَلَتْ معَ الآيةِ الَّتي بعْدَها، وسنذْكُر هُناك السَّبب.

فأمَّا السَّبيلُ: فقَال مُقاتلٌ: هو دينُ الإسْلامِ(٤).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٠٢) (١٥٢٩٦) من طريق السدي، عن أبي مالك أو سعيد بن جبير قال: رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل قصبًا يوم السبت، فضرب عنقه.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٨٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٤).

وفي المرادِ ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **أنَّها القُرآنُ**، رَواه أبو صالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: **الفِقهُ**، قالَه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: **النُّبوَّةُ**، ذكَره الزَّجَّاجُ(٢).

وفي ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: **مواعِظُ** القُرآنِ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: **الأدَبُ** الجميلُ الَّذي يعْرِفُونه، قالَه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ فِي المشارِ إليْهِ قوْلانِ:

أحدُهما: **أنَّهُم** أهْلُ مكَّة، قالَه أبو صالِحٍ.

والثَّاني: **أهْلُ** الكِتابِ، قالَه مُقاتِلٌ(٣).

وفي قوْلِه: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **جادِلْهُم** بالقُرآنِ.

والثَّاني: **بـ«لا آله إلَّا الله»** رُوي القوْلانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: **جادِلْهُم** غيْرَ فظٍّ ولا غليظٍ، وأَلِنْ لهُم جانبَكَ، قالَه الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٣).

وقال بعضُ علماء التَّفْسير: وهذا منْسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ المعْنَى: هو أعْلم بالفرِيقَيْنِ، فهوَ يأمُرُك فيهما بما فيهِ الصَّلاح.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ **في سببِ نُزولها قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ أشْرفَ علَى حمزةَ، فرآه صريعًا، فلم يرَ شيْئًا كانَ أوْجعَ لقلْبه منْهُ، فقَال: «واللهِ لأُمَثِّلَنَّ بسَبْعِينَ مِنْهُمْ»، فنزلَ جبريلُ، والنَّبيُّ ﷺ واقِفٌ، بقوْلِه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرها، فصبرَ رسُولُ اللهِ وكفَّرَ عنْ يمِينِه، قالَه أبو هُريرةَ[(١)].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٣ - ١٤)، والبزار في مسنده (٢/ ٣٢٦) كما في كشف الأستار، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٦١٤) من طريق عمرو بن عاصم، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨) من طريق عبد العزيز بن السري، و(٢/ ٢٨٩) من طريق حجاج بن المنهال، كلهم عن صالح المري به. قال ابن كثير: هذا إسناد فيه ضعيف؛ لأنَّ صالحًا هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث. والآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٤٣) رقم (١٧٢٥) من طريق بشر بن الوليد عن صالح المري، والبيهقي في الشعب (١٢/ ١٨٥) رقم (٩٢٥٣) من طريق الهيثم بن جميل عن صالح المري.=

وقَـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: رَأى رسُـولُ الله ﷺ حمْـزةَ قـد شُـقَّ بطْنُـه، وجُدعـت [٤٦٧/ ب] أُذنـاه، فقَـال: «لَـوْلَا أَنْ تَحْـزَنَ النِّسَـاءُ، أَوْ تَكُـونَ سُـنَّةً بعْـدِي لَتَرَكْتُـهُ حَتَّـى يَبْعَثَهُ اللهُ مِـنْ بُطُـونِ السِّـباعِ والطَّـيرِ، وَلَأَقْتُلَـنَّ مَكَانَـهُ سَـبْعِينَ رَجُـلًا مِنْهُـمْ»، فنـزَلَ قوْلُـه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾... إلى قوْلِـه: ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(١).

=وأخرجـه الطـبراني في الكبـير (٣/ ١٥٦- ١٥٧) رقـم (٢٩٣٦) مـن طريـق خالـد بـن خـداش، وسـعيد بـن سـليمان، والحاكـم في المسـتدرك (٣/ ١٩٧) مـن طريـق خالـد بـن خـداش، كلاهمـا عـن صالـح المـري بـه. وسـكت عنـه الحاكـم، وقـال الذهبـي: صالـح واه، سـمعه منـه خالـد بـن خـداش، وذكـره الهيثمـي في مجمـع الزوائـد (٦/ ١١٩)، وقـال: رواه الطـبراني والبـزار، وفيـه صالـح بـن بشـير المـري، وهـو ضعيـف.
وذكـره السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ١٧٩) وعـزاه إلى ابـن سـعد وابـن المنـذر وابـن مردويـه والحاكـم والبيهقـي في الدلائـل.

(١) أخرجـه الدارقطني (٤/ ١١٨)، والعقيـلي في الضعفـاء (١/ ٢٤٠-٢٤١) عـن البغـوي بـه.
وقـال الدارقطني: لم يـروه غـير إسـماعيل بـن عيـاش، وهـو مضطـرب الحديـث عـن غـير الشـاميين. وأسـند العقيـلي عـن الإمـام أحمـد قولـه: هـذا مـن حديـث الحسـن بـن عـمارة، ليـس هـذا مـن حديـث ابـن أبي غنيـة، هـو أتقـى لله مـن أن يحـدث مثـل هـذا. وقـال في نصـب الرايـة (٢/ ٣١١): قـد ورد مصرحًـا فيـه بالحسـن بـن عـمارة، كـما رواه الإمـام أبـو قـرة موسـى بـن طـارق الزبيـدي في سـننه عـن الحسـن بـن عـمارة، عـن الحكـم بـن عتيبـة، عـن مجاهـد، عـن ابـن عبـاس... والحسـن بـن عـمارة مـتروك.
وأخرجـه الطـبراني في معجمـه (١١٠٥١)، والبيهقـي في سـننه (٤/ ١٢) بإسـناد آخـر عـن يزيـد بـن أبي يزيـد، عـن مقسـم ومجاهـد، عـن ابـن عبـاس بنحـوه. ورواه ابـن ماجـه في سـننه (١٥١٣) بهـذا الإسـناد. قـال ابـن الجـوزي في التحقيـق: ويزيـد بـن أبي زيـاد منكـر الحديـث. وقـال النسـائي: مـتروك الحديـث، وتعقَّبـه صاحـب التنقيـح: بـأن مـا حـكاه عـن البخـاري والنسـائي إنَّـما هـو في يزيـد بـن زيـاد، وأمَّـا راوي هـذا الحديـث، فهـو الكـوفي، ولا يقـال فيـه: ابـن زيـاد، وإنـما هـو ابـن أبي زيـاد، وهـو ممـا يُكتـب حديثُـه عـلى لينـه، وقـد روى=

وروى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ يَوْمئِذٍ: «لَئِنْ ظَفِرْتُ بِقَاتِلِ حمْزَةَ لَأُمَثِّلَنَّ بهِ مُثلَةً تَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَربُ» وكانَتْ هِندٌ وآخَرونَ معَها قد مثَّلُوا بهِ، فنزلَت هذِه الآيَةُ[(١)].

والثَّاني: أنَّه أُصِيبَ مِنَ الأنْصارِ يوْمَ أُحُدٍ أرْبعةٌ وسِتُّونَ، ومِن المهاجرين سِتَّةٌ منهُم حمْزَةُ، ومثَّلُوا بقتْلاهُم، فقَالَتِ الأنْصارُ: لئِنْ أصبْنَا منْهُم يوْمًا مِنَ الدَّهرِ، لنَزِيدَنَّ على عدتِهم مرَّتَينِ، فنزَلَتْ هذه الآيةُ، قالَه أُبيُّ بْنُ كعْبٍ[(٢)].

=له مسلم مقرونًا بغيره، وروى له أصحاب السنن، وقال أبو داود: لا أعلم أحدًا ترك حديثه، وقد جعلها -يعني ابن الجوزي- في كتابه الذي في الضعفاء واحدًا وهو وهم. انظر: نصب الراية؛ للزيلعي (٢/ ٣١٠).

(١) عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرجه الترمذي (٣١٢٩)، وأحمد (٥/ ١٣٥)، والحاكم (٢/ ٣٥٩- ٣٥٨)، والنسائي في التفسير (٢٩٩)، وابن حبان (٤٨٧)، من حديث أبي بن كعب، وإسناده حسن لأجل الربيع بن أنس، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، وله شاهد مرسل، أخرجه الطبري (٢١٩٩٦) و(٢١٩٩٧) عن الشعبي مرسلًا، وله شاهد من مرسل عطاء بن يسار، أخرجه الطبري (٢١٩٩٨)، وآخر من مرسل قتادة برقم (٢١٩٩٩)، وآخر من مرسل ابن جريح برقم (٢٢٠٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٥) (١١٢١٥)، وأخرجه ابن حبان، (٢/ ٢٣٩) (٤٨٧)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣٥٩-٤٤٦)، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٣) (٢٩٣٨)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند (٢١٢٣٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٨) إلى النسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل. وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذه الرواية وقال في الفتح (٧ / ٣٧٢): «وهذه طرق يقوي بعضها بعضًا».

وروى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ المسلِمِينَ قالوا: لَئِنْ أمْكننَا اللهُ منْهُم، لَنُمَثِّلَنَّ بالأحْياءِ[1] فضْلًا عنِ الأمْواتِ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ. يقول: إنْ كُنْتم فاعِلين، فمثِّلوا بالأموات، كما مثَّلوا بأمْوَاتِكم.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وإنَّما سمَّى فعْلَ المشركينَ مُعاقبةً وهمُ ابْتدؤوا بالمثْلَةِ، لِيزدوجَ اللَّفظانِ، فيخِفَّ على اللِّسانِ؛ كقوْلِه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

فَصْلٌ

واخْتلَف العُلماءُ، هل هذِه الآيَةُ منْسوخةٌ، أمْ لا؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها نزلَتْ قبْلَ {براءة} فأُمِر رسُولُ الله ﷺ أنْ يُقاتلَ مَن قاتَلَه، ولا يَبْدأ بالقِتالِ، ثُمَّ نُسخ ذلِك، وأُمِر بالجِهادِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ.

فعلَى هذا يكونُ المعْنَى: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ عنِ القِتالِ، ثُمَّ نُسخ هذا بقوْلِه: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

والثَّاني: أنَّها مُحكمَةٌ، وإنَّما نزلَتْ فيمَن ظُلِم ظُلامةً، فلا يحِلُّ له أنْ ينَالَ مِن ظالِمِه أكْثرَ ممَّا نالَه الظَّالمُ منْهُ، قالَه مُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ، والنَّخعيُّ، وابْنُ سِيرينَ، والثَّوريُّ.

وعلى هذا يكون المعْنَى: ولئِن صبَرْتُم عنِ المثلَة، لَا عنِ القتَالِ.

---

(١) في (س): بالأحياء منهم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾؛ أي: بتوفقِيـه ومعُونتِـهِ. وهـذَا أمْـرٌ بالعَزيمـةِ.

وفي قوْلِه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما علَى كُفَّار مكَّةَ إنْ لم يُسلموا، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: ولا تحْـزنْ عـلى قتْـلَى أُحـدٍ، فإنَّهُـم أفْضَـوا إلى رحمَـةِ اللهِ، ذكَـرَهُ عـليُّ بْـنُ أحْمَـدَ النَّيسـابوريُّ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾.

قـرَأ الأكْثـرَون بنصْـبِ الضَّـادِ، وقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ: «في ضِيـقٍ» بكسْـرِ الضَّـادِ هَاهُنـا[2]، وفي النمـلِ: [آية: ٧٠].

قـالَ الفـرَّاء: الضَّيـق بفتْـحِ الضَّـادِ: مـا ضَـاق عنْـه صـدْرُك، والضِّيـق: مَا يكـون في الَّـذي يضِيـق ويتَّسـعُ؛ مثْـلُ: الـدَّار والثَّـوب وأشـباه ذلِك[3].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: الضِّيـق: تخْفِيـف ضيـقٍ؛ مثْلُ: هَـيْنٍ ولَـيْنٍ، وهـوَ إذا كانَ علَى هـذَا التَّأويـلِ: صِفـةٌ كأنَّـه قـال: لَا تَـكُ فِي أمْـر ضَيِّـقٍ مِـن مكْرِهِـم.

[٤٦٨/أ] قـالَ: ويُقـال: مـكانٌ ضَيْـقٌ وضِيـقٌ، بمعنـى واحـد؛ كـما يُقـال: رَطْـلٍ ورِطْـلٍ، وهـذَا أعْجـبُ إليَّ[4].

---

(١) التفسير البسيط (١٣/ ٢٣٦).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١١٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

فأمَّا مكْرُهم المذْكُورُ هاهُنا؛ فقال أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاس: هُوَ فعْلُهم وعمَلُهم(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ ما نَهاهم عنْهُ، وأحْسَنوا فيما أمرَهُم بهِ، بالعَوْنِ والنَّصرِ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٣).

سُورةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

فَصْلٌ فِي نُزولِهَا

هي مكيَّةٌ في قولِ الجماعةِ، إلَّا أنَّ بعْضَهم يقُول: فيهَا مدنيٌّ، فرُوي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: هيَ مكيَّةٌ إلَّا ثمانِ آياتٍ: مِن قوْلِه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾... إلى قوْلِه: ﴿نَصِيرًا﴾[1] [الإسراء: ٧٣- ٧٥]، وهذا قولُ قتادةَ.

وقالَ مُقاتلٌ: فيهَا منَ المدنيِّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقوْلُه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وقوْلُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقوْلُه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقوْلُه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٦]، وقوْلُه: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ والَّتي تليهَا [الإسراء: ٧٤- ٧٥][2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١].

قوْلُه تعالَى: ﴿سُبْحَانَ﴾ رُوي عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه سُئِلَ عنْ تفْسيرِ: «سُبحانَ اللهِ»، فقَال: «**تَنْزِيهٌ للهِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ**»[3]، وقد ذكرْنَا هذَا المعْنَى في البقرة [آية: ٣٢].

---

(١) في الأصل، و(ر): بصيرًا، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٣) عن موسى بن طلحة مرفوعًا، والطبراني في الدعاء (١٧٥١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٠) (١٨٤٨)، والخطيب البغدادي في الكفاية في=

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: وأَسْرى: بمعْنَـى: سـيَّرَ عبْـدَه، يُقَـال: أَسْرَيْـتُ وسَرَيْـتُ؛ إذا سِرْتَ ليْـلًا، وقـد جـاءَتِ اللُّغتَـانِ في القُـرآنِ، قـالَ اللهُ تعَـالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجـر: ٤][(١)].

وفي معْنَى التَّسْبيحِ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ العـرَبَ تُسبِّحُ عنْـد الأمْرِ المعْجـبِ، فـكأنَّ اللهَ تعَـالى عجَّـبَ العبـادَ ممَّـا أسْـدَى[(٢)] إلى رسُـولِه مِـنَ النِّعمـةِ.

والثَّـاني: أن يكـونَ خـرَج مخْـرَجَ الـرَّدِّ عليْهِـم؛ لأنَّـه لمـا حدَّثَهُـم بـالإِسْراء، كذَّبُـوه، فيكـونُ المعْنَـى: تنـزَّه اللهُ أنْ يتَّخِـذَ رسُـولًا كذَّابًـا. ولا خـلَافَ أنَّ المـرَادَ بعبْـدِه هَاهُنـا: محُمَّـدٌ ﷺ.

=علـم الروايـة (ص: ٢٢٦) مـن طريـق حفـص بـن سـليمان ثنـا طلحـة بـن يحيى، عـن أبيـه، عـن طلحـة بـن عبيـد الله، وأخرجـه البيهقـي في الأسـماء والصفـات (١/ ١٠٥) رقـم (٥٩)، والواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٩٣) رقـم (٥٣٥) مـن طريـق جعفـر بـن سـليمان، عـن طلحـة بـن يحيى بـن طلحـة بـن عبيـد الله، عـن أبيـه، عـن طلحـة بـن عبيـد الله، قـال: سـألت نبـي الله ﷺ، عـن تفسـيره سـورة سـبحان؛ قـال: «تنزيـه الله، عـز وجـل، عـن كل سـوء، نـزه نفسـه عنـه»، وذكـره الهيثمـي في مجمـع الزوائـد (١٠/ ٩٧- ٩٨)، وقـال رواه البـزار، وفيـه عبـد الرحمـن بـن حمـاد الطلحـي، وهـو ضعيـف بسـبب هـذا وغـيره، وأورده الذهبـي في الميـزان (٢/ ٥٥٧) مـن روايـة عبـد الرحمـن بـن حمـاد الطلحـي.

وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (١/ ١١٠) إلى الطـبري والديلمـي والخطيـب في الكفايـة مـن طـرق عنـه مرفوعًـا، ولـه شـاهد عـن ابـن عبَّـاس موقوفًـا ذكـره السـيوطي أيضًـا في الـدر المنثـور (١/ ١١٠) وعـزاه إلى عبـد بـن حميـد وابـن أبي حاتـم والمحامـلي في أماليـه.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٥).

(٢) في (ر): أسرى.

وفي قوْلِه: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه أُسري بهِ مِن نفْسِ المسْجدِ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ، ويُسنده(١) حدِيثُ مالِك بْنِ صعْصَعةَ، وهوَ في الصَّحِيحيْنِ: بيْنَما أنا في الحَطِيمِ(٢) ورُبَّما قالَ: بعْضُ الرُّواةِ: في الحِجْرِ.

والثَّاني: أنَّه أُسري بهِ مِن بيْتِ أمِّ هَانئٍ، وهوَ قوْلُ أكْثرِ المفَسِّرينَ، فعَلى هذَا يعْني بالمسجِدِ الحَرامِ: الحَرَمَ. والحرَمُ كلُّه مسْجدٌ، ذكرَه القَاضِي أبو يعْلَى وغيْرُه.

فأمَّا ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ (فهو بيْتُ المقْدسِ، وقيل له)(٣): الأقْصى؛ لِبُعد المسافَةِ بيْنَ المسْجدَيْنِ. ومعْنَى ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: (أنَّ اللهَ أجْرى حوْلَه)(٤) الأنْهارَ، وأنْبتَ الثِّمارَ. وقِيلَ: لأنَّه مقرُّ الأنْبياءِ، ومهبِطُ الملائكةِ.

واخْتلَف العُلماءُ، هلْ دخَلَ بيْتَ المقْدِس، أمْ لا؟

فرَوى أبو هُريرةَ أنَّه دخَل بيْتَ المقْدسِ، وصلَّى فيهِ بالأنْبياءِ، ثُم عُرِج به إلى السَّماء(٥). وقالَ حُذيفةُ بْنُ اليَمانِ: لم يدْخُلْ بيْتَ المقدسِ ولم

---

(١) في الأصل، و(ر): ويشيده، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) في (ر): الحطم.

(٣) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٢٨٤)، وابن مندة في الإيمان (٧٤٠) من طريق حجين بن المثنى به، وأخرجه أبو عوانة (١/ ١٣١)، وابن مندة (٧٤٠) من طريق أحمد بن خالد الوهبي به وأربعتهم عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به، من حديث=

يصلِّ فيه، ولا نزَلَ عن البُراقِ حتَّى عُرِج بهِ[١].

فإنْ قِيلَ: ما معْنى قوْلِه: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وأنتُم تقُولون: صَعِدَ إلى السَّماءِ؟ [٤٦٨/ب]

فالجوَابُ: أنَّ الإسْراءَ كانَ إلى هُنالِكَ، والمعْرَاجَ كانَ مِن هُنالِكَ.

وقيلَ: إنَّ الحِكمةَ في ذِكْرِ ذلِك، أنَّه لوْ أخبرَ بصُعودِه إلى السَّماءِ في بَدْءِ الحديثِ، لاشْتدَّ إنْكارُهم [عليْهِ][٢]، فلمَّا أخْبرَ ببيْتِ المقدِسِ، وبانَ لهُم صِدْقُه فيمَا أخبَرَهُم بهِ مِن العلَاماتِ الصَّادقةِ، أخبَر بمعْراجِه.

=أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي. فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. فإذا موسى قائم يصلي. فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي. أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم -يعني نفسه- فحانت الصلاة فأممتهم. فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلّم عليه. فالتفت إليه فبدأني بالسلام». واللفظ لمسلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٨/ ٣٢١)، والترمذي (٣٤١٤) كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود عن زرٍّ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه به، وعاصم بن أبي النجود، هو ابن بهدلة، صدوق له أوهام، ولا يُقبل ما تفرد به من مرويات، ولم أجد من تابعه على روايته هذه، ثم إن متن الحديث فيه نكارة، ففيها أنَّ رسول الله ﷺ لم يصلِّ في بيت المقدس، وهو خلاف ما جاء في صحيح مسلم حديث رقم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ: أنَّه ﷺ ربط الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلَّى فيه ركعتين.

(٢) من (س).

قَوْلُه تعَالَى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يعْنِي: مَا رأَى؛ أي: تلْك اللَّيلةَ مِنَ العجَائِبِ الَّتِي أخبَرَ بِهَا النَّاسَ. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمقالَةِ قُريشٍ، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بِهَا.

وقَـد ذكَرْنَـا فِي كِتابِنَـا المسـمَّى بـ«الحدَائِـق»[1] أَحاديـثَ المعْـرَاجِ، وكرِهْنَـا الإِطالَـةَ هَاهُنـا.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٢ - ٣].

قَوْلُـه تعَـالَى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ لَمَّـا ذكَـر في الآيَـةِ الأُولى إكْـرَامَ مُحَمَّـدٍ ﷺ، ذكَـر في هـذِه كرَامـةَ مُوسـى عليـه السـلام.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّـوراة. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: دللْنَاهـم بـهِ علـى الهُـدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ قـرَأَ أبـو عمْـرٍو: «يتَّخِـذُوا» باليَـاءِ، والمعْنَـى: هديْنَاهُـم لئـلَّا يتَّخِـذُوا. وقـرَأ البَاقـونَ بالتَّـاء[2].

قَـالَ أبـو علـيٍّ: وهـوَ علـى الانْـصرافِ إلى الخطَـابِ بعْـد الغَيْبَـة؛ مثْـلُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثُـمَّ قَـالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[3].

---

(١) الحدائق (١/ ٢٢١).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٣).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَكِيلًا﴾ قالَ مجاهِدٌ: شريكًا[١]. وقالَ الزَّجَّاجُ: ربًّا[٢].

قالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: وإِنَّما قِيلَ للرَّبِّ: وكِيلٌ؛ لِكفايتِه وقِيامِهِ بشأْنِ عِبادِه، مِن أجْلِ أنَّ الوكيلَ عنْدَ النَّاس قد عُلم أنه يقُوم بشؤونِ أصْحَابِهِ، وتفقُّدِ أمُورِهِم، فكانَ الرَّبُّ وكيلًا مِن هذِه الجهةِ، لَا على معْنَى ارْتفاعِ منْزلةِ الموكِّل وانْحِطاطِ أمْرِ الوكِيلِ[٣].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ قالَ مُجاهِدٌ: هوَ نِداءٌ: يَا ذُرِّيةَ مَنْ حمَلْنَا[٤].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: مَن قرَأ: «أَلَّا تَتَّخِذُوا» بالتَّاء، فإِنَّه يقُول: بعْد الذُّريةِ مُضمرٌ حُذف اعْتِمادًا علَى دلالَةِ ما سبَقَ[٥]. فَتلْخِيصُه: يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حمَلْنا معَ نوحٍ لا تتَّخِذُوا وكيلًا، ويجوزُ أنْ يُستغنى عنِ الإضْمارِ بقوْلِه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾؛ لأنَّه بمعْنَى: اشْكُرُوني كشُكْرِه.

ومَن قرَأ: «لَا يَتَّخِذُوا» بالياءِ؛ جعَل النِّداءَ متَّصِلًا بالخِطَابِ، و«الذُّرِّيَةَ» تنتَصِبُ بالنِّداءِ، ويجُوز نصْبُها بالاِتِّخاذِ على أنَّها مفْعُولٌ ثانٍ. تلْخِيص الكلَامِ: أنْ لا يتَّخِذوا ذُريَّةَ مَن حمَلْنا معَ نُوح وكيلًا. قالَ قتادَةُ:

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٢) إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٦).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧-٨).

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٢٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٣٦) إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد في قَوْله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ قَالَ: هُوَ على النداء يَا ذُرِّيَّة من حملنَا مَع نوح.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٨٦).

النَّاسُ كلُّهم ذرِّيَّةُ مَن أنْجى اللهُ في تلْك السَّفِينةِ[١].

قالَ العُلماء: ووجْهُ الإنْعام علَى الخَلْق بهذَا القوْلِ، أنَّهم كانوا في صُلب مَن نجا.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ قالَ سَلمانُ الفارسيُّ: كانَ إذَا أكل؛ قالَ: «الْحَمْدُ للهِ» (فسَّاه اللهُ عبْدًا شكُورًا)[٢]، وإذَا شَرِبَ قالَ: «الحمْدُ للهِ»[٣]. وقالَ غيْرُه: كانَ إذا[٤] لبِس ثوْبًا قالَ: «الحمْدُ للهِ».

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ [الإسراء: ٤ - ٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٣) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة، وذُكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث؛ فأما سام: فأبو العرب؛ وأما حام: فأبو الحبش؛ وأما يافث: فأبو الروم.

(٢) هذه الجملة في (س) مؤخرة بعد قوله: لبس ثوبه، قال الحمد لله.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧١)، وابن عساكر في تاريخه (١٧/ ٦٦٧)، والمحاملي في أماليه (٦٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٢) إلى الفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) في (س): إذا كان.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أخْبَرْناهُم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قضَيْنَا عليْهِم، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1]. وبهِ قالَ قتَادةُ؛ فعَلى الأوَّلِ: تكُون «إلى» على أصْلِها، ويكونُ الكتَابُ: التَّوراة، [٤٦٩/أ] وعلى الثَّاني: تكونُ[2] «إلى» بمعْنَى: «علَى»، ويكونُ الكِتابُ الذِّكْر الأوَّل.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعْنِي: أرْضَ مِصْرَ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعَاصِي ومُخالفةِ التَّوراةِ.

وفي مَنْ قتلُوه مِنَ الأنْبياء فِي الفسَادِ الأوَّلِ قوْلَانِ:

أحدُهما: زكرِيَّاءُ، قالَه السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه.

والثَّاني: شَعْيَاء، قالَه ابْنُ إسْحاقَ.

فأمَّا المقْتولُ مِنَ الأنْبياءِ في الفَسادِ الثَّاني: فهوَ يحْيَى بْنُ زكَرِيَّاء. قالَ مُقاتِلٌ: وكانَ بيْنَ الفسادَيْنِ مائتَا سنةٍ وعشْرَ سِنين[3].

فأمَّا السَّببُ في قتْلِهم زكرِيَّاءَ: فإنَّهُم اتَّهمُوه بمَريمَ، وقالُوا: منْهُ حمَلتْ، فهرَبَ منْهُم، فانْفتَحتْ له شجرَةٌ فدَخَل فيهَا وبقِيَ مِن رِدائهِ هدْبٌ، فجاءَهُمُ الشَّيطانُ فدَلَّهم عليْهِ، فقَطعُوا الشَّجرةَ بالمنْشَار وهوَ فيهَا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٦).

(٢) في (ر): يكون.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢١) وفيه: فكان بين الهلاكين، بدل: كان بين الفسادين.

وأمَّا السَّببُ في قتْلِهم «شَعْيَاءَ»: فهُو أنَّه قامَ فيهم برِسالةٍ مِنَ اللهِ ينْهَاهم عنِ المعاصِي.

وقيلَ: هوَ الَّذِي هرَب منْهُم فدَخل في الشَّجرةِ حتَّى قطَعُوه بالمنْشَارِ، (وإنَّ زكرِيَّاءَ)[1] ماتَ حتْفَ أنْفِه.

وأمَّا السَّببُ في قتْلِهم يَحْيَى بْنَ زكرِيَّاءَ، ففِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ ملِكَهُم أرَاد نِكاحَ امْرأةٍ لا تَحِلُّ له، فنَهَاه عنْهَا يَحْيَى.

ثُمَّ فيهَا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ابْنَةُ أخيهِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: ابْنتُه، قالَه عبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبيرِ.

والثَّالث: أنَّها امْرأةُ أخِيه، وكان ذلِك، لا يصلحُ عنْدَهم، قالَه الحُسينُ بْنُ علِيٍّ عليهما السَّلام.

والرَّابع: ابْنةُ امْرأتِه، قالَه السُّدِّي عنْ أشْياخِه.

وذكر أنَّ السَّببَ في ذلِك: أنَّ ملِكَ بنِي إسْرائيلَ هوِيَ بنْتَ امْرأتِه، فسأَل يَحْيَى عنْ نكاحِها، فنَهَاهُ، فحَنِقتْ أمُّها علَى يَحْيَى حينَ نهَاه أنْ يتزوَّجَ ابْنتَها، وعمِدَت إلى ابْنتِها فزَيَّنتْها وأرْسلَتْها إلى الملِك حِين جلَس علَى شرَابِه، وأمَرَتْها أنْ تَسْقيَه، وأنْ تَعرضَ له، فإنْ أرادَها على نفْسِها، أبَتْ حتَّى يُؤتَى برأسِ يَحْيَى بْنِ زكَرِيَّاءَ في طَسْتٍ، ففَعَلتْ ذلِك، فقَال:

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

ويحَـكِ سَـلِيني غـيْرَ هـذَا، فقالَـتْ: مَـا أُريـد إلَّا هـذا، فأمَـرَ، فـأُتي برأسِـه، والـرَّأسُ يتكَلَّـمُ ويقُـول: لا تحِـلُّ لـكَ، لَا تحِـلُّ لـكَ[١].

والقـوْل الثَّـاني: أنَّ امْـرأةَ الملـكِ رأَتْ يحْيَـى عليـه السَّـلام وكانَ قـد أُعْطِي حُسـنًا وجمـالًا، فأرَادتْـه علَى نفسِـه، فأبَـى، فقَالـتْ لِابْنتِهَـا: سَلِي أبَـاكِ رَأسَ يحْيَـى، فأعْطَاهـا مَـا سـألَتْ، قالَـه الرَّبيـعُ بْـنُ أنـس.

قـالَ العُلمـاء بالسِّـيَر: مـا زَال دمُ يحْيَـى يغْلِي حتَّـى قُتل عليْـه مِـن بني إسرائيـلَ سـبعُون ألفًـا، فسَـكَنَ، وقيـل: لم يسْـكنْ حتَّـى جـاءَ قاتِلُـه، فقَـال: أنَـا قتَلْتُـه، فقُتِـل، فسَـكَنَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: لَتعْظُمُنَّ عن الطَّاعة وَلَتبْغُنَّ.

[قوْلُه تعَـالى][٢]: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؛ أي: عُقوبةُ أُولَى المرَّتين ﴿بَعَثْنَا﴾؛ أي: أرْسـلْنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ وفيهِم خمْسـةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم جالُوتُ وجنودُه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ.

والثَّاني: «بُخْتَنَصَّر»، قالَه سعيدُ بْنُ المسيَّبِ، واخْتارَه الفرَّاءُ [٤٦٩/ ب][٣]، والزَّجَّاجُ[٤].

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٣٧٢- ٣٧٣)، وتاريخـه (١/ ٥٨٩)، وذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٦/ ٢٦١).

(٢) من (م).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٧).

والثَّالث: العَمَالِقةُ، وكانُوا كفَّارًا، قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: سَنْحَارِيبُ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والخامِس: قوْمٌ مِن أهْل فارسٍ، قالَه مُجاهِدٌ.

وقالَ ابْنُ زيْدٍ: سلَّط اللهُ عليْهِم سَابُورَ ذَا الأكْتافِ مِن مُلوكِ فارسَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: ذوي عددٍ وقوَّةٍ في القِتالِ.

وفي قوْلِه: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مشَوا بيْنَ منازلِهم، قالَه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ مُجاهِدٌ: يتَجسَّسُونَ أخْبارَهُم، ولم يكُن قِتالٌ[٢]. وقالَ الزَّجَّاجُ: طَافُوا خِلالَ الدِّيارِ ينْظُرون هل بقِيَ أحَدٌ لم يقْتُلوه؟ و«الجَوْسُ»: طلَبُ الشيْءِ باسْتقصَاءٍ[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في تفسيره (١٧/ ٣٥٧) من طريق يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكًا من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلَّط عليهم بختنصر من قتل يحيى.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٦٨) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ثم ذكر نحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٥) إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٧).

والثَّاني: قتَلُوهم بيْنَ بُيوتِهِم، قالَه الفرَّاءُ[١]، وأبُو عُبيدةَ[٢].

والثَّالث: عاثُوا وأفْسَدُوا، يُقال: جَاسُوا وحَاسُوا، فهُم يَجوسُونَ ويَحوسُون؛ إذا فعلُوا ذلِك، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

فأمَّا الخِلالُ: فهيَ جمْعُ خلَل: وهوَ الِانْفراجُ بيْنَ الشَّيْئيْنِ.

وقرَأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وابْنُ جُبيرٍ، وأبو المتوكِّل: «خَلَلَ الدِّيارِ» بفتْحِ الخاءِ واللَّامِ من غيْرِ ألِفٍ[٤]. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾؛ أي: لا بدَّ مِن كوْنِه.

[**قوْلُه تعالى**][٥]: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أظْفرْناكُم بِهِم. **والكَرَّةُ**، معناهَا: الرَّجعةُ والدُّولةُ، وذلِك حين قتَلَ داودُ جالوتَ وعادَ ملكُهم إليْهِم.

وحكَى الفرَّاءُ: أنَّ رجُلًا دعَا علَى «بُخْتَنَصَّر»، فقتَلَه اللهُ، وعادَ ملكُهُم إليْهِم[٦].

وقيلَ: غزَوا ملِكَ بابلَ فأَخذُوا ما كان في يدِه مِنَ المالِ والأسْرَى.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾؛ أي: أكْثرَ عددًا وأنْصارًا منْهُم.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥١).

(٤) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ٢٦٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥٥).

(٥) من (م).

(٦) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: النَّفيرُ والنَّافر واحِدٌ؛ كما يُقال: قديرٌ وقادِرٌ، وأصْلُه: مَنْ يَنْفِر معَ الرَّجُلِ مِن عشيرتِه وأهْلِ بيْتِه[1].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإسراء: ٧ – ٨].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾؛ أي: وقُلنا لكُم: إنْ أحْسَنتُم فأطَعْتُم اللهَ ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: عاقبةَ الطَّاعة لكُم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفسادِ والمعَاصِي ﴿فَلَهَا﴾ **وفيه قوْلَانِ**:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى: فإليْهَا.

والثَّاني: فعلَيْهَا.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: جوابُ «فإذَا» محْذوفٌ، تقديرُه: فإذَا جاءَ وعْدُ عُقوبةِ المرَّةِ الآخِرةِ مِن إفْسادِكُم، بعثْنَاهم لِيسُوؤوا وجُوهكم، وهذَا الفسادُ[2]؛ هوَ قتْلُهم يحْيَى بْنَ زكريَّاءَ، وقصْدُهُم قتْلَ «عِيسَى» فرُفِع، وسلَّط اللهُ عليْهِم مُلوكَ فارسَ والرُّومِ فقتَلُوهُم وسَبَوْهُم، فذلِك قوْلُه: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «لِيَسُوؤوا» باليَاء علَى الجمِيعِ والهمْزِ بيْنَ الواوَيْنِ، والإشارَةُ إلى المبعوثِين. وقرَأ ابْنُ

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥١)

(٢) في (م) زيادة: (الثاني)، وهي مضروب عليها في الأصل، وليست في بقية النسخ.

عامِرٍ، وحمْزةُ، وأبو بكْرٍ عن عاصِمٍ: «لِيَسُوءَ» علَى التَّوحيدِ[١]؛ قالَ أبو علِيٍّ: فيهِ وجْهانِ:

أحدُهما: لِيَسُوءَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

والثَّاني: لِيَسُوءَ البَعْثُ[٢].

وقرأ الكِسائِيُّ: «لِنَسُوءَ» بالنُّون[٣]، وذلك راجِعٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفيمن بعثَ علَيهِم في المرَّة الثَّانية قوْلانِ:

أحدُهما: بُخْتَنَصَّر، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

[٤٧٠/أ] وكثِيرٌ مِن الرُّواةِ يأْبَى هذَا القوْلَ، ويقُولُون: كان بيْن تخْريبِ «بُخْتَنَصَّر» بيْتَ المقْدِسِ، وبيْنَ موْلد يَحْيى بْنِ زكَرِيَّاءَ زمَانٌ طوِيلٌ.

والثَّاني: أَنْطِيَاخُوس الرُّوميُّ، قالَه مُقاتِلٌ[٤].

ومعْنى ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ أي: لِيُدْخِلوا عليْكُم الحزنَ بما يفْعَلُون مِن قتْلِكم وسَبْيِكُم؛ وخُصَّتِ المساءةُ بالوُجوه، والمرَاد: أصْحابُ الوجُوهِ، لَما يبْدُو عليْهَا مِن أثَرِ الحُزْنِ والكَآبةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ يعْنِي: بيْتَ المقدسِ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ في المرَّةِ الأُولى ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾؛ أي: ليدمِّروا ويخرِّبوا.

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٦- ٨٧).

(٣) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٧٨)، والتيسير (ص: ١٣٩).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال لِكُلِّ شيْءٍ ينْكَسِر مِن الزُّجاجِ والحدِيدِ والذَّهبِ: تِبْرٌ. ومعْنَى ﴿مَاعَلَوْاْ﴾؛ أي: ليُدَمِّروا في حَالِ عُلوِّهم عليْكُم(١).

قوْله تعَالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ هذا ممَّا(٢) وُعِدُوا به في التَّوراةِ. و«عَسى» مِن الله واجِبةٌ، فرحمَهُمُ اللهُ بعْدَ انْتقامِه منْهم، وعمَّر بلادَهُم، وأعَادَ نِعمَهُم بعْدَ سبعِينَ سنةً. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى معصيتِنا ﴿عُدْنَا﴾ إلى عُقوبَتِكُم.

قالَ المفَسِّرون: ثُمَّ إنَّهم عادُوا إلى المعصيةِ، فبعَثَ اللهُ عليْهم مُلوكًا مِن ملُوكِ فارسَ والرُّومِ. قالَ قتادَةُ: ثُمَّ كانَ آخِر ذلِك أنْ بعَثَ اللهُ عليْهِم مُحمَّدًا ﷺ، فهُم فِي عذابٍ إلى يوْمِ القِيامَةِ، يُعْطُون(٣) الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغِرونَ(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: سِجْنًا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ.

وقالَ مُجاهِدٌ: يُحْصَرُونَ فيهَا(٥). وقالَ أبو عُبيدَةَ، وابْنُ قُتيبةَ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٨).

(٢) في (س): ما.

(٣) في (ر): فيعطون.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٠)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣٨٩) من طريق معمر، عن قتادة، قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ فعادوا، فبعث الله عليهم محمدا ﷺ، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿حَصِيرًا﴾ قال: يحصرون فيها. ومن طريق ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ قال: يُحصرون فيها.

محبسًا[١]. وقالَ الزَّجَّاجُ: «حَصِيرًا»: حَبْسًا، أُخِذ مِن قوْلِك: حصرْتُ الرَّجُلَ؛ إذا حبسْتُه، فهوَ محْصُورٌ، وهذَا حصِيرُه؛ أي: محْبسُه، والحصِيرُ: المنْسُوجُ، سُمِّي حصيرًا؛ لأنَّه حُصرت طاقاتُه بعْضُها معَ بعْضٍ، ويُقال للجَنْب: حَصِيرٌ؛ لأنَّ بعْضَ الأضْلاعِ محْصُورٌ معَ بعْضٍ[٢].

وقالَ ابنُ الأنْباريِّ: حصِيرًا: بمعْنَى: حاصِرة، فصُرف مِن حاصرةٍ إلى حصِيرٍ، كما صُرف «مُؤلم» إلى ألِيمٍ.

والثَّاني: فِراشًا ومِهادًا، قالَه الحسَنُ.

قالَ أبو عُبيدةَ: ويجُوز أنْ يكونَ لهُم جهنَّمُ[٣] مِهادًا بمنْزلَةِ الحصِيرِ، والحَصِيرُ: البِساطُ الصَّغِيرُ[٤].

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٩ - ١٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.

قالَ ابنُ الأنْبارِيِّ: «الَّتِي» وصْفٌ للجمْعِ، والمعْنَى: يهْدِي إلى الخِصَالِ الَّتي هيَ أقْومُ الخِصالِ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٧١). وغريب القرآن (ص: ٢٥١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٧).

(٣) في (م): تكون جهنم لهم. وفي (س): تكون لهم جهنم.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٧١).

قالَ المفَسِّرونَ: وهيَ توْحِيدُ اللهِ والإيمانُ بهِ وبِرُسُلِه والعمَلُ بطاعَتِهِ، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾؛ أي: بأنَّ لهُم ﴿أَجْرًا﴾ وهوَ الجنَّةُ، ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي: ويُبشرُهُم بالعذابِ لأعْدائِهِم، وذلِك أنَّ المؤمِنينَ كانُوا في أذًى مِن المشركينَ، فعَجَّلَ اللهُ لهُمُ البُشرى في الدُّنيا بعِقابِ الكافِرينَ.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ وذلِك أنَّ الإنسانَ يدْعُو في حالِ الضَّجَرِ والغَضَبِ على نفْسِه وأهْلِه بما لا يحبُّ أنْ يُستجابَ له كما يدْعُو لنفْسِه بالخَيْرِ. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يعجِّلُ بالدُّعاءِ بالشَّرِّ عنْدَ الغضَبِ والضَّجَرِ عَجلتَه بالدُّعاءِ بالخَيْرِ. [٤٧٠/ب]

وفِي المرَادِ بالإنْسانِ هَاهُنا ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه اسْمُ جنْسٍ يُراد بهِ النَّاسُ، قالَهُ الزَّجَّاجُ وغيْرُهُ[(١)].

والثَّاني: آدَمُ، فاكْتفَى بذكْرِه مِن ذكْرِ ولَدِه، ذكَرَه ابْنُ الأنْبَارِيِّ.

والثَّالث: أنَّه النَّضْرُ بْنُ الحارِثِ حينَ قالَ: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قالَه مُقاتِلٌ[(٢)].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٤).

وقالَ سلْمَانُ الفَارسيُّ: أوَّلُ مَا خلَقَ اللهُ مِنْ آدمَ رأسُه، فجعَلَ ينْظُر إلى جسَدِه كيْفَ يُخلَقُ، قالَ: فبَقِيتْ رِجلَاهُ، فقالَ: يا رَبِّ! عَجِّل، فذلِك قوْلُه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[1].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾؛ أي: علَامتَيْنِ يدُلَّانِ علَى قُدرة خالقِهِمَا. ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ آيةَ اللَّيلِ: القمَرُ، ومحْوُها: مَا في بعْضِ القمَرِ مِنَ الإسْودَادِ، وإلى هذَا المعْنَى ذهَب عليٌّ عليه السلام، وابْنُ عبَّاسٍ في آخرينَ.

والثَّاني: آيةُ اللَّيلِ محُيتْ بالظُّلمةِ الَّتِي جعلَتْ مُلازمةً للَّيلِ؛ فنُسبَ المحوُ إلى الظُّلمةِ؛ إذْ كانَتْ تمحو الأنْوار وتُبطلُها، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

ويُروى أنَّ الشَّمسَ والقمرَ كانَا في النُّور والضَّوءِ سَواءً، فأرْسلَ اللهُ جبريلَ فأمرَّ جناحَهُ على وجْه القمَرِ فطمَسَ عنْهُ الضَّوءَ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٤) من طريق الحكم، عن إبراهيم، أنَّ سلمان الفارسيّ، قال: أوّل ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يُخلق، قال: وبقيت رجلاه؛ فلما كان بعد العصر قال: يا ربِّ عَجِّل قبل الليل، فذلك قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾. وأخرجه ابن عساكر (٧/ ٣٨٤) من طريق محمد بن المثنى به، وابن أبي شيبة (١٤/ ١١٠- ١١١) عن محمد بن جعفر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٦) إلى ابن جرير مختصرًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعْنِي: الشَّمسَ ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: مُنِيرة، قالَه قتادةُ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: وإنَّما صلُحَ وصْفُ الآيةِ بالإبْصارِ على جِهةِ المجازِ؛ كما يُقالُ: لعِبَ الدَّهْرُ ببَنِي فُلانٍ.

والثَّاني: أنَّ معْنَى «مُبْصِرة»[1]: مُبصَرًا بهَا، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[2].

والثَّالثُ: أنَّ معنى «مُبْصرة»: «مُبَصِّرَةً»، فجرَى «مُفْعِل» مجْرَى «مُفَعِّل»، والمعْنَى: أنَّها تُبَصِّرُ النَّاس، أي: تُريهِم الأشْياءَ، قالَه ابْنُ الأنْباريِّ. ومعاني الأقْوالِ تتَقَارَبُ.

قوْلُه تعالى: ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: لِتُبْصروا كيْفَ تتصرَّفُون في أعْمالِكم وتطلُبونَ رِزقَكم بالنَّهار ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ بمحْوِ آيةِ اللَّيلِ، ولوْلا ذلِك، لم يُعرفِ اللَّيلُ مِنَ النَّهارِ، ولم يُتبيَّن العددُ. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: ممَّا يُحتاج إليه: ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيَّنَّاه تبينًا لا يُلتبس معَه بغيْرِه.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ ﴾ وقَرَأ ابْنُ أبي عبْلَةَ: «وكُلُّ» برفْعِ اللَّامِ[١]. وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وأُبَيٌّ، والحسَنُ: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَيْرَهُۥ﴾ بياءٍ ساكنَةٍ مِن غيْرِ ألِفٍ[٢].

وفي الطَّائِرِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ شقَاوتُه وسعَادتُه، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ مُجاهِدٌ: ما مِن مولُود يُولد إلَّا وفِي عُنُقِهِ ورَقةٌ مكتُوبٌ فيهَا شقِيٌّ، أو سَعِيدٌ[٣].

والثَّاني: عملُه، قالَه الفرَّاءُ[٤]، وعنِ الحسَنِ كالقوْلَيْنِ.

والثَّالث: أنَّه ما يُصِيبه، قالَه خصِيفٌ. وقالَ أبو عُبيدَةَ: حظُّه[٥].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والمعْنَى فيما أرى -والله أعلم-: أنَّ لكُلِّ امْرئٍ حظًّا مِنَ الخيْرِ والشَّرِّ قد قضَاهُ اللهُ [عليْهِ][٦]، فهو لازمٌ عنقه، والعرَبُ تقُول:

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٨) من طريق الحسن بن عمرو الفقيمي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقيّ أو سعيد. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٧) إلى أبي داود في كتاب القدر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٤٢).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٧٢).

(٦) من (م).

لِكلِّ ما لزم الإنْسانَ: قد لزِمَ عنقهُ، وهذَا لكَ عليَّ وفي عُنقي حتَّى أخرجَ منْهُ، وإنَّما قِيلَ للحظِّ مِنَ الخيْرِ والشَّرِّ: «طَائِرٌ»؛ لِقوْلِ العرَبِ: [٤٧١/أ] جرَى له الطَّائِر بكذَا مِن الخيْرِ، وجرَى له الطَّائر بكذَا مِنَ الشَّرِّ، على طريقِ الفألِ والطِيَّرةِ، فخاطَبَهُمُ اللهُ بما يستعملُون، وأعْلَمَهم أنَّ ذلِك الأمْرَ الَّذي يجعَلُونه بالطَّائرِ، هو الَّذِي يلزمُه أعْناقهم(١).

وقالَ الأزْهريُّ: الأصْلُ في هذَا أنَّ اللهَ تعالى لَّما خلَقَ آدَمَ، علِمَ المطِيعَ مِن ذُرِّيتِهِ، والعَاصِي، فكتَبَ ما علِمَه منْهُم أجْمَعِينَ، وقضَى سعادةَ مَن علِمَه مُطيعًا، وشقاوَةَ مَن علِمَهُ عاصيًا، فصَارَ لِكُلٍّ منْهُم ما هوَ صائِرٌ إليْهِ عنْدَ خلْقِه وإنْشائِه، فذلِكَ قوْلُه: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾(٢).

والرَّابع: أنَّه ما يَتطَيَّر مِن مثْلِه مِن شيْءٍ عملِه، وذِكْرُ العُنقِ عِبارةٌ عن اللُّزومِ لَه، كلُزومِ القِلادةِ العُنقَ مِن بيْنِ ما يُلبسُ، هذا قوْلُ الزَّجَّاجِ(٣).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: الأصْلُ في تسْمِيتِهِمُ العمَلَ طائِرًا، أنَّهم كانُوا يتَطيَّرُون مِن بعْضِ الأعْمالِ(٤).

قوْلُه تعالَى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾ قرَأ أبو جعْفرٍ: «ويُخْرَجُ» بياءٍ مضْمُومةٍ وفتْحِ الرَّاءِ. وقرَأ يعقُوبُ، وعبْدُ الوارثِ: باليَاء مفْتُوحة وضَمِّ الرَّاءِ(٥).

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٢).

(٢) تهذيب اللغة (١٤/ ١١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٠).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٢٥).

(٥) قراءتان عشريتان، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف=

وقَرَأ قتَادَةُ، وأبو المتوكِّل: «ويُخْرِجُ» بياءٍ مرْفُوعةٍ وكسْرِ الرَّاءِ. وقَرَأ أبو الجوْزاءِ، والأعْرَجُ: «وتَخْرُجُ» بتَاءٍ مفْتُوحةٍ ورفْعِ الرَّاءِ[1].

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا﴾ وقَرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، وعكْرِمةُ، والضَّحَّاكُ: «كِتَابٌ» بالرَّفْعِ. ﴿يَلۡقَىٰهُ﴾ وقَرَأ ابْنُ عامِرٍ، وأبو جعْفرٍ: «يُلقَّاهُ» بضَمِّ الياءِ وتشْدِيدِ القَافِ، وأمَالَ حمْزةُ، والكِسائِيُّ القَافَ[2].

قالَ المفَسِّرونَ: هذَا كِتابُه الَّذي فيهِ مَا عمِلَ، وكانَ أبو السَّوَّارِ العَدَوِيُّ[3] إذا قَرَأ هذِه الآيةَ قالَ: نشْرتَانِ وطيَّةٌ، أمَّا مَا حييتَ يا ابْنَ آدَمَ، فصَحِيفتُك منْشُورةٌ، فأَمْلِ فيهَا مَا شئْتَ، فإذا مِتَّ؛ طُويتْ، ثُم إذَا بُعثتَ، نُشرَتْ[4].

=فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٨٢)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٨٦).

(١) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٨٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢).

(٢) سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٦).

(٣) أبو السوار العدوي البصري، قيل: اسمه حسان بن حريث، وقيل بالعكس، روى له البخاري ومسلم والنسائي، ثقة من الثانية. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٩٢)، والتقريب ترجمة (٨١٥٢).

(٤) أخرجه الثعلبي بسنده في الكشف والبيان (١٦/ ٣٠٠-٣٠١) من طريق شعيب بن محمد قال: حدثنا مكي بن عبدان، قال: حدثنا أحمد بن الأزهر، قال: حدثنا روح بن عبادة؛ قال: حدثنا بسطام بن مسلم، قال: سمعتُ أبا التَّياح يقول: سمعت أبا السوار العدويَّ يقرأ هذِه الآية، ثم قال: نشرتان وطيّة، أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك منشورة، فأمل فيها ما شئت، ثم إذا متّ طويت، ثم إذا بعثت نشرت.

قوْلُه تعَالى: ﴿ اقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ وقرأ أبو جعْفرٍ: «اقْـرَا» بتخْفِيفِ الهمْزةِ(١)، وفيهِ إضْمارٌ، تقْدِيرُه: فيُقالُ لَه: اقْرأْ كتَابَك.

قالَ الحسَنُ: يقْرؤُه أميًّا كانَ أوْ غيْرَ أُمِّيٍّ، ولقَد عدَل عليْكَ مَن جعَلَك حسِيبَ نفْسِك(٢).

وفي معْنَى ﴿حَسِيبًا﴾ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: مُحاسِبًا.

والثَّاني: شاهدًا.

والثَّالث: كافيًا.

والمعْنَى: أنَّ الإنْسانَ يُفَوَّض إليْهِ حِسابُه لِيعلمَ عدْلَ اللهِ بيْنَ العِبادِ، ويرَى [وجُوبَ](٣) حُجَّةِ اللهِ عليْهِ، واسْتحقَاقَه العُقوبةَ، ويعْلَم أنَّه إنْ دخَلَ الجنَّة فبِفَضْلِ اللهِ، لَا بعملِه، وإنْ دخَلَ النَّار فبِذَنْبِه.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وإنَّما قالَ: ﴿حَسِيبًا﴾، والنَّفْسُ مؤنَّثةٌ؛ لأنَّه يعْنِي بالنَّفْسِ: الشَّخْصَ، أوْ لأنَّه لَا علامَةَ للتَّأنِيثِ في لفْظِ النَّفْسِ، فشُبِّهتْ بالسَّماءِ والأرْضِ، قالَ تعَالى: ﴿السَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨](٤)، قالَ الشَّاعِرُ [من المتقارب]:

---

(١) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٠٦)، والمبسوط في القراءات العشر (ص: ١٠٤).

(٢) ذكر عنه ذلك السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٠٤)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ٢٨١).

(٣) من (س)، و(م).

(٤) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٧/ ٢٣).

.... وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا[1]

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾[الإسراء: ١٥].

قوْلُه تعالى: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾؛ أي: لَه ثوابُ اهْتدائِه، وعليْهُ عِقابُ ضَلالِه.

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ ﴾؛ أي: نفْسٌ وازِرةٌ ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ قالَ ابْنُ
[٤٧٠/ ب] عبَّاسٍ: إنَّ الوَليدَ بْنَ المغيرةِ قالَ: اتَّبِعُوني وأنا أحْمِلُ أوْزارَكُم، فقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2].

قالَ أبو عُبيدَةَ: والمعْنَى: ولا تَأْثَمْ آثِمَةٌ إثْمَ أُخرَى[3]. قالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ: وزَرَ يَزِرُ، فهو وازِرٌ، وَزْرًا، ووِزْرًا، ووِزْرَةً، ومعْناه: أَثِمَ إثْمًا[4].

---

(١) البيت لعامر بن جُوَين الطَّائي أحد الخُلعاء الفُتَّاك، كما في مجاز القرآن (٢/ ٦٧)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٤٦)، والأصول في النحو (٢/ ٤١٣)، والكامل؛ للمبرد (٢/ ٢٠٧)، وإيضاح الشواهد (١/ ٤٩٩)، ونسب للأعشى في التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٩١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٦٩٣) ولعله خطأ، وصدره:
فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها *** ....

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ٢٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢١٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣١).

وفي تأويلِ هذِه الآيةِ وجْهَانِ:

أحدُهما: أنَّ الآثِمَ لا يُؤخذ بذنْبِ غيْرِه.

والثَّاني: أنَّه لا ينْبَغِي أنْ يعمَلَ الإنْسانُ بالإثْمِ؛ لأنَّ غيرَه عَمِلَه، كمَا قالَ الكُفَّارُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ومعْنَى ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ أي: حتَّى نُبيِّنَ ما بهِ نعذِّب، ومَا مِن أجْلِه ندخلُ الجنَّةَ.

فَصْلٌ

قالَ القاضِي أبو يعلى: في هذَا دليلٌ علَى أنَّ معرفةَ اللهِ لا تجِبُ (عقلًا، وإنَّما تجِبُ)(١) بالشَّرْعِ، وهو بعْثَةُ الرُّسلِ، وأنَّه لو ماتَ الإنْسانُ قبْلَ ذلِك، لم يُقطعْ عليْهِ بالنَّارِ.

قالَ: وقيل معْناه: أنَّه لَا يعذِّب في مَا طريقُه السَّمْعُ إلَّا بقِيامِ حُجَّةِ السَّمْع مِن جهَةِ الرَّسولِ، ولهذا قالوا: لو أسْلَم بعْضُ أهْلِ الحرْبِ في دَار الحرْبِ ولم يسمَعْ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ونحْوِها، لم يلزمْهُ قضاءُ شيْءٍ منْهَا؛ لأنَّها لم تلْزمْه إلَّا بعْدَ قِيامِ حُجَّةِ السَّمْعِ، والأصْلُ فيهِ قصَّةُ أهْلِ قُباء حِين اسْتدَارُوا إلى الكعْبةِ ولم يسْتأنِفُوا، ولو أسْلَمَ في دارِ الإسْلام ولم يعْلَمْ بفرْضِ الصَّلاةِ، فالواجِبُ عليْهِ القضَاءُ؛ لأنَّه قد رأى النَّاسَ يصلُّون في المساجِدِ بأذانٍ وإقامَةٍ، وذلِك دعاءٌ إليْهَا(٢).

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٢) انظر: الفروع وتصحيح الفروع (١٠/ ٢١٧)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٥/ ١٧).

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦ - ١٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ **فِي سببِ إرَادتِه لِذلك قوْلَانِ:**

أحدُهما: ما سبَق لهُم فِي قضَائِه مِنَ الشَّقَاءِ.

والثَّاني: عِنادهُمُ الأنْبياء وتكْذِيبُهُم إيَّاهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرَأَ الأكْثرونَ: «أَمَرْنا» مُخفَّفةً، على وزْن فَعَلْنا، **وفِيها ثلَاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه[1] مِن الأمْرِ، وفي الكَلامِ إضْمارٌ، تقْدِيرُه: أمَرْنا مُتْرَفِيها بالطَّاعةِ، ففَسَقُوا، هذَا مذْهبُ سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: ومثْلُه في الكَلَامِ: أمَرْتُك فعَصَيْتَنِي، فقَدْ عُلم أنَّ المعصيةَ مُخالفةُ الأمْرِ[2].

والثَّاني: كثَّرنا يُقال: أمَرْتُ الشَّيءَ وآمَرْتُه، أي: كثَّرتُه، ومنْهُ قوْلُهم: مُهرةٌ مأمُورةٌ؛ أي: كثِيرةُ النَّتاجِ، يُقال: أَمِرَ بنُو فُلانٍ يأمرُون أمْرًا؛ إذا كثُرُوا، هذا قوْلُ أَبِي عُبيدةَ[3]، وابْنِ قُتيبةَ[4].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

والثَّالث: أنَّ معْنَى أَمْرْنَا: أمَّرنا، يُقال: أَمَرت الرَّجُل، بمعْنَى، أمَّرتُه، والمعْنَى: سلَّطنا مُتْرفِيهَا بالإِمَارة، ذكره ابْنُ الأنْبَارِيِّ.

وروى خارجَةُ عنْ نافِعٍ: «آمَرْنَا» ممْدُودةً؛ مِثْل: آمَنَّا، وكذلِك رَوى حمَّاد بْنُ سلَمَةَ عنِ ابْنِ كثِيرٍ، وهيَ قِراءةُ ابْنِ عبَّاسٍ، وأبي الدَّرْداءِ، وأبي رَزِينٍ، والحَسَنِ، والضَّحَّاكِ، ويعْقُوبَ[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وهيَ اللُّغةُ العاليةُ المشهُورةُ، ومعْنَاه: كثَّرنا، أيْضًا[٢].

وروى ابْنُ مُجاهِدٍ أنَّ أبا عمْرٍو قرَأ: «أمَّرْنَا» مُشدَّدةَ المِيمِ، وهيَ رِوايةُ أبانَ عنْ عاصِمٍ، وهيَ قِراءةُ أبي العَاليةِ، والنَّخعيِّ والجحْدَريِّ[٣].

قالَ ابْنُ قُتيبة: المعْنَى: جعلْنَاهم أُمرَاءَ[٤]. [٤٧٢/أ]

وقرَأ أبو المتوكِّل، وأبو الجَوْزاءِ، وابْنُ يعْمُرَ: «أَمِرْنَا» بفتْحِ الهمْزةِ، مكْسُورةَ الميمِ مخففَةً[٥].

---

(١) قراءة عشرية من قراءة يعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٠٦)، وانظر عزوها لروايتي نافع وأبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٣) قراءة شاذة، انظر رواية أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩)، وعن الباقين في المحتسب (٢/ ١٦)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢٧).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٥) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٦).

فأمَّا المتْرَفُون: فهمُ المتنعِّمُونَ الَّذِين قد أبْطرَتْهمُ النِّعمةُ وسِعةُ العيْشِ. والمفَسِّرُون يقُولون: همُ الجبَّارُون والمسلَّطُون والملُوكُ[1]، وإنَّما خصَّ المتْرَفِين بالذِّكْر؛ لأنَّهمُ الرُّؤساءُ، ومَن عداهم تبَعٌ لهُم.

قوْلُه تعالى: ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾؛ أي: تمَرَّدُوا في كُفْرِهم؛ لأنَّ الفِسْقَ في الكُفْر: الخُروجُ إلى أفحشِه. وقد شرحْنَا معْنَى الفسْقِ في البقرة [آية: ٢٦/ ١٩٧].

قوْلُه تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: وجَب عليْهَا العذابُ[2]. وقد ذكرْنَا معْنَى التَّدمِير في الأعْراف [آية: ١٣٧].

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ وهوَ[3] جمْعُ قرْنٍ. وقد ذكرْنَا اخْتِلافَ النَّاسِ فيهِ في الأنْعام [آية: ٦]، وشرحْنَا معْنَى الخبير والبصير في البقرة.

قالَ مُقاتِلٌ: وهذِه الآيةُ تخْويفٌ لكُفَّارِ[4] مكَّةَ[5].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨ - ١٩].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٦).

(٣) في (ر): وهي.

(٤) في (م): لأهل.

(٥) المصدر السابق.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعْنِي: مَن كانَ يُريد بعمَلِه الدُّنيا، فعبَّر بالنَّعْت عنِ الاِسْم ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ مِن عرَضِ الدُّنيا، وقيلَ: مِن البسْطِ والتَّقْتِير ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ فيهِ قولَانِ:

أحدُهما: لِمَن نُريد هلكَتَهُ، قالَه أبو إسْحاقَ الفِزَاريُّ[١].

والثَّاني: لِمَنْ نُريد أن نعجِّلَ له شيئًا، وفي هذَا ذمٌّ لِمَنْ أرَاد بِعمَلِه الدُّنْيا، وبيانٌ أنَّه لا ينَال معَ ما يقصدُه منْهَا إلَّا ما قُدِّر لَه، ثُمَّ يدْخلُ النَّار في الآخِرَةِ.

وقالَ ابْنُ جريرٍ: هذِه الآيَةُ لِمَنْ لا يُوقن بالمعَادِ[٢].

وقد ذكرْنَا معْنَى جنَّهم في البقرة [آية: ٢٠٦] ومعْنَى يصْلَاها في سورةِ النِّساء [آية: ١٠]، ومعْنَى مذْمُومًا مدْحُورًا في الأعراف [آية: ١٨].

قوْلُه تعَالى: ومن ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ يعْنِي: الجنَّةَ ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾؛ أي: عمِلَ لها العمَلَ الَّذي يصلُح لها، وإنَّما قالَ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ لأنَّ الإيمانَ شرْطٌ في صِحَّةِ الأعْمالِ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: مقْبُولًا. وشُكْرُ اللهِ عزَّ وجلَّ لهُم: ثوابُه إيَّاهُم، وثناؤُه عليْهِم.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٩)، وأبو إسحاق الفزاري: هو الإمام إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الكوفي، أحد الأعلام، روى عن عطاء بن السائب، وحميد الطويل، وعنه: الأوزاعي، والثوري، وهما من شيوخه، كان ثقة فاضلًا صاحب سنة وعزو، كثير الحديث فقيهًا، أدب أهل الثغر وعلّمهم السنة، وكان يأمر وينهى، توفي سنة (١٨٥هـ). انظر: تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٩).

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ قالَ الزَّجَّاج: «كلًّا» منْصُوبٌ بـ«نُمِدُّ». و«هؤلاء»: بدلٌ مِن «كل»، والمعْنَى: نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاءِ مِن عطَاءِ ربِّكَ[1].

قالَ المفَسِّرونَ: كُلًّا نُعطي مِنَ الدُّنْيا، البرَّ والفَاجِرَ، والعَطاءُ هَاهُنا: الرِّزْقُ، والمحْظُور: الممْنُوعُ، والمعْنَى: أنَّ الرِّزْقَ يعُمُّ المؤمِنَ والكافِرَ، والآخِرةُ للمُتَّقِين خاصَّةً. ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محُمَّدُ ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وفِيمَا فُضِّلُوا فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الرِّزْقُ، (منْهم مُقلٌّ، ومنْهُم مُكثِرٌ.

والثَّاني: الرِّزقُ)[2] والعمَلُ، فمِنْهُم موفَّقٌ لعمَلٍ صَالِحٍ، ومنْهُم ممْنُوعٌ[3] مِن ذلِك.

قوْلُه تعَالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الخِطَابُ للنَّبِيِّ ﷺ، والمعْنَى عامٌّ لجمِيعِ المكلَّفِينَ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٣).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٣) ليست في (ر).

والمخذولُ: الَّذي لا ناصِرَ لَه، والخِذلانُ: تركُ العونِ. قالَ مُقاتِلٌ: نزلَتْ حِينَ دعُوا رسُولَ اللهِ ﷺ إلى ملَّةِ آبائِه(١).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾. [٤٧٢/ ب]

قرَأَ(٢) ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: أمَرَ ربُّكَ(٣).

ونقَل عنْهُ الضَّحَّاكُ أنَّه قالَ: إنَّما هيَ ووصَّى ربُّك فالْتصَقَتْ إحْدَى الوَاوَيْنِ بالصَّادِ(٤)، وكذلك قرَأَ أُبَيُّ بْنُ كعْبٍ، وأبو المتوكِّلِ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: ووصَّى(٥).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٧).

(٢) في (س)، و(م): روى.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٣)، من طريق علّي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علّي، عن ابن عبَّاس ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يقول: أمر. وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٤) من طريق هُشيم، عن أبي إسحاق الكوفي، عن الضَّحَّاك بن مزاحم أنه قرأها: (وَوَصَّى رَبُّكَ) وقال: إنَّهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافًا. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٠- ١٧١) إلى ابن جرير ولأبي عبيد وابن المنذر. وأبو إسحاق الكوفي هو عبد الله بن ميسرة، ضعيفٌ، وهشيم، وإن كان ثقة إلا أنَّه كثير التدليس، وقد عنعن هنا.

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني=

وهذَا علَى خِلافِ مَا انْعقَدَ عليْهِ الإجْمَاعُ(١)، فلَا يُلتفتُ إليْهِ.

وقَـرَأ أبـو عِمْـرانَ، وعاصِـمٌ الجحْـدَرِيُّ، ومُعـاذٌ القـارئُ: «وقضَـاءُ ربِّـك» بقـافٍ وضَـادٍ بالمـدِّ والهمْـزِ والرَّفْـعِ وخفْـضِ اسْـمِ الـربِّ(٢).

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: هـذَا القضَـاءُ ليْـس مِـن بـابِ الحتْـمِ والوجُـوبِ، ولكنَّـه مِـن بـابِ الأمْـرِ والفـرْضِ، وأصْـلُ القضَـاءِ في اللُّغَـةِ: قطْـعُ الـشَّيءِ بإحْـكامٍ وإتْقـانٍ، قـالَ الشَّـاعر يرثِـي عُمـرَ [مـن الطويـل]:

قَضَيْـتَ أُمُـورًا ثُـمَّ غَـادَرْتَ بَعْدَهَـا بَوائِـقَ فِي أَكْمَامِهَـا لَمْ تُفْتَّـقِ(٣)

أرادَ: قطعْتَها مُحكِمًا لهَا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ أي: وأمَـرَ بالوَالِدَيْـنِ إحْسـانًا، وهوالـبرُّ والإكْـرامُ، وقـد ذكرْنَـا هـذا في البقـرة [آيـة: ٨٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، [وعَاصِـمٌ](٤)، وابْـنُ عامِـرٍ: «يبْلُغَـنَّ» عـلَى التَّوْحيـدِ، وقـرَأ حمْـزَةُ، والكِسَـائيُّ،

=(ص: ٢٧٩)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥).

(١) في (ر): ما انعقد الإجماع عليه.

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩).

(٣) البيـت للشـماخ في ديوانـه (ص: ٤٤٩)، وحيـاة الحيـوان (٢/ ٤٨٨)، وتهذيـب اللغـة (١١/ ٢٢١)، وطبقـات فحـول الشـعراء (١/ ١٣٣)، وتأويـل مشـكل القـرآن (ص: ٣٤٣)، وزهـر الآداب (٢/ ٩٦٨)، والزاهـر في معـاني كلـمات النـاس (١/ ٤٨٦).

(٤) من (س)، و(م).

وخلَفٌ: «يَبْلُغَانِ» علَى التَّثْنِيَةِ[١].

قالَ الفرَّاءُ: جُعلت «يَبْلُغَنَّ» فعْلًا لأحدِهِمَا وكرَّت عليْهِما «كِلَاهُمَا». ومَن قرَأَ: «يَبْلُغَانِ» فإنَّه ثنَّى؛ لأنَّ الوَالِدَيْنِ قد ذُكِرا قبْل هذَا، فصَارَ الفعْلُ على عدَدِهِما، ثُمَّ قالَ: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ علَى الائتناف[٢]؛ كقوْلِه: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة: ٧١]، ثُمَّ استأنف فقَال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

قرَأ أبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «أفِّ» بالكسْرِ مِن غيْرِ تنْوِينٍ. وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ، ويعْقُوبُ، والمفَضَّلُ: «أُفَّ» بالفتْحِ مِن غيْرِ تنْوِينٍ. وقرَأ نافِعٌ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «أُفٍّ» بالكسْرِ والتَّنْوِينِ[٤].

وقرَأ أبو الجوْزَاءِ، وابْنُ يعْمُرَ: «أُفٌّ» بالرَّفْعِ والتَّنْوِينِ وتشْديدِ الفَاءِ. وقرَأ مُعاذٌ القَارِئُ، وعاصِمٌ الجحْدَرِيُّ، وحُميدُ بْنُ قيْسٍ: «أَفًّا»؛ مثْلُ: «تعسًا»[٥].

---

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٢) في (م): الاستئناف.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٠).

(٤) قراءات سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩)، وتفسير البغوي (٢/ ٦٧٦)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٦- ٣٠٧).

(٥) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ١٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٩).

وقرأ أبو عِمْرانَ الجُونيُّ، وأبو السَّمالِ العَدويُّ: «أُفُّ» بالرَّفْعِ مِن غيْرِ تنْوِينٍ معَ تشْديدِ الفاءِ، وهِيَ رِوايةُ الأصْمعيِّ عنْ أبي عمْرٍو. وقرَأ عِكرمَةُ، وأبو المتوكِّل، وأبو رجَاءٍ، وأبو الجَوزاءِ: «أُفْ» بإسْكانِ الفَاءِ وتخْفيفِها[١].

وقالَ الأخْفشُ: وهذا لأنَّ بعْضَ العرَبِ يقُول: أُفْ لكَ، علَى الحِكايةِ، والرَّفْعُ قبيحٌ؛ لأنَّه لم يجِئ بعْدَهُ لامٌ[٢].

وقرَأ أبو العاليةِ، وأبو حُصينٍ الأسْدِيُّ: «أُفِّي» بتشْدِيدِ الفاءِ وبياءِ [ممالة][٣]. وروَى ابنُ الأنْباريِّ أنَّ بعْضَهُم قرَأها: «إِفِّ» بكسْرِ الهمْزةِ[٤].

وقالَ الزَّجَّاجُ: فيهَا سبْعُ لُغاتٍ: الكسْرُ بِلا تنْوِينٍ، وبِتَنْوِينٍ، والضَّمُّ بلا تنْوِينٍ، وبِتنْوِينٍ، والفتْحُ بِلا تنْوِينٍ، وبِتنْوِينٍ، واللُّغةُ السَّابعَةُ لا تجُوز في القِراءة: «أُفِّي» بالياءِ، هكذَا قالَ الزَّجَّاجُ[٥].

وقالَ ابنُ الأنْباريِّ: في «أفٍّ» عشْرةُ أوْجهٍ: «أُفَّ لكَ»، بفتْحِ الفاءِ، [٤٧٣/أ] و«أُفِّ» بكسْرِهَا، و«أُفٍّ»، و«أُفًّا لكَ» بالنَّصبِ والتنْوينِ على مذْهبِ الدُّعاءِ؛ كما تقُول: ويلًا للكافرين، و«أُفٌّ لكَ» بالرَّفعِ والتَّنْوين، وهوَ رفْعٌ باللَّام؛ كقوْلِه تعَالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، و«أفهٍ لكَ» بالخفْضِ والتَّنْوينِ؛ تشْبيهًا بالأصْواتِ؛ كقوْلِك: صهٍ ومهٍ، و«أُفْهًا لَكَ»، علَى مذْهبِ الدُّعاءِ

---

(١) قراءات شاذة، انظر المصادر السابقة.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٢).

(٣) من (س).

(٤) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٤).

أيْضًـا، و«أُفِّي لَـكَ» عـلَى الإضافَـةِ إلى النَّفْـسِ، و«أُفْ لَـكَ» بسُـكونِ الفـاءِ؛ تشْبِيهًا بـالأدَواتِ؛ مثْـلُ: كَـمْ، وهَـلْ، وبَـلْ، و«إفْ لَـكَ» بكَسْرِ الألِـفِ[١].

قـال الشَّـيخ[٢]: وقـرأْتُ عـلَى شـيْخِنَا أبي منْصُـورٍ اللُّغـويِّ: قـالَ: وتقُولُ: «أُفِ مِنْـهُ»، و«أُفَ»، و«أُفُ»، و«أُفِ»، و«أُفًـا»، و«أُفٌ»، و«أُفِّي» مُضـافٌ، و«أُفهَـا»، وَ«أُفًـا» بالألِـفِ، ولا تقُـلْ: «أُفي» باليـاءِ فإنَّـه خطَـأٌ.

فأمَّا معْنَى «أُفٍّ» ففِيه خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه وسَخُ الظُّفرِ، قالَه الخَليلُ[٣].

والثَّاني: وسَخُ الأُذُنِ، قالَه الأصْمَعِيُّ[٤].

والثَّالث: قُلامةُ الظُّفرِ، قالَه ثعْلَبٌ[٥].

والرَّابـع: أنَّ الأُفَّ: الِاحْتِقـارُ والِاسْـتصغارُ، مِـن الأَفَـفِ، والأَفَـفُ عنْـد العـرَبِ: القِلَّـةُ، ذكـرَه ابْـنُ الأنْبـاريِّ أيْضًـا[٦].

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٨١).

(٢) في (ر): قال، وليست في (س)، و(م).

(٣) العين (٨/ ٤١٠).

(٤) ذكر ذلك عنه الأصمعي (١٥/ ٤٢٢).

(٥) ذكر ذلك عنه ابن فارس في مجمل اللغة (ص: ٨٠).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٨٠)، وانظر: الغريبين في القرآن والحديث (١/ ٨٢).

والخامِسُ: أنَّ الأُفَّ: ما رفعتَه مِنَ الأرْضِ مِن عُودٍ أوْ قصبَةٍ، حكاهُ ابْنُ فارسٍ اللُّغويُّ(١).

قالَ الشَّيخُ(٢): وقرأتُ علَى شيخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ(٣) قالَ: معْنى الأُفِّ: النَّتَنُ، والتَّضَجُّرُ، وأصْلُها: نفخُك الشَّيءَ يسْقُطُ عليْكَ مِن تُرابٍ ورمَادٍ، وللمكانِ تُريد إمَاطةَ الأذَى عنْهُ، فقِيلَتْ لِكُلِّ مُستثقَلٍ.

قالَ الشَّيخُ(٤): وأمَّا قوْلُهم: «تُفّ»، فقد جعَلَها قوْمٌ بمعْنَى «أُفٍّ»، فرُوي عنْ أَبِي عُبيدٍ أنَّه قالَ: أصْلُ الأُفِّ والتُّفِّ: الوسَخُ علَى الأصابِعِ إذَا فتَلْتَه(٥).

وحكَى ابْنُ الأنْباريِّ فرقًا، فقَالَ: قالَ اللُّغويُّون: أصْلُ الأُفِّ في اللُّغةِ: وسَخُ الأُذنِ، والتُّفُّ: وسَخُ الأظْفارِ، فاسْتعمَلَتْهُما العرَبُ فيما يُكره ويُستقذَرُ ويُضْجرُ منْهُ(٦).

وحكَى الزَّجَّاجُ فرْقًا آخرَ، فقَالَ: قدْ قيلَ: إنَّ «أُفّ»: وسَخُ الأظْفارِ، و«التُّفُّ»: الشَّيءُ الحقِيرُ؛ نحْوُ: وسَخُ الأُذُنِ، أوِ الشَّظيةُ تُؤخذُ مِن الأرْضِ، ومعْنَى «أُفّ»: النَّتْنُ(٧).

---

(١) مجمل اللغة (ص: ٨٠).

(٢) في (ر): قال، وليست في (س)، و(م).

(٣) ليست في (م).

(٤) في (س): قلت، وفي (م): قال المصنف.

(٥) ذكر ذلك عنه الثعلبي (١٦/ ٣١٢).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٨٠).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٤).

ومعْنَى الآيةِ: لا تقُلْ لهُما كلامًا تتبرَّمُ فيه بهما؛ إذا كَبِرا وأسنَّا، فينْبَغِي أنْ تتولَّى مِن خدمَتِهما؛ مِثلَ الَّذي تولَّيا مِنَ القِيامِ بشأنِكَ وخدمَتِكَ، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ أي: لا تُكلِّمهُما ضجرًا صائِحًا فِي وجُوهِهِما.

وقالَ عطاءُ بْنُ أبي رباحٍ: لا تنْفُضْ يدَكَ علَيْهِما[١]. يُقالُ: نَهَرْتُه أنْهرُه نَهْرًا، وانْتَهرْتُه انْتِهارًا، بمعنى واحد.

وقالَ ابْنُ فارسٍ: نهرْتُ الرَّجُلَ وانْتَهرْتُه؛ مثْلُ: زجَرْتُه[٢].

قالَ المفَسِّرونَ: وإنَّما نهَى عنْ أذاهُما في الكِبرِ، وإنْ كانَ منْهيًّا عنْه علَى كُلِّ حالَةٍ[٣]؛ لأنَّ حالةَ الكِبَرِ يظْهَرُ فيهَا منْهُما مَا يُضجِرُ ويُؤذِي، وتكْثُرُ خِدمَتُهُما.

قوْلُه تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾؛ أي: ليِّنًا لطِيفًا أحْسنَ مَا تجِدُ. وقالَ سعِيدُ بْنُ المسيِّبِ: قوْلُ العبْدِ المذْنِبِ للسَّيِّدِ الفظِّ[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٧) من طريق محمد بن عبيد، قال: ثنا واصل الرَّقاشيّ، عن عطاء بن أبي رَباح، في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ قال: لا تنفض يدك على والديك. يقال منه: نَهَرَه يَنهره نَهْرًا، وانتهره ينتهره انتهارًا. وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ١٧١) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) مجمل اللغة (ص: ٨٤٥).

(٣) في (ر): حال.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٨) من طريق حَرْملة بن عمران، عن أبي الهَدَّاج التُّجِيبي، قال: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن من برّ الوالدين، فقد عرفته، إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظّ. وعزاه السيوطي (٤/ ١٧١) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾؛ أي: أَلِنْ لهما [٤٧٣/ب] جانِبَكَ مُتذلِّلًا لهما مِن رحمتِكَ إيَّاهما. وخفضُ الجناح قد شرحْناه في الحجرِ [آية: ٨٨].

وقال عطاءٌ: جناحُكَ: يداكَ، فلا ترْفَعْها على والِديْكَ(١).

والجمهورُ يضُمُّونَ الذَّالَ مِن «الذُّلِّ». وقرَأَ أبو رَزينٍ، والحسَنُ، وسَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وعاصِمٌ الجحْدَرِيُّ، وابْنُ أبي عُبلَةَ: بكسْرِ الذَّالِ(٢).

قالَ الفرَّاءُ: الذُّلُّ: أنْ تتذَلَّلَ لهُما، مِنَ الذُّلِ، والذُّلُّ: أنْ تتذَلَّلَ ولسْتَ بذَليلٍ في الخِلْقةِ(٣)، والذُّلُّ والذِّلَّةُ: مصْدرُ الذَّليلِ، والذِّلُّ، بالكسْرِ: مصْدرُ الذَّلُولِ؛ مثْلُ الدَّابَّةِ والأرْضِ(٤).

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: مَن قرَأَ «الذِّل» بكسْرِ الذَّالِ، جعلَه بمعْنى الذُّلِّ، بضمِّ الذَّالِ، والَّذي عليه كُبراءُ أهْلِ اللُّغةِ أنَّ الذُّلَّ؛ مِنَ الرَّجُلِ الذَّليلِ، والذِّل مِنَ الدَّابَّةِ الذَّلُولِ.

قولُه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾؛ أي: مثْلَ رحْمتِهما إيَّاي في صِغَرِي حتَّى ربَّياني، وقد ذهَب قومٌ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ المطلَقَ نُسِخَ منه الدُّعاءُ لأهْلِ الشرْكِ بقوْلِه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٨)، والكامل (ص: ٥٨٧).

(٣) في (م): الخدمة.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٢).

﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾، وهذا المعنَى منقُولٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وعِكْرمَةَ، ومُقاتِلٍ[١].

ولَا أرَى هذا نسْخًا عنْدَ الفُقهاءِ؛ لأنَّه عامٌّ دخلَهُ التَّخْصِيصُ، وقد ذكَرَ قرِيبًا ممَّا قلْتُه ابْنُ جريرٍ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾؛ أي: بِما تُضْمِرُون مِنَ الْبرِّ والعُقوقِ، فمَنْ بدرَتْ منْهُ بادِرةٌ وهوَ لا يُضْمِرُ العُقوقَ؛ غفر له ذلِكَ، وهو قوْلُه تعَالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾؛ أي: طائِعِينَ للهِ، وقيل: بارِّينَ، وقِيل: توَّابِين، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ فِي الأَوَّابِ عشْرَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه المسْلِمُ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه التَّوَّابُ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، و الضَّحَّاكُ، وأَبو عُبيدةَ[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: هوَ التَّائبُ مرَّةً بعْدَ مرَّةٍ[٤]. وقالَ الزَّجَّاجُ: هوَ التَّوَّابُ المقلِعُ عنْ جمِيعِ ما نهَاهُ اللهُ عنْهُ، يُقال: قدْ آبَ يؤُوبُ أوْبًا؛ إذَا رجَعَ[٥].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٨).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٥).

والثَّالث: أنَّه المُسَبِّحُ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والرَّابع: أنَّه المطيعُ للهِ تعَالى، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والخامِس: أنَّه الَّذي يذْكُر ذنْبَه في الخلَاءِ، فيَسْتغْفِرُ اللهَ منْه، قالَه عُبيدُ بْنُ عُمَيْرٍ.

والسَّادس: أنَّه المقبِلُ إلى الله تعَالى بقلْبِه وعمَلِه، قالَه الحسَنُ.

والسَّابع: المصلِّي، قالَه قتادَةُ.

والثَّامن: هوَ الَّذي يُصلِّي بيْنَ المغْربِ والعِشاءِ، قالَه ابْنُ المنْكَدِرِ.

والتَّاسع: الَّذي يُصلِّي صلاةَ الضُّحَى، قالَه عوْنٌ العُقيليُّ.

والعَاشر: أنَّه الَّذي يُذْنِب سِرًّا ويتُوبُ سِرًّا، قالَه السُّدِّيُّ.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الإسراء: ٢٦ - ٢٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه قرَابةُ الرَّجُلِ مِن قِبَلِ أبيهِ وأُمِّهِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ؛ فعلَى هذَا فِي حقِّهِم ثلاثَةُ أقْوالٍ:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٢٢) من طريق عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ قال: المسبحين.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٢) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن علّي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ يقول: للمطيعين المحسنين.

أحدُها: أنَّ المرَاد بهِ: بِرُّهم وصِلتُهُم.

والثَّاني: النَّفقَةُ الوَاجِبةُ لهُم وقْتَ الحاجَةِ.

والثَّالث: الوصِيَّةُ لهُم عنْدَ الوفَاةِ.

والثَّاني: أنَّهُم قَرابةُ الرَّسُولِ، قالَه عليُّ بْنُ الحُسينِ عليهما السلام، والسُّدِّيُّ. فعَلى هذَا، يكونُ حقّهُم: إعْطاؤُهم مِن الخُمس، ويكونُ [٤٧٤/أ] الخِطَابُ للْولَاةِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: يجُوز أن يكونَ المرَادُ: الصَّدقَاتِ الواجِبةَ، يعْنِي: الزَّكاةَ، ويجُوزُ أن يكونَ الحَقّ الَّذي يلْزمُه إعْطاؤُه عنْد الضَّرورةِ إليْهِ.

وقيلَ: حقُّ المسْكِين: مِنَ الصَّدقَةِ، وابْنُ السَّبيلِ: مِنَ الضِّيَافةِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ فِي التَّبْذيرِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّه إنْفاقُ المالِ في غيْر حقٍّ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ.

وقالَ مُجاهِدٌ: لو أنْفقَ الرَّجُلُ مالَه كلَّه في حقٍّ، ما كانَ مُبذِّرًا، ولو أنْفَق مُدًّا في غيْرِ حقٍّ، كان مُبذِّرًا[١].

قالَ الزَّجّاجُ: التَّبْذِيرُ: النَّفقَةُ في غير طاعَةِ اللهِ، وكانَتِ الجاهليَّةُ تنْحَرُ الإبِلَ وتُبذِّرُ الأمْوالَ تطْلُب بذلِك الفخْرَ والسُّمعةَ، فأمَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالنَّفقَةِ فِي وجْهِها فيما يقربُ منْهُ[٢].

---

(١) ذكر ذلك عنه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٢٩) بلا إسناد، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٥).

والثَّاني: أنَّه الإسْرافُ المتْلِفُ للمَالِ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[١].

وقالَ أبو عُبيدةَ: المبذِّرُ: هوَ المسْرِفُ المفْسِدُ العائِثُ[٢].

قوْلُه تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾؛ لأنَّهم يُوافِقونَهم فيما يدْعُونَهم إليْهِ، ويُشاكِلُونَهم في معْصِيةِ اللهِ، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾؛ أي: جاحِدًا لِنعَمِهِ. وهذا يتضمَّنُ أنَّ المسْرِفَ كفُورٌ للنِّعَمِ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ **في المشَارِ إليْهِم أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّهُم الَّذينَ تقدَّمَ ذكْرُهُم مِنَ الأقَارِبِ والمسَاكِينِ وأبْنَاءِ السَّبِيل، قالَهُ الأكْثَرُون.

فعَلى هذَا في عِلَّةِ هذَا الإعْراضِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الإعْسَارُ، قالَه الجمْهُورُ.

والثَّاني: خوْفُ إنْفاقِهم ذلِك في معْصِيةِ اللهِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وعلَى هذَا في الرَّحمَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الرِّزقُ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّه الصَّلاحُ والتَّوْبةُ، هذَا علَى قوْلِ ابْنِ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّهمُ المشرِكُونَ، فالمعْنَى: فإمَّا تُعْرِضَنَّ عنْهُم لِتكْذِيبِهم، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٣٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٤).

فتَحْتَمِلُ إذًا الرَّحمَةُ وجْهَيْنِ:

أحدُهما: انْتِظارُ النَّصْرِ عليْهِم.

والثَّاني: الهِدايةُ لهُم.

والثَّالث: أنَّهُم ناسٌ مِن مُزينةَ جاؤوا يستحْمِلُونَ رسُولَ اللهِ ﷺ، فقَالَ: لا أجِدُ ما أحْمِلُكُم عليه، فبَكَوا، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه عطاءٌ الخُراسانيُّ.

والرَّابع: أنَّها نزَلَتْ في خَبَّابٍ، وبلَالٍ، وعمَّارٍ، ومهجعٍ[1]، ونحْوِهِم مِنَ الفُقَراءِ، كانُوا يسْأَلُون رسُولَ اللهِ ﷺ فلا يجِدُ ما يُعطِيهم، فيُعْرِضُ عنْهُم ويسْكُت، قالَه مُقاتِلٌ[2].

فعَلى هذا القوْلِ والَّذي قبْلَه تكونُ الرَّحْمَةُ بمعْنَى الرِّزقِ.

قوْلُه تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: ليِّنًا هيِّنًا، وهوَ مِنَ اليُسرِ[3].

وللمُفسِّرينَ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه العِدَةُ الحَسَنةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحَسَنُ، ومُجاهِدٌ.

---

(١) مِهجعُ بن صالح، مولى عمر بن الخطاب. ويقال إنّه من أهل اليمن أصابه سبيٌ فَمَنّ عليه عُمَر بْن الخطاب. وكان من المهاجرين الأولين. وقتل يوم بدْر بين الصفين. لا عقب له. انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٩)، والاستيعاب (٤/ ١٤٨٦) ترجمة (٢٥٧٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٥).

والثَّاني: أنَّه القوْلُ الجميلُ؛ مثْلُ أنْ يقُولَ: رزقَنَا اللهُ وإيَّاكَ، قالَه ابْنُ زيْدٍ؛ وهذَا علَى مَا تقدَّمَ مِن قوْلِه.

[٤٧٤/ب] والثَّالث: أنَّه المدَارَاةُ لهُم باللِّسانِ، على قوْلِ مَنْ قالَ: هُمُ المشْرِكُونَ، قالَه أبو سُليمانُ الدِّمشقيّ؛ وعلَى هذَا القوْلِ، تحْتَمِلُ الآيةُ النَّسْخَ.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩ - ٣١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾.

سببُ نُزولِهَا: أنَّ غُلامًا جاءَ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ، فقَالَ: إنَّ أُمِّي تسْأَلُكَ كذَا وكذَا، قالَ: مَا عندَنا اليوم شَيْءٌ، قالَ: فتقُول لكَ: اكْسُنِي قمِيصَك، قالَ: فخَلعَ قمِيصَهُ فدفَعَه إليْهِ، وجلَسَ في البيْتِ حاسِرًا، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ[1].

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٤) (٥٧٥) من طريق سليمان بن سفيان الجهني قال: حدثنا قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: جاء غلام إلى رسول الله - ﷺ - فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، فقال: "مَا عِنْدَنَا الْيَوْمَ شَيْءٌ"، قال: فتقول لك اكسني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسرا، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾... الآية. وإسناده ضعيف بسبب سليمان الجهني. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٠٩) ترجمة رقم: (٣٤٧٠)، وبسبب قيس بن الربيع، انظر: تقريب التهذيب (٢/ ١٢٨) ترجمة رقم: (١٣٩)، ومعناه غريب كذلك. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٧٦) إلى ابن جرير.

ورَوى جابِرُ بْنُ عبْدِ اللهِ نحْوَ هـذَا، فزَادَ فيـهِ، فـأذَّنَ بِـلالٌ للصَّـلاةِ[١]، وانْتَظَـرُوه فلـم يخْـرُجْ، فشُـغِل قلُـوبُ الصَّحابـةِ، فدخَـلَ عليْـهِ بعْضُهُـم، فـرَأَوْهُ عُريانًـا، فنزلَـتْ هـذه الآيَـةُ[٢].

والمعْنَـى: لَا تُمْسِـكْ يـدَكَ عـنِ البـذْلِ كُلَّ الإمْسـاكِ حتَّـى كأنَّهـا مقْبُوضـةٌ إلى عُنُقِـكَ.

---

(١) هـذا مـن أمـارات ضعـف هـذا الأثـر؛ لأنَّ السـورة مكيـة، ولم يكـن يـؤذن للصـلاة بمكـة، بـل بـدأ الأذان بالمدينـة كـما ذكـر الإمـام البخـاري رحمـه الله في "صحيحـه"، كتـاب الأذان، بـاب بـدء الأذان، وقولـه عـز وجـل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائـدة: ٥٨]، وقولـه عـز وجـل: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعـة: ٩]، وقـال الحافـظ ابـن حجـر: يشـير بذلـك إلى أن ابتـداء الأذان كان بالمدينـة؛ لأنَّ ابتـداء الجمعـة إنـما كان بالمدينـة، وحديـث ابـن عمـر رضي الله عنهـما في هـذا البـاب ظاهـر في أن الأذان إنـما شرع بعـد الهجـرة؛ لقولـه: كان المسـلمون حـين قدمـوا المدينـة يجتمعـون فيتحينـون الصـلاة، ليـس ينـادى لهـا، فتكلمـوا يومًـا في ذلـك... الحديـث (٦٠٤) عنـد البخـاري، وانظـر: فتـح البـاري لابـن حجـر (٢/ ٨٠)، وذكـره الإمـام مسـلم أيضًـا في الصحيـح، كتـاب الصـلاة، بـاب بـدء الأذان (٣٧٧).

(٢) ذكـره الواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٢٨٧) بـدون إسـناد، قـال جابـر بـن عبـد الله: بينـا رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم قاعـدًا فيـما بـين أصحابـه أتـاه صبـي فقـال: يـا رسـول الله إن أمـي تسْـتَكْسِـيكَ درعًـا ولم يكـن عنـد رسـول الله - ﷺ - إلا قميصـه، فقـال للصبـي: "مـن سـاعة إلى سـاعة يظهـر كـذا، فعـد إلينـا وقتـا آخـر"، فعـاد إلى أمـه، فقالـت قـل لـه: "امـي تستكسـيك القميـص الـذي عليـك، فدخـل رسـول الله - ﷺ - داره ونـزع قميصـه وأعطـاه، وقعـد عريانـا، فـأذن بـلال للصـلاة فانتظـروه فلـم يخـرج، فشـغل قلـوب الصحابـة، فدخـل عليـه بعضهـم فـرآه عريانًـا، فأنـزل الله تبـارك وتعـالى هـذه الآيـة. قـال ابـن حجـر في الـكافي الشـاف (٩٩): لم أجـده.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾: في الإِعْطاءِ والنَّفقةِ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ تلومُ نفسُكَ ويلومُكَ النَّاسُ.

﴿مَّحْسُورًا﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: تَحسِرُكَ العطيَّةُ وتَقطعُكَ كما يَحسِرُ السَّفرُ البَعيرَ فيبقَى مُنْقطعًا به[1].

قالَ الزَّجَّاجُ: المحْسُورُ: الَّذي قدْ بلَغَ الغَايةَ في التَّعَبِ والإِعْيَاءِ. فالمعْنَى: فتقْعُدُ وقدْ بلغتَ فِي الحِملِ علَى نفسِك وحالِكَ حتَّى صرْتَ بمنْزِلةِ مَن قد حُسِر[2].

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: وهذا الخِطَابُ أُريد بهِ غيْرُ رسُولِ الله ﷺ؛ لأنَّه لم يكُنْ يدَّخرُ شيئًا لِغدٍ، وكان يجُوع حتَّى يشدَّ الحجرَ علَى بطْنِه، وقد كانَ كثيرٌ مِن فُضلاء الصَّحابةِ يُنفِقونَ جميعَ ما يمْلِكُونَ، فلَمْ ينْهَهُمُ اللهُ تعالى، لِصحَّةِ يقينِهم، وإنَّما نهَى مَن خِيفَ عليْهِ التَّحسُّرِ علَى ما خرَجَ مِن يدِه، فأمَّا مَن وثِقَ بوعْدِ اللهِ تعالى، فهو غيْرُ مُرادٍ بالآيةِ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يوسِّعُ علَى مَن يشَاءُ ويُضيِّق، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ حيثُ أجْرَى أرْزَاقَهُم علَى ما علِمَ فيهِ صلَاحَهُم.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٦).

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ قد فسَّرْناه في الأنعام [آية: ١٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ قرَأَ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «خِطْئًا» مكسُورةُ الخاءِ ساكِنَةُ الطَّاءِ مهْمُوزةٌ مقْصُورةٌ.

وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وعطَاءٌ: «خِطَاءً» مكْسُورةُ الخَاءِ ممْدُودةٌ مهْمُوزةٌ. وقرَأ ابْنُ عامِرٍ: «خَطَأً» بنصْب الخَاءِ والطَّاءِ وبالهمْزِ مِن غيْرِ مَدٍّ، وقرَأ أبو رَزِينٍ كذلِكَ، إلَّا أنَّه مدَّ[(١)].

وقرَأ الحسَنُ: وقتادَةُ: «خَطْئًا» بفتْحِ الخاءِ وسُكونِ الطَّاءِ مهْموزٌ مقْصورٌ. وقرَأ الزُّهْريُّ، وحُميدُ بْنُ قيْسٍ[(٢)]: «خِطًى» بكسْرِ الخاءِ وتنْوِينِ الطَّاءِ مِن غيْرِ همْزٍ ولا مَدٍّ[(٣)].

قالَ الفرَّاء: «الخِطْءُ»: الإثْمُ، وقد يكونُ في معْنَى خَطَأٍ؛ كما قالُوا: قِتْبٌ وقَتَبٌ، وحِذْرٌ وحَذَرٌ، ونِجْسٌ ونَجَسٌ[(٤)]. والخِطْءُ، والخِطَاءُ، والخَطَاءُ، ممدودٌ؛ لُغاتٌ. وقالَ أبو عُبيده: خَطِئتُ وأخْطأْتُ، لُغتانِ[(٥)].

(١) قراءات سبعية، وعشرية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩ - ١٤٠)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٧).

(٢) هو حميد بن قيس، أبو صفوان الأعرج، المكي، المقرئ، روى عن مجاهد وعكرمة وطائفة، وروى عنه: مالك، والسفيانان، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر: طبقات القراء (١/ ٢٦٥)، وتقريب التهذيب (١/ ٢٠٣)، والخلاصة (١/ ٢٦٠).

(٣) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ١٩)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٢٣)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٧٦).

وقـالَ أبـو عـليٍّ: قِـراءة ابْـنِ كثِـيرٍ: «خِطـاءً»، يجُـوز أن تكـونَ مصْـدرَ خاطَـأَ وإنْ لم يُسـمعْ خاطَـأَ، ولكـن قـد جـاءَ مَـا يـدُلُّ عليْـه[١]، أنْشـدَ أبـو عُبيدةَ[٢][قولـه][٣] [مـن المتقـارب]: [٤٧٥/أ]

تَخَاطَـأَتِ النَّبْـلُ أَحْشَـاءَهُ ....[٤]

وقـالَ الأخْفَـشُ: خَطِـئَ يخْطَـأُ بمعْنَـى: أَذْنَـب، وليْـس بمعْنَـى: أخْطَـأَ؛ لأنَّ أخْطَـأَ: فيـمَا لم يصنعْـهُ عمْـدًا[٥]، تقُـول فيـما أتَيْتُـه عمْـدًا: خَطِئْـتُ، وفيـمَا لم تتعمـدْهُ[٦]: أخْطَـأْتُ[٧].

وقـالَ ابْـنُ الأنبـاري: الخِـطْءُ: الإثْـمُ، يُقـال: قـد خَطِـئَ يَخْطَـأُ: إذا أثِـمَ، وأخْطَـأَ يُخطِـئُ: إذا فـارَق الصَّـوابَ. وقـد شرحْنَـا هـذا في سُـورة[٨] يُوسـفَ عنـد قوْلِـه: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [آيـة: ٩١].

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٩٦- ٩٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٥).

(٣) من (ر).

(٤) صدر بيت لأَوْفى بن مَطَر المازني، كما في سمط اللآلي في مجاز القرآن (٢/ ٥)، وشرح أمالي القالي (١/ ٤٦٥)، وشرح أبيات المغني (٧/ ٤١)، وبلا نسبة في الديباج لأبي عبيدة (ص: ٥)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٩٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٩٤)، وعجزه:

.... *** وَوَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ أَعْجَلِ

(٥) في (ر): عدًا.

(٦) في (ر): يتعمده.

(٧) معاني القرآن (٢/ ٤٢٢).

(٨) ليست في (س).

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢ - ٣٣].

قَوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو الجوْزاءِ، والحَسَنُ: بالمدِّ[١].

قالَ أبو عُبيدةَ: وقد يُمدُّ الزِّنا في كلامِ أهْلِ نجْدٍ[٢]، قالَ الفرزْدَقُ [من الطويل]:

أَبَا حَاضِرٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِنَاؤُهُ   وَمَنْ يَشْرَبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرَا[٣]

وقالَ أيْضًا [من الكامل]:

أَخْضَبْتَ فِعْلَكَ لِلزِّنَاءِ وَلَمْ يَكُنْ[٤]   يَوْمَ اللِّقَاءِ لِتَخْضِبَ الْأَبْطَالَا[٥]

وقالَ آخرُ [من الكامل]:

. . . . كَمَا   كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ[٦]

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٧).

(٣) البيت له في مجاز القرآن (١/ ٣٧٧)، والصحاح (٢/ ٦٨٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٦)، والمخصص (٥/ ١٥) بلفظ: (أبا خالد).

(٤) في (س)، و(م): تكن.

(٥) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٧٧).

(٦) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (ص: ٣٥)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١٥٤)، وسط اللآلي (١/ ٣٦٨)، ولسان العرب (٣/ ١٨٧٥) (زني)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛=

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ قد ذكرْناه في الأنعام [آية: ١٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: الأجْـودُ إدْغَـامُ الـدَّالِ معَ الجِيـمِ، والإظْهَـارُ جيِّدٌ بالِـغٌ، إلَّا أنَّ الجِيـمَ مِـن وسَـطِ اللِّسـانِ، والدَّالَ مِـنْ طـرفِ اللِّسـانِ، والإدْغامُ جائِـزٌ؛ لأنَّ حُـروفَ وسَـطِ اللِّسـانِ تقـربُ مِـن حُـروف طـرفِ اللِّسـان. ووليّـه: الـذي بيْنَه وبيْنَـه قَرابـةٌ تُوجِـبُ المطالبـةَ بدَمِـه، فـإنْ لم يكُـن لـه[1] وليٌّ، فالسُّـلطانُ وليُّه[2].

وللمفَسِّرينَ في السُّلطانِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الحُجَّة، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: أنَّـه الـوَالي، والمعْنَـى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ ينْـصُرُه وينْصِفُـه في حقِّـه، قالَـه ابْـنُ زيْـدٍ.

(وفي قوْلِـه)[3]: ﴿فَلَا يُسْـرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثـير، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وعاصِـمٌ: «فَـلَا يُـسْرِفْ» باليَـاءِ. وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ، والكِسـائِيُّ: بالتَّـاء[4].

=للفـراء مجاز القـرآن (١/ ٣٧٨)، تأويـل مشـكل القـرآن (ص: ١٢٦)، وتفسـير الطـبري (٣/ ٣١٢)، وصـدره:

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا نَقُولُ كَمَا *** ....

(١) ليست في (س).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٧).

(٣) في (س): قوله، وفي (م): قوله تعالى.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٥).

وفي المشارِ إليْهِ بالآيَةِ(١) قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه وليُّ المقْتُولِ.

وفي المرَادِ بإسْرَافِهِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنْ يقْتُلَ غيْرَ القاتِلِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ.

والثَّاني: أنْ يقْتُلَ اثْنَيْنِ بواحِدٍ، قالَه سعِيدُ بْنُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: أنْ يقْتُلَ أشْرَفَ مِنَ الَّذِي قُتِلَ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والرَّابع: أنْ يُمثِّلَ قالَه قتادَةُ.

والخامِس: أنْ يتولَّى هوَ قتْلَ القاتِلِ دُونَ السُّلطَانِ، ذكَرَه الزَّجَّاجُ(٢).

والثَّاني: أنَّ الإشارةَ إلى القاتِلِ الأوَّلِ. والمعْنَى: فلا يُسرِفِ القاتِلُ بالقتْلِ تعَدِّيًا وظُلمًا، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾؛ أي: مُعانًا عليْهِ.

وفي هاءِ الكنَايةِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى الوليِّ، فالمعْنَى: أنَّه كانَ منْصُورًا بتمْكِينِه مِن القوَدِ، قالَه قتادَةُ والجمْهُور.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى المقْتُولِ، فالمعْنَى: أنَّه كانَ منْصُورًا بقتْلِ قاتِلِه، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) في (م): في الآية.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٧).

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلى الدَّم، فالمعْنَى: أنَّ دمَ المقتُولِ كانَ منْصُورًا؛ أي: مطْلُوبًا بهِ.

والرَّابع: أنَّها ترجِعُ إلى القتْلِ، ذكرَ القوْلَيْنِ الفرَّاءُ[1].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤ – ٣٦].

[٤٧٥/ ب] **قوْلُه تعالى:** ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ قد شرحْناهُ في الأنْعام [آية: ١٥٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ﴾ وهوَ عامٌّ فيما بيْنَ العبْدِ وبيْنَ ربِّه، وفيما بيْنَه وبيْنَ النَّاسِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: كُل ما أمرَ اللهُ بهِ ونَهى عنْه فهوَ مِنَ العهْدِ[2].

قوْلُه تعالى: ﴿ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: مسْؤولًا عنْهُ[3].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾؛ أي: أتمُّوه ولا تبْخَسُوا منْهُ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٨)، وعبارته في النسخة المطبوعة: والعَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللهُ عَلَيْه، وكل ما بينَ العِبَادِ من المواثيق فهِيَ عُهُود.

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٦).

فيهِ خمسُ لُغاتٍ:

أحدُها: قُسطَاسٌ بضَمِّ القافِ وسِينَيْنِ، وهذِه قِراءةُ ابْنِ كثِيرٍ، ونافِعٍ، وأبي عمْرٍو، وابْنِ عامِرٍ، وأبي بكْرٍ عنْ عاصِمٍ هاهُنا، وفي الشُّعراء [آية: ١٨٢].

والثَّانية: كذلِك، إلَّا أنَّ القافَ مكْسُورةٌ، وهذِه قِراءةُ حمْزةَ، والكِسائِيِّ، وحفْصٍ عنْ عاصِمٍ(١). قالَ الفرَّاء: هُما لُغتانِ(٢).

والثَّالثة: قُصْطَاصٌ، بصَادَيْنِ(٣).

والرَّابعة: قُصْطَاسٌ، بصادٍ قبْلَ الطَّاءِ وسِينٍ بعْدَها، وهاتَانِ مرْوِيَّتانِ عنْ حمْزَةَ(٤).

والخامِسة: قُسْطَان، بالنُّونِ.

قالَ الشَّيخُ(٥): قرأْتُ علَى شيخِنَا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ عنِ ابْنِ دُريدٍ قالَ: القُسْطَاسُ: الميزانُ، رُومِيٌّ معرَّبٌ، ويُقال: قُسْطَاسٌ، و قِسْطَاسٌ(٦).

---

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٠).

(٢) لغات القرآن (ص: ٨٠).

(٣) رواية (قصطاص) هي رواية عبيد الله بن موسى العبسي، عن حمزة، كما في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٤) رواية (قصطاس) هي رواية الأعشى عن شعبة، كما في جامع البيان؛ للداني (٣/ ١٠٢٤)، وزاد الأشموني عنه، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٠٧)، وزاد أنَّها رواية قنبل، وعزاها مكي في الهداية (٦/ ٤١٩٩) للأعمش عن أبي بكر.

(٥) قوله: (قال الشيخ) ليس في (ر)، و(س)، و(م).

(٦) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٩٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: ذلِك الوفَاءُ خيرٌ عنْدَ اللهِ وأقْرَبُ إليْهِ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ أي: عَاقِبةً في الجزَاءِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: أصْلُ «تَقْفُ» مِن القِيَافَةِ؛ وهيَ تتبُّعُ الأثَرِ، وفيهِ لُغتانِ: قَفَا يَقْفُو، وقَافَ يَقُوفُ، وأكْثَرُ القُرَّاءِ يجْعَلُونَها مِن قفَوْتُ، فيُحرِّكُ الفاءَ إلى الواوِ ويجْزِمُ القافَ؛ كمَا تقُول: لَا تَدْعُ[1].

وقرَأ مُعاذٌ القَارِئُ: «لَا تَقُفْ»[2]؛ مِثْلُ: تَقُلْ؛ والعرَب تقُولُ: قُفْتُ أثَرَه، وقفَوْتُ، ومثْلُه: عَاثَ وعَثَى، وقاعَ الجمَلُ النَّاقةَ وقَعَا؛ إذَا رَكِبهَا[3].

قالَ الزَّجَّاجُ: مَن قرَأ بإسْكانِ الفاءِ وضَمِّ القافِ؛ مِن قافَ يقُوفُ، فكأنَّه مقْلُوبٌ مِن قفَا يقْفُو، والمعْنَى واحدٌ؛ تقُول: قفَوْتُ الشَّيءَ أقْفُوه قفْوًا؛ إذا تبعْتُ أثَرَهُ[4].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: «لا تقْفُ»؛ أي: لَا تُتْبِعْه الظُّنُونَ والحدْسَ، وهوَ مِنَ القفَاءِ مأخُوذٌ، كأنَّك تقْفُو الأُمُورَ؛ أي: تكونُ في أقْفائِهَا وأواخِرِهَا تتعقَّبهَا. **والقائِفُ**: الَّذي يعْرِف الآثَارَ ويتبعُهَا، فكأنَّه مقْلُوبٌ عنِ القَافِي[5].

---

(١) لغات القرآن (ص: ٨٢)، ومعاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٢) قراءة شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٨٠) إلى الكلبي، وانظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للفراء .

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٥).

وللمُفسِّرينَ في المَرادِ بِهِ أَرْبعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: لا تَرْمِ أحَدًا بما ليْس لكَ بهِ عِلْمٌ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: لا تقُلْ رأيْتُ ولمْ تَرَ ولَا سمِعْتُ ولم تَسْمَعْ، رَواه عُثْمانُ بْنُ عطاءٍ، عنْ أبيهِ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قتادةُ(٢).

والثَّالث: لا تُشْرِكْ باللهِ شيْئًا، رَواه عطاءٌ أيْضًا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: لا تشْهَدْ بالزُّورِ، قالَه مُحَمَّدُ بْنُ الحنَفِيَّةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما قالَ: ﴿كُلُّ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿كَانَ﴾؛ لأنَّ كلًّا في لفْظِ الواحِدِ، وإنَّما قالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لغيْرِ النَّاسِ؛ لأنَّ كلَّ جمْعٍ أشَرْتَ إليْهِ مِن النَّاسِ وغيْرِهم مِنَ المَواتِ، تُشير إليْهِ بلفْظِ: «أُولئك»(٣)، قالَ جَريرٌ [من الكامل]:

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ(٤)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٧) من طريق العوفي عن ابن عبَّاس قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يقول: لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٧) من طريق معمر، عن قتادة ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قال: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٩).

(٤) البيت في ديوانه (ص: ٤٥٢)، وفيه: (الأقوام) بدل: (الأيام)، وورد بهذه الرواية في معاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٦١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠)، و«تفسير الماوردي» (٣/ ٢٤٤)، و«ابن الجوزي» ٥/ ٣٥، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٩)، والثعلبي (١٦/ ٣٣٨)، وتفسير ابن عطية (٦/ ٢٠٦)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٨٠)، والعقد الفريد (١/ ٣٣٩)، واللِّوى: اسم وادٍ من أودية بني سُلَيْم.

[٤٧٦/أ] قَالَ المفَسِّرونَ: الإِشَارَةُ إلى الجوَارحِ المذْكُورةِ، يُسْأَلُ العَبْدُ يوْمَ القِيامةِ فيمَا إذَا استعملَها، وفي هذا زجرٌ عنِ النَّظرِ إلى مَا لا يَحِلُّ، والاِسْتِمَاعُ إلى مَا يحْرُم، والعَزْمُ علَى مَا لَا يجُوزُ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وقرَأَ الضَّحَّاكُ، وابْنُ يعْمُرَ: «مَرِحًا»(١) بكسْرِ الرَّاءِ(٢).

قالَ الأخْفَشُ: والكسْرُ أجودُ؛ لأنَّ «مَرِحًا» اسْمُ الفاعِلِ(٣).

قَالَ الزَّجَّاجُ: وكِلاهُما فِي الجودَةِ سَواءٌ، غيْرَ أنَّ المصْدَرَ أوْكدُ فِي الاِسْتعمَالِ؛ (تقُول: جاءَ زيْدٌ ركْضًا، وجاءَ زيْدٌ رَاكِضًا، فرَكْضًا أوْكدُ فِي الاِسْتعمَالِ)(٤)؛ لأنَّه يدلُّ علَى توْكيدِ الفعْلِ. **وتأويلُ الآيَةِ**: لا تمْشِ فِي الأرْضِ مختَالًا فخُورًا(٥). **والمرحُ**: الأشَرُ والبطَرُ.

وقالَ ابْنُ فارسٍ: المَرحُ شِدَّةُ الفَرحِ(٦).

---

(١) ليست في (س).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٤).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (س).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠).

(٦) مجمل اللغة (ص: ٨٢٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لنْ تقطعَهَا إلى آخرِهَا.

والثَّاني: لن تنفُذَها وتنقُبَهَا.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لن تخْرِقَ الأرْضَ بكبْرِكَ، ولنْ تبْلُغَ الجبالَ طوْلًا بعظمَتِكَ[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والمعْنَى: أنَّهُ[٢] لَا ينْبَغِي للعَاجِزِ[٣] أن يبْذَخَ ويسْتكبِرَ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «سَـيِّئَةً» منوَّنـًا غـيْرَ مُضـافٍ، عـلَى معْنَـى: كانَ خطِيئـةً؛ فعَـلى هـذا يكـونُ قوْلُـه: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشـارةً إلى المنْهـي عنْـهُ مِـنَ المذْكُـورِ فقـط.

وقـرَأ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسَـائيُّ: «سَـيِّئُهُ» مُضافًـا مذكَّـرًا مرْفوعًـا[٥]، فتكـونُ لفْظَـةُ ﴿كُلُّ﴾ يُشـار بهـا إلى جميـعِ[٦] مـا تقـدَّمَ ذكْـرُه[٧]. وكان أبـو عمْـرٍو لَا يـرَى هـذِه القِـراءةَ.

---

(١) ذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ١٠٨)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ٣٣٥)، وأخرجـه الطـبري (١٧/ ٤٥٠) مـن طريـق معمـر، عـن قتـادة ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ قال: لا تمش في الأرض فخـرًا وكـبرًا، فـإن ذلـك لا يبلـغ بـك الجبال، ولا تخـرق الأرض بكـبرك وفخرك.

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ر)، والمطبوع من غريب القرآن: للفاجر.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٥).

(٥) ليست في (م).

(٦) في (م): سائر.

(٧) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة (ص: ٣٨٠)، والإتحاف (ص: ٣٥٧).

قَالَ الزَّجَّاجُ: وهذَا غلَطٌ مِن أبي عمْرٍو؛ لأنَّ في هذهِ الأقَاصِيصِ سيِّئًا، وحَسنًا وذلِك أنَّ فيهَا الأمْرَ بِبرِّ الوَالِدينِ، وإيتَاءِ ذِي القُرْبى، والوفَاءِ بالعْهد، ونحْوِ ذلِك، فهذِه القِراءةُ أحْسنُ مِن قِراءةِ مَنْ نصَب السَّيِّئة[١]. وكذلك قَالَ أبو عُبيدةَ[٢]: تدبَّرتُ الآيَاتِ مِن قوْله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ فوجدْتُ فيهَا أُمورًا حسَنةً[٣].

وقَالَ أبو عليٍّ: مَن قرأَ «سَيِّئَةً» رَأى أنَّ الكلامَ انْقطَعَ عنْدَ قوْلِه: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأنَّ قوْلَه: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا حُسْنَ فيه[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يُشير إلى ما تقَدَّم مِنَ الفَرائِضِ والسُّنَنِ، ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: مِنَ الأُمورِ المحْكَمةِ والأدَبِ الجامِعِ لِكُلِّ خيْرٍ. وقد سبَقَ معْنَى المدْحُورِ.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء: ٤٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: نزلَتْ فِي مُشركي العرَبِ الَّذين قالوا: الملائِكةُ بنَاتُ الرَّحمنِ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠).

(٢) في الأصل، و(س): عبيد، والمثبت من (ر)، و(م).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨٠).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٠٢).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣١).

وقَالَ أبو عُبيدةَ: ومعْنى ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾: اخْتصَّكُم[١]. وقَالَ المفضَّلُ: أخْلصكُم[٢].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: أخْتار لكُم صفْوةَ الشَّيءِ[٣]. وهذَا توْبِيخٌ للكُفَّارِ، والمعْنَى: أَخْتار لكُم البَنِينَ دُونَه، وجعَل البنَاتِ مُشْتركةً بيْنكُم وبيْنَه، فاخْتَصَّكُم بالأعْلَى وجعَلَ لنَفْسِه الأدْون؟.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ معْنَى التَّصْريفِ هاهُنا: التَّبيِينُ، وذلِك أنَّه إنَّما يُصرِّفُ القوْلَ ليُبيِّنَ. [٤٧٦/ ب]

وقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: «صَرَّفْنَا» بمعْنَى: وَجَّهْنَا، وهوَ مِن قوْلِك: صَرَفْتُ إليْكَ كذَا؛ أي: عَدَلْتُ بهِ إليْكَ[٤]، وشُدِّدَ للتَّكْثِير؛ كمَا تقُول: فُتِّحتِ الأبْوَابُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «لِيذَّكَّرُوا» مُشدَّدًا[٥]. وقرَأَ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ: «لِيذْكُرُوا» مُخفَّفةً[٦]، وكذلِك قرَؤُوا في الفُرقَان [آية: ٥٠].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٠).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٣٩)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٠٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤١).

(٤) في (م): إليك كذا.

(٥) في (م): مشدد.

(٦) في (س): مخففًا، والقراءتان سبعيَّتان، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، والتيسير؛ للدَّاني (ص: ١٤٠).

والتَّذكُّـر: الاتِّعـاظُ والتَّدبُّـر. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تصْرِيفُنـا وتذْكِيرُنـا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاس: ينفِـرُون مِـنَ الحـقِّ ويتَّبِعُـون الباطِـلَ[١].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ قـرَأَ نافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: «تَقُولُـونَ» بالتَّـاءِ. وقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «يَقُولُـونَ» باليَـاءِ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهُمـا: لَابْتَغـوا سَـبِيلًا إلى مُمانعَتِـه وإزَالَـةِ مُلْكِـه، قالَـه الحَسَـنُ، وسَـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ.

والثَّاني: لَابْتَغوا سَبِيلًا إلى رِضاهُ؛ لأنَّهُم دُونه، قالَه قتَادةُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ، وأبـو بكْـرٍ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «يَقُولُـونَ» باليَـاءِ. وقـرَأ حمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ: بالتَّـاءِ[٣].

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٤٢)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٠٨).

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، والتيسير؛ للدَّاني (ص: ١٤٠).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر المصدر السابق.

قوْلُه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ﴾ قرَأ أبُو عمْرٍو، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ، وحفْصٌ عن عاصِمٍ: «تُسبِّحُ» بالتَّاء. وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «يُسبِّحُ» بالياءِ[(١)].

قالَ الفرَّاءُ: وإنَّما حسُنَتِ الياءُ هاهُنا؛ لأنَّه عدَدٌ قلِيلٌ، وإذَا قلَّ العدَدُ مِنَ المؤنَّثِ والمذكَّرِ؛ كانَتِ الياءُ فيهِ أحْسَن مِنَ التَّاءِ، قالَ عزَّ وجلَّ فِي المؤنَّثِ القَليلِ: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقالَ في المذكَّرِ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾[(٢)] [التوبة: ٥].

قالَ العُلماء: والمرَادُ بِهذا التَّسْبيحِ: الدّلالَةُ على أنَّه الخالِقُ القادِرُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ «إنْ» بمعْنَى: «مَا».

وهلَ هذَا علَى إطْلاقِهِ، أمْ لا؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه علَى إطْلاقِهِ، فكُلُّ شيْءٍ يُسبِّحُه حتَّى الثَّوْبُ والطَّعامُ وصَريرُ البابِ، قالَه إبْراهِيم النَّخعيُّ.

والثَّاني: أنَّه عَامٌّ يُراد بِهِ الخاصُّ.

ثُم فيهِ ثَلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه كُلُّ شيءٍ فيهِ الرُّوح، قالَه الحسَنُ وقتَادةُ والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: أنَّه كُلُّ ذي رُوحٍ، وكُلُّ نامٍ مِن شجَرٍ أو نباتٍ.

---

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، وتفسير البغوي (٢/ ٦٨٤)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٧).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٤).

قالَ عكرِمةُ: الشَّجرَةُ تُسبّحُ، والأُسْطُوانةُ لَا(١) تُسبّحُ(٢).

وجلَس الحسَنُ علَى طعَامٍ فقَدَّمُوا الخِوَانَ، فقِيلَ لَه: أَيُسبّحُ هذَا الخِوَانُ؟، فقَالَ: قدْ كانَ يُسبّحُ مرَّةً(٣).

والثَّالث: أنَّه كُلُّ شيْءٍ لم يُغيَّرْ عنْ حالِه، فإذَا تغيَّرَ انْقطَع تسْبِيحُه.

رَوى خالِدُ بْنُ مَعْدانَ عنِ المقْدَامِ بْنِ معدْي كَرِب قالَ: إنَّ التُّرَابَ يُسبّحُ(٤) مَا لمْ يَبْتَلَّ، فإذَا ابْتَلَّ ترَكَ التَّسْبِيحَ، وإنَّ الورَقَةَ لَتُسبّحُ(٥) مَا دامَتْ علَى الشَّجرَةِ، فإذَا سقَطَتْ ترَكَتِ التَّسْبِيحَ، وإنَّ الثَّوْبَ لَيُسبّح مَا دَام جَديدًا، فإذَا توَسَّخ ترَكَ التَّسْبِيحَ(٦).

---

(١) كذا في الأصل الخطية، وفي المصادر بدون (لا).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٥٥)، من طريق يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ قال: الشجرة تسبح، والأسطوانة تسبح. وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في الهواتف (ص: ١٢١)، رقم (١٤٥) من طريق يحيى بن واضح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩١) إلى أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الهواتف (ص: ١٢١) رقم (١٤٣) من طريق أبي تميلة، عن جرير أبي الخطاب العدوي، قال: كنت مع الحسن على خوان فقال له يزيد الرقاشي: يسبح هذا الخوان؟ قال: «قد كان يسبح مرة». وأخرجه الطبري أيضًا في تفسيره (١٧/ ٤٥٦) من طريق يحيى بن واضح وزيد بن حباب، قالا ثنا جرير أبو الخطاب، قال: كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام، فقدّموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان: فقال: «كان يسبح مرّة».

(٤) في (م): ليسبح.

(٥) في (م): تسبح.

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٤٧) (١٧٠٥) من طريق أبي إسحاق إبراهيم=

فأمَّا تسْبِيح الحيوَانِ النَّاطقِ فمعْلُومٌ، وتسْبِيحُ الحيَوانِ غيْرِ النَّاطقِ فجَائِزٌ[١] أن يكُونَ بصوْتِه، وجائِزٌ أن يكُونَ بدلَالتِهِ على صانِعِه. [٤٧٧/أ]

وفِي تسْبِيحِ الجمَاداتِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه تسْبِيحٌ لَا يعْلمُه إلَّا اللهُ.

والثَّاني: أنَّه خُضوعُه وخُشوعُه للهِ.

والثَّالث: أنَّه دِلالتُه على صَانعِه، فيُوجب ذلِك تسْبِيح مُبْصِرِه.

فإنْ قُلْنا: إنَّه تسْبيحٌ حقِيقةً، كانَ قوْلُه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لجمِيعِ الخلْقِ.

وإنْ قُلْنَا: إنَّه دِلالتُه علَى صانِعِهِ، كانَ الخِطابُ للكفَّار؛ لأنَّهم لا يسْتَدِلُّون، ولَا يعْتَبِرُون. وقد شرحْنَا معْنَى الحليم و الغفور في [سورة][٢] البقرة [آية: ٢٢٥].

=بن أحمد الخزاعي، قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: إن التراب ليسبح ما لم يبتل، فإذا ابتلّ ترك التسبيح، وإن الخرزة لتسبح ما لم ترفع عن موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الماء ليسبح ما دام جاريًا، فإذا ركد ترك التسبيح، وإن الوحش إذا صاحت سبحت، وإذا سكتت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديدًا، فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الثوب الخلق لينادي في أول النهار: اللهم اغفر لمن نقاني. والإسناد فيه الخزاعي يخطئ ويخالف، وفيه أيضًا بقية كثير التدليس. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٩٦) بلفظ قريب من لفظ الثعلبي، بتقديم وتأخير فيه.

(١) في الأصل، و(ر)، و(س): جائز، والمثبت من (م).

(٢) من (م).

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا
﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟
عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً
أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ
يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٥٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الحِجابَ: هوَ الأكِنَّةُ على قُلوبِهم، قالَه قتَادَةُ.

والثَّاني: أنَّه حِجابٌ يسْتُره فلا ترَونَهُ.

وقِيلَ: إنَّها نزَلَت في قوْمٍ كانُوا يُؤذونَ رسُولَ اللهِ ﷺ إذا قرَأَ القُرآنَ.

قالَ الكلْبِيُّ: وهُم أبو سُفيانَ، والنَّضْرُ بْنُ الحارِثِ، وأبو جهْلٍ، وأمُّ جَميلٍ امْرأةُ أبي لهَبٍ، فحَجبَ اللهُ رسُولَه عنْ أبْصارِهم عنْدَ قِراءةِ القُرآن، فكانُوا يأْتُونَه ويمُرُّونَ بهِ، فلَا يروْنَه(١).

والثَّالث: أنَّه منْعُ اللهِ عزَّ وجَلَّ إيَّاهُم عنْ أذاهُ، حكاهُ الزَّجَّاجُ(٢).

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٤٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣).

وفي معنَى ﴿مَّسْتُورًا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى: سَاتِر.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: وهـذَا قـوْلُ أهْـلِ اللُّغـةِ(١). قـالَ الأخْفـشُ: وقـدْ يكـونُ الفَاعِـلُ فِي لفْـظِ المفْعُـولِ؛ كـما تقُـولُ: إنَّـكَ مشْـؤُومٌ عليْنَـا، ومَيْمُـونٌ عليْنَـا، وإنَّـما هـوَ شَـائِمٌ ويَامِـنٌ؛ لأنَّـه مِـن «شَـأَمَهُم» و«يَمَنَهُـم»(٢).

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: حِجابًا مسْتُورًا عنْكُم لا تَروْنَهُ، ذكرَهُ الماوردِيُّ(٣).

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: إذَا قِيـل: الحِجَـابُ: هـوَ الطَّبْـعُ عـلى قلُوبِهـم، فهـوَ مسْـتُورٌ عـنِ الأبْصـارِ، فيكـونُ مسْـتورًا بَاقيًـا عـلَى لفْظِـه.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ قد شرحْناه في [سُـورة](٤) الأنْعـام [آية: ٢٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ يعْنِـي: قلْـتَ: لَا إلـهَ إلَّا اللهُ، وأنْـتَ تتْلُـو القُـرآنَ ﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾ قـالَ أبـو عُبيـدَةَ: أي: عـلَى أعْقَابِهِم، ﴿نُفُورًا﴾ وهـو: جمْـعُ نافِـرٍ، بمنْزلَـةِ قاعـدٍ وقُعـودٍ، وجالِـسٍ وجلُـوسٍ(٥).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٢٤٦).

(٤) من (م).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: تحتمِلُ مذْهَبيْنِ:

أحدُهما: المصْدرُ؛ فيكونُ المعْنَى: ولَّوْا نَافِرِينَ نفُورًا.

والثَّاني: أنْ يكُونَ نفُورًا جمْعُ نافِرٍ[١].

وفِي المشارِ إلَيْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ الشَّيَاطِينُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهمُ المشْرِكونَ، وهذَا مذْهَبُ ابْنِ زيْدٍ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: أمَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ عليًّا -عليْهِ السَّلامِ- أنْ يتَّخِذَ طعَامًا ويدْعُو إليْهِ أشْرافَ قُريْشٍ مِنَ المشْرِكينَ، ففَعَلَ ذلِك، ودخَلَ عليْهِم رسُولُ اللهِ -ﷺ- فقَرأ عليْهِمُ القُرآنَ، ودعَاهُم إلى التَّوْحيدِ، وكانُوا يسْتَمِعُونَ ويقُولُون فيمَا بيْنَهُم: هوَ ساحِرٌ، هوَ مسْحُورٌ[٢]، (فنزَلَتْ هذِه الآيةُ)[٣]: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: يسْتَمِعُونَه، والباءُ[٤] زائِدةٌ.

[٤٧٧/ ب] ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: هيَ مصْدرٌ مِن ناجَيْتُ واسْمٌ مِنْها، فوُصِفَ القوْمُ بهَا، والعرَبُ تفْعَلُ ذلِك؛ كقوْلِهم: إنَّما هُمْ[٥]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣).

(٢) ذكر ذلك الواحديُّ في التفسير البسيط (١٣/ ٣٥١)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١١).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر): التاء.

(٥) في (م): هو.

عـذَابٌ، وأنْتُـم غَـمٌّ، فجـاءتْ فِي موْضِـع مُتناجـين(١).

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: والمعْنَـى: وإذْ هُـم ذَوُو نجْـوَى، وكانُـوا يسْـتَمِعُونَ مِـن رسُـولِ اللهِ ﷺ، ويقُولُـونَ بينَهُـم: هـوَ سـاحِرٌ، وهـوَ مسْـحُورٌ، ومَـا أشْـبهَ ذلِـك مِـنَ القـوْلِ(٢).

قوْلُه تعَـالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعْنِي: أولئك المشْرِكُونَ(٣) ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾؛ أي: ما تتَّبِعُون(٤) ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

وفيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الَّذِي سُحِر فذَهبَ بعقْلِه، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مخْدُوعًا مغْرُورًا، قالَه مجُاهِدٌ.

والثَّالـث: لَـه سِـحْرٌ، أي: رِئـةٌ؛ وكُلُّ دابَّـةٍ أو طَائـرٍ أو بـشَرٍ يـأْكُل فهُـوَ: مسْـحُورٌ ومُسـحَّرٌ؛ لأنَّ لـه سِـحْرًا، قـالَ لَبِيـدٌ [مـن الطويـل]:

فَـإِنْ تَسْـأَلِينَا فِيـمَ نَحْـنُ فَإِنَّنَـا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَـذَا الْأَنَامِ الْمُسَـحَّرِ(٥)

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣).

(٣) في (س): المشركين.

(٤) في (ر)، و(س): يتبعون.

(٥) البيت للبيد في تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٧٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨١)، والعين (٣/ ١٣٥)، والزاهر؛ للأنباري (١/ ٢٠٦)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤).

وقالَ امْرؤُ القَيْسِ [من الوافر]:

أَرَانَــا مُرْصِدِيــنَ لِأَمْــرِ غَيْــبٍ وَنُسْــحَرُ بِالطَّعَــامِ وَبِالــشَّرَابِ(١)

أي(٢): نُغـذَّى؛ لأنَّ أهْـلَ السَّـماءِ لا يأْكُلُـونَ، فـأرَادَ أنْ يكُـونَ ملَـكًا. فعلَى هــذَا يكُـونُ المعْنَـى: إنْ تَتَّبِعُـونَ إلَّا رجُـلًا لَـه سَـحْرٌ، خلَقَـهُ اللهُ كخلْقِكُـم، وليْـسَ بمَلَـكٍ وهــذَا قـوْلُ أبي عُبيـدةَ(٣).

قــالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: والقــوْلُ قــوْلُ مُجاهـدٍ؛ [أي: مَخْدُوعًـا](٤)؛ لأنَّ السِّـحرَ حيلـةٌ وخدِيعـةٌ، ومعْنَـى قـوْلِ لبيـدٍ: «المسَـحَّرِ»: المعلَّـلِ، وقـولِ امْـرئِ القيْـسِ: «وَنُسْـحَرُ»؛ أي: نُعلَّـلُ، وكأنَّـا نُخـدعُ، والنَّـاس يقُولُـون: سـحَرْتَني بكلَامِـكَ؛ أي: خدَعْتَنِـي، ويـدلُّ عليْـهِ قوْلُـه: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾؛ لأنَّهـم لـوْ أرَادُوا رجُـلًا ذَا رِئَـةٍ، لم يكُـنْ في ذلِـكَ مَثَـلٌ ضرَبُـوه، فلـمَّا أرَادُوا مَخْدُوعًـا -كأنَّـه بالخَدِيعـةِ سُـحِرَ- كانَ مثـلًا ضرَبُـوه، وكأنَّهُـم ذهَبُـوا إلى أنَّ قوْمًـا يُعلِّمُونَـهُ ويَخْدَعُونَـهُ(٥).

---

(١) البيـت لأمـرئ القيـس؛ كـما في غريب القـرآن؛ لابـن قتيبـة (ص: ٢٥٦)، والعـين (٣/ ١٣٥)، وجمهـرة اللغـة (١/ ٥١١)، والبيـان والتبيـين (١/ ١٦٧)، والفاخـر (ص: ١٦٤)، وجمهـرة أشـعار العـرب (ص: ١٦)، والزاهـر (١/ ٧٩)، والصناعتين (ص: ١١١) بلفـظ: (مُوضِعينَ) بــدل: (مُرصدين).

(٢) في (ر): قوله أي.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٤) من (م).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٦).

قَالَ المفَسِّرُونَ: ومعْنَى ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بيَّنُوا لكَ الأشْبَاهَ، حينَ[1] شبَّهُوكَ بالسَّاحرِ والشَّاعرِ والمجْنُونِ ﴿فَضَلُّواْ﴾ عنِ الحَقِّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فِيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لا يجِدُونَ سَبِيلًا إلى تصْحِيحِ مَا يَعِيبُونَكَ بِه.

والثَّاني: لَا يسْتطِيعُونَ سَبِيلًا إلَى الهُدى؛ لأنَّا طبعْنَا علَى قُلوبِهِم.

والثَّالث: لا يأْتُونَ سبِيلَ الحَقِّ؛ لِثقلِه عليْهِم؛ ومثْلُه قوْلُهم: لَا أسْتطِيعُ أنْ أنْظُرَ إلى فلانٍ، يعْنُونَ: أنَا مُبغِضٌ له، فنظَرِي إليْهِ يثْقلُ، ذكَرَهُنَّ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ: «أيذَا» بهمْزةٍ، ثُمَّ يأْتِي بياءٍ ساكنَةٍ مِن غيْرِ مدٍّ. {أينَّا} مثْلُه، وكذلِكَ في كُلِّ القُرآنِ. وكذلِك رَوى قالُونُ عنْ نافِعٍ، إلَّا أنَّ نافِعًا كانَ لَا يسْتفْهِمُ في «أينَّا»، كانَ يجعَلُ الثَّاني خبرًا في كُلِّ القُرآنِ، وكذلِك مذْهَبُ الكِسائِيِّ، غيْرَ أنَّه يهْمِزُ الأُولى همْزتَيْنِ.

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ بِهمْزَتَيْنِ في الحرْفَيْنِ جميعًا. وقرَأَ ابْنُ عامرٍ: «إذا كُنَّا» [٤٧٨/أ] بغَيْرِ اسْتفهَامٍ بِهمزةٍ واحدةٍ «آئنَّا» بهمْزَتَيْنِ يُمدُّ بيْنَهُما مدة[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التُّرابُ، ولا واحِدَ لَه، فهوَ بمنْزلةِ الدُّقَاقِ والحُطَامِ، قالَه الفرَّاءُ[3]، وهوَ مذْهَبُ مجُاهِدٍ.

---

(١) في (م): حتَّى.

(٢) كلها قراءات سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، والنشر (١/ ٣٧٢).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٥).

والثَّاني: أنَّه العِظَامُ مَا لم تتَحَطَّمْ، والرُّفَاتُ: الحُطامُ، قالَه أبو عُبيدةَ[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: الرُّفَاتُ: التُّرابُ. والرُّفَاتُ: كُل شيْءٍ حُطِمَ وكُسِرَ، و﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ في معْنَى مُجدَّدًا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الموْتُ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، والأكْثَرُونَ.

والثَّاني: أنَّه السَّماءُ والأَرْضُ والجِبَالُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: أنَّه[٣] ما يكْبُرُ في صُدورِكُم، مِن كُلِّ مَا اسْتعْظَمُوه مِنْ خلْقِ اللهِ تعَالى، قالَه قتادَةُ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قِيلَ لهُم: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ وهمْ لا يقْدِرون علَى ذلِك؟

فعَنْهُ جوَابَانِ:

أحدُهما: إنْ قدِرْتُم علَى تغْييرِ[٤] حالَاتِكُم، فكُونُوا حِجارةً أوْ أشدَّ منْها، فإنَّا نُميتُكُم، ونُنفِّذُ أحكامَنا فيكُم، ومثْلُ هذَا قوْلُكَ للرَّجُلِ: اصعَدْ إلى السَّماءِ فإنِّي لاحِقُك.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٤).

(٣) ليست في (س).

(٤) في (م): تغيرُّ.

والثَّـاني: تصَـوَّرُوا أنْفُسَـكُم حِجـارةً أوْ أصْلَـبَ منْهَـا، فإنَّـا سَـنُبِيدُكُم، قَـالَ الأحْـوصُ [مِـن الطويـل]:

إِذَا كُنْـتَ عِزْهَـاةً عَـنِ اللَّهْـوِ وَالصِّبَى فَكُنْ حَجَرًا مِن يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا[١]

معنَـاهُ: فتصـوَّر نفْسَـك حجَـرًا، وهـؤُلَاءِ قـوْمٌ اعْترفُـوا أنَّ اللهَ خالقُهُـم، وجحَـدُوا البعْـثَ، فأُعْلِمُـوا أنَّ الَّـذي ابتـدَأَ خلْقَهُـم هـوَ الَّـذِي يُحْيِيهِـم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قَـالَ قتَـادةُ: يُحرِّكُونَهـا تكْذِيبًـا واسْـتهْزاءً[٢].

قَـالَ الفـرَّاءُ: يُقَـال أنْغَـض رأسَـه؛ إذا حرَّكَـه إلى فـوْق وإلَى أسْـفلَ[٣]. وقَـالَ ابْـنُ قُتيبَـةَ: المعْنَـى: يُحرِّكُونَهـا، كـما يُحـرِّكُ الآيـسُ مِـنَ الـشَّيءِ والمسْـتَبعدُ لـه رأسَـه، يُقَـال: نَغَضَـتْ سِـنُّهُ؛ إذا تحَرَّكَـتْ[٤].

---

(١) البيـت للأحـوص في كتـاب الألفـاظ؛ لابـن السـكيت (ص: ٣٩٨)، والشـعر والشـعراء (١/ ٥١٠)، وأمـالي الزجاجـي (ص: ٧٥)، وزهـر الآداب (٢/ ٤٠٦)، والحماسـة البصريـة (١/ ١٢٧)، وبـلا نسبة في المخصـص (١٦/ ١٧٥)، والخصائـص (١/ ٢٢٩)، ، والمحكـم والمحيـط (١/ ١١٨)، وأسـاس البلاغـة (٢/ ١١٥) (عـزه)، في «اللسـان» العزهـاة: هـو الـذي لا يقـرب النسـاء. وفيـه انقبـاض وإعـراض. وصخـرة جلمـد: شـديدة مجتمعـة صلبـة.

(٢) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (١/ ٣٧٩) عـن معمر بـه، والطبري في تفسـيره (١٧/ ٤٦٧) مـن طريـق ابـن عبـد الأعـلى، قـال: ثنـا محمـد بن ثـور، عـن معمـر، عـن قتـادة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قـال: يحرّكون رءوسـهم.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٧).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ يعْنُـون البعْـثَ ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾؛ أي: هـوَ قرِيـبٌ. ثُـمَّ بـيَّنَ متَـى يكـونُ؟ فقَـال: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾ يعْنِـي: مِـنَ القُبـور بالنِّـداءِ الَّذي يُسـمعكُم، وهـوَ النَّفْخةُ الأخِـيرةُ ﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ﴾؛ أي: تُجِيبُـونَ.

قـالَ مُقاتِـلٌ: يقُـوم إسْرَافِيـلُ عـلَى صخْـرةِ بيْـتِ المقـدسِ يدْعُـو أهْـلَ القُبـورِ فِي قـرْنٍ، فيقُـول: أيَّتُهـا العِظَـامُ البَالِيـةُ، وأيَّتُهـا اللُّحـومُ المتمزِّقـةُ، وأيَّتُهـا الشُّـعُور المتَفرِّقـةُ، وأيَّتُهـا العُـروقُ المتقطِّعـةُ، اخْرجُـوا إلى فصْـلِ القصـاصِ(١) لِتُجـزَوا بأعْمالِكـم، فيَسْـمَعُونَ الصَّـوتَ، فيَسْـعَوْن إليْـهِ(٢).

وفي معْنَى ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بأمْرِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُريجٍ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّـاني: يخْرجُـونَ مِـنَ القُبـورِ وهُـم يقُولُـون: سُـبْحانَك وبحمْـدِك، قالَـه سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ.

والثَّالث: أنَّ معْنَى ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾: بمعْرِفتِه، وطاعَتِه، قالَه قتادَةُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: تَسْتجِيبُون مُقرِّينَ أنَّه خَالِقُكُم(٣).

[٤٧٨/ ب] والرَّابع: تجِيبُون بحمْدِ اللهِ لا بحمْدِ أنْفسِكُم، ذكَرَهُ الماورديُّ(٤).

---

(١) في (س)، و(م): القضاء.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٥).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٢٤٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فِي هذَا الظَّنِّ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى اليَقِينِ.

والثَّاني: أنَّه على أصْلِه.

وأَيْن يظُنُّون أنَّهم لَبِثُوا قليلًا؟ فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: بـيْنَ النَّفْختَـيْنِ، ومِقْـدَارُه أرْبَعُـون سـنَةً، ينْقَطِـعُ فِي ذلِـك العـذَابُ عنْهُـم، فـيَرَوْنَ لبثَهُـم في زمَـانِ الرَّاحـة قليـلًا، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّاني: فِي الدُّنْيا، لِعلْمِهم بطُول اللُّبثِ فِي الآخِرَةِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: في القُبور، قالَه مُقاتِلٌ[1].

فعلَى هـذَا إنَّـما قـصُر اللُّبْـثُ في القُبـورِ عنْدَهُـم؛ لأنَّهـم خرَجُـوا إلى مـا هـوَ أعْظَـمُ عذَابًـا مِـن عـذَابِ القُبـورِ.

وقَـدْ ذهَـبَ بعْـضُ المفَسِّريـنَ إلى أنَّ هـذِه الآيـةَ[2] خِطـابٌ للْمُؤمنـينَ؛ لأنَّهـم يُجِيبـونَ المنادِي وهُـم يحْمَـدُون اللهَ عـلَى إحْسـانِه إليهِـم، ويَسـتَقلُّونَ مُـدَّةَ اللُّبـثِ في القُبـورِ؛ لأنَّهـم كانـوا غـيْرَ مُعذَّبِـينَ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٥).

(٢) ليست في (س).

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ فِي سببِ نُزولِهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المشركينَ كانُوا يُؤذُونَ أصْحابَ رسُولِ اللهِ ﷺ بمكَّةَ، بالقوْلِ والفعْلِ، فشَكُوا ذلِك إلى رسُولِ اللهِ ﷺ[1]، فنزَلَت هذِه الآيةُ. قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ رجُلًا مِن الكُفَّارِ شتَمَ عُمرَ بْنَ الخطَّابِ، فهَمَّ بهِ عُمرُ رضي الله عنه، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه مُقاتِلٌ[2]. والمعْنَى: وقُلْ لِعبادِي المؤمِنينَ يقُولوا الكلِمَةَ الَّتي هي أحْسنُ.

واخْتلَفُوا فيمَنْ يُقال[3] له[4] هذِه الكلِمَةُ على قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّهمُ المشركُون. قالَ الحسَنُ: تقُول لَه: يَهْدِيك اللهُ[5]. وما ذكَرْنا مِن سببِ نُزول الآيةِ يؤيِّدُ هذا القوْلَ.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٨)، والتفسير البسيط (١٣/ ٣٦٥)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٢) من رواية الكلبي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٥)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٤٩).

(٣) في (م): تقال.

(٤) في (ر): لهم.

(٥) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٦١)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٦٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ٩٩).

وذهب بعْضُهم إلى أنَّهم أُمِروا بهذِه الآيةِ بتحْسينِ خِطابِ المشْركين قبْلَ الأمْرِ بقتَالِهم، ثُم نُسخَتْ هذه الآيةُ بآيةِ السَّيفِ.

والثَّاني: أنَّهمُ المسلِمُونَ، قالَه ابْنُ جريرٍ[١].

والمعْنَى: وقُل لِعبادِي يقُول بعْضُهم لِبعْضٍ الَّتي هيَ أحْسَن مِن المحاوَرةِ والمخَاطَبةِ.

وقد رَوى مُباركٌ، عنِ الحسنِ قالَ: الَّتي هيَ أحْسنُ أنْ يقُولَ له مثْلَ قوْلِه، ولكن يقُول له: يرْحمُكَ اللهُ، ويغْفِرُ اللهُ لكَ[٢].

قالَ الأخْفشُ: وقوْلُه: ﴿يَقُولُوا﴾؛ مثْلُ قوْلِه: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[٣]. وقد شرحْنا ذلِك فِي سُورةِ إبْراهيمَ [آية: ٣١].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: يُفْسد مَا بيْنَهم. **والعدُوُّ المبينُ:** الظَّاهِرُ العداوةِ.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٦٩) من طريق خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر، قال: أخبرنا المبارك، عن الحسن في هذه الآية ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: التي هي أحسن، لا يقول له مثل قوله يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك. وذكره مكي في الهداية (٦/ ٤٢٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٠١) إلى ابن جرير.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ فيمَنْ خُوطبَ بهذا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّهمُ المؤمنون.

ثُمَّ في معْنَى الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيُنجِّيكم مِن أهْلِ مكَّةَ، و﴿إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيُسلِّطُهم عليْكُم، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتَّوبةِ، {أو يُعذبْكُم} بالإقامةِ على الذُّنوبِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: أنّهمُ المشرِكُون.

[٤٧٩/أ] **ثُمَّ في معْنَى الكلَامِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيَهْدِيكُم للإيمانِ، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيُميتُكم علَى الكفْرِ، قالَه مُقاتلٌ(٢).

والثَّاني: أنَّه لمَّا نزَل القحْطُ بالمشْرِكينَ فقَالُوا: ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [الدخان: ١٢]، قالَ اللهُ تعَالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ مَنِ الَّذي يُؤمن، ومَنِ الَّذي لا يُؤمن، ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيكْشِفُ القحْطَ عنكُم ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيترُكُه عليْكُم، ذكَره أبو سُليمان الدِّمشْقيُّ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٦٢) من رواية الكلبي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٦).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: و«أَوْ» هاهُنا دخلَتْ لِسعَةِ الأمْرينِ عنْدَ اللهِ تعَالى، وأنَّه لا يُردُّ عنْهُما، فكانَتْ مُلحقةً بـ«أو» المبيحةِ في قوْلِهم: جَالِسِ الحسَنَ، أوِ ابْنَ سِيرينَ، يعْنُون: قد وسَّعنا لَك الأمْرَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: كَفِيلًا تُؤخذُ[٢] بِهِم، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: حافظًا وربًّا، قالَه الفرَّاءُ[٣].

والثَّالث: كَفِيلًا بِهدايَتِهِم، وقادرًا علَى إصْلاحِ قُلوبِهِم، ذكَرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

وذهَب بعْضُ المفَسِّرين إلى أنَّ هذَا منْسُوخٌ بآيةِ السَّيْفِ[٤].

---

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٧/ ٦٨).

(٢) في (س): يؤخذ.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٥).

(٤) ذكر هذا القول ابن حزم في ناسخه (ص: ٣٤٥)، قال المصنف في كتاب نواسخ القرآن (ص: ٣٩٢): للمفسرين في معنى الوكيل ثلاثة أقوال:
أحدها: كفيلًا تؤخذ بهم، قاله ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.
والثَّاني: حافظًا وربًّا، قاله الفراء.
والثَّالث: كفيلًا بهدايتهم وقادرًا على إصلاح قلوبهم، ذكره ابن الأنباري.
وعلى هذا الآية محكمة، وقد زعم بعضهم: أنها منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح. وقال النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ١٣٦- ١٣٧): لا يحسن نسخ هذا؛ لأنه خبر، والمعنى الصحيح أنَّ النبي - ﷺ - ليس حفيظًا على من أرسل إليه بحفظ أعماله، إنما هو داع ومنذر ومبلغ -ومثله في الاختلاف- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ و﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ كله محكم غير منسوخ.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ لأنه خالِقُهم، فهدى من شاءَ، وأضلَّ من شاءَ، وكذلك فضَّل بعْضَ النَّبيِّينَ على بعْضٍ، وذلك عن حكْمَةٍ منْهُ وعلْمٍ، فخلَقَ آدمَ بيدِه، ورفَع إدْريسَ، وجعَل الذُّريَّةَ لِنُوحٍ، واتَّخذ إبْراهيمَ خليلًا، ومُوسى كليمًا، وجعَل عيسى رُوحًا، وأعْطَى سُليمانَ مُلْكًا جَسِيمًا، ورفَع محمَّدًا ﷺ فوْقَ السَّمواتِ، وغفَر له ما تقَدَّم مِن ذنْبه ومَا تأخَّرَ.

ويجُوزُ أنْ يكُونَ المفضَّلُون أصْحابَ الكُتُبِ؛ لأنَّه ختَمَ الكلَامَ بقوْلِه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ وقد شرحْنا معْنَى الزَّبُور في سُورة النِّساءِ [آية: ١٦٣].

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

قوْله تعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ في سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ نفَرًا مِنَ العرَبِ كانُوا يعْبُدونَ نفَرًا مِنَ الجِنِّ، فأسْلَم الجِنُّ والنَّفرُ مِنَ العَرَبِ لا يشْعُرونَ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ والَّتي بعْدَها، رُوي عنِ ابْنِ مسْعُودٍ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧١٤)، من طريق عمرو بن علي، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان، حدثني سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء=

والثَّاني: أنَّ المشْركِين كانوا يعْبُدونَ الملائكةَ، ويقُولونَ: هيَ تشْفَع لنا عنْدَ اللهِ، فلمَّا ابْتُلوا بالقحْطِ سبعَ سِنين، قِيلَ لهُم: ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾، قالَه مُقاتِلٌ(١).

والمعْنَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنَّهم آلهةٌ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ لـه إلى غيْرِكُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾.

فِي المشارِ إليْهِم بـ«أُولَئِكَ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهمُ الجِنُّ الَّذِين أسْلَمُوا.

والثَّاني: الملائِكةُ. وقد سبَقَ بيانُ القوْلَيْنِ.

والثَّالث: أنَّهمُ المسِيحُ(٢)، والملائكةُ، والشَّمْسُ، والقمَرُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

وفِي معْنَى «يَدْعُونَ» قوْلَانِ:

أحدُهما: يعْبُدونَ؛ أي: يدْعُونَهُم آلهةً، وهذَا قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّه بمعْنَى يتضرَّعُون إلى اللهِ تعَالَى فِي طلَبِ الوَسِيلةِ.

=بدينهم»، وأخرجه أيضًا مسلم (٣٠٣٠) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا حسين، عن قتادة، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٦).

(٢) في الأصل زيادة كلمة: وعزير، وضرب عليها، وليست في سائر النسخ الخطية.

[٤٧٩/ب] وعلَى هذا يكونُ قوْلُه: «يَدْعُونَ» راجِعًا إلى «أُولئِكَ»، ويكونُ قوْلُه: «يَبْتَغُونَ» تمامًا للكلامِ.

وعلَى القوْلِ الأوَّلِ: يكونُ «يدْعُونَ» راجِعًا إلى المشْركِينَ، ويكونُ قوْلُه: «يَبْتَغُونَ» وصْفًا لـ«أُولئِك» مُستأنفًا.

وقرَأَ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وأبو عبْدِ الرَّحمن: «تَدْعُونَ» بالتَّاءِ[١].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: فعَلى هذَا الفعْلُ مرْدُودٌ إلى قوْلِه تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾، ومَنْ قرَأ: «يَدْعُونَ» بالياءِ، قالَ: العرَبُ تنْصَرِفُ مِن الخطَابِ إلى الغَيبةِ إذا أُمِن اللَّبْسُ. ومعْنَى «يَدْعُونَ»: يَدْعُونَهم آلهةً. وقد فسَّرْنَا معْنَى الوسيلَةِ في المائدة [آية:٣٥].

وفي قوْلِه: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قوْلَان -ذكَرَهُما الزَّجَّاجُ-:

أحدُهما: أنْ يكونَ «أَيُّهم» مرْفوعًا بالِابتداءِ، وخبَرُه: «أَقْرَبُ»، ويكونُ المعْنَى: يطْلُبون الوسيلةَ إلى ربِّهم، ينْظُرونَ أيُّهم أقْرَب إليْهِ فيَتوسَّلُون إلى اللهِ بهِ[٢].

والثَّاني: أنْ يكُون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدَلًا مِنَ الواوِ في ﴿يَبْتَغُونَ﴾، فيكونُ المعْنَى: يبْتَغِي أيُّهم هوَ أقْربُ الوسيلةَ إلى اللهِ؛ أي: يتقرَّبُ إليْهِ بالعمَلِ الصَّالحِ. بلغ.

(١) قراءة شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٦).

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء: ٥٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ «إنْ» بمعْنى: «مَا»، والقرْيَةُ الصَّالحةُ هلَاكُها بالموْتِ، والعَاصِيةُ بالعذَابِ، والكِتابُ: اللَّوحُ المحْفوظُ، والمسْطُورُ: المكتُوبُ.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ سببُ نُزولِها فيه[١] قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ أهْلَ مكَّة سألُوا رسُولَ اللهِ ﷺ أنْ يجعَلَ لهُمُ الصَّفَا ذهَبًا، وأنْ يُنحِّيَ عنْهمُ الجِبالَ فيزْرَعُوا، فقِيلَ لَه: إنْ شئْتَ أنْ تسْتأْنِيَ بهِم لعلَّنا نجْتَبِي منْهُم، وإنْ شئْتَ نُؤْتِيهمُ الَّذي سألُوا، فإنْ كفَرُوا أُهْلِكوا كما أُهْلكَ مَن كانَ قبْلَهم، قالَ: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فنزلَتْ هذِه الآيةُ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

---

(١) في (س): في سبب نزولها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٣٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٧٦- ٤٧٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٦٢)، والبزار (٢٢٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٥)، والضياء في المختارة (١٠/ ٧٩- ٨٠) من طريق جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ، أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: «لا، بل أستأني بهم» فأنزل الله عز=

والثَّاني: قدْ ذكرْناه عنِ الزُّبيْرِ في قوْلِه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. ومعْنى الآيةِ: وما منَعَنا إرْسالَ الآياتِ الَّتِي سألُوهَا إلَّا تكْذِيب الأوَّلِينَ، يعْنِي: أنَّ هؤُلاءِ سألُوا الآياتِ الَّتِي استوجَب بتكْذِيبِهَا الأوَّلُون العذَابَ، فلم نُرسلْهَا[1] لِئلَّا يكذِّبَ بها هؤُلاءِ، فيَهْلكُون[2] كما هلَكَ أولئك، وسُنَّةُ اللهِ في الأُمَمِ أنَّهم إذا سألُوا الآياتِ ثُمَّ كذَّبُوا بها عذَّبَهم.

قوْلُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

قال ابن قتيبة: أي: بيِّنةً، يُريد: مُبْصَرًا بها[3]. قالَ ابْنُ الأنْباري: ويجُوز أنْ تكُونَ «مُبصِرةً»، ويصْلُح أن يكونَ المعْنَى: مبْصرٌ مُشاهِدُوها، فنسَب إليْهَا فعْلَ غيْرِها تجوُّزًا، كما يُقال: لا أرينَّكَ هاهُنا، فأدْخل حرْفَ النَّهي على غيْرِ المنْهيِّ عنه؛ إذِ المعْنَى: لا تحْضُرْ هَاهُنا، حتَّى إذا جئْتُ لم أرَك فيهِ.

ومَن قرَأَ: «مَبصَرةً» بفتْحِ الميمِ والصَّادِ[4]، فمعْنَاه: المبالَغةُ في وصْفِ النَّاقةِ بالتِّبْيانِ؛ كقوْلِهم: الوَلَدُ مجْبَنةٌ.

=وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾. وقال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه صحيح إلا من هذا الوجه.

(١) في (م): يرسلها.

(٢) كذا في الأصل، و(س)، وفي (م): فيهلكوا.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥٧).

(٤) قراءة شاذة عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٨٢) إلى قتادة، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٨٠) بلا ضبط.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: فجَحَـدُوا بِهـا[١]. وقـالَ [٤٨٠/أ] الأخْفـشُ: بِهَـا كانَ ظُلْمُهـم[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؛ أي: نُخوِّفُ العبادَ ليتَّعِظُوا.

وللمُفسِّرينَ في المرادِ بهذِه الآياتِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الموْتُ الذَّرِيعُ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: مُعجزَاتُ الرُّسُلِ جعَلَها اللهُ تعَالى تخْوِيفًا للمُكذِّبينَ.

والثَّالث: آياتُ الانْتِقامِ تخْوِيفًا مِنَ المعَاصِي.

والرَّابـع: تقلُّـبُ أحْـوالِ الإنسـان مِن صِغَرٍ إلى شـبَابٍ، ثُـمَّ إلى كُهولـةٍ، ثُمَّ إلى مَشـيبٍ؛ ليَعْتـبرَ بتقلُّـبِ أحْوالِه فيَخـافُ عاقبَةَ أمْـرِه، ذكرَ هذِه الأقْـوَالَ الثَّلاثةَ المـاوردِيُّ، ونَسَـبَ [القوْلَ][٣] الأخـيرَ منْهَا إلى إمامِنـا أحْمَدَ ﷺ[٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾[الإسراء: ٦٠].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٣٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٣) من (م).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٢٥٢).

قوْلُه تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أحَاطَ علْمُه بالنَّاسِ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الرَّبيعُ بْنُ أنسٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: أحَاطَ علْمُه بالنَّاس، يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ، أنْ يفْتحَها لِرسُولِه ﷺ[1].

والثَّاني: أحَاطَتْ قُدْرتُه بالنَّاسِ، فهُم فِي قبْضَتِهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالثُ: حَال بيْنَك وبيْنَ النَّاسِ أنْ يقْتُلوكَ، لِتُبلِّغَ رسَالَتَهُ، قالَه الحسَنُ، وقتَادةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ في هذِه الرُّؤْيا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها رُؤْيا عيْنٍ، وهيَ مَا رَأى ليْلَةَ أُسْرِي بهِ مِنَ العجَائبِ والآيَاتِ.

رَوى عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: هيَ رُؤيا عيْنٍ رَآها ليْلَةَ أُسْرِي بهِ[2]، وإلَى هذَا المعْنَى ذهَبَ الحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكْرِمةُ، ومَسْروقٌ، والنَّخَعيُّ، وقتَادَةُ، وأبو مالِكٍ، وأبو صالِحٍ، وابْنُ جُريجٍ، وابْنُ زيْدٍ في آخَرِينَ.

فعَلى هذَا يكونُ معْنى الفتْنةِ: الِاخْتِبار، فإنَّ قوْمًا آمنوا بما قالَ، وقومًا كفَرُوا.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٨٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٢) (١٥٨٢)، والإمام أحمد في مسنده (١٩١٦).

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: المختَـارُ في هـذِه الرُّؤيـةِ أنْ تكُـونَ يقظَـةً، ولا فـرْقَ بـيْنَ أنْ يقُـولَ القائِـلُ: رأيْـتُ فُلانًـا رُؤيـةً، ورأيْتُـه رُؤيـا، إلَّا أنَّ الرُّؤيـةَ يقِـلُّ اسْـتعْمَالُها في المنَـامِ، والرُّؤيـا يكْثـرُ اسْـتعْمَالُها في المنَـامِ، ويجُـوز كلُّ واحِـدٍ منْهـما في المعْنَيـيْنِ(١).

والثَّاني: أنَّهَا رُؤيا منَامٍ.

ثُمَّ فيهَا قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ رسُـولَ اللهِ -ﷺ- كانَ قـدْ أُري أنَّـه يدْخُـلُ مكَّـةَ، هـوَ وأصْحابُـه، وهـوَ يومئِـذٍ بالمدينَـةِ، فعَجَّـلَ قبْـلَ الأجَـلِ، فـرَدَّهُ المشرِكُـونَ، فقَـال أُنـاسٌ: قـدْ رُدَّ، وكانَ حدَّثَنَـا أنَّـه سـيَدْخُلُها، فـكانَ رجُوعُهُـم فتْنَتَهُـم، رَواه العَـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٢).

وهـذا لا يُنـافي حدِيـثَ المعـراجِ؛ لأنَّ هـذَا كان بالمدينَـةِ، والمعْـراجَ كانَ بمكَّـةَ، قـالَ أبـو سُـليمان الدِّمشـقيُّ: وإنَّـما ذكَـرَهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ عـلى وجْـهِ الزِّيـادةِ في الإخبَـارِ لنَـا أنَّ المشركِـينَ بمَكَّـةَ افْتُتنـوا برُؤيـا عيْنِـه، والمنافِقِـينَ بالمدينـة افْتُتنـوا برُؤيـا نوْمِـه.

والثَّـاني: أنَّـه أُري بنِـي أُميـةَ عـلَى المَنابـرِ، فسَـاءَه ذلِـكَ، فقِيـل لَـه: إنَّهـا الدُّنْيـا يُعطونَهـا، فسُرِّي عنْـه. فالفِتنَـةُ هَاهُنـا: البَـلاءُ، رَواه عـليُّ بْـنُ زيْـدِ بْـنِ

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٨٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) إلى ابن جرير وابن مردويه.

[٤٨٠/ب] جُدعانَ، عنْ سعيدِ بْنِ المسيِّبِ(١)، وإنْ كانَ مثْلُ هذَا لا يَصِحُّ، ولكنْ قدْ ذكَرَه عامَّةُ المفسِّرينَ.

وروَى ابْنُ الأنْباريِّ أنَّ سعيدَ بْنَ المسيِّبِ قالَ: رأَى رسُولُ اللهِ ﷺ قوْمًا علَى منابِرَ، فشقَّ ذلِكَ عليْهِ، وفيهِ نزَلَ: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾، قالَ: ومعْنَى قوْلِه: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: إلَّا بلاءً للنَّاسِ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: فمَن ذهَب إلى أنَّ الشَّجرةَ رِجالٌ رآهمُ النَّبيُّ ﷺ في منامِه يصْعَدُون على المنابِرِ؛ احْتجَّ بأنَّ الشجرةَ يُكنى بها عنِ المرْأةِ لتأنيثِهَا، وعنِ الجماعَةِ لِاجْتماعِ أغْصانِها. قالُوا: ووقعَتِ اللَّعنَةُ بهؤلاءِ الَّذين كنَّى عنْهُم بالشجرَةِ.

قالَ المفسِّرونَ: وفي الآيةِ تقدِيمٌ وتأخِيرٌ، تقْدِيرُه: ومَا جعلْنَا الرُّؤيا والشَّجرَةَ إلَّا فِتنةً للنَّاسِ.

وفي هذِه الشَّجرَةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها شجرةُ الزَّقُّومِ، رَواه عِكْرمةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢)، وبهِ

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٨٠)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٩)، من طريق سفيان بن عيينة، عن علي بن زيدابن جدعان، عن سعيد بن المسيب في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: رأى بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يعطونها فسري عنه، ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: بلاء للناس. الأثر ضعيف لأجل علي بن زيد بن جدعان، وفرط تشيع المأمون، وكان داعية لبدعته، وفيه أيضا أبو صالح مختلف فيه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٨٨٨)، ورقم (٤٧١٦)، ورقم (٦٦١٣)، والطبري في=

قَـالَ مُجاهِـدٌ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، وعِكْرِمَـةُ ومـسْرُوقٌ، والنَّخعـيُّ، والجمْهُـورُ.

وقَـالَ مُقاتِـلٌ: لمَّـا ذكَـرَ اللهُ تعَـالى شـجَرةَ الزَّقُّـومِ قَـالَ أبـو جهْـلٍ: يَـا معْـشَر قُريـشٍ! إنَّ محمَّـدًا يُخوِّفُكـم بشـجَرَةِ الزَّقُّـوم، ألَسْـتُم تعلَمُـون أنَّ النَّـارَ تحْـرِقُ الشَّـجرَ؟ ومُحمَّـدٌ يزعُـم أنَّ النَّـارَ تُنْبِـت الشَّـجرَ، فهَلْ تـدْرُون مَـا الزَّقُّومُ؟ فقَـال عبْـدُ الله بْـنُ الزِّبعـري: إنَّ الزَّقُّـومَ بِلِسـانِ بربـرٍ: التَّمْـرُ والزُّبـدُ، فقَـال أبـو جهْـلٍ: يـا جَارِيـةُ! ابْغِينـا تمْـرًا وزُبـدًا، فجاءَتْـهُ بـهِ، فقَـال لِمَـن حوْلَـه: تزَقَّمُـوا مِـن هـذَا الَّـذي يُخوِّفُكـم بـهِ محمَّـدٌ، فأنْـزلَ اللهُ تعـالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَنًا كَبِيرًا ﴾(١).

قَـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: كانَـتْ فتنَتُهُـم بالرُّؤْيـا قولهُـم: كيْـفَ يذْهَـبُ إلى بيْـتِ المقـدِسِ، ويرْجِـعُ فِي ليلـةٍ؟ وبالشَّـجرَة قوْلهُـم: كيْـفَ يكـونُ فِي النَّار شـجرَةٌ(٢)؟

وللعُلماءِ في معْنَى الملْعُونةِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: المذْمُومةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الملْعونُ آكِلُهَا، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ.

وقَـالَ: إنْ لم يكُـن فِي القُـرآن ذِكْـرُ لعْنِهَـا، ففِيـه لعْـنُ آكِلِيهـا، قَـالَ: والعـرَبُ تقُـول لِـكُلِّ طعَـامٍ مكـرُوهٍ وضَـارٍّ ملْعُـونٌ(٣).

=تفسيره (١٧/ ٤٨٤).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٥١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٢/ ٣٥١)، والبغوي في معالم التنزيل (٧/ ٤٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٨).

فأمَّا قوْلُه: ﴿فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ فالمعْنَى: الَّتي ذُكِرت في القُرآن، وهيَ مذْكُورةٌ في قوْلِه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤].

والثَّالث: أنَّ معْنَى «الملْعُونة»: المبْعَدَةُ عنْ منَازلِ أهْلِ الفضْلِ، ذكرَهُ ابْنُ الانْبَارِيِّ.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّ الشَّجرةَ الملْعُونةَ هيَ الَّتي تلْتَوي علَى الشَّجرِ، يعْنِي: الْكَشُوثَى، وهذا مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا(١).

والثَّالث: أنَّ الشَّجرةَ كِنايةٌ عنِ الرِّجالِ علَى مَا ذكرْنَا عنْ سعِيدِ بْنِ المسيِّب.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: مفْعُولُ «نُخوِّفُهُمْ» محْذوفٌ، تقْدِيرُه: ونُخوِّفُهم العذَابَ(٢)، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾؛ أي: فَما يزِيدُهمُ التَّخويفُ ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا﴾، وقدْ ذكرْنَا معْنَى الطُّغيانِ في البقرة [آية: ١٥]، وذكرْنَا هُناك تفْسِير قوْلِه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١﴾ [الإسراء: ٦١].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٨٧) من طريق أبو كريب، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن مولى بني هاشم حدثه، أنَّ عبد الله بن الحارث بن نوفل، أرسله إلى ابن عباس، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن؟ قال: هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة، وتجعل في الماء، يعني الكشوثي. وأخرجه الثلبي أيضًا في الكشف والبيان (١٦/ ٣٨٣).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٩٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ءَأَسۡجُدُ﴾ قـرَأه الكُوفيُّـونَ: بهمْزَتـيْنِ. وقـرَأه البَاقُـون: بهمْـزةٍ مُطوَّلـةٍ؛ وهـذَا اسْـتفْهامُ إنْـكارٍ، يعْنِـي بـه: لم أَكُـن لأَفْعـلَ[١]. [٤٨١/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: طِينًا منْصُوبٌ علَى وجْهَيْنِ:

أحدُهما: التَّمْييزُ، المعْنَى: لَمن خلقتَه مِن طِينٍ.

والثَّاني: علَى الحالِ، المعْنَى: أنْشأْتَه فِي حالِ كوْنِه مِن طينٍ.

ولفْـظ: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾ جـاءَ هاهُنـا بغَـيْر حـرْفِ عطْـفٍ؛ لأنَّ المعْنـى: قـالَ: أَأَسْـجدُ لِمَـن خلقْـتَ طِينًـا، و«أرَأَيْتَـكَ»، وهـيَ في معنـى: أَخْـبِرْني، والـكافُ ذُكـرتْ في المخاطبَـةِ توْكيـدًا، والجـوَابُ محْـذُوفٌ.

والمعْنَـى: أَخْـبِرنِي عـنْ هـذَا الَّـذي كرَّمْتَ علَـيَّ لِمَ كرَّمْتَـه علَيَّ، وقـد خلقْتَنِي مِـن نـارٍ وخلقْتَـهُ مِن طِـينٍ؟! فحُذف هـذَا؛ لأنَّ في الـكلام دليـلًا عليْهِ[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ﴾ قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «أَخَّرْتَنِـي» بيـاءٍ في الوَصـلِ. ووقَـفَ ابْـنُ كثِـيرٍ باليـاءِ. وقـرَأَ ابْـنُ عامِـرٍ، وعاصِـمٌ، وحمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ، بغـيرِ يـاءٍ في وصْـلٍ ولَا في وقْـفٍ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لأَسْتَوْلينَّ عليْهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والفرَّاءُ[٤].

---

(١) انظر: الإقناع (ص: ١٦٧)، والنشر (٢/ ٣٠٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٩).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٧).

والثَّاني: لأُضِلَّنَّهم، قاله ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: لَأَسْتَأْصِلَنَّهُم؛ يُقال: احْتنكَ الجرادُ ما على الأرْضِ: إذا أكَلَه؛ واحْتنكَ فُلانٌ ما عنْدَ فُلانٍ مِنَ العِلْمِ؛ إذا اسْتقْصاه، فالمعْنى: لأقُودَنَّهُم كيْفَ شئْتُ، هذا قوْلُ ابْنِ قُتيبةَ[١].

فإنْ قِيلَ: مِن أيْنَ عَلِمَ الغيْبَ. فقدْ أجبْنا عنْهُ في سُورةِ النِّساء [آية: ١١٩].

قوْلُه تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: همْ أوْلياءُ اللهِ الَّذين عصَمَهُم[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱذْهَبْ﴾ هذا اللَّفْظُ يتضمَّنُ معْنى[٣] إنْظاره؛ ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾؛ أي: تبِعَ أمْرَكَ منْهُم، يعْنِي: ذُرِّيَّةَ آدمَ. والموفُورُ: الموفر.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: وفَّرْتُ مالَهُ عليْهِ، ووَفَرْتُه، بالتَّخْفِيف والتَّشْدِيدِ[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: اسْتخِفَّ، ومنْهُ تقُول: اسْتفزَّنِي فُلانٌ[٥].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٨٨)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٥).

(٣) ليست في (م).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٥) المصدر السابق.

وفي المَرَادِ بصَوْتِه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّه كُلُّ داعٍ دعَا إلى معْصِيةِ اللهِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الغِناءُ والمزَامِيرُ، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾؛ أي: صِحْ ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ واحْثُثْهم عليْهِم بالإِغْواء(١)؛ يُقال: أجْلَبَ القوْمُ وجلَبُوا: إذَا صَاحُوا.

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أجْمِعْ عليْهِم(٢) ما تقْدِرُ عليْهِ من مكايِدِكَ؛ فعَلى هذَا تكونُ البَاءُ زائِدةً(٣).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والرَّجِلُ: الرَّجَّالةُ؛ يُقال: رَاجِلٌ ورَجْلٌ؛ مثْلُ: تاجِرٌ وتَجْرٌ، وصَاحِبٌ وصحْبٌ(٤).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كُلُّ خيْلٍ تسِيرُ في معْصيةِ اللهِ، وكُلُّ رجل يسير في معصية الله(٥).

وقالَ قتادَةُ: إنَّ لَه خَيْلًا ورَجْلًا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ(٦).

---

(١) في (ر)، و(م): بالإغراء.

(٢) في الأصل: عليهم كل، وضرب عليها، وليست في سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٥) ذكر ذلك عنه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٢) وعزاه إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩١)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٨٧)، والبغوي في معالم التزيل (٥/ ١٠٥).

وروى حفصٌ عن عاصمٍ: «بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ» بكسْرِ الجِيم، وهي قِراءةُ ابْنِ عبَّاسٍ، وأبي رَزينٍ، وأبي عبْدِ الرَّحمنِ السُّلَميِّ(١).

قالَ أبو زيْدٍ: يُقال: رَجِلَ رَجُلٌ: للرَّاجِلِ، ويُقالُ: جاءَنا حافِيًا رَجُلًا(٢).

وقرأ ابْنُ السَّميفع، والجحْدَرِيُّ: «بِخَيْلِكَ ورُجَّالِكَ» برفْعِ الرَّاء وتشْديدِ الجِيم مفْتوحةً وبألِفٍ بعْدَها(٣).

[٤٨١/ب] وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجَوْزاءِ، وعِكْرمةُ: «ورِجَالِكَ» بكسْرِ الرَّاءِ وتخْفيفِ الجِيم معَ ألِفٍ(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ما كانُوا يُحرِّمُونَه مِن أنْعامِهِم، رَواه عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥).

والثَّاني: الأمْوالُ الَّتي أُصِيبتْ مِن حَرامٍ، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، التيسير (ص: ١٤٠).

(٢) النوادر (ص: ١٤٩).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٢).

(٤) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٨٠)، ونقلها الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٧٨) بلا نسبة.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٣) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قال: الأموال: ما كانوا يحرِّمون من أنعامهم. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

والثَّالث: الَّتِي أنفقُوها فِي معَاصِي اللهِ، قالَهُ الحسَنُ.

والرَّابع: ما كانُوا يذْبحُون لِآلهتِهِم، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

فأمَّا مشَاركتُهُ إيَّاهُم فِي الأوْلَادِ، ففِيهَا أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُهَا: أنَّهم أوْلَادُ الزِّنَا، رَواه عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وبهِ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: المَوْؤُودةُ مِن أوْلَادهِم، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّالث: أنَّه تسْمِيةُ أوْلَادِهِم عبِيدًا لأَوْثَانِهِم؛ كعبْدِ شمْسٍ، وعبْدِ العُزَّى، وعبْدِ منَافٍ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والرَّابع: ما مَجَّسُوا وهَوَّدُوا ونَصَّرُوا، وصبَغُوا مِن أوْلادِهِم غيْرَ صبغَةِ الإسْلام، قالَهُ الحسَنُ، وقتَادَةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾ قد ذكرْنَاه فِي قوْلِه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾... إلى آخر الآية [النساء: ١٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٩٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال: أولاد الزنا. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٠٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال: ما قتلوا من أولادهم، وأتوا فيهم الحرام.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٥) من طريق أبي صالح عن ابن عباس ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال: مشاركته إياهم في الأولاد، سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان.

وهـذِه الآيـةُ لفْظُهـا لفْـظُ الأمْـرِ، ومعْناهَـا التَّهْدِيـدُ، ومثْلُهـا في الـكلَامِ أنْ تقُـولَ للإنْسـانِ: اجْهَـدْ جَهْـدَك فسَـتَرَى مَـا ينْـزِلُ بِـكَ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: إذَا تقَـدَّم الأمْـرَ نهْـيٌ عـمَّا يُؤمـرُ بـهِ، فمعْنَـاه: الوَعِيـدُ وَالتَّهْديـدُ[1]؛ تقُـول للرَّجُـل: لا تدْخُـلْ[2] هـذِه الـدَّارَ؛ فـإذا حـاوَلَ أنْ يدْخلَهَا؛ قلْـتَ: ادْخُلْهَـا وأنْـتَ رجُـلٌ، فلسْـتَ تأمـرُهُ بدخُولهـا، ولكنَّـك تُوعِدُه وتُهـدِّدُه؛ ومثْلُـه: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقـدْ نُهُـوا أن يعْمَلُـوا بالمعَـاصِي[3].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: هـذا أمْـرٌ معْنَـاه التَّهْديـدُ، تقْدِيـرُه: إنْ فعلْـتَ هـذَا عاقَبْنَـاك وعذَّبْنَـاكَ، فنُقـلَ إلى لفْـظِ الأمْـرِ عـنِ الـشَّرطِ؛ كقوْلِـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهـف: ٢٩].

قوْلـه تعَـالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ قـد شرحْنَـاه فِي الحجـر [آيـة: ٤٢].

قوْلـه تعَـالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ قـالَ الزَّجَّـاجُ: كفَـى بـهِ وكِيـلًا لِأوْليائِـه يعْصِمُهُـم مِـنَ القبُـول مِـن إبْليـسَ[4].

---

(١) في (م): التهديد والوعيد.

(٢) في (م): لا تدخلنَّ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

(٤) المصدر السابق.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٦٦ - ٧٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴾؛ أي: يُسيِّرُها. قال الزَّجَّاجُ: يُقالُ: زجَّيْتُ الشَّيءَ؛ أي: قدَّمْتُه[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾؛ أي: في طلَبِ التِّجارَةِ.

وفي ﴿مِن ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها زائِدةٌ.

والثَّاني: أنَّها للتَّبعيضِ.

والثَّالثُ: أنَّ المفعُولَ محذوفٌ، والتَّقْديرُ: لِتبْتَغُوا مِنْ فضْلِه الرِّزْقَ والخيْرَ، ذكَرَهُنَّ ابنُ الأنْبارِيِّ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ هذا الخِطابُ خاصٌّ للمُؤمنينَ، ثُمَّ خاطَبَ المشْرِكينَ فقالَ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ يعْنِي: خوْفَ الغرَقِ

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ﴾؛ أي: يضِلُّ مَن تدْعُون[١] مِنَ الآلهةِ، إلَّا الله تعالى. وقِيلَ[٢]: ضلَّ بمعْنَى: غابَ، يُقالُ: ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ؛ إذَا غابَ. والمعْنَى: أنَّكُم أخْلصْتُمُ الدُّعاءَ لله، ونسِيتمُ الأنْدادَ.

وقرَأ مُجاهِدٌ، وأبو المتوكِّل: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ» بالياءِ.

[٤٨٢/أ] ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ﴾ عنِ الإيمانِ والإخْلاصِ ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ يعْنِي: الكافِرَ ﴿كَفُورًا﴾ بنعْمةِ ربِّه.

﴿أَفَأَمِنتُمۡ﴾ إذا خرجْتُم مِنَ البحْرِ ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو: «نَخْسِفَ بِكُمْ»، «أَوْ نُرْسِلَ»، «أَنْ نُعِيدَكُمْ»، «فَنُرْسِلَ» «فَنُغْرِقَكُم» بالنُّونِ في الكُلِّ. وقرَأ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ، بالياءِ في الكُلِّ[٣].

ومعْنَى ﴿نَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؛ أي: نُغيِّبكم[٤] ونُذْهبُكم في ناحيةِ البرِّ، والمعْنَى: إنَّ حُكْمي نافِذٌ في البرِّ نفُوذَه في البحْرِ.

﴿أَوۡ نُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبًا﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الحاصِبَ حِجارةٌ مِنَ السَّماءِ، قالَه قتَادةُ.

---

(١) في (م): يدعون.

(٢) في (م): ويقال.

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٤٠).

(٤) في (ر): يغيبكم.

والثَّاني: أنَّه الرِّيحُ العاصِفُ تحْصِبُ، قالَهُ أبو عُبيدةَ(١)، وأنْشدَ الْفرزْدَقُ(٢) [من البسيط]:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الرِّيحِ تَضْرِبُهُمْ   بِحَاصِبٍ(٣) كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْثُورِ(٤)

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الحاصِبُ: الرِّيحُ، سُمِّيت بذلِكَ؛ لأنَّها تحْصِبُ؛ أي: ترْمِي بالحَصْباءِ؛ وهِيَ الحصَى الصِّغارُ(٥).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: قالَ اللُّغويُّونَ: الحاصِبُ: الرِّيحُ الَّتِي فيهَا الحَصَى، وإنَّما قالَ في الرِّيحِ: حاصبًا ولم يقُلْ: حاصِبةً؛ لأنَّه وصفٌ لزِم الرِّيحَ ولم يكُن لهَا مذكَّرٌ تنتقِلُ إليْهِ في حالٍ، فكانَ بمنْزِلَةِ قوْلِهم: حائِضٌ للمرْأةِ، حين لم يقُلْ: رجُلٌ حائِضٌ.

قالَ: وفيهِ جوابٌ آخَرُ، وهوَ أنَّ نعْتَ الرِّيحِ عرِيٌّ(٦) مِن علامَةِ التَّأْنيثِ، فأشْبهَتْ بذلِك أسْماءَ المذكَّرِ، كما قالُوا: السَّماءُ أمْطر، والأرْضُ أنْبت.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٥).

(٢) في (س)، و(م): للفرزدق.

(٣) في الأصل، و(ر): كحاصب، والمثبت من (س)، و(م).

(٤) البيت للفرزدق؛ كما في تفسير الثعلبي (٦/ ١٤٤)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٣٦)، والكامل؛ للمبرد (٣/ ٤٥)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ٤٧٢)، ونديف القطن: قطع القطن المتناثرة، يريد البَرَد، شبَّهَهُ بنديف القطن في اللون.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٦) ليست في (ر).

والثَّالث: أنَّ الحاصِبَ: التُّرابُ الَّذِي فيهِ حصْباء، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾؛ أي: مانِعًا وناصرًا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في البحْـرِ ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: مـرَّة أُخْـرى، والجمْـع تـارَّات. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ قـالَ أبـو عُبيـدَةَ: هـيَ الَّتـي تقْصِـفُ كُلَّ شيْءٍ(٢). وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: القاصِـفُ: [الرِّيـحُ الَّتـي](٣) تقْصِـفُ الشَّـجرَ؛ أي: تكْـسِرُه(٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وقـرَأ أبـو المتـوكِّل، وأبـو جعْفـرٍ، وشـيْبَةُ، ورُويـسٍ: «فتُغْرِقَكُـمْ» بالتَّـاء، وسُـكونِ الغـيْنِ، وتخْفِيـفِ الـرَّاءِ(٥). وقـرَأ أبـو الجَـوْزاءِ، وأيُّـوبُ: «فيُغَرِّقَكُـم» باليَـاءِ، وفتْـحِ الغـيْنِ، وتشْـدِيدِها(٦). وقـرَأ أبـو رجَـاءٍ مثْلَـه، إلَّا أنَّـه بالتَّـاء(٧).

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾؛ أي: بكُفرِكُـم حيْـثُ نجوْتُـم في المـرَّة الأُولى، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٨٥).

(٣) من (م).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٥) قراءة عشرية، انظرها في النشر (٢/ ٣٠٨)، ولمجاهد في البحر المحيط (٧/ ٨٣).

(٦) في (س): وتشديد الراء.

(٧) هـي قـراءة أبي عمـرو مـن روايـة السـوسي عـلى قاعدتـه، انظـر: التيسـير (ص: ٢٢)، وانظـر عـزو القـراءة الثانيـة في الكامـل؛ للهـذلي (ص: ٥٨٨)، والنـشر (٢/ ٣٠٨)، وزادا ابـن مقسـم وقتـادة، والـكل في البحـر المحيـط (٧/ ٨٣).

﴿لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: أي: مَن يَتْبَعُنا[١] بدمائِكُم؛ أي: يُطالِبُنا[٢].

قالَ عبدُ الله بنُ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ريحُ العذابِ أربعٌ: اثْنتانِ في البرِّ، واثْنتانِ في البَحْرِ، فاللَّتان في البرِّ: الصَّرْصَرُ، والعَقِيمُ، واللَّتانِ في البَحْرِ: العاصِفُ، والقَاصِفُ[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾؛ أي: فضَّلْناهُم. قالَ أبو عُبيدةَ: و«كرَّمْنا» أشدُّ مبالغةً مِنْ «أَكْرَمْنا»[٤].

وللمُفسِّرينَ فيما فُضِّلُوا بِهِ أحدَ عشرَ قوْلًا:

أحدُها: أنَّهم فُضِّلُوا على سائرِ الخلْقِ غيرَ طائفةٍ مِنَ الملائكةِ: جبْريلَ، وميكائِيلَ، وإسْرافيلَ، وملَكِ الموْتِ، وأشْباهِهِم، قالَه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

فعلَى هذا يكونُ المرادُ: المؤمِنينَ منْهُم، ويكونُ تفْضيلُهم بالإيمانِ. [٤٨٢/أ]

---

(١) في (م): يتبع.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في المطر والرعد (ص: ١٦٣) (١٧٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٢٩) من طريق خلف بن خليفة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، قال: "الرياح ثمان: أربع منها عذاب، وأربع منها رحمة، فأمَّا العذاب منها: فالقاصف، والعاصف، والعقيم، والصرصر، قال الله تعالى: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦] قال: مشؤمات، وأمَّا رياح الرحمة: فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات".

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٨٦).

والثَّاني: أنَّ سائرَ الحيوانِ يأكُل بفِيهِ، إلَّا ابْنَ آدمَ فإنَّه يأْكُل بيدِه، رَواه ميْمُونُ بْنُ مهْرَانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

وقالَ بعْضُ المفسِّرينَ: المرَادُ بهذَا التَّفْضِيلِ: أكْلُهم بأيْدِيهم، ونظافَةُ مَا يقْتَاتُونَه؛ إذِ الجِنُّ يقْتَاتُونَ العِظامَ والرَّوثَ.

والثَّالث: فُضِّلُوا بالعَقلِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والرَّابع: بالنُّطق والتَّمْييزِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والخامِسُ: بتعْدِيلِ القامَةِ وامْتدادِهَا، قالَه عطَاءٌ.

والسَّادس: بأنْ جعَل محمَّدًا ﷺ منْهُم، قالَه محمَّد بْنُ كعْبٍ.

والسَّابع: فُضِّلُوا بالمطاعِمِ واللَّذَّات في الدُّنْيا، قالَه زيْدُ بْنُ أسْلَمَ.

والثَّامن: بحُسْنِ الصُّورةِ، قالَه يمان.

والتَّاسع: بتسليطِهِم على غيْرِهِم مِنَ الخلْقِ، وتسْخِيرِ سائِرِ الخلْقِ لهُم، قالَه محمَّدُ بْنُ جريرٍ(٣).

والعاشر: بالأمْرِ والنَّهيِ، ذكَره الماوردِيُّ(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٧٧) مختصرا، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٩٢)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٥٧) منسوبًا للكلبي، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٠١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٠) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٩٢).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠١).

(٤) النكت والعيون (٦/ ١١٤).

والحادي عشرَ: بأنْ جُعلَتِ اللِّحى للرِّجالِ، والذَّوائبُ للنِّساءِ، ذكرَهُ الثَّعلبيُّ(١).

فإنْ قيلَ: كيْفَ أُطلِقَ ذكْرُ الكرَامَةِ علَى الكُلِّ، وفيهِمُ الكافِرُ المهَانُ؟.

فالجوَابُ مِن وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه عامَلَ الكُلَّ مُعاملةَ المكرَّمِ بالنِّعَمِ الوَافِرةِ.

والثَّاني: أنَّه لَمَّا كانَ فيهِم مَن هوَ بهذِه الصِّفَةِ، أجْرَى الصِّفَةَ علَى جَماعتِهِم؛ كقوْلِه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ علَى أكْبادٍ رطِبَةٍ، وهيَ: الإبِلُ، والخيْلُ، والبغَالُ، والحَميرُ، {و} فِي {الْبَحْرِ} علَى أعْوادٍ يَابِسةٍ، وهيَ: السُّفُن. ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الحلَالُ.

والثَّاني: المسْتَطابُ في الذَّوقِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه علَى لفْظِه، وأنَّهُم لم يُفضَّلُوا على سائِرِ المخلُوقَاتِ.

وقد ذكرْنَا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّهُم فُضِّلُوا علَى سائِرِ الخلْقِ غيْرَ طائفَةٍ مِنَ الملائكَةِ. وقالَ غيْرُه: بلِ الملائِكَةُ أفْضَلُ.

---

(١) الكشف والبيان (١٦/ ٣٩٣).

والثَّاني: [أنَّ][١] معْناه: وفضَّلْناهم علَى جميعِ ممَّنْ[٢] خلقْنَا. والعربُ قَدْ تضَعُ الأكْثَرَ والكثيرَ في موْضعِ الجمْعِ؛ كقوْلِه: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

وقد رَوى أبو هُريرةَ عن رسُولِ اللهِ ﷺ أنَّه قالَ: «**الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ عزَّ وجلَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ**»[٣].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧١ - ٧٢].

قوْلُه تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: هوَ منْصُوبٌ على معْنَى: اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾، والمرَادُ به: يوْم القِيامةِ[٤]. وقرَأ الحسنُ البصْريُّ: «يوْم يَدْعو» بالياءِ «كُلَّ» بالنَّصْبِ. وقرَأ أبو عِمْرانَ الجُونيُّ: «يوْمَ يُدْعَى» بياءٍ مرْفُوعةٍ، وفتْحِ العَيْنِ، وبعْدَها ألِفٌ، «كُلُّ» بالرَّفْعِ[٥].

---

(١) من (س)، و(م).

(٢) في (س)، و(م): من.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٤) من طريق أبي المُهَزِّم عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه. وأخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣١١) (١٥٠) من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفًا. وهو ضعيفٌ لضعف أبي المهزم، قال عنه في التقريب (ص: ٦٧٦) ترجمة (٨٣٩٧): متروك.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٣).

(٥) قراءتان شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٢٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٢).

وفي المَرَادِ بإمَامِهِم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه رَئِيسُـهُم، قالَـه أبـو صَالِـحٍ عـنِ بْـنِ عبَّـاسٍ، ورَوى عنْـهُ سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ أنَّـه قَـالَ: إمَـامُ هُـدًى أوْ إمَـامُ ضَلالَـةٍ(١).

والثَّـاني: عمَلُهُـم، رَواه عطيَّـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ،(٢) وبـهِ قـالَ الحسَـنُ، وأبـو العَاليـةِ.

والثَّالـث: نَبِيُّهُـم، قالَـه أنَـسُ بْـنُ مالِـكٍ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، وقتـادَةُ، [٤٨٣/أ] ومُجاهِـدٌ في رِوايـةٍ.

والرَّابعُ: كِتابُهُم قالَه عِكْرمَةُ، ومُجاهِدٌ في روايَةٍ. **ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه كِتابُهُمُ الَّذي فيهِ أعْمالُهم، قالَه قتادَةُ، ومُقاتِلٌ(٣).

والثَّاني: كِتابُهُمُ الَّذِي أُنْزل علَيْهِم، قالَه الضَّحَّاكُ، وابْنُ زيْدٍ.

فعلَى القـوْلِ الأوَّلِ يُقـال: يَـا مُتَّبعـي مُوسـى، يـا مُتَّبِعي عِيسـى، يَـا مُتَّبِعي محمَّـدٍ؛ ويُقـال: يَـا مُتَّبِعـي رُؤسـاءِ الضَّلالَـة. **وعـلَى الثَّـاني:** يـا مَـنْ عمِـلَ كـذَا

---

(١) تفسـير سـفيان الثـوري (ص: ١٧٤)، وذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٣/ ٤١١)، والتفسـير البسـيط (٣/ ١١٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٣٥١) إلى ابـن شـيبة وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم وابـن مردويـه.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٠٢) مـن طريـق عطيـة العـوفي عـن ابـن عبـاس، في قولـه: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ قـال: الإمـام: مـا عمـل وأمـلى، فكتـب عليـه، فمـن بعـث متقيًـا لله جَعَـل كتابـه بيمينـه، فقـرأه واسـتبشر، ولم يظلـم فتيـلًا، وهـو مثـل قولـه: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ والإمـام: مـا أمـلى وعمـل.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٢).

وكـذا. وعـلَى الثَّالـث: يـا أمَّـةَ مُوسـى، يَـا أُمَّـةَ عِيسـى، يَـا أُمَّـةَ محمَّـدٍ. وعـلَى الرَّابـع: يـا أهْـلَ التَّـوراةِ، يـا أهْـلَ الإنْجيـلِ، يـا أهْـلَ القُـرآنِ، أوْ يَـا صَاحِـبَ الكِتَـابِ الَّـذي فيـهِ عمِـلَ كـذَا وكـذَا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ﴾ معْناهَا: يقْرؤُون حسَـنَاتِهم؛ لأنَّهم أَخَـذُوا كُتبَهُـم بأَيْمانِهِم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾؛ أي: لَا ينْقُصـون مِـن ثوَابِهِـم بقـدْرِ الفَتِيـلِ، وقـد بيَّنَّـاه في سـورة النِّسـاء [آيـة: ٤٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونَافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ: «أَعْمَـى فهُـوَ في الآخِـرَةِ أَعْمَـى» مفْتُوحَتَـي الميـمِ. وقـرَأ حمْـزةُ، والكِسـائِيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ بكسْـرِ الميمَـيْنِ. وقـرَأ أبـو عمْـرٍو: «فِي هَـذِهِ أَعْمِـي» بكـسْرِ الميـم، «فهُـو فِي الآخِـرَة أَعْمَـى» بفتْحِهَـا[١].

وفي المشَارِ إليْهَا بـ«هَذِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الدُّنْيا، قالَه مُجاهِدٌ.

ثُمَّ في معْنَى الكلَامِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: مَـن كانَ فِي الدُّنْيَـا أَعْمَـى عـنْ معْرِفـةِ قُـدْرةِ اللهِ في خلْقِ الأشْـياءِ، فهـوَ عـمَّا وُصِـفَ لـه فِي الآخِـرَة أعْمَـى، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْنِ عبَّـاسٍ[٢].

---

(١) قراءات سبعية، انظرها في: السبعة (ص: ٣٨٣)، والتيسير (ص: ١٤٠).

(٢) أخرجـه أبـو الشـيخ في العظمـة (١/ ٢٤٤) (٢٦) مـن طريـق أبي روق، عـن الضَّحـاك، عـن ابـن عبـاس رضي الله عنهـما، ثـم قـال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾، يقـول: مـن كان في=

والثَّاني: مَن كانَ في الدُّنْيا أعْمَى بالكُفْر، فهوَ في الآخِرَة أعْمَى؛ لأنَّه في الدُّنْيا تُقبَل توْبتُه، وفي الآخِرَةِ لا تُقْبَل، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: مَن عمِيَ عنْ آيَاتِ اللهِ في الدُّنْيا، فهوَ عنِ الَّذي غُيِّب عنْه مِن أمُورِ الآخِرةِ أشَدُّ عمًى.

والرَّابع: مَن عمِيَ عَن نِعَمِ اللهِ الَّتي بيَّنَها في قوْلِه: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾... إلى قوْلِه: ﴿تَفْضِيلًا﴾ فهوَ في الآخِرَة أعْمَى عنْ رشَادِه وصَلاحِه، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ.

والخامِس: مَن كانَ فيهَا أعْمَى عنِ الحُجَّةِ، [فهُوَ في الآخِرةِ أعْمَى عنِ الجنَّةِ][1]، قالَه أبو بكْرٍ الورَّاقُ.

والثَّاني: أنَّها النِّعَمُ. ثُمَّ في الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدهما: مَن كانَ أعْمَى عنِ النِّعَمِ الَّتي تُرى وتُشاهَدُ، فهوَ في الآخِرَةِ الَّتي لم تُرَ أعْمَى، رَواه عِكْرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

والثَّاني: مَن كانَ أعْمَى عنْ معْرِفةِ حقِّ اللهِ تعَالى في هذِه النِّعَمِ المذْكُورة في قوْلِه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يُؤدِّ شُكرهَا، فهوَ فيمَا بيْنَه وبيْنَ اللهِ ممَّا يُتقرَّب بهِ إليْهِ أعْمَى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، قالَه السُّدِّيُّ.

=الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي من خلق السماء والأرض والجبال والبحار والناس والدواب، وأشباه هذا، فهو عما وصفت له في الآخرة ولم يره أعمى وأضل سبيلًا يقول: وأبعد حجة"، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤١٤).

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٠٣).

قَالَ أبو عليٍّ الفارسيُّ: ومعْنَى قوْلِه: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾؛ أي: أشَدّ عمًى؛ لأنَّه كانَ في الدُّنْيا يُمكِنُه الخُروجُ عنْ عَماهُ بالإسْتِدلالِ، ولا سبيلَ له في الآخِرةِ إلى الخُروجِ مِنْ عَماهُ. وقِيلَ معْنَى العَمَى في الآخِرةِ: أنَّه لا يهْتَدِي إلى طرِيقِ الثَّوابِ، وهذَا كلُّه مِن عمَى القلْبِ[1].

فإنْ قيلَ: لِمَ قالَ: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ ولَمْ يقُلْ: أشَدّ عمًى؛ لأنَّ [٤٨٣/ب] العمَى خلْقةٌ بمنْزلة الحُمْرةِ، والزُّرْقةِ، والعربُ تقُول: ما أشَدَّ سَوادَ زيْدٍ، ومَا أبْينَ زُرقَةَ عمْرٍو، وقلَّما يقُولُون: مَا أسْودَ زيْدًا، ومَا أزْرقَ عمْرًا؟

فالجوابُ: أنَّ المرادَ بهذَا العمَى عمَى القلْبِ، وذلِك يتزايَدُ ويحدُثُ منْهُ شيْءٌ بعْدَ شيْءٍ، فيُخالِفُ الخلْقَ اللَّازمَةَ الَّتي لا تزِيدُ؛ نحْوُ: عمَى العَيْنِ، والبَياضِ، والحُمْرةِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٧].

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١١٣).

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ في سببِ نُزولِها أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ وفْـدَ ثقِيفٍ أَتَـوا رَسُـولَ اللهِ ﷺ فقَالُـوا: متِّعْنَـا بالـلَّاتِ سَـنَةً، وحـرِّمْ وَادِينـا كـمَا حَرَّمْـتَ مكَّـةَ، فأَبـى ذلِـك، فأَقْبَلُـوا يُكثـرونَ مسْـأَلَتهُم، وقالُـوا: إنَّـا نُحـبُّ أنْ تعْـرِفَ العـرَبُ فضْلَنَـا عليْهِـم، فـإنْ خشِـيتَ أنْ تقُـولَ[١] العـرَبُ: أعْطَيْتَهُـم مَـا لم تُعْطِنـا، فقُـلْ: اللهُ أمَـرَنِي بذلِـكَ؛ فأمْسَـكَ رسُـولُ الله ﷺ عنْهـم، ودَاخلَهُـم الطَّمَـعُ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، رَواه عطَـاءٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[٢].

ورَوى عطِيَّـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّهُـم قالُـوا: أجِّلْنَـا سـنَةً، ثُـم نُسْـلِم ونكْسِـر أصْنامَنَـا، فهَـمَّ أنْ يُؤَجِّلَهُـم، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[٣].

والثَّـاني: أنَّ المشْركِـينَ قالُـوا للنَّبِـيِّ ﷺ: لا نَكُـفُّ عنْـكَ إلَّا بـأنْ تُلِـمَّ بآلهتِنَـا، ولـوْ بأطْـرَافِ أصَابِعِـكَ، فقَـال رسُـول اللهِ ﷺ: «مَـا عَـلَيَّ لَـوْ فعَلْـتُ

---

(١) في (م): يقول.

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٥١٠- ٥١١) من طريق موسى بن إسماعيل، قال حدثنا حماد، عن الكلبي، والعسكري في الأوائل (ص: ١٠٥) من طريق الجوهري، قال: حدثنا بن سلمة، عن الكلبي أيضًا. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٠٨) عن ابن عبَّاس، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٩)، والتفسير البسيط (١٣/ ٤١٩) بلا سنَد -منقطعة- عن عطاء، عن ابن عبَّاس.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٠٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس قوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ وذلك أن ثقيفًا كانوا قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله أجِّلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجِّلهم، فقال الله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾، والأثر ضعيف من الطريقين؛ طريق العوفي وعطاء، ولا يخفى طريق الكلبي.

وَاللهُ يعْلَمُ أَنِّي لَكَارِهٌ؟» فنزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ[(١)].

وهذَا باطِلٌ لا يجُوزُ أنْ يُظَنَّ برسُولِ اللهِ ﷺ، ولا مَا ذكرْنَا عنْ عطِيَّةَ مِنْ أنَّه هَمَّ أنْ يُنْظِرَهُم سنَةً، وكُلُّ ذلِكَ مُحالٌ فِي حقِّه وفي حقِّ الصَّحابةِ أنَّهُم رَووا عنْهُ.

والثَّالِثُ: أنَّ قُرِيشًا خَلَوْا برَسُولِ اللهِ ليْلَةً إلى الصَّبَاحِ يُكلِّمُونَهُ ويُفَخِّمُونَهُ، ويقُولُونَ: أنْتَ سيِّدُنا وابْنُ سيِّدِنا، ومَا زَالُوا بهِ حتَّى كادَ يُقارِبُهم فِي بعْضِ مَا يُريدُونَ، ثُمَّ عصَمَهُ اللهُ مِن ذلِكَ، ونزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَه قتَادَةُ[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٦)، من طريق يعقوب القُمِّي، عن جعفر، عن سعيد، قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندَعُه حتى يلمَّ بآلهتنا، فحدّث نفسه، وقال: ما عَلَيَّ أنْ أُلِمَّ بها بَعْدَ أنْ يَدَعُونِي أَسْتَلِمُ الحَجَرَ، وَاللهُ يَعْلَمُ أني لَها كارِهٌ، فأَبى الله، فَأَنزلَ الله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾... الآية، وهذه الرواية من رواية ابن حميد -محمد بن حميد بن حيان- أحد حذاق الكذب، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب لبعضها على بعض، وكان يركب الأسانيد... وكان يحدِّث بما لم يسمعْه. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٩١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٢٩)، وميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٧)، من طريق بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ذكر لنا أن قريشًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسوّدونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلِّمونه حتى كاد أن يقارفهم، ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٢٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٠٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٧).

والرَّابعُ: أنَّهم قالَوا لِرسُول اللهِ ﷺ: اطْرُدْ عنْكَ سُقَاطِ النَّاسِ، ومَوَالِيهِم، وهُؤلاءِ الَّذين رائِحتُهُم رَائِحةُ الضَّأْنِ، وذلِك أنَّهم كانُوا يلْبَسُون الصُّوفَ، حتَّى نُجالِسَكَ ونسْمَعَ منْكَ، فهَمَّ رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يفْعَلَ مَا يسْتدْعِي بهِ إسْلامَهُم، فنزلَتْ هذِه الآياتُ(١)، حكاهُ الزَّجَّاجُ؛ قالَ: ومعْنَى الكَلَامِ: كادُوا يفْتِنُونَكَ، ودخلَتْ إنْ واللَّامُ للتَّوْكيدِ(٢).

قالَ المفَسِّرونَ: وإنَّما قالَ: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾؛ لأنَّ فِي إعْطَائِهم مَا سألُوا مُخالفةً لحُكْمِ القُرآنِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿لِتَفْتَرِيَ﴾؛ أي: لِتَخْتلِقَ ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ وهوَ قوْلُهم: قُلْ: اللهُ أمَرنِي بذلِكَ، ﴿وَإِذًا﴾ لوْ فعلْتَ ذلِكَ ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾؛ أي: وَالَوك وصافَوك.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ علَى الحَقِّ؛ لِعصْمَتِنا إيَّاكَ ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: همَمْتَ وقارَبْتَ أنْ تميلَ إلى مُرادِهم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [٤٨٤/أ] قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وذلِك حينَ سكَتَ عنْ جوَابِهم، واللهُ أعْلَم بنِيَّتِه(٣).

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٨) إلى ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير رضي الله عنه: أنَّ قريشًا أتوا النبي ﷺ فقالوا له: إن كنت أُرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقّاط الناس ومواليهم؛ لنكون نحن أصحابك، فركن إليهم، فأوحى الله إليه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٢٠)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٠).

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: الفعْلُ فِي الظَّاهرِ للنَّبيِّ ﷺ، وفي البَاطِنِ للمُشْركينَ، وتقْدِيرُه: لقَدْ كَادُوا يرْكِنُونَكَ إلَيْهِم، وينْسِبُون إلَيْكَ ما يشْتَهُونَه ممَّا تكْرَهُه، فنَسَبَ الفِعْلَ إلى غيْرِ فاعِلِه عنْدَ أمْنِ اللَّبسِ؛ كما يقُول الرَّجُلُ للرَّجُلِ: كدْتَ تقْتُلُ نفْسَكَ اليَوْمَ، يُريد: كدْتَ تفْعَلُ فعْلًا يقْتلُكَ غيْرُكَ مِنْ أجْلِه؛ فهذَا مِنَ المجازِ والاتِّسَاعِ وشبِيه بهذَا قوْلُه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وقوْلُ القَائِلِ: لَا أرينَّكَ فِي هذَا المَوْضِعِ[(١)].

قوْلُه تعَالَى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ المعْنَى: لو فعلْتَ ذلِك الشَّيْءَ القَلِيلَ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾؛ أي: ضِعْفَ عذَابِ الحيَاةِ ﴿وَضِعْفَ﴾ عذَابِ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾، ومثْلُه قوْلُ الشَّاعرِ [من الكامل]:

.... وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ[(٢)]

أي: أهْلُ المجلِسِ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ضعْفَ عذَابِ الدُّنْيا والآخِرةِ[(٣)]. وكانَ رسُولُ اللهِ

---

(١) ذكر ذلك عنه مكيٌّ في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٣٥٨)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٧/ ٩٠).

(٢) البيت للمهلهل أخي كليب؛ كما في الأمالي؛ لأبي علي (١/ ٩٥)، وديوان المعاني (٢/ ١٧٦)، والحماسة بشرح التبريزي (ص: ٣٨٥)، والصناعتين (ص: ٢٠٣)، والكامل؛ للمبرد (١/ ٢٥١)، والعقد الفريد (٣/ ٢٥٠)، وصدره:

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ *** ....

واستب القوم: تسابوا. يريد أنه كان لا توقد مع ناره نار لعظم ناره وعمومه بالإطعام، وأنه كان لهيبته لا يتساب الناس في مجلسه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٠٩)، من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس،=

ﷺ معصومًا، ولكنَّهُ تخويفٌ لِأُمَّتِه؛ لئلَّا يركَنَ أحدٌ مِنَ المؤمنينَ إلى أحدٍ مِنَ المشْركينَ في شيْءٍ مِنْ أحْكامِ اللهِ وشَرائعِهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ نُزولِها: قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا قدِمَ المدينَةَ، حسَدَتْهُ اليهُودُ على مقَامِهِ بالمدينَةِ، وكرِهُوا قُرْبَهُ، فأَتَوْهُ، فقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! أَنبِيٌّ أنْتَ؟ قالَ: «نَعَمْ!» قالُوا: فوَاللهِ لقَدْ علِمْتَ مَا هذِهِ بأرْضِ الأنْبياءِ، وإنَّ أرْضَ الأنْبياءِ الشَّامُ، فإنْ كُنْتَ نَبِيًّا فائْتِ الشَّامَ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)].

وقالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: همَّ رسُولُ الله ﷺ أنْ يشْخصَ عنِ المدينَةِ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ[(٢)].

=قولـه: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٩) إلى ابن جرير.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٠) من طريق محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبيّ ﷺ: إنَّ أرض الأنبياء أرض الشام، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾. وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٢٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤١١)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١١٢) من رواية الكلبي.

(٢) ذكره السيوطي الدر المنثور (٥/ ٣٢٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جُبير رضي الله عنه قَالَ: قَالَ الْمُشركُونَ للنَّبِي ﷺ: كَانَت الْأَنبِيَاء عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام يسكنون الشَّام فمالك وَالْمَدينَة فَهَمَّ أن يشخص فَأنْزل الله تَعَالَى ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾... الْآيَة.

وقَالَ عبْدُ الرَّحمَنِ بْنُ غَنْمٍ: لَمَّا قالَتْ له اليَهودُ هذَا: صدَّقَ مَا قالُوا، وغَزَا غزْوَةَ تبُوك لَا يُريد إلَّا الشَّامَ، فلمَّا بلَغَ تبُوكَ، نزَلَتْ هذِه الآيةُ(١).

والثَّاني: أنَّهمُ المشْركُونَ أهْلُ مكَّةَ همُّوا بإخْرَاجِ رسُولِ اللهِ ﷺ مِن مكَّةَ، فأمَرَهُ اللهُ بالخُروجِ، وأنْزَل هذِه الآيةَ إخْبارًا عمَّا همُّوا بهِ، قالَه الحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

وقالَ قتادَةُ: هَمَّ أهْلُ مكَّةَ بإخْراجِه مِن مكَّة، ولوْ فعَلُوا ذلِك ما نُوظِرُوا، ولكنَّ اللهَ كفَّهُم عنْ إخْراجِه حتَّى أمَرَهُ بالخُروجِ(٢).

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤١٢) من طريق روح بن عبادة، قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام، قال: حدثنا شهر بن حوشب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه أنَّ اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! إن كنت صادقًا أنك نبي فالحق بالشام، فإنها أرض المحشر والمنشر وأرض الأنبياء، فصدّق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك، لا يريد بذلك إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى عليه آية من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك ومنها تبعث. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٨)، والحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٩/ ٥٠) نقلًا عن البيهقي بطريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بلفظ المصنف، ثم قال ابن كثير: وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح، فإنَّ النبي -ﷺ- لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾، ولقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٠) من طريق بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ =

وقِيلَ: ما لَبِثُوا بعْدَ ذلِك حتَّى بعَثَ اللهُ عليْهِم القتْلَ ببَدْرٍ.

فعَلى **القَوْلِ الأَوَّلِ**، المشَارُ إليْهِم، اليَهُودُ، والأَرْضُ: المدِينَةُ. **وعلَى الثَّاني**: همُ المشْرِكُونَ، والأرْضُ: مكَّةُ. وقد ذكَرْنَا معْنَى الِاسْتِفْزازِ آنفًا [الإسراء: ٦٤]، وقيل: المرادُ بهِ هَاهُنا: القتْلُ، لِيخْرِجُوه مِنَ الأرْضِ كُلِّها؛ رُوِيَ عنِ الحَسنِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ قرَأ ابنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «خَلْفَكَ». وقرَأ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «خِلَافَكَ»(١).

قالَ الأَخفشُ «خِلَافَكَ» في معْنَى «خَلْفَكَ»(٢). [٤٨٤/ب]

والمعْنَى: لَا يلْبَثُون بعْدَ خُروجِكَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لوْ أخْرَجُوكَ لَاسْتَأْصَلْنَاهُم بعْدَ خُروجِكَ بقَلِيلٍ، وقدْ جازَاهُمُ اللهُ علَى مَا همُّوا بهِ، فَقتَلَ صنَادِيدَ المشْرِكينَ ببَدْرٍ، وقتَلَ مِنَ اليهُودِ بنِي قُريظَةَ، وأجْلَى النَّضِير.

وقَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: **معْنَى الكَلامِ**: لَا يلْبَثُون علَى خِلافِكَ ومُخالَفتِكَ، فسَقَطَ حرْفُ الخفْضِ.

= ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقد همّ أهل مكة بإخراج النبيّ ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطّنوا، ولكن الله كفّهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبيّ الله ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر.

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤١).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٢٥).

وقـرأ أبـو رَزيـنٍ، وأبـو المتـوكِّل: «خُلَّافُـكَ» بضَـمِّ الخَـاءِ، وتشْـديدِ الـلَّامِ، ورفْـعِ الفَـاءِ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا ﴾.

قـالَ الفـرَّاءُ: نصَـبَ السُّـنَّةَ عـلَى العـذَابِ المضْمَـرِ؛ أي: يُعذَّبُـونَ كسُـنَّتِنَا فيمَـنْ أرْسَـلْنَا[2]. وقـالَ الأخْفَـشُ: المعْنَـى: سَـنَّهَا سُـنَّةً[3].

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: انْتصَـبَ بمعْنَـى: «لَا يلْبَثُـونَ»، وتأْوِيلُـه: إنَّـا سَـنَنَّا هـذِه السُّـنَّةَ فيمَـنْ أرْسَـلْنَا قبْلَـكَ أنَّهـم إذَا أَخْرَجُـوا نبيَّهُـم أوْ قتلُـوه، لم يلْبَـثِ العذَابُ أنْ ينْـزِلَ بهِـمْ[4].

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء: ٧٨ - ٨١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ أي: أدِّهَا ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾؛ أي: عنْدَ دُلُوكِهَا.

وذَكَر ابْنُ الأنْبارِي في اللَّامِ قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى «في».

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٣)، والبحر المحيط (٦/ ٦٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

والثَّاني: أنَّها مُؤكِّدةٌ؛ كقوْلِه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

قالَ أبو عُبيدةَ: دُلُوكُها: مِن عنْد زَوَالِها إلى أنْ تغِيبَ(١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: ميْلُها وقْتَ الظَّهِيرةِ دُلُوكٌ، وميْلُها للغُروبِ دُلُوكٌ(٢).

وقالَ الأزْهَريُّ: معْنَى الدُّلُوكِ في كلَامِ العرَبِ: الزَّوَالُ، ولِذلِكَ قِيلَ للشَّمْسِ إذَا زَالَتْ نصْفَ النَّهارِ: دَالِكةٌ، وإذَا أفَلَتْ: دَالِكةٌ؛ لأنَّها في الحَالَتَيْنِ(٣) زَائِلةٌ(٤).

وللمُفسِّرينَ في المُرَادِ بالدُّلُوك هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه زَوالُها نصْفَ النَّهارِ.

رَوى جابِرُ بْنُ عبْدِ اللهِ قالَ: دَعْوتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ومَنْ شاءَ مِنْ أصْحابِه، وطَعِمُوا(٥) عنْدِي، ثُمَّ خرَجُوا حِينَ زالَتِ الشَّمْسُ، فخَرَج رسُولُ اللهِ ﷺ، وقالَ: «اخْرُجْ يَا أبَا بَكْرٍ» فهَذَا حِينَ(٦) دَلَكَتِ الشَّمْسُ(٧)؛ وهذَا قوْلُ

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

(٣) في (م): الحالين.

(٤) تهذيب اللغة (١٠/ ٦٩).

(٥) في (س)، و(م): فطعموا.

(٦) في (م): حيث.

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٨) من طريق محمد بن أبي ليلى، عن رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: دعوت نبيّ الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبيّ ﷺ فقال: "اخْرُجْ يا أبا بَكْرٍ قَدْ دَلَكَتِ الشَّمْسُ"،=

ابْـنِ عُمـرَ، وأبي بَرْزَةَ، وأبِي هُريرةَ، والحَسـنِ، والشَّـعْبيِّ، وسـعِيدِ بْـنِ جُبيرٍ، وأبي العَاليـةِ، ومُجاهِـدٍ، وعَطـاءٍ، وعُبيدِ بْنِ عُمـيرٍ، وقتـادَةَ، والضَّحَّـاكِ، ومُقاتلٍ، وهوَ اخْتِيـارُ الأزْهَرِيِّ.

قـالَ الأزْهَـريُّ: لِتكـونَ الآيـةُ جامعـةً للصَّلَـواتِ الخمْـسِ، فيكُـونُ المعْنَـى: أقِـمِ الصَّـلاةَ مِـن وقْـتِ زَوالِ الشَّـمْسِ إلى غسَـقِ اللَّيْـلِ، فيَدْخُـل فيهَـا الأُولى، والعَـصْرُ، وصَلَاتَـا غسَـقِ اللَّيْـلِ؛ وهُمـا العِشَـاءَانِ، ثُـمَّ قـالَ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، فهـذِه خمْـسُ صلَـوَاتٍ[١].

والثَّـاني: أنَّـه غُروبُهـا، قالَـه ابْـنُ مسْـعُودٍ، والنَّخَعـيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ، وعـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ كالقوْلَـيْنِ.

قـالَ الفـرَّاءُ: ورأَيْـتُ العـرَبَ تذْهَـبُ في الدُّلُـوكِ إلى غَيبُوبـةِ الشَّـمْس[٢]، وهـذَا اخْتِيـارُ ابْـنِ قُتيبـةَ، قـالَ: لأنَّ العـرَبَ تقُـول: دلَـكَ النَّجْـمُ[٣]؛ إذا غـابَ؛ قـالَ ذُو الرُّمـةِ [مـن الطويـل]:

مَصَابِيـحُ لَيْسَـتْ بِاللَّـوَاتِي تَقُودُهَـا   نُجُومٌ وَلَا بِالْآفِلَاتِ الدَّوَالِكِ[٤]

=والإسـناد ضعيـف؛ لإبهـام شـيخ ابـن أبي ليـلى، وقـد أخرجـه الطـبري أيضًـا مـن طريـق الأسـود بـن قيـس، عـن نبيـح العنـزي، عـن جابـر بـن عبـد الله بـه، بنحـوه، ونبيـح مجهـول.

(١) تهذيب اللغة (١٠/ ٦٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٤) البيـت لـذي الرمـة في ديوانـه (٣/ ١٧٣٤)، ومجـاز القـرآن (١/ ١٩٩)، وتفسـير الطـبري (١١/ ٤٨٥)، وكتـاب الأفعـال؛ للسرقسـطي (١/ ٩٢)، والأزمنـة والأمكنـة؛ للمرزوقـي،=

وتقُولُ فِي الشَّمْسِ: دلَكَتْ بَرَاحِ[١]، يُرِيدونَ: غرَبتْ، والنَّاظِر قد وضَعَ كَفَّهُ علَى حاجبِهِ ينْظُر إلَيْهَا، قالَ الشَّاعِرُ [من الرجز]: [٤٨٥/أ]

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفَا

أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا[٢]

فشَبَّهَها بالمريضِ[٣] الدَّنَفِ؛ لأنَّها قدْ هَمَّتْ بالغُروبِ كما قارَبَ الدَّنِفَ الموْتُ، وإنَّما ينْظُر إليْهَا مِن تحْتِ الكَفِّ لِيعلَمَ كمْ بقِيَ لَها إلى أنْ تغِيبَ، ويَتوقَّى الشُّعاعَ بكفِّه.

فعلَى هذَا المَرَادُ بهذِه الصَّلاةِ: المغرِبُ. فأمَّا غسَقُ اللَّيلِ: فهُوَ ظَلَامُه[٤].

وفي المَرَادِ بالصَّلاةِ المتعلِّقةِ بغسَقِ اللَّيْلِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: العِشَاءُ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ.

=(ص: ٢٩٢)، والكشف والبيان (١٦/ ٤١٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٣٧)، مصابيح: يعني الإبل تصبح في مباركها. **والآفلات**: الغائبات، يقال: أفل النجم: إذا غاب، **والدوالك**: يقال: دلكت: إذا غابت أو دنت للمغيب.

(١) براح بفتح الباء: اسم للشمس، ومن كسر الباء فإنه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر.

(٢) الرجز في ديوان العجاج (ص: ٨٢)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٨)، وكتاب الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٢٨٥)، وغريب القرآن (ص: ٢٦٠)، وتفسير الطبري (١٧/ ٥١٧)، ويقال للشمس إذا مالت للمغيب وزالت عن كبد السماء نصف النهار: قد تزحلفت.

(٣) في (م): بالمريض في.

(٤) في (س)، و(م): فظلامه.

والثَّاني: المغْرِبُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى: فيُحتمَلُ أنْ يكُونَ المرَادُ بيانَ وقْتِ المغْرِبِ؛ أنَّه مِنْ غُروبِ الشَّمسِ إلى غسَقِ اللَّيْلِ.

والثَّالث: المغْرِبُ والعِشاءُ، قالَه الحسَنُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ (المعْنَى: وأقِمْ قِراءةَ الفجْرِ)[١].

قالَ المفَسِّرُون: المرَادُ بهِ: صَلاةُ الفجْرِ. قالَ الزَّجَّاجُ: وفي هذَا فائدةٌ عظِيمةٌ تدلُّ علَى أنَّ الصَّلاةَ لا تكُونُ إلَّا بِقراءةٍ، حِينَ سُمِّيتِ الصَّلاةُ قُرآنًا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ روى أبو هُريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**تَشْهدُهُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ، ومَلائِكَةُ النَّهارِ**»[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فصَلِّ بالقُرْآنِ[٤]. قالَ مُجاهِدٌ، وعلْقمَةُ، والأسْوَدُ: التَّهجُّدُ بعْدَ النَّوْمِ[٥].

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٧٤)، والترمذي في جامعه (٣١٣٥)، وابن ماجه في سننه (٦٧٠)، والنسائي في التفسير (٣١٣)، والحاكم (١/ ٢١١) كلهم من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٣٧)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢١).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٤).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: تهَجَّدْتُ: سهِرْتُ(١)، وهَجَدْتُ: نِمْتُ(٢).

وقالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: التَّهَجُّدُ هاهُنا بمَعْنَى: التَّيقُّظُ والسَّهرُ، واللُّغويُّون يقُولونَ: هوَ مِن حُروفِ الأضْدادِ؛ يُقالُ للنَّائمِ: هاجِدٌ ومُتهَجِّدٌ، وكذلِك للسَّاهِرِ، قالَ النَّابغةُ [من الكامل]:

وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبَدَ الْإِلَهَ صَرُورَةٍ مُتَهَجِّدِ

لَرَنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَخَالَهُ رَشَدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ(٣)

يعْنِي بالمتَهجِّدِ: السَّاهِرَ(٤)، وقالَ لَبِيدٌ [من الرمل]:

قَالَ هَجِّدْنَا فَقَدْ طَالَ السُّرَى ....(٥)

---

(١) في الأصل، و(ر): سررت، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٦٠).

(٣) البيتان للنابغة؛ كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٦)، والشعر والشعراء (١/ ١٦٠)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٥٢)، وزهر الآداب (١/ ٥١)، والعمدة في محاسن الشعر (١/ ٢٦٣)، الصرورة: الذى لم يأت النساء، وقال ابن الأعرابى: الذى لم يبرح من مكانه، يريد من صومعته.

(٤) الأضداد (ص: ٥٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦٦).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٩٢)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٩)، وأدب الكاتب (ص: ٤٥٦)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣/ ٢٥٦)، والزاهر (٢/ ٦٧)، والمذكر والمؤنث (١/ ٤٣١)، وعجزه:

.... *** وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَا الدَّهْرِ غَفَلْ

البيت يصف صديقًا له غلبه النعاس في السَّفر؛ لأنَّه يتعود المشقة والابتذال. وخنا الدهر شدائده ومشقاته، وقبله:

وَمُجودٍ من صبابات الكرى *** عاطف النُّمرُق صَدْقِ المبتذل

أي: نَوْمِنَا.

وقَالَ الأزْهَرِيُّ: المتَهجِّدُ: القَائِمُ إلى الصَّلاةِ مِنَ النَّوْمِ. وقِيلَ لَه: مُتهَجِّدٌ؛ لإلْقائِه الهُجودَ عَنْ نفْسِه؛ كَما يُقَال: تحَرَّج وتأثَّمَ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النَّافِلةُ فِي اللُّغَة: مَا كانَ زَائِدًا علَى الأصْلِ.

وفي معْنَى هذِه الزِّيادَةِ في حقِّه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها زَائدةٌ فيما فُرِض عليْهِ، فيكُونُ المعْنَى: فرِيضةً علَيْكَ، وكانَ قدْ فُرضَ عليْهِ قِيامُ اللَّيْلِ، هذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وسعِيدِ بْنِ جُبيرٍ.

والثَّاني: أنَّها زَائدةٌ علَى الفرْضِ، وليْسَتْ فرْضًا، فالمعْنَى: تطوُّعًا وفضِيلةً.

قالَ أبو أُمامةَ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ: إنَّما النَّافلةُ للنَّبِيِّ ﷺ خاصَّةً(٢).

---

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٢٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٥٣٤- ٥٣٤) (٢٢١٩٦)، يزيد بن هارون، أخبرنا سليم بن حيان، حدثنا أبو غالب قال: سمعت أبا أمامة يقول: "إذا وضعت الطهور مواضعه قعدت مغفورًا لك، فإن قام يصلي كانت له فضيلة وأجرا، وإن قعد قعد مغفورًا له". فقال له رجل: يا أبا أمامة أرأيت إن قام فصلى أتكون له نافلة؟ قال: "لا. إنما النافلة للنبي ﷺ. كيف تكون له نافلة وهو يسعى في الذنوب والخطايا؟ تكون له فضيلة وأجرًا"، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٦٢) من طريق محمد بن عبد الملك الواسطي، عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد، وأخرجه الطيالسي بنحوه (١١٣٥) من طريق حماد بن سلمة، عن أبي غالب البصري، به. وأخرجه مرفوعًا أبو يعلى في مسنده، كما في إتحاف الخيرة (٧٥٦) و(٨٥٩٣)، والطبراني في الكبير (٨٠٦٣) من طريق حسين بن واقد المروزي، عن أبي غالب، به. ولم يذكر الطبراني في روايته سؤال الرجل لأبي أمامة، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٥) الأعمش، عن شمر عن عطية، عن شهر، به.=

قَالَ مُجاهِدٌ: وذلِكَ أنَّه قدْ غُفر له ما تقَدَّم مِن ذنْبِه ومَا تأخَّر، فَمَا زَاد علَى فرْضِه فهُوَ نافِلةٌ له وفضِيلةٌ، وهوَ لِغيرِه كفَّارةٌ[١].

وذكرَ بعْضُ أهْلِ العلْمِ أنَّ صلَاةَ اللَّيلِ كانَتْ فرْضًا عليْه فِي الِابْتداء، ثُمَّ رُخِّص له فِي ترْكِهَا، فصَارَتْ نافِلةً. [٤٨٥/ب]

وذكَر ابْنُ الأنْبارِيِّ فِي هذَا قوْلَيْنِ:

أحدُهما: يُقارِب ما قالَه مُجاهِدٌ، فقَال: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ إذَا تنَفَّل لَا يقْدِرُ له أنْ يكُونَ بذلِك مَاحِيًا للذُّنُوبِ؛ لأنَّه قدْ غُفر له مَا تقدَّم مِن ذنْبِه ومَا تأخَّر، وغيْرُه إذَا تنَفَّل كانَ رَاجِيًا، ومقدرًا محْوَ السِّيئاتِ عنْهُ بالتَّنفُّلِ، فالنَّافِلةُ لِرسُولِ اللهِ ﷺ زيَادةٌ علَى الحَاجةِ، وهِيَ لِغيْرِه مفْتَقِرٌ إليْهَا، ومأْمُولٌ بِهَا دفْعُ المكرُوهِ[٢].

والثَّاني: أنَّ النَّافلَةَ للنَّبيِّ ﷺ وأُمَّتِه، **والمعْنَى**: ومِنَ اللَّيلِ فتهجَّدُوا[٣] بِه نافِلةً لكُم، فخُوطِب النَّبيُّ ﷺ بِخطَابِ أُمَّتِه.

قوْلُه تعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ عسَى مِنَ اللهِ وَاجِبةٌ، ومعْنَى ﴿يَبْعَثَكَ﴾ يُقيمكَ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وهوَ الَّذي يحمَدُه لأجْلِه جمِيعُ أهْلِ الموْقِف.

=وأخرجه أيضًا الطبري (١٧/ ٥٢٥) من طريق ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: النافلة للنبيّ ﷺ خاصة من أجل أنه قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٢).

(٣) في (س): فتهجَّدْ.

وفيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الشَّفاعَةُ للنَّاسِ يوْمَ القِيامَةِ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وحُذيفةُ بْنُ اليَمانِ، وابْنُ عُمرَ، وسَلْمانُ الفَارسيُّ، وجابِرُ بْنُ عبْدِ اللهِ، والحسَنُ، وهيَ رِوايةُ ابْنِ أبي نَجِيحٍ عنْ مُجاهِدٍ.

والثَّاني: يُجلِسُه علَى العرْشِ يوْمَ القِيامَةِ. رَوى أبو وَائلٍ عنْ عبْدِ اللهِ أنَّه قرَأَ هذِه الآيةَ، وقالَ: يُقعِدُه علَى العرْشِ[١]، وكذلِكَ رَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وليْثٌ عنْ مُجاهِدٍ[٣].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وقرَأَ الحسَنُ، وعِكْرِمةُ، والضَّحَّاكُ، وحُميدُ بْنُ قَيْسٍ، وقتادَةُ، وابْنُ أبي عَبْلَةَ بفتْحِ الميمِ في «مَدْخل» و«مَخْرَج»[٤].

---

(١) أخرجه الثعلبي (١٦/ ٤٤٧-٤٤٨) بسنده عن أبي همام الوليد بن شجاع، عن علي بن جعفر، عن المسعودي، عن عاصم، عن وائل، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٢٥١) (٢٩٥)، من طريق محمد بن عقبة الشيباني، وأحمد بن الفرج الطائي، قالا: ثنا عبادة بن أبي روق، قال: سمعت أبي يحدث، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، قال: «يقعده على العرش».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٠٥) (٣١٦٥٢)، من طريق ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: «يقعده على العرش»، والخلال في السنة من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، به.

(٤) هي قراءة شاذة، عزاها لابن أبي عبلة وأبي حيوة الكرمانيُّ في شواذ القراءات (ص: ٢٨٣)، وللثلاثة في الدر المصون (٧/ ٤٠١)، وعزاها للحسن الثعلبي (٦/ ١٢٧)، ولعلي وأبي في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، وقال الطبري (٨/ ٢٥٩): لم يبلغنا عن أحدٍ أنَّه قرأ بها.

قَالَ الزَّجَّاجُ: المدْخلُ، بضَمِّ الميمِ: مصْدَرُ أدْخلتُه مُدْخلًا، ومَن قالَ: «مَدْخَلَ صِدْقٍ»، فهوَ علَى أدْخلتُه، فدَخَل مَدخَلَ صِدْقٍ، وكذلِكَ شَرْحُ «مُخْرج» مثْلُه[1].

ولِلمُفسِّرينَ فِي المرَادِ بهذَا المدْخلِ والمخْرجِ أحَدَ عشَرَ قوْلًا:

أحدُها: أدْخلْنِي المدينَةَ مُدْخلَ صِدْقٍ، وأَخْرِجْنِي مِن مكَّةَ مُخرَجَ صِدْقٍ، رَوى أبو ظَبيان عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ بمَكَّةَ، ثُمَّ أُمِر بالهِجرةِ، فنزَلَتْ عليْهِ هذِه الآيَةُ[2].

وإلَى هذَا المعْنَى ذهَبَ الحسَنُ في رِوايةٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أدْخلْنِي القبْرَ مُدخلَ صِدْقٍ، وأَخرِجْنِي منه مُخرجَ صِدْقٍ، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّالث: أدْخِلْنِي المدِينَةَ، وأَخرِجْنِي إلى مكَّةَ، يعْنِي: لِفَتْحِها، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤١٧)، (١٩٤٨)، والترمذي (٣١٣٩)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٥٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٥) (٢٩٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨/ ٣٢) (١٧٧٩٥).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٥٣) عن عطية العوفي عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٥٣) من رواية الكلبي.

والرَّابع: أدْخِلْنِي مكَّةَ مُدْخلَ صِدْقٍ، وأَخْرِجْنِي منْهَا مخرَجَ صِدْقٍ، فخَرج منْهَا آمنًا مِنَ المشْركينَ، ودخَلَها ظَاهِرًا عليْهَا يوْمَ الفتْحِ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والخامِس: أَدْخِلْني مُدْخلَ صِدْقٍ الجنَّةَ، وأَخْرِجْنِي مُخرَجَ صِدْقٍ مِنْ مكَّةَ إِلَى المدِينَةِ، رَواه قتَادَةُ عنِ الحسَنِ[1].

والسَّادس: أَدْخِلْنِي فِي النُّبوَّةِ والرِّسَالةِ، وأَخْرِجْنِي منْهَا مُخرجَ صدْقٍ، قالَهُ مجاهِدٌ، يعْنِي: أخْرِجْنِي ممَّا يجِبُ علَيَّ فيهَا.

والسَّابع: أَدْخِلْني فِي الإسْلام، وأخْرِجْنِي منْهُ، قالَه أبو صَالِحٍ؛ يعْنِي: مِن أدَاءِ مَا وجَبَ علَيَّ فيهِ إذَا جاءَ الموْتُ.

[٤٨٦/أ] والثَّامن: أَدْخِلْني فِي طَاعَتِكَ، وأَخْرِجْنِي منْهَا؛ أي: سَالمًا غيْرَ مُقصِّرٍ[2] في أدَائِهَا، قالَه عطَاءٌ.

والتَّاسع: أَدْخِلْنِي الغَارَ، وأَخْرِجْنِي منْهُ، قالَهُ مُحمَّدُ بْنُ المنْكَدِرِ.

والعَاشر: أدْخِلْنِي فِي الدِّينِ، وأَخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيا وأنَا علَى الحقِّ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[3].

والحادي عشَرَ: أَدْخِلْنِي مكَّةَ، وأَخْرِجْنِي إلى حُنَيْنٍ، ذكرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٣٥)، من طريق الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: الجنة و﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ من مكة إلى المدينة.

(٢) في (ر): مقتصد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).

وأمَّا إضافةُ الصِّدْقِ إلى المدخلِ والمخْرَجِ، فهوَ مدْحٌ لهُما. وقدْ شرحْنَا هذَا المعْنَى فِي سُورةِ يُونس [آية: ٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ﴾؛ أي: مِنْ عنْدِكَ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ **وفِيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه التَّسلُّطُ علَى الكافِرينَ بالسَّيْفِ، وعلَى المنافِقينَ بإقامَةِ الحُدودِ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّه الحُجَّة البيِّنَةُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: المُلْكُ العَزيزُ الَّذي يُقْهَرُ[١] به العُصَاة، قالَهُ قَتادَةُ.

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وقوْلُه: ﴿نَّصِيرًا﴾ يجُوزُ أنْ يكُونَ بمعْنَى مُنْصَرًا[٢]، ويصْلُح أنْ يكُونَ تأويلُه ناصِرًا.

قوْلُه تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ **فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّ الحقَّ الإِسْلامُ، والباطلَ الشِّرْكُ، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ الحَقَّ القرآنُ، والبَاطِلَ الشَّيطَانُ، قالَه قتادَةُ.

والثَّالث: أنَّ الحَقَّ الجِهادُ، والباطِلَ الشِّرْكُ، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

والرَّابع: الحَقُّ عِبادةُ اللهِ، والبَاطِلُ عِبادةُ الأصْنامِ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

---

(١) في (ر)، و(س): تقهر.

(٢) في (س): منصورًا.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٧).

ومعنى «زَهَقَ»: بطَلَ واضمَحلَّ، وكُلُّ شيْءٍ هلَك وبطَلَ؛ فقَد زهَقَ. وزهقَتْ نفْسُه: تلَفَتْ.

ورَوى ابنُ مسعُودٍ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دخَلَ مكَّةَ وحوْلَ البيْتِ ثلاثُمائةٍ وستُّون صنمًا، فجعَل يطْعَنُها، ويقُول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾(١).

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قلْتُم: إنَّ زَهَقَ بمعْنَى: بطَلَ، والبَاطِلُ موْجُودٌ معْمُولٌ عليْهِ عنْدَ أهْلِه؟

فالجوَابُ: أنَّ المرادَ مِن بُطْلانِه وهلَكتِه: وضُوحُ عيْبِه، فيكُونُ هالِكًا عنْدَ المتدبِّرِ النَّاظِرِ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾[الإسراء: ٨٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾ ﴿مِنَ﴾ هاهُنا لبيانِ الجِنْسِ، فجمِيعُ القُرآنِ شِفَاءٌ.

وفِي هذَا الشِّفَاءِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: شِفَاءٌ مِنَ الضَّلالِ، لَمِا فيهِ مِنَ الهُدى.

والثَّاني: شِفاءٌ مِنَ السَّقَمِ، لَمِا فيهِ مِنَ البَركَةِ.

والثَّالث: شِفاءٌ مِنَ البَيانِ للفرَائِضِ والأحْكَامِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٢٠).

وفي الرَّحْمَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: النِّعمَةُ.

والثَّاني: أنَّهُ[١] سببٌ للرَّحمةِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعْنِـي: المشْركِـينَ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾؛ لأنَّهُـم يكْفُـرونَ بـهِ، فَـلا ينْتَفِعُـون بمَوَاعِظِـه، فتَزِيـدُ خسراتهُـم[٢].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾[الإسراء: ٨٣ - ٨٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: الإنْسانُ هَاهُنا: الكَافِرُ، والمرَادُ بهِ: الوَلِيدُ بْنُ المغيرةِ[٣].

قالَ المفَسِّرُونَ: وهذَا الإنْعَام: سِعَةُ الرِّزقِ، وكشْفُ البلَاءِ.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «وَنَـأَى» عـلَى وزْنِ «نَعَـى» بفتْـحِ النُّـون والهمْـزَةِ. وقـرَأ ابْـنُ عَامِـرٍ: «نَـاءَ»[٤]؛ مثْـلُ: «نَـاعَ»[٥]. وقـرَأَ الكسَـائِيُّ، وخلَـفٌ عـنْ سُـليمٍ عـنْ حمْـزةَ: «وَنَـاء» بإمالَـةِ النُّـون والهمْـزَةِ. ورَوى خـلَّادٌ عـنْ سُـليم: «نَئِـي» بفتْـحِ النُّـونِ

---

(١) في (ر): أن.

(٢) في (س): فيزيد خسارهم. وفي (م): فيزيد خسرانهم.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٥٤)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٤).

(٤) قراءتـان سـبعيتان، انظـر: السـبعة (ص: ٣٨٤)، والتيسـير (ص: ١٤١) مـن طريـق ابـن ذكـوان خاصـة، وكـذا في النشر (٢/ ٣٠٨)، وزاد أبـا جعفـر.

(٥) في (م): بَاعَ.

[٤٨٦/ب] وكسْرِ الهمْزَةِ(١)، والمعْنَى: تبَاعَدَ عنِ القِيامِ بحُقوقِ النِّعَمِ، وقِيلَ: تعَظَّم وتكَبَّرَ. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾؛ أي: نزَلَ بهِ البَلاءُ والفقْرُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾؛ أي: قنُوطًا شديدَ اليأْسِ، لا يرْجُو فضْلَ اللهِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ فِيهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: علَى نَاحيَتِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

قالَ الفرَّاءُ: الشَّاكِلَةُ: النَّاحِيَةُ، والجَدِيلَةُ، والطَّرِيقَةُ، سمِعْتُ بعْضَ العرَبِ يقُولُ: وعبْدُ الملَكِ إذْ ذاكَ علَى جدِيلَتِه، وابْنُ الزُّبَيْرِ علَى جديلَتِه، يُرِيدُ: علَى ناحِيَتِه(٢).

وقالَ أبو عُبيدةَ: علَى ناحيَتِه وخلِيقَتِه(٣).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: علَى خَلِيقَتِه وطَبِيعَتِه، وهوَ مِنَ الشَّكلِ، يُقالُ: لسْتَ علَى شَكْلِي، ولَا شَاكِلَتِي(٤).

وقالَ الزَّجَّاجُ: علَى طَرِيقَتِه، وعلَى مذْهَبِه(٥).

والثَّاني: علَى نيَّتِه؛ قالَه الحسَنُ، ومُعاويةُ بْنُ قُرَّة.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٨٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٣٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٦٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).

وقالَ اللَّيْثُ: الشَّاكلةُ مِنَ الأُمُورِ: مَا[١] وافَقَ فاعِلَه[٢].

والثَّالث: علَى دينِه، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

وتحْرِيـر المعْنَـى: أنَّ كُلّ واحِـدٍ يعْمَـلُ علَى طريقَتِـه الَّتِـي تُشـاكِلُ أخْلاقَـه، فالكَافِـرُ يعْمَـلُ مـا يُشـبِه طريقَتَـه مِـنَ الإعْـرَاضِ عنْـدَ النِّعَـم، واليَـأسِ عنْـدَ الشِّـدَّةِ، والمؤْمِـنُ يعْمَـلُ مَـا يُشـبه طريقَتَـه مِـنَ الشُّـكْرِ عنْـدَ الرَّخَـاءِ، والصَّـبْرِ عنْـدَ البـلَاءِ، واللهُ يُجـازي الفرِيقَـيْنِ.

وذكَـرَ أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: أنَّ هـذِه الآيـةَ منْسُـوخةٌ بقوْلِـه تعـالَى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبـة: ٥]، وليْـسَ بـشيْءٍ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ رسُـولَ اللهِ ﷺ مَـرَّ بنَـاسٍ مِـنَ اليَهُـودِ، فقَالُـوا: سَـلُوه عـنِ الـرُّوحِ؟ فقَـال بعْضُهـم: لَا تَسْـألُوه، فيَسْـتَقْبلُكُم بـمَا تكْرَهُـون. فأتَـاهُ نفَـرٌ منْهُـم، فقَالُـوا: يـا أبَـا القاسِـمِ: مَـا تقُـول في الـرُّوحِ؟ فسَـكتَ، ونزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، قالَـه ابْـنُ مسْـعُودٍ[٣].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) ذكر ذلك عنه الأزهري في تهذيب اللغة (٢/ ١٩١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٥٩)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢١)، و(٧٢٩٧)، ومسلم (٢٧٩٤)، والترمذي (٣١٤١).

والثَّـاني: أنَّ اليهُـودَ قالَـتْ لِقُريـشٍ: سَـلُوا مُحَمَّـدًا عـنْ ثـلَاثٍ فـإنْ أخْبَرَكُـم عـنِ اثْنَتَـيْنِ وأمْسَـك عـنِ الثَّالثـةِ فهـوَ نبـيٌّ؛ سلُوه عـنْ فِتيـةٍ فُقِـدُوا، وسَـلُوه عـنْ ذِي القَرْنَـيْنِ، وسَـلُوه عـنِ الـرُّوحِ. فسَـأَلُوه عنْهَـا ففَـسَّرَ لهُـم أمْـرَ الفِتيَـةِ، في الكهْـفِ وفـسَّرَ لهُـم قِصَّـةَ ذِي القَرْنَـيْنِ، وأمْسَـك عـنْ قِصَّـةِ الـرُّوحِ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، رَواه عطَـاءٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١).

وفي المرَادِ بالرُّوحِ هَاهُنا سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه الـرُّوحُ الَّـذي يَحْيَـا بـهِ البـدَنُ، رَوى هـذَا المعْنَـى العـوفيُّ عـنِ ابْنِ عبَّـاسٍ(٢).

وقـدِ اخْتلـفَ النَّـاس في ماهِيَّـةِ الـرُّوحِ، ثُـمَّ اخْتلَفُـوا هـلِ الـرُّوحُ النَّفْـسُ، أمْ هُمَـا شـيْئَانِ فـلَا يَحْتَـاج إلى ذكْـرِ اخْتلافِهـم؛ لأنَّـه لا بُرهـانَ عـلى شيْءٍ مِـن ذلِـكَ وإنَّـما هـوَ شيْءٌ أخَـذُوه عـنِ الطِّـبِّ والفَلاسِـفةِ؟

فأمَّـا السَّـلفُ؛ فإنَّهُـم أمْسَـكُوا عـنْ ذلِـك؛ لِقوْلِـه تعـالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، فلـمَّا رَأوا أنَّ القـوْمَ سـأَلُوا عـنِ الـرُّوحِ فلَـم يُجابُـوا، والْوحْـيُ ينْـزِلُ، والرَّسُـولُ حـيٌّ، علِمُـوا أنَّ السُّـكوتَ عـمَّا لم يُحِـطْ بحقِيقـةِ علْمِـه أوْلَى.

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٩٢- ٥٩٣) مطـولاً مـن طريـق عكرمـة، والبيهقـي في الدلائـل (٢/ ٢٧٠) مـن طريـق سـعيد بـن جبـر، وذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٣/ ٤٦٠) مـن روايـة عطـاء عـن ابـن عبَّـاس.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٣) من طريق العوفي عن ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّ المرَادَ بهذَا الرُّوحِ ملَكٌ مِنَ الملائِكةِ على خلْقةٍ هائِلَةٍ، رُوي عنْ عليٍّ عليه السَّلام، وابْنِ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٍ(١).

والثَّالث: أنَّ الرُّوحَ خلْقٌ مِنْ خلْقِ اللهِ عزَّ وجلَّ صُوَرُهُم على صُورِ بنِي آدَمَ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢). [٤٨٧/أ]

والرَّابع: أنَّه جِبْرِيلُ عليه السَّلام، قالَه الحَسَنُ، وقَتَادَةُ.

والخامِس: أنَّه القُرآن، رُوي عنِ الحَسَنِ أيْضًا.

والسَّادس: أنَّه عيسى بْنُ مرْيمَ، حكَاه الماوردِيُّ(٣).

قالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: قدْ ذكَرَ اللهُ تعَالى الرُّوحَ فِي موَاضِعَ مِنَ القُرآنِ، فغَالِبُ ظنِّي أنَّ النَّاقِلينَ نقَلُوا تفْسيرَهُ مِن موْضعِه إلى موْضعٍ لَا يلِيقُ بهِ، وظَنُّوه مثْله، وإنَّما هوَ الرُّوحُ الَّذي يحْيَى بهِ ابْنُ آدَمَ.

وقوْلُه: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾؛ أي: مِن عمَلِه الَّذي منَعَ أنْ يعرفَه أحَدٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فِي المخَاطَبِينَ بهذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم اليهُودُ، قالَه الأكْثرُونَ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٧).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦٩٦)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢١٨) (٧٧٩)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٦٩).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٢٧٠).

والثَّـاني: أنَّهـم جميعُ الخلْـقِ، علْمُهُـم قليـلٌ بالإضَافـةِ إلى علْـمِ اللهِ عـزَّ وجَـلَّ، ذكـرَهُ المـاورديُّ[1].

فـإنْ قِيـلَ: كيْـفَ الجمْـعُ بـيْنَ هـذِه الآيـةِ، وبـيْنَ قوْلِـه تعـالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقـرة: ٢٦٩]؟.

فالجـوَابُ: أنَّ مَـا أُوتيـهُ النَّـاسُ مِـنَ العلْـمِ وإنْ كانَ كثـيرًا، فهـوَ بالإضافـةِ إلى علْـمِ اللهِ قليـلٌ.

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾[الإسراء: ٨٦ - ٨٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: المعْنـى: لـوْ شـئْنَا لَمحونَـاهُ مِـنَ القُلـوبِ والكُتُـبِ، حتَّـى لَا يُوجَـدَ لَـه أثَـرٌ[2].

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾؛ أي: لا تجِـدُ مَـن يتـوكَّلُ علينَـا في ردِّ شيْءٍ منْـهُ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ هـذَا اسْـتثناءٌ ليْـسَ مِـنَ الأوَّلِ، والمعْنـى: لكـنِ اللهُ رحِمَـك فأثْبَـت ذلِـك في قلْبِـك وقلُـوبِ المؤمنِـينَ.

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: المعْنـى: لكـنْ رحمَـةٌ مِـن ربِّـك تمنَـعُ مِـنْ أنْ تُسْـلَبَ القُـرآنَ، فـكانَ[3] المشْركـونَ قـد خاطَبُـوا نِسـاءَهُم مِـنَ المسْـلمينَ في الرُّجُـوعِ إلى

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٧١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٨).

(٣) في (س)، و(م): وكان.

دِينِ آبائِهِم، فهدَّدَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ بسلْبِ النِّعمةِ، فكانَ ظاهِرُ الخِطابِ للرَّسُولِ، ومعْنَى التَّهدُّدِ للأُمَّةِ(١).

وقالَ أبو سُليمانَ: ثُم لَا تَجِدُ لَكَ بهِ؛ أي: بمَا نفعلُه بكَ، مِن إذْهابِ مَا عنْدَكَ وكيلًا يدْفعُنا عمَّا(٢) نُريدُه بك.

ورُوي عنْ عبدِ اللهِ بْنِ مسْعُودٍ أنَّه قالَ: يُسْرَى علَى القُرآنِ في ليْلَةٍ وَاحدَةٍ، فيجِيءُ جِبْريلُ مِنْ جوْفِ اللَّيْلِ، فيَذْهَبُ بهِ مِنْ صُدُورهِم ومِن بُيوتِهِم، فيُصْبِحُونَ لَا يقْرَؤُونَ آيةً ولَا يُحْسِنُونَها(٣).

وردَّ أبو سُليمانَ الدِّمشْقيُّ صحَّةَ هذَا الحديثِ بقوْلِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إنَّ اللهَ لَا يقْبِضُ العلْمَ انْتِزَاعًا**»(٤)، وحديثُ ابْنِ مسْعُودٍ مرْويٌّ مِن طُرق حِسَان، فيحْتمِلُ أنْ يكُونَ النَّبيُّ ﷺ أرادَ بالعلْمِ مَا سِوى القُرآنِ، فإنَّ العلْمَ ما يزَالُ ينْقرِضُ حتَّى يكُونَ رفْعُ القُرآنِ آخِرَ الأمْرِ.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾.

---

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان (٧/ ١٠٨).

(٢) في (س): ممَّا.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨٠- ٥٩٨١)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٥٤٦)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٣٦٥) (١٧٥)، والحاكم (٤/ ٥٠٤)، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

قَالَ المفَسِّرُونَ: هـذَا تكْذِيـبٌ للنَّـضْرِ بْـنِ الحـارِثِ حيـنَ قـالَ: لـوْ شِـئْنَا لَقُلْنَـا مثْـلَ هـذَا. والمثْـلُ الَّـذي طُلـب منْهُـم: كلَامٌ لـه نظْـمٌ كنظْـمِ القُـرآن، فِي أعْـلَى طبقَـاتِ البلَاغـةِ. **والظَّهِـيرُ**: المعِـينُ.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[الإسراء: ٨٩ - ٩٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ قـد فسَّرنـاه فِي هـذه السُّـورةِ [الإسراء: ٤١]، **والمعْنَـى**: مـن كُلِّ مثَـلٍ(١) مِـنَ الأمْثـالِ الَّتـي تكـونُ(٢) بهـا الِاعْتبـارِ ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ يعْنِـي: أهْـلَ مكَّـةَ ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: جُحـودًا للحـقِّ وإنْـكارًا. [٤٨٧/ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾.

سـبَبُ نُـزولِ هـذِه الآيـةِ ومَـا يتْبعُهَـا: أنَّ رُؤسـاءَ قُريـشٍ؛ كعُتبـةَ، وشَـيْبَةَ، وأبي جهْـلٍ، وعبْـدِاللهِ بْـنِ أبي أُميَّـةَ، والنَّـضْرِ بْـنِ الحـارِثِ، فِي آخَريـنَ، اجْتَمَعُـوا عنْـدَ الكعْبَـةِ، فقَـالَ بعْضُـهم لبعْـضٍ: ابْعثُـوا إلى مُحمَّـدٍ فكلِّمُـوه وخَاصِمُـوه حتَّـى تُعْـذَرُوا فيـهِ، فبعَثُـوا إليْـهِ: إنَّ أشْرافَ قوْمِـكَ قـدِ اجْتَمَعُـوا لِيُكلِّمُـوكَ،

---

(١) في (ر): شيء.

(٢) في (س)، و(م): يكون.

فجاءَهُم سَريعًا، وكانَ حريصًا علَى رُشدِهِم، فقالُوا: يا مُحمَّدُ!، إنَّا واللهِ لا نعْلَمُ رجُلًا مِنَ العرَبِ أدْخلَ علَى قوْمِه مَا أدْخلْتَ علَى قوْمِكَ؛ لقَدْ شتَمْتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وسفَّهْتَ الأحْلامَ، وفرَّقْتَ الجماعَةَ، فإنْ كُنتَ إنَّما جئْتَ بهذَا لِتطلُبَ بهِ[1] مالًا، جعلْنَا لكَ مِن أمْوالِنا ما تكونُ بهِ أكْثرُنا مالًا، وإنْ كُنْتَ إنَّما تطْلُبُ الشَّرفَ فينَا، سوَّدْناكَ علينَا، وإنْ كانَ هذَا الرَّئيُ الَّذِي يأتِيكَ قدْ غلَبَ عليْكَ، بذلْنَا أمْوالَنا في طلَبِ الطِّبِّ لكَ حتَّى نُبْرئَكَ منْهُ، أو نُعذرَ فيكَ.

فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**إنْ تقبَلُوا منِّي [مَا جئْتُكُم بِهِ]**[2]**، فهُوَ حظُّكُم فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَإِنْ تَردُّوه علَيَّ، أصْبِرْ لأمْرِ اللهِ حتَّى يَحْكُمَ اللهُ بيْنِي وبيْنكُم**». قالُوا: يَا مُحمَّدُ! فإنْ كنْتَ غيْرَ قابِلٍ منَّا مَا عرضْنَا، فقَدْ علِمْتَ أنَّه ليْس مِنَ النَّاسِ أحَدٌ أضْيقَ بلادًا ولا أشَدَّ عيْشًا منَّا، سَلْ لنَا ربَّكَ يُسيِّرْ لنَا هذِه الجبالَ الَّتي ضيَّقَتْ علينَا، ويُجْرِي لنَا أنْهارًا، ويبْعَثْ مَن مضَى مِن آبائِنَا، ولْيكُن فيمَن يبْعَثُ لنَا منْهُم قُصيُّ بْنُ كِلابٍ، فإنَّه كانَ شيْخًا صدُوقًا، فنسْألَهُمْ[3] عمَّا تقُول: أحَقٌّ هوَ؟ فإنْ فعلْتَ صدَّقْنَاكَ.

فقَال رسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بِهذَا بُعِثْتُ، وقَدْ أبْلَغْتُكُم مَا أُرْسِلْتُ بِهِ**». قالُوا: فسَلْ ربَّكَ أنْ يبْعَثَ ملَكًا يُصدِّقُكَ، وسَلْه أنْ يجْعَلَ لكَ جِنانًا، وكُنوزًا، وقُصورًا مِنْ ذهَبٍ وفِضَّةٍ تُغْنِيكَ. قالَ: «**مَا أنَا بالَّذِي لِيَسْأَلَ**

---

(١) ليست في (م).

(٢) من (م).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوع: فنسائله.

رَبَّهُ[١] هذا». قالوا: فتُسقط[٢] علينا السَّماءُ كما زعمتَ أنَّ[٣] ربَّكَ إنْ شاءَ فعَلَ. فقال: «ذلكَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ».

فقالَ قائلٌ منهُم: لنْ نُؤمِنَ لكَ حتَّى ﴿تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، وقالَ عبدُ اللهِ بنُ أبي أُميَّةَ: لا أُؤمِنُ لكَ حتَّى تتَّخِذَ إلى السَّماءِ سُلَّمًا، وترْقَى فيهِ وأنا أنظُرُ، وتأتِيَ بنُسْخةٍ منشُورةٍ معَك، ونفَرٍ مِنَ الملائكةِ يشْهَدُون لكَ، فانْصَرفَ رسُولُ اللهِ ﷺ حَزِينًا لِمَا رأى مِن مُباعَدَتِهِم إيَّاه، فأنْزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾... الآيات، رواه عِكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾ قرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «حتَّى تُفجِّرَ» بضمِّ التَّاءِ، وفتْحِ الفَاءِ، وتشْديدِ الجِيمِ معَ الكسْرَةِ. وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «حَتَّى تَفْجُرَ» بفتْحِ التَّاءِ، وتسْكِينِ الفَاءِ، وضَمِّ الجيمِ معَ التَّخْفيفِ[٥]. فمَنْ ثقَّلَ؛ أرادَ كثْرةَ الانْفِجارِ مِنَ اليَنْبُوعِ، ومَن خفَّفَ، فلأنَّ اليَنْبُوعَ واحِدٌ.

---

(١) وأشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: أسأل ربي. وهي نسخة (س).

(٢) في (م): فأسقط.

(٣) في (م): بأن.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٥٦).

(٥) قراءتان سبيعتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤١)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٨).

فأمَّـا اليَنْبُـوعُ: فهـو عـيْنٌ ينبـعُ المـاءُ منْهَـا؛ قـالَ أبـو عُبيـدة: هـوَ يفْعُـول، مِـن نبَـعَ المـاءُ؛ أي: ظهَـر وفَـارَ(١). [٤٨٨/أ]

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾؛ أي: بُسـتانٌ ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴾؛ أي: تفْتَحُهـا وتُجرِيهَـا ﴿ خِلَـٰلَهَا ﴾؛ أي: وسـطَ تلْـك الجنَّـةِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ ﴾ وقـرَأ مُجاهِـدٌ، وأبـو مِجلزٍ، وأبـو رجاء، وحُميـدٍ، والجَحْـدَرِيُّ: «أوْ تَسْـقُطُ» بفتْحِ التَّـاءِ، ورفْعِ القَـافِ «السَّـماءُ» بالرَّفْعِ(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ كِسَفًا ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسـائِيُّ: «كِسْـفًا» بتسْـكينِ السِّـينِ في جميـعِ القُـرآنِ إلَّا في الـرُّوم [آيـة: ٤٨] فإنَّهـم حرَّكُـوا السِّـينَ. وقـرَأ نافِـعٌ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: بتحْرِيـكِ السِّـينِ في الموْضِعَـيْنِ، وفي باقِـي القُـرآنِ بالتَّسْـكينِ. وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ هاهُنـا بفتْـحِ السِّـينِ، وفي باقِـي القُـرآن بتسْـكِينِهَا(٣).

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مَـن قـرَأ «كِسَـفًا» بفتْـحِ السِّـينِ؛ جعَلَهـا جمْـعَ كِسْـفَةٍ، وهـيَ: القِطْعَـةُ، ومَـن قـرَأ «كِسْـفًا» بتسْـكينِ السِّـينِ؛ فكأنَّهُـم قالُـوا: أسْـقِطْهَا طبَقًـا علينَـا؛ واشْـتِقاقُه مِـن كسَـفْتُ الشَّـيءَ؛ إذَا غطَّيْتَـه، يعْنُـون: أسْـقِطْهَا علينَا قِطعَـةً واحِـدةً(٤).

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٩٠).

(٢) قراءة شاذة، مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٧٧)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٣).

(٣) قراءتـان سـبعيتان، انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٨٥ - ٣٨٦)، والتيسـير؛ للـداني (ص: ١٤٢)، والنـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٣٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٩).

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: مَـن سـكَّن قـالَ: تأويلُـه: سـترًا وتغْطِيـةً؛ مِـن قوْلِهـم: قـدِ انْكسَـفَتِ الشَّـمسُ؛ إذا غطَّاهَـا مَـا يحُـول بـيْنَ النَّاظريـنَ إليْهَـا وبـيْنَ أنْوَارِهَـا.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: عيَانًـا، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ قتـادَةُ، وابْـنُ جُريـجٍ، ومُقاتِـلٌ[١].

وقالَ أبو عُبيدةَ: معْنَاه: مُقابلةً؛ أي: مُعاينَةً، وأنْشد للأَعْشى [من الطويل]:

نُصَالِحُكُـمْ حَتَّـى تَبُـوءُوا بِمِثْلِهَـا   كَصَرْخَـةِ حُبْـلَى يَسَّرَتْهَـا قَبِيلُهَـا[٢]

أي: قَابِلَتُها[٣]. ويُروى: وجَّهَتْهَا، يعْنِي بدَلَ: يَسَّرَتْهَا.

والثَّـاني: كفِيـلًا أنَّـك رسُـول اللهِ، قالَـه أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، واخْتـارَهُ الفـرَّاءُ، قـالَ: القَبِيـلُ، والكَفِيـلُ، والزَّعِيـمُ، سَـواءٌ؛ تقُـول: قبلْـتُ، وكفَلْـتُ، وزعمْـتُ[٤].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٩)، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٣١٥) (١٦٢٥)، من طريق معْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، قَالَ: «عِيَانًا».

(٢) البيت في ديوانه (ص: ١٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٠)، وحماسة البحتري (ص: ٩٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٥٥٢)، وفي رواية الشاهد: «أصالحكم» بالهمزة بدل النون، يقول: لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة في المخاض. ويسرتها: سهلت ولادتها وأعانتها فيها.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٩١).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣١).

والثَّالث: قَبِيلةً قَبِيلةً، كُلُّ قَبِيلةٍ على حِدَتِهَا، قالَه الحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

فأمَّا الزُّخرفُ؛ فالمرادُ بهِ الذَّهبُ، وقد شرحْنَا أصْلَ هذِه الكلِمَة في يونس [آية: ٢٤]، وترْقَى: بمعْنَى: تصْعَدُ؛ يُقال: رقِيتُ أرْقَى رقيًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كتابًا مِن ربِّ العالمِينَ إلى فُلانِ بْنِ فُلانٍ، يُصْبحُ عند كُلِّ واحِدٍ منَّا يقْرَؤُه[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قرَأ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «قُلْ». وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ: «قال»، وكذلِك هيَ في مصاحفِ أهْلِ مكَّةَ والشَّامِ[2]، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؛ أي: أنَّ هذِه الأشْياءَ ليسَتْ في قُوَى البَشرِ.

فإنْ قيلَ: لِمَ اقْتصَر على حِكايةِ قَالُوا مِن غيْرِ إيضَاحِ الرَّدِّ؟

فالجوَابُ: أنَّه لما خصَّهُم بقوْلِه تعَالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ فلَمْ يكُنْ في وُسعِهِم عجزُهُم، فكأنَّه يقُول: قدْ أوْضحْتُ لكُم بما سبَقَ مِنَ الآياتِ مَا يدلُّ على نُبوَّتي، ومِن ذلِك التَّحدِّي بمثْلِ هذَا القُرآنِ، فأمَّا عنَتُكُم فليْس فِي وسْعِي، ولأنَّهُم ألَحُّوا عليْه في هذِه الأشْياء، ولم يسْألُوه أن يسْألَ ربَّه، فردَّ قوْلَهم بكوْنِه بشَرًا، فكفَى ذلِك فِي الردِّ.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٤٢)، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٥٤).

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٥ - ٣٨٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٩).

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٤ - ٩٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُريد أهْلَ مكَّةَ(١).

[٤٨٨/ب] قالَ المفَسِّرُون: ومعْنَى الآيةِ: ومَا منَعهُم مِن الإيمانِ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ وهوَ البيَانُ والإرْشَادُ في القُرآنِ ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾؛ أي: إلَّا قوْلُهم في التَّعجُّبِ والإنْكارِ: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾؟ وفي الآيةِ اخْتصَارٌ، تقْدِيرُه: هلَّا بعَثَ [اللهُ](٢) ملكًا رسُولًا، فأُجِيبوا علَى ذلِك بقوْلِه تعَالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾؛ أي: مُسْتوطَنِينَ الأرْضَ. ومعْنَى الطُّمَأْنِينةِ: السُّكُون؛ والمرَادُ مِنَ الكلَامِ أنَّ رسُولَ كُلِّ جِنْسٍ ينْبَغِي أنْ يكُونَ منْهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا ﴾ قد فسَّرْناه في الرَّعد [آية: ٤٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: حينَ اخْتصَّ اللهُ محمَّدًا بالرِّسالةِ(٣).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٠٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٨٤)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٨).

(٢) من (م).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥١).

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ٩٧ - ١٠٠].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ قـرَأ نافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو باليَـاء فِي الوَصْـلِ، وحذَفَاهَـا فِي الوقْـفِ. وأثْبَتَهـا يعْقُـوبُ في الوقْـفِ، وحذَفَهـا الأكْثَـرُون في الحالَتَـيْنِ[١][٢].

«مَـنْ يَهْـدِ اللهُ» قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: مَـن يُـرِدِ اللهُ هُـداه ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَهْدُونَهُـم[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّه يُمشِّيهم علَى وجُوهِهِم.

وشَـاهِدُه مَـا رَوى البُخـاريُّ ومُسـلمٌ في «صَحِيحَيْهِـا» مِـن حديـثِ أنـسِ بْـنِ مالِـكٍ أنَّ رجُـلًا سـأَلَ رسُـولَ اللهِ ﷺ كيْـفَ يُحشرُ الكافِـرُ علَى وجْهـهِ يـوْمَ

---

(١) في (س): الحالين.

(٢) انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٤٩)، والتيسـير؛ للـداني (ص: ١٢٩)، والنـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٢٩٥).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٨٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٩).

القِيامَـةِ؟ قـالَ: «إنَّ الَّـذِي أَمْشَـاهُ عَـلَى رِجْلَيْـهِ فِي الدُّنْيَـا، قَـادِرٌ عَـلَى أَنْ يُمْشِـيَهُ عَـلَى وَجْهِـهِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ»[1].

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: ونحْشُرُهم مسْحُوبِينَ عَلى وجُوهِهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالـث: نحْشُرُهـم مُسْرعِـينَ مُبادِريـنَ، فعـبَّرَ بقوْلِـه: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عـنِ الإِسْراعِ، كـما تقُـولُ العـرَبُ: قـدْ مـرَّ القـوْمُ عـلى وجُوهِهِـم؛ إذا أسْرَعُـوا، قالَـه ابْـنُ الأنْبـاريِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: عُميًـا لا يـروْنَ شـيْئًا يَسرُّهُـم، وبُكـمًا لا ينْطِقُـون بحُجَّـةٍ، وصُـمًّا لا يسْـمَعُونَ شـيْئًا يسرُّهُـم، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ.

وقـالَ فِي رِوايـةٍ: عُميًـا عـنِ النَّظَـرِ إلى مـا جعَـل اللهُ[2] لأوْليائِـه، وبُكـمًا عـنْ مُخاطبَـةِ اللهِ، وصُـمًّا عـمَّا مـدَحَ بـهِ أوْليـاءَه، وهـذَا قـوْلُ الأكْثريـنَ.

والثَّاني: أنَّ هذَا الحشْرَ في بعْضِ أحْوالِ القِيامةِ بعْدَ الحشْرِ الأوَّلِ.

قـالَ مُقاتِـلٌ: هذا يكُـونُ حِـينَ يُقـال لهُـم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيَصِـيرُونَ عمْيًـا بُكـمًا صُـمًّا لا يَـروْنَ ولا يسْـمَعُونَ ولا ينْطِقُونَ بعْـدَ ذلِك[3].

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٦٠)، وصحيح مسلم (٢٨٠٦).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (م).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥١).

قوْلُه تعَالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أي: سكَنَتْ[١].

قالَ المفَسِّرُونَ: وذلِك أنَّها تأكلُهُم، فإذَا لم تُبْقِ منْهُم شيْئًا وصَارُوا فحْمًا ولم تجِدْ شيْئًا تأكُلُه؛ سكَنَتْ، فيُعادُون خلقًا جدِيدًا، فتعُودُ لهُم.

وقالَ ابنُ قُتيبةَ: يُقال: خبَتِ النَّارُ؛ إذا سَكَن لهبُهَا، فاللَّهبُ يسْكنُ، والجمْرُ يعْملُ، فإنْ سكَنَ اللَّهبُ، ولم يطفَأِ الجمْرُ؛ قيلَ: خَمَدَتْ تخْمُدُ خُمودًا، فإنْ طفئتْ ولم يبْقَ منْهَا شيْءٌ، قيلَ: همَدَتْ تَهمِدُ همُودًا[٢].

ومعْنَى ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: نارًا تتَسعَّرُ؛ أي: تتلَهَّبُ، وما بعْدَ هذَا قد سبَقَ تفْسيرُه... إلى قوْلِه: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: علَى أنْ يخلقَهُم مرَّةً ثانيةً، وأرَادَ بـ«مِثْلَهُم» إيَّاهُم، وذلِك أنَّ مِثْلَ الشَّيءِ مُساوٍ لَه، فجازَ أنْ يُعبَّرَ بِهِ عنْ نفْسِ الشَّيءِ، يُقالُ: مِثْلُك لا يفْعَلُ هذَا؛ أي: أنْتَ، [٤٨٩/أ] ومثْلُه قوْلُه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد تمَّ الكلَامُ عنْدَ قوْلِه: ﴿مِثْلَهُمْ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعْنِي: أجَلَ البعْثِ ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: جُحودًا بذلِكَ الأجلِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: لو تمْلِكُونَ أنْتُم، قالَ المُتَلَمِّسُ [من الطويل]:

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي ... نَصَبْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينِ مِيسَمَا[٣]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٦١)، من طريق علِّي بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال: سكنت.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٦١).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٢٩)، والأصمعيات (ص: ٢٤٥)، ومختارات ابن الشجري=

المعْنى: لو أرَادَ غيْرُ أخْوالِي[١].

وفي هذِه الخزَائنِ قوْلَانِ:

أحدُهما: خزَائِنُ الأرْزَاقِ.

والثَّاني: خزَائِنُ النِّعَمِ؛ فيخرجُ في الرَّحمةِ قوْلانِ:

أحدُهما: الرِّزقُ.

والثَّاني: النِّعمةُ.

وتحْريرُ الكلَامِ: لو ملكْتُم ما يملِكُه اللهُ عزَّ وجلَّ لأمْسَكْتُم عنِ الإنْفاقِ خشْيةَ الفاقَةِ.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعْنِي: الكافِرَ ﴿قَتُورًا﴾؛ أي: بخِيلًا مُمسكًا؛ يُقال: قتَرَ يقْتُرُ، وقتَرَ يقتِرُ؛ إذا قصَّرَ في الإنْفاقِ.

وقالَ الماوردِيُّ: لو ملَكَ أحَدٌ مِنَ المخْلُوقينَ مِن خزَائنِ اللهِ تعالى؛ لما جَادَ كجُودِ اللهِ تعَالى؛ لأمْرَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه لا بُدَّ أنْ يُمسِكَ منْه لِنفقَتِه ومنْفَعتِه.

=(ص: ١٢٢)، والخزانة (١٠/ ٥٩)، وبلا نسبة في الكامل (١/ ٢٧٩)، والمقتضب (٣/ ٧٧)، وتذكرة النحاة (ص: ٤٩٠)، وفي الديوان وجميع المصادر: «جعلت» بدل: «نصبت»، «نقيصتي»: «تنقصي». والعرانين: جمع عِرْنين؟ وهو أعلى قصبة الأنف. ميسمًا: الميسم: هو الآلة التي يوسم بها، ومقصوده: أسِمُهم على العرانين؛ أي: أهجوهم هجاءً يبقى أثرُه في وجوهم ويلزمهم لزوم الميسم للأنف.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٢).

والثَّاني: أنَّه يخاف الفقرَ، واللهُ تعَالى مُنزَّهٌ في جُودِه(١) عنِ الحالَيْنِ(٢).

ثُـمَّ إنَّ اللهَ تعـالى ذكَـر إنْـكارَ فِرْعـونَ آيـاتِ مُوسـى؛ تشْبيهًا بحَـالِ هؤُلاءِ المشْركينَ، فقَـالَ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ ﴾ وفيهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى المعجزَاتِ والدّلالاتِ.

ثُـم اتَّفـقَ جمْهُـورُ المفَسِّريـنَ عـلَى سـبْعِ آيَـاتٍ منْهَـا، وهـيَ: يـدُه، والعصَا، والطُّوفَـانُ، والجـرَادُ، والقُمَّـلُ، والضَّفـادِعُ، والدَّمُ.

واخْتلَفُوا في الآيتَيْنِ الآخِرتَيْنِ علَى ثمانِية أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـما لسَـانُه والبحْـرُ الَّـذي فُلـق لَـه، رَواه العـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٣)؛ يعْنِـي بلِسَـانِه: أنَّـه كانَ فيـهِ عُقـدةٌ فحلَّهـا اللهُ تعَـالى لَـه.

والثَّاني: البحْرُ والجبَلُ الَّذي نُتِق فوْقَهُم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤).

والثَّالـث: السِّنُونَ ونقْـصُ الثَّمـرَاتِ، رَواه عِكْرمَـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٥)،

---

(١) في (ر): وجوده.

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٧٦).

(٣) أخرجـه الطـبري (١٧/ ٥٦٤)، مـن طريـق عطيـة العـوفي، عـن ابـن عبَّـاس، قولـه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾ قـال: التسـع الآيـات البينـات: يـده، وعصـاه، ولسـانه، والبحـر، والطوفـان، والجـراد، والقمـل، والضفـادع، والـدم آيـات مفصـلات.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٣٠١) عن مطرف عن مالك.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٦٥)، مـن طريـق يحيـى بـن واضح، قـال: ثنا الحسـين بن واقـد، عـن يزيد النحـوي، عن عكرمة ومطر الـورّاق، في قولـه: ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ قالا الطوفان، والجـراد، والقمـل، والضفادع، والـدم، والعصا، واليد، والسـنون، ونقص مـن الثمرات.=

وبـِهِ قـالَ مُجاهِـدٌ، والشَّـعبيُّ، وعِكْرمَـةُ، وقتـادَةُ. وقـالَ الحَسـنُ: السّـنُونَ ونقـصُ الثَّمـرَات آيـةٌ واحِـدةٌ(1).

والرَّابع: البحْرُ والموْتُ أُرْسل عليْهِم، قالَه الحَسَنُ، ووهْبٌ.

والخامِس: الحَجرُ والبَحْرُ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والسَّادس: لِسانُه وإلْقاءُ العَصَا مرَّتَيْن عنْدَ فِرْعونَ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والسَّابع: البحْرُ والسّنُون، قالَه مُحَمَّدُ بْنُ كعْبٍ.

والثَّامـن: ذكـرَهُ محمَّـدُ بْـنُ إسْـحاقَ، عـنْ محمَّـدِ بْـنِ كعْـبٍ أيْضًـا، فذكَـر السَّـبعَ الآيـاتِ الأُولى، إلَّا أنَّـه جعَـل مـكانَ يـدِه البحْـرَ، وزَاد الطَّمسـةَ والحَجرَ، يعْنـي قوْلَـه: ﴿ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونـس: ٨٨].

والثَّاني: أنَّها آياتُ الكتابِ.

رَوى أبـو داودَ السِّجسْـتانيُّ مِـن حديـثِ صفْـوَانَ بْـنِ عسَّـالٍ، أنَّ يهُوديًّـا قـالَ لصَاحِبِـه: تعَـالَ حتَّـى نسْـألَ هـذَا النَّبِـيَّ، فقَـال الآخـرُ: لَا تقُـلْ: إنَّـه نَبِـيٌّ، فإنَّـه لـوْ سـمِعَ ذلِـكَ، صـارَتْ لَـه أربعَـةُ أعْـينٍ؛ فأتَيـاه، فسَـألَاهُ عـنْ تسْـعِ آيـاتٍ بيِّنَـاتٍ، فقَـال: «**لَا تُشْركـوا بـاللهِ شـيْئًا، ولَا تقْتُلـوا النَّفْـسَ الَّتِـي حَـرَّمَ**

=وأخرجـه أحمـد بـن منيـع، كـما في المطالـب العاليـة (٤٠٣٣) مـن طريـق إسـماعيل بـن أبي خالـد، عـن عكرمـة وأبي صالـح.

(١) أخرجـه الطـبري (١٧/ ٥٦٦)، مـن طريـق عبـد الـرزاق، قـال: أخبرنـا معمـر، قـال: قـال الحسـن، في قولـه: ﴿تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾، ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قـال: هـذه آيـة واحـدة.

اللهُ إِلَّا بِالحقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِالبَرِيءِ [٤٨٩/ ب] إِلَى السُّلْطَانِ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَقْذِفُوا المحْصَنَاتِ، وَلَا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ، وعلَيْكُم خاصَّةَ يَهُودِ أَلَّا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»، قَالَ: فَقَبَّلا يَدَه، وقَالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ[(١)].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠١ - ١٠٤].

---

(١) أخرجه أبو داود الطَّيالسي في مسنده (١٢٦٠)، وأحمد (٤/ ٢٣٩- ٢٤٠)، والترمذي (٢٧٣٣)- ٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٣٥٢٧- ٨٦٠٢)، وابن ماجه (٣٧٠٥) مختصرًا، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢١٦)، والطبري (١٧/ ٥٥٦- ٥٥٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢١٥)، وفي مشكل الآثار (٦٣- ٦٤- ٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٣٩٦)، وابن قانع في معجم الصَّحابة (٢/ ١١)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٦٦)، من طريق عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، به.

وعبد الله بن سلمة المرادي الكوفي تكلَّم فيه النقاد بسبب سوء حفظه. قال النسائي: وهذا حديث منكر، وحُكي عن شعبة قال: سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة؟ فقال: تعرف وتنكر. أهـ. وقال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس حديثه بالقائم. وانظر: الضعفاء؛ للعقيلي (٢/ ٢٦١)، والميزان (٢/ ٤٣١).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٩/ ٨٨): وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلَّموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون. والله أعلم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَسْـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قـرَأ الجمْهُـور: «فاسْـأَلْ» عـلَى معْنَـى الأمْـرِ لِرسُـولِ اللهِ ﷺ، وإنَّـما أُمِـر أنْ يسْـأَلَ مَـن آمَـن منْهُـم عـمَّا أُخْـبر بـه عنْهُم؛ لِيكُـونَ حُجَّـةً عـلَى مَـن لم يُؤمِـنْ منْهُـم.

وقـرَأ ابْـنُ عبَّـاسٍ: ﴿فَسْـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عـلى معْنَـى الخَـبرِ عـنْ مُوسَـى أنَّـه سـأَل فرْعَـونَ أنْ يُرسِـلَ معَـه بنِـي إسْرائيـلَ[1]. ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾؛ أي: لَأَحْسـبُكَ ﴿يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ وفيـهِ ثلاثـةُ أقْـوالٍ:

أحدُها: مخْدُوعًا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مسْحُورًا، قد سُحِرْتَ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّالـث: سـاحِرًا، فوضَـعَ مفْعـولًا في موْضِـع فاعِـلٍ، هـذَا مـرْويٌّ عـنِ الفـرَّاءِ وأبي عُبيـدةَ[2].

فقَـال مُوسـى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ قـرَأ الجمْهُـور بفتْـحِ التَّـاءِ. وقـرَأ علِـيٌّ عليـه

---

(١) أخـرج هـذه القـراءة الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٦٨) مـن طريـق هـارون، عـن حنظلـة السَّـدوسيّ، عـن شـهر بـن حوشـب، عـن ابـن عبـاس، أنـه قـرأ: «فَسأَلَ بَنِي إسْرَائِيلَ إذْ جاءهـم» يعنـي: أن موسـى سـأل فرعـونَ بنـي إسرائيـل أن يرسـلهم معـه.
والقـراءة شـاذة، انظـر: المصاحـف؛ لابـن أبي داود (ص: ٢٦٠)، ومعـاني القـرآن؛ للنحـاس (٤/ ٢٠٠)، وتفسـير الثعلبـي (١٦/ ١٣٨)، وشـواذ ابـن خالويـه (ص: ٧٧)، وشـواذ القـراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٨٣).

(٢) ليـس في نسـخة معـاني القـرآن المطبوعـة ولا المجاز، وذكـر ذلـك عنهـا الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٦/ ٤٩٥)، والواحـدي في التفسـير البسـيط (١٣/ ٤٩٥)، وانظـر: معـالم التنزيـل؛ للبغـوي (٥/ ١٣٥).

السَّلام بِضمِّهَا(١)، وقالَ: واللهِ مَا علِمَ عدُوُّ اللهِ، ولكِن مُوسى هوَ الَّذي علِمَ، فبلَغ ذلِك ابْنُ عبَّاسٍ، فاحْتجَّ بقوْلِه تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] واخْتارَ الكِسائِيُّ وثعْلَبٌ قِراءةَ علِيٍّ عليه السلام، وقدْ رُويتْ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وأبِي رَزِينٍ، وسَعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، وابْنِ يعْمُرَ.

واحْتجَّ مَن نصَرَها بأنَّه لَمَّا نسبَ مُوسى إلى أنَّه مسْحورٌ، أعْلَمَه بصحَّةِ عقْلِه بقوْلِه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ والقِراءةُ الأُولَى أصحُّ؛ لِاخْتيارِ الجمْهُورِ، ولأنَّه قدْ أبانَ مُوسى مِنَ المعجِزاتِ ما أوْجَبَ علْمَ فرْعَونَ بصدْقِه، فلم يرُدَّ عليْهِ إلَّا بالتَّعلُّلِ والمدافعَةِ، فكأنَّه قالَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بالدَّليلِ والحُجَّةِ ﴿مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعْنِي الآياتِ. وقدْ شرحْنا معْنَى البصَائِرِ فِي الأعراف [آية: ٢٠٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ قالَ أكْثرُ المفسِّرينَ: الظَّنُّ هاهُنا بمعْنَى العلْمِ، على خِلافِ ظَنِّ فِرْعونَ فِي مُوسى، وسوَّى بيْنَهُما بعْضُهُم، فجعَلَ الأوَّلَ بمعْنَى العلْمِ أيْضًا.

---

(١) هذه القراءة أسندها الفراء إلى علي -رضي الله عنه- في معاني القرآن (٢/ ١٣٢)، وقال الفراء: والفتح أحبّ إليَّ وقال بعضهم: قرأ الكِسَائي بالرفع، فقال: أخالفه أشدَّ الخلاف.

وفي المثْبُورِ سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّه الملْعُونُ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: المغْلُوبُ، رَواه العَوفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّالث: النَّاقِصُ العقْلِ، رَواه ميْمُونُ بْنُ مِهرَانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والرَّابع: المهْلَكُ، رَواه ابْنُ أبي طَلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، وبهِ قالَ أبو عُبيدةَ(٥)، وابْنُ قُتيبةَ(٦).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ يقول: ملعونًا.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ يعني: مغلوبًا.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٩٩) (١٧٦٠)، من طريق أبو صالح محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن الضبي، قال: حدثنا أبو عبدالله الحسين بن عبد الله بن الخصيب الأبراري، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: كنت قائمًا على رأس المأمون وهو يناظر رجلًا فسمعته يقول له: يا مثبور! ثم أقبل على فقال: يا إبراهيم! ما معنى يا مثبور؟ قلت: لا أدري، فقال: حدثني الرشيد قال: حدثني أمير المؤمنين المهدي، قال: كنت جالسًا عند أمير المؤمنين المنصور، فسمعته يقول لرجل: يا مثبور! فقلت: يا أمير المؤمنين! ما معنى مثبور؟ فقال: قال ميمون بن مهران: قال ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- في قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ فقال: ناقص العقل.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٨)، طريق مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثۡبُورٗا﴾، قَالَ: «مُهْلَكًا».

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٩٢).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٦١).

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: ثُبِر الرَّجُلُ، فهوَ مثْبُورٌ؛ إذَا أُهْلك[١].

والخامِس: الهالِك، قالَه مُجاهِدٌ.

والسَّادس: المْنُوعُ مِنَ الخيْرِ؛ تقُول العرَبُ: مَا ثَبرَكَ عنْ هذَا؛ أي: مَا منَعَك، قالَه الفرَّاءُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يعْنِي: فِرْعونَ أرَادَ أنْ يستفِزَّ بنِي إسْرائيلَ مِن أرْضِ مِصرَ.

وفي معْنَى «يَسْتَفِزَّهُمْ» قوْلَانِ:

أحدُهما: يسْتأصِلُهم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يسْتخِفَّهُم حتَّى يخْرجُوا، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: جائِزٌ أنْ يكونَ اسْتِفزازُهم إخْرَاجهُم منْهَا بالقتْلِ أوْ بالتَّنْحيةِ[٤].

قالَ العُلماء: وفي هذِه الآيةِ تنْبيهٌ على نُصْرةِ رسُولِ الله ﷺ؛ لأنَّه لمَّا خرَجَ مُوسى طلَبَه[٥] فِرْعونُ، هلَك فرْعونُ وملَك مُوسى، وكذلِك أظْهَر اللهُ نَبيَّه بعْد خُروجِه مِن مكَّةَ حتَّى رجعَ إليْهَا ظاهِرًا عليْهَا. [٤٩٠/أ]

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

(٥) في (س)، و(م): فطلبه.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: مِـن بعْـدِ هَـلاكِ فِرْعـونَ ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ وفيهـا ثلاثـةُ[1] أقْـوالٍ:

أحدُها: فلسْطِينُ والأرْدُنُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أرْضٌ وراءَ الصِّينِ، قالَه مُقاتلٌ[2].

والثَّالث: أرْضُ مِصرَ والشَّامِ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعْنِـي: القِيامَـةَ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾؛ أي: جمِيعًـا، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ ومُجاهِـدٌ، وابْـنُ قُتيبـةَ[3].

وقـالَ الفـرَّاءُ: «لفِيفًـا»؛ أي: مِـن هَاهُنـا ومِـن هَاهُنـا[4]. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: اللَّفِيـفُ: الجماعَـاتُ مِـن قبائِـلَ شـتَّى[5].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥ - ١٠٩].

---

(١) في (س): ثلاث.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الهاءُ كنايةٌ عنِ القُرآنِ، **والمعْنَى**: أنْزلْنا القُرآنَ بالأَمْرِ الثَّابتِ والدِّينِ المسْتقِيمِ، فهوَ حَقٌّ، ونُزولُه حَقٌّ، وما تَضمَّنَهُ حَقٌّ.

وقالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: بالتَّوحيدِ، ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ يعْني: بالوَعْدِ والوَعِيدِ، والأمْرِ والنَّهيِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ قرَأ عليٌّ عليه السَّلام، وسعْدُ بْنُ أبي وقَّاصٍ، وأُبَيُّ بْنُ كعْبٍ، وابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وأبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ، والشَّعبِيُّ، وقتادَةُ، والأعْرَجُ، وأبو رجَاءٍ، وابْنُ مُحَيْصِنٍ: «فَرَّقْناهُ» بالتَّشْديدِ[١]. وقرَأ الجمْهُور بالتَّخْفيفِ.

فأمَّا قِراءةُ التَّخْفيفِ: ففِي معْناها ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بيَّنَّا حلالَه وحرَامَهُ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والثَّاني: فرَّقْنَا بِه[٣] بيْنَ الحقِّ والباطِلِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: أحْكَمْناه وفصَّلْناه؛ كقوْلِه تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] قالَه الفرَّاءُ[٤].

---

(١) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٣)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٧)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٤).

(٢) ذكره عن ابن عبَّاس السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٣٢).

(٣) في (م): فيه.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

وأمَّا المشدَّدةُ؛ فمعْنَاهَا: أنَّه أُنزل متفرِّقًا، ولم ينْزِلْ جُملةً واحِدةً. وقدْ بيَّنَّا في أوَّلِ كتابِنَا هذا مِقدارَ المدَّةِ الَّتي نزَلَ فيهَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قرأ أنسٌ، والشَّعْبيُّ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ، وأبو رَجاءٍ، وأبَان عنْ عاصِمٍ، وابْنُ مُحيصنٍ: بفتْحِ الميمِ[1]؛ والمعْنَى: على تُؤدَةٍ وتَرَسُّلٍ ليتدبَّرُوا معْنَاه.

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ هذَا تهْديدٌ لِكفَّارِ أهْلِ مكَّةَ، والهَاءُ كِنايةٌ عنِ القُرآنِ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم ناسٌ مِن أهْلِ الكِتابِ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّهُمُ الأنْبياءُ عليهم السلام، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: طُلَّابُ الدِّينِ، كأبِي ذرٍّ، وسلْمَانَ، وورَقَةَ بْنِ نوْفَلٍ، وزَيْدِ بْنِ عمْرٍو، قالَه الواحِديُّ[2].

وفي هاءِ الكِنايةِ في قوْلِه: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى القُرآن، والمعْنَى: مِن قبْلِ نُزولِه.

والثَّاني: ترجِعُ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

فعلَى الأوَّل ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القُرآنُ. وعلَى قوْلِ ابْنِ زيْدٍ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ مَا أُنْزل إليهم مِن عنْدِ اللهِ.

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٤)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٣١٣).

(٢) التفسير البسيط (١٣/ ٥٠٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ الـلَّام هَاهُنـا بمعْنَـى: عـلَى. قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: قوْلُــه: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾؛ أي: للْوُجُـوهِ(١).

قـالَ الزَّجَّـاجُ: الَّـذي يخِرُّ وهـوَ قائِـمٌ، إنَّـما يخِرُّ لِوجْهِـه، والذَّقـنُ: مجتمَـعُ اللَّحْيَـيْنِ، وهـوَ عضْـوٌ مِـن أعْضـاءِ الوجْـهِ، فـإذَا ابْتـدأَ يخِـرُّ، فأقْـربُ الأشْـياءِ مِـن وجْهِـهِ إلى الأرْضِ الذَّقْـنُ(٢).

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: أوَّل مَـا يلْقَـى الأرْضَ مِـن الَّـذي يخِـرُّ قَبْـلَ أنْ [٤٩٠/ ب] يُصـوِّبَ جبْهتَـه ذقْنُـه، فلِذلِـكَ قـالَ: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾، ويجُـوزُ أنْ يكُـونَ المعْنَـى: يخِـرُّونَ للوجُـوهِ، فاكْتفَى بالذَّقْـن مِـن الوجْـهِ كـما يُكتفَـى بالبعْـضِ مِـنَ الـكُلِّ، وبالنَّـوعِ مِـنَ الجنْـسِ.

قوْلُـــه تعَـــالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزَّهُـوا اللهَ تعَـالى عـنْ تكْذِيـبِ المكذِّبِـينَ بالقُـرآنِ، وقالُـوا: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنْـزالِ القُـرآنِ وبعْـثِ محمَّـدٍ ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ والـلَّام دخلَـتْ للتَّوْكيـدِ.

وهـؤُلاءِ قـوْمٌ كانُـوا يسْـمَعُون أنَّ اللهَ باعِـثٌ نبيًّـا مِـنَ العـرَبِ، ومُنـزِّلٌ عليـهِ كتَابًـا، فلـمَّا عايَنُـوا ذلِـك، حمِـدُوا اللهَ تعَـالى عـلى إنْجـازِ الوعْـدِ.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كـرَّر القـوْلَ؛ لِيـدلَّ عـلَى تكْـرَارِ الفعْـلِ منْهُـم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾؛ أي: يزِيدُهـمُ القُـرآنُ تَواضُعًـا. وكانَ عبْـدُ الأعْـلَى التَّيْمِـيُّ

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٧٧) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، عـن عبـاس، قولـه: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ يقـول: للوجـوه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٤).

يقول: من أوتي من العلم ما لا يُبكيه؛ لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾... إلى قوله: ﴿يَبْكُونَ﴾(١).

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١٠ - ١١١].

قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾... الآية. هذه الآية نزلت على سببين. نزل أولها إلى قوله: ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ على سبب، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ تهجد ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: «يا رحمن يا رحيم». فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهًا واحدًا، فهو الآن يدعو إلهين اثنين: الله، والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون: مسيلمة، فأنزل الله هذه الآية، قاله ابن عباس(٢).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ٤١) (١٢٥)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٠٤)، (٣٥٣٦٠)، والإمام أحمد في الزهد (ص: ١٣٧)، (٩٢٩)، والدارمي في سننه (١/ ٣٣٥) (٢٩٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٨٠) من طريق الأوزاعي، عن مكحول، أن النبيّ ﷺ كان يتهجّد بمكة ذات ليلة، يقول في سجوده: يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ، فسمعه رجل من المشركين، فلما أصبح قال لأصحابه: انظروا ما قال ابن أبي كبشة، يدعو الليلة الرحمن الذي باليمامة، وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن: فنزلت: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، وذكره عن ابن عباس الثعلبيُّ في الكشف والبيان (١٦/ ٥٠٥)، والواحديُّ في أسباب النزول (ص: ٣٠٢)، والتفسير البسيط (١٣/ ٥١٠).

والثَّاني: أنَّ رسُول الله ﷺ كانَ يكْتُبُ فِي أوَّلِ مَا أُوحِيَ إليْهِ: «باسْمِكَ اللَّهُمَّ»، حتَّى نزَل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتَب: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فقَالَ مُشركُو العرَبِ: هذَا الرَّحِيمُ نعْرِفُه، فمَا الرَّحْمنُ؟ فنزَلَتْ هذِهِ الآيةُ، قالَه ميْمُونُ بْنُ مِهرانَ(١).

والثَّالث: أنَّ أهْلَ الكتابِ قالُوا لِرسُولِ الله ﷺ: إنَّك لَتُقِلُّ ذكْرَ الرَّحمنِ وقدْ أكْثَر اللهُ في التَّوراةِ هذَا الِاسْمِ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ(٢).

فأمَّا قوْلُه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فنزَلَ علَى سببٍ، وفيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كانَ يرْفعُ صوْتَه بالقُرآنِ بمكَّةَ، فيسُبُّ المشركُون القُرآنَ ومَن أتَى بهِ، فخَفَض رسُولُ اللهِ ﷺ صوْتَه بعْدَ ذلِك حتَّى لم يُسمِعْ أصْحابَه، فأنزَلَ اللهُ تعَالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بِقراءَتِك، فيسْمَعُ المشرِكونَ فيَسُبُّوا القُرآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عنْ أصْحابِك، فلا يسْمَعُون، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٥٠٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٠٣).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، مسلم (٤٤٦)، والنسائي (١/ ٦٧١) (٣٢٠)، والترمذي (٣١٤٦) كلهم من طريق هشيم قال: أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نزلت ورسول الله ﷺ متوار -مختف- بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقراءة، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ بها عن أصحابك، =

والثَّـاني: أنَّ الأعْـرابِيَّ كانَ يجهَـرُ في التَّشـهدِ ويرْفَـعُ صوْتَـه، فنزَلَـتْ هـذِه الآيـةُ، هـذَا قـوْلُ عائِشـةَ(١).

والثَّالـث: أنَّ رسُـولَ اللهِ ﷺ كانَ يُصلِّي بمكَّـةَ عنْـدَ الصَّفَـا، فجهَـرَ بالقُرآنِ في صَـلاةِ الغَـداةِ، فقَـال أبـو جهْـلٍ: لا تفْـتَرِ عـلى اللهِ، فخفَـضَ النَّبـيُّ ﷺ صوْتَه، فقَـال أبـو جهْـل للمُشركـينَ: ألَا تـرَوْنَ مَـا فعلْـتُ بابـنِ أبي كبْشـةَ؟ ردَدْتُـه عـنْ قِراءتِـه، فنزَلَـت هـذِه الآيـةُ، قالَـه مُقاتِـلٌ(٢). [٤٩١/أ]

فأمَّـا التَّفسـير؛ فقوْلُـه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ المعْنَـى: إنْ شـئْتُم فقُولـوا: يـا اللهُ، وإنْ شـئْتُم فقُولـوا: يَـا رحْمَـنُ، فإنَّهُـما يرْجِعَـانِ إلى واحِـدٍ، ﴿أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ﴾ المعْنَـى: أيَّ أسْـماءِ اللهِ تدْعـوا؛ قـالَ الفـرَّاءُ: و«مَـا» قـدْ تكُـونُ صِلـةً؛ كقوْلِـه: ﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وتكونُ في معْنـى «أيِّ» معادةً لمَّـا اخْتلَـف لفْظُهـا(٣)(٤).

= أسـمعهم القـرآن ولا تجهـر ذلـك الجهـر ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ يقـول: بـين الجهـر والمخافتـة. وكذلـك ذكـره الواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٣٠٣).

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٨٧)، وابـن خزيمـة في صحيحـه (٧٠٧)، والحاكـم في مسـتدركه (١/ ٣٥٤) (٨٣٩) مـن طريـق حفـص بـن غيـاث، عـن هشـام بـن عُـروة، عـن أبيـه، عـن عائشـة، قالـت: نزلـت هـذه الآيـة في التشـهد ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾. وذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٦/ ٥٠٩)، ومكـي بـن أبي طالـب في الهدايـة (٦/ ٤٣١٣)، والواحـدي في أسـباب النـزول (ص: ٣٠٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥٦).

(٣) في الأصل، و(س): لفظها، والمثبت من (ر)، و(م).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٣).

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الصَّلاةُ الشَّرعيَّةُ.

ثُمَّ فِي المَرَادِ بالكلَامِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: لاتَجْهَـرْ بقِرَاءتِـكَ، ولَا تُخافِـتْ بِهـا، فكأنَّـه نَهْيٌ عـنْ شِـدَّةِ الجهْـرِ بالقِـراءَةِ، وشِـدَّةِ المخَافَتـةِ، قالَـه ابْـنُ عبَّاسٍ.

فعَلى هذَا في تسْمِيةِ القِراءةِ بالصَّلاةِ قوْلَانِ -ذكرَهُمَا ابْنُ الأنْبَارِيِّ-:

أحدُهما: أنْ يكُون المعْنَى: فلا تجهَرْ بقِراءةِ صَلاتِكَ.

والثَّـاني: أنَّ القِـراءةَ بعْـضُ الصَّـلاةِ، فنَابَـتْ عنْهَـا؛ كـما قِيـلَ لِعيسـى: كلِمَـةُ اللهِ؛ لأنَّـه بالكلِمَـة كانَ.

والثَّـاني: لَا تُصلِّ مُـراءاةً للنَّـاس، ولا تدعْهَـا مخافـةَ النَّـاسِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ أيْضًـا.

والثَّالِـث: لَا تجْهَـرْ بالتَّشـهدِ فِي صلَاتِـك، رُوي عـنْ عائِشـةَ رضي الله عنها فِي رِوايـةٍ، وبـهِ قـالَ ابْنُ سِـيرِينَ.

والرَّابِـع: لَا تجْهَـرْ بفعْـلِ صَلاتِـك ظاهِـرًا، ولا تُخافِـتْ بهـا شـدِيدَ الاِسْـتتارِ، قالَـه عكرِمَـةُ.

والخامِس: لَا تُحسِن علَانِيتَهَا، وتُسِئ سَريرتَهَا، قالَه الحسَنُ.

والسَّـادس: لَا تجهَرْ بصَلاتِـكَ كُلِّها، ولا تُخافِتْ بجميعِهَـا. فاجْهرْ فِي صَلاةِ اللَّيْـلِ، وخافِـتْ فِي صَلاةِ النَّهـار، علَى مَا أمرْنَـاك بِه، ذكرَهُ القـاضي أبو يعْلَى.

والقَـوْلُ الثَّـاني: أنَّ المـرادَ بالصَّـلاةِ الدُّعـاءُ، وهـوَ قـوْلُ عائِشـةَ، وأبي هُريـرةَ، ومُجاهِـدٌ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخَافتَـةُ: الإخْفـاءُ، يُقـال: صـوْتٌ خفِيتٌ. ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي: اسْـلُك بـيْنَ الجهْـرِ والمخَافتَـةِ طريقًا.

وقـدْ رُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّه قـالَ: نُسِـختْ هـذِه الآيـةُ بقوْلِه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[الأعـراف: ٢٠٥](١)، وقـالَ ابْنُ السَّـائبِ: نُسِـختْ بقوْلِه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجـر: ٩٤](٢)، وعلَى التَّحقيقِ وجودُ النَّسـخِ هَاهُنـا بعِيدٌ.

قوْلُــه تعَــالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾ وقــرَأ أبــو المتــوكِّل، وأبــو الجـوْزاءِ، وطلْحـةُ بْـنُ مـصرِّف: «فِي المِلْـكِ» بكـسْرِ الميـمِ(٣). ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قـالَ مُجاهِـدٌ: لم يحالِـفْ أحـدًا، ولم يبْتَـغِ نـصْرَ أحَـدٍ(٤)؛ والمعْنَـى: أنَّـه لا يحْتَـاجُ إلى مُـوالاةِ أحَـدٍ لِـذُلٍّ يلْحقُـه، فهـوَ مُسْـتغْنٍ عـنِ الـوَليِّ والنَّصـيرِ.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾؛ أي: عظِّمْه تعْظِيمًا تامًّا.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ للنحاس (ص: ٥٥٢).

(٢) انظـر: الناسـخ والمنسـوخ، المنسـوب للزهـري (ص: ٣٠)، وذكـره المصنـف في نواسـخ القرآن (٢/ ٥٠٣).

(٣) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات (ص: ٢٨٤).

(٤) تفسـير مجاهـد (ص: ٤٤٤)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٩٠) مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قـال: لم يحالـف أحـدًا، ولا يبتغـي نـصر أحـد.

فهرس الآيات

رقم الآية		الصفحة
سورة يوسف		
٨٢، ٨٣	....	٥
٨٤	....	٧
٨٥، ٨٧	....	٩
٨٨، ٩٣	....	١٩
٩٤	....	٣١
٩٥، ٩٨	....	٣٧
٩٩	....	٤١
١٠٠، ١٠١	....	٤٣
١٠٢، ١٠٣	....	٤٩
١٠٤، ١٠٧	....	٥١
١٠٨، ١٠٩	....	٥٣
١١٠	....	٥٥
١١١	....	٥٧

رقم الآية	الصفحة
سورة الرعد	
١، ٢	٦١
٣، ٤	٦٣
٥	٦٧
٦، ٩	٦٩
١٠، ١١	٧٥
١٢، ١٣	٨١
١٤	٨٧
١٥	٨٩
١٦	٩١
١٧، ١٨	٩٣
١٩، ٢٤	٩٧
٢٥، ٢٧	١٠١
٢٨، ٢٩	١٠٣
٣٠	١٠٥
٣١	١٠٧
٣٢	١٠٩
٣٣	١١١
٣٤، ٣٥	١١٣
٣٦، ٣٧	١١٥
٣٨، ٣٩	١١٧
٤٠، ٤١	١٢١
٤٢، ٤٣	١٢٣

رقم الآية	الصفحة
سورة إبراهيم	

١، ٢ .... ١٢٥
٣، ٦ .... ١٢٧
٧، ١٤ .... ١٣١
١٥، ١٧ .... ١٣٥
١٨ .... ١٤١
١٩، ٢١ .... ١٤٣
٢٢، ٢٣ .... ١٤٥
٢٤، ٢٥ .... ١٤٧
٢٦ .... ١٥١
٢٧ .... ١٥٣
٢٨، ٣٠ .... ١٥٥
٣١، ٣٦ .... ١٥٧
٣٧ .... ١٦١
٣٨، ٤٠ .... ١٦٥
٤١، ٤٣ .... ١٦٧
٤٤ .... ١٧١
٤٥، ٤٧ .... ١٧٣
٤٨ .... ١٧٧
٤٩، ٥١ .... ١٨١

رقم الآية	الصفحة
سورة الحجر	

١، ٢ .... ١٨٣
٣، ٨ .... ١٨٩
٩ .... ١٩١
١٠، ١٥ .... ١٩٣
١٦، ١٨ .... ١٩٧
١٩، ٢٠ .... ٢٠١
٢١، ٢٣ .... ٢٠٥
٢٤، ٢٥ .... ٢٠٩
٢٦، ٢٩ .... ٢١٣
٣٠، ٤١ .... ٢١٧
٤٢، ٤٤ .... ٢١٩
٤٥، ٤٨ .... ٢٢١
٤٩، ٥٣ .... ٢٢٣
٥٤، ٦٦ .... ٢٢٥
٦٧، ٧١ .... ٢٢٧
٧٢، ٧٧ .... ٢٢٩
٧٨، ٧٩ .... ٢٣٣
٨٠، ٨٦ .... ٢٣٥
٨٧، ٨٩ .... ٢٣٧
٩٠، ٩٣ .... ٢٤٣
٩٤ .... ٢٤٩
٩٥، ٩٩ .... ٢٥١

رقم الآية	الصفحة
سورة النحل	

١، ٣ .... ٢٥٧

٤ .... ٢٦١

٥، ٧ .... ٢٦٣

٨ .... ٢٦٥

٩، ١١ .... ٢٦٧

١٢، ١٦ .... ٢٧١

١٧، ٢١ .... ٢٧٥

٢٢، ٢٧ .... ٢٧٧

٢٨، ٣٢ .... ٢٨٣

٣٣، ٣٤ .... ٢٨٧

٣٥، ٤٢ .... ٢٨٩

٤٣، ٤٤ .... ٢٩٥

٤٥، ٤٧ .... ٢٩٧

٤٨، ٥٠ .... ٢٩٩

٥١، ٥٢ .... ٣٠٥

٥٣، ٥٥ .... ٣٠٧

٥٦، ٥٩ .... ٣٠٩

٦٠، ٦٢	٣١١
٦٣، ٦٦	٣١٥
٦٧	٣١٩
٦٨، ٦٩	٣٢١
٧٠، ٧١	٣٢٥
٧٢، ٧٤	٣٢٧
٧٥، ٧٦	٣٣٣
٧٧	٣٣٥
٧٨	٣٣٧
٧٩، ٨٣	٣٣٩
٨٤، ٨٧	٣٤٥
٨٨، ٨٩	٣٤٧
٩٠، ٩٣	٣٤٩
٩٤، ٩٦	٣٥٧
٩٧	٣٥٩
٩٨، ١٠٢	٣٦١
١٠٣، ١٠٥	٣٦٥
١٠٦، ١١١	٣٧١
١١٢	٣٧٩

١١٣	٣٨١
١١٤، ١١٩	٣٨٣
١٢٠، ١٢٢	٣٨٥
١٢٣، ١٢٤	٣٨٧
١٢٥	٣٨٩
١٢٦، ١٢٨	٣٩١

رقم الآية	الصفحة
سورة الإسراء	
١	٣٩٧
٢، ٣	٤٠١
٤، ٦	٤٠٣
٧، ٨	٤٠٩
٩، ١١	٤١٣
١٢، ١٤	٤١٥
١٥	٤٢١
١٦، ١٧	٤٢٣
١٨، ١٩	٤٢٥
٢٠، ٢٥	٤٢٧

٢٦، ٢٨ .... ٤٣٧
٢٩، ٣١ .... ٤٤١
٣٢، ٣٣ .... ٤٤٥
٣٤، ٣٦ .... ٤٤٩
٣٧، ٣٩ .... ٤٥٣
٤٠، ٤١ .... ٤٥٥
٤٢، ٤٤ .... ٤٥٧
٤٥، ٥٢ .... ٤٦١
٥٣ .... ٤٧١
٥٤ .... ٤٧٣
٥٥، ٥٧ .... ٤٧٥
٥٨، ٥٩ .... ٤٧٧
٦٠ .... ٤٧٩
٦١، ٦٥ .... ٤٨٥
٦٦، ٧٠ .... ٤٩١
٧١، ٧٢ .... ٤٩٩
٧٣، ٧٧ .... ٥٠٣
٧٨، ٨١ .... ٥١١

٨٢، ٨٤ .... ٥٢٣
٨٥ .... ٥٢٥
٨٦، ٨٨ .... ٥٢٩
٨٩، ٩٣ .... ٥٣١
٩٤، ١٠٠ .... ٥٣٧
١٠١، ١٠٤ .... ٥٤٣
١٠٥، ١٠٩ .... ٥٤٩
١١٠، ١١١ .... ٥٥٣

الدوحة 2021
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد التاسع
الكهف - مريم - طه
الأنبياء - الحج

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٩

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد التاسع

الكهف - الحج

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف

فصل في نزولها

روى أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ أنَّ سورةَ الكهفِ مكيَّةٌ، وكذلك قال الحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ،(١) وهذا إجماعُ المفسِّرين من غيرِ خلافٍ نعلمه، إلَّا أنَّه قد روي عن ابنِ عبَّاسٍ، وقتادةَ أنَّ فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال مُقاتلٌ: من أوَّلها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] مدنيٌّ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ١٠٨،١٠٧] الآيتان مدنية، وباقيها مكيٌّ(٢). [٤٩١/ ب]

وروى أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، ثُمَّ أَدْرَكَ الدَّجَّالَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ، وَمَنْ حَفِظَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْكَهْفِ؛ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧١)، وابن جرير الطبري (١٥/ ١٤٠)، والوسيط (٣/ ١٣٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٩٤)، والبحر المحيط (٧/ ١٣٤)، وقال ابن عطية: هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السور نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، والأول أصح.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧١).

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٤٥)، وأحمد (٣٦/ ٤٣)، ومسلم (٨٠٩)، وأبو داود (٤٣٢٣)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢١٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢١٩) بلفظ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، ثُمَّ أَدْرَكَ الدَّجَّالَ لَمْ يَضُرَّهُ»، وزاد أبو=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)﴾[الكهف: ١-٦].

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قد شرحناه في أوّل الفاتحة[١]، والمرادُ بعبدِهِ هاهنا: محمَّدٌ ﷺ، وبالكتابِ: القُرآن، تمدَّح بإنزالِهِ، لأنَّه إنْعامٌ على الرَّسُولِ خاصَّة، وعلى النَّاسِ عامَّة.

قال العلماءُ باللُّغة والتَّفسير: في هذه الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُها: أنزل على عبدِهِ الكتاب.

﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا عدلًا.

وقرأ أبو رجاءٍ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ يعمر، والنَّخعيُّ، والأعمشُ: «قِيَمًا» بكسر القاف، وفتح الياء[٢]،وقد فسرناها في الأنعام[٣].

=عبيد: «وَمَنْ حَفِظَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) انظر: تفسير سورة الفاتحة الآية رقم (١).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٤٧)، والحجة (٣/ ٤٣٩)، والتيسير (ص: ١٠٨)، والمبسوط (١/ ٢٠٥)، والكامل في القراءات (١/ ٥٨٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم: (١٦١).

قولـه: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ أي: لم يجعـل فيـه اختلافًـا، وقـد سبق بيـان العـوج في آل عمـران[١].

قولـه: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي: عذابًـا شـديدًا، ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: مـن عنـده، ومـن قبلـه، والمعنـى: لينـذر الكافريـن ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بـأنَّ لهـم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾وهـو الجنـة.

﴿مَّٰكِثِينَ﴾ أي:مقيمين، وهو منصوب على الحال.

﴿وَيُنذِرَ﴾ بعـذاب الله ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وهـم اليهـود حـين قالـوا: عُزيـرٌ ابـن الله، والنصـارى حـين قالـوا: المسـيح ابـن الله، والمشركـون حـين قالـوا: الملائكـة بنـات الله.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بذلـك القـولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ ؛لأنَّهـم قالـوا: أفـترى عـلى الله، ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ الذيـن قالـوا ذلـك، ﴿كَبُرَتْ﴾ أي: عظمـت ﴿كَلِمَةً﴾ الجمهـورُ عـلى النَّصـبِ.

وقـرأ ابـنُ مسـعودٍ، والحسـنُ، ومجاهـدٌ، وأبـو رَزِيـنٍ، وأبـو رجـاءٍ، ويحيـى بـنُ يعمـرَ، وابـنُ مُحيصـنٍ، وابـنُ أبي عبلـةَ: «كَلِمَـةٌ» بالرَّفـعِ[٢].

قـال الفـرَّاءُ: مـن نصـب أضمـرَ: كـبرت تِلْـكَ الكلمـةُ كلمـة، ومـن رفـع لم يضمـر شـيئًا، كـما تقُـولُ: عَظُـمَ قَوْلُـكَ[٣].

---

١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم: (٩٩).

٢) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٨١) قـراءة الحسـن، وعيسـى، وفي التحصيـل (٤/ ١٧٢) قـراءة ابـن محيصـن، والحسـن، وانظـر: الكامـل في القـراءات العـشر (١/ ٥٩٠).

٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٤).

وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ نصب، فالمعنى: كبرت مقالتُهم: اتَّخذ الله ولدًا كلمة، فكَلِمَةً منصوبٌ على التَّمييز، ومَن رفع، فالمعنى: عظُمت كَلِمَةٌ هي قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾(١).

قوله: ﴿تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾ أي: إنَّها قَولٌ بالْفَم لا صحَّةَ لها، ولا دليل عليها، ﴿إِن يَقُولُونَ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبٗا﴾.

ثم عاتبهُ على حزنِهِ لفوتِ ما كان يرجو من إسلامِهم، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾.

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو الجوزاءِ، وقتادةُ: «بَاخِعُ نَفْسِكَ» بكسرِ السِّينِ، على الإضافةِ(٢).

قال المفسِّرون واللُّغويون: فلعلَّك مهلكٌ نفسَك، وقاتلٌ نفسَك، وأنشد أبو عُبَيْدَةَ لِذِي الرُّمَّةِ(٣) [من الطويل]:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ ... لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

أي: نحته.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٨).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٣٩).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٠٣٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٣)، وشرح المفصل(٢/ ٧)، ولسان العرب (٨/ ٥)، والمقاصد النحوية (٤/ ٢١٧)، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب (١/ ٤٧٤)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٥٣)، ولسان العرب (١٥/ ٣١٢) (نحا)، والمقتضب (٤/ ٢٥٩).

فإن قيل: كيف قال: ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ والغالبُ عليها الشَّك، والله عالمٌ بالأشياءِ قبل كونها؟

فالجواب: أنَّها ليست بشكٍّ، إنَّما هي مقدَّرةٌ تقدير الإستفهام الَّذي يعني به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتلٌ نفسَك؟ لا ينبغي أَنْ يطولَ أساكَ على إعراضهم، فإنَّ مَنْ حكمنَا عليه بالشّقوةِ لا تُجدي عليه الحسرة، [٤٩٢/أ] ذكره ابنُ الأنْبارِيِّ.

قوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ أي: من بعدِ تولِّيهم عنك ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن.

﴿أَسَفًا﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: حزنًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وابْنُ قُتَيْبَةَ[١].

والثاني: جَزَعًا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: غَضَبًا، قاله قتادةُ.

والرابع: نَدمًا، قاله السُّدِّيُّ.

وقال أبو عُبَيْدَةَ: ندمًا وتلهفًا وأسىً[٢].

قال الزَّجَّاجُ: الْأَسَفُ: المبالغةُ في الحزنِ، أو الغضبِ، يقال: أسِفَ الرَّجل فهو أسيفٌ، قال الشاعر[٣] [من الطويل]:

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٣).

(٣) البيت للأعشي في ديوانه (ص: ١٦٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٢٩١)، وشرح شواهد=

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

وهذه الآيةُ تشيرُ إلى نهي رسولِ الله ﷺ عن كثرةِ الحرصِ على إيمان قومِهِ لئلَّا يؤدِّي ذلك إلى هلاك نفسِهِ بالأسفِ.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[الكهف: ٧-٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم الرِّجال، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: العلماءُ، رواه مجاهدٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ؛ فعلى هذين القولينِ تكون «ما» في موضع «مَنْ»؛ لأنَّها في موضع إبهامٍ، قاله ابْنُ الأَنْبَارِيِّ.

والثالث: أنَّه ما عليها من شيءٍ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: النَّبات والشجر، قاله مُقَاتِلٌ[1].

وقول مجاهدٍ أعمُّ، يدخل فيه النَّباتُ، والماءُ، والمعادنُ، وغير ذلك.

فإنْ قيل: قد نرى بعض ما على الأرضِ سمجًا وليس بزينةٍ.

فالجواب: أنَّا إنْ قلنا: إنَّ المراد به شيءٌ مخصوص، فالمعنى: إنَّا جعلنا

=الإيضاح (ص ٤٥٨)، ولسان العرب (١/ ٣٥٧) (خضب)، (٩/ ٥) (أسف)،(٩/ ٣٠٢) (كفف)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (٥/ ٢٣٥)، والإنصاف (ص: ٧٧٦)، وخزانة الأدب (٧/ ٥)، ومجالس ثعلب (ص: ٤٧).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٣).

بعض ما على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العمومِ، ومعناه الخصوص.

وإِنْ قلنا: همُ الرِّجال أو العلماء، فلعبادتهم، أو لدلالتهم على خالقِهم.

وإِنْ قلنا: النَّباتُ والشَّجرُ، فلأنَّه زينةٌ لها تجري مجرى الكسوة والحُلية.

وإِنْ قلنا: إنَّه عامٌّ في كلِّ ما عليها، فلكونه دالاًّ على خالقِه، فكأنَّه زينة الأرضِ من هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ أي: لنختبرَ الخلق، والمعنى: لنعاملهم معاملة المبتلي.

قال ابنُ الْأَنْبَارِيِّ: مَن قال: إنَّ ما على الأرض يعني به النَّبات، قال: الهاء والميمُ ترجع إلى سكَّانِ الأرض المشاهدين للزِّينة، ومَن قال: ما على الأرض الرِّجال، ردَّ الهاءَ والميم على ما؛ لأنَّها بتأويل الجميع، ومعنى الآية: لنبلوهم فنرى أيُّهم أحسنُ عملاً، هذا أم هذا؟

قال الحسنُ: أيُّهم أزهد في الدُّنيا[1].

وقد ذكرنا في هذه الآية أربعة أقوالٍ في سورة هود[2].

ثُمَّ أعلم الخلق أنَّه يفني جميع ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧٠٦) عن الحسن بلفظ: «أشدهم للدنيا تركًا»، ورواه أيضًا عن سفيان بلفظ: «أزهدهم في الدُّنيا»، وانظر: الدر المنثور؛ للسيوطي (٥/ ٣٦١)، وأورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٦) قال الحسن: «أيهم أزهد في الدنيا، وأترك لها».

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧).

قال الزَّجَّاجُ: الصَّعيدُ: الطَّريقُ الذي لا نبَاتَ فيه(١).

وقال ابنُ الأَنْبَارِيِّ: قال اللغويون: الصَّعيدُ: التُّراب، ووجه الأرضِ(٢).

فأمَّا «الْجُرُز» فقال الفَرَّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: أرض جُرُز، وأسد تقول: جَرَزٌ، وجُرُز، وتميم تقول: أرض جُرْز، وجَرْز، وبالتَّخفيف(٣).

وقال أبو عُبيدةَ(٤): الصَّعيد الجرز: الغليظُ الذي لا ينبت شيئًا، ويقال للسَّنةِ المجدبة: جُرز، وسنون أجراز، لجدوبتها، وقلَّة مطرها، [٤٩٢/ب] وأنشد(٥) [من الرَّجز]:

قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السِّنُونَ الْأَجْرَازُ ....

وقال الزَّجَّاجُ: الجُرز: الأرضُ التي لا ينبتُ فيها شيءٌ، كأنَّها تأكلُ النَّبتَ أكلاً(٦).

وقال ابنُ الْأَنْبَارِيِّ: قال اللّغويون: الجرز: الأرضُ التي لا يبقى بها نباتٌ، تحرق كل نباتٍ يكون بها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٩).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٧٧).

(٣) انظر: لغات القرآن (ص: ٨٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٣).

(٥) بلا نسبة في تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ١٥٤)، ولسان العرب (٥/ ٣١٧) (جرز)، وتاج العروس (١٥/ ٥٣) (جرز).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٩).

وقال المفسِّرون: وهذا يكونُ يوم القيامة، يجعلُ الله الأرض مستوية لا نباتَ فيها ولا ماء.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾[الكهف: ٩-١٢].

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ نزلت على سببٍ قد ذكرناه عند قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥][١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى أم حسبت: أحسبت[٢].

فأمَّا ﴿الْكَهْفِ﴾، فقال المفسِّرون: هو المغارةُ في الجبلِ، إلَّا أنَّه واسعٌ، فإذا صغر، فهو غارٌ.

قال ابنُ الأنبَارِيِّ: قال اللغويون: الكهفُ بمنزلة الغار في الجبلِ.

فأمَّا الرَّقيم، ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنَّه لوحٌ من رصاص كانت فيه أسماء الفتيةِ مكتوبة ليعلم من اطَّلع عليهم يومًا من الدَّهر ما قصَّتهم، قاله أبو صالح، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال وهبُ بنُ منبِّهٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ، ومجاهدٌ في روايةٍ.

---

(١) انظر: سورة الإسراء الآية رقم: (٨٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٣).

وقال السُّدِّيُّ: الرقيم: صخرةٌ كتب فيها أسماء الفتيةِ، وجعلت في سور المدينةِ(١).

وقال مُقاتلٌ: الرَّقيم: كتابٌ كتبه رجلان صالحان، وكانا يكتمان إيمانهما من الملك الذي فرَّ منه الفتيةُ، كتبا أمر الفتية في لوحٍ من رصاص، ثم جعلاه في تابوتٍ من نحاسٍ، ثُمَّ جعلاه في البناءِ الذي سدُّوا به باب الكهفِ، فقالا: لعلَّ الله أَنْ يطلع على هؤلاءِ الفتيةِ أحدًا، فيعلمون أمرهم إذا قرؤوا الكتاب(٢).

وقال الفَرَّاءُ: كتب في اللَّوحِ أسماؤهم: وأنسابهم، ودينهم، وممن كانوا(٣).

قال أبو عُبَيْدَةَ، وابنُ قُتيبةَ: الرَّقيمُ: الكتاب، وهو فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُول، ومنه: كتابٌ مرقومٌ، أي: مكتوبٌ(٤).

والثاني: أنَّه اسمُ القريةِ التي خرجوا منها، قاله كعبٌ.

والثالث: اسمُ الجبلِ، قاله الحسنُ، وعطيةُ.

والرابع: أنَّ الرَّقيمَ: الدواة بلسانِ الرُّومِ، قاله عكرمةُ ومجاهدٌ في روايةٍ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧١٤) عن السُّدِّيِّ بلفظ: «الرَّقِيم حين رقمت أسماؤهم في الصخرة، كتب المَلِكُ فيها أسماءهم، وكتب أنهم هلكوا في زمان كذا وكذا في ملك ريوس، ثُمَّ ضربها في سور المدينة عَلَى الباب، فكان مِنْ دَخَلَ أو خرج قرأها». وانظر: الدر المنثور (٥/ ٣٦٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٤).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٤) وفيه الرَّقِيمِ: الوادي الذي فيه الكهف، وغريب القرآن (ص: ٢٦٣).د

والخامس: اسمُ الكلب، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والسادس: اسمُ الوادي الذي فيه الكهفُ، قاله قتادةُ، والضَّحاكُ.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾.

قال المفسِّرون: معنى الكلام: أحسبت أنَّهم كانوا أعجب آياتنا؟ قد كان في آياتنا ما هو أعجبُ منهم، فإنَّ خلق السَّمواتِ والأرضِ وما بينهما أعجبُ من قصَّتهم.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: الذي آتيتك من الكتابِ والسُّنَّةِ والعلمِ، أفضل من شأنهم(١).

قوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معنى: أَوَوْا إليه صاروا إليه، وجعلوه مأواهم، والفتيةُ: جمع فتى، مثل غُلَام و غِلْمَة ، وصَبِي وَصِبْيَة، وَفِعْلَة من أسماءِ الجمع، وليس ببناءٍ يُقاس عليه، لا يجوز غُراب وغِرْبة، ولا غَني وغِنْية(٢).

وقال بعضُ المفسِّرين: الفتية: بمعنى الشَّباب، وقد ذكرنا عن [٤٩٣/أ] القتيبيِّ أنَّ الفتى: بمعنى الكامل من الرِّجال، وبيناه في قوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [النساء: ٢٥](٣).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (١٢٧١٦) في تفسيرهما من طريق العوفي، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم: (٢٥).

قولـه: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ أي: مـن عنـدك ﴿رَحۡمَةً﴾ أي: رِزْقًـا ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا﴾ أي: أَصْلِـح لنـا ﴿مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ أي: أَرْشِـدْنَا إلى مـا يُقَرِّبُنـا منـك.

والمعنى: هيىء لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد.

والرُّشد والرَّشد والرَّشَاد: نقيض الضَّلالِ.

تلخيص قصَّة أصحاب الكهف

اختلـف العلـماءُ في بُـدُوِّ أمرِهـم، وسـبب مصيرهـم إلى الكهـفِ، عـلى **ثلاثـة أقـوالٍ:**

أحدهـا: أنَّهـم هربـوا ليـلًا مـن ملكهـم حـين دعاهـم إلى عبـادةِ الأصنـامِ، فمـرُّوا بـراعٍ لـه كلـب، فتبعهـم عـلى دينهـم، فـأووا إلى الكهـف يتعبَّـدون، ورجـل منهـم يبتـاع لهـم أرزاقهـم مـن المدينـةِ، إلى أن جاءهـم يومًـا فأخبرهـم أنَّهـم قـد ذكـروا، فبكـوا وتعـوَّذوا بـالله مـن الفتنـةِ، فـضرب الله تعـالى عـلى آذانهـم، وأمـر الملـك فسـدَّ عليهـم الكهـفَ، وهـو يظنُّهـم أيقاظـاً، وقد تـوفَّى الله أرواحهـم وفـاة النَّـوم، وكلبهـم قـد غشـيه مـا غشـيهم، ثـمَّ إنَّ رجلـين مؤمنـين يكتـمان إيمانهـما كتبـا أسـماءهم وأنسـابهم وخبرهـم في لـوحٍ مـن رصـاص، وجعـلاه في تابـوتٍ مـن نحـاسٍ في البنيـان، وقـالا: لعـلَّ الله يطلِـع عليهـم قومًـا مؤمنـين، فيعلمـون خبرَهـم، هـذا قـولُ ابـنُ عبَّـاسٍ(١).

---

(١) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٢٧٢٠) بنحـوه، وعـزاه السـيوطي في الدر المنثـور(٥/ ٣٦٦) لابـن أبي شـيبة، وابـن المنذر.

وقال عبيدُ بنُ عميرٍ: فقدهم قومهم فطلبوهم، فعمَّى الله عليهم أمرهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوحٍ: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهرِ كذا، في سنة كذا، في مملكةِ فلان، ووضعوا اللَّوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن لهذا شأنٌ(١).

والثاني: أنَّ أحد الحواريين جاء إلى مدينة أصحابِ الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صَنَمًا لا يدخلها أحدٌ إلا سجدَ له، فكره أن يدخلها، فأتى حَمَّامًا قريبًا من المدينةِ، فكان يعمل فيه بالأجرِ، وعَلِقَه فتية من أهلِ المدينةِ، فجعل يخبرهم عن خبرِ السَّماءِ والأرضِ، وخبر الآخرة، فآمنوا به وصدَّقوه، حتَّى جاء ابن الملكِ يومًا بامرأةٍ، فدخل معها الحمَّام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبَّه فدخل، فمات وماتت المرأة في الحمَّام، فأتى الملك، فقيل له: إنَّ صاحبَ الحمام قتل ابنك، فالتُمِس فهربَ، فقال: مَن كان يصحبُه؟ فسمِّي له الفتية، فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمرُّوا على صاحبٍ لهم في زرعٍ، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلبٌ حتَّى آواهم الليل إلى الكهفِ، فدخلوه فقالوا: نبيت هاهنا، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا؛ وخرج الملك، وأصحابه يتَّبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلَّما أراد رجل أن يدخلَ الكهف أُرعب، فقال قائلٌ للملك: أليس قلت: إن [٤٩٣/ ب] قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف حتى

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٣) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

يموتـوا جوعًـا وعطشًـا، ففعـل، هـذا قـول وهـبُ بـن منبِّـهٍ(١).

والثالـث: أنَّهـم كانـوا أبنـاء عظـماء المدينـةِ وأشرافهـم، خرجـوا فاجتمعوا وراءَ المدينـةِ عـلى غـير ميعـادٍ، فقـال رجـلٌ منهـم هـو أَسَـنُّهُمْ: إنِّي لأجـد في نفـسي شـيئًا مـا أظـنُّ أحـداً يجـدُه، فقالـوا: مـا تجـدُ؟ قـال: أجـدُ في نفـسي أنَّ ربي رب السَّـمواتِ والأرضِ، فقامـوا جميعًـا فقالـوا: ربُّنـا ربُّ السَّـموات والأرض، فأجمعـوا أن يدخلـوا الكهـفَ، فدخلـوا، فلبثـوا مـا شـاء الله، هـذا قـولُ مجاهـدٍ(٢).

وقـال قتـادةُ: كانـوا أبنـاءَ ملـوكِ الـرُّوم، فتفـرَّدوا بدينهـم في الكهـفِ، فـضربَ الله عـلى آذانهـم(٣).

فصل

فأمَّـا سـبب بعـث أصحـابِ الكهـفِ مـن نومهـم، فقـال عكرمـةُ: جاءت أُمَّـةٌ مسـلمةٌ، وكان ملكهـم مسـلمًا، فاختلفـوا في الـرُّوح والجسـدِ، فقـال قائـل: يبعـث الـرُّوح والجسـد، وقـال قائـلٌ: يبعـث الـرُّوح وحـده، والجسـد تأكلـه الأرض فـلا يكـون شـيئًا، فشـقَّ اختلافهـم عـلى الملـك، فانطلـق فلبـس

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ١٧٤) مـن طريـق معمـر، عـن إسـماعيل بـن شَرُوسَ، عـن وهـب، بنحـوه، وإسـماعيل بـن شروس الصنعـاني أبـو المقـدام، قـال البخـاري: قـال معمـر: كان يضـع الحديـث. انظـر: الميـزان (١/ ٢٣٤).

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ١٧٢) مـن طريـق عبـد الله بـن كثـير الـداري المكـي، بـه، بنحـوه.

(٣) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٢/ ٣٢٣)، عـن معمـر، ومـن طريقـه ابـن جريـر الطـبري (١٥/ ١٩٨) بلفـظ مطـوَّل.

المسوح، وقعد على الرَّمادِ، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبيِّن لهم، فبعث الله أصحاب الكهفِ[١].

وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: جاء راعٍ قد أدركه المطرُ إلى الكهفِ، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطرِ، فلم يزل يعالجه حتَّى فتحه، وردَّ الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغدِ[٢].

وقال ابنُ السَّائبِ: احتاج صاحبُ الأرضِ التي فيها الكهف أن يبني حظيرة لغنمِهِ، فهدم ذلك السدَّ، فبنى به، فانفتح بابُ الكهفِ.

وقال ابنُ إسحاقَ: ألقى الله في نفس رجلٍ من أهل البلدِ أن يهدم ذلك البنيان فيبني به حظيرة لغنمِهِ، فاستأجر عاملينِ ينزعان تلك الحجارة، فنزعاها، وفتحا باب الكهفِ، فجلسوا فرحين، فسلَّم بعضُهم على بعضٍ لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئًا يكرهونه، إنَّما هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أنَّ ملكهم في طلبهم، فصلُّوا وقالوا لنمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع ما نذكر به، وابتغِ لنا طعامًا، نوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكَّر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نزعت عن بابِ الكهفِ، فعجب، ثم مرَّ مستخفيًا متخوِّفًا أن يراه

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٣)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم(١٢٧٢١) في تفسيرهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٥)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٦) من طريق معمر، عن إسماعيل بن شَرُّوسَ، عن وهب، بنحوه، وإسماعيل بن شروس، يضع الحديث.

أحد فيذهب به إلى الملكِ، فلمَّا رأى باب المدينةِ رأى عليه علامة تكون لأهلِ الإيمانِ، فعجب وخيِّل إليه أنَّها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناسًا لا يعرفهم، فجعل يتعجَّب ويقول: لعلِّي نائمٌ؛ فلمَّا دخلها رأى قومًا يحلفون باسمِ عيسى، فقام مسندًا ظهرَه إلى جدارٍ، وقال في نفسِهِ: والله ما أدري ما هذا، عشية أمس لم يكن على وجه الأرضِ مَن يذكرُ عيسى إلَّا قتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعلَّ هذه ليست المدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيرانِ، وأخرج ورقًا فأعطاه [٤٩٤/أ] رجلًا وقال: بعني طعامًا، فنظر الرَّجلُ إلى نقشِهِ فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجَّبون، ويتشاورون، وقالوا: إنَّ هذا قد أصابَ كنزًا، ففرَّق منهم، وظنَّهم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجةَ بي إليه، فقالوا له: مَن أنت يا فتى؟ والله لقد وجدت كنزًا وأنت تريد أن تخفيه، شاركنا فيه وإلَّا أتيناك إلى السُّلطان فيقتلك، فلم يدرِ ما يقول، فطرحوا كساءه في عنقِهِ وهو يبكي ويقول: فُرِّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيتُ، فأتوا به إلى رجلينِ كانا يدبران أمر المدينةِ، فقالا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدت كنزًا، ولكن هذه ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكنَّ والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقولُ لكم.

قال مجاهدٌ: وكان ورق أصحاب الكهفِ مثل أخفاف الإبلِ، فقالوا: من أنت، وما اسمُ أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا مَن يعرفه، فقال له أحدهما: أتظنُّ أنَّك تسخر منَّا وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا

الـضَّرب درهـم ولا دينار؟ إني سـآمر بـك فتعذَّب عذابًا شـديدًا ثـم أوثقك حتَّى تعـترفَ بهـذا الكنـز، فقـال يمليخـا: أنبـؤني عـن شيءٍ أسـألكم عنـه، فـإن فعلتم صدَّقتكـم، قالـوا: سـل، قـال: مـا فعل الملـك دقيانـوس؟ قالـوا: لا نعـرفُ اليوم عـلى وجـه الأرضِ ملكًا يسـمَّى دقيانوس، وإنَّما هـذا ملكٌ كان منذ زمـانٍ طويلٍ، وهلكـت بعـده قـرونٌ كثيرةٌ، فقـال: والله مـا يصدِّقنـي أحـدٌ بـما أقوله، لقـد كنَّا فتيـةٌ، وأكرهنـا الملكُ عـلى عبـادةِ الأوثان والذَّبـح للطَّواغيـتِ، فهربنا منه عشـية أمـس فنمنـا، فلـمَّا انتبهنـا خرجتُ أشـتري لأصحـابي طعاماً، فـإذا أنا كـما ترون، فانطلقـوا معـي إلى الكهـفِ أريكـم أصحـابي، فانطلقوا معه وسـائر أهـلِ المدينةِ، وكان أصحابـه قـد ظنُّـوا لإبطائـه عليهم أنَّه قـد أُخذ، فبينـما هم يتخوَّفـون ذلك، إذ سـمعوا الأصـوات وجلبـة الخيـل، فظنُّـوا أنَّهـم رسـل دقيانـوس، فقامـوا إلى الصَّـلاةِ، وسـلَّم بعضُهـم عـلى بعـضٍ، فسبق يمليخـا إليهم وهـو يبكـي، فبكوا معـه، وسـألوه عن شـأنه، فأخبرهـم خبره، وقـصَّ عليهم النَّبـأ كلَّه، فعرفـوا أنَّهم كانـوا نيامًـا بأمـر الله تعالى، وإنَّـما أوقظـوا ليكونوا آيـة للنَّاس، وتصديقًـا للبعث؛ ونظـر النَّـاس في المسـطورِ الـذي فيـه أسـماؤهم وقصَّتهـم، فعجبوا، وأرسـلوا إلى ملكهـم فجـاء واعتنـق القـوم، وبكـى، فقالـوا لـه: نسـتودعك الله ونقـرأ عليـك السَّـلام، حفظـك الله، وحفـظ ملـكك، فبينا الملك قائـمٌ، رجعـوا إلى مضاجعهم، وتـوفَّى الله ﷻ أنفسَـهم، فأمـر الملـكُ أن يجعل لكلِّ واحـدٍ منهم تابوتًـا من ذهـبٍ، فلـما أمسـوا رآهـم في المنـامِ، فقالـوا: إنَّا لم نخلـق من ذهـبٍ وفضةٍ، ولكـن خلقنا [٤٩٤/ ب] مـن تـرابٍ، فاتركنـا كـما كنَّـا في الكهـفِ عـلى الـتُّراب حتَّـى يبعثنـا الله ﷻ منـه، وحجبهـم الله ﷻ حـين خرجـوا مـن عندهـم بالرُّعب، فلـم يقدر أحـدٌ أن يدخلَ

عليهم، وأمر الملك فجعلَ على بابِ الكهفِ مسجدًا يصلَّى فيه، وجعل لهم عيداً عظيمًا يؤتى كل سنةٍ.

وقيل: إنَّه لما جاء يمليخا ومعه النَّاس، قال: دعوني أدخل إلى أصحابي فأبشِّرهم، فإنَّهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجسادٌ لا ينكرون منها شيئاً، غير أنَّها لا أرواحَ فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم[(١)].

قوله: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنمناهم ومنعناهم السَّمع، لأنَّ النائمَ إذا سمِعَ انتبه.

و﴿ عَدَدًا ﴾ منصوبٌ على ضربين:

أحدهما: على المصدر، المعنى نَعُدُّ عدداً.

والثاني: أنْ يكون نعتًا للسِّنين، المعنى: سنين ذات عددٍ، والفائدةُ في ذكرِ العددِ في الشَّيءِ المعدودِ، توكيد كثرةِ الشَّيءِ، لأنَّه إذا قلَّ فهم مقداره، وإذا كثر احتيجَ إلى أن يعد العدد الكثير[(٢)].

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ من نومهم، يقال لكلِّ من خرجَ من الموتِ إلى الحياةِ، أو من النَّومِ إلى الانتباه: مبعوث، لأنَّه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرُّفِ والانبعاثِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧١).

وقيل: معنى ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أنَّه لم يكن فيها شهورٌ ولا أيَّام، إنَّما هي كاملةٌ، ذكره المَاوَرْدِيُّ(١).

قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ قال المفسِّرون: أي: لنرى، وقال بعضُهم: المعنى: لتعلموا أنتم.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو عِمرانَ، والنَّخعيُّ: «لِيُعْلَمَ» بضمِّ الياءِ، على ما لم يسمَّ فاعله(٢).

﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ ويعني بالحزبين: المؤمنين والكافرين من قومِ أصحابِ الكهفِ.

﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ أي: لنعلمَ أهؤلاء أحصى للأمدِ أو هؤلاءِ، فكأنَّه وقع بينهم تنازعٌ في مدَّةِ لَبثهم في الكهفِ بعد خروجِهم من بينهم، فبعثهم الله ليبيِّن ذلك ويظهر.

قال قتادةُ: لم يكن للفريقين علمٌ بلُبثهم، لا لمؤمنيهم، ولا لكافريهم(٣).

قال مُقاتلٌ: لما بعثوا زال الشكُّ وعرفت حقيقة اللَّبثِ(٤).

وقال القاضي أبو يعلى: معنى الكلام: بعثناهم ليظهر المعلوم في اختلافِ الحزبين في مدَّةِ لبثهم، لما في ذلك من العبرةِ.

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٨٨).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٢) «ليُعْلم أي اخزبين» حكاه الأخفش، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٤٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (١٢٧٢٣) في تفسيرهما، من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٦).

قولــه تعــالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾[الكهــف: ١٣-١٥].

قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم ﴾ أي: خبر الفتيةِ ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالصِّدقِ.

قولــه تعــالى: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ أي: ثبتّناهــم عــلى الإيــمانِ، ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: ألهمناهــا الصَّبر ﴿ إِذْ قَامُوا۟ ﴾ بــين يــدي ملكهــم دقيانــوس.

﴿ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وذلــك أنّــه كان يدعــو النَّــاس إلى عبــادة الأصنــامِ، فعصــم الله هــؤلاء حتّــى عصــوا ملكهــم.

وقــال الحســنُ: قامــوا في قومِهــم فدعوهــم إلى التَّوحيــدِ، وقيــل: هــذا قولهــم بينهــم لمــا اجتمعــوا خــارجَ المدينــةِ عــلى مــا ذكرنــا في أوّل القصَّــةِ.

فأما «الشَّطط» فهو الجورُ. [٤٩٥/أ]

قال الزَّجّاجُ: يقال: شَطَّ الرَّجلُ، وأشَطَّ: إذا جار(١).

ثُــمَّ قــال الفتيــةُ: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ﴾ يعنــون الذيــن كانــوا في زمــن دقيانوس ﴿ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ أي: عبدوا الأصنامَ ﴿ لَّوْلَا ﴾ أي: هلّا ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِم ﴾ أي: عــلى عبادةِ الأصنــامِ ﴿ بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ﴾ أي: بحجّة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٢).

وإنَّما قال: عليهم، والأصنام مؤنَّثة، لأنَّ الكفَّار نحلوها العقل والتَّمييز، فجرت مجرى المذكرين من النَّاسِ.

قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنَّ له شريكًا.

قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٦-١٧].

قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هذا قولُ يمليخا، وهو رئيسُ أصحابِ الكهفِ، قال لهم: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ أي: فارقتموهم، يريد: عبدة الأصنامِ[1].

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: واعتزلتم ما يعبدون، إلَّا الله، فإنَّ القومَ كانوا يعبدونَ اللهَ ويعبدونَ معه آلهة، فاعتزل الفتية عبادة الآلهة، ولم يعتزلوا عبادةَ الله، هذا قولُ عطاء الخُراسانيّ، والفَرَّاء[2].

والثاني: وما يعبدون غير الله.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٦).

قال قتادةُ: هي في مصحفِ عبد الله: «وما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ»، وهذا تفسيرُها[١].

قوله: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: اجعلوه مأواكم، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: يبسطُ عليكم من رزقِه، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مِّرْفَقًا﴾ بكسرِ الميم، وفتحِ الفاءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «مَرْفِقًا» بفتحِ الميم، وكسرِ الفاءِ[٢].

قال الْفَرَّاءُ: أهل الحجاز يقولون: «مَرفِقاً» بفتحِ الميمِ وكسرِ الفاءِ، في كلِّ مرفقٍ ارتفقت به، ويكسرون مرفق الإنسانِ، والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعًا[٣].

قال ابنُ الأنْبارِيِّ: معنى الآية: ويهيىء لكم بدلًا من أمرِكم الصَّعبِ مِرْفقًا، قال الشَّاعر[٤] [من الطَّويل]:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهَيَانِ

---

(١) هي قراءة عبد الله بن مسعود كما في معاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٢٢٣).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والحجة (٥/ ١٣٠)، والتيسير (ص: ١٤٢)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٦).

(٤) البيت؛ للأحول الأزلي، أو الكندي يعلى بن مسلم بن قيس في لسان العرب (١٣/ ١٢٨)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧٧)، وخزانة الأدب (٥/ ٢٦٧).

معناه: فليت لنا بدلًا من ماءِ زمزم.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم﴾ يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمِهِ، ويأتكم باليسرِ والرِّفق واللُّطفِ(١).

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت﴾ المعنى: لو رأيتها لرأيت ما وصفنا.

﴿تَزَاوَرُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «تزَّاوَرُ» بتشديد الزَّاي.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿تَزَٰوَرُ﴾ خفيفة.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «تَزْوَرُّ» مثل: «تَحْمَرُّ»(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ، والجَحْدريُّ: «تَزْوارُّ» بإسكان الزَّاي، وبألفٍ ممدودةٍ بعد الواو من غيرِ همزةٍ، مشدَّدة الرَّاء(٣).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو المتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «تَزْوَئِرُّ» بهمزةٍ قبل الرَّاء، مثل: «تَزْوَعِرُّ»(٤).

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو السماك: «تَزَوَّر» بفتح التَّاءِ والزَّاي وتشديدِ الواو المفتوحةِ خفيفة الرَّاء، مثل: « تَكَوَّر»، أي: تميل وتعدل.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والحجة (٥/ ١٣١)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٣) انظر: المحتسب (٢/ ٢٥)، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٨٢) عن الجحدري، وأيوب السختياني، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٢) عن الجحدري، وأبي رجاء، وزاد في البحر المحيط (٧/ ١٥١) ابن أبي عبلة، وجابر، وورد عن أيوب «تَزْوَارُّ» عَلَى وَزْنِ «تَحْمَارُّ».

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٥١).

قال الزَّجَّاجُ: أصل ﴿تَزَاوَرُ﴾ تتزاور، فأُدغمت التَّاءُ في الزَّاي، و﴿تَقْرِضُهُمْ﴾ أي: تعدل عنهم وتتركهم، وقال: ذُو الرُّمَّةِ[١] [من الطويل]: [٤٩٥/ب]

إِلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوازَ مُشْرِفٍ شِمالاً وعن أيمانهنَّ الفَوارِسُ

يقرضن: يتركن.

وأصلُ القرض: القطع والتفرقة بين الأشياء، ومنه قولك: أَقْرِضْني دِرْهَماً، أي: اقطع لي من مالكِ دِرهمًا[٢].

قال المفسِّرون: كان كهفهم بإزاءِ بنات نعش في أرضِ الرُّومِ، فكانت الشَّمس تميلُ عنهم طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتغيِّر ألوانهم.

ثم أخبر أنَّهم كانوا في متَّسعٍ من الكهفِ ينالهم فيه بردُ الرِّيحِ، ونسيم الهواءِ، فقال: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: أي: في متَّسعٌ، والجميع: فجوات، وفِجاء بكسر الفاءِ[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: إنَّما صرف الشَّمس عنهم آية من الآياتِ، ولم يرض قول مَن قال: كان كهفهم بإزاءِ بناتِ نعش[٤].

---

(١) البيت في ديوانه (ص: ١١٢٠)، والعين (٥/ ٥٠)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٤٢)، ولسان العرب (٥/ ٣٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٣).

قولـه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يشـير إلى مـا صنعـه بهـم مـن اللُّطـفِ في هدايتهـم، وصرف أذى الشَّـمسِ عنهـم، والرُّعـب الـذي ألقـى عليهـم حتَّـى لم يقـدر الملـكُ الظَّـالمُ ولا غـيرُه عـلى أذاهـم.

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: من دلائلِهِ على قدرته ولطفه.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ هـذا بيـان أنَّـه هـو الـذي تـولَّى هدايـة القومِ، ولـولا ذلـك لم يهْتَدوا.

قولـه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[الكهـف: ١٨].

قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظًا.

قـال الزَّجَّـاجُ: الأيقـاظ: المنتبهـون، واحدهـم: يقـظ، ويقظـان، والجميع: أيقـاظ؛ والرُّقـود: النيام(١).

قال الفَرَّاءُ: واحد الأيقاظ: يَقِظ، ويَقْظ(٢).

قال ابنُ السَّائبِ: وإنَّما يحسبون أيقاظًا، لأنَّ أعينهم مفتحة وهم نيامٌ.

وقيل: لتقلُّبهم يمينًا وشمالًا.

وذكـر بعـضُ أهـلِ العلـمِ: أنَّ وجـه الحكمـةِ في فتـح أعينهـم، أنَّـه لـو دامَ طبقهـا لذابت.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٧).

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾.

وقرأ الحسنُ، وأبو رجاءٍ: «وتَقْلِبهم» بتاءٍ مفتوحةٍ، وسكون القاف، وتخفيف اللَّامِ المكسورةِ.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وعكرمةُ: «ونَقْلِبهم» مثلها، إلا أنَّه بالنَّون[١].

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: على أيمانهم وعلى شمائلهم.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كانوا يقلبون في كلِّ عامٍ مرَّتين، ستَّة أشهر على هذا الجنب، وستَّة أشهرٍ على هذا الجنب، لئلَّا تأكل الأرض لحومهم[٢].

وقال مجاهدٌ: كانوا ثلاث مائة عام على شقٍّ واحدٍ، ثم قلبوا تسع سنين[٣].

قوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ أخبر أنَّ الكلبَ كان على مثل حالهم في النَّوم، وهو في رأي العين منتبه.

وفي الوصيد أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الفناء فناء الكهفِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ،

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ الجمهور «وَنُقَلِّبُهُمْ» بنون العظمة، وقرأ الحسن «وتقلّبهم» بالتاء المفتوحة وضم اللام والباء، وهو مصدر مرتفع بالابتداء، قاله أبو حاتم، وحكى ابن جني القراءة عن الحسن بفتح التاء وضم اللام وفتح الباء، وقال هذا نصب بفعل مقدر كأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم، وأبو حاتم أثبت. أهـ انظر: التحصيل (٤/ ١٧٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٠٣)، والبحر المحيط (٧/ ١٥٣)، والكامل في القراءات (١/ ٥٩٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٢٧٣٦)، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٣).

(٣) رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٣) بلفظ: ﴿ونقلبهم﴾ قال: في التسع سنين ليس فيما سواه.

وبـه قـال سـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، ومجاهـدٌ، والضَّحـاكُ، وقتـادةُ، والفَـرَّاءُ[١].

قـال الفَرَّاءُ: يقـال: «الْوَصِيدُ» و«الْأَصِيدُ» لغتان، مثـل الإكفاف والوكاف، وأرَّخـت الكتـاب وورَّخـت، ووكَّـدت الأمـر وأكَّدت؛ وأهـل الحجـاز يقولون: الْوَصِيـدُ، وأهـل نجـد يقولون: الْأَصِيـدُ، وهو: الحظـيرة والفناء[٢].

والثاني: أنَّه الباب، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

وقـال ابـنُ قُتيبـةَ: فيكـون المعنـى: وكلبهـم باسـط ذارعيـه بالبـاب، قـال الشـاعر[٣] [مـن الطويـل]: [٤٩٦/أ]

بـأرضٍ فَضَـاءٍ لا يُسَـدَّ وَصِيدُهـا عـليَّ ومعـروفي بهـا غـير مُنْكَـرِ

والثالـث: أنَّـه الصَّعيـد، وهـو الـتُّرابُ، رواه العـوفيُّ عـن ابـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال سـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، ومجاهـدٌ في روايـةٍ عنهـما.

والرابع: أنَّه عتبةُ البابِ، قاله عطاءٌ.

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: وهـذا أعجـب إليَّ، لأنَّهـم يقولـون: أوصـد بابـك، أي: أغلقـه، ومنـه قولـه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[الهمـزة: ٨]، أي: مطبقـة مغلقـة، وأصلـه أن تلصـق البـاب بالعتبـة إذا أغلقتـه، وممَّـا يوضـح هـذا أنَّـك إذا جعلـت الكلـب بالفنـاء، كان خارجـاً مـن الكهـف، وإن جعلتـه بعتبـةِ البـابِ، أمكـن أن يكـون داخـل الكهـفِ، والكهـف وإن لم يكـن لـه بـابٌ وعتبـةٌ، فإنَّـما

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٧).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٨٦).

(٣) بلا نسبه في غريب القرآن (ص: ٢٦٥)، والزاهر (١/ ١٧٧)، وتاج العروس (فضل).

أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت، فاستعير[١].

قوله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وقرأ الأعمشُ، وأبو حصينٍ: «لوُ اطَّلعت» بضمِّ الواوِ[٢].

و﴿اطَّلَعْتَ﴾ أي: لو أشرفت عليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ رهبة لهم، ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾.

قرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «وَلَمُلِئْتَ» خفيفة مهموزة.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ: «ولَمُلِّئْتَ» مشدَّدة مهموزة[٣].

﴿رُعْبًا﴾ أي: فزعاً وخوفاً، وذلك أنَّ الله تعالى منعهم بالرُّعب لئلَّا يدخل إليهم أحدٌ.

وقيل: إنَّهم طالت شعورهم وأظفارهم جدًّا، فلذلك كان الرائي لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاه الزَّجَّاجُ[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (ص: ٢٦٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٨٢) عن يحيى، والأعمش، وزاد ابن عطية في المحرر الوجيز(٣/ ٥٠٤) ابنَا واثب، وانظر: الكامل (١/ ٥٦٢).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (٥/ ١٣٤)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ١٩-٢٠].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذكرنا، بعثناهم من تلك النَّومة ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾ أي: ليكون بينهم تساؤلٌ وتنازعٌ واختلافٌ في مدَّة لبثهم، فيفيد تساؤلهم اعتبار المعتبرين بحالهم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي: كم مرَّ علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك أنَّهم دخلوا غدوة، وبعثهم الله في آخرِ النَّهارِ، فلذلك قالوا: ﴿يَوْمًا﴾ فلمَّا رأوا الشَّمس قالوا: أو بعض يومٍ ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: القائلُ لهذا يمليخا رئيسهم، ردَّ علم ذلك إلى الله تعالى(١).

وقال في روايةٍ أُخرى: إنَّما قاله مكسلمينا، وهو أكبرهم(٢).

قال أبو سليمان: وهذا يوجب أن تكون نفوسُهم قد حدَّثتهم أنَّهم قد لبثوا أكثرَ ممَّا ذكروا.

وقيل: إنَّما قالوا ذلك؛ لأنَّهم رأوا أظفارهم وأشعارهم قد طالت جدًّا.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٦٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

قوله: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾.

قال ابنُ الأَنْبارِيِّ: إنَّما قال: أحدكم، ولم يقل: واحدكم لئلَّا يلتبس البعض بالممدوح المعظَّمِ، فإنَّ العربَ تقول: رأيت أحد القومِ، ولا يقولون: رأيتُ واحد القومِ، إلَّا إذا أرادوا المعظَّم، فأراد بأحدهم: بعضهم، ولم يرد شريفهم.

قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ الرَّاءُ مكسورة خفيفة.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ساكنة الرَّاء، وعن أبي عمرٍو «بورقكم» مدغمة يشمها شيئاً من التَّثقيل[1].

قال الزَّجَّاجُ: تصير كافاً خالصة[2].

قال الفَرَّاءُ: «الْوَرِق» لغة أهل الحجاز، وتميم يقولون: «الْوَرْق»،
[٤٩٦/ب] وبعضُ العربِ يكسرون الواو، فيقولون: «الْوِرْق»[3].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (١/ ٢٢٢ـ ٢٢٣)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

(٣) انظر: لغات القرآن (ص: ٨٦).

قال ابنُ قُتيبةَ: «الْوَرِق» الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم[١]، يدلُّك على ذلك حديث عرفجةَ أنَّه اتَّخذ أنفاً من وَرِقٍ[٢].

قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعنون التي خرجوا منها، واسمها دقسوس، ويقال: هي اليوم طرسوس.

قوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أي أهلها ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾[٣].

وللمفسِّرين في معناه ستَّة أقوالٍ:

أحدها: أحل ذبيحة؛ قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعطاءٌ، وذلك أنَّ عامةَ أهل بلدهم كانوا كفَّارًا، فكانوا يذبحون للطَّواغيت، وكان فيهم قومٌ يخفون إيمانهم.

والثاني: أحلَّ طعامًا، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

قال الضَّحاكُ: وكانت أكثر أمواهم غصوبًا[٤].

وقال مجاهدٌ: قالوا لصاحبهم لا تبتع طعاماً فيه ظلم ولا غصب[٥].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣)، وأبو داود (٤٢٣٣)، والترمذي (١٧٧٠)، والنسائي في الكبرى (٩٤٠٠) من طريق عبد الرحمن بن طرفة بن عَرْفَجَة بن أسعد، عن أبيه، عن جدِّه، قال: «**أُصِيبَ أَنْفِي يَوْمَ الْكُلَابِ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّخَذْتُ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ، فَأَنْتَنَ عَلَيَّ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ**».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٥٧).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤١).

والثالث: أكثر، قاله عكرمةُ.

والرابع: خير، أي: أجود، قاله قتادةُ.

والخامس: أطيب، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتلٌ[١].

والسادس: أرخص، قاله يمان بن رياب.

قال ابنُ قُتيبةَ: وأصل الزَّكاء: النَّماء والزِّيادة[٢].

قوله: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي: بما تأكلونه.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: ليدقِّق النَّظر فيه، وليحتل لئلا يطَّلع عليه.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أي: ولا يخبرنَ أحدًا بمكانكم.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلعوا ويشرفوا عليكم.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ **وفيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: يقتلوكم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال الزَّجَّاجُ: يقتلوكم بالرَّجمِ[٣].

والثاني: يرجموكم بأيديهم، استنكارًا لكم، قاله الحسنُ.

والثالث: بألسنتهم شتمًا لكم؛ قاله مجاهدٌ، وابنُ جريجٍ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٦).

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي: يردُّوكم في دينهم، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ أي: إن رجعتم في دينهم، لم تسعدوا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[الكهف: ٢١].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾أي: وكما أنمناهم وبعثناهم، أطلعنا وأظهرنا عليهم.

قال ابنُ قُتيبةَ: وأصلُ هذا أنَّ مَن عثر بشيءٍ وهو غافلٌ، نظر إليه حتَّى يعرفه، فاستعير العثار مكان التبين والظُّهور، ومنه قول النَّاس: ما عثرت على فلانٍ بسوءٍ قطُّ، أي: ما ظهرت على ذلك منه[1].

قوله: ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟﴾ في المشارِ إليهم بهذا العلمِ قولان:

أحدهما: أنَّهم أهل بلدهم حين اختصموا في البعث، فبعث الله أهلَ الكهفِ ليعلموا ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ والجزاءِ ﴿حَقٌّ﴾ وأنَّ القيامةَ لا شكَّ فيها، هذا قولُ الأكثرين.

والثاني: أنَّهم أهل الكهفِ بعثناهم ليروا بعد علمِهم أنَّ وعدَ الله حقٌّ، ذكره المَاوَرْدِيُّ[2].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٩١).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٣).

قوله: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ﴾ يعني: أهلُ ذلك الزَّمان.

قال ابنُ الأَنْبَارِيِّ: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكون المعنى: إذ تنازعوا.

وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم تنازعوا في البنيانِ، والمسجد. فقال المسلمون: نبني عليهم مسجدًا، لأنَّهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً، لأنَّهم من أهل سنَّتنا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم تنازعوا في البعثِ، فقال المسلمون: تبعث الأجساد
[٤٩٧/أ] والأرواح، وقال بعضُهم: تبعثُ الأرواح دون الأجسادِ، فأراهم الله تعالى بعثَ الأرواحِ والأجسادِ ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمةُ.

والثالث: أنَّهم تنازعوا ما يصنعون بالفتيةِ، قاله مُقاتلٌ[١].

والرابع: أنَّهم تنازعوا في قدرِ مكثهم.

والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثَّعْلَبِيُّ[٢].

قوله: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ أي: استرُوهم من النَّاسِ بأن تجعلُوهم وراءَ ذلك البنيانِ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

وفي القائلينَ لهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم مشركو ذلك الزَّمانِ، وقد ذكرناه عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم الذين أسلموا حين رأوا أهل الكهفِ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: يعني المُطَاعِين والرُّؤساء(١).

قال المفسِّرون: وهم الملك وأصحابه المؤمنون اتَّخذوا عليهم مسجدًا.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: بنى عليهم الملك بيعة(٢).

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الكهف: ٢٢-٢٤].

قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ثَلَاثَةٌ مرفوعٌ بخبرِ الِابتداءِ، المعنى: سيقولُ الذين تنازعوا في أمرِهم هم ثلاثةٌ(٣).

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

وفي هؤلاءِ القائلين قولان:

أحدهما: أنَّهم نصارى نجران، ناظروا رسولَ الله ﷺ في عدَّة أهل الكهفِ، فقالت الملكية: هم ثلاثةٌ رابعهم كلبهم، وقالت اليَعْقُوبيَّةُ: هم خمسةٌ سادسهم كلبهم، وقالت النَّسْطُورِيَّةُ: هم سبعةٌ وثامنهم كلبهم، فنزلت هذه الآيةُ، رواه الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ(١).

والثاني: أنَّهم أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم، ذكره المَاوَرْدِيُّ(٢).

قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنًّا غير يقين، قال زهيرٌ(٣) [من الطَّويل]:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ

فأمَّا دخولُ الواوِ في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولم تدخل فيما قبل هذا، **ففيه أربعةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ دخولها وخروجها واحدٌ، قاله الزَّجَّاجُ(٤).

والثاني: أنَّ ظهورَ الواوِ في الجملةِ الثامنةِ دلالة على أنَّها مرادة في الجملتين المتقدِّمتين، فأعلم بذكرها هاهنا أنَّها مرادة فيما قبل، وإنَّما حذفت تخفيفًا، ذكرهُ أبو نصر المناشر في شرح اللَّمعِ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠)، والوسيط (٣/ ١٤٢)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٦).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢٢٨)، وخزانة الأدب (٣/ ٨ـ ١٠)، وشرح شواهد المغني (١/ ٣٨٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

والثالث: أنَّ دخولَها يدلُّ على انقطاع القصَّةِ، وأنَّ الكلامَ قد تمَّ، ذكره الزَّجَّاجُ أيضاً، وهو قولُ مُقاتلِ بن سُليمانَ[١]، فإنَّ الواو تدلُّ على تمام الكلامِ قبلها، واستئناف ما بعدها.

قال الثَّعلبيُّ: فهذه واو الحكمِ والتَّحقيق، كأنَّ الله تعالى حكى اختلافهم، فتمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ ﴾، ثمَّ حكم أنَّ ثامنهم كلبهم[٢].

وجاء في بعضِ التَّفسيرِ أنَّ المسلمينَ قالوا عند اختلافِ النَّصارى: هم سبعةٌ، فحقَّق الله قولَ المسلمين.

والرَّابع: أنَّ العربَ تعطف بالواوِ على السَّبعةِ، فيقولون: ستَّة، سبعة، وثمانية، لأنَّ العقدَ عندهم سبعة، كقوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ إلى أن قال في الصِّفةِ الثَّامنة: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله في صفةِ الجنَّةِ: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ وفي صفة النَّارِ: ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧١-٧٣]، لأنَّ أبواب النَّارِ سبعةٌ، وأبوابُ الجنَّةِ ثمانيةٌ، ذكر هذا [٤٩٧/ب] المعنى أبو اسحاقَ الثَّعلبيُّ[٣].

وقد اختلف العلماءُ في عددهم على قولين:

أحدهما: أنَّهم كانوا سبعة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

(٣) انظر: المصدر السابق.

والثاني: ثمانيةٌ، قاله ابنُ جريجٍ، وابنُ إسحاقَ.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: وقيل: معنى قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحب كلبهم، كما يقال: السَّخاء حاتم، والشِّعرُ زهيرٌ، أي: السَّخاء سخاء حاتمٍ، والشِّعر شعر زهيرٍ.

وأمَّا أسماؤهم، فقال هشيمٌ: مَكْسِلْمِينا، ويَمْلِيخا، وطرينوس، وسدينوس، وسرينوس، ونواسس، ويرانوس، وفي التفسير خلافٌ في أسمائهم فلم أطل بِهِ.

واختلفوا في كلبهم لمن كان على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان لراعٍ مرُّوا به فتبعهم الرَّاعي والكلب، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه كان لهم يتصيدون عليه، قاله عبيدُ بنُ عميرٍ.

والثالث: أنَّهم مرَّوا بكلبٍ فتبعهم، فطردوه، فعاد، ففعلوا ذلك به مراراً، فقال لهم الكلبُ: ما تريدون منِّي؟ لا تخشوا جانبي أنا أحب أحباء الله، فناموا حتَّى أحرسكم، قاله كعبُ الأحبار.

وفي اسم كلبهم أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: قطمير، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: اسمه الرَّقيم، وقد ذكرناه عن سعيدِ بنِ جبيرٍ.

والثالث: قطمور، قاله عبدُ الله بنُ كثيرٍ.

والرابع: حمران، قاله شعيبُ الجبائي.

وفي صفته ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أحمر، حكاه الثَّوريُّ.

والثاني: أصفر، حكاه ابنُ إسحاقَ.

والثالث: أحمر الرَّأس، أسود الظَّهر، أبيض البطنِ، أبلق الذَّنب، ذكره ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾.

حرَّك الياءَ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وأسكنها الباقون[(١)].

قوله: ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ أي: ما يعلمُ عددهم إلَّا قليل من النَّاس.

قال عطاءٌ: يعني بالقليل: أهل الكتاب[(٢)].

قال ابنُ عبَّاسٍ: أنا من ذلك القليل، هم سبعةٌ، إنَّ الله عدَّهم حتَّى انتهى إلى السَّبعة[(٣)].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٩٦)، والمبسوط (١/ ٣٤٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٩) من طريق ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاء الخُراسانيِّ، عنِ ابنِ عباسٍ، ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [الكهف: ٢٢] قال: يعني أهلَ الكتابِ.

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٩) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، به، بنحوه.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٦٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠) من طريق قتادة، قال: قال: كان ابنُ عبَّاسٍ يقولُ: «**أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ هُمْ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**».

قوله: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ[(١)]، وقتادةُ[(٢)]: لا تمار أحدًا، حسبك ما قصصت عليك من أمرهم.

وقال ابنُ زيدٍ: لا تمار في عدَّتهم إلَّا مراءً ظاهرًا أن تقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون[(٣)].

وقيل: إلَّا مراءً ظاهرًا بحجَّةٍ واضحةٍ، حكاه المَاوَرْدِيُّ[(٤)].

والمراء في اللُّغة: الجدال؛ يقال: مارى يماري مماراة ومراء، أي: جادل.

قال ابنُ الأنْبَارِيِّ: معنى الآية: لا تجادل إلَّا جدالَ متيقِّنٍ عالم بحقيقةِ الخبر، إذ الله تعالى ألقى إليك ما لا يشوبه باطلٌ.

وتفسير المراءِ في اللُّغة: استخراج غضب المجادلِ، من قولهم: مريت الشاة: إذا استخرجت لبنها[(٥)].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم ﴾ أي: في أصحابِ الكهفِ، ﴿ مِّنْهُمْ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني: من أهل الكتابِ[(٦)].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢١) من طريق عطيَّة العوفي، به، بنحوه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٦٦)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢١) من طريق معمر بن راشد، به، بنحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠) من طريق ابن وهب، به، بنحوه.

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٨).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٤).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٢) من طريق قابوس، عن أبيه، به.

قال الفَرَّاءُ: أتاه فريقان من النَّصارى، نسطوري، ويعقوبي، فسألهم النَّبيُّ ﷺ عن عددهم، فنهي عن ذلك(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾[الكهف: ٢٣-٢٤].

سبب نزولها: أنَّ قريشًا سألوا النَّبيَّ ﷺ عن ذي القرنين، وعن [٤٩٨/أ] الرُّوح، وعن أصحابِ الكهفِ، فقال: غدًا أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يومًا لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ(٢).

ومعنى الكلام: ولا تقولنَّ لشيءٍ: إنِّي فاعلٌ ذلك غدًا، إلَّا أن تقول: إن شاء الله، فحذف القولَ.

قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: معناه: واذكر ربَّك بعد تقضي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله - إذا صلَّى - حاجتك، أي: بعد انقضاءِ الصَّلاة.

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٨).

(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة كما في الدر المنثور (٥/ ٣٥٨) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به، فذكره، ومحمد بن السائب الكلبي متروك.

وللمفسِّرين في معنى الآيةِ ثلاثةُ أقوال:

أحدها: أنَّ المعنى: إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يومٍ أو شهرٍ أو سنةٍ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، والجمهورُ.

والثاني: أنَّ معنى إذا نسيت: إذا غضبت، قاله عكرمةُ.

قال ابنُ الأَنْبَارِيِّ: وليس ببعيدٍ، لأنَّ الغضبَ ينتج النِّسيانَ.

والثالث: إذا نسيت الشَّيء فاذكر الله ليذكرك إيَّاه، حكاه الماوَرْدِيُّ(١).

فصل

وفائدةُ الاستثناءِ أن يخرج الحالفُ من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصَّة موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، ولم يصبر، فسلم من الكذبِ لوجودِ الاستثناءِ في حقِّه.

ولا تختلف الرِّواية عن أحمدَ أنَّه لا يصحُّ الاستثناء في الطَّلاق والعتاق، وأنَّه إذا قال: أنت طالقٌ إن شاء اللهُ، وأنت حرٌّ إن شاءَ الله، أن ذلك يقعُ، وهو قولُ مالكٍ.

وقال أبو حنيفةَ والشَّافعيُّ: لا يقعُ شيءٌ من ذلك.

وأمَّا اليمين بالله تعالى؛ فإنَّ الاستثناء فيها يصحُّ، بخلاف الطَّلاقِ، وكذلك الاستثناء في كلِّ ما يُكفَّر، كالظِّهار، والنَّذر، لأنَّ الطلاقَ والعتاقَ لفظه لفظ إيقاع، وإذا علق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإيقاع

(١) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٩).

من جهتِهِ، بخلافِ سائر الأيمان، لأنَّها ليست بموجبات للحكم، وإنَّما تتعلَّق بأفعال مستقبلة.

وقد اختلف في الوقت الذي يصحُّ فيه الاستثناء على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لا يصحُّ الاستثناء إلَّا موصولاً بالكلام، وقد روي عن أحمدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحو هذا، وبه قالَ أكثرُ الفقهاءِ.

والثاني: أنَّه يصحُّ ما دام في المجلسِ، قاله الحسنُ وطاووسُ، وعن أحمدَ نحوه.

والثالث: أنَّه لو استثنى بعد سنة، جاز، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو العالية.

وقال ابنُ جريرِ الطَّبريُّ: الصوابُ للإنسان أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله، ليخرج بذلك مما ألزمه الله في هذه الآية، فيسقطُ عنه الحرج، فأمَّا الكفارة فلا تسقطُ عنه بحالٍ، إلَّا أن يكون الاستثناء موصولًا بيمينه، ومن قال: له ثنياه ولو بعد سنةٍ، أراد سقوط الحرج الذي يلزمه بتركِ الاستثناءِ دون الكفَّارة(١).

قوله: ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي ﴾. [٤٩٨/ب]

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو: «يهديني ربي» بياءٍ في الوصلِ دون الوقفِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ بياءٍ في الحالين.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٧٢).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ بغير ياءٍ في الحالين(١).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: عسى أن يعطيني ربِّي من الآيات والدِّلالات على النبوَّة ما يكون أقرب في الرُّشد وأدل من قصَّة أصحابِ الكهفِ، ففعل الله له ذلك، وآتاه من علم غيوب المرسلين ما هو أوضح في الحجَّة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحابِ الكهفِ، هذا قول الزَّجَّاج(٢).

والثاني: أنَّ قريشًا لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحابِ الكهفِ، قال: غدًا أخبركم كما شرحنا في سببِ نزولِ الآيةِ، فقال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ أي: عسى أن يعرفني جوابَ مسائلكم قبل الوقت الذي حدَّدته لكم، ويعجِّل لي من جهته الرَّشاد، هذا قول ابنِ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعٗا ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾[الكهف: ٢٥-٢٦].

قوله: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ﴾ منوَّناً.

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤١)، و المبسوط(١/ ٣٤٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٨).

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «ثلاث مائةِ سنين» مضافاً غير منوَّن[١].

قال أبو عليٍّ: العددُ المضافُ إلى الآحادِ قد جاء مضافاً إلى الجميعِ، قال الشَّاعر[٢]:

وَمَا زَوَّدُوني غَيْرَ سَحْقِ عمامةٍ وخمسِ مِئٍ مِنْهَا قَسِيٌّ وزائفُ

وفي هذا الكلام قولان:

أحدهما: أنَّه حكايةٌ عما قال النَّاسِ في حقِّهم، وليس بمقدارِ لبثهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ، واستدلَّ عليه فقال: لو كانوا لبثوا ذلك، لما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾، وكذلك قال قتادةُ[٣]، وهذا قول أهل الكتابِ.

والثاني: أنَّه مقدارُ ما لبثوا، قاله عبيدُ بنُ عمير، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ، وابنُ زيدٍ؛ والمعنى: لبثوا هذا القدرِ من يوم دخلوه إلى أن بعثَهم الله وأطلع الخلق عليهم.

قوله: ﴿سِنِينَ﴾.

قال الفرَّاءُ، وأبو عُبيدةَ، والكسائيُّ، والزَّجَّاجُ: التقدير: سنين ثلاث مائة[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (٥/ ١٣٦)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٢) البيت لمزرِّد بن ضرار في المحكم والمحيط (٢/ ٥٦٠)، والألفاظ (١/ ٣٥٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٣)، ولسان العرب (٩/ ١٤٣)، وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ١٣٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قولُهُ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] هذا قول أهلِ الكِتَابِ، فَرَدَّهُ الله عليهم فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾.

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٨).

وقال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: أنَّها لم تكن شهورًا ولا أيَّامًا، وإنَّما كانت سنين[١].

وقال أبو عليٍّ الفارسيِّ: سنين بدل من قولِهِ: ثلاث مائة[٢].

قال الضَّحاكُ: نزلت: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ فقالوا: أيَّاماً، أو شهورًا، أو سنين؟ فنزلت: سنين، فلذلك قال: سنين، ولم يقل: سنة[٣].

قوله: ﴿سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ يعني: تسعَ سنين، فاستغنى عن ذكرِ السنين بما تقدَّم من ذكرها.

ثم أعلم أنَّه أعلم بقدر مدَّة لبثهم من أهلِ الكتابِ المختلفين فيها، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾.

قال ابنُ السائبِ: قالت نصارى نجران: أمَّا الثلاث مائة، فقد عرفناها، وأمَّا التِّسع، فلا علم لنا بها، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ وقيل: إنَّ أهل الكتاب قالوا: إنَّ للفتية منذ دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاث مائة وتسع سنين، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ بعد أن قبض أرواحهم إلى يومكم هذا، لا يعلم ذلك غير الله.

[٤٩٩/أ] وقيل: إنَّما زاد التِّسع، لأنَّه تفاوت ما بين السِّنين الشَّمسية والسِّنين القمرية، حكاه الماوَرديُّ[٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٣٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٠) من طريق أبي أسامة، عن الأجلح، به، بنحوه.

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٠٠).

قوله: ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه على مذهب التَّعجب، فالمعنى: ما أسمع الله به وأبصر، أي: هو عالمٌ بقصَّة أصحابِ الكهفِ وغيرهم، هذا قولُ الزَّجَّاجِ، وذكر أنَّه إجماع العلماء(١).

والثاني: أنَّه في معنى الأمرِ، فالمعنى: أبصر بدين الله وأسمع، أي: بصر بهدى الله وأسمع، فترجع الهاءُ إمَّا على الهدى، وإمَّا على الله ﷻ، ذكره ابنُ الأَنْبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي: ليس لأهلِ السَّموات والأرضِ من دون الله من ناصرٍ، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ ولا يجوز أن يحكم حاكمٌ بغير ما حكم به، وليس لأحدٍ أن يحكم من ذاتِ نفسهِ فيكون شريكاً لله ﷻ في حكمِهِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «ولا تُشْرِكْ» جزماً بالتَّاء(٢)، والمعنى: لا تشرك أيُّها الإنسانُ.

قوله: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف: ٢٧-٢٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والحجة (٥/ ١٤١)، والتيسير (ص: ١٤٣).

قوله: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ في هذه التلاوة قولان:

أحدهما: أنَّها بمعنى القراءةِ.

والثاني: بمعنى الاتباع.

فيكون المعنى على الأوَّل: اقرأ القرآنَ، وعلى الثاني: اتَّبعه واعمل به.

وقد شرحنا في سورة الأنعام معنى ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾[١].

قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾.

قال مجاهدٌ[٢]، والفرَّاءُ[٣]: ملجأ.

وقال الزَّجَّاجُ: معدلًا عن أمرِهِ ونهيه[٤].

وقال غيرهم: موضعاً تميل إليه في الالتجاءِ.

قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾.

سبب نزولها: أنَّ المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ: عيينة بن حصنٍ، والأقرعُ بنُ حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسولَ الله: لو أنَّك جلست في صدرِ المجلس، ونحيت هؤلاء عنَّا ـ يعنون سلمان وأبا ذرٍّ وفقراء المسلمين ـ وكانت عليهم جباب الصُّوف ـ جلسنا إليك، وأخذنا

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم: (١١٥).

(٢) هو في تفسير مجاهد (ص: ٤٤٦)، ورواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٥) من طريق سفيان، عن منصور، به.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٠).

عنك، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسولُ الله ﷺ يلتمسهم، حتَّى إذا أصابهم في مؤخّر المسجدِ يذكرون الله، قال: الحمدُ لله الذي لم يمتني حتَّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمَّتي، معكم المحيا ومعكم الممات، هذا قولُ سلمانَ الفارسيِّ[١].

ومعنى قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي: احبسها معهم على أداءِ الصَّلوات ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾.

وقد فسرنا هذه الآية في الأنعامِ[٢] إلى قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تصرف بصرك إلى غيرِهم من ذوي الغنى والشَّرف؛ وكان عليه السلام حريصًا على إيمانِ الرُّؤساء ليؤمن أتباعهم، ولم يكن مريدًا لزينةِ الدُّنيا قط، فأمر أن يجعل إقبالَه على فقراءِ المؤمنين.

قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾.

سببُ نزولها: أن أميَّةَ بنَ خلفٍ الجمحيَّ، دعا رسولَ الله ﷺ إلى طردِ الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ[٣]. [٤٩٩/ ب]

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٠)، والواحدي في أسباب النزول (٣/ ١٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠١٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٥٢).

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٩٨) من طريق جويبر، عن الضحاك، به، بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨٢) لابن مردويه.

وفي روايةٍ أُخرى عنه أنّه قال: هو عيينة وأشباهه(١).

ومعنى أغفلنا قلبه: جعلناه غافلًا.

وقرأ أبو مجلزٍ: «من أغفَلَنَا» بفتح اللّام، ورفع باء القلب(٢).

﴿عَن ذِكْرِنَا﴾: عن التّوحيد والقرآن والإسلامِ، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشِّركِ.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنّه أفرط في قولِه، لأنّه قال: إنّا رؤوس مضر، وإن نسلم يسلم النّاس بعدنا، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبّاسٍ.

والثاني: ضياعًا، قاله مجاهدٌ.

وقال أبو عُبيدةَ: سرفًا وتضييعًا(٣).

والثالث: نَدَمًا، حكاه ابنُ قُتيبةَ عن أبي عُبيدةَ(٤).

والرابع: كان أمرُه التّفريط، والتّفريط: تقديمُ العجزِ، قاله الزّجّاجُ(٥).

---

(١) انظر: الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٥).

(٢) على معنى أهمل ذكرنا وتركه، في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والمحتسب (٢/ ٢٨) قراءة عمرو بن فائد، وزاد المهدوي في التحصيل (٤/ ١٧٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٥١٣) موسى الأسوري، وفي البحر المحيط (٧/ ١٦٨) عمرو بن عبيد.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨١).

قولـه تعـالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهـف: ٢٩].

قوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وقلِ الذي أتيتكم به الحق من ربِّكم[١].

قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: فمن شاء الله فليؤمن، روي عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه وعيدٌ وإنذارٌ، وليس بأمرٍ، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

والثالث: أنَّ معناه لا تنفعون الله بإيمانكم، ولا تضرُّونه بكفركم، قاله المَاوَرْدِيُّ[٣].

وقال بعضُهم: هذا إظهارٌ للغنى، لا إطلاق في الكفرِ.

قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ أي: هيَّأنا وأعددنا، وقد شرحناه في قولِه: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ﴾[يوسف ٣١].

فأمَّا الظالمون، فقال المفسِّرون: هم الكافرون.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٠٣).

وأمَّا السّرادق، فقال الزَّجَّاجُ: السُّرَادِقُ: كل ما أحاط بشيءٍ، نحو الشقة في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيءِ[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: السُّرَادِقُ: الحجرة التي تكون حول الفسطاط[٢].

وقرأت على شيخنا أبي منصورٍ اللُّغوي، قال: السرادق فارسيٌّ معرَّبٌ، وأصله بالفارسيَّة سرادار، وهو الدهليز[٣]، قال الفرزدقُ[٤]:

تَمَنَّيْتُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيتُهُمْ ... تَرَكْتُ لَهُمْ قَبْلَ الضِّرَابِ السُّرَادِقَا

وفي المراد بهذا السرادق قولان:

أحدهما: أنَّه سرادق من نارٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

روى أبو سعيد الخدريُّ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةَ جُدُرٍ، كِثَفُ**[٥] **كُلِّ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً**»[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٣) انظر: المعرب (ص: ٣٩٨).

(٤) البيت في ديوانه (٢/ ٥٨٦)، والمعرب (ص: ٣٩٨).

(٥) قوله: «كِثَفُ كُلِّ وَاحِدَةٍ»: يَعْنِي غِلَظَهُ.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد كما في زيادات المروزي (٢/ ٩٠)، وأحمد في مسنده (٩/ ٢٣)، والترمذي (٢٥٨٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٤٣) وصححه، من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، به، بنحوه. وهذا إسناد ضعيف، لضعف دراج -وهو ابن سمعان أبو السمح- في روايته عن أبي الهيثم -وهو سليمان بن عمرو العتواري.

وفي روايةِ أبي صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: السَّرادق: لسان من النَّار، يخرج من النَّار فيحيطُ بهم حتَّى يفرغ من حسابِهم[١].

والثاني: أنَّه دخانٌ يحيط بالكفَّار يوم القيامةِ، وهو الظِّلُّ ذو ثلاث شعب الذي ذكره الله تعالى في المرسلاتِ[٢] قاله ابنُ قُتيبةَ[٣].

قوله: ﴿سُرَادِقُهَاۚ﴾ أي: مما هم فيه من العذابِ وشدَّة العطشِ.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ وفيه سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه ماءٌ غليظٌ كدردي الزَّيت، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه كل شيءٍ أذيب حتَّى انماع، قاله ابنُ مسعودٍ.

وقال أبو عُبيدةَ، والزَّجَّاجُ: كل شيءٍ أذبته من نحاسٍ أو رصاص أو نحو ذلك، فهو مهل[٤].

والثالث: قيحٌ ودمٌ أسود كعكر الزَّيت، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أنَّه الفضةُ والرَّصاص يذابان، روي عن مجاهدٍ أيضاً.

والخامس: أنَّه الذي انتهى حرُّه، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٦) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس في قولِه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩] قال: «هِيَ حَائِطٌ مِنْ نَارٍ».

(٢) انظر: تفسير سورة المرسلات الآية رقم (٣٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

[٥٠٠/أ] والسادس: أنَّه الصديدُ، ذكره ابنُ الأَنْبَارِيِّ.

قال مغيثُ بنُ سمي: هذا الماءُ هو ما يسيل من عرق أهل الموقفِ في الآخرة وبكائهم، وما يجري منهم من دمٍ وقيحٍ، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنَّم، فتطبخه جهنَّم، فيكون أوَّل ما يغاث به أهل النَّار.

والسابع: أنَّه الرَّماد الذي ينفض عن الخبزة إذا خرجت من التَّنور، حكاه ابنُ الأَنْبَارِيِّ.

قوله: ﴿ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ ﴾ قال المفسِّرون: إذا قرَّبه إليه سقطت فروةُ وجهه فيه.

ثم ذمَّه، فقال: ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ ﴾ النَّار ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾.

وفيه خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: منزلًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: مجتمعًا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: مُتَّكأً، قاله أبو عُبَيْدَةَ[١]، وأنشد لأبي ذُؤَيْبٍ[٢] [من البسيط]:

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقًا ... كَأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠٠).

(٢) البيت في الكامل (٤/ ٥٧)، وشرح شعر الهذلي (ص: ١٢٠)، والتنبيه والإيضاح (١/ ١٠٦)، وأساس البلاغة (ذبح)، ولسان العرب (١/ ٥٣٧)، وتاج العروس (١٢/ ١٤٢)، وخزانة الأدب (٥/ ١٣٧) وفي كثير من المصادر يروى: إني أَرِقْتُ فبِتُّ الليلَ مُشْتَجِراً.

وذبحه: انفجاره.

قال الزَّجَّاجُ: مرتفقًا منصوبٌ على التَّمييز؛ ومعنى مرتفقًا: متكئاً على المرفقِ(١).

والرابع: ساءت مجلساً؛ قاله ابنُ قُتيبةَ(٢).

والخامس: ساءت مطلبًا للرِّفق، لأنَّ مَن طلبَ رفقًا من جهتها، عدمه، ذكره ابنُ الأنْبارِيِّ.

ومعاني هذه الأقوال تتقاربُ.

وأصلُ المرفق في اللُّغة: ما يرتفق به.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف: ٣٠-٣١].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: خبر «إنَّ» **هاهنا على ثلاثةِ أوجهٍ**:

أحدها: أن يكون على إضمار: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ منهم، ولم يحتج إلى ذكر «منهم»؛ لأنَّ الله تعالى قد أعلمنا أنَّه محبطٌ عمل غير المؤمنين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

والثاني: أن يكون خبر «إنَّ»: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾، فيكون قوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ قد فصل به بين الاسمِ وخبرِه، لأنَّه يحتوي على معنى الكلام الأوَّل، لأنَّ من أحسن عملاً بمنزلةِ الذين آمنوا.

والثالث: أن يكون الخبر: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾؛ بمعنى: أنّا لا نضيع أجرهم[1].

قال المفسِّرون: ومعنى ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ أي: لا نترك أعماله تذهب ضياعًا، بل نجازيه عليها بالثَّواب.

فأمَّا الأساور، فقال الفَرَّاءُ: في الواحدِ منها ثلاث لغاتٍ: إِسْوَارٌ و سِوَارٌ وسُوَارٌ؛ فمن قال: إِسْوَارٌ، جمعه أَسَاوِرُ، ومن قال: سِوَارٌ أو سُوَارٌ، جمعه أَسْوِرَةٌ، وقد يجوز أن يكون واحد أساورة وأساور: سوار[2].

وقال الزَّجَّاجُ: الأَسَاوِر جمع أَسْوِرة، وإِسْوِرَة، يقال هُو سِوَارٌ في اليد، بالكسر، وقد حكي: سوار[3].

قال المفسِّرون: لما كانت الملوك تلبس في الدُّنيا الأساور في اليد، والتِّيجان على الرُّؤوس، جعل الله ذلك لأهل الجنَّة.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: يحلى كل واحدٍ منهم بثلاثةٍ من الأساور، واحدٌ من الذَّهب وواحدٌ من لؤلؤٍ ويواقيت[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٣).

(٢) انظر: لغات القرآن (ص: ١٠٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٣).

(٤) انظر: الوسيط (٣/ ١٤٧)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٩).

فأمَّا السُّندسُ والإستبرقُ، فقال ابنُ قُتيْبَةَ: السُّندس: رقيق الدِّيباج، والإستبرق ثخينه(١).

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغوي، قال: السُّندس رقيق الدِّيباج، لم يختلف أهل اللُّغة في أنَّه معربٌ(٢)، قال الرَّاجز(٣) [من الرجز]:

وَلَيلَةٍ مِنَ اللَّيالي حِنْدِسِ لَوْنُ حَواشِيها كَلَوْنِ السُّنْدُسِ

والاستبرقُ: غليظُ الدِّيباج، فارسيٌّ معرَّب، وأصله استفره، وقال [٥٠٠/ب] ابنُ دريدٍ: استروه، ونقل من العجميَّة إلى العربيَّة، فلو حُقِّر استبرق، أو كسر، لكان في التحقير أُبيرق، وفي التكسير أبارق بحذفِ السِّين، والتَّاء جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الاتِّكاء: التحاملُ على الشَّيءِ.

قال أبو عُبيدةَ: والأرائكُ: الفرش في الحجال، ولا تكون الأريكةُ إلَّا بحجلةٍ وسرير(٤).

وقال ابنُ قُتيبةَ: الأرائكُ: السُّرر في الحجال، واحدها: أريكةٌ(٥).

وقال ثعلبٌ: لا تكون الأريكةُ إلَّا سريرًا في قبَّة عليه شَواره ومتاعه.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٢) انظر: المعرب (ص: ٣٦١).

(٣) البيت بلا نسبة في المخصص (٢/ ٣٨٥)، والألفاظ (١/ ٣٠٤)، والمعرب (ص: ٣٦١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠١).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

قال ابنُ قُتيبةَ: الشَّوار، مفتوحُ الشَّين، وهو متاع البيتِ[١].

وقال الزَّجَّاجُ: الأرائكُ: الفرش في الحجال. قال: وقيل: إنَّها الفرش، وقيل: الأسرَّة، وهي على الحقيقة: الفُرش كانت في حجال لهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٢-٣٦].

قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾.

روى عطاءٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفي وتركهما، فاتَّخذ أحدُهما الجنان والقصور، وكان الآخرُ زاهداً في الدُّنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئًا من زينة الدُّنيا، أخذ مثل ذلك فقدَّمه لآخرته، حتَّى نفد ماله، فضربهما الله ﷻ مثلاً للمؤمنِ والكافر الذي أبطرته النِّعمة[٣].

وروى أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ المسلم لما احتاج، تعرض لأخيه الكافر، فقال الكافرُ: أين ما ورثت عن أبيك؟ فقال: أنفقتُه في سبيلِ الله، فقال الكافرُ: لكنِّي ابتعت به جناناً، وغنماً، وبقرًا، والله لا أعطيتك شيئاً أبدًا حتَّى تتَّبع ديني، ثم أخذ بيدِ المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، ويرغبه في دينه.

---

(١) انظر: أدب الكاتب (ص: ٦٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٤).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٨).

وقال مُقَاتِلٌ: اسمُ المؤمن يمليخا، واسمُ الكافر قرطس، وقيل: قطرس، وقيل: هذا المثل ضرب لعيينة بن حصن وأصحابه، ولسلمان وأصحابه[١].

قوله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ «الْحَفُّ»: الإحاطةُ بالشَّيء، ومنه قوله: ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، والمعنى: جعلنا النَّخل مطيفاً بها.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ إعلام أنَّ عمارتها كاملة.

قوله: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾.

قال الفَرَّاءُ: لم يقل: آتتا، لأن كِلْتَا ثنتان لا تفرد واحدتها، وأصله: كل، كما تقول للثَّلاثة: كل، فكان القضاء أن يكون للثنتين ما كان للجمعِ، وجاز توحيدُه على مذهبِ كل، وتأنيثُه جائزٌ للتَّأنيث الذي ظهر في كلتا، وكذلك فافعل بكلا وكلتا وكل، إذا أضفتهن إلى معرفة وجاء الفعل بعدهنَّ، فوحد واجمع، فمن التَّوحيد قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٦]، ومن الجمع: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، والعرب قد تفعل ذلك أيضاً في أي، فيؤنِّثون ويذكرون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ويجوز في الكلامِ بأيت أرضٍ، وكذلك ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ويجوزُ في الكلامِ في أيت[٢]، قال الشاعرُ[٣] [من الطويل]:

---

(١) انظر: مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٢).

(٣) البيت نسبه الجاحظ في الحيوان (ص: ٨٩) إلى عبد الله بن الحارث، وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان حين فارق مصعبًا، وهو في معاني القرآن (٢/ ١٤٣)، والمذكر والمؤنث (٢/ ٢٦٨) بلا نسبة.

[٥٠١/أ] بـأي بــلاءٍ أم بأيَّــة نعمــةٍ تقــدَّم قبــلي مســلمٌ والمهلَّــب

قـال ابـنُ الأنْبَـارِيِّ: كلتـا وإن كان واقعـاً في المعنـى عـلى اثنتين، فـإنَّ لفظه لفـظ واحـدة مؤنَّثـة، فغلـب اللَّفـظ، ولم يسـتعمل المعنـى ثقـة بمعرفـة المخاطبِ بـه؛ ومـن العـرب مـن يؤثـر المعنـى عـلى اللَّفـظ، فيقـول: كلتـا الجنَّتـين آتتـا أكلهـا، ويقـول آخـرون: كلتـا الجنتـين آتـى أكلـه، لأنَّ كلتـا تفيـد معنـى كل، قـال الشَّـاعر[1] [مـن الطَّويـل]:

وَكِلَتَاهُمَـا قَـدْ خُـطَّ لِي فِي صَحِيفَتِـي فَـلَا الْمَوتُ أَهْـوَاهُ وَلا الْعَيْـشُ أَرْوَحُ

يعنـي: وكلهـما قـد خـطَّ لي، وقـد قالـت العـرب: كلُّكـم ذاهـبٌ، وكلكـم ذاهبـون. فوحَّـدوا للفـظ «كل»، وجمَّعـوا لتأويلهـا[2].

وقـال الزَّجَّـاجُ: لم يقـل آتتـا، لأنَّ لفـظ كلتـا لفـظ واحـدة، والمعنـى: كل واحـدة منهما آتـت أكلهـا ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تنقـص ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔاۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ فأعلمنـا أن شربهـما كان مـن مـاء نهـر، وهـو مـن أغـزر الـشُّربِ[3].

وقـال الفَـرَّاءُ: إنَّـما قـال: فجَّرنـا بالتَّشـديد، وهـو نهـرٌ واحـدٌ، لأنَّ النَّهـر يمتـد، فـكان التفجـر فيـه كلـه[4].

---

(١) البيت لابـن مقبـل كـما في الحيـوان (٣/ ٢١)، وحماسـة البحـتري (ص: ٢٥٨)، وبـلا نسـبة في المذكر والمؤنـث (٢/ ٢٧٢)، وخزانـة الآداب (٥/ ٥٨).

(٢) انظر: المذكر والمؤنث (٢/ ٢٧٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٥).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٤).

قرأ أبو رَزِين، وأبو مجلزٍ، وأبو العالية، وابنُ يعمر، وابنُ أبي عبلةَ: «وَفَجَرْنَا» بالتَّخفيف[١].

وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكِّل: «خِلَلَهُمَا»[٢].

وقرأ أبو العالية، وأبو عِمرانَ: «نهْرًا» بسكونِ الهاءِ[٣].

قوله: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ﴾ يعني للأخ الكافر ﴿ثَمَرٌ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «وكان له ثُمُرٌ»، «وأحيط بثُمُره» بضمَّتين.

وقرأ عاصمٌ: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ بفتح الثَّاءِ والميم فيهما[٤].

وقرأ أبو عمرٍو: «ثُمْرٌ» و«بثُمْرِهِ» بضمَّةٍ واحدةٍ وسكون الميم[٥].

قال الفَرَّاءُ: «الثَمَر»، بفتح الثَّاءِ والميم: المأكول، وبضمِّها: المال[٦].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣) عن سلام، ويعقوب، وفي التحصيل للمهدوي(٤/ ١٩١) عن عيسى بن عمر الثقفي، وانظر: المحرر (٣/ ٥١٦)، والبحر المحيط (٧/ ١٧٤) وزاد الأعمش.

(٢) لم نقف عليها.

(٣) وهي قراءة أبي السَّمَّال، والفياض بن غزوان، وطلحة بن سليمان، وانظر: المحرر (٣/ ٥١٦)، والبحر المحيط (٧/ ١٧٥).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٦٤)، والحجة (٥/ ١٤٢)، والتيسير (ص:١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٧)، وانظر: التحصيل(٤/ ١٩١)، والمحرر(٣/ ٥١٦)، والبحر المحيط(٧/ ١٧٥).

(٥) انظر: التحصيل (٤/ ١٩١).

(٦) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٤).

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: الثَمَر، بالفتح: الجمع الأوَّل، والثُمر، بالضمِّ جمع الثمر، يقال: ثَمر، وثُمر، كما يقال: أَسد، وأُسد ويصلح أن يكون الثمر جمع الثِّمار، كما يقال: حِمار وحُمر، وكِتاب وكُتب؛ فمن ضمَّ قال: الثمر أعم، لأنَّها تحتمل الثمار المأكولة، والأموال المجموعة.

قال أبو عليٍّ الفارسيِّ: وقراءةُ أبي عمرٍو: «ثُمْرٌ» يجوز أن تكون جمع ثمارٍ، ككتاب، وكتب، فتخفَّف، فيقال: كتب، ويجوز أن يكون ثمر جمع ثمرة، كبدنة وبدن، وخشبة، وخشب، ويجوز أن يكون ﴿ثَمَرٌ﴾ واحداً، كعنق، وطنب[(١)].

وقد ذكر المفسِّرون في قراءةِ من ضمَّ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه المالُ الكثير من صنوف الأموالِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه الذَّهبُ والفضَّةُ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه جمع ثَمَرَة.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: ثَمَرٌ، وثِمارٌ وثُمرٌ[(٢)].

فإن قيل: ما الفائدةُ في ذكر الثَّمر بعد ذكر الجنَّتين، وقد علم أنَّ صاحب الجنَّة لا يخلو من ثمرٍ؟ **فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ:**

أحدها: أنَّه لم يكن أصلُ الأرض ملكاً له، وإنَّما كانت له الثِّمار، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٥).

والثـاني: أنَّ ذكـرَ الثَّمـر دليـلٌ عـلى كثـرة مـا يملـك مـن الثِّمار في الجنَّتـين وغيرهمـا، ذكرهمـا ابـنُ الأنبـارِيِّ. [٥٠١/ب]

والثالـث: أنـا قـد ذكرنـا أنَّ المـراد بالثَّمـر الأمـوال مـن الأنـواع، وذكرنـا أنَّهـا الذَّهـبُ والفضَّـة، وذلـك يخالـف الثَّمـر المأكـول.

قـال أبـو عـليٍّ الفـارسيِّ: مَـن قـال: هـو الذَّهـبُ، والـورِقُ، فإنَّـما قيـل لذلـك: ثمـرٌ عـلى التَّفـاؤل، لأنَّ الثمـرَ نـماء في ذي الثمـرِ، وكونـه هاهنـا بالجنـي أشـبه مـن الذَّهـب والفضَّـةِ[١].

ويقـوي ذلـك: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾، والإنفـاقُ مـن الـورق، لا مـن الشـجر.

قولـه: ﴿فَقَالَ﴾ يعنـي الكافـر ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمـن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: يراجعـه الـكلام ويجاوبـه.

وفيما تحاورا فيه قولان:

أحدهما: أنَّه الإيمانُ والكفرُ.

والثاني: طلبُ الدُّنيا، وطلبُ الآخرةِ.

فأمَّـا النَّفـر فهـم الجماعـةُ، ومثلهـم: القـومُ والرَّهـطُ، ولا واحـد لهـذه الألفـاظِ مـن لفظهـا.

وقال ابنُ فارسٍ اللُّغوي: «النَّفَر»: عدَّة رجالٍ من ثلاثة إلى عشرة[٢].

---

(١) انظر: الحجة (٣/ ٣٧٠).

(٢) انظر: مجمل اللغة (١/ ٨٧٨).

وفيمن أراد بنفره ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: عبيده، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: ولده، قاله مُقاتلٌ[١].

والثالث: عشيرته ورهطه، قاله أبو سليمانَ.

قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفرِ، وكان قد أخذ بيد أخيه فأدخله معه، ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أنكر فناء الدُّنيا، وفناء جنَّته، وأنكر البعثَ والجزاءَ بقولِهِ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وهذا شكٌّ منه في البعثِ، ثم قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: كما تزعم أنت.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يقول: إن كان البعثُ حقًّا ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾[٢].

قرأ أبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿خَيْرًا مِّنْهَا﴾، وكذلك هي في مصاحف أهل البصرةِ والكوفةِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «خيراً منهما» بزيادة ميمٍ على التَّثنية، وكذلك هي في مصاحفِ أهل مكَّةَ والمدينة والشام[٣].

قال أبو عليٍّ: الإفرادُ أولى، لأنَّه أقربُ إلى الجنَّة المفردة في قوله:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٩).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والحجة (٥/ ١٤٤)، والتيسير (ص: ١٤٨)، والمبسوط (١/ ٢٧٧).

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾، والتَّثنيــة لا تمتنــع، لتقــدُّم ذكــر الجنَّتَــين(١).

قولــه تعــالى: ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: كـما أعطـاني هــذا في الدُّنيـا، سـيعطيني في الآخـرةِ أفضــل منــه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾[الكهف: ٣٧- ٤١].

قولــه: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ يعنــي: المؤمــن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعنـي: خلـق أبـاكَ آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعنـي: مـا أنشـىء هـو منـه، فلـمَّا شــكَّ في البعـثِ كان كافـراً.

قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾.

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، وأبـو عمـرٍو، وعاصـم، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، وقالـونُ عن نافـعٍ: «لكـنَّ هـو الله ربي»، بإسـقاط الألـفِ في الوصـلِ، وإثباتهـا في الوقفِ.

وقـرأ نافـعٌ في روايـةِ المسـيَّبي بإثبـاتِ الألــفِ وصـلاً ووقفـاً، وأثبـت الألــف ابــنُ عامــرٍ في الحالــين(٢).

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤٤).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، والحجة (٥/ ١٤٤)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٧).

وقرأ أبو رجاءٍ: «لكنْ» بإسكانِ النُّون خفيفة من غير ألفٍ في الحالين(١).

وقرأ ابنُ يعمرَ: «لكنَّ» بتشديد النُّون من غير ألفٍ في الحالين.

وقرأ الحسنُ: «لكنْ أنا هو الله ربي» بإسكانِ نون «لكنْ» وإثبات «أنا»(٢).

قال الفَرَّاءُ: فيها ثلاثُ لغاتٍ: لَكِنَّا، ولَكِنَّ، ولَكِنَّهُ، بالهاءِ(٣)، أنشدني أبو ثروانَ(٤) [من الطويل]:

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكِ لَا أَقْلِي

وقال أبو عُبيدةَ: مجازُه: «لكن أنا هو الله ربي»، ثمَّ حذفت الألفِ [٥٠٢/أ] الأولى، وأُدغمت إحدى النُّونين في الأخرى فشدِّدت(٥).

قال الزَّجَّاجُ: وهذه الألف تحذف في الوصلِ، وتثبت في الوقفِ، فأمَّا من أثبتها في الوصلِ كما تثبت في الوقفِ، فهو على لغة مَن يقول: أنا قمت، فأثبت الألف، قال الشاعرُ(٦) [من الوافر]:

أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي ....

---

(١) انظر: التحصيل (٤/ ١٩٢)، والمحرر (٣/ ٥١٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (٤/ ١٩٢) عن أُبي بن كعب، والحسن.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٤).

(٤) البيت بلا نسبة في تذكرة النحاة (ص: ٢٣)، والجنى الداني (ص: ٢٣٣)، وخزانة الأدب (١١/ ٢٥٥)، وشرح المفصل (٨/ ١٤١)، ومغني اللبيب (١/ ٧٦).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٣).

(٦) البيت لحميد بن بحدل، أو حميد بن حريث بن بحدل في ديوان (ص: ١٣٣)، وأساس البلاغة (ص: ١٤٣)، ولسان العرب (١٣/ ٣٧)، وشرح المفصل (٣/ ٩٣)، وخزانة الأدب (٥/ ٢٤٢).

وهـذه القـراءة جيِّدةٌ، لأنَّ الهمـزةَ قـد حذفـت مـن أنـا، فصـار إثبـاتُ الألـفِ عوضـاً مـن الهمـزةِ[١].

قوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ أي: وهلَّا؛ ومعنى الكلام التَّوبيخ.

قـال الفَـرَّاءُ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في موضـع رفـعٍ، إن شـئت رفعتـه بإضـمارِ هـو، يريـد هـو مـا شـاء الله؛ وإن شـئت أضمـرت فيـه: مـا شـاء الله كان؛ وجـاز طـرحُ جـواب الجـزاءِ، كـما جـاز في قولِـهِ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ليـس لـه جـوابٌ، لأنَّـه معـروفٌ[٢].

قـال الزَّجَّـاجُ: وقولـه: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الاختيـارُ النَّصـب بغـير تنويـنٍ عـلى النَّفـي، كقولـه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١]، ويجـوزُ: لا قـوَّة إلَّا بـالله عـلى الرَّفـع بالابتـداءِ، والخـبرُ بـالله، المعنـى: لا يقـوى أحـد في بدنـه ولا في ملـك يـدِهِ إلَّا بـالله تعـالى، ولا يكـون لـه إلَّا مـا شـاء الله[٣].

قوله: ﴿إِن تَرَنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «إن ترني أنا» و«يؤتيني خيراً» بياء في الوصلِ والوقفِ.

وقـرأ نافـعٌ، وأبـو عمـرٍو بيـاءٍ في الوصـل، وقـرأ ابـنُ عامـرٍ، وعاصـمٌ، وحمـزةُ، بحـذفِ اليـاءِ فيهـا وصـلاً ووقفـاً[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٨).

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٧)، والمبسوط (١/ ٢٨٦)، والمحرر (٣/ ٥١٨).

﴿أَنَاْ أَقَلَّ﴾، وقرأ ابنُ أبي عبلةَ: «أنا أقَلُّ» برفع اللّام[١].

قال الفرّاءُ: ﴿أَنَاْ﴾ هاهنا عمادٌ إن نصبت ﴿أَقَلَّ﴾، واسمٌ إذا رفعت (أقلُّ)، والقراءةُ بهما جائزٌ[٢].

قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرةِ، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ وفيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنّه العذابُ، رواه العوفيُّ عن ابن عبّاسٍ، وبه قال قتادةُ، والضَّحاكُ.

وقال أبو صالحٍ عن ابنِ عبّاسٍ: ناراً من السّماء[٣].

والثاني: قضاء من الله يقضيه، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: مَرامِيَ من السَّماءِ، واحدها: حُسْبَانَة ، قاله أبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ .

قال النَّضرُ بنُ شميلٍ: الحسبان: سهامٌ يرمي بها الرَّجلُ في جوفِ قصبة تنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة[٤].

فعلى هذا القولِ يكون المعنى: ويرسل عليها مرامي من عذابِهِ، إمَّا حجارة أو برداً أو غيرهما ممَّا يشاء من أنواعِ العذابِ.

والرابع: أنَّ الحسبانَ: الحساب، كقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسلُ عليها عذاب حسابِ ما

---

(١) وهي قراءة عيسى بن عمر: «أقلُّ» بالرفع، على أن يكون أنا مبتدأ و «أقلُّ» خبره، والجملة في موضع المفعول الثاني. أهـ المحرر (٣/ ٥١٨)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٥).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٧١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٣)، وغريب القرآن (ص: ٢٦٧).

كسبت يداه، هذا قول الزَّجَّاج[١].

قوله: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾

قال ابنُ قُتيبةَ: الصعيدُ: الأملس المستوي، والزَّلق: الذي تزل عنه الأقدامُ، والغور: الغائر، فجعل المصدر صفة، يقال: ماء غور، ومياه غور، ولا يثنَّى، ولا يجمع، ولا يؤنَّث، كما يقال: رجلٌ نَوْم[٢]، ورجلٌ صَوْم، ورجل فِطْر، ورجال نوم، ونساء صوم، ويقال: للنِّساء إذا نُحْنَ: نَوْح، والمعنى: يذهب ماؤها غائراً في الأرضِ، أي: ذاهباً فيها[٣].

﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثرٌ تطلبه به، ولا تناله الأيدي ولا الأَرْشية[٤].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: غورًا أي: ذا غور، فسقط المضاف، وخلفه [٥٠٢/ب] المضاف إليه، والمرادُ بالطَّلب هاهنا: الوصول، فقام الطَّلب مقامه لأنَّه سببه.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو المتوكِّل: «غُؤُورًا» برفعِ الغينِ والواو الأولى[٥] جميعاً، [وواو بعدها ساكنة][٦][٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٩).

(٢) في الأصل: (يوم)، والمثبت من (س)، و(م).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٢٦٧).

(٤) في الأصل: (الأغشية)، والمثبت من (س)، و(م).

(٥) ليست في (م).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (س).

(٧) قرأ الجمهور «غَوْرًا» بفتح الغين، وقرأ البرجمي: «غُوْرًا» بضم الغين، وقرأت فرقة=

قولـه تعـالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾[الكهـف: ٤٢-٤٥].

قولـه تعـالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي: أحـاط الله العـذابَ بثمـرِهِ، وقـد سـبق معنـى الثَّمـر.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أي: يـضربُ بيـدٍ عـلى يـدٍ، وهـذا فعـلُ النَّـادم، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في جنَّتـه، وفي هاهنـا بمعنـى عـلى.

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خاليـةٌ سـاقطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ والعـروشُ: السقوفُ، والمعنـى: أنَّ حيطانهـا قائمـة والسـقوف قـد تهدَّمـت فصـارت في قرارهـا، فصـارت الحيطـان كأنَّهـا عـلى السـقوفِ، ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ فأخـبر الله تعـالى أنَّـه لمـا سـلبه مـا أنعـم بـه عليـه، وحقَّـق مـا أنـذره بـه أخـوه في الدُّنيـا، نـدم عـلى شركِـهِ حـين لا تنفعـه النَّدامـةُ.

وقيل: إنَّما يقول هذا في القيامة.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ بالتَّاء.

=بضـم الغين وهمـز الـواو يعنـون وبـواو بعـد الهمـزة فيكـون «غـؤورًا» كـما جـاء في مصـدر غـارت عينـه غـؤورًا، والضمـير في لـه عائـد عـلى المـاء أي لـن يقـدر عـلى طلبـه لكونـه ليـس مقـدورًا. انظـر: المحـرر الوجيـز (٣/ ٥١٨)، والبحـر المحيـط (٧/ ١٨٠)

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «ولم يكن» بالياءِ[١].

والفئة: الجماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ أي: يمنعونه من عذابِ الله.

قوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواوِ، و﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ خفضاً.

وقرأ حمزةُ: «الوِلايةُ» بكسرِ الواو، ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ بكسرِ القافِ أيضاً.

وقرأ أبو عمرٍو بفتح الواو، ورفع الحق، ووافقه الكسائيُّ في رفع القافِ، لكنَّه كسر الولاية[٢].

قال الزَّجَّاجُ: معنى الولاية في مثل تلك الحال: تبيين نصرة ولي الله[٣].

وقال غيرُه: هذا الكلامُ عائدٌ إلى ما قبل قصَّة الرَّجلين، فأمَّا من فتح واو الوَلاية فإنَّه أراد الموالاة والنُّصرة، ومن كسرَ أرادَ السُّلطان والملك على ما شرحناه في آخرِ الأنفالِ[٤]، فعلى قراءةِ الفتح في معنى الكلامِ قولانِ:

أحدهما: أنَّهم يتولون الله تعالى في القيامةِ، ويؤمنون به، ويتبرَّؤون ممَّا كانوا يعبدون، قاله ابنُ قُتيبةَ[٥].

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤٩)، والكامل (١/ ٥٩١)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٠٩)، والحجة (٥/ ١٤٩)، والتيسير (ص: ١٤٣)

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٠).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٧٢).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

والثاني: هنالك يتولَّى الله أمرَ الخلائقِ، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين.

وعلى قراءةِ الكسرِ، يكون المعنى: هنالك السُّلطانُ لله.

قال أبو عليٍّ: من كسرَ قاف «الحق»، جعله من وصفِ الله ﷻ، ومن رفعَه جعله صفة للولاية[1].

فإن قيل: لم نعتت ﴿ٱلۡوَلَـٰيَةُ﴾ وهي مؤنثةٌ بـ﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ وهو مصدر؟ فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنباريِّ.

أحدهما: أنَّ تأنيثها ليس حقيقيًّا فحملت على معنى النَّصر؛ والتقدير: هنالك النَّصر لله الحقِّ، كما حملت الصَّيحةُ على معنى الصِّياح في قوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٦٧].

والثاني: أنَّ الحقَّ مصدرٌ يستوي في لفظه المذكَّر والمؤنَّث والاثنان والجميع، فيقال: قولك حقٌّ، وكلمتك حقٌّ، وأقوالكم حقٌّ.

ويجوزُ ارتفاع الحقِّ على المدحِ للولايةِ، وعلى المدح لله تعالى بإضمارِ هو.

قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ أي: هو أفضلُ ثواباً ممن يرجى ثوابُه، وهذا على تقدير أنَّه لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل.

قوله: ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ: «عُقُباً» مضمومة القاف. [٥٠٣/أ]

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ: ﴿عُقۡبٗا﴾ ساكنة القافِ[2].

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٥٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٢)، والحجة (٥/ ١٥٠)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

قال أبو عليٍّ: ما كان على فعل جاز تخفيفه، كالعنق، والطنب.

قال أبو عُبيدَةَ: العُقْب، والعُقُب، والعُقْبى، والعاقبة، بمعنى، وهي الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خيرٌ من عاقبة طاعةِ غيرِه[١].

قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الكهف: ٤٥].

قوله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: في سرعةِ نفادها[٢] وذهابِها، وقيل: في تصرُّف أحوالها، إذ مع كل فرحة ترحة، وهذا مفسَّرٌ في سورة يونس[٣] إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾.

قال الفرَّاءُ: الهشيم: كل شيءٍ كان رطبًا فيبس[٤].

وقال الزَّجَّاجُ: الهشيم: النَّبات الجافُّ[٥].

وقال ابنُ قُتيبةَ: الهشيم من النَّبت: المتفتت، وأصلُه من هشمت الشَّيء: إذا كسرته، ومنه سمِّي الرَّجل هاشماً[٦].

و﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ تنسفه.

---

(١) الحجة (٥/ ١٥١).

(٢) في الأصل، و(ر): (نفاذها)، والمثبت من (م)، و(س).

(٣) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٢٤).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٨٤) عن ابن قتيبة، والزجاج .

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩١).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

وقرأ أُبيٌّ، وابنُ عبَّاسٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «تُذرِيهِ» برفع التَّاءِ وكسرِ الرَّاءِ بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورةٌ[1].

وقرأ ابنُ مسعودٍ كذلك، إلَّا أنَّه فتح التَّاء[2].

والمقتدر: مفتعل، من قدرت، قال المفسِّرون: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الإنشاءِ والإفناءِ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

قوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ هذا ردٌّ على المشركينَ الذين كانوا يفتخرون بالأموالِ والأولادِ، فأخبر الله تعالى أنَّ ذلك ممَّا يتزيَّن به في الدُّنيا، لا ممَّا ينفع في الآخرةِ.

قوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر.

روى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «إِنْ عَجَزْتُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ تُكَابِدُوهُ، وَعَنِ الْعَدُوِّ أَنْ تُجَاهِدُوهُ فَلا تَعْجَزُوا عَنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَقُولُوهَا فَإِنَّهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»[3]، وهذا قول ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ، وبه قال مجاهدٌ، وعطاءٌ، وعكرمةُ، والضَّحاكُ.

---

(١) ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٢٠)، وفي التحصيل (٤/ ١٩٣) على الوجهين بالضم، والفتح.

(٢) «تَذرِيهِ» عن ابن مسعود في كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٨٥)، ومختصر ابن خالويه (ص:٨٣).

(٣) رواه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥١)، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٣٩٧).

وسئل عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه عن الباقياتِ الصّالحاتِ، فقال: هذه الكلماتُ، وزاد فيها: ولا حول ولا قوّة إلّا بالله[١].

وقال سعيدُ بنُ المسيّب[٢]، ومحمّدُ بنُ كعبٍ القرظي مثله سواء[٣].

والثاني: أنّها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوّة إلّا بالله، رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ[٤].

والثالث: أنّها الصلواتُ الخمسُ، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ، وبه قال ابنُ مسعودٍ، ومسروقٌ، وإبراهيمُ.

والرابع: الكلامُ الطّيبُ، رواه العوفيُّ عن ابن عبّاسٍ.

والخامس: هي جميع أعمالِ الحسنات، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبّاسٍ، وبه قال قتادةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله: ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا﴾ أي: أفضلُ جزاء ﴿وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ أي: خيرٌ ممّا تؤملون، لأنّ آمالكم كواذب، وهذا أملٌ لا يكذب.

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٧)، والبزار في مسنده (٤٠٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٥)، والبيهقي في الشعب (٢٥٦٠)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصّحيح. مجمع الزوائد (١٠/ ٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٧) من طريق عمارة بن عبد الله بن صياد، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٨).

(٤) لم أقف له على إسناد.

مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٤٧-٥١].

قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «ويوم تُسَيَّرُ» بالتَّاء «الجِبَالُ» رفعاً.

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «نُسَيِّر» بالنُّون «الجِبَالَ» نصباً(١).

[٥٠٣/ب] وقرأ ابنُ مُحيصنٍ: ويوم «تَسِيْر» بفتحِ التَّاءِ وكسرِ السِّين وتسكين الياءِ «الجِبَالُ» بالرَّفعِ(٢).

قال الزَّجَّاجُ: ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوبٌ على معنى: اذكر، ويجوزُ أن يكون منصوباً على: والباقيات الصالحات خير يوم تسير الجبال(٣).

قال ابنُ عبَّاسٍ: تسيرُ الجبال عن وجه الأرضِ، كما يسير السَّحاب في الدُّنيا، ثمَّ تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها(٤).

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥١)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

(٢) في مختصر بن خالويه (ص: ٨٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٢٠)، عن ابن محيصن، وزاد في التحصيل (٤/ ١٩٣) عيسى الثقفي، وفي البحر المحيط (٧/ ١٨٧) عن ابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمر.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٢).

(٤) لم أقف عليه.

قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

وقرأ عمرُو بنُ العاصِ، وابنُ السَّمَيفَع، وأبو العالية: «وتُرى الأرضُ بارزة» برفع التَّاءِ والضَّادِ(١).

وقرأ أبو رجاءٍ العطارديُّ كذلك، إلَّا أنَّه فتح ضاد «الأرْضَ»(٢).

وفي معنى ﴿بَارِزَةً﴾ قولان:

أحدهما: ظاهرةٌ فليس عليها شيءٌ من جبلٍ أو شجرٍ أو بناءٍ، قاله الأكثرون.

والثاني: بارزاً أهلها من بطنها، قاله الفرَّاءُ(٣).

قوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: فلم نخلف، يقال: غادرت كذا: إذا خلفته، ومنه سمِّي الغدير، لأنَّه ماء تُخلِّفه السُّيولُ(٤).

وروى أبانُ: «فَلَمْ تُغادر» بالتَّاءِ(٥).

قوله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ إن قيل: هذا أمرٌ مستقبل، فكيف عبَّر عنه بالماضي؟

فالجواب: أنَّ ما قد علم الله وقوعه، يجري مجرى المعاين، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣) عن عيسى.

(٢) البحر المحيط (٧/ ١٨٧) عن عيسى.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

(٥) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (٤/ ١٩٣)، والبحر المحيط (٧/ ١٨٧).

وفي معنى قوله: ﴿صَفًّا﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه بمعنى: جميعاً، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: ٦٤]، قاله مُقاتلٌ[١].

والثاني: أنَّ المعنى: وعرضوا على ربِّك مصفوفين، هذا مذهبُ البصريين.

والثالث: أنَّ المعنى: وعرضوا على ربِّك صفوفاً، فناب الواحدُ عن الجميعِ، كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

والرابع: أنَّه لم يغب عن الله منهم أحد، فكانوا كالصَّفِّ الذي تسهل الإحاطة بجملته، ذكر هذه الأقوال ابنُ الأنبارِيِّ.

وقد قيل: إنَّ كلَّ أمَّة وزمرة صفٌّ.

قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، فيه إضمارٌ فيقال لهم.

وفي المخاطبين بهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم الكلُّ.

والثاني: الكفَّار، فيكون اللَّفظ عامًّا، والمعنى خاصًّا.

وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ مفسَّرٌ في الأنعام[٢]، وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطابٌ للكفَّار[٣] خاصَّة، والمعنى: زعمتم في الدُّنيا ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعثِ، والجزاءِ.

قوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الكتابُ الذي سطر فيه ما تعمل الخلائقُ قبل وجودِهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٩٤).

(٣) في الأصل، و(ر): (الكفار)، والمثبت من (م)، و(س).

والثاني: أنَّه الحسابُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: كتاب الأعمالِ، قاله مُقاتلٌ(١).

وقال ابنُ جريرٍ: وضع كتاب أعمال العبادِ في أيديهم، فعلى هذا الكتاب اسم جنسٍ(٢).

قوله: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

قال مجاهدٌ: هم الكافرون.

وذكر بعضُ أهل العلمِ أنَّ كلَّ مجرمٍ ذكر في القُرآن، فالمرادُ به: الكافرُ.

قوله: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الأعمالِ السَّيئةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ هذا قولُ كل واقعٍ في هلكة.

وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ هذا على ظاهرهِ في صغيرِ الأمورِ وكبيرها.

وقد روى عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، قال: الصغيرةُ: التبسُّم، والكبيرةُ: [٥٠٤/أ] القهقهةُ(٣).

وقد يتوهَّم أنَّ المراد بذلك صغائرُ الذُّنوبِ وكبائرها، وليس كذلك، إذ ليس الضَّحك والتبسُّم مجرَّدهما من الذنوبِ، وإنَّما المرادُ أنَّ التبسُّمَ من صغار الأفعالِ، والضَّحك فعلٌ كبيرٌ.

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٨٩).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٨٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٨٤) من طريق الزيال بن عمرو، عن ابن عباس، قال: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ قال: «الضَّحِكُ».

وقد روى الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: الصَّغيرةُ: التبسُّمُ والاستهزاءُ بالمؤمن، والكبيرةُ القهقهةُ بذلك[1]، فعلى هذا يكون ذنبًا من الذُّنوبِ لمقصودِ فاعلِه، لا لنفسِه.

ومعنى أحصاها: عدَّها وأثبتها، والمعنى: وجدت محصاة.

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ أي: مكتوباً مثبتاً في الكتابِ، وقيل: رأوا جزاءه حاضراً.

وقال أبو سليمان: الصَّحيحُ عند المحقِّقين أنَّ صغائرَ المؤمنين الذين وعدوا العفو عنها إذا اجتنبوا الكبائر، إنَّما يعفى عنها في الآخرةِ بعد أن يراها صاحبها.

قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

قال أبو سليمان: لا تنقص حسنات المؤمن، ولا يزاد في سيئاتِ الكافرِ.

وقيل: إن كان للكافر فعل خيرٍ، كعتق رقبةٍ، وصدقةٍ، خُفِّف عنه به من عذابِه، وإن ظلمه مسلم، أخذ الله من المسلم، فصار الحق لله.

ثم إنَّ الله تعالى أمر نبيَّه ﷺ أن يُذكِّر هؤلاء المتكبِّرين عن مجالسةِ الفقراءِ قصةَ إبليس وما أورثه الكبر، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أي: واذكر ذلك.

وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه من الجنِّ حقيقة، لهذا النصِّ، واحتج قائلوا هذا بأنَّ له ذرية، وليس للملائكةِ ذريَّة، وأنَّه كفرٌ، والملائكةُ رسل الله، فهم معصومون من الكفرِ.

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (٣٤٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٩٠)، وفي ذم الغيبة (١٥٤) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس بلفظ: «الصَّغِيرَةُ: التَّبَسُّمُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالْمُؤْمِنِ، وَالْكَبِيرَةُ: الْقَهْقَهَةُ بِذَلِكَ».

والثَّاني: أنَّه كان من الملائكةِ، وإنَّما قيل: من الجنِّ، لأنَّه كان من قبيل من الملائكةِ يقال لهم: الجن، قاله ابنُ عبَّاسٍ؛ وقد شرحنا هذا في البقرة[١].

قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: خرج عن طاعة ربِّه، تقول العرب: فَسقت الرُّطَبة من قشرها: إذا خرجت منه، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ[٢].

والثاني: أتاه الفسقُ لـمَّا أُمِرَ فعصى، فكان سبب فسقِهِ عن أمر ربِّه.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا مذهبُ الخليل وسيبويه، وهو الحقُّ عندنا[٣].

والثالث: ففسق عن ردِّ أمر ربِّه، حكاه الزَّجَّاجُ عن قُطْرب[٤].

قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ أي: توالونهم بالاستجابةِ لهم.

قال الحسنُ، وقتادةُ: ذرِّيته: أولاده، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم[٥].

قال مجاهدٌ: ذرِّيته: الشَّياطين، ومن ذرِّيته (زَلَنْبُورُ) صاحب راية إبليس بكل سوق، و(ثَبْرُ)، وهو صاحب المصائب، و(الأَعْوَرُ) صاحب الرياء، و(مَسُوطُ) صاحب الأخبارِ يأتي بها فيطرحها على أفواه النَّاس،

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨)، ومعاني القرآن (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٥٤٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: «وَهُمْ يَتَوَالَدُونَ كَمَا يَتَوَالَدُ بَنُو آدَمَ»، ورواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٩٣) من طريق سعيد، عن قتادة من قوله.

فـلا يوجـد لهـا أصـلٌ، و(دَاسَـمُ) صاحـبُ الإنسـان إذا دخـل بيتَـه ولم يسـلِّم ولم يذكـر اسـمَ الله، فهـو يـأكلُ معـه إذا أكل[1].

قـال بعـضُ أهـل العلـمِ: إذا كانـت خطيئـةُ الإنسـانِ في كـبر فـلا ترجـه، وإن كانـت في شـهوةٍ فارجـه، فـإن معصيـةَ إبليـس كانـت بالكـبر، ومعصيـةُ آدم بالشَّهوةِ.

قوله: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: [٥٠٤/ب]

أحدها: بئس الاتِّخاذ للظَّالمين بدلاً.

والثاني: بئسَ الشَّيطان.

والثالث: بئس الشَّيطان والذُّرِّيَّةُ، ذكرهنَّ ابنُ الأنْبارِيِّ.

قوله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وقرأ أبو جعفرٍ، وشيبةُ: «مَا أَشْهَدْنَاهُمْ» بالنُّون والألفِ[2].

وفي المشار إليهم أربعة أقوالٍ:

أحدها: إبليس وذرِّيته.

والثاني: الملائكةُ.

والثالث: جميع الكفَّار.

والرابـع: جميـع الخلـق؛ والمعنـى: أنِّي لم أشـاورهم في خلقهـنَّ؛ وفي هـذا بيـان للغنـى[3] عـن الأعـوانِ، وإظهـار كـمال القـدرة.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٢)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (٣٥).

(٢) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٨٣)، والتحصيـل (٤/ ١٩٣) عـن يزيـد بـن القعقـاع، والسجسـتاني، وعـون العقيـلي، وفي البحـر المحيـط (٧/ ١٩٠) عـن أبي جعفـر، وشـيبة والسجسـتاني، وعـون العقيـلي، وابـن مقسـم.

(٣) في (ر): (المعنى).

قوله: ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ما أشهدتُ بعضهم خلق بعضٍ، ولا استعنت ببعضِهم على إيجادِ بعضٍ.

قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ يعني: الشَّياطين ﴿عَضُدًا﴾ أي: أنصارًا وأعوانًا.

والعضد يستعمل كثيرًا في معنى العونِ، لأنَّه قوامُ اليد.

قال الزَّجَّاجُ: والاعتضادُ: التَّقوي وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلانٍ، أي: استعنتُ به[١].

وفي ما نفى اتِّخاذهم عضدًا فيه قولان:

أحدهما: أنَّه الولايات، والمعنى: ما كنت لأولي المضلِّين، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أنَّه خلق السَّموات والأرض، قاله مُقاتلٌ[٢].

وقرأ الحسنُ، والجَحْدريُّ، وأبو جعفرٍ: «وما كنتَ» بفتح التَّاءِ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾[الكهف: ٥٢-٥٣].

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾.

وقرأ حمزةُ: «نقول» بالنُّونِ[٤]، يعني: يوم القيامة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٠).

(٣) عن ابن القعقاع، والحسن في التحصيل (٤/ ١٩٣)، وفي البحر المحيط (٧/ ١٩١) عن أبي جعفر، والجحدري، والحسن، وشيبة «وَمَا كُنْتَ» بفتح التَّاءِ خطابًا للرسول ﷺ.

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥١)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

﴿نَادُواْ شُرَكَآءِىَ﴾ أضاف الشُّركاء إليه على زعمهم، والمراد: نادوهم لدفعِ العذابِ عنكم، أو الشفاعة لكم، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم شركاء ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ أي: لم يجيبوهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم المشركون والشُّركاء.

والثاني: أهلُ الهدى وأهل الضَّلالة.

وفي معنى ﴿مَّوْبِقًا﴾ ستَّة أقوالٍ:

أحدها: مهلكاً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ، والضَّحاكُ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: مَهْلِكًا بينهم وبين آلهتهم في جهنَّم، ومنه يقال: أوبقته ذنوبه، أي: أهلكته[1].

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلنا بينهم من العذابِ مَا يُوبِقُهم، أي: يُهْلِكُهم، والمَوْبِقُ المَهْلِكُ، يقال: وَبِقَ يَوْبَقُ، ويَابِقُ، وَبْقاً؛ ووَبِقَ، يَبِقُ، وَبُوقاً، فهو وَابِقٌ[2].

وقال الفَرَّاءُ: جعلنا تواصلهم في الدُّنيا مَوْبِقاً، أي: مَهْلِكًا لَهُم في الآخرةِ[3].

فالبين على هذا القول، بمعنى التَّواصل، كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءةٍ من ضمَّ النُّون.

والثاني: أنَّ الموبقَ: وادٍ عميق يفرق به بين أهل الضَّلالةِ وأهل الهدى، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٧)

والثالث: أنَّه وادٍ في جهنَّم، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، ومجاهدٌ.

والرابع: أنَّ معنى الموبق: العداوة، قاله الحسنُ.

والخامس: أنَّه المحبس، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

والسادس: أنَّه الموعدُ، قاله أبو عُبيدةَ(١).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إن قيل: لم قال: مَوبقًا ولم يقل: مُوبقًا بضمِّ الميمِ، إذ كان معناه عذابًا موبقًا؟

فالجواب: أنَّه اسمٌ موضوعٌ لمحبس في النَّار، والأسماءُ لا تُؤخذُ بالقياسِ، فيعلمُ أن مَوبقًا: مفعل، من أوبقَهُ الله: إذا أهلكه، فتنفتح الميمُ، [٥٠٥/أ] كما تنفتحُ في موعد ومولد ومحتدٍّ إذا سمِّيت الشخوص بهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ أي: عاينوها وهي تتغيَّظ حنقًا عليهم. والمرادُ بالمجرمين: الكفَّار.

﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: داخلوها.

ومعنى المواقعة: ملابسةُ الشَّيءِ بشدَّةٍ ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي: معدلاً؛ والمصرفُ: الموضعُ الذي يصرف إليه، وذلك أنَّها أحاطت بهم من كلِّ جانبٍ، فلم يقدروا على الهربِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾[الكهف: ٥٤-٥٥].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٦).

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قد فسَّرناه في بني إسرائيل(١).

قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ **فيمن نزلت قولان:**

أحدهما: أنَّه النَّضرُ بنُ الحارثِ، وكان جداله في القرآنِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أُبيُّ بنُ خلفٍ، وكان جداله في البعثِ حين أتى بعظمٍ قد رمَّ، فقال: أيقدرُ الله على إعادةِ هذا؟ قاله ابنُ السَّائبِ.

قال الزَّجَّاجُ: كل ما يعقل من الملائكةِ والجنِّ يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياءِ جدلاً(٢).

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ قال المفسِّرون: يعني: أهل مكَّة ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو: محمَّدٌ ﷺ، والقرآنُ، والإسلامُ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهو: أنَّهم إذا لم يؤمنوا عذِّبوا.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: ما منعهم من الإيمانِ إلَّا طلب أن تأتيهم سنَّة الأوَّلين، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

والثَّاني: وما منع الشَّيطان النَّاس أن يؤمنوا إلَّا لأن تأتيهم سنَّة الأوَّلين، أي: منعهم رشدهم لكي يقع العذاب بهم، ذكره ابنُ الأنباريِّ.

والثالث: ما منعهم إلَّا أنِّي قد قدَّرت عليهم العذاب، وهذه الآيةُ فيمن قتل ببدرٍ وأحدٍ من المشركين، قاله الواحديُّ(٤).

---

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٦).

(٤) انظر: تفسير الوسيط (٣/ ١٥٤).

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾.

ذكر ابنُ الأنبارِيِّ في ﴿أَوْ﴾ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بمعنى الواو.

والثاني: أنَّها لوقوعِ أحد الشَّيئين، إذ لا فائدةَ في بيانِهِ.

والثالث: أنَّها دخلت للتَّبعيضِ، أي: أنَّ بعضَهم يقعُ به هذا، وهذه الأقوال الثلاثةُ قد أسلفنا بيانها في قوله ﷻ: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٩].

قوله: ﴿قُبُلًا ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «قِبَلاً» بكسرِ القافِ وفتحِ الباءِ.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿قُبُلًا ﴾ بضمِّ القافِ والباءِ(١).

وقد بيَّنا علَّة القراءتين في الأنعامِ(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ مسعودٍ: «قَبِيلاً» بوزن فعيلٍ(٣).

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو المتوكِّل: «قَبلاً» بفتح القافِ من غير ياءٍ(٤).

قال ابنُ قُتيبةَ: أراد استئنافًا(٥).

---

(١) السبعة (ص:٢٦٦)، والحجة (٥/ ١٥٢-١٥٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١١١).

(٣) في البحر المحيط (٧/ ١٩٤) عن أبي بن كعب، وغزوان عن طلحة.

(٤) في البحر المحيط (٧/ ١٩٤) بلا نسبة.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٩٢).

فإن قيل: إذا كان المرادُ بسنَّة الأوَّلين العذاب، فما فائدةُ التَّكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؟

فالجواب: أنَّ سنَّة الأوَّلين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته، وتختلفُ أنواعُه، وإتيانُ العذابِ قبلاً أفادَ القتل يوم بدرٍ.

قال مُقاتلٌ: ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: عذابُ الأممِ السَّالفةِ ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾، أي: عياناً قتلاً بالسَّيف يوم بدرٍ[1]. [٥٠٥/ب]

قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا (٥٨) وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩)﴾[الكهف: ٥٦-٥٩].

قوله: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم[2].

وجدالهم بالباطلِ: أنَّهم ألزموه أن يأتي بالآياتِ على أهوائِهم ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ليبطلوا ما جاءَ به محمَّدٌ ﷺ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٩٢).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٥٤).

وقيل: جدالهم: قولهم: ﴿كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا﴾ [الإسراء: ٤٩] ﴿ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا﴾ [السجدة: ١٠]، ونحو ذلك ليبطلوا به ما جاء في القرآنِ من ذكر البعث والجزاءِ.

قال أبو عُبيدةَ: ومعنى ليدحضوا: ليزيلوا ويذهبوا، يقال: مكان دحض، أي: مَزَلٌّ لا يثبت فيه قدمٌ ولا حافرٌ[١].

قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى﴾ يعني القُرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ أي: خوفوا به من النَّارِ والقيامةِ ﴿هُزُوًا﴾ أي: مهزوءًا بهِ.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمة في البقرةِ[٢].

و﴿ذُكِّرَ﴾ بمعنى: وعظ.

﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ﴾: القرآنُ، وإعراضُه عنها: تهاونُه بها.

﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: ما سلفَ من ذنوبهِ، وقد شرحنا ما بعد هذا في الأنعام[٣] إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو: الإيمانُ والقرآنُ ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ هذا إخبارٌ عن علمهِ فيهم.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ إذ لم يعاجلهم بالعقوبةِ.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ للبعثِ والجزاءِ ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

قال الفَرَّاءُ: الموئلُ: المنجى، وهو الملجأُ في المعنى، لأنَّ المنجى ملجأ، والعربُ تقول: إنَّه ليوائل إلى موضعِهِ، أي: يذهب إلى موضعِهِ، قال

(١) مجاز القرآن (ص: ٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢١).

الشـاعر [مـن السريـع][(١)]:

لَا وَاءَلَـتْ نَفْسُـكَ خَلَّيْتَهَـا لِلْعَامِرِيِّـينَ وَلَمْ تُكْلَـمِ

يريد: لا نجت نفسك، وأنشد أبو عُبيدةَ للأعشى [من البسيط][(٢)]:

وَقَـدْ أُخَالِـسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَـهُ وَقَـدْ يُحَـاذِرُ مِنِّي ثُـمَّ مَـا يَئِـلُ

أي: ما ينجو.

وقال ابنُ قُتيبةَ: الموئل: الملجأ. يقال: وآل فلان إلى كذا: إذا لجأ[(٣)].

فـإن قيـل: ظاهـر هـذه الآيـةِ يقتـضي أنَّ تأخـيرَ العـذابِ عـن الكفَّـارِ برحمـةِ الله، ومعلـومٌ أنَّـه لا نصيـب لهـم في رحمتِـهِ.

فعنه جوابان:

أحدهمـا: أنَّ الرَّحمـةَ هاهنـا بمعنـى النِّعمـة، ونعمـة الله لا يخلـو منهـا مؤمـنٌ ولا كافـرٌ، فأمَّـا الرَّحمـةُ التي هـي الغفـران والـرِّضى، فليـس للكافـرِ فيهـا نصيـبٌ.

والثـاني: أنَّ رحمـةَ الله محظـورةٌ عـلى الكفَّـارِ يـوم القيامـةِ، فأمَّـا في الدُّنيـا، فإنَّهـم ينالـون منهـا العافيـةَ والـرِّزقَ.

---

(١) بـلا نسـبة في معـاني القـرآن (٢/ ١٤٨)، وتهذيـب اللغـة (١٥/ ٣١٨)، ولسـان العـرب (١١/ ٧١٥)، وخزانـة الآداب (٩/ ٣٨٤).

(٢) جـاء الشـاهد في ديوانـه (ص: ٩٥)، وفيـه: «فقـد أخالـس»، وانظـر: شرح القصائـد العـشر(ص: ٢٩٦)، وخزانـة الآداب (١١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

قولــه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ يريــد: التــي قصصنــا عليــك ذكرهــا، والمــراد: أهلهــا، ولذلــك قــال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ والمــراد: قــومُ هــود، وصالــح، ولــوط، وشُــعيب.

قال الفَرَّاءُ: قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ معناه: بعد ما ظُلموا.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾.

قرأ الأكثرونَ بضمِّ الميم وفتح اللَّام.

قال الزَّجَّاجُ: وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدراً، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم.

والثاني: أن يكون وقتاً، فالمعنى: لوقت هلاكِهم(١). [٥٠٦/أ]

وقرأ أبو بكرٍ، عن عاصمٍ: بفتح الميمِ واللَّام، وهو مصدرٌ مثل الهلاك.

وقرأ حفصٌ، عن عاصمٍ: بفتح الميمِ وكسرِ اللَّام(٢)، ومعناه: لوقتِ إهلاكهم.

قولــه تعــالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[الكهــف: ٦٠-٦٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٧).

(٢) السبعة (ص: ٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥٦)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ الآيَةَ.

سببُ خروجِ موسى عليه السلام في هذا السَّفر، ما روى ابنُ عبَّاسٍ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «قَامَ مُوسَى عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عليه السلام حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عليه السلام وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عليه السلام، قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، قَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، قَالَ يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ

عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى ﷺ: «هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا». قَالَ لَهُ الْخَضِرُ ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: «أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٦] يَقُولُ [٥٠٦/ب] مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ»، هذا حديث صحيحٌ أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ في الصَّحيحين(١)، وقد ذكرنا إسناده في كتاب الحدائق، فآثرنا الاختصار هاهنا.

---

(١) البخاري(١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

فأما التَّفسير، فقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ المعنى: واذكر ذلك.

وفي موسى قولان:

أحدهما: أنَّه موسى بن عمران، قاله الأكثرون.

ويدلُّ عليه ما روي في الصَّحيحين من حديث سعيدِ بنِ جبيرٍ قال: قلت لابن عبَّاسٍ: إنَّ نوفاً البكالي يزعم أنَّ موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدوُّ الله، أخبرني أُبيُّ بنُ كعبٍ، فذكر الحديث الذي قدَّمناه آنفاً(١).

والثاني: أنَّه موسى بن ميشا، قاله ابنُ إسحاق، وليس بشيءٍ، للحديث الصَّحيح الذي ذكرناه.

فأمَّا فتاه فهو يوشعُ بنُ نون من غير خلافٍ، وإنَّما سمِّي فتاه، لأنَّه كان يلازمه، ويأخذُ عنه العلم، ويخدمه.

ومعنى ﴿ لَآ أَبۡرَحُ ﴾: لا أزال. وليس المرادُ به: لا أزول، لأنَّه إذا لم يزل لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولك: ما برحت أناظر عبد الله، أي: ما زلت، قال الشَّاعر(٢)[من الطَّويل]:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً ... وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِعُ

أي: أثقلتك، والمعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضعُ الذي وعده الله بلقاءِ الخضر فيه.

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيت لبَيْهَس العُذْرِيِّ في لسان العرب (٢/ ٥٤١)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٢٥٨)، وتاج العروس (١٧/ ١٣)، وبلا نسبة في العين (٣/ ٢١٣)، والمخصص (١٢/ ٣١٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٠).

قال قتادةُ: بحرُ فارس، وبحرُ الرُّوم، فبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرقِ(١).

وفي اسم البلد الذي بمجمعِ البحرين قولان:

أحدهما: إفريقية، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ.

والثاني: طنجة، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ القرظي.

قوله: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا ﴾.

وقرأ أبو رَزينٍ، والحسنُ، وأبو مجلَزٍ، وقتادةُ، والجَحْدري، وابنُ يعمر: «حُقْباً» بإسكانِ القافِ(٢).

قال ابنُ قُتيبةَ: الحُقُب: الدَّهر، والحِقَب: السِّنون، واحدتها حِقْبة، ويقال: حُقْبٌ وحُقُب كما يقال: قُفْل وقُفُل، وهُزْؤ وهُزُؤ، وكُفْؤ وكُفُؤ، وأُكْل وأُكُل، وسُحْت وسُحُت، ورُعْب ورُعُب، ونُكْر ونُكُر، وأُذْن وأُذُن، وسُحْق وسُحُق، وبُعْد وبُعُد، وشُغْل وشُغُل، وثُلْث وثُلُث، وعُذْر وعُذُر، ونُذْر ونُذُر، وعُمْر وعُمُر(٣).

وللمفسِّرين في المرادِ بالحقب هاهنا ثمانيةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه الدَّهرُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: ثمانون سنةٍ، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو، وأبو هريرةَ.

والثالث: سبعون ألف سنةٍ، قاله الحسنُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٤/ ٢١٢) عن الحسن، وزاد في المحرر (٣/ ٥٢٨) الأعمش وعاصم، وفي البحر المحيط (٧/ ٢٠٠) الضحاك.

(٣) انظر: أدب الكاتب (١/ ٩٥).

والرابع: سبعون سنة، قاله مجاهدٌ.

والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مُقاتل بنُ حيَّانَ.

والسادس: أنَّه ثمانون ألف سنة، كل يوم ألف سنةٍ من عدد الدُّنيا.

والسابع: أنَّه سنة بلغة قيس، ذكرهما الفرَّاءُ(١).

[٥٠٧/أ] والثامن: الحقب عند العربِ وقت غير محدودٍ، قاله أبو عُبيدةَ(٢).

ومعنى الكلام: لا أزال أسيرُ، ولو احتجت أن أسيرَ حقبًا.

قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني: موسى وفتاه ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ يعني: البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وكانا قد تزودا حوتاً مالحاً في زبيل فكانا يصيبان منه عند الغداءِ والعشاءِ، فلمَّا انتهيا إلى الصَّخرة على ساحلِ البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت بلل البحر. وقيل: توضَّأ يوشع من عينِ الحياةِ فانتضح على الحوت الماء، فعاش، فتحرَّك في المكتل، فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزوَّد حوتاً مالحاً، فإذا فقدته وجدت الرَّجل. وكان موسى حين ذهب الحوت في البحر قد مضى لحاجة، فعزم فتاه أن يخبره بما جرى فنسي.

وإنَّما قيل: نسيا حوتهما توسعًا في الكلام، لأنَّهما جميعًا تزوداه، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنَّما نسيه أحدهم.

قال الفرَّاءُ: ومثله قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنَّما يخرج ذلك من الملحِ، لا من العذب(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٤).

وقيل: نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيءٍ، فلذلك أضيف النِّسيان إليهما.

قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مسلكاً ومذهباً.

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعل الحوت لا يمسُّ شيئاً من البحرِ إلَّا يبس حتى يكون صخرة[١].

وقال قتادةُ: جعل لا يسلك طريقاً إلَّا صار الماء جامدًا[٢].

وقد ذكرنا في حديث أُبيِّ بنِ كعبٍ أنَّ الماء صار مثل الطاق على الحوتِ[٣].

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان الذي ذهب فيه الحوتُ، أصابهما ما يصيب المسافر من النَّصبِ، فدعا موسى بالطَّعامِ، فقال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ وهو الطَّعام الذي يؤكل بالغداةِ. والنَّصب: الإعياء.

وهذا يدلُّ على إباحةِ إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتَّعب، ولا يكون ذلك شكوى.

﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك.

﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نسيت أن أخبرك خبر الحوتِ.

والثاني: نسيت حمل الحوتِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٥) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) سبق تخريجه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾.

قرأ الكسائيُّ: «أنسانيه»[1] بإمالة السِّين[2].

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «أنسانيهي» بإثبات ياء في الوصلِ بعد الهاءِ[3].

وروى حفصٌ عن عاصمٍ: «أنسانيهُ إلَّا» بضمِّ الهاء في الوصلِ[4].

قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاء في السبيل ترجع إلى الحوتِ.

وفي المتخذ قولان:

أحدهما: أنَّه الحوتُ، ثم في المخبر عنه قولان:

أحدهما: أنَّه الله ﷻ، ثمَّ في معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يرى عجباً، ويحدث عجباً.

والثاني: أنه لما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾، قال: اعجبوا لذلك عجباً، وتنبهوا لهذه الآية.

والثالث: أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله: في البحر، فقال موسى: عجباً، لما شوهد من الحوت، ذكر هذه الأقوال ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

[٥٠٧/ب] والثاني: أن المخبر عن الحوت يوشع، وصف لموسى ما فعل الحوت.

والقول الثاني: أنَّ المتخذ موسى، اتَّخذ سبيل الحوت في البحر عجباً، فدخل في المكان الذي مرَّ فيه الحوت، فرأى الخضر.

---

(١) ليست في (س)، وفي (م): «وما أنسانيه».

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٥٤).

(٣) انظر: السبعة (ص: ١٣٢).

(٤) انظر: الحجة (٥/ ١٥٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

وروى عطيَّةُ عن ابنِ عبَّاس قال: رجع موسى إلى الصَّخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرة من جزائر البحرِ، فلقي الخضر[١].

قوله: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ أي: ذلك الذي نطلب من العلامة الدَّالة على مطلوبنا.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «نبغي» بياءٍ في الوصل والوقف.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ بياء في الوصلِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، بحذف الياءِ في الحالين[٢].

قوله: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: رجعا في الطَّريق الذي سلكاه، يقصَّان الأثر، والقصص: اتِّباع الأثرِ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ يعني الخضر.

وفي اسمه أربعة أقوالٍ:

أحدها: اليسع، قاله وهبٌ، ومُقاتلٌ[٤].

والثاني: الخضر بن عاميا.

والثالث: أرميا بن حلفيا، ذكرهما ابنُ المنادي[٥].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم (١٢٨٧٧) في تفسيرهما.

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٤٩).

(٥) هو الإمام المقرئ الحافظ أبو الحسين، أحمد بن جعفر بن أبي جعفر محمد بن عبيد=

والرابع: بليا بن ملكان، ذكره عليُّ بنُ أحمد النَّيسابوري[١].

فأمَّا تسميته بالخضر، ففيه قولان:

أحدهما: أنَّه جلس في فروة بيضاء فاخضرَّت، رواه أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ[٢]، والفروة: الأرضُ اليابسةُ.

والثاني: أنَّه كان إذا جلس اخضرَّ ما حوله، قاله عكرمةُ.

وقال مجاهدٌ: كان إذا صلَّى اخضرَّ ما حوله[٣].

وهل كان الخضر نبيًّا، أم لا؟ فيه قولان، ذكرهما أبو بكرِ بنُ الأنباري.

وقال: كثيرٌ من النَّاس يذهبُ إلى أنَّه كان نبيًّا، وبعضُهم يقول: كان عبدًا صالحاً.

واختلف العلماءُ هل هو باق إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوَرْدِيُّ[٤].

وكان الحسنُ يذهب إلى أنَّه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابِنا يقول، ويقبح قول مَن يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقائِهِ.

=الله بن أبي داود بن المنادي، البغدادي، صاحب التواليف، وقد اختص بكثرة الرواية عن عبد الله بن الإمام أحمد، انظر: ترجمته: طبقات الحنابلة (٢/ ٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦١).

(١) انظر: تفسير الوسيط (٣/ ١٥٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٢)، والبخاري (٣٤٠٢)، والترمذي (٣١٥١)، والبزار في مسنده (٩٣٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٢٢) من طريق معمر، عن همام بن منبه، به بلفظ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ».

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢٠٥).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٢٥).

وروى أبو بكرٍ النَّقاش أنَّ محمَّدَ بنَ إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياءِ؟ فقال: كيف يكون ذلك؟ وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَبْقَى عَلَى رَأسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ»(١).

قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ في هذه الرَّحمة ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها النبوَّةُ، قاله مُقاتلٌ(٢).

والثاني: الرقة والحنو على من يستحقه، ذكره ابنُ الأنبارِيِّ.

والثالث: النعمة، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿عِلْمًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: أعطاه علماً من علم الغيبِ(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[الكهف: ٦٦-٦٩].

قوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «تعلمني مما» بإثبات الياءِ في الوصلِ والوقفِ.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بياءٍ في الوصلِ.

---

(١) البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٤).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥٨).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ بحذفِ الياء في الحالين[١].

قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿رُشْدًا﴾ بضمِّ الرَّاء خفيفة. [٥٠٨/أ]

وقرأ أبو عمرٍو: «رَشَدًا» بفتح الرَّاءِ والشِّين.

وعن ابن عامرٍ بضمهما[٢].

والرُّشْد، والرَّشَد: لغتان كالنُّخْل والنَّخَل، والعُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَب، والمعنى: أن تعلمني علماً ذا رشد.

وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلبِ العلمِ، واتباع المفضول للفاضل طلباً للفضل، وحثت[٣] على الأدب والتواضع للمصحوبِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قال ابنُ عبَّاس: لن تصبر على صنعي، لأنِّي علمت من غيب علم ربِّي[٤].

وفي هذا الصَّبر وجهان:

أحدهما: عن الإنكار.

والثاني: عن السؤال.

قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ الخبر: علمك بالشَّيء؛ والمعنى: كيف تصبر على أمرٍ ظاهره منكرٌ، وأنت لا تعلم باطنه؟

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، والحجة (٥/ ١٤٨)، والتيسير (ص: ١٤٧)، والمبسوط (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٩٣)، والحجة (٥/ ١٥٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

(٣) في الأصل، و(ر): (وحيث)، وفي (م): (وحثٌّ)، والمثبت من (س).

(٤) أورده الواحدي في تفسيره (٣/ ١٥٨).

قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: نفي العصيان منسوق على الصَّبر، والمعنى: ستجدني صابرًا ولا أعصي إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤ ۞قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾ [الكهف: ٧٠-٧٨].

قوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾ ساكنة اللَّام.

وقرأ نافعٌ: «فلا تسألَنِّي» مفتوحة اللَّام مشدَّدة النُّون.

وقرأ ابنُ عامرٍ في رواية الداجوني: «فلا تسألَنِ عن شيء» بتحريك اللَّام من غير ياءٍ، والنُّون مكسورة(١).

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٤)، والحجة (٥/ ١٧٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

والمعنى: لا تسألني عن شيءٍ مما أفعله ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتَّى أكون أنا الذي أبينه لك، لأنَّ علمه قد غاب عنك.

قوله تعالى: ﴿خَرَقَهَا﴾ أي: شقَّها.

قال المفسِّرون: قلع منها لوحاً، وقيل: لوحين مما يلي الماء، فحشاها موسى بثوبه وأنكر عليه ما فعل بقوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ بالتَّاء ﴿أَهْلَهَا﴾ بالنَّصبِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «ليَغْرَقَ» بالياءِ «أَهْلُهَا» برفع اللَّامِ[١].

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: منكراً، قاله مجاهدٌ.

وقال الزَّجَّاجُ: عظيماً من المنكرِ[٢].

والثاني: عجباً، قاله قتادةُ، وابنُ قُتيبةَ[٣].

والثالث: داهية، قاله أبو عُبيدةَ[٤].

قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ **في هذا النسيان ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه على حقيقته، وأنَّه نسي.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٥)، والحجة (٥/ ١٥٨)، والمبسوط (١/ ٢٨٠) قال أبو علي: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ أولى ليكون الفعل مسندا إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٤٠٩) وفيه: داهية نكرًا عظيماً.

روى ابنُ عبَّاسٍ عن رسولِ الله ﷺ: «**أَنَّ الْأُولَى كَانَتْ نِسْيَانًا مِنْ مُوسَى**»(١).

والثاني: أنَّه لم ينسَ، ولكنَّه من معاريض الكلام، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه بمعنى التَّرك، فالمعنى: لا تؤاخذني بما تركته مما عاهدتُك عليه، ذكره ابنُ الأنباريِّ.

قوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ قال الفرَّاءُ: لا تُعْجِلني(٢).

وقال أبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ: لا تُغَشِّيني(٣).

قال أبو زيدٍ: يقال: أرهقته عسراً: إذا كلَّفته ذلك(٤).

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: عاملني باليسر، لا بالعسرِ(٥).

قوله: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يعني: موسى والخضر.

قال الماورديُّ: يحتمل أن يكون يوشع تأخَّر عنهما، لأنَّ الإخبار عن اثنين، ويحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنَّه تبعٌ لموسى، فاقتصر على [٥٠٨/ب] حكمِ المتبوعِ(٦).

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ اختلفوا في هذا الغلام هل كان بالغاً، أم لا؟ على قولين:

---

(١) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) في الحديث الطويل.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٠)، وغريب القرآن (ص: ٢٧٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٢).

(٤) انظر: التفسير الوسيط (٣/ ١٥٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٢).

(٦) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٢٨).

أحدهما: أنَّه لم يكن بالغاً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والأكثرون.

والثاني: أنَّه كان شابًّا قد قبض على لحيته، حكاه الماوَرْدِيُّ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، واحتجَّ بأن غير البالغ لم يجر عليه قلم، فلم يستحق القتل[١].

وقد يسمَّى الرَّجل غلاماً، قالت ليلى الأخيلية تمدح الحجاج [من الطويل][٢]

.... غُلامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا

وفي صفة قتله له ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه اقتلع رأسَه، وقد ذكرناه في حديث أُبي[٣].

والثاني: كسر عنقه، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: أضجعه وذبحه بالسِّكين، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾. قرأ الكوفيُّون، وابنُ عامرٍ: ﴿زَكِيَّةً﴾ بغير ألفٍ، والياء مشدَّدة.

وقرأ الباقون بالألف من غير تشديدٍ[٤].

قال الكسائيُّ: هما لغتان بمعنى واحد، وهما بمنزلة القاسية، والقسية[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البيت في غريب الحديث؛ للخطَّابي (ص: ٥٢١)، ونهاية الأرب في فنون الأدب؛ للنويري (٧/ ١٨١)، ولسان العرب (١٢/ ٤١٣) مادة (عقم). وصدره: «شَفَاها مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي بِهَا».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) السبعة (ص: ٣٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس(١/ ٣٣٩) وهو مذهب الفراء.

وللمفسِّرين فيها ستَّة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها التائبة، روي عن ابن عباس أنَّه قال: الزَّكِيَّةُ: التَّائِبَةُ[١]، وبه قال الضَّحاكُ.

والثاني: أنَّها المسلمةُ، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضاً.

والثالث: أنَّها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والرابع: أنَّها الزكيَّة النامية، قاله قتادةُ.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: القويمة في تركيبها.

والخامس: أنَّ الزكية: المطهرة، قاله أبو عُبيدةَ[٢].

والسادس: أنَّ الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يُوجِبُ قتلَها، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

وقد فرَّق بعضُهم بين الزَّاكِيَة، والزَّكِيَّة، فروي عن أبي عمرٍو بن العلاءِ أنَّه قال: الزَّاكِيَةُ: التي لم تذنب قطُّ، والزَّكِيَّةُ: التي أذنبت ثم تابت[٤].

وروي عن أبي عُبيدةَ أنَّه قال: الزاكية في البدن، والزكية في الدين[٥].

قوله: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قتلِ نفسٍ ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿نُّكْرًا﴾ خفيفة في كلِّ القرآن، إلَّا قوله: ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]، وخفَّف ابنُ كثيرٍ أيضاً: «إلى شيء نُكْر».

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٠) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٤) أورده الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ١٤٤)، والثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٤).

(٥) أورده الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٢٩).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «نُكُرًا» و﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ مثقّل[١].
والمخفّف إنّما هو من المثقّل، كالعُنْق، والعُنُق، والنُّكْر، والنُّكُر.

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: لقد أتيت شيئاً نكرًا. ويجوز أن يكون معناه: جئت بشيءٍ نكر، فلما حذف الباء، أفضى الفعل فنصب نكراً، ونكرًا أقل منكراً من قوله: إمراً لأنَّ تغريق من في السَّفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة[٢].

قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾.

إن قيل: لم ذكر «لَكَ» هاهنا، واختزله من الموضعِ الذي قبله؟

فالجواب: أنَّ إثباته للتَّوكيد، واختزاله لوضوح المعنى، وكلاهما معروفٌ عند الفصحاءِ. تقول العرب: قد قلت لك: اتَّقِ الله. وقد قلت لك: يا فلان اتَّقِ الله، وأنشد ثعلبُ [من الرجز][٣]:

قَدْ كُنْتُ حَذَّرْتُكَ آلَ الْمُصْطَلِقْ وَقُلْتُ يَا هَذَا أَطِعْنِي وَانْطَلِقْ

[٥٠٩/أ] فقوله: يا هذا، توكيدٌ لا يختلُّ الكلام بسقوطه.

وسمعت الشَّيخ أبا محمَّد بن الخشَّاب رحمه الله يقول: وقَّره في الأوَّل، فلم يواجهه بكافِ الخطاب، فلما خالف في الثاني، واجهه بها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ﴾ أي: سؤال توبيخٍ وإنكار ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾.

---

(١) السبعة (ص/ ٣٩٥)، والحجة (٥/ ١٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٣) البيت في المجالسة وجواهر العلم (٧/ ١٧٢)، وجمهرة الأمثال (١/ ١٢٤).

وقرأ كذلك معاذٌ القارئ، وأبو نهيك، وأبو المتوكِّلِ، والأعرجُ، إلَّا أنَّهم شدَّدوا النُّون(١).

قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ أبي عبلةَ، ويعقوبُ: «فلا تَصحبني» بفتح التَّاء من غير ألفٍ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العالية، والأعمشُ كذلك، إلَّا أنَّهم شدَّدوا النُّون.

وقرأ أبو رجاءٍ، وأبو عثمانَ النَّهدي، والنَّخعيُّ، والجَحْدريُّ: «تُصْحِبْني» بضمِّ التَّاءِ، وكسر الحاءِ، وسكون الصَّادِ والباءِ(٣).

قال الزَّجَّاجُ: فيهما وجهان:

أحدهما: لا تتابعني في شيءٍ ألتمسه منك. يقال: قد أصحب المهر: إذا انقاد.

والثاني: لا تصحبني علماً من علمك(٤).

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مِن لَّدُنِّى﴾ مثقَّل.

وقرأ نافعٌ: «من لدُنِي» بضمِّ الدَّال مع تخفيف النُّون.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «من لَدْني» بفتح اللَّام مع تسكين الدَّالِ.

وفي روايةٍ أُخرى عن عاصمٍ: «لُدْني» بضمِّ اللَّام وتسكين الدَّالِ(٥).

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٤/ ٢١٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٤/ ٢١٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٣٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٥) انظر: السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/ ١٦٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

قال الزَّجَّاجُ: وأجودها تشديد النُّون، لأنَّ أصل لدن الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسِك زدت نونًا، ليسلم سكون النُّون الأُولى، تقول: من لدن زيد، فتسكن النُّون ثم تضيف إلى نفسِك، فتقول: من لدنِّي، كما تقول عن زيدٍ وعنِّي. فأما إسكان دال لدني فإنَّهم أسكنوها، كما تقول في عَضُدٍ: عَضْدٍ، فيحذفون الضَّمَّ(١).

قال ابنُ عباسٍ: يريد إنَّك قد أعذرت فيما بيني وبينك، يعني أنَّك قد أخبرتني أنِّي لا أستطيع معك صبرًا(٢).

قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ **فيها ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها أنطاكية، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الأبلة، قاله ابنُ سيرين.

والثالث: باجروان، قاله مُقَاتِلٌ(٣).

قوله: ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ أي: سألاهم الضِّيافة ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

روى المفضَّل عن عاصمٍ: «يُضِيفوهما» بضمّ الياءِ الأولى وكسر الضَّادِ وتخفيفِ الياءِ الثانية.

وقرأ أبو الجوزاءِ كذلك، إلَّا أنَّه فتح الياء الأُولى.

وقرأ الباقون: ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾ بفتح الضَّادِ وتشديدِ الياءِ الثانيةِ وكسرها(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٧) من طريق سعيد بن جبير، به، بلفظ مطول.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٧)، وقال محققه: «وفي نسخة بدون إعجام»، أي: باحروان.

(٤) الكامل في القراءات (١/ ٥٩٣).

قال أبو عُبيدةَ: ومعنى ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾: ينزلوهما منزل الأضيافِ، يقال: ضفت أنا، وأضافني الذي ينزلني(١).

وقال الزَّجَّاجُ: يقال: ضفت الرَّجل: إذا نزلت عليه، وأَضَفْتُه: إذا أنزلتُه وقريتُه(٢).

وقال ابنُ قُتيبةَ: يقال: ضيَّفت الرَّجل: إذا أنزلته منزلةَ الأضيافِ، ومنه هذه الآية، وأضفته: أنزلته، وضفته: نزلت عليه. [٥٠٩/ ب]

وروى أُبيُّ بنُ كعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا»(٣).

قوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ أي: حائطًا.

قال ابنُ فارسٍ: وجمعه جدر، والجدر: أصل الحائطِ. ومنه حديث الزُّبير: «ثُمَّ دَعِ الْمَاءَ يَرْجِعُ إِلَى الْجَدْرِ»(٤)، والجيدر: القصير(٥).

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١١٢٤٧) وهو بعض حديث طويل.

(٤) رواه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) بلفظ عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير، حدثه أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند رسولِ الله ﷺ، في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزُّبير: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه نبي الله ﷺ، ثم قال: «يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ».

(٥) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٣١).

وقرأ أُبي بن كعب، وأبو رجاء: «ينقاض» بألف ممدودة، وضاد معجمة(١).

وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: «ينقاص» بألف ومدّه وصاد غير معجمة، وكلُّه بلا تشديد(٢).

قال الزَّجَّاجُ: فمعنى: ينقض: يسقط بسرعة، وينقاص، غير معجمة، ينشق طولاً، يقال: انقاضت(٣) سنُّه: إذا انشقت(٤).

قال ابن مقسم: انقاصت(٥) سنُّه، وانقاضت بالصاد، والضاد على معنى واحد.

فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟

فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهًا بمن يعقل ويريد، لأنَّ هيأته في التهيؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهر من أفعالِ المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوزًا، قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] والغضب لا يسكت، وإنَّما يسكت صاحبه، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] وأنشدوا من ذلك [من الخفيف](٦):

---

(١) في التحصيل (٤/ ٢١٥) عن أُبي بن كعب، وانظر: المحرر (٣/ ٥٣٤).

(٢) في التحصيل (٤/ ٢١٥)، والمحرر المجيز (٣/ ٥٣٤) عن علي رضي الله عنه، وعكرمة، ويحيى بن يَعْمر.

(٣) هكذا في الأصل، و(ر)، والمطبوع من معاني القرآن وإعرابه بالضاد، وفي (م)، و(س): (انقاصت) بالصاد.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦).

(٥) في الأصل: (انقاضت)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) البيت لحسان بن ثابت في أساس البلاغة (لفف)، وبلا نسبة في لسان العرب (٤/ ٢٩٣) (دهر)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٩٢)، وديوان الأدب (١/ ١٠٧)، وتاج العروس (١١/ ٣٤٦) (دهر).

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ ... لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

وقال آخر(١):

ضَحِكُوا وَالدَّهْرُ عَنْهُمْ سَاكِتٌ ... ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا لَمَّا نَطَقْ

وقال آخر [من الوافر](٢):

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ

وقال آخر [من الرمل](٣):

يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى ... .

وهذا كثير في أشعارهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: سوَّاه، لأنه وجده مائلاً.

وفي كيفية ما فعل قولان:

أحدهما: أنَّه دفعه بيده فقام.

والثاني: هدمه ثم قعد يبنيه، روي القولان عن ابن عبَّاسٍ.

قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «لتخِذت» بكسر الخاءِ، غير أنَّ أبا عمرٍو كان يدغم الذَّال، وابن كثيرٍ يظهرها.

---

(١) في عيون الأخبار (٢/ ٣٢٦)، والعقد الفريد (٦/ ٣٠٩) ويُروى:

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمُ ... ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا لَمَّا نَطَقْ

(٢) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦)، ولسان العرب (٣/ ١٨٩) (رود).

(٣) البيت للمبد بن حرملة في شرح أبيات الكتاب (١/ ٢٠٨)، وبلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ٥٤)، والأضداد (١/ ٢٢٢)، وعجزه: «صَبْرًا جَمِيلًا فَكِلَانَا مُبْتَلَى».

وقـرأ نافـعٌ، وعاصـمٌ، وابـنُ عامـرٍ، وحمـزةُ، والكسـائيُّ: ﴿لَتَخَذْتَ﴾ وكلُّهـم أدغمـوا، إلَّا حفصًـا عـن عاصـمٍ، فإنَّـه لم يدغـم مثـل ابـن كثـيرٍ(١).

قـال الزَّجَّـاجُ: يقـال: تَخِـذَ يتْخَـذُ في معنـى: اتَّخَـذَ يَتَّخِـذُ، وإنَّـما قـال لـه هـذا، لأنَّهـم لم يضيِّفوهمـا(٢).

قولـه تعـالى: ﴿قَالَ﴾ يعنـي: الخـضر ﴿هَٰذَا﴾ يعنـي: الإنـكار عـليَّ ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هـو المُـفرِّقُ بيننـا.

قـال الزَّجَّـاجُ: المعنـى: هـذا فـراقُ بيننـا، أي فـراق اتِّصالنـا، وكـرَّر بـين توكيـدًا، ومثلـه في الـكلام: أخـزى الله الـكاذب مِنِّـي وَمِنْـكَ(٣).

وقـرأ أبـو رَزِيـنٍ، وابـنُ السَّـمَيْفع، وأبـو العاليـة، وابـنُ أبي عبلـةَ: «هـذا فـراقٌ» بالتَّنويـن «بينـي وبينَـك» بنصـب النُّـون.

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: كان قـول موسـى في السَّـفينةِ والغـلام لربِّـه، وكان قولـه في الجـدارِ لنفسِـه، لطلـب شيءٍ مـن الدُّنيـا(٤). [٥١٠/أ]

قولـه تعـالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهـف: ٧٩].

قوله: ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ في المراد بمسكنتهم قولان:

أحدهما: أنَّهم كانوا ضعفاء في أكسابهم.

والثاني: في أبدانهم.

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/ ١٦٣)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦ـ ٣٠٧).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٠٤).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢١) في حديث طويل.

وقال كعبٌ: كانت لعشرة إخوةٍ، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحرِ(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلها ذات عيبٍ، يعني بخرقها.

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أمامهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ، وأبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ مسعودٍ: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ»(٣).

والثاني: خلفهم.

قال الزَّجَّاجُ: وهو أجودُ الوجهين(٤).

فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبرِهِ، فأعلم الله تعالى الخضر خبرَهُ.

قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ أي: كل سفينةٍ صالحةٍ.

وفي قراءةِ أُبيِّ بنِ كعبٍ: «كُلَّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ»(٥).

قال الخضرُ: إنَّما خرقتها، لأنَّ الملكَ إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها فانتفعوا بها.

قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ﴾.

---

(١) أورده الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٢)، وغريب القرآن (ص: ٢٧٠).

(٣) وهي قراءة ابن عباس كما في البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠)، وغيرهما.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥).

(٥) عن ابن عباس، وسعيد بن جبير في المحرر الوجيز (٣/ ٥٣٥)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١٥/ ٣٥٤).

روي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه كان يقرأ: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا»[١].

وروى أُبيُّ بنُ كعبٍ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»[٢].

قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كان الغلام على الطَّريق لا يمرُّ به أحد إلَّا قتله أو غصبه، فيدعو ذلك عليه وعلى أبويه.

وقال ابنُ السائبِ: كان الغلام لصًّا، فإذا جاءَ من يطلبه حلف أبواه أنَّه لم يفعل[٣].

قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ في القائلِ لهذا قولان:

أحدهما: الله ﷻ.

ثم في معنى الخشية المضافة إليه قولان:

أحدهما: أنَّها بمعنى: العلم.

قال الفَرَّاءُ: معناه: فعلمنا[٤].

وقال ابنُ عقيلٍ: المعنى: فعلنا فعل الخاشي.

والثاني: الكراهة، قاله الأخفشُ، والزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٤٠)، والبخاري(٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) رواه عبد بن حميد في مسنده (١٦٩)، و مسلم (٢٦٦١)، وأبو داود (٤٧٠٥)، والترمذي (٣١٥٠)، والنسائي في الكبرى (٥٨١٣).

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٣٣٣).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥).

والثاني: أنَّه الخضرُ، فتكون الخشية بمعنى الخوف للأمرِ المتوهم، قاله ابنُ الأنبارِيِّ.

وقد استدلَّ بعضُهم على أنَّه من كلامِ الخضر بقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فأراد الله، لأنَّ لفظَ الخبرِ عن الله تعالى هكذا أكثر من أن يحصى.

ومعنى ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يحملهما على الرَّهق، وهو الجهل.

قال أبو عُبيدةَ: يرهقهما: يغشيهما[١].

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: خشينا أن يحملهما حبُّه على أن يدخلا في دينه[٢].

وقال قتادة: فرحًا به حين وُلد، وحزنًا عليه حين قُتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ بقضاءِ الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره، خير له من قضائه فيما يحب[٣].

قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتَّخفيفِ.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بالتَّشديد[٤].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٤١٢).

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٧).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٢٩) لابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب عن قتادة قال: قال مطرف بن الشخير... فذكره.

(٤) السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/ ١٦٤)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨١).

قوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: دينًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: عملاً، قاله مُقاتلٌ[1].

والثالث: صلاحًا، قاله الفَرَّاءُ[2].

قوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

[٥١٠/ب] قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿رُحْمًا﴾ ساكنة الحاءِ، وقرأ ابنُ عامرٍ: «رُحُمًا» مثقلة[3].

وعن أبي عمرٍو كالقراءتين.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ جبيرٍ، وأبو رجاءٍ: «رَحِمًا» بفتح الرَّاءِ، وكسر الحاءِ[4].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أوصل للرَّحم وأبرُّ للوالدين، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ.

وقال الزَّجَّاجُ: أقربُ عطفًا، وأمسُّ بالقرابة.

ومعنى الرُّحْم والرَّحْم في اللُّغة: العطف والرَّحمة، قال الشاعر [من مجزوء الوافر][5]:

وَكَيْفَ بظُلْمِ جاريةٍ وَمِنْهَا اللينُ والرُّحْمُ؟

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٧)، والحجة (٥/ ١٥٥)، والتيسير (ص: ١٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

(٤) عن ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥).

(٥) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦)، ومجاز القرآن (١/ ٤١٣)، ولسان العرب (١٢/ ٢٣١).

والثاني: أقرب أن يُرْحما بِهِ، قاله الفَرَّاءُ[١].

وفيما بُدِّلا به قولان:

أحدهما: جارية، قاله الأكثرون.

وروى عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: أبدلهما به جارية ولدت سبعين نبيًّا[٢].

والثاني: غلام مسلم، قاله ابنُ جريجٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: القرية المذكورة في قوله: ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾.

قال مُقاتلٌ: واسمُهما أصرم، وصريم[٣].

قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه كان ذهبًا وفضة، رواه أبو الدَّرداءِ عن رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦١) عن عطاء، عن ابن عباس به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).

(٤) رواه الترمذي (٣١٥٢)، والبزار في مسنده (٤٠٨٢)، والطبراني في الأوسط (٦٩٦٩)، وفي الصغير (٩٧٧)، وابن عدي في الكامل (٩/ ١٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠١) من طريق الوليد بن مسلم، عن يزيد بن يوسف الصنعاني، عن مكحول، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، به.

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يزيد بن يوسف الصنعاني.

وقال الحسنُ(١)، وعكرمةُ(٢)، وقتادةُ(٣): كان مالًا.

والثاني: أنَّه كان لوحًا من ذهبٍ، فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدرِ ثمَّ هو ينصب، عجباً لمن أيقن بالنَّار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمنُ بالموتِ كيف يفرح، عجباً لمن يوقنُ بالرِّزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحسابِ كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدُّنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها، أنا الله لا إله إلَّا أنا، محمَّدٌ عبدي ورسولي، وفي الشِّقِّ الآخرِ: أنا الله لا إله إلَّا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشرَّ، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريتُه على يديه، والويلُ لمن خلقته للشَّرِّ وأجريته على يديه، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: فسمي كنزًا من جهة الذَّهب، وجعل اسمه هو المغلَّب.

والثالث: كنز علم، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: صحف فيها علم(٤)، وبه قال سعيد بنُ جبيرٍ، والسُّدِّيُّ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: فيكون المعنى على هذا القولِ: كان تحته مثل الكنز، لأنَّه يتعجَّل من نفعه أفضل ممَّا ينال من الأموالِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٣) بلفظ: قَالَ: لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٍ فِيهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ كَيْفَ يَحْزَنُ وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوقِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ وَعَجِبتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا، كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٥) من طريق حصين، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

قال الزَّجَّاجُ: والمعروفُ في اللُّغة: أنَّ الكنز إذا أُفرد، فمعناه: المال المدفون المدَّخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز هاهنا بالمال أشبه، وجائز أن يكون الكنز كان مالًا، مكتوبٌ فيه علم، على ما روي، فهو مالٌ وعلمٌ عظيمٌ(١).

قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: حُفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكرْ منهما صلاحًا(٢).

وقال جعفرُ بنُ محمَّدٍ ﷺ: كان بينهما وبين ذلك الأب الصَّالح سبعة آباءٍ(٣).

وقال مُقاتلٌ: كان أبوهما ذا أمانةٍ(٤).

قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

قال ابنُ الأنباريِّ: لما كان قوله: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ و﴿فَأَرَدْنَآ﴾ كل واحدٍ منهما يصلح أن يكون خبرًا عن الله ﷻ، وعن الخضرِ، أتبعهما بما يحصر الإرادة عليه، [٥١١/أ] ويزيلها عن غيرِه، ويكشف البغية من اللَّفظتين الأوَّلين.

وإنَّما قال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، لأنَّ العربَ تؤثر اختلاف الكلام على اتِّفاقه مع تساوي المعاني، لأنَّه أعذب على الألسنِ، وأحسن موقعًا في الأسماعِ، فيقول الرَّجلُ: قال لي فلان كذا، وأنبأني بما كان، وخبَّرني بما نال.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٧).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣٢) كما في زوائد المروزي، والحميدي في مسنده (٣٧٦)، وأبو داود في الزهد (٣٣٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٣٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٠) من طريق سعيد بن جبير، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٣) في حديث.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).

فأمَّـا الأشـدُّ فقـد سـبق ذكـرهُ في مواضـعَ(١)، ولـو أنَّ الخـضرَ لم يقـم الحائـط لنقـض وأُخـذ ذلـك الكنـزُ قبـل بلوغهـما.

قوله: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ أي: رحمهما الله بذلك.

﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ قال قتادةُ: كان عبدًا مأمورًا(٢).

فأمَّا قوله: ﴿تَسۡطِع﴾ فإنَّ استطاع واسطاع بمعنى واحد.

قوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا﴾.

قولـه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ قـد ذكرنـا سـبب نزولهـا عنـد قولـه تعـالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

واختلفوا في اسمِ ذي القرنين على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: عبد الله، قاله عليٌّ ﵇، وروي عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه عبد الله بنَ الضَّحاكِ.

والثاني: الإسكندر، قاله وهبٌ.

والثالث: عياش، قاله محمَّدُ بنُ عليِّ بن الحسينِ.

والرابع: الصعبُ بنُ جابر بن القلمس، ذكره ابنُ أبي خيثمةَ.

وفي علَّة تسميته بذي القرنين عشرة أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه دعـا قومـه إلى الله تعـالى، فضربـوه عـلى قرنـهِ فهلـك، فغبر زمانًـا، ثـم بعثـه الله، فدعاهـم إلى الله فضربـوه عـلى قرنـه الآخـر فهلـك، فذانك قرنـاه، قالـه عـليٌّ ﵇.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٢)، وسورة يوسف الآية رقم (٢٢)، وسورة الإسراء الآية رقم (٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

والثاني: أَنَّه سمِّي بذي القَرنين، لأَنَّه سار إلى مغربِ الشَّمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: لأنَّ صفحتي رأسِهِ كانتا من نحاسٍ.

والرابع: لأَنَّه رأى في المنام كأنَّه امتدَّ من السَّماءِ إلى الأرضِ وأخذ بقرني الشَّمسِ، فقصَّ ذلك على قومِهِ، فسمِّي بذي القَرنينِ.

والخامس: لأَنَّه ملكُ الرُّومِ وفارس.

والسادس: لأَنَّه كان في رأسِهِ شبه القرنين، رويت هذه الأقوالُ الأربعةُ عن وهب بن منبِّهٍ.

والسابع: لأَنَّه كانت له غديرتان من شعرٍ، قاله الحسنُ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: والعربُ تسمِّي الضفيرتين من الشَّعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين؛ قال: ومَن قال سمِّي بذلك لأَنَّه ملك فارس والرُّوم، قال: لأنَّهما عاليان على جانبين من الأرضِ، يقال لهما: قرنان.

والثامن: لأَنَّه كان كريم الطَّرفين من أهل بيتٍ ذوي شرفٍ.

والتاسع: لأَنَّه انقرض في زمانِهِ قرنان من النَّاس، وهو حيٌّ.

والعاشر: لأَنَّه سلك الظلمة والنُّور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو اسحاقَ الثَّعلبيُّ[1].

واختلفوا هل كان نبيًّا، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أَنَّه كان نبيًّا ، قاله عبد الله بنُ عمرٍو، والضَّحاكُ بنُ مزاحمٍ.

والثاني: أَنَّه كان عبدًا صالحًا، ولم يكن نبيًّا، ولا مَلِكًا، قاله عليٌّ عليه السلام.

---

(١) الكشف والبيان (١٧/ ٢٤٨).

وقال وهبٌ: كان ملكًا، ولم يُوْحَ إليه.

وفي زمان كونه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه من القرون الأُوُل من ولد يافث بن نوح، قاله عليٌّ عليه السلام. [٥١١/ب]

والثاني: أنَّه كان بعد ثمودَ، قاله الحسنُ.

ويقال: كان عمره ألفًا وست مائة سنةٍ.

والثالث: أنَّه كان في الفترةِ بين عيسى ومحمَّدٍ صلَّى الله عليهما وسلَّم، قاله وهبٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا﴾ أي: خبرًا يتضمَّن ذكره.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: سهلّنا عليه السير فيها.

قال عليٌّ عليه السلام: إنَّه أطاع الله، فسخَّر له السَّحاب فحمله عليه، ومدَّ له في الأسبابِ، وبسط له النُّور، فكان اللَّيلُ والنَّهارُ عليه سواء[1].

وقال مجاهدٌ: ملك الأرض أربعة: مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان: سليمانُ بنُ دوادَ، وذو القَرنين؛ والكافران النُّمرودُ، وبختنصَّر[2].

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: علمًا يتسبَّب به إلى ما يريد[3].

وقيل: هو العلمُ بالطُّرق والمسالكِ.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٤٧) لابن إسحاق، والفريابي، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر بلفظ أطول من هذا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٥٧١) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧١) من طريق علي بن طلحة،به. قال: علماً.

قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «فاتَّبع سَببًا» «ثم اتَّبع سَببًا» «ثم اتَّبع سَببًا» مشدَّدات التَّاءِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «فأَتْبعَ سَببًا» «ثم أَتْبعَ سَببًا» «ثم أَتْبع سَببًا» مقطوعاتٍ[١].

قال ابنُ الأنباريِّ: مَن قرأ «فاتَّبع سَببًا» فمعناه: قفا الأثر، ومن قرأ «فأَتْبعَ» فمعناه: لحق؛ يقال: أَتبعَنِي فلانٌ، أي: تبعني، كما يقال: ألحقني فلانٌ، بمعنى لحقني.

وقال أبو عليٍّ: أتبع تقديره: أتبع سبباً سبباً، فأتبع ما هو عليه سبباً، والسَّببُ: الطَّريقُ، والمعنى: تبع طريقًا يؤدِّيه إلى مغربِ الشَّمسِ[٢].

وكان إذا ظهر على قومٍ أخذ منهم جيشًا فسارَ بهم إلى غيرِهم.

قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿حَمِئَةٍ﴾، وهي قراءةُ ابنُ عبَّاسٍ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «حامية»، وهي قراءةُ عمرٍو، وعليٍّ، وابنِ مسعودٍ، والزُّبيرِ، ومعاويةَ، وأبي عبد الرَّحمنِ، والحسنِ، وعكرمةَ، والنَّخعيِّ، وقتادةَ، وأبي جعفرٍ، وشيبةَ، وابنِ مُحيصنٍ، والأعمشِ، كلهم لم يهمز[٣].

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٧)، والحجة (٥/ ١٦٦)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط(١/ ٢٨٢).

(٢) الحجة (٥/ ١٦٨).

(٣) السبعة (ص: ٣٩٨)، والحجة (٥/ ١٦٩)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

قال الزَّجَّاجُ: فمن قرأ: ﴿حَمِئَةٍ﴾ أراد في عينٍ ذَاتِ حمأةٍ، يقال: حَمأتُ البئر: إذا أخرجت حَمْأتَها؛ وأحمأتها: إذا ألقيت فيها الحمأة، وحمِئَتْ فهي حمئة: إذا صارت فيها الحمأةُ، ومَن قرأ: «حَامِيَةٌ» بغير همزٍ، أراد: حارةً، وقد تكون حارة ذات حمأة(١).

وروى قتادةُ عن الحسنِ، قال: وجدها تغرب في ماءٍ يغلي كغليان القدور، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ لباسهم جلودُ السِّباعِ، وليس لهم طعامٌ إلَّا ما أحرقت الشَّمس من الدوابِّ إذا غربت نحوها، وما لفظت العين من الحيتان إذا وقعت فيها الشَّمسُ.

وقال ابنُ السَّائبِ: وجد عندها قومًا مؤمنين وكافرين، يعني عند العينِ.

وربَّما توهَّم متوهِّمٌ أنَّ هذه الشَّمس على عظم قدرِها تغوصُ بذاتها في عين ماءٍ، وليس كذلك، فإنَّها أكبر من الدُّنيا مراراً، فكيف تسعها عين ماءٍ؟

وقيل: إنَّ الشَّمس بقدر الدُّنيا مائة وخمسين مرَّة، وقيل: بقدرِ الدُّنيا مائة وعشرين مرَّة، والقمر بقدرِ الدُّنيا ثمانين مرَّة. وإنَّما وجدها تغربُ
[٥١٢/أ] في العينِ كما يرى راكب البحرِ الذي لا يرى طرفه أنَّ الشَّمسَ تغيب في الماءِ، وذلك لأنَّ ذا القرنين انتهى إلى آخرِ البنيان فوجد عينًا حمئة ليس بعدها أحد.

قوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ فمن قال: إنَّه نبيٌّ، قال: هذا القول وحيٌ، ومَن قال: ليس بنبي، قال: هذا إلهامٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٨).

قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ قال المفسِّرونَ: إمَّا أن تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه، وإمَّا أن تأسرهم، فتبصرهم الرشد.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: أشركَ ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتلِ إذا لم يرجع عن الشِّركِ.

وقال الحسنُ: كان يطبخهم في القدورِ ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ بعد العذابِ ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بالنَّارِ.

قوله: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «جزاءُ الحسنى» رفع مضافٍ[1].

قال الفرَّاءُ: الحسنى الجنَّة، وأضيف الجزاءُ إليها، وهي الجزاءُ، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[الحاقة: ٥١]، و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥]، و﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ﴾[النحل: ٣٠][2].

قال أبو عليٍّ الفارسيِّ: المعنى: فله جزاء الخلال الحسنى، لأنَّ الإيمانَ والعمل الصَّالح خلال[3].

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: ﴿جَزَآءً﴾ بالنَّصبِ والتَّنوينِ.

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٨)، والحجة (٥/ ١٧٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ١٨٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٥٩).

(٣) الحجة (٥/ ١٧٠).

قال الزَّجَّاجُ: وهو مصدرٌ منصوبٌ على الحالِ، المعنى: فله الحُسنى مجزيًّا بها جزاء(١).

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: وقد يكون الجزاء غير الحسنى إذا تأول الجزاءِ بأنَّه الثَّواب؛ والحسنى الحسنة المكتسبة في الدُّنيا، فيكون المعنى: فله ثواب ما قدَّم من الحسنات.

قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ أي: نقولُ له قولًا جميلًا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا﴾[الكهف: ٨٩-٩١].

قوله: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا آخر يوصله إلى المشرق.

قال قتادةُ: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرِّجال إلَّا من آمن حتَّى أتى مطلع الشَّمس فأصاب قوماً في أسراب عراة، ليس لهم طعامٌ إلَّا ما أحرقت الشَّمس إذا طلعت، فإذا توسطت السَّماء خرجوا من أسرابهم في طلبِ معايشهم ممَّا أحرقته الشَّمسُ.

وبلغنا أنَّهم كانوا في مكانٍ لا يثبت عليه بنيان، فيقال: إنَّهم الزنج.

قال الحسنُ: كانوا إذا غربت الشَّمس خرجوا يتراعون كما يتراعى الوحش.

وقرأ الحسنُ، ومجاهدٌ، وأبو مجلَزٍ، وأبو رجاء، وابنُ مُحيصنٍ: «مطلَع الشَّمس» بفتح اللَّامِ(٢).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٩).

(٢) في الكامل (١/ ٥٩٣) عن الحسن، وابن محيصن، وحميد، وفي التحصيل (٤/ ٢١٦) عن ابن كثير وغيره.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: ولا خلاف بين أهل العربيَّة في أنَّ المطلِع، والمطلَع كلاهما يعنى بهما المكان الذي تطلع منه الشَّمسُ.

ويقولون: ما كان على فعل يفعل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المفعل، كقولهم: المدخل، للدُّخول، والموضع الذي يدخل منه، إلَّا أحد عشر حرفًا جاءت مكسورة إذا أريد بها الموضع، وهي: المطلع، والمسكن، والمنسك، والمشرق، والمغرب، والمسجد، والمنبت، والمجزر، والمفرق، والمسقط، والمهبل، الموضع الذي تضع فيه الناقة؛ وخمسةٌ من هؤلاء الأحد عشر حرفًا سُمع فيهن الفتح والكسر: المطْلِع، والمطلَع، والمنسِك والمنسَك، والمجزِر، والمجزَر، والمسكِن، والمسكَن، والمنبِت، والمنبَت؛ فقرأ الحسنُ على الأصل من احتمال المفعل الوجهين الموصوفين، [٥١٢/ ب] وقراءةُ العامَّةِ على اختيار العربِ وما كثر على ألسنتها، وخصَّت الموضع بالكسرِ، وآثرت المصدر بالفتحِ.

قال أبو عمرٍو: المطلِع، بالكسر: الموضع الذي تطلع فيه؛ والمطلَع، بالفتح: الطُّلوع؛ قال ابنُ الأَنبارِيِّ: هذا هو الأصلُ، ثمَّ إنَّ العربَ تتسع فتجعل الاسمَ نائبًا عن المصدرِ، فيقرؤون: «حتَّى مطلِع الفجرِ» [القدر: ٥] بالكسر وهم يعنون الطُّلوع؛ ويقرأ من قرأ «مطلَع» بالفتح على أنَّه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسمٌ للموضع الذي يدخل منه.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: كما بلغ مغرب الشَّمسِ بلغ مطلعها.

والثاني: اتَّبع سببًا كما اتبع سبباً.

والثالث: كما وجد أولئك عند مغربِ الشَّمسِ وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاءِ عند مطلعها وحكمَ فيهم.

والرابع: أنَّ المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك؛ ثمَّ استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ بما عنده ومعه من الجيوشِ والعددِ.

وحكى أبو سليمان الدِّمشقيُّ: ﴿بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عند مطلع الشَّمسِ، وقد سبق معنى الخبر(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾[الكهف: ٩٢-٩٨].

قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا ثالثًا بين المشرقِ والمغربِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾.

قال وهبُ بن منبِّهٍ: هما جبلان منيفان في السَّماءِ، من ورائهما البحر، من أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرضِ التُّركِ ممَّا يلي بلاد أرمينية(٢).

وروى عطاءٌ الخراسانيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: الجبلان من قبل أرمينيةَ وأذربيجانَ(٣).

---

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٦٨).

(٢) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٢٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٦).

واختلفَ القرَّاءُ في ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾:

فقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ بفتح السَّينِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ بضمِّها(١).

وهل المعنى واحدٌ، أم لا؟ **فيه قولان:**

أحدها: أنّه واحدٌ.

قال ابنُ الأعرابيِّ: كل ما قابلك فسدَّ ما وراءه، فهو سَدٌّ، وسُدٌّ، نحو: الضَّعف والضُّعف، والفَقر والفُقر(٢).

قال الكسائيُّ، وثعلبٌ: السَّد والسُّد لغتان بمعنى واحد، وهذا مذهبُ الزَّجّاجِ.

والثاني: أنّهما يختلفان.

وفي الفرق بينهما قولان:

أحدهما: أنَّ ما هو من فعلِ الله تعالى فهو مضمومٌ، وما هو من فعل الآدميين فهو مفتوحٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، وأبو عُبيدةَ(٣).

قال الفَرَّاءُ: وعلى هذا رأيتُ المشيخةَ وأهل العلمِ من النَّحويين.

والثاني: أنَّ السَّد، بفتح السَّين: الحاجز بين الشَّيئين، والسُّد، بضمِّها: الغشاوة في العينِ، قاله أبو عمرٍو بنُ العلاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ يعني: أمامَ السَّدين ﴿قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾.

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٤).

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بفتح الياءِ، أي: لا يكادون يفهمونه.

قال ابنُ الأنباريِّ: قال اللُّغويون: معناه أنَّهم يفهمون بعد إبطاء، وهو كقوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

قال المفسِّرون: وإنَّما كانوا كذلك لأنَّهم لا يعرفون غير لغتهم.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «يُفقِهون» بضمِّ الياءِ، أراد: يُفْهِمُون غيرهم. وقيل: كلَّم ذا القَرنين عنهم مترجمون ترجموا[1]. [٥١٣/أ]

قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هما اسمان أعجميَّانِ، وقد همزهما عاصمٌ[2].

قال اللَّيثُ: الهمزُ لغةٌ رديئةٌ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يأجوج رجلٌ، ومأجوج رجلٌ، وهما ابنا يافث بن نوح ﵇، فيأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبارٍ[3].

وقال عليٌّ ﵇ منهم من طوله شبرٌ، ومنهم مَن هو مفرط في الطُّول، ولهم من الشَّعر ما يواريهم من الحرِّ والبردِ.

وقال الضَّحاكُ: هم جيلٌ من التُّركِ.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٢)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٢) السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٢)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٢) من طريق أبي الجوزاء، به بلفظ: «يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ شِبْرٌ وَشِبْرَيْنِ، وَثَلَاثَةٌ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ آدَمَ».

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٥٧) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وقال السُّدِّيُّ: التُّركُ سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير، فجاء ذو القَرنين فضرب السَّدَّ، فبقيت خارجة.

وروى شقيقٌ عن حذيفةَ، قال: سألت رسولَ الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «**يَأْجُوجُ أُمَّةٌ، وَمَأْجُوجُ أُمَّةٌ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُمِائَةِ أُمَّةٍ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذَكَرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صُلْبِهِ، كُلٌّ وَاحِدٍ قَدْ حَمَلَ السِّلَاحَ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: «**هُمْ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مِنْهُمْ أَمْثَالُ الْأَرْزِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْأَرْزِ؟ قَالَ: «**شَجَرٌ بِالشَّامِ طُولُ الشَّجَرَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ ذِرَاعٍ فِي السَّمَاءِ، وَصِنْفٌ مِنْهُمْ عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاءٌ عِشْرُونَ وَمِائَةُ ذِرَاعٍ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَقُومُ لَهُمْ جَبَلٌ وَلَا حَدِيدٌ، وَصِنْفٌ مِنْهُمْ يَفْتَرِشُ بِأُذُنِهِ، وَيَلْتَحِفُ بِالْأُخْرَى، لَا يَمُرُّونَ بِفِيلٍ وَلَا وَحْشٍ وَلَا جَمَلٍ وَلَا خِنْزِيرٍ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَكَلُوهُ، مُقَدِّمَتُهُمْ بِالشَّامِ، وسَاقَتُهُمْ بِخُرَاسَانَ، يَشْرَبُونَ أَنْهَارَ الْمَشْرِقِ، وَبُحَيْرَةَ طَبَرِيَّةَ**»(١).

قوله: ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ **في هذا الفسادُ أربعة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ.

والثاني: أنَّهم كانوا يأكلون النَّاس، قاله سعيدُ بنُ عبد العزيز.

والثالث: يخرجون إلى الأرضِ الذين شكوا منهم أيام الرَّبيع، فلا يدعون شيئًا أخضرَ إلَّا أكلوه، ولا يابسًا إلَّا احتملوه إلى أرضِهم، قاله ابنُ السَّائبِ.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٨٥٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٦) من طريق يحيى بن سعيد العطار، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، به، بنحوه.
وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يحيى بن سعيد العطار، وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، ولم يصرح بالتحديث.

والرابع: كانوا يقتلون النَّاس، قاله مُقَاتِلٌ[(١)].

قوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألفٍ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «خراجًا» بألفٍ[(٢)].

وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهما لغتان بمعنى واحد، قاله أبو عُبيدةَ، واللَّيث.

والثاني: أنَّ الخرج: ما تبرَّعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه، قاله أبو عمرو بنِ العلاءِ.

قال المفسِّرون: المعنى: هل نخرجُ إليك من أموالنا شيئًا كالجعل لك؟

قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «مكنني» بنونين، وكذلك هي في مصاحفِ مكَّةَ[(٣)].

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ: ﴿مَكَّنِّي﴾ بالتَّشديدِ[(٤)]، أدغم النُّونَ في النُّونِ لاجتماع النُّونين، ومَن قرأ: «مكنني» أظهرَ النُّونين، لأنَّهما من كلمتين، الأولى من الفعلِ، والثَّانية تدخل مع الاسمِ المضمرِ[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠١).

(٢) السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٣ـ ٢٨٤).

(٣) هي قراءة ابن كثير وحده: «ما مكنني»، وانظر: السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٦)، والمبسوط (١/ ١٨٤).

(٤) في الأصل، و(ر): (بنونين بالتشديد)، والمثبت من (س).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٠).

وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان:

أحدهما: أنَّه العلم بالله؛ وطلب ثوابه.

والثاني: ما ملك من الدُّنيا، والمعنى: الذي أعطاني الله خيرٌ ممَّا [٥١٣/ ب] تبذلون لي.

قوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ **فيها قولان:**

أحدهما: أنَّها الرِّجال، قاله مجاهدٌ، ومُقاتلٌ[١].

والثاني: الآلة، قاله ابنُ السَّائبِ.

فأمَّا الرَّدمُ، فهو: الحاجزُ.

قال الزَّجَّاجُ: والرَّدمُ في اللُّغة أكبر من السَّدِّ، لأنَّ الرَّدمَ: ما جعل بعضه على بعضٍ، يقال: ثوبٌ مردم: إذا كان قد رقع رقعة فوق رقعة[٢].

قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ﴾.

قرأ الجمهورُ: ﴿رَدۡمًا﴾ ﴿ءَاتُونِي﴾ أي: أعطوني.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ردمٍ» «إيتوني» بكسر التَّنوين، أي: جيئوني بها[٣].

قال ابنُ عبَّاسٍ: احملوها إليَّ[٤].

وقال مُقاتلٌ: أعطوني[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١١).

(٣) السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٤-١٧٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٤).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٦٠١).

وقال الفَرَّاءُ: المعنى: إيتوني بها، فلمّا ألقيت الياء زيدت ألف[١].

فأمَّا الزُّبَرُ، فهي: القطع، واحدتها: زُبرةٌ؛ والمعنى: فأتوه بها فبناه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ روى أبانُ: «إذا سوَّى» بتشديدِ الواوِ من غير ألفٍ[٢].

قال الفَرَّاءُ: ساوى وسوَّى سواءٌ[٣].

واختلف القُرَّاء في ﴿ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾:

فقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «الصُّدُفين» بضمِّ الصَّادِ والدَّالِ، وهي: لغةُ حِمْيَر.

وروى أبو بكرٍ والمُفَضَّلُ عن عاصمٍ: «الصُّدْفين» بضمِّ الصَّادِ وتسكينِ الدَّالِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وخلفٌ، بفتحِ الصَّادِ والدَّال جميعًا، وهي لغةُ تميمٍ، واختارها ثعلبٌ[٤].

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ، وابنُ يعمرَ: «الصَّدُفين» بفتحِ الصَّادِ ورفعِ الدَّالِ.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو عمرانَ، والزُّهريُّ، والجَحْدريُّ برفعِ الصَّادِ

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥)، عن قتادة، وأبان عن عاصم، وعن قتادة في المحرر (٩/ ٤٠٦)، والكامل (١/ ٥٩٤).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٦٠).

(٤) السبعة (ص: ٤٠١)، والحجة (٥/ ١٧٧)، والتيسير (ص: ١٤٦).

وفتـح الـدَّالِ[١].

قـال ابـنُ الأَنبـارِيِّ: ويقـال: صُـدَفَ، عـلى مثـال نُغَـر، وكل هـذه لُغـاتٌ في الكلمـةِ.

قال أبو عُبيدةَ: الصَّدفان: جنبا الجبلِ[٢].

قـال الأزهـريُّ: يقـال لجانبـي الجبـلِ: صدفـان، إذا تحاذيـا، لتصادفهـما، أي: لتلاقيهـما[٣].

قـال المفسِّرون: حشـا مـا بـين الجبلـين بالحديـدِ، ونسـج بـين طبقـاتِ الحديـدِ الحطـبِ والفحـمِ، ووضـع عليهـا المنافيـخ، ثـمَّ ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ فنفخـوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ يعنـي: الحديـد، وقيـل: الهـاء ترجـعُ إلى مـا بـين الصَّدفـين ﴿نَارًا﴾ أي: كالنَّـارِ، لأنَّ الحديـد إذا أحمـي بالفحـمِ والمنافيـخ صـار كالنَّـارِ، ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾.

قـرأ ابـنُ كثيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وابـنُ عامـرٍ، والكسـائيُّ: «آتـوني» ممـدودة؛ والمعنـى: أعطـوني.

وقـرأ حمـزةُ، وأبـو بكـرٍ عـن عاصـمٍ: «إيتـوني» مقصـورة؛ والمعنـى: جيئـوني بـه أفرغـه عليـه[٤].

وفي القطر أربعة أقوالٍ:

---

(١) المحتسب (٢/ ٣٤)، والمحرر (٣/ ٥٤٣)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٧).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤١٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٢/ ١٠٤).

(٤) تقدم قريبًا.

أحدها: أنَّه النَّحاسُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ(١).

والثاني: أنَّه الحديدُ الذَّائبُ، قاله أبو عُبيدةَ(٢).

والثالث: الصُّفْر المذاب، قاله مُقاتلٌ(٣).

والرابع: الرَّصاصُ، حكاه ابنُ الأنبارِيِّ.

قال المفسِّرون: أذاب القطر ثمَّ صبَّه عليه، فاختلط والتصق بعضه ببعض حتَّى صار جبلاً صلدًا من حديدٍ وقطرٍ.

قال قتادةُ: فهو كالْبُرْدِ الْمُحَبَّر، طريقة سوداء وطريقة حمراء(٤).

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ أصله: فما استطاعوا، فلمَّا كانت التَّاء والطَّاء من مخرج واحد أحبُّوا التَّخفيف فحذفوا.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما تقول العربُ: اسطاع، تخفيفًا، كما قالوا: سوف يقوم، وسيقوم، فأسقطوا الفاءَ.

قوله تعالى: ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوه، يقال: ظهر فلانٌ فوق البيتِ: [٥١٤/أ] إذا علاه، والمعنى: ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وإملاسه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ من أسفلِهِ لشدَّتِهِ وصلابته.

وروى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي**

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤١٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ فَيَرَوْنَهُ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ»، وذكر باقي الحديث(١)، وقد ذكرت هذا الحديث بطولِهِ وأشباهه في كتاب الحدائق، فكرهت التَّطويل هاهنا.

قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ لما فرغ ذو القرنين من بنيانه قال هذا.

وفيما أشار إليه قولان:

أحدُهما: أنَّه الرَّدمُ، قاله مُقاتلٌ(٢)؛ قال: فالمعنى: هذا نعمةٌ من ربِّي على المسلمين لئلَّا يخرجوا إليهم.

والثاني: أنَّه التَّمكينُ الذي أدرك به عمل السَّدِّ، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ **فيه قولان:**

أحدُهما: القيامة.

والثاني: وعده لخروج يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «دكًّا» منونًا غير مهموزٍ ولا ممدودٍ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦٤٣٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٨)، وإسناده صحيح.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٢).

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿دَكَّآءَ﴾ ممدودةٌ مهموزةٌ بلا تنوينٍ(١).

وقد شرحنا معنى الكلمة في الأعرافِ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ أي: الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾[الكهف: ٩٩-١٠٠].

قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ في المشار إليهم ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم يأجوجُ ومأجوجُ.

ثمَّ في المراد بـ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّه يوم انقضى أمر السدِّ، تُركوا يموج بعضهم في بعضٍ من ورائهِ مختلطين لكثرتهم؛ وقيل: ماجوا متعجِّبين من السدِّ، **والثاني**: أنَّه يوم يخرجون من السدِّ تركوا يموج بعضُهم في بعضٍ.

والثاني: أنَّهم الكفَّارُ.

والثالث: أنَّهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى.

فعلى هذين القولين، المرادُ باليوم المذكور يوم القيامةِ.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هذه نفخةُ البعثِ.

وقد شرحنا معنى الصُّورِ في الأنعامِ(٣).

---

(١) السبعة (ص: ٢٩٣)، والحجة (٥/ ١٨٢)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٣).

قوله: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتَّى شاهدوها.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ﴾ يعني: أعينُ قلوبهم ﴿فِي غِطَآءٍ﴾ أي: في غفلةٍ ﴿عَن ذِكۡرِي﴾ أي: عن توحيدي والإيمان بي وبكتابي ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ هذا لعداوتهم وعنادهم وكراهتهم ما ينذرون به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾[الكهف: ١٠٢].

قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: أفظنَّ المشركون ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي﴾.

في هؤلاء العباد ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم الشَّياطينُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الأصنام، قاله مُقاتلٌ(١).

والثالث: الملائكةُ والمسيحُ وعزيرٌ وسائرُ المعبوداتِ من دونِه، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ. [٥١٤/ب]

قوله: ﴿مِن دُونِيٓ﴾:

فتح هذه الياء نافعٌ، وأبو عمرٍو(٢).

وجوابُ الاستفهامِ في هذه الآية محذوفٌ، **وفي تقديره قولان:**

أحدهما: أفحسبوا أن يتَّخذوهم أولياء، كلَّا بل هم أعداءٌ لهم يتبرَّؤون منهم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٤).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤٠٢)، والتيسير (ص: ١٤٧).

والثاني: أن يتَّخذوهم أولياء ولا أغضب ولا أعاقبهم.

وروى أبانُ عن عاصمٍ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «أفحسْبُ» بتسكينِ السِّين وضمِّ الباءِ، وهي قراءةُ عليٍّ عليه السلام، وابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وابنُ يعمرَ، وابنُ مُحيصنٍ[1]؛ ومعناها: أفيكفيهم أن يتَّخذوهم أولياءَ؟

فأمَّا النُّزل ففيه قولان:

أحدهما: أنه ما يُهيَّأ للضَّيف والعسكر، قاله ابنُ قُتيبةَ[2].

والثاني: أنَّه المنزل، قاله الزَّجَّاجُ[3].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[الكهف: ١٠٣-١٠٦].

قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم القِسِّيسون والرُّهبان، قاله عليٌّ عليه السلام، والضَّحاكُ.

والثاني: اليهودُ والنَّصارى، قاله سعدُ بنُ أبي وقاصٍ.

قوله: ﴿أَعْمَالًا﴾ منصوبٌ على التَّمييز، لأنَّه لما قال: بالأخسرينَ كان ذلك مبهمًا لا يدلُّ على ما خسروه، فبيَّنَ ذلك في أي نوعٍ وقعَ.

---

(١) انظر: الكامل (ص: ٥٩٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٤).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ أي: بطل عملُهم واجتهادهم في الدُّنيا، وهم يظنُّون أنَّهم مُحسنون بأفعالهم، فرؤساؤهم يعلمون الصَّحيح، ويُؤثرون الباطل لبقاء رئاستهم، وأتباعهم مقلِّدون بغير دليلٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعثِ والجزاءِ، وذلك أنَّهم بكفرِهم برسولِ الله ﷺ والقرآن صاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بطل اجتهادهم، لأنَّه خلا عن الإيمانِ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والجَحْدريُّ: «فلا يقيم» بالياءِ(١).

وفي معناه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه إنَّما يثقل الميزان بالطَّاعةِ، وإنَّما توزنُ الحسناتُ والسَّيئاتُ، والكافرُ لا طاعةَ له.

والثاني: أنَّ المعنى: لا نقيم لهم قدرًا.

قال ابنُ الأعرابيِّ في تفسير هذه الآية: يقال: ما لفلان عندنا وزنٌ، أي: قدرٌ، لخسَّته.

فالمعنى: أنَّهم لا يعتدُّ بهم، ولا يكون لهم عند الله قدرٌ ولا منزلةٌ.

وقد روى أبو هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾**»(٢).

---

(١) عن عبيد بن عمير في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٣١) وزاد مجاهدًا.

(٢) متَّفق عليه: البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

والثالث: أنَّه قال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ لأنَّ الوزنَ عليهم لا لهم، ذكره ابنُ الأنبارِيِّ.

قولـه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ أي: الأمـرُ ذلـك الـذي ذكـرت مـن بطـلان عملهـم وخسَّـة قدرهـم، ثـمَّ ابتـدأ فقـال: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، وقيـل: المعنـى: ذلـك التَّصغـير لهـم، وجزاؤهـم جهنَّـم، فأضمـرت واو الحـال.

قولـه: ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ أي: بكفرهـم واتِّخاذهـم ﴿ءَايَٰتِي﴾ التـي أنزلتهـا ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: مهـزوءًا بـه.

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[الكهـف: ١٠٧-١٠٨].

قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾.

[٥١٥/أ] قال ابنُ الأنباريِّ: كانت لهم في علمِ الله قبل أن يُخلقوا.

وروى البخـاريُّ ومسـلمٌ في الصَّحيحـين مـن حديـثِ أبي موسـى عـن النَّبـيِّ ﷺ أنَّـه قـال: «جِنَـانُ الْفِـرْدَوسِ أَرْبَـعٌ: ثِنْتَـانِ مِـنْ ذَهَـبٍ، حِلْيَتُهُـمَا وَآنِيَتُهُـمَا، وَثِنْتَـانِ مِـنْ فِضَّـةٍ، حِلْيَتُهُـمَا وَآنِيَتُهُـمَا، وَلَيْـسَ بَـيْنَ الْقَـوْمِ وَبَـيْنَ أَنْ يَنْظُـرُوا إِلَى رَبِّهِـمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَـاءِ عَـلَى وَجْهِـهِ فِي جَنَّـةِ عَـدْنٍ»[١].

وروى عبـادةُ بـنُ الصَّامـتِ عـن رسـولِ الله ﷺ أنَّـه قـال: «الْجَنَّـةُ مِائَـةُ دَرَجَـةٍ مَـا بَـيْنَ كُلِّ دَرَجَتَـيْنِ كَـمَا بَـيْنَ السَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِـرْدَوْسُ أَعْلَاهَـا، وَمِنْهَـا تَفَجَّـرُ الْأَنْهَـارُ الْأَرْبَعَـةُ، وَإِذَا سَـأَلْتُمُ اللهَ فَاسْـأَلُوهُ الْفِـرْدَوْسَ»[٢].

---

(١) متفـق عليـه: البخـاري (٧٤٤٤)، ومسـلم (١٨٠)، وقـد سـاقه المؤلـف بالمعنـى، ولفظـه: «جَنَّتَـانِ مِـنْ فِضَّـةٍ آنِيَتُهُـمَا، وَمَـا فِيهِـمَا، وَجَنَّتَـانِ مِـنْ ذَهَـبٍ آنِيَتُهُـمَا، وَمَـا فِيهِـمَا، وَمَـا بَـيْنَ الْقَـوْمِ وَبَـيْنَ أَنْ يَنْظُـرُوا إِلَى رَبِّهِـمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَـاءِ عَـلَى وَجْهِـهِ فِي جَنَّـةِ عَـدْنٍ».

(٢) رواه أحمـد (٣٧/ ٣٦٩)، والترمـذي (٢٥٣١)، وابـن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٢)،=

قال أبو أمامةَ: الفردوسُ سرة الجنَّة[١].

قال مجاهدٌ: الفردوسُ: البستانُ بالرُّوميَّةِ[٢].

وقال كعبٌ[٣]، والضَّحاكُ: جنَّاتُ الفردوسِ: جنَّاتُ الأعنابِ.

قال الكلبيُّ، والفرَّاءُ: الفردوسُ: البُستانُ الذي فيه الكرمُ[٤].

وقال المبرِّدُ: الفردوسُ فيما سمعت من كلامِ العربِ: الشَّجرُ الملتفُّ، والأغلب عليه العنب.

وقال ثعلبٌ: كلُّ بستانٍ يحوط عليه فهو فردوسٌ، قال عبد الله بنُ رواحةَ[٥]:

فِي جِنَانِ الْفِرْدَوسِ لَيْسَ يَخَافُو نَ خُرُوجًا عَنْهَا وَلَا تَحْوِيلا

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغوي قال: قال الزَّجَّاجُ: الفردوسُ أصله روميٌّ أُعرب، وهو البستانُ، كذلك جاء في التَّفسيرِ، وقد قيل: الفردوس تعرفه العربُ، وتسمِّي الموضع الذي فيه كرم: فردوسًا.

وقال أهل اللُّغة: الفردوسُ مذكَّرٌ، وإنَّما أُنِّث في قوله تعالى: ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] لأنَّه عني به الجنَّة.

=والشاشي في مسنده (١٢٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٢٦).

(١) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٤٥١)، وابن جرير الطبري (١٥/ ٤٣١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٢) من طريق عبد الله بن كثير، به.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٤١١١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٢) من طريق عبد الله بن الحارث، به.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

(٥) البيت في الزاهر (١/ ٥٠٣)، والمذكر والمؤنث (١/ ٤٩٩).

وقال الزَّجَّاجُ: وقيل: الفردوسُ: الأوديةُ التي تنبت ضروبًا من النَّبتِ، وقيل: هو بالروميَّةِ منقولٌ إلى لفظ العربيَّة، قال: والفردوسُ أيضاً بالسِّريانيَّةِ كذا لفظه: فردوس، قال: ولم نجده في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، وبيت حسان: [من الطويل][1]

وَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ

وقال ابنُ الكلبيِّ بإسناده: الفردوس: البُستانُ بلغة الرُّوم، وقال الفَرَّاءُ: وهو عربيٌّ أيضًا، والعربُ تسمِّي البُستان الذي فيه الكرمُ فردوساً[2].

وقال السُّدِّيُّ: الفردوسُ أصله بالنبطيَّة فرداسا[3].

وقال عبدُ الله بنُ الحارث: الفردوس: الأعناب[4].

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿نُزُلًا﴾ آنفًا[5].

قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لا يريدون عنها تحولاً، يقال: قد حال من مكانِهِ حولاً، كما قالوا في المصادر: صغُر صغَرًا، وعظُم عظَمًا، وعادني حبُّها عودًا؛ قال: وقد قيل أيضًا: إنَّ الحول: الحيلة، فيكون المعنى: لا يحتالون منزلاً غيرها[6].

---

(١) البيت لحسان في ديوانه (ص: ٣٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٥)، والزاهر (١/ ٥٠٣)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٠٤)، ولسان العرب (٦/ ١٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٠٠٩).

(٤) انظر: المعرب (ص: ٤٧٠).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٩٨).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٥).

فإن قيل: قد علم أنَّ الجنَّةَ كثيرةُ الخيرِ، فما وجه مدحها بأنَّهم لايبغون عنها حولاً؟

فالجوابُ: أنَّ الإنسانَ قد يجد في الدَّار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دارِ أخرى، وقد يمل، والجنَّة على خلاف ذلك. [٥١٥/ب]

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[الكهف: ١٠٩].

قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾.

سبب نزولها: أنَّه لما نزلَ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهودُ: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علمُ كلِّ شيءٍ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ[١].

ومعنى الآية: لو كان ماء البحرِ مدادًا يكتب به.

قال مجاهدٌ: والمعنى: لو كان البحرُ مدادًا للقلمِ، والقلم يكتب[٢].

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: سمِّي المدادُ مداداً لإمدادِهِ الكاتب، وأصلُه من الزِّيادةِ ومجيء الشَّيءِ بعد الشَّيءِ.

وقرأ الحسنُ، والأعمشُ: «مددًا لكلماتِ ربِّي» بغير ألفٍ[٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٥)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي (١١٢٥٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٩)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٤٥٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٢١).

قوله: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿تَنفَدَ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «ينفد» بالياءِ[١].

قال أبو عليٍّ: التَّأنيثُ أحسنُ، لأنَّ المسند إليه الفعل مؤنَّث، والتَّذكيرُ حسنٌ، لأنَّ التَّأنيثَ ليس بحقيقي، وإنَّما لم تنفد كلمات الله، لأنَّ كلامه صفة من صفات ذاتِه، ولا يتطرق على صفاته النفادُ[٢] ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي: بمثلِ البحرِ ﴿مَدَدًا﴾ أي: زيادة؛ والمدد: كل شيءٍ زاد في شيءٍ[٣].

فإن قيل: لم قال في أوَّل الآية: مداداً وفي آخرها: مددًا وكلاهما بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأنبارِيِّ فقال: لما كان الثَّاني آخر آية، وأواخر الآيات هاهنا أتت على الفعل، والفعل، كقوله: نُزُلاً هُزُوًا حِوَلاً كان قوله: مددًا أشبه بهؤلاء الألفاظِ من المدادِ، واتِّفاق المقاطع عند أواخر الآي، وانقضاء الأبيات، وتمام السجع والنَّثر أخفُّ على الألسنِ، وأحلى موقعًا في الأسماعِ، فاختلفت اللَّفظتان لهذه العلَّةِ.

وقد قرأ ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وأبو رجاء، وقتادةُ، وابنُ مُحيصنٍ: «ولو جئنا بمثله مدادًا» فحملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع.

وقراءة الأولين أبينُ حجَّة، وأوضح منهاجًا.

---

(١) السبعة (ص: ٤٠٢)، والحجة (٥/ ١٨٣)، والمبسوط (ص: ٢٨٥).

(٢) في الأصل، و(ر): (النفاذ)، والمثبت من بقية (م)، و(س).

(٣) الحجة (٥/ ١٨٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: علم الله تعالى رسوله التواضع لئلَّا يزهى على خلقه، فأمره أن يقر على نفسِهِ بأنَّه آدمي كغيرِهِ، إلَّا أنَّه أُكرمَ بالوحي(١).

قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾.

سبب نزولها: أنَّ جُندب بنَ زهيرٍ الغامدي قال لرسول الله ﷺ: إنِّي أعمل العمل فإذا اطُّلع عليه سرَّني، فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طيِّبًا، وَلَا يَقْبَلُ مَا رُوئِيَ فِيهِ»**، فنزلت فيه هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ(٢).

وقال طاووسُ: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي أحبُّ الجهادَ وأحبُّ أن يُرى مكاني، فنزلت هذه الآيةُ(٣).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٢).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٩٩) بلا إسناد عن ابن عباس، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٥٨٠) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح، عن ابنِ عباسٍ، قَالَ: كَانَ جُنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ إِذَا صَلَّى، أَوْ صَامَ أَوْ تَصَدَّقَ، فَذُكِرَ بِخَيْرٍ ارْتَاحَ، فَزَادَ فِي ذَلِكَ لِمَقَالَةِ النَّاسِ، فَلَا يُرِيدُ بِهِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٧)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ٤٤٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٦) من طريق عبد الكريم الجزري، عن طاوس مرسلًا. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٦٤٣٨) بذكر ابن عباس.

وقال مجاهدٌ: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: إنِّي أتصدَّقُ، وأصل الرَّحم، ولا أصنع ذلك إلَّا لله تعالى، فيُذكر ذلك منِّي وأُحمد عليه فيسرُّني ذلك وأُعجب به، فسكت رسولُ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ[1].

وفي قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ قولان:

أحدهما: يخاف، قاله ابنُ قُتيبةَ[2]. [٥١٦/أ]

والثاني: يأمل، وهو اختيار الزَّجَّاج[3].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: المعنى: فمن كان يرجو لقاءَ ثواب ربِّه.

قال المفسِّرون: وذلك يوم البعثِ والجزاءِ.

﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ لا يرائي به ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: لا يرائي[4].

قال معاويةُ بنُ أبي سفيانَ: هذه آخرُ آيةٍ نزلت من القرآنِ[5].

---

(١) رواه هناد في الزهد (٢/ ٤٣٥) عن مجاهد مرسلاً، بلفظ قريب.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧١)

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٦).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤٣٩).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤١) من طريق عمرو بن قيس الكندي، به، بنحوه.

سورة مريم

وهي مكيَّةٌ بإجماعهم من غير خلافٍ علمناه.

وقال مُقاتلٌ: هي مكيَّةٌ غير سجدتها، فإنَّها مدنيَّةٌ(١).

وقال هبةُ الله المفسِّر(٢): هي مكيَّةٌ غير آيتين منها، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ والتي تليها [مريم: ٦٠- ٥٩](٣).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾ [مريم: ١- ٦].

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «كهَيَعص ذكر» بفتحِ الهاءِ والياءِ، وتبيين الدَّال التي في هجاءِ صاد.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦١٩).

(٢) هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم البغدادي الضرير المفسر صاحب الناسخ و المنسوخ، إمام حافظ، قال الداني: كان أحفظ أهل زمانه لتفسير القرآن واختلاف السلف فيه، توفي ببغداد سنة (٤١٠هـ)، وانظر ترجمته: غاية النهاية (٢/ ٣٥١)، وطبقات المفسرين (٢/ ٣٤٨).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ (ص:١١٨).

وقرأ أبو عمرٍو: «كهِيَعص» بكسرِ الهاءِ وفتح الياءِ ويدغم الدَّال في الذَّالِ.

وكان نافعٌ يلفظ بالهاءِ والياءِ بين الكسرِ والفتحِ، ولا يدغم الدَّالَ التي في هجاءِ صاد في الذَّال من «ذكر».

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ، والكسائيُّ، بكسر الهاءِ والياءِ، إلَّا أنَّ الكسائيَّ لا يبين الدَّال، وعاصمٌ يبينها.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، بفتح الهاءِ وكسر الياءِ ويدغمان(١).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ: «كهُيَعص» برفعِ الهاءِ وفتح الياءِ(٢).

وقد ذكرنا في أوَّلِ البقرةِ ما يشتمل على بيانِ هذا الجنسِ، وقد خصَّ المفسِّرون هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها حروفٌ من أسماءِ الله تعالى، قاله الأكثرون.

ثم اختلف هؤلاءِ في الكاف من أي اسم هو، على أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه من اسمِ الله الكبير.

والثاني: من الكريم.

والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه من الملك، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

فأمَّا الهاءُ، فكلُّهم قالوا: هي من اسمِهِ الهادي، إلَّا القرظي فإنَّه قال: من اسمِه الله.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٦)، والحجة (٥/ ١٨٤)، والتيسير (ص: ١٤٧).

(٢) وعن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦).

وأمَّا الياء، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها من حكيمٍ.

والثاني: من رحيمٍ.

والثالث: من أمينٍ، روى هذه الأقوال الثَّلاثة سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

فأمَّا العينُ ففيها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها من عليمٍ.

والثاني: من عالمٍ.

والثالث: من عزيزٍ، رواها أيضًا سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّها من عدلٍ، قاله الضَّحاكُ.

وأمَّا الصادُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها من صادقٍ.

والثاني: من صدوق، رواهما سعيدُ بنُ جبيرٍ أيضًا عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: من الصَّمد، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

والقول الثَّاني: أنَّ «كهيعص» قسم أقسم الله به، وهو من أسمائِهِ، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وروي عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: هو اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، وروي عنه أنَّه كان يقول: يا كهيعص اغفر لي[1].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥١) من طريق أبي بكر الهذلي، عن عاتكة، عن فاطمة ابنة علي به.

قال الزَّجَّاجُ: والقسمُ بهذا والدُّعاءُ لا يدلُّ على أنَّه اسمُ واحدٍ، لأنَّ الدَّاعي إذا علم أنَّ الدَّعاءَ بهذه الحروفِ يدلُّ على صفاتِ الله فدعا بها، فكأنَّه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها، فكأنَّه قال: والكافي الهادي العالم الصادق، وأسكنت هذه الحروفُ لأنَّها حروفٌ [٥١٦/ب] تهجٍّ، النيةُ فيها الوقفُ(١).

والثالث: أنَّه اسمٌ للسورةِ، قاله الحسنُ ومجاهدٌ.

والرابع: اسمٌ من أسماءِ القرآنِ، قاله قتادةُ.

فإن قيل: لم قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتَّفق المباني كما اتَّفقت العلل؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأنبارِيِّ فقال: حروفُ المعجمِ التِّسعة والعشرون تجري مجرى الرِّسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتِّفاق الألفاظِ واستواء الأوزان، كما يستقبحونَ ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيرون بعضَ الكلمِ ليختلف الوزن وتتغيَّر المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسنِ وأحلى في الأسماعِ.

قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: الذكرُ مرفوعٌ بالمضمرِ، المعنى: هذا الذي نتلو عليك: ذكر رحمة ربِّك عبده(٢).

قال الفَرَّاءُ: وفي الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ المعنى: ذكر ربك عبده

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٨).

بالرَّحمـةِ، وزكريـا في موضـع نصـبٍ[١].

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ النداءُ هاهنا بمعنى الدُّعاء.

وفي علَّة إخفائه لذلك ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: ليبعد عن الرِّياء، قاله ابنُ جريجٍ.

والثـاني: لئـلَّا يقـول النَّـاس: انظـروا إلى هـذا الشَّـيخ يسـأل الولـد عـلى الكـبر، قالـه مُقاتـلٌ[٢].

والثالـث: لئـلَّا يعاديـه بنـو عمِّـه، ويظنُّـوا أنَّـه كـره أن يلـوا مكانـه بعـده، ذكـره أبـو سـليمانَ الدِّمشـقيُّ.

وهــذه القصَّــة تــدلُّ عــلى أنَّ المسـتحب إسرار الدُّعــاءِ، ومنـه الحديـثُ: «**إِنَّكُـمْ لاَ تَدْعُـونَ أَصَـمَّ**»[٣].

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾.

وقرأ معاذٌ القارئ، والضَّحاكُ: «وَهُنَ» بضمِّ الهاءِ، أي: ضعف[٤].

قــال الفَــرَّاءُ: وغـيره: وهَــن العظـم، ووهِــن، بفتـح الهـاءِ وكسرهـا؛ والمسـتقبل عـلى الحالـين كليهـما: يهِـنُ[٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٠).

(٣) متفـق عليـه: رواه البخـاري (٢٩٩٢)، ومسـلم (٢٧٠٤) مـن حديـث أبي موسـى الأشـعري قَـالَ: كُنَّـا مَـعَ النَّبِـيِّ ﷺ فِي سَـفَرٍ، فَجَعَـلَ النَّـاسُ يَجْهَـرُونَ بِالتَّكْبِـيرِ، فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «أَيُّهَـا النَّـاسُ ارْبَعُـوا عَـلَى أَنْفُسِـكُمْ، إِنَّكُـمْ لَيْـسَ تَدْعُـونَ أَصَـمَّ وَلَا غَائِبًـا، إِنَّكُـمْ تَدْعُـونَ سَـمِيعًا قَرِيبًـا، وَهُـوَ مَعَكُـمْ».

(٤) عن بعضهم في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦).

(٥) لغات القرآن (ص: ٨٩).

وأراد أنَّ قوَّة عظامه قد ذهبت لكبرِهِ؛ وإنَّما خصَّ العظمَ، لأنَّه الأصلُ في التَّركيبِ.

وقال قتادةُ: شكا ذهاب أضراسِهِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ يعني: انتشرَ الشَّيبُ فيه، كما ينتشرُ شعاعُ النَّارِ في الحطبِ، وهذا من أحسنِ الاستعاراتِ.

﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بدعائي إيَّاك ﴿رَبِّ شَقِيّٗا﴾ أي: لم أكن أتعب بالدُّعاء ثمَّ أخيَّب، لأنَّك قد عوَّدتني الإجابة؛ يقال: شقي فلانٌ بكذا، إذا تعب بسببِهِ، ولم ينلْ مرادَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ يعني: الذين يلونه في النَّسبِ وهم بنو العمِّ والعصبة ﴿مِن وَرَآءِي﴾ أي: من بعد موتي.

وفي ما خافهم عليه قولان:

أحدُهما: أنَّه خاف أن يرثوه، قاله ابنُ عبَّاسٍ، فإن اعترض عليه معترضٌ، فقال: كيف يجوز لنبيٍّ أن يَنْفَسَ على قراباته بالحقوقِ المفروضةِ لهم بعد موته؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّه لما كان نبيًّا، والنَّبي لا يورث، خافَ أن يرثوا مالَه فيأخذوا ما لا يجوز لهم.

والثاني: أنَّه غلب عليه طبعُ البشرِ، فأحبَّ أن يتولَّى ماله ولده، ذكرهما ابنُ الأنباريِّ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥).

قلت: وبيانُ هذا أنَّه لا بدَّ أن يتولَّى ماله و إن لم يكن ميراثًا، فأحبَّ أن يتولَّاه ولده.

والقول الثاني: أنَّه خاف تضييعهم للدِّين ونبذهم إيَّاه، ذكره جماعةٌ [٥١٧/أ] من المفسِّرين.

وقرأ عثمانُ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وابنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وابنُ أبي شُريحٍ عن الكسائيِّ: «خَفَّتِ» بفتح الخاءِ وتشديدِ الفاءِ[١]؛ على معنى قلَّت، فعلى هذا يكون إنَّما خاف على علمِهِ ونبوَّتِهِ ألَّا يورثا فيموت العلمُ.

وأسكن ابنُ شهابٍ الزُّهريُّ ياء «الموالي»[٢].

قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أسكن الجمهورُ هذه الياء، وفتحها ابنُ كثيرٍ في رواية قنبلٍ، وروى عنه شبل: «وراي» مثل عصاي[٣].

قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أي: من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ أي: ولدًا صالحًا يتولَّاني.

قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ: «يرثُني»، و«يرثُ» برفعهما.

---

(١) عن عثمان، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسن رضي الله عنهم في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، وعن زيد بن ثابت، وابن عباس في التحصيل (٤/ ٢٤٨)، وفي المحتسب (٢/ ٣٧) زاد ابن يعمر وشبل.

(٢) في الكامل (ص: ٥٩٥) عن الوليد بن مسلم، وابن مقسم.

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥/ ١٨٦)، والمبسوط (١/ ٢٩١).

وقرا أبو عمرٍو، والكسائيُّ: «يرثْني»، و«يرثْ» بالجزمِ فيهما[١].

قال أبو عُبيدةَ: مَن قرأ بالرَّفعِ، فهو على الصفةِ للولي؛ فالمعنى: هب لي وليًّا وارثًا، ومن جزمَ، فعلى الشَّرطِ والجزاءِ، كقولك: إن وهبته لي ورثني[٢].

وفي المراد بهذا الميرثِ أربعة أقوالٍ:

أحدها: يرثني مالي، ويرثُ من آل يعقوب النبوَّة، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال أبو صالحٍ.

والثاني: يرثني العلم، ويرثُ من آلِ يعقوبَ الملكَ، فأجابه الله تعالى إلى وراثةِ العلمِ دون الملك، وهذا مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: يرثني نبوَّتي وعلمي، ويرثُ من آلِ يعقوبَ النبوَّة أيضًا، قاله الحسنُ.

والرابع: يرثني النبوَّة ويرث من آلِ يعقوبَ الأخلاق، قاله عطاءٌ.

قال مجاهدٌ: كان زكريا من ذريَّة يعقوبَ[٣].

وزعم الكلبيُّ أنَّ آلَ يعقوبَ كانوا أخواله، وأنَّه ليس بيعقوبَ أبي يوسفَ.

وقال مُقاتلٌ: هو يعقوبُ بنُ ماثان، وكان يعقوبُ هذا وعمران ـ أبو مريم ـ أخوين[٤].

والصَّحيحُ: أنَّه لم يُرد ميراث المالِ لوجوهٍ:

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥/ ١٩١)، والمبسوط (١/ ٢٨٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٠).

أحدها: أَنَّه قد صحَّ عن رسولِ الله ﷺ أَنَّه قال: «**نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**»(١).

والثاني: أَنَّه لا يجوزُ أن يتأسَّفَ نبيٌّ الله على مصير مالِهِ بعد موتِهِ إذا وصل إلى وارثه المستحق له شرعًا.

والثالث: أنَّه لم يكن ذا مالٍ.

وقد روى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ: «**أَنَّ زَكَرِيَّاءَ كَانَ نَجَّارًا**»(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

قال اللُّغويون: أي: مرضيًّا، فصرف عن مفعولٍ إلى فعيلٍ، كما قالوا: مقتول وقتيل.

قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ٧- ١١].

قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ في الكلامِ إضمارٌ، تقديره: فاستجابَ الله له فقال: يا زكريَّا إنَّا نبشِّرُك.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٦٢٧٥) بلفظ: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، وأصله في الصحيحين البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧) بلفظ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ» في قصة.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٩٦)، ومسلم (٢٣٧٩)، وابن ماجه (٢١٥٠).

وقرأ حمزةُ: «نَبْشُرك» بالتَّخفيفِ(١).

وقد شرحنا هذا في آلِ عمرانَ(٢).

قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: لم يسمِّ يحيى قبله، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال عكرمةُ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ، والأكثرون.

فإن اعترض معترضٌ، فقال: ما وجه المدحة باسم لم يسمِّ به أحدٌ قبله، ونرى كثيرًا من الأسماءِ لم يسبق إليها؟

فالجواب: أنَّ وجه الفضيلة أنَّ الله تعالى تولَّى تسميته، ولم يكل ذلك إلى أبويه، فسمَّاه باسم لم يسبق إليه. [٥١٧/ب]

والثاني: لم تلد العواقر مثله ولداً، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

فعلى هذا يكون المعنى: لم نجعل له نظيرًا.

والثالث: لم نجعل له من قبل مثلاً وشبيهًا، قاله مجاهدٌ.

فعلى هذا يكون عدم الشَّبه من حيث أنَّه لم يعصِ ولم يهم بمعصيةٍ.

وما بعد هذا مفسَّر في آل عمران(٣) إلى قوله: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾.

وفي معنى (كانت) قولان:

أحدهما: أنَّه توكيدٌ للكلامِ، فالمعنى: وهي عاقرٌ، كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم.

(١) انظر: التيسير (ص: ٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

والثاني: أنَّها كانت منذ كانت عاقرًا، لم يحدث ذلك بها، ذكرهما ابنُ الأنبارِيِّ، واختار الأوَّل.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «عُتِيًّا»، و«بُكِيًّا»، [مريم: ٥٨] و«صُلِيًّا» [مريم: ٧٠] بضمِّ أوائلها.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، بكسر أوائلها، وافقهما حفصٌ عن عاصمٍ، إلَّا في قوله: «بُكِيًّا» فإنَّه ضمَّ أوَّله(١).

وقرأ ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ: «عُسِيًّا» بالسِّينِ(٢).

قال مجاهدٌ: عتيًّا هو قحول العظمِ(٣).

وقال ابنُ قُتيبةَ: أي يُبْسًا؛ يقال: عتا وعسا بمعنى واحد(٤).

قال الزَّجَّاجُ: كلُّ شيءٍ انتهى، فقد عتا يعتو عتيًّا، وعتوًّا، وعسوًّا، وعسيًّا(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما قيل لك من هبة الولدِ على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: خلق يحيى عليَّ سهلٌ.

وقرأ معاذٌ القارئ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «هَيْنٌ» بإسكانِ الياءِ.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: أوجدتك.

---

(١) السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥/ ١٩١-١٩٢)، والمبسوط (١/ ٢٨٨).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٦٢)، عن ابن عباس، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦) عن ابن مسعود، ومجاهد، قال الزجاج: ولا يجوز في القراءة؛ لأنه بخلاف المصحف.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٦٥) بلفظ: نحول العظم.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٠).

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿خَلَقْتُكَ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «خلقناك» بالنُّونِ والألفِ[١].

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ المعنى: فخلق الولد، كخلقك.

وما بعد هذا مفسَّرٌ في آلِ عمران[٢] إلى قوله: ﴿ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: سويًّا منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: تمنع عن الكلامِ وأنت سوي[٣].

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: سَليمًا غير أخرس[٤].

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وهذا في صبيحةِ اللَّيلةِ التي حملت فيها امرأته.

﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: من مصلَّاه وقد ذكرناه في آلِ عمران[٥].

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه كتب إليهم في كتابٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أومأ برأسِهِ ويديه، قاله مجاهدٌ.

قوله تعالى: ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ أي: صلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه في آلِ عمرانَ[٦]، والمعنى: أنَّه كان يخرج إلى قومِهِ فيأمرهم بالصَّلاةِ بكرة

---

(١) انظر: السبعة (ص٤٠٨)، والحجة (٥/ ١٩٤ـ ١٩٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢١).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

(٦) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

وعشيًّا، فلما حملت امرأته أمرهم بالصَّلاة إشارة.

قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[مريم: ١٢- ١٥].

قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فوهبنا له يحيى، وقلنا له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراةَ، وكان مأموراً بالتمسُّكِ بها[1].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: المعنى: اقبل كتب الله كلها إيمانًا بها واستعمالًا لأحكامِها.

وقد شرحنا في البقرةِ[2] معنى قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الفهمُ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: اللبُّ، قاله الحسنُ، وعكرمةُ.

والثالث: العلمُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

والرابع: حفظُ التَّوراةِ وعلمها، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

وقد زدنا هذا شرحاً في سورةِ يوسفَ[3].

وروى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: مَن قرأ القرآن من [٥١٨/أ] قبل أن يحتلم، فهو ممن أُوتيَ الحُكم صبيًّا[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٣).

(٣) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٣).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٩٨) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مرفوعًا.

فأمَّا قوله: ﴿صَبِيًّا﴾ ففي سنِّه يوم أوتي الحكمَ قولان:

أحدهما: أنَّه سبعُ سنين، رواه ابنُ عبَّاسٍ عن رسولِ الله ﷺ(١).

والثاني: ثلاثُ سنين، قاله قتادةُ، ومُقاتلٌ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: وآتيناه حنانًا(٣).

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: المعنى: وجعلناه حنانًا لأهلِ زمانِه.

وفي الحنان ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الرَّحمةُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وعكرمةُ، وقتادةُ، والضَّحاكُ، والفرَّاءُ، وأبو عُبيدةَ، وأنشد [المتقارب](٤):

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا

قال: وعامة ما يستعمل في المنطق على لفظ الاثنين، قال طرفة [من الطويل](٥):

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

---

(١) رواه أبو نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين. انظر: الدر المنثور (٥/ ٤٨٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٢).

(٤) البيت للحطيئة في ديوانه (ص: ٧٢)، وتخليص الشواهد (ص: ٢٠٦)، ولسان العرب (١١/ ٥٧٣) (قول)، (١٣/ ١٣٠)(حنن)؛ وتاج العروس (قول) (حنن).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٦٦)، والدرر (٣/ ٦٧)، والكتاب (١/ ٣٤٨)، ولسان العرب (١٣/ ٣٠) (حنن).

قال ابنُ قُتيبةَ: ومنه يقال: تحنَّن عليَّ، وأصلُه من حنين الناقةِ على ولدِها[١].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: لم يختلف اللُّغويون أنَّ الحنان: الرَّحمة، والمعنى: فعلنا ذلك رحمةً لأبويه، وتزكيةً له.

والثاني: أنَّه التعطُّف من ربِّه عليه، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه اللِّينُ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والرابع: البركةُ، وروي عن ابنِ جبيرٍ أيضاً.

والخامس: المحبَّة، قاله عكرمةُ، وابنُ زيدٍ.

والسادس: التعظيمُ، قاله عطاءُ بنُ أبي رباحٍ.

وفي قوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ **أربعة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّها العملُ الصَّالحُ، قاله الضَّحاكُ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّ معنى الزَّكاة: الصَّدقة، فالتقدير: إنَّ الله تعالى جعله صدقة تصدَّق بها على أبويه، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: أنَّ الزَّكاةَ: التَّطهيرُ، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

والرابع: أنَّ الزَّكاةَ: الزِّيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادةً في الخيرِ على ما وصف وذكر، قاله ابنُ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعلته يتَّقيني، لا يعدل بي غيري[٣].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٢).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨).

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه برًّا بوالديه، والبَرُّ بمعنى: البارّ؛ والمعنى: لطيفاً بهما، محسناً إليهما.

والعصي بمعنى: العاصي.

وقد شرحنا معنى الجبار في هود(١).

قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّه السَّلامُ المعروفُ من الله تعالى.

قال عطاءٌ: سلامٌ عليه منِّي في هذه الأيَّام(٢)؛ وهذا اختيارُ أبي سليمان.

والثاني: أنَّه بمعنى: السَّلامة، قاله ابنُ السَّائب.

فإن قيل: كيف خصَّ التَّسليمَ عليه بالأيَّام، وقد يجوز أن يولد ليلاً ويموت ليلاً؟

فالجواب: أنَّ المراد باليوم الحين والوقت، على ما بيَّنا في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣].

قال ابنُ عبَّاسٍ: وسلام عليه حين ولد.

وقال الحسنُ البصريُّ: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنت خيرٌ منِّي، فقال عيسى ليحيى: بل أنت خيرٌ منِّي، سلَّم الله عليك، وأنا سلَّمت على نفسي(٣). [٥١٨/ب]

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ مثله، إلَّا أنَّه قال: أثنى الله عليك، وأنا أثنيتُ على نفسي.

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٩).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٧٤٢)، وابن جرير الطبري (١٥/ ٤٨٢) في تفسيرهما من طريق قتادة، عن الحسن، بنحوه.

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسَه خارجاً ممَّا كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسَه في محشرٍ لم يره[١].

فخصَّ الله تعالى يحيى فيها بالكرامةِ والسَّلامةِ في المواطن الثلاثة.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم: ١٦- ٢١].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: تنحَّت واعتزلت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مما يلي المشرق، وهو عند العرب خيرٌ من الغربي[٢].

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ﴾ يعني: أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي: سترًا وحاجزًا، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ضربت سترًا، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ الشَّمسَ أظلَّتها، فلم يرها أحدٌ منهم، وذلك ممَّا سترها الله به، وروي هذا المعنى عن ابنِ عبَّاسٍ أيضاً.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣).

والثالث: أنَّها اتَّخذت حجاباً من الجدران، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخِهِ.

وفي سبب انفرادِها عنهم قولان:

أحدهما: أنَّها انفردت لتطهر من الحيضِ وتمتشط، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: لتفلي رأسَها، قاله عطاءٌ.

قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريلُ في قول الجمهورِ.

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: صاحبُ روحنا، وهو جبريلُ.

والرُّوح بمعنى: الرَّوح والفرح، ثم تضم الرَّاء لتحقيق مذهبِ الاسمِ، وإبطالِ طريقِ المصدرِ، ويجوز أن يراد بالرُّوح هاهنا: الوحي، وجبريل صاحب الوحي.

وفي وقت مجيئه إليها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: وهي تغتسلُ.

والثاني: بعد فراغها، ولبسها الثياب.

والثالث: بعد دخولها بيتها، وقد قيل: المرادُ بالرُّوح هاهنا: الرُّوح الذي خلق منه عيسى، حكاه الزَّجَّاجُ، والمَاوَرْدِيُّ، وهو مضمونُ كلامِ أُبي بنِ كعبٍ فيما سنذكره عند قوله: ﴿فَحَمَلَتۡهُ﴾[1].

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: وفيه بُعْدٌ، لقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾، والمعنى: تصوَّر لها في صورةِ البشرِ التامِّ الخلقةِ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: جاءها في صورةِ شابٍّ أبيضَ الوجه جعد قطط حين خضَّر شاربُهُ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٢)، والنكت والعيون (٣/ ٣٦٢).

وقرأ أبو نهيك، وأبو حيوةَ: «فأرسلنا إليها رَوْحنا» بفتح الرَّاءِ، من الروح[١].

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ المعنى: إن كنت تتَّقي الله، فستنتهي بتعوذي منك، هذا هو القولُ عند المحقِّقين.

وحكي عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه كان في زمانها رجلٌ اسمُه تقي، وكان فاجرًا، فظنَّته إيَّاه، ذكره ابنُ الأنبارِيِّ، والماوَرْدِيُّ[٢].

وفي قراءة عليٍّ عليه السلام، وابنِ مسعودٍ، وأبي رجاء: «إلَّا أن تكون تقيًّا».

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ بالهمز.

وقرأ أبو عمرٍو، وورش عن نافعٍ: «ليهب لك» بغير همزٍ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: من قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلني ليهب، ومَن قرأ «لأهب» فالمعنى: أرسلت إليك لأهبَ لك[٤].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: المعنى: أرسلني يقول لك: أرسلت رسولي [٥١٩/أ] إليك لأهبَ لك.

قوله تعالى: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ أي: طاهرًا من الذنوبِ.

والبغي: الفاجرةُ الزَّانيةُ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦ـ ٨٧) عن أبي حيوة.

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٦٣).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٨)، والحجة (٥/ ١٩٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٣).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وإنَّما لم يقل: بغية لأنَّه وصفٌ يغلب على النِّساءِ، فقلما تقول العرب: رجلٌ بغي؛ فيجري مجرى حائض، وعاقر.

وقال غيرُه: إنَّما لم يقل: بغية لأنَّه مصروفٌ عن وجهه، فهو فعيلٌ بمعنى: فاعل.

ومعنى الآية: ليس لي زوجٌ، ولست بزانيةٍ، وإنَّما يكون الولدُ من هاتين الجهتين.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ قد شرحناه في قصَّة زكريَّا، والمعنى: أنَّه يسير عليَّ أن أهب لك غلاماً من غير أبٍ.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أبٍ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما دخلت الواو في قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ لأنَّها عاطفةٌ لما بعدها على كلامٍ مضمرٍ محذوفٍ، تقديرُه: قال ربُّك خلقه عليَّ هيِّنٌ لننفعك به ولنجعله عبرة.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: لمن تبعه وآمن به ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: وكان خلقه أمرًا محكوماً به، مفروغًا عنه، سابقاً في علمِ الله تعالى كونه.

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[مريم: ٢٢- ٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى.

وفي كيفية حملها له قولان:

أحدهما: أنَّ جبريلَ نفخ في جيب درعها، فاستمرَّ بها حملها، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

قال السُّدِّيُّ: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقًا من قدامها، فدخلت النَّفخةُ في صدرها فحملت من وقتها[١].

والثاني: الذي خاطبها هو الذي حملته، ودخل من فيها، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ.

وفي مقدار حملها سبعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها حين حملت وضعت، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والمعنى: أنَّه ما طال حملها، وليس المراد أنَّها وضعته في الحالِ، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾، وهذا يدلُّ على أنَّ بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباذَ به.

والثاني: أنَّها حملته تسع ساعاتٍ، ووضعت من يومها، قاله الحسنُ.

والثالث: تسعة أشهرٍ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ السَّائبِ.

والرابع: ثلاثُ ساعاتٍ، حملته في ساعةٍ، وصور في ساعةٍ، ووضعته في ساعةٍ، قاله مُقاتِل بنُ سُلَيْمانَ[٢].

والخامس: ثمانيةُ أشهرٍ، فعاش، ولم يعش مولود قطُّ لثمانيةِ أشهرٍ، فكان في هذا آيةٌ، حكاه الزَّجَّاجُ[٣].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٤٥٠) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٢) انظر: مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٤).

والسَّادس: في ستَّة أشهرٍ، حكاه الْمَاوَرْدِيُّ(١).

والسَّابع: في ساعةٍ واحدةٍ، حكاه الثَّعلبيُّ(٢).

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ يعني بالحملِ ﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ أي: بعيدًا.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «قاصياً»(٣).

قال ابنُ إسحاقَ: مشت ستَّة أميالٍ.

قال الفَرَّاءُ: القصي والقاصي بمعنى واحد(٤).

وقال غير الفَرَّاءُ: القصي والقاصي بمنزلة الشَّهيد والشَّاهد، وإنَّما بعدت، فرارًا من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوجٍ.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾.

وقرأ عكرمةُ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، وعاصمٌ الجَحْدري: «الْمِخَاضُ» بكسرِ الميمِ(٥).

قال الفَرَّاءُ: المعنى: فجاء بها المخاضُ، فلما ألقيت الباء، جعلت في [٥١٩/ب] الفعل ألفاً، ومثله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] أي: بغدائنا، ومثله: ﴿زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: بزبرِ الحديدِ(٦).

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٣٦٢).

(٢) الكشف والبيان (١٧/ ٣٥٤).

(٣) لم نقف عليها.

(٤) معاني القرآن للفراء(٢/ ١٦٤) وفيه: «مَكاناً قَصِيًّا، قاصيًا بمعنى واحد».

(٥) عن ابن كثير في رواية في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥١).

(٦) معاني القرآن (٢/ ١٦٤).

قال أبو عُبيدةَ: أفعلها من جاءت هي، وأجاءها غيرها[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: جَاءَ بِهَا وأَلْجَأَهَا، وهو من حيث يقال جاءت بي الحاجةُ إليك، وأجاءتني الحاجة إليك، والمخاضُ: الحمل[٢].

وقال غيرُه: المخاض: وجعُ الولادةِ.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وهو ساقُ النَّخلةِ، وكانت نخلة يابسة في الصَّحراءِ، ليس لها رأسٌ ولا سعف.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ اليوم، أو هذا الأمر.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ: ﴿مِتُّ﴾ بكسرِ الميمِ[٣].

وفي سبب قولها هذا قولان:

أحدهما: أنَّها قالته حياء من النَّاسِ.

والثاني: لئلَّا يأثموا بقذفها.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، بكسر النُّون.

وقرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النُّون[٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣-٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٣) السبعة (ص: ٢١٨)، والحجة (٣/ ٩٢)، والتيسير (ص: ٩١).

(٤) السبعة (ص: ٤٠٨)، والحجة (٥/ ١٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٨).

قال الفَـرَّاءُ: وأصحاب عبد الله يقرؤون: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النُّون، وسائر العرب بكسرها، وهما لغتان، مثل الجَسر والجِسر، والوَتر والوِتر، والفتح أحبُّ إليَّ[1].

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: الكسرُ أعلى اللُّغتين[2].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: من كسر النُّون قال: النسي: اسم لما ينسى، بمنزلة البغض اسمٌ لما يبغض، والسبُّ اسمٌ لما يسب. والنَّسي بفتح النُّون: اسمٌ لما ينسى أيضاً على أنَّه مصدرٌ ناب عن الاسمِ، كما يقال: الرَّجل دَنِف ودَنَف. فالمكسورُ: هو الوصف الصَّحيحُ، والمفتوح: مصدر سدَّ مسدَّ الوصف، ويمكن أن يكون النسي والنسي اسمين لمعنى، كما يقال: الرِّطل والرَّطل.

وللمفسِّرين في قوله تعالى: ﴿نَسْيًا مَنسِيًّا﴾ **خمسة أقوالٍ**:

أحدها: يا ليتني لما أكن شيئًا، قاله الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال عطاءٌ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا﴾ أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ.

قال الفَرَّاءُ: النسي: ما تلقيه المرأةُ من خرق اعتلالها[3].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: هي خرقُ الحيض تلقيها المرأة فلا تطلبها ولا تذكرها.

والثالث: أنَّه السقط، قاله أبو العالية، والرَّبيع.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٤).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٩٦).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٦٤_١٦٥).

والرابع: أنَّ المعنى: يا ليتني لا يُدرَى من أنا، قاله قتادةُ.

والخامسُ: أنَّه الشيءُ التَّافه يرتحل عنه القومُ، فيهون عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابنُ السَّائب.

وقال أبو عبيدةَ: النسي، والمنسي ما ينسى من إداوة وعصا(١).

يعني أنَّه ينسى في المنزلِ، فلا يرجع إليه لاحتقار صاحبِهِ إيَّاه.

وقال الكسائيُّ: معنى الآية: ليتني كنت ما إذا ذُكر لم يُطلب(٢).

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «مَنْ تَحْتَهَا» بفتحِ الميمِ، والتَّاءِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ بكسرِ الميمِ والتَّاءِ(٣).

فمن قرأ بكسرِ الميمِ، ففيه وجهان:

أحدهما: ناداها المَلَكُ من تحت النَّخلة.

وقيل: كانت على نشز، فناداها المَلَكُ أسفل منها.

والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كل ما رفعت إليه طرفك، فهو فوقك، وكل ما [٥٢٠/أ] خفضت إليه طرفك، فهو تحتك(٤).

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٩٦).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، والحجة (٥/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، والتيسير (ص: ١٤٨).

(٤) لم نقف عليه.

ومَن قرأ بفتحِ الميمِ، ففيه الوجهان المذكوران.

وكان الفَرَّاءُ يقول: ما خاطبها إلا المَلَكُ على القراءتين جميعًا(١).

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنّه النَّهرُ الصَّغيرُ، قاله جمهور المفسِّرين، واللُّغويون.

قال أبو صالحٍ، وابنُ جريجٍ: هو الجدولُ بالسريانية.

والثاني: أنّه عيسى كان سريًّا من الرِّجال، قاله الحسنُ، وعكرمةُ، وابنُ زيدٍ.

قال ابنُ الأنباريِّ: وقد رجع الحسنُ عن هذا القولِ إلى القولِ الأوَّل، ولو كان وصفًا لعيسى، كان غلامًا سريًّا أو سويًّا من الغلمان، وقلّما تقول العرب: رأيت عندك نبيلًا، حتى يقولوا: رجلاً نبيلًا.

فإن قيل: كيف ناسبَ تسليتها أن قيل: لا تحزني، فهذا نهرٌ يجري؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنّها حزنت لجدب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشَّراب والماء الذي تتطهَّرُ به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنّها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوجٍ، فأجرى الله تعالى لها نهرًا، فجاءها من الأردنِ، وأخرج لها الرُّطب من الشَّجرة اليابسةِ، فكان ذلك آية تدلُّ على قدرةِ الله تعالى في إيجادِ عيسى، قاله مُقاتلٌ(٢).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٥).

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾ الهزُّ التَّحريكُ.

والباءُ في قوله تعالى: ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها زائدةٌ مؤكدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

قال الفَرَّاءُ: معناه: فليمدد سبباً. والعربُ تقول: هَزَّه وهزَّ به، وخُذِ الخطامَ، وخُذْ بالخطامِ، وتعلَّق زيدًا، وتعلَّق به(١).

وقال أبو عُبيدةَ: هي مؤكَّدة، كقول الشاعر [من الرجز](٢):

.... نَضرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ

والثاني: أنَّها دخلت على الجذعِ لتلصقه بالهزِّ، فهي مفيدةٌ للإلصاقِ، قاله ابنُ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «تسَّاقط» بالتَّاءِ مشدَّدة السِّين.

وقرأ حمزةُ، وعبدُ الوارث: «تَساقط» بالتَّاءِ مفتوحة مخفَّفة السِّين.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بضمِّ التاءِ وكسر القافِ مخفَّفة السِّين(٣).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٥).

(٢) عجز البيت للنابغة الجعدي في ملحق ديوانه (ص:٢١٦)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ٥) وفيه: «نَضرِبُ بالبِيض»، ولسان العرب (١٥/ ٤٤٣) (الباء)، والمخصص (١٤/ ٧٠)، وأدب الكاتب (ص: ٥٢٢)، والإنصاف (١/ ٢٨٤)، وخزانة الأدب (٩/ ٥٢٠، ٥٢١) وصدر البيت: نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجْ ...

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٩)، والحجة (٥/ ١٩٧ـ ١٩٨)، والمبسوط (١/ ٢٨٨ـ ٢٨٩).

وقـرأ يعقـوبُ، وأبـو زيـدٍ، عـن المفضـلِ: «يَسَّـاقَط» باليـاءِ مفتوحـة وتشـديد السِّـين وفتـح القـافِ[1]، فهـذه القـراءات المشـاهيرُ.

وقـرأ أُبيُّ بـنُ كعـبٍ، وأبـو حيـوةَ: «تَسْـقُط» بفتـح التَّـاءِ وسـكون السِّـينِ ورفـع القـافِ[2].

وقـرأ عبـدُ الله بـن عمـرٍو، وعائشـةُ، والحسـنُ: «يُسَـاقِط» بألـفٍ وتخفيـف السِّـين ورفـع الياءِ وكسر القـافِ[3].

وقـرأ الضَّحـاكُ، وعمـرو بـنُ دينـارٍ: «يُسْـقِط» برفـع اليـاءِ وكسر القـافِ مـع سـكونِ السِّـين وعـدم الألـفِ.

وقرأ عاصمٌ الجَحْدريُّ، وأبو عمرانَ الجونيُّ مثله، إلَّا أنَّه بالتاءِ.

وقرأ معاذٌ القارئ، وابنُ يعمرَ مثله، إلَّا أنَّه بالنُّونِ.

[٥٢٠/ب] وقـرأ أبـو رَزِيـنٍ العقيـليُّ، وابـنُ أبي عبلـةَ: «يَسْـقُط» باليـاءِ مفتوحـة مـع سـكون السِّـينِ ورفـع القـافِ.

وقرأ أبو السَّماك العدويُّ، وابنُ حزام: «تَتَساقط» بتاءين مفتوحين وبألفٍ[4].

وقـال الزَّجَّـاجُ: مَـن قـرأ «يسَّـاقط» فالمعنـى: يتسـاقط فأدغمـت التَّـاءُ في السِّـين، ومَـن قـرأ «تسَـاقط» بالتَّـاء والتَّخفيـف، فإنَّـه حـذف مـن تتسـاقط

---

(١) عـن الـبراء بـن عـازب في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٨٦)، وفي التحصيـل (٤/ ٢٥٠) عـن عاصـم، وابـن رسـتم، عـن نصـير، عـن الكِسـائيِّ، والحسـن، وقتـادة، وغيرهـم.

(٢) البحر المحيط (٧/ ٢٥٥).

(٣) وعـن مـسروق في التحصيـل (٤/ ٢٥١)، وفي المحـرر (٤/ ١٢) عـن أبي حيـوة، وأمـا قـراءة مـسروق فيـه؛ فبضـم التـاء وكـسر القـاف، مـن غـير ألـف «تُسْـقِط»، وكـذا في البحـر المحيـط (٧/ ٢٥٥).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦) عن أبي السمال.

اجتماع التَّاءين، ومَن قرأ «يساقط» ذهب إلى معنى: يساقط الجذع عليك، ومَن قرأ «نساقط» بالنُّون، فالمعنى: نحن نساقط عليك، فنجعله لك آية، والنحويون يقولون: إنَّ رطبًا منصوبٌ على التَّمييز إذا قلت: «يساقط»، أو «يتساقط»، المعنى: يتساقط الجذع رطبًا، وإذا قلت: «تساقط» بالتَّاءِ، فالمعنى: تتساقطُ النخلةُ رطبًا(١).

قوله تعالى: ﴿جَنِيًّا﴾.

قال الفَرَّاءُ: الجني: المجتنى(٢).

وقال ابنُ الأَنباريِّ: هو الطري، والأصل: مجنو، صرف من مفعولٍ إلى فعيلٍ، كما يقال: قديد، وطبيخ.

وقال غيره: هو الطَّريُّ بغبارِهِ: ولم يكن لتلك النخلة رأسٌ، فأنبته الله تعالى، فلمَّا وضعت يدها عليها، سقط الرُّطبُ رطبًا.

وكان السَّلف يستحبُّون للنُّفساء الرطب من أجل مريم عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي﴾ أي: من الرُّطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من النَّهرِ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بولادة عيسى عليه السلام.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: قررت به عينًا أقَر، بفتح القافِ في المستقبل، وقررت في المكان أقِر، بكسرِ القافِ، و﴿عَيْنًا﴾: منصوبٌ على التَّمييز(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٦٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٦).

وروى ابنُ الأنباريِّ عن الأصمعيِّ: أنَّه قال: معنى «وقري عينًا»؛ ولتبرد دمعتك، لأنَّ دمعةَ الفرحِ باردةٌ، ودمعة الحزنِ حارَّةٌ، واشتقاق قرِّي من القرور، وهو الماءُ الباردُ.

وقال لنا أحمدُ بنُ يحيى: تفسير «قري عينًا» بلغت غاية أملك حتَّى تقر عينك من الاستشراف إلى غيره، واحتجَّ بقول عمرِو بنِ كلثوم [من الوافر][1]:

بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَطَعْناً أَقَرَّ بِهِ مَوالِيكِ العُيُونَا

أي: ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهم، فقرَّت عينهم من تَطَلُّعٍ إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو مجلَزٍ، وابنُ السَّميفع، والضَّحاكُ، وأبو العالية، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «تَرَئِنَّ» بهمزةٍ مكسورةٍ من غير ياءٍ[2].

أي: إن رأيت أحدًا من البشرِ فقولي؛ وفيه إضمارٌ تقديره: فسألك عن أمر ولدك، فقولي: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: صمتاً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، والضَّحاكُ.

وكذلك قرأ أُبَيُّ بنُ كعبٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، وأبو رَزِينٍ العقيليُّ: «صمتاً» مكان قوله[3]: ﴿صَوْمًا﴾[4][5].

---

(١) البيت في ديوانه (ص: ٦٧)، والزاهر (١/ ٢٠٠)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٣٩١)، وشرح ديوان امرئ القيس (ص: ٣٢١)، وشرح القصائد السبع (ص: ٣٧٥).

(٢) في المحتسب (٢/ ٤٢)، والتحصيل (٤/ ٢٥١)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥٦) عن ابن الرومي، عن أبي عمرو.

(٣) ليست في (س).

(٤) قوله: ﴿صَوْمًا﴾ ليس في الأصل، و(ر)، وهو من (س).

(٥) عن أنس بن مالك في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، وفي المحرر (٤/ ١٣) ابن عباس،=

وقرأ ابنُ مسعودٍ[١]: «صياماً»[٢].

والثاني: صوماً عن الطَّعامِ والشَّرابِ والكلامِ، قاله قتادةُ.

وقال ابنُ زيدٍ: كان المجتهد من بني إسرائيل يصومُ عن الكلامِ كما يصومُ عن الطَّعامِ، إلَّا مَن ذكر الله ﷻ.

قال السُّدِّيُّ: فأذن لها أن تتكلَّم بهذا القَدرِ ثم تسكت[٣]. [٥٢١/أ]

قال ابنُ مسعودٍ: أمرت بالصَّمت، لأنَّها لم تكن لها حجَّة عند النَّاس، فأمرت بالكفِّ عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها مما يبرئ به ساحتها[٤].

وقيل: كانت تكلِّم الملائكة ولا تكلِّم الإنس.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: الصَّومُ في لغة العربِ على أربعة معانٍ، يقال: صومٌ لترك الطَّعامِ والشَّرابِ، وصومٌ للصَّمت، وصومٌ لضرب من الشَّجر، وصومٌ لذرق النعام.

واختلف العلماءُ في مقدار سنِّ مريم يوم ولادتها على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ.

والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة، قاله زيدُ بنُ أسلم.

=وأنس، وفي البحر المحيط (٧/ ٢٥٦) عن عبد الله.

(١) في (س): (ابن عباس).

(٢) عن زيد بن علي في البحر المحيط (٧/ ٢٥٦).

(٣) في التفسير الوسيط (٣/ ١٨٢) بلا نسبة.

(٤) انظر: المصدر السابق.

والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مُقاتلٌ[١].

قولـه تعـالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[مريـم: ٢٧- ٣٣].

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ في روايـة أبي صالـحٍ: أتتهـم بـه بعـد أربعـين يومـاً حـين طهـرت مـن نفاسِـها.

وقـال في روايـة الضَّحـاك: انطلـق قومهـا يطلبونهـا، فلـمَّا رأتهـم حملـت عيسـى فتلقتهـم بـه، فذلـك قولـه تعـالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

فإن قيل: «أتت به» يُغني عن ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ فما فائدة التكرير؟

فالجـواب: أنـه لمـا ظهـرت منـه آيـات، جـاز أن يتوهَّـم السَّـامع: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ أن يكـون سـاعياً عـلى قدميـه، فيكـون سـعيه آيـة كنطقِـهِ، فقطـع ذلـك التوهـم، وأعلـم أنَّـه كسـائرِ الأطفـالِ، وهـذا مثـل قـول العـرب: نظـرت إلى فـلانٍ بعينـي، فنفـوا بذلـك نظـر العطـفِ والرَّحمـةِ، وأثبتـوا أنَّـه نظـر عـينٍ.

وقـال ابـنُ السَّـائبِ: لمـا دخلـت عـلى قومهـا بكـوا، وكانـوا قومـاً صالحـين و﴿قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ وفيـه ثلاثـةُ أقـوالٍ:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٤٢).

أحدها: شيئاً عظيماً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ.

قال الفَرَّاءُ: الفَرِيُّ: العظيمُ، والعربُ تقول: تركته يفري الفَرِيَّ، إذا عمل فأجاد العمل ففضل النَّاس، قيل هذا فيه، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَمَا رَأَيتُ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَ عُمَرَ»[١].

والثاني: عجباً فائقاً، قاله أبو عُبَيْدَةَ[٢].

والثالث: شيئاً مصنوعاً، ومنه يقال: فريت الكذب، وافتريته، قاله اليزيديُّ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ في المراد بـ ﴿هَٰرُونَ﴾ خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه أخ لها من أمِّها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

و قال الضَّحاك: كان من أبيها وأمِّها.

والثاني: أنَّها كانت من بني هارون، قاله الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

وقال السُّدِّيُّ: كانت من بني هارون أخي موسى عليه السلام، فنسبت إليه، لأنَّها من ولده[٣].

والثالث: أنَّه رجلٌ صالحٌ كان في بني إسرائيل، فشبَّهوها به في الصَّلاح، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضاً، وقتادةُ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) عن عبد اللهَّ بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ».

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٢٥) من طريق أسباط بن نصر، به.

ويدلُّ عليه ما روى المغيرةُ بنُ شعبةَ قال: بعثني رسولُ الله ﷺ إلى أهل نجرانَ، فقالوا: ألستم تقرؤون: يا أختَ هارون وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**أَلا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**»[1]. [٥٢١/ب]

والرابع: أنَّ قوم هارون كان فيهم فسَّاقٌ وزناةٌ، فنسبوها إليهم، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: أنَّه رجلٌ من فسَّاق بني إسرائيل شبَّهوها به، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

فعلى هذا يُخرَّج في معنى الأخت قولان:

أحدهما: أنَّها الأخت حقيقة.

والثاني: المشابهةُ، لا المناسبةُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[الزخرف: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ يعنون: عمران ﴿ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ حنَّة ﴿بَغِيًّا﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ﴾ أي: أومأت ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عيسى فتكلَّم.

وقيل المعنى: أشارت إليه أن كلِّموه.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٠١٩)، وأحمد (٤/ ٢٥٢)، ومسلم (٢١٣٥)، والترمذي (٣١٥٥)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٣) من طُرق عن عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن سماك، عن علقمة بن وائل، به.

وكان عيسى قد كلَّمها حين أتت قومها، وقال: يا أمَّاه أبشري فإنِّي عبدُ الله ومسيحه، فلما أشارت أن كلِّموه، تعجَّبوا من ذلك، و﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ وفيها أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها زائدةٌ، فالمعنى كيف نكلِّم صبيًّا في المهد؟

والثاني: أنَّها في معنى: وقع، وحدث.

والثالث: أنَّها في معنى الشرط والجزاءِ، فالمعنى: من يكن في المهد صبيًّا، فكيف نكلِّمه؟ حكاها الزَّجَّاجُ، واختار الأخير منها[1].

قال ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وهذا كما تقول: كيف أعظ مَن كان لا يقبل موعظتي؟ أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاءِ.

والرابع: أن كان بمعنى: صار، قاله قطرب.

وفي المراد بالمهد قولان:

أحدهما: حجرها، قاله نوف، وقتادةُ، والكلبيُّ.

والثاني: سرير الصَّبي المعروف، حكاه الكلبيُّ أيضاً.

قال السُّدِّيُّ: فلما سمع عيسى كلامهم، لم يزد على أن ترك الرَّضاع، وأقبل عليهم [بوجهه][2]، فقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

قال المفسِّرون: إنَّما قدَّم ذكر العبوديَّة، ليبطل قول من ادَّعى فيه الربوبية.

وفي قوله: ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ أسكن هذه الياء حمزةُ[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٨).

(٢) زيادة من (م).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤١٤)، والمبسوط (١/ ٢٩١).

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أنَّه آتاه الكتاب وهو في بطن أمِّه، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

وقيل: عُلِّمَ التوراة والإنجيل وهو في بطن أمِّه.

والثاني: قضى أن يؤتيني الكتاب، قاله عكرمةُ.

وفي الكتاب قولان:

أحدُهما: أنَّه التوراةُ.

والثاني: الإنجيل.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ هذا وما بعده إخبارٌ عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إيَّاه مما سيظهر ويكون.

وقيل المعنى: يؤتيني الكتاب ويجعلني نبيًّا إذا بلغت؛ فحلَّ الماضي محلَّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦].

أحدهما: أنَّه كلَّمهم بعد أربعين يومًا.

والثاني: في يومه، وهو مبنيٌّ على ما ذكرنا من الزَّمان الذي غابت عنهم فيه مريم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ روى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ في هذه الآية قال: «**نَفَّاعًا حَيْثُمَا تَوَجَّهْتُ**»(١). [٥٢٢/أ]

---

(١) رواه الإسماعيلي في معجمه (٢٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥) من طريق هشيم بن بشير، عن يونس، عن الحسن البصري، عن أبي هريرة، به.

وهشيم بن بشير مدلس، وقد عنعن، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، وانظر: جامع التحصيل (ص:١٦٤).

وقال مجاهدٌ: معلمًا للخير(١).

وفي المراد بالزَّكاة قولان:

أحدهما: زكاة الأموال، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثاني: الطَّهارة، قاله الزَّجَّاجُ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لما قال هذا، ولم يقل: بوالديَّ علموا أنه وُلِدَ من غير بشرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي: متعظِّمًا ﴿شَقِيًّا﴾ عاصيًا لربِّه.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ قال المفسِّرون: السَّلام(٣) عليَّ من الله يوم وُلِدت حتَّى لم يضرني شيطان.

وقد سبق تفسير الآية(٤).

فإن قيل: لم ذكر هاهنا السَّلام بألفٍ ولامٍ، وذكره في قصَّة يحيى بلا ألفٍ ولامٍ؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّه لما جرى ذكر السَّلام قبل هذا الموضع بغير ألفٍ ولامٍ، كان الأحسن أن يرد ثانية بألفٍ ولامٍ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ(٥).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣١) من طريق ليث، به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٨).

(٣) في (م): (السلامة).

(٤) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (١٥).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩).

وقد اعترض على هذا القولِ، فقيل: كيف يجوز أن يعطفَ هذا وهو قولُ عيسى، على الأوّل وهو قولُ الله ﷻ؟

وقد أجاب عنه ابنُ الأَنبارِيِّ فقال: عيسى إنَّما يتعلَّم من ربِّه، فيجوز أن يكون سمع قول الله في يحيى، فبنى عليه وألصقه بنفسِهِ، ويجوزُ أن يكون الله ﷻ عرَّف السَّلام الثَّاني؛ لأنَّه أتى بعد سلامٍ قد ذكره، وأجراه عليه غير قاصد به اتِّباع اللَّفظ المحكي، لأنَّ المتكلِّم له أن يغير بعض الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبدُ الله: أنا رجل منصفٌ، يريد: قال لي عبد الله: أنت رجلٌ منصفٌ.

والجواب الثاني: أن سلامًا والسلام لغتان بمعنى واحد، ذكره ابنُ الأَنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[مريم: ٣٤- ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: ذلك الذي قال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هو ابنُ مريم، لا ما تقول النَّصارى: إنَّه ابنُ الله، وإنَّه إله(١).

قوله تعالى: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ونافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «قَوْلُ الْحَقِّ» برفع اللام.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩).

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بنصب اللَّامِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: من رفع «قَوْلُ الْحَقِّ»، فالمعنى: هو قولُ الحقِّ، يعني هذا الكلامُ؛ ومَن نصب، فالمعنى: أقولُ «قَوْلَ الْحَقِّ»[٢].

وذكر ابنُ الأَنبارِيِّ في الآية وجهين:

أحدُهما: أنَّه لما وصف بالكلمةِ جاز أن ينعت بالقولِ.

والثاني: أنَّ في الكلام إضمارًا، تقديره: ذلك نبأ عيسى، ذلك النَّبأ قول الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكُّون.

قال قتادةُ: امترت اليهودُ فيه والنَّصارى، فزعم اليهودُ أنَّه ساحرٌ، وزعم النَّصارى أنَّه ابنُ الله وثالث ثلاثة[٣].

قرأ أبو مجلَزٍ، ومعاذٌ القارئ، وابنُ يعمرَ، وأبو رجاءٍ: «تمترون» بالتَّاءِ[٤].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أن يتَّخذ ولدًا، و﴿مِن﴾ مؤكدة تدلُّ على نفي الواحد والجماعةِ، لأنَّ للقائل أن يقول: ما اتَّخذت فرسًا، يريد: اتَّخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتَّخذت فرسين ولا أكثر، يريدُ: اتَّخذت [٥٢٢/ ب]

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٩)، والحجة (٥/ ٢٠٢)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨) عن علي بن أبي طالب، والسلمي، وفي التحصيل (٤/ ٢٦٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي، وغيره، وفي المحرر (٤/ ١٥) عن داود ابن أبي هند، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٢٦١) نافعًا في رواية الكسائي.

فرسًا واحدًا؛ فإذا قال: ما اتَّخذت من فرسٍ، فقد دلَّ على نفي لواحدِ والجميعِ[١].

قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

وقرأ أبو عمرانَ الجونيُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «فَيَكُونَ» بالنَّصبِ[٢]، وقد ذكرنا وجهه في البقرةِ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «وأَنَّ الله» بنصبِ الألفِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «وإِنَّ الله» بكسر الألفِ[٤].

وهذا من قولِ عيسى؛ فمن فتح، عطفه على قولِه: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وبـ «أنَّ الله ربِّي»؛ ومن كسرَ ففيه وجهان.

أحدهما: أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون مستأنفاً.

قوله تعالى: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ
(٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ
ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ ﴾[مريم: ٣٧- ٤٠].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩ـ ٣٤٠).

(٢) انظر: السبعة (ص:١٦٩)، ومعاني القراءات (١/ ١٧٢)، والمبسوط (ص:١٣٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٧).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٤١٠)، والحجة (٥/ ٢٠٢)، والمبسوط (١/ ٢٨٩).

قولـه تعـالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾ قـال المفسِّرون: مَـن زائـدةٌ، والمعنـى: اختلفـوا بينهـم.

وقـال ابـنُ الأنبـارِيِّ: لمـا تمسَّـك المؤمنـون بالحـقِّ كان اختـلاف الأحـزابِ بـين المؤمنـين مقصـورًا عليهم.

وفي ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ قولان:

أحدهمـا: أنَّهـم اليهـودُ والنَّصـارى، فكانـت اليهـودُ تقـول: إنَّـه لغـير رِشْـدَةٍ(١)، والنَّصـارى تدَّعـي فيـه مـا لا يليـق بـه.

والثـاني: أنَّهـم فـرق النَّصـارى، قـال بعضُهـم: هـو الله، وقـال بعضُهـم: ابـنُ الله، وقـال بعضُهـم: ثالـث ثلاثـة.

قولــه تعــالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بقولهــم في المســيحِ ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: مـن حضورهـم ذلـك اليـوم للجـزاءِ.

قوله تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ ﴾ فيه قولان:

أحدهمـا: أنَّ لفظُـه لفـظ الأمـرِ، ومعنـاه الخـبر؛ فالمعنـى: مـا أسـمعَهم وأبصرهـم يـوم القيامـةِ، سـمعوا وأبـصروا حـين لم ينفعهـم ذلـك لأنَّهـم شـاهدوا مـن أمـرِ الله مـا لا يحتاجـون معـه إلى نظـرٍ وفكـر فعلمـوا الهـدى وأطاعـوا، هـذا قـولُ الأكثريـن.

والثـاني: أسـمع بحديثهـم اليـوم، وأبـصر كيـف يصنـع بهـم ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ قالــه أبــو العاليــةِ.

(١) لغير رِشْدَةٍ: أي: ابن زنا، ويجوز فيها فتح الرَّاء: رَشْدة، وانظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦٠).

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: المشركين والكفَّار ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يعني: في الدُّنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ أي: خوِّف كفَّار مكَّة ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ يعني: يوم القيامةِ يتحسَّر المسيء إذ لم يحسن، والمقصِّر إذ لم يزدد من الخيرِ.

وموجبات الحسرة يومَ القيامةِ كثيرةٌ، فمن ذلك ما روى أبو سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَقِيلَ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُقَالُ لَهُم: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[1].

قال المفسِّرون: فهذه هي الحسرةُ إذا ذبح الموت، فلو مات أحدٌ فرحاً مات أهل الجنَّة، ولو مات أحدٌ حزناً مات أهل النَّارِ.

[٥٢٣/أ] ومن موجبات الحسرةِ، ما روى عديُ بنُ حاتمٍ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاسٍ إِلَى الْجَنَّةِ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا، وَاسْتَنْشَقُوا رِيحَهَا، وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا، نُودُوا أَنِ اصْرِفُوهُمْ عَنْهَا لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ الْأَوَّلُونَ بِمِثْلِهَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، لَوْ أَدْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِينَا مَا أَرَيْتَنَا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا، قَالَ: ذَاكَ أَرَدْتُ بِكُمْ، كُنْتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعَظِيمِ، وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ، تُرَاءُونَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

النَّـاسَ بِخِـلَافِ مَـا تُعْطُـونِي بِقُلُوبِكُـمْ، هِبْتُـمُ النَّـاسَ وَلَمْ تَهَابُـونِي، وَأَجْلَلْتُـمُ النَّـاسَ وَلَمْ تُجِلُّـونِي، وَتَرَكْتُـمْ لِلنَّـاسِ وَلَمْ تَتْرُكُـوا لِي، فَالْيَـوْمَ أُذِيقُكُـمُ الْعَـذَابَ الْأَلِيـمَ مَـا حَرَمْتُكُـمْ مِـنَ الثَّـوَابِ»[١].

ومـن موجبـات الحسرةِ مـا روي عـن ابـنِ مسـعودٍ قـال: ليـس مـن نفس يـوم القيامـةِ إلَّا وهـي تنظـر إلى بيـتٍ في الجنَّـةِ، وبيـتٍ في النَّـارِ، ثـم يقـال: يعني لهـؤلاء: لـو عملتـم، ولأهـل الجنَّـة: لـولا أن مـنَّ الله عليكـم[٢].

ومن موجباتِ الحسرةِ: قطع الرَّجاء عند انطباقِ[٣] النَّارِ على أهلها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾.

قـال ابـنُ الأَنبَـارِيِّ: ﴿قُضِيَ﴾ في اللُّغـة بمعنـى: أُتقـن وأُحكـم، وإنَّـما سـمِّي الحاكـمُ قاضيًـا، لإتقانـه وإحكامـه مـا ينفـذ.

وفي الآية اختصارٌ، والمعنى: إذ قضي الأمر الذي فيه هلاكهم.

وللمفسِّرين في الأمر قولان:

---

(١) رواه الطبراني في المعجـم الكبير (١٩٩)، وفي الأوسـط (٥٤٧٨)، وابـن حبـان في المجروحين (٣/ ١٥٥)، والبيهقـي في البعـث والنشـور (١١٨١) مـن طريـق أبي جُنـادة السـلولي، عـن الأعمش، عـن خيثمـة بـن عبـد الرحمن، عـن عـدي، بـن حاتـم، بـه، بنحـوه.
قـال ابـن حبـان: هـذا خـبر باطـل لا أصـل لـه، وأبـو جنـادة شـيخ يـروي عـن الأعمـش مـا ليـس مـن حديثـه، لا يجـوز الاحتجـاج بـه، ولا الروايـة عنـه إلا عـلى سـبيل الاعتبـار.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٤٥)، والطحـاوي في شرح مشـكل الآثـار (١٤/ ١٧٩)، والحاكـم في المسـتدرك (٤/ ٥٤١)، ومـن طريقـه البيهقـي في البعـث والنشـور (٥٩٨).
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) في (ر)، و(م): (إطباق).

أحدُهما: أنَّه ذبح الموت، قاله ابنُ جريجٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّ المعنى: قضي العذاب لهم، قاله مُقاتلٌ[١].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: هم في الدُّنيا في غفلةٍ عمَّا يصنع بهم ذلك اليوم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما يكون في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ أي: نُميتُ سكَّانها فنرثها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموتِ.

فإن قيل: ما الفائدة في ﴿نَحْنُ﴾ وقد كفت عنها ﴿إِنَّا﴾؟

فالجواب: أنَّه لما جاز في قول المعظَّم: «إنَّا نفعل» أن يوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأنَّ الفعل مضافٌ إليه حقيقة.

فإن قيل: فلم قال: ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ وهو يرث الآدميين وغيرهم؟

فالجوابُ: أنَّ من تختصُّ أهل التمييز، وغير المميزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابنُ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٩).

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[مريم: ٤١- ٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ أي: اذكر لقومك قصَّته، وقد سبق في النِّساءِ[١] معنى الصِّديق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يدفعُ عنك ضرًّا.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالله والمعرفةِ ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ﴾ أي: لا تطعه فيما يأمرُ به من الكفرِ والمعاصي. وقد شرحنا معنى كان آنفًا.

و﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصيًا، فهو فعيلٌ بمعنى فاعل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

قال مُقاتلٌ: في الآخرةِ[٢].

وقال غيرُه: في الدُّنيا.

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ أي: قرينًا في عذابِ الله، فجرت المقارنةُ مجرى الموالاةِ.

وقيل: إنَّما طمع إبراهيمُ في إيمانِ أبيه، لأنَّه حين خرج من النَّار [٥٢٣/ب] قال له: نعم الإله إلهك يا إبراهيمُ، فحينئذٍ أقبل يعظُه، فأجابه أبوه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ﴾! أي: أتاركٌ عبادتها أنت؟ ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن عيبها وشتمها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وفيه **قولان**:

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٦٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٩).

أحدهما: بالشتمِ والقولِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ.

والثاني: بالحجارةِ حتَّى تتباعد عنِّي، قاله الحسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: اهجرني طويلاً، رواه ميمونُ بنُ مهرانَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، والفرَّاءُ[1]، والأكثرون.

قال ابنُ قُتيبةَ: اهجرني حيناً طويلًا، ومنه يقال: تملَّيت حبيبك[2].

والثاني: اجتنبني سالمًا قبل أن تصيبك عقوبتي، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، والضَّحاكُ؛ فعلى هذا يكون من قولهم: فلانٌ مليٌّ بكذا وكذا: إذا كان مضطلعًا به، فالمعنى: اهجرني وعرضك وافرٌ، وأنت سليمٌ من أذاي، قاله ابنُ جريرٍ[3].

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكروهٍ، وذلك أنَّه لم يؤمر بقتالِهِ على كفرِهِ.

﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أنَّ المعنى سأسأل الله لك توبةً تنال بها مغفرته.

والثاني: أنَّه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أنَّ ذلك محظورٌ في حقِّ المصرِّين على الكفرِ، ذكرهما ابنُ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ**:

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري(١٥/ ٥٣٥).

أحدها: لطيفاً، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ، والزَّجَّاجُ(١).

والثاني: رحيمًا، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: بارًّا عودني منه الإجابة إذا دعوته، قاله ابنُ قُتيبةَ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أي: وأتنحَّى عنكم، وأعتزل ما ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الأصنام.

وفي معنى ﴿تَدْعُونَ﴾ **قولان**:

أحدهما: تعبدون.

والثاني: أنَّ المعنى: وما تدعونه ربًّا، ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: وأعبدُه ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ أي: أرجو أن لا أشقى بعبادتِهِ كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام، لأنَّها لا تنفعهم ولا تجيب دعاءهم.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾ قال المفسِّرون: هاجر عنهم إلى أرض الشَّامِ، فوهب الله له إسحاقَ ويعقوبَ، فآنس الله وحشته عن فراق قومه بأولاد كرامٍ.

قال أبو سليمان: وإنَّما وهب له إسحاق ويعقوبَ بعد إسماعيل.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾ أي: وكلًّا من هذين.

وقال مُقاتلٌ: ﴿وَكُلًّا﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ قال المفسِّرون: المال والولد والعلم والعمل.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٠).

﴿رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: ذكرًا حسنًا في النَّاس مرتفعًا، فجميعُ أهلِ الأديانِ يتولون إبراهيمَ وذريَّته، ويثنون عليهم، فوضع اللِّسان مكان القول، لأنَّ القول يكون باللِّسان(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١- ٥٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والمفضل عن عاصمٍ: «مُخلِصاً» بكسر اللَّامِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ بفتح اللَّامِ(٢).

[٥٢٤/أ] قال الزَّجَّاجُ: المخلِص، بكسر اللَّامِ: الذي وحَّد الله، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنسة، والمخلَص، بفتح اللَّام: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدَّنس(٣).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما أعاد كان لتفخيم شأنِ النَّبيِّ المذكورِ.

قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: من ناحية الطُّورِ، وهو جبلٌ بين مصرَ ومدين اسمُه زبير.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٢) السبعة (ص: ٣٤٨)، والحجة (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما خاطب الله العربَ بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القبلةِ وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك اتِّساعاً عند انكشاف المعنى، لأنَّ الوادي لا يد له فيكون له يمين.

وقال المفسِّرون: جاء النِّداء عن يمين موسى، فلهذا قال: الأيمن، ولم يرد به يمين الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: معناه: مناجياً فعبَّر فعيل عن مفاعل، كما قالوا: فلانٌ خليطي وعشيري: يعنون: مخالطي ومعاشري.

وروى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ قال: حتَّى سمع صريف القلمِ حين كتب له في الألواحِ[١].

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ أي: من نعمتنا عليه إذ أجبنا دعاءه حين سأل أن نجعل معه أخاه وزيراً له.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ هذا عامٌّ فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين النَّاسِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٩) من طريق عطاء بن السائب، به.

وقال مجاهدٌ: لم يعد ربَّه بوعدٍ قطُّ إلَّا وفَّى له به(١).

فإن قيل: كيف خصَّ بصدقِ الوعدِ إسماعيل، وليس في الأنبياءِ من ليس كذلك؟

فالجوابُ: أنَّ إسماعيلَ عانى في الوفاء بالوعدِ ما لم يعانِه غيرُه من الأنبياءِ، فأثني عليه بذلك.

وذكر المفسرون أنه كان بينه وبين رجل ميعاد، فأقام ينتظره مدة، فيها لهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه أقام حولًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: اثنين وعشرين يوماً، قاله يزيدُ الرُّقاشيُّ.

والثالث: ثلاثةُ أيَّامٍ، قاله مُقاتلٌ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ إلى قومه، وهم جُرْهم.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ قال مُقاتلٌ: يعني: قومه(٣).

وقال الزَّجَّاجُ: أهله: جميع أمَّتِه(٤).

فأمَّا الصَّلاةُ والزَّكاةُ، فهما العبادتانِ المعروفتانِ.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه في السَّماءِ الرَّابعةِ، روى البخاريُّ ومسلمٌ في الصَّحيحينِ من حديثِ مالكِ بن صعصعةَ عن رسولِ الله ﷺ في حديثِ المعراجِ: أنَّه

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦١) من قول ابن جريج.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

رأى إدريس في السَّماء الرَّابعة[١]، وبهذا قال أبو سعيدٍ الخدريِّ، ومجاهدٌ، وأبو العالية.

والثاني: أنَّه في السَّماءِ السادسةِ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحاكُ.

والثالث: أنَّه في الجنَّة، قاله زيدُ بنُ أسلم، وهذا يرجعُ إلى الأوَّلِ، لأنَّه قد روي أنَّ الجنَّةَ في السَّماءِ الرَّابعةِ.

والرابع: أنَّه في السَّماء السَّابعةِ، حكاه أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

وفي سبب صعودِهِ إلى السَّماءِ ثلاثةُ أقوالٍ: [٥٢٤/ب]

أحدها: أنَّه كان يصعد له من العمل مثل ما يصعد لجميعِ بني آدم، فأحبَّه ملكُ الموتِ، فاستأذن الله في خلَّته، فأذن له، فهبط إليه في صورةِ آدمي، وكان يصحبه فلمَّا عرفه، قال إنِّي أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموتَ، فلعلي أعلم ما شدَّته فأكون له أشدُّ استعدادًا؛ فأوحى الله إليه أن اقبض روحَهُ ساعة ثمَّ أرسلَه، ففعل، ثمَّ قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشد ممَّا بلغني عنه، وإنِّي أُحبُّ أن تريني النَّارَ، قال: فحمله، فأراه إيَّاها؛ قال: إنِّي أُحبُّ أن تريني الجنَّة، فأراه إيَّاها، فلمَّا دخلها طاف فيها، قال له ملكُ الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرجُ حتَّى يكون الله تعالى يخرجني؛ فبعث الله ملكًا فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموتِ؟ فقصَّ عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريسُ؟ قال: إنَّ الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وقد ذقته، وقال:

(١) البخاري(٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال لأهل الجنَّةِ: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] فوالله لا أخرجُ حتَّى يكون الله يخرجني؛ فسمع هاتفاً من فوقِهِ يقول: بإذني دخل، وبأمري فعل، فخلِّ سبيلَه؛ هذا معنى ما رواه زيدُ بنُ أسلم مرفوعًا إلى النَّبيِّ ﷺ(١).

فإن سأل سائلٌ فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟ فقد ذكر ابنُ الأَنبارِيِّ عن بعض العلماءِ، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود، وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم.

والثاني: أن ملكًا من الملائكة استأذن ربه أن يهبطَ إلى إدريسَ، فأذن له، فلمَّا عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموتِ قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكةِ، قال: هل تستطيع أن تنفعني عند ملكِ الموتِ؟ قال: سأكلِّمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد به إلى السَّماءِ، فلقي ملك الموتِ، فقال: إنَّ لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلِّمني في إدريسَ وقد محي اسمُه من الصَّحيفة ولم يبقَ من أجله إلَّا نصف طرفة عينٍ؟ فمات إدريسُ بين جناحي الملك، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ(٢).

وقال أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ: فقبض ملك الموتِ روح إدريسَ في السَّماءِ السَّادسةِ(٣).

---

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥١٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٦٣) من طريق هلال بن يساف بن عباس.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٥/ ٥٢٤) عن ابن عباس.

والثالث: أنَّ إدريسَ مشى يومًا في الشَّمس، فأصابه وهجها، فقال: اللَّهمَّ خفِّف ثقلها عمَّن يحملها، يعني به الملك الموكَّل بالشَّمسِ، فلمَّا أصبح الملكُ وجدَ من خفَّة الشَّمسِ وحرَّها ما لا يعرف، فسأل الله ﷻ عن ذلك، فقال: إنَّ عبدي إدريس سألني أن أخفِّف عنك حملها وحرَّها، فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خلة، فأذن له، فأتاه، فكان ممَّا قال له إدريسُ: اشفع لي إلى ملكِ الموتِ ليؤخِّر أجلي، فقال: إنَّ الله لا يؤخِّرُ نفسًا إذا جاء أجلُها، ولكن أكلِّمه فيك، فما كان مستطيعًا أن [٥٢٥/ أ] يفعل بأحدٍ من بني آدم فعل بك، ثمَّ حملَه الملك على جناحِهِ، فرفعه إلى السَّماءِ، فوضعه عند مطلعِ الشَّمسِ، ثمَّ أتى ملك الموتِ فقال: إنَّ لي إليك حاجة، صديقٌ لي من بني آدم تشفَّع بي إليك لتؤخِّر أجلَهُ، قال: ليس ذاك إليَّ، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنَّك كلَّمتني في إنسانٍ ما أراه يموتُ أبدًا، ولا أجدُهُ يموتُ إلَّا عند مطلع الشَّمسِ، فقال: إنِّي أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق، فما أراك تجدُهُ إلَّا ميِّتًا، فوالله ما بقي من أجلِهِ شيءٌ، فرجع الملك فرآه ميِّتًا. وهذا المعنى مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ وكعبٍ في آخرين[١].

فهذا القولُ والذي قبلَه يدلَّانِ على أنَّه ميِّتٌ، والقولُ الأوَّلُ يدلُّ على أنَّه حيٌّ.

---

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥٢٥).

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٥٨- ٦٥].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني: الذين ذكرهم من الأنبياءِ في هذه السُّورةِ ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يعني إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يعني: إبراهيم، لأنَّه من ولدِ سام بن نوحٍ ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد: إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ يعني: ومن ذرِّيَّة إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي: هؤلاء كانوا ممن أرشدنا، ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: واصطفينا.

قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: سجداً حال مقدَّرةٌ، المعنى: خرَّوا مقدرين السُّجود، لأنَّ الإنسانَ في حال خروره لا يكون ساجدًا، فسُجَّدًا منصوبٌ على الحالِ، وهو جمع ساجد، ﴿وَبُكِيًّا﴾ معطوفٌ عليه، وهو جمع باكٍ، فقد بيَّن الله

تعالى أنَّ الأنبياءَ كانوا إذا سمعوا آياتِ الله سجدوا وبكوا من خشيةِ الله[١].

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ قد شرحناه في الأعرافِ[٢].

وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم اليهودُ، رواه الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: اليهودُ والنَّصارى، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: أنَّهم من هذه الأمَّة، يأتون عند ذهاب صالحي أمَّة محمَّد ﷺ يتبارون بالزِّنا، ينزو بعضُهم على بعضٍ في الأزقة زناة، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رزينٍ العقيليُّ، والحسنُ البصري: «الصَّلَوَات» على الجمعِ[٣].

وفي المراد بإضاعتهم إيَّاها قولان:

أحدهما: أنَّهم أخَّروها عن وقتها، قاله ابنُ مسعودٍ، والنخعيُّ، وعمرُ بنُ عبد العزيزِ، والقاسمُ بنُ مخيمرة.

والثاني: تركوها، قاله القرظيُّ، واختاره الزَّجَّاجُ[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: وذلك مثل استماع الغناءِ، وشرب الخمرِ، والزِّنا، واللَّهو، وما شاكل ذلك ممَّا يقطع عن أداءِ فرائضِ الله ﷻ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٦٩).

(٣) التحصيل (٤/ ٢٦٧)، وابن خالويه في الشواذ (ص: ٨٨) وزاد الضحاك.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٥).

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس معنى هذا اللِّقاء مجرَّد الرُّؤية، [٥٢٥/ب] وإنَّما المرادُ به الاجتماعُ والملابسةُ مع الرُّؤيةِ.

وفي المرادِ بهذا الغي ستَّة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه وادٍ في جهنَّم، رواه ابنُ عبَّاسٍ عن رسولِ الله ﷺ(١)، وبه قال كعبٌ.

والثاني: أنَّه نهرٌ في جهنَّم، قاله ابنُ مسعودٍ.

والثالث: أنَّه الخسرانُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه العذابُ، قاله مجاهدٌ.

والخامس: أنَّه الشرُّ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائبِ.

والسَّادس: أنَّ المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغَي، كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي مجازاة الآثام، قاله الزَّجَّاجُ(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تاب من الشِّركِ، وآمن بمحمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتلٌ(٣).

والثاني: تاب من التقصير في الصَّلاةِ، وآمن من اليهودِ والنَّصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

---

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٥٢٨) من طريق نهشل، عن الضحاك، به.

ونهشل بن سعيد الورداني، متروك.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٢).

وقرأ أبو رزين العقيليُّ، والضَّحاكُ، وابنُ يعمر، وابنُ أبي عبلةَ: «جناتُ» برفع التَّاءِ(١).

وقرأ الحسنُ البصري، والشَّعبيُّ، وابنُ السَّميفع: «جنةُ عَدْنٍ» على التَّوحيد مع رفع التَّاءِ(٢).

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو المتوكِّل الناجي: «جنَّةَ عَدْنٍ» على التَّوحيد مع نصبِ التَّاءِ.

وقوله: ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: وعدهم بها، ولم يروها، فهي غائبةٌ عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: آتياً.

قال ابنُ قُتيبةَ: وهو مفعولٌ في معنى فاعل، وهو قليلٌ أن يأتي الفاعل على لفظِ المفعولِ به(٣).

وقال الفرَّاءُ: إنَّما لم يقل: آتياً، لأنَّ كلَّ ما أتاك فأنت تأتيه؛ ألا ترى أنَّك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليَّ خمسون(٤).

والثاني: مبلوغاً إليه، قاله ابنُ الأنبارِيِّ.

---

(١) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨) عن الحسن، وفي المحرر (٤/ ٢٣) عيسى بن عمر، وأبي حيوة

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨)، الحسن بن حي، والمحرر (٤/ ٢٣) عن علي بن صالح، وزاد في التحصيل (٤/ ٢٦٧) الأعمش.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٠).

وقال ابنُ جريجٍ: ﴿وَعْدُهُۥ﴾ هاهنا: موعوده، وهو الجنَّة، و﴿مَأْتِيًّا﴾ يأتيه أولياؤه(١).

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه التخالف عند شربِ الخمرِ، قاله مُقاتلٌ(٢).

والثاني: ما يلغى من الكلامِ ويؤثم فيه، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: اللَّغو في العربيَّة: الفاسدُ المطَّرح.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾.

قال أبو عُبيدةَ: السلامُ ليس من اللَّغو، والعربُ تستثني الشَّيء بعد الشَّيء وليس منه، وذلك أنَّها تضمر فيه، فالمعنى: إلَّا أنَّهم يسمعون فيها سلاماً(٤).

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: استثنى السَّلام من غير جنسِهِ، وفي ذلك توكيدٌ للمعنى المقصود، لأنَّهم إذا لم يسمعوا من اللَّغو إلَّا السَّلام، فليس يسمعون لغوًا البتة، وكذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] إذا لم يخرج من عداوتهم لي غير ربِّ العالمين، فكلُّهم عدوٌّ.

وفي معنى هذا السَّلام قولان:

أحدهما: أنَّه تسليم الملائكة عليهم، قاله مُقاتلٌ(٥).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

والثاني: أنَّهم لا يسمعون إلَّا ما يُسَلِّمُهم، ولا يسمعون ما يؤثمهم، قاله الزَّجَّاجُ(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

قال المفسِّرون: ليس في الجنَّة بكرة ولا عشيَّة، ولكنَّهم يؤتون برزقهم ـ على مقدارِ ما كانوا يعرفون ـ في الغداة والعشي.

قال الحسنُ: كانت العرب لا تعرف شيئًا من العيشِ أفضل من الغداءِ والعشاءِ، فذكر الله لهم ذلك(٢). [٥٢٦/أ]

وقال قتادةُ: كانت العربُ إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به، فأخبر الله أنَّ لهم في الجنَّة رزقهم بكرةً وعشيًّا على قدر ذلك الوقت، وليس ثَمَّ ليل ولا نهار، وإنَّما هو ضوءٌ ونورٌ(٣).

وروى الوليدُ بنُ مسلم قال: سألت زهير بن محمَّد عن قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقال: ليس في الجنَّة ليلٌ ولا نهارٌ، هم في نورٍ أبدًا، ولهم مقدار اللَّيل والنَّهارِ، يعرفون مقدار اللَّيل بإرخاءِ الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النَّهار برفع الحجب وفتح الأبواب(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٥٨)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٧٧) عن معمر، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٧٦) عن علي بن سهل، عن الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد التميمي العنبري، أبو المنذر الخراساني، بنحوه.

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ﴾ الإشارةُ إلى قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ نُورِثُ ﴾.

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، والحسنُ، والشَّعبيُّ، وقتادةُ، وابنُ أبي عبلةَ: بفتح الواو وتشديدِ الرَّاء[1].

قال المفسِّرون: ومعنى «نُورِثُ»: نعطي المساكن التي كانت لأهل النَّار لو آمنوا للمؤمنين.

ويجوز أن يكون معنى نورث: نعطي، فيكون كالميراثِ لهم من جهة أنَّها تمليكٌ متسأنفٌ، وقد شرحنا هذا في الأعراف[2].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾.

وقرأ ابنُ السَّميفع وابنُ يعمر: «وما يَتَنَزَّلُ» بياءٍ مفتوحةٍ[3].

وفي سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يَا جِبرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا**»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ[4].

---

(١) عن الحسن، وقتادة في التحصيل (٤/ ٢٦٨)، وانظر: معاني القراءات (٢/ ١٣٦)، والمبسوط (١/ ٢٨٩)، والكامل (١/ ٥٥٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٤٣).

(٣) عن الأعرج في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨).

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٣١)، والبخاري (٤٧٣١)، وفي خلق أفعال العباد (ص: ٧٢)، والترمذي (٣١٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٧) من طُرق عن عمر بن ذر، عن أبيه، به.

والثاني: أن الملك أبطأ على رسول الله ﷺ ثم أتاه، فقال: لَعَلِّي أبطأت، قال: قد فعلت، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تتسوكون، ولا تقصون أظفاركم، ولا تنقون براجمكم، فنزلت الآيةُ، قاله مجاهدٌ[١].

قال ابنُ الأنبارِيِّ: البراجمُ عند العربِ: الفصوص التي في فصول ظهورِ الأصابعِ، تبدو إذا جُمعت، وتغمض إذا بُسطت، والرَّواجب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبةٌ.

والثالث: أنَّ جبريلَ احتبس عن النَّبيِّ ﷺ حين سأله قومُه عن قصَّة أصحابِ الكهفِ، وذي القرنين، والرُّوح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريلُ بجوابٍ، فأبطأ عليه، فشقَّ على رسولِ الله ﷺ مشقَّة شديدة، فلمَّا نزل جبريل قال له: «**أَبْطَأْتَ عَلَيَّ حَتَّى سَاءَ ظَنِّي، وَاشْتَقْتُ إِلَيْكَ**»، فقال جبريلُ: إنِّي كنت أَشْوَقَ، ولكنِّي عبدٌ مأمورٌ، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عكرمةُ[٢] وقتادةُ[٣] والضَّحاكُ[٤].

وفي سبب احتباسِ جبريل عن رسولِ الله ﷺ قولان:

أحدهما: لامتناع أصحابِهِ من كمال النَّظافة، كما ذكرنا في حديث مجاهدٍ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٩) من طريق الأعمش، عن مجاهد، مرسلاً.

(٢) أثر عكرمة رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٤٩) وقال غريب.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٨٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بنحو حديث عكرمة.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٨١).

والثاني: لأنَّهم سألوه عن قصَّة أصحابِ الكهفِ، فقال: «غداً أُخبِرُكُمْ»، ولم يقل: إن شاء الله؛ وقد سبق هذا في سورةِ الكهف(١).

وفي مقدار احتباسه عنه خمسة أقوالٍ:

[٥٢٦/ب] أحدها: خمسة عشر يومًا؛ وقد ذكرناه في الكهفِ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أربعون يومًا، قاله عكرمة، ومُقاتلٌ(٢).

والثالث: اثنتا عشرة ليلة، قاله مجاهدٌ.

والرابع: ثلاثةُ أيَّامٍ، حكاه مُقاتلٌ(٣).

والخامس: خمسة وعشرون يومًا، حكاه الثَّعلبيُّ(٤).

وقيل: إنَّ سورةَ الضُّحى نزلت في هذا السببِ.

والمفسِّرون على أنَّ قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قول جبريل.

وحكى الماوردِيُّ: أنَّه قول أهل الجنَّة إذا دخلوها، فالمعنى: ما ننزل هذه الجنان إلَّا بأمرِ الله، وقيل: ما ننزل موضعًا من الجنَّة إلَّا بأمرِ الله(٥).

وفي قوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قولان:

أحدهما: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ الدنيا، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ، ومُقاتلٌ(٦).

---

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٢٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: الكشف والبيان (٦/ ٢٢٣) وفيه: «خمس عشرة».

(٥) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٨١).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

والثاني: ما بين أيدينا: ما مضى من الدُّنيا، وما خلفنا: من الآخرةِ، فهو عكس الأوَّل، قاله مجاهدٌ.

وقال الأخفشُ: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: قبل أن نخلق، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: بعد الفناءِ(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: ما بين الدُّنيا والآخرة، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: ما بين النفختين، قاله مجاهدٌ، وعكرمةُ، وأبو العاليةِ.

والثالث: حين كوننا، قاله الأَخفَشُ(٢).

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: وإنَّما وحد ذلك، والإشارةُ إلى شيئين.

أحدهما: ما بين أيدينا.

والثاني: ما خلفنا، لأنَّ العربَ توقع ذلك على الاثنين والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ النسيُّ بمعنى النَّاسي.

وفي معنى الكلامِ قولان:

أحدهما: ما كان تاركاً لك منذ أبطأ الوحي عنك، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

قال مُقَاتِلٌ: ما نسيك عند انقطاع الوحي عنك(٣).

والثاني: أنَّه عالم بما كان ويكون لا ينسى شيئًا، قاله الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٣٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٣٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٧).

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ أي: وحِّده، لأنَّ عبادته بالشِّركِ ليست عبادة، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ أي: اصبر على توحيدِهِ؛ وقيل: على أمرِهِ ونهيه.

قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾.

روى هارونُ عن أبي عمرٍو أنَّه كان يدغم «هل تعلم»، ووجهه أنَّ سيبويه يجيز إدغام اللَّام في التَّاءِ والثَّاء والدَّال والزَّاي والسِّين والصَّاد والطَّاء، لأن آخر مخرج اللَّام قريبٌ من مخارجهنَّ.

قال أبو عُبيدةَ: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لغتان، بعضهم يبين لام «هل»، وبعضُهم يدغمها[1].

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: مثلاً وشِبهاً، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ.

والثاني: هل تعلم أحدًا يسمِّي الله غيره، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: هل تعلم أحدًا يستحقُّ أن يُقال له: خالق وقادر إلَّا هو، قاله الزَّجَّاجُ[2].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٨).

مَقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾[مريم: ٦٦- ٧٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾:

سبب نزولها: أن أُبيَّ بنَ خلفٍ أخذ عظمًا باليًا، فجعل يفُتُّهُ بيده ويذريه في الرِّيح ويقول: زعم لكم محمَّد أنَّ الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ[1].

وروى عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: ﴿لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين [٥٢٧/أ] جوابُه؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ، ذكرها ابنُ الأنبارِيِّ:

أحدها: أنَّ ظاهرَ الكلامِ استفهامٌ، ومعناه معنى جحد وإنكارٌ، تلخيصه: لست مبعوثًا بعد الموتِ.

والثاني: أنَّه لما استفهم بهذا الكلامِ عن البعثِ، أجابه الله ﷻ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، فهو مشتملٌ على معنى: نعم، وأنت مبعوثٌ.

والثالث: أنَّ جوابَ سؤال هذا الكافرِ في يس[2] عند قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا﴾، ولا ينكرُ بعد الجوابِ، لأنَّ القرآنَ كلَّه بمنزلة الرِّسالةِ الواحدةِ، والسُّورتان مكِّيتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: بفتح الذَّالِ مشددة الكاف.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٠١) عن محمد بن السائب الكلبي.

(٢) انظر: تفسير سورة يس الآية (٧٨).

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿يَذْكُرُ﴾، ساكنة الذَّال خفيفة[١].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل الناجي: «أولا يتذكر الإنسان» بياء وتاء[٢].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو عبد الرَّحمن السلميُّ، والحسنُ: «يذْكُر» بياء من غير تاء ساكنة الذَّال مخففة مرفوعة الكاف، والمعنى: أولا يتذكر هذا الجاحدُ أوَّل خلقه، فيستدل بالابتداءِ على الإعادةِ؟

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ يعني: المكذِّبين بالبعث ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي: مع الشَّياطين، وذلك أنَّ كلَّ كافرٍ يحشر مع شيطانه في سلسلةٍ.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾.

قال مُقاتلٌ: أي: في جهنَّم، وذلك أنَّ حولَ الشَّيء يجوز أن يكون داخله، تقول: جلس القومُ حول البيت: إذا جلسوا داخلَه مطيفين به[٣].

وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها.

فأمَّا قوله: ﴿جِثِيًّا﴾.

فقال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ جاث، مثل قاعد وقعود، وهو منصوبٌ على الحالِ، والأصلُ ضمُّ الجيمِ، وجاء كسرُها إتباعًا لكسرةِ الثَّاءِ[٤].

وللمفسِّرين في معناه خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: قعودًا، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص: ٤١٠)، والحجة (٥/ ٢٠٣-٢٠٤)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٢) قراءة أُبي رضي الله عنه في الحجة (٥/ ٢٠٤)، والمحرر (٤/ ٢٥)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٨٨).

(٣) لم أقف عليه من كلام مقاتل، وهو في الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٨).

والثاني: جماعات جماعات، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

فعلى هذا هو جمع جثوة وهي المجموع من التُّراب والحجارةِ.

والثالث: جثيًّا على الرُّكَب، قاله الحسنُ، ومجاهدٌ، والزَّجَّاجُ[1].

والرابع: قيامًا، قاله أبو مالكٍ.

والخامس: قيامًا على ركبهم، قاله السُّدِّيُّ، وذلك لضيق المكان بهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: لنأخذنَّ من كلِّ فرقةٍ وأمَّةٍ وأهل دين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمهم له معصية، والمعنى: أنَّه يبدأ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جرماً، والرؤوس القادة في الشرِّ.

قال الزَّجَّاجُ: وفي رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ **ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّه على الاستئناف، ولم تعمل «لننزعن» شيئًا، هذا قولُ يُونسَ.

والثاني: أنَّه على معنى الذي يُقال لهم: أيُّهم أشدُّ على الرَّحمن عتيًّا؟ قاله الخليلُ، واختاره الزَّجَّاجُ، وقال: التأويل لننزعنَّ الذي من أجل عتوه يقال: أي هؤلاء أشدُّ عتيًّا؟ وأنشد [من الكامل][2]:

وَلَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لَا حَرِجٌ وَلَا مَحْرُومُ

المعنى: أبيتُ بمنزلةِ الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم. [٥٢٧/ ب]

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ٣٣٨).

(٢) البيت للأخطل في ديوانه (ص: ٦١٦)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٥١٠)، وشرح المفصل (٣/ ١٤٦)، والكتاب (٢/ ٨٤)، ولسان العرب (٤/ ٤٩٢)، وبلا نسبة في الإنصاف (١/ ٧١٠)، وشرح المفصل (٧/ ٨٧).

والثالـث: أنَّ أيهـم مبنيَّـةٌ عـلى الضمِّ، لأنَّـه خالفـت أخواتها، فالمعنـى: أيُّهم هـو أفضـل. وبيان خلافها لأخواتهـا أنَّك تقول: اضرب أيهم أفضل، ولا يحسـن: اضرب مـن أفضـل، حتَّـى تقول من هـو أفضل، ولا يحسـن: كل ما أطيـب، حتَّى تقـول: مـا هـو أطيـبُ، ولا خـذ مـا أفضل، حتَّـى تقـول: الـذي هو أفضـل، فلما خالفـت ما ومـن والـذي، بُنيت على الضـمِّ، قاله سـيبويه[1].

قولـه تعـالى: ﴿هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ يعنـي: أنَّ الأولى بهـا ﴿صِلِيًّا﴾ الذيـن هـم أشـدُّ ﴿عِتِيًّا﴾، فيُبتـدأ بهـم قبـل أتباعهـم.

﴿صِلِيًّا﴾: منصـوبٌ عـلى التَّفسـيرِ، يقـال: صـلي النـار يصلاهـا: إذا دخلهـا وقاسـى حرَّهـا.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ في الـكلامِ إضـمارٌ تقديـره: ومـا منكـم أحـدٌ إلَّا وهـو واردهـا.

وفيمن عني بهذا الخطابِ قولان:

أحدهما: أنَّه عامٌّ في حقِّ المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين.

وروي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: هذه الآية للكفَّار.

وأكثر الروايات عنه كالقول الأوَّل.

قـال ابـنُ الأنبـارِيِّ: ووجـه هـذا أنَّه لما قـال: لنحضرنهـم وقال: أيهم أشـدُّ عـلى الرَّحمـن عتيًّـا، كان التقديـر: وإن منهـم، فأبدلـتِ الـكافُ من الهـاء، كما فعل في قولـه: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الإنسـان: ٢٢] المعنـى: كان لهـم، لأنَّـه مـردودٌ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٩).

على قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر [من الكامل][(١)]:

شَطَّتْ مُزارَ العاشِقينَ فأصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

أراد: طلابها.

وفي هذا الورودِ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الدُّخولُ، روى جابرُ بنُ عبد الله عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**الْوُرُودُ: الدُّخُولُ، لا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ، - أَوْ قَالَ: لِجَهَنَّمَ - ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ**»[(٢)].

وروي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه سأله نافعُ بنُ الأزرقِ عن هذه الآية فقال له: أمَّا أنا وأنت فسندخلها، فانظر أيُخرجنا الله ﷻ منها، أم لا؟ فاحتجَّ بقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وبقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨][(٣)].

(١) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ١٠٩)، ولسان العرب (٤/ ٣١٤ـ٣٣٦)، وتاج العروس (١١/ ٣٩٦)، ومقياس اللغة (٣/ ٤٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٢/ ٣٩٧)، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبيهقي في الشعب (٣٧٠) من طريق سليمان بن حرب، عن غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية، عن جابر بنحوه.
ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٨) من طريق سليمان بن حرب، عن أبي صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد أبي سهل، عن مُسة الأزدية، عن عبد الرحمن بن شيبة، عن جابر.
وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة أبي سمية، ومُسة هذه لم يرو عنها غير كثير بن زياد، وقد اضطرب في هذا الحديث.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٠)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٩٠)

وكان عبد الله بن رواحةَ يبكي ويقول: أنبئت أني وارد، ولم أنبأ أنِّي صادر[١].

وحكى الحسنُ البصريُّ أنَّ رجلًا قال لأخيه: يا أخي هل أتاك أنَّك وارد النَّارِ؟ قال: نعم؛ قال: فهل أتاك أنَّك خارجٌ منها، قال: لا؛ قال: ففيم الضَّحك[٢]؟

وقال خالدُ بنُ معدان: إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: بلى، ولكن مَرَرْتُم بها وهي خامدةٌ[٣].

وممن ذهب إلى أنَّه الدُّخول: الحسن في رواية، وأبو مالكٍ.

وقد اعترض على أرباب هذا القول بأشياءَ.

فقال الزَّجَّاجُ: العربُ تقول: وردت بلد كذا، ووردت ماء كذا، إذا أشرفوا عليه وإن لم يدخلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] والحجة القاطعةُ في هذا القولِ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا

[٥٢٨/أ] مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وقال زهير [من الطويل][٤]:

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

أي: لما بلغنَ الماء قُمْنَ عليه.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٢٧) عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٠٠) من طريق ابن المبارك، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٩٢) من طريق بكار بن أبي مروان، به.

(٤) البيت في ديوانه (ص: ١٣)، ولسان العرب (٣/ ٤٥٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ٦٠٨)، وتاج العروس (٩/ ٢٨٩).

قال الشَّيخ[١]: **قلتُ**: وقد أجاب بعضُهم عن هذه الحججِ، فقال: أمَّا الآيةُ الأولى، فإنَّ موسى لما أقام حتَّى استقى الماء وسقى الغنم، كان بلبثه ومباشرته كأنَّه دخل؛ وأمَّا الآيةُ الأخرى: فإنَّها تضمَّنت الإخبار عن أهلِ الجنَّةِ حين كونهم فيها، وحينئذٍ لا يسمعون حسيسها.

وقد روينا آنفاً عن خالدِ بنِ معدان أنَّهم يمرُّون بها، ولا يعلمون[٢].

والثاني: أنَّ الورود: المر عليها، قاله عبدُ الله بنُ مسعودٍ، وقتادةُ.

وقال ابنُ مسعودٍ: يرد النَّاس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأوَّلُهم كلمح البرقِ، ثمَّ كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكبِ في رحله، ثم كشدِّ الرَّجلِ، ثم كمشيه[٣].

والثالث: أنَّ ورودها: حضورها، قاله عبيدُ بنُ عمير.

والرابع: أنَّ ورود المسلمين: المرور على الجسرِ، وورود المشركين: دخولها، قاله ابنُ زيدٍ.

والخامس: أنَّ ورود المؤمن إليها: ما يصيبه من الحمَّى في الدُّنيا، روى عثمانُ بن الأسودِ، عن مجاهدٍ أنَّه قال: الحُمَّى حظٌّ كل مُؤْمنٍ من النَّار، ثُم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٤]، فعلى هذا من حُمَّ من المسلمين، فقد وردها.

---

(١) في (س)، و(ر): (قلت)، وفي (م): (قال المصنِّف: قلت).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، والدرمي (٢٨١٠)، والترمذي (٣١٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٧) مرفوعًا.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٢٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٣٨٥) من طريق عثمان بن الأسود، به.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: الورود ﴿حَتْمًا﴾ والحتمُ: إيجابُ القضاءِ، والقطع بالأمرِ.

والمقضي: الذي قضاه الله تعالى، والمعنى: إنَّه حتم ذلك وقضاه على الخلقِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو مجلَزٍ، وابنُ يعمر، وابنُ أبي ليلى، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «ثَمَّ» بفتح الثَّاءِ[1].

وقرأ الكسائيُّ، ويعقوبُ: «نُنْجي» مخفَّفةٌ[2].

وقرأت عائشةُ، وأبو بحرية، وأبو الجوزاء الرِّبعي: «ثم يُنْجِي» بياءٍ مرفوعةٍ قبل النُّون خفيفة الجيم مكسورة.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مجلزٍ، وابنُ السَّميفع، وأبو رجاء: «نُنَحِّي» بحاءٍ غير معجمة مشدَّدة[3].

وهذه الآيةُ يحتجُّ بها القائلون بدخول جميع الخلق، لأنَّ النَّجاة: تخليص الواقع في الشَّيء، ويؤكده قوله تعالى: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا﴾ ولم يقل: وندخلهم؛ وإنَّما يقال: نذر ونترك لمن قد حصل في مكانه.

ومن قال: إنَّ الورودَ للكفَّارِ خاصَّةٌ، قال: معنى هذا الكلام: نخرج المتَّقين من جملةِ من يدخل النَّار.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابنِ عباس، والجحدري، وابن أبي ليلى، وفي التحصيل (٤/ ٢٨١) عن ابن عباس، وغيره.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابن محيصن، وزاد في المحرر (٤/ ٢٨) يحيى والأعمش.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٢٨) عن علي بن أبي طالب.

والمراد بالمتَّقين: الذين اتَّقوا الشِّرك، وبالظَّالمين: الكفَّار.

وقد سبق معنى قوله تعالى: ﴿جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾[مريم: ٧٣- ٧٤].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ يعني: القرآن ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: مشركي قريش ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: لفقراءِ المؤمنين ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾.

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، [وحفصٍ][1] عن عاصمٍ: «مَقاماً» بفتح الميمِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ بضمِّ الميم[2].

قال أبو عليٍّ الفارسي: المقام: اسم المثوى، إن فُتحت الميم أو ضُمَّت[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ والنديُّ والنادي: مجلس القومِ ومجتمعهم.

وقال الفرَّاءُ: النديُّ والنادي، لغتان[4].

ومعنى الكلام: أنحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن [٥٢٨/ ب] والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ وقد بيَّنا

---

(١) زيادة من (م).

(٢) السبعة (ص: ٤١١)، والحجة(٥/ ٢٠٤_٢٠٥)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٣) الحجة (٥/ ٢٠٥).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

معنى القرن في الأنعام[١] وشرحنا الأثاث في النَّحل[٢].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَرِءْيًا﴾.

فقرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿وَرِءْيًا﴾ بهمزةٍ بين الرَّاءِ والياءِ في وزن رِعيًا.

قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: منظراً، من رأيت[٣].

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «رِيًّا» بياءٍ مشدَّدةٍ من غير همزٍ[٤].

قال الزَّجَّاجُ: لها تفسيران:

أحدهما: أنَّها بمعنى الأولى.

والثاني: أنَّها من الرِّيِّ، فالمعنى منظرهم مرتوٍ من النعمة، كأنَّ النَّعيم بيِّنٌ فيهم[٥].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وابنُ أبي سُريجٍ عن الكسائيِّ: «زِيًّا» بالزَّاي المعجمةِ مع تشديدِ الياءِ من غير همزٍ[٦].

قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: حسنٌ هيئتهم[٧].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٦).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٨٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٢).

(٤) السبعة (ص: ٤١١)، والحجة (٥/ ٢٠٩)، والمبسوط (١/ ٢٩٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٣).

(٦) في التحصيل (٤/ ٢٨٢) عن سعيد بن جبير، والأعسم المكي، ويزيد البربري، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابن جبير

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٣).

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريـم: ٧٥- ٧٦].

قولـه تعـالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ أي: في الكفـرِ والعمـى عـن التَّوحيـدِ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: وهـذا لفـظ أمـرٍ، ومعنـاه الخـبرُ، والمعنـى: أنَّ الله تعـالى جعـل جـزاء ضلالتـه أن يتركَـهُ فيهـا[١].

قـال ابـنُ الأنبـارِيِّ: خاطـب الله العـربَ بلسـانها، وهـي تقصـد التَّوكيـد للخـبرِ بذكـرِ الأمـرِ، يقـول أحدُهـم: إن زارنـا عبـد الله فلنكرمـه، يقصـد التَّوكيـد، وينبِّـه عـلى أني ألـزم نفـسي إكرامـه؛ ويجـوز أن تكـون الـلَّامُ لام الدُّعـاءِ عـلى معنـى: قـل يـا محمَّـد: مـن كان في الضَّلالـةِ فاللَّهـم مُـدَّ لـه في العمـرِ مـدًّا.

قال المفسِّرون: ومعنى مد الله تعالى له: إمهاله في الغي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ﴾ يعني الذين مدَّهم في الضلالةِ.

وإنَّما أخبر عن الجماعة، لأنَّ لفظ «من» يصلح للجماعةِ.

ثـم ذكـر مـا يوعـدون فقـال: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعنـي: القتـل، والأسر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعنـي: القيامـة ومـا وعـدوا فيهـا مـن الخلـودِ في النَّـار ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في الآخـرة، أهـم، أم المؤمنـون؟ لأنَّ مـكان

---

(١) المصدر السابق.

هـؤلاء [الجنَّـة، ومـكان هـؤلاء][(١)] النَّـار، ويعلمـون بالنَّصر والقتـلِ ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ جندهـم، أم جنـد رسـولِ الله ﷺ.

وهذا ردٌّ عليهم في قولهم: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: ويزيدُ الله الذين اهتدوا بالتَّوحيد إيمانًا.

والثاني: يزيدهم بصيرة في دينهم.

والثالث: يزيدهم بزيادة الوحي إيمانًا، فكلَّما نزلت سورة زاد إيمانُهم.

والرابع: يزيدهم إيمانًا بالناسخِ والمنسوخِ.

والخامس: يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخِ هدى بالنَّاسخ.

قـال الزَّجَّـاجُ: المعنـى: إنَّ الله تعـالى يجعـل جزاءهـم أن يزيدهـم يقينًـا، كـما جعـل جـزاء الكافـر أن يمـدَّه في ضلالتـه[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قد ذكرناها في سورة الكهفِ[(٣)].

قولـه تعـالى: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ المـردُّ هاهنا مصـدر مثل الـرَّدِّ، والمعنى: وخير ردًّا للثَّـواب عـلى عامليها، فليسـت كأعـمال الكفَّار التـي خسروها فبطلت.

قولـه تعـالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريـم: ٧٧- ٨٠].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (س)، و(م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٤٦).

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ في سبب نزولها قولان: [٥٢٩/أ]

أحدهما: ما روى البخاريُّ ومسلمٌ في الصَّحيحين من حديث مسروق، عن خبَّاب بن الأرتِّ قال: كُنْتُ قَيْنًا[١] فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لاَ وَاللهِ لاَ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقُلْتُ: لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ فيه هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿فَرْدًا﴾[٢].

والثاني: أنَّها نزلت في الوليدِ بنِ المغيرة، وهذا مرويٌّ عن الحسنِ[٣].

والمفسِّرون على الأوَّل.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: بفتح الواو.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: بضمِّ الواو[٤].

وقال الفرَّاءُ: وهما لغتان: الْعَدم، وَالْعُدْم، وليس يجمع، وقيس تجعل الوُلْد جمعًا، والوَلد، بفتح الواو، واحدًا[٥].

وأين زعم هذا الكافر أن يؤتى المال والولد؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه أراد في الجنَّة على زعمكم.

---

(١) أي: حدَّادًا.

(٢) رواه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥).

(٣) أورده ابن عطية في المحرر (٤/ ٣٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٩٣).

(٤) السبعة (ص: ٤١٢)، والحجة (٥/ ٢١٠)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٧٣).

والثاني: في الدُّنيا.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وتقدير الآية: أرأيته مصيباً؟

قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ: أعَلِمَ ما غاب عنه حتَّى يعلم أفي الجنَّة هو، أم لا(١)؟

وقال في روايةٍ أخرى: أنَظَرَ في اللَّوح المحفوظِ(٢)؟

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟ قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أم قدَّم عملاً صالحاً، فهو يرجوه؟ قاله قتادةُ.

والثالث: أم عهد إليه أنَّه يدخله الجنَّة؟ قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما قال من أنَّه يُؤتى المال والولد.

ويجوز أن يكون معنى كلا أي: إنَّه لم يطلع الغيب، ولم يتَّخذ عند الرَّحمن عهداً.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمر الحفظة بإثباتِ قوله عليه لنجازيه به، ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نجعل بعض العذاب على إثر بعضٍ.

وقرأ أبو العاليةِ الرِّياحيُّ، وأبو رجاءٍ العطارديُّ: «سيكتب»، و«يَرثه» بياءٍ مفتوحةٍ(٣).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٢٢٩)، وفي الوسيط (٣/ ١٩٤) من قول الكلبي.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٣١) وقرأ عاصم والأعمش «سيُكتب» بياء مضمومة.

قوله تعالى: ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نرثه ما يقول أنَّه له في الجنَّة، فنجعله لغيرِه من المسلمين، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ، واختاره الفَرَّاءُ.

والثاني: نرث ما عنده من المالِ والولد، بإهلاكنا إيَّاه، وإبطال ملكه، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضاً، وبه قال قتادةُ.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: سنسلبه المال والولد، ونجعلُه لغيره(١).

قوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ أي: بلا مالٍ ولا ولدٍ.

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾[مريم: ٨١- ٨٤].

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ يعني: المشركين عابدي الأصنام ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾.

قال الفَرَّاءُ: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرةِ(٢).

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: ليس الأمر كما قدروا، ﴿سَيَكْفُرُونَ ﴾ يعني الأصنام بجحد عبادة المشركين، كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾[القصص: ٦٣] لأنَّها كانت جماداً لا تعقل العبادة، ﴿وَيَكُونُونَ ﴾ يعني: الأصنام ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا ﴾ أي: أعوانًا عليهم في القيامة، يكذبونهم ويلعنونهم. [٥٢٩/ ب]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: **في معنى هذا الإرسال وجهان:**

أحدهما: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من القَبول منهم.

والثاني: وهو المختارُ: سلطناهم عليهم، وقيضناهم لهم بكفرِهم.

﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً حتَّى يركبوا المعاصي[1].

وقال الفَرَّاءُ: تزعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها[2].

قال ابنُ فارسٍ: يقال: أزَّه على كذا: إذا أغراه به، وأزَّت القِدْر: غَلَت[3].

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: لا تعجل بطلبِ عذابهم، وزعم بعضُهم أنَّ هذا منسوخٌ بآية السَّيفِ، وليس بصحيحٍ.

﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ **في هذا المعدودِ ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها أنفاسهم، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال طاووس، ومُقاتلٌ[4].

والثَّاني: الأيَّام، واللَّيالي، والشُّهور، والسُّنون[5]، والسَّاعات، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّها أعمالهم، قاله قطربٌ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٢).

(٣) مجمل اللغة (١/ ٧٩).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٩).

(٥) في (ر): (والسنين).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٥- ٨٧].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال بعضهم: هذا متعلِّقٌ بقوله: ويكونون عليهم ضدًّا، يوم نحشر المتَّقين.

وقال بعضُهم: تقديره: اذكر لهم يوم نحشر المتَّقين، وهم الذين اتَّقوا الله بطاعته واجتناب معصيته.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عمرانَ الجُونيُّ: «يَحْشُر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع الشِّين، و«يَسُوق» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع السِّين.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والحسنُ البصريُّ، ومعاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّل النَّاجي: «يوم يُحْشَر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح الشِّين «المتقون» رفعًا، «ويُساقُ» بألفٍ وياءٍ مرفوعةٍ «المجرمون» بالواو على الرَّفع(١).

والوفد: جمع وافد، مثل: ركب، وراكب، وصحب، وصاحب.

قال ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، والفرَّاءُ: الوفدُ: الرُّكبان(٢).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: الرُّكبان عند العرب: ركاب الإبلِ.

وفي زمان هذا الحشر قولان:

أحدهما: أنَّه من قبورهم إلى الرَّحمن، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

والثاني: أنَّه بعد الحسابِ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، والمحرر (٤/ ٣٢) عن الحسن.

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٢).

قال ابنُ عبَّاسٍ، وأبو هريرةَ، والحسنُ: عطاشًا[١].

قال أبو عُبيدةَ: الوِرْدُ: مصدرُ الورود[٢].

وقال ابنُ قُتيبةَ: الوِرْدُ: جماعةٌ يردون الماءَ[٣]، يعني: أنَّهم عطاشٌ، لأنَّه لا يرد الماء إلَّا العطشان.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: معنى قوله وردًا: واردين.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا يشفعون ولا يشفع لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أن يكون «من» في موضع رفعٍ على البدلِ من الواو والنُّونِ، فيكون المعنى: لا يملك الشَّفاعة إلَّا من اتَّخذ عن الرَّحمن عهداً، وجائزٌ أن يكون في موضع نصبٍ على استثناء «ليس» من الأوَّل، فالمعنى: لا يملك الشَّفاعة المجرمون، ثمَّ قال: إلَّا على معنى لكن ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فإنَّه يملكُ الشَّفاعة[٤].

والعهد هاهنا: توحيدُ الله والإيمانُ به.

[٥٣٠/أ] وقال ابنُ الأنبارِيِّ: تفسيرُ العهد في اللُّغة: تقدمة أمر يعلم ويحفظ، من قولك: عهدت فلاناً في هذا المكانِ، أي: عرفته، وشهدته.

---

(١) روي هذه الآثار ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٣١).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١).

(٣) غريب القرآن (١/ ٢٧٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٦).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[مريم: ٨٨- ٩٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ يعني: اليهود، والنَّصارى، ومَن زعمَ من المشركين أنَّ الملائكةَ بنات الله ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ أي: شيئاً عظيماً من الكفر.

قال أبو عُبيدةَ: الإدُّ، والنُّكر: الأمرُ المتناهي العِظَم[١].

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿تَكَادُ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ نافعٌ، والكسائيُّ: «يَكَادُ» بالياءِ[٢].

وقرءا جميعاً: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالياءِ والتَّاءِ مشدَّدة الطَّاء، وافقهما ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ في: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

وقرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ينفطرن» بالنُّون[٣].

وهكذا خلافهم في ﴿عسق﴾[٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٢).

(٢) السبعة (ص: ٤١٢)، والحجة (٥/ ٢١٤)، والمبسوط (١/ ٢٩١).

(٣) السبعة (ص: ٢١٢)، والحجة (٥/ ٢١٣)، والتيسير (ص: ١٩٤).

(٤) قوله: (وهكذا خلافهم في عسق)، ليس في (م).

وقرأ حمزةُ، وابنُ عامرٍ في مَرْيم مثل أبي عمرٍو، وفي ﴿ عَسَقَ ﴾ مثل ابن كثيرٍ.

ومعنى ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: يقاربن الانشقاق من قولكم.

قال ابنُ قُتيبةَ: وقوله تعالى: ﴿هَدًّا﴾ أي: سقوطاً[1].

قوله تعالى: ﴿أَن دَعَوْا ﴾.

قال الفَرَّاءُ: من أن دعوا، ولأن دعوا[2].

وقال أبو عُبيدةَ: معناه: أن جعلوا، وليس هو من دعاءِ الصَّوتِ، وأنشد [من الطَّويل][3]:

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحًا وَإِنْ تَغِبْ ... تَجِدْهُ بِغَيْبٍ غَيْرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ أي: ما يصلُح له، ولا يليق به اتِّخاذُ الولدِ، لأنَّ الولدَ يقتضي مجانسةَ، وكلَّ متَّخذٍ ولدًا يتَّخذُه من جنسِهِ، والله تعالى منزَّهٌ عن أن يجانس شيئاً، أو يجانسه، فمحالٌ في حقِّه اتِّخاذُ الولدِ، ﴿ إِن كُلُّ ﴾ أي: ما كل ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ يوم القيامةِ ﴿عَبۡدًا ﴾ ذليلاً خاضعاً.

والمعنى: أنَّ عيسى وعُزيرًا والملائكة عبيدٌ له.

قال القاضي أبو يعلى: وفي هذا دلالة على أنَّ الوالد إذا اشترى ولده، لم يبقَ ملكه عليه، وإنَّما يعتق بنفسِ الشِّراءِ، لأنَّ الله تعالى نفى البنوَّة لأجلِ العبوديَّةِ، فدلَّ على أنَّه لا يجتمع بُنُوَّةٌ ورقٌّ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٣).

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٢)، ولسان العرب (١٤/ ٢٦١).

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ أي: علم عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مالٍ ولا نصيرٍ يمنعه.

فإن قيل: لأيَّة علَّةٍ وحَّد في الرَّحمن و﴿ءَاتِيهِ﴾، وجمع العائد في ﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾، ﴿وَعَدَّهُمْ﴾؟

فالجواب: أنَّ لكلٍّ لفظٍ توحيد، وتأويل جمع، فالتَّوحيدُ محمولٌ على اللَّفظِ، والجمعُ مصروفٌ إلى التَّأويلِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: ٩٦- ٩٨].

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: نزلت في عليٍّ ﷺ، وقال معناه: يحبُّهم ويحببهم إلى المؤمنين(١).

قال قتادةُ: يجعل لهم ودًّا في قلوبِ المؤمنين(٢).

ومن هذا حديثِ أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَوَاتِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُلْقَى حُبُّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيُحَبُّ**»، وذكر في

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٦٥٥)، وفي الأوسط (٥٥١٦) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، به، وبشر بن عمارة الخثعمي؛ ضعيف.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٤٣) بلفظ: «إِي وَاللهِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ».

[٥٣٠/ب] البُغـض مثـل ذلـك[١].

وقـال هـرمُ بـنُ حيَّـان: مـا أقبـل عبـدٌ بقلبـه إلى الله ﷻ، إلَّا أقبـل الله ﷻ بقلـوبِ أهـلِ الإيـمانِ إليـه، حتَّـى يرزقـه مودَّتهـم ورحمتهـم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآن.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي، سهَّلناه، وأنزلناه بلغتك[٢].

واللُّدُّ: جمع أَلَدَّ، وهو الخَصِمُ الجَدِلُ.

قولـه تعـالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ هـذا تخويـفٌ لكفَّـارِ مكَّـةَ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: أي: هـل تـرى، يقـال: هـل أحسسـت صاحبـك، أي: هـل رأيتـه؟ والرِّكـز: الصوتُ؛ الخفـيُّ[٣].

وقال ابنُ قُتيبةَ: الصَّوتُ الذي لا يفهم[٤].

وقال أبو صالحٍ: حركةٌ، والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه البخـاري (٣٢٠٩)، ومسـلم (٢٦٣٧) بلفـظ: «إِذَا أَحَـبَّ اللهُ العَبْـدَ نَـادَى جِبْرِيـلَ: إِنَّ اللهَ يُحِـبُّ فُلاَنًـا فَأَحْبِبْـهُ، فَيُحِبُّـهُ جِبْرِيـلُ، فَيُنَـادِي جِبْرِيـلُ فِي أَهْـلِ السَّـمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِـبُّ فُلاَنًـا فَأَحِبُّـوهُ، فَيُحِبُّـهُ أَهْـلُ السَّـمَاءِ، ثُـمَّ يُوضَـعُ لَـهُ القَبُـولُ فِي الأَرْضِ».

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٧).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

سورة طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[طه: ١-٨].

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

وفي سبب نزول ﴿طه﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجلٍ، حتَّى نزلت هذه الآيةُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه[١].

والثاني: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما نزل عليه القرآن صلَّى هو وأصحابه فأطال القيام، فقالت قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمَّدٍ إلَّا ليشقى، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحاكُ[٢].

والثالث: أنَّ أبا جهلٍ، والنَّضرُ بنُ الحارثِ، والمطعمُ بنُ عديٍّ، قالوا لرسولِ الله ﷺ: إنَّك لتشقى بترك ديننا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتلٌ[٣].

---

(١) رواه البزار في مسنده (٩٢٦) من طريق يزيد بن بلال، عن علي كانَ النَّبيُّ ﷺ: يُرَاوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ يَقُومُ عَلَى كُلِّ رِجْلٍ حتى نزلت: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ وحسَّنه السيوطي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٥٥٠)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٠٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٠).

وفي ﴿طه﴾ قراءات:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: ﴿طه﴾ بفتح الطَّاءِ والهاء.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بكسر الطَّاءِ والهاءِ.

وقرأ نافعٌ: «طه» بين الفتحِ والكسرِ، وهو إلى الفتح أقربُ؛ كذلك قال خلفٌ عن المسيبي.

وقرأ أبو عمرٍو: بفتح الطاءِ وكسر الهاءِ، وروى عنه عباسٌ مثل حمزة[1].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رزينٍ العقيليُّ، وسعيدُ بنُ المسيبِ، وأبو العاليةِ: بكسرِ الطَّاءِ وفتح الهاءِ[2].

وقرأ الحسنُ: «طَهْ» بفتح الطَّاءِ وسكونِ الهاءِ[3].

وقرأ الضَّحاكُ، ومُورِّق: «طِهْ» بكسر الطَّاء وسكونِ الهاء[4].

واختلفوا في معناها على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ معناها: يا رجل، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، [وعطاءٌ][5]، وعكرمةُ.

واختلف هؤلاء بأيِّ لغة هي، على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: بالنبطيَّة، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بن جبيرٍ في روايةٍ، والضَّحاكُ.

(١) السبعة (ص:٤١٦)، والحجة (٥/ ٢١٧)، والتيسير (ص: ١٥٠).

(٢) عن عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩).

(٣) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، والكامل (١/ ٥٩٧) وزاد أبا حنيفة، وورشًا.

(٤) في المحتسب (٢/ ٤٧)، والمحرر (٤/ ٣٧) عن الضحاك، ومورق: «طَاوِي».

(٥) زيادة من (س).

والثاني: بلسان عكٍّ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: بالسريانيَّة، قاله عكرمةُ في روايةٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ، وقتادةُ.

والرابع: بالحبشيَّة، قاله عكرمةُ في روايةٍ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى.

والثاني: أنَّها حروفٌ من أسماء.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنَّها من أسماءِ الله تعالى.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنَّ الطاءَ من اللَّطيف، والهاء من الهادي، قاله ابنُ مسعودٍ، وأبو العالية.

والثَّاني: أنَّ الطَّاء افتتاح اسمه طاهرٌ وطيِّبٌ، والهاء افتتاح اسمه هادي، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ. [٥٣١/أ]

والقول الثَّاني: أنَّها من غير أسماءِ الله تعالى.

ثمَّ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الطاءَ من طابة، وهي مدينةُ رسول الله ﷺ، والهاءُ من مكَّةَ، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

والثاني: أنَّ الطاءَ: طرب أهل الجنَّةِ، والهاء: هوان أهل النَّارِ.

والثالث: أنَّ الطاءَ في حساب الجمل تسعةٌ، والهاء خمسةٌ، فتكون أربعة عشر، والمعنى: يا أيها البدر ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾، حكى القولين الثَّعلبيُّ[١].

---

(١) الكشف والبيان (١٧/ ٤٩٣).

والثالث: أنَّه قسمٌ أقسم الله به، وهو من أسمائِهِ، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

وقد شرحنا معنى كونه اسماً في فاتحة مَرْيَم.

وقال القرظيُّ: أقسم الله بطَوْله وهدايته[1]، وهذا القولُ قريبُ المعنى من الذي قبله.

والرابع: أنَّ معناه: طأ الأرض بقدميك، قاله مُقاتِلُ بنُ حيَّان.

ومعنى قوله: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ لتتعب وتبلغ من الجهدِ ما قد بلغت، وذلك أنَّه اجتهد في العبادة وبالغ، حتَّى إنَّه كان يراوح بين قدميه لطولِ القيامِ، فأُمر بالتَّخفيف.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾.

قال الأخفشُ: هو بدلٌ من قوله: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾، ما أنزلناه إلَّا تذكرةً، أي: عظةً.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع العليا، تقول: سماء عُليا، وسماوات عُلا، مثل الكبرى، والكبر[2].

فأما ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ فهو الترابُ النَّدي.

والمفسِّرون يقولون: أراد الثرى الذي تحت الأرض السابعة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: ترفع صوتك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾

---

(١) أورده البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٠).

والمعنى: لا تجهد نفسك برفع الصَّوتِ، فإنَّ الله يعلمُ السرَّ.

وفي المراد بـ ﴿ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ السرَّ: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بعد وسيكون، رواه جماعةٌ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحاكُ.

والثاني: أنَّ السِّرَّ: ما حدَّثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: أنَّ السِّرَّ: العمل الذي يسره الإنسانُ من النَّاس، وأخفى منه: الوسوسة، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أنَّ معنى الكلام: يعلم إسرار عبادِهِ، وقد أخفى سرَّه عنهم فلا يعلم، قاله زيدُ بنُ أسلم، وابنه.

والخامس: يعلم ما أسرَّه الإنسان إلى غيرِه، وما أخفاه في نفسِهِ، قاله الفرَّاءُ[1].

قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قد شرحناه في الأعراف[2].

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ٩- ١٦].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٤).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٨٠).

قولـه تعـالى: ﴿ وَهَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ هـذا اسـتفهام تقريـر، ومعناه: وقـد أتاك.

قـال ابـنُ الأَنبَـارِيِّ: وهـذا معـروفٌ عنـد اللُّغويـين أن تـأتي هـل معـبرة عـن قـد، فقـد قـال رسـول الله ﷺ وهـو أفصـح العـرب: «اللهمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ»[١] يريـد: قـد بلغت.

قـال وهـبُ بـنُ منبِّـهٍ: اسـتأذن موسـى شـعيبًا عليهـما السـلام في الرُّجـوع إلى والدتـه، فـأذن لـه فخـرج بأهلـه فولـد لـه في الطريـق في ليلـة شـاتية، فقـدح فلـم يُـوْرِ الزِّنـاد، فبينـا هـو في مُزاولـة ذلـك، أبـصر نـارًا مـن بعيـدٍ عـن يسـار الطريـق، وقـد ذكرنـا هـذا الحديـث بطولـه في كتـاب «الحدائـق» فكرهنـا إطالـة [٥٣١/ب] التَّفسـير بالقصـص، لأنَّ غرضنـا الاقتصـار عـلى التَّفسـير ليسـهل حفظـه.

قال المفسِّرون: رأى نورًا، ولكن أخبر بما كان في ظنِّ موسى.

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ﴾ يعنى: امرأته ﴿ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ أي: أقيموا مكانكم.

وقـرأ حمـزةُ: «لأهلـهُ امكثـوا» بضـمِّ الهـاء هاهنـا، وفي القصـص ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾[٢].

---

(١) يُشير إلى حديث ابـن عبـاس رضي الله عنهما الـذي في البخـاري(١٧٣٩)، ومسـلم (٢٢١)قـال: خَطَـبَ النَّبِـيُّ ﷺ النَّـاسَ يَـوْمَ النَّحْـرِ فَقَـالَ: «يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ أَيُّ يَـوْمٍ هَـذَا؟»، قَالُـوا: يَـوْمٌ حَـرَامٌ، قَـالَ: «فَـأَيُّ بَلَـدٍ هَـذَا؟»، قَالُـوا: بَلَـدٌ حَـرَامٌ، قَـالَ: «فَـأَيُّ شَـهْرٍ هَـذَا؟»، قَالُـوا: شَـهْرٌ حَـرَامٌ، قَـالَ: «فَـإِنَّ دِمَاءَكُـمْ وَأَمْوَالَكُـمْ وَأَعْرَاضَكُـمْ عَلَيْكُـمْ حَـرَامٌ، كَحُرْمَـةِ يَوْمِكُـمْ هَـذَا، فِي بَلَدِكُـمْ هَـذَا، فِي شَـهْرِكُمْ هَـذَا»، فَأَعَادَهَـا مِـرَارًا، ثُـمَّ رَفَـعَ رَأْسَـهُ فَقَـالَ: «اللَّهُـمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ، اللَّهُـمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ»... الحديـث.

(٢) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/ ٢٢٠)، والتيسير (ص: ١٥٠).

قال الفَرَّاءُ: إنِّي وجدتُ، يقال: هل آنست أحدًا، أي: وجدت[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿ءَانَسْتُ﴾ بمعنى أبصرت[٢].

فأمَّا القبس، فقال الزَّجَّاجُ: هو ما أخَذْتَه من النَّار في رأسِ عودٍ أو في رأس فتيلةٍ[٣].

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

قال الفَرَّاءُ: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدرِ[٤].

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: يجوز أن تكون «على» هاهنا بمعنى عند، وبمعنى مع، وبمعنى الباء.

وذكر أهل التَّفسير أنَّه كان قد ضلَّ الطَّريق، فعلم أنَّ النَّار لا تخلو من مُوقِدٍ.

وحكى الزَّجَّاجُ: أنه ضلَّ عن الماءِ، فرجا أن يجد من يهديه الطَّريق أو يدله على الماءِ[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ يعني: النَّار ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ إنَّما كرَّر الكناية، لتوكيد الدلالة وتحقيقِ المعرفةِ وإزالة الشُّبهة، ومثله ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩].

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: «أَنِّيَ» بفتح الألف والياء.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٥).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «إِني» بكسرِ الألفِ، إلَّا أنَّ نافعًا فتح الياءَ(١).

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ: «أَنِّي أنا» بالفتح، فالمعنى: نودي بأنِّي أنا ربك، ومَن قرأ بالكسرِ، فالمعنى: نودي يا موسى، فقال الله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ في سبب أمرِه بخلعهما قولان:

أحدهما: أنَّهما كانا من جلد حمارٍ ميِّتٍ، رواه ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ(٣)، وبه قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه، وعكرمةُ.

والثاني: أنَّهما كانا من جلد بقرةٍ ذُكِّيت، ولكنَّه أمر بخلعهما ليباشر تراب الأرضِ المقدَّسةِ، فتناله بركتها، قاله الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في المائدةِ(٤)

---

(١) الحجة (٥/ ٢١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).

(٣) ضعيف جدًّا. رواه الترمذي (١٧٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٤٩٨٣)، والبزار في مسنده (٢٠٣١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨١) من طريق خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ، وَجُبَّةُ صُوفٍ، وَكُمَّةُ صُوفٍ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَكَانَتْ نَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج. وحميد: هو ابن علي الكوفي منكر الحديث. أهـ

(٤) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٢١).

عند قوله: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «طُوى» و«أنا» غير مُجْرَاة.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «طُوى» مُجْراة، وكلُّهم ضمَّ الطَّاء[1].

وقرأ الحسنُ، وأبو حيوةَ «طِوًى» بكسر الطَّاء مع التنوينِ[2].

وقرأ عليُّ بنُ نصرٍ عن أبي عمرٍو: «طِوى» بكسر الطَّاءِ من غير تنوينٍ[3].

قال الزَّجَّاجُ: في ﴿طُوًى﴾ أربعة أوجهٍ:

«طُوى»[4]، بضمِّ أوَّله من غير تنوينٍ وبتنوينٍ، فمن نوَّنه، فهو اسمٌ للوادي، وهو مذكَّرٌ سمِّي بمذكَّرٍ على فُعَل نحو حُطَمٍ وصُرَدٍ، ومن لم ينوِّنه ترك صرفه من جهتين:

إحداهما: أن يكون معدولًا عن طاوٍ، فيصير مثل عمر المعدول عن عامرٍ، فلا ينصرفُ كما لا ينصرفُ عمر.

والجهة الثانية: أن يكون اسماً للبقعةِ، كقوله: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] وإذا كسر ونوِّن فهو مثل مِعىً.

(١) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/ ٢١٩)، والتيسير (ص: ١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) في التحصيل (٤/ ٣٠٦) عن الحسن، وعكرمة، والأعمش.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) من قوله: (بكسر الطاء من غير تنوين)... إلى هنا، سقط من (س).

[٥٣٢/أ] والمعنى: المقدَّس مرَّة بعد مرَّة، كما قال عديُّ بنُ زيدٍ[من الطويل][(١)]:

أَعَاذِلَ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوًى مِنْ غَيِّكِ الْمُتَرَدِّدِ

أي: اللَّوم المكرَّر عليَّ، ومن لم ينوِّن جعله اسماً للبقعةِ.

وللمفسِّرين في معنى ﴿طُوًى﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه اسمُ الوادي، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ معنى ﴿طُوًى﴾: طأِ الوادي، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وعن مجاهدٍ كالقولين.

والثالث: أنه قُدِّس مرَّتين، قاله الحسنُ، وقتادةُ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ أي: اصطفيتك.

وقرأ حمزةُ، والمُفَضَّلُ: «وأنَّا» بالنُّون المشدَّدة «اخترناك» بألفٍ[(٣)].

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ أي: للذي يُوحى.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: الاستماعُ هاهنا محمولٌ على الإنصاتِ، المعنى: فأنصت لوحيي، والوحي هاهنا قوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ أي: وحدني.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أقم الصَّلاة متى ذكرت أنَّ عليك صلاة، سواء كنت في وقتها أو لم تكن، هذا قول الأكثرين.

---

(١) البيت في ديوانه (ص: ١٠٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٩)، ولسان العرب (١٤/ ١٢١) (ثني).

(٢) من قوله: (وللمفسرين في معنى ﴿طُوًى﴾ ثلاثة أقوال)... إلى هنا، سقط من (س).

(٣) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/ ٢٢١)، والمبسوط (١/ ٢٩٣).

وروى أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ**»، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1].

والثاني: أقم الصَّلاة لتذكرني فيها، قاله مجاهدٌ.

وقيل: إنَّ الكلام مردودٌ على قوله: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾، فيكون المعنى: فاستمع لما يوحى، واستمع لذكري.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «وأقم الصلاة للذِّكرى» بلامين وتشديد الذَّال[2].

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ أكثر القرَّاء على ضمِّ الألفِ.

ثمَّ في معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ في آخرين.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ: «أكاد أخفيها من نفسي»[3].

قال الفَرَّاءُ: المعنى: فكيف أظهركم عليها.

قال المبرِّدُ: وهذا على عادة العرب، فإنَّهم يقولون إذا بالغوا في كتمانِ الشَّيء: كتمته حتَّى من نفسي، أي: لم أطلع عليه أحدًا[4].

---

(١) البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٨٩) عن النبي ﷺ، وأبي عبد الرحمن، وفي التحصيل (٤/ ٣٠٧) عن ابن عباس، والزهري، وغيرهما.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، ومعاني القرآن (٢/ ١٧٦): «أكاد أُخْفِيها من نفسي فكيف أُظهركم عليها» عن أبي بن كعب.

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٧٦).

والثاني: أنَّ الكلام تمَّ عند قوله: أكاد، وبعده مضمر تقديره: أكاد آتي بها، والابتداء: أخفيها.

قال ضابئ البُرْجمي [من الطويل][١]:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهْ

أراد: كدت أفعل.

قال الشاعر:

كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إرادَةٍ لَوْ عَادَ مِن لَهْوِ الصَّبابَةِ مَا مَضَى

معناه: أرَادَتْ وأردتُ، ذكرهما ابنُ الأنبارِيِّ.

فإن قيل: فما فائدةُ هذا الإخفاء الشَّديد؟

فالجواب: أنَّه للتحذير والتَّخويف، ومَن لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان أشد حذرًا.

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وعروةُ بنُ الزبير، وأبو رجاءٍ العطارديُّ، وحميدُ بنُ قيسٍ، «أَخْفيها» بفتح الألفِ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: أكاد أظهرها، قال امرؤ القيس [من المتقارب][٣]: [٥٣٢/ب]

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدِ

---

(١) في حماسة البحتري (ص: ١١)، والشعر والشعراء (١/ ٣٥٨)، ولسان العرب (٥/ ١٢٥)، وخزانة الأدب (٩/ ٣٢٣-٣٢٧).

(٢) عن أبي الدرداء، وسعيد بن جبير في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، وزاد في التحصيل (٤/ ٣٠٧) مجاهدًا، والحسن.

(٣) في ديوانه (ص: ١٨٦)، ولسان العرب (١٤/ ٢٣٤)، وتاج العروس (خفي).

أي: إن تدفنوا الدَّاء لا نظهره.

قال: وهذه القراءةُ أبين في المعنى، لأنَّ معنى أكاد أظهرها: قد أخفيتها وكدت أظهرها[1].

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي: بما تعمل، و﴿لِتُجْزَىٰ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾، ﴿لِتُجْزَىٰ﴾، ويجوز أن يكون على ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ[2]﴾ لتجزى.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ أي: من لا يؤمن بكونها؛ والخطاب للنبيِّ ﷺ خطابٌ لجميع أمَّته، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: مراده وخالف أمر الله ﷻ، ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ أي: فتهلك.

قال الزَّجَّاجُ: يقال ردي يردى: إذا هلك[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ١٧- ٢٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٣).

(٢) قوله: (لذكري) من (س).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿تِلْكَ﴾ اسمٌ مبهم يجري مجرى التي، والمعنى ما التي بيمينك[١].

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ التوكؤ: التحاملُ على الشَّيءِ ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾.

قال الفَرَّاءُ: أضربُ بها الشَّجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمي[٢].

قال الزَّجَّاجُ: واشتقاقه من أنِّي أحيل الشَّيء إلى الهشاشة والإمكانِ[٣].

والمآرب: الحاجات، واحدها: مَأْرُبَة، ومَأْرَبَة.

وروى قتيبةُ، وورشٌ: «مآرب» بإمالة الهمزةِ[٤].

فإن قيل: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له: وما تلك بيمينك وهو يعلم؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ لفظه لفظ الاستفهام، ومجراه مجرى السؤالِ، ليجيب المخاطب بالإقرار به، فتثبت عليه الحُجَّة باعترافه فلا يمكنه الجحد، ومثله في الكلامِ أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء: ما هذا؟ فيقول: ماء، فتضع عليه شيئًا من الصَّبغ، فإن قال: لم يزل هكذا، قلت له: ألست قد اعترفت بأنَّه ماءٌ؟ فتثبت عليه الحجَّة، هذا قولُ الزَّجَّاج[٥].

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٥٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

(٤) المبسوط (١/ ٣٠٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

فعلى هذا تكون الفائدةُ أنَّه قرَّر موسى أنها عصاً لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حيَّة، فوقع المعجز بها بعد التثبُّت في أمرِها.

والثاني: أنَّه لما اطَّلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبةِ والإجلال حين التكليم، أراد أن يؤانسه ويخفِّف عنه ثقل ما كان به من الخوفِ، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

فإن قيل: قد كان يكفي في الجوابِ أن يقول: هي عصاي، فما الفائدة في قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ إلى آخر الكلامِ، وإنَّما يشرح هذا لمن لا يعلم فوائدها؟

فعنه ثلاثة أجوبةٍ:

أحدها: أنَّه أجاب بقوله: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾، فقيل له: ما تصنع بها؟ فذكر باقي الكلام جوابًا عن سؤال ثانٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ ووهبٌ.

والثاني: أنَّه إنَّما أظهر فوائدها، وبيَّن حاجته إليها، خوفًا من أن يأمره بإلقائها كالنَّعلين، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: أنَّه بيَّن منافعها لئلا يكون عابثًا بحملها، قاله الماوَرديُّ(١).

فإن قيل: فلم اقتصرَ على ذكر بعض منافعها ولم يطل الشَّرح؟

فعنه ثلاثة أجوبةٍ:

أحدها: أنَّه كره أن يشتغل عن كلامِ الله بتعداد منافعها. [٥٣٣/أ]

والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التَّعداد.

والثالث: أنَّه اقتصر على اللَّازمِ دون العارض.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٣٩٩).

وقيل: كانت تضيء له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا اشتهى الثمار.

وفي جنسها قولان:

أحدهما: أنها كانت من آس الجنَّة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنها كانت من عوسجٍ.

فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال: ﴿أُخْرَىٰ﴾، ولم يقل: «أخر»؟

فالجواب: أنَّ المآرب في معنى جماعة، فكأنَّه قال: جماعة من الحاجات أخرى، قاله الزَّجَّاجُ[١].

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ قال المفسِّرون: ألقاها، ظنًّا منه أنَّه قد أمر برفضِها، فسمع حسًّا فالتفت فإذا هي كأعظم ثعبان تمرُّ بالصَّخرة العظيمة فتبتلعها، فهرب منها.

وفي وجه الفائدةِ في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان:

أحدهما: لئلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون.

والثاني: ليريه أنَّ الذي أبعثك إليه دون ما أريتك، فكما ذللت لك الأعظم وهو الحيَّة، أذلل لك الأدنى.

ثـمَّ إنَّ الله تعالى أمره بأخذها وهي على حالها حيَّة، فوضع يده عليها فعادت عصا، فذلك [قوله][٢]: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾.

قال الفَرَّاءُ: طريقتها، يقول: نردُّها عصىً كما كانت[٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

(٢) ليست في الأصل، و(ر)، وهي من (س).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٧٧).

قال الزَّجَّاجُ: ﴿سِيرَتَهَا﴾ منصوبة على إسقاط الخافض وإفضاء الفعلِ إليها، المعنى: سنعيدها إلى سيرتها(١).

فإن قيل: إنَّما كانت العصا واحدة، وكان إلقاؤها مرَّة، فما وجه اختلاف الأخبار عنها، فإنَّه يقول في الأعراف: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، وهاهنا: حيَّةٌ، وفي مكان آخر: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجان ليست بالعظيمة، والثعبان أعظم الحيات؟

فالجواب: أنَّ صفتها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثُّعبان إخبار عن انتهاء حالها، والحيَّة اسم يقع على الصغير والكبير والذكر والأنثى.

وقال الزَّجَّاجُ: خلقها خلق الثعبان العظيمِ، واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجانِّ وخفته.

قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾.

قال الفَرَّاءُ: الجناح من أسفل العضد إلى الإبطِ(٢).

وقال أبو عُبيدةَ: الجناح ناحية الجنب، وأنشد [من الرجز](٣):

أَضُمُّهُ لِلصَّدْرِ وَالْجَنَاحِ ....

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: من غير برصٍ ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: دلالة على صدقك سوى العصا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٨)، وتفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢).

قال الزَّجَّاجُ: ونصب آية على معنى: آتيناك آية، أو نؤتيك[١].

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ إن قيل: لم لم يقل: الكبر؟.

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنَّه كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ وقد شرحناه، هذا قول الفرَّاء[٢].

والثاني: أنَّ فيه إضماراً تقديره: لنريك من آياتنا الآية الكبرى.

وقال أبو عُبيدةَ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: لنريك الكبرى من آياتنا[٣].

والثالث: إنَّما كان ذلك لوفاق رأس الآي، حكى القولين الثَّعلبيُّ[٤].

قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[طـه: ٢٤- ٣٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: جاوز الحدَّ في العصيان.

[٥٣٣/ب] قوله تعالى: ﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ قال المفسِّرون: ضاق موسى صدرًا بما كلِّف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يوسِّع قلبه للحقِّ حتَّى لا يخاف فرعون وجنوده.

ومعنى قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾: أي: سهِّل عليَّ ما بعثتني له.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٨).

(٤) الكشف والبيان (١٧/ ٥٢٣).

﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: كانت فيه رُتَّةٌ[١].

قال المفسِّرون: كان فرعون قد وضع موسى في حجره وهو صغيرٌ، فمدَّ لحية فرعون بيدِه، فهمَّ أن يقتله، فقالت له آسيةُ: إنَّه لا يعقل، وسأريك بيان ذلك، قدِّم إليه جمرتين ولؤلؤتين، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنَّه يعقل، فأخذ موسى جمرة فوضعها في فيه فأحرقت لسانه وصار فيه عقدة، فسأل حلَّها ليفهموا كلامه.

وأما الوزير، فقال ابنُ قُتيبةَ: أصل الوِزارة من الوِزْر وهو الحِمْلُ، كأن الوزير قد حمل عن السُّلطان الثِّقل[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: اشتقاقه من الوَزَر، والوَزَر: الجبلُ الذي يُعتصم به ليُنجى من الهلكةِ، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه[٣].

ونصب ﴿ هَٰرُونَ ﴾ من جهتين:

إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدَّى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي وزيري، فينتصب ﴿ وَزِيرٗا ﴾ على أنَّه مفعولٌ ثانٍ.

ويجوز أن يكون ﴿ هَٰرُونَ ﴾ بدلًا من قوله: ﴿ وَزِيرٗا ﴾، فيكون المعنى: اجعل لي وزيرًا من أهلي، ثمَّ أبدل ﴿ هَٰرُونَ ﴾ من ﴿ وَزِيرٗا ﴾، والأوَّل أجود.

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٧٨)، وقال في لسان العرب (٢/ ٣٣): «الرُّتَّة، بِالضَّمِّ: عَجَلة فِي الْكَلَامِ، وقِلَّة أَناةٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَقْلِبَ اللَّامَ يَاءً».

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٧).

قال الماوَرديُّ: وإنَّما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيرًا؛ لأنَّه لم يُرد أن يكون مقصورًا على الوزراة حتَّى يكون شريكاً في النبوَّة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألةٍ(١).

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو بفتح ياء «أخيَ»(٢).

قوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾.

قال الفَرَّاءُ: هذا دعاء من موسى، والمعنى: اشدد به يا رب أزري، وأشركه يا رب في أمري(٣).

وقرأ ابنُ عامرٍ: «أَشْدِد» بالألف مقطوعة مفتوحة، «وأُشركه» بضمِّ الألف، وكذلك يبتدئ بالألفين(٤).

قال أبو عليٍّ: هذه القراءةُ على الجواب والمجازاة، والوجه الدُّعاء دون الإخبار، لأنَّ ما قبله دعاء، ولأنَّ الإشراك في النبوَّة لا يكون إلَّا من الله ﷻ(٥).

قال ابنُ قُتيبةَ: والأزر: الظهر، يقال: آزرت فلانًا على الأمرِ، أي: قويته عليه وكنت له فيه ظهرًا(٦).

قوله تعالى: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي: في النبوَّة معي ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾ أي: نصلِّي لك ﴿وَنَذۡكُرَكَ﴾ بألسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا من نعمك

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٠١).

(٢) السبعة (ص:٤١٨)، والمبسوط (١/ ٢٩٤)، والحجة (٥/ ٢٢١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٤) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢٢١)، والمبسوط (١/ ٢٩٤).

(٥) الحجة (٥/ ٢٢٢).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالماً إذ خصصتنا بهذه النعم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾[طـه: ٣٦- ٤٢].

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: طلبك، وهو فعل من سألت، أي: أعطيت ما سألت(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمنا عليك ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ قبل هذه المرَّة.

ثم بيَّن متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: ألهمناها ما يلهم مما كان سببًا لنجاتك، ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ وقذف الشَّيء: الرَّمي به.

فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ وقد علم ذلك؟ [٥٣٤/أ]

فقد ذكر عنه ابنُ الأَنبارِيِّ جوابين:

أحدهما: أنَّ المعنى: أوحينا إليها الشَّيء الذي يجوز أن يوحى إليها، إذ ليس كل الأمور يصلح وحيه إليها، لأنَّها ليست بنبي، وذلك أنَّها ألهمت.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

والثاني: أنَّ ما يوحى أفاد توكيدًا، كقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: ظاهر هذا الأمرِ، ومعناه معنى الخبر، تأويله: يلقيه اليم، ويجوز أن يكونَ البحر مأمورًا بآلة ركَّبها الله تعالى فيه، فسمع وعقل، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار.

فأما السَّاحل، فهو: شطُّ البحر.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعني: فرعون.

قال المفسِّرون: اتَّخذت أمه تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً، ووضعت فيه موسى وأحكمت بالقار شقوق التَّابوت، ثم ألقته في النِّيل، وكان يشرع منه نهرٌ كبيرٌ في دار فرعون، فبينا هو جالسٌ على رأس البركة مع امرأته آسية، إذا بالتَّابوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذِهِ، فلما فتحوه رأوا صبيًّا من أصبح النَّاس وجهاً؛ فلمَّا رآه فرعون أحبَّه حبًّا شديدًا، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

قال أبو عُبيدةَ: ومعنى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ﴾ أي: جعلت لك محبَّة مني[١].

قال ابنُ عبَّاسٍ: أحبَّه وحبَّبه إلى خلقه، فلا يلقاه أحدٌ إلا أحبَّه من مؤمنٍ وكافرٍ[٢].

وقال قتادةُ: كانت في عينيه ملاحة، فما رآه أحدٌ إلَّا أحبَّه[٣][٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٩).

(٢) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٥٦٧).

(٣) في الأصل، و(ر): (حبَّه)، والمثبت من (س).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٨٠) من طريق خليد بن دعلج، به بلفظ: «حلاوة فِي عَيْني مُوسَى لم ينظر إِلَيْهِ خلق إِلَّا أحبه».

قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾.

وقرأ أبو جعفرٍ: «ولْتُصنعْ» بسكون اللَّام والعين والإدغام(١).

قال قتادةُ: لتُغذى على محبَّتي وإرادتي(٢).

قال أبو عُبيدةَ: على ما أريد وأحب(٣).

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: هو من قولِ العرب: غذي فلان على عيني، أي: على المحبَّة منِّي.

وقال غيره: لِتُربَّى وتُغذَّى بمرأىً منِّي، يقال: صنع الرجل جاريته: إذا ربَّاها؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته، والمعنى: ولتصنع على عيني، قدَّرنا مشي أختك وقولها: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ لأنَّ هذا كان من أسبابِ تربيته على ما أراد الله ﷻ.

فأمَّا أخته، فقال مُقاتلٌ: اسمها مريم(٤).

قال الفَرَّاءُ: وإنَّما اقتصر على ذكر المشي، ولم يذكر أنَّها مشت حتَّى دخلت على آلِ فرعون فدلَّتهم على الظِّئر، لأنَّ العرب تجتزئ بحذف كثيرٍ من الكلام، وبقليله، إذا كان المعنى معروفًا، ومثله قوله: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥]، ولم يقل: فأرسل حتَّى دخل على يوسفَ(٥).

---

(١) في الكامل (١/ ٥٩٧) شيبة، والمفضل عنه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٧١)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٦/ ٥٩) من طريق معمر، به، بنحوه.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٩).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).

قال المفسِّرون: سبب مشي أخته أنَّ أمَّه قالت لها: قُصِّيه، فاتَّبعَتْ موسى على أثر الماء، فلما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأةٍ، فقالت لهم أخته: هل أدلُكم على مَن يكفله أي: يرضعه ويضمُّه إليه، فقيل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبنٌ؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنَّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها، فجاءت بالأمِّ فقَبِل ثديها، فذلك قوله: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ أي: رددناك إليها ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بك وبرؤيتك. [٥٣٤/ب]

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي الذي وكزه فقضى عليه، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ وكان مغموماً مخافة أن يُقتل به، فنجَّاه الله بأن هرب إلى مدين.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: اختبرناك اختباراً، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أخلصناك إخلاصاً، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ.

والثالث: ابتليناك ابتلاء، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ.

وقال الفرَّاءُ: ابتليناك بغمِّ القتيل ابتلاءً[1].

وروى سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: الفتون: وقوعه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أوَّلها أنَّ أمَّه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثمَّ إلقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلَّا من ثدي أمه، ثم جرُّه لحية فرعون حتَّى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدُّرَّة،

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).

ثـم قتلـه القبطـي، ثـم خروجـه إلى مديـنَ خائفًـا.

وكان ابـنُ عبَّـاسٍ يقـص هـذه القصـص عـلى سـعيد بـنِ جبـيرٍ، ويقـول لـه عنـد كل ثلاثـة: وهـذا مـن الفتـون يـا ابـن جبـير[١]، فعـلى هـذا يكـون فتناك خلَّصنـاك مـن تلـك المحـن كـما يفتـن الذَّهـب بالنَّـار فيخلـص مـن كلِّ خبـثٍ. والفتـون: مصـدر.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ تقدير الكلام: فخرجت إلى أهل مدين.

ومدين: بلد شعيب، وكان على ثمان مراحل من مصر، فهرب إليه موسى.

وقيل مدين اسمُ رجلٍ، وقد سبق هذا[٢].

وفي قدر لبثه هناك قولان:

أحدهما: عشر سنين؛ قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ[٣].

والثـاني: ثـمان وعـشرون سـنة، عـشر منهـنَّ مهـر امرأتـه، وثـمان عـشرة أقـام حتَّـى ولـد لـه، قالـه وهـبٌ.

قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: جئـت لميقـاتٍ قدَّرتـه لمجيئـك قبـل خلقـك، وكان ذلـك عـلى رأس أربعـين سـنة، وهـو الوقـت الـذي يُوحـى فيـه إلى الأنبيـاءِ، هـذا قـول الأكثريـن.

وقال الفَرَّاءُ: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾أي: على ما أراد الله به من تكليمه[٤].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).

قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ أي: اصطفيتك واختصصتك، والاصطناع: اتِّخاذ الصنيعة، وهو الخيرُ تسديه إلى إنسانٍ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: اصطفيتك لرسالتي ووحيي(١).

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾ **وفيها ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها العصا واليد، وقد يذكر الاثنان بلفظ الجمعِ.

والثاني: العصا واليد وحل العقدة التي ما زال فرعون وقومه يعرفونها، ذكرهما ابنُ الأنباريِّ.

والثالث: الآيات التِّسع، والأوَّل أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: لا تضعفا ولا تفترا؛ يقال: وَنَى في الأمرِ يَنِي؛ وفيه لغةٌ أخرى: وَنِي يَوْنَى(٢).

وفي المرادِ بالذِّكر هاهنا قولان:

أحدهما: أنَّه الرِّسالة إلى فرعون.

والثاني: أنَّه القيام بالفرائض والتسبيح والتَّهليل.

قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٩).

عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[طـه: ٤٣- ٤٨].

قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ فائدة تكرار الأمر بالذَّهاب: التوكيد. [٥٣٥/أ]

وقد فسرنا قوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[طه: ٢٤]

قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾.

وقرأ أبو عِمرانَ الجونيُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «لَيْنًا» بإسكان الياء، أي: لطيفًا رفيقًا(١).

وللمفسِّرين فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: قولا له: قل: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، رواه خالدُ بنُ معدانَ عن معاذٍ، والضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال مُقاتلٌ(٢).

والثالث: كنِّياه، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

فأمَّا اسمه، فقد ذكرناه في البقرة(٣).

وفي كنيته أربعة أقوالٍ:

أحدها: أبو مرَّة، رواه عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أبو مصعب، ذكره أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

والثالث: أبو العبَّاس.

---

(١) عن أبي معاذ في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٤٩).

والرابع: أبو الوليد، حكاهما الثَّعلبيُّ(١).

والقول الرابع: قولا له: إنَّ لك ربًّا، وإنَّ لك معادًا، وإنَّ بين يديك جنَّةً ونارًا، قاله الحسنُ.

والخامس: أنَّ القول اللَّين: أنَّ موسى أتاه، فقال له: تؤمن بما جئت به وتعبد ربَّ العالمين، على أنَّ لك شبابك فلا تهرم، وتكون مَلِكًا لا ينزع منك حتَّى تموت، فإذا متَّ دخلت الجنَّة، فأعجبه ذلك؛ فلما جاء هامان، أخبره بما قال موسى، فقال: قد كنت أرى أنَّ لك رأيًا، أنت ربٌّ أردت أن تكون مربوبًا؟ فقلبه عن رأيه، قاله السُّدِّيُّ.

وحكي عن يحيى بن معاذٍ أنَّه قرأ هذه الآية، فقال: إلهي، هذا رفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت إلهي(٢).

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لعلَّ في اللُّغة: ترجٍّ وطمع، تقول: لعلِّي أصير إلى خيرٍ، فخاطب الله ﷻ العباد بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه: اذهبا على رجائكما وطمعكما، والعلم من الله تعالى من وراء ما يكون، وقد علم أنَّه لا يتذكر ولا يخشى، إلَّا أنَّ الحجَّة إنَّما تجب عليه بالآية والبرهان، وإنَّما تبعث الرُّسل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيقبل منها، أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم، ومعنى «لعلَّ» متصوَّر في أنفسهم، وعلى تصوُّر ذلك تقوم الحُجَّةُ(٣).

---

(١) الكشف والبيان (١٧/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٩٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٧).

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: ومذهبُ الفرَّاء في هذا: كي يتذكَّر.

وروى خالدُ بنُ معدانَ عن معاذٍ قال: والله ما كان فرعون ليخرج من الدُّنيا حتَّى يتذكَّر أو يخشى لهذه الآية، وإنَّه تذكَّر وخشي لما أدركه الغرقُ.

وقال كعبٌ: والذي يحلف به كعبٌ، إنَّه لمكتوبٌ في التَّوراة: فقولا له قولًا ليناً، وسأقسي قلبه فلا يؤمنُ.

قال المفسِّرون: كان هارون يؤمئذٍ غائبًا بمصرَ، فأوحى الله تعالى إلى هارونَ أن يتلقى موسى، فتلقَّاه على مرحلةٍ، فقال له موسى: إنَّ الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسألته أن يجعلك معي؛ فعلى هذا يحتمل أن يكونا حين التقيا قالا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾.

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: ويجوز أن يكون القائل لذلك موسى وحده، وأخبر الله عنه بالتَّثنية لما ضمَّ إليه هارون، فإنَّ العرب قد توقع التَّثنية [٥٣٥/ب] على الواحد، فتقول: يا زيد قوما، يا حرسيُّ اضربا عنقه.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾.

وقرأ عبدُ الله بنُ عمرٍو، وابنُ السَّمَيفَعِ، وابنُ يعمرَ، وأبو العالية: «أن يُفْرِطَ» برفع الياءِ وكسرِ الرَّاءِ[١].

وقرأ عكرمةُ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ: «أن يَفْرَط» بفتح الياءِ والرَّاءِ[٢].

وقرأ أبو رجاءٍ العُطارديُّ، وابنُ مُحيصنٍ: «أن يُفرَط» برفع الياءِ وفتح الرَّاءِ[٣].

---

(١) عن ابن محيصن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

(٢) عن ابن محيصن في التحصيل (٤/ ٣٠٨) وعنه أيضًا: بضم الياء، وفتح الراء.

(٣) في المحتسب (٢/ ٥٢)، والمحرر (٤/ ٤٦)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٨) عن ابن محيصن، وعن يحيى، وأبي نوفل، وابن مسعود، والأعمش، وسلام في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

قال الزَّجَّاجُ: المعنى، أن يُبَادر بعقوبتنا، يقال: قد فرط منه أمر، أي: قد بَدَرَ؛ وقد أفرط في الشَّيء: إذا سَقَط فيه؛ وفرط في الشَّيء: إذا قصر؛ ومعناه كله: التقدُّم في الشَّيء، لأنَّ الفرط في اللُّغة: المتقدم، ومنه قوله ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»(١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يستعصي، قاله مُقاتلٌ(٢).

والثاني: يجاوز الحدَّ في الإساءةِ إلينا.

قال ابنُ زيدٍ: نخاف أن يعجل علينا قبل أن نبلغه كلامك وأمرك(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ أي: بالنُّصرةِ والعونِ ﴿أَسْمَعُ﴾ أقوالكم ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالكم.

قال الكلبيُّ: أسمع جوابه لكما، وأرى ما يفعل بكما.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: خلِّ عنهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ وكان يستعملهم في الأعمالِ الشاقَّة، ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هي العصا.

قال مُقاتلٌ: أظهر اليد في مقامٍ، والعصا في مقامٍ(٤).

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٨)، والحديث في البخاري(٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧) من رواية ابن مسعود.

(٢) تفسير مقاتل ين سليمان (٣/ ٢٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٦) من طريق ابن وهب، به.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩).

قال مُقاتلٌ: على من آمن بالله(١).

قال الزَّجَّاجُ: وليس يعني به التَّحية، وإنَّما معناه: أنَّ من اتَّبع الهدى، سلم من عذاب الله وسخطه، والدَّليلُ على أنَّه ليس بسلامٍ، أنَّه ليس بابتداء لقاءٍ وخطابٍ(٢).

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرض عنه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه: ٤٩- ٥٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ في الكلامِ محذوفٌ معناه معلومٌ، وتقديره: فأتياه فأدَّيا الرِّسالة.

قال الزَّجَّاجُ: و إنَّما لم يقل: فأتياه، لأنَّ في الكلامِ دليلاً على ذلك، لأنَّ قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ يدلُّ على أنَّهما أتياه وقالا له(٣).

قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أعطى كلَّ شيءٍ صورته، فخلق كلَّ جنسٍ من الحيوان على غير صورة جنسه، فصورة ابن آدم لا كصورةِ البهائمِ، وصورة البعير لا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٨).

(٣) المصدر السابق.

كصورة الفرسِ، روى هذا المعنى الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: أعطى كل ذكرٍ زوجه، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، فيكون المعنى: أعطى كل حيوان ما يشاكله.

والثالث: أعطى كل شيءٍ ما يصلحُه، قاله قتادةُ.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ **ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: هدى كيف يأتي الذَّكر الأنثى، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال ابنُ جبيرٍ.

والثاني: هدى للمَنْكح والمطعم والمسكنِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: هدى كل شيء إلى معيشتهِ، قاله مجاهدٌ.

وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وابنُ عبَّاسٍ، والأعمشُ، وابنُ السَّمَيفَعِ، ونصير عن الكسائيِّ: «أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» بفتح اللام[1].

فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟

[٥٣٦/أ] **فالجواب**: أنَّه قد ثبت وجود خلق وهداية، فلا بدَّ من خالقٍ وهادٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ اختلفوا فيما سأل عنه من حال القرون الأولى على **ثلاثة أقوال**:

---

(١) عن الأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٨)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠) عن أبي نهيك، ونصير، عن الكسائي وفي التحصيل (٤/ ٣٠٨)، والمبسوط (١/ ٢٩٥) عن الكسائي.

أحدها: أنَّه سأله عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علمٌ، إذ التوراة إنَّما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾، هذا مذهبُ مُقاتِلٍ[١].

وقال غيره: أراد: إنِّي رسول، وأخبار الأمم علم غيبٍ، فلا علم لي بالغيبِ.

والثاني: أنَّ مراده من السُّؤال عنها: لم عبدت الأصنام، ولِمَ لَمْ يُعبد الله إن كان الحق ما وصفت؟

والثالث: أنَّ مراده: ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى؟ فقال: علمها عند الله، أي: علم أعمالها.

وقيل: الهاءُ في ﴿عِلْمُهَا﴾ كنايةٌ عن القيامة، لأنَّه سأله عن بعث الأممِ، فأجابه بذلك.

وقوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ أراد: اللَّوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

وقرأ عبدُ الله بنِ عمرٍو، وعاصمٌ الجحدريُّ، وقتادةُ، وابنُ محيصنٍ: «لا يُضِل» بضمِّ الياءِ وكسر الضادِ، أي: لا يضيعه[٢].

وقرأ أبو المتوكِّل، وابنُ السَّمَيفَعِ: «لا يُضَل» بضمِّ الياءِ وفتح الضَّادِ[٣].

وفي هذه الآية توكيدٌ للجزاءِ على الأعمال، والمعنى: لا يخطئ ربِّي ولا ينسى ما كان من أمرهم حتَّى يجازيهم بأعمالهم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩).

(٢) عن ابن كثير، وابن محيصن، والحسن، والجحدري في التحصيل (٤/ ٣٠٨)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٣٤٢) قتادة، وحماد بن سلمة، وعيسى الثقفي.

(٣) عن الحسن والجحدري، وحماد بن سلمة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠)

وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنَّه يضل وينسى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «مهادًا»[(١)].

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مَهۡدًا﴾ بغير ألفٍ[(٢)].

والمهاد: الفراش، والمهد: الفرش.

﴿وَسَلَكَ لَكُمۡ﴾ أي: أدخل لأجلكم في الأرضِ طرقًا تسلكونها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر، وهذا آخرُ الإخبار عن موسى.

ثمَّ أخبر الله تعالى عن نفسِهِ بقولِه: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ﴾ يعني: بالماءِ ﴿أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافًا مختلفة في الألوانِ والطُّعومِ، كل صنفٍ منها زوج.

و﴿شَتَّىٰ﴾ لا واحد له من لفظِهِ.

﴿كُلُواْ﴾ أي: مما أخرجنا لكم من الثِّمارِ ﴿وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡ﴾ يقال: رعى الماشية، يرعاها: إذا سرَّحها في المرعى.

ومعنى هذا الأمر: التَّذكير بالنِّعم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ﴾ أي: لعبرًا في اختلافِ الألوانِ والطُّعومِ ﴿لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾.

قال الفَرَّاءُ: لذوي العقول، يقال للرَّجل: إنَّه لذو نُهْيَة: إذا كان ذا عقلٍ[(٣)].

قال الزَّجَّاجُ: واحد النهى: نهية، يقال: فلانٌ ذو نُهْيَةٍ، أي: ذو عقلٍ

---

(١) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢٢٣)، والمبسوط (١/ ٢٩٤)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «مهاداً» بالألف في كل القرآن.

(٢) الحجة (٥/ ٢٢٣)، وزاد في المبسوط (١/ ٢٩٤)، وروح عن يعقوب، وخلف.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٨١).

ينتهي به عن المقابح، ويدخل به في المحاسنِ؛ قال: وقال بعضُ أهل اللُّغة: ذو النهية: الذي يُنتهى إلى رأيه وعقله، وهذا حسنٌ أيضًا(١).

قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني: الأرض المذكورة في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾، والإشارة بقوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ إلى آدم، والبشر كلهم منه.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾ أي: مرَّة ﴿أُخْرَىٰ﴾ بعد البعث، يعني: كما أخرجناكم منها أوَّلًا عند خلق آدم من الأرضِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٥٦- ٦٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ يعني: فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: التِّسع الآيات، ولم يرِ كلَّ آية لله، لأنَّها لا تحصى، ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: نسب الآيات إلى الكذبِ، وقال هذا سحرٌ ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يؤمن ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ [٥٣٦/ ب]
يعني: مصر ﴿بِسِحْرِكَ﴾ أي: تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: فلنقابلنَّ ما جئت به من السِّحر

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٩).

بمثله، ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ أي: اضرب بيننا وبينك أجلًا وميقاتاً ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾ أي: لا نجاوزه ﴿نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ﴾.

وقيل: المعنى: اجعل بيننا وبينك موعدًا مكانًا نتواعد لحضورنا ذلك المكان، ولا يقعُ منَّا خلاف في حضوره.

﴿سُوًى﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ بكسر السِّينِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٍ، وحمزةُ، وخلفٌ، ويعقوبُ: ﴿سُوًى﴾ بضمِّها(١).

وقرأ أُبي بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل، وابنُ أبي عبلةَ: «مكاناً سَواءً» بالمدِّ والهمز والنَّصب والتَّنوين وفتح السِّين.

وقرأ ابنُ مسعودٍ مثله، إلَّا أنَّه كسر السِّين(٢).

قال أبو عُبيدةَ: هو اسمٌ للمكان النصف فيما بين الفريقين، والمعنى: مكانًا تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريقٍ إليه كمسافة الفريق الآخرِ(٣).

﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾:

قرأ الجمهورُ برفع الميمِ(٤).

---

(١) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢١٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٢) لم أقف على هذه القراءة

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٠).

(٤) المبسوط (١/ ٢٩٥).

وقرأ الحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، وابن أبي عبلةَ، وهبيرةُ عن حفصٍ بنصب الميمِ(١).

وفي هذا اليوم أربعة أقوالٍ:

أحدها: يومُ عيدٍ لهم، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه، وبه قال مجاهدٌ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: يوم عاشوراء، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: يوم النَّيروز، ووافق ذلك يوم السَّبت أوَّل يومٍ من السنة، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

والرابع: يوم سوقٍ لهم، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

وأمَّا رفع اليوم، فقال البصريون: التقدير: وقتُ موعدكم ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، فناب الموعدُ عن الوقت، وارتفع به ما كان يرتفع بالوقتِ إذا ظهر.

فأمَّا نصبه، فقال الزَّجَّاجُ: المعنى: موعدكم يقع يَومَ الزِّينَةِ، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ موضع «أن» رفع، المعنى: موعدكم حشر النَّاس ﴿ضُحًى﴾ أي: إذا رأيتم النَّاس قد حشروا ضحًى، ويجوز أن تكون «أن» في موضع خفضٍ عطفًا على الزِّينة، المعنى: موعدكم يوم الزِّينة ويوم حشر النَّاسِ ضحًى(٢).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجَحْدري: «وأن تَحْشُر» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفع الشِّين ونصب «النَّاسَ»(٣).

---

(١) قرأ «يَوْمَ الزِّينَةِ» الحسن، والأعمش، والثقفي، ورويت عن أبي عمرو كما في المحتسب (٢/ ٥٣)، وانظر: التحصيل (٤/ ٣٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٠).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١) وفيها تصحيف، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٨) ابن مسعود، والجحدري، وأبي عمران الجوني، وأبي نهيك، وعمرو بن فائد.

وعن ابنِ مسعودٍ، والنَّخعيُّ: «وأن يَحشُر» بالياءِ المفتوحةِ ورفع الشِّين ونصب «النَّاسَ»[١].

قال المفسِّرون: أراد بالنَّاسِ: أهلَ مصرَ، وبالضُّحى: ضحى اليوم، وإنَّما علَّقه بالضُّحى، ليتكامل ضوء الشمس واجتماع النَّاسِ، فيكون أبلغ في الحجَّة وأبعد من الرِّيبة.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: تولَّى عن الحقِّ الذي أمر به.

والثاني: أنَّه انصرف إلى منزله لاستعداد ما يلقى به موسى، ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: مكره وحيلته ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ أي: حضر الموعد.

[٥٣٧/أ] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي: للسَّحرة، وقد ذكرنا عددهم في الأعرافِ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على ألزمكم الله ويلًا، ويجوز أن يكون على النِّداء، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢][٣].

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا تشركوا معه أحداً[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١) عن أبي عمران النحوي، وأبي نهيك، والجحدري، وفي التحصيل (٤/ ٣٠٩) عن ابن مسعود، والجحدري.

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١١٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٠).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١١).

قوله تعالى: ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «فيَسحتكم» بفتح الياءِ، من سَحَتَ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ بضمِّ الياءِ، من أَسْحَتَ[١].

قال الفَرَّاءُ: ويسحت أكثر، وهو الاستئصال، والعربُ تقول: سحته الله، وأسحته، قال الفرزدق [من الطويل][٢]:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ   مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفُ

هكذا أنشد البيت الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

ورواه أبو عُبيدةَ: إلَّا مسحتٌ أو مجلَّفٌ بالرَّفع[٣].

قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ يعني: السَّحرة تناظروا فيما بينهم في أمرِ موسى، وتشاوروا ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ أي: أخفوا كلامهم من فرعون وقومه.

وقيل: من موسى وهارون.

وقيل: أسرُّوا هاهنا بمعنى أظهروا.

وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال:

---

(١) السبعة (ص:٤١٩)، والحجة (٥/ ٢٢٨)، والتيسير (ص: ١٥١)، والمبسوط (١/ ٢٩٥).

(٢) في ديوانه (ص:)، ومعاني القرآن (٢/ ١٨٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٨٨٠)، ولسان العرب (٢/ ٤١)، وخزانة الأدب (١/ ٢٣٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١).

أحدها: أنَّهم قالوا: إن كان هذا ساحرًا، فإنَّا سنغلبه، وإن يكن من السَّماء كما زعمتم، فله أمرُه، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّهم لما سمعوا كلام موسى قالوا: ما هذا بقول ساحرٍ، ولكن هذا كلام الربِّ الأعلى، فعرفوا الحقَّ، ثم نظروا إلى فرعونَ وسلطانه، وإلى موسى وعصاه، فنكسوا على رؤوسهم، وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، قاله الضَّحاكُ، ومُقاتلٌ.

والثالث: أنَّهم ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ الآيات، قاله السُّدِّيُّ.

واختلف القُرَّاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾:

فقرأ أبو عمرو ابن العلاء: «إنَّ هذين» على إعمال «إن»، وقال: إنِّي لأستحيي من الله أن أقرأ: «إن هذان»[1].

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «إن» خفيفة «هذانِّ» بتشديد النُّون.

وقرأ عاصمٌ في رواية حفصٍ: ﴿إِنْ﴾ خفيفة ﴿هَٰذَٰنِ﴾ خفيفة أيضًا.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «إنَّ» بالتَّشديد «هاذان» بألفٍ ونونٍ خفيفة[2].

فأمَّا قراءة أبي عمرٍو، فاحتجاجه في مخالفة المصحف بما روي عن عثمانَ وعائشةَ، أنَّ هذا من غلط الكاتبِ على ما حكيناه في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في سورةِ النِّساءِ[3].

---

(١) التحصيل (٤/ ٣٢٦).

(٢) السبعة (ص: ٤١٩)، والحجة (٥/ ٢٢٩)، والمبسوط (١/ ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٦٢).

وأمَّا قراءةُ عاصمٍ، فمعناها: ما هذان إلَّا ساحران، كقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] أي: ما نظنُّك إلَّا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك [من الكامل][١]:

ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا حلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتعمِّدِ[٢]

أي: ما قتلت إلَّا مسلمًا.

قال الزَّجَّاجُ: ويشهدُ لهذه القراءةِ، ما روي عن أُبي بن كعبٍ أنَّه قرأ: «ما هذان إلا ساحران»، وروي عنه «إن هذان إلا ساحران»، ورويت عن الخليل «إن هذان» بالتَّخفيفِ، والإجماع على أنَّه لم يكن أحدٌ أعلم [٥٣٧/ب] بالنَّحو من الخليلِ[٣].

فأمَّا قراءة الأكثرين بتشديد «إن» وإثبات الألفِ في قوله: «هاذان» فروى عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: هي لغةُ بلحارث بن كعبٍ.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: هي لغة بني الحارثِ بن كعبٍ، وافقتها لغة قريشٍ.

قال الزَّجَّاجُ: وحكى أبو عُبَيْدَةَ عن أبي الخطَّاب، وهو رأسٌ من رؤوس الرُّواة: أنَّها لغة لكنانة، يجعلون ألف الاثنين في الرَّفع والنَّصب والخفض على لفظٍ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا [من الطويل][٤]:

---

(١) البيت لعاتكة بنت زيد في الأغاني (١١/ ١٨)، وخزانة الأدب (١٠/ ٣٧٣)، وشرح شواهد المغني (١/ ٧١).

(٢) في الأصل: (عقوبةالرجم المتعمد)، والمثبت من (س)، و(ر) ومصادر البيت.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦١-٣٦٢).

(٤) البيت للمتلمس في ديوانه (ص: ٣٤)، والحيوان (٤/ ٢٦٣)، وخزانة الأدب (٧/ ٤٨٧)،=

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى ... مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

ويقول هؤلاء: ضربته بين أُذناه.

وقال النَّحويون القدماء: هاهنا هاء مضمرة، المعنى إنَّه هذان لساحران.

وقالوا أيضًا: إن معنى «إنَّ»: نعم هذان لساحران، وينشدون [مجزوء الكامل][(١)]:

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاكَ ... وَقَدْ كَبِرْتَ فقلتُ إِنَّهْ

قال الزَّجَّاجُ: والذي عندي وكنتُ عرضته على عالمنا محمَّد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حمَّاد بن زيد، فقبلاه، وذكرا أنَّه أجود ما سمعناه في هذا، وهو أن «إن» قد وقعت موقع نعم، والمعنى: نعم هذان لهما الساحران، ويلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة[(٢)].

وأستحسن هذه القراءة، لأنَّها مذهب أكثر القرَّاءِ، وبها نقرأ.

وأستحسن قراءة عاصمٍ، والخليل، لأنَّهما إمامان، ولأنَّهما وافقا أُبي بن كعب في المعنى، ولا أجيز قراءةَ أبي عمرٍو لخلاف المصحف.

وحكى ابنُ الأَنبَارِيِّ عن الفَرَّاء قال: ألف «هذان» هي ألف هذا والنُّون فرَّقت بين الواحد والتثنية، كما فرَّقت نون الذين بين الواحد والجمعِ.

=والمؤتلف والمختلف (ص: ٧١)، وبلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ١٨٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٨).

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه (ص: ٦٦)، وشواهد سيبويه (٣/ ١٥١)، ومغني اللبيب (١/ ٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾:

قرأ أبانُ عن عاصمٍ: «ويُذهِبا» بضمِّ الياءِ وكسرِ الهاءِ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وأبو رجاءٍ العُطارديُّ: «ويذهبا» «بالطَّريقة» بألفٍ ولامٍ، مع حذف الكافِ والميمِ.

وفي الطريقة قولان:

أحدهما: بدينكم المستقيم، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

وقال أبو عُبيدةَ: بسنَّتكم ودينكم وما أنتم عليه، يقال: فلانٌ حسنُ الطَّريقةِ[(١)].

والثاني: بأمثلكم، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: بأولي العقل والأشراف، والأسنانِ[(٢)].

وقال الشَّعبيُّ: يصرفان وجوه النَّاس إليهما[(٣)].

قال الفَرَّاءُ: الطريقةُ: الرِّجال الأشراف، تقول العربُ للقومِ الأشراف: هؤلاء طريقة قومهم، وطرائقُ قومهم[(٤)].

فأمَّا ﴿الْمُثْلَىٰ﴾ فقال أبو عُبيدةَ: هي تأنيثُ الأمثلِ، تقول في الإناث: خذ المثلى منهما، وفي الذُّكور خذ الأمثل[(٥)].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم (١٣٤٧٤) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٤) عن علي بن أبي طالب.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٨٥).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

وقال الزَّجَّاجُ: ومعنى المثلى والأمثل: ذو الفضلِ الذي به يستحقُّ أن يقال: هذا أمثل قومِه؛ قال: والذي عندي أنَّ في الكلامِ محذوفاً، [٥٣٨/أ] والمعنى: يذهبا بأهل طريقتكم المثلى، وقول العربِ: هذا طريقة قومِه، أي: صاحب طريقتهم(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾:

قرأ الأكثرون: ﴿فَأَجْمِعُواْ﴾ بقطع الألفِ من أجمعت(٢).

والمعنى: ليكن عزمُكم مجمعاً عليه، لا تختلفوا فيختل أمركم.

قال الفَرَّاءُ: والإجماعُ: الإحكام والعزيمةُ على الشَّيء، تقول: أجمعت على الخروج وأجمعتُ الخروج، تريد: أزمعت.

قال الشاعر [من الكامل](٣):

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ   هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ(٤)

يريد: قد أحكم وعزم عليه.

وقرأ أبو عمرٍو: «فَاجْمَعُوا» بفتح الميمِ من جمعت، يريد: لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلَّا جئتم به(٥).

فأمَّا كيدهم، فالمراد به: سحرهم ومكرهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٤).

(٢) السبعة (ص: ٤١٩)، والحجة (٥/ ٢٣٢)، والمبسوط (١/ ٢٦٩).

(٣) بلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ١٨٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٣)، والخصائص (٢/ ١٣٦)، وشواهد المغني (٢/ ٨١١)، ولسان العرب (٨/ ٥٧) (جمع)، ومغني اللبيب (٢/ ٣٨٨).

(٤) في الأصل، و(ر): (ينفع)، والمثبت من (س)، ومصادر البيت.

(٥) التحصيل (٤/ ٣٢٦).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ أي: مصطفين مجتمعين، ليكون أنظم لأموركم، وأشد لهيبتكم.

قال أبو عُبيدةَ: ﴿صَفّٗاۚ﴾ أي: صفوفًا[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿صَفّٗاۚ﴾ بمعنى: جمعًا[٢].

قال الحسنُ: كانوا خمسة وعشرين صفًّا، كل ألف ساحرٍ صف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فاز من غلب[٣].

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ
أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ
مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ
٧٠ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ قَالُواْ
لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ
٧٣﴾ [طه: ٦٥- ٧٣].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

(٢) غريب القرآن (١/ ٢٨٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٣).

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: دخلت بل لمعنى: جحد في الآية الأولى، لأنَّ الآيةَ الأولى إذا تُؤمِّلَتْ وُجِدَتْ مشتملة على: إمَّا أن تلقي، وإمَّا أن لا تلقي.

قوله تعالى: ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾.

قرأ الحسنُ، وأبو رجاءٍ العُطارديُّ، وأبو عِمرانَ الجُونيُّ، وأبو الجوزاءِ: و«وعُصِيُّهُمْ» برفعِ العينِ(١).

قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيليُّ، وأبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، والحسنُ، وقتادةُ، والزُّهريُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «تُخَيَّلُ» بالتَّاءِ «إِلَيْهِ» أي: إلى موسى(٢).

يقال: خُيِّلَ إليه: إذا شُبِّهَ له، وقد استدلَّ قومٌ بهذه الآية على أنَّ السِّحر ليس بشيءٍ.

وقال: إنَّما خيِّل إلى موسى، فالجواب: أنَّا لا ننكر أن يكون ما رآه موسى تخييلًا، وليس بحقيقةٍ، فإنَّه من الجائز أن يكونوا تركوا الزِّئبق في سلوخ الحيات حتَّى جرت، وليس ذلك بحيات فأمَّا السِّحرُ، فإنَّه يؤثِّر، وهو أنواعٌ.

وقد سُحِر رسولُ الله ﷺ حتى أثَّر فيه، ولعن الْعَاضِهَةَ(٣)، وهي الساحرة.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٩١)، عن عيسى، وفي التحصيل (٤/ ٣٢٧) عن الحسن.

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٧).

(٣) جاءت في حديث ابن عباس الذي أخرجه الضياء في المختارة (٤١١) «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُحِلَّ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ، وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْعَاضِهَةَ وَالْمُسْتَعْضِهَةَ».

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أضمر في نفسِهِ خوفًا[١].

وقال الزَّجَّاجُ: أصلها «خِوفة»، ولكن الواو قلبت ياءً لانكسارِ ما قبلها[٢].

وفي خوفه قولان:

أحدهما: أنَّه خوفُ الطَّبع البشري.

والثاني: أنَّه لما رأى سحرهم من جنسِ ما أراهم في العصي، خاف أن يلتبس على النَّاس أمرُهُ، ولا يؤمنوا، فقيل له: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عليهم بالظَّفرِ والغلبةِ. وهذا أصحُّ من الأوَّلِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني: العصا ﴿تَلْقَفْ﴾.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «تلقَّفُ» برفع الفاءِ وتشديدِ القافِ.

وروى حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَلْقَفْ﴾ خفيفة، وكان ابنُ كثيرٍ يشدِّد التَّاء من «تَّلقف» يريد: تتلقَّف[٣].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو رجاءٍ: «تلقم» بالميم وقد شرحناها في الأعرافِ[٤][٥]. [٥٣٨/ ب]

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾.

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «كيد سحر».

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٣).

(٣) السبعة (ص: ٢٩٠)، والحجة (٥/ ٢٣٥)، والتيسير (ص: ١٩٢).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١١٧).

(٥) عن سعيد بن جبير في المصاحف لابن أبي داود (١/ ٢٢٢).

وقرأ الباقون: ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ بألفٍ[١].

والمعنى: إنَّ الذي صنعوا كيد ساحرٍ، أي: عمل ساحر.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجُونيُّ: «إنَّما صنعوا كيدَ» بنصب الدَّالِ[٢].

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا يسعد حيثما[٣] كان[٤]، وقيل: لا يفوز.

وروى جُندبُ بنُ عبد الله البجليُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أَخَذْتُمُ السَّاحِرَ فَاقْتُلُوهُ»، ثمَّ قرأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، قال: «لا يأمنُ حيث وُجد»[٥].

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وورشٌ عن نافعٍ: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ على لفظ الخبر.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «آمنتم له» بهمزةٍ ممدودةٍ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «أآمنتم له» بهمزتين الثَّانية ممدودةٌ[٦].

---

(١) السبعة (ص: ٤٢١)، والحجة (٥/ ٢٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٩٦).

(٢) الكامل في القراءات (١/ ١٣٤).

(٣) في (س): (حيث).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤).

(٥) بهذا اللفظ رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٥٨٦)، وجاء بلفظ: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ» رواه الترمذي (١٤٦٠) وضعفه.

(٦) السبعة (ص: ٤٢١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد معلمكم[(١)].

قال الكسائيُّ: الصَّبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه، قال: جئت من عند كبيري[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ ﴿فِى﴾ بمعنى على، ومثله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[الطور: ٣٨] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيُّها السَّحرة ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ لكم ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي: أدوم، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على ترككم الإيمان به؟ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعنون اليدَ والعصى.

فإن قيل: لم نسبوا الآيات إلى أنفسهم بقولهم: ﴿جَآءَنَا﴾ وإنَّما جاءت عامَّة لهم ولغيرهم.

فالجواب: أنَّهم لما كانوا بأبواب السِّحر ومذاهب الاحتيالِ أعرف من غيرهم، وقد علموا أنَّ ما جاء به موسى ليس بسحرٍ، كان ذلك في حقِّ غيرهم أبينُ وأوضحُ، وكانوا هم[(٣)] لمعرفته أخصُّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ وجهان ذكرهما الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

أحدهما: أنَّ المعنى: لن نؤثرك على ماجاءنا من البيِّنات، وعلى الذي فطرنا.

والثاني: أنَّه قسمٌ، تقديره: وحق الذي فطرنا[(٤)].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥).

(٢) التفسير الوسيط (٣/ ٢١٤).

(٣) ليست في (س).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٨).

قوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانعٌ، وأصل القضاءِ: عملٌ بإحكام.

﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾.

قال الفَرَّاءُ: إنَّما حرفٌ واحدٌ، فلهذا نصب: الحياة الدُّنيا، ولو قرأ قارئ برفع الحياةِ لجاز، على أن يجعل «ما» في مذهب الذي، كقولك: إنَّ الذي تقضي هذه الحياة الدُّنيا[1].

وقرأ ابنُ أبي عبلةَ، وأبو المتوكِّل: «إنما تُقْضَى» بضمِّ التَّاءِ على ما لم يسمَّ فاعلُه، «الحياةُ» برفع التَّاءِ[2].

قال المفسِّرون: والمعنى: إنَّما سلطانك وملكك في هذه الدُّنيا، لا في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا﴾ يعنون الشِّرك ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ﴾ أي: والذي أكرهتنا عليه، أي: ويغفر لنا إكراهك إيَّانا على السِّحرِ.

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿أَكۡرَهۡتَنَا﴾، وقد قالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾، وفي هذا دليلٌ على أنَّهم فعلوا السِّحر غير مكرهين؟

فعنه أربعةُ أجوبةٍ:

أحدها: أنَّ فرعون كان يُكره النَّاس على تعلُّمِ السِّحرِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

قال ابنُ الأنباريِّ: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يُعَلِّموا أولادهم السِّحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسِّحر، ولِمَا خامر [٥٣٩/أ]
قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السِّحر، هو الإكراه على تعلمه في

(١) معاني القرآن (٢/ ١٨٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١) عن أبي حيوة.

أوَّل الأمـرِ.

والثاني: أنَّ السَّـحرةَ لما شـاهدوا موسـى بعد قولهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ ورأوا ذكـره الله تعـالى وسـلوكه منهـاج المتقين، جزعـوا من ملاقاتـه بالسِّـحر، وحذروا أن يظهـرِ عليهـم فيُطَّلـع عـلى ضعـفِ صناعتهم، فيفسـد(١) معيشـتهم، فلـم يقنع فرعـون منهـم إلَّا بمعارضة موسـى، فـكان هذا هـو الإكراهُ على السِّـحرِ.

والثالـث: أنَّهـم خافـوا أن يغلبـوا في ذلـك الجمـع، فيقـدح ذلـك في صنعتهـم عنـد الملـوكِ والسـوق، وأكرههـم فرعـون عـلى فعـل السِّـحرِ.

والرابـع: أنَّ فرعـون أكرههـم عـلى مفارقـة أوطانهـم، وكان سـبب ذلـك السِّـحر، ذكـر هـذه الأقـوال ابـنُ الأنبـارِيِّ.

قولـه تعـالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: خـيرٌ منـك ثوابًـا إذا أُطيـعَ ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ عقابًـا إذا عـصي، وهـذا جـوابُ قولـه: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾، وهـذا آخـرُ الإخبـارِ عـن السَّـحرةِ.

قولــه تعــالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طـه: ٧٤- ٧٦].

قولــه تعــالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ يعنـي: مـشركًا ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيسـتريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حيـاةً تنفعُـهُ.

أنشد ابنُ الأنبارِيِّ في مثل هذا المعنى قوله [من الطويل](٢):

---

(١) في (س): (فتفسد).

(٢) بلا نسبة في الزاهر (٢/ ٤)، ولسان العرب (١٢/ ٣٣٥).

أَلَا مَـنْ لِنَفْـسٍ لَا تَمُـوتُ فَيَنْقَضِـي شَـقَاهَا وَلَا تَحْيَـا حَيَـاةً لَهَـا طَعْـمُ[١]

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: قـد أدَّى الفرائـض، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ يعنـي: درجـات الجنَّـة، وبعضهـا أعـلى مـن بعـضٍ[٢].

والعلى، جمع العليا، وهو تأنيثُ الأعلى.

قـال ابـنُ الأنبـارِيِّ: وإنَّـما قـال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، لأنَّ مـن تقـع بلفـظ التَّوحيـد عـلى تأويـل الجمـعِ. فـإذا غلـب لفظهـا، وحـد الراجـع إليهـا، وإذا بُـيِّن تأويلهـا، جمـع المـصروف إليهـا.

قولـه تعـالى: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعنـي الثَّـواب ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تطهَّـر مـن الكفـرِ والمعـاصي.

قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طـه: ٧٧- ٨٢].

قولـه تعـالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ أي: سر بهـم ليـلًا مـن أرض مـصرَ ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ أي: اجعـل لهـم طريقـا ﴿فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾.

---

(١) البيت ليس في (س).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥).

قرأ أبو المتوكِّل، والحسنُ البصريُّ، والنَّخعيُّ: «يَبْسًا» بإسكان الباءِ(١).

وقرأ الشَّعبيُّ، وأبو رجاء، وابنُ السَّمَيفَعِ: «يابسًا» بألفٍ(٢).

قال أبو عُبيدةَ: اليَبَس، متحرِّك الحروف، بمعنى اليابس، يقال: شاةٌ يَبَسٌ، أي: يابسة ليس لها لبنٌ(٣).

وقال ابنُ قُتيبةَ: يقال لليابس: يَبَسٌ ويَبْسٌ(٤).

قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾.

قرأ الأكثرون: بألفٍ، وقرأ حمزةُ وأبان عن عاصمٍ: ﴿لَّا تَخَفْ﴾(٥).

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ «لا تخاف»، فالمعنى: لست تخاف، ومَن قرأ: «لا تخف» فهو نهي عن الخوفِ(٦).

قال الفَرَّاءُ: قرأ حمزةُ: «لا تَخَفْ» بالجزمِ، ورفع «ولا تخشى» على الاستئنافِ، كقوله تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] استأنف بـ﴿ثُمَّ﴾، فهذا مثله، ولو نوى حمزة بقوله: «ولا تخش» الجزم وإن كانت فيه الياء، كان صوابًا(٧).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٩١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٢) عن الحسن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، عن أبي حيوة، والمحرر (٤/ ٥٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٤).

(٤) معاني القرآن (ص:٢٨٠).

(٥) السبعة (ص: ٤٢١)، والحجة (٥/ ٢٣٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٧) معاني القرآن (٢/ ١٨٧).

[٥٣٩/ب] قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى قوله: ﴿دَرَكًا﴾ لحاقًا[١].

قال المفسِّرون: قال أصحابُ موسى: هذا فرعونُ قد أدركنا، وهذا البحر بين أيدينا، فأنزل الله على موسى ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي: من فرعون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ غرقًا في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: لحقهم[٢].

وروى هارونُ، عن أبي عمرٍو: «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتَّشديد[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: تبع الرجل الشَّيء، وأتبعه بمعنى واحد، ومَن قرأ بالتَّشديد، ففيه دليلٌ على أنَّه اتَّبعهم ومعه الجنود، ومن قرأ: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾، فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللَّفظ، وجائزٌ أن لا يكون، إلَّا أنَّه قد كان معهم[٤].

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ أي: فغشيهم من ماء البحرِ ما غرقهم.

وقال ابنُ الأنباريِّ: ويعني بقوله: ما غشيهم البعض الذي غشيهم، لأنَّه لم يغشهم كل مائه.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعكرمةُ، وأبو رجاءٍ، والأعمشُ: «فَغَشَّاهم من اليمِّ ما غَشَّاهم» بألفٍ فيهما مع تشديدِ الشِّين وحذفِ الياءِ[٥].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٢) وزاد الحسن.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٠).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٨) عن الأعمش

قولـه تعـالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ أي: دعاهـم إلى عبادتـه ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: مـا أرشـدهم حـين أوردهـم مـوارد الهلكـة، وهـذا تكذيـبٌ لـه في قولـه: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافـر: ٢٩].

قولـه تعـالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ لأخـذِ التَّـوارة، وقـد ذكرنـا في مريـم[١] معنـى الأيمـن، وذكرنـا في البقـرةِ[٢] المـنَّ والسَّـلوى.

قوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: لا تبطروا في نعمي فتظلموا.

والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين.

والثالث: لا تدَّخروا منه لأكثر من يومٍ وليلةٍ.

قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ أي: فتجب لكم عقوبتي.

والجمهورُ قرؤوا: ﴿فَيَحِلَّ﴾[٣] بكسرِ الحاءِ ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ﴾ بكسر اللَّامِ.

وقرأ الكسائيُّ: «فَيَحُل» بضمِّ الحاءِ «ومن يحلُل» بضمِّ اللَّامِ[٤].

قـال الفـرَّاءُ: والكسـرُ أحـبُّ إليَّ، لأنَّ الضـمَّ مـن الحلـول، ومعنـاه: الوقـوع، ويحِـلُّ بالكسـرِ، يجـبُ، وجـاء التَّفسـيرُ بالوجـوبِ، لا بالوقـوع[٥].

---

(١) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (٥٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٧).

(٣) قوله: ﴿فَيَحِلَّ﴾ من (س).

(٤) السبعة (ص: ٤٢٢)، والحجة (٥/ ٢٤٢)، والتيسير (ص: ١٥٢).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٨٨).

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ الغفارُ: الذي يغفر ذنوب عبادِهِ مرَّة بعد أخرى، فكلَّما تكرَّرت ذنوبهم تكرَّرت مغفرتُه، وأصلُ الغفر: السَّتر، وبه سمِّي زِئْبَر الثَّوبِ: غفرًا، لأنَّه يستر سداه. فالغفَّار: السَّتَّارُ لذنوبِ عبادِهِ، المسبل عليهم ثوب عطفِهِ.

قوله تعالى: ﴿لِّمَن تَابَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لمن تاب من الشِّركِ ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: وحَّدَ اللهَ وصدَّقَه، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدَّى الفرائضَ[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ثمانية أقوالٍ:

أحدها: علم أنَّ لعمله هذا ثوابًا، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: لم يشكَّك، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: علم أنَّ ذلك توفيقٌ من الله له، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: لزم السُّنَّةِ والجماعة، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: استقام، قاله الضَّحاكُ.

والسادس: لزمُ الإسلامِ حتَّى يموت عليه، قاله قتادةُ.

[٥٤٠/أ] والسابع: اهتدى كيف يعمل، قاله زيدُ بنُ أسلم.

والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النَّبيِّ ﷺ، قاله ثابت البناني[2].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٩) من طريق عمر بن شاكر البصري، عن ثابت البناني به، وعمر بن شاكر واهي الحديث. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٢٠٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي (٨٦) قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾[طه: ٨٣- ٨٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قال المفسِّرون: لما نجى الله تعالى بني إسرائيلَ وأغرق فرعونَ، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتابٍ من عندِ الله، فيه الحلالُ والحرامُ والفرائضُ، فأوحى الله إليه يعده أنَّه ينزل عليه ذلك في الموضع الذي كلَّمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطُّور لأخذِ التَّوارةِ، فعجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربِّه، وأمرهم بلحاقِه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلةِ عن قومِك، ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ﴾ أي: هؤلاء ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «على إِثْري» بكسرِ الهمزةِ وسكون الثَّاءِ[1].

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، عن عيسى، وعبد الوارث، عن أبي عمرو، ويعقوب، وفي التحصيل (٤/ ٣٢٩) عن يعقوب الحضرمي، وانظر: المحرر (٤/ ٥٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٦).

وقرأ عكرمةُ، وأبو المتوكِّلِ، وابنُ يعمرَ، برفع الهمزةِ وسكونِ الثَّاءِ[١].

وقرأ أبو رجاءٍ، وأبو العالية: بفتح الهمزةِ وسكونِ الثَّاءِ[٢].

والمعنى: هم بالقربِ منِّي يأتون بعدي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي: لتزداد رضىً، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ألقيناهُمْ في فتنةٍ ومِحْنَةٍ، واختبَرْناهُم[٣].

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: من بعد انطلاقِكَ من بينهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي: كان سبباً لإضلالهم.

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّل، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «وأَضَلُّهم» برفع اللَّام[٤]، وقد شرحنا في البقرةِ[٥] سبب اتِّخاذِ السَّامري العجل، وشرحنا في الأعرافِ[٦] معنى قوله تعالى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: صدقًا، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: إعطاء التَّوراةِ.

والثاني: قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى قوله: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ﴾ الآية: [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[طه: ٨٢].

---

(١) «أُثْرِي» بِضمِّ الهمزة وسكون الثَّاءِ عن الكسائي، وعيسى في البحر المحيط (٧/ ٣٦٦).

(٢) «أَثْرِي» أشار إليها أبو البقاء العُكبري في إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٨٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧١).

(٤) عن أبي معاذ في مختصر ابن خالويه (ص:٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٩)، وإعراب القراءات الشواذ (٢/ ٨٤).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

(٦) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٥٠).

والثالث: النَّصر، والظفر.

قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي: مدَّة مفارقتي إيَّاكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أن تصنعوا صنيعًا يكون سببًا لغضب ربِّكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ أي: عهدي، وكانوا قد عاهدوه أنَّه إن فكَّهم الله من ملكة آل فرعون، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به، ويقيموا الصَّلاةَ، وينصروا الله ورسله.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: بكسرِ الميمِ.

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ: بفتح الميم.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: بضمِّ الميم(١).

قال أبو عليٍّ: وهذه لغاتٌ(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: **المُلْكُ** بالضمِّ: السُّلطان والقُدرة، و**المِلْك** بالكسر: ما حَوَتْهُ اليَدُ، و**المَلْك** بالفتح: المصدَرُ، يقال: مَلَكْتُ الشَّيءَ أملِكه مَلْكًا(٣).

وللمفسِّرين في معنى الكلام أربعة أقوالٍ:

أحدها: ما كنَّا نملك الذي اتَّخذ منه العجل، ولكنَّها كانت زينة آل فرعون، فقذفناها، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: بِطاقتِنا، قاله قتادةُ، والسُّدِّيُّ.

والثالث: لم نملك أنفسنا عند الوقوعِ في البلية، قاله ابنُ زيدٍ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٢)، والحجة (٥/ ٢٤٤)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٢) الحجة (٥/ ٢٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧١).

[٥٤٠/ب] والرابع: لم يملك مؤمنونا سفهاءنا، ذكره الماورديُّ[١].

فيُخرَّج فيمن قال هذا لموسى قولان:

أحدهما: أنَّهم الذين لم يعبدوا العجلَ.

والثاني: عابدوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بضمِّ الحاءِ وتشديد الميم.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «حَمَلْنَا» خفيفة[٢].

والأوزار: الأثقال. والمراد بها: حليُّ آل فرعون الذي كانوا استعارُوه منهم قبل خروجهم من مصرَ. فمن قرأ ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بالتَّشديد، فالمعنى: حمَّلناها موسى، أمرنا باستعارتها من آلِ فرعونَ، ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي: طرحناها في الحفيرة، وقد ذكرنا سبب قذفهم إيَّاها في سورةِ البقرةِ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه ألقى حُليًّا كما ألقوا.

والثاني: ألقى ما كان معه من ترابِ حافر فرس جبريل.

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤١٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٢٣)، والحجة (٥/ ٢٤٥-٢٤٦)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

وقد سبق شرح القصَّة في البقرة[١]، وذكرنا في الأعرافِ[٢] معنى قوله تعالى: ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ هذا قولُ السَّامريِّ ومَن وافقه من الذين افتتنوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ في المشار إليه بالنِّسيان **قولان**:

أحدهما: أنَّه موسى.

ثمَّ في المعنى ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبرَكم أنَّ هذا إلهه، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: فنسي موسى الطَّريق إلى ربِّه، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: فنسي موسى إلهه عندكم، وخالفه في طريق آخر، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّه السَّامريُّ، والمعنى: فنسي السَّامريُّ إيمانَه وإسلامه، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال مكحول: ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: فترك السَّامريُّ ما كان عليه من الدين[٣].

وقيل: فنسي أنَّ العجلَ لا يرجع إليهم قولًا، ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا.

فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ من إخبارِ الله ﷻ عن السَّامريِّ.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٨).

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٣٦٩).

وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان:

أحدهما: أنَّه السَّامريُّ.

والثاني: بنو إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أفلا يرون أنَّه لا يرجع إليهم قولًا[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾[طه: ٩٠- ٩٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ أي: ابتليتم ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ لا العجل، ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ أي: لن نزال مقيمين على عبادةِ العجلِ ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ فلمَّا رجعَ موسى ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾ بعبادةِ العجلِ ﴿ أَلَّا ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «ألَّا تتبعني» بياءٍ في الوصلِ ساكنة، ويقف ابنُ كثيرٍ بالياءِ، وأبو عمرٍو بغيرِ ياءٍ[2].

وروى إسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن نافعٍ: «ألا تتبعنيَ أفعصيت» بياءٍ منصوبةٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٢).

(٢) معاني القراءات (٢/ ١٦٢)، والحجة (٥/ ٢٤٧).

وروى قالونُ، عن نافعٍ مثل أبي عمرٍو سواء.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ بغير ياءٍ في الوصلِ، والوقفِ[١].

والمعنى: ما منعك من اتِّباعي، و«لا» كلمة زائدةٌ.

وفي المعنى ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: تسير ورائي بمن معك من المؤمنين، وتفارقهم، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أن تناجزهم القتال، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: في الإنكارِ عليهم، قاله مُقاتلٌ[٢]. [٥٤١/أ]

قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ وهو قوله في وصيَّته إيَّاه: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف:١٤٢].

قال المفسِّرون: ثمَّ أخذ برأس أخيه ولحيته غضبًا منه عليه.

وهذا وإن لم يذكر هاهنا، فقد ذكر في الأعراف[٣] فاكتفي بذلك، وقد شرحنا هناك معنى ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ واختلاف القرَّاءِ فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ أي: بشعرِ رأسي، وهذا الغضبُ كان لله ﷻ، لا لنفسِهِ، لأنَّه وقع في نفسِهِ أنَّ هارونَ عصى الله بتركِ اتِّباع موسى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ أي: إن فارقتهم واتَّبعتُك ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: باتِّباعي إيَّاك ومن معي من المؤمنين.

---

(١) التيسير (ص: ١٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٩٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٥٠).

والثاني: بقتالي لبعضهم ببعضٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ قولان:

أحدهما: لم ترقب قولي لك: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف:١٤٢].

والثاني: لم تنتظر أمري فيهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[طه: ٩٥- ٩٨].

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: ما أمرك وشأنك الذي دعاك إلى ما صنعت؟.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: وبعض اللُّغويين يقول: الخطبُ مشتقٌّ من الخطابِ، المعنى: ما أمرك الذي تخاطب فيه؟

واختلفوا في اسمِ السَّامري على قولين:

أحدهما: موسى أيضًا، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ، وقال: كان ابن عمِّ موسى بن عِمرانَ.

والثاني: ميخا، قاله ابنُ السَّائبِ.

وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمَّى سامرة، قاله قتادةُ.

وفي بلده قولان:

أحدهما كَرْمان، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: باجرما، قاله وهبٌ.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «تبصروا»، بالتَّاءِ[١]، فعلى قراءةِ الجمهورِ أشار إلى بني إسرائيل، وعلى هذه القراءةِ خاطبَ الجميعَ.

قال أبو عُبيدةَ: علمت ما لم تعلموا، قال: وقومٌ يقولون: بصِرْتُ، وأَبْصَرتُ سواءٌ، بمنزلة أَسْرَعْتُ، وسَرِعْتُ[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: يقال: بَصُر الرَّجلَ يَبْصُرُ: إذا صار عَليمًا بالشَّيءِ، وأَبْصَرَ يُبْصِرُ: إذا نظرَ[٣].

قال المفسِّرون: فقال له موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريلَ على فرس، فألقي في نفسي: أن أقبضَ من أثرها ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والحسنُ، ومعاذٌ القارئ: «قَبْصَةً» بالصَّادِ[٤].

وقال الفرَّاءُ: والقبضةُ بالكفِّ كلها، والقبصةُ ـ بالصَّادِ ـ بأطرافِ الأصابعِ[٥].

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٤)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر «يبصروا» بالياء.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٤).

(٤) عن الحسن وجماعة في معاني القرآن (٢/ ١٩٠)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٤) وروي عن الحسن «قبصة» بضم القاف.

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٩٠).

قال ابنُ قتيبةَ: ومثل هذا: الخَضْمُ بالفمِ كلِّه، والقَضْمُ بأطرافِ الأسنانِ، والنَّضْخُ أكثر من النَّضحِ، الرِّجْز: العذاب، الرِّجْسُ: النَّتْنُ، والهُلاس في البَدَنِ، والسُّلاس في العقلِ، والغَلَطُ في الكلامِ، والغَلَتُ في الحسابِ، والخَصِرُ: الذي يَجِدُ البَرْدَ، والخَرِصُ: الذي يجد البردَ والجوعَ، والنَّارُ الخَامِدَة: التي قد سكن لَهَبُها ولم يُطْفَأْ جَمْرُها، والهامِدَة: التي طَفِئَتْ فذهبت البَتَّة، والشُّكْد: العطاءُ ابتداءً، فإن كان جزاء فهو شُكْمٌ، والمَائِحُ: الذي يدخل البئر فيملأ الدَّلو، والمَاتِح: الذي ينزعها[1]. [٥٤١/ب]

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: فقذفتها في العجلِ.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «فنبذتها» بالإدغامِ[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما حدثتك ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: زيَّنت لي ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾ أي: من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ﴾ أي: ما دمت حيًا ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا أَمسُّ ولا أُمسُّ، فصار السَّامريُّ يهيم في البريَّة مع الوحش والسِّباع، لا يمس أحدًا، ولا يمسه أحدٌ، عاقبه الله بذلك، وألهمه أن يقول: لا مساس، وكان إذا لقي أحدًا يقول: لا مساس، أي: لا تقربني، ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة لولده، حتَّى إن بقاياهم اليوم، فيما ذكر أهل التَّفسير، بأرض الشام يقولون ذلك.

وحكي أنَّه إن مسَّ واحد من غيرهم واحدًا منهم، أخذتهما الحمَّى في الحالِ.

---

(١) آداب الكاتب (٢٠١ـ٢٠٢).

(٢) السبعة (ص: ١٢٤)، والتيسير (١/ ٤٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابك يوم القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: لن يتأخَّر عنك، ومن كسر لام «تُخْلِفه» أراد: لن تغيب عنه.

قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ يعني: العجل ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: معناه: أقمت عليه(١).

وقال الفرَّاءُ: معنى ﴿ظَلْتَ﴾: فعلته نهارًا(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ يعمرَ: «ظُلْت» برفع الظَّاءِ(٣).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاءٍ، والأعمشُ، وابنُ أبي عبلةَ: «ظِلْت» بكسرِ الظَّاءِ(٤).

وقال الزَّجَّاجُ: ظَلْت وظِلْت بفتح الظَّاءِ، وكسرها، فمن فتح فالأصلُ فيه: ظَلِلت ولكن اللَّام حذفت لثقل التَّضعيفِ والكسر، وبقيت الظَّاءُ على فتحها، ومن قرأ: «ظِلْت» بالكسرِ، حوَّل كسرة اللَّام على الظَّاءِ(٥).

ومعنى ﴿عَاكِفًا﴾ مقيمًا ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾.

قرأ الجمهورُ: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضمِّ النُّون وفتح الحاءِ وتشديدِ الرَّاءِ(٦).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) لغات القرآن (ص: ٩٣).

(٣) عن يحيى بن يعمر «ظِلْت»، «ظُلْت» في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢).

(٤) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، والتحصيل (٤/ ٣٥٤) ابن مسعود، وقتادة، والأعمش.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٥).

(٦) المبسوط (١/ ٢٩٨).

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَزِينٍ، وابنُ يعمرَ: «لَنَحْرُقَنَّه» بفتح النُّونِ وسكونِ الحاءِ ورفع الرَّاء مخفَّفة(١).

وقرأ أبو هريرةَ، والحسنُ، وقتادةُ: «لَنُحْرِقَنَّه» برفع النُّونِ وإسكان الحاءِ وكسر الرَّاءِ مخفَّفة(٢).

قال الزَّجَّاجُ: إذا شدِّد، فالمعنى: نحرقه مرَّة بعد مرَّة(٣).

وتأويل «لنحرقنَّه»: لنبردنَّه، يقال: حرقت أحرُق وأحرِق: إذا بردت الشَّيءَ.

والنسف: التذرية.

وجاء في التفسير: أنَّ موسى أخذ العجل فذبحه. فسال منه دمٌ؛ لأنَّه كان قد صار لحمًا ودمًا، ثم أحرقه بالنَّارِ، ثم ذرَّاه في البحرِ، ثم أخبرهم موسى عن إلههم، فقال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحقُّ العبادةَ، لا العجل، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمُه كلَّ شيءٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ

---

(١) عن علي بن أبي طالب، وأبي جعفر في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وزاد في التحصيل (٤/ ٣٥٤) ابن عباس.

(٢) عن الكلبي، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وزاد في التحصيل (٤/ ٣٥٤) الباهلي، عن ابن القعقاع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٥).

بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[طـه: ٩٩- ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمَّد من نبأ موسى وقومه، نقص عليك ﴿مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي: من أخبار مَن مضى، والذكر هاهنا: القرآن ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن، ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ أي: إثمًا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب ذلك الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى وساءَ الوزر لهم يومَ القيامةِ ﴿حِمْلًا﴾، وحملًا منصوبٌ على التَّمييز(١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾.

قرأ أبو عمرٍو: «نَنْفُخُ» بالنُّونِ.

وقرأ الباقونَ من السَّبعةِ: ﴿يُنفَخُ﴾ بالياءِ على ما لم يسمَّ فاعلُه(٢). [٥٤٢/أ]

وقرأ أبو عمرانَ الجُونيُّ: «يوم يَنْفُخُ» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع الفاء، وقد سبق بيانُه(٣).

﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو الجوزاءِ، وطلحةُ بن مصرف: «ويَحشُر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع الشِّين(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٦).

(٢) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (١/ ٢٤٧)، والمبسوط (١/ ٢٩٨).

(٣) عن ابن هرمز في التحصيل (٤/ ٣٥٥).

(٤) عن الحسن في البحر المحيط (٦/ ٢٧٨).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، وأبو عِمرانَ: «ويُحْشَر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح الشِّين، «المجرمون» بالواو[١].

قال المفسِّرون: والمراد بالمجرمين: المشركون[٢].

﴿يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: عميًا، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: بيض العيون من العمى، قد ذهب السَّوَادُ والنَّاظِرُ[٣].

والثاني: زرق العيون من شدَّة العطشِ، قاله الزُّهريُّ.

والمراد: أنَّه يشوه خلقهم بسوادِ الوجوه، وزرق العيون.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: يسارُّ بعضُهم بعضًا ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ أي: ما لبثتم إلَّا عشر ليالٍ، وهذا على طريق التَّقليل، لا على وجه التَّحديد.

وفي مرادهم بمكان هذا اللَّبث قولان:

أحدهما: القبورُ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم عنوا طول ما لبثوا فيها.

روى أبو صالح عن ابنِ عبَّاسٍ: إن لبثتم بعد الموتِ إلَّا عشرًا.

والثاني: ما بين النفختين، وهو أربعون سنة، فإنَّه يخفِّف عنهم العذابُ حينئذٍ، فيستقلون مدَّة لبثهم لهول ما يعاينون، حكاه عليُّ بن أحمد النَّيسابوري[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢) عن الحسن، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن طلحة بن مُصرِّف.

(٢) في الأصل و(ر): (المشركين)، والمثبت من (س).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٢).

(٤) هو الواحدي، وانظر: تفسيره الوسيط (٣/ ٢٢١).

والقول الثاني: أنهم عنوا لبثهم في الدُّنيا، قاله الحسنُ، وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعقلهم، وأعدلُهم قولًا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فنسي القومُ مقدار لبثهم لهول ما عاينوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١٠٥- ١١٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾.

سبب نزولها: أنَّ رجالًا من ثقيفٍ أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا يا محمَّد: كيف تكون الجبال يوم القيامةِ؟ فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ(١).

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ قال المفسِّرون: النسف: التذرية.

والمعنى: يصيرها رمالًا تسيلُ سيْلًا، ثم يصيرها كالصُّوف المنفوش، تطيرها الرِّياح فتستأصلها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدع أماكنها من الأرضِ إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وروى ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٥٩٨) عن ابن جريج قال: «قَالَت قُرَيْش: يَا مُحَمَّد كَيفَ يفعل رَبُّك بِهَذِهِ الجِبَال يَوْم الْقِيَامَة فَنزلت الآيَة».

قال ابنُ قُتيبةَ: القاعُ من الأرض المستوي: الذي يعلوه الماءُ، والصَّفْصَفُ: المستوي أيضًا، يريد: أنَّه لا نبت فيها[١].

قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ في ذلك ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المرادَ بالعوج: الأوديةُ، وبالأمت: الرَّوابي، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

وكذلك قال مجاهدٌ: العوج: الانخفاض، والأمت: الارتفاعُ[٢]، وهذا مذهبُ الحسنُ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: الأمت: النَّبَكُ[٣].

والثاني: أنَّ العوجَ: الميل، والأمت: الأثر مثل الشراك، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ العوجَ: الصدع، والأمت: الأكمة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾.

قال الفَرَّاءُ: أي: يتَّبعون صوت الدَّاعي للحشرِ، لا عوجَ لهم عن دعائه: لا يقدرون أن لا يتَّبعوا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي: سكنت وخفيت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: [٥٤٢/ب]

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٦٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٢)، و«النباك»، وهي التلال الصِّغار، واحدها نبك. لسان العرب (٢/ ٥).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٩٢).

أحدها: وطء الأقدام، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ في روايةٍ، واختاره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ[1].

والثاني: تحريك الشِّفاه بغير نطقٍ، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عباسٍ.

والثالث: الكلام الخفي، روي عن مجاهدٍ.

وقال أبو عُبيدةَ: الصوتُ الخفي[2].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ يعني: لا تنفع أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ أي: إلا شفاعة من أذن له الرَّحمنُ، أي: أذن أن يشفع له، ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: ورضي للمشفوعِ فيه قولًا، وهو الذي كان في الدُّنيا من أهل لا إله إلا الله.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعةٌ إلى الذين يتَّبعون الداعي.

وقد شرحنا هذه الآية في سورة البقرة[3].

وفي هاء ﴿بِهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى الله تعالى، قاله مُقاتلٌ[4].

والثاني: إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣٠).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٢).

قال الزَّجَّاجُ: عنت في اللُّغة: خَضعَتْ، يُقال: عَنَا يَعْنُو: إذا خَضَعَ، ومنه قيل: أُخِذَتِ البلادُ عُنْوَةً: إذَا أُخِذَتْ غَلَبة، وأُخِذَتْ بخضوعٍ من أهلها[١].

والمفسِّرون: على أنَّ هذا في يوم القيامةِ، إلَّا ما روي عن طلق بنِ حبيبٍ: هو وضع الجبهةِ والأنفِ والكفَّين والرُّكبتين وأطراف القدمين على الأرض للسُّجود[٢].

وقد شرحنا في آية الكرسي معنى ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: خسر من أشرك بالله[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ «من» هاهنا للجنس، وإنَّما شرط الإيمان، لأنَّ غير المؤمن لا يقبل عمله، ولا يكون صالحًا، ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخافُ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «فلا يخفْ» على النَّهي[٤].

قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لا يخاف أن يُظلم فيزاد في سيئاته، ولا أن يُهضم من حسناتِهِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: لا يخاف أن يُظلم فيزاد من ذنب غيرِهِ، ولا أن يُهضم من حسناته، قاله قتادةُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٤) من طريق عمرو بن مرة، به.

(٣) أورده الواحدي في تفسيره (٣/ ٢٢٢).

(٤) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (٥/ ٢٥١).

والثالث: أن لا يخاف أن يُؤاخذ بما لم يعمل، ولا يُنتقص من عملِهِ الصَّالحِ، قاله الضَّحاكُ.

والرابع: لا يخاف أن لا يُجزى بعملِهِ، ولا أن يُنقص من حقِّهِ، قاله ابنُ زيدٍ.

قال اللُّغويون: الهضم: النقصُ، تقول العرب: هضمت لك من حقِّي، أي: حططت، ومنه: فلانٌ هضيم الكشحين، أي: ضامر الجنبين، ويقال: هذا شيءٌ يهضم الطعام، أي: ينقص ثقله.

وفرَّق بعض المفسِّرين بين الظُّلم والهضم، فقال: الظلم منعُ الحقِّ كله، والهضمُ منع البعضِ، وإن كان ظلمًا أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: وكما بيَّنا في هذه السُّورةِ، أنزلناه أي: أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي: بيَّنا فيه ضروب الوعيد.

قال قتادةُ: يعني: وقائعه في الأممِ المكذبةِ(١).

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون سببًا لاتِّقائهم الشِّرك بالاتِّعاظ بمن قبلهم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ أي: يجدد لهم القرآن، وقيل: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتبارًا، فيتذكَّروا به عقابَ الأمم فيعتبروا.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «أو نُحْدِثُ» بنون مرفوعة(٢). [٥٤٣/أ]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بلفظ: «مَا حُذِّرُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَعِقَابِهِ، وَوَقَائِعِهِ بِالْأُمَمِ قَبْلَهُمْ».

(٢) في التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن الحسن، وهي في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢) بالياء، وكذا في المحتسب (٢/ ٥٩)، وفي البحر المحيط (٦/ ٢٨١) عن ابن مسعود، ومجاهد، وأبي=

قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: جلَّ عن إلحادِ الملحدين وقول المشركين في صفاتِه، ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الذي بيده كل شيءٍ، ﴿ٱلْحَقُّ﴾ وقد ذكرناه في يونسَ(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ جبريلَ كان يأتي النَّبيَّ ﷺ بالسُّورةِ والآي فيتلوها عليه، فلا يفرغ جبريل من آخرها حتَّى يتكلَّم رسولُ الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ(٢).

والثاني: أنَّ رجلًا لطم امرأته، فجاءت إلى رسولِ الله ﷺ تطلب القصاص، فجعل رسولُ الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآيةُ، فوقف رسولُ الله ﷺ حتَّى نزل قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء ٣٤] قاله الحسنُ البصريُّ(٣).

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، ويعقوب: «نَقْضِيَ» بالنُّون وكسر الضَّادِ وفتح الياءِ، «وَحْيَهُ» بنصبِ الياءِ(٤).

=حيوة، والحسن في رواية الجحدري.

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٣٢).

(٢) انظر: الدر المنثور (٨/ ٤٨٣).

(٣) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (٢/ ٥١٢).

(٤) في التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن ابن مسعود وغيره.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريلُ من تلاوته تخاف نسيانه، هذا على القول الأوَّل.

والثاني: لا تقرئ أصحابك حتَّى نبيِّن لك معاينة، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي، ذكره المَاوَرْدِيُّ(١).

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: زدني قرآنًا، قاله مُقاتلٌ(٢).

والثاني: فهمًا.

والثالث: حفظًا، ذكرهما الثَّعلبيُّ(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٢٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٢٦٢).

مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[طه: ١١٥ - ١٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشَّجرةِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمانَ بي، وهم الذين ذكرهم في قولِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: أنَّهم إن نقضوا العهدَ، فإنَّ آدم قد عهدنا إليه ﴿فَنَسِىَ﴾.

وفي هذا النِّسيان قولان:

أحدهما: أنَّه التَّركُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والمعنى: ترك ما أمر به.

والثاني: أنَّه من النِّسيان الذي يخالف الذكر، حكاه الماوَرْدِيُّ[١].

وقرأ معاذٌ القارئ وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «فنُسِّي» برفع النُّون وتشديدِ السِّين[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ العزمُ في اللُّغة: توطين النَّفس على الفعلِ.

وفي المعنى أربعة أقوالٍ:

أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، والمعنى: لم يحفظ ما أمر به.

والثاني: صبرًا، قاله قتادةُ، ومُقاتلٌ[٣]، والمعنى: لم يصبر عما نهي عنه.

والثالث: حزمًا، قاله ابنُ السَّائبِ.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣) عن اليماني، وفي البحر المحيط (٦/ ٢٨٤) عن الأعمش.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وهذا لا يخرج آدم من أولي العزمِ، وإنَّما لم يكن له عزمٌ في الأكلِ فحسب.

والرابع: عزمًا في العودِ إلى الذَّنب، ذكره الماوَرْدِيُّ(١).

وما بعد هذا قد تقدَّم تفسيره(٢) إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ قال المفسِّرون: المرادُ به نَصَب الدُّنيا وتعبها من تكلف الحرثِ والزَّرع والعجن والخبز، وغير ذلك.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يعتمل عليه ويمسح العرقَ عن جبينه، فذلك شقاؤه(٣). [٥٤٣/ب]

قال العلماءُ: والمعنى: فتشقيا؛ وإنَّما لم يقل: فتشقيا، لوجهين:

أحدهما: أنَّ آدمَ هو المخاطب، فاكتفى به، ومثله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧]، قاله الفرَّاءُ(٤).

والثاني: أنَّه لما كان آدم هو الكاسبُ، كان التعبُ في حقِّه أكثر، ذكره الماوَرْدِيُّ(٥).

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾.

قرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ: «لا تُجاع ولا تُعرى» بالتَّاءِ المضمومةِ والألفِ(٦).

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٨٦).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٩٣).

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٦) انظر: إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٩٥).

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَأَنَّكَ﴾ مفتوحة الألف.

وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «وإِنَّك» بكسر الألفِ[١].

قال أبو عليٍّ: من فتح حمله على أنَّ لك أن لا تجوعَ، وأنَّ لك أن لا تظمأ، ومن كسر استأنف[٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَؤُا فِيهَا﴾ أي: لا تعطش. يقال: ظمئ الرجل يظمأُ ظمأً، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ لا تبرز للشَّمس فيصيبك حرُّها، لأنَّه ليس في الجنَّة شمسٌ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ جديده ولا يفنى، وما بعد هذا مفسَّرٌ في الأعرافِ[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿فَغَوَىٰ﴾ قولان:

أحدهما: ضلَّ طريق الخلودِ حيث أراده من قبل المعصيةِ.

والثاني: فسدَ عليه عيشه، لأنَّ معنى الغي: الفساد.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وقد غلط بعضُ المفسِّرين، فقال: معنى غوى: أكثر ممَّا أكل من الشَّجرة حتى بَشِمَ[٤]، كما يُقال: غوى الفصيل: إذا أكثر من لبنِ أمِّه فبَشِمَ فكاد يهلك، وهذا خطأٌ من وجهين:

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (٥/ ٢٥١).

(٢) الحجة (٥/ ٢٥٥).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٢٢).

(٤) البَشَم: تُخَمَةٌ على الدَّسَمِ. انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٠).

أحدهما: أنَّه لا يقال من البشم: غَوَى يَغْوِي، وإنَّما يقال: غَوِي يَغْوَى.

والثاني: أنَّ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢] يدلُّ على أنهما لم يكثرا، ولم تتأخَّر عنهما العقوبة حتَّى يصلا إلى الإكثار.

قال ابنُ قُتيبةَ: فنحن نقول في حقِّ آدم: عصى وغوى كما قال الله ﷻ، ولا نقول: آدم عاصٍ وغاوٍ، كما تقول لرجلٍ قطع ثوبه وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا تقول: هذا خياطٌ، حتَّى يكون معاودًا لذلك الفعل، معروفًا به(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قد بيَّنا الاجتباء في الأنعامِ(٢).

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي: هداه للتَّوبة.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ في المشار إليهما قولان:

أحدهما: آدمُ وإبليسُ، قاله مُقَاتِلٌ(٣).

والثاني: آدمُ وحواءُ، قاله أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وذريَّته، وإبليس وذريَّته، والحية أيضًا؛ وقد شرحنا هذا في البقرةِ(٤).

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي: رسولي وكتابي ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:٢٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٨٧).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٦).

قال ابنُ عبَّاسٍ: مَن قرأ القرآنَ واتَّبع ما فيه، هداه الله من الضَّلالة، ووقاه سوء الحسابِ، ولقد ضمن الله لمن اتَّبع القرآن أن لا يضلَّ في الدُّنيا ولا يشقى في الآخرةِ، ثم قرأ هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾.

قال عطاءٌ: عن موعظتي(٢).

وقال ابنُ السَّائب: عن القُرآن ولم يؤمن به ولم يتَّبعه(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

قال أبو عُبيدةَ: معناه: معيشةً ضيِّقةً، والضَّنكُ يوصف به الأنثى والذَّكر بغير هاءٍ، وكل عيشٍ أو مكانٍ أو منزلٍ ضيِّقٍ، فهو ضنك، وأنشد [٥٤٤/أ] [من الكامل](٤):

. . . . وَإِنْ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ

وقال الزَّجَّاجُ: الضَّنك أصله في اللُّغة: الضيق والشدَّة(٥).

وللمفسِّرين في المرادِ بهذه المعيشة خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها عذابُ القبرِ، روى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٨١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ٦٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٢)، وتفسير ابن جرير (١٦/ ١٩٢)، والدر الفريد (١/ ١٩٤) وصدره: «إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرْ وَإِنْ يَسْتَلْحِمُوا».

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٨).

«عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ، وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

وممن ذهب إلى أنَّه عذابُ القبرِ: ابنُ مسعودٍ، وأبو سعيدٍ الخدريُّ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّه ضغطةُ القبر حتَّى تختلف أضلاعُه فيه، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: شدَّة عيشه في النَّارِ، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ، وابن زيدٌ.

قال ابنُ السَّائبِ: وتلك المعيشةِ من الضَّريع والزَّقوم.

والرابع: أنَّ المعيشةَ الضَّنك: كسب الحرامِ.

روى الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ قال: المعيشةُ الضَّنك: أن تضيِّق عليه أبوابَ الخيرِ فلا يهتدي لشيءٍ منها، وله معيشةٌ حرام يركضُ فيها(٢).

قال الضَّحاكُ: فهذه المعيشةُ هي الكسبُ الخبيثُ(٣)، وبه قال عكرمةُ.

والخامس: أنَّ المعيشةَ الضَّنك: المال الذي لا يتَّقي اللهَ صاحبُهُ فيه، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٦٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١٢٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٨) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن ابن حجيرة، به، بنحوه، وإسناده حسن.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٦٠٩) بلفظ: «الْعَمَل السيء والرزق الْخَبِيث».

فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: القبرُ.

والثاني: الدُّنيا.

والثالث: جهنَّم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿أَعْمَىٰ﴾، ﴿حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ بفتح الميمين.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ بكسرهما.

وقرأ نافعٌ بين الكسر والفتح(١).

ثمَّ في هذا العمى للمفسِّرين قولان:

أحدهما: أعمى البصر.

روى أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: إذا أخرج من القبرِ خرج بصيرًا، فإذا سيق إلى المحشر عمي.

والثاني: أعمى عن الحجَّة، قاله مجاهدٌ، وأبو صالحٍ.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: فلا حجَّة له يهتدي بها، لأنَّه ليس للنَّاس على الله حجَّة بعد الرُّسل(٢).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك كما ترى ﴿أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ أي: فتركتها ولم تؤمن بها؛ وكما تركتها في الدُّنيا تُترك اليوم في

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٥)، والحجة (٥/ ٢٥٠)، والتيسير (ص: ١٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٩).

النَّـار. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكـما ذكرنـاه ﴿نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ﴾ أي: أشرك ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مـن عـذاب الدُّنيـا ومـن عـذاب القـبر ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ لأنَّـه يـدوم.

قولـه تعـالى: ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طـه: ١٢٨- ١٣٠].

قولـه تعـالى: ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾ أي: أفلـم يتبـيَّن لكفَّـار مكَّـة إذا نظـروا آثـار مـن أهلكنـا مـن الأمـم؛ وكانـت قريـش تتَّجـر وتـرى مسـاكن عـاد وثمـود وفيهـا علامـاتُ الهـلاك، فذلـك قولـه تعـالى: ﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾.

وروى زيدٌ، عن يعقوبَ: «أفلم نَهْدِ» بالنُّون[١].

قولـه تعـالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العـذابِ عـن هـؤلاءِ الكفَّـارِ إلى يـوم القيامـةِ، وقيـل: إلى يـوم بـدرٍ، وقيـل: إلى انقضـاءِ آجالهـم ﴿لَكَانَ لِزَامٗا﴾ أي: لـكان العـذابُ لزامًـا أي: لازمًـا لهـم، واللِّـزام: مصـدر وصـف بـه العـذابُ. [٥٤٤/ب]

قـال الفَرَّاءُ، وابـنُ قُتيبـةَ: في هـذه الآيـة تقديـمٌ وتأخـيرٌ، والمعنـى: ولولا كلمـة وأجل مسـمًّى لـكان لزامًـا[٢].

---

(١) عن ابن عباس، والسُّلمي في التحصيل (٤/ ٣٥٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٩٥)، ولم أقف على كلام ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمر الله تعالى نبيَّه بالصَّبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثمَّ حكم فيهم بالقتلِ، فنسخت آية السَّيف إطلاق الصَّبرِ.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ له بالحمد له والثَّناءِ عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يريد: الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ الآناء: السَّاعات، وقد بيَّناها في آلِ عمران[1] ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فصَلِّ.

وفي المراد بهذه الصَّلاةِ أربعة أقوالٍ:

أحدها: المغربُ والعشاءُ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ.

والثاني: جوف اللَّيلِ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: العشاءُ، قاله مجاهدٌ، وابنُ زيدٍ.

والرابع: أوَّلُ اللَّيلِ وأوسطه وآخره، قاله الحسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: وسبِّح أطراف النَّهارِ.

قال الفرَّاءُ: إنَّما هم طرفان، فخرجا مخرج الجمعِ، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم: ٤][2].

وللمفسِّرين في المرادِ بهذه الصَّلاة ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الظُّهر، قاله قتادةُ، فعلى هذا، إنَّما قيل لصلاةِ الظُّهرِ: أطراف النَّهارِ، لأنَّ وقتها عند الزَّوالِ، فهو طَرَف النِّصفِ الأوَّلِ، وطرف

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١١٣).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٩٥).

النِّصف الثَّاني.

والثاني: أنَّها صلاة المغربِ وصلاة الصُّبح، قاله ابنُ زيدٍ وهذا على أنَّ الفجرَ في ابتداءِ الطَّرفِ الأوَّلِ، والمغرب عند انتهاءِ الطَّرفِ الثَّاني.

والثالث: أنَّها الفجرُ والظُّهرُ والعصرُ، فعلى هذا يكون الفجرُ من الطَّرفِ الأوَّلِ، والظُّهرُ والعصرُ من الطَّرفِ الثَّاني، حكاه الفرَّاءُ[(١)].

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَرْضَىٰ﴾ بفتح التَّاءِ.

وقرأ الكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ بضمِّها[(٢)].

فمن فتح، فالمعنى: لعلَّك ترضى ثوابَ الله الذي يُعطيكَ.

ومَنْ ضمَّها، ففيه وجهان:

أحدهما: لعلَّكَ ترضى بما تُعطى.

والثاني: لعلَّ الله أن يرضاك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[طه: ١٣١ - ١٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

سببُ نزولها: ما روى أبو رافعٍ مولى رسول الله ﷺ، قال: نزل

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٤٢٥)، والحجة (٥/ ٢٥٢)، والمبسوط (ص:٢٩٨)، والتيسير (ص:١٥٨).

ضَيفٌ برسول الله ﷺ، فدعاني فأرسلني إِلَى رجلٍ من اليهودِ يبيع طعامًا فقال: قُلْ لَهُ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: بِعْنِي كذا وكذا من الدَّقيق وأَسْلِفنِي إلى هلالِ رَجَبٍ، فَأَتيتُهُ فَقُلتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ اليهوديُّ: وَاللهِ لَا أَبِيعُهُ وَلَا أُسْلِفُهُ إلَّا بِرَهنٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**وَاللهِ لَوْ بَاعَنِي أَوْ أَسْلَفَنِي لَقَضَيتُهُ، وإِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الأَرْضِ، اذْهَبْ بِدِرْعِي الْحَدِيدِ إِلَيهِ**». قَالَ: فَنَزَلَتْ تَعْزِيَةً عَنِ الدُّنيا(١).

قال أُبيُّ بنُ كعبٍ: مَن لم يتعزَّ بعزاءِ الله تقطَّعت نفسه حسرات على الدُّنيا(٢).

وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر الحجرِ(٣).

قوله تعالى: ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

[٥٤٥/أ] وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، والزُّهريُّ، ويعقوبُ: «زَهَرَةَ» بفتح الهاءِ(٤).

قال الزَّجَّاجُ: وهو منصوبٌ بمعنى متعنا، لأنَّ معنى متعنا: جعلنا لهم الحياة الدُّنيا زهرة ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم(٥).

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٣/ ٣٤٦ـ٦/ ٢٤٥)، والروياني في مسنده (٦٩٥) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد بن قُسيط، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ بنحوه. وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٨٨).

(٤) عن عيسى، وأبي البرهسم، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٦) داود بن عبد الرحمن، عن ابن كثير، والحسن، وسلام، ويعقوب، وغيرهم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٠).

وقال ابنُ قُتيبةَ: لنختبرهم[١].

قال المفسِّرون: زهرة الدُّنيا: بهجتها وغضارتها وما يروق النَّاظرُ منها عند رؤيته، وهو من زهرةِ النَّبات وحسنِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه ثوابُه في الآخرةِ.

والثاني: القناعةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ قال المفسِّرون: المراد بأهله: قومه ومن كان على دينه: ويدخل في هذا أهل بيته.

قوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: واصبر على الصَّلاةِ ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ لا نكلِّفك رزقًا لنفسك ولا لخلقنا، إنَّما نأمركَ بالعبادةِ ورزقك علينا، ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: وحسن العاقبة لأهل التَّقوى.

وكان بكرُ بنُ عبدِ الله المزني إذا أصاب أهلَه خصاصة قال: قوموا فصلُّوا، ثمَّ يقول: بهذا أمر الله تعالى ورسوله، ويتلو هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾[طه: ١٣٣ - ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلَّا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمَّدٌ ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي: كآيات الأنبياءِ، نحو الناقة والعصا، ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٣).

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ تَأْتِهِم ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «يَأْتِهِم» بالياءِ[(١)].

قوله تعالى: ﴿ بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: أولم يأتهم في القرآنِ بيان ما في الكتب من أخبار الأُممِ التي أهلكناها لما سألوا الآيات ثمَّ كفروا بها، فما يؤمنهم أن تكون حالهم في سؤالِ الآياتِ كحال أولئك؟

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم ﴾ يعني مشركي مكَّة ﴿ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ في الهاءِ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى الكتابِ، قاله مُقاتلٌ[(٢)].

والثاني: إلى الرَّسولِ، قاله الفرَّاءُ[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ لَقَالُواْ ﴾ يوم القيامةِ ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ أي: هلَّا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ يدعونا إلى طاعتك ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ أي: نعمل بمقتضاها ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ بالعذابِ ﴿ وَنَخْزَىٰ ﴾ في جهنَّم.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ السَّمَيفَعِ، وأبو حاتم عن يعقوبَ: «نُذَلَّ» و«نُخْزَى» برفع النُّونِ فيهما، وفتح الذَّال[(٤)].

---

(١) السبعة (ص: ٢٧٤)، والحجة (٣/ ٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٠٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٩٧).

(٤) عن ابن عباس، ومحمد بن الحنفية في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٣٠٢) زيد بن علي، والحسن في رواية عباد، والعمري، وداود، والفزاري، وأبو حاتم، ويعقوب.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿كُلٌّ﴾ منَّا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: نحن نتربَّصُ بكم العذاب في الدُّنيا، وأنتم تتربَّصون بنا الدَّوائر ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: فانتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمرُ الله ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ أي: الدِّين المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ من الضلالةِ، أنحن، أم أنتم؟

وقيل: هذه الآيةُ منسوخةٌ بآية السَّيفِ، وليس بشيءٍ.

سورة الأنبياء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[الأنبياء: ١ - ١٠].

وهي مكّيةٌ بإجماعهم من غير خلافٍ نعلمه.

قوله ﷻ: ﴿ٱقۡتَرَبَ﴾ افتعل، من القربِ، يقال: قرب الشّيءُ واقتربَ.

وهذه الآية نزلت في كفّار مكّةَ(١).

وقال الزّجّاجُ: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ وقت حسابهم(٢).

وقيل: اللّام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى: من والمراد بالحساب: محاسبة الله لهم على أعمالهم.

---

(١) قاله مقاتل ابن سليمان (٣/ ٦٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٣).

[٥٤٥/ب] **وفي معنى قربه قولان:**

أحدهما: أنَّه آت، وكل آتٍ قريب.

والثاني: لأنَّ الزَّمانَ لكثرة ما مضى وقلَّة ما بقي قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عمَّا يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن التأهُّبِ له، وقيل: اقترب للنَّاس عامٌّ، والغفلةُ والإعراضُ خاصٌّ في الكفَّارِ، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾.

وفي هذا الذِّكرِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه القرآنُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ؛ فعلى هذا تكون الإشارة بقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ إلى إنزاله له، لأنَّه أنزل شيئًا بعد شيء.

والثاني: أنَّه ذكر من الأذكار، وليس بالقرآن، حكاه أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

وقال النَّقاشُ: هو ذكرٌ من رسولِ الله وليس بالقرآنِ.

والثالث: أنَّه رسولُ الله، بدليل قوله في سياقِ الآية: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، قاله الحسنُ بنُ الفضلِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يستمعون القرآن مستهزئين[١].

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة عما يراد بهم.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٩).

قال الزَّجاجُ: المعنى: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ لاعبين ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾[١].

وقرأ عكرمةُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «لاهيةٌ قلوبهم» بالرَّفعِ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، يعني المشركين، ثمَّ بيَّن مَن هم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع على البدل من الضمير في ﴿وَأَسَرُّوا﴾.

ثمَّ بيَّن سرَّهم الذي تناجوا به فقال: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي، فليس بملك؛ وهذا إنكارٌ لنبوَّته.

وبعضهم يقول: أسرَّوا هاهنا بمعنى: أظهروا، لأنَّه من الأضدادِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: أفتقبلون السِّحرَ وأنتم تعلمون أنَّه سحرٌ؟ يعنون أنَّ متابعةَ محمَّدٍ ﷺ متابعةُ السِّحرِ.

﴿قَالَ رَبِّي﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «قل ربي»[٣].

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿قَالَ رَبِّي﴾، وكذلك هي في مصاحف الكوفيين، وهذا على الخبر عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: يعلم

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٣).

(٢) عن عيسى في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٠٧) عن ابن أبي عبلة.

(٣) السبعة (ص:٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).

القـول، أي: لا يخفـى عليـه شيءٌ يقـال في السَّـماءِ والأرضِ، فهـو عـالمٌ بـما أسررتـم.

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ ﴾ قـال الفـرَّاءُ: رَدَّ بـ ﴿ بَلْ ﴾ عـلى معنـى تكذيبهـم، وإن لم يظهـر قبلـه الـكلام بجحودهـم، لأنَّ معنـاه الإخبـار عـن الجاحديـنَ(١).

وأعلـم أنَّ المشركـينَ كانـوا قـد تحيَّروا في أمـر رسـولِ الله ﷺ، فاختلفـت أقوالهـم فيـه، فبعضهـم يقـول: هـذا الـذي يـأتي بـه سـحر، وبعضهـم يقـول: أضغـاثُ أحـلامٍ، وهـي الأشـياء المختلطـة تـرى في المنـام؛ وقـد شرحناهـا في يوسـفَ(٢)، وبعضُهـم يقـول: افـتراه، أي: اختلقـه، وبعضُهـم يقـول: هو شـاعرٌ فليأتنـا بآيـةٍ كالنَّاقـة والعصـا، فاقترحـوا الآيـات التـي لا إمهـال بعدهـا.

قولـه تعـالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم ﴾ يعنـي: مشركـي مكَّـةَ ﴿مِّن قَرْيَةٍ ﴾ وصـف القريـة، والمـراد أهلهـا، والمعنـى: أنَّ الأمـمَ التـي أهلكـت بتكذيـبِ الآيـاتِ، لم يؤمنـوا بالآيـاتِ لـما أتتهـم، فكيـف يؤمـن هـؤلاءِ؟ وهـذه إشـارةٌ
[٥٤٦/أ] إلى أنَّ الآيـةَ لا تكـون سـببًا للإيـمانِ، إلَّا أن يشـاءَ الله.

قولـه تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ هـذا جـوابُ قولهـم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.

قوله تعالى: ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾.

قرأ الأكثرونَ: «يُوحِي» بالياءِ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٩).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٤٤).

وروى حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿نُوحِىٓ﴾ بالنُّونِ[١].

وقد شرحنا هذه الآية في النَّحلِ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ يعني الرُّسل ﴿جَسَدٗا﴾.

قال الفَرَّاءُ: لم يقل: أجسادًا، لأنَّه اسم الجنس[٣].

قال مجاهدٌ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا﴾ ليس فيهم روح.

قال ابنُ قُتيبةَ: ما جعلنا الأنبياءَ قبله أجسادًا لا تأكل الطَّعام ولا تموت فنجعله كذلك[٤].

قال المبرِّدُ وثعلبٌ جميعًا: العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين، كان الكلام إخبارًا، فمعنى الآية: إنَّما ﴿جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا﴾ ليأكلوا الطَّعام.

قال قتادةُ: المعنى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا﴾ إلَّا ليأكلوا الطَّعامَ[٥].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مكذبيهم ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ﴾ وهم الذين صدقوهم ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ يعني: أهل الشِّركِ، وهذا تخويفٌ لأهلِ مكَّةَ، ثمَّ ذكر منَّته عليهم بالقرآنِ فقال: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والتيسير (١/ ١٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٤٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٩٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

﴿كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: فيه دينكم، قاله الحسنُ، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم.

والثالث: فيه تذكرةٌ لكم لما تلقونه من رجعة أو عذابٍ، قاله الزَّجَّاجُ[1].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ما فضلتكم به على غيركم.

قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ۝١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[الأنبياء: ١١- ١٥].

ثمَّ خوَّفهم فقال: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا﴾ قال المفسِّرون واللُّغويون: معناه: وكم أهلكنا، وأصل القصمِ: الكسر.

وقوله: ﴿كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾، أي: كافرةً، والمراد: أهلها. ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ أي: رأوا عذابنا بحاسَّةِ البصرِ ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾ أي: يعدون، وأصلُ الرَّكضِ: تحريك الرِّجلين، يقال: ركضت الفرس: إذا أعديته بتحريك رجليك فعدا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ قال المفسِّرون: هذا قول الملائكةِ لهم: ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ أي: إلى نعمكم التي أَتْرفتكم، وهذا توبيخٌ لهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٥).

وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تسألون من دنياكم شيئًا، استهزاء بهم، قاله قتادةُ.

والثاني: تسألون عن قتل نبيكم، قاله ابنُ السَّائبِ.

فلمَّا أيقنوا بالعذابِ ﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بكفرنا، وقيل: بتكذيب نبيِّنا.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: ما زالت تلك الكلمةُ التي هي ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ قولهم يرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ بالعذابِ، وقيل: بالسِّيوفِ ﴿خَٰمِدِينَ﴾ أي: ميتين كخمودِ النَّارِ إذا طفئت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١٦- ٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ أي: لم نخلق ذلك عبثًا، إنَّما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيَّتنا ليعتبر النَّاس بخلقه، فيعلموا أنَّ العبادةَ لا تصلح إلَّا لخالقِهِ، لنجازي أولياءنا، ونعذِّب أعداءنا.

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدها: أنَّ المشركين لما قالوا: الملائكة بناتُ الله والآلهة بناته، نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ. [٥٤٦/ب]

والثاني: أنَّ نصارى نجران قالوا: إنَّ عيسى ابن الله، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مقاتلٌ(١).

وفي المراد باللَّهو ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: الولد، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو أردنا أن نتَّخذ ولدًا ذا لهو نلهى به(٢).

والثاني: المرأة، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ.

والثالث: اللَّعب، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿ لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾.

قال ابنُ جريجٍ: لاتَّخذنا نساء وولدًا من أهل السَّماءِ، لا من أهل الأرضِ(٣).

قال ابنُ قُتيبةَ: وأصل اللَّهو: الجماع، فكني عنه باللَّهو، كما كني عنه بالسرِّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لاتَّخذناه من عندنا، لأنَّكم تعلمون أنَّ ولد الرَّجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيرِه(٤).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٦).

(٣) لم أقف عليه في المصادر.

(٤) غريب القرآن (ص:٢٨٥).

وفي قوله ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ «إنْ» بمعنى «ما»، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّها بمعنى الشَّرطِ.

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إن كنَّا نفعل ذلك، ولسنا ممن يفعلُه؛ قال: والقول الأوَّل قول المفسِّرين، والثَّاني قول النَّحويين، وهم يستجيدونَ القول الأوَّل أيضًا، لأن إن تكون في موضع النَّفي، إلَّا أنَّ أكثرَ ما تأتي مع اللَّامِ، تقول: إن كنت لصالحًا، معناه: ما كنت إلَّا صالحًا[1].

قوله تعالى: ﴿بَلْ﴾ أي: دع ذاك الذي قالوا، فإنَّه باطلٌ ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: نسلِّط الحقَّ وهو القرآنُ ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ وهو كذبهم ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يكسره، وأصلُ هذا إصابةُ الدِّماغِ بالضَّربِ، وهو مَقْتلٌ ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: زائلٌ ذاهبٌ[2].

قال المفسِّرون: والمعنى: إنَّا نبطل كذبهم بما نبين من الحقِّ حتَّى يضمحلَّ، ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: من وصفكم الله بما لا يجوزُ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: هم عبيده وملكه ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني الملائكة.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ **ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: لا يرجعون، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: لا ينقطعونَ، قاله مجاهدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يعيون، والحَسِير: المنقطع الواقفُ إعياء وكلالًا[١].

والثالث: لا يملون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾.

قال قتادةُ: لا[٢] يسأمون[٣].

وسئل كعبٌ: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجةٌ؟ فقال للسَّائلِ: يا ابن أخي، جعل لهم التَّسبيح كما جُعل لكم النَّفس، ألست تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلَّم وأنت تتنفَّسُ؟ فكذلك جُعل لهم التَّسبيحُ[٤].

ثمَّ إنَّ الله تعالى عاد إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأنَّ أصنامهم من الأرضِ هي[٥] سواء كانت من ذهبٍ أو فضةٍ أو خشبٍ أو حجارةٍ ﴿هُمْ﴾ يعني: الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يحيون الموتى.

وقرأ الحسنُ: «يَنْشُرونَ» بفتح الياءِ وضمِّ الشِّينِ[٦].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

(٢) ليست في (س).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٤٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بلفظ: «الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْأَمُونَ فِيهَا».

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (١٦/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (١٣٦٣٠) في تفسيرهما عند عبد الله بن الحار، به.

(٥) ليست في (س).

(٦) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٧٧).

وهذا استفهامٌ بمعنى الجحد، والمعنى: ما اتَّخذوا آلهة تنشر ميِّتًا.

﴿لَوۡكَانَ فِيهِمَآ﴾ يعني: السَّماء والأرض ﴿ءَالِهَةٌ﴾ يعني: معبودين ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾. [٥٤٧/أ]

قال الفَرَّاءُ: سوى الله(١).

وقال الزَّجَّاجُ: غير الله(٢).

قوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: لخربتا وبطلتا وهلك مَن فيهما، لوجودِ التَّمانع بين الآلهة، فلا يجري أمرُ العالم على النِّظامِ، لأنَّ كلَّ أمرٍ صدر عن اثنين فصاعدًا لم يسلم من الخلافِ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ أي: عمَّا يحكم في عبادِهِ من هدى وإضلالٍ، وإعزازٍ وإذلالٍ، لأنَّه المالكُ للخلقِ، والخلق يسألون عن أعمالهم؛ لأنَّهم عبيدٌ يجبُ عليهم امتثالُ أمر مولاهم، ولما أبطل ﷻ أن يكونَ إله سواه من حيث العقل بقوله: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ أبطل ذلك من حيث الأمرِ فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾ وهذا استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ على ما تقولون، ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يعني القرآن خبر من معي على ديني ممَّن يتَّبعني إلى يوم القيامةِ بما لهم من الثَّوابِ على الطَّاعةِ والعقابِ على المعصيةِ ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يعني: الكتب المنزلة، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكتبُ التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحدٍ منها أن

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٨).

الله أمر باتِّخاذ إلهٍ سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتِّخاذ معبودٍ غيره من حيث الأمر به.

قال الزَّجَّاجُ: قيل لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرۡهَـٰنَكُمۡۖ﴾ بأن رسولاً من الرُّسلِ أخبر أمَّته بأنَّ لهم إلهًا غير الله[1].

قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ يعني: كفَّار مكَّة.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه القُرآنُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: التوحيدُ، قاله مقاتلٌ[2].

﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن التَّفكرِ والتَّأمُّلِ وما يجب عليهم من الإيمانِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَـٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَـٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٢٥-٢٩].

قوله تعالى: ﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿إِلَّا نُوحِيٓ﴾ بالنُّون؛ والباقون بالياءِ[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٤٨).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ في القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم مشركو قريشٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال ابنُ إسحاقَ: القائل لهذا النَّضرُ بنُ الحارثِ.

والثاني: أنَّهم اليهودُ، قالوا: إنَّ الله صاهر الجنَّ فكانت منهم الملائكةُ، قاله قتادةُ.

فعلى القولين، المرادُ بالولد الملائكةُ، وكذلك المرادُ بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ والمعنى: بل عبادٌ أكرمهم الله واصطفاهم، ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾، أي: لا يتكلَّمون إلَّا بما يأمرهم بِهِ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يقولون حتَّى يقول، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتَّى يأمرهم[1].

قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: ما قدَّموا من الأعمالِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما هم عاملون، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾ يومَ القيامةِ، وقيل: لا يستغفرون في الدُّنيا ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ أي: لمن رضي عنه، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ ﴾ أي: من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى المفعول، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون.

وقال الحسنُ: يرتعدون.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي: من الملائكةِ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

قال الضَّحاكُ في آخرين: هذه خاصَّةٌ لإبليسَ، لم يدع أحدٌ من الملائكةِ إلى عبادةِ نفسِهِ سواه[(١)].

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: وهذا قول مَن قال: إنَّه من الملائكةِ، فإنَّ إبليسَ قال ذلك للملائكةِ الذين هبطوا معه إلى الأرضِ، ومَن قال: إنَّه ليس من الملائكةِ، قال: هذا على وجه التَّهديدِ، وما قال أحدٌ من الملائكة ذلك. [٥٤٧/ب]

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٣].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: أولم يعلموا.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «ألم ير الذين كفروا» بغير واوٍ بين الألفِ واللَّامِ، وكذلك هي في مصاحف أهلِ مكَّةَ[(٢)].

﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: السَّمواتُ جمعٌ، والأرضُ واحدةٌ، فخرجت صفة

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٣٦) بلفظ: «ولم يقل ذلكَ أحد مِنَ الملائكة إلا إبليس، دعا إلى عبادة نفسه وشرع الكُفرِ».

(٢) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٥)، والمبسوط (١/ ٣٠١).

لفظ الجمع على لفظ صفةِ الواحدِ، والعربُ تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحدٍ، والرَّتق مصدرٌ يوصفُ به الواحد والاثنان والجمع والمذكَّر والمؤنَّث سواء، ومعنى الرَّتق: الذي ليس فيه ثقبٌ[١].

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: كانتا ذواتي رتقٍ، فجعلهما ذوات فتقٍ، وإنَّما لم يَقُلْ: رتقَيْن لأنَّ الرَّتقَ مصدرٌ[٢].

وللمفسِّرينَ في المرادِ به ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ السَّمواتِ كانت رتقًا لا تمطرُ، وكانت الأرضُ رتقًا لا تنبتُ، ففتق هذه بالمطرِ، وهذه بالنَّباتِ، رواه عبدُ الله بنُ دينارٍ عن ابنِ عبَّاسٍ[٣]، وبه قال عطاءٌ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ في روايةٍ، والضَّحاكُ في آخرين.

والثاني: أنَّ السَّمواتِ والأرضَ كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله تعالى، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٣٩) عن عبد الله بنِ دينارٍ عن ابنِ عمر: أنَّ رَجُلًا أتاه يسأله عَنِ ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾؟ قَالَ: اذهب إِلَى ذَلِكَ الشيخ فاسأله، ثُمَّ تَعَالَ فأخبرني مَا قَالَ لك. قَالَ: فذهب إِلَى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كَانَتِ السماوات رتقًا لا تمطر، وكَانَتِ الأَرْض رتقًا لا تنبت، فلما خلق الأَرْض أهلًا فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إِلَى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت إِنَّ ابن عباس قد أوتي في القرآن علمًا صدق- هكذا كانت: قَالَ ابن عمر قد كنت أقول: مَا يعجبني جراءة ابن عباس عَلَى تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علمًا .

والثالث: أنَّه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعًا، ومن السَّماء ست سموات فصارت سبعًا، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه، وابنُ أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾.

قرأ معاذٌ القارئ، وابنُ أبي عبلةَ، وحميدُ بن قيسٍ: «كل شيء حيًّا» بالنَّصب[1].

وفي هذا ﴿ٱلْمَآءِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه الماءُ المعروف، والمعنى: جعلنا الماء سببًا لحياةِ كلِّ حيٍّ، قاله الأكثرون.

والثاني: أنَّه النطفةُ، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ قد فسَّرناه في النَّحل[2].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرَّواسي ﴿فِجَاجًا﴾.

قال أبو عبيدةَ: هي المسالك[3].

قال الزَّجَّاجُ: الفجاج جمع فَجٍّ، وهو كلُّ منخرقٍ بين جبلينِ، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طُرقاً[4].

---

(١) عن حميد في البحر المحيط (٧/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (١٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعلنا من الجبال طُرقاً كي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفارِ(١).

قال المفسِّرون: وقوله: سبلًا تفسير للفجاج، وبيان أنَّ تلك الفجاج نافذة مسلوكة، فقد يكون الفجُّ غير نافذٍ.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ أي: هي للأرضِ كالسَّقفِ.

وفي معنى ﴿مَّحْفُوظًا﴾ قولان:

أحدهما: بالنُّجوم من الشَّياطينِ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: ﴿مَّحْفُوظًا﴾ من الوقوع إلَّا بإذنِ الله، قاله الزَّجَّاجُ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ، ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: شمسها وقمرها ونجومها.

قال الفَرَّاءُ: وقرأ مجاهدٌ: «عن آيتها» فوحَّده، فجعل السَّماء بما فيها آية، وكلٌّ صوابٌ(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِى فَلَكٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: الفلك: مدار النُّجومِ الذي يضمُّها، وسمَّاه فلكًا، لاستدارته، ومنه قيل: فَلكَةُ المِغزَلِ، وقد فَلَكَ ثَدْيَ المرأة(٤). [٥٤٨/أ]

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٠٢).

(٤) أدب الكاتب (ص: ٨٥).

قال أبو سليمان: وقيل: إنَّ ـ الفلك كهيئة السَّاقيةِ من ماء ـ مستديرة دون السَّماءِ وتحت الأرضِ، فالأرضُ وسطها، والشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ واللَّيلُ والنَّهارُ يجرون في الفلك، وليس الفلك يديرها.

ومعنى ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: يجرون.

قال الفرَّاءُ: لما كانت السِّباحةُ من أفعالِ الآدميين، ذكرت بالنُّونِ، كقوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] لأنَّ السُّجودَ من أفعالِ الآدميين[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[الأنبياء: ٣٤-٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾.

سببُ نزولها: أنَّ ناسًا قالوا: إنَّ محمَّدًا لا يموت، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتلٌ[2].

ومعنى الآية: ما خلَّدنا قبلك أحدًا من بني آدم؛ والخُلد: البقاء الدائمُ.

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ يعني: مشركي مكَّةَ، لأنَّهم قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾[الطور: ٣٠].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٧).

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾.

قال ابنُ زيدٍ: نختبركم بما تحبُّون لننظر كيف شكركم، وبما تكرهون لننظر كيف صبركم(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

قرأ ابنُ عامرٍ: «تَرْجِعُونَ» بتاءٍ مفتوحةٍ.

وروى ابنُ عبَّاسٍ، عن أبي عمرٍو: «يُرْجعون» بياءٍ مضمومةٍ.

وقرأ الباقون بتاءٍ مضمومةٍ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

قال ابنُ عبَّاس: يعني المستهزئين(٣).

وقال السُّدِّيُّ: نزلت في أبي جهلٍ، مرَّ به رسول الله ﷺ فضحك، وقال: هذا نبي بني عبد منافٍ(٤).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٩) بلفظ: «نَبْلُوهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ وَبِمَا يَكْرَهُونَ نَخْتَبِرُهُم بِذَلِكَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ، وَكَيْفَ صَبْرُهُمْ فِيمَا يَكْرَهُونَ».

(٢) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٧٥).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٥٥) بلفظ :«مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىَ أبي سفيان وأبي جهل وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وَقَالَ لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان فقال: مَا تنكرون أنْ يكون لبني عبد مناف نَبِيّ، فسمعها النَّبِيّ ﷺ فرجع إِلَى أَبِي جهل فوقع به وخوفه وَقَالَ:
مَا أراك منتهيًا حتى يصيبك مَا أصاب عمك وَقَالَ لأبي سفيان: أما إنك لَمْ تقل مَا قلت إلا حمية فنزلت هذه الآية».

و﴿إِنْ﴾ بمعنى ما ومعنى ﴿هُزُوًا﴾ مهزوءًا به ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم، وفيه إضمارٌ يقولون، ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرفُ الرَّحمن، فكفروا بالرَّحمن.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧- ٤١].

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيليُّ، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» بفتحِ الخاءِ واللَّامِ ونصب النُّونِ من الإنسانِ[١].

وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريشٌ بالعذابِ.

وفي المراد بـ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هاهنا ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: النَّضْر بنُ الحارثِ، وهو الذي قال: اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحقُّ من عندك الآية [الانفال: ٣٢]، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: آدم عليه السلام، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، والسُّدِّيُّ في آخرين.

---

(١) عن مجاهد، وحميد بن قيس في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).

والثالث: أنَّه اسمُ جنسٍ، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ(١).

فعلى هذا يدخلُ النَّضْر بنُ الحارثِ وغيره في هذا، وإن كانت الآية نزلت فيه.

فأمَّا مَن قال: أُريد به آدم، ففي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنَّه خلق عجولًا، قاله الأكثرون.

فعلى هذا يقول: لما طبع آدم على هذا المعنى، وجد في أولادِهِ، وأورثهم العجل.

والثاني: خلق بعجل، استعجلَ بخلقِهِ قبل غروبِ الشَّمسِ من يومِ الجمعةِ، وهو آخر الأيَّامِ السِّتَّةِ، قاله مجاهدٌ.

فأمَّا مَن قال: هو اسم جنسٍ، ففي معنى الكلام قولان:

أحدهما: خلق عجولًا.

قال الزَّجَّاجُ: خوطبت العربُ بما تعقل، والعربُ تقول للَّذي يكثر منه اللَّعب: إنَّما خُلِقْتَ من لعبٍ، يريدون المبالغة في وصفه بذلك(٢).

والثَّاني: أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: خلقت العجلة في الإنسانِ، قاله ابنُ قُتيبةَ(٣). [٥٤٨/ب]

---

(١) تفسيره الوسيط (٣/ ٢٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما أصاب الأمم المتقدِّمة؛ والمعنى: إنَّكم تسافرون فترون آثارَ الهلاكِ في الماضين، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثاني: أنَّها القتل ببدرٍ، قاله مقاتلٌ[١].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون: القيامةَ.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ جوابه محذوفٌ، والمعنى: لو علموا صدق الوعد ما استعجلوا، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي: لا يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يمنعون ممَّا نزلَ بهم، ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ يعني السَّاعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم؛ وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: صرفها عنهم، ولا هم يمهلون لتوبة أو معذرةٍ.

ثم عزَّى نبيَّه، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: كما فعل بك قومك ﴿فَحَاقَ﴾ أي: نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ أي: من الرُّسل ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني: العذاب الذي كانوا استهزؤوا به.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ المعنى: قل لهؤلاءِ المستعجلين بالعذابِ: مَن يحفظكم من بأسِ الرَّحمنِ إن أراد إنزاله بكم؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، أي: لا أحد يفعل ذلك، ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم ﴾ أي: عن كلامِهِ ومواعظِهِ ﴿مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكَّرون ولا يعتبرون.

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ من دوننا تمنعهم؟ وهاهنا تمَّ الكلامُ.

ثمَّ وصف آلهتهم بالضَّعف، فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ والمعنى: مَن لا يقدر على نصرِ نفسِهِ عمَّا يراد به، فكيف ينصر غيرَهُ؟

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُم ﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الكفَّارُ وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم الأصنامُ، قاله قتادةُ.

وفي معنى ﴿يُصْحَبُونَ﴾ أربعة أقوالٍ:

أحدها: يجارون، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

قال ابنُ قُتيبةَ: والمعنى: لا يجيرُهم منَّا أحدٌ؛ لأنَّ الْمُجِيرَ صاحبٌ لجارِهِ[1].

والثاني: يمنعون، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: ينصرون، قاله مجاهدٌ.

والرابع: لا يصحبون بخيرٍ، قاله قتادةُ.

ثمَّ بيَّن اغترارهم بالإمهالِ، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قد شرحناه في الرَّعد[2]، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: مع هذه الحال، وهو نقصُ الأرضِ، والمعنى: ليسوا بغالبين، ولكنَّهم المغلوبون.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم﴾ أي: أخوفكم ﴿بِالْوَحْيِ﴾ أي: بالقرآنِ، والمعنى: إنَّني ما جئت به من تلقاءِ نفسي، إنَّما أمرت فبلغت، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «ولا تُسْمِعُ» بالتَّاءِ مضمومة «الْصُمَّ» نصبًا[3].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٤١).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٥).

وقرأ ابنُ يعمرَ، والحسنُ: «ولا يُسمَعُ» بضمِّ الياءِ وفتحِ الميمِ، «الصمُّ» بضمِّ الميمِ[١].

شبَّه الكفَّارَ بالصمِّ الذين لا يسمعون نداء مناديهم؛ ووجه التَّشبيه أنَّ هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصُّمِّ لا يفيدهم صوتُ مناديهم. [٥٤٩/أ]

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ ﴾ أي: أصابتهم ﴿ نَفْحَةٌ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: طرف[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: المراد أدنى شيءٍ من العذابِ، ﴿ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ ﴾ والويل ينادي به كل من وقع في هلكة[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٤٦) وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ (٤٧) ﴾[الأنبياء: ٤٦- ٤٧].

قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ونضع الموازين ذوات القسطِ، والقسط: العدل، وهو مصدرٌ يوصف به، يقال: ميزان قسطٍ، وميزانان قسط، وموازين قسط[٤].

---

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٣).

(٤)معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٣).

قال الفرَّاءُ: ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ من صفةِ الموازين وإن كان موحدًا، كما تقول: أنت عَدْلٌ، وأنتم رضى[١].

وقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وفي يومِ القيامةِ سواء.

وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أوّل الأعرافِ[٢].

فإن قيل: إذا كان الميزانُ واحدًا، فما المعنى بذكرِ الموازين؟

فالجوابُ: أنّه لما كانت أعمالُ الخلائقِ توزنُ وزنة بعد وزنة، سمِّيت موازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقص محسنٌ من إحسانِه، ولا يزاد مسيء على إساءته ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: وزن حبَّة.

وقرأ نافعٌ: «مثقالُ» برفع اللَّامِ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: ونصب ﴿مِثْقَالَ﴾ على معنى: وإن كان العملُ مثقال حبَّة[٤].

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وإن كان الظلامة مثقال حبَّة، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ قال: ومَن رفع، أسند الفعلَ إلى المثقالِ، كما أسند في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[البقرة: ٢٨٠][٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٦)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

(٥) الحجة (٥/ ٢٥٦).

قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي: جئنا بها.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وحميدٌ: «آتينا» ممدودة، أي: جازينا بها[١].

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على وجهين:

أحدهما: التَّمييز.

والثاني: الحال[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝٤٩ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[الأنبياء: ٤٨-٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه التَّوارةُ التي فرّق بها بين الحلالِ والحرامِ، قاله مجاهدٌ وقتادةُ.

والثاني: البرهان الذي فرّق به بين حقِّ موسى وباطل فرعون، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: النَّصرُ والنَّجاةُ لموسى، وإهلاك فرعون، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾.

روى عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه كان يرى الواو زائدة.

---

(١) ابن عباس، ومجاهد في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والمحتسب (٢/ ٦٣)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

قال الزَّجَّاجُ: وكذلك قال بعضُ النَّحويين أنَّ المعنى: الفرقان ضياء، وعند البصريين: أنَّ الواو لا تزاد ولا تأتي إلَّا بمعنى العطفِ، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] قال المفسِّرون: والمعنى: أنَّهم استضاؤوا بالتَّوراة حتَّى اهتدوا بها في دِينهم[١].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أنَّهم يذكرونه ويعملونَ بما فيه.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: يخافونه ولم يرَوه، قاله الجمهورُ.

والثَّاني: ﴿يَخْشَوْنَ﴾ عذابه ولم يروه، قاله مقاتلٌ[٢].

والثالث: يخافونه من حيث لا يراهم أحدٌ، قاله الزَّجَّاجُ.

والرَّابع: يخافونه إذا غابوا عن أعينِ النَّاسِ كخوفهم إذا كانوا بين النَّاسِ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

ثم عاد إلى ذكرِ القرآنِ، فقال: ﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القُرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ لمن [٥٤٩/ب] تذكَّر به، وعظة لمن اتَّعظ ﴿مُّبَارَكٌ﴾ أي: كثيرُ الخيرِ ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ أي: جاحدون؟ وهذا استفهامُ توبيخٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢).

قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[الأنبيـاء: ٥١-٥٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ أي: هداه.

﴿مِن قَبْلُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: آتيناه ذلك في العلمِ السَّابقِ، قاله الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: من قبل موسى وهارون، قاله الضَّحاكُ.

وقد أشرنا إلى قصَّة إبراهيمَ في الأنعام(١).

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: علمنا أنَّه موضعٌ لإيتاءِ الرشدِ.

ثـم بـيَّن متـى آتـاه فقـال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعنـي: الأصنـام.

والتِّمثـال: اسـمٌ للـشيء المصنـوع مشبَّهًا بخلـقٍ مـن خلـق الله تعـالى، وأصلُـه مـن مَثَّلْـتُ الـشَّيء بالـشَّيء: إذا شـبَّهته بـه.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٥).

وقولـه: ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا﴾ أي: عـلى عبادتهـا ﴿عَٰكِفُونَ﴾ أي: مقيمـون، فأجابـوه أنَّهـم رأوا آباءهـم يعبدونهـا فاقتـدوا بهـم، فأجابهـم بأنَّهـم فيـها فعلـوا وآباءهـم في ضـلالٍ مبـينٍ، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ يعنـون: أجـادٌّ أنـت، أم لاعـبٌ؟

قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ الكيد: احتيالُ الكائدِ في ضر المكيد.

والمفـسِّرون يقولـون: لأكيدنَّهـا بالكـسرِ ﴿بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ أي: تذهبـوا عنهـا، وكان لهـم عيـدٌ في كلِّ سـنةٍ يخرجـون إليـه ولا يخلفـون بالمدينـةِ أحـدًا، فقالـوا لإبراهيـمَ: لـو خرجـت معنـا إلى عيدنـا أعجبـك ديننا، فخـرج معهـم، فلـمَّا كان ببعـض الطَّريـقِ، قـال: إنِّي سـقيمٌ، وألقـى نفسَـه، وقـال سرًّا منهـم: وتـالله لأكيـدنَّ أصنامكـم، فسـمعه رجـلٌ منهـم، فأفشـاه عليـه، فرجـع إلى بيـتِ الأصنـامِ، وكانـت ـ فيـما ذكـره مقاتـلُ بـنُ سـليمانَ ـ اثنـين وسـبعين صنـمًا مـن ذهـبٍ وفضـةٍ ونحـاسٍ وحديـدٍ وخشـبٍ، فكسرهـا، ثـمَّ وضـعَ الفـأسَ في عنـق الصَّنـم الكبـيرِ، فذلـك قولـه: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾.

قرأ الأكثرونَ: ﴿جُذَٰذًا﴾ بضمِّ الجيمِ(١).

وقـرأ أبـو بكـرٍ الصِّديـق، وابـنُ مسـعودٍ، وأبـو رَزيـنٍ، وقتـادةُ، وابـنُ محيصـنٍ، والأعمـشُ، والكسـائيُّ: «جِـذاذًا» بكسرِ الجيـمِ(٢).

---

(١) السبعة (ص:٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٧)، والتيسر (ص:١٥٥).

(٢) عن ابن عباس، وأبو نهيك في التحصيل (٤/ ٣٩٠).

وقرأ أبو رجاءٍ العُطارديُّ، وأيُّوبَ السّختيانيُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «جَذاذًا» بفتح الجيمِ[1].

وقرأ الضَّحاكُ، وابنُ يعمرَ: «جَذَذًا» بفتح الجيمِ من غير ألفٍ.

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو حيوةَ، وابنُ وثاب: «جُذذًا» بضمِّ الجيم من غيرِ ألفٍ[2].

قال أبو عبيدةَ: أي: مستأصلين، قال جريرٌ[من البسيط][3]:

بَنُو الْمُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابِرَهُمْ أَمْسَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلٌ وَلَا طَرَفُ

أي: لم يبقَ منهم شيء، ولفظ جذاذ يقع على الواحدِ والاثنين والجميع من المذكَّر والمؤنَّثِ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿جُذَذًا﴾ أي: فُتَاتًا، وكل شيءٍ كسرته فقد جَذَذْتَهُ، ومنه قيل للسَّويق: الْجَذِيذُ[4].

وقرأ الكسائيُّ: «جِذاذًا» بكسر الجيمِ على أنَّه جمع جذيذ، مثل ثقيل وثقال، وخفيف وخفاف[5].

---

(١) عن أبي نهيك، وأبو السمال في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، وعن أبي السَّمَّال في التحصيل (٤/ ٣٩٠).

(٢) عن يحيى بن وثاب في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤).

(٣) ديوانه (ص: ١٧٦)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٠)، ولسان العرب (٢/ ٦٠٠)، ومجمع الأمثال (١/ ١٧٦).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٢٩٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦).

والجذيذ بمعنى: المجذوذ، وهو المكسور.

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي: كسر الأصنام إلَّا أكبرها.

[٥٥٠/أ] قال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أن يكون أكبرها في ذاتِهِ، وجائزٌ أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إيَّاه[١].

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع الى الصَّنمِ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: لعلَّهم يرجعون إليه فيشاهدونه، هذا قولُ مقاتلٍ[٢].

والثاني: لعلَّهم يرجعون إليه بالتُّهمَةِ، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

والثاني: أنَّها ترجع إلى إبراهيمَ، والمعنى: لعلَّهم يرجعون إلى دينِ إبراهيم بوجوب الحجَّةِ عليهم، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٥٩-٦٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٦).

فلـمَّا رجعـوا مـن عيدهـم ونظـروا إلى آلهتهـم ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: قـد فعـل مـا لم يكـن لـه فعلـه، فقـال الـذي سـمع إبراهيـم يقـول: لأكيـدنَّ أصنامكـم: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾.

قال الفرَّاءُ: أي: يعيبهم؛ نقول للرَّجلِ: لئن ذكَّرتني لتندمنَّ، تريد: بسوءٍ[١].

قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: بمرأى منهم، لا تأتوا به خفية.

قـال أبـو عُبيـدةَ: تقـول العـربُ إذا أُظهـر الأمـر واشـتهر: كان ذلـك عـلى أعـينِ النَّـاسِ[٢].

قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدهـا: يشـهدون أنَّـه قـال لآلهتنـا مـا قـال، رواه أبـو صالـحٍ عـن ابنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال الحسـنُ، وقتـادةُ.

والثاني: يشهدون أنَّه فعل ذلك، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمَّدُ بنُ إسحاقَ.

قـال المفسِّرون: فانطلقـوا بـه إلى نمـرودَ، فقـال لـه: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾؟ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ غضـب أن تُعبـد[٣] معـه الصغـار، فكسرهـا، ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ مـن فعلـه بهـم؟ وهـذا إلـزامٌ للحجَّـةِ عليهـم بأنَّهـم جمـاد لا يقـدرون عـلى النُّطـقِ.

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٦).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٣) في (س): (يُعبد).

واختلف العلماءُ في وجه هذا القولِ من إبراهيم عليه السلام على قولين:

أحدهما: أنَّه وإن كان في صورةِ الكذب، إلَّا أنَّ المرادَ به التَّنبيه على أنَّ من لا قدرةَ له، لا يصلحُ أن يكون إلهًا، ومثله قول الملكين لداودَ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ [ص:٢٣]، ولم يكن له شيءٌ، فيجري هذا مجرى التَّنبيه لداودَ على ما فعلَ، وأنَّه هو المرادُ بالفعل والمثل المضروب؛ ومثل هذا لا تسمِّيه العربُ كذبًا.

والثاني: أنَّه من معاريض الكلامِ؛ فروي عن الكسائيِّ أنَّه كان يقف عند قوله تعالى: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ﴾ ويقول معناه: فعله مَن فعله، ثمَّ يبتدىء ﴿كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾[1].

قال الفَرَّاءُ: وقرأ بعضُهم: «بل فعلَّه» بتشديد اللَّامِ، يريد: فلعلَّه كبيرهم هذا[2].

وقال ابنُ قُتيبةَ: هذا من المعاريضِ، ومعناه: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ٨٩] أي: سأسقم ومثله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ﴾[الزمر: ٣٠] أي: ستموت، وقوله: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٤].

قال ابنُ عبَّاسٍ: لم ينس، ولكنَّه من معاريض الكلامِ، والمعنى: لا تؤاخذني بنسياني، ومن هذا قصَّة الخصمين ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص:٢١]،

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٩).

ومثله ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]، والعربُ تستعمل التَّعريض في كلامِها كثيرًا، فتبلغ إرادتها بوجهٍ هو ألطف من الكشفِ وأحسن من [٥٥٠/ب] التَّصريحِ.

وروي أنَّ قومًا من الأعرابِ خرجوا يمتارون، فلـمَّا صدروا، خالف رجل في بعض اللَّيل إلى عِكْمِ[1] صاحبه، فأخذ منه برًّا وجعله في عِكْمِه، فلـمَّا أراد الرِّحلة وقاما يتعاكمان، رأى عكمه يشول، وعكم صاحبه يثقُل، فأنشأ يقول:[2]

عِكْم تغشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ الْقَوْمِ   لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قَبْلَ الْيَوْمِ

فخوَّن صاحبه بوجهٍ هو ألطف من التَّصريحِ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: كلام إبراهيم كان صدقًا عند البحثِ، ومعنى قول النَّبي ﷺ: «كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ»[3]: قولاً يشبه الكذب في الظَّاهر، وليس بكذبٍ.

قال الشَّيخ[4]: قلت: وقد ذهب جماعةٌ من العلماءِ إلى هذا الوجه، وأنَّه من المعاريضِ، والمعاريض لا تذم، خصوصًا إذا احتيج إليها.

---

(١) العِكْمُ: العِدْلُ مَا دامَ فِيهِ المتاعُ. انظر: لسان العرب (١٢/ ٤١٥).

(٢) البيت في تأويل مشكل القرآن (١/ ١٦٤) بلا نسبة.

(٣) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة بلفظ مطول.

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

روى عمران بنُ حصينٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ**»(١).

وقال عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه: ما يسرُّني أنَّ لي بها أعلم من معاريض القولِ مثل أهلي ومالي(٢).

وقال النَّخعيُّ: لهم كلام يتكلَّمون به إذا خشوا من شيءٍ يدرؤون به عن أنفسهم(٣).

وقال ابنُ سيرينَ: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف(٤).

وقد قال رسولُ الله ﷺ لعجوز: «**إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجَائِزُ**»، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة: ٣٥](٥).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٦)، و البخاري في الأدب المفرد (٨٥٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٧٠)، والطبراني في الكبير (٢٠١)، والبيهقي في الكبرى (٢١/ ٥٦) موقوفًا على عمران بن حصين، وهو الصواب، والمرفوع قد أُعل بالموقوف. وانظر: الكامل (١/ ١٠٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٤) من طريق معاوية بن قرة، به.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٨) عن منصور، به.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (١/ ١٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥١٥)، وابن الأعرابي في معجمه (٣/ ٩٨٨) من طريق شبيب بن شيبة، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢٩) من طريق ليث، عن مجاهد، عن عائشة، في قصة.

ومجاهد بن جبر لم يسمع من عائشة كما قاله يحيى القطان، وشعبة، وليث بن أبي سليم ضعيف.

ورواه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥) من طريق مسعدة بن اليسع، عن سعيد بن أبي=

وروي عنه ﷺ أنَّه كان يمازح بلالًا، فيقول: «مَا أُخْتُ خَالِكَ مِنْكَ»[(١)]؟.

وقال لامرأةٍ: من زوجك؟ فسمَّته له، فقال: «الَّذِي فِي عَيْنِهِ بَيَاضٌ»[(٢)].

وقال لرجلٍ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ»[(٣)].

وقال له العبَّاس: ما ترجو لأبي طالبٍ؟ فقال: «كُلُّ خَيْرٍ أَرْجُو مِنْ رَبِّي»[(٤)].

وكان أبو بكر ؓ حين خرج من الغار مع رسول الله ﷺ إذا سأله أحد: من هذا بين يديك؟ يقول: هادٍ يهديني[(٥)].

=عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة، بنحوه.

ومسعدة بن اليسع الباهلي ضعيف جدًّا، وانظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٩٨).

ورواه الترمذي في الشمائل (٢٤٦)، و البغوي في التفسير (٨/ ١٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٨٢) عن الحسن البصري، مرسلًا.

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، و ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري، وانظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي (١/ ١٠١٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٨)، وأبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩١)، وفي الشمائل (٢٣٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٧٦) من طُرق عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حميد الطويل، عن أنس أَنَّ رَجُلاً اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ».

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٦/ ٣٣٦) من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن العباس، به، وهو مرسل للانقطاع بين إسحاق، والعباس.

(٥) رواه أحمد (١٩/ ٢٦٤)، وفي فضائل الصحابة (٦٠٥) مختصرا، وأبو يعلى في مسنده=

وكانت امرأة ابن رواحة قد رأته مع جاريةٍ له، فقالت له: وعلى فراشي أيضًا؟ فجحد، فقالت له: فاقرأ القرآن، فقال [من الطويل]:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَشْهُورٌ مِنَ الصُّبْحِ طَالِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبُهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ

فقالت: آمنت بالله، وكذبت بصري، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع(١).

وعرض شريح ناقة ليبيعها فقال له المشتري: كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناءٍ شئت، قال: كيف الوطاء؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها، علِّق سوطك وسِرْ، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت، فاشتراها فلم ير شيئًا مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أر فيها شيئًا مما وصفتها به، قال: ما كذبتك، قال: أقلني، قال: نعم. [٥٥١/أ]

وخرج شريح من عند زياد وهو مريضٌ، فقيل له: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقيل له: ما معنى يأمر وينهى؟ قال: يأمر بالوصيَّة، وينهى عن النَّوح.

وأخذ محمَّدُ بن يوسفَ حجرًا المداري فقال: العن عليًّا، فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن عليًّا محمَّد بن يوسف، فالعنوه، لعنه الله.

=(٣٤٨٦)، والحاكم في المستدرك (١٢/ ٣ ـ ٥٧).

(١) رواه الدارقطني في السنن (٤٣٢) من طريق سلمة بن وهران، عن عكرمة، به، بنحوه.

وأمر بعض الأمراء صعصعة بن صوحان بلعن عليٍّ، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي، ثمَّ قال: إنَّ هذا الأمير قد أبى إلَّا أن ألعن عليًّا، فالعنوه، لعنه الله.

وامتحنت الخوارج رجلاً من الشِّيعةِ، فجعل يقول: أنا من علي ومن عثمان بريء.

وخطب رجلٌ امرأة وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوِّجك حتَّى تطلق امرأتك، فقال: اشهدوا أنِّي قد طلقت ثلاثًا، فزوَّجوه، فأقام مع المرأة الأولى، فادعوا أنَّه قد طلق، فقال: أما تعلمون أنَّه كان تحتي فلانة فطلَّقتها، ثم فلانة فطلَّقتها، ثم فلانة فطلَّقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلَّقت ثلاثًا.

وحكي أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال [من الطويل][1]:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ ... وَإِنْ نَزَلَتْ يومًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

فظنَّ الطَّائف أنَّه ابن بعضِ الأشرافِ بالبصرة، فلمَّا أصبح سأل عنه، فإذا هو ابن باقلائي، ومثل هذا كثيرٌ

---

(١) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار (٢/ ٢١٩)، والعقد الفريد (٢/ ٢٩٨)، والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٦)، وخزانة الأدب (٢/ ٣٥٩).

قولـه تعـالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[الأنبيـاء: ٦٤-٦٧].

قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: رجع بعضُهم إلى بعضٍ.

والثاني: رجع كلٌّ منهم إلى نفسه متفكِّرًا.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: حين عبدتم من لا يتكلَّم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: حين تتركون آلهتكم وحدها، وتذهبون، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

والثالث: في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير، روي عن وهبٍ أيضًا.

والرابع: لإبراهيمَ حين اتَّهمتموه والفأس في يد كبير الأصنامِ، قاله ابنُ إسحاقَ، ومقاتلٌ[١].

والخامس: أنتم ظالمون لإبراهيمَ حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة، فاسألوها، ذكره ابنُ جريرٍ[٢].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٥).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠١).

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وابنُ أبي عبلةَ، وأبو حيوة: «نُكِّسوا» برفعِ النُّونِ وكسر الكافِ مشدَّدة(١).

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «نَكَسوا» بفتح النُّونِ والكاف مخفَّفة(٢).

قال أبو عُبيدةَ: ﴿نُكِسُواْ﴾ قلبوا، تقول: نكست فلانًا على رأسِهِ: إذا قهرته وعلوته(٣).

ثمَّ في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أدركتهم حيرة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ قاله قتادةُ.

والثاني: رجعوا إلى أوَّل ما كانوا يعرفونها به من أنَّها لا تنطق، قاله ابنُ قُتيبةَ(٤).

والثالث: انقلبوا على إبراهيمَ يحتجُّون عليه بعد أن أقرُّوا له ولاموا أنفسهم في تهمتهِ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

(١) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٩٠) وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٤٩) ابن أبي عبلة، وابن مقسم، وابن الجارود، والكبراوي كلاهما عن هشام.

(٢) عن رضوان بن عبد المعبود في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٨٧).

وفي قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمار «قالوا»، وفي هذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النُّطقِ، فحينئذٍ توجَّهت لإبراهيمَ الحجَّة، فقال موبِّخًا [٥٥١/ب] لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئًا ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا لم تعبدوه، وفي هذا حثٌّ لهم على عبادةِ من يملك النَّفع والضرَّ، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: النَّتْنُ لَكُم؛ فلمَّا ألزمهم الحجَّة غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾[1].

وذكر في التَّفسيرِ أنَّ نمرود استشارهم، بأي عذابٍ أعذبه، فقال رجل: حرِّقوه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجلُ فيها إلى يومِ القيامةِ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨- ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه، لأنَّه يعيبها ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: ناصريها.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٨).

الإشارة إلى القصَّة

ذكر أهل التَّفسيرِ أنَّهم حبسوا إبراهيمَ عليه السلام في بيتٍ ثمَّ بنوا له حيرًا طول جداره ستُّون ذراعًا إلى سفح جبلٍ منيف، ونادى منادي الملك: أيُّها النَّاس احتطبوا لإبراهيمَ، ولا يتخلفنَّ عن ذلك صغيرٌ ولا كبيرٌ، فمن تخلَّف ألقي في تلك النَّارِ، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتَّى إن كانت المرأة لتقول: إن ظفرت بكذا لأحتطبنَّ لنارِ إبراهيم، حتَّى إذا كان الحطب يساوي رأس الجدارِ سدُّوا أبواب الحير، وقذفوا فيه النَّار، فارتفع لهبها، حتَّى إن كان الطائر ليمرُّ بها فيحترق من شدَّة حرِّها، ثمَّ بنوا بنيانًا شامخًا، وبنوا فوقه منجنيقًا، ثم رفعوا إبراهيمَ على رأسِ البُنيانِ، فرفع إبراهيمُ رأسَه إلى السَّماءِ، فقال: اللَّهمَّ أنت الواحد في السَّماءِ، وأنا الواحد في الأرضِ، ليس في الأرض أحدٌ يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقالت السَّماءُ والأرضُ والجبالُ والملائكةُ: ربَّنا إبراهيمُ يُحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؛ فقال: أنا أعلمُ به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ فقذفوه في النَّارِ، وهو ابن ستَّ عشرة سنة، وقيل: ست وعشرين، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريلُ، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربَّك، فقال: حسبي من سؤالي علمُه بحالي، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فلم تبقَ نارٌ على وجه الأرضِ يومئذٍ إلَّا طفئت وظنَّت أنَّها عنيت.

وزعم السُّدِّيُّ: أنَّ جبريل هو الذي ناداها.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: لو لم يُتبع بردها سلاماً لمات إبراهيمُ من بردها(١).

قال السُّدِّيُّ: فأخذت الملائكة بضَبْعَي(٢) إبراهيم فأجلسوه على الأرضِ، فإذا عين من ماء عذبٍ، وورد أحمر، ونرجس(٣).

قال كعبٌ ووهبٌ: فما أحرقت النَّار من إبراهيم إلَّا وثاقه، وأقام في ذلك الموضعِ سبعة أيَّامٍ، وقال غيرهما أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميصٍ من الجنَّة وطِنْفِسة(٤) من الجنَّة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطِّنفسة وقعد معه يحدِّثه.

وإن آزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، فانطلق نمرود ومعه النَّاس، فأمر بالحائط فنقب، فإذا إبراهيم في روضةٍ [٥٥٢/أ] تهتزُّ وثيابه تندى، وعليه القميص وتحته الطِّنفسة، والملك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم، إنَّ إلهك الذي بلغت قدرته هذا لكبير، هل تستطيع أن تخرجَ؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي حتَّى خرج، فقال: مَن الذي رأيت معك؟ قال: ملك أرسله إليَّ ربِّي ليؤنسني، فقال نمرود: إني مقرب لإلهك قرباناً لما رأيت من قدرتهِ، فقال: إذن لا يقبل الله منك ما كنت

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم (١٧٢٣٦) في تفسيرهما من طريق السدي، بلفظ مطول.

(٢) الضَّبْعُ، بسكون الباء: وسَطُ العَضُدِ بِلَحْمِهِ يكونُ للإنسان وغيره. انظر: لسان العرب (٨/ ٢١٦).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٢).

(٤) الطِّنْفِسَة والطُّنْفُسة: النُّمْرُقَة فوق الرَّحْلِ، وجمعها طَنَافِسُ؛ وقيل: هي البِساط الَّذِي له خَمْلٌ رَقِيقٌ، انظر: لسان العرب (٦/ ١٢٧).

على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان وكفَّ عن إبراهيم.

قال المفسِّرون: ومعنى ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ أي: ذات بردٍ ﴿وَسَلَامًا﴾ أي: سلامة. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التَّحريق بالنَّار ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أنَّ الله تعالى سلَّط البعوض عليهم حتَّى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدةٌ في دماغ نمرود حتَّى أهلكته، والمعنى: أنَّهم كادوه بسوءٍ، فانقلب السُّوء عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي: من نمرود وكيده ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بنُ هاران بن تارح، وكان قد آمن به، فهاجرا من أرضِ العراقِ إلى الشَّام.

وكانت سارة مع إبراهيمَ في قول وهبٍ.

وقال السُّدِّيُّ: إنَّما هي ابنة ملك حرَّان، لقيها إبراهيمُ فتزوَّجها على أن لا يُغيِّرها، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم[1].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان:

أحدهما: أنَّها أرض الشَّام، وهذا قولُ الأكثرين.

وبركتها أنَّ الله ﷻ بعث أكثر الأنبياءِ منها، وأكثر فيها الخِصْب والثِّمار والأنهار.

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٣).

والثاني: أنَّها مكَّة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، والأوَّل أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، وفي معنى النافلة قولان:

أحدهما: أنَّها بمعنى الزِّيادة، والمراد بها: يعقوب خاصَّة، فكأنَّه سأل واحدًا فأعطي اثنين، وهذا مذهبُ ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ، والفرَّاءُ(١).

والثاني: أنَّ النافلةَ بمعنى العطية، والمراد: بها إسحاق ويعقوب، وهذا مذهبُ مجاهدٍ، وعطاءٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

قال أبو عُبيدةَ: كل يقع خبره على لفظ الواحدِ، لأنَّ لفظه لفظ الواحد ويقع خبرُه على لفظ الجميع، لأنَّ معناه معنى الجمع(٢).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: رؤوسًا يقتدى بهم في الخيرِ ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون النَّاس إلى ديننا بأمرنا إيَّاهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: شرائع النُّبوَّة(٣).

وقال مقاتلٌ: الأعمال الصَّالحة(٤).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٣) التفسير الوسيط (٣/ ٢٤٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٦).

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: حذف الهاء من إقامة الصَّلاة قليلٌ في اللُّغة، تقول: أقام إقامة، والحذفُ جائزٌ، لأنَّ الإضافة عوض من الهاءِ[١].

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٧٤-٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: انتصب لوط بفعل مضمرٍ، لأنَّ قبله فعلاً، فالمعنى: [٥٥٢/ب] وأوحينا إليهم وآتينا لوطًا[٢].

وذكر بعضُ النَّحويين: أنَّه منصوبٌ على (واذكر لوطًا)، وهذا جائزٌ، لأنَّ ذكر إبراهيم قد جرى، فحمل لوط على معنى: واذكر.

قال المفسِّرون: لما هاجر لوط مع إبراهيم، نزل إبراهيمُ أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرةِ يومٍ وليلة، أو نحو ذلك من إبراهيم فبعثه الله نبيًّا.

فأمَّا الحكمُ ففيه قولان:

أحدهما: أنَّه النُّبوَّةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٨).

(٢) المصدر السابق.

والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتلٌ[١].

وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سورةِ يوسفَ[٢]، وأمَّا القريةُ هاهنا، فهي سدوم، والمراد أهلها، والخبائث أفعالهم المنكرة، فمنها إتيان الذُّكور وقطع السبيل، إلى غير ذلك مما قد ذكره الله ﷻ عنهم في مواضعَ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: بإنجائه من بينهم.

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنبياء: ٧٦-٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ المعنى: (واذكر نوحًا)، وكذلك ما يأتيك من ذكر الأنبياء ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا على قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم ولوط.

فأمَّا الكرب العظيم، فقال ابنُ عبَّاسٍ: هو الغرقُ وتكذيب قومه[٤].

قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوءٍ.

وقيل: ﴿مِنَ﴾ بمعنى (على).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٧).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٨)، وسورة الحجر الآية رقم (٦٩).

(٤) الوسيط (٣/ ٢٤٥).

قولـه تعـالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنبيـاء: ٧٨-٨٢].

قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنّه كان عنبًا، قاله ابنُ مسعودٍ، ومسروق، وشُريح.

والثاني: كان زرعًا، قاله قتادةُ.

﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾.

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: أي: رَعَـتْ ليـلًا، يقـال: نفشـت الغنـمُ باللّيـل، وهـي إبـلٌ نَفَـشٌ ونُفَّـشٌ ونُفَّـاشٌ، والواحـد: نَافِـشٌ، وسَرَحَـتْ، وسَرَبَـتْ بالنَّهـارِ[1].

قال قتادةُ: النَّفْشُ بِاللَّيْلِ، وَالْهَمَلُ بِالنَّهارِ[2].

وقال ابنُ السّكيت: النفش: أن تنتشر الغنم باللّيل ترعى بلا راعٍ[3].

---

(١) غريب القرآن (ص:٢٨٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٢٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) إصلاح المنطق (ص: ٣٨).

الإشارة إلى القصَّة

ذكر أهلُ التَّفسير أنَّ رجلين كانا على عهدِ داودَ عليه السلام، أحدهما صاحب حرثٍ، والآخر صاحب غنمٍ، فتفلَّتت الغنمُ، فوقعت في الحرثِ فلم تبق منه شيئًا، فاختصما إلى داودَ، فقال لصاحب الحرثِ: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلقُ أصحاب الحرث بالغنمِ فيصيبون من ألبانها ومنافعها، ويقبل أصحاب الغنمِ على الكرم، حتَّى إذا كان كليلة نفشت فيه الغنمُ، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داودُ: قد أصبت القضاء، ثمَّ حكم بذلك، فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾(١).

وفي المشارِ إليهم قولان:

أحدهما: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمعِ، لأنَّ الاثنين جمع، هذا قول الفرَّاءِ(٢).

والثاني: أنَّهم داود وسليمان والخصوم، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «وكنا لحكمهما» على التَّثنية(٣).

[٥٥٣/أ] ومعنى شاهدين: أنه لم يغب عنَّا من أمرهم شيء.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٤٣) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٢) من طريق أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، بنحوه.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٠٨).

(٣) في معاني القرآن (٢/ ٢٠٨) بلا نسبة.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ يعني: القضية والحكومة.

وإنَّما كنَّى عنها، لأنَّه قد سبق ما يدلُّ عليها من ذكر الحكمِ، ﴿وَكُلًّا﴾ أي: منهما ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ وقد سبق بيانُه.

قال الحسنُ: لولا هذه الآية لرأيت أنَّ القضاةَ قد هلكوا، ولكنَّه أثنى على سليمان لصوابه، وعذر دواد باجتهاده[1].

فصل

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: كان قضاء داود وسليمان جميعًا من طريق الاجتهادِ، ولم يكن نصًّا، إذ لو كان نصًّا ما اختلفا.

قال القاضي أبو يعلى: وقد اختلف النَّاسُ في الغنم إذا نفشت ليلًا في زرع رجلٍ فأفسدته، فمذهب أصحابِنا أنَّ عليه الضَّمان، وهو قولُ الشَّافعيِّ، وقال أبو حنيفةَ وأصحابه: لا ضمانَ عليه ليلاً أو نهارًا، إلَّا أن يكون صاحبها هو الذي أرسلها، فظاهرُ الآية يدلُّ على قول أصحابِنا، لأنَّ داودَ حكم بالضَّمان، وشرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يثبت نسخُه.

فإن قيل: فقد ثبت نسخُ هذا الحكم، لأنَّ داودَ حكم بدفع الغنمِ إلى صاحب الحرثِ، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف أنَّه لا يجب على مَن نفشت غنمه في حرثِ رجلٍ شيء من ذلك؛ قيل: الآية تضمَّنت أحكامًا، منها وجوب الضَّمان وكيفيته، فالنَّسخ حصل على كيفيَّته، ولم يحصل على أصلِهِ، فوجب التعلُّق به.

---

(١) رواه ابن عبد البر في بيان العلم وفضله (١٦٦١)، والحافظ في تغليق التعليق (٥/ ٢٩٢).

وقد روى حرام بنُ محيصة عن أبيه: أنَّ ناقةً للبراءِ دخلت حائطَ رجلٍ فأفسدت، فقضى رسولُ الله ﷺ على أهل الأموالِ حفظها بالنَّهار، وعلى أهل المواشي حفظها باللَّيل[١].

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسخَّرنا الجبال يسبِّحن مع داودَ.

قال أبو هريرةَ: كان إذا سبَّح أجابته الجبال والطير بالتَّسبيح والذِّكرِ[٢].

وقال غيره: كان إذا وجد فترةً، أمر الجبال فسبَّحت حتَّى يشتاق هو فيسبِّحُ.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: لذلك.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وكنَّا نقدر على ما نريده[٣].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ في المرادِ باللَّبوس قولان:

أحدهما: الدُّروع، وكانت قبل ذلك صفائح، وكان داودَ أوَّل من صنع هذه الحلق وسَرَدَ، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّ اللَّبوس: السلاح كله من درعٍ إلى رمحٍ، قاله أبو عُبيدةَ[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٦٩)، والنَّسائي في الكبرى (٥٧٥٤)، وابن حبان (٦٠٠٨) من طرق عن الزُّهري، عن حَرام بن مُحَيِّصَة، عن أبيه، به، بلفظ: أَنَّ نَاقَةً لِلْبَرَاءِ دَخَلَتْ حَائِطَ رَجُلٍ فَأَفْسَدَتْ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَهْلِ الأَمْوَالِ حِفْظُهَا بِالنَّهَارِ وَعَلَى أَهْلِ الْمَوَاشِي حِفْظُهَا بِاللَّيْلِ. انظر: التمهيد لابن عبد البر (١١/ ٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ٤٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٠).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٤١).

وقرأ أبو المتوكِّل، وابنُ السَّمَيفَعِ: «لُبوس» بضمِّ اللَّام[١].

قوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «لِيُحْصِنكُم» بالياءِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتَّاءِ.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «لنحصنكم» بالنُّون خفيفة[٢].

وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو عمران الجُونيُّ، وأبو حيوةَ: «لتُحَصِّنكم» بتاءٍ مرفوعةٍ وفتح الحاء وتشديدِ الصَّادِ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجوزاءِ، وحميدُ بنُ قيسٍ: «لتَحَصُّنكم» بتاءٍ مفتوحةٍ مع فتح الحاءِ وتشديد الصَّادِ مع ضمِّها.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيليُّ، وأبو المتوكِّل، ومجاهدٌ: «لنُحَصِّنكم» بنونٍ مرفوعةٍ وفتح الحاءِ وكسر الصَّادِ مع تشديدها[٣]. [٥٥٣/ب]

وقرأ معاذٌ القارئ، وعكرمةُ، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «ليُحْصِنّكم» بياءٍ مرفوعةٍ وسكون الحاءِ وكسر الصَّادِ مشدَّدة النُّون[٤].

---

(١) بدون نسبة في البحر المحيط (٧/ ٤٥٦).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٠)، والحجة (٥/ ٢٨٥)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٣) انظر: الكامل (١/ ٦٠١)، والبحر المحيط (٧/ ٤٥٧)، وإعراب القراءات الشواذ (١١٢).

(٤) عن النقيمي، عن أبي عمرو في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، وعن ابن مقسم في الكامل (١/ ٦٠١).

فمن قرأ بالياءِ ففيه أربعة أوجهٍ:

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أن يكون الفاعلُ اسم الله، لتقدُّم معناه، ويجوز أن يكون اللِّباس، لأنَّ اللبوس بمعنى اللِّباس من حيث كان ضرباً منه، ويجوز أن يكون داودَ، ويجوز أن يكون التَّعليم، وقد دلَّ عليه: «علمناه».

ومن قرأ بالتَّاءِ، حمله على المعنى، لأنَّه الدِّرعُ.

ومن قرأ بالنُّونِ، فلتقدُّم قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾[1].

ومعنى لتحصنكم: لتحرزكم وتمنعكم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ يعني: الحرب.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾.

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، وأبو عِمرانَ الجُونيُّ، وأبو حيوةَ الحضرميُّ: «الرِّياحُ» بألفٍ مع رفع الحاءِ[2].

وقرأ الحسنُ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ: بالألف ونصبِ الحاءِ[3]، والمعنى: وسخَّرنا لسليمانَ الرِّيح ﴿عَاصِفَةً﴾ أي: شديدةَ الهُبوبِ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني: بأمرِ سليمانَ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرضُ الشَّامِ، وقد مرَّ بيان بركتها في هذه السُّورةِ[4]، والمعنى: أنَّها كانت تسيرُ به إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشَّام.

---

(١) الحجة (٥/ ٢٨٥).

(٢) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤).

(٣) عن الحسن، وأبي رجاء في مختصر ابن خالويه (ص:٩٤).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٧٢).

قولـه تعـالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ علمنـا أنَّ مـا نعطـي سـليمان يدعـوه إلى الخضـوع لربِّـه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: «من» تقع على الواحدِ والاثنين والجميع من المذكَّر والمؤنَّث(١).

قـال المفسِّرون: كانـوا يغوصـون في البحـرِ، فيسـتخرجونَ الجواهـرَ ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: معناه: سـوى ذلـك، ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ أن يفسـدوا ما عملـوا(٢).

وقال غيرُه: أن يخرجوا عن أمرِهِ.

قولـه تعـالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبيـاء: ٨٣-٨٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: دعا ربَّه ﴿أَنِّي﴾.

وقرأ أبو عِمرانَ الجُونيُّ: «إِني» بكسر الهمزةِ.

﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠١).

وقرأ حمزةُ: «مسنيْ» بتسكين الياءِ(١)، أي: أصابني الجهد.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: أكثرهم رحمة، وهذا تعريضٌ منه بسؤال الرَّحمة إذ أثنى عليه بأنَّه الأرحم، وسكت.

الإشارةُ إلى قصَّته

ذكر أهلُ التَّفسيرِ أنَّ أيوبَ عليه السلام كان أغنى أهل زمانِهِ، وكان كثير الإحسان، فقال إبليسُ: يا رب سلِّطني على مالِه وولدِهِ ـ وكان له ثلاثة عشر ولدًا ـ فإن فعلتُ رأيته كيف يطيعني ويعصيك، فقيل له: قد سلَّطتك على مالِه وولدِهِ، فرجع إبليسُ فجمع شياطينه ومردته، فبعث بعضهم إلى دوابِّه ورعاته، فاحتملوها حتَّى قذفوها في البحرِ، وجاء إبليسُ في صورة قيِّمه، فقال: يا أيُّوب ألا أراك تصلي وقد أقبلت ريحٌ عاصفٌ فاحتملت دوابَّك ورعاتها حتَّى قذفتها في البحرِ؟ فلم يردَّ عليه شيئًا حتَّى فرغَ من صلاتِهِ، ثم قال: الحمدُ لله الذي رزقني ثمَّ قبله مني، فانصرف خائباً، ثمَّ أرسلَ بعضَ الشَّياطين إلى جنانه وزروعه، فأحرقوها، وجاء فأخبره، [٥٥٤/أ] فقال مثل ذلك، فأرسل بعض الشَّياطين فزلزلوا منازل أيُّوب وفيها ولدُه وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره، فحمدَ الله، وقال لإبليسَ وهو يظنُّه قيِّمه في مالِه: لو كان فيك خير لقبضك معهم، فانصرف خائباً، فقيل له: كيف رأيت عبدي أيُّوب؟ قال: يا رب سلِّطني على جسدِهِ فسوف ترى، قيل له: قد سلَّطتك على جسدِهِ، فجاء فنفخ في إبهام قدميه، فاشتعل فيه

(١) عن عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص:٩٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٠).

مثل النَّار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفًا من الله تعالى، فلمَّا نزلَ به البلاء لم يبكِ مخافة الجزعِ، وبقي لسانُه للذِّكر، وقلبه للمعرفةِ والشُّكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنَّه خرج في جميع جسده ثآليل كأليات الغنمِ، ووقعت به حكَّة لا يملكها، فحكَّ بأظفارِهِ حتَّى سقطت، ثمَّ بالمسوح، ثمَّ بالحجارةِ، فأنتن جسمه وتقطَّع، وأخرجه أهل القريةِ فجعلوا له عريشاً على كناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته، واسمُها رحمة بنت إفراييم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه.

وروى أبو بكرٍ القرشي عن اللَّيث بنِ سعدٍ، قال: كان ملك يظلم النَّاس، فكلَّمه في ذلك جماعة من الأنبياءِ، وسكت عنه أيوب لأجل خيلٍ كانت له في سلطانِهِ، فأوحى الله إليه: تركت كلامه من أجل خيلك؟ لأطيلن بلاءك.

واختلفوا في مدَّة لبثه في البلاءِ على أربعة أقوالٍ:

أحدها: ثماني عشرة سنة، رواه أنسُ بنُ مالكٍ عن النَّبيِّ ﷺ[1].

والثاني: سبع سنين، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وكعبٌ، ويحيى بنُ أبي كثيرٍ.

والثالث: سبع سنين وأشهرٍ، قاله الحسنُ.

والرابع: ثلاث سنين، قاله وهبٌ.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٣٦١٧)، والبزار (٦٣٣٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٥٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٩٨)، والحاكم في المستدرك(٢/ ٦٣٥) وغيرهم.

وفي سبب سؤاله العافية ستَّة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه اشتهى إدامًا، فلم تصبه امرأته حتَّى باعت قرناً من شعرِها، فلمَّا علم ذلك، قال: «مسَّني الضر»، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ الله تعالى أنساه الدُّعاء مع كثرةِ ذكره الله، فلمَّا انتهى أجل البلاء، يسَّر له الدُّعاء، فاستجاب له، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ نفرًا من بني إسرائيل مرُّوا به، فقال بعضُهم لبعضٍ: ما أصابه هذا إلَّا بذنبٍ عظيمٍ، فعند ذلك قال: «مسني الضر»، قاله نَوفٍ البِكَالِيِّ.

وقال عبدُ الله بنُ عبيد بن عمير: كان له أخوان، فأتياه يوماً فوجدا ريحاً، فقالا: لو كان الله علم منه خيرًا ما بلغ به كلّ هذا، فما سمِع شيئاً أشد عليه من ذلك، فقال: اللَّهمَّ إن كنت تعلم أنِّي لم أبت ليلة شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدِّقني، فصُدِّق وهما يسمعان، ثم قال: اللَّهمَّ إن كنت تعلم أنِّي لم ألبس قميصاً وأنا أعلم مكان عار فصدِّقني، فصُدِّق وهما يسمعان، فخرَّ ساجدًا، ثم قال: اللَّهمَّ لا أرفع رأسي حتَّى تكشف ما بي، فكشف الله ﷻ ما به(١).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٦٣).

والرابع: أنَّ إبليسَ جاء إلى زوجته بسخلةٍ، فقال: ليذبح أيُّوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: إن شفاني الله لأجلدنَّك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله؟ ثمَّ طردها عنه، فذهبت، فلمَّا رأى أنَّه لا طعام [٥٥٤/ب] له ولا شراب ولا صديق، خرَّ ساجدًا وقال: «مسني الضر»، قاله الحسنُ.

والخامس: أنَّ الله تعالى أوحى إليه وهو في عنفوانِ شبابِهِ: إنِّي مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصبَّ عليه من البلاءِ ما سمعتم حتَّى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أنِّي معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: مسَّني الضر، قاله إبراهيمُ بنُ شيبانَ القِرْمِيسني فيما حدَّثنا به عنه.

والسادس: أنَّ الوحي انقطع عنه أربعينَ يوماً، فخافَ هجران ربِّه، فقال: «مسَّني الضر»، ذكره الماورديُّ[1].

فإن قيل: أين الصَّبر، وهذا لفظ الشكوى؟

فالجوابُ: أنَّ الشكوى إلى الله لا تنافي الصَّبر، وإنَّما المذموم الشكوى إلى الخلق، ألم تسمع قول يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف: ٨٦].

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٦٣).

قال سفيانُ بنُ عُيينةَ: وكذلك من شكا إلى النَّاس، وهو في شكواه راضٍ بقضاءِ الله، لم يكن ذلك جزعاً، ألم تسمع قولَ رسولِ الله ﷺ لجبريل في مرضِهِ: «أَجِدُنِي مَغْمُومًا، وَأَجِدُنِي مَكْرُوبًا»(١)، وقوله: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ»(٢).

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ يعني: أولاده ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدُّنيا، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، وقتادةُ.

وروى أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات، فنُشروا له؛ وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٩٨- ١٩٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٦٧- ٢٦٨) من طريقين عن جعفرِ بنِ محمد عن أبيه وفي إسناده ابن سعد من لم يسمّ.
ورواه البيهقي في الدلائل (٧/ ٢١٠- ٢١١) من طريق الحسن بن علي، عن محمد بن علي مرسلًا.
ورواه الطبراني في الكبير (٢٨٩٠) من طريق علي بن الحسين، عن أبيه.
وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٤) وقال: وفيه عبد اللهِ بن ميمون القدَّاحُ، وهو ذاهب الحديث.

(٢) رواه البخاري (٥٦٦٦) قَالَتْ عَائِشَةُ: وَا رَأْسَاهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَا ثُكْلِيَاهْ، وَاللهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ، لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهْ، لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ: أَنْ يَقُولَ القَائِلُونَ - أَوْ يَتَمَنَّى المُتَمَنُّونَ - ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ المُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى المُؤْمِنُونَ».

والثاني: أنَّهم كانوا قد غيبوا عنه ولم يموتوا، فآتاه إيَّاهم في الدُّنيا ومثلهم معهم في الآخرةِ، رواه هشامُ عن الحسنِ.

والثالث: آتاه الله أجور أهله في الآخرةِ، وآتاه مثلهم في الدُّنيا، قاله نوف، ومجاهدٌ.

والرابع: آتاه أهله ومثلهم معهم في الآخرةِ، حكاه الزَّجَّاجُ(١).

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: فعلنا ذلك به رحمة من عندنا، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ أي: عظةً ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾.

قال محمَّد بنُ كعبٍ: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيُّوب، فليقل: إنَّه قد أصاب من هو خيرٌ منِّي.

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختلفوا هل كان نبيًّا، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنَّه لم يكن نبيًّا، ولكنَّه كان عبدًا صالحاً، قاله أبو موسى الأشعري، ومجاهدٌ، ثمَّ اختلف أربابُ هذا القولِ في علَّة تسميته بذي الكفل على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ رجلاً كان يصلِّي كلَّ يومٍ مائة صلاةٍ فتوفي، فكفل بصلاته، فسمِّي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعريُّ.

والثاني: أنَّه تكفَّل للنَّبي بقومِهِ أن يكفيه أمرهم ويقيمه ويقضي بينهم بالعدلِ، ففعل، فسمِّي: ذا الكفل، قاله مجاهدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠١).

والثالث: أنَّ ملكًا قتل في يومٍ ثلاثمائة نبيٍّ، وفرَّ منه مائة نبيٍّ، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتَّى أفلتوا، فسمِّي ذا الكفل، قاله ابنُ السَّائبِ.

والقول الثاني: أنَّه كان نبيًّا، قاله الحسنُ، وعطاء.

[٥٥٦/أ] قال عطاءٌ: أوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من الأنبياءِ: إنِّي أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفَّل لك بأنَّه يصلِّي اللَّيل لا يفتر، ويصوم النَّهار لا يفطر، ويقضي بين النَّاس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شابٌّ فقال: أنا أتكفَّل لك بهذا، فتكفَّل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبَّأه، وسمِّي: ذا الكفل[1].

وقد ذكر الثَّعلبيُّ حديث ابن عمر عن رسولِ الله ﷺ في الكفل: أنَّه كان رجلاً لا ينزع عن ذنبٍ، وأنَّه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قطُّ، فقام عنها تائبًا، ومات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر الله للكفلِ؛ والحديثُ معروفٌ، وقد ذكرته في الحدائق[2]،

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣١٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٣)، والترمذي (٢٤٩٦)، والبزار في مسنده (٥٣٨٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥٧٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٣١٨) بلفظ: «كَانَ الكِفْلُ مِنْ بني إسرائيل لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ؟ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَعْصِي اللهَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ».

فجعلـه الثَّعلبـيُّ أحـد الوجـوه في بيـان ذي الكفـل، وهـذا غلـط، لأنَّ ذلـك اسـمه الكفـل، والمذكـور في القـرآنِ يقـال لـه: ذو الكفـل، ولأنَّ الكفـل مـات في ليلتـه التـي تـاب فيهـا، فلـم يمـض عليـه زمـانٌ طويـلٌ يعالـج فيـه الصـبر عـن الخطايـا، وإذا قلنـا: إنَّـه نبـيٌّ، فـإنَّ الأنبيـاءَ معصومـون عـن مثـل هـذا الحـال.

وذكـرت هـذا لشـيخنا أبي الفضـلِ بـن نـاصر رحمـه الله تعـالى، فوافقنـي، وقـال: ليـس هـذا بـذاك.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أي: على طاعةِ الله وترك معصيته.

﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في هذه الرَّحمة ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الجنَّة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: النبوَّة، قاله مقاتلٌ[1].

والثالث: النِّعمةُ والموالاة، حكاها أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قولـه تعـالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبيـاء: ٨٧-٨٨].

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعني: يونس بن متَّى.

والنُّون: السَّمكة؛ أضيف إليها لابتلاعها إيَّاه.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٠).

قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: المغاضبة: مفاعلة، وأكثر المفاعلة من اثنين، كالمناظرةِ والمجادلةِ والمخاصمةِ، وربَّما تكون من واحدٍ، كقولك: سافرت، وشارفت الأمر، وهي هاهنا من هذا الباب(١).

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «مغْضَب» بإسكان الغينِ وفتح الضَّادِ من غير ألفٍ(٢).

واختلفوا في مغاضبته لمن كانت؟ على قولين:

أحدهما: أنَّه غضب على قومِهِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والضَّحاكُ.

وفي غضبه عليهم ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الله تعالى أوحى إلى نبيٍّ يقال له: شعيا: أن ائت فلان الملك، فقل له: يبعث نبيًّا أميناً إلى بني إسرائيل، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك، وسبا منهم الكثير، فأراد النَّبيُّ والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلِّمه حتَّى يرسلهم، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سمَّاني لك؟ قال: لا، قال: فهاهنا غيري من الأنبياءِ، فألحوا عليه، فخرج مغاضباً للنَّبيِّ والملك ولقومه، هذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ وقد زدناه شرحًا في يونسَ(٣).

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٢).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٩٨).

والثـاني: أنَّـه عانـى مـن قومِـهِ أمـرًا صعبـاً مـن الأذى والتَّكذيـبِ، فخـرج عنهـم قبـل أن يؤمنـوا ضجـرًا، ومـا ظـنَّ أنَّ هـذا الفعـلَ يوجـب عليـه مـا [٥٥٦/ب] جـرى مـن العقوبـةِ، ذكـره ابـنُ الأنبـاريِّ.

وقـد روي عـن وهـب بـنِ منبِّـهٍ، قـال: لمـا حملـت عليـه أثقـال النبـوَّةِ، ضـاق بهـا ذرعـاً ولم يصـبر، فقذفهـا مـن يـده وخـرج هاربـاً[١].

والثالـث: أنَّـه لمـا أوعدهـم العـذاب، فتابـوا ورفـع عنهـم، قيـل لـه: ارجـع إليهـم، فقـال: كيـف أرجـع فيجـدوني كاذبـاً؟ فانـصرف مغاضبـاً لقومـه، عاتبـاً عـلى ربِّـه.

وقد ذكرنا هذا في يونسَ[٢].

والثـاني: أنَّـه خـرج مغاضبـاً لربِّـه، قالـه الحسـنُ، وسـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، والشَّـعبيُّ، وعـروةُ.

وقـال أبـو بكـرٍ النَّقـاشُ: المعنـى مغاضبـاً مـن أجـل ربِّـه، وإنَّـما غضـب لأجـل تمرُّدهـم وعصيانهـم.

وقـال ابـنُ قُتيبـةَ: كان مغيظـاً عليهـم لطـول مـا عانـاه مـن تكذيبهـم، مشـتهياً أن ينـزل العـذاب بهـم، فعاقبـه الله عـلى كراهيتـه العفـو عـن قومِـهِ[٣].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٧٦).

(٢) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٩٨).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٣).

قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

وقرأ يعقوبُ: «يُقدَّر» بضمِّ الياءِ وتشديد الدَّال وفتحها[١].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ أبي ليلى: «يُقْدَر» بياءٍ مرفوعةٍ مع سكون القافِ وتخفيف الدَّال وفتحها[٢].

وقرأ أبو عمران الجُونيُّ: «يَقْدِر» بياءٍ مفتوحةٍ وسكون القافِ وكسر الدَّالِ خفيفة[٣].

وقرأ الزُّهريُّ، وابنُ يعمرَ، وحميدُ بنُ قيسٍ: «نُقَدِّر»: بنونٍ مرفوعةٍ وفتح القافِ وكسرِ الدَّال وتشديدها[٤].

ثم فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أن لن نقضي عليه بالعقوبة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والضَّحاكُ.

قال الفَرَّاءُ:[٥] معنى الآية: فظنَّ أن لن نقدر عليه ما قدرنا من العقوبةِ، والعربُ تقول: قَدَر، بمعنى: قَدَّر، قال أبو صخر[٦]:

(١) الكامل (١/ ٦٠١).

(٢) عن ابن عباس والحسن في التحصيل (٤/ ٤٠٥)، وهي قراءة يعقوب من العشرة، كما في المبسوط (ص: ١/ ٣٠٣).

(٣) عن الحسن في التحصيل (٤/ ٤٠٥)، والمحرر (٤/ ٩٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦١).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٥)، والمحرر (٤/ ٩٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٠٩).

(٦) ابن الأنباري في الوقف والابتداء (٢/ ٧٧٧).

وَلَا عَائِدًا ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَكُنْ وَلَكَ الشُّكْرُ

أراد: ما تقدِّر، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجُ[١].

الثاني: فظن أن لن نضيق عليه، قاله عطاءٌ.

قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: فلان مُقَدَّر عليه، ومُقَتَّر عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي: ضيِّق عليه فيه[٢].

قال النَّقاش: والمعنى: فظنَّ أن لن يضيق عليه الخروج، فكأنَّه ظنَّ أنَّ الله قد وسَّع له، إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن يخرج، ولم يؤذن له في الخروج.

والثالث: أنَّ المعنى: فظنَّ أنَّه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، رواه عوفٌ عن الحسنِ.

وقال ابنُ زيدٍ، وسليمان التيمي: المعنى: أفظنَّ أن لن نقدر عليه؛ فعلى هذا الوجه يكون استفهامًا قد حذفت ألفه؛ وهذا الوجه يدلُّ على أنه من القدرة، ولا يتصور إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهاً إلا أن يكون استفهام إنكار، تقديره: ما ظن عجزنا، فأين يهرب منا؟

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ **فيها ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّها ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة اللَّيل، قاله سعيدُ بن جبير، وقتادةُ، والأكثرون.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٧).

والثـاني: أنَّ حوتـاً جـاء فابتلـع الحـوتَ الـذي هـو في بطنـه، فنـادى في ظلمـة حـوت، [ثـمَّ في ظلمـةِ حـوتٍ](١)، ثـمَّ في ظلمـةِ البحـرِ، قالـه سـالمُ بـنُ أبي الجعـدِ. [٥٥٧/أ]

والثالـث: أنَّهـا ظلمـةُ المـاء، وظلمـةُ مِعـى السَّـمكة، وظُلمـة بطنهـا، قالـه ابـنُ السَّـائبِ.

وقـد روى سـعدُ بـنُ أبي وقاصٍ عـن رسـولِ الله ﷺ أنَّـه قـال: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَـةً لا يَقولُـها مَكْـرُوبٌ إلا فَـرَّجَ اللهُ عَنْـهُ، كَلِمَـةَ أَخِـي يُونُـسَ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»(٢).

قال الحسنُ: وهذا اعترافٌ من يونسَ بذنبه وتوبة من خطيئته.

قولـه تعـالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ أي: أجبنـاه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ أي: مـن الظُّلـماتِ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إذا دعونـا.

وروى أبـو بكـرٍ عـن عاصـمٍ أنَّـه قـرأ: «نُجِّـي المؤمنـين» بنـونٍ واحـدةٍ مشـدَّدة الجيـم(٣).

قال الزَّجَّاجُ: وهذا لحن لا وجه له(٤).

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (س).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٧٠)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٥).

(٣) السبعة (ص: ٤٣٠)، والحجة (٥/ ٢٥٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٣).

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: غلط الرَّاوي عن عاصمٍ، ويدلُّ على هذا إسكانه الياء من نُجِّي، ونصب المؤمنين، ولو كان على ما لم يسمَّ فاعله ما سكن الياء، ولرَفعَ المؤمنين[1].

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي: وحيدًا بلا ولدٍ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: أفضل مَن بقي حيًّا بعد ميت.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّه كان في لسانها طولٌ، وهو البذاءُ فأصلحت، قاله عطاءٌ.

وقال السُّدِّيُّ: كانت سليطة فكف عنه لسانها.

والثالث: أنَّه كان خلقها سيئاً، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

---

(١) الحجة (٥/ ٢٥٩).

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: يبـادرون في طاعـةِ الله.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: زكريا، وامرأته، ويحيى.

والثاني: جميع الأنبياء المذكورون في هذه السُّورةِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ مُحيصنٍ: «وَيَدْعُونَا» بنونٍ واحدةٍ[1].

قوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً منَّا.

وقـرأ الأعمـشُ: «رُغْبـاً ورُهْبـاً» بضـمِّ الرَّاءيـن وجـزم الغـين والهـاءِ[2]، وهمـا لغتـان مثـل النُّحْـل، والنَّحَـل[3]، والسُّـقْم، والسَّـقَم.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي: متواضعين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهمـا: أنَّـه مخـرج الولـد، والمعنـى: منعتـه ممَّـا لا يحـلُّ، وإنَّـما وصفـت بالعفـاف لأنَّهـا قذفـت بالزِّنـا.

---

(١) عن طلحة بن مُصرف في التحصيل (٤/ ٤٠٥).

(٢) في البحر المحيط (٧/ ٤٦٣) عن الأعمش، وانظر: المحرر (٤/ ٩٨)، وإعراب القراءات الشواذ (٢/ ١١٥)

(٣) في (س): (البُخْل، والبَخَل).

والثـاني: أنَّـه جيـب درعهـا، ومعنـى الفـرج في اللُّغـة: كل فرجـة بـين شـيئين، وموضـع جيـب درع المـرأةِ مشـقوق، فهـو يسـمَّى فرجـاً، وهـذا أبلـغ في الثَّنـاء عليهـا، لأنَّهـا إذا منعـت جيـب درعهـا، فهـي لنفسـها أمنـع.

قولـه تعـالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي: أمرنـا جبريـلَ، فنفـخ في دِرعهـا، فأجرينـا فيهـا روح عيسـى كـما تجـري الرِّيـح بالنَّفـخ، وأضـاف الـرُّوح إليـه إضافـة الملـك، للتَّشريـف والتَّخصيـص.

﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: لمـا كان شـأنهما واحـدًا، كانـت الآيـة فيهـما آيـةٌ واحـدةٌ، وهـي ولادة مـن غـير فحـل[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «آيتين» على التَّثنيةِ[٢]. [٥٥٧/ب]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: المرادُ بالأمَّة هاهنا: الدين[٣].

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم أمَّة محمَّدٍ ﷺ، وهو معنى قول مقاتلٍ[٤].

والثاني: أنَّهم الأنبياءُ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٤).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم (١٣٧٢٢) في تفسيرهما.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٢).

ثُمَّ ذكر أهل الكتاب، فذمَّهم بالاختلافِ، فقال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: اختلفوا في الدِّين، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: شيئاً من الفرائضِ وأعمالِ البر ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ أي: لا نجحدُ ما عَمِل، قاله ابنُ قُتيبةَ[1].

والمعنى: أنَّه يقبل منه، ويثاب عليه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ ذلك، نأمر الحفظة أن يكتبوه لنجازيه به.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾[الأنبياء: ٩٥-١٠٠].

قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ بألفٍ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: وأبو بكر عن عاصمٍ: «وحِرْمٌ» بكسرِ الحاءِ من غير ألفٍ، وهما لغتان. يقال: حِرْمٌ وحَرامٌ[2].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣١)، والحجة (٥/ ٢٦١)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّل، وأبو عمران الجُونيُ: «حَرْمٌ» بفتح الحاءِ وسكون الرَّاءِ من غير ألفٍ والميم مرفوعة منوَّنة[١].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ: «وحَرْمَ» بفتح الحاءِ وسكون الرَّاءِ ونصب الميم من غير تنوينٍ ولا ألفٍ[٢].

وقرأ أبو الجوزاءِ، وعكرمةُ، والضَّحاكُ: «وحَرِمَ» بفتح الحاءِ والميم وكسر الرَّاءِ من غير تنوينٍ ولا ألفٍ[٣].

وقرأ سعيدُ بنُ المسيب، وأبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ: «وحَرُمَ» بفتح الحاءِ وضمِّ الرَّاء ونصب الميمِ من غير ألفٍ[٤].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ قولان:

أحدهما: واجبٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأنشدوا في معناه [من الطويل][٥]:

فَإِنَّ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا ... عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرِو

أي: واجبٌ.

والثاني: أنَّه بمعنى العزمِ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

---

(١) عن قتادة، ومطر الورَّاق في التحصيل (٤/ ٤٠٦)، وفي المحتسب (٢/ ٦٦) عن ابن عباس.

(٢) المحتسب (٢/ ٦٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٥).

(٣) المحتسب (٢/ ٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٥).

(٤) المحتسب (٢/ ٦٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٥).

(٥) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي في غريب القرآن (ص: ٢٨٨)، ولسان العرب (١٢/ ١٢٧)، وتاج العروس (حرم)

وقال عطاءٌ: حتم من الله، والمراد بالقرية: أهلها.

ثمَّ في معنى الآية أربعة أقوالٍ:

أحدها: واجبٌ على قريةٍ أهلكناها أنَّهم لا يتوبون، رواه عكرمةُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: واجبٌ عليها أنَّها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، هذا قول قتادة؛ وقد روي عن ابن عبَّاسٍ نحوه.

والثالث: أنَّ «لا» زائدة؛ والمعنى: حرامٌ على قرية مهلكة أنَّهم يرجعون إلى الدُّنيا، قاله ابنُ جريجٍ، وابنُ قتيبةَ في آخرين[١].

والرابع: أنَّ الكلامَ متعلِّقٌ بما قبله، لأنَّه لما قال: فلا كفرانَ لسعيه أعلمنا أنَّه قد حرم قبولَ أعمالِ الكفَّار؛ فمعنى الآية: وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها أن يتقبَّل منهم عمل، لأنَّهم لا يتوبون، هذا قولُ الزَّجَّاج[٢].

فإن قيل: كيف يصحُّ أن يحرم على الإنسانِ ما ليس من فعلِهِ، ورجوعهم بعد الموتِ ليس إليهم؟

فالجواب: أنَّ المعنى: منعوا من ذلك، كما يمنع الإنسان من الحرامِ وإن قدر عليه، فكان التَّشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع.

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٤).

وقرأ ابنُ عامر: «فُتِّحَتْ» بالتَّشديد[١]، والمعنى: فتح الردم عنهم.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: من كلِّ نَشْزٍ من الأرضِ وأكَمَةٍ ﴿يَنسِلُونَ﴾ [٥٥٨/أ] مِن النَّسَلان: وهو مقاربةُ الخطو مع الإسراعِ، كمشي الذئبِ إذا بادر، والعَسَلان مثله[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: الحدب: كل أكمةٍ، و﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسْرِعُونَ[٣].

وقرأ أبو رجاءٍ العُطارديُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «يَنْسُلُون» بضمِّ السِّينِ[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُم﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه إشارةٌ إلى يأجوج ومأجوج، قاله الجمهورُ.

والثاني: إلى جميع النَّاسِ؛ فالمعنى: وهم يحشرونَ إلى الموقفِ، قاله مجاهدٌ، والأوَّلُ أصحُّ.

فإن قيل: أين جواب حتَّى؟ ففيه قولان:

أحدُهما: أنَّه قوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ والواو في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ﴾ زائدةٌ، قاله الفَرَّاءُ. قال: ومثله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا

---

(١) السبعة (ص: ٤٣١)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٥).

(٤) عن ابن أبي إسحاق في مختصر ابن خالويه (ص:٩٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٧)، وفي الكامل (ص:٦٠٢)عن أبي السَّمَّال.

﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤]، المعنى: ناديناه(١).

وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: السَّاعة من النَّاسِ بعد يأجوج ومأجوج، كالحامل المتم، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهارًا(٢).

والثاني: أنَّه قولٌ محذوفٌ في قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ فالمعنى: [حتَّى](٣) إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد، قالوا: يا ويلنا.

قال الزَّجَّاجُ: هذا قول البصريين(٤).

فأمَّا ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ فهو القيامة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ في «هي» أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ هي كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها، كقولِ الشَّاعر [من الطَّويل](٥):

لَعَمْرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَعِينَتِي ... أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْب

فذكر الظَّعينة، وقد كنَّى عنها في «لعمرو أبيها».

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠)، وابن ماجه (٤٠٨١)، وأبو يعلى (٥٢٩٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٨-٤٨٩) وغيرهم عن ابن مسعود مرفوعًا، في حديث طويل.

(٣) زيادة من (س).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٥).

(٥) البيت في تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠٩)، وحماسة الخالدين (١/ ٢١).

والثاني: أنَّ «هي» عمادٌ، ويصلح في موضعها هو، ومثله قول: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] وأنشدوا [من الطَّويل][(١)]:

بِثَوْبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَهُنَا رَأْسُ

ذكرهما الفرَّاءُ[(٢)].

والثالث: أن يكون تمام الكلامِ عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزةٌ واقفةٌ، يعني: من قربها، كأنَّها آتية حاضرة، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿شَٰخِصَةٌ﴾، ذكره الثَّعلبيُّ[(٣)].

والرابع: أنَّ «هي» كنايةٌ عن القصَّةِ، والمعنى: القصَّة أنَّ أبصارهم شاخصةٌ في ذلك اليومِ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ[(٤)].

قال المفسِّرون: تشخص أبصار الكفَّارِ من هولِ يومِ القيامةِ، ويقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ أي: في الدُّنيا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسنا بكفرنا ومعاصينا.

ثمَّ خاطب أهل مكَّةَ، فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

---

(١) بلا نسبة في الدرر (٥/ ٢٨٤ ـ ٢٨٧)، وشرح التصريح (٢/ ٧٢)، وهمع الهوامع (٢/ ٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢١٢).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٣٠٩).

(٤) تفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٥٢).

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو العاليةِ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «حَطَبُ» بالطَّاءِ[١].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وعائشةُ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «خَضَبُ» بالضَّادِ المعجمةِ المفتوحة[٢].

وقرأ عروةُ، وعكرمةُ، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلةَ: «حَضْب جهنَّم» بإسكان الضَّادِ المعجمةِ.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو حيوةَ، ومعاذٌ القارئ: «حِضْب» بكسرِ الحاءِ مع تسكين الضَّادِ المعجمةِ[٣].

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ، وابنُ محيصنٍ: «حَصْب» بفتح الحاءِ وبصادٍ غير معجمةٍ ساكنة[٤].

[٥٥٨/ب] قال الزَّجَّاجُ: من قرأ: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فمعناه: كل ما يرمى به فيها، ومن قرأ: «حَطَبُ» فمعناه: ما توقد به، ومن قرأ بالضَّادِ المعجمة، فمعناه: ما تهيج به النَّار وتذكى به[٥].

---

(١) عن علي بن أبي طالب، وعائشة، وابن الزبير في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والمحتسب (٢/ ٦٧)، والتحصيل (٤/ ٤٠٧)، وزاد في المحرر (٤/ ١٠١) أُبيًّا.

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٧).

(٣) انظر: المحرر (٤/ ١٠١).

(٤) عن ابن السميفع في التحصيل (٤/ ٤٠٧)، والمحرر (٤/ ١٠١)

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٦).

قال ابنُ قُتيبةَ: الحصب: ما ألقي فيها، وأصلُه من الحصْبَاء، وهو الحصى، يقال: حَصَبْتُ فلانًا، إذا رميتَه حَصْبًا ــ بتسكين الصَّادِ ــ وما رَمَيْتَ به: فهو حَصَبٌ، بفتح الصَّادِ[١].

قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أي: داخلون.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: الأصنام ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقةِ ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه إشارةٌ إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلهةً ما دخلوا النَّار.

والثاني: أنَّه إشارة إلى عابديها، فالمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النَّارِ.

والثالث: أنَّه إشارةٌ إلى الآلهةِ وعابديها، بدليل قولِهِ تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعني: العابد والمعبود.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ قد شرحنا معنى الزَّفيرِ في هودَ[٢]، وفي علَّة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه يوضع في مسامعهم مسامير من نارٍ، ثمَّ يقذفون في توابيت من نارٍ مقفلة عليهم، رواه أبو أُمامةَ عن رسولِ الله ﷺ في حديثٍ طويلٍ[٣].

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (١٠٦).

(٣) لم نقف على هذا اللفظ.

وقال ابنُ مسعودٍ: إذا بقي في النَّارِ من يخلد فيها، جعلوا في توابيت من نارٍ، ثمَّ جعلت تلك التَّوابيتُ في توابيتَ أُخرى، فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحدهم أنَّ في النَّارِ أحدًا يعذب غيره(١).

والثاني: أنَّ السَّماعَ أُنسٌ، والله لا يحبُّ أن يؤنسهم، قاله عونُ بنُ عمارةَ.

والثالث: إنَّما لم يسمعوا لشدَّةِ غليان جهنَّم، قاله أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ
(١٠١) لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ (١٠٢) لَا يَحۡزُنُهُمُ
ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
(١٠٣) يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ
وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ (١٠٦) وَمَآ
أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ (١٠٧) قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ
فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ (١٠٨) فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ
أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ
(١١٠) وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ (١١١) قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢)﴾[الأنبياء: ١٠١-١١٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾.

سببُ نزولها: أنَّه لما نزلت: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٣).

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ شقَّ ذلك على قريشٍ، وقالوا: شتم آلهتنا، فجاء ابنُ الزِّبعرى، فقال: ما لكم؟ قالوا: شتم آلهتنا، قال: وما قال؟ فأخبروه، فقال: ادعوه لي، فلما دعي رسول الله ﷺ، قال: يا محمَّد، هذا شيءٌ لآلهتنا خاصَّة، أو لكلِّ من عبد من دون الله؟ قال: لا، بل لكلِّ مَن عبد من دونِ الله، فقال ابن الزِّبعرى: خُصِمْتَ وربِّ هذا البنية، ألستَ تزعم أنَّ الملائكةَ عبادٌ صالحون، وأنَّ عيسى عبدٌ صالحٌ، وأنَّ عزيرًا عبدٌ صالحٌ، فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النَّصارى تعبدُ عيسى، وهذه اليهودُ تعبدُ عزيرًا، فضجَّ أهلُ مكَّةَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابنُ عبَّاسٍ(١).

وقال الحسينُ بنُ الفضلِ: إنَّما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام دون غيرها، لأنَّه لو أراد الملائكة والنَّاس، لقال: ومن، وقيل: «إن» بمعنى: إلَّا، فتقديره: إلَّا الذين سبقت لهم منَّا الحُسنى، وهي قراءةُ ابنُ مسعودٍ، وأبي نهيكٍ، فإنَّهما قرءا: «إلَّا الذين».

وروي عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ أنَّه قرأ هذه الآية، فقال: أنا منهم، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، وسعدٌ، وعبدُ الرَّحمنِ(٢). [٥٥٩/أ]

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٠٥) بإسناد جيد عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٦٨١) من طريق أصبغ، به.

ورواه ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٤) من طريق ذواد الحارثي، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧٤٨) عن محمد بن الحسين الهمداني، كلاهما (محمد الهمداني، وذود الحارثي) عن ليث بن أبي سليم، عن عم النعمان بن بشير، عن النعمان بن بشير، عن علي، به. وذواد الحارثي ضعيف، وكذا ليث بن أبي سليم.

وفي المراد بـ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ قولان:

أحدهما: الجنَّة، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ.

والثاني: السَّعادةُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾ أي: عن جهنَّم، وقد تقدَّم ذكرها ﴿مُبۡعَدُونَ﴾ والبعد: طولُ المسافة، والحسيس: الصَّوتُ تسمعه من الشَّيءِ إذا مرَّ قريبًا منك.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا يسمع أهل الجنَّةِ حسيس أهل النَّارِ إذا نزلوا منازلهم من الجنَّةِ[1].

قوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾.

وقرأ أبو رَزِينٍ، وقتادةُ، وابنُ أبي عبلةَ، وابنُ مُحيصنٍ، وأبو جعفرٍ والشيزري عن الكسائيِّ: «لَا يُحْزِنُهُم» بضمِّ الياءِ وكسرِ الزَّاي[2].

وفي ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه النَّفخةُ الآخرةُ، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ؛ وبهذه النَّفخة يقوم النَّاسُ من قبورهم، ويدلُّ على صحَّةِ هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

والثاني: أنَّه إطباقُ النَّارِ على أهلها، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحاكُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢١) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) انظر: المبسوط (١/ ١٧١).

والثالث: أنَّه ذبح الموت بين الجنَّةِ والنَّارِ، وهو مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا، وبه قال ابنُ جريجٍ.

والرابع: أنَّه حين يؤمر بالعبدِ إلى النَّارِ، قاله الحسنُ البصريُّ.

وفي مكان تلقِّي الملائكة لهم قولان:

أحدهما: إذا قاموا من قبورهم، قاله مقاتلٌ(١).

والثاني: على أبوابِ الجنَّةِ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ﴾ فيه إضمار: يقولون هذا يومكم ﴿ٱلَّذِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنَّة.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِى ٱلسَّمَآءَ﴾.

وقرأ أبو العاليةِ، وابنُ أبي عبلةَ، وأبو جعفرٍ: «تُطْوَى» بتاءٍ مضمومةٍ «السماءُ» بالرَّفعِ(٢)؛ وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها، ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾.

قرأ الجمهورُ: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ بكسر السِّينِ والجيمِ وتشديدِ اللَّامِ.

وقرأ الحسنُ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو الجوزاءِ، ومحبوبٌ عن أبي عمرٍو: «السِّجْلِ» بكسر السِّينِ وإسكانِ الجيمِ خفيفة(٣).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٤).

(٢) عن أبي جعفر المدني في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، وفي التحصيل (٤/ ٤٠٧)

(٣) عن أبي زيد، وهارون، عن أبي عمرو، والحسن في التحصيل (٤/ ٤٠٨)، والمحرر (٤/ ١٠٢)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٧١) عيسى.

وقرأ أبو السماك كذلك، إلَّا أنَّه فتح الجيم[١].

قوله تعالى: ﴿لِلْكُتُبِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «لِلْكِتَابِ».

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ على الجمعِ[٢].

وفي ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه ملكٌ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عمرَ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّه كاتبٌ كان لرسولِ الله ﷺ، رواه أبو الجوزاءِ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ السِّجلَ بمعنى: الرَّجل، رواه أبو الجوزاء أيضًا عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: السجل: هو الرَّجلُ[٣].

قال الشَّيخ[٤]: قال شيخنا أبو منصورٍ اللُّغوي: وقد قيل: السِّجلُ بلغة الحبشةِ: الرَّجلُ[٥].

والرابع: أنَّه الصَّحيفة، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ[٦]، وبه

---

(١) «السَّجْلِ» عن أبي السَّمال في التحصيل (٤/ ٤٠٨)، والمحرر (٤/ ١٠٢)، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٧١) زاد الأعمش، وطلحة.

(٢) السبعة (ص: ٤٣١)، والحجة (٥/ ٢٦٢-٢٦٣)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢٤).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٥) المعرب (ص: ٣٨٤).

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٤٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قال مجاهدٌ، والفرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ[١].

قال الشَّيخ[٢]: وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ، قال: قال أبو بكرٍ، يعني - ابن دريدٍ -: السجل: الكتاب، والله أعلم؛ ولا ألتفت إلى قولهم: إنَّه فارسيٌّ معرَّب، والمعنى: كما يطوى السِّجل على ما فيه من كتاب، واللَّام بمعنى على[٣].

وقال بعضُ العلماءِ: المراد بالكتابِ: المكتوب، فلمَّا كان المكتوب ينطوي بانطواءِ الصَّحيفةِ، جعل السِّجل كأنَّه يطوي الكتاب. [٥٥٩/ب]

ثمَّ استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الخلق هاهنا مصدرٌ، وليس بمعنى المخلوقِ.

وفي معنى الكلامِ أربعة أقوالٍ:

أحدها: كما بدأناهم في بطونِ أمَّهاتهم حفاةً عراةً غرلًا، كذلك نعيدهم يوم القيامةِ؛ روي عن ابنِ عبَّاسٍ، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا كَمَا خُلِقُوا**»، ثمَّ قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾؛[٤] وإلى هذا المعنى ذهب مجاهدٌ.

والثاني: أنَّ المعنى: إنَّا نهلك كل شيءٍ كما كان أوَّل مرَّة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٣)، وغريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٣) المعرب (٣٨٤-٣٨٥).

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠).

والثالث: أنَّ السَّماءَ تمطر أربعين يومًا كمني الرِّجالِ، فينبتون بالمطرِ في قبورهم، كما ينبتون في بطون أمَّهاتهم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّ المعنى: قدرتنا على الإعادةِ كقدرتنا على الابتداءِ، قاله الزَّجَّاجُ(١).

قوله تعالى: ﴿وَعْدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على المصدرِ، لأنَّ قولَه تعالى: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بمعنى: وَعَدْنَا هَذَا وَعْدًا ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فعلِ ما نشاء(٢).

وقال غيرُه: ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ ما وعدنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ جميع الكتب المنزلة من السَّماءِ، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: أمُّ الكتاب الذي عند الله، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ، ومجاهدٌ، وابنُ زيدٍ، وهذا معنى قول ابنِ عبَّاسٍ في روايةِ ابنِ جبيرٍ، فإنَّه قال: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: التَّوارة والإنجيل والقرآن، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: الذي في السَّماءِ.

والثاني: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: الكتب، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: التَّوراة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: القرآن، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: التَّوراة والإنجيل، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٦).

(٢) المصدر السابق.

والرابع: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: زبور داود، و﴿ٱلذِّكۡرِ﴾: ذكر موسى، قاله الشَّعبيُّ.

وفي ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ المذكورة هاهنا **ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّها أرض الجنَّة، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أرضُ الدُّنيا، وهو منقولٌ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: الأرضُ المقدَّسةُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

وفي قوله تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: أنَّهم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وفي روايةٍ: ترث أمَّة محمَّد أرض الدُّنيا بالفتوح.

والثاني: بنو إسرائيل، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: أنَّه عامٌّ في كلِّ صالحٍ، قاله بعضُ فقهاءِ المفسِّرينَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ أي: لكفاية؛ والمعنى: أنَّ مَن اتَّبع القرآن وعمل بِهِ، كان القرآنُ بلاغه إلى الجنَّةِ.

وقوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾.

قال كعبٌ: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ الذين يصلُّون الصَّلوات الخمس ويصومون شهر رمضان[1].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٨).

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هذا عامٌّ للبرِّ والفاجرِ، فمن آمن به تمَّت له الرَّحمةُ في الدُّنيا والآخرة، ومَن كفر به صُرفت عنه العقوبةُ إلى الموتِ والقيامة(١).

[٥٦٠/أ] وقال ابنُ زيدٍ: هو رحمةٌ لمن آمن به خاصَّة(٢).

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فهل أنتم مخلصون له العبادة؟

قال أهل المعاني: هذا استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ أي: أعرضوا ولم يؤمنوا ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖ ﴾ في معنى الكلامِ قولان:

أحدهما: نابذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك، فصرت أنا وأنتم على سواءٍ قد استوينا في العلمِ بذلك، وهذا من الكلامِ المختصر، قاله ابنُ قتيبةَ(٣).

والثاني: أعلمتكم بالوحي إليَّ لتستووا في الإيمانِ به، قاله الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٠) من طريق سعيد بن جبير، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٠ـ ٤٤١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٨).

قولــه تعــالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ أي: ومــا أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ بنــزولِ العــذابِ بكــم.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ وهــو مـا يقولونــه للنَّبـي ﷺ: متـى هـذا الوعـد؟ و﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ إسرارهـم أنَّ العـذابَ لا يكـون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ في هاءِ ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى ما آذنهم به، قاله الزَّجَّاجُ(١).

والثَّاني: إلى العـذاب؛ فالمعنـى: لعـلَّ تأخـير العـذابِ عنكـم فتنـة، قالـه ابـنُ جريـرٍ(٢)، وأبـو سـليمان الدِّمشـقيُّ.

ومعنـى الفتنـة هاهنـا: الاختبـار، ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تسـتمتعون إلى انقضـاءِ آجالكـم.

﴿قَٰلَ رَبِّ﴾ وروى حفـصٌ عـن عاصـمٍ: ﴿قَٰلَ رَبِّ﴾(٣)، ﴿ٱحْكُم﴾ قـرأ أبـو جعفـرٍ: «ربُّ احْكُـمْ» بضـمِّ البـاءِ(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٨).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٤٢).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٨)، والتيسير (ص: ١٥٤).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي جعفر المدني، ورواية عن ابن كثير.

وروى زيدٌ، عن يعقوبَ: «ربيَ» بفتح الياءِ «أَحْكَمُ» بقطعِ الهمزةِ وفتح الكافِ ورفع الميمِ(١).

ومعنى ﴿ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بعذاب كفَّارِ قومي الذي نزوله حقٌّ، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدرٍ وفيما بعده من الأيَّام؛ والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق.

ومعنى ﴿ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: من كذبكم وباطلكم.

وقرأ ابنُ عامرٍ، والمفضَّل عن عاصمٍ: «يَصِفُونَ» بالياءِ(٢).

فإن قيل: فهل يجوز على الله أن يحكم بغيرِ الحقِّ؟

فالجواب: أنَّ المعنى: احكم بحكمك الحق، كأنَّه استعجل النَّصر عليهم.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي جعفر «أَحْكَمُ بالحَقِّ»، وانظر: التحصيل (٤/ ٤٠٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٢).

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾[الحج: ١-٤].

فصل في نزولها

روى أبو صالح، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّها مكيَّةٌ كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[الحج: ١٢، ١٣]، والتي تليها.

وفي روايةٍ أخرى عن ابن عبَّاسٍ أنَّها مدنية إلَّا أربع آيات نزلت بمكَّةَ، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخرِ الأربع[(١)].

وقال عطاءُ بنُ يسارٍ: نزلت بمكَّةَ إلَّا ثلاث آياتٍ منها نزلت بالمدينةِ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ واللَّتان بعدها [الحج: ٢٠-٢٢][(٢)].

وقال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: أوَّلها مدنيٌّ الى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧] وسائرها مكيٌّ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١).

وقال الثَّعلبيُّ: هي مكِّيَّةٌ غير ست آياتٍ نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٠،٢٥][1].

وقال هبةُ الله بنُ سلامة: هي من أعاجيب سورِ القرآنِ، لأنَّ فيها مكيًّا، ومدنيًّا، وحضريًّا، وسفريًّا، وحربيًّا، وسلميًّا، وليْليًّا، ونهاريًّا، وناسخًا، ومنسوخًا.

فأمَّا المكيُّ: فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها.

وأمَّا المدنيُّ: فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين.

وأمَّا الليليُّ: فمن أوَّلها إلى آخر خمس آياتٍ.

وأمَّا النهاريُّ: فمن رأس خمس آياتٍ إلى رأس تسعٍ.

وأمَّا السفريُّ: فمن رأس تسعٍ إلى اثنتي عشرة. [٥٦٠/ب]

وأمَّا الحضريُّ: فإلى رأس العشرين منها، نسب إلى المدينةِ، لقرب مدَّته.

قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي: احذروا عقابه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة.

وفي وقت هذه الزلزلة قولان:

أحدهما: أنَّها يوم القيامة بعد النُّشورِ.

روى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ وَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ؟ قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادَى

(١) الكشف والبيان (٧/ ٥).

آدَمُ، فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثًا إِلَى النَّارِ..» فذكر الحديث[١].

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِآدَمَ: قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الْمَوْلُودُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا»، وقرأ الآيةَ[٢].

وقال ابنُ عبَّاسٍ ﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾: قِيَامُهَا[٣]، يعني: أنَّها تقارب قيام السَّاعة، وتكون معها.

وقال الحسنُ[٤]، والسُّدِّيُّ: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة.

والثاني: أنَّها تكون في الدُّنيا قبل القيامةِ، وهي من أشراطِ السَّاعة، قاله علقمةُ، والشَّعبيُّ، وابنُ جريجٍ.

وروى أَبُو الْعَالِيَةِ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، قَالَ: سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: بَيْنَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ، إِذْ ذَهَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَنَاثَرَتِ النُّجُومُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَتَحَرَّكَتْ، وَاضْطَرَبَتْ، وَاحْتَرَقَتْ، وَفَزِعَتِ الْجِنُّ إِلَى الْإِنْسِ، وَالْإِنْسُ إِلَى الْجِنِّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَالْوَحْشُ، وَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ،

---

(١) رواه الحميدي في مسنده (٨٣١)، وأحمد (٤/ ٤٣٢)، والترمذي (٣١٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٧٧).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٢)، وعبد بن حميد (٩١٧)، والبخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) أورده البغوي في تفسيره (٣/ ٣٢٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٠) مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

فقَالَتِ الجِنُّ لِلإِنْسِ: نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالخَبَرِ؛ قَالَ: فَانْطَلَقُوا إِلَى الْبِحَارِ، فَإِذَا هِيَ نَارٌ تَأَجَّجُ؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَالسَّمَاء إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرِّيحُ فَمَاتُوا[(١)].

وقال مقاتلٌ: هذه الزَّلزلةُ قبل النَّفخةِ الأولى، وذلك أنَّ مناديًا ينادي من السَّماء: يا أيُّها النَّاس أتى أمر الله، فيفزعون فزعًا شديدًا فيشيب الصَّغير، وتضع الحوامل[(٢)].

قوله تعالى: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يوصفُ لعظمِهِ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: الزَّلزلة.

﴿تَذْهَلُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تسلو عن ولدها، وتتركه، قاله ابنُ قُتيبةَ[(٣)].

والثاني: تشغل عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رواحةَ [من الرَّجز][(٤)]:

وَيَذْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهْ . . . .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٢٤/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم (١٩١٤٣) في تفسيرهما.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٤) في ديوانه (ص: ١٠٢)، وأساس البلاغة (١/ ٣٩)، والعقد الفريد (٤/ ٢٠٥).

وقرأ أبو عمرانَ الجونيُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «تُذْهِلَ» برفع التَّاءِ وكسر الهاءِ، «كلَّ» بنصب اللَّام(١).

قال الأخفشُ: وإنَّما قال: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾، لأنَّه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد الصِّفة فيما نرى، لقال: مُرْضِع(٢).

قال الحسنُ: تذهل المرضعةُ عن ولدها لغير فطامٍ، وتضع الحاملُ ما في بطنها لغير تمامٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ الزلزلةَ تكون في الدُّنيا، لأنَّ بعد البعث لا تكون حبلى.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾.

وقرأ عكرمةُ، والضَّحاكُ، وابنُ يعمرَ، «وتُرى» بضمِّ التاءِ(٣).

ومعنى سكارى: من شدَّة الخوفِ ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشَّراب، والمعنى: ترى النَّاس كأنَّهم سكارى من ذهولِ عقولهم، لشدَّةِ ما يمرُّ بهم، يضطَربون اضطِراب السَّكران من الشَّرابِ. [٥٦١/أ]

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «سَكْرى وَمَا هُمْ بِسَكْرى»، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ(٤).

---

(١) عن ابن أبي عبلة في المحرر (٤/ ١٠٦)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٨٢) اليماني.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٥٠).

(٣) عن أبي هريرة، وأبي زرعة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، وزاد في التحصيل (٤/ ٤٣٧) الربيع بن أنس، وغيرهم.

(٤) السبعة (ص: ٤٣٤)، والحجة (٥/ ٢٦٦)، والتيسير (ص:١٥٦).

قال الفَرَّاءُ: وهو وجهٌ جيِّدٌ؛ لأنَّه بمنزله الْهَلْكَى والْجَرْحَى[١].

وقرأ عكرمةُ، والضَّحاكُ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «سَكَارَى وما هم بسَكَارَى» بفتح السِّينِ والرَّاءِ وإثباتِ الألفِ[٢].

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليلٌ على أنَّ سكرهم من خوفِ عذابِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ[٣].

وفيما جادل فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان كلَّما نزل شيءٌ من القرآنِ كذَّب به، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه زعمَ أنَّ الملائكةَ بناتُ الله، قاله مقاتلٌ[٤].

والثالث: أنَّه قال: لا يقدر الله على إحياءِ الموتى، ذكره أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: إنَّما يقوله بإغواءِ الشَّيطانِ، لا بعلمٍ ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ ما يسوِّل له ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى المريد في سورةِ النِّساءِ[٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٤).

(٢) عن أبي نهيك، وعيسى في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، وفي التحصيل (٤/ ٤٣٧) عن أبي نهيك.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٩) من قول ابن جريج.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٦).

(٥) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١١٧).

قولـه: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ ﴿كُتِبَ﴾ بمعنـى: قـضي، والهـاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾ كنايةٌ عـن الشَّـيطان، ومعنـى الآيـة: قُـضي عـلى الشَّـيطان أنَّـه يُضـل مـن اتَّبعـه.

وقـرأ أبـو عمـرانَ الجـونيُّ: «كَتـب» بفتـح الـكافِ «أَنَّـه» بفتـح الهمـزة «فإِنـه» بكـسر الهمـزةِ.

وقـرأ أبـو مجلَـزٍ، وأبـو العاليـة، وابـنُ أبي ليـلى، والضَّحـاكُ، وابـنُ يعمـرَ: «إِنَّـه» «فإِنَّـه» بكـسر الهمـزةِ فيهـما[1].

وقد بيَّنا معنى السعير في سورة النِّساءِ[2].

قولـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾. [الحـج: ٥-٧].

---

(١) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، والتحصيل (٤/ ٤٣٨)، والمحرر (٤/ ١٠٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠).

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾ أي: في شكٍّ من القيامةِ ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ يعني: خلق ولده، والمعنى: إن شككتم في بعثكم فتدبَّروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنَّكم لا تجدون في القُدرةِ فرقًا بين الابتداءِ والإعادةِ.

فأمَّا النُّطفة، فهي المني، والعلقة: دمُ عبيطٍ جامدٍ. وقيل: سمِّيت علقة لرطوبتها وتعلُّقها بما تمرُّ به، فإذا جفَّت فليست علقةً.

والمضغة: لحمةٌ صغيرةٌ.

قال ابنُ قُتيبةَ: وسمِّيت بذلك، لأنَّها بقدر ما يُمْضَغُ، كما قيل: غُرْفَةٌ، بقدر ما يُغْرَف[1].

قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ فيه ستَّة[2] أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المخلَّقةَ: ما خلق سويًّا، وغير المخلَّقة: ما ألقته الأرحامُ من النطف، وهو دمُ قبل أن يكون خلقًا، قاله ابنُ مسعودٍ.

والثاني: أنَّ المخلَّقةَ: ما أكمل خلقه بنفخ الرُّوح فيه، وهو الذي يولد حيًّا لتمامٍ، وغير المخلَّقة: ما سقط غير حيٍّ لم يكمل خلقه بنفخ الرُّوح فيه، هذا معنى قول ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ المخلَّقةَ: المصوَّرة، وغير المخلَّقة: غير مصوَّرة، قاله الحسنُ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٦).

(٢) هكذا في الأصل، وبقية النسخ، وقد أورد خمسة أقوال فقط.

والرابع: أنَّ المخلَّقةَ وغير المخلَّقة: السقط، تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صوِّر بعضه، وتارة قد صور كله، قاله السُّدِّيُّ.

والخامس: أنَّ المخلَّقةَ: التامة، وغير المخلَّقة: السقط، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ[١].

قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: خلقناكم لنبين لكم ما تأتون وما تذرون. [٥٦١/ب]

والثاني: لنبين لكم في القرآن بدو خلقكم، وتنقل أحوالكم.

والثالث: لنبين لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تقليب أحوال خلقكم.

والرابع: لنبين لكم أنَّ البعث حقٌّ.

وقرأ أبو عمران الجونيُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «لِيُبَيِّنَ لَكُمْ» بالياءِ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاءٍ: «ويُقَرُّ» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح القافِ ورفع الرَّاءِ[٣].

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو إسحاقَ السَّبيعيُّ: «ويُقِرَّ» بياءٍ مرفوعةٍ وبكسر القافِ ونصب الرَّاءِ[٤].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٥)، وغريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٤٨٥) عن ابن أبي عبلة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن المفضل، عن عاصم.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي زيد النحوي، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٨٥)=

والـذي يُقـر في الأرحـام، هـو الـذي لا يكـون سـقطًا، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وهـو أجـل الـولادةِ ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾.

قـال أبـو عُبيـدةَ: هـو في موضـع أطفـال، والعـرب قد تضـع لفـظ الواحد في معنـى الجميـع، قـال الله تعـالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريـم: ٤] أي: ظهـراء، وأنشـد [من الوافـر](١):

فَقُلْنَـا أَسْـلِمُوا إِنَّـا أَخُوكُـمْ ... فَقَـدْ بَرِئَـتْ مِـنَ الْإِحَـنِ الصُّـدُورُ

وأنشد أيضًا:[من الرجز](٢)

. . . . فِي حَلْقِكُـمْ عَظْـمٌ وَقَـدْ شُـجِينَا

وقـال غـيرُه: إنَّـما قـال: طفـلًا فوحَّـد، لأنَّ الميـمَ في قولـه تعـالى: ﴿نُخۡرِجُكُمۡ﴾ قـد دلَّـت عـلى الجميـع، فلـم يحتـج إلى أن يقـول: أطفـالًا.

قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ﴾ فيـه إضـمارٌ، تقديـره: ثـم نعمركـم لتبلغـوا أشـدكم، وقـد سـبق معنـى الأشـد(٣)، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ مـن قبـل بلوغ

=عن ابن أبي عبلة.

(١) البيـت لعباس بـن مـرداس السُّـلمي في ديوانـه (ص: ٥٢)، ومجـاز القـرآن (٢/ ٤٤)، ولسـان العـرب (١٤/ ٢١)، و المقتضـب (٢/ ١٧٤)، وبـلا نسـبة في الزاهـر (١/ ١٠٧)، وخزانـة الأدب (٤/ ٤٧٨).

(٢) البيـت للمسيب بـن زيـد بـن مناة في المحتسـب (٢/ ٨٧)، ومجـاز القـرآن (١/ ٧٩)، ومعـاني القـرآن (١/ ٢٤٩)، ولسـان العـرب (١٤/ ٤٢٣) وصـدره: لَا تُنْكِـرُوا القَتْـلَ وَقَـد سُـبِينَا.

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٣).

الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ وقد شرحناه في النحل[١]، ثمَّ إنَّ الله تعالى دلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: مَيِّتَةً يابسةً، ومثله: همدت النار: إذا طَفِئت فذهبت[٢].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ﴾ يعني: المطر ﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾ أي: تحرَّكت للنَّبات، وذلك أنَّها ترتفع عن النَّبات إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبَتۡ﴾ أي: ارتفعت وزادت.

وقال المبرِّد: أراد: اهتز نباتها وربا، فحذف المضاف[٣].

قال الفرَّاءُ: وقرأ أبو جعفرٍ المدنيُّ: «ورَبأت» بهمزة مفتوحة بعد الباء[٤].

فإن كان ذهب إلى الربيئة الذي يحرس القوم، أي: أنَّه يرتفع، وإلَّا، فهو غلطٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: من كلِّ جنسٍ حسنٍ يُبْهِجُ، أي يَشْرح، وهو فعيلٌ في معنى فاعل[٥].

---

(١) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٧٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢١٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمرُ ذلك كما وصف لكم، والأجود أن يكون موضع ذلك رفعًا، ويجوز أن يكون نصبًا على معنى: فعل الله ذلك بأنَّه هو الحقُّ[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: ولتعلموا أنَّ السَّاعة ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾[الحج: ٨-١٠].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ قد سبق بيانه، وهذا مما نزل في النضر أيضًا، والهدى: البيان والبرهان.

قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ العطف: الجانب. وعطفا الرجل: جانباه عن يمينٍ وشمالٍ، وهو الموضعُ الذي يعطفه الإنسانُ ويلويه عند إعراضه عن المشي.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿ثَانِيَ﴾ منصوبٌ على الحالِ، ومعناه: التنوين، معناه: ثانيًا عطفه[2].

وجاء في التَّفسير: أن معناه: لاويًا عنقه، وهذا يوصفُ به المتكبر، والمعنى: ومن النَّاس من يجادلُ بغير علمٍ متكبرًا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٤).

قولـه تعـالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ أي: ليصـير أمـره إلى الضَّـلال، فكأنَّـه وإن لم يقـدر أنـه يضـل، فـإن أمـره يصـير إلى ذلـك، ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ وهـو مـا [٥٦٢/أ] أصابـه يـوم بـدرٍ، وذلـك أنَّـه قتـل.

ومـا بعـد هـذا قـد سـبق تفسـيره[1] إلى قولـه تعـالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

وفي سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهمـا: أن ناسًـا مـن العـربِ كان يأتـون رسـول الله ﷺ فيقولـون: نحـن عـلى دينـك، فـان أصابـوا معيشـة، ونتجـت خيلهـم، وولـدت نسـاؤهم الغلـمان، اطمأنُـوا وقالـوا: هـذا ديـن حـقٍّ، وإن لم يجـر الأمـر عـلى ذلـك قالـوا: هـذا ديـن سـوءٍ، فينقلبـون عـن دينهـم، فنزلـت هـذه الآيـةُ، هـذا معنـى قـول ابـن عبَّـاسٍ[2]، وبـه قـال الأكثـرون.

والثـاني: أنَّ رجـلًا مـن اليهـود أسـلم فذهـب بـصره ومـاله وولـده، فتشـاءم بالإسـلام، فأتـى رسـول الله ﷺ فقـال: أقلنـي، فقـال: «**إن الْإِسْـلَام لَا يُقَـال**». فقـال: لم أصـب فِي دينـي هَـذَا خـيرًا ذهب بَـصرِي وَمَـالِي وَمَـات وَلَـدي، فقال: «**يـا يَهُـودِي الْإِسْـلَامُ يَسْـبِكُ الرِّجَـالَ كَـمَا تَسْـبِكُ النَّـارُ خَبَـثَ الْحَدِيـدِ وَالْفِضَّـة وَالذَّهَـب**»، فنزلـت هـذه الآيـةُ، رواه عطيَّـةُ، عـن أبي سـعيدٍ الخـدريِّ[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٧٠).

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٦/ ٤٧٢)، وابـن أبي حاتـم (١٣٧٩٧) في تفسـيرهما، مـن طريـق عطيـة العـوفي، بـه، بنحـوه.

(٣) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٤) وعطية العوفي ضعيف.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١١-١٤].

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

قال مجاهدٌ، وقتادةُ: على شكٍ.

قال أبو عُبيدةَ: كل شاكٍّ في شيءٍ فهو على حرفٍ، لا يثبت ولا يدوم[١].

وبيان هذا أنَّ القائم على حرفِ الشَّيء غير متمكنٍ منه، فشبَّه به الشَّاك، لأنَّه قلقٌ في دينه على غير ثباتٍ، ويوضِّحه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ أي: رخاءٌ وعافية ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ على عبادة الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجدبٍ وقلَّة مالٍ ﴿انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ أي: رجع عن دينه إلى الكفرِ، والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجَّه منه، وهو الكفرُ، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ حيث لم يظفر بما أراد منها، وخسر الآخرة بارتداده عن الدِّين.

وقرأ أبو رزينٍ العقيليُّ، وأبو مجلزٍ، ومجاهدٌ، وطلحةُ بن مصرف، وابنُ أبي عبلةَ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «خاسرَ الدنيا» بألفٍ قبل السِّين،

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤٦).

وبنصب الرَّاء، «والآخرةِ» بخفض التَّاءِ(١).

﴿ يَدْعُواْ ﴾ هذا المرتدُّ، أي: يعبد ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ إن لم يعبده ﴿لَا يَنفَعُهُۥۚ ﴾ إن أطاعه ﴿ذَٰلِكَ ﴾ الذي فعل ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ عن الحقِّ ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ ﴾ قال بعضهم: اللَّام صلةٌ، والمعنى: يدعو من ضره.

وحكى الزَّجَّاجُ عن البصريين والكوفيين أنَّ اللَّام معناها التأخير، والمعنى: يدعو من لضره ﴿أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ ﴾، قال: وشرح هذا أنَّ اللام لليمين والتَّوكيد، فحقُّها أن تكون أول الكلام، فقدِّمت لتجعل في حقِّها(٢).

قال السُّدِّيُّ: ضرُّه في الآخرة بعبادته إيَّاه أقرب من نفعه(٣).

فإن قيل: فهل للنَّفع من عبادة الصنم وجهٌ؟

فالجواب: أنَّه لا نفع من قبله أصلًا، غير أنَّه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيدٌ.

قوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل(٤).

---

(١) مختصر ابن خالويه (ص:٩٧)، والتحصيل (٤/ ٤٣٨)، والمحرر (٤/ ١١٠) عن حميد بن قيس، ومجاهد.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٩١).

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٥-١٧].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

قال مُقاتلٌ: نزلت في نفرٍ من أسد، وغطفان، قالوا: إنَّا نخاف أن لا ينصر محمَّدٌ، فيقطع[1] الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود[2]، وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزةَ الثمالي، والسُّدِّيُّ. [٥٦٢/ب]

وحكى أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ أنَّ الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأنَّ أرزاقهم ما اتَّسعت، وقد شرحنا القصَّة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[3] [الحج: ١١].

وفي هاء ﴿يَنصُرَهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع على من، والنصر: بمعنى الرِّزق، هذا معنى قول ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ، وبه قال مجاهدٌ.

قال أبو عُبيدةَ: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: من ينصرني

---

(١) في (س): (فينقطع).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (١١).

نـصره الله، أي: مـن يعطينـي أعطـاه الله، ويقـال: نـصر المطـر أرض كـذا، أي: جادهـا، وأحياهـا.

قال الراعي [من الطويل](١):

إِذا أدبَـرَ الشـهرُ الحـرامُ فودِّعـي   بِـلَادَ تَمِيـمٍ وَانْـصُرِي أَرْضَ عَامِـرِ

والثـاني: أنَّهـا ترجـعُ إلى رسـول الله ﷺ، فالمعنـى: مـن كان يظـنُّ أن لـن ينـصر الله محمَّـدًا، رواه التميمـيُّ، عـن ابـن عبَّـاسٍ، وبـه قـال عطـاءٌ، وقتـادةُ.

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: وهـذه كنايـةٌ عـن غـير مذكـورٍ، وكان قـومٌ من المسـلمين لشـدَّة حنقهـم عـلى المشركـين يسـتبطئون مـا وعـد الله رسـوله مـن النَّـصر، وآخـرون مـن المشركـين، يريـدون اتِّباعـه، ويخشـون أن لا يتـم أمـره، فقـال هـذه الآيـةُ للفريقـين(٢).

ثمَّ في معنى هذا النَّصر قولان:

أحدهما: أنَّه الغلبةُ، قاله أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، والجمهورُ.

والثاني: أنَّه الرِّزقُ، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ **في المراد بالسماء قولان:**

أحدهمـا: سـقفُ بيتـه، والمعنـى: فليشـدد حبـلًا في سـقف بيتـه، فليختنـق بـه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ الحبـل ليمـوت مختنقًـا، هـذا قـولُ الأكثريـن.

---

(١) البيـت للراعـي في ديوانـه (ص: ١٣٣)، ومجـاز القـرآن (٢/ ٤٦)، ولسـان العـرب (٥/ ٢١١)، وتهذيـب اللغـة (١٢/ ١٦٠)، وتاج العـروس (١٤/ ٢٣٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩١).

ومعنى الآية: ليصور هذا الأمر في نفسِه لا أنَّه يفعلُه، لأنَّه إذا اختنق لا يمكنه النَّظرُ والعلمُ.

والثاني: أنَّها السماءُ المعروفةُ، والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾.

قرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «ثُمَّ لِيَقْطَع» «ثُمَّ لِيَقْضوا» [الحج: ٢٩] بكسر اللَّام.

زاد ابنُ عامرٍ «ولِيوفوا» [الحج: ٢٩] «ولِيطوافوا» [الحج: ٢٩] بكسر اللام أيضًا، وكسر ابنُ كثيرٍ لام «ثُمَّ لِيَقْضوا» فحسب.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بسكون هذه اللامات، وكذلك في كلِّ القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء أو ثُمَّ(١).

قال الفَرَّاءُ: من سكَّن فقد خفَّف، وكل لام أمرٍ وصلت بواوٍ أو فاءٍ، فأكثر كلام العرب تسكينها، وقد كسرها بعضهم(٢).

قال أبو عليٍّ: الأصلُ الكسرُ، لأنك إذا ابتدأت قلت: لِيقم زيد(٣).

قوله تعالى: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾.

---

(١) السبعة (ص: ١٧٧)، والحجة (٥/ ٢٦٩)، والتيسير (ص: ١٥٦).

(٢) تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٣).

(٣) الحجة (٥/ ٢٦٩).

قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: هل تذهبنَّ حيلته غيظه، والمعنى: ليجهد جهده[١].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدَّم من آيات القرآن و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن، وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بينهم بإدخال المؤمنين الجنَّة، والآخرين النَّار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج: ١٨].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم، وقد بيَّنا في سورة النَّحل[٢] معنى السُّجود في حقِّ مَن يعقل، ومَن لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: المؤمنين الذين يسجدون [٥٦٣/أ] لله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّهم الكفَّار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلهم، قاله مُقاتلٌ[٣].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٤٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٨).

والثاني: أنهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثيرٌ من النَّاس أبى السُّجودَ، فحق عليه العذاب، لتركه السُّجودَ، هذا قول الفرَّاء(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي: من يُشْقِه الله فما له من مسعدٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ في خلقه من الكرامةِ والإهانةِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾[الحج: ١٩-٢٢].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على أربعةِ أقوالٍ:**

أحدها: أنها نزلت في النَّفر الذين تبارزوا للقتالِ يوم بدرٍ، حمزة، وعلي، وعبيد بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي ذرٍّ(٢).

والثاني: أنها نزلت في أهلِ الكتابِ، قالوا للمؤمنين: نحنُ أولى بالله، وأقدم منكم كتابًا، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحنُ أحقُّ بالله، آمنَّا بمحمَّدٍ، وآمنَّا بنبيكم وبما أنزل الله من كتابٍ، وأنتم تعرفون نبينا، ثمَّ كفرتم به حسدًا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ(٣)، وقتادةُ(٤).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩٩)، والبخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٠٣٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩١) من طريق العوفي، به.

(٤) رواه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/ ٢٠).

والثالث: أنَّها في جميع المؤمنين، والكفَّار، وإلى هذا المعنى ذهب الحسنُ، وعطاءٌ، ومجاهدٌ[١].

والرابع: أنَّها نزلت في اختصام الجنَّةِ والنَّارِ، فقالت النَّارُ: خلقني الله لعقوبته، وقالت الجنَّةُ: خلقني الله لرحمته، قاله عكرمةُ[٢].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وابنُ كثيرٍ: «هاذانِّ» بتشديد النُّون[٣].

﴿خَصْمَانِ﴾، فمعناه: جمعان، وليسا برجلين، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾ ولم يقل: اختصما؛ على أنَّه قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «اختصما»[٤].

وفي خصومتهم ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: في دين ربِّهم، وهذا على القولين الأولين.

والثاني: في البعث، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه اختصامُ مفاخرةٍ، على قول عكرمة.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٣).

(٣) السبعة (ص:٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٧٤).

(٤) لم أقف عليها.

قوله تعالى: ﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ ﴾ أي: سُوِّيت وجعلت لباسًا.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قُمُصٌ من نار.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: المرادُ بالنَّار هاهنا: النُّحاس.

فأمَّا الحميمُ فهو الماءُ الحارُّ ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ ﴾.

قال الفَرَّاءُ: يذاب به، يقال: صهرت الشَّحم بالنَّار[1].

قال المفسِّرون: يذابُ بالماءِ الحارِّ ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾ من شحمٍ أو مِعىً حتَّى يخرجُ من أدبارهم، وتنضجُ الجلودُ فتسَّاقط[2] من حرِّه.

﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ ﴾ قال الضَّحَّاكُ: هي المطارقُ[3].

وقال الحسنُ: إنَّ النَّار ترميهم بلهبها، حتَّى إذا كانوا في أعلاها، ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفًا، فإذا انتهوا إلى أسفلها، ضربهم زفيرُ لهبها، فلا يستقرُّون ساعة[4].

قال مُقاتلٌ: إذا جاشت جهنَّم، ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروجَ، فتتلقاهم خزنةُ جهنَّم بالمقامع، فيضربونهم، فيهوي أحدُهم من تلكِ الضَّربة إلى قعرِها[5].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٠).

(٢) في (س): (فيتساقط).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٨٢٨).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٠).

وقال غيرُه: إذا دفعتهم النَّار، ظنُّوا أنَّها ستقذفهم خارجًا منها، فتعيدهم الزَّبانيةُ بمقامع الحديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج: ٢٣-٢٤].

قوله تعالى: و﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «ولُؤْلُؤٍ» بالخفض. [٥٦٣/ب]

وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ولُؤْلُؤًا» بالنَّصبِ[1].

قال أبو عليٍّ: من خَفَضَ، فالمعنى: يحلُّون أساور من ذهبٍ ومن لُؤلُؤٍ؛ ومن نصب قال: ويحلون لؤلُؤًا[2].

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أي: أرشدوا في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لا إله إلا الله والحمد لله، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وزاد ابنُ زيدٍ: والله أكبر.

والثاني: القرآنُ، قاله السُّدِّيُّ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٦٧)، والتيسير (ص: ١٥٦).

(٢) الحجة (٥/ ٢٦٨).

والثالث: الأمرُ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، حكاه الماورديُّ[١].

فأمّا ﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ فقال ابنُ عبَّاسٍ: هو طريقُ الإسلامِ[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[الحج: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعون النَّاس من الدخولِ في الإسلامِ.

قال الزَّجَّاجُ: ولفظ (يصدُّون) لفظ مستقبل عُطف به على لفظ الماضي، لأنَّ معنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الذين هم كافرون، فكأنَّه قال: إنَّ الكافرين والصَّادِّين؛ فأمَّا خبر إنَّ فمحذوفٌ، فيكون المعنى: إنَّ الذين هذه صفتُهم هلكوا[٣].

وفي المسجد الحرام قولان:

أحدهما: جميع الحرمِ.

روى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: كانوا يرون الحرمَ كله مسجدًا[٤].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٥).

(٢) أورده في البحر المحيط (٧/ ٤٩٨) بلا نسبة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٠).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٦١).

والثاني: نفس المسجد، حكاه الماورديُّ(١).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ هذا وقف التَّمام.

وفي معناه قولان:

أحدهما: جعلناه للنَّاس كلهم، لم نخص به بعضهم دون بعضٍ، هذا على أنَّه جميع الحرم.

والثاني: جعلناه قبلةً لصلاتهم، ومنسِكًا لحجِّهم، وهذا على أنَّه نفس المسجد.

وقرأ إبراهيمُ النخعيُّ، وابنُ أبي عبلةَ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿سَوَآءً﴾ بالنَّصب(٢)، فيتوجَّه الوقف على سواءٍ، وقد وقف بعض القرَّاءِ كذلك.

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أبدل العاكف والبادي من النَّاس من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكفِ والبادي سواء(٣).

فأمَّا العاكف: فهو المقيم، والبادي: الذي يأتيه من غير أهلِهِ، وهذا من قولهم: بدا القوم: إذا خرجوا من الحضرِ إلى الصَّحراءِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «البادي» بالياءِ، غير أنَّ ابنَ كثيرٍ، وقف بياء، وأبو عمرٍو بغير ياءٍ.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٥).

(٢) السبعة (ص:٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٧٠)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٣) الحجة (٥/ ٢٧١).

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، والمسيبيُّ عن نافعٍ بغير ياءٍ في الحالتين(١).

ثمَّ في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنَّ العاكفَ والبادي يستويان في سكنى مكَّةَ والنُّزول بها، فليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخرِ، غير أنَّه لا يخرج أحدٌ من بيته، هذا قولُ ابن عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ؛ وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفةَ، وأحمدُ؛ ومذهبُ هؤلاء أنَّ كراء دور مكَّة وبيعها حرام، هذا على أنَّ المسجد: الحرم كله.

والثاني: أنَّهما يستويان في تفضيله وحرمته وإقامة المناسكِ به، هذا قولُ الحسنِ، ومجاهدٍ، ومنهم من أجاز بيع دور مكَّة، وإليه يذهب الشَّافعي.

وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجدِ الحرام، ويجوز أن يراد نفس المسجد.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ الإلحاد في اللُّغة: العدول عن القصدِ، والباء زائدةٌ، كقوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[المؤمنون: ٢٠] وأنشدوا [من الطَّويل](٢):

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبَهَانِ

---

(١) السبعة (ص:٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٥)، والتيسير (ص:١٥٨).

(٢) البيت للأحول اليشكري في لسان العرب (١٣/ ٥٠٦)، وبلا نسبة في لسان العرب (٢/ ١٥٨)، وتهذيب اللغة (٦/ ٩٣)، وتاج العروس (٥/ ٢٧٥)، وجمهرة للغة (ص:٨٣)، ومجمل اللغة (٣/ ١٩٦).

المعنى: وأسفله ينبت المرخ. [٥٦٤/أ]

وقال آخر [من البسيط](١):

هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

وقال آخر [من الرجز](٢):

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الْفَلَجْ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ

هذا قول جمهور اللُّغويين.

وقال ابنُ قُتيبةَ: و«الباء» قد تزاد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾[مريم: ٢٤] ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾[القلم: ٦] ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة: ١] ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا﴾[الإنسان: ٦] أي: يشربها؛ وقد تزاد «مِنْ» كقوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾[الذاريات: ٥٧]، وتزاد «اللَّام» كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾[الأعراف: ١٥٤]، و«الكاف» كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١]، «وعن» كقوله تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾[النور: ٦٣]، و«إِنَّ» كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾[الجمعة: ٨]، و«إِنْ» الخفيفة كقوله تعالى: ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ﴾[الأحقاف: ٢٦]، و«مَا»،

---

(١) في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢١)، ولسان العرب (١/ ١٢٨)، وتاج العروس (١/ ٣٦٣)، وشرح الكتاب (١/ ٤٦١)، وخزانة الأدب (٩/ ١٠٨).

(٢) في تفسير الطبري (١٧/ ٣١)، والإنصاف (١/ ٢٣٠)، وخزانة الأدب (٩/ ٥٢١).

كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[المؤمنون: ٤٠]، و«الواو» كقوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾[الصافات: ١٠٤-١٠٣] [١].

وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الظُّلم، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: هو عمل سيئةٍ[٢]؛ فعلى هذا تدخلُ فيه جميع المعاصي.

وقد روي عن عمرَ بنِ الخطَّاب أنَّه قال: لا تحتكروا الطَّعام بمكَّةَ، فإنَّ احتكار الطَّعام بمكَّةَ إلحادٌ بظلمٍ[٣].

والثاني: أنَّه الشِّركُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ.

والثالث: الشِّركُ والقتلُ، قاله عطاءٌ.

والرابع: أنَّه استحلالُ محظوراتِ الإحرامِ، وهذا المعنى محكيٌّ عن عطاءٍ أيضًا.

والخامس: استحلالُ الحرامِ تعمُّدًا، قاله ابنُ جريجٍ.

فإن قيل: هل يؤاخذ الإنسانُ إن أراد الظُّلمَ بمكَّةَ، ولم يفعله؟

فالجواب من وجهين:

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٥٥ ـ ١٥٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٠٧) من طريق أبي نجيح،به.

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢٥٥)، والفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٣٢).

أحدهما: أنَّه إذا همَّ بذلك في الحرم خاصَّة، عُوقب، هذا مذهبُ ابنِ مسعودٍ، فإنَّه قال: لو أنَّ رجلًا همَّ بخطيئةٍ، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أنَّ رجلًا همَّ بقتلِ مؤمنٍ عند البيتِ، وهو بعدن أبين، أذاقه الله في الدُّنيا من عذابٍ أليمٍ(١).

وقال الضَّحَّاكُ: إنَّ الرَّجلَ ليهم بالخطيئةِ بمكَّةَ وهو بأرضٍ أُخرى، فتكتب عليه ولم يعملها(٢).

وقال مجاهدٌ: تضاعف السِّيئات بمكَّةَ، كما تضاعف الحسنات(٣).

وسئل الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تكتب السَّيئةُ أكثر من [واحدةٍ](٤)؟ قال: لا، إلَّا بمكةَ لتعظيم البلدِ(٥).

وأحمدُ على هذا يرى فضيلةَ المجاورةِ بها؛ وقد جاور جابرُ بنُ عبدِ الله، وكان ابن عمرَ يقيم بها.

---

(١) روي مرفوعًا وموقوفًا، والموقف أصح، رواه أحمد في المسند (٧/ ١٥٥)، والبزار (٢٢٣٦) زوائد، وأبو يعلى (٥٣٨٤)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٠٨) من طريق يزيد بن هارون، عن شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، موقوفًا. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٠) مرفوعًا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٠٨) من طريق محمد بن فضيل، عن أبيه، به.

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٧) من طريق ليث بن أبي سليم، به.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٩) لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٤) زيادة من (س).

(٥) انظر: مسائل إسحاق بن منصور المعروف بالكوسج (٣٢٥٣).

والثاني: أنَّ معنى: ﴿وَمَن يُرِدْ﴾: من يعمل.

قال أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ: هذا قولُ سائر من حفظنا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[الحج: ٢٦-٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعلنا.

وقال مُقاتلٌ: دلَّلناه عليه[١].

وقال ثعلبٌ: وإنَّما أدخل اللَّام، على أن ﴿بَوَّأْنَا﴾ في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] أي: ردفكم، وقد شرحنا كيفية بناء البيتِ في البقرة[٢].

قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٩).

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ حرَّك هذه الياء، نافعٌ وحفصٌ عن عاصمٍ، وقد شرحنا الآية في البقرة(١).

وفي المراد بالقائمين قولان:

أحدهما: القائمون في الصلاةِ، قاله عطاءٌ، والجمهورُ.

والثاني: المقيمون بمكَّةَ، حكي عن قتادةَ. [٥٦٤/ب]

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال المفسِّرون: لما فرغ إبراهيمُ من بناءِ البيتِ، أمره الله تعالى أن يؤذِّنَ في النَّاسِ بالحجِّ، فقال إبراهيمُ: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أذِّن، وعليَّ البلاغ، فعلا على جبلِ أبي قُبيسٍ، وقال: يا أيُّها النَّاسُ: إنَّ ربَّكم قد بنى بيتًا، فحُجُّوه فأسمع من في أصلاب الرِّجال وأرحامِ النِّساءِ ممَّن سبق في علمِ الله أن يحجَّ، فأجابوه: لبيك اللَّهمَّ لبيك(٢).

والأذان بمعنى النِّداء والإعلام، والمأمورُ بهذا الأذان، إبراهيمُ في قولِ الجمهورِ، إلَّا ما روي عن الحسنِ أنَّه قال: المأمورُ به محمَّدٌ ﷺ، والنَّاس هاهنا: اسمٌ يعمُّ جميع بني آدم عند الجمهورِ، إلَّا ما روى العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: عنى بالنَّاس أهل القبلة(٣).

واعلم أنَّ من أتى البيت الذي دعا إليه إبراهيم، فكأنَّه قد أتى إبراهيم، لأنَّه أجاب نداءه.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٥).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٧/ ١٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥١٧) من طريق عطية العوفي، به.

وواحد الرِّجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى: يأتوك مشاة.

وقد روي أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ حجَّا ماشيين، وحجَّ الحسنُ بنُ عليٍّ خمسًا وعشرين حجَّة ماشيًا من المدينةِ إلى مكَّةَ، والنجائبُ تُقاد معه.

وحجَّ الإمامُ أحمدُ ماشيًا مرَّتين أو ثلاثًا.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبانًا على ضُمرٍ من طولِ السَّفرِ.

قال الفَرَّاءُ: ويأتين فعل للنوق[١].

وقال الزَّجَّاجُ: يأتين على معنى الإبل[٢].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ، «يأتون» بالواوِ[٣].

قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريقٍ بعيدٍ.

وقد ذكرنا تفسير «الفجِّ» عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾[٤] [الأنبياء: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ أي: ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٢).

(٣) عن ابن مسعود في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧)، وعنه، وعن ابن عباس، وغيرهما في التحصيل (٤/ ٤٤٠).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٣١).

أحدها: التِّجارةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: منافع الآخرةِ، قاله سعيدُ بنُ المسيب، والزَّجَّاجُ في آخرين[١].

والثالث: منافعُ الدَّارين جميعًا، قاله مجاهدٌ، وهو أصحُّ، لأنَّه لا يكون القصدُ للتِّجارة خاصَّة، وإنَّما الأصلُ قصد الحجِّ، والتِّجارة تبعٌ.

وفي الأيَّام المعلومات ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها أيَّام العشر، رواه مجاهدٌ، عن ابنِ عمرَ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وعطاءٌ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والشَّافعيُّ.

والثاني: تسعةُ أيَّامٍ من العشر، قاله أبو موسى الأشعريُّ.

والثالث: يوم الأضحى وثلاثةُ أيَّامٍ بعده، رواه نافعٌ عن ابنِ عمرَ، ومقسمٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّها أيَّامُ التَّشريقِ، رواه العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عطاءٌ الخراسانيُّ، والنَّخعيُّ، والضَّحَّاكُ.

والخامس: أنَّها خمسةُ أيَّامٍ أوَّلها يوم التَّرويةِ، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والسادس: ثلاثةُ أيَّامٍ، أوَّلها يوم عرفة، قاله مالكُ بنُ أنسٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٣).

وقيل: إنَّما قال معلومات، ليحرص على علمها بحسابها من أجلِ وقت الحجِّ في آخرها.

قال الزَّجَّاجُ: والذكر هاهنا يدلُّ على التَّسميةِ على ما ينحر، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾(١).

[٥٦٥/أ] قال القاضي أبو يعلى: ويحتملُ أن يكون الذكر المذكورُ هاهنا: هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالدَّمِ الواجبِ لأجل التَّمتُّع والقِران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمارِ وتكبير التَّشريقِ، لأنَّ الآيةَ عامَّةٌ في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ يعني: الأنعام التي تنحر؛ وهذا أمرُ إباحةٍ.

وكان أهلُ الجاهليَّة لا يستحلُّون أكل ذبائحهم، فأعلم الله ﷻ أنَّ ذلك جائزٌ، غير أنَّ هذا إنَّما يكون في الهدي المتطوع به، فأمَّا دمُ التمتُّع والقِران، فعندنا أنَّه يجوزُ أن يأكل منه.

وقال الشَّافعيُّ: لا يجوزُ، وقد روى عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: من كلِّ الهدي يؤكل، إلَّا ما كان من فداءٍ أو جزاءٍ أو نذرٍ.

فأمَّا «البائس»: فهو ذو البؤس، وهو شدَّةُ الفقرِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٣).

أحدها: حلقُ الرَّأس، وأخذ الشَّارب، ونتف الإبطِ، وحلق العانةِ، وقصِّ الأظفارِ، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاءٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: مناسك الحجِّ، رواه عكرمةُ، عن ابن عبَّاسٍ، وهو قولُ ابن عمرَ.

والثالث: حلقُ الرَّأسِ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: الشَّعرُ، والظفرُ، قاله عكرمةُ.

والقولُ الأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّ التفث: الوسخ، والقذارة: من طولِ الشَّعرِ والأظفار والشعث. وقضاؤه: نقضه، وإذهابُه. والحاج مغبر شعث لم يدهن، ولم يستحد، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامِهِ بالحلقِ، والقَلْمِ، وقصِّ الأظفارِ، ولبسِ الثِّيابِ، ونحو ذلك، فهذا قضاءُ تفثه.

قال الزَّجَّاجُ: وأهل اللُّغةِ لا يعرفون التفث إلَّا من التَّفسير، فكأنَّه الخروج من الإحرامِ إلى الإحلالِ(١).

قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾.

وروى أبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «ولْيوفُّوا» بتسكين اللَّامِ وتشديدِ الفاءِ(٢).

قال ابنُ عبَّاسٍ: هو نحر ما نذروا من البدنِ(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٣).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٥)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

وقال غيرُه: ما نذروا من أعمالِ البِرِّ في أيَّام الحجِّ، فإنَّ الإنسانَ ربَّما نذر أن يتصدَّق إن رزقه الله رؤيةَ الكعبةِ، وقد يكون عليه نذور مطلقةٌ، فالأفضلُ أن يؤدِّيها بمكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ هذا هو الطَّوافُ الواجبُ، لأنَّه أمر به بعد الذَّبحِ، والذَّبحُ إنَّما يكون في يوم النَّحرِ، فدلَّ على أنَّه الطَّوافُ المفروضُ.

وفي تسمَّية البيت عتيقًا أربعة أقوالٍ:

أحدها: لأنَّ الله تعالى أعتقه من الجبابرةِ.

روى عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إنَّما سَمَّى اللهُ الْبَيْتَ: العَتِيقَ؛ لأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ قَطُّ**»[1]. وهذا قولُ مجاهدٍ، وقتادةَ.

والثاني: أنَّ معنى العتيق: القديم، قاله الحسنُ، وابنُ زيدٍ.

والثالث: لأنَّه لم يملك قط، قاله مجاهدٌ في روايةٍ، وسفيانُ بنُ عيينةَ.

والرَّابع: لأنَّه أعتق من الغرقِ زمان الطُّوفانِ، قاله ابنُ السَّائبِ.

وقد تكلَّمنا في هذه السُّورةِ في: ليقضوا، وليوفوا، وليطوفوا.

---

(١) روي مرفوعًا، وموقوفًا. أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٤٠٥)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٢٩)، والطبراني في الكبير (٢٦٢) موقوفًا، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٠١)، والترمذي (٣١٧٠)، والبزار في مسنده (٢٢١٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢١) وصححه، والبيهقي في الشعب (٣٧٢١) مرفوعًا.

قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن الزهري، مرسلًا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾[الحج: ٣٠-٣٣].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك، يعني: ما ذكر من أعمالِ الحجِّ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فيجتنب ما حرَّم الله عليه في الإحرامِ تعظيمًا لأمر الله.

قال اللَّيثُ: الحرمة: ما لا يحِلُّ انتهاكه. [٥٦٥/ب]

وقال الزَّجَّاجُ: الحرمةُ: ما وجب القيامُ به، وحرم التفريطُ فيه[١].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التَّعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرةِ ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وقد سبق بيانها[٢] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه، يعني به: ما ذكر في المائدةِ[٣] من المنخنقة وغيرها.

وقيل: وأحلَّت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلَّا ما يتلى عليكم في الصيد، فإنَّه حرامٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٤).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (١).

(٣) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٣).

قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: دعوه جانبًا.

قال الزَّجَّاجُ: و«من» هاهنا، لتخليص جنس من أجناس، المعنى: فاجتنبوا الرِّجس الذي هو وثنٌ[١].

وقد شرحنا معنى الرِّجس في المائدةِ[٢].

وفي المراد بقول الزُّور أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: شهادة الزُّورِ، قاله ابنُ مسعودٍ.

والثاني: الكذب، قاله مجاهدٌ.

والثالث: الشِّركُ، قاله أبو مالكٍ.

والرَّابع: أنَّه قولُ المشركين في الأنعام: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، قاله الزَّجَّاجُ، قال: وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ منصوبٌ على الحالِ، وتأويله: مسلمين لا ينسبون إلى دينٍ غيرِ الإسلامِ. ثمَّ ضربَ الله مثلاً للمشركِ، فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿سَحِيقٍ﴾، والسَّحيقُ: البعيد[٣].

واختلفوا في قراءةِ ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾:

فقرأ الجمهورُ: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بسكون الخاءِ من غير تشديدِ الطَّاءِ.

وقرأ نافعٌ: بتشديد الطَّاءِ[٤].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٩٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٥).

(٤) السبعة (ص: ١٤٨)، والحجة (١/ ٣٩٠)، والتيسير (ص: ١٥٧).

وقرأ أبو المتوكِّلِ، ومعاذٌ القارئ: بفتح التَّاءِ والخاءِ وتشديدِ الطَّاءِ ونصبِ الفاءِ[١].

وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو الجوزاءِ، وأبو عمران الجُونيُّ: بكسرِ التَّاءِ والخاءِ وتشديدِ الطَّاءِ ورفع الفاءِ[٢].

وقرأ الحسنُ والأعمشُ: بفتح التَّاءِ وكسرِ الخاءِ وتشديدِ الطَّاءِ ورفع الفاءِ[٣]، وكلُّهم فتح الطَّاءَ.

وفي المراد بهذا المثل قولان:

أحدهما: أنَّه شبَّه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكِهِ، بالذي يخرُّ من السَّماءِ، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّه شبَّه حال المشركِ في أنَّه لا يملك لنفسِهِ نفعًا ولا دفع ضرٍّ في يومِ القيامةِ، بحال الهاوي من السَّماءِ، حكاه الثَّعلبيُّ[٤].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرِ ذلك الذي ذكرناه ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قد شرحنا معنى الشَّعائر في البقرةِ[٥].

---

(١) «فتَخَطَّفَه» في الكامل (١/ ٦٠٤) عن ابن مقسم.

(٢) «فِتِخِطِّفُه» في المحرر (٤/ ١٢٠) عن الحسن.

(٣) «فتَخِطِّفه» عن الحسن، والأعمش، وأبي رجاء في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧).

(٤) الكشف والبيان (٧/ ٢١).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥٨).

وفي المراد بها هاهنا قولان:

أحدهما: أنّها البدنُ. وتعظيمها: استحسانُها، واستسمانها.

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ قبل أن يسمّيها صاحبها هديًا، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك، لم يكن له من منافعها شيءٌ، روى هذا المعنى مقسمٌ، عن ابنِ عبّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والضّحاكُ.

وقال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ: لكم في هذه الهدايا منافعُ بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيءٍ من ذلك أو اضطررتم إلى شربِ ألبانها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أن تنحر[١].

والثاني: أنّ الشّعائرَ: المناسك ومشاهد مكّة؛ والمعنى: لكم فيها منافع بالتّجارةِ إلى أجلٍ مسمًّى، وهو الخروجُ من مكّةَ، رواه أبو رزينٍ، عن ابنِ عبّاسٍ.

وقيل: لكم فيها منافعُ من الأجرِ والثّوابِ في قضاءِ المناسك إلى أجلٍ مسمًّى، وهو انقضاءُ أيّامِ الحجِّ.

[٥٦٦/أ] قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ يعني الأفعال المذكورة، من اجتنابِ الرِّجس وقول الزُّورِ، وتعظيمِ الشّعائرِ.

وقال الفرّاءُ: فإنّه يعني الْفَعْلَةَ ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، وإنّما أضاف التّقوى إلى القلوبِ، لأنّ حقيقةَ التّقوى تقوى القلوب[٢].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٤٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢٥).

قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: حيـث يحلُّ نحرهـا ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: عنـد البيـتِ، والمـراد بـه: الحـرمُ كلُّه، لأنَّـا نعلم أنَّهـا لا تذبـح عند البيـتِ، ولا في المسـجدِ، هـذا عـلى القـول الأوَّل؛ وعلى الثـاني، يكون المعنـى: ثمَّ محـلُّ النَّاسِ من إحرامهـم إلى البيـتِ، وهـو أن يطوفوا بـه بعد قضاءِ المناسـكِ.

قوله تعـالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الحج: ٣٤-٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾.

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وبعضُ أصحابِ أبي عمرٍو بكسرِ السِّينِ.

وقرأ الباقون بفتحها(١).

فمـن فتـح أرادَ المصـدرَ مـن نسـكَ ينسـك، ومـن كـسرَ أرادَ مـكانَ النُّسـكِ كالمجلـسِ والمطلـعِ.

ومعنـى الآيـة: لـكلِّ جماعـةٍ مؤمنـةٍ مـن الأمـم السَّـالفةِ جعلنـا ذبـح القرابـين ﴿لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، وإنَّـما خـصَّ بهيمـةَ الأنعـامِ، لأنَّهـا المشروعـة في القـربِ.

والمـرادُ مـن الآيـةِ: أنَّ الذَّبائـحَ ليسـت مـن خصائـصِ هـذه الأمَّـةِ، وأنَّ التَّـسمية عليهـا كانـت مشروعـة قبـل هـذه الأمـةِ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٧)، والتيسير (ص: ١٥٧).

قوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواه ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي: انقادوا واخضعوا، وقد ذكرنا معنى الإخبات في هود[1]، وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾.

وقرأ الحسنُ، وابنُ يعمرَ برفع الدَّالِ[2].

قال الفَرَّاءُ: بُدْن وبُدُن، والتَّخفيفُ أجودُ وأكثرُ، لأنَّ كلَّ جمعٍ كان واحده على «فَعَلة» ثمَّ ضُمَّ أوَّل جمعه، خُفِّف، مثل: أَكَمَة وأُكْم، وأَجَمة وأُجْم، وخَشَبَة وخُشْب[3].

وقال الزَّجَّاجُ: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ منصوبة بفعلٍ مُضمرٍ يفسِّره الذي ظهر، والمعنى: وجعلنا البُدْنَ، وإن شئتَ رفعتها على الاستئنافِ، والنَّصبُ أحسن ويقال: بُدْن وبُدُن وبَدَنة، مثل قولك: ثُمْر وثُمُر وثَمرة، وإنَّما

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٢٣).

(٢) «البُدُن» الحسن، وعيسى في مختصر ابن خالويه (ص:٩٧)، وفي التحصيل (٤/ ٤٦٠)، والمحرر (٤/ ١٢٢) عن ابن أبي إسحاق.

(٣) لغات القرآن (ص: ١٠٠).

سـمِّيت بَدَنَـة، لأنَّهـا تَبْـدُن، أي: تسـمن(١).

وللمفسِّرين في البدن قولان:

أحدهما: أنَّها الإبل والبقر، قاله عطاءٌ.

والثـاني: الإبـل خاصَّـة، حـكاه الزَّجَّـاجُ، وقـال: الأوَّل قـول أكثـر فقهـاء الأمصارِ(٢).

قـال القـاضي أبـو يعلى: البدنة: اسـم يختصُّ بالإبـل في اللُّغـةِ، والبقرة تقوم مقامهـا في الحكـم، لأنَّ النَّبـيَّ ﷺ جعل البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة.

قولــه تعــالى: ﴿جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: جعلنــا لكــم فيهــا عبـادة لله، مـن سـوقها إلى البيـت، وتقليدهـا، وإشـعارها، ونحرهـا، والإطعـام منهـا، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وهـو النَّفـعُ في الدُّنيـا والأجـر في الآخـرةِ، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: عـلى نحرِهـا، ﴿صَوَآفَّ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ: «صوافن» بالنُّونِ(٣).

وقـرأ الحسـنُ، وأبـو مجلـزٍ، وأبـو العاليـة، والضَّحَّـاكُ، وابـنُ يعمـرَ: «صـوافي» باليـاءِ(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٢٩).

(٣) عـن ابـن مسـعود في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٩٧)، وفي التحصيـل (٤/ ٤٦٠) ابن مسـعود، وغيره، وفي المحرر (٤/ ١٢٢) عـن ابـن عمـر، وابـن عباس، وأبي جعفـر، محمـد بـن علي.

(٤) عـن الحسـن، وزيـد بـن أسـلم في مختـصر ابـن خانويـه (ص: ٩٧)، وفي التحصيـل (٤/ ٤٦٠) عـن أبي موسـى الأشـعري، وغـيره، وزاد في المحـرر (٤/ ١٢٢) مجاهـدًا، وشـقيق بن سـلمة،=

قال الزَّجَّاجُ: ﴿صَوَآفَّ﴾ منصوبةٌ على الحالِ، ولكنَّها لا تنوَّن لأنَّها لا تنصرف؛ أي: قد صفت قوائمها، والمعنى: اذكروا اسمَ الله عليها في حال نحرها، والبعيرُ ينحرُ قائمًا، وهذا الآية تدلُّ على ذلك. ومَن قرأ: «صوافن» فالصَّافن: التي تقوم على ثلاثٍ، والبعير إذا أرادوا نحره، تعقل إحدى يديه، فهو الصَّافن، والجمع: صوافن. هذا ومَن قرأ: «صوافي» بالياءِ وبالفتح بغير تنوينٍ، فتفسيره: خوالص، أي: خالصة لله لا تشركوا به في التَّسمية على نحرِها أحدًا[1]. [٥٦٦/ب]

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: إذا سقطت إلى الأرضِ، يقال: وجب الحائطُ وجبة، إذا سقطَ. ووجب القلب وجيبًا: إذا تحرَّك من فزعٍ.

واعلم أنَّ نحرَها قيامًا سنة، والمرادُ بوقوعها على جنوبها: موتها، والأمرُ بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

وقرأ الحسنُ: «والمُعْترِ» بكسر الرَّاءِ خفيفة[2].

وفيها ستَّة أقوالٍ:

=وسليمان التيمي، والأعرج.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

(٢) عن عمرو بن عبيد، وإسماعيل في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٨)، وفي المحتسب (٢/ ٨٢) عن عمرو بن عبيد، وأبي رجاء، وعن الحسن، وأبي رجاء في التحصيل (٤/ ٤٦٠).

أحدها: أنَّ ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: الذي يسأل، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرَّض ولا يسأل، رواه بكرُ بنُ عبد الله عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ، واختاره الفَرَّاءُ(١).

والثاني: أنَّ ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: المتعفِّف، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: السائل، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، والنَّخعيُّ، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أنَّ ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرَّض لك ويلم بك ولا يسألُ، رواه العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: جارك الذي يقنع بما أعطيته، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرَّض ولا يسأل، وهذا مذهبُ القُرظيُّ(٢).

فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي، ومن قال: هو المتعفِّف، قال: هو القانعُ بما عنده.

والرابع: ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: أهل مكَّةَ، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يعترُّ بهم من غير أهلِ مكَّةَ، رواه خصيفٌ، عن مجاهدٍ.

والخامس: ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: الجارُ وإن كان غنيًّا، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يعتر بك، رواه ليثٌ، عن مجاهدٍ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦٣) من طريق ليث بن أبي سليم.

والسادس: ﴿ٱلۡقَانِعَ﴾: المسكينُ السائلُ، ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾: الصَّديقُ الزَّائرُ، قاله زيدُ بن أسلم.

قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: إذا سأل، قَنِعَ يَقْنَعُ قَناعَةً: إذا رضي، ويقال في المعتر: اعْتَرَّني واعْتَرَاني وعَرَّني[1].

وقال الزَّجَّاجُ: مذهبُ أهلِ اللُّغة أنَّ ﴿ٱلۡقَانِعَ﴾: السَّائل، يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: إذا سأل، فهو قانعٌ.

قال الشماخ [من الوافر][2]:

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ

أي: من السُّؤال؛ ويقال: وقنِعَ قناعةً: إذا رضي، فهو قَنِعٌ، ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ والمعتري واحدٌ[3].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة ﴿سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ نعمة منَّا عليكم لتتمكَّنوا من نحرها على الوجه المسنونِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا.

قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٣).

(٢) في ديوانه (ص: ٢٢١)، ولسان العرب (٨/ ٢٣١)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٥٩)، وجمهرة اللغة (ص: ٩٤٢)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

وقرأ عاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلةَ، ويعقوبُ: «لَن تَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا» بالتَّاء، «ولكن تَنَالُهُ التَّقوى» بالتَّاء أيضًا[١].

سببُ نزولها: أنَّ المشركينَ كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبةَ بالدِّماءِ ينضحون بها نحو الكعبةِ، فأراد المسلمونَ أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ[٢].

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: لن ينفع اللهَ لحومُها ولا دماؤها[٣]، وإنَّما يُرفع إليه التَّقوى؛ وهو ما أريد به وجهه منكم. [٥٦٧/أ]

فمن قرأ: «تَنَالُهُ التَّقْوَى» بالتَّاءِ، فإنَّه أنَّثَ للفظِ التَّقوى، ومَن قرأ: ﴿يَنَالُهُ﴾ بالياءِ، فلأنَّ التَّقوى والتقى واحدٌ.

والإشارةُ بهذه الآيةِ إلى أنَّه لا يقبل اللُّحوم والدِّماء إذا لم تكن صادرةً عن تقوى الله، وإنَّما يتقبَّلُ ما يتَّقونه به، وهذا تنبيهٌ على امتناعِ قبولِ الأعمالِ إذا عريت عن نيَّةٍ صحيحةٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ قد سبق تفسيره[٤]، ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: على ما بين لكم وأرشدكم إلى معالمِ دينهِ ومناسكِ حجِّهِ، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) عن يحيى بن يعمر، والجحدري في مختصر ابن خالويه (ص:٩٨)، وعن الزهري، وسلام، ويعقوب، في التحصيل (٤/ ٤٦٠).

(٢) رواه ابن المنذر، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٦/ ٥٥).

(٣) في (س): (لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها).

(٤) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٣٧).

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني: الموحِّدين[(١)].

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: ٣٨-٤١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألفٍ، وهذا على مصدر دفع.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ بألف ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ بغير ألفٍ[(٢)]، وهذا على مصدر دافع، والمعنى: يدفعُ عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم.

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهليَّة فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإنَّ الله يدفع عن حزبه[(٣)].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).

(٢) السبعة (ص:٤٣٧)، والحجة (٥/ ٢٧٨)، والمبسوط (١/ ٣٠٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٩).

و«الخوَّان» فعَّال من الخيانةِ، والمعنى: أنَّ من ذكر غير اسمِ الله، وتقرَّب إلى الأصنام بذبيحته، فهو خوَّانٌ.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «أَذِنَ» بفتح الألفِ.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، وحفصٌ عن عاصمٌ: ﴿أُذِنَ ﴾بضمِّها[١].

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ بكسر التَّاءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بفتحها[٢].

قال ابنُ عبَّاسٍ: كان مشركو أهل مكَّةَ يؤذون أصحابَ رسولِ الله ﷺ فيقول لهم: «اصْبِرُوا، فَإِنِّي لَمْ أُومَرْ بِالْقِتَالِ»، حتَّى هاجرَ رسولُ الله ﷺ، فأنزلَ الله هذه الآية، وهي أوَّلُ آيةٍ أنزلت في القتالِ[٣].

---

(١)) السبعة (ص:٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٣٠٧).

(٢)) السبعة (ص: ٤٣٧).

(٣)) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).

وقال مجاهدٌ: هم ناسٌ خرجوا من مكَّة مهاجرين، فأدركتهم[١] كفَّار قريشٍ، فأذن لهم في قتالهم[٢].

قال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أن يقاتلوا[٣].

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ أي: بسبب ما ظُلموا، ثمَّ وعدهم النَّصر بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ولا يجوز أن يُقرأ بفتح «إِنَّ» هذه من غيرِ خلافٍ بين أهل اللُّغةِ، لأنَّ «إِنَّ» إذا كانت معها اللَّام، لم تفتح أبدًا.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ معناه: أخرجوا لتوحيدهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ قد فسَّرناه في البقرةِ[٤].

قوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٍ: «لَهُدِمَتْ» خفيفة، والباقون بتشديد الدَّالِ[٥].

فأمَّا الصَّوامع، ففيها قولان:

أحدهما: أنَّها صوامع الرُّهبانِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأبو العالية، ومجاهدٌ، وابنُ زيدٍ.

---

(١) في (س): (فأدركهم).

(٢) في تفسيره (١/ ٤٨٢)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٧٥) من طريق ابن أبي نجيح، بنحوه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٠).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥).

(٥) السبعة (ص:٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٧٩)، والتيسير (ص: ١٥٧).

والثاني: أنَّها صوامع الصَّابئين، قاله قتادةُ، وابنُ قُتيبةَ[١].

فأمَّا البِيَع، فهي جمع بِيعة، وهي بِيَع النَّصارى.

وفي المرادِ بالصَّلوات قولان: [٥٦٧/ب]

أحدهما: مواضعُ الصَّلواتِ.

ثمَّ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها كنائسُ اليهودِ، قاله قتادةُ، والضَّحَّاكُ.

قال الشَّيخُ: وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغوي، قال: قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ هي كنائسُ اليهودِ، وهي بالعبرانيَّة صَلُوتَا[٢].

والثاني: مساجدُ الصَّابئين، قاله أبو العاليةِ.

والقول الثاني: أنَّها الصَّلواتُ حقيقة، والمعنى: لولا دفعُ الله عن المسلمين بالمجاهدين، لانقطعت الصَّلواتُ في المساجدِ، قاله ابنُ زيدٍ.

فأمَّا المساجدُ، فقال ابنُ عبَّاسٍ: هي مساجد المسلمين[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: لولا دفع بعض النَّاس ببعضٍ لهدِّمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصَّوامع والبيع، وفي زمنِ محمَّدٍ المساجد[٤].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٣).

(٢) المعرب (ص: ٤١٩).

(٣) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٦/ ٥٩) بلفظ: «الصوامع الَّتِي تكون فِيهَا الرهبان، وَالْبيع مَسَاجِد الْيَهُود ،وصلوات كنائس النَّصَارَى، والمساجد مَسَاجِد الْمُسلمين».

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣١).

وفي قوله: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ الكنايةَ ترجع إلى جميع الأماكن المذكورات، قاله الضَّحاكُ.

والثاني: إلى المساجدِ خاصَّة، لأنَّ جميعَ المواضعِ المذكورةِ، الغالب فيها الشِّركُ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: مَن ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هذه صفة ناصريه(١).

قال المفسِّرون: التمكين في الأرضِ: نصرتهم على عدوِّهم، والمعروفُ: لا إله إلا الله، والمنكر: الشِّرك.

قال الأكثرون: وهؤلاء أصحابُ رسولِ الله ﷺ.

وقال القرظيُّ: هم الولاة(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إليه مرجعها، لأنَّ كلَّ ملكٍ يبطل سوى ملكه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٦٠).

فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحج: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي: بالعذابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

أثبت الياء في «نكير» يعقوبُ في الحالين، ووافقه ورشٌ في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التَّكذيبِ بالإهلاكِ؟ والمعنى: أنِّي أنكرت عليهم أبلغ إنكارٍ، وهذا استفهامٌ معناه التَّقريرُ.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾.

قرأ أبو عمرٍو: «أهلكتها» بالتَّاءِ، والباقون: «أَهْلَكْنَاهَا» بالنُّونِ[١].

قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿وَبِئْرٍ﴾ مهموزٌ.

وروى ورشٌ عن نافعٍ بغير همزٍ[٢]، والمعنى: وكم بئرٍ معطَّلةٍ، أي: متروكةٍ.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مجصَّصٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ.

قال الزَّجَّاجُ: أصلُ الشَّيد الجصُّ والنُّورة، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مَشِيدٌ[٣].

---

(١) السبعة (ص:٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٨١)، والمبسوط (١/ ٣٠٨).

(٢) السبعة (ص:٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٨٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٢).

والثاني: طويلٌ، قاله الضَّحاكُ، ومقاتلٌ(١).

وفي الكلام إضمارٌ، تقديرُه: وقصرٌ مشيدٌ معطَّلٌ أيضًا ليس فيه ساكنٌ.

قولـه تعـالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٦-٤٨].

قولـه تعـالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ قـال المفسرون: أفلـم يسر قومـك في أرض اليمـن والشـام ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ إذا نظـروا آثـار مـن هلـك ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبـار الأمـم المكذبـة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

قـال الفَـرَّاءُ: الهـاء في قولـه: ﴿فَإِنَّهَا﴾ عـمادٌ، والمعنـى: أنَّ أبصارهـم لم تعـم، وإنَّـما عميـت قلوبُهـم(٢).

فأمَّـا قولـه: ﴿ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ فهـو توكيـدٌ، لأنَّ القلـبَ لا يكـون إلَّا في الصَّدرِ، ومثله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧].

[٥٦٨/أ] قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣١).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢٨).

قال مُقاتلٌ: نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ القرشيِّ[١].

وقال غيرُه: هو قولهم له: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الملك ٢٥] ونحوه من استعجالهم، ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ في إنزالِ العذابِ بهم في الدُّنيا، فأنزله بهم يوم بدرٍ، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: من أيَّامِ الآخرةِ ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيَّام الدُّنيا.

قرأ عاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «يَعُدُّونَ» بالياءِ[٢].

فإن قيل: كيف انصرفَ الكلامُ من ذكرِ العذابِ إلى قولِهِ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾؟ فعنه جوابانِ:

أحدهما: أنَّهم استعجلوا العذابَ في الدُّنيا، فقيل لهم: لن يخلفَ الله وعده في إنزالِ العذابِ بكم في الدُّنيا، وإنَّ يومًا من أيَّامِ عذابكم في الآخرةِ كألفِ سنةٍ من سني الدُّنيا، فكيف تستعجلون بالعذابِ؟ فقد تضمَّنت الآيةُ وعدهم بعذابِ الدُّنيا والآخرةِ، هذا قول الفَرَّاءِ[٣].

والثاني: وإنَّ يومًا عند الله وألف سنةٍ سواء في قدرتِهِ على عذابهم، فلا فرقَ بين وقوعِ ما يستعجلونَهُ وبين تأخيره في القُدرةِ، إلَّا أنَّ الله تفضَّل عليهم بالإمهالِ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ[٤].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣١).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٢)، والمبسوط (١/ ٣٠٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾[الحج: ٤٩-٥١].

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني به الرِّزق الحسن في الجنَّة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: عملوا في إبطالها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾.

قرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «معجزين» بغير ألفٍ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بألفٍ[(١)(٢)].

قال الزَّجاجُ: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: ظانِّين أنَّهم يعجزوننا، لأنَّهم ظنُّوا أنَّهم لا يبعثون، وأنَّه لا جنَّة ولا نار، قال: وقيل في التَّفسير: معاجزين: معاندين[(٣)]، وليس هو بخارجٍ عن القول الأوَّلِ؛ ومعجزين تأويلها: أنَّهم كانوا يعجزون من اتَّبع النَّبيَّ ﷺ ويثبطِّونهم عنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ

---

(١) هكذا في الأصل، وجميع النسخ، وهو سبق قلم من المؤلف رحمه الله، والعكس هو الصواب؛ فقد قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بألف، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بغير ألف.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٢-٢٨٣)، والتيسير (ص: ١٥٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٣).

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[الحج: ٥٢-٥٥].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾ الآيةَ.

قال المفسِّرون: سببُ نزولها: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما نزلت عليه سورة النَّجمِ قرأها حتَّى بلغ قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[النجم ١٩،٢٠] فألقى الشَّيطانُ: تلك الغرانيق العُلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى؛ فلمَّا سمعت قريشٌ بذلك فرحوا، فأتاه جبريلُ، فقال: ماذا صنعت؟ تلوت على النَّاسِ ما لم آتك به عن الله، فحزن رسولُ الله ﷺ حزنًا شديدًا[1]، فنزلت هذه الآيةُ تطييبًا لقلبِه، وإعلامًا له أنَّ الأنبياءَ قد جرى لهم مثل هذا.

قال العلماءُ المحقِّقونَ: وهذا لا يصحُّ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ معصومٌ عن مثلِ هذا، ولو صحَّ، كان المعنى أنَّ بعضَ شياطينِ الإنسِ قال تلكَ الكلماتِ، فإنَّهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ [فصلت ٢٦].

---

(١) هذه القصة لا تصح، وقد جمع طرقها وبين ضعفها العلامة الألباني في نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

قال: وفي معنى «تمنى» قولان:

أحدهما: تلا، قاله الأكثرون، وأنشدوا [من الطَّويل](١):

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهَا لَاقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وقال آخرُ [من الطَّويل](٢):

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ آخِرَ لَيْلَةٍ تَمَنِّيَ دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ

والثاني: أنَّه من الأمنيةِ، وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ تمنَّى يومًا أن لا [٥٦٨/ب] يأتيه من الله شيءٌ ينفر عنه به قومه، فألقى الشَّيطانُ على لسانِهِ لِمَا كان قد تمنَّاه، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ(٣).

قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يبطلُه ويذهبه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

قال مُقاتلٌ: يحكمها من الباطلِ(٤).

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ اللَّام متعلِّقةٌ بقوله: ألقى الشَّيطانُ، والفتنةُ هاهنا بمعنى البلية والمحنة. والمرض: الشكُّ والنِّفاقُ.

---

(١) لحسان بن ثابت في تفسير ابن حيان (٧/ ٥٢٧)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في الزاهر (٢/ ١٥٠)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٧٧)، والعين (٨/ ٣٩٠).

(٢) بلا نسبة في الزاهر (٢/ ١٥١)، والمحكم والمحيط (١٠/ ٥١١)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٠٣).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٣).

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: الجافية عن الإيمانِ.

ثم أعلمه أنَّهم ظالمون وأنَّهم في شقاقٍ دائمٍ، والشِّقاقُ: غاية العدواةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو التَّوحيدُ والقرآن، وهم المؤمنون.

وقال السُّدِّيُّ: التَّصديقُ بنسخِ الله.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ إشارةٌ إلى نسخِ ما يلقي الشَّيطان؛ فالمعنى: ليعلموا أنَّ نسخَ ذلك وإبطاله حقٌّ من الله ﴿فَيُؤْمِنُوا۟﴾ بالنسخ ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع وتذلُّ، ثم بيَّن بباقي الآيةِ أنَّ هذا الإيمان والإخبات إنَّما هو بلطفِ الله وهدايته.

قوله تعالى: ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شكٍّ.

وفي هاء «منه» أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ترجعُ إلى قوله: تلك الغرانيق العلى.

والثاني: أنَّها ترجع إلى سجودِهِ في سورة النَّجم، والقولان عن سعيد بنِ جبيرٍ، فيكون المعنى: إنَّهم يقولون: ما باله ذكر آلهتنا ثمَّ رجع عن ذكرها؟

والثالث: أنَّها ترجعُ إلى القرآنِ، قاله ابنُ جريجٍ.

والرابع: أنَّها ترجعُ إلى الدين، حكاه الثَّعلبيُّ[1].

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣١).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وفيها قولان:

أحدهما: القيامةُ تأتي من تقوم عليه من المشركين، قاله الحسنُ.

والثاني: ساعةُ موتهم، ذكره الواحديُّ[1].

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه يومُ بدرٍ، روي عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّه يومُ القيامةِ، قاله عكرمةُ، والضَّحَّاكُ.

وأصل العقمِ في الولادةِ، يقال: امرأةٌ عقيمٌ لا تلدُ، ورجلٌ عقيمٌ لا يولد له، وأنشدوا [من الكامل][2]:

عُقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ ... إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

وسمِّيتُ الرِّيحُ العقيم بهذا الاسمِ، لأنَّها لا تأتي بالسَّحابِ المطرِ، فقيل لهذا اليوم: عقيمٌ، لأنَّه لم يأتِ بخيرٍ، فعلى قول من قال: هو يومُ بدرٍ، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لم يكن فيه للكفَّارِ بركةٌ ولا خيرٌ، قاله الضَّحَّاكُ.

والثاني: لأنَّهم لم يُنظروا فيه إلى اللَّيلِ، بل قتلوا قبل المساءِ، قاله ابنُ جريجٍ.

---

(١) الوسيط (٣/ ٢٧٧).

(٢) في لسان العرب (١٢/ ٤١٢) عن أبي دهبل المخزومي، وقيل للحَزين الليثي، وفي عيون الأخبار (١/ ٣٩٢)، وديوان المعاني (١/ ١٣٩)، عن أبي دهبل، وبلا نسبة في الدر الفريد (٧/ ٢٢١).

والثالث: لأنَّه لا مثل له في عظمِ أمرِهِ، لقتالِ الملائكةِ فيه، قاله يحيى بنُ سلامٍ.

وعلى قول مَن قال: هو يومُ القيامةِ، في تسميته بذلك **قولان**:

أحدهما: لأنَّه لا ليلة له، قاله عكرمةُ.

والثاني: لأنَّه لا يأتي المشركين بخيرٍ ولا فرجٍ، ذكرهُ بعضُ المفسِّرينَ.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٦-٥٩].

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومُ القيامةِ ﴿لِّلَّهِ﴾ من غيرِ منازعٍ ولا مدعٍ ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المسلمينَ والمشركينَ؛ وحكمُهُ بينهم بما ذكرهُ في تمامِ الآيةِ وما بعدها. [٥٦٩/أ]

ثمَّ ذكر فضلَ المهاجرين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: من مكَّةَ إلى المدينةِ.

وفي الرِّزقِ الحسن قولان:

أحدهما: أنَّه الحلالُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: رزقُ الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾.

قرأ ابنُ عامرٍ: «قُتِّلُوا» بالتَّشديدِ[١].

قوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾.

وقرأ نافعٌ: بفتح الميمِ[٢].

﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ يعني: الجنَّة، والمدخل يجوزُ أن يكون مصدرًا، فيكونُ المعنى: ليدخلنَّهم إدخالًا يكرمون به فيرضونه؛ ويجوزُ أن يكون بمعنى المكان.

و«مَدْخَلًا» بفتحِ الميم على تقدير: فيدخلون مَدْخَلًا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنيَّاتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عنهم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٠-٦٢].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمر ذلك، أي: الأمرُ ما قصصنا عليكم[٣].

---

(١) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٤)، والمبسوط (١/ ٣٠٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٤)، والتيسير (ص: ٩٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٥).

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ والعقوبةُ: الجزاءُ؛ والأوَّلُ ليس بعقوبةٍ، ولكنَّه سُمِّي عقوبة، لاستواء الفعلين في جنسِ المكروه، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى ٤٠] لما كانت المجازاة إساءة بالمفعولِ به سمِّيت سيئة، ومثله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]، قاله الحسنُ.

ومعنى الآية: مَن قاتل المشركينَ كما قاتلوه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ أي: ظلم بإخراجِه عن منزلِه.

وزعم مقاتلٌ أنَّ سببَ نزولِ هذه الآيةِ أنَّ مشركي مكَّةَ لقوا المسلمينَ لليلة بقيت من المحرَّم، فقاتلوهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشَّهرِ الحرامِ، فأبوا إلَّا القتالَ، فثبت المسلمون، ونصرهم الله على المشركين، ووقع في نفوسِ المسلمين من القتال في الشَّهرِ الحرامِ، فنزلت هذه الآيةُ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عنهم ﴿غَفُورٞ﴾ لقتالهم في الشهرِ الحرامِ(١).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك النَّصرُ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ القادرُ على ما يشاء.

فمن قدرته أنَّه ﴿ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لدعاءِ المؤمنينَ ﴿بَصِيرٞ﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان والتَّقوى، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل من نصرِ المؤمنين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: هو الإله الحقُّ ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٥).

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالتَّاءِ[1]، والمعنى: وأنَّ ما يعبدونَ ﴿مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[الحج: ٦٣-٦٤].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطر ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنَّباتِ.

وحكى الزَّجَّاجُ عن الخليلِ أنَّه قال: معنى الكلام التَّنبيه، كأنَّه قال: أتسمع، أنزل الله من السَّماءِ ماء فكان كذا وكذا[2].

وقال ثعلبٌ: معنى الآية عند الفَرَّاءِ خبر، كأنَّه قال: اعلم أنَّ الله ينزل من السَّماءِ ماء فتصبح، ولو كان استفهامًا والفاء شرطًا لنصبه[3].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: باستخراجِ النَّباتِ من الأرضِ رزقًا لعبادِهِ ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخيرِ المطرِ، وقد سبق معنى الغني والحميدِ في البقرةِ[4].

---

(١) السبعة (ص:٤٤٠)، والحجة (٥/ ٢٨٥)، والمبسوط (١/ ٣٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٦).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٦٧).

قولـه تعـالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحـج: ٦٥-٦٦].

قولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريـدُ البهائـم التـي تركـب ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: كراهة أن تقع(١).

وقال غيرُه: لئلَّا تقع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فيـما سـخَّر لهـم وفيـما حبـس عنهـم مـن [٥٦٩/ ب] وقـوعِ السَّـماءِ عليهـم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعـد أن كنتـم نطفًـا ميِّتـة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عنـد آجالكـم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعـثِ والحسـابِ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعنـي: المـشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعـمِ الله إذ لم يوحـده.

قولـه تعـالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحـج: ٦٧-٧٠].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٧).

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قد سبق بيانُه في هذِهِ السُّورةِ(١) ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: في الذَّبائحِ، وذلك أنَّ كفَّارَ قريشٍ وخزاعة خاصموا رسولَ الله ﷺ في أمرِ الذَّبيحةِ، فقالوا: كيف تأكلونَ ما قتلتم ولا تأكلونَ ما قتله الله؟ يعنون: الميتة.

فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: فلا ينازعنَّك؟

فقد أجاب عنه الزَّجَّاجُ، فقال: المرادُ: النَّهي له عن منازعتهم، فالمعنى: لا تنازعنهم، كما تقول للرَّجلِ: لا يخاصمنَّك فلانٌ في هذا أبدًا، وهذا جائزٌ في الفعلِ الذي لا يكون إلَّا من اثنين، لأنَّ المجادلةَ والمخاصمةَ لا تتمُّ إلَّا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلنَّك فلانٌ، فهو بمنزلةِ: لا تجادلنَّه، ولا يجوزُ هذا في قولك: لا يضربنَّك فلانٌ وأنت تريد: لا تضربنَّه، ولكن لو قلت: لا يضاربنَّك فلانٌ، لكان كقولك: لا تضاربن، ويدلُّ على هذا الجواب قوله: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى دينِهِ والإيمانِ بهِ.

و﴿جَٰدَلُوكَ﴾ بمعنى: خاصموك في أمرِ الذَّبائحِ، ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من التَّكذيبِ، فهو يجازيكم بهِ.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يقضي بينكم ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدِّين، أي: تذهبون إلى خلافِ ما ذهبَ إليه المؤمنون،

---

(١) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٣٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٧).

وهـذا أدبٌ حسـنٌ علَّمـه الله عباده لـيردوا بـه مـن جـادل عـلى سـبيل التعنُّـت، ولا يجيبـوه، ولا يناظـروه.

فصل

قال أكثرُ المفسِّرين: هذا نزلَ قبل الأمرِ بالقتالِ، ثمَّ نسخَ بآيةِ السَّيفِ.

وقـال بعضُهـم: هـذا نـزلَ في حـقِّ المنافقـين، كانـت تظهـرُ مـن أقوالهـم وأفعالهـم فلتـاتٌ تـدلُّ عـلى شركهـم، ثـمَّ يجادلـون عـلى ذلـك، فـوكَّل أمرَهـم إلى الله تعـالى، فالآيـةُ عـلى هـذا محكمـةٌ.

قولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا اسـتفهامٌ يـرادُ بـه التَّقريـرُ؛ والمعنـى: قـد علمـت، ذلـك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعنـي: مـا يجـري في السَّـمواتِ والأرضِ ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ يعنـي: اللَّـوح المحفـوظ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: علـم الله بجميـعِ ذلـك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سـهلٌ لا يتعـذَّرُ عليـه العلـمُ بِـهِ.

قولـه تعـالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحـج: ٧١-٧٢].

قولـه تعـالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يعنـي: كفَّـار مكَّـة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجَّـة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنَّـه إلـهٌ، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنـي: المشركـين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: مانـع مـن العـذابِ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني: القرآن، والمنكرُ هاهنا بمعنى الإنكارِ، فالمعنى: أثر الإنكارِ من الكراهةِ، وتعبيس الوجوه، معروفٌ عندهم.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي: يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدَّةِ الغيظِ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنفِ والشدَّةِ. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: بأشدَّ عليكم وأكره إليكم من سماعِ القرآنِ، ثمَّ ذكرَ ذلك فقال: ﴿ٱلنَّارُ﴾ أي: هو النَّارُ. [٥٧٠/أ]

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾.

قال الأخفشُ: إن قيل: أين المثل؟ فالجوابُ: أنَّه ليس هاهنا مثل، وإنَّما المعنى: يا أيُّها النَّاسُ ضرب لي مثل، أي: شبِّهت بي الأوثان ﴿فَٱسْتَمِعُواْ﴾ هذا المثلِ[1].

وتأويلُ الآيةِ: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها؛ ثمَّ بين ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤٥٢).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو رزينٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «يَدْعُونَ» بالياءِ المفتوحةِ[١].

وقرأ ابنُ السَّميفَعِ، وأبو رجاءٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «يُدعَون» بضمِّ الياءِ وفتحِ العينِ[٢]، يعني: الأصنام، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ والذُّباب واحدٌ، والجمعُ القليلُ: أذِبَّة، والكثيرُ: الذِّبَّان، مثل: غُراب وأَغْرِبة وغِرْبان، وقيل: إنَّما خصَّ الذُّباب لمهانتِهِ واستقذارِهِ وكثرتِهِ.

﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟﴾ يعني الأصنام ﴿لَهُۥ﴾ أي: لخلقِهِ، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾ يعني: الأصنامُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كانوا يطلون أصنامهم بالزَّعفرانِ فيجفُّ، فيأتي الذُّبابُ فيختلسه[٣].

وقال ابنُ جُريجٍ: كانوا إذا طيَّبوا أصنامَهم عجنوا طيبهم بشيءٍ من الحلواءِ، كالعسلِ ونحوه، فيقعُ عليه الذُّبابُ فيسلبها إيَّاه، فلا تستطيعُ الآلهةُ ولا من عبدَها أن يمنعه ذلك.

وقال السُّدِّيُّ: كانوا يجعلون للآلهة طعامًا، فيقعُ الذُّبابُ عليه فيأكل منه[٤].

(١) في البحر المحيط (٧/ ٥٣٧) عن الحسن، ويعقوب، وهارون، والخفاف، ومحبوب، عن أبي عمرو.

(٢) عن اليماني، وموسى الأسوري في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، وزاد في التحصيل (٤/ ٤٧٠) عمرو بن فائد.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٠).

(٤) انظر: المصدر السابق.

قال ثعلبٌ: وإنَّما قال: ﴿لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ فجعل أفعالَ الآلهةِ كأفعالِ الآدميين، إذ كانوا يعظِّمونها ويذبحونَ لها وتخاطب، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[النمل: ١٨] لما خاطبهم جعلهم كالآدميين، ومثله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقد بيَّنا هذا المعنى في الأعرافِ[1] عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ الطَّالب: الصَّنم، والمطلوبُ: الذُّباب، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: الطَّالبُ: الذُّباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصَّنم، والمطلوبُ: الصَّنم يطلب الذُّباب منه سلب ما عليه، روي عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: الطَّالبُ: عابدُ الصَّنمِ يطلبُ التَّقرُّب بعبادتِه، والمطلوبُ: الصَّنم، هذا معنى قول الضَّحَّاك، والسُّدِّي.

قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظموه حقَّ عظمته، إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ لا يقهرُ ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يرامُ.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ [الحج: ٧٥-٧٦].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٩١).

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ الأنبياء المرسلين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لمقالةِ العبادِ ﴿بَصِيرٞ﴾ بمن يتَّخذه رسولًا.

وزعم مُقاتلٌ أنَّ هذه الآية نزلت حين قالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾[ص: ٨] (١).

قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾ الإشارةُ إلى الذين اصطفاهم؛ وقد بيَّنا معنى ذلك في آية الكرسي (٢).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ قال المفسِّرون: المرادُ: صلُّوا، لأنَّ الصَّلاةَ لا تكون إلَّا بالرُّكوع والسُّجودِ، ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: وحِّدوه [٥٧٠/ب] ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ يريد: أبوابَ المعروفِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي: لكي تسعدوا وتبقوا في الجنَّةِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٤٠).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).

فصل

لم يختلف أهلُ العلمِ في السَّجدةِ الأولى من الحجِّ، واختلفوا في هذِهِ السَّجدةِ الأخيرةِ؛ فروي عن عمرَ، وابنِ عمرَ، وعمار، وأبي الدَّرداءِ، وأبي موسى، وابنِ عبَّاسٍ: أنَّهم قالوا: في الحجِّ سجدتان، وقالوا: فضِّلت هذه السُّورة على غيرها بسجدتين، وبهذا قال أصحابُنا، وهو مذهبُ الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وروي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: في الحجِّ سجدةٌ، وبهذا قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ المسيبِ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وإبراهيمُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وأبو حنيفةَ وأصحابه، ومالكٌ.

ويدلُّ على الأوَّلِ ما روى عقبةُ بنُ عامرٍ، قال: قلت: يا رسول الله أفي الحجِّ سجدتان؟ قال: «نَعَمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْهُمَا فَلَا يَقْرَأْهُمَا»[1].

فصل

واختلف العلماءُ في عدد سجودِ القرآنِ، فروي عن أحمدَ روايتان، إحداهما: أنَّها أربعُ عشرة سجدة، وبه قال الشَّافعيُّ، والثَّانية: أنَّها خمس عشرة، فزاد سجدة ص، وقال أبو حنيفةَ: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخرِ الحجِّ، وأبدل منها سجدة ص.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥١ ـ ١٥٥)، وأبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، والطبراني في الكبير (٨٤٦)، والدار قطني في السنن (١٥٢١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٣)، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة أجمع أصحاب الحديث على ضعفه وترك الاحتجاج بما ينفرد به.

فصل

وسجود التِّلاوة سنةٌ، وقال أبو حنيفةَ: واجبٌ، ولا يصحُّ سجودُ التِّلاوةِ إلَّا بتكبيرةِ الإحرامِ والسَّلام، خلافًا لأصحابِ أبي حنيفةَ وبعضِ أصحابِ الشَّافعيِّ.

ولا يجزئ الرُّكوعُ عن سجودِ التِّلاوةِ، وقال أبو حنيفةَ: يجزئ.

ولا يسجدُ المستمع إذا لم يسجد التَّالي، نصَّ عليه أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وتكره قراءةُ السَّجدةِ في صلاةِ الإخفات، خلافًا للشَّافعيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ **في هذا الجهادِ ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه فعلُ جميع الطَّاعاتِ، هذا قولُ الأكثرين.

والثاني: أنَّه جهادُ الكفَّارِ، قاله الضَّحَّاكُ.

والثالث: أنَّه جهادُ النَّفسِ والهوى، قاله عبدُ الله بنُ المباركِ.

فأمَّا حقُّ الجهادِ، **ففيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه الجدُّ في المجاهدةِ، واستيفاء الإمكانِ فيها.

والثاني: أنَّه إخلاصُ النيَّة لله ﷻ.

والثالث: أنَّه فعلُ ما فيه وفاء لحقِّ الله ﷻ.

فصل

وقد زعم قومٌ أنَّ هذه الآية منسوخةٌ، واختلفوا في ناسخها على قولين:

أحدهما: قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والثاني: قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال آخرون: بل هي محكمةٌ، ويؤكِّده القولان الأوَّلان في تفسير حقِّ الجهادِ، وهو الأصحُّ، لأنَّ الله تعالى لا يكلِّفُ نفسًا إلَّا وُسعها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي: اختاركم واصطفاكم لدينه.

والحرجُ: الضِّيق، فما من شيءٍ وقع الإنسانُ فيه إلَّا وجد له في الشَّرعِ مخرجًا بتوبةٍ أو كفَّارةٍ أو انتقالٍ إلى رخصةٍ ونحو ذلك.

وروي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: الحرج: ما كان على بني إسرائيل من الإصرِ والشَّدائدِ، وضعه الله عن هذه الأمَّةِ(١).

قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾.

قال الفرَّاءُ: المعنى: وسَّع عليكم كملَّة أبيكم، فإذا ألقيت الكاف نصبت، ويجوز النَّصبُ على معنى الأمرِ بها، لأنَّ أوَّل الكلامِ أمرٌ، وهو [٥٧١/أ] قوله: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ والزموا ملَّةَ أبيكم(٢).

فإن قيل: هذا الخطابُ للمسلمين، وليس إبراهيم أبًا لكلهم.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

فالجواب: أنَّه إن كان خطابًا عامًّا للمسلمين، فهو كالأب لهم، لأنَّ حرمته وحقَّه عليهم كحقِّ الوالدِ، وإن كان خطابًا للعربِ خاصَّة، فإبراهيمُ أبو العربِ قاطبة، هذا قولُ المفسِّرين.

قال الشَّيخُ[1]: والذي يقع لي أنَّ الخطابَ لرسولِ الله ﷺ، لأنَّ إبراهيمَ أبوه، وأمَّةُ رسولِ الله ﷺ داخلةٌ فيما خُوطِبَ به رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **في المشارِ إليه قولان**:

أحدهما: أنَّه الله ﷻ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والجمهورُ؛ فعلى هذا في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ **قولان**:

أحدهما: من قبل إنزالِ القُرآنِ سمَّاكم بهذا في الكتب التي أنزلها.

والثاني: من قبل أي: في أمِّ الكتابِ، وقوله: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ أي: في القرآنِ.

والثاني: أنَّه إبراهيمُ عليه السلام حين قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فالمعنى: من قبل هذا الوقتِ، وذلك في زمانِ إبراهيم عليه السلام، وفي هذا الوقتِ حين قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾، هذا قولُ ابن زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكم وسمَّاكم ليكون الرَّسولُ، يعني محمَّدًا ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامةِ أنَّه قد بلَّغكم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في البقرةِ[2] إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾.

---

(١) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: سلوه أن يعصمكم من كلِّ ما يسخط ويكره[١].

وقال الحسنُ: تمسَّكوا بدينِ الله[٢].

وما بعد هذا مشروحٌ في الأنفالِ[٣].

---

(١) التفسير الوسيط (٣/ ٢٨٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٤٠).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة الكهف	
١، ٦	٧
٧، ٨	١١
٩، ١٢	١٣
١٣، ١٧	٢٥
١٨	٢٩
١٩، ٢٠	٣٣
٢١	٣٧
٢٢، ٢٤	٣٩
٢٥، ٢٦	٤٩
٢٧، ٢٨	٥١
٢٩	٥٥
٣٠، ٣١	٥٩
٣٢، ٣٦	٦٣
٣٧، ٤١	٦٩
٤٢، ٤٥	٧٥
٤٦، ٥١	٧٩
٥٢، ٥٣	٨٧
٥٤، ٥٥	٨٩

٥٦، ٥٩	....	٩٣
٦٠، ٦٥	....	٩٥
٦٦، ٦٩	....	١٠٥
٧٠، ٧٨	....	١٠٧
٧٩	....	١١٩
٨٠، ٨١	....	١٢١
٨٢	....	١٢٣
٨٣	....	١٢٧
٨٤، ٨٦	....	١٢٩
٨٦، ٨٨	....	١٣١
٨٩، ٩١	....	١٣٣
٩٢، ٩٨	....	١٣٥
٩٩، ١٠٢	....	١٤٥
١٠٣، ١٠٦	....	١٤٧
١٠٧، ١٠٨	....	١٤٩
١٠٩	....	١٥١
١١٠	....	١٥٣

رقم الآية		الصفحة
	سورة مريم	
١، ٦	....	١٥٥
٧، ١١	....	١٦٣
١٢، ١٥	....	١٦٧
١٦، ٢١	....	١٧١

٢٢، ٢٦ .... ١٧٥
٢٧، ٣٣ .... ١٨٧
٣٤، ٣٦ .... ١٩٣
٣٧، ٤٠ .... ١٩٥
٤١، ٥٠ .... ١٩٩
٥١، ٥٧ .... ٢٠٣
٥٨، ٦٥ .... ٢٠٩
٦٦، ٧٢ .... ٢١٩
٧٣، ٧٤ .... ٢٢٧
٧٥، ٧٦ .... ٢٢٩
٧٧، ٨٠ .... ٢٣١
٨١، ٨٤ .... ٢٣٣
٨٥، ٨٧ .... ٢٣٥
٨٨، ٩٥ .... ٢٣٧
٩٦، ٩٨ .... ٢٣٩

رقم الآية	الصفحة
سورة طه	

١، ٨ .... ٢٤١
٩، ١٦ .... ٢٤٥
١٧، ٢٣ .... ٢٥٣
٢٤، ٣٥ .... ٢٥٩
٣٦، ٤٢ .... ٢٦١
٤٣، ٤٨ .... ٢٦٧

٤٩، ٥٥ .... ٢٧١
٥٦، ٦٤ .... ٢٧٥
٦٥، ٧٣ .... ٢٨٥
٧٤، ٧٦ .... ٢٩١
٧٧، ٨٢ .... ٢٩٣
٨٣، ٨٩ .... ٢٩٧
٩٠، ٩٤ .... ٣٠٣
٩٥، ٩٨ .... ٣٠٥
٩٩، ١٠٤ .... ٣٠٩
١٠٥، ١١٤ .... ٣١١
١١٥، ١٢٧ .... ٣١٧
١٢٨، ١٣٠ .... ٣٢٥
١٣١، ١٣٢ .... ٣٢٧
١٣٣، ١٣٥ .... ٣٢٩

رقم الآية	الصفحة
سورة الأنبياء	

١، ١٠ .... ٣٣٣
١١، ٢٤ .... ٣٣٩
٢٥، ٢٩ .... ٣٤٥
٣٠، ٣٣ .... ٣٤٧
٣٤، ٣٦ .... ٣٥١
٣٧، ٤١ .... ٣٥٣
٤٢، ٤٥ .... ٣٥٥

٤٦، ٤٧ .... ٣٥٧
٤٨، ٥٠ .... ٣٥٩
٥١، ٥٨ .... ٣٦١
٥٩، ٦٣ .... ٣٦٥
٦٤، ٦٧ .... ٣٧٣
٦٨، ٧٣ .... ٣٧٥
٧٤، ٧٥ .... ٣٧٩
٧٦، ٨٢ .... ٣٨١
٨٣، ٨٦ .... ٣٨٧
٨٧، ٨٨ .... ٣٩٥
٨٩، ٩٢ .... ٤٠١
٩٣، ١٠٠ .... ٤٠٥
١٠١، ١١٢ .... ٤١٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الحج	

١، ٤ .... ٤٢٣
٥، ٧ .... ٤٢٩
٨، ١٠ .... ٤٣٥
١١، ١٤ .... ٤٣٧
١٥، ١٧ .... ٤٣٩
١٨ .... ٤٤١
١٩، ٢٢ .... ٤٤٣
٢٣، ٢٤ .... ٤٤٥

٢٥ .... ٤٤٧
٢٦، ٢٩ .... ٤٥٣
٣٠، ٣٣ .... ٤٥٩
٣٤، ٣٥ .... ٤٦٣
٣٦، ٣٧ .... ٤٦٥
٣٨، ٤١ .... ٤٧١
٤٢، ٤٥ .... ٤٧٥
٤٦، ٤٨ .... ٤٧٧
٤٩، ٥٥ .... ٤٧٩
٥٦، ٥٩ .... ٤٨٣
٦٠، ٦٢ .... ٤٨٥
٦٣، ٧٠ .... ٤٨٧
٧١، ٧٢ .... ٤٨٩
٧٣، ٧٤ .... ٤٩١
٧٥، ٧٧ .... ٤٩٣
٧٨ .... ٤٩٥

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد العاشر

المؤمنون - النور - الفرقان - الشعراء
النمل - القصص - العنكبوت - الروم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير في علم التفسير

١٠

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

للنشر والتوزيع
الدار الشامية

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا
شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26
تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856
الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد العاشر

المؤمنون - الروم

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[المؤمنون: ١-١١].

سورة المؤمنين مكيَّةٌ في قول الجميع، روى عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آياتٍ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشرِ آياتٍ، رواه الحاكمُ أبو عبد الله في صحيحه[1].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٥٠)، وعبد بن حميد (١٥)، والنسائي في الكبرى (١٤٣٩)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٢) من طريق عبد الرزاق، عن يونس بن أسلم، عن يونس بن يزيد الأيلي، عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القاريِّ، عن عمر، به.

قال النسائي: هذا حديث منكر، لا نعلم أحدًا رواه غير يونس بن سُليم، ويونس بن سُليم لا نعرفه.

وقال العقيلي: يونس بن سليم لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا - يعني: يونس بن سليم - فقال: أظنه لا شيء.

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَاطَ حَائِطَ الْجَنَّةِ لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَغَرَسَ غَرْسَهَا بِيَدِهِ فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ لَهَا: طُوبَى لَكِ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ»[1].

قال الفرَّاءُ: ﴿قَدْ﴾ هاهنا يجوز أن تكون تأكيدًا لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريبًا للماضي من الحال، لأنَّ قد تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامتِ الصلاةُ، قبل حال قيامها؛ فيكون معنى الآية: إنَّ الفلاح قد حصل لهم، وإنَّهم عليه في الحال.

وقرأ أُبي بنُ كعبٍ، وعكرمةُ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وطلحةُ بن مُصَرِّفٍ: «قَدْ أُفلِحَ» بضمِّ الألف وكسر اللامِ وفتحِ الحاءِ على ما لم يسمَّ فاعله[2].

قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الآية: قد نال المؤمنون البقاء الدائم في الخير، ومن قرأ: «قَدْ أُفلِحَ» بضمِّ الألف، كان معناه: قد أُصِيرُوا إلى الفلاحِ[3]. [٥٧١/ب]

وأصل الخشوع في اللُّغة: الخضوعُ والتواضعُ.

---

(١) رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (٣٥٠٧)، والطبراني في الأوسط (٣٧٠١) من طريق عدي بن الفضل، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد به بنحوه.
قال البزار: لا نعلم أحداً رفعه إلا عدي، وليس بالحافظ، وهو بصري متقدم الموت.

(٢) عن طلحة بن مصرف في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٩)، وفي البحر المحيط (٦/ ٣٩٥) عن عمرو بن عبيد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥).

وفي المراد بالخشوع في الصلاة أربعةُ أقوال:

أحدها: أنَّه النظرُ الى موضعِ السُّجود.

روى أبو هريرةَ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ»، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ فنكس رأسه[1].

وإلى هذا المعنى ذهب مُسلمُ بنُ يسارٍ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّه تركُ الالتفات في الصَّلاة، وأن تُلين كنفك للرَّجل المسلم، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

والثالث: أنَّه السكون في الصلاة، قاله مجاهدٌ، وإبراهيمُ، والزُّهريُّ.

والرابع: أنَّه الخوفُ، قاله الحسنُ.

وفي المراد باللَّغو هاهنا خمسة أقوالٍ:

أحدها: الشِّرك، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: الباطل، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: المعاصي، قاله الحسنُ.

والرابع: الكذب، قاله السُّدِّيُّ.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٦)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٤/ ٣٧٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣١٣) من طريق إسماعيل بن علية، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، به، بنحوه. وصحَّحه الحاكم، وتعقَّبه الذهبي فقال: الصحيح مرسل.
وقال البيهقيُّ: ورواه حمَّاد بن زيد، عن أيُّوبَ مرسلًا، وهذا هو المحفوظ.

والخامس: الشتمُ والأذى الذي كانوا يسمعونه من الكفَّار، قاله مقاتلٌ(١).

قال الزَّجَّاجُ: واللَّغو: كلُّ لعبٍ ولهوٍ، وكلُّ معصيةٍ فهي مطَّرحة مُلغاة(٢).

فالمعنى شغلهم الجِدُّ فيما أمرهم الله به عن اللَّغو.

قوله تعالى: ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أي: مؤدُّون، فعبَّر عن التأدية بالفعل، لأنَّه فعلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾.

قال الفَرَّاءُ: «على» بمعنى «مِنْ».

وقال الزَّجَّاجُ: المعنى؛ أنهم يُلامون في إطلاق ما حُظر عليهم وأُمروا بحفظه، ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ فإنَّهم لا يُلامون(٣).

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ﴾ أي: طلبَ ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سوى الأزواج والمملوكات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ يعني: الجائرين الظالمين، لأنَّهم قد تجاوزوا إلى ما لا يحلُّ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: «لِأَمَانَتِهِم» وهو اسمُ جنسٍ(٤)، والمعنى: للأمانات التي ائتمنوا عليها، فتارة تكون الأمانةُ بين العبدِ وبين ربِّه، وتارة تكون بينه وبين جنسه، فعليه مراعاة الكل، وكذلك العهد،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الحجة (٥/ ٢٨٧)، والتيسير (ص:١٥٨)، والتحصيل (٤/ ٤٨٣).

ومعنى ﴿رَٰعُونَ﴾: حافظون.

قال الزَّجَّاجُ: وأصل الرَّعي في اللُّغة: القيامُ على إصلاح ما يتولَّاه الراعي من كلِّ شيءٍ[١].

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: ﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾ على الجمع.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «صَلَاتِهِمْ» على التوحيد، وهو اسم جنسٍ[٢].

والمحافظة على الصلوات: أداؤها في أوقاتها.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ ذكر السُّدِّيُّ عن أشياخه أنَّ الله تعالى يرفع للكفَّار الجنَّة، فينظرون إلى بيوتهم فيها لو أنَّهم أطاعوا، ثمَّ تقسم بين المؤمنين فيرثونهم، فذلك قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[٣].

وقد شرحنا هذا في الأعراف[٤] عند قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾، وشرحنا معنى الفردوس في الكهف[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧).

(٢) السبعة (ص:٤٤٤)، والحجة (٥/ ٢٨٧)، والمبسوط (١/ ٣١١).

(٣) ذُكر نحو كلام السُّدِّي من قول أبي هريرةَ. انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ١٥).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٤٣).

(٥) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (١٠٧).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه آدمُ عليه السلام، وإنَّما قيل: من ﴿ سُلَٰلَةٍ ﴾؛ لأنَّه استلَّ من كلِّ الأرض، هذا مذهبُ سلمانَ الفارسي، وابنِ عبَّاسٍ في روايةٍ، وقتادةَ.

والثاني: أنَّه ابنُ آدمَ.

[٥٧٢/أ] والسلالة: النُّطفة استلَّت من الطِّين، والطينُ: آدمُ عليه السلام، قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

قال الزَّجَّاج: والسلالة فُعَالة، وهي القليل مما ينسلُّ، وكل مبنيٍّ على فعالة يراد به القليل، من ذلك: الفُضَالة، والنُّخَالة، والقُلَامة[١].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ ﴾ يعني: ابن آدم ﴿ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ ﴾ وهو الرَّحم ﴿ مَّكِينٍ ﴾ أي: حريز، قد هيئ لاستقراره فيه.

وقد شرحنا في سورة الحجِّ معنى النطفة، والعلقة، والمضغة[٢].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٥).

قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ﴾ على الجمع.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «عظمًا فَكَسَوْنَا العَظْمَ» على التوحيد[١].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ وهذه الحالةُ السابعةُ.

قال عليٌّ عليه السلام: لَا تكون مَوْءُودَةً حتى تمرَّ على التَّارَات السَّبْعِ[٢].

وفي محلِّ هذا الإنشاء قولان:

أحدهما: أنَّه بطن الأمِّ.

ثمَّ في صفة الإنشاء قولان:

أحدهما: أنَّه نفخ الروح فيه، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال أبو العالية، والشعبيُّ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، والضَّحاكُ في آخرين.

والثاني: أنَّه جعله ذكرًا أو أنثى، قاله الحسنُ.

---

(١) السبعة (ص:٤٤٤)، والحجّة (٥/ ٢٨٨)، والمبسوط (١/ ٣١١).

(٢) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ١٧٤)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/ ٨٧٧) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن معمر بن أبي حُيَيَّة عن عبيد بن رفاعة عن أبيه، قال: جلس إلى عُمَر بن الخطاب، علي، والزبير، وسعد، في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكروا العزل فقالوا: لا بأس به، فقال رجل: إنهم يزعمون أنها الموءودة الصغرى؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: لا تكون مَوْءُودَةً حتى تمر على التارات السبع تكون سلالة من طين، ثم تكون نطفة، ثم تكون عَلَقَة، ثم تكون مضغة، ثم تكون لحمًا، ثم خلقًا آخر. فقال: عُمَر رضي الله عنه: صدقت، أطال الله بقاءك.

والقول الثاني: أنّه بعد خروجه من بطن أمّه.

ثمَّ في صفة هذا الإنشاء أربعةُ أقوال:

أحدها: أنَّ ابتداء ذلك الإنشاء أنّه استهل، ثم دل على الثدي، وعلم كيف يبسط رجليه الى أن قعد، إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشى، إلى أن فطم، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن تقلّب في البلاد، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنّه استواء الشباب، قاله ابنُ عمر، ومجاهدٌ.

والثالث: أنّه خروج الأسنان والشعر، قاله الضَّحاكُ، فقيل له: أليس يولد وعلى رأسه الشعر؟ فقال: وأين العانة والإبط؟

والرابع: أنّه إعطاءُ العقل والفهم، حكاه الثعلبيُّ[١].

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: استحقَّ التعظيمُ والثناءُ.

وقد شرحنا معنى تبارك في الأعراف[٢].

﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ أي: المصوِّرين والمقدرين، والخلق في اللُّغة: التقدير.

وجاء في الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمرُ، إلى قوله تعالى: ﴿خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾، فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ خُتِمَتْ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»[٣].

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٤٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور(٦/ ٩٢) عن صالح أبي الخليل، به. =

فإن قيل: كيف الجمعُ بين قوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

فالجواب: أنَّ الخلقَ يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير: [من الكامل](١)

.... وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصوِّرون ويقدِّرون ويصنعون الشيء، فالله خير المصوِّرين والمقدِّرين.

وقال الأخفشُ: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ عند انقضاء آجالكم.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وعكرمةُ، وابنُ أبي عبلةَ: «لَمَائِتُونَ» بألفٍ(٣).

=ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في إتحاف المهرة (٦/ ٢٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٩)، والطبراني في الأوسط (٤٦٥٧) من طريق جابر الجعفي، عن الشعبي، عن زيد بن ثابت قال: فذكره... وفيه معاذ بن جبل بدلًا من عمر.

(١) في ديوانه (ص: ٩٤)، ولسان العرب (١٠/ ٨٧ـ ١٥/ ١٥٣)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢١٤)، والمخصص (٤/ ١١١)، وصدره: «وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ».

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٥٤).

(٣) عن عيس بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٥٢) عن زيد بن علي، وابن أبي عبلة، وابن محيصن.

[٥٧٢/ب] قال الفَرَّاء: والعرب تقول لمن لم يمت: إنَّك مائت عن قليلٍ، وميت، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنَّما يقال في الاستقبال فقط، وكذلك يقال: هذا سيد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنَّه يسودهم عن قليل؛ قلت: هذا سائد قومه عن قليل، وكذلك هذا شريف القوم، وهذا شارف عن قليل، وهذا الباب كله في العربيَّة على ما وصفت لك[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٧-٢٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ يعني: السموات السبع.

قال الزَّجَّاج: كلُّ واحدة طريقة[2].

وقال ابنُ قتيبةَ: إنَّما سمِّيت طَرَائِق بالتَّطَارق، لأنَّ بعضها فوق بعضٍ، يقال: طارقت الشيء: إذا جعلت بَعْضَه فوق بعضٍ[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٦).

أحدها: ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماءً أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

والثاني: ما كنَّا تاركين لهم بغيرِ رزقٍ، فأنزلنا المطر.

والثالث: لم نغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ يعلمه الله.

وقال مُقاتلٌ: بقدر ما يكفيهم للمعيشة[١].

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ هي معطوفةٌ على قوله: ﴿جَنَّٰتٍ﴾.

وقرأ أبو مجلزٍ، وابنُ يعمر، وإبراهيمُ النَّخعي: «وَشَجَرَةٌ» بالرفع[٢].

والمراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون.

فإن قيل: لماذا خصَّ هذه الشجرة من بين الشجر؟

فالجواب من أربعة أوجهٍ:

أحدها: لكثرة انتفاعهم بها، فذكَّرهم من نعمه ما يعرفون، وكذلك خصَّ النخيل والأعناب في الآية الأولى، لأنَّهما كانا جل ثمار الحجاز وما والاها، وكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف.

والثاني: لأنَّهم لا يكادون يتعاهدونها بالسقي، وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٣).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩) عن نافع، وعاصم.

والثالث: أنَّها تنبت بالماء الذي هو ضد النَّار، وفي ثمرتها حياة للنار ومادةٌ لها.

والرابع: لأنَّ أوَّل زيتونة نبتت بذلك المكان فيما زعم مقاتل(١).

قوله تعالى: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «طُورِ سِيْنَاءَ» مكسورة السين.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، مفتوحة السين، وكلهم مدَّها(٢).

قال الفَرَّاءُ: العرب تقول: سَيْنَاء، بفتح السين في جميع اللُّغات، إلَّا بني كنانة، فإنَّهم يكسرون السين(٣).

قال أبو عليٍّ: ولا تنصرف هذه الكلمة، لأنَّها جعلت اسمًا لبقعة أو أرض، وكذلك سينين، ولو جعلت اسمًا للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكرة لصرفت، لأنَّك كنت قد سميت مذكرًا بمذكَّر(٤).

والطور: الجبل.

وفي معنى سَيْنَاء خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه بمعنى الحسن، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٤).

(٢) السبعة (ص: ٤٤٤ـ ٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٨٩)، والمبسوط (١/ ٣١١).

(٣) لغات القرآن (ص: ١٠٢).

(٤) الحجة (٥/ ٢٨٩).

وقال الضَّحاكُ: الطور: الجبل بالسريانية، وسَيْنَاء: الحسن بالنبطية.

وقال عطاء: يريد الجبل الحسن.

والثاني: أنَّه المبارك، رواه العوفي، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه اسم حجارة بعينها، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده، قاله مجاهد. [٥٧٣/أ]

والرابع: أنَّ طور سَيْنَاء: الجبل المشجر، قاله ابنُ السائب.

والخامس: أن سَيْنَاء: اسم المكان الذي به هذا الجبل، قاله الزَّجَّاج(١).

قال الواحديُّ: وهو أصحُّ الأقوال(٢).

قال ابنُ زيدٍ: وهذا هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيلة(٣).

قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «تُنبِت» برفع التاء وكسر الباء.

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بفتح التَّاءِ وضمِّ الباء(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠).

(٢) الوسيط (٣/ ٢٨٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠).

(٤) السبعة (ص:٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩١)، والتيسير (ص:١٩٥).

قال الفَرَّاءُ: وهما لغتان: نبتت، وأنبتت(١).

وكذلك قال الزَّجَّاج: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد(٢).

قال زهير [من الطويل](٣):

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

قال: ومعنى ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾: تنبت ومعها دهنٌ، كما تقول: جاءني زيد بالسيف، أي: جاءني ومعه السيف.

وقال أبو عبيدةَ: معنى الآية: تنبت الدهن، والباء زائدةٌ،(٤) كقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ [الحج: ٢٥] وقد بيَّنا هذا المعنى هناك.

قوله تعالى: ﴿وَصِبۡغٖ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ يعمر، وإبراهيمُ النخعي، والأعمشُ: «وصِبْغًا» بالنصب(٥).

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «وَصِبَاغٍ» بألفٍ مع الخفضِ(٦).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠).

(٣) في ديوانه (ص: ١١١)، وجمهرة اللغة (ص: ٢٥٧)، ولسان العرب (٢/ ٥٦)، والمحتسب (١/ ١٠٢)، وخزانة الأدب (١/ ٥٠)، ومغني اللبيب (١/ ١٠٢).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٥٦).

(٥) عن الأعمش في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٥٥).

(٦) عن عامر بن عبد الله في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٥٥).

قال ابنُ قتيبةَ: الصبغ مثل الصباغ، كما يقال: دِبْغٌ ودِباغ، ولِبْسٌ ولِباس.

قال المفسِّرونَ: والمراد بالصبغ هاهنا: الزيت لأنَّه يلون الخبز إذا غُمس فيه، والمراد أنَّه إدامٌ يصبغ به.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المؤمنون: ٢١-٢٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم ﴾.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «نَسْقِيكُم» بفتح النُّون.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بضمِّها[1].

وقد شرحنا هذا في النَّحل[2] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ من لحومها، وأولادها والكسب عليها.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ يعني الإبل خاصَّة ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ فالإبل تحمل في البَرِّ، والسُّفنُ تحمل في البحر.

---

(١) السبعة (ص:٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩٢)، والتيسير (ص: ١٥٩).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٦٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣-٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ قال المفسِّرون: هذا تعزيةٌ لرسول الله ﷺ بذكر هذا الرسول الصابر ليتأسَّى به في صبرِه، وليعلم أنَّ الرسل قبله قد كذَّبوا.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يعلوكم بالفضيلة، فيصير متبوعًا، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد شيءٌ سواه ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ تبلغ عنه أمره، لم يرسل بشرًا ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

فأمَّا الجنَّة فمعناها: الجنون.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه الموت، فتقديره: انتظروا موته.

والثاني: أنَّه وقتٌ منكرٌ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾.

وقرأ عكرمةُ، وابنُ مُحيصنٍ: «قال ربُّ» بضمِّ الباء[1]، وفي القصَّة الأخرى [المؤمنون: ٣٩].

---

(١) عن أبان بن تغلب، وابن محيصن، وأبي جعفر المدني، وإسماعيل، عن ابن كثير في مختصر ابن خالويه (ص:١٠١)، وفي التحصيل (٤/ ٤٨٤) عن ابن محيصن، ورواية عن ابن كثير.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

وقرأ يعقوبُ: «كذبوني» بياء، وفي القصة التي تليها أيضًا: «فاتقوني» [المؤمنون: ٥٢] «أن يحضروني» [المؤمنون: ٩٨] «ربِّ ارجعوني» [المؤمنون:٩٩] «ولا تكلموني» [المؤمنون: ١٠٨]، أثبتهن في الحالين يعقوبُ، والمعنى: انصرني بتكذيبهم، أي: انصرني بإهلاكهم جزاءً لهم بتكذيبهم.

[٥٧٣/ب] ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قد شرحناه في هود[1] إلى قوله: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدخل في سفينتك ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: من «كُلِّ» بكسر اللام من غير تنوين.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتَّنوين[2].

قال أبو عليٍّ: قراءة الجمهور إضافة كل إلى زوجين، وقراءة حفصٍ تؤول إلى زوجين، لأنَّ المعنى: من كلِّ الأزواج زوجين[3].

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مُنزَلًا﴾ بضمِّ الميمِ.

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٣٧).

(٢) السبعة (ص:٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩٤)، والمبسوط (١/ ٢٣٧).

(٣) الحجة (٥/ ٢٩٤).

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: فتحها[(١)].

والمَنزِلُ، بفتح الميم: اسمٌ لكلِّ ما نزلت به، والمُنزل، بضمِّها: المصدر بمعنى الإنزال؛ تقول أنزلته إنزالًا ومنزلًا.

وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان:

أحدهما: عند نزوله في السفينة.

والثاني: عند نزوله من السفينة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: في قصَّة نوح وقومه ﴿ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا ﴾ أي: وما كنَّا ﴿ لَمُبْتَلِينَ ﴾ أي: لمختبرين إيَّاهم بإرسال نوح إليهم.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ يعني: عادًا ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ وهو هود، هذا قول الأكثرين.

وقال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: هم ثمود، والرسول صالح.

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: موضع ﴿ أَنَّكُمْ ﴾ نصب على معنى: أيعدكم أنَّكم مخرجون إذا متم، فلما طال الكلام أعيد ذكر أنَّ كقوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة: ٦٣][(٢)].

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٥)، والحجة (٥/ ٢٩٣)، والتيسير (ص: ١٥٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٤).

قوله تعالى: ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ﴾ بفتح التَّاءِ فيهما في الوصل، وإسكانها في الوقف[1].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وهارونُ، عن أبي عمرٍو: «هيهاتًا هيهاتًا» بالنَّصبِ والتَّنوينِ[2].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وأبو حيوةَ الحضرميُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «هَيْهَاتٌ هَيْهَاتٌ» بالرَّفعِ والتَّنوينِ[3].

وقرأ أبو العاليةَ، وقتادةُ: «هَيْهَاتٍ هَيْهَاتٍ» بالخفض والتنوين[4].

وقرأ أبو جعفرٍ: « هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ » بالخفض من غير تنوين، وكان يقف بالهاء[5].

وقرأ أبو المتوكِّلِ النَّاجيُّ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ: «هيهاتُ هيهاتُ» بالرفع من غير تنوين.

---

(١) المبسوط (ص: ٣١٢).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٩)، وانظر: المحرر (٤/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٢).

(٣) المحتسب (٢/ ٩٠)، والتحصيل (٤/ ٤٨٤) عن أبي حيوة.

(٤) المحتسب (٢/ ٩٠)، والتحصيل (٤/ ٤٨٤) عن عيسى بن عمر الثقفي، وزاد في المحرر (٤/ ١٤٣) أبا حيوة.

(٥) المحتسب (٢/ ٩٠)، والتحصيل (٤/ ٤٨٤)، والمحرر (٤/ ١٤٣) عن أبي جعفر.

وقرأ معاذٌ القارئ، وابنُ يعمر، وأبو رجاءٍ، وخارجةُ عن أبي عمرٍو: «هَيْهَاتْ هَيْهَاتْ» بإسكان التاء فيهما(١).

وفي «هيهات» عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القرَّاء، والثامنة: «إيهات»، والتاسعة: «إيهان» بالنون، والعاشرة: «إيها» بغير نون، ذكرهن ابنُ القاسم(٢).

وأنشد الأحوصُ في الجمع بين لغتين منهن(٣)[من الطويل]:

تَذكَّرُ أيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ الصِّبَا وهَيْهاتِ هَيْهاتاً إليكَ رُجُوعُها

قال الزَّجَّاجُ: فأمَّا الفتح، فالوقف فيه بالهاء، تقول: هيهاه إذا فتحت ووقفت بعد الفتح، فإذا كسرت ووقفت على التاء كنت ممن ينون في [٥٧٤/أ] الوصل، أو كنت ممن لا ينون(٤).

وتأويل هيهات: البعد لما توعدون، وإذا قلت: هيهات ما قلت، فمعناه: بعيد ما قلت.

وإذا قلت: هيهات لما قلت، فمعناه: البعد لما قلت.

---

(١) المحتسب (٢/ ٩٠)، والمحرر (٤/ ١٤٣) عن عيسى الهمداني، وأبي عمرو.

(٢) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ١٨٦).

(٣) عن الأحوص في المذكر والمؤنث (١/ ١٨٧)، وإيضاح الوقف والابتداء (١/ ٢٩٩)، ولسان العرب (١٣/ ٥٥٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢).

ويقال: أيهات في معنى هيهات، وأنشدوا[١] [من الطويل]:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ

قال أبو عمرو بنُ العلاء: إذا وقفت على هيهات فقل: هيهاه[٢].

وقال الفَرَّاءُ: الكسائيُّ يختار الوقف بالهاء، وأنا أختار التاء[٣].

قوله تعالى: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «ما توعدون» بغير لامٍ[٤].

قال المفسِّرون: استبعد القوم بعثهم بعد الموتِ إغفالًا منهم للتفكُّر في بدو أمرهم وقدرة الله على إيجادهم، وأرادوا بهذا الاستبعاد أنَّه لا يكون أبدًا، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعنون: ما الحياة إلَّا ما نحن فيه، و ليس بعد الموت حياة.

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ وهم لا يقرُّون بالبعث؟

فعنه ثلاثة أجوبةٍ ذكرها الزَّجَّاجُ:

أحدها: نموت ويحيا أولادنا، فكأنَّهم قالوا: يموت قومٌ ويحيا قومٌ.

والثاني: نحيا ونموت، لأنَّ الواو للجمعِ، لا للترتيب.

---

(١) البيت لجرير في ديوانه (ص: ٩٦٥)، ولسان العرب (١٣/ ٥٥٣)، والخصائص (٣/ ٤٢)، وشرح المفصل (٤/ ٣٥)، والأشباه والنظائر (٨/ ١٣٣)، والعين (١/ ٦٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٣٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣٦).

(٤) عن ابن أبي عبلة في المحرر (٤/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٢).

والثالث: ابتداؤنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم نموت(١).

قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعنون الرَّسولَ.

وقد سبق تفسير ما بعد هذا(٢) إلى قوله: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: عن قليلٍ، وما زائدةٌ بمعنى التوكيد(٣).

قوله تعالى: ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ أي: على كفرهم، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم.

قال المفسِّرون: صاح بهم جبريلُ صيحةً رجفت لها الأرضُ من تحتهم، فصاروا لشدتها غثاء.

قال أبو عُبيدةَ: الغثاء ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به في شيءٍ(٤).

وقال ابنُ قتيبةَ: المعنى: فجعلناهم هلكى كالغثاء، وهو ما علَا السَّيْل من الزَّبَد والقَمْش، لأنَّه يذهب ويتفرَّق(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣٤).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧)، وتفسير سورة النحل الآية رقم (٣٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٥٨).

(٥) غريب القرآن (ص:٢٩٧).

وقال الزَّجَّاج: الغثاء: الهالك والبالي من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيته مخالطًا زبده[١].

وما بعد هذا قد سبق شرحه[٢] إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: «تترى كلما» منونة والوقف بالألف.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بلا تنوينٍ، والوقف عند نافعٍ، وابنُ عامرٍ بألف.

وروى هبيرةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ، أنَّه يقف بالياءِ.

قال أبو عليٍّ: يعني بقوله: يقف بالياءِ، أي: بألفٍ ممالة[٣].

قال الفَرَّاءُ: أكثر العرب على تركِ التَّنوينِ، ومنهم من نوَّن[٤].

قال ابنُ قتيبةَ: والمعنى: تَتَابع بِفَتْرَةٍ بين كل رسولين، وهو من التَّوَاتُر، والأصل: وَتْرَى، فقلبت الواو تاءً كما قلبوها في التَّقْوى، والتُّخمة[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٥).

(٣) السبعة (ص:٤٤٦)، والحجة (٥/ ٢٩٥)، والتيسير (ص:١٥٩).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٥) غريب القرآن (ص:٢٩٧).

وحكى الزَّجَّاجُ عن الأصمعيِّ أنَّه قال: معنى واترت الخبر: أتبعت بعضه بعضًا، وبين الخبرين هنيَّة(١). [٥٧٤/ ب]

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغوي قال: ومما تضعه العامَّة غير موضعه قولهم: تواترت كتبي إليك، يعنون: اتَّصلت من غير انقطاعٍ، فيضعون التواتر في موضع الاتِّصال، وذلك غلطٌ إنَّما التواتر مجيء الشيء ثمَّ انقطاعه ثمَّ مجيئه، وهو التفاعل من الوتر، وهو الفردُ، يقال: واترت الخبر، أتبعت بعضه بعضًا، وبين الخبرين هنيهة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أصلها وترى من المواترة، فأبدلت التاءُ من الواو، ومعناه: منقطعة متفاوتة، لأنَّ بين كلِّ نبيين دهرًا طويلاً.

وقال أبو هريرةَ: لا بأس بقضاءِ رمضانَ تترى، أي: منقطعًا. فإذا قيل: واتر فلانٌ كتبه، فالمعنى: تابعها، وبين كلِّ كتابين فترة(٢).

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: أهلكنا الأمم بعضهم في إثر بعضٍ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾.

قال أبو عبيدةُ: أي: يتمثَّل بهم في الشرِّ؛ ولا يقال في الخير: جعلته حديثًا(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤).

(٢) التكملة والذيل (ص:٨٤٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٥٩).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المؤمنون: ٤٥-٤٨].

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادته ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ أي: قاهرين للنَّاس بالبغي والتطاول عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ أي: مطيعون.

قال أبو عبيدةُ: كل من دان لملكٍ فهو عابدٌ له[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٤٩-٥٠].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: التوراة، أُعطيها جملة واحدة بعد غرق فرعونَ ﴿لَعَلَّهُمْ ﴾ يعني: بني إسرائيل، والمعنى: لكي يهتدوا.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «آيتين» على التثنية، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً ﴾ [الأنبياء: ٩١] وقد سبق شرحه[2].

قوله تعالى: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ ﴾ أي: جعلناهما يأويان ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «رُبوة» بضمِّ الراء.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٩١).

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ: بفتحها[١].

وقد شرحنا معنى الربوة في البقرة[٢].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مستويةٌ يستقرُّ عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار.

وقال الزَّجَّاجُ: أي: ذات مستقر ﴿وَمَعِينٍ﴾ وهو الماء الجاري من العيون[٣].

وقال ابنُ قتيبةَ: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: يستقرُّ بها للعمارة، ﴿وَمَعِينٍ﴾ هو الماء الظاهر، ويقال: هو مفعولٌ من العين، كأنَّ أصلَه مَعْيُون، كما يقال: ثوب مَخِيط، وبُرٌّ مَكِيل[٤].

واختلف المفسِّرون في موضع هذه الرَّبوة الموصوفة على أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها دمشقُ، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عبدُ الله بن سلام، وسعيدُ بن المسيِّب.

والثاني: أنَّها بيت المقدس، رواه عطاء عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أنَّها الرملة من أرض فلسطين، قاله أبو هريرةَ.

والرابع: مصرُ، قاله وهب بن منبِّه، وابنُ زيدٍ، وابنُ السائب.

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٦)، والحجة (٥/ ٢٩٦)، والمبسوط (١/ ١٥١).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٦٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥).

(٤) غريب القرآن (ص:٢٩٧).

فأمَّا السبب الذي لأجله أويا إلى الرَّبوة، فقال أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاس: فرَّت مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثمَّ رجعت إلى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة[١].

قال وهبُ بنُ مُنبِّهٍ: وكان الملك أراد قتل عيسى[٢].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥١- ٥٦].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾.

[٥٧٥/أ] قال ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ في آخرين: يعني بالرسل هاهنا محمَّدًا ﷺ وحده، وهو مذهبُ العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع، ويتضمَّن هذا أنَّ الرسل جميعًا كذا أمروا، وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ قتيبةَ، والزَّجَّاجُ[٣].

والمراد بالطيِّبات: الحلال.

قال عمرو بنُ شرحبيل: كان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمِّه[٤].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: الكشف والبيان (٣/ ٧٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «وأَنَّ» بالفتح وتشديد النون.

وافق ابنُ عامرٍ في فتح الألفِ، لكنَّه سكَّن النَّون.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿وَإِنَّ﴾ بكسر الألف وتشديد النون(١).

قال الفرَّاءُ: من فتح، عطف على قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾، و﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾، فموضعها خفض لأنَّها مردودةٌ على ما؛ وإن شئت كانت منصوبة بفعلٍ مضمر، كأنَّك قلت: واعلموا هذا؛ ومن كسر استأنف(٢).

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وأمَّا ابنُ عامرٍ، فإنَّه خفَّفَ النَّونَ المشدَّدة، وإذا خففت تعلَّق بها ما يتعلَّق بالمشدَّدة(٣).

وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في الأنبياء(٤) إلى قوله: ﴿زُبُرٗا﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ: «زُبَرًا» برفع الزاي وفتح الباء(٥).

وقرأ أبو الجوزاء، وابن السَّمَيْفَع: «زُبْرًا» برفع الزاي وإسكان الباء(٦).

---

(١) السبعة (ص:٤٤٦)، والحجة (٥/ ٢٩٦)، والتيسير (ص:١٥٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٣٧).

(٣) الحجة (٥/ ٢٩٦).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٩٢).

(٥) عن الأعمش، وأبي عمرو في التحصيل (٤/ ٥٠٠)، والمحرر (٤/ ١٤٧).

(٦) عبد الوهاب، عن أبي عمرو، في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠١)، وفي الكامل (ص: ٦٠٦) اللؤلؤي عن أَبِي عَمْرٍو، والخفاف عنه.

قال الزَّجَّاج: من قرأ «زُبُرًا» بضمِّ الباء، فتأويله: جعلوا دينهم كتبًا مختلفة، جمع زبور، ومن قرأ «زُبَرًا» بفتح الباء، أراد قطعًا[١].

قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه معجبون، يرون أنَّهم على الحقِّ.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم أهل الكتاب، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أنَّهم أهل الكتاب ومشركو العرب، قاله ابنُ السائب.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾[٢].

قال الزَّجَّاجُ: في عمايتهم وحيرتهم، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذابِ[٣].

قال مقاتلٌ: يعني كفَّار مكةَ[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦).

(٢) وجاء في المطبوع بعد ذكر الآية هذه القراءة بهذه العبارة: «وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: «فِي غَمَرَاتِهِمْ» على الجمع»، وليست في النسخ التي بين أيدينا، وهي بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي المحرر (٤/ ١٤٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٦٧) عليًا ﷺ، وأبا حيوة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٥٩).

فصل

وهل هذه الآية منسوخةٌ، أم لا؟ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها منسوخةٌ بآية السيفِ.

والثاني: أنَّ معناها التهديد، فهي محكمةٌ.

قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾.

وقرأ عكرمةُ، وأبو الجوزاءِ: «يُمِدُّهم» بالياء المرفوعة وكسر الميم[1].

وقرأ أبو عِمرانَ الجَونيُّ: «نَمُدُّهم» بنونٍ مفتوحةٍ ورفع الميم[2].

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أيحسبون أنَّ الذي نمدهم به ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ مجازاة لهم؟ إنَّما هو استدراجٌ، ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي: نسارع لهم به في الخيرات[3].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، وأيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: «يُسَارِعُ» بياءٍ مرفوعةٍ وكسر الراء[4].

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّلِ مثله، إلَّا أنَّهما فتحا الرَّاء[5].

---

(١) رواية عن ابن كثير في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٧).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، والمحرر (٤/ ١٤٧) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، وفي التحصيل (٤/ ٥٠٠) عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٥) في المحرر (٤/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٨) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة.

وقرأ أبو عِمرانَ الجَونيُّ، وعاصمٌ الجَحْدَريُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرَع» بياءٍ مرفوعةٍ وسكون السين ونصب الراء من غير ألف[1].

قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنَّ ذلك استدراجٌ لهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧- ٦١].

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2] [الأنبياء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾.

وقرأ عاصمٌ الجَحْدريُّ: «يَأْتُون مَا أَتَوا» بقصر همزة «أتوا»[3]. [٥٧٥/ب]

وسألت عائشة رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهُمُ الَّذِينَ يُذْنِبُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ؟ فقال: «لَا، بَلْ هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ، وَيَصُومُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ»[4].

---

(١) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠٠)، والمحرر (٤/ ١٤٧)، والبحر المحيط (٧/ ٥٦٨) عن الحر النحوي.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٢٨).

(٣) عن النبي ﷺ، وعائشة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠١) عن عائشة، وابن عباس، والنخعي.

(٤) رواه الحميدي (٢٧٥)، وأحمد (٦/ ١٥٩)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) وغيرهم بألفاظ متقاربة.

قال الزَّجَّاجُ: فمعنى ﴿يُؤْتُونَ﴾: يعطون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أي: لأنَّهم يوقنون أنَّهم يرجعون[١].

ومعنى يأتون: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفةٌ أن يكونوا مع اجتهادهم مقصِّرين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

وقرأ أبو المتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرِعُون» برفع الياءِ وإسكان السينِ وكسر الرَّاءِ من غير ألفٍ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: يقال: أسرعت وسارعت في معنى واحد، إلَّا أن سارعت أبلغ من أسرعت، ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: من أجلها، وهذا كما تقول: أنا أكرم فلانًا لك، أي: من أجلك[٣].

وقال بعض أهل العلم: الوجل المذكور هاهنا واقع على مضمر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٢-٦٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧).

(٢) عن الحر النحوي في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: اللُّوح المحفوظُ ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ قد أثبت فيه أعمال الخلق، فهو ينطقُ بما يعملون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقصون من ثوابِ أعمالهم. ثمَّ عاد إلى الكفَّارِ، فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾.

قال مقاتلٌ: في غفلةٍ عن الإيمانِ بالقرآنِ[1].

وقال ابنُ جريرٍ: في عمى عن هذا القرآنِ[2].

قال الزَّجَّاجُ: يجوز أن يكون إشارةً إلى ما وصف من أعمال البرِّ في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فيكون المعنى: بل قلوبٌ هؤلاء في عماية من هذا، ويجوز أن يكون إشارةً إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبهم في غمرةٍ من الكتاب الذي ينطق بالحقِّ وأعمالهم محصاةٌ فيه[3].

فخرج في المشار إليه بـ ﴿هَٰذَا﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: القرآنُ.

والثاني: أعمال البرِّ.

والثالث: اللُّوح المحفوظُ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٠).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٧٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أعمالٌ سيئةٌ دون الشركِ، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: خطايا سيئةٌ من دون ذلك الحقِّ، قاله مجاهدٌ.

وقال ابنُ جرير: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية[1].

والثالث: أعمالٌ غير الأعمال التي ذكروا بها سيعملونها، قاله الزَّجَّاجُ[2].

والرابع: أعمالٌ من قبل الحين الذي قدَّر الله تعالى أنَّه يعذِّبهم عند مجيئه من المعاصي، قاله أبو سليمان الدمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ إخبارٌ بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بدَّ لهم من عملها.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أي: أغنياءهم ورؤساءهم، والإشارة إلى قريش.

وفي المراد بالعذاب قولان:

أحدهما: ضربُ السيوف يوم بدر، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ.

والثاني: الجوع الذي عُذِّبوا به سبع سنين، قاله ابنُ السائب.

و﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ بمعنى: يصيحون. ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: لا تستغيثوا من العذاب ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تمنعون من عذابنا ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٧٤).

[٥٧٦/أ] ﴿ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ يعني: القرآن ﴿ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴾ أي: ترجعون وتتأخَّرون عن الإيمانِ بها.

﴿ مُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ منصوبٌ على الحال. وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ الكناية عن البيت الحرامِ، وهي كنايةٌ عن غير مذكور؛ والمعنى: إنَّكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم، لأمنكم فيه مع خوف سائر النَّاس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحدًا، ونحن أهل بيت الله وولاته، هذا مذهبُ ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه.

قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن تكون الهاءُ في ﴿بِهِۦ﴾ للكتاب، فيكون المعنى: تحدث لكم تلاوتُه عليكم استكبارًا(١).

قوله تعالى: ﴿سَٰمِرٗا﴾.

قال أبو عُبيدةَ: معناه: تهجرون سمارًا، والسامر بمعنى السمار، بمنزلة طفلٍ في موضعِ أطفال، وهو من سمر اللَّيل(٢).

وقال ابنُ قتيبةَ: ﴿سَٰمِرٗا﴾ أي: متحدِّثين ليلًا، والسَّمَرُ حديث اللَّيلِ(٣).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو العالية، وابنُ مُحيصنٍ: «سُمَّرًا» بضمِّ السين وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧ ـ ١٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٦٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٨).

(٤) عن ابن محيصن في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠١) عن=

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاءٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «سُمَّارًا» برفع السين وتشديد الميم وألف بعدها[١].

قوله تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بفتح التَّاءِ وضمِّ الجيمِ[٢].

وفي معناها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: تهجرونَ ذكرَ الله والحقِّ، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: تهجرونَ كتابَ الله تعالى ونبيِّه ﷺ، قالَه الحسنُ.

والثالث: تهجرونَ البيتَ، قالَه أبو صالحٍ.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: كانت قريش تسمر حولَ البيتِ، وتفتخرُ به ولا تطوفُ به[٣].

والرابع: تقولون هُجْرًا من القولِ، وهو اللَّغو والهذيانُ، قالَه ابنُ قتيبةَ[٤].

=ابن مسعود، وابن عباس، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٧٢) عكرمة، وأبا حيوة، والزعفراني، ومحبوب، عن أبي عمرو.

(١) ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو نهيك في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠١)، والمحرر (٤/ ١٥٠) عن أبي رجاء، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٧٢) زيد بن علي.

(٢) السبعة (ص: ٤٤٦)، وقرأ نافع وحده «تهْجِرون» بضمِّ التاء وكسر الجيم.

(٣) رواه سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم في تفسيرهما، كما في الدرِّ المنثور (٦/ ١٠٩).

(٤) غريب القرآن (ص:٢٩٩).

قال الفَرَّاءُ: يقال: قد هجر الرجلُ في منامِه: إذا هذى، والمعنى: إنَّكم تقولون في رسولِ الله ﷺ ما ليس فيه وما لا يضرُّه(١).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ، وابنُ مُحيصنٍ، ونافعٌ: «تُهجِرون» بضمِّ التاء وكسرِ الجيم(٢).

قال ابنُ قتيبةَ: وهذا من الهجر، وهو السبُّ والإفحاشُ من المنطق، يريدُ سبَّهم للنبيِّ ﷺ ومن اتَّبعه(٣).

وقرأ أبو العاليةُ، وعكرمةُ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وأبو نَهيكٍ: «تُهجِّرون» بتشديد الجيمِ ورفعِ التَّاءِ(٤).

قال ابنُ الأنباريِّ: ومعناها معنى قراءة ابن عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾[المؤمنون: ٦٨-٧٠].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالاتِ والعبرِ على صدقِ رسولهم ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أليسَ قد أرسل الأنبياء إلى أممهم كما أُرسِل محمَّدٌ ﷺ؟

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٩).

(٢) السبعة (ص:٤٤٦)، والتيسير (ص:١٥٩).

(٣) غريب القرآن (ص:٢٩٩).

(٤) عكرمة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٥٧٣) ابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن علي، وأبا نهيك، وابن محيصن، وأبا حيوة.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾ هـذا توبيـخٌ لهـم، لأنَّهـم عرفـوا نسـبه وصدقـه وأمانتـه صغـيرًا وكبـيرًا ثـمَّ أعرضـوا عنـه.

«الجِنَّة»: الجنونُ، ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ يعني القرآن.

قولـه تعـالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنـون: ٧١-٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في المرادِ بالحقِّ قولان:

أحدُهما: أنَّه الله ﷻ، قاله مجاهدٌ، وابنُ جريجٍ، والسُّدِّيُّ في آخرين.

والثاني: أنَّه القرآنُ، ذكرهُ الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ(١).

فعـلى القـول الأوَّل يكـون المعنـى: لـو جعـل الله لنفسِـهِ شريـكًا كـما يحبُّـون، وعـلى الثـاني: لـو نـزلَ القـرآنُ بـما تحبـون مـن جعـل شريـكٍ لله ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بـما فيـه شرفُهـم وفخرُهـم، وهـو القـرآنُ ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: قـد تولَّـوا عـمَّا جاءهـم مـن شرفِ الدُّنيـا والآخـرةِ. [٥٧٦/ب]

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٩).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو رجاءٍ، وأبو الجوزاءِ: «بل أتيناهم بذكراهم فهم عن ذكراهم مُعرضون» بألفٍ فيهما[1].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ عمَّا جئتهم به ﴿خَرْجًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألفٍ ﴿فَخَرَاجُ﴾ بألفٍ.

وقرأ ابنُ عامر: ﴿خَرْجًا﴾ «فخرج» بغير ألفٍ في الحرفين.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «خراجًا» بألفٍ «فخراج» بألفٍ في الحرفين[2].

ومعنى ﴿خَرْجًا﴾: أجرًا ومالًا ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أي: فما يعطيكَ ربُّكَ من أجرِه وثوابِه ﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: أفضلُ من أعطى؛ وهذا على سبيل التَّنبيه لهم أنَّه لم يسألْهم أجرًا، لا أنَّه قد سألهم، والناكبُ: العادلُ؛ يقال: نكبَ عن الطَّريق، أي: عدلَ عنهُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾[المؤمنون: ٧٤-٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠) عن عيسى، وعمر، عن أبي عمرٍو، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٧٥) عن عيسى.

(٢) السبعة (ص:٤٤٧).

قال ابنُ عبَّاسٍ: الضرُّ هاهنا: الجوعُ الذي نزل بأهلِ مكَّةَ حين دعا عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى قُرَيْشٍ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**»، فجاء أبو سفيانَ إلى رسولِ الله ﷺ فشكا إليه الضر، وأنَّهم قد أكلوا القَدَّ والعظامَ، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدها[١]، وهو العذابُ المذكورُ في قولِه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه يومُ بدرٍ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه الجوعُ الذي أصابهم، قاله مقاتلٌ[٢].

والثالث: بابٌ من عذابِ جهنَّمَ في الآخرةِ، حكاه الماورديُّ[٣].

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو نَهيكٍ، ومعاذٌ القارئ: «مُبْلَسُونَ» بفتحِ اللَّامِ[٤]، وقد شرحنا معنى المبلس في الأنعام[٥].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١١٢٨٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٣)، والطبراني في الكبير (١٢٠٣٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٨) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، بلفظ: «جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْشُدُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ قَدْ أَكَلْنَا الْعِلْهِزَ يَعْنِي الْوَبَرَ وَالدَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ».

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٣).

(٣) النكت والعيون (٤/ ٦٤).

(٤) الظامي في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٧٧) عن السلمي.

(٥) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٥).

قولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[المؤمنـون: ٧٨-٨٥].

قوله تعالى: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ قال المفسِّرونَ: يريد أنَّهم لا يشكرون أصلاً.

قوله تعالى: ﴿ ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: خلقكم من الأرضِ.

قولـه تعـالى: ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ أي: هـو الـذي جعلهـما مختلفـين يتعاقبـانِ ويختلفـانِ في السـوادِ والبيـاضِ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ مـا تـرون مـن صنعـه؟ ومـا بعـد هـذا ظاهـرٌ إلى قولِـه: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ ﴾ أي: قُـل لأهـلِ مكَّـةَ المكذِّبـين بالبعـث: لمـن الأرضُ ﴿ وَمَن فِيهَآ ﴾ مـن الخلـقِ ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بحالهـا، ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾.

قرأ أبو عمرٍو: «الله» بغير ألفٍ هاهنا، وفي اللذين بعدها بألفٍ.

وقرأ الباقون: «لله» في المواضع الثلاثةِ(١)، وقراءةُ أبي عمرٍو على القياس.

قـال الزَّجَّـاج: ومـن قـرأ: «سـيقولون الله» فهـو جـوابُ السـؤال، ومـن قـرأ: «لله» فجيـدٌ أيضـا لأنَّـك إذا قلـت: مـن صاحـب هـذه الـدارُ؟ فقيـل:

---

(١) السبعة (ص:٤٤٧).

لزيد، جاز، لأنَّ معنى من صاحب هذه الدار؟ لمن هي[(١)].

وقال أبو عليٍّ الفارسيِّ: مَن قرأ: «لله» في الموضعين الآخرين، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللَّفظُ[(٢)].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ: «سيقولون الله الله الله» بألفٍ فيهنَّ كلهن. [٥٧٧/أ]

قال أبو عليٍّ الأهوازيُّ: وهو في مصاحفِ أهل البصرةِ بألفٍ فيهنَّ[(٣)].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أنَّ من قدر على خلق ذلك ابتداءًا، أقدر على إحياءِ الأمواتِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٩].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تتَّقون عبادةَ غيرِه.

والثاني: تخشون عذابَه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٠).

(٢) الحجة (٥/ ٣٠٠).

(٣) نظر: معاني القرآن (٢/ ٢٤٠).

فأمَّا الملكوتُ، فقد شرحناه في الأنعام[١].

قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنعُ من السوءِ من شاءَ، ولا يُمنع منه من أراده بسوءٍ، يقال: أجرت فلانًا: أي: حميته، وأجرت عليه: أي: حميت عنه.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: أنَّى تُخْدَعون وتُصْرَفون عن هذا[٢].

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٠-٩٢].

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيدِ والقرآنِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يضيفونَ إلى الله من الولدِ والشريكِ؛ ثمَّ نفاهما عنه بما بعد هذا إلى قولِه: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفردَ بخلقِه ولم يرضَ أن يضاف خلقُه وإنعامُه إلى غيرِه، ولمنعُ الإلهِ الآخرِ عن الاستيلاءِ على ما خلقَ ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: غلبَ بعضُهم بعضًا.

قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩٩).

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿عَٰلِمِ﴾ بالخفضِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «عَالِمُ» بالرَّفعِ(١).

قال الأخفشُ: الجرُّ أجودُ، ليكون الكلامُ من وجهٍ واحدٍ، والرفعُ على أن يكونَ خبر ابتداء محذوف، ويقوِّيه أنَّ الكلامَ الأوَّل قد انقطع(٢).

قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٣-٩٨].

قوله تعالى: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾.

وقرأ أبو عِمرانَ الجَونيُّ، والضَّحاكُ: «تُرئَنِّي» بالهمز بين الرَّاء والنون من غيرِ ياءٍ(٣).

والمعنى: إن أريتني ما يوعدونَ من القتلِ والعذابِ، فاجعلني خارجًا عنهم ولا تهلكني بهلاكهم؛ فأراهُ الله تعالى ما وعدهم ببدرٍ وغيرِها، ونجَّاه ومَن معهُ.

---

(١) السبعة (ص:٤٤٧)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) الكلام للفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤١).

(٣) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٠)، وفي البحر المحيط (٧/ ٥٨٢) عن الضحاك، وأبي عمران الجوني.

قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: ادفع إساءةَ المسيءِ بالصَّفح، قاله الحسنُ.

والثاني: ادفع الفحشَ بالسلامِ، قاله عطاء، والضَّحاكُ.

والثالث: ادفع الشِّركَ بالتوحيدِ، قاله ابنُ السائبِ.

والرابع: ادفع المنكرَ بالموعظةِ، حكاه الماورديُّ(١).

وذكر بعضُ المفسِّرين أنَّ هذا منسوخٌ بآية السيفِ.

قولُه تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون من الشركِ والتكذيبِ؛ والمعنى إنَّا نجازيهم على ذلك.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وامتنعُ ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: هو نَخْسُها وطَعْنُها، ومنه قيل للعائبِ: هُمَزَةٌ، كأنَّه يطعن ويَنْخَس إذا عابَ(٢).

وقال ابنُ فارسٍ: الهمزُ كالعَصرِ، يقال: هَمَزتُ الشَّيءَ في كَفٍّ، ومنه الهَمزُ في الكلامِ، لأنَّه كأنَّه يَضغطُ الحرفَ(٣).

وقال غيره: الهمزُ في اللُّغة: الدفعُ، وهمزات الشياطين: دفعهم بالإغواءِ إلى المعاصي.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٠٠).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ٦٦).

قولـه تعـالى: ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: أن يشـهدونَ؛ والمعنـى: أن يصيبـوني بسـوءٍ، لأنَّ الشـيطانَ لا يحضرُ ابـن آدم إلَّا بسـوءٍ.

ثـمَّ أخـبر أنَّ هـؤلاء الكفَّـارِ المنكريـنَ للبعثِ يسـألونَ الرَّجعـةَ إلى الدُّنيـا عنـد المـوت بالآيـة التـي تـلي هـذه، وقيـل: هـذا السـؤالُ منهـم للملائكـة [٥٧٧/ ب] الذيـن يقبضـون أرواحهـم.

فإن قيل: كيف قال: «ارجعون» وهو يريد: ارجعني؟

فالجـواب: أنَّ هـذا اللَّفـظ تعرفـه العـرب للعظيـم الشـأن، وذلـك أنَّـه يخـبر عـن نفسـه فيـه بـما تخـبر بـه الجماعـةُ، كقولـه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ [ق: ٤٣] فجـاء خطابُـه كإخبـارِه عـن نفسِـه، هـذا قـولُ الزَّجَّـاجِ[١].

قولـه تعـالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنـون: ٩٩-١٠٤].

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فيما مضى من عمري[٢].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٩٨).

وقال مقاتلٌ: فيما تركت من العملِ الصالحِ[١].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يرجعُ إلى الدُّنيا ﴿إِنَّهَا﴾ يعني مسألته الرجعة ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي: هو كلامٌ لا فائدةَ له فيه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: أمامهم وبين أيديهم ﴿بَرْزَخٌ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: البرزخُ: ما بين الدُّنيا والآخرة، وكلُّ شيءٍ بين شيئين فهو بَرْزَخٌ[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: البرزخُ في اللُّغةِ: الحاجزُ، وهو هاهنا: ما بين موت الميت وبعثه[٣].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ في هذه النفخةِ قولان:

أحدهما: أنَّها النفخةُ الأولى، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها الثانية، رواه عطاءُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في الكلام محذوفٌ، تقديره: لا أنساب بينهم يومئذٍ يتفاخرون بها أو يتقاطعون بها، لأنَّ الأنسابَ لا تنقطعُ يومئذٍ، إنَّما يرفع التواصل والتفاخر بها.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٠٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣).

وفي قوله: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: لا يتساءلون بالأنسابِ أن يترك بعضُهم لبعضٍ حقَّه.

والثاني: لا يسأل بعضهم بعضًا عن شأنه، لاشتغال كلٍّ واحدٍ بنفسه.

والثالث: لا يسأل بعضُهم بعضًا من أي قبيلٍ أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل.

وما بعد هذا قد سبق تفسيره[١] إلى قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: تلفح وتنفح بمعنى واحدٍ، إلَّا أنَّ اللفح أعظمُ تأثيرًا، والكالح: الذي قد تشمَّرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنانُ وتشمَّرت الشِّفاه[٢].

وقال ابنُ مسعودٍ: قد بدت أسنانُهم وتقلَّصت شفاههم كالرأس المشيط بالنَّار[٣].

وروى أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال في هذه الآية: «**تَشْوِيهِ النَّارُ، فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا، حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ**»[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٣).

(٣) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢١٨)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ٨٤)، وعبدالرزاق (٢/ ٢١:)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١١٦)، والطبراني في الكبير (٩١٢١)، و الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٠٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٣٥٠)، والترمذي (٢٥٨٧-٣١٧٦)، وأبو يعلى (١٣٦٧)،=

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾[المؤمنون: ١٠٥-١١١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ المعنى: ويقال لهم: ألم تكن ﴿ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين من غير ألفٍ[١].

وقرأ عمرو بنُ العاص، وأبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وأبو رجاءٍ العطارديُّ كذلك، إلَّا أنَّه بفتح الشين[٢].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ، والحسنُ،

=والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٩ ـ ٤٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٥٨) من طريق عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد أبو شجاع، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، به، بنحوه، وإسناده ضعيف؛ لضعف أبي السمح ــ وهو دراج بن سمعان ــ في روايته عن أبي الهيثم.

(١) السبعة (ص: ٤٤٨)، والمبسوط (ص: ٣١٤).

(٢) في البحر المحيط (٧/ ٥٨٦) عن شبل.

والأعمش، وحمزة، والكسائي: «شَقَاوَتُنَا» بألفٍ مع فتح الشين والقاف(١).

وعن الحسن، وقتادة كذلك، إلَّا أنَّ الشينَ مكسورةٌ(٢).

قال المفسِّرون: أقرَّ القومُ بأنَّ ما كتب عليهم من الشقاءِ منعهم [٥٧٨/ أ] الهدى.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ أي: من النارِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: طلبوا الرجوعَ إلى الدُّنيا.

﴿فَإِنۡ عُدۡنَا﴾ أي: إلى الكفرِ والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: تباعدوا تباعد سخطٍ، يقال: خسأت الكلب اخسؤه: إذا زجرتُه ليتباعد(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذابِ عنكم.

قال عبدُ الله بنُ عمرو: إنَّ أهل جهنَّم يدعون مالكاً أربعين عاماً، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ثم ينادون ربَّهم ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدُّنيا، ثمَّ يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ ثم ينادون ربَّهم: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدُّنيا، ثمَّ يردُّ

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٨)، والمبسوط (ص: ٣١٤).

(٢) في البحر المحيط (٧/ ٥٨٦) عن قتادة، والحسن، ورواية خالد بن حوشب عنه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤).

عليهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان، إلَّا الزَّفير والشهيق[1].

ثمَّ بيَّن الذي لأجله أخسأهم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «أَنَّهُ» بفتح الهمزةِ[2].

﴿كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد المهاجرين.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: الأجودُ إدغام الذَّال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأنَّ الذالَ من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيءٌ من التباعد[3].

قوله تعالى: ﴿سِخۡرِيًّا﴾.

قرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو حاتمٍ عن يعقوبَ: «سُخريًّا» بضمِّ السين هاهنا وفي «ص»[4]، تابعهم المفضل في «ص».

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٩١)، وابن جرير الطبري (٢٠/ ٦٥٠)، وابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) في تفسيرهما، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩).

(٢) عن أُبي بن كعب في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، وفي التحصيل (٤/ ٥٠٨) عن هارون، وانظر: البحر المحيط (٤/ ١٥٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٤).

(٤) انظر: تفسير سورة ص الآية رقم (٦٣).

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: بكسر السين في السورتين(١).

ولم يختلف في ضمِّ السين في الحرف الذي في الزخرف(٢)، واختار الفَرَّاءُ الضَّمَّ، والزَّجَّاجُ الكسر.

وهل هما بمعنى؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهما لغتان ومعناهما واحدٌ، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر لُجِّيٌّ ولِجِّيٌّ، وكوكبٌ دُرِّيٌّ ودِرِّيٌّ.

والثاني: أنَّ الكسرَ بمعنى الهمز، والضمَّ بمعنى: السخرة والاستعبادِ، قاله أبو عُبيدةَ، وحكاه الفَرَّاءُ(٣)، وهو مرويٌّ عن الحسنِ، وقتادةَ.

قال أبو عليٍّ: قراءةُ من كسر أرجحُ من قراءةِ من ضمَّ، لأنَّه من الهزء، والأكثرُ في الهزءِ كسر السين(٤).

قال مقاتلٌ: كان رؤوس كفَّار قريشٍ كأبي جهلٍ وعقبةَ والوليد، قد اتَّخذوا فقراءَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ كعمَّار وبلال وخَبَّاب وصهيب، سخريًّا يستهزئون بهم ويضحكون منهم(٥).

(١) في السبعة (ص: ٤٤٨)، والحجة (٥/ ٣٠٢)، والتيسير (ص: ١٦٠).

(٢) انظر: تفسير سورة الزخرف الآية رقم (٣٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٢)، ومعاني القرآن (٢/ ٢٤٣).

(٤) الحجة (٥/ ٣٠٣).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٧).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ أي: أنساكم الاشتغالَ بالاستهزاء بهم ذكري، فنسب الفعلَ إلى المؤمنين وإن لم يفعلوه، لأنَّهم كانوا السبب في وجودِهِ، كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أي: على أذاكم واستهزائكم ﴿أَنَّهُمۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿أَنَّهُمۡ﴾ بفتح الألف.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «إِنَّهم» بكسرها(١).

فمن فتح «أنَّهم»، فالمعنى جزيتهم بصبرهم الفوز، ومن كسر «إنَّهم»، استأنف.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٨].

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٨).

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾.

قــرأ نافــعٌ، وعاصــمٌ، وأبــو عمــرٍو، وابــنُ عامــرٍ: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾، وهــذا ســؤال الله تعــالى للكافريــن.

وفي وقته قولان:

أحدهما: أنَّه يسألهم يوم البعث.

والثاني: بعد حصولهم في النارِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «قُلْ كم لبثتم»[1]. [٥٧٨/ ب]

وفيها قولان:

أحدهما: أنَّه خطابٌ لكلِّ واحدٍ منهم، والمعنى: قل يا أيُّها الكافرُ.

والثــاني: أنَّ المعنــى: قولــوا، فأخرجــه مخــرج الأمــرِ للواحــد، والمــراد الجماعــةُ، لأنَّ المعنــى مفهــومٌ.

وأبــو عمــرٍو، وحمــزةُ، والكســائيُّ: يدغمــون ثــاء ﴿لَبِثۡتُمۡ﴾، والباقــون لا يدغمونهــا[2]؛ فمــن أدغــم، فلتقــارب مخــرجِ الثــاء والتــاء، ومــن لم يدغــم، فلتبايــن المخرجــين.

وفي المراد بـ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها القبورُ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٤٩).

(٢) السبعة (ص: ٤٤٩).

والثاني: الدُّنيا.

فاحتقر القومُ ما لبثوا لما عاينوا من الأهوالِ والعذابِ فقالوا: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ﴾.

قال الفَرَّاءُ: والمعنى: لا ندري كم لبثنا[1].

وفي المراد بـ﴿ٱلۡعَآدِّينَ﴾ قولان:

أحدهما: الملائكةُ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: الحسابُ، قاله قتادةُ.

وقرأ الحسنُ، والزُّهريُّ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ، وابنُ يعمرَ: «العادين» بتخفيفِ الدَّالِ[2].

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «قل إن لبثتم» على معنى: قل أيُّها السائل عن لبثهم[3].

وزعموا أنَّ في مصحف أهلِ الكوفةِ «قل» في الموضعين، فقرأهما حمزةُ، والكسائيُّ على ما في مصاحفهم، أي: «ما لبثتم» في الأرضِ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ لأنَّ مكثهم في الأرضِ وإن طالَ، فإنَّه متناهٍ، ومكثهم في النارِ لا يتناهى.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٤٣).

(٢) الحسن، ورواية عن الكسائي في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠).

(٣) السبعة (ص: ٤٤٩).

وفي قوله: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: لو علمتم قدر لبثكم في الأرضِ.

والثاني: لم علمتم أنَّكم إلى الله ترجعون، فعملتم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أي: أفظننتم أنَّما ﴿خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ أي: للعبث؛ والعبث في اللُّغة: اللَّعب، وقيل: هو الفعلُ لا لغرضٍ صحيحٍ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾ بضمِّ التاء.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ بفتحها(١).

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عمَّا يصفه [به](٢) الجاهلون من الشركِ والولد، ﴿ٱلْمَلِكُ﴾.

قال الخطابيُّ: هو التامُّ الملك الجامعُ لأصْنَافِ المَمْلُوكَاتِ(٣).

وأمَّا المالك: فهو الخالصُ الملك، وقد ذكرنا معنى ﴿ٱلْحَقِّ﴾ في يونسَ(٤).

قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ والكريمُ في صفة الجماد بمعنى: الحسن.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٢) زيادة من (س).

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص: ٣٩ ـ ٤٠).

(٤) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٣٢).

وقرأ ابنُ مُحيصنٍ: «الكريمُ» برفع الميم[1]، يعني الله عَجَلَّ.

قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ أي: لا حجَّة له ﴿بِهِۦ﴾ ولا دليلَ؛ وقال بعضُهم: معناه: فلا برهانَ له به.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: جزاؤه عند ربِّه.

---

(١) عن أبان بن تغلب، وابن محيصن، وأبي جعفر المدني، وإسماعيل، عن ابن كثير في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٠)، والتحصيل (٤/ ٥٠٩).

سورة النور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ① ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ② ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ③﴾[النور: ١-٣].

وهي مدنيَّةٌ كلها بإجماعهم.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عائشةَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «لَا تُنْزِلُوهُنَّ الْغُرَفَ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَعَلِّمُوهُنَّ الْمِغْزَلَ وَسُورَةَ النُّورِ» يعني النِّساء(١).

قوله ﷻ: ﴿سُورَةٌ﴾.

قرأ الجمهورُ بالرفعِ.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧١٣)، والمستغفري في فضائل القرآن (٨٣٩)، من طريق محمد بن إبراهيم الشامي، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٠) من طريق عبد الوهاب بن الضَّحاك، كلاهما (محمد الشامي، وعبد الوهاب) عن شعيب بن إسحاق، عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، به، بنحوه.
ومحمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي، كذَّبه الدارقطنيُّ، وعبد الوهاب بن الضَّحاك الحمصي متروكٌ، وحكم عليه الذهبيُّ في التلخيص بالوضع.

وقرأ أبو رزين العقيليُّ، وابنُ أبي عبلةَ، ومحبوبٌ عن أبي عمرٍو: «سُورَةً» بالنصب(١).

قال أبو عبيدةَ: من رفع فعلى الابتداءِ(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: هذا قبيحٌ؛ لأنَّها نكرةٌ، و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفةٌ لها، وإنَّما الرفعُ على إضمارِ هذه سورة، والنَّصب على وجهين، أحدُهما: على معنى أنزلنا سورة، وعلى معنى اتل سورةً(٣).

قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بالتَّشديد.

[٥٧٩/أ] وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عبد الرحمن السُّلميُّ، والحسنُ، وعكرمةُ، والضَّحاكُ، والزُّهريُّ، ونافعٌ، وابنُ عامر، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وابنُ يعمر، والأعمش، وابنُ أبي عبلةَ: بالتخفيف(٤).

قال الزَّجَّاجُ: من قرأ بالتَّشديدِ فعلى وجهين:

أحدهما: على معنى التكثير، أي: إنَّنا فرضنا فيها فروضًا.

---

(١) عن عيسى بن عمرو في مختصر ابن خالويه (ص:١٠١)، ومعاني إعراب القرآن (٤/ ٢٧)، وفي التحصيل (٤/ ٥٢٤) عن أمِّ الدرداء، وعيسى الهمدان، والثقفي.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٦٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٤٥٢).

والثاني: على معنى: بيَّنَّا وفصَّلنا ما فيها من الحلال والحرام، ومن قرأ بالتخفيف فمعناه: ألزمناكم العمل بما فرض فيها[١].

وقال غيرُه: من شدَّد أراد فصَّلنا فرائضها، ومن خفَّف فمعناه فرضنا ما فيها.

قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾، القراءةُ المشهورةُ بالرَّفعِ.

وقرأ أبو رَزِينٍ العقيليُّ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ أبي عبلةَ، وعيسى بنُ عمرَ: «الزَّانِيَةَ» بالنَّصبِ[٢].

واختار الخليلُ وسيبويه الرَّفعَ اختيار الأكثرين[٣].

قال الزَّجَّاجُ: والرفعُ أقوى في العربيَّة، لأنَّ معناه: مَن زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداءُ، ويجوز النَّصبُ على معنى: اجلدوا الزانيةَ[٤].

فأمَّا الجَلْدُ فهو ضربُ الجِلْدِ، يقال: جَلَدَهُ: إذا ضَربَ جِلْدَهُ، كما يقال: بَطَنَهُ: إذا ضرب بَطْنَهُ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧).

(٢) عن عيسى بن عمر، ويحيى بن يعمر، وعمرو بن فائد في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وفي لتحصيل (٤/ ٥٢٦) عن عيسى الثقفي.

(٣) في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧): وزعم الخليل وسيبويه أنَّ النصب المختار، وزعم سيبويه أنَّ القراءة الرفع.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨).

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: الزانيةُ والزاني إذا كانا حرَّين بالِغين بكرين، فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة.

فصل

قال شيخنا عليُّ بنُ عبيد الله: هذه الآية تقتضي وجوب الجلد على البكر والثيِّب، وقد روي عن رسولِ الله ﷺ في حقِّ البكر زيادةٌ على الجلد بتغريب عام، وفي حق الثيِّب زيادةٌ على الجلد بالرَّجم بالحجارةِ.

فروى عُبادةُ بنُ الصامت عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ**»[1].

وممن قال بوجوب النَّفي في حقِّ البكر: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعلي، وابنُ عمر، وممَّن بعدهم عطاء، وطاووس، وسفيانُ، ومالك، وابنُ أبي ليلى، والشافعيُّ، وأحمدُ، وإسحاقُ.

وممن قال بالجمع بين الجلد والرجم في حقِّ الثيب: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والحسنُ البصري، والحسنُ بن صالح، وأحمدُ، وإسحاقُ.

قال: وذهب قومٌ من العلماء إلى أنَّ المراد بالجلد المذكور في هذه الآية البكر، فأمَّا الثيِّبُ، فلَا يجب عليه الجلدُ، وإنَّما يجب الرَّجم، روي عن عمرَ، وبه قال النخعيُّ، والزهريُّ، والأوزاعيُّ، والثوريُّ، وأبو حنيفةَ، ومالكٌ، وروي عن أحمدَ رواية مثل قول هؤلاء.

---

(١) رواه أحمد (٣٧/ ٣٣٨)، والدارمي (٢٣٢٨)، ومسلم (١٦٩٠)، وأبو داود (٤٤١٦)، والترمذي (١٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (٧١٤٤)، وابن الجارود في المنتقى (٨١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾.

قرأ أبو عبدِ الرَّحمن السلميُّ، وأبو رزين، والضَّحاكُ، وابنُ يعمر، والأعمشُ: «يأخُذْكم» بالياء[١].

﴿رَأْفَةٌ﴾.

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿رَأْفَةٌ﴾ بإسكان الهمزةِ.

وقرأ أبو المتوكِّل، ومجاهدٌ، وأبو عمرانَ الجونيُّ، وابنُ كثيرٍ: بفْتح الهمزة وقصرها على وزن رَعَفَة[٢].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، والضَّحاكُ، وأبو رجاء العطارديُّ: «رَآفَةٌ» مثل سآمة وكآبة[٣].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: لا تأخذكم بهما رأفةٌ فتخفِّفوا الضَّربَ، ولكن أوجعوهما، قاله سعيدُ بنُ المسيّب، والحسنُ، والزهريُّ، وقتادةُ.

---

(١) عن علي بن أبي طالب، وأبي عبد الرحمن السلمي في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٩) ابن مقسم، وداود بن أبي هند، عن مجاهد.

(٢) انظر: السبعة (ص:٤٥٢)، والمبسوط (ص:٣١٦).

(٣) عن ابن جريج في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وعن عاصم في المحرر (٤/ ١٦١)، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٩) ابن كثير.

[٥٧٩/ب] والثاني: لا تأخذكم بهما رأفةٌ، فتعطِّلوا الحدودَ، ولا تقيموها، قاله مجاهدٌ، والشعبيُّ، وابنُ زيدٍ في آخرين.

فصل

واختلف العلماءُ في شدَّة الضَّرب في الحدود:

فقال الحسنُ البصريُّ: ضرب الزنا أشدُّ من القذف، والقذفُ أشدُّ من الشرب، وضرب الشارب أشدُّ من ضرب التعزير(١)، وعلى هذا مذهب أصحابنا.

وقال أبو حنيفةَ: التعزيرُ أشدُّ الضرب، وضرب الزاني أشد من ضرب الشارب، وضربُ الشارب أشدُّ من ضرب القذفِ.

وقال مالكٌ: الضربُ في الحدودِ كلها سواء غير مُبرِّح بين الضَّربين.

فصل

فأمَّا ما يُضرب من الأعضاءِ:

فنقل الميمونيُّ عن أحمدَ في جلد الزاني قال: يُجرَّد ويعطى كل عضو حقَّه، ولَا يضرب وجهه ولَا رأسه(٢).

ونقل يعقوبُ بنُ بُخْتانَ: لا يضرب الرأسُ ولا الوجه ولا المذاكيرُ، وهو قول أبي حنيفةَ.

وقال مالكٌ: لا يضربُ إلَّا في الظهر.

---

(١) أورده الجصاص في أحكام القرآن (٥/ ١٠٠).

(٢) نقله أبو يعلى الفراء في الأحكام السلطانية (ص:٢٨٣).

وقال الشافعيُّ: يتّقى الفرجُ والوجه.

قوله: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في حكمه، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثاني: في طاعة الله، ذكره الماورديُّ(١).

قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ(٢)﴾.

قال الزَّجَّاجُ: القراءةُ بإسكان اللَّام ويجوزُ كسرها، والمرادُ بـ﴿عَذَابَهُمَا﴾ ضربهما(٣).

وفي المرادِ بالطائفة هاهنا خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: الرجلُ فما فوقه، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ.

وقال النَّخعيُّ: الواحدُ طائفة(٤).

والثاني: الاثنان فصاعدًا، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، وعطاءُ، وعن عكرمةَ كالقولين.

قال الزَّجَّاجُ: والقولُ الأوَّل على غير ما عند أهل اللُّغة، لأنَّ الطائفةَ في معنى الجماعة، وأقل الجماعة اثنان(٥).

---

(١) انظر: النكت والعيون (٤/ ٧٢).

(٢) قوله تعالى: (طائفة)، ليس في (س).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٤٦) عن حمَّاد وإبراهيمَ قالا: "الطائفةُ: رجلٌ".

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٨-٢٩).

والثالث: ثلاثةٌ فصاعدًا، قاله الزهريُّ.

والرابع: أربعةٌ، قاله ابنُ زيدٍ.

والخامس: عشرةٌ، قاله الحسنُ البصريُّ.

قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.

قال عبدُ الله بنُ عمرٍو: كَانَتْ امرأة تُسَافِحُ، وَكَانَتْ تَشْتَرِطُ لِمَنْ تَزَوَّجَهَا أَنْ تَكْفِيَهُ النَّفَقَةَ، فَأَرَادَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسلِمِينَ أَن يَتَزَوَّجَهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فنزلت هذه الآية[١].

وقال عكرمةُ: نزلت في بغايا كنَّ بمكَّةَ، ومنهنَّ تسعُ صواحب رايات، وكانت بيوتهنَّ تسمَّى في الجاهليَّة: المواخير، ولا يدخلُ عليهنَّ إلَّا زانٍ من أهل القبلة، أو مشركٍ من أهل الأوثان، فأراد ناسٌ من المسلمين نكاحهنَّ، فنزلت هذه الآية[٢].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣٥٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٨٥٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٠)، والطبراني في الأوسط (١٨١٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١١)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣١٦) من طرق عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحضرميِّ، عن القاسم بن محمَّد، عن عبد الله بن عمرٍو، به.

والحضرمي هذا شيخ سليمان بن طرخان، مجهول، وقد قال أحمد: لا أعلم يروي عنه غيرُ سُليمان التيمي، وقال علي ابنُ المديني: حضرمي، شيخ بالبصرة، روى عنه التيمي، مجهول، وكان قاصًّا، وليس هو بالحضرمي بن لاحق.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣١٦).

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: الزاني من المسلمين لا يتزوَّج من أولئك البغايا إلَّا ﴿زَانِيَةً﴾، أو ﴿مُشْرِكَةً﴾، لأنهنَّ كذلك كن، ﴿وَالزَّانِيَةُ﴾ منهن ﴿لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾، ومذهب أصحابنا أنَّه إذا زنى بامرأةٍ لم يجز له أن يتزوَّجها إلَّا بعد التوبةِ منهما.

قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ: «وَحَرَّمَ اللهُ ذلك» بزيادة اسمِ الله ﷻ مع فتح حروف «حَرَّمَ»[(١)].

وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: «وَحَرُمَ ذلك» بفتح الحاءِ وضمِّ الراءِ مخفَّفة[(٢)].

ثُمَّ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه نكاحُ الزواني، قاله مقاتلٌ[(٣)]. [٥٨٠/أ]

والثاني: الزِّنا، قاله الفرَّاءُ[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤-٥].

---

(١) في المحرر (٤/ ١٦٣) عن أبي البرهسم.

(٢) عن زيد بن علي في البحر المحيط (٨/ ١٢).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٨٣).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٤٥).

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ شرائطُ الإحصانِ في الزِّنا الموجب للرَّجم عندنا أربعةٌ: البلوغُ، والحريَّةُ، والعقلُ، والوطء في نكاحٍ صحيحٍ، فأمَّا الإسلامُ فليس بشرطٍ في الإحصان، خلافًا لأبي حنيفةَ ومالكٍ.

وأمَّا شرائطُ إحصانِ القذف فأربعٌ: الحريَّةُ، والإسلامُ، والعفَّةُ، وأن يكون المقذوف ممن يُجامِع مثله.

ومعنى الآية: يرمونَ المحصنات بالزِّنا، فاكتفى بذكره المتقدِّم عن إعادته، ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ﴾ على ما رموهنَّ به ﴿بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ عدول، يشهدون أنَّهم رأوهن يفعلن ذلك، فاجلدوهم يعني القاذفين.

فصل

وقد أفادت هذه الآيةُ أنَّ على القاذفِ إذا لم يُقمِ البينةَ الحدَّ وردَّ الشهادةِ وثبوتَ الفسقِ.

واختلفوا هل يحكم بفسقِه وردِّ شهادته بالقذف نفسه أم بالحدِّ؟

فعلى قول أصحابِنا: إنَّه يحكمُ بفسقِهِ وردِّ شهادتِه إذا لم يقمِ البينةَ، وهو قولُ الشافعيِّ.

وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا يحكمُ بفسقِه، وتقبلُ شهادتُه ما لم يُقمِ الحدَّ عليه.

فصل

والتعريضُ بالقذفِ، كقوله لمن يخاصمه: ما أنت بزانٍ ولا أمك زانية، يوجب الحدَّ في المشهور من مذهبنا.

وقال أبو حنيفةَ: لا يوجب الحد.

وحدُّ العبد في القذف نصف حدِّ الحرِّ، وهو أربعون، قاله الجماعة إلَّا الأوزاعي، فإنَّه قال: ثمانون.

فأمَّا قاذف المجنونِ فقال الجماعةُ: لا يحدُّ.

وقال الليثُ: يحدُّ.

فأمَّا الصَّبي، فَإِنْ كان مثله يجامِع، أو كانت صبية مثلها يجامَع، فعلى القاذفِ الحدَّ.

وقال مالكٌ: يحدُّ قاذفُ الصبيَّةِ التي يجامع مثلها، ولا يحدُّ قاذفُ الصَّبي.

وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: لا يحدُّ قاذفهما، فَإِنْ قذف رجلٌ جماعةً بكلمةٍ واحدةٍ فعليه حدٌّ واحدٌ، وإن أفردَ كل واحد بكلمةٍ فعليه لكلِّ واحدٍ حد، وهو قول الشَّعبي، وابنُ أبي ليلى.

وقال أبو حنيفةَ وأصحابه: عليه حدٌّ واحدٌ، سواء قذفهم بكلمةٍ أو بكلماتٍ.

فصل

وحدُّ المقذوفِ حق لآدمي يصحُّ أن يُبرئ منه ويعفو عنه.

وقال أبو حنيفةَ: هو حقٌّ لله، وعندنا أنَّه لا يستوفى إلَّا بمطالبة المقذوف، وهو قول الأكثرين.

وقال ابنُ أبي ليلى: يحدُّه الإمام وإنْ لم يطالبِ المقذوف.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي: من القذف ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: أظهروا التوبة.

وقال غيرُه: لم يعودوا إلى قذفِ المحصناتِ.

وفي هذا الاستثناء قولان:

أحدهما: أنَّه نسخ حدّ القذف وإسقاط الشهادة معًا، وهذا قولُ عكرمةَ، والشعبيِّ، وطاووسَ، ومجاهدٍ، والقاسمِ بنِ محمَّدٍ، والزهريِّ، والشافعيِّ، وأحمدَ.

والثاني: أنَّه يعودُ إلى الفسقِ فقط، وأمَّا الشهادةُ فلا تقبل أبدًا، قاله الحسنُ، وشريحٌ، وإبراهيمُ، وقتادةُ، فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله: ﴿أَبَدًا﴾، وعلى القول الأوَّل وقع الاستثناء على جميع الكلام، وهذا أصحُّ لأنَّ المتكلِّم بالفاحشة، لا يكون أعظم جرمًا من راكبها، فإذا قُبلت شهادة المقذوف بعد توبته، فالرّامي أيسرُ جرمًا وليس القاذفُ بأشدَّ جرمًا من الكافرِ، فإنَّه إذا أسلمَ قبلت شهادتُه. [٥٨٠/ب]

قولـه تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النـور: ٦-١٠].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾.

سبب نزولها: أنَّ هلالَ بنَ أميَّةَ وجد عند أهله رجلًا، فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يَهِجْهُ حتَّى أصبحَ، فغدا على رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنِّي جئت أهلي، فوجدت عندها رجلًا، فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسولُ الله ﷺ ما جاء به، واشتدَّ عليه، فقال سعدُ بن عبادةَ: الآن يضربُ رسول الله ﷺ هلالًا، ويبطلُ شهادته، فقال هلال: والله إنِّي لأرجو أن يجعلَ الله لي منها مخرجًا، فوالله إنَّ رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربِه، إذ نزل عليه الوحي، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ(١).

وفي حديثٍ آخرَ أنَّ الرجلَ الذي قذفها به شريك بن سحماء، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قال لهلال حين قذفها: «**ائْتِنِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، وَإِلَّا فَحَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**»(٢)، فنزلت هذه الآيةُ، فنسخ حكمُ الجلدِ في حقِّ الزَّوجِ القاذفِ.

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي (٢٦٦٧)، وأحمد (٤/ ٣٦)، والبخاري (٤٧٤٧) مختصراً، وأبو داود (٢٢٥٤-٢٢٥٦)، والترمذي (٣١٧٩)، وابن ماجه (٢٠٦٧)، ويهجه: أي لم يُزعِجه ولم يُنفِّرهُ. عمدة القاري (١٣/ ٢٥١).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٤٢)، وعبد بن حميد (١٢١٨)، ومسلم (١٤٩٦)، والنسائي (٤٣٦٨)،=

فصل

في بيانِ حكمِ الآيةِ

إذا قـذفَ الرَّجـلُ زوجتـه بالزِّنـا، لزمـهُ الحـدُّ ولـه التخلُّـص منـه، بإقامـةِ البيِّنـة أو باللِّعـان، فـإنْ أقـام البيِّنـة لزمهـا الحـدُّ، وإن لاعنهـا فقـد حقَّـق عليهـا الزِّنـا ولهـا التخلُّـص منـه باللِّعـان، فـإنْ نـكل الـزَّوج عـن اللِّعـان، فعليـه حـدُّ القـذفِ، وإن نكلـتِ الزوجـةُ لم تحـدَّ، وحبسـت حتَّـى تلاعـن أو تقـرّ بالزِّنـا في إحـدى الروايتـين، وفي الأخـرى: يخلى سـبيلها.

وقال أبو حنيفةَ: لا يحدُّ واحدٌ منهما، ويحبس حتَّى يلاعن.

وقال مالكٌ، والشافعيُّ: يجبُ الحدُّ على الناكل منهما.

فصل

ولا تصـحُّ الملاعنـةُ إلَّا بحـضرةِ الحاكـمِ، فـإنْ كانـت المـرأة خَفِـرةً[1] بعث الحاكـمُ مـن يلاعـن بينهما.

وصفـةُ اللِّعـان أن يبـدأ الـزوج فيقـول: أشـهد بـالله إني لمـن الصادقـين فيما رميتهـا بـه مـن الزِّنـا، أربع مـرات، ثُمَّ يقـول في الخامسـةِ: ولعنة الله عليـه إن كان مـن الكاذبـين، ثُمَّ تقـول الزوجـةُ، أربع مرات: أشـهدُ بـالله لقد كـذبَ فيما رماني بـه مـن الزِّنـا، ثُمَّ تقـول: وغضـب الله عليهـا إن كان مـن الصادقين.

=وفي الكبرى (٥٦٣٣) من حديث أنس بن مالك.

(١) الخَفَـرُ: شِـدَّةُ الحَيَـاءِ؛ تقـول: خَفِـرَ، بالكسر، وخَفِـرَتِ المـرأةُ خَفَـراً وخَفـارَةً، وتَخَفَّـرَتْ: اشْـتَدَّ حَيَاؤُهَـا. لسـان العـرب (٤/ ٢٥٣).

والسنَّة أن يتلاعنا قيامًا، ويقال للزَّوج إذا بلغ اللَّعنة: اتَّقِّ الله، فإنَّها الموجبة، وعذاب الدُّنيا أهونُ من عذابِ الآخرةِ، وكذلك يقالُ للزَّوجةِ إذا بلغت إلى الغضبِ، فإنْ كان بينهما ولدٌ اقتصر نفيه عن الأب إلى ذكره في اللِّعان، فيزيد في الشهادة: وما هذا الولد ولدي، وتزيد هي: وإن هذا الولد ولده.

فصل

واختلف الفقهاء في الزوجين اللذين يجري بينهما اللِّعان:

فالمشهور عن أحمدَ أنَّ كلَّ زوجٍ صحَّ قذفُه صحَّ لعانُه، فيدخل تحت هذا المسلم، والكافر، والحرُّ، والعبدُ، وكذلك المرأةُ، وهذا قول مالكٍ، والشافعيِّ.

وقال أبو حنيفةَ: لا يجوز اللِّعانُ بين الحرِّ والأمةِ، ولا بين العبد والحرَّةِ، ولا بين الذمِّيين، أو إذا كان أحدُهما ذميًّا. [١٨٥/أ]

ونقل حربٌ عن أحمدَ نحو هذا، والمذهبُ هو الأوَّلُ، ولا تختلف الروايةُ عن أحمدَ: أنَّ فرقةَ اللِّعانِ لا تقع بلعانِ الزَّوجِ وحده، واختلف هل تقع بلعانهما من غيرِ فرقة الحاكمِ على روايتين، وتحريمُ اللِّعانِ مؤبدٌ، فإن أكذب الملاعن نفسه لم تحلَّ له زوجتُه أيضًا، وبه قال عمرُ، وعليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعن أحمدَ روايتان أصحُّهما هذا، والثانية: يجتمعان بعد التكذيب، وهو قولُ أبي حنيفةَ.

قوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾.

وقرأ أبو المتوكِّلِ، وابنُ يعمر، والنخعيُّ: «تَكُنْ» بالتاء(١).

قوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «أَرْبَعَ» بفتح العين.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: برفع العين(٢).

قال الزَّجَّاجُ: من رفع ﴿أَرْبَعُ﴾ فالمعنى فشهادةُ أحدهم التي تدرأ حدَّ القذفِ ﴿أَرْبَعُ﴾، ومن نصبَ فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدُهم «أَرْبَعَ»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾

قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾ نصبًا حملًا على نصب ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾(٤).

قوله : ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

قرأ نافع، ويعقوبُ، والمفضلُ: «أَنْ لَعْنَةُ اللهِ»، و«أَنْ غَضَبُ اللهِ» بتخفيف النون فيهما وسكونها ورفع الهاء من «لعنةُ»، والباء من

(١) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٢).

(٢) السبعة (ص:٤٥٢-٤٥٣)، والتيسير (ص: ١٦١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٢).

(٤) السبعة (ص: ٤٥٣)، والمقصود بقوله: (والخمسة) الموضع الثاني وليس الموضع الأول؛ لأنهم لم يختلفوا على أنَّ (الخامسة) الأولى بالرَّفع.

«غضـبُ»، إلَّا أن نافعًـا كـسر الضـاد مـن «غضِـبَ» وفتـح البـاء[١].

قولـه ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: ويدفـعُ عنهـا العـذابَ، **وفيـه ثلاثـةُ أقـوالٍ:**

أحدهما: أنَّه الحدُّ.

والثاني: الحبسُ، ذكرهما ابنُ جريرٍ[٢].

والثالث: العارُ.

قوله: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ أي: ستره ونعمتُه.

قـال الزَّجَّـاجُ: وجـوابُ «لَـوْلَا» هاهنـا مـتروكٌ، والمعنـى: لَـوْلَا ذلـك لنـال الـكاذب منكـم عـذابٌ عظيـمٌ[٣].

وقـال غـيرُه: لَـوْلَا فضـلُ الله لبـيَّن الـكاذب مـن الزَّوجـين فأُقيـم عليـه الحـد، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعـودُ عـلى مَـن رجـع عـن المعـاصي بالرَّحمـة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيـما فـرض مـن الحـدودِ.

قولـه تعـالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾**

---

(١) السبعة (ص: ٤٥٣)، والتيسير (ص:١٦١).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ١٨٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣).

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ
عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١-٢٠].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أجمع المفسرونَ أنَّ هذه الآية وما يتعلَّقُ بها [بعدها][1] نزلت في قصَّة عائشةَ رضي الله عنها، وفي حديث الإفكِ أنَّ هذه الآية إلى عشرِ آياتٍ نزلت في قصَّة عائشةَ.

وقد ذكرنا حديثَ الإفكِ في كتاب «الحدائق»[2]، وفي كتاب «المغني في التفسير»، فلم نطلْ بذكرِهِ، لأنَّ غرضنا اختصار هذا الكتاب؛ ليُحفظ.

فأمَّا «الإفك» فهو الكذبُ، و«العصبة»: الجماعةُ، ومعنى قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المؤمنين.

وروى عروةُ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: هم أربعةٌ: حسانُ بن ثابتٍ، وعبدُ الله بن أُبيٍّ، ومسطحُ بنُ أُثاثةَ، وحَمنةُ بنتُ جحشٍ[3]، وكذلك

(١) زيادة من (س).

(٢) انظر: كتاب الحدائق في الزهديات والحديث (١/ ٤٥١).

(٣) البخاري (٤١٤١) من قول عروة بن الزبير.

عدَّهم مقاتل(١).

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ قال المفسِّرون: هذا خطابٌ لعائشةَ، وصفوانَ بنِ المعطِّلِ، وقيل: لرسول الله ﷺ، وأبي بكرٍ، وعائشةَ رضي الله عنهما.

والمعنى: إنَّكم تُؤجرون فيه.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ يعني: من العصبة الكاذبة ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي: جزاء ما اجترحَ من الذَّنب على قدرِ خوضِه فيه، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾: [٥٨١/ب]

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو رزين، وعكرمةُ، ومجاهدٌ، وابنُ أبي عبلةَ، والحسنُ، ومحبوبٌ عن أبي عمرٍو، ويعقوبُ: «كُبْرَهُ» بضمِّ الكافِ(٢).

قال الكسائيُّ: وهما لغتان.

وقال ابنُ قتيبةَ: كِبْرُ الشيءِ: معظمه، ومنه هذه الآية.

قال قيسُ بنُ الخطيمِ يذكرُ امرأةً [من المنسرح](٣):

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٨٩).

(٢) عن حميد، ومجاهد، وأبي البرهسم، ويعقوب، وابن قطيب في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وفي التحصيل (٤/ ٥٢٧)، عن ابن هرمز، وأبي رجاء، ويعقوب الحضرمي، وزاد في المحرر (٤/ ١٧٠) الأعرج، والزهري، والأعمش، وابن أبي عبلة، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢١) عمرة بن عبد الرحمن، والثوري، والزعفراني، وابن مقسم، وسورة عن الكسائي، ومحبوب، عن أبي عمرو.

(٣) في ديوانه (ص: ١٠٦)، وغريب القرآن (ص:٣٠١)، ولسان العرب (٥/ ١٢٩) (كبر)، (٩/ ٢٦٤) (غرف)، وتهذيب اللغة (٧/ ٢٠٤)، وتاج العروس (١٤/ ٧).

تَنَامُ عَنْ كِبْرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْغَرِفُ

وفي المتولي لذلك قولان:

أحدهما: أنَّه عبدُ الله بنُ أُبيٍّ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وعروةُ عن عائشةَ، وبه قال مجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، ومقاتلٌ[1].

قال المفسِّرونَ: هو الذي أشاع الحديثَ فله عذابٌ عظيمٌ بالنَّارِ.

وقال الضَّحاكُ: هو الذي بدأ بذلك[2].

والثاني: أنَّه حسانُ.

روى الشَّعبيُّ: أنَّ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: مَا سَمِعْتُ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ، وَمَا تَمَثَّلْتُ بِهِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقالت: أَلَيسَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ[3].

وروى عنها مسروقٌ أنَّها قالت: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى، وَلَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ ذَلِكَ العَذَابَ العَظِيمَ، ذَهَابَ بَصَرِهِ[4]، تعني: حسان بن ثابت.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩١).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٣) من طريق داود بن أبي هند به، بنحوه.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٣) من طريق الأعمش، عن أبي الضحى به، بنحوه.

ثُـمَّ إن الله ﷻ أنكـر عـلى الخائضـين في الإفـكِ بقولِـه تعـالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ أي: هـلَّا إذ سـمعتم أيَّتهـا العصبـةُ الكاذبـةُ قـذفَ عائشـةَ رضي الله عنها ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ مـن العصبـةِ الكاذبـةِ وهـم حسـانُ ومسـطح رضي الله عنهما ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾، وهـي حَمنـةُ بنـتُ جحـشٍ رضي الله عنها.

﴿ بِأَنفُسِهِمْ ﴾، **وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: بأمَّهاتهم.

والثاني: بأخواتهم.

والثالـث: بأهـل دينهـم، لأنَّ المؤمنـينَ كنفـسٍ واحـدةٍ، ﴿ وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: كـذبٌ بـيِّن.

وجـاء في التفسـير أَنَّ أبـا أيـوبَ الأنصاري رضي الله عنه، قالـت له أمُّه: ألا تسـمع مـا يقـول النَّـاسُ في أمر عائشـةَ؟! فقال: هـذا إفـكٌ مبينٌ، أكنـت يا أمَّـاه فاعلته؟ فقالـت: معـاذ الله، قـال: فعائشـةُ والله خيرٌ منـك، فنزلت هـذه الآية[(١)].

قولـه تعـالى: ﴿ لَّوْلَا ﴾ أي: هـلَّا جـاءت العصبـةُ الكاذبـةُ عـلى قذفهـم عائشــة رضي الله عنها ﴿ جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾:

وقرأ الضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري: «بِأَرْبَعَةٍ» منونة[(٢)].

---

(١) رواه إسـحاق بـن راهويـه في مسـنده (١٦٩٨)، وابـن جريـر الطـبري (١٧/ ٢١٢)، وابـن أبي حاتـم (١٤٢٢١) في تفسـيرهما، مـن طـرق عـن بعـض بنـي النجـار، عـن أبي أيـوب، بـه، والصـواب أنَّ الـذي قـال ذلـك لأبي أيـوبَ، هـي زوجتـه أم أيـوب كـما في الروايـات.

(٢) عـن أبي زرعـةَ بـن عمـرو بـن جريـر، وعبـد الله بـن مسـلم بـن يسـار في مختصر ابـن خالويـه (ص:١٠٢)، والبحـر المحيـط (٨/ ١٣).

والمعنى: يشهدون بأنَّهم عاينوا ما رموها به، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، ثُمَّ ذكر القاذفين فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: لولا ما منَّ الله به عليكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أي: لأصابكم ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أي: أخذتم وخضتم ﴿فِيهِ﴾ من الكذب والقذفِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدُّنيا والآخرة.

ثُمَّ ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابَهم فيه العذابُ فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾، وكان الرجل منهم يلقى الرَّجل فيقول: بلغني كذا، فيتلقَّاه بعضُهم من بعضٍ.

وقرأ عمرُ بنُ الخطَّاب: «إِذْ تُلْقُوْنَهُ» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مرفوعةٍ، وإسكان اللام، وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة[1].

وقرأ معاويةُ، وابنُ السَّمَيْفَع مثله[2]، إلَّا أنَّهما فتحا التاء والقاف.

وقرأ ابنُ مسعودٍ: «تَتَلَقَّونه» بتاءين مفتوحتين مع نصبِ اللام وتشديد القاف[3].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وعائشةُ، ومجاهدٌ، وأبو حيوةَ: «إِذْ تَلِقُوْنَهُ» بتاء واحدةٍ خفيفةٍ مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف[4]. [٥٨٢/أ]

(١) بلا نسبة في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢)، وفي المحتسب (٢/ ١٠٤)، والتحصيل (٤/ ٥٢٧)، والمحرر (٤/ ١٧١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢) عن ابن السَّمَيْفَع.

(٢) البحر المحيط (٨/ ٢٢).

(٣) عن أبي بن كعب في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢) عن عائشة، وزاد في المحتسب (٢/ ١٠٤) ابن عباس،=

وقال الزَّجَّاجُ: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ يلقيه بعضكم إلى بعضٍ، وتَلِقُونَهُ؛ ومعناه: إذ تسرعون بالكذب، يقال: وَلَقَ يَلِقُ: إذا أسرع في الكذب وغيره.

قال الشاعر [من الرجز](١):

.... جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّأْمِ تَلِقْ

أي: تسرع.

وقال ابنُ قتيبةَ: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ أي: تقبلونه، ومن قرأ: «تَلِقُونه» أخذه من الْوَلْق وهو الكذبُ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: من غير أن تعلموا أنَّه حقٌّ، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾، يعني ذلك القذف ﴿هَيِّنًا﴾ أي: سهلًا لا إثمَ فيه، ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر، ثُمَّ زاد عليهم في الإنكارِ فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ أي: ما يحلُّ وما ينبغي لنا أن نتكلَّم بهذا سبحانك، وهو يحتمل التنزيه والتعجُّب.

وروت عائشةُ رضي الله عنها، أنَّ امرأةَ أبي أيوب الأنصاري، قالت له: ألا تسمع ما يتحدَّث النَّاس؟ فقال: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ الآية، فنزلت الآية(٣).

=وزاد في التحصيل (٤/ ٥٢٧) ابن يعمر، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢٢) زيد بن علي.

(١) البيت للشماخ في ديونه (ص:٤٥٣)، و معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨)، ولسان العرب (١٠/ ١٤٥) (زلق)، وشرح المفصل (٩/ ١٤٥) وصدره: إنَّ الْجُلَيْدَ زَلِقٌ وَزُمَّلِقْ.

(٢) غريب القرآن (ص:٣٠١).

(٣) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٦٠).

وقد روينا آنفًا أنَّ أمَّه ذكرت له ذلك، فنزلت الآية المتقدمة.

وروي عن سعيدِ بنِ جبير: أنَّ سعدَ بن معاذ لَّما سمع ذلك قال: سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ. فقيل للنَّاس: هلَّا قلتم كما قال سعدٌ[١].

قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: ينهاكم الله ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ أي: إلى مثله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، لأنَّ من شرطَ الإيمان ترك قذفَ المحصنةِ، ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ في الأمرِ والنَّهي.

ثُمَّ هدَّد القاذفين بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ أي: يحبُّون أن يفشو القذف بالفاحشةِ وهي الزنا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ يعني: الجلد ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ عذاب النار.

وروت عمرةُ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: لما نزل عذري، قامَ رسولُ الله ﷺ على المنبر، فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلمَّا نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدَّهم[٢].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٤) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، به، مرسلاً، بنحوه.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٥)، وأبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، والنسائي في الكبرى (٧٣١١)، وابن ماجه (٢٥٦٧) من طرق عن محمَّد بن أبي عدي، عن محمَّد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكرة، عن عمرة، به، بنحوه.

ورواه أبو داود (٤٤٧٥) قال: حدثنا النفيلي. قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق بهذا الحديث لم يذكر عائشة. قال: فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة: حسان بن ثابت ومسطح بن أُثاثة. قال النفيلي: ويقولون: المرأة حمنة بنت جحش.

وروى أبو صالح، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ جلد عبدَ الله بن أُبيٍّ، ومسطحَ بنَ أُثاثةَ، وحسانَ بنَ ثابتٍ، وحمنةَ بنتَ جحشٍ، فأمَّا الثلاثة فتابوا، وأمَّا عبدُ الله فمات منافقًا(١).

وبعض العلماء ينكر صحَّة هذا ويقول: لم يضرب أحدًا.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شرَّ ما خضتم فيه، وما يتضمَّن من سخط الله ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابُه محذوفٌ تقديره: لعاقبكم فيما قلتم لعائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد مسطحًا وحسانَ وحمنةَ.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

قوله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ﴾ أي: تزيينه لكم قذفَ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وقد سبق شرح ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ﴾، وبيان ﴿بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾:

وقرأ الحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ: «ما زكَّى» بتشديد الكاف(٢).

---

(١) لم أقف على هذه الرواية مسندة.

(٢) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٢).

وفيمن خوطب بهذا قولان:

أحدهما: أنَّه عامٌّ في الخلقِ.

والثاني: أنَّه خاصٌّ للمتكلِّمين في الإفك.

ثُمَّ في معناه أربعةُ أقوالٍ:

أحدهما: ما اهتدى، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: ما أسلم، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: ما صلح، قاله مقاتلٌ[1].

والرابع: ما طَهُرَ، قاله ابن قتيبةَ[2].

[٥٨٢/ب] قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يطهر مَن يشاء من الإثم بالتوبةِ والغفران، فالمعنى: وقد شئت أن أتوبَ عليكم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ علم ما في نفوسكم من التوبة والندامة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾[النور: ٢٢].

قوله: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾:

وقرأ الحسنُ، وأبو العاليةَ، وأبو جعفر، وابن أبي عبلةَ: «ولا يَتَألَّ»

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٩٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٠٢).

بهمزةٍ مفتوحة بين التاء واللام، وتشديد اللام على وزن «يَتَعلَّ»[١].

قال المفسِّرون: سببُ نزولها، أنَّ أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه، كان ينفقُ على مسطحٍ لقرابته وفقره، فلـمّا خاض في أمرِ عائشةَ رضي الله عنها، قال أبو بكرٍ: والله لا أنفقُ عليه شيئًا أبدًا، فنزلت هذه الآيةُ[٢].

فأمّا الفضلُ، فقال أبو عبيدةَ: هو التفضُّلُ، والسَّعة: الجِدة[٣].

قال المفسِّرون: والمرادُ به: أبو بكرٍ رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟﴾:

قال ابنُ قتيبةَ: معناه: أن لا يؤتوا، فحذف «لا»[٤].

فأمّا قوله: ﴿أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فإنّه يعني مسطحًا، وكان ابنُ خالة أبي بكرٍ، وكان مسكينًا وكان مهاجرًا.

قال المفسِّرون: فلـمّا سمع أبو بكرٍ رضي الله عنه: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: بلى يا رب وأعاد نفقته على مسطحٍ[٥].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٢-١٠٣) عن أبي جعفر، والحسن، وعبد الله بن أبي عياش، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢٥) زيد بن أسلم.

(٢) جاءت في حديث الإفك الطويل الذي رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٣٠٢).

(٥) جاءت في حديث الإفك الطويل الذي رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٣- ٢٥].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ يعني: العفائف ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش، ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: عذِّبوا بالجلد، وفي الآخرة بالنار.

واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها نزلت في عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خاصَّة.

قال خصيف: سألت سعيدَ بنَ جبيرٍ عن هذه الآية، فقلت: من قذف محصنة لعنه الله؟ قال: لا، إنَّما أنزلت هذه الآية في عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خاصَّة[1].

والثاني: أنَّها في أزواج النَّبي ﷺ خاصَّة، قاله الضَّحاكُ[2].

والثالث: أنَّها في المهاجرات.

قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنَّ المرأةَ كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة، قذفها المشركون من أهل مكَّةَ وقالوا: إنَّما خرجت تفجر، فنزلت هذه الآية[3].

---

(١) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢٢٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ١٦٢)، وابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٣٣٨)، والطبراني في الكبير (٢٢٦ـ٢٢٧).

(٢) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢٢٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٢٢٧)، وابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٣٣٨).

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٨٢).

والرابع: أنَّها عامة في أزواج النبيِّ ﷺ وغيرهن، وبه قال قتادةُ[١]، وابنُ زيدٍ[٢].

فإنْ قيل: لم اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال؟

فالجواب: أنَّ مَن رمى مؤمنةً فلَا بد أن يرمي معها مؤمنًا، فاستغني عن ذكر المؤمنين ومثله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾[النحل:٨١] أراد: والبرد، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾:

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف: «يَشْهَدُ» بالياء، وهو إقرارها بما تكلَّموا به من الفريةِ[٤].

قال أبو سليمان الدِّمشقي: وهؤلاء غير الذين يختم على أفواههم.

وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أنَّ ألسنةَ بعضهم تشهد على بعضٍ[٥].

قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: حسابهم العدل، وقيل: جزاءهم الواجبُ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣٠) من طريق سعيد بن أبي عروبةَ، به، أنهَّا نزلت في شأن عائشةَ رضي الله عنها.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٢٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧).

(٤) السبعة (ص: ٤٥٤)، والحجة (٥/ ٣١٧).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٢٣٠)

وقرأ مجاهدٌ، وأبو الجوزاء، وحميدُ بنُ قيس، والأعمش: «دِينَهُمُ الحقُّ» برفع القاف[١].

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: وذلك أنَّ عبدَ الله بن أُبيٍّ، كان يشكُّ في الدين، فإذا كانت القيامة علم حيث لا ينفعُه[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[النور: ٢٦].

قوله: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: الكلماتُ الخبيثات لا يتكلَّم بها إلَّا الخبيث من الرجالِ والنساء، والكلمات الطيبات لا يتكلَّم بها إلَّا الطيبون من الرجال والنِّساءِ.

[**والثاني**: الكلمات الخبيثات، إنَّما تلصق بالخبيثين من الرِّجال والنِّساء][٣]، فأمَّا الطيبات والطيبون، فَلَا يصلح أن يقال في حقِّهم إلَّا الطيبات.

[٥٨٣/أ] **والثالث**: الخبيثاتُ من النِّساء للخبيثين من الرِّجال، والطيبات من النِّساء للطيبين من الرِّجال.

---

(١) عن ابن عباس، ومجاهد في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، وفي التحصيل (٥/ ٥٢٧) عن مجاهد.

(٢) البحر المحيط (٨/ ٢٦).

(٣) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو من (س).

والرابع: الخبيثات من الأعمالِ، للخبيثين من النَّاس، والخبيثون من النَّاس، للخبيثات من الأعمالِ، وكذلك الطيِّبات.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعني: عائشة، وصفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ أي: منزَّهون ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ من الفِريةِ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)﴾[النور: ٢٧-٢٩].

قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾.

ذكر أهلُ التفسير أنَّ سبب نزولها: أنَّ امرأةً من الأنصارِ جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَكُونُ فِي بَيْتِي عَلى حَالٍ لَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي عَلَيْهَا أَحَدٌ، فَلَا يَزَالُ يَدْخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أهلي، فنزلت هذه الآية.

فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد نزولها: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الْخَانَاتِ وَالْمَسَاكِنَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ، فنزل قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ الآية[1].

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٢) بدون قول أبي بكر، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٥) من طريق أشعث بن سوار الكندي، عن عدي بن ثابت، قال:=

ومعنى قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوتًا ليست لكم.

واختلف القُرَّاء في باء «البيوت»، فقرأ بعضهم: بضمِّها، وبعضهم: بكسرها، وقد بيَّنا ذلك في البقرة(١).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾:

قال الفَرَّاءُ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: حتَّى تسلموا وتستأنسوا(٢).

قال الزَّجَّاجُ: و﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ في اللُّغة بمعنى: تستأذنوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان: الاستعلام، تقول: آذنته بكذا، أي: أعلمته، وآنست منه كذا، أي: علمت منه، ومثله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي: علمتم. فمعنى الآية: حتَّى تستعلموا، يريد أهلها أن تدخلوا، أم لا(٣)؟

قال المفسِّرون: وصفةُ الاستعلام أن تقول: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟ ولا يجوز أن تدخلَ بيتَ غيرك إلَّا بالاستئذان لهذه الآية، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغيرِ إذنٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ الاستئذانَ خيرٌ فتأخذون به.

=جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَكُونُ فِي بَيْتِي عَلَى حَالٍ لَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي عَلَيْهَا أَحَدٌ. لَا وَالِدٌ، وَلَا وَلَدٌ، فَيَأْتِي الأَبُ، فَيَدْخُلُ عَلَيَّ، وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وهذا إسناد مرسل ضعيف؛ لضعف أشعث بن سوار الكندي.

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٨٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩).

قال عطاء: قلت لابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أستأذن على أمِّي وأختي ونحن في بيتٍ واحدٍ؟ قال: أيسرُّكَ أن ترى منهنَّ عورة. قلت: لا. قال: فاستأذن(١).

قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ أي: إن وجدتموها خالية، ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: إن ردُّوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموها، ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعني: الرجوع خيرٌ لكم وأفضلُ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخولِ بإذنٍ وغير إذنٍ ﴿عَلِيمٌ﴾.

فصل

وهل هذه الآيةُ منسوخةٌ أم لا؟ فيها قولان:

أحدهما: أنَّ حكمها عامٌّ في جميع البيوت، ثُمَّ نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يُستأذنون بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، هذا مرويٌّ عن الحسنِ، وعكرمةَ.

والثاني: أنَّ الآيتين محكمتان، فالاستئذان شرطٌ في الأولى إذا كان للدّار أهلٌ، والثانيةُ وردت في بيوتٍ لا ساكنَ لها، والإذن لا يتصوُّر من غير آذنٍ، فإذا بطل الاستئذانُ لم تكن البيوتُ الخاليةُ داخلةً في الأولى، وهذا أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الخاناتُ والبيوتُ المبنيَّةُ للسَّابلَةِ ليأووا إليها، ويؤووا [٥٨٣/ ب] أمتعتهم، قاله قتادةُ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٥).

والثاني: أنَّها البيوتُ الخربةُ، والمتاع: قضاء الحاجة فيها من الغائطِ والبولِ، قاله عطاءٌ.

والثالث: أنَّها بيوتُ مكَّة، قاله محمَّدُ بنُ الحنفيَّة.

والرابع: حوانيت التُّجَّار التي بالأسواق، قاله ابنُ زيدٍ.

والخامس: أنَّها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأنَّ الاستئذانَ إنَّما جعل لأجل الساكن، قاله ابنُ جريجٍ.

فيخرَّج في معنى ﴿مَتَٰعٌ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الأمتعةُ التي تُباع وتشترى.

والثاني: إلقاء الأذى من الغائطِ والبول.

والثالث: الانتفاعُ بالبيوت؛ لاتِّقاء الحرِّ والبرد.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣٠-٣١].

قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ في ﴿مِنْ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها صلةٌ.

والثاني: أنَّها أصلٌ، لأنَّهم لم يؤمروا بالغضِّ مطلقًا، وإنَّما أمروا بالغضِّ عمَّا لا يحلُّ.

وفي قوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: عمَّا لا يحلُّ لهم، قاله الجمهورُ.

والثاني: عن أن ترى، فهو أمرٌ لهم بالاستتار، قاله أبو العاليةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الغضِّ وحفظِ الفروج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: خيرٌ وأفضلُ ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفروج، ثُمَّ أمر النِّساء بما أمر به الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لا يُظهرنها لغيرِ مَحْرَمٍ.

و﴿زِينَتَهُنَّ﴾ على ضربين: خفيَّةٌ: كالسوارين، والقُرْطَين، والدُّملُج، والقلائد، ونحو ذلك، وظاهرةٌ: وهي المشارُ إليها بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وفيه سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الثيابُ، رواه أبو الأحوص، عن ابنِ مسعودٍ، وفي لفظ آخر قال: هو الرِّداءُ[1].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٣٣)، وفي المصنف (١٧٠٠٤)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٩٩ــ ١٤٤٠٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٢١٣)، والطبراني في الكبير (٩١١٥ــ ٩١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣١).

والثاني: أنَّها الكفُّ والخاتمُ والوجه.

والثالث: الكحلُ والخاتمُ، رواهما سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والرابع: القُلْبان، وهما السواران والخاتم والكحل، قاله المسورُ بنُ مَخرمةَ.

والخامس: الكحل، والخاتم، والخضاب، قاله مجاهدٌ.

والسادس: الخاتم، والسوار، قاله الحسنُ.

والسابع: الوجه، والكفَّان، قاله الضَّحاكُ.

قال القاضي أبو يعلى: والقول الأوَّل أشبه، وقد نصَّ عليه أحمدُ، فقال: الزينة الظاهرةُ: الثياب، وكلُّ شيءٍ منها عورة حتَّى الظفر، ويفيد هذا تحريمُ النظر إلى شيءٍ من الأجنبيَّات لغير عذرٍ، فإنْ كان لعذرٍ مثل: أن يريد أن يتزوَّجها، أو يشهد عليها، فإنَّه ينظرُ في الحالين إلى وجهها خاصَّة، فأمَّا النظرُ إليها بغير عذرٍ، فلا يجوز لا لشهوةٍ، ولا لغيرها، وسواءٌ في ذلك الوجه والكفَّان، وغيرهما من البدن.

فإنْ قيل: فلمَ لا تبطلُ الصلاةُ بكشف وجهها؟

فالجواب: أنَّ في تغطيته مشقَّةٌ، فعفي عنه.

قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وهي جمعُ خِمارٍ، وهو ما تغطي به المرأةُ رأسَها، والمعنى: وليُلْقِين مَقانِعَهن ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ليسترن بذلك شعورهنَّ وقُرطهنَّ وأعناقهنَّ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وإبراهيمُ النخعي، والأعمشُ: «جِيُوبِهِنَّ» بكسر الجيم(١).

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخفيَّة وقد سبق بيانها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يضعن الجلبابَ والخمارَ إلَّا لأزواجهنَّ(٢).

قوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: المسلمات.

قال أحمدُ: لا يحلُّ للمسلمةِ أن تكشفَ رأسَها عند نساءِ أهلِ الذِّمَّةِ، [٥٨٤/أ] واليهودية والنصرانية لا يُقبِّلان(٣) المسلمة(٤).

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قال أصحابُنا: المرادُ به: الإماء دون العبيد.

وقال أصحابُ الشافعيِّ: يدخل فيه العبيدُ، فيجوز للمرأةِ عندهم أن تُظهر لمملوكها ما تظهر لمحارمها، لأنَّ مذهبَ الشافعيِّ أنَّه مَحْرمٌ لها، وعندنا أنَّه ليس بمحرمٍ، ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفَّيها، وقد نصَّ أحمدُ على أنَّه لا يجوز أن ينظرَ إلى شعرِ مولاته.

قال القاضي أبو يعلى: وإنَّما ذكرَ الإماءَ في الآيةِ، لأنَّه قد يظنُّ الظانُّ أنَّه لا يجوز أن تبدي زينتها للإماءِ، لأنَّ الذين تقدَّم ذكرهم أحرارٌ، فلمَّا ذكرَ الإماءَ زالَ الإشكالَ.

---

(١) انظر: التيسير (ص:١٦١)، والمبسوط (ص:١٤٤).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٦).

(٣) في (س): (لا تُقبِّلان).

(٤) انظر: أحكام النساء؛ للإمام أحمد (ص:٣٨).

قولـه: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ وهـم الذيـن يتَّبعـون القـومَ ويكونـون معهـم لإرفاقهـم إيَّاهـم، أو لأنَّهـم نشـؤوا فيهـم.

وللمفسِّرين في هذا التابع ستَّةُ أقوالٍ:

أحدهما: أنَّه الأحمقُ الذي لا تشتهيه المرأةُ ولا يغار عليه الرَّجل، قاله قتادةُ.

وكذلك قال مجاهدٌ: هو الأبله الذي يريد الطعامَ ولا يريدُ النِّساء(١).

والثاني: أنَّه العنِّينُ، قاله عكرمةُ.

والثالـث: المخنَّـث كان يتَّبـع الرجـل يخدمـه بطعامِه، ولا يسـتطيعُ غشـيان النِّسـاء، ولا يشـتهيهن، قاله الحسـن.

والرابع: أنَّه الشيخُ الفاني.

والخامس: أنَّه الخادمُ، قالهما ابنُ السائب.

والسـادس: أنَّـه الـذي لا يكـترثُ بالنِّسـاء، إمَّـا لكـبرٍ، أو هـرمٍ، أو لصغرٍ، ذكـره ابـنُ المنـادي مـن أصحابنا.

قـال الزَّجَّـاجُ: ﴿غَيْرِ﴾ صفـةٌ للتَّابعـين، وفيـه دليـلٌ عـلى أنَّ قولَـه: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ معنـاه: ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ والمعنـى: ولا يبديـنَ زينتهـنَّ لمماليكهـن ولا لتُبَّاعِهـنَّ، إلَّا أن يكونـوا غـير أولي الإربـةِ، والإربـة: الحاجـةُ، ومعنـاه غـير ذوي الحاجـات إلى النِّسـاءِ(٢).

(١) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢٢٥)، وكذا ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢).

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾:

قال ابنُ قتيبةَ: يريدُ الأطفالَ، بدليل قوله ﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يعرفوها[١].

قوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بإحدى الرِّجلين على الأُخرى، ليضرب الخلخال الخلخال، فيعلم أنَّ عليها خلخالين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[النور: ٣٢-٣٤].

قوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ وهم الذين لا أزواج لهم من الرِّجالِ والنِّساءِ، يقال: رجلٌ أَيِّمٌ، وامرأةٌ أَيِّمٌ، ورجُلٌ أَرْمَلٌ، وامْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ، ورجلٌ بِكْرٌ، وامراةٌ بِكْرٌ: إذا لم يتزوَّجا، وامرأةٌ ثيِّبٌ، ورجلٌ ثيِّبٌ: إذا كانا قد تزوَّجا، ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ أي: من عبيدكم، يقال: عبدٌ وعباد وعبيد، كما يقال: كلب وكلاب وكَلِيب.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣٠٤).

وقرأ الحسنُ، ومعاذٌ القارئ: «من عَبيدِكُمْ»(١).

قال المفسِّرون: والمراد بالآية الندب.

ومعنى الصلاح هاهنا: الإيمان. والمراد بالعباد المملوكون، فالمعنى: زوِّجوا المؤمنين من عبيدكم وولائدكم، ثُمَّ رجع إلى الأحرار فقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فأخبرهم أنَّ النِّكاح سببٌ لنفي الفقر.

قوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: وليطلب العفَّة عن الزِّنا والحرام مَن لا يجد ما ينكح به من صداقٍ ونفقةٍ.

وقد روى ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، عَلَيكُمْ بِالْبَاءَةِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٢). [٥٨٤/ب]

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: يطلبون المكاتبةَ من العبيد والإماءِ على أنفسهم.

﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه مندوبٌ إليه، قاله الجمهورُ.

والثاني: أنَّه واجبٌ، قاله عطاءٌ، وعمرو بنُ دينارٍ.

وذكر المفسِّرون: أنَّها نزلت في غلامٍ لحويطب بن عبدِ العزَّى يقال له: صبيح، سأل مولاه الكتابةَ فأبى عليه، فنزلت هذه الآية، فكاتبه

---

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، والتحصيل (٤/ ٥٥٠)، والمحرر (٤/ ١٨٠).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) بنحوه.

حويطب على مائة دينارٍ، ووهب له منها عشرينَ دينارًا(١).

قوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: إن علمتم لهم مالًا، رواه العُوفي، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وعطاءٌ، والضَّحاكُ.

والثاني: إنْ علمتم لهم حيلة، يعني: الكسب، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: إنْ علمتم فيهم دينًا، قاله الحسنُ.

والرابع: إنْ علمتم أنَّهم يريدون بذلك الخير، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: إنْ أقاموا الصلاةَ، قاله عبيدةُ السلماني.

والسادس: إنْ علمتم لهم صدقًا ووفاءً، قاله إبراهيمُ.

قوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه خطابٌ للأغنياء الذين تجب عليهم الزَّكاة، أمروا أن يعطوا المكاتبين من سهمِ الرِّقاب.

روى عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ في هذه الآية قال: هو سهمُ الرِّقاب يعطى منه المكاتبون(٢).

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٩).

والثاني: أنَّه خطابٌ للسادة أُمروا أن يعطوا مكاتبيهم من كتابتهم شيئًا.

قال أحمدُ، والشَّافعيُّ: الإيتاءُ واجبٌ، وقدَّره أحمدُ بربع مال الكتابةِ.

وقال الشَّافعيُّ: ليس بمقدَّرٍ.

وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا يجبُ الإيتاءُ.

وقد روي عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه أنَّه كاتبَ غلامًا له، يقال له: أبو أُميةَ، فَجَاءَ بنجمِهِ حينَ حلَّ، فقال: اذهب يا أبا أميةَ فاستعن به في مكاتبتك، قال: يا أمير المؤمنين لو أخَّرته حتى يكون في آخر النُّجوم، فقال: يا أبا أميَّة إنِّي أخافُ أن لا أدرك ذلك، ثُمَّ قرأ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، قال عكرمةُ: وكان ذلك أوَّلُ نجمٍ أُدِّي في الإسلام[١].

قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾:

روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديثِ أبي سفيانَ، عن جابرٍ رضي الله عنهما، قال: كَانَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ يقُولُ لجارِيَتِهِ: اذهَبِي فَابغِينَا شَيئًا، فنزلت هذه الآية[٢].

قال المفسِّرون: وكان له جاريتان مُعَاذَةُ وَمُسَيْكَةُ، فكان يُكرههما على الزِّنا، ويأخذ منهما الضريبة، وكذلك كانوا يفعلونَ في الجاهليةِ، يؤاجرون إماءهم، فلمَّا جاء الإسلامُ قالت مُعَاذةُ لمُسَيكَة: إنَّ هذا الأمر الذي نحن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٠٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥١٠)، والبيهقي في الكبرى (٢١/ ٤٧٩) من طريق وكيع، عن أبي شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٤٨٢)، و مسلم (٣٠٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٦/ ١٠٩).

فيـه، إن كان خـيرًا فقـد اسـتكثرنا منـه، وإن كان شرًّا فقـد آن لنـا أن ندعـه، فنزلـت هـذه الآيـةُ[١].

وزعـم مقاتـلٌ أنَّهـا نزلـت في سـتِّ جـوارٍ كـنَّ لعبـد الله بـن أُبيٍّ: معـاذةُ، ومُسـيكةُ، وأُميمـةُ، وقُتيلـةُ، وعمـرةُ، وأروى[٢].

فأمَّا الفتيات فهنَّ الإماءُ، والبغاء: الزِّنا، والتحصنُ: التعفُّف.

واختلفوا في معنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ على أربعةِ أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّ الـكلامَ ورد عـلى سـببٍ، وهـو الـذي ذكرنـاه، فخـرج النَّهـي عـن صفـة السـبب وإن لم يكـن شرطًـا فيـه.

والثـاني: إنَّـه إنَّـما شرط إرادة التحصُّـن، لأنَّ الإكـراه لا يتصـوَّر إلَّا عنـد [٥٨٥/أ] إرادة التحصُّـن، فأمَّـا إذا لم تـرد المـرأة التحصُّـن، فإنَّهـا تبغـي بالطَّبـع.

والثالـث: أنَّ ﴿إِنْ﴾ بمعنـى «إذ»، ومثلـه ﴿مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقـرة:٢٧٨] ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمـران:١٣٩].

والرابـع: أنَّ في الـكلام تقديـمًا وتأخـيرًا، تقديـرُه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾ إلى قولـه: ﴿وَإِمَآئِكُمْ﴾ ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾، ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهـو كسـبهن وبيـع أولادهـن ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ للمكرهـات ﴿رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٩٨).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو عمرانَ الجونيُّ، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»[١].

قوله تعالى: ﴿مُّبَيَّنَٰتٍ﴾.

قرأ ابنُ عامر، وأهلُ الكوفة غير أبي بكر، وأبانُ: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بكسر الياء في الموضعين في هذه السورة[٢]، وآخر سورة الطلاق[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ أي: شبهًا من حالهم بحالكم أيُّها المكذِّبون، وهذا تخويفٌ لهم أن يلحقهم ما لحق المكذِّبين قبلهم.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هادي أهل السماوات والأرض، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ[٤]، وبه قال أنسُ بنُ مالكٍ[٥]، وبيان هذا أنَّ النور في اللُّغة:

---

(١) في المحتسب (٢/ ١٠٨) عن ابن عباس، وابن جبير.

(٢) السبعة (ص:٢٢٩)، والحجة (٣/ ١٤٥)، والتيسير (ص:١٦٢).

(٣) انظر: سورة الطلاق الآية رقم (١١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٦) من طريق وهب بن راشد، عن فرقد=

الضياء، وهو الذي تصل به الأبصار إلى مبصراتها، فوردَ النورُ مضافًا إلى الله تعالى، لأنَّه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما يهتدون به، والخلائق بنوره يهتدونَ.

والثاني: مدبِّر السماواتِ والأرض، قاله مجاهدٌ، والزَّجَّاج[١].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل، وابن السَّمَيْفَع: «الله نَوَّرَ» بفتح النون والواو وتشديدها ونصب الراء، «السماواتِ» بالخفضِ، «والأرضَ» بالنَّصب[٢].

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ في هاء الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ترجع إلى الله ﷻ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: مثل هداه في قلب المؤمنِ[٣].

والثاني: أنَّها ترجعُ إلى المؤمن، فتقديره: مثل نور المؤمنِ، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ.

وكان أُبيٌّ، وابنُ مسعودٍ يقرآن: «مَثَلُ نُورِ مَنْ آمَنَ بِهِ»[٤].

والثالث: أنَّها ترجع إلى محمَّدٍ ﷺ، قاله كعبٌ.

والرابع: أنَّها ترجعُ إلى القرآن، قاله سفيانُ.

=السبخي، به.

ووهب ابن راشد الرقي البصري، متروكٌ. انظر: الميزان (٤/ ٣٥١).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣) عن أبي جعفر المدني، وعبد العزيز المكي.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم (١٤٥٥٥) في تفسيرهما، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣) عن أبي بن كعب.

فأمَّا المشكاةُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدهــا: أنَّهــا في موضــع الفتيلــة الــذي هــو كالأنبــوبِ، والمصبــاح: الضــوءُ، قالــه ابــنُ عبَّــاسٍ.

والثاني: أنَّها القنديلُ، والمصباح الفتيلةُ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّها الكُوَّة التي لا منفذ لها، والمصباح: السِّراج، قاله كعبٌ.

وكذلك قال الفَرَّاءُ: المشكاة الكُوَّة التي ليست بنافذة [١].

وقال ابنُ قتيبةَ: المِشْكاة الكُوَّة بلسان الحبشة[٢].

وقــال الزَّجَّــاجُ: هــي مــن كلامِ العــرب، والمصبــاح: الســراج، وإنَّــما ذكــر الزُّجَاجــةَ، لأنَّ النــورَ في الزُّجَــاج أشــدُّ ضــوءًا منــه في غــيره[٣].

وقــرأ أبــو رجــاءَ العطــارديُّ، وابــنُ أبي عبلــةَ: «في زَجَاجَــةٍ الزَجَاجَــةُ» بفتــح الــزاي فيهــما[٤].

وقرأ معاذٌ القارئ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ يعمر: بكسر الزاي فيهما[٥].

قال بعضُ أهل المعاني: معنى الآية: كمثل مصباحٍ في مشكاةٍ فهو من المقلوب.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٥٠).

(٢) أدب الكاتب (ص:٤٩٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، والتحصيل (٤/ ٥٥٠) ابن مجاهد عن نصر بن عاصم.

(٥) مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣) عن أبي رجاء، ونصر بن عاصم.

فأمَّا «الدُّريُّ»، فقرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وأبانُ عن عاصمٌ: «دِريءُ» بكسر الدَّال وتخفيفُ الياء ممدودًا مهموزًا[١]. [٥٨٥/ب]

قال ابنُ قتيبةَ: المعنى على هذا إنَّه من الكواكب الدَّرارئ، وهي اللاتي يَدْرَأْن عليك أي يطلُعن[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: هذا مأخوذٌ من دَرَأَ يَدْرَأُ إذا اندفعَ منقضًّا، فتضاعف نورُه، يقال: تَدَارأَ الرَّجلَانِ إذا تدافعا[٣].

وروى المفضلُ، عن عاصمٌ: كسر الدال وتشديد الياء من غيرِ همزٍ ولا مدٍّ، وهي قراءةُ عبد الله بنِ عمرَ، والزُّهريِّ[٤].

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضمِّ الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مدٍّ ولا همزٍ[٥].

وقرأ عثمانُ بنُ عفَّانَ، وابنُ عبَّاسٍ، وعاصمٌ الجحدري: «دَرِيء» بفتح الدال وكسر الرَّاء ممدودًا مهموزًا[٦].

---

(١) السبعة (ص:٤٥٥)، والحجة (٥/ ٣٢٢_ ٣٢٣)، والمبسوط (ص:٣١٨).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٠٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

(٤) «دِرِّيٌّ» في التحصيل (٤/ ٥٥٠)، والكامل (ص:٣٩٥) عن المفضل، عن عاصم.

(٥) السبعة (ص:٤٥٥_٤٥٦).

(٦) عن النبي ﷺ، وقتادة، وأبان، عن عاصم في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وسعيدُ بنُ المسيب، وقتادةُ: بفتح الدّال، وتشديد الرّاء، والياء من غير مدٍّ ولا همزٍ(١).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ، وقتادةُ، وابنُ يعمر: بفتح الدّال وكسر الراء مهموزًا مقصورًا(٢).

قال الزَّجَّاجُ: ﴿دُرِّيٌّ﴾: منسوبٌ إلى أنّه كالدرِّ في صفائه وحسنه(٣).

وقال الكسائيُّ: «الدُّرِّيُّ» الذي يُشْبِهُ الدُّرَّ، «والدِّرِّيُّ» جارٍ «والدَّرِّيُّ» يلتمع.

وقرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، والوليد بن عتبةَ، عن ابن عامر: بضمِّ الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمد(٤).

قال الزَّجَّاجُ: فالنحويُّون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا(٥).

وقال الفَرَّاءُ: ليس هذا بجائزٍ في العربيَّة، لأنَّه ليس في الكلام فُعِّيل إلَّا أعجمي مثل مُرِّيق وما أشبهه(٦).

---

(١) نصر بن عاصم، وأبو رجاء، وسعيد بن المسيب، وأبان بن عثمان في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٣)، وانظر: المحتسب (٣/ ١١٠).

(٢) عن قتادة والضحاك في المحتسب (٣/ ١١٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

(٤) في تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦١) عن عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة في إعراب القرآن (٢/ ١٣٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٢٥٢).

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغوي: المُرِّيق: العُصْفُر أعجميٌّ معرَّبٌ(١).

وليس في كلامهم اسمٌ على زنة فُعِّيل.

قال أبو عليٍّ: وقد حكى سيبويه عن أبي الخطَّاب: كوكب دُرِّيء: من الصفات، ومن الأسماء المُرِّيق: العُصْفُر(٢).

قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بالتاء المفتوحة وتشديد القاف ونصب الدال، يريدان المصباح؛ لأنَّه هو الذي يوقد.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿دُرِّيٌّ يُوقَدُ﴾ بالياء مضمومة مع ضمِّ الدال، يريدون المصباح أيضًا.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «تُوقَدُ» بضمِّ التاء والدال، يريدون الزُّجَاجة(٣).

قال الزَّجَّاج: والمقصودُ: مصباح الزُّجَاجة، فحذف المضاف(٤).

قوله: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: من زيت شجرة، فحذفُ المضافِ، يدلُّك على ذلك قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ والمرادُ بالشجرة هاهنا شجرة الزيتون، وبركتها من وجوه، فإنَّها تجمع الأدم والدُّهن والوقود، فيوقد

(١) المعرب (ص:٥٨٣).

(٢) الحجة (٥/ ٣٢٣).

(٣) السبعة (ص:٤٥٦)، والحجة (٥/ ٣٢٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤).

بحطب الزَّيتون، ويغسل برمادِه الإبْرِيسِم، ويستخرج دهنه أسهل استخراج، ويورق غصنُه من أوَّله إلى آخره.

وإنَّما خصَّت بالذكر هاهنا دون غيرها، لأنَّ دهنها أصفى وأضوأ.

قوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بين الشجر فهي خضراءُ ناعمةٌ لا تصيبها الشمسُ، قاله أُبي بنُ كعبٍ، ورواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها في الصحراء، لا يظلُّها جبلٌ ولا كهفٌ، ولا يواريها شيءٌ، فهو أجود لزيتها، رواه عكرمةُ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، والزَّجَّاجُ(١).

والثالث: أنَّها من شجر الجنَّة لا من شجر الدُّنيا، قاله الحسنُ.

[٥٨٦/أ] قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي: يكاد من صفائه يضيءُ قبل أن تصيبه النارُ، بأن يوقد به.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾:

قال مجاهدٌ: النار على الزيت(٢).

وقال ابنُ السائب: المصباح نورٌ، الزُّجَاجة نورٌ(٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٥).

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (ص:٤٩٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٣١٤)، وابن أبي حاتم (١٤٦٢٢) في تفسيرهما عن ابن أبي نجيح، به.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢١).

وقال أبو سليمانُ الدِّمشقيُّ: نورُ النار ونورُ الزيت ونورُ الزُّجَاجة.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لنور القرآن.

والثاني: لنور الإيمان.

والثالث: لنور محمَّدٍ ﷺ.

والرابع: لدينه الإسلام.

فصل

فأمَّا وجه هذا المثل، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه شبَّه نور محمَّدٍ ﷺ بالمصباح النير، فالمشكاة جوف رسول الله ﷺ، والمصباح النور الذي في قلبه، والزُّجَاجةُ قلبه فهو من شجرة مباركة، وهو إبراهيم عليه السلام، سمَّاه شجرة مباركة؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياء من صلبه.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ، يكاد محمَّد ﷺ يتبيَّن للنَّاس أنَّه نبيٌّ ولو لم يتكلَّم.

وقال القرظيُّ: المشكاة: إبراهيمُ، والزُّجَاجة: إسماعيلُ، والمصباح: محمَّد ﷺ(١).

وقال الضَّحاكُ: شبَّه عبد المطلب بالمشكاة، وعبد الله بالزُّجاجة، ومحمَّدًا ﷺ بالمصباح(٢).

---

(١) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٠٥).

(٢) المصدر السابق.

والثاني: أنَّه شبَّه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح، فالمشكاة: قلبه، والمصباح: نورُ الإيمان فيه.

وقيل: المشكاة: صدره، والمصباحُ: القرآن.

قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[النور: ٣٦-٣٨].

المعنى: كمشكاة ﴿فِي بُيُوتٍ﴾، ويجوز أن تكون متَّصلةً بقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ فتكون فيها تكريرًا على التوكيد، والمعنى: يسبِّح لله رجالٌ في بيوتٍ.

فإن قيل: المشكاةُ إنَّما تكون في بيتٍ واحدٍ فكيف قال: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّه من الخطاب المتلون، الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجمع، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق:١].

والثاني: أنَّه راجعٌ إلى كلِّ واحدٍ من البيوت، فالمعنى: في كلِّ بيتٍ مشكاةٌ. [٥٨٦/ب]

وللمفسِّرين في المراد بالبيوت هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدهما: أنَّها المساجد، قاله ابن عبَّاسٍ، والجمهور.

والثاني: بيوت أزواجِ رسولِ الله ﷺ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: بيت المقدس، قاله الحسنُ.

فأمّا ﴿أَذِنَ﴾ فمعناه أمر.

وفي معنى ﴿أَن تُرۡفَعَ﴾ **قولان**:

أحدها: أن تعظّم، قاله الحسنُ، والضّحاكُ.

والثاني: أن تبنى، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

وفي قوله: ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ **قولان**:

أحدهما: توحيده، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ.

والثاني: يتلى فيها كتابه، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء.

وقرأ ابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصمٍ: بفتحها[1].

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو حيوة: «تُسَبِّحُ» بتاءٍ مرفوعةٍ وكسر الباء ورفع الحاء[2].

(١) السبعة (ص:٤٥٦)، والحجة (٥/ ٣٢٦)، والتيسير (ص:١٥٢).

(٢) مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن أبي حيوة.

وفي قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه الصلاةُ.

ثُمَّ في صلاة الغُدُوِّ قولان:

أحدهما: أنَّها صلاة الفجرِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: صلاةُ الضُّحى.

روى ابنُ أبي مُليكةَ، عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ صلاةَ الضُّحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليها إلَّا غواص، ثُمَّ قرأ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[1].

وفي صلاة الآصال قولان:

أحدهما: أنَّها صلاةُ الظُّهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، قاله ابنُ السائب.

والثاني: صلاةُ العصر، قاله أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

والقول الثاني: أنَّه التسبيح المعروف، ذكره بعضُ المفسِّرين.

قوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ أي: لا تشغلهم ﴿تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾.

قال ابنُ السائب: التُّجار: الجلَّابون، والباعة: المقيمون.

وقال الواقديُّ: التِّجارة هاهنا بمعنى الشراء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٨٧١) من طريق عطاء الخراساني، يَقُولُ لِطَاوُسٍ: إِنَّ ابنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «صَلَاةُ الضُّحَى فِي الْقُرْآنِ وَلَكِنْ لَا يَغُوصُ عَلَيْهَا إِلَّا غَائِصٌ».

وفي المراد بـ ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ثلاثةُ أقوال:

أحدها: الصلاة المكتوبة، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعطاءٌ.

وروى سالمٌ عن ابنِ عمرَ أنَّه كان في السوق فأقيمت الصلاةُ، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابنُ عمرَ: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(١).

والثاني: عن القيام بحقِّ الله، قاله قتادة.

والثالث: عن ذكر الله باللِّسان، ذكره أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أداؤها لوقتها وإتمامها.

فإنْ قيل: إذا كان المرادُ بذكر الله الصلاةَ، فما معنى إعادتها؟

فالجواب: أنَّه بيَّن أنَّهم يقيمونها بأدائها في وقتها.

قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في معناه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ مَن كان قلبه مؤمنًا بالبعث والنشور، ازداد بصيرةً برؤية ما وعد به، ومَن كان قلبه على غير ذلك، رأى ما يوقن معه بأمر القيامة، قاله الزَّجَّاجُ(٢).

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٤٢)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم (١٤٦٤٧) في تفسيرهما.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٦).

والثاني: أنَّ القلوب تتقلَّب بين الطمع في النَّجاة والخوفِ من الهلاك، والأبصار تتقلَّبُ، تنظر من أين يؤتون كتبهم، أمن قبل اليمين، أم من قبل الشمال؟ وأي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين، أم ذات الشمال؟ قاله ابنُ جريرٍ(١).

والثالث: تتقلَّبُ القلوب فتبلغ إلى الحناجر، وتتقلَّبُ الأبصار إلى الزرق بعد الكحل، والعمى بعد النظر.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ المعنى: يسبِّحون الله ليجزيهم ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ليجزيهم بحسناتهم، فأمَّا مساوئهم فلا يجزيهم بها ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [٥٨٧/أ] مالم يستحقُّوه بأعمالهم، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قد شرحناه في آل عمران(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٣٩-٤٠].

ثُمَّ ضربَ الله مثلًا للكفَّار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٣٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٢٧).

قال ابنُ قتيبةَ: السرابُ: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النَّهار، والآل: ما رأيتُه في أوّل النهار وآخره وهو يرفعُ كلَّ شيء، والقيعة والقاع واحدٌ(١).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ السَّمَيْفَع: «بِقِيْعَاتٍ»(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: القِيْعَةُ: جمعُ قاعٍ، مثل جَارٍ وَجِيرَةٍ، و القِيْعَةُ والقَاعُ: ما انبسطَ من الأرض ولم يكن فيه نباتٌ، فالذي يسير فيه يَرَى كأنَّ فيه ماءً يَجْرِي، وذلك هو السَّرابُ، والآل مثلُ السرابِ، إلَّا أنَّه يرتفعُ وقت الضُّحى كالماءِ بين السَّماء والأرضِ، يحسبُه الظمآن ـ وهو الشديدُ العطش ـ ماء، حتى إذا جاء إلى موضع السراب، رأى أرضًا لا ماءَ فيها، فأعلم الله أنَّ الكافر الذي يظنُّ أنَّ عمله قد نفعه عند الله، كَظَنِّ الذي يظنُّ السرابَ ماء، وعمله قَدْ حَبِطَ(٣).

قوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: قدم على الله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ أي: جازاه بعملِهِ، وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن، والمرادُ به الخبرُ عن الكافرِ.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ مفسَّرٌ في البقرة(٤).

قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ في هذا المثل قولان:

أحدهما: أنَّه لعمل الكافر، قاله الجمهور واختاره الزَّجَّاجُ(٥).

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣٠٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن مسلمة بن محارب، وفي التحصيل (٤/ ٥٥١)

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٧).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٠٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

والثاني: أنَّه مثل لقلبِ الكافر في أنَّه لا يعقل ولا يبصر، قاله الفرَّاءُ[(١)].

فأمَّا اللُّجِّيُّ فهو العظيم اللجَّة، وهو العميقُ.

﴿يَغْشَىٰهُ﴾ أي: يعلو ذلك البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: من فوق الموج موج، والمعنى: يتّبع الموج موج، حتّى كأن بعضه فوقَ بعضٍ، ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: من فوق ذلك الموج ﴿سَحَابٌ﴾.

ثُمَّ ابتدأ فقال: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ يعني: ظلمة البحرِ، وظلمةُ الموج الأوَّلِ، وظلمة الموج الذي فوق الموج، وظلمة السحاب.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ محيصن: «سَحَابُ ظُلُمَاتٍ» مضافًا[(٢)].

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ يعني: إذا أخرجها مخرج، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه لم يرها، قاله الحسنُ، واختاره الزَّجَّاج، قال: لأنَّ في دون هذه الظلمات لا يرى الكف[(٣)].

وكذلك قال ابنُ الأنباريِّ: معناه: لم يرها البتةَ، لأنَّه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمات على أنَّ الرؤيةَ معدومةٌ، فبان بهذا الكلام أنَّ ﴿يَكَدْ﴾ زائدة للتوكيد، بمنزلة «مَا» في قوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٥٥).

(٢) السبعة (ص: ٤٥٦)، والتيسير (ص:١٦٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

والثاني: أنَّه لم يرها إلا بعد الجهد، قاله المبرِّد.

قال الفَرَّاءُ: وهذا كما تقول: ما كدت أبلغ إليك، وقد بلغت، قال الفَرَّاءُ: وهذا وجه العربيَّة(١).

فصل

فأمَّا وجه المثل، فقال المفسِّرون: لَمَّا ضرب الله للمؤمن مَثَلًا بالنور، ضرب للكافر هذا المثل بالظلمات، والمعنى: أنَّ الكافرَ في حيرةٍ لا يهتدي لرشد.

وقيل: الظلمات ظلمة الشرك، وظلمةُ المعاصي.

وقال بعضُهم: ضرب الظُّلمات مثلًا لعمله، والبحر اللُّجي لقلبه، والموج لما يغشى قلبه من الشرك والجهل والحيرة، والسحاب للرَّيْن، والختم على قلبه، فكلامُه ظلمةٌ، وعمله ظلمةٌ، ومدخله ظلمةٌ، ومخرجُه ظلمةٌ، ومصيره إلى الظُّلمات(٢) يوم القيامة. [٥٨٧/ ب]

قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: دينًا وإيمانًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: هداية، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٥).

(٢) كلمة: (الظلمات) تكررت في الأصل.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

قولـه تعـالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[النـور: ٤١-٤٢].

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قد تقدَّم تفسيرُه.

قولـه: ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ أي: وتسـبِّح لـه الطـير ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: باسـطاتٌ أجنحتهـا في الهـواء: وإنَّـما خـصَّ الطـير بالذِّكـر، لأنَّهـا تكـون بـين السـماءِ والأرضِ إذا طـارت، فهـي خارجـةٌ عـن جملـةِ مَـن في السـماوات والأرض.

قولـه: ﴿كُلٌّ﴾ أي: مـن الجملـة التـي ذكرهـا ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ قـال المفسِّرون: الصـلاةُ لبنـي آدم، والتسـبيحُ لغيرهـم مـن الخلـق.

وفي المشار إليه بقوله ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ قولان:

أحدهمـا: أنَّـه الله تعـالى، والمعنـى قـد علـمَ الله صـلاةَ المصـلي وتسـبيحه، قالـه الزَّجَّـاجُ(١).

والثاني: أنَّه المصلِّي والمسبِّح.

ثُمَّ فيه قولان:

أحدهمـا: قـد علـم المصـلِّي والمسـبِّح صـلاة نفسـه وتسـبيحه، أي: قـد عـرف مـا كلـف مـن ذلـك.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

والثاني: قد علِم المصلِّي صلاةَ الله وتسبيحه، أي: علم أنَّ ذلك لله تعالى وحده.

وقرأ قتادةُ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ يعمر: «كُلٌّ قَدْ عُلِمَ» برفع العين وكسر اللام «صَلَاتُه»، «وتسبيحُه» بالرَّفع فيهما(١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)﴾[النور: ٤٣].

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي: يسوقه، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: يضمُّ بعضه إلى بعضٍ، فيجعل القطع المتفرِّقة قطعة واحدة.

والسحابُ لفظُه لفظ الواحد، ومعناه الجمع، فلهذا قال: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ أي: يجعل بعض السَّحاب فوقَ بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ وهو المطرُ.

قال اللَّيثُ: الوَدْقُ المطر كلُّه شديده وهينه(٢).

قوله: ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾:

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو العالية، ومجاهدٌ، والضَّحاك: «مِنْ خَلَلِه»(٣).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن قتادة.

(٢) الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٤).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن ابن مسعود، وابن عباس، والضحاك.

والخلالُ: جمعُ خَلَلٍ، مثل: جِبَالٍ وَجَبَلٍ.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مفعولُ الإنزال محذوفٌ، تقديره: وينزِّل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ بَرَداً، فاستغنى عن ذكر المفعولِ للدلالة عليه «ومِنْ» الأولى لابتداءِ الغاية، لأنَّ ابتداء الإنزال من السماءِ، والثانية للتَّبعيض، لأنَّ الذي ينزِّلُه الله بعض تلك الجبالِ، والثالثة لتبيين الجنس، لأنَّ جنس تلك الجبال جنس البرد.

قال المفسِّرون: وهي جبالٌ في السماء مخلوقةٌ من برد.

وقال الزَّجَّاجُ: معنى الكلام: وينزل من السماء من جبال برد فيها، كما تقول: هذا خاتمٌ في يدي من حديدٍ، المعنى: هذا خاتمٌ حديد في يدي[1].

قوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: البردُ مَن يشاء فيضرُّه في زرعِه وثمرِه.

والسَّنا: الضوء، ﴿يَذْهَبُ﴾:

وقرأ مجاهدٌ، وأبو جعفرَ: «يُذْهِبُ» بضمِّ الياء وكسرِ الهاء[2].

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[النور: ٤٤] أي: يأتي بهذا، ويذهبُ بهذا، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التقلُّب ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: دلالة لأهلِ البصائرِ والعقول على وحدانيَّة الله وقدرته.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٩).

(٢) عن أبي جعفر المدني في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤)، وفي التحصيل (٤/ ٥٧٢) عن ابن القعقاع.

قولــه تعــالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾[النــور: ٤٥].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾:

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «واللهُ خَالِقُ كُلِّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ»[١].

وفي الماءِ قولان:

أحدهما: أنَّ الماءَ أصلُ كلِّ دابَّةٍ.

والثاني: أنَّه النطفة، والمرادُ به جميع الحيوان المشاهد في الدُّنيا.

وإنَّما قال: ﴿فَمِنۡهُم﴾ تغليبًا لما يعقل.

وإنَّـما لم يذكـر الـذي يمشي عـلى أكثر من أربـعٍ، لأنَّـه في رأي العـين كالذي يمـشي عـلى أربـعٍ، وقيل: لأنَّـه يعتمد في المـشي على أربعٍ، وإنَّما سـمِّي السـائر على [٥٨٨/أ] بطنهِ ماشـيًا، لأنَّ كلَّ سـائر ومسـتمرٍ يُقال له: مـاشٍ وإن لم يكن حيوانًـا، حتى إنَّه يقال: قد مشـى هـذا الأمر، هـذا قـولُ الزَّجَّاج[٢].

وقـال أبـو عبيـدةَ: إنَّما هذا على سـبيل التشـبيه بالمـاشي، لأنَّ المـشي لا يكون عـلى البطـن، إنَّـما يكـون لمن لـه قوائـم، فإذا خلطـوا ما لـه قوائم بـما لا قوائـم له، جـاز ذلـك، كـما يقولون: أكلـتُ خبـزًا ولبنًا، ولا يقـال: أكلـتُ لبنًا[٣].

(١) «واللهُ خَالِقُ كُلِّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ» بألف على الإضافة. السبعة (ص:٤٥٧)، وإعراب القرآن (٣/ ٩٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٦٨).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[النور: ٤٦-٥٢].

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: نزلت في رجلٍ من المنافقين، يقال له: بشر، كان بينه وبين يهوديٍّ حكومة، فدعا اليهودي المنافق إلى رسولِ الله ﷺ ليحكم بينهما، فقال المنافقُ لليهوديِّ: إنَّ محمَّدًا يحيف علينا، ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرفِ، فنزلت هذه الآيةُ(١).

قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يعني: المنافقين ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد قولهم: آمنا ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني: المعرضين عن حكمِ الله ورسوله بالمؤمنين.

﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه، ﴿وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الرسولُ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ومعنى الكلام: أنَّهم كانوا يعرضون عن حكمِ الرَّسول عليهم، لعلمهم أنَّه يحكم بالحقِّ، وإن كان الحقُّ لهم على غيرهم، أسرعوا إلى حكمه مذعنين، لثقتهم أنَّه يحكم لهم بالحقِّ.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٧).

قال الزَّجَّاج: والإذعان في اللُّغة: الإسراعُ مع الطاعة، تقول: قد أذعنَ لي، أي: قد طاوعني لِمَا كُنتُ ألتمِسُه منه(١).

قوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: كفر ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: شكوا في القرآن؟ وهذا استفهامُ ذمٍّ وتوبيخ، والمعنى: إنَّهم كذلك، وإنَّما ذكره بلفظِ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمِّهم، كما قال جريرُ في المدح [من الوافر](٢):

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا   وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

أي: أنتم كذلك.

فأمَّا الحيف، فهو: الميلُ في الحكم، يقالُ: حاف في قضيَّته، أي: جار، ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا يظلمُ الله ورسوله أحدًا، بل هم الظَّالمون لأنفسهم بالكفرِ والإعراضِ عن حكمِ الرَّسول ﷺ.

ثُمَّ نعت المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

قال الفَرَّاءُ: ليس هذا بخبرٍ ماضٍ، وإنَّما المعنى: إنَّما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا(٣).

وقرأ الحسنُ، وأبو الجوزاء: «إِنَّمَا كَانَ قَوۡلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ» بضمِّ اللام(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٠).

(٢) في ديوانه (ص: ٨٥)، وشرح شواهد المغني (١/ ٤٢)، ولسان العرب (٧/ ١٠١)، ومغني اللبيب (١/ ١٧).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٥٨).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤) عن الحسن.

وقرأ أبو جعفرَ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ أبي ليلى: «لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ» برفع الياءِ وفتح الكاف[1].

وقال المفسِّرون: والمعنى: سمعنا قولَ رسولِ الله ﷺ وأطعنا أمرَه، وإن كان ذلك فيما يكرهونه.

قوله: ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بعد أن يعصيه.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وورش، عن نافعٍ: «ويَتَّقْهي» موصولة بياء.

وروى قالونُ، عن نافعٍ: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بكسر الهاءِ لا يبلغ بها الياء.

وقرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامر، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «وَيَتَّقِهْ» جزمًا[2].

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور: ٥٣-٥٤].

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: لمَّا نزل في هؤلاء المنافقين ما نزل من بيان كراهتهم لحكمِ الله، قالوا للنَّبيِّ ﷺ: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، فكيف لا نرضى حكمك؟ فنزلت [٥٨٨/ب]

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤)، والتحصيل (٤/ ٥٧٢) عن يزيد بن القعقاع.

(٢) السبعة (ص:٤٥٧)، والتيسير (ص:١٦٢-١٦٣).

هـذه الآيـة، وقـد بيَّنـا معنـى ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾[١].

قولـه: ﴿لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّ﴾ مـن أموالهـم وديارهـم، وقيـل: ليخرجـنَّ إلى الجهـاد، ﴿قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ﴾ هـذا تمـامُ الـكلام، ثُـمَّ قـال: ﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أمْثَلُ من قسمكم الذي لَا تَصْدُقُونَ فِيهِ طاعةٌ معروفةٌ[٢].

قـال ابـنُ قتيبـةَ: وبعـضُ النحويـين يقـول: الضمـير فيهـا: لِيكـنْ منكـم طاعـةٌ معروفـةٌ، أي: صحيحـةٌ لا نفـاق فيهـا.

قولـه: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ هـذا خطـابٌ لهـم، والمعنـى: فـإن تتولُّـوا فحـذف إحـدى التاءيـن، ومعنى التولِّي: الإعـراضُ عن طاعةِ الله ورسـولِه، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ﴾ يعنـي: الرسـول، ﴿مَا حُمِّلَ﴾ مـن التبليـغ ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ مـن الطَّاعـة.

وذكر بعضُ المفسِّرين أنَّ هذا منسوخ بآية السيفِ، وليس بصحيحٍ.

قولـه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ يعنـي: رسـول الله ﷺ ﴿تَهۡتَدُواْۚ﴾، وكان بعـضُ السـلفِ يقـول: مَـنْ أمَّـر السُّـنَّة عـلى نفسـه قـولًا وفعـلًا نطـق بالحكمـةِ، ومـن أمَّـر الهـوى عـلى نفسِـه قـولًا وفعـلًا، نطـق بالبدعـة لقولـه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٥٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥١).

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[النور: ٥٥-٥٦].

قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديثِ أُبيِّ بنِ كعب رضي الله عنه، قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ، وَآوَتْهُمُ الْأَنْصَارُ، رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، كَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا بِالسِّلَاحِ وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ، فَقَالُوا: تَرَوْنَ أَنَّا نَعِيشُ حَتَّى نَبِيتَ آمِنِيْنِ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللهَ؟ فنزلت هذه الآية[1].

قال أبو العالية: لمَّا أظهر الله ﷻ رسوله على جزيرة العرب، وضعوا السلاح وأمنوا، ثُمَّ قبض الله نبيه، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر، وعمر، وعثمان، حتَّى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة، فأدخل الله ﷻ عليهم الخوف، فغيَّروا فغير الله تعالى ما بهم[2].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص:٢٦٥)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٨) من طريق أحمد بن سعيد الدارمي، عن علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، به، بنحوه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٧).

وروى أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ هذا الوعد وعده الله أمَّة محمَّدٍ في التوراةِ والإنجيلِ[١].

وزعم مقاتلٌ أنَّ كفَّار مكَّة لما صدُّوا رسول الله ﷺ والمسلمين عن العمرةِ عام الحديبية، قال المسلمون: لو أنَّ الله تعالى فتح علينا مكَّةَ، فنزلت هذه الآية[٢].

قوله: ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ أي: ليجعلنَّهم يخلفون من قبلهم، والمعنى: ليورثنَّهم أرضَ الكفَّار من العرب والعجمِ، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكَّانها، وعلى قول مقاتل المرادُ بالأرضِ مكَّةَ.

قوله: ﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

وقرأ أبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «كَمَا اسْتُخْلِفَ» بضمِّ التاءِ وكسر اللام[٣]، يعني: بني إسرائيل، وذلك أنَّه لمَّا هلكت الجبابرةُ بمصرَ، أورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم.

قوله: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ﴾ وهو الإسلام، وتمكينه: إظهارُه على كلِّ دينٍ، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ، وأبانُ، ويعقوبُ: «وَلَيُبْدِلَنَّهُمْ» بسكون الباء وتخفيف الدَّال[٤].

---

(١) أورده في البحر المحيط (٨/ ٦٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٠٦).

(٣) السبعة (ص: ٤٥٨)، والتيسير (ص:١٦٣).

(٤) السبعة (ص:٤٥٨)، والمبسوط (ص:٣٢٠).

﴿مِنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ لأنهم كانوا مظلومين مقهورين، ﴿يَعۡبُدُونَنِي﴾ هذا استئناف كلامٍ في الثناء عليهم، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بهذه النِّعم، أي: جحد حقَّها.

[٥٨٩/أ] قال المفسِّرون: وأوَّل مَن كفر بهذه النِّعم قتلَةُ عثمان.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[النور: ٥٧].

قوله: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

قرأ ابنُ عامر، وحمزةُ عن عاصمٍ: «لا يَحْسَبَنَّ» بالياء وفتح السين.

وقرأ الباقون: بالتاء وكسر السين(١).

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾[النور: ٥٨-٦٠].

---

(١) السبعة (ص: ٢٢٠)، والمبسوط (ص: ٩٣).

قوله: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ وجَّه غلامًا من الأنصار يقال له: مدلج بنُ عمرٍو إلى عمرَ بنِ الخطَّاب وقت الظهيرةِ ليدعوه، فدخل فرأى عمرَ على حالةٍ كره عمرُ رؤيته عليها، فقال: يا رسولَ الله وددت لو أنَّ الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ(١).

والثاني: أنَّ أسماءَ بنتَ مَرثد كان لها غلامٌ، فدخل عليها في وقتٍ كرهته، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ خدمنا وغلماننا يدخلونَ علينا في حالة نكرهها، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مقاتلٌ(٢).

ومعنى الآية: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم، وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّه أراد الذكورَ دون الإناثِ، قاله ابنُ عمرَ.

والثاني: الذكورُ والإناثُ، رواه أبو حصين، عن أبي عبدِ الرحمن.

ومعنى الكلام: ليستأذنكم مماليككم في الدُّخول عليكم.

قال القاضي أبو يعلى: والأظهرُ أن يكون المراد العبيد الصغار والإماء الصغار، لأنَّ العبدَ البالغ بمنزلة الحرِّ البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلَّفين.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ﴾.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٢٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٠٦).

وقرأ عبدُ الوارث: «الحُلْم» بإسكان اللام[١]، ﴿مِنكُمْ﴾ أي: من أحراركم من الرجالِ والنساءِ، ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ أي: ثلاثة أوقاتٍ، ثُمَّ بينها فقال:

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ وذلك؛ لأنَّ الإنسانَ قد يبيتُ عُريانًا، أو على حالةٍ لا يحبُّ أن يُطَّلع عليه فيها ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: القائلة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ حين يأوي الرَّجل إلى زوجته.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ برفع الثاءِ من ثلاث، والمعنى هذه الأوقات هي ثلاثُ عورات، لأنَّ الإنسانَ يضعُ فيها ثيابه، فربَّما بدت عورتُه.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ثَلاَثَ عَوْرَاتٍ» بنصبِ الثاءِ[٢].

قال أبو عليٍّ: وجعلوه بدلًا من قوله: «ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» والأوقاتُ ليست عورات، ولكن المعنى: أنَّها أوقات ثلاث عورات، فلمَّا حذف المضافَ أعرب بإعراب المحذوفِ[٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤) عن عبد الوارث، عن أبي عمرو، وابن مجاهد، عن أبي عمرو، وفي التحصيل (٤/ ٥٧٣) عن الحسن.

(٢) السبعة (ص: ٤٥٩)، والمبسوط (ص:٣٢١).

(٣) الحجة (٥/ ٣٣٣).

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلميُّ، وسعيدُ بنُ جبير، والأعمشُ: «عَوَرَاتٍ» بفتح الواو[(١)].

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: المؤمنين الأحرار ﴿وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: الخدم والغلمان ﴿جُنَاحُۢ﴾ أي: حرج ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾ أي: بعد مضي هذه الأوقاتِ في أن لا يستأذنوا، فرفعَ الحرجَ عن الفريقين، ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي: هم طوَّافون عليكم ﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ أي: يطوفُ بعضُكم، وهم المماليك، على بعضٍ، وهم الأحرارُ.

فصل

وأكثرُ علماء المفسِّرين على أنَّ هذه الآية محكمةٌ، وممن روي عنه ذلك ابنُ عبَّاسٍ، والقاسمُ بنُ محمَّدٍ، وجابرُ بنُ زيدٍ، والشعبيُّ.

وحكي عن سعيدِ بنِ المسيبِ، أنَّها منسوخةٌ بقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أي: من الأحرار ﴿ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾، أي: في جميع الأوقات في الدُّخول عليكم ﴿كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ يعني: كما استأذن [٥٨٩/ب] الأحرار الكبار، الذين هم قبلهم في الوجودِ، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كلِّ حالٍ؛ فالبالغ يستأذنُ في كلِّ وقتٍ، والطفلُ والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث.

---

(١) مختصر ابن خالويه (ص:١٠٤) عن ابن أبي إسحاق.

قوله: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: يعني: العُجُزَ، واحدها: قاعدٌ. ويقال: إنَّما قيل لها: قاعدٌ لقعودها عن الحيضِ والولد، وقد تقعد عن الحيضِ والولد ومثلُها يرجو النِّكاح، ولا أراها سميتْ قاعدًا إلَّا بالقعود، لأنَّها إذا أسَنَّتْ عجزتْ عن التَّصرُّفِ وكثرة الحركة، وأطالت القعودَ فقيل لها قاعدٌ بلا هاءٍ، ليُدلَّ حذف الهاء على أنَّه قعودُ كِبَرٍ، كما قالوا: امرأةٌ حاملٌ، ليُدلَّ بحذفِ الهاءِ على أنَّه حمل حَبَلٍ، وقالوا في غير ذلك: قاعدةٌ في بيتها، وحاملةٌ على ظهرها(١).

قوله: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي: عندَ الرِّجالِ، ويعني بالثياب: الجلباب والرِّداء والقناع الذي فوق الخمارِ، هذا المرادُ بالثياب، لا جميع الثياب، ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ ﴾ أي: من غيرِ أن يردن بوضعِ الجلبابِ أن ترى زينتهنَّ، والتبرُّج إظهار المرأة محاسنها، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ فلا يضعن تلكَ الثيابِ ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: والعربُ تقول: امرأةٌ واضعٌ: إذا كبِرتْ فوضعتْ الخِمارَ، ولا يكونُ هذا إلَّا في الهرِمة(٢).

قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالةٌ على أنَّه يباحُ للعجوز كشف وجهها ويديها بين يدي الرِّجال، وأمَّا شعرُها فيحرمُ النظر إليه كشعر الشابَّة.

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٠٨).

(٢) المصدر السابق.

قولــه تعــالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١﴾[النـور: ٦١].

قوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾.

في سبب نزولها خمسةُ أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه لما نـزل قولـه تعـالى: ﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النسـاء: ٢٩] تحـرَّج المسـلمونَ عـن مُؤاكَلَـةِ الْمَـرضَى والزَّمْنَـى والْعُمْـيِ والْعُـرْجِ، وقالـوا: الطَّعـامُ أفضَـلُ الأمْـوَالِ، وقـد نَهى الله تعـالى عـن أكلِ المـالِ بالباطـلِ، والأعْمَـى لا يُبْـصِرُ مَوْضِـعَ الطَّعـامِ الطَّيـب، والمريـضُ لا يسـتوفي الطَّعـام، فنزلـت هـذه الآيـة، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ(١).

والثاني: أن ناسًا كانوا إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ وَضعُوا مَفاتيحَ بُيُوتِهم عنْدَ الأَعمَى والأعرجِ والمريضِ، وعند أقارِبِهم، وكانُوا يأمُرُونهُم أن يَأكُلُوا مِمَّا في بُيُوتِهم، إذا احْتَاجُوا، فكَانُوا يتَّقُونَ أن يأكُلُوا منها، ويقولون: نَخْشَى أن لا تَكُونَ أَنْفُسُهُم بذلك طيبةً، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب(٢).

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٢) رواه أبو داود في المراسيل (ص:٣٢٣)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٣٠)

والثالث: أن العُرجانُ والعُميانُ كانُوا يمتنعون عن مُؤاكلةِ الأصحَّاءِ، لأنَّ النَّاس يتقذَّرونهُم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جبير، والضَّحاكُ(١).

والرابع: أنَّ قومًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ كانُوا إذا لم يكن عندهم ما يُطعِمُون المريضَ والزَّمِن ذهبوا به إلى بيوتِ آبائهم وأمَّهاتهم، وبعض من سمَّى الله ﷻ في هذه الآية، فكان أهل الزَّمانةِ يتحرَّجون من أكلِ ذلك الطعام لأنَّه أطعمهم غير مالكه، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهدٌ(٢).

والخامس: أنَّها نزلت في إسقاطِ الجهادِ عن أهل الزَّمانة المذكورين في الآية، قاله الحسنُ وابن زيدٍ(٣).

فعلى القول الأوَّل يكون معنى الآية: ليس عليكم في الأعمى حرجٌ أن تأكلوا معه، ولا في الأعرج، وتكون «على» بمعنى «في»، ذكره ابنُ [٥٩٠/أ] جرير(٤).

وكذلك يُخَرَّج معنى الآية على كلِّ قولٍ بما يليق به.

وقد كان جماعةٌ من المفسِّرين يذهبون إلى أنَّ آخر الكلامِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ وأنَّ ما بعده مستأنفٌ لا تعلُّق له به، وهو يقوِّي قول الحسن، وابن زيد.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٦٧) من طريق ابن أبي نجيح به، وأورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٦٧).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٣٦٦).

قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بيوت الأولاد.

والثاني: البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم فيكون الخطابُ لأهل الرَّجلِ وولده وخادمه، ومن يشتمل عليه منزله، ونسبها إليهم؛ لأنَّهم سكَّانها.

والثالث: أنَّها بيوتهم، والمرادُ أكلهم من مال عيالهم وأزواجهم، لأنَّ بيت المرأة كبيت الرَّجل.

وإنَّما أباحَ الأكل من بيوت القرابات المذكورينَ، لجريان العادةِ ببذلِ طعامِهم لهم، فإن كان الطعامُ وراء حرزٍ لم يجز هتكُ الحرز.

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الوكيل، لا بأسَ أن يأكلَ اليسير، وهو معنى قول ابن عبَّاسٍ.

وقرأها سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو العالية: «مُلِّكْتُم» بضمِّ الميم وتشديد اللام مع كسرها على ما لم يسمَّ فاعلُه[1]، وفسَّرها سعيدٌ فقال: يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح.

وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، وقتادةُ، وابنُ يعمر: «مِفْتاحه» بكسرِ الميم على التوحيدِ[2].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٤ـ ١٠٥) عن ابن جبير، وزاد في التحصيل (٤/ ٥٧٣) قتادة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٠٥) عن قتادة.

والثاني: بيت الإنسان الذي يملكُه، وهو معنى قول قتادة.

والثالث: بيوت العبيد، قاله الضَّحاكُ.

قوله: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: نزلت هذه في الحارثِ بنِ عمرٍو، خرج مع رسولِ الله ﷺ غازيًا وخلَّف مالك بن زيد على أهله، فلما رجعَ وجده مجهودًا فقال: تحرَّجت أن آكلَ من طعامكَ بغير إذنكَ، فنزلت هذه الآيةُ[١].

وكان الحسنُ وقتادةُ يريان الأكلَ من طعام الصديق بغير استئذانٍ جائزًا.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا﴾ في سبب نزول هذه الآية ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ حيًّا من بني كنانة يقال لهم: بنو ليثٍ كانوا يتحرَّجون أن يأكلَ الرجل الطعامَ وحده، فربَّما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرَّواح، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قتادةُ والضَّحاكُ[٢].

والثاني: أنَّ قومًا من الأنصارِ، كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيفٌ إلَّا مع ضيفهم، فنزلت هذه الآية، ورخَّص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتًا، قاله عكرمةُ[٣].

---

(١) أورده البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٣١).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٧٧) من طريق أبي صالح، به.

والثالث: أنَّ المسلمينَ كانوا يتحرَّجون من مؤاكلة أهل الضُّرِّ خوفًا من أن يستأثروا عليهم، ومن الاجتماع على الطعام، لاختلافِ النَّاس في مآكلهم وزيادة بعضهم على بعضٍ، فوسَّع عليهم وقيل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي: متفرِّقين، قاله ابنُ قتيبةَ(١).

قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ **فيها ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها بيوت أنفسكم، فسلِّموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابرُ بنُ عبد الله، وطاووسُ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّها المساجدُ فسلِّموا على مَن فيها، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: بيوتُ الغير، فالمعنى: إذا دخلتم بيوت غيركم فسلِّموا عليهم، قاله الحسنُ. [٥٩٠/ب]

قوله: ﴿تَحِيَّةً﴾:

قال الزَّجَّاجُ: هي منصوبةٌ على المصدر، لأنَّ قولَه: ﴿فَسَلِّمُوا۟﴾ بمعنى: فحيُّوا وليحيِّ بعضُكم بعضًا تحيةً(٢).

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾:

قال مقاتلٌ: مباركة بالأجر، ﴿طَيِّبَةً﴾ أي: حسنةٌ(٣).

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٠٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢١٠).

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[النـور: ٦٢].

قولـه: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ يعنـي مـع رسـول الله ﷺ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي: عـلى أمـر طاعـةٍ يجتمعـون عليهـا، نحـو الجهـاد والجمعـة والعيـد ونحـو ذلـك ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ قـال المفسِّرون: كان رسـولُ الله ﷺ إذا صعـد المنـبر يـوم الجمعـة، وأراد الرجـل أن يخـرجَ مـن المسـجد لحاجـةٍ أو عـذرٍ، لم يخـرج حتَّـى يقـوم بحيـال رسـولِ الله ﷺ حيـث يـراه، فيعـرف أنَّـه إنَّـما قـام ليسـتأذن فيـأذن لمـن شـاء منهـم، فالأمـرُ إليـه في ذلـك.

قال مجاهدٌ: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشيرَ بيدِه[1].

قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ أي: لخروجِهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذرًا.

قولـه تعـالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النـور: ٦٣-٦٤].

قوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٩١٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

أحدها: أنَّه نهي عن التعرُّض لإسخاطِ رسولِ الله ﷺ، فإنَّه إذا دعا على شخصٍ فدعوته موجبة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم أمروا أن يقولوا: يا رسول الله، ونهوا أن يقولوا: يا محمَّد، قاله سعيدُ بنُ جبير، وعلقمةُ، والأسودُ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ.

والثالث: أنَّه نهي لهم عن الإبطاءِ إذا أمرهم والتأخرِ إذا دعاهم، حكاه الماورديُّ[(١)].

وقرأ الحسنُ، وأبو رجاء، وأبو المتوكِّل، ومعاذٌ القارئ: «دعاء الرسولِ نَبِيِّكم» بياءٍ مشدَّدةٍ ونونٍ قبل الباءِ[(٢)].

قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ التَّسلل: الخروج في خفية، واللواذ: أن يستتر بشيءٍ مخافةَ مَن يراه، والمرادُ بقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ التهديد بالمجازاة.

قال الفَرَّاءُ: كان المنافقونَ يشهدونَ الجمعة، فيذكِّرهم رسولُ الله ﷺ ويعيبهم بالآيات التي أنزلت فيهم، فإن خفي لأحدهم القيامُ قام فذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يلوذُ هذا بهذا أي: يستتر ذا بذا وإنَّما قال: ﴿لِوَاذًا﴾ لأنَّها مصدرُ «لاوَذْتُ» ولو كان مصدرًا لـ «لذت» لقلت: «لذتُ لِياذًا» كما تقول: قمت قيامًا.

وكذلك قال ثعلبُ: وقع البناءُ على لاوَذَ مُلاوَذةً، ولو بني على لاذ يَلُوذ، لقيل: لياذاً.

(١) انظر: النكت والعيون (٤/ ١٢٧).

(٢) عن الحسن، ويعقوب في البحر المحيط (٧/ ٤٧٦).

وقيل: هذا كان في حفرِ الخندقِ، كان المنافقون ينصرفونَ عن غير أمرِ رسولِ الله ﷺ مختفين.

قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان:

إحداهما: أنَّها ترجعُ إلى الله ﷻ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: إلى رسولِ الله ﷺ، قاله قتادةُ.

وفي «عن» قولان:

أحدهما: أنَّها زائدةٌ، قاله الأخفشُ.

والثاني: أنَّ معنى ﴿يُخَالِفُونَ﴾ يعرضون عن أمره.

وفي الفتنة هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الضلالة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: بلاء في الدُّنيا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: كفر، قاله السُّدِّيُّ، ومقاتلٌ(١).

قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القتلُ في الدنيا.

والثاني: عذابُ جهنَّم في الآخرةِ.

قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: ما في أنفسكم وما تنطوي عليه ضمائركم من الإيمانِ والنِّفاق، وهذا تنبيهٌ على الجزاءِ على ذلك.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢١١).

سورة الفرقان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣ ﴾ [الفرقان: ١-٣].

قال ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ في آخرين: هي [٥٩١/أ] مكِّيةٌ(١).

وحكي عن ابنِ عبَّاسٍ، وقتادةَ أنَّهما قالا: إلَّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

قوله: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ قد شرحناه في الأعراف(٢)، و﴿ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾: القرآن، سمِّي فرقانًا؛ لأنَّه فُرِّقَ به بين الحقِّ والباطل، والمراد بعبده: محمَّد ﷺ.

﴿ لِيَكُونَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه كنايةٌ عن عبدِه، قاله الجمهورُ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

والثاني: عن القرآن، حكاه الماورديُّ(١).

قوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ أي: مخوفًا من عذابِ الله.

قوله: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: سوَّاه وهيَّأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.

والثاني: قدر له ما يصلحه ويقيمه.

والثالث: قدر له تقديرًا من الأجلِ والرزقِ.

ثُمَّ ذكر ما صنعه المشركون فقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني: الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقةٌ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفع ضرٍّ، ولا جرّ نفعٍ؛ لأنَّها جمادٌ لا قدرة لها، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: لا تملك أن تميت أحدًا، ولا أن تحيي أحدًا، ولا أن تبعث أحدًا من الأموات، والمعنى: كيف يعبدون ما هذه صفته، ويتركون عبادةَ مَن يقدر على ذلك كلِّه؟

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾[الفرقان: ٤-٦].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٣٠).

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: مشركي قريش.

وقال مُقاتلٌ: هو قولُ النَّضر بن الحارث من بني عبدِ الدار[١].

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا يعنون القرآنَ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ أي: كذبٌ ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاءِ نفسِه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾.

قال مجاهدٌ: يعنون اليهود[٢].

وقال مُقاتلٌ: أشاروا إلى عَدَّاس مولى حُويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضًا، وكان الثلاثةُ من أهل الكتابِ[٣].

قوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فقد جاؤوا بظلمٍ وزور، فلمَّا سقطت الباءُ أفْضَى الفِعْلُ فَنَصَبَ[٤].

والزُّور: الكذب.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين، وقد بيَّنا ذلك في الأنعامِ[٥].

قال المفسِّرون: والذي قال هذا هو النَّضرُ بنُ الحارثِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٢٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٨).

(٥) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢٤).

ومعنى ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أمر أن تكتب له.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وإبراهيمُ النخعي، وطلحةُ بنُ مصرِّفٍ: «اكْتُتِبَهَا» برفعِ التَّاء الأولى وكسر الثانية(١)، والابتداءُ على قراءتهم برفعِ الهمزة ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنَّه لم يكن كاتباً.

﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ أي: غدوة وعشيًّا ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَنزَلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي: لا يخفى عليه شيءٌ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩﴾[الفرقان: ٧-٩].

قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني: المشركين ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ أنكروا أن يكون الرسولُ بشرًا يأكلُ الطعام ويمشي في الطرق كما يمشي سائرُ النَّاس يطلب المعيشة، والمعنى: أنَّه ليس بملَك ولا ملِك؛ لأنَّ الملائكةَ لا تأكلُ، والملوكُ لا تتبذل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساويًا للبشرِ لا يتميَّز عليهم بشيءٍ، وإنَّما جعله الله بشرًا؛ ليكون مجانسًا للذين [٥٩١/ب]
أرسل إليهم، ولم يجعله ملِكاً يمتنع من المشي في الأسواقِ، لأنَّ ذلك من فعل الجبابرة، ولأنَّه أمر بدعائهم فاحتاج أن يمشي بينهم.

---

(١) عن ابن مصرف في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٥)، والمحتسب (٢/ ١١٧)، والتحصيل (٥/ ١٧)، والمحرر (٤/ ٢٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٨٢).

قولـه: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ﴾ وذلـك أنَّهـم قالـوا لـه: سـل ربَّـك أن يبعـث معـك مَلَـكًا يصدِّقـك، ويجعـل لـك جِنَانًـا وقصـورًا وكُنُـوزاً، فذلـك قولـه: ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ﴾ أي: يَنْـزِل إليـه مـن السـماءِ ﴿أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ أي: بسـتان يـأكل مـن ثـمارِه.

قـرأ ابـنُ كثيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وعاصـمٌ، وابـنُ عامـر: ﴿يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ باليـاء يعنـون النَّبـي ﷺ.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: «نَأْكُلُ» بالنون[١].

قـال أبـو عـليٍّ: المعنـى: يكـون لـه علينـا مزيَّـة في الفضـلِ بأكلنـا مـن جنَّتـه[٢]، وباقـي الآيـة مفسَّر في بنـي إسرائيـل[٣].

قولـه: ﴿ٱنظُرۡ﴾ يـا محمَّـدُ ﴿كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾ حـين مثلـوك بالمسـحور وبالكاهـن والمجنـون والشـاعر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بهـذا عـن الهـدى.

﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يستطيعونَ مخرجًا من الأمثالِ التي ضربوها، قاله مجاهدٌ.

والمعنى: أنَّهم كذبوا ولم يجدوا على قولهم حجةً وبرهانًا.

وقال الفَرَّاءُ: لَا يستطيعون في أمرك حيلةً[٤].

---

(١) السبعة (ص:٤٦٢)، والحجة (٥/ ٣٣٥)، والمبسوط (ص:٣٢٢).

(٢) الحجة (٥/ ٣٣٦).

(٣) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٤٧).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٦٣).

والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾[الفرقان: ١٠-١٤].

ثُمَّ أخبر أنَّه لو شاء لأعطاه خيرًا ممَّا قالوا في الدُّنيا، وهو قوله: ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني: لو شئت لأعطيتك في الدُّنيا خيرًا ممَّا قالوا، لأنَّه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرةِ.

﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامر، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً» برفع اللام.

وقرأ أبو عمرو، ونافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَيَجْعَل﴾ بجزم اللام(١).

فمن قرأ بالجزم كان المعنى: إن يشأ يجعل لك جنَّات ويجعل لك قصورًا.

ومن رفع فعلى الاستئناف، المعنى: ويجعل لك قصورًا في الآخرة.

---

(١) السبعة (ص:٤٦٢)، والحجة (٥/ ٣٣٦)، والتيسير (ص:١٦٣).

وقد سبق معنى ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾[١]، ومعنى: ﴿سَعِيرًا﴾[٢].

قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

قال السُّدِّيُّ عن أشياخه: من مسيرةِ مائةِ عامٍ[٣].

فإنْ قيل: السعير مذكَّرٌ فكيف قال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾.

فالجوابُ: أنَّه أرادَ بالسعير النار.

قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: غليان تَغيُّظٍ، قاله الزَّجَّاجُ[٤].

قال المفسِّرون: والمعنى: أنَّها تتغيَّظ عليهم، فيسمعون صوتَ تغيُّظها وزفيرها كالغضبان إذا غلَا صدره من الغيظِ.

والثاني: يسمعونَ فيها تغيُّظ المعذَّبين وزفيرهم، حكاه ابنُ قُتيبةَ[٥].

قوله: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ قال المفسِّرون: تضيقُ عليهم كما يضيق الزُّجُّ على الرُّمح، وهم قد قرنوا مع الشياطين، والثبور: الهلكة.

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٣٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٠٠) من طريق أسباط بن نصر، عن السدي، من قوله.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٩).

(٥) غريب القرآن (ص:٣١٠).

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وابن السَّمَيْفَع: «ثَبُورًا» بفتح الثاءِ(١).

قوله: ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: الثبور مصدرٌ فهو للقليلِ والكثير على لفظ الواحِدِ، كما تَقُولُ: ضربته ضَرْباً كثيرًا، والمعنى: هلاكهم أكثر من أن يدعوا مرة واحدة(٢).

وروى أنسُ بنُ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْلِيسُ، يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ، فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ، وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى النَّارِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ [٥٩٢/أ] وَهُمْ يُنَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾[الفرقان: ١٥-١٦].

---

(١) عمرو بن محمد في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٥)، والبحر المحيط (٨/ ٨٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٦٨)، وأحمد في المسند (٢٠/ ١٥)، وعبد بن حميد في المنتخب (١٢٢٥)، والبزار في مسنده (٧٤١٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠١١)، والبيهقي في البعث والنشور (١١٧١) ومدار أسانيدهم على علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

قوله: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ يعني: السعير ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ وهذا تنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين، لا على أنَّ في السعير خيرٌ.

وقال الزَّجَّاجُ: قد وقع التساوي بين الجنَّة والنار في أنَّهما منزلان، فلذلك وقع التفضيل بينهما(١).

قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾ أي: ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ أي: مرجعًا.

قوله: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ المشار إليه، إمَّا الدخولُ وإمَّا الخلودُ ﴿وَعْدًا﴾ وعدهم الله إيَّاه على ألسنةِ الرُّسلِ.

وفي معنى: ﴿مَسْـُٔولًا﴾ قولان:

أحدهما: مطلُوبًا.

وفي الطالب له قولان:

أحدهما: أنَّهم المؤمنون، سألوا الله في الدُّنيا إنجاز ما وعدهم به.

والثاني: أنَّ الملائكة سألته ذلك لهم، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٨].

والثاني: أنَّ معنى المسؤول: الواجب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٠).

قولـه تعـالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الفرقـان: ١٧-٢٠].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾:

قـرأ ابـنُ كثيرٍ، وحفـصٌ عـن عاصـمٍ: ﴿ يَحْشُرُهُمْ ﴾ ﴿ فَيَقُولُ ﴾ بالياء فيهما.

وقـرأ نافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، وأبـو بكـرٍ عـن عاصـمٍ: «نَحْشُرُهُـمْ» بالنُّـون «فَيَقُـولُ» باليـاء.

وقـرأ ابـنُ عامـر: «نَحْشُرُهُـمْ» بالنـون فيهـا جميعًـا[١]، يعنـي: المشركين، ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾.

قال مجاهدٌ: يعني عيسى وعزيرًا والملائكة[٢].

وقـال عكرمـةُ، والضَّحـاكُ: يعنـي: الأصنـام، فيـأذن الله للأصنـام في

---

(١) السبعة (ص: ٤٦٢)، والحجة (٥/ ٣٣٧)، والتيسير (ص:١٦٣).

(٢) رواه مجاهـد في تفسـيره (ص:٤٩٦)، وابـن جريـر الطـبري (١٧/ ٤١٥)، وابـن أبي حاتـم (١٥٠٢٧) في تفسـيرهما عـن ابـن أبي نجيـح، بـه.

الكلام، ويخاطبها فيقول: ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى﴾ أي: أمرتموهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: أخطأوا الطريق[١].

﴿قَالُوا۟﴾ يعني: الأصنام ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ نزَّهوا الله تعالى أن يعبد غيره ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ نواليهم، والمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نعبدَ نحن غيرك، فكيف ندعو إلى عبادِتنا؟ فدلَّ هذا الجوابُ على أنَّهم لم يأمروا بعبادتهم.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلميُّ، وابنُ جبير، والحسنُ، وقتادةُ، وأبو جعفرَ، وابنُ يعمر، وعاصمٌ الجحدري: «أن نُتَّخَذَ» برفع النون وفتح الخاء[٢]، ثُمَّ ذكروا سبب تركهم الإيمان فقالوا: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ أي: أطلت لهم العمر وأوسعت لهم الرِّزق حتى نسوا الذِّكر، أي: تركوا الإيمان بالقرآن والاتِّعاظ به، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: هلكى[٣].

وقال في روايةٍ أُخرى: البور في لغة أزد عمان: الفاسدُ[٤].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٦).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٥) عن أبو عبد الرحمن السلمي، وزيد بن علي، وأبي الدرداء، وأبي جعفر، وزاد في المحرر (٤/ ٢٠٤) الحسن، وزيد بن ثابت، وأبا رجاء، ونصر بن علقمة، ومكحول، وحفص بن حميد.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم (١٥٠٣٣) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٤) رواه الطستي عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٦/ ٢٤٢) أنَّ نافع بن الأَزْرَق، قال له أَخبرني عن قوله عزَّ وجل ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ قال: هلكى بلغة عمان، وهم من اليمن=

قال ابْنُ قُتَيْبَةَ: هو من بَارَ يَبُور: إذا هلَك وبطَل، يقال: بار الطعامُ: إذا كَسَد، وبارت الأَيِّمُ: إذا لم يُرغبْ فيها، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من بَوَار الأيِّم، قال: وقال أَبُو عُبَيْدَةَ: يقال: رجل بور وقوم بور لا يجمع ولا يثنى، واحتج بقول الشاعر: [من الخفيف][(1)]

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي   رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنا بُورُ

وقد سمعنا برجل بائر، ورأيناهم ربما جمعوا فاعِلًا على فُعْلٍ، نحو عائذٍ وعُوذٍ، وشارفٍ وشُرْفٍ[(2)].

قال المفسِّرون: فيقال للكفار حينئذ فقد كذبوكم، أي: فقد كذبكم المعبودون في قولكم: إنَّهم آلهة.

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، ومعاذٌ القارئ، وابنُ شَنْبُوذ عن قُنْبُلٍ: «بِمَا يَقُولُونَ» بالياء[(3)]، والمعنى: كذبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ﴾ الآية، هذا قول الأكثرين.

=قال: وهل تعرف العربُ ذلك قال: نعم. أما سمعت قول الشَّاعِر وهو يقول:

فَلَا تكفرُوا مَا قد صنعنَا إِلَيْكُم .. وكافوا بِهِ فالكفر بور لصانعه

(1) البيت لعبد الله بن الزبعري السهمي في ديوانه (ص:٣٦)، ولسان العرب (٤/ ٨٦)، والمخصص (٣/ ٤٨)، ومقاييس اللغة (١/ ٣١٦)، ولعبد الله بن رواحة في ديوانه (ص: ٩٥).

(2) غريب القرآن (ص:٣١١).

(3) السبعة (ص:٤٦٣)، ورواية عن ابن كثير في المبسوط (ص:٣٢٣).

وقال ابنُ زيد: الخطاب للمؤمنين، فالمعنى: فقد كذَّبكم المشركون [٥٩٢/ب] بما تقولون: إنَّ محمَّدًا رسولُ الله ﷺ [١].

قوله: ﴿فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ﴾ قرأ الأكثرون: بالياء[٢].

وفيه وجهان:

أحدهما: فما يستطيعُ المعبودون صرفًا للعذابِ عنكم ولا نصرًا لكم.

والثاني: فما يستطيعُ الكفَّارُ صرفًا لعذابِ الله عنهم، ولا نصرًا لأنفسِهم.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَسۡتَطِيعُونَ﴾ بالتاء[٣]، فالخطابُ للكفَّار.

وحكى ابن قُتيبةَ، عن يونسَ البصريِّ أنَّه قال: الصَّرفُ: الحيلةُ من قولهم: إنَّه لَيَتَصرَّف[٤].

قوله: ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ﴾ أي: بالشركِ ﴿نُذِقۡهُ﴾ في الآخرةِ.

وقرأ عاصمٌ الجَحدري، والضَّحاكُ، وأبو الجوزاء، وقتادةُ: «يُذقه» بالياءِ[٥].

﴿نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا﴾ أي: شديدًا.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٢٠).

(٢) السبعة (ص:٤٦٣).

(٣) السبعة (ص: ٤٦٣).

(٤) غريب القرآن (ص:٣١١).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن أبي معاذ.

قال الزَّجَّاجُ: في الآيةِ محذوفٌ، تقديره: وما أرسلنا قبلك رسلًا من المرسلين، فحذفت رسلًا؛ لأنَّ قولَه: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يدلُّ عليها[1].

قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ أي: إنَّهم كانوا على مثلِ حالك، فكيف تكون بدعًا منهم.

فإنْ قيل: لِمَ كسرت ﴿إِنَّهُمْ﴾ هاهنا، وفتحت في براءة في قولِه: ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾[براءة: ٥٤] فقد بيَّنا هنالك علَّة فتح تلك، فأمَّا كسر هذه، فذكر ابنُ الأنباريِّ فيه وجهين:

أحدهما: أن تكونَ فيها «واو» حال مضمرة فكسرت بعدها «إن» للاستئنافِ، فيكون التقدير: إلا وإنَّهم ليأكلونَ الطَّعام، فأضمرتِ «الواو» هاهنا، كما أضمرت في قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[الأعراف: ٤]، والتأويل: أو وهم قائلون.

والثاني: أن تكون كسرت لإضمار «مَنْ» قبلَها، فيكونُ التقديرُ: وما أرسلنا قبلكَ من المرسلين إلَّا مَنْ إنَّهم ليأكلون.

قال الشاعر[من الطويل][2]:

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ ... وَآخَرُ يُذْرِي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْمَهْلِ

أراد: مَنْ دمعه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٢).

(٢) البيت لذي الرُّمَّة في ديوانه (ص:١٤١)، ومعاني القرآن (١/ ٣٨٤)، وبلا نسبة في الدرر (٢/ ٦٦)، وهمع الهوامع (١/ ١١٦).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ الفتنةُ: الابتلاءُ والاختبارُ.

وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه افتتان الفقيرِ بالغني، يقول: لو شاء لجعلني غنيًّا، والأعمى بالبصير، والسقيمُ بالصَّحيحِ، قاله الحسنُ.

والثاني: ابتلاءُ الشَّريفِ بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أرادَ الشريفُ أن يسلم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أَنِفَ، فأقام على كفرِه، قاله ابنُ السائبِ.

والثالث: أنَّ المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراءَ المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباعِ محمَّدٍ [من][1] موالينا ورذالتنا، قاله مُقاتلٌ[2].

فعلى الأوَّل: يكون الخطابُ بقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ لأهلِ البلاءِ.

وعلى الثاني: للرؤساءِ، فيكون المعنى: أتصبرون على سبقِ الموالي والأتباع.

وعلى الثالث: للفقراء؛ فالمعنى: أتصبرونَ على أذى الكفَّار واستهزائهم، فالمعنى: قد علمتم ما وعد الصابرينَ[3]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبرُ وبمن يجزعُ.

---

(١) زيادة من (س).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٣٠).

(٣) في (س): (الصابرون).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾[الفرقان: ٢١-٢٤].

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: لا يخافون البعث ﴿لَوْلَآ﴾ أي: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانوا رسلًا إلينا وأخبرونا بصدقك، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبرنا أنك رسوله، ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تكبَّروا حين سألوا هذه الآيات، ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: العُتُو في اللُّغة: مجاوزةُ القدرِ في الظُّلْمِ[1].

[٥٩٣/أ] قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عند الموت.

والثاني: يوم القيامة.

قال الزَّجَّاجُ: وانتصب اليوم على معنى: لا بشرى للمجرمينَ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾[2]، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكِّد لـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ والمعنى: أنَّهم يمنعونَ البشرى في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ منصوبًا على معنى: اذكر يوم يرون الملائكة، ثُمَّ أخبر فقال: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ والمجرمون هاهنا الكفَّارُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾:

وقرأ قتادةُ، والضَّحاكُ، ومعاذٌ القارئ: «حُجْراً» بضمِّ الحاءِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: وأصل الحِجْر في اللُّغة: ما حَجَرْتَ عليه، أي: مَنَعت من أن يوصل إليه، ومنه حَجر القُضَاةِ على الأيْتَام[٢].

وفي القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم الملائكة، يقولون للكفَّار: حجرًا محجورًا، أي: حَرَامًا مُحَرَّمًا.

وفيما حرَّموه عليهم قولان:

أحدهما: البشرى، فالمعنى: حَرَامٌ مُحَرَّمٌ أنْ تكون لكم البشرى، قاله الضَّحاكُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ[٣].

والثاني: أن تدخلوا الجنَّة، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أنَّه قول المشركين إذا عاينوا العذابَ، ومعناه: الاستعاذةُ من الملائكة، روي عن مجاهدٍ أيضًا.

وقال ابنُ فارسٍ: كان الرَّجل إذا لقي مَن يخافُه في الشهر الحرام، قال: حجرًا أي: حرامٌ عليك أذاي، فإذا رأى المشركونَ الملائكةَ يوم القيامة،

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن الحسن، والضحاك، وزاد في التحصيل (٥/ ١٨) أبا رجاء، وقتادة، والأعمش.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٦٦)، وغريب القرآن (ص:٣١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٣).

قالوا: حجْرًا مَحْجورًا، يظنون أنَّه ينفعُهم كما كان ينفعهم في الدُّنيا[(١)].

قوله: ﴿ وَقَدِمْنَآ ﴾:

قال ابن قُتيبةَ: أي: قَصَدْنَا، وعَمَدْنَا، والأصل [أن][(٢)] مَن أراد القدومَ إلى موضع عمد له وقصده[(٣)].

قوله: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: من أعمالِ الخيرِ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾؛ لأنَّ العملَ لا يتقبل مع الشِّركِ.

وفي الهباءِ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه ما رأيته يتطايرُ في الشَّمس التي تدخل من الكوَّةِ مثل الغبار، قاله عليٌّ ﵇، والحسنُ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ، واللُّغويون، والمعنى: أنَّ الله أحبطَ أعمالهم حتَّى صارت بمنزلةِ الهباءِ.

والثاني: أنَّه الماءُ المهراقُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه ما تنسفُه الرِّياحُ وتذريه من التُّرابِ وحطامِ الشجرِ، رواه عطاءٌ الخراساني، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه الشَّرر الذي يطير من النَّارِ، إذا أضرمت فإذا وقعَ لم يكن شيئًا، رواه عطيَّةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) مجمل اللغة (١/ ٢٦٥).

(٢) زيادة من (س).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٩٠).

والخامس: أنَّه ما يسطع من حوافرِ الدَّوابِ، قاله مُقاتلٌ[١].

والمنثور: المتفرِّقُ.

قولــه: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ﴾ أي: يــوم القيامــةِ، ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ أفضــلُ منــزلًا مــن المشركــين، ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المَقِيلُ: المقامُ وقتَ القائلةِ، وهو النَّومُ نصف النَّهارِ[٢].

وقــال الأزهــريُّ: القيلولــةُ عنــد العــرب: الاســتراحةُ نصــف النَّهــار إذا اشــتدَّ الحــرُّ، وإن لم يكــن مــع ذلــك نــومٌ[٣].

وقــال ابــنُ مســعودٍ[٤]، وابــنُ عبَّــاسٍ[٥]: لا ينتصــفُ النَّهــارُ مــن يــومِ القيامــةِ، حتَّــى يقيــل أهــل الجنَّــة في الجنَّــة، وأهــل النَّــار في النَّــارِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٤).

(٣) تهذيب اللغة (٩/ ٢٣٣).

(٤) رواه سفيان الثوري في تفسيره (ص:٢٢٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٧٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٠٨٠) من طريق نهشل، عن الضحاك، به، بلفظ: «إِنَّمَا هِيَ ضَحْوَةٌ فَيَقِيلُ أَوْلِيَاءُ اللهِ عَلَى الأَسِرَّةِ مَعَ الْحُورِ الْعَيْنِ وَيَقِيلُ أَعْدَاءُ اللهِ مَعَ الشياطين المقرنين».

ونهشل بن سعيد القرشي الورداني، متروك الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٩].

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ هذا معطوفٌ على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تَشَّقَّقُ» بالتشديدِ، فأدغموا التَّاء في الشِّينِ؛ لأنَّ الأصلَ تتشقَّق(١).

قال الفَرَّاءُ: المعنى: تتشقَّق السماء عن الغمام، وتنزل فيه الملائكة، [٥٩٣/ب] و«على»، و«عن» و«الباء» في هذا الموضعِ بمعنى واحدٍ، لأنَّ العربَ تقول: رميت عن القوس، وبالقوس، وعلى القوس، والمعنى واحدٌ(٢).

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: المعنى: تتشقَّق السماءُ وعليها غمام كما تقول: ركب الأميرُ بسلاحِهِ وخرج بثيابِهِ، وإنَّما تتشقَّق السماء لنزولِ الملائكةِ(٣).

قال ابنُ عبَّاسٍ: تتشقَّق السَّماءُ عن الغمامِ، وهو الغيمُ الأبيضُ، وتنزل الملائكةُ في الغمامِ(٤).

---

(١) السبعة (ص:٤٦٤)، والحجة (٥/ ٣٤٠)، والتيسير (ص:١٦٣-١٦٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٦٧).

(٣) الحجة (٥/ ٣٤١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٣٩) من طريق العوفي، به، بنحوه.

وقال مُقاتلٌ: المرادُ بالسَّماء: السَّماوات تتشقَّق عن الغمام، وهو غمامٌ أبيض كهيئةِ الضَّبابِ، فتنزل الملائكةُ عند انشقاقها(١).

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «وَنُنْزِلُ» بنونين، الأولى مضمومةٌ، والثانية ساكنةٌ، واللام مضمومةٌ، و«الملائكةَ» نصبًا(٢).

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وأبو عمرانَ الجونيُّ: «وَنَزَّلَ» بنون واحدةٍ مفتوحةٍ، ونصب الزَّاي وتشديدها وفتح اللام ونصب «الملائكةَ»(٣).

وقرأ ابنُ يعمرَ: «وَنَزَلَ» بفتح النُّونِ واللامِ والزَّاي والتَّخفيف «الملائكةُ» بالرَّفعِ(٤).

قوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: المُلْكُ الذي هو المُلْكُ حقًّا للرَّحمنِ، فأمَّا العسير، فهو الصعبُ الشديدُ يشتدَّ على الكفَّار، ويهونُ على المؤمنين فيكون كمقدار صلاةٍ مكتوبةٍ(٥).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٣١ـ ٢٣٢).

(٢) السبعة (ص:٤٦٤)، والمبسوط (ص:٣٢٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن ابن مسعود، وفي التحصيل (٥/ ١٩) عن أبي رجاء.

(٤) في التحصيل (٥/ ١٩) عن عبد الوهاب، عن أبي عمرو.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٥).

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ في سببِ نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أن أُبي بنَ خلفٍ، كان يحضرُ عند رسولِ الله ﷺ ويجالسهُ من غير أن يؤمن به، فزجرَهُ عقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ عن ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطاءٌ الخُراسانيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ(١).

والثاني: أنَّ عُقبةَ دعا قومًا فيهم رسولُ الله ﷺ لطعامٍ، فأكلُوا وأبى رسولُ الله ﷺ أن يأكلَ، وقال: لا آكُلُ حتَّى تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، فشهد بذلك عُقبةُ، فبلغ ذلك أُبي بن خلفٍ وكان خليلاً له، فقال: صَبَوْتَ يا عقبة، فقال: لا والله ولكنَّه أبى أن يأكُلَ حتَّى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مجاهدٌ(٢).

والثالث: أنَّ عقبةَ كان خليلاً لأميَّةَ بنِ خلفٍ، فأسلمَ عقبةُ، فقال أميَّةُ: وجهي من وجهك حرامٌ إن تابعت محمَّدًا، فكفر وارتدَّ لرضى أميَّة، فنزلت هذه الآية، قاله الشَّعبيُّ(٣).

فأمَّا الظالمُ المذكورُ هاهنا فهو الكافرُ، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه أُبي بن خلفٍ، رواه العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: عقبة بن أبي مُعيطٍ، قاله مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٠) من طريق حجاج، به.

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (ص:٥٠٣)، وابن جرير الطبري (١٧/ ٤٤١) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣)رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٠) من طريق جرير، به.

قال عطاءٌ: يأكل يديه حتَّى تذهبا إلى المرفقين، ثُمَّ تنبتان فلا يزالُ هكذا، كلَّما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل[١].

قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى﴾ الأكثرون يسكنون ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ﴿لَيْتَنِى﴾، وأبو عمرٍو يحرِّكها.[٢]

قال أبو عليٍّ: والأصلُ التَّحريكُ: لأنَّها بإزاءِ الكافِ التي للخطابِ، إلَّا أنَّ حرفَ اللِّين تكره فيه الحركةُ، ولذلك أسكن من أسكن، والمعنى: ليتني اتَّبعته فاتَّخذتُ معه طريقًا إلى الهدى[٣].

قوله: ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ في المشارِ إليه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه عنى أُبي بن خلفٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: عقبة بن أبي معيط، قاله أبو مالكٍ.

والثالث: الشيطان، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أميَّة بن خلفٍ، قاله السُّدِّيُّ. [٥٩٤/أ]

فإن قيل: إنَّما يكنى من يخاف المبادأة أو يحتاجُ إلى المُداجاة، فما وجه الكناية؟

فالجواب: أنَّه أرادَ بالظَّالم كل ظالمٍ، وأرادَ بفلان: كل من أطيع في معصيةٍ، وأرضي بسخطِ الله، وإن كانت الآية نزلت في شخصٍ، قاله ابنُ قُتيبةَ[٤].

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٣٩).

(٢) السبعة (ص:٤٦٤).

(٣) الحجة (٥/ ٣٤٢).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٦٢).

قوله: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: صرفني عن القرآنِ والإيمانِ به ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ مع الرَّسول، وهاهنا تمَّ الكلامُ، ثُمَّ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني: الكافر ﴿خَذُولًا﴾ يتبرأ منه في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣٠-٣١].

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ يعني محمَّدًا ﷺ، وهذا عند كثيرٍ من العلماءِ أنَّه يقوله يوم القيامةِ، فالمعنى: ويقولُ الرَّسولُ يومئذٍ.

وذهب آخرون، منهم مُقاتلٌ، إلى أنَّ الرَّسولَ قال ذلك شاكيًا من قومِه إلى الله تعالى، حين كذَّبوه.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «إِنَّ قَوْمِيَ اتَّخَذُوا» بتحريكِ الياءِ، وأسكنها عاصمٌ، وابنُ عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ[(١)].

وفي المرادِ بقولِه: ﴿مَهْجُورًا﴾ قولان:

أحدهما: متروكًا لا يلتفتونَ إليه ولا يؤمنونَ به، وهذا معنى قول ابنِ عبَّاسٍ ومُقاتلٌ[(٢)].

---

(١) السبعة (ص:٤٦٤ـ٤٦٥)، والتيسير (ص:١٦٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٣٣).

والثاني: هجروا فيه، أي: جعلوه كالهذَيان، ومنه يقال: فلانٌ هَجُر في منامه، أي: يَهْذِي، قاله ابنُ قُتيبةَ[1].

وقال الزَّجَّاجُ: الهُجْرُ ما لا ينتفعُ به من القولِ[2].

قال المفسِّرون: فعزَّاه الله ﷻ، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومِك، جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا من كفَّارِ قومه، والمعنى: لا يَكْبُرن هذا عليك، فلك بالأنبياء أُسوةٌ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ يمنعك من عدوِّكِ.

قال الزَّجَّاجُ: والباءُ في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدةٌ، فالمعنى: كفى ربك هاديًا ونصيرًا[3].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾[الفرقان: ٣٢-٣٤].

قوله: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ أي: كما أنزلت التوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبورُ، فقال الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أنزلناه كذلك متفرِّقًا، لأنَّ معنى ما قالوا: لِمَ نزل عليه متفرِّقًا؟ فقيل: إنَّما أنزلناه كذلك

(١) غريب القرآن (ص:٣١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٦).

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: لنقوِّي به قلبك فتزداد بصيرة، وذلك أنَّه كان يأتيه الوحيُ في كلِّ أمرٍ وحادثةٍ، فكان أقوى لقلبه، وأنور لبصيرته، وأبعد لاستيحاشِهِ ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أنزلناهُ على التَّرتيل، وهو التمكُّث الذي يضاد العجلة.

قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يعني: المشركين ﴿بِمَثَلٍ﴾ يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالذي هو الحقُّ، لترد به كيدهم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ من مثلهم، والتفسيرُ: البيانُ والكشفُ.

قال مُقاتلٌ: ثُمَّ أخبر بمستقرِّهم في الآخرةِ، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: إنَّ محمَّدًا وأصحابه شرُّ خلقِ الله، فنزلت هذه الآيةُ[1].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: منزلًا ومصيرًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ دينًا وطريقًا من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾[الفرقان: ٣٥-٣٩].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٣٤).

قولـه: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ إن قيـل: إنَّما عاينوا الآيات بعـد وجودِ الرِّسـالة، فكيف يقـعُ التَّكذيبُ منهم قبل وجـودِ الآياتِ؟

فالجـواب: أنَّهـم كانـوا مكذِّبـين أنبيـاء الله وكتبـه المتقدِّمـة، ومـن كـذَّب نبيًّـا فقـد كـذَّب سـائر الأنبيـاءِ، ولهـذا قـال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾. [٥٩٤/ ب]

قـال الزَّجَّـاجُ: يجـوزُ أن يكـون المـراد بـه نـوح وحـده، وقـد ذكـر بلفـظ الجنـسِ، كـما يقـال فـلانٌ يركـب الـدواب، وإن لم يركـب إلَّا دابـةً واحـدةً[١]، وقـد شرحنـا هـذا في هـودَ عنـد قولـه: ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾[هـود:٥٩] وقـد سـبق معنـى التَّدمـير.

قوله : ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ في الرَّسِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بئرٌ كانت تسمَّى الرَّس، قاله ابنُ عبَّاسٍ في رواية العوفي[٢].

وقال في رواية عكرمة: هي بئرٌ بأذربيجانَ[٣].

وزعم ابنُ السائبِ أنَّها بئرٌ دون اليمامةِ.

وقال السُّدِّيُّ: بئرٌ بأنطاكيةَ[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٧ ـ ٦٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٥٣).

(٣) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (١٥١٧٣) مـن طريـق شـبيب بـن بشـير، عـن عكرمـة، عـن ابـن عبـاس، بنحـوه.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٠).

والثاني: أنَّ الرَّس قريةٌ من قرى اليمامة، قاله قتادةُ.

والثالث: أنَّها المَعْدِن ، قاله أبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ[١].

وفي تسميتها بالرَّس قولان:

أحدهما: أنَّهم رسوا نبيهم في البئرِ، قاله عكرمةُ.

قال الزَّجَّاجُ: رسوه أي دسُّوه فيها[٢].

والثاني: أنَّ كلَّ رَكيَّة لم تطو فهي رسٌّ، قاله ابن قُتيبةَ[٣].

واختلفوا في أصحاب الرَّسِ على خمسةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم قومٌ كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبيًّا من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئرًا وألقوه فيها، فهلكوا قاله عليٌّ عليه السلام.

والثاني: أنَّهم قومٌ كان لهم نبيٌّ يقال له: حنظلةُ بنُ صفوانَ، فقتلوا نبيَّهم فأهلكهم الله، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: أنَّهم كانوا أهل بئرٍ، ينزلون عليها وكانت لهم مواشٍ، وكانوا يعبدونَ الأصنامَ، فبعث الله إليهم شعيبًا، فتمادوا في طغيانهم، فانهارت البئرُ فخسف بهم وبمنازلهم، قاله وهبُ بنُ منبِّه.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٧٥)، وغريب القرآن (ص:٣١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٨).

(٣) في غريب القرآن (ص:٣١٣) وكلُّ رَكِيَّة تُطْوَى فهي: رسٌّ.

والرابع: أنَّهم الذين قتلوا حبيبًا النَّجار، قتلوه في بئرٍ لهم وهو الذي قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠] قاله السُّدِّيُّ.

والخامس: أنَّهم قومٌ قتلوا نبيَّهم وأكلوه، وأوَّل من عمل السِّحرِ نساؤهم، قاله ابنُ السائب.

قوله: ﴿وَقُرُونَۢا﴾ المعنى: وأهلكنا قرونًا ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا﴾ أي: بين عادَ وأصحاب الرَّس، وقد سبق بيان القرن[1]، وفي هذه القصص تهديدٌ لقريش.

قوله: ﴿وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ﴾ أي: أعذرنا إليه بالموعظةِ وإقامة الحجَّة ﴿وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: التتبير: التدميرُ، وكل شيءٍ كسَّرتَهُ وفتَّتَّهُ فقد تبَّرْتَهُ، وكسارته التِّبر، ومن هذا قيل لمكسور الزَّجَّاجِ التِّبْرُ وكذلك تبر الذَّهب[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ۝٤٠ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ [الفرقان: ٤٠-٤٢].

قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ﴾ يعني: كفَّار مكَّة ﴿عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ يعني: قرية قوم لوط التي رميت بالحجارةِ، ﴿أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ﴾ في أسفارِهم فيعتبروا؟ ثُمَّ أُخبر بالذي جرأهم على التَّكذيب

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٦).

فقال: ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي: لا يخافونَ بعثًا، هذا قولُ المفسِّرين.

وقال الزَّجَّاجُ: الذي عليه أهلُ اللُّغةِ أنَّ الرجاء ليس بمعنى الخوفِ، وإنَّما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثوابَ عملِ الخيرِ، فركبوا المعاصي[١].

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يتَّخذونكَ ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مهزوءًا به.

ثُمَّ ذكر ما يقولون من الاستهزاءِ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: ليصرفنا عن عبادةِ آلهتنا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على عبادتها، قال الله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ أي: من أخطأ طريقًا عن الهدى، أهم، أم المؤمنون. [٥٩٥/أ]

ثُمَّ عجب نبيه من جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كان أحدهم يعبدُ الحجرَ، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبدَ الآخرَ[٢].

وقال قتادةُ: هو الكافرُ لا يهوى شيئًا إلَّا ركبهُ[٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٦٩).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١١٤٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥١٩٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩١) من طريق سعيد بن جبير، به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره(١٥٢٠٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

وقال ابن قُتيبةَ: المعنى: يتّبع هواه ويَدَعُ الحقَّ فهو له كالإله[١].

قوله: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: حفيظًا يحفظُه من اتِّباع هواه.

وزعم الكلبيُّ أنَّ هذه الآية منسوخةٌ بآية القتالِ.

قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ يعني: أهل مكّة، والمراد: يسمعون سماع طالبِ الإفهام ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يعاينون من الحججِ والأعلامِ.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ﴾ وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان:

أحدهما: أنَّ الأنعام تسمع الصوتَ ولا تفقه القولَ.

والثاني: أنّه ليس لها هم إلّا المأكلُ والمشربُ.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأنَّ البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وتقبلُ على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٤٥-٥٢].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣١٣).

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى فعلِ ربِّكَ.

وقال الزَّجَّاجُ: معناه ألم تعلم فهو من رؤية القلبِ، ويجوز أن يكون من رؤية العين[1].

فالمعنى: ألم تر إلى الظلِّ كيف مدَّه ربُّك، والظِّلُّ من وقت طلوعِ الفجر إلى وقت طلوع الشَّمس ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ أي: ثابتًا دائمًا لا يزول ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ فالشَّمس دليلٌ على الظِّلِّ، فلولا الشَّمس ما عرف أنَّه شيءٌ، كما أنَّه لولا النُّورُ ما عرفت الظُّلمةُ، فكلُّ الأشياء تعرف بأضدادها.

قوله: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا ﴾ يعني: الظِّل ﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: سريعًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: خفيًّا، قاله مجاهدٌ.

وفي وقت قبض الظِّلِّ قولان:

أحدهما: عند طلوعِ الشَّمس، يقبض الظِّل وتجمع أجزاؤه المنبسطةُ بتسليط الشَّمسِ عليه حتَّى تنسخه شيئًا فشيئًا.

والثاني: عند غروبِ الشَّمسِ، تُقبض أجزاء الظِّلِّ بعد غروبِها، ويخلِّف كلُّ جزءٍ منه جزءًا من الظَّلامِ.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أي: ساتراً بظلمتِه، لأنَّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٠).

ظلمتـه تغشـى الأشـخاص وتشـتمل عليهـا اشـتمال اللِّبـاسِ عـلى لابسِـهِ.

﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾:

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: أي: راحـة ومنـه يـوم السـبت، لأنَّ الخلـقَ اجتمـع يـوم الجمعـةِ، وكان الفـراغ منـه في يـومِ السبت، فقيـل لبنـي إسرائيـل: اسـتريحوا في هـذا اليـومِ، ولا تعملـوا فيـه شـيئًا، فسـمِّي يـوم السـبت، أي: يـوم الرَّاحـةِ، وأصـلُ السـبتِ: التَّمـدُّدُ، ومـن تمـدَّد اسـتراحَ[١].

وقـال ابـنُ الأنبـاريِّ: أصـلُ السـبتِ القطـع، فالمعنـى: وجعلنـا النَّـومَ قطعًـا لأعمالكـم.

قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: تنتشرون فيه، لابتغاءِ الرِّزقِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: تنشر الرُّوحَ باليقظةِ كما تنشر بالبعثِ، حكاه الماورديُّ[٢].

قولـه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قـد شرحنـاه في الأعـرافِ[٣] إلى قولـه: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ يعنـي: المطـر.

قـال الأزهـريُّ: الطَّهُورُ في اللُّغـةِ الطَّاهـر المطهِّـر، والطُّهـور مـا يُتطهَّـرُ بـه، كالوضـوءِ الـذي يتوضَّـأ بـه، و الفَطـورِ الـذي يُفطَـرُ عليـهِ[٤]. [٥٩٥/ب]

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٤).

(٢) النكت والعيون (٤/ ١٤٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٧).

(٤) تهذيب اللغة (٦/ ١٠٠).

قوله: ﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وأبو جعفرَ: «ميِّتًا» بالتَّشديدِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: لفظُ البلدةِ مؤنَّثٌ، وإنَّما قيل: ﴿ مَّيْتًا ﴾؛ لأنَّ معنى: البلدةِ والبلد سواءٌ[٢].

وقال غيرُه: إنَّما قال: ﴿ مَّيْتًا ﴾؛ لأنَّه أرادَ بالبلدةِ المكان، وقد سبق معنى صفة البلدة بالموتِ، ومعنى ﴿ وَنُسْقِيَهُۥ ﴾[٣].

وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضَّحاكُ، والأعمشُ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَنَسْقِيَهُ» بفتح النُّونِ[٤].

فأمَّا الأَناسِيُّ، فقال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ إنسيٍّ، مثل كُرْسِي وكَرَاسِي، ويجوز أن يكون جمع إنسانٍ، وتكون الباء بدلًا من النُّونِ، الأصل: أَنَاسِين مثل سَرَاحِين[٥].

وقرأ أبو مجلَزٍ، والضَّحاكُ، وأبو العاليةِ، وعاصمٌ الجحدري: «وَأَنَاسِيَ» بتخفيفِ الياءِ[٦].

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٥٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧١).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٢٤).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) الأعمش، والمفضل عن عاصم، وفي التحصيل (٥/ ٣٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧١).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن يحيى بن الحارث الذماري، وروي عن الكسائي أيضًا.

قولـه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَهُ﴾ يعنـي: المطـر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مـرَّة هـذه البلـدةِ ومـرَّة هـذه ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ أي: ليتفكّـروا في نعـمِ الله عليهـم فيحمـدُوه.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «لِيَذْكُرُواْ» خفيفة الذالِ[١].

قال أبو عليٍّ: يذكر في معنى: يتذكَّر[٢].

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وهـم الذيـن يقولـون: مُطرنـا بنـوءِ كـذا وكـذا، كفـروا بنعمـةِ الله، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ المعنـى: إنَّـا بعثنـاك إلى جميـعِ القُـرى لعظـمِ كرامتـكَ، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وذلـك أنَّ كفَّـارَ مكَّـةَ دعـوه إلى ديـن آبائهـم ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقـرآنِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: تامًّـا شـديدًا.

قولـه تعـالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقـان: ٥٣-٥٥].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾.

---

(١) السبعة (ص:٢٧٢)، والتيسير (ص:١٤٠).

(٢) الحجة (٥/ ٣٤٥).

قال الزَّجَّاجُ: أي: خَلَّى بينهما، تقول: مَرَجْتُ الدَّابةَ وأمرَجْتُها إذا خليَّتها تَرْعَى، ومنه الحديث «مَرِجَتْ عُهُودُهُم وَأَمَانَاتُهُم»[1] أي: اخْتَلَطَتْ[2].

قال المفسِّرون: والمعنى: أنَّه أرسلهما في مجاريهما، فما يلتقيان، ولا يختلط الملحُ بالعذبِ، ولا العذب بالملحِ، وهو قوله: ﴿هَٰذَا﴾ يعني: أحد البحرين عذبٌ أي طيِّبٌ، يقال: عَذُب الماءُ يعذُب عُذُوبة، فهو عَذْبٌ.

قال الزَّجَّاجُ: والفراتُ صفةٌ لِعَذْبٍ، وهو أَشَدُّ الماءِ عُذُوبةً، والأُجَاجُ صفةٌ لِلْمِلْحِ، وهو المُرُّ الشَّدِيدُ المَرَارَةِ[3].

وقال ابنُ قُتيبةَ: هو أشدُّ الماءِ ملوحة، وقيل: هو الذي يخالطه مرارة، ويقال: ماءٌ مِلحٌ، ولا يقال: مالحٌ، والبرزخُ: الحاجزُ[4].

وفي هذا الحاجز قولان:

أحدهما: أنَّه مانعٌ من قدرة الله تعالى، قاله الأكثرون.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٢١)، وأبو داود (٤٣٤٢)، وابن ماجه (٣٩٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزمَانٍ، أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ، يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُم، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ».

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٢).

(٤) غريب القرآن (ص: ٣١٤).

قال الزَّجَّاجُ: فهما في مرأى العين مُخْتلِطَان، وفي قدرةِ الله مُنْفَصِلَانِ، لا يختلطُ أحدُهما بالآخرِ(١).

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: ورأيت عند عبادان من سواد البصرة الماء العذب ينحدرُ في دجلةَ نحو البحر، ويأتي المد من البحر فيلتقيان، فلا يختلط أحدُ الماءين بالآخر، يُرى ماء البحرِ إلى الخضرةِ الشديدةِ، وماء دجلة إلى الحمرةِ الخفيفةِ، فيأتي المستقي فيغرفُ من ماءِ دجلةَ عذبًا لا يخالطُه شيءٌ، وإلى جانبِهِ ماءُ البحرِ في مكانٍ واحدٍ.

والثاني: أنَّ الحاجزَ الأرض واليبس، وهو قولُ الحسن، والأوَّل أصحُّ.

قوله: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾:

قال الفَرَّاءُ: أي: حَرَامًا مُحَرَّمًا أن يغلب أحدهما صاحبه(٢).

قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ أي: من النطفةِ بشرًا أي: إنسانًا، ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي ذا نسبٍ وصهرٍ.

قال عليٌّ ﷺ: النسبُ ما لا يحل نكاحه، والصهر ما يحلُّ نكاحه(٣). [٥٩٦/أ]

وقال الضَّحاكُ: النَّسبُ سبع وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾، والصهر خمسٌ وهو قوله:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٧٠).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٤٢).

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ إلى قولـه: ﴿مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾[١].

وقال طاووسُ: الرضاعةُ من الصهرِ[٢].

وقـال ابـنُ قُتيبـةَ: ﴿نَسَبٗا﴾ أي: قرابـة النَّسـبِ، ﴿وَصِهۡرٗا﴾ أي: قرابـة النِّـكاحِ وكل شيءٍ مـن قبـل الـزَّوجِ، مثـل الأب والأخ فهـم الأَحْمَـاءُ، واحدهـم حَمًـا، مثـل قَفًـا، وحَمُـو، مثـل أبـو، وحَـمْءٌ مهمـوزٌ سـاكن الميـم، وحـمٌ، مثـل أبٍ، وحَمَـاة المـرأة أمُّ زوجهـا، لا لغـة فيهـا غـير هـذِهِ، وكلُّ شيءٍ مـن قبـلِ المرأةِ، فهـم الأَختـانُ[٣].

والصهـرُ يجمـع ذلـك كلَّـه، وحكـى ابـنُ فـارسٍ عـن الخليـلِ: أنَّـه قـال: لا يقـال لأهـلِ بيـت الرَّجـل إلَّا أَخْتَـانٌ، ولأهـلِ بيـت المـرأة إلَّا أَصْهَـارٌ، ومـن العـرب مـن يجعلُهـم أَصْهَـارًا كُلَّهـم، والصَّهْـر: إذَابَـةُ الـشَّيْءِ[٤].

وذكـر المـاورديُّ أنَّ المناكـحَ سـمِّيت صهـرًا، لاختـلاطِ النَّـاسِ بهـا، كـما يختلـط الـشَّيء إذا صهـر[٥].

قوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: معينًا للشيطان على ربِّه، لأنَّ عبادته للأصنام معاونة للشيطانِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٧٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٢٧٦) عن طاوس، عن أبيه.

(٣) أدب الكاتب (ص:٢٠٣).

(٤) مقاييس اللغة (٣/ ٣١٥).

(٥) النكت والعيون (٤/ ١٥١).

والثاني: معينًا للمشركين على أن لا يوحِّدوا الله تعالى.

والثالث: معينًا على أولياءِ ربِّه.

والرابع: وكان الكافرُ على ربِّه هيِّنًا ذليلًا، من قولك: ظهرتُ بفلانٍ: إذا جعلته وراءَ ظهرك ولم تلتفت إليه. قالوا: والمرادُ بالكافرِ هاهنا أبو جهلٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[الفرقان: ٥٦-٦٠].

قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآنِ وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا توكيدٌ لصدقِهِ، لأنَّه لو سألهم شيئًا من أموالهم لاتَّهموه، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ معناه: لكن مَن شاء ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بإنفاقِ مالِهِ في مرضاتِهِ، فعل ذلك، فكأنَّه قال: لا أسألُكم لنفسي.

وقد سبق تفسير الكلماتِ التي تلي هذه[1] إلى قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

و﴿بِهِۦ﴾ بمعنى: «عنه»، قال علقمةُ بنُ عبدةَ [من الطويل][2]:

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٥٩)، وسورة البقرة الآية رقم (٣٠)، وسورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

(٢) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه (ص:٣٥)، وأدب الكاتب (ص:٥٠٨)، وحماسة البحتري (ص:١٨١)، والمقاصد النحوية (٣/ ١٦)، وهمع الهوامع (٢/ ٢٢).

فَـإِنْ تَسْـأَلُونِي بِالنِّسَـاءِ فَإِنَّنِـي بَصِـيرٌ بِـأَدْوَاءِ النِّسَـاءِ طَبِيـبُ

وفي هاءِ ﴿ بِهِۦ ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ترجعُ إلى الله عَجَلَّ.

والثاني: إلى اسمِهِ الرَّحمن، لأنَّهم قالوا: لا نعرفُ الرَّحمن.

والثالث: إلى ما ذكر من خلقِ السَّماواتِ والأرضِ وغير ذلك.

وفي الخبير أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه جبريلُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه الله عَجَلَّ، والمعنى: سلني فأنا الخبيرُ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه القرآن، قاله شمر.

والرابع: مُسْلِمة أهلِ الكتابِ، قاله أبو سليمان.

وهذا يُخرَّج على قولهم: لا نعرفُ الرَّحمن، فقيل: سلوا مُسَلِمة أهل الكتابِ، فإنَّ الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمِه الرحمن، فعلى هذا: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ سواه.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ يعني: كفَّار مكَّة ﴿ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ قال المفسِّرون: إنَّهم قالوا: لا نعرف الرَّحمن إلَّا رحمانَ اليمامة، فأنكروا أن يكونَ من أسماءِ الله تعالى.

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «يَأْمُرُنَا» بالياءِ[١]، أي: لما يأمرنا به محمَّد، وهذا استفهام إنكارٍ، ومعناه: لا نسجدُ للرَّحمن الذي تأمرنا بالسجودِ له، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر الرَّحمنِ ﴿نُفُورًا﴾ أي: تباعدًا من الإيمانِ. [٥٩٦/ ب]

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦١-٦٢].

قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ وقد شرحناه في الحجر[٢]، والمراد بالسراج: الشَّمسُ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «سُرُجًا» بضمِّ السين والرَّاءِ وإسقاطِ الألفِ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: أراد الشَّمسَ والكواكبَ العظام، ويجوز «سُرْجًا» بتسكين الرَّاءِ مثل: رُسُل ورُسْل[٤].

قال الماورديُّ: لما اقترن بضوءِ الشَّمسِ وهجُ حَرِّهَا جعلها لأجلِ الحرارةِ سراجًا، ولمَّا عدم ذلك في القمرِ جعلَهُ نورًا[٥].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فيه قولان:

---

(١) السبعة (ص:٤٦٦)، والتيسير (ص:١٦٤).

(٢) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (١٦).

(٣) السبعة (ص:٤٦٦)، والتيسير (ص:١٦٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٤).

(٥) النكت والعيون (٤/ ١٥٣).

أحدهما: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يخالف الآخر في اللَّون، فهذا أبيضُ وهذا أسودُ، روى هذا المعنى الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ، وابن أبي نجيح عن مجاهدٍ، وبه قال قتادةُ.

والثاني: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يخلف صاحبه، رواه عمرو بنُ قيسٍ المُلائي، عن مجاهدٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ وأهل اللُّغة، وأنشدوا قول زهير [من الطويل][(١)]:

بِهَا الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثِمِ

أي: إذا ذهبت طائفةٌ جاءت طائفةٌ.

قوله: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتَّعظ ويعتبر باختلافهما.

وقرأ حمزةُ: «يَذْكُرَ» خفيفة الذال مضمومةَ الكافِ[(٢)].

وهي في معنى: يتذكَّر، ﴿أَوْ أَرَادَ﴾ شكر الله تعالى فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٧].

قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾.

وقرأ عليٌّ، وأبو عبد الرحمن السلميُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُمَشَّوْنَ»

---

(١) في ديوانه (ص: ٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٤١٥-٤١٦)، ولسان العرب (٩/ ٨٦-٩٦).

(٢) السبعة (ص: ٤٦٦).

برفعِ الياءِ وفتحِ الميمِ والشينِ وبالتَّشديدِ(١).

وقال ابنُ قُتيبةَ: إنَّما نسبهم إليه، لاصطفائه إيَّاهم، كقولِه: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣]، ومعنى ﴿هَوْنًا﴾: مشيًا رُوَيدًا(٢)، ومنه يقال: «أحبب حبيبك هونًا ما»(٣).

وقال مجاهدٌ: يمشون بالوقارِ والسكينةِ(٤).

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: سَدادًا.

وقال الحسنُ: لا يجهلون على أحدٍ، وإن جهل عليهم حلموا(٥).

وقال مُقاتلُ بنُ حيَّانَ: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: قولًا يسلمون فيه من الإثمِ(٦).

وهذه الآيةُ محكمةٌ عند الأكثرين، وزعم قومٌ: أنَّ المرادَ بها أنَّهم يقولون للكفَّار: ليس بيننا وبينكم غير السَّلام، ثُمَّ نسخت بآية السيفِ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦) عن اليماني.

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٥).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٩٧)، وقال: غريب، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٣٩٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، والبخاري في الأدب المفرد (١٣٢١)، والبيهقي في الشعب (٦١٦٨) عن عليٍّ موقوفاً، قال ابن حبان: وليس هذا من حديث أبي هريرة ... وإنما هو من قول علي رضي الله عنه، وقد رفعه الحسن بن أبي جعفر عن أيوب عن حميد بن عبد الرحمن عن علي، وهو خطأ فاحش. وقال الدارقطني: الصحيح على علي موقوفاً. ينظر: المجروحين لابن حبان (١/ ٣٥١)، والعلل للدارقطني (٨/ ١١٠).

(٤) رواه الثوري (ص:٢٢٧)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٥٨) في تفسيرهما، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم (١٥٣٣٨) في تفسيرهما، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠٩٤).

(٦) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٤٥).

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: كل من أدْركه اللَّيل فقد بات، نَامَ أو لَمْ يَنَمْ، يقال: باتَ فلانٌ قَلِقًا، إنَّما المبيتُ إدْراكُ اللَّيْل(١).

قوله: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ تتقاربُ معانيها.

أحدها: دائمًا، رواه أبو سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ(٢).

والثاني: موجعًا، رواه الضَّحاكُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: مُلِحًّا، قاله ابنُ السائبِ.

وقال ابنُ جريجٍ: لا يفارق.

والرابع: هلاكًا، قاله أبو عُبيدةَ(٣).

والخامس: أنَّ الغرامَ في اللُّغة أَشَدُّ العَذَابِ، قال الشاعر [من المتقارب](٤):

وَيَوْمُ النِّسارِ وَيَوْمُ الجِفارِ كَانَا عَذاباً، وَكَانَا غَرَامَا

قاله الزَّجَّاجُ(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٥).

(٢) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٢٧٤) بلفظ: «ملازمًا شَدِيدًا كلزوم الْغَرِيم الْغَرِيم».

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٠).

(٤) البيت لبشير بن أبي خازم في مجاز القرآن (٢/ ٨٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٣٩)، وشرح الكتاب (١/ ١٨٦)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٥)، وللطرماح في لسان العرب (١٢/ ٤٣٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٥).

قولـه: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا ﴾ أي: بئـس موضـع الاسـتقرارِ وموضـع الإقامـة هـي.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾:

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يَقتِرُوا» مفتوحة الياءِ مكسورة التاءِ.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿يَقْتُرُوا۟﴾ بفتح الياءِ وضمِّ التاءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر: «يُقْتِرُوا» بضمِّ الياء وكسر التاءِ[1]. [٥٩٧/أ]

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهمـا: أنَّ الإسرافَ: مجـاوزةُ الحـدِّ في النفقـةِ، والإقتـارُ: التقصـيرُ عـمَّا لا بـدَّ منـه، ويـدلُّ عـلى هـذا قـول عمـر بـن الخطَّـاب: كفـى بالمـرء سَرَفًـا أن يـأكل كلَّ مـا اشـتهى[2].

والثـاني: أنَّ الإسرافَ: الإنفـاقُ في معصيـةِ الله وإنْ قـلَّ، والإقتـار: منـع حـق الله تعـالى، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ، ومجاهـدٌ، وقتـادةُ، وابـنُ جريـجٍ في آخريـن.

قولـه: ﴿وَكَانَ﴾ يعنـي: الإنفـاقُ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بـين الإسرافِ والإقتـارِ ﴿قَوَامًا﴾ أي: عدلًا.

---

(١) السبعة (ص:٤٦٦)، والتيسير (ص:١٦٤).

(٢) رواه الحسين المروزي كما في زوائده على زهد ابن المبارك (٧٦٩) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ عَلَى عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ يَأْكُلُ لَحْمًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا»؟ قَالَ: قَرِمْنَا إِلَيْهِ، قَالَ: «وَكُلَّمَا قَرِمْتَ إِلَى شَيْءٍ أَكَلْتَهُ، كَفَى بِالْمَرْءِ سَرَفًا أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَى».

قال ثعلب: القَوامُ بفتحِ القافِ الاستقامة والعدل، وبكسرها ما يدومُ عليه الأمرُ ويستقرُّ(١).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفرقان: ٦٨-٧٠].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا﴾ في سببِ نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ من حديث ابنِ مسعودٍ، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**» فأنزلَ الله تعالى تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا﴾ الآيةَ(٢).

والثاني: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أخرجه مسلمٌ من حديثِ سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) انظر: المحتسب (٢/ ١٢٥).

(٢) البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) رواه مسلم (١٢٢)

والثالث: أن وحشيًّا أتى النبي ﷺ فقال: يَا مُحَمَّدُ أَتَيْتُكَ مُسْتَجِيرًا فَأَجِرْنِي حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَاكَ عَلَى غَيْرِ جِوَارٍ، فَأَمَّا إِذْ أَتَيْتَنِي مُسْتَجِيرًا فَأَنْتَ فِي جِوَارِي حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ»** قَالَ: فَإِنِّي أَشْرَكْتُ بِاللهِ، وَقَتَلْتُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى، وَزَنَيْتُ، هَلْ يَقْبَلُ اللهُ مِنِّي تَوْبَةً؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَت هذه الآية، فَتَلَاهَا عَلَيْهِ، فقال: أَرَى شَرْطًا فَلَعَلِّي لَا أَعْمَلُ صَالِحًا، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فَدَعَا بِهِ فَتَلَاهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: وَلَعَلِّي مِمَّنْ لَا يَشَاءُ، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ. فنزلت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ [الزمر: ٥٣] فَقَالَ: نَعَمْ الْآنَ لَا أَرَى شَرْطًا فَأَسْلَمَ، رواه عطاء، عن ابنِ عبَّاسٍ(١)، وهذا وحشي هو قاتلُ حمزةَ.

وفي هذا الحديثِ المذكورِ عنه نظرٌ، وهو بعيدُ الصحَّةِ، والمحفوظُ في إسلامِه غير هذا، وأنَّه قدم مع رسل الطائفِ فأسلم من غير اشتراطٍ.

وقوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ معناه: يعبدون، وقد سبق بيان قتل النَّفسِ بالحقِّ في الأنعامِ(٢).

قوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾.

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٣٥-٣٣٦) من طريق سعيد بن سالم القداح، عن ابن جريج، عن عطاء، به، بنحوه، وهو ضعيف؛ لعنعنة ابن جريج، والانقطاع بين عطاء وابن عباس.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥١).

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو المتوكِّل: «يُلَقَّ» برفع الياء وفتح اللامِ وتشديدِ القافِ مفتوحة[١].

قال ابنُ عبَّاسٍ: يلق جزاء.

وقال مجاهدٌ[٢]، وعكرمة: وهو وادٍ في جهنَّم[٣].

وقال ابنُ قُتيبةَ: يلقَ عقوبة، وأنشد [من الوافر][٤]:

جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقًا وَالْعُقُوقُ لَـهُ أَثَـامُ

قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزمًا على الجزاءِ[٥].

قال أبو عمرٍو الشيباني يقال: قد لقي أثام ذلك، أي: جزاءَ ذلك، وسيبويه والخليل يذهبان إلى أنَّ معناه: يلقى جزاءَ الأثامِ، قال سيبويه: وإنَّما جزم ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾؛ لأنَّ مضاعفةَ العذابِ لقي الآثام، فلذلك جزمت، كما قال الشاعر [من الطويل][٦]: [٥٩٧/ب]

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٦ ـ ١٠٧) عن ابن مسعود، وأبي رجاء.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٣).

(٤) البيت لشافع الليثي في لسان العرب (٦/ ١٢)، وبلا نسبة في غريب القرآن (ص:٣١٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، وفي مجاز القرآن (٢/ ٨١) عن بلعاء بن قيس الكناني.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٦).

(٦) البيت لعبد الله بن الحر في شرح أبيات سيبويه (٢/ ٦٦)، وشرح المفصل (٧/ ٥٣)، وخزانة الأدب (٩/ ٩٠ ـ ٩٩)، وبلا نسبة في لسان العرب (٥/ ٢٤٢)، والمقتضب (٢/ ٦٣).

مَتَـى تَأْتِنَـا تُلْمِـمْ بِنَـا فِي دِيَارِنَـا تَجِـدْ حَطَبًـا جَـزْلًا وَنَـارًا تَأَجَّجَـا

لأنَّ الإتيان هو الإلمامُ، فجزم «تلمم» لأنَّه بمعنى تأتي.

وقرأ الحسنُ: «يُضَعَّفْ» وهو جيدٌ بالغ[١]، تقول: ضاعفتُ الشيءَ وضعَّفتُه.

وقـرأ عاصـمٌ: «يُضَاعَـفُ» بالرفـعِ عـلى تفسـير ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ كأن قائـلاً قـال: مـا لُقـيُّ الأثـامِ؟ فقيـل: يضاعـف للآثـم العـذابُ.

وقـرأ أبـو المتـوكِّلِ، وقتـادةُ، وأبـو حيـوةَ: «يُضْـعَفُ» برفـعِ اليـاءِ، وسـكونِ الضـادِ، وفتـح العـين خفيفـة مـن غـير ألـفٍ.

وقـرأ أبـو حصـين الأسـدي، والعمـري عـن أبي جعفـرَ مثلـه، إلَّا أنَّ العـينَ مكسـورة، «وَالْعَـذَابَ» بالنَّصـب[٢].

قوله: ﴿وَيَخْلُدْ﴾:

وقـرأ أبـو حيـوةَ، وقتـادةُ، والأعمـشُ: «وَيُخْلَـدْ» برفـعِ اليـاءِ وسـكونِ الخـاءِ وفتـح الـلام مخفَّفـة.

وقـرأ عاصـمٌ الجحـدري، وابـنُ يعمـرَ، وأبـو المتـوكِّل مثلـه، إلَّا أنَّهـم شـدَّدوا الـلَّام[٣].

(١) المحرر (٤/ ٢٢٠).

(٢) المحرر (٤/ ٢٢٠)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٠).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٧) عن أبي حيوة.

فصل

ولعلماءِ الناسخ والمنسوخِ في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنَّها منسوخة، **وفي ناسخها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنَّه قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وكان يقول: هذه مكِّيةٌ، والتي في النِّساءِ مدنيَّةٌ.

والثاني: أنَّها نسخت بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ الآية [النساء: ٤٨].

والثالث: أنَّ الأولى نسخت بالثانية، وهي قوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾.

والقول الثاني: أنَّها محكمةٌ، والخلودُ إنَّما كان لانضمام الشركِ إلى القتلِ والزِّنا، وفساد القول الأوَّل ظاهرٌ؛ لأنَّ القتلَ لا يوجب تخليدًا عند الأكثرين، وقد بيَّناه في سورةِ النِّساءِ[1].

والشِّرك لا يُغفرُ إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخٍ.

قوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: قرأنا على عهدِ رسولِ الله سنتين: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ثُمَّ نزلت ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ فرح

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٩٣).

بشيءٍ فرحه بها، وبـ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١][١].

قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ اختلفوا في كيفيةِ هذا التبديلِ وفي زمان كونِه، فقال ابنُ عبَّاسٍ: يبدِّلُ الله شركهم إيمانًا، وقتلهم إمساكًا، وزناهم إحصانًا[٢].

وهذا يدلُّ أوَّلًا: على أنَّه يكون في الدُّنيا، وممَّن ذهب إلى هذا المعنى سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والضَّحاكُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: أنَّ هذا يكون في الآخرةِ، قاله سلمانُ رضي الله عنه، وسعيدُ بنُ المسيّب، وعليُّ بنُ الحسينِ.

وقال عمرو بنُ ميمونٍ: يبدِّلُ الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات، حتَّى إنَّ العبدَ يتمنَّى أن تكونَ سيئاتُه أكثر ممَّا هي، وعن الحسنِ كالقولين.

وروي عن الحسنِ أنَّه قال: ودَّ قومٌ يوم القيامة أنَّهم كانوا في الدُّنيا استكثروا من الذنوبِ، فقيل: مَن هم؟ قال: هم الذين قالَ الله تعالى فيهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾.

ويؤكِّد هذا القول حديثُ أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ** [٥٩٨/أ] **يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ**

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٩٧٢)، والطبراني في الكبير (١٢٩٣٥)، وفي الأوسط (٥٥٧٩) وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٧) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس، وهو منقطع.

ذُنُوبِهِ، وَتُنَحَّى عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيُقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ مُقِرٌّ لَا يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنَ الْكَبَائِرِ فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً» أخرجه مسلمٌ في صحيحه[1].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان: ٧١-٧٤].

قوله: ﴿ وَمَن تَابَ ﴾ ظاهرُ هذه التوبة أنَّها عن الذنوبِ المذكورةِ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: يعني: ممن لم يقتل ولم يزنِ، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ فإنِّي قد قدَّمتهم وفضَّلتهم على مَن قاتل نبيي واستحلَّ محارمي[2].

قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾:

قال ابنُ الأنباريِّ: معناه: مَن أرادَ التوبةَ وقصدَ حقيقتها، فينبغي له أن يريد اللهَ بها، ولا يخلط بها ما يفسدها، وهذا كما يقول الرجل: من تجر فإنَّه يتَّجر في البزِّ، ومن ناظرَ فإنَّه يناظرُ في النحو، أي: من أراد ذلك فينبغي أن يقصد هذا الفنَّ. قال: ويجوز أن يكون معنى هذه الآية: ومن تاب وعمل صالحًا؛ فإنَّ ثوابه وجزاءَه يعظمان له عند ربِّه، الذي أراد بتوبته، فلمَّا كان قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ يؤدِّي عن هذا المعنى،

---

(١) رواه أحمد (٣٥/ ٣١٣)، و مسلم (١٩٠)، والترمذي (٢٥٩٦).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٨).

كفى منه، وهذا كما يقول الرجل للرَّجل: إذا تكلَّمت فاعلم أنَّك تكلِّم الوزير، أي: تكلِّم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قولُه تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس٧١] أي: فإنِّي أتوكَّل على مَن ينصرني، ولا يسلِّمني.

وقال قومٌ معنى الآية: فإنَّه يرجع إلى الله مرجعًا يقبله منه.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الصنمُ، روى الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ الزورَ صنمٌ كان للمشركين.

والثاني: أنَّه الغناءُ، قاله محمَّدُ بنُ الحنفيَّة، ومكحول.

وروى ليثٌ عن مجاهدٍ قال: لا يسمعون الغناء[١].

والثالث: الشرك، قاله الضَّحاكُ، وأبو مالكٍ.

والرابع: لعب كان لهم في الجاهليَّةِ، قاله عكرمةُ.

والخامس: الكذبُ، قاله قتادةُ، وابنُ جريجٍ.

والسادس: شهادةُ الزُّورِ، قاله عليُّ بنُ أبي طلحةَ.

والسابع: أعياد المشركين، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

والثامن: مجالسُ الخنا، قاله عمرو بنُ قيسٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٢٢) من طريق ليث بن أبي سليم به.

وفي المراد ﴿بِٱللَّغۡوِ﴾ هاهنا خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: المعاصي، قاله الحسنُ.

والثاني: أذى المشركين إيَّاهم، قاله مجاهدٌ.

والثالث: الباطلُ، قاله قتادةُ.

والرابع: الشركُ، قاله الضَّحاكُ.

والخامس: إذا ذكروا النِّكاح كنُّوا عنه، قاله مجاهدٌ.

وقال محمَّدُ بنُ عليٍّ: إذا ذكروا الفروج كنُّوا عنها[1].

قوله: ﴿مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: مرُّوا حلماءَ، قاله ابنُ السائب.

والثاني: مرُّوا معرضين عنه، قاله مُقاتلٌ[2].

والثالث: أنَّ المعنى: إذا مرُّوا باللَّغو جاوزوه، قاله الفَرَّاءُ[3].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ أي: وعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ وهي القرآن، ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: لم يتغافلوا عنها، كأنَّهم صمٌّ لم يسمعوها، عمي لم يروها[4].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٦٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٤٢).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٧٤).

(٤) غريب القرآن (ص:٣١٥).

وقـال غـيرُه مـن أهـل اللُّغـة: لم يثبتـوا عـلى حالتهـم الأولى، كأنَّهـم لم يسـمعوا ولم يـروا، وإن لم يكونـوا خـرُّوا حقيقـة، تقـول العـرب: شـتمت فلانًـا، فقـام يبكـي، وقعـد ينـدب، وأقبـل يعتـذر، وظـلَّ يتحـيَّر، وإن لم يكـن قـام ولا [٥٩٨/ ب] قعـد.

قوله: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾:

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، ونافـعٌ، وابـنُ عامـر، وحفصٌ عـن عاصـمٍ: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ عـلى الجمعِ.

وقـرأ أبـو عمـرٍو، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، وأبو بكرٍ عـن عاصـمٍ: «وَذُرِّيَّـتِنَا» على التوحيـدِ(١).

﴿قُـرَّةَ أَعْيُنٍ﴾:

وقـرأ ابـنُ مسـعودٍ، وأبـو حيـوةَ: «قُـرَّاتَ أَعْـيُنٍ»(٢) يعنـون: مَـن يعمـل بطاعتـك فتقـرُّ بـه أعيننـا في الدُّنيـا والآخـرة.

وسـئل الحسـنُ عـن قولـه: ﴿قُـرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في الدُّنيـا أم في الآخـرةِ؟ قـال: لا بـل في الدُّنيـا، وأي شيءٍ أقـرُّ لعـينِ المؤمـن مـن أن يـرى زوجتَـه وولـده يطيعـون الله، والله مـا طلـب القـومُ إلَّا أن يطـاع الله فتقـر أعينهـم(٣).

---

(١) السبعة (ص:٤٦٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٧) عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأبي هريرة.

(٣) رواه ابن المبارك في البر والصلة، وسعيد بن منصور في تفسيره كما في فتح الباري (٨/ ٤٩١).

قال الفَرَّاءُ: إنَّما قال: ﴿قُرَّةَ﴾ لأنَّها فعلٌ، والفعل لا يكاد يجمعُ، ألا ترى إلى قولِه: ﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٤] فلم يجمعه، والقُرَّة مصدرٌ تقول: قرَّت عينُه قرَّة، ولو قيل: قرَّة عين أو قرات أعين كان صوابًا[1].

وقال غيرُه: أصلُ القُرَّة من البردِ، لأنَّ العربَ تتأذَّى بالحرِّ، وتستروح إلى البردِ.

قوله: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: اجعلنا أئمَّة يقتدى بنا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال غيرُه: هذا من الواحدِ الذي يرادُ به الجمع، كقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] وقوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧].

والثاني: اجعلنا مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم، قاله مجاهدٌ.

فعلى هذا يكون الكلامُ من المقلوبِ، فيكون المعنى: واجعلِ المتَّقين لنا إمامًا.

قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ۝٧٧﴾[الفرقان: ٧٥-٧٧].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني الجنَّة.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٧٤).

وقال غيرُه: الغرفةُ كلُّ بناءٍ عالٍ مرتفع، والمراد غرف الجنَّة، وهي من الزبرجد والدُّرِّ والياقوت، ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على دينهم وعلى أذى المشركين.

قوله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بفتح الياءِ وسكون اللام وتخفيفِ القافِ[1].

﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: يحيي بعْضُهُم بعْضًا بالسَّلامِ، ويرسل إليهم الربُّ ﷻ بالسلام[2].

وقال مُقاتلٌ: ﴿تَحِيَّةً﴾ يعني: السَّلام ﴿وَسَلَٰمًا﴾: أي: سلَّم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم[3].

قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾

فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ما يصنع بكم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص:٤٦٨)، والتيسير (ص:١٦٥) واختلف على عاصم، فروى حفص عنه ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾، وروى أبو بكر عنه «وَيَلْقَـوْن».

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٤٩) بلا نسبة.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٤٢).

والثاني: أيُّ وزنٍ يكون لكم عنده؛ تقول: ما عبأت بفلانٍ أي: ما كان له عندي وزنٌ ولا قدرٌ، قاله الزَّجَّاجُ(١).

والثالث: ما يعبأ بعذابكم، قاله ابنُ قُتيبةَ(٢).

وفي قوله: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لولا إيمانكم، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: لولا عبادتكم، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: لولا دعاؤه إيَّاكم لتعبدوه، قاله مجاهدٌ.

والمراد نفعُ الخلق، لأنَّ الله تعالى غيرُ محتاجٍ.

والرابع: لولا توحيدُكم، حكاه الزَّجَّاجُ(٣).

وعلى قولِ الأكثرين ليس في الآية إضمارٌ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: فيها إضمارٌ تقديرُه: ما يعبأ بعذابِكم لولا ما تدعونه من الشريكِ والولدِ، ويوضِّحُ ذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يعني العذاب، ومثله قول الشاعر[من السريع](٤):

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٨).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٧٨).

(٤) البيت للمهلهل بن ربيعة في الشعر والشعراء (١/ ٢٨٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص:٤٥٩)، وبلا نسبة في تأويل مشكل القرآن (ص:٢٤٦)، والمحكم والمحيط (٦/ ٤٨٥)، ولسان العرب (١٠/ ٢٠٩)، وتاج العروس (٢٦/ ٤٦).

مَــنْ شَــاءَ دَلَّى النَّفْــسَ فِي هُــوَّةٍ ضَنْــكٍ، ولَكِــنْ مَــنْ لَــهُ بِالمَضِيــقْ

أي: بالخـروج مـن المضيـق، وهـل هـذا خطـابٌ للمؤمنـين أو للكفَّـار؟ [٥٩٩/أ] فيـه قـولان.

فأمَّـا قولـه تعـالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فهـو خطـابٌ لأهـلِ مكَّـةَ حـين كذَّبـوا رسـولَ الله ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ يعنـي: تكذيبكـم ﴿لِزَامًا﴾ أي: عذابًـا لازمًـا لكـم، وفيـه ثلاثـةُ أقـوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه قتلهـم يـومَ بـدرٍ، فقتلـوا يومئـذٍ واتَّصل بهـم عـذابُ الآخرةِ لازمًـا لهـم، وهـذا مذهـبُ ابـنُ مسـعودٍ، وأُبيُّ بـنُ كعـبٍ، ومجاهـدٌ في آخرين.

والثاني: أنَّه الموتُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ اللزام القتال، قاله ابنُ زيدٍ.

سورة الشعراء

وهي مكيّةٌ كلُّها، إلَّا أربعَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة من قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء: ١-٩].

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «طَسم» بفتح الطَّاءِ وإدغامِ النُّونِ من هجاء سين عند الميمِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف، وأبانُ، والمفضلُ: «طسم»، و«طس» النمل بإمالة الطَّاء فيهما، وأظهر النون من هجاءِ سين عند الميمِ حمزةُ هاهنا وفي القصص[٢].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٥٧).

(٢) السبعة (ص:٤٧٠)، والتيسير (ص:١٦٥).

وفي معنى ﴿طسٓمٓ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها حروفٌ من كلماتٍ.

ثُمَّ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ما رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام قال: لَمَّا نزلت ﴿طسٓمٓ﴾ قال رسولُ الله ﷺ: «الطَّاءُ طُورِ سَيْنَاءَ، والسِّينُ الاسْكَنْدَرِيَّةِ، وَالْمِيمُ مَكَّةَ»[1].

والثاني: أنَّ الطاءَ طيبة، وسين بيت المقدس، وميم مكَّة، رواه الضَّحاكُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: الطَّاء شجرةُ طوبى، والسينُ سدرةُ المنتهى، والميم محمَّد ﷺ، قاله جعفرُ الصَّادق.

والثاني: أنَّه قسمٌ، أقسم الله به، وهو من أسماءِ الله تعالى، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقد بيَّنا كيف يكون مثل هذا من أسماءِ الله تعالى في فاتحةِ مريمَ.

وقال القرظيُّ: أقسم الله بطوله وسنائه وملكِهِ[2].

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٥٦) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن الحنفية، عن علي بن أبي طالب، به، بنحوه.

وعبدالله بن محمد بن عقيل الهاشمي، قد اختلف فيه الأئمة ما بين محتج به، وغير محتج به، وحاله لا يحتمل هذا التفرد، فحديثه منكر. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٤٨٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٥١٨) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمَّدِ بنِ كعبٍ ﴿طسٓمٓ﴾ قَالَ: «الطَّاءُ مِنَ الطَّوْلِ، وَالسِّينُ مِنَ الْقُدُّوسِ، وَالْمِيمُ مِنَ الرَّحْمَنِ».

والثالث: أنَّه اسمٌ للسورةِ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أنَّه اسمٌ من أسماءِ القرآنِ، قاله قتادةُ وأبو رَوقٍ.

وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[١] إلى قوله: ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، والمعنى: لعلَّك قاتل نفسكَ لتركهم الإيمان.

ثُمَّ أخبر أنَّه لو أرادَ أن ينزل عليهم ما يضطرُّهم إلى الإيمانِ، لفعل فقال: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾.

وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكِّل: «إِن يَشَأْ يُنَزِّلْ» بالياءِ فيهما[٢].

﴿عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ جعل الفعلَ أوَّلًا للأعناقِ، ثُمَّ جعلَ خاضعين للرِّجال، لأنَّ الأعناقَ إذا خضعت فأربابُها خاضعونَ.

وقيل: لمَّا وصف الأعناقَ بالخضوع وهو من صفاتِ بني آدمَ، أخرجَ الفعلَ مخرج الآدميين، كما بيَّنا في قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وهذا اختيارُ أبي عُبيدةَ[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: قوله: ﴿فَظَلَّتْ﴾ معناه: فتظلُّ، لأنَّ الجزاءَ يقعُ فيه لفظ الماضي في معنى المستقبلِ، كقولك: إن تأتني أكرمتك، معناه: أكرمْك، وإنَّما قال: ﴿خَاضِعِينَ﴾؛ لأنَّ خضوعَ الأعناقِ هو خضوع أصحابِها، وذلك أنَّ الخضوعَ لمَّا لم يكن إلَّا بخضوعِ الأعناقِ، جاز أن يخبر عن المضافِ إليه، [٥٩٩/ ب]

---

(١) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (١٥)، وتفسير سورة الكهف الآية رقم (٦).

(٢) قراءة أبي عمرو في رواية هارون عنه كما في الكامل (ص:٦١١)، والبحر المحيط (٨/ ١٤٠).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٣).

كما قال الشاعر [من الوافر][1]:

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ

فلـمَّا كانت السُّنون لا تكون إلا بِمَرٍّ، أخبر عن السنينَ، وإن كان أضاف إليها المُرُور قال: وجاء في التفسير أنَّه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤساءهم[2].

وجاء في اللُّغة: أنَّ أعناقهم جماعاتهم، يقال: جاءني عنق من النَّاسِ أي جماعة.

وما بعد هذا قد سبق تفسيرُه[3] إلى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: المكذِّبين بالبعث ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نباتٌ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: من كلِّ جنسٍ حَسَنٍ[4].

وقال الزَّجَّاجُ: الزَّوجُ النوع، والكريمُ المحمودُ[5].

---

(١) البيت لجرير في ديوانه (٢/ ٥٤٦)، ومجاز القرآن (١/ ٩٨)، وتفسير الطبري (٥/ ٦٥٨)، والدرر (١/ ١٣٥)، والكامل (٢/ ١٠٥)، وبلا نسبة في لسان العرب (٨/ ٧٣)، وتهذيب اللغة (١/ ١٠٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٢).

(٤) غريب القرآن (ص:٣١٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٣).

قولـه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنبـات ﴿لَآيَةً﴾ تـدلُّ عـلى وحدانيـةِ الله وقدرتـه، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مـا كان أكثرُهـم يؤمِـنُ في علـمِ الله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنتقـمُ مـن أعدائـه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائـه.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢)﴾[الشـعراء: ١٠-٢٢].

قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ﴾ المعنى: واتلُ هذه القصَّة على قومك.

قولـه: ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ يـاء ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ محذوفـةٌ، ومثلهـا ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشـعراء: ١٤] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الشـعراء: ٦٢] ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] ﴿يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشـعراء: ٧٩] ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشـعراء: ٨٠] ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشـعراء: ٨١] ﴿كَذَّبُونِ﴾ [الشـعراء: ١١٧] ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشـعراء: ١٠٨] فهـذه ثـمانُ آيـاتٍ أثبتهـنَّ في الحالـين يعقـوبُ[١].

---

(١) الكامل (ص:٦١١)، والمبسوط (١/ ١٢٧).

قولـه: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ أي: بتكذيبهـم إيَّـاي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ للعقـدة التـي كانـت بلسـانه.

وقرأ يعقوبُ: «وَيَضِيقَ»، «وَلاَ يَنطَلِقَ» بنصبِ القافِ فيهما[١].

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ وهـو القتيـلُ الـذي وكـزَهُ فقـضى عليـه، والمعنـى: ولهـم علـيَّ دعـوى ذنـب ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ بـه ﴿قَالَ كَلَّا﴾ وهـو ردعٌ وزجـرٌ عـن الإقامـةِ عـلى هـذا الظـنِّ، والمعنـى: لـن يقتلوك لأنِّي لا أسلِّطهم عليك، ﴿فَاذْهَبَا﴾ يعني: أنت وأخوك ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهـي مـا أعطاهمـا مـن المعجـزة، ﴿إِنَّا﴾ يعنـي: نفسـه ﷻ ﴿مَعَكُم﴾ فأجراهمـا مجـرى الجماعـةِ ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ نسـمع مـا تقـولان ومـا يجيبونكـما بـه.

قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: الرَّسـولُ يكـون بمعنـى الجميـعِ، كقولـه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ [الحجر: ٦٨] وقولـه: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥][٢].

وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّا رِسالةُ ربِّ العالمين، أي: ذوو رسالة ربِّ العالمين.

قال الشاعر [من الطويل][٣]:

---

(١) الكامل (ص:٦١١)، والمبسوط (١/ ٣٢٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٦).

(٣) البيت لكُثَيِّر عزَّة في ديوانه (ص:١١٠)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٤)، والمذكر والمؤنث (ص:٢٩١)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٩١)، وديوان الأدب (١/ ٣٩٥)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٤).

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسُوءٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

أي: برسالةٍ.

قوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ المعنى: بأَنْ ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أطلقهم من الاستعباد، فأتياه فبلغاه الرسالة فـ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ أي: صَبيًّا صغيرًا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، **وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: ثماني عشرة سنة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أربعون سنة، قاله ابنُ السائبِ.

والثالث: ثلاثون سنة، قاله مُقاتلٌ(١).

والمعنى: فجازيتنا على أن ربَّيناك أن كفرت نعمتنا وقتلت منَّا نفسًا، [٦٠٠/أ] وهو قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ وهي قتلُ النَّفسِ.

قال الفرَّاءُ: وإنَّما نصبت الفاء، لأنَّها مرَّة واحدة، ولو أُريد بها مثل الجلسة والمشية جاز كسرها(٢).

وفي قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **قولان:**

أحدهما: من الكافرين لنعمتي، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعطاء، والضَّحاكُ، وابنُ زيدٍ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٠).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٧٨).

والثـاني: مـن الكافريـن بإلهـك، كنـت معنـا عـلى ديننـا الـذي تعيـب، قاله الحسـنُ، والسُّـدِّيُّ، فعـلى الأوَّل وأنـت مـن الكافريـن الآن، وعلى الثـاني وكنت.

وفي قوله: ﴿وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: من الجاهلين، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

وقال بعضُ المفسِّرين: المعنى: إنِّي كنت جاهلًا لم يأتني من الله شيءٌ.

والثاني: من الخاطئين، والمعنى: إنِّي قتلتُ النَّفسَ خطأً، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالـث: مـن الناسـين، ومثلـه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقـرة: ٢٨٢]، قالـه أبـو عُبيـدةَ[1].

قولـه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: ذهبـتُ مـن بينكـم ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ عـلى نفـسي إلى مديـنَ.

وقـرأ عاصـمٌ الجحـدري، والضَّحـاكُ، وابـنُ يعمـرَ: «لِمـا» بكسـرِ الـلام وتخفيـفِ الميـمِ[2].

﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ **وفيه قولان**:

أحدهما: النبوَّة، قاله ابنُ السائبُ.

والثاني: العلمُ والفهمُ، قاله مُقاتلٌ[3].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٨٣).

(٢) رواية عن حمزة في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٧)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٠).

قولـه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ يعنـي: التربيـة ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: اتَّخذتهـم عبيـدًا، يقـال عبَّـدت فلانًـا وأعبدتُـه واسـتعبدته إذا اتَّخذتـه عبـدًا.

وفي ﴿أَنْ﴾ وجهان:

أحدهما: أن تكون في موضعٍ رفع على البدلِ من نعمة.

والثاني: أن تكـون في موضـع نصـبٍ بنـزع الخافـضِ تقديـره: لأن عبـدت أو لتعبيـدك.

واختلـف العلـماءُ في تفسـير الآيـة، ففسَّرهـا قـومٌ عـلى الإنـكارِ وقـومٌ عـلى الإقـرارِ، فمـن فسَّرهـا عـلى الإنـكارِ، قـال: معنـى الـكلام أو تلـك نعمـة؟ عـلى طريـقِ الاسـتفهام، ومثلـه ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعـام: ٧٦] وقولـه: ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبيـاء: ٣٤]، وأنشـدوا(١):

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وِقْفَتَهَا ... وَطَرْفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ

وَقَوْلُهَا وَالرِّكَابُ وَاقِفَةٌ ... تَتْرُكُنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وهذا قولُ جماعةٍ منهم، ثُمَّ لهم في معنى الكلامِ ووجهه أربعةُ أقوال:

أحدهـا: أنَّ فرعـون أخـذ أمـوالَ بنـي إسرائيـل، واسـتعبدهم وأنفـق عـلى موسـى منهـا، فأبطـل موسـى النِّعمـةَ، لأنَّهـا أموالُ بنـي إسرائيـل، قاله الحسـنُ.

والثـاني: أنَّ المعنـى: إنَّـك لـو كنـت لا تقتـل أبنـاء بنـي إسرائيـل، لكفلنـي أهـلي، وكانـت أمِّـي تسـتغني عـن قـذفي في اليـمِّ، فكأنَّـك تمـنُّ عـليَّ بـما كان

---

(١) البت لعمرو بن أبي ربيعة في تفسير الثعلبي (٢٠/ ٣٩)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٩٦).

بـلاؤك سـببًا لـه، وهـذا قـول المـبرِّدِ، والزَّجَّـاجِ، والأزهـري[١].

والثالـث: أنَّ المعنـى تمـنُّ عـليَّ بإحسـانك إليَّ خاصَّـة، وتنسـى إسـاءتك بتعبيـدك بنـي إسرائيـل، قالـه مُقاتـلٌ[٢].

والرابـع: أنَّ المعنـى كيـف تمـن عـليَّ بالتربيـةِ، وقد اسـتعبدت قومـي، ومن أهـين قومـه، فقـد ذلَّ، فقد حبط إحسـانك إليَّ بتعبيـدك قومي، حـكاه الثعلبيُّ[٣].

فأمَّـا مـن فسَّرهـا عـلى الإقـرارِ، فإنَّـه قـال: عدَّهـا موسـى نعمـة، حيـث ربَّـاه ولم يقتلـه، ولا اسـتعبده. فالمعنـى: هـي لعمـري نعمـة إذ ربيتنـي، ولم تسـتعبدني كاسـتعبادك بنـي إسرائيـل، فــ «أنْ» تـدلُّ عـلى المحـذوفِ، ومثلـه في الـكلامِ أن تـضرب بعـض عبيـدك وتـترك الآخـر، فيقـول المـتروكُ: هـذه نعمـةٌ [٦٠٠/ب] عـليَّ أن ضربـت فلانًـا، وتركتنـي، ثُـمَّ تحـذف وتركتنـي، لأنَّ المعنـى معـروفٌ، هـذا قـول الفـرَّاءُ.

قولـه تعـالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الشـعراء: ٢٣-٢٨].

قولـه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سـأله عـن ماهيَّـة مـن لا ماهيَّـة لـه، فأجابـه بـما يـدلُّ عليـه مـن مصنوعاتـه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٨٧)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٠).

(٣) الكشف والبيان (٧/ ١٦٢).

وفي قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه خلقَ السماواتِ والأرضَ.

والثاني: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أنَّ ما تعاينوه كما تعاينونه فكذلك، فأيقنوا أنَّه ربُّ السماواتِ والأرضِ.

﴿قَالَ﴾ يعني: فرعون لمن حوله من أشرافِ قومِهِ ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ معجبًا لهم.

فإنْ قيل: فأين جوابُهم؟

فالجواب: أنَّه أراد ألا تستمعون قولَ موسى؟ فردَّ موسى، لأنَّه المرادُ بالجواب، ثُمَّ زاد في البيانِ بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فأعرضَ فرعون عن جوابِهِ ونسبه إلى الجنونِ، فلم يحفل موسى بقولِ فرعون، واشتغل بتأكيد الحجَّة فـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: إن كنتم ذوي عقولٍ، لم يخف عليكم ما أقولُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ

﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ
حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا
هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ
مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الشعراء: ٢٩-٤٨].

قوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بأمرٍ ظاهرٍ تعرف به صدقي أتسجنني؟ وما بعد هذا مفسَّرٌ في الأعراف[1] إلى قوله: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يومُ الزينة، وكان عيدًا لهم، وقيل للنَّاس يعني: أهل مصر، وذهبُ ابنُ زيدٍ إلى أنَّ اجتماعهم كان بالاسكندريةِ.

قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ قال الأكثرون: أرادوا سحرة فرعون، فالمعنى: لعلَّنا نتبعهم على أمرِهم، وقال بعضُهم: أرادوا موسى وهارون، وإنَّما قالوا ذلك استهزاء.

وقال ابنُ جريرٍ: و«لَعَلَّ» هاهنا بمعنى «كَيْ»[2].

وقوله: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: بعظمَتِه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٤٩-٥١].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٠٧).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٥٦٧).

قوله: ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: اللَّام دخلت للتَّوكيد[١].

قوله: ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ أي: لا ضرر.

قال ابنُ قُتيبةَ: هو من ضَارَه يَضُوره ويَضِيره، بمعنى: ضَرَّه[٢].

والمعنى: لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدُّنيا، لأنَّا نَنقلبُ إلى ربِّنا في الآخرة مؤملين غفرانه.

قوله: ﴿ أَن كُنَّآ ﴾ أي: لأن كنَّا أوَّل المؤمنين بآيات موسى في هذه الحال.

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾[الشعراء: ٥٢-٥٩].

قوله: ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتَّبعكم فرعونُ وقومه.

قوله: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المعنى: وقال فرعونُ: إنَّ هؤلاءِ، يعني بني إسرائيل ﴿ لَشِرْذِمَةٌ ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: طائفة[٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٠).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٧).

(٣) غريب القرآن (ص:٣١٧).

قال الزَّجَّاجُ: والشِّرذمةُ في كلامِ العربِ القليل(١).

قال المفسِّرون: وكانوا ستمائة ألفٍ، وإنَّما استقلَّهم بالإضافة إلى جندِه، وكان جنده لا يُحصى.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ تقول: غاظني الشيءُ إذا أغضبك.

قال ابنُ جريرٍ: وذكر أنَّ غيظهم كان لقتلِ الملائكةِ من قتلت من أبكارهم، قال: ويحتملُ أنَّ غيظهم لذهابِهم بالعَوَارِي التي اسْتَعَارُوهَا من حليهم، ويحتمل أن يكون لفراقِهم إيَّاهم وخروجِهم من أرضِهم على كرهٍ منهم(٢).

قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «حذرون» بغيرِ ألفٍ.

وقرأ الباقون: ﴿ حَٰذِرُونَ ﴾ بألفٍ(٣).

وهل بينهما فرق؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ الحاذر المستعد، والحذر: المتيقِّظ، وجاء في التَّفسير: أنَّ معنى حاذرين مؤدون، أي: ذوو أداةٍ، وهي السلاحُ، لأنَّها أداةُ الحرب. [٦٠١/أ]

والثاني: أنَّهما لغتان معناهما واحدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩١).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٧٦).

(٣) السبعة (ص:٤٧١)، والتيسير (ص: ١٦٥).

قال أبو عُبيدةَ: يقال: رجُلٌ حَذِرٌ وَحَذُرٌ وَحَاذِرٌ[١].

والمقام الكريم: المنزلُ الحسنُ.

وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قولان:

أحدهما: كذلك أفعل بمن عصاني، قاله ابنُ السائبِ.

والثاني: الأمر كذلك، أي: كما وصفنا، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى ردَّهم إلى مصرَ بعد غرقِ فرعون، وأعطاهم ما كان لفرعون وقومِهِ من المساكنِ والأموالِ.

وقال ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ: إنَّما جعل ديار آلِ فرعون مِلكًا لبني إسرائيلَ، ولم يرددهم إليها، لكنَّه جعل مساكنهم الشام[٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٨].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٥٧٨).

قوله: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ[١]: لحِقوهم، ﴿مُّشْرِقِينَ ﴾ أي: حين شرقت الشمس، أي: طلعت، يقال: أشرقنا: دخلنا في الشروق، كما يقال: أمسينا وأصبحنا.

وقرأ الحسنُ، وأيوبُ السّختياني: «فَاتَّبَعُوهُم» بالتَّشديد[٢].

قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾:

وقرأ أبو رجاء، والنَّخعيُّ، والأعمشُ: «تَـرِاأى» بكسرِ الـرَّاءِ وفتح الهمزةِ[٣]، أي: تقابلا بحيث يرى كلُّ فريقٍ صاحبه.

قوله: ﴿ قَالَ كَلَّآ ﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ أي: سيدلُّني على طريقِ النَّجاةِ.

قوله: ﴿فَٱنفَلَقَ ﴾ فيه إضمارٌ «فضرب فانفلق»، أي: انشقَّ الماءُ اثني عشر طريقًا، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾ أي: كلّ جزءٍ انفرقَ منه.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وعاصمٌ الجحدري: «كُلُّ فِلْقٍ» باللَّام[٤].

﴿كَٱلطَّوْدِ ﴾ وهو الجبلُ.

---

(١) غريب القرآن (ص:٣١٧).

(٢) «فَاتَّبَعُوهُم» بالتشديد، وألف الوصل، عن الحسن، والذماري في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨)، وفي التحصيل (٥/ ٥٧)، عن الحسن، وعمرو بن ميمون.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) خلاد عن الكسائي، وانظر: البحر المحيط (٨/ ١٥٩).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) حكاه يعقوب، عن بعضهم.

قولـه: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ أي: قرَّبنـا الآخريـن مـن الغـرقِ، وهـم أصحـابُ فرعـون.

وقال أبو عُبيدةَ: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ أي: جمعنا(١).

قـال الزَّجَّـاجُ: وكِلَا القولـينِ حسـنٌ، لأنَّ جمعهـم تقريـبُ بَعْضِهـم مـن بَعْـضٍ، وأصـلُ الزُّلْفَـى في كلامِ العـربِ القُرْبَـى(٢).

وقـرأ ابـنُ مسـعودٍ، وأُبيُّ بـنُ كعـبٍ، وأبـو رجـاء، والضَّحـاكُ، وابـنُ يعمـرَ: «وأَزْلَقْنَـا» بقـافٍ، وكذلـك قـرأوا: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ [الشـعراء ٩٠] بقـافٍ أيضًـا(٣).

قولـه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يعنـي: في إهـلاكِ فرعـون وقومِـه عـبرةٌ لمـن بعدهـم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكـن أكثـر أهـل مـصرَ مؤمنـينَ، إنَّـما آمنـت آسـيةُ، وخربيـلُ مؤمـن آل فرعـون، وفَنَّـةُ الماشـطة، ومريـمُ امـرأةٌ دلَّـت موسـى عـلى عظـامِ يوسـفَ، هـذا قـولُ مُقاتـلٌ(٤).

ومـا أخللنـا بـه مـن تفسـير كلـمات في قصَّـةِ موسـى، فقـد سـبق بيانُهـا، وكذلـك مـا يفقـد ذكـرُه في مـكانٍ، فهـو إمَّـا أن يكـون قـد سـبقَ، وإمَّـا أن يكـون ظاهـرًا، فتنبَّـه لهـذا.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٨٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٣).

(٣) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ١٠٨) عـن أُبي بـن كعـب، وابـن عبـاس، وفي التحصيـل (٥/ ٥٧) عـن عبـد الله بـن الحـارث.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٣).

قولـه تعـالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشـعراء: ٦٩-٨٢].

قوله: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ والمعنى: هل يسمعونَ دعاءكم.

وقـرأ سـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، وابـنُ يعمـر، وعاصـمٌ الجحـدري: «هَـلْ يُسْـمِعُونَكُمْ» بضـمِّ اليـاءِ وكـسرِ الميـم[١].

﴿ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ قـال الزَّجَّـاجُ: إن شـئت بيَّنْـتَ الـذَّال، وإن شـئت أدغمتَهـا في التَّـاء، وهـو أجـود في العربيَّـة لقـربِ الـذَّال مـن التـاءِ[٢].

قولـه: ﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ ﴾ أي: إن عبدتموهـم ﴿ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ إن لم تعبدوهـم؟ فأخـبروا عـن تقليـد آبائهـم.

قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ لفظه لفظ الواحدِ والمراد به الجميعُ، فالمعنى: فإنَّهم أعداءٌ لي.

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٠٨) عـن قتـادة، ويحيـى بـن يعمـر، وفي التحصيـل (٥/ ٥٧) عـن قتـادة وحـده.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٣).

والثاني: أنَّ كلَّ معبودٍ لكم عدوٌّ لي. [٦٠١/ب]

فإن قيل: ما وجه وصف الجمادِ بالعدواةِ؟

فالجوابُ من وجهين:

أحدهما: أنَّ معناه: فإنَّهم عدوٌّ لي يوم القيامةِ إن عبدتهم.

والثاني: أنَّه من المقلوبِ؛ والمعنى: فإنِّي عدوٌّ لهم، لأنَّ مَن عاديته عاداك، قاله ابنُ قُتيبةَ(١).

وفي قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه استثناءٌ من الجنسِ، لأنَّه علِم أنَّهم كانوا يعبدونَ الله مع آلهتهم، قاله ابنُ زيدٍ.

والثاني: أنَّه من غير الجنسِ، والمعنى: لكن رب العالمين ليس كذلك، قاله أكثرُ النحويين.

قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: إلى الرُّشد، لا ما تعبدون، ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ أي: هو رازقي الطَّعامِ والشراب.

فإن قيل: لِمَ قال: مرضت، ولم يقل: أمرضني؟

فالجواب: أنَّه أراد الثَّناء على ربِّه، فأضاف إليه الخيرَ المحضَ، لأنَّه لو قال: أمرضني لعد قومَه ذلك عيبًا، فاستعمل حسنَ الأدبِ، ونظيره قصَّة الخضرِ حين قال في العيب: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ [الكهف ٧٩]، وفي الخيرِ المحضِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف ٨٢].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:١٢٢).

فإن قيل: فهذا يردُّه قوله: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ﴾.

فالجواب: أنَّ القومَ كانوا لا ينكرون الموتَ، وإنَّما يجعلون له سببًا سوى تقدير الله ﷻ، فأضافه إبراهيمُ إلى الله ﷻ، وقوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ يعني للبعث: وهو أمرٌ لا يقرُّون به، وإنَّما قاله استدلالًا عليهم، والمعنى: أنَّ ما وافقتموني عليه موجبٌ لصحَّة قولي فيما خالفتموني فيه.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى ﴾ يعني: ما يجري على مثلي من الزَّلل، والمفسِّرون يقولون: إنَّما عنى الكلمات الثَّلاث التي ذكرناها في الأنبياء[1].

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يعني: يومَ الحشرِ والحسابِ، وهذا احتجاجٌ على قومه أنَّه لا تصلحُ الإلهيَّة إلَّا لمن فعل هذه الأفعال.

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء: ٨٣-٨٩].

قوله: ﴿ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: النبوَّةُ، قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: اللُّبُّ، قاله عكرمةُ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٦٣).

والثالث: الفهمُ والعلمُ، قاله مُقاتلٌ[١].

وقد بيَّنا قولَه: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في سورة يوسفَ[٢]، وبيَّنا معنى ﴿لِسَانَ صِدۡقٖ﴾ في مريمَ[٣]، والمرادُ بالآخرين: الذين يأتون بعدَه إلى يوم القيامةِ.

قوله: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾ قال الحسنُ: بلغني أنَّ أمَّهُ كانت مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكرها.

فإن قيل: فقد قال: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [إبراهيم ٤١].

قيل: أكثر الذِّكر إنَّما جرى لأبيه، فيجوز أن يسألَ الغفرانَ لأمِّه، وهي مؤمنةٌ، فأمَّا أبوه فلا شكَّ في كفرِهِ، وقد بيَّنا سبب استغفارِهِ لأبيه في براءة[٤]، وذكرنا معنى الخزي في آل عمرانَ[٥].

قوله: ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ يعني: الخلائق.

قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ **فيه ستَّةُ أقوالٍ**:

أحدها: سليمٌ من الشِّركِ، قاله الحسنُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: سليمٌ من الشكِّ، قاله مجاهدٌ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٦٩).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (١٠١).

(٣) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (٥٠).

(٤) انظر: تفسير سورة براءة الآية رقم (١١٣).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٩٢).

والثالث: سليمٌ، أي: صحيحٌ، وهو قلبُ المؤمن، لأنَّ قلبَ الكافر والمنافق مريضٌ، قاله سعيدُ بنُ المسيب.

والرابع: أنَّ السليمَ في اللُّغة: اللَّديغُ، فالمعنى: كاللَّديغِ من خوفِ الله تعالى، قاله الجنيدُ.

والخامس: سليمٌ من آفاتِ المالِ والبنين، قاله الحسينُ بنُ الفضلِ.

والسادس: سليمٌ من البدعةِ، مطمئنٌ على السنة، حكاه الثعلبيُّ(١).

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء: ٩٠-١٠٤].

قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت إليهم حتَّى نظروا إليها، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أي: أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ وهم الضالُّون، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ على [٦٠٢/أ]
وجه التَّوبيخ ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ أي: يمنعونكم من العذابِ، أو يمتنعون منه.

قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا﴾:

(١) الكشف والبيان (٧/ ١٧١).

قال السُّدِّيُّ: هم المشركون(١).

قال ابنُ قُتيبةَ: ألقوا على رؤوسِهم، وأصلُ الحرف «كُبِّبُوا» من قولك: كَبَبتُ الإِنَاء، فأبدل من الباءِ الوسطى كافًا، استثقالًا لاجتماعِ ثلاثِ باءاتٍ، كما قالوا: «كُمْكِمُوا» من «الكُمَّةِ» والأصلُ: «كُمِّمُوا»(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: معناه: طُرِحَ بعضُهم على بعضٍ، وحقيقةُ ذلك في اللُّغة تكرير الانكباب، كأنَّه أُلقِيَ يَنْكَبُّ مرَّةً بعد مرَّةٍ حتَّى يسْتَقِرَّ فيها(٣).

وفي الغاوين ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: المشركون، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الشياطينُ، قاله قتادةُ، ومُقاتلٌ(٤).

والثالث: الآلهةُ، قاله السُّدِّيُّ.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه من الجنِّ والإنس، ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني: هم وآلهتهم، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا﴾:

قال الفرَّاءُ: لقد كُنَّا.

وقال الزَّجَّاجُ: ما كُنَّا إلَّا في ضلالٍ(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٧٤٩) من طريق سفيان، به، بلفظ: «مُشْرِكُوا الْعَرَبِ».

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٤).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٤).

قوله: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم ﴾ أي: نعدلكم بالله في العبادةِ.

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: الشياطينُ.

والثاني: أولوهم الذين اقتدوا بهم.

قال عكرمةُ: إبليسُ، وابن آدم القاتل(١).

قوله: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ هذا قولهم إذا شفع الأنبياء، والملائكة، والمؤمنون.

وروى جابرُ بنُ عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلَانٌ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْحَمِيمِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»(٢).

والحميم: القريب الذي تودُّه ويودُّك، والمعنى: ما لنا من ذي قرابةٍ يهمُّه أمرنا، ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي: رجعة إلى الدُّنيا ﴿ فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ لتحلَّ لنا الشفاعةُ كما حلَّت للموحِّدين.

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾[الشعراء: ١٠٥-١١٠].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٩٩) من طريق ابن جريج، به.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٧٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣٥٧) من طريق الوليد بن مسلم، عن من سمع أبا الزبير، عن جابر، به، بنحوه. وهو منقطع لجهالة شيخ الوليد بن مسلم.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: القوم مذكرون؛ والمعنى: كذبت جماعة قوم نوح(١).

قولـه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ كانـت الأخـوَّة مـن جهـة النَّسب بينهـم لا مـن جهـةِ الدِّيـن، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عـذابَ الله بتوحيـدِه وطاعتِـه، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عـلى الرسـالة فيـما بينـي وبـين ربِّكـم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على الدُّعاء إلى التوحيدِ.

قولـه تعـالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)﴾ [الشـعراء: ١١١- ١١٦].

قوله: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾:

وقرأ يعقوبُ: «وأَتْبَاعُكَ الأرذلون»(٢).

وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الحاكة، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: الحاكة والأساكفة، قاله عكرمةُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٥).

(٢) في التحصيل (٥/ ٧٣) عن ابن مسعود، والضحاك، ويعقوب الحضرمي، وزاد في المحرر (٤/ ٢٣٧) ابن السَّمَيْفَع، واليماني، وسعيد بن أسعد الأنصاري، وزاد في البحر المحيط (٨/ ١٧٦) الأعمش، وأبا حيوة، وطلحة.

والثالث: المساكينُ الذين ليس لهم مالٌ ولا عزٌّ، قاله عطاءُ.

وهذا جهلٌ منهم؛ لأنَّ الصناعات لا تضرُّ في باب الديانات.

قوله: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لم أعلم أعمالهم وصنائعهم، ولم أكلف ذلك، إنَّما كلِّفت أن أدعوهم، ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ فيما يعملون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ بذلك ما عبتموهم في صنائعهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما أنَّا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنَّهم الأرذلون.

وفي قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: من المشتومين، قاله الضَّحاكُ.

والثاني: من المضروبين بالحجارةِ، قاله قتادةُ.

والثالث: من المقتولين بالرَّجم، قاله مُقَاتِلٌ(١). [٦٠٢/ب]

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء: ١١٧-١٢٢].

قوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: اقضِ بيني وبينهم قضاء، يعني: بالعذاب ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ﴾ من ذلك العذابِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٢).

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ قد تقدَّم بيانُه، و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوءُ، يقال: شحنت الإناءَ، إذا ملأته، وكانت سفينةُ نوح قد ملئت من الناسِ، والطير، والحيوان كله، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد نجاةِ نوح ومن معه ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾[الشعراء: ١٢٣-١٣٥].

قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾.

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وأبو حيوةَ، وابنُ أبي عبلة: «بِكُلِّ رَيعٍ» بفتح الرَّاء[1].

قال الفَرَّاءُ: هما لغتان[2].

ثُمَّ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه المكانُ المرتفعُ، روى ابنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ قال: بكلِّ شَرَفٍ[3].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) عن الكسائي.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٨١).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٦٠٧)، وابن أبي حاتم (١٥٧٩٨) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قال الزَّجَّاجُ: هو في اللُّغة: الموضعُ المرتفعُ من الأرضِ[١].

والثَّاني: أنَّه الطَّريقُ، رواه الضَّحاك، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ.

والثالث: الفجُّ بين الجبلين، قاله مجاهدٌ.

والآية: العلامةُ.

وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه أراد: تبنون ما لا تسكنون، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ، والمعنى: أنَّه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثًا.

والثاني: بروج الحمام، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ.

والثالث: أنَّهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة، ليشرفوا على المارَّة، فيسخروا منهم، ويعبثوا بهم، وهو معنى قول الضَّحاك.

قوله: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: قصورٌ مشيدةٌ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: مصانع الماء تحت الأرضِ، قاله قتادةُ.

والثالث: بروج الحمام، قاله السُّدِّيُّ.

وفي قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ **قولان:**

أحدهما: كأنَّكم تخلدون، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأبو مالكٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٦).

والثاني: كيما تخلدوا، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ[١].

وقرأ عكرمةُ، والنَّخعيُّ، وقتادةُ، وابنُ يعمر: «تُخْلَدُونَ» برفعِ التَّاء وتسكين الخاءِ وفتح اللام مخفَّفة[٢].

وقرأ عاصمٌ الجحدري، وأبو حصين: «تَخَلَّدُونَ» بفتح الخاءِ وتشديد اللامِ[٣].

قوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ المعنى: إذا ضربتم ضربتم بالسياطِ ضرب الجبَّارين، وإذا عاقبتم قتلتم، وإنَّما أنكر عليهم ذلك، لأنَّه صدر عن ظلمٍ، إذ لو ضربوا بالسيف أو بالسوط في حقٍّ ما لِيموا.

وفي قوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قولان:

أحدهما: ما عذِّبوا به في الدُّنيا.

والثاني: عذابُ جهنَّم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[الشعراء: ١٣٦-١٤٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٨١)، وغريب القرآن (ص:٣١٩).

(٢) مبنيًّا للمفعول عن قتادة في التحصيل (٥/ ٧٣)، والمحرر (٤/ ٢٣٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٩).

(٣) مبنيًّا للمفعول في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٨) عن أبي العالية، وفي المحرر (٤/ ٢٣٨) أُبيٌّ، وعلقمة.

قولـه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، وأبـو عمـرٍو، والكسـائيُّ: «خَلْـقُ» بفتـح الخـاءِ وتسـكين الـلامِ[١].

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: أرادوا اختلافهـم وكذبهـم، يقـال: خَلَقْـتُ الحديـثَ واخْتَلَقْتُـهُ؛ أي: افْتَعَلْتُـهُ[٢].

قال الفَرَّاءُ: والعربُ تقول للخرافات: أحاديث الْخَلْق[٣].

وقـرأ عاصـمٌ، وأبـو عمـرٍو، وحمـزةُ، وخلـفٌ، ونافـعٌ، وابـنُ عامـر: ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بضـمِّ الخـاءِ والـلامِ.

وقـرأ ابـنُ عبَّـاسٍ، وعكرمـةُ، وعاصـمٌ الجحـدري: «خُلْـقُ» برفـع الخـاء وتسـكين الـلام[٤]؛ والمعنـى: عادتهـم وشـأنهم.

قـال قتـادةُ: قالـوا لـه: هكـذا كان النـاسُ يعيشـون مـا عاشـوا ثـمَّ يموتـون، ولا بعـثَ لهـم ولا حسـاب[٥].

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: على ما نفعله في الدُّنيا.

---

(١) السبعة (ص:٤٧٢)، والتيسير (ص:١٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٨١).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٩)، والتحصيل (٥/ ٧٣) عن أبي قلابة، ورواها ابن جبير عن أصحاب نافع، عن نافع.

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٦٢)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٧/ ٦١٥) من طريق معمر، به، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٨٣٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

قولــه تعــالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشــعراء: ١٤٦-١٥٢].

قولــه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ أي: فيــما أعطاكــم الله في الدُّنيــا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من المــوتِ والعــذابِ.

قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطلع: الثمرُ.

وفي الهضيم سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الذي قد أينع وبلغ، رواه العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ. [٦٠٣/أ]

والثاني: أنَّه الذي يتهشَّم تهشُّمًا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه الذي ليس [له](١) نوى، قاله الحسنُ.

والرابع: أنَّه المذنَّب من الرُّطَبِ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: اللِّين، قاله قتادةُ، والفَرَّاءُ(٢).

والسادس: أنَّه الحملُ الكثيرُ، الذي يركب بعضه بعضًا، قاله الضَّحاكُ.

والســابع: أنَّــه الطلــعُ قبــل أنْ ينشــقَّ عنــه القشــرُ وينفتــح، يريد أنَّــه منضمٌ مكتنزٌ، ومنــه قيل: رجل أهضــم الكشــحين، إذا كان منضمهما، قاله ابــنُ قُتيبةَ(٣).

---

(١) زيادة من (س).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٣) غريب القرآن (ص:٣١٩).

قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «فَرِهِينَ».

وقرأ الباقون: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ بألفٍ[١].

قال ابنُ قُتيبةَ: فرهين أَشِرين بَطِرين، ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء أي: فرحين، والفرح قد يكون السرور، وقد يكون الأشر، ومنه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] أي: الأشرين، ومن قرأ: «فَارِهِينَ» فهي لغةٌ أخرى، يقال: فرِه وفارِه كما يقال: فرِح وفارِح، ويقال: «فَارِهِينَ» أي حاذقين[٢].

قال عكرمةُ: حاذقين بنحتها.

قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني المشركين.

وقال مُقاتلٌ: هم التسعة الذين عقروا الناقة[٣].

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

(١) السبعة (ص:٤٧٢)، والحجة (٥/ ٣٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣١٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٥).

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٦٤].

قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي ممن له سَحْر، والسَحْرُ الرِّئةُ، والمعنى: أنت بشرٌ مِثْلُنا، وجائز أن يكون من المفَعَّلِينَ من السِّحر، والمعنى: ممن قد سُحِرَ مَرَّة بعد مَرَّة(١).

قوله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ أي: حظ من الماء.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لها شربٌ معروفٌ، لا تحضروه معها، ولكم شربٌ، لا تحضر معكم، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقتسموه، وإذا كان يومها شربت الماء كله.

وقال قتادةُ: كانت إذا كان يوم شربها شربت ماءهم أوَّل النهارِ وسقتهم اللَّبن آخر النَّهار(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وابن أبي عبلةَ: «لَهَا شُرْبٌ» بضمِّ الشينِ(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٠).

(٣) في المحرر (٤/ ٢٤٠) عن ابن أبي عبلة.

قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ندموا حين رأوا العذابَ على عقرها، وعذابُهم كان بالصَّيحة.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٧٥].

قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾، وهو جمعُ ذكرٍ ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: من بني آدم ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾.

قال الزَّجَّاجُ: وقرأ ابنُ مسعودٍ: «مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم» يعني به الفُرُوج[١].

وقال مجاهدٌ: تَرَكْتُمْ أَقْبَالَ النِّسَاءِ إلى أدْبَارِ الرِّجالِ[٢].

قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: ظالمون معتدون ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ أي: لئن لم تسكت عن نهينا، لتكونَنَّ من المخرجين من بلدنا، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ يعني: إتيانَ الرِّجال من القالين.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٩).

(٢) عن مجاهد في تفسيره (ص:٥١٣)، ورواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم (١٥٨٨٦) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي من المُبْغِضين. يقال: قَلَيْتُ الرجلَ: إذا أبغضته[١].

قوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عقوبةِ عملهم.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ وقد ذكرناهم في هود[٢] ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأته ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي الباقين في العذابِ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ أهلكناهم بالخسفِ والحصبِ، وهو قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني: الحجارة.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٠].

قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أَصْحَابُ لَيْكَةَ» هاهنا، وفي «ص»[٣] بغير همزٍ والتاءُ مفتوحةٌ.

وقرأ الباقون: ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ بالهمزِ فيهما والألف[٤].

وقد سبق هذا الحرفُ[٥]. [٦٠٣/ب]

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ إنْ قيل: لِمَ لم يقل: «أخوهم» كما قال في الأعراف؟

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٢٠).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٨٠).

(٣) انظر: تفسير سورة ص الآية رقم (١٣).

(٤) السبعة (ص:٤٧٣)، والمبسوط (ص:٢٦١).

(٥) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٧٨).

فالجوابُ: أَنَّ شعيبًا لم يكن من نسلِ أصحابِ الأيكةِ، فلذلك لم يقل: «أخوهم»، وإنَّما أرسل إليهم بعد أَنْ أرسلَ إلى مدين، وهو من نسلِ مدين، فلذلك قال هناك: «أخوهم»، هذا قول مُقَاتِل بنُ سليمانَ[1].

وقد ذكرنا في سورة هود[2] عن محمَّدِ بنِ كعبٍ القرظي، أنَّ أهلَ مدين عذبوا بعذاب الظُّلَّة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكةِ كما زعم مُقاتلٌ، فقد تساووا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحابُ الأيكة، وهو مذهب ابن جريرِ الطَّبري، كان حذف ذكر الأخ تخفيفًا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾[الشعراء: ١٨١-١٨٤].

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيلِ، يقال: أخسرت الكيلَ والوزنَ: إذا نقصته، وقد ذكرنا القسطاس في بني إسرائيل[3].

قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ أي: وخلق الجبلة.

وقيل: المعنى: واذكروا ما نزل بالجبلَّة ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

وقرأ الحسنُ، وأبو مجلزٍ، وأبو رجاء، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَٱلْجُبُلَّةَ» برفع الجيمِ والباء جميعًا مشدَّدة اللام[4].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧٨).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٩٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٣٥).

(٤) في المحتسب (٢/ ١٣٢)، ومختصر ابن خالويه (ص:١٠٩)، والمحرر (٤/ ٢٤٢) عن=

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلميُّ، والضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري: بكسرِ الجيم وتسكين الباءِ وتخفيف اللامِ[١].

قال ابنُ قُتيبةَ: الجبلة: الخَلْق يقال: جُبِلَ فلان على كذا، أي خلق.

قال الشاعر [من الكامل][٢]:

وَالْمَوْتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الجِبِلَّةِ

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٩١].

قوله: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: قطعةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وكِسَفٌ جمع كِسْفَة كما يقال: قِطَعٌ وقِطْعَةٌ[٣].

=الحسن، وأبي حصين، وفي التحصيل (٥/ ٧٣) عن الحسن باختلاف عنه، وزاد في البحر المحيط (٨/ ١٨٧) الأعمش.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) بلا نسبة في غريب القرآن (ص:٣٢٠)، والمحرر (٤/ ٢٤٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٧٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٢٠).

قولـه : ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ أي: مـن نقصـان الكيـلِ والميـزانِ، والمعنـى: إنَّـه يجازيكـم إن شـاءَ، وليـس عذابكـم بيـدي.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ ﴾ قـال المفسِّرون: بعـثَ الله عليهـم حـرًّا شـديدًا فأخـذ بأنفاسـهم، فخرجـوا مـن البيـوت هربًـا إلى البريـةِ، فبعـث الله عليهـم سـحابةً أظلَّتهـم مـن الشـمسِ، فوجـدوا لهـا بـردًا ونـادى بعضُهـم بعضًـا، حتَّـى إذا اجتمعـوا تحتهـا، أرسـلَ الله عليهـم نـارًا، فـكان ذلـك مـن أعظـمِ العـذابِ. والظلَّـة: السـحابةُ التـي أظلَّتهـم.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الشـعراء: ١٩٢-١٩٩].

قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ يعني: القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾.

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وحفـصٌ عـن عاصـمٍ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ﴾ خفيفًـا ﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ بالرفـعِ.

وقـرأ أبـنُ عامـر، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، وأبـو بكـرٍ، عـن عاصـمٍ: «نَـزَّلَ» مشـدَّدة الـزاي، «ٱلـرُّوحَ ٱلۡأَمِـينَ» بالنصـب، والمـراد بالـرُّوح الأمـين جبريل(١)، وهـو أمـينٌ عـلى وحـي الله تعـالى إلى أنبيائـه.

﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾.

(١) السبعة (ص:٤٧٣)، والحجة (٥/ ٣٦٨).

قال الزَّجَّاجُ: معناه: نزَّل عليك فوعاه قلبك، فثبَّت فَلَا تنساه أبدًا[(١)].

قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: ممن أنذر بآياتِ الله المكذبين، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: بلسان قريش ليفهموا ما فيه[(٢)].

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

وقرأ الأعمشُ: «زُبْرِ» بتسكين الباءِ[(٣)]، **وفي هاء الكنايةِ قولان:**

أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى القرآنِ، والمعنى: وإنَّ ذكرَ القرآنِ وخبره، هذا قولُ الأكثرين.

والثاني: أنَّها تعودُ إلى رسولِ الله ﷺ، قاله مُقاتلٌ[(٤)].

والزُّبُر: الكتب.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: [٦٠٤/أ] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ بالياء ﴿ءَايَةً﴾ بالنصب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٦١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، به، بلفظ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَلِسَانِ خُزَاعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّارَ وَاحِدَةٌ».

(٣) في إعراب القرآن (٣/ ١٣١)، والمحرر (٤/ ٢٤٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٨٩) عن الأعمش.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٠).

وقرأ ابنُ عامر، وابنُ أبي عبلةَ: «تَكُنْ» بالتاء «آيَةٌ» بالرَّفعِ(١).

وقرأ أبو عمران الجوني، وقتادةُ: «تَكُنْ» بالتاء «آيَةً» بالنصب(٢).

قال الزَّجَّاجُ: إذا قلت: «يَكُن» بالياء، فالاختيار نصب «آيَةً»، ويكون «أنْ» اسم كان ويكون «آيَةً» خبرُ كان، المعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أنَّ النَّبيَّ ﷺ حقٌّ، وأنَّ نبوَّته حقٌّ، ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة موضِّحةً؛ لأنَّ العلماءَ الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذكرَ النَّبيِّ ﷺ مكتوبًا عندهم في التوراةِ والإنجيلِ.

ومن قرأ: «أَوَ لَمْ تَكُنْ» بالتاء «آيَةٌ» جعل «آيَةٌ» هي الاسمُ، وأَنْ يعلمه خبر تكن، ويجوز أيضًا «أَوَ لَمْ تَكُنْ» بالتَّاء «آيَةً» بالنصب كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾(٣) [الأنعام: ٢٣].

وقرأ الشَّعبيُّ، والضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري: «أن تعلمه» بالتاءِ(٤).

قال ابنُ عبَّاسٍ: بعث أهل مكَّةَ إلى اليهودِ وهم بالمدينةِ، يسألونهم عن محمَّدٍ ﷺ، فقالوا: إنَّ هذا لزمانه، وإنَّا لنجدُ في التوراةِ صفته، فكان ذلك آية لهم على صدقِه(٥).

---

(١) السبعة (ص:٤٧٣)، والمبسوط (ص:٣٢٨).

(٢) الحجة في القراءات السبع (١/ ٢٦٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠١).

(٤) في التحصيل (٥/ ٧٤) عن عاصم الجحدري.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١٤/ ٦٤٤)، وابن أبي حاتم (١٥٩٥٩) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، به.

قوله: ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم الذي لا يفصح، وكذلك الأعجميُّ، فأمَّا العَجَميُّ فالذي من جنس العَجَم، أفْصَحَ أو لم يُفْصِحْ[1].

قوله: ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لو قرأهُ عليهم أعجميٌّ، لقالوا: لا نفقه هذا، فلم يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾[الشعراء: ٢٠٠-٢٠٩].

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ﴾ قد شرحناه في الحجر[2]، والمجرمون هاهنا المشركون.

قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾:

قال الفَرَّاءُ: المعنى: كي لا يؤمنوا[3].

فأمَّا العذابُ الأليمُ فهو عند الموتِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (١٢).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٨٣).

﴿ فَيَقُولُواْ ﴾ عند نزول العذابِ: ﴿ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ أي: مؤخَّرون لنؤمن ونصدق.

قال مُقاتلٌ: فلمَّا أوعدهم رسول الله ﷺ بالعذابِ. قالوا: فمتى هو؟ تكذيبًا به، فقال الله تعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾[1].

قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴾:

قال عكرمةُ: عمر الدُّنيا[2].

قوله: ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ أي: من العذابِ ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ بالعذابِ في الدُّنيا ﴿ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ يعني: رسلًا تنذرهم العذاب ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ أي: موعظةً وتذكيرًا.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾[الشعراء: ٢١٠-٢١١].

قوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ سببُ نزولها: أنَّ قريشًا قالت: إنَّما تجيء بالقرآنِ الشياطينُ، فتلقيه على لسانِ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ[3].

قوله: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾ أي: أنْ ينزلوا بالقرآن، ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أنْ يأتوا به من السَّماء، لأنَّهم قد حيل بينهم وبين السَّمعِ بالملائكةِ والشهبِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٠).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/ ٦٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨١).

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ أي: عن الاستماعِ للوحي من السَّماءِ ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ فكيف ينزلون بِه؟

وقال عطاءٌ: عن سماعِ القرآنِ لمحجوبون، لأنَّهم يرجمون بالنُّجومِ(١).

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣-٢٢٠].

قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: يحذِّر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلقِ عليَّ ولو اتَّخذتَ من دوني إلهًا لعذَّبتك(٢).

قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

روى البخاريُّ، ومسلمٌ من حديث أبي هريرةَ قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** [٦٠٤/ب] **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، وفي بعض

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٤).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٦٤).

الألفاظ: «سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»، وفي لفظ: «غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»[١].

ومعنى قوله: ﴿عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ رهطك الأدنين ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعني: العشيرة ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفرِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: ثق به وفوِّض أمركَ إليه، فهو عزيزٌ في نقمته، رحيمٌ لم يعجِّل بالعقوبةِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر: «فَتَوَكَّلْ» بالفاءِ[٢].

وكذلك هو في مصاحفِ أهلِ المدينةِ والشَّامِ.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: حين تقوم إلى الصَّلاةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ[٣].

والثاني: حين تقوم من مقامك، قاله أبو الجوزاءِ.

والثالث: حين تخلو، قاله الحسنُ.

قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ أي: ونرى تقلبك ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: وتقلُّبك في أصلابِ الأنبياءِ حتى أخرجك، رواه عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٥).

(٢) السبعة (ص:٤٧٣)، والمبسوط (ص:٣٢٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٢).

والثـــاني: وتقلُّبــك في الرُّكــوعِ، والسُّــجودِ، والقيــامِ مــع المصلِّــين في الجماعــةِ، والمعنــى: يــراك وحــدك ويــراكَ في الجماعــةِ، وهــذا قــولُ الأكثريــن منهــم قتــادةُ.

والثالث: وتصرُّفك في ذهابك ومجيئك في أصحابكَ المؤمنين، قاله الحسنُ.

قولــه تعــالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[الشــعراء: ٢٢١-٢٢٣].

قولــه: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ هــذا ردٌّ عليهــم حــين قالــوا: إنَّــما يأتيــه بالقــرآنِ الشــياطين، فأمَّــا الأفَّــاكُ فهــو الكــذَّاب، والأثيــمُ: الفاجــرُ.

قال قتادةُ: وهم الكهنةُ.

قوله: ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي: يلقون ما سمعوه من السَّماءِ إلى الكهنةِ.

وفي قوله: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّهم الشياطينُ.

والثاني: الكهنةُ.

قولــه تعــالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[الشــعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾.

وقرأ نافعٌ: «يَتْبَعُهُمُ» بسكونِ التَّاءِ[(١)]، والوجهان حسنانِ، يقال: تَبِعْت واتَّبَعْت مثل حَقَرْت واحْتَقَرْتُ.

وروى العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال: كان رجلان على عهدِ رسولِ الله ﷺ قد تهاجَيَا، فكان مع كلِّ واحدٍ منهما غُوَاةٌ من قومِهِ، فقال الله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[(٢)].

وفي روايةٍ أُخرى عن ابنِ عبَّاسٍ قال: هم شعراءُ المشركين[(٣)].

قال مُقاتلٌ: منهم عبدُ الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن حربٍ، وهبيرةُ بن أبي وهبٍ المخزومي في آخرين، قالوا: نحن نقول مثل قولِ محمَّدٍ، وقالوا الشِّعر، فاجتمع إليهم غواة من قومهم، يستمعون أشعارَهم ويروون عنهم[(٤)].

وفي الغاوين ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الشياطينُ، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

والثاني: السُّفهاءُ، قاله الضَّحاكُ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٧٤)، والتيسير (ص: ١١٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٧٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٧/ ٦٧٥)، وابن أبي حاتم (١٦٠٤٩) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٢).

والثالث: المشركون، قاله ابنُ زيدٍ.

قولـه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ هـذا مثـل بمـن يهيـم في الأوديـةِ، والمعنـى: أنَّهـم يأخـذون في كلِّ فـنٍ مـن لغـوٍ وكـذبٍ وغـير ذلـك، فيمدحـون بباطـلٍ، ويذمـون بباطـلٍ، ويقولـون فعلنـا ولم يفعلـوا.

قوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾:

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: لَمَّـا نـزل ذم الشُّـعراء، جـاء كعـبُ بـنُ مالـكٍ، وعبدُ الله بـنُ رواحـةَ، وحسـانُ بـنُ ثابـتٍ، فقالـوا: يـا رسـولَ الله أنـزلَ الله [٦٠٥/أ] هـذا، وهـو يعلـمُ أنَّـا شـعراء؟ فنزلـت هـذه الآيـةُ[١].

قـال المفسِّرون: وهـذا الاسـتثناءُ لشـعراءِ المسـلمين الذيـن مدحـوا رسـولَ الله ﷺ، وذمُّـوا مـن هجـاه.

﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي: لم يشـغلْهم الشِّـعرُ عـن ذكـرِ الله، ولم يجعلـوا الشـعرَ همَّهـم.

وقـال ابـنُ زيـدٍ: وذكـروا الله في شـعرهم، وقيـل: المـرادُ بالذِّكـرِ الشِّـعر في طاعـةِ الله ﷻ[٢].

قولـه: ﴿ وَانْتَصَرُوا ﴾ أي: من المشركـين ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ لأَنَّ المشركين بـدؤوا بالهجـاء، ثُمَّ أوعـد شـعراءَ المشركـينَ فقـال: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي:

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٧/ ٦٧٨)، وابـن أبي حاتـم (١٦٠٦٨) في تفسـيرهما عـن أبي الحسـن سـالم الـبرَّاد مـولى تميـم الـداري مـن قولـه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٨٠).

أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ، والمؤمنين ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿أَىَّ ﴾ منصوبةٌ بقولِهِ: ﴿يَنقَلِبُونَ ﴾ لا بقوله: «سيعلم»، لأَنَّ أيًّا وسائر أسماءِ الاستفهامِ لا يعمل فيها ما قبلها، ومعنى الكلام إِنَّهم ينقلبون إلى نارٍ يخلدون فيها[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، ومجاهدٌ عن ابن عبَّاسٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو رجاء: «أيَّ مُتَقَلَّبٍ يَتَقَلَّبُون» بتاءين مفتوحتين وبقافين على كلِّ واحدةٍ منهما نقطتان وتشديد اللَّام فيهما[٢].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو العالية، وأبو مجلَزٍ، وأبو عمرانَ الجوني، وعاصمٌ الجحدري: «أيَّ مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُون» بالفاءِ فيهما وبنونين ساكنين وبتاءين[٣].

وكان شريح يقول: سيعلم الظالمونُ حظَّ من نقصوا، إنَّ الظالمَ ينتظرُ العقابَ، وإنَّ المظلومَ ينتظرُ النَّصر[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٥).

(٢) بلا نسبة في إعراب شواذ القرآن (٢/ ٢٢٨).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٠٩) عن ابن عباس، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٢٠٢) ابن أرقم، عن الحسن.

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ١٨٧).

سورة النمل

وهي مكيَّةٌ كلّها بإجماعهم[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ [النمل: ١-٨].

قوله: ﴿طسٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنّه قسمٌ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وفي روايةٍ أُخرى عنه قال: هو اسمُ الله الأعظم[٢].

والثاني: اسمٌ من أسماءِ القرآنِ، قاله قتادةُ.

والثالث: الطاءُ من اللَّطيف، والسينُ من السميعِ، حكاه الثعلبيُّ[٣].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٥)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٥)، والوسيط للواحدي (٣/ ٣٦٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٥)، وابن أبي حاتم (١٦٠٨٦) في تفسيرهما.

(٣) انظر: الكشف والبيان (٧/ ١٨٨).

قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾:

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو عمرانَ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَكِتَابٌ مُبِينٌ» بالرَّفعِ فيهما[١].

قوله: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي: بشرى بما فيه من الثوابِ للمصدقين.

قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: حبَّبنا إليهم قبيح فعلهم، وقد بيَّنا حقيقة التزيين والعمه في سورة البقرةِ[٢]، وسوء العذابِ: شديدُهُ.

قوله: ﴿هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنَّهم خسروا أنفسَهم وأهليهم وصاروا إلى النَّارِ.

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يُلْقَى عليك فتَلَقَّاه أنت، أي: تأخذُه[٣].

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: اذكر إذ قال موسى.

قوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾:

قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ إلَّا زيدًا: ﴿بِشِهَابٍ﴾ بالتنوين.

وقرأ الباقونَ على الإضافةِ غير منوَّن[٤].

---

(١) يقرآن بالرفع، عطفًا على «آيات»، ويجوز أن يكون التقدير: وهذا كتاب، فيكون خبرَ مبتدأ محذوفٍ، في الكامل في القراءات (ص: ٦١٢)، والمحرر (٤/ ٢٤٨)، والبحر المحيط (٨/ ٨٠٧) عن ابن أبي عبلة.

(٢) انظر: سورة البقرة الآية رقم (١٥، ٢١٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٢).

(٤) انظر: السبعة (ص:٤٧٨)، والمبسوط (ص:٣٣١).

قال الزَّجَّاجُ: من نَوَّنَ الشّهاب، وجعل القَبَس من صِفَةِ الشِهَاب، وكل أبْيَضَ ذي نورٍ فَهُو شِهَاب[١].

فأمَّا من أضاف، فقال الفَرَّاءُ: هذا مِمَّا يُضافُ إلى نفسِهِ، إذا اختلفتِ الأسماءُ كقولِه: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩][٢].

قال ابنُ قُتيبةَ: الشِّهَابُ النَّارُ، والقَبَسُ النَّارُ تُقْبَسُ، يقال: قَبَستُ النار قبْسًا، واسم ما قَبَسْتَ: قَبَسٌ[٣]. [٦٠٥/ب]

قوله: ﴿تَصْطَلُونَ﴾ أي: تستدفئون وكان الزمان شتاء.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي: جاء موسى النَّار، وإنَّما كان نورًا، فاعتقده نارًا.

﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ المعنى قدس من في النَّارِ، وهو الله ﷻ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ.

والمعنى: قدس مَن ناداه من النَّارِ، لا أنَّ الله ﷻ يحل في شيءٍ.

والثاني: أنَّ «من» زائدةٌ، والمعنى: بوركت النَّار، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أَنَّ المعنى بوركَ على مَن في النَّارِ، أو فيمن في النَّارِ.

قال الفَرَّاءُ: والعربُ تقول: باركه الله، وبارك عليه، وبارك فيه بمعنى واحدٍ[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٨٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٨٦).

والتقدير: بورك من في طلبِ النَّارِ، وهو موسى فحذف المضاف، وهذه تحيَّةٌ من الله تعالى لموسى بالبركةِ، كما حيَّا إبراهيم بالبركةِ على ألسنةِ الملائكةِ، حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾[هود: ٧٣] فخرج في قوله: ﴿بُورِكَ﴾ قولان:

أحدهما: قدس.

والثاني: من البركةِ.

وفي قوله ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الملائكةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ والحسنُ.

والثاني: موسى والملائكة، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

والثالث: موسى، فالمعنى: بوركَ فيمن يطلبها وهو قريبٌ منها.

قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[النمل: ٩-١٤].

قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ الهاءُ عمادٌ في قولِ أهل اللُّغة، وعلى قول السُّدِّيّ هي كناية عن المنادي، لأنَّ موسى قال: من هذا الذي يناديني فقيل: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾.

قولـه: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ في الآيـةِ محـذوفٌ تقديـره: فألقاهـا فصـارت حيَّـة، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

قال الفرَّاءُ: الجانُّ الحيَّةُ التي ليست بالعظيمةِ ولا بالصغيرةِ[١].

قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: لم يلتفت، قاله قتادةُ.

والثاني: لم يرجع، قاله ابنُ قُتيبةَ، [والزَّجَّاجُ[٢].

قال ابنُ قُتيبةَ][٣]: وأهلُ النَّظر يرون أنَّه مأخوذٌ من العَقِبْ[٤].

قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخافونَ عندي.

وقيـل: المـرادُ في الموضـع الـذي يوحـى إليهـم فيـه، فكأنَّـه نبَّهـه علـى أنَّ مَـن آمنـه الله بالنبـوَّة مـن عذابِـه، لا ينبغـي أن يخـاف مـن حيَّـةٍ.

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدُهـا: أنَّـه اسـتثناءٌ صحيـحٌ، قالَـه الحسـنُ، وقتـادةُ، ومُقاتـلٌ[٥]، والمعنـى: إلَّا مـن ظلـم منهـم فإنَّـه يخـاف.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٨٧).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٢)، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٠٩).

(٣) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو مثبت من (س).

(٤) غريب القرآن (ص:٣٢٢).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٧).

قال ابنُ قُتيبةَ: علم الله تعالى أنَّ موسى مستشعرٌ خيفة من ذنبه في الرجلِ الذي وَكزَهُ، فقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: توبةً وندمًا، فإنَّه يخاف وإنِّي غفورٌ رحيمٌ[(١)].

والثاني: أنَّه استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: لكن من ظلم فإنَّه يخاف، قاله ابنُ السائبِ، والزَّجَّاجُ[(٢)].

وقال الفَرَّاءُ: «من» مستثناةٌ من الذين تركوا في الكلامِ، كأنَّه قال: لا يخاف لديَّ المرسلون، إنَّما الخوفُ على غيرهم، إلَّا من ظلم فتكونُ «من» مستثناةً[(٣)].

وقال ابنُ جريرٍ: في الآيةِ محذوفٌ تقديره: إلَّا من ظلم، فمن ظلم ثُمَّ بدَّل حسنًا[(٤)].

والثالث: أن «إلَّا» بمعنى الواو فهو كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] حكاه الفَرَّاءُ عن بعضِ النَّحويين، ولم يرضه[(٥)].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص:١٦٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٠).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٨٧).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٨٧).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، والضَّحاكُ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ يعمر: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ» بفتحِ الهمزةِ وتخفيفِ اللامِ[١].

وللمفسِّرين في المراد بالظُّلم هاهنا قولان:

أحدهما: المعاصي.

والثاني: الشِّرك.

ومعنى ﴿حُسْنًا﴾: توبةً وندمًا. [٦٠٦/أ]

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والضَّحاكُ، وأبو رجاء، والأعمشُ، وابنُ السَّمَيْفَع، وعبدُ الوارثِ عن أبي عمرٍو: «حَسَنًا» بفتحِ الحاءِ والسينِ[٢].

﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: بعد إساءةٍ، وقيل: الإشارةُ بهذا إلى أنَّ موسى، وإنْ كان قد ظلم نفسَه بقتلِ القبطي، فإنَّ الله يغفر له؛ لأنَّه ندمَ على ذلك وتاب.

قوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ الجَيْب حيث جِيبَ من القميص، أي: قُطِع.

قال ابنُ جريرٍ: إنَّما أمر بإدخاله يده في جيبه، لأنَّه كان عليه حينئذٍ مِدْرعة من صوفٍ ليس لها كُمٌّ[٣].

والسوء: البرص.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٠) عن زيد بن أسلم، وأبي جعفر، وفي التحصيل (٥/ ٩٥) عن زيد، وابن القعقاع.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠) عن ابن أبي ليلى، والأعمش، وأبي عمرو في رواية عصمة، وفي التحصيل (٥/ ٩٥) الجُعفي، عن أبي عمرٍو، وغيره.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٠).

قوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: «فِي» من صلة قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾، فالتأويلُ: أظهر هاتين الآيتين في تِسْع آياتٍ «وفي» بمعنى «من» فتأويله من تِسع آياتٍ، تقول خذ لي عَشْرًا منَ الإِبل فيها فَحْلانِ، أي منها فَحْلانِ[1]، وقد شرحنا الآياتِ في بني إسرائيل.

قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: مرسلًا إلى فرعون ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾، فحذف ذلك لأنَّه معروفٌ، ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيِّنة واضحة، وهو كقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[الإسراء: ٥٩]، وقد شرحناه.

قوله: ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ أي: هذا الذي نراه عيانًا ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي: أنكرها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾، أنَّها من عند الله ﴿ظُلْمًا﴾ أي: شركاً ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي: وتكبُّرًا.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وجحدوا بها ظُلْماً وعُلُوًّا، أي: تَرفعًا عن أنْ يؤمِنُوا بما جاءَ به مُوسَى، وهم يَعلَمُونَ أنَّها مِن عند الله[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١١).

ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النمل: ١٥-١٩].

قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ﴾ قال المفسِّرون: علمًا بالقضاءِ وبكلام الطير والدوابِّ وتسبيح الجبالِ.

﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بالنبوَّة والكتابِ وإلانةِ الحديدِ وتسخير الشياطينِ والجنِّ والإنس ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

قال مُقاتلٌ: كان داودُ أشدَّ تعبُّدًا من سليمانَ، وكان سليمان أعظم ملكًا منه وأفطن[1].

قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ أي: ورث نبوَّته وعلمه وملكه، وكان لداودَ تسعة عشر ذكرًا، فخصَّ سليمان عليه السلام بذلك، ولو كانت وراثة مالٍ لكان جميع أولادِهِ فيها سواءٌ.

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ يعني: سليمان لبني إسرائيل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾.

قرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ: «عَلَّمَنَا» بفتح العين واللَّام[2].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

(٢) بلا نسبة في شواذ القرآن (٢/ ٢٣١).

قال الفَرَّاءُ: منطقُ الطيرِ كلام الطير، كالمنطق إذا فهم قال الشاعر [من الطويل](١):

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحاً وَلَمْ تَفْغَرْ لِمَنْطِقِهَا فَمَا

معنى الآية: فهمنا ما تقولُ الطير.

قال قتادةُ: والنَّملُ من الطيرِ(٢).

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾

قال الزَّجَّاجُ: أي: من كلِّ شيءٍ يجوز أَنْ يُؤتَاه الأنبياءُ والناسُ(٣).

وقال مُقاتلٌ: أعطينا الملك، والنبوَّة، والكتاب، والرِّياح، ومنطق الطيرِ، وسخِّرت لنا الجنُّ والشَّياطين(٤).

وروى جعفرُ بنُ محمَّدٍ، عن أبيه، قال: أعطي سليمانُ مُلْك مشارق الأرضِ ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستَّة أشهرٍ، وملك أهلَ الدُّنيا كلَّهم من الجنِّ والإنس والشَّياطين والدَّوابِّ والطَّير والسِّباع، وأُعطي عِلْم كلِّ شيءٍ ومنطقَ كلِّ شيءٍ، وفي زمانه صُنعت الصَّنائعُ المعجِّبة، فذلك [٦٠٦/ب] قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾(٥).

---

(١) البيت لحميد بن ثور في ديوانه (ص:٢٧)، وديوان المعاني(١/ ٣٢٩)، وشرح شواهد الإيضاح (ص:٣٣١)، وبلا نسبة في خزانة الأدب (١/ ٣٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٠) عن معمر ، به، قال: «النَّمْلَةُ وَالطَّيْرِ».

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١١).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٤٣) بزيادة «وَسُخِّرَتْ لَهُ فَلَمْ يَزَلْ مُدَبِّرًا بِأَمْرِ اللهِ وَنُورِهِ=

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: الذي أُعطينا ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أُعطي غيرنا.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ أي: جُمع له كل صِنف من جُنده على حِدَة، وهذا كان في مسيرٍ له، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

قال مجاهد: يُحبَس أوَّلُهم على آخرهم.[1]

قال ابن قتيبة: وأصل الوَزْع: الكَفُّ والمنع. يقال: وزَعْت الرَّجل، أي: كففته، ووازِعُ الجيش: الذي يكفُّهم عن التفرُّق، ويردُّ مَنْ شَذَّ منهم.[2]

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟﴾ أي: أشرفوا ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ وفي موضعه قولان:

أحدهما: أنَّه بالطَّائف، قاله كعب.

والثاني: بالشَّام، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾:

وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: «نَمُلَةٌ» بضم الميم[3] أي: صاحت بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوماً

=وَحِكْمَتِهِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْبِضَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنِ اسْتَوْدِعْ عِلْمَ اللهِ وَحِكْمَتَهُ أَخَاهُ وَوَلَدَ دَاوُدَ وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا بِلَا رِسَالَةٍ» قال الذهبي: هذا باطلٌ.

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم (١٦١٩٣)، في تفسيرهما من طريق سفيان، عن منصور، به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠) عن المفضل، وطلحة، والمعتمر بن سليمان، وفي التحصيل (٥/ ٩٦) عن سليمان التَّيمي.

عبَّر عنه بالقول ولمَّا نَطَقَ النَّمل كما ينطق بنو آدم، أُجري مجرى الآدميين، فقيل: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ وألهم الله تلكَ النَّملةِ معرفة سليمان مُعْجِزاً له، وقد ألهم الله النَّملَ كثيراً من مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمن ذلك أنَّها تكسر كل حبَّة تدَّخرها قطعتين لئلا تَنْبُت، إلا الكُزْبرة فإنَّها تكسرها أربع قطعٍ، لأنَّها تَنْبُت إذا كُسرت قطعتين، فسبحان مَن ألهمها هذا!

وفي صفة تلك النَّملة قولان:

أحدهما: أنَّها كانت كهيئة النَّعجةِ.

قال نوف الشَّامي: كان النَّمل في زمنِ سليمان بن داودَ كأمثالِ الذُّبابِ[١].

والثاني: أنَّها كانت نملة صغيرة.

﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾: وقرأ أُبيُّ بن كعبٍ، وأبو المتوكِّل، وعاصمٌ الجحدري: «مَسْكَنكم» على التوحيد[٢].

قوله تعالى: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾:

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو رجاء: «لَيَحْطِمَنَّكُمْ» بغير ألفٍ بعد اللام[٣].

---

(١) رواه الثوري في تفسيره (ص:٢٣٢)، والبخاري في تاريخه (١/ ٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٠٢) من طريق الأعمش، عن محمد بن الحكم به، بلفظ: «كَانَ النمل فِي زمن سُلَيْمَان بن دَاوُد أمثال الذئاب».

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠)، والمحرر (٤/ ٢٥٤) عن شهر بن حوشب.

(٣) في مختصر الن خالويه (ص:١١٠)، والتحصيل (٥/ ٩٦)، والمحرر (٤/ ٢٥٤) عن الحسن.

وقرأ ابنُ مسعودٍ: «لا يَحْطِمْكُمْ» بفتح الياءِ وسكون الحاءِ وتخفيفِ الطَّاءِ وسكون الميم وحذف النون(١).

وقرأ عمرو بن العاص، وأبان: «يَحْطِمَنْكُمْ» بفتحِ الياءِ وسكونِ الحاءِ والنُّون جميعًا(٢).

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو مجلَزٍ: «لا يَحِطِّمَنَّكُمْ» بفتح الياءِ وكسرِ الحاءِ وتشديد الطَّاء والنون جميعاً(٣).

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع، وابنُ يعمر، وعاصمٌ الجحدري: «يُحْطِمَنَّكُمْ» برفعِ الياءِ وسكون الحاءِ وتخفيف الطاءِ وتشديدِ النون(٤).

والحَطْمُ: الكَسْر، والحُطَام: ما تحطَّم.

قال مقاتلٌ: سمع سليمان كلامها من ثلاثةِ أميالٍ(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: وأصحاب سليمان لم يشعروا بكلام النَّملةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: وأصحاب سليمان لا يَشْعُرون بمكانكم، لأنَّها علمتْ أنَّه

---

(١) عن الأعمش، وطلحة في المحرر (٤/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٠) عن الأعمش وحده.

(٢) لم أقف على هذه القراءة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٠)، والبحر المحيط (٨/ ٢٢٠) عن الحسن، وزاد في المحرر (٤/ ٢٥٤) أبا رجاء.

(٤) لم أقف على هذه القراءة.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

ملك لا بغي فيه، وأنَّهم لو علموا بالنَّمل ما توطَّؤوهم، قاله مقاتلٌ(١).

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾:

قال الزَّجَّاج «ضاحكاً» منصوبٌ، حالٌ مؤكَّدة، لأنَّ «تبسم» بمعنى «ضحك»(٢).

قال المفسِّرون: تبسَّم تعجُّباً ممَّا قالت، وقيل: من ثنائها عليه.

وقال بعضُ العلماءِ: هذه الآيةُ من عجائبِ القرآن، لأنَّها بلفظة «يا» نادت، «أيها» نبَّهت، «النَّمل» عيَّنت، «ادخلوا» أمرت، «مساكنكم» [٦٠٧/أ]
نصَّت، «لا يحطمنَّكم» حذَّرت، «سليمانُ» خصَّت، «وجنوده» عمَّت، «وهم لا يشعُرون» عذرت.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: أَلهِمْني، أصل الإِيزاع: الإغراء بالشَّيءِ، يقال: أوزَعْتُه بكذا، أي: أغريتُه به، وهو مُوزَعٌ بكذا، ومُولَعٌ بكذا(٣).

وقال الزَّجَّاج. تأويله في اللُّغة: كُفَّني عن الأشياءِ إلَّا عن شُكرِ نِعمتك، والمعنى: كُفَّني عمَّا يُباعِد منك، وَأنْ أَعْمَلَ أي: وأَلهِمْني أن أعمل صالحاً تَرْضاهُ(٤).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٢٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٢-١١٣).

قــال المفــسِّرون: إنَّـما شــكر الله تعــالى لأنَّ الريــحَ أبلغــت إليــه صوتَهــا ففهــم ذلــك.

قولــه تعــالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[النمــل: ٢٠-٢٦].

قولــه: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ التَّفقــد: طلــبُ مــا غــاب عنــك، والمعنــى: أنَّــه طلــب مــا فقــدَ مــن الطَّــير، والطــيرُ اســمٌ جامــعٌ للجنــس، وكانــت الطَّــير تصحــب ســليمان في ســفره، تظلُّــه بأجنحتهــا.

﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، والكسائيُّ: ﴿ مَا لِيَ ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر، وحمزةُ بالسكون[1].

والمعنــى: مــا للهدهــدِ لا أراهُ، تقــول العــربُ: مــا لي أراكَ كئيبًــا، أي: مالــك، فهــذا مــن المقلــوبِ، الــذي معنــاه معلــومٌ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٧٩).

قال المفسِّرون: لَمَّا فصل سليمانُ عن وادي النَّمل، وقع في قفرٍ من الأرض، فعطش الجيش، فسألوه الماء، وكان الهدهد يدلُّه على الماءِ، فإذا قال له: هاهنا الماءُ، شققت الشياطين الصَّخر، وفجرت العيون قبل أَنْ يضربوا أبنيتهم، وكان الهدهدُ يرى الماءَ في الأرضِ، كما يرى الماء في الزُّجاجة، فطلبه يومئذٍ فلم يجده، وقال بعضُهم: إنَّما طلبه لِأنَّ الطيرَ كانت تظلُّهم من الشَّمس، فأخلَّ الهدهد بمكانه، فطلعت الشَّمس عليهم من الخلل.

قوله: ﴿أَمْ كَانَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: بَلْ كان[1].

قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فيه ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: نتف ريشِهِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والجمهور.

والثاني: نتفه وتشميسه، قاله عبدُ الله بنُ شدَّادٍ.

والثالث: شدُّ رجله وتشميسه، قاله الضَّحاكُ.

والرابع: أَنْ يطليه بالقطران ويشمِّسه، قاله مُقاتلُ بنُ حيَّانَ.

والخامس: أَنْ يودعه القفصَ.

والسادس: أَنْ يفرِّق بينه وبين إلفه، حكاهما الثعلبيُّ[2].

قوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٣).

(٢) الكشف والبيان (٧/ ١٩٨).

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «أو لَيَأْتِيَنَّنِي» بنونين، وكذلك هي في مصاحفهم[١].

فأمَّا السُّلطانُ، فهو الحجَّةُ، وقيل: العذرُ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ سليمانَ لَمَّا نزل في بعضِ مسيره، قال الهدهدُ: إنَّه قد اشتغلَ بالنُّزول، فأرتفع أنا إلى السماءِ، فأنظر إلى طول الدُّنيا وعرضها، فارتفع فرأى بستانًا لبلقيس، فمال إلى الخضرة، فوقع فيه، فإذا هو بهدهد قد لقيه، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الشَّامِ مع صاحبي سليمان، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلادِ، وملكها امرأة يقالُ لها: بلقيس، فهل أنت منطلقٌ معي حتَّى ترى ملكها؟ قال: أخاف أَنْ يتفقَّدني سليمان وقت الصَّلاة، إذا احتاج إلى الماءِ، قال: إنَّ صاحبك يسرُّه أَنْ تأتيه بخبرِ هذه الملكة، فانطلق معه فنظرَ إلى بلقيس وملكها.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾:

قرأ الجمهورُ بضمِّ الكافِ، وقرأ عاصمٌ بفتحها[٢].

وقرأ ابنُ مسعودٍ: «فَتَمَكَّثَ» بزيادةِ تاءٍ،[٣] والمعنى: لم يلبث إلَّا [٦٠٧/ب] يسيرًا، حتَّى جاء فقال سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: علمت شيئًا من جميع جهاتِهِ، ممَّا لم تعلم به، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾.

---

(١) السبعة (ص:٤٧٩).

(٢) «فَمَكُثَ» قراءة الجمهور كما في السبعة (ص: ٤٨٠).

(٣) في المحرر (٤/ ٢٥٥) قراءة ابن مسعود «فتمكث ثم جاء فقال»، وفي قراءة أبي بن كعب «فتمكث».

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «سَبَأَ» نصبًا غير مصروفٍ، وقرأ الباقونَ خفضًا منونًا[١].

وجاء في الحديث عن رسولِ الله ﷺ **«أَنَّ سَبَأَ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ»**[٢].

وقال قتادةُ: هي أرضٌ باليمن يقال لها: مأرب[٣].

وقال أبو الحسن الأخفش: إنْ شئتَ صرفت سبأ، فجعلته اسم أبيهم، أو اسم الحيِّ، وإنْ شئتَ لم تصرف، فجعلته اسمَ القبيلة، أو اسمَ الأرضِ.

قال الزَّجَّاجُ: وقد ذكر قومٌ من النحويِّين: أنَّه اسمُ رجلٍ، وقال آخرون: الاسمُ إذا لم يدر ما هو لم يصرف، وكِلَا القولين خطأ، لأنَّ الأسماءَ حقُّها الصَّرفُ، وإذا لم يعلم هل الاسمُ للمذكَّر أم للمؤنَّث فحقُّه الصَّرفُ، حتَّى يعلم أنَّه لا ينصرفُ، لأنَّ أصلَ الأسماءِ الصَّرف، وقول الذين قالوا: هو اسمُ رجلٍ غلطٌ، لأنَّ سبأ هي مدينةٌ تعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاءَ مسيرة ثلاثة أيامٍ، فمن لم يصرفه جعلَه اسم مدينة، ومن صرفَه فلأنَّه اسمُ البلدِ فيكون مذكَّرًا سمِّي بمذكَّرٍ[٤].

---

(١) السبعة (ص: ٤٨٠).

(٢) رواه أحمد (٣٩/ ٥٢٨)، وأبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٣٧٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٤٥)، والطبراني في الكبير (٨٣٤ـ٨٣٦ـ)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٠) بلفظ مطوَّل في قصة.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٣)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (١٦٢٥٤) في تفسيرهما من طريق معمر، به، بلفظ مطول.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٤).

قوله: ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: بخبرٍ صادقٍ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني: بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: معناه: من كلِّ شيءٍ يُعْطَاهُ المُلُوكُ، ويؤتاهُ الناسُ، والعَرشُ: سَرِيرُ الملكِ(١).

قال قتادةُ: كان عرشها من ذهبٍ، قوائمُه من جوهرٍ مكلَّلٍ باللُّؤلؤ، وكان أحدُ أبويها من الجنِّ، وكان مؤخَّر أحد قدميها مثل حافر الدَّابةِ(٢).

وقال مجاهدٌ: كان قدماها كحافرِ الحمارِ(٣).

وقال ابنُ السائبِ: لم يكن بقدميها شيءٌ، إنَّما وقع الجنُّ فيها عند سليمان بهذا القول، فلمَّا جعل لها الصَّرح، بان له كذبهم.

قال مُقاتلٌ: كان ارتفاع عرشها ثمانين ذراعًا في عرض ثمانين، وكانت أمُّها من الجنِّ(٤).

قال ابنُ جريرٍ: وإنَّما صار هذا الخبرُ عذرًا للهدهدِ، لأنَّ سليمانَ كان لا يرى لأحدٍ في الأرض مملكة سواه، وكان مع ذلك يحبُّ الجهادَ، فلمَّا دلَّه

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٣)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (١٦٢٥٤) في تفسيرهما من طريق معمر، به، بلفظ مطول.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (١٦٤٣٠) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠١).

الهدهد على مملكةٍ لغيره وعلى قوم كفرة يجاهدهم، صار ذلك عذرًا له[1].

قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ قرأ الأكثرون: ﴿أَلَّا﴾ بالتَّشديدِ[2].

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: وزيَّن لهم الشَّيطانُ ألَّا يسجدوا، أي: فصدَّهم لئلَّا يسجدوا[3].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، والحسنُ، والزُّهريُّ، وقتادةُ، وأبو العاليةِ، وحميد الأعرج، والأعمشُ، وابنُ أبي عبلةَ، والكسائيُّ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ مخفَّفة[4]، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيكون في الكلامِ إضمارُ «هَؤُلاء» ويكتفى منها بـ«يا» ويكونُ الوقفُ «ألَا يا» والابتداء «اسجدوا».

قال الفَرَّاءُ: فعلى هذه القراءة هي سجدةٌ، وعلى قراءةِ من شدَّد لا ينبغي لها أن تكون سجدةٌ[5].

وقال أبو عُبيدةَ: هذا أمرٌ من الله مستأنفٌ، يعني: ألا يا أيُّها النَّاس اسجدوا[6].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ: «هلَّا يَسْجُدُوا» بهاءٍ[7].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٩).

(٢) السبعة (ص:٤٨٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٥).

(٤) السبعة (ص:٤٨٠).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٩٠).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٩٣).

(٧) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٠).

قوله: ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: المستتر فيهما، وهو من خَبأْتُ الشَّيءَ: إذا أخفيته، [٦٠٨/أ] ويقال: خبْءُ السَّموات: المطر، وخَبْءُ الأرضِ: النَّباتُ[١].

وقال الزَّجَّاجُ: كل ما خبَّأته فهو خبء، فالخبْءُ: كل ما غاب، فالمعنى: يعلمُ الغيبَ في السَّمواتِ والأرضِ[٢].

وقال ابنُ جريرٍ: «في» بمعنى «من» فتقديره: يخرج الخبء من السَّمواتِ[٣].

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾:

قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، والكسائيُّ، بالتَّاءِ فيهما، وقرأ الباقونَ بالياءِ[٤].

قال ابنُ زيدٍ: من قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ كلام الهدهد.

وقرأ الضَّحاكُ، وابنُ محيصن: «العَظِيمُ» برفع الميمِ[٥].

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[النمل: ٢٧-٣١].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٦).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٤٣).

(٤) السبعة (ص: ٤٨١).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٠) عن ابن محيصن، وجماعة.

فلـمَّا فـرغ الهدهـدُ مـن كلامِـهِ ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ فيـما أخبرتنـا بـه ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيـما قلـت ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ وإنَّـما شـكَّ في خـبرِه، لأنَّـه أنكـرَ أنْ يكـون لغـيرِه في الأرض سـلطانٌ، ثُـمَّ كتـب كتابًـا وختمـه بخاتمـه ودفعـه إلى الهدهـدِ وقـال: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامر، والكسائيُّ: «فَأَلْقِهِي» موصولة بياء.

وقرأ أبو عمرٍو، وعاصمٌ، وأبو جعفرَ، وحمزةُ: ﴿فَأَلْقِهْ﴾ بسكون الهاءِ.

وروى قالونُ عن نافعٍ: كسر الهاء من غير إشباعٍ، ويعني إلى أهل سبأ[١].

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ **فيه قولان:**

أحدُهما: أعرض.

والثاني: انصرف.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يردُّون من الجوابِ.

فَإنْ قيل: إذا تولَّى عنهم فكيف يعلم جوابَهم؟ **فعنه جوابان:**

أحدهمـا: أنَّ المعنـى: ثُـمَّ تـولَّ عنهـم مسـترًا مـن حيـث لا يرونـك، فانظـر مـاذا يـردون مـن الجـوابِ، وهـذا قـولُ وهـب بـن منبِّـه.

والثـاني: أنَّ في الـكلام تقديـمًا وتأخـيرًا، تقديـرُه: فانظـر مـاذا يرجعـون ثُـمَّ تـولَّ عنهـم، وهـذا مذهـبُ ابـنُ زيـدٍ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٨٠).

قال قتادةُ: أتاها الهدهد وهي نائمةٌ، فألقى الكتاب على نحرِها، فقرأته وأخبرت قومها[١].

وقال مُقاتلٌ: حمله في منقارِهِ حتَّى وقف على رأسِ المرأةِ، فرفرف ساعة والنَّاس ينظرون، فرفعت رأسَها فألقي الكتاب في حجرِها، فلمَّا رأت الخاتم أرعدت وخضعت وخضع مَن معها من الجنودِ[٢].

واختلفوا لأيِّ علَّةٍ سمَّته كريمًا على سبعة أقوالٍ:

أحدها: لأنَّه كان مختومًا، رواه سعيدُ بنُ جبير، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: لأنَّها ظنته من عند الله ﷻ، روي عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: أنَّ معنى قولها: ﴿كَرِيمٌ﴾ حسن ما فيه، قاله قتادةُ، والزَّجَّاجُ[٣].

والرابع: لكرم صاحبه فإنَّه كان ملِكًا، ذكره ابنُ جريرٍ[٤].

والخامس: لأنَّه كان مهيبًا، ذكرُه أبو سليمانَ الدِّمشقي.

والسادس: لتسخير الهدهد لحمله، حكاه الماورديُّ[٥].

والسابع: لأنَّها رأت في صدرِهِ بسم الله الرحمن الرحيم، حكاه الثعلبيُّ[٦].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٨٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٢-٣٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٧).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٤٨).

(٥) النكت والعيون (٤/ ٢٠٦).

(٦) الكشف والبيان (٧/ ٢٠٦).

قولـه: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ ﴾ أي: إنَّ الكتـابَ مـن عنـدِهِ ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: وإنَّ المكتـوبَ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ ﴾ أي: لا تتكـبَّروا.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: «تَغْلُوا» بغينٍ معجمةٍ(١).

﴿ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ أي: منقاديـن طائعـين، ثُـمَّ استشـارت قومَهـا فــ ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ ﴾ يعنـي الأشراف، وكانـوا ثلاثمائـة وثلاثـة عـشرَ قائـدًا، كل رجـلٍ منهـم عـلى عـشرةِ آلافٍ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: كان معها مائة ألفِ قَيْلٍ، كُل قَيْلٍ مائة ألفٍ(٢).

وقيل: كانت جنودها ألف ألف ومائتي ألفٍ. [٦٠٨/ب]

قولــه تعــالى: ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ۝٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ۝٣٣ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٣٤ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٣٥ ﴾[النمـل: ٣٢-٣٥].

قوله: ﴿ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي ﴾ أي: بيِّنوا لي ما أفعل، وأشيروا عليَّ.

قال الفَرَّاءُ: جعلت المشورة فُتْيا، وذلك جائزٌ لسعة اللُّغةِ(٣).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١١) عن ابن عباس، وفي التحصيل (٥/ ٩٨) عن وهب بن منبه.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٥)، وابـن أبي حاتـم (١٦٣٥٨) في تفسـيرهما مـن طريـق عطـاء بـن السـائب، عـن مجاهـد، بـه. والقَيْـلُ: الملِـك.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٩٢).

قولـه: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ أي: فاعلته ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: تحضرون، والمعنى: إلَّا بحضوركم ومشـورتكم.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّهم أرادوا القوَّة في الأبدانِ.

والثاني: كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحربِ.

وفيما أرادوا بذلك القول قولان:

أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها.

والثاني: تعريض منهم بالقتال إنْ أمرتهم.

ثُـمَّ قالـوا: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: في القتـالِ وتركـه، ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إذا دخلوها عَنْوة عن قتالٍ وغَلَبَةٍ[١].

قولـه: ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي: خربوهـا ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ أي: أهانـوا أشرافهـا ليسـتقيمَ لهـم الأمـرُ.

ومعنى الكلام: أنَّها حذَّرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادها.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّه من تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١١٩).

والثاني: من تمام كلامِها، والمعنى: وكذلك يفعلُ سليمان وأصحابه، إذا دخلوا بلادنا، حكاه الماورديُّ(١).

قوله: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: إنَّما أرسلت الهديةُ لتعلم أنَّه إنْ كان نبيًّا لم يُرِد الدُّنيا، وإنْ كان مَلِكًا فسيرضى بالحَمْل، وأنَّها بعثت ثلاث لَبِناتٍ من ذهبٍ في كلِّ لبنةٍ مائة رطلٍ، وياقوتة حمراء طولها شبرٌ مثقوبة، وثلاثين وصيفًا وثلاثين وصيفةً، وألْبَسَتْهُم لباسًا واحدًا حتى لا يُعرفَ الذَّكر من الأنثى، ثُمَّ كتبت إليه: إنِّي قد بعثت إليك بهديةٍ فاقبلها، وبعثت إليك بياقوتةٍ طولها شبرٌ، فأدخل فيها خيطًا واختم على طرفي الخيط بخاتمك، وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفًا وثلاثين وصيفةً، فميِّز بين الجواري والغلمان، فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القومِ من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانيةِ أميال لبنًا من الذَّهبِ، فانطلق فبعث الشياطين فقطعوا اللَّبن من الجبال، وطلوه بالذَّهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوتِ الأحمر، فلمَّا جاء الرُّسل قال بعضهم لبعضٍ: كيف تدخلون على هذا الرجل بثلاثِ لبنات وعنده ما رأيتم؟ فقال رئيسهم: إنَّما نحن رُسل، فدخلوا عليه، فوضعوا اللَّبن بين يديه، فقال: أتمدونني بمال؟ ثُمَّ دعا ذرة فربط فيها خيطًا وأدخلها في ثقب الياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر، ثُمَّ جمع بين

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٠٨).

طـرفي الخيـط فختـم عليـه ودفعهـا إليهـم، ثُـمَّ ميَّـز بـين الغلـمانِ والجـواري، هــذا كلُّـه مـرويٌّ عـن ابـن عبَّـاسٍ.

وقــال مجاهــدٌ: جعلــت لبــاس الْغِلْمَــانِ للجَــوَارِي، ولبــاس الجَــوَارِي للغِلْمَــانِ فميَّزهــم، ولم يقبــلْ هديَّتهــا[1].

وفي عدد الوصائفِ والوصفاء خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: ثلاثون وصيفًا وثلاثون وصيفةً، وقد ذكرناه عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: خمسمائة غلامٍ وخمسمائة جاريةٍ، قاله وهبٌ. [٦٠٩/أ]

والثالث: مائتا غلامٍ ومائتا جاريةٍ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: عشرة غلمان وعشر جوارٍ، قاله ابنُ السائبِ.

والخامس: مائة وصيفٍ ومائة وصيفةٍ، قاله مُقاتلٌ[2].

وفي ما ميَّزهم به ثلاثة أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه أمرهـم بالوضـوءِ، فبـدأ الغـلامُ مـن مرفقـه إلى كفِّـه، وبدأت الجاريـةُ مـن كفِّهـا إلى مرفقهـا، فميَّزهـم بذلـك، قالـه سـعيدُ بـنُ جبيرٍ.

والثــاني: أنَّ الغلــمانَ بــدؤوا بغســلِ ظهــورِ الســواعدِ قبــل بطونهــا، والجــواري عــلى عكــس ذلــك، قالــه قتــادةُ.

---

(١) هــو في تفســير مجاهــد (ص:٥١٨)، ورواه ابــن جريــر الطــبري في تفســيره (١٨/ ٥٣) مــن طريــق ابــن أبي نجيــح، بــه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٤).

والثالث: أنَّ الغلام اغترفَ بيده، والجارية أفرغت على يدها، قاله السُّدِّيُّ.

وجاء في التفسير: أنَّها أمرت الجواري أنْ يكلِّمن سليمان بكلام الرِّجال، وأمرت الرِّجال أنْ يكلموه كلام النِّساء، وأرسلت قدحًا تسألُه أنْ يملأها ماء ليس من ماءِ السَّماءِ ولا من ماءِ الأرضِ، فأجرى الخيل وملأه من عرقها.

قوله: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: بقبولٍ، أم بردٍّ؟

قال ابنُ جريرٍ: وأصلُ «بم»: بما، وإنَّما أسقطت الألفُ؛ لأنَّ العربَ إذا كانت «ما» بمعنى «أي» ثُمَّ وصلوها بحرفٍ خافضٍ أسقطوا ألفَها تفريقًا بين الاستفهامِ والخبرِ، كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] و﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء ٩٧]، وربما أثبتوا فيها الألفَ كما قال الشاعرُ [من الوافر][(١)]:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص: ٣٢٤)، والمحتسب (٢/ ٣٤٧)، وشرح التصريح (٢/ ٣٤٥)، ولسان العرب (١٢/ ٤٩٧)، ومغني اللبيب (١/ ٢٩٩)، وبلا نسبة في تفسير ابن جرير (١٨/ ٥٦).

مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٦-٤٠].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: لما جاء رسولها، ويجوز: فلما جاء بِرُّهَا(١).

قوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «أَتُمِدُّونَنِي» بنونين وياء في الوصلِ.

وروى المسيبيُّ، عن نافعٍ: ﴿أَتُمِدُّوني﴾ بنونٍ واحدةٍ خفيفةٍ وياءٍ في الوصلِ والوقفِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ بغيرِ ياءٍ في الوصلِ والوقفِ.

وقرأ حمزةُ: «أَتُمِدُّونِّي» بنونٍ واحدةٍ مشدَّدةٍ ووقف على الياءِ(٢).

قوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ﴾ بكسر النُّونِ من غيرِ ياءٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٠).

(٢) السبعة (ص:٤٨٢).

وقرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ءَاتَىٰنِۦَ﴾ بفتح الياءِ[1].

وكلُّهم فتحوا التَّاء غير الكسائي، فَإِنَّه أمالها من ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾، وأمالَ حمزة: «أَنَا ءاتِيكَ بِهِ» أشم النُّون شيئًا من الكسرِ، والمعنى: فما آتاني الله أي: من النبوَّة والملكِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من المالِ ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يعني: إذا أهدى بعضُكم إلى بعضٍ فرِحَ، فأمَّا أَنا فلا، ثُمَّ قال للرَّسول: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ أي: لا طاقةَ ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ يعني: بلدتهم فلمَّا رجعت رسلها إليها بالخبرِ، قالت: قد علمت أنَّه ليس بملكٍ، وما لنَا به طاقةٌ، فبعثت إليه إنِّي قادمةٌ عليك بملوكِ قومي، لأنظر ما تدعو إليه، ثُمَّ أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبوابٍ، ووكَّلت به حرسًا يحفظونه، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملكٍ تحت يدي كلِّ ملكٍ منهم ألوف، وكان سليمانُ مهيبًا لا يبتدأ بشيءٍ حتَّى يسأل عنه، فجلس يومًا على سرير ملكِهِ، فرأى رهجًا قريبًا منه فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر فرسَخٍ. [٦٠٩/ب]

وقد كان بلغه أنَّها احتاطت على عرشها قبل خروجها فـ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾، وفي سبب طلبه له خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: ليعلم صدقَ الهدهدِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص:٤٨٢).

والثاني: ليجعل ذلك دليلاً على صدقِ نبوَّته، لأنَّها خلفته في دارها واحتاطت عليه، فوجدته قد تقدَّمها، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

والثالث: ليختبر عقلها وفطنتها، أتعرفه أم تُنكره، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والرابع: لأنَّ صفته أعجبته، فخشي أَنْ تُسْلم فيحرم عليه مالُها، فأراد أخذه قبل ذلك، قاله قتادةُ.

والخامس: ليريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانِهِ، حكاه الثعلبيُّ[1].

قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: العفريتُ من كلِّ جنٍّ أو إنسٍ: الفائقُ المبالغ الرَّئيس.

وقال ابنُ قُتيبةَ: العفريتُ الشَّديدُ الوثيقُ.

وقال الزَّجَّاجُ: العفريتُ النافذُ في الأمْرِ المبالغُ فيه مع خُبثٍ ودَهَاءٍ[2].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والضَّحاكُ، وأبو العالية، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجحدري: «قال عَفْرِيت» بفتحِ العينِ وكسرِ الرَّاءِ[3].

وروى ابنُ أبي شُريحٍ، عن الكسائيِّ: «عِفْرِيَةٌ» بفتح الياءِ وتخفيفها.

وروي عنه أيضًا تشديدها وتنوين الهاءِ على التأنيثِ.

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٢٠٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٢٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٠).

(٣) مختصر ابن خالويه (ص: ١١١).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيْفَع: «عِفْرَاةٌ» بكسرِ العينِ وفتحِ الرَّاءِ وبألفٍ من غيرِ ياءٍ[١].

قوله: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك ومثله ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان ٥١] وكان سليمانُ يجلسُ للقضاءِ بين النَّاسِ من وقتِ الفجرِ إلى طلوعِ الشَّمسِ، وقيل: إلى نصفِ النَّهارِ ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ أي: على حملِهِ ﴿لَقَوِيٌّ﴾.

وفي قوله ﴿أَمِينٌ﴾ قولان:

أحدهما: أمينٌ على ما فيه من الجوهرِ والدُّرِّ وغير ذلك، قاله ابنُ السائبِ.

والثاني: أمينٌ أَنْ لا آتيك بغيرِهِ بدلًا منه، قاله ابنُ زيدٍ.

قال سليمانُ: أريد أسرع من ذلك، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وهل هو إنسيٌّ أم ملكٌ؟ فيه قولان:

أحدهما: إنسيٌّ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والضَّحاكُ، وأبو صالحٍ.

ثُمَّ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه رجلٌ من بني إسرائيل، واسمه آصف بن برخيا، قاله مُقاتلٌ[٢].

---

(١) فيها ست لغات ذكرها ابن خالويه (ص:١١١) عفر، وعِفْرِية، وعَفْرِيت، وعِفْرِيت، وعِفْراة، وعُفَارة.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٧).

قال ابنُ عبَّاسٍ: دعا آصف - وكان آصفُ يقومُ على رأسِ سليمانَ بالسيفِ - فبعث الله الملائكةَ فحملوا السريرَ تحت الأرضِ يخدُّون الأرضَ خدًّا، حتى انخرقت الأرضُ بالسرير بين يدي سليمان[١].

والثاني: أنَّه سليمانُ عليه السلام، وإنَّما قال له رجلٌ: أنا آتيك به قبلَ أنْ يرتدَّ إليك طرْفُك، فقال: هات، قال: أنت النَّبيُّ ابنُ النَّبيِّ، فإنْ دعوت الله جاءك، فدعا الله فجاءه، قاله محمَّدُ بنُ المكندرِ.

والثالث: أنَّه الخضرُ، قاله ابنُ لهيعةَ.

والرابع: أنَّه عابدٌ خرج يومئذٍ من جزيرةٍ في البحر فوجدَ سليمان، فدعا فأُتي بالعرشِ، قاله ابنُ زيدٍ.

والقول الثاني: أنَّه من الملائكةِ.

ثم فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه جبريلُ عليه السلام.

والثاني: ملكٌ من الملائكةِ أيَّد الله به سليمان، حكاهما الثَّعلبيُّ[٢].

وفي العلم الذي عنده من الكتاب ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه اسمُ الله الأعظم، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، [٦١٠/أ] والجمهورُ.

---

(١) رواه الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢١٠) من طريق الضحاك، به.

(٢) انظر: الكشف والبيان (٧/ ٢١٠).

والثاني: أنَّه عِلْم كتاب سليمان إلى بلقيسَ.

والثالث: أنَّه عِلْم ما كتب الله لبني آدمَ، وهذا على أنَّه ملكٌ، حكى القولين الماورديُّ(١).

وفي قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: قَبْلَ أَنْ يأتيكَ أقصى ما تنظر إليه، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: قَبْلَ أَنْ ينتهي طرْفكَ إذا مدَّدته إلى مداه، قاله وهْبٌ.

والثالث: قَبْلَ أَنْ يرتدَّ طرفك حسيرًا إذا أمدت النَّظرَ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: بمقدارِ ما تفتح عينك ثُمَّ تطرف، قاله الزَّجَّاجُ(٢).

قال مجاهدٌ: دعا فقال: يا ذَا الجلالِ والإكرامِ(٣).

وقال ابنُ السائبِ: إنَّما قال: ياحيُّ يا قيُّومُ(٤).

قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ في الكلامِ محذوفٌ، تقديره: فدعا الله فأُتي بِهِ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ يعني: سليمان ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي: ثابتًا بين يديه ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ يعني: التمكُّنُ من حصولِ المرادِ.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢١١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢١).

(٣) هو في تفسير مجاهد (ص:٥١٩)، ورواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (١٦٣٨٤) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٧٨).

قوله تعالى: ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أأشكرُ على السريرِ إذ أتيت به، أم أكفرُ إذا رأيت من هو دوني في الدُّنيا أعلم مني، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أأشكر ذلك من فضل الله عليَّ، أم أكفر نعمته بتركِ الشُّكرِ له، قاله ابنُ جريرٍ(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤١-٤٤].

قوله: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ قال المفسِّرون: خافتِ الشياطينُ أنْ يتزوَّج سليمان بلقيسَ، فتفشي إليه أسرار الجنِّ، لأنَّ أمَّها كانت جنيَّة، فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريَّته بعده فأساؤوا الثناءَ عليها، وقالوا: إنَّ في عقلها شيئًا وإنَّ رجلها كحافر الحمارِ، فأراد سليمان أنْ يختبر عقلَها بتنكير عرشِها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى ﴿نَكِّرُوا۟﴾: غيِّروا يقال: نكَّرتُ الشَّيء فتنكَّر أي: غيَّرتُه فتغيَّر(٢).

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٧٥).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٥).

وللمفسِّرين في كيفية تغييره ستَّةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه زيد فيه ونقص منه، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم جعلوا صفائحَ الذَّهبِ التي كانت عليه مكان صفائح الفضَّة، وصفائح الفضَّة مكان صفائح الذَّهب، والياقوت مكان الزَّبرجد، والدُّرّ مكان اللُّؤلؤ، وقائمتي الزبرجدِ مكان قائمتي الياقوتِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: أنَّهم نزعوا ما عليه من فصوصِهِ وجواهرِهِ، روي عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والرابع: أنَّهم جعلوا ما كانَ منه أحمر أخضر، وما كان أخضر أحمر، قاله مجاهدٌ.

والخامس: أنَّهم جعلوا أسفلَه أعلاه، ومقدَّمه مؤخَّره، وزادوا فيه ونقصوا منه، قاله قتادةُ.

والسادس: أنَّهم جعلوا فيه تماثيل السَّمكِ، قاله أبو صالحٍ.

وفي قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها لما رأته جعلت تعرف وتنكر، ثُمَّ قالت في نفسِها: من أين يخلص إلى ذلك، وهو في سبعةِ أبياتٍ والحرس حوله؟ ثُمَّ قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

وقال قتادةُ: شبَّهته بعرشِها(١).

وقال السُّدِّيُّ: وجدت فيه ما تعرفه فلم تنكر، ووجدت فيه ما تنكره فلم تثبت، فلذلك قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾(٢).

والثاني: أنَّها عرفته، ولكنَّها شبَّهت عليهم، كما شبَّهوا عليها، فلو أنَّهم قالوا: هذا عرشك، لقالت: نعم، قاله مُقاتلٌ(٣).

قال المفسِّرون: فقيل لها: فإنَّه عرشُك فما أغنى عنك إغلاق [٦١٠/ب] الأبوابِ.

وفي قوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه قول سليمان، قاله مجاهدٌ.

ثُمَّ في معناه قولان:

أحدهما: وأوتينا العلمَ بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأةِ.

والثاني: أوتينا العلمَ بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنَّا مسلمين [لله](٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٧٩)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٧٨) من طريق معمر، وابن أبي حاتم (١٦٤٢٢) في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة، كلاهما (معمر، وسعيد) عن قتادة به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٢٣) من طريق أسباط بن نصر، بنحوه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٨).

(٤) زيادة من (س).

والقول الثاني: أنَّه من قول بلقيس، فإنَّها لما رأت عرشَها قالت: قد عرفتُ هذه الآية، وأوتينا العلمَ بصحَّة نبوَّة سليمان بالآيات المتقدِّمة، تعني أمرَ الهدهدِ والرسل التي بعثت من قبل هذه الآية، وكنَّا مسلمين منقادين لأمرِكَ قبل أن نجيءَ.

والثالث: أنَّه من قولِ قومِ سليمان، حكاه الماورديُّ[1].

قوله: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

قال الفَرَّاءُ: معنى الكلام: هي عاقلةٌ، إنَّما صدَّها عن عبادةِ الله عبادتها الشَّمس والقمر، وكان عادة من دين آبائها، والمعنى: وصدَّها أن تعبد الله ما كانت تعبد. قال: وقد قيل: صدَّها سليمان، أي: منعَها ما كانت تعبد[2].

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: صدَّها عن الإيمانِ العادة التي كانت عليها؛ لأنَّها نشأت ولم تعرف إلَّا قومًا يعبدونَ الشَّمس، وبيَّن عبادتها بقولِهِ: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[3].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ أبي عبلَةَ: «أَنَّهَا كَانَتْ» بفتح الهمزةِ[4].

قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ﴾ قال المفسِّرون: أمر الشياطين فبنوا له صرحًا كهيئةِ السَّطحِ من زجاجٍ.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢١٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٩٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٢).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١١)، والتحصيل (٥/ ٩٨) عن سعيد بن جبير.

وفي سببِ أمرِهِ بذلك ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه أراد أنْ يريها مُلكًا هو أعزُّ من ملكها، قاله وهبُ بنِ منبِّهٍ.

والثاني: أنَّه أراد أنْ ينظر إلى قدمِها من غيرِ أن يسألها كشفها، لأنَّه قيل له: إنَّ رجلَها كحافرِ الحمارِ، فأمر أنْ يهيأ لها بيتٌ من قوارير فوق الماءِ، ووضع سرير سليمان في صدرِ البيتِ، هذا قولُ محمَّدِ بنِ كعبٍ القرظي.

والثالث: أنَّه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائفِ والوصفاءِ، ذكره ابنُ جريرٍ[١].

فأمَّا الصَّرحُ، فقال ابنُ قُتيبةَ: هو القصرُ، وجمعه صروحٌ، ومنه قول الهذلي [من المتقارب][٢]:

عَلَى طُرُقٍ كَنُحُورِ الرِّكَابِ ... تَحْسَبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا

قال: ويقال: الصَّرحُ بلاطٌ اتُّخِذ لها من قَواريرَ، وجعل تحتها ماءٌ وسمكٌ[٣].

قال مجاهدٌ: كانت بركةٌ من ماءٍ ضرب عليها سليمانُ قوارير[٤].

وقال مُقاتلٌ: كان قصرًا من قواريرَ بُنِيَ على الماءِ، وتحته السَّمك[٥].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٨٠).

(٢) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي في ديوان الهذليين (١/ ٦٩)، وغريب القرآن (ص:٣٢٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٥٦).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٢٥).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٨٢)، وابن أبي حاتم (١٦٤٣٠) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٠٨).

قوله: ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ وهي: معظمُ الماءِ ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾ لدخولِ الماء، فناداها سليمانُ ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾ أي: مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ أي: من زجاجٍ، فعلمت حينئذٍ أنَّ ملكَ سليمان من الله تعالى، فـ ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ أي: بعبادةِ غيرِكَ.

وقيل: ظنت في سليمانَ أنَّه يريد تغريقها في الماءِ، فلمَّا علمت أنَّه صرحٌ ممرَّدٌ قالت: ربِّ إنِّي ظلمتُ نفسي بذلك الظَّنِّ، وأسلمتُ مع سليمان، ثُمَّ تزوَّجها سليمانُ.

وقيل: إنَّه ردَّها إلى مملكتها، وكان يزورها في كلِّ شهرٍ مرَّة، ويقيم عندها ثلاثة أيَّامٍ وأنَّها ولدت منه.

ويُقال: إنَّه زوَّجها ببعضِ الملوكِ ولم يتزوَّجها هو.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ۝٤٥ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٤٦ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ۝٤٧﴾ [النمل: ٤٥-٤٧].

قوله: ﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ﴾ أي: مؤمن، وكافر ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ وفيه قولان:

[٦١١/أ] أحدهما: أنَّه قولهم: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ الآيات [الأعراف: ٧٥-٨٠].

والثاني: أنَّه قولُ كل فريقٍ منهم: الحق معي.

قولـه: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ وذلـك حـين قالـوا: إنْ كان مـا أتيتنـا بـه حقًّـا، فأتنـا بالعذابِ.

وفي السيئة والحسنةِ قولان:

أحدهما: أنَّ السيئةَ: العذاب، والحسنة: الرَّحمة، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أنَّ السيئةَ: البلاء، والحسنة: العافية، قاله السُّدِّيُّ.

قولـه: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هـلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ مـن الـشركِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فـلا تعذبـون ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾:

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: المعنـى: تَطَيَّرنـا وتشـاءَمْنا، فأدغمـت التـاءُ في الطـاءِ وأثبتـت الألـفُ ليسـلم السـكون لمـا بعدهـا(١).

وقـال الزَّجَّـاجُ: الأصـلُ: تطيَّرْنَـا فأدغمـت التـاءُ في الطـاءِ، واجتلبـت الألـفُ لسـكونِ الطـاءِ، فـإذا ابتـدأتَ قلـتَ: اطَّيَّرْنـا، وإذا وصلـتَ لم تَذْكـر الألـف، وتسـقط لأنَّهـا ألـفُ وصـلٍ(٢).

وإنَّـما تطـيَّروا بـه؛ لأنَّهـم قحطـوا وجاعـوا فــ﴿قَالَ﴾ لهـم ﴿طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ وقـد شرحنـا هـذا المعنـى في الأعـراف(٣).

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٢٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٣١).

وفي قوله: ﴿تُفْتَنُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: تختبرون بالخيرِ والشرِّ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: تصرفون عن دينكم، قاله الحسنُ.

والثالث: تبتلون بالطَّاعة والمعصية، قاله قتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النمل: ٤٨-٥٣].

قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي الحِجْر التي نزلها صالح ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: في أرض الحجر، وفسادهم: كفرُهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدماءَ ويَثِبون على الأموالِ والفروجِ، وهم الذين عملوا في قتل الناقة.

وروي عن سعيدِ بن جبيرٍ[١]، وعطاءِ بن أبي رباحٍ[٢] قالا: كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٧١) من طريق ابنِ حَرْمَلَةَ أو أَبِي حَرْمَلَةَ، عن سَعِيدِ بنِ الْمُسَيِّبِ قال: قَطْعُ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ، يَعْنِي: الْمَثَاقِيلَ الَّتِي أَجَازَهَا الْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ وَعَرَفُوهَا مِنَ الْفَسَادِ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦٩) بلفظ: «كَانُوا يُقْرِضُونَ الدَّرَاهِمَ».

﴿قَالُواْ﴾ فيما بينهم ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: احلفوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ أي: لنقتلنَّ صالحًا.

﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ ليلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾:

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «لتُبيِّتنَّه وأهله ثُمَّ لتقولن» بالتاءِ فيهما.

وقرأ مجاهدٌ، وأبو رجاء، وحميدُ بن قيسٍ: «لَيُبَيِّتُنَّهُ» بياءٍ وتاء مرفوعتين، «ثُمَّ لَيَقُولُنَّ» بياء مفتوحةٍ وقافٍ مرفوعةٍ وواو ساكنةٍ ولام مرفوعةٍ[1].

﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: لولي دمه إنْ سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ أي: ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾:

قرأ الأكثرونَ بضمِّ الميم وفتح اللامِ[2].

والمهلك: يجوز أَنْ يكون مصدرًا بمعنى الإهلاكِ، ويجوز أَنْ يكون الموضع.

وروى أبو بكرٍ وأبان عن عاصمٍ بفتح الميم وكسر اللام يريد الهلاكَ، يقال: هَلَكَ يَهلِك مَهلِكًا.

وروى عنه حفصٌ والمفضل بفتح الميم وكسر اللام، وهو اسم المكان على معنى ما شهدنا موضع هلاكِهم، فهذا كان مكرُهم فجازاهم الله عليه فأهلكهم.

---

(١) السبعة (ص:٤٨٣).

(٢) السبعة (ص:٤٨٣).

وفي صفةِ إهلاكهم أربعة أقوال:

أحدها: أنَّهم أتوا دار صالحَ شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكةُ بالحجارةِ، فقتلتهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: رماهم الله بصخرةٍ فقتلتهم، قاله قتادةُ.

والثالث: أنَّهم دخلوا غارًا ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرةً فسدَّت باب الغارِ، قاله ابنُ زيدٍ.

والرابع: أنَّهم نزلوا في سفح جبلٍ ينتظر بعضُهم بعضًا، ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبلُ فأهلكهم، قاله مُقاتلٌ[١].

قوله: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾:

قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ بفتح الألفِ. [٦١١/ب]

وقرأ الباقون بكسرها[٢].

فمن كسر استأنفَ، ومن فتح، فقال أبو عليٍّ: فيه وجهان:

أحدهما: أنْ يكون بدلًا من عاقبةِ مكرهم.

والثاني: أنْ يكون محمولاً على مبتدأ مضمرٍ كأنَّه قال: هو أنَّا دمَّرْنَاهُم[٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٣).

(٢) السبعة (ص: ٤٨٤).

(٣) الحجة (٥/ ٣٩٧).

قوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هي منصوبةٌ على الحالِ، المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاويةً[١].

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[النمل: ٥٤].

قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: وأنتم تعلمون أنَّها فاحشةٌ.

والثاني: وبعضُكم يُبصِرُ بعضًا.

قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: تجهلون القيامةَ، وعاقبة العصيانِ[٢].

قوله: ﴿قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها من الباقين في العذابِ.

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «قَدَرْنَاهَا» خفيفة، وهي في معنى المشدَّدة[٣].

وباقي القصة قد تقدَّم تفسيره[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨١).

(٣) السبعة (ص: ٤٨٤).

(٤) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٨٠، ٨٣).

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٥٩- ٦١].

قوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذا خطابٌ لرسولِ الله ﷺ، أمر أنْ يحمد الله على هلاكِ الأمم الكافرةِ، وقيل: على جميع نعمه.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ فيهم أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: الرُّسل رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

وروى عنه عكرمةُ قال: اصطفى إبراهيم بالخُلَّة، وموسى بالكلام، ومحمَّدًا بالرؤيةِ(١).

والثاني: أنَّهم أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، رواه أبو مالكٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

والثالث: أنَّهم الذين وحَّدوه وآمنوا به، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه محمَّدٌ ﷺ، قاله ابنُ السائبِ.

قوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (٣٦٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٤)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٨٥) وغيرهم.

قال أبو عُبيدةَ: مجازه أو ما يشركون(١).

وهذا خطابٌ للمشركين، والمعنى: الله خيرٌ لمن عبده، أم الأصنام لعابديها؟

ومعنى الكلام: أنَّه لما قصَّ عليهم قصص الأمم الخالية، أخبرهم أنَّه نجَّى عابديه، ولم تغنِ الأصنام عنهم.

قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تقديره: أمَّا يشركون خير، أمَّن خلق السماوات والأرض؟

فأمَّا الحدائق، فقال ابنُ قُتيبةَ: هي البساتينُ، واحدها حَدِيقَةٌ، سمِّيت بذلك؛ لأنَّه يُحدَقُ عليها، أي: يُحْظَرُ. والبهجةُ: الحسن(٢).

قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك لأنَّكم لا تقدرون عليه، ثُمَّ قال مستفهمًا منكرًا عليهم: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس معه إلهٌ، ﴿بَلْ هُمْ﴾، يعني كفَّار مكَّةَ ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ وقد شرحناه في فاتحة الأنعام(٣).

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مستقرًّا لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ أي: فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالًا ثوابت ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: مانعًا من قدرته بين العذب والملح أنْ يختلطا ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قدر عظمة الله.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٥).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٦).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١).

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾[النمل: ٦٢-٧٥].

قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ وهو: المكروبُ المجهودُ؛ ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني: الضرَّ.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يهلك قرناً وينشئ آخرين، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى تتَّعظون.

وقرأها أبو عمرو بالياءِ، والباقون بالتَّاءِ(١).

---

(١) السبعة (ص:٤٨٤).

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يرشدكم إلى مقاصدِكم إذا سافرتم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وقد بيَّناها في الأنعامِ(١)، وشرحنا ما يليها من الكلماتِ فيما مضى إلى قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني من في السمواتِ والأرضِ ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: متى يبعثونَ بعد موتهم. [٦١٢/أ]

قوله: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «بَلْ أَدْرَكَ».

قال مجاهدٌ: «بل» بمعنى: «أم»، والمعنى: لم يدرك علمهم(٢).

وقال الفَرَّاءُ: المعنى: هل أدرك علمُهم علم الآخرةِ؟ فعلى هذا يكون المعنى: إنَّهم لا يقفونَ في الدُّنيا على حقيقةِ العلمِ بالآخرةِ(٣).

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ على معنى: بل تدارك(٤)، أي: تتابع وتلاحقَ، فأُدغمتِ التَّاء في الدَّالِ.

ثُمَّ في معناها قولان:

أحدهما: بل تكامل علمهم يوم القيامةِ لأَنَّهُم مبعوثونَ، قاله الزَّجَّاجُ(٥).

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٦٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٣٧) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٩٩).

(٤) السبعة (ص:٤٨٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٧).

وقال ابنُ عبَّاسٍ: ما جهلوه في الدُّنيا علموه في الآخرةِ(١).

والثاني: بل تدارك ظنُّهم وحدسهم في الحكمِ على الآخرةِ، فتارة يقولون: إنَّها كائنةٌ وتارة يقولون: لا تكون، قاله ابنُ قُتيبةَ(٢).

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «بَلِ ادَّرَكَ» على وزنِ «افتعل» من أدركت.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي: بل هم اليوم في شكٍّ من القيامةِ ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: من علمِها(٣).

وما بعد هذا قد سبق بيانُه(٤) إلى قوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون العذاب الذي تعدنا.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: قرب لكم(٥).

وقال ابنُ قُتيبةَ: تبعكم، واللَّامُ زائدةٌ كأنَّه قال: رَدِفَكم(٦).

وفي ما تبعهم ممَّا استعجلوه قولان:

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٣).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (١٢٧)، وتفسير سورة المؤمنون الآية رقم (٣٥، ٨٢).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٨٤).

(٦) غريب القرآن (ص:٣٢٦).

أحدهما: يوم بدر.

والثاني: عذاب القبر.

قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

قال مُقاتلٌ: على أهل مكَّةَ حين لا يعجل عليهم بالعذابِ[١].

قولـه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: مـا تخفيـه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسـنتهم مـن عداوتـكَ وخلافـكَ، والمعنـى: أنَّـه يجازيهـم عليـه.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ أي: ومـا مـن جملـةٍ غائبـةٍ ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يعنـي: اللَّـوح المحفـوظ، والمعنـى: إنَّ علـم مـا يسـتعجلونه مـن العـذابِ بَـيِّنٌ عنـد الله، وإنْ غـابَ عـن الخلـقِ.

قولــه تعــالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[النمـل: ٧٦-٨٢].

قولـه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذلـك أنَّ أهـلَ الكتـابِ اختلفـوا فيـما بينهـم، فصـاروا أحزابًـا يطعـن بعضهـم عـلى بعـضٍ، فنـزل القـرآنُ ببيـان مـا اختلفـوا فيـه، فلـو أخـذوا بـه لسـلموا.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٦).

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم ﴾ يعني: بين بني إسرائيل ﴿ بِحُكْمِهِۦ ﴾:

وقرأ أبو المتوكِّلِ، وأبو عمران الجوني، وعاصمٌ الجحدري: «بِحِكَمِهِ» بكسرِ الحاءِ وفتح الكافِ[١].

قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ قال المفسِّرون: هذا مَثَلٌ ضربه الله للكفَّارِ فشبَّههم بالموتى.

قوله: ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾:

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «يَسْمَعُ الصُّمُّ» بفتح ميمِ «يسمع» وضمِّ ميم «الصم»[٢].

قوله: ﴿ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ أي: أَنَّ الصمَّ إذا أدبروا عنك، ثُمَّ ناديتهم لم يسمعوا، فكذلك الكافرُ ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ ﴾ أي: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى، ﴿ إِن تُسْمِعُ ﴾ إسماع إفهام ﴿ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾.

قوله: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ وقع بمعنى وجبَ.

وفي المرادِ بالقولِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: العذابُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الغضبُ، قاله قتادةُ.

والثالث: الحُجَّة، قاله ابنُ قُتيبةَ[٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٢) عن جناح بن حبيش.

(٢) السبعة (ص:٤٨٦).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٢٧).

ومتى ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: إذا لم يأمروا بمعروفٍ ولم ينهوا عن منكرٍ، قاله ابنُ عمرَ، وأبو سعيدٍ الخدري.

والثاني: إذا لم يرج صلاحهم، حكاه أبو سليمان الدِّمشقي، وهو [٦١٢/ ب] معنى قول أبي العالية، والإشارةُ بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إلى الكفَّارِ الذين تخرج الدابَّة عليهم.

وللمفسِّرين في صفةِ الدَّابَّةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ذاتُ وبرٍ وريشٍ، رواه حذيفةُ بنُ اليمانِ، عن رسولِ الله ﷺ(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ: ذاتُ زَغَبٍ وريشٍ لها أربعُ قوائم(٢).

والثاني: أنَّ رأسَها رأسُ ثورٍ، وعينها عينُ خنزيرٍ، وأذنها أذنُ فيلٍ، وقَرْنها قرنُ أيلٍ، وصدرها صدرُ أسدٍ، ولونها لونُ نَمِرٍ، وخاصرتها خاصرةُ هرٍّ، وذنبها ذنبُ كبشٍ، وقوائمها قوائمُ بعيرٍ، بين كلِّ مفصلين اثنا عشر ذراعًا، رواه ابنُ جريجٍ عن أبي الزُّبيرِ.

والثالث: أنَّ وجهها وجه رجلٍ، وسائر خلقِها كخلقِ الطَّيرِ، قاله وهبٌ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٤) من طريق رواد بن الجراح، عن الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، به، مطولًا.

ورواد بن الجراح الشامي، صدوق اختلط بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٨٢) ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره(١٦٦٠٢) من طريق معمر، عن قتادة، به، بنحوه.

والرابع: أنَّ لها أربعُ قوائم وزغبًا وريشًا وجناحين، قاله مُقاتلٌ[١].

وفي المكان الذي تخرج منه خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: من الصَّفا، روى حذيفةُ بنُ اليمانِ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «بَيْنَمَا عِيسَى يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَمَعَهُ الْمُسلمُونَ إِذْ تَضْطَرِبُ الأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ تَحَرُّكَ الْقِنْدِيلِ وَتَنْشَقُّ الصَّفَا مِمَّا يَلِي الْمَسْعَى وَتَخْرُجُ الدَّابَّة مِنَ الصَّفَا أوَّل مَا يَبْدُو رَأْسُهَا مُلَمَّعَة ذَاتَ وَبَرٍ وَرِيشٍ لَنْ يُدْرِكهَا طَالِبٌ وَلنْ يفوتها هارِبٌ»[٢].

وفي حديثٍ آخرَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «طُولُهَا سِتُّونَ ذِرَاعًا»[٣].

وكذلك قال ابنُ مسعودٍ: تخرجُ من الصَّفا.

وقال ابنُ عمرَ: تَخْرُجُ مِنْ صَدعٍ في الصَّفا كَجَرْيِ الفَرسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ وما خرج ثُلُثُهَا[٤].

وقال عبدُ الله بنُ عمرٍو: تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَيَمَسُّ رَأْسُهَا السَّحَابُ، وَرِجْلَاهَا فِي الأرضِ مَا خَرَجَتَا[٥].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٧).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٢٣) بإسناد فيه مجاهيل، عن حذيفة، مرفوعًا بلفظ مطول.

(٤) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (١٦٦٠١) في تفسيرهما من طريق عطية، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٦) منقول عبد الله بن عمرو.

والثاني: أنَّها تخرجُ من شعب أجياد، روي عن النَّبيِّ ﷺ، وعن ابنِ عمرَ مثله(١).

والثالث: تخرجُ من بعض أوديةِ تهامة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والرابع: من بحر سدوم، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

والخامس: أنَّها تخرج بتهامةَ بين الصَّفا والمروة، حكاه الزَّجَّاجُ(٢).

وقد روى أبو هريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ»(٣).

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «تَسِمُ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ، وَتَسِمُ الْكَافِرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، فَتَصْرُخُ ثَلاثَ صَرَخَاتٍ يَسْمَعُهَا مَنْ بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ»(٤).

---

(١) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في الدر المنثور (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٨٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٢٩).

(٣) رواه الطيالسي (٢٥٦٤)، وأحمد (١٣/ ٣٢١)، والترمذي (٣١٨٧)، وابن ماجه (٤٠٦٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (١٦٥٩٢) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أوس بن خالد، به، بنحوه. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٤) من طريق رواد بن الجراح، عن الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، به، مطولًا.
ورواد بن الجراح الشامي، صدوق اختلط بأخرة فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد.

وقال حُذيفةُ بنُ أَسِيدٍ: إنَّ للدابَّة ثَلاث خَرجاتٍ: خرْجةٌ في بعض البوادي ثُمَّ تنكتم، وخرجةٌ في بعضِ القرى ثُمَّ تنكتم، فبينما النَّاس عند أشرف المساجدِ يعني المسجد الحرام، إذ ارتفعت الأرضُ فانطلق النَّاس هرابًا فلا يفوتونها، حتى إنَّها لتأتي الرَّجل وهو يصلِّي فتقول: أتتعوَّذ بالصلاة والله ما كنت من أهلِ الصَّلاةِ، فَتَخْطِمُهُ، وتجلو وجه المؤمنِ(١).

[٦١٣/أ] وقال عبدُ الله بنُ عمرٍو: إنَّها تنكتُ في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه، فيسوَّدُ وجهه، وتنكتُ في وجه المؤمنِ نكتة بيضاء، فتفشو في وجهه حتَّى يبيض وجههُ، فيعرف النَّاس المؤمن والكافر، ولكأنِّي بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج(٢).

قوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾.

قرأ الأكثرونَ: بتشديدِ اللَّامِ، فهو من الكلامِ.

وفيها تكلِّمهم به ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها تقولُ لهم: إنَّ النَّاسَ كانوا بآياتنا لا يوقنون، قاله قتادةُ.

والثاني: تكلِّمهم ببطلانِ الأديانِ سوى دين الإسلامِ، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: تقول: هذا مؤمنٌ، وهذا كافرٌ، حكاه الماورديُّ(٣).

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١١٦٥)، وابن جرير الطبري (١٨/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (١٦٥٩٣) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٢٦).

(٣) النكت والعيون (٤/ ٢٢٧).

وقرأ ابنُ أبي عبلةَ، والجحدريُّ: بتسكينِ الكافِ وكسرِ اللَّامِ وفتحِ التَّاءِ[1]، فهو من الكَلْمِ، قال ثعلبُ: والمعنى: تجرحهم.

وسئل ابنُ عبَّاسٍ عن القراءتين فقال: كلُّ ذلك والله تفعل، تُكَلِّمُ المؤمنَ، وتَكْلِمُ الفاجرَ والكافرَ، أي: تَجْرَحُهُ[2].

قوله: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾:

قرأ عاصمٌ[3]، وحمزةُ، والكسائيُّ، بفتحِ الهمزةِ، وكسرَها الباقون، فمن فتح أرادَ: تكلِّمهم بأنَّ النَّاسَ.

وهكذا قرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عمران الجوني: «تُكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ النَّاسِ» بزيادةِ باءٍ مع فتح الهمزةِ، ومن كسرَ فلأن معنى تكلِّمهم: تقولُ لهم: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾، والكلام قول[4].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النمل: ٨٣-٨٦].

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٢)، والتحصيل (٥/ ١٢٠) عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٠٦).

(٣) وقع في الأصل: (ابن عاصم)، وما أثبتناه هو الصواب، وهو الموافق للنُّسخ الأخرى.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٢) عن ابن مسعود.

قولـه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ الفـوج: الجماعـةُ مـن النَّـاسِ كالزمـرة، والمـراد بـه الرُّؤسـاء والمتبوعـون في الكفـرِ، حـشروا وأقيمـت الحجَّـة عليهـم، وقـد سـبق معنـى: ﴿يُوزَعُونَ ﴾[1].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو ﴾ إلى موقـفِ الحسـابِ قـال الله تعـالى لهـم: ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى ﴾ هـذا اسـتفهامُ إنـكارٍ عليهـم ووعيـدٌ لهـم.

﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لم تعرفوها حقَّ معرفتها.

والثاني: لم تحيطوا علمًا ببطلانها، والمعنى: إنَّكم لم تتفكَّروا في صحَّتها.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدُّنيا فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه؟

قوله: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم ﴾ قد شرحناه آنفًا[2].

﴿بِمَا ظَلَمُوا۟ ﴾ أي: بـما أشركـوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ بحجَّـة عـن أنفسـهم، ثُـمَّ احتـج عليهـم بالآيـة التـي تـلي هـذه.

ومعنى قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي: يبصر فيه لابتغاءِ الرِّزق.

قولـه تعـالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن

(١) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (١٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٢).

فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النمل: ٨٧-٩٠].

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هذه النَّفخةُ الأولى.

قوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال المفسِّرون المعنى: فيفزع مَن في السَّماواتِ، ومَن في الأرضِ، والمرادُ أنَّهم ماتوا، بلغ بهم الفزعُ إلى الموتِ.

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهُم الشُّهداءُ، قاله أبو هريرةَ، وابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموتِ، ثُمَّ إنَّ الله تعالى يميتهم بعد ذلك، قاله مُقاتلٌ[1].

والثالث: أنَّهم الذين في الجنَّةِ من الحورِ وغيرهن، وكذلك مَن في النَّارِ، لأنَّهم خلقوا للبقاءِ، ذكره أبو إسحاقَ بنُ شاقلا من أصحابِنا.

قوله: ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: من الأحياءِ الذين ماتوا ثُمَّ أُحيوا ﴿أَتَوْهُ﴾:

وقرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿أَتَوْهُ﴾ بفتحِ التَّاءِ مقصورة[2]، أي: يأتون الله يومَ القيامةِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٨).

(٢) انظر: السبعة (ص:٤٨٧).

﴿دَاخِرِينَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ(١)، ومجاهدٌ، وقتادةُ(٢): صاغرين.

قال أبو عُبيدةَ: ﴿وَكُلٌّ﴾ لفظه لفظُ الواحدِ، ومعناه يقعُ على الجميعِ، فهذه الآية في موضعِ جمعٍ(٣).

قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾. [٦١٣/ب]

قال ابنُ قُتيبةَ: هذا يكونُ إذا نفخَ في الصُّور تجمع الجبال وتسيرُ، فهي لكثرتها تحسب ﴿جَامِدَةً﴾ أي: واقفةً ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ أي: تسيرُ سير السَّحابِ، وكذلك كل جيشٍ عظيمٍ يحسبه الناظرُ من بعيدٍ واقفًا، وهو يسيرُ لكثرته.

قال الجعديُّ: يصف جيشًا [من الطويل](٤):

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تُهَمْلِجُ

قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (١٦٦٣٢)، في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٩٦).

(٤) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (ص:١٨٧)، وتأويل مشكل القرآن (ص:٤)، والمحكم والمحيط (٨/ ٢٨٥)، ولسان العرب (٣/ ٢٤٩)، وتاج العروس (٨/ ٢٧١)، وشرح القصائد السبع (١/ ٤٦١).

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على المصدرِ، لأنَّ قولَه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ دليلٌ على الصَّنعةِ، فكأنَّه قال: صنع الله ذلك صنعًا، ويجوزُ الرَّفعُ على معنى: ذلك صنعُ الله[1].

فأمَّا الإتقان فهو في اللُّغةِ: إحكامُ الشَّيءِ.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «يَفْعَلُونَ» بالياءِ.

وقرأ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ بالتَّاءِ[2].

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قد شرحنا الحسنةَ والسيئةَ في آخرِ الأنعامِ[3].

قوله: ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ فيه قولان:

أحدُهما: فله خيرٌ منها يصل إليه وهو الثوابُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، وعكرمةُ.

والثاني: فله أفضل منها، لأنَّه يأتي بحسنةٍ فيعطى عشر أمثالها، قاله زيدُ بنُ أسلمَ.

قوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «وهُم من فَزَعِ يَوْمِئِذٍ» مضافًا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٠).

(٢) السبعة (ص:٤٤٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية (١٦٠).

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتَّنوينِ ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ بفتحِ الميمِ[١].

وقال الفَرَّاءُ: الإضافةُ أعجبُ إليَّ في العربيَّةِ، لأنَّه فزعٌ معلومٌ، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فصيَّره معرفةً، فإذا أضفت مكان المعرفة كان أحبَّ إليَّ[٢].

واختار أبو عُبيدةَ قراءةَ التَّنوينِ، وقال: هي أعمُّ التأويلين، فيكون الأمنُ من جميع فزع ذلك اليومِ[٣].

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: إذا نوَّن جاز أن يعنى به فزعٌ واحدٌ، وجاز أن يُعنى به الكثرةُ، لأنَّه مصدرٌ، والمصادر تدلُّ على الكثرةِ، وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] وكذلك إذا أضيف جاز أن يُعنى به فزعٌ واحدٌ، وجاز أن يُعنى به الكثرة، وعلى هذا القول القراءتان سواءٌ، فإن أريد به الكثرة، فهو شاملٌ لكلِّ فزعٍ يكون يوم القيامةِ، وإن أريد به الواحد، فهو المشارُ إليه بقوله: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾[٤] [الأنبياء: ١٠٣].

وقال ابنُ السائبِ: إذا أطبقت النَّار على أهلها، فزعوا فزعةً لم يفزعوا مثلَها، وأهل الجنَّة آمنون من ذلك الفزعِ.

---

(١) السبعة (ص:٤٧٨).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣٠١).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٩٦).

(٤) الحجة (٥/ ٤٠٩).

قولــه: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قــال المفــسِّرون: هــي الــشِّركُ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يقـال: كببت الرجـلَ إذا ألقيتـه لوجهـهِ، وتقـول لهم خزنـة جهنَّـم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إلَّا جـزاء مـا كنتـم تعملـون في الدُّنيـا مـن الـشِّركِ.

قوله تعـالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمـل: ٩١-٩٣].

قولـه: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ المعنـى: قـل للمشركـين ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عمران الجوني: «ٱلَّتِي حَرَّمَهَا»(١)، وهي مكَّةُ.

وتحريمهـا: تعظيـمُ حرمتِهـا بالمنـعِ مـن القتـلِ فيهـا والسَّبي والكـفِّ عـن صيدهـا وشـجرها، ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾، لأنَّـه خالقُهُ ومالكُـه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: مــن المخلصـين لله بالتوحيـدِ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكـم [٦١٤/أ] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فلـه ثـوابُ اهتدائِـهِ ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: أخطـأ طريـقَ الهـدى ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: ليـس علـيَّ إلَّا البـلاغ.

---

(١) في التحصيـل (٥/ ١٢٠)، والمحـرر (٤/ ٢٧٢)، والبحـر المحيـط (٨/ ٢٧٦) عـن ابن مسـعود، وابـن عباس.

وذكر المفسِّرون: أنَّ هذا منسوخٌ بآية السَّيفِ، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ﴾ أي: قل لمن ضلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي وفقنا لقَبولِ ما امتنعتم منه ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ومتى يريهم؟

فيه قولان:

أحدهما: في الدُّنيا.

ثُمَّ فيها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ منها الدُّخان وانشقاق القمرِ، وقد أراهم ذلك، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: سيريكم آياته فتعرفونها في السَّماءِ وفي أنفسكم وفي الرِّزقِ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: القتلُ ببدر، قاله مُقاتلٌ[1].

والثاني: سيريكم آياته في الآخرةِ، فتعرفونها على ما قال في الدُّنيا، قاله الحسنُ.

قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ على معنى قل لهم.

وقرأ الباقونَ بالياءِ على أنَّه وعيدٌ لهم بالجزاءِ على أعمالهم[2].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣١٩).

(٢) السبعة (ص:٤٨٨).

سورة القصص

وهـي مكيَّـةٌ كلّهـا غـير آيـةٍ منهـا، وهـي قولـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص: ٨٥] فإنَّهـا نزلـت عليـه وهو بالجحفـةِ، في وقـتِ خروجِهِ للهجـرةِ، هـذا قـولُ ابـنُ عبَّـاسٍ.

وروي عن الحسنِ، وعطاءٍ، وعكرمةَ: أنَّها مكيَّةٌ كلّها.

وزعـم مُقاتـلٌ أنَّ فيهـا مـن المـدنيِّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قولـه ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصـص: ٥٥]، وفيهـا آيـةٌ ليسـت بمكيَّـة ولا مدنيـة، وهـي قولُـه ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصـص: ٨٥] نزلـت بالجحفـة[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قولـه تعـالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصـص: ١-٦].

---

(١) انظـر: تفسـير مقاتـل بـن سـليمان (٣/ ٣٣٤)، وتفسـير ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ١٤٩)، وتفسـير الثعلبـي (٧/ ٢٣٢).

قوله: ﴿طسٓمٓ﴾ قد سبق تفسيرُه.

قوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: طغى وتجبَّر في أرضِ مصر ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ أي: فرقًا وأصنافًا في خدمتِه ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾، وهم بنو إسرائيل، واستضعافُه إيَّاهم: استعبادُهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ بالقتلِ، والعمل بالمعاصي.

﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾:

وقرأ أبو رزين، والزُّهريُّ، وابنُ محيصن، وابنُ أبي عبلةَ: «يَذْبَحُ» بفتحِ الياءِ وسكونِ الذَّالِ خفيفة[1].

قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ أي: ننعم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾، وهم بنو إسرائيل ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ يقتدى بهم في الخيرِ.

وقال قتادةُ: ولاةً وملوكًا ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ لملكِ فرعون بعد غرقِهِ[2].

قوله: ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾:

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفُ: «وَيَرَى» بياءٍ مفتوحةٍ وإمالة الألف التي بعد الراء «فِرْعَونُ وَهَـٰمَـٰنُ وَجُنُودُهُمَا» بالرَّفعِ[3].

ومعنى الآية: أنَّهم أخبروا أنَّ هلاكهم على يدي رجلٍ من بني

---

(١) في المحرر (٤/ ٢٧٦)، والبحر المحيط (٢/ ٢٨٦) عن أبي حيوة، وابن محيصن.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (١٦٦٧٧) في تفسيرهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٣) السبعة (ص:٤٩٢).

إسرائيل، فكانوا على وجلٍ منهم، فأراهم الله ما كانوا يحذرون.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: ٧-٩].

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه إلهامٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ جبريلَ أتاها بذلك، قاله مُقاتلٌ(١).

والثالث: أنَّه كان رؤيا منام، حكاه الماورديُّ(٢).

قال مُقاتلٌ: واسمُ أمِّ موسى يوخابذ(٣).

قوله: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ قال المفسِّرون: كانت امرأة من القوابل مصافية لأمِّ موسى، فلمَّا وضعته تولَّت أمرها ثُمَّ خرجت، فرآها بعضُ العيون فجاؤوا ليدخلوا على أمِّ موسى، فقالت أخته: يا أمَّاه هذا الحرسُ بالباب، فَلَفَّت موسى في خرقةٍ ووضعته في التَّنور، وهو مسجَّرٌ، فدخلوا ثُمَّ خرجوا فقال [٦١٤/ب]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٦).

(٢) النكت والعيون (٤/ ٢٣٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٦) وفي المطبوع «يوكابد»، وأشار المحقق أنه وقع في نسخة «يوخاند».

لأختـه: أيـن الصَّبـي؟ قالت: لا أدري فسـمعت بكاءه مـن التنُّـور، فاطَّلعت وقد جعـل الله عليـه النَّـار بـردًا وسـلَامًا، فأرضعتـه بعـد ولادتِهِ ثلاثـة أشـهرٍ، وقيل: أربعـة أشـهرٍ، فلـما خافـت عليه صنعـت لـه التابوت.

وفي قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ قولان:

أحدهما: إذا خفت عليه القتل، قاله مُقاتلٌ(١).

والثاني: إذا خفت عليه أن يصيح أو يبكي، فيُسمع صوتُه، قاله ابنُ السائبِ.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ قولان:

أحدهما: أن يغرق، قاله ابنُ السائبُ.

والثاني: أن يضيع، قاله مُقاتلٌ(٢).

وقـال الأصمعـيُّ: قلـتُ لأعرابيَّـة: مـا أفصحـك، فقالـت: أو بعـد هـذه الآيـة فصاحـةٌ، وهـي قولـه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جمـع فيهـا بـين أمريـن، ونهيـين، وخبريـن، وبشـارتين.

قولــه: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقـاطُ إصابـة الـشَّيء مـن غـيرِ طلـبٍ، والمـراد بـآل فرعـون الذيـن تولَّـوا أخـذ التَّابـوت مـن البحـر.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٧).

وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: جواري امرأة فرعون، قاله السُّدِّيُّ.

والثاني: ابنةُ فرعون، قاله محمَّد بنُ قيسٍ.

والثالث: أعوان فرعون، قاله ابنُ إسحاقَ.

قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي: ليصيرَ بهم الأمرُ إلى ذلك، لا أنَّهم أخذوه لهذا، وهذه اللَّامُ تسمَّى لام العاقبة، وقد شرحناه في يونسَ[١].

وللمفسِّرين في معنى الكلامِ قولان:

أحدُهما: ليكون لهم عدوًّا في دينهم، وحزنًا لما يصنُعه بهم.

والثاني: عدوًّا لرجالهم وحزنًا على نسائهم، فقتل الرِّجال بالغرق، واستعبدَ النِّساء، وقالت امرأة فرعون، وهي آسيةُ بنتُ مزاحم، وكانت من بني إسرائيل تزوَّجها فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: رفع ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ على إضمارِ هو[٢].

قال المفسِّرون: كان فرعونُ لا يولد له إلَّا البناتُ، فقالت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فنصيب منه خيرًا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لا يشعرون أنَّه عدوٌّ لهم، قاله مجاهدٌ.

---

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٨٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٣).

والثاني: أنَّ هلاكهم على يديه، قاله قتادةُ.

والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أنَّا التقطناه، قاله محمَّدُ بنُ قيسٍ.

والرابع: لا يشعرون أنِّي أفعل ما أريد لا ما يريدون، قاله محمَّدُ بنُ إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[القصص: ١٠-١٣].

قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: فارغًا من كلِّ شيءٍ إلَّا من ذكر موسى، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ، والضَّحاكُ.

والثاني: أصبح فؤادها فزِعًا، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

وهي قراءةُ أبي رزينٍ، وأبي العاليةِ، والضَّحاكُ، وقتادةُ، وعاصمٌ الجحدري فإنَّهم قرؤوا: «فَزِعًا» بزاي معجمةٍ[١].

والثالث: فارغًا من وحينا بنسيانه، قاله الحسنُ وابنُ زيدٍ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٣) عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، وابن قطيب، وفضالة بن عبيد، وزاد في التحصيل (٥/ ١٤٤)، والبحر المحيط (٨/ ٢٨٩) الحسن.

والرابع: فارغًا من الحزن، لعلمها أنَّه لم يقتل، قاله أبو عُبيدةَ[١].

قال ابنُ قُتيبةَ: وهذا من أعجب التَّفسير، كيف يكون كذلك؟ والله يقول: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ وهل يربط إلَّا على قلبِ الجازعِ المحزون[٢].

قوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ **في هذه الهاء قولان:**

أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى موسى.

ومتى أرادت هذا فيه **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه حين فارقته، روى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، أنَّه [٦١٥/أ] قال: كَادَتْ تَقُولَ يَا بُنَيَّاهُ[٣].

قال قتادةُ: وذلك من شدَّة وجدها[٤].

والثاني: حين حُملت لرضاعه ثُمَّ كادت تقول: هو ابني، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: أنَّه لما كبر وسمعت النَّاس يقولون: موسى بن فرعون، كادت تقول: لا بل هو ابني، قاله ابنُ السائبِ.

والقول الثاني: أنَّها ترجع إلى الوحي، والمعنى: إنْ كادت لتبدي بالوحي، حكاه ابنُ جريرٍ[٥].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٢٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (١٦٧١٣) في تفسيرهما، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤١) من طريق حسان بن أبي الأشرس، عن سعيد بن جبير، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٧١) من طريق سعيد، به.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧١).

قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لولا ربطنا على قلبها، والربطُ إلْهَامُ الصبْرِ وتَشْدِيدُ القَلْبِ وتَقْوِيتُهُ(١).

قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدقين بوعدِ الله.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قصِّي أثره واطلبيه، هل تسمعين له ذكرًا؟ أي: أحيٌّ هو؟ أو قد أكلته الدوابُّ، ونسيت الذي وعدها الله فيه(٢).

وقال وهبٌ: إنَّما قالت لأخته: قصِّيه؛ لأنَّها سمعت أنَّ فرعون قد أصابَ صبيًّا في تابوت.

قال مُقاتلٌ: واسمُ أخته مريم(٣).

قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى قصِّيه: قصِّي أثره واتَّبعيه، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بعدٍ منها عنه وإعراض لئلَّا يفطنوا، والمجانبةُ من هذا(٤).

وقرأ أُبي بنُ كعبٍ، وأبو مجلز: «عن جَنَابٍ» بفتحِ الجيمِ والنُّون وبألفٍ بعدهما(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (١٦٧٢٢) في تفسيرهما من طريق سعيد بن جبير، به.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٨).

(٤) غريب القرآن (ص:٣٢٩).

(٥) إعراب شواذ القرآن (٢/ ٢٥٣).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عمران الجوني: «عَنْ جَانِبٍ» بفتح الجيم وكسرِ النُّونِ وبينهما ألفٌ(١).

وقرأ قتادةُ، وأبو العالية، وعاصمٌ الجحدري: «عن جَنْب» بفتح الجيمِ وإسكانِ النُّونِ من غير ألفٍ(٢).

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهم لا يشعرون أنَّه عدوٌّ لهم، قاله مجاهدٌ.

والثاني: لا يشعرون أنَّها أخته، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾، وهي جمعُ مُرْضِعٍ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن نردَّه على أمِّه، وهذا تحريمُ منعٍ لا تحريمُ شرعٍ.

قال المفسِّرون: بقي ثمانية أيَّام ولياليهن، كلما أُتِيَ بمرضع لم يقبل ثديها، فأهمَّهم ذلك، واشتدَّ عليهم، فقالت لهم أختُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ فقالوا لها: نعم، من تلك؟ فقالت: أمِّي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون، فلمَّا جاءت قبل ثديها.

وقيل: إنَّها لما قالت: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قالوا: لعلَّك تعرفين أهله، قالت: لا، ولكنِّي إنَّما قلت: وهم للملك ناصحون.

---

(١) في المحتسب (٢/ ١٤٩)، ومختصر ابن خالويه (ص:١١٣)، والتحصيل (٥/ ١٤٤)، والمحرر (٤/ ٢٧٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٠) عن النعمان بن سالم.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٣)، والتحصيل (٥/ ١٤٤) عن ابن عباس، وقتادة، والأعرج.

قوله: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ قد شرحناه في «طه»[١].

قوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بردِّ ولدها ﴿حَقٌّ﴾، وهذا علم عيان ومشاهدة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله وعدها أنَّ يردَّه إليها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٤-١٧].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قد فسَّرنا هذه الآية في سورة يوسف[٢]، وكلامِ المفسِّرين في لفظِ الآيتين متقاربٌ، إلَّا أنَّهم فرَّقوا بين بلوغ الأشدِّ وبين الاستواءِ.

فأمَّا بلوغ الأشدِّ فقد سلف بيانُه[٣].

وفي مدَّةِ الِاستواء لهم قولان:

أحدهما: أنَّه أربعون سنة، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: ستُّون سنة، ذكره ابنُ جريرٍ[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة طه الآية رقم (٤٠).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٢).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ١٨١) وقال: وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء، فقال بعضهم: يكون ذلك في أربعين سنة، وقال بعضهم: يكون ذلك في ثلاثين سنة.

قال المفسِّرون: مكث عند أمِّه حتى فطمته، ثُمَّ ردَّته إليهم فنشأ في حجر فرعون وامرأتِهِ واتَّخذاه ولدًا.

قوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها مصر.

والثاني: مدينةٌ بالقرب من مصرَ.

قال السُّدِّيُّ: ركب فرعون يومًا وليس عنده موسى، فلمَّا جاء موسى ركب في أثرِهِ، فأدركه المقيل في تلك المدينةِ(١). [٦١٥/ب]

وقال غيرُه: لَمَّا توهم فرعون في موسى أنَّه عدوُّه، أمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل إلَّا بعد أنْ كبر فدخلها يومًا ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

وفي ذلك الوقت أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم، قاله عليٌّ عليه السلام.

والثاني: أنَّه دخل نصف النَّهارِ، رواه جماعةٌ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: بين المغرب والعشاءِ، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ.

والرابع: أنَّهم لَمَّا أخرجوه لم يدخل عليهم حتَّى كبر، فدخل على حين غفلة عن ذكرِهِ، لأنَّه قد نسي أمره، قاله ابنُ زيدٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٨٣) من طريق أسباط بن نصر، به، بلفظ مطول.

قوله: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: من أصحابه من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: من أعدائه من القبط، والعدوُّ يذكر للواحد وللجمع.

قال الزَّجّاجُ: وإنّما قيل في الغائب: «هَٰذَا»، و«هَٰذَا» على جهة الحكاية للحضرة والمعنى: أنّه إذا نظر إليهما الناظرُ قال: هذا من شيعته، وهذا من عدوِّه[1].

قال المفسِّرون: وإنَّ القبطي كان قد سخر الإسرائيلي أنّ يحمل حطبًا إلى مطبخ فرعون، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ أي: فاستنصره ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾:

قال الزَّجّاجُ: الوكزُ: أَنْ يَضرِبَه بجميع كفِّه[2].

وقال ابنُ قُتيبةَ: فوكزه أي: لَكَزَهُ، يقال: وَكَزْتُهُ، ولَكَزْتُهُ، ولَهَزْتُهُ، إذا دَفَعْتُهُ، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، وكل شيءٍ فَرَغْتَ منه: فقد قضَيْتَه، وقضيتَ عليه[3].

وللمفسِّرين فيما وكزَهُ به قولان:

أحدهما: كفُّه، قاله مجاهدٌ.

والثاني: عصاه، قاله قتادةُ.

فلمّا مات القبطي ندم موسى، لأنّه لم يرد قتلَهُ، و﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: هو الذي هيَّج غضبي، حتّى ضربت هذا، ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٧).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٣٠).

لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾ عداوته. ثُمَّ استغفر فـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بقتلِ هذا، ولا ينبغي لنبيٍّ أَنْ يقتل حتَّى يؤمر ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالمغفرةِ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: عونًا للكافرين(١).

وهذا يدلُّ على أَنَّ الإسرائيليَّ الذي أعانه موسى كان كافرًا.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ١٨-٢٠].

قوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهي التي قتل بها القبطي ﴿خَآئِفًا﴾ على نفسِهِ ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظر سُوءًا ينالُه منهم، ويخاف أَنْ يقتل به ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾ وهو الإسرائيليُّ ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي: يستغيث بِهِ على قبطي آخَرَ، أراد أَنْ يسخره أيضًا.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰٓ﴾ في «هاء» الكنايةِ قولان:

أحدهما: أَنَّها ترجعُ إلى القبطي.

والثاني: إلى الإسرائيليِّ وهو أصحُّ، فعلى الأوَّلِ يكون المعنى: إنَّك لغوي بتسخيرك وظلمك، وعلى الثاني فيه قولان:

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٣).

أحدهما: أنْ يكون الغوي بمعنى المغوي، كالأليم والوجيع، بمعنى: المؤلم والموجع، والمعنى: إنَّك لمضل حين قتلتُ بالأمس رجلًا بسببك، وتدعوني اليوم إلى آخَرَ.

والثاني: أنْ يكون الغوي بمعنى الغاوي، والمعنى: إنَّك غاوٍ في قتالك مَن لا تطيق دفع شرِّه عنك.

قوله: ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا﴾ أي: بالقبطيِّ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ هذا قولُ الإسرائيليِّ من غير خلافٍ علمناه بين المفسِّرين قالوا: لمَّا رأى الإسرائيليُّ غضب موسى عليه، حين قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾ ورآه قد همَّ أنْ يبطش بالفرعوني، ظنَّ أنَّه يريده فخاف على نفسه، فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي﴾ وكان قوم فرعون لم يعلموا من قاتل القبطي، [٦١٦/أ]
إلَّا أنَّهم أتوا إلى فرعون فقالوا: إنَّ بني إسرائيل قتلوا رجلًا منَّا، فخذ لنا بحقِّنا، فقال: ابغوني قاتله، ومن يشهد عليه لآخذ لكم حقَّكم، فبينا هم يطوفون ولا يدرون من القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني، فلما قال الإسرائيليُّ لموسى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ﴾ انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره: أنَّ موسى هو الذي قتل الرَّجل، فأمر بقتل موسى، فعلم بذلك رجلٌ من شيعة موسى، فأتاه فأخبره فذلك قوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾.

فأمَّا الجبَّار، فقال السُّدِّيُّ: هو القتَّال، وقد شرحناه في هود[1]، و﴿أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ آخرها وأبعدها، ويسعى: بمعنى يسرعُ.

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٩).

قال ابنُ عبَّاسٍ: وهذا الرَّجلُ هو مؤمن آل فرعون، وسيأتي الخلافُ في اسمِهِ في سورة المؤمنِ، فأمَّا الملأ فهم الوجوه من النَّاس والأشراف.

وفي قوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: يتشاورون فيك ليقتلوك، قاله أبو عُبيدةَ(١).

والثاني: يهمُّون بك، قاله ابنُ قُتيبةَ(٢).

والثالث: يأمر بعضُهم بعضًا بقتلك، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٠٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٣٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٣٨).

وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢١-٢٨].

قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ أي: من مصرَ خائفًا وقد مضى تفسيرُه.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: المشركين أهل مصر.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: تجاه مدين ونحوها، وأصلُه: اللِّقاء، وزيدت فيه التَّاءُ.

قال الشاعر [من البسيط][1]:

.... فاليَــوْمَ قَــصَّرَ عَــنْ تِلْقائِــه الأَمَــلُ

أي: عن لقائك.

قــال المفسِّرون: خــرج خائفًــا بغــيرِ زادٍ ولا ظهــرٍ، وكان بــين مــصرَ ومديــنَ مســيرةَ ثمانيــة أيَّــامٍ، ولم يكــن لــه بالطريــق علــمٌ، فـــ ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قصــده.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لم يكن له علمٌ بالطَّريقِ إلَّا حسنَ ظنِّه بربِّه[2].

---

(١) البيـت للراعي النميري في ديوانه (ص:١٩٨)، والكتاب (١/ ٤٤١)، وشرح الكتاب (٤/ ٨٤)، والمقاصـد النحويـة (٢/ ٣٣٧)، ولسـان العـرب (١٥/ ٢٥٤)، وبـلا نسـبة في أدب الكاتـب (ص:٦٠٤)، وغريـب القـرآن (ص:٣٣١)، وصـدره: «أَمَّلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَـأْتِي مَواعِدُهُ».

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٢٠٣)، وابـن أبي حاتـم (١٦٧٩٩) في تفسيرهما مـن طريـق سـعيد بـن جبـير، بـه.

وقال السُّدِّيُّ: بعث الله له مَلَكًا فدلَّه، قالوا: ولم يكن له في طريقِهِ طعامٌ إلَّا ورق الشَّجرِ، فوردَ ماء مدين، وخضرة البقلِ تتراءى في بطنِهِ من الهزالِ[١].

والأمةُ: الجماعةُ، وهم الرُّعاةُ ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: من سوى الأمة ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ وهما ابنتا شعيبٍ.

قال مُقاتلٌ: واسمُ الكبرى: صَبُورا، والصُّغرى: عَبْرا[٢].

﴿تَذُودَانِ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: تكُفَّان غَنَمهما، فحذفَ الغنمَ اختصارًا[٣].

قال المفسِّرون: وإنَّما فعلتا ذلك ليفْرُغ النَّاس، وتخلو لهما البئرُ.

قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ يعمرَ، وابنُ السَّمَيْفَعِ: «لا نُسْقِي» برفعِ النُّونِ ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾[٤].

وقرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ: «يَصْدُر» بفتح الياءِ وضمِّ الدَّالِ، أي: حتَّى يرجعَ الرِّعاءُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٠٣) بنحوه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤١).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٣٢).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤)، والمحرر (٤/ ٢٨٣)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٧) عن ابن مصرف، وزاد في التحصيل (٥/ ١٤٤) طلحة بن سليمان

وقرأ الباقون: ﴿يُصْدِرَ﴾ بضمِّ الياءِ وكسرِ الدَّالِ[١].

أرادوا: حتَّى يرد الرِّعاءُ غنمهم عن الماءِ، والرِّعاءُ: جمع راعٍ كما يقال: صَاحِبٍ وَصِحَابٍ.

وقرأ عكرمةُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجحدري: «الرُّعَاء» بضمِّ الرَّاءِ[٢].

والمعنى: نحن امرأتان لا نستطيعُ أَنْ نزاحمَ الرِّجالَ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أَنْ يسقي ماشيته من الكبر، فلذلك احتجنا نحنُ إلى أَنْ نَسْقِي، وكان على تلك البئرِ صخرةٌ عظيمةٌ، فإذا فرغَ الرِّعاءُ من سقيهم [٦١٦/ب]
أعادوا الصَّخرة، فتأتي المرأتان إلى فضولِ حياض الرِّعاء، فتسقيان غنمهما ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ موسى.

وفي صفةِ ما صنع قولان:

أحدهما: أنَّه ذهب إلى بئرٍ أُخرى، عليها صخرةٌ لا يقتلعها إلَّا جماعة من النَّاسِ، فاقتلعها وسقى لهما، قاله عمرُ بنُ الخطَّابِ، وشُريحٌ.

والثاني: أنَّه زاحمَ القومَ على الماءِ وسقى لهما، قاله ابنُ إسحاقَ.

والمعنى: سقى غنمهما لأجلهما.

---

(١) السبعة (ص:٤٩٢).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤) عن بعضهم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ أي: انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾، وهو ظلُّ شجرةٍ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ اللَّام بمعنى إلى، فتقديره: إنِّي إلى ما ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وأرادَ بالخيرِ: الطَّعام.

وحكى ابنُ جريرٍ: أنَّه أسمعَ المرأتينِ هذا الكلامَ تعريضًا أنْ تطعماهُ.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ المعنى: فلمَّا شرِبت غنمهما، رجعتا إلى أبيهما، فأخبرتاه خبر موسى، فبعث إحداهما تدعو موسى[١].

وفيها قولان:

أحدُهما: الصُّغرى.

والثاني: الكُبرى.

فجاءته ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ قد سترت وجهها بكُمِّ دِرْعها.

وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان من صفتها الحياء، فهي تمشي مشي مَن لم يعتد الخروجَ والدُّخولَ.

والثاني: لأنَّها دعته لتكافئه، وكان الأجمل عندها أنْ تدعوه من غيرِ مكافأةٍ.

والثالث: لأنَّها رسولُ أبيها.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المفسِّرون: لما سمِعَ موسى هذا القول، كرهه وأراد أنْ لا يتبعها، فلم يجد بُدًّا للجهد الذي به من

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٢١٥).

اتباعها، فتبعها فكانت الرِّيحُ تضرب ثوبَها فيصف بعض جسدِها، فناداها يا أمةَ الله كوني خلفي، ودلِّيني الطَّريقَ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ أي: جاء موسى شعيبًا، ﴿وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ أي: أخبره بأمرِهِ من حين ولد، والسبب الذي أخرجَهُ من أرضِهِ، قال: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا سلطانَ لفرعونَ بأرضنا، ولسنا في مملكتِهِ.

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ وهي الكُبرى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ أي: اتَّخذه أجيرًا، ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ أي: خير مَن استعملت على عملك، مَنْ قَوِيَ على عملك وأدَّى الأمانةَ، وإنَّما سمَّته قويًّا لرفعِهِ الحجرَ عن رأسِ البئرِ، وقيل: لأنَّه استقى بدلوٍ لا يُقِلُّها إلَّا العدد الكثير من الرِّجالِ، وسمَّته أمينًا، لأنَّه أمرها أنْ تمشي خلفَهُ.

وقال السُّدِّيُّ: قال لها شعيبٌ: قد رأيت قوَّته، فما يدريك بأمانته؟ فحدَّثته.

قال المفسِّرون: فرغب فيه شعيب، فقال له: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾ أي: أزوِّجك ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾.

قال الفرَّاءُ: تَأْجُرَني وتَأْجِرَني بضمِّ الجيمِ وكسرِها لغتانِ[1].

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: تكون أجيرًا لي ثماني سنين ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ أي: فذلك تَفَضُّلٌ منك، وليس بِوَاجِبٍ عَلَيْكَ[2].

---

(١) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ١١٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤١).

قولـه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ أي: في العـشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في حسـنِ الصُّحبـةِ والوفـاءِ بـما قلـت.

﴿قَالَ﴾ لـه موسـى: ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾ أي: ذلـك الـذي وصفـت وشرطـت عـليَّ فلـكَ، ومـا شرطـت لي مـن تزويـج إحداهمـا فـلي، فالأمـرُ كذلـك بيننـا، وتـمَّ الـكلامُ هاهنـا. [٦١٧/أ]

ثُمَّ قال: ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ يعني: الثماني، والعشر.

قال أبو عُبيدةَ: ما زائدةٌ(١).

قولـه: ﴿قَضَيۡتُ﴾ أي: أتممـت ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ أي: لا سـبيلَ عـليَّ، والمعنـى: لا تعتـد عـلي بـأنْ تلزمنـي أكثـر منـه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: والله شَاهِدُنا ما عَقَدَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ(٢).

واختلف العلماءُ في هذا الرَّجل الذي استأجر موسى على أربعةِ أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه شـعيبٌ نبـيُّ الله ﷺ، وعـلى هـذا أكثـر أهـل التَّفسـير، وفيـه أثـرٌ عـن النَّبـيِّ ﷺ يـدلُّ عليـه، وبـه قـال وهـبٌ، ومُقاتـلٌ(٣).

والثاني: أنَّه صاحبُ مدين، واسمُه يثرى، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: رجلٌ من قومِ شعيبٍ، قالَه الحسنُ.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٠٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٢)، والدر المنثور (٦/ ٤٠٧).

والرابع: أنَّه يثرون ابن أخي شعيب، رواه عمرو بن مرَّة، عن أبي عبيدةَ بن عبدِ الله بن مسعودٍ، وبه قال ابنُ السائبِ.

واختلفوا في التي تزوَّجها موسى من الابنتين على قولين:

أحدُهما: الصُّغرى، روي عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: الكبرى، قاله مُقاتلٌ(١).

وفي اسمِ التي تزوَّجها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: صَفْوريا، حكاه أبو عمرانَ الجوني.

والثاني: صفورة، قاله شعيبٌ الجبائي.

والثالث: صُبُورا، قاله مُقاتلٌ(٢).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٢).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٢).

لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[القصص: ٢٩-٣٥].

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾.

روى ابنُ عبَّاسٍ، عن رسولِ الله ﷺ، أنَّه سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: «أَوْفَاهُمَا وَأَطْيَبُهُمَا»[(١)].

قال مجاهدٌ: مكث بعد قضاءِ الأجلِ عندهم عشرًا أُخَرَ[(٢)].

وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: أقام عندهم بعد أَنْ أدخلَ عليه امرأته سنين، وقد سبق تفسيرُ هذِهِ الآيةِ[(٣)] إلى قولِهِ: ﴿أَوْ﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ: «أو جِذوة» بكسرِ الجيمِ.

وقرأ عاصمٌ بفتحها، وقرأ حمزةُ، وخلفٌ، والوليدُ عن ابنِ عامرٍ بضمِّها، وكلها لغاتٌ[(٤)].

---

(١) رواه الحميدي في مسنده (٥٤٥)، والبزار في مسنده (٢٢٤٥) كما في كشف الأستار، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٠٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٩٤) وغيرهم، والروايات مطولة ومختصرة، وقد روي موقوفًا على ابن عباس، وهو الصواب.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم (١٦٨٦٩) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) انظر: تفسير سورة «طه» الآية رقم (١٠).

(٤) السبعة (ص:٤٩٣).

قال ابنُ عبَّاسٍ: الجذوةُ: قطعةُ حطبٍ فيها نارٌ(١).

وقال أبُو عُبيدةَ: قطعةٌ غليظةٌ من الحطبِ، ليس فيها لهبٌ، وهي مثل الجِذْمة من أصلِ الشَّجرةِ، قال ابنُ مقبل [من البسيط](٢):

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الْجُذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ

والدَّعِر: الذي قد نخرَ، ومنه رجلٌ دَاعِر أي: فاسدٌ.

قوله: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ﴾، وهو جانبه ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾، وهو الذي عن يمين موسى ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ﴾، وهي القطعةُ من الأرض ﴿ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ بتكليم الله موسى فيها من الشجرةِ أي: من ناحيتها.

وفي تلك الشجرة قولان:

أحدهما: أنَّها شجرةُ العُنَّاب، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: عوسجة، قاله قتادةُ، وابنُ السائب، ومُقاتلٌ(٣).

وما بعد هذا قد سبق بيانُه(٤) إلى قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ أي: من أنْ ينالك مكروهٌ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨).

(٢) البيت في ديوانه (ص:٩١)، ومجاز القرآن (٢/ ١٠٣)، ولسان العرب (٤/ ٢٨٦) (دعر)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٠٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٨٣)، والمخصص (١١/ ٢٣)، والكامل (ص: ٦٨٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٤).

(٤) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (١٠).

قوله: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ أي: أدخلها ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ قد فسَّرنا الجناح في طه[1] إلَّا أنَّ بعضَ المفسِّرين خالف بين تفسير اللَّفظين، فشرحناه.

وقال ابنُ زيدٍ: جناحه الذِّراعُ والعضدُ والكفُّ[2].

وقال الزَّجَّاجُ: الجناحُ هاهنا العضدُ، ويقال لليدِ كلها: جناحٌ[3].

وحكى ابنُ الأنباريِّ، عن الفرَّاء أنَّه قال: الجناح هاهنا العصا. [٦١٧/ ب]

قال ابنُ الأنباري: الجناحُ للإنسان مشبه بالجناح للطائرِ، ففي حال تشبه العرب رجلي الإنسان بجناحي الطائر، فيقولون: قد مضى فلانٌ طائرًا في جناحيه، يعنون ساعيًا على قدميه، وفي حال يجعلون العضد منه بمنزلة جناحي الطائرِ كقوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وفي حال يجعلون العصا بمنزلة الجناحِ، لأنَّ الإنسانَ يدفع بها عن نفسِهِ كدفعِ الطَّائرِ عن نفسِهِ بجناحِهِ، كقوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾، وإنَّما يوقع الجناح على هذه الأشياءِ تشبيهًا واستعارةً، كما يقال: قد قُصَّ جناح الإنسان، وقد قطعت يده ورجله: إذا وقعت به جائحةٌ أبطلت تصرُّفه، ويقول الرَّجل للرَّجلِ: أنت يدي ورجلي، أي: أنت من به أصل إلى محابِّي، قال جرير [من الوافر][4]:

---

(١) انظر: تفسير سورة «طه» الآية رقم (٢٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٣).

(٤) في ديوانه (١/ ٨٩)، والعقد الفريد (١/ ٣٣١)، وشرح شواهد المغني (١/ ٤٣).

سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيشِي ... وَأَنْبَتَّ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي

وقالت امرأةٌ من العربِ ترثي زوجها الأغر[١]:

يَا عِصْمَتِي فِي النَّائِبَاتِ وَيَا ... رُكْنِي الْأَغَرُّ وَيَا يَدِيَ الْيُمْنَى

لَا صُنْتُ وَجْهاً كُنْتَ صَائِنَهُ ... أَبَدًا وَوَجْهُكَ فِي الثَّرَى يَبْلَى

فأمَّا ﴿ٱلرَّهَبِ﴾، فقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «مِنَ الرَّهَب» بفتحِ الرَّاءِ والهاءِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «مِنَ ٱلرُّهْبِ» بضمِّ الرَّاءِ وسكونِ الهاءِ.

وقرأ حفصٌ، وأبان عن عاصمٍ: ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ بفتحِ الرَّاءِ وسكونِ الهاءِ[٢].

وهي قراءةُ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيْفَع.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والحسنُ، وقتادةُ، بضمِّ الرَّاءِ والهاءِ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: الرُّهْب، والرَّهَب بمعنى واحدٍ، مثل الرُّشْد، والرَّشَدُ[٤].

وقال أبو عُبيدةَ: الرَّهَبُ، والرَّهْبةُ بمعنى: الخوفِ والفرقِ[٥].

---

(١) البيتان في بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ص:١٨٩)

(٢) السبعة (ص:٤٩٣).

(٣) «الرُّهُبِ» عن عيسى بن عمر، والجحدري في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤)، والتحصيل (٥/ ١٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٣).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٠٤).

وقـال ابـنُ الأنبـاريِّ: الرَّهْـب، والرُّهُـب، والرَّهَـب مثـل الشَـغْل، والشُّغُل، والشَّـغَل، والبَخْـل، والبُخُـل، والبَخَـل، وتلـك لغـات ترجـعُ إلى معنـى الخـوفِ والفـرقِ.

وللمفسِّرين في معنى هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه لمـا هـرب مـن الحيَّـةِ، أمـرهُ الله أَنْ يضـمَّ إليـه جناحـه، ليذهـب عنـه الفـزعُ.

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: المعنـى: اضمـم يـدكَ إلى صـدركَ مـن الخـوفِ، ولا خـوفَ عليـك[١].

وقال مجاهدٌ: كل من فزعَ فضمَّ جناحه إليه، ذهبَ عنه الفَزَعُ[٢].

والثـاني: أنَّـه لَّمـا هالَـهُ بيـاضُ يـدِهِ وشـعاعها، أمـر أَنْ يدخلَهـا في جيبـه، فعـادت إلى حالتهـا الأُولى.

والثالث: أنَّ معنى الكلام سكِّن روعكَ وثبِّت جأشكَ.

قـال أبـو علـيٍّ: ليس يـرادُ بـه الضم بـين الشـيئين، إنَّـما أمـر بالعـزمِ عـلى مـا أمـر بـه والجـد فيـه، ومثلـه اشـدد حيازيمـك للمـوتِ[٣].

قوله: ﴿فَذَٰنِكَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «فَذَانِّكَ» بالتَّشديدِ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٩٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحجة (٥/ ٤١٦).

وقرأ الباقون: ﴿فَذَٰنِكَ﴾ بالتَّخفيفِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: التشديدُ تثنيةُ «ذٰلِكَ»، والتَّخفيفُ تثنيةُ «ذاك» فجعلَ اللَّام في «ذلك» بدلًا من تشديدِ النُّونِ في ذانك، ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ أي: بيانان اثنانِ[٢].

[٦١٨/أ] قال المفسِّرون: فذانك يعني: العصا، واليد حجَّتان من الله لموسى على صدقِهِ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فرعونَ، وقد سبق تفسيرُ ما بعد هذا[٣] إلى قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ أي: أحسنُ بيانًا، لأنَّ موسى كان في لسانه أثر الجمرة التي تناولها، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾.

قرأ الأكثرونَ: ﴿رِدْءًا﴾ بسكونِ الدَّالِ وبعدها همزة.

وقرأ أبو جعفر: «رِدَا» بفتح الدَّالِ وألف بعدها من غير تنوينٍ ولا همزٍ.

وقرأ نافعٌ كذلك، إلَّا أنَّه نوَّن[٤].

وقال الزَّجَّاجُ: الرِّدء: العَوْنُ، يقال: رَدَأْتُهُ أَردؤُه رَدْءًا: إذا أعنتَه[٥].

قوله: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾.

قرأ عاصمٌ، وحمزةُ: ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بضمِّ القافِ.

---

(١) السبعة (ص:٤٩٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الشعراء الآية رقم (١٤).

(٤) السبعة (ص:٤٩٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٤).

وقرأ الباقونَ بسكونِ القافِ[(١)].

قال الزَّجَّاجُ: من جزم «يُصَدِّقْنِي» فعلى جوابِ المسألةِ: أرسله «يُصَدِّقْنِي»، ومَن رفعَ فالمعنى: رِدْءاً مصدِّقاً لِيَ[(٢)].

وأكثر المفسِّرين على أنَّه أشار بقولِهِ تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ إلى هارونَ.

وقال مُقاتلُ بنُ سليمانَ: لكي يصدِّقني فرعون[(٣)].

قوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: سنعينك بأخيك، ولفظ العضد على جهة المثلِ، لأنَّ اليدَ قوامُها عضدُها، وكلُّ معينٍ فهو عضدٌ، ﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا﴾ أي: حجَّةً بيِّنةً.

وقيل للزيت: السليط؛ لأنَّه يستضاءُ به، والسلطانُ: أبين الحجج[(٤)].

قوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا﴾ أي: بقتلٍ ولا أذًى.

وفي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ المعنى: تمتنعان منهم بآياتنا وحججنا، فلا يصلونَ إليكما.

والثاني: أنَّه متعلِّق بما بعده، فالمعنى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾، أي: تغلبون بآياتنا.

---

(١) السبعة (ص: ٤٩٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٤).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٤).

والثالث: أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا تقديرُه: ونجعل لكما سلطانًا بآياتنا، فلا يصلون إليكما.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ ﴾ [القصص: ٣٦- ٣٧].

قوله: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلَّا سحرٌ افتريته من قبل نفسك ولم تبعث به، ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ الذي تدعونا إليه ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ ﴾:

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «قال موسى» بلا واو، وكذلك هي في مصاحفهم[1].

﴿بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: هو أعلمُ بالمحقِّ منَّا ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، والمفضل: «يَكُونُ» بالياءِ، والباقونَ بالتَّاء[2].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ

(١) السبعة (ص: ٤٩٤).

(٢) السبعة (ص: ٤٩٤).

أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٣٨-٤٢].

قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: اصنع لي الآجُرَّ، ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ أي: قصرًا عاليًا[1].

وقال الزَّجَّاجُ: الصَّرح كل بناءٍ متَّسع مرتفع[2].

وجاء في التَّفسير: أنَّه لَمَّا أمر هامان ـ وهو وزيرُه ـ ببناءِ الصَّرحِ، جمع العمَّال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع، فرفعوه وشيَّدوه حتَّى ارتفع ارتفاعًا لم يبلغه بنيان أحدٍ قطُّ، فلمَّا تمَّ ارتقى فرعونُ فوقه، وأمر بنشابة فرمى بها نحو السَّماءِ، فرُدَّت وهي متلطِّخةٌ بالدَّمِ، فقال: قد قتلتُ إله موسى، فبعثَ الله تعالى جبريل فضربَهُ بجناحه فقطَعَهُ ثلاث قطعٍ، فوقعت قطعةٌ على عسكرِ فرعون، فقتلت ألف ألف رجلٍ، ووقعت أُخرى في البحرِ، وأخرى في المغربِ.

قوله: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ أي: أصعدُ إليه وأُشرفُ عليه.

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٣٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٥).

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني: موسى ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعائِهِ إلهًا غيري. [٦١٨/ب]

وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أظنُّ موسى كاذبًا في ادِّعائِهِ، أنَّ في السَّماءِ ربًّا أرسله[1].

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني أرض مِصرَ ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالباطلِ والظُّلمِ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ بالبعثِ للجزاءِ.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿لَا يُرۡجَعُونَ﴾ برفعِ الياءِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بفتحها[2].

قوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ أي: قادةً في الكفرِ يأتم بهم العتاة، ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ لأنَّ مَن أطاعهم دخلها ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ بمعنى: يمنعون من العذابِ، وما بعد هذا مفسرٌ في هودَ[3].

قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ أي: من المبعدين الملعونينَ.

قال أبو زيدٍ: يقال: قبَّح الله فلانًا، أي: أبعدَه من كلِّ خيرٍ[4].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٥٤).

(٢) السبعة (ص:٤٩٤).

(٣) انظر: تفسير سورة هود الآيات رقم (٦٠، ٩٩).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٠).

وقال ابنُ جريجٍ: معنى الآية: وأتبعناهم في هذه الدُّنيا لعنة ويومَ القيامةِ لعنة أُخرى، ثُمَّ استقبل الكلام فقال: هم من المقبوحين(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص: ٤٣-٤٧].

قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: قومَ نوحٍ، وعادٍ، وثمودَ وغيرَهم.

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: ليبصروا به ويهتدوا.

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: وما كنت بجانب الجبلِ الغربي(٢).

قوله: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أحكمنا الأمر معهُ بإرسالِهِ إلى فرعونَ وقومِهِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٥٨) من طريق حجاج، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٦).

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ لذلك الأمرِ، وفي هذا بيانٌ لصحَّةِ [نبوَّةِ][1] نبيِّنا ﷺ، لأنَّهم يعلمون أنَّه لم يقرأ الكُتُبَ، ولم يشاهد ما جرى فلولا أنَّه أوحي إليه ذلك ما علمَ.

قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أي: خلقنا أُممًا من بعدِ موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي: طالَ إمهالُهم، فنسوا عهدَ الله وتركوا أمرَه، وهذا يدلُّ على أنَّه قد عُهِد إلى موسى وقومِهِ عهود في أمرِ محمَّدٍ ﷺ، وأُمروا بالإيمانِ به، فلمَّا طالَ إمهالهم أعرضوا عن مراعاةِ العهودِ، ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي: مقيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ فتعلم خبر موسى وشعيب وابنتيه، فتتلو ذلك على أهلِ مكَّةَ، ﴿وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أرسلناك إلى أهلِ مكَّةَ، وأخبرناك خبر المتقدِّمين، ولولا ذلك ما علمته ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: بناحية الجبل الذي كُلِّم عليه موسى ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى وكلَّمناه، هذا قولُ الأكثرين.

وقال أبو هريرةَ: كان هذا النِّداءُ: يا أمَّةَ محمَّدٍ أعطيتكم قبلَ أن تسألوني، واستجبتُ لكم قبل أن تدعوني[2].

قوله: ﴿وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

---

(١) زيادة من (س).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١١٣١٨)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم (١٦٩٤٦) في تفسيرهما، والحاكم في المستدرك وصحَّحه (٢/ ٤٤٣) من طريق أبي زرعة ابن عمرو بن جرير به، بنحوه.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لم تشاهد قصصَ الأنبياءِ، ولكنَّا أوحينا إليك، وقصصناها عليك رحمةً من ربِّك(١).

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ جوابُ «لولا» محذوفٌ تقديرُه: لولا أنَّهم يحتجُّون بتركِ الإرسالِ إليهم لعاجلناهم بالعقوبةِ، وقيل: لولا ذلك لم نحتج إلى إرسالِ الرُّسلِ ومؤاثرةِ الاحتجاجِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٤٨-٥٥].

قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهو محمَّدٌ عليه السلام والقرآن ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ أي: هلَّا ﴿أُوتِىَ﴾ محمَّدٌ ﷺ من الآياتِ ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ كالعصا واليدِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٧).

قال المفسِّرون: أمرت اليهودُ قريشًا أنْ تسأَلَ محمَّدًا مثل ما أُوتي [٦١٩/أ] موسى، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ أي: فقد كفروا بآياتِ موسى.

﴿قَالُواْ﴾ في المشارِ إليهم قولان:

أحدهما: اليهودُ.

والثاني: قريش.

﴿سِحۡرَانِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: «ساحران»[1].

﴿تَظَٰهَرَا﴾ أي: تعاونا.

وروى العبَّاسُ الأنصاري، عن أبي عمرٍو: «تَظَّاهَرَا» بتشديدِ الظَّاءِ[2].

وفيمن عنوا ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: موسى ومحمَّد، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، فعلى هذا هو من قولِ مشركي العَربِ.

والثاني: موسى وهارون، قاله مجاهدٌ، فعلى هذا هو من قولِ اليهودِ لهما في ابتداءِ الرِّسالةِ.

والثالث: محمَّدٌ وعيسى، قاله قتادةُ، فعلى هذا هو من قولِ اليهودِ الذين لم يؤمنوا بنبيِّنا.

---

(١) السبعة (٤٩٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٤) عن يحيى الذماري.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿سِحْرَانِ﴾.

وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: التوراةُ والفرقانُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: الإنجيلُ والقرآنُ، قاله قتادةُ.

والثالث: التوراةُ والإنجيلُ، قاله أبو مجلَزٍ، وإسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ.

ومعنى الكلام: كلُّ سحرٍ منهما يقوِّي الآخَرَ، فنسب التَّظاهرَ إلى السحرين توسُّعًا في الكلامِ.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ يعنون: ما تقدَّم ذكرُهُ، على اختلافِ الأقوالِ، فقال الله لنبيِّه ﴿قُلْ﴾ لكفَّارِ مكَّةَ: ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ أي: من التوراةِ والقرآنِ، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّهما ساحرانِ.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ أي: فإن لم يأتوا بمثلِ التَّوراةِ والقرآنِ، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي: أن ما ركبوه من الكفرِ، لم يحملْهم عليه حجَّة، وإنَّما آثروا فيه الهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: ولا أحد أضلُّ، ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ أي: بغير رشادٍ ولا بيانٍ جاء ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾:

وقرأ الحسنُ، وأبو المتوكِّلِ، وابنُ يعمرَ: «وصَلْنَا» بتخفيفِ الصَّادِ[1].

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤)، والتحصيل (٥/ ١٦٩) عن الحسن.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم قريش، قاله الأكثرون، منهم مجاهدٌ.

والثاني: اليهودُ، قاله رفاعةُ القرظي.

والمعنى: أنزلنا القرآن يتَّبع بعضه بعضًا، ويخبر عن الأممِ الخاليةِ، كيف عذِّبوا لعلَّهم يتَّعظون.

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ **وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّهم مؤمنو أهلِ الكتاب، رواه العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ.

والثاني: مسلمو أهل الإنجيلِ.

روى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ أربعينَ من أصحابِ النَّجاشي قدموا على رسولِ الله ﷺ فشهدوا معه أحدًا، فنزلت فيهم هذه الآيةُ[1].

والثالث: مسلمو اليهودِ، كعبدِ الله بنِ سلامٍ وغيرِه، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي: من قبلِ القرآنِ، ﴿ هُم بِهِۦ ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى محمَّدٍ ﷺ، لِأنَّ ذكرَهُ كان مكتوبًا عندهم في كتبهم، فآمنوا به.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٦٦٢)، وابن الأعرابي في معجمه (٤٧٦) من طريق علي بن ثابت الدهان، عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، به، بنحوه.
قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن جعفر بن أبي المغيرة إلا يعقوب القُمي، تفرد به: علي بن ثابت.

والثاني: إلى القرآنِ.

قولـه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعنـي: القـرآن ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: مـن قبـل نـزولِ القـرآنِ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصيـنَ لله مصدِّقـين بمحمَّـدٍ، وذلك لأنَّ ذكـرَه كان في كتبهم فآمنوا بـه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾. [٦١٩/ ب]

في المشار إليهم قولان:

أحدهمـا: أنَّهـم مؤمنـو أهـل الكتـاب، وهـذ قـولُ الجمهـور، وهـو الظاهـرُ، **وفيـما صـبروا عليـه قـولان:**

أحدهمـا: أنَّهـم صـبروا عـلى الكتـابِ الأوَّلِ، وصـبروا عـلى اتباعهـم محمَّـدًا، قالـه قتـادةُ، وابـنُ زيـدٍ.

والثـاني: أنَّهـم صـبروا عـلى الإيـمانِ بمحمَّـدٍ قبـل أنْ يبعـث، ثُـمَّ عـلى اتباعـه حـين بعـث، قالـه الضَّحـاكُ.

والقـول الثـاني: أنَّهُـم قـومٌ مـن المشركـين، أسـلموا فـكان قومهـم يؤذونهـم، فصـبروا عـلى الأذى، قالـه مجاهـدٌ.

قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه أقوالٌ قد شرحناها في الرَّعدِ[١].

قوله : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

إحداها: الأذى والسبُّ، قاله مجاهدٌ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٢٢).

والثاني: الشِّركُ، قاله الضَّحاكُ.

والثالث: أَنَّهُم قومٌ من اليهود آمنوا، فكانوا يسمعون ما غيَّر اليهودُ من صفةِ رسولِ الله ﷺ، فيكرهون ذلك، ويعرضون عنه، قاله ابنُ زيدٍ.

وهل هذا منسوخٌ أم لا؟ فيه قولان.

وفي قوله: ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ **قولان:**

أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم.

والثاني: لنا حلمنا ولكم سفهكم.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لم يُريدُوا التَّحيةَ، وإنَّما أرادوا بيننا وبينكم المتاركةُ، وهذا قبل أن يؤمرَ المسلمون بالقتالِ[1].

وذكر أهلُ التَّفسيرِ[2]: أنَّ هذا منسوخٌ بآيةِ السيفِ.

وفي قوله: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

إحداها: لا نبتغي دينَ الجاهلينِ.

والثاني: لا نطلبُ مجاورتَهم.

والثالث: لا نريدُ أنْ نكون جهَّالًا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٩).

(٢) وفي (س): (المفسِّرون).

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝٥٨﴾ [القصص: ٥٦-٥٨].

قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قد ذكرنا سببَ نزولها عند قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣][(١)].

وقد روى مسلمٌ فيما انفردَ به عن البخاريِّ من حديثِ أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ لعمِّه «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فقال: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي نساءُ قُرَيْش، يَقُلْنَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[(٢)].

قال الزَّجَّاجُ: أجمع المفسِّرون أنَّها نزلت في أبي طالب[(٣)].

وفي قوله: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قولان:

أحدهما: من أحببت هدايته.

والثاني: من أحببته لقرابته.

---

(١) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (١١٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٤٩).

قولـه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يرشـد لدينـهِ مَـن يشـاء، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: مـن قـدر لـه الهـدى.

قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ في روايةِ العُوفي: هم ناسٌ من قريش قالوا ذلك[١].

وقال في رواية ابنِ أبي مُليكةَ: إنَّ الحارثَ بنَ عامر بن نوفل قال ذلك[٢].

وذكـر مُقاتـلٌ أنَّ الحـارثَ بـنَ عامـر قـال لرسـولِ الله ﷺ: إنَّـا لنعلـم أنَّ الـذي تقـول حـقٌّ، ولكـن يمنعنـا أَنْ نتَّبـع الهـدى معـك مخافـة أَنْ تتخطَّفنـا العـربُ مـن أرضنـا، يعنـون مكَّـةَ، ومعنـى الآيـة: إِنْ اتَّبعنـاك عـلى دينـك خفنـا العـرب لمخالفتنـا إيَّاهـا[٣].

والتَّخطُّـف: الانتـزاعُ بسرعـةٍ، فـردَّ الله عليهـم قولهـم فقـال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ أي: أو لم نسـكنهم حرمًـا؟ ونجعلُـه مكانًـا لهـم، ومعنـى ﴿ءَامِنًا﴾: ذو أمـن يأمـن فيـه النَّـاس، وذلـك أَنَّ العـربَ كان يغـير بعضُهـا عـلى بعـضٍ، وأهـلُ مكَّـةَ آمنـون في الحـرمِ مـن القتـلِ والسَّـبي والغَـارةِ، أي: فكيـف يخافـونَ إذا أسـلموا وهـم في حـرمٍ آمـن؟ [٦٢٠/أ]

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٢٨٧)، وابـن أبي حاتـم (١٧٠٠٧) في تفسـيرهما مـن طريـق العـوفي، بـه.

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٨/ ٢٨٧) مـن طريـق ابـن جريـج، عـن ابـن أبي مليكـة، بـه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥١).

﴿يُجۡبَىٰٓ﴾.

قرأ نافعٌ: «تُجبى» بالتَّاء، أي: تجمع إليه وتُحمل من كلِّ النَّواحي الثَّمرات.

﴿رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الله هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه.

ومعنى الآية: إذا كنتم آمنين في حرمي، تأكلونَ رزقي وتعبدون غيري، فكيف تخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي؟ ثُمَّ خوفهم عذاب الأُممِ الخاليةِ فقال: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿مَعِيشَتَهَاۖ﴾ منصوبةٌ بإسقاطِ «في» والمعنى: بطرت في معيشتها، والبطرُ: الطُّغيانُ في النِّعْمَةِ[١].

قال عطاءٌ: عاشوا في البَطَرِ، فأكلوا رزقَ الله وعبدوا الأصنامَ[٢].

قوله: ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لم يسكنها إلَّا المسافرون ومارُّ الطَّريقِ يومًا أو ساعة[٣].

والمعنى: لم تسكن من بعدهم إلَّا سُكونًا قليلًا، ﴿وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ أي: لم يخلفهم أحدٌ بعد هلاكهم في منازلهم، فبقيت خرابًا غير مسكونة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٠).

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٥٦).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٤).

قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[القصـص: ٥٩-٦١].

قولـه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعنـي القُـرى الكافـر أهلهـا ﴿ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا ﴾ أي: في أعظمِهـا ﴿ رَسُولًا ﴾، وإنَّـما خـصَّ الأعظـم ببعثـة الرَّسـولِ، لأنَّ الرَّسـولَ إنَّـما يبعـث إلى الأشرافِ، وأشراف القـومِ ملوكهـم، وإنَّما يسـكنون المواضـعَ التـي هـي أُمُّ مـا حولهـا.

وقال قتادةُ: أمُّ القُرى: مكَّة، والرَّسولُ: محمَّد ﷺ[1].

قوله: ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ ﴾:

قال مُقاتلٌ: يخبرهم الرَّسولُ أنَّ العذابَ نازلٌ بهم، إنْ لم يؤمنوا[2].

قولـه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾ أي: بظلمِهـم أهلكهـم، وظلمهـم شركهـم.

قولـه: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ أي: مـا أعطيتـم مـن مـالٍ وخـيرٍ ﴿ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، تتمتَّعـون بـه أيَّـام حياتكـم، ثُـمَّ يفنـى وينقـضي، ومـا عنـد الله

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٢٩١)، وابـن أبي حاتـم (١٧٠١٩) في تفسـيرهما مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بـه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥١).

من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أفضل وأدوم لأهلِه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الباقي أفضل من الفاني؟

قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ **اختلف فيمن نزلت على أربعةِ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها نزلت في رسولِ الله ﷺ، وأبي جهلٍ.

والثاني: في عليٍّ وحمزةَ وأبي جهلٍ.

والقولان مرويان عن مجاهدٍ(١).

والثالث: في المؤمنِ والكافرِ، قاله قتادةُ(٢).

والرَّابع: في عمَّار والوليد بن المغيرةِ، قاله السُّدِّيُّ.

وفي الوعدِ الحسنِ قولان:

أحدهما: الجنَّةُ.

والثاني: النَّصرُ.

قوله: ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ أي: مصيبه ومدركه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: كمن هو ممتَّعٌ بشيءٍ يفنى ويزولُ عن قريبٍ، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: من المحضرين في عذابِ الله، قاله قتادةُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٩٤) من طريق أبان بن تغلب، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٩٣) من طريق سعيد، به.

والثاني: من المحضرين للجزاء، حكاه الماورديُّ(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [القصص: ٦٢-٦٧].

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله تعالى المشركينَ يوم القيامةِ، فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ هذا على حكايةِ قولهم، والمعنى: أين شركائي في قولكم؟ ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي وجبَ عليهم العذابُ، وهم رؤساء الضلالة، وفيهم قولان: [٦٢٠/ب]

أحدهما: أنَّهم رؤوس المشركين.

والثاني: أنَّهم الشياطين.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ يعنون الأتباع ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا، ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تبرَّأنا منهم إليك، والمعنى: أنَّهم يتبرأُ بعضُهم من بعضٍ، ويصيرون أعداءً.

وقيل لكفَّار بني آدم ﴿ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: استغيثوا بآلهتكم لتخلِّصكم من العذابِ، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: فلم يجيبوهم إلى نصرِهم.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦١).

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: جوابُ «لو» محذوفٌ، والمعنى: لو أنَّهم كانوا يهتدون، لما اتَّبعوهم ولما رأوا العذابَ[١].

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله الكفَّار، ويسألُهم ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾:

وقرأ أبو رزين العقيلي، وقتادةُ، وأبو العاليةِ، وأبو المتوكِّلِ، وعاصمٌ الجحدري: «فَعُمِّيَتْ» برفعِ العينِ وتشديدِ الميمِ[٢].

قال المفسِّرون: خفيت عليهم الحججُ، وسمِّيتُ أنباء؛ لأنَّها أخبارٌ يخبرَ بها.

قال ابنُ قُتيبةَ: والمعنى عموا عنها ـ من شدَّة الهولِ ـ فلم يجيبوا، و﴿ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ هاهنا الحُججُ[٣].

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: لا يسألُ بعضُهم بعضًا عن الحجَّةِ، قاله الضَّحاكُ.

والثاني: أنَّ المعنى: سكتوا فلَا يتساءلون في تلكِ السَّاعةِ، قاله الفرَّاءُ[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥١).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٤) عن جناح بن حبيش، وأبي زرعة بن عمرو.

(٣) غريب القرآن (ص:٣٣٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٠٩).

والثالث: لا يسأل بعضهم بعضًا أن يحمل عنه شيئًا من ذنوبه، حكاه الماورديُّ[(١)].

قوله: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ من الشِّرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ أي: صدق بتوحيد الله ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أدَّى الفرائض ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ «وعسى» من الله واجبٌ.

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٦٨-٧٠].

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ ﴾.

روى العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ ﴾ قال: كانوا يجعلون لآلهتهم خيرَ أموالهم في الجاهليَّة[(٢)].

وقال مُقاتلٌ: نزلت في الوليدِ بنِ المغيرةِ حين قال: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] والمعنى: أنَّه لَا تبعث الرُّسلَ باختيارِهم[(٣)].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم (١٧٠٥٣) في تفسيرهما من طريق العوفي، به.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٣).

قال الزَّجَّاجُ: والوقفُ الجيِّد على قوله: ﴿وَيَخۡتَارُ﴾ وتكون ما نفيًا، والمعنى: ليس لهم أَنْ يختاروا على الله، ويجوزُ أن تكون «ما» بمعنى «الذي» فيكون المعنى: ويختارُ الذي لهم فيه الخيرة مِمَّا يتعبَّدهم به ويدعوهم إليه(١).

قال الفرَّاءُ: والعربُ تقولُ لما تختاره: أعطني الخَيْرَة، والخِيَرَة، والخَيَرة(٢).

قال ثعلبٌ: كلها لغاتٌ.

قوله: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ أي: ما تخفي من الكفرِ والعداوةِ.

﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ بألسنتهم.

قوله: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: يحمده أولياؤه في الدُّنيا، ويحمدونَهُ في الجنَّةِ ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ وهو الفصلُ بين الخلائقِ. والسَّرمدُ: الدائم.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣٠٩).

قوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع فهمٍ وقبولٍ، فتستدلُّوا بذلك على وحدانيَّةِ الله تعالى، ومعنى ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ تستريحون من الحركةِ والنَّصب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضَّلالةِ؟ ثُمَّ أخبر أنَّ اللَّيلَ والنَّهارَ رحمةٌ منه. [٦٢١/أ]

وقوله: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ يعني: في اللَّيل ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لتلتمسوا من رزقِهِ بالمعاشِ في النَّهارِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الذي أنعمَ عليكم بهما.

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كلِّ أمةٍ رسولها الذي يشهدُ عليها بالتبليغ ﴿فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حجتكم على ما كنتم تعبدونَ من دوني ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: علموا أنَّه لا إله إلَّا هو ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطلَ في الآخرةِ ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ في الدُّنيا من الشُّركاءِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٦-٧٧].

قوله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من عشيرتِهِ، وفي نسبِهِ إلى موسى ثلاثة أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه كانَ ابـنَ عمِّـه، رواه سـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، عـن ابـن عبَّـاسٍ، وبـه قـال عبـدُ الله بـنُ الحـارثِ، وإبراهيـمُ، وابـنُ جريـجٍ.

والثاني: ابنُ خالته، رواه عطاءٌ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه كان عمَّ موسى، قاله ابنُ إسحاقَ.

قـال الزَّجَّـاجُ: قـارون اسـمٌ أعجمـيٌّ لا ينـصرفُ، فلـو كان «فاعـولاً» مـن العربيَّـةِ مـن «قرنـتُ الـشَّيء» لانـصرفَ[1].

قوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ **فيه خمسةُ أقوالٍ**:

أحدهـا: أنَّـه جعـل لبغـيٍّ جعـلًا عـلى أنْ تقـذف موسـى بنفسِـها، ففعلت فاسـتحلفها موسـى عـلى مـا قالـت، فأخبرتـه بقصَّتهـا، فـكان هـذا بغيـه، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ.

والثاني: أنَّه بغى بالكفرِ بالله تعالى، قالهُ الضَّحاكُ.

والثالث: بالكبر، قاله قتادةُ.

والرابـع: أنَّـه زاد في طـولِ ثيابِـهِ شـبرًا، قالـه عطـاءٌ الخُراسـاني، وشـهرُ بـنُ حوشـب.

والخامـس: أنَّـه كان يخدمُ فرعـون، فتعـدَّى عـلى بنـي إسرائيـلَ وظلمهم، حكاه المـاورديُّ[2].

---

(١) معاني القرآن (٤/ ١٥٣).

(٢) النكت والعيون (٤/ ٢٦٤).

وفي المرادِ بمفاتحه قولان:

أحدهما: أنَّها مفاتيحُ الخزائنِ التي تفتح بها الأبوابُ، قاله مجاهدٌ وقتادةُ.

وروى الأعمش، عن خيثمةَ قال: كانت مفاتيحُ قارون وقر ستين بغلًا، وكانت من جلودٍ، كلٍّ مفتاحٍ مثل الإصبعِ[(١)].

والثاني: أنَّها خزائنُه، قاله السُّدِّيُّ وأبو صالحٍ والضَّحاكُ.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا الأشبه أنْ تكون مفاتحه خزائن مالِهِ، وإلى نحو هذا ذهبَ ابنُ قُتيبةَ[(٢)].

قال أبو صالحٍ: كانت خزائنه تحملُ على أربعين بغلًا[(٣)].

قوله: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ أي: تُثقلهم وتُميلهم. ومعنى الكلام: لَتُنِيءُ العُصبة، فلمَّا دخلت الباءُ في «العُصْبة» انفتحت التَّاء، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بالأبصارِ، وهذا يُذْهِبُ الأبصارَ، وهذا اختيارُ الفرَّاءِ وابنُ قُتيبةَ والزَّجَّاجُ في آخرين[(٤)].

وقال بعضُهم: هذا من المقلوبِ، وتقديره: ما إن العُصْبة لَتَنُوء بمفاتحه، كما يقال: إنها لَتَنُوء بها عجيزُتها، أي: هي تَنْوء بعجيزتها،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم (١٧٠٨٣) في تفسيرهما، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٤)، وغريب القرآن (ص:٣٣٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم (١٧٠٩٣) في تفسيرهما.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٣١٠)، وغريب القرآن (ص:٣٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٥).

وأنشــدوا: [مــن الوافــر](١)

فَدَيْــتُ بِنَفْسِــهِ نَفْسِـي وَمَــالِي وَمَــا آلُــوكَ إِلَّا مَــا أُطِيــقُ

أي: فديتُ بنفسي وبمالي نفسَه.

وهــذا اختيــارُ أبي عبيــدةَ، والأخفــشُ(٢)، وقــد بيَّنــا معنــى العُصبــةَ في ســورة يوســفَ(٣)، وفي المــرادِ بهــا هاهنــا ســتَّةُ أقــوالٍ:

أحدها: أربعون رجلًا، رواه العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: ما بين الثلاثة إلى العشرةِ، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: خمسة عشر، قاله مجاهدٌ. [٦٢١/ ب]

والرابع: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قتادةُ.

والخامس: سبعون رجلاً، قاله أبو صالحٍ.

والسادس: ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ **في القائل له قولان:**

أحدهما: أنَّهم المؤمنون من قومِهِ، قاله السُّدِّيُّ.

---

(١) البيت لعروة بن الورد في لسان العرب (٥/ ٣١٦)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٩٧٢)، ومغني اللبيب (٢/ ٦٩٢).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٠)، ومعاني القرآن (٢/ ٤٧١).

(٣) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٨).

والثاني: أنَّه قولُ موسى له، حكاه الماورديُّ(١).

قوله: ﴿لَا تَفۡرَحۡ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: لا تأشَر ولا تبطَر، قال الشاعر [من الطويل](٢):

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ... وَلَا جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَحَوِّلِ

أي: لست بأشِرَ، فأمَّا السُّرور فليس بمكروهٍ.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾:

وقرأ أبو رجاء، وأبو حيوةَ، وعاصمٌ الجحدري، وابنُ أبي عبلةَ: «الفَارِحِين» بألفٍ(٣).

قوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي: اطلب فيما أعطاكَ الله من الأموالِ.

وقرأ أبو المتوكِّل، وابنُ السَّمَيْفَع: «واتَّبِعْ» بتشديدِ التَّاءِ، وكسر الباءِ بعدها، وعينٍ ساكنةٍ غير معجمة(٤).

﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ وهي الجنَّةُ، وذلك يكون بإنفاقِهِ في رضى الله تعالى وشكرِ المنعمِ بهِ.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦٧).

(٢) البيت لهُدْبَة بن خَشْرم العُذري في حماسة البحتري ١/ ٢٥٢)، وبلا نسبة في غريب القرآن (ص/ ٣٣٥)، والأضداد (ص: ١٩٨)، وشرح شواهد المغني (١/ ٢٧٧).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٥) عن عيسى بن سليمان الجحدري.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ١١٥) ذكره عن الأخفش.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أَنْ يعمل في الدُّنيا للآخرةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ والجمهورُ.

والثاني: أَنْ يقدِّم الفضلَ ويمسك ما يغنيه، قاله الحسنُ.

والثالث: أَنْ يستغني بالحلالِ عن الحرامِ، قاله قتادةُ.

وفي معنى ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ حكاها الماورديُّ[(١)]:

[أحدها][(٢)]: أعطِ فضلَ مالكِ كما زادك على قدرِ حاجتكَ.

والثاني: أحسن فيما افترض عليك كما أحسنَ في إنعامِه إليكَ.

والثالث: أحسن في طلبِ الحلالِ كما أحسنَ إليكَ في الإحلالِ.

قوله: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتعمل فيها بالمعاصي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨].

قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعني: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: على علمٍ عندي بصنعةِ الذَّهبِ، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا لا أصلَ له، لأنَّ الكيمياءَ باطلٌ، لا حقيقةَ له[(٣)].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٦٧).

(٢) زيادة من (س).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٦).

والثاني: برضى الله عني، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: على خير علمه الله عندي، قاله مُقاتلٌ[١].

والرابع: إنَّما أعطيته لفضلِ علمي، قاله الفَرَّاءُ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: ادَّعى أنَّه أعطي المال لعلمه بالتوراة[٣].

والخامس: على علمٍ عندي بوجوه المكاسبِ، حكاه الماورديُّ[٤].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ يعني: قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ﴾ بالعذابِ ﴿مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ في الدُّنيا حين كذبوا رسلَهم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموالِ.

وفي قوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم، وإنْ سئلوا سؤالَ توبيخٍ، قاله الحسنُ.

والثاني: أنَّ الملائكة تعرفُهم بسيماهم، فَلَا تسألهم عن ذنوبِهم، قاله مجاهدٌ.

والثالث: يدخلون النَّار بغير حسابٍ، قاله قتادةُ.

وقال السُّدِّيُّ: يعذبون ولا يسألونَ عن ذنوبهم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣١١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٦).

(٤) النكت والعيون (٤/ ٢٦٨).

قولـه تعـالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ۝٨٠ ﴾ [القصـص: ٧٩-٨٠].

قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ ﴾.

قال الحسنُ: في ثيابٍ حمر وصفر(١).

وقال عكرمةُ: في ثيابٍ معصفرةٍ.

وقـال وهـبُ بـنُ منبِّـهٍ: خـرج عـلى بغلـةٍ شـهباءَ عليهـا سَرج أحمـر مـن أُرْجُـوان، ومعـه أربعـةُ آلافِ مُقَاتِـلٍ، وثلاثمائـة وصيفـة عليهـنَّ الحـلي والزينـة [٦٢٢/أ] عـلى بغـالٍ بيـضٍ.

قال الزَّجَّاجُ: الأرجوانُ في اللُّغةِ: صبغٌ أحمرُ(٢).

قولـه: ﴿لَذُو حَظٍّ﴾ أي: لـذو نصيـبٍ وافـرٍ مـن الدُّنيـا، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني الأحبار من بني إسرائيل(٣).

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٣٢٩)، وابـن أبي حاتـم (١٧١٣٣) في تفسـيرهما مـن طريـق مبـارك، بـه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٦).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٠٩).

وقال مُقاتلٌ: الذين أوتوا العلمَ بما وعد الله في الآخرةِ، قالوا للَّذين تمنَّوا ما أُوتي قارون: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما عنده من الجزاءِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ مما أعطي قارون[1].

قوله: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾:

قال أَبُو عُبيدةَ: لا يوفق لها ويرزقها[2].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «وَلاَ يَلْقَاهَا» بفتح الياءِ وسكون اللَّامِ وتخفيف القاف[3].

وفي المشار إليها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الأعمالُ الصالحةُ، قاله مُقاتلٌ[4].

والثاني: أنَّها الجنَّةُ، والمعنى: لا يعطاها في الآخرةِ إلَّا الصَّابرون على أمرِ الله، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: أنَّها الكلمةُ التي قالوها، وهي قولهم: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾، قاله الفَرَّاءُ[5].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١١).

(٣) بلا نسبة في إعراب شواذ القرآن (٢/ ٢٦٧).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٣١١).

قولـه تعـالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[القصص: ٨١-٨٢].

قولـه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ لَّـا أمـر قـارون البغـي بقذفِ موسـى علـى مـا سبقَ شرحُـهُ[١] غضـبَ موسـى، فدعـا عليـه، فأوحـى الله تعـالى إليـه: إنِّي قـد أمـرت الأرضَ أنْ تطيعـك فمرْهـا، فقـال موسـى: يـا أرضُ خذيـه فأخذتـه حتـى غيَّبـت سريـره، فلـمَّا رأى ذلـك ناشـدَه بالرحـم، فقـال: خذيـه فأخذتـه حتـى غيِّبـت قدميـه، فـما زال يقـول: خذيـه حتَّـى غيَّبتـه، فأوحـى الله تعـالى إليـه: يـا موسـى مـا أفظَّـكَ وعـزَّتي وجـلالي لـو اسـتغاثَ بي لأغثتُـهُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فخسفت به الأرض إلى الأرضِ السُّفلى[٢].

وقـال سـمرةُ بـنُ جنـدبٍ: إنَّـه يخسـف بـه كلَّ يـومٍ قامـة فتبلغ بـه الأرض السُّـفلى يومَ القيامـةِ[٣].

وقـال مُقاتـلٌ: فلـمَّا هلـك قـارون، قـال بنـو إسرائيـل: إنَّـما أهلكـه موسـى، ليأخـذ مالَـه ودارَه، فخسـفَ الله بـدارِهِ ومالِـهِ بعـده بثلاثـةِ أيَّـامٍ[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة القصص الآية رقم (٧٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم (١٧١٥٩) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٦١) في تفسيرهما.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٧).

قوله: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعونه من الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ أي: من الممتنعين مما نزل به، ثُمَّ أعلمنا أنَّ المتمنين مكانه ندموا على ذلك التمنِّي بالآية التي تلي هذه.

وقوله: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾:

الأكثرونَ على ضمِّ الخاءِ، وكسرِ السِّينِ.

وقرأ يعقوبُ، والوليدُ عن ابنِ عامر، وحفصٌ وأبانُ عن عاصمٍ: بفتح الخاءِ والسِّينِ[1].

فأمَّا قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ فقال ابنُ عبَّاسٍ: معناه: ألم تر.

وكذلك قال أبو عُبيدةَ، والكسائيُّ[2].

وقال الفَرَّاءُ: «ويك أن» في كلامِ العرب تقرير، كقولِ الرَّجلِ: أما ترى إلى صنعِ الله وإحسانِهِ، أنشدني بعضهم [من الخفيف][3]:

وَيْكَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْبَبْ ... وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

وقال ابنُ الأنباريِّ: في قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ ثلاثةُ أوجهٍ:

---

(١) السبعة (ص:٤٩٥).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٢).

(٣) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل في الكتاب (٢/ ١٥٥)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١١)، ولسان العرب (١٥/ ٤٩٠)، وخزانة الأدب (٦/ ٤٠٤)، وسمط اللآلي (ص: ١٠٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ٣١٢).

إن شئت قلت: «ويك» حرف، و«أنَّه» حرفٌ، والمعنى: ألم تر أنَّه، والدليلُ على هذا قول الشاعر [من الخفيف][(١)]:

سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي ... قَلَّ مَالِي، قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرِ

وَيْكَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْبَبْ ... وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

والثاني: أن يكون «ويك» حرفًا، و«أنَّه» حرفًا، والمعنى: ويلك اعلم [٦٢٢/ب] أنَّه فحذفتِ اللَّامُ، كما قالوا: قم لا أباك، يريدون: لا أبالك، وأنشدوا [من الوافر][(٢)]:

أَبالمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنِّي ... مُلاقٍ، لَا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِي

أراد: لا أبالك، فحذف اللَّام.

والثالث: أن تكون [«وي»][(٣)] حرفًا، و«كأنه» حرفًا، فيكون معنى: «وي» التعجُّب، كما تقول: وي لم فعلت كذا كذا، ويكون معنى كأنَّه: أظنُّه وأعلمه كما تقول في الكلام: كأنَّك بالفرج قد أقبل، فمعناه: أظنُّ الفرج مُقبلاً، وإنَّما وصلوا الياءَ بالكافِ في قوله: «ويكأنَّه» لأنَّ الكلام بهما كثر، كما جعلوا: «يا ابن أم» في المصحفِ حرفًا واحدًا وهما حرفان [طه:٩٤].

---

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل في الكتاب (٣/ ٥٥٥)، وشرح الكتاب (٢/ ٢٩)، والبخلاء للجاحظ (ص:٢٤٠).

(٢) البيت لأبي حية النميري في ديوانه (ص:١٧٧)، ولسان العرب (١١/ ٢١٠)، وشرح شواهد الإيضاح (ص: ٢١١)، وخزانة الأدب (٤/ ١٠٠ـ ١٠٥ ـ ١٠٧).

(٣) سقطت من الأصل، وهي من (س).

وكان جماعةٌ منهم يعقوب يقفون على «ويك» في الحرفين، ويبتدؤون «أنَّ» و«أنَّه» في الموضعين.

وذكر الزَّجَّاجُ عن الخليلِ: أنَّه قال: «وي» مفصولة من كأنَّ، وذلك أنَّ القومَ تندموا فقالوا: «وي» متندِّمين على ما سلفَ منهم، وكل مَن ندِمَ فأظهر ندامته قال: «وي».

وحكى ابنُ قُتيبةَ عن بعضِ العلماءِ أنَّه قال: معنى ويكأنَّ: رحمة لك بلغة حمير(١).

قوله: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالرَّحمةِ والمعافاةِ والإيمانِ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾[القصص: ٨٣-٨٤].

قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ يعني: الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ:

إحداها: أنَّه البغي، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: الشَّرفُ والعزُّ، قاله الحسنُ.

والثالث: الظُّلمُ، قاله الضَّحاكُ.

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٠٤).

والرابع: الشِّركُ، قاله يحيى بن سلام.

والخامسُ: الِاستكبارُ عن الإيمانِ، قاله مُقَاتِلٌ(١).

قوله: ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ **فيه قولان**:

أحدُهما: العملُ بالمعاصي، قاله عكرمةُ.

والثاني: الدُّعاء إلى غيرِ عبادةِ الله، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: العاقبةُ المحمودةُ لهم.

قوله: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ قد فسَّرناه في سورة النَّملِ(٢).

قوله: ﴿ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد الذين أشركوا ﴿ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إلَّا جزاءَ عملِهم من الشِّركِ، وجزاؤهُ النَّارُ.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٥-٨٨].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٩).

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

قال مُقَاتِلٌ: خرج رسولُ الله ﷺ من الغارِ ليلًا، فمضى من وجهِهِ إلى المدينةِ، فسار في غيرِ الطَّريقِ مخافةَ الطَّلبِ، فلمَّا أمن رجعَ إلى الطَّريقِ، فنزل الجحفةَ بين مكَّةَ والمدينةَ، فعرفَ الطَّريقَ إلى مكَّةَ، فاشتاقَ إليها وذكر مولِدَه، فأتاه جبريلُ فقال: أتشتاقُ إلى بلدك ومولدك؟ قال: «نَعَمْ»، قال: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فنزلت هذه الآيةُ بالجحفةِ[1].

وفي معنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: فرضَ عليكَ العملَ بالقرآنِ، قاله عطاءُ بنُ أبي رباحٍ، وابنُ قُتيبةَ[2].

والثاني: أعطاكَ القُرآنَ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنزلَ عليك القرآنَ، قاله مُقاتلٌ، والفرَّاءُ، وأبو عُبيدةَ[3].

وفي قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: إلى مكَّةَ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ في روايةٍ، والضَّحاكُ.

[٦٢٣/أ] قال ابنُ قُتيبةَ: معاد الرَّجلِ بلده، لأنَّه يتصرَّف، ثُمَّ يعود إلى بلدِهِ[4].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٣٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٩)، مجاز القرآن (٢/ ١١٢)، ومعاني القرآن (٢/ ٣١٣).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٤٠).

والثـاني: إلى معـادك مـن الجنَّـةِ، رواه عكرمـةُ، عـن ابـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال الحسـنُ، والزُّهريُّ.

فـإن اعـتُرِض عـلى هـذا فقيـل: الـرَّدُّ يقتـضي أنَّـه قـد كان فيـها رُدَّ إليـه، **فعنـه ثلاثـةُ أجوبـةٍ**:

أحدهـا: أنَّـه لمـا كان أبـوه آدم في الجنَّـةِ ثُـمَّ أُخـرِجَ، كان كأن ولـده أخـرج منهـا، فـإذا دخلَهـا فكأنَّـه أُعيـد.

والثـاني: أنَّـه دخلَهـا ليلـةَ المعـراجِ، فـإذا دخلَهـا يـومَ القيامـةِ، كان ردًّا إليهـا، ذكرهمـا ابـنُ جريـرٍ[١].

والثالـث: أنَّ العـربَ تقـول: رجـع الأمـرُ إلى كـذا، وإن لم يكـن لـه كـون فيـه قـط، وأنشـدوا [مـن الطويـل][٢]:

. . . . يَحُـورُ رَمَـادًا بَعْـدَ إِذْ هُـوَ سَـاطِعُ

وقد شرحنا هذا في قولِهِ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[البقرة: ٢١٠][٣].

والثالـث: لـرادك إلى المـوتِ، رواه سـعيدُ بـنُ جُبـيرٍ، عـن ابـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال أبـو سـعيدٍ الخـدري.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٥١).

(٢) البيت للبيد في ديوانه (ص:١٦٩)، وحماسة البحتري (ص:٨٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٥)، ولسان العرب (٤/ ٢١٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٤٦)، وصدره: «وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ».

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٠).

والرابع: لرادُّك إلى القيامةِ بالبعثِ، قاله الحسنُ، والزُّهريُّ، ومجاهدٌ في روايةٍ، والزَّجَّاجُ(١).

ثُمَّ ابتدأ كلامًا يردُّ به على الكفَّارِ حين نسبوا النَّبيَّ ﷺ إلى الضلالِ، فقال: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ والمعنى: قد علم أنِّي جئت بالهدى، وأنَّكم في ضلالٍ مبينٍ، ثُمَّ ذكَّره نعمه فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: أن تكون نبيًّا وأن يوحى إليك القرآن، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن﴾.

قال الفرَّاءُ: هذا استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: إلَّا أنَّ ربَّك رحمك، فأنزله عليك.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: عونًا لهم على دينهم، وذلك أنَّهم دعوه إلى دينِ آبائه فأمر بالاحترازِ منهم، والخطابُ بهذا وأمثاله له، والمرادُ أهل دينه لئلَّا يظاهروا الكفَّار ولا يوافقوهم(٢).

قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلَّا ما أُريد به وجهه، رواه عطاءٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الثَّوريُّ.

والثاني: إلَّا هو، قاله الضَّحاكُ، وأبو عُبيدةَ(٣).

قوله: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: الفصلُ بين الخلائقِ في الآخرةِ دون غيرِه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرةِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٨).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٣١٣).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١٢).

سورة العنكبوت

فصلٌ في نزولها

روى العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ أنَّها مكِّيةٌ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ، وعطاءٌ، وجابرُ بنُ زيدٍ، ومُقَاتِلٌ(١).

وفي روايةٍ عن ابن عبَّاسٍ أنَّها مدنيَّةٌ.

وقال هبةُ الله بنُ سلامة المفسِّرُ: نزل من أوَّلها إلى رأسِ العشرِ بمكَّةَ، وباقيها بالمدينةِ(٢).

وقال غيرُه عكس هذا: نزل العشرُ بالمدينةِ وباقيها بمكَّةَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾ [العنكبوت: ١-٤].

قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ **في سببِ نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه لما أمر بالهجرةِ، كتب المسلمون إلى إخوانهم بمكَّةَ: أنَّه لا يقبل منكم إسلامكم حتَّى تهاجروا، فخرجوا نحو المدينةِ فأدركهم المشركون، فردُّوهم فأنزلَ الله ﷻ من أوَّل هذه السُّورة عشر آياتٍ، فكتبوا

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧١).

(٢) الناسخ والمنسوخ (ص: ١٤١).

إليهم يخبرونهم بما نزل فيهم، فقالوا: نخرج فإنْ اتَّبعنا أحدٌ قاتلناه، فخرجوا فاتَّبعهم المشركونَ، فقاتلوهم فمنهم مَن قتل ومنهم مَن نجا، فأنزلَ الله ﷻ فيهم: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ [النحل: ١١٠] هذا قولُ الحسنِ، والشَّعبيِّ(١). [٦٢٣/ ب]

والثاني: أنَّها نزلت في عمَّار بنِ ياسرٍ، إذ كان يعذَّب في الله ﷻ، قاله عبدُ الله بنُ عبيد بن عميرٍ(٢).

والثالث: أنَّها نزلت في مِهْجَع مولى عمر بن الخطَّاب، حين قتلَ ببدرٍ، فجزع عليه أبواه وامرأته، فأنزلَ الله تعالى في أبويه وامرأتِهِ هذه الآية(٣).

قوله: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد بالنَّاسِ الذين آمنوا بمكَّةَ كعيَّاش بنِ أبي ربيعةَ، وعمَّار بنِ ياسرٍ، وسلمةَ بنِ هشامٍ، وغيرِهم(٤).

قال الزَّجَّاجُ: لفظُ الآيةِ استخبارٌ، ومعناه معنى التقريرِ والتَّوبيخ، والمعنى: أحسبَ النَّاسُ أنْ يتركوا بأَنْ يقولوا: آمنا، ولأَنْ يقولوا: آمنا أي: أحسبوا أَنْ يقنع منهم بأنْ يقولوا: إنَّا مؤمنون فقط، ولا يمتحنون بما يبين حقيقة إيمانهم، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ أي: لا يختبرون بما يعلم به صدق

---

(١) أثر الشعبي رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم (١٧١٣١) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٥٨) من طريق ابن جريج، به.

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٢٧٥) عن النقاش.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٢).

إيمانهم من كذبه(١).

وللمفسِّرين فيه قولان:

أحدهما: لا يفتنون في أنفسهم بالقتلِ والتَّعذيبِ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: لا يبتلون بالأوامرِ والنَّواهي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: ابتليناهم واختبرناهم.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم عند البلاءِ، إذا صبروا لقضائِهِ، وليرين الكاذبين في إيمانهم إذا شكوا عندَ البلاءِ، قاله مُقاتلٌ(٢).

والثاني: فليميزن، لأنَّه قد علم ذلك من قبل، قاله أبو عُبيدةَ(٣).

والثالث: فليظهرن ذلك حتَّى يوجد معلومًا، حكاه الثعلبيُّ(٤).

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «فَلْيُعْلِمَنَّ الله»، و«ليُعْلِمَنَّ الكَاذِبين» و«ليُعْلِمَنَّ الله الذين آمنوا وليُعْلِمَنَّ المنافقين» [العنكبوت: ١١] بضمِّ الياءِ وكسر اللَّامِ(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١١٣).

(٤) الكشف والبيان (٧/ ٢٦٩).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) عن علي بن أبي طالب، والزهري، وفي التحصيل (٥/ ١٨٣) عن علي وحده.

قولـه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ﴾ أي: أيحسـب ﴿ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يعنـي: الـشِّرك ﴿ أَن يَسْبِقُونَاۚ ﴾ أي: يفوتونـا ويعجزونـا ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: بئـس مـا حكمـوا لأنفسِـهِم حـين ظنُّـوا ذلـك.

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: عنـى بهـم الوليـد بـن المغـيرة، وأبـا جهـلٍ، والعـاص بـن هشـامٍ وغيرهـم[1].

قولـه تعـالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [العنكبـوت: ٥-٧].

قوله: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾ قد شرحناه في آخرِ الكهفِ[2].

﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ ﴾ يعنـي: الأجـلُ المـضروبُ للبعـثِ، والمعنـى: فليعمـل لذلـك اليـومِ ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لمـا يقـول ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بـما يعمـل ﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ ﴾ أي: إنَّ ثوابَـه إليـه يرجـعُ.

قولـه: ﴿ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ أي: لنبطلنَّهـا حتَّـى تصـيرَ بمنزلـةِ مـا لم يعمـل، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بأحسـنِ أعمالهـم وهـو الطاعـةُ، ولا نجزيهـم بمسـاوئ أعمالهـم.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (١١٠).

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾[العنكبوت: ٨-٩].

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾:

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مجلَزٍ، وعاصمٌ الجحدري: «إِحْسَاناً» بألفٍ(١).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاء: «حَسَنًا» بفتحِ الحاءِ والسِّينِ(٢).

روى أبو عثمان النَّهديُّ، عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ قال: فيَّ أنزلت هذه الآيةُ، كنت رجلًا برًّا بأمِّي، فلمَّا أسلمت قالت: يا سعدُ ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشربُ حتَّى أموت، فتعيَّر بي، فيقال: يا قاتل أمِّه، قلت: لا تفعلي يا أمَّاه إنِّي لا أدع ديني هذا لشيءٍ، قال: فمكثت يومًا وليلة لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، ثُمَّ مكثت يومًا آخرَ وليلة لا تأكل، فلمَّا رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمَّاه لو كانت لك مائة نفسٍ، [٦٢٤/أ]
فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركتُ ديني هذا لشيءٍ فكلي، وإنْ شئت لا تأكلي، فلمَّا رأت ذلك أكلت، فأنزلت هذه الآيةُ(٣).

---

(١) في التحصيل (٥/ ١٨٣)، والمحرر (٤/ ٣٠٨)، والكامل (ص:٣٩٧) عن الجحدري، وعنه في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) قراءة أخرى؛ وهي: «حَسَنًا».

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥) عن عيسى، والجحدري.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي (٢٠٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٦)، وأبو عوانة في المستخرج (٤/ ١٠٤)، وعبد بن حميد (١٣٢)، وغيرهم من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد قال: أُنزلت في أبي أربعُ آياتٍ... فذكره.

وقيل: إنَّها نزلت في عيَّاش بنِ أبي ربيعةَ، وقد جرى له مع أمِّه نحو هذا.

وذكر بعضُ المفسِّرين: أنَّ هذه الآية والتي في لقمان[1]، وفي الأحقاف[2] نزلن في قصَّة سعدٍ.

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ: «حُسْنًا» فمعناه: ووصينا الإنسان أن يفعلَ بوالديه ما يحسن، ومَن قرأ: «إِحْسَانًا» فمعناه: ووصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه، وكأنَّ «حُسْنًا» أعمُّ في البرِّ[3].

قوله: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾:

قال أبو عُبيدةَ: مجازُ هذا الكلام مجازُ المختصر الذي فيه ضميرٌ، والمعنى: وقلنا له ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾[4].

قوله: ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ معناه لتشرك بي شريكًا لا تعلمه لي، وليس لأحدٍ بذلك علمٌ، فلا تطعهما.

قوله: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي: في زمرةِ الصَّالحين في الجنَّةِ.

وقال مُقاتلٌ: «في» بمعنى «مع»[5].

---

(١) انظر: تفسير سورة لقمان الآية رقم (١٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأحقاف الآية رقم (١٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦١).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١١٣).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٥).

قولـه تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبـوت: ١٠-١١].

قولـه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ اختلفـوا فيمـن نزلـت عـلى أربعـةِ أقـوالٍ:

أحدهـا: أنَّهـا نزلـت في المؤمنـين الذيـن أخرجهـم المشركـونَ إلى بـدرٍ، فارتـدُّوا، رواه عكرمـةُ عـن ابـنِ عبَّـاسٍ(١).

والثـاني: نزلـت في قـومٍ كانـوا يؤمنـون بألسـنتهم، فـإذا أصابهـم بـلاءٌ مـن الله أو مصيبـة في أنفسِـهِم وأموالهـم افتتنـوا، قالـه مجاهـدٌ(٢).

والثالـث: نزلـت في نـاسٍ مـن المنافقـين بمكَّـةَ، كانـوا يؤمنـون فـإذا أوذوا وأصابهـم بـلاءٌ مـن المشركـينَ، رجعـوا إلى الـشِّركِ، قالـه الضَّحـاكُ(٣).

والرابـع: أنَّهـا نزلـت في عيَّـاش بـنِ أبي ربيعـةَ كان أسـلم، فخـاف عـلى نفسِـهِ مـن أهلـه وقومِـهِ، فخـرج مـن مكَّـةَ هاربًـا إلى المدينـةِ، وذلـك قبـل قـدومِ رسـولِ الله ﷺ إلى المدينـةِ، فجزعـت أمُّـه، فقالـت لأخويـه أبي جهـل

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري (٧/ ٣٨١)، وابـن أبي حاتـم (١٧١٧٠) في تفسـيرهما مـن طريـق عمـرو بـن دينـار، بـه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٦٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٢٧٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٦٥).

والحارثُ ابني هشامٍ ـ وهما أخواه لأمِّه ـ: والله لا آوي بيتًا ولا آكل طعامًا ولا أشرب شرابًا، حتَّى تأتياني به، فخرجا في طلبه، فظفرا به فلم يزالا به حتَّى تابعهما، وجاءا به إليها فقيَّدته، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمَّدٍ، ثُمَّ أقبلت تجلده بالسياطِ وتعذِّبه، حتَّى كفرَ بمحمَّدٍ ﷺ جزعًا من الضَّرب، فنزلت فيه هذه الآية، ثُمَّ هاجر بعد وحسن إسلامُه، هذا قولُ ابنُ السائبِ، ومُقاتل(١).

وفي رواية عن مُقاتلٍ أنَّهما جلداه، في الطَّريق مائتي جلدة فتبرَّأ من دين محمَّدٍ، فنزلت هذه الآيةُ(٢).

قوله: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: ناله أذىً أو عذاب بسبب إيمانه ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ما يصيبه من عذابهم في الدُّنيا ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الآخرةِ، وإنَّما ينبغي للمؤمنِ أنْ يصبر على الأذى في الله تعالى، لما يرجو من ثوابِهِ ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني: دولة للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ يعني: المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ﴾ على دينكم.

فكذَّبهم الله ﷻ وقال: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من الإيمانِ والنِّفاقِ.

وقد فسَّرنا الآية التي تلي هذه في أوَّل السُّورةِ.

---

(١) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/ ٣٧٥).

(٢) المصدر السابق.

قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝١٣﴾ [العنكبـوت: ١٢-١٣].

قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ يعنون ديننا.

قـال مجاهـدٌ: هـذا قـولُ كفَّـارِ قريـشٍ لمـن آمـن مـن أهـلِ مكَّـةَ، قالـوا [٦٢٤/ ب] لهـم: لا نبعـثُ نحـن ولا أنتـم فاتبعونـا، فـإنْ كان عليكـم شيءٌ فهـو علينـا[١].

قوله: ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾:

قـال الزَّجَّـاجُ: هـو أمـرٌ في تأويـل الـشَّرط والجـزاءِ، يعنـي: إنْ اتَّبعتـم سـبيلنا؛ حملنـا خطاياكـم[٢].

وقال الأخفشُ: كأنَّهم أمروا أنفسَهم بذلك[٣].

وقرأ الحسنُ: «ولِنَحْمِل» بكسرِ اللَّامِ[٤].

قال ابنُ قُتيبةَ: الواو زائدةٌ، والمعنى: لنحمل خطاياكم[٥].

---

(١) في تفسـير مجاهـد (ص:٥٣٤)، ورواه ابـن جريـر الطـبري (١٨/ ٣٦٨)، وابـن أبي حاتـم (١٧١٨٢) في تفسـيرهما مـن طريـق ابـن أبي نجيـح، بـه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٧٣).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥)، والتحصيل (٥/ ١٨٤) عن الحسن، وعيسى الثقفي

(٥) غريب القرآن (ص:٣٣٧).

قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما ضمنوا من حملِ خطاياهم.

قولــه: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي: أوزار أنفســهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي: أوزارًا مــع أوزارهــم، وهــي أوزارُ الذيــن أضلُّوهــم، وهــذا كقولِــه: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحــل: ٢٥].

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سـؤالُ توبيـخٍ وتقريـعٍ ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مـن الكـذبِ عـلى الله ﷻ.

وقال مُقاتلٌ: عن قولهم: نحنُ الكفلاء بكلِّ تبعة تصيبكم من الله ﷻ(١).

قوله تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤-١٥].

قولـه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في هـذه القصَّـة تسليةٌ للنَّبـيِّ ﷺ حيـث أعلـم أنَّ الأنبيـاءَ قـد ابتلـوا قبلـه، وفيهـا وعيـدٌ شـديدٌ لمـن أقـام عـلى الـشِّركِ، فإنَّهـم وإنْ أمهلـوا فقـد أمهـل قـوم نـوحٍ أكثـر ثُـمَّ أخـذوا.

قولــه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ **اختلفـوا في عمـرِ نـوحٍ عـلى خمسـةِ أقـوالٍ:**

أحدهـا: بعـث بعـد أربعـين سـنة، وعـاش في قومِـهِ ألـف سـنة إلَّا خمسـين عامًـا يدعوهـم، وعـاش بعـد الطُّوفـان ستِّين سـنة، رواه يوسـفُ بـنُ مهـرانَ، عـن ابـن عبَّـاسٍ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٧).

والثاني: أنَّه لبث فيهم ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، وعاشَ بعد ذلك سبعينَ عامًا، فكان مبلغ عمره ألفَ سنةٍ وعشرين سنة، قاله كعبُ الأحبارِ.

والثالث: أنَّه بعث وهو ابنُ خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، ثُمَّ عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة، قاله عونُ بنُ أبي شدَّادٍ.

والرابع: أنَّه لبث فيهم قبل أنْ يدعوهم ثلاثمائة سنة، ودعاهم ثلاثمائة سنة، ولبثَ بعد الطُّوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، قاله قتادةُ.

وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: بعث لخمسين سنة.

والخامس: أنَّ هذه الآيةُ بيَّنت مقدارَ عمرِهِ كلِّه، حكاه الماورديُّ(١).

فإنْ قيل: ما فائدةُ قولِهِ: ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾؟ فهلَّا قال: تسعمائة وخمسين؟

فالجواب: أنَّ المراد به تكثيرُ العددِ، وذكر الألفِ أفخم في اللَّفظ وأعظمُ للعددِ.

قال الزَّجَّاجُ: تأويلُ الاستثناءِ في كلامِ العربِ التَّوكيدُ، تقول: جاءني إخوتك إلَّا زيدًا، فتؤكد أنَّ الجماعةَ جاؤوا وتنقص زيدًا، واستثناء نصف الشَّيءِ قبيحٌ جدًّا لا تتكلَّم به العربُ، وإنَّما تتكلَّمُ بالاستثناءِ كما تتكلَّم بالنُّقصان، تقول: عندي درهمٌ ينقص قيراطًا، فلو قلت: ينقصُ نصفه، كان الأولى أنْ تقول: عندي نصفَ درهمٍ، ولم يأتِ الاستثناءُ في كلامِ العربِ إلَّا قليلٌ من كثيرٍ(٢).

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٢٧٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٣).

قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الموتُ، روت عائشةُ عن رسولِ الله ﷺ في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ قال: «الْمَوْتُ»[1].

والثاني: المطرُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

قال ابنُ قُتيبةَ: هو المطرُ الشَّديدُ[2]. [٦٢٥/أ]

والثالث: الغرقُ، قاله الضَّحاكُ.

قال الزَّجَّاجُ: الطُّوفانُ من كُلِّ شيءٍ ما كان كثيرًا مُطِيفًا بالجماعةِ كلها، فالْغَرَقُ الذي يَشْتَمِلُ على المدُنِ الكَثِيرةِ طوفان، وكذلك القتلُ الذريعُ والموتُ الجارف طوفان[3].

قوله: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كافرون[4].

قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ يعني: السفينة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٩٩) من طريق المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميناء، به.

والمنهال بن خليفة العجلي، أبو قدامة الكوفي ضعيف.

(٢) غريب القرآن (ص:٣٣٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٤).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤١٥).

قال قتادةُ: أبقاها الله آيةً للنَّاسِ بأعلى الجودي[١].

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: وجائزٌ أن يكون أراد الفعلة التي فعلها بهم من الغرق ﴿ءَايَةً﴾ أي: عبرةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بعدهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾[العنكبوت: ١٦-١٨].

قوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو معطوفٌ على نوحٍ، والمعنى: أرسلنا إبراهيمَ[٢].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: عبادة الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادةِ الأوثانِ، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خيرٌ لكم ممَّا هو شرٌّ لكم، والمعنى: ولكنَّكم لا تعلمون.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾.

قال الفَرَّاءُ: ﴿إِنَّمَا﴾ في هذا الموضعِ حرفٌ واحدٌ، وليست على معنى الذي[٣].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٧٢)، وابن أبي حاتم (١٧٢٠٧) في تفسيرهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٤).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٣١٥).

وقوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ مردودٌ على ﴿إِنَّمَا﴾ كقولك: إنَّما تفعلون كذا، وإنَّما تفعلون كذا.

وقال مُقاتِلٌ: الأوثانُ الأصنامُ[(١)].

قال ابنُ قُتيبةَ: واحدُها وَثَنٌ، وهو ما كان من حجارةٍ أو جَصٍّ[(٢)].

قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾:

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع، وأبو المتوكِّل: «وتَخْتَلِقُون» بزيادةِ تاءٍ[(٣)].

ثُمَّ فيه قولان:

أحدهما: تختلقون كذبًا في زعمكم أنَّها آلهةٌ.

والثاني: تصنعون الأصنامَ، والمعنى: تعبدون أصنامًا، أنتم تصنعونها، ثُمَّ بيَّن عجزهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: لا يقدرون على أنْ يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: فاطلبوا من الله فإنَّه القادرُ على ذلك.

قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ هذا تهديدٌ لقريشٍ، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ والمعنى: فأهلكوا.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٧).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٣٧).

(٣) في إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٢٧٣) بلا نسبة.

ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾[العنكبوت: ١٩-٢٣].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: ﴿يَرَوۡاْ﴾ بالياءِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ بالتَّاءِ.

وعن عاصمٍ كالقراءتين(١).

وعنى بالكلام كفَّارَ مكَّةَ ﴿كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي: كيف يخلقهم ابتداءً من نطفةٍ، ثُمَّ من علقةٍ، ثُمَّ من مضغةٍ إلى أن يتمَّ الخلقُ، ثُمَّ يعيده أي: ثُمَّ هو يعيدُه في الآخرةِ عند البعثِ.

وقال أبو عُبيدةَ: مجازه: أولم يروا كيف استأنفَ الله الخلقَ الأوَّل، ثُمَّ يعيدُه، وفيه لغتان: أبدأ وأعاد، وكان مبدئًا ومعيدًا، وبدأ وعادَ، وكان بادئًا وعائدًا(٢).

قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ يعني: الخلقُ الأوَّلُ والخلق الثاني.

قوله: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: انظروا إلى المخلوقاتِ التي في الأرضِ، وابحثوا عنها، هل تجدون لها خالقًا غيرَ الله؟ فإذا علموا أنَّه لا

(١) السبعة (ص:٤٩٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١٥).

خالق لهم سواه لزمتهم الحجَّةُ في الإعادةِ، وهو قوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ أي: ثُمَّ الله ينشئهم عند البعثِ نشأة أُخرى.

وأكثر القرَّاءِ قرؤوا: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بتسكينِ الشِّينِ وتركِ المدِّ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: «النَّشَآءَةَ» بالمدِّ[1].

قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه في الآخرةِ بعد إنشائهم.

والثاني: أنَّه في الدُّنيا.

ثُمَّ فيه خمسةُ أقوالٍ، حكاها الماورديُّ[2]:

أحدها: يعذِّب مَن يشاء بالحرصِ، ويرحم مَن يشاءَ بالقناعةِ.

والثاني: يعذِّب بسوءِ الخلق، ويرحم بحسنِ الخلقِ.

والثالث: يعذِّب بمتابعة البدعةِ، ويرحم بملازمةِ السنَّةِ. [٦٢٥/ ب]

والرابع: يعذِّب بالانقطاعِ إلى الدُّنيا، ويرحم بالإعراضِ عنها.

والخامس: يعذِّب مَن يشاء ببغضِ النَّاسِ له، ويرحم مَن يشاء بحبِّ النَّاسِ له.

قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾ أي: تردون.

---

(١) السبعة (ص:٤٩٨).

(٢) النكت والعيون (٤/ ٢٨٠).

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ فيه قولان، حكاهما الزَّجَّاجُ:

أحدهما: وما أنتم بمعجزينَ في الأرضِ، ولا أهل السَّماء بمعجزين في السَّماءِ.

والثاني: وما أنتم بمعجزين في الأرضِ، ولا لو كنتم في السَّماءِ[(١)].

وقال قطرب: هذا كقولِكَ: ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرةِ، أي: ولا بالبصرةِ لو صار إليها.

قال مُقاتلٌ: والخطابُ لكفَّارِ مكَّةَ، والمعنى: لا تسبقون الله حتَّى يجزيكم بأعمالكم السَّيئةِ، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ أي: قريب ينفعكم ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يمنعكُم منَ الله[(٢)].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآنِ والبعثِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ في الرَّحمةِ قولانِ:

أحدُهما: الجنَّةُ، قاله مُقاتلٌ[(٣)].

والثاني: العفو والمغفرةُ، قاله أبو سليمانَ.

قال ابنُ جريرٍ: وذلك في الآخرةِ عند رؤيةِ العذابِ[(٤)].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٨٠).

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت: ٢٤-٢٥].

ثُمَّ عاد الكلامُ إلى قصَّة إبراهيمَ وهو قولُه تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن الأصنام ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وهذا بيانٌ لسَفَهِ أحلامِهم، حين قابلوا احتجاجَهُ عليهم بهذا.

قوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: فحرَّقوه فأنجاه الله ﴿مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يشيرُ إلى إنجائِهِ إبراهيمَ.

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ» بالرَّفعِ والإضافةِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: «مَوَدَّةُ» مرفوعةٌ بإضمارِ هي، كأنَّه قال: تلك مودَّةُ بينكم، أي: ألفتكم واجتماعكم على الأصنامِ مودَّة بينكم، والمعنى: إنَّما اتَّخذتم هذه الأوثان لتتوادُّوا بها في الحياةِ الدُّنيا، ويجوز أنْ تكون «ما» بمعنى «الذي»[٢].

(١) السبعة (ص:٤٩٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٦).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ المسيّب، وعكرمةُ، وابنُ أبي عبلةَ: «مَوَدَّةٌ» بالرَّفع «بَيْنَكُمْ» بالنَّصبِ(١).

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «مَوَدَّةً بَيْنَكم»(٢).

قال أبو عليٍّ: المعنى: اتَّخذتم الأصنامَ للمودَّة «وَبَيْنَكُمْ» نصبَ على الظَّرفِ والعاملُ فيه «ٱلْمَوَدَّة»(٣).

وقرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بنصبِ مودَّة مع الإضافةِ، وهذا على الاتِّساع في جعلِ الظَّرفِ اسمًا لما أضيفَ إليه.

قال المفسِّرونَ: معنى الكلام: إنَّما اتخذتموها لتتَّصل المودَّة بينكم واللِّقاء والاجتماع عندها، وأنتم تعلمون أنَّها لا تضرُّ ولا تنفعُ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرَّأُ القادةُ من الأتباعِ، ويلعن بعضكم بعضًا، يلعن الأتباع القادة؛ لأنَّهم زيَّنوا لهم الكفرَ.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٥)، والتحصيل (٥/ ١٨٤) عن الأعشى، عن أبي بكر، عن عاصم.

(٢) السبعة (ص:٤٩٨-٤٩٩).

(٣) الحجة (٥/ ٤٢٨).

قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٢٦-٣٠].

قوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ أي: صدَّق بإبراهيمَ ﴿وَقَالَ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى رضى ربي.

والثاني: إلى حيث أمرني ربي، فهاجر من سوادِ العراقِ إلى الشَّامِ وهجر قومَه المشركين.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾ بعد إسماعيل ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ من إسحاق ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى لم يبعثْ نبيًّا بعد إبراهيم إلَّا من صلبِهِ.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

[٦٢٦/أ] **أحدها**: الذِّكرُ الحسنُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: الثناءُ الحسنُ والولدُ الصَّالحُ، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: العافيةُ والعملُ الحسنُ والثناءُ، فلست تلقى أحدًا من أهلِ المللِ إلَّا يتولَّاه، قاله قتادةُ.

والرابع: أنَّه أري مكانه من الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قد سبقَ بيانُه(١).

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٣٠).

قال ابنُ جريرٍ: له هناك جزاءُ الصَّالحين غير منقوصٍ من الآخرةِ بما أُعطي في الدُّنيا من الأجرِ(١).

وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه(٢) إلى قولِهِ: ﴿وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّهم كانوا يعترِضون من مرَّ بهم لعملهم الخبيث، قاله أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم كانوا إذا جلسوا في مجالسِهم يرمون ابنَ السَّبيلِ بالحجارةِ، فيقطعون سبيل المسافرِ، قاله مُقاتلٌ(٣).

والثالث: أنَّه قطع النَّسل للعدولِ عن النِّساء إلى الرِّجال، حكاه الماورديُّ(٤).

قوله: ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: النادي المجلسُ، والمنكر مُجْمَعُ الفواحشِ من القولِ والفعلِ(٥).

وللمفسِّرين في المراد بهذا المنكرِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: «**كَانُوا يَخْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، فَذَاكَ الْمُنْكَرُ**»، روته أمُّ هانئ بنتُ أبي طالبٍ، عن رسولِ الله ﷺ(٦).

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/ ٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٠).

(٤) النكت والعيون (٤/ ٢٨٢).

(٥) غريب القرآن (ص:٣٣٨).

(٦) رواه الطيالسي في مسنده (١٧٢٢)، وأحمد في مسنده (٤٤/ ٤٥٩)، والترمذي (٣١٩٠)،=

وقال عكرمةُ والسُّدِّيُّ: كانوا يحذفون كلَّ من مرَّ بهم(١).

والثاني: لفُّ القميصِ على اليدِ، وجرُّ الإزارِ، وحلُّ الأزرارِ، والحذفُ والرَّمي بالبندق، ولعبُ الحمام، والصفير، في خصال أخر رواها ميمونُ بنُ مهرانَ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه الضُّراطُ، رواه عروةُ، عن عائشةَ، وكذلك فسَّره القاسمُ بنُ محمَّدٍ.

والرابع: أنَّه إتيانُ الرِّجال في مجالسهم، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ.

وهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلَّا على ما يقرب من الله ﷻ، ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزءِ واللَّعبِ.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ أي: بتصديق قولي في العذابِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ

=وابن جرير الطبري (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم (١٧٢٧١) في تفسيرهما، والطبراني في الكبير (١٠٠١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٤)، والبيهقي في شعب الأيمان (٦٣٣١) من طرق عن سماك بن حرب، عن أبي صالح، مولى أمِّ هانئ به، بنحوه.

وإسناده ضعيف؛ لضعف أبي صالح مولى أمِّ هانيء، واسمه باذام.

(١) أثر عكرمة رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٠) من طريق عمر بن أبي زائدة، به، وأثر السدي كذا رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٩٠) من طريق أسباط بن نصر، به.

رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٣١-٣٥].

قوله: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾ يعنون: قريةَ لوطٍ.

قوله: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾:

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾، و﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ بتشديدِ الحرفين، وخفَّفهما حمزةُ، والكسائيُّ.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ مشدَّدة، و«إِنَّا مُنْجُوكَ» مخفَّفة ساكنة النُّون[1].

وقد سبق شرح ما أخللنا بذكره[2] إلى قولِهِ: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو الحصْبُ والخسفُ.

قوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ﴾ في المكني عنها قولان:

أحدهما: أنَّها الفعلة التي فعلَ بهم.

فعلى هذا في الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الحجارةُ التي أدركت أوائلَ هذِهِ الأمة، قاله قتادةُ.

---

(١) السبعة (ص: ٥٠٠).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٧).

والثاني: الماءُ الأسودُ على وجه الأرضِ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: الخبرُ عمَّا صنعَ بهم.

والثاني: أنَّها القريةُ.

فعلى هذا في المراد بالآية ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها آثارُ منازلهم الخربة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ الآيـة في قريتهـم إلى الآنْ، أنَّ أساسـها أعلاهـا، وسـقوفها أسـفلها، حـكاهُ أبـو سـليمان الدِّمشـقيُّ.

والثالث: أنَّ المعنـى: تركناهـا آيـة تقـول: إنَّ في السَّـماءِ لآيـة، يريـد أنَّهـا هـي الآيـة، قالـه الفـرَّاءُ[1].

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[العنكبـوت: ٣٦-٣٧].

قولـه: ﴿ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ قـال المفـسِّرون: اخشـوا البعـثَ الـذي فيـه جـزاءُ الأعـمالِ.

قولــه تعــالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣١٥).

فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٨-٤٠].

[قوله: ﴿ وَعَادٗا ﴾][1]:

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وأهلكنا عادًا وثمودًا، لأنَّ قبل هذا ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ [٦٢٦/ ب] ٱلرَّجۡفَةُ ﴾[2].

قوله: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ ﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكَّةَ من منازلهم بالحجازِ واليمنِ آية في هلاكِهم، ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي ذوي بصائر[3].

وقال الزَّجَّاجُ: أتوا ما أتوه وقد تبيَّن لهم أنَّ عاقبته عذابُهم[4].

وقال غيرُه: كانوا عند أنفسِهم مستبصرين، يظنُّون أنَّهم على حقٍّ.

قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾ أي: ما كانوا يفوتون الله أَنْ يفعلَ بهم ما يُريدُ.

قوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ ﴾ أي: عاقبنا بتكذيبهِ ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا ﴾ يعني: قوم لوطٍ ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو من (س).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٣١٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٦٩).

يعني: ثمودًا وقومَ شعيب، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: قارون وأصحابه، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني: قومَ نوحٍ وفرعونَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾؛ فيعذِّبهم على غيرِ ذنبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإقامةِ على المعاصي.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٣].

قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام، يتَّخذُها المشركونَ أولياء يرجون نفعها ونصرَها، فمثلُهم في ضعفِ احتيالهم ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾.

قال ثعلب: والعنكبوتُ أنثى، وقد يذكِّرها بعضُ العربِ.

قال الشاعر [من الوافر](١):

عَلَى هُطَّالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْتَنَاهَا

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ أي: هو عالمٌ بما عبدوه من دونِه، لا يخفى عليه ذلك، والمعنى: أنَّه يجازيهم على كفرِهم

---

(١) بلا نسبة معاني القرآن (٢/ ٣١٧)، ولسان العرب (١/ ٦٣٢)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٠٩)، والمخصص (١٧/ ١٧)، وخزانة الأدب (٥/ ٨٧)، وتاج العروس (٣/ ٤٤٦).

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ يعني: أمثال القرآن التي شبَّه بها أحوالَ الكفَّارِ، وقيل: إنَّ تلك بمعنى هذه و﴿ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الذين يعقلونَ عن الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٤-٤٥].

قوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي: للحقِّ، ولإظهارِ الحقِّ.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ في المرادِ بالصَّلاة قولانِ:

أحدهما: أنَّها الصلاةُ المعروفةُ، قاله الأكثرونَ.

وروى أنسُ بنُ مالكٍ، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إِلَّا بُعْدًا**»(١).

والثاني: أنَّ المراد بالصَّلاة القرآن، قاله ابنُ عمرَ، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكرِ فيما سبق(٢).

---

(١) رواه الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢١) من طريق عمر بن شاكر، عن أنس بن مالك، به، بنحوه. وعمر بن شاكر البصري ضعيف.

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٦٨)، وتفسير سورة النحل الآية رقم (٩٠).

وفي معنى هذه الآيةِ للعلماءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أَنَّ الإنسانَ إذا أَدَّى الصَّلاةَ كما ينبغي وتدبَّر ما يتلو فيها، نهته عن الفحشاءِ والمنكرِ، هذا مقتضاها وموجبها.

والثاني: أنَّها تنهاهُ ما دام فيها.

والثالث: أَنَّ المعنى: ينبغي أَنْ تنهى الصلاة عن الفحشاءِ والمنكرِ.

قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: ولذكرُ الله إيَّاكم أكبرُ من ذكركم إيَّاه، رواه ابنُ عمرَ، عن رسولِ الله ﷺ[1]، وبه قال ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ في آخرين.

والثاني: ولذكرُ الله أفضلُ من كلِّ شيءٍ سواه، وهذا مذهبُ أبي الدَّرداء، وسَلْمَان، وقتادة.

والثالث: ولذكرُ الله في الصَّلاة أكبر ممَّا نهاك عنه من الفحشاءِ والمنكرِ، قاله عبدُ الله بنُ عونٍ.

والرابع: ولذكرُ الله العبدَ ما كان في صلاتِهِ أكبر من ذكرِ العبد لله، قاله ابنُ قُتيبةَ[2].

---

(١) رواه ابن السني، وابن مردويه في تفسيره، والديلمي كما في الدر المنثور (٦/ ٤٦٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٣٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ في التي هي أحسن **ثلاثة أقوالٍ**: [٦٢٧/أ]

أحدها: أنَّها لا إله إلَّا الله، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها الكفُّ عنهم، إذا بذلوا الجزيةَ فإنْ أبوا قوتلوا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّها القرآنُ والدُّعاء إلى الله بالآياتِ والحججِ.

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ وهم الذين نصبوا الحربَ، وأبوا أنْ يؤدُّوا الجزيةَ، فجادِلوا هؤلاءِ بالسَّيفِ، حتَّى يسلموا أو يعطوا الجزيةَ، وقولوا لمن أدَّى الجزية منهم، إذا أخبركم بشيءٍ ممَّا في كتبهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا﴾ الآية.

وقد روى أبو هريرةَ قال: كان أهلُ الكتابِ يقرؤون التَّوراةَ[(١)] بالعبرانية، ويفسِّرونها بالعربيَّة لأهلِ الإسلام[(٢)]، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾[(٣)] الآية.

---

(١) في الأصل، و(ر): (الكتاب)، والمثبت من (س)، وهو الموافق لرواية البخاري.

(٢) في الأصل، و(ر): (الشام)، والمثبت من (س)، وهو الموافق لرواية البخاري.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٤٨٥)، والنسائي في الكبرى (١١٣٢٣)، والبزار في مسنده (٨٦١٧)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم (١٧٣٦٤) في تفسيرهما.

فصل

واختلف في نسخ هذه الآيةِ على قولين:

أحدهما: أنها نسخت بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩] قاله قتادةُ، والكلبيُّ.

والثاني: أنها ثابتةُ الحكمِ، وهو مذهبُ ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٧-٤٩].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتابَ عليهم، ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يعني: مؤمني أهلِ الكتابِ، ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ ﴾ وهم الذين أسلموا ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.

قال قتادةُ: إنَّما يكون الجحدُ بعد المعرفةِ(١).

قال مُقَاتِلٌ: وهمُ اليهودُ(٢).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٤٢٤)، وابن أبي حاتم (١٧٣٦٩) في تفسيرهما من طريق سعيد، به.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٧).

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾:

قال أبو عُبيدةَ: مجازه ما كنت تقرأ قبله كتابًا، و«من» زائدةٌ، فأمَّا الهاءُ في «قبله» فهي عائدةٌ إلى القرآنِ، والمعنى: ما كنت قارئًا قبل الوحي ولا كاتبًا، وهكذا كانت صفتُه في التوراةِ والإنجيلِ، أنَّه أمِّيٌّ لا يقرأُ ولا يكتب، وهذا يدلُّ على أَنَّ الذي جاء به، من عند الله تعالى[١].

قوله: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت[٢] قارئًا كاتبًا لشكَّ اليهودُ فيك، ولقالوا: ليست هذه صفتُه في كتابنا، و﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ الذين يأتون بالباطلِ، وفيهم هاهنا قولان:

أحدهما: كفَّار قريش، قاله مجاهدٌ.

والثاني: كفَّارُ اليهودِ، قاله مُقاتلٌ[٣].

قوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ في المكنَّى عنه قولانِ:

أحدهما: أنَّه النَّبيُّ محمَّد ﷺ.

ثُمَّ في معنى الكلامِ قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: بل وجدان أهل الكتاب في كتبهم أنَّ محمَّدًا ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنَّه أمِّيٌّ: آياتٌ بيِّناتٌ في صدورهم، وهذا مذهبُ ابنِ عبَّاسٍ، والضَّحاكِ، وابنِ جريجٍ.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١١٦).

(٢) في الأصل: (كان)، والمثبت من (س).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٦).

والثـاني: أَنَّ المعنـى: بـل محمَّـد ذو آيـاتٍ بيِّنـاتٍ في صـدورِ الذيـن أوتـوا العلـمَ مـن أهـل الكتـابِ، لأنَّهـم يجدونـه بنعتِـهِ وصفتِـهِ، قالـه قتـادةُ.

والثـاني: أنَّـه القـرآنُ، والذيـن أوتـوا العلـمَ المؤمنـون الذيـن حملـوا القرآنَ عـلى عهـدِ رسـولِ الله ﷺ، وحملـوهُ بعده.

وإنَّـما أعطـي الحفـظ هـذه الأمَّـة وكان مـن قبلهـم لا يقـرؤون كتابَهـم إلَّا نظـرًا، فـإذا أطبقـوه لم يحفظـوا مـا فيـه سـوى الأنبيـاء، وهـذا قـولُ الحسـنِ.

وفي المرادِ بالظَّالمين هاهنا قولان:

أحدهما: المشركونَ، قاله ابنُ عبَّاسٍ. [٦٢٧/ ب]

والثاني: كفَّار اليهود، قاله مُقاتلٌ[1].

قولــه تعــالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾[العنكبـوت: ٥٠-٥٢].

قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

قـرأ نافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وابـنُ عامـر، وحفـصٌ عـن عاصـمٍ: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ عـلى الجمـعِ.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٧).

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «آيَةٌ» على التَّوحيدِ[١].

وإنَّما أرادوا كآياتِ الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو القادرُ على إرسالها وليست بيدي، وزعمَ بعضُ علماءِ التَّفسيرِ أنَّ قولَه: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

ثُمَّ بين الله ﷻ أنَّ القرآنَ يكفي من الآياتِ التي سألُوها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وذكر يحيى بن جعدة: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَوا نَبِيَّ الله ﷺ بِكُتُبٍ قَدْ كَتَبُوا فِيهَا بَعْضَ مَا يَقُولُ الْيَهُودُ، فَلَمَّا أَنْ نَظَرَ فِيهَا أَلْقَاهَا، ثُمَّ قَالَ: «**كَفَى بِهَا حَمَاقَةَ قَوْمٍ، أَوْ ضَلَالَةَ قَوْمٍ، أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، إِلَى قَومِ غَيْرِهِمْ**» فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ إلى آخر الآيةِ[٢].

قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: لما كذبوا بالقرآنِ نزلت: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد لي أني رسولُه، ويشهد عليكم بالتكذيب، وشهادةُ الله له إثباتُ المعجزةِ له بإنزالِ الكتاب عليه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: بغيرِ الله.

وقال مُقاتلٌ: بعبادةِ الشَّيطانِ[٣].

---

(١) السبعة (ص:٥٠١).

(٢) رواه الدارمي (٤٩٥)، وأبو داود في المراسيل (٤٥٤)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم (١٧٣٨٠) في تفسيرهما، وابن عبد البر في جامع العلم وفضله (١٤٨٥-١٤٨٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٧).

قولـه تعـالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾[العنكبـوت: ٥٣-٥٥].

قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾:

قـال مُقاتـلٌ: نزلـت في النـضرِ بـنِ الحـارثِ، حـين قـال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفـال: ٣٢][(١)].

وفي الأجلِ المسمَّى أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه يومُ القيامةِ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثـاني: أجـل الحيـاة إلى حـين المـوت، وأجـلُ المـوت إلى حـين البعـث، قالـه قتـادةُ.

الثالث: مدَّة إعمارهم، قاله الضَّحاكُ.

والرابع: يوم بدر، حكاه الثَّعلبيُّ[(٢)].

قوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ يعني العذاب.

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو نهيك، وابنُ أبي عبلةَ: «ولَتَأْتِيَنَّهم» بالتَّاء[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكشف والبيان (٧/ ٢٨٧).

(٣) المحتسب (٢/ ١٣٣).

قوله: ﴿ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بإتيانه.

قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾أي: جامعة لهم.

قوله: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ بالنُّونِ، وقرأ نافعٌ بالياءِ(١).

فمن قرأ بالياءِ أراد الملك الموكَّل بعذابِهم، ومن قرأ بالنُّونِ فلأنَّ ذلك لَمَّا كان بأمرِ الله تعالى جازَ أن يُنسَب إليه، ومعنى ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاءَ ما عملتم من الكفرِ والتَّكذيبِ.

قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٦-٦٠].

قوله: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامر: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ﴾ بتحريك الياءِ.

وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ والكسائيُّ بإسكانها(٢).

قوله: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾.

---

(١) السبعة (ص:٥٠١).

(٢) السبعة (ص:٥٠١ ـ ٥٠٢).

وقرأ ابنُ عامر وحده: «أَرْضِيَ» بفتحِ الياءِ[(١)].

وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه خطابٌ لمن آمن من أهل مكَّةَ، قيل لهم: إنَّ أرضي يعني: المدينة واسعةٌ، فلا تجاوروا الظَّلمةَ في أرضِ مكَّةَ، قاله أبو صالحٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

وكذلك قال مُقَاتِلٌ: نزلت في ضعفاءِ مسلمي مكَّةَ أي: إنْ كنتم في ضيقٍ بمكَّةَ من إظهارِ الإيمانِ؛ فأرضُ المدينةِ واسعةٌ[(٢)].

والثاني: أنَّ المعنى: إذا عُمل بالمعاصي في أرضٍ، فاخرجُوا منها، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال عطاءُ.

والثالث: إنَّ رزقي لكم واسعٌ، قاله مطرِّفُ بنُ عبدِ الله.

قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾:

[٦٢٨/أ] أثبت فيها الياء يعقوبُ في الحالين، وحذفها الباقون.

قال الزَّجَّاجُ: أمرهم بالهجرةِ من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تتهيَّأ لهم العبادةُ، ثُمَّ خوَّفهم بالموتِ، لتهون عليهم الهجرةُ، فقال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ المعنى: فلا تقيموا في دارِ الشِّركِ خوفًا من الموت، ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ بعد الموت، فنجزيكم بأعمالكم[(٣)].

---

(١) السبعة (ص:٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٢).

والأكثرونَ قرؤوا: ﴿تُرْجَعُونَ﴾: بالتَّاء على الخطابِ، وقرأ أبو بكرٍ، عن عاصمٍ بالياء[1].

قوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامر: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ بالباءِ، أي: لننزلنهم.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف: «لَنُثْوِيَنَّهُم» بالثَّاء[2]، وهو من ثويت بالمكان إذا أقمت به.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: ثوى الرَّجلُ إذا أقام، وأثْوَيْتُه إذا أنزلته منزلًا يقيم فيه[3].

قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ: لمَّا أمرهم رسولُ الله ﷺ بالخروجِ إلى المدينةِ، قالوا: يا رسول الله نخرجُ إلى المدينةِ وليس لنا بها عقارٌ ولا مالٌ فمن يؤوينا ويطعمنا؟ فنزلتِ هذه الآيةُ[4].

قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى الآية: كم من دابَّةٍ لا ترفعُ شيئًا لغدٍ.

---

(١) السبعة (ص: ٥٠٢).

(٢) السبعة (ص:٥٠٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٣).

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٢٨٨) بلا إسناد.

قال ابنُ عيينةَ: ليس يَخْبأُ إلَّا الإنسانُ، والفأرةُ، والنَّملةُ(١).

قال المفسِّرون: وقوله ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ أي: حيثما توجَّهت ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ أي: ويرزقكم إنْ هاجرتم إلى المدينةِ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم: لا نجدُ ما ننفق بالمدينةِ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما في قلوبكم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (٦١) ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٦٢) وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (٦٣)﴾[العنكبوت: ٦١-٦٣].

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ يعني: كفَّار مكَّة، وكانوا يقرون بأنَّه الخالقُ والرَّازقُ، وإنَّما أمرُه أن يقولَ: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم، لأنَّ ذلك يلزمُهم الحجَّةُ فيوجب عليهم.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنَّه الخالقُ والمرادُ بالأكثرِ: الجميع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ (٦٥) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ (٦٦)﴾[العنكبوت: ٦٤-٦٦].

قوله: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ والمعنى: وما الحياةُ في

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٣٩).

هذه الدنيا إلَّا غرورٌ ينقضي عن قليلٍ، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ يعني: الجنَّة ﴿لَهِىَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: اللَّام في ﴿لَهِىَ﴾ زائدةٌ للتَّوكيدِ(١)، والحيوانُ والحياةُ واحدٌ، والمعنى: هي دارُ الحياةِ التي لا موتَ فيها، ولا تنغيصَ يشوبُها كما يشوب الحياة الدُّنيا ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لو علموا لرغبوا عن الفاني في الباقي، ولكنَّهم لا يعلمون.

قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلۡفُلۡكِ﴾ يعني: المشركين، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: أفردُوه بالدُّعاءِ.

قال مُقاتلٌ: والدِّينُ بمعنى التَّوحيدِ(٢).

والمعنى: أنَّهم لا يدعون من يدعونَه شريكًا له ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ﴾ أي: خلَّصهم من أهوالِ البحرِ وأفضوا إلى البرِّ ﴿إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ في البرِّ، وهذا إخبارٌ عن عنادهم ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ هذه لام الأمرُ، ومعناه التَّهديد والوعيدُ، كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت ٤٠]، والمعنى: ليجحدوا نِعْمة الله في إنجائه إيَّاهم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ بإسكانِ اللامِ على معنى الأمرِ(٣)، والمعنى: ليتمتعوا بباقي أعمارِهم، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقبة كفرِهم.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١١٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٨٩).

(٣) السبعة (ص:٥٠٢).

وقرأ الباقونَ بكسرِ اللَّام في ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾، فجعلوا اللَّامين بمعنى كي، فتقديره: لكي يكفروا ولكي يتمتَّعوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يشركون ليكفروا وليتمتَّعوا، أي: لا فائدةَ لهم في الإشراكِ إلَّا الكفر والتمتعُ [٦٢٨/ب] بما يتمنون به في العاجلةِ، من غيرِ نصبٍ لهم في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت: ٦٧-٦٩].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يعني مكَّة، وقد شرحنا هذا المعنى في القصص[1] ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾ أي: أنَّ العربَ يسبي بعضُهم بعضًا وأهل مكَّة آمنون.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: الشِّركُ، قاله قتادةُ.

والثاني: الأصنام، قاله ابنُ السائبِ.

والثالث: الشيطانُ، قاله مُقاتلٌ[2].

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة القصص الآية رقم (٥٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٩٠).

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، وعاصمٌ الجحدري: «تُؤْمِنونَ وبنِعمة الله تكفُرونَ» بالتَّاء فيهما(١).

قوله: ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمَّدًا والإسلام، وقيل: بإنعام الله عليهم حين أطعمهم وآمنهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ﴾ أي: زعم أنَّ له شريكًا، وأنَّه أمر بالفواحش ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ يعني: محمَّدًا والقرآن ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ وهذا استفهامٌ بمعنى التقرير، كقول جرير [من الوافر](٢):

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ أي: قاتلوا أعداءنا لأجلنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنَّهم لإصابةِ الطريقِ المستقيمةِ؛ وقيل: لنزيدنَّهم هداية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنُّصرةِ والعونِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد بالمحسنين: الموحِّدين(٣).

وقال غيرُه: يريدُ المجاهدين.

وقال ابنُ المبارك: من اعتاصت عليه مسألةٌ، فليسأل أهل الثُّغورِ عنها لقوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي، وزاد في التحصيل (٥/ ١٩٩) عليًا.

(٢) في ديوانه (ص: ٨٥)، وشرح شواهد المغني (١/ ٤٢)، ولسان العرب (٧/ ١٠١)، ومغني اللبيب (١/ ١٧).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٦).

سورة الروم

وهي مكيَّةٌ كلها بإجماعهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قولـه تعـالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[الـروم: ١-٥].

قولـه: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ذكـر أهـلُ التَّفسيرِ في سببِ نزولها: أنَّـه كان بـين فـارس والـرُّوم حـربٌ، فغلبـت فـارس الـرُّوم، فبلـغ ذلـك رسـول الله ﷺ وأصحابـه، فشـقَّ ذلـك عليهـم، وفـرحَ المشركـونَ بذلـك، لأنَّ فـارسَ لم يكـن لهـم كتـابٌ، وكانـوا يجحـدون البعـثَ ويعبـدونَ الأصنـامَ، والـرُّومُ أصحـابُ كتـابٍ، فقـال المشركـون لأصحـابِ رسـولِ الله ﷺ: إنَّكـم أهـلُ كتـابٍ، والنَّصـارى أهـلُ كتـابٍ، ونحـن أمِّيـون، وقـد ظهـر إخواننـا مـن أهـل فـارس عـلى إخوانكـم مـن الـرُّوم، فـإنْ قاتلتمونـا لنظهـرنَّ عليكـم، فنزلـت هـذه الآيـةُ، فخـرج بهـا أبـو بكـرٍ الصِّديـق إلى المشركـين فقالـوا: هـذا كلام صاحبـك فقـال: الله أنـزل هـذا، فقالـوا لأبي بكـرٍ: نراهنـك عـلى أنَّ الـرُّومَ لا تغلـب فـارس، فقـال أبـو بكـرٍ: البضـع مـا بـين الثَّـلاث إلى التِّسـعِ فقالـوا: الوسـط مـن ذلـك سـت فوضعـوا الرِّهـان، وذلـك قبـل أنْ يحـرم الرِّهـان، فرجـع أبـو بكـرٍ إلى أصحابـه فأخبرهـم فلامـوه وقالـوا: هـلَّا أقررتهـا كـما أقرَّهـا الله، لـو

شاء أنْ يقول: ستًّا لقال: فلمَّا كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان، فلما كانت سنة سبع ظهرت الرومُ على فارس[(١)].

وروى ابن عباس قال: لما نزلت ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ناحب أبو بكر قريشًا فقال له رسولُ الله ﷺ: «أَلَا احْتَطْتَ، فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ السَّبْعِ وَالتِّسْعِ»[(٢)]، وذكر بعضُهم أنَّهم ضربوا الأجل خمس سنين، وقال بعضهم: ثلاث سنين فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى تِسْعٍ»، فخرج أبو بكرٍ فقال لهم: أزايدكم في الخطرِ، وأمدُّ في الأجلِ إلى تسع سنين، ففعلوا فقهرهم أبو بكرٍ وأخذ رهانهم[(٣)]. [٦٢٩/أ]

وفي الذي تولَّى وضع الرِّهان من المشركين قولان:

أحدهما: أُبيُّ بنُ خلفٍ، قاله قتادةُ.

والثاني: أبو سفيانَ بنُ حربٍ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٧/ ٢٩٢)، والوسيط (٣/ ٣٢٧)، والدر المنثور (٦/ ٤٧٩).

(٢) لم نقف عليه.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٩٦)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١١٥)، والترمذي (٣١٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٨٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٤٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٨٧)، والطبراني في الكبير (١٢٣٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٥) وصححه، ووافقه الذهبي، وغيرهم بألفاظ متقاربة من طريق سعيد بن جبير، به.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والضَّحاكُ، وأبو رجاء، وابنُ السَّمَيْفَع: «في أَدَاني الْأَرْضِ» بألفٍ مفتوحة الدَّالِ[١]؛ أي: أقرب الأرض، أرض الرُّوم إلى فارس.

قال ابنُ عبَّاسٍ: وهي طرفُ الشَّامِ[٢].

وفي اسمِ هذا المكان ثلاثةُ أقوالٍ:

إحداها: أنَّه الجزيرةُ وهي أقربُ أرضِ الرُّومِ إلى فارس، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أذرعات وكسكر، قاله عكرمةُ.

والثالث: الأردنُ وفلسطين، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿وَهُم﴾ يعني: الرُّومُ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾:

وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو رجاء، وعكرمةُ، والأعمشُ: «غَلْبِهِمْ» بتسكينِ اللَّامِ[٣]؛ أي: من بعد غلبةِ فارس إيَّاهم.

والغَلَبُ والغَلَبَةُ لغتانِ.

﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ فارس ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ في البِضعِ تسعةُ أقوالٍ قد ذكرناها في يوسفَ[٤].

قال المفسِّرون: وهي هاهنا سبع سنين، وهذا من علمِ الغيب الذي يدلُّ على أنَّ القرآنَ حقٌّ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٤) عن الكلبي.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) عن علي بن أبي طالب، وفي التحصيل (٥/ ٢١٢) عن ابن عمر.

(٤) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٤٢).

قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: من قبل أنْ تغلب الرُّوم، ومن بعد ما غلبت، والمعنى: أنَّ غلبةَ الغالبِ وخذلان المغلوبِ بأمر الله وقضائِه.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ يعني: يوم غلبت الرُّوم فارس ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ للرُّوم، وكان التقاء الفريقين في السنةِ السَّابعةِ من غلبةِ فارس إيَّاهم، فغلبتهم الرُّوم وجاء جبريلُ يخبر بنصرِ الرُّومِ على فارس، فوافق ذلك يوم بدرٍ، وقيل: يوم الحديبيةِ.

قوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨﴾[الروم: ٦-٨].

قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: وعد الله وعدًا ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ أنَّ الرُّوم يظهرون على فارس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الله لا يخلف وعدَه في ذلك.

ثُمَّ وصف كفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

قال عكرمةُ: هي المعايشُ[1].

وقال الضَّحاكُ: يعلمون بنيان قصورها وتشقيق أنهارِها[2].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٦٩) بنحوه.

وقال الحسنُ: يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم، ولقد بلغَ والله من علم أحدِهم بالدُّنيا أنَّه ينقر الدِّرهم بظفرِهِ فيخبرك بوزنِهِ، ولا يحسن يصلِّي[1].

قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنَّهم لا يؤمنونَ بها.

قال الزَّجَّاجُ: وذكرهم ثانية يجري مجرى التَّوكيدِ، كما يقول: زيدٌ هو عالمٌ وهو أوكد من قولك: زيدٌ عالمٌ[2].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾:

قال الزَّجَّاجُ: معناه: أولم يتَّفكروا فيعلموا، فحذفَ فيعلموا لأنَّ في الكلام دليلًا عليه[3].

ومعنى ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلَّا للحقِّ، أي: لإقامةِ الحقِّ ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقتُ الجزاءِ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ المعنى: لكافرونَ بلقاءِ ربِّهم، فقدِّمت الباءُ، لأنَّها متَّصلةٌ بـ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾ وما اتَّصل بخبر «إنَّ» جاز أنْ يقدَّم قبل اللام، ولا يجوزُ أنْ تدخلَ اللَّام بعد مضي الخبرِ من غير خلافٍ بين النَّحويين، لا يجوز أنْ تقول: إنَّ زيدًا كافرٌ بالله، لأنَّ اللَّام [٦٢٩/ب] حقّها أنْ تدخلَ على الابتداءِ، أو الخبرِ أو بين الابتداءِ والخبرِ، لأنَّها تؤكد الجملة.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٦٣) مختصرًا.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٨).

وقال مُقاتلٌ: في قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ للسماوات والأرضِ أجل ينتهيان إليه، وهو يومُ القيامةِ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفار مكَّة ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالبعثِ ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[الروم: ٩-١١].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أولم يسافروا فينظروا مصارع الأممِ قبلهم، كيف أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا.

قوله: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: قلبوها للزِّراعةِ، ومنه قيل للبقرةِ: مثيرة.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، ومعاذٌ القارئ، وأبو حيوةَ: «وآثَارُوا الأرض» بمدِّ الهمزةِ وفتح الثَّاءِ مرفوعة الرَّاءِ(٢).

﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾؛ أي: أكثر من عمارةِ أهلِ مكَّةَ لطولِ أعمارِ أولئك وشدَّة قوَّتهم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٠٨).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١١٧) عن أبي حيوة، وفي التحصيل (٥/ ٢١٢) عن الواقدي، عن ابن جماز، عن ابن القعقاع، وفي المحتسب (٢/ ١٦٣)، والمحرر (٤/ ٣٣٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٧٨) عن أبي جعفر، وقال ابن مجاهد: ليس بشيء، وخرجه بعضهم على الإشباع.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالدلالات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بتعذيبهم على غير ذنبٍ ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفرِ والتّكذيبِ، ودلَّ هذا على أنَّهم لم يؤمنوا فأُهلكوا.

ثُمَّ أخبرَ عن عاقبتهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ يعني: الخَلَّة السيئة وفيها قولان:

أحدهما: أنّها العذابُ، قاله الحسنُ.

والثاني: جهنَّم، قاله السُّدِّيُّ.

قوله: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾:

قال الفَرَّاءُ: معناه لأن كذَّبوا فلمّا ألقيت اللَّام كان نصبًا[1].

وقال الزَّجَّاجُ: لتكذيبهم بآياتِ الله واستهزائهم[2].

وقيل: ﴿السُّوأَى﴾ مصدرٌ بمنزلةِ الإساءةِ؛ فالمعنى: ثُمَّ كان التّكذيبُ آخر أمرِهم، أي: ماتوا على ذلك، كأنَّ الله تعالى جازاهم على إساءتِهم أن طبعَ على قلوبهم حتّى ماتوا على التكذيب عقوبة لهم.

وقال مكيُّ بنُ أبي طالبٍ النَّحويُّ: ﴿عَاقِبَةَ﴾ اسم كان، ﴿السُّوأَى﴾ خبرُها، ﴿وأَن كَذَّبُوا﴾ مفعول من أجلِه، ويجوزُ أن يكون ﴿السُّوأَى﴾ مَفْعُولة بـ ﴿أَسَاءُوا﴾، ﴿وأَن كَذَّبُوا﴾ خبر كانَ، ومن نصب

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٢٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧٩).

﴿عَـٰقِبَةَ﴾ جعلها خبر كان، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ اسمها، ويجوز أن يكون ﴿وأن كَذَّبُوا۟﴾ اسمها[1].

وقرأ الأعمش: ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ برفع السُّوءِ[2].

قوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: يخلقهم أوّلًا، ثُمَّ يعيدُهم بعد الموتِ أحياء كما كانوا.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتّاء؛ فعلى هذا يكون الكلامُ عائدًا من الخبرِ إلى الخطابِ.

وقرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالياءِ[3]؛ لأنَّ المتقدِّمَ ذكره غيبة، والمرادُ بذكرِ الرُّجوعِ: الجزاء على الأعمالِ، والخلق: بمعنى المخلوقين، وإنَّما قال: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ على لفظِ الخلقِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[الروم: ١٢-١٦].

---

(١) مشكل إعراب القرآن (٢/ ٥٦٠).

(٢) السبعة (ص:٥٠٦).

(٣) السبعة (ص:٥٠٦).

قوله: ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قد شرحنا الإبلاس في الأنعام(١).

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ أي: من أوثانهم التي عبدوها ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في القيامة ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ يتبرَّؤون منها وتتبرَّأ منهم.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ وذلك بعدَ الحسابِ ينصرفُ قومٌ إلى الجنَّةِ وقومٌ إلى النَّارِ.

قوله: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ الرَّوضةُ المكانُ المخضَّر من الأرضِ، وإنَّما خصَّ الرَّوضةَ، لأنَّها كانت أعجبُ الأشياءِ إلى العربِ.

قال أبو عُبيدةَ: ليس شيءٌ عند العربِ أحسن من الرياضِ المعشبةِ، ولا أطيب ريحًا، قال الأعشى [من البسيط](٢):

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحُزْنِ مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يَوْمًا بِالطِّيبِ مِنْهَا نَشْرُ رَائِحَةٍ   وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ

قال المفسِّرون: والمرادُ بالرَّوضةِ: رياضُ الجنَّةِ. [٦٣٠/أ]

وفي معنى ﴿يُحْبَرُونَ﴾ **أربعةُ أقوالٍ:**

إحداها: يكرمون، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: ينعمون، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٤).

(٢) في ديوانه (ص:١٠٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٠)، والشعر والشعراء (١/ ٢٥٢)، والكامل (٣/ ٥٣)، والزاهر في كلمات الناس (٢/ ٢٥٧).

قال الزَّجَّاجُ: والحَبْرة في اللُّغةِ كلّ نعمة حسنة[(١)].

والثالث: يفرحون، قاله السُّدِّيُّ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: يحبرون يسرُّون، والحَبْرَة السُّرُورُ[(٢)].

والرابع: أنَّ الحبر السَّماع في الجنَّةِ، فإذا أخذ أهلُ الجنَّةِ في السَّماع، لم تبقَ شجرةٌ إلَّا وردَت، قاله يحيى بنُ أبي كثيرٍ.

وسئل يحيى بنُ معاذٍ: أي الأَصواتِ أحسَنُ؟ فقال: مَزامِيرُ أُنْسٍ في مَقَاصِيرِ قُدْسٍ بألْحَانِ تَحْمِيدٍ في رِيَاضِ تَمْجِيدٍ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر٥٥][(٣)].

قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ أي: هم حاضرونَ العذاب أبدًا لا يخفَّف عنهم.

قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الروم: ١٧-١٩].

ثُمَّ ذكر ما تدركُ به الجنَّةُ ويتباعدُ به من النَّارِ فقال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣٤٠).

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٣٥٤) عن ذي النون.

قال المفسِّرون: المعنى: فصلُّوا لله حين تمسونَ، أي: حين تدخلون في المساءِ ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: تدخلونَ في الصَّباحِ، و﴿تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظَّهيرةِ، وهي وقتُ الزَّوالِ ﴿وَعَشِيًّا﴾، أي: وسبِّحوهُ عشيًّا.

وهذه الآيةُ قد جمعت الصَّلوات الخمس، فقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ يعني صلاة المغربِ والعشاءِ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ يعني به صلاة الفجرِ، ﴿وَعَشِيًّا﴾ العصر، و﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظُّهر.

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يحمدُه أهلُ السَّمواتِ، وأهلُ الأرضِ، ويصلون له[١].

قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ فيه أقوالٌ قد ذكرناها في سورةِ آلِ عمرانَ[٢].

قوله: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يجعلها منبتة بعد أنْ كانت لا تنبت، وتلك حياتها.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بضمِّ التَّاءِ، وفتحها حمزةُ، والكسائي[٣].

والمرادُ: تخرجون يوم القيامةِ من الأرضِ، أي: كما أحيا الأرضَ بالنَّبات يحييكم بالبعثِ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣١).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٢٧).

(٣) السبعة (ص:٥٠٦).

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الروم: ٢٠-٢٩].

قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ أي: من دلائل قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾، يعني آدم لأنَّه أصلُ البشرِ ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ من لحمٍ ودمٍ يعني: ذريَّته ﴿تَنتَشِرُونَ ﴾ أي: تنبسطون في الأرضِ.

قوله: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعِهِ، وهو معنى قول قتادة.

والثاني: أَنَّ المعنى جعل لكم آدميَّات مثلكم، ولم يجعلهنَّ من غيرِ جنسكم، قاله الكلبيُّ.

قوله: ﴿لِتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ أي: لتأووا إلى الأزواجِ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وذلك أنَّ الزَّوجينِ يتوادَّان ويتراحمان من غيرِ رحمٍ بينهما ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكره من صنعِهِ ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في قدرةِ الله وعظمتِهِ.

قوله: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ يعني: اللُّغاتِ من العربيَّةِ، والعجميَّةِ، وغيرِ ذلك ﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾؛ لأَنَّ الخلقَ بين أسود وأبيض وأحمر، وهم ولدُ رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ.

وقيل: المرادُ باختلافِ الألسنةِ، اختلاف النَّغماتِ والأصواتِ، حتَّى إنَّه لا يشتبه صوتُ أخوين من أبٍ وأمٍّ، والمرادُ باختلافِ الألوانِ اختلاف [٦٣٠/ب] الصُّور، فلا تشتبه صورتانِ مع التَّشاكلِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «للعالَمين» بفتح اللَّامِ.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ بكسرِ اللَّامِ[١].

قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: نومكم.

---

(١) السبعة (ص: ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

قال أبو عُبيدةَ: المنامُ من مصادرِ النَّومِ بمنزلة قام يقوم قيامًا ومقامًا، وقال يقول مقالًا[(١)].

قال المفسِّرون: وتقديرُ الآية: منامكم باللَّيل ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾ وهو طلبُ الرِّزقِ بالنَّهارِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماع اعتبار وتذكُّر وتدبُّر ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ﴾ قال اللُّغويون: إنَّما حذف أن لدلالةِ الكلامِ عليه، وأنشدوا [من الطويل][(٢)]:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَتَارَةً ... أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ

ومعناه: فتارة أموتُ فيها.

وقال طرفة [من الطويل][(٣)]:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَى ... .

أراد: أَنْ أحضر.

وقد شرحنا معنى الخوفِ والطَّمعِ في رؤية البرقِ في سورةِ الرَّعدِ[(٤)].

---

(١) مجاز القرآن (٢/١٢٠).

(٢) البيت لتميم بن مقبل في ديوانه (ص:٢٤)، وحماسة البحتري (ص:١٢٣)، والحيوان (٣/ ٤٨)، والكتاب (٢/ ٣٤٦)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١١٤).

(٣) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه (ص:٣٢)، والإنصاف (٢/ ٥٦٠)، والكتاب (٣/ ٩٩)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٨٠٠)، ولسان العرب (١٣/ ٣٢)، وخزانة الأدب (١/ ٤٦٣)، وعجزه: «وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي».

(٤) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (١٢).

قولـه: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: تدومـا قائمتـين ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ وهـي نفخـةُ إسرافيـل الأخـيرة في الصُّـورِ بأمـرِ الله ﷻ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مـن قُبورِكـم ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منهـا.

ومـا بعـد هـذا قـد سـبقَ بيانُـه[1] إلى قولِـهِ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وفيـه أربعـةُ أقـوالٍ:

إحداهـا: أنَّ الإعـادةَ أهـونُ عليـه مـن البدايـةِ، وكلٌّ هـيِّنٌ عليـه، قالـه مجاهـدٌ، وأبـو العاليـةِ.

والثـاني: أنَّ أهـونَ بمعنـى هـيِّن، فالمعنـى وهـو هـيِّنٌ عليـه، وقـد يوضـع أفعـل في موضـع فاعـل، ومثلـه قولهـم في الأذانِ: الله أكـبر، أي: الله كبـير.

قال الفرزدق [من الطَّويل][2]:

إِنَّ الَّـذِي سَـمَكَ السَّـمَاءَ بَنَـى لَنَـا بَيْتًـا دَعَائِمُـهُ أَعَـزُّ وَأَطْـوَلُ

وقال معنُ بنُ أوس المزني [من الطَّويل][3]:

لَعَمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَـلُ عَـلَى أَيِّنَـا تَعْـدُو المَنِيَّـةُ أَوَّلُ

أي: وإني لوجل.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٦)، وتفسير سورة العنكبوت الآية رقم (١٩).

(٢) في ديوانـه (٢/ ١٥٥)، وشرح المفصـل (٦/ ٩٧)، والصاحبـي في فقـه اللغـة (ص:٢٥٧)، ولسـان العـرب (٥/ ١٢٧)، والمقاصـد النحويـة (٤/ ٤٢).

(٣) في ديوانـه (ص:٣٩)، وخزانـة الأدب (٨/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، وشرح التصريـح (٢/ ٥١)، وشرح ديـوان الحماسـة للمرزوقـي (ص: ١١٢٦).

وقال غيرُه [من الكامل](١):

أَصبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُوْدَ وَإِنَّنِي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُوْدِ لأَمْيَلُ

وأنشدوا أيضًا [من الطَّويل](٢):

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

أي بواحدٍ، هذا قول أبي عُبيدةَ(٣)، وهو مرويٌّ عن الحسنِ، وقتادةَ.

وقد قرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو عمران الجُوني، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «وهو هَيِّنٌ عليه»(٤).

والثالث: أنَّه خاطبَ العبادَ بما يعقلون، فأعلمهم أنَّه يجبُ أن يكون عندهم البعثُ أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمِهم، فمن قدر على الإنشاءِ كان البعثُ أهونُ عليه، هذا اختيارُ الفَرَّاءِ، والمبرِّد، والزَّجَّاجُ، وهو قولُ مُقاتلٌ(٥).

وعلى هذه الأقوالِ الثلاثةِ تكون الهاء في «عليه» عائدةٌ إلى الله تعالى.

---

(١) البيت للأحوص في ديوانه (ص:١٦٦)، ومجاز القرآن (٢/ ١٦٢)، والكتاب (١/ ٣٨٠)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٧٧)، والمقتضب (٣/ ٢٣٣).

(٢) البيت للإمام الشافعي في ملحق ديوانه (ص:١٥٩)، وتاج العروس (٩/ ٢٧١)، وللإمام علي في ديوانه (ص:٦٧)، ولطرفة بن العبد في بهجة المجالس (٢/ ٧٤٦)، وينسب لغيرهم.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٢١).

(٤) في المحرر الوجيز (٤/ ٣٣٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٨٦) عن عبد الله بن مسعود.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٣٢٤)، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٣)، تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٢).

والرابع: أنَّ الهاءَ تعودُ على المخلوقِ، لأنَّه خلقَه نطفة، ثُمَّ علقة، ثُمَّ مضغة، ويوم القيامةِ يقول له: كن فيكون، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وهو اختيارُ قطرب.

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال المفسِّرون: أي له الصِّفة العُليا في السَّماواتِ والأرضِ، وهي أنَّه لا إله غيرُه.

قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾ سببُ نزولها: أنَّ أهلَ الجاهليةِ كانوا يلبُّونَ فيقولون: لبَّيكَ لا شريكَ لك، إلَّا شريكًا هو لكَ، تملكه وما ملك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ[١]، ومُقاتلٌ[٢]. [٦٣١/أ]

ومعنى الآية: بيَّن لكم أيُّها المشركونَ شبهًا وذلك الشَّبه ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، ثُمَّ بيَّنه فقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي: من عبيدكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من المالِ والأهلِ والعبيدِ، أي: هل يشارككم عبيدُكم في أموالكم ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أي: أنتم وشركاؤكم من عبيدكم سواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: كما تخافون أمثالكم من الأحرارِ، وأقرباءكم كالآباءِ والأبناءِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: تخافونهم أنْ يرثوكم، كما يرث بعضُكم بعضًا[٣].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٣٤٨)، وفي الأوسط (٧٩١٠) من طريق حماد بن شعيب، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، بنحوه، وحماد بن شعيب التميمي الحماني، ضعيف.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٩٠) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخرساني، به.

وقال غيرُه: تخافونهم أَنْ يقاسمُوكم أموالكم كما يفعلُ الشُّركاءُ.

والمعنى: هل يرضى أحدُكم أَنْ يكون عبدُه شريكَه في مالِهِ وأهلِهِ حتَّى يساويه في التَّصرُّف في ذلك؟ فهو يخافُ أن ينفردَ في مالِهِ بأمر يتصرَّف فيه، كما يخافُ غيره من الشُّركاءِ الأحرارِ، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوكٌ لي؟

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما بيَّنا هذا المثل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله ثُمَّ بين أنَّهم إنَّما اتَّبعوا الهوى في إشراكهم فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: أشركوا بالله ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ وهذا يدلُّ على أنَّهم إنَّما أشركوا بإضلالِ الله إيَّاهم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: مانعين من عذابِ الله.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٣٨﴾ [الروم: ٣٠-٣٨].

قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾:

قال مُقاتلٌ: أخلص دينك الإسلام ﴿لِلدِّينِ﴾ أي: للتَّوحيد[١].

وقال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: استقم بدينك نحو الجهةِ التَّي وجَّهك الله إليها.

وقال غيرُه: سدِّد عملك، «والوجه»: ما يتوجَّه إليه، وعمل الإنسان ودينه: ما يتوجَّه إليه لتسديده وإقامتِهِ.

قوله: ﴿حَنِيفًا﴾:

قال الزَّجَّاجُ: «الحَنِيفُ» الذي يميل إلى الشَّيءِ ولا يرجعُ عنه، كالحَنَفِ في الرِّجل، وهو مَيْلُها إلى خارجها خلْقَةً، لا يَقْدِر الأَحنَفُ أن يَرُدَّ حَنَفَهُ.

قولُه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ بمعنى: اتَّبِعْ فطرةَ الله، لأنَّ معنى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ اتَّبِعْ الدينَ القَيِّمَ، واتَّبِعْ فِطرةَ الله أي: دينَ الله، والفطرة: الخِلْقَة التي خلق الله عليها البشر، وكذلك قولُه ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**»[٢]؛ أي: على الإيمانِ بالله[٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة، وتمامه: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ».

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٤).

وقال مجاهدٌ في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ﴾ قال: الإسلام(١)، وكذلك قال قتادةُ(٢).

والذي أشار إليه الزَّجَّاجُ أصحُّ، وإليه ذهب ابنُ قُتيبةَ(٣)، فقال: فرق ما بيننا وبين أهل القدرِ في هذا الحديثِ، أنَّ الفطرةَ عندهم الإسلام، والفطرة عندنا: الإقرارُ بالله، والمعرفةُ به، لا الإسلام، ومعنى الفطرة: ابتداءُ الخلقة، فالكلُّ أقرُّوا حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] ولست واجدًا أحدًا إلَّا هو مقرٌّ بأنَّ له صانعًا ومدبِّرًا، وإنْ عبد شيئًا دونه، وسماه بغيرِ اسمِهِ؛ فمعنى الحديث: إنَّ كلَّ مولودٍ في العالمِ على ذلك العهدِ وذلك الإقرار الأوَّل، وهو الفطرة، ثُمَّ يُهوِّد اليهودُ أبناءهم أي يعلِّمونهم ذلك، وليس الإقرارُ الأوَّلُ مما يقع به حكم ولا ثواب.

وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم، واستدلَّ عليه بأنَّ النَّاسَ أجمعوا على أنَّه لا يرثُ المسلمُ الكافرَ، ولا الكافر المسلم، ثُمَّ أجمعوا على [٦٣١/ب] أنَّ اليهوديَّ إذا مات له ولدٌ صغيرٌ ورثه، وكذلك النَّصرانيُّ والمجوسيُّ، ولو كان معنى الفطرة الإسلام ما ورثه إلَّا المسلمون، ولا دفن إلَّا معهم، وإنَّما أرادَ بقولِهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» أي: على تلك البدايةِ التي أقرُّوا له فيها بالوحدانيةِ، حين أخذهم من صلبِ آدمَ، فمنهم من جحدَ ذلك بعد إقرارِهِ.

---

(١) هو في تفسير مجاهد (ص:٥٣٩)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٤٩٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٩٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) غريب القرآن (ص:٣٤١).

ومثلُ هذا الحديثِ حديث عياض بن حِمَارٍ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ ﷻ: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ»[(١)]، وذلك أنَّه لم يَدْعُهُم يومَ الميثاقِ إلَّا إلى حرفٍ واحدٍ، فأجابوه.

قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لفظه لفظ النَّفي، ومعناه النَّهي، والتقدير: لا تبدِّلوا خلق الله، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه خصاء البهائمِ، قاله عمرُ بنُ الخطَّابِ ﵁.

والثاني: دينُ الله، قاله مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ، والنَّخعيُّ في آخرين.

وعن ابنِ عبَّاسٍ، وعكرمةَ كالقولين.

قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يعني: التَّوحيد المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني كفَّار مكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله.

قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: زعم جميعُ النَّحويين أنَّ معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين، لأنَّ مخاطبةَ النَّبيِّ ﷺ تدخل معه فيها الأمَّة، ومعنى ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجعينَ إليه في كلِّ ما أمر، فلا يخرجونَ عن شيءٍ من أمرِهِ[(٢)].

وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[(٣)] إلى قولِهِ: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ وفيه قولان:

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣)، وتفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٩).

أحدهما: أنَّه القحطُ، والرَّحمةُ: المطرُ.

والثاني: أنَّه البلاءُ، والرَّحمةُ: العافيةُ.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ وهم المشركون، والمعنى: إنَّ الكلَّ يلتجؤونَ إليه في شدائدهم، ولا يلتفتُ المشركونَ حينئذٍ إلى أوثانِهم.

قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قد شرحناهُ في آخرِ العنكبوتِ[١]، وقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ خطابٌ لهم بعد الإخبارِ عنهم.

قوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاءِ المشركينَ ﴿سُلْطَانًا﴾ أي: حجَّةً وكتابًا من السَّماءِ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرُهم بالشِّركِ؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، معناه: ليس الأمرُ كذلك.

قوله: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾:

قال مُقاتلٌ: يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿رَحْمَةً﴾، وهي المطرُ، والسَّيئة: الجوع والقحطُ[٢].

وقال ابنُ قُتيبةَ: الرَّحمة: النِّعمةُ، والسِّيئةُ: المصيبةُ[٣].

قال المفسِّرون: وهذا الفرحُ المذكورُ هاهنا هو فرحُ البطرِ، الذي لا شكرَ فيه، والقنوطُ: اليأسُ من فضلِ الله، وهو خلافُ وصفِ المؤمنِ، فإنَّه يشكرُ عند النِّعمةِ، ويرجو عندَ الشدَّةِ، وقد شرحناه في بني إسرائيل

(١) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٦٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٤).

(٣) غريب القرآن (ص:٣٤٢).

إلى قولـه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنـي إعطـاء الحـق ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضـل مـن الإمسـاكِ ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: يطلبـونَ بأعمالهـم ثـوابَ الله.

قولــه تعــالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[الـروم: ٣٩-٤٠].

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ في هذه الآية أربعةُ أقوالٍ:

إحداهـا: أنَّ الرِّبـا هاهنـا: أنْ يهـدي الرَّجـلُ للرَّجـلِ الـشَّيء يقصـد أنْ يثيبَـه عليـه أكثـر مـن ذلـك، هـذا قـول ابـنِ عبَّـاسٍ، وسـعيدِ بـنِ جبـيرٍ، ومجاهـدٍ، وطـاووس، والضَّحـاكِ، وقتـادةَ، والقرظـيِّ.

قال الضَّحاكُ: فهذا ليس فيه أجرٌ ولا وزرٌ[1].

وقال قتادةُ: ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به وليس فيه وزر[2].

والثاني: أنَّه الرِّبا المحرَّم، قاله الحسنُ البصريُّ. [٦٣٢/أ]

والثالـث: أنَّ الرَّجـلَ يعطـي قرابتـه المـالَ، ليصـير بـه غنيًّـا لا يقصـد بذلـك ثـوابَ الله تعـالى، قالـه إبراهيـمُ النَّخعـيُّ.

والرابـع: أنَّـه الرَّجـل يعطـي مَـن يخدمـه؛ لأجـل خدمتـهِ لا لأجـلِ الله تعـالى، قالـه الشَّـعبيُّ.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣/ ١٨)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٥٠٥) في تفسيرهما.

(٢) رواه عبد الرزاق (٣/ ١٨)، وابن جرير الطبري (١٨/ ٥٠٥) في تفسيرهما.

قوله: ﴿لِيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾:

وقرأ نافعٌ، ويعقوبُ: «لِتُرْبُواْ» بالتَّاءِ وسكونِ الواو[1]؛ أي: في اجتلابِ أموالِ النَّاسِ واجتذابها.

﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: لا يزكو ولا يضاعف؛ لأنَّكم قصدتم زيادةَ العوضِ ولم تقصدوا القربة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ أي: ما أعطيتم من صدقةٍ لا تطلبون بها المكافأةَ، إنَّما تريدون بها ما عندَ الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾:

قال ابنُ قُتيبةَ: الذين يجدون التضعيف والزِّيادة[2].

وقال الزَّجَّاجُ: أي ذوو الأضعافِ من الحسناتِ، كما يقال: رجلٌ مُقْوٍ أي: صاحبُ قوَّةٍ، ومُوْسِر: صاحب يَسَارٍ[3].

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الروم: ٤١-٤٣].

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في هذا الفسادِ أربعةُ أقوالٍ:

إحداها: نقصانُ البركةِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص:٥٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٨).

والثاني: ارتكابُ المعاصي، قاله أبو العالية.

والثالث: الشِّركُ، قاله قتادةُ، والسُّدِّيُّ.

والرابع: قحطُ المطرِ، قاله عطيَّةُ.

فأمَّا البرُّ، فقال ابنُ عبَّاسٍ: البر: البَرِّيَّة التي ليس عندها نهرٌ(١).

وفي البحر قولان:

أحدهما: أنَّه ما كان من المدائنِ والقرى على شطِّ نهرٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال عكرمةُ: لا أقول بَحْرُكُمْ هذا، ولكن كُلُّ قريةٍ عامرةٍ(٢).

وقال قتادةُ: المرادُ بالبرِّ أهل البوادي، وبالبحر أهل القرى(٣).

وقال الزَّجَّاجُ: المرادُ بالبحر مدن البحرِ على الأنهار وكل ذي ماءٍ فهو بحرٌ(٤).

والثاني: أنَّ البحرَ الماء المعروف.

قال مجاهدٌ: ظهورُ الفسادِ في البرِّ: قتل ابن آدم أخاه، وفي البحرِ: ملك جائرٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ غصبًا(٥).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٤٩٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٠) من طريق معمر، به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٨).

(٥) هو في تفسير مجاهد بن سليمان (ص:٥٣٩)، ورواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في تفسيرهما من طريق ليث بن أبي سليم، به.

وقيل لعطيةَ: أي فسادٌ في البحر؟ فقال: إذا قلَّ المطرُ قلَّ الغوصُ[١].

قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بما عملوا من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾.

وقرأ أبو عبدُ الرَّحمن السُّلميُّ، وعكرمةُ، وقتادةُ، وابنُ محيصن، وروحٌ عن يعقوبَ، وقنبل عن ابن كثيرٍ: «لِنُذِيقَهُمْ» بالنُّونِ[٢].

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاء بعضِ أعمالهم، فالقحطُ جزاءٌ، ونقصانُ البركةِ جزاءٌ، ووقوعُ المعصيةِ منهم جزاءٌ معجَّلٌ لمعاصيهم أيضًا.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في المشارِ إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الذين أذيقوا الجزاء.

ثُمَّ في معنى رجوعهم قولان:

أحدهما: يرجعون عن المعاصي، قاله أبو العالية.

والثاني: يرجعون إلى الحقِّ، قاله إبراهيمُ.

والثاني: أنَّهم الذين يأتون بعدهم، فالمعنى: لعلَّه يرجع مَنْ بَعْدهم، قاله الحسنُ.

قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: الذين كانوا قبلكم، والمعنى: انظروا إلى مساكنهم وآثارهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ المعنى: فأهلكوا بشركِهم.

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٤٩٦) عن عطية السعدي.

(٢) السبعة (ص:٥٠٧).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أقم قصدكَ لاتِّباع الدِّين القيِّم، وهو الإسلامُ المستقيمُ.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: يوم القيامة لا يقدر أحدٌ على ردِّ ذلك اليوم، لأنَّ الله تعالى قد قضى كونه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يتفرَّقون إلى الجنَّة والنَّارِ.

قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الروم: ٤٤- ٤٥].

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاء كفرِهِ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ [٦٣٢/ ب] يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطئون.

وقال مجاهدٌ: يسوون المضاجع في القبورِ(١).

قال أبو عُبيدةَ: «مَنْ» يقعُ على الواحدِ، والاثنين، والجمعِ من المذكَّرِ والمؤنَّث، ومجازها هاهنا مجازُ الجميع، و«يمهد» بمعنى يكتسب ويعمل ويستعد(٢).

---

(١) هو في تفسير مجاهد(ص: ٥٤٠)، ورواه ابن جرير الطبري (١٨/ ٥١٦)، وابن أبي حاتم (١٧٥١١) في تفسيرهما عن ابن أبي نجيح، به.

(٢) مجاز القرآن (٣/ ١٢٤).

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم: ٤٦-٤٧].

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ تبشر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾، وهو الغيثُ والخصبُ ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر بتلك الرِّياحِ بأمرِهِ ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ بالتِّجارةِ في البحرِ ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو الرِّزقُ، وكلُّ هذا بالرِّياحِ.

قوله: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالدلالات على صدقِهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أي: عذَّبنا الذين كذَّبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجبًا هو أوجبه على نفسِهِ ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاؤهم مع الرُّسلِ من عذابِ المكذِّبين.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا

يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الروم: ٤٨-٥٧].

قوله: ﴿يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاء، والنَّخعيُّ، وطلحةُ بنُ مصرِّفٍ، والأعمشُ: «يُرْسِلُ الرِّيحَ» بغير ألفٍ(١).

قوله: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ أي: تزعجه ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ﴾ الله ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ إنْ شاء بسطَهُ مسيرةَ يومٍ، أو يومين، أو أقلَّ أو أكثرَ ﴿وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا﴾ أي: قطعًا متفرِّقة، والأكثرونَ فتحوا سين ﴿كِسَفٗا﴾.

وقرأ أبو رزين، وقتادةُ، وابنُ عامر، وأبو جعفرٍ، وابنُ أبي عبلةَ: بتسكينها(٢).

قال أبو عليٍّ: يمكن أنْ يكون مثل: سِدْرَة وسِدْر، فيكون معنى القراءتين واحدًا(٣).

﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾.

(١) الكامل في القراءات (ص:٤٩٤).

(٢) السبعة (ص:٥٠٨)، والحجة (٥/ ٤٤٨)، والتيسير (ص: ١٧٥).

(٣) الحجة (٥/ ٤٤٨).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وأبو العاليةِ: «مِن خَلَلِهِ»[١]، وقد شرحناه في النُّور[٢].

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: بالوَدْقِ، ومعنى يستبشرون: يفرحون بالمطرِ ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطرُ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾.

وفي هذا التَّكرير ثلاثةُ أقوالٍ:

إحداها: أنَّه للتأكيدِ كقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر٣٠]، قاله الأخفشُ في آخرين[٣].

والثاني: أنَّ «قبل» الأولى للتَّنزيل، والثانية للمطرِ، قاله قطرب.

قال ابنُ الأنباريِّ: والمعنى: من قبلِ نزولِ المطرِ، من قبلِ المطرِ، وهذا مثل ما يقول القائل: آتيك من قبلِ أنْ تتكلَّم من قبل أنْ تطمئن في مجلسِكَ، فلا تنكر الإعادةُ لاختلافِ الشيئين.

والثالث: أنَّ الهاءَ في قوله: ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ ترجعُ إلى الهدى وإن لم يتقدَّم له ذكرٌ، فيكون المعنى: كانوا يقنطون من قبلِ نزولِ المطرِ، من قبل الهدى، فلمَّا جاء الهدى والإسلام زال القُنوط، ذكره ابنُ الأنباريِّ عن أبي عمرَ الدوري، وأبي جعفرِ بن قادم.

---

(١) في المحتسب (٢/ ١٦٤) عن سيدنا علي، وابن عباس، والضحاك، والحسن، بخلاف، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٥٧) ابن مسعود، ومعاذ العنبري، عن أبي عمرو، والزعفراني.

(٢) انظر: تفسير سورة النور الآية رقم (٤٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٧٦).

والمبلسون: الآيسون، وقد سبق الكلامُ في هذا(١).

﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «إِلَى أَثَرِ».

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ ﴾ على الجمعِ(٢).

والمرادُ بالرَّحمةِ هاهنا المطرُ، وأثرها النبت، والمعنى: انظر إلى حسنِ تأثيرِه في الأرضِ ﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: كيف يجعلُها تنبتُ بعد أنْ لم يكن فيها نبتٌ.

وقرأ عثمانُ بن عفَّان، وأبو رجاء، وأبو عمران الجَوني، وسليمانُ التَّيمي: «كَيْفَ تُحْيِ» بتاءٍ مرفوعةٍ مكسورةَ الياء ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بفتحِ الضَّادِ(٣).

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ أي: ريحًا باردةً مضرَّة، والرِّيحُ إذا أتت على لفظِ الواحدِ أُريدَ بها العذاب، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يقولُ عند [٦٣٣/أ] هبوبِ الرِّيحِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا**»(٤).

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٤).

(٢) السبعة (ص:٥٠٨).

(٣) في التحصيل (٥/ ٢٢٥) عن الجحدري، وأبي حيوة، وغيرهما.

(٤) رواه الشافعي في مسنده (٥٠٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٥٦)، والطبراني في الكبير (١١٥٣٣)، وفي الدعاء (٩٧٧)، والبيهقي في الدعوات (٣٦٩)، وفي إسناد الشافعي: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وهو متروك، وفي إسناد الباقين؛ الحسين بن قيس الرحبي، وهو ضعيفٌ أيضًا. انظر: الكامل (٣/ ٢٢٣).

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ يعني النبت، والهاءُ عائدةٌ إلى الأثرِ.

قال الزَّجَّاجُ: [المعنى][١]: فرأوا النَّبت قد اصفرَّ وجفَّ؛ ﴿لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ ومعناه لَيَظَلُّنَّ لأنَّ معنى الكلام الشَّرط والجزاء، فهم يستبشرونَ بالغيثِ، ويكفرونَ إذا انقطع عنهم الغيثُ وجفَّ النبتُ[٢].

وقال غيرُه: المرادُ برحمةِ الله: المطرُ، وظلُّوا بمعنى: صاروا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد اصفرارِ النَّبتِ، يجحدون ما سلفَ من النَّعمةِ.

وما بعد هذا مفسَّرٌ في سورةِ النَّملِ[٣] إلى قولِه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ وقد ذكرنا الكلامَ فيه في الأنفالِ[٤].

قال المفسِّرونَ: المعنى خلقكم من ماءٍ ذي ضعفٍ، وهو المنيُّ، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ يعني ضعف الطفولةِ قوَّةَ الشَّبابِ، ثُمَّ جعل من بعد قوَّة الشَّبابِ ضعف الكبر وشيبة ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي من ضعف وقوَّة وشباب وشيبة، وهو العليمُ بتدبير خلقِهِ القدير على ما يشاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾:

قال الزَّجَّاجُ: السَّاعةُ في القرآنِ على معنى: السَّاعة التي تقومُ فيها القيامةُ، فلذلك لم تعرف أي ساعة هي[٥].

---

(١) سقطت من الأصل، وهي من (س)، ومعاني القرآن وإعرابه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٨٩).

(٣) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٠، ٨١).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٦٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٩١).

قوله: ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يحلفُ المشركون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ في القبورِ ﴿غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾

قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: أُفِكَ الرَّجلُ؛ إذا عُدِل به عن الصِّدقِ، فالمعنى: أنَّهم قد كذبوا في هذا الوقتِ، كما كذبوا في الدُّنيا[١].

وقال غيرُه: أرادَ الله تعالى أن يفضحَهم يومَ القيامةِ بين المؤمنين، فحلفوا على شيءٍ يبين للمؤمنين كذبهم فيه، ويستدلُّون على كذبِهم في الدُّنيا، ثُمَّ ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الملائكة.

والثاني: المؤمنون.

قوله: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديره: وقال الذين أُوتوا العلمَ بكتاب الله والإيمان بالله، قاله ابنُ جريجٍ في جماعةٍ من المفسِّرينَ.

والثاني: أنَّه على نظمِهِ.

---

(١) غريب القرآن (ص:٣٤٣).

ثُمَّ في معناه قولان:

أحدهما: لقد لبثتم في علمِ الله، قاله الفَرَّاءُ(١).

والثاني: لقد لبثتم في خبرِ الكتابِ، قاله ابنُ قُتيبةَ(٢).

قولـه: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ أي: اليوم الذي كنتم تنكرونه ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ في الدُّنيـا أنَّه يكون.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامر: «لَا تَنفَعُ» بالتَّاءِ.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: بالياءِ؛ لأنَّ التأنيثَ غير حقيقي(٣).

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا يقبل من الذين أشركوا عذرٌ ولا توبةٌ(٤).

قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ أي: لا يطلبُ منهم العتبى والرُّجوع في الآخرةِ.

قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الروم: ٥٨-٦٠].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٣٢٦).

(٢) غريب القرآن (ص:٣٤٣).

(٣) السبعة (ص:٥٠٩).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٩).

قوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ أي: كعصا موسى ويده ﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ما أنتم يا محمَّد وأصحابك ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أي: أصحاب أباطيل، وهذا بيانٌ لعنادهم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما طبع على قلوبهم حتَّى لا يصدقون الآيات ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله، فالسببُ في امتناعِ [٦٣٣/ ب] الكفَّار من التَّوحيدِ الطَّبعُ على قلوبِهم.

قوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصركَ وإظهاركَ على عدوِّك ﴿حَقٌّ﴾.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾.

وقرأ يعقوبُ إلَّا روحًا وزيدًا: «يَسْتَخِفَّنْكَ» بسكونِ النُّون[(١)].

قال الزَّجَّاجُ: لا يستفزنَّك عن دينكَ ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: هم ضلَّال شاكون[(٢)].

وقال غيرُه: لا يوقنون بالبعثِ والجزاءِ.

وزعم بعضُ المفسِّرين أنَّ هذه الآية منسوخةٌ.

---

(١) في المحرر (٤/ ٣٤٤) عن ابن أبي إسحاق، ويعقوب، وزاد في البحر المحيط (٨/ ٤٠٤) ابن أبي عبلة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٩٢).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة المؤمنون	
١، ١١	٥
١٢، ١٦	١١
١٧، ٢٠	١٥
٢١، ٢٢	١٩
٢٣، ٤٤	٢١
٤٥، ٥٠	٣١
٥١، ٥٦	٣٣
٥٧، ٦١	٣٧
٦٢، ٦٧	٣٩
٦٨، ٧٣	٤٣
٧٤، ٧٧	٤٥
٧٨، ٨٩	٤٧
٩٠، ٩٨	٤٩
٩٩، ١٠٤	٥١
١٠٥، ١١١	٥٥
١١٢، ١١٨	٥٩

رقم الآية	الصفحة
سورة النور	

١، ٣	٦٣
٤، ٥	٧١
٦، ١٠	٧٥
١١، ٢٠	٧٩
٢١	٨٧
٢٢	٨٩
٢٣، ٢٥	٩١
٢٦، ٢٩	٩٣
٣٠، ٣١	٩٧
٣٢، ٣٤	١٠١
٣٥	١٠٧
٣٦، ٣٨	١١٥
٣٩، ٤٠	١١٩
٤١، ٤٣	١٢٣
٤٤، ٤٥	١٢٥
٤٦، ٥٢	١٢٧
٥٣، ٥٤	١٢٩

٥٥، ٥٦ .... ١٣١

٥٧، ٦٠ .... ١٣٣

٦١ .... ١٣٧

٦٢ .... ١٤٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الفرقان	

١، ٣ .... ١٤٥

٤، ٦ .... ١٤٧

٧، ٩ .... ١٤٩

١٠، ١٤ .... ١٥١

١٥، ١٦ .... ١٥٣

١٧، ٢٠ .... ١٥٥

٢١، ٢٤ .... ١٦١

٢٥، ٢٩ .... ١٦٥

٣٠، ٣٤ .... ١٦٩

٣٥، ٣٩ .... ١٧١

٤٠، ٤٢ .... ١٧٣

٤٣، ٥٢ .... ١٧٥

٥٣، ٥٥ .... ١٧٩

٥٦، ٦٠ .... ١٨٣

٦١، ٦٢ .... ١٨٥

٦٣، ٦٧ .... ١٨٧

٦٨، ٧٠ .... ١٩١

٧١، ٧٤ .... ١٩٧

٧٥، ٧٧ .... ٢٠١

رقم الآية	الصفحة
سورة الشعراء	
١، ٩	٢٠٥
١٠، ٢٢	٢٠٩
٢٣، ٢٨	٢١٥
٢٩، ٥٩	٢١٧
٦٠، ٦٨	٢١٩
٦٩، ٨٢	٢٢٣
٨٣، ٨٩	٢٢٥
٩٠، ١٠٤	٢٢٧
١٠٥، ١١٦	٢٢٩
١١٧، ١٣٥	٢٣١
١٣٦، ١٤٥	٢٣٣
١٤٦، ١٥٢	٢٣٥
١٥٣، ١٦٤	٢٣٧
١٦٥، ١٨٠	٢٣٩
١٨١، ١٩١	٢٤١
١٩٢، ١٩٩	٢٤٣
٢٠٠، ٢٠٩	٢٤٥

٢١٠، ٢٢٠ .... ٢٤٧

٢٢١، ٢٢٧ .... ٢٤٩

رقم الآية	الصفحة
سورة النمل	

١، ٨ .... ٢٥٣
٩، ١٤ .... ٢٥٧
١٥، ١٩ .... ٢٦١
٢٠، ٢٦ .... ٢٦٧
٢٧، ٣١ .... ٢٧٣
٣٢، ٣٥ .... ٢٧٧
٣٦، ٤٠ .... ٢٨١
٤١، ٤٤ .... ٢٨٧
٤٥، ٤٧ .... ٢٩٣
٤٨، ٥٣ .... ٢٩٥
٥٤، ٥٨ .... ٢٩٧
٥٩، ٦١ .... ٢٩٩
٦٢، ٧٥ .... ٣٠١
٧٦، ٨٢ .... ٣٠٣
٨٣، ٨٦ .... ٣٠٩
٨٧، ٩٠ .... ٣١١
٩١، ٩٣ .... ٣١٥

رقم الآية	الصفحة
سورة القصص	
١، ٦	٣١٧
٧، ٩	٣١٩
١٠، ١٣	٣٢٣
١٤، ١٧	٣٢٧
١٨، ٢٠	٣٢٩
٢١، ٢٨	٣٣١
٢٩، ٣٥	٣٣٩
٣٦، ٤٢	٣٤٧
٤٣، ٤٧	٣٤٩
٤٨، ٥٥	٣٥١
٥٦، ٥٨	٣٥٧
٥٩، ٦١	٣٦١
٦٢، ٦٧	٣٦٣
٦٨، ٧٥	٣٦٥
٧٦، ٧٧	٣٦٧
٧٨	٣٧١
٧٩، ٨٠	٣٧٣
٨١، ٨٢	٣٧٥
٨٣، ٨٨	٣٧٩

رقم الآية	الصفحة
سورة العنكبوت	
١، ٤	٣٨٣
٥، ٩	٣٨٧
١٠، ١١	٣٨٩
١٢، ١٣	٣٩١
١٤، ١٥	٣٩٣
١٦، ١٨	٣٩٥
١٩، ٢٣	٣٩٧
٢٤، ٢٥	٤٠١
٢٦، ٣٠	٤٠٣
٣١، ٣٥	٤٠٥
٣٦، ٤٠	٤٠٧
٤١، ٤٥	٤٠٩
٤٦	٤١١
٤٧، ٤٩	٤١٣
٥٠، ٥٢	٤١٥
٥٣، ٦٠	٤١٧
٦١، ٦٦	٤٢١
٦٧، ٦٩	٤٢٣

سورة الروم

رقم الآية	الصفحة
١، ٥	٤٢٥
٦، ٨	٤٢٩
٩، ١١	٤٣١
١٢، ١٦	٤٣٣
١٧، ١٩	٤٣٥
٢٠، ٢٩	٤٣٧
٣٠، ٣٨	٤٤٣
٣٩، ٤٠	٤٤٧
٤١، ٤٣	٤٤٩
٤٤، ٤٥	٤٥١
٤٦، ٥٧	٤٥٣
٤٨، ٥٧	٤٥٥
٥٨، ٦٠	٤٥٩